(97)

SİMKÂRİ İPEK KUMAŞ ÜZERİNDE XVIII YÜZ YIL OSMANLI CİLD SAN'ATI

Ragıp Paşa Kütüphanesi Kolleksiyonlarından

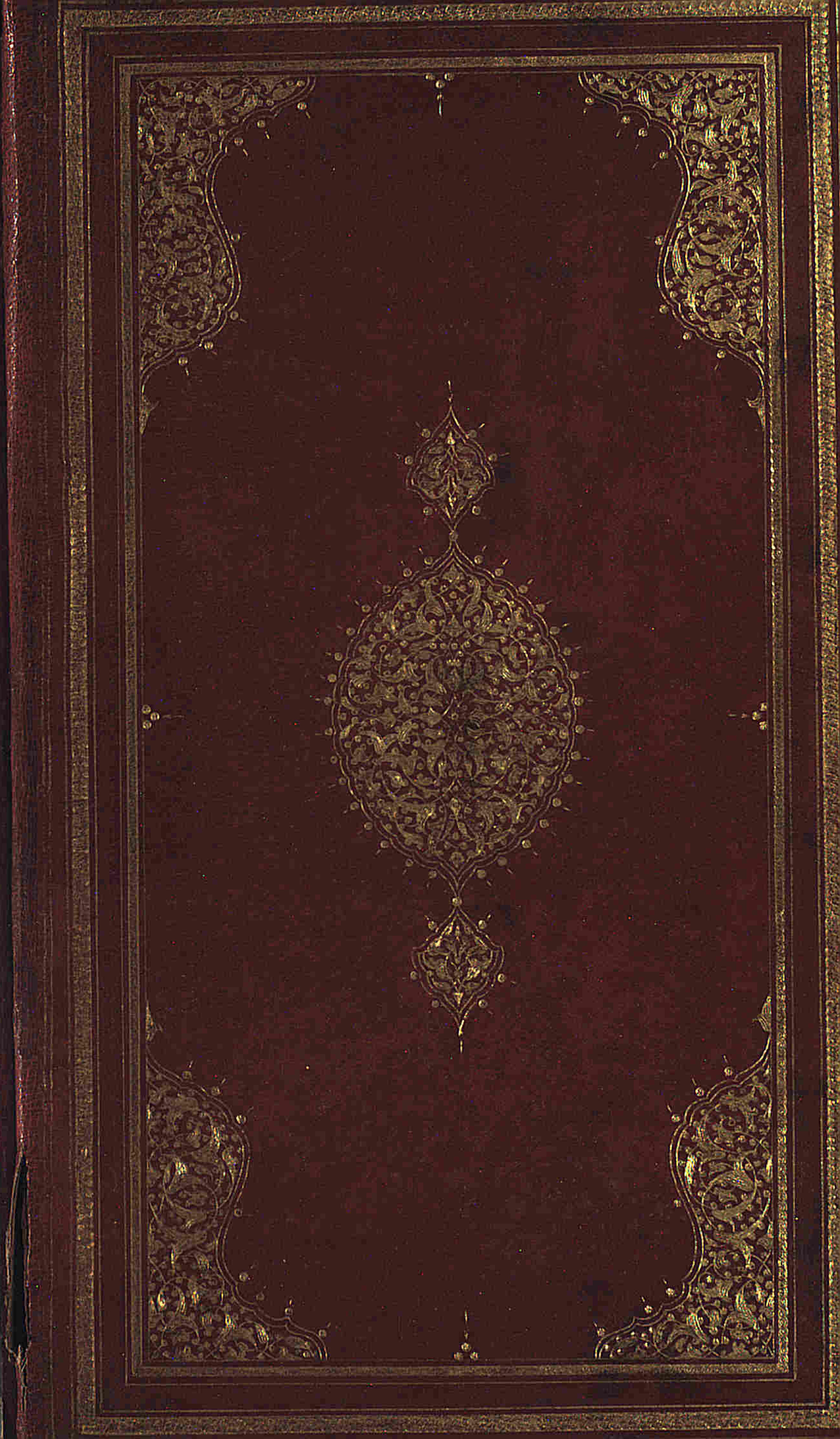

T. C.
MİLLİ E[illegible] BAKANLIĞI
RAGIP P.ŞA KITAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 78

RAĞIP P.
Ka. Nu.
96
97

تفسير النيسابوري
المسمى بغرائب القرآن
ورغائب الفرقان للعلام
حسن بن محمد القمي النيسابوري
المعروف
بنظام الدين الأعرج

٩٧

فهرس کلام قدیم

سورة الفاتحة ٢	سورة البقرة ١٦	سورة آل عمران ١١٨	سورة النساء ١٦٢
سورة المائدة ٢٠٠	سورة الانعام ٢٢٤	سورة الاعراف ٢٥٢	سورة الانفال ٢٨٤
سورة التوبة ٢٩٤	سورة یونس ٣١٧	سورة هود ٣٣٠	سورة یوسف ٣٤٧
سورة الرعد ٣٥٧	سورة ابراهیم ٣٦٣	سورة الحجر ٣٦٩	سورة النحل ٣٧٥
سورة بنی اسرائیل ٣٨٨	سورة الکهف ٤٠١	سورة مریم ٤١٣	سورة طه ٤٢٠
سورة الانبیاء ٤٣٢	سورة الحج ٤٤٣	سورة المؤمنون ٤٥٠	سورة النور ٤٥٧

سورة الفرقان ٤٧٠	سورة الشعراء ٤٧٧	سورة النمل ٤٨٣	سورة القصص ٤٩٠
سورة العنکبوت ٤٩٩	سورة الروم ٥٠٤	سورة لقمان ٥٠٨	سورة سجده ٥١٠
سورة الاحزاب ٥١٢	سورة السبا ٥١٩	سورة فاطر ٥٢٣	سورة یس ٥٢٧
سورة الصافات ٥٣٢	سورة ص ٥٣٧	سورة الزمر ٥٤٣	سورة المؤمن ٥٤٩
سورة فصلت ٥٥٥	سورة الشوری ٥٥٩	سورة الزخرف ٥٦٣	سورة الدخان ٥٦٨
سورة الجاثیة ٥٦٧	سورة الاحقاف ٥٦٩	سورة محمد ٥٧٣	سورة الفتح ٥٧٥
سورة الحجرات ٥٧٨	سورة ق ٥٨١	سورة والذاریات ٥٨٢	سورة والطور ٥٨٥
سورة النجم ٥٨٦	سورة القمر ٥٩٠	سورة الرحمن عز وجل ٥٩٢	سورة الواقعة ٥٩٤
سورة الحدید ٥٩٧	سورة المجادلة [illegible]	سورة الحشر ٦٠٤	سورة الممتحنة [illegible]

سورة الصف ٦٠٧	سورة الجمعة ٦٠٨	سورة المنافقون ٦٠٩	سورة التغابن ٦١٠
سورة الطلاق ٦١١	سورة التحريم ٦١٢	سورة الملك ٦١٤	سورة القلم ٦١٥
سورة الحاقة ٦١٨	سورة المعارج ٦٢٠	سورة نوح ٦٢١	سورة الجن ٦٢٣
سورة المزمل ٦٢٤	سورة المدثر ٦٢٦	سورة القيامة ٦٢٨	سورة الدهر ٦٣٠
سورة المرسلات ٦٣٢	سورة النبأ ٦٣٤	سورة النازعات ٦٣٥	سورة عبس ٦٣٧
سورة التكوير ٦٣٨	سورة الانفطار ٦٣٩	سورة المطففين ٦٤٠	سورة الانشقاق ٦٤١
سورة البروج ٦٤٢	سورة الطارق ٦٤٣	سورة الاعلى ٦٤٤	سورة الغاشية ٦٤٤
سورة الفجر ٦٤٥	سورة البلد ٦٤٧	سورة الشمس ٦٤٧	سورة الليل ٦٤٨
سورة الضحى ٦٤٩	سورة الانشراح ٦٥٠	سورة التين ٦٥٠	سورة العلق ٦٥١

سورة القدر ٦٥٢	سورة البينة ٦٥٣	سورة الزلزال ٦٥٤	سورة العاديات ٦٥٤
سورة القارعة ٦٥٥	سورة التكاثر ٦٥٦	سورة العصر ٦٥٧	سورة الهمزة ٦٥٧
سورة الفيل ٦٥٨	سورة قريش ٦٥٨	سورة الماعون ٦٥٨	سورة الكوثر ٦٥٩
سورة الكافرون ٦٦٠	سورة النصر ٦٦١	سورة لهب ٦٦٢	سورة الاخلاص ٦٦٢
	سورة الفلق ٦٦٣	سورة الناس ٦٦٤	

T. C.
MİLLİ EĞİTİM ... I
RAGIP PAŞA ... FLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 72

من الكتب التي وقفها الفقير

٩٧

RAGIP P.
Ka. Nu.
96

دیباچه تفسیر نیشابوری

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون

رب يسر وتمم بلطفك اي الله الكريم ارغب في ابداع غرائب القرآن وبفضلك العظيم اناجب لابداع رغائب الفرقان فاليه منتهى الامل والسؤل ومنه ابتغي المنح فاقول الحمد لله الذي جعلني ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجعلني ذا النفس الابية وجعله علية لا يكاد يستأنس الا بذكر حبه عاف سفساف الامور واخاف الموجبات الموبقات فشمر واميل عن زخرف الدنيا وزبرجها واكبح النفس ان تحوم حول مخرجها ومولجها هي النفس ما حملتها تتحمل ان ارسلت استرسلت وان قدعت انقدعت في الاثام وتمد السلف لنشر العيون الى امان الفارغة الفانية والاضاليل الملهية المثبطة عن السعادات الباقية وتاقت قلوبهم الى الكرامات الدائمات واشتاقت ارواحهم الى اللذات الحقيقيات وتاهت ضمائرهم في بيداء عظمة الملك والملكوت وذاقت سرائرهم في دوام ديمومية العزة والجبروت فتخلصوا من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت وفنوا بشهوده وبقوا بوجوده ورضي كل منهم بقضاء معبوده فتجلت لهم الذات واتحدت عندهم المختلفات فطاب لهم اللذات واعتليت لهم العتبات ولم تلج اعينهم الا الى ما يقرب الى الله زلفى وما جرت السنتهم الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى اسألك اللهم الاقتداء باولئك والتوفيق لشكر ما اسبغت علي والتمت من نعمائك واعوذ بك ان ازل او اضل فيما آتي واذر وان اركن الى الذين ظلموا فتمسني النار يوم الفزع الاكبر وثبت اقدام اقلامي على الصدق والتحقيق ان انطق بكلامي سوى الحق واجعلني بفضلك ممن لا ابتغي الا اليك ولا ارغب الا فيما لديك من غير سابقة علم مني وتبتني من غير توجب ذلك عليك فان فوتت فبما انعمت علي وقد امرت واما بنعمة ربك فحدث وان استغفرت فيما اسرفت على نفسي وقد قلت ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فيا من لا ينفد في جوده ثوب عرضي ولا تلبسني في الآخرة بالعزة واحرسني في دنياي من الذلة ولا تؤاخذني بالنقصان والاهمال ولا تعاقبني بالبوار والتواني حتى يكون لك الفضل في الآخرة والاولى ولك الثناء في المبدا والمحمدة في العقبى ادعوك دعاء البائس الفقير المستعين واتضرع اليك تضرع الذليل المستكين الخائف من هول مولاه الآيس بالكلية عن سواه فاستجب فانك سميع الدعاء واجب فانك قادر على ما تشاء والصلوة والسلام على عبيدك المخصوصين بتأييدك المنزهين من الادناس الجسمية المطهرين عن الارجاس النفسية الفائزين باشرف مراتب الانس الواصلين الى اعلى مدارج القدس الفائزين الى ارقى معارج القدس لا سيما محمد الذي اشرق في سماء النبوة بدرا واشرف على بساط الرسالة صدرا سيد الثقلين وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين المعتز بحباء الافلاك المتشرف بلولاك لما خلقت الافلاك صلى الله عليه وآله مفاتيح الجنة واصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا وبعد فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام الدين النيسابوري نظم الله احواله في اولاه واخراه يقول ان من العلوم عند ذوي الافهام ان كلام الملوك ملوك الكلام ويقرب ذلك من ان واجب الذات وممكن الذات يوجد التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام ... اذا وقع في معرض التحدي الذي تظهر النبي هنالك من المتنبي وهذا شأن القرآن العظيم والفرقان الكريم الذي اخرس شقاشق المنطيق منهم بقضيضهم وقضهم واخرس مصاقع فيما بين اوجهم وحضيضهم حتى اختاروا المقارعة بالسيوف على المعارضة بالحروف والمقاتلة بالاسنة على المقاولة بالالسنة والمكالمة بالكلام ومبارزة الاقران على الاتيان باقصر سورة من الفرقان قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وقال ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله تدرج لهم الامر فاوقع التحدي على القرآن جملة ثم على عشر ثم على سورة فاضطرهم التعجيز الى ايثار الاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر هو الاصعب في نفس الامر وذلك من اول دليل على حقية المنزل وصدق المنزل عليه كيف لا وفيه نبأ الاولين وخبر الآخرين وحكم ما بين الخلائق اجمعين قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصفه هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم ولقد انتصب جم غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين والائمة المتقنين في كل عصر وحين بالخوض في تيار بحاره والكشف عن استار اسراره والفحص عن غرائبه والاطلاع على رغائبه نقلا وعقلا واخذا واجتهادا فتباعدت مطامح هماتهم وتباينت مواقع نياتهم وتشعبت مسالك اقدامهم وتشتتت مساقط افهامهم فمن وجيز واوجز ومطنب وملغز ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن لاحظ مع ذلك حقائق المعاني ونكت الالحاظ فشكر الله تعالى مساعيهم وصان عن ازراء القادح معاليهم ثم

من اعرض عن التفسير واقبل على التأويل وهو عندي ركون الى الاضاليل وسكون على شفا جرف الاباطيل الا من عصمه الله وانه لقليل ومنهم من مرج البحرين وجمع بين الامرين فللراغب الطالب ان يأخذ العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلتقط الدر الثمين ويسقط الثبج والزجاج وقد وفقني الله تعالى لتحريك القلم في اكثر الفنون المنقول والمعقول كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين اهل الزمان وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان وكان قد رزقني الله تعالى من ابان الصبى وعنفوان الشباب حفظ لفظ القرآن وفهم معنى الفرقان وطالما طالبني بعض اجلة الاخوان واعزة الاخدان ممن كنت مشارا اليه عندهم بالبنان في البيان والله المستعان يجازيهم على حسن ظنونهم ويوفقنا الى اسعاف سؤلهم وانجاح مطلوبهم ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا على ما وقع الينا من نقل الاثبات واقوال الثقات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتأخرين جعل الله تعالى سعيهم مشكورا وعملهم مبرورا استعنت بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون لا كمن هو بابته وبشره مفتون كيف وقد قال عز من قائل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا وكفى بالله وكيلا فلما كان التفسير الكبير المنسوب الى الامام الافضل والهمام الامثل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الفائز بالفروع والاصول افضل المتأخرين فخر الملة والحق والدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابقا للمسمى وفيه من اللطائف والبحوث ما لا يحصى من الزوائد والغثوث ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين واعوز تحصيله على الراغبين حاذيت سياق مرامه واوردت حاصل كلامه وقربت مسالك اقدامه والتقطت عقود نظامه من غير اخلال بشيء من الفوائد واهمال لما يعد من اللطائف والفوائد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات واوردتني الله تعالى من البضاعة المزجاة واثبت القراءات المعتبرات والوقوف المعللات ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات مع اصلاح ما يجب اصلاحه واتمام ما ينبغي اتمامه من المسائل الموردة في التفسير الكبير والاعتراضات وجل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فان ذلك يورده من ظن ان تصحيح القراءات وغرائب القرآن انما يكون بالامثال والمستشهدات كلا فان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه ولا علينا ان نقتصر في غرائب القرآن على تفسيرها بالالفاظ المشتهرات فعلى ايراد بعض المتجانسات التي يعرف منها اصول الاشتقاقات وذكرت طرفا من الاشارات المقنعات والتأويلات المحكمات والحكايات المبكيات والمواعظ الرادعة عن المنهيات الباعثة على اداء الواجبات والتزمت ايراد لفظ القرآن الكريم اولا ثم ترجمته على وجه بديع وطريق منيع يشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتأويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان هذا النوع من الترجمة مما تسكب فيه العبرات ويرتد المترجمون هنالك الى الغبرات وقل ما يفطن له الا من يقف على اللغة العربية فضلا عمن الدخيل القاصر في العلوم الادبية وقد اجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف الثمام ليكون الكتاب كالبدر في التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملام ولا تقصير يوهم سالك المسالك ويبدد نظام الكلام فخير الكلام ما قل ودل وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسؤول ممن بيده مفاتح الفضل والاحسان وخزائن البر والامتنان وهذا اوان الشروع في تفسير القرآن ولنقدم امام ذلك مقدمات المقدمة الاولى في فضل القراءة والقارئ وآداب القراءة وجواز اختلاف القراءات وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن ابي طالب امير المؤمنين كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار وعن عثمان ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن مثل الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها وفي الصحاح كلها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلوة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال صلى الله عليه وسلم ارسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه اذا تقرر ذلك فنحن نذكر في الكتاب من القراءة السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونرى ان نفصل هاهنا اساميهم واسامي رواتهم المشهورين بما نسبته في اثناء التفسير الى كل منهم والله ولي التوفيق

ذكر القراء السبعة وثمانية نفر عنهم من الرواة وطرقهم من الثقات ابو عمرو زبان بن العلاء البصري روى عن مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات سنة اربع وخمسين ومائة رحمه الله تعالى وراوياه ابو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وابو الفتح عامر بن صالح الموصلي المعروف باوقية طريق ابي قبيصة حاتم بن اسحق الموصلي وابو شعيب صالح بن زياد السوسي طريق ابي الحرث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابراهيم بن حماد طريق ابي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي رحمهم الله تعالى وابو نعيم شجاع بن ابي نصر الخراساني روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب طريق ابي علي حسن بن الحسين الصواف رحمه الله تعالى وعباس بن الفضل الانصاري عنه ابو عمر محمد بن عمر روى طريق ابي اسحق ابراهيم ابن كعب الموصلي طريق شباب بن خليفة وهو الاصح واوقية طريق ابن اسحق الصباغ عن اوقية رحمه الله تعالى ابن كثير هو ابو محمد عبد الله بن كثير المكي روى عن مجاهد بن جبر عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة عشرين ومائة رحمه الله تعالى ورواته اربعة ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع ابن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن كثير رجال لانه روى عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى عن البزي ابو ربيعة محمد بن اسحق بن اعين الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق ابي بكر محمد بن الحسن المعروف بنقاش الموصلي وابو محمد اسحق بن احمد الخزاعي المكي طريق ابن شنبوذ وطريق الهاشمي وطريق ابي بكر احمد بن محمد الطوابيقي وطريق ابي القاسم السرنديبي وطريق ابي الحسن علي بن زوانة القزاز وطريق ابي بكر محمد بن عيسى بن بندار الجصاص وابو علي الحسين بن محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزي وابو الحسن احمد بن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير ايضا رجال لانه روى عن ابي الاخريط وهب بن واضح عن اسمعيل بن عبد الله ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير روى عن القواس قنبل طريق ابي ربيعة طريق ابن مجاهد طريق ابي

طريق الزينبي

عون القاضي طريق ابن شنبوذ . طريق ابي القسم زمعة بن صالح عن ابن كثير طريق عبد الله بن سعدة وطريق شعيب بن مرة عبد الله بن فليح عن رجاله
عن ابن كثير ورجاله محمد بن سبعون وداود بن شبل عن اسمعيل بن عبد الله عن ابن كثير روى عن ابن فليح ابو علي الحداد وطريق النقاش وطريق الهاشمي وطريق الخزاعي وطريق
ابن شنبوذ رحمهم الله تعالى نافع ابن ابي نعيم المدني قرا على ابي جعفر القاري وعلى سبعين من التابعين على ابن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب على النبي
صلى الله عليه وسلم وتوفي بسنة تسع وستين ومائة وروايته ثلثة اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه ابو الزعراء وابو بكر الحسن بن علي بن بشار النحوي
وابو جعفر احمد بن فرج الضرير قالون واسمه عيسى بن مينا النحوي روى عنه ابو علي الحسن بن العباس الرازي طريق ابي بكر احمد بن حماد المقرئ وابو ابراهيم مصعب
ابن ابراهيم الزبيري طريق ابي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وابو نشيط محمد بن هارون المروزي طريق ابي حسان محمد بن احمد بن الاشعث الجيزي وابو الحسن احمد بن يزيد
الحلواني طريق الحسن بن عباس الرازي وطريق ابي عون القاضي ورش اسمه عثمان بن سعيد المصري روى عنه محمد بن عبد الرحيم الاصبهاني طريق ابي الحسن
محمد بن احمد المروزي وطريق ابي القسم بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق البخاري طريق ابي الاسعد احمد بن ابراهيم الفقيه وطريق ابي بكر محمد
بن محمد بن مرثد التميمي رحمهم الله تعالى ابن عامر اليحصبي الشامي قرا على المغيرة بن شهاب المخزومي على عثمان بن عفان رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible]

بعد القراءة

بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ ولانه قد يدخل الرياء والعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب فيناسب ان يستعيذ من ذلك الثاني الاكثرون
على ان الاستعاذة مندوبة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة وزيف لان الخبر غير مشتمل على بيان جملة واجبات الصلوة
فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها ، وعن عطا ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها لان النبي صلى الله عليه وسلم واظب عليها وقال
تعالى فاتبعوه ولان الامر في فاستعذ للوجوب والايجاب عند كل قراءة لانه قال فاستعذ وذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان فاذا قرأت
الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وعن ابن سيرين وجوبها في العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة
الا في قيام رمضان الثالث المستحب فيها الاسرار في الصلوة وان كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من الذكر وهو دعاء الافتتاح ولان الجهر كيفية وجودية والخفاء
عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم وانما تستحب في كل ركعة لما مر من ان الحكم يتكرر بتكرر العلة ولكنها اكد في الاولى الرابع اعلم ان الكلام في معنى قول
القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ به والمستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة ففيها ابحاث البحث الاول معنى اعوذ
الالتجاء او الالتصاق يقال اطيب اللحم عوذه وهو ما التصق منه بالعظم اي التجاء الى رحمة الله والتصق بفضله وانا بالله لا التصاق كان بي من الشيطان لانه
لانه ابدا بالتبري من الشيطان والتصق برحمة الله واعانته والاستعاذة لا تتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع دينية او دنياوية ودفع المضار عاجلة وآجلة
وان الله تعالى قادر على تحصيل المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه ويتولد عن هذا العلم في القلب حالة هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب ان يصير
العبد مريدا لان يصونه الله تعالى عن الافات ويفيض عليه الخيرات ثم يصير لسانه طالبا لذلك فيقول اعوذ بالله والركن الاعظم في الاستعاذة هو ان يعلم العبد ان الله
سبحانه عالم بكل المعلومات والا جاز ان لا يعلم حاله فيقع الاستعاذة عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه جواد مطلق
والا لجاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مراده والا لم يكن صادق الرغبة في الاستعاذة به والحاصل ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة
العبودية لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض الاكياس ربما بقي في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الى ان يجيء بعده من يحلها ولهذا
وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب ولولا اعانة الله تعالى وارشاده لم تتخلص سفينة فكره من امواج الضلالات وايضا كل واحد يريد ان يحصل له الدين الحق
لا يرضى لنفسه الجهل والكفر وكم من ضال مبتلى في الدنيا ولا خلاص له من ظلمات الشبهات الا باعانة رب الارض والسموات وايضا فالحد الاوسط للمطالب في الذهن
لا بهداية من بيده مفاتيح الخيرات وايضا البدن لشبه الجحيم وعليها تسعة عشر من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والقوى الطبيعية السبع والشهوة و
الغضب ومجال تصرف كل منها غير متناهية بحسب الشخص والعدد ويحصل من كل منها اثر في القلب يجره من اوج عالم الروحانية الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص
للقلب عن هذه الظلمات الا بنور الله تعالى وايضا كما انه لا غاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخياليات وكما انه لا يمكن تحصيل
الكمالات التي لا نهاية لها فكذلك لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واهب السعادات الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية قال تعالى وعزتي وجلالي
لاقطعن امل من يؤمل غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد
بيدي وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وابواب غيري مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ، ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في سائر
الادعية والعبادات التي جعلها الله تعالى اسبابا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد وذلك انه تعالى فعال لما يريد خالق لما يشاء كما يشاء لا اعتراض
لاحد من خلقه عليه وعلى افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه اذا امرك بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع
الوساوس والهواجس كما انه اذا جعل الاكل والشرب وان كان الاشباع والارواء من الله تعالى وان كان بقدرة الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة
للجبرية والمعتزلة لانها تحوم حول ما اشرنا اليه ولا يجتمك على سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك
منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك البحث الثاني المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق يفتقر الى الاستعاذة به تعالى ولهذا قال نوح
رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم فاعطي السلام والبركات في قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف معاذ الله انه ربي احسن مثواي
نصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فاغرق الله عدوه واورثه ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امرأة
عمران اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقد امر نبينا صلى الله عليه وسلم قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ
برب الناس فوقي شر العقد وكفي شر الوسواس الخناس البحث الثالث المستعاذ به انما هو الله او كلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامات اما
البحث عن اسم الله تعالى فيجيء في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد ابداعات الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير مادة ومدة وكان الارواح البشرية تستعيذ وتستعين
بالارواح العلوية المقدسة في دفع شر الارواح الخبيثة وانما تحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان تدبيقي في نظره الالتفات الى ما سوى الله واما اذا تغلغل في بحر التوحيد لم يستعذ
الا بالله ومن الله كما قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك واذا فني عن نفسه وفني ايضا عن فنائه عن نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك البحث الرابع المستعاذ وهو الشيطان الرجيم
منه وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول اما اشتقاقه فمن شطن ويقال شطن الدار اي بعدت والشيطان بعيد عن الله وعن الرشاد وقد سمى كل متمرد من انس او دابة شيطانا
قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس وركب عمر رضي الله عنه برذونا فطفق يتبختر به فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملتموني الا
على شيطان هذا اصح قولي سيبويه وعلى هذا فنونه اصلية ووزنه فيعال وقد جعل سيبويه في موضع اخر النون زائدة وجعله فعلان من شاط يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد
كالباطل في نفسه لانه مبطل لوجوه مصالح نفسه سمي شيطانا ، والرجيم معناه المرجوم كاللعين بمعنى الملعون ومعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما لانه تعالى امر
الملائكة برمي الشياطين بالشهب الثواقب ثم وصف بذلك كل شرير متمرد واما من ضم الى الاستعاذة قوله انه هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتداء بما ورد في القرآن
ان العبد كانه يقول يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل خفي انت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وانت القادر على دفعها عني فادفعها عني بفضلك ولنتكلم في
الشياطين فنقول من الناس من انكرهم لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان يراه كل من كان سليم الحس كما لا نراه وان كان جسما لطيفا
لوجب ان يتمزق ويتفرق عند هبوب الريح العاصفة ولزم ايضا ان لا يقدر على الاعمال الشاقة التي ينسبها اليه المثبتون فالجواب انه لم لا يجوز ان يكون جوهرا مجردا ثم
وبتقدير ان يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تعالى عنه ابصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وعلى تقدير
كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالافلاك الوجه الثاني قالوا الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس وشوهدت منهم العداوة والصداقة
وليس كذلك واهل التعزيم اذا ابرأهم من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما يحسبون لهم ومجال المنع في هذا الوجه لا يخفى لسقوط الاختلاف والعداوة منه بالنسبة الى كثيرين
قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ومن الجن من يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله تعالى
قد اعانني عليه فاسلم الوجه الثالث قالوا ان الجن لو قدروا على ايذاء الانبياء لا يقدر اتباعهم او على تقدير ثبوتهم يجوز ان يقال كلما اتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فلم يكن بالمعجز دليلا

الجوع كان بسبب نفوذ الجن في الجوع وكل فرع ادى الى ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء عليهم السلام كما يجب يدل على صدق اخبارهم ومن جملة ما اخبروا عنهم وجود الجن والشياطين فيصح وجودهم واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويليها مرتبة الارواح المتعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم ملائكة الكرسي ثم ملائكة السموات طبقة فطبقة ثم ملائكة كرة الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم ملائكة المسلطة على البحار ثم على الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد تكون مشرقة خيرة وهم من قبيل الملائكة وقد تكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظ الجن ماخوذ من الاستتار عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة الانسان وطوايف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذاتيات كما بين الانسان والفرس وقيل بالعوارض فالجن اخيارهم والشياطين اشرارهم والمشهور ان الجن لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم كانوا مجردين فلا استبعاد في كونهم متصرفين في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطنه كيف وقد ورد في القرآن لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم والاتفاق في ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال صلى الله عليه وسلم في الخلاء انه زاد اخوانكم من الجن وفي القرآن افتتخذونه وذريته اولياء من دوني واما كيفية الوسوسة فيروى ان عيسى عليه السلام دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني آدم فاراه ذلك فاذا رأسه مثل رأس الحية واضع رأسه على قلبه فاذا ذكر الله خنس فاذا لم يذكره وضع رأسه على حبة قلبه وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء الآية فمن الخواطر ما هو اصل السعادة ومنها ما هو اصل الشقاوة وسبب اشتباه خطاء الخواطر بصوابها احد اربعة اشياء اما ضعف اليقين او قلة العلم بصفات النفس واخلاقها او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا جاهها ومالها ومن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا واتفق المحققون على ان من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيف امكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى ان الانسان بينما هو ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان فيحدث الميل ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكان الذي اتى به الشيطان من خارج ليس الا ذلك التذكر واليه الاشارة في القرآن حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولا يشتغل بذلك التذكير وانما يقدم الشيطان على ذلك لعدم وقوع فطرته الاولى لحكمة عرفها الله تعالى فيه والمقصود من الاستعاذة لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان معظم المقاصد ولهذا خص بالذكر في القرآن العظيم وهو في الحقيقة دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية

نكتة في الاستعاذة اعوذ بالله عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الى الواجب لان اعوذ اشارة الى الحاجة التامة وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ومن عرف نفسه بالقصور عرف الله بانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلاف الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب **الثاني** سر الاستعاذة الالتجاء الى قادر يدفع عنك الآفات وقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القرآن عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فلهذا اختص الاستعاذة بالقراءة عند الفرار من العدو الغدار يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويدخل في حضرة الملك الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم **الثالث** الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلوة الحقيقية هي ذكر الله فيقول بسم الله **الرابع** العبد مأمور بمحاربة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وبمحاربة العدو الباطن ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حاربت العدو الظاهر كان مددك الملك يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فاذا حاربت العدو الباطن كان مددك الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن اولى لان العدو الظاهر ان غلب يفي الدين واليقين وكنا ماجورين وان غلب العدو الباطن كنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا والخلاص من شره الا بان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **الخامس** قال الله تعالى يا عبدي قلبك بستاني وجنتي بستانك فلما لم تبخل علي ببستانك بل انزلت معرفتي فيه لم ابخل عليك ببستاني فانزلك فيها وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى كانه يقول للعبد انا الذي انزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك ومن اراد ان ينزل سلطانا في حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من لوث الوسوسة وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **السادس** ابليس قال في حق ابويك اني لكما لمن الناصحين فدليهما بغرور واقسم فيك لاغوينهم اجمعين فما ظنك بعاقبة معاملته فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **السابع** انما اختص اسم الله للاستعاذة به من بين سائر الاسماء لان العدو كلما كان اشد احتيج الى قدرة اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما هو الله وكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم الذي لا يرضى بشيء من المنكرات من الشيطان الرجيم **الثامن** الشيطان اسم والرجيم صفة ثم انه لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد ان الشيطان بقي في الخدمة الوفا من السنين ولم يقدر على ضير شاء ذلك رجمناه وطردناه وانت لو صاحبك الشيطان لحظة واحدة اخلك في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **التاسع** يقول الله تعالى عبدي انه يراك وانت لا تراه فتغلب كيده فكيف فتمسك بمن يرى الشيطان والشيطان لا يراه وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم **العاشر** الالف واللام في الشيطان للجنس ليفيد الاستعاذة من هذا الجنس سلطانا انسيا او غيره ولو جعل للعهد جاز فيدخل ذريته فيه تبعا **الحادي عشر** الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فكان الشيطان لا يجعله الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاعرف انه لا يجعلك بعيدا حيث جعلك قريبا **الثاني عشر** انه شيطان رجيم وانا رحمن رحيم فاحذر الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم **الثالث عشر** الشيطان عدو وغالب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والله تعالى حبيب غالب والله غالب على امره فاذا قصدك العدو الغالب فارجع الى الحبيب الغالب

المقدمة الثالثة في مسائل مهمة **المسئلة الاولى** القراءات السبع متواترة لا بمعنى ان سبب تواترها اتفاق القراء السبعة عليها بل بمعنى ان ثبوت التواتر بالنسبة الى المتفق على قراءته كثبوته بالنسبة الى كل من المختلف في قراءته ولا مدخل للقارئ في ذلك الا من حيث ان مباشرته لقراءته اكثر من مباشرة غيره حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراءات متواترة لانه لو لم يكن كذلك لكان بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوهما اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان احدهما قرآن بالاتفاق وتخصيص احدهما بانه متواتر دون الآخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا اولوية فكلاهما متواتر فاما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف الهمزة ونحوها **الثانية** اتفقوا على انه لا يجوز القراءة في الصلوة بالوجوه الشاذة لان الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن لبلغت في الشهرة الى حد التواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلوة للاحتمال فوجب ان يبقى قراءتها في الصلوة على اصل المنع **الثالثة** السبعة الاحرف التي نزل بها القرآن في قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند اكثر العلماء انها سبع لغات من لغات قريش لا تختلف ولا تتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جائز عندهم ان يكون في القرآن لغة لا يعرفها قريش لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم و

ذلك

وذلك ان قريشا تجاور البيت وكانت احياء العرب تاتي اليهم للحج فيسمعون لغاتهم ويختارون من كل لغة احسنها وصفا كلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان السبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن سيرين ان ابن مسعود قال اقرؤا القرآن على سبعة احرف وهو كقول احدكم هلم وتعال واقبل وقال بعضهم انها سبع قبائل من العرب قريش وقيس وتميم وهذيل واسد وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من اي لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني لقوله صلى الله عليه وسلم انه قد وسع ان يقرأ كل قوم بلغتهم وقيل معناه في صفات الرب تبارك وتعالى مكان قوله عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا القرآن على سبعة احرف ما لم تختموا مغفرة بعذاب وعذابا بمغفرة او جنة بنار ونارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل لانه لو جاء في كلمة اكثر من سبع قراآت جاز ان يقرأ بها وعن مالك بن انس انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى انه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمات ربك وكلمة ربك وكالتذكير والتانيث في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف الادوات في مثل قوله تعالى ولكن الشياطين بالتشديد ونصب ما بعدها وبالتخفيف والرفع وكاختلاف اللفظ في الحروف نحو تعلمون بالتاء والياء وننشرها بالراء والزاء وكالتفخيم والامالة والقصر والمد والهمزة وتركه والاظهار والادغام ونحوها وذهب جماعة الى حملها على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وامر ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده المحققون من قبل ان الاخبار الواردة في مخاصمة الصحابة في القراءة تدل على ان اختلافهم كان في اللفظ دون المعنى قال بعض العلماء اني تدبرت الوجوه التي تتخالف بها لغات العرب فوجدتها على سبعة انحاء لا يزيد ولا ينقص وبجميع ذلك نزل القرآن **الاول** ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قرأ ابن مسعود كالصوف المنقوش **الثاني** ابدال حرف بحرف كالتابوه والتابوت **الثالث** تقديم وتاخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما في الحروف نحو افلم ييأس الذين آمنوا وافلم يأيس **الرابع** زيادة حرف ونقصان نحو ماليه وسلطانيه ولا يكنه في ترتيبه **الخامس** اختلاف حركات البناء نحو تحسبن بفتح السين وكسرها **السادس** اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا قرأ ابن مسعود بالرفع **السابع** التفخيم والامالة واختلاف في التفخيم والترقيق انما في نفس اللغة والتفخيم اعلى واشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلف لغات العرب قد انزل الله باختلافها القرآن متفرقا فيه ليعلم بذلك ان من نزل على ظاهر التلاوة وترتيله او من تعذر عليه ترك عادته فخرج الى نحو ما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه وكل هذه انما هو ما لم يختلف فيه المعاني فان قيل فما قولكم في القراءات التي تختلف بها المعاني انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة الاحرف وليس يجوز ان يكون فيما انزل الله من الالفاظ تختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى التنافي والتناقض لكن مجرى التغاير الذي لا تضاد فيه ثم انها تتجه على وجوه منها ان تختلف بها الحكم الشرعي على المباولة بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا واحدى القراءتين تقتضي فرض الغسل وقد جمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بجعل المسح للابس الخف في وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا الضرب مما لا يجوز القراءة الا اذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه وليس يعذر من تركه في مثله عما هو المنزل حتى يراجع الصواب ويفزع الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير المباولة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن من الطهر وحتى يطهرن مشددة الطاء من التطهير فان القراءتين جميعا تقتضيان حكمين مختلفين فيلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة في امثال هذه الا بالنقل الظاهر ومن تركه مثله الى ما يقتضي امرا قد علم ثبوته ولم يقرأ به فلم يكن عليه حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنى لو صحفه واحد فيقرأ الربا بالراء والباء من الربا في المال فانه منهي عنه كالزنى فان كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك واما التضاد والتنافي فغير موجود في كتاب الله تعالى والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التنافي وهو مفقود والناسخ ينهي المنسوخ ويبين ان في علم الله تعالى انتهاء حكم المنسوخ وقوله صلى الله عليه وسلم لكل آية ظهر وبطن اي ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم فنقول في ذلك كما امرنا ونكل علمه الى الله تعالى وقيل هو ان يؤمن بظاهرها وقوله لكل حد مطلع اي لكل طرف من حدود الله التي يوقف هنالك ولا يتجاوز عنه من مامور ومنهي ومباح مصعد وما يؤتى منه ونيلهم مقداره من الثواب والعقاب يعاينه في الآخرة كما قال عمر رضي الله عنه لو ان لي ما في الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعني بالمشرف عليه من امر الله بعد الموت

المقدمة الرابعة في كيفية جمع القرآن روي عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة واذا عنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير فاني ارى ان تامر بجمع القرآن قال فقلت كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له ورأيت فيه الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال فكانت الصحف عند ابي بكر رضي الله عنه حتى مات ثم كانت عند حفصة مدة الى ان ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك فارسلت الى عثمان رضي الله عنه فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فامرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان الى كل افق بمصحف من تلك المصاحف وامر بما سوى ذلك من القرآن ان يحرق او يخرق قال زيد بن ثابت فرأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون احسن والله عثمان وقال علي رضي الله عنه لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود كره ان ولي زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ كتابة المصحف ويتولاها رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يعني زيدا فكان اول من امر بجمع القرآن في الصحف ابا بكر رضي الله عنه مخافة ان يضيع منه شيء فيما لم يجمع عليه وكان الناس يقرؤن بقراءات مختلفة على سبيل ما اقراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى وقت عثمان ثم ان عثمان رضي الله عنه جمع الناس على واحد وحرف واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلموا ان القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما نزلت آية الا وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاتبين بوضعها بجنب سورة كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه اربعة من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي غيرانهم لم يكونوا قد جمعوا ما بين الدفتين ولم يرتبوا القراءة توالي سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم او كتبها ثم خرج في سرية فنزل في وقت مغيبه سور فانه كان اذا رجع ياخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع ما فاته على حسب ما يسهل له فيقع فيما يكتبه تقديم وتاخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ انسابها واشعارها بشعرائها من غير كتابة ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسب ثقة منه بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون بانفسهم حاجة الى مصحف ينظر فيه ولما ان مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبيله وجد المهاجرون والانصار اجنادا افترقوا في اقطار البلدان واستحر القتل في بعضهم كما ذكر خيف حينئذ ان يتطرق اليه ضياع فامر بجمعه في

المقدمة الخامسة في المعاني المصحف والكتاب والقرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وغير ذلك المصحف مفعل من اصحف اي جمع فيه الصحف والصحف جمع صحيفة والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه وقد يقال مصحف بكسر الميم وروي ان ابا بكر الصديق استشار الناس بعد جمع القرآن في اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف

تكملة

كيفية جمع القرآن

ويطلع عليه

عمر حتى مات ثم كانت

احسن والله عثمان

الی البعض لانه مصدر کتب ای جمع قال تعالی اولئک کتب فی قلوبهم الایمان ای جمع حتی استجمع ای جیب علیهم الکتاب فعل الکاتب ولکنه
فاعل نحو هذا الدرهم ضرب الامیر وهذا خلق الله والقرآن اسم الکتاب المنزل علی نبینا محمد صلی الله علیه وسلم کما ان التوریة اسم الکتاب المنزل علی
عیسی والزبور المنزل علی داود علیهم السلام والقرآن یهمز ولا یهمز فمن همزه قال وزنه فعلان مثل قربان والترکیب یدل علی الجمع والضم ومنه القرء
ذلک الوقت ومنه قولهم قرنت الماء فی الحوض فالقرآن نزل شیئا بعد شیء فلما جمع بعضه الی البعض سمی قرآنا لانه جمع السور ومنها قال
ای تألیفه وضم بعضه الی البعض وقولک قرأت معناه جمعت الحروف بعضها الی البعض ومن لم یهمز القرآن وهو قراءة اهل مکة فانما
کما قرأنا علی ان وزنه فعال من قرنت والنون لام الکلمة سمی بذلک لانه قرن السور والآیات بعضها الی البعض وقیل ان القرآن اسم
غیر مشتق کالتوریة والانجیل ویسمی القرآن فرقانا لانه یفرق بین الحق والباطل والمؤمن والکافر والحلال والحرام واما السورة من القرآن
اکثر وعلیه القراءة والسورة لانه جمعت وقرنت بعضها الی البعض حتی تمت وکملت وبلغت فی الطول المقدار الذی اراد الله تعالی ثم یفصل
جبینهم الله الرحمن الرحیم ولا یکون السورة الا معروف المبدأ معلوم المنتهی وقیل اشتقاقها من سور البناء والمدینة لان السور یرتفع
ینتهی الی الارتفاع الذی یراد فالقرآن ایضا وضع آیة الی آیة حتی بلغت السورة فی عدد الآی المبلغ الذی اراد الله تعالی وقیل سمیت
بالعلو والرفعة کما ان سور المدینة سمیت سورا لارتفاعه قال النابغة الم تر ان الله اعطاک سورة تری کل ملک دونها یتذبذب ای شرفا

[illegible]

راية الشلان وماسواها يا ايها وبا ايها بالالف ، وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا بالالف وفي الفرقان ام هم ضلوا السبيل وفي الاحزاب وهو
يهدي السبيل وبها رسل ايه وكتب في الانسان قواريرا بالالف قوارير من فضة بغير الف وكتب في الانعام اينكم لتشهدون وفي الاعراف اينكم لتاتون الرجال
وفي العنكبوت اينكم لتاتون الرجال وفي حم السجدة اينكم لتكفرون بالياء وماسواها بغيرياء ، وكتب في الاعراف ان لنا لاجرا بغيرياء وفي الشعراء اين لنا لاجرا
وكتب في النمل اينا لمخرجون بالياء وكذا في الصافات اينا لتاركوا وماسواها فهو اتنا بغيرياء وكتب في الواقعة ايذا بالياء وفي سائر القرآن اذا بغيرياء وكتب
في هود في اموالنا ما نشاؤا بالالف بعد الواو ومثله في الانعام انباء انبؤا وفيها انهم فيكم شركوا وفي عسق ام لهم شركوا وفي الروم من شركائهم شفعوا و
ابراهيم فقال الضعفوا وفي الشعراء فسيأتيهم انبؤا وفيها ايضا ان يعلمه علمؤا وفي فاطر من عباده العلمؤا وفي الصافات لهو البلؤا وفي حم الاولى وما دعوا
الكافرين وفي الدخان ما فيه بلؤا وفي الممتحنة انا برءوا وكتب جزؤا بالواو الا في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امرؤ هلك وتفيؤا ظلاله ويعبؤا بكم واتوكؤا عليها
وتفتؤا تذكر ويدرؤا عنها وتبوا الذين وينبؤا الخصم وينشؤا في الحلية ولا تظمؤا فيها ويبدؤا الخلق وما اشبهها بواو والف ليقوا ايها الهمزة المتحركة او على لغة
من لا يهمز ولو كتب كلها بالواو وحدها او بالالف وحدها لجازت ، وكتب في الانعام من نباي المرسلين بياء بعد الهمزة وكذا في يونس من تلقاي نفسي وفي النحل وايتاي ذي
القربى وفي طه ومن اناي الليل وفي عسق او من وراي حجاب ، وكتب في القرآن من ذوات الواو بالالف مثل دعا وعفا وتلا الا ضحيها وتليها ودحيها وسجى وما زكى وذوات
الياء تكتب بالياء مثل جرى ورمى وقضى الا احرفا وهي ومضا مثل الاولين وجنا الجنتين دان وطغا الماء واقصا المدينة واحيا الناس وكل ياء اجتمعت
في كلمة مثل الدنيا والعليا جعلت الياء الاخيرة الفا كراهة الجمع بين اليائين الا في قوله يحيي واماتت واحيي في بعض المصاحف ، وكتب الزكوة والحيوة ومنوة ومشكوة
والغدوة بالواو وكتب الصلوة بالواو في الانعام وهم على صلوتهم يحافظون وصلواتي ونسكي وفي الانفال وما كان صلوتهم وفي اول المؤمنين في صلوتهم خاشعون الا في قوله
على صلوتهم وفيها صلوتهم يحافظون وفي ارايت عن صلوتهم ساهون فاذا لا يؤتون الناس نقيرا وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف والوقف عليها بالالف
وكتب في البقرة واخشوني ولاتم بالياء وفي المائدة واخشون اليوم بغير ياء وكتب في يوسف ومن اتبعني وسبحان الله بالياء وفي ال عمران ومن اتبعن وقل بغيرياء ، وكتب
في سبحان لئن اخرتن بغير ياء وفي المنافقين لولا اخرتني بالياء وكتب في يوسف ما نبغي بالياء وفي الكهف ما كنا نبغ بغيرياء وفي هود يوم يات لا تكلم بغيرياء وفي النحل يوم تاتي كل نفس
بالياء وفي الدخان يوم تاتي السماء بالياء وفي الانعام وقد هدان بغيرياء واتني هدني بالياء وفي الاعراف ثم كيدون بغيرياء وفي هود فكيدوني جميعا بالياء وفي تسئلن بغيرياء
وفي الكهف فلا تسئلني بالياء وفي الكهف ان يهدين ربي بغيرياء وفي القصص ان يهديني سواء السبيل بالياء وفي طه فاتبعوني واطيعوا امري بالياء وفي الزخرف
فاتبعون هذا بغيرياء وكذلك في المؤمن وفي الاعراف فهو المهتدي بالياء وفي سبحان والكهف فهو المهتد بغيرياء وفي ابراهيم قل لعبادي الذين امنوا بالياء وفي الزمر
فبشر عباد الذين بغيرياء ، وكتب الذي والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين ، وكتب جزاء بغير واو وجزؤا وكفؤا بالواو ، وكتب بين المرء وزوجه
مشئوم ويخرج الخبء وملء الارض ودفء باسقاط الهمزة ومن غرائب الهجاء ونوادر ما كتب في القرآن وعتوا عتوا كبيرا وفي سبا والذين سعو بغير الف وفي الحشر
والذين تبوؤ الدار بواوين من غير الف وفي المعصرات كنت ترابا بغير الف وفي القلم بايكم المفتون بيائين وفي ال عمران افاين مات بالياء وفي الانبياء افاين مت
بغير ياء وكتب انا قتلتم ونحوه بالالف ، وكتب فاذا نم ليس بين الذال والراء ولا بين الراء والتاء الف في جميع المصاحف وكتب في الحاقة لبيان الحركة كتابيه
وحسابيه وماليه وسلطانيه وفي القارعة ما هيه باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه وفبهداهم اقتده ان الهاء فيهما لبيان الحركة او لغير ذلك وكتب في سورة النساء
فمال هؤلاء القوم وفي الكهف مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا الرسول وفي المعارج فمال الذين كفروا اللام مع ما مقطوعة عما بعدها ، واعلم ان هجاء المصحف كثير
وقد ذكرنا منها ما هو انفع للقاري واكثر فائدة ، واما الحروف كلها فقد راعينا الا ما شاء الله في كتابة متن القرآن من هذا الكتاب كما بلغنا عمن يقتدى بهم من السلف
الصالحين والعلماء المتقين برواياتهم ووجدوها في الامام كذلك وستراها في مواضعها ان شاء الله تعالى وانما كتبت هذه الحروف بعضها على خلاف بعض وهي في الاصل
واحدة لان الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم فكتبوا البعض على وجه والبعض على وجه آخر جمعا بين المذهبين على انهم كتبوا اكثرها على الاصل وكل ما كتب في المصحف على الاصل
لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القرآن يلزمه لكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع المصحف في هجائه واجب ومن طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته لانه بالهجاء يتلى
والفائدة للقاري في معرفته ان يكون على يقين ان الذي يقرؤه هو القرآن الذي انزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلا خلاف فيه من جهة من الجهات وقال جماعة
من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء واهل الكتابة ان يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه
وعلم من هذا العلم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم غيره فما كتب شيئا من ذلك الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنه راينا الا ترى انه لو كتب على صلوتهم وان صلوتك
بالالف بعد الواو او بالالف من غير واو لما دل ذلك الا على وجه واحد وقراءة واحدة وكذلك وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار وسيعلم الكفر بغير الف قبل الفاء ولا بعدها
ليدل على القراءتين والله اعلم. المقدمة الثانية في اقسام الوقف. الوقف قطع الكلمة اسما او فعلا او حرفا عما بعدها ولو فرضا وله عند اكثر الائمة خمس مراتب لازم ومطلق — اقسام الوقف
وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة فاللازم من الوقف ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله تعالى وما هم بمؤمنين اذ لو وصل بقوله يخادعون الله صارت الجملة صفة
لمؤمنين فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هو بمؤمن مخادع ومراد الله جل ذكره نفي الايمان واثبات الخداع ونظائر ذلك كثير ومن ذلك
المرور بها الى العثور عليها والمطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدأ به نحو الله يجتبي اليه من يشاء ، وكالفعل المستانف مع السين نحو سيقول السفهاء وسيجعل الله
بعد عسر يسرا او بغير السين نحو يعبدونني لا يشركون بي شيئا الى غير ذلك من النظائر والجائز ما يجاذب فيه طرفا الوصل والوقف مثل وما انزل من قبلك لان واو الوصل
يقتضي العطف وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالآخرة والمجوز لوجه مثل اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة لان الفاء في قوله
فلا يخفف للتعقيب يتضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم الفعل على الاستيناف للفصل وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغني ما بعده عما قبله لكن
يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام ولا يلزمه الوصل بالعود لان ما بعده جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله وانزل لا يستغني عن سياق الكلام فان فاعله
ضمير يعود الى الصريح المذكور قبله غير انها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق واما لا يجوز الوقف عليه ففي مواضع والمواقع كثيرة وسيتلى عليك مراتب الفصل
والوصل في جميع القرآن مع ذلك مفصلة ان شاء الله تعالى وبعضهم قسم مراتب الوقف الى ثلث التام والكافي والحسن ولا مشاحة في الاصطلاحات بعد رعاية المعنى
وليكن علامة اللازم م وعلامة المطلق ط والجائز ج والمجوز ز والمرخص ص وما لا وقف عليه فعلامته لا وعلامة الآية دائرة صغيرة هكذا ه وانما التزمنا ايراد هذه الرموز
لدقة مسلكها وبلوغها في الغرض الى حيث تقصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل الا ان ذلك يجب للصناعة وكل منهما تابع لارتباط المعنى بالمعنى والانفصال عنه
بالكل او بالبعض وسيتلى عليك تفاصيلها وبالله التوفيق. المقدمة الثالثة في تقسيمات يعرف منها اصطلاحات تعم اللفظ اما ان تعتبر دلالته على تمام مسماه او على
جزئه او على لازمه الذهني الاول دلالة مطابقة كدلالة البيت على مجموع الحائط والسقف والثاني دلالة التضمن كدلالة البيت على السقف او على الحائط
والثالث دلالة الالتزام كدلالة السقف على الحائط والدلالة الاولى وضعية صرفة والباقيتان بمشاركة من الوضع والعقل التقسيم الآخر اللفظ اما ان يقصد بجزء منه
الدلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد وهو المفرد ويشمل ما لا جزء له اصلا ومثل ان علما وما كان له جزء دال على معنى في ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله

علما تقسيم آخر اللفظ المفرد باعتبار وحدته ووحدة مدلوله وتعددهما اربعة اقسام الاول اللفظ واحد والمدلول واحد الثاني مقابل ذلك اي اللفظ كثير والمعنى كثير
الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد واللفظ كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون بمجرد تعقله من غير سبب من خارج فهو الكلي ويقال له اسم الجنس وهو
اقسام ستة لانه اما موجود او معدوم والموجود اما واحد او كثير والواحد اما ان يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكواكب او غير متناه كالعدد
والمعدوم اما ممكن الوجود في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها اولى واول واشد كالوجود للخالق
والمخلوق فان وقوعه على الخالق اول واولى واشد وكالابيض على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكك الناظر في انه متواطئ نظرا الى اشتراك
الكل في اصل المعنى او مشترك نظرا الى اختلافها في ذلك وان لم يكن تفاوت فمتواطئ كالانسان بالنسبة الى افراده فان كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها وان لم يشترك — تفاوت
في مفهومه كثيرون فهو جزئي علم ان استقل في الدلالة بحيث لا يحتاج الى امر منضم اليه من قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد والاشارة مضمر ان احتاج الى جهة
القرائن الثلاث الاول ومبهم ان احتاج الى شيء من الباقيتين والعلم اما اسم كابراهيم وموسى وعيسى واما ان يكون لقبا اشتهر المسمى به مدحا او ذما كاسرائيل او كنية وتختص
بما في اوله الاب او الام او البنت او الابن نحو ابي لهب وام القرى وابنت عمران وابن عباس وقد يكون العلم علما للجنس باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجية اولى بذلك
من بعض لكونه للحقيقة الخارجية واذا اطلق على فرد من الافراد الخارجية نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل لمطابقة الحقيقة الذهنية لكل فرد خارجي مطابقة كلي في
جزئياته فهذه تمام اقسام القسم الاول وان كان اللفظ واحد والمعنى الثاني من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان اللفظ حقيقة للمتعدد من مدلولاته فان كان
موضوعا للجميع فمشترك والا فالمنقول ان نقل من الموضوع له الى معنى آخر لعلاقة واشتهر فيه وهو عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان كان العرف الخاص وشرعي
ان كان الشرع والا فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان انتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان كان بالعكس وان نقل لعلاقة فمرتجل الرابع اما
مترادفه كالليث والاسد ولا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع ثالثها نصوص في معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثر
اللفظ والمعنى فلانه حينئذ يكون لكل معنى لفظ فلا يحتمل اللفظ غير ذلك ، واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد والمعنى كثير
فينقسم الى مجمل وظاهر ومؤول لان اللفظ بالنسبة الى تلك المعاني ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل بازائه المبين وان كان متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المؤول فالاول — ومبين
كقوله تعالى ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو اقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب يحتمل الندب والصلوة كما تحتمل ذات
الاركان تحتمل الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى الهيئات المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق ايديهم فان اليد تحتمل القدرة والجارحة
لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى المحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمؤول ويشملهما المتشابه والنص ممتاز عن الظاهر بانه
لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والمؤول مرجوح والتاويل اشتقاقه من آل يؤول اي رجع وفي الاصطلاح ما تقرر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح
فيشمل التاويل الفاسد والتاويل الصحيح فان اريد التاويل الصحيح فقط زيد في الرسم بدليل يصيره راجحا اي يجب ذلك الدليل وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ
وضعا او عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا عرفت الاقسام الاربعة كلها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة
الى الوجود والضرب فان معنى الاشتقاق ان يجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فترد احدهما الى الآخر وقد يكون غير مشتق ان فقد له اصل كالوجود والانسان
وغير المشتق صفة ان دل على معنى قائم بالذات كالعلم والكتابة وغير صفة ان لم يدل كالجسم. تنبيه العلاقة المعتبرة في المجاز انما تعلم بحكم الاستقراء على نيف — اقسام العلاقة
وعشرين وجها منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وبهذا يعلم انواع المجاز لانه اطلاق اسم الملزوم على اللازم و
اكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان للصورة المنقوشة ومنها كونه آيلا الى ذلك كالخمر للعصير او كائنا عليه كالعبد
على من اعتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب اذ الجاري في الحقيقة هو الماء لا الميزاب المجاور له ومنها اطلاق اسم الحال على المحل مثل واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك اي اسنانك اذ الفم محل الاسنان
ومنها اطلاق اسم المسبب على السبب كقوله صلى الله عليه وسلم بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوا فانهم لما راو بعض الاشياء يتصل بالنداوة استعاروا البل للوصل ومنها
عكس ذلك كقولهم اثم لكون الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في آذانهم اي انامل ومنها العكس نحو كل شيء هالك الا وجهه — للخمر
اي ذاته ومنها اطلاق اسم المطلق على المقيد كقوله شعر فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس قبل اليوم يلتقيان اي قبل يوم القيامة ومنها العكس كقول شريح — نصف
اصبحت الخلق على غضبان يريد المحكوم عليه وظاهرهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام كقوله تعالى وحسن اولئك رفيقا اي رفقاء ومنها العكس كقوله
تعالى حكاية عن محمد صلى الله عليه وسلم وانا اول المسلمين لان الانبياء عليهم قبله كانوا كذلك ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسئل القرية ومنها كون المضاف اليه
محذوفا كقوله مصرع انا ابن جلا وطلاع الثنايا اي انا ابن رجل جلا ومنها اطلاق اسم آلة الشيء عليه مثل واجعل لي لسان صدق اي ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر
ومنها اطلاق اسم الشيء على بدله كما يقال فلان اكل الدم اي ديته قال يا كل كل ليلة اكافا اي ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله علمت نفس ما احضرت
اي كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين على الآخر مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها وجزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتله الله ما احسن اي قال يريدون الدعاء له ومنها
اطلاق المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اي بابا من ابوابها ومنها الحذف نحو يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا ومنها الزيادة
نحو ليس كمثله شيء واعلم ان المجاز والحقيقة فرع من فروع التشبيه لانك اذا قلت زيد اسد فكانك قلت زيد كالاسد في الجراءة فيعتمد على مشبه ومشبه به ووجه
الشبه بينهما والمشبه والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خده كالورد او عقليين كالعلم والحيوة او احدهما محسوسا والآخر معقولا كالعطر او اشبه بخلق كريم او كالعدل
او اشبه بالقسطاس والخياليات كالشقيق اذا شبه باعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد والوهميات كقولك تعلق الحال بالشيء او نهايته بالسنان والصورة
الوهمية وكذا الوجدانيات كاللذة والالم والشبع والجوع ملحقة بالعقليات ووجه الشبه اما ان يكون امرا واحدا او لا وح اما ان لا يكون في حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا بالشمس في حسن
الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة او يكون وهو ذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط النار اذا شبه بعين الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل والمقدار — الكرى
المخصوص واما اوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة كقوله شعر كان مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه
السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض حال كونها متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانبه
ويسمى هذا التشبيه المركب ومتى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل كما في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الآية ويجيء
تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلي اذا فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سمي مثلا كقولك لمن يتردد في امر اني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى وذلك ان الاستعارة
هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام اسد وانت تريد
الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه ومشبه به
فاذا افردت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه فان الاستعارة نوع من المجاز لان المستعار هو زيد مثلا في قولك زيد اسد يرى في معرض المستعار منه وكونه

نظرا الى الدعوى هذا شان الاستعارة واما اجراؤهم على الدعوى بارادة [illegible] من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة والاستعارة في نحو عندي اسد اذا لم يعقب بصفات
او تفريع كلام لا تكون مجردة ولا مرشحة لفقد موضع التجريد والترشيح وقد [illegible] التجريد والترشيح اذ اعقبت [illegible] عقبت بذلك بصفات ملائمة للمستعار له سميت
مجردة نحو ساورت اسدا شاكي السلاح طويل القناة فاذا اعقبت بصفات ملائمة للمستعار منه سميت مرشحة نحو ساورت اسدا وافي البراثن [illegible] وقد بقي من [illegible]
في قولهم هذا عام او خاص او مطلق او مقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشتركت فيه مطلقا ضربة فقولنا ما دل يشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان
العموم من عوارض المعاني ايضا حقيقة كقولهم عم المطر والخصب وكذلك المعنى الكلي كالانسان لشموله الجزئيات التي تحته وقولنا على مسميات ليخرج المثنى [illegible]
والمستحيل اذ لو قلنا على اشياء لخرجا [illegible] على انها ليس بشيء وقولنا باعتبار امر اشتركت تلك المسميات فيه ليخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد والنكرات
فانها وان دلت على مسميات هي آحادها لكن لا باعتبار امر اشتركت هي فيه بل باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذي اجزاء حسية او عقلية وقولنا مطلقا
ليخرج المعهود فانها بقرينة العهد وقولنا ضربة احتراز عن نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل منها ذكرا من بني آدم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل

[illegible]

وبيان كيفية اعجاز القرآن ونحن [illegible] الاليق بها ايرادها في مواضعها اذا انتسبت النوبة اليها فلنشرع الآن في المقصود وهو التفسير المسمى [illegible]

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مدنية سبع آيات [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

القراءة مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف [illegible]

[illegible]

البدل الصفة الصاكين ٥ معنى التفسير وفضله روي عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد اخطأ
وعن ابن عباس رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن بالرأي لا يخلو
اما ان المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط او المراد به امر آخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان الصحابة رضي الله عنهم
قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه اللهم فقهه في الدين وعلمه
التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وانما النهي يحمل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق
هواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بان المراد من الآية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه و
وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه
وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول المراد بفرعون في قوله تعالى اذهب
الى فرعون انه طغى هو النفس الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ
المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع للتفهم والاستنباط
والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد
ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري بماذا ظلموا فانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه ما دام على قوانين العلوم العربية
والقواعد الاصلية والفرعية ٦ واعلم ان مقتضى الديانة ان لا يؤول المسلم شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث يبطل الاعيان التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم
والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها ولكن يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها
حقائق اخرى ورموزا ولطائف بحسب ما كوشف فلا بأس فان الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وما خلق شيئا في عالم المعنى وهو الآخرة
الا وله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب وما خلق في العالمين شيئا الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم ٧ التفسير اصله الكشف والاظهار وكذلك سائر
تقاليبه من ذلك سفرت المرأة كشفت عن وجهها والسفر لانه يكشف عن وجوه ... والقرآن لانه يكشف ...
والكشاف حال المفيد في رسالته ومن فن التفسير ما يتعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف او النحو او المعاني او البيان او غير ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في المقدمة
العاشرة ٩ ومنه اسباب النزول وذكر القصص والاخبار وغير ذلك ونحن على ان نورد بعد القرآن سبع القراءة ثم الوقوف ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التأويل
ان كان ولم نذكره في التفسير ونذكر منه ما هو اقرب الى الامكان والله المستعان التفسير فنقول في البسملة مسائل الجار والمجرور لا بد له من متعلق وليس بمذكور
فيكون مقدرا وانه يكون فعلا او اسما والفعل ارجح وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما او مؤخرا كابدأ باسم الله او بسم الله ابدأ او الابتداء وتقدير الفعل
اولى من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدأ في فعله باسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له فيكون المراد اقرأ ذلك الفعل انما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله
اقرأ او اتلو وابدأ لان الذي يتلو التسمية مقروء ومبدوء به كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وارتحل وكذلك الذابح و
نظيره في حذف متعلق الجار قولهم في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين ... المحذوف متأخرا اولى على نحو قوله تعالى بسم الله مجريها ومرسيها
لان تقديم ذكر الله تعالى ادخل في التعظيم ولان ما هو اسبق في الوجود يستحق السبق في الذكر ولهذا قال المحققون ما رأينا شيئا الا ورأينا الله تعالى قبله ولانهم كانوا يبدؤون
باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما في اياك نعبد صرح
بتقديم الاسم ارادة الاختصاص قال في الكشاف وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لان تقديم الفعل هناك اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة
اهم وقال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى اقرأ اوجد القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقا باقرأ الثانية وذكر في معنى تعلق اسم الله بالقراءة وجهان
احدهما تعلق الكتابة بالقلم في قولك كتبت بالقلم كان فعله لا يجيء معتدا به شرعا الا بعد تصديره بذكر الله قال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو
ابتر والثاني تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن اي متبركا باسم الله اقرأ وكما في قوله بالرفاء والبنين اي اعرست متلبسا بالرفاء وهذا اعرب واحسن اما كونه ادخل
في العربية فلانه لا يعرفه الا من له دربة بفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه مبتذل واما كونه احسن فلان جعل اسم الله كالآلة خروج عن الادب لان الآلة من حيث
انها آلة غير مقصودة بالذات واسم الله تعالى عند الموحد اهم شيء واقدمه فانه مقول على السنة العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وكذا الحمد لله
رب العالمين الى آخره الثاني انهم استحبوا تفخيم اللام وتغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات في الذكر
والتفخيم يشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة تذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل فيه اكثر فيكون ادخل في الثواب كما جاء في التوراة احبب ربك
بكل قلبك واما الثاني فلان التنقل من الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار واما اللام الغليظة حرفا والرقيقة حرفا آخر
كما عد الدال حرفا والطاء حرفا آخر مع ان نسبة الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الطاء فان الدال بطرف اللسان والطاء بكل اللسان لاطراد
استعمال الغليظة مكان كل رقيقة ما لم يعق عائق الكسرة وعدم اطراد الطاء مكان كل دال الثالث طولوا الباء من بسم الله اما لانه على هيئة الالف
المحذوفة واما لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله
وقال اهل الاشارة الباء حرف منخفض في الصورة فلما اتصل بخدمة لفظة الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا اتصل بخدمة الله يرتفع حاله
وعلو شانه الرابع ابقاء لام التعريف في الخط على اصله في لفظة الله كما في سائر الاسماء المعرفة واما حذف الالف قبل الهاء فكراهة اجتماع الحروف المتشابهة
في الصورة عند الكتابة ولانه يشبه اللات في الكتابة قال اهل الاشارة الاصل في قولنا الله الاله وهو ستة احرف ويبقى بعد التصرف اربعة في اللفظ
الالف ولامان وهاء فالهمزة من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذا حال العبد يبتدئ من النكرة والجهالة ويترقى قليلا قليلا في مقامات
العبودية حتى اذا وصل الى آخر مراتب الوسع والطاقة ودخل في عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهي الى الفناء في بحر التوحيد كما قيل
النهاية الرجوع الى البداية واما حذف الالف قبل النون في لفظ الرحمن فجائز في الخط ولو كتب حسن الخامس الاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون وهو عند البصريين
في الاصل سمو دليل تكسيره على اسماء وتصغيره على سمي وتصريفه على سميت ونحوه واشتقاقه من السمو العلو وهو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة
بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف في المعلومية فهو عال عليه حذف عجزه كما في يد ودم فبقي حرفان اولهما متحرك والثاني ساكن
فلما حركت الساكن الاعراب اسكن المتحرك للاعتدال فاحتيج الى همزة الوصل اذ كان دأبهم ان يبتدؤوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ...
ومنهم من لم يزد الهمزة وابقى السين بحالها فيقول سم قال الشاعر باسم الذي في كل سورة سمه ... وقد يضم السين فيقال سم
كان الاصل عندهم وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم والسمة لان الاسم كالعلامة المعروفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه

بحث لطيف

اوساما

اوساما ٥ قال بعض المتكلمين ومنهم الاشعري ان الاسم غير المسمى وغير التسمية وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوم كلفظ المعدوم والمنفي ونحو ذلك
وقد يكون بالعكس كالحقائق التي لم توضع لها اسماء ولان الاسماء قد تكون كثيرة مع كون المسمى واحدا كالاسماء المترادفة وكاسماء الله التسعة والتسعين او بالعكس كالاسماء المشتركة
ولان كون الاسم اسما للمسمى وكون المسمى مسمى له من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمضافان متغايران لا محالة ولا يشكل ذلك بكون الشخص عالما بنفسه لانهما
متغايران اعتبارا ولان الاسم اصوات وحروف هي اعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا كواجب الوجود لذاته ولانه لا يلزم من التلفظ بالعسل وجود الحلاوة
باللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة ٦ وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى كقوله تعالى تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك ٧ والجواب انه كما يجب
علينا تنزيه ذات الله تعالى عن النقائص يجب تنزيه اسمه عما لا ينبغي وايضا قد يراد لفظ الاسم مجازا كقوله شعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما قالوا اذا قال
زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا قلنا المراد الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا مغايرة
للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة فذلك التعيين معناه قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك المعين فافترقا ٨
وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف كان الحروف رابطة بينهما والظاهر ان وضع الاسماء سابق على وضع الافعال لان الاسم دال على الماهية والفعل لفظ دال
على حصول الماهية لشيء من الاشياء في زمان معين فكان الاسم مفرد والفعل مركب والمفرد سابق على المركب طبعا سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الى الفاعل
والفاعل لا يفتقر الى الفعل وايضا الاسم مستغن في الافادة عن الفعل دون العكس والاظهر ان اسماء الماهيات سابقة بالرتبة على الاسماء المشتقات لان الاولى
مفردة والثانية مركبة ويشبه ان يكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة على اسماء الذوات لانها لا تعرف الذوات الا بتوسط الصفات القائمة والمعرف
معلوم قبل المعرف فيناسب السبق بالذكر ٩ اقسام الاسماء الواقعة على المسميات تسعة اولها الاسم الواقع على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشيء بحسب جزء
من اجزائه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشيء انه معلوم
ومفهوم ومالك ومملوك خامسها بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية مع صفة اضافية كالعالم والقادر عند
القائلين بان العلم صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شيء وعالم لا يجهل
شيئا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية مع صفة اضافية وصفة سلبية فهذه اقسام الاسماء
لا تكاد تجد اسما خارجا عنها سواء كان لله تعالى او لمخلوقاته ط هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم ام لا ذكر بعضهم ان ذاته وحقيقته لما كانت غير مدركة
للبشر فكيف يوضع له اسم مخصوص بذاته وما الفائدة في ذلك ٦ واقول لا ريب ان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة والمحاط لا يمكن ان يحيط بمحيطه
ابدا والله تعالى بكل شيء محيط فلا يدركه شيء مما دونه كما ينبغي الا ان وضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه كما ينبغي وانما ينافي عدم ادراكه مطلقا فيجوز ان يعلم
الشيء الذي يدرك منه هذه الآثار واللوازم مسمى بهذا اللفظ وايضا اذا كان الواضع هو الله تعالى وانه يدرك ذاته على ما هو عليه فلا ان يضع لذاته اسما مخصوصا
لا يشاركه فيه غيره حقيقة واذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة ممكنا فينبغي ان يكون ذلك الاسم الاعظم اعظم الاسماء وذلك الذكر اشرف الاذكار لان شرف
العلم والذكر بشرف المعلوم والمذكور فلو اتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلى له معناه لم يبعد ان ينقاد له عوالم الجسمانيات
والروحانيات ٦ ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه على وجوه فمنهم من قال هو ذو الجلال والاكرام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال و
والاكرام ورد بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية ٦ قال لابي بن كعب ما اعظم آية في كتاب الله فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال
ليهنك العلم يا ابا المنذر وزيف بان الحي هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة ولانه صفة فاما القيوم فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره والاول مفهوم سلبي
وهو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها عظيمة لا ينبغي ان يتفاوت بينها ورد بما مر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة
ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا اقرب لانا سنقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه وتعالى واذا كان كذلك كان دالا
على ذاته المخصوصة ويؤيد ذلك ما روت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
وفاتحة سورة آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم ٦ وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني اسألك باني اشهد انك انت الله
لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى
ولا شك ان اسم الله في الآية والحديث اصل والصفات مرتبة عليه هذا واما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى
منزه عن شائبة التركيب بوجه من الوجوه واما الاسم الدال بحسب صفة حقيقية فتلك الصفة اما ان تكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات
الوجود واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود ولكيفيات الوجود فهذه ثلاثة اقسام القسم الاول الاسماء الدالة على الوجود فمنها الشيء ويجوز اطلاقه
على الله تعالى عند الاكثرين كقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شيء معه
ولان الشيء عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شيء فلو كان الله شيئا لزم ان يكون خالق نفسه و
وهو على كل شيء قدير قلنا خص بدليل العقل قالوا ليس كمثله شيء قلنا نعم هو خير من الشيء وان كان سائر الاشياء مشتركة معه في ذلك كالموجود
والكريم والحليم فان كلا منها صح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم له الشيء بالحقيقة وباقي الاشياء شيئيتها مستعارة كوجودها ومنها الموجود واطبق
المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله ومنها الذات ولا شك في جواز اطلاقه اذ يصدق عليه
حقيقة انه ذات الصفات اي صاحب الصفات القائمة بها ويؤيد ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم
لم يكذب الا في ثلاث ثنتان في ذات الله اي في طلب مرضاته ٦ ومنها النفس قال الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال عليه السلام انت كما اثنيت
على نفسك اي على ذاتك وحقيقتك ٦ ومنها الشخص قال عليه السلام لا شخص اغير من الله ومن اجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص احب اليه العذر من الله
ومن اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ٦ ولا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ٦ ومنها النور قال الله تعالى
الله نور السموات والارض وليس المراد به الشبيه بالكيفية المبصرة وانما المراد انه الظاهر بنفسه المظهر لغيره اذ لا ظهور ولا اظهار فوق ظهوره واظهاره فانه واجب الوجود
لذاته ازلا وابدا ومخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس وسوف يأتيك تمام التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور والله اعلم بحقائق
الامور ومنها الصورة وقد ورد في الخبر ان الله خلق آدم على صورته فقيل معناه خلق آدم على صورته التي كان عليها يعني ما تولد من نطفة ودم وما كان جنينا
ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة واحدة ٦ وقيل في حديث آخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال
صورة هذه المسألة كذا اي خلقه على صفته في كونه خليفة في الارض متصرفا في جميع الاجسام الارضية كما انه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ٦ ويمكن ان يقال الصورة
اشارة الى وجه المناسبة التي ينبغي ان يكون بين كل علة ومعلولها فان النطفة لا تصدر عن النور وبالعكس كما قد كتبنا في هذه رسالة ٦ ومنها الجوهر فانه قال بعض

الاسم الاعظم

عليه بمعنى موجود لا في موضوع اي اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به ويستغني المحل عنه الا ان ذلك ينبئ عن كون وجوده زائدا على ماهيته وانما يطلق
عليه بمعنى آخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شيء في شيء اصلا لكن الاذن الشرعي حيث لم يرد بذلك وجب الامتناع عنه ؛ ومنها الجسم ولا يطلق عليه لانه
ان ارادوا الجوهر القابل للابعاد الثلاثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وان ارادوا معنى يليق بذاته من كونه موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فالاذن الشرعي لم يرد
فلزم منه الامتناع ومنها الماهية والانية التي هي حقيقة التي يسأل عنها بما هي وثبوته الدالة عليه بلفظة ان ولا بأس باطلاقهما عليه اذا اريد بهما الحقيقة والذات
المخصوصة الا من حيث الشرع ومنها الحق انه احق الاشياء بهذا الاسم اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله والحق يقال بازاء الباطل والباطل
يقال للمعدوم قال لبيد شعر الا كل شيء ما خلا الله باطل واما بحسب ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق وهذا الخبر احق واصدق واما بحسب ما يقال ان هذا الاعتقاد
حق فلان اعتقاد وجوده ووجوبه اصوب الاعتقاد القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع
يرادفه الازلي ويراد بهما الاول لما في الطرف الماضي كالابدي في المستقبل وكذا السرمدي واشتقاقه من السرد للتوالي والتعاقب زيدت الميم للمبالغة و
يعني بالنسبة في هذه الالفاظ انه تعالى منسوب الى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها الممتد والمستمر ويعني بهما
الاجزاء وغاية الابعاض ولا يخفى ان امثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات واما في حق الله تعالى فلا يصح الا بالمجاز
ومنها الباقي قال الله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك فانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم ؛ ومنها الدائم وهو كالباقي ؛ ومنها واجب الوجود لذاته
اي ذاته اقتضى وجوده وما بالذات لا ينفك عنه ابدا فهو ممتنع الفناء والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل خداي اي انه جا بخود ؛ ومنها الكائن قال الله تعالى
وكان الله عليما حكيما وفي بعض الادعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا كائنا قبل كل كون يا باقيا بعد انقضاء كل كون ؛ واعلم ان لفظة كان تفيد الحصول و
الثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشيء في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفية شيء بشيء الاول يتم باسناده الى ذلك الشيء وهي التامة
والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما اي حصل موصوفية زيد بالعلم وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى القسم الثالث في الصفات
الحقيقية المغايرة للوجود وكيفيات الوجود الفلاسفة والمعتزلة انكروا قيام مثل هذه الصفات بذاته تعالى لان واجب الوجود لذاته يجب ان يكون
واحدا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود لزم شريك الباري مع ان الجمع بين الوجوب الذاتي وبين كونه صفة للغير والصفة مفتقرة
الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فلها علة موجدة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولان ذاته لو كانت كافية في تحصيل
تلك الصفة فيكون ذاته بدون تلك الصفة كاملة في الفاعلية وهو المطلوب وان لم تكن كافية لزم النقص المنافي لوجوب الوجود حجة المثبتين انه تعالى
يجب ان يكون عالما قادرا حيا ثم انا ندرك تفرقة بين قولنا ذات الله ذات وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وبين هذه الصفات
واذا قلنا باثبات الصفات الحقيقية فنقول العلم صفة يلزمها كونها متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صحة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية العارية
عن النسب والاضافات في حقه تعالى ليست الا صفة الحيوة ان لم نقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بان يقال انها صفة باعتبارها يصح ان يكون عالما
وقادرا والتحقيق ان الحيوة عبارة عن كون الشيء بحيث يصدر عنه ما من شأنه ان يصدر عنه كما ينبغي ان يصدر عنه ولا ريب ان واجب الوجود احق الاشياء
بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشياء الممكنة على النحو الافضل ولهذا مدح الله تعالى به نفسه فقال الله لا اله الا هو الحي
القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم واما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية فمنها التكوين فانه عند المعتزلة والاشعرية نفس الكون وقال غيرهم انه غيره وحجة الاولين
ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان يؤثر على سبيل الصحة وهي القدرة لا غير او على سبيل الوجوب ويلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وايضا انه
قديمة لزم قدم الآثار وان كانت حادثة افتقرت الى تكوين آخر وتسلسل الآخرون قالوا كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة
حقيقية موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد ؛ ومنها كونه معلوما مذكورا مسبحا ممجدا فيقال يا ايها المسبح بكل
لسان ويا ايها الممدوح عند كل انسان ويا ايها المرجوع اليه في كل حين وآن ولما كان هذا النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسماء الممكنة لله تعالى بحسب هذا النوع
من الصفات غير متناه ومنها الفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا مثل الموجد والمحدث ومعناه المؤثر في الوجود والمخترع ولان الذي جعله موجودا بعد العدم
والمكون وهو كالموجد والمنشئ ومعناه ينبئ عن التدريج والمبدع والمخترع يفهم منهما الايجاد الدفعي وكذا الفاطر ومثل الصانع ويفهم منه تكلف واما الخالق فهو المقدر
وانه في حق الله تعالى يرجع الى العلم واما البارئ فهو الذي يحدثه على الوجه الموافق من مصلحة يقال برى القلم اذا اصلحه وجعله موافقا لغرض معين ؛ ومنها
الفاظ تدل على ايجاد شيء بعينه وانها تكاد تكون غير متناهية ؛ ومنها ما تدل على ايجاد النوع الفلاني لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمي نافعا واذا خلق الالم
يسمى ضارا واذا خلق الحيوة سمي محييا واذا خلق الموت سمي مميتا واذا خصهم بالاكرام سمي برا لطيفا واذا خصهم بالقهر سمي قهارا جبارا واذا اقل المعطى سمي قابضا
واذا اكثر سمي باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمي منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمي عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا حصل المنع والاعطاء سمي قابضا
باسطا واذا حصلهما الاحكام والحكمة سمي حاكما فتاحا ؛ واما الصفات السلبية فمنها ما تعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا جسما ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا
ولا محلا ولا مفتقرا الى شيء غيره في ذاته وفي صفاته وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما تعود الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب
تنزيه الله تعالى عنها وذلك اما راجع الى اضداد العلم كنفي النوم لا تأخذه سنة ولا نوم وكنفي النسيان وما كان ربك نسيا وكنفي الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم بغيره لا يشغله شأن عن شأن ؛ واما راجع الى اضداد القدرة ككونه منزها في افعاله عن التعب
والنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج في فعله الى آلات ولا تقديم المادة والمدة انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت في قدرته
القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وانه لا تنتهي قدرته ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ؛ واما راجع الى صفة
الوحدة وكنفي الانداد والاضداد وليس كمثله شيء ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله او الى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ؛ ومنها ما يعود
الى الافعال كالخلق بالباطل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ولا الخلق للعبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد ظلما لا يحب الفساد لا يؤذي
من غير سابقة جرم ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين ولا يتضرر بمعاصي العاصين ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها
فاذا جاء ليس لاحد ان يعترض عليه في افعاله واحكامه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون لا يخلف الميعاد ؛ ومن اسماء السلوب القدوس والسلام لانه منزه سالم عن نقائص
الامكان ؛ ومنها العزيز وهو الذي لا يوجد له نظير ولا يغلبه شيء والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة والصبور الذي لا يعاقب المسيء مع القدرة
عليه اما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك والمليك والقوي وذو القوة
ومعانيها راجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشيء من علمه عالم الغيب والشهادة وهو بكل شيء عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم والله يعلم ما يسرون وما يعلنون ؛ وعلم آدم الاسماء كلها ولم يرد علامة وان كان يفيد المبالغة لان ذلك يتأول آية او جماعة والخبير يقرب

من العلم

الاسماء الدالة على كيفية الوجود

الاسماء الدالة على الصفات الاضافية

من العليم وكذا الشهيد او فعيل بكونه شاهدا لها واذا اخذ من الشهادة كان من وصف الكلام والحكمة تشارك العلم من حيث انه ادراك حقائق الاشياء كما هي بل
بانه ايضا صدور الاشياء عنه كما ينبغي ؛ واللطيف قد يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والتحقيق انه هو الذي ينفذ تصرفه في جميع الاشياء ؛ ومنها
ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما وما كان لبشر ان يكلمه الله واذ قال ربك ما يبدل القول لدي ومن اصدق من الله قيلا انما امره ان الله يأمركم وعدا له حقا
فاوحى الى عبده ما اوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيهم مشكورا وذلك لانه اثنى على عبده بمثل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون ؛ وهذا هو
الشكر ومنها ما يرجع الى الارادات يريد الله بكم اليسر رضي الله عنهم اي صار مريدا انعامهم يحبهم ويحبونه والله يحب المطهرين يريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئه
عند ربك مكروها الاشعرية الكراهية عبارة عن ارادة عدم الفعل المعتزلة صفة اخرى غير الارادة ومنها ما يرجع الى السمع والبصر انني معكما اسمع وارى انه هو
السميع البصير لا تدركه الابصار واما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين احدهما انه سابق على غيره والثاني لم يسبق عليه غيره وكالآخر
فانه الذي يبقى بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذي يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن اي انه ظاهر بحسب الدلائل
باطن بحسب الماهية واما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ في الاسلام على غير الله ؛ واما انه
ثنائي اذ اسم علم وقد بقي هٰهنا اسماء يطلقها عليه تعالى اهل التشبيه ككونه متحيزا وحالا في المتحيز استبعادا منهم انه كيف يكون موجودا خاليا عن كلا الوصفين وهو
عند اهل التقديس محال للزوم الافتقار اللهم الا ان يقال استصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى المكان ومنها العظيم والكبير وهما مستعاران لقوله تعالى في موضع
وهو العلي العظيم وفي الآخر وهو العلي الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء ردائي والعظمة ازاري والرداء ارفع عن الازار ولهذا ايضا خص تحريم الصلوة بالله اكبر دون
الله اعظم ولا ريب ان اطلاق الكبر والعظم على الله بحسب الحجمية والمقدار كالاجسام محال للزوم التبعيض والتجزية ؛ ومنها العلي والمتعالي فان العلو المكاني المستلزم
للتمكن محال على الله تعالى فاما ان يراد بمثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات ؛ واما ان يقال انا نطلق هذه الاسماء للاذن الشرعي ونكل معانيها الى الله
تعالى واما ان نستدل الى ادراكها بضرب من الكشف والعيان ؛ العاشر في الاسماء المضمرة قال عز وجل انني انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره هذا الذكر الا حكاية وما جاء
لبعض اهل الكمال شعر انا من اهوى ومن اهوى انا اشارة الى كمال المحبة وغاية ابادة الاتصاف بصفة المحبوب وفنائه في ارادته ؛ وقال لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين ولا يصح هذا الا من العبد بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو ولا يصح هذا الا من الخاشعين واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب
والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غائب بالنسبة الى ما فوق تلك الدرجة ورب غائب حاضر كما قيل شعر يا غائبا حاضرا في الفؤاد سلام على الغائب الحاضر
وفي لفظة هو اسرار عجيبة منها ان العبد اذا قال يا هو فكانه يقول يا الاقرب ورب الارباب وما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم
فلهذا ينادي نداء الغائبين ويقول يا هو ومنها اذا قيل يا هو فقد حكم على ان كل ما سوى الله نفي محض لانه لو حصل في الوجود شيئان لكان قوله هو صالحا لهما جميعا فلا يكون
النداء الا اذا قال يا رحمن كانه يتذكر رحمته او يطلب رحمته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات فاما اذا قال يا هو فكانه استغرق في بحر العرفان وفني عما سوى الذات
ومنها اذا قال يا هو فكانه يقول اجل حضرتك ان امدحك واثني عليك بسلب نقائص المخلوقات عنك وهي صفات الجلال نحو لا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا في المحل
او باسناد كمالات الممكنات اليك وهي صفات الاكرام لكونه مرتبا الموجودات على النحو الاكمل بل لا امدحك ولا اثني عليك الا بهويتك من حيث هي ؛ ومنها
ان هذا الذكر ان المنادى بسيط محض لا طريق الى تصوره الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد كانه دهش وذهل عن كل ما يوصف به ما كان الا هذه الاشارة ولا اخص من
هذا الذكر بهذه الاسرار ذكر الغزالي رحمه الله لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص وذلك ان قوله لا هو معناه وكل شيء هالك وقوله الا هو معناه الا وجهه
ومن جملة الاذكار الشريفة يا هو يا من لا هو الا هو يا ازل يا ابد يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من هو يا من لا هو
الا هو فالاول فناء عما سوى والثاني فناء في الله والثالث فناء عما سوى الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات يا في البقية مباحث الاسماء اختلفوا في ان
اسماء الله تعالى توقيفية ام لا قال بعضهم الى التوقيف لانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا وفقيها ومتيقنا فلولا ان اسمائه توقيفية لوصف بهما
وان كان على سبيل التجوز القائلون بعدم التوقيف احتجوا بان اسماء الله تعالى وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيئا منها لم يرد في القرآن مع ان المسلمين اجمعوا
على جواز اطلاقها والجواب ان عدم التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها فكل اسم دل على
الكمال ونعوت الجلال كان حسنا ويجوز اطلاقه ؛ والجواب انه يجوز ولكن بعد التوقيف فلم قلتم انه ليس كذلك والغزالي رحمه الله فرق بين اسم الذات وبين اسماء
الصفات فمنع الاول وجوز الثاني واعلم انه ورد في القرآن الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ بهم وهو
مذموم لكونه جهلا قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها الغضب وغضب الله عليهم ومنها التعجب بل عجبت
ويسخرون فيمن قرأ بضم التاء والتعجب حالة للقلب تعرض عند الجهل بسبب الشيء ومنها التكبر الجبار المتكبر ومنها الحياء ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا والحياء تغير يعرض
للقلب والوجه عند فعل شيء قبيح ؛ والقانون في تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل واحدة من هذه الاحوال امور توجد معها في البداية واثار تصدر منها في النهاية مثاله
الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم وسخونة مزاجه والاثر الحاصل منها في النهاية ايصال الضرر على المغضوب عليه والغضب في حقه تعالى محمول على الاثر
الحاصل في النهاية لا الامر الكائن في البداية وقس على هذا قيل ان لله تعالى اربعة آلاف اسم الف منها في القرآن والاخبار والف في التورية والف في الانجيل والف
في الزبور وقد يقال الف آخر في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا غير مستبعد فان اقسام صفات الله بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر فكل من
كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم العلوي والسفلي اكثر كان اطلاعه على اسماء الله تعالى اكثر وان قلنا ان لكل مخلوق اسما وكذا لكل خاصية منفعة
فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات والاحجار خرجت الاسماء عن حيز العد والاحصاء كما قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ؛ فان قلت انا نرى في
العزايم اذكارا غير معلومة ورقى غير مفهومة وقد يكون كتابتها ايضا غير معلومة فما بال تلك الاذكار والرقى قلت لا شك ان تلك الكلمات ان لم تدل على شيء
اصلا لم تفد وان دلت فاحسن احوال تلك الكلمات ان يكون شيئا من هذه الادعية ولا ريب فيه ان الاذكار المعلومة ادخل في التأثير من قراءة تلك
الا ان اكثر الناس اذا قرأوا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم نفوس مشرقة تجذبهم الى عالم القدس ويلوح عليهم آثار الالهيات لم يظهر عليهم شروق انوارها
ولهذا ورد رب تال القرآن والقرآن يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرأوا تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا منها شيئا وحصلت عندهم اوهام انها
كلمات عالية استولى عليهم الفزع والاوهام على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد من الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فيتأثر نفوسهم ويؤثر وهذا
وجه مناسب في قراءة الرقى المجهولة ؛ واعلم ان بين الخلق وبين اسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والحكمة علة التمام فكل اسم غلب
معناه على النفوس اذا واظب صاحبه على ذلك كان انتفاعه بها اسرع والله الموفق ؛ حكي ان الشيخ ابا النجيب البغدادي كان يأمر المريد مرة او مرتين بقدر ما يرى
مصلحة فيه ثم يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين فكان ينظر الى وجهه فان رآه عديم التأثر عند قراءتها عليه قال له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا
فانك ما خلقت لهذا الطريق وان رآه تأثر مزيد تأثر عند سماع اسم خاص امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال ان ابواب المكاشفات تنفتح عليك من هذا

درجات الحضور
لفظة هو فيها اسرار

من الاذكار الشريفة

اسماء الله توقيفية ام لا

المجهولات

مطلب غريب

وذلك ان الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن احوالها الفطرية ولكن تضعف النفس بحيث لا يستولي على الانسان ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن
كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فان كلا ميسر لما خلق له فهذا تمام البحث عن مطلق الاسماء باب في الابحاث المختصة باسم الله المختار عند الخليل
وسيبويه وعند اكثر الاصوليين والفقهاء ان هذا اللفظ غير مشتق البتة وانه اسم علم له سبحانه لانه لو كان مشتقا لكان معناه معنى كليا لا يمنع نفس مفهومه عن وقوع
الشركة فيه وحينئذ لا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد المحض فلا يدخل الكافر بقوله اشهد ان لا اله الا الله في الاسلام كما قال اشهد ان لا اله الا الرحمن او الا الملك
لا يدخل بذلك في الاسلام بالاتفاق وايضا الترتيب العقلي ذكر الذات ثم تعقيبه بالصفات نحو زيد الفقيه الاصولي النحوي ثم انا نقول الله الرحمن العالم القادر
ولا نقول بالعكس فدل ذلك على ان الله اسم علم وقراءة من قرأ الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض بخفض اسم الله ليست
لاجل انه جعله وصفا وانما هو البيان فوزانه وزان قولك مررت بالعالم الفاضل الكامل زيد وايضا قال الله تعالى هل تعلم له سميا وليس المراد به الصفة والا
لزم خلاف الواقع فوجب ان يكون المراد اسم العلم وليس ذلك الا الله حجة القائلين باشتقاقه قوله عز من قائل وهو الله في السموات وفي الارض فانه لا يجوز ان يقال
هو زيد في البلد انما يقال هو العالم في البلد قلت لم لا يجوز ان يكون ذلك جاريا مجرى قولك هو زيد الذي لا نظير له في البلد قالوا لما كانت الاشارة ممتنعة في حقه
تعالى كان اسم العلم ممتنعا وايضا العلم للتمييز ولا مشاركة فلا حاجة الى التمييز قلنا وضع العلم لتعيين الذات المعينة ولا حاجة فيه الى الاشارة الحسية ولا يتوقف
على حصول الشركة وكان النزاع بين الفريقين لفظي لان القائلين بالاشتقاق متفقون على ان الاله مشتق من اله بالفتح الاهة اي عبد عبادة وانه اسم جنس
كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة
والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره وينبغي ان يكون المراد من كون الله تعالى معبودا كونه مستحقا لان
يعبده كل ما سواه كما يليق بجلال العابد فان اللائق بجلال المعبود لا يقدر عليه احد من المخلوقات ولا يخفى ان الاستحقاق والاستيهال حاصل له ازلا وابدا فيكون الها ازلا وابدا
وان كل من سواه عابد له بقدر استحقاقه وعلى حسب حاله حتى النبات والجماد والكافر والفاسق وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ان كل
من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا والعبد الصالح من يعبد الله تعالى لذاته لا لغرض رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه حتى لو فرض حصول المرغوب او
فقد المرهوب لم يكن عابدا ومع ذلك فينبغي ان ينقطع النظر عن عبادته ايضا وقيل اشتقاقه من الهت الى فلان اي سكنت اليه فالنفوس لا تسكن الا اليه والعقول لا
الا اليه لان الكمال محبوب بذاته الا بذكر الله تطمئن القلوب وقيل من الوله وهو ذهاب العقل سواء فيه الواصلون الى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهل
وتيه الخذلان وقيل من لاه ارتفع لانه تعالى من مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات وقيل من اله في الشيء اذا تحير فيه لان العقل وقف بين اقدام على اثبات ذاته
نظرا الى وجود مصنوعاته وبين تكذيب لنفسه لتعاليه عن ضبط وهمه وحسه فلم يبق الا ان نقر بالوجود والكمال مع الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه الجلال والجمال
فههنا العجز عن درك الادراك ادراك وقيل من لاه يلوه اذا احتجب لانه بكنه صمديته محتجب عن العقول فانا انما نستدل على كون الشعاع مستفادا من الشمس بدورانه
معها وجودا وعدما وشروقا وافولا ولو كانت الشمس ثابتة في كبد السماء لما حصل اطمينان بكون الشعاع مستفادا منها ولما كان ذاته تعالى باقيا على حاله وكذا
الممكنات التابعة له قرب ان يخطر ببال الضعفاء ان هذه الاشياء موجودة بذواتها فلا سبب لاحتجاب نوره الا كمال ظهوره فالحق محتجب والخلق محجوب وقيل
من اله الفصيل اذا اولع بامه لان العباد يتضرعون اليه في البليات واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه هذا شأن الناقصين واما الكاملون فهو جليسهم
وانيسهم ابدا شكى بعض المريدين كثرة الوسواس فقال الشيخ كنت حدادا عشر سنين وقصارا عشرا وبوابا عشرا فقيل كيف وما رأيناك قال القلب كالحديد لينته
بنار الخوف عشرا ثم شرعت في غسله عن الاوضار والاوزار عشرا ثم وقفت على باب القلب عشرا اسل سيف لا اله الا الله فلم اترك حتى يخرج منه حب غير الله ويدخل
فيه حب الله فلما خلت ساحة القلب عن غيره وتوجه فيه محبته سقطت من بحر عالم الجلال قطرة من النور فغرق بها القلب فبقي في تلك القطرة وفني عن الكل ولم يبق فيه
الا محض سر لا اله الا الله وقيل من اله الرجل يأله اذا فزع من امر نزل به فآلهه اي اجاره فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله وهو يجير ولا يجار عليه ومن لطائف
اسم الله تعالى انك اذا لم تتلفظ بالهمزة بقي لله ولله جنود السموات والارض وان تركت من هذه البقية اللام الاولى بقيت البقية على صورة له له ما في السموات
وما في الارض وان تركت اللام الباقية ايضا بقي الهاء المضمومة من هو قل هو الله احد والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع هما هم فهذا يحجب اللفظ ولا
يحجب المعنى فاذا دعوت الله فكانك دعوته بجميع الصفات بخلاف سائر الاسماء ولهذا صحت كلمة الشهادة به والله تعالى اعلم بحث فيما يتعلق بالرحمن الرحيم
فعلان من رحم والرحيم فعيل منه واشتقاقه من الرحمة وهي ترك عقوبة من يستحقها وارادة الخير لاهله واصله الرقة والتعطف ومنه الرحم لرقتها وانعطافها
على ما فيها واختلف في منع صرف رحمن اذ ليس له مؤنث على فعلى كعطشى ولا على فعلانة كندمانة فمن شرط في منع صرف فعلان حقيقة وجود فعلى صرفه ومن شرط
فيه انتفاء فعلانة لم يصرفه واذا سقط الدليلان المتعارضان فللصرف وجه وهو ان الاصل في الاسماء الصرف ولمنع الصرف وجه وهو القياس على اخواته من فعلان
نحو عطشان وغرثان وزعم قوم انهما بمعنى واحد كندمان ونديم وجمع بينهما للتأكيد والاتباع كقولهم جاد مجد قال طرفة متى ادن منه ينأ عني ويبعد وقوم
الرحمان اشد مبالغة استدلالا بالزيادة في اللفظ على الزيادة في المعنى قالوا ولهذا جاء رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وربما يقال رحمن الدنيا ورحيم
الآخرة لان رحمته في الدنيا عمت المؤمن والكافر والبر والفاجر وفي الآخرة اختصت بالمؤمنين فالرحمان خاص اللفظ عام المعنى والرحيم بالعكس اما خصوص
الرحمن فمن حيث لا يسمى به الا الله لانه من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق واما عمومه فمن حيث انه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق و
النفع واما عموم الرحيم فاشتراك تسمية الخلق به واما خصوصه فرجوعه الى اللطف بالمؤمنين والتوفيق قال الضحاك الرحمن باهل السماء حيث اسكنهم السماء وطوقهم
الطاعات واطلق السنتهم بانواع التسبيحات وجنبهم الآفات وقطع عنهم المطاعم واللذات والرحيم باهل الارض حيث ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب
قال عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بماية رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ماية رحمة وانه انزل منها رحمة واحدة الى الارض فقسمها بين خليقته
فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة قال ابن المبارك الرحمن الذي اذا سئل اعطى والرحيم الذي اذا لم يسأل
غضب قال صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه الرحمن بالنعماء وهي ما اعطى وحبا والرحيم بالآلاء وهي ما صرف وزوى الرحمن بالانقاذ من النار وكنتم على شفا
حفرة من النار فانقذكم منها والرحيم بادخالهم الجنان ادخلوها بسلام آمنين الرحمن الراحم القادر على كشف الضر والرحيم الراحم وان لم يقدر على كشف الضر وتسمية مسيلمة
الكذاب بالرحمان تعنت منهم واقتطاع من اسماء الله تعالى وقال عطاء ولذلك قرنه الله تعالى بالرحيم لان هذا المجموع لم يسم به غيره واما قدم الرحمن وهو الاعلى على الرحيم
والعادة التدريج من الادنى الى الاعلى لان الرحمن يتناول عظائم النعم واصولها واردفه بالرحيم كالتتمة ليتناول ما دق منها ولطف واعلم ان الاشياء التي
انعم الله بها على الخلق اربعة اقسام الاول ما يكون نافعا وضروريا معا وذلك في الدنيا بالنفس فانه لو انقطع لحظة واحدة مات وفي الآخرة معرفة الله تعالى فانها
لو زالت عن القلب لحظة مات القلب واستوجب عذاب الابد الثاني ان يكون نافعا لا ضروريا كالمال في الدنيا وكسائر العلوم والمعارف في الآخرة الثالث
ان يكون ضروريا لا نافعا كالآفات والعلل ولا نظير لهذا القسم في الآخرة الرابع ان لا يكون نافعا ولا ضروريا كالفقر في الدنيا والعذاب في الآخرة وبالجملة فكل نعمة

او نعمة

او نعمة دنيوية او اخروية فانما تصل الى العبد او يندفع عنه برحمة الله وفضله من شائبة غرض ولا ضميمة علة لانه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى
الا رحمته ولا يخشى الا عذابه بد في نكت شريفة الاولى كل العلوم مندرجة في الكتب الاربعة وعلومها في القرآن وعلوم القرآن في الفاتحة وعلوم الفاتحة في
بسم الله الرحمن الرحيم وعلومها في الباء من بسم الله وذلك ان المقصود من كل العلوم وصول العبد الى الرب وهذا الباء للالصاق فهو يوصل العبد الى الرب وهو نهاية
المطلب واقصى الامد وقيل انما وقع ابتداء كلام الله تعالى بالباء دون الالف لان الالف تطاول وارتفع والباء انكسر وانخفض ومن تواضع لله رفعه الله الثانية
مرض موسى عليه السلام واشتد وجع بطنه فشكى الى الله فدله على عشب في المفازة فاكله فعوفي ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر فاكل ذلك العشب فازداد مرضه
فقال يا رب اكلته اولا فشفيت به واكلته ثانيا فزاد مرضي قال لانك في المرة الاولى ذهبت مني الى الكلاء فحصل فيه الشفاء وفي الثانية ذهبت منك الى الكلاء
فازداد المرض اما علمت ان الدنيا كلها سم وترياقها اسمي الثالثة باتت رابعة ليلة في التهجد والصلوة فلما انفجر الصبح نامت فدخل السارق دارها واخذ ثيابها
وقصد الباب فلم يهتد الى الباب فوضعها فوجد الباب ففعل ذلك ثلاث مرات فنودي من زاوية البيت ضع القماش واخرج فان نام الحبيب فالسلطان يقظان
الرابعة كان بعض العارفين يرعى غنما فحضر في غنمه الذئب ولا يضر اغنامه فمر عليه رجل فناداه متى اصطلح الغنم والذئب قال حين اصطلح الراعي مع الله الخامسة
روي ان فرعون قبل ان ادعى الالهية قصد ان يكتب بسم الله على بابه الخارج فلما ادعى الالهية وارسل الله اليه موسى ودعاه ولم ير به اثر الرشد قال
الهي كم ادعوه ولا ارى به خيرا فقال الله تعالى يا موسى لعلك تريد اهلاكه انت تنظر كفره وانا انظر ما كتبه على بابه والنكتة ان من كتب هذه الكلمة على بابه الخارج صار آمنا
من الهلاك وان كان كافرا فالذي كتبه على سويداء قلبه من اول عمره الى آخره كيف يكون حاله السادسة سمى نفسه رحمانا رحيما فكيف لا يرحم روي ان سائلا
وقف على باب رفيع فسأل شيئا فاعطي قليلا فجاء بفأس واخذ يخرب الباب فقيل له لم تفعل هذا قال اما تجعل الباب لائقا بالعطية او العطية لائقة بالباب
الهي كما اثبت في اول كتابك صفة رحمتك فلا تجعلنا محرومين من فضلك السابعة اذا اشترى العبد شيئا من الدواب او المتاع وضعوا عليه سمة الملك
لئلا يطمع فيه العدو فالله تعالى يقول عبدي عدوك الشيطان فاذا شرعت في عمل وطاعة فاجعل عليها سمتي وقل بسم الله الرحمن الرحيم الثامنة اجعل
ذكر الله قرينك حتى لا يبعد عنك في احوالك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم دفع خاتما الى ابي بكر رضي الله عنه وقال اكتب فيه لا اله الا الله فدفعه الى النقاش
فقال اكتب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله فكتب النقاش ذلك فاتى ابو بكر رضي الله عنه ذلك الخاتم الى النبي صلى الله عليه وسلم فرأى فيه لا اله الا الله محمد رسول الله
ابو بكر الصديق فقال يا ابا بكر ما هذه الزوائد فقال يا رسول الله ما رضيت ان افرق اسمك عن اسم الله فارضى الله ان يفرق اسمي عن اسمك التاسعة ان نوحا لما ركب
السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها فنجى بنصف هذه الكلمة فالملك لمن واظب على الكلمة طول عمره العاشرة الناس ثلاثة سابق بالخيرات ومقتصد وظالم
لنفسه فقال انا الله للسابقين الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين الله معطي العطاء الرحمن المجاوز عن زلات الاولياء الرحيم الساتر لعيوب الاغنياء بعلمه بك
ما لو علمه ابواك لفارقاك ولو علمت المرأة لجفتك ولو علمت الامة لما قدمت على الفرار ولو علم الجار لسعى في تخريب الدار الله يوجب ولاية الله ولي الذين آمنوا
الرحمن يستدعي محبته ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الرحيم يقتضي رحمته وكان بالمؤمنين رحيما وهو رحيم في ستة مواضع في القبر وظلماته و
في القيامة وحسراته وقراءة الكتب وفزعاته والصراط ومخافاته والنار ودركاته والجنة ودرجاته الحادية عشر مر عيسى عليه السلام على مقبرة فرأى يعذبون ملائكة
العذاب ميتا فلما انصرف من حاجته مر بالقبر فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك ودعا الله فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا
وكان قد ترك امرأة حبلى فولدت وربت ولده حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي ان اعذبه بناري في بطن
الارض وولده يذكر اسمي على ظهر الارض الثانية عشر كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل في كفنه فقيل له في ذلك فقال اقول يوم القيمة الهي بعثت
كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك الثالثة عشر بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا والزبانية تسعة عشر فالله يدفع بليتهم بهذه الحروف
التسعة عشر الرابعة عشر اليوم بليلته اربع وعشرون ساعة ثم فرض خمس صلوات في خمس ساعات فهذه التسعة عشر حرفا تقع كفارات للذنوب الواقعة في تلك
التسعة عشر الخامسة عشر لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم وايضا السنة ان يقال عند الذبح بسم الله والله
اكبر ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفق الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبعة عشر مرة في الصلوة المفروضة دل ذلك على انه ما خلقك للقتل والعذاب وانما
خلقك للرحمة والثواب السادسة عشر قال صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله من الصديقين
وخفف عن والديه وان كانا مشركين وعن علي رضي الله عنه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما انزلت هذه الآية
على آدم عليه السلام قال امن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فانزلت على ابراهيم عليه السلام فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ثم
رفعت بعده فانزلت على سليمان فعند ذلك قال الملائكة الآن تم والله ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى علي ثم تأتي امتي يوم القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم
فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يا ابا هريرة اذا توضأت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك
لا يبرحون ان يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ واذا غشيت اهلك فقل بسم الله فان حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك المواقعة
ولد كتب لك من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس اعقابه ان كان له عقب حتى لا يبقى منهم احد يا ابا هريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله
تكتب لك الحسنات بكل خطوة واذا ركبت سفينة فقل بسم الله والحمد لله تكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ستر ما بين اعين الجن وعورات بني آدم اذا نزعوا ثيابهم ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم والاشارة فيه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين الزبانية في العقبى
شعر كانت لنفسي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك النفس اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي تركت للناس
دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي هذا تمام الكلام في تفسير البسملة واما تفسير الفاتحة ففيه ايضا مسائل الاولى في اسماء هذه السورة اسماء هذه السورة
كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف فاوله فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف وفي التعليم وفي القراءة في الصلوة وفاتحة كل كتاب كما هي
فاتحة القرآن وقيل لانها اول سورة نزلت من السماء الثانية سورة الحمد لان اولها الحمد الثالثة ام الكتاب وام القرآن لانها اصل القرآن واصل الكتاب
منزلة لاشتمالها على الالهيات والمعاد واثبات القضاء والقدر والنبوات او لان فيها حاصل جميع الكتب السماوية وذلك هو الثناء على الله والاشتغال بالخدمة
والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات او لان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية او لانها افضل سور في القرآن كما ان مكة ام القرى
اشرف البلدان بحيث دحيت من تحتها او كما ان الحق ام مقدم ونهاية جعلها معظم الاوجاع واللام القرب الرابعة السبع المثاني او لانها تثنى في كل صلوة
او لان نصفها ثناء العبد للرب والنصف الآخر اعطاء الرب للعبد او لانها استثناها لهذه الامة قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما انزل في التوراة و
الانجيل ولا في الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثاني والقرآن العظيم او لانها انزلت مرتين او لانها اثنية ومدايح الله تعالى الخامسة الوافية لانه يجب
قراءتها كلها ولا يجزي بعضها في الصلوة السادسة الكافية قال صلى الله عليه وسلم ام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابعة الشفاء والشافية لقوله

عليه

فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم. الثامنة الأساس لأنها أول سورة من القرآن فهو كالأساس أو لأنها تشتمل على أساس العبادات والمطالب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول أساس الكتب القرآن وأساس القرآن الفاتحة وأساس الفاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالأساس بإذن الله تعالى. التاسعة الصلاة قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو من باب تسمية الشيء بمعظم أركانها ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة بالصلاة. العاشرة سورة تعليم المسئلة لأن الله تعالى علم عباده فيها آداب السؤال فبدأ بالثناء ثم بالإخلاص ثم بالدعاء. الحادية عشر سورة الكنز لما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ولهذا قال أكثر العلماء إنها مكية وخطأوا مجاهدا في قوله إنها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب أنها من أول ما نزل من القرآن وأنها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني ولا يصح القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب وقد جمع طائفة من العلماء بين القولين فقال إنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى وعلى هذا فإنما لم تثبت في المصحف مرتين لأنه لم يقع التواتر على نزولها مرتين. ومن فضائل هذه السورة أنه لم يوجد فيها الثاء وهو الثبور لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهي جهنم وإن جهنم لموعدهم أجمعين والخاء وهو الخزي يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه والزاي الزقوم والزفير والشين وهو الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهي لظى كلا إنها لظى والفاء وهو الفراق يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون. فلما أسقط الله هذه الحروف الدالة على العذاب وهي بعدد أبواب جهنم رجي أن يتخلص قارئها من دخول أبوابها ويتخلص من دركاتها. ب في المباحث اللفظية الحمد مبتدأ ولله خبره أي الحمد ثابت لله وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله كقولهم شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله فعدل إلى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ونحو قالوا سلاما قال سلام كان تحية إبراهيم صلوات الرحمن عليه أحسن من تحيتهم وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها وقد قيل على أن أصله النصب أن قوله إياك نعبد بيان لحمدهم وكأنه قيل كيف تحمدون فقيل إياك نعبد والأصل توافق الجملتين. واللام في الحمد لتعريف الجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد أن الحمد ما هو والاستغراق وهم لأنه لو سلم كون اللام للاستغراق فحمد أبويه لا يدخل فيه. وأيضا فحمد الله لا يفهم منه إلا حقيقة الحمد من حيث هي وكذا ما بابه وهو الحمد. وقرأ بعضهم بكسر الدال اتباعا وبعضهم بضم اللام. الرب المالك ربه يربه فهو رب أو مصدر وصف به للمبالغة كالعدل وهو مطلقا مختص بالله تعالى ومضافا يجوز إطلاقه على غيره نحو رب الدار ارجع إلى ربك. وقرئ بالنصب على المدح أو بتقدير نحمد. والعالم اسم موضوع للجمع كالأنام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين. قاله ابن عباس والأكثرون. وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر والأعراض لقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين. فعلى الأول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمي به وبالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء. مالك يوم الدين صفة أخرى واليوم هو المدة من طلوع جرم الشمس إلى غروب نصف جرمها أو من ابتداء طلوعها إلى غروب كلها أو من طلوع الفجر الثاني إلى غروبها وهذا في عرف الشرع. والمراد في الآية الوقت لعدم الشمس ثمة. والدين الجزاء بالخير والشر كما تدين تدان. وإضافة اسم الفاعل إلى الظرف اتساع وإجراء له مجرى المفعول به مثل يا سارق الليلة أهل الدار. وإنما أفاد التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لأنه إما بمعنى الماضي نحو ونادى أصحاب الأعراف وسيق الذين وبمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون من تلك المفيد للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع وحينئذ لا عمل فيكون الإضافة حقيقية. وقرئ بنصب الكاف ورفعها وبسكون اللام مخففا وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم. وإياك رفعا ونصبا وجرا إيا ضمير منصوب منفصل والملحق لكاف الخطاب نحو إياك وإياه مذهب الأخفش والمحققين وحكاية الخليل إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب شاذ. والأصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا. وقرئ إياك بتخفيف الياء وأياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء. قال طفيل شعر فهياك والأمر الذي إن تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره. فإن قيل لم عدل عن الغيبة إلى الخطاب. قلنا هذا يسمى الالتفات في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والتنقل من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وقد يختص مواقعه بفوائد وسنتلو لك في سلك التقرير فائدته في هذا الموضع. والعبادة أقصى غاية الخضوع طريق معبد أي مذلل وثوب ذو عبدة في غاية الصفاقة وقوة النسج. هدى يتعدى باللام أو بإلى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه والأصل فيه الإمالة ومنه إنا هدنا إليك أي ملنا والهدية لأنها تمال من ملك إلى ملك والهدي الذي يساق إلى الحرم أي أمل قلوبنا إلى الحق والصراط الجادة. وأصله السين من سرط الشيء ابتلعه لأنه يسترط السابلة إذا سلكوا كما سمي لقما لأنه يلتقمهم ومثله مسيطر ومصيطر يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل. صراط الذين أنعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم وفائدته التأكيد كقولك هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان ويكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل ثبت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا. وقرأ ابن مسعود صراط من أنعمت عليهم. وغير المغضوب بدل من الذين أو صفة وإنما جاز وقوعه صفة للمعرفة لأن تعريف الذين كلا تعريف كقوله شعر ولقد أمر على اللئيم يسبني. أو لأن المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة غير السكون ويجوز أن يكون بدلا وإن كان من معرفة ولا نعت للإفادة. والفرق بين عليهم الأولى والثانية أن الأولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على أنها مفعول أقيم مقام الفاعل. وأصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فأنعمت دقه أي بالغت في دقه. وكلما في القرآن من ذكر النعمة بكسر النون وهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش ونعمة كانوا فيها فاكهين. والغضب في اللغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب إطلاقه على الخلق وعلى الخالق. وأصل الضلال الغيبوبة ضل الماء في اللبن إذا غاب فيه وضل الكافر غاب عن الحق. قال تعالى أئذا ضللنا في الأرض. وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز عطف أحدهما على الآخر وتقول أنا زيد غير ضارب كما تقول أنا زيدا لا ضارب ويعضده ما قرئ وغير الضالين. وقرأ أيوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن. وآمين مد أو قصر اسمعنا واستجب كأن رويدا بمعنى أمهل. وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه افعل. ج في المباحث الفقهية وفيه مسائل الأولى اجتمع الأكثرون ومنهم الشافعي على أن قراءة الفاتحة واجبة في الصلاة فإن ترك منها حرفا وهو يحسنها لم تصح صلاته. وعن أبي حنيفة رح قراءتها غير واجبة لنا أنه صلى الله عليه وسلم واظب طول عمره في الصلاة فيجب علينا لقوله فاتبعوه. وأيضا ائتوا الصلاة التي أتى بها الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه كان يقرأ الفاتحة فيها فيجب. وأيضا روي في ذلك أخبار كثيرة مثل لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب كل صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج. وعن رفاعة بن مالك أن رجلا دخل المسجد وصلى فلما فرغ من صلاته وذكر الخبر إلى أن قال الرجل علمني الصلاة يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إذا توجهت إلى القبلة للصلاة فكبر واقرأ بفاتحة الكتاب وظاهر الأمر للوجوب ولا سيما في معرض التعليم. وأيضا الخلفاء الراشدون واظبوا على قراءتها طول العمر وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين. وأيضا المواظبة على قراءة الفاتحة توجب هجران سائر السور وذلك غير جائز إن لم تكن واجبة فثبت أنها واجبة. حجة أبي حنيفة رح فاقرؤوا ما تيسر من القرآن قلنا الفاتحة هي المتيسرة من القرآن المحفوظة على جميع الألسنة ثم قال إذا قرأ آية واحدة مثل الم وحم والطور ومدهامتان. أبو يوسف ومحمد لا بد من قراءة ثلث آيات أو آية واحدة طويلة مثل آية الدين. الثانية قراء المدينة غير قالون والبصرة

والشام وفقهاؤها على أن البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة. وقراء مكة والكوفة غير حمزة وفقهاؤهما على أنها آية من كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه لما روي عن أم سلمة أنها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فعد بسم الله الرحمن الرحيم آية الحمد لله رب العالمين آية الرحمن الرحيم آية مالك يوم الدين آية إياك نعبد وإياك نستعين آية اهدنا الصراط المستقيم آية صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية. وعن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم. وروى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن أبي بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى فقال بأي شيء تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي. وبإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول إذا قمت إلى الصلاة فقال أقول الحمد لله قال قل بسم الله الرحمن الرحيم. وبإسناده عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه إذا كان افتتح السورة في الصلاة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص. وبإسناده عن ابن عباس رضي في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس فأين السابعة فقال بسم الله الرحمن الرحيم. وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله سبحانه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فإذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى علي عبدي فإذا قال مالك يوم الدين قال فوض إلي عبدي وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي وإذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل إلى غير ذلك من الأخبار. وأيضا التسمية مكتوبة بخط القرآن في مصاحف السلف مع توصيتهم بتجريد القرآن عما ليس منه ولذلك لم يثبتوا آمين. وأيضا قال صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب ما أعظم آية في القرآن قال بسم الله الرحمن الرحيم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم أنها ليست آية تامة في قوله إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فتكون آية في غير هذا الموضع. وأيضا أن أكثر الأنبياء أوجبوا على أنفسهم الابتداء بها قال نوح عليه السلام عند ركوب السفينة بسم الله مجريها ومرسيها وكتب سليمان عليه السلام إلى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم وقوله إنه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب. قرأت التسمية فقالت وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ولما ثبت الابتداء بالتسمية في حقهم ثبت في حق نبينا أيضا أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم. وعن ابن عمر قال نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة. وأيضا البسملة آية في النمل ثم إنا نراه مكررا بخط القرآن فوجب أن نعتقد كونه من القرآن مثل فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين. حجة المخالف خبر أبي هريرة أيضا في رواية أخرى قال يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي فلم يذكر التسمية ولو كانت آية من الفاتحة لذكرها. قلنا إذا تعارضت الروايتان فالترجيح للمثبت. الثاني قالوا التنصيف إنما يحصل إذا لم تعد التسمية آية حتى يحصل للرب ثلث آيات ونصف وللعبد ثلث ونصف من إياك نستعين إلى آخر السورة. أما إذا قلنا التسمية آية صار للرب أربع آيات وللعبد ثلاث فينخرم التنصيف. قلنا لكن نعد التسمية آية ولا نعد أنعمت عليهم وهذا أولى رعاية لتشابه المقاطع ولأن غير صفة أو بدل ويجعل الكلام منقطعا عما قبله لأن طلب الاهتداء بصراط المنعم عليهم لا يجوز إلا بشرط أن يكون المنعم عليه غير مغضوب عليه ولا ضال بدليل قوله تعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا فالمجموع كلام واحد وبهذا يخالف الرحمن الرحيم فإنا لو قطعنا الثناء عن بعضه كان الكلام مع الموصوف غير مختل النظام. قالوا روت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله. قلنا قال الشافعي رحمه الله لعل عائشة جعلت الحمد لله اسما لهذه السورة كما يقال قرأ فلان الحمد لله الذي خلق السموات والأرض. قالوا لو كانت من الفاتحة لزم التكرار في الرحمن الرحيم. قلنا التكرار للتأكيد غير عزيز في القرآن. فإن قيل إن عد التسمية آية من كل سورة على ما روي عن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى فما وجه ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في سورة الملك إنها ثلثون آية وفي الكوثر إنها ثلاث آيات مع أن العدد حاصل بدون التسمية. قلنا لا نعد التسمية مع العدد آية وذلك غير بعيد ألا ترى أن قوله تعالى الحمد لله رب العالمين آية تامة وقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين بعض آية وأما أن يراد ما هو خاصة الكوثر ثلاث آيات فإن التسمية كالشيء المشترك فيه. الثالثة عن أحمد بن حنبل أن التسمية آية من الفاتحة ويسر بها في كل ركعة. أبو حنيفة رح ليست بآية ويسر بها. مالك لا ينبغي أن يقرأها في المكتوبة لا سرا ولا جهرا. الشافعي آية ويجهر بها لأنها بعد ما ثبت كونها من الفاتحة أو القرآن لا يعقل فرق بينها وبين باقي الفاتحة حتى يسر بهذه ويجهر بذلك. وأيضا إنه ثناء على الله وذكر له فوجب أن يكون إعلانه به مشروعا لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا. وأيضا الإخفاء والستر إنما يليق بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة. قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن مات ولسانه رطب من ذكر الله تعالى. وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول يا من ذكره شرف للذاكرين. وكان مذهبه الجهر بها في جميع الصلوات وقد ثبت منه ذلك تواترا ومن اقتدى به لن يضل قال عليه السلام اللهم أدر الحق معه حيث دار. وروي في السنن الكبير عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم. وروي عن عمر رضي الله عنه وابنه وابن عباس وابن الزبير مثل ذلك. وروى الشافعي عن أنس أن معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض إلى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والأنصار يا معاوية سرقت من الصلاة أين بسم الله الرحمن الرحيم أين التكبير عند الركوع والسجود ثم إنه أعاد الصلاة مع التسمية والتكبير. قال وكان معاوية شديد الشكيمة ذا شوكة فلولا أن الجهر بالبسملة كان مقررا عند كل الصحابة لم يجسروا على ذلك. حجة المخالف ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون القراءة بالحمد. وفي رواية ولم أسمع أحدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم. وفي رواية ولم يجهر أحد منهم ببسم الله الرحمن الرحيم. وعن عبد الله بن مغفل أنه قال سمعني أبي وأنا أقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال أي بني إياك والحدث في الإسلام قد صليت خلف أبي بكر فقال الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين. والجواب أن حديث أنس معارض بما روى عنه أيضا أبو قلابة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله. وروي أيضا أنه سئل عن الجهر والإسرار ببسم الله فقال لا أدري هذه المسألة وإذا اضطرب الروايات عنه وجب الرجوع إلى سائر الدلائل. وأيضا ففيها تهمة أخرى وهي أن عليا رضي الله عنه كان يبالغ في الجهر بالبسملة فلما كان زمن بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعيا في إبطال آثار علي بن أبي طالب فلعل أنسا خاف منهم ولهذا اضطربت أقواله. وأيضا من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدم أولي الأحلام والنهى والأكابر والعلماء على غيرهم ولا شك أن عليا وابن عباس وابن عمر كانوا على حال أعلى من أنس وابن مغفل وأقرب موقفا وأنه صلى الله عليه وسلم ما كان يبالغ في الجهر لقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فلهذا لم يسمعها ورواية المثبت أولى من النافي والدلائل العقلية معنا ويؤيدها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. الرابعة التسمية في الوضوء. تقديم التسمية على الوضوء سنة عند عامة العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض أهل الظاهر حيث قالوا لو تركها عمدا أو سهوا لم تصح صلاته. لنا قوله صلى الله عليه وسلم توضأ كما أمرك الله والتسمية غير مذكورة في آية الوضوء. والصحيح عندنا أن الجنب والحائض لا يقولها بقصد القراءة. والتسمية عند الذبح وعند الرمي إلى الصيد وعند إرسال الكلب مستحبة فلو تركها عامدا أو ناسيا لم تحرم الذبيحة عند الشافعي رح ولكن تركها عمدا أكره. وعند أبي حنيفة رح إن ترك التسمية عمدا لم يحل وإن نسي حل. والعلماء أجمعوا على أنه يستحب أن لا يشرع في عمل إلا أن يقول بسم الله فإذا نام قال بسم الله وإذا انتبه قال بسم الله وإذا قام من المقام قال بسم الله وإذا أكل

ترجمة القرآن

او شرب قال بسم الله او اعطى او اخذ قال بسم الله وتستحب للقابلة اذا اخذت الولد من الام ان تقول بسم الله وهذا اول احواله من الدنيا فاذا مات وادخل القبر قيل بسم الله وهذا اخر احواله من الدنيا واذا قام من القبر قال بسم الله واذا حضر الموقف قال بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة بسم الله تعالى ترجمة القرآن تكفي في الصلوة ام لا قال الشافعي رح ترجمة القرآن لا تكفي في صحة الصلوة لا في حق من يحسن القرآن ولا في حق من لا يحسنها وقال ابو حنيفة رح انها كافية في حق القادر والعاجز وقال ابو يوسف ومحمد كافية في حق العاجز لا القادر لنا انه صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرأوا في الصلوة الا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم وكيف يجوز عاقل قيام الترجمة اي لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام القوي القدير قالوا روي عن عبد الله بن مسعود انه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطاء في القرآن ان يقرأ مكان العليم الحكيم بل ان يضع اية الرحمة مكان اية العذاب قلنا النقل عن ابن مسعود غير ذلك قالوا وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ولا ريب ان القرآن بهذا اللفظ ما كان في زبر الاولين لكن بالعبرية والسريانية قلنا ان القصص والمواعظ موجودة لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك ان يكون الموجود فيها قرآنا فان النظم المعجز جزء من ماهية القرآن والكل بدون الجزء مستحيل قراءة الفاتحة واجبة على الامام والمأموم او كلاهما الشافعي في قوله الجديد قال تجب قراءة الفاتحة على المقتدي سواء اسر الامام في القراءة او جهر بها وفي القديم يجب اذا اسر الامام ولا يجب اذا جهر وهو قول مالك واحمد وابو حنيفة رح يكره القراءة خلف الامام بكل حال لنا قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القرآن وقوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب يشمل المنفرد والمقتدي وايضا روى الترمذي في جامعه باسناده عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني اراكم تقرؤن خلف امامكم قلنا اي والله قال لا تفعلوا الا بام القرآن فانه لا صلوة لمن لم يقرأ بها قال هذا حديث حسن وايضا قراءتها لا تبطل الصلوة عندهم ولكن يجوز وتبطلها عدم القراءة عندنا والاحوط قراءتها احتج المخالف بقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا واخبار بين ضعفها البيهقي في كتابه ونحن نقول اما القرآن فمخصوص بغير الفاتحة لما مر واما الاخبار فثبت انها صحيحة الا ان الترجيح معنا لان اشتغال بقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولانه احوط الفاتحة واجبة في كل ركعة او في الصلوة مطلقا مذهب الشافعي ان الفاتحة واجبة في كل ركعة فان تركها في ركعة بطلت صلوته وبه قال ابو بكر وعمر وعلي وابن مسعود ومعظم الصحابة لانه صلى الله عليه وسلم كان يقرأها في كل ركعة ولانه قال للاعرابي الذي علمه الصلوة وكذلك فافعل في كل ركعة وعن ابي سعيد الخدري انه قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نقرأ بفاتحة الكتاب في كل ركعة فريضة كانت او نافلة وايضا القراءة في كل ركعة احوط فيجب المصير اليها وقيل غير واجبة اصلا وقيل يجب في ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند ابي حنيفة تجب القراءة في الركعتين الاوليين لقول عائشة رضي الله عنها فرضت الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فهما اصل والزائد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين وتكره في الاخريين وعند مالك تجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنتين وفي الرباعية في ثلاث ترك القراءة في الصلوة وقراءته اذا ثبت ان القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا بطلت صلوته وكذا سهوا على الجديد وما روي ان عمر بن الخطاب صلى المغرب فترك القراءة فقيل له تركت القراءة فقال كيف كان الركوع والسجود فقالوا حسنا قال فلا بأس معارض بما روى الشعبي عنه انه اعاد الصلوة وايضا لعله ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة في الترتيب للفاتحة يجب رعاية الترتيب في اجزاء الفاتحة وما وقع غير مرتب فغير محسوب ~~فيما تجبن غير الكل~~ ان لم يحفظ شيئا من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القرآن ثم من ذكر من الاذكار ثم عليه وقفة بقدرها فان تعلم قرأ ما لم يفرغ منه ~~من الفوائد والفرق بين الحمد والمدح~~ ما نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر ان تكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن الظن به ان هذا النقل عنه كذب والا فجحد المتواتر كيف يليق بحاله وفيما يختص بتفسير الحمد من الفوائد الفائدة الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤ والياقوتة الثمينة والحمد للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب على وجوه المداحين والحمد مأمور به مطلقا قال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع من انواع الفضائل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة من الفضائل معينة وهي فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولا بد ان يكون على جهة التفضيل لا على التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب والجوارح قال شعر افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم ولهذا قيل الشعر لو كل ديذم (?) والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفران اذا عرفت ذلك فنقول لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لما مر من ان المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكانه يقول سواء اعطيتني او لم تعطني فانعامك واصل الى كل العالمين وانت مستحق للحمد العظيم ولا ريب ان هذا اولى وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على ما اعطى من جزيل النعماء والنعمة في الاعطاء اكثر من النعمة في دفع البلاء فكانه يقول انا شاكر لادنى النعمتين فكيف باعلاهما ويمكن ان يقال ان المنع غير متناه والاعطاء متناه والابتداء بالشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له اولى وايضا دفع الضرر اهم من جلب النفع فتقديمه احرى الثانية لو قال احمد الله افاد كون ذلك القائل على حمده فاذا قال الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق لله تعالى وملكه كما ينبئ عنه اللام الجنسي واللام الجارة وذلك بسبب كثرة ايادي الله وانواع آلائه على عبيده وامائه ولا يخفى ان هذا اولى من ان يحمد شخص واحد فقط ولهذا لو سئلت هل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمه على جميع الخلائق كان اكمل فان قيل اليس ان المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاذ يستحق الحمد من التلميذ والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذات المنعم بعد ان خلق تلك النعمة وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع وامنه من فوات الانتفاع ولهذا قال عز من قائل وما بكم من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق ينعم على غيره فانه يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا او ثناء وتحصيل خلق او تخليصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد في الحقيقة اما الله سبحانه وتعالى فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه جودا محضا فثبت انه لا يستحق الحمد الا الله تعالى الثالث انما قال الحمد لله ولم يقل احمد الله لان الانسان عاجز عن الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف فوق ما يستطيعه وذلك ان نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وايضا انما يمكنه القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وازال عنه العوائق والصوارف وكل ذلك انعام من الله فيتسلسل وايضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعمة الله فقد اشرك وهذا المعنى قول الواسطي الشكر شرك الا اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كل الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الاتيان به او لم يقدروا ونقل ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو

توفيق لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكرك فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك الرابعة عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبده فيقول الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدي اعطيته ما لا قدر له فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه انه اذا انعم الله على العبد شيئا واحدا فاذا قال الحمد لله فمعناه المحامد التي اتى بها الاولون والآخرون من الملائكة والثقلين لله تعالى وكذلك المحامد التي سيذكرونها الى وقت قوله دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم والى ابد الآبدين ودهر الداهرين فالنعم متناه والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهي من غير المتناهي فالذي بقي للعبد طاعات غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي الخامسة لا شك ان الوجود خير من العدم وان وجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل ما سواه فاذا قال العبد الحمد لله فكانه قال الحمد لله على كل مخلوق وعلى كل محدث احدثه من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من ازل الآزال الى ابد الآباد وانا اشهد انها باسرها لك لا شركة لاحد فيها معك السادسة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقال سبحان الله والحمد لله فالسبب في وقوع البداية بالتحميد والجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرا في ذاته وصفاته عن النقائص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مراتب الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليه والا اذا كان غنيا في ذاته والا شغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد ما يكون منزها عن النقائص والآفات السابعة الحمد له تعلق بالماضي وهو وقوعه شكرا عن النعم السابقة وتعلق بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم فبالاول تغلق عنك ابواب النيران وبالثاني تفتح لك ابواب الجنان فان الحمد لله ثمانية احرف بعدد ابواب الجنة الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ان تذكر في موضعها ليحصل المقصود قال السري منذ ثلثين سنة استغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق في بغداد واحترقت دكاكين الناس فاخبرني واحد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروة ان لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منه ثلثين سنة فالحمد لله على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد على اعمال القلوب افضل من الحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث هي عطية المنعم اولى من الحمد ~~على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث هي عطية المنعم اولى من الحمد~~ عليها من حيث هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللائق به التاسعة اول ما بلغ الروح الى سرة آدم عطس فقال الحمد لله رب العالمين وآخر دعوى اهل الجنة ان الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد ان يكون اول اعمالك وآخرها مقرونا بكلمة الحمد العاشرة لا يحسن عندنا ان يقدر قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الولد اذا قال لوالده اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر الفلاني ينبغي ان يفعل ثم ان الولد ان كان برا يطيعه وان كان عاقا كان اثمه اقل فلهذا اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان ذنبه اقل بخلاف ما لو قدر قولوا الحمد لله الحادية عشر شنعت الجبرية على المعتزلة ومن يجري مجريهم بانكم تثبتون للعبد فعلا واختيارا واستحقاق الحمد انما يكون على اشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الايمان باختيار العبد لكن الاختيار ايضا مستند الى الله تعالى فالمستحق للحمد ذلك وشنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبيح في فعله ولا جور في قضيته وعندكم لا قبيح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه الجواب ان القبح والجور انما يثبت ان لو كان يتصور الفعل المخصوص في القابل المخصوص احسن واتم مما صدر لكنه محال فانه حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان افضل ما يمكن بالنسبة الى المحل المخصوص الثانية عشر اختلفوا في شكر المنعم واجب عقلا فمنهم من قال عقلا ومن جملة ادلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وايضا عقبه بقوله رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على ان استحقاقه للحمد ثابت بكونه ربا للعالمين قبل مجيء الشرع وبعده والجواب ان استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه من قبل الشرع واعلم ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار والعبادات في انها يؤتى بها لا لان الله تعالى يستكمل بها ولا لانه تعالى يجازي بها ولكنها لتحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان والله حسبي في فوائد قوله رب العالمين الاول الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم كائنا ما كان وذلك اما متحيز او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد والجسم اما علوي او سفلي والعلوي كالسموات ويندرج فيه العرش والكرسي والسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض بالبحار وفيها والماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه من القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهواء الصافي والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين انواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض باجناسها وانواعها الثالث الارواح وهي اما سفلية خيرة كالجن واما شريرة كالشياطين واما علوية متعلقة بالاجسام كملائكة السموات قال صلى الله عليه وسلم ما في السموات موضع شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد واما غير متعلقة وهي الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى الواجب في الوجود وفي البقاء ايضا فهو اله العالمين من حيث انه اخرجها من العدم الى الوجود ورب العالمين من حيث انه يبقيها حال استمرارها فكل من كان اكثر احاطة باحوال الموجودات وتفاصيلها كان اكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين الثانية المربي قسمان احدهما ان يربي ليربح عليهم والثاني ان يربي ليربحوا عليه والاول شان المخلوقين الذين غرضهم من التربية اما ثواب او ثناء او التعصب وغير ذلك والثاني دأب الحق سبحانه كما قال خلقتكم لتربحوا علي لا لاربح عليكم وكيف لا يربح عليه وانه متعال على الاستكمال منزه عن ان يحدث في خزائنه بسبب التربية والافادة والافاضة اختلال يجيب المحتاجين في الدعاء ويزيد في الخلق ما يشاء يكفي علمه عن المقال ويغني كرمه عن السؤال وسع كل شيء رحمة وعلما وزين كل حي كرما وحلما ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ان يوم الفصل كان ميقاتا الثالث لما كان لفظة الله احسن الاسماء عقبه باكمل الصفات وهو رب العالمين ومعناه ان وجود ما سواه فائض عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه فالاول يدل على التمام والثاني على انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم انه يربيك كانه ليس عبد سواك وهو الله الواحد الاحد تعتقد وانت تخدمه كان لك اربابا غيره فما انصفك ايها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن خلقت لعبادة الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الا وهي جنان الرب ملعون من هدم جنان الرب في فوائد قوله الرحمن الرحيم الاولى الرحمن بما لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد وانا الرحمن لانك تسلم الي نطفة مذرة فاسلمها اليك الصورة الحسنة وانا الرحيم لانك تسلم الي طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لمهم يسير فقال اطلب للمهم اليسير الرجل اليسير فكان الله يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت مني وتعذر عليك سؤال الامور اليسيرة فانا الرحمن تطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم تطلب مني شراك نعلك وملح قدرك الثالث الوالد اذا اهمل حال ولده ولم يؤدبه ظن ان ذلك رحمة وهو في الحقيقة عذاب ومن لم يؤدبه الابوان ادبه الملوان ومن حكمه حال من يقطع يده لآكلة فيها او يضرب بتعليم حرفة وادب بجملة شريفة فكل ما في العالم من محنة او بلية فهي في الحقيقة رحمة ونعمة وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر عليهما السلام كالحجة في موضعها

ما ذكرنا والحكيم المحقق هو الذي يبني الامور على الحقائق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة اعطى مريم عليها السلام رحمة ونجعله
اية للناس ورحمة منا فصارت سببا لنجاتها من توبيخ الكفار والفجار واعطانا رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا ننجو به من النار الخامسة وصف
النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة فكان من حاله انه لما كسر رباعيته قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وانه يوم القيمة يقول امتي امتي فلما وصف نفسه بكونه رحمانا رحيما
فكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفي لصلاح الموجودات فذرني وعبيدي فاني انا الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية والمتناهي لا يدرك غير المتناهي فتغرق معصيتهم
في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة حكي عن ابراهيم بن ادهم انه قال كنت ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته
تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين والقى الغراب ذلك الرغيف على وجهه وعن ذي النون انه قال كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية
ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرايت عقربا قويا يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النيل فقفز عليه واخذ الضفدع يسبح وذهب
فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع الى الطرف الاخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو واتبعته فرايت شابا نائما تحت شجرة ورايت افعى تقصده فلما قربت الافعى من
الشاب وصل العقرب الى الافعى ولدغتها والافعى ايضا لدغتها وماتتا معا وفي ادعية العرب يا رازق النعاب في عشه وحكايته ان ولد الغراب
كما يخرج من البيضة يكون كانه قطعة لحم فتنفر منه امه حتى اذا خرج ريشه عادت اليه وفي تلك المدة ذبابا يغتذي به وروي ان فتى قربت وفاته واعتقل لسانه
عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقام فدخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال صلى الله عليه وسلم اما كان
يصلي اما كان يزكي اما كان يصوم فقالوا بلى فقال فهل عق والدته فقالوا نعم فقال هاتوا امه فاتي بعجوز عوراء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا عفوت عنه فقالت
لا اعفو لانه لطمني ففقا عيني فقال صلى الله عليه وسلم هاتوا الحطب والنار فقالت وما تصنع بالنار فقال صلى الله عليه وسلم احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل
فقالت عفوت عفوت اللنار حملته تسعة اشهر اللنار ارضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت
رحيمة فقط فلم تجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على الرحمن الرحيم سبعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة انزل
منها واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام بها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ولعل هذا على سبيل التفهيم
والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته بلا نهاية ز في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى من قضية العدالة الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي والموافق والمخالف
لا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم روي انه يجاء يوم القيمة برجل
وينظر في احوال نفسه فلا يرى لنفسه حسنة البتة فياتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت فيقول الله الست لما كنت نائما تنقلب من جنب الى جنب
ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم في الحال فنسيت اما انا فلا تاخذني سنة ولا نوم فانسيت ذلك ويجاء برجل ويوزن حسناته بسيئاته فتخف
الثانية ببطاقة فتثقل ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره واعلم ان حقوق الله تعالى على المسامحة لانه غني عن العالمين واما حقوق العباد
فهي اولى بالاحتراز عنها روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال المفلس
من اتى يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل
ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار الثانية من قرا مالك احتج بوجوه الاول فيه حرف زائد فيكون ثوابه اكثر الثاني ان في يوم القيمة ملوكا
ولا مالك الا الله الثالث المالكية سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك الرابع العبد ادون حالا من الرعية فيكون القهر في المالكية اكثر منه في الملكية
الخامس الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما المملوك فيجب عليه خدمة مالكه وان لا يستقل بامر الا باذنه حتى انه لا يصح منه القضاء ولا الامامة والشهادة ويصير مسافرا اذا
نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة حجة من قرا ملك ان كل واحد من اهل البلد يكون مالكا والملك لا يكون الا اعلاهم شانا وايضا قل اعوذ برب
الناس ملك الناس لم يقرا فيه غير ملك فتعين وايضا الملك اقصر ومالك يلزم منه تطويل الاول فانه يمكن ان يدركه الموت قبل تمام اللفظ به واجيب بان العزم يقوم مقام
الفعل لو مات قبل الاتمام كالذي نوى بعد غروب الشمس يجب صومه بخلاف الذي نوى في النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القراءتين احكام اما المتفرعة على الاولى
فقراءة مالك ارجى من قراءة ملك لان اقصى ما يرجى من الملك العدل والانصاف وان ينجو الانسان منه راسا براس والمالك يطلب منه العبد الكسوة
والطعام والتربية والانعام يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم الملك يطمع فيك
والمالك تطمع فيه الملك يختار من العسكر الاكل قويا سويا ويترك من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه الملك له هيبة وسياسة
والمالك له رافة ورحمة واحتياجنا الى الرافة والرحمة اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه في الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك
الملك الى اخره وفي الاخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم الى اخره ملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا قلت خزائنهم ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما
كان اكثر عطاء كان اكثر ملكا فان اعطاك عشرة اولا زاد في ملكه عشرة اعبد من لوازم ملكه كمال الرحمة فلهذا اقرن بقوله ملك يوم الدين قوله رب العالمين
الرحمن الرحيم ومثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس لئن اتصف بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه انه ظل الله في الارض الكفر سبب
لخراب العالم تكاد السموت يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة تتضمن صلاح المعاش والمعاد من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة الخ فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى تنتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف
نفسه انه مالك يوم الدين اظهر للعالمين كمال عدله بنفي الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا جرم الملوك
اعظم نفعا واتم وقعا من ان يكون عادلا ومن ههنا يظهر البركة في العالم او ترتفع ان كان السلطان عادلا او جائرا حكي ان انوشروان خرج يوما الى الصيد
وانقطع عن عسكره واستولى عليه العطش فراى بستانا فيه رمان فلما دخله قال للصبي فيه اعطني رمانة فعصرها واخرج منها ماء كثيرا فشربه فاعجبه ذلك فعزم على ان ياخذ
البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبي اعطني رمانة اخرى فاعطاه فعصرها فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا فقال ايها الصبي لم صار الرمان هكذا
فقال الصبي لعل ملك البلد عزم على الظلم فلشوم ظلمه صار هكذا فتاب انوشروان في قلبه واناب فقال للصبي اعطني رمانة اخرى فعصرها فوجدها اطيب من الاول
فقال للصبي لم بدلت هذه الحالة فقال لعل الملك تاب عن ظلمه فلما وجد انوشروان مقالة الصبي مطابقة لاحواله في قلبه تاب بالكلية فكان من بيان عدله
ان ورد في حقه قول نبينا صلى الله عليه وسلم ولدت في زمن الملك العادل الثالثة كونه ملكا ومالكا معناه انه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات على عدمها وانه
قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من غير مانع ومنازع وعلى قضية الحكمة والعدالة فهو الملك الحق وانه مالك يوم الدين ايضا لان القدرة على الاحياء والخلق بعد الموت
والعلم بتلك الاجزاء المتفرقة من ابدان الناس لا يختص بها احد غيره فاذا كان الحشر والنشر لا يتاتى الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تتعلق بكل الممكنات
فلا مالك يوم الدين الا الله تعالى فان قيل لا يكون الملك الا اذا كان المملوك موجودا لكن القيمة غير موجودة فينبغي ان يقال مالك يوم الدين بالتنوين بدليل انه لو قال

انا قائل

انا قاتل زيد كان اقرارا فلو قال انا قاتل زيدا كان تهديدا قلت لما كان قيام الساعة امرا حتما لا يكون الاخلال به في الحكمة جعل وجوده كالشيء القائم في الحال وقيل
من مات فقد قامت قيامته زال السؤال الرابعة قالت القدرية ان كان الكل من الله فثواب الرجل على ما لم يفعله عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم فيبطل كونه مالك يوم
الدين قلنا خلق الجنة وخلق اهلها لها وذلك ان له صفة لطف وصفة قهر كما ينبغي لكل ملك فخلق لكل صفة مظهرا ولا يسئل عما يفعل لان كل سؤال ينقلب عليه
الخامسة في هذه السورة من اسماء الله تعالى خمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك كانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك باصناف النعم فانا الرب ثم عصيت
فسترت عليك فانا الرحمن ثم تبت فغفرت لك فانا الرحيم ثم اجازيك بما عملت فانا مالك يوم الدين وذكر الرحمن الرحيم مرة في التسمية ومرة في السورة دليل على ان العناية
بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين كيلا يغتروا بها ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب السادسة الحمد
المدح والتعظيم ثم ان بين الناس لا يكون الا لكونه في ذاته كاملا وان لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء للمعاني المستقبلة واما خوفا ورهبة فكانه سبحانه
وتعالى يقول ان كنتم تعظمون للكمال الذاتي فاحمدوني فاني انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان الى الغير فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فانا الرحمن الرحيم
وان كنتم تعظمون للرهبة فانا مالك يوم الدين ح في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لا شك ان تقديم المفعول يفيد الاختصاص اي لا نعبد احدا سواك والحاكم فيه
التسليم واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا يليق الا بمن صدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا ثلثة
الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما فاوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا او كان ميتا فاحييناه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه والله اخرجكم
من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اسمعه وابصره واعقله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو الكل بهذه المعاني واما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير
محصورة من اول عمره الى اخره مع انفتاح باب التقصير والخلاع ربقة الطاعة فهو رب رحمن رحيم من هذه الوجوه فاما المستقبل فالامور المتعلقة بما بعد الموت
فانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع للعبد في شيء من احواله الا اليه ولا يستحق العبادة الا هو وايضا ثبت بالدلائل القاطعة وجوب كونه تعالى عالما قادرا
جوادا حكيما الى غير ذلك من الصفات الكمالية واما كون تاثير غيره من الفلكيات والطبايع والنفوس كذلك فمشكوك فيه ان لم نجزم بانه لا تاثير لها فوجب طرح المشكوك
والاخذ باليقين فلا معبود بالحق الا الله وايضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف واعلى كانت العبودية اهنأ وامرأ ولما كان الله تعالى اشرف الموجودات
واعلاها واولاها بالصفات العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني ممكن والممكن فقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة غيره فدافع الحاجات هو الله
فلا يستحق العبادة الا هو وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس
يحكى ان واحدا من المصارعين الاستاذين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرع الاستاذ مرارا فقيل له فلان الاستاذ فانصرع في الحال وما ذاك الا لاحتشامه
بعد عرفانه وايضا ذكره يورث للعبد قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه كان من اراد حمل ثقيل تقدم عليه دواء او غذاء يعينه على ذلك وكما يسهل على العاشق
جميع الالام عند حضور معشوقه وايضا ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة
والبطالة طلع له جلال من شرق اياك نعبد فتصير مبصرة مستعدة لاداء حق العبودية وايضا ان بدأ بالعبادة نقص ابليس لعنه الله الى ان العبد ممن هو يلقي في قلبه وسوسة
الرياء واذا اخبر بهذا الترتيب وقال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته متقدم في الوجود فناسب ان يكون متقدما في الذكر وايضا المحققون
نظرهم على المعبود لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود عندهم اولى من ذكر العبادة الثالثة
النون في قوله نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انها تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية عن نفسه نحن نقص عليك
احسن القصص كانه قال لما اظهرت عبوديتي ولم تستنكف ان تكون عبدا لي جعلناك امة ان ابراهيم كان امة ومنها انه لو قال اياك اعبد كان اخبارا عن كونه عبدا
فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك ولا ريب ان الثاني ادخل في الادب والتواضع ومنها ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة افضل
كما قال صلى الله عليه وسلم التكبيرة الاولى في صلوة الجماعة خير من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهي ان الانسان اذا اكل الثوم او البصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا
يتاذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يبقى بهذا القدر من الايذاء فكيف يبقى بما هو اكثر من ذلك كايذاء المسلمين من الغيبة والنميمة والسعاية وسائر انواع الظلم
ومنها ان المراد اعبدك والملائكة معي والحاضرون بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان المؤمنين اخوة فكان الله تعالى قال لما اثنيت علي بقولك الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ارتفع منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك السعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين
ومنها ان العبد يقول الهي عبادتي مخلوطة بالتقصير ولكن اخلطها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات ولان ترد الكل وفيها عبادة الانبياء
والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كان الرجل اذا باع من غيره عشرة اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد الكل وليس له ان يقبل البعض دون البعض في تلك
الصفقة الرابعة من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها لان الكمال محبوب لذاته واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه
فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جلاله ولهذا قد ورد من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا الامانة الى اخره واداء الامانة
عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واداء الامانة من احد الجانبين سبب لادائها من الجانب الاخر فقد قال بعض الصحابة ان اعرابيا اتى باب المسجد فنزل
عن ناقته فتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي اديت امانتك فاين امانتي قال الراوي فزدنا تعجبا
فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته قد قطع يده وسلم الناقة اليه قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال
في العبادات انتقال من عالم الغرور الى دار السرور وركون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن ابي حنيفة ان حية سقطت
من السقف وتفرق الناس وهو في الصلوة فلم يشعر به وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يشرع في الصلوة فكانوا يسمعون من صدره ازيزا كازيز
المرجل ومن استبعد فليقرا قوله تعالى فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن فاذا كان لجمال البشر مثل هذا التاثير فكيف بجمال الله وعظمته اذا تجلى على قلب الموحد العابد
وتحدث الحيرة والدهشة عند رؤية بعض السلاطين فكيف اذا كان الوقوف بين يدي رب العالمين واعلم ان العبادة لها ثلاث درجات لانه اما
ان يعبد الله تعالى رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه ويختص باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعا في ما هو اشرف منها وادوم وهذه مرتبة نازلة عند
المحققين واما ان يعبد الله تشرفا بعبادته او بالقبول لتكاليفه او بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة وتسمى بالعبودية واما ان يعبد الله لكونه الها ولكونه عبدا له والالهية توجب
العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخشوع والذلة وهذه اعلى الدرجات وتسمى العبودة واليها الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله
او هربا من عقابه فسدت صلوته يحكى ان عابدا من بني اسرائيل اعتزل وعبد الله سبعين سنة فارسل الله تعالى اليه ملكا ان عبادتك غير مقبولة فلا تشق على نفسك
ولا تجاهد فاجاب العابد بان الذي علي هو العبودية واني لا ازال افعل ما علي فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال الله تعالى بم اجاب
العابد فقال انت اعلم يا رب انه قال كذا وكذا فقال الله تعالى ارجع اليه وقل له قبلنا طاعتك بسبب ثباتك والتحقيق ان اثبات نسبة الامكان هو نقصان
جهود العابدين ونهاية مطامح ابصار العارفين وفي العبادة انشراح صدور المؤمنين فانها جامعة حال المتقين قال بعض من قال ولقد نعلم انك يضيق صدرك

بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين. ولان العبودية اشرف المقامات مدح الله به نبيه في قوله سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام. وافتخر عيسى عليه السلام بذلك اول النطق وقال اني عبد الله. وكان علي رضي الله عنه يقول كفى لي فخرا ان اكون لك عبدا
وكفى لي شرفا ان تكون لي ربا اللهم اني وجدتك الها كما اردت فاجعلني عبدا كما اردت. ومنهم من قال العبودية اشرف من الرسالة فبالعبودية ينصرف
من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال شرف المتقدم في قول
التوحيد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله. لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون. ط في فوائد قوله واياك
نستعين الاولى لا شك ان للعبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان ذلك المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بد ان ينتهي الى الله
تعالى. وايضا كل الخلائق يطلبون طريق الحق مع استوائهم في القدرة والعقل والجد والطلب ولا يفوز به بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق. وايضا قد يطلب
الانسان حاجة من غيره ويدافعه مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة
على الطاعة الا بتوفيق الله ويظهر فائدة الاستعانة في انه ربما جعل الله تعالى ذلك الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل الطعام ونحوه. فيسقط
اعتراض الجبري والقدري فافهم. الثانية لقائل ان يقول الاستعانة على العمل انما تحسن قبل الشروع فيه لا بعده فلم قدمت العبادة على الاستعانة
الجواب كانه يقول شرعت في العبادة فاستعين بك في اتمامها حتى لا يمنعني مانع ولا يعارضني عارض فان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن. وايضا
ان قيل ان الاستعانة مطلقة تتناول كل مستعان فيه فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب. الثالثة قد ابتدأ بما
تبركا اقتداء بالخليل عليه السلام حيث قيد نمرود يديه ورجليه ورماه الى النار فجاءه جبريل عليه السلام وقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل الله فقال حسبي
من سؤالي علمه بحالي. وههنا نكتة وهي ان المؤمن في الصلوة مقيد رجلاه عن المشي ويداه عن البطش ولسانه الا عن القراءة والذكر فكما قال الله تعالى يا نار كوني
بردا وسلاما على ابراهيم فكذلك تقول له نار جهنم جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي. الرابعة لا استعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فانا اقطع
الواسطة ولا انظر الا اعانتك. الخامسة اياك نعبد يورث العجب بالعبادة فاردفه باياك نستعين لازالة ذلك. السادسة ههنا مقامات معرفة الربوبية
ومعرفة العبودية وعند اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فانتقال العبد من العدم السابق الى الوجود
دل على كونه الها وحصول الفوائد للعبد حال وجوده يدل على كونه ربا رحمانا رحيما واحوال المعاد يدل على كونه مالك يوم الدين. واما معرفة العبودية فمبدأها اياك
نعبد وكمالها اياك نستعين في جميع المطالب وادا الوفاء بالعهدين ترتب عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الخ وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه. السابعة في الالتفات
الوارد في السورة وجوه منها ان المصلي كان اجنبيا عند الشروع في الصلوة فلا جرم اثنى على الله تعالى بالفاظ المغايبة الى قوله مالك يوم الدين ثم انه تعالى
كانه يقول حمدتني واقررت باني اله رب رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت يا عبدي رفعنا الحجاب وبدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة
وقال اياك نعبد. ومنها انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه ربا لا يخرج شيء من ملكوته منعما على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها
مالكا للامر كله في العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك
يا من هذه صفاته تخص بالعبادة والاستعانة ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به. ومنها ان الدعاء بالحضور اولى كما ان
الثناء بالغيبة اوقع واحرى وكذا فعل الانبياء عليهم السلام ربنا ظلمنا انفسنا رب هب لي حكما رب ارني رب لا تذرني فردا وانت خير
الوارثين. ومنها انه اذا شرع في الصلوة ينوي القربة فاثنى على الله بما هو اهله فاستجاب الله دعاءه في تحصيل تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام
الغيبة. الثامنة اعلم ان المشركين طوائف منهم من اتخذ الاله من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب والفضة والنحاس ومنهم من اتخذه من النبات كالشجر
ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذه من الاجسام البسيطة اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس او العلوية كعبدة الشمس والقمر وسائر
الكواكب. ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية. ومنهم من قال الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره
وكذا لكل نوع من انواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملائكة. ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والآخر
شرير وهو ابليس. واذا عرفت ذلك فنقول قد تقرر ان الحمد لله يقتضي التسبيح له وسائر الصفات منبئة عن سبب اثبات سائر انواع الحمد له واياك نعبد يدل
على التوحيد المحض والبراءة من كل المعبودين دون الله وان الله اكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قول لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قول لا حول
ولا قوة الا بالله فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة الى ههنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم. ي في فوائد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل ان طلب الهداية من المؤمن وهو المهتدي تحصيل للحاصل واجيب بان المراد منه صراط الاولين في تحمل
المشاق العظيمة لاجل مرضات الله تعالى يحكى ان نوحا عليه السلام كان يضرب كل يوم مرات بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وايضا ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط وهما مذمومان والحق هو الوسط والمقرب فالمؤمن بعد ان عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه مع ذلك
لا بد له من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين الطرفين ومستقيم بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط
خمود وهما مذمومان والوسط هو استعمالها في موضعها على وفق العدالة والشريعة وهو محمود وهو عفة. وكذا في القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذموم
والشجاعة محمود. وفي القوة النطقية الجربزة والبلادة مذمومان والوسط وهو الحكمة محمود. وبالجملة فانه يحصل من توسط استعمال القوة الشهوية الحياء
والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء. ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروة والمسامحة ويحصل من توسط استعمال القوة الغضبية
كسر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والسكون والتحمل والتواضع والحمية والرقة. ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن
وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلاثة كمال العدالة وتتبعها الصداقة والالفة والوفاء والشفقة وصلة الرحم
والمكافات وحسن الشركة والتسليم والتوكل والتعظيم للمعبود الحق وملائكته وانبيائه واولي الامر انقيادا لاوامرهم ونواهيهم والتقوى تكمل هذه المعاني وتتممها ولان
القوة النطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية عرضيتان له بواسطة التعلق البدني فكمال التوسط في النطقية ان يستعملها بحيث لا يمكن ازيد منها وكمال
التوسط في الاخريين ان يستعملها بحيث لا يمكن اقل من ذلك ليفضي الى تحصيل سعادة الدارين. وايضا العلم النظري يقبل الزيادة بمعنى تواصل ادلته وتلاحق
الفكرات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فما من موجود من اقسام الممكنات الا وفيه دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته
وحكمته وربما صح دين الانسان بالدليل الواحد وبقي غافلا عن سائر الادلة فكانه يقول وفقنا الهنا في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك
وعلمك وقدرتك. وايضا قد يراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء وهو ان يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكليته قلبه وفكره وذكره على الله حتى
لو امر بذبح ولده لاطاع كالخليل عليه السلام ولو امر ان يذبح انقاد كاسمعيل عليه السلام ولو امر بالقاء نفسه في البحر امتثل كيونس ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه بعد بلوغه

اعلى

اعلى منه بعد بلوغه مرتبة النبوة كموسى مع الخضر. وعن الخباب قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان
من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ويجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه
وايضا كان العبد يقول الاحباب يدعونني الى طريق والاعداء الى طريق ثان والشيطان الى ثالث. وكذا القوى في الشهوة والغضب والاعتقادات والارادات
والعقل ضعيف والعمر قصير والقضاء عسر فاهدنا الطريق السوي الذي لا تزيغ به. حكي عن ابراهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا اعرابي على ناقة فقال له يا شيخ
الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال له ابراهيم ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت
على بلية ركبت مركب الصبر واذا اسديت علي نعمة ركبت مركب الشكر واذا نزل القضاء ركبت مركب الرضا واذا دعتني النفس الى شيء علمت ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله
فانت الراكب وانا الراجل. وقيل الصراط القرآن او الاسلام وليس بشيء اذ يصير المعنى اهدنا صراط المستقيمين مع انهم لم يكن قرآن ولا اسلام. اللهم الا ان يراد اصول
الشريعة وقوانينها كما قال تعالى فبهداهم اقتده. وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا. فكم من عالم زل ومهتد يضل وفي اختيار
لفظ الصراط دون الطريق والسبيل تذكير الصراط الذي هو الجسر الممدود بين طرفي جهنم سهل الله علينا وروده وعبوره. الثانية انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء
متى كان اعم كان الى الاجابة اقرب. ولهذا قال بعض العلماء لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك وعن جماعة المسلمين فاياك وان تسكت عن قولك
وعن جماعة المسلمين فان ذلك اوقع عندي من قولك رضي الله عنك لان هذا تخصيص بالدعاء. ويجوز ان لا يقبل واما قولك وعن المسلمين فانه ارجى لانه لا بد
ان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله دعاء في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن ههنا ورد في السنة ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
قبل كل دعاء وبعده وان الدعاء في الطرفين مستجاب البتة في حق النبي صلى الله عليه وسلم فيستجاب الوسط جنبيه ذلك لا محالة. وايضا قال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله بالسنة
ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك. وايضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين
واياك نعبد لعبادة الجميع واياك نستعين استعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا في قوله صراط الذين انعمت عليهم والفرار
من الضالين في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا رجي ان يكون كذلك في الاخرة. ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا. الثالثة الخط المستقيم اقرب خط يصل بين نقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه
الا الصراط المستقيم. وايضا المستقيم واحد وما سواه معوجة يشبه بعضها بعضا في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص. وايضا سبيل الطباع
الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سئل الصراط المستقيم. يا في فوائد قوله صراط الذين انعمت عليهم الاولى حد النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير
لانه لو قصد الفاعل منفعة نفسه او لا على جهة الاحسان لم تكن نعمة فلا يستحق الشكر. ثم نقول كل ما يصل الى الخلق من نفع او دفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله
ولان الواصل من جهة غير الله ينتهي اليه ايضا لانه الخالق لتلك النعمة وللمنعم ولداعية ذلك الانعام فيه والنعم الواصلة الينا باطاعتنا هي ايضا من الله تعالى
لانه بتوفيقه واعانته بان اتاح الاسباب وازاح الاعذار. واول نعمة الله على عبيده نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن المضار قال الله تعالى كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وعقب ذلك بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا. الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة ام لا قال بعضهم لا
لوجوه منها قوله صراط الذين انعمت عليهم فانه لو كان على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه هو الصراط المستقيم في حكم المنحى. والجواب ان قوله غير
المغضوب عليهم ولا الضالين يرفع ذلك. ومنها قوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير ليزدادوا اثما. والجواب انه لا يلزم من ان يكون الاملاء خيرا لهم ونعمة ان لا يكون
اصل الحيوة وسائر اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تأخير النعمة بعد ثبوت استحقاقها فقبل هذه الحالة لا يكون كذلك [illegible] قال ومنها
فانه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وليس هذا الا كمن جعل السم في الحلواء وان ما هو كمن ناول شخصا حلواء لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه او لاكل
الحلواء كما ينبغي افسد مزاج الحلواء ايضا وصيره كالسم القاتل بالنسبة اليه. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح. وكيف لا يعم نعم الله تعالى وقد
على العموم يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا وقال وكنتم امواتا فاحياكم كل ذلك في معرض الامتنان
وشرح النعم. وقال وقليل من عبادي الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين والشكر لا يكون الا بعد النعمة. الثالثة المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم قلنا اجمالا كل
من كان لله عليه نعمة دينية ودنيوية ثم انه خرج بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دنيوية فقط وبقي الذين انعم الله عليهم في الدنيا والاخرة من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين. وكما ان اصل النعم الدنيوية هي الحيوة المستتبعة لكل المنافع وكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات
وكما ان كمال البدن بالحيوة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من في القبور. وكما ان حيوة البدن من الله تعالى فكذا الايمان منه وجودا
واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل وكذلك العقول السنابل الشراب والمؤمن لا يبقى مخلدا في النار فان من عرفه الله تعالى باعظم الانعام لن يعاقبه بشدة
الالام فما الانعام الا بالاتمام. قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن ذلك انعاما لان اداء الواجب لا يكون انعاما. قلت النزاع لفظي لان الاصلح لا بد ان يصدر
عنه ولا يليق بحكمته وكماله خلاف ذلك ثم ما ثبت فنعمة. يب في فوائد غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاولى من المغضوب عليهم ومن الضالون قلت المغضوب عليهم هم الكائنون
في كل خلق واعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى. واما تخصيص الاولين بالغضب عليهم لان الغضب لازمه البعد والطرد
والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مجد بطائل فهو بعيد عن ذلك. واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فغاب عن المقصود وبقي في الحيرة كالذي استهوته الشياطين
في الارض حيران. فاليهود فرطوا في شأن نبي الله ولم يطيعوه واذوه حتى قالوا بعد ان نجاهم الله من عدوهم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة. ولهذا قال عز من قائل يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها. والنصارى افرطوا وقالوا المسيح ابن الله وان الله ثالث
ثلاثة. روى عدي بن حاتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غير المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى. وتصديق ذلك من كتاب الله حيث قال في اليهود وباؤا
بغضب من الله وفي النصارى وضلوا عن سواء السبيل. هذا شأن الفريقين. واما المؤمنون فطلبوا الوسط بين المنحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله
عليهم وكذلك جعلناكم امة وسطا كنتم خير امة اخرجت للناس وخير الامور اوساطها. الثانية الآية تدل على ان احدا من الملائكة والانبياء ما اقدم على عمل او اعتقاد
يخالف الحق والا كان ضالا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ولم يصلح للاقتداء والاهتداء بطريقه. الثالثة ما الفائدة في ان عدل من ان يقول اهدنا صراط الذين
انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل. قلت الايمان يتكمل بالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه
لاعتدلا. فقوله صراط الذين انعمت عليهم يدل على الرجاء وباقي الآية تدل على الخوف فيكمل الايمان بطرفيه وركنيه. يج في تفسير السورة مجموعة وفيه مناهج. المنهج الاول
نسبة عالم الغيب الى الشهادة نسبة الاصل الى الفرع والنور الى الظل وكل ما هو شاهد فله في الغائب اصل والا كان كسراب زائل وخيال باطل وكل غائب فله في الشاهد
مثال والا لكان كشجرة بلا ثمرة ومدلول بلا دليل وكل هو بالنسبة الى ما دونه مطاع كما قال عز من قائل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين. فلكل مطاع في عالم الروحانيات
مطاع في عالم الجسمانيات والمطاع في عالم الارواح هو المصدر والمطاع في عالم الاجساد هو المظهر ولا بد من ان يكون بينهما ملاقات ومجانسة وبهما تتم سعادة الدارين انهما

يدعوا الى الله بالرسالة وحاصل الدعوة امور سبعة تشتمل عليها خواتيم سورة البقرة اربعة منها ما يتعلق بالمبدأ وهو معرفة الربوبية اعني معرفة الله تعالى وملائكته ورسله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله واثنان منها يتعلقان بالوسط احدهما مبدأ العبودية وقالوا سمعنا واطعنا والثاني كمال العبودية وهو الالتجاء الى الله تعالى وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك الوهاب واليك المصير ويتفرع على هذه المراتب في الدعاء والتضرع اولها ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فضد النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ودفع الاصر والثقل يوجب الحمد الحمد لله رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن الرحيم ورابعها واعف عنا لانك انت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين وخامسها واغفر لنا لانا التجأنا بكليتنا اليك وتوكلنا في جميع الامور عليك اياك نعبد واياك نستعين وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذه المراتب ذكرها محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الروحانيات عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاض اثر المصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة لمن قرأها في صلوته صعدت هذه الانوار من المظهر الى المصدر كما نزلت في عهد محمد صلى الله عليه وسلم من المصدر الى المظهر فلهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم الفاتحة معراج المؤمن

سبع مراتب

النهج الثاني المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلثة الشهوة والغضب والهوى الشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية فالشهوة آفة لكن الغضب اعظم منها والغضب آفة لكن الهوى اعظم منه قال تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي الفحشاء الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوى فبالشهوة يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الظلم ثلثة ظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله تعالى والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان نفسه ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة ويحصل من اجتماع هذه الستة في بني آدم خصلة سابعة هي الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص الذميمة ولهذا السبب ختم الله تعالى مجامع الشرور الانسانية بالحسد في قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة في قوله يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس روي ان ابليس اتى باب فرعون وقرع الباب فقال من هذا قال ابليس لو كنت الها ما جهلت فلما دخل قال فرعون اتعرف في الارض شرا مني ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت فيما وقعت ثم نقول الاسماء الثلاثة في التسمية دافعة الاخلاق الثلثة الاصلية والآيات السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق الذميمة السبعة بيان ذلك ان من عرف الله تباعد عنه شيطان الهوى افرأيت من اتخذ الهه هواه يا موسى خالف هواك فاني ما خلقت خلقا نازعني في ملكي الا هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشأ الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالافعال الذميمة البهيمية واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجده وبخله فيما وجده ومن عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه ومن قال اياك نعبد واياك نستعين زال كبره بالاول وعجبه بالثاني واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم زال عنه كفره واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زال عنه الاخلاق الستة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القرآن كالنتايج والشعب من الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتايج والشعب من تلك السبعة فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة وههنا دقيقة تتعلق بالرب والملك والاله وليس باختتام القرآن عليها كانه قال ان اتاك الشيطان من قبل الشهوة فقل اعوذ برب الناس وان اتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان اتاك من قبل الهوى فقل اله الناس

النهج الثالث في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان في معرفة المبدأ والوسط والمعاد الحمد لله اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحكيم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين ملكه وملكه وليس في العالم اله سواه ولهذا جاء في القرآن الاستدلال بخلق الخلايق كثيرا قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت الذي خلقني فهو يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب آبائكم الاولين اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرأ باسم ربك الذي خلق وهذه الحالة كما انها في نفسها دليل على وجود الرب فكذلك هي في نفسها انعام عظيم وذلك ان تولد الاعضاء المختلفة الطبايع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب وموافق للغرض كما يشهد به علم تشريح الابدان فلا جرم حق بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحيم الذي شمل احسانه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يقدر بعد هذا اليوم يوما آخر يظهر فيه تمييز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت معرفة الربوبية ثم من قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان الاعمال والآثار المتفرعة على الاعمال والاعمال لها ركنان احدهما الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك نستعين واما الآثار المتفرعة على الاعمال فهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين اهدنا الصراط المستقيم الى آخره وفي قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار ارباب الكمال خلة محمودة وسنة مرضية هم القوم لا يشقى جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى ان التجنب عن مرافقة اصحاب البدع والاهواء واجب شعر عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي والجرب يسعط الى الزباد [illegible] قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد قال الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله تعالى توكل علي عبدي وفي رواية واذا قال واياك نستعين يقول الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فقوله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي اشارة الى ان اهم مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلا جرم انزل الله هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد وقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي فناسب لقوله فاذكروني اذكركم انا جليس من ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه والذكر مقام عال شريف ذكره الله تعالى في القرآن كثيرا يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك اذا نسيت تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به وقوله ذكرني عبدي يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان الله اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك وآخر كلام في الجنة وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ولان الفكر في ذات الله غير ممكن تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات

الله كل من يتفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله وقوف العبد بعقله وفكره وتدبره في فضله وانعامه في ترتيب العالم وتربيته العالمين وانه اقر بقلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي يدل على ان ذلك على ان الاله الكامل المطلق المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا شك ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي اي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقتضى فيه بين الظالم والمظلوم والقوي والضعيف شعر ايحسب الظالم في ظلمه اهمله القادر ام اهملا ما اهملوا بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى هذا بيني وبين عبدي معناه اي اياك نعبد يدل على اقدام العبد على الطاعة والعبادة ولا يتم ذلك الا باعانة الله بتخليق داعية فيه خالصة عن المعارض فان العبد غير مستقل بالاتيان بذلك الفعل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا قال اهدنا الصراط المستقيم هذا لعبدي ولعبدي ما سأل تقريره ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية والكونية والمعاد والنبوات وعجزوا مع استواء الكل في العقل والنظر فلا اهتدى احد منا الا بهداية الله تعالى وارشاده وكما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابراهيم صلوات الله عليه لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري ويسر لي امري

النهج الرابع آيات الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه والسجود الاول والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا ترى ان الباء في بسم الله لما اتصل باسم الله حصل قائما مرتفعا وايضا التسمية لبداية الامور كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والقيام ايضا اول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظر الى الحق والى الخلق والنعم والنعمة لانه الثناء على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما ان الركوع متوسط بين القيام والسجود وايضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فيقتضي الانحناء وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله بالركوع فاللائق برحمته ان يرده الى الانتصاب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب للسجدة الاولى لدلالته على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين مناسب للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة التي تقدمت واياك نستعين استعانة بالله في ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق بالسجدة الثانية لتدل على نهاية الخضوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى الآخرة مناسب للقعود لان العبد لما اتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وذلك يقرأ التحيات لله كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما وصل الى المعراج فالصلوة معراج المؤمن

النهج الخامس آيات الفاتحة سبع كما تقرر ومراتب خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فنور آيات الفاتحة يسري الى الاعمال السبعة ليسري الى هذه المراتب فيحصل في القلب نور على نور ثم ينعكس الى وجه المؤمن من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار

النهج السادس انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا في عالم الحس واما في عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب وهذا بمنزلة قاب قوسين وقوله او ادنى اشارة الى فنائه في نفسه والمراد بعالم الشهادة كل ما يتعلق بالجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بسماء سماء الملائكة الحافين من حول العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثناء عليه ولذتهم في خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهكذا متصاعدا الى ان ينتهي نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها الا الله ومن ارتضاه والمقصود ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما عرج واراد ان يرجع قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه وان تحفة امتك الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار فليكن المصلي ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالواد المقدس طوى وايضا عنده ملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش وقناعة وحرص وسائر الاخلاق المتضادة والصفات المتنافية فلينظر ايهما يختار فانه اذا استحكم الموافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه في الدنيا وفي القبر ويكون معه في القيمة وفي الجنة وصحب كلب اصحاب الكهف فلزمهم في الدنيا وفي الآخرة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا انظر فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والآخرة وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر من ان يقاس اليه غيره بانه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وبهذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك اشارة الى ان الدوام المنزه عن الفناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل في القدم وحقيقة الابد في البقاء فيتجلى له نور الازل والابد ثم ليقل وتعالى جدك اشارة الى علوه وعظمته من ان تكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة في القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى ان كل صفات الجلال وسمات الكمال له لا لغيره وهو الكامل الذي لا كامل الا هو وفي الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل اللسان وتدهش الالباب ثم هذا ايها المصلي انتقلت من حالك وقل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو ايضا معراج محمد لان معراجه مفتتح بقوله سبحان الذي اسرى وبحمدك وقولك وجهت وجهي معراج الخليل عليه السلام وقولك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله معراج الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فقد جمع المصلي بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لتدفع العجب عن نفسك وفي هذا المقام تفتح لك ابواب الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجاء وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية وبقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعوني استجب لكم وبقولك صراط الذين انعمت عليهم يفتح باب الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتداء بانوارهم فبجنات المعارف الربانية انفتحت لك ابوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحاني في الصلوة واما الجسماني فاولى المراتب ان تقوم بين يدي الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام اهل القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم اقرأ سبحانك ثم وجهت وجهي ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القرآن واجتهد في ان تنظر من الله الى عبادتك حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عبادتك الى الله فانك ان فعلت ذلك من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين واعلم ان نفسك الى الآن جارية مجرى خشبة عرضتها على نار خوف الجلال فلانت فاجعلها منحنية بالركوع ثم اتركها لتستقيم مرة اخرى فان هذا الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى استقامتها فانحدر الى الارض بغاية التواضع واذكر ربك بغاية العلو فقل سبحان ربي الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثمة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تجوز عن عقبة الشهوات وبالسجود الاول عن عقبة الغضب الذي هو رئيس المؤذيات وبالسجود الثاني تجوز عن عقبة الهوى الداعي الى كل المضلات فاذا تجاوزت هذه الصفات تخلصت عن هذه الدركات ووصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات وانتهيت الى عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات

بالسان والصلوات بالاركان والطيبات بالجنان وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحك وينزل روح محمد صلى الله عليه وسلم فيلاقي الروحان ويحصل هناك الروح
والريحان فقل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل لك بم نلت هذه
الكرامات فقل بقولي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقيل ان محمدا الذي اهداك فاي شيء هديتك له فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقيل ان ابراهيم
هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاجزاؤك له فقل كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فيقال لك هذه الخيرات من محمد وابراهيم او لمن الله قل بل من الحميد
المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله تعالى بهذه الاثنية والمدائح ذكره الله تعالى في محافل الملائكة اذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه فاذا اسمع الملائكة ذلك اشتاقوا
الى العبد فقال الله تعالى ان الملائكة اشتاقوا الى زيارتك وقد جاؤك زائرين فابدأ بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته فلاجرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار التأويل اعظم المخلوقات جلالة
المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية له وخلاء لا غاية له والزمان امتداد وهمي شبيه بنهر خرج من قعر جبل الازل فامتد ودخل في قعر الابد فلا يعرف لانفجاره ولا لاستقراره
…

بان النفس شيطانية والنفس سبعية والنفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فيتجلى باسم الله للجوهر الملكي فاطمأن اليه الا بذكر الله تطمئن القلوب ويتجلى للنفس الشيطانية باسم الله
فلان والعفا والطاعة الديان رب اعوذ بك من همزات الشياطين ويتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ الحق للرحمن
فترك الخصومة والعدوان ويتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم احل الطيبات فترك العصيان ويتجلى الابدان بصفة القهر والملكية لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الى قهر
شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فاذا تمكن هذه التجليات تغلقت له ابواب النيران وفتحت عليه ابواب الجنان ثم يرجع للتقرب كما جاء فلطاعة اوهو
بان اياك نعبد والطاعة النفس البهيمية قال واياك نستعين على ترك اللذات وارتكاب المنكرات والطاعة النفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلى دينك
ثبتنا والطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة فقال اهدنا الصراط المستقيم والجوهر العقلي الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة الا انه فقال صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اخرى بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت
فشهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت شهادة ان لا اله الا الله من تجلى نور اسم الله واقام الصلوة من تجلى نور اسم الرب
الرحم التربية والعبد يربي الامة عمود الصلوة وايتاء الزكوة من تجلي اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم
…
طويل والزاد قليل ثم او احصل الزاد فاعانك فالشقة شاسعة والطرق كثيرة فلا طريق الا ان يطلب الطريق ممن هو بارشاد السالكين فقل
اهدنا الصراط المستقيم ثم انه لا بد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم من الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين رفيقا
غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب قسمان نارية هي الدنيا بما فيها ونورية وهي ما سواها اللهم ارفع عنا كل حجب حجبنا وحجبك انك رب العالمين

سورة البقرة مدنية غير آية نزلت يوم عرفة بمنى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله عدد حروفها … كلماتها … آياتها مائتان وست وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الم ۝ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ۝ الذين يؤمنون بالغيب و
بنام خداى بخشاينده مهربان … آن كتاب … راه نماينده است پرهيزكارانرا … آنان كه مى گروند بنهان
يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ۝ والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ۝ و
… و انجه فرو فرستاده شد بتو … وانچه فرو فرستاده شد از پيش از زمان تو و
بالآخرة هم يوقنون ۝ اولئك على هدى من ربهم ۝ واولئك هم المفلحون ۝
بسراى بازپسين ايشان بى گمانند … ايشان بر راه راستند از پروردگار ايشان … و ايشان ايشانند رستگاران

القراءة لا ريب بالمد خلف والعجلي عن حمزة وخلف لنفسه وكذلك قوله تعالى لا خير ولا جرم وذلك الاجتماع بالفتحة مع الالف او لتاكيد معنى النفي فيه
ابن كثير وكذلك يشبع كل ها كناية في جميع القرآن هدى للمتقين ادغام بغير غنة حمزة وعلي وخلف ويزيد وورش من طريق البخاري والهاشمي عن ابن كثير وكذلك
يدغمون النون الساكنة والتنوين في الراء حيث وقعت ابو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها الباقون باظهار الغنة ولا خلاف بين القراء في ادغام اصل النون
والتنوين في اللام والواو والراء والياء والميم انما الخلاف بينهم في اظهار الغنة واسقاطها وهي صوت من الخيشوم يؤمنون غير مهموز ابو عمرو ويزيد وورش والاعشى
وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبههما من الافعال الا في احرف يسيرة يذكر في مواضعها الباقون بالهمزة باب في المد بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمد عاصم وحمزة
وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين المد في الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع الباقون يفرقون فيمدون في الكلمة ولا يمدون في الكلمتين فاطول الناس مدا ورش
عن نافع وحمزة وخلف في اختياره والاعشى ودونهم بمنزلة اربع الغاية واوسطهم مدا علي وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى واقصرهم مدا ابن كثير وابو جعفر
ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد الف ساكنة على قدر فتحة قبلك فتحا تاما وبالآخرة بترك الهمزة ونقلها الى الساكن الذي قبلها حيث كان

ورش وكذلك حمزة في الوقف فان مذهبه ان يقف على كل كلمة مهموزة بغير همزة باب السكتة روي عن حمزة وحماد والشموني انهم يسكتون على كل حرف ساكن
بعده همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا آمنا واشباه ذلك والسبب فيه التمكين والمبالغة في تحقيقها لان الهمزة بعد السكتة كالمبتدأ بها ولا
في الكلمة الواحدة ان لا تسكت على ساكن عند ادغام التعريف احترازا عن قطع الكلمة الوقوف الم ج للاختلاف لا ريب ج على حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه
ثم يستانف فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبرا او وصف ريب وحذف خبر لا تقديره لا ريب فيه عند المؤمنين والوقوف على التقدير على فيه وهدى خبر محذوف
اي هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب باعمال معنى الاشارة في ذلك على تقدير اشير الى الكتاب هاديا لم يقف على هدى للمتقين لا لان الذين صفتهم يتقون لا
للعطف ليدخل عبد الله بن سلام واصحابه في المتقين فان القرآن لهم هدى وليدخل الصحابة المؤمنون بالغيب في ثنا والهدى ووعد الفلاح والوابتدي والذين
كان اولئك على هدى خبرهم مختصا بهم واختص هدى القرآن بالذين يؤمنون بالغيب من قبلك ج لاختلاف النظم بتقديم المفعول يوقنون ط لان اولئك مبتدأ
وليس بخبر عما قبله وكذلك على كل اية وقف الا ما اعلم بعلامة المفلحون وفيه ابحاث البحث الاول في الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها في قولهم
الف با تا ثا اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظة مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة
وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالامالة نحو يا تا وبالتفخيم نحو يا ما وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير
والوصف والاسناد اليه والاضافة وقولهم يا با متهجاة مقصورة وكذلك قولهم كتبت يا ء بالمد نحو كتبت لا ء لا يدل على انها حروف مثل لا فانهم انما قالوا ذلك
في التهجي لكثرة الاستعمال واسند عائشة التخفيف والذي رواه ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة
بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وايضا ما وقع في عبارات المتقدمين انها حروف التهجي حيث يعبرون بها على الشائع
والتجوز لانه رسم للحروف وبهما متلازمان او ان الحروف قد تطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى ان الخليل سال اصحابه كيف تنطقون بالباء التي
في ضرب والكاف التي في ذلك فقالوا نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم لا الحرف وقالوا كيف تقول انت قال به كه ثم اثر اعرابي هذه التسمية لطيفة وهي انهم جعلوا
المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى البسملة والحوقلة
والتحليل ونحوها وحكم هذه الاسماء سكون الاعجاز ما لم تلها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا عليها لفقد مقتضى الاعراب نحو واحد اثنان ثلاثة دار غلام
جارية واذا وليتها العوامل ادركها الاعراب نحو هذه الف الى الالف والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء و
لم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين ولا التبس في الم وما يجري مجراه من فواتح السور قولان احدهما ان هذا امر مستور وسر محجوب استاثر الله به و
التخاطب بالحروف المفردة سنة الاحباب في سنن المحاب فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر بين المحبين سر ليس يفشيه
قول ولا اقلام للخلق يحكيه عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسره في القرآن اوائل السور وعن علي كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة
هذا الكتاب حروف التهجي وقال بعض العارفين العلم كبحر اجري منه واد ثم اجري من الوادي نهر ثم اجري من النهر جدول ثم اجري من الجدول ساقية فلو اجري الى الجدول
البحر والنهر لا يحتمل الوادي ولهذا قال عز من قائل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحور العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اودية ثم اعطى الرسل من اوديتهم
انهارا الى العلماء ثم اعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت العامة سواقي الى اهاليهم بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما روي في الخبر للعلماء سر وللخلفاء سر
وللانبياء سر وللملائكة سر ولله تعالى من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء
لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا بائدين والسبب في ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية
كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال عجزت العلماء عن ادراكها
وقيل هو من المتشابه ورد بان هذا القول بعيد لقوله تعالى افلا يتدبرون القرآن تبيانا لكل شيء هدى للمتقين وانما يكون التدبر ويكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما و
ولقوله عليه السلام اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وايضا لا يخاطب بالتكليف بما لا يفهم كما لا يخاطب
العربي بالعجمي ولا يجوز التحدي بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والوقف هنا لان الراسخون لو كانوا عالمين كان الايمان به كالايمان
بالمحكم فلا يكون في الايمان به مزيد مدح ولا يكون في قوله تعالى كل من عند ربنا فائدة على ان الخفي وبقوله عليه السلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد روي
عن اكابر الصحابة ما رويناه وايضا الافعال التي كلفنا بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فانها تواضع للمعبود والصوم فيه كسر الشهوة والزكوة فيها
سد خلة المساكين ومنها ما لا يظهر فيه الحكمة ككثير من افعال الحج ويحسن من الله تعالى الامر بالنوعين لظهور الامتثال بها بل كمال الانقياد في النوع الثاني يظهر اكثر فلم لا يجوز
ان يكون في الاقوال ايضا مثل ذلك مع ان فيه فائدة اخرى هي اشتغال السر بذكر الله والتفكر في كلامه القول الثاني ان المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا
على وجوه الاول انها اسماء السور وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن لام الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين
وللجبل قاف وللحوت نون وسيجيء تمام الكلام في هذا القول الثاني انها اسماء الله تعالى وروي عن علي رضي الله عنه انه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ويقرب منه
ما روي سعيد بن جبير انها ابعاض اسماء الله تعالى فان الر حم ن مجموعها اسم الرحمن لكنا لا نقدر على كيفية تركيبها في الجميع الثالث انها اسماء القرآن وهو قول
الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف دال على اسم من اسماء الله تعالى وصفة من صفاته فالالف اشارة الى انه احد اول آخر ازلي واللام اشارة الى انه
لطيف والميم الى انه مجيد ملك منان وفي كهيعص الكاف كاف لعباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق والكاف محمول على الكبير والكريم
والياء على انه مجير والعين على العزيز والعدل ويروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنه ايضا في الم انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وافصل وفي الر انا الله ارى
الخامس انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد بن كعب القرظي السادس الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله
الكتاب بواسطة جبريل على محمد عليهما الصلوة والسلام السابع الالف انا واللام لي والميم مني قاله بعض الصوفية الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد
ليكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن اي ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر
لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجمع غفير التاسع كانه تعالى يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك وهذا في
تعليم الصبيان قاله عبد العزيز بن يحيى العاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه انزل الله تعالى هذه الاحرف رغبة في اصغائهم ليهجم عليهم القرآن
من حيث لا يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادي عشر قول ابي العالية انه حساب على ما روى ابن عباس رضي الله عنه انه مر ابو ياسر بن اخطب برسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم اتى اخوه حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف فسالوا عن الم فقال انشدك الله الذي لا اله الا هو احق انها
اتتك من السماء قال صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا اني لاعلم اجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت
هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى مدة امته احدى وسبعون سنة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حيي هذه احدى

وستون

[illegible]

ال م ر ك ه ي ع س ح ن ومن حروف القلقلة نصفها ق ط واكثر الفاظ القرآن من هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب
الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم كما مر في الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررة
والله تعالى اعلم التاسع عشر قيل معناه الست بربكم فالالف واللام من اوله والميم من آخره اي اخذت منكم كتاب العهد في يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال
عند الاكثرين القول بانها اسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت في التسمية بالم وحم والمقصود من العلم دفع الاشتباه الثاني لو كانت
اسماء لاشتهرت وتواترت الثالث العرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين نحو معدي كرب وبعلبك ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة فالقول
بانها اسماء السور خروج عن لغتهم الرابع لو كانت اسماء لاشتهرت السورة بها لكنها اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وآل عمران الخامس هذه الالفاظ داخلة في السور
وجزء الشيء متقدم على الشيء بالرتبة واسم الشيء متاخر عن الشيء فيلزم ان يكون متقدما متاخرا معا وهو محال وليس في تسميتهم صاد بالحرف الاول منه فان هناك
تسمية المفرد بالمؤلف فلا يلزم الا تاخر المركب من المفرد بوجهين وهذا تسمية المؤلف بالمفرد ولزم ما ذكر واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام المشتركة
من انها ليست بوضع واحد مع انه لا يبعد ان يجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الآخر بعلامة اخرى لحكمة خفية وعن الثاني بان تسمية السورة بلفظة بعينها ليست
من الامور العظام التي تتوفر الدواعي على نقلها وعن الثالث بان التسمية بثلاثة اسماء خروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا فاما خمسة نظرا اسماء العدد
فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية نحو برق نحره وكما لو سمي ببيت شعر او بطائفة من اسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب
اشهر من الاسم وعن الخامس ان تاخرها هو متقدم باعتبار آخر غير مستحيل وفي لسان الصوفية ان هيئات الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة
الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود اي من قرا فاتحة الكتاب في الصلوة التي هي معراج المؤمن شرفه الله بالهداية في قوله هدى للمتقين وعلى هذا
فيكون ذلك الكتاب اشارة الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما ما لا يتاتى فيه الاعراب نحو كهيعص المر وثانيهما ما يتاتى فيه الاعراب
لكونه اسما فردا كصاد وقاف ونون واسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم اذا فتح نونها
صارت كدار ابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا الحكاية والثاني فيه الامران الاعراب والحكاية فاذا اعرب منع الصرف للعلمية والتانيث قال شعر
يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم والحكاية ان يحكى بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو قولك بدات بالحمد لله قال ذو الرمة شعر
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا واما من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات فيحتمل نصبها نحو اذكر او حركت لالتقاء الساكنين
واسكن وجعلها مقسما بها على طريقة قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقلم بعدها محلوف بها واستكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم
عليه واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى واو العطف لا القسم نحو وحياتي ثم حياتك لافعلن ولو كان لاقتضى قسما اولا
على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر نحو بالله لافعلن بالله لاخرجن ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم الا ان يعتد بمجرور
باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا فيرانها فتحت في موضع الجر لكونها غير منصرفة واما من قرا صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين و
هذه الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها لان المالوف انه اذا قيل للكاتب اكتب صاد مثلا فانه يكتب مسماها وايضا
اشتهر امرها ان المراد بها الاسماء لا المسميات آمن وقوع اللبس فيها وايضا خطان لا يقاس بهما خط المصحف لانه سنة وخط العروض لان المعتبر هناك الملفوظ
ومن لم يجعل هذه الفواتح اسماء السور فلا محل لها عنده كما لا محل للجمل المبتداة والمفردات المعددة ومن جعلها اسماء السور فتحتمل عنده الاعراب البحث الثاني
في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد لانه وقعت الاشارة بذلك الى الم بعد ما سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد
ولهذا يجب الحاسب ثم يقول فذلك كذا او لانه لما وصل من المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك او لانه وان كان حاضرا
نظرا الى الفاظه لكنه غائب نظرا الى اسراره وحقائقه او لانه على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي او لانه اشارة الى ما نزلت بمكة قبل سورة البقرة وقد يسمى بعض القرآن قرآنا
او لانه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او لانه اشارة الى ما اخبر به الانبياء ان الله سينزل على النبي المبعوث من ولد اسمعيل
او المراد ان ذلك المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة
لبعض الوجوه نظرا الى صفته وهو الكتاب كقوله عند ذلك الانسان قال الذبياني شعر نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
وان جعلت الكتاب خبرا فنظرا الى ان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك الثالثة
للقرآن اسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقا في نيف وعشرين سنة او لانه يفرق بين الحق والباطل
ومنها التذكرة والذكرى والذكر وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وانه لذكر لك ولقومك اي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه او شرف

وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث شبهه بما يتحدث به فان الله تعالى خاطب به المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم
من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك انزلناه حكما عربيا حكمة بالغة يس والقرآن الحكيم كتاب احكمت اياته ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة ومنها الهدى والهادي هدى للمتقين ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطي مستقيما ومنها حبل الله
واعتصموا بحبل الله جميعا ومنها الروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لانه سبب لحيوة الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص الحق ومنها البيان
والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبيانا لكل شيء آيات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم
بمواقع النجوم لانه نزل نجما نجما ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لانه ثني فيه القصص والاخبار ومنها النعمة واما بنعمة ربك فحدث قال ابن
عباس اي القرآن ومنها البرهان قد جاءكم برهان من ربكم ومنها البشير والنذير قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ومنها القيم قيما لينذر بأسا شديدا ومنها
المهيمن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ومنها الكريم انه لقرآن كريم ومنها العظيم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ومنها المبارك
كتاب انزلناه اليك مبارك ومنها البينة الآتي بعد ما جاءتهم البينة ومنها الخير ان ينزل عليكم من خير ومنها الحسنة والحكمة والموعظة الحسنة فهذه جملة اسمائه
وسيجيء القصر في مواضعها الرابعة في تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره
والجملة خبر المبتدأ الاول اي هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية وكقوله هم القوم كل القوم يا ام خالد وان
يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون
هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب
المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفي قراءة عبد الله
الم تنزيل الكتاب البحث الثالث في قوله لا ريب فيه الريب مصدر رابني وحقيقته قلق النفس وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك
الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة اي كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه
المقلقة وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء اي لا يزعجه والحاصل ان الريب
شك وزيادة وظن سوء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من شقي مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا
للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه ومثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
لم يقل وان كنتم مع وقوع الشك منهم في ان دلالة على ان الشك فيه مما لا ينبغي ان يوجد الا على سبيل الفرض والتقدير ولو فرض فوجد ازالته ان تجربوا انفسهم
مراتبهم في البلاغة حتى تتم المعارضة ام تتضاءل دونها قال فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلنا لان المقصود
ههنا ليس الا نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس يراد وهو التعريض بان كتابا غيره فيه الريب
كما ان في قوله تعالى لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا تغتال العقول وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع قيل والفرق بينها وبين المشهورة بان المشهورة توجب
الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا ان الاول بطريق نفي الماهية والثاني لان قوله لا ريب جواب قول القائل هل ريب فيه وهو
يفيد ثبوت فرد واحد فنقيضه يكون سلب جميع الافراد البحث الرابع في قوله هدى للمتقين وفيه مسائل الاولى في حقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى وهو
عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه في مقابلة الضلالة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ويقال مهدي في معرض المدح
فلو احتمل ان يقال هدي فلم يهتد لم يكن مدحا وان مطاوعه اهتدى فيلزمه واجيب بان مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا مهدي انما افاد المدح لانه جعل
ان الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من ان اهتدى لازم هدى لزوما كليا اذ يصح في العرف ان يقال هديته فلم يهتد قال عز
من قائل واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم مطلقا فخطأ لوقوعه صفة للقرآن وان زعم هنا فصحيح لوقوعه
في مقابلة الضلالة الثانية المتقي اسم الفاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابها ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو
تقي حافره ان يصيبه ادنى شيء وهو في الشرع المؤتمر للمأمورات المجتنب عن المحظورات واختلف في الصغائر انه اذا لم يتقها فهل يستحق هذا الاسم روي عنه
صلى الله عليه وسلم انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس وحقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها
الايمان والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد وقد يراد به التوبة ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا اي تابوا وقد يراد الطاعة ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله وقد يراد به الاخلاص فانها من تقوى القلوب اي من اخلاصها والتقوى مقام شريف ان الله
مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يكون اكرم الناس
فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وقال علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابراهيم بن ادهم ان لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون في افعالك
عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا الواقدي ان تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك وعن بعضهم قال
خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى كن مثل ماش في طريق الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى وفي قوله هدى للمتقين ثم في موضع آخر
شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس دليل على ان الناس محصورون في المتقين والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم اختص كون القرآن هدى
للمتقين وايضا المتقي مهتدي ثانيا والجواب ان المتقين لما كانوا هم المنتفعون بالهداية خصوا بالذكر مدحا لهم كقوله انما انت منذر من يخشاها انما تنذر من
من اتبع الذكر مع انه صلى الله عليه وسلم منذر كل الناس وايضا قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة واستدامة
ما هو ثابت فيه وبوجه آخر سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه فهذا المجاز من باب تسمية الشيء بما هو آيل اليه وللطف
فيه انه لو قال هدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال كان اطنابا في موضعه فان تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله
المرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فان قلت كيف وصف القرآن بانه كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى
به الى المقصود الا بحكم العقل فيكون في ذلك هدى للعقل لا للقرآن ومما يؤكده ما قلنا ما نقل عن علي كرم الله وجهه انه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى الخوارج
لا تحتج عليهم بالقرآن فانه خصم ذو وجهين ولهذا فان فرق الاسلام المحق والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد منه على التعيين عقلا كان
او سمعا صار كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون القرآن هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته ومعرفة النبوة فالقرآن ليس هدى فيه فكيف جعل
هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرائع والمطلق لا يقتضي العموم او كونه هدى في تأكيد ما في العقول ايضا فيتم الرابعة محل هدى للمتقين الرفع

لانه خبر

لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه كذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف
والذي هو راسخ عرقا في البلاغة ان يقال الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى
للمتقين رابعة وفقد العاطف ههنا لمجيئها متآخية اخذا بعضها بحجزة بعض لانه نبه اولا على اعجاز الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفي عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان تسجيلا لكماله فلا كمال اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك
كونه يقينا لا يحوم الشك حوله ثم في كل الذي من الجمل نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بألطف وجه وارشقه كما مر في الوجه الثامن وفي الثانية
ما في التعريف من الفخامة اي الكتاب الذي يستاهل ان يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى
موضع هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين البحث الخامس في قوله تعالى الذين يؤمنون الآية وفيه مسائل الاولى يؤمنون اما موصول بالمتقين صفة او
او نصب على المدح او رفع كذلك بتقدير اعني الذين او هم الذين او مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة
يكون اما واردة بيانا وكشفا وذلك اذا فسر المتقي بانه الذي يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان اساس الحسنات والصلوة ام العبادات البدنية
قال النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة افضل العبادات المالية قال صلى الله عليه وسلم الزكوة قنطرة الاسلام
فاختصر الكلام اختصارا اذ ذكر ما هو كالعنوان لسائر الطاعات وكالاصول لبواقي الحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله عز من قائل ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر واما مسوقة مع المتقين مفيدة غير كاشفة لها وذلك اذا فسر المتقي بالمجتنب عن المعاصي فقط ثم انه يكون قد وصف بالايمان وهو فعل القلب وباداء
الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا الترتيب مناسب لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقائد الحقة والاخلاق الحميدة واما
مسرودة مدحا على سبيل المدح والثناء وذلك اذا فسر المتقي موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات
الجارية عليه تعالى تمجيدا وتعظيما الثالثة الايمان افعال من الامن يقال آمنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وتعديته
بالباء لتضمنه معنى اقر واعترف او وثق به قال في التفسير الكبير اختلف اهل القبلة في مسمى الايمان على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية و
اهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا الايمان اذا عدي بالباء فالمراد به التصديق على تضمين الاقرار والوثوق كما مر في
اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى آخر وهو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل
بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء
كانت واجبة او مندوبة او من الاقوال والافعال او الاعتقادات وبعضهم كابي علي وابي هاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام
انه عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر ما لم يرد فيه فالمؤمن عند الله من اجتنب كل الكبائر والمؤمن عندنا من اجتنب كل ما ورد فيه الوعيد
والخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او نقليا من الكتاب والسنة ويتناول طاعة الله في جميع ما امر به من الافعال
والتروك صغيرا كان او كبيرا فالمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك خصلة من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل
ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون شيء منها ايمانا الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر
ثم كل معصية بعده كفر على حدة ولم يجعلوا شيئا من الطاعات ايمانا ما لم توجد المعرفة والاقرار ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار الثاني ان الايمان
اسم للطاعات كلها فريضة او نافلة الا انه اذا ترك فريضة نقص ايمانه وان ترك نافلة لم ينقص ومنهم من قال الايمان اسم للفرائض دون النوافل القول
الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابي حنيفة وعامة الفقهاء
ثم اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا او علميا صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين
يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله و
بصفاته على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلا جرم اقدم كل طائفة على تكفير من عداه من الطوائف واهل الانصاف
ان المعتبر هو العلم بكل ما علم ضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته او مرئيا او غير مرئي لا يكون داخلا في مسمى الايمان
المذهب الثاني ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب ابي الحسن الاشعري وبشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس المذهب الثالث
كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص بالقلب القول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل القلب فقط ثم هؤلاء منهم من قال الايمان معرفة الله
بالقلب حتى ان من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم ان معرفة الكتب والرسل واليوم الآخر
غير داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه ان الايمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال الايمان
مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال
لا حاجة بنا الى هذا الشرط فالمنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة فثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهذا قول الكرامية ثم قال الامام رحمه الله
عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فههنا قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق
وذلك ان الايمان اكثر الالفاظ دورانا على السنة المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقل هذا النقل وتواتر وليس كذلك وايضا
الايمان المعدى بالباء على اصله اتفاقا فغير المعدى ايضا يكون كذلك وايضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن اضافه الى القلب وقلبه مطمئن بالايمان كتب
في قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار وايضا قرن الايمان بالمعاصي
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والذين آمنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في ترك الهجرة قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص انما اوجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك يدخل في الخطاب ثم قال فمن عفي له من اخيه شيء وهذه الاخوة
ليست الا اخوة الايمان انما المؤمنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهذا لا يليق الا بالمؤمن القيد الثاني ان الايمان ليس عبارة عن التصديق باللسان
لقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين القيد الثالث انه ليس عبارة عن مطلق التصديق لان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مؤمنا
القيد الرابع لا يشترط التصديق بجميع صفات الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مؤمنة بعد قوله صلى الله عليه وسلم لها اين الله قالت في السماء
ويعلم مما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل وكان تم العرفان مات او وجد من الوقت ما امكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مؤمنا وكان الامتناع عن النطق
جاريا مجرى المعاصي التي يؤتى بها مع الايمان وبهذا حكم الغزالي رحمه الله قلت وبالله التوفيق التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان ووجودا
في الاذهان ووجودا في العبارة ولا ريب ان الوجود العيني لكل شيء هو الاصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود العيني للايمان هو النور الحاصل للقلب

بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا النور قابل للقوة والضعف والاشتداد والنقص كما قال الله تعالى
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا كلما ارتفع حجاب ازداد نور فيتقوى الايمان ويتكامل الى ان ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشياء وتتجلى له الغيوب
وغيوب الغيوب ويعرف كل شيء في موضعه فيظهر له صدق الانبياء عليهم السلام ولا سيما محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم في جميع ما اخبر عنه اجمالا وتفصيلا
على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية العمل بكل مأمور والاجتناب عن كل محظور فينضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة
والملكات الحميدة نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء واما الوجود الذهني فملاحظة المؤمن بهذا النور ومطالعته
لمواقعه واما الوجود اللفظي فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولا يخفى ان مجرد التلفظ بقول لا اله الا الله
محمد رسول الله من غير النور المذكور لا يفيد الا كما يفيد للعطشان التلفظ بالماء الزلال الا ان التعبير عما في الضمير لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل
خفي والمعرب عن كل شبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم بايمان المرء وكفره فيصح جعل ذلك وما ينخرط في سلكه
من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليهما وتفويض امر الباطن الى عالم الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال عليه الصلوة والسلام
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب صلة
للايمان اي يعترفون او يثقون به وعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر كما يسمى الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب
تسمي المطمئن من الارض غيبا واما ان يكون مخفف فيعل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب
لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد
والوعيد وغير ذلك ويجوز ان يكون بالغيب حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفاء اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كالذين يخشون ربهم
بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين حيث ان ايمانهم بخلاف ظاهرهم وغيبتهم مباين حضورهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدي المنتظر الذي وعد الله في القرآن وورد في الخبر وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من امتي يواطئ اسمه اسمي وكنيته كنيتي
يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة الصلوة احد ثلاثة اشياء اما تعديل اركانها وحفظها عن ان يقع زيغ في فرائضها
وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلواتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت
السوق اذا نفقت واقامها قال الاسدي اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا غزالة اسم امرأة شبيب الخارجي قتله الحجاج
لمحاربته سنة تامة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا اي كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه اليه الرغبات
واما التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام في الامر خلاف تقاعد عنه فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها
كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي فلولا انه كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة بجميع
هذه المعاني يستحق المدح والثناء السادسة الصلوة في عرف الشرع عبارة عن الهيئات والاقوال المخصوصة التي مفتتحها التحريم ومختتمها التسليم فرضا كانت او نفلا
الا انه يحتمل ان يقال المراد بها في الآية الفرض لان الفلاح قد نيط بها في قوله عليه السلام للاعرابي افلح وابيه ان صدق بعد قول الاعرابي والله لا ازيد على هذا ولا انقص لما
على الصلوات المفروضة واشتقاقها لغة اما من الصلوة بمعنى الدعاء قال الاعشى وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم اي وضع عليها الرشم ودعا لها
واما من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها قال فلا تعجل بامرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم والمصلي يسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذي
يعرض على النار واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا اي لازما للسابق لان رأسه عند صلويه والصلا ما عن يمين الذنب وشماله فالمصلي ملازم لفعله من حين
شروعه الى اوان فراغه والصلوة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلوة ولا يقال تصلية قال في الكشاف الصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها
بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من التعسف السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشمل الحلال والحرام والماكول
وغيره والمعتزلة ومن يجري مجراهم زادوا قيدا آخر وهو ان لا يكون ممنوعا من الانتفاع به وعلى هذا لا يكون الحرام عندهم الرزق قال في الكشاف اسناد الرزق
الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستأهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه
وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والحق ان التمكين من الانتفاع بالمرزوق مسند الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل بقدر الا ان حسن الادب
الى الادب اقرب ولكن بهذا المقام يستحق المدح بالانفاق الثامنة النفق لشيء والنفد اخوان وكل ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب
وما يقرب منه ويدخل في هذا الانفاق الواجب كالزكوة التي هي اخت الصلوة وشقيقتها ومن الانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته ومن الانفاق في الجهاد
ويمكن ان يتناول كل منفق في سبيل الخير للاطلاق قال تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق واكن من الصالحين
البحث السادس في قوله تعالى والذين يؤمنون الآية وفيه مسائل الاولى يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه الذين اشتمل ايمانهم بكل
وحي انزل من عند الله سالف ومترقب سبيل الباقين لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا بينه بما قبله وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وان اهل الجنة لا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك
فيكون المعطوف غير المعطوف عليه اما مغايرة المباينة وذلك اذا اريد بالاولين كل من آمن ابتداء بمحمد صلى الله عليه وسلم من غير ايمان قبل ذلك بموسى وعيسى عليهما السلام
واما مغايرة الخاص للعام وذلك اذا اريد بالاولين كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى عليهما السلام او لم يكن ويكون السبب
في ذكره هذا الخاص بعد العام اثبات شرف لهم وترغيبا لامثالهم في الدين ويحتمل ان يراد بهؤلاء الاولون وتوسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين
تلك الصفات وهذه كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب الثانية قال في التفسير
الكبير المراد من انزال الوحي ان جبريل سمع في السماء كلام الله تعالى فنزل على الرسول كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يسمع الرسالة
في علو فينزل فيؤدي في سفل وقول الامير لا يفارق ذاته لكن المستمع يسمع فينزل ويؤدي بلفظ نفسه قال فان قيل كيف سمع جبريل كلام الله تعالى وكلامه ليس حرفا
ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا للكلام ثم اقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز ان يكون خلق الله في اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم
المخصوص فقرأه جبريل فحفظه ويجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص فيتلقفه جبريل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المؤدية
لذلك الكلام واقول لك اذا تأملت ما اشرت اليه في المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب انكشف لك الغطاء عن هذه المسألة الثالثة الايمان بجميع الكتب
السماوية اعني التصديق بها واجب لان الفلاح منوط بذلك ويجب تفصيل العلم بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل التفصيل [illegible]

فرض كفاية لقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية واما المنزل على الانبياء المتقدمين فالايمان به
واجب على الجملة لان الله تعالى ما تعبدنا الآن به حتى يلزمنا معرفته مفصلة لكن ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل
الرابعة الآخرة صفة الدار تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة تأنيث الآخر نقيض الاول وكذلك الدنيا تأنيث الادنى لانها اقرب واليقين هو
العلم بالشيء ضرورة او استدلالا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه متيقن ولا يقال تيقنت ان السماء فوقنا واني موجود واني تقدم
الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وبان يقينهم ليس بايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل على محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الانبياء وهذا في معرض المدح ومعلوم انه لا يمدح بتيقن وجود الآخرة فقط بل به وبما يتبعه من الحساب والسؤال وادخال
المؤمنين الجنة والكافرين النار عن النبي صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشأة الاولى ثم ينكر النشأة
الثانية وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى يعني النوم واليقظة وعجبا ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار الغرور وعجبا من المتكبر
الفخور وهو يعلم ان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة البحث السابع في قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم وفيه مسائل الاولى في كيفية تعلق هذه الآية
بما قبلها وجوه احدها ان ينوى الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب على سبيل الاستيناف واولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين فخص المتقون بان
الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم
الفلاح وهذا النوع من الاستيناف يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل
احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة كما في الآية احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه
وثانيها ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمتقين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل اولئك
الموصوفون غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وثالثها ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين ويرفع الثاني على الابتداء
واولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى
وطامعون في انهم سيفلحون عند الله تعالى والفضل من هذه الوجوه اولها لان الكلام المبني على السؤال والجواب اكثر فائدة ولان الاستيناف باعادة
الصفة ابلغ ولان السؤال على الوجه الاخير كالضائع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علم ايضا اذ بجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول
ركنا من الكلام الثانية الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد صرح بذلك فقيل جعل الغواية مركبا وامتطى
الحق واقتعد غارب الهدى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي من الافضل
الى الافضل او الارشاد الى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على علوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة اي هدى لا يبلغ كنهه قال الهذلي شعر
فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واي لحم والاب بمعنى الاستعظام اذ الكنى انما يكون للاشراف كما ان الاقسام بالغير
ايضا للاستعظام لو تعلمون عظيم وعن بعضهم الهدى من الله كثير ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدي
بها الا العلماء الثالثة في تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين وتوسط العاطف بينهما لاختلاف
خبريهما بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شيء واحد الرابعة هم فصل وفائدته
الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك
الخامسة المفلح الفائز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى تدل على معنى الشق والفتح ولذلك سمي
الزارع فلاحا ومعنى التعريف في المفلحون اما العهد اي المتقون هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة او الجنس على معنى انهم الذين ان حصلت
صفة المفلحين فهم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه
على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة فان في ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكور من قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال
التي عددت لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحون وتوسيط الفصل اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم اولى الزهراوين
قد ورد في الخبر يحشر الناس يوم القيامة ثم يقول الله عز وجل لهم طالما كنتم تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم اني رفعت نسبا وابيتم الا انسابكم قلت
ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم انتم فقلتم لا بل فلان بن فلان فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم سيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم اين
المتقون فليأخذ العاقل بحكمة الله تعالى وهو توقف الثواب وتعليق العقاب بالعمل الصالح والتبني لا بما هو غير مضبوط من عفوه عن بعض المذنبين ورده طاعة بعض
المذنبين ورده بعض المطيعين كما ان حكمته لما اقتضت ترتب الشبع والري على الاكل والشرب لم يعهد الاتكال على ما يمكن ان يقع بالنسبة الى قدرته من اشباع شخص او
ارواءه من غير تناول طعام وشراب او بالعكس وهذه نكتة شريفة ينتفع بها من وفق لها ان شاء الله تعالى وهو اعلم واحكم فيما يعني والتقدم

إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ۝ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ۝

بدرستی که آنانکه کافر شدند یکسانست بر ایشان آیا ترسانیدی ایشانرا یا نترسانیدی ایشانرا ایمان نمی آرند مهر نهاد خدای بر دلهای ایشان و بر گوش ایشان و بر چشمهای ایشان پرده است و مر ایشانراست عذابی بزرگ

القراءة ءانذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن ذكوان وروى الحلواني عن هشام ءانذرتهم بهمزتين بينهما مدة والباقون يهمزون الاولى ويلينون
الثانية والتليين جعل الهمزة بين بين اي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم بالامالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه وحمزة في رواية
ابن سعدان وابو عمرو وكذلك قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفخار والغار ومن انصار واشعارها واشباه ذلك حيث كان تعيني اذا كان قبل الالف حرف
مانع وبعدها راء مكسورة في موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة المفضل وقرأ حمزة في رواية خلف بن سعدان وخلف لنفسه وابو
اسحق ابراهيم بن احمد عن ابي الحرث عن علي وورش من طريق البخاري مدغمة النون والتنوين في جميع القرآن عظيم بالاشمام في الوقف وكذلك اذا كانت
الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف والاختيار عندنا الوقوف لا يؤمنون ۝ على سمعهم ط لان الواو للاستيناف غشاوة ز لان الجملتين وان اتفقتا نظما
فالاولى بيان وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم ۝ التفسير وفيه مسائل الاولى فيما يتعلق بان انها تنصب الاسم وترفع الخبر تعلم
من علم النحو واما فائدته فما ذكره المبرد في جواب الكندي من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله
لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم الضمني والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس عليك باليأس من الناس ان غنى نفسك في اليأس
لان الغالب على الناس خلاف ذلك الظن وقد يجيء اذا ظن المتكلم في الذي وجد انه لا يوجد كقولك ان كان مني اليه حسن فقابلني بالسوء فكانك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين

الخطاء فيما وجدت كقوله تعالى حكاية عن ام مريم قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح رب ان قومي كذبون ۞ الثانية لما قدم ذكر اوليائه وخالص
عباده بصفاتهم الموجبة لاستداحه اياهم بها عقب ذلك بذكر اضدادهم وهم المردة من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى وسواء عليهم الانذار وعدمه واما ترك
العاطف بين القصتين خلاف ما في نحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين الجملتين هاهنا في الغرض والاسلوب اذ الاولى مسوقة لذكر الكتاب
وانه هدى للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذلك اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدأ واولئك خبره لان الكلام المبتدأ على سبيل
الاستئناف مبني على تقدير سؤال وذلك ادراج له في حكم المتقين وتقرير وتعالي في المعنى فحكمه حكم الاول وكذا اذا جعلت الموصول الثاني مبتدأ
واولئك خبره لان الجملة برأسها من مستتبعات هدى للمتقين لارتباط بينهما من حيث المعنى ۞ الثالثة التعريف في الذين اما ان يراد به ناس معهودون باعيانهم
كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واما ان يراد الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين
اسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم ۞ الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف تعريف الايمان وقد تقدم واصل الكفر الستر
والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحق بجحوده والزارع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شيء والكافر الذي كفر درعه اي غطى بدرعه
ثوبه قال في التفسير الكبير كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون المخبر متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذا على ان كلام الله محدث فان
القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلت التحقيق في هذا وامثاله ان كلامه تعالى ازلي الا ان حكمته في باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب
وصوله الى السامعين ضرورة كونهم متغيرين فكل ما هو متقدم على زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متأخر عن زمان الوصول وقع الاخبار
عنه بلفظ المستقبل نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هذا يعلم ان قوله سنلقي
ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين وانما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الآية فافهم ۞ الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء
وصف به كما يوصف بالمصادر تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وانذرتهم في موضع الفاعل اي
مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا المختصم اخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون ءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان واما صح وقوع
الفعل مخبرا عنه مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على الامتناع
من عطف الاسم فان ان مع الفعل في تقدير المصدر على الفعل وهو النهي وقد جردت الهمزة وام لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه
هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء في الداخل عليهما
الهمزة وام استواؤهما في علم المستفهم لانه قد علم ان احد الامرين كائن لكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير متعين والحاصل ان الاستفهام بل ههنا معنيان احدهما
استواء طرفي الحكم في ذهن المستفهم والثاني طلب معرفة احدهما فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب وفائدة العدول عن العبارة الاصلية
وهي سواء عليهم الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول اليأس عنهم انما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا عنهم الايمان لا في علم الله تعالى بل على
قرئت الآية بحسب ما يليق بحال النبي باب التقرير والتصوير او نقول فائدته ان يعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب
التعيين وترجيح احد الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه سواء عليهم يمكن ان يحمل على التقريب والتخمين بخلاف ما لو اخبر عن الامرين بطريق الهمزة
وام فافهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي وانما ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام المبالغة وتأثير الانذار في الفعل والترك
اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقوله لا يؤمنون اما مؤكدة للتي قبلها وخبر لان والجملة قبلها اعتراض ۞ السادسة الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه كتمانه وتغطيته لئلا يتوصل اليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب يراد
به اللحم الصنوبري المودع في التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيواني الذي هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء بتوسط الاوردة والشرايين
ويراد به اللطيفة الانسانية التي بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهي والقيام بمواجب التكاليف ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
وهي من عالم الامر الذي لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون كما ان البدن بل اللحم الصنوبري من عالم
الخلق هو نقيض ذلك الا له الخلق والامر وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وبالروح قل الروح من امر ربي ونفخت فيه من روحي
والسمع قوة مرتبة في العصب المفروش في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتأدى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه
تموج فاعل للصوت فيتأدى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويتموج بشكل نفسه ويماس امواج تلك الحركة تلك العصبة فيسمع قال ابن سينا ولعل هذا
في الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام الصقيلة وزعم غيره
ان البصر يخرج منه شيء يلاقي المبصر ويأخذ صورته من خارج ويكون ذلك ابصارا واكثر الامر يسمون ذلك الخارج شعاعا والحق عندي ان نسبة البصر الى العين كنسبة
البصيرة الى القلب ولكل من العين والقلب نور اما نور العين فينطبع فيها لانه من عالم الخلق فهو نور جزئي ومدركه جزئي واما نور القلب فيطارق لانه من عالم
الامر وهو نور كلي ومدركه كلي وادراك كل منهما عبارة عن وقوع مدركه في ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهي اليه بحسب شدته وضعفه و
يتدرج في الضعف بحسب تباعد المرئي حتى لا يدركه او يدركه اصغر مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان للبصر نورا ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة في موضع واحد قياسا
على انوار الكواكب والسرج فان ذلك الانضمام من خواص الانوار المحسوسة والمدركات المختلفة لا يستدعي الاشتراك في اللوازم وبهذا القدر من التحقيق في تفسير القلب
والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلا في حكم الختم وفي حكم التغشية الا ان الاولى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفي تكرير الجار ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها امن
اللبس كقوله شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص اذ لا يلتبس ان لكل واحد بطنا ولهذا اذا لم يؤمن نحو فرسهم وثوبهم والمراد الجمع رفضوه ومنها
ان السمع في الاصل مصدر والمصادر لا تجمع فلمح الاصل ولهذا جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر ومنها ان يقدر مضاف محذوف اي على حواس سمعهم ومنها
الاستدلال بما قبله وبما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين وعن الشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور ۞ السابعة من الناس من قال السمع افضل من البصر لتقديمه في اللفظ
ولانه شرط النبوة فلم يبعث رسول اصم بخلاف البصر فمن الانبياء من كان مبتلى بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف ونتائج العقول الى الفهم والبصر سبب
وصول المحسوسات الى البصر ولان السمع يتصرف في الجهات الست دون البصر ولان فاقد السمع في الاصل فاقد النطق بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلق
الابصار النور ومتعلق السمع الريح والبصر يرى من بعد دون السمع ولان عجائب الله تعالى في تخليق العين اكثر منها في تخليق السمع وقد اسمع الله كلامه موسى
عليه السلام من غير سبق سؤال وتوقف في الرؤية على السؤال وليس وراء العيان بيان وفي العين جمال الوجه دون السمع والحق ان من فقد حسا فقد فقد علما وبعض وفضل
على ذلك الحق ولا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فلكل من الحواس في موضعه ضروري وتفضيل البعض

معنى القلب

على البعض تطويل بلا طائل فسبحان من دقت في كل مصنوع حكمته وحسن كل شيء خلقه ۞ الثامنة الآية الاولى فيها الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار
وعدمه عليهم سيان والآية الثانية فيها بيان السبب الذي لاجله لا يؤمنوا وهو الختم والتغشية فاحتج اهل السنة بالآيتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق وعلى انه
تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم ومنعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسأل عما يفعل واما المعتزلة وامثالهم فيقولون
كيف يخلق فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل ونحو ذلك من الآيات الدالة على ان الكفر باختيار العبد
وقدرته فتأولوا الآية على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وعلى انها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي
عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى دخلوا في زمرة الانعام لا تعي شيئا ولا تفقه كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت الغيبة وليس
للوادي والعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما شبهت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء او الشيطان هو الخاتم في
الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة او انهم لما ترامى امرهم في التصميم على الكفر
الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه
تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ويحكى ان الامام ابا القاسم الانصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسألة
فقال لا لانهم نزهوه اي عما يشبه الظلم والقبيح ولا يليق بالحكمة وسئل عن اهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتأثير وايجاد وزعم الامام
فخر الدين ان اثبات الاله يلجئ الى القول بالجبر لان الفاعلية لو لم يتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسل يلجئ
الى القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعث الرسول وانزال الكتب اقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان الاستواء الوجود
والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الآخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات والحركات
الاضطرارية وهذا يقتضي مذهب الاعتزال فلهذا بقيت هذه المسألة في حيز الاشكال قلت وبالله التوفيق عندي ان المسألة في غاية الاستنارة والسطوع
اذا حولت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن قادرا على كل الممكنات وخرج شيء من الاشياء عن علمه وقدرته وتأثيره وايجاده بواسطة او بغيرها
لم يصلح لمبدئية الكل والهداية والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتأثيره وعلمه وارادته والآيات
الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قل كل من عند الله كثيرة وكذا الاحاديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل والنقل بقي الجواب عن اعتراضات المخالف اما حكاية
التنزيه عن الظلم والقبائح فاقول لا ريب انه تعالى منزه عن القبائح ولكن لا بالوجه الذي يذكره المخالف او يلزم منه النقص من جهة اخرى وهو الخلل في مبدئيته
للكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى صفتي لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك ولا سيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما
من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام الآخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولا بد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف
والشياطين ومن والاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر اهل النار والافعال المعقبة اياها وهاهنا سر
وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار والحسن والقبيح وجود كل منهما بوجود الآخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف ولولا النار لم يثبت الجنة كما انه لولا الالم لم يتبين اللذة ولولا الجوع
والعطش لم يظهر الشبع والري وسدد القائل وبضدها تتبين الاشياء فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون بعمل اهل الجنة وللنار خلقا يعملون بعمل اهل النار ولا اعتراض لاحد
عليه في تخصيص كل من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وهاهنا ظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد الآية وقال صلى الله عليه
ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه و
شقي ام سعيد واذا توغل فيما قلت ظهر ان لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل
الصريح ولما اعتد المخالف القائل بالتحسين والتقبيح العقليين وليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل البعض من تحت تصرفه وزيرا وبعضهم
كناسا بعيدا الا ان كلا منهما من ضرورات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص به مع ان كلا منهما ضروري في مملكته فهذا القائل متهم
بما حكمته تعالى ويدعي انه يحفظه فافسد حيث اصلح واما قوله اي فائدة في بعثة الرسل وانزال الكتب ففي غاية السخافة لانا لما بينا انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
فكيف يبقى للمعترض ان يقول لم جعل الله تعالى الشيء الفلاني سببا وواسطة للشيء الفلاني كما انه ليس ان يقول مثلا لم جعل الشمس سببا لانارة الارض غاية ما في الباب
ان يقول اذا علم الله ان الكافر لا يؤمن فلم يأمره بالايمان ويبعث اليه النبي فاقول فائدة بعث الانبياء وانزال الكتب بالحقيقة ترجع الى المؤمنين الذين جعل الله
بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدائهم انما انت منذر من يخشاها كما ان فائدة نور الشمس تعود الى اصحاب العيون الصحاح واما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم
كفائدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمه واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة النعي عليهم بانهم في اصل الخلقة ناقصون اشقياء وهذا
المعنى ربما لا يظهر لهم ايضا لغاية نقصانهم كما ان الاكمه ربما لا يصدق البصراء ولا يعرف ان التقصير والنقصان منه وان سائر الشرائط من محاذاة المرئي وظهوره
موجود وانما يعرف نقصانهم ارباب الابصار واما حديث التفرقة الضرورية بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا فاقول لا ريب
ان للانسان ارادات وقوى بها يتم لها حصول الملايم واجتناب المنافي الا ان تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فكانه لا اختيار له والتفرقة المذكورة
سببها ان في الرعشة نقصت واسطة هي الداعية وفي الحركة المسماة بالاختيارية زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات واستغن بها في سائر
ما يقرع سمعك من هذا القبيل لعلنا لا نحتاج في كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستضئ بمصباح لم يستغن باصباح والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ۞ التاسعة
العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم
اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
ويستعملان في المعاني والاعيان جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ولهم من بين
الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله منه ۞ العاشرة اتفق المسلمون اكثرهم على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفسروا
قوله ولهم عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد في القرآن بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب عليه العفو وذكروا ايضا دلائل عقلية مبنية على الحسن والقبح كقولهم التعذيب
ضرر خالي عن المنفعة لان الله تعالى منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به فالله قادر على ايصال النفع اليه من غير توسيط ذلك العذاب و
الضرر الخالي عن المنافع قبيح بالبديهة وكقولهم علم ان الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه امر متى حصل ترتب عليه العذاب وما كان مستعقبا للضرر من غير نفع
كان قبيحا لم يبق الا ان يقال لم يوجد هذا التكليف او وجد لكنه لم يستعقب العقاب وكقولهم انه سبحانه هو الخالق لداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم

فلينظر

... اخرم بعد تمثلا ولا ينفعه الاعتماد به لان غرض الامثال قد فات ولكن سيما اذا قبل بعد ان يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك المبطلون الله اعلم بطريق الخير والصواب واليه المرجع والمآب

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ۝ واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض

قالوا انما نحن مصلحون ۝ الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ۝ واذا قيل لهم آمنوا كما

آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ۝ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا

واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون ۝ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم

يعمهون ۝ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ۝

القراءة ومن الناس ... وقتيبة ونصير كل القرآن ما كان مكسورا من يقول مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقعت حمزة وعلي وخلف ...

من طريق البخاري ... ابو عمرو ... وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الاسماء وما يخادعون ابو عمرو وابن كثير

ونافع فزادهم الله ... بالامالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق مجاهد والنقاش ابن الاخرم بهما بالامالة فقط يكذبون خفيفا عاصم وحمزة وعلي و ...

الذي اعطاك شرق بذلك او زاد ما داخل قلوبهم من الضعف والخور لانهم كانوا يطمعون ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق وما قذف الله في قلوبهم بالرعب ضعفت جبنا وخورا وتعني زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فكفروا به ازدادوا كفرا الى كفرهم فاسند الفعل الى المسبب له كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا كما قال الحكيم البدن غير النقي كلما غذوته زدته شرا وكلما زاد رسوله نصرة وتبسطا ازدادوا حسدا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع ويحتمل ان يقال الغل والحسد قد يفضي الى تغير مزاج القلب ويؤدي الى صاحبه كقوله شعر اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله كالنار تاكل نفسها ان لم تجد ما تاكله فافضى صاحبه الى الهلاك هو المعنى بالزيادة واليم الوجيع وصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والالم بالحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد واراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفي ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وسماجته وما يروى عن ابراهيم صلوات الرحمن عليه انه كذب ثلث كذبات احديها قوله اني سقيم وثانيها قوله لسارة حين اراد ان يغصبها ظالم انها اختي وثالثها قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به ولا يعتبر فيه علم المخبر عنه كما لا يعتبر في الصدق نقيضه وقرأه من قرأ يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذي هو نقيض صدقه واما من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق نحو بان الشيء وبين ومنه قوله قد بين الصبح لذي عينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره مذبذب بين ذلك وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية اي بكذبهم وكان ههنا ليفيد الثبوت والدوام اي بسبب ان هذا شانهم وديدنهم

البحث الثالث في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع الثاني من قبائح افعال المنافقين فقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون اي ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا اذا قيل لهم كذا واما على يقولون اي ومن الناس من اذا قيل لهم ويحتمل ان يقال الواو للاستيناف واسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا ليس من اسناد الفعل الى الفاعل فانه لا يصح ولكنه اسناد الى لفظ الفعل اي واذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل لهم اما النبي صلى الله عليه وسلم او ابلغه عنهم النفاق ولم يقطع بذلك نصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم في الصلاح واما بعض من كانوا يلقون اليه الفساد كان لا يقبل منهم ويعظهم واما بعض المؤمنين ولا يجوز ان يكون القائل من لا يكون بالدين والفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن والسدي ان المراد بالافساد المنهي عنه اظهار معصية الله تعالى فان للشارع سننا موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل احد شانه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج فكان ذلك صلاح الارض واهلها اما اذا اهملت الشريعة واقدم كل واحد على ما يهواه اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم اياهم لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم في الظاهر مؤمنون اوهم ذلك ضعف امر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فيصير سببا لطمع الكفار في المؤمنين وهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر الى تكذيبه ويلقون الشبه ويفشون اسرار المؤمنين ولما نهوا عن الافساد في الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له فههنا احتمالات احدها انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الصواب وكان سعيهم لاجل تقوية ذلك الدين فزعموا انهم مصلحون وثانيها ان قصروا الافساد على موالاتهم الكافرين ان يكون مرادهم ان الغرض من تلك الموالات هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد انكار اذاعة اسرار المسلمين ونسبة انفسهم الى الاستقامة والسداد حتى ان اداة القصر دالة على ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت اي حالنا مقصورة على الاصلاح لا يتعداها الى غيره والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي فيفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله أليس ذلك بقادر ولافادة التحقيق لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلايعها قال اما والذي ابكى واضحك والذي امات واحيا والذي امره الامر رد الله ما ادعوه من الانتظام في زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف فان ادعائهم ذلك مع توغلهم في الفساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكم الله عليهم فكان وروده بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما في الا وان من التاكيد ومن قبل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون

البحث الرابع في قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا الآية هذا هو النوع الثالث من قبائح افعال المنافقين وذلك ان المؤمنين انههم في النصيحة من وجهين احدهما التقبيح لما كانوا عليه مما يجر الى الفساد والفتنة والثاني دعوتهم الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وبعبارة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما ينبغي لان كمال حال الانسان في هاتين فكان من جوابهم في الاول ما بينهم او المقابل ان سفهوهم لتمادي سفههم وفي هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل وما في كما يجوز ان يكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولك يكتب زيد كما يكتب عمرو وزيد صديقي كما عمرو اخي ويجوز ان يكون مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون اي ليكن ايمانكم ثابتا كما ان هؤلاء ثابت او ليحصل ايمانكم كحصول ايمان هؤلاء او آمنوا كما آمن عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم اي كما آمن اصحابكم ويحتمل ان يكون للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية من الاقرار اللساني الناشي عن الاعتقاد القلبي او جعل المؤمنون كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس في عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فتقول او قد فعل السفيه او للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه وهو ضد الحلم واصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجر اذا مالت به قال ذو الرمة

جرين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم

وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وانهم كانوا في رياسة وثروة وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه لما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم عن انس انه سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ارض يخترف فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال اخبرني بهن جبرئيل آنفا اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسألهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله بن سلام قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله بن سلام فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى قلب عليهم هذا اللقب مقرونا بالمؤكدات التي بيناها في قوله الا انهم هم المفسدون وذلك ان من اعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع آخرته بدنياه قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وايضا من السفه معاداة الجد ويريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم كالطود يحيق نطحة الاوعال وانما فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل امر عقلي نظري واما النفاق وما يؤل اليه من الافساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات

وخصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التحارب والتجاذب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا

البحث الخامس في قوله تعالى واذا لقوا الآية هذا هو النوع الرابع من قبائح افعالهم والفرق بين هذه الآية وبين قوله ومن الناس من يقول آمنا ان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم عن ابن عباس رضي نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك اي انهي اليك حمدي لفلان او ذمي عن ابن عباس رضي الله عنهما اني احمد اليكم غسل الاحليل اي اعلمكم انه امر محمود وشياطينهم رؤساؤهم واكابرهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اما اكابر المنافقين فالقائلون انا معكم اي مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم اصاغرهم واما اكابر الكفار فالقائلون يحتمل ان يكون جميع المنافقين وانما سمي الشياطين رؤساء لانهم هم القادرون على الافساد في الارض وانما خاطبوا المؤمنين باضعف الجملتين وهي الفعلية وشياطينهم باقواهما اعني الاسمية المحققة بان لانهم في ادعاء حدوث الايمان الناشي عن صميم القلب منهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان كاملون اما لانهم لا تساعدهم عليه ويكذا القول لم يصدر عن صدق رغبة وباعث داخلي واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار القائلين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم نحن على فور نشاط ورغبة وفي حيز القبول والرواج فكان مظنة التحقيق ومنه التوكيد وانما فقد العاطف بين قوله انا معكم وبين قوله انما نحن مستهزؤن لان الاول معناه الثبات على الكفر والثاني رد الاسلام لان المستهزئ بالشيء منكر له دافع ودفع نقيض الشيء اثبات وتاكيد للشيء او لان الثاني بدل منهم لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او لانه استيناف كانه قيل ما لكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم ان الله تعالى اجابهم باشياء احدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استيناف في غاية الجزالة والفخامة كانه سئل ما مصير امرهم وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفي الالتفات من الحكاية الى المظهر ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي استهزاؤهم بالنسبة الى ذلك كالعدم وفي تخصيص الله بالذكر مع قرينة ان المؤمنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزاء الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد الاقصى للمستهزئ وسمي جزاء الاستهزاء استهزاء مثل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او عاملهم الله تعالى معاملة المستهزئ في الدنيا لانه كان يطلع الرسول على اسرارهم مع كونهم مبالغين في اخفائها وفي الآخرة على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم في الموضع الذي هو مسكن المنافقين فاذا رأى المنافقون الباب مفتوحا اخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة واهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهناك يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فهذا هو الاستهزاء وانما لم يقل الله مستهزئ ليكون طبقا لقوله نحن مستهزؤن لان المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الآيات في شانهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون دون مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه به وكذلك مد الدواة والسراج زادهما ما يصلحهما وانما قلنا انه من المدد لا من المد في العمر والامهال لقراءة نافع من موضع الآخر واخوانهم يمدونهم في الغي على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له قال في الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهري مده في غيه اي امهله والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو ومعنى مد الله تعالى اياهم في الطغيان يعرف من تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بانه لما منعهم الطافه التي يمنحها المؤمنين بقيت قلوبهم تتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في صدور المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا او بانه لم يقسرهم او بانه اسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره ولا يخفى ما في هذا التوجيه من التكليف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ومن هذا القبيل قيل ان النكتة في اضافة الطغيان اليهم هي ان يعلم ان التمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم فان الله بريء منه فان الانتهاء الى الله لما كان ضروريا فكيف جزء من ذلك ويعمهون في موضع الحال والعمه كالعمى الا ان العمى في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه وثالثها قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروها عليه واستبدلوها به وهذه استعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر قال ابو النجم شعر

اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا

وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة جعلوا لتمكنهم من الهدى بحسب الفطرة الانسانية الشخصية كانه في ايديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهي الجور عن القصد وفقد الاهتداء وفي المثل ضل دريص نفقه اي جحره والدرص ولد الفارة ونحوها يضرب لمن يعيى بامره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على رأس المال والتجارة مصدر واسناد الربح والخسران اليها وهو لصاحبها اسنادا مجازيا لملابسة التجارة بالمشترين وقد يقال ربح عبدك وخسرت جاريتك مجازا اذ دلت الحال ولما ذكر الله سبحانه شرى الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ما يشاكله ويواخيه من الربح والتجارة لتكون الاستعارة مرشحة كقوله شعر

ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لان مطلوب التاجر في متصرفاته شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة والضلالة امر عدمي فلا عوض ومعوض ولا ربح ولا رأس المال ... من معنى الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عشرة الكفار وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسأله ان يعصمنا من الضلالة بعد الهداية

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ۝ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ۝ او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ۝ يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه

از برای دلهای ایشان که هلاک کند از بیم مردن و خدای داناست بحال اهل کفر و نفاق نزدیک بود که برق بر گیرد یعنی بزودی بینایها ایشانرا هرگاه روشن گرداند برق راه در روشنی

وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير

وچون تاریک شود بر ایشان بایستند بجای خود و اگر خدای خواستی ببردی شنوایی ایشانرا و بینایی ایشانرا بدرستی که خدای بر همه چیزی تواناست

القراءة

اذانهم وبابه بالامالة نصير وابو عمرو والكافرين وما اشبههما ما كان في محل الخفض بالامالة ابو عمرو وقتيبة ونصير وابو عمرو ويعقوب غير روح شاء ابتد حيث كان بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان الوقوف نارا ج لان جواب لما منتظر فيها من معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون ٥ لا يرجعون لا للعطف بأو وهو التخيير لا يمنع مع الفصل ومن جعل او بمعنى الواو جاز وقفه لعطف الجملتين مع انتهاء رأس آية وقد اعترضت بينهما آية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق ج لانه قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هم يجعلون او حالا عاملة معنى التشبيه في الكاف وذو الحال محذوف اي

[illegible]

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ۝ الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء

ای مردمان بپرستید پروردگار شما را که آفرید شما را و آنان را که پیش از شما بودند تا مگر پرهیزگار شوید آن پروردگاری که گردانید برای شما زمین را بساطی گسترده و آسمان را خانه‌ای

وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ۝

و فرو فرستاد از آسمان آبی پس بیرون آورد بدان آب از میوه‌ها روزی برای شما پس مگردانید خدای را همتایان و حال آنکه شما میدانید

القراءة خلقكم مدغما ابو عمرو وكذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عياش كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وعند ذلكم وبورلكم وربكم واشباه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها باظهار صوت القاف وقال جبره وجوابن مهران لا يظهر ذلك وكل صواب الوقوف تتقون ٥ لان الذي صفة الرب تعالى بناء لعطف الجملتين المتفقتين لكم ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون ٥ التفسير لما قدم الله تعالى احكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر

صنائعهم ومجاري امورهم عاجلا وآجلا اقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذي يورث الكلام حسنا وبهاء ويزيد السامع هزة ونشاطا ومن لطائف
المقام كأنه تعالى يقول جعلت الرسول واسطة بيني وبينك اولا والآن ازيد في اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه
على الادلة شرف المخاطبة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل بالعبودية زاد قربا وحضورا وايضا الآيات المتقدمة حكايات احوالهم وهذه امر وتكليف وفيه كلفة و
ومشقة فلا بد من راحة وهو ان ملك الملوك رفع الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف ويستلذ هذا وقد صح الاسناد عن علقمة ان كل شيء نزل فيه
يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة يجب بهذا النقل وان كان من الجائز ان يخاطب المؤمنون باسم
جنسهم ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف وضع لاجل التخفيف بمقام نادى الانشائية لا الاخبارية وههنا نكتة وهي ان اقوى المراتب الاسم واضعفها
الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب فجعل
بينهما من يعقد بينهما وسبك الدعاء فقيل لهم قد ائتلف الاسم مع الحرف حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعوني استجب لكم واذا سألك
عبادي عني فاني قريب فاذكروني اذكركم ويا وضع في اصله لنداء ما ليس بقريب حقيقة او تقديرا لكونه ساهيا او غافلا او نائما او لتبعيد المنادي عن ساحة عزة المنادي
بخفض او استقصار القول الداعي في جواره وبابه يا الله مع انه اقرب اليه من حبل الوريد لتحقق الاجابة بمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم وقد ينادى القريب المتفطن
في غير هذه السورة بيا ويكون المراد به ان الخطاب الذي يتلوه معتنى به جدا نحو يا ايها الذين آمنوا يا عبادي يا ايها النبي لان ما يعقبها امور عظام وخطوب جسام من الاوامر
والنواهي والعظات عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليتضح المقصود بالنداء
مع ضرب من التأكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح وفي حرف التنبيه المقحم فائدتان معاضدة حرف النداء بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة
ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تأكيده بكل واجمعون في مثل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وبدليل صحة الاستثناء
فالاقرب انه لا يتناول الا الموجودين في ذلك العصر وانما يتناول الذين سيوجدون بدليل منفصل هو ما عرف بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان حكم
الموجودين في عصره حكم من سيوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركي مكة فيدخل سائر الناس بالتبعية على قياس ما قلنا والمراد من قوله اعبدوا اكتسبوا
نسبة العبادة وذلك بان عرف نفسه بالامكان ليعرف ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالمملوكية ليعرف ربه بالمالكية ويعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية
ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية ويعرف نفسه بالمأمورية والذل ليعرف ربه بالآمرية والعزة فلا يجاوز حده ولا يعكس هذه القضايا فلا يرى لنفسه تصرفا في شيء
من الوجود ولا قدرة بنوع من الانواع وانما يكون عبدا ذليلا ماثلا بين يدي مولاه طائعا له ممتثلا بامره ومنهاه لانه اذا تصور كونه عبدا فلا بد ان يطلب لنفسه
سيدا واذا وجد سيدا فلا محالة يوطن نفسه لطاعته والانقياد ولا يرى مخالفته في شيء اصلا اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين والا لم يصح نسبة
عبوديته عن الاصمعي انه اتى بغلام ليشتريه فقال له ما اسمك قال ما تسميني قال ما تأكل قال ما تطعمني قال ما تشرب قال ما تسقيني قال زيد ان اشتريك فقال العبد
لا يكون له ارادة والامر بالعبادة بهذا المعنى يشمل الكافر والمؤمن وكل من له اهلية الخطاب ويندرج فيه المبادي والنهايات والاصول والفروع ثم انه
تعالى لما علم القصور البشري وضعف قوائم الفطرة والفكرية ارشدهم اليه ونبههم عليه بقوله ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واعلم ان الطريق الى معرفة
الواجب سبحانه وتعالى بعد ما قلنا من الرجوع الى النفس والتنبه لسمة العبودية اما الامكان او الحدوث او مجموعهما كل منها في الجواهر او في الاعراض اما الاستدلال
بامكان الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء وان الى ربك المنتهى واما الاستدلال بامكان الصفات خلق الله السموات والارض
الذي جعل لكم الارض فراشا وبحدوث الاجسام قول ابراهيم صلوات الرحمن عليه اني لا احب الآفلين وبحدوث الاعراض دلائل الانفس ودلائل الآفاق فان
كل احد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك والموجود بعد العدم له موجد وليس هو نفسه ولا الابوان ولا سائر الناس لعجز الكل ولا الطبائع والفصول والآفات
والآفاق في انحاء الامكان فهو شيء غير متسم بسمة الحدوث والامكان والنقصان وهذا الطريق اقرب الطرق الى الافهام فلهذا اورده الله تعالى
في فاتحة كتابه لينتفع به الخاص والعام مع ان فيه تذكير النعم السابقة وعظيمة السابقة عليهم وعلى آبائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الى الانصاف
وترك الجدال واما قوله لعلكم تتقون ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي او الاشفاق والحصولان عند الجهل بالعاقبة وهو على الله محال والجواب ان الترجي
راجع الى العباد لا الى الله تعالى كقوله لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما في ايمانه ثم الله عالم بما يؤول اليه امره وايضا من ديدن الملوك ان يقتصروا
في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم لانجازها على ان يقولوا عسى ولعل فحينئذ لا يبقى لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب او جاء على طريق
الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم او وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده
ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان
يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وهذا
الجواب مبني على ان قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لا باعبدوا وقيل لعل بمعنى كي ووجه بانها للاطماع والكريم والرحيم اذا اطمع
فعل يجري الاطماع مجرى وعده المحتوم فلهذا قيل انها بمعنى كي قال القفال لفظ لعل معناه التكرير والتأكيد واللام للابتداء كخبر لعل ولقولهم علك ان تفعل كذا اي لعل
يفيد التكرير ومنه العلل بعد النهل فقول القائل افعل كذا لعلك تظفر بالحاجة معناه افعله فان فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك عليه البحث الثاني
اذا كان مفهوم العبادة تقوى فقول لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم تعبدون والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما وخصوصا على ما فسرنا المعنى يعود
الى قولنا صححوا النسبة العبودية لتستفيدوا الصفة التقوى وهي الاجتناب عن المعاصي فقط او هو مع الاتيان بالاوامر واما قوله الذي جعل لكم الارض فراشا الآية
فنقول فيه لفظ الذي مع صلته اما ان يكون في محل النصب بدلا من الذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على المدح ايضا اي هو الذي وكلمة الذي
موضوعة للاشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جعل لكم الارض فراشا قضية معلومة فاذا دخل عليها الذي كي يتنبهوا للفلاح ويعترفوا به واعلم
انه تعالى عدد في هذا المقام عليهم خمسة دلائل اثنين من الانفس وهما خلقهم وخلق اصولهم وثلاث من الآفاق جعل الارض فراشا والسماء بناء والامر الحاصل من مجموعهما
وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما منه منشأه واصله ثم الارض التي هي مكانه
ومستقره يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه ثم السماء التي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج
بين المقلة والمظلة من انزال الماء عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان الوان الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني آدم وايضا خلق المكلفين احياء
قادرين اصل لجميع النعم واما خلق الارض والسماء فذلك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحياة والقدرة والشهوة وذكر الاصول مقدم على ذكر الفروع و
وايضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحياة والقدرة والشهوة والعقل ولما كانت وجوه الدلالة فيه اتم
كان التقديم في الذكر اهم واقرب وههنا مسائل الاولى في منافع الارض الفراش اسم لما يفرش كالمهاد للمهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات

الافتراش ان يكون سطحا مستويا كالفراش على ما ظن فسواء كانت كذلك او على شكل الكرة فالافتراش لا بد فوقه لعظم جرمها وتباعد اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش
عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع تميل الى تحت كما ان الخفاف بالطبع تميل الى فوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء
والتحت ما يلي المركز فكما انه يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السماء فليستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لان ذلك الهبوط صعود ايضا الى السماء فاذن لا حاجة
في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما اعطاها خالقها وركز فيها من الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته
واختياره ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومما من الله تعالى به على عباده في خلق الارض انه لم يجعلها في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار
كالماء ليسهل النوم والمشي عليها والحرث والزراعة واتخاذ الابنية منها ويتأتى حفر الآبار واجراء الانهار ومنها انه لم تخلق في نهاية اللطافة والشفيف ليستقر
الانوار عليها وتسخن منها فيمكن جوارها ومنها ان جعلت بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه ليصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف
البارز منها وهو قريب من ربعها انه لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هي والماء بحيث اذا انجذب الماء بطبعه الى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي شيء
منها مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها وغروبها للمغربيين وفيما بين
الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب وتركب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين
الى غير ذلك من الاعراض الخاصة بالاستدارة ويستوي في ذلك راكب البر وراكب البحر وشوامخ الجبال وان شمخت لا تخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة
في ملاسة الكرة لا في استدارتها ومنها الاشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها و
ومنها ان يتحجر الرطب فيه فيحصل التماسك في ابدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض
والحاجات وفي الارض قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض
ذات الصدع ومنها جذبها للماء المنزل من السماء وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ومنها العيون والانهار العظام التي فيها والارض مددناها
ومنها ان لها طبع الكرم والسماحة تأخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ومنها حياتها وموتها وآية لهم الارض الميتة
احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النباتات المتنوعة واجناسها فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دالة واختلاف طعومها
دالة واختلاف روائحها دالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام ومنها الادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر
نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاشجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج من الجبال
مع كثرته والنظر الى الياقوت الاحمر مع عزته والنظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة كالذهب
والفضة ثم تأمل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب
والفضة والسبب فيه ان معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما
بابا مسدودا ومن ههنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيمياء افلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما
اشتد اليه الحاجة في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا من المنافع اكثر مما عددنا فاذا تأمل العاقل في هذه الغرائب والعجائب اعترف بمدبر حكيم ومقدر عليم ان كان ممن يسمع
ويعي ويبصر ويعتبر الثانية في منافع السماء البناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا
عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه
السموات والارض وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم وما يسطرون وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا وذكر ان خلقها مشتمل على حكم بليغة
وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء ومحل
الضياء وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير وجعل نجومها رجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ونيط
للشمس طلوعها فسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف وغروبها فصلح معه الهدوء والقرار في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة
وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وايضا لولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية ولولا الغروب لحميت
الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجاتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة
متظاهرين على ما فيه صلاح قطان الارض وههنا نكتة كأن الله تعالى يقول لو وقعت الشمس في جانب من السماء فالغني قد يرفع بناءه على كوة الفقير فلا يصل
الى الفقير لكني ادير الفلك وادير الشمس حتى يجد الفقير نصيبه اما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعل الله سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة
في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويستكثف الهواء فيكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع
تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه
الارض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس فتدرك الثمار وتستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم
عدد السنين والحساب وتنضبط المواقيت الشرعية ومنه تحصل النداوة والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمله
ليلا ففقده فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر وقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا اسأله لك ولئن اهديت الي سرورا
فقد اهدى الله اليك نورا ثم انشأ يقول شعر ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر وقد كفيتني التفصيل والجملا ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا او قلت
زانك ربي فهو قد فعلا وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يدرك الهارب ويهتك العاشق ويبلي الكتان ويهرم الشاب وينسي ذكر الاحباب ويقرب
الدين ويدني الحين وكيفية ارتباط القمر وسائر الكواكب بالشمس وكمية حركاتها وبيان اختلافات اوضاعها وعلل كل منها فن برأسه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ
اذا تأملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك
البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة في مصالحه فهذه جملة واضحة دالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة
بالغة وقدرة غير متناهية الثالثة في ان السماء افضل ام الارض قال بعضهم السماء افضل لانها معبد الملائكة وما فيها بقعة عصي الله فيها ولما اتى آدم عليه السلام
بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال الله تعالى لا يسكن في جواري من عصاني وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال الله تبارك وتعالى تبارك الذي جعل في السماء
بروجا وورد في الاكثر السماء مقدما على الارض والسماويات منورة والارضيات مظلمة والمؤثر اشرف من المتأثر وقال آخرون بل الارض افضل لانه تعالى
وصف بقاعا من الارض بالبركة ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا في البقعة المباركة الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا
فيها يعني ارض الشام ووصف جملة الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فان قيل واي بركة في المفازة المهلكة قلت انها مساكن الوحوش ومرعاها

وساكن الناس اذا احتاجوا اليها وساكن خلق لا يعلمهم الا الله تعالى فلهذه البركات قال وفي الارض آيات للموقنين تشريفا لهم لانهم هم المنتفعون بها كما قال
هدى للمتقين وخلق الانبياء من الارض منها خلقناكم واودعهم فيها وفيها نعيدكم واكرم حبيبه المصطفى فجعل الارض كلها مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض كالصدفة
والدرة المودعة فيها آدم واولاده ثم علم الله حاجاتهم قال يا آدم لا احوجك الى شيء غير هذه الارض التي هي لك فقال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض
شقا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدي ان اعز الاشياء عندك الذهب والفضة ولو اني خلقت الارض منهما هل كان يحصل هذه المنافع
ثم اني جعلت هذه الاشياء في الدنيا مع انها سجن لك فكيف الحال في الجنة فالحاصل ان الارض كالام بل اشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن و
الارض تطعمك الوانا من الاطعمة ثم قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم معناه نردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه وذلك لان مكانك من الام التي
ولدتك اضيق من مكانك من الارض ثم انك كنت في بطنها تسعة اشهر فما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت في بطن الام الكبرى ولكن الشرط ان تدخل بطن الام
الكبرى كما كنت في بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا لله فانه دعاك مرة بالخروج الى الدنيا فخرجت اليها بالرأس
طاعة منك لربك واليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة فلا تجيبه برجلك ٭ الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيته انه جعل الماء سببا
في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد وهو قادر على انشاء الاشياء بلا اسباب ومواد كما انشا نفوس الاسباب والمواد ولكن له في هذا التدريج والتسبيب
حكما يتبصر بها من يستبصر ويتفطن لها من يعتبر ومن في من الثمرات للتبعيض كانه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى البعضية لانه مفرد في سياق الاثبات فكانه قيل وانزلنا
من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله
من الثمرات فيكون كل الثمرات بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا ان كان من للتبعيض كان انتصاب
رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم وانما قيل
الثمرات على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا لانه قصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة
كلمة وللقرية مدرة او لان القلة وضعت موضع الكثرة نحو كم تركوا من جنات وعيون وتنبيها على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الآخرة ٭ الخامسة قوله فلا تجعلوا اما ان يتعلق بالامر اي
اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل فينتصب تجعلوا بعده مثل لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع في رواية حفص عن عاصم او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي نصب لكم هذه الادلة القاطعة والآيات الناطقة
بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي من نادت الرجل خالفته ونافرته وند ندودا اذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند
نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه وقوله وانتم تعلمون بترك المفعول معناه وانتم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال ولهذا كانت العرب خصوصا
ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يشق غبارهم في الذكاء والفطنة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو
غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واعلم انه ليس في العالم احد يثبت لله شريكا يساويه في الوجوب والعلم والقدرة والحكمة لكن الثنوية يثبتون الهين حكيما يفعل الخير
وسفيها يفعل الشر واما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين اليه كثرة الفريق الاول عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعالى خلق هذه الكواكب
وهي مدبرات في هذا العالم فيجب علينا ان نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله ٭ والفريق الثاني عبدة المسيح عليه السلام ٭ والفريق الثالث عبدة الاوثان فنقول انه لا دين
اقدم من دين عبدة الاوثان لان اقدم الانبياء الذين نقل الينا تاريخهم هو نوح عليه السلام وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا وهم باق الى الآن والدين الذي هذا شانه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة لكن العلم بان هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس
هو الذي خلقني وخلق السماء والارض علم ضروري فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض آخر سوى ذلك والعلماء ذكروا فيه وجوها احدها
ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد البلخي ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون انه جسم ذو صورة كاحسن ما يكون من الصور وكذا
الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان الواجب عليهم ان يصوغوا تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعكفون
على عبادتها قاصدين بها طلب الزلفى الى الله تعالى وملائكته فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد التشبيه ٭ وثانيها ما ذكره اكثر العلماء وهو
ان الناس لما رأوا تغيرات احوال العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب واعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بحسب وقوعها في طوالع الناس غالوا في تعظيمها
فمنهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذاتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة لله تعالى الا انها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله
والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات اتخذوا لها اصناما واقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة
تلك الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب وتجردوا لعبادة تلك التماثيل فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب ٭
وثالثها ان اصحاب الاحكام كانوا يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الف والفين ويزعمون ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في
احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك
كالعبادة ثم نسوا مبدا الامر بتطاول المدة واشتغلوا بعبادتها ٭ ورابعها انه اذا مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله
تعالى اتخذوا صنما على صورته وعبدوها على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيمة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله تعالى
وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة لصلواتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها
وسادسها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التاويل فهذه الوجوه هي التي يمكن حمل مذهبهم عليها كيلا يصير بحيث يعلم بطلانه
بالضرورة فان قيل لما رجع حاصل مذاهب عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت فاوجه المنع عنها قلنا لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم
حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستقبح شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة
لمن لا يصح ان يكون له ند قط ولا يفيد بطريق عبادته الا الحقيقة والاخلاص ورفع الوسائط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء
هياكل لهم معروفة باسماء القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهي عندهم الامر الالهي وهيكل العقل
الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصورة مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل
الشمس مربعا وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم اصحاب التاريخ ان عمرو بن لحي لما ساد قومه
بمكة وترأس على طبقاتهم وولي امر البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب نستنصر بها فننصر ونستسقي
بها فنسقى فالتمس منهم ان يكرموه بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في اول ملك

سابور

شابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان رضي الله عنه ومنها نوبهار
الذي بناه منوجهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب اوثان معروفة كود بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر
بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله ينهاهم عن عبادتها
ويدعوهم الى عبادة الله تعالى وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول شعر اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين

واگر هستید در گمان [illegible]

فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين

پس اگر نکنید و هرگز نتوانید کردن پس بترسید از آتشی که [illegible] مردم و سنگ ساخته کرده اند برای کافران

القراءة ٭ ما يتعلق بها من ضم ميم الجمع ومن امالة الناس يعرف مما مر الوقوف من مثله ص صادقين ه والحجارة ج على تقدير هي اعدت للكافرين
والوصل اجوز لان قوله اعدت مثل الجملة الاولى في كونها صلة للكافرين ٭ التفسير لما ثبت بالآيتين السابقتين على طريق الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته
عقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما نزل عليه وقد ذكر في كون القرآن معجزا طريقان الاول انه اما ان يكون مساويا لكلام الفصحاء او زائدا عليه
بما لا ينقض العادة او بما ينقضها والاولان باطلان لانهم وهم زعماء الحوار وملوك الكلام تحدوا بالسورة منه مجتمعين او منفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا متهالكين
في ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا في الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق كيف الباطل فتعين القسم الثالث الطريق الثاني
ان يقال ان بلغت السورة المتحدى بها في الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود وان قصرت فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين امره معجز فعلى
التقديرين يحصل الاعجاز ٭ فان قيل ما يدريك انه لم يعارض في مستانف الزمان وان لم يعارض الى الآن قلت لانه لا احتياج الى المعارضة بعده
ما في وقت التحدي والزام تقرير المبطل المشبه للمحق وحيث لم تقع المعارضة وقته ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه وتعالى بقوله ولن تفعلوا كما يجي
واعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة فمدرك الاعجاز هو الذوق ومن قصر الاعجاز على
صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو كون اسلوبه مخالفا لاساليب الكلام او بانه هو كونه مبرأ عن التناقض او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب وبالجملة
في سلك هذه الآراء فقد كذب ابن اخت خالته فانا نقطع ان المستغرب من سماع القرآن انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر في القلوب تاثيرا لا يمكن انكاره لمن كان له

[illegible]

لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزا ومنها ان فصاحة العرب اكثرها في وصف المشاهدات كبعير او فرس او جارية او ملك او ضربة او طعنة او وصف حرب او
وصف غارة وليس في القرآن من هذه الاشياء مقدار كثير ومنها انه تعالى راعى طريق الصدق وتنزه عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه ولهذا فان لبيد
ابن ربيعة وحسان بن ثابت لما اسلما وتركا سلوك سبيل الكذب والتخيل ركك شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح يتفق في بيت او بيتين من قصيدة
والقرآن كله فصيح بكل جزء منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلامه لم يكن الثاني في الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر في القرآن فهو في نهاية الفصاحة وغاية الملاحة
شعر اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ٭ ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات والحث على مكارم الاخلاق والزهد في الدنيا
والاقبال على الآخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة في هذه المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر
الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء ٭ والقرآن جاء فصيحا في كل فن من فنون الكلام فانظر في الترغيب الى قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وفي الترهيب وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وفي الزجر
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا ٭ وفي الوعظ افرايت ان متعناهم سنين ثم
جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ٭ وفي الالهيات الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب
والشهادة الكبير المتعال ومنها ان القرآن اصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان وعلم الاحوال
وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فانه كما ان الاتيان باقصر سورة منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق طاقة البشر مصراع
فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح ٭ وانما قيل وان كنتم دون واذ كنتم لما عرفت في تفسير لا ريب فيه وانما اختير نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال لان
المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان من عند الله لانزله جملة واحدة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة اي على خلاف ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيئا فشيئا وحينا فحينا حسب ما يعن لهم من الاحوال
المتجددة والحاجات السانحة فقيل لهم ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه اصغر
سورة وهي الكوثر ومعنى السورة مذكور في المقدمة الخامسة وانما قيل على عبدنا دون ان يقال على محمد صلى الله عليه وسلم كقوله والذين آمنوا بما نزل
على محمد تشريفا له عليه السلام واعلاما بانه ممن صح له نسبة العبودية المامور بها في قوله يا ايها الناس اعبدوا واضافة العبد الى الضمير ايضا يوجب ذلك
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وفيه ان السعادة كل السعادة في نسبة العبدية فهي التي توصل الى مقام العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر

[illegible]

القلب بالذكر لانه اشرف الاعضاء واولى بالاحراق ان كان مقترافي درك ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم

فقد العاطف [illegible] استيناف كانه قيل لمن اعدت [illegible] اعدت للكافرين

قال الله عز وجل

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون

[illegible]

الوقف الانهار ط رزقا لا لان قالوا جواب كلما متشابها ط خالدون ه التفسير انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة وانجر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين

شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا على سنته المعهودة من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد والجنة والنار وهل

الان مخلوقتان ام لا ظاهر الآيات من نحو قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين والاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث صلوة الخسوف اني رايت

الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار فلم ار كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا اسكن آدم وحوا الجنة وقد جمع الله تعالى في الآية جميع اللذات

[illegible]

لا يكون هي ذات الذي مرزوقوه في الدنيا والضمير في قوله واتوا به يرجع الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين والغرض في تشابه ثمر الدنيا وثمر الاخرة ان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل وانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة افرط ابتهاجه وطال استعجابه وتبين كنه النعمة فيه فاذا ابصروا الرمانة والنبقة في الدنيا وحجمها ثم ابصروا رمانة الجنة تشبع السكن والنبق كقلال هجر كما يرون الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر في ظهور المزية وكمال الاستغراب في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري من غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه [illegible] ثوابهم في كل الاوقات في القدر والدرجة حتى لا يزيد ولا ينقص واما الآن الانسان اذا التذ بشيء واعجب به لا يتعلق نفسه الا بمثله فاذا جاءوه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية اللذة وعن الحسن ان الاشتباه في اللون فقط قال يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي [illegible] من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها [illegible]

[illegible]

على ثوبه ذرة من النجاسة لا تجوز صلوته [illegible] وعلى قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصي والخلد عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا [illegible] بدليل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ومنكم من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل دام او لم يدم ولو كان التأبيد داخلا في مفهوم الخلد كان قوله تعالى خالدين فيها ابدا تكرارا ويقال [illegible] حبسا مخلدا والحق ان خوف الانقطاع ينغص النعمة وذلك لا يليق باكرم الاكرمين

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ۝ فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم ۝ واما الذين كفروا
بدرستی که خدا ترک نکند که بیان کند صفت داستانی که باشد پشه یا آنچه زیاده از پشه است پس اما آنان که گرویده اند پس میدانند که بدرستی آن داستان حق است از پروردگار ایشان واما آنانکه نگرویدند
فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ۝ وما يضل به الا الفاسقين ۝ الذين ينقضون عهد الله
پس میگویند چه چیز خواست خدای باین چیز که داستان باشد گمراه میکند بسبب آن بسیاری را وراه مینماید بسبب آن بسیاری را وگمراه نمیکند بسبب آن مگر نافرمانانرا آنانکه میشکنند پیمان خدا
من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون ۝
از پس استواری پیمان ومی برند آنرا که فرمود خدای بدان که بپیوندند وتباهی میکنند در زمین آن گروه ایشانند زیانکاران

الوقوف فما فوقها ط من ربهم ج للتفصيل بين الجمل مثلا م لانه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما هو ابتداء اخبار من الله عز وجل جوابا لهم ويهدي به كثيرا ط الفاسقين لا لان الذين صفتهم ميثاقه ص لعطف المتفقين في الارض ط الخاسرون ۝ التفسير لما بين كون القرآن معجزا اورد ها هنا شبهة الكفار وقدح في ذلك واجاب عنها عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب [illegible]

[illegible]

هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك عالم يغترف منه الناس فتنبه بالاغتراف على العالم بانه بحر تسكيت عن المستعار لانك رمزت اليه بذكر شيء من لوازمه والعهد الموثق عهد اليه في كذا اذا وصاه ووثقه عليه والمراد بالفاسقين اما كل من ضل وكفر لانهم نقضوا عهدا ابرمه الله بادلة اياته في الآفاق وفي انفسهم وما ركز في عقولهم من اقامة البينة على الصانع وعلى توحيده وعلى حقية شرايعه بعد ازاحة العلات وازالة الشبهات واما قوم من اهل الكتاب فقد اخذ عليهم العهد والميثاق في الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وبين لهم امره واماراته فنقضوا ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الذي اخذه على جميع ذرية آدم واذ اخذ ربك الاية وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واسم لما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق الله به عهده من اياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطيعة ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم وقطعهم موالات المؤمنين الى موالات الكافرين او قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي يدعو اليه من يتولاه شبه بامر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مأمور وللامر حرف واحد وهو اللام الجازم نحو ليفعل وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل ونزال وصه وقد يستعمل في الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره للوجوب وغيره من الندب والاباحة يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذي ينبغي ان يعاد مقدر تقديره بان يوصل اي يوصله والافساد في الارض اما اظهار المعاصي واما التنازع واثارة الفتن اولئك هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والافساد بالصلاح وعقاب هذه الامور بثوابها ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ۞ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ۞ ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات ۞ وهو بكل شيء عليم ۞

هرچه حال شما كرويد بخداى وحال آنكه بوديد مردكان پس زنده كردانيد شمارا پس ميراند شمارا پس زنده گرداند شمارا پس بسوى حكم او باز گردانيده شويد او آنست كه آفريد براى انتفاع شما هرچه در زمين است همه پس قصد كرد بارادت بسوى آفرينش آسمانها پس تمام كرد خلقت آنها هفت آسمان واو بهر چيزى داناست

القراءات فاحياكم ونحوه بالامالة ... ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم كل القرآن يعقوب وهو ونحوه بسكون الهاء ابو جعفر ونافع وغير ورش وابو عمرو ... الوقوف ترجعون ه سموات ط عليم ه التفسير هذه الآية مسوقة لبيان التعجيب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب ممتنع اجراؤه على اصله فيتولد بمعونة قرائن الاحوال ما ذكرنا ووجهه ان الكفار حين صدور الكفر منهم لابد من ان يكونوا على احد الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالثة فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله ومن المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال والكفر ... من بين سائر الاحوال للكافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا يمكن تصور الكافر بالصانع من انفكاك عن كونه عالما بالله او جاهلا به بخلاف سائر احواله المتقابلة كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفره مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما ينفك العلم بالصانع او الجهل به في الوجود توجه الاستفهام الى ذلك الذي له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام اي حال العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال تنبهه القصة وهي انكم كنتم امواتا نطفا واحياء وستكونون كذا وكذا من الاماتة ثم الاحياء ثم الرجع اليه فينبغي ان يكون الحال حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الكفر فصدور الفعل عمن له صورة اختيار في الترك مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ فكانه قيل ما اعجب كفركم والحال انتم عالمون بهذه القصة وهي انكم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة وهذه مما لا شك فيها لانها من المشاهدات ثم يحييكم حين ينفخ في الصور او حين تسألون في القبور ثم اليه اي الى حكمه ترجعون اي بعد الحشر للثواب والعقاب او من قبوركم وهذه القضايا ايضا مما لا شك فيها لنصب الادلة وازاحة العلة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس ويحتمل ان يقال المراد به خمول الذكر كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ابو نخيلة السعدي واحييت لي ذكري وما كنت خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض ولا يخفى ان الاية بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم ثلاث مرات فاماته الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم وانبياء الله وسلم عليهم واعلم ان هذه الاية دالة على امور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العالم الحي السميع البصير الغني عما سواه ومنها الدلالة على الاحياء والاماتة ايقانا فيبطل قول الدهري وما يهلكنا الا الدهر ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم اي بعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحيوة ثم بين انه لا يترك على هذا الموت بل لا بد من حياة ثانية للسؤال والحشر ثم من الرجوع اليه للثواب او العقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة فانه احياه وصوره فاحسن صورته وجعله بشرا سويا واكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور والقصور ثم انه تعالى يزيل كل ذلك عنه باماتته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا خبر ويبقى مدة مديدة في اللحد ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ينادى فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون شعر تمر اقاربي بجذاء قبري كان اقاربي لم يعرفوني الهي اذا الناس ترى الاجداث مغبرة رؤوسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادية لاهل القيمة سوآتنا فلا تضعف مصائبنا باعراضك عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ولما ذكر الله تعالى في الاية الاولى اصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر اعقبه بذكر ما هو كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ومن التذكر بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتمالها على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والحسنة البهيجة وعلى اسباب الوحشة والالم من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وظاهر الاية لا يدل الا على خلق ما في الارض لاجلهم دون الارض فان اريد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد بها الجهات العلوية جاز ان يراد خلق لكم الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما اي مجموعه والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وان لم يحمل كالشيء الواحد ويندرج فيها جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع الصنائع والحرف وبعضهم يستدل بها على ان الاصل في الاشياء

الاباحة عقلا لكل احد ان يتناولها ويستنفع ويمكن ان يقال بل بهذه الاية والا كان تصرفا في ملك الغير من غير اذنه ولا يلزم من انه تعالى خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بغرض وان كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان عبثا لانه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية علة لعلية فاعله لان ذلك انما اذا كانت فاعليته بالقصد تستكمل بتلك الغاية اما اذا كانت فاعليته بالذات فانه يوجد الشيء ذا الغاية من غير ان تكون الغاية حاملة له على ذلك وهذا دقيق تنبه له من لم يعثر عليه قيل انه تعالى خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشيء اصلا قلنا قابل الكل بالكل فيقتضي مقابلة الفرد بالفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك وايضا ثم يقتضي التراخي فلو كان المراد بهذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا اولا ولم يكن متاخرا عن خلق ما في الارض فيجب التاويل وتقريره انه يقال استوى العود اذا اعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق وهذا كقولك لاخر اعمل هذا الثوب وانما معه غزل على انها كانت دخانا ثم سواها سبع سموات وثم ههنا اما للتراخي في الوقت والمراد انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر كما قلنا او للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات على خلق الارض كقوله فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر وكقوله ثم كان من الذين آمنوا وتغيير هذه الاية في قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين يعني تقدير الارض في يومين وتقدير الاقوات في يومين كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون اي كذا فرسخا يريد ان جميع ذلك هذا العدد ثم استوى الى السماء في يومين آخرين ومجموع ذلك ستة ايام كما قال خلق السموات والارض في ستة ايام فان قيل اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلنا اجاب في الكشاف لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وزيف بان الارض جسم في غاية العظم فيمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وايضا قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء دال على ان خلق الارض وخلق ما فيها مقدم على خلق السماء لكن خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة وقال بعض العلماء في دفع التناقض قوله والارض بعد ذلك دحيها يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية السماء متقدمة على خلق الارض وزيف ايضا بان قوله انتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان يكون خلق السماء وتسويتها متقدما على دحية الارض بل على خلقها لانهما متلازمان وحينئذ يعود التناقض والمعتمد عند بعضهم في دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا انما هو على جهة تعديد النعم مثل ان يقول لغيرك الست قد اعطيتك نعما عظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما اخرته في الذكر متقدم في الوقوع قلت وهذا صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف الى ان ساعده النقل والا فلا احالة في انه تعالى خلق الارض اولا في غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات ثم استوى الى السماء فسويهن سبعا ثم دحى الارض بان جعلها اعظم مما كانت عليه كيفما اراد والله تعالى اعلم والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كربه رجلا وفائدة الابهام اولا ثم البيان ثانيا ان الكلام بهذا اوقع في النفس لان الحصول بعد الطلب اعز من المنساق بلا تعب وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة فالوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض بحسب الحاجات وكفاء المصالح ومقتضى الحكمة والتدبير وهذا عام لم يدخله التخصيص قط وبه يهدم بناء من زعم انه غير عالم بالجزئيات لانه لو لم يعرف تفاصيلها لم يكن مخلوقا له على غاية الاتقان والاحكام فسبحانه من خبير يعلم النملة في الاجواف والدرة في الاصداف والقطرة في البحر وعلى ... نظام العالم وبه يحصل قوام مناجح بني آدم ثم ان النقل قد دل على وجود سبع سموات وتخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد فاثبت اهل الارصاد تسعة افلاك على ما استقر عليه رايهم اولها من الجانب الاعلى المحرك اليومية لان هذه الحركة تشمل جميع الاجرام فيجب ان يكون فلكها حاويا للكل وثانيها للثوابت جميعا تحديدا لادنى الدرجات لاتحاد الحركات وان كان كونها على افلاك شتى جائزا والسبعة الباقية للسيارة السبعة جميع ذلك بوجود اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب كسف بعضها بعضا اولها مما يلينا للقمر ثم لعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشتري ثم لزحل لكن الفلك على حدة بحركة حركة الخاصة ويكون الثوابت ... ممتثل زحل وبالجملة فلم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية اعداد السموات على ما هي عليه لا بالعقل ولا بالنقل وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر والله تعالى اعلم

واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ۞ قال اني اعلم ما لا تعلمون ۞

ويادكن اى محمد وقتى كه گفت پروردگار تو فرشتگانرا بدرستى كه من آفريننده‌ام در زمين ... گفتند آيا ميكنى در زمين كسى را كه تباهى كند در آن زمين وبريزد خونها ناحق را وما تسبيح ميكنيم بستايش تو وپاكى ياد ميكنيم براى تو گفت خداى بدرستى كه من ميدانم آنچه نميدانيد شما از مصالح در آفرينش آن خليفه

القراءات خليفة واشباهها بالامالة عند الوقف ابو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي الا ان يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف نحو خاصة وقبضة وحطة وغلظة وصبغة وصاخة وشقة واما العين والحاء والراء ففي الحلق من اهل المدينة فاشد امالة حمزة وعلي فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب اني اعلم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف خليفة ط بناء على ان عامل اذ محذوف اي اذكر ومن جعل قالوا عامل اذ وصل الدماء ج لان انتهاء الاستفهام على قوله ويسفك الدماء يقتضي الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال في قوله ونحن نسبح يقتضي الوصل ونقدس لك ط ما لا تعلمون ه التفسير هذا ابتداء الاخبار عن كيفية خلق آدم وعن كيفية تعظيمه اياه فينخرط في سلك ما تقدمه من النعم فان النعمة على الآباء نعمة على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرفية اي اذكر وقت قول ربك كقوله واذكر اخا عاد اذ انذر اي وقت انذاره وعلى انه بدل من اخا عاد لان الذكر في ذلك الوقت ممتنع والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل واحد من بني آدم ونحو ان ينتصب بقالوا فيكون للمحاذاة والملائكة جمع ملأك واصله مألك بتقديم الهمزة من الالوكة وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك وجمع على فعائل مثل شمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها على اللام والحاق تاء التانيث للجمع نحو صحاة وقد لا تجيء واعلم ان الملك قبل النبي بالشرف والعلية كان لعدو في عقول وان ما يناوئه يجعله الله واسطة بينه وبين رسله في تبليغ الوحي والشريعة وقدم ذكر الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء في ان شرف العالم العلوي بالملائكة كما ان شرف العالم السفلي بوجود الانبياء فيه والناس في حقيقة الملائكة

مذهب الناس في حقيقة الملائكة

مذاهب منهم من زعم انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وهو قول اكثرهم
عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس وانها احياء ناطقة فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب
ومنهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر
النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا يبلي وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة لا
على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضيء وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ❁ ومنهم القائلون بانها
جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم طوائف من النصارى انها هي النفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت
خبيثة كثيفة فالشياطين وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما نسبتها الى النفوس
البشرية نسبة الشمس الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت انواعا اخر من الملائكة وهي الارضية المدبرة لاحوال
العالم السفلي خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل على ما ذهب اليه يطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة المكاشفة
واصحاب الحاجات والضرورات من جهة مشاهدة الآثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة وتركيب المعجونات واستخراج صنعة الترياقات
كما يحكى ان جالينوس وجع في الكبد فرأى في المنام كان آمرا يأمره ان يفصد الشريان الذي على ظهر الكف اليمنى بين السبابة والابهام ففعل فعوفي وكما يدل على ذلك
حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء عليهم السلام في اثبات الملائكة وذلك كالامر المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال صلى الله عليه وسلم
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء
كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوان البحر وكلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة الثانية وعلى هذا الترتيب
الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة
الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيها فانها كلها تكون شيئا يسيرا وقدرا قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك
ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم الا الله ثم
مع هؤلاء ملائكة الروح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبرئيل عليه السلام وكلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون عن عبادته
ولا يسأمون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم اكابر الملائكة جبرئيل صاحب الوحي والعلم وميكائيل صاحب الرزق
والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم
الموكلون ببني آدم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا العالم والصافات صفا واما اوصافهم فكما قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه منهم سجود
لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء
على وحيه والسنة الى رسله والمختلفون بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة
من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين
من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم انه
روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه انه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تعالى لما اسكن الجن الارض فافسدوا فيها وسفكوا
الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند من الملائكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر ❁ فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة وقال الاكثرون
من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة من الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان
معناه مصير في الارض خليفة واما لم يقل اني خالق كما قال اني خالق بشرا من طين لانه باعتبار الخلافة من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها
ما بين الخافقين وقد يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض ههنا ارض مكة لانها دحيت الارض من تحتها ❁ والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه اسم
يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه خلائف مثل كريمة وكرائم وجاء خلفاء لانهم جمعوه على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء ❁ والمراد به آدم عليه السلام
اما لانه صار خليفة لاولئك الجن الذين تقدموه ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه واما لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو المروي عن ابن عباس والسدي وعن الحسن ان المراد بالخليفة ابناء آدم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله
وهو الذي جعلكم خلائف الارض وانما وحد بتأويل من يخلف او خلفا يخلف وبالحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات
والسماويات والارضيات ولا يخلفه شيء منها اذ لم يجتمع في شيء منها ما اجتمع فيه وليس للعالم مصباح يضيء بنار نور الله فيظهر انوار صفاته خلافة عنه
الا مصباح الانسان لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكوة الجسد وفي زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضيء من صفاء
العقل ولو لم تمسسه نار النور في مصباح السر فتيلة الخفي فاذا استنار مصباحه بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل والاحسان
والرأفة والرحمة واللطف والقهر ولانه تظهر هذه الصفات الا على الملك فاعلم والفائدة في اخبار الملائكة بذلك اما تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان
هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك واما ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجابوا ❁ واعلم ان الجمهور من علماء الدين على ان الملائكة كلهم معصومون عن جميع
الذنوب لقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون فلا شيء من المامورات بل من المنهيات لان المنهي مامور بتركه الا ويدخل فيه بدليل صحة الاستثناء
وايضا لقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى غير ذلك من الآيات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم
قالوا اتجعل والاعتراض على الله من اعظم الذنوب ❁ وايضا نسبوا بني آدم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر ❁ وايضا مدحوا انفسهم
بقولهم ونحن نسبح بحمدك وهو عجب ❁ وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب ❁ وايضا قوله ان كنتم صادقين دل على انهم كانوا كاذبين
فيما قالوه ❁ وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات يدل على انهم كانوا مرتابين في انه تعالى عالم بكل المعلومات ❁ وايضا علمهم بالافساد
وسفك الدماء اما بالوحي وهو بعيد والا لم يكن لاعادة الكلام فائدة ❁ واما بالاستنباط والظن وهو منهي ولا تقف ما ليس لك به علم ❁ وايضا قصة هاروت
وماروت وان ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان غرضهم من ذلك السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيهه على شيء
لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان قاطعا بحكمة غيره ثم رآه يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الانسان
الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكأنهم قالوا اعطاء هذه النعم العظام من يفسد ويسفك لا تفعله الا لوجه دقيق وسر غامض فما ابلغ حكمتك
ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكأنه قيل الهنا انت الحكيم الذي لا تفعل السفه البتة وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين

الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا به على ان الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى وكانوا على مذهب اهل العدل قالوا ومما يؤكد ذلك انهم اضافوا
الفساد وسفك الدماء الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام ونقدس والتقديس تنزيه افعاله عن صفة الذم ونعت
السفه ❁ ومنها ان الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة نظروا الى الشرور فاجابهم الله تعالى بقوله اني
اعلم ما لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لاجل الشرور القليلة وهذا جواب الحكيم ❁ ومنها ان سؤالهم كان على وجه المبالغة في اعظام الله تعالى
فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه ❁ ومنها ان قولهم اتجعل مسألة منهم ان يجعل الارض او بعضها لهم ان كان صلاحا كقول موسى اتهلكنا
بما فعل السفهاء اي لا تهلكنا فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم وصلاح هؤلاء فبين ان اختار لهم السماء ولهؤلاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله له
ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج الايجاب كقول جرير ❁ الستم خير من ركب المطايا ❁ اي انتم كذلك والا لم يكن مدحا فكأنهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح
بحمدك لانا نعلم اجمالا انك لا تفعل الا الصواب والحكمة فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل وانا اعلم ظاهرهم وما في باطنهم من الحكمة
الخفية التي تقتضي ايجادهم وفيه ان استحقاق تلك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين كما انه لا يضره معصية
المذنبين والجواب عن الغيبة ان من اراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال فلذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب ان مدح النفس
غير ممنوع منه مطلقا واما بنعمة ربك فحدث فكأنهم قالوا ما سألناك للقدح في حكمتك يا رب فانا نعرف كمال الهيبة والحكمة بل لطلب وجه الحكمة وعن الاعتذار
انه لم يكن للذنب بل ان ترك السؤال كان اولى ❁ ويروى عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق آدم اختلف الكلام بين الجماعة همست الملائكة فيما بينهم وقالوا
ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا اعظم منه واكرم عليه فلما خلق آدم عليه السلام وفضله عليهم وعلمه الاسماء كلها قال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم
صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه ففزعوا الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك
وجوها منها انهم قالوا ذلك ظنا اما لانهم قاسوه على حال الجن الذين كانوا قبل آدم عليه السلام في الارض وهو مروي عن ابن عباس والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا
انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد والغضب الذي منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين
ويروى عن ابن مسعود وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في
الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وانه تعالى كان قد اعلم الملائكة انه اذا كان في الارض
خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء او انه لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك او ان الخليفة اذا كان معناه الحكم
والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام ❁ وقيل لما خلق الله النار
خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن في الارض خلق البتة فلما قال اني جاعل
في الارض خليفة عرفوا ان المعصية منهم تظهر واما قصة ابليس وهاروت وماروت فسيجيء الكلام فيها واختلف الناس في ان الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشرور
ام لا فالفلاسفة وكثير من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر ❁ والمعتزلة اثبتوا لهم قدرة على الامرين لان قولهم اتجعل اما معصية او ترك اولى وعلى التقديرين
فالمقصود حاصل وايضا قال ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم مزجورين وقال لا يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار
انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب واقول في نحن نسبح للحال كقولك
احسن الى فلان وانا احق بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد والتبعيد عن السوء اما في الذات
ويحصل بنفي الامكان المستلزم لنفي الجسمية والعرضية والضد والند واما في الصفات بان يكون مبرأ عن العجز والجهل والتغير محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات
واما في الافعال بان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى انا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون انا الغني
عن الكل سبحانه هو الغني انا الذي كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة والولد سبحانه ان يكون
له ولد انا الذي اخلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون انا الذي سخرت الانعام القوية للبشر الضعيف سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا
له مقرنين انا الذي اعلم العالمين والارشاد للمرشدين سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انا الذي اغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان اردت رضوان الله فسبح ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وان اردت الخلاص من النار فسبح سبحانك
فقنا عذاب النار وان اردت الفرج من البلاء فسبح لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايها العبد واظب على التسبيح وسبحوه بكرة واصيلا والآثار
يعود اليك فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون تسبح له الحجر والمدر والرمال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات
والانوار والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله ما في السموات والارض وان من شيء الا يسبح بحمده ❁ ايها العبد انا الغني
عن تسبيح هذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب التسبيح ولا اضيع ثواب هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
باطلا لكني اوصل ثواب هذه الاشياء اليك لتعرف ان من اجتهد في خدمتي اجعل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان
في جوف الماء ايها العبد ذكري بالعبودية تنتفع به لا انا سبحان ربك رب العزة فانك اذا ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الفلوات والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما اذكروني وان كنت انا الغني حتى ارد الواحد عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم لا حاجة لي الى العسكر
ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن اذا نصرتني انصرك ان تنصروا الله ينصركم اخدمني ايها الانسان اعبدوا ربكم لا لاني احتاج الى خدمتك فاني انا الملك ولله ملك
السموات والارض ولكن اصرف في خدمتي عمرا قصيرا لتنال ملكا كبيرا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة
في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم قوله بحمدك في موضع الحال اي نسبحك متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل فقال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده ويروى ان اهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان
ذي الملك والملكوت واهل السماء الثانية قيام الى يوم القيمة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون سبحان الحي
الذي لا يموت ❁ وعن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما نسبح اي نصلي والتسبيح الصلوة وعن مجاهد نقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء
لمرضاتك وقيل نطهر قلوبنا عن الالتفات الى غيرك حتى تصير مستغرقة في انوار معرفتك اني اعلم ما لا تعلمون معناه لا تتعجبوا او لا تعجبوا بان فيهم من يفسد ويسفك
فاني اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره او اعلم ان معكم ابليس وفي قلبه من الحسد والكبر والنفاق ما فيه او انكم لو وصفتم انفسكم بهذه المدائح فانتم في تسبيح
انفسكم لا في تسبيحي اصبروا حتى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبدني ثم يخشوني يؤدون حق العبادات ثم لا يتكلون على تلك الطاعات انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم والذين هم من خشية ربهم مشفقون والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين او اعلم المصالح في ذلك فهو خفي

عليكم ولكم في هذا الاجمال يغنيكم عن التفصيل فان افعالي كلها حكمة ومصلحة وان خفي عليكم وجه كل واحد على انه قد تبين لهم بعض ذلك في قوله والله اعلم بالصواب

وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك

وبياموزانيد مر آدم را نامها همه پس عرضه كرد ايشان را بر فرشتگان پس گفت خبر دهيد مرا بنامهاى اين چيزها اگر هستيد راست گويان گفتند پاكى مر ترا

لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم

هيچ دانش نيست ما را مگر آنچه آموزانيدى ما را بدرستى كه تو دانا و درست كار گفت خداى اى آدم آگاه كن ايشان را بنامهاى اين چيزها پس چون آگاه گردانيد ايشان را

باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون

بنامهاى ايشان گفت خداى نگفتم مر شما را كه من ميدانم نهانى آسمان را و زمين را و ميدانم آنچه را كه آشكارا ميكنيد و آنچه را كه هستيد كه نهان ميداريد

القراءات انبئوني وكذلك خاطئون وخاسئين وفالئون ونحن المنشئون وليطفئوا وليواطئوا ومتكئين وقل استهزئوا ومتكئا ويستنبئونك وربئه ويربون ... وكذلك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو ... هؤلاء ان ... صادقين ... الحكيم ... انبئهم باسمائهم ...

التفسير ... الاول للاشعري والجبائي والكعبي على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الالفاظ وتلك المعاني وبان تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعاني بدليل قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها لا علم لنا الا ما علمتنا ...

تنفر عن الفسق ودل الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغي للشريف ان يأنف منه وان كان اميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذي يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم
ممن هو اعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشياء علم آدم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتني
من تأويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى عليه السلام التورية والانجيل
ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم آدم كان سببا لحصول السجدة وعلم الخضر
كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى ويوشع وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة
عن امه وعلم محمد صلى الله عليه وسلم لوجدان الشفاعة ثم من علم اسماء المخلوقات وجد آدم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته ايجد تحية الملائكة سلام قولا من رب
رحيم والخضر بعلم الفراسة وجد صحبة موسى فامة محمد بعلم الحقيقة لا يجدون صحبة محمد صلى الله عليه وسلم فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين ويوسف
بتأويل الرؤيا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتأويل كتاب الله لا ينجو من حبس الشبهات ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وايضا فان يوسف عليه السلام ذكر
منة الله على نفسه حيث قال وعلمتني من تأويل الاحاديث فانت يا عالم اما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك مفسر كلامه ووارثا لنبيه
وداعيا لخلقه وواعظا لعباده وسراجا لاهل بلاده وقائدا الخلق الى جنته وثوابه وزاجرا لهم عن ناره وعقابه كما جاء في الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة
ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء روى عن نافع بن الازرق قال لابن عباس كيف اختار الهدهد لطلب الماء قال لان الارض
له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع ان الفخ يغطى له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضاء عمي البصر وقال لولده يا بني عليك
بالادب فانه دليل على المروة وانس في الوحشة وصاحب في الغربة وزين في الحضر وصدر في المجالس ووسيلة عند انقطاع الوسائل وغنى عند العدم
ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر على ان يخدمك فيه احد كما تجد من يخدمك في سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك
ولا يقدر احد على سلبه عنك وقيل لبعض الحكماء لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه فقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه ومن كلام
الحكماء عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا في عينك وكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد ولا تلم احدا على فعل يمكن ان يعتذر منه ولا ترفع شكايتك الا الى من ترجى
نفعه عندك حتى تكون حكيما فاضلا وبعضهم آفة الزعماء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة واما النكت فالمعصية عند الجهل لا يرجى زوالها وعند
الشهوة يرجى زوالها انظر الى زلة آدم فانه بعلمه استغفر وابليس عصى وبقي في الغي ابدا لان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف عليه السلام لما صار ملكا احتاج
الى وزير فسأله جبريل عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فرآه في اسوء الاحوال فقال لجبريل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله فقال جبريل ان ربي عينه
لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من ذب عن يوسف استحق الشركة في مملكته فمن
ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل اراد واحد خدمة ملك فقال الملك اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما
شرع في التعليم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال اترك التعلم فقد صرت اهلا لخدمتي فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك وحين رأيتني
اهلا لخدمتك رأيت نفسي اهلا لخدمة الله وذلك لاني كنت اظن ان الباب بابك لجهلي والآن علمت ان الباب باب الرب وقال حكيم القلب ميت وحياته
بالعلم والعلم ميت وحياته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم
بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا آخر له وان نملة واحدة نالت الرياسة بسبب واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة الى تنزيه الانبياء عن تعمد
ايذاء البرئ من غير جرم فقالت لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم حقائق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين
والدنيا وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة اذا تلوثت بغبار المعصية كيف لا تطهر ببركة العلم باسمائه
وبصفاته واذا كان السارق عالما لا يقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا الشارب يقول حسبته حلالا وكذا الزاني يقول تزوجتها فانه لا يحد واما ما
فيحكى ان هرون الرشيد كان بحضرته فقهاء فيهم ابو يوسف فاتي برجل فادعى عليه آخر انه اخذ من بيتي مالا بالليل ثم اقر الآخذ بذلك في المجلس فاتفق العلماء
على انه تقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لابد من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا للآخذ
اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف لا قطع لانه وان اقر بالسرقة لكن بعدما اوجب الضمان عليه باقراره بالاخذ فاذا اقر بسرقة
بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره وعن الشعبي كنت عند الحجاج فاتي بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا في الحديد
فقال الحجاج انت زعمت ان الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلى فقال الحجاج لتأتيني بها بينة واضحة من كتاب الله او لاقطعنك
عضوا عضوا فقال آتيك بها بينة واضحة من كتاب الله يا حجاج فتعجبت من جرأته بقوله يا حجاج قال ولا تأتيني بهذه الآية ندع ابناءنا وابناءكم فقال آتيك بها واضحة
من كتاب الله فقال تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى قال فمن ابو عيسى فقد الحق عيسى بذرية نوح قال فاطرق مليا
ثم رفع رأسه فقال كاني لم اقرأ هذه الآية من كتاب الله خلوا وثاقه واعطوه من المال كذا وحكي ان جماعة من اهل المدينة جاؤا الى ابي حنيفة رضي الله عنه ليناظروه
في القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم قالوا نعم
قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم قال وان ناظرته والزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف
قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولنا قال ابو حنيفة رضي الله عنه ونحن لما اخترنا الامام في الصلوة فقراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم وحكي ان
المنصور دعا ابا حنيفة رحمه الله يوما فقال الربيع وهو يعاديه يا امير هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جائز وابو حنيفة ينكره فقال ابو حنيفة هذا الربيع
يقول ليس لك بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل بيعتهم فضحك المنصور فقال يا ربيع
وابا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت في دمي قال كنت البادي وحكي انه دخل اللصوص على رجل واخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثا ان لا يعلم احدا
فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه فجاء الرجل يشاور ابا حنيفة فقال احضرني امام مسجدك واهل محلتك فلما احضرهم
جمعهم في دار واحدة واخرج واحدا واحدا وقال للرجل ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت فلما سكت قبض على اللص ورد الله عليه جميع ما سرق منه وحكي انه
كان في جوار ابي حنيفة رحمه الله فتى يغشى مجلس ابي حنيفة فقال يوما اني اريد التزوج من آل فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض
وادخل عليها فان الله يسهل الامر عليك بعد ذلك فاقرضه ابو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد
وانك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل ذلك فاشتد على اهل المرأة وجاؤا الى ابي حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم له ذلك والطريق ان ترضوه بان تردوا
عليه ما اخذتموه فاجابوا اليه فقال الزوج اني اريد شيئا آخر فوق ذلك فقال له ابو حنيفة ترضى بهذا والا اقرت المرأة لرجل بدين فلا يمكنك المسافرة بها حتى تقضي دينها
فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضي بذلك وحصل ببركة علم ابي حنيفة رحمه الله فرح كل واحد من الخصمين وسئل ابو حنيفة رحمه الله عن رجل حلف ليقربن امرأته في نهار

رمضان

رمضان فلم يعرف احد وجه الجواب فقال يسافر بامرأته فيطأها نهارا في رمضان وقال المريسي للشافعي كيف تدعي انعقاد الاجماع مع اهل المشرق والمغرب
والمغرب على شيء واحد وكان هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على خلافة هذا الجالس فاقر به خوفا من القتل وحكي ان اعرابيا سأل
الحسين بن علي رضي الله عنهما حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسألوها من احد اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل القرآن او صاحب الوجه
الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدأبكم وسيرتكم واما القرآن ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اردتم
ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين فقال ما حاجتك فكتبها على الارض فقال سمعت ابي عليا يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة فاسألك
عن ثلاث مسائل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلاثة فلك كل ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة
مختومة من العراق فقال سل ولا حول ولا قوة الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله فقال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال
علم معه حلم قال فان اخطأه ذلك قال فمال معه كرم قال فان اخطأه ذلك فقال ففقر معه صبر قال فان اخطأه ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك
الحسين ورمى بالصرة اليه واما الوجوه العقلية فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم
يرضاه الشهوة والعقل وهو العلم والجنة وقسم لا يرضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد فاز بجنة
حاضرة وكما يعيش يموت وكما يموت يبعث ومنها ان اللذة ادراك المحبوب وكلما كان المدرك اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم ومدرك العقل هو الله تعالى
وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع احكامه واوامره واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا الم ولا نقصان
مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
كانه قال كنت في اول خلقتك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في آخر حالك في غاية الشرف وايضا ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه
انما استحق الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية واعظم موهبة ومنها انه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل الخشية و
اهل الخشية اهل الجنة لقوله جزاؤهم عند ربهم جنات عدن الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس اهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة انما
المفيدة للحصر ولاجل لام الاختصاص في لمن خشي والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية ان من لم يكن عالما بالشيء استحال ان يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات
لا يكفي في الخوف بل لابد معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعالهم القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه و
ثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند السلطان عالم بكون
السلطان قادرا على منعه عالما بقبائح افعاله لكنه يعلم انه قد رضي بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد من الله تعالى لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما
بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم العلم بالله وبهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا امر حبيبه صلى الله عليه وسلم
بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما وكم كيف نبي الله موسى باعلميته قال الخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر
بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان بقوله احطت بما لم تحط به وكذا الرجل الا فطا اذا تعلم العلم صار
نافذ القول على السلاطين وما ذاك الا ببركة العلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وذلك ان التفكر يوصلك الى الله
والعبادة توصلك الى ثواب الله وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال لموسى عليه السلام
عظم الحكمة فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة واما الزبور فقال سبحانه قل
لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا فالعقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلث
مراتب ما جعلت واحدة منهن في واحد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا ان الخشية لا تحصل الا مع
العلم والموصوف بامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا قدم العالم على العاقل لان العالم لابد وان يكون عاقلا واما العاقل فقد لا يكون عالما
فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمرة واما الانجيل فقد قال عز من قائل في السورة السابعة عشرة منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار
اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم فلا نعمل ولكن
قولوا نرجوا ان نعلم فنعمل والعلم يشفع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه وان الله تعالى يقول يوم القيمة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا
فيقول اني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي الى جنتي برحمتي وبالجملة فكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء ضرورة
ولذلك لو قيل للرجل العالم يا جاهل تأذى بذلك وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك والعلم اينما وجد
كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا رأى الانسان احتشم بعض الاحتشام وانزجر بعض الانزجار وان كان ذلك الحيوان اقوى بكثير
من الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا وكانوا روساء بالطبع على من دونهم في العلم وان كثيرا منهم كانوا يعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم
عليه القى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له شعر لو لم تكن فيه آيات مبينة لكانت بداهته تنبئك عن خبر وما فضل الانسان على سائر الحيوان
الا لاختصاصه بالمرتبة النورانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق الاشياء والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا اخرج يده
لم يكد يراها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر
والعرض والجوهر الى البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها وانواع انواعها والى اجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز
ويعرف اثر كل شيء ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليته وجزئيته فيصير كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها وانه في عالم الارواح
كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا وواسطة بين الله وعباده ولهذا لم يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب و
القدم والاستغناء عن المكان والحيز جوابا للملائكة وموجبا لسكوتهم وانما جعل صفة العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وكذا اظهر فضيلة آدم بالعلم بعد افتخارهم
بالتسبيح والتقديس وان ابراهيم اشتغل في اول امره بطلب العلم مستقلا بفكره من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بجابه والبرهان الظاهر الى المقصود
وهو الملة الحنيفية وان الله تعالى سمى العلم تارة بالحيوة اومن كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وتارة بالنور يهدي الله
لنوره من يشاء وضرب المثل في العلم بالماء انزل من السماء ماء فعلم التوحيد كالعين لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر كذلك لا ينبغي طلب كيفية الله كيلا يفضي الى الكفر
وعلم الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهواء كذلك علم الزهد صاف ويتكدر بالطمع وعلم البدع كماء السيل
يهلك الاحياء ويميت الخلق واما الاخبار والآثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه او طلب العلم لغير ذات الله فمنها انه صلى الله عليه وسلم قال لا تجالسوا العلماء الا اذا
دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد وقال صلى الله عليه وسلم

الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم عن عدي بن حاتم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بناس يوم القيمة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع احد بمثلها ويقولون ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريناما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم لي بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تضمرون عليه في قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي ولم تتركوها لي كنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم وقيل اطلب اربعة في اربعة من الموضع السلامة ومن الصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من الصاحب الزيادة فالكلب خير واذا لم تجد من المال الفراغة فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه وقيل لا يتم اربعة اشياء الا باربعة اشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا يتم المروة الا بالتواضع ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لجابر بن عبد الله الانصاري قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع آخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه فاذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة وقيل اذا وضعت على سواد عينك جزءا من الدنيا لا ترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا **البحث الرابع** في حد العلم الاشعري العلم ما يعلم به وربما قال يصير الذات به عالما القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه القفال اثبات المعلوم على ما هو به والكل دائر المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لسكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج علم الله تعالى عنها فانه لا يطلق هناك النفس وفيه مفاسد اخر يطول ذكرها هنا وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل الاصح الحد وصفه توجب تمييزا لا يحتمل النقيض والحق في هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كل ما يقع في ذلك النور فهو مدركه وكذا البصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهكذا ادراكات جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد النفس نورية وشروق ازداد انبساط فيقع فيه المعلومات اكثر وهذا يكون الحال في كل سنكل اذا كان العالم بحيث يكون كالالة الممكنة له موجودة سعة بالفعل فلا يزداد نورية ولا يتجاوز مرتبة في العلم وما منا الا وله مقام معلوم ثم ان كان الكمال والنور بحيث لا يكمل منه ولا انور كان جميع الاشياء واقعة في نوره بل يكون نوره نافذا في الكل مستغرقا فيها محيطا بها ازلا وابدا لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وههنا اسرار اخر لا يجوز التعبير عنها لعزتها يتفطن لبعضها من وثق بها من اهلها **البحث الخامس** في الالفاظ تقرب من العلم الاول الادراك وهو الوصول لان القوة العاقلة تصل الى حقيقة المعقول الثاني الشعور فهو ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى الثالث التصور مشتق من الصورة فكان حقيقة المعقول حلت في العاقلة حلول الشكل في المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة في العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة التفات النفس الى خالقها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها الا ان يكون مسبوقا بالزوال قال الله تعالى يعلم اني لست اذكره اذ لست انساه ويوصف القول بانه ذكر لانه سبب حصول المعنى في النفس قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر السابع المعرفة وقد اختلفوا في تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق ومن جعل العرفان اشرف من العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية وقال بعضهم من ادرك شيئا وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذي ادركه ثانيا هو الذي كان قد ادركه اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معترفة بالربوبية الا انها في ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت من قيد العلاقة عرفت ربها وعرفت انها كانت عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشيء من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يفقهون على المقصود الاصلي من التكاليف العاشر العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصها ونفعها وضرها حتى يبصر بالنافع من الفعل تارة ومن الترك اخرى فيجري ذلك مجرى عقال الناقة ومن هنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله امره ونهيه الحادي عشر الدراية وهي المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهي ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى الثاني عشر الحكمة وهي اسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي واخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وقيل هي الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك ان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وفعله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال من لوث الصلصال بورود رائد الوصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والآراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه يجري مجرى التضرع الى الله تعالى في استنزال العلوم من عنده السادس عشر الحدس وهو قوة النفس بها تهتدي بسرعة الى الحد الاوسط في كل قياس يز الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه في الغاية القصوى من ذكت النار اشتعلت يح الفطنة وهي التنبه لشيء قصد تعريضه كالاحاجي والرموز يط الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حق او خطاء ك الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة الام وعداوة الذئب كا الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قبل هو حرج وعليه مدار اكثر احوال العالم وان كان عن امارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم كب الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك في النوم قد يخص باسم الطيف كج البديهة وهي المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات كد الروية وهي ما كان من المعارف بعد فكر كثير كه الكياسة وهي تمكن النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت كو الخبر وهو معرفة تحصل بطريق التجربة وجدت الناس اخبر تقله كز الراي وهو اجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها انتاج المطلوب ويقال للقضية المستنتجة من الراي راي والراي للفكرة كالالة للصانع ولهذا قيل اياك والراي الفطير كح الفراسة وهي اختلاف المعارف من توسل السبع الشاة نفرت منها يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب الا صفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان في امتي لمحدثين وان عمر منهم وقد يسمى النفث في الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل افمن كان على بينة من ربه اشارة الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثاني **التاويل** عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق آدم فتجلى فيه فبالتجلي علمه التخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المراة تكون خليفة المتجلي فيه انبؤني باسماء هؤلاء اي باسماء المخلوقات دون اسماء الله وصفاته ان كنتم صادقين في دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان

الناظرين

والله اعلم

وكيف ذكره

ذرات

وذرات الموجودات مسبحات بحمدي وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا ثم عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال انبئهم ولم يقل علمهم كقوله وعلم آدم لان الملائكة ليس لهم الترقي في الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا ولا يتجاوزون عن ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبرئيل عليه السلام لو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيكفي انباؤهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانات بالنسبة الينا واما الالهيات فليس لهم استعداد الترقي اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمائهم كلها لئلا يكون تكليفا بما لا يطاق وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه في انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى يظهر على الشجرة كذلك آدم عبر على اجزاء شجرة الوجود فكان في كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل من ذلك اسم باسمه حتى ان اسماء الله تعالى جارات على وفقه فضلا عن اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان رازقا ولما كان عبدا كان معبودا ولما كان معيوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان مستغفرا كان غفارا ولما كان مظلوما كان منتقما وعلى نفس ما بعده اعلم

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ۝ وقلنا يا آدم اسكن أنت و

زوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ۝ فأزلهما الشيطان

عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ۝

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ۝ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى

فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

القراءات للملائكة اسجدوا برفع التاء للاتباع يزيد وقتيبة وروى ابن مهران عنهما اشمام الكاف الكسر ورفعها الهاء وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة الملائكة بغير همزة وكذلك كل كلمة في وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين والسائل والبائس فانهما بالهمزة شئتما وبابه بغير همزة ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف فازالهما حمزة آدم بنصب كلمات برفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداي وحياي ومثواي بالامالة كل القرآن على غير ليث النار بالامالة كل القرآن وكذلك كل كلمة في آخرها راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قرأها على غير ليث وابي حمدون وحمدويه والبخاري عن ورش وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمير وابو عمرو الا انه لا يميل الجار والغار وفي بعض الروايات فروى ابراهيم بن حماد عن اليزيدي الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن اليزيدي الغار بالامالة وسائر الروايات عنه بالتفخيم لغلبة دورهما واختلفوا في وقف ابي عمرو في مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد والحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة بن عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر **الوقوف** ابليس ط لانه معرف والجملة بعده لا تكون صفة الا بواسطة الذي ولا حال فيجعل الجملة حالا الكافرين ۝ شئتما ص لاتفاق الجملتين الظالمين ۝ كانا فيه ص لعطف الجملتين المتفقتين عدو ج لاختلاف الجملتين حين لا فتاب عليه ط الرحيم ۝ جميعا ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون ۝ النار ج لان ما بعده ابتداء وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لاولئك لان تمام المقصود بوعيد هو الخلود ومثل ربان حلوا حامض خالدون ۝ **التفسير** لما خصص الله تعالى ابانا آدم بالخلافة ثم علمه من العلم ما ظهر بذلك مزيته على جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجود الهم وهذا مقتضى بهذا ظاهر الا ان قوله في موضع آخر فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين يقتضي ان يكون الامر بالسجود قبل تسوية خلقه وانه كما صار حيا صار مسجود الهم وتعليم الاسماء ومناظرته مع الملائكة في ذلك حصل بعد سجدتهم والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين اجمعوا على ان ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يامر بالكفر والعبادة لغيره كفر فزعم بعض ان السجود كان لله تعالى وآدم كالقبلة لقوله اسجدوا لآدم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت شعر ما كنت اعرف ان الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابي حسن اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم آدم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه اعظم حالا من الساجد وزعم آخرون ان المراد بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغير والصحيح الاول ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة في قوله تعالى وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ويجوز ان يختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف المليون في ان ابليس من الملائكة ام لا فقال اكثر المتكلمين ولا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان من الجن فلا يكون من الملائكة وايضا قال ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبان كان يحتمل ان يكون بمعنى صار والثاني بانه لا يلزم من كون الجن في الآية نوعا مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى اصل اللغة وهو الاستتار قالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لها لانها تحصل من الذكر والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن كذلك وايضا انه من النار خلقتني من نار وانهم من النور كما قال صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل لقوله جاعل الملائكة رسلا ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالته حجة الآخرين انه استثناه من الملائكة وحمله على المتصل اولى وان تخصيص العمومات في كتاب الله اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جني واحد مغمور بين الوف من الملائكة فغلبوا عليه وهذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا واجيب بان التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار وانه ليس كذلك لانه معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وايضا لو لم يكن من الملائكة لم يتناوله الخطاب باسجدوا وحينئذ لم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشأ معهم والتصق بهم فتناوله الامر لما بين في اصول الفقه ان خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الذكور والاناث ولا ان يقال انه وان لم يدخل في هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ آخر ما حكاه

في القرآن بدليل قوله ما منعك ان تسجد اذ امرتك لان قوله تعالى ابى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا اشعر بان المخالفة بسبب هذا الامر وانما
عن الجانبين ومما يناسب تفسير الاية الكلام في ان البشر افضل من الملائكة ام بالعكس قال اكثر اهل السنة بالاول وقالت المعتزلة والشيعة الى الثانية
واختاره الباقلاني وابو عبد الله الحليمي من فقهاء اهل السنة والمعتزلة احتجوا بامور احدها ومن عنده لا يستكبرون وليس المراد عندية المكان والجهة بل
عندية القرب والشرف وعورض بقوله سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي بل هذا ابلغ لان كون الله تعالى عند العبد ادخل في التعظيم من كون العبد عنده
قالوا الاية تدل على انه تعالى يقول للملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم من الهرم والمرض والآفات يتركون العبودية لحظة
واحدة والبشر مع رعاية ضعفهم وقصورهم اولى بذلك واجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الافضلية بمعنى كثرة الثواب وثانيها عبادتهم
اشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله صلى الله عليه وسلم لعايشة اجرك على قدر نصبك ولقوله افضل العبادات احمزها اي اشقها واما بيان
ان عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنان ومتنزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون الى نعيمها ويقبلون على طاعتهم خائفين وجلين و
كانه لا يقدر احد من بني آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ويؤكده قصة آدم فانه اطلق له
في الجنة جميع الاشجار الا شجرة واحدة ومع ذلك لم يملك نفسه والثاني ان انتقال المكلف من نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام الى طعام والاقامة
على نوع واحد يورث السآمة وهذا شان الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا وعورض الوجه الاول بان ههنا
مجمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك فان العبيد والخدم يطيب قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر على احد منهم
على مشقة الخدمة الا من كان في نهاية الاخلاص والثاني بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم افضل الصوم صوم داود وكان يصوم يوما ويفطر
يوما الثالث عبادتهم ادوم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخير الاعمال ادومها مع ان اعمارهم اكثر وعلى الآية سؤال روي عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال قلت
لكعب ارايت قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا اولئك عليهم لعنة الله والملائكة افلا يكون الرسالة واللعن مانعين عن التسبيح فاجاب
بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشيء آخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بان آلة التنفس غير آلة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في آن
واحد محال واجيب باحتمال ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون الله تعالى ببعضها ويلعنون اعداءه ببعض آخر وبان شاء الله يستلزم بعيد من اعتقد في الله
ما لا ينبغي والمراد لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على ادائها في اوقاتها ونوقضت الحجة بان
الطاعة القليلة من الانسان قد يقع على وجه يستحق بها اكثر من ثواب طاعاتهم الرابع انهم اسبق السابقين في كل العبادات والسابقون السابقون
اولئك المقربون من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الخامس الملائكة رسل الى الانبياء علمه شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول افضل من الامة
قياسا على الشاهد ومنع بان هذا اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم ومتوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى اممهم اما في مطلق الرسول فلم قلتم انه كذلك كما لو
ارسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره او الى ملك آخر السادس انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة الترفع والرياسة
فيهم ولهذا قالوا اتجعل فيها وان لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل ان اكرمكم عند الله اتقاكم ورد بان تقوى الانسان اكمل فان لهم مع شهوة الرياسة
شهوة البطن والفرج ايضا السابع لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثاني مخرج التاكيد للاول ومثل هذا انما يكون
بذكر الافضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف من خدمته الوزير ولا الملك فيفيد افضلية الملائكة المقربين في المعاني المتحققة للعبودية من نهاية الخضوع
والخشوع والاجتهاد مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن خدمته القاضي ولا السلطان ولا يفيد الا ان السلطان اكمل
من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من القاضي في سائر الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم افضل من البشر في كثرة الثواب قلت
والحق ان جميع الدرجات مندرجة تحت العبودية كما اشرنا اليه فيما يفيد افضلية الملائكة لكن المقربين منهم فقط دون غيرهم ومفضولية المسيح فقط دون غيره
كمحمد صلى الله عليه وسلم الثامن ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فهذا وان كان حكاية قول ابليس الا ان آدم وحواء لو لم يعتقدا افضلية الملك لم
يقبلا ذلك واعتقادهما حجة ورد بان آدم لعله اخطا في ذلك الاعتقاد وهذا جائز اما لان الزلة جائزة على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا
هب انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا ولا يلزم من مفضوليته وقت نبوته وان سلم مفضوليته وقت نبوته فلا نسلم ان ذلك في ابواب الثواب بل في باب الخلق
والقدرة والحسن والجمال وغير ذلك فانهم خلقوا من الانوار وآدم خلق من التراب فاخترعته فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد الا ان تنقلبا
ملكين فتنتج اسند لا اثر وايضا يحتمل ان يكون المراد ان النهي مختص بالملائكة الخالدين دونكما كما تقول لغيرك ما نهيت انت عن كذا الا ان تكون فلانا ويكون المعنى ان
المنهي عنه هو الملائكة وكان غرض ابليس ايهام انهما ليسا نهيا وايضا غاية ما في الباب ان الآية تدل على مفضولية آدم ولا يلزم منه مفضولية جميع الانبياء كمحمد صلى الله عليه وسلم
التاسع ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك اي لا ادعي القدرة على المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا ادعي قدرة مثل قدرة
الملك ولا علما مثل علمهم وذلك انه لم يرد به نفي الشهوة لانه لا يفيد الغرض وانما نفى ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الحسية والقوية والقدرة والعلم
ورد بانه لا يلزم من عدم الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها العاشر ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم والحق ان التشبيه في بعض الخصال
من غض البصر ومنع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكرم لا في الصورة ورد بان قوله فذلكن الذي لمتنني فيه كالتصريح بان مراد النساء التعظيم بالتشبيه في الحسن
والجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها ولئن سلمنا ان التشبيه في الاخلاق المرضية فذلك لا يوجب مفضوليته من جميع الوجوه وان قول النساء لا يصلح لان يكون
حجة الحادي عشر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وذلك ان المخلوقات اما غير المكلفين والانسان افضل منهم واما المكلفون وهم الملائكة والانس والجن
والشياطين ولا ريب ان الانس افضل من الجن والشياطين فلو كانوا افضل من الملك ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال وفضلناهم
على جميع من خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير لا يدل على انه ليس افضل من الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وايضا هب ان جنس الملائكة افضل من جنس بني آدم
لكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل من المجموع الآخر ان يكون كل واحد من افراد المجموع الاول افضل من افراد المجموع الثاني وايضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة
المذكورة في اول الآية ولقد كرمنا بني آدم ولا يلزم من كون الملك افضل من البشر في تلك الكرامات وهي حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة ان يكونوا
افضل منهم في الاشياء الموجبة للثواب الثاني عشر الانبياء ما استغفروا الا بدءوا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابراهيم
رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ثم قال واغفر لابي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا لانفسهم ولكن طلبوا
المغفرة للمؤمنين فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا لا يدل على صدور الزلة من البشر وعدم صدورها عنهم وهذا لا يوجب افضليتهم في القرب والثواب
على الاطلاق ومن الناس من قال ان استغفارهم للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم اتجعل فيها الثالث عشر وان عليكم لحافظين ويدخل فيه الانبياء وغيرهم والحافظ
للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة للبشر فيكونون افضل ورد بان الحافظ والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود الرابع

يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله ورد بان هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان لما جلس وقف حول سريره ملوك
ملوك الاطراف ولا يدل على انهم اكرم عند السلطان من ولده الخامس عشر والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا
لما قال الشاعر عميرة ودع ان تجهزت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا قال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش
وقع التنازع في تقديم الاسم وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعوية ومنع من ان الواو يفيد الترتيب وعورض بتقديم نبت على الاخلاص السادس عشر ان الله وملائكته
يصلون على النبي جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي وعورض بقوله يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه والتشريف بل تشريف الامة بذلك السابع عشر ان جبرئيل
افضل من محمد لان الله تعالى وصفه بست من صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم وصف محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله
وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين ورد بان صفته ههنا بهذا القدر لاقتضاء المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا الثامن عشر ان جبرئيل كان معلما للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من الانبياء لا في العلوم التي لا يتوصل اليها
الا بالعقل كالعلم بذات الله تعالى بل في العلم بكيفية مخلوقاته وما بينها من العجائب والعلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار واطباق السموات واصناف الموجودات
واحوال الامم الخالية والقرون الماضية والمعلم افضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة اعلم بدليل قصة آدم ولان تعليم جبرئيل كان
بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبرئيل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم مع كثرة ثوابهم التاسع عشر ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل
على انهم بلغوا في الترفع الى حد لو خالفوا امر الله تعالى لما خالفوه الا في ادعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب مزيد ثوابهم العشرون قال صلى الله عليه وسلم حكاية
عن الرب تعالى اذا ذكرني عبدي في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه فهذا يدل على ان الملأ الاعلى اشرف ورد بعد قبول خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملأ الاعلى خير
من ملأ عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم افضل من الانبياء واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم افضل من الارواح
الناطقة البشرية لوجوه الاول الملائكة ذوات بسيطة مبراة عن الكثرة والبشر مركب من النفس والبدن مع قوى منها واجزاء والبسيط خير من المركب لان اسباب
العدم للمركب اكثر منها للبسيط وعورض بان المستجمع للروحاني والجسماني ينبغي ان يكون افضل مما له طرف الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجود الملائكة وبان الملائكة
ليس لها الا الاستغراق في مطالعة النورية والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة لضبط احوال العالمين فيكون افضل الثاني الجواهر الروحانية بريئة من الشهوة
والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدم بخلاف البشر ورد بان الخدمة مع كثرة العلايق ادل على الاخلاص والصلاح ليتبين ان درجتهم قالوا لا علم لنا
الا ما علمتنا اعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وما ذلك الا بسبب الانكسار الحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه
لانين المذنبين احب الي من زجل المسبحين الثالث انها برية من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها يجب انواعها المنحصرة في اشخاصها الثابتة خرج الى الفعل
والانبياء ليسوا كذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم واني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة والاحتياج الى الفعل التام الفعل بالقوة ورد بان بعض الامور فيها
لعلها بالقوة ولهذا قيل ان تحركاتها الافلاك لاجل استخراج التعقلات من القوة الى الفعل كالتحريكات العارضة لارواحنا المحاذية لقوة الفكر والتخيل الا ان هذا النوع
لا يجري في الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة بل هو انما يجري في النفوس الفلكية الرابع الروحانيات ابدية الوجود مبراة عن التغير والفناء والنفوس
الناطقة البشرية ليست كذلك ورد بانه لا قدم في الوجود الا الله وان سلم انها وان كانت ممكنة الوجود لذاتها فهي واجبة الوجود بمباديها وعورض بما عليه كثير
من المحققين ان النفوس البشرية واجبة بمباديها كانت كالظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الا ان المبدا الاول امرها بالنزول الى عالم الاجساد وشبكات المواد
فلما تعلقت بهذه الاجساد عشقتها واستحكم الفها بها فبعثت من تلك الظلال اشرفها واكملها لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة
المطوقة المذكور في كتاب كليلة ودمنة الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين احدهما من الآخر ورد بان الشرف عندنا
ليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين السادس الارواح السماوية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل اما الاول فبالاتفاق على احاطة الارواح السماوية بالغيب
وان علومهم فعلية نظرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية
اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى بالجوع فلا يكون لذة الملائكة من العلم والعمل كلذة البشر لعروض الفترات لهم في اكثر الاوقات بسبب العلايق الجسمانية والحجب الظلمانية
فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشرية ولعل هذا هو المراد من قوله انا عرضنا الامانة الآية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق اشد منها في حمى الغب لكن
الحرارة في الدق لما دامت واستقرت بطل الشعور بها فهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستمرار والغير الا الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالرضاء
السابع الروحانيات لها قوة على تقليب الاجسام وتصريف الاجرام وقواهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب والا ترى الحمامة اللطيفة
تشق الصخرة الصماء وما ذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر انفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى
من قوة الشياطين على امور الصعاب ممنوع وان سلم فالارواح العلوية اقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى مناظم العالم السفلي لا فيما هو شانهم ولا نزاع
بانه لا مانع من ان يتقوى نفس ناطقة بشرية كاملة مستولية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف الثامن الملائكة لهم اختيارات فائضة عن انوار جلال الله متوجهة
الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه الى الخير باعانة الملك على ما ورد في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه
ويحتمل ان يقال فيكون اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر التاسع الافلاك كالابدان والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان
الى الابدان وكما ان اختلافات احوال الافلاك مبادي لحصول الاختلافات في العالم فكذا ارواح العالم العلوي يجب ان يكون مستولية على ارواح العالم السفلي بل يكون
عللا ومبادي لها فهذه هي الاباء وهناك المنابع والمعادن فكيف يليق بالعقل اذعان المساواة فضلا عن الزيادة واجيب بانه لا مؤثر عندنا الا الله تعالى العاشر
الروحانيات الفلكية مبادي لروحانيات هذا العالم ومعادنها منها نزلت فتوسخت باوضار الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها
والشي ومصعده اشرف منه ابتداء واليه المنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد ودون ذلك خرط القتاد الحادي عشر اليس ان الانبياء لا يتلقون
الا من الوحي اليس ان الملائكة يعينونهم في المضايق ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط وكيوم بدر وحنين وكما في قصة نوح من نجر السفينة فمن اين لكم تفضيل الانبياء
مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامور واجيب بان اول الفكر آخر العمل ولا يلزم من كون الشيء واسطة الفضلية الثاني عشر القسمة العقلية بان الاحياء اما خيرة
محضة وهم الملائكة او شريرة محضة وهي الشياطين او خيرة من وجه شريرة من وجه آخر وهم البشر تحكم بافضلية الملك وكذا التقسيم الى ناطق مائت وهو
الانسان والناطق غير المائت وهو الملك والمائت غير الناطق وهي البهائم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل
قلب القسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود واجيب بما مر غير مرة من ان النزاع في كثرة الثواب حجة القائلين بتفضيل الانبياء على الملائكة الاول ان الله
امر الملائكة بالسجود لآدم وثبت ان آدم لم يكن كالقبلة فامر الاشرف بنهاية التواضع للادون مستقبح والجواب ان قبح العقل غير ثابت الثاني جعله خليفة والخلافة
الولاية كما مر وخلق الدنيا متسعة لمعاشه والآخرة مملكة لجزائه ولعن ابليس بسبب تكبره عليه وجعل الملائكة حفظة لاولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين لزلاتهم ومع جميع

بذه الت حب يقول والدنيا مزيد فاذن لانهاية لهذا الشرف والكمال. الثالث لانه كان اعلم لقوله انبئهم باسمائهم والاعلم افضل. الرابع ان الله اصطفى آدم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل هذا بقوله يا بني اسرائيل الى قوله واني فضلتكم على العالمين لان تلك الآية دخلها التخصيص لانا نعلم انهم غير مفضلين على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وههنا لا دليل فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم. الخامس وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والملائكة والتقريب ظاهر. السادس عبادة البشر اشق لان الادمي له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الادمي مأمور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا اولي الابصار ولا يخفى ما فيه من المشقة والملائكة لا يعلمون الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للادمي من الشبهات لكون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث اليومية فيحتاجون الى دفعها والملائكة [illegible] آمنون من ذلك ولان الشيطان مسلط على الادمي دون الملك واذا كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر. السابع خلق للملائكة عقولا بلا شهوة وللبهائم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للادمي ثم اذا غلب هواه عقله صار ادون من البهيمة اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله هواه وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين بالاخر. الثامن الملائكة حفظة بني آدم والمحفوظ اعز من الحافظ. التاسع روي ان جبريل عليه السلام اخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى اركبه على البراق ليلة المعراج ولما وصل محمد الى بعض المقامات تخلف عنه جبريل وقال لو دنوت انملة لاحترقت. العاشر قوله صلى الله عليه وسلم ان [illegible] في السماء ووزيرين في الارض اما اللذان في السماء فجبريل وميكائيل واما اللذان في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبريل وميكائيل وزيران فهذا تمام الكلام في حجج الفريقين وعليك الاختيار لعقلك دون هواك ثم انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز ان يظن انه معذور بين انه غير ذي عذر بقوله ابى لان الاباء هو امتناع مع الاختيار [illegible] فعيني لانه بيان ثم انه جاز ان لا يكون الاباء مع الكبر فعطف عليه واستكبر ليعرف ان الاباء منضم الى الاستكبار وكان من الجائز ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فازيل الظن بقوله وكان من الكافرين وللعلماء ههنا قولان احدهما ان ابليس حين اشتغاله بالعبودية كان منافقا كافرا واما عند من يمنع الاحباط فلان خاتمته لما كان على الكفر علم انه ما كان مؤمنا قط واما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستاني في اول الملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعة شبه مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله اني سلمت ان الباري تعالى الهي واله الخلق عالم قادر حكيم الا اني [illegible] حكمة اسؤلة الاول انه قد علم قبل خلقي ان شيء يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه اياي. الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف. الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فاطعت وعرفت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي. الرابع اذ خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة واوجب عقابي مع انه لا فائدة له ولا لي في وفيه اعظم الضرر. الخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ومن وسوسة آدم بعد ان لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم وبقي خالدا في الجنة. السادس اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطني على اولاده حتى اراهم من حيث لا يرونني ويؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة وابقاهم على ذلك فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بالحكمة. السابع سلمت هذا كله فلم اذ استمهلته امهلني وما الحكمة في ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم اليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر فقال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له انك في تسليمك الاول اني الهك واله الخلق غير صادق [illegible] اذ لو صدقت اني اله العالمين ما احكمت علي بلم فانا الله الذي لا اله الا انا لا اسأل عما افعل والخلق مسؤلون هذا مذكور في التوراة ومسطور في الانجيل [illegible] والشبهات بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور وليس يعدو اعتقاد فرق الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالحق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص والجواب عنها بالتحقيق الا الذي ذكره الله تعالى فاللعين لما ان حكم العقل على من لا يحكم عليه العقل لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق او حكم الخلق في الخالق فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة ومشبهوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا تحكيم الرجال وقالوا لا حكم الا لله كقوله أأسجد لبشر خلقته من صلصال [illegible] لا اسجد الا لك فالشبهات كلها ناشئة من اللعين وتلك في الاول مصدرها وهذه في الاخير مظهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه الامة والرافضة يعني الغلاة نصاراها وقال صلى الله عليه وسلم لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. القول الثاني ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد ذلك ثم اختلفوا فمن قائل معناه وكان من الكافرين في علم الله اي كان الله عالما في الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم ومن قائل ان كان بمعنى صار وقيل لما كفر في وقت معين بعد ان كان مؤمنا فبعد لحظة يصدق عليه انه كان من الكافرين واما حكم بكفره على هذا القول الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك بدليل قوله انا خير منه والا فترك المعصية لا يوجب الكفر عندنا وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من الكافرين هل يدل على وجود جميع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يذكر البعض الموجود بالاضافة الى كل موجود لا الى كل سيوجد ومما يؤكد ذلك ما روي عن ابن بريدة انه قال ان الله تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم اني خالق بشرا من طين فقالوا لا نفعل ذلك فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك وقال آخرون معنى الآية انه صار من الذين وافقوا في الكفر بعد ذلك لان كفرهم وان كان ظاهرا عند نزول الآية اولان الافراد الذهنية تكفي في صحة الجمع فان الحيوان [illegible] ان يقال انه فرد من افراد هذا الحيوان ومن افراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر وهو قول الاكثرين واعلم ان الملائكة المامورين بالسجود هم كل الملائكة عند اكثر الائمة لان الجمع المعرف للعموم ويؤكده قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون وايضا استثناء الشخص الواحد يدل على ان ما عداه داخل في ذلك الحكم ومن الناس من انكر ذلك وقال انهم ملائكة الارض واستبعدوا ان يكون اكابر الملائكة مامورين بذلك واما الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المامورون بالسجود القوى الجسمانية البشرية المطيعة للنفس الناطقة قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن الآية الاصح ان هذا الامر يشتمل على اباحة لانه كان مأذونا في الانتفاع بجميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان المنهي عنه كان حاضرا روي عن قتادة انه قال ان الله ابتلى آدم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود وذلك لانه كلفه ان يكون في الجنة يأكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة ان يأكل منها فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهي عنه فاسكانه موضعا جعل فيه ما يكون مشتهى له مع انه منعه من تناوله من اشد التكاليف وتمام [illegible] منك الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكان الجنة كالمقدمة لذلك فقول رجل لغيره اسكنتك داري لا يصير الدار ملكا له واجمعوا على ان المراد بالزوجة حواء وان لم يتقدم ذكرها في هذه السورة في سائر القرآن ما يدل على ذلك وانها خلقت

منه خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت وبها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة بقي وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند رأسه امرأة قاعدة فسألها من انت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت له الملائكة [illegible] ما اسمها فقال حواء قال ولم قال لانها خلقت من شيء حي [illegible] آدم هدية [illegible] الملائكة وقالوا اد مهرها قال فما هو قالوا ان تصلي على محمد واله قال ومن محمد قالوا من اولادك خاتم النبيين ولولاه ما خلقتك وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء عليهما السلام على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخلا الجنة فهذا الخبر يدل على ان حواء خلقت قبل ادخال الجنة والخبر الاول دل على انها خلقت في الجنة والله اعلم بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت في الارض او في السماء وعلى تقدير كونها في السماء هي دار الثواب ام جنة اخرى فقال ابو القاسم البلخي وابو مسلم الاصفهاني هي في الارض وحملا الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا قالا لان دار الثواب للخلد ولو كان في جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد غضب الله عليه كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزاء لا يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا عمل لادم وقتئذ ولانه تعالى خلقه في الارض ولم يذكر نقله الى السماء ولو كان قد نقله لكان ذكره اولى لان ذلك النقل من اعظم النعم وقال الجبائي هي في السماء السابعة اهبطا منها الى السماء الدنيا ثم منها الى الارض وقال الجمهور هي في دار الثواب والدليل عليه ان اللام في الجنة ليست للعموم لان السكنى في جميع الجنان محال فهي للعهد والمعهود بين المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن امر من السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما او اي زمان شئتما فان حيث قد يعبر به عن زمان مجهول وانما قيل ههنا وكلا بالواو وفي الاعراف فكلا لان كل فعل عطف عليه شيء وكان بينهما رابطة السببية فالعطف الثاني على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى في البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول سبب الوصول الى الاكل فكانه قال ان دخلتموها اكلتم وفي الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهي طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المختار قد يأكل [illegible] فلهذا لم يعطف ههنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى واما في الاعراف فالمراد اسكن بمعنى ادخل ثم اسكن فصح العطف بالفاء والنهي في لا تقربا للتنزيه او للتحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت في كليهما والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة في القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل او الجواز ثابت بحكم الاصل لان الاصل في الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه وهذا اوسط ليرجع حاصل معنيه الى ترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبياء وقيل نهي تحريم قياسا على قوله ولا تقربوهن حتى يطهرن ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم في ولا تقربوهن بدليل منفصل والظلم قد يراد به ترك الاولى والاخراج لم يكن بهذا السبب [illegible] كما سيأتي ان شاء الله تعالى ثم النهي عن القرب يفيد النهي عن الاكل بطريق الكناية فان القرب اليها من اسباب الاكل منها ومما يدل على النهي عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروي عن ابن عباس ان الشجرة هي السنبلة وفي رواية عنه وعن ابن مسعود انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع بن انس كانت شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث قال المبرد واحسب ان كل ما له غصن وعيدان فالعرب تسميه شجرا وقد لا يكفي [illegible] ساق قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين والاصل فيه انه اسم لكل ما تشجر اي اخذ يمنة ويسرة والتشاجر الاختلاف واعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة ايضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا فذكره لا يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احدنا ان يقيم عذره في التخلف فقال شغلت بضرب غلماني لاساءتهم الادب كان هذا القدر احسن من ان يذكر عين الغلام واسمه وصفته فلا يظن احد ان ههنا تقصير البيان فتكونا جزم عطفا على تقربا او نصب جوابا للنهي من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الآية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن في هذه الآية اي في قوله وما فعلته عن امري فالضمير للشجرة وقيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزلت قدمه فالضمير للجنة ومن قرأ ازالهما فهو من الزوال عن المكان مما كانا فيه اي من النعيم والكرامة او من المكان الذي هو الجنة ان كان الضمير [illegible] عنها للشجرة واعلم ان الناس اختلفوا في عصمة الانبياء عليهم السلام والنزاع اما في باب الاعتقاد او في باب التبليغ او في باب الاحكام والفتيا او في افعالهم وسيرتهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة وقالت الفضيلية انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية واما ما يتعلق بالتبليغ فاجمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز غير ممكن واما المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطأ فيه عمدا واما السهو فجوزه بعضهم وأباه آخرون واما المتعلق بافعالهم فالحشوية جوزوا الكبائر عنهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عنهم عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد الا على التأويل وقيل لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطأ ولكنهم يؤاخذون به وان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى وهم على التحفظ اقدر والشيعة لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التأويل والخطأ وفي وقت عصمتهم ثلاثة اقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من وقت مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم واكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه. الاول لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة المؤمنين مصداقه قوله عز من قائل يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين شعر وصغائر الرجل الكبير كبائر ولا يجوز ان يكون النبي اقل حالا من الامة بالاجماع. الثاني وبتقدير اقدامه على الفسق لا يكون مقبول الشهادة لقوله ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا لكنه شاهد عدل من الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا. الثالث وبتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة. الرابع انه صلى الله عليه وسلم لو اتى بمعصية لوجب علينا الاقتداء لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب والحرمة محال. الخامس نعلم بالبديهة انه لا شيء اقبح من نبي رفع الله درجته وجعله خليفة في عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا لهواه حتى يستوجب اللعن والعذاب. السادس أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم يكون مندرجا تحت [illegible] وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم. السابع انهم كانوا يسارعون في الخيرات واللفظ للعموم فيشمل فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي. الثامن انهم عندنا لمن المصطفين الاخيار الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافي الذنب. التاسع انه تعالى حكى عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين والانبياء منهم المخلصين لقوله تعالى في حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفي حق موسى انه كان مخلصا وكذا غيرهما. العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان غير النبي افضل من النبي. الحادي عشر

الخلق قسمان حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز ان يكون النبي عاصيا التاسع والنبي افضل من الملائكة كما مر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم فالنبي اولى الثالث عشر اني جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به والمذنب لا يجوز الاقتداء في ذنبه الرابع عشر لا ينال عهدي الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبي اولى الخامس عشر روى ان خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وفق دعواه فقال كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني اصدقك على الوحي النازل عليك من فوق سبع سموات افلا اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه ذا الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك الشهادة والمخالف يتمسك في باب الاعتقاد بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء فيما اتاهما فان هذا يقتضي صدور الشرك عنهما والجواب ما يجيء في الاعراف ان شاء الله تعالى من ان الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية ليسكن اليها فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي قالوا وان ابراهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم الاخر لقوله تعالى هذا ربي ولكن ليطمئن قلبي والجواب هذا ربي استفهام منه بطريق الانكار وقوله ليطمئن قلبي اراد به ان يؤكد علم اليقين بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا وان كنت في شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا في الوحي قلنا الخطاب له والمراد الامة كما في يا ايها النبي اذا طلقتم قالوا في باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا النسيان نوع من النسخ كما يجيء في تفسير قوله ما ننسخ من اية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته والجواب سوف في سورة الحج ان شاء الله تعالى قالوا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الى قوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم ولولا الخوف من وقوع التخليط في الوحي لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته على كونهم محفوظين على التخليط قالوا في باب الفتيا وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ما كان لنبي ان يكون له اسرى عفا الله عنك لم اذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجيء قصة كل في موضعها على انا نقول

شعر

يا سائلي عن رسول الله كيف سهى * والسهو من كل قلب غافل لاهي * قد غاب عن كل شيء سره فسها * عما سوى الله فالتعظيم لله *

فشغل الاولى عن الارفع مذموم واما الشغل بالارفع عن الادنى فمحمود قالوا في الافعال وعصى ادم ربه فغوى والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم والغي ضد الرشد ومن التي ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا لعنة الله على الظالمين ولهذا اخرج من الجنة وكل هذه دليل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لئن سلم انه صدر ذلك الفعل عن ادم بعد النبوة فاقدامه عليه اما ان يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول وهم طائفة من المتكلمين احتجوا بقوله فنسي ولم نجد له عزما وشبهوه بالصائم يغفل عن صومه فياكل في اثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل على انه ما نسي وروى عن ابن عباس لما اكلا منها بدت لهما سوآتهما خرج ادم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى افرارا مني فقال بل حياء منك فقال له اما كان فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما كنت ارى احدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لاهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا كدا وايضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه لانه غير قادر على تركه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ورفع القلم عن ثلث واجيب بالمنع من ابتنائه على ذلك انما وقع عقيب قول ابليس لانه كان عالما بتمرد ابليس عن سجوده وكونه عدوا له ولزوجه ولانهما لو صدقاه لكان المعصية في تصديقه اعظم من اكل الشجرة لانه القى اليهما سوء الظن بالله لانه ناصح والرب غاش وما روي عن ابن عباس فهو من باب الاكابر ولا يلزم من رفع النسيان عن هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن الامة رفعه عن النبي اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل اني اوعك كما يوعك الرجلان منكم وقيل ان حواء سقته الخمر فسكر ثم اقدم على ذلك الفعل وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة على غير الكرمة حتى يكون ماذونا في تناول غيرها الا انه يرد عليه ان خمر الجنة لا يسكر لا فيها غول الذاهبون الى انه فعله عامدا اربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من ادم وكان كبيرة مع ان ادم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله عمدا لكن كان معه من اعمال القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب او فعل المنهي عمدا لا يعذر بدعوى الخوف فلا يصح وصف الانبياء بذلك ومنهم وهو اختيار اكثر المعتزلة من قال انه اقدم على الاكل بسبب اجتهاد اخطأ فيه وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد انه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار بها الى الشخص وقد يشار الى النوع كما روى انه صلى الله عليه وسلم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وتوضا ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به واراد به نوع الحرير والذهب ونوع الوضوء فاراد الله تعالى من هذه ذلك النوع لا الشخص وكان ادم ظن ان النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة اخرى من ذلك النوع واعترض بان هذا في اصل اللغة للاشارة الشخصية واذا حمل ادم اللفظ عن موضعه فكيف يعد مخطئا وايضا هب ان لفظ هذا متردد بين الشخص والنوع فان كان مع قرينة الاشارة النوعية وقد قصر في معرفتها فيكون مذنبا وان عرفها ومع ذلك اقدم على التناول فكذلك وان لم يكن قرينة فلا يعد مخطئا وايضا الانبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون على تحصيل اليقين بالوحي فالاقدام على الاجتهاد عين المعصية وايضا هذه المسئلة ان كانت قطعية فالخطاء فيها كبيرة من الظنيات فان قلنا كل مجتهد مصيب فلا خطاء وان قلنا المصيب واحد فالمخطئ فيها معذور بالاتفاق و واجيب بان لفظ هذا يستعمل في الاشارة النوعية ايضا كما مر وبان ادم لعله قصر في معرفة القرينة او عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسئلة القطعية لما اشتبهت صار النسيان عذرا حتى لا يصير الذنب كبيرا وقد تكون ظنية ويترتب التشديدات على الخطاء فيها لان النبي قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به الامة قيل وقد لا يحل الخطاء في الاجتهاد من جهة ان ادم ظن ان النهي في قوله ولا تقربا جئنا ولهما معا فيجوز الكل واحد على الانفراد كله ان قيل كيف تمكن ابليس من وسوسة ادم مع ان ابليس كان خارج الجنة وادم فيها قلت اما لانه دخل في الجنة خافيا عن الخزنة ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما روي وان كان بعيدا لما روي عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيئا خفية فليس منا يعني الحيات واما لانه دخل الجنة في صورة دابة واما لانهما كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب ويوسوس واما لانه كان بقرب من السماء فيكلمهما وقيل وسوس لهما على جهة وسوسة بعض اتباعه لانهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء فيستحيل ان يقبلا قوله عادة والاسناد الى الازلال والاخراج الى الشيطان لانهما كانا بسبب منه وعن بعض العرفاء ان زلة ادم هب انها كانت بوسوسة ابليس فمعصية ابليس بوسوسة من فلا بد من الانتهاء الى الذي لا يسئل عما يفعل فان قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فلما لم يقبل عدل الى اليمين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ولكم من شياطين الانس تراهم يوسوسون اليك على الترغيب فاذا

منهم

منهم ثم بعد ذلك [illegible]

كل منها بالفعل فيصار رضاه عمله فيها نقول يعني ذلك وبلغته واصابني خير ذا لني واصبته اذ لقيه وتلقى ادم من ربه كلمات اي اخذها وقبلها واستقبلها بالقبول وتلقى ادم كلمات اي جاءته واتصلت به ولا يجوز ان يكون معنى التلقي من الرب ان الله تعالى عرفه حقيقة التوبة لان المكلف لا بد ان يعرف ماهية التوبة ويمكن بعقله من تدارك الذنوب فضلا عن الانبياء فاذن المراد انه تنبه عن المعصية على وجه الامر اي التوبة او عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة او ذكر نعمه العظيمة عليه حتى صار من الدواعي القوية الى التوبة او علمه كلمات لو حصل التوبة معهن بكل حالها وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وفي رواية عن ابن عباس ان ادم عليه السلام قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اترجعني الى الجنة قال نعم وقال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقى ادم من ربه قال علم الله ادم وحواء امر الحج فحجا فهي الكلمات التي فلما فرغا من الحج اوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما وعن ابن مسعود لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وقالت عائشة رضي الله عنها لما اراد الله تعالى ان يتوب على ادم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى الركعتين استقبل البيت وقال اللهم انت تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسئلك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى ادم قد غفرت لك ذنبك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي رحمه الله ان التوبة تتحقق من ثلثة امور مرتبة اولها علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ان الذنب من الضرر وكونه حجابا بين العبد وربه فاذا استحكمت هذه المعرفة تألم القلب بسبب فوات محبوبه وتاسف على الفعل الذي كان سبب ذلك الفوات ويسمى ذلك التاسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر وتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي كان ملابسا له وتعلق بالمستقبل وهو العزم على ان لا يعود اليه ابدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله تعالى ولطفه انه هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فيشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى راجع الى ربه لان كل عاص هارب من ربه وقد يفارق الرجل خدمة سيده فيقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد عليه باحسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة وغفران ذنوب العباد والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة في التواب ان واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد الى المعصية والى الاعتذار فربما لم يقبل عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لامر يرجع الى طمع او جلب نفع او دفع ضرر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود وان فيضه لا ينقطع والتقصير انما من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل القابل وصل اليه لا محالة وايضا يستحق المبالغة من جهة اخرى وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول التوبة ووصفه بالرحمة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء ادم على خطيئته لكان بكاء ادم اكثر واذا آل حال انبياء الى هذا لخطيئة واحدة فمن احاطت به خطاياه احق بالبكاء واذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فنحن احق بالاستغفار فان الغين كما يكون بالنسبة الينا دينا وذلك ان الغين شيء يغشى القلب ويغطيه بعض التغطية كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال ضوءها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممتنعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل في تاويل الحديث ان الله تعالى اطلع نبيه على ما سيكون في امته من الاختلاف وكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى حالة ارفع من الاول فليستغفر مما كان وقيل الغين عبارة عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذلك الصحو وهذا تاويل ارباب الحقيقة وقال النظار ان القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وانواع الارادات فكان يستعين بالرب تعالى في دفع ذلك الخواطر وعن ثابت البناني بلغنا ان ابليس قال يا رب انك خلقت ادم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك فقال يا رب زدني فقال لا يولد لادم ولد الا ولد لك عشرة قال رب زدني قال تجري منه مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكى ادم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وانا لا اطيقه الا بك فقال تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني قال لا احجب عن احد من ولدك التوبة ما لم يغرغر قال العزة تردد الروح في الحلق وسئل ذو النون عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة اولها الندم على ما مضى وثانيها العزم على ترك الذنوب في المستقبل وثالثها اداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك وبين الله تعالى والرابع

[illegible]

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون ۞ وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ۞ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون ۞ واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين ۞ اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون ۞ واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ۞ الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون ۞

[illegible]

وامرنا باتباع ما جاء به محمد النبي الامي الذي من ولد اسمعيل والتصديق بهذا القرآن يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد فله اجران ورجل ادب امته فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران ورجل اطاع ربه واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما قلتم فكيف يجوز من جماعتهم جحده قلنا اما لان هذا العلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه واما لان ذلك النص كان نصا خفيا لعدم تعيين الزمان والمكان بحيث يعرفه كل احد ومع الشكوك والشبهات فيه جاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التورية ان هاجر لما غضبت عليها سارة ترائى لها ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين قالت اهرب من سيدتي سارة فقال لها ارجعي الى سيدتك واخفضي لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا وتسميه اسمعيل من اجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع فقيل هذا الكلام خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول في اوايل العراق واوايل الشام الا على وجه خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم ومازجتهم الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته اي زيدا رهبت رهبته بتقديم المفعول للاختصاص فتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة بتلازم ما قبلها وما بعدها اي ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبيل التكرير ولاجل الاعتبار والتغيير والرهبة هي الخوف والخوف اما من العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة اهل القلوب والاول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اشد كان امنه يوم القيمة اكثر وبالعكس يروى انه ينادي مناد يوم القيمة وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا خوفته يوم القيمة ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيمة قوله وآمنوا معطوف على اذكروا والمراد بما انزلت القرآن ومصدقا حال مؤكدة من الراجع المحذوف وفيه تفسيران احدهما ان في القرآن ان موسى وعيسى حق والتورية والانجيل حق والتورية انزل على موسى والانجيل على عيسى فكان الايمان بالقرآن مؤكدا للايمان بالتورية والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد وبالقرآن في التورية والانجيل فكان الايمان بمحمد والقرآن تصديقا للتورية والانجيل وتكذيب محمد والقرآن تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة ان شهادة كتب الانبياء لا تكون الا حقا ومن جهة انه اخبر من كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به اي اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وههنا سؤالان الاول كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب وفي الجواب وجوه الاول انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان محمد صلى الله عليه وسلم والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الثاني ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفون موصوفا في التورية مثل من لم يعرفه لانه لا كتاب له الثالث ولا تكونوا اول كافر به من اهل الكتاب لان هؤلاء كانوا اول من كفر بالقرآن من بني اسرائيل الرابع ولا تكونوا اول كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم يوجب تكذيبكم بكتابكم الخامس المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك ان السابق الى الكفر كفر غليظ من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والكافر عن دليل ومعرفة بما يوجب كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا الوجه فصح اطلاق احدهما على الآخر السادس ولا تكونوا اول من جحد مع المعرفة السابع اول فريق كفر من اليهود لان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وبها قريظة والنضير فكفروا ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر الثامن ولا تكونوا اول الكافرين به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه السؤال الثاني كانه يجوز لهم الكفر اذا لم يكونوا اولا والجواب ليس في ذكر الشيء دلالة على ان ما عداه بخلافه وايضا في قوله وآمنوا دلالة على ان كفرهم اولا وآخرا محظور وايضا قوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السماء بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد لا ترونها فكذلك ههنا قال المبرد هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم اول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر الى يوم القيمة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى اي لا تستبدلوا باياتي ثمنا قليلا والآيات هو المشترى به والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو الرشى التي ياخذها علماؤهم على تحريف الكلام عن مواضعه وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع واياي فاتقون مثل واياي فارهبون وقيل الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكانه امرهم بالرهبة على ان جواز العقاب قائم ثم امرهم بالتقوى على ان تيقن العقاب قائم قوله ولا تلبسوا امر بترك الاغواء والاضلال كان قوله وآمنوا امر بترك الكفر والضلال والاضلال للغير طريقان لانه ان سمع الدلائل فاضلاله بتشويشها عليه وان لم يسمعها فاضلاله بكتمانها ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا الحق مجزوم بلا المقدرة للنهي عطفا على النهي قبله اشارة الى القسم الثاني والباء التي في بالباطل اما للصلة في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به فكان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بينهما واما للاستعانة في كتبت بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا بباطلكم وهو الشبهات التي توردونها على السامعين وذلك ان النصوص الواردة في التورية والانجيل في امر محمد صلى الله عليه وسلم كانت نصوصا خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل ويجوز ان يكون وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تاكل السمك وتشرب اللبن قلت هذا التقدير يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين اكل السمك وشرب اللبن حتى لو اتي بكل منهما منفردا عن الآخر جاز اللهم الا ان يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا او لا يجوز ان يريد الجمع مع اهمال القرينة الاثم والكفر وانتم تعلمون ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيمة من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا افحش من الاقدام عليه عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما امرهم بذكر نعمته وبالايمان برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما لزمهم من اصول الشرايع فقال واقيموا الصلوة اي التي عرفتموها بوصف النبي عليه الصلوة والسلام بناء على انه لا يجوز تاخير البيان عن وقت الخطاب واما القائلون بجواز التاخير فقد جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المامور به ما هو كما قال السيد لعبده اني آمرك غدا بشيء فلا بد ان تفعله ويكون الغرض ان يعزم العبد على ادائه في الوقت ومعنى الصلوة لغة وما

قد تقدم في اول البقرة واما الزكوة فهي في اللغة الزيادة والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها يزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال ماخوذ من التطهير من زكى نفسه تزكية اذا مدحها وطهرها من العيوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال قال صلى الله عليه وسلم عليك بالصدقة فان فيها ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة واما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال وتعمر الدار واما التي في الآخرة فتستر العورة وتصير ظلا فوق الرأس ويكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وفي قوله واركعوا مع الراكعين وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار لان الاول امر باقامتها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وامرا بالتذلل للمؤمنين ثم انه سبحانه لما امرهم بالايمان والشرايع بناء على ما خصهم به من النعم رغبهم في ذلك بناء على اخذ آخر وهو ان التغافل عن اعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول والهمزة في اتأمرون للتقرير مع التقريع والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل مبرور مرضي واختلف في البر ههنا قال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ثم يرتكبونها وقال ابن جريج يامرون الناس بالصلوة والزكوة ويتركونهما ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعو الى الحق ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله عليهم محمدا حسدوه واعرضوا عن دينه الزجاج يامرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل يامرون غيرهم باتباع التورية وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ثم ما آمنوا به وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا يامرون باتباعه في الظاهر ويكرهونه في الباطن فوبخهم الله على ذلك والنسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على صدر عنه فالمراد وتغفلون عن حق انفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع وانتم تتلون الكتاب اي التورية وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومن نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون وهو تعجيب للعقلاء من افعالهم كثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به والتقدير اتعلمون ذلك فلا تعقلون وقس على هذا نظائره في القرآن فانها كثيرة للتعجيب وجوه منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير الى المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيرها منها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل الصحيح ومنها ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا الواعظ مطلع على انه لا اصل لهذه التخويفات والا لما اقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجراءة على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا بهذه الآية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وبان الزاني بامراة يقبح منه ان ينكر عليها واجيب بان المكلف مامور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضي الاخلال بالآخر والذم في الآية مترتب على الشق الثاني وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين قالوا وحديث القبح ممنوع قلت والحق انه مكابرة فعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار رجلا يتاذى اهل النار بريحه فقيل يا رسول الله من قال عالم لا ينتفع بعلمه وقال مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وعن الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون لم دخلتم النار فانا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بالقول ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل روي ان يزيد بن هرون مات وكان واعظا زاهدا فرؤي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما سالني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اما تستحيان من شيخ دعا الناس الى الله كذا وكذا سنة فتقولان له من ربك وقيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج ولما امرهم الله تعالى بالايمان وترك الاضلال والتزام الشرايع وموافقة القول للفعل وكان شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسات والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض بقوله واستعينوا بالصبر والصلوة كانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا والدخول فيما يستثقله طباعكم من قبول دين محمد بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنت عليه وخف عليها ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا ذكر لطفه مال الى الطاعة واذا ذكر قهره انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه يقال لشهر رمضان شهر الصبر ومن حبس نفسه عن قضاء شهوتي البطن والفرج زالت عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار القلب بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلوة لان تاثير الصوم في ازالة ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء اي استعينوا على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال في دفعه الى فاطر الارض والسماء وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل والا لزم تفكك النظم لكن المعنى على العموم فعلى كل مكلف ان يستعين الى حوايجه بالصلوة والصبر على تكاليفها مراعيا في ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب واستحضار العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم بالخفيات والاسرار ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ومن خواص الصلوة اندفاع البلايا وانكشاف الغموم والرزايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اي الصلوة او الاستعانة او جميع المامورات والمنهيات في هذه الآيات لكبيرة شاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون فيصدر عنهم الاعمال من طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا فالملحد اذا لم يعتقد في فعلها منفعة لا يواتيه طبعه في الاشتغال بها وان كان زمانا يسيرا فيثقل عليه والموحد حيث اعتقد في فعلها اعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه ترجئة الاوقات بوظايف العبادات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عيني في الصلوة والخشوع والخضوع اخوان وهو التطامن والتواضع ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفي الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن ههنا تفسيران احدهما انه بمعنى العلم تجوزا لان الظن هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض وتجويز نقيض لقاء الرب اي البعث والنشور كفر فكيف يمدح به وسبب هذا التجوز انهما اشتركا في رجحان الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فيصح اطلاق احدهما على الآخر لا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقربه من العلم وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقي والمراد بملاقاة الرب ملاقاة ثوابه وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذي هو سبب اللقاء فوقته غير معلوم الا انه متوقع بكل لحظة وهو غاية رجائه عند المؤمن لانه قطع الملهاة وانه

يجب لقاء ربه او زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ويحتمل ان يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه وباعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح والثاني ههنا بحثان الاول يستدل اهل السنة بالآية على جواز رؤية الله تعالى واكثر المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويشمل الكافر والمؤمن وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء في اللغة وصول احد الجسمين الى الآخر اتصال التماس وهذا اللقاء سبب الادراك فحيث يمتنع حمله على اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك ايضا مانع اضمر بحسب ذلك فان الاضمار خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففي قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفي الآية لا ضرورة فحمله على الادراك اولى البحث الثاني المراد من الرجوع الى الله تعالى الرجوع الى حيث لا مالك لهم سواه ولمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك في اول الخلق بخلاف ايام حياتهم في الدنيا فانه قد يملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قالت المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل التناسخ الرجوع الى الشيء مسبوق بالكون عنده فدلت الآية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما قوله تعالى

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ۝ واتقوا يوما لا تجزي

اى پسران يعقوب ياد كنيد نعمت مرا كه انعام كرد بدان بر شما وانكه من فزونى دادم شما را بر اهل زمانه شما وبترسيد از روزى كه

نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ۝

كذارد هيچ نفسى را از هيچ نفس ديگر چيزرا وقبول نكنند از آن نفس هيچ خواهشى وفرا نگيرند از آن هيچ فدائى ونه آن نفوس يارى كرده شوند والله اعلم

القراءة ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف العالمين ۵ ينصرون ۵ التفسير انما اعاد الله سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم كأنه قال ان لم تطيعوني لاجل سوالف نعمتي عليكم فاطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل والمراد بالعالمين ههنا الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين ويقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة لقربه من العلم بانه لم ير كل الناس ويمكن ان يكون المراد فضلتكم على عالمي زمانكم لان الشخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من العالمين ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكن مطلق الفضل والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة فالآية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين في امر ما وهذا لا يقتضي ان يكونوا افضل من كل العالمين في كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم في اكثرها وقيل الخطاب لمؤمني بني اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفي جميع ما خاطب الله تعالى بني اسرائيل تنبيه للعرب لان الفضيلة بالنبي قد لحقتهم وجميع اقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد ولقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب روي عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعني مما تسمعون غيركم واتقوا اليوم هو اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدائد والاهوال لان نفس اليوم لا يتقى وقوله لا تجزي الى آخر الآية الجمل منصوبات المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه ومنهم من يقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول فيه فحذف الجار وهو في فبقي لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف في قوله ام مال اصابوا قال شعر فما ادري اغيرهم تناء ۝ وطول العهد ام مال اصابوا ۝ اي اصابوه ولا يخفى ان هذا التكلف لا يمشي في سائر الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور العائد ومعنى لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في الجذعة التي ضحيا بها ابن نيار قبل الوقت تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في تقدير مصدر اي قليلا من الجزاء مثل ولا يظلمون شيئا ومعنى تنكير النفس ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الحميدة ولا فداء والضمير في ولا يقبل منها يرجع الى النفس الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم يقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عائد الى ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد او الاناسي مثل ثلاثة انفس وفي وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه على ان الخطب شديد لانه اذا وقع احد في كريهة وحاولت اعزته دفاع ذلك عنه بدأت بما في نفوسها الآبية من مقتضى الحمية فتحل عنه ما يلزمه وتذب عنه كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان رأى من لا طاقة له بمانعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال والمنال فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم تغن هذه الامور تعلل بما امكنه من نصر الاخوان وعدد الاخدان فاخبر الله تعالى ان شيئا من هذه لا يدفع يومئذ عن عذابه في هذا تحذير من المعاصي وترغيب في تلافي ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ونحو علم انه لا ينفعه الا الطاعة وتلافي البوادر فالآية وان كانت في بني اسرائيل الا انها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم في هذه الآية قبول الشفاعة على اخذ الفدية وفي موضع آخر من هذه السورة عكست القضية فما الحكمة في ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال اشد من ميله الى علو النفس فيتمسك اولا بالشفيع ثم يتروح الى بذل المال ومنهم من على العكس فيقدم الفدية على الشفاعة فتغيير الترتيب اشارة الى الصنفين والله اعلم واعلم ان الشفاعة هي ان يستوهب احد لاحد شيئا ويطلب له حاجة من الشفيع ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا فصار بالشفيع شفعا ثم ان الامة اجمعت على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم رتبة الشفاعة في الآخرة وعليه يحمل قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى واجمعوا على انه لا شفاعة للكفار بقي الخلاف فيمن عداهم فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب بقي خالدا في النار ولا شفاعة له وسائر الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الآية تدل على نفي الشفاعة مطلقا والآيات والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة كثيرة فعرفنا ان الآية ليست عموما لكن الآية الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا فخرج غير صاحب الكبيرة وبقيت الآية حجة في الكفار وفي صاحب الكبيرة وزعم اهل السنة ان اليهود كانوا يدعون ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا من ذلك واجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجيء سائر حجج الفريقين في الآيات المناسبة ان شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود عام الفيض والنقصان من القابل وجائز ان يكون الشيء مستعدا لقبول الفيض من واجب الوجود الا انه يكون مستعدا لقبول ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك

الشيء متوسطا بين الواجب وذلك الشيء مثاله في المحسوس الشمس فانها لا تضيء الا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مقابلا لم يكن مستعدا لقبول النور منها لكنه لو وضع طست مملوء من الماء الصافي انعكس منه الضوء الى السقف فارواح الانبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين السقف وهذا يدل على انه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده اشرف من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فحينئذ لا شفاعة الا له

واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم

وياد كنيد چون نجات داديم شما را از قوم فرعون مى چشانيدند شما را سختترين عذاب ميكشتند پسران شما را وزنده ميگذاشتند زنان شما را ودرين نجات نعمتيست از پروردگار شما

عظيم ۝ واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون ۝ واذ واعدنا موسى اربعين ليلة

بزرگ وچون جدا كردانيديم بسبب شما دريا را پس نجات داديم شما را وغرق كردانيديم قوم فرعون را وشما مى نگريستيد وچون وعده داديم موسى را چهل شبانروز

ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ۝ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ۝ واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ۝

پس بمعبودى گرفتيد گوساله را پس از رفتن او وشما ستمكاران بوديد پس عفو كرديم از شما پس از آن تا باشد كه شما سپاس داريد وچون داديم موسى را توريت وجدا كننده ميان حق وباطل تا باشد كه شما راه يابيد

القراءة سوء العذاب وسوء الحساب بغير همز حيث وقعتا مفتوحتين الاصبهاني عن ورش وعدنا حيث كان ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد موسى بالامالة المفرطة كل القرآن حمزة وعلي وخلف وغير ابي عمرو وجهان ان جعله فعلى فبالامالة بين الفتح والكسر وان جعله على مفعل فبالفتح لا غير ثم اتخذتم وبابه بالاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى والبرجمي والفرقان لعلكم مدغما عباس وكذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهي الواو المضموم ما قبلها مثل وتكون لكما الكبرياء والياء المكسور ما قبلها مثل ميثاق النبيين لما والالف المفتوح ما قبلها مثل وما كان لمؤمن وما اشبه ذلك الوقوف نساءكم ط عظيم ۵ تنظرون ۵ ظالمون ۵ تشكرون ۵ تهتدون ۵ التفسير انه سبحانه لما قدم ذكر النعمة على بني اسرائيل اجمالا اخذ في تفصيلها واحدة فواحدة ليكون ابلغ في التذكير واعظم في الحجة كأنه قال اذكروا نعمتي واذكروا اذ انجيناكم واذ فرقنا واذ كان كذا وكذا وآذ في جميع هذه القصص بمعنى مجرد الوقت مفعول به لاذكروا واصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالي لان من صار اليه نجا اي تخلص من ان يعلوه سيل او ان المرتفع تخلص مما انحط عنه واصل آل اهل بدليل اهيل واويل في تحقيره وتكبيره وعلى الاعرف فابدلت الهاء الفا على خلاف القياس ثم الى آل وجوبا فالالف فيه بدل عن همزة بدليل عن الهاء ولا يستعمل الآل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك وانما يقال اهله وكذا لا يقال آل البلد وآل العلم وانما يقال اهلهما وعند الكسائي اصله اول بدليل تصغيره عند بعضهم على اويل كأنهم يؤولون الى اصل قلبت الواو الفا على القياس وفرعون علم لمن ملك العمالقة اولاد عمليق بن لاود بن ارم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن واختلف في اسمه وابن جريج ان اسمه مصعب بن ريان وابن اسحق انه الوليد بن مصعب ولم يكن من الفراعنة اغلظ واقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان اهل الكتابين قالوا ان اسمه قابوس وكان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول مصر وبين دخول موسى اكثر من اربعمائة سنة وقال محمد بن اسحق هو غير فرعون يوسف وان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بآل فرعون اتباعه واعوانه الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل بامره ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر ويسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر اذا ما الملك سام الناس خسفا ۝ ابينا ان نقر الخسف فينا ۝ واصله من سام السلعة اذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ اشده وافظعه كأنه قبحه بالاضافة الى سائره او المراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعماله فمن بان وحارث وزارع ومن لم يكن ذا عمل وضع عليه جزية يؤديها والسدي كان يجعلهم في الاعمال القذرة كالكنس ونحوه ولا ريب ان كون الانسان تحت تصرف الغير اصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين عظيم النعمة عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذكر نعمة اخرى فقال يذبحون ابناءكم ومعناه يقتلون الذكور من اولادكم دون الاناث والذي دعاهم الى ذلك امور منها ان ذبح الابناء يقتضي افناء الرجال وانقطاع النسل بالآخرة ومنها ان هلاك الرجال يقتضي فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والفقر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل والكد والرجاء القوي في الانتفاع بالمولود من اعظم العذاب ومنها ان الابناء احب وارغب من البنات ولهذا قيل شعر سروران ما لهما ثالث ۝ حياة البنين وموت البنات ۝ لقول النبي صلى الله عليه وسلم دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان قال بعضهم المراد بالابناء الرجال لتطابق النساء اذ النساء اسم للبالغات وهو جمع المراة من غير لفظها قالوا وانما كان يأمر بقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون على ان المراد بالآية الاطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل الرجال على كثرتهم ولانهم كانوا محتاجين اليهم في الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى في اليم معنى وانما لم يقتل البنات في مقابلة الابناء لانهن مما لم يقتلن كن بعد ان يبلغن يحسن اطلاق اسم النساء عليهن مثل اني اراني اعصر خمرا عن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابراهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما رأوا ان كبارهم يموتون والصغار يذبحون خافوا الفناء وان لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدي ان فرعون رأى نارا اقبلت من بيت المقدس حتى استولت على بيوت مصر واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين اخبروا فرعون بذلك وعينوا السنة فلهذا قال نقتل ابناءهم في تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم والتعبير لا يكون امرا مفصلا والاقدح ذلك في كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون امرا محتملا والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم على مثل هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في اجلى البديهيات وهو انه ممكن الوجود فعده من العقلاء ثم ان ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا انه كان كافرا كفر الجحود والعناد او يقال انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يصدق ابراهيم عليه السلام واقدم على ذلك الفعل احتياطا قلت اذا اخبر الله تعالى عنه بانه قال انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيري فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود ومن اصدق من الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفي سورة ابراهيم بواو فالوجه فيه انه اذا جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة سوى الذبح وجعل

[illegible]

الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فانشق البحر اثني عشر طريقا فقال له ادخل وكان فيه وحل فهب الصبا نحو البحر حتى صار طريقا يبسا فاخذ كل
منهم طريقا ودخلوا فيه فقالوا لنبيهم اين اصحابنا لا نريهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني
على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان الماء فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون فلما بلغ
شاطئ البحر راى ابليس واقفا فنهاه عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبريل على حجر فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون ودخل البحر فصاح
ميكائيل بهم الحقوا آخركم باولكم فلما دخلوا البحر بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى واغرقنا آل فرعون قيل ذلك اليوم كان يوم
عاشورا فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى قوله وانتم تنظرون انكم ترون التطام امواج البحر بفرعون وقومه وقيل ان قوم موسى
سالوا ان يريهم الله تعالى حالهم فسال موسى ربه فلفظهم البحر الف الف ومائة الف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد وانتم بالقرب منهم قال الفراء هو بمنزلة
ضربتك واهلك ينظرون اليك فما اغاثوك تقول ذلك اذا قرب اهله منه وان كانوا لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا
وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب وفرعون النفس الامارة وقومه صفات النفس والعصا عصا الذكر فينفلق بحر الدنيا
بنفي لا اله وجنبتاك ماء شهواته يمينا وشمالا ويرسل الله تعالى ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات ويخوض موسى
القلب وصفاته فيعبرونه وينجيهم عناية الا الله الى ساحل وان الى ربك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه والله تعالى اعلم ولما دخل بنو اسرائيل مصر
بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ونسبه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
عليهم السلام ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وانما قيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقال اهل التحقيق لان الليل
وقت العبادة والخلوة تخصصت بالذكر لشرفها ولعدد الاربعين خاصية اهل الذوق ولهذا جاء في الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه والجنين يتقلب في الاطوار في الاربعينات قال ابو العالية وبلغنا انه لم يحدث حدثا في الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد من تقدير
مضاف اي انقضاء اربعين كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اي تمام الاربعين ومن قرا واعدنا من المواعدة فمعناه ان الله تعالى وعده
الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله في الاعراف كقوله ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة
فنقل ولا ثم اجمل ومعنى ثم في قوله ثم اتخذتم استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته له لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال
التورية عليه بحضرة السبعين تنبيها للحاضرين وتعريفا للغائبين واظهارا لدرجة موسى وسائر بني اسرائيل واتوا عقيب ذلك باشنع انواع الجهل والكفر
كان ذلك في محل التبعيد والتعجيب كما يقول اني احسنت اليك وفعلت كذا وكذا ثم انك تقصدني بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم
بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل قالوا تخذ يتخذ وقد اجري اتخذ مجرى افعال
القلبية في الدخول على المبتدا والخبر نحو جعل وصير فالتقدير اتخذتم العجل الها الا انه حذف الثاني للعلم به ولذكره في مواضع اخر منها في طه فقالوا
هذا الهكم واله موسى وقوله من بعده اي من بعد مضيه الى الطور قال اهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقي مع بني اسرائيل الثياب والحلي استعاروها
من القبط قال لهم هرون ان هذه الثياب والحلي لا تحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا واحرقوها وكان السامري في مسيره مع موسى عليه السلام في البحر نظر الى حافر
دابة جبريل حين تقدم في البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامري اخذ ما كان معه من الذهب وصور منه عجلا والقى فيه ذلك
التراب فخرج منه صوت كانه الخوار فقال هذا الهكم واله موسى فاتخذه القوم الها لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى بالظلم في قوله وانتم ظالمون
كما قال ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه والشرك وضع اخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو في وانتم
للحال والحال عارض اي وانتم مقام من عادتكم الظلم وقال اهل التحقيق ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم
تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة وقال ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنادا
كانه قال ان هؤلاء انما يفتخرون باسلافهم ثم ان اسلافهم كانوا في البلادة والجهالة والعناد الى هذه الغاية فكيف بهؤلاء الاخلاف الاجلاف وتسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم مما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وتحذير للعقلاء
من الجهل والتقليد وما افظع شان الجهلة المقلدة رضوا بان العجل الها وما رضوا بان يكون البشر نبيا وقد تمحل بعضهم لتصحيح الهية عبدة العجل
حيث استبعد وقوعها منهم مع انهم شاهدوا المعجزات الباهرة التي تكاد تكون قريبة من حد الاجبار في الدلالة على الصانع وصدق موسى في ذلك

ان الت موتي ليعني الى العقوم ان موسى عليه السلام انما قدر على ما اتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال للقوم انا اتخذ طلسما مثل طلسمه
وروج عليهم بذلك بان حيله بحيث خرج منه صوت عجيب واطمعهم في صيرورتهم مثل موسى في اتيان الخوارق او لعل القوم كانوا مجسمة وحلولية فجوزوا
حلول الاله في بعض الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين امة موسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليه فانهم بعد مشاهدة
الايات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام وامة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان معجزتهم القران وهو لا يعرف اعجازه الا بالنظر
الدقيق والبحث العميق لم يجالفوا نبيهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء
السبيل ولا يميلون الى معتقدات اهل الاباطيل مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وقوله ثم عفونا عنكم من بعد ذلك حين تبتم بان قتلتم انفسكم بعد
ذلك الامر العظيم الذي ارتكبتموه من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة العفو ومعنى الترجي في كلام الله تعالى قد مر في قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان
يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية نحو رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراة او الحجة
والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين
هناك ان ذلك لاجل موسى وفي هذه الاية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يعني
يوم بدر وقيل اتينا موسى التورية ومحمدا صلى الله عليه وسلم وعليه الفرقان لكي تهتدوا به يا اهل الكتاب وفيه تعسف والله تعالى اعلم

واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم
وچون گفت موسى مر گروه خود را اى گروه من هرستى كه شما ستم كرديد بر تنهاى خود بگرفتن شما معبودى گوساله را پس بازگرديد سوى مرضاى آفريننده وتنهاى خويش را بكشيد كه بر آن اشتن بهتر است شما را
عند باريكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله
نزد آفريننده شما پس قبول كرد خداى توبه شما را بدرستى كه اوست توبه پذيرنده مهربان وچون گفتيد شما اى موسى هرگز باور نداريم ترا تا كه ببينيم خداى را
جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم
معاينة پس گرفت شما را آن حالت هلاك كننده وشما نگران بوديد بدان پس زنده ميكردانيم شما را پس از مردن شما تا مگر شما سپاس دارى كنيد وسايه بان ساختيم بر شما
الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ابر را وفرو فرستاديم بر شما ترنجبين را وسمانه را وگفتيم كه بخوريد از حلالها آنچه روزى داديم شما را وستم نكردند بر ما وليكن كه بودند كه بر خويشتن ستم ميكردند

القراءات باريكم بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وقرا ابو عمرو بالاختلاس انه هو مدغما
ابو عمرو وغير عباس وكذلك كل ما كان قبلهما يا او واو ملفوظة مثل من دونه هو وانه هو واشباه ذلك حتى حيث كان بالامالة نصير والعجلي نرى الله
بكسورة الراء روى ابن رومي عن عباس وابو شعيب عن اليزيدي وكذلك كل راء بعدها ياء استقبلها الف ولام مثل ولو يرى الذين والنصارى
المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة حمزة وعلي وخلف وقرا ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى اوفعلى
الوقوف فاقتلوا انفسكم ط عند باريكم ط لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم ط الرحيم ط ينظرون ٥ تشكرون ٥ السلوى ٥ ما رزقناكم ط يظلمون ٥
التفسير انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك من اعظم النعم في الدين وايضا لما امرهم بالقتل ورفع ذلك الامر عنهم
قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة في حق اولئك الباقين وفي اعقابهم الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم وايضا لما بين ان توبة اولئك تمت بالقتل
ظهر ان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لهم نعمة ورحمة لانه لا يامرهم بشيء من ذلك متى رجعوا عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد صلى الله عليه وسلم في التوبة
فان امة موسى لما رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلان يرغب احدنا في مجرد الندم كان اولى هذا وقد مر ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه
الا انه لا بد فيه من تعدي ضرر فبين ههنا ان الضرر انما يعود على انفسهم فبذلك استحقوا العقاب الابدي والفرق بين الفاءات الثلث في الاية
الاولى ان الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة معترة بقتل
النفس في شرعهم والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كان القاتل عدا الاثم توبة الا تسليم النفس حتى يرضى اولياء المقتول او يقتلونه ومعنى الامر
النهي عن الرياء في التوبة كانه قيل لو اظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم اي القتل خير لكم عند باريكم جملة
معترضة تفيد التنبيه على ان ضرر الدنيا اهون من عذاب الاخرة اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي والموت لا بد واقع فليس في تحمل القتل
الا التقديم والتاخير والثالثة هي الفاء الفصيحة اي المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم وعلى هذا يكون الكلام خطابا من الله تعالى
لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط مستقيم في جملة قول موسى كانه قال وان تفعلتم فقد تاب عليكم وانما خص هذا الموضع ذكر
الباري لان معناه كما ترى الاسماء الذي خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العليم الحكيم
الذي برا واظهر حكمته على الاشكال المختلفة برواصن التي استاز مناسبة للحكم والمقاصد الى عبادة العجل الذي هو مثل في البلادة والغباوة فلا جرم كان
جزاؤهم ان يفك ما ركب من خلقهم ويتبدد ما انتظم من اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وعظموا باتخاذ من لا يقدر على شيء منها والمراد بقتل
الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه والقتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح في الحال او في المال واما قتل بعضهم
بعضا وعليه المفسرون كقوله ولا تقتلوا انفسكم ولا تلمزوا انفسكم فسلموا على انفسكم وذلك ان المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا فقيل انه امر من
لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما امرهم موسى عليه السلام بالقتل اجابوا فاخذ عليهم الموثق
ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هرون بالاثني عشر الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقال ان هؤلاء اخوانكم قد
اتوكم شاهرين السيوف فاجتبوا بافنية بيوتكم فاتقوا الله واصبروا فلعن الله من مد طرفه اليهم او اتقاهم بيد او رجل ويقولون آمين
روي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى
المساء وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولون البقية البقية يا الهنا فكشفت الضبابة والسحابة واوحى الله تعالى اليه قد غفرت
من قتل وتبت على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين الفا وقيل كانوا قسمين منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبد ولكن لم ينكر على من عبد فامر
من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل الانفس قمع الهوى لان الهوى حيوة النفس قوله واذ
قلتم يا موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى عليه السلام من الطور

الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه وللسامري ما قال واحرق العجل ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسأل موسى ذلك فاجابه الله اليه فلما دنا من الجبل وقع عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى عليه السلام من ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وعوا وكان موسى متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقالوا لن نؤمن لك بعد ذلك لن نؤمن لك اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة اي عيانا وهي مصدر قولك جهر بالقراءة والدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه نوع من الرؤية كما ان تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون منصوبا على الحال بمعنى ذوي جهرة ومن قرأ جهرة بفتح الهاء فاما لانه مصدر كالغلبة واما لانه جمع جاهر وانما اكدوا بهذا لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم او التخيل على ما يراه النائم فاخذتكم الصاعقة وهي ما صعقتهم اي اماتتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وصعقة موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما افاق والظاهر انه اصابهم بدليل ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون فرفع موسى يده الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع اليهم وليس معي منهم واحد فما الذي يقولون في فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم ارواحهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها فطلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان تقتلوا انفسهم وقيل ان هذه الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان يأتيه موسى في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم اخترت من خيرهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون معي احد منهم فماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك فاحياهم الله تعالى فقاموا ونظر كل واحد الى الآخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا يا موسى انك لا تسأل الله شيئا الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته هذا ما قال المفسرون وليس في الآية ما يدل على ترجيح احد القولين على الآخر ولا على ان الذين سألوا الرؤية عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة لان الخطاب مشافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله في حق موسى فلما افاق مع انه لفظة الافاقة لا تستعمل في الموت ثم في الآية فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا عن فعل ما يستحق بسببه ان يفعل به ما فعل باولئك ومنها تشبيه جحودهم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بجحود اسلافهم نبوة موسى عليه السلام مع مشاهدتهم لعظم تلك الآيات لينبهوا انه انما لا يظهر على النبي صلى الله عليه وسلم مثلها لعلمه بانه لو اظهرها لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت لفؤاده كي يصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لو صحت لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب حيث انهم عرفوا خبره وذلك ان الله تعالى بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الآيات كانوا يرتدون كل وقت ويتحكمون عليه فكيف يتعجب من مخالفتهم محمدا صلى الله عليه وسلم وان وجدوا في كتبهم اخبار نبوته ومنها لما اخبر محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة مع كونه اميا تبين ان ذلك من قبل الوحي بقي ههنا بحث وهي ان المعتزلة استدلوا بالآية على امتناع رؤية الله تعالى لانها لو كانت ممكنة او وقوع لم تنزل بهم العقوبة كما لم تنزل بهم حين التمسوا النقل من قوة الى قوة في قولهم لن نصبر على طعام واحد واجيب بان امتناع رؤيته تعالى في الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته في الآخرة الذي هو محل النزاع فلعل رؤيته يقتضي زوال التكليف عن العبد والدنيا مقام التكليف وايضا اقتراح الدليل زائد على صدق المدعي بعد ثبوته تعنت وايضا لا يمتنع ان الله تعالى علم فيه مفسدة كما علم في انزال الكتاب من السماء يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جاء الاستنكار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالعة الذات غفلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا اي جعلنا الغمام يظللكم وذلك في التيه كما سيجيء في المائدة سخر الله لهم السحاب فيسير بسيرهم يظلهم من الشمس والظل ضوءا ثان وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لادم قبل الزلة وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع لا ازيد ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا ازيد قال مجاهد المن صمغ حلو وعن وهب هو الخبز السميذ الرقاق هو ما من الله تعالى به عليهم وهذا كما يروى مرفوعا الكمأة من المن وفيها شفاء العين وقيل السلوى العسل وقيل طائر احمر كلوا على ارادة القول اي وقلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم فجعلوا موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عائد عليهم لا الى غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال ههنا وفي الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله في آل عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل والله اعلم

واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ۝ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون

القراءات يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وحبلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء ابن عامر وابو زيد عن المفضل نغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغما كل القرآن ابو عمرو خطاياكم وبابه بالامالة على قولا غير بالاخفاء يزيد وابو نشيط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة واولها الوقوف خطاياكم ط المحسنين ٥ يفسقون ٥ التفسير القرية مجمع الناس من قريت الماء في الحوض اي جمعت وبهذا الاعتبار كثيرا ما يطلق القرية على البلدة والجمع القرى على غير قياس وانما ياؤه من المعتل اللام نحو زكوة وزكا وظبية وظباء والنسبة اليها قروي وهو على القياس عند يونس حيث قال ظبوي في النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث نبقى على مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم

لم يدخلوا

لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى [illegible]

من ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وذلك ان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر احد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكي توبته لمن شاهد منه الذنب لان التوبة لا تتم الا بذلك الا الاخرس فيصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى التوبة ولازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطأ ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطأ عدوله عنه لتزول التهمة عنه في اثبات على الباطل وليعودوا الى موالاته بعد معاداته ويحسن الظن به وعن ابي مسلم الاصفهاني ان معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القراءات في نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفرها الله تعالى فقد غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتأنيث والخطاء والذنب قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا يقول منه خطئ يخطئ خطأ وخطأة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله خطائي بياءين ثم ابدلت الهمزة الفا فانفتحت الياء لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثاني محذوف للعلم به ولمكان الفاصلة اي سنزيدهم احسانا او ثوابا او سعة وذلك ان المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في سائر التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى ان المحسن بهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية واما منفعة دينية اي المحسن بها نزيد على الذنوب ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا او قولكم حطة مؤثرا في غفران الذنوب ثم ان اتيتم بعد ذلك بطاعات اخرى زدناكم ثوابا ويحتمل ان يكون المراد انهم صنفان لمن مخطئ تصير الكلمة سببا للغفرانه ومن محسن تصير سببا لزيادة ثوابه قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قال ابو البقاء التقدير فبدلوا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحد بنفسه والآخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي بغير باء هو الموجود ويجوز ان يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول والمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ حطة فجاؤوا بلفظ آخر لانهم لو جاؤوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا ونحو ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية والنبط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو انهم وضعوا غير ما امروا به مكان ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالفجاءة منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى ماتوا من الغداة الى العشي عشرون الفا وقيل سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل ان يكون شيئا نازلا من جهة العلو كريح ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل الامر النازل من عند الله تفظيعا لشان العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار التاكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل ونزل الرجز عليهم من السماء بالفسق الذي كانوا يفعلونه قبل ذلك التبديل مستمرا الى اوان هذا الظلم وبهذا الطريق زال التكرير ولان لفظة كانوا تنبئ عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة لا يتصور فيها الاستمرار فلو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا وربما احتج اصحاب الشافعي بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا انه لا يجوز تحريم الصلوة بلفظ التحميد والتعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها واجيب بانهم انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول آخر يضاده معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك ورد بان ظاهر الآية يتناول كل من بدل قولا بقول آخر سواء اتفق القولان في المعنى او لم يتفقا اسوله لم قال في البقرة واذ قلنا وفي الاعراف واذ قيل لانه صرح بالقائل في اول القرآن ازالة للابهام ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتي وفي الاعراف لم يبق الابهام ولم قال ههنا ادخلوا وثم اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة في الذكر على الاعراف ولم قال في البقرة فكلوا وفي الاعراف وكلوا بالواو ولما جاء في قوله وكلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة خطاياكم وفي الاعراف خطيئاتكم لان الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد اضاف القول ههنا الى نفسه وكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة وهناك لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الغرض ذكر ههنا رغدا ليدل على الانعام الاتم ولم يذكر في الاعراف ولم قال ههنا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو لمجرد الجمع ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب واللائق بالمحسن بالله تعالى ثم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللائق بالمذنب عكس ذلك ولانه ذكر في هذه السورة ادخلوا هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر قول الحطة وهو اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزائين احدهما الغفران والآخر الزيادة فترك الواو ليفيد توزع الجزائين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعني دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو وايضا الاتصال اللفظي حاصل في هذه السورتين قوله واذ قلنا وقوله وسنزيد بخلاف الاعراف ولان اللائق بالظاهر سنزيد بحذف الواو ليكون استئنافا للكلام وما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبني على التخصيص ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه واوامره عليهم فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا منهم فهناك ذكر امة عادلة وههنا ذكر امة جائرة فصار آخر الكلام مطابقا لاوله وآيات البقرة لم يذكر في اول الآيات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في آخر القصة مثل ذلك ولم قال في البقرة فانزلنا وفي الاعراف فارسلنا لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية وذلك انما يحدث بالآخرة وقيل ان لفظ الارسال في الاعراف اكثر فروعي التناسب ولم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين في البقرة كون ذلك الظلم فسقا اكتفى بذلك البيان في الاعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى فوصفهم بالامرين في الموضعين

واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ۝ واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا

ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو

[illegible]

ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله

[illegible]

ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ۝

[illegible]

القراءات عامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم الذلة بضم الهاء والميم حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وافق سهل اذا كان قبل الياء فتحة فقط وقرأ ابو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم النبيئين بالهمزة نافع الا في الاحزاب ان وهبت نفسها للنبي وبيوت النبي الا فروى اسمعيل وقالون عنه بغير همز الوقوف اجوط ... [illegible]

[illegible]

يقتلون النبيين بغير الحق وفي آل عمران ويقتلون النبيين بغير حق منكرا فالحق المعلوم ههنا بين المسلمين الذي يوجب القتل بالى قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل النفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا وأما الحق المنكر فالمراد تأكيد العموم اى لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره البتة والله تعالى اعلم واحكم قال الله تعالى

ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم

[illegible]

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا

[illegible]

ما فيه لعلكم تتقون ۝ ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ۝ ولقد علمتم

[illegible]

الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ۝ فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين

[illegible]

القراءات النصارى بالامالة ابو عمرو وعلي وخلف وورش من طريق النجاري والخراز عن هبيرة وكذلك كل را بعدها ياء وروى قتيبة بكسر الصاد والزاء وكذلك قوله سكارى واسارى وداوى كلها بامالة ما قبل الالف والصابين بغير همز ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الوقوف عند ربهم ز لنوع عدول عن اثبات الى نفي مع اتفاق الجملتين يحزنون ۝ الطور ط لان التقدير وقلنا لكم خذوا

[illegible]

واودون

واعدة ثابتة على حالها لم تزد ولاجل الذنب المتاخر تسنى فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتاخر المترقب مائة اخرى ولكنه كمن قيد عبده او حبسه لاجل الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين او ليعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم

واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ۝ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ۝ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ۝ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ۝ قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ۝ واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ۝ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ۝ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ۝

قرأ يامركم بالاختلاس ابو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مجموع من ذوات الراء هزوا ساكنة الزاي مهموزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرأ حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف لمكان الخط وقرأ حفص غير الخراز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا جئت وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف فادارأتم بغير همزة ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف عما يعملون

بهذا القول لانهم ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى عليه السلام هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى في الوحي وذلك ايضا كفر وعن آخرين انه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبياء جائزة فلعلهم ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة او المراد ما اعجب هذا الجواب كانك تستهزئ بنا لا انهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين اطلاق لاسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب الجهل ومنصب النبوة يجل عن ذلك كما يقول الرجل عند مثل ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى او اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين بما في الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزء قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد العلم ثم ان قيل ان المامور به ذبح بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم لان المامور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما على قول القائل انها للعموم فلا بد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها احدها انه لما اخبرهم بشان البقرة تعجبوا وظنوا ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا تكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السؤال عن وصفها كعصا موسى المخصوصة من بين سائر العصي بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الآية العجيبة لا تكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله تعالى على يد موسى او لعل القوم ارادوا قتل اي بقرة كانت الا ان القائل خاف من الفضيحة فالقى شبهة في البين وقال المامور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة رجعوا الى موسى او الخطاب وان افاد العموم الا ان القوم ارادوا الاحتياط فسألوا مزيد البيان وازالة الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت الامر بذبح البقرة المعينة فان قيل السؤال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم الا باجزائها ومقوماتها لا بصفاتها الخارجة فالجواب بالاوصاف الخارجة لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين ان مقصودهم من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ منه عندهم وانما وقع السؤال عن التشخص فالظاهر يقتضي ان يقال اي بقرة هي فان مطلب اي للسؤال عن الصفات الذاتية او الخواص فسبب العدول اما اقامة الحقيقة الشخصية مقام الحقيقة النوعية فان الشخص من حيث هو شخص حقيقة ايضا قد يطلب تصورها واما انهم تصوروا ان البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها مغايرة لحقيقة سائر البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورتها واما ان السؤال عن الجزئيات كزيد وعمرو انما يكون بمن اذا كان طالبا للعوارض وههنا الجزئي غير ذي عقل فناسب ان يقام ما مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض كطالق كانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية وكان الاظهر انها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال شعر نواعم بين ابكار وعون فان قيل لم قالوا انها النصف فان اطيب نصفيها الذي ذهبا وقد عونت وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع انه يدخل على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى واحد مذكر على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام ما تؤمرون اي ما تؤمرونه مثل امرتك الخير فافعل ما امرت به بمعنى ما تؤمرون به او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير ولما بين لهم حالها في السن شرعوا في تعرف حال اللون والفقوع اشد ما يكون من الصفرة يقال في التوكيد اصفر فاقع مثل اسود حالك واحمر قان وارتفع اللون على انه فاعل لفاقع والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان في الثاني تأكيدا ليس في الاول لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة وكانه قيل شديد الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض عند اعتقاد او علم او ظن بحصول شيء لذيذ او نافع وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثناء مندوب في كل عمل صالح يراد تحصيله لان فيه استعانة بالله وتفويضا للامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيئته الازلية وارادته السرمدية ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والمعنى انا بمشيئة الله نهتدي للبقرة المأمور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التي بها تمتاز عما عداها او انا ان شاء الله بتعريفها ايانا بالزيادة لنا في البيان نهتدي لها او انا ان شاء الله على هدى في استقصاء السؤال اي نرجو انا لسنا على ضلالة فيما نفعله من هذا البحث او انا بمشيئة الله نهتدي للقاتل لا ذلول صفة لبقرة مثل لا فارض اي بقرة غير ذلول لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث فلا الاولى للنفي والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية والذل بالكسر اللين عند الصعوبة ودابة ذلول بينة الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث تقول رجل صبور وامرأة صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا او مستعفاة من العمل وحشية مرسلة عن الحبس او مخلصة اللون لم يشب صفرتها شيء من الالوان وعلى هذا يكون لا شية فيها كالبيان للشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره اي لا لون فيها يخالف سائر لونها فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لونا آخر واصلها وشية حذفت فاؤها كما في عدة وزنة الآن اسم للوقت الذي انت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة ولم تدخل الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس له ما يشركه جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو القطع اعلى العنق وهو المستحب في الغنم والبقر والنحر هو قطع اللبة اسفل العنق وهو المستحب في الابل والمرعي في الحالتين قطع الحلقوم والمري لكن عنق الابل طويل فاذا قطع اعلاه تباعد الزهوق ولا يكره الذبح في الابل والنحر في البقر والغنم وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لاستكثارهم ما كاد ينقطع خيط اسهابهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على ان الامر للوجوب بل للفور والا لما ترتب هذا الذم على تثاقلهم واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او ينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة واصله تدارأتم ادغمت التاء في الدال فاحتيج الى همزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير في فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم والله مخرج مظهر لا محالة ما كنتم من امر القتيل وقد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكي الحاضر في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فلهذا صح عمل اسم الفاعل فيه والجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص لان هذا يتناول كل المكتومات وفيها دليل على ان الله لا يحب الفساد وانه لا يجعل الى ترويجه سبيلا وان ما يسره العبد من خير او شر ودام ذلك منه فان الله سيظهره ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم ان عبدا لو اطاع الله من وراء سبعين حجابا لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير في اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تأويل الشخص او الانسان ويحتمل ان يعود الى القتيل بدلالة قتلتم او ما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة وقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف

الغضروف

وهو اصل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والظاهر انهم كانوا مخيرين في اي بعض ارادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة والمعنى فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا صلى الله عليه وسلم ليس للقاتل من الميراث شيء والسر فيه انه استعجل الميراث فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعي رضي الله عنه ولم يفرق بين ان يكون القتل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغي او غير مستحق عمدا كان او خطأ وعند ابي حنيفة لا يرث في العمد والخطأ الا ان العادل اذا قتل الباغي فانه يرثه وقال مالك لا يرثه من ديته ويرثه من سائر امواله ومحل كذلك نصب على المصدر اي يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام اما مع الذين حضروا حيوة القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين الا انهم لم يشاهدوا ذلك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين عين اليقين وعلم اليقين واما ان يكون مع منكري البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يحتاج الى تقدير فقلنا بعد تقدير فضربوه فحيي ويريكم آياته دلائله على انه قادر على كل شيء فدلالة هذه القضية على وجود الصانع القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار في الايجاد والاعدام آية ودلالتها على صدق موسى عليه السلام آية ودلالتها على براءة ساحة من سوى القاتل آية ودلالتها على حشر الاموات آية وهي وان كانت واحدة لكنها في الحقيقة آيات عدة ويمكن ان يراد بالآيات غير هذه اي مثل هذه الاراءة يريكم سائر الآيات كما ان مثل هذا الاحياء يحيي سائر الاموات وفي قوله كذلك دون ان يقال كهذا التعظيم للمشار اليه وتبعيده كما قلنا في ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها اولا لتخصيصات في ذلك فان قيل ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه كون الحجة آكد وعن الحيلة ابعد فقد كان للملحد ان يتوهم ان موسى عليه السلام انما احياه بضرب من السحر وليعلم بالامر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو مسبب الاسباب ولما في ذبح البقرة من القربان واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على طلب الحوائج وما في التشديد عليهم لاجل تشديدهم من التلطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والاشفاق على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم تأويله من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب به الى الرب ان يكون من احسن ما يتقرب به فتي السن حسن اللون بريا من العيوب ثمينا نفيسا سمنوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم فان قيل لما قدم ذكر القتيل على ذبح البقرة كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون حينئذ قصة واحدة ويذهب الغرض في تثنية التقريع بالاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال اولا وبقتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية ثانيا على انها دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير في ببعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى قوله ثم قست قلوبكم الآية خطاب لاولئك اليهود الذين كانوا في زمن موسى او للذين هم في زمن محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ذلك الاحياء او من بعد ذلك الذي عددناه من جميع الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ فهي كالحجارة مثلها في القسوة او هي اشد قسوة من الحجارة لمن عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة ويجوز ان يقدر مضاف اي هي كالحجارة او مثل اشد قسوة لمن عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة كالحديد مثلا وانما قيل اشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من فعل القسوة لكونه ادل على فرط القسوة او لانه لم يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة فكانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها وحذف هذا الراجع لعدم الالتباس نحو زيد كريم وعمرو اكرم وكلمة او ههنا ليست للشك لعدم الشك في شيء وانما هي للتخيير بايهما شئت شبهت فكنت صادقا ولو جمعت بينهما جاز ثم اخذ في بيان فضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي ان منها الذي فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الغزير وان منها الذي يشقق انشقاقا طولا او عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة وقلتها فان الابخرة تجتمع في باطن الارض ثم ان كان ظاهر الارض رخوا تفشت وانفصلت وان كان صلبا حجريا اجتمعت وصارت مياها ولا تزال تتزايد الى ان يشق الارض من مزاحمتها وتسيل انهارا او عيونا واما قلوب هؤلاء فلا تنشرح للحق ولا تتاثر من الوعظ والنصح بعد مشاهدة الآيات ومعاينة الدلائل ويشقق اصله يتشقق فادغم التاء في الشين كقولهم يذكر في يتذكر لما يهبط للذي يتردى من اعلى الجبل وذلك من خشية الله تعالى اما لانه تعالى خلق فيه الحيوة والعقل والادراك كما روي من تسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم واما ان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد بها من الاحاطة والانفصال عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تتأثر وقيل اي يتزلزل من اجل ان يجعل خشية الله في قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع والدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد والمعنى انه بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم فيجازيهم في الدنيا والآخرة فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا او صفة تمدح بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشيء لا يستلزم ثبوت صحتها مثل لا تأخذه سنة ولا نوم

التأويل ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان في ذبحها حيوة القلب الروحاني وهو جهاد الاكبر موتوا قبل ان تموتوا شعر اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حيوتي وحيوتي في مماتي ومماتي في حيوتي مت بالارادة تحي بالطبيعة وقال بعضهم مت بالطبيعة تحي بالحقيقة ما هي اي بقرة النفس تصلح للذبح بسيف الصدق لا فارض في سن الشيخوخة فتعجز عن وظائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد ولا بكر في شرخ الشباب لسهوه بسكره عوان بين ذلك كقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه اصحاب الرياضات فاقع لونها يريد انها صفرة زين لا صفرة شين فانها سيماء الصالحين لا ذلول تثير الارض لا يحمل ذلة الطمع ولا تثير بآلة الحرص ارض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها ولا تسقي حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق مسلمة من آفات صفاتها ليس فيها علامة طلب غير الله وما كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان او من الدنيا او من النفس الامارة فقلنا اضربوه ببعضها ضرب لسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر تحيي باذن الله وقال ان النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار مراتب القلوب في القسوة مختلفة فالتي يتفجر منها الانهار قلوب يظهر عليها الغلبات انوار الروح بترك اللذات والشهوات لبعض الاشياء الشبيهة بخرق العادات كما يكون لبعض الرهابين والهنود والتي يشقق فيخرج منها الماء هي التي يظهر عليها في بعض الاوقات عند انخراق الحجب البشرية من انوار الروح فيريه بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء والتي يهبط من خشية الله ما يكون لبعض اهل الاديان والملل من قبول عكس انوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم والفرق انما في المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد في قربهم وقبولهم ودرجاتهم ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيد في غرورهم وعجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات مع فراسات تظهر لهم من تجلي انوار الحق ورؤية برهانه فاراءة الآيات للخواص سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ويريكم آياته لعلكم تعقلون لكن اراءة البرهان لاخص الخواص كما قال في حق يوسف عليه الصلوة والسلام لولا ان رأى برهان ربه سئل الحسين بن منصور رحمه الله

عن البرهان فضال واردات ترد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها والله اعلم

افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم

افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا

اماني وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا

فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله

عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك

اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون

[illegible]

القراءة الا اماني ... وهو المقصود عند ربكم ط افلا تعقلون ه يعلمون ه يظنون ه قليلا ط يكسبون ه معدودة ط ما لا تعلمون ه النار ج ... خالدون ه الجنة ج خالدون ه

التفسير لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود وسوء معاملتهم مع نبيهم اردفه قبائح اخلافهم المعاصرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه ...

[illegible]

[illegible]

واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس

حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون

[illegible]

ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ۝ ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم
افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون
الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ۝ اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون

القراءة يعبدون بياء الغيبة ابن كثير وحمزة وعلي والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة و كذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلي وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف حذف احدى التائين للتخفيف الباقون بالتشديد وجهه ادغام التاء في الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف اسارى تفادوهم يزيدون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد بناء لآخر الكلام على اوله الباقون بالتاء تغليبا للمخاطبين على الغيب الوقوف الزكوة ط لان ثم لترتيب الاخبار اي ومع ذلك توليتم معرضون ه تشهدون ه من ديارهم ز لان الكلام يشبه استينافا وكونه حالا اوجه والعدوان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام او النفي مع فاء التعقيب الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط تعملون ه بالآخرة ز لان الفعل مستأنف وفيه فاء التعقيب للجزاء ينصرون ه التفسير انه سبحانه كلفهم اشياء الاول قوله لا تعبدون الا الله من قرأ بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرأ بتاء الخطاب فللحكاية ما خوطبوا به وفي اعرابه اقوال احدها انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي كأنه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول عطف وقولوا واقيموا وثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفعت كقوله شعر الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويحتمل ان يكون ان مفسرة وان يكون مع الفعل بدلا من الميثاق كأنه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كأنه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه في الدين لان الامر بعبادة الله والنهي عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها الا بالوحي والرسالة التكليف الثاني قوله وبالوالدين احسانا معناه وتحسنون بالوالدين احسانا ليناسب لا تعبدون او احسنوا ليناسب وقولوا ويمكن ان يقدر ووصيناهم عطفا على اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول اما قبل لا تعبدوا او قبل احسنوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سببا للتربية فقط فلا انعام بعد انعام الله اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما يشبه انعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من انعامه على العبد وان اتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها ان الوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه يأخذ الحبة فيربيها مثل جبل احد ومنها ان المناسبة والميل والمحبة بين الوالد والولد ذاتية حتى عمت جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية وههنا اسرار فلتتأمل ومنها انه لا كمال يمكن للولد الا ويطلبه الوالد لاجله ويريده عليه كما ان الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه ولهذا ارسل الرسل وانزل الكتب والادلة وازاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان على ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى بان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر معتبر في جميع الشرائع ومركوز في كل العقول وقد ورد اطع الوالدين وان كانا كافرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى حنظلة بن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان اليهما في الآية اطلاقا وقد تلطف ابراهيم صلوات الرحمن عليه في دعوة ابيه من الكفر الى الايمان في قوله يا ابت يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم القلب ويراعي دقائق الادب والخدمة والشفقة ويبذل وسعه في رضاهما قولا وفعلا ولا يمنع اعزة اوقاته وكرائم امواله عنهما ويجتهد في تنفيذ وصاياهما ويذكر في صالح دعائه كما ارشد الله تعالى الى جميع ذلك في قوله تعالى فلا تقل لهما اف الى اخر الآية التكليف الثالث الاحسان الى ذوي القربى ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك اي الرحم مشتقة من الرحمن يعني انها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق والسبب العقلي في تأكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة الاتحاد والالفة والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى لاقارب زيد دخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد والاحفاد لا الابوان والولد على الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب وههنا دقيقة وهي ان العرب يحفظون الاجداد العالية ليرتفع نسبهم ونحن لو رقينا الى الجد العالي وحسبنا اولاده كثروا فلهذا قال الشافعي يرتقي الى اقرب جد ينسب اليه ويعرف به وذكره وفي شان من اوصى لاقارب الشافعي فانا نصرفه الى اولاد شافع فانه منسوب اليه ولا يدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان شافع وعلي والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد والشافعي هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب قال المحققون هذا في زمان الشافعي واما في زماننا فلا نصرفه الا الى اولاد الشافعي ولا نرتقي الى بني شافع لانه اقرب من يعرف اقاربه في زماننا ولا يدخل الاقارب من الام في وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا يفتخر بها اما لو اوصى لذي رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهب طائفة الى ان الاقوى ما اجاب به العراقيون ومال اليه ابو حنيفة وهو ان اقارب الام يدخل في الوصية مطلقا سواء كانت في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلى الله عليه وسلم سعد خالي فليرني امرؤ خاله والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان الى الوالدين وذلك بان يجتهد في رضاهم بما يتيسر له عرفا وشرعا وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو موسر التكليف الرابع الاحسان الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه بقدر النفقة والزكوة ومؤن الملك بالكسب والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النصيحة قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم

واليتيم في غير الانسان من قبل امه واليتيم من الدر ما لا اخت له وانما جمع يتيم على يتامى لان اليتيم لما كان من صفات الابتلاء حمل على الوجيع والحبط فكما قالوا في وجيع وحبط لمنتفخ البطن وجاعى وحباطى قيل في يتيم يتامى وفي الكشاف انه اجري يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتائم ثم يتامى على القلب وكذا في اليتيمة التكليف الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون كان الفقر سكنه ولانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالسكير الدائم السكر وهو اسوأ حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابي حنيفة رح ومالك واحتجوا بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وعند الشافعي واحمد الامر بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان فقاره انكسر لشدة حاجته والمسكين قد يملك ما يتعلل به قال تعالى اما السفينة فكانت لمساكين ويظهر اثر الخلاف فيما لو اوصى للفقراء دون المساكين او بالعكس والاحسان الى ذوي القربى واليتامى والمساكين ينبغي ان يكون مغايرا للزكوة لان العطف يقتضي التغاير التكليف السادس وقولوا للناس حسنا بالوصف اي قولا حسنا وحسنا على المصدر اي قولا ذا حسن او قولا هو الحسن في نفسه لافراط حسنه او بحذف قولا حسنا والظاهر ان المخاطبين بذلك هم الذين اخذ ميثاقهم لاتحاد القصة قيل انه مخصوص اما بتخصيص الناس اي قولوا للمؤمنين حسنا بدليل اية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما بتخصيص القول اي قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال اهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الانسان مع الناس في الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب ان يكون بالرفق الى الطاعة كما لغائب تحمل القول اينما عتبر ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي احسن واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم انه اذا امكن التوصل الى الغرض بالتلطف من القول لم يعدل الى غيره الا ان زاد دخل الحزن في مشق الاساءة فثبت ان جميع آداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول وعن الباقر قولوا للناس احسن ما تحبون ان يقال لكم التكليف السابع والثامن قوله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقد تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب ولترتب الذم عليهم بتوليهم وهذه التكاليف ايضا واجبة في شرعنا وعن ابن عباس ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اغاثة المضطر واجبة وان لم يجب علينا الزكوة واعلم ان التكليف اما بدني او مالي وكل منهما اما عام او خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا مؤتمرا لله تعالى بحيث لا يرى لنفسه شيئا من التصرف والاختيار كالعبد الماثل بين يدي مولاه اليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلوة واشار اليه بقوله واقيموا الصلوة فللصلوة اوقات مخصوصة واركان وشروط معدودة والمالي الخاص هو الزكوة لتخصصها بالاصناف الزكوية وبالنصاب وبالحول وغير ذلك والمالي العام لكونه منوطا بالمقدرة والامكان سببه اما النسب او لا والنسب اما سابق او مقارن او لاحق فالسابق الوالدان والمقارن الاقارب واللاحق اليتامى لانهم اولاد وذلك اذا كان الولي جدا او بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان الولي غيره وغير النسب اما الاحتياج والفقر وهو المساكين او الاشتراك في النوع ولا يمكن الا بالقول الحسن وما ينخرط في سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم والقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة ايضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا مزيد عليه وقد ذكر اكثر هذه المعاني في سورة النساء بضرب من التأكيد فاكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا واكد الاحسان الى ذي القربى وما يتلوه بذكر الجار وهو الصاحب والجار الجنب وابن السبيل ... كالتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا قوله ثم توليتم قيل الخطاب للمتقدمين من بني اسرائيل على طريقة الالتفات ووجهه ان اول الكلام معهم وكذا اخره بدليل وجوب الانصراف عن هذا اللفظ وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود فانه تعالى بين ان تلك المواثيق كما لزمهم التمسك بها فكذلك هي لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التوراة من نعت محمد وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذي لزمهم وانتم مع ذلك توليتم الا قليلا منكم وهم الذين آمنوا وانتم معرضون اثروا الاعراض اي وانتم قوم من عادتكم الاعراض اعرضتم بعد ظهور المعجزات كما عن الحق اسلافكم وقيل ثم توليتم للمتقدمين وانتم معرضون للمتأخرين وانما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد اخذنا ميثاق آبائكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف وفي قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه فاي فائدة في النهي والجواب ان هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من اهل الهند انهم يعتقدون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور وكثير ممن يصعب عليه الزمان او المراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا او انه اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه او لا تتعرضوا لمقاتلة من يقتلكم فتكونوا قد قتلتم انفسكم و لا تخرجون انفسكم لا تفعلوا ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم او المراد اخراج بعضهم بعضا من ديارهم لان ذلك مما يعظم فيه المحنة حتى يقرب من الهلاك والمراد لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون ثم اقررتم وانتم تشهدون اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض بذلك لانه كان شايعا فيما بينهم مشهورا او وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم معنى ثم الاستبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره اي انتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما يقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وتقتلون بيان لانتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول والتظاهر التعاون ولما كان الاخراج من الديار وقتل البعض بعضا مما يعظم به الفتنة واحتيج فيه الى اقتدار وغلبة بين تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن يظاهرهم على الظلم والعدوان وفيه دليل على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره عنه ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسأل عما يفعل اسرى جمع اسير كجرحى في جريح واسارى جمع اسرى كسكرى وسكارى وقيل اسارى من الجموع التي ترك مفردها كانه جمع اسران ككسالى وعجلان وقوله تفادوهم جمهور المفسرين على انه وصف لهم بما هو طاعة وهو التخليص من الاسر ببذل مال او غيره ليعودوا الى كفرهم وهو ضمير الشأن واخراجهم مبتدأ ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز ان يكون هو مبتدأ مبهما ومحرم خبره واخراجهم تفسير افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا وقد يكون المناقضة ادخل في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في التمسك بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحجة في امرهما على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان ببعض والكفر ببعض والكل في الميثاق سواء الخزي الذل والهوان خزي بالكسر يخزى خزيا اي ذل وهان وخزي ايضا يخزى خزاية اي استحيى فهو خزيان فاذا قيل اخزاه الله فالمراد اهانه او اوقعه موقعا يستحيي منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شأنه

[illegible]

عنهم في اول الكتاب الست بربكم فقلتم بلى وتكفرون ببعض وهو الذي عاهدتم عليه الا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى والله يهدي الى طريق الخير والرشاد

ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما
جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله
بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله
بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم آمنوا
بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين

القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير ... وحمزة في الوقف ينزل خفيفا ابن كثير
... عمرو وسهل ويعقوب الوقوف القدس ط استكبرتم ج لتناهي الاستفهام مع تعقب فاء التعقيب بعده كذبتم ز لعطف المستقبل ...
تقتلون ٥ غلف ط لان بل اعراض عن الاول وتحقيق للثاني يؤمنون ٥ لما معهم لا لان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة للشرط ...

[illegible]

من قبل الوحي وايضا القرآن يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما اخبر الله تعالى انه مصدق للتورية وجب اشتمال التورية على الاخبار عن نبوته
فدعوى الايمان بالتورية يجب ان يؤمن بمحمد والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من وجه اخر كذب دعواهم وهو ان التورية لا تسوغ قتل الانبياء وانتم
سوغتم ذلك وفيه دليل على ان ايراد المناقضة على الخصم الالد جائز والكلام وان كان على وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل ويقتلون حكاية
حال ماضية والاصل لم لما بادخال لام التعليل في ما الاستفهامية حذفت الالف للتخفيف اي لاي غرض وباي حجة كان اسلافكم يقتلون الانبياء او في
ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدمه وفيه تنبيه على ان اليهود المعاصرين خرجوا
بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم من الايمان بالتورية كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم التاويل هذا حال
اكثر البطالين المتشبهين يستمعون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته نفوسهم قبلوه وما استغربته نبذوه وانكروه فيكذبون فريقا منهم فرارا عن تعب
اعباء الطالب ويثيرون الفتنة على فريق بالجحد والانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب اذا ابتلي
في اثناء الطلب بالوقفة والفترة لم ييئس وذلك ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله ويد وهمة الاستاذ والشيخ فاما اذا زلت قدمه
عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعتراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان اهل كل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من العلماء
والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى عند رفع حوائجهم في صالح دعائهم ويفخرون بصحبتهم عند الخلق فلما
وجدوا واحدا منهم ما عرفوا قدره وجحدوه واظهروا عداوته وما انصفوه فباؤا بغضب من رد ولاية الاولياء على غضب من الله لاوليائه كما
جاء في الحديث من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانا اغضب لاوليائي كما يغضب الليث لجروه والله العالم بحقائق الاشياء

ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ۝ واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم
ان كنتم مؤمنين ۝ قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين ۝ ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ۝ ولتجدنهم احرص الناس
على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون ۝

القراءة ولقد جاءكم مدغمة الدال في الجيم كل القرآن ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم
العجل بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ حمزة وعلي وخلف بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما لقي الميم حرف ساكن
وقبل الهاء كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف ظالمون ۝ الطور ط لتقدير القول واسمعوا ط بكفرهم ط مؤمنين ۝ صادقين ۝
ايديهم ط بالظالمين ۝ على حيوة ج على تقدير ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم ومن وقف على اشركوا فتقديره احرص الناس على حيوة واحرص
من الذين اشركوا او يود مستانف للبيان وتمام لم يدخل من في الناس ودخل في الذين اشركوا لان اليهود من الناس وليسوا من المشركين كقولك
الياقوت افضل الحجارة وافضل من الديباج سنة ج لان ما بعد يصلح مستانفا وحالا ان يعمر ط يعملون ۝ التفسير السبب في تكرير قصة اتخاذ
العجل ههنا القدح بوجه آخر في قولهم بما انزل علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فان قوم موسى
بعد ظهور المعجزات الواضحات على يده اتخذوا العجل الها ومع ذلك صبر وثبت على الدعاء الى ربه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور
للتاكيد ولما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا الدال على نهاية لجاجهم وذلك انه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة
وظاهر الآية يدل على انهم قالوا هذا القول اعني سمعنا وعصينا وعليه الاكثرون وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر
عن ذلك بالقول مثل قالتا اتينا طائعين واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان
لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا وفي هذه الاستعارة لطيفة وهي ان الشرب مادة الحيوة وما تخرجه الارض فكذا تلك المحبة
كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم وفي قوله اشربوا دلالة على ان فاعلا غيرهم فعل ذلك بهم كالسامري وابليس وشياطين الجن والانس
وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله تعالى ولا ريب ان جميع الاسباب تنتهي الى الله تعالى وقد عرفت التحقيق في امثال ذلك
مرارا بئسما يامركم به المخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يامركم به ايمانكم بالتورية عبادة العجل فليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر
الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم واعلم ان الايمان عرض ولا يصح منه الامر والنهي لكن الداعي
الى الفعل قد يشبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان كانت لكم الدار الاخرة الدار اسم كان وفي الخبر ثلاثة اوجه
الاول خالصة وعند ظرف خالصة او للاستقرار الذي في لكم ويجوز ان يكون عند حالا من الدار والعامل فيها كان او الاستقرار واما لكم فيكون
متعلقا بكان لانها تعمل في حروف الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها بعد خالصة اي خالصة لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز ان يكون صفة
لخالصة قدمت عليها فتعلق حينئذ بمحذوف الثاني ان يكون خبر كان لكم وعند الله ظرف وخالصة حال والعامل كان او الاستقرار الثالث
ان يكون عند الله هو الخبر وخالصة حال والعامل فيها اما عند او ما يتعلق به او كان ولكم وسوغ ان يكون عند خبرا كان لكم اذ كان فيه تخصيص وتبيين كقوله
ولم يكن له كفوا احد وقوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول خلص كذا من كذا والمراد بالدار الآخرة الجنة لانها هي المطلوبة من الدار الآخرة
دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على عندية المكان ممكن ههنا لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اي سالمة خاصة بكم
لا حق لاحد فيها سواكم ودون ههنا يفيد التجاوز والتخطي في المكان كما تقول لمن وهبت منه ملكا هذا لك من دون الناس اي لا يتجاوزك الى غيرك
والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس اولى لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولانه لم يوجد ههنا معهود فان قلت ان

ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لا يجوز ان يقال في معرض الاستدلال على الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الا والاول مما يجب ليتجه الالزام بالثاني كقوله
تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا نحن ابناء الله واحباؤه ولما اعتقدوا في انفسهم انهم هم المحقون ان النسخ غير جائز عندهم وزعمهم ان آباءهم
الانبياء يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا كانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوا كالحجة في ان النبي المنتظر المبشر به في التورية
منهم لا من العرب وكانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالآية وبيان الملازمة
ان متاع الدنيا قليل في جنب نعيم الآخرة وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ومنازعته معهم بالجدال والقتال فالموت
خير لهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن التنغص ولا يفوت الا القليل المنكد والوسيلة وان كانت مكروهة نظرا الى ذاتها لكنه قد يرتكبها
العاقل نظرا الى غايتها كالفصد ونحوه والنهي عن تمني الموت في قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا بد فليقل اللهم احيني ما كانت
الحيوة خيرا لي وامتني ما كانت الوفاة خيرا لي محمول على من سببه عدم الصبر على الضر وكد العيش كما قال القائل شعر الا موت يباع فاشتريه فهذا العيش
ما لا خير فيه الا رحم المهيمن روح عبد تصدق بالوفاة على اخيه فان ذلك نوع من عدم الرضا بالقضاء ويدل على الجزع وضيق العطن وينافي قضية
التوكل والتسليم او على من سببه الجزم بالوصول الى نعيم الآخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب ونوع من الاخبار بالغيب لا يليق الا ببعض اولياء الله تعالى
روي ان عليا رضي الله عنه كان يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع ايضا فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين
فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني
وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله ونيل ثوابه وذلك
لمكان البشارة فاما احدنا فلا ليس له تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله انا عند ظن عبدي بي وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا بقي على الارض يهودي وليس لهم ان يقلبوا هذا السؤال على محمد صلى الله عليه وسلم فيقولوا انك تدعي ان الدار
الآخرة خالصة لك ولامتك دون من ينازعك في الامر فارض بان يقتلك ويقتل امتك فانا نراك وامتك في الضر الشديد والبلاء العظيم
وبعد الموت تتخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه صلى الله عليه وسلم بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحيوته وحيوة
امته فله ان يقول لاجل هذا لا ارضى بالقتل مع ان المؤمن من هذه الامة فلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده والعبد
الآبق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا في اموالهم وانفسهم في سبيل الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر عن عبادة بن صامت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء
الله كره الله لقاءه فقالت عائشة رضي الله عنها او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته
فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه كره
لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا من موجبات
النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وتحريف كتاب الله وسائر قبائح افعالهم وذكر الايدي مجاز لان اكثر الاعمال تتم بمباشرة اليد وقوله
لن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا وذلك ان التمني ليس من افعال القلب حتى لا يطلع عليه احد وانما هو قول
الانسان بلسانه ليت لي كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب فلو انهم تمنوا لنقل ذلك كما ينقل سائر الحوادث العظام ولكان
ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن اكثر من الذر وايضا لو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا
ذلك وايضا لولا انه تعالى اوحى اليه انهم لن يتمنوا لم يكن في العقل رخصة الاقدام على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة واذا ثبت انتفاء اللازم
[illegible]

قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين

من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ۝ ولقد انزلنا اليك

ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون ۝ اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم

بل اكثرهم لا يؤمنون ۝ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ

فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ۝

القراءة جبريل مفتوحة الجيم مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير وقرا حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص ويحيى مفتوحة الراء والجيم مهموزا مشبعا وقرا يحيى مختلسا الباقون مكسورة الراء والجيم غير مهموز ميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرا ابو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل مهموزا مشبعا الوقوف للمؤمنين ۝ للكافرين ۝ بينات ج لان هذه الواو للابتداء والحال والحال اوجه لاتحاد القصة

...

وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه وتركوا العمل به وقيل كتاب الله التورية لانهم لكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كافرون بها وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه اللهم ارزقنا العلم بكتابك والعمل به والله تعالى اعلم بالصواب

واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل

على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء

وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة

من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ۝ ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ۝

القراءة ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى الملكين بكسر اللام ههنا وفي سورة الاعراف قتيبة على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل الوقوف على ملك سليمان ج لان الواو تصلح حالا لبيان نزاهة سليمان ...

الشرائع وهذا الخلاف انما يقع لعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على نبي نوعه واختلف في سبب اضافتهم السحر الى سليمان فقيل ليروج ذلك فيهم و
قيل لانهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن واظهر اسرارا عجيبة غلب على ظنونهم انه استفاد ذلك من الجن وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب
القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين ان الذي برأه منه لاحق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا اي
كفروا فقد كان من الجائز ان يتوهم انهم كفروا لا بالسحر فقال يعلمون الناس السحر وما انزل اي ويعلمونهم الذي انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت عطف
بيان للملكين علمان لهما ممتنعان من الصرف للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقيل بولان منها ولنذكر ههنا
حقيقة السحر وقصة هاروت وماروت اما السحر في اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ومنه الساحر العالم وسحره وخدعه والسحر
الرئة وفي الشرع مختص بكل امر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى
سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال صلى الله عليه وسلم
ان من البيان لسحرا سمى بعض البيان سحرا لان صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطيف عبارته ويقدر على تحسين
القبيح وتقبيح الحسن لسخطه تارة فيقول اسوأ ما يمكن ويرضى تارة فيقول احسن ما يعلم ثم السحر على اقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا
في قديم الدهر وهم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق
بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابرهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذاهبهم و
منها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يتمكن الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الارض لا يمكنه المشي عليه لو كان
كالجسر وما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوي اوجبه وقد اجمعت الاطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء
القوية اللمعان والدوران وما ذاك الا لان النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكي في الشفاء عن ارسطو ان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة في
في الحراب مع الديك ينبت على ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديك وهذا يدل على ان الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجمعت
الامم على ان الدعاء مظنة الاجابة وان الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر وحكي ان بعض الملوك عرض له فالج فدخل عليه بعض الحذاق
من الاطباء على حين غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض فاشتد غضب الملك وقفز من مرقده قفزة اضطرارية وزالت تلك العلة
المزمنة والاصابة بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كانها
روح من الارواح السماوية وكانت قوية التأثير في مواد هذا العالم اما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فحينئذ لا يكون
لها تصرف البتة الا في هذا البدن فاراد ان يتعدى تأثيرها الى بدن آخر اتخذ تمثال ذلك الغير ووضعه عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه الخيال عليه
واقبلت النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المألوفات والمشتهيات
وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب ماهيتها وخاصيتها عظم التأثير واما الرقى فان كانت بالفاظ
معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة للغرض فحس السمع ايضا يشتغل بها فان الحواس متى تطابقت
متوجهة الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه اقوى وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة والدهش وتحصل لها نوع
انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التأثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن قالوا فثبت ان هذا القدر من القوة
النفسانية مستقل بالتأثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تأثيرات الكواكب قوي الاثر جدا لا سيما ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس
المفارقة المشابهة لها او من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها
التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك ان اغلاط البصر كثيرة فان راكب السفينة اذا نظر الى الشط رأى السفينة واقفة و
والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالاجاصة ويرى العظيم من البعيد صغيرا وقد لا يقف القوة الباصرة
على المحسوس وقوفا تاما اذا ادرك المحسوس في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض ولا يتميز فان الرحى اذا اخرجت من مركزها الى محيطها خطوط كثيرة
مختلفة ثم ادبرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان وايضا النفس اذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر فلا يشعر
الحس به البتة كان الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما ان قلبه مشغول بشيء آخر وكذا الناظر
في المرآة ربما قصد ان يرى سطح المرآة هل هو مستو ام لا فلا يرى شيئا مما في المرآة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ
عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئا آخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين اشتغالهم
بالاول وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الاعمال العجيبة التي تظهر من الآلات المركبة على النسب الهندسية او لضرورة الخلاء
[illegible]
... ان يعرف صدق الانبياء والرسل

ورتبت بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله تعالى اظهار الخوارق على يده لئلا يحصل التلبيس اما اذا لم يدع
النبوة فظهرت الخوارق على يده لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان المحق يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت
لم يتم فضوله ابطال كثار العرتج واما سائر انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد واذا سحر انسانا فان قال اني سحرته
وسحري يقتل غالبا وجب عليه القود وان قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطأ وعن ابي حنيفة رحمه
انه يقتل الساحر اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه فاذا اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر
او وصفوه بصفة يعلم انه ساحر قتل ولا يستتاب وان اقر باني كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت فقد
يروى عن ابن عباس ان الملائكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وكل عليهم جمعا من الملائكة
وهم الكرام الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة فتعجبت الملائكة منهم ومن تبقية الله مع ما ظهر منهم من القبائح ثم اضافوا اليها عمل السحر فازداد تعجب
الملائكة فاراد الله ان يبتلي الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علما وزهدا وديانة لانزلهما الى الارض فاختبرهم فاختاروا هاروت وماروت
وركب فيهما شهوة الانس وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنى والشرب فنزلا فامر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به فهبطا الى الارض
فجعلت الزهرة في صورة امرأة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك نفسه في منزلها مثال
صنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت
خصلة لست امكنكما من نفسي حتى تفعلاها قالا وما هي قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا لا نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل
ثم نستغفر فسجدا للصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت ان اظهر هذا السائل للناس ما رأى منا فسد امرنا فان اردتما الوصول الي فاقتلا هذا الرجل فاشتغلا
ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل ارتفعت الزهرة والملك الى موضعهما من السماء فعرفا حينئذ انه انما اصابهما ذلك بسبب تعييرهما بني آدم وفي رواية
اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان
الى السماء فتكلمت المرأة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعالى خيرهما بين عذاب الآخرة آجلا وبين
عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بئر الى يوم القيامة وهما يعلمان الناس السحر ويدعوان اليه ولا يراهما احد
الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل عليها ولان الدلالة على عصمة الملائكة تنافيها ثم
ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الى السماء وجعلها الله تعالى كوكبا مضيئا ولانه ذكر في القصة ان الله
تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما
ان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا
من معارضة اولئك الكاذبين ولا شك ان هذا من احسن الاغراض والمقاصد وايضا تعريف حقيقة السحر ليتميز بينه وبين المعجزة حسن وكذا السحر
لايقاع الفرقة بين اعداء الله والالفة بين اولياءه ولعل الجن اتوا انواعا من السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز ان ذلك
تشديد في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه ان يتوصل به الى اللذات العاجلة ثم منعه من استعماله كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب
مزيد الثواب كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ويقال هذه الواقعة كانت في زمان ادريس لانهما اذا كانا
بصورة البشر لهذا الغرض فلا بد من رسول نبي وقتهما ليكون ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس ثبت انه لا يكون الا منهم وقوله
تعالى وما يعلمان اي ما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق او
متوصلا به الى شيء من المعاصي والاغراض العاجلة فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم في من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به
بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر فبانت منه امرأته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث في العقد ونحو ذلك
مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان
احدث عند ذلك شيئا من افعاله وان شاء لم يحدث وكان الذين يتعلمون منهما لم يكن مقصورا على هذه الصورة ولكن سكون المرء وركونه
لما كان اشد خصت بالذكر ليدل بذلك على ان سائر الصور بتأثير السحر فيها اولى وقرأ الاعمش وما هم بضاري به من احد فجعل الجار جزءا من المجرور وهو حجة
والاضافة للمجموع وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه في وجوه المفاسد ولقد علموا هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا في لمن
اشتراه استبدل ما تتلو الشياطين واختار كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب كانه قدر له هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص وقيل معنى الآية
ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليتوصل بذلك الاحتراز الى منافع الآخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكانه اشترى بمنافع الآخرة منافع الدنيا
ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها والمخصوص محذوف وهو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله اي لو كانوا يعلمون بقي ههنا
سؤال وهو انه كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بل القسم ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون فان لو لامتناع الثاني
لامتناع الاول وكذا لو كان للتمني فان التمني استدعاء امر هو كالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا
الناس الى تعلمه ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر سلمنا ان القوم واحد ولكنهم علموا شيئا وجهلوا
شيئا آخر علموا انه لا خلاق لهم في الآخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد والمعلوم
ولكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل صم بكم عمي حيث لم ينتفعوا بالحواس ولما اوعدهم بقوله ولقد علموا اتبع ذلك الوعد جامعا
بين الترهيب والترغيب ليكون ادعى الى الطاعة وانهى عن المعصية فقال ولو انهم آمنوا بالنبي وبما نبذوه من كتاب الله وهو القرآن والتوراة التي يصدقها
القرآن او كلاهما واتقوا بفعل المنهيات وترك المأمورات او اتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله
لشيء من ثوابه خير ولا بد من تقدير فعل يكون ان مع ما بعده فاعلا له اي لو ثبت انهم آمنوا وجواب لو محذوف ايضا يدل عليه هذه الجملة الاسمية المعقبة
باللام اي لاثيبوا وانما تركت الفعلية الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز ان يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة جوابه سادا مسد جواب
الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطئة للشرط غير واجب في القسم المقدر وان كان هو الاكثر على ان دخول اللام الموطئة في لو مستقل فيشبه ان يكون
الاكثر بل الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله ايمانهم كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدى لمثوبة من عند الله خير لو كانوا
يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لآمنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمني كما تقرر والله اعلم بالتأويل

واتبعوا ما تتلوا شياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذي هو خليفة الله في ارضه وما كفر سليمان الروح ولكن شياطين النفس والهوى كفروا
يعلمون الناس السحر من تخيلات الهواجس وتموهات الوساوس وما انزل فتنة وخذلانا من العلوم الضارة غير النافعة كشبهات الفلاسفة والمبتدعة
على ملكي الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح وماروت القلب فانهما من العالم العلوي الروحاني اهبطا الى ارض العالم الجسماني بالخلافة لاظهار
الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة الحيوة الدنيا واتبعا خداعها فوقعا في شبكة الشهوة التي ركبت فيهما ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص الغفلة
التي تخامر العقل وزينا بعض الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى فقيدا بسلاسل رؤسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات فحرما استماع
الحق وكشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجنة ومنعا من خصوصية الملكية الروحانية ما يعلمان احدا من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والقوى
البشرية حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوج دينه والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ۝ ما يود الذين كفروا من اهل
ای کسانی که ایمان آوردید مگویید راعنا و گویید منتظر ما باش و بشنوید و مر کافران راست عذابی دردناک دوست نمیدارند آنانکه کافر شدند از اهل
الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۝
از اهل کتاب و نه مشرکان که فرو فرستاده شود بر شما هیچ چیزی نیکو از پروردگار شما و خدای خاص میکند به بخشایش خود هر که را خواهد و خدای خداوند بخشش بسیار است
ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير ۝ ألم تعلم ان الله له ملك
هر چه نسخ کنیم از آیتی یا فراموش گردانیم بیاریم بهتر از آن یا مانند آن آیا ندانستی که خدای بر همه چیزی تواناست آیا ندانستی که خدای مر او راست پادشاهی
السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ۝ ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل
آسمانها و زمین و نیست شما را از غیر خدای هیچ دوستی کارگزار و نه یاری دهنده آیا میخواهید که سوال کنید از پیغمبر خود چنانکه کرده شد
موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ۝
از موسی از این پیش و هر که اختیار کند کفر را بجای ایمان بحقیقت گم کرد میانه راه را

القراءة ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننسها مهموزا ابن كثير وابو عمرو ...

الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وروي لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب او الحكم والتلاوة كما روي عن عائشة رضي الله عنها كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعا والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم ويروى ان سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال او ازيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى تفسير الآية ما ننسخ محمول على نسخ الحكم وازالته دون التلاوة وننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعا وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلوة او يحتج به فاذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسي او ان ذكر فعلى طريق ما يذكر خبر الواحد فيصير بهذا الوجه منسيا عن الصدور او يكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم كما روي انهم كانوا يقرؤون السورة فيصبحون وقد نسوها قال عز من قائل سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله والناسخ الآية الامر بنسخها وهو ان يأمر جبرئيل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها وننسؤها نؤخرها وانساؤها الا الى بدل وقيل ما ننسخ من آية نبدلها اما بان نبدل حكمها فقط وتلاوتها فقط او نبدلهما وننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ من آية ما رفعها بعد انزالها او ننسأها بالهمز نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ او نؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فانا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة ولا ان قوله نأت بخير منها او مثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي ومعنى الآية عند جمهور المفسرين آية القرآن وعند ابي مسلم التورية والانجيل كامر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى اعم فكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنة آية من صحيفة المخلوقات وكل فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ومعنى نأت بخير منها او مثلها ان حملنا الآية على ما يتضمن حكما على المكلف ان الثاني اخف او انفع بالنسبة الى وقته كما ان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته فالثاني خير بالنسبة الى وقته ومثل الاول بالنسبة الى وقتهما او يراد ان العمل بالثاني اكثر ثوابا من العمل بالاول او مساوله فكل منهما قد تقتضيه الحكمة دون ما هو اقل ثوابا وان حملنا الآية على غير ذلك فيتعين الاصلح قال اهل الاشارة اراد بالنسخ السالك وترقيه من حال الى حال اعلى منه وان غصص سكنا لهم ابدانا صرحهم وصالهم والمأ أهر فلا ينسخ من آثار عبادتهم شيء الا ابدل منها واشياء من انوار العبودية ولا ينسخ شيء من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشياء من آثار الربوبية وايضا انهم يشاهدون بعض الوقائع الحقيقية في الصور اللطيفة كسبيها المتخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا الى مقام آخر لا يشاهدون ذلك فتلك المشاهدة فقط [illegible] المعز انه حجب عن ذلك المقام او الحال فقيل ما ننسخ من آية من آياتك او ننسها بان نمحوها من ادراك الخيال نأت بخير من تلك المشاهدة او مثلها ثم ان الائمة استنبطوا من الآية مسائل الاولى زعم قوم انه لا يجوز نسخ الحكم الا الى بدل لقوله نأت بخير منها او مثلها والجمهور على خلافه لان الآية لا تدل الا على وجوب الاتيان بآية اخرى اما على وجوب الاتيان بحكم آخر فلا سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى وبنسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا يجوز ان يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجودي خيرا للمكلف لمصلحة قلت الثانية زعم قوم ان النسخ لا يجوز بالاثقل لان الاثقل لا يكون خيرا منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كونه اثقل او كونه على قدر نصبك وايضا قد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتما وصوم عاشوراء برمضان وحبس في البيوت للزاني بالحد واما النسخ الى الاخف فكنسخ العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشر وكنسخ صلوة الليل الى التخيير فيها واما النسخ الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة عن الشافعي ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها او مثلها وذلك يدل على ان المأتي من جنسه كما اذا قال الانسان ما آخذ منك من ثوب آتك بخير منه يفيد انه يأتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وايضا نأت يدل على ان الآتي هو الله لا الرسول وايضا المأتي به خير والسنة لا يكون خيرا من القرآن وايضا قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير دل على ان الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف المكلف تحت مشيته وارادته لا دافع لما اراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى واجيب بان قوله نأت بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب ان يكون ناسخا بل لا يمتنع ان يكون ذلك الخير شيئا مغايرا للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك ان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية الاولى فلو كان نسخ تلك الآية مرتبا على الاتيان بذلك الخير لزم الدور ولك ان تدفع الدور بان يقال المراد ما اردنا نسخها من آية نأت بخير منها حتى ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله الا لا وصية لوارث وبان آية الجلد صارت منسوخة بخبر الرجم اجاب الشافعي بان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية ولعل الرجم انما ثبت بقوله الشيخ والشيخة [illegible]

[illegible]

طلبا لوجه الحكمة التفصيلية في نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا فالتكفير اما لانهم طلبوا منه ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج قلت والاصوب في الآية ان يكون ام تريدون منقطعا على تقدير انه على انه خطاب لكل مكلف فيكون في معنى الجمع ثم ام اما ان يكون متصلة على معنى اي الامرين كائن فان العلم واقع بكون احدهما لانه اما ان لا يعلم نفوذ ملكه وقدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره واما ان يعلم فيسأل وجه الحكمة في النسخ ونحوه على سبيل العناد وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المعترف بحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورأفته الكاملة وقدرته الظاهرة من حقه ان يقتصر على علمه الاجمالي ولا يتخطى مقام الادب في البحث والتفتيش عن تفاصيل حكمه التي لا تكاد تنحصر ويوهم ان السائل في شأنه كما امر به او نهي عنه وعلى هذا لا يوقف على تنصيره واما منقطعة على انه اضرب عن الاستفهام الى واستأنف استفهاما ثانيا ويحتمل ان لا يكون قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان حكما بكفرهم بسبب السؤال بل يكون تنبيها للمكلفين على ان السؤال عما لا يهم لهم ربما قد يجر الى الغواية وكثير من الشكوك والشبهات حتى تفضوا على الاعتقاد الحق والتقليد المعروف فيما لا سبيل الى درك تفاصيله الا بهم موضعه سواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذي من تغير

ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا

دوست دارند بسیاری از یهود و نصاری که کاشکی باز گردانند شما را پس از گرویدن شما با حالت کفر بسبب حسد از نزد ایشان پس از آنکه ظاهر شد مر ایشان را حق پس عفو کنید و درگذرید

حتى يأتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير ۞ واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم

تا که بیارد خدای فرمان خود را بدرستی که خدای بر همه چیز تواناست و بپای دارید نماز را و بدهید زکوة را و آنچه پیش فرستید برای شما

من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير ۞ وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك

از نیکی بیابید آنرا نزد خدای بدرستی که خدای بآنچه میکنید بیناست و گفتند اهل کتاب هرگز در نیاید در بهشت مگر آنکه هست جهودان یا ترسایان این آرزوهای ایشانست

امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ۞ بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم

بگوی بیارید حجت شما را اگر هستید راست گویان آری هر که خالص کند نفس خود را برای خدای و او نیکوکار است پس مزد او نزد پروردگار او و هیچ ترسی نیست بر ایشان

ولا هم يحزنون ۞ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون

و نه ایشان اندوهگین شوند و گفتند جهودان نیستند ترسایان بر چیزی از دین و گفتند ترسایان نیستند جهودان بر چیزی از دین و حال آنکه ایشان میخوانند

الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ۞

کتاب خدای را همچنان گفتند کافران که نمیدانند مانند گفتار ایشان پس خدای حکم کند میان ایشان روز قیامت در آنچه هستند که در آن خلاف میکنند

القراءة الوقوف كفارا ط لان حسدا مصدر محذوف اي يحسدون حسدا او حال او مفعول له وهو اوجه والوصل اجوز الحق ج لعطف الجملتين المختلفتين بامره ط قدير ه الزكوة ط لان ما للشرط والشرط مصدر عند الله ط بصير ه او نصارى ط امانيهم ط صادقين ه عند ربه ص لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون ه النصارى على شيء ص لعطف الجملتين المتفقتين على شيء لا لان الواو للحال الكتاب ط مثل قولهم ج لان الفاء مبتدأ مع فاء التعقيب يختلفون ه التفسير هذا نوع آخر من مكائد اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت وكفارا نصب على الحال او مفعول ثان ليردون على انه بمعنى يصيرون والحسد من اقبح الخصال الذميمة قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال ان لنعم الله اعداء قيل وما اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد وروي ان موسى عليه السلام لما ذهب الى ربه رأى في ظل العرش رجلا يغبط بمكانه فقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله ثلثا كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة ويحكى ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ابليس ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا الا ابليس استكبر واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض فاكل منها فاخرجه الله ثم تلا اهبطوا منها واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار واعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت زوالها فهذا هو الحسد المحرم الذي ذم الله تعالى صاحبه في هذه الآية وغيرها ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف واخوه احب الى ابينا وان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فانفقه في سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس وهذا يدل على ان الحسد قد يطلق على المنافسة وقد يكون واجبة اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة وقد يكون مندوبة في نحو الانفاق في سبيل الله ونشر العلم والتعليم وقد يكون مباحة وللحسد مراتب اربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان لم يحصل له وهذه اخبث الثانية ان يحب زوالها عنه اليه كرغبته في داره الحسنة او امرأته او ولايته فالمطلوب بالذات حصوله فاما زواله عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة ان لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف والاولى اخبث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم واسباب الحسد سبعة اولها العداوة والبغضاء فان من آذاه انسان ابغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد المقتضي للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل وثانيها التعزز فانه واحد من امثاله اذا نال منصبا عاليا يترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك اراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته وثالثها ان يكون في طبعه ان يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين

عظيم اهولا ومن الله عليهم من بيننا كالاستخفاف لهم والانفة منهم ورابعها التعجب اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف
من فوت المقاصد وذلك يتحقق من المتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل
المنزلة عند الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة وسادسها حب الرياسة كمن يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه لو سمع
بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته فان الكمال محبوب لذاته وضد المحبوب مكروه ومن جملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا ممتنع حصوله
الا لله تعالى ومن طمع في المحال خاب وخسر وسابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده
حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب امور الناس وادبارهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده
كانهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال غيره وقد يجتمع بعض هذه الاسباب فيعظم
الحسد ويقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا في الامور الدنيوية لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد بين ارباب
الدين واصحاب اليقين وانما يكونون بلقاء اخوانهم مستأنسين وببقاء اخوانهم فرحين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين واما علاج
الحسد فامران العلم والعمل اما العلم فعنه مقامان اجمالي وهو ان يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا راد لحكمه
كاره ولا تجره ارادة مريد وتفصيلي وهو العلم بان الحسد قذى في عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته في عباده وغش للاخوان وعذاب اليم
وحزن مقيم ومورث للوسواس ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود في دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك ولا في دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك
فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع في دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا تزال تزيد غمومك واحزانك الى ان يفضي بك الى الدنف والتلف شعر
اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله النار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله وقد يستدل بحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفضائل
شعر لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا منك الذي يكمد لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند
الخالق مشكور في ابليس واصحابه فانه مدحور عند الحق واوليائه فما مثله الا كمن رمى حجرا الى عدو ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى
فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميه فيعود ثالثا فيرجع على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل الاحوال
وقد عاد عليه الوبال واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون هذا في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى واما العمل فهو ان يأتي بالافعال المضادة
لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له وان حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله على قطع اسباب الخير
سعى في ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبوبا محبا له فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك التكلف يصير بالاخرة طبعا والله الموفق و
اعلم ان النفرة الحاصلة بقلب الحاسد من المحسود امر غير داخل في وسعه فكيف يعاقب عليه وانما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم اظهار
آثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة عنه وجر اسباب المحنة اليه ثم ان اليهود كانوا يريدون رجوع المؤمنين عن الايمان من بعد ما تبين
لهم ان الايمان صواب حق فالقوا اليهم ضربين من الشبهة ليعلم ان المحق لا يعدل عن الحق الا بشبهة احدهما ما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم قد علمتم ما
نزل بكم من اخراجكم من دياركم واموالكم واستمرار الخوف عليكم فاتركوا الايمان الذي ساقكم الى هذه والثاني في باب الدين بالقدح في المعجزات وتحريف
التورية وقوله من عند انفسهم اما ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم
الحق واما ان يتعلق بحسدا اي منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح بترك المقابلة والاعراض عن الجواب
لان ذلك اقرب الى تسكين الثائرة لا دائما بل حتى يأتي الله بامره عن الحسن انه المجازات يوم القيمة وقيل قوة الاسلام وكثرة المسلمين والاكثرون على انه
الامر بالقتال فعنده يتعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار فالاية منسوخة لان الغاية التي علق بها غير معلومة شرعا فليس كقوله
تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل بل يحتمل قوله فاعفوا واصفحوا الى ان انسخه عنكم عن الباقر رضي الله عنه انه لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال
حتى نزل جبريل بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا فكان اول قتال قتال اصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فان قيل
كيف يعفون ويصفحون والكفار حينئذ اصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين كان ينال الاذى فيقدر على
التشفي والاستعانة بانصار اصحابه فامروا ان لا يهيجوا قتالا او فتنة وايضا القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وايضا جعل المصاير الى القوة قويا ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح الاستدعاء واستمالة ما يلزم منهم من النصح والاشفاق
وترك التشدد وعلى هذا لا يكون الاية منسوخة وكذا لو قيل المراد بامر الله قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل
شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة تنبيه على انه كما الزمهم لحظ حال غيرهم العفو والصفح كذلك الزمهم لحظ انفسهم باداء الواجبات
من خير من حسنة صلوة او صدقة فريضة او تطوع فعمم بعد ما خص تنبيها على ان الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد
من اضمار اي تجدوا ثوابه لان وجدان عين تلك الاشياء غير مطلوب ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من الاعمال وفيه ترغيب للمحسن وترهيب
للمسيء وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او قالت النصارى لن يدخلها الا من كان نصارى فجمع بين القولين ثقة بان السامع يرد كل فريق الى قوله
لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كبازل وبزل وعائذ وعوذ والعائذ الحديثة النتاج
من النوق والبازل الذي خرج نابه ووحد اسم كان حملا على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم تلك امانيهم مع حذف
المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل هذه وهي قولهم لن يدخل الجنة او اشير بتلك الى ان ودادتهم ان لا ينزل
على المؤمنين خير من ربهم امنية وودادتهم ان يردوهم كفارا امنية وقولهم لن يدخل الجنة امنية اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا
برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض على هذا وهات اسم فعل معناه اعط ويتصرف فيجب
المأمور هات هاتيا هاتوا هاتي هاتين وقيل الصحيح انه ليس باسم فعل وانما الهاء فيه مبدلة من الهمزة واصله آت من الايتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فكل دعوى لا دليل عليها غير ثابتة ومن ادعى نفيا او اثباتا لا بد له من برهان والا فدعواه باطل شعر من ادعى شيئا بلا شاهد
لا بد ان يبطل دعواه بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وقوله من اسلم الى آخره جملة شرطية مستأنفة ويجوز ان يكون من اسلم فاعل الفعل
محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وفيه اشارة الى ان لهؤلاء الداخلين برهانا وهو استسلام النفس
وانقيادها لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيب لهم في الاسلام وبيان مفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كانه قيل لهم انتم على ما انتم عليه لا تفوزون بالجنة
بل ان غيرتم طريقكم واسلمتم وجهكم لله واحسنتم فلكم الجنة وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس ومنبع الفكر والتخيل

فاذا تواضع الاشرف كان غيره اولى ولان الوجه قد يكنى به عن النفس والذات كل شيء هالك الا وجهه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولان اعظم العبادة
السجدة وهي انما يحصل بالوجه وهذا الاسلام اخص من الاسلام الذي ورد في الحديث الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة
وتؤتي الزكوة وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا لان هذا عبارة عن الاذعان الكلي بجميع القوى والجوارح في كل الاحوال والاوقات وهو الاسلام
الذي امر به ابراهيم صلوات الرحمن عليه اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويؤكد ذلك قوله لله اي خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا
مع الله غيره ولا معلقا رجاءه بغيره وزاد التاكيد بقوله وهو محسن اي حال كونه محسنا في عمله ومعنى الاحسان هو الذي في الحديث الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولا ريب ان العبادة على هذا الوجه لا تصدر الا عن صدق النية وصفاء الطوية فان مثول العبد بين يدي
مولاه يشغله عن الالتفات الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو فيه الا الوجه فلا يصدر عنه شيء من السيئات واما الطاعات والمباحات فيكون مقتضية لزيادة
الحسنات ورفع الدرجات في الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وذلك
ان التطيب ان كان قصده التنعم واستيفاء اللذات او التودد الى النسوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروائح المؤذية
عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المناكح والمطاعم والمشارب والضابط ان كل ما فعلته لداعي الحق فهو العمل الحق وكل ما
لغير الله فحلالها حساب وحرامها عذاب روي ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى
تعالى الى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وليس النية ان يقول في نفسه اذا بسط عند درسه
او تجارته نويت ان ادرس لله او اتجر لله هيهات انها حديث نفس او لسان وما ذلك الا كقول الفارغ نويت ان اعشق وانما النية انبعاث النفس وميلها
الى سلوك طريق الحق في كل فعل فاجتهد في تحصيل ذلك ملكة لنفسك شعر وللناس فيما يعشقون مذاهب فمنهم من يعمل لباعث الخوف من النار فله ذلك
ومنهم من يعمل لباعث الطمع في الجنة وهم اكثر اهل الجنة لقصور همهم عن طموح ما فوقها من الكمالات واللذات الحقيقيات اكثر اهل الجنة البله ومنهم من يعمل لله
فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما جمع الله تعالى اهل الكتابين في الاية المتقدمة فصل بينهما وبين قول كل فريق في حق الاخر والظاهر حمل لفظي اليهود
والنصارى على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا اعتقاد كل واحد من كل من الطائفتين في حق الاخرى روي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلعم
اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى
والتورية ومعنى على شيء اي شيء يصح ويعتد به وفيه مبالغة عظيمة كقول العرب اقل من لا شيء عن ابن عباس رضي الله عنه قوله وذلك ان الايمان
بالله انما يعتد به اذا كان مؤمنا برسوله وبكل ما انزله وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة
للكتب وحق من حمل التورية والانجيل وغيرهما من كتب الله ان يؤمن بالباقي ولا يكفر به لان جميع الكتب السماوية متواردة في تصديق بعضها بعضا
كذلك الكاف للتشبيه وذلك اشارة الى المذكور اي قولا مثل الذي سمعت به قال الذين لا يعلمون ومثل قولهم تكرر للتاكيد ولطول الكلام بالموصول
والصلة والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان المسلمين ليسوا على شيء وفيه توبيخ عظيم لهم حيث
نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فقالوا قولا عن التشهي والعصبية مثلهم فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى يوم القيمة عن الحسن يكذبهم
جميعا ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع الضمير الى الكافرين الذين يعلمون والذين لا يعلمون والى المسلمين ويحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه فينتصر
من الظالم المكذب للمظلوم المكذب ويريهم من يدخل الجنة عيانا ويدخل النار عيانا اعاذنا الله تعالى منها

ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
وكيست ستمكارتر از آنكه باز دارد مسجدهای خدا را که یاد کنند در آن مساجد نام خدا و جهد نماید در ویرانی آن آن گروه را نبود که در آیند در آن مساجد مگر ترسان
لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ۝ ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله
ایشانراست در این جهان خواری وایشانراست در آن جهان عذابی بزرگ وخدایراست مشرق و مغرب پس هر کجا روی آرید آنجاست قبله که پسندیده خدای
واسع عليم ۝ وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون ۝ بديع السموات
تمام عطا و دانا بصلاح دینی وگفتند یهود گرفت خدای فرزند پاکست او ... بلکه مر او راست آنچه در آسمانها و زمین همه مر او را فرمان بردارانند آفریننده آسمانها
والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ۝ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية
و زمین است وچون خواهد تمام کند کاری بجز این نیست که گوید مر آن را باش پس باشد وگفتند آنانکه نمیدانند چرا سخن نمیگوید با ما خدای یا نمی آید ما را نشانه
كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون ۝
همچنان گفتند آنانکه پیش از ایشان بودند مانند گفتار ایشان مانند است دلهای ایشان در حقیقت روشن کرده ایم معجزات را برای گروهی که بی گمان اند

القراءة قالوا اتخذ الله بلا واو العطف اتباعا لمصاحف اهل الشام كن فيكون بالنصب كل القران ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق في آل عمران وكن
فيكون قوله الحق في الانعام ووافقه الكسائي في النحل ويس الوقوف خرابها ط للفصل بين الاستفهام والخبر خائفين ط لان ما بعده اخبار وعيد مبتدأ
مستقل عظيم ه وجه الله ط عليم ه ولدا لتعجيل التنزيه سبحانه ط لان ما بعده مبتدأ والارض ط قانتون ه والارض ط لان اذا اجيبت بالفاء وكانت للشرط
فيكون ه آية ط قولهم ط قلوبهم ط لان قد لتوكيد الاستيناف يوقنون ه التفسير عن ابن عباس رضي الله عنه ان ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه
والقى فيه الجيف وحاصر اهله وقتلهم وسبى الذرية واحرق التورية ولم يزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام في زمان عمر رضي الله عنه فنزلت الاية فيهم وعن الحسن
وقتادة والسدي نزلت في بختنصر حيث خرب بيت المقدس واعانه على ذلك بعض النصارى ورد بان بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت
في مشركي العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله تعالى بمكة والجأوه الى الهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه ان يذكروا الله في المسجد
الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ووجه اتصال الاية بما قبلها على القولين الاولين هو ان النصارى
ادعوا انهم من اهل الجنة فقط فبين انه لا اظلم منهم فكيف يدخلون الجنة وعلى الاخير هو انه جرى ذكر مشركي العرب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون
فعقب ذلك بسائر قبائحهم ومن استفهامية لتقرير النفي اي ليس احد اظلم ممن منع وان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا او بدل من مساجد او حذف
حرف الجر مع ان او التقدير كراهية ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط في الظلم ولا بأس ان يجيء
الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين ومثله ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وينبغي ان يراد

حمن منع العموم ايضا لا الذين سعوا من اولئك النصارى او المشركين باعيانهم والسعي في خراب المساجد بانقطاع الذكر او تخريب البنيان قيل ان قوله
ومن اظلم الذي هو في قوة ليس احد اظلم ليس على عمومه لان الشرك اعظم من هذا القول ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنى وقتل النفس قلت
اما استعمال لفظ الظلم في هذا المعنى فهو في غاية الحسن لان المسجد موضوع لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع للشيء في غير موضعه واما انه لا اظلم
منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه وان كان يدعي الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من اعتقد ان له
معبودا اعترف بوجوب عبادته له عقلا او شرعا والعبادة تستدعي متعبدا لا محالة فتخريب المتعبد ينبئ عن انكار العبادة ويستلزم انكار المعبود
فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة مسلما وانما هو منخرط في سلك اهل النفاق والمنافق كافر اسوء حالا من الكافر الاصلي بالاتفاق اولئك ما لهم ان
ما كان لهم اي ما ينبغي ان يدخلوها في حال من الاحوال الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها
ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل هذه بشارة للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد
الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخلوا المسجد الحرام الا خائفين من ان يعاقبوا ويقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز الله هذا الوعد
لمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج ابو بكر الا لا يحجن بعد العام مشرك وامر النبي صلى الله عليه وسلم باخراج اليهود من جزيرة العرب
وصار بيت المقدس في ايدي المسلمين وقيل يحرم عليهم دخول المسجد الا في امر يقتضي الخوف نحو ان يدخلوا للمحاكمة او المخاصمة او المحاجة وقيل اللفظ
خبر ولكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ومن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول
المسجد وخصص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك في قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا وجوز ابو حنيفة دخوله المساجد كلها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد واجيب بانه في اول الاسلام ثم نسخ
بالآية لهم في الدنيا خزي ذل بمنعهم من المساجد او بالجزية في حق اهل الذمة وبالسبي والقتل في حق اهل الحرب وفيه ردع لهم عن ثباتهم على الكفر وقيل الخزي
فتح خزائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر ههنا فوائد الاولى بيان فضل المساجد من ذلك اضافتها
الى الله في الآية وذلك يدل على شرفها وكذا في قوله وان المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر في بيوت
اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلى الله عليه وسلم احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها وليس ذلك الا لان المسجد
ذكر الحبيب والسوق تشغل عنه وفي الآية نكتة وهي ان تخريب المساجد لما كان في نهاية الظلم والكفر يلزم ان يكون عامر المساجد في غاية العدل والايمان
الثانية في فضل المشي الى المساجد عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله
كانت خطوتاه احديهما تحط خطيئته والاخرى ترفع درجته وقال صلى الله عليه وسلم لبني سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد دياركم تكتب
آثاركم الثالثة في تزيين المساجد عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود
والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين والتمويه وامر عمر ببناء مسجد فقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر او تصفر فتفتن
الناس الرابعة في تحية المساجد عن ابي قتادة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وتتأدى التحية بالفرض
او النفل نواها او لا هذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي واحمد واسحق وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطاء بن ابي رباح والنخعي
وقتادة ومالك والثوري واصحاب الرأي الخامسة في الدعاء عند الدخول في المسجد صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج
السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه
فيقول اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع والشرى فيه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن
الاشعار في المساجد وعن البيع والشرى فيها وان يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلوة يعني لمذاكرة العلم ونحوها بل يشتغل بالذكر والصلوة والانصات
للخطبة ثم لا باس بالاجتماع والتحلق بعد الصلوة واما طلب الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فكره وايضا عن ابي هريرة رضه انه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا اداها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف المسألة في المسجد
وكان بعضهم لا يرى ان يتصدق على السائل المتعرض في المسجد وقال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من ان يقام فيه الحدود او يقبض فيه الخراج
او ينطق فيها بالاشعار او ينشد فيها الضالة او يتخذ سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء في المسجد باسا لان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن بين العجلاني وامرأته في المسجد
ولاعن عمر عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد وكان الحسن وزرارة بن ابي اوفى يقضيان في الرحبة خارجا
من المسجد الثامنة النوم في المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى
وفيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة في المسجد جوازها في البيت الا الانبطاح فانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال انها ضجعة يبغضها الله
التاسعة في كراهية البزاق في المسجد عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه صلى الله عليه وسلم اذا قام
احدكم الى الصلاة فلا يبصق امامه فانه يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله او تحت رجله فيدفنه العاشر عن جابر رض
انه صلى الله عليه وسلم من اكل ثوما او بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه صلى الله عليه وسلم من اكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى
منه الانس الحادية عشر في بناء المساجد والدور عن عائشة قالت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وان تنظف وتطيب
وفيه دليل على ان مجرد تسمية الموضع بالمسجد لا يخرجه عن ملكه ما لم يسبله قوله عز من قائل ولله المشرق والمغرب الآية الاكثرون على انها نزلت في امر
يختص بالصلوة ومنهم من زعم انها نزلت في امر لا يختص بالصلوة اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه احدها انه اراد به تحويل المسلمين عن استقبال
بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الاطراف مملوكة لله تعالى ومخلوقة له فاينما امركم باستقباله فهو القبلة لان القبلة ليست
قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى فكان الآية مقدمة لما اراد من نسخ القبلة وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود
ذلك فنزلت ردا عليهم وثالثها قول ابي مسلم ان كلا من اليهود والنصارى زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله تعالى عليهم وذلك ان اليهود
انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا المشرق لان عيسى ولد هناك اذ انتبذت
من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق فكيف تخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق
والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله تعالى وصف بيت المقدس بالتخيير الى اي جهة شاؤا وبهذه الآية كان للمسلمين ذلك الا ان النبي عم
كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها ان الآية في حق من يشاهد الكعبة فله الاستقبال من اي جهة

شاء وساء وسهارا روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة في ليلة سوداء مظلمة فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا
مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية فقد
اجزأت صلوتكم وهذا الحديث يدل على انهم حينئذ قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها عن ابن عمر نزلت في المسافر
يصلي النوافل حيث توجهت به راحلته فكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومي براسه نحو المدينة فمعنى الآية اينما تولوا وجوهكم
لنوافلكم في اسفاركم فثم وجه الله اي جهته فثم رضاه وان الله واسع الفضل عليم بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا يلزم ترك النوافل او التخلف عن الرفقة فان النوافل
غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي فيها الى الحرج ولا يخفى ان الآية على الوجه
الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية فاختلفوا ايضا فقيل الخطاب في تولوا
للمانعين والساعين يريد انهم اين هربوا فان سلطاني يلحقهم وتدبيري يسبقهم وعلمي محيط بمكانهم وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخاكم
النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا انصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الآية فقالوا انه كان لا يصلي
الى القبلة فنزلت هذه الآية اي الجهات التي يصلي اليها اهل كل ملة لي فمن وجه نحو شيء منها يريد طاعتي وجدني ثم ثوابي وكان في هذا عذر النجاشي واصحابه
الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت ادعوني استجب لكم قالوا اين ندعوه فنزلت
وعن علي بن عيسى انه خطاب للمسلمين اي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من ارضه فلله بلاد المشرق والمغرب والجهات
كلها ففي اي مكان فعلتم التولية التي امرتم بها بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المأمورة المرضية وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم
جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وقيل نزلت في المجتهدين في الصلوة او في غيرها وفيه ان المجتهد اذا رأى بشرائط الاجتهاد رأيا فهو مصيب ومعنى تولوا الى جميع الوجوه تستقبلوا
بوجوهكم اليها ويقال ولى هاربا فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد بالتولية الادبار وثمة اشارة الى المكان خاصة وقد تمسكت
المجسمة من الآية ان لله تعالى وجها وايضا سماه واسعا والسعة من نعوت الاجسام والجواب ان الآية عليه لا له فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم
خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا للمشرق استحال ان يكون حينئذ محاذيا للمغرب فلا بد من تأويل وهو ان الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه
خلقها واوجدها فاي وجه من وجوه العالم وجهاته المضافة اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو قبلة او المراد بالوجه القصد والنية مثل وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض او المراد فثم مرضاته مثل انما نطعمكم لوجه الله فان التقرب الى رضا احد شيئا فشيئا كالتوجه الى شخص ذاهبا اليه شيئا فشيئا وكيف
يكون له وجه او جهة او كيف يكون جهيا او جسمانيا وانه خالق الامكنة والاحياز والجواهر والاعراض والخالق متقدم على المخلوق تقدما بالذات والعلة والشرف
فالمراد بالسعة كمال الاستيلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء والرحمة والانعام وانه قادر على اطلاق في توفية ثواب من يقوم بالمأمورات على شرطها
وتوفية عقاب من يتكاسل فيها عليم بدواعي نياتهم فيجازيهم على حسب اعمالهم وقوله وقالوا اتخذ الله ولدا نوع آخر من قبائح افعال اليهود والنصارى والمشركين
جميعا فقد مر ذكرهم في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن اظلم كان مرد الضمير يصلح للعود اليهم فاليهود قالوا عزير ابن الله و
النصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض ملكا وخلقا وابداعا
وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير والمسيح والولد لا بد ان يكون من جنس الوالد ومن اين المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته اللهم الا في مطلق
الوجود وذلك لا يقتضي شركة في الحقيقة الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم
الحق محال كل له قانتون التنوين عوض عن محذوف اي كل ما في السموات والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى
ان دوام الكائنات واستمرارها جميعا به ولاجله وقيل عن مجاهد وابن عباس مطيعون فسئل بالكفار فاجاب انهم يطيعون يوم القيمة فسئل هذا المكلفين وقوله
بل له ما في السموات يعم المكلف وغيره فيعدل الى تفسير آخر فالمراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من آثار القدرة وامارات الحدوث وكونها
في ملكه وتحت قهره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذه الوجوه جمع السلامة في قانتون للتغليب او يراد كل من الملائكة وعزير والمسيح عابدون له مقرون
بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه الجمع على الاصل يحكى ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال لبعض النصارى لولا تمرد عيسى عن عبادة الله
تعالى لصرت على دينه فقال النصراني كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله فقال علي لئن كان عيسى الها فالاله كيف يعبد غيره وانما
العبد هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني وبهت بديع خبر مبتدأ محذوف اي هو بديع السموات والارض عمم اولا الملكية والاختصاص
لا يستلزم كون المالك موجدا للمملوك ثم خص ثانيا يقال بدع الشيء بالضم فهو بديع وابدعه اخترعه لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
اي بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع كاليم بمعنى مولم وضعف ثم انه تعالى بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اصل التركيب
من قضى يدل على القطع قضى القاضي بهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشيء انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر اذا اتمه
واحكمه لان اتمام العمل قطع له وقضى دينه اداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وضاق الشيء لانه كانه مقطوع الاطراف والامثال والفعل
ههنا بمعنى قضى امرا اتمه او حكم بانه يفعله واحكمه قال شعر وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع ثم من قرأ فيكون بالرفع
على تقدير فهو يكون فلا اشكال واما من قرأ بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر لا بد ان يخالف الامر في الفعل او في الفاعل او فيهما
نحو اذهب تنتفع او اذهب يذهب زيد او اذهب ينفعك زيد فاما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشيء لا يكون
شرطا لنفسه قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي رتب على الامر قد يكون شيئا مغايرا للفعل المأمور وذلك اكثري وقد لا يكون الغرض من الامر هو نفس
صدور المأمور به لا شيء آخر كما ان المقصود في الآية من الامر بالوجود هو نفس الوجود فلو وقع كان الثاني جوابا لمشابهته لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه
الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول فالصواب ان يكون بناء الخطاب نحو
اذهب فتذهب قلت هذا الحادث قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة في قوله امرا وفي قوله له ومرة على سبيل الخطاب فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من
الالتفات تحقيرا لشأنه في سهولة تكونه ولان اول الكلام مع المكلفين فروعي ذلك وههنا بحث آخر وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تعالى الشيء
على صدور لفظة كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا جائز ان يكون قديما لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة
والكاف لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا ايضا ولان اذا للاستقبال فالقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب والمتأخر عن المحدث
محدث ولان تكون المخلوق مرتب على قوله كن بالفاء والمتقدم على المحدث بزمان محصور محدث ايضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج الى كن آخر
ويلزم اما الدور واما التسلسل وهما باطلان فبطل توقف الاشياء على كن الثاني انه ان خاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود فخطاب المعدوم

واما بعد دخوله في الوجود فلا فائدة فيه الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان
تمكن من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته او يرجع الحاصل الى تسمية
القدرة بكن ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انه لا تاثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها فكذا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما مجموع
الكاف والنون ولا وجود لهما مجموعين لعدم مجيء الثاني بمنقضى الاول واما احدهما وهذا خلاف المفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الآية على الظاهر
غير جائز فلا بد من تاويل والصحيح ان يقال ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان الحال في
المكون بحال المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يابى وفيه تاكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت
حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا عن ابي الهذيل وقيل انه خاص بالموجودين
الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم عن الاصم وقيل امر للاحياء بالموت وللموتى بالحيوة وقال الذين لا يعلمون يعني الجهلة للمشركين وقيل من اهل الكتاب
ايضا ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالآية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد وهذه الآية فيها بيان قدحهم في النبوة ولولا حرف تحضيض اي هلا
يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا اراد تحصيل شيء اختار اقرب الطرق المؤدية الى المطلوب ثم انه تعالى كلم الملائكة وكلم موسى وانت تقول يا محمد انه كلمك
فاوحى الى عبده ما اوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتاكد الاعتقاد ويزول الشبهة فان لم تفعل ذلك فلم لا ياتي باية ومعجزة وهذا
طعن منهم في كون القرآن آية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين من قبلهم من مكذبي الرسل تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم
في العمى كقوله اتواصوا به فكما ان قوم موسى كانوا ابدا في التعنت واقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكذا
المشركون لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكذا المعاصرون من اليهود والنصارى يسألك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الآيات لقوم يوقنون فيوقنون انها آيات فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها
لكونها آيات ظاهرة هي القرآن العظيم الذي اخرس شقاشق الفصحاء عن آخرهم ومعجزات باهرة كمجيء الشجر وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع
الخلق الكثير من الطعام القليل وايضا لو كان في معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعلها لكنه علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل
ذلك وايضا لعل في تلك الآيات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كافضائها الى حد الالجاء المخل بالتكليف وكايجابها استئصالهم بالكلية
اذا استمروا على التكذيب وكخروجها عن القدر الصالح لالزام الحجة وايضا كثرة الآيات وتعاقبها ينافي كونها خوارق العادة فلا يتعين آيات
وكل ما ادى وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة النبوة التأويل
مساجد الله التي يذكر فيها اسمه عند اهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وهو سر السر وذكر كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد فذكر
مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه التمسك
بالشبهات وتعلقها بغير محبوبه وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه
بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات اولئك
ما كان لهم ان يدخلوها والمشاهد بقدم السلوك الا بخطرات الخوف من سوء الحساب والم العقاب لهم في الدنيا خزي من ذل الحجاب ولهم في الآخرة
عذاب الحرمان من جوار الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها وتعدى شرق كل قلب ومغرب مشارق ومطارق
تطارق القلب من موجبات النفس بطارق ظلمات المنى عند غلبات الهوى وغروب نجم الهدى ومشارق القلب من واردات الروح تشرق بانوار [illegible]
عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود فتكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا تجلت شمس صفات الجلال خفيت نجوم صفات الجمال واذا استوى
سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا القبلة ولا الفناء اذ ليس
عند الله صباح ولا مساء ولا شيء العبدية في كعبة العندية ونودي ابقاء الفناء من عالم البقاء رفعت القبلة وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله
ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده وليسعه عليم بتوسيع القلب لسعته بلا كيف وحيف كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن

انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ۝ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى

بدرستی ما فرستادیم ترا براستی مژده دهنده و بیم کننده و پرسیده نشوی از اهل دوزخ و هرگز خشنود نشوند از تو جهودان و نه ترسایان

حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي

[illegible]

ولا نصير ۝ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك

[illegible]

هم الخاسرون ۝ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ۝

[illegible]

واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ۝

[illegible]

القراءات ولا تسئل على النهي [illegible]

[illegible]

عن ان تكون بشيرا لمن اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسئول عن اصحاب الجحيم وهو من اسماء النار
وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
واما قراءة النهي فيروى انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لان سياق الكلام
ينبي عن ذلك ولانه صلى الله عليه وسلم مع علمه الاجمالي بحال الكفار كيف يتمنى ذلك والاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما اذا سالت
عمن وقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه فكان المسئول يحرج ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يرى انك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث الوحشة
والضجرة وقوله ولن ترضى فيه اقناط لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم وان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف
ولا يرضون راسا براس بل يريدون منك عكس ما تطلع منهم زاعمين ان ملتهم التي حان نسخها هي الهدى قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى
بالحق ليس وراءه هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهواءهم شبهاتهم وآراءهم الباطلة المنسوخة بعد ما جاءك من العلم بامر الديانة لوضوح
البراهين وصلوح الدلائل ما لك من الله من عقابه وسخطه من ولي يعينك ويحميك ولا نصير يذب عنك وفي الآية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل
حتى لا يكون اتباع الهوى ومنها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمأمور به لقوله بعد ما جاءك من العلم فلان لا يجوز التوعد الا بعد القدرة
على المأمور به كان اولى فبطل القول بتكليف ما لا يطاق ومنها ان الذي علم الله منه انه لا يفعل الشيء يجوز منه ان يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن
اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال ان الصارف له عن ذلك الفعل هو هذا الوعيد او هو احد صوارفه ولان فيه زجرا شديدا للامة
لانهم اذا علموا ان حال النبي لو فرض منه اتباع اهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر لم يبق لهم طمع في الخلاص لو وجد منهم
ذلك الذين آتيناهم الكتاب قيل انهم المؤمنون آتيناهم القرآن لان الكتاب الذي يترجح على تلاوته هو القرآن والاصح انه لما قدم ذكر المعاندين
من اهل الكتاب اراد ان يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم او يتبعون مقتضاه
من غير تكاسل وتهاون متمسكين باحكامه من حلال وحرام وغيرهما او يخضعون عند تلاوته او يخشون او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه اولئك يؤمنون
بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلو الكتاب حق تلاوته كما يستحق ان يتلى ومن يكفر به من المحرفين او من الواضعين فاولئك هم الخاسرون حيث
لم ينتفعوا بما يجب ان ينتفع به ويغتنم فرجعوا بخفي حنين يا بني اسرائيل الآيتان رجوع الى اول القصة ذكر النعم بعد تعداد
موجبات التنعم لتنبه منهم من وفق للتنبيه وعليه المستعان

واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ۝ قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي

و یاد کن چون آزمود ابراهیم را پروردگار او [illegible]

الظالمين ۝ واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ۝ وعهدنا الى ابراهيم

[illegible]

واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ۝ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق

[illegible]

اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير ۝

[illegible]

القراءات ابراهام بالالف في البقرة والنساء الا قوله اتبع ملة ابراهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع براءة الا وقوم ابراهيم وفي ابراهيم واذ قال
ابراهام وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا ابراهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في الممتحنة الا قول ابراهيم وفي الاعلى صحف ابراهيم
هشام وابن ذكوان وروى ابن مجاهد في هذه السورة فقط واعلم ان ذكر ابراهيم في القرآن تسعة وستون موضعا منها ثلاثة وثلثون ابراهام بالالف في
ابن عامر عن ابن ذكوان وستة وثلثون ابراهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف قرئ بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء واختيار
عند الائمة ان يقرا ههنا بالالف لبيان المذهب والبواقي بالياء لانه احسن في اللفظ واشهر ولانه يوافق سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل واسرافيل واسمعيل
عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص واذ جعلنا وبابه مدغمة الذال في الجيم ابو عمرو وهشام بيتي بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص وهشام واتخذوا بفتح الخاء نافع
وابن عامر الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد الوقوف فاتمهن ط اماما ط ذريتي ط الظالمين ۝ وامنا ط لمن قرا واتخذوا
بالكسر لاعتراض الامرين ما بين مصلى ط كذلك ومن فتح الخاء ونسق الافعال الثلثة فلا وقف السجود ۝ واليوم الآخر ط عذاب النار ط لان نعم وبئس
للمبالغة في المدح والذم فيبتدأ بهما تنبيها على المدح والذم المصير ۝ التفسير انه تعالى لما استقصى في شرح نعمه على بني اسرائيل والمشركين ومجامع
النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع آخر من البيان وهو ذكر قصة ابراهيم صلوات الرحمن عليه لان كلهم معترفون بفضله وانهم من اولاده ومن ساكني
حرمه وخدام بيته وفي قصته ما يوجب الاعتراف بدين محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه منها انه امر ببعض التكاليف ثم وفى بها فنال منصب
الاقتداء به فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد والانقياد لحكم الله تعالى والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته فقيل له لا ينال عهدي
الظالمين فيعرف ان طالب الحق يجب ان يترك التعصب والمراء ومنع ما رفعه الله لينال رياسة الدارين ومنها ان القبلة لما حولت الى الكعبة شق
ذلك على القوم فاريد ازالة غيظهم بان هذا البيت قبلة ابراهيم الذي اعترفوا بتعظيمه والاقتداء به ومنها انه دعا بارسال نبي من ذريته وهو محمد صلعم
فيجب على من يعترف بابراهيم ان يعترف بمحمد واما قوله واذ ابتلى فالعامل في اذ اضمر كخذ واذكر ويكون بمعنى الوقت فقط او واذ ابتلاه كان كيت
وكيت او قال اني جاعلك للناس اماما وعلى هذين التقديرين يكون ظرفا للمكان او لقال وموضع قال على الاولين استئناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين
اتم الكلمات فاجيب قال اني جاعلك وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها من الآيات والاصح ان الاستئناف اصوب لتناسب سياق
الآيتين لوروده ايضا على طريقة السؤال المقدر والجواب وليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال ابراهيم واذ يرفع والابتلاء والاختبار والامتحان
عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها لامره بامر المختبرين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا منا قد يامر ليعرف ما يكون من المامور حينئذ والتكليف يجوز
حقيقة الابتلاء عليه تعالى مع انه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين
ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم ان هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى كان في الازل عالما بحقائق

[illegible]

الاشياء وماهياتها فقط واما حدوث تلك الماهيات ودخولها في الوجود فهو تعالى لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الآية وامثالها ابدا لو
فيها الابتلاء او كلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم
نفي القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه استحال ان لا يقع وما علم انه لا يقع استحال ان يقع ولا قدرة على الواجب ولا على الممتنع بالاتفاق
والجواب ان الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه وانما المنافي للقدرة عليه كونه واجبا لذاته او ممتنعا لذاته
ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول الموجودات غير متناهية
دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء ازيد من ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد
ونوقض بمراتب الاعداد التي لا نهاية لها وايضا المجموعية والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهي فاما الذي لا نهاية له ففرض هذه الامور
فيه محال ومنها ان هذه المعلومات التي لا نهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلة او لا يعلم فان علم عددها فهي متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب
والجواب الاختيار انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لها عدد
في نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو متميز في الذهن عما عداه او عما عداه خارج عنه وكل ما خرج عنه غيره فهو متناه فما هو غير متناه استحال
ان يكون معلوما والجواب انه ليس من شرط المعلوم تميزه عن غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير
ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا الا اذا علم امورا لا نهاية لها والحق ان نور الانوار لا يتناهى ووراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى واحاطة غير
المتناهي بغير المتناهي غير بعيد وقد يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهي قوتنا ونور بيننا هكذا فما ظنك بالعليم
الخبير الذي هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه يسير ابراهيم بالنصب وربه بالرفع هو المشهور وهذه الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل
عن مركزه الاصلي فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس وابي حنيفة رفع ابراهيم ونصب ربه
فالمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه تعالى اليهن ام لا واختلف المفسرون في ان ظاهر لفظ التنزيل هل يدل على تلك الكلمات
ام لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهي الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد صلى الله عليه وسلم وكل هذه تكاليف شاقة
اما الامامة فلان المراد بالنبوة واعباؤها اكثر من ان تحصى ولهذا كان ثواب النبي اعظم من ثواب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده
فمن وقف على ما روي في كيفية بنائه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان في الموقف كرمي الجمار
وغيره واما الاشتغال بالدعاء لبعث نبي آخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك في غاية الصعوبة واعترض على هذا القول
بان المراد من الكلمات لو كان هذه لناسب ان يذكر قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع واجيب بانه اخبر انه ابتلاه بكلمات على الاجمال ثم اخبر انه اتمهن
ثم فصل تلك الامور وهذا ترتيب في غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضائعا ولا ينقطع النظم القائلون بان ظاهر الآية لا دلالة فيه
على الكلمات زعم بعضهم انها الكلمات التي تكلم بها ابراهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامر ونواه فعن ابن عباس
عشر خصال كانت فريضة في شرعه وهي عندنا سنة خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس
في الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشر في براءة
التائبون العابدون الآية وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل
هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس والختان على الكبر
والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وابراهيم الذي وفى وقيل ما ذكره في قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات
التي جرت بينه وبين ابيه ونمرود وقومه والصلوة والزكوة والصوم وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجملة القول ان الابتلاء يتناول الزام
كل ما في فعله كلفة واللفظ يتناول مجموع هذه الاشياء وكلا منها الا ان الكلام في الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على ان
قيامه بهن كالسبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لم يعلم كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحي والحق ان هذا يختلف باختلاف
التكاليف فمنها ما يعلم بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الكوكب والشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان
فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها ما هو بعيد الاحتمال فقد يمكن ان يكون الى معرفته سبيل سوى الوحي كتمام الانعام والتعبير
في فاتمهن على القراءة المشهورة لابراهيم عليه السلام بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان وفي الاخرى لله تعالى اي
فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك
وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالازار لما يؤتزر به اي ياتمون بك والاكثرون على ان الامام ههنا النبي
لانه جعله اماما للكل وهو من فلو لم يكن مستقلا بشرع كان تابعا لرسول ويبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على انه امام في كل شيء والذي يكون كذلك
لابد ان يكون نبيا ولان الله تعالى سماه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي ان يحمل على اجل مراتب الامامة كقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا
وما دون من يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة والقاضي والفقيه وامام الصلوة ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه في عيون اهل الاديان كلها وقد صح
من بعده من الانبياء في اصول طلبهم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وكفى به فضلا ان جميع امة محمد يقولون في صلوتهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ثم القائلون بان الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا بهذه الآية واشباهها من نحو اني جاعل في الارض خليفة يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض ومنع بان الامام يراد به ههنا النبي سلمنا ان المراد به مطلق الامامة لكن الآية تدل على ان النص طريق الامامة
وذلك لا نزاع فيه انما النزاع في انه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة في الآية على ذلك وفي الآية دليل على انه عليه السلام كان معصوما
عن جميع الذنوب لانه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به وذلك يؤدي الى كون الفعل الواحد ممنوعا منه ومندوبا اليه وذلك
محال والذرية نسل الثقلين من ذرا الله الخلق ذراء خلقهم الا ان العرب تركت همزها كما في البرية ويحتمل ان يكون منسوبا الى الذر صغار
النمل والضم من تغيير النسب كالدهري في النسبة الى دهر ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال سأكرمك
فتقول وزيدا ولا يخفى ان من للتبعيض تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم لا يليق بذلك لان ناسا غير محصورين لا يخلو عن ظالم
منهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى امله الجليل في اولاده واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى
وهرون وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد افضلهم واشرفهم ولانه لم يطلب الامامة الا للبعض فكان يكفي في الجواب نعم وداود

الا انه لم يكن جملة بتمامها ان ذلك لبعض من المؤمنين الا من الظالمين ولو قال ينال عهدي المؤمنين كان غاية ذلك خروج الظالمين بالمفهوم لا بالنص
فمكان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدي الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها على كل عهد عهده الله
تعالى الى بني آدم اذ الامامة اعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذا خرج الظالم تعين انه
للامامة بطريق برهاني وذلك ان دعاءه مستجاب البتة فكل نبي مجاب ولانه لو لم يكن الصالح للامام لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر معنى
ويحتمل ان يقال انه اراد بالامامة الاولاد والمؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب بما اجيب اسعافا للطلبة بابلغ وانه
كما اذا قيل لمن اشرف على الموت اوص لابنك بشيء فيقول لا ارث مني احبتي اي كل ما يبقى مني فهو لابني فكيف اوصي له بشيء
قال عهده مع انه ظالم سبحانك اني كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما في حق آدم ربنا ظلمنا انفسنا الاعلى الكفر والفسق
وقد استدل الامامية بالآية على ابطال امامة غير علي كرم الله وجهه قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك
لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد الامامة قالوا لا ينال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعد زوال الكفر لا يبقى هذا الاسم لان الظالم
من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليهم دائما ولهذا يسمى النائم مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وايضا
المتكلم والماشي حقيقة في مفهوميهما مع ان اجزاء التكلم والمشي لا توجد دفعة فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة
وعورض بانه لو حلف انه لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن في الحال الا انه كان كافرا قبل سنين متطاولة فانه لا يحنث وبان التائب
عن المعصية لا يسمى عاصيا وكذا التائب عن الكفر ولئن قيل لعل هذا المانع شرعي هو تعظيم الصحابة او المانع عرفي فهذا القدر يكفينا على انا بينا
ان المراد من الامامة في الآية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء
والمتكلمين فان كل عاص ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا
وباطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد في كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان اي
الم آمركم لكن المراد في الآية لا يمكن ان يكون ذلك فان اوامره تعالى لازمة للظالمين كالمطيعين فثبت ان المراد كونهم غير مؤتمنين على اوامر الله وغير
مقتدى بهم فيها قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي ان يكون حاكما ولا ينفذ احكامه اذا ولي الحكم
ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا فتياه اذا افتى ولا يقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدي به لم تفسد صلوته
قال ابو بكر الرازي ومن الناس من يظن ان مذهب ابي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطأ ولم
قال القاضي اذا كان عدلا في نفسه وتولى القضاء من امام جائر فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جائزة لان الذي ولاه بمنزلة سائر اعوانه
وليس من شرط اعوان القاضي ان يكونوا عدولا الا ترى ان اهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا
اعوانا له من امتنع من قبول احكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز ان يدعى ذلك على ابي حنيفة
وقد اكرهه ابن هبيرة في ايام بني امية على القضاء وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما خيف عليه قال الفقهاء
اقبل شيئا من عمله اي شيء كان حتى تزول عنك الضرب فتولى له عد احمال التبن الذي يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى عد
اللبن الذي كان يضرب لسور المدينة وذلك انه كان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وقصته
في امر زيد بن علي مشهورة وحمله المال اليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه وكذلك امره مع محمد وابراهيم ابني عبد الله بن حسن
وفي الآية انذار بليغ وتخويف شديد عن وخامة عاقبة الظلم ووخيم موقعه فانه يحط اولا عن رتبة النبوة لا ينال عهدي الظالمين وثانيا عن درجة الولاية
الا لعنة الله على الظالمين وثالثا عن ذروة السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من احسن
اليها وبغض من اساء اليها وخامسا عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله در القائل شعر لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا
فالظلم آخره ياتيك بالندم نامت عيونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم وللآخر شعر مرتع ظلم الورى وخيم
يا صاحب القلب والجحود لا تظلم الناس اخش نارا وقودها الناس والحجارة ايحسب الظالم في ظلمه اهمله القادر ام امهلا ما اهمله بل امهله
لن يجدوا من دونه موئلا شعر لا تعجب بالدعاء وتزدريه وما يدريك ما صنع الدعاء سهام الليل لا تخطي ولكن لها امد وللامد انقضاء
واعلم ان عهد الله الذي اخذه على عباده هو بالحقيقة عهد العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي التزمه لعباده هو عهد الربوبية ربكم
ورب آبائكم الاولين ثم انه تعالى لا يزال يلاحظك بنظر الربوبية فيربيك ويربيك وبعد نعمة الوجود يعطيك نعمة الصحة والمكنة والعافية
والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وانت لا تنفك عن تقصير ونسيان وجهل وعدوان وايذاء لخلق
الله وعبيده وارضاء لحزب الشيطان وجنوده فيا ايها المغرور ما هذا التقصير قال اي المعبر ومن الظالمين من تغير قوله واذ جعلنا البيت
لتقرير التكليف آخر والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء التي كانت في الاصل للجنس ثم كثر استعماله في واحد من ذلك الجنس لخصلة
مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولابد ان يكون وقت استعماله لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد لتفيد الاختصاص وتسمى العلم
الاتفاقي وانما لزمت اللام في مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصارت كبعض حروفه الا انه تعالى لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم
الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة ثابتة بسبب الكعبة نفسها ومثله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد
الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد والله اعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل ان يكون المراد جعلنا البيت
سبب الامن وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول يكون معنى آمنا موضع امن كقوله حرما آمنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان
مثل مقاما ومقامة وقيل التاء للمبالغة كعلامة عن الحسن اي يثوبون اليه في كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه
وذلك لدعاء ابراهيم عليه السلام واجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وقيل مثابة اي يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان
فعل العبد مخلوق لله او بان الله تعالى القى تعظيمه في القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة اخرى وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال
صلى الله تعالى عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة
ثم ان قطان الخافقين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم فيه النفع لمن اراد ولا شك ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
خبر فتارة نتركه على ظاهره ونقول انه خبر بان يكون حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء لا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه اصلا فان الوجود بخلافه فقد يقع

فيه القتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة تصرف عن ظاهره وتقول
انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع امنا من الغارة والقتل قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي وانما احلت لي ساعة من نهار
وقد عادت حرمتها كما كانت فليبلغ الشاهد الغائب اي ان المعنى انها لم يحل لاحد ان ينصب الحرب عليها وان ذلك احل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فاما من دخل البيت من الذين وجبت عليهم الحدود فقال الشافعي ان الامام يأمر بالتضييق عليه بما يؤدي الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد في الحل فان
لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل في الحرم جاز قتاله فيه وعند ابي حنيفة لا يستوفى قصاص النفس في الحرم الا ان يشبه القتل فيه ولكن يضيق
الامر عليه ولا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل وسلم انه يستوفى منه قصاص الطرف وعند احمد لا يستوفى من الملتجي واحد من القصاصين
ولو التجا الى المسجد الحرام قال الامام او مسجد آخر يخرج منه ويقتل لانه تأخير يسير وفيه صيانة المسجد وحفظ حرمته وقيل يبسط الانطاع ويقتل فيه
تعجيلا لتوفية الحق واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا اي اتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده
قبلة يصلون اليها وعلى هذا المراد بالمصلى القبلة واما من قرأ بالكسر على الامر فعلى ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه استحبابا
لا وجوبا وفي مقام ابراهيم اقوال عن الحسن وقتادة والربيع ابن انس انه لما جاء ابراهيم من الشام الى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى نغسل راسك
فلم ينزل لان سارة شرطت عليه ان لا ينزل عندها فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى
الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام كان يبني البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البناء
وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل
ان يكون ابراهيم صلوات الله عليه قام على هذا الحجر في هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابراهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى من الصلوة
بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة ومزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها والقول بان مقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه
اولى لان هذا الاسم في العرف مختص بذلك الموضع يعرفه المكي وغيره ولان الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حتى غاص فيه رجلاه وذلك من اظهر
الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابراهيم وكان اشد اختصاصا به فاطلاق مقام ابراهيم عليه اولى ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وتحت هذه بجزئيته على نحو رايت منك اسدا ووهب الدلالة منك وليا مشفقا فيه بيان المتخذ والمرئي والموهوب ويتميز في ذلك
المعنى عن غيره ولا ريب ان الصلوة به تفضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابراهيم صلوات الرحمن عليه وركعتا الطواف خلف المقام
وفي الحجر ثم في المسجد اي مسجد كان حيث شاء ومتى شاء ليلا او نهارا سنة عند الشافعي في اصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله صلى الله عليه وسلم
للاعرابي قال هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع وفي قوله الآخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن ابي حنيفة ايضا مختلفة و
وعهدنا والمراد بالعهد ههنا الامر اي امرناهما بذلك وامرناهما امرا وثيقا عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة
فمعناه اي طهرا والمراد بالتطهير من كل امر لا يليق بالبيت اما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى واما من الشرك وعبادة الاوثان فلانه
مقام العبادة والاخلاص وكل هذه اما ان لا تكون موجودة فامرا بازالتها وقيل عرفا الناس ان بيتي طهر لهم متى تحجوه للطائفين الى آخره العطف يقتضي
مغايرة فالطائف من يقصد البيت حاجا ومعتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور او يعتكف والركع السجود جمع راكع وساجد اي
من يصلي هناك وعن عطاء اذا كان طائفا فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز ان يريد
بالعاكفين الواقفين يعني القائمين كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات
المصلي ولعل الوجه الاول اولى ليكون الركع السجود كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا فسرنا الطائفين بالغرباء دلت
الآية على ان الطواف للغرباء افضل من الصلوة لانه تعالى خصهم بذلك وقد روي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء ان الطواف لاهل الامصار افضل
والصلوة لاهل مكة افضل وفي اطلاق الآية دليل على جواز الصلوة في البيت فرضا كانت او نفلا خلافا لاحمد ومالك في الفريضة فالاول
وجهك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل الى جزء من اجزائه واجيب بان المتوجه الى جزئه كذلك لان المتوجه الواحد
لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبان الفرق بين الفرض والنفل لا يخفى قوله تعالى واذ قال ابراهيم قيل في الآية تقديم وتأخير لان قوله رب
اجعل هذا بلدا آمنا لا يمكن الا بعد دخول البلد في الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متأخرا في التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت في ترتيب
القصة فوائد منها انه اجمل القصة في قوله واذ ابتلى الى فاتمهن ثم فسر وفي التفسير قدم الاهم فالاهم ولا ريب ان ذكر جعل ابرهيم اماما اولى
بالتقديم لعموم نفعه الخلائق ولتقدمه في الوجود ايضا ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس وامنا لانه المقصود من عمارة البيت ثم حكاية عمارة البيت
وقد حصل في ضمن رعاية الاهم فوائد اخر منها انه كما بنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من اجزائها ايضا كذلك فقوله واذ جعلنا البيت
مثابة للناس وامنا مجمل ثم فسر ذلك بان جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابراهيم وذكر البيت اولا وقع مجملا ثم فسر بانه كيف بني ومنها انه وقع
ختم الكلام بادعية ابراهيم عم ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه ولعل فطانتك تعرف من اسرار هذا الترتيب اكثر مما ذكرنا
هذا بلدا آمنا ذا امن مثل عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا آمنا على التنكير وفي سورة ابراهيم هذا البلد آمنا لان هذا الدعاء
منه قبل جعل المكان بلدا وكانه قال اجعل هذا الوادي بلدا آمنا وذلك الدعاء صدر بعد جعله بلدا وكانه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته بلدا
آمنا ذا امن واما لان الدعوتين واحدة والمراد اجعل هذا البلد بلدا آمنا فيفيد مبالغة زائدة كقولك هذا اليوم يوم حار معناه اجعله من البلاد
الكاملة في الامن بخلاف قوله اجعل هذا البلد آمنا ففيه طلب الامن لنفسه قيل سأل الامن من القحط لانه اسكن اهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع
وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده تكرارا واجيب بان التوسعة في الرزق مغايرة لطلب ازالة القحط ثم انه
تعالى استجاب دعاءه فجعله آمنا من الآفات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل قيل اليس ان الحجاج حارب ابن الزبير وخرب
الكعبة وقصد اهلها بكل سوء واجيب بان مقصوده لم يكن تخريب الكعبة لنفسها وانما كان غرضه شيئا آخر من الثمرات من للابتداء لا للتبعيض قيل
قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء وانما سأل ابراهيم عليه السلام الامن وان يجبى اليه الثمرات وان كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان آمنا وخصيبا
تفرغ اهله لطاعة الله تعالى ويكون سببا لاجتماع الناس واقبالهم اليه من كل اوب زائرين وعاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن

الصالحين

الصالحين نعم المال الصالح للرجل الصالح واختلف في ان مكة هل كانت آمنة محرمة قبل دعوة ابراهيم وصار ذلك مؤكدا بدعائه فقيل نعم
لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صارت حرما آمنا بدعوته
وقبلها كانت كسائر البلاد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة وقيل بالجمع بينهما وذلك انه كان ممنوعا قبله
بمنع الله تعالى من الاصطلام وبما اوقع في النفوس من التعظيم ثم صار آمنا على لسانه ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله
خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث ميز هناك بين المؤمن والكافر فقيل لا ينال عهدي الظالمين فعرف الفرق بينهما فقيل ومن كفر
عطفا على من آمن كما في ومن ذريتي او هو مبتدأ متضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك ان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي فيؤدي حق
امره ونهيه ولا يأخذه في الدين لومة لائم ولا سطوة جبار وظالم وابعد الناس عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب ظلم اما الرزق فانه يعم
ايصاله الى المؤمن والكافر والصالح والفاجر لعموم الرحمة ولانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة على انه متاع قليل وتدبير فيما بين الازل والابد وقليلا اي
امتاعا قليلا او زمانا قليلا فنعمة المؤمنين في العاجل موصولة بنعيمهم في الآجل ونعمة الكافرين مقطوعة عنهم بعد الموت والازل لا يجدي بطائل او متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل به ما يلجئه الى النار كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا
الى جهنم او ان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد الى ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كالاضطرار الى اكل الميتة مثلا وبئس المصير ذلك الذي اضطر اليه او ذلك
الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اسم مصدر بمعنى الصيرورة وقد يقال صرت الى فلان مصيرا وانه موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكما يقال

وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ۝ ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ۝ ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ۝ ومن يرغب عن ملة ابراهيم
الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ۝ اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين ۝ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم
مسلمون ۝ ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد
الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ۝ تلك
امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ۝

القراءة ارنا وبابه ساكنة الراء ابن كثير ورويس ويعقوب على كسرة مخففة اذ تسكن فيقال فخذ وقرأ ابو عمرو بالاختلاس طلبا للخفة وحذرا من الاجحاف
ويعلمهم بالاختلاس عباس وكذلك كل فعل مستقبل مجزوم حيث وقع وروى ابن رومي عن ابن عباس بكلتا وتعدنا وكل كلمة تضمنت حرفين من الاسماء
بالاختلاس مثل في اعينكم واسلحتكم وامتعتكم واوصى من الايصاء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون ووصى بالتشديد شهداء اذ عاصم وحمزة وعلي وخلف
وابن عامر الباقون شهداء يذ وكذلك ما اشبهه كل القرآن الوقوف واسمعيل ط لاضمار القول اي يقولان ومحله نصب على الحال ربنا ط
للابتداء بالنداء ويجوز الوصل على وجه ليعطف على تقدير فانك او لانك العليم ه مسلمة لك ص لعطف المتفقتين علينا ط وقد ذكر الرحيم ه ويزكيهم ط
الحكيم ه نفسه ط للفصل بين الاستفهام والاخبار في الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين ه اسلم لا لان قوله قال جواب اذ والا وجب ان
يقال فقال والا انقطع النظم العالمين ه ويعقوب ط لارادة القول على الاصح ومن وصل جعل الوصية في معنى القول مسلمون ج لان ام
بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت لا لان اذ بدل اذ الاولى او اذ الاولى ظرف شهداء واذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها عن الاولى فوقف
على الموت وجعل قالوا عاملا ولم يقف على بعدي فله وجه لا يصح لان الانكار متوجه على قولهم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قد اتى
من بعدي ط واحدا ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اجوز على جعل الواو حالا مسلمون ه قد خلت ج لان ما بعدها يصلح صفة لامة و
يصلح استئنافا وهو اوضح لعطف ولكم ما كسبتم عليها ولكم ما كسبتم ج لعطف الجملتين المتفقتين يعملون ه التفسير عن وهب بن منبه قال
ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض استوحش منها لما رأى من سعتها ولانه لم ير فيها احدا غيره فقال يا رب اما لارضك هذه عامر يسبحك فيها
ويقدس لك غيري فقال الله تعالى اني ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري وساخص منها بيتا
منها اختاره لنفسي واخصه بكرامتي واوثره على بيوت الارض كلها باسمي واسميه بيتي انطقه بعظمتي واحوطه بحرمتي واضعه في البقعة التي اخترت لنفسي
فاني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض اجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وآمنا احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه
بحرمتي فقد عظم حرمتي ومن احله فقد اباح حرمتي ومن آمن اهله استوجب بذلك اماني ومن اخافهم فقد جفاني ومن عظم شانه فقد عظم في عيني
ومن تهاون به صغر في عيني سكانها جيراني وعمارها وفدي وزوارها اضيافي اجعله اول بيت وضع للناس واعمره باهل السماء والارض ياتونه
افواجا شعثا غبرا على كل ضامر ياتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجا ويثجون بالتلبية ثجا فمن اعتمره لا يريد غيري فقد زارني وضافني ووفد علي
ونزل بي فحق علي ان اتحفه بكرامتي وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره وان يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا
ثم يعمره من بعدك الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبي حتى ينتهي بعد ذلك الى نبي من ولدك

يقال له محمد خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته يكون ابني عليه ما دام حيا فاذا انقلب الي وجدني وقد ذخرت له من اجره ما يمكن به من القربة الي والوسيلة عندي واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده وسناه واعلمه مشاعره ومناسكه واجعله امة وحده قانتا قائما بامري داعيا الى سبيلي اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر واعافيه فيشكر وآمره فيفعل وينذر لي فيفي واستجيب دعاءه في ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت وحماته وسقايته وخدمه وخزانه وحجابه حتى يبدلوا او يغيروا واجعل ابراهيم امام ذلك البيت واهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه اليه آدم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه وكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وعن علي رضي الله عنه البيت المعمور بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب وما مسهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس انه كان اشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة اسمعيل وامه فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم النبي عليه السلام قط الا ثلث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتي يغلبني عليك فان سألك فاخبريه انك اختي فانك اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل ارضه رآها بعض اهل الجبار فأتاه فقال لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فأتي بها وقام ابراهيم الى الصلوة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك ففعلت فعاد فقبضت اشد من القبضتين فقال ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فاطلق يده ودعا الذي جاء بها فقال انك انما جئتني بشيطان ولم تأتني بانسان فاخرجها من ارضي واعطها هاجر قال فاقبلت تمشي فلما رآها ابراهيم انصرف فقال مهيم فقالت خيرا كف الله يد الفاجر واخدم خادما قال ابو هريرة رض فتلك امكم يا بني ماء السماء قلت وذلك انها ملكتها سارة ابراهيم فولدت له اسمعيل ابا العرب واما تتمة القصة فبعد ان غارت سارة على هاجر حيث لم يكن لسارة من ابراهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل باربعة عشر سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس اول ما اتخذت النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم عليه السلام حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتأذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس رض قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابراهيم عليه السلام بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه قال فاذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذلك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم عليه السلام ما شاء الله ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه قال خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذلك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي رضي الله عنه انه مر عليه الدهر بعد بناء ابراهيم عليه السلام فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم فبنته قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة وكان

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوه في مرط ثم ترفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه واعلم ان للبيت اربعة اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين واعادت قريش عمارته على الهيئة التي هي عليه اليوم ولم يجدوا من النذور والهدايا والاموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابراهيم صلوات الرحمن عليه وضيقوا عرض الجدار من الحجر الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذي يسمى الشاذروان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضه لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابراهيم فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه ايام ولايته وبناه على قواعد ابراهيم عليه السلام ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده على الصورة التي هو عليها اليوم وهو بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه فيرتفع كل منها بسبب وضع الآخر عليه ورفع القواعد صريح فيما ذهب اليه الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة وان ابراهيم عمرها ورفعها كما مر في الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت ليكون الكلام مبينا على تبيين بعد ابهام ففيه تفخيم شان المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما انواعا من الدعاء في تلك الحالة الاول قولهما تقبل منا وقبول الله تعالى عمل العبد عبارة عن كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى او يثيب عليه والاول اقرب عند العارفين من الثاني نسبة لفعل من العبد بالهدية واثابة الله تعالى عليه ورضاه بالقبول وقيل ان بين القبول والتقبل فرقا فان التقبل عبارة عن تكلف القبول وحيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل فاختير لفظ التقبل هضما لنفسهما واستقصارا وقد يستدل بهذا على ان الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه والا لم يكن في طلبه فائدة ويحتمل ان يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الافعال المقرونة بالاخلاص لكنه بطلب القبول عن ذلك ويؤكده قولهما انك انت السميع بمعنى سامع اجابة العليم بنياتنا النوع الثاني ربنا واجعلنا مسلمين لك فان اريد بالاسلام الدين والاعتقاد فوجه الطلب الى الثبات والدوام اي ثبتنا على ذلك والا كان تحصيلا للحاصل بالنسبة اليهما وفيه بحث وان اريد الاستسلام والخضوع والاذعان الكلي والرضا بكل ما قدر وامر فتوجه الطلب الى هذا لكن الغضها غير مفيد لانها امور خارجة عن الضبط لا يتيسر الا بجد وتيسير الله وتوفيقه بخلاف اصل الاسلام الذي وقع به التكليف فانه مضبوط وقد يمكن ان للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته منتهيا الى مسبب الاسباب وقوله واجعلنا اما معطوف على تقبل وقوله انك انت السميع العليم ربنا اعتراض للتأكيد واما معطوف على محذوف اي ربنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا من للتبعيض كما في قوله ومن ذريتي والامة الجماعة من الناس وقيل اراد انه محمد صلى الله عليه وسلم مسلمة يحتمل ههنا اصل الاسلام والزيادة عليه ايضا وقيل اسلم مطلقا يعيد الايمان والاعتقاد وسعدي بالقام معناه الاستسلام والانقياد الكلي طلب الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهارا للشفقة فالتبعيض لسوء الظن بولع ويحتمل ان يكون هذا الدعاء بيانا لما اجمل هناك فيكونان واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلائق لانهم احق بالنصيحة والدم قوا انفسكم واهليكم نارا ولانهم اذا صلحوا لصلح غيرهم وفي نسخ اولهم يكون سدا ادنى ورائهم ولقد استجاب الله دعاءه فلم يزل في ذريتهما من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ولم يزل الرسل من ذرية ابراهيم وقد كان في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم على دين الحق قائلين بالابداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا يأكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان وارنا ان كان منقولا من رؤية العلم فمعناه وعلمنا ان شرائع حجنا كيف هي اذ امرتنا ببناء البيت للحج ونعوا الناس الى الحجة وان كان منقولا من رؤية البصر وهو الاظهر ولذلك لم يتجاوز الى مفعولين ظاهرا فالمعنى بصرنا متعبداتنا في الحج قال الحسن ان جبريل عليه السلام اري ابراهيم المناسك كلها حتى بلغها عرفات فقال يا ابراهيم اعرفت ما اريتك من المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر اراد ان يزور البيت عرض له ابليس فسد عليه الطريق فامر جبريل عليه السلام ان يرميه بسبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع كل ذلك يأمره جبريل عليه السلام برمي الحصيات وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الفرض منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا وهو بعيد فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على معنييه معا فكذلك مدلولا الحقيقة والمجاز متى صح ارادتهما معا من لفظ واحد كالعقد والوطء في النكاح غاية ما في الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من حمل المناسك على المذابح فقد يسمى الذبح تقربا نسكا والذبيحة نسيكة وليس في التخصيص وجه فان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فحمل المناسك على جميع اعمال الحج اولى قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم لعلي لا القاكم بعد عامي هذا بل لا يبعد ان يحمل على جميع ما شرعه الله لابراهيم اي علمنا كيف نعبدك ومتى واين نعبدك وبماذا نتقرب اليك حتى نخدمك بذلك خدمة العبد لمولاه وتب علينا التوبة عنهما محمولة على ما عسى ان يكون قد فرط منهما من الصغائر عند من يجوزها على الانبياء وعلى ترك الاولى ونحو ذلك عند غيرهم ويمكن ان يكون التوبة منهما تصويرا لانفسهما بصورة النادم العازم على التحرز تشددا في الانصراف عما لا يليق بهما قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة وايضا لعلهما استتابا لذريتهما لعلمهما بان فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وذلك لغاية شفقتهما عليهم وباقي مباحث التوبة قد مر في قصة آدم عليه السلام فليتذكر النوع الثالث ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وفيه امران الاول ان يبعث في تلك الامة رسولا ليبين لهم الشرع القويم وينهج الصراط المستقيم والثاني ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل اليهم اذا كانوا جميعا من ذريته كان رتبته اجل ولانه اذا كان منهم عرفوا مولده ومنشأه فيقرب الامر عليهم في معرفة صدقه وامانته ولانه اذا كان منهم كان احرص عليهم واشفق من اجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول فهو محمد صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين وهو حجة ولقوله تعالى في موضع آخر لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وقوله صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي اما الدعوة فهذه واما البشارة فقوله تعالى في سورة الصف ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد واما الرؤيا فما رأت امه وهي حامل انه خرج منها نور اضاء ما بين الخافقين وههنا نكتة هي ان الخليل لما دعا للحبيب بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا لا جرم قضى الله تعالى حق الحبيب للخليل بان اجرى ذكره على السنة امته الى يوم القيامة يقولون في صلواتهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ولهذا الذكر مناسبات اخر منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي ابق لي ثناء حسنا في امة محمد فاجابه الله تعالى وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابراهيم ابو الملة ملة ابيكم ابراهيم ومحمد ابو الرحمة بالمؤمنين رؤوف رحيم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد لولده يعني في الرأفة والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بين ذكرهما في التحية ومنها ان ابراهيم منادي الشريعة واذن في الناس بالحج ومحمد صلى الله عليه وسلم

مناد والذين سمعنا مناديا ينادي للايمان ومنها انه كان اول الانبياء بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبياء ورسول آخر الزمان ومنها ان الخليل تبرا عن سائر الاديان
اني بريء مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابراهيم عليه السلام ذكر لذلك الرسول صفات اولاها يتلوا عليهم آياتك
اي الفرقان المتلو عليهم او حجج ما بلغه من دلائل التوحيد وغيره او نبأ القرآن ومثله معه وثانيها ويعلمهم الكتاب اي معانيه وحقائقه وذلك ان التلاوة
وان كانت مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا عن التحريف ولان لفظه ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة ولا سيما في الصلوات الا ان الحكمة
العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام وثالثها قوله والحكمة اي ويعلمهم الحكمة قيل هي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما
الا وقد اجتمع فيه الامران فيضع كل شيء موضعه ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية ويناسب قوله صلى الله عليه وسلم
تخلقوا باخلاق الله وعن ابن وهب قلت لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة واليه ذهب الشافعي هي سنة
الرسول لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه ثم عطف عليه الحكمة فيكون شيئا خارجا عنهما وليس ذلك الا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فان الدلائل
العقلية الدالة على التوحيد والنبوة وما يتلوهما مستقلة بالفهم فحمل اللفظ على الاستفادة من الشرع اولى وقيل هي الفصل بين الحق والباطل من الحكم
وقيل المراد بالكتاب الآيات المحكمات وبالحكمة المتشابهات وقيل هي ما في احكام الكتاب من الحكم والمصالح ورابعها ويزكيهم لان الارشاد
يتم بامرين التخلية والتحلية كما يجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليتحلى المتعلم بها يجب عليه التحذير عن سمات النقصان ليتحرز عنها وذلك نحو
ما يفعل النبي صلى الله عليه وسلم سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ والتذكير والتنبيه بامور الدنيا ليتقوى
بها دواعيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اوتي مكارم الاخلاق وقيل يزكيهم يطهرهم عن الشرك وسائر
الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا وعن ابن عباس
التزكية هي الطاعة لله والاخلاص انك انت العزيز القادر الذي لا يغلب الحكيم العالم الذي لا يفعل الا ما فيه المصالح واذا كان كذلك صح منه
اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب ومن يرغب الاستفهام فيه لتقرير النفي اي لا يرغب احد يقال رغب عن الامر اذا كرهه ورغب فيه
اذا اراده ومحل من سفه الرفع على البدل من الضمير في يرغب وذلك انه غير موجب مثل هل جاءك احد الا زيد وسفه اما متعد ومعنى سفه
نفسه اذا امتهنها واستخفها فاصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط
فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جهل نفسه فلم يفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنع
على وحدانية الله تعالى وحكمته ويرتقي الى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابي عبيدة اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه واما لازم
فمعناه سفه في نفسه فحذف الجار نحو زيد ظني مقيم اي في ظني وقيل نصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وهذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم
يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى ومشركي العرب وتعجيب من حالهم فان اعظم مفاخرهم وفضائلهم الانتماء الى ابراهيم ثم انهم
لا يؤمنون بالرسول الذي هو دعوته ومطلوبه بالتضرع والاخلاص فان قيل ملة ابراهيم عين ملة محمد في الاصول والفروع او هما متحدان في الاصول
كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنهما مختلفان في فروع الاعمال ولا سبيل الى الاول والا لم يكن شرع محمد ناسخا لسائر الشرائع
ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد ايضا راغبا عن ملة ابراهيم ولان الاعتراف بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قلنا المختار
اتحاد الملتين في الاصول فقط ولكن نبوة محمد من جملة الاصول التي مهدها ابراهيم عليه السلام والمراد بملة ابراهيم في الآية اصولها التي لا تختلف
بتبدل الاعصار وكر الدهور فلا يلزم ان يكون محمد راغبا عنها لانه امر باتباعها ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وروي ان عبد الله بن سلام
دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى
ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ثم انه تعالى لما سفه من يرغب عن ملة ابراهيم بين السبب في ذلك فقال ولقد
اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه للرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال
منزلة الخلة وانه في الآخرة لمن الصالحين فيلزمه ما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليتحقق كل ذي لب ان الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة
الدارين لا راي له والله الموفق ثم بين سبب الاصطفاء فاعل اصطفيناه اذ قال اي اخترناه في ذلك الوقت ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر
استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ٧ ابراهيم
ولولا ذلك لكان حقه ان يقال اذ قلنا له والاكثرون على انه تعالى انما قال له ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك عند استدلاله بالكوكب والقمر
والشمس واطلاعه على امارة الحدوث فيها فلما عرف ربه قال له اسلم فانه لا يجوز ان يقول له قبل ان عرف ربه ويحتمل ان يكون ذلك قبل
الاستدلال ولا يكون المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
يجعل دلالة البرهان كلاما ويحتمل ان يكون هذا بعد النبوة والمراد استقامته على الاسلام وثباته عليه كقوله فاستقم كما امرت والمقصود الانقياد
لاوامر الله تعالى والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعتراض بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة القلب والاسلام صفة الجوارح وان
ابراهيم عليه السلام كان عارفا بالله تعالى بقلبه فكلفه الله تعالى بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع بل اكثر قصص ابراهيم
اشارة الى ان طريق عرفانه التنظر في المربوبات فلا جرم وصل الى الرب وطريق عرفان محمد عكس ذلك الترتيب فلا جرم جاء من الله فاعلم انه لا اله
الا الله والاول طريق من سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق لكن الطريق الثاني احسن او لم يكف بربك انه على كل
شيء شهيد ومن ههنا يعرف الكلمة محمد صلى الله عليه وسلم شعر واني وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل فالف ابراهيم
دلالة على استقامة سيرته وميم محمد دليل على انه كل الاوضاع وبه ابتداء الامر من حيث انتهى تمت دائرة النبوة وحصلت الخاتمية وكان ان
الف ابراهيم ودليل وجود الاستقامة ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والف ابليس دلالة عدم الاستقامة الا ابليس ابى واستكبر والوجود
خير والعدم شر فصل من خاء الخير مع لام الابتلاء واذ ابتلى ابراهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابراهيم خليلا ومن شين الشر مع دال الدال
على الكفر وكان من الكافرين اسم الشدة وللكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل بين الشيئين ومنه الخلال فلا جرم كان
ابراهيم صلوات الرحمن عليه واسطة في الطريقة ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا والمحبة ماخوذة من الحبة وهو خالص كل شيء وداخله ومنه حبة القلب
فلا جرم كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وحبيب رب العالمين وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك
اول الفكر آخر العمل اول ما خلق الله تعالى نوري انا اول من ينشق عنه القبر آدم ومن دونه تحت لوائي انا سيد المرسلين ولا فخر محمد صلى الله عليه وسلم

ابو

ابو الحقيقة وان كان ابراهيم عليه السلام ابا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودا بالذات اقوى من الطريقة لا جرم وقع الصلوات على ابراهيم في الصلوة
تبعا للصلوة على محمد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وان الصلوة لا تصح بدون الصلوة على محمد بخلاف الصلوة على غيره والله تعالى اعلم
ووصى بها ابراهيم التوصية من جملة الامور المستحسنة التي حكاها الله تعالى عن ابراهيم اوصيته بكذا ووصيته بمعنى واصله من وصيت الشيء بكذا
بالتخفيف اذا وصلته اليه وارض واصية متصلة النبات فالموصي يصل القربة الحاصلة له بعد الموت الى القربات الحاصلة له في الحيوة ويحمل الموصى على ما
يوصل بسبب الوصية والضمير في بها قيل يعود الى الكلمة او الجملة وهي اسلمت لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني
براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقيل الاولى ان يرجع الى الملة لانها مذكورة صريحا في قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم ولان الوصية بالملة جامعة لجميع
الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها اللهم الا ان يحمل الاسلام على الانقياد الكلي وفي الآية دلالة على مزيد مرغبة في قبول الدين منها انه [illegible]
وامرها لان الوصية عند امارات الموت وعند ذلك يكون الاهتمام بالمامور اشد ومنها انه خص بنيه بذلك في آخر عمره مع انه كان يدعو
كل الناس الى الدين فدل على انه لا شيء عنده اهم من ذلك ومنها التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان او مكان ولم يخلطها بشيء آخر
ثم نهاهم ان يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلائل شدة الاهتمام بالمامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك وصى
بها يعقوب بنيه وقرئ يعقوب بالنصب لتعطفه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب قائلا كل منهما يا بني اصله يا بنون فاضيف الى ياء المتكلم
فسقطت النون وصارت الواو ياء ثم لاجل النصب فادغم الياء في الياء ان الله اصطفى لكم الدين استخلصه واختاره لكم بان اقام عليه الدلائل الواضحة
ودعاكم اليه ومنعكم من غيره ووفقكم للاخذ به فلا تموتن فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وانت خاشع لا انها عن الصلوة
ولكن عن ترك الخشوع في صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد
الا في المسجد فانه في قوة قوله لجار المسجد لا تصل الا في المسجد فكان موتهم لا على حال الاسلام موت لا خير فيه لانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا الموت
ان لا يحل فيهم ام كنتم شهداء يحتمل ان يكون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار لمجرد الحضور عنده وفاته والخطاب للمؤمنين اي ما كنتم حاضرين حين
احتضر يعقوب وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي او لاهل الكتاب المعاصرين كانه قيل لهم كيف تزعمون ان ما انتم عليه دين الرسل ولم تشهدوا
وصايا الانبياء ولو شهدتم ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم لظهر لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنيفي ورغبتم في دين محمد عليه السلام ويحتمل كون ام متصلة
على ان يقدر قبلها محذوف معناه اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل
كانوا شاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد ودين الاسلام فالكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وفيه نظر لان ام المعادلة احد الامرين كاينهما
فقط فان كان الحضور ثابتا لم تكن الدعوى ثابتة لكنها ثابتة ولهذا توجه الانكار عليها فالوجه ان يقال المراد ان الحضور غير ثابت لتطاول الزمان
فان دعوتهم يهودية الانبياء دعوى بلا دليل فلا تسمع لانه تعالى نص على بطلانها بقوله اذ قال لبنيه الى آخره ويتجه على هذا التقدير ان يكون مسلم ٧
ام منقطعة كانه استفهام او على سبيل الانكار اي لم تدعون ثم استانف استفهاما ثابتا لتقرير النفي اي اكنتم شهداء او لتقرير الاثبات
على ان اولهم قد شهدوا فيكون مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون وما عام لاولي العلم وغيرهم ومن مختص باولي العلم ولهذا قال العلماء من لما يعقل اي شيء تعبدون ٩
ومن خصص ما بغير اولي العقل قال المراد السؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب روي ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر راى
اهلها يعبدون النيران والاوثان فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك بعبادة الله لا انهم كانوا يعبدون غير الله لان
مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك ولان المشهور من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين وابراهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك
وقدم اسمعيل لانه اسن وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد هو الاخوة قال صلى الله عليه وسلم عم
الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابراهيم وهو جده فعن الشافعي انه مجاز
ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد واليه ذهب مالك وابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود
وزيد وقال ابو حنيفة انه حقيقة وانهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطا ثم التعليمية
قالوا لا طريق لنا الى معرفة الله تعالى الا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت
تعبده وآباؤك يعبدونه فدل على ان طريق المعرفة هو التعليم واجيب بمنع دلالة الآية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا انهم
اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات الله وبيان ذلك وايضا انه اقرب الى سكون نفس يعقوب فكانهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك
من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته وايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود آبائك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم
والذين من قبلكم الها واحدا بدل من اله آبائك مثل بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص والمدح ونحن له مسلمون مذعنون او مخلصون
التوحيد ومحله نصب حالا من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير في له اليه ويجوز ان يكون جملة معترضة مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة معطوف على نعبد او نصب جملة ٧
التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون خلت مضت وانقرضت والغرض انه لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قيل لها ما كسبت اي ثوابه يريد
اني اقتصصت عليكم اخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوه فان انتم فعلتم ذلك فزتم كما
فازوا وان ابيتم خسرتم انتم دونهم ولا تسألون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب لليهود حيث قالوا انهم يعذبون
اياما معدودة لكفر آبائهم باتخاذ العجل وفي الآية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا عمل الآباء قال صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة محمد يا فاطمة بنت محمد ائتوني
يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم الآية تدل على ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره
فالاشعري على انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا لانه لو كان موجدا لافعاله لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك وكما وقع الا ما اراد
العبد وليس كذا بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي حصل بخلق الله تعالى وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب
واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى فاذا خلقه فيه استحال من العبد ان لا يتصف حينئذ به واذا لم يخلقه فيه استحال ان
لا يتصف به فاي سعي لكون العبد قادرا عليه وايضا الذي هو مكتسب للعبد اما ان يكون واقعا بقدرة الله تعالى فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا له وان
وقع بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بالخلاف فبقي ان يكون بقدرة العبد وعن القاضي ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله
تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد وضعف بان اللزوم من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل
تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فعين المنهي عنه قد خلقه الله فيه وهو التكليف بما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب

وزعم الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وتعقب بان قدرة الله تعالى مستقلة بالتأثير ومنهم من زعم
ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي وضع الاسباب المؤدية الى دخول هذه الافعال
الى الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول
الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة ان القدرة مع الداعي لا توجب الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء
ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذا تقرير المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الادب وقول امام الحرمين اقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر
القريب لا تنافي كون ذلك المؤثر مستندا الى اثر آخر بعيد ثم ابعد الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب وفاعل الكل ومبدأ المبادي والباعث
الاختيار [illegible] التأويل من قوله واذ ابتلى البلاء للولاء كاللهب للذهب فاصدقهم ولاء اشدهم بلاء وابتلى الخليل
بكلمات هي احكام النبوة الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المألوفات وموجبات الخلة التبري

[illegible]

من الحق وهو [illegible] ليسمع كلام الرسول الخارجي ثم ان ابراهيم الروح يوصي بنيه المتولدة من القلب وصفاته والسر وصفاته والنفس وصفاتها والقوى
البشرية والحواس الخمس والاعضاء والجوارح كلها بملته وفي الآيات اشارة الى انه تعالى اذا تجلى لروح عبد مخلص متضرع اليه محب له ظهر آثار
انوار التجلي على قلبه وسره ونفسه وفؤاده وخواصه وجميع اعضائه فيخضعون له بكليتهم فيعبدون الها واحدا لا مستغرقا من الهوى والدنيا والآخرة [illegible]

وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ۝ قولوا آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون
من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ۝ فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا
فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له
عابدون ۝ قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ۝
ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله و
من اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ۝ تلك امة قد خلت لها
ما كسبت ولكم ما كسبتم ۝ ولا تسئلون عما كانوا يعملون ۝ صدق الله العظيم

القراءات ام تقولون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة الوقوف
تهتدوا ط حنيفا ط المشركين ه من ربهم ج لطول الكلام والاستيناف والاصح انه حال اي آمنا غير مفرقين منهم ج لاحتمال الابتداء والحال

او جه مسلمون ه اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف شقاق ج للابتداء بالوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم الله ج لاحتمال الواو الابتداء
والحال العليم ط لان الجملة الناصبة لقوله تعالى صبغة الله محذوفة وقد يدل عليها قولهم آمنا بالله وقوله فان آمنوا شرط معترض صبغة الله لابتداء
الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة ج على جعل الواو للابتداء او للحال او للعطف على آمنا عابدون ه وربكم ج لان الواو يصلح ان يكون عطفا
على الحال الاولى ويصلح ان يكون مستأنفا اعمالكم ج مخلصون ط لمن قرأ ام يقولون بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء لم يقف لكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا
او نصارى ط ام الله ط تعملون ه قد خلت ج ما كسبتم ج تعملون ه الجزء الاول من الثلثين التفسير انه تعالى لما بين بالدلائل الباهرة
صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى قالوا كذلك لما علم من التعادي بين الفريقين
كما بين كل منهما وبين المسلمين وقد مر مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فاجابهم الله بقوله قل بل ملة ابراهيم اي يكون
اهل ملته [illegible] اي بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع اي ملته او امرنا ملته او نحن اهل ملته حنيفا حال من المضاف اليه

[illegible]

الكتاب والعرب عبدة الاصنام وأمّا قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا وأمّا الخطاب فاما لاهل الكتاب
واما لمشركي العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وأمّا للكل والمعنى اتجادلوننا في شان الله او في دينه وهو ربنا وربكم
وللرب ان يفعل بربوبه ما يعلم فيه مصلحة ويعرفه اهلا لعبيده كلهم فوصفي في ذلك لا يختص بعجمي دون عربي ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا
ترجون نيل الكرامة بها فنحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار ولكن نحن له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة احدا سواه فلا يبعد ان نؤهل
اهل اخلاصه بمزيد الكرامة من عنده ام تقولون من قرأ بتاء الخطاب احتمل ان يكون ام منقطعة بمعنى استيناف استفهام آخر اي بل تقولون
والهمزة للانكار كما في اتحاجوننا واحتمل ان يكون متصلة بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء
انكارا عليهم واستجهالا لهم بما كان منهم وعن الزجاج باي الحجتين تتعلقون في امرنا ابالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون
ومن قرأ بياء الغيبة فلا يكون الا منقطعة لانقطاع الاستفهام الاول بسبب الالتفات قل أانتم اعلم ام الله وقد اخبر الله في التاويل التورية والانجيل
والفرقان بان ابراهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده ولانهم معترفون
بان الله اعلم واخبر عن نقيض ما ادعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد بان لهم خطاؤه وان قالوا ذلك عن جحود وعناد فما اجهلهم واشقاهم فان
فائدة الكلام اما التنبيه واما التجهيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قوله من الله اما ان يتعلق بالظلم والمعنى لو كان ابراهيم وبنوه هودا
او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة لم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من الاعدل اشنع وأمّا ان يتعلق بكتم اي لا احد اظلم
ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله وكتمها واخفاها منه وأمّا ان يتعلق بشهادة كقولك عندي شهادة من فلان ومثله براءة من الله
ورسوله والمعنى ليس احد اظلم ممن كتم شهادة عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابراهيم
بالحنيفية وتعريض بان اهل الكتاب قد كتموا شهادة الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابراهيم وغير ذلك من تحريفاتهم وما الله بغافل عما تعملون كلام
جامع لكل وعيد لهم ولا عذر لهم ولو ان احدا كان عليه رقيب من قبل ملك مجازي لكان دائم التحفظ والوجل فكيف بالرقيب القريب الذي يعلم السر
ويعد عليه انفاسه وافكاره ثم هو يقدر على ان يدخله جنته او ناره تلك امة اشارة الى ابراهيم وبنيه كما مر وانما اعيدت الاية ههنا لغرض
آخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم السالفة من الدين فان ديانهم لا تنفع الا اياهم لا تدرس آثارها والنظر في انوارها واما الان فالدين هو الامر
الثابت بالدليل القاطع والبرهان النير فيجب اتباع المعلوم بمقتضاه واعتقاده وانقياد المتبوع والعادة ولا يبالي بالتأخر عن المتقدم والمحسن غير المسيء وكل بعمله مجزي والله عليم بصير

سيقول السفهاء من الناس ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين
هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء
فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد
ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات اين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا
تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم
آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون

[illegible] يشاء الى بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر [illegible] الى بقلب الثانية واوا [illegible] ابن شنبوذ

عن اهل مكة يشاء والى بقلب الاولى واو الرؤف مهموزا مشبعا ابن كثير وابو جعفر ونافع وابن عامر وحفص والمفضل والبرجمي ويزيد بتليين الهمزة
والاشباع الباقون لرؤف على وزن لرعف يعملون وليس بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف وعاصم وابو عمرو ويعقوب الباقون بالتاء
موليها بالالف ابن عامر الباقون بالياء وكسر اللام يعملون ومن حيث بياء المغايبة ابو عمرو الباقون بالتاء لئلا مدغمة غير مهموزة عن ورش وعن ابن كثير
وحمزة وعلي وخلف ويعقوب مدغما مهموزا الباقون بظهرها مهموزا والاختيار عن يعقوب وهشام الاظهار فاذكروني بفتح الياء ابن كثير الوقوف
عليها ط والمغرب ط مستقيم ه شهيدا ط عقبيه ط هدى الله ط ايمانكم ط رحيم ه في السماء ج لان الجملتين وان اتفقتا فقد دخلت الثانية حرفا
توكيد يختصان بالقسم والقسم يتصدر ترضيها ص لان فاء التعقيب لتعجيل الموعود الحرام ط شطره ط من ربهم ط يعملون ه قبلتك ج قبلتهم ج
وكلاهما لتفصيل الاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض ط من العلم لا لان ان جواب معنى القسم في لئن فلو فصل كان وصف الظلم مطلقا وللاول
خط الظالمين م ه لانه لو وصل صار صفة وهو مبتدأ في مدح عبد الله بن سلام واضرابه ابناءهم ط يعلمون ه الممترين ه الخيرات ط جميعا ط
قدير ه الحرام ط من ربك ط تعملون ه الحرام ط لان حيث منقلب لشرط شطره لا لتعلق لام كي حجة بقبل تحرزا عن اثبات الحجة بعد النفي والوصل
في التوبة اوضح ولا استاف اقيم لان المراد من الحجة الخصومة وبيان الحق لا ينافي الخصومة تهتدون لا اذ علق كما ارسلنا بما قبله ووقف على تعلمون ومن
علق بما بعده وقف على تهتدون ومن تعلمون ه تعلمون ه ولا تكفرون ه التفسير هذه شبهة ثانية من اهل الكتاب طعنا في الاسلام كما
النسخ ليقتضي اما الجهل او التجهيل لان الامر ان كان خاليا عن الفيد كمن تعلم قرة واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه ناسخا له وان كان مقيدا ابدا
فان كان الامر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبداء وان كان عالما بلا دوامه كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح ثم انهم خصصوا هذه الصورة بمزيد شبهة
وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فههنا لا مصلحة فان الجهات متساوية وهذا دليل على ان هذا التغيير ليس من عند الله قال القفال لفظ
سيقول وان كان للاستقبال لكنه قد يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض اعدائه فيقول انا اعلم انهم سيطعنون في كانه يريد انه اذا ذكر مرة
فسيذكرونه مرات اخرى ويؤيده ذلك ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك نزلت الآية والمشهور ان الله تعالى اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام
انهم سيذكرونه وفيه فوائد منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها ان مفاجاة المكروه اشد واذا وطن النفس له ومنها ان الجواب العتيد
اقطع للخصم وقيل الرمي يراش السهم واشدها الخفاف الاحلام واذا كان من لا يميز بين ماله وعليه في امر دنيا وبعد سفيها فالذي يضيع امر آخرته
اولى بهذا الاسم عن ابن عباس ومجاهد هم اليهود وذلك انهم كانوا يانسون بموافقة النبي صلى الله عليه وسلم اياهم في القبلة فلما تحول استوحشوا
لاسيما وانهم لا يرون النسخ وعن البراء بن عازب والحسن والاصم انهم مشركوا العرب قالوا ابى الا الرجوع الى موافقتنا ولو ثبت عليه اولا كان اولى به
وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان تميز بعض الجهات عن بعض ليس له دليل معقول فحملوا الامر على العبث والعمل بالرأي والتشهي
والاقرب ان يكون الكل داخلا فيه لان الاعداء جبلت على الغيظ وطلب التشفي فاذا وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا ولفظ ما صرفهم استفهام على جهة
التعجب والاستهزاء عن قبلتهم التي كانوا عليها القبلة بيت المقدس وضمير الجمع للرسول والمؤمنين هذا هو المجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل
ان يعود الضمير الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول والمؤمنين عن القبلة التي كان السفهاء عليها فانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي
الى المغرب وقبلة النصارى وهي الى المشرق فكانهم قالوا كيف يتوجه احد الى غير هاتين الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب
اي بلادهما والارض كلها والجهات باسرها ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التي اقتضت الحكمة في هذا الزمان
توجيه الناس اليها ويحتمل ان يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعد ما مر في آية النسخ انه تعالى فاعل لما يشاء
كما يشاء لا اعتراض لاحد عليه كما لا اعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد وان افعاله تعالى لا تعلل بغرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير
منها مما لا تهتدي عقول البشر الى تفاصيل حكمها لكنهم قد يستنبطون بحسب افهامهم لبعضها وجوها مناسبة اما تعيين القبلة في الصلوة فالحكمة فيه ان للانسان
قوة عقلية تدرك المجردات والمعقولات بها وقوة خيالية يتصرف بها في عالم الاجساد وقلما ينفك العقلية عن الخيالية واعانتها كالمهندس يستعين
في ادراك المقادير بصورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس والخيال معينين له على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي فانه
يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء والخدمة فاستقبال القبلة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك والقراءة والتسبيح يجري مجرى الثناء عليه والركوع والسجود
جاريان مجرى الخدمة وايضا الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات والتحرك وذلك لا يتاتى الا اذا بقي في جميع صلوته مستقبلا لجهة واحدة
على التعيين فاذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه تعالى يحب الموافقة والالفة بين المؤمنين وقد من عليهم بذلك
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولو توجه كل مصل الى اي جهة شاء لاشبه الاختلاف فلم يكن بد من تعيين
جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه تعالى يقول يا مؤمن انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة خدمتي وقلبك عرشي والجنة دار كرامتي فاستقبل بوجهك
الى بيتي وبقلبك الى ابو بك دار كرامتي وايضا اليهود استقبلوا مغرب الانوار وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر والنصارى استقبلوا
مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمؤمنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فيها محمد صلى الله عليه وسلم ومنه خلق الانوار ولاجله دار
الفلك الدوار وايضا المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وما بينهما قبلة ابراهيم ومحمد عليهما السلام وخير الامور اوساطها وايضا الكعبة سرة
الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى الطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسي قبلة
البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي من الدر
والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سينا وزيتا وجودي ولبنان وحراء كانه قال ان كان عليك مثل هذه الجبال ذنوبا فائت
الكعبة حاجا او معتمرا او توجهت نحوها مصليا الصلوات الخمس غفرتها لك وايضا لما كان بناء هذا البيت سببا لظهور دولة العرب كانت رغبتهم
في توجهها اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم الى القبلة وينكسر بذلك قلوب المسلمين فازيل تشويشهم وايضا الكعبة منشأ محمد
تعظيمها يقتضي تعظيمه وتعظيمه مما يعين على قبول اوامره ونواهيه لتقدير حشمة المرء يكون قبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذي
ذكره الله تعالى في قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه
وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدي اي كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم او كما هديناكم الى اوسط القبل جعلناكم امة وسطا
وقيل عائد الى قوله ولله المشرق والمغرب اي كما خصصنا بعض الجهات المتساوية بمزيد التشريف والتكريم حتى صارت قبلة تفضلا منا واحسانا جعلناكم
مختصين بالعدالة بين الامم امتنانا مع تساوي الخلق في العبودية وقيل قد يذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا

ولله المشرق والمغرب حتى صارت قبلة جعلناكم

انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور المعروف عند كل احد انه سبحانه هو القادر على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذي لا يقدر عليه احد غيري جعلناكم امة وسطا الجوهري يقال جلست وسْط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسَط الدار بالتحريك لانه اسم وكل موضع صلح فيه بين فهو وسْط وان لم يصلح فيه بين فهو وسَط بالتحريك قال والوسط من كل شيء اعدله وشيء وسط اي بين الجيد والردي وامة وسطا اي عدلا قال زهير شعر هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي بمعظم وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله تعالى في معرض المدح والامتنان وقيل الوسط الخيار لانه يستعمل في الجمادات قال الكشاف اكتريت بمكة جمل اعرابي فقال اعطني من وسطانهن اراد من خيار الدنانير ويؤيده قوله تعالى في موضع اخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط محمية محوطة وقيل المراد بالوسط ههنا انهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا النبي ابنا والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب ولان الوسط في الاصل اسم وصف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لتكونوا شهداء على الناس الاكثرون على ان هذه الشهادة في الاخرة اما بان يكونوا شهداء للانبياء على اممهم الذين يكذبونهم روي ان الامم يجحدون تبليغ الانبياء يوم القيمة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قلت والحكمة في ذلك تمييز امة محمد صلى الله عليه وسلم في الفضل على سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق الله تعالى وتصديق جميع الانبياء والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك تقبل شهادتهم على الامم ولا يقبل شهادة الامم عليهم وانما سمي هذا الاخبار شهادة لقوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد والنبي الذي اخبر الله تعالى عنه معلوم مثل الشمس فيصح الشهادة عليه واما بان يشهدوا على الناس جميعا اي التي خالفوا الحق فيها قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والنبيون ويكون الرسول عليكم شهيدا وامة محمد خاصة لتكونوا شهداء على الناس ويوم يقوم الاشهاد والجوارح يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقيل ان هذه الشهادة في الدنيا وذلك ان الشاهد في عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان يكون موقوفة على الاخرة لان عدالتهم في الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم بلفظ الماضي فلا اقل من حصولها في الحال ثم رتب كونهم شهداء على عدالتهم فيجب ان يكونوا شهداء في الدنيا فان قيل لعل التحمل في الدنيا ولكن الاداء في الاخرة قلنا المراد في الاية الاداء لان العدالة انما تعتبر في الاداء لا في التحمل ومن ههنا يعلم ان اجماعهم حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق في نفسه بل بمعنى ان هيئتهم الاجتماعية يقتضي كونهم محقين وهذه حجة الاية ثم لا يبعد ان يحصل مع ذلك لهم الشهادة في الاخرة فيجري الواقع منهم في الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا اثبتوا الحق عرفوا عنده من القائل ومن الراد ثم يشهدون بذلك يوم القيمة كان الشاهد على العقود يعرف ما الذي تم وما الذي لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم او يكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم وانما قدمت صلة الشهادة في الثاني لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط فبقيت صلة الشهادة في مركزها والغرض في الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم فازيلت عن مركزها ليفيد الاختصاص وانما لم يقل لكم شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لانه ضمن معنى الرقيب مثل والله على كل شيء شهيد مع رعاية المقابلة للاول وانما قيل شهداء على الناس في الدنيا لان قولهم يقتضي التكليف اما بالفعل او بالقول وذلك عليهم لا لهم في الحال قيل الاية متروكة الظاهر لان وصف الامة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلمنا وكون الخطاب في جعلناكم للموجودين عند نزول الاية لان خطاب من لم يوجد محال فالاية تدل على ان اجماع اولئك حق لكن لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما بعد وفاة الرسول فلا تثبت صحة الاجماع وقيل سلمنا ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب الكبائر فقط فيحتمل ان الذي اجمعوا عليه وان كان خطاء لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك في خيريتهم وعدالتهم واجيب بان حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز ان لا يكون الشخص مقبول القول عند الانفراد ويكون مقبولا عند الاجتماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الاية الى قيام الساعة كما في سائر التكاليف مثل كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فللموجودين بالذات وللباقين بالتبعية كيف لو اعتبرنا اول الامة واخرها لزالت فائدة الاية اذ لم يبق بعد انقضائها من تكون الاية حجة عليه فعلمنا ان المراد به اهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة بان جعلهم خيارا او عدولا وعند الاجماع فلو امكن اجتماعهم على الخطاء لم يبق بينهم وبين سائر الامم فرق في ذلك فلانه وما جعلنا يريد الجعل بمعنى الشرع والحكم التي صفة محذوف وهو ثاني مفعولي جعل اي ما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اي كنت معتقدا لاستقبالها كقولك الشافعي على كذا وفي الجهة وجهان احدهما ان هذا الكلام بيان للحكمة في جعل الكعبة قبلة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود وامتحانا للذين اتبعوه بمكة ثم حول الى الكعبة اختبارا ثانيا اي ما رددناك الى الجهة التي كنت عليها اولا الا امتحانا للناس وابتلاء وثانيهما انه بيان للحكمة في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض والفائدة هي ان تمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول ومن لا يتبعه واللام في لنعلم ليست لاجل الغرض وانما هي لبيان الحكمة والفائدة التي يستتبعها الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك فالجواب ان معناه ليعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلدة وانما فتحه جنده او لنعلمه موجودا حاصلا وهو العلم الذي يتعلق به الجزاء ولا يلزم منه ان يحدث لله علم فان العلم الازلي بالحادث الفلاني في الوقت الفلاني غير متغير وانما هو قبل حدوث الحادث كهو حال حدوثه وبعد حدوثه وانما جاء المضي والاستقبال من ضرورة كون الحادث زمانيا وكون كل زمان محفوفا بزمانين سابق ولاحق فاذا نسبت العلم الازلي الى الزمان السابق قلت سيعلم الله واذا نسبت الى زمانه قلت يعلم واذا نسبت الى الزمان اللاحق قلت قد علم بجميع هذه التغيرات انبعث من اعتبارك وعلم الله واحد فافهم او ليميز التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فسميت التمييز علما لانه احد فوائد العلم وثمراته او ليري كما تستعمل الرؤية مكان العلم وعن الفراء ان حدوث العلم في الاية راجع الى المخاطبين ومثاله ان جاهلا وعاقلا اجتمعا فيقول الجاهل الحطب يحرق النار ويقول العاقل بل النار تحرق الحطب وسنجمع بينهما لنعلم ايهما يحرق صاحبه معناه لنعلم ايهما الجاهل وهذا من الكلام المنصف مثل وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله ممن ينقلب على عقبيه استعارة للكفر والارتداد كانه رجع الى حيث اتى ثم ان هذه المحنة حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها من الله من بال لا بال

لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى الكعبة فلما جاء الى المدينة صلى الى بيت المقدس فشق ذلك على العرب من حيث انه ترك قبلتهم ثم اذا تحول الى الكعبة شق ذلك على اليهود والاكثرون على الثاني لان الشبهة في امر النسخ اعظم منها في تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغني انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا لو كان على يقين من امره لما تغير وعن السدي لما توجه الى الكعبة اختلفوا قال المنافقون ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس وقال اخرون اشتاق الى بلد ابيه ومولده وقال المشركون تحير في دينه وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية وهيهنا بالتخفيف للدخول على الافعال لكن البصريين اوجبوا كون الفعل الذي دخلت هي عليه من باب كان وظننت ويبطل عملها في الظاهر وكذا في التقدير فلا يقدر ضمير الشان كما يقدر في ان المفتوحة اذا خففت نقول لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير العائد الى القبلة لانها هي المذكورة او الى ما دل عليه الكلام السابق من التولية عنها ولهم او الجعلة او الردة او التحولة اي وما جعلنا ومعنى الكبيرة لثقيلة شاقة مستنكرة كقوله كبرت كلمة تخرج من افواههم وذلك ان الامتحان ان وقع بنفس القبلة فالفطام عن المالوف شديد والاعراض عن طريقة الاباء والاسلاف عسير وان وقع بالتحويل فهو مبني على جواز النسخ وفيه ما فيه من الاشكال فيصعب اعتقاد حقيته الا على الذين هدى الله الراجع محذوف اي هداهم الله الى الثبات على دين الاسلام بان نصب لهم الدلائل او لانه جعلهم منتفعين بها ثانيا والا فالدلالة عامة للكل وما كان الله ليضيع ايمانكم الخطاب للمؤمنين المعاصرين واللام لتاكيد النفي الداخل في كان فينتصب الفعل بعدها بتقدير ان اي لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب الجزيل عن الحسن وقال ابن زيد ما كان ليترك تحويلكم من بيت المقدس الى الكعبة لعلمه بان تقريركم على ذلك مفسدة لكم والطاعة لعلو الكم اي لثوابها اطلق الايمان على الصلوة لانها اعظم اثار الايمان واشرف نتائجه او لان المراد لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلوة وعن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت وانما خوطبوا تغليبا للاحياء مثل واذ قتلتم نفسا واذ فرقنا بكم البحر والمراد اهل ملتهم وليس هذا السؤال من الشك في حقية النسخ في شيء وانما هو لاجل الاطمئنان وبرد اليقين ولعلهم انما خصوا السؤال بالاموات لانهم علموا انفسهم مستغنين عن ذلك حيث تقع صلوتهم الى الكعبة بقية عمرهم كفرة لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب الاموات والاحياء جميعا فان المنسوخ حق في وقته كما ان الناسخ حق في وقته سواء عمل المكلف بهما في وقتيهما او لم يعملوا الا بالمنسوخ لانقضاء اجلهم قبل الناسخ وجوز بعضهم ان يكون السؤال صادرا عن منافق فنبه الله المسلمين على الجواب وقيل بل المعنى وفقكم لقبول هذا التكليف لئلا يضيع ايمانكم فانهم لو ردوا هذا التكليف لكفروا يحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم ان الله بالناس لرءوف رحيم الجوهري الرافة اشد الرحمة رؤفت به ارؤف بالضم فهو رائف ورافة ورافت به ارأف بالفتح فيهما وربما قيل بالكسر رافا والصفة رءوف ورؤف على فعول وفعل وقيل الرافة مبالغة في رحمة خاصة هي رفع المكروه وازالة الضرر ولا تأخذكم بهما رافة والرحمة اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى والافضال والانعام والمراد ان الرءوف الرحيم كيف يتصور منه الاضاعة او كيف لا ينقلكم من شرع الى شرع هو اصلح لكم او انما هدى من هدى لانه بالناس رءوف رحيم لمن كان اهلا للفيض كان الاثر عليه اظهر قوله قد نرى قال معناه كثرة الرؤية ههنا وان كان في الاصل للتقليل قال شعر قد اترك القرن مصفرا انامله كان اثوابه مجت بفرصاد كان رب في الاصل للتقليل ثم قد يستعمل في معنى التكثير كقوله شعر فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ووجه ذلك ان المادح يستقل الشيء الكثير من الممدوح لان الكثير منها كانه قليل بالنسبة الى الممدوح ومثله قد يعلم الله فان التمدح بكثرة العلم لقول لا انكر ان اعرف شيئا من العلم تقلب وجهك تردد نظرك في جهة السماء وذلك لانتظار تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة عن ابن عباس انه قال يا جبريل وددت ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقد كرهتها فقال جبريل عليه السلام انا عبد مثلك فسل ربك ذلك فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان يجيء جبريل بما سأل فنزلت وانما احب ذلك لان اليهود كانوا يقولون انه يخالفنا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل ولان الكعبة كانت قبلة ابراهيم ابيه ولان ذلك ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولانه ان يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلدته ومنشئه لا ان يميل طبعه الى شيء ثم يتمنى في قلبه اذن الله فيه وقيل انه استاذن جبريل في ان يدعو الله تعالى فاخبره ان الله تعالى قد اذن له في الدعاء وكان يقلب وجهه في السماء ينتظر مجيء جبريل بالاجابة وعن الحسن ان جبريل اخبره بان الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين للمحول اليها ولم تكن قبلة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ينتظر الوحي بذلك وعلى هذا فقيل منع من استقبال بيت المقدس ولم يعين له القبلة وكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة فلذلك كان يقلب وجهه عن الاصم وقيل بل وعد بذلك وقبلة بيت المقدس باقية بحيث يجوز الصلوة اليها لكن لاجل الوعد كان يقلب طرفه وهذا اولى والا لم تكن القبلة ناسخة للاولى بل كانت مبتداة لكن المفسرين اجمعوا على انها ناسخة للاولى ولانه لا يجوز ان يؤمر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلف في صلوته بمكة فقيل كان يصلي الى الكعبة فلما صار الى المدينة امر بالتوجه الى بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر او ستة عشر وسبعة وهو الاكثر او ثمانية عشر او سنتين اقوال وقيل بل كان بمكة يصلي الى بيت المقدس الا انه يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس واختلفوا ايضا في ان توجه بيت المقدس كان فرضا لا يجوز غيره او كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيرا في توجهه اليه والى غيره فعن الربيع بن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الاية ولما روي ان قوما قصدوا من المدينة الى مكة للبيعة قبل الهجرة فتوجه بعضهم في الطريق لصلوته الى الكعبة وبعضهم الى بيت المقدس فلما قدموا سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كان ذلك فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضاها فدل على انه ما كان مخيرا بينها وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولهم وليته كذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله تعالى وحكمته وعن الاصم كل جهة وجهك الله اليها يجب ان يكون رضي لا تسخطها كما فعل من انقلب على عقبيه وقيل ترضى عاقبتها لانك تميز بها الموافق عن المنافق فول وجهك اي كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل القبلة بجملته لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء وبه يتميز الاشخاص شطر المسجد الحرام اي نحوه وجهته قاله جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشيء والكعبة واقعة من المسجد في النصف من جميع الجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الى الكعبة وزيف بالفرق بين النصف وبين المنتصف والمكلف مامور بالثاني دون الاول عن ابن عمر بينا الناس بقباء في صلوة الصبح اذ جاءهم ات فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قران وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة

دى الموطا، صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قدم الى المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين و
واختلفوا في المراد بالمسجد الحرام ففي شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة اهل المشرق
وهذا قول مالك وقال آخرون القبلة هي الكعبة لما اخرج في الصحيحين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرني اسامة بن زيد قال لما دخل
النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار
كثيرة في صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا في حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة وقال آخرون القبلة هي المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عنده
في اظهر قوليه ان يستقبل المصلي عين الكعبة قريبا كان او بعيدا لظاهر قوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله صلى الله عليه وسلم هذه القبلة
مشيرا الى العين ولان تعظيم الكعبة من النبي صلى الله عليه وسلم بلغ مبلغ التواتر وتوقف صحة الصلوة وهي من اعظم شعائر الدين على استقبال
عين الكعبة مما يوجب مزيد شرف للكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة امر معلوم وغيره مشكوك فيه والاخذ بالمعلوم احوط
واما عند ابي حنيفة ويوافقه القول الآخر للشافعي فمحاذاة جهة الكعبة كافية لان في استقبال عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان في ذكر المسجد الحرام
دون الكعبة دلالة على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان الشطر الجانب واكتفى به في الآية ولان اهل قباء استداروا الى الكعبة
في اثناء الصلوة وفي ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة لا تتأتى الا بالنظر الدقيق ولم يتأت لهم حينئذ ثم لم ينكر عليهم
النبي صلى الله عليه وسلم وسمي مسجدهم بذي القبلتين ولان استقبال عين الكعبة ان كان واجبا لا سبيل اليه الا بالدلائل الهندسية فانها هي
المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن ولما لم يتم الواجب الا به فهو واجب
لزم ان يكون تعلم تلك الدلائل واجبا ولم يذهب اليه احد والانصاف ان القول الاول اقرب الى التعبد واصابة العين للبعيد غير بعيد
لما من نقطتين في الارض وفي السماء الا ويمكن ان يوصل بينهما بخط والغرض ان يكون المصلي ساجدا على قوس من عظيمة ارضية مارة بقدمه
وموضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس اقل من نصف الدور وغير عسير معرفة هذا القدر بالدائرة الهندية وغيرها من الطرق
المشهورة فيما بين اهل الهيئة وقد برهنا على كثير منها في كتبنا النجومية وذكرها هنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون معرفة اشياء
ولمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهي اما ارضية وهي [illegible]
الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون في الطريق جبل مرتفع [illegible]
قد يهب في بعض النواحي من صوب معين واما السماوية فهي اما نهارية [illegible]
ام على العين اليمنى ام اليسرى ام تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس في [illegible]
وقت الغروب انها تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او [illegible]
الشمس ويحاذي مشرق الصيف والشتاء ومغربهما واما الليل فيستدل بالكو[اكب] [illegible]
او الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية منها بحيالة [illegible]
طال السفر فحينئذ اذا انتهى الى بلد سأل اهل البصيرة او يراقب [illegible]
معرفة دلائل القبلة فرض العين ام فرض الكفاية اصح الوجهين في مذهب [illegible]
وجوهكم شطره وليس بتكرار لان الاول خطاب للرسول وهذا خطاب للا[مة] [illegible]
مخصصا باهل المدينة وفي الثاني عمم المكلفين جميعا في جميع بقاع [illegible]
ولابد من حالة تقع فيها الاستقبال فتكلم في هذه الاركان الثلاثة على [illegible]
للاجماع على ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب وان كان طاعة [illegible]
ويتعين الاستقبال فيها الا في حالة الخوف واما نافلة فيجب فيها الا [illegible]
لما روي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في ال[illegible]
عن ابي حنيفة وهل يجب على المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحرم الاصح [illegible]
صلى الله عليه وسلم كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل ال[illegible]
الصعوبة فلدفع المشقة واختلال امر السير عليه واما الاستقبال [illegible]
الاستقبال في كل ركوع وسجود ومراعاة الاتمام بخلاف الراكب فانه [illegible]
بل يقتصر فيهما على الايماء ويجعل السجود اخفض وليس للراكب التعاسيف [illegible]
القبلة المصلي ان وقف في جوف الكعبة وهي على هيئتها مبنية [illegible]
انه صلى الله عليه وسلم صلى متوجها الى بعض اجزاء الكعبة فيتجه صلوته [illegible]
ويجوز ان يستقبل الباب ايضا ان كان مردودا وان كان مفتوحا [illegible]
الرجل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون في سجوده [illegible]
عرصة فان وقف خارجا وصلى اليها جاز لان المتوجه الى هواء البيت [illegible]
متوجه الى هواء البيت ولو صلى في العرصة فالحكم كما لو وقف الآن [illegible]
فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي خارج الكعبة وان كا[ن] [illegible]
لانه قادر عليه والامام يقف خلف المقام استحبابا والقوم يقفون [illegible]
من يرى الجهة كافية ولو تراخى الصف الطويل و[illegible] وقفوا في اخريات الم[سجد] [illegible]
بيان ثلث عشاوي القائمين والصفوف خطوطا موازية لقاعدة [illegible]
ويصلي اليه ابدا ومحراب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة نازل منزلة ا[illegible]
اليه وفي معنى سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا [illegible]

هي جاؤهم

جاؤهم فعلى المتوجه اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي نشأ فيها قرن من المسلمين ولابد من الاجتهاد في التيامن والتياسر اتيا في محراب الرسول
صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الاجتهاد في الجهة في شيء من محاريب المسلمين لان الخطاء منهم في الجهة بعيد بخلاف التيامن والتياسر و
بن المبارك كان يقول بعد رجوعه من الحج تياسروا يا اهل مرو الركن الثالث المستقبل اذا قدر على اليقين بالمعاينة او بامارات اخر
جتهد وان لم يقدر فان وجد من يخبره وكان المخبر من يعتمد بقوله رجع الى قوله ولم يجتهد ايضا في الوقت اذا اخبره عدل عن طلوع الفجر
تهد وكذلك في الحوادث اذا روى العدل خبرا يؤخذ به وكل ذلك قبول الخبر من اهل الرواية وليس من التقليد في شيء ويشترط
عدد لا يستوي فيه الرجل والمراة والحر والعبد ولا يقبل خبر الكافر بحال وكذا خبر الصبي غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن القبلة
وذلك ظاهر وقد يكون دلالة كما في نصب المحاريب في المواضع التي يعتمد عليها ولا فرق في لزوم الرجوع الى المخبر بين ان يكون الشخص
د وبين ان لا يكون لان لم يجد من يخبره عن علم فان قدر على الاجتهاد ولا تحير او بمعرفة ادلة القبلة كما حدونا اجتهد ولم يقلد كما في احكام
مثل فرضه القضاء ولا فرق في وجوب الاجتهاد ههنا بين الغايب عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حائل اصلي كالجبل
لابنية ولو خفيت الدلائل على المجتهد لغيم او حبس او تعارض صلى كيف اتفق لحق الوقت ويقضي وان عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه
البصر او لعدم البصيرة فالواجب عليه التقليد كالعامي في الاحكام والتقليد لغيره هو قبول قول المستند الى الاجتهاد وبعد ان كان المجتهد
عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل والمراة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من شاء منهما والاحب ان يقلد
عنده وان امكنه التعلم فليس له التقليد بناء على ما مر من ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضى وان ضاق الوقت تعلم
ولو صلى ثم المجتهد ان بان له الخطاء يقينا او كان دليل الاجتهاد الثاني ارجح ولم يشرع بعد في الصلوة عمل بمقتضى الثاني وان تبين
الصلوة فان تيقن الخطاء قضى على الاصح وان ظن لم يقض وان تغير الاجتهاد في اثناء الصلوة انحرف وبنى فهذه هي مسائل
الآية ذكرناها لانها من اهم مهمات الدين وان الذين اوتوا الكتاب يعني احبار اليهود وعلماء النصارى لعموم اللفظ وشمول الكتاب
ل ولكن يجب ان يكونوا اقل من عدد اهل التواتر ليصح عنهم الكتمان وعن السدي انهم اليهود خاصة والكتاب التوراة والضمير في انه الحق
مع شرعه ونبوته حتى يشمل امر القبلة وغيرها واما الهاء فللتكليف الخاص وهو انسب بالمقام وذلك ان علماءهم عرفوا في كتب انبيائهم
يصلي الى القبلتين وان الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله الله قبلة لابراهيم واسمعيل عليهما السلام وايضا انهم كانوا يعلمون
ت وبالبشارات وكلما اتى النبي فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل عما تعملون وعد للمتقين ووعيد للكاسبين والمعاندين ثم بين
كتاب على عنادهم فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب قيل هم جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل هم علماؤهم المذكورون
انهم وصفوا باتباع الهوى في قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومجرد اعتقاد الباطل لا يكفي فيه بل الذين يعلمون بقلوبهم ثم يتركون الحق
المتبعون للهوى ويؤيد فيه بان كل صاحب شبهة صاحب هوى قالوا الايتان المتقدمتان بهذه الاية مخصوصتان بالعلماء منهم
م لا يجوز منهم الكتمان وكذا هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصهما تخصيصها قالوا اخبر عنهم بالاسرار والاستمرار وهذا شان المعاند
العاني المتحير ورد بان المقلد ايضا قد يصر قالوا الحمل على العموم يكذبه الوجود فان كثيرا من اهل الكتاب امن بمحمد صلى الله عليه وسلم
ب بان المراد من قوله ما تبعوا قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وسلب الاجتماع لا ينافي اتباع
بكل برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المحذوف ساد مسد جواب الشرط واللام في ولئن لتوطئة
الله لئن اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا على قبلتك لان فيهم من قد ترك اتباعك لا لشبهة تزيلها بايراد الحجة بل عنادا ومكابرة مع
هم من تمسك ومن خص اللفظ بالعلماء فان صح عنده انه لم يتبع منهم احد قبلتك فلم يحتج الى تأويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما تبع احد
تابع قبلتهم رفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حسما لاطماع اهل الكتاب فانهم طمعوا في رجوعه
لوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وفيه انه لا يجب عليه استصلاحهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصية وانما
بان لليهود قبلة وللنصارى قبلة اخرى ولا تهما بحكم الاتحاد في البطلان واحدة وما بعضهم بتابع قبلة بعض ان حمل على الحال فالمعنى
ين على قبلة واحدة حتى يكون رضاهم باتباعها وانهم مع اتفاقهم على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك الى سبيلين مختلفين
ان يختلف قبلتاهما للمصلحة فلم لا يجوز ان يكون المصلحة في ثالث وان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا تترك قبلتهم الى المشرق
ى الى المغرب بحيث يبطل احدى القبلتين لان اليهودي لا يتنصر ابدا او بالعكس فلعل ذلك قد وقع اخبر الله تعالى عن تصلب
فيه محقا ومبطلا ولئن اتبعت كلام على سبيل الفرض والتقدير للقرينة وما انت بتابع قبلتهم المعنى لئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح الدلائل
لية الامر في باب الديانة انك اذا اي اذا اتبعت لمن المرتكبين الظلم الفاحش لان صغائر الرجل الكبير كبائر فكيف بكبائره وفيه ان
العلماء الخ وفيه لطف للنبي صلى الله عليه وسلم فان مزيد المحبة تقتضي التخصيص بمزيد التحذير ولعله كان في بعض الامور يتبع اقوالهم
في القول واستمالة قلوبهم طمعا منه في اسلامهم ومعاضدتهم فنهى عن ذلك القدر ايضا واكد منه بالكلية كقوله ولولا ان ثبتناك
كن اليهم شيئا قليلا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وفيه ارشاد للامة كالرجل الحازم يقبل على اكبر اولاده واحلمهم
وسائر الاولاد في الغرض زجرهم واصلاحهم وانه لا محالة يؤاخذون بالطريق الاولى لو خالفوه الذين اتيناهم الكتاب هم علماؤهم بدليل
رسول معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالمشخصات من النعت والنسب والقبيلة حسب ما وجدوه في كتبهم كما يعرفون ابناءهم ليشبه
ابناءهم واسائهم والغرض تشبيه عرفان مشخصه بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
الابناء والا كان تشبيه المعلوم بالمظنون عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني
قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته قد خانت فقبل عمر رأسه وجاز اضمار الرسول وان لم يجر له ذكر لدلالة الكلام
شانه فانه معلوم بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد المعرفة معرفتهم الحاصلة من قبل ظهور المعجزات على يده فانها لا تقيد الا كونه نبيا وهم
ذلك وانما ينكرون كونه النبي المنعوت في كتبهم فرد الله تعالى عليهم ذلك فالهم واما خص الابناء بالذكر لانهم اعرف واشهر وصحبة الاباء
الصق ولو تساويا فالذكور اولى بالذكر وقيل الضمير للعلم او القران او تحويل القبلة وفي الكل تكلف ينبو عنه قوله ابناءهم وسياقه الحديث
عن عبد الله بن سلام وما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي صلى الله عليه وسلم من امن به واظهر الحق وهو يجب القول به ويجب العمل مقتضاه وكتمه

بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم يريد من سوى المؤمنين منهم ليكتمون الحق الذي هو امر محمد او امر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم يعلمون
فانه لا يوصف بالكتمان الا من علم المكتوم الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او حال وان يكون
مبتدا وخبره من ربك ثم اللام يكون وجهان العهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق والجنس
على معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما سواه كالذي عليه اهل الكتاب باطل فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه
الحق من ربك وقد يجوز ان ينهى الشخص عما يعلم انه منته عنه لمثل ما تقرر في قوله ولئن اتبعت ولكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والوجهة بمعنى
الجهة ولذلك ثبتت الواو كما قالوا ولدة في جميع وليد الصبي وانما لا يجتمع مع الهاء في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الكل واما الى الله ومعنى مولى
موليها وجهه والله موليها اياه وقد اختلف في التفسير فقيل المعنى ولكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة ووجهة اما بشريعة واما بهوى هو مستقبلها
ومتوجه اليها لصلوته التي يتقرب بها الى ربه والكل يفرح بما هو عليه ولا يفارقه فلا سبيل الى اجتماعكم على قبلة واحدة ولستم تؤاخذون بفعل غيركم
فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا انتم الخيرات الدنيوية وهي الشرف والفخر بقبلة ابراهيم والاخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين واينما
تكونوا من جهات الارض يأت بكم الله جميعا الى صعيد القيمة فيفصل بين المحق منكم والمبطل والمصيب والمخطئ انه قادر على ذلك وقيل ان الله
عرفنا ان كل واحدة من بيت المقدس والكعبة قبلة فالجهتان من الله تعالى وهو الذي ولى وجوه عباده اليهما فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره
في الحالتين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يجمعكم واياهم يوم القيمة فيحكم بينكم وقيل لكل قوم منكم يا امة محمد جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية
او شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت
بكم الله جميعا يجمعكم للجزاء ويجعل صلوتكم واحدة كانها الى جهة واحدة لمحاذات الكعبة والقراءة ابن عامر مولاها بمعنيان احدهما ان ما ولته فقد ولى
والآخر زينت له تلك الجهة وحببت اليه وقيل ولكل مخلوق قبلة فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت
المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك الكعبة بل قبلة جسدك هي وقبلة روحك انا وقبلتي انت انا عند المنكسرة قلوبهم
لاجلي ثم ان الشافعي رض استدل بقوله تعالى فاستبقوا الخيرات على ان الصلوة في اول الوقت افضل وعند ابي حنيفة رض التاخير افضل لما فيه من
الانتظار وتكثير الجماعة ولما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود رض ما رأيت اصحاب رسول الله صلعم
حافظوا على شيء ما حافظوا على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل مجيء الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم يا علي ثلث لا تؤخرها الصلوة اذا اتت
والجنازة اذا حضرت والايم اذا وجدت لها كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا شك فيه وذلك تمام الانزاع
وانما النزاع فيما اذا تحقق دخول الوقت ثم تكاسل وتشاغل او بغير اسباب الصلوة تشاغل ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت يا محمد فول
وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المأمور للحق الذي يجب ان يقبل ويعمل به حال كونه من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعد للمصلين
ووعيد للمتغافلين واعلم ان امر التولية ذكره الله تعالى ثلث مرات وللعلماء في سبب التكرار اقوال **اولها** ان الآية الاولى
محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام **الثانية** على ان يكون غائبا عنه ولكن يكون في البلد **الثالثة** على ان يكون خارج البلد في اقطار
الارض فقد يمكن ان يتوهم للقريب من التكليف ما ليس للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه نيط كل واحد بما لم ينط بالآخر وذلك انه اكد الاول بان
اهل الكتاب يعلمون حقيته بشهادة التورية والانجيل واكد الثاني باخبار الله تعالى عن حقيته وكفى به شهيدا واتبع الثالث عوض التحويل
وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كما ان قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وامثال ذلك كرر حيث نيط بكل منها فائدة وثالثها ان الآية الاولى توهم
ان التحويل انما فعل رضى للنبي وطلبا لهواه حيث قال فلنولينك قبلة ترضيها فازيل ذلك الوهم بتكرار الامر وتعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اي لم نحولك
الى هذه القبلة لمجرد رضاك وهواك كقبلة اليهود المنسوخة التي انما يعتبرون عليها لمجرد الهوى والتشهي ولكنها حق من ربك وافقت رضاك
وفي الثالثة بيان الغرض **ورابعها** ان الاولى لتعميم الاحوال والثانية لتعميم الامكنة والثالثة لتعميم الازمنة اشعارا بانها لا تغير منسوخة البتة
وخامسها الزم هذه القبلة فانها التي كنت تهواها الزم هذه القبلة فانها قبلة الحق لا قبلة الهوى الزم هذه القبلة فيها ينقطع عنك حجج
العدى وهذا قريب من الثالث **وسادسها** هذه الواقعة اول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لمزيد التاكيد
والتقرير **وسابعها** ان الآية الاولى مشتملة على تكليف خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد
الحرام لاجل تكليف اخص وهو تكليف الالتفات عما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن صلوات الله عليه
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ومما يؤيد هذا المعنى قوله وانه للحق من ربك لم يستقر على هذا الابتهاج ذوقه حيث لم يبق الا هو وهو مقام
الفناء في الله بخلاف الآية الاولى فانها اكدت بشهادة الغير وايضا اقتصر ههنا على امر النبي دون الامة لان هذه المرتبة وهي المسجد الحرام
لا يليق بكل احد جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد وايضا قدم على الآية قوله ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات تدل على ان المذكور بعدها مرتبة السابقين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الاخص
ناسخ للتكليف الخاص به والعام لهذه الامة كرر الآية الاولى بعينها ليعلم ان حكمها ثابت بالنسبة الى عموم المكلفين والله تعالى اعلم بحقائق الامور
قوله لئلا يكون اي وولوا لاجل هذا الغرض وقال الزجاج متعلق بمحذوف اي عرفتكم لئلا يكون للناس عليكم حجة والناس قيل للعموم وقيل هم اليهود
كانوا يطعنون بانه يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما درى محمد اين يتوجه في صلوته حتى هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابراهيم
والآن لما ترك التوجه الى الكعبة فقد ترك دين ابراهيم وانما اطلق الحجة على قول المعاندين لان المراد بها المحاجة او سماها حجة تهكما او طباقا او بناء
على معتقدهم لانهم يسوقونها مساق الحجة وقد يكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم فكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالا
متصل والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلون بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم
قبلة الانبياء او بعض العرب القائلون بان محمدا عاد الى ديننا في الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع الا بمعنى الواو
وانشد **شعر** وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان يعني والفرقدان واذا ظلموا اي ظلموكم من غير ما سبب فلا تخشوهم فانهم لا يضروكم واخشوني
واحذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق مصالحكم فعلى المرء ان ينصب بين عينيه في كل افعاله وتروكه خشية الله ويقطع
الرجاء والخوف عمن سواه ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه القبلة لحكمتين **احدهما** انقطاع حجتهم **والثانية** اهتداؤكم اتم
بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام لا ينافي ما انزل في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان لله تعالى في كل وقت نعمة على المكلفين ولها تمام بحسبها فهذا تمام النعمة في امر القبلة وذاك تمام النعمة
في امر الدين على الاطلاق وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة كما ارسلنا ما مصدرية او كافة
ثم ان الجار والمجرور يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول قيل معناه ولاتم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف وفي الآخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا
بارسال الرسول ولاتم نعمتي ببيان الشرائع واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابراهيم حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا كما ارسلنا
فيكم رسولا اجابة لدعوته حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا وقيل معناه وكذلك جعلناكم امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم
بارسال الرسول فاذكروني اذكركم تارة اخرى وفيه ان نعم الله على العبد لا تنقطع فكل نعمة سابقة فينضم اليها اخرى لاحقة حتى يكون له الفضل اولا واخرا
وبداية ونهاية وفي ارساله فيهم ومنهم اي من العرب نعمة عظيمة عليهم لما لهم فيه من الشرف ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد
للغير فبعثه الله تعالى من واسطتهم ليكونوا الى القبول اقرب وكون القرآن متلوا من اعظم النعم لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتأدى به العبادات ولانه يتلى
فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف على مجامع الاخلاق الحميدة ففي تلاوته خير الدنيا والآخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة قد مر في دعاء
ابراهيم وفي قوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من الامم وتحير الناس في امر الديانة فعلمهم ما احتاجوا اليه
في صلاح معاشهم ومعادهم وذلك من اعظم انواع النعم فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليف الذكر والشكر وقد مر ذكر الشكر في تفسير
الحمد وقوله ولا تكفرون عطف بالواو ليعلم ان جحود النعمة منهي عنه كما ان الشكر مأمور به ولو قطع على طريقة قوله الاول لارحل لانقيض عندنا لا وهم ان
المقصود بالذات هو اشكروا لي والاول في حكم المنهي ويحتمل من حيث العربية ان يكون لا نافية والنون لعبث للوقاية ومحل الجملة النصب على الحال اي
اشكروا لي غير جاحدين لنعمتي واما الذكر فباللسان وهو ان يحمده ويسبحه ويمجده ويقرأ كتابه او بالقلب وهو ان يتفكر في الدلائل على ذاته وصفاته وفي الاجوبة
عن شبه الطاعنين فيها وفي الدلائل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده وليعمل بمقتضاها ثم يتفكر في اسرار المخلوقات حتى تصير
من كل ذرة الى موجدها او بالجوارح وهو ان يكون مستغرقة في الاعمال المأمور بها فارغة عن الاشتغال المنهي عنها وبهذا الوجه سمي الصلوة ذكرا فاسعوا
الى ذكر الله واما ذكر الله تعالى فلا بد ان يحمل على ما له تعلق بالثواب واظهار الرضاء واستحقاق المنزلة والاكرام فالحاصل اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي
اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة اذكروني في الدنيا اذكركم في الآخرة اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخاء اذكركم في البلاء اذكروني
في المجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني بالصدق والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص اذكروني بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكروني بالفناء اذكركم بالبقاء

يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ۝ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
ای آنکسان که ایمان آوردید یاری خواهید بصبر و نماز بدرستی که خدای با صابرانست و مگویید مر آنکس را که کشته شود در راه خدای مردگانند
بل احياء ولكن لا تشعرون ۝ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين
بلکه ایشان زندگانند و لیکن شما نمیدانید و هر آینه بیازماییم شما را بچیزی از ترس و گرسنگی و کم کردن از مالها و تنها و میوهها و مژده ده صابرانرا
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ۝ اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
آنانکه چون رسد بدیشان مصیبتی گویند بدرستی ما خدایراییم و بدرستی ما بسوی او بازگردندگانیم آن گروه بر ایشان درودهاست از پروردگار ایشان و بخشایش و ایشان ایشانند راه یافتگان

القراءة انا لله بالامالة فيهما قتيبة ونصير وانما جازت مع امتناعها في الحروف لكثرة استعمال كلمة الاسترجاع **الوقوف** والصلوة
الصابرين ج اموات ط لا تشعرون ه والثمرات ط الصابرين ه لا لان الذين صفتهم مصيبة لا لان قالوا جواب اذا راجعون ه لا لان اولئك
مبتدأ على الاصح ومن ابتدأ بالذين فخبره اولئك مع ما يتلوه وقف على الصابرين ولم يقف على راجعون المهتدون ه **التفسير** انه تعالى
لما اوجب بقوله فاذكروني واشكروا لي جميع الطاعات ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع المنهيات فان الشكر بالحقيقة صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى
عليه الى ما اعطاه لاجله عقب الى الاستعانة على تلك الوظائف بالصبر والصلوة فالصبر قصر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى والصلوة
اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود والتدبر لآيات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب الخ ذلك الى اداء حقوق سائر الطاعات والاجتناب
عن جميع الفواحش والمنكرات ان الله مع الصابرين بالنصر والتأييد ومزيد التوفيق والتسديد ونزل الذين اهتدوا واذى وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد وقيل
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي هم اموات بل هم احياء وعلى الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر والصلوة في اقامة ديني وسلوك
سبيلي فان احتجتم في ذلك الى مجاهدة عدوي باموالكم وانفسكم فتلفت فان قتلاكم احياء عندي من قبله حجة فذيته ورأيته ثم ان اكثر المفسرين
على انهم احياء في الحال فمن الجائز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان في حجم الذرة فيرى متعظم جسد الشهيد ميتا فلا يحسن كحيوته و
اليه الاشارة بقوله ولكن لا تشعرون ومما يؤيد هذا القول الآيات الدالة على اثبات عذاب القبر النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اغرقوا فادخلوا نارا
والفاء للتعقيب وقال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ولم يزل ارباب القلوب يزورون قبور الشهداء
ويعظمونها وقيل المعنى لا تسموهم بالاموات وقولوا انهم الشهداء الاحياء او المراد قولوا هم احياء في الدين وانهم على هدى ونور من ربهم لا كما زعم المشركون
انهم ليسوا من الدين في شيء او لا تقولوا مثل ما يقول منكروا البعث انهم لا يحشرون وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم سيحيون فيثابون وينعمون في الجنة وعلى هذه
الوجوه لا يبقى لتخصيص الشهداء بكونهم احياء فائدة وكذا لقوله مع المؤمنين ولكن لا تشعرون وقيل ان الثواب وكذا العقاب للروح لا للقالب لانه
مدرك للجزئيات ايضا فلا يمتنع ان يتألم ويلتذ ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن في القيمة الكبرى حتى ينضم الاحوال الجسمانية الى الادراكات الروحانية
عن ابن عباس رض ان الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلعم
قال ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة اي تأكل ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم
عليه من اداء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام تنقلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على استرداد ما بيديكم فيه من المستعير امرا بالشكر على كل النشاط
على التكاليف الدينية ثم حض على التثبت عند طروق النوائب وبروز المصائب ومعنى بشيء تقليلها من هذه الاشياء وايضا لو قال باشياء لاوهم
ان من كل واحد من الخوف وغيره ضروبا وليس بمراد وفيه ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل بعوقه مثقل بالنسبة اليه وفيه ان رحمته معهم في كل
حال لا تزايلهم واعلم ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فاذا خطر ببالك وهو قد مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان في الحال سمي ذوقا ووجدانا
لانها حالة تجدها من نفسك وان تعلق بالاستقبال وغلب خطوره على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب يسمى خوفا

واشفاقا وان كان محبوبا سمي ذلك الارتياح رجاء واما الجوع فالمراد منه القحط وتعذر تحصيل القوت عن عطاء والربيع ابن انس ان المراد بهذه المخاطبة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين فكانوا لا يامنون قصدهم اياهم واجتماعهم عليهم وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب ما كان هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واما الجوع فقد اصابهم في اول مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة لقلة اموالهم حتى انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فالتقى مع ابي بكر فقال ما اخرجك قال الجوع قال اخرجني ما اخرجك وكانوا اموالهم الى الاستعداد للجهاد ثم يقتلون فهناك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله الا كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس بموت الاخوان والاخدان واما نقص الثمرات فقد يكون بالجدوب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد قال صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد

[illegible]

من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتي فأجرني منها وعوضني خيرا منها الا اجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة قلت هذا القول فعاضني الله محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه اخبر الله تعالى ان المؤمن اذا اسلم لامر الله ورجع واسترجع عند مصيبته كتب الله تعالى له ثلاث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر رضي الله عنه قال نعم العدلان انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعم العلاوة اولئك هم المهتدون قيل الصلوات من الله الثناء والمدح والتعظيم والرحمة النعيم العاجلة والاجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف وضعت موضع الرأفة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة اولئك هم المهتدون لطريق الصواب والفائزون بالكرامة والثواب او هم المتمسكون باوامره المتثبتون بالزمه وامره وفي الاية حكمان فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله تعالى والرضاء بقضائه والصبر على اداء فرائضه لا يصرفه عنها مصائب الدنيا والنفل قول انا لله وانا اليه راجعون فان في اظهاره فوائد منها ان غيره يقتدي به اذا سمعه ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله والثبات على طاعته واما الحكمة في تقديم تعريف الابتلاء فهي ان يوطنوا انفسهم لهذه المصائب اذا وردت فيكونوا ابعد من الجزع وايضا اذا علموا انه سيصل اليهم تلك المحن

[illegible]

من يده ومن له الكرب فان قلت ما اذنبت قالت مجيبة حبوتك ذنب لا يقاس به ذنب والله اعلم واحكم

ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ۝ ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ۝ الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ۝ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ۝ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ۝

القراءة ومن تطوع بتشديد الطاء وبالجزم حمزة وعلي وخلف ... الوقوف شعائر الله ج للشرط مع فاء التعقيب بهما ط لان التطوع خارج عن موجب كونهما من شعائر الله فكان مستانفا عليم ه في الكتاب لا لان اولئك خبر ان اللاعنون ه لا للاستثناء اتوب عليهم ج لاحتمال الواو للاستيناف والحال الرحيم ه اجمعين ه لا لان خالدين حال ...

[illegible]

فى الكعبة [illegible] عبد [illegible] دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت
الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان يكون عليهم جناح فى ذلك فرفع عنهم الجناح [illegible]
حال السعى لا الى نفس السعى [illegible]
[illegible]

[illegible]

او ينظر

او لا ينظر اليهم نظر رحمة اعاذنا الله تعالى من تلك الحالة بعميم فضله وجسيم طوله التأويل الصفا السر والمروة الروح والسالك حينما
يسعى فى صفاء السر بقطع التعلقات عن الكونين وهو التعظيم لامر الله وفى مروة الروح بوصل الخير الى اهله وعياله ونفسه لمراقبة احوال الباطن ومزاولة
اعمال الظاهر وهو الشفقة على خلق الله ومعنى سبع مرات ان يصل بركات سعيه الى سبعة اركانه فى الظاهر والى سبعة اطواره فى الباطن والى سبعة
اقاليم العالم لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ومن كمال رأفته باهل محبته ان جعل آثار اقدامهم اشرف الامكنة ومساقط دمائهم اعز الازمنة
فالى تلك المعابد والاطلال تشد الرحال وتلك المشاهد والآثار تعظم وتزار * هوى اهواها لمن قد كان ساكنها * وليس فى الدار لى هم ولا وطر * والله اعلم بطريق الحق والصواب

والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ۝ ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
وخداى شما خدايست يگانه هيچ خداى نيست مگر او بخشاينده مهربان ۝ بدرستى در آفرينش آسمانها و زمينها و آمد شد شب و روز
والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وبث
وكشتى كه ميرود در دريا بانچه سود ميرساند مردمانرا و درانچه فرو فرستاد خداى از آسمان از آب پس زنده گردانيد بآن زمين را پس از مردن آن و پراكنده كرد
فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ۝
دران زمين از هر جنبنده و گردانيدن بادها در جهات و ابرى كه رام كرده است ميان آسمان و زمين هر آينه دلايلست بر وحدانيت خدا مر گروهى را كه اهل خرداند

القراءات لا اله الا هو بالمد وكذلك جميع التهليل روى الهاشمى عن ابن كثير [illegible] والاثر فى هذه الكلمة وهو قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله
الا الله وحده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وروى ابو الفرج عن ابن قتيبة الا هو بالامالة حيث كان الريح مفردا حمزة وعلى وخلف الباقون الرياح
مجموعا الوقوف واحد ج نظرا الى ان ما بعده وصف آخر والى الاختلاف بالنفى والاثبات الرحيم ه من كل دابة ص لضرورة طول الآية و
الاولى ان الآيات والجار وما يتصل به معترض والاولى الوصل والرجوع يعقلون ه التفسير الواحد قد يكون اسما وذلك فى العدد كقولك واحد
اثنان ثلاثة وقد يكون صفة كقولك شخص واحد ومعناه انه لا ينقسم من جهة ما قيل انه واحد فالانسان الواحد يستحيل ان ينقسم من حيث هو انسان الى
الانسانين بل قد ينقسم الى الابعاض والاجزاء وذلك من جهة اخرى ثم زعم قوم ان الواحدية صفة زائدة
على الذات لان الجوهر قد يشارك العرض فى كونه واحدا ولا يشاركه فى كونه جوهرا فقط ولانه يصح تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحدا والمعلوم
مغاير لما ليس بمعلوم ولان قولنا الجوهر واحد ليس يجرى مجرى قولنا الجوهر جوهر ولان مقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه
واحدا امر ثبوتى لانه لو كان سلبيا لكان سلبا للكثرة فان كانت الكثرة سلبية وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كانت
الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة الا مجموع الوحدات وان كانت الوحدة سلبية حصل من الامور العدمية امر موجود وهو محال فثبت ان الوحدة صفة
زائدة ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا تحقق لها الا فى الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشىء المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا فى نفسه قبل ان حصل
ذهننا واعتبارنا فثبت ان كون الشىء واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بتلك الذات والجواب كون الشىء واحدا فى ذاته معناه كونه بحيث
يصح ان يدرك الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا تتوقف على حصول الذهن فى الخارج ثم ان الوحدة لو كانت صفة زائدة على الذات كانت
الوحدات متساوية فى ماهية الوحدة ومتباينة بتعيناتها فيكون للوحدة وحدة اخرى وهلم جرا وذلك محال ثم ان شيئا من الموجودات لا ينفك
عن الوحدة حتى العدد فان العشرة الواحدة يعرض لها الوحدة من حيث هى عشرة واحدة فان قلت عشرتان فالعشرتان مرة واحدة قد عرضت لها
الوحدة من هذه الجهة فلا شىء من الموجودات تنفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود لان الموجود ينقسم الى الواحد والكثير والمنقسم الى الشيئين
مغاير لما به الانقسام والواحد الحق سبحانه وتعالى واحد باعتبارين احدهما لان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة بل ولا من امرين ايضا واليه
الاشارة بقوله والهكم اله واحد والخطاب للممكنات باسرهم والتذكير لتغليب ذوى العقول الذكور وثانيهما انه ليس فى الوجود ما يشاركه فى كونه
واجب الوجود وفى كونه مبدأ لجميع الممكنات وهو المراد بقوله لا اله الا هو ويمكن ان يقال القرينتان الاوليان تدلان على نفى الشريك الا ان الاولى
منهما تدل على اثبات وحدته فى الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفى الشريك كقولك هو سيد واحد تريد الواحدية فى السيادة فيلزم نفى ان يكون
غيره سيدا والقرينة الثانية تدل على نفى الشريك بالمطابقة ثم على اثبات المعبود الحق لان معناه لا اله فى الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة وهى
ان اثبات الحق وقع فى كلتا القرينتين بالمطابقة ليعلم انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له عروج وعروج وذلك انه
قد يفنى فى عالم اللاهوت ويبقى ببقاء الحق الذى لا يموت ويطالع عالم الشهود فيلزمه حينئذ نفى ما سوى الحق واذا رجع الى عالم الناسوت ضرورة
وجب عليه نفى كل من سواه حتى يعرج الى المقصود فهذا اسر عكس الترتيب فى القرينتين ولان الاولى مرتبة الصديقين السابقين فلا جرم وقع
التكليف بالترتيب الاخير امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان العقلى على انه تعالى واحد من جميع الوجوه لا تجمعه اجزاء مقدارية
كالاجسام ولا يحصره اجزاء معنوية كالبسائط النوعية ولا اجزاء اعتبارية كالبسائط الجنسية هو ان كل مركب فانه يمكن ان يفتقر فى تحققه الى تحقق
اجزائه فالمفتقر الى غيره لا يكون واجب الوجود لذاته وايضا فكل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته فى العقل والاعتبار فانه يمكن تصور الممكن من حيث
انه ممكن مع الشك فى وجوده الخارجى ولكن لا يمكن تعقل الواجب من حيث انه واجب مع الشك فى وجوده فلا ينبغى يكون الوجود زائدا على الماهية
او غير زائد الا بهذا واما انه تعالى وحده لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضى ان لا يكون الواجب لذاته مفتقرا الى شىء اصلا ولا يكون
كذلك الا اذا كان فى غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال ولا ريب ان من كمالات الجميل كونه عديم النظير ومن تحقق معنى وجوب الوجود [illegible]
الضمير لم يشك فى وجوده تعالى ولا فى ان واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته واجب الوجود فى جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته
حتى عن حمل الوحدة عليه وعن تصور ذاته وبهنا حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد
وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار لتتخلص عن ظلمات شبهات الاشرار وتفوز بمقامات الابرار وتستغرق فى بحار عالم الانوار لمن الملك
الجبار وتشرق انوار الواحد القهار وذلك ان نقول انه سبحانه واحد فى ذاته لا قسيم له وواحد فى صفاته لا شبيه له وواحد فى افعاله لا شريك له اما انه واحد
فى ذاته فلانه لو شارك غيره فى حقيقته لزم تركبه مما به الاشتراك وما به الامتياز وكل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن واما انه واحد فى صفاته فلان صفات
غيره من غيره وصفاته من نفسه ولان صفات غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية وصفاته غير متناهية بل له فى كل معلوم
علوم غير متناهية بحسب احيان ذلك المعلوم واوقاته وسائر احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعنى كونها حالة فى ذاته وكون ذاته محلا لها

٧ كلمة مثلا فانه لا تموت غير متناهية

[illegible]

والليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق او بنقصان الزيادة المذكورة وذلك لان الشمس اذا غابت مع راس مخروط ظل الارض الى قوس توقع الابصار داخله الى ان يظهر الضلع المستنير منه من جانب الافق الشرقي فيكون الاول الفجر الكاذب ان كان الغور مرتفعا عن الافق بعد واول الفجر الصادق اذا قرب من الافق جدا وانبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت الافق طلع مركز جرم الشمس الى مقابله نظيران الليل والنهار كيف يختلفا اي يتعاقبان مجيئا وذهابا لقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او يختلفان ظلاما وضياء او طولا وقصرا لان زيادة احدهما يستلزم نقصان الاخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة او كيف يختلفان في الامكنة فان نهار كل بقعة ليل بقعة يقابلها ضرورة كرية الارض او كيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلد كلما ازداد عرضا عن خط الاستواء وهو الموضع المحاذي لمنطقة الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره في الصيف طولا وفي الشتاء قصرا وبالعكس في الليل وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب الى حيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازائه الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الاخر ليلا وذلك اذا كان قطب الفلك الاعظم محاذيا لسمت الراس ولا عمارة هناك ولا حيث يزيد النهار الاطول على يوم بليلته لشدة البرد الكائن من قبل انخفاض الشمس وكون الليل والنهار في انفسهما اثنين على وجود الصانع ووحدانيته ظاهر وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الاعظم وكذا من جهة انتظام احوال العباد بهما بسبب طلب المعاش في الايام والنوم والراحة في الليالي ومن الفوائد تعاون المتنافيين على امر واحد هو اصلاح المعاش للحيوان وان اقبال الخلق في اول الليل على النوم يشبه موت الخلايق او لا عند النفخة الاولى وتيقظهم عند طلوع الفجر تشابه عود الحيوة اليهم في النفخة الثانية وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فيه من عجب الاشياء كانه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان وكل هذه الامور دلايل على وجود مبدع عظيم الشان غني عن الزمان والمكان متبرا عن سمات الحدوث والامكان **الرابعة** والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او بنفع الناس والفلك بالضم والسكون السفينة واحد وجمع فضمة الواحد ضمة برد وضمة الجمع ضمة اسد وتانيث صفته ههنا يحتمل ان يكون لتضمين معنى السفينة ويحتمل ان يكون لمعنى الجمعية اي المراكب التي تجري وتركيبه يدل على الاستدارة والدوران ومنه الفلك الجسم الكري المحيط به سطحان متوازيان مركزهما واحد وفلكة المغزل وفلك ثدي الجارية واستدار والبحر خلاف البر قيل سمي بذلك لاتساعه وتعمقه ومنه تبحر في العلم والمال ويسمى الفرس الواسع الجري بحرا قال صلى الله عليه وسلم في فرس ان وجدناه لبحرا وقيل من الشق بحرت اذن الناقة شققتها ومنه البحيرة هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل الذي جعل لكم الارض فراشا ان الماء محيط باكثر جوانب القدر المعمور من الارض فذلك هو البحر المحيط وقد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقي ومنقطعا عن الغربي الى وسط العمارة اربعة خليجات **اولها** اذا ابتدي من المغرب الخليج البربري لكونه في حدود بربر من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون فرسخا وعرضه خمسة وثلثون فرسخا وعلى ضلعه الغربي بلاد كفرة الحبشة وبعض الزنج وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة **وثانيها** الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه بقرب منتهاه ستون فرسخا وبين طرفه وفسطاط مصر الذي على شرقي النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربي بلاد البجة من البربر وبعض بلاد الحبشة وعلى ضلعه الشرقي سواحل عليها فرضة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لقوافل مصر والحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الزاوية الشرقية منه **وثالثها** خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه قريب ثمانية وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربي بلاد عمان ولهذا ينسب البحر هناك اليها وجملة ولاية العرب واحيائهم من الحجاز واليمن والطايف وغيرها وبواديهم بين الضلع الغربي من هذا البحر والشرقي من الاحمر فلهذا يسمى العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وفيها مكة زادها الله شرفا وعلى سواحل ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم كران ثم سواحل السند **ورابعها** الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران متصل بالمحيط الشرقي وضلعه الغربي خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات الهند والصين ولهذا يسمى بحر الصين ومن زاويته الغربية الى زاوية من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولاياتهم على سواحله وايضا قد دخل الى العمارة من جانب المغرب خليج عظيم مر من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب ويحاذي ارض السودان وينتهي الى بلاد مصر والشام ومن جانب الشمال على بلاد اندلس والجلالقة والصقالبة الى بلاد الروم والشام وينشعب منه شعبة من شمال الروم تنعطف الى ارض مسلمي البلغار يسمى بحر ورنك طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثمنية وثلثون واذا جاوز تلك النواحي امتد نحو المشرق غير مسلوكة وتشعب منه ايضا شعبة يسمى بحر طرابزون فهذه هي البحار المتصلة بالمحيط واما غير المتصلة فاعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب والخزر والبسكون لكون هذه الولايات على سواحل مستطيل الشكل اخذ من المشرق الى المغرب اكثر من مائتين وخمسين فرسخا ومن الجنوب الى الشمال بقريب من مائتين ومن عجايب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام والانواع والاصناف ومنها الجزاير الواقعة فيها فقد يقال في بحر الهند من الجزاير العامرة وغير العامرة الف وثلثمائة وسبعون منها جزيرة عظيمة في اقصى البحر مقابل ارض الهند في ناحية المشرق وعند بلاد الصين يسمى جزيرة سرنديب دورها ثلثة الف ميل فيها جبال عظيمة وانهار كثيرة ومنها يخرج الياقوت الاحمر وحول هذه الجزيرة تسع عشرة جزيرة عامرة فيها مداين وقرى كثيرة ومن جزاير هذا البحر جزيرة كلة التي يجلب منها الرصاص القلعي وجزيرة سريرة التي يجلب منها الكافور وعجايب البحر كثيرة ولهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض العقلاء ما رأيت من عجايب البحر قال سلامتي منه والسفينة مما الهم الله تعالى تركيبها ثم اجراها بقدرته على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة السفينة ثم عجيب صنعتها لما تم جريها ولولا الرياح المعينة على تحريكها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح لما خلصت من تلاطم الامواج ولولا التقوية قلوب راكبها لما صبروا على شدايد ركوبها ولولا انه تعالى خص كل طرف بشيء لم ينبعث الدواعي الى اقتحام الاخطار في هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الامصار في البراري والبحار فلاجرم ينتفع الحامل من حيث انه يربح وينتفع المحمول اليه من حيث انه يجد مما اعوزه وفي الاية دليل على اباحة ركوب السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة **الخامسة** وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها اما نزول المطر من السماء فقد مر تحقيق ذلك في تفسير قوله تعالى او كصيب من السماء وان المراد من السماء السحاب او التقدير من جانب السماء واما تنكير من ماء فلان الغرض الوحدة الشخصية او النوعية يعني ماء هو سبب حيوة الارض لا المطر الذي قد لا ينبت شيئا كما جاء في الحديث ليس السنة بالتي لا تمطر ولكن السنة التي تمطر ولا تنبت ولا ريب ان في انزال ذلك الماء دلالات على الصانع ووحدانيته حيث جعله في غاية الصفاء واللطافة والعذوبة وصيره سببا للارزاق وانزله بعد قنوط الناس وشدة احتياجهم اليه واودع في نزوله حيوة الارض واحسنها ونضارتها ورواءها وبهجتها وخضرتها بخروج اصناف النبات وضروب الاعشاب والوان الازهار وانواع الاشجار والاثمار وجريان الجداول

في الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها دلائل وبين كونها نعما على المكلفين ومتى كانت الدلائل كذلك كا[نت] انجع في القلوب واشد تأثيرا في الخواطر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها والله اعلم بالصواب

ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب ۞ اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب ۞ وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ۞

القراءات ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب والباقون بالياء اذ يرون بضم الياء من الاراءة ابن عامر ان القوة وان الله بكسر الالف فيهما يزيد وسهل ويعقوب اذ تبرأ بادغام الذال في التاء وكذا ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزة وعلي وخلف يريهم بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل وقرأ حمزة وعلي وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم بخارجين بالامالة ...

...

فما ابقى المتورد بالسلامة ما اعددت ليوم القيمة يوم الحسرة والندامة يوم يجعل الولدان شيبا يوم يبرح المستور ويكشف الدنيا والتجارة فاولئك لن تربح فيها الخسارة وما هم بخارجين من النار استدل الاشاعرة بالتقديم على التخصيص فقالوا ان اصحاب الكبيرة من اهل القبلة يخرجون من النار وزعم المعتزلة ان بناء الكلام على هم لتقوي الحكم وافادة التاكيد كقوله لنا وهم يخلقون فانه لا يدل على ان غير الاصنام غير مخلوق والله اعلم بالصواب

يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ۞ انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ۞ واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ۞ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون

القراءات خطوات ساكنة الطاء حيث كان ابو عمرو غير عباس ونافع وحمزة وخلف والهاشمي وابو ربيعة عن البزي والقواس والحلواني وابو بكر غير البرجمي الباقون بالضم بل نتبع وبابه مثل بل نحن وبل نقذف مدغما حيث كان علي وهشام الوقوف طيبا ز والوصل اجوز لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مبين ه لا تعلمون ه اباءنا ط لابتداء الاستفهام ولا يهتدون ه ونداء ط لحذف المبتدأ اي هم صم لا يعقلون ه

قال الكلبي نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على انفسهم من الحرث والانعام وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والآية
مسوقة لتقرير طرف من جهالات المشركين المتخذين من دون الله اندادا وحلالا مفعول كلوا او حال من ما في الارض وهو المباح الذي انحلت عقدة
الحظر عنه من الحل الذي يقابل العقد ومنه حل بالمكان اذا نزل وحل عقد الرحال وحل الدين وجب لانحلال العقدة بانقضاء المدة والحلة لانها
تحل عن الطي للبس وتحلة القسم لان عقدة اليمين تحل به ثم الحرام قد يكون حراما في جنسه كالميتة والدم وقد يكون حراما لعرض كملك الغير اذا لم يؤذن
في اكله فالحلال هو الخالي عن القيدين والطيب ان اريد به ما يقرب من الحلال لان الحرام يوصف بالخبيث قل لا يستوي الخبيث والطيب فالوصف
للتأكيد للمدح مثل نفخة واحدة اي الطاهر من كل شبهة ويمكن ان يراد بالطيب اللذيذ او يراد بالحلال ما يكون بجنسه حلالا وبالطيب ما لا يتعلق به حق الغير
والخطوة بالضم ما بين قدمي الخاطي كالغرفة بالضم اسم لما يغرف والغرفة بالضم والسكون اذا كانت اسما تجمع في التصحيح بسكون العين وضمها يقال
اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لاقعدن لهم صراطك
المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انما يأمركم بالسوء يتناول جميع المعاصي من افعال الجوارح وافعال القلوب
والفحشاء هي التي جاوزت الحد في القبح فلهذا قد يخص الاول بما لم يجب فيه الحد والثاني بما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا
اقبح لان وصف الله تعالى بما لا ينبغي من اعظم الكبائر والآية كالتفسير لقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان فالصغائر والكبائر والكفر
والجهل كلها من مأمورات الشيطان بل لا يأمر الشيطان الا بهذه الامور ودليل انما وهي للحصر وقد يدعو الشيطان الى الخير ظاهرا وغرضه ان يجره الى الشر
وامثال ان يجره من الافضل الى الفاضل فيتمكن بعد ذلك ان يجره الى الشر ومثل ان يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق ليصير ازدياد المشقة سببا
للنفرة عن الطاعة ويدخل في قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون جميع المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة وقول الرجل هذا حلال
وهذا حرام بغير علم بل يتناول معتقد الحق لانه وان كان معتقدا للحق لكنه قال ما لا يعلم فصار مستحقا للذم من جهة انه قادر على تحصيل العلم
بالحق ثم انه قنع بالظن والتخمين ومعنى امر الشيطان وسوسته لا امر فان الآمر منه بمنزلة المأمور من لطاعتكم له وقبولكم وساوسه واذا كان الآمر
المطاع مرجوما مذموما فكيف حال المأمور المطيع ففي هذا معتبر البصراء ومزدجر العقلاء اعاذنا الله بحوله وقوته من مكر الشيطان وكيده
قيل لهم اي للمتخذين من دون الله اندادا او للناس والالتفات الى الغيبة للنداء على ضلالهم كأنه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى
ماذا يقولون وعن ابن عباس رض نزلت في اليهود حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا اي وجدنا
عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم وقد يعود الضمير الى المعلوم كما يعود الى المذكور وعلى هذا فالآية مستأنفة وانما خص هذا الموضع بلفظ
الفينا لان الفيت يتعدى الى مفعولين البتة وكان نصا في ذلك فورد في الموضع الاول على الاصل واقتصر في المائدة ولقمان على لفظ
وجدنا المشترك بين المتعدي الى واحد والمتعدي الى اثنين اكتفاء بما ورد في الاول مع تغير العبارة عارضوا ما انزل الله من الدلائل الباهرة
بالتقليد فما اعظم جهلهم فلا جرم اجاب الله تعالى بقوله او لو كان لو للعطف والحال على ما وقع في الكشاف والهمزة للرد والتعجب
نيل الاستفهام محذوف وكذا جواب الشرط والمعنى ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون الى الصواب
ايتبعونهم ايضا وتقرير الجواب ان يقال للمقلد اعرفت ان المقلد محق ام لا فان لم تعرف فكيف قلدته مع احتمال كونه مبطلا وان عرفت فاما
بتقليد آخر ويلزم التسلسل وبالعقل فذاك كاف في معرفة الحق والتقليد ضائع وايضا علم المقلد ان حصل بالتقليد تسلسل وان حصل بالدليل
فاتباعه لمستند اذا علم ذلك الدليل ايضا والا كان مخالفا له فظهر ان قبول قول الغير من غير دليل وبال وضلال ومثل الذين كفروا فيه للعلماء طريقان
احدهما تصحيح المعنى باضمار في المشبه اي مثل من يدعو الذين كفروا الى الدين كمثل الذي ينعق يقال نعق الراعي بالضأن اذا صاح بها
واما نعق الغراب فبالغين المعجمة شبه الداعي الى الحق براعي الغنم والكفرة بالغنم ووجه التشبيه ان البهيمة تسمع الصوت ولا تعلم المراد
وهؤلاء الكفار يسمعون صوت الرسول والفاظه وما كانوا ينتفعون بها فكأنهم لا يفهمون معانيها واما اضمار في المشبه به اي مثل الذين كفروا
كبهائم الذي ينعق الطريق الثاني التصحيح بغير اضمار اي مثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع لكن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد
عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا او مثلهم في دعائهم الآلهة كمثل الناعق في دعائه عند الجبل فانه لا يسمع الا صدى صوته فاذا قال
يا زيد يسمع من الصدى يا زيد كذلك هؤلاء الكفار اذا دعوا الاوثان لا يسمعون الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء او مثلهم في قلة عقلهم حيث عبدوا الاوثان كمثل
الراعي اذا تكلم مع البهائم فكما ان الكلام مع البهائم دليل سخافة العقل فكذلك عبادتهم لها او مثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل الذي يتكلم
مع البهائم فكما ان ذلك عبث ضائع فكذا تقليدهم واتباعهم صم عن استماع الحق والانتفاع به بكم عن اجابة الداعي الى سبيل الخير عمي
عن النظر في الدلائل فهم لا يعقلون العقل المسموع والمطبوع وذلك ان طريق الاكتساب الاستعانة بالحواس ولهذا قيل من فقد حسا فقد علما
فلما فقدوا فائدة الحواس فكأنهم عدموا ما خلفه قال شابور بن اردشير العقل نوعان مطبوع ومسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فان احدهما
بمنزلة العين والآخر بمنزلة الشمس ولا كمال لبصارة الا بتعاونهما وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر
عقله يكون عبادته لربه اما سمعتم قول الله تعالى حكاية عن الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال كتب لم يكتسب رجل مثل عقل يهديه
صاحبه الى الهدى ويرده عن ردى التأويل الذين كفروا لم يسمعوا اذ خاطبهم الحق بقوله الست بربكم الا دعاء ونداء لانهم كانوا في الصف الآخر من الارواح المجندة اربعة
صفوف الاول للانبياء الثاني للاولياء الثالث للمؤمنين الرابع للكافرين فما شاهدوا شيئا من انوار الحق ولكنهم قالوا بالتقليد بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا

يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ۝ انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ۝
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله
يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ۝ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة

فاصبرهم

فما اصبرهم على النار ۝ ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

القراآت الميتة بتشديد الياء يزيد والباقون بالسكون فمن اضطر بكسر النون وضم الطاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم فمن اضطر
بضم النون وكسر الطاء يزيد والباقون بضمهما الوقوف تعبدون ۝ لغير الله ج للشرط مع فاء التعقيب عليه ط قليلا لا لان ما بعده خبران يزكيهم
ج والوصل اولى لاتصال جمل جزائهم اليم ۝ بالمغفرة ج لابتداء التعجب او الاستفهام والوجه الوصل للمبالغة في الانكار على النار ۝ بالحق ط
للابتداء بان بعيد ۝ ربع الجزء التفسير انه سبحانه تكلم من اول السورة الى ههنا في دلائل التوحيد والنبوة واستقصى شرح اهل النفاق والشقاق
من المشركين واهل الكتاب وذيل كلا من ذلك بما يناسبه ومن ههنا شرع في بيان الاحكام الشرعية الحكم الاول اباحة الاكل للمؤمنين بعد ما عمم
كلهم وهذا بالنظر الى الاصل وقد يصير واجبا لعارض كما لو اشرف على الهلاك بسبب المجاعة وقد يكون مندوبا كموافقة الضيف واستدل بقوله من طيبات
ما رزقناكم على ان الرزق قد يكون حراما فان الطيب هو الحلال ولو كان الرزق حلالا البتة لم يبق في ذكر الطيب فائدة اذ يصير المعنى كلوا من حلالات ما رزقنا
لكم واجيب بالمنع من ان معنى الطيب ما ذكر بل المعنى كلوا من مستلذات ما رزقناكم ولعلهم توهموا ان التوسع في الاكل الحلال والاستكثار من اللذائذ
ممنوع منه فرفع الحرج واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان الشكر رأس
العبادة والتركيب يدور على الكشف والاظهار ومنه كشر اذا كشف عن ثغره فالشكر نشر النعم وحصرها باللسان من الشكران يستعين بالنعم على طاعة
ودون المعصية وقد قال بعضهم شعر وليتني نعما ابوح بشكرها وكفيتني كل الامور بصبرها فلاشكرنك ما حييت فان امت [illegible] في قبرها
عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري ولما اجمل في الآية ما يباح
اكله ذيل بتفصيل ما هو محرم ليبقى ما عداه على اصل الاباحة فقيل انما حرم عليكم الميتة ويتناول ما مات حتف انفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه
الشرعي ولو كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعا ولان تحريم ما ليس بمحرم ولا فيه ضرر ظاهر يدل على النجاسة وليس في الآية اجمال عند
الاكثرين لان المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وانما المفهوم في العرف حرمة التصرف في هذه الاجسام كما لو قيل فلان يملك جارية فهم منه عرفا
انه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالآية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم
احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد وقال صلى الله عليه وسلم في صفة البحر هو الطهور ماؤه الحل
ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم يكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق ايضا بين ما يؤكل نظيره في البر كالبقر
والشاة وبين ما لا يؤكل كخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد يخرج بنفسه
لان الميتة لا يتناولهما عرفا وعادة ولهذا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه
بما حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان عد الكافر من الدواب لقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لان عدم
التناول عرفا انما هو بعد تخصيص الشارع فلا يمكن ان يجعل دليلا على عدمه وكالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف
ومحمد وهو المروي عن علي وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم لقوله صلى الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة امه وقال ابو حنيفة لا يؤكل الا ان يخرج حيا
فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكاة الجنين كذكاة امه ورد بان الاضمار خلاف الاصل وبانه اذا خرج حيا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للخبر حينئذ
فائدة لان ذلك معلوم ولما روي عن ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الجنين يخرج ميتا قال ان شئتم فكلوه فان ذكاته ذكاة امه ويستثنى شعر
الميتة وصوفها فانهما عند ابي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ولقوله صلى الله
عليه وسلم في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولان الشعر والصوف لا حيوة فيه لان حكم الحيوة الادراك
والشعور ومن ههنا ذهب مالك الى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن والظفر والسن كلها نجسة
لقوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من حي فهو ميت ولان الحيوة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر واللحم
واما الاهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبعة فاوسع الناس قولا الزهري جوز استعمال الجلود بأسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ
لقوله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان عليه حال الحيوة من عدم التعفن والفساد ثم مالك يطهر ظاهر
كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة يطهر كلها الا جلد الخنزير لنجاسته والآدمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي وابو ثور
يطهر جلد ما يؤكل لحمه فقط ثم احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لاطلاق الآية ولقول عبد الله بن عكيم اتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل وفاته بشهر الا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب واختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازي والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال
بعضهم اذا اقدم البازي من عند نفسه على اكل الميتة وجب علينا منعه وجوز الشافعي استعمال نجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجأة
قتال مع فقدان غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين ولاجل تجليل الكلب وان لم يكن ضرورة وكذا استعمال جلد الميتة قبل الدباغ لتجليل الدابة والكلب
وكذا استعمال النجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الارض لعموم الحاجة القريبة من الضرورة وقد نقله الاثبات عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل عليه السلام عن الفارة تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تأكلوه والدخان وان كان نجسا لكنه قليل معفو
عنه وعند ابي حنيفة سواء مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة اي دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان لم ينجس
الماء قل او كثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة الاصحاب
عدوا دود الطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة وقالوا لا ينجس الطعام الذي تولد فيه وموته فيه بلا خلاف فان وقع في ماء او في مائع آخر فقولان ثم الذباب
والبعوض ونحوهما وان حكم بطهارة ميتها فهي محرمة لانها مستقذرة ومندرجة تحت عموم اسم الميتة وفي جواز اكل دود الطعام والفواكه والماء وجهان
والاظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الاشياء يمكن ان يباح به وسأل عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن طائر وقع في قدر مطبوخ فمات فقال ابو حنيفة
لاصحابه ماذا ترون فيها فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يؤكل بعد ما يغسل ويراق المرق فقال ابو حنيفة بهذا القول على شريطة ان كان وقع فيها
في حال سكونها فكما في هذه الرواية وان وقع فيها حال غليانها لم يؤكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم ذلك لانه اذا سقط في حال سكونها
مات فقد وسخت الميتة اللحم فاستحسنه ابن المبارك وعند ابي حنيفة ذبح ما لا يؤكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها كما لا يستعقب
حل الاكل وكما لو ذبح المجوسي مأكول اللحم ولبن شاة الميتة وانفحتها طاهران عند ابي حنيفة دون الشافعي ومالك لان الآية جعلتهما فان اللبن

ابنا صلعم سد و المجاري الشيطان بالجوع وحم الحنير زيادة الشره والحرص وما اهل به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله تعالى رياء وسمعة والله تعالى اعلم

ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون صدق الله العظيم

القراءة ليس البر بنصب الراء حمزة وحفص لجواز ... الباقون بالرفع ولكن البر ... وكذلك فيما بعد نافع وابن عامر الباقون بالتشديد والنصب الوقوف والنبيين ج لطول الكلام واختلاف المعنى لان ما قبله اصول الايمان وما بعده فروع وفي الرقاب ج للطول ... شرع المكارم وابتداء اللوازم الزكوة ج عاهدوا ج للعدول عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون واعني الصابرين البأس ط صدقوا ط المتقون

اولو القرابة وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين وقد مر ما يتعلق كل منهم في تفسير قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وانما
قدم ذوي القربى لانهم احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المساكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة ولتاكد استحقاقه نال رتبة
الوراثة ويحجر بسببه على المالك في الوصية حتى لا يمكن من الوصية الا في الثلث واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس و
تقديم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير الذي لا والد له ولا هو كاسب منقطع الحيلة من كل الوجوه ورابعهم الاصناف ابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال لطير الماء ابن الماء وللشجاع اخو الحرب وللناس بنو الزمان وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به
وخامسهم السائلون وهم المستطعمون ويدخل فيه المسلم والكافر وقريب منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وسادسهم
المكاتبون واشار اليه بقوله وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى
والرقاب جمع الرقبة وهو مؤخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا يقال للمملوك
رقبة كانه يراقب العذاب ولا يقال لمعتق الثالث والرابع قوله واقام الصلوة واتى الزكوة وقد سلفت مباحثها ثم ان الائمة حيث ذكر الله
تعالى ايتاء المال في الوجوه المذكورة ثم قفاه بايتاء الزكوة ومن حق المعطوف التغاير للمعطوف عليه غلب على ظنونهم ان في المال حقا سوى الزكوة وكيف لا
وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاو الى جنبه ولا خلاف انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس
ان يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم يكن الزكوة واجبة عليهم ولو امتنعوا عن الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا وما روي عن علي كرم الله وجهه ان الزكوة
نسخت كل حق كانه اراد الحقوق المقدرة بدليل انه يلزم التصدق عند الضرورة والنفقة على الاقارب وعلى المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او عطف على من آمن والمراد بالعهد ما اخذه الله من العهود على عباده بقولهم وعلى السنة رسله
اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته فقبل العباد ذلك حيث آمنوا بالانبياء والكتب ويندرج فيه ما يلتزمه المكلف ابتداء من تلقاء نفسه مما يكون بينه
وبين الله كالنذور والايمان او بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كبيعة الرضوان بايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره
وعلى ان لا يقولوا الا بالحق اينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم او بينه وبين الناس واجبا كعقود المعاوضات او مندوبا كالمواعيد فلهذا قال المفسرون
ههنا هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا وفوا واذا ائتمنوا ادوا واذا قالوا صدقوا السادس والصابرين في البأساء والضراء
وهو نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال قال ابو علي الفارسي اذا ذكرت الصفات الكثيرة
في معرض المدح او الذم فالاحسن ان يخالف باعرابها ولا يجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف والابلاغ في
القول فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود اكمل لان الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كانه انواع من الكلام وضروب من البيان
وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة وذكر المحققون في افادة اختلاف الحركة المدح او الذم ان اصل المدح او الذم من كلام السامع
وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى السامع على زيد وقال ذكرت والله الظريف وذكرت العاقل او هو والله الظريف هو العاقل
فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الاعراب على ذلك اي اريد الظريف والعاقل والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة
وهما فعلاء من البؤس والضر لا افعل لهما لانهما ليسا بنعتين وحين البأس القتال في سبيل الله والجهاد واصل البأس الشدة اولئك الذين صدقوا في ايمانهم و
وعدوا في الدين واولئك هم المتقون تظيرا بين الجملتين في القطع للاستئناف قوله على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون كانه قيل ما للمتصفين
بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو اصل كل خير فاجيب بان اولئك الموصوفين لهم قدم صدق في الاسلام وهم المتقون بسمة التقوى وكل منهما
منطو على جميع الخيرات ويشتمل لكل المامورات والمنهيات فلهذا اتصفوا بتلك الصفات وذكر الواحدي ههنا ان الواوات في هذه الاوصاف
تجمع لمن شرائط البر وتمام شرط البار ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر فلا ينبغي ان يظن الانسان ان الموفي بعهده
من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء بل لا يكون قائما بالبر الا عند استجماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من خواص الانبياء والحق انه ليس
بمستبعد ان يوجد لامة موصوف بالبر الا ان كمال البر لا يكون الا في النبي ولا سيما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان اهل الكتاب اخلوا بجميع
[illegible]

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء

فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك
فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون صدق الله العظيم

الوقوف في القتلى ط بالانثى لان العفو اعطاء الدية صلحا فكان خارجا عن اصل موجب القتل مستانفا باحسان ط ورحمة ط لان الاعتداء خارج
عن اصل الوجب وفرعه فكان مستانفا اليم ه تتقون ه التفسير هذا حكم آخر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط
واما العرب فتارة كانوا يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين فاذا وقع القتل من قبيلتين كان لقبول
الشريف للخسيس لا يقتل بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما
زادوا على ذلك كما يروى ان رجلا قتل رجلا من الاشراف ثم اجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول فقالوا ما تريد قال احدى ثلث قالوا وما هي قال تحيون
ولدي او تملؤن داري من نجوم السماء او تدفعون الي جملة قومكم حتى اقتلهم لاري اني اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف اضعاف دية الخسيس
فبعث الله تعالى محمدا بالعدل وسوى بين عباده في القصاص وقيل نزلت في واقعة قتل حمزة رضي الله عنه ومعنى كتب فرض واوجب كقوله كتب عليكم الصيام
ولفظة على ايضا تفيد الوجوب كقوله ولله على الناس حج البيت والقصاص ان يفعل بالانسان مثل ما فعل من قولك اقتص فلان اثر فلان اذا فعل مثل فعله
ومنه القصة لان الحكاية تساوي المحكي والمقص لتعادل جانبيه وقوله في القتلى اي بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المؤمنة مائة ابل اي بسببها فظاهر الاية يدل
على وجوب القصاص على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى الا انهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما القاتل فقد دخله التخصيص ايضا في صور
كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده والمسلم حربيا او معاهدا او مسلم مسلما خطا الا ان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما عداه فان قيل لو وجب
القصاص لوجب اما على القاتل وليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك واما على ولي الدم وهو مخير بين الفعل والترك بل هو مندوب الى الترك والعفو
عن النفس واما على اجنبي وليس ذلك بالاتفاق ايضا القصاص عبارة عن التسوية ووجوب رعاية المساوات على تقدير القتل لا يوجب نفس القتل
قلنا عن الاول المراد ايجاب اقامة القصاص على الامام او من يجري مجرى الامام لانه متى حصل شرائط وجوب القود فانه لا يحل للامام ان يترك
القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاؤه ويحتمل ان يكون خطابا مع القاتل لانه كتب عليه تسليم النفس عند مطالبة الولي
بالقصاص وذلك ان القاتل ليس له ان يمتنع ههنا وليس له ان ينكر بل للزاني والسارق الهرب من الحد ولهما ايضا ستر انفسهما بستر الله فلا يعترفان
ان القتل يمتنع وفيه حق الآدمي اكثر وعن الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ايجاب التسوية في القتل والتسوية في القتل صفة للقتل وايجاب الصفة يقتضي
ايجاب الذات فالاية تفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في كيفية المماثلة التي تجب رعايتها فقال الشافعي ان كان قتله بقطع اليد قطعت يد القاتل
فان مات عنه في تلك المرة والا حزت رقبته وكذلك ان احرق الاول بالنار احرق الثاني فان مات في تلك المرة والا حزت رقبته روي انه عليه السلام
قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ورضخ يهودي راس جارية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل به مثله والا يجوز ان يقال كتب التسوية
في القتلى الا في كيفية القتل وحيث لم يستثن دخل وايضا الحكم بالعموم يوجب التخصيص في بعض الصور كما لو قتله بالسحر لانه محرم بل بالسيف وكما لو
قتل صغيرا باللواطة فانه يقتل بالسيف على الاصح ولو حكم بالعموم لزم الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم تفد الاية الا ايجاب التسوية في امر من الامور
فالشيئان الا وهما متساويان في بعض الامور فلا يستفاد من الاية شيء البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة تناول النفس وتعيين السيف لقوله صلى الله عليه وسلم
لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل اذا لم يتب واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة من الله تعالى فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون
عقوبة للدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما الحكمة في وجوب قتله اجاب اصحابنا بانه تعالى يفعل ما يشاء ولا يسأل
عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع ليكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل قالوا انه منفعة للقاتل من حيث انه اذا علم انه لا بد
وان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول من حيث التشفي ومنفعة لسائر المكلفين من حيث الانزجار
قوله عز من قائل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الباء للبدل نحو بعت هذا بذاك اي الحر مقتول بدل الحر ثم فيه قولان الاول ويروى عن عمر بن
عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ان لا يكون القصاص مشروعا الا بين الحرين وبين العبدين وبين الانثيين لان الالف واللام يفيد العموم اي كل حر
يقتل بحر فلو كان قتل حر بعبد مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا لا بغير حر وهو مناقض للآية ولان هذا القول خرج مخرج البيان لقوله كتب عليكم القصاص ولا يجب
القصاص على الحر بقتل العبد احمال التسوية فلا يكون مشروعا وايد هذا مذهب الشافعي ومالك وقالا لما قتل العبد بالعبد فلان يقتل بالحر وهو فوقه
اولى وكذا القول في قتل الانثى بالذكر واما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان مستنده ان الذكورة والانوثة فضيلتان كالعلم والجهل والشرف
والخسة فكما انه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى ويروى عن عمرو بن حزم ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن ان الذكر
يقتل بالانثى القول الثاني ويروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهذا مذهب ابي حنيفة رضي الله عنهم ان الحر بالحر لا يفيد الحصر
البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على حال سائر الاقسام لان قوله والانثى بالانثى يقتضي قصاص الحرة بالمراة الرقيقة
فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا لذلك لتناقض وايضا قوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله الحر بالحر تخصيص لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر
فلا يمنع من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات ويؤيده ما ذكرنا قوله تعالى النفس بالنفس وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وقد يقتل الجماعة بواحد فدل
على ان التفاضل غير معتبر في النفس ثم انهم قالوا الفائدة في تخصيص هذه الجزئيات بالذكر ما ذكرنا في سبب النزول انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر
من قبيلة القاتل فنهوا عن ذلك وايضا نقل عن علي كرم الله وجهه والحسن البصري ان هذه الصور هي التي يكتفى فيها بالقصاص اما في سائر الصور
وهي ما اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى فهناك لا يكتفى بالقصاص بل لا بد من التراجع فاما حر قتل عبدا فهو قوده
فان شاء موالي العبد ان يقتلوا قتلوه بشرط ان يسقطوا قيمة العبد من دية الحر ويؤدوا الى اولياء الحر بقية ديته وان قتل عبد حرا فهو به قود فان شاء
اولياء الحر قتلوا العبد واسقطوا قيمة العبد من دية الحر وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاؤا اخذوا الكل الدية وتركوا
قتل العبد وان قتل رجل امراة فهو بها قود فان شاء اولياء المراة قتلوه وادوا بعد ذلك نصف دية الى اوليائه وان شاؤا تركوا قتله و
اخذوا ديتها واذا قتلت امراة رجلا فهي به قود فان شاء اولياء الرجل قتلوها واخذوا النصف الدية الى اوليائه وان شاؤا تركوها واخذوا الكل
فعلى هذا الغرض من الاية الاكتفاء بالقصاص مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فالاكتفاء بالقصاص غير مشروع

قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء من العفو كقولك سير بزيد بعض السير والاصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفي لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة فان قيل ان عفي يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له فالجواب انه يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الآية فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفى عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية واخوه هو ولي المقتول وانما قيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا اذا كان بينهما ادنى تعلق او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام وقد يستدل بهذا على ان الفاسق مؤمن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي الدم ولا شك ان هذه الاخوة بسبب الدين انما المؤمنون اخوة مع ان القتل العمد العدوان بالاجماع من الكبائر وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو انما يليق عن المؤمن ويحتمل ان يجاب ان القاتل قبل اقدامه على القتل كان مؤمنا فلعله تعالى سماه مؤمنا بهذا التاويل وبان القاتل قد يتوب وعند ذلك يكون مؤمنا ثم انه تعالى ادخل فيه التائب على سبيل التغليب وايضا لعل الآية نازلة قبل ان يقتل احد احدا ولا شك ان المؤمنين اخوة قبل الاقدام على القتل وايضا فلعل الفاسق يتوب وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول اخا له وايضا يجوز ان يكون قد جعله اخا له في النسب كقوله تعالى والى عاد اخاهم هودا فاتباع بالمعروف اي فليكن اتباع او فالامر او فحكمه اتباع او فعليه اتباع فقيل على العافي اتباع بالمعروف بان لا يشدد في المطالبة بل يجري فيها على العادة المألوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان واجدا لعين المال فان لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان كان واجدا لغير المال الواجب فالامهال الى ان يستبدل وان لا يمنعه بسبب الاتباع عن تقديم الاهم من الواجبات وعلى المعفو عنه اداء اليه باحسان بان لا يدعي الاعدام في حال الامكان ولا يؤخره مع الوجود ولا يقدم ما ليس بواجب عليه وان يؤدي ذلك المال على بشر وطلاقة وقول جميل من غير مطل وتحسين وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل هما على المعفو عنه فانه يتبع عفو العافي بمعروف ويؤدي ذلك المعروف اليه باحسان ذلك قيل اشارة الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس وهو الاقرب انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو فان هذه الامة خيرت بينها توسعة وتيسيرا ولم يكن لليهود الا القصاص وللنصارى الا العفو واثبات الخيرة تفضل من الله ورحمة في حقنا لان ولي الدم قد يكون الدية آثر عنده من القود اذا كان محتاجا الى المال وقد يكون القود آثر عنده اذا كان راغبا في التشفي ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يؤثر ثواب الآخرة فيعفو عن القصاص وعن الدية جميعا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل مع قتل القاتل او دونه او قتل بعد اخذ الدية والعفو فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه الدية كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية وهو مذهب الحسن وسعيد بن جبير وعن غيرهم ولما كانت الآية مشتملة على ايلام العبد الضعيف وانه لا يليق بكمال رحمته عقبها بقوله ولكم في القصاص حيوة قال المفسرون القصاص ازالة الحيوة وازالة الشيء لا يكون نفس ذلك الشيء فالمراد لكم في شرع القصاص حيوة واي حيوة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويحتمل ان يقال نفس القصاص سبب لنوع من الحيوة وهي الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا اقيد منه ارتدع من كان يهم بالقتل ولم يقتل فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرا ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب بها وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حيوة بلغ في الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع واكثروا القتل ليقل القتل واوجز ذلك قولهم القتل انفى للقتل والترجيح مع ذلك للآية من وجوه الاول ان قولهم لا يصح على العموم لان القتل ظلما ليس انفى للقتل قصاصا بل ادعى له ولو خصص فقيل القتل قصاصا انفى للقتل ظلما طال والآية تفيد هذا المعنى من غير تقدير وتكلف الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الحيثية معتبرة في الآية لا في كلامهم الثالث ان الحيوة هو المطلوب الاصلي ونفي القتل انما يراد لحصول الحيوة فالتنصيص على المقصود الاصلي اولى الرابع التكرار من غير ضرورة مستهجن وانه في كلامهم لا في الآية الخامس ان الحروف الملفوظة التي يعتمد عليها في اعتبار الوجازة لا المكتوبة هي في الآية عشرة وفي كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب في كلامهم خفاف وذلك مما يخل بسلاسة التركيب والآية مع غاية وجازتها فيها التناسب السابع ظاهر قولهم يقتضي كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال وفي الآية جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحيوة ولا استبعاد فيه لظهور التغاير الثامن المطابقة رعيت في الآية لمكان التضاد بين لفظي القصاص وحيوة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الآية على لفظ يصلح للتفاؤل وهو الحيوة بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفي العاشر اشتمال الآية على اسمين واداة واشتمال كلامهم على ثلثة اسماء واداة وان اعتبرت اداة التعريف ففي الآية وفي كلامهم اثنتان وان اعتبر التنوين في الآية تقاصت الادوات وبقي زيادة الاسماء بحالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة يستعمل بمن فتقدير كلامهم القتل انفى للقتل من كل شيء فاين الوجازة يا اولي الالباب يا ذوي العقول واولو جمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو بمعنى صاحب واولات للاناث واحدتها ذات بمعنى صاحبة قال تعالى واولات الاحمال واعراب اولو كاعراب جمع المذكر السالم وزادوا في اولى واوا فرقا بينها وبين الى الجارة والالباب العقول ولب النخل قلبها وخالص كل شيء لبه خاطب العقلاء الذين يتفكرون في العواقب ويعرفون جهات الخوف فلا يرضون باتلاف انفسهم لاتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون يتعلق بمحذوف اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لتكونوا على بصيرة في اقامته راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة او لعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحسن والاصم وقد بقي على الآية بحث وهو انه سئل اذا صح ان المقتول ان لم يقتل فهو يموت لان المقدر من عمره ذلك القدر وكذا اذا هم الانسان بقتل آخر فارتدع خوفا من القصاص فان ذلك الآخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان لكل وقت محتوم وقوع موته فكيف يصح قوله شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى قد جعل لكل شيء اسبابا يدور مسببه معها وجودا وعدما ومشروعية القصاص مما جعلها الله تعالى سببا للحيوة من اراد حيوته بعد ان تصور الهام قتله وذلك بان يتذكر القصاص فيرتدع عما هم به فهذه فائدة شرع القصاص هي فائدة سائر الاسباب والوسائط ومنكر فائدتها كالانكارين مذموم وصاحبهما عند العقلاء ملوم والله تعالى اعلم التأويل كما كتب القصاص في قتلاكم كتب على نفسه الرحمة في قتلاه وقال من احبني قتلته ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اي من كان

تعالى بالكلية كان قبضه تعالى متصلا به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات لم يتصل به قبضه غاية الاتصال ومن كان بانقضائي دعوى محبته لم يكن مستحقا لكمال محبته فمن عفي له من الاحباء والاصفياء شيء من انواع البلاء والابتلاء الذي هو موكل بالانبياء والاولياء فاتباع بمعروف من معارفه فاولوا على العبد اداء شكره الى الله باحسان فمن اعتدى بعد ذلك الوفاء بالابتلاء والتجأ الى الحياء فله عذاب اليم فان الكفران مرتعه وخيم ولكم في القصاص حيوة الدارين والبقاء برب الثقلين يا اولي الالباب الذين خلوا من قشر الروح الانساني عند شهود الجلال الصمداني لعلكم تتقون شرك وجودكم والله تعالى اعلم

كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين

نبشته شد بر شما چون حاضر آید یکی از شما را وفات اگر بگذارد مالی بسیار را وصیت کردن مر پدر و مادر را و خویشان نزدیکتر را بعدل [illegible]

فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ۝ فمن خاف

پس هر که تغییر کند سخن موصی را بعد از آنکه شنیده باشد پس جز این نیست که بزه آن کار بر آنان بود که تغییر کنند آنرا بدرستی که خدا شنوا است دانا پس هر که ترسد یا داند

من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ۝ ان الله غفور رحيم ۝

از وصیت کننده میل از حق بطریق خطا یا بزه بطریق عمد پس آشتی داد کار را میان ایشان پس نیست بزه بر آن [illegible] بدرستی خدای آمرزگار است مهربان

القراءات خاف بالامالة حيث كان موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وحيلة الباقون بالتخفيف من الايصاء الوقوف خيرا ج لان قوله الوصية مفعول كتب والمانع يونث الفعل للتقدم ولاعتراض ظرف وشرط بينهما او الوصية مبتداء وللوالدين خبره ومفعول كتب محذوف اي كتب عليكم ان توصوا ثم بين لمن الوصية والوصل اولى لئلا يحتاج الى الحذف بالمعروف ج لان التقدير حق ذلك حقا او كتب الوصية حقا المتقين ه ط وان كان بعدها فاء التعقيب لانه حكم آخر يبدلونه ط عليم ه لذلك عليه ط رحيم ه التفسير هذا حكم آخر وقوله كتب عليكم يقتضي الوجوب كما مر والمراد من حضور الموت ليس معاينة الموت لان في ذلك الوقت يكون عاجزا عن الايصاء فالاكثرون قالوا المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف كما يقال لمن قارب البلد انه وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة الوصية بان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا وزيف بانه ترك الظاهر ولا شك ان الخير قد ورد في القرآن بمعنى المال وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير لشديد من خير فقير ثم اختلفوا في المراد بالخير ههنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري انه المال مطلقا قليلا كان او كثيرا بدليل قوله من خير فقير فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وانه تعالى اعتبر احكام المواريث فيما يبقى من المال قل ام كثر قال تعالى وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا وكذا الوصية ولان كل ما ينتفع به فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير في الآية مختص بالمال الكثير كما لو قيل فلان ذو مال يفهم منه ان ماله قد جاوز حد اهل الحاجة وان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل او كثير وكما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى فانه يراد تكثير النعمة وان كان احد لا ينفك عن نعمة الله وهو باب من المجاز مشهور ينفون الاسم عن الشيء لنقصه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد ولو كانت الوصية واجبة في كل ما ترك لم يكن لقوله ان ترك خيرا فائدة لندرة من يموت فاقدا اقل ما يتمول ثم القائلون بهذا اختلفوا في ان المسمى بخير في الآية مقدر بمقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف المرء بالمقدار من المال بانه غني ولا يوصف غيره بالغنى لذلك المقدار لاجل كثرة العيال وتوسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الى الاجتهاد وهذا لا ينافي في اصل الايجاب ومنهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن علي كرم الله وجهه انه دخل على مولى لهم في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصي قال لا انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصي قالت كم مالك قال ثلاثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وهو افضل وعن ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي فان بلغ ثمانمائة درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم قال ابو البقاء جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اي فالوصية للوالدين على الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب الشرط معنى الايصاء لا معنى الكتب بناء على رفع الوصية بكتب وهو الوجه وقيل المرفوع بكتب الجار والمجرور وهو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج الى جواب والاقربين قيل الاولاد عن ابن زيد وقيل من عدا الولد عن ابن عباس ومجاهد وقيل جميع القرابات وقيل غير الوارث وقوله بالمعروف امر ان يسلك في الوصية الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير ووصى للغني لم يكن معروفا ولو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بني العم لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد الجد البعيد مع حضور الاخوة لم يكن معروفا وحقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين آثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم وسيرة واعلم ان الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه اختار عدم نسخها وقال معناها كتب عليكم ما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين في قوله يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم ولا منافاة بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية الله تعالى والوصية عطية ممن حضره الموت فالوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين ولو قدر حصول المنافاة فهذه الآية توجب الوصية للوالدين والاقربين ثم آية الميراث تخرج القريب الوارث ويبقى القريب الذي لا يكون وارثا داخلا تحت الآية وذلك ان من الوالدين من لا يرث بسبب اختلاف الدين والرق والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال ومنهم من يسقط في كل حال اذا كانوا ذوي رحم فآية الميراث مخصصة لهذه الآية لا ناسخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على ان الآية منسوخة قالوا نسخت بآية المواريث او بالاجماع او بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا وان كان خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول حتى لحق بالمتواتر فيجوز نسخ القرآن به عند الجمهور ومن ائمة الامة من قال هي منسوخة في حق من يرث ثابتة في حق من لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن البصري ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد حتى قال الضحاك من مات من غير ان يوصي لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية وقال طاوس ان اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم ورد الى الاقارب قالوا الآية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل به في حق الوارث اما بآية المواريث او بقوله لا وصية لوارث او بالاجماع فبقيت الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يكون وارثا وايضا قال صلى الله عليه وسلم ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده لكن الوصية لغير الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان يختص بالاقارب وهؤلاء القائلون بان الآية صارت منسوخة في حق القريب الذي يكون وارثا اختلفوا في موضعين الاول نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية للافقر فالافقر من الاقرباء وقال الحسن البصري هم والاغنياء سواء الثاني عن الحسن وجابر بن

۷ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صح

ابن زيد وعبد الملك بن يعلى انهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا يرثه يجعل ثلثي الثلث لذوي القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له وعن طاوس
ان الاقارب ان كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى الاقارب لمن بدله من غير الايصاء او ما قاله الميت واوصى به على وجهه
ان كان موافقا للشرع بعد ما سمعه وتحققه فلا معنى للسماع لو لم يقع العلم به والمبدل اما الوصي بان يغير الوصية في الكتابة او في قسمة الحقوق
واما الشاهد بان يغير شهادته او يكتمها واما غيرهما بان يمنع من وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل المنهي عن التغيير هو الموصي نهي عن تغيير الوصية
عن الموضع الذي بين الله تعالى الوصية فيه فانهم كانوا يوصون في الجاهلية للاباعدين طلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب في الفقر والفقر فامرهم
بالوصية للاقربين واوعدهم على تركها فانما اثمه اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل الا على الذين يبدلونه فان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره وفيه
دليل ان الطفل لا يعذب بكفر ابيه وان الانسان اذا امر الوارث بقضاء دينه فان الميت لا يعذب بتقصير ذلك الوارث وان الميت لا يعذب
بنياحة غيره عليه ان الله سميع عليم يسمع الوصية على حدها ويعلمها على صحتها فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل واي
وعيد ثم انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه قوله فمن خاف ليعلم ان التغيير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو
حسن عقلا والخوف ههنا تفسيران احدهما الخشية فان قيل انما يصح في امر مستقبل مظنون والوصية وقعت وعلمت واجيب بان المراد ان
هذا المصلح اذا شاهد الموصي يوصي فظهرت منه امارات الجنف الذي هو الميل عن طريق الحق مع ضرب من الجهالة او مع التأويل وشاهد فيه اثما اي
تعمدا بان يزيد غير المستحق او ينقص المستحق او يعدل عن المستحق فعند ظهور امارات ذلك وقبل تحقيق الوصية يأخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية
لان قوله من موص يدل على سائر طبائعه فكان الموصي يقول وقد حضر الوصي والشاهد على وجه المشورة اريد ان اوصي للاباعد دون الاقارب
او ان ازيد فلانا مع انه غير مستحق لزيادة او النقص فلانا مع انه مستحق للزيادة فعند ذلك يصير السامع خائفا من جنف او اثم لا قاطعا ولكنها
من الجائز ان لا يستمر الموصي على وصيته فان له الفسخ ما دام في حيوته لكن ان يحصل المنفعة بما فعل وقد يعدل عن الحق في آخر الامر وبتقدير ان تستقر

[illegible]

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴿۞﴾ اياما معدودات فمن
كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له
وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون ﴿۞﴾ شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر

[illegible]

ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴿۞﴾ واذا سألك عبادي
عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴿۞﴾
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط
الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴿۞﴾

[illegible]

في المرض والسفر المبيحين للإفطار على أقوال أحدها أن أي مرض كان وأي سفر كان فله أن يترخص تنزيلا للفظ المطلق على أقل أحواله وهذا قول
ابن سيرين يروى أنه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع أصبعه وعن داود أن الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان فرسخا وثانيها أنه
المرض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد وكذا السفر وهو قول الأصم وحاصله تنزيل اللفظ على أكمل أحواله وثالثها وهو قول الشافعي و
أكثر الفقهاء أنه الذي يؤدي إلى ضرر في النفس أو زيادة في العلة إذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه كالمحموم إذا خاف أنه لو صام تشتد
حماه والأرمد يخاف أن يشتد وجع عينه قالوا وكيف يمكن أن يقال كل مرض مرخص مع علمنا بأن في الأمراض ما ينفعه الصوم فالمراد إذن
ما يؤثر الصوم في تقويته ثم التأثير اليسير لا عبرة به والمرض المرخص لا يعرف فيه إلا بأن يعرف كونه كذلك بنفسه أو يخبره بذلك
طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا وأصل السفر من الكشف لأنه يكشف من أحوال الرجال وأخلاقهم وعن الزهري سمي مسافرا
لكشف قناع الكن عن وجهه وبروزه للأرض الفضاء قال الأوزاعي السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعي هو مقدر بستة عشر فرسخا
والواجب منه مسافة الإياب كل فرسخ ثلاثة أميال بأميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر أميال البادية كل ميل اثنا عشر
ألف قدم هي أربعة آلاف خطوة وإلى هذا ذهب أحمد ومالك وإسحق وذلك أن تعب اليوم الواحد يسهل تحمله بخلاف ما ذكره في يومين ثم
يناسب الرخصة ولما روى الشافعي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أهل مكة لا تقصروا في أدنى من أربعة برد من مكة إلى عسفان
قال أهل اللغة كل بريد أربعة فراسخ وروى الشافعي أيضا أن عطاء قال لابن عباس أقصر إلى عرفة فقال لا فقال إلى مر الظهران فقال لا ولكن أقصر إلى جدة
وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان أربعة برد وقال أبو حنيفة والثوري رخصة السفر تحصل في ثلاث مراحل
أربعة وعشرين فرسخا قياسا على المسح والإجماع على الرخصة في هذه المدة والخلاف فيما دون ذلك فينبغي المختلف فيه على أصل وجوب الصوم و
أجيب بأن قوله صلى الله عليه وسلم [illegible] لا يحصل الإقامة في أقل من يوم وليلة لأنه لو نوى الإقامة في موضع الإقامة ساعة لصار مقيما وكذا
قوله والمسافر ثلاثة أيام لا يوجب أن لا يحصل في أقل من ثلاثة أيام وأيضا الترجيح للإفطار لقوله صلى الله عليه وسلم في قصر الصلاة هذه صدقة تصدق
بها فاقبلوا صدقته وإنما قيل أو على سفر دون أن يقول مسافرا كما قال مريضا لأن السفر يتعلق بقصده واختياره حتى لو عزم على الإقامة في منزل [illegible]
لم يجز على قصد السفر فلا يبيح الإفطار وإن كان مسافرا وهذا بخلاف المرض فإنه صفة قائمة به إن حصلت حصلت وإلا فلا وعدة فعلة
بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون وعدة المراد من هذا وإنما قيل فعدة على التنكير ولم يقل بعدتها أي فعدة الأيام المعدودات للعلم بأنه
لا يؤثر عددا على عددها وإنه لا يبالي إلا بذلك العدد ظاهرا فأغنى ذلك عن التعريف بالإضافة والمعنى فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب أي فليصم
عدة وأخر جمع أخرى تأنيث آخر وإنه غير منصرف للصفة والعدل من آخر من كذا واعلم أن قوما من علماء الصحابة ذهبوا إلى أنه يجب على
المسافر أن يفطر وأن يصوم عدة من أيام أخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى قالا لو صام في السفر قضى في الحضر واختاره داود بن علي الأصفهاني
وهو مذهب الإمامية لأن قوله تعالى فعدة أي فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه ولأن قوله يريد الله بكم اليسر ينبئ عن إرادة الإفطار ولقوله عم
ليس من البر الصيام في السفر وفي رواية بدل لام التعريف ميم التعريف وقوله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وذهب أكثر الفقهاء إلى أن
هذا الإفطار رخصة فإن شاء أفطر وإن شاء صام لما يجيء من قوله تعالى وأن تصوموا خير لكم ولما روى أبو داود في سننه عن هشام بن عروة عن أبيه
عن عائشة رضي الله عنها أن حمزة الأسلمي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل أصوم في السفر فقال صم إن شئت وأفطر إن شئت قالوا
وفي الآية إضمار والتقدير فمن كان مريضا أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أخر كقوله أو به أذى من رأسه ففدية أي فحلق فعليه فدية ثم اختلفوا
فعن الشافعي وأبي حنيفة ومالك والثوري وأبي يوسف ومحمد أن الصوم أفضل وقالت طائفة الأفضل الفطر وإليه ذهب ابن المسيب و
الشعبي والأوزاعي وأحمد وإسحق وقيل أفضل الأمرين أيسرهما على المرء واختلف أيضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن أبي عبيدة بن الجراح
إن الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في قضائه إن شئت فواتر وإن شئت ففرق وعن علي كرم الله وجهه وابن عمر والشعبي
وغيرهم أنه يقضي كما فات متتابعا ويؤيده قراءة أبي فعدة من أيام أخر متتابعات قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه فيه ثلاثة أقوال الأول وهو
قول أكثر المفسرين أن المعنى وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم لكونهم مقيمين صحيحين إن أفطروا فدية هي طعام مسكين والفدية في معنى
الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشيء وإنه نصف صاع عند أهل العراق ومنهم أبو حنيفة نصف صاع من بر أو صاع من غيره وعند أهل الحجاز
ومنهم الشافعي مد من غالب قوت البلد لكل يوم ويصرف إلى الفقير أو المسكين قالوا كان ذلك في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد
عليهم فرخص لهم في الإفطار والفدية عن سلمة بن الأكوع لما نزلت وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من أراد أن يفطر يفطر ويفتدي
حتى نزلت فمن شهد منكم الشهر فليصمه فنسخها ومن قرأ [illegible] بإضافة الفدية إلى الطعام فالإضافة فيه كهي في قولك خاتم حديد ومن قرأ مساكين بالجمع
فلأن الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم يلزمه طعام مسكين لكل يوم والاعتبار بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث وسبعون درهما
وثلث درهم الثاني أن هذا راجع إلى المسافر والمريض وذلك أن المريض والمسافر منهم من لا يطيق أصلا وإليه الإشارة بقوله فمن كان منكم
مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ومنهم من يطيق الصوم مع الكلفة وهو المراد بقوله وعلى الذين يطيقونه قالوا وهذا أولى لئلا يلزم النسخ إذ الأول
نسخ التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق أقل من نسخ التخيير عنه وعن الصحيح المقيم الثالث أنه نزل في الشيخ الهرم عن السدي وعلى هذا
لا تكون الآية منسوخة ويؤيده قراءة ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة أي يكلفونه أو يقلدونه والتركيب
يستعمل فيمن يقدر على شيء مع ضرب من المشقة والكلفة وبعضهم أضاف إلى الشيخ الهرم الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما
واتفقوا على أن الشيخ إذا أفطر فعليه الفدية وأما الحامل والمرضع إذا أفطرتا فقال الشافعي عليهما الفدية والقضاء والفدية لكل يوم وقال
أبو حنيفة لا يجب إلا القضاء كالمريض ثم الجمع بين البدلين [illegible] بأن يطعم مسكينين أو أكثر أو يطعم المسكين الواحد أكثر من القدر الواجب
أو صام مع الفدية عن الزهري فهو أي التطوع خير له وأن تصوموا أيها المطيقون أو المطوقون وتحملتم مشاق الصيام خير لكم من الفدية وتطوع الخير
ويجوز أن ينتظم في الخطاب المريض والمسافر أيضا عند من يرى أن الصوم لهما أفضل إن كنتم تعلمون أن الصوم أشق عليكم وأن أجركم على قدر
نصبكم وتعلمون بأنه [illegible] أمره عباده العلماء ويعلمون ما في الصوم من الفوائد البدنية والأخروية عن علي كرم الله وجهه
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل الصوم لي وأنا أجزي به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف
فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وعنه صلى الله عليه وسلم أن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه

يؤدي إلى ما يخاف منه صح

ثم يوما وليلة لا يدل صح

احمد غيرهم

أحد غيرهم وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا
غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء وفضيلة الصوم ومنافعه
أكثر من أن تحصى ولو لم يكن فيه إلا التشبه بالملائكة والارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية إلى ذروة التشبه بالروحانيات المجردة لكفى به فضلا
ومنقبة هذا صوم الشريعة فأما صوم الطريقة فالإمساك عما حرم الله عز وجل والإفطار بما أباح وأحل وصوم الحقيقة الإمساك عن الأكوان والإفطار
بمشاهدة الرحمن صمت عن غيره فلما تجلى كان لي شاغل عن الإفطار وتشوفت مدة ثم لما زار لي [illegible] عن الإفطار قوله عز من قائل شهر رمضان
الشهر مأخوذ من الشهرة وعن مجاهد رمضان اسم الله تعالى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا جاء رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى
وعلى هذا شهر رمضان أي شهر الله والأكثرون على أنه اسم علم للشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية والألف والنون ثم اختلف في اشتقاقه
فعن الخليل أنه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر يأتي وقت الخريف ويطهر وجه الأرض عن الغبار سمي الشهر بذلك لأنه يطهر الأبدان عن أوضار الأوزار
وقيل من الرمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس على الأرض رمضاء وفي الكشاف الرمضان مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء سمي بذلك إما لارتماضهم
فيه من حر الجوع كما سموه ناتقا لأنه كان ينتقهم أي يزعجهم بشدته عليهم أو لأن الذنوب ترمض فيه أي تحترق وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
إنما سمي رمضان لأنه يرمض ذنوب عباده وكان هذا من قولهم رمضت النصل جعلته بين حجرين أملسين ثم دققته ليرق وعن الأزهري أنهم كانوا يرمضون
أسلحتهم فيه ليقضوا منها أوطارهم في شوال قبل دخول الأشهر الحرم وقيل إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها
فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمي بذلك وشهر رمضان يجمع على رمضانات وأرمضاء وإضافة الشهر إليه إضافة العام إلى الخاص ولو لم يتلفظ بالشهر
جاز كقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان إيمانا الحديث لأن التسمية وقعت برمضان فقط وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره الذي أنزل فيه القرآن أو على
بدل من الصيام كما في قوله تعالى كتب عليكم الصيام أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي أي الأيام المعدودات شهر رمضان وعلى هذين الوجهين يكون الموصول
مع صلته صفة لشهر رمضان قال أبو علي هذا أولى ليكون لفظ الأمر بصوم الشهر وإلا كان خبرا عن إنزال القرآن فيه وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان
أو على الإبدال من أياما أو على أنه مفعول وأن تصوموا وفي هذا الوجه تعسف من قبل الفصل بين أن تصوموا ومعموله بالخبر وفائدة وصف الشهر بإنزال القرآن
فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه وذلك أنه كما خص بأعظم آيات الربوبية ناسب أن يخص بأشق سمات العبودية فبقدر [illegible] النفس يترقى العبد
في مدارج الأنس ويصل إلى معارج القدس وتخرق له الحجب الناسوتية ويطلع على الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القرآن ويتبدل له العلم بالعيان وكانت
جبلته من العجائب ما كان وفي إنزال القرآن في رمضان أقوال فعن سفيان بن عيينة أنزل في فضله القرآن كما يقول أنزل في علي كذا وقال ابن الأنباري
أنزل في إيجاب صومه على الخلق القرآن كما تقول أنزل الله في الزكاة كذا أي في إيجابها وأنزل في الخمر كذا أي في تحريمها والقولان متقاربان أو هما واحد فإنه
لم ينزل سوى قوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الآيات واختيار الجمهور أن الله تعالى أنزل القرآن في رمضان عن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت
صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين ثم إنه لا شك أن القرآن قد نزل منجما مفرقا على
المصالح والوقائع فأولت الآية بأن المراد أنه ابتدئ فيه إنزاله وذلك ليلة القدر ومبادي الملل والدول هي التي يؤرخ بها لشرفها وانضباطها هذا قول محمد بن إسحق
أو أنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل إلى الأرض نجوما وليس ببعيد أن يكون للملائكة الذين هم سكان السماء الدنيا مصلحة في إنزال ذلك
إليهم وفيه مصلحة للرسول من حيث توقع الوحي عن أقرب الجهات ولعل فيه مصلحة لجبريل المأمور بالإنزال والتأدية ولا سيما على رأي الفلاسفة الذين جبريل
عندهم هو العقل الفعال الأخير الذي يدبر عالم الكون والفساد وخاصة نوع الإنسان وعلى هذا القول يحتمل أن يقال بأن الله تعالى أنزل كل القرآن
من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر ثم نزله على محمد صلى الله عليه وسلم منجما إلى آخر عمره ويحتمل أن يقال إنه سبحانه كان ينزل إلى السماء الدنيا
ليلة القدر كل سنة ما يحتاجون إليه في تلك السنة وكذلك أبدا إلى أن تم إنزاله وعلى هذا يكون تعيين رمضان الذي أنزل فيه القرآن نوعا لا تخصيصا هدى
للناس وبينات منصوبان على الحالية أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات من جملة ما يهدي إلى الحق ويفرق بينه وبين الباطل
من الكتب السماوية وذلك أن الهدى قسمان جلي مكشوف وخفي مشتبه فوصفه أولا بجنس الهداية ثم قال إنه من نوع البين الواضح ويحتمل أن يقال القرآن
هدى في نفسه ومع ذلك ففيه أيضا بينات من هدى الكتب المتقدمة فيكون المراد بالهدى والفرقان التوراة والإنجيل أو يقال الهدى الأول أصول الدين وكلية
فروعه [illegible] نقل الواحدي عن الأخفش والمازني أن الفاء في فمن شهد زائدة إذ لا معنى للعطف والجزاء ههنا وهذا وهم لظهور كونها للجزاء كأنه
قيل لما علمتم اختصاص هذا الشهر بفضيلة إنزال القرآن فيه فأنتم أيضا خصوه بهذه العبادة ومعنى شهد أي حضر ثم قيل إن مفعوله محذوف والشهر
منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر فالمعنى فمن شهد منكم
في الشهر المذكور المعلوم البلد أو المقام فليصم في الشهر وصاحب هذا القول ارتكب الإضمار حذرا من لزوم التخصيص في حق المسافر إلا أنه يلزمه ما فر منه أيضا
ذلك لأن الصبي والمجنون والمريض كل منهم شهد البلد مع أنه لا يجب عليه الصوم أما إذا قيل الشهر مفعول به مثل شهدت عصر فلان وأدركت زمانه
فلا يلزم منه إلا أحد الأمرين وهو التخصيص بقوله ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر فيكون أولى من الأول لأن الإضمار والتخصيص إذا تعارضا فالتخصيص
أولى فكيف إذا وقع الإضمار والتخصيص في جانب والتخصيص في جانب وحده هذا ما قاله الإمام فخر الدين الرازي معترضا به على صاحب الكشاف
وغيره قلت الإنصاف أن الترجيح مع صاحب الكشاف لأن لزوم الإضمار في الآية ممنوع وذلك أن شهد ههنا متروك المفعول كقولهم فلان يعطي
ويمنع ومعنى من شهد من كان على حالة الحضر سواء كان في البلد أو في منزل من المنازل ونوى الإقامة وأما التخصيص فمشترك على القولين إلا أنه على قول صاحب
الكشاف أقل لعدم دخول المسافر فيه فيكون أولى فإن قيل فعلى هذا يكون قوله بعيد ذلك أو على سفر تكرارا قلنا إنما أعيد ليرتب عليه حكم القضاء كالمريض
وأيضا لا يلزم من إيجاب الصوم على الحاضر عدم إيجابه على المسافر ولو سلم فبالمفهوم أولا وبالمنطوق ثانيا فأين التكرار وأما وضع المظهر وهو الشهر مقام
المضمر حيث لم يقل فمن شهده فاعتناء بشأنه وإعلاء لمكانه وتمكينا في القلوب وتعظيما في النفوس [illegible]
وهو أن قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه جملة شرطية وما لم يوجد الشرط بتمامه لم يترتب عليه الجزاء والشهر عبارة من أوله إلى آخره فظاهر الآية يقتضي
أن الصوم لا يجب عليه إلا بعد شهود الجزء الأخير وهو محال لأنه يقتضي إيقاع الفعل في الزمان المنقضي وأجيب بأن المراد من الشهر جزء من أجزائه
وهذا مجاز مشهور والمعنى من شهد جزءا من أجزاء الشهر فليصم كل الشهر ثم إن كان هذا الجزء من أول الشهر كما لو شهد هلال رمضان فهذا موافق لما نقل
عن علي كرم الله وجهه أن من دخل عليه الشهر وهو مقيم ثم سافر وجب أن يصوم الكل وأما سائر المجتهدين فيقولون هذا عام دخل فيه الحاضر والمسافر إلا أن قوله

٧ وذهب ... رمضان ... صح

ومن كان مريضا او على سفر بحقيقته وان كان في اثناء الشهر فيوافق قول ابي حنيفة ان المجنون اذا افاق في اثناء الشهر لزمه قضاء ما مضى قلت
لا حاجة لارتكاب التجوز وهو اطلاق لفظ الشهر على جزء من اجزائه ولا يلزم منه المحال المذكور اذ المراد من شهد الشهر جميع ولكن يجب قد وجد
منه الصوم في جميع الايام او المراد من عزم على كونه مقيما في الشهر بطبيعة ويعلم منه انه ان كان حاضرا في بعضه يتعلق ايجاب الصوم بذلك البعض
فقط بدليل قوله ومن كان منكم مريضا او على سفر فانه لما علم الوجوب للحاضر في كله والرخصة للمسافر في كله علم الحكمان جميعا للحاضر في بعضه والمسافر
في البعض الآخر فكل يوم مستقل بنفسه فيما يقتضيه والصوم فيه عبادة مستقلة وكان ما نقل عن علي كرم الله وجهه امر الزامي لحرمة الشهر كما لو ادرك
الحائض من اول الوقت قدر ما يسع تلك الصلوة وفي قول قدر ركعة وفي قول تكبيرة لزمها قضاؤها اذا طهرت وأما ان شهر رمضان بم يثبت
حتى يعتبر الشهود فيه فقد قال صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاستكملوا العدة يعني عدة شعبان ثلثين يوما
ومهما شهد عند القاضي عدل واحد انه رأى الهلال ثبت لما روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه لما رأى الهلال وحده فشهد عند النبي صلى الله عليه وسلم
فامر الناس بالصوم ولما روي ان عليا رضي الله عنه شهد عنده رجل على رؤية هلال رمضان فصام وقال صوم يوم من شعبان احب الي من ان افطر
يوما من رمضان وللاحتياط في امر العبادة ولا يثبت الهلال في سائر الشهور الا برؤية عدلين وعند ابي حنيفة لو يثبت هلال رمضان
في الغيم بواحد وفي الصحو يعتبر الاستفاضة واذا رأى في موضع شمل الحكم لمن هو على ما دون مسافة القصر منه ولا يجب الصوم بذلك على
عداهم يريد الله بكم اليسر معناه في اللغة السهولة ومنه اليسار للغنى لانه يتسهل به الامور وتيسر المقاصد واليد اليسرى لبقائها على اليسر
او لان الامور تسهل بمعاونتها اليمنى والعسر نقيضه وفي الصحاح قال عيسى بن عمر كل اسم على ثلثة احرف اوله مضموم واوسطه ساكن فمن العرب
من يثقله ومنهم من يخففه اوجب الصوم على سبيل السهولة لانه ما اوجب الا في مدة قليلة من السنة ثم ذلك القليل ما اوجبه على المريض والمسافر
وههنا يتحقق صدق قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء ومن كمال رأفته تعالى انه نفى الحرج اولا ضمنا بقوله يريد الله بكم
اليسر ثم نفاه صريحا بقوله ولا يريد بكم العسر والظاهر ان الالف واللام في اليسر والعسر يفيد العموم فيمكن ان يستدل به على عدم وقوع التكليف
بما لا يطاق والمعتزلة تمسكوا بالآية انه قد يقع من العبد ما لا يريد الله تعالى فان المريض لو حمل نفسه على الصوم حتى اجهده فقد فعل ما لم يرد الله
وكان لا يريد العسر واجيب بانا نحمل اللفظ على انه تعالى لا يأمره بالعسر وان كان قد يريد به العسر فان الامر عندنا قد يثبت بدون الارادة فكما
انه يجوز ان يأمر ولا يريد جاز ان يريد ولا يأمر قوله ولتكملوا اجمعوا على ان الفعل المعلل محذوف ففيه وجوه الفراء التقدير ولتكملوا العدة ولتكبروا الله
على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع جملة ما ذكر وهو الامر بصوم العدة وتعليم كيفية القضاء والرخصة في اباحة الفطر وهذا نوع من اللف لطيف
المسلك فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون اي ارادة
ان تشكروا علة الترخيص والتيسير وعن الزجاج ان المحذوف فعل امر مقدر قبله كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا والفرق ان حذف النون في الاول
النصب وفي هذا الجزم ولا يخفى ان قوله ولعلكم تشكرون يبقى في هذا الوجه غير مربوط بما قبله الا ان يقال انه في قوة ولتشكروا وفيه ايضا بعد ويحتمل
ان يقال ولتكملوا معطوف على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا وانما قيل لتكملوا العدة ولم يقل لتكملوا الشهر
ليشمل عدة ايام الشهر وعدة ايام القضاء جميعا وعدى فعل التكبير بعلى لتضمين معنى الحمد اي ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم والمراد بالتكبير قيل
انه تعظيم الله تعالى والثناء عليه شكرا على ما وفق لهذه الطاعة وتمام هذا التكبير انما يكون بالقول والاعتقاد والعمل فالقول ان يقر بصفات
العلى واسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق به من ند وصاحبة وولد وتشبيه بالخلق وكل ذلك لا يعتد به الا مع الاعتقاد القلبي واما العمل فالتعبد
بالاوامر والتبعد عن النواهي وهذا لا يختص بوقت استكمال عدة رمضان ولكنه شامل لجميع الاحيان وقيل هو تكبير الفطر وانه مشروع
لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر والاضحى رافعا صوته بالتهليل والتكبير حتى يأتي المصلى واول وقته في العيدين جميعا غروب
الشمس ليلة العيد وعن احمد ومالك انه لا يكبر ليلة العيد وانما يكبر في يومه لنا قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قال الشافعي
سمعت من ارضى به من اهل العلم بالقرآن يقول لتكملوا العدة اي عدة صوم رمضان ولتكبروا الله عند اكمالها واكمالها بغروب الشمس آخر يوم رمضان
واما آخر التكبير فاصح الاقوال انهم يكبرون الى ان يحرم الامام بصلوة العيد لان الكلام مباح الى تلك الغاية والتكبير اولى ما يقع به الاشتغال المسنون
في صفته ان يكبر ثلثا نسقا وبه قال مالك وقال احمد وابو حنيفة يكبر مرتين لنا الرواية عن جابر وابن عباس وايضا فانه تكبير موضوع شعارا للعيد
فكان وترا كتكبيرة الصلوة قال الشافعي رحمه الله وما زاد من ذكر الله فحسن واستحسن في الام ان يكون زيادته ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال على الصفا وهو الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر قال في الشامل والذي يقوله الناس لا بأس به ايضا وهو الله اكبر الله اكبر
لا اله الا الله والله اكبر ولله الحمد يرفع الناس اصواتهم بالتكبير في ليلتي العيد في المنازل والمساجد والطرق والاسواق سفرا كانوا او حاضرين وفي اليومين
في طريق المصلى وبالمصلى الى الغاية المذكورة سواء يصلي المكبر مع الامام او لا يصلي ويستثنى من ذلك الحاج فلا يكبر ليلة الاضحى واختلف في ان التكبير
في اي العيدين آكد ففي القديم ليلة النحر لاجماع السلف عليها وفي الجديد ليلة الفطر اكد للنص فيها قوله سبحانه واذا سألك عبادي عني وجه
النظام بما قبله هو انه لما امر العباد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر بشرهم على انه مطلع على ذكرهم وشكرهم فيسمع نداءهم ويجيب دعاءهم ولا يخيب رجاءهم او
امرهم بالثناء ثم رغبهم في الدعاء تعليما للمسئلة وتنبيها على حسن الطلب وسبب نزوله ما روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا
فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل كان في غزاة وقد رفع اصحابه اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء فقال صلى الله عليه وسلم لا تدعون اصم ولا غائبا انما
تدعون سميعا قريبا وعن قتادة ان الصحابة قالوا يا نبي الله كيف ندعو ربنا فنزلت وعن عطاء انهم سألوا في اي ساعة ندعو فنزلت وقيل لما فرض
عليهم الصيام كما كتب على الذين من قبلهم اي اذا ناموا حرم عليهم ما يحرم على الصائم فشق ذلك على بعضهم حتى عصوا ربهم في ذلك التكليف ثم ندموا
وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن توبتهم فنزلت مبشرة بقبول توبتهم ونسخ ذلك التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم وبهذا الوجه يتصل الآية
بما قبلها ولما بعدها ثم ان سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الله اما ان يكون عن ذاته بان يكون السائل ممن يجوز التشبيه فيسأل عن القرب والبعد
بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته بانه هل يسمع دعاءنا او عن افعاله بانه اذا سمع دعاءنا فهل يجيبنا الى مطلوبنا او كيف اذن في الدعاء
وهل اذن في ان ندعو بجميع الاسماء او ما اذن الا بان ندعو باسماء معينة وهل اذن ان ندعو كيف شئنا او ما اذن الا بان ندعو على وجه معين كما
قال ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وكل هذه الوجوه محتملة لان قوله فاني قريب يدل على ان السؤال كان عن الذات وقوله اجيب دعوة الداع دليل

والحمد لله كثيرا صح

وعن ابن عباس رضي الله عنه ان يهود اهل المدينة قالوا يا محمد كيف يسمع ربك دعاءنا فنزلت وعن الحسن ان الصحابة قالوا اين ربنا فنزلت صح

على

على ان السؤال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع والاطلاق قوله اذا دعان يرشد الى الاذن في الدعاء على اي ايراد ما لم يتجاوز قانون الادب
لقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قال العلماء ليس القرب ههنا بالمكان لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس ومنقسما اذ يمتنع ان يكون
في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد وكل منقسم مفتقر في تحققه الى اجزائه وكل مفتقر ممكن وايضا لو كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب
وهو محال فان كل بعد متناه ببرهان تناهي الابعاد او من جانب واحد فكذلك مع ان كونه بحيث يقتضي جانب منه عدم التناهي وجانب منه التناهي
يوجب كونه مركبا من اجزاء مختلفة الطبائع او يكون متناهيا من جميع الجوانب وهو باطل بالاتفاق وايضا فهذه الآية من اقوى الدلائل على ان الحق
ليس بجهة لانه لو كان في المكان لما كان قريبا من الكل بل لو كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرق كان بعيدا عن المغرب
قالوا فثبت ان المراد بالقرب قربه بالتدبير والحفظ والكلاءة قال في الكشاف هو تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة
من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم
وقد اشار بعض المحققين الى ان اتصاف ماهية الممكنات بوجودها لما كان بايجاد الصانع فهو كالمتوسط بين ماهياتها ووجوداتها فيكون اقرب الى ماهية
كل ممكن من وجود تلك الماهية اليها بل ماهية كل شيء انما صارت هي هي بجعل الصانع حتى ماهية الوجود فيه صار الجوهر جوهرا والسواد سوادا والعقل
عقلا والنفس نفسا فالصانع اقرب الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها قلت استصحاب المكان لا يوجب الافتقار الى المكان وان سلم ان المفتقر
الى المكان منقسم فانقسام كل مستصحب للمكان ممنوع وبراهين تناهي الابعاد مختلفة زيفناها في مواضعها فلا ذرة من ذرات العالم الا وهو بالنور محيط
بها قاهر عليها قريب منها اقرب من وجودها اليها لا بالعلم فقط ولا بمعنى التصنيع والايجاد فقط بل بضرب آخر لا يكشف المقال عنه غير الخيال مع ان التعبير
عن بعض ذلك يوجب شنعة الجهال شعر رمزت اليها حذار الرقيب وكتمان سر الحبيب حبيب اذا ما لاحت في نوره يقول لي ادع فاني قريب
ان سألوا اين ربنا صح الجواب باني قريب وان سألوا هل يسمع ربنا دعاءنا صح الجواب باني قريب وان سألوا كيف ندعو بالصوت ام باخفائه صح الجواب
باني قريب وان سألوا هل يعطينا مطلوبنا بالدعاء صح في الجواب فاني قريب وان سألوا اذا اذنبنا ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صح ان يجاب
باني قريب اي بالنظر اليهم والتجاوز عنهم واعلم ان الدعاء مصدر دعوت ادعو وقد يكون اسما تقول سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا وحقيقة الدعاء استدعاء
العبد ربه جل جلاله العناية واستمداد المعونة قال بعض الظاهريين لا فائدة في الدعاء لان المطلوب به ان كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب
الوقوع والا فلا لان الاقدار سابقة والاقضية جارية وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد فيها شيئا ولا ينقص ولان المقصود ان كان من مصالح العبد
فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه ولان اجل مقامات الصديقين الرضاء بالقضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء
ينافي ذلك ولان الدعاء شبه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب ولهذا ورد في كلام القدسي من شغله قراءة القرآن عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي
السائلين وقال جمهور العقلاء ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين ودأب الانبياء والمرسلين فالقرآن ناطق بصحته والسنن
والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه وقدره غائبة عن العقول
والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة
علم الله تعالى وجريان قضائه وقدره وما روي عن جابر انه جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الآن ففيم العمل
اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له
وكل عامل بعمله منبه على ما قلنا فانه صلى الله عليه وسلم علقهم بين الامرين رهبهم بسابق القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر فقال كل ميسر
لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حيوته للعمل الذي سبق به القدر قبل وجوده الا انك تحب ان تعلم الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تغرق في لجة القضاء والقدر
وكذا القول في باب الرزق والكسب والحاصل ان الاسباب والوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائل في قضاء الحاجات
الدعاء والالتماس كما في الشاهد فلعل الله تعالى قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلا بد ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ولم يكن
شيء من ذلك خارجا عن قانون القضاء السابق وناسخ الكتاب المسطور ومن فوائد الدعاء اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار
وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات نقصان الامكان والافلاس عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض الاستكانة والحاجة والفاقة
ولهذا ورد من لم يسأل الله يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفا بالله تعالى وعالما بانه لا يفعل الا ما وافق مشيئته وسبق به قضاؤه وقدره دعا
على النمط المذكور من غير ان يكون في دعائه حظ من حظوظ النفس الامارة راجيا بما عند الله من الخير خائفا من الاقدام على موقف السائلين
وان يكون استجابة على صورة الاستدراج كان دعاؤه خليقا بالاجابة وجديرا بالقبول وان تعود بركته عليه قال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله
بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الآخرة واما ان يكفر عنه ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل
قالوا يا رسول الله فكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ادعوا الله
وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله ببطون اكفكم
ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم واما شرائط الدعاء فمنها بعد ما مر من الاخلاص وغيره تزكية البدن واطابة الطعمة الحلال وذكر النبي
صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني
يستجاب لذلك وذكر المحققون ان الدعاء مفتاح باب السماء واسنانه لقمة الحلال واما وقت الدعاء ففي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وعن ابي
امامة قيل يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء بين الاذان
والاذان والاقامة لا يرد وزاد في رواية قالوا فماذا نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا الدعاء وعنه انه صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب
فليكثر الدعاء في الرخاء وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله
فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتي لانصرنك ولو بعد حين واما كيفية الدعاء فعن فضالة بن عبيد ان النبي صلعم
سمع رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء موقوف بين السماء والارض

ربنا ابرع الصوت [uncertain]

والمستقبل [uncertain]

فقال النبي صلى الله عليه وسلم

حتى يصلي علي فلا تجعلوني كقدح الراكب صلوا علي اول الدعاء واوسطه وآخره ومن لطائف الآية انه تعالى قال فاني قريب دون ان يقول قل اني قريب كما قال في سائر الاسولة والاجوبة وذلك في مواضع من كتابه ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يسئلونك عن الساعة قل انما علمها عند الله وهذه الاسولة اصولية يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويستنبئونك احق هو قل اي وربي ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا وكأنه سبحانه يقول عبدي انت انما تحتاج الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك وايضا في مقام السؤال قال عبادي وهذا يدل على ان العبد له وفي مقام الاجابة قال فاني قريب وهذا يدل على انه للعبد وايضا لم يقل العبد مني قريب بل قال اني قريب منه اشارة الى انه ما للتراب ورب الارباب والعالم يعني من حضيض الامكان الذاتي الى ذروة الوجود والبقاء بفضل الواجب لذاته فليستجيبوا لي اجاب واستجاب بمعنى يقال استجابه واستجاب له اي فليطلبوا امري اذا دعوتهم للايمان والطاعة وليؤمنوا بي او ليعزموا على الاستجابة وليؤمنوا كما في اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم ارادة ان يكونوا من الراشدين المهتدين الى مصالح دينهم ودنياهم فان طاعة الله تعالى هي المستتبعة للخيرات عاجلا وآجلا من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى وحاصل الكلام انا اجيب دعاءكم مع اني غني عنكم على الاطلاق فكونوا انتم مجيبين دعوتي مع افتقاركم الي من جميع الوجوه وفيه نكتة وهي انه تعالى لم يقل اجيبوا دعائي حتى اجيب دعاءكم كيلا يصير المذنب محروما عن هذا الاكرام بل قال انا اجيب دعاءك على جميع تلك الحالات ايضا فاجيبوا دعائي وهذا يدل على ان نعمه تعالى شاملة ورحمته كاملة يعم المطيعين والكاملين والناقصين وقيل الدعاء في الآية هو العبادة لما روي عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كقوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقيل المراد من الدعاء التوبة وذلك ان التائب يدعو الله عند التوبة الاسلام روي عن ابن عباس انه لما نزل كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كانوا اذا صلوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب وصاموا الى القابلة فاختان رجل فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر فاراد الله ان يجعل ذلك يسرا لمن بقي ورخصة ومنفعة وعن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم يأكل ليلته ويومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري او صرمة بن قيس او قيس بن عمرو على اختلاف الروايات كان صائما فلما حضر الافطار اتى امرأته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءت امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت احل لكم ففرحوا فرحا شديدا وابو مسلم خالف الجمهور بناء على مذهبه من انه لم يقع في القرآن نسخ البتة احتج الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه ايجاب الصوم على هذه الامة بايجابه على من قبلهم فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعنا كما كانت في شرعهم واذا كانت الحرمة ثابتة فهذه الآية رافعة لها ناسخة لحكمها ومنع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول المشابهة في كل الامور فلعلهم انما كانوا يمتنعون من الاكل والشرب والوقاع اعتقادا منهم بقاء تلك الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا مع جواز كونها مباحة في نفس الامر ومع قيام هذا الاحتمال كيف بالحرمة فلا جزم بالنسخ ومنها قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى الخيانة قيل ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت قال ابو مسلم اصل الخيانة النقص وخان واختان وتخون بمعنى واحد مثل كسب واكتسب وتكسب والمعنى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظها من اللذات لا من الثواب والخير ومنها قوله فتاب عليكم وعفا عنكم والتوبة والعفو لكونهما بعد المعصية وارتكاب المحرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان والعفو التسهيل والتوسعة والتخفيف قال صلى الله عليه وسلم عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل اربعين درهما درهم وقال اول الوقت رضوان وآخره عفو الله والمراد التخفيف بتاخير الصلوة الى آخر الوقت ويقال اتاني هذا المال عفوا اي سهلا فمعنى عاد عليكم بالرحمة ووسع عليكم باباحة هذه الاشياء المحرمة على الذين من قبلكم واما الروايات فاخبار آحاد لا يوجب شيء منها حمل القرآن على النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ احل لكم ليلة الصيام قال الواحدي اراد ليالي الصوم فوضع الواحد موضع الجمع ويمكن ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف والرفث الجماع والرفث ايضا الفحش من القول وكلام النساء في الجماع وقيل لابن عباس حين انشد شعر وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا ارفث وانت محرم فقال انما الرفث ما روجع به النساء وكنيا اي شيئا لنا وليس ثم امرأة اي ان تصدق الفال ننكها وقال ابو علي بمعناه الفرج ويقال جامع الرجل وناك فاذا اردت الكناية عن هذه العبارة قلت رفث الرجل وانما كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء والغشيان واللمس ونحوها كما في مواضع اخر وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء الى قوله وخلوا بهن فأتوا حرثكم فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة والبيان كما سماه اختيانا لانفسهم قال الاخفش انما عدى الرفث بالى لتضمنه معنى الافضاء في قوله فقد افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما يعتنقان فيضم جسد احدهما الى جسد صاحبه ويشتمل عليه كالثوب قال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن زيد كل منهما ساتر صاحبه عن الابصار عند الجماع قال الجعدي شعر اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او سميا لباسا لستر كل منهما صاحبه عما لا يحل كما في الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه او المراد تستره بها عن جميع المفاسد التي تقع في البيت لو لم يكن المرأة حاضرة كما يستر الانسان بلبسه عن الحر والبرد وكثير من المضار وعن الاصم ان كل واحد منهما كاللباس الساتر للآخر في ذلك المحظور الذي كانوا يفعلونه ورتب بان هذه القرينة واردة في معرض الانعام لا في مقام الذم ووحد اللباس اما لانه جنس واما لانه مصدر لابس وضع موضع الفعلة وموقع قوله هن لباس لكم استيناف لانه كالبيان لسبب الاحلال فان مثل هذه المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم الله ظهر معلومه او هو عالم ولم يذكر في الآية ان الخيانة فيماذا الا ان الذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تأخر هو مثله فالآن باشروهن فتعين ان يكون المراد الخيانة في الجماع ومن المعلوم ان كل واحد منهم لم يختانوا فالخطاب لبعضهم وكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لانه جلب اليها العقاب

ونقص

ونقص حظها من الثواب وقيل ان الآية لا تدل على وقوع الخيانة منهم وانما المراد علم الله انكم بحيث لو دام هذا التكليف تختانون لضعفكم وقلة صبركم فوسع الامر عليكم حتى لا تقعوا في الخيانة فتاب عليكم من القاء الفضيحة اي فتنتم وقبل توبتكم وعلى قول ابي مسلم لا اشكال فالآن باشروهن تأكيد لقوله احل لكم وفيه ضرب من البيان لان حل الرفث في ليلة الصيام لا يوجب حله في جميع اجزائها حتى الصباح والجمهور على ان المراد بالمباشرة ههنا الجماع سمي بهذا الاسم لتلاصق البشرتين فيه ومنه ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا يباشر الرجل الرجل والمرأة المرأة وانما قلنا المراد بها الجماع لان السبب في هذه الرخصة كان وقوع الجماع من القوم ولان الرفث اريد به ذلك الا ان اباحة الجماع يتضمن اباحة ما دونه فنقل ونقل عن الاصم ان المراد بها الجماع وغيره ورجح القول لفظا واما المباشرة في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فلا يعود النزاع فيها الى اللفظ لان المنع عن الجماع لا يدل على المنع مما دونه من الاستمتاعات وابتغوا ما كتب الله لكم قيل وقضى او كتب في التزوج من الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن الغرض الاصلي من التناكح هو التناسل قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا وقيل هو نهي عن العزل فقد وردت الاخبار في كراهية ذلك وعن الشافعي لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا بأس ان يعزل عن الامة وعن علي كرم الله وجهه انه كان يكره العزل وقيل اطلبوا المحل الذي حلله الله لكم كقوله فأتوهن من حيث امركم الله وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد ان كانت محرمة عليكم وعن ابي مسلم وابتغوا المباشرة التي كان الله كتبها لكم وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل يعني لا تباشروهن الا في الاوقات والاحوال التي اذن الله لكم في مباشرتهن دون اوقات الحيض والنفاس والعدة والردة وقيل اي لا تبتغوا المباشرة الا من الزوجة والمملوكة وهو الذي كتب في القرآن الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وعن معاذ بن جبل وابن عباس في رواية ابي الجوزاء اطلبوا ليلة القدر وما كتب الله من الثواب لكم ان اصبتموها واحييتموها بعضهم وليس ببعيد فان نزوع الفكر بسبب الشهوة المشوشة قد يمنع عن الاخلاص في العبودية ولا يتفرغ المكلف حينئذ لطلب ليلة القدر التي هي حاصل صوم رمضان فقال سبحانه فالآن باشروهن لتفرغوا لطلب الغاية من صيامكم والله اعلم بمراده وعن عدي بن حاتم قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر من الليل ولا يستبين لي فلا استبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار وسواد الليل كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك عن بلاهة عدي وقلة فطنته وفي الصحيحين ايضا عن سهل بن سعد نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعد من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل والنهار واعلم ان تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تأخيره عن وقت الخطاب فجائز عند الاكثرين ولما كان من مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض على اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما يمتد معه من غبش الليل قال ابو داود شعر فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا والسدفة الظلمة المخلوط بالضياء اقتصر على الاستعارة اولا ثم لما اشتبه الامر على بعض من لا دربة له باللغة العربية نزل من الفجر بيانا للخيط الابيض واستغني عن الخيط الاسود لان بيان احدهما يستتبع بيان الآخر وخرج الكلام من الاستعارة الى التشبيه البليغ كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فالاستعارة وان كانت ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة من حيث انها استعارة كما بين في موضعها الا ان رفع الالتباس عن المكلفين اهم واولى فالفصاحة في هذا المقام ترك الاستعارة وليس هذا من باب تأخير البيان عن وقت الحاجة على الاطلاق لان المخاطبين ههنا في البيان ما نقلوا عن درجة الاعتبار لان فهم المعنى عن اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى العارف بقوانين العرب واستعمالاتهم لا بالنسبة الى الاغبياء نعم التفهيم يعم البليد والذكي والله المستعان ولا تبعيض الى الوهم لان المشبه بالخيط الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه يبدو فيه بادرة الى الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق وهو ايضا انما يبدو دقيقا ولكن يرتفع مستطيرا اي منتشرا في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال الفصل المشترك بين ما يبدو من الضياء اي الشفق وبين ما هو مظلم بعد ان شبه خيطين لتصاعد ضيائه فالذي انتهى اليه الضياء خيط ابيض والذي ابتدأ منه الظلام خيط اسود وقد سبق تقرير الصبح في تفسير قوله تعالى واختلاف الليل والنهار فليتذكر قيل ويجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لانه بعض الفجر واوله ولا شك ان حتى لانتهاء الغاية فدلت الآية على ان حل المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح واستدل بهذا على جواز صوم من يصبح جنبا وبقوله ثم اتموا الصيام الى الليل على ان الصوم ينتهي عند غروب الشمس لان ما بعد الى ليس داخلا فيما قبلها وخاصة اذا لم يكن من جنسه بل على حرمة الوصال ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد غربت الشمس وافطر الصائم فيجب على المكلف ان يتناول في هذا الوقت شيئا وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الوصال فقيل يا رسول الله انك تواصل فقال اني لست مثلكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام الجنة او اني على ثقة بان لو احتجت اطعمني من الجنة او انكم اعطيت قوة من طعم وشرب والتحقيق ان استغراقه في مطالعة جلال الله يشغله عن الالتفات الى الغذاء فاذا تناول شيئا قليلا ولو قطرة من ماء فيعد ذلك كان بالجنان في الاستيفاء الا ان يخاف التقصير في الصوم لسائر نفعه او في سائر العبادات فيلزم حينئذ ان يتناول بمقدار الحاجة وقد تمسك الحنفي الى في جواز النية في نهار رمضان لان مدة الامساك هو النهار فقط فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا الدليل صحة الفرض بنية بعد الزوال الا انا او قال نحو بالاغلب فابطلنا الصوم بنية بعد الزوال وصححناه بنية قبله حجة الشافعي قوله صلى الله عليه وسلم من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له وروي من لم يبيت وانما جوز في النفل ان ينوي قبل الزوال لانه صلى الله عليه وسلم كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل من غداء فان قالوا لا قال اني اذا صائم اراد اني اذا الصائم وايضا قال الحنفي يجب اتمام الصوم النفل لقوله اتموا والامر للوجوب الشافعي يقول وهذا عقيب الفرض فيختص واعلم انه سبحانه خصص بالذكر من المفطرات الرفث والاكل والشرب لان النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر استنبطت من الآية او استفيدت من السنة منها الاستمناء لان الايلاج من غير انزال يبطل فالانزال بنوع شهوة اولى وكذا الانزال باللمس او القبلة دون الفكر والنظر بشهوة لانه يشبه الاحتلام وعند مالك الانزال بالنظر مفطر وعند احمد ان كرر النظر حتى انزل افطر ومنها الاستقاءة لقوله صلى الله عليه وسلم من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقض ومنها دخول الشيء جوفه في منفذ مفتوح سواء كان فيه قوة محيلة تحيل الواصل اليه من غذاء او دواء او لا كالحلق وجوف وكذا باطن الدماغ والبطن والامعاء والمثانة لما روي عن ابن عباس ان الفطر مما دخل والوضوء مما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط اذا وصل الى الدماغ ولا بأس بالاكتحال وليست العين من الاجوف وانه صلى الله عليه وسلم اكتحل في رمضان وهو صائم وعن مالك واحمد انه اذا وجد في الحلق طعمه افطر والتقطير في الاذن اذا وصل الى الباطن كالسعوط وكذا في الاحليل وان لم يصل الى المثانة ولا بأس بالفصد والحجامة لكن يكره خيفة الضعف

احتجم صلى الله عليه وسلم وهو صائم محرم في حجة الوداع . وقال احمد يفسد الصوم بالحجامة . ولو داوى رأسه او بطنه فوصل الى جوفه فشرب المسام
لم يفطر كالاغتسال والانغماس عند الشافعي ولا بد ان يكون الواصل من قصد منه فلو طارت ذبابة الى حلقه او وصل غبار الطريق او غربلة الدقيق
الى جوفه لم يفطر ولو فتح فاه عمدا ... او وجئ بالسكين او اوجر بغير اختياره فلا افطار وكذا لو كان مغمى
عليه فاوجر معالجة ولو اكره حتى اكل بنفسه افطر ولا اثر لدفع الضرر كما لو اكل او شرب لدفع الجوع او العطش وعند احمد لا يفطر
وابتلاع الريق الصرف الطاهر من الفم لا يفطر والنخامة ان لم يحصل في حد الظاهر من الفم لم يفطر وان حصلت فيه بانصبابها من الدماغ الى الثقبة النافذة
منه الى اقصى الفم فوق الحلقوم فان قدر على مجه ولم يمج حتى جرى بنفسه بطل صومه لتقصيره والا فلا . واذا تمضمض فسبق الماء الى جوفه او استنشق فوصل
الماء الى دماغه لم يفطر على الاصح ان لم يبالغ وبه قال احمد وعند ابي حنيفة ومالك يفطر وان بالغ افطر وفاقا قال صلى الله عليه وسلم للقيط بن صبرة بالغ
في الاستنشاق الا ان تكون صائما ولو بقي طعام في خلل اسنانه فابتلعه عمدا افطر خلافا لابي حنيفة سواء اذا كان يسيرا او زيادة قدره بالحمصة وان جرى
الريق من غير قصد منه لم يفطر على الاصح ولا بد ايضا في وصول العين من ذكر الصوم فاذا اكل ناسيا فان قل لم يفطر لقوله صلى الله عليه وسلم
من نسي وهو صائم فاكل او شرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه . وخالف مالك وان كثر افطر . ولو جامع ناسيا للصوم فالاصح انه لا يبطل
كما في الاكل ولو اكل على ظن ان الصبح لم يطلع بعد وان الشمس قد غربت وكان غالطا لم يجز به صومه على الاشهر لانه تحقق خلاف الظن واليقين مقدم
على الظن . ثم ان كان الصوم واجبا قضى وان كان تطوعا فلا قضاء والاحوط في اخر النهار ان لا ياكل الا بعد تيقن غروب الشمس لان الاصل بقاء النهار
ولو اجتهد وغلب على ظنه دخول الليل بورد او غيره فالاصح جواز الاكل وقد افطر الناس في زمان عمر ثم انكشف السحاب وظهرت الشمس واما في اول
النهار فيجوز الاكل بالظن والاجتهاد الى طلوع الفجر لان الاصل بقاء الليل فان قيل ان اول الفجر كيف يدرك ويحس ومتى عرف المترصد الطلوع كان الطلوع
الحقيقي متقدما عليه فيجاب اما بان المسئلة موضوعة على التقدير كدأب الفقهاء في امثالها واما بانا متعبدون بما نطلع عليه ولا معنى للصبح الا ظهور الضوء
للناظر وما قبله لا حكم له كالزوال عند زيادة الظل واذا كان الشخص عارفا بالاوقات ومنازل القمر وكان بحيث لا حائل بينه وبين مطلع
الفجر وترصد فمتى ادرك فهو اول الصبح المعتبر وحينئذ يحرم المفطرات وعن الاعمش انه يحل الاكل والشرب والوقاع الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار
على آخره وجعل الخيط الابيض وقت الطلوع والخيط الاسود ما قبله من آخر الليل ومن الناس من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما انه
لا يجوز الاكل الا الى طلوع الفجر وهذه المذاهب قد انقرضت والفقهاء اجمعوا على بطلانها يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفة يعوده فقال له انك
لتثقل على قلبي وانت في بيتك فكيف اذا زرتني فسكت عنه ابو حنيفة فلما خرج قيل له لم سكت عنه قال ما اقول في رجل ما صام وما صلى في دهره يعني
انه كان يأكل بعد الفجر الثاني قبل طلوع الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من الانزال فلا صلوة له واعلم ان في الآية ترتيبا عجيبا ونسقا انيقا
وذلك ان الرفث لما كان من اشنع الامور التي يجب الامساك عنها في رمضان حتى قال بعض الناس انه كان حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قدح في نفسه
الخيانة كما ترى الاخبار قدم اباحته او الاثم بين السبب في اباحته ثم وبخ المختانين في شانه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ثم اعيد ذكر اباحته
ليرتب عليه الغرض الاصلي من الرفث وهو طلب النسل ولتعطف عليه اباحة الاكل والشرب جميع ذلك الى آخر جزء من اجزاء الليل ثم لما بين مدة الافطار
وما ابيح فيها بين مدة الصوم الذي هو المقصود الاصلي وتلك المدة هي ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم والليلة اعني
من اول الفجر الصادق الى غروب الشمس ثم لما كان زمان الاعتكاف يستثنى من ذلك لانه فهم من الآية ان الامساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان
لا بليله ولا بسائر ايام السنة ولياليها عقب اباحة الرفث فيما سوى نهار رمضان بحظره في حالة الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
قال الشافعي الاعتكاف حبس النفس على شيء برا كان او اثما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تعالى تقربا
وهو من الشرائع القديمة قال تعالى وطهرا بيتي للطائفين والعاكفين وللائمة خلاف في المراد من المباشرة ههنا فعن الشافعي في اصح قوليه ووافقه
ابو حنيفة واحمد انها الجماع ومقدماته المفضية الى الانزال لان الاصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين فالمنع من هذه الحقيقة ما دام في المعتكف وحين
يخرج لحاجة ولم يتم مدة الاعتكاف منع عن القبلة والمعانقة وكل ما فيه تماس البشرتين خالفنا الدليل فيما اذا لم ينزل من هذه الامور لتبين عدم الشهوة
فيها وقد علم ان اللمس بغير شهوة جائز لانه صلى الله عليه وسلم كان يدني رأسه من عائشة لترجل رأسه وهو معتكف فبقي اباحة الشهوة على اصل
المنع احتج من قال انها لا تبطل الاعتكاف بان هذه الامور لا تبطل الصوم والحج فلا تفسد الاعتكاف لانه ليس اعلى درجة منهما واجيب بان النص
مقدم على القياس واتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه متميز عن سائر البقاع من حيث انه بني لاقامة الطاعات
ثم اختلفوا فعن علي رضي الله عنه انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى طهرا بيتي للطائفين والعاكفين اي لجميع العاكفين وعن عطاء انه في مسجد
المدينة لقوله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وعن حذيفة فيهما او في مسجد بيت المقدس
لقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا وعن الزهري لا يصح الا في الجامع ابو حنيفة لا يصح
الا في مسجد له امام راتب ومؤذن راتب الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد الا ان الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلاة
الجمعة ولا خلاف ان الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم الشافعي نعم لانه عاكف والله تعالى منع العاكف من المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا
لما كان ممنوعا وايضا لو كان الاعتكاف موجبا للصوم لم يصح الاعتكاف في رمضان لان ذمته مشغولة بالصوم الواجب لشهود الشهر فلا يمكنه اشتغال
الصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على صحة الاعتكاف في رمضان وايضا لو نوى وما يخرج المعتكف عن اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم لكنه
لا يخرج وايضا روي ان عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز الصوم
في الليل ابو حنيفة هو لا يجوز لانه يجب الصيام في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كحكم في الصلوة حال الاعتكاف وهو ان الصلوة لما لم يجب
فيه بالنذر بالاجماع لم يجب بغير النذر ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف متقاربان فكل منهما كف وامساك والصلوة افعال مباشرة لا مناسبة بينها
وبين الاعتكاف فلا يجعل احدهما وصفا للآخر فلهذا قلنا انه لو نذر ان يعتكف صائما او يصوم معتكفا لزمه كلاهما والجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا
او يصلي معتكفا لزمه كلاهما دون الجمع بينهما ويتفرع على المذهبين انه يجوز ان ينذر اعتكاف ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فلا يجوز اقل من يوم
بشرط ان يدخل قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس قال الشافعي هو واجب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف تلك حدود الله
اشارة الى جميع ما تقدم من اول آية الصيام الى ههنا لا الى عدم المباشرة في الاحكام وحده لانه حد واحد اللهم الا ان يراد امثال تلك الحدود وحد
الشيء مقطعه ومنتهاه وحد الدار ما يمنع غيرها ان يدخل فيها والحد الكلام الجامع المانع وحد الله ما منع من مخالفتها بعد ان قدرها بمقادير مخصوصة وصفات

[illegible]
شربه غيرنا عند الله ويقنع به فيدفع ذلك الشارب الى ابائها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مواهب الحق وشراب
مشاهده وهو معنى ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن تطوع خيرا لمن زاد في الغذاء اي كما نظر من شرب وسقى من شرب آخر فذي ذلك الشرب
ايضا اي تركه الى ان يصير شربه ترك المشارب كلها وداوم الصوم كقوله وان تصوموا خير لكم فينزل فيه حقائق القرآن وهذا معنى قوله شهر رمضان
الذي انزل فيه القرآن فيكون على مأدبة الله لا بمعنى انه يأكل من المأدبة فانه دائم الصوم ولكن المأدبة تأكله حتى تفنيه عن وجوده وتبقيه بشهوده فيلو
خلعة القرآن وحينئذ يفرق بين الوجود الحقيقي والوجود المجازي كما قال وبينات من الهدى والفرقان فيقال له الصبيت فالزم وهو معنى قوله فمن شهد
منكم الشهر فليصمه قال ابو يزيد نادوا انى ربي وقال اتركك الا ان فالزم بذلك رمضان يرمض ذنوب قوم رمضان ورمضان الحقيقي يحرق
وجود قوم رمضان اسم من اسماء الله اي حضر مع الله فليمسك عن غيره يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما في الطرق
من الرياضة والمجاهدة كالطبيب يسقي دواء مرا فمراده حصول الصحة لا ذائقة مرارة الدواء وايضا كل ميسر لما خلق له لو لم يرتب العسر لم يجعلنا
طالبين لليسر شعر لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلب ولتكملوا عدة انواع الغوايات بجذبات يريد الله عقول الى
الكمال واحاطة الوهم والخيال قوله سبحانه احل لكم ليلة الصيام اعلم ان للانسان تلونا في الاحوال فتارة يكون بحكم غلبات الصفات الروحانية
في ضياء نهار الواردات الربانية وحينئذ الصوم عن الحظوظ الانسانية وهو حالة الشكر وتارة يكون بحكم الدواعي والحاجات البشرية مردودا
الى ظلمات الصفات الحيوانية وهذه حالة الصحو نعمة الله تعالى بها كشف الاستار وطلوع شموس الاسرار الصوم وقيه عما سواه وبليلة اسبال
استار الرحمة ليسكنوا بها ويستريحوا بها كما من الله تعالى بقوله قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الاية ويعني بالرفث الى النساء التمتع بالحظوظ
الدنيوية التي يتصرف النفس فيها تصرف الرجال في النساء هن لباس لكم اي الصفات والحظوظ الانسانية يسترنكم يحميكم عن حرارة شموس
الجلال كيلا تحرقكم سطوات التجلي وانتم لباس لهن تسترون معايب الدنيا بالاموال الصالحة واستعمال الاموال على قوانين الشرع والعقل نعم
المال الصالح للرجل الصالح فالآن باشروهن بقدر الحاجة الضرورية وابتغوا بقوة هذه المباشرة ما كتب الله لكم من المقامات العلية وكلوا واشربوا
في ليالي الصحو حتى يتبين لكم آثار انوار الحق فالاحوال تنقسم الى بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب وجمع وفرق واخذ ورد وكشف وستر
وسكر وصحو واثبات ومحو وتلوين وتمكين كما قيل شعر كان شيئا لم يزل اذا اتى كان شيئا لم يكن اذا مضى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اي
في مقامات القربة والانس وفيه اشارة الى انه يجب ان يكون الاشتغال بالضروريات من حيث الصورة ويكون الاسرار والارواح
الحق وهو مقام اهل التمكين فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف والعكوف وبالدخول فيها يا اهل الكسوف والخسوف الله حسبي

ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون

و مخورید مالهای شما را در میان شما بی وجه شرع و میندازید کار آنرا بحاکمان تا بخورید بعضی را از مالهای مردم بگواهی دروغ یا سوگند دروغ و شما میدانید

يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها

می پرسند ترا از حال ماههای نو بگو آن ماهها نشان وقتهاست مردمان را و حج را ونیست نیکویی آنکه آیید بخانها در وقت احرام از پس خانها

ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون

ولیکن نیکویی نیکی کسی است که پرهیزکاری نمود و بیایید بخانها از درهای آن و بترسید از خدای و طاعت نمایید تا رستگاری یابید

القراءة البيوت بضم الباء ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والبرجمي وهشام غير الحلواني الباقون
بكسر الباء الوقوف تعلمون ه عن الاهلة ط للفصل بين السؤال والجواب والحج ط لابتداء حكم آخر مع النفي من اتقى ج لعطف الجملتين المختلفتين
ابوابها ص لعطف المتفقتين تفلحون ه التفسير لما كان الصوم منتهيا الى الافطار والافطار يتضمن الاكل ناسب ان يردف حكم الصيام بحكم ما يبيح
الاكل وما لا يبيح وايضا لما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقبه بذكر السؤال عن حال الاهلة قال الامام الغزالي في الاحياء المال يحرم اما لمعنى
في عينه او لخلل في جهة اكتسابه والاول اما ان يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما المعادن والنبات فلا يحرم شيء منها الا ما يزيل العقل
او الحياة او الصحة وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وسائر المسكرات واما الحيوان فينقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وما يؤكل
فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا واذا ذبح فلا يحل جميع اجزائه بل يحرم منه الدم والفرث وكل ذلك مذكور في كتب الفقه والثاني وهو ما يحرم لخلل في جهة اثبات

ايه عليه لنقول فيه اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لايكون ماخوذا من مالك كالمعادن
واما ان يكون ماخوذا من مالك وذلك اما ان يوخذ قهرا او بالتراضي والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنايم او لاستحقاق
الاخذ كزكوة الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يوخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يوخذ بغير عوض
كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة **الاول** ما لا يوخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار
والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لايكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين **الثاني** الماخوذ قهرا ممن لاحرمة له وهو الفيء والغنيمة وساير
اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منه الخمس وقسموه بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوه من كافر له حرمة واما ان وعهد **الثالث**
الماخوذ قهرا لاستحقاق عند امتناع من عليه فيوخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر على المستحق
الرابع ما يوخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظ الايجاب والقبول مع ما تعبد
الشرع به من اجتناب المفسدة **الخامس** ما يوخذ بالرضا من غير عوض كما في الهبة والوصية والصدقة اذا روعي شرط المعقود عليه
وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يوذ الى ضرر بوارث او غيره **السادس** ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو حلال اذا كان المورث
قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكوة
والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مداخل الحلال وما سوى ذلك فحرام لايجوز اكله وكذا ان كان من هذه الجهات وصرف في غير
المصارف الشرعية كالخمر والزمر والزنى واللواط والميسر والسرف المحرم وكل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل

[illegible]

[illegible]

من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية الالهية للزاهدين مواقيت اورادهم وللصديقين مواقيت مراقباتهم والحج اشارة الى ايام
بحكم الوقت عليهم من غير اختيارهم لمن كان وقته الصحو كان قيامه بالشريعة ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة فان تجلى لهم
بوصف الجلال طاشوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فليس للمحبين وقت الا اوقات محبوبهم كما ليس لهم وصف الا اوصاف محبوبهم والله اعلم

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ۝ واقتلوهم حيث ثقفتموهم
[illegible]
واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه
[illegible]
فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ۝ فان انتهوا فان الله غفور رحيم ۝ وقاتلوهم
[illegible]
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ۝ الشهر الحرام بالشهر الحرام
[illegible]
والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله
[illegible]
مع المتقين ۝ وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين ۝
[illegible]

القراءة ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلي وخلف الباقون من باب المقاتلة وقيل انه من جملة ما كتب في المصحف بغير الف
كالرحمن الوقوف ولا تعتدوا ط المعتدين ٥ من القتل ج للعارض بين الجملتين المتفقتين فيه ج لابتداء الشرط مع الفاء فاقتلوهم ط
الكافرين ٥ رحيم ٥ الدين لله ط لتبدل الحكم الظالمين ٥ قصاص ط لان الاعتداء خارج عن اصل الوجب ودفعه ما اعتدى عليكم ص لعطف

[illegible]

ليقاتلوكم ان الله لا يحب المعتدين المتجاوزين عما شرع الله لهم في الصحاح ثقفته اي صادفته وفي الكشاف الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة
ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال شعر فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود امر في الاية الاولى بالجهاد بشرط اقدام الكفار
على القتال وفي هذه الاية زاد في التكليف فامر بالجهاد معهم سواء قاتلوا اولم يقاتلوا واستثنى عنه المقاتلة عند المسجد الحرام وسمي حراما لانه ممنوع ان
ان يفعل فيه ما منع من فعله واصل الحرمة المنع من حيث اخرجوكم اي من الموضع الذي اخرجوكم وهو مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم
منهم يوم الفتح او اخرجوهم من منازلهم كما اخرجوكم من منازلكم وقد اجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين من المدينة بل قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب
والمراد بالاخراج تكليفهم الخروج قهرا او تخويفهم وتشديد الامر عليهم حتى اضطروا الى الخروج والفتنة عن ابن عباس انها الكفر بالله لانه فساد في الارض
يؤدي الى الظلم والهرج وفيه الفتنة وايضا الكفر ذنب يستحق العقاب الدائم بالاتفاق والقتل ليس كذلك والكفر يخرج به صاحبه عن الامة ...

[illegible]

ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله ابتهر لنفسه ونشط وهان عليه ما دعي اليه والباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا
التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها اخذة بايديكم مالكة لكم وقيل الايدي الانفس كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت يداك اي لا تلقوا انفسكم الى التهلكة وقيل
بل ههنا حذف اي لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها عن ابي عبيدة والزجاج ان التهلكة
والهلاك والهلك واحد ولم يوجد مصدر على تفعلة بضم العين سوى هذا الا ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان
التنضبة للشجر والتتفلة لولد الثعلب ويجوز ان يقال اصلها التهلكة بالكسر كالتجربة والتبصرة على انها مصدر من هلك مشدد العين فابدلت من الكسرة
ضمة كما جاء الجوار في الجوار وليس الغرض من هذا التكلف على ظن تصحيح لفظ القرآن كيف يحكم بفصاحته فانه اجل من ان يحتاج في تصحيحه الى الالحاق
بكلام الفصحاء من البشر وكيف لا وهو حجة على غيره وليس لغيره ان يكون حجة عليه وانما الغرض الضبط والتسهيل على ... والمفسرين في هذا الالقاء

[illegible]

من اشد فان اشتهوا بان فنيت ما لابد لها فلا تغلوا في مجاهدتها الشهر الحرام اي ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بتوالي النفس واعمالها عليها
فما فاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم فمن اعتدى فكل صفة غلبت واستولت فعالجوها بضدها البخل بالسخاء والغضب بالحلم والحرص بالزهد و
الشهوة بالعفة واتقوا الله في ... الاوراد والتفريط ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالتفريط في الحقوق ... النفوس ... الغرور

واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم
مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر
من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب

[illegible]

القراءة من راسه وكذلك الباس والكاس كلها بغير همزة ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف الوقوف لله
لان عارض الاحصار خارج عن موجب الاصل من الهدي ج لعطف المختلفين محله ط لابتداء حكم كفارة الضرورة او نسك ج لان اذا للشرط
مع الفاء وجوابه محذوف اي فاذا امنتم من خوف العدو وضعف المرض فاذا امنتم وقفه لتحقق الحذف ولابتداء الشرط من الهدي ج رجعتم ط
كاملة ط الحرام ط العقاب ه التفسير الحج في اللغة القصد كما في قوله فمن حج البيت او اعتمر وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة وهي على ثلثة
اقسام اركان وابعاض وهيئات لان كل عمل يفرض فيه فاما ان يتوقف التحلل عليه وهو الركن او لا يتوقف فاما ان يجبر بالدم وهو البعض او لا يجبر ...

وهو النية والاركان عند الشافعي خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وحلق الرأس او التقصير وخالف ابو حنيفة في السعي ولا مدخل للجبران في الاركان واما الابعاض اعني الواجبات المجبورة بالدم فالاحرام من الميقات والرمي والوقوف بعرفة الى الليل والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وفي طواف الوداع خلاف واما الهيئات فالاغتسال وطواف القدوم والرمل والاضطباع في الطواف وفي السعي واستلام الركن وتقبيله والسعي في موضع السعي والمشي في موضع المشي والخطب والاذكار والابعاض ولا دم في تركهما واما في العمرة فما سوى الوقوف من اركان الحج اركان فيها ثم ان قوله عز من قائل واتموا امر بالاتمام وهل هذا الامر مطلق او مشروط فالشافعي على انه مطلق والمعنى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام والكمال وابو حنيفة على انه مشروط والمعنى من شرع فيه فليتمه كما اذا كبر للصلوة لزمه الاتمام واجبا كان او تطوعا وفائدة الخلاف تظهر في العمرة فانها واجبة على المعنى الاول دون الثاني حجة الشافعي ان الاتمام قد يراد به فعل الشيء تاما كاملا كقوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن اي اداهن على التمام والكمال وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل اي افعلوا الصيام تاما الى الليل وهذا اولى من تقدير الكلام اذا شرعتم فاتموه لان الاصل عدم اضمار هذا الشرط ولان المفسرين اجمعوا على ان هذه اول الاية نزلت في الحج فحملها على الايجاب يكون تاسيسا اولى من حملها على الاتمام بشرط الشروع فانها تكون حينئذ تبعا ولانه قرئ واقيموا الحج والعمرة والشاذ يصلح للترجيح وان لم يصلح للقطع كخبر الواحد ولان الوجوب المطلق يستلزم الاتمام والاتمام بشرط الشروع لا يستلزم اصل الوجوب فتاويلنا اكثر فائدة فيكون اولى وايضا انه حج واعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج ولو لم تكن العمرة واجبة لكان الاشبه ان يبادر الى الحج الذي هو واجب وقال تعالى يوم الحج الاكبر وفيه دليل على وجود حج اصغر وما ذاك الا العمرة بالاتفاق لكن الحج واجب على الاطلاق لقوله ولله على الناس حج البيت فيدخل فيه الاكبر والاصغر حجة ابي حنيفة قصة الاعرابي الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اركان الاسلام فعلمه الصلوة والزكوة والحج والصوم فقال الاعرابي لا ازيد على هذا ولا انقص فقال النبي صلى الله عليه وسلم افلح الاعرابي ان صدق وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس الحديث ولم يذكر العمرة واجيب بان العمرة حج اصغر فيدخل في مطلق الحج قالوا روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة اواجبة هي ام لا فقال لا وان تعتمر خير لك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الحج جهاد والعمرة تطوع واجيب بانها اخبار آحاد فلا تعارض القرآن وايضا لعل العمرة ما كانت واجبة حين ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاحاديث ثم نزل بعدها واتموا الحج وذلك في السنة السابعة من الهجرة وايضا انها معارضة باخبار تدل وجوبها روى النعمان بن سالم عن عمرو بن اوس عن ابي رزين انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابي شيخ كبير ادرك الاسلام ولا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن قال صلى الله عليه وسلم حج عن ابيك واعتمر امر بهما والامر للوجوب وروي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وحمله على انهما يقترنان في الذكر تكلف وعن عمر ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وحمله على ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما لا يخلو من تعسف قالوا قرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع وكانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج في الوجوب واجيب بان الشاذة لا تعارض المتواترة وبانها ضعيفة من حيث العربية لعطف الاسمية على الفعلية والخبرية على الطلبية وبان كون العمرة عبادة لله لا ينافي وجوبها واعلم ان لاداء النسكين وجوها ثلثة الافراد والتمتع والقران فالافراد ان يحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة والقران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج بان ينويهما بقلبه معا وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج عليها يصير قارنا والتمتع هو ان يحرم بالعمرة من ميقات بلده في اشهر الحج ويأتي باعمالها ثم يحج في هذه السنة من مكة سمي تمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام بينهما بعد التحلل من العمرة وقبل الاحرام بالحج وانه ايضا يربح ميقاتا لانه لو احرم بالحج من ميقات بلده لكان يحتاج بعد فراغه من الحج الى ان يخرج الى ادنى الحل فيحرم بالعمرة منه واذا تمتع استغنى عن الخروج لانه يحرم بالحج من جوف مكة ولا خلاف بين الائمة الا انه في جواز هذه الوجوه وانما الخلاف في الافضلية فقال الشافعي افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران وقال في اختلاف الحديث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالك والامامية بل قالوا لا يجوز لغير حاضري المسجد الحرام العدول عن التمتع الا بضرورة وقال ابو حنيفة القران افضل ثم الافراد ثم التمتع وهو قول المزني وابو اسحق المروزي وقال ابو يوسف ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعي في افضلية الافراد قوله واتموا الحج والعمرة وذلك ان العطف يقتضي المغايرة وانما تحصل عند الافراد واما عند القران فالموجود شيء واحد هو حج وعمرة معا وايضا الاعمال عند الافراد اكثر فيكون الثواب اكثر وذلك هو الفضل ولما روى مسلم عن انس انه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لعابها يسيل على كتفي فسمعته يقول لبيك بعمرة وحجة معا وما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم افرد الحج وكذا روى جابر وابن عمر وقد رجح الشافعي رواية عائشة وجابر وابن عمر على رواية انس بانهم اعلم واقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقدم صحبة وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت قيل حجة القائلين بافضلية القران ان القران مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك المسارعة الى احدهما فيكون افضل لقوله وسارعوا واجيب بانا لا نقول الحجة المفردة بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة لكنا نقول من اتى بالحج في وقته ثم بالعمرة في وقتها فمجموع هذين الامرين افضل من الاتيان بالحجة المقرونة واختلف في تفسير الاتمام في قوله تعالى واتموا فعن علي رضي الله عنه وابن عباس وابن مسعود ان اتمامهما ان تحرم من دويرة اهلك وقال ابو مسلم المعنى ان من نوى الحج والعمرة لله وجب عليه الاتمام قال ويدل على صحة هذا التاويل ان الاية نزلت بعد ان منع الكفار النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الماضية عن الحج والعمرة فالله تعالى امر رسوله في هذه الاية بان لا يرجع حتى يتم الغرض ويعلم منه ان تطوع الحج والعمرة كفرضهما في وجوب الاتمام وقال الامام المراد اتمام الاداب المعتبرة فيهما وهي على عشرة على ما ذكر في الاحياء الاول في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه مع التوسع في الزاد والرفق بالفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل او يكتريها الثاني الاخوان والرفقاء الصالحين يودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في ادعيتهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك الثالث اذا هم بالخروج صلى ركعتين يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وبعد الفراغ يتضرع الى الله بالاخلاص الرابع اذا حصل على باب الدار قال بسم الله وبالله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله وكلما كانت الدعوات اكثر كان اولى الخامس اذا ركب قال بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون السادس في النزول والسنة ان يكون اكثر سيره بالليل ولا ينزل حتى يحمى النهار واذا نزل

[illegible]

قلنا لا يلزم من عدم القدح وجود المباينة وقيل انه منع المرض خاصة وهو باطل بالدلائل المذكورة وزيادة وهي ان المفسرين اجمعوا على ان سبب نزول الاية ان الكفار احصروا النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية وان اختلفوا في ان الاية هل نزلت قبل ذلك السبب ام لا الا انهم اتفقوا على ان خروج ذلك السبب غير جائز ثم في الاية اضمار ان والتقدير فان احصرتم وتحللتم اراد التحلل فعليكم ما استيسر وما استيسر اي تيسر مثل استعظم وتعظم واستكبر وتكبر اما على اعتبار الاول فلان نفس الاحصار لا يوجب هديا وانما الموجب هو التحلل او نية التحلل واما على اعتبار ان في فلان قوله ما استيسر اما مرفوع على الابتداء وخبره محذوف او منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج وهي شيء محشو تحت دفتي السرج جدي وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي وهذه لغة تميم ومعنى الهدي ما يهدى الى بيت الله تقربا اليه بمنزلة الهدية عن علي وابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة فعليه ما تيسر من هذه الاجناس والمحصر المحرم اذا اراد التحلل وذبح وجب ان ينوي التحلل ولا يتحلل البتة قبل الذبح واكثر الفقهاء على ان حكم العمرة في الاحصار حكم الحج وعن ابن سيرين انه لا احصار فيها لانها غير موقتة ورد بان قوله تعالى فان احصرتم مذكور عقيب الحج والعمرة فكان عائدا اليهما وبانه صلى الله عليه وسلم تحلل بالاحصار عام الحديبية وكان معتمرا واجد الاحصار قالت العلماء لو منعوا ولم يتمكنوا من المسير الا ببذل مال فلهم ان يتحللوا ولا يبذلوا المال وان قل اذ لا يجب احتمال الظلم في اداء الحج بل يكره البذل ان كان الطالبون كفارا والاكثرون على انه لا يجب القتال على الحجيج وان كان العدو كفارا وان كان في مقابلة كل مسلم اقل من مشركين ولو قاتلوا فلهم لبس الدروع والمغافر لكنهم يفدون كما لو لبسوا المخيط لدفع حر او برد ولا فرق على الاصح في جواز التحلل بين ان يمنعوا من المضي دون الرجوع او يمنعوا من جميع الجوانب لانهم يستفيدون بالتحلل الامن من العدو الواجه ولو صد عن طريق وهناك طريق اخر وجد واشترط الاستطاعة فيه لزمهم سلوكه ولم يكن لهم التحلل في الحال واذا سلكوه ففاتهم الحج لحزونته او لطوله تحللوا بعمل عمرة ولا يلزمهم القضاء على الاظهر من قولي الشافعي لانهم بذلوا المجهود وهم قضاء واكمل القصد ودين مطلقا ثم لو استوى الطريقان من كل وجه وجب القضاء لان الموجود فوات محض وفي قوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله حذف لان الرجل لا يتحلل ببلوغ الهدي محله بل لا يحصل التحلل الا بالنحر فالتقدير حتى يبلغ الهدي محله وينحر وانما جاز تذكير الهدي لان كل ما يفرق بين واحده وجمعه بالتاء وعدمه جاز تذكيره وتانيثه قال تعالى اعجاز نخل منقعر وفي موضع آخر اعجاز نخل خاوية والمحل بكسر الحاء اسم للزمان الذي يحصل فيه الحل ومنه محل الدين لوقت وجوب قضائه او اسم للمكان قال الشافعي يجوز اراقة دم الاحصار لا في الحرم بل حيث حبس وقال ابو حنيفة لا يجوز ذلك الا في الحرم يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة حجة الشافعي انه صلى الله عليه وسلم احصر بالحديبية نحر هناك واجيب بان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة ورد بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله فان هذه الاية صريحة في انهم نحروا الهدي في غير الحرم وايضا قوله فان احصرتم يتناول كل من كان محصرا سواء كان في الحل او الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب النحر فيجب ان يكون المحصر قادرا على اراقة الدم حيث احصر وايضا التحلل موقوف على النحر فلو توقف النحر على وصوله الى الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا يناقض ما هو المقصود من شرع الحكم وهو تخليص النفس من العدو في الحال وايضا لو كان الموصل الى الحرم هو المحصر فكيف يؤمر بهذا الفعل مع قيام الخوف وان كان غيره فقد لا يجد ذلك الغير حجة ابي حنيفة ان المحل عبارة عن مكان الحل وقوله حتى يبلغ الهدي محله يدل على انه غير بالغ في الحال الى ذلك المكان واجيب ان لفظ المحل يشمل الزمان والمكان الا ان قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وقوله هديا بالغ الكعبة يزيل احتمال الزمان والبيت لنفسه لا يراق فيه الدماء فيتعين ان يكون هو الحرم واجيب بان كل ما وجب على المحرم في ماله من بدنة وجزاء وهدي فلا يجزي الا في الحرم لمساكين اهله الا اذا عطب الهدي فينحر في طريقه ويخلي بينه وبين المساكين الا اذا احصر فانه ينحر هديه حيث حبس بالدلائل المذكورة قالوا الهدية لا يكون هدية الا

بعثها الى دار الهدى اليه فالهدى كذلك ورد بان هذا النسك بالحسم وهو محمول على الافضل عند القدرة والمحصر اذا كان عادما للهدى فهل له بدل
ينتقل اليه للشافعي فيه قولان احدهما لا بدل له ويكون الهدى في ذمته ابدا وبه قال ابو حنيفة لانه تعالى اوجب له الهدى وما اثبت له بدلا وعلى هذا
لو اذا يتحلل فيه قولان اصحهما انه يتحلل في الحال كما لو صام بدله كيلا يعظم المشقة والاخر واليه ميل ابي حنيفة انه يقيم على احرامه حتى يجد القول الثاني
ان له بدلا وهذا اصح وبه قال احمد قياسا على سائر الدماء الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذلك البدل الاصح الطعام لان قيمة الهدى اقرب اليه
من الصيام واذا لم يرد النص الا بالهدى فالرجوع الى الاقرب الى الاقرب اولى ثم الصيام عن كل مد يوما وفي قول صوم المتمتع عشرة ايام وقيل
صوم الاذى ثلاثة ايام وبالجملة فالاية دلت على ان المحصرين لا ينبغي لهم ان يحلوا فيتحللوا ورؤسهم الا بعد تقديم ما استيسر من الهدى كما انه امرهم ان
لا يناجوا الرسول الا بعد تقديم الصدقة وسمى حتى يبلغ الهدى محله حتى تنحروا هديكم حيث حبستم او حتى تعلموا ان الهدى الذي بعثتموه الى الحرم
بلغ مكانه الذي يجب ان تنحر فيه اي الحرم ولكن الافضل في الحج منى وفي العمرة المروة ولابد من نية التحلل عند الذبح لان الذبح قد يكون للتحلل وقد يكون
لغيره فلا بد من قصد صارف فان كان معه هدي واعين البيت دون اطراف الحرم فهل له ان يذبح في الحل اصح الوجهين عند الشافعي ان له ذلك
واذا احصر فتحلل نظران كان نسكه تطوعا فلا قضاء عليه وبه قال احمد ومالك لان الصحابة الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا الفا واربعمائة والذين
اعتمروا معه في عمرة القضاء كانوا نفرا يسيرا ولم يأمر الباقين بالقضاء وقال ابو حنيفة عليه القضاء وان لم يكن نسكه تطوعا نظران لم يكن
مستقرا عليه كحجة الاسلام فيما بعد السنة الاولى من سني الامكان وكالنذر والقضاء فهو باق في ذمته كما كان كما لو شرع في صلوة ولم يتمها
بقي في ذمته ومهما احصر بمرض ونحوه وقد صححنا بالاية فحكم الهدى ما مر في الاحصار بالعدو وان صححناه بان كان قد شرط التحلل به اذا عرض فهل
يلزمه التحلل فان كان قد شرط التحلل بالهدى فنعم وان كان قد شرط التحلل بلا هدي فلا وكذا ان اطلق على الاظهر لمكان الشرط قوله عز
من قائل فمن كان منكم مريضا قيل انه مختص بالمحصر وذلك انه قبل بلوغ الهدى محله ربما لحقه مرض او اذى في رأسه ان صبر فالله تعالى اذن له
في ازالته وذلك المؤذي بشرط بذل الفدية والاكثرون على انه كلام مستأنف في كل محرم لحقه مرض في بدنه فاحتاج الى علاج او اذى في رأسه
فاضطر الى الحلق والنسك العبادة وقرئ بالتخفيف وقيل جمع نسيكة وهي الذبيحة قال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة
منها نسكة ثم قيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف العبادات
التي يتقرب بها الى الله واتفقوا في النسك على ان اقله شاة كما في الاضاحي واما الصيام والاطعام فليس في الاية ما يدل على كميتهما وكيفيتهما وبما ذا
يحصل بيانه فيه قولان احدهما وعليه اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفة ان بيانه في حديث كعب بن عجرة قال حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة قلت لا قال صم ثلثة ايام واطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف
صاع من طعام واحلق رأسك فنزلت فيّ خاصة وهي لكم عامة وثانيهما عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة ايام والاطعام مثل
ذلك في القدر قال العلماء ومن قد يحوج الى اللبس او الى الطيب او الدهن وفي كل منها نوع استمتاع فالحقوا الفدية بكل هذه المحظورات بعدية الحلق
لاشتراك الجميع في الترفه والحاصل انه يدخل فيه كل محظورات الاحرام سوى الجماع ففيه بدنة ثم بقرة ثم سبع شياه ثم طعام بقيمة البدنة ثم صيام بعدد
الامداد كما يجيء في قوله تعالى فلا رفث وسوى الصيد ففيه الجزاء على ما يجيء تفصيله في المائدة وفي هذه الاية ايضا اضمار اي فحلق فعليه فدية فاذا
امنتم فان كان معناه الامن بعد الخوف وقبل التحلل فجواب الشرط وهو فاسعوا محذوف وان كان معناه اذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فقوله
فمن تمتع الشرط مع الجزاء جواب الشرط الاول ولا وقف على امنتم ومعنى التمتع التلذذ واصله الطول حبل ماتع اي طويل وكل من طالت صحبته مع الشيء
فهو متمتع به وقد عرفت معنى التمتع بالعمرة الى الحج وهو ان يقدم مكة فيعتمر في اشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك والتمتع
بهذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وما روي ان عمر رضي الله عنه خطب وقال متعتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انهى عنهما واعاقب عليهما
متعة النساء ومتعة الحج ذكر الائمة ان تلك المتعة هي ان يجمع بين الاحرامين ثم يفسخ الحج الى العمرة ويتمتع بها الى الحج وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اذن لاصحابه في ذلك ثم نسخ وعن ابي ذر انه قال ما كانت متعة الحج الا لنا خاصة يعني الركب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان
السبب فيه انهم كانوا لا يرون العمرة في اشهر الحج ويعدونها من افجر الفجور فلما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ابطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه
بان نقلهم في اشهر الحج من الحج الى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه غيرهم فلهذا المعنى كان فسخ الحج في اشهر الحج خاصا بهم ومعنى التمتع بالعمرة
الى الحج انه يتمتع بمحظورات الاحرام بسبب اتيانه بالعمرة الى اوان الحج وقيل استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل
الانتفاع بتقربه بالحج ولوجوب الدم على المتمتع شروط منها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام وتمام الكلام فيه عما قريب ومنها ان يحرم بالعمرة من الميقات فان جاوزه مريد النسك ثم احرم بها وان كان الباقي اقل من مسافة القصر
فليس عليه دم التمتع ولكن يلزمه دم الاساءة وان كان الباقي مسافة القصر فعليه دمان ومنها ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج فلو احرم وفرغ
من اعمالها قبل اشهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدى لانه اشبه الافراد ولو احرم بها قبل اشهر الحج واتى بجميع افعالها في اشهره فاصح قولي الشافعي انه
لا يلزمه الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج لتقدم احد اركان العمرة وهو الاحرام فاذا وقع بعض الاعمال قبل اشهر الحج فعدم وجوب الدم
اولى وعن مالك انه اذا حصل التحلل في اشهر الحج وجب الدم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر اعمال العمرة في الاشهر كان متمتعا ومنها ان يقع الحج
والعمرة في سنة واحدة فلو اعتمر ثم حج في السنة القابلة فلا دم عليه سواء اقام بمكة الى ان حج او رجع وعاد لان الدم انما يجب اذا زاحم بالعمرة حجة
في وقتها وترك الاحرام بحجة من الميقات مع حصوله في الامكان ولم يوجد وعن سعيد بن المسيب قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعتمرون في اشهر الحج واذا لم يحجوا في عامهم ذلك لم يهدوا ومنها ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان عاد الى الميقات الذي انشأ
العمرة منه واحرم بالحج فلا دم عليه لانه لم يربح ميقاتا وفي اشتراط نية التمتع وجهان اصحهما لا يشترط كما لا يشترط نية القران وهذا لان الدم منوط بربح احد
السفرين ولا يختلف ذلك بالنية وعدمها ويخالف اشتراط نية الجمع بين الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كما هي وقت الحج فهي وقت العمرة
بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى لا يجوز له ان يأكل منه وذهب ابو حنيفة الى انه نسك وقال الشافعي الى الاول لما روي
ان عثمان كان ينهى عن المتعة فقال له علي رضي الله عنهما اعمدت الى رخصة اتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للغريب للحاجة فابطلتها فسمى المتعة رخصة
وهذا دليل النقص ايضا التمتع تلذذ وانه ينافي العبادة لانها مشقة وتكليف وايضا انه تعالى اوجب الهدى على المتمتع بلا توقيت ولو كان نسكا
كان موقتا وايضا الصوم فيه مدخل ودم النسك لا يبدل بالصوم والكلام في مراتب هذه الهدى كما مر وينبغي ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن في السادسة

منه او دم نسك حتى يجوز ان يأكل منه

وكذا البقر

وكذا البقر وهو الطاعن في السنة الثالثة ويجزي كل من الابل والبقر عن سبعة شركاء والتي تصير على الغنم فليكن ثني المعز وهو الذي دخل في الثالثة او جذع
الضأن وهو الطاعن في السنة الثانية يستوي في هذا الباب الذكر والانثى ويستحب ان يذبح يوم النحر ولو ذبح بعد ما احرم بالحج جاز لان التمتع قد تحقق فترتب
عليه الهدى جبرا له وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة على الاصح لانه حق مالي تعلق بسببين وهما الفراغ من العمرة والشروع في الحج فاذا وجد احدهما
جاز اخراجه كالزكوة والكفارة وعند ابي حنيفة لا يجوز بناء على انه نسك كدم الاضحية فيختص بيوم النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد الهدى وقيس عليه
او لم يجد ما يشتريه به او بيع بثمن غال فعليه صيام ثلثة ايام في الحج قال الشافعي اي بعد الاحرام بالحج لانه تعالى جعل الحج ظرفا للصوم ولا يصلح سائر افعال
الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام وايضا قبل الاحرام بالحج ليس وقتا للهدى الذي هو الاصل فكذا البدل وقال ابو حنيفة اي في وقت الحج وهو اشهره فيجوز
ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة وبه قال احمد في رواية وفي اخرى قال يجوز بعد التحلل من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيئا منها في يوم النحر ولا في ايام التشريق
كما مر في الصوم ويستحب ان يصوم الايام الثلاثة قبل يوم العرفة فان الاحب للحاج يوم عرفة ان يكون مفطرا كيلا يضعف عن الدعاء واعمال الحج ولم
يصمه النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة بل يروى انه صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة ويحكى عن ابي حنيفة ان الشخص ان كان لا يضعف
فالاولى ان يصوم حيازة للفضيلتين وليعلم مما ذكر انه يستحب ان يحرم بالحج قبل يوم عرفة بثلثة ايام ليصوم فيها واما الواجد للهدى فيستحب له ان يحرم
يوم التروية بعد الزوال متوجها الى منى لما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا توجهتم الى منى فاهلوا بالحج واذا فاته صوم الايام الثلثة
في الحج لزمه القضاء عند الشافعي لانه صوم واجب فلا يسقط بفوات وقته كصوم رمضان واذا قضاها لم يلزمه دم خلافا لاحمد وعند ابي حنيفة
يسقط الصوم بالفوات ويستقر الهدى في ذمته وسبعة اذا رجعتم للشافعي في المراد من الرجوع قولان اصحهما الرجوع الى الاهل والوطن لما روي
عنه صلى الله عليه وسلم قال للمتمتعين من كان معه هدي فليهد ومن لم يجد فليصم ثلثة في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والثاني ان المراد منه
الفراغ من اعمال الحج وبهذا قال ابو حنيفة واحمد كانه بالفراغ رجع عما كان مقبلا عليه من الاعمال وعلى الاصح لو توطن مكة بعد فراغه من الحج صام بها
وان لم يتوطنها لم يجز صومه بها ولا في الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية على وقتها ثم اذا لم يصم الثلثة في الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم
العشرة عند الشافعي وهل يجب التفريق في القضاء بين الثلثة والسبعة الاصح عند امام الحرمين وطائفة وبه قال احمد انه لا يجب لان التفريق في الاداء
يتعلق بالوقت فلا يبقى حكمه في القضاء كالتفرق في الصلوات المؤقتات والاصح عند اكثر اصحاب الشافعي وجوب التفريق كما في الاداء ويفارق تفريق
الصلوات فان ذلك التفريق يتعلق بالوقت وهذا يتعلق بالفعل وهو الحج والرجوع وما قدر ما يقع به التفريق اصح الاقوال التفريق باربعة ايام وقدر
امكان مسيرة اهله على العادة الغالبة بناء على اصلين سبقا احدهما ان التمتع ليس له صوم ايام التشريق الثاني ان المراد بالرجوع الرجوع
الى اهله تلك عشرة كاملة طعن فيه بعض الملحدين ان هذا من ايضاح الواضحات لان من المعلوم بالضرورة ان الثلثة والسبعة عشرة وايضا قوله كاملة
يوهم ان ههنا عشرة غير كاملة وهو محال فذكر العلماء من فوائده ان الواو في قوله وسبعة ليس نصا قاطعا في الجمع بل قد يكون للاباحة بمعنى او كما في قوله
مثنى وثلاث ورباع وكما في قولك جالس الحسن وابن سيرين لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا فقد ذكر نفيا لتوهم الاباحة وايضا فائدة
الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحيط به علم الاحاطة وكفى به افادة وايضا المعتاد ان البدل اضعف حالا من المبدل كالتيمم
مع الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل كامل في كونه قائما مقام المبدل وهما في الفضيلة سواء وذكر العشرة لصحة التوصل به الى هذا الوصف اذ لو اقتصر على السبعة لكان
جاز ان يعود الى الثلاثة او الى السبعة وايضا قوله تلك عشرة كاملة جرى مجرى التخصيص الذي يتطرق الى كثير من العمومات في الشرع ويصرف الكلام الى التنصيص
وايضا ان مراتب الاعداد ثلاث الاحاد والعشرات والمات وهذه من وسطها فكانه قال انما اوجبت هذا العدد لكونه موصوفا بصفة التوسط والكمال
وايضا التوكيد طريقة مسلوكة في كلام العرب يعرف منه كون المذكور مما يعتد به اهتماما ففيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها
وايضا ان الخطاب مع العرب ولم يكونوا اهل حساب فبين الله تعالى ذلك بيانا قاطعا كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال في الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم اشار
بيديه ثلث مرة اخرى وامسك ابهامه في الثالثة تنبيها بالاشارة الاولى على الثلثين وبالثانية على التسعة والعشرين وايضا فيه ازالة الاشتباه والتصحيف
الذي يمكن ان يتولد من تشابه سبعة وتسعة في الخط وايضا يحتمل ان يراد كاملة في الاجزاء حتى لا يتوهم انها بسبب التفريق غير مجزئة كما لا يجري في كفارات
الظهار والقتل ووقاع رمضان الا الصوم المتتابع وايضا يحتمل ان يكون خبرا في معنى الامر اي فلتكن تلك الصيامات كاملة لتسد الخلل ويكون الحج
تاما كاملا كما قال واتموا الحج والعمرة لله واعلم ان الصوم مضاف الى الله تعالى في قول النبي صلى الله عليه وسلم الصوم لي وانا اجزي به والحج ايضا مضاف اليه
تعالى في الاية واتموا الحج والعمرة لله وكما دل النقل على هذا الاختصاص فالعقل ايضا دل على ذلك اما الصوم فلانه عبادة لا يطلع عليها الا الله سبحانه
وهو مع ذلك شاق على النفس جدا واما الحج فلانه عبادة لا يطلع العقل البتة على وجوه الحكمة فيها وهو مع ذلك شاق جدا لانه يوجب مفارقة الاهل
والولد ويقتضي التباعد عن اكثر اللذات والاستمتاعات فكل منهما لا يؤتى به الا لمحض ابتغاء مرضات الله تعالى ثم ان هذا الصوم بعضه واقع في زمان
الحج فيكون جمعا بين مشقتين وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال من مشقة الى مشقة والاجر على قدر النصب فلا جرم وصفه الله تعالى بالكمال
في باب العبادة والتكثير في اللفظ ايضا يؤيد ذلك زادنا الله تعالى اطلاعا على لطائف قرآنه العظيم ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام
اختلف العلماء في ان المشار اليه ماذا فقال ابو حنيفة واصحابه انه اشارة الى التمتع وما ترتب عليه لانه ليس البعض اولى من البعض فيعود الى كل ما تقدم فلا
تمتع ولا قران لحاضري المسجد الحرام وقال الشافعي يعود الى الاقرب اولى وهو الحكم بوجوب الهدى على المتمتع وايضا قوله فمن تمتع عام يشمل الحرمي و
الميقاتي والافاقي وايضا انه تعالى شرع القران والمتعة ابانة لنسخ ما كان عليه اهل الجاهلية في تحريمهم العمرة في اشهر الحج والنسخ يثبت في حق الناس
كافة ويتفرع على مذهب ابي حنيفة ان من تمتع او قرن من حاضري المسجد الحرام كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وعلى مذهب الشافعي انه يصح تمتعهم
وقرانهم ولا يجب عليهم شيء فان لزوم الهدى على الافاقي بسبب انه احرم في الميقات عن العمرة ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه جبر الخلل بدم والمكي لا يجب
عليه ان يحرم عن الميقات فلا خلل في حجة تمتع او قرن او افراد فلا يلزمه الهدى ولا بدله ثم اختلفوا في حاضري المسجد الحرام فعن مالك انهم اهل مكة واهل ذي
طوى وعن طاوس هم اهل الحرم وعن الشافعي هم الذين يكونون على اقل من مسافة القصر من مكة فان كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين
وبه قال احمد وعن ابي حنيفة انهم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة والمواقيت ذو الحليفة على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة لاهل الشام
والمصر والمغرب على خمسين فرسخا من مكة ويلملم من جنوب اليمن وقرن لنجد الحجاز وذات عرق من صوب المشرق والعراق وخراسان وكل هذه الثلثة من مكة
على مرحلتين فهذه هي المذاهب واوفقها للاية مذهب مالك لان اهل مكة هم الذين يحضرون المسجد الحرام اللهم الا ان الشافعي قال قد يطلق المسجد الحرام
على الحرم قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ورسول الله اسري به من الحرم لا من المسجد وقد يقال حضر فلان فلانا اذا دنا منه ومن كان

دون مسافة القصر فهو قريب نازل منزلة المقيم في نفس مكة وعلى مذهب ابي حنيفة بعيد فانه يؤدي الى اخراج القريب من الحاضرين وادخال البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم ان مسافة القصر معتبرة من نفس مكة او من الحرم الاعرف هو الثاني لما قلنا ان المسجد الحرام يراد به جميع الحرم قال الفراء ذلك لمن لم يكن معناه ذلك الفرض الذي هو الدم او الصوم لازم على من لم يكن من اهل مكة كقوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء اي عليهم وذكر حضور الاهل والمراد حضور المحرم لان الغالب على الرجل انه يسكن حيث اهله ساكنون واتقوا الله في محافظة حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن تهاون بحدوده قال ابو مسلم العقاب والمعاقبة سيان واشتقاقهما من العاقبة كانه يراد عاقبة فعله السيئ كقول القائل لتذوقن فعلك التأويل الحج الخاص حج رب البيت وشهوده وهذه سيرة ابراهيم صلوات الرحمن عليه كما قال اني ذاهب الى ربي ولكنه احصر في السماء السابعة فلاجرم افدى باسمعيل ولما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان ذهابه بالله ما احصر ومشى فقيل له دنا فتدلى والعمرة لله وجرى ما جرى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم قال فان احصرتم اي منعوا اتمام صورة الحج بعذر استطاعتكم وفي الحقيقة بان تخرجوا من وجودكم فان احصرتم باعداء النفس والهوى او ملال القلب او كلال الروح او استحالة الاحوال او تمني الامال فما استيسر من الهدي اعلاها الروح واوسطها القلب وادناها النفس يهدي ما كان الاحصار ولا تحلقوا اي لا تخلفوا بغير الله حتى تبلغوا المقصد فان عرض مرض في الارادة او يعلوه اذى من المزاحمات من غير فترة من نفسه فلم يجد بدا من الاناخة لغنا الرخص فليجتهد ان يتداركه بالفدية فقد قيل من اقبل على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله والصيام هو الامساك عن المشارب والصدقة هو خروج عن المعلوم والنسك ذبح النفس في مقامات السالكين فاذا امنتم الاحصار واقبل الجد المساعد والزمان المساعد فمن تمتع بالعمرة الى الحج واستراح في الطلب فما استيسر من الهدي من ترك مشارب الروح والقلب والنفس فمن لم يجد لم يستطع ترك تلك المشارب لعلو شانها وعظم مكانها فعليه الامساك عن مشارب القوى الثلث المدركة للمعاني والمتصرفة فيها وهي الوهم والحافظة والمتخيلة هذا اذا كان في عالم المعنى فاذا رجع الى عالم الصور عن القوى السبع مشاربها وهي الحس المشترك والخيال لان الاولى مدركة الصور والثانية معينها على الحفظ وبعدهما الحواس الظاهرة تلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة والباطنة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب والانس لا يخاطب بالاعتاب والتأديب التعب والطلب للسالك والسائر فاذا وصل فقد استراح والقوا ان تشكوا الى فترة او وقفة او تركنوا الى مشرب من هذه المشارب واعلموا الآية للغافلين عن هذا الخطاب الغافلين بل الحجاب العظيم

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب ۝ ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ۝ ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ۝ فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ۝ ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ۝ اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ۝ واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون ۝

القراءات فلا رفث ولا فسوق بالرفع فيهما ولا جدال بالفتح ابو عمرو وابن كثير ويزيد ويعقوب الباقون بالفتح في الجميع واتقون يا اولي بالياء في الحالين سهل ويعقوب وفي الوصل ابو عمرو ويزيد واسمعيل الوقوف معلومات ج في الحج ط يعلمه الله ط التقوى ز الالباب ه من ربكم ط الحرام ص كما هداكم ج الضالين ه واستغفروا الله ط رحيم ه او اشد ذكرا ط من خلاق ه عذاب النار ه مما كسبوا ط الحساب ه معدودات ط فلا اثم عليه ج لمن اتقى ط تحشرون ه التفسير الحج اشهر معلومات اي وقت الحج اشهر معلومات ...

كما يقال رأيته سنة كذا وانما اراد ساعة منها ورمي الجمار يفعله الانسان وقد حل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحائض اذا طاف بعده فهو في حكم القضاء وانما قلنا ان يوم النحر من اشهر الحج لانه وقت ركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وعن الشافعي التسعة الاولى من ذي الحجة مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها قيل انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت للحج في قوله قل هي مواقيت للناس والحج وفي هذه الآية جعل وقت الحج اشهرا معلومات واجيب بان تلك الآية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واقول الميقات علامة الوقت فلولا الاهلة لم يعلم دخول شهر على التعيين فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات للحج من حيث انها تؤذن بما بقي من السنة الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقتا للحج ومعنى قوله تعالى معلومات ان الحج انما يكون في السنة مرة واحدة في اشهر معينة من شهورها ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا واحالهم في تلك الاشهر على ما كانوا علموا قبل نزول هذا الشرع وعلى هذا فهذا الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء موافقا مقررا له او المراد انها معلومات ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد انها موقتة باوقات معينة لا يجوز تقديمها وتأخيرها كما يفعله اصحاب النسيء ثم ان الشافعي استدل بالآية على انه لا يجوز لاحد ان يهل بالحج قبل اشهر الحج وبه قال احمد واسحق وايضا الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة وايضا الخطبة في صلوة الجمعة لا يجوز قبل الوقت لانها اقيمت مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى وايضا الاحرام لا يبقى صحيحا لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء فلان لا ينعقد صحيحا لاداء الحج قبل الوقت اولى لان البقاء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله تعالى قل هي مواقيت للناس والحج والجواب ما مر قالوا الاحرام التزام للحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر والجواب الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور الا بعقد مبتدأ واما الاحرام مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فلا جرم افتقر الى الوقت قالوا اشتهر من اكابر الصحابة انهم قالوا من اتمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله وقد يبعد داره بعدا شديدا يحتاج الى ان يحرم قبل شوال والجواب ان النص لا يعارضه الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بانه في حق من لا يكون داره بعيدا فمن فرض فيهن الحج لمن الزم نفسه في هذه الشهور ان يحج وبماذا يحصل هذا الالزام المسمى بالاحرام لانه يحرم عليه اشياء كانت حلالا له قال الشافعي انه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية نعم انها سنة عند النية وبه قال احمد ومالك لقوله تعالى فمن فرض والفرض في الحج على النية او لانه على التلبية او سوق الهدي وفرض الحج موجب لانعقاد الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال صلى الله عليه وسلم لكل امرئ ما نوى وايضا الحج عبادة ليس في آخرها ولا في اثنائها نطق واجب فكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط لانعقاد الاحرام الا ان التلبيس على الاعتداد به عند الاحرام الا ان سوق الهدي وتقليده والتوجه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر انه قال اذا قلد او اشعر فقد احرم وعن ابن عباس اذا قلد الهدي وصاحبه يريد العمرة او الحج فقد احرم وروى ابو منصور الماوردي في تفسيره عن عائشة انها قالت لا يحرم الا من اهل او لبى وايضا ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا يكره الزيادة على هذا روي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغباء اليك والعمل وان رأى شيئا يعجبه قال لبيك ان العيش عيش الآخرة ثبت ذلك عن رسول الله صلعم وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا حقا تعبدا ورقا قال الشافعي في الام فوليه الافضل ان ينوي ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يهل حتى انبعثت به دابته قال امام الحرمين ليس المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت به راحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله مني ولبى وان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة ولبى والقول الثاني وبه قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل ان ينوي ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم يأخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذي الحليفة ركعتين ثم احرم ويستحب تكثير التلبية في دوام الاحرام قائما كان او قاعدا راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا اعجاز فيه فاشبه التسبيح قال صلى الله عليه وسلم لعائشة حين حاضت افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال ومن قرأ بفتح الثلاثة او برفعها فلا اشكال ومن قرأ برفع الاولين وفتح الاخير فقيل لان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرون سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج وربما يستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق فلذلك فرق كذلك اما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله تعالى والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش المؤدي الى العداوة والبغضاء فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما الثاني فبعد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها واما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع افراد الماهية بل يجوزه فيكون الفتح ادل على عموم النفي اما تفسير الرفث فعن ابن عباس هو الجماع وله في العمرة وفي الحج نتائج منها فساد النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوف ولكن يلزمه الفدية واما الجماع بعد التحللين فلا اثر له في الفساد على الصحيح وعن مالك واحمد انه يفسد ما بقي شيء من احرامه وتفسد العمرة بالجماع ايضا بالجماع قبل حصول التحلل ووقت التحلل عنها بعد الفراغ عن الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا وذلك اذا طاف وسعى وحلق وللحج تحللان وذلك انه اذا اتى باثنين من رمي الحلق والنحر والطواف اعني الرمي والحلق او الرمي والطواف والحلق والطواف حصل التحلل الاول وهو اباحة جميع المحظورات من التطيب والقلم ولبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه لا يحل الا بالاتيان بالامر الثالث فاذا اتى به حل الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال الائمة الحج يطول زمانه وتكثر اعماله بخلاف العمرة فابيح بعض محظوراته دفعة وبعضها اخرى قال صلى الله عليه وسلم اذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواط واتيان البهيمة في الافساد كالوطي في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيهما ولمالك في اتيان البهيمة ثم سائر العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويصير الشخص بالفساد خارجا منها لكن الحج والعمرة وان فسدا يجب المضي فيهما وذلك بالاتمام

ما كان يفعله لولا عوض الفضاء آ روى عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من اهل الحجة معنى في فاسده وقضى من قابل ومن مناسك القضاء
السوى منها الحج والعمرة وحصلها الحصر على الترتيب بينه ان وجد لان الصحابة بصلوا على البدنة والاتفية والا فشبع من العنز والبقرة
البدنة وذا هم الذنهم طعاما قال لم يجد الطعام صام عن كل مد يوما ومن مناسك القضاء لهذا في لماروتنا من كبار الصحابة وقضى من سوا لكا
المقضي عنه وضعها وتطوعا فان القضاء واجب والاصح الوجهين في القضاء انه على الفور الى التراخي لانه زمن ...

لعاجل سفركم وللاجل فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي وفيه تنبيه على كمال عظمته كقوله انا ابن النجم وشعرى شعرى يا اولي الالباب
يعني ان قضية العقل تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في التحقيق ولما منع الناس عن الجدال اختلج في قلب المكلف شبهة ان التجارة لكونها
مفضية في الاغلب الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان تكون منهية وايضا انها كانت محرمة في الجاهلية وقت الحج وانه امر مستحسن ظاهر الان المشتغل
بخدمة الله تعالى يجب ان لا يتلوث بالاطماع الدنيوية وايضا كان من الممكن ان يقاس التجارة على سائر المباحات من الطيب والمباشرة والاصطياد
في كونها محظورة بالاحرام فلدفع هذه الشبهة نزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تطلبوا فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا او زيادة في الرزق
بالتجارة والربح بها كقوله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله عن ابي مسلم ان حمل الآية على ما بعد الحج قال والتقدير واتقون في كل افعال الحج
ثم بعد ذلك ليس عليكم جناح ان تبتغوا كقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وزيف بان حمل الآية على موضع
اولى من حملها على موضع الشبهة ومحل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج واما بعد الفراغ فالحل معلوم وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة
اعمالها متصلة فلا يحل في اثنائها التشاغل بغيرها واعمال الحج متفرقة يتخلل التجارة في خلالها وايضا الفاء في قوله فاذا افضتم ظاهر في ان هذه الافاضة
حصلت عقيب ابتغاء الفضل وذلك يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج وقال ابن
عباس في سبب نزول الآية كانوا يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر بالغوا في الكف من البيع والشراء فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج للتجارة
ويقولون هولاء الداج وليسوا بالحاج ومعنى الداج الاعوان والمكارون من الدجيج وهو الدبيب في السير قال ابن السكيت لا يطلق الدجيج الا اذا كانوا جماعة
لا يقال ذلك للواحد وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام المواسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا
فرفع عنهم الحرج ومن المعلوم انه انما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه في طريق الحج وان قوما يزعمون
ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت عنه فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر
انه قيل له هل انتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وعن جعفر الصادق ان ابتغاء الفضل ههنا طلب
اعمال اخر زائدة على اعمال الحج موجبة لفضل الله تعالى ورحمته كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع وارواء العطشان واعلم
ان الفضل ورد في القرآن بمعان منها ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال والجاه والغذاء واللباس وهو المسمى بالرزق فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو التفضل والثواب والجنة والرحمة تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان ومنها ما يتعلق بمراتب القربة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان فضل الله عليك عظيما ورفع الجناح لا يستعمل في الواجب والندب
بل في المباح كما ترى قوله ولا جناح عليه ان يطوف بهما فاذا افضتم اي دفعتم بكثرة ومنه افاضة الماء وهو صبه بكثرة والتقدير افضتم انفسكم
فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات جمع عرفة وكلاهما علم للموقف كأن كل قطعة من تلك الارض عرفة فسمي مجموع تلك
القطعة بعرفات كما قيل في باب الصفة اثواب اخلاق وبرمة اعشار ثم سمي بها فمنعت الصرف وفيها سببان التعريف والتأنيث فقيل انه لم يجئ علما
بعد ما جمع ثم جعل علما للمجموع القطع فتركوا بعد ذلك على اصلها في الصرف وقيل ان هذا التنوين تنوين المقابلة في نحو مسلمات ومن ذهب الى ان تنوين
المقابلة لا وجود لها كجار الله وكثير من المتأخرين وان هذا التنوين تنوين الصرف قالوا انما لم يسقط لان التأنيث في نحو مسلمات وعرفات
بالتاء التي هي لمحض التأنيث سقطت والباقية علامة لجمع المؤنث وزيف بان عرفات مؤنث وان قلنا انه لا علامة تأنيث فيها لا متمحضة للتأنيث
ولا مشتركة لانه لا يعود الضمير اليها الا مؤنثا يقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه الا بتأويل بعيد كما في قوله ولا بقل ابقل ابقالها فتأنيثها لا يقصر عن تأنيث
مصر الذي هو بتأويل البقعة وقال بعض المتأخرين الاولى ان يقال ان التنوين للصرف وانما لم يسقط في نحو من عرفات لانه لو سقط لتبعه الكسر
في السقوط وتبع النصب وهو خلاف ما عليه الجمع السالم او الكسرة متبوع لا تابع فهو فيه كالتنوين في غير المنصرف للضرورة لم يجد فالمانع هذا مع ان حذف
المبرد والزجاج بمنع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسر كبيت امرئ القيس في رواية شعر تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى
دارها نظر عال وبعضهم يفتح التاء في مثله مع حذف التنوين كما لا ينصرف فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بالخلاف والاشهر ابقاء التنوين
في مثله مع العلمية وقيل التنوين عوض من منع الفتحة واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية واليوم التاسع منه يسمى يوم عرفة وعرفة
وعرفات هي الموضع المخصوص فقيل التروية التفكر وسببه ان آدم عليه السلام لما امر ببناء البيت فبناه وتفكر فقال يا رب ان لكل عامل اجرا فما اجري
على هذا العمل قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك باول شوط من طوافك قال يا رب زدني قال اغفر لاولادك اذا طافوا به قال زدني قال اغفر
لكل من استغفر له الطائفون من موحدي اولادك قال حسبي يا رب حسبي وقيل ان ابراهيم صلوات الرحمن عليه رأى في منامه ليلة التروية كأنه يذبح
ابنه فاصبح متفكرا اهذا من الله او من الشيطان فلما رآه ليلة عرفة يؤمر به اصبح فقال يا رب عرفت انه من عندك وقيل ان اهل مكة يخرجون يوم
التروية الى منى فيروون في الادعية التي يذكرونها في الغد بعرفات وقيل التروية الارواء فان اهل مكة كانوا يجمعون الماء للحجيج الذين يقصدونهم
من الآفاق فيسقون في الماء بعد ما تعبوا في الطريق من قلة الماء او لانهم يتزودون الماء الى عرفة او لان المذنبين كالعطاش وردوا بحار الرحمة
شربوا منها حتى رووا واما يوم عرفة فقيل انه من المعرفة لان آدم وحواء عليهما السلام التقيا بعرفة فعرف احدهما صاحبه عن ابن عباس او لان
جبريل عليه السلام علم آدم عليه السلام مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له اعرفت قال نعم او كان ابراهيم عليه السلام عرفها حين رآها بالنعوت
من النعت والصفة عن علي وابن عباس والسدي وعطاء جبريل عرف بها ابراهيم المناسك وقد مر في قوله وارنا مناسكنا او لان ابراهيم وضع
ابنه اسمعيل عليهما السلام وامه هاجر بمكة ورجع الى الشام ولم يلتقيا سنين ثم التقيا يوم عرفة بعرفات وقد سبقت القصة في بناء البيت في قوله واذ يرفع
ابراهيم القواعد او لما ذكرنا انفا من منام ابراهيم او لان الحاج يتعارفون فيه اذا وقفوا او لانه نعم يتعرف فيه الى الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل انه مأخوذ
من الاعتراف لان الناس يعترفون هنالك للحق بالربوبية والجلال ولانفسهم بالفقر واختلال الحال يقال ان آدم وحواء عليهما السلام لما وقفا بعرفة
قالا ربنا ظلمنا انفسنا فقال الله سبحانه الآن عرفتما انفسكما وقيل من العرف وهو الرائحة الطيبة لان المذنبين يكتسبون بالمغفرة روائح طيبة
عند الله بمقام صدق كما قال صلى الله عليه وسلم خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وقد يسمى يوم عرفة يوم ايس الكفار عن الاسلام ويوم
اكمال الدين ويوم اتمام النعمة ويوم الرضوان اخذا من قوله تعالى في المائدة اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا عن ابن عمر وابن عباس نزلت هذه الآية عشية يوم عرفة وكان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم كان واقفا بعرفات
في موقف ابراهيم عليه السلام في حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما لهم في هذه الآية لقرت اعينهم

فقال يهودي لعمر لو ان هذه الآية نزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر رضي الله عنه اما نحن فجعلناه عيدين وكان ذلك يوم عرفة ويوم جمعة يوم صلة الواصلين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي يوم قطيعة القاطعين ان الله بريء من المشركين ورسوله يوم اقالة عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا انفسنا يوم وفد الوافدين في الخبر الحاج وفد الله والحاج زوار الله وحق على المزور الكريم ان يكرم زائره ويوم الحج الاكبر واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر يوم خص صومه بكثرة الثواب قال صلى الله عليه وسلم صوم يوم التروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة كفارة سنتين وقال من صام يوم التروية اعطاه الله مثل ثواب ايوب على بلائه ومن صام يوم عرفة اعطاه الله مثل ثواب عيسى ابن مريم يوم اقسم الله تعالى به في قوله عز من قائل والشفع والوتر عن ابن عباس الشفع تروية وعرفة والوتر يوم النحر يوم خص بكثرة الرحمة وسعة المغفرة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم اكثر من ان يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو ثم يتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما اراد هؤلاء اشهدوا ملائكتي اني قد غفرت لهم ولا ضير ان نشير ههنا الى اعمال الحج اشارة خفيفة اعلم انه من دخل مكة محرما في ذي الحجة او قبله فان كان مفردا او قارنا طاف طواف القدوم واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وحل من عمرته واقام الى وقت خروجه الى عرفات وحينئذ يحرم من جوف مكة بالحج ويخرج وكذلك من اراد الحج من اهل مكة والسنة للامام ان يخطب بمكة اليوم السابع من ذي الحجة بعد ما صلى الظهر خطبة واحدة يأمر الناس فيها بالذهاب غدا بعد ما صلى الصبح الى منى ويعلمهم تلك الاعمال ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى ويصلون بها مع الامام الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة ان لا يدخلوها بل تضرب قبة الامام بنمرة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم مكث حتى طلعت الشمس ثم ركب وامر بقبة من شعر ان تضرب له بنمرة فنزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يبين لهم مناسك الحج ويحرضهم على اكثار الدعاء والتهليل بالموقف وبعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية والمؤذنون يأخذون في الاذان معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذنين من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون الظهر ثم يقيمون في الحال فيصلي بهم العصر وهذا الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون عند الصخرات لان النبي صلى الله عليه وسلم وقف هناك واذا وقفوا هناك استقبلوا القبلة ويذكرون الله تعالى ويدعونه الى غروب الشمس والوقوف ركن لا يدرك الحج الا به ومن فاته ذلك فقد فاته الحج لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن فاته عرفة فاته الحج وقد يستدل بالآية ايضا على ذلك لانها دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات وذلك من عرفات لا يتصور الا بعد الحصول بعرفات وجمهور الفقهاء على ان الوقوف بالمشعر الحرام ليس بركن لانه تعالى امر بالذكر عنده فالوقوف به تبع لا اصل بخلاف الوقوف بعرفة لانه جعله اصلا حيث لم يقل فاذا افضتم عن الذكر بعرفات ووقت الوقوف يدخل بزوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة واذا حضر الحاج هناك في هذا الوقت لحظة واحدة من ليل او نهار كفى وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم النحر واذا غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بالمزدلفة قيل سميت بها لانهم يقربون فيها من منى والازدلاف القرب وقيل لان الناس يجتمعون بها والازدلاف الاجتماع وقيل لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها ويقال للمزدلفة جمع لانه يجمع فيها صلوة المغرب والعشاء ثم يبيتون بها فان لم يبت بها فعليه دم شاة فاذا طلع الفجر صلى الصبح بغلس والتغليس ههنا اشد استحبابا منه في غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح اخذوا منها الحصى للرمي يأخذ كل انسان سبعين حصاة ثم يذهبون الى المشعر الحرام وهو جبل يقال له قزح فيرقى فوقه ان امكنه او وقف بالقرب منه ان لم يمكنه ويحمد الله ويهلله ويكبره ولا يزال كذلك حتى يسفر جدا ثم يدفع قبل طلوع الشمس ويكفي المرور كما في عرفة ثم يذهبون منه الى وادي محسر فاذا بلغوا بطن محسر فمن كان راكبا يحرك دابته ومن كان ماشيا يسعى سعيا شديدا قدر رمية حجر فاذا اتى منى رمى جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية اذا رمى ثم بعد ما رمى جمرة العقبة ذبح الهدي ان كان معه هدي وذلك سنة لو تركه لا شيء عليه لانه ربما لا يكون معه هدي ثم بعد ما ذبح الهدي يحلق راسه او يقصر ثم بعد الحلق الى مكة ويطوف بالبيت طواف الافاضة وهو الركن ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد ذلك يعود الى منى في بقية يوم النحر وعليهم البيتوتة بمنى ليالي التشريق لاجل الرمي واعلم ان من مكة الى منى فرسخين ومن منى الى عرفات فرسخين ومزدلفة متوسطة بين منى وعرفات منها الى كل واحد فرسخ ولا يقصرون بها في سيرهم من منى الى عرفات والحاصل ان اعمال الحج يوم النحر الى ان يعودوا الى منى اربعة رمي جمرة العقبة والذبح والحلق او التقصير والطواف طواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة ايضا لانهم يأتون من منى زائرين للبيت ويعودون في الحال والترتيب في الاعمال الاربعة على النسق المذكور مسنون وليس بواجب اما انه مسنون فلان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فعلها واما انه ليس بواجب فلما روي عن عبد الله بن عمرو قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله اني حلقت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج واتاه اخر فقال اني ذبحت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج واتاه اخر فقال اني افضت الى البيت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج فما سئل عن شيء قدم او اخر الا قال افعل ولا حرج وعن مالك واحمد وابي حنيفة ان الترتيب فيها واجب ولو تركه فعليه دم على تفصيل ليس ههنا موضع بيانه ثم ان اهل الجاهلية كانوا قد غيروا مناسك الحج من سنة ابراهيم صلوات الرحمن عليه وذلك ان الحمس كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون قبل ان تغرب الشمس والذين يقفون بمزدلفة يفيضون اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع للنحر وقيل اي ندفع من مزدلفة فندخل في غور الارض وبين جبلين هناك فامر الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بمخالفة القوم في الدفعتين فامره بان يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وبان يفيض من المزدلفة قبل طلوع الشمس فان السنة ايضا من قبل نوح قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعالى بذلك لان الصلوة والمقام والمبيت به والدعاء عنده وقال الكشاف المشعر الحرام قزح وهو جبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة اي يوقد هناك النار في الجاهلية قال وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقال عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته واما الذكر المأمور به هناك فقيل هو الجمع بين صلوتي المغرب والعشاء والصلوة تسمى ذكرا قال تعالى واقم الصلوة لذكري والدليل عليه ان فاذكروا امر وهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك الا هذا والجمهور على ان المراد ذكر الله بالتسبيح

والتحميد

والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هديكم ما مصدرية او كافة اطلق الامر بالذكر اولا ثم قيد ثانيا والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة كي تكونوا شاكرين والهداية اما كل انواع الهدايات او الهداية الى سنة ابراهيم في مناسك الحج او اذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه بحسب الرأي والقياس فان اسماء الله تعالى توقيفية او الذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثاني على الذكر بالقلب والمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته او المراد تثنية الامر تكريره وتكثيره كقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وعلى هذا فيكون قوله كما هديكم متعلقا بالامرين جميعا او الذكر الاول مقيد بانه عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال فالاول اقامة للوظيفة الشرعية والثاني ارتقاء الى معارج الحقيقة وهو ان ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال او حرام او المراد بالاول الجمع بين الصلوتين هناك وبالثاني التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله من قبل الهدى او من قبل الرسول او من قبل انزال الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ثم افيضوا في هذه الافاضة قولان احدهما انه الافاضة من عرفات وعلى هذا فالاكثرون قالوا انه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يتجاوزون المزدلفة ويتعللون بان الحرام اشرف من غيره فالوقوف به اولى ولانهم اهل الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم ان يساووا الناس في الموقف ترفعا وكبرا روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل ابا بكر اميرا في الحج امره باخراج الناس الى عرفات فلما ذهب مر على الحمس وتركهم فقالوا له الى اين وهذا مقام آبائك وقومك فلم يلتفت اليهم ومضى بامر الله الى عرفات ووقف بها وامر سائر الناس بالوقوف بها والحاصل ثم ليكن افاضتكم من حيث افاض الناس الواقفون بعرفات لا من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين وان الافاضة المأمور بها صواب والاخرى خطاء كما يقول احسن الى الناس ثم الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى كريم والاحسان الى غيره وهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه وصيرورة المعنى فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات ولا تقدير تقديم هذه الآية على ما قبلها في الوضع ومن القائلين بان المراد الافاضة من عرفات من قال انه امر للناس جميعا وقوله من حيث افاض الناس المراد به ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فان من سنتهما ذلك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس ويخالف الحمس واطلاق اسم الجمع على الواحد جائز اذا كان رئيسا مقتدى به ابراهيم كان امة الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان ووجه ثالث وهو ان يكون قوله من حيث افاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وانه ما احدثه مبتدع كما يقال هذا مما فعله الناس قديما القول الثاني عن الضحاك ان المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث افاض الناس يعني ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ومتبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس على ما جاء به الرسول والعرب الذين كانوا واقفين بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع الشمس فامرهم الله تعالى بان تكون افاضتهم من المزدلفة في الوقت الذي كان فيه افاضة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام واورد على هذا القول ان استعمال حيث للزمان قليل ويمكن ان يجاب بان القرآن اولى بان يحتج به وعن الزهري ان الناس آدم عليه السلام واحتج بقراءة سعيد بن جبير من حيث افاض الناسي بكسر السين اكتفاء من الياء بالكسرة من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تتركوه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم ولكن الاستغفار باللسان مع التوبة بالقلب وهي ان يندم على كل تقصير منه في طاعة الله تعالى ويعزم ان لا يقصر فيما بعده ابتغاء لمرضاته لا للمنافع العاجلة والاستغفار بالحقيقة يجب على كل مكلف وان لم يعلم من ظاهر حاله خطيئة فان النقص لازم الامكان والقصور من خصائص الانسان وكيف لا وقد قالت الملائكة وانهم ارفع حالا ما عبدناك حق عبادتك وصورة الاستغفار على ما روى البخاري في صحيحه عن شداد بن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولو اقتصر على قوله استغفر الله كفى ولو زاد فقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وانت التواب الرحيم او قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ذو الجلال والاكرام من كل ذنب اذنبته ومعصية ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذي اعلم ومن الذنب الذي لا اعلم كان حسنا ان الله غفور رحيم بناء ان للمبالغة كما مر مرارا واختلف اهل العلم في المغفرة الموعودة في هذه الآية فمن قائل انها عند الدفع من عرفات الى جمع بناء على القول الاول في الافاضة ومن قائل انها عند الدفع من جمع الى منى بناء على القول الآخر قوله عز من قائل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من عباداتكم التي امرتم بها في الحج او من اعمال مناسككم او المناسك جمع المنسك وانه يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك التي هي اراقة الدماء عن ابن عباس ان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق يقفون بين مسجد منى وبين الجبل ويذكر كل واحد منهم فضل آبائه في السماحة وصلة الرحم وينشدون فيها الاشعار وغرضهم الشهرة والترفع بمآثر سلفهم فلما انعم الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم لا لآبائهم ثم الفاء في قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك يوجب هذا الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات بعد الصلوات في ايام النحر والتشريق وقيل هو الاقبال على الدعاء والاستغفار بعد الفراغ من الحج كالادعية المأثورة عقيب الصلوات المكتوبة وقيل معناه فاذا قضيتم مناسككم وازلتم آثار البشرية وهزمتم القوى الطبيعية وانحسم الاذى عن طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله فان التخلية ليست مقصودة بالذات وانما الغرض منها التحلية بواجب السعادات الباقيات فالاول نفي والثاني اثبات ومعنى كذكركم آباءكم توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الآباء وابذلوا الثناء على الله بمقام تعداد مفاخر الآباء فانه ان كان كذبا اوجب الدناءة في الدنيا والعقوبة في العقبى وان كان صدقا استتبع العجب والتباهي وان كانوا يذكرون الآباء ليتوسلوا بذلك الى اجابة الدعاء فالاقبال بالكلية وعلى مولى النعماء اولى مع ان حسنات آبائهم محبطة بسبب اشراكهم وعن الضحاك والربيع اذكروا الله كذكركم آباءكم وامهاتكم وذلك قول الصبي اول ما ينطق ابه ابه امه امه اي كونوا مواظبين على ذكر الله كما يكون الصبي في صغره مواظبا على ذكر ابيه وامه فاكتفى بالآباء عن الامهات كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال ابو مسلم جرى ذكر الآباء مثلا لدوام الذكر والمعنى كما ان الرجل لا ينسى ذكر ابيه فكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله وقال ابن الانباري العرب اكثر اقسامها في الجاهلية بالآباء فقال تعالى عظموا الله كتعظيمكم آباءكم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالآباء وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقيل اذكروا الله بالوحدانية كذكركم آباءكم بالوحدانية فان الواحد منكم لو نسب الى والدين تأذى منه واستنكف وقيل كان الطفل يرجع الى ابيه في طلب المهمات وكفاية الملمات فكونوا انتم في ذكر الله كذلك وعن ابن عباس معنى الآية ان تغضب بالله اذا عصي اشد من غضبك لوالدك اذا ذكر بسوء قوله او اشد ذكرا اما في موضع جر عطفا على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا واما في موضع نصب عطفا على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور وهو الآباء لا فعل الذاكر وهو الابناء فان الذكر بل كل فعل

مستعد له اعتباران اعتبار وقوعه على المفعول واعتبار صدوره عن الفاعل وذلك الفعل باحد الاعتبارين مغاير له باعتبار الآخر وانما لزم جعل الفعل ههنا من جهة وقوعه على المفعول لان الاباء المفضل عليهم هم المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان يقال المعنى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم او اشد ذكرا ولكن يرد عليه ان افعل انما يضاف الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اي احسن الوجوه فاذا نصبت ما بعده كان غير الذي قبله كقولك زيد افره عبدا فالفراهة للعبد لا لزيد والمذكور قبل اشد ههنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما قبله ان يقال الذكر اشد ذكر بجر اضافة ووجه نصبه على ما قال ابو علي ان تجعل الذكر ذاكرا مجازا ويجوز نسبة الذكر الى الذكر بان ليسمع انسان الذكر فيذكر فكان الذكر قد ذكر لحدوثه بسببه وعلى جميع الوجوه فمعنى او ههنا ليس هو التشكيك وانما المراد به النقل عن الشيء الى ما هو اقرب واولى كقولك للرجل افعل هذا الى شهر او اسرع منه وانما امر الله تعالى ان يكون ذكره اشد لان مفاخر ابائهم متناهية وصفاته الكمالية غير متناهية وتلك مشكوكة وهذه متيقنة وغاية الاول التبجح وحرمان اللازم والثاني نور وبرهان ثم انه تعالى بعدما امر بالعبادة تصفية للنفس وتخلية لها عن ظلمات الكبر والعلائق امر عقيب ذلك بتنوير الباطن بنور الجلال والكمال بكثرة الاشتغال بذكر الكبير المتعال نبه على حسن طلب مزيد الانعام والافضال فذكر ان الناس فريقان منهم من قصر دعاءه على طلب اللذات العاجلة ومنهم من اضاف الى ذلك طلب نعيم الاخرة واهمل القسم الثالث وهو ان يكون دعاؤه مقصورا على طلب الاخرة تنبيها على ان ذلك غير مشروع ومن حقه ان لا يوجد فان الانسان خلق ضعيفا لا طاقة له بآلام الدنيا ولا بعذاب النار فالاولى به ان يستعيذ بربه من آفات الدنيا والاخرة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل يعوده وقد انهكه المرض فقال ما كنت تدعو الله به قال كنت اقول اللهم ما كنت معاقبني به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله انك لا تطيق ذلك الا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفي ونبه الله سبحانه وتعالى على ان الالم على حرف واحد في البدن او على منبت شعرة واحدة يعجز الانسان عن الصبر عليه وقد يفضي ذلك الى الجزع ويعوقه عن اكتساب الكمالات ويحمله على اهمال وظائف الطاعات ومن ذا الذي يستغني عن امداد الله اياه في دنياه وعقباه ثم المقتصرون في الدعاء على طلب الدنيا منهم عن ابن عباس انهم المشركون كانوا يقولون اذا وقفوا اللهم ارزقنا ابلا وبقرا وغنما واماء وعبيدا وذلك لانكارهم البعث والمعاد وعن انس كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر ويحكى عن ابي علي الدقاق رحمه الله انه قال اهل النار يستغيثون ثم يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله في الدنيا طلب المأكول والمشروب فلما غلبتهم شهواتهم افتضحوا في الدنيا والاخرة وقال الاخرون يحتمل ان يكون هؤلاء مسلمين دعوتهم الا انهم سالوا الله في اعظم المواقف واشرف المشاهد احسن البضائع وادون المطالب الخسيسة تارة بكثيف واخرى باحقر من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقي والنعيم المقيم وقوله ربنا آتنا في الدنيا متروك المفعول الثاني كالمعلوم ويحتمل ان يكون من قولهم فلان يعطي اي يوجد الاعطاء ومعناه اجعل عطاءنا في الدنيا خاصة واعلم ان مطالع النفس في الدنيا احدى ثلث خصال روحانية هي تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق الفاضلة وبدنية هي الصحة والجمال وخارجية هي الجاه والمال وكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا جسمانية الا لاجل الدنيا فيطلب العلم لاجل الترفع عن الاقران ويكتسب الاخلاق لتدبير الامور المنزلية والمدنية فلذا قال عز من قائل وما له في الاخرة من خلاق اي نصيب حذف مفعول اما لان كل من يميل في الالتفات طلب ولا همة الى اقتناء السعادات الباقيات نزاع وطموح فمطلوبه عبث وسفه ووبال وضلال اي شيء وجدت علما وعملا وجاها ودنيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر الا اليك ولا يرغب في كل باب الا فيما لديك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ثم انه سبحانه لم يذكر في هذه الاية ان هذا الفريق مجابة دعوتهم اولا فقال طائفة من العلماء انهم ليسوا اهلا للاجابة لان كون الانسان مجاب الدعوة صفة مدح ولا يليق الا باولياء الله والمرتضين من عبيده وقال الاخرون قد يكون الانسان مجابا لا لاكرامه واجتبائه بل حكما واستدراجا ويؤيده قوله سبحانه من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وعلى هذا يصح ان يقال في الاية اضمار اي يقول ربنا آتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان في دعاء الصالحين اما في الدنيا فالصحة والامن والكفاية والولد الصالح والزوجة الصالحة والنصرة على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة في الرزق وما اشبه ذلك حسنة ان تصبك حسنة تسؤهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين قيل انها النصرة والشهادة واما في الاخرة فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب ولان دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح في ذلك بقوله وقنا عذاب النار وهذه بالجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا والاخرة روى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لانس ادع لنا فقال اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا فاعادها قالوا زدنا قال ما تريدون سالت لكم خير الدنيا والاخرة وعن علي كرم الله وجهه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار المراة السوء وقيل الحسنة في الدنيا العلم النافع وهو الايمان والطاعة وفي الاخرة التنعم بذكر الله والانس به وبرؤيته قلت لا لذة في الدنيا والاخرة الا بهذا شعر وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي وعن قتادة الحسنتان طلب العافية في الدارين وعن الحسن هي في الدنيا فهم كتاب الله وفي الاخرة الجنة ومنشأ البحث مجيء الحسنة منكرة في حيز الاثبات فكل من المفسرين حمل اللفظ على ما رآه احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اي حسنة واي حسنة او يريد حسنة توافق حال الداعي وحكمة المدعو وفيه من حسن الطلب ورعاية الادب ما ليس في التصريح به فانه لا يفعل الا ما يشاء او يريد حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام شعر قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب واي نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة فمن للابتداء ويحتمل التعليل اي من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا والكسب ما يناله المرء بعمله ومنه يقال للارباح انها كسب فلان او لهم نصيب مما دعوا به يعطيهم بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الاخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال وهي موصوفة بالكسب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب السرعة نقيض البطء والحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد قال الزجاج هو مأخوذ من قولك حسبك كذا اي كفاك وذلك ان فيه كفاية وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان ومعنى كون الله محاسبا لخلقه قيل انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان يخلق العلم الضروري في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب والعقاب ووجه هذا المجاز ان الحساب سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه فاطلاق الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم السبب على المسبب وعن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم فيها سيئاتهم فيقال

بهم

لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم ويقال هذه حسناتكم قد ضاعفتها لكم وقيل المحاسبة المجازاة وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ووجه المجاز ان الحساب سبب للاخذ والاعطاء وقيل انه تعالى يكلم العباد في احوال اعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب فمن قال ان كلامه ليس بحرف ولا صوت قال انه تعالى يخلق في اذن المكلف سمعا يسمع به كلامه القديم كما يخلق في عينه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال انه صوت قال انه تعالى يخلق كلاما يسمعه كل مكلف به فهذا هو المراد من كونه محاسبا لخلقه ومعنى كونه سريع الحساب ان قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات من غير ان يفتقر في احداث شيء الى فكر وروية ومدة وكذلك ورد في الخبر انه يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة وروي في لمحة او انه سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم لانه قادر على ان يعطي مطالب جميع الخلائق في لحظة واحدة كما ورد في الدعاء المأثور يا من لا يشغله سمع عن سمع او ان وقت جزائه وحسابه سريع يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد كقوله اقترب للناس حسابهم قوله تعالى واذكروا الله اي التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمي لان الامر بالتكبير امر بالذي يوقع التكبير على حضوره وانما اخبر بذا التشريق لانهم ما كانوا تاركين للرمي وانما كانوا يتركون ذكر الله تعالى عنده في ايام معدودات هي ايام التشريق ثلثة ايام بعد النحر اولها يوم القر لان الناس يقرون بمنى والثاني يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثاني عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مناديا فنادى الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج وايام منى ثلثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه واعلم ان التكبير المشروع في غير الصلوة وخطبة العيدين نوعان مرسل ومقيد فالمرسل هو الذي لا يتقيد ببعض الاحوال بل يؤتى به في المنازل والمساجد والطرق ليلا ونهارا كما مر في تفسير قوله ولتكبروا الله على ما هديكم وذكرنا صورة التكبير هناك ايضا ولا فرق في التكبير المرسل بين عيد الفطر والاضحى واما التكبير المقيد فاظهر الوجهين انه لا يستحب في عيد الفطر لم ينقلوا ذلك عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه وانما يستحب في الاضحى وتقييده هو ان يؤتى به في ادبار الصلوات خاصة واختلفوا في ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر الى ما بعد طلوع الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبيرات على هذا في خمس عشرة صلوة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال مالك والشافعي في اشهر اقواله وحجتهم ان الناس فيه تبع للحاج وهم يبتدئون التكبير عقيب الظهر يوم النحر الى ستة خمس عشرة صلوة فيكون اخرها صلوة الصبح من اخر ايام منى وذكرهم قبل ذلك التلبية والقول الثاني للشافعي انه يبتدا به من صلوة المغرب ليلة النحر الى الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبير في اعقاب ثماني عشرة صلوة والقول الثالث انه يبتدي من صلوة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلوة العصر من يوم النحر فيكون التكبيرات بعد ثماني صلوات وهو قول علقمة والاسود والنخعي وابي حنيفة واعترض عليه بان هذه التكبيرات تنسب الى ايام التشريق فوجب ان يؤتى بها فيها وان المنعم سبحانه ان آخر فلا اقل من ان تكون هي الغالب والقول الرابع يبتدا بها من صلوة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلوة العصر من اخر ايام التشريق فيكبر عقيب ثلث وعشرين صلوة وهو قول اكابر الصحابة كعلي وعمر وابن مسعود ومن الفقهاء قول الثوري وابي يوسف ومحمد واحمد واسحق والمزني لما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح يوم عرفة ثم اقبل علينا فقال الله اكبر ومد التكبير الى العصر من اخر ايام التشريق ولان هذا هو الاحوط فتكثير التكبير خير من تقليله وعلى هذا القول انما يكون التكبيرات مضافة الى ايام التشريق لانها اكثر تلك المدة قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه ايام التشريق لان لحوم الاضاحي تشرق فيها في الشمس وقيل هو من قولهم اشرق ثبير كيما نغير وقيل سميت بذلك لان الهدي لا تنحر حتى تشرق الشمس وآثار رمي ايام التشريق فانه يجب ان يرمي كل يوم بين الزوال والغروب بكل جمرة من الجمرات الثلاث بالترتيب يبتدا من الجمرة الاولى من جانب المزدلفة ويختم برمي جمرة العقبة وهي التي الى مكة رميات سبعا في سبع دفعات لان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك رماها وقال خذوا عني مناسككم فجملة ما يرمي في الحج سبعون حصاة يرمي الى جمرة العقبة يوم النحر سبع حصيات واحدى وعشرون في كل يوم من ايام التشريق الى الجمرات الثلاث الى كل واحدة سبع تواتر النقل به قولا وفعلا ويكبر مع كل حصاة وعلى الحجيج ان يبيتوا بمنى الليلتين الاولتين من ليالي التشريق فاذا رموا اليوم الثاني لمن اراد منهم ان ينفر قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد وذلك قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت الليلة الثالثة ويرمي يومها وبه قال احمد ومالك والشافعي وعند ابي حنيفة يسوغ النفر ما لم يطلع الفجر فاذا طلع لزم التأخر الى تمام الايام الثلاثة وذلك قوله سبحانه وتعالى ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف تعجل واستعجل يجيئان متعديين مثل تعجل الذهاب واستعجله ويجيئان مطاوعين بمعنى عجل وهذا اوفق لقوله ومن تأخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كسائر الايام وقد سئل ههنا ان المتأخر قد استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد في حقه فلا اثم عليه وهذا انما يقال في حق مقصر الذي يظن انه قد رهقه اثام فيما اقدم عليه واجيب بان الرخصة قد تكون عزيمة كالقصر عند ابي حنيفة والسعة لا تجوز في السفر لغيره فلما كان هذا الاحتمال رفع الحرج في الاستعجال والتأخر دلالة على ان الحاج مخير بين الامرين او بان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من يجعل المتعجل اثما ومنهم من يجعل المتأخر اثما مخالفا لسنة الحج فبين الله تعالى ان لا اثم على واحد منهما وقيل ان المعنى في ازالة الاثم عن المتأخر انما هو لمن زاد على مقام الثلاثة فكانه قيل ان ايام منى التي ينبغي المقام بها فيها ثلاثة لمن نقص فلا اثم عليه ومن زاد على الثلاثة ولم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه وقيل الاية سيقت لبيان ان الحج يكفر للذنوب والاثام لا لبيان ان التعجيل وتركه سيان كما ان الانسان اذا تناول الترياق فالطبيب يقول له الان ان تناولت السم فلا بأس وان لم تتناوله فلا بأس يريد ان الترياق دواء كامل في دفع المضار لا ان تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحد وقيل ان حول البيت مكروه عند كثير من العلماء لان ذلك قد يفضي الى نقص حشمة البيت ووقعه في قلبه وعينه فامكن ان يختلج في قلب احد ان التعجيل افضل بناء على هذا المعنى ولما في التعجيل من المسارعة الى طواف الزيارة فبين تعالى انه لا حرج في واحد منهما وقال الواحدي هذا من باب رعاية المقابلة والمشاكلة مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها لما اولى لان المندوب يصدق عليه انه لا اثم على صاحبه فيه وجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما قوله لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي كيلا يتخالج في قلبه اثم منهما فان ذا التقوى متحرز من كل ما يريبه وقيل معناه ان هذه المغفرة انما تحصل لمن كان متقيا قبل حجه كقوله انما يتقبل الله من المتقين او لمن كان متقيا عن المحظورات حال اشتغاله بالحج وقوله تعالى واتقوا الله اي فيما يستقبل فيه حث على ملازمة التقوى فيما بقي من عمره وتنبيه على مجانبة الاغترار بالحج السابق كما ان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون توكيد للامر بالتقوى وبعث على التشدد فيه لان الحشر وهو اسم يقع على ابتداء خروج الناس من الاجداث الى انتهاء الموقف يوجب تصوره ملازمة سيرة الاتقاء عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من قوله اليه اي حيث لا مالك سواه ولا مجاز الا اليه ولا مستغاث الا هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله الحج اشهر معلومات التأويل الحج اشهر معلومات هي ثمرة الحيوة الفانية وقيل الى الاربعين سنة ولهذا قيل الصوفي بعد الاربعين بارد نعم لو صدق طالبه قبل الاربعين فالممكن الوصول ثم بعده

ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام ۝ واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ۝ واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ۝ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد ۝ يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ۝ فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم ۝ هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور ۝

القراءة مرضات بالامالة والوقف بالهاء علي وكذلك يقف على هيهات هيهاه وعلى ذات بهجاه وعلى ... اللات اللاه وعلى ولات حين ولاه وعلى مريم ابنة ابنه ... ابو عمرو في ولات حين بالهاء السلم بفتح السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وعلي الباقون بالكسر والملائكة بالجر يزيد عطفا على ظلل او على الغمام او للجوار وان كان فاعل يأتيهم الباقون بالرفع ترجع الامور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي وخلف وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح الجيم **الوقوف** قلبه لا لان الواو للحال الخصام ۝ والنسل ط والفساد ۝ جهنم ط المهاد ۝ مرضات الله ط بالعباد ۝ كافة ص لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مع احتمال الجواز مبين ۝ حكيم ۝ وقضي الامر ط الامور ۝ **التفسير** ...

المراد الرضاء بالقضاء والتلقي لجميع المكاره بالبشر والطلاقة كما ورد في الخبر الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم او يكون المراد ترك الانتقام وسلوك طريقة العفو والاغماض واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله كافة يصلح ان يكون حالا من المامورين اي ادخلوا في شرايع الاسلام كلها واصل الكف المنع فمعنى الجميع كافة لان الاجتماع يمنع التفرق والشذوذ ورجل مكفوف اي كف بصره من ان ينظر وكفة القميص لانها تمنع الثوب من الانتشار والكف طرف اليد لانه يكف بها عن سائر البدن وقيل الخطاب للمنافقين والتقدير يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم ادخلوا بكليتكم في الاسلام ولا تتبعوا آثار تزيين الشيطان وتسويله بالاقامة على النفاق وقيل نزلت في مسلمي اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه حين ارادوا ان يعتبوا على بعض شرايع موسى كتعظيم السبت وقراءة التورية واستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وامروا ان يدخلوا في شرايع الاسلام كافة ولا يتمسكوا بشيء من احكام التورية لثبوت نسخها بالكلية فان التمسك بها بعد تبين نسخها من اتباع آثار الشيطان وقيل السلم الاسلام والخطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالكتاب المتقدم ادخلوا طاعتكم بالايمان بجميع انبيائه وكتبه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بشبهات التي تتمسكون بها في بقاء تلك الشريعة انه لكم عدو مبين عن ابي مسلم ان المبين من صفات البليغ الذي يعرب عن ضميره ولا يخفى انه اعرب عن عداوته لآدم ونسله وقيل مبين من الابانة القطع وذلك انه يقطع المكلف بوسوسته عن طاعة الله وثوابه ورضوانه قوله فان زللتم المخاطبون ههنا هم المخاطبون في قوله ادخلوا فيجيء الخلاف ههنا بحسب الخلاف هناك والمعنى العام فان دحضت اقدامكم وانحرفتم عن الطريق الذي امرتم به من بعد ما جاءتكم البينات الدلائل العقلية والسمعية على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم وهذه نهاية في الوعيد كما لو قال الوالد لولده ان عصيتني فانت عارف بي وبشدة سطوتي كان ابلغ في الزجر من التصريح بضرب من ضروب العذاب وكما ان قوله عزيز يشتمل على الوعيد البليغ فقوله حكيم يشتمل على الوعد الحسن فان اللايق بالحكمة تمييز المحسن من المسيء وان لا يسوي بينهما في الثواب والعقاب روي ان قاريا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه يكون اغراء عليه قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله الآية معنى النظر ههنا الانتظار واما اتيان الله فقد اجمع المفسرون على انه سبحانه منزه عن المجيء والذهاب لان هذا من شان المحدثات والمركبات وانه تعالى ازلي فرد في ذاته وصفاته فذكروا في الآية وجهين الاول وهو مذهب السلف الصالح السكوت في مثل هذه الالفاظ عن التاويل والتفويض الى مراد الله تعالى كما روي عن ابن عباس انه قال نزل القرآن على اربعة اوجه وجه لا يعذر احد بجهالته ووجه يعرفه العلماء ويفسرونه ووجه يعرف من قبل العربية فقط ووجه لا يعلمه الا الله الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انه لا بد من التاويل على سبيل التفصيل فقيل جعل مجيء الآيات مجيئا له تفخيما لها كما يقال جاء الملك اذا جاء جيش عظيم من جهته وقيل المراد اتيان امره وباسه فحذف المضاف بدليل قوله في موضع آخر او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا وايضا اللام في قوله وقضي الامر يدل على معهود سابق وما ذاك الا الذي اضمرنا لا يقال امر الله عندكم صفة قديمة فالاتيان عليها محال وعند المعتزلة اصوات فيكون اعراضا فالاتيان عليها ايضا محال لانا نقول الامر قد يطلق على الفعل وما امر فرعون برشيد وحينئذ فالمراد ما يليق بتلك المواقف من الاهوال واظهار الآيات المهيبة وان حملنا الامر على ضد النهي فلا بعد [illegible]

الله تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور في ظلل من الغمام فتجلى اوائل ذلك في زمن محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون الكلام حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال فان الآية لا تدل الا على ان قوما ينتظرون اتيان الله وليس فيها دلالة على انهم محقون في ذلك الانتظار ام مبطلون والظلل جمع ظلة وهي ما اظلك والغمام لا يكون كذلك الا اذا كان مجتمعا متراكما فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة والعظم فكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام ههنا في معنى النفي اي ما ينتظرون الا ان ياتيهم عذاب الله في ظلل من الغمام وفيه تفظيع شان العذاب وتهويله لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الخير او نزول الغمام علامة لظهور الاهوال في القيمة قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا او يستعير لشان العذاب تتابع المطر واتيان الملائكة ليقوموا بما امروا به من تعذيب وتخريب ولا حاجة الى التاويل لان اتيانهم ممكن وقضي الامر فرغ من اهلاكهم وتدميرهم او عما كانوا يوعدون به فلا يقال لهم عثرة ولا يصرف عنهم عقوبة ولا ينفع في دفع ما نزل بهم حيلة والتقدير الا ان ياتيهم الله ويقضي الامر فوضع الماضي موضع المستقبل اما للتنبيه على قرب العذاب او الساعة كل ما هو آت قريب واما لان اخبار الله تعالى كالواقع المقطوع به وقيل الامر المذكور ههنا هو فصل القضاء بين الخلايق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزله من الجنة او النار وعن معاذ بن جبل وقضاء الامر مصدر مرفوع عطفا على لفظ الله والملائكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك عباده في الدنيا كثيرا من امور خلقه اما اذا صاروا الى الاخرة فلا مالك للحكم بين العباد سواه وهذا كقولهم رجع امرنا الى الامير اذا كان هو يختص بالنظر فيه فعلى المكلف ان يدخل في السلم كما امر ويحترز عن اتباع آثار الشيطان كما نهي ثم ان الامور ترجع اليه جل جلاله وهو تعالى يرجعها الى النفخ ثانيا الدنيا واقامة القيمة فهذا معنى القراءتين في ترجع وايضا وارد جمع الشاء وفتح الجيم على مذهب العرب في قولهم فلان معجب بنفسه ويقول الرجل لغيره الى اين يذهب بك وان لم يكن احد يذهب به اوالمراد ان العباد يردون امورهم الى خالقهم ويعترفون برجوعها اليه اما المؤمنون فبالمقال واما الكافرون فبشهادة الحال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال التاويل النفس الامارة تنظر الى الاشياء المموهة والاقوال المزخرفة وترى انها اولى الاولياء ولكنها اعدى الاعداء وتسعى في تخريب ارض القلب وابطال حرث الصدق في طلب السعادة وذلك نسل ما يتولد من الاخلاق الحميدة وتشح بانفها عن قبول الحق فحسبه جهنم المعاد ومن الناس من يشري هذا شان الاولياء باعوا انفسهم خالصا

لوجه الله

لوجه الله لا لاجل الجنة او دخولها في السلم كافة اي بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة ودخول القلب في الاسلام يكون بدخول الايمان في القلب ودخول الروح في الاسلام يكون بتسليم الاحكام والاقضية لله ودخول السر في الاسلام بفنائه في الله وبقائه بالله [illegible] والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب ۝ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب ۝ كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ۝ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب

القراءات ليحكم بضم الياء وفتح الكاف يزيد وكذلك في آل عمران والنور موضعين الباقون بفتح الياء وضم الكاف يقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب الوقوف بينة ط لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع تقدير حذف اي فبدلوا ومن يبدل العقاب ۝ من الذين آمنوا ج لان والذين مبتداء وفوقهم خبره ولو وصل صار فوقهم ظرفا ليسخرون او حالا لفاعل يسخرون ونتيجة ظاهر يوم القيمة ط حساب ۝ ومنذرين ص للعطف المتفقين فيما اختلفوا فيه ط بينهم ج لعطف المختلفين باذنه ط مستقيم ۝ من قبلكم ط للفصل بين الاستفهام والاخبار لان قوله ولما ياتكم عطف على ام حسبتم تقديره ام حسبتم ولما ياتكم متى نصر الله ط قريب ۝ التفسير انه سبحانه وتعالى لما امر بالسلم ونهى عن متابعة الشيطان ثم قال فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اي فان اعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا ان الله عزيز حكيم ثم ثنى ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الا الآية ثم ثلث التهديد بقوله سل بني اسرائيل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسال الكفرة يوم القيمة والا فكثرة الآيات التي اوتوها معلومة باعلام الله تعالى والمراد سل هؤلاء الحاضرين انهم لو زاغوا عن آيات الله لوقعوا في العذاب كما وقع اولئك المتقدمون كي يعتبروا ويتعظوا وكم يحتمل الاستفهامية والخبرية ومن آية مميزها وقد فصل بين المميز ومميزها بالفعل فان كانت استفهامية فالتقدير سلهم عن عدد آتيناهم الآيات اياهم حتى يخبروك عن كميتها وان كانت خبرية فالمعنى سلهم عن انا كثيرا من الآيات آتيناهم والآيات الواضحات اما معجزات موسى عليه السلام كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليم الله اياه والعصا واليد ونحوها وهي التسع آيات ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واما الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام فمنهم من آمن ومنهم من جحد وهم ومن يبدل نعمة الله قيل انها الآيات والدلائل وهي اجل اقسام النعم لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة ثم ان قلنا الآيات معجزات موسى فتبديلها ان الله تعالى اظهرها لتكون اسباب هدايتهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وان قلنا الآية البينة هي ما في التورية والانجيل من الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فتبديلها تحريفها وادخال الشبهة فيها وقيل المراد بنعمة الله ما آتاهم من اسباب الصحة والامن والكفاية فتبديلها ان لم يجعلوها وسيلة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف بل استعملوها في غير الوجه الذي هي لاجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر واما على الاول وهو ان المراد من النعمة الآيات فمعنى مجيئها التمكن من معرفتها او لم يعرفوها فكانت غايبة فان الله شديد العقاب قال الواحدي الرابطة محذوفة اي له والتحقيق ان ترك هذا الاضمار اولى فانه اذا علم كونه تعالى موصوفا بهذا الوصف لزم من ذلك انه يعاقب المبدل ان شاء ولكن لا يلزم من كونه شديد العقاب للمبدل كونه متصفا بذلك وصفا ذاتيا قال الواحدي والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم انه تعالى ذكر السبب الذي لاجله كان التبديل سيرتهم فقال زين للذين كفروا الآية والغرض تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني من زينة الدنيا على الباقي من نعيم الآخرة والتذكير في زين اما لان الحيوة والاحياء واحد وللفصل مع ان التانيث ليس بحقيقي عن ابن عباس ان الآية نزلت في ابي جهل واضرابه من كفار قريش وقيل في رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت في المنافقين ولا مانع من نزولها في جميعهم لان كلهم وهم في التنعم والراحة كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين والمهاجرين ثم المزين من هو فعن المعتزلة انهم غواة الجن والانس فنجوا امر الآخرة في اعين الكفار واوهموا ان لا صحة لها فلا تنغصوا عيشكم في الدنيا كقول من قال شعر اتترك لذة الصهباء نقدا بما وعدوك من لبن وخمر قالوا واما الذي يقوله المجبرة من انه تعالى زين ذلك فباطل لان المزين للشيء هو المخبر عن حسنه واذا كان المزين هو الله تعالى فلا بد ان يكون صادقا في ذلك الاخبار فيكون فاعله المستحق لسعيا وان كان كافرا واصابة الكافر كفر فهذا القول كفر وزيف بان مزين الكفر بجميع الكفار لا بد ان يكون خارجا عنهم وقولهم المزين للشيء هو المخبر عن حسنه مردود وانما المزين من يجعل الشيء موصوفا بالاوصاف الحسنة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث انه اخبر عما فيها من اللذات والراحات وهذا اخبار عما ليس بكذب والتصديق بها ليس بكفر وقال ابو مسلم الكفار زينوا لانفسهم والعرب تقول ابن يذهب بك لا يريدون ان ذاهبا ذهب به ومنه قوله تعالى انى يؤفكون انى يصرفون ولما كان الشيطان

القول

لا يمكنك ان يحمل الانسان على الفعل قهرا فالانسان بالحقيقة هو الذي زين لنفسه. والتحقيق ان المزين هو الله تعالى كما صرح بذلك في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وكيف لا وانتهاء جميع الحوادث اليه اظهر في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب والحلاوة وركب في الطبائع حب الشهوات والميل الى الطيبات لا على سبيل الالجاء الذي لا يمكن تركه بل مع امكان رد النفس عنها ليجاهد المؤمن هواه فيقصر نفسه عن المباح ويكفها عن الحرام ويتم غرض الابتلاء. او نقول المراد من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا ولم يمنعهم عن الاقبال عليها والحرص الشديد في طلبها وقيل ان الله زين من الحيوة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو ضعيف لان الله تعالى خص بهذا التزيين الكفار وتزيين المباحات لا يختص بالكفار ولكن قيل المراد من تزيين المباح للكافر انه دائم السرور به وان قلت زاد به لكونه مقصود الهمة به لا عيش عنده الا عيش الدنيا بخلاف المؤمن فان متعه من طيبات الدنيا وبهجتها وان كثر ماله وجاهه مكدر بالخوف والوجل من الحساب في الاخرة. قلنا تزيين المباح في نظر الكافر بحيث يفضي به الى الاشتغال عن الاخرة مستقبح ايضا فالكلام فيه كالكلام في تزيين المحظور فيبقى الاشكال بحاله ولا مخلص الا باسناد الكل اليه تعالى بعد تذكر ما سلف مرارا في حقيقة الجبر والقدر. ولما اخبر الله تعالى عنهم بانه زين لهم الحيوة العاجلة اخبر عنهم بعد ذلك بفعل يدلونه فقال ويسخرون من الذين آمنوا كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم يقولون هؤلاء المساكين تركوا طيبات الدنيا وتحملوا المتاعب لطلب الآخرة ولا يخفى انه لو بطل حديث المعاد لكان لهذه السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد وصح كانت السخرية منقلبة عليهم لانهم اعرضوا عن الملك الابدي والنعيم المقيم بسبب لذات حقيرة في انفاس معدودة فلهذا قال سبحانه والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اما بالمكان فلانهم في عليين وهم في سجين واما في الرتبة والشرف فلانهم في معارج الانس وهم في هاوية الهوان. ويحتمل ان يراد انهم فوقهم بالحجة لان حجج الكفار وشبههم كانت تؤثر بوسوسة الشيطان وبمجرد استبعاد المعاد وحجج المتقين يوم القيمة تستند الى العيان وبعد الرحمن ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم. او يراد ان سخرية المؤمنين بالكافرين يوم القيمة لكونها حقة وباقية فوق سخرية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا لكونها باطلة ومنقضية. وفي قوله والذين اتقوا دون ان يقول آمنوا كما قال من الذين آمنوا بعث على التقوى وان كرامة المؤمن منوطة بها والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير. وذلك ان الكفار كانوا يستدلون بحصول الزخارف الدنيوية لهم على انهم على الحق وبحرمان فقراء المسلمين عنها على انهم على الباطل فرد الله تعالى عليهم قولهم بان ذلك متعلق بمحض المشيئة وقد يستتبع غاية هي الاستدراج في حق الكافر والابتلاء في حق المؤمن او يرزق من يشاء من مؤمن وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه ومطالبة ولا سؤال سائل فالامر امره والحكم حكمه ولا يسأل عما يفعل او من حيث لا يحتسب كما يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن في تقديره ما كان هذا في حسابي. فالمعنى ان الكفار وان كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين فلعل الله تعالى يرزق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغناهم بما افاء عليهم من اموال صناديد قريش ورؤساء اليهود ويسر لهم الفتوح حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر. او المراد ان ما يرزق العبد في الدنيا من الدنيا فلحرامها عذاب ولحلالها حساب وما يرزق العبد في الآخرة من النعيم المقيم فبغير عدد وبغير حساب. ويحتمل ان يختص الرزق في الآية بالمؤمنين في الآخرة وعلى هذا يكون معنى بغير حساب اي رزقا واسعا رغدا لا فناء ولا انقطاع له ولا حصر كقوله تعالى يرزقون فيها بغير حساب. او يقال ان المنافع الواصلة اليهم في الجنة بعضها ثواب وبعضها تفضل كما قال ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله فالفضل بلا حساب. والحساب انما يحتاج اليه اذا كان بحيث اذا اعطى شيئا ينقص قدره او اوجب عما كان والثواب ليس كذلك فانه بعد انقضاء الادوار والاعصار يكون الثواب المستحق بحكم الوعد والفضل باقيا فعلى هذا لا يتطرق الحساب البتة الى الثواب. او المراد ان الذي يعطي لا نسبة له الى ما في خزائن ملكه وقدرته فلا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي. او معنى بغير حساب بغير استحقاق وانما يعطي بالجود والفضل والاحسان. او معناه انه يزيد على قدر الكفاية الى عشرة بل سبعمائة من قولهم فلان ينفق بالحساب اذا كان لا يزيد على قدر الكفاية او لانه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى حساب ما يخرج منه. قوله سبحانه كان الناس امة واحدة الآية فيه اشارة الى ان التباغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا وطيباتها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك داء قديم في الانسان. ثم الامة الواحدة كانوا على الحق او على الباطل فيه للمفسرين اقوال **الاول** انهم كانوا على الحق. واختاره المحققون لوجوه منها قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وهذا يدل على ان النبيين عليهم السلام بعثوا حين الاختلاف وضرورة لبعضهم مبطلا ولو كان قبل ذلك مجتمعين على الكفر لكان بعث الانبياء اليهم حينئذ اولى. ومنها النقل المتواتر ان آدم واولاده كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى الى ان قتل قابيل هابيل حسدا وبغيا. وعن ابن عباس انه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق. ومنها ان وقت الطوفان فان لم يبق الا اهل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح فلعل الناس اشارة اليهم. ومنها ان الدين الحق يتوقف على النظريات والنظريات مستندة بالآخرة الى مقدمات يعلم صحتها بضرورة العقل والى ترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط لو لم يعرض له سبب من خارج فالصواب له بالذات والخطأ بالعرض وما بالذات اقدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان ايضا فالاولى ان يقال كان الناس على الحق ثم اختلفوا لاسباب خارجة كالبغي والحسد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. **القول الثاني** وهو مروي عن ابن عباس والحسن وعطاء انهم كانوا على الباطل لان بعثة الانبياء اليهم مترتبة على ذلك ولو كانوا على الحق لم يحتج الى بعثتهم. والقول ان تقدير الآية فاختلفوا فبعث الله كما قرأ به ابن مسعود فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها وحتى كان الناس متفقين على الكفر فالزمن من وفاة آدم الى زمان نوح عليه السلام كانوا كفارا بحكم الاغلب وان كان فيهم بعض المسلمين كهابيل وشيث وادريس عليهم السلام كما يقال دار الكفر وان كان فيها مسلمون. **القول الثالث** عن ابي مسلم والقاضي ابي بكر انهم كانوا امة واحدة في التمسك بالشرائع العقلية وهي الاعتراف بوجود الصانع وصفاته والاشتغال بخدمته وشكر نعمته والاجتناب عن القبائح العقلية كالظلم والكذب والعبث. واحتجا بان لفظ النبيين جمع معرف فيفيد العموم والفاء يوجب التعقيب فعلم من ذلك ان تلك الوحدة متقدمة على جميع الشرائع [illegible] **القول الرابع** [illegible] **القول الخامس** [illegible] **الثانية** [illegible]

البشارة على الانذار [illegible]

كان سببه بغيا منهم وحسدا وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة الانصاف وكثرة الاعتساف. من الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف واللام بمعنى الى اي هداهم الى ما اختلفوا فيه كقوله تعالى ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا باذنه قال الزجاج بعلمه وقيل بامره فيما لا يحصل التمييز بين الحق والباطل فتحصل الهداية. وقيل في الآية اضمار اي فهداهم فاهتدوا باذنه اذ لا يجاز ان ياذن لنفسه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو الحق الموصل الى كمال الدارين او هو طلب الجنة ولما كان ذلك الحق او الطلب لا يتاتى الا باحتمال شدائد التكليف واعباء الارشاد والتعليم. قال سبحانه ام حسبتم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع المخالفين من اهل الكتاب والمشركين فان من كان قبلهم اعلى في مراتب قرب المولى فبلاؤه اقوى وهو بالابتلاء اولى. قال في الكشاف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير والانكار والاستبعاد. وقال القفال رحمه الله تعالى تقدير الآية فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه حين صبروا على استهزاء قومهم افتسلكون سبيلهم ام تحسبون ان تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم. ولما اي لم فيه معنى التوقع وفيه دليل على ان الاتيان متوقع منتظر. عن ابن عباس لما دخل النبي صلى الله [عليه وسلم] المدينة اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم في ايدي المشركين واظهرت اليهود العداوة له فانزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم. وقال قتادة والسدي نزلت في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والخوف وكان كما قال سبحانه وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب احد لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى متى تقتلون انفسكم وتترجون الباطل لو كان محمد نبيا ما سلط الله عليكم الاسر والقتل. والمعنى ام حسبتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة بمجرد الايمان بي والتصديق لرسولي دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبدكم به وابتلاكم بالصبر عليه وان ينالكم من اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضر والبؤس في المعيشة ومقاساة الاهوال في جهاد العدو كما نال ذلك من قبلكم من المؤمنين. ومثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة وسنتهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وهي عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليه والضراء وهي اشارة الى انفتاح ابواب الشر والآفة اليه وزلزلوا ازعجوا بانواع البلايا والرزايا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة وهي من زل الشيء عن مكانه والتضعيف في اللفظ للتضعيف في المعنى. وقيل معناه خوفوا وليس ببعيد لان الخائف لا يستقر بل يضطرب لقلقه ولهذا لا يقال ذلك الا في الخوف المقيم المقعد ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك شيئا هو الغاية في الدلالة على كمال الضرر والبؤس والمحنة فقال حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك غاية في الشدة لا مطمح وراءها. ومن قرأ يقول بالنصب فعلى اضمار ان ومعنى الاستقبال بالنظر الى ما قبل حتى وهو لم يكن مستقبلا عند الاخبار. ومن رفع فعلى الحال الماضية المحكية كقولهم شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه. الا ان نصر الله قريب اي فقيل لهم ذلك اجابة الى طلبتهم فكونوا انتم معاشر المؤمنين كذلك في تحمل الاذى والمتاعب في طلب الحق فان نصر الله قريب لانه آت وكل ما هو آت قريب. والحاصل ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينالهم من المشركين والمنافقين اذى كثيرا ولما اذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الاموال والانفس ما لا يخفى فعزاهم الله تعالى في ذلك وبين ان حال من قبلهم في طلب الدين كان كذلك. والمصيبة اذا عمت طابت وذكر من محنة ابراهيم عليه السلام والقائه في النار ومن امر ايوب عليه السلام وما ابتلاه به ومن امر سائر الانبياء في مصابرتهم على انواع المكاره ما صار ذلك سلوة للمؤمنين. روى خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون. وههنا سؤال وهو انه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده ان يقول على سبيل الاستبعاد متى نصر الله. والجواب ان كونه رسولا لا يمنع من ان يتأذى عن كيد الاعداء فاذا ضاق قلبه وقلت حيلته وكان قد سمع من الله تعالى انه ينصره الا انه ما عين له ذلك الوقت. قال عند ضيق قلبه متى نصر الله حتى انه ان علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه ولهذا اجيب بان نصر الله قريب الا ان نصر الله كائن. وهذا الجواب يحتمل ان يكون من الله ويحتمل ان يكون قول القوم منهم انهم رجعوا الى انفسهم وعلموا ان الله لا يخلف الميعاد. وقيل انه تعالى اخبر عن الرسول والذين آمنوا انهم قالوا قولا ثم ذكر كلامين احدهما متى نصر الله **والثاني** الا ان نصر الله قريب فهذا الثاني قول الرسول والاول قول المؤمنين كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والمعنى لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار. ثم في الآية دليل على ان كل من لحقه شدة يجب ان يعلم انه سيظفر بزوال ما به

اما ان يتخلص عنه واما ان يموت واذا مات فقد وصل الى من لا يهمل امره ولا يضيع حقه وذلك من اعظم النصرة . اللهم انصرنا من عندك
انك نعم المولى ونعم النصير التأويل انه تعالى اذا فتح باب الملكوت على قلب عبدك من خواصه وبرية اياته وكراماته فان تغير باحواله وتعجب
بكماله فيقبل على حظوظ النفس ويبدل نعمة الله بر انفها ورضاها فان الله شديد العقاب بان يغير احواله ويسلب عنه كالرمان الناس امة
واحدة على الحق وعلى الفطرة يوم الميثاق وازل مبهم الكتاب الذي جف به القلم للسعادة او الشقاوة كقوله صلى الله عليه وسلم ما من نفس
منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار وما اختلفت كل فريق الافراد او ثوا السعادة او الشقاوة في حكم الله وقضائه ولكن ما حصلت السعادة او الشقاوة
للفريقين الا من بعد البينات وهي معاملاتهم فيها تبين السعيد من الشقي وبالعكس والله الموفق والمرشد واليه المرجع والمآب

يسئلونك ماذا ينفقون ۞ قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين
وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم ۞ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ۞
يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به
والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۞
ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم

الوقوف ينفقون ط السبيل ط لابتداء بالشرط عليم ه كره لكم ج خير لكم ج لتفصيل الاحوال شر لكم ط لا تعلمون ه قتال فيه ط كبير ط
على ان قوله وصد مبتدأ وما بعده معطوف عليه وقوله اكبر عند الله خبره وقد يقال وصد عطف على كبير اي القتال فيه كبير وسبب صد
عن سبيل الله وكفر بالله تعالى وبنعمة المسجد الحرام او صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فيوقف هاهنا ويجعل واخراج اهله مبتدأ وقيل و
وصد عطف والوقف على سبيل الله وكفر به مبتدأ والوجه هو الاول لانتظام المعنى اي القتال فيه وان كان كبيرا ولكن الصد والكفر والاخراج التي
كانت منكم اكبر من القتل ط استطاعوا ط والآخرة ج لان الجملتين وان اتفقتا فتكرار اولئك ينبه على الابتداء مبالغة في تعظيم الامر النار
ج خالدون ه في سبيل الله لا لان ما بعده خبر ان رحمة الله ط رحيم ه التفسير انه سبحانه لما بالغ في وجوب الاعراض عن العاجل والاقبال
على الآجل بكل ما يمكن من الدخول في السلم وبذل المهج والاموال والصبر على مواجب التكاليف والدعاء الى الدين القويم انتظار النصرة الله تعالى شرع
بعد ذلك في بيان الاحكام وهو من هذه الآية الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم جريا على سنته المرضية من خلط بيان التوحيد وذكر
النصيحة والوعظ ببيان الاحكام ليكون كل منها مؤكدا للآخر الحكم الاول بيان مصرف الانفاق يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان
نزلت الآية في رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي دينارا فقال انفقه على نفسك فقال ان لي دينارين فقال انفقهما على اهلك
فقال ان لي ثلاثة فقال انفقها على خادمك فقال ان لي اربعة فقال انفقها على والديك قال ان لي خمسة قال انفقها على قرابتك قال ان لي
ستة قال انفقها في سبيل الله وهو اخسها اي اقلها ثوابا وعنه في رواية ابي صالح انها نزلت في عمرو بن الجموح وهو الذي قتل يوم احد وكان شيخا
كبيرا هرما وعنده مال عظيم فقال ماذا ينفق من اموالنا واين نضعها اما كيفية ماذا فقد تقدم في قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا واما ان القوم سالوا
عما ينفقون لا عمن ينفقون فصرف النفقة اليهم فكيف طابق قوله في الجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الآية فالوجه فيه انه حصل في الآية
ما يكون جوابا عن السؤال وضم اليه زيادة بها يكمل المقصود وذلك ان قوله ما انفقتم من خير يتضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم
وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا صرفت الى جهة الاستحقاق قال القفال السؤال وان كان واردا بلفظ ما الا ان المقصود
هو الكيفية لان من المعلوم لهم ان الذي امر بانفاقه مال يخرج قربة الى الله تعالى وحينئذ يكون الجواب مطابقا للسؤال كما طابق قوله تعالى انها بقرة لا
ذلول سؤالهم عن البقرة ما هي حيث كان من المعلوم ان البقر بهيمة شانها كذا وكذا فتوجه الطلب الى تعيين الصفة لا الماهية وقيل انهم لما
سالوا بهذا السؤال اجيبوا بان السؤال فاسد انفق اي شيء كان ولكن بشرط كونه حلالا ومصروفا الى جهته كما لو سال شخص صحيح المزاج
طبيبا حاذقا اي طعام آكل والطبيب يعلم انه لا يضره اكل الطعام اي طعام كان فيقول له كل في اليوم مرتين اي كل ما شئت لكن بهذا
الشرط فكذا هاهنا المعنى لينفق اي شيء اراد ولكن بشرط وهو ان يراعي الترتيب في الانفاق فيقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده
وقد ربياه صغيرا ثم الاقربين لان الانسان لا يمكنه ان يقوم بمصالح جميع الفقراء والترجيح لا بد له من مرجح والقرابة تصلح للترجيح لانه اعرف
بحاله والاطلاع على غنى الغني مما يحمل المرء على الانفاق وايضا لو لم يعطه قريبه احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار وشنار
وايضا قريب المرء كجزء منه والانفاق على النفس اولى من الانفاق على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم على الاكتساب لصغرهم ثم المساكين
الذين هم غير اليتامى وابناء السبيل لانهم بسبب الاشتراك في دار الاقامة من انفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعون عن بلدهم وما لهم ما يبلغون به
الى اوطانهم وما تفعلوا من خير من انفاق شيء من مال بناء على ان الخير هو المال او من كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلبا لجزيل الثواب [illegible]

العقاب

العقاب فان الله به عليم فيجازيكم احسن الجزاء عن السدي ان الآية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويروى عن الحسن انها ثابتة فقد
يكون الانفاق على الاصول والفروع واجبا ويحتمل ان يكون المراد من احب التقرب الى الله تعالى في باب النفقة تطوعا فليراع هذا الترتيب الحكم
الثاني كتب عليكم القتال كان النبي صلى الله عليه وسلم غير ماذون في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن في قتال من يقاتله من المشركين ثم اذن
في قتال المشركين عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد قال بعض العلماء ان هذه الآية تقتضي وجوب القتال على الكل فرض عين لا كفاية اما الوجوب
فمستفاد من لفظ كتب واما العموم فلان قوله عليكم لا يمنع من الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد كما في قوله كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام
وعن مكحول انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر وعطاء ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي العمل به مرة واحدة وقوله
عليكم يقتضي ان يختص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت والعموم في عليكم لا يستفاد من دليل منفصل هو الاجماع وذلك الدليل مفقود هاهنا الصيام
بل الاجماع منعقد على انه من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون ديار المسلمين فانه يتعين الجهاد حينئذ على الكل وهو كره لكم ليس المراد ان المؤمنين ساخطون
لاوامر الله تعالى فان ذلك ينافي الاسلام وانما المراد كون القتال شاقا على النفس وهذا شان سائر التكاليف وكيف لا والتكليف الزام
ما فيه كلفة ومشقة وانها في القتال اكثر لان الحيوة اعظم ما يميل اليه الطباع فبذلها ليس بهين شعر والجود بالنفس اقصى غاية الجود وايضا
كراهتهم للقتال قبل ان فرض لما فيه من الخوف من كثرة الاعداء واثارة نوائر الفتن فبين تعالى ان الذين تكرهونه من القتال خير لكم من تركه للمصالح
التي نذكرها والكره الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي هو مكروه لكم وقرئ بالفتح
بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم كقوله تعالى
حملته امه كرها ووضعته كرها وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته مما لم تكره عليه واذا كان بالاكراه فبالفتح وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فربما كان
الشيء شاقا عليكم في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في الاستقبال وبالضد ولهذا حسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في الاستقبال
وحسن تحمل الاخطار في الاسفار لتحصيل الربح في المال وكذا تحمل المتاعب في طلب العلم للفوز بالسعادة العظمى في الدنيا والعقبى شعر العلم اوله مر
مذاقته لكن آخره احلى من العسل وهاهنا كذلك لان ترك الجهاد وان كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الانفاق
ولكن فيه انواع من المفاسد والمضار ادناها تسلط الكفار واستيلاؤهم على ديار المسلمين وربما يؤدي الى ان استباحوا بيضة الاسلام واستباحوا
حريمهم واستاصلوهم عن آخرهم واما منافع الجهاد فمنها الظفر بالغنائم ومنها الفرح العظيم بالاستيلاء على العدو واما ما يتعلق بالدين فالثواب
عليه والثواب في الآخرة وترغيب الناس في الاسلام واعلاء كلمة الله وتوطين النفس للفراق عن دار البلاء والانقطاع عن عالم الحس قال
الخليل عسى من الله واجب في القرآن قال فعسى الله ان ياتي بالفتح وقد وجد وعسى الله ان ياتيني بهم جميعا وقد حصل والتحقيق ان معنى الرجاء
يعود الى المكلف وان كان المرجو حاله معلوما لله تعالى كما جاء في لعل والله يعلم وانتم لا تعلمون وذلك ان علمه تعالى يتعلق بعلم الاسباب
وما يترتب عليها والحوادث وما تشارك هي منها يحيط علمه بالمبادي والغايات ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات واما علمكم فغالب
فلعلكم تنعكس التصورات فتظنون المبادي غايات وبالعكس والمصالح مفاسد وبالضد وفيه ترغيب عظيم في اداء وظايف التكاليف
وتخويف شديد عن متابعة العصيان والمردود فان الانسان اذا تصور قصور نفسه وكمال علم الله تعالى علم انه لا يامر العبد الا بما فيه خيره وصلاحه
فيلزم نفسه امتثاله وان كرهه طبعه فكانه تعالى يقول ايها العبد اعلم ان علمي اكمل من علمك فكن مشتغلا بطاعتي ولا تلتفت الى مقتضى طبعك وهو كما
قال في الآية في هذا المقام يجري مجرى قوله تعالى في جواب الملائكة اني اعلم ما لا تعلمون الحكم الثالث قوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام اكثر
المفسرين على ان هؤلاء السائلين هم المسلمون حيث اختلج في صدورهم ان يكون امر القتال مقيدا بغير الشهر الحرام والمسجد الحرام فسالوا النبي
صلى الله عليه وسلم هل يحل لهم القتال في هذا الزمان وهذا المكان ام لا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث
معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة و
سهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى
تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله
يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك
ان تاتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه قد نهاني ان استكره احدا منكم حتى اذا كان
بمعدن فوق الفرع قد اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستاذنا ان يتخلفا في طلب بعيرهما فاذن لهما فتخلفا
في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينا هم كذلك مرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة
من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا
امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا راس عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا
يرون انه من جمادى وهي رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم
فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتل فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان وكانا اول اسيرين في الاسلام
وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد
الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس لمعايشهم فسفك فيه الدماء واخذ فيه الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ من ذلك شيئا فعظم
ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري
افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان
اول خمس وقسم الباقي بين اصحاب السرية فكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة في فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة
وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا

واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وقيل ان هذا السؤال كان من الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو اخبرهم بانه حرام استحلوا قتاله فيه فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه خفض على انه بدل الاشتمال عن الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير العامل وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير اي عظيم مستنكر كما يسمى الذنب العظيم كبيرة وانما جاز وقوع قتال مبتدأ لكونه موصوفا بالظرف فان قيل كيف نكر القتال في قوله قل قتال ومن حق النكرة اذا تكررت ان يكون المذكور ثانيا معرفا اشارة الى الاول والا كان الثاني مغايرا للاول قلنا لان المراد بالقتال الاول الذي سألوا عنه القتال الذي اقدم عليه عبد الله بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم ان يكون ذلك من الكبائر مع ان الغرض منه كان نصرة الاسلام واعلاء كلمته فاختير التنكير ليكون تنبيها على ان القتال المنهي عنه هو الذي فيه تقوية الكفر وهدم قواعد الدين لا الذي سألوا عنه ثم الجمهور اتفقوا على ان حكم هذه الآية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل بقي ذلك الحكم ونسخ عن ابن جريج انه قال حلف لي بالله عطاء انه لا يحل للناس الغزو في الحرم ولا

[illegible]

هو كفر بمحمد مجمع عليه وكتب نبي من الانبياء واخرى بالفعل الذي يوجب استهزاء صريحا بالدين كالسجود للشمس والصنم والقاء المصحف في القاذورات وكذا لو اعتقد وجوب ما ليس بواجب ويشترط في صحة الردة التكليف فلا تصح ردة الصبي والمجنون وههنا بحث اصولي وهو ان جماعة من المتكلمين ذهبوا الى ان شرط صحة الايمان والكفر حصول الموافات فالايمان لا يكون ايمانا الا اذا مات المؤمن عليه والكفر لا يكون كفرا الا اذا مات الكافر عليه لان من كان مؤمنا ثم ارتد والعياذ بالله فلو كان ذلك الايمان الظاهر ايمانا في الحقيقة لكان قد استحق عليه الثواب الابدي فاما ان يبقى الاستحقاقان وهو محال واما ان يقال ان الطارئ يزيل السابق وهو ايضا محال لانهما متنافيا وليس احدهما اولى بالتأثير من الآخر بل السابق بالدفع اولى من اللاحق بالرفع لان الدفع اسهل من الرفع وايضا شرط طريان الطارئ زوال السابق فلو علل زوال السابق بطريان الطارئ لزم الدور وبحث فروعي وهو ان المسلم اذا صلى ثم ارتد ثم اسلم في الوقت فعند الشافعي لا اعادة عليه لان شرط حبوط العمل ان يموت على الردة لقوله تعالى عطفا على الشرط فيمت وهو كافر وعند ابي حنيفة لزمه قضاء ما ادى وكذلك الحج لما جاء في مواضع مطلقا ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون والحبط في اللغة ان يأكل الابل شيئا يضرها فتعظم بطونها فتهلك وفي الحديث وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم سمي بطلان الاعمال حبطا لانه كفساد الشيء بسبب ورود المفسد عليه ولا شك ان المراد من احباط العمل ليس ابطال نفس العمل لان العمل شيء كما وجد فني وزال واعدام المعدوم محال فقال المثبتون للاحباط والتكفير المعنى ان عقاب الردة الحادثة يزيل ثواب الايمان السابق اما بشرط الموازنة كما هو مذهب ابي هاشم وجمهور المتأخرين من المعتزلة او لا بشرط الموازنة كما هو مذهب ابي علي وقال المنكرون للاحباط المراد بالاحباط الوارد في كتاب الله هو ان المرتد اذا اتى بالردة فتلك الردة عمل محبط لانه لا يمكنه ان يأتي بدلها بعمل يستحق ثوابا فمعنى حبط عمله انه اتى بعمل ليس فيه فائدة بل فيه مضرة عظيمة او المراد تبين ان اعماله السابقة لم تكن معتدة بها شرعا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم لم يكن لهم اجر فنزلت ان الذين آمنوا الآية لان عبد الله كان مؤمنا وكان مهاجرا فصار بسبب هذا القتال مجاهدا وقيل انه تعالى لما اوجب الجهاد بقوله كتب عليكم القتال وبين ان تركه سبب للوعيد اتبع ذلك ذكر من يقوم به فقال ان

الذين آمنوا الآية ولا يكاد يوجد وعيد الا ويعقبه وعد ومعنى هاجروا فارقوا اوطانهم وعشائرهم من الهجر الذي هو ضد الوصل والتركيب القبيح لانه مما ينبغي ان يهجر وجاز ان يكون المراد ان الاحباب والاقارب هجروه بسبب هذا الدين وهو ايضا هجرهم بهذا السبب فكان ذلك مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذي هو المشقة او من الجهد بالضم الطاقة لانه يبذل الجهد في قتال العدو عند فعل العدو مثل ذلك ويجوز ان يكون معناها ضم جهده الى جهد اخيه في نصرة دين الله والمساعدة ضم ساعده الى ساعد اخيه لتحصيل القوة اولئك يرجون رحمة الله يحتمل ان يكون الرجاء بمعنى القطع واليقين لكن في اصل الثواب والظن انما دخل في كميته وكيفيته وفي وقته ويحتمل ان يراد المنافع التي يتوقعونها فان عبد الله بن جحش ما كان قاطعا بالثواب في عمله بل كان يظن ظنا وانما جعل الوعد معلقا بالرجاء ليعلم ان الثواب على العمل غير واجب وانما ذلك بفضله ورحمته كما هو مذهبنا ولو وجب ايضا صح لانه معلق بان لا يكفر بعد ذلك وهذا الشرط مشكوك ايضا المذكور ههنا هو الايمان والهجرة والجهاد ولا بد للانسان مع ذلك من سائر الاعمال والتوفيق فيها مرجو من الله تعالى وايضا المراد وصفهم بانهم يفارقون الدنيا مع هذه الخصال مستقصرين انفسهم في نصرة دين الله فيقدمون عليه راجين رحمته خائفين عقابه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون والله غفور رحيم يحقق لهم رجاءهم ان شاء بعميم فضله وجسيم طوله عن قتادة هؤلاء اخيار هذه الامة جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب وقال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب روي عن لقمان انه قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره وارجه اشد من خوفك قال فكيف استطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن كذي قلبين يخاف باحدهما ويرجو بالآخر وهذا لانهما من حكم الايمان وهما للمؤمن كالجناحين للطائر اذا استويا استوى الطير وتم في طيرانه ومن ههنا قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا والله اعلم

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ۞ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ۞

القراءة اثم كثير بالثاء المثلثة حمزة وعلي الباقون بالباء قل العفو بالرفع ابو عمرو الباقون بالنصب لاعنتكم بغير همز روى ابو ربيعة عن اصحابه وعن حمزة وجهان في الوقف ترك الهمزة لبيان المذهب والهمز ليدل على اصل الكلمة الوقوف والميسر ط للناس ز قد يجوز مع اتفاق الجملتين تنبيها على ان بيان الثانية اهم من الاولى من نفعهما ط ينفقون ط العفو ط تتفكرون لا لتعلق الجار والآخرة ط اليتامى ط خير ط فاخوانكم ط المصلح ط لاعنتكم ط حكيم ه يؤمن ط لاجل لام الابتداء بعده اعجبتكم ج لوقوع العارض وان تعقبت الجملتان يؤمنوا ط اعجبكم ط ج الى النار ج والوصل اجوز لان مقصود الكلام بيان تفاوت الدعوتين مع اتفاق الجملتين ومن وقف اراد الفصل بين ذكر الحق والباطل باذنه ج لان جملة والله يدعو يقابل الجملة الاولى فلم يكن قوله ويبين الله من تمامها اذ ليس في الجملة الاولى ذكر بيان ومن وصل فللعطف المستقبل على المستقبل يتذكرون التفسير الحكم الثالث بيان حرمة الخمر والميسر قالوا نزلت في الخمر اربع آيات بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا واقام الصلوة بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه اعرابي بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والحكمة في وقوع التحريم على هذا الوجه ان القوم قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلو منعوا دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فان الفطام من المألوف شديد فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدريج والرفق واختلف العلماء في مفهوم الخمر فقال الشافعي كل شراب مسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب احتج بما روى ابو داود في سننه عن الشعبي عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنه قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وهذا دليل على ان الخمر عندهم كل ما خامر العقل اي خالطه والتركيب يدل على الستر والتغطية ومنه خمار المرأة وكذا ما روي عن النعمان ابن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا قال الخطابي انما جرى ذكر هذه الاشياء خصوصا لكونها معهودة في ذلك الزمان وكل ما في معناها من ذرة او سلت او عصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كما ان تخصيص الاشياء الستة بالذكر في خبر الربوا لا يمنع من ثبوت حكم الربوا في غيرها وعن نافع وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام فمراد الشارع ان كل مسكر فهو خمر لغة او شرعا فيكون حقيقة لغوية او شرعية كالصلوة وان منع ذلك فلا اقل من ان يكون معناه انه كالخمر في الحرمة وهو المراد وعن عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع وهو شراب يتخذ من العسل فقال صلى الله عليه وسلم كل شراب اسكر فهو حرام وعن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي

والمفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في الاعضاء وايضا الآيات الواردة في الخمر منها اثنتان بلفظ الخمر وغيرها بلفظ المسكر مثل لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى وفيه دليل على ان المراد بالخمر هو المسكر وكذا في قول عمر ومعاذ رضي الله عنهما الخمر مذهبة للعقل فانه يوجب ان كل ما كان مساويا
للخمر في هذا المعنى اما ان يكون خمرا واما ان يكون مساويا للخمر في علة التحريم وايضا قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء
في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولا شك ان هذه الافعال معللة بالسكر فيعلم منه ان حرمة الخمر معللة بالاسكار فاما ان يجب
القطع بان كل مسكر خمر واما ان يلزم الحكم بالحرمة في كل مسكر حجة ابي حنيفة قوله تعالى تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا من الله تعالى علينا باتخاذ
السكر والرزق الحسن والنبيذ سكر ورزق حسن فوجب ان يكون مباحا لان المنة لا تكون الا بالمباح وايضا ما روي في الصحيحين عن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم استسقى فقال رجل يا رسول الله الا اسقيك نبيذا قال بلى فخرج يسعى فجاء بقدح فيه نبيذ فشرب واعلم ان المسكر حرام عندنا
قل ام كثر نيا او مطبوخا لقوله صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام قال الخطابي الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان ان الحرمة شاملة
لجميع اجزاء الشراب وعن ابن عباس انه جاء رجل فسأله عن العصير فقال اشربه ما كان طريا قال اني طبخته وفي نفسي منه شيء قال اكنت شاربه قبل
ان تطبخه قال لا قال فان النار لا تحل شيئا قد حرم قال ابو حنيفة هو المطبوخ من عصير العنب ان ذهب اقل من ثلثيه فهو حرام لكن لا حد على شاربه
الا اذا اسكر وان ذهب ثلثاه فهو حلال الا القدر المسكر فيحرم ويتعلق بشربه الحد روي ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله اما بعد فاطبخوا شرابكم
حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد ونقيع التمر والزبيب اذا اشتد فهو حرام لكن لا حد فيه ما لم يسكر فان طبخ فهو حلال الا القدر
الذي يسكر فان ذلك حرام ويحد به ولا يعتبر في النقيع ذهاب الثلثين ونبيذ الحنطة والشعير والعسل وغيرها حلال نيا كان او مطبوخا ولا يحرم
الا القدر المسكر وذكروا في حد السكران عبارات نعن الشافعي هو الذي اختلط كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم وقيل الذي لا يفرق بين
السماء والارض وقيل الذي يتمايل في مشيه ويهذي في كلامه والاقرب ان الرجوع فيه الى العادة ثم ان قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر ليس فيه
بيان انهم عن اي شيء سألوا فيحتمل انهم سألوا عن حقيقته وماهيته ويحتمل انهم سألوا عن حل الانتفاع وحرمته ويحتمل انهم سألوا عن حله
وحرمته الا انه تعالى اجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة اي يسئلونك عما في تعاطيهما
واما كيفية دلالة الاية على الحرمة فهي انها مشتملة على ان في الخمر اثما والاثم حرام لقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم وتمام تقريره منهما
هذا ان السؤال كان واقعا عن مطلق الخمر وقد جعل الله تعالى الاثم لازما لهذه الماهية فيلزمها الاثم على جميع التقادير من الشرب وغير ذلك
من وجوه الانتفاع والاستعمال ونصرح ايضا بان الاثم الحاصل منها اكبر من النفع المتوهم فيها عاجلا وانما لم يقنع كبار الصحابة بهذه الاية طلبا
لما هو اكد في التحريم نصا والطفا كما التمس ابراهيم صلوات الرحمن عليه مشاهدة احياء الموتى طلبا لمزيد الايقان وركونا الى سكون النفس
بالعيان فان قيل لما كان الاثم لازما لماهية الخمر من حيث هي فلم لم تكن محرمة في سائر الشرائع قلت كم من نقص في الاديان السالفة تممه تشريع
خاتم النبيين وايضا هذا اللزوم شرعي ويمكن ان يختلف الشرائع بحسب اختلاف الازمان ولا سيما اذا اعتبرت مصالح الانسان والميسر
القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اي قمرته من الياسر لانه يسلب يساره عن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر مشتق
على اهله وماله او من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد وتعب وقال ابن قتيبة الميسر من التجزئة والاقتسام يقال يسروا الشيء اي
اقتسموه فالجزور نفسه يسمى ميسرا لانه يجزأ اجزاء والياسر الجازر ثم يقال للقامر ياسر لانه بسبب ذلك الفعل يجزئ لحم الجزور وقال الواحدي يسر
الشيء اي وجب والياسر الواجب بسبب القدح واما صفة الميسر على ما في الكشاف فهي انه كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام والاقلام
اساميها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم
من جزور ينحرونها ويجزءونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة و
للحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم
رجل رجل قدحا قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا
وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم
قال العلماء وفي حكم الميسر سائر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما
من ميسر العجم وعن ابن سيرين ومجاهد وعطا كل شيء فيه خطر فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز روي ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم
وهم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون الا ان الشافعي رخص في الشطرنج اذا خلا عن الرهان وكف اللسان عن الطغيان
وحفظ الصلوة عن النسيان فان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك ويحكى اللعب به عن ابن الزبير وابي هريرة وكثير
من السلف واما السبق بالنصل والخف والحافر فجائز بالاتفاق لقوله صلى الله عليه وسلم لا سبق الا في نصل او خف او حافر وذلك لما
فيهما من التاهب للجهاد والكلام في تفاصيلها وشروطها مذكور في كتب الفقه قل فيهما اثم كبير اي انهما من الكبائر ومن قرأ بالثاء فلتعني الكثرة
ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه كثيرة اما في الخمر فلانها عدو العقل الذي هو عقال الطبع واشرف خصائص الانسان
ومقابل الاشرف يكون اخس الاشياء حكي بعض الادباء انه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضئ ويقول الحمد لله الذي جعل
الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك فقال ما انا بآخذ جهلي بيدي
فادخله في جوفي ولا ارضى ان اصبح سيد قوم وامسي سفيههم ومن خواصها ان الانسان كلما كان اشتغاله بها اكثر كان الميل اليها اتم و
قوة النفس عليها اقوى بخلاف سائر المعاصي كالزنا وغيره ويكفي بقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ويكفي قوله صلى الله عليه وسلم الخمر ام الخبائث ذما لها وتقريرا لاثم شاربها وقد لعن رسول الله
بسبب الخمر عشرة وقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما
طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وكذا الكلام في الميسر مع ان فيه اكل الاموال بالباطل واما المنافع المذكورة فهي انهم كانوا
يتغالون بها اذا جلبوها من النواحي وكان المشتري اذا ترك المماكسة في الثمن يعد ذلك فضيلة ومكرمة وكان يكثر ارباحهم بذلك السبب قال ابو محجن يتغالون به
شعرا وتهار فاخرجي بذاكم بيان البنا تجرا ولسوقها قال بقراط في الخمر عشرة منافع حسية وخمس نفسانية فالجسمانية انها تجود الهضم

وتشجع
ويدر البول ويحسن البشرة وتطيب النكهة وتزيد في الباه والنفسانية انها تسر النفس وتقرب الامل وتشجع النفس وتحسن الخلق وتزيل البخل ومن منافع
الميسر التوسعة على ذوي الحاجات لانهم كانوا يفرقونه على المساكين فيكتسبون به الثناء والمدح ولا ريب ان من منافع الخمر والميسر لكونهما مظنونة عاجلة قل
من اثمهما لكونه متيقن الحساب دائم العذاب والعاقل لا يختار النفع القليل الزائل بعقاب ابدي لا نهاية له الحكم الرابع ويسئلونك ماذا ينفقون و
قد تقدم ذكر هذا السؤال واجيب عنه بذكر المصرف واعيد ههنا فاجيب بذكر الكمية وذلك ان الناس لما رأوا الله ورسوله يحضان على الانفاق ويدلهان
على عظم ثوابه سألوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال او بعضه ومعنى العفو ما تيسر وسهل مما يكون فاضلا عن الكفاية ويشبه ان يكون العفو من العفاء
راجعا الى التيسير والتسهيل ويقال للارض السهلة العفو ومن قال ان العفو هو الزيادة فهو ان الغالب ان ذلك انما يكون فيما يفضل عن حاجة الانسان
في نفسه وعياله وحاصل الامر يرجع الى التوسط في الانفاق والنهي عن التبذير والتقتير وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحبس لاهله قوت سنة وقال
صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما ابقت غنى وابدأ بمن تعول وللعلماء في هذا الانفاق خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون العفو هو الزكوة وذكرها
ههنا مجملة وتفصيلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا لبين مقداره ولم يفوض الى رأي المكلف وقيل ان هذا كان قبل نزول آية الصدقات
وكانوا مأمورين بان يأخذوا من مكاسبهم ما يكفيهم في عامهم وينفقوا الفضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين الله لكم الآيات اي كما بين لكم وجوه الانفاق ومصارفها
فهكذا يبين لكم في مستأنف ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتأخذون بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق
وغيره او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما اي لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة
والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا الادنى على الاعلى ويجوز ان يتعلق بيبين اي يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون الحكم
الخامس ويسئلونك عن اليتامى عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما عزلوا اموالهم فنزلت وعنه عن ابن عباس قال لما
انزل الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين يأكلون انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه
وجعل يحبس له ما يفضل من طعامه حتى يأكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير
وهو كلام جامع لمصالح اليتيم والولي اما لليتيم فلانه يتضمن صلاح نفسه بالتقويم والتأديب وصلاح ماله بالتبقية والتثمير لئلا يأكله النفقة عليه والزكوة منه
واما للولي فلان احراز الثواب خير له من التحرز عن مال اليتيم حتى يختل معاشه وينفد معيشته وقيل الخير عائد الى الولي يعني اصلاح اموالهم من غير عوض و
لا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل عائد الى اليتيم اي مخالطتهم بالاصلاح خير لهم من التفرد عنهم والاعراض عن امورهم والاصوب هو القول الاول لان
جهات المصالح مختلفة غير مضبوطة فينبغي ان يكون نظر المتكفل لامور اليتيم على تحصيل الخير في الدنيا والآخرة لنفسه ولليتيم في ماله ونفسه وان تخالطوهم
فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الاسلام والمخالطة جمع يتعذر فيه التمييز قيل المراد وان تخالطوهم في الطعام والشراب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم
فذلك جائز كما يفعله المرء بمال ولده ومع اخوانه في الدين فان هذا ادخل في حسن العشرة والمؤالفة وقيل المراد بهذه المخالطة اخذ مقدار اجرة المثل
في ذلك العمل وسنشرح المذاهب في ذلك ان شاء الله تعالى اذا انتهينا الى تفسير قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف و
قيل المراد ان تخالطوا اموال اليتامى باموال انفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية جهات المصلحة والغبطة للصبي وحمل بعضهم المخالطة على المصاهرة
واختاره ابو مسلم لان هذا خلط اليتيم نفسه والشركة خلط لماله وايضا الشركة داخلة في قوله قل اصلاح لهم خير والخلط من جهة النكاح وتزويج البنات منهم
لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب وايضا انه تعالى قال بعد هذه الاية ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان المعنى ان المخالطة المندوب اليها
انما هي في اليتامى الذين هم لكم اخوان في الاسلام ليتأكد الالفة بالمناكحة فان كان اليتيم من المشركين فلا تفعلوا ذلك والله يعلم المفسد لامورهم من المصلح
لها او يعلم ضمائر من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازيه على حسب غرضه ومقصده فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفيه تهديد
عظيم لكانه قال انا المتكفل بالحقيقة لامر اليتيم وانا المطالب لوليه ان قصر ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة بان يضيق عليكم طرق المخالطة
معهم وعن ابن عباس لو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا وذلك انهم كانوا في الجاهلية قد اعتادوا والانتفاع باموال اليتامى وربما
تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها او يزوجها من ابن له كيلا يخرج مالها من يده وقد يستدل بالاية على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه وعلى انه تعالى
قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات ما جاز ان يقول ولو شاء لاعنتكم ولهذا قال ان الله عزيز غالب يقدر على
ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم الحكم السادس ولا تنكحوا المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الاية ابتداء
شرع وحكم آخر في بيان ما يحل ويحرم وعن ابي مسلم انه متعلق بقصة اليتامى ترغيبا في مخالطتهن دون مخالطة المشركات عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة
في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستأمره فاستأمره فنزلت هذه الاية ثم العلماء اختلفوا في الاية في موضعين الاول في لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب
الشافعي انه حقيقة في العقد لقوله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل ولا شك ان المتوقف على الولي والشاهد هو العقد لا الوطء
ولقوله صلى الله عليه وسلم ايضا ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى وانكحوا الايامى وقال الجمهور من اصحاب ابي حنيفة انه حقيقة في الوطء
لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي اليه الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطء بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق
عسيلتك وقال صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس من قال النكاح عبارة عن الضم يقال نكح المطر الارض اذا وصل
جميعا اليها ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطء فيحسن استعمال اللفظ فيهما قال ابن جني سألت ابا علي عن قولهم نكح المرأة فقال فرقت
العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا نكح فلان فلانة ارادوا انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا نكح امرأته او زوجته لم يريدوا غير المجامعة الا ان
المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح في هذه الاية هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات الثاني لفظ المشرك هل يتناول الكفار من اهل الكتاب
ام لا قال الاكثرون يتناول بغير قرينة لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك احتمل ان يغفر الله لهم وذلك باطل بالاتفاق وايضا
النصارى قائلون بالتثليث وليس ذلك في الصفات فان اكثر المسلمين ايضا يثبتون لله تعالى صفات قديمة فاذن هو في الذات وهذا شرك
محض وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اميرا وقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم و
ان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان هم اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم سمى من يقبل الجزية وعقد الذمة بالمشرك وقال ابو بكر الاصم كل من جحد

رسالته فهو مشرك من حيث ان تلك المعجزات التي ظهرت على يده كانت خارجة عن قدرة البشر وهم انكروها واضافوها الى الجن والشياطين
فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه بان اليهودي حيث لا يسلم ان ما ظهر على يد محمد عم
هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافته ذلك الى غير الله والجواب انه لا اعتبار باقراره وانما الاعتبار بالدليل
فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز خارج عن قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان والنبات الى الافلاك
والكواكب احتج المخالف بانه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين في الذكر حيث قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين والعطف يقتضي التغاير واجيب بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر يكفي في العطف او لعله خص الكلام
اولا ثم عمم هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا ان اكثر عبدة الاوثان معترفون بان اله العالم واحد وانه ليس له
في الالهية بمعنى خلق العالم وتدبيره شريك ونظير فظهر ان وقوع اسم المشرك عليهم ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة والزكوة واذا
كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم لا سيما وقد تواتر النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بانه يسمي كل من كان كافرا
بانه مشرك التفريع ان قيل المشركات يشمل الحربيات والكتابيات جميعا فالاية منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شيء منها قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي لا يقال لعل المراد من امن بعد ان كان من اهل
الكتاب لان قوله والمحصنات من المؤمنات يشمل من امن منهن فيبقى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ضايعا ولاجماع الصحابة
على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة تزوج يهودية او نصرانية فكتب اليه عمر ان خل سبيلها فكتب اليه اتزعم انها حرام فقال
لا ولكني اخاف وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء اهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا وعن
وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبايحهم و
لو لم يكن نكاح نسائهم جائزا لكان هذا الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات تختص بالحربيات فالاية ثابتة وباقية على عمومها
ومن الناس من زعم ان هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من التزوج بالمشركات وروي هذا عن الحسن وزيف بان رفع مباح الاصل ليس بنسخ
لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين الا ان يقال ان تجويز نكاح المشرك قبل نزول الاية كان ثابتا من قبل الشرع قوله
حتى يؤمن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام ولكن لا يدل هذا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة
عن الاقرار فقط لما مر في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب انه لا بد في الايمان الحقيقي من التصديق القلبي الا انه اكتفي ههنا بالاقرار الظاهري
لانه هو امارة الايمان بالنسبة الينا فلا اطلاع لنا على صميم القلب والسريرة موكولة الى علام الخفيات فان وافق سره العلن كان مؤمنا
والا كان منافقا جدا ولامة مؤمنة هذه اللام كانت في افادة التوكيد تشبه لام القسم والمراد بالامة وكذا بالعبد في قوله ولعبد مؤمن امة الله
وعبده لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه اي ولامراة مؤمنة حرة او مملوكة خير من مشركة ولو اعجبتكم للمبالغة والجواب محذوف اي
ولو كانت المشركة تعجبكم بمالها وجمالها ونسبها فالمؤمنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال والنسب يتعلق بالدنيا ورعاية الدين
اولى من رعاية الدنيا ان لم يتيسر الجمع بينهما وقد تحصل المحبة والتالف عند التوافق في الدين فتكمل منافع الدنيا ايضا من حسن الصحبة والعشرة وحفظ
الغيب وضبط الاموال والاولاد واما عند اختلاف الدين فتنعكس هذه القضايا وقد يراد اضداد ما يتوقع منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنكح المراة لاربع لمالها وحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقد ظن بعضهم ان المراد بالامة عند الحرة فقال التقدير ولامة مؤمنة
خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعض اخر الى ان في الاية دلالة على ان القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة لان الاية
دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة لانه لا سبب لتفاوت الايمان والكفر لا يتفاوت قدر المال المحتاج
اليه في اهبة النكاح فيلزم قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لا خلاف ههنا في ان المراد به
الكل وان المؤمنة لا يحل تزويجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفرة اولئك المشركات والمشركون يدعون الى النار اي الى ما يؤدي اليها فان
الزوجية مظنة الالفة والمحبة في الظاهر وقد تحمل المودة على الاتفاق في الدين فلعل المؤمن يوافق الكافر والاحتراز عن مظنة الارتداد اهم من الطمع
في اسلام المشرك فعليهم ان لا يوالوا ولا يظاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون الى ترك المحاربة والجهاد
وفي ترك الجهاد استحقاق النار والعذاب وغرض هذا القائل ان يجعل هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على ترك الجهاد
وقيل ان الولد الذي يحدث ربما دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو الدعوة الى النار والله يدعوا الى الجنة حيث امر بالتزوج
بالمسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل الجنة او المراد ان اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يؤدي اليهما فهم الذين تجب موالاتهم
ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتوفيق الله وتيسيره للعمل الذي يستحق به الجنة والغفران وقرا الحسن والمغفرة بالرفع على الابتداء
اي والمغفرة كائنة بتيسيره ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون معناه واضح اذ قد عرفت فيما مر ان التذكر محاولة استرجاع الصورة المحفوظة
فكان الايات تنبه على ما هو مركوز في العقول من حقية دين الاسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر
الناس لا يعلمون التاويل ان خمر الظاهر كما تتخذ من اجناس مختلفة كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها فكذلك خمر الباطن
من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه تسكر النفوس والعقول الانسانية التي هي مناط التكليف فلهذا حرمت
في عالم التكليف واما ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات في اقداح المشاهدات من ساقي تجلي الصفات اذا
دارت الكؤوس الجذب شهوات النفوس فتسكر القلوب بالمواجيد عن المواعيد والارواح بالشهود عن الوجود والاسرار بمطالعة الجمال من ملاحظة
الكمال وهذا شراب حلال لانه فوق عالم التكليف وانه يمزج للتلطيف بالتكليف فيه منافع للناس وملاذ لاهل القلوب والاستيناس شعر
فنحوك من لفظي هو الوصل كله وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا فما مل ساقيها وما مل شارب عقار لحاظ كاسه يسكر اللبا قوم اسكرهم وجود
الشراب وقوم اسكرهم شهود الساقي شعر فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المدير الكاس والشراب والساقي والسقي ههنا واحد كما
شعر رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانها خمر ولا قدح وكانها قدح ولا خمر واثمهما الاعراض عن كؤوس الوصال في النهاية
اكبر من نفع التطلب للغفلة في البداية اما الميسر فانه اسهم كبير عند الاخيار وانه لبعيد عن خصال الابرار ولكن نفعه عدم الالتفات الى الكونين
وبذل نقوش العالمين في قربانه لنقش الكعبتين واثمهما اكبر من نفعهما لان اثمهما للعوام ونفعهما للخواص والعوام اكثر من الخواص وبعبارة اخرى الاثم

في الخمر الظاهر والميسر الظاهر ◎ والنفع في الخمر الباطن والميسر الباطن ◎ واهل الظاهر اكثر من اهل الباطن ◎ والله اعلم بحكمه الكمال

ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن
فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ◎ نساؤكم حرث لكم
فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر
المؤمنين ◎ ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
والله سميع عليم ◎ لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ◎ والله
غفور حليم ◎ للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا
فان الله غفور رحيم ◎ وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم ◎

القراءة حتى يطهرن بالتشديد والاصل يتطهرن فادغم التاء في الطاء حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص الباقون يطهرن
بالتخفيف من الطهارة انى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرا العباس بالامالة اللطيفة كل القران الباقون بالتفخيم لا يواخذكم وبابه بغير همز
وكل همزة تحركت وتحرك ما قبلها مثل يوخره ويوده واشباه ذلك بغير همز يزيد وورش والشموني وحمزة في الوقف الوقوف عن المحيض ط
اذى لا لان لكونه اذى تاثيرا بليغا في وجوب الاعتزال في المحيض لا للعطف حتى يطهرن ج لان اذا متضمنة الشرط للفاء في جوابه مع فاء
التعقيب فيها امركم الله ط المتطهرين ◎ حرث لكم ص لان الفاء كالجزاء اي اذا كن حرثا فأتوهن والا فقد اختلفت الجملتان شئتم ز فيجوز
لوقوع العارض لانفسكم ط ملاقوه ط المؤمنين ◎ بين الناس ط عليم ◎ قلوبكم ط حليم ◎ اشهر ج رحيم ◎ عليم ◎ التفسير الحكم
السابع ويسألونك عن المحيض قيل انه تعالى جمع في هذا الموضع بين ستة اسولة فذكر الثلاثة الاول بغير الواو والباقية بالواو والسبب ان
سؤالهم عن تلك الحوادث وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من تلك السؤالات سؤال مبتدا وسالوا عن الوقايع
الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن كذا وعن كذا روي ان اليهود والمجوس كانوا
يبالغون في التباعد عن المراة حال حيضها والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وكان اهل الجاهلية اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها
ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك سائر
اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فنزلت الاية فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت
يعني ان المراد من قوله تعالى فاعتزلوا النساء فاعتزلوا مجامعتهن واتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمان الحيض واتفقوا على حل الاستمتاع
بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا فيما دون السرة وفوق الركبة فالشافعي وابو حنيفة وابو يوسف يجب اعتزال ما اشتمل عليه الازار
بناء على ان المحيض مصدر كالمجيء والمبيت والتقدير فاعتزلوا تمتع النساء في زمان الحيض ترك العمل بالاية فيما فوق السرة وتحت الركبة للاجماع
فبقي الباقي على الحرمة وعن زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امراتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك
باعلاها وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالمحيض موضع الحيض والمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من النساء نعم المحيض الاول مصدر ليصح
عود الضمير اليه في قوله قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى المكان والتقدير
هو اذى وانما قدم قوله هو اذى ليترتب الحكم وهو وجوب الاعتزال عليه وذلك ان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة تدفعها طبيعة المراة
من طريق الرحم حتى اذا احتبست تلك الفضلة لمرضت المراة فذلك الدم جار مجرى البول والغائط فكان اذى وقذرا ولا يرد عليه دم
الاستحاضة حيث لا يوجب الاعتزال لان ذلك دم صالح يسيل من عرق ينفجر في عنق الرحم ويؤيده ما روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها
قالت جاءت فاطمة بنت ابي حبيش فقالت يا رسول الله اني امراة استحاض فلا اطهر افادع الصلوة فقال لا انما ذلك دم عرق وليست
بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك الدم وصلي ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واتصل
الحيض في اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهري ومنه قيل الحوض لان الماء يحيض اليه اي يسيل والواو والياء من جنس واحد
وقد ورد في الحديث لدم الحيض صفات منها السواد ويراد به انه تعلوه حمرة متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة ومنها
المحتدم وهو المحترق من شدة حرارته ومنها انه ذو دفعات اي يخرج برفق ولا يسيل سيلا ومنها ان له رائحة كريهة ومنها انه بحراني وهو
الشديد الحمرة وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما
اشتبه الامر فيه فالاصل بقاء التكاليف وزوالها انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان
ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه على المكلف فايجاب التامل في تلك الدماء وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة فالشارع
قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض ومتى حصلت خارج
ذلك الوقت كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين فان رات الصبية دما قبل استكمال التسع
فهو دم فساد قال الشافعي رح واعجل من سمعت من النساء تحيض نساء تهامة يحضن لتسع سنين وقيل ان اول وقت الامكان يدخل بالطعن في
التاسعة وقيل بمضي ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين

استعمال التشبع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا او طهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند الشافعي واحمد يوم وليلة
وعند ابي حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما وليلة لقول علي كرم الله وجهه ما زاد على خمسة عشر يوما فهو
استحاضة وعن عطاء رايت من تحيض يوما ومن تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى المراة الدم في عمرها الا مرة واحدة و
اقله خمسة عشر يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال مالك ما اعلم بين الحيضتين وقتا يعتمد عليه لنا ان الرجوع الى الوجود فقد ثبت ذلك من عادات
النساء وروي انه صلى الله عليه وسلم قال تمكث احديهن شطر دهرها لا تصلي اشعر ذلك باقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء في الحيض ست
او سبع وفي الطهر باقي الشهر قال صلى الله عليه وسلم لحمنة بنت جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى في علم الله
اي مما علمك الله من عادات النساء او من غالب عادات النساء ويحرم في الحيض عشرة اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف والمكث
في المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة القرآن والسجود والغشيان بغير القرآن والطلاق في حق بعضهن ثم ان اكثر فقهاء الامصار على ان
المراة اذا انقطع حيضها لا تحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي والثوري والمشهور عن ابي حنيفة
انها ان رأت الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وان رأته عشرة ايام جاز له ان يقربها قبل الاغتسال
حجة الشافعي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قرأ يطهرن بالتخفيف فانتهاء الحرمة
عنده انقطاع الدم ومن قرأ يطهرن بالتثقيل فالنهاية تطهرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بان تكون النهاية حصول الشيئين ومعنى قوله ولا تقربوهن
اي لا تجامعوهن وهذا كالتاكيد لقوله تعالى فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن المباشرة في موضع الدم وهذا نهيا عن الالتذاذ بما يقرب
من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فاتوهن تعليق للاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم التطهر والمراد بالتطهر
الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المراة فوجب ان يحصل للمراة في كل بدنها لا في بعض من ابعاض بدنها وعن عطاء وطاوس جواز
تغسل الموضع وتتوضأ وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند اعواز الماء من حيث
امركم الله اي المأتي الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابراهيم وقتادة وعكرمة وقال الاصم والزجاج فاتوهن
بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية فاتوهن من قبل الحلال دون الفجور
ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدر عنهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان الدبر ويحب المتطهرين
المتنزهين عن تلك الفواحش فالتائب هو الذي فعله ثم تركه والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه لان الذنب كانه نجاسة روحانية كقوله
انما المشركون نجس او يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار الحكم الثامن
نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله دل على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل
لا قضاء الشهوة فينبغي ان يؤتى المأتي الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فنزلت
هذه الآية وعن ابن عباس جاء عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة
قال فلم يرد عليه شيئا فاوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وتحويل الرحل قيل ظاهر والكناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل انه
في المحل المعتاد ولكن من جهة ظهرها وعنه كانت الانصار تنكر ان ياتي الرجل المراة مجبية اي في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود
وكانت قريش تفعل ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب ليصنع بها ذلك فانكرته عليه فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات بعد ان تتقي الدبر والحيضة
وذلك ان قوله حرث لكم اي مزرع ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه ففرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث
لانه مصدر اقيم مقام المضاف اي مواضع حرث فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم
جهة دون جهة بعد ان يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر وعليه اكثر العلماء ويؤيده قوله قل هو اذى فاعتزلوا
جعل ثبوت الاذى علة للاعتزال ولا معنى للاذى الا ما يتاذى الانسان منه بنتن ونفور وتنفر طبع والاذى في الدبر حاصل ابدا فاعتزالهن فيه
اولى بالوجوب ثم معنى انى شئتم كيف شئتم من قبلها في قبلها او قائمة او باركة او مضجعة وقيل انى بمعنى متى اي فاتوا حرثكم اي وقت شئتم
من اوقات الحل يعني اذا لم تكن اجنبية او محرمة او صائمة او حائضا وعن ابن عباس ان شاء عزل وان شاء لم يعزل وقيل متى شئتم من ليل او نهار
والاصح الاول وعن مالك والشيعة تجويز اتيان النساء في ادبارهن ويحكى ان نافعا نقل عن ابن عمر مثل ذلك واحتجوا بان الحرث اسم المراة
لا الموضع المعين وبان قوله انى شئتم معناه من اين شئتم كقوله انى لك هذا اي من اين وكلمة اين تدل على تعدد الامكنة فيلزم ان يكون المأتي متعددا
وبقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ترك العمل بعمومه في حق الذكور لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق الاناث ولا يخفى ضعف هذه
الحجج ولو سلم تساويها فدلائل الحرمة في القوة فالاجتناب احوط كيف لا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها
ولو لم يكن فيه الا فوات غرض التوالد والتناسل الذي به بقاء النوع الانساني الذي هو اشرف انواع الكائنات لكفى به منقصة وذما واذا كان الزنا
لكونه مزيلا للنسب محرما فكذلك الخمر لكونها دافعة للعقل والقتل لكونه معينا للشخص فلان يحرم هذا الفعل لكونه متضمنا لفناء النوع اولى كاللواطة واتيان
البهيمة والاستمناء ولهذا اعقبه بقوله وقدموا لانفسكم اي افعلوا ما تستوجبون به الجنة والكرامة كقول الرجل لغيره قدم لنفسك عملا صالحا و
ذلك ان الآية اشتملت على الاذن في احد الموضعين والمنع عن الموضع الآخر فكانه قيل لا تكونوا في قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا في قيد
الاخلاص وتقديم الطاعة ثم انه اكد ذلك بقوله واتقوا الله ثم زاد التاكيد بقوله تعالى واعلموا انكم ملاقوه وهذه التهديدات
الثلاثة المتوالية لا تحسن الا اذا كانت مسبوقة بالنهي عن شيء فقوله وقدموا لانفسكم تحريض على فعل الطاعات ويندرج فيه ابتغاء
الولد والتسمية عند الوقاع وغير ذلك من آداب الخلوة وقوله واتقوا الله زجر عن المحظورات والمنكرات وقوله واعلموا انكم ملاقوه
تذكير ليوم البعث والحساب الذي لولاه لضاع فعل الطاعات وترك المنهيات وما احسن هذا الترتيب ثم قال وبشر المؤمنين
كيلا يخلو الوعيد من الوعد ولم يذكر المبشر به وهو الثواب والكرامة ونحوهما لانه كالمعلوم من نحو قوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات واما ان الغرض نفس البشارة مثل فلان يعطي **الحكم التاسع** ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم وهي نهي عن الجراءة على الله بكثرة الحلف به فان من اكثر ذكر شيء في معنى من المعاني فقد جعله عرضة اي معرضا قال فلا تجعلوه في عرضة

للوائم وقد ذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين والحكمة فيه ان من حلف في كل قليل وكثير بالله انطلق لسانه
بذلك فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما كان الانسان اكثر تعظيما لله كان اكمل في العبودية ومن كمال التعظيم ان يكون ذكر الله
اجل واعلى عنده من ان يستشهد به لغرض من الاغراض الدنيوية وقوله ان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
بين الناس لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا واذا ترك الحلف لاعتقاده ان الله اعظم واجل من ان يستشهد
باسمه العظيم في مطالب الدنيا اعتقد الناس في صدق لهجته وبعده عن الاغراض الفاسدة فعد برا متحرزا من الاخلال بواجب حق الله
فيدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم ومعنى آخر وهو ان يكون العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة فتكون اسما للشيء الذي يوضع
في عرض الطريق فيصير مانعا للناس من السلوك ومنه عرض العود على الاناء ويقول فلان عرضة دون الخير وذلك ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات
من صلة الرحم او اصلاح او احسان او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها
خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه فيكون قوله ان تبروا عطف بيان لايمانكم للامور المحلوف عليها التي هي
البر والتقوى والاصلاح بين الناس وعلى هذا فاللام في لايمانكم اما ان يتعلق بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا واما ان يتعلق بعرضة
لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر وتجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به
عرضة لان تبروا والله سميع ان حلفتم به عليم بنياتكم ان تركتم الحلف اجلالا لذكره واليمين في الاصل عبارة عن القوة فسمي الحلف به
بذلك لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولهذا قيل لما لا يعتد به من اولاد الابل
في الدية لغو وهو في الاصل مصدر لغا يلغو قال صلى الله عليه وسلم من قال يوم الجمعة لصاحبه صه والامام يخطب فقد لغا واختلف الفقهاء في
اللغو من اليمين فذهب الشافعي وهو قول عائشة والشعبي وعكرمة الى انه قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل
لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة ومذهب ابي حنيفة وهو ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي
والزهري وسليمان بن يسار وقتادة والسدي ومكحول ان اللغو هو ان يحلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفائدة الخلاف
ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة
يحكم بالعكس من ذلك حجة الشافعي ان الآية تدل على ان لغو اليمين كالمقابل المضاد لما يحصل بسبب كسب القلب لكن المراد من قوله بما كسبت
قلوبكم هو الذي يقصده الانسان على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما تعوده الناس في الكلام لا والله وبلى والله فاما اذا حلف على شيء
انه كان حاصلا جدا ثم ظهر انه لم يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق قوله وربط قلبه بذلك فلم يكن لغوا البتة وايضا انه سبحانه ذكر قبل
هذه الآية النهي عن كثرة الحلف فذكر عقيب ذلك حال هؤلاء الذين يكثرون الحلف على سبيل الاعتياد في الكلام لا على سبيل القصد الى الحلف
وبين انه لا مؤاخذة عليهم ولا كفارة لان ايجاب الكفارة والمؤاخذة عليهم يفضي اما الى ان يمتنعوا من الكلام او يلزمهم في كل لحظة كفارة وكلاهما
حرج في الدين فظهر ان تفسير اللغو بما ذكرنا هو المناسب ويؤيده ما روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لغو اليمين
قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله وروي انه صلى الله عليه وسلم مر بقوم ينتضلون ومعه رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال اصبت
والله ثم اخطأ فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وسلم حنث الرجل يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم كل ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها
ولا عقوبة وعن عائشة رضي الله عنها ايمان اللغو ما كان في الهزل والمراء والخصومة التي لا يعقد عليها القلب واثر الصحابي في تفسير كلام الله
حجة وقال ابو حنيفة اليمين معنى لا يحتمل الفسخ فلا يعتبر فيه القصد كالطلاق والعتاق وايضا انه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين
فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب الكفارة على الحانث مطلقا من غير فصل بين المجد والهازل وقيل ان لغو
اليمين هو الحلف على ترك طاعة او فعل معصية فبين الله تعالى انه لا يؤاخذكم بترك هذه الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي بما اثمتم
على ذلك الذي حلفتم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية وعن الضحاك ان اللغو هي اليمين المكفرة كانه قيل لا يؤاخذكم الله بالاثم في الحلف اذا
كفرتم وقيل هي ما يقع سهوا والمراد بما كسبت قلوبكم هو العقد والنية واختاره القاضي ابو بكر ثم ان الشافعي قال معنى لا يؤاخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو
اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم
بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو
اليمين الغموس وقال مالك في الموطأ احسن ما سمعت ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه
قال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من ان يكون فيه كفارة وانما
الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او
يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تستغفرون او تتوبون عنها
الحكم العاشر للذين يؤلون من نسائهم يقال في اللغة آلى يؤلي ايلاء وايتلى ائتلاء وتألى تأليا والالية والقسم واليمين والحلف كلها واحد
وفي الحديث القدسي آليت ان افعل خلاف المقدرين والايلاء في الشرع هو الحلف على الامتناع من وطء الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة
اشهر وكان الايلاء طلاقا في الجاهلية فغير الشرع حكمه قال سعيد بن المسيب كان الرجل لا يريد المراة ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها
وكان يتركها بذلك لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المراة ثم ان اهل الاسلام كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله ذلك وامهل الزوج
مدة حتى يتروى ويتامل فان راى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان راى المصلحة في المفارقة عن المراة فارقها ثم المتعارف ان يقال
آلى على كذا وانما عدي هاهنا بمن لانه اريد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كما يقال لي منك كذا وضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه
قيل يبعدون من نسائهم او يعتزلون مولين او مقسمين والتربص التثبت والانتظار واضافته الى اربعة اشهر اضافة المصدر الى الظرف كقولهم بينهما
يوم اي مسيرة في يوم فان فاءوا فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب الضرار بالايلاء
وهو الغالب وان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لغير ذلك من الاسباب وان عزموا الطلاق بان عقدوا قلبهم
على حل رابطة النكاح فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة التي هي مثل التوبة واعلم ان للايلاء اركانا اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف

عليه ومدة وهي ظرف المحلوف عليه الركن الاول الحالف وهو كل زوج يتصور منه الوقاع وكان لتصرفه معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم
قوله للذين يؤلون وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاؤه بالله تعالى ويصح بالطلاق والعتاق وايضا لا فرق عندنا بين الحر والرقيق
في المدة وعند ابي حنيفة يتنصف برق المراة وعند مالك برق الرجل كما قالا في الطلاق لنا ان التخصيص خلاف الظاهر ولان تقدير هذه المدة انما
كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع وهو قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة ويصح الايلاء
في حالتي الرضا والغضب لعموم الآية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب وايضا يصح الايلاء عن المراة سواء كانت في صلب النكاح او كانت
مطلقة طلقة رجعية لان الرجعية يصدق عليها انها من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها فتدخل تحت ظاهر قوله يؤلون من نسائهم
ولهذا لو قال لاجنبية والله لا اجامعك لم يكن موليا وايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل غير انه لا ينزل ومن جب جميع ذكره لم يصح
ايلاؤه على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايذاء والامتناع الامر في نفسه وكذا الاشل ومن بقي من ذكره بعد الجب ما دون قدر الحشفة وان آلى
ثم جب فالاصح ثبوت الخيار لها فان لم تفسخ بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض وقد قصد الاضرار في الابتداء واذا كانت المراة رتقاء
او قرناء فالحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون بحال الركن الثاني المحلوف به وهو اسماء الله تعالى وصفاته او غيره فان حلف بالله
كان موليا ثم ان جامعها في مدة الايلاء خرج عن الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين الجديد وقول ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين لان الدلائل
الدالة على وجوب الكفارة عند الحنث باليمين عامة واي فرق بين ان يقول والله لا اقربك ثم يقربها وبين ان يقول والله لا اكلك ثم
يكلمها وانما ترك ذكر الكفارة في الآية لانها مبينة في سائر المواضع من القرآن وعلى لسان الرسول وقوله تعالى فان الله غفور رحيم
يدل على عدم العقاب وانه لا ينافي الكفارة كما ان التائب من الزنى والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك يجب عليه الحد والقصاص واما ان
الحلف في الايلاء بغير الله كما اذا قال ان وطئتك فلله علي عتق رقبة او صدقة او حج او صوم او صلوة فهل يكون موليا الجديد وهو قول ابي حنيفة
ومالك وجماعة من العلماء انه يكون موليا لان العتق والطلاق المعلقين بالوطي يحصلان لو وطي فيكون ما يلزمه بالوطي مانعا له من الوطي ويكون
هو بتعليقه بالوطي مضرا بها فيثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى حتى يضيق الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر ليفئ او يطلق ولا يخفى انه لو كان
المعلق به التزام قربة في الذمة فعليه ما في نذر اللجاج وفيه اقوال اصحها ان عليه كفارة اليمين والثاني عليه الوفاء بما سمى والثالث التخيير بين
كفارة اليمين وبين الوفاء الركن الثالث المحلوف عليه وهو الجماع وهذا من صرائح الفاظه وكذا النيك والوطي والاصابة ومن كناياتها
المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تقبل الا بالنية الركن الرابع المدة فعن ابن عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف ان لا يطاها ابدا
وعن الحسن واسحق انه مول وان حلف يوما وهذان المذهبان في غاية البعد وعن ابي حنيفة والثوري انه لا يكون موليا حتى يحلف على ان لا يطاها
اربعة اشهر او فيما زاد وعن مالك واحمد والشافعي انه لا يكون موليا حتى يزيد المدة على اربعة اشهر فعند الشافعي اذا آلى منها اكثر من اربعة
اشهر اجل لا اربعة اشهر وهذه المدة تكون حقا للزوج فان مضت طالبت المراة الزوج بالفيئة او الطلاق فان امتنع الزوج منها طلقها الحاكم
عليه وعند ابي حنيفة اذا مضت اربعة اشهر يقع الطلاق بنفسه حجة الشافعي ان الفاء في قوله فان فاؤا يقتضي كون ما بعده من حكمي الفيئة
او الطلاق مشروعا متراخيا عن انقضاء الاشهر الاربعة وايضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع صريح في ان وقوع الطلاق انما يكون بفعل
الزوج وفي ان الزوج لا بد ان يصدر عنه شيء يكون مسموعا وما ذاك الا ايقاع الطلاق واجاب ابو حنيفة بان قوله فان فاؤا تفصيل للحكم
المتقدم كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اثبت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول وايضا الايلاء طلاق في نفسه فالطلاق اشارة
اليه وايضا الغالب ان العازم للطلاق والمضرار وترك الفيئة لا يخلو من مقاولة ودمدمة وحديث نفس فذلك الذي يسمعه الله كما يسمع وسوسة
الشيطان واستدل على صحة مذهبه في ان الفيئة لا بد ان تقع في الاشهر بقراءة عبد الله بن مسعود فان فاؤا فيهن ورد بانها شاذة فلا عمل
عليها والرجوع الى الحق اولى والله حسبي التاويل كما ان للنساء محيضا في الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن يمنعهن عن الصلوة والصيام
فكذا للرجال محيض في الباطن هو سبب نقصان ايمانهم يمنعهم عن حقيقة الصلوة وهي المناجاة وعن حقيقة الصوم وهي الامساك عن شهوات
النفوس وكما ان المحيض هو غلبة الدم فكذلك الهوى هو غلبات دواعي الصفات البشرية والحاجات الانسانية فكما غلب الهوى تكدر
الصفاء وحصل الاذى وتدنيل قطرة من الهوى تكدر بحرا من الصفاء ولذلك تؤدي من سرادقات الجلال بالقلوب الرجال فاعتزلوا النساء
النفوس في محيض غلبات الهوى حتى يطهرن يفرغن من قضاء الحوايج الضرورية للانسان من الماكول والمشروب والمنكوح فاذا تطهرن بماء
التوبة والانابة ورجعن الى الحضرة في طلب القربة فاتوهن من حيث امركم الله يعني عند ظهور شواهد الحق لزهوق باطل النفس واضمحلال هواها
ان الله يحب التوابين عن اوصاف الوجود ويحب المتطهرين باخلاق العبودية بل يحب التوابين عن ذل الوجود ويحب المتطهرين بماء الشهود نساؤكم
حرث لكم الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلافة الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبياء
والاولياء القائمون بالله الداعون الى الله باذن الله فكما ان الدنيا مزرعة الآخرة للقوم فالدنيا والآخرة مزرعتهم ومحترثهم يحترثون فيها انى شاؤا
وكيف شاؤا وما تشاؤن الا ان يشاء الله فقد قيدت مشيتهم في مشيته وتعينت قدرة تصرفهم بمقوته لا يؤاخذكم الله القلب كالارض للزراعة
والجوارح كالات الحراثة والاعمال والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع في الارض المربية للزراعة لا تنبت وان كان في الة من الات الحراثة اما ان
كان لما يجري على الظواهر من الخير اثر في القلب ولو كان مثقال ذرة فان الله تعالى من كمال فضله وكرمه لا يضيعه بل يضاعفه فان كان ما يجري
عليه في الظاهر شرا فان لم يكن له اثر في القلب كان لغوا ولا يؤاخذ به وان كان له اثر في القلب فهو بصدد المؤاخذة وان شاء الله غفر للذين
يؤلون من نسائهم من وقع له من اهل الطريقة وقفة او في اثناء السلوك من ملالة النفس ولغزة الطبع فعلى الشيخ والاصحاب ان يعاونوه في الفيئة
ويعاودوه بالهمم العلية ويتربصوا اربعة اشهر لترجع لان هذه مدة تعلق الروح بالجنين كما جاء في الحديث ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما
ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك فان فاؤا الفيئة الى صدق الطلب ورعاية حق الصحبة ونفخ فيه روح الارادة مرة اخرى فاحفظوه
بعين القبول فان هذا ربيع لا يرعاه الا المهزولون ورتع لا يسكنه الا المعزولون بل شرب لا يذوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون
وان عزموا الطلاق لعزمه على طلاق منكوحة المواصلة فان الله سميع لمقالتهم عليم بحالهم وهو حسبي ونعم الوكيل ونعم النصير

والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن

ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا و
لهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق
مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا
الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم
الظالمون فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما
ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك
يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون

القراءة ان يخافا بضم الياء يزيد وحمزة ويعقوب الباقون بفتح الياء يبينها بالنون المفضل الباقون بياء الغيبة يفعل ذلك مدغما حيث
كان ابو الحرث عن علي فقد ظلم مظهرا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وعاصم غير الاعشى الوقوف قروء ط الآخر ط اصلاحا ط بالمعروف
ص لعطف المتفقتين ولاتمام المقصود في تفضيل الرجال درجة ط حكيم ه مرتان ص لعطف المتفقتين باحسان ط حدود الله الاول ط افتدت به
ط تعتدوها ج الظالمون ه زوجا غيره ط لان طلاق الزوج الثاني على خطر الوجود لا منتظر معهود فكان خارجا من مقتضى الجملة الاولى ان
يقيما حدود الله ط يعلمون ه او سرحوهن بمعروف ص لطول الكلام لتعتدوا ج نفسه ط هزوا ز لطول ما بعد يعظكم به ط عليم ه بالمعروف ط
الآخر ط واطهر ط لا تعلمون ه التفسير الحكم الحادي عشر الطلاق ويشتمل على احكام اولها وجوب العدة واعلم ان المطلقة وهي التي
اوقع الطلاق عليها اما ان تكون اجنبية ولا يقع الطلاق عليها في عرف الشرع بالاجماع واما ان تكون منكوحة وحينئذ اما ان لا تكون مدخولا بها
ولا عدة عليها لقوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها واما ان تكون مدخولا بها وحينئذ ان
كانت حاملا فعدتها وضع الحمل قال تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كانت حائلا فان امتنع الحيض في حقها اما للصغر المفرط او
للكبر المفرط فعدتها بالاشهر لا بالاقراء لقوله سبحانه واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن وان كان
الحيض في حقها ممكنا فان كانت رقيقة فعدتها قرآن وان كانت حرة فعدتها ثلثة اقراء بهذه الآية فظهر ان قوله والمطلقات لا يتناول الا المنكوحة
الحرة المدخول بها الحائل عن ذوات الحيض لا يقال العام انما يحسن تخصيصه اذا كان الباقي اكثر من حيث انه جرت العادة باطلاق لفظ الكل على الغالب
لا المغلوب فيقال للثوب اسود اذا كان الغالب عليه السواد لا البياض وههنا الباقي قسم واحد من الاقسام الخمسة فكيف يحسن اطلاق لفظ العام
عليه لانا نقول اما الاجنبية فتخرج بعرف الشرع كما مر واما غير المدخول بها فالقرينة تخرجها لان المقصود من العدة براءة الرحم وكذا الحامل والآيسة
لان ايجاب الاعتداد بالاقراء انما يكون حيث تحصل الاقراء ولا اقراء في احدهما واما الرقيقة فخروجها كالنادر فثبت ان اللفظ باق على تناوله الا
واللام يقل وليتربص المطلقات بل اخرج الامر في صورة الخبر اشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن فهو يخبر عنه موجودا
وبناء الكلام على المبتدا مجازا وايضا فضل تاكيد وتقوية ولو قيل وتتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة وفي ذكر الانفس دون ان يقال يتربصن
ثلثة قروء تهييج لهن على التربص لان فيه ما يستنكفن منه فان انفس النساء طوامح الى الرجال نوازع اليهم فامرن ان يقمعن انفسهن والقروء جمع قرء
او قرء بفتح القاف او ضمها والراء ساكنة في الحالين وفي الصحاح بفتح القاف فقط ولا خلاف ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض والمشهور
انه حقيقة فيهما وقيل حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل انه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما اما لان القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم
في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفراء والكسائي واما لانه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة وهو قول
ابي عبيد واما لان القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى ان لكل من الطهر والحيض وقتا معينا وهذا قول ابي عمرو بن العلاء
ثم ان الله تعالى امر المطلقة بثلثة اشياء تسمى اقراء لكن العلماء اجمعوا على ان الثلاثة يجب ان تكون من احد الجنسين ثم اختلفوا فذهب
الشافعي الى انها الاطهار ويروى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة ومالك وربيعة واحمد في رواية وقال عمر وعلي وابن مسعود هي الحيض
وهو قول ابي حنيفة والثوري والاوزاعي وابن ابي ليلى وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر حتى لو طلقها في حال الطهر يحسب

ان

بقية الطهر قرءا وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابي حنيفة ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان كان في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل او تتيمم عند عدم الماء او تمضي عليها وقت صلوة حجة الشافعي قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي في عدتهن واجيب بان معنى الآية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلث بقين من الشهر اي مستقبلا لثلث وقيل هذا يقوي استدلال الشافعي لان قول القائل لثلث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلث عقيبه فمعنى الآية طلقوهن بحيث يحصل الشروع في العدة عقيبه ولما كان الاذن حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة وروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت هل تدرون ما الاقراء الاقراء الاطهار ثم قال الشافعي والنساء بهذا اعلم وايضا التركيب يدل على الجمع واكثر احوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم آخر الطهر اذ لو لم تمتلئ تلك المغائض لما سال الى الخارج فمن اول الطهر ياخذ في الاجتماع والازدياد الى آخره والحيض هو حال كمال الاجتماع فآخر الطهر هو القرء بالحقيقة وايضا الاعتداد بالاطهار اقل زمانا من الاعتداد بالحيض فيلزم المصير اليه لان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره حق الحبس والمنع وكلما كانت المدة اقل كان اقرب الى هذا الاصل واوفق له وايضا الآية تدل على انها اذا اعتدت بثلثة اشياء تسمى اقراء خرجت عن العدة فيكون ممكنة من الاعتداد بالاطهار التي مدتها اقل ومن الاعتداد بالحيض لان مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالقدر الزائد على مدة الاطهار غير واجب حجة ابي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولان الغرض الاصلي من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام ولان الاصل في الابضاع الحرمة وفي تطويل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير احوط ولان اطلاق طهر كامل على بعض الطهر خلاف الظاهر واذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات ويكون حكم الله تعالى في حق كل احد ما ادى اجتهاده اليه وانتصاب ثلثة قروء على انه مفعول به كقولهم المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على الظرفية اي مدة ثلثة قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء للاتساع فانهم يستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر ولهذا قال بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة وايضا فلعل القروء في حق ذوات الاقراء وعلى وضع الحمل في حق الحامل ولما كان الوصول الى معرفة ذلك متعذرا على الرجال جعلت المرأة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند الشافعي اثنان وثلثون يوما وساعة لانها اذا اطلقت طاهرا ثم حاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة وهو اقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر يوما ثم رأت الدم فقد انقضت عدتها بثلثة اطهار فمتى ادعت هذا او اكثر منه قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لانها على اصل امانتها ولهذا قال سبحانه ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن فاكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى الحبل والحيض معا وذلك ان المرأة لها اغراض كثيرة في كتمانها اما كتمان الحبل فاذا كتمت الحبل قصرت مدة عدتها فتتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج الاول وربما احبت التزوج بزوج آخر واحبت ان يلحق ولدها بالزوج الثاني واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المرأة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب تقصير عدتها لتبطل رجعته فاذا حاضت اولا فكتمته ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها فقد طولت العدة وكذا ان كتمت الحيضة الثالثة واذا كتمت ان حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لان المخلوق في الارحام هو الحبل لا الحيض ولان حمل المعنى على ما هو شريف اولى ولقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لان الآية وردت عقيب ذكر الاقراء ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه وفي قوله ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وفيه ان كل من جعل امينا في شيء فخان فيه فامره عند الله شديد الحكم الثاني للطلاق الرجعة وذلك قوله وبعولتهن احق بردهن والبعل الزوج والجمع البعولة والتاء لتاكيد التانيث في الجماعة كمشورة وليس هذا في كل جمع وانما هو مقصور على السماع ويقال للمرأة ايضا بعل وبعلة كما يقال زوج وزوجة واصل البعل السيد المالك يقال من بعل هذه الناقة اي من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة وعلى هذا فالمضاف محذوف اي اهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن كما قال تعالى في موضع آخر ولئن رددت الى ربي وفي موضع آخر ولئن رجعت فكانه يردها من التربص الى خلافه ومن الحرمة الى الحل في ذلك اي في مدة التربص لانه اذا انقضى ذلك بطل حق الرد والرجعة وانما يكون البعولة احق عند الله تعالى برجعتهن ان ارادوا اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن لا الضرار وتطويل العدة كما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فلو راجعها لقصد المضارة استوجب من الله تعالى العقاب وان صحت رجعته شرعا لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان قيل كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها فالجواب ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها فهذا هو المعنى بالاحقية او المعنى انهن ان كتمن ما في ارحامهن لاجل ان يتزوج بهن آخر فاذا فعلن ذلك كان الزوج الاول احق بردهن وان ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر ولهن من الحق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونهما من الحسنة لا في جنس الفعل فاذا غسلت ثيابه او خبزت لا يجب عليه ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا ياذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وعن ابن عباس انه قال اني لاتزين لامرأتي كما تتزين لي لقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وقيل معنى الآية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند المراجعة مثل ما عليهن من ترك الكتمان وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق والفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من المراتب واصلها من درج الرجل والضب يدرج دروجا اي مشى ودرج اي مضى لسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات وقد فضل الله الرجال على النساء في امور في العقل وفي الدية وفي الميراث وفي نصيبه من المغنم وفي صلاحية الامامة والقضاء والشهادة وفي ان له ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وفي ان له ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاءت المرأة ام ابت ولا قدرة للمرأة على التطليق ولا على الرجعة فاذن المرأة كالاسير العاجز في يد الرجل ولهذا

ولهذا قال

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان وفي خبر آخر اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة وذلك ان من كان نعم الله عليه اكثر كان صدور الذنب عنه اقبح واستحقاقه للزجر اشد وقيل بل الغرض من الآية ان فوائد الزوجية هي السكن والازدواج والالفة والمودة واشتباك الانساب واستكثار الاعوان والاحباب وحصول اللذة وكل ذلك مشترك بين الجانبين بل يمكن ان يقال نصيب المرأة منها اوفر ثم ان الزوج اختص بانواع من الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها فيكون وجوب الخدمة على المرأة اشد رعاية لهذه الحقوق الزائدة فيكون هذا كقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا بالسجود لغير الله لامرت المرأة بالسجود لزوجها والله عزيز حكيم غالب لا يمنع في افعاله واحكامه لا يتطرق اليها احتمال العبث والسفه والغلط والباطل الحكم الثالث للطلاق هو القدر الذي يثبت فيه الرجعة وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يطلق امرأته ثم يراجعها قبل ان تنقضي عدتها ولو طلقها الف مرة كانت القدرة على المراجعة ثابتة له فجاءت امرأة الى عائشة رضي الله عنها فشكت ان زوجها يطلقها ويراجعها يضارها بذلك فذكرت عائشة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل الطلاق مرتان فعلى هذا تكون الآية متعلقة بما قبلها والمعنى ان الطلاق الرجعي نوبتان ولا رجعة بعد الثلث وهذا التفسير من جوز الجمع بين التطليقات الثلث وهو مذهب الشافعي وهو اليق بنظم الكلام لانه تعالى بين في الآية الاولى ان حق الرجعة ثابت للزوج ولم يذكر ان ذلك الحق ثابت دائما او الى غاية معينة فكان ذلك كالمجمل او العام فيفتقر الى مبين فذكر عقيبه ان الطلاق المعهود السابق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة هو ان يوجد طلقتان فقط فاذا وصلت التطليقة الى هذه الغاية بطل حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وقيل ان هذا كلام مبتدأ والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة وكقولهم لبيك وسعديك وهذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلث حرام وزعم ابو زيد الدبوسي في الاسرار ان هذا قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعمران بن الحصين وابي موسى الاشعري وابي الدرداء وحذيفة رضي الله عنهم ويؤكده العدول عن لفظ الامر وهو طلقوا مرتين اي دفعتين الى لفظ الخبر كما مر في قوله والمطلقات يتربصن ثم من هؤلاء من قال لو طلقها اثنتين او ثلثا لا يقع الا واحدة وهذا هو الاقيس واختاره كثير من علماء اهل البيت لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول بالوقوع سعي في ادخال تلك المفسدة في الوجود ومنهم من قال بوقوعها وهو اختيار ابي حنيفة انه وان كان محرما الا انه يقع ويكون بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وهذا منه بناء على ان النهي لا يدل على الفساد ومما يؤيد مذهب الشافعي حديث العجلاني الذي لاعن امرأته وطلقها ثلثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ومما يؤكد مذهب ابي حنيفة حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة واما قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان اي امركم بعد الرجعة او بعد معرفة كيفية التطليق احد هذين فالتسريح الارسال والاطلاق والامساك نقيضه ومعنى الامساك بالمعروف هو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح ومعنى التسريح باحسان قيل هو ان يوقع عليها الطلقة الثالثة روي انه لما نزل قوله تعالى الطلاق مرتان قيل له صلى الله عليه وسلم فاين الثالثة فقال هو قوله او تسريح باحسان وقيل هو ان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ويروى عن الضحاك والسدي وهو اقرب لولا الخبر الذي رويناه لان الفاء في قوله فان طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متاخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة الثالثة لكان قوله فان طلقها رابعة وانه غير جائز وايضا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الآية متناولة لجميع الاقسام لانه بعد الطلقة الثانية اما ان يراجعها او يتركها حتى تنقضي عدتها وتحصل البينونة وهو قوله او تسريح باحسان او يطلقها وذلك قوله فان طلقها ولو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام وتكرير بعضها واما الحكمة في اثبات حق الرجعة فهي ان الانسان مجبول اذا العدة عرفت فلو كانت الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما تظهر المحبة بعد المفارقة وعظمت المشقة ثم ان كمال التجربة لا تحصل بالمرة الواحدة فلهذا اثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين ليجرب الانسان احوال قلبه فان كان الاصلح له امساكها راجعها وامسكها بالمعروف وان كان الاصلح تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهو ان يؤدي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وهذا التدريج والترتيب يدل على كمال رأفته بعبده الحكم الرابع من احكام الطلاق بيان الخلع وذلك قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا ووجه ارتباطه بما قبله انه تعالى لما امر ان يكون التسريح مقرونا بالاحسان بين عقيبه ان من جملة الاحسان انه اذا طلقها لا ياخذ منها شيئا مما اعطاها من المهر والثياب وسائر ما تفضل به عليها لانه ملك بضعها واستمتع بها في مقابلة ما اعطاها الا اذا فارقها على عوض ويدخل فيه النهي من ان يضيق عليها ليلجئها الى الافتداء كما قال في سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للازواج وفي قوله فان خفتم للائمة والحكام ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للائمة لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون روي ان الآية نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي سنن ابي داود ان المرأة كانت حبيبة بنت سهل الانصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه اشد البغض وكان يحبها اشد الحب فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت فرق بيني وبينه والله لا اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال ثابت مرها فلترد علي الحديقة التي اعطيتها فقال لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل وكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى قوله الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع نقل عن الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس انه لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي كرم الله وجهه لقوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا ثم قال فلا جناح عليهما اي لا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به نفسها واختلعت فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما آتاها ولقوله صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط حين قالت جميلة نعم وازيده ولان ذلك اجحاف بجانب المرأة واضرار بالمرأة بعد ما استمتع من بضعها ولهذا قال سعيد بن المسيب لا ياخذ الا دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له واما سائر الفقهاء فانهم قالوا الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقيد بمقدار معين فكما ان للمرأة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بالبذل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهيته ويتاكد هذا بما روي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال

فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال عمر لزوجها اخلعها ولو بقرطها حتى قرطها ولهذا قال
الفنا وتعني بمالها كله وقيل هو من قولهم خذه ولو بقرطي مارية وذلك انه كانت فيهما درتان قيمتهما اربعون الف دينار ويصح الخلع
في حالتي الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب
مهرها من غير ان تحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير به مالكة لنفسها اولى وذهب الزهري والنخعي وداود
الى انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله كما في الآية وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور
على انه لا كراهة في الخلع ان جرى في حالة الشقاق او كانت تكره صحبته لسوء خلقه او دينه وتحرجت عن الاخلال ببعض حقوقه لما بها من الكراهة فان قصدت
ليطلقها او ضربها الزوج تاديبا فافتدت او منعها حقها من النفقة وغيرها فافتدت لتتخلص منه فان كان الزوج يكره صحبتها فاساء
العشرة ومنعها بعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه وان كان نافذا والزوج ماثوم بما فعل فالخلع المباح هو ان تكون المراة بحيث
تخاف الفتنة على نفسها والزوج يخاف انها اذا لم تطلعه اعتدى عليها ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فمن خاف
من موص جنفا ومن قرا الا ان يخافا على البناء للمفعول جعل الا يقيما بدلا من الف الضمير بدل الاشتمال مثل خيف زيد تركه اقامة حدود الله
ثم الفرقة الحاصلة على العوض ان كان بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجر الا لفظ الخلع فللشافعي فيه قولان الجديد انه طلاق ينتقص به
العدد واذا خالعها ثلث مرات لم ينكحها الا بمحلل ويروى هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال ابو حنيفة ومالك
واختاره المزني ووجهه انها فرقة لا يملكها الا غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة
على المهر المسمى كالاقالة في البيع فاذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يجب عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكراه والقديم انه
فسخ لا ينتقص به العدد ويجوز تجديد النكاح بعد الخلع من غير حصر ويروى هذا عن ابن عمر وابن عباس قالوا لانه لو كان طلاقا لذكر
عقيب ذلك فان طلقها فلا تحل له من بعد لكان الطلاق اربعا ولان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت في مخالعته امراته ولم يستكشف
عن الحال مع ان الطلاق في زمان الحيض وفي الطهر الذي حصل الجماع فيه حرام ولما روى عكرمة عن ابن عباس ان امراة ثابت بن قيس لما
اختلعت منه جعل النبي صلى الله عليه وسلم عدتها حيضة ولو كانت مطلقة لم يقتصر لها على قرء واحد تلك اي المذكورات من احكام الطلاق
حدود الله فلا تعتدوها فلا تتجاوزوا عنها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون والظالم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم عليه
يكون جاريا مجرى الوعيد وكيف لا والظالم ملعون الا لعنة الله على الظالمين ثم انه ظلم من الانسان على نفسه حيث اقدم على المعصية و
ظلم على الغير ايضا بتقدير ان لا تتم المراة عدتها او كتمت شيئا مما خلق في رحمها او ترك الرجل الامساك بالمعروف او التسريح بالاحسان
او اخذ من جملة ما اتاها شيئا لا بسبب نشوز من جهة المراة **الحكم الخامس من احكام الطلاق** بيان ان الطلقة الثالثة قاطعة لحق الرجعة
وذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والسبب في ايقاع اية الخلع بين اية الرجعة وبين هذه بعد ما مر من مشابهتها
للتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة ومعنى الاية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد
ذلك التطليق حتى تنكح اي تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان اي لها زوج
منهم هذا عند من يفسر قوله الطلاق مرتان بالطلاق الرجعي واما عند من يفسره بان التطليق الشرعي هو الذي يوقع على التفريق فالمعنى
عنده انه ان طلقها الطلاق الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه فلا تحل له من بعد ذلك حتى تنكح زوجا غيره و
ذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى الوطء لان قوله زوجا يدل على العقد وقد نقلنا هذا عن ابي علي فيما سلف في تفسير قوله تعالى
ولا تنكحوا المشركات ويؤيده ما روي عن عائشة ان امراة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت
طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى
تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة عن لذة الجماع وانما انث لان من العرب من يؤنث العسل وروي انها لبثت ما شاء الله ثم
رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر
فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر
فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها وايضا المقصود من توقيف حصول الحل على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج
يستنكر ان يستفرش زوجته رجل آخر ولهذا المعنى قال بعض اهل العلم انما حرم الله على نساء النبي ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من الغضاضة
ومعلوم ان هذا الزجر انما يحصل بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس فيه زيادة نفرة فلا يصلح جعله مانعا وزاجرا ثم قال الشافعي اذا
طلق زوجته واحدة او ثنتين ثم نكحت زوجا آخر واصابها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد لم يكن له عليها الا طلقة واحدة وهي التي بقيت من الطلقات
لان هذه طلقة ثالثة من حيث انها وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال ابو حنيفة بل يملك عليها ثلثا كما لو نكحت
زوجا بعد الثلث واذا تزوج الغير المطلقة ثلثا على انه اذا احلها للاول بان اصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة باجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها
بشرط ان يطلقها اذا احلها للاول فقولان احدهما لا يصح والثاني يصح ويبطل الشرط وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها مطلقا مضمرا انه اذا
احلها طلقها فالنكاح صحيح ويكره ذلك ويأثم به وقال مالك واحمد والثوري هذا النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح فالوطء لا يقع
التحليل على الاصح وعن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما فان طلقها اي الزوج الثاني
الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح عليهما على المراة المطلقة والزوج الاول في ان يتراجعا بنكاح جديد الى ما كانا عليه من النكاح فهذا
تراجع لغوي وظاهر الاية يقتضي ان يحل للزوج الاول هذا التراجع للزوج عقيب ما يطلقها الزوج الثاني من غير عدة بدلالة فاء التعقيب في قوله
فلا جناح عليهما ولهذا ذهب سعيد بن المسيب الى ان النكاح ههنا بمعنى العقد وان التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطء لو كان معتبرا لكانت العدة
واجبة والجواب ان الآية مخصوصة بقوله تعالى والمطلقات يتربصن ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما وغالب ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية
ولم يقل ان علما ولا يجوز ان يفسر الظن ههنا بالعلم لان اليقين في المستقبل مغيب عن الانسان فان لم يحصل هذا الظن وخافا عند المراجعة
من نشوزها او اضرار منه فالرجوع مذموم الا انه يصح شرعا ومن قرا نبينها بالنون فمن طريقة الالتفات والنون للتعظيم ومن قرا بالياء
فظاهر وصيغة المضارع اريد بها ههنا الحال فلا اشكال وجوز بعضهم ان يكون المراد بها الاستقبال وذلك ان النصوص التي تقدمت اكثرها عامة بل

فيها التخصيص وذلك يعرف بالسنة فكان المراد والله اعلم ان هذه الاحكام التي تقدمت هي حدود الله يبينها الله على لسان نبيه كما قال
وهو كقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس وانما خص البيان بالعلماء لانهم المنتفعون بذلك ثم بين تعالى ما بقي من الاحكام المهمة للمطلقات
واستانف حكمي الامساك والتسريح ببيانين آخرين في آيتين متعاقبتين لان جملة الامر في الطلاق يؤول الى احد هذين احدهما قوله سبحانه واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به
اجل ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقول الرجل لصاحبه اذا بلغت مكة فاغتسل بذي طوى يريد به مشارفة البلوغ
فهذا من باب المجاز الذي يطلق فيه اسم الكل على الاكثر وانه قد علم ان الامساك بعد انقضاء الاجل لا وجه له لانها بعد انقضائه غير زوجة له
وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف راجعوهن من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف خلوها حتى تنقضي عدتها وتبين
ولما امر بعد الطلاق باحد الامرين استانف حكم كل منهما فقدم حكم الامساك على طريقة النهي لان الامر لا يفيد الا المامور بمثل مرة واحدة فلعله
يمسكها بمعروف في الحال لكن في قلبه ان يضارها في الاستقبال والنهي لا يحصل الا اذا انتفى في كل الاوقات فيكون ادل على الدوام والثبات فقال
ولا تمسكوهن ضرارا مضارة وتطويلا موجبات النفرة والعداوة كلها وروي ان الرجل كان يطلق المراة ثم يدعها فاذا قارب انقضاء القرء
الثالث راجعها وهكذا يفعل بها في العدة تسعة اشهر او اكثر وقيل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق النفقة وكانوا يفعلون في الجاهلية اكثر
هذه الافعال رجاء ان تختلع المراة منه بمالها ومعنى قوله تعالى لتعتدوا اي لا تضاروا ولا يكون عاقبة امركم الاعتداء كقوله فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا او لا تضاروا وانتم على قصد الاعتداء عليهن فيكونون متعدين لتلك المعصية وقيل لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم
نفسه بتعريضها للعقاب ابدا او بتفويته عليها منافع الدنيا والدين اما الدنيا فلانه اذا اشتهر بتلك المعاملة لم يرغب في التزويج منه ولا في معاملته
احد واما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الاهل وعلى الانقياد لاحكام الله تعالى وتكاليفه ولا تتخذوا آيات الله هزوا من الهزء
انه يجب طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصلت اليه هذه التكاليف المذكورة في ابواب العدة والرجعة والخلع وترك المضارة ولم يتشمر لادائها
كان كالمستهزئ بها او المراد لا تتهاونوا بتكاليف الله كما تتهاونون بما يكون من باب الهزء والعبث وعن ابي الدرداء كان الرجل يطلق
في الجاهلية ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق و
النكاح والرجعة وروي الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء المعنى ان المستغفر من الذنب اذا كان مصرا عليه او على مثله كان كالمستهزئ
بآيات الله ثم انه تعالى لما رغبهم في اداء التكاليف بما ذكر من التهديد رغبهم ايضا في ادائها بان ذكرهم اقسام نعمه عليهم فبدا بالذكر الكلي
فقال واذكروا نعمة الله عليكم وهذا يتناول كل نعمة الله على العبد في الدنيا والدين وقيل المراد بها الاسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم خصص نعم
الدين بالذكر لشرفها فقال وما انزل عليكم عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها
يعظكم به في محل النصب حالا مما انزل او من فاعل انزل ويحتمل ان يكون ما انزل الصلة والموصول مبتدا وقوله يعظكم به خبره واتقوا الله في اوامره
ونواهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب الثاني وهو حكم المراة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن بلوغ الاجل ههنا على الحقيقة عن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن
لا تحبسوهن ولا تضيقوا عليهن واصل العضل الضيق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وعضلت الارض بالجيش اذا ضاقت
بهم لكثرتهم واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم والعضلة اللحمة المجتمعة المكتنزة في عصبة والخطاب للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء
العدة ظلما وقسرا لحمية الجاهلية من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن اذا تراضوا اي الخطاب والنساء تراضيا واقعا
بينهم بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز والشهود العدول وقيل بمهر المثل وفرعوا عليه مسئلة
فقهية توافق مذهب ابي حنيفة وهي انها ان نكحت نفسها باقل من مهر مثلها فالنكاح صحيح لكن للولي ان يعترض عليها بسبب النقصان عن المهر دفعا
للشين عن الاولياء ولان نساء العشيرة يتضررن بذلك فقد يعتبر مهورهن بمهرها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب في قوله فلا تعضلوهن
للاولياء لما روى البخاري في صحيحه ان معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتى ابن عم لي فانكحتها اياه
فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الي فمنعتها
الناس فآثرتك بها وزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله
لا انكحتها ابدا قال ففي نزلت هذه الآية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه وعن مجاهد والسدي ان جابر بن عبد الله كانت له بنت عم فطلقها زوجها
واراد رجعتها بعد العدة فابى جابر فنزلت واجيب بان رعاية نظم كلام الله تعالى اولى من محافظة خبر الواحد ولا يخفى تفكك النظم لو قيل
واذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا يبقى بين الشرط والجزاء مناسبة قالوا ليس بعد انقضاء العدة قدرة
للزوج على عضل المراة والجواب انه قد يقدر على العضل بجحد الطلاق او بدعوى انه كان راجعها في العدة او يدس الى من يخطبها بالوعيد
والتهديد او ينسبها الى امور ينفر الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن يدل على ان الاولياء كانوا يمنعونهن من العود الى اولئك الذين كانوا ازواجا
لهن والجواب ان العرب قد تسمي الشيء بما يؤول اليه فالمراد من يريدون ان يتزوجهن فيكونوا ازواجا لهن وقيل الوجه ان يكون خطابا للناس اي
لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ثم ان الشافعي تمسك بالاية في ان النكاح لا يجوز الا بولي
لانه لو جاز للمراة ان تتزوج بنفسها او توكل من يزوجها لما كان الولي قادرا على عضلها عن النكاح وهذا مبني على ان الخطاب في لا تعضلوهن
للاولياء وقد ينازع فيه ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعي حاصلا لهن ولكن يمنعها الولي من بعض الجهات التي قلنا في الزوج وايضا
فثبوت العضل في حق الولي ممتنع لانه مهما عضل انعزل واذا انعزل لا يبقى للعضل اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله تعالى ان ينكحن ازواجهن على ان النكاح
بغير ولي جائز وذلك انه تعالى اضاف النكاح اليها اضافة الفعل الى فاعله والتصرف الى مباشره ونهى الولي عن منعها من ذلك ولو كان
ذلك التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه ويتاكد هذا النص بقوله حتى تنكح زوجا غيره واجيب بان الفعل كما يضاف الى المباشر فقد يضاف
ايضا الى المتسبب مثل بنى الامير دارا وانما ذهبنا الى هذا وان كان مجازا بدلالة الحديث على بطلان هذا النكاح واما قوله تعالى ذلك يوعظ به فالكاف
فيه اما للرسول او لكل احد على الانفراد كما ان الخطاب في قوله في سورة الطلاق ذلكم يوعظ به للمكلفين مجموعين وقوله من كان منكم يؤمن بالله
واليوم الآخر تخصيص لهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن يستدل بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع يكون التكاليف

العادة كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت وايضا لا يلزم من تخصيص العظة بالمؤمنين تخصيص التكاليف بهم ذلكم ازكى لكم اى انمى وهو اشارة
الى استحقاق الثواب الدائم واطهر اى من ادناس الآثام والله يعلم وانتم لا تعلمون لان علمه تعالى فعلى كامل وعلمنا انفعالى ناقص فقد تخفى المصلحة
والعاقبة علينا او تشتبه المصلحة بالمفسدة فلا صلاح للمكلف الا فى طاعة علام الغيوب ليحوز سعادة الدارين والله ولى التوفيق التأويل
والله تعالى من كمال الكرم والاصطناع اذا صدر من العبد امارات النشوز والانقطاع اهمله الى انقضاء عدة الجفاء فلعله يعود الى اقامة شرائط
الوفاء وتتحرك داعية فى صميم قلبه من نتائج محبة ربه اذ لم يكن له ان يكتم ما خلق الله فى رحم قلبه من المحبة وان ابتلاه الله بمحنة الفرقة فيقرع بانامل
الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة فى طلب الرجعة والاوبة فيقال له من غاية الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك وتعال هذا
منا فلا حاجة فليدم عتبنا مساء وصباحا وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن اى للعباد حق فى كرم الربوبية
كما ان لله تعالى حقا فى ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه شبرا فالله احق برعاية الحق فيتقرب اليه ذراعا والفضل له على الاطلاق لا بدرجة بل بدرجات
غير متناهية والله عزيز اعز من ان يراعى العباد مع عجزهم كمال حقوقه حكيم لا تقتضى حكمته ان يطالبهم بما ليس فى وسعهم بل يقبل منهم القليل ويوفيهم
الثواب الجزيل الطلاق مرتان يعنى ان اهل الصحبة لا يفارقون بمرة ولا بمرتين كما فى قصة موسى والخضر عليهما السلام فى الثالثة ان سلكوا
سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخائن صديقا مثله فان ندم بعد ذلك عن افعاله وسئم ذلك الصديق و
شماله ورجع الى الصحبة اشكاله فلا جناح فى التراجع ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان ان يعضله من صحبة الاقران وفيه ان الله تعالى يتجاوز
عن زلات العبد مرة بعد اخرى فاذا اصر العبد ابتلاه بالخذلان وجعله قرين الشيطان كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فان طلق قرين الشيطان
ورجع الى باب الرحمن تداركه بالغفران والرضوان واما قوله تعالى ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة وان
اتفقت المفارقة ان يستردوا خواطرهم عن الرفقاء بالكلية فان العائد فى هبته كالكلب يعود فى قيئه الا ان يؤدى الى مداهنة واهمال
حق من حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به كان لم يكن بينهما صحبة والله اعلم بالصواب

والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له
بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما
وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله
واعلموا ان الله بما تعملون بصير ۞ والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف
والله بما تعملون خبير ۞ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم
فى انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم
فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم ۞ لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن
او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف
حقا على المحسنين ۞ وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفوا الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب
للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير ۞

القراءة لا تضار بضم الراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون بفتح الراء ولا خلاف فى قوله ولا يضار
كاتب بالفتح ما آتيتم مقصورا ابن كثير الباقون بالمد يتوفون بفتح الياء وما بعده المفضل الباقون بضم الياء النساء او بهمزتين عاصم
وعلى وحمزة وخلف وابن عامر الباقون النساء و وروى الخزاعى وابن شنبوذ عن اهل مكة النساى او تماسوهن حيث وقعت على
وحمزة وخلف الباقون تمسوهن قدره بالتحريك يزيد وابن ذكوان وروح وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد الباقون

بالاسكان الوقوف الرضاعة ط بالمعروف ط وسعها ج لاستيناف اللفظ مع قرب المعنى مثل ذلك ج عليهما ط
لابتداء الحكم فى استرضاع الاجنبية بالمعروف ط بصير ه وعشرا ج بالمعروف ط خبير ه فى انفسكم ط معروفا ط اجله ط لابتداء
الامر فاحذروه ج للفصل بين موجبى الخوف والرجاء ولهذا كررت كلمة واعلموا التقدير وغفور حليم فارجوه والوقف على حليم ط فريضة
ج لعطف المختلفين ومتعوهن ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى لان الجملة الثانية لتقدير المأمور فى الاولى قدره الثانى ج لان
متاعا مصدر متعوهن والوقف لبيان انه غير متصل بما يليه من الجملتين المعترضتين بالمعروف ج لان حقا يصلح نعتا للمتاع اى متاعا
حقا ويصلح مصدرا لمحذوف اى حق ذلك حقا المحسنين ه النكاح ط للتقوى ط بينكم ط بصير ه الحكم الثانى عشر
الارضاع والوالدات قيل هى المطلقات والمزوجات لان ظاهر اللفظ مشعر بالعموم وقيل المطلقات ولهذا ذكرت عقيب آية الطلاق
وتحقيقه انه اذا حصلت الفرقة استتبعت التباغض والتعاند المفضى الى ايذاء الولد ليتأذى الزوج وربما رغبت فى التزوج بزوج اخر
فيهمل امر الطفل فندب الله تعالى الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشأنهم وايضا انه تعالى قال فى الآية
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجية باقية لوجب ذلك للزوجية لا للارضاع ذكره السدى وقال الواحدى فى البسيط
الاولى ان يحمل على المزوجات فى حال بقاء النكاح لان المطلقة لا تستحق النفقة وانما تستحق الاجرة ثم ان النفقة والكسوة تجبان
فى مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالارضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم ان مؤنتها قد سقطت بالخلل الواقع فى خدمة
فازيل ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت بالارضاع ويرضعن مثل يتربصن فى انه خبر فى معنى الامر المؤكد وهذا
الامر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الارضاع لم تستحق الاجرة وانما كان ندبا
من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح لان شفقتها اكثر ولا يجوز استيجار الام عند ابى حنيفة اذا كانت زوجة او معتدة من نكاح
وعند الشافعى يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وقد يقتضى الامر الى الوجوب اذا لم يقبل الصبى الا ثدى امه او لم توجد له ظئر او كان
الاب عاجزا عن الاستيجار حولين اى عامين والتركيب يدور على الانقلاب فالحول ينقلب من الوقت الاول الى الثانى وكاملين
توكيد كقوله تلك عشرة كاملة فقد يقال اقمت عند فلان حولين وانما اقام حولا وبعض الآخر وليس التحديد بالحولين تحديد
ايجاب كقوله تعالى بعد ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة اى هذا الحكم لمن اراد اتمام الارضاع او اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت
فلانة لفلان ولده اى يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ
له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه ثم المقصود من ذكر التحديد قطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا فى مدة الرضاع فان اراد
احدهما ان يفطمه قبل الحولين ولم يرض الآخر لم يكن له ذلك اما اذا اجتمعا على ان يفطماه قبل تمام الحولين فلهما ذلك وايضا فللرضاع
حكم خاص فى الشريعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فيعلم من التحديد ان الارضاع ما لم يقع فى هذا
الزمان لا يفيد هذا الحكم هذا هو مذهب الشافعى وبه قال على رضى الله عنه وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبى و
الزهرى وعن ابى حنيفة ان مدة الرضاع ثلثون شهرا وقرئ ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما فى التأويل اى فى المصدر
لان كلمة ما تارة تقع مصدرية فلا تنصب وقرئ الرضاعة بكسر الراء وعلى المولود له وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع
على الفاعلية نحو عليهم فى المغضوب عليهم وانما قيل المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات
وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وفيه ان نفع الاولاد عائد الى الآباء
فيجب عليهم رعاية مصالحه كما قيل كله لك فكله عليك فعليهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظئار الا ترى انه ذكره باسم الوالد
حيث لم تكن هذه المعانى مقصودة وذلك قوله واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره
ما يتلوه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضارا وايضا المعروف فى هذا الباب قد يكون محدودا بالشرط والعقد وقد يكون غير
محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها فى طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة اذ لو كان ذلك اقل من قدر الكفاية
لحقها ضرر من الجوع والعرى ويتعدى ذلك الضرر الى الولد وفى الآية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام و
الطفل واسطة وبين الاب وبينه واسطة فانه يستأجر المرأة على الارضاع والحضانة بالنفقة والكسوة والتكليف الالزام قيل اصله من
الكلف وهو الاثر على الوجه فمعنى تكلف الامر اجتهد ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه ولهذا قيل الوسع
دون الطاقة من قرأ لا تضار بالرفع فعلى الاخبار فى معنى النهى ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها
ومن قرأ بالفتح فعلى النهى صريحا ويحتمل البنائين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وفتحها والمعنى لا تضار
بالفتح فعلى النهى صريحا والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بسبب التفريط
فى شأن الولد وان تقول بعد ما الفها الصبى اطلب له ظئرا ونحو ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب
عليه من الرزق والكسوة او يأخذه منها وهى تريد ارضاعه او يكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان مبنيا للمفعول كان نهيا عن ان يلحق بها الضرار
من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضر والباء من صلته اى لا تضر والدة بولدها
بان تسيء غذاءه وتعهده او تفرط فيما ينبغى له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يفرط فى شأنها
هى فى حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لان المرأة لما نهيت عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبى منها
فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد قوله سبحانه وعلى الوارث مثل ذلك للعلماء فيه اقوال من حيث انه تقدم ذكر الوالد والولد
والوالدة واحتمل فى الوارث ان يكون مضافا الى كل واحد من هؤلاء فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب وقوله وعلى الوارث عطف
على قوله وعلى المولود له رزقهن وما بينهما تفسير المعروف فالمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اى ان مات المولود له
لزم من يرثه ان يقوم مقامه فى ان يرزقها ويكسوها بالشرط المذكور من العدل وتجنب الاضرار وقيل المراد وارث الولد الذى لو مات الصبى
ورثه فيجب عليه عند موت الاب كل ما كان واجبا على الاب وهذا قول الحسن وقتادة وابى مسلم والقاضى ثم اختلفوا فى انه اى وارث
هو فقيل العصبات دون الام والاخوة من الام وهو قول عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان وابراهيم وقيل هو وارث الصبى من الرجال

والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وابن ابي ليلى وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون غيرهم من ابن العم والمولى عن ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد اي الاب والابن وقيل المراد من الوارث هو الصبي نفسه فانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على الرضاعة وقيل المراد من الوارث الباقي من الابوين كما في الدعاء المأثور واجعله الوارث منا اي الباقي وهو قول سفيان وجماعة فان ارادا فصالا اي فطاما وليس من باب المفاعلة وانما هو مثال على فعال كالقتال والاباق وذلك ان الولد ينفصل عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وعن ابي مسلم انه يحتمل ان يكون المراد من الفصال ايقاع المفاصلة بين الولد والام اذا حصل التراضي والتشاور في ذلك ولم يرجع ضرر الى الولد وليكن الفصال صادرا عن تراض منهما وتشاور مع ارباب التجارب واصحاب الرأي فلا جناح عليهما في ذلك زاد على الحولين لضعف في تركيب الصبي او نقصا وهذا ايضا توسعة بعد التحديد وذلك ان الام قد تمل من الارضاع فتحاول الفطام والاب ايضا قد يمل اعطاء الاجرة على الارضاع فيطلب الفطام دفعا لذلك لكنهما قد يتوافقان على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبرت المشاورة مع غيرهما وحينئذ يبعد موافقة الكل على ما يكون فيه اضرار بالولد وان اتفقوا على الفطام قبل الحولين وهذه غاية العناية من الرب بحال الطفل الضعيف ومع اشتمال الشروط لم يصرح بالاذن بل رفع الحرج فقط ولما بين حكم الام وانها احق بالرضاع بين انه يجوز العدول في هذا الباب عنها الى غيرها فقال وان اردتم ان تسترضعوا اي المراضع اولادكم فلا جناح عليكم يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعها الصبي بزيادة السين مفعولا ثانيا كما يقول انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف احد المفعولين للعلم به وعن الواحدي التقدير ان تسترضعوا لاولادكم فحذف اللام للعلم به مثل واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم ومن موانع الارضاع للام ما اذا تزوجت بزوج اخر فقيامها بحق ذلك الزوج يمنعها عن الارضاع ومنها انه اذا طلقها الزوج الاول فقد تكره الارضاع لتتزوج بها زوج اخر ومنها ان تأبى المراة قبول الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور اذا وجدنا مرضعة اخرى وقبل الطفل لبنها جاز العدول عن الام الى غيرها فان لم نجد مرضعة اخرى او وجدنا ولكن لا يقبل الطفل لبنها فالارضاع واجب على الام اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم بالمد اي ما اعطيتموه المراة اي ما اردتم ايتاءه مثل اذا قمتم الى الصلوة ومن قرأ ما اتيتم بالقصر فهو من اتى اليه احسانا اذا فعله كقوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة وليس التسليم شرطا للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى وفيه بعث على ان الذي يعطي المرضعة يجب ان يكون يدا بيد حتى يكون اهنأ واطيب لنفسها لتحتاط في شان الصبي ولهذا قيد التسليم بان يكون بالمعروف وهو ان يكونوا حينئذ مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لنفس المراضع بما امكن قطعا لمعاذيرهن ثم اكد الجميع بان ختم الاية بنوع من التحذير فقال واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير

الحكم الثالث عشر عدة الوفاة والذين يتوفون منكم ومعناه يموتون ويقبضون قال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها واصل التوفي اخذ الشيء وافيا كاملا وهو للمفعول ومعناه ما قلنا وللفاعل ومعناه استوفى اجله ورزقه وعليه قراءة علي كرم الله وجهه يتوفون بفتح الياء والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو فلعل السبب فيه ان ذلك الشخص لم يكن ليعرف هذا المعنى من مستعملات البلغاء فلهذا لم يعتد بقوله وحمله على متعارف الاوساط ويذرون ويتركون ولا يستعمل منه الماضي والمصدر استغناء عنهما بمضارع يترك والازواج ههنا النساء يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا مثل قوله يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وقد مر وعشرا اي يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وانما قيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها قال في الكشاف ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام وقيل في سبب التغليب ان مبدأ الشهر من الليل والاوائل اقوى من الثواني وايضا هذه الايام ايام الحزن والايام المكروهة خليق ان تسمى ليالي استعارة او المراد عشرة مدد كل منها يوم بليلته وذهب الاوزاعي والاصم الى ظاهر الاية وانها اذا انقضت لها اربعة اشهر وعشر ليال حلت للازواج نقل عن الحسن وابي العالية انه تعالى انما خص العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح في العشر بعد الاربعة قلت ولعل هذا من الامور التي لا يعقل معناها كاعداد الركعات ونصب الزكوات والله ورسوله اعلم بذلك وهذه العدة واجبة على كل امراة مات زوجها الا اذا كانت امة فان عدتها نصف عدة الحرة عند اكثر الفقهاء وعن الاصم ان عدتها عدة الحرائر تمسكا بظاهر عموم الاية وقياسا على وضع الحمل والا اذا كانت المراة حاملا فانها اذا وضعت الحمل حلت وان كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولو زعم زاعم ان ذلك في الطلاق فعلى قصة سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حللت فانكحي من شئت وعن علي رضي الله عنه انها تتربص ابعد الاجلين ولا فرق في عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات الاقراء وغيرها والمدخول بها وغيرها وقال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول ورد بعموم الاية ولهذا ايضا لم يفرق بين ان ترى المعتدة في المدة دم الحيض على عادتها او لا تراه خلافا لمالك فانه قال لا تنقضي عدتها حتى ترى عادتها من الحيض في تلك الايام مثل التي كانت عادتها فان كانت عادتها ان تحيض في كل شهر مرة فعليها في عدة الوفاة اربع حيض وان كانت عادتها ان تحيض في كل شهرين مرة فعليها حيضتان وان كانت عادتها ان تحيض في كل اربعة اشهر مرة يكفيها حيض واحد وان كانت عادتها ان تحيض في كل خمسة اشهر مرة فيكفيها الشهور ثم مذهب الشافعي انها ان ارتابت استبرأت نفسها من الريبة كما ان ذات الاقراء لو ارتابت وجب عليها ان تحتاط وتعتبر المدة بالهلال ما امكن فان مات الزوج في خلال شهر هلالي والباقي اكثر من عشرة ايام فتعتد ما بقي وتحسب ثلثة اشهر بعده بالاهلة وتكمل ذلك الباقي ثلثين وتضم اليها عشرة ايام فاذا انتهت من اليوم الاخر الى الوقت الذي مات فيه الزوج فقد انقضت العدة وان كان الباقي دون عشرة ايام فتعتد وتحسب اربعة اشهر بالاهلة وتكمل الباقي عشرة من الشهر السادس وان كان الباقي عشرة ايام فتعتد بها وباربعة اشهر بالاهلة بعدها وان انطبق الموت على اول الهلال فتعتد باربعة اشهر بالاهلة وبعشرة ايام من الشهر الخامس واختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فعن بعضهم ويوافقه جديد قول الشافعي انها لو لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امراة المفقود امراته حتى يأتيها يقين موته او طلاقه وايضا فالنكاح معلوم بيقين فلا يزال الا بيقين وقال الاكثرون السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل عليه ان الصغيرة

التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها هذه المدة ثم المراد من تربصها بنفسها الامتناع عن النكاح بالاجماع والامتناع عن الخروج عن المنزل الا عند الضرورة والحاجة والاحداد ويعني به ترك التزين بثياب الزينة وترك التحلي والتطيب والتدهن والاكتحال بالاثمد ويحرم عليها ان تختضب بالحناء ونحو ذلك فيما يظهر من اليدين والرجلين والوجه ولا منع منه فيما تحت الثياب ولا منع عن التزين في الفرش والبسط والستور واثاث البيت ومن التنظيف بغسل الرأس والامتشاط وقلم الاظفار والاستحداد ودخول الحمام وازالة الاوساخ والعدة تنقضي ان تركت الاحداد ولكنها تعصي لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وعن الحسن والشعبي انه غير واجب لان الحديث يقتضي حل الاحداد لا وجوبه لكنه صلى الله عليه وسلم قال المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغة بالمشق وهو الطين الاحمر وتخريج بقوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرايع والا لم يختص الخطاب في منكم بالمؤمنين والجواب انما خصوا بالخطاب لانهم هم العاملون بذلك كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها مع انه منذر للكل ليكون للعالمين نذيرا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء لانهم الذين يتولون العقد او ايها الحكام وصلحاء المسلمين لانهن اذا تزوجن في مدة العدة وجب على كل احد منعهن عن ذلك فان عجز استعان بالسلطان وذلك لان المقصود من هذه العدة الامن من اشتمال فرجها على ماء زوجها الاول وقيل معناه لا جناح عليكم وعلى النساء فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالتزين والتطيب ونحوهما مما تفعله المراة بمعروف وفيه دليل على وجوب الاحداد بالمعروف بالوجه الذي يحسن عقلا وشرعا وقد يحمل اصحاب ابي حنيفة الفعل ههنا على التزويج فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولي والجواب بعد التسليم ان المراد من الفعل هو التزويج ان الفعل قد يسند الى المسبب مثل بنى الامير دارا وقد تقدم في قوله ان ينكحن ازواجهن ثم ختم الاية بالتهديد المشتمل على الوعد فقال والله بما تعملون خبير

الحكم الرابع عشر خطبة النساء وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والتعريض ضد التصريح ومعناه ان تضمن الكلام ما يصلح للدلالة على المقصود وعلى غير المقصود الا ان اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح ولهذا قد يقال انه سوق الكلام لموصوف غير مذكور كما يقول المحتاج جئتك لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول الشاعر شعر وحسبك بالتسليم مني تقاضيا واصله من عرض الشيء وهو جانبه كانه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وهو قسم من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب وهو الامر والشان يقال خطب فلان فلانة اي سالها امرا وشانا في نفسها وكذا في الخطبة والخطاب فان في كل منهما شانا ثم النساء على ثلثة اقسام احدها ان يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهي الخالية عن الزوج والعدة الا اذا كان قد خطبها اخر واجيب اليه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد صريح الاباء او لم يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد فالاصح انه يجوز خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك وثانيها ما لا يجوز خطبتها تعريضا ولا تصريحا وهي منكوحة الغير لانه ربما صارت سببا لتشويش الامر على زوجها ولامتناع المراة عن اداء حقوق الزوج اذا وجدت راغبا فيها وكذا الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان وثالثها ما يفصل في حقها بين التعريض والتصريح وهي المعتدة غير الرجعية سواء كانت معتدة عن وفاة او عن طلقات ثلث او عن طلقة باينة كالمختلعة او عن فسخ وسبب التحريم انها مستوحشة بالطلاق فربما كذبت في انقضاء العدة بالاقراء مسارعة الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن الوفاة فظاهر الاية على انها في حقها لانها ذكرت عقيب اية عدة المتوفى عنها زوجها ثم انه خص التعريض بعدم الجناح فوجب ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك وهو ان التصريح لا يحتمل غير النكاح فالغالب ان يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء العدة قبل اوانها بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعي رحمه الله والتعريض كثير كقوله رب راغب فيك ومن يجد مثلك او لست بايم واذا حللت فآذنيني وعد اخرون من الفاظ التعريض ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وعن ابي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه انه دخل على امراة وهي في العدة فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي رضي الله عنه وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من نبي الله قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده فما كانت تلك خطبة او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين اباح التعريض في الحال ثم اباح ان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذي لاجله اباح التعريض فقال علم الله انكم ستذكرونهن لان شهوة النفس اذا حصلت في باب النكاح لم يكد المرء يصبر عن النطق بما ينبئ عن ذلك فاسقط الله تعالى عنه الحرج ثم قال ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر ثم عبر عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما نقل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فالمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية الا مواعدة الاحسان اليها والاهتمام بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الاشياء مؤكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهي عنها اما ان تكون المواعدة في السر بالنكاح فتكون منعا من التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله ان نكحتك اتيتك الاربعة والخمسة عن ابن عباس او كقوله دعيني اجامعك فاذا تمت عدتك اظهرت نكاحك عن الحسن ويكون ذلك نهيا عن مسارة الرجل المراة الاجنبية لان ذلك يورث نوع ريبة او نهيا ان يعاهدها الا تتزوج باحد سواه ويحتمل ان يكون السر صفة للموعود به اي لا تواعدوهن شيئا يوصف بكونه سرا الا ان تقولوا قولا معروفا وهو التعريض وعن ابن عباس رضي الله عنهما وهو ان يتواثقان ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه والعزم عقد القلب على فعل من الافعال معناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح او لا تعزموا عقدة النكاح ان تعقدوها واذا نهى عن العزم كان النهي عن نفس الفعل اولى وقيل معنى العزم القطع اي لا تحققوا ذلك ولا توجبوه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل او روي لم يبيت الصيام وقيل لا تعزموا عليهن ان يعقدن النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا واصل العقد الشد والعهود والانكحة تسمى عقودا تشبيها بالحبل الموثق بالعقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد منه المكتوب اي حتى يبلغ العدة المفروضة اخرها وانقضت ويحتمل ان يكون

مصدر بمعنى الفرض اي حتى يبلغ هذا التكليف نهايته وباقي الاية بيان موجبي الخوف والرجاء كما تقدم الحكم الخامس عشر حكم المطلقة
قبل الدخول وقبل فرض المهر وذلك قوله عز من قائل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة واعلم ان عقد
النكاح يوجب بدلا على كل حال وذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وعدتها ثلثة قروء
كما سبق وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور بالطلاق كما يجي في الاية التالية وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول فحكمها في هذه الاية
وهو ان لا مهر لها وتجب لها المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكور في هذه الايات الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل قياسا على الموطوءة
بالشبهة بل اولى لوجود النكاح الصحيح وقد يستنبط حكمها من قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ويحتمل ان يقال هذه الاية تدل على
ان لا مهر للتي لا تكون ممسوسة ولا مفروضا لها فيعرف من ذلك وجوب المهر للممسوسة غير المفروض لها وللمفروض لها غير الممسوسة وقد سلف حكم
الممسوسة المفروض لها فتبين اشتمال القرآن على احكام جميع الاقسام فان قيل ظاهر الاية مشعر بان نفي الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس
وليس كذلك فانه لا جناح عليه ايضا بعد المسيس قلنا لعل الاية وردت لبيان اباحة الطلاق قبل الاطلاق وهذا الاطلاق لا يبيح الا قبل
المسيس اذ بعده يحتاج الى ان يكون الطلاق في طهر لم يجامعها فيه او لعل ما بمعنى الذي لا للمدة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء
اللاتي لم تمسوهن ولا يلزم منه وجود الجناح في تطليق غيرهن او المراد من الجناح في الاية لزوم المهر اي لا مهر عليكم ولا تبعة في تطليقهن فان الجناح
في اللغة الثقل يقال جنحت السفينة اذا مالت بثقلها ومما يؤكد ذلك انه نفى الجناح محدودا الى غاية هي اما المسيس او الفرض والجناح الذي
يثبت عند احد هذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفي في اول الاية هو لزوم المهر وايضا ان تطليق النساء قبل المسيس اما ان يكون
قبل تقدير المهر او بعده وفي القسم الثاني اوجب نصف المفروض كما يجي فيجب ان يكون المنفي في القسم الاول مقابل المثبت في الثاني
واتفقوا على ان المراد بالمسيس او المماسة في الاية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وفيه تاديب للعباد في اختيار احسن الالفاظ فيما
التفاهم والفرض في اللغة التقدير اي تقدروا مقدارا من المهر ومعنى او ههنا ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس او بعدم الفرض
على سبيل منع الخلو فقط ولهذا صح اجتماعهما في هذا الحكم وقيل انها بمعنى الواو وقيل انها بمعنى الا ان وقيل بمعنى حتى والكل تعسف ثم
انه تعالى لما بين انها لا مهر لها قبل المسيس والتسمية ذكر ان لها المتعة فقال ومتعوهن فذهب الشافعي وابو حنيفة الى انها واجبة نظرا الى الامر
وانه للوجوب ظاهرا وهو قول شريح والشعبي والزهري وعن مالك ويروى عن الفقهاء السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرونها
واجبة لانه تعالى قال في اخر الاية حقا على المحسنين فجعلها من باب الاحسان ورد بان لفظ على ينبئ عن الوجوب وكذا قوله تعالى
حقا والمتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منقضيا ولهذا قيل الدنيا متاع ويسمى التلذذ تمتعا لانقطاعه بسرعة على الموسع قدره
وعلى المقتر قدره اوسع الرجل اذا كان في سعة من ماله واقتر حقيقته من القترة وهي الغبار كانه [illegible] ذات يده وقدره
اي قدر امكانه وطاقته فحذف المضاف او قدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به والقدر والقدر لغتان في جميع
معانيهما وفي الاية دليل على ان تقدير المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع يخالف
المقتر قال الشافعي المستحب على الموسع خادم وعلى المتوسط ثلثون درهما وعلى المقتر مقنعة وعن ابن عباس انه قال اكثر المتعة خادم
واقلها مقنعة واي قدر ادى جاز في جانبي الكثرة والقلة والنظر في اليسار والاعسار الى العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا تزاد على نصف
مهر المثل لان حال المراة التي سمى لها المهر احسن من حال التي لم يسم لها ثم لما لم يجب زيادة على نصف المسمى اذا طلقها قبل الدخول
فهذه اولى متاعا تاكيد لمتعوهن اي تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الدين والمروة وعلى قدر حال الزوج في الغنى والفقر وعلى الموسع
[illegible]
الحكم السادس عشر حكم المطلقة قبل الدخول وبعد فرض المهر
[illegible]

عقدة

فقد

فقد التقى العقاب واحترز عنه ولا تنسوا الفضل لا تتركوا التفضل والتسامح فيما بينكم وليس نهيا عن النسيان فان ذلك غير مقدور بل المراد
منه الترك وذلك ان الرجل اذا تزوج المراة فقد تعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتاذيها منه وايضا اذا كلفت
الرجل ان يبذل لها مهرها من غير ان يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتاذيه منها فلا جرم ندب الله تعالى كلا منهما الى تطييب قلب الاخر بترك
كل المهر او تركه والا فالتشطيط عن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق
كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ثم انه تعالى ختم الاية بما يجري مجرى
الوعد والوعيد على العادة المعلومة فقال ان الله بما تعملون بصير ۝

حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين ۝ فان خفتم فرجالا
او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ۝ والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم ۝ وللمطلقات
متاع بالمعروف حقا على المتقين ۝ كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون ۝

القراءة وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب غير ورش الباقون بالرفع الوقوف قانتين ه
او ركبانا ج لان اذا في معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ه ازواجا ج لانقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير فعليهم
وصية او فليوصوا وصية والوصل اجوز لاتصال المعنى فان وصية او وصية قام مقام خبر المبتدا اخراج ج من معروف ط حكيم ه بالمعروف
ط المتقين ه تعقلون ه التفسير الحكم السابع عشر الصلوة وذلك انه سبحانه لما بين للمكلفين ما بين من معالم الدين و
شعائر اليقين اعقبها بذكر الصلوة التي تفيد انكسار القلب من هيبة الله تعالى وزوال التمرد وحصول الانقياد للاوامر والانتهاء عن المناهي
تحصيلا لسعادة الطرفين وتكميلا لمصالح الدارين وقد اجمع المسلمون على ان الصلوات المكتوبة خمس وفي الاية اشارة الى ذلك لان الصلوات
جمع واقلها ثلث والصلوة الوسطى يدل على شيء زائد والا لزم التكرار وذلك الزائد لو كان الرابعة لم يكن للمجموع وسطى فلا اقل من خمسة و
والمراد بمحافظتها رعاية جميع شرائطها من طهارة البدن والثوب والمكان ومن ستر العورة واستقبال القبلة والاتيان باركانها وابعاضها
وهيآتها والاحتراز عن مفسداتها من اعمال القلب واعمال اللسان والجوارح ومعنى المفاعلة في المحافظة اما لانها بين العبد والرب كانه قيل احفظ
الصلوة يحفظك الاله الذي امر بالصلوة كقوله تعالى فاذكروني اذكركم وفي الحديث احفظ الله يحفظك واما لانها بين المصلي والصلوة فمن حفظ
الصلوة حفظته الصلوة عن المناهي ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وحفظته عن الغفلة والمحن واستعينوا بالصبر والصلوة وكيف لا وفي الصلوة
القراءة والقرآن شافع مشفع وفي الخبر تجيء البقرة وال عمران كانهما غمامتان فيشهدان ويشفعان وان سورة الملك
تصرف عن المتهجد بها عذاب القبر وتجادل عنه في الحشر وتقف في الصراط عند قدميه وتقول للنار لا سبيل لك عليه وفي الصلوة
الوسطى سبعة اقوال الاول انه تعالى امرنا بالمحافظة على الصلوة الوسطى ولم يبين لنا انها اي الصلوات وما يروى من اخبار
الاحاد لا يعول عليها فيجب ان يؤدى كلها على نعت الكمال والتمام ولعل هذا هو الحكمة في ابهامها ولمثل ذلك اخفى الله تعالى ليلة
القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة واسمه الاعظم في اسمائه ووقت الموت في الاوقات ليكون المكلف خائفا
حازما على التوبة في كل الاوقات وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى
فقال حافظ على الصلوة تصبها وعن الربيع ارايت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال السائل لا قال
الربيع فان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى القول الثاني ان الوسطى مجموع الصلوات الخمس فان الايمان بضع وسبعون
درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والصلوات المكتوبات واسطة بين الطرفين القول الثالث
انها صلوة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر وابي امامة ومن التابعين قول طاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو
مذهب الشافعي قالوا ان هذه الصلوات تصلى في الغلس فبعضها في ظلمة الليل واخرها في ضوء النهار وايضا ان في النهار صلوتين
الظهر والعصر وفي الليل صلوتين المغرب والعشاء والصبح متوسط بينهما وايضا الظهر والعصر يجتمعان في السفر وكذلك المغرب
والعشاء والفجر منفرد بينهما قال القفال وتحقيق هذا يرجع الى ما يقوله الناس فلان متوسط اذا لم يمل الى احد الخصمين وكان منفردا بنفسه عنهما
وقد اقسم الله تعالى في قوله والفجر وليال عشر وايضا قال تعالى وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا واتفقوا على ان المراد منه صلوة الفجر
فخصها في تلك الاية بالذكر للتاكيد وخص الصلوة الوسطى في هذه الاية بالذكر للتاكيد فيغلب على الظن انهما واحد وايضا قرن هذه الصلوة
بذكر القنوت في قوله وقوموا لله قانتين وليس في المفروضة صلوة صح فيها القنوت الا الصبح وايضا لا شك انه تعالى افردها بالذكر لاجل
التاكيد والصبح احوج الصلوة الى ذلك ففيه ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء البارد والخروج الى المسجد في الوقت الموحش وايضا
الافراد بالذكر ينبئ عن الفضل ولا ريب في فضيلة صلوة الصبح ولهذا جاء والمستغفرين بالاسحار وروي ان التكبيرة الاولى منها في الجماعة
خير من الدنيا وما فيها وخصت بالاذان مرتين اولاهما قبل الوقت ايقاظا للناس حتى لا تفوتهم البتة وخص اذانها بالتثويب وهو ان يقول
بعد الحيعلتين الصلوة خير من النوم وان الانسان اذا قام من منامه فكانه صار موجودا بعد العدم وعند ذلك يزول عن الخلائق ظلمة الليل
وظلمة النوم والغفلة وظلمة العجز والحيرة ويملأ العالم نورا والابدان حيوة وعقلا وقوة وفهما فهذا الوقت الين الاوقات بان يشتغل

العبد باداء العبودية واظهار الخشوع والاستكانة لفاطر السموات والارض وجاعل الظلمات والنور وعن علي كرم الله وجهه انه
سئل عن الصلوة الوسطى فقال كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح ثم قال هذه هي الصلوة
الوسطى **القول الرابع** انها صلوة الظهر يروى عن عمر وزيد وابي سعيد الخدري واسامة بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه
لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة اليه اولى وعن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه وربما لم يكن وراءه الا الصف والصفان فقال صلى الله عليه وسلم لقد هممت
ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت هذه الاية وايضا ليس في المكتوبات صلوة وقعت وسط الليل او النهار الا
وانها صلوة بين صلوتين نهاريتين الفجر والعصر وانها صلوة بين البردين برد الغداة وبرد العشي وان اول امامة جبريل كان في صلوة الظهر
كما ورد في الاحاديث الصحاح وان صلوة الجمعة مع ما ورد في فضلها تنوب عن الظهر لا عن غيرها وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت
تقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر وكانت تقول سمعت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغلب على الظن ان المعطوف
عليه الظهر هو الذي قبله وروي ان قوما كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد وسألوه عن الصلوة الوسطى فقال هي صلوة
الظهر كانت تقام في الهاجرة **القول الخامس** انها صلوة العصر يروى عن علي وابن مسعود وابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم
ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي حنيفة ايضا لما ورد من التاكيد فيه كقوله صلى الله عليه وسلم من فاته صلوة
العصر فكانما وتر اهله وماله وقد اقسم الله بها في قوله والعصر ان الانسان لفي خسر ولما يحتاج في معرفة وقتها الى تأمل اكثر في حال الظل
فالمغرب يعرف بغروب جرم الشمس والعشاء بغروب الشفق والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن دائرة نصف
النهار ولما في وقتها من اشتغال الناس بحوائجهم وعن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة
الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا رواه البخاري ومسلم وسائر الائمة وهو عظيم الموقع في المسألة وفي صحيح مسلم
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت
بالحجاب وعن حفصة رضي الله عنها انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املي عليك كما سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرؤها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر **القول السادس** انها صلوة المغرب عن قبيصة بن ذويب
لانها بين بياض النهار وسواد الليل ولانها وسط في الطول والقصر **القول السابع** انها صلوة العشاء لانها متوسطة بين صلوتين لا تقصران
المغرب والصبح ولما ورد من فضلها عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء الاخرة في جماعة
كان كقيام نصف ليلة وقال اهل التحقيق القلب هو الذي وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح والجسد فكانه قيل حافظوا على
الصلوات بشرائطها وحافظوا على معاني الصلوة وحقائقها بدوام شهود القلب للرب في الصلوة وبعدها ثم ان الشافعي احتج
بالاية على ان الوتر ليس واجب والا كانت الصلوات ستا فلم يبق لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد الوسطى في العدد لكنه يحتمل ان
يكون الوسطى في الفضيلة من قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او الوسطى في الزمان وهو الظهر او الوسطى في المقدار كالمغرب فانها ثلث
ركعات فتوسط بين الاثنين والاربعة او الوسطى في الصفة كصلوة الصبح تتوسط بين صفتي الظلام والضياء وقوموا لله قانتين عن ابن
عباس ان القنوت هو الدعاء والذكر لقوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ولان قوله تعالى حافظوا على الصلوات امر بها
في الصلوة من الفعل فيكون القنوت عبارة عن كل ما في الصلوة من الذكر وعن الحسن والشعبي وسعيد بن جبير وطاوس وقتادة و
الضحاك ومقاتل قانتين اي مطيعين لما روي انه قال صلى الله عليه وسلم كل قنوت في القرآن فهو طاعة ومن يقنت منكن لله ورسوله
فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن اكمال الطاعة والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها وادابها وفيه زجر لمن لم يبال كيف صلى
فخفف واقتصر على ما لا يجزي وذهب جملة الى انه لا حاجة بالله تعالى الى صلوة العباد ولو كان كما قالوا وجب ان لا يصلي اصلا لانه
كما لا يحتاج الى الكثير من عباداتنا وكذلك لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل والسلف الصالح
فاطالوا وخشعوا واستكانوا وكانوا اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود كنا نتكلم
في الصلوة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت عبارة
عن الخشوع وخفض الجناح وسكون الاطراف وكان احدهم اذا صلى خاف ربه فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشيء من جسده
ولا يحدث نفسه بشيء من الدنيا حتى ينصرف ويحتمل ان المراد وقوموا لله مديمين لذلك القيام في اوقات وجوبه واستحبابه فان خفتم حذف
المفعول به للعلم به او فان حصل لكم خوف او كنتم على انه متروك المفعول فرجالا او ركبانا اي فصلوا راجلين او راكبين وقيل المعنى
فان خفتم فوات الوقت ان اخرتم الصلوة الى ان تفرغوا من حربكم فصلوا رجالا او ركبانا وعلى هذا فالاية تدل على تاكيد فرض الوقت
حتى ترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود ورجال جمع راجل كقيام جمع قائم وتجار جمع تاجر او جمع رجل يقال
رجل رجل اي راجل والركبان جمع راكب كفارس وفرسان ولا يقال راكب الا لمن كان على ابل فان كان على فرس فانما يقال له فارس
لكن المراد في الاية اعم وتخصيص اللفظ بالركبان لانه الغالب فيهم واعلم ان صلوة الخوف اما ان يكون في غير حال القتال وسوف
يجيء بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى واما ان يكون عند التحام القتال وهو المراد بهذه الاية وذهب الشافعي انهم
يصلون ركبانا على دوابهم ومشاة على اقدامهم الى القبلة والى غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء الا انهم
يجعلون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصيحات لانه لا ضرورة اليها بل الشجاع الساكت اهيب وقال ابو حنيفة
لا يصلي الماشي بل يؤخر لانه صلى الله عليه وسلم اخر الصلوة يوم الخندق واجيب بان الاية ناسخة لذلك الفعل ويدخل في الخوف
المفيد لهذه الرخصة الخوف في القتال الواجب كالقتال مع الكفار او مع اهل البغي وفي القتال المباح كالدفع عن النفس او عن حيوان
محترم او عن المال اما القتال المحظور فانه لا يجوز فيه صلوة الخوف لان الرخص لا تناط بالمعاصي والخوف الحاصل لا في القتال
كالهارب من الحرق والغرق والسبع وكذا المطالب اذا كان معسرا خائفا من الحبس عاجزا عن بينة الاعسار يرخص ايضا في هذه الصلوة
لان قوله فان خفتم مطلق يتناول الكل فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن بقوله حافظوا

على الصلوة

على الصلوات والصلوة الوسطى وكما بينه بشروطه واركانه والصلوة قد تسمى ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وقيل فاذكروا الله اي صلوا شكرا
لاجل انعامه عليكم بالامن وقيل فاشكروه على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع على لسان نبيه وكيف
تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وما في كما اما مصدرية او كافة **الحكم الثامن عشر عدة الوفاة بوجه آخر** والذين يتوفون
منكم الاية من قرأ وصية بالرفع فوصية مبتدأ خبره لازواجهم وجاز وقوع النكرة مبتدأ لتخصصه بما تخصص به سلام عليكم
او التقدير فعليهم وصية لازواجهم فالخبر مضمر او فلازواجهم المفترض او الحكم وصية فالمبتدأ مضمر او كتب عليهم وصية اولكن منهم
وصية او وصية الذين يتوفون وصية او الذين يتوفون اهل وصية اي الحول وكل هذه الوجوه جائز حسن ومن قرأ بالنصب فعلى تقدير
فليوصوا وصية او يوصون وصية مثل انت سير البريد اي انت تسير سير البريد او الزم الذين يتوفون وصية ومتاعا نصب على المصدر
على معنى فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعا او التقدير جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبل الكلام يدل عليه او نصب على الحال او
بالوصية وغير اخراج نصب على المصدر المؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات
والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن
من مساكنهن واكثر المفسرين على ان ذلك كان في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا والنسخ ما زاد منه على هذا
المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن لقوله صلى الله عليه وسلم الا لا وصية لوارث وعن علي وابن عمر رضي الله عنهم
ان لها النفقة ان كانت حاملا واما السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه السكنى لهن وهو قول علي وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم واختاره
المزني قياسا على النفقة وفرق بان النفقة في مقابلة التمكين ولا تمكين واما السكنى فلتحصين الماء وهو موجود وعند الشافعي لهن ذلك
على الاظهر وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة رضي الله تعالى عنهم والفقهاء مالك والثوري واحمد وبناء الخلاف على خبر
فريعة بنت مالك اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها قالت فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي فان زوجي ما تركني في منزل
يملكه فقال نعم فانصرفت حتى اذا كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثاني
على النسخ والاخرون على الاستحباب وعن مجاهد انها ان لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تاخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر
وعشرا وان اختارت السكنى في داره والاخذ من ماله وتركته فعدتها الحول قال وانما نزلت الاية على هذين التقديرين ليكون كل واحد منهما
معمولا بها وعن ابي مسلم انكم تضيفون الوصية الى حكم الله تعالى فيلزم القول بالنسخ ولكن نضيف الحكم الى الزوج حتى يصير معنى الاية
الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وقد وصوا وصية لازواجهم بالنفقة والسكنى حولا فهذا المجموع شرط وجوابه فان خرجن اي قبل ذلك
وخالفن وصية الزوج بعد ان يقمن المدة التي ضربها الله تعالى فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف اي نكاح صحيح لان اقامتهن
بهذه الوصية غير لازمة والسبب فيه انهم كانوا في زمان الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا وكانوا يوجبون على المراة الاعتداد بالحول
فبين الله تعالى في هذه الاية ان ذلك غير واجب ويؤكده ما روت زينب بنت ابي سلمة قالت سمعت امي ام سلمة تقول جاءت امراة الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مرتين
او ثلثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كانت احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على راس الحول
قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على راس الحول فقالت كانت المراة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا اي بيتا صغيرا ولبست
شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طائر فتفتض به قال مالك اي تمسح به جلدها فقلما تفتض بشيء الا مات
ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب او غيره فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والاقدام
على النكاح ومن قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول ومن ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها ليس بواجب عليها
وانما قال ههنا من معروف منكرا لان المراد بوجه من الوجوه التي لهن ان يأتينه واما الاية السابقة فانه اراد بالوجه المعروف من الشرع و
يمكن ان يقال ان تلك الاية متأخرة في النزول على هذه باجماع المفسرين فكانه نكر اولا ثم عرف لان النكرة اذا كانت مكررة صارت معرفة
قال سبحانه كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول **الحكم التاسع عشر وللمطلقات متاع بالمعروف** عم المطلقات
بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المذكورة في الحكم الخامس عشر وروي انها لما نزلت ومتعوهن الى قوله متاعا بالمعروف حقا
على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فنزلت هذه الاية اي حقا على من كان متقيا عن الكفر والمعاصي
واعلم ان المطلقات قسمان مطلقة قبل الدخول فلها المتعة ان لم يفرض لها كما مر في الحكم الخامس عشر وان فرض لها مهر فلا متعة لها وحسبها نصف
المهر لانه تعالى اقتصر على ذلك ولم يذكر المتعة فهي مستثناة من عموم هذه الاية ومطلقة بعد الدخول سواء فرض لها او لم يفرض واختلفوا في استحقاقها
المتعة فالقديم من قولي الشافعي وبه قال ابو حنيفة لا متعة لها لانها تستحق المهر كالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول وفي الجديد لها المتعة وهو قول علي
وابنه الحسن وابن عمر رضي الله عنهم لعموم الاية ولقوله تعالى فتعالين امتعكن وكان ذلك في حق نساء دخل بهن النبي صلى الله عليه وسلم وليست
كالمطلقة المذكورة لانها استحقت الصداق لا بمقابلة عوض وهذه استحقت الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب لها المتعة للايحاش وعن
ابن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة تمسكا بظاهر عموم الاية وقيل المراد بهذه المتعة النفقة في العدة بدليل متاعا الى الحول والسلام

الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم
ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ۝ وقاتلوا في سبيل الله
واعلموا ان الله سميع عليم ۝ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له
اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون ۝

القراءة فيضاعفه بالالف والنصب عاصم غير المفضل وسهل فيضعفه بالتشديد والنصب ابن عامر ويعقوب غير روح فيضعفه بالتشديد والرفع ابن كثير ويزيد وروح الباقون فيضاعفه بالالف والرفع وكذلك في سورة الحديد ويبسط بالصاد ابن كثير وابو جعفر ونافع غير الخزاعي عن ابن فليح وابن مجاهد وابي عون عن قنبل وسهل وعاصم وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش وشجاع وعلي الحلواني عن قالون مخير الباقون بالسين الوقوف الموت ص احياهم ط لا يشكرون ه عليم ه كثيرة ط ويبسط ص ترجعون ه التفسير قد جرت عادته سبحانه ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص اعتبارا للسامعين ليحملهم ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد فقال الم تر وفيه تقرير لمن سمع بقصتهم وتعجيب من حالهم ويجوز ان يخاطب به من لم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب او تكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى الم ينته علمك ولهذا عدي بالى وعلى هذا يجوز ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف هذه القصة الا بعد هذه الاية ويجوز ان يقال كان العلم بها سابقا على نزول هذه الاية ثم انه تعالى انزل الاية على وفق ذلك روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه ويروى ان حزقيل النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقال له ذو الكفل مر عليهم بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب مما راى فاوحى الله تعالى اليه اتريد ان اريك كيف احييهم فقال نعم فقيل له ناد ايتها العظام ان الله يامرك ان تجتمعي فجعلت العظام يطير بعضها الى البعض حتى تمت العظام ثم اوحى الله اليه ناد ايتها ان الله يامرك ان تكتسي لحما فصارت لحما ودما ثم نادى ان الله يامرك ان تقومي فقامت فلما احياهم كانوا يقولون سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم بعد حياتهم وكان يظهر امارات الموت في وجوههم الى ان ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم وعن ابن عباس ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر عسكره بالقتال فخافوا القتال فهربوا وقالوا للملك ان الارض التي تذهب اليها فيها الوباء فنحن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوباء فاماتهم الله باسرهم وبقوا ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر واحياهم الله تعالى بعد الثمانية وبقي فيهم شيء من النتن وبقي ذلك في اولادهم الى هذا اليوم وقيل ان حزقيل النبي عليه السلام ندب قومه الى الجهاد فكرهوا وجبنوا فارسل الله تعالى عليهم الموت فلما كثر فيهم الموت خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما راى حزقيل ذلك قال اللهم اله يعقوب واله موسى ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وانهم لا يخرجون عن قبضتك فارسل الله عليهم الموت فلما رآه عليه السلام قلبه قد ضاق اخرى فاحياهم الله تعالى اما قوله سبحانه وهم الوف ففيه دليل على الالوف الكثيرة ولكنهم اختلفوا فقيل عشرة آلاف وقيل ثمانون وقيل سبعون وعن بعضهم ان الالوف جمع الف كقعود جمع قاعد اي خرجوا وهم مؤتلفوا القلوب وزيف بان ورود الموت عليهم وهم كثرة يفيد مزيد اعتبار بخلاف حالهم لو كانوا نفرا يسيرا وايضا ورود الموت على قوم بينهم ائتلاف ومحبة كوروده على قوم بينهم اختلاف في ان وجه الاعتبار لا يتغير وقد يوجه بان المراد انهم بالدنيا ومحبتهم لها فاهلكوا ليعلم ان حرص الانسان على الحيوة لا يعصمه عن الموت وحذر الموت مفعول لاجله فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وجيء بهذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد وانها خارجة عن العادة ولا امر ولا قول كما مر في قوله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقيل عليه قوله ثم احياهم واذا صح الاحياء بلا قول فكذا الاماتة ويحتمل انه تعالى امر الرسول بان يقول لهم موتوا والظاهر انهم لم يكونوا راوا عند الموت من الاهوال والاحوال ما يصير بها معارفهم ضرورية ويمنع من صحة التكليف بعد الاحياء كما في الاخرة وقال قتادة انما احياهم ليستوفوا بقية آجالهم ان الله لذو فضل على الناس لتفضل عليهم بان خرجوا من الدنيا على المعصية فاعادهم الى الدنيا ومكنهم من التوبة والتلافي ولتفضل على منكري المعاد باقتصاص خبرهم ليستبصروا ويعتبروا وذلك ان تركب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والا لما وجد اولا واذا كان ممكنا في نفسه وقد اخبر الصادق بوجوده وجب القطع به وفي القصة تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم ينفع منه الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله ولهذا اتبعت بقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله ثم ان كان هذا الامر خطابا للذين احياهم على ما قال الضحاك احياهم ثم امرهم بان يذهبوا الى الجهاد فلا بد من اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا وان كان استئناف خطاب للحاضرين على ما هو اختيار الجمهور من المفسرين فلا اضمار وفيه ترغيب وارهاب كيلا ينكص على عقبيه محب الحيوة خوف الموت فان الحذر لا يغني عن القدر واعلموا ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله القاعدون والمجاهدون ويعلم ما يضمرونه وهو من وراء الجزاء ولما امر المكلفين بالقتال في سبيل الله اردف ذلك بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي في باب الجهاد كانه ندب العاجز عن الجهاد ان ينفق على الفقير القادر على الجهاد وامر القادر على الجهاد ان ينفق على نفسه في طريق الجهاد ومن ذا ما زائدة ومن استفهام في موضع الرفع والذي مع صلتها خبره او موصولة والذي بدلها او اسم اشارة خبر من والذي نعت له او بدل منه قال ابو البقاء ولا يجوز ان يكون من وذا بمنزلة اسم واحد كما كانت ماذا لان ما اشد ابهاما من من اذ كانت من لمن يعقل وقد بني الكلام على طريقة الاستفهام لان ذلك ادخل في الترغيب والحث على الفعل من ظاهر الامر وقيل ان هذا كلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله وانما ورد ترغيبا في الانفاق اما على الاطلاق وهو الاليق بعموم لفظ القرض واما الواجب منه لان قوله واليه ترجعون كالزجر وهو انما يليق بالواجب واما غير الواجب لان القرض بالتبرع اشبه وهذا قول الاصم وقد روي عن بعض اصحاب ابن مسعود ان المراد من هذا القرض هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فانه له صدقة ويشبه ان يكون الفقير الذي لا يملك شيئا اذا كان في قلبه انه اذا قدر انفق واعطى قامت تلك النية مقام الانفاق وعن الزجاج ان لفظ القرض حقيقة في كل ما يفعل ليجازى عليه واصل القرض القطع ومنه المقراض والانقراض لانقطاع الاثر ومن اقرض فكانما قطع له من ماله او عمله قطعة يجازى عليها وقيل ان لفظ القرض في الاية مجاز فان القرض انما ياخذه من يحتاج اليه لفقره وذلك في حق الله محال ولان البدل في القرض المعتاد لا يكون الا بالمثل وههنا يضاعف ولان المال الذي ياخذه المستقرض لا يكون ملكا له وههنا المال الماخوذ ملك الله ثم مع حصول هذه الوجوه سماه الله تعالى قرضا تنبيها على ان ذلك لا يضيع عند الله فكما ان القرض يجب اداؤه ولا يجوز الاخلال به فكذا الثواب المستحق على هذا الانفاق واصل الى المكلف لا محالة وقوله قرضا حسنا يحتمل كونه اسم مصدر وكونه مصدرا بمعنى الاقراض ومعنى كونه حسنا حلالا خالصا لا يختلط به الحرام ولا يشوبه من ولا اذى ولا يفعله رياء وسمعة وانما يفعله خالصا لوجه الله تعالى واضعافا نصب على الحال او على المفعول الثاني ان ضمن يضاعف معنى يصير ويجوز ان يكون مصدرا لان الضعف وان كان اسما الا انه قد يقع موقع المصدر كالعطاء فانه اسم للمعطى وقد يستعمل بمعنى

الاعطاء

الاعطاء قال القطامي شعر اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا وانما جاز جمع المصدر بحسب اختلاف انواع الجزاء او لاختلاف الاغراض في المقدار والاخلاص وغير ذلك والضعف المثل والتضعيف والاضعاف والمضاعفة كلها الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهمه الله تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط يقتر على عباده ويوسع فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وايضا من كتب له الفقر فليس له الا ذلك سواء انفق او لم ينفق ومن كتب له الغنى فليس له الا ذلك فعلى التقديرين يكون انفاق المال في سبيل الله اولى واذا علم المكلف ان القبض والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا وبقي اعتماده على الله فحينئذ يسهل عليه الانفاق في مرضاة الله ويحتمل ان يكون المعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا يقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يسهل عليه البذل وصرف المال واليه ترجعون فيجازيكم بحسب ما قدمتم من اعمال الخير والله ولي التوفيق واليه انتهاء الطريق

الم تر الى الملاء من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ۝ وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ۝ وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ۝ فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ۝ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ۝ فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ۝

القراءة عسيتم بكسر السين حيث كان نافع الباقون بالفتح وزاده بالامالة حمزة ونصير وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بسطة بالصاد ابو نشيط والشموني غير النقار وكذلك يبسط ويبسط الرزق ولا تبسطها كل البسط لا اصطاء وما اشبه ذلك مني الا بالفتح ابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالسكون غرفة بفتح الغين ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالضم هو والذين بالادغام روى ابن مهران ومحمد العطار عن ابي شعيب وشجاع وكذلك ما اشبهها فيه وبه وبابهما غير مهموزين يزيد والشموني وحمزة في الوقف دفاع الله وكذلك في سورة الحج ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون دفع الله الوقوف من بعد موسى م لانه لو وصل صار اذ ظرفا لقوله الم تر وهو محال في سبيل الله ط الا تقاتلوا ط وابنائنا ط تعظيما لابتداء امر معظم منهم ط بالظالمين ه ملكا ط من المال ط والجسم ط من يشاء ط عليم ه الملائكة ط مؤمنين ه بالجنود لا لان قال جواب لما بنهر ج لابتداء الشرط مع الفاء فليس مني ج لابتداء الشرط اخر مع اتحاد المقصود بيده ج لعطف المختلفين منهم ط تعظيما لابتداء امر معظم معه لا لان قالوا جواب لما وجنوده ط ملاقوا الله لا لان ما بعده مفعول قال باذن

الصابرين ط الكافرين ط لان ما قبله دعاء وما بعده خبر ان يتصل بكلام طويل بعده ولا وقف على باذن الله لاتصال اللفظ والثاني
المعنى فان الهزيمة كانت قبل قتل داود جالوت مما يشاء ط العالمين ه التفسير القصة الثانية قصة طالوت والملأ اسم
جماعة من الناس كالقوم والرهط لانهم يملؤن العيون هيبة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة وجمعه املاء قال شعر وقال لها الاملاء
من كل معشر وخير اقاويل الرجال سديدها قال الزجاج الملأ الرؤساء سموا بذلك لانهم ملؤا بما يحتاج اليه من كفايات الامور وتدبيرها
من قولهم هو الرجل ملاءة فهو مليء اذا كان مضطلعا او لانهم يتمالؤن اي يتظاهرون ويتساعدون والغرض من ايراد هذه القصة عقيب
اية القتال ترغيب المكلفين على الجهاد وان لا يكونوا كمن امروا بالقتال فخالفوا وظلموا اذ قالوا لنبي لهم لم يحصل العلم بذلك النبي و
باولئك الملأ من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا يفيد الا الظن لكن المقصود وهو الحث على الجهاد حاصل منهم من قال ان النبي هو يوشع بن
نون بن افرائيم بن يوسف لقوله من بعد موسى ولكنه لا يلزم منه حصوله من بعده على الاتصال والاكثرون على انه اشمويل واسمه بالعربية اسمعيل
وعن السدي هو شمعون سمته امه بذلك لانها دعت الله ان يرزقها ابنا فسمع دعاءها فسمته شمعون يعني سمع دعائي بالعبرانية و
هو من ولد لاوي بن يعقوب ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وينتظم به كلمتنا وكان قوام
بني اسرائيل بملك يجتمعون عليه يجاهد الاعداء ويجري الاحكام ونبي يطيعه الملك ويقيم امر دينهم ويأتيهم بالخبر من ربهم نقاتل في سبيل الله
بالنون والجزم على الجواب وهي القراءة المشهورة وقرئ بالنون والرفع على انه حال اي ابعث لنا ملكا مقدرين القتال او استيناف
كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا هل عسيتم خبره ان لا تقاتلوا
والشرط فاصل بينهما وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور اي ان كتب عليكم القتال فهل متوقع منكم الجبن والخور واراد بالاستفهام
التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه ومالنا الا نقاتل قال المبرد ما نافية اي ليس لنا ترك القتال قال الاكثرون على انه
للاستفهام واورد عليه انه خلاف المشهور فانه لا يقال مالك ان لا تفعل كذا وانما يقال مالك لا تفعل وعن الاخفش ان ان زائدة
اي ما لنا لا نقاتل ورد بان الزيادة خلاف الاصل ولا سيما في كلام رب العزة وعن الفراء ان الكلام محمول على المعنى لان قولك ما لك
لا تقاتل معناه ما منعك ان تقاتل فلما ذهب بمعنى المنع حسن ادخال ان فيه وعن الكسائي واستحسنه الفارسي ان التقدير اي شيء لنا
او اي داع او غرض في ترك القتال فسقطت كلمة في على القياس وقد اخرجنا اي وحالنا انا اخرجنا من ديارنا وابنائنا بالسبي والقهر على نواحينا
ومن بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر منه الاجتهاد في قمع عدوه روي ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر
وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين وههنا محذوف التقدير فسأل الله تعالى ذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر وسيأتي ذكرهم وانهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم ولكل مكلف في الاسلام على القعود عن القتال واي وعيد ابلغ من ان وضع الظالمين موضع الضمير العائد اليهم فكانه
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود ولذا امتنع من الصرف للعلمية والعجمة المعتبرة وقد يتكلف
اشتقاقه من الطول لما يجئ من وصفه بالبسطة في الجسم وقد يوافق العبراني العربي وملكا نصب على الحال او التمييز او مفعول ثان على ان بعث
بمعنى صير وفي الاية تقرير لتوليهم وتأكيد لذلك فان اول ما تولوا هو انكارهم امر النبي المبعوث اليهم بالتماسهم وذلك انهم قالوا انى يكون
ومن اين يتيح ويصلح له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية للعطف فانتظمت الجملتان
في سلك الحالية استبعدوا تملكه من وجهين الاول ان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهرون والملك كان في سبط
يهوذا ومنه داود وسليمان وان طالوت ما كان من احد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين الثاني انه كان فقيرا ولابد للملك من مال
يعتضد به فعن وهب انه كان دباغا وعن السدي كان مكاريا وقال الآخرون كان سقاء فازيلت شبهتهم بوجوه الاول قال ان الله اصطفاه
عليكم اختاره وهو اعلم بالمصالح منكم واستخلصه من بينكم وامره عليكم ولا اعتراض لاحد على حكم الله روي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت الثاني وزاده بسطة في العلم والجسم طعنوا فيه بنقصان الجاه والمال فقابلهما الله تعالى بوصفين
العلم والقدرة وانهما اشد مناسبة لاستحقاق الملك من النسب والمال لان العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية دونهما وبالعلم والقدرة
يتوسل الى الجاه والمال ولا ينعكس ولان العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة لجوهر الانسان والمال والجاه امران منفصلان عن ذات الانسان و
انهما لا يمكن سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما وان العالم بامر الحروب ذا القوة والبطش يكون الانتفاع به في مصالح البلاد والعباد اتم من النسيب
الغني اذا لم يكن له علم بضبط المصالح وقدرة على دفع الاعداء والظاهر ان المراد بالبسطة في العلم هو حذقه فيما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز
ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وذلك ان الملك ينبغي ان يكون عالما والا كان مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة وحشمة
والبسطة السعة والامتداد وطول القامة روي انه كان يفوق الناس برأسه ومنكبه وقيل المراد منه الجمال وكان اجمل بني اسرائيل
والاظهر ان يراد بها القوة لانها المنتفع بها في دفع الاعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث والله يؤتي ملكه من يشاء فالملك له والعبيد له
والمالك اذا تصرف في ملكه لغيره فلا اعتراض لاحد عليه الوجه الرابع والله واسع عليم فاذا فوض الملك اليه فان علم ان الملك لا يتمشى الا
بالمال فتح عليه باب الرزق ويوسع عليه قوله عز من قائل وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت الاية اعلم ان ظاهر قوله تعالى اذ قالوا
لنبي لهم ابعث لنا ملكا يدل على انهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبي ثم انه لما قال ان الله تعالى قد بعث لكم طالوت ملكا كان هذا دليلا
قاطعا على انه ملك لكنه تعالى لكمال رأفته بالمكلفين ضم الى ذلك الدليل دليلا اخر دل على صدق النبي واكثار الدلائل من الله تعالى جائز ولهذا
كثرت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزات موسى وعيسى عليهما السلام ثم ان مجيء التابوت لابد ان يقع على وجه يكون خارقا للعادة
حتى يصح ان يكون معجزة واية من عند الله دالة على صدق تلك الدعوى فقيل ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه صور الانبياء من اولاده
فتوارثوه الى ان وصل الى يعقوب ثم بقي في ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه
بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر
فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت فقال ذلك النبي ان
اية ملكه انكم تجدون التابوت في داره وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه في موضع البول والغائط فدعا النبي عليهم في ذلك الوقت

فسلط الله على اولئك الكفار البلاء حتى ان كل من بال عنده او تغوط ابتلاه الله تعالى بالبواسير فعلم الكفار ان ذلك لاجل استخفافهم بالتابوت
فاخرجوه ووضعوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة ملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فعلى هذا اتيان التابوت
مجاز لانه اتي به ولم يأت هو بنفسه وقيل انه صندوق من خشب كان موسى يضع التورية فيه وكانوا يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعد وفاة
موسى عليه السلام لسخطه على بني اسرائيل ثم قال نبي ذلك القوم ان اية ملك طالوت ان يأتيكم التابوت من السماء فنزل من السماء والملائكة
كانوا يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت وعلى هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وعلى هذا الاتيان حقيقة واضيف الحمل
الى الملائكة في القولين جميعا لان من حفظ شيئا في الطريق جاز ان يوصف بانه حمل ذلك اما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشاد
مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار واما وزن التابوت فلا يخلو
اما ان يكون فعلوتا او فاعولا لا سبيل الى الثاني لقلة باب سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فهو فعلوت من التوب اي الرجوع لانه ظرف
فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته والظاهر ان مجيء التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ومع كونه
معجزة له كان اية قاطعة في ثبوت ملك طالوت وقيل ان طالوت كان نبيا واتيان التابوت معجزته لانه كان مقرونا بالتحدي والجواب
ان التحدي كان من النبي لا منه فيه سكينة هي فعيلة من السكون ضد الحركة ومعناها الوقار مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة واما البقية فبمعنى
الباقية يقال بقي من الشيء بقية والمراد بالسكينة والبقية اما ان يكون شيئا حاصلا في التابوت او لا الثاني قول الاصم وعلى هذا المعنى
متى جاءهم التابوت من السماء وشاهدوا تلك الحالة اطمأنت نفوسهم واقروا له بالملك وانتظم امر ما بقي من دين موسى وهرون
فهذا كقوله صلى الله عليه وسلم في النفس المؤمنة مائة من الابل اي بسببها وعلى الاول اقوال فعن ابي مسلم كان في التابوت بشارات من كتب الله
تعالى المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء عليهم السلام بان الله تعالى ينصر طالوت وجنوده فيزول خوف العدو عنهم و
وعن ابن عباس هي صورة من زبرجد وياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي كرم الله وجهه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اي طيبة
واما البقية فهي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية وقفيز من المن الذي انزل عليهم قال بعض العلماء انما اضيف ذلك
الى ال موسى وهرون لان ذلك التابوت قد تداولته القرون بعدهما الى وقت طالوت وفي التابوت اشياء توارثها العلماء من اتباع
موسى وهرون فيكون الال هم الاتباع قال تعالى ادخلوا ال فرعون واذ نجيناكم من ال فرعون ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والال
مقحم لتفخيم شأنهما كقوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير ال داود واراد به داود نفسه اذ لم يكن
لاحد من ال داود من الصوت الحسن ما كان لداود ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين بدلالة المعجزة على صدق المدعي وههنا محذوف و
التقدير فاتاهم التابوت فاذعنوا لطالوت واجابوا الى المسير تحت رايته فلما فصل طالوت بالجنود اصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار
في حكم غير المتعدي والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الاعوان والانصار وكل صنف من الخلق جند قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود
مجندة روي ان طالوت قال لقومه لا ينبغي ان يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ عنه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها
ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا الله ان يجري لهم نهرا فقال لهم
نبيهم على قول او طالوت على الاظهر وذلك اما باخبار النبي او بالوحي ان كان نبيا ان الله مبتليكم بنهر بما اقترحتموه من النهر قيل في حكمة هذا الابتلاء
انه لما كان من عادة بني اسرائيل مخالفة الانبياء والملوك مع ظهور الايات الباهرة اظهر الله علامة قبل لقاء العدو يتميز بها الصابر على الحرب
من غير الصابر لان الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتأثيره حال لقاء العدو عن ابن عباس والسدي انه نهر فلسطين وعن قتادة والربيع انه
نهر بين الاردن وفلسطين ونهر وتحريك الهاء وتسكينها لغتان ومبتليكم اي مختبركم ولما كان الابتلاء من الناس انما يكون ليظهر الشيء وجب
ان الله لا يثيب ولا يعاقب على علمه انما يفعل ذلك لظهور الافعال من الناس وذلك لا يحصل الا بالتكليف لا جرم سمى التكليف ابتلاء
فمن شرب منه فليس مني هو كالزجر اي ليس بمتصل بي ولا متحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما او ليس من اهل ديني
وطاعتي ومن حلفتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه واعلم ان الفقهاء اختلفوا في ان
من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفة لا يحنث الا اذا كرع في النهر حتى لو اغترف بالكوز ماء من ذلك النهر وشربه
لا يحنث لان الشرب من الشيء هو ان يكون ابتداء شربك متصلا بذلك الشيء وقال الباقون بل اذا اغترف الماء بالكوز من ذلك النهر وشربه يحنث
لان هذا وان كان مجازا الا انه مجاز مشهور ولما كان من المحتمل في اللفظ الاول ان يكون النهي مقصورا على الشرب من النهر حتى لو اخذه بالكوز وشربه
لا يكون داخلا تحت النهي ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى منه للعناية ومعنى الاستثناء الرخصة
في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف بملء الكف عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت
الغرفة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها ولعل ذلك من معجزات نبي ذلك الزمان كما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم من ارواء
الخلق العظيم من الماء القليل ويحتمل انه كان مأذونا ان يأخذ من الماء كم شاء مرة واحدة بقربة او جرة بحيث كان المأخوذ في المرة الواحدة
يكفيه ولدوابه وخدمه ولاجله مع نفسه الا ان قوله بيده لا يجاوب هذا الاحتمال فشربوا منه كرعوا فيه الا قليلا منهم وقرأ ابي والاعمش الا قليل
منهم وهذا من باب الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم فبهذا يتميز الموافق من المنافق والصديق
عن الزنديق روي ان اصحاب طالوت لما هجموا على النهر بعد عطش شديد وقع اكثرهم في النهر واكثروا الشرب فاسودت شفاههم و
غلبهم العطش ولم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو واطاع قوم قليل منهم امر الله تعالى فلم يزيدوا على الاغتراف فقوي قلبهم
وصح ايمانهم وعبروا النهر سالمين والمشهور انهم كانوا على عدد اهل بدر لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر انتم اليوم
على عدد اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه الا مؤمن قال البراء بن عازب رضي الله عنه وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل
انهم كانوا اربعة الاف ولا خلاف بين المفسرين ان الذين عصوا الله وشربوا من النهر رجعوا الى بلدهم ولم يتوجه معه الى لقاء العدو الا من اطاع
وانما الخلاف في انهم رجعوا قبل عبور النهر او بعده والحق انه ما عبر معه الا المطيعون لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه ولقوله
فليس مني اي ليس من اصحابي في سفري ولان المقصود من الابتلاء ان يتميز المطيع عن العاصي واذا تميزا فالظاهر انه لم يأذن للعاصين

وصرفهم عن نفسه قبل ان يردوا عند لقاء العدو وقيل انه استصحب كل جنوده لانهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ويعلم
ان هذا الكلام لا يليق بالمؤمن المنقاد لامر ربه بل لا يصدر الا عن المنافق او الفاسق والجواب لعل طالوت والمؤمنين لما جاوزوا النهر ورأوا القوم
تخلفوا وما جاوزوه سألوهم عن سبب التخلف فذكروا ذلك وما كان النهر في العظم بحيث يمنع المكالمة او المراد بالمجاوزة قرب حصول المجاوزة والمؤمنون الذين
عبروا النهر كانوا فريقين منهم من يكره الموت ويغلب الخوف والجزع على طبعه وهم الذين قالوا لا طاقة لنا ومنهم من كان شجاعا قوي القلب
وهم الذين اجابوا بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة او انهم لما شاهدوا قلة عسكرهم قال بعضهم لا طاقة لنا اليوم فلا بد ان نوطن انفسنا
للقتل وقال الآخرون بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الاولين الترغيب في الشهادة والفوز بالجنة وغرض الآخرين التحريض
على رجاء الفتح والظفر وكلا الغرضين محمود والطاقة اسم بمنزلة الاطاقة يقال اطقت الشيء اطاقة وطاقة ومثلها اطاع اطاعة والاسم
الطاعة واغار اغارة والاسم الغارة واجاب يجيب اجابة والاسم الجابة وفي المثل اساء سمعا فاساء جابة اي جوابا ومعنى قوله
يظنون انهم ملاقوا الله يغلب على ظنونهم انهم لا يتخلصون من الموت عن قتادة او يظنون انهم ملاقوا ثواب الله بسبب هذه الطاعة
وذلك ان احدا لا يعلم عاقبة امره عن ابي مسلم او يظنون انهم ملاقوا طاعة الله من غير رياء وسمعة ونية خالصة او انهم عرفوا انما
في التابوت من الكتب الالهية يقين النصرة والظفر الا ان حصول ذلك في المرة الاولى ما كان الا على سبيل الظن او المراد بقوله
يظنون يعلمون ويوقنون لما بين اليقين والظن من المشابهة في تأكد الاعتقاد والفئة الجماعة لان بعضهم قد فاء الى بعض فصار جماعة و
قال الزجاج هي من قولهم فأوت رأسه بالسيف وفأيت اي قطعت كأن الفئة قطعة من الناس والمراد تقوية قلوب المؤمنين
الذين قالوا لا طاقة لنا اذ العبرة بالتأييد الالهي والنصرة الالهية فاذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة والذلة واذا جاءت
المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة ومحل كم رفع بالابتداء وغلبت الجملة خبره باذن الله بتيسيره وتسهيله والله مع الصابرين بالمعونة
والتأييد يحتمل ان يكون من قوله تعالى وان يكون من قول الذين يظنون قوله سبحانه ولما برزوا لجالوت وجنوده الآية البراز الارض
الفضاء ومنه البروز والمبارزة في الحرب كأن كل واحد منهما حصل بحيث يرى صاحبه واعلم ان العلماء والاقوياء من عسكر
طالوت لما برزوا مع ضعفائهم وعوامهم ان الغلبة لا تتعلق بكثرة العدد وان النصر والظفر باعانة الله تعالى اشتغلوا بالدعاء وقالوا
ربنا افرغ علينا صبرا وهكذا كان يفعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما روي في قصة بدر انه كان يصلي ويستنجز من الله وعده وكان
متى لقي عدوا قال اللهم اني اعوذ بك من شرورهم واجعلك في نحورهم اللهم بك اصول وبك احول والافراغ اخلاء الاناء مما فيه
وانما يخلو بصب كل ما فيه فيفيد المبالغة اي صب علينا اتم صبر وابلغه وهذا هو الركن الاعظم في المحاربة فانه ان كان جبانا لم يجد
بطائل ثم ان الشجاع مع ذلك يحتاج الى الآلات والعدد والاتفاقات الحسنة حتى يمكنه ان يقف ويثبت ولا يصير ملجأ الى الفرار
فاقترحوا بقولهم وثبت اقدامنا ثم انه مع كل هذه الاشياء يفتقر الى ان يزيد قوته على قوة عدوه حتى يغلبهم وهو المراد بقولهم
وانصرنا على القوم الكافرين فلا جرم استجاب الله دعاءهم فهزموهم كسروهم باذن الله بتوفيقه واعانته وقتل داود جالوت
عن ابن عباس ان داود كان راعيا ومعه سبعة اخوة مع طالوت فلما ابطأ خبر اخوته على ابيهم ايشا ارسل ابنه داود وكان صغيرا
اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في المصاف وبرز جالوت الجبار وكان من قوم عاد وكانت بيضته فيها ثمانمائة رطل من الحديد فلم يخرج
اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على الحق لبارزني بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فسكتوه فذهب الى ناحية
من الصف ليس فيها اخوته فمر به طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا فقال طالوت انكحه ابنتي واعطيه نصف
مملكتي فقال داود فانا خارج اليه وكانت عادته انه يقاتل بالمقلاع الذئب والسباع في المرعى وكان طالوت عارفا جلادته فلما هم داود
بان يخرج الى جالوت مر بثلاثة احجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا منية جالوت ثم لما خرج الى جالوت رماه فاصابه في صدره ونفذت
الحجرة فيه وقتل بعده ناسا كثيرا فهزم الله جنود جالوت ولم يف له بوعده ثم ندم على صنيعه فذهب يطلبه الى ان قتل وآتاه الله الملك
في مشارق الارض ومغاربها والحكمة اي النبوة لان الحكمة وضع الامور مواضعها على الوجه الاصوب والنحو الاصلح وكمال هذا المعنى انما
يحصل بالنبوة والمشهور من احوال بني اسرائيل ان الله تعالى كان يبعث اليهم نبيا وعليهم ملكا وكان ذلك الملك ينفذ امور ذلك النبي
وكان نبي ذلك الزمان اشمويل وملكه طالوت فلما توفي اشمويل اعطى الله تعالى داود النبوة ولما توفي طالوت اعطاه الملك ايضا
ولم يجتمع الملك والنبوة على احد من بني اسرائيل قبله ويروى انه بين قتله جالوت وبين ما اعطاه الله الملك والحكمة سبع سنين وقال بعضهم
هذا الايتاء جزاء له على ما فعل من الطاعة وبذل النفس في سبيل الله ولا يمتنع جعل النبوة جزاء على بعض الطاعات كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم
على العالمين وقال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته ولهذا ذكر بعده حديث الهزيمة والقتل وترتيب الحكم على الوصف المناسب
مشعر بالعلية لا سيما وقد تلطفت الاحجار معه وقد قتل العدو العظيم المهيب بالآلة الحقيرة وقال الآخرون ان النبوة لا يجوز جعلها جزاء على الاعمال
ولكنها محض عناية الله تعالى ببعض عبيده كما قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فان قيل لم قدم الملك على الحكمة مع انه
ادون منها فالجواب انه تعالى اراد ان يذكر كيفية ترقي داود عليه السلام في مدارج السعادات والتدرج في مثل هذا المقام من الادون
الى الاشرف وهو الترتيب الطبيعي وعلمه مما يشاء قيل هو صنعة الدروع لقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل منطق الطير علمنا منطق
الطير وقيل ما يتعلق بمصالح الملك فانه ما تعلم ذلك من آبائه فانهم كانوا رعاة وقيل علم الدين والقضاء وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
ولا يبعد حمل اللفظ على الكل والغرض منه التنبيه على ان العبد لا ينتهي قط الى حالة يستغني عن التعلم سواء كان نبيا او لم يكن ولهذا قيل لمحمد صلعم
وقل رب زدني علما ولولا دفع الله الناس قراءة ظاهرة واما من قرأ بالالف فاما ان يكون مصدرا كقولهم جمع جماعا وكتب كتابا وقام قياما
واما ان يكون بمعنى انه سبحانه يكف الظلمة والعصاة عن المؤمنين على ايدي انبيائه وائمة دينه فكان يقع بين اولئك المحقين واولئك
المبطلين مدافعات كقوله ان الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان الله تعالى ذكر في الآية المدفوع وهو بعض الناس والمدفوع به وهو
البعض الآخر واما المدفوع عنه فغير مذكور للعلم به وهو الشرور في الدين كالكفر والفسق والمعاصي فعلى هذا الدافعون هم الانبياء عليهم السلام
وائمة الهدى ومن يجري مجراهم من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر او الشرور في الدنيا كالهرج والمرج واثارة الفتن فالدافعون
هم الانبياء او الملوك الذابون عن شرائعهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الملك والدين توأمان الاسلام اس والسلطان حارس فما لا اس له

فهو منهدم وما لا حارس له فهو ضائع وعلى هذا المعنى قوله لفسدت الارض اي بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وغير ذلك
من سائر اسباب العمران وقيل المراد بالدفع نصر المسلمين على الكفار ومعنى فساد الارض عيث الكفار فيها وقتلهم المسلمين وقيل المعنى لو لم يدفع
الكفار بالمسلمين لعم الكفر ونزل سخط الله فاستؤصل اهل الارض وتصديق ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدفع بمن يصلي من امتي
عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الاشياء لما انظرهم
طرفة عين ثم تلا هذه الآية ولكن الله ذو فضل على العالمين بسبب ذلك الدفاع وفيه ان الكل بقضاء الله وقدره وبقهره ولطفه وبعدله وفضله

التأويل قوله الم تر الى الملأ ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وزعموا غير ما كتموا عرض لنقد دعواهم على محك معناهم فما افلحوا عند
الامتحان وعجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان وهذا حال اكثر مدعي الاسلام والايمان يزعمون بفضل الصوم والحج ويزكي نفسه ويتمنى
باللسان دون صدق الجنان وسيظهر ما كان بنيته وما كان للهوى في كفتي الميزان فلما كتب عليهم القتال تبين الابطال من البطال فتولوا الا قليلا منهم
وان اهل الحق اعز من العنقاء واعوز من الكبريت شعر تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل تعيرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار
الاكثرين ذليل والله عليم بالمدعين معتقدهم لانهم لم يخلص بنية قصودهم ولو انهم قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد امرنا ربنا واوجب القتال
علينا وانه سيدنا ومولانا فليفعل الله ما يشاء وعواهم واعطى مناهم واكرم مثواهم كما قال قوم من السعداء في اثناء البكاء والصعداء وما لنا لا نؤمن
بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فلا جرم اثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فيه اشارة الى ان الحكم الالهية جلت وتجلت في جلباب تعاليها عن ادراك العقول
البشرية كنه معنى من معانيها ولهذا قالوا انى يكون له الملك علينا وليس بعجب من قول المقربين المؤيدين بالانوار القدسية اتجعل فيها من يفسد
فيها استحقارا لشأن آدم واحتجابا بحجب الانانية والتحية فلما تكبر بنو اسرائيل وقالوا نحن احق بالملك منه وضعهم الله وحرموا الملك
ولما تواضع طالوت لله وقال كيف استحق الملك وسبطي ادنى اسباط بني اسرائيل وبيتي ادنى بيوت بني اسرائيل رفعه الله تعالى واعطاه
الملك ولما تفوقت الملائكة وترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدك امرهم بالسجود لآدم ولما عرضت الخلافة على آدم فتواضع لله وقال ظلمنا
ورب الارباب اكرمه الله تعالى بسجود الملائكة وحمل اعباء الامانة ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه اشارة الى ان آية خلافة العبد ان يظفر
بتابوت فيه سكينة من ربه وهي الطمأنينة بالايمان والانس مع الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقية مما ترك آل موسى هو عصا الذكر
كلمة لا اله الا الله وهي الثعبان الذي اذا فغر فاه تلقف عظيم سحر سحرة صفات فرعون النفس وان تابوتهم الذي فيه سكينتهم كان بين
ايدي الحدثان وتابوت قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وان كان في تابوتهم بعض التورية ففي تابوت المؤمن جميع القرآن وان
كان في تابوتهم صور الانبياء ففي تابوت المؤمن رب الارض والسماء كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن فاذا
ما حصل لطالوت الروح الانساني تابوت القلب الرباني سلم له ملك الخلافة وانقاد له جميع اسباط صفات الانسان فلما ركن لله
الدنيا وتجهز لقتال جالوت النفس الامارة ان الله مبتليكم بنهر هو نهر الدنيا وما زين للخلق فيها زين للناس حب الشهوات ليظهر المحق
من المبطل ويميز الخبيث من الطيب الا من اغترف غرفة بيده فيغ من متاع الدنيا بما لا بد منه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن وصحبة
الخلق على حد الاضطرار وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا اي مسك رمقهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده لان من شرب من نهر الدنيا ما شهواتها ولذاتها وتجاوز عن حد الضرورة فيها لا يليق قتال جالوت النفس وجنود صفاتها وعسكر
هواها لانه صار معلولا مرتبط القلب فيبقى على شط نهر الدنيا رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ولما برزوا لجالوت وجنوده فيه اشارة الى ان
المجاهد في الجهاد الاكبر لا يقوم بحوله وقوته لقتال النفس الا اذا رجع الى ربه مستغيثا به مستغنيا عن غيره قائلا ربنا افرغ علينا صبرا على الائتمار
بما امرتك والانزجار عن معاصيك ومخالفة الهوى والاعراض عن زينة الدنيا وثبت اقدامنا عند التسليم في الشدة والرخاء ونزول
البلاء وهجوم احكام القضاء في السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا في الدين عموما والنفس الامارة وصفاتها التي
هي اعدى عدونا بين جنبينا خصوصا فهزموهم باذن الله ونصرته وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس اذ اخذ حجر الحرص على الدنيا
وحجر الركون الى العقبى وحجر تعلقه الى نفسه بالهوى حتى صار الثلاثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه في مقلاع التسليم والرضا ورمى(?)
جالوت النفس فسخر الله له ريح العناية حتى اصاب الحجر بيضة هواها وخالط دماغها فاخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من ورائها ثلاثين(?)
من صفاتها واخلاقها ودواعيها وهزم الله باقي جيشها وهي الشياطين واحزابها وآتاه الله ملك الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه مما
يشاء من حقائق القرآن واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني ارباب الطلب بالمشايخ البالغين الواصلين الهادين المهديين
كما قال ولكل قوم هاد لفسدت الارض استعداداتهم المخلوقة في احسن التقويم عن استيلاء جالوت النفس وتبديل اخلاقها وتكدر صفاتها ولكن الله
ذو فضل على العالمين لمن كان بفضله ورحمته حرك سلسلة طلب الطالبين والهم اسرارهم ارادة المشايخ الكاملين ووفقهم للتمسك بذيول تربيتهم و
وفقهم على التثبت بآداب سيرهم وجنبتهم على الرياضات في حال تزكيتهم كما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين ۞ تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات و
لكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل
ما يريد ۞ يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع

قرب حصول المجاوزة صح
المقدسة ح
في التسليم عند الشدة ح بقوته
على اتهامها صح

فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون

القراءة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير والباقون بالرفع والتنوين وكذلك في سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تاثيم الوقوف بالحق ط لابتداء لمن المرسلين ٥ الجزء الثالث على بعض م لانه لو وصل صار الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان التفضيل الرسل الى بعض فيكون موسى عليه السلام من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط للعدول القدس ط من كفر ط ما يريد ٥ ط ولا شفاعة ط الظالمون ٥

التفسير تلك القصص المذكورة من حديث الالوف واماتتهم ثم احيائهم ومن تمليك طالوت وظهور الآية التي هي اتيان التابوت وغلبة الجبابرة على يد داود وهو صبي نفر آيات الله الباهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته نتلوها عليك بتلاوة جبريل وفيه تشريف عظيم لجبريل كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك من غير تفاوت ولان في تلاوتنا حكمة شريفة وهي اعتبار المكلفين من امتك ليحتملوا اشد ايذ الجهاد كما احتملها الامم الخالية ولانها تدل على نبوتك من قبل انها اخبار بالغيب فيما ترى من الكفار واهل النفاق من الخلاف والشقاق كما رآه الرسل من قبلك فالمصيبة اذا عمت طابت ولمثل هذا ولما فيها من الفصاحة والبلاغة ثم اكد بقوله وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير ان تعرف بقراءة ودراسة وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولمثل هذا كرر فقال تلك الرسل اي الذين تعرفهم وانت من جملتهم فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله بان كلمه الله من غير سفير وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات قيل اي الى درجات فنصب بنزع الخافض وقيل رفع لبعضهم كقوله ورفعناه مكانا عليا اي له وقيل حال من بعضهم اي ذا درجات وقيل مصدر في موضع الحال وقيل انتصابه على المصدر لان الدرجة بمعنى الرفعة فكانه قال ورفعنا بعضهم رفعات وايد عيسى بروح القدس ومع ذلك فقد نالهم من قومهم ما ذكرناه ذلك بعد مشاهدة المعجزات وانت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ولو شاء الله لم يختلف امم اولئك ولكن بما قضاه الله فهو كائن وما قدره فهو واقع واعلم ان الامة اجمعت على ان بعض الانبياء افضل من بعض وعلى ان محمدا افضل الكل لوجوه منها قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ومنها قوله ورفعنا لك ذكرك قرن ذكره بذكر محمد في كلمة الشهادة وفي الاذان وفي التشهد ولم يكن ذلك لسائر الانبياء ومنها انه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعته ببيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته بعزته ولله العزة ولرسوله ورضاه برضاه والله ورسوله احق ان يرضوه واجابته باجابته يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومنها ان معجزاته اكثر وقد ترتقي الى الف من جملتها القرآن يشتمل على الفي معجزة وازيد لان التحدي وقع باقصر سورة هي الكوثر وانها ثلث آيات وكل ثلث آيات من القرآن يصلح للتحدي فيكون معجزا براسه ومنها ان معجزته وهي القرآن باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم قد انقضت وانقرضت مع ان معجزته من جنس ما لا يبقى زمانين وهي الاصوات والحروف ومعجزاتهم من جنس ما يبقى مدة طويلة ومنها انه اجتمع فيه من الخصال الحميدة والاخلاق المرضية ما كان متفرقا فيهم واليه الاشارة بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اي اطلعناك على احوالهم وسيرهم فاختر انت منها اجودها واحسنها فانه لا يجوز ان يكون مامورا بالاقتداء بهم في اصول الدين لانه تقليد ولا في الفروع فان شرعه ناسخ الشرائع فاذن المراد محاسن الاخلاق ومنها انه بعث الى الخلق كافة وكان تحمل اعباء الرسالة اكثر فيكون ثوابه ازيد ومنها ان هذا الدين افضل والا لم ينسخ به سائر الاديان فيكون شارعه افضل ومنها ان امته افضل كنتم خير امة اخرجت للناس فاذا كان التابع افضل فالمتبوع افضل ومنها ان امته اكثر لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان لكثرة التابعين اثرا قويا في علو شان المتبوع ومنها ان كل نبي نودي في القرآن فقد نودي باسمه يا آدم اسكن يا موسى اني انا الله وناديناه ان يا ابراهيم يا عيسى اني متوفيك واما النبي صلى الله عليه وسلم فانه نودي بقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول بل اقسم بحياته لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واما الاحاديث في هذا الباب فعن ابن عباس رضه قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه قال فخرج حتى اذا دنى منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر ماذا باعجب من جعله عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر ماذا باعجب من آدم اصطفاه الله عليهم وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وان موسى نجي الله وهو كذلك وان عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وان آدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وانا اول شافع واول شفيع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وروى البيهقي في كتابه في فضائل الصحابة ظهر علي بن ابي طالب من البعيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة رضي الله عنها الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب ومما يؤكد هذه المعاني ما تقرر في العقول ان ذخاير كل ملك ينبغي ان تكون على مقدار بخت ملكه فامير المدينة يحتاج الى عدة اكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اعم من نبوة سائر الانبياء فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلا جرم اعطي من كنوز العلم والحكمة وذخاير المعارف والحقايق ومن جوامع الكلم وبدايع الحكم ومحاسن العادات ومكارم الاخلاق ما لم يؤت نبي قبله ولن يؤتى احد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملحدة بان معجزات سائر الانبياء كانت اعظم من معجزاته فآدم جعل مسجود الملائكة وابراهيم القي في الجحيم فانقلبت روحا وريحانا واوتي موسى العصا واليد البيضاء وداود لان الحديد في يده وسليمان اعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف محمد صلى الله عليه وسلم بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس بن متى وقال لا تخيروني بين الانبياء وقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب ان كون آدم مسجودا للملائكة لا يوجب كونه افضل من محمد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة

وقال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين نقل ان جبريل عليه السلام اخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهذا اعظم من السجود [illegible]

[illegible] من الانبياء اولى لو كان آخر من المعجزة لا يقارب زمانه فمعجزات موسى من قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة بما عليه اهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص تناسب الطب لان ذلك غالب على قومه ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم وهي القرآن تضاهي ما عليه الناس وقتئذ من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة الامة والصحابة وقوة الدولة واذا تاملت الوجوه الثلث علمت ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان مستجمعا للكل لمنصبه اعلى المناصب ومعجزته اقوى وابقى وقومه اكثر ودولته اعظم واوفر وقيل المراد بهذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل على الكل وانما قال ورفع بعضهم درجات على سبيل الرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال له من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم ويريد نفسه ويكون ذلك افخم من التصريح به وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالثة اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يبق فيه فخامة وليس قوله ورفع بعضهم درجات تكرارا لقوله فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم من قوله فضلنا هو وجود اصل الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات الكثيرة وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس قد سبق تفسيره واما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير في قوله وآتينا للتعظيم وتعظيم المؤتي يدل على عظمة الايتاء واما قوله كلم الله فاجيب من قوله تلك فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر هو ان امتهما موجودون حاضرون فنبه على ان هذين الرسولين مع علو درجتهما وكثرة معجزاتهما لم يحصل الانقياد من امتهما لهما بل نازعوا وخالفوا عن الواجب عليهم في طاعتهما اعرضوا ثم ان الرسل بعد مجيء البينات ووضوح الدلائل اختلفت اقوامهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا فلهذا قال تعالى ولو شاء الله اي لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر الكلام تكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند انفسهم ولكن الله يفعل ما يريد وفي الآية دلالة على صحة مسئلة خلق الاعمال ومسئلة ارادة الكائنات وان الكل بقضاء الله وقدره لان الدواعي تستند لا محالة الى داعية يخلقها الله عز وجل في العبد والمعتزلة يقيدون المطلق في الآيتين فيقولون المراد ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر كما يقال لو شاء الامام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر ويقولون المراد يفعل ما يريد من افعال نفسه ثم انه تعالى لما امر بالقتال فيما سبق بقوله وقاتلوا في سبيل الله واعقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله والغرض منه الانفاق في الجهاد ثم اكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت اعقبه مرة اخرى الامر بالانفاق في الجهاد بقوله يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم وعن الحسن انه مختص بالزكوة لان قوله من قبل ان ياتي يوم كالوعيد والامر لا يتوجه الا على الواجب والاكثرون على انه عام يتناول الواجب والمندوب وليس في الآية وعيد وانما الغرض ان يعلم ان منافع الآخرة لا تكتسب الا في الدنيا وان الانسان يجيء وحده وما معه الا ما قدم من اعماله ومعنى قوله لا بيع انه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدي به من العذاب او يكتسب الا ما ينفق منه ولا خلة ولا مودة لان كل احد يكون مشغولا لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه او لان الخوف الشديد غالب على كل احد تذهل كل مرضعة عما ارضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير الآية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق نقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون وقيل اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين اي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والفسق فهو كقوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقيل الكافرون هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما المسلم فانه ينفق في سبيل الله قل

ثم كثر وفائدة الفصل انهم الكاملون في الفضل البالغون فيه المبلغ العظيم التأويل تلك ايات الله اسراره وانواره ورموزه واشاراته
نتلوها عليك بالحق نجلوها عليك بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات
وصح لهم صفاء الاوقات ولذة المناجات في الخلوات ثم تنظلوا على اتيان تلك اللذات في حجر العزبات وارسلوا الى اهل البعد والغفلات
وعبدة طواغيت الهوى واصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك
في الخلوات فانهم بقوا في السموات وانت عبرت المكونات وكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ووصلت من العبودية
الى العندية ثم كلفت عن رضاع لي مع الله وقت واتبليت ببشارة جبرئيل ثم لقيت من القوم ما لقيت فحق لك ان تقول
ما اوذي نبي مثل ما اوذيت لان غيرك ما سقى من شرب سقيت فما اوذي بفطام مثل ما اوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض اشارة الى ان التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومناهم وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من اهل
الفضل انوار ولانوارهم اثار على قدر استعلاء اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا التفاوت صادر من تلك
الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه نطفة في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه
من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل وغوى ثم ان الفضل فضلان عام ممتاز به عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اولئك عنها مبعدون وخاص ممتاز به عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت في الظلمات
المخلوقة المستعدة لقبول النور في بدو الخلقة لا في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوحدان في قوله جعل
الظلمات والنور يخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين اوتوا العلم درجات
فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الموجود كانت
مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد بقي بعضهم في مكان من اماكن السموات كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه رأى آدم ليلة
المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون في السماء الخامسة
وموسى في السماء السادسة وابراهيم صلوات الرحمن عليه في السماء السابعة وان محمدا صلى الله عليه وسلم ما بقي في مكان بل رفع
الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين ثم لما اخبر عن فضيلة الخواص انها كانت بسبب تفضيله اياهم اخبر عن اختلاف العوام واقتتالهم انه
كان بمشيئته لا بمشيئتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ثم اخبر عن احراز الفضل انه في الانفاق والبذل فخاطب اهل
الايمان اي ان كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه
والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها في مصارفها العامة والخاصة انفقوا لكنا وما لنا في صلاح انفسكم واغتنموا مساعدة
الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان يأتي يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس في سوق ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم ولا ينفعه خلة خليل ونجوى لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقون ولا شفاعة لانهم
لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب وامرناهم بالانفاق ووعدناهم
الثواب وحذرناهم العقاب وقد اعذر من انذر والله المستعان على ما تصفون

الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء
من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي
العظيم ۝ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ۝ الله ولي الذين
آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۝

القراءة تعرف مما مر الوقوف الا هو ج لان قوله الحي يصلح بدلا عن الضمير وخبرا آخر ومحذوف القيوم ج لاختلاف
الجملتين ولا نوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لانتهاء الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه
الكامل مطلقا واثبات علم الخلق المقدر بمشيئته مبتداء بالنفي بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم
الغي ج لان من للشرط مع فاء التعقيب الوثقى ط قد قيل لاستئناف النفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة اي استمسك بها
غير منفصمة لها ط عليم ۝ آمنوا لا لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم المخرجين الى النور ط للفصل
بين الفريقين الطاغوت لا لان يخرجونهم حال الى الظلمات ط النار ج خالدون ۝ التفسير قد جرت عادته سبحانه وتعالى في هذا
الكتاب الكريم انه يخلط الانواع الثلثة اعني علم التوحيد وعلم الاحكام وعلم القصص بعضها ببعض والغرض من ذكر القصص اما تقرير دلائل التوحيد

وانا المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا النقل من فن الى فن تنشيط وتطرية للسامع ولطف كامل فان طبع الانسان جبل على الملال فكلما انتقل من اسلوب
الى اسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته وبصير اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه وادلقد تقدم من علم الاحكام والقصص
ما اقتضى المقام ايراده ذكر الان ما يتعلق بعلم التوحيد فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما قرئت هذه الآية
في دار الا اهجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وعن علي كرم الله وجهه سمعت نبيكم وهو على اعواد
المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ
مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه اين انتم عن آية الكرسي
ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة
آية الكرسي وعن علي رضي الله عنه انه قال لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال فجئت فاذا هو
ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو يقول ذلك فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد
على ذلك الى ان فتح الله له واعلم ان الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم واشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال
هو اشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو متقدس عن مجانسة ما سواه ولما كانت الآية مشتملة من نعوت جلاله
واوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات ونهاية التصورات ولنشتغل بالتفسير اما لفظة الله
فقد مر تفسيره في اول الكتاب واما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره والهكم اله واحد لا اله الا هو واما الحي القيوم فقد سلف ايضا بعض ما
في شرح الاسماء الا انا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس ان اعظم اسماء الله الحي القيوم وهو كذا ما رويناه من قصة بدر ولو كان اشرف منه لذكره
وقيد في السجود واما الدليل العقلي فان الحي قيل هو الذي يصح ان يعلم ويقدر وهو الدراك الفعال فاورد عليه ان هذا لا يقتضي المدح لمشاركة
جنس الحيوانات اياه في ذلك ولكن نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عمن يوجد فيه هذه الصحة بل هذه الحيثية تقطع بل كل شيء يكون
كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن هنا يصح ان يقال واحيي الموات واحيي الله الارض فان كمال حال الارض ان تكون معمورة وكمال حال الاشجار
ان تكون مورقة مثمرة ولما كان كمال حال الجسم ان يكون بحيث يصح ان يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة حيوة فالمفهوم من الحي هو
الكامل في جنسه والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده من ذاته فالحي بالحقيقة الا الواجب الوجود لذاته واما القيوم فيطلق لمجموع اعتبارين
احدهما انه لا يفتقر في قوامه الى غيره والثاني ان غيره يفتقر في قوامه اليه وبهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين يتشعب
جميع مسائل التوحيد والمعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد في ذاته وفي جميع جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر في تحققه الى
تحقق الجزئين فيقدح في كونه قيوما ومنها انه لا شريك له فلو اشتركا في الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزئين فلا يكون قيوما
ولا واجبا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها ان لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم وقد ثبت انه واحد ومنها انه ليس في جهة لما
بينا والا لكان متحيزا ومنها انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك ومنها انه عالم
بجميع المعلومات فانه لا معنى بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل المقدورات والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما
لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او بغير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر والحي اصله الحيي كحذر وطمع فادغمت الياء
في الياء عند اجتماعهما وكلا الياءين اصل وقال ابن الانباري اصله الحيو مثل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء وكان السابق ساكنا جعلتا ياء
مشددة ولا يبعد كونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغة قائم واصله قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة والواو
الاولى ياء مشددة ولو كان فعولا على فعول لقيل قووم وعن عمر انه قرأ الحي القيام وقرئ القيم ثم لما بين انه حي قيوم اكد ذلك بقوله لا
تأخذه سنة ولا نوم ولهذا ترك العاطف بينهما وكذا فيما يعقبها والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس اي لا يأخذه نعاس فضلا ان يأخذه
نوم او يقول نفي الاخص اولا ثم نفي الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم اولا ضمنا ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على نفي الاخص لم يلزم منه
نفي الاعم والمعنى انه لا يغفل عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل وهو كما يقال فلان يشبع ولا يحل ذلك لو سأل امر
وهذا يدل على ان السهو والغفلة والنوم على الله محال وهو ان هذه الاشياء اما ان يكون عبارات عن عدم العلم او عن اضداد العلم او على التقديرين
يجوز طريانها يوجب جواز زوال علم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضى ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته لا يكون واجبا لجميع صفاته فلا
يكون حيا ولا قيوما هذا خلف روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلثا
ولا يتركوه ينام ثم اعطاه قارورتين مملوءتين في كل يد واحدة وامره بالاحتفاظ وكان يتحرز بجهده الى ان نام في آخر الامر فضرب احديهما على الاخرى
فانكسرتا وكان ذلك مثلا في بيان انه لو كان ينام لم يقدر على حفظ السموات والارض وهذه الرواية ان صحت وجب ان ينسب السؤال
الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز على نبي الله تعالى تجويز النوم على الحي القيوم والتجويز شك والشك في مثله كفر ثم لما بين
كونه قيوما اكده بما اكد رتب عليه حكما وهو قوله له ما في السموات وما في الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وتحصل وجوده به فيكون ملكا
له ويلزم منه ان يكون حكمه جاريا في الكل ولا يكون لغيره في شيء من الاشياء حكم الا باذنه وامره وهو المراد بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
ومعنى الاستفهام ههنا الانكار اي لا يشفع وفيه رد على المشركين القائلين للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كون غيره غير متصرف في حكمه
بوجه من الوجوه الا بامره كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل الا بما علمه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الثاني
بقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا
او لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين والشهداء وعن مجاهد وعطاء والسدي اي يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما كان
بعدهم من امور الآخرة الضحاك والكلبي ما بين ايديهم الآخرة لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس
يعلم ما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما في السموات وقيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض انه سبحانه
عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون
من انفسهم ان لهم من الطاعات ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا يعلمون ان الله تعالى اذن لهم في تلك الشفاعة ام لا فانهم لا يحيطون
بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل ان يراد ولا يعلمون الغيب الا بما علمه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه

احدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء لا يعلمون شيئا الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم اولى ثم انه
لما بين كمال ملكه وحكمه في السموات وفي الارضين ذكر ان ملكه فيما عدا السموات والارضين اعظم واجل وان ذلك مما ينقطع دون الايمان
الى ادنى درجة من درجاتها اوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع فلان الشيء اذا احتمله واطاقه وامكنه
القيام به قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي اي لم يحتمل غير ذلك واما الكرسي فاصله التركيب والتلبد ومنه
الكرس بالكسر للابوال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتركب بعض اوراقها على بعض والكرسي لما يجلس عليه لتركب خشباته و
وللمفسرين في معناه ههنا اقوال فعن الحسن انه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش وبانه
كرسي لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا
وعن السدي انه تحت الارض وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكرسي موضع القدمين وينبغي ان تحمل هذه الرواية ان صحت
على ما لا يفضي الى التشبيه لكونه موضع قدم الروح الاعظم او ملك آخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا اسرار لا يحتملها
ولو شاء الله ان يطلع عليها عبدا من عباده وهو اعلم بمحارم اسراره وقيل المراد من الكرسي السلطان والقدرة والملك لان الالهية
لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمي اصل كل شيء الكرسي او لانه تسمية للشيء باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسي وقيل المراد به العلم
لان موضع العالم هو الكرسي وايضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسي الارض كما يقال لهم اوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير
عظمة الله وكبريائه ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشري وتقريره انه يخاطب الخلق في تعريف
ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم من ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وامر الناس بزيارته كما يزور
الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الاسود انه يمين الله في ارضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل ايدي الملوك وكذلك ما ذكر في القيامة من حضور
الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف عرشه فقال
وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم اثبت لنفسه كرسيا ومعلوم
ان المراد من الالفاظ الموهمة للتشبيه في الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة في العرش
والكرسي ولا يؤده لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وفيه ان نفاذ حكمه وامره في الكل على نعت واحدة وصورة
واحدة علوية كانت الاجسام او سفلية كبيرة او صغيرة ثم بين انه مع كونه مقوما للممكنات ومقيما للارضين والسموات متعال
عن المتحيزات ومقدس عن المتزمنات فقال وهو العلي العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا التحيز والجهة وكيف لا وهو مقيم
للمكان ومديم للزمان قوله سبحانه لا اكراه في الدين لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك انه لم يبق للكافر عذر
في اقامته على الكفر الا ان يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار وينافيه الاكراه والاجبار
ومما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد من الغي يقال بان الشيء واستبان وتبين وبين ايضا اذا وضح وظهر ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين
والرشد اصابة الخير والغي نقيضه اي تميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلال بكثرة الحجج والبينات والدلائل
والآيات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت وملكوت واصله طغيوت من طغى الا ان لام الفعل قلبت الى موضع العين ثم قلبت
الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسي انه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك انه يفرد في موضع الجمع كما يقال
هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى اولياؤهم الطاغوت والاصل فيه التذكير قال تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان
يكفروا به واما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فالتأنيث لارادة الآلهة واما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة
هو الشيطان وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال ابو العالية الساحر وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس وكل ما يطغي وانما جعلت
هذه الاشياء اسبابا للطغيان لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس ويعلم من قوله فمن
يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله ان الكافر لا بد ان يتوب اولا ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك
وتمسك بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق به والوثقى تأنيث الاوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول
لان الاسلام اقوى ما يتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصوره السامع
كانه ينظر اليه بعينه فتزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشيء من غير ان يبين فصمته فانفصم والمقصود من قوله لا انفصام لها المبالغة لانه
اذا لم يكن لها انفصام فان لا يكون لها انقطاع اولى قيل ان الموصول ههنا محذوف اي التي لا انفصام لها كقوله وما منا الا له مقام
معلوم اي من له وقيل معنى قوله لا اكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على انه اخبار في معنى النهي والاكراه الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا
يحمله عليه ثم قال بعضهم انه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في اهل الكتاب خاصة لانهم اذا قبلوا الجزية سقط
القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم واما الكفار الذين تهودوا او تنصروا فقيل انهم لا يقرون على ذلك ويكرهون على الاسلام وقيل يقرون
على ما انتقلوا اليه ولا يكرهون روي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما فقال لا والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله
ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا اكراه اي لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي
بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه الى الاكراه فيكون كقوله ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا والله سميع عليم
يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب وما في قلب
الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اسلام اهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول
المدينة وكان يسأل الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد عليم بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا
اي متولي امورهم والكافل بمصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب يدل على القرب فالمحب ولي لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لانه يلي
القوم بالتدبير وفيه دليل على ان الطاف الله تعالى في حق المؤمن وفيما يتعلق بالدين اكثر من الطافه في حق الكافر وذلك انه يخرجهم
من الظلمات الى النور من الكفر الى الايمان ومن الضلالة الى الهدى ومن الشك الى اليقين والاخراج يشمل الكافر بعد ما آمن والمؤمن الاصلي

ولا يبعد ان يقال يخرجهم الى النور من الظلمات وان لم يكونوا في الظلمة البتة فان العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات
والضلالات فصار توفيقه تعالى سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين الدفع والرفع تشابه ومثله قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار
فانقذكم منها ومعلوم انهم ما كانوا قط في النار ويروى انه صلى الله عليه وسلم سمع انسانا قال اشهد ان لا اله الا الله فقال على الفطرة فلما
قال اشهد ان محمدا رسول الله قال خرج من النار ومن المعلوم انه ما كان فيها قال الواحدي كل ما في القرآن من الظلمات الى النور فانه تعالى اراد بهما
الكفر والايمان الا قوله في اول الانعام وجعل الظلمات والنور فانه عنى به الليل والنهار قال وانما جعل الكفر ظلمة لانه كالظلمة في المنع من الادراك
وجعل الايمان نورا لانه كالسبب في حصول الادراك قلت قد مر ان الايمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية المعارف اليقينية انوار يزداد النفس
بها نورية واشراقا فلا حاجة الى هذا التكليف والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت مفرد ولهذا وجد في موضع الجمع يخرجونهم من النور الى الظلمات
وانما وحد النور وجمع الظلمة لان الحق وما يرجع اليه طريقه واحد وهو ايضا في نفسه واحد واما الباطل فلا حصر له ولطرقه كما ان الخط المستقيم
الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة واسناد الاضلال الى الطاغوت وهو كل من تسبب الى الطغيان كالمجاز فان
الحوادث باسرها تستند الى المبدأ الاول بالحقيقة وتنتهي الى قضائه وقدره كما سبق تحقيقه مرارا اولئك الكفار اوهم مع من يطغيهم من الوسائط
والوسائل اصحاب النار فيكون زجرا للكل ووعيدا لهم اجارنا الله من ذلك التأويل الحي القيوم اشير بهما الى الاسم الاعظم لان
لان اسمه الحي يشتمل على جميع اسمائه وصفاته فان من لوازم الحي ان يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا الى غير ذلك من نعوت الكمال
واسمه القيوم دال على افتقار كل المخلوقات اليه فاذا تجلى الله للعبد بهاتين الصفتين انكشف للعبد عند تجلي صفة الحي معاني جميع اسمائه
وصفاته وعند تجلي صفة القيوم فناء جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق بالقسم فلما جاء الحق زهق الباطل فلا يرى في الوجود
الا الحي القيوم اذ سلب الحي سلب جميع اسماء الله وسلب القيوم سلب قيام الممكنات فنفي التعدد وثبتت الوحدة فيذكره عند شهود عظمة
الوحدانية بلسان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية فقد ذكره باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل اعطى لانه حينئذ ينطق
بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فاما الذاكر عند غيبته عن عظمة الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حال غيبته
وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل ابو يزيد عن الاسم الاعظم فقال الاسم الاعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك
لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باي اسم شئت لا تأخذه سنة ولا نوم لان النوم اخ الموت والموت ضد الحيوة وهو الحي الحقيقي
فلا يلحقه ضد الحيوة من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هذا الاستثناء راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل من ذا الذي يشفع عنده يوم القيامة
الا عبده محمد صلى الله عليه وسلم فانه ماذون في الشفاعة موعود بها عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يعلم محمد صلى الله عليه وسلم ما بين ايديهم من اوليات
الامور قبل خلق الخلائق كقوله اول ما خلق الله نوري اول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي الف عام وما خلفهم من احوال
القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسي نفسي ورجوعهم اليه بالاضطرار ولا يحيطون بشيء من علمه
والانبياء على احوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وكلا نقص عليك من انباء الرسل ويعلم امور آخرتهم واحوال اهل الجنة والنار وهم لا يعلمون
شيئا من ذلك الا بما شاء ان يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والارض مثال العرش في عالم الانسان قلبه ومثال الكرسي سره وسيجيء
تمام التحقيق ان شاء الله تعالى في قوله الرحمن على العرش استوى وان العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى سعة
قلب المؤمن ولا يؤده حفظهما لا يثقل الروح الانساني حفظ اسرار السموات والارض وعلم آدم الاسماء كلها ولما اظهر الخلق فانه من العرش و
الكرسي والقلب المؤمن وسره علوا في المرتبة وعظمة في الخلقة اظهارا لكمال القدرة والحكمة تردى برداء الكبرياء واتزر بازار العظمة والبهاء
وهو اولى بالمدح والثناء فقال وهو العلي العظيم لمن علا في الآخرة والاولى فبما علاه ومن عظم فبتعظيمه ثم اخبر عن عزة الدين لارباب اليقين
بقوله لا اكراه في الدين كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الدين بالتمني مع ان التمني نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان
الدين هو الاستسلام لاوامر الشرع ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع في مزيد شرح لحقيقة الدين بقوله
فمن يكفر بالطاغوت يتبرأ منه فطاغوت العوام الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان
العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان الخواص عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع
المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله وانابة القلب الى الفناء في الله واخلاء السر للبقاء بالله وهذا هو الشكر
الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد افاقته عن سكر سطوات شراب التجلي تبت اليك اي عن هذه الافاقة وكان مخصوصا عن عالمي زمانه بالايمان
العالي وشركهم العوام في الايمان البالي كما قيل شعر لي سكرتان وللندمان واحدة شيء خصصت به من بينهم وحدي ثم العروة
الوثقى التي يستمسك بها المؤمن لا يمكن ان يكون من محدثات المخلوقات لقوله كل شيء هالك الا وجهه ولا يكون ايضا من البطش والا كان
منفصمة بل تكون من بطشه ان بطش ربك لشديد ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه في الايمان فهي للعوام توفيق الطاعة وللخواص مزيد العناية
بالمحبة يحبهم ويحبونه ولخواص الخواص الجذبة الالهية التي تغنيه عن ظلمات الخليقة وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم جذبة من جذبات
الحق توازي عبادة الثقلين واعمالهما فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب لا يخلص
منها ابد الآبدين ثم اخبر عن تصرفات جذباته فقال الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة
الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص
من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء
بلفظ الجمع ليعلم ان الولاء والمحبة من قبل الكفار اي هم اولياء الطاغوت كقوله اذا تبرأ الذين اتبعوا فان الطاغوت لو فسر بالاصنام
فهي بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان والنفس فهم الاعداء لا الاولياء يخرجونهم من انوار الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات
الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض دركات بعضها تحت بعض اولئك اي ارواح الكفار مع النفس
والشيطان والاصنام اصحاب النار لان الارواح وان لم تكن من جنسهم ولكن من تشبه بقوم فهو منهم قوله تعالى

الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي

ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها
من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ۝ او كالذي مر على قرية
وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه
قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك و
شرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف
ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير ۝ واذ قال
ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ۝

القراءة ربي الذي مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح انا احي بالمد ابو جعفر ونافع وكذلك ما اشبهها من المفتوحة والمضمومة وزاد ابو نشيط بالمد في المكسورة في قوله تعالى ان انا الا نذير واشباه ذلك بية وبابه مثل فية وقد ترلبثت وبابه بالاظهار ابن كثير ونافع و خلف وسهل ويعقوب لم يتسن في الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف والباقون بالهاء الساكنة في الحالين واما الهاء اما اصلية مجزومة بلم او هاء سكت واجري الوصل مجرى الوقف الى حمارك كمثل الحمار بالامالة على غير ليث وابي حمدون وحمدويه والنجاري عن ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وابن عمرو ابن شنبوذ عن اهل مكة ننشرها بالراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو عمرو وجعفر ونافع الباقون بالزاي قال اعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة على الامر حمزة وعلي الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس والمفضل جزا بتشديد الزاي يزيد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف وقرأ ابو بكر وحماد جزؤا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاي مهموزة الوقوف الملك م لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك ويميت لا لان ما عامل اذ وامبت ط كفر ط الظالمين ه لا للعطف بالاو للتعجب عروشها ج لان ما بعده من تتمة كلام قبله من غير عطف موتها ج لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب والجزاء بعثه ط كم لبثت ط يوم ط لم يتسنه ج وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما ومن وصل حسن له الوقف على حمارك باضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك اي لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحما ط لتمام البيان لا لان قال جواب فلما قدير ه الموتى ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لا فراض جواب الامر حكيم ه التفسير انه سبحانه ذكرها هنا قصصا ثلثا اولها في اثبات العلم بالصانع والباقيتان في اثبات البعث والنشر القصة الاولى مناظرة ابراهيم ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود ابن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير في ربه لابراهيم ويحتمل ان يكون لنمرود والهاء في ان اتاه قيل لابراهيم لانه اقرب في الذكر ولانه لا يجوز ان يولي الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب و الحكمة واتيناهم ملكا عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذي حاج ابراهيم ولا يبعد ان يعطي الله الكافر بسطة وسعة في الدنيا ومعنى ان اتاه اي لان اتاه الله الملك فابطره واورثه الكبر والعتو او جعل محاجته في ربه شكرا لعطائه كما اي فلان لاني احسنت اليه ترلم انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت ان اتاه وعن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين كسر ابراهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وهذا دليل في غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلا بد ان يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان واشكاله بصير بعقائده و احواله ولامر ما ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذي خلقكم من تراب الم نخلقكم من ماء مهين ويروى ان الكافر دعا حينئذ بشخصين فاستبقى احدهما وقتل الاخر وقال انا ايضا احيي واميت ثم للناس في هذا المقام طريقان الاول وعليه اكثر المفسرين ان ابراهيم عليه السلام لما راى من نمرود انه القى تلك الشبهة عدل من ذلك الى دليل اخر ومثال اخر افتح من الاول فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قالوا وفي هذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واورد عليه ان الشبهة اذا وقعت في الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب في الحال ازالة لذلك الجهل واللبس ولما طعن الملك الكافر في الدليل الاول او في المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم ان يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا وان سلمنا ان الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون المنتقل اليه اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع اظهر واقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وايضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من التبدلات اقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وايضا ان نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة

الصادرين

الصادرين عن الله تعالى بالقتل والتخلية فكيف يؤمن عند استدلال ابراهيم بطلوع الشمس ان يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب وعند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا انه لو اورد هذا السؤال لكان من الواجب ان يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سؤاله في الاحياء والاماتة اسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذي حمل ابراهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق اخر وقالوا ان ابراهيم عليه السلام لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر اتدعي الاحياء والاماتة من الله ابتداء ام بواسطة الاسباب الارضية والسماوية اما الاول فلا سبيل اليه واما الثاني فنظيره او ما يقرب اليه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب ابراهيم صلوات الرحمن عليه بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لا بد لها من فاعل ومدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهي اذن بتحريك رب الارض والسموات قلت وفيه ايضا طريق اخر لنا نذكره في التاويل ان شاء الله تعالى فبهت الذي كفر يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد قرئ بهما والافصح منها القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين فلهذا لم ينفعه الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا محجوجا فيعلم منه ان الكل بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته القصة الثانية قوله سبحانه او كالذي مر على قرية ذهب الكسائي والفراء والفارسي واكثر النحويين الى انه معطوف على المعنى والتقدير ارايت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر ونظيره من القران قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كانه قيل لمن السموات فقيل لله ومثله قول الشاعر شعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا وعن الاخفش ان الكاف زائدة والتقدير الم تر الى الذي حاج ابراهيم او الى الذي مر وعن المبرد انا نضمر الفعل في الثاني والتقدير الم تر الى الذي حاج او الم تر الى مثل الذي مر واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه اكثر المفسرين من المعتزلة ان المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله انى يحيي استبعاد وانه لا يليق بالمؤمن ولانه تعالى قال فلما تبين له وفيه دليل على ان ذلك التبين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله اعلم ان الله على كل شيء قدير وذهب سائر المفسرين الى انه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو ارميا ثم من هؤلاء من قال ان ارميا هو الخضر عليه السلام وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان ارميا هو النبي الذي بعثه الله عندما خرب بختنصر بيت المقدس واحرق التورية وقيل هو عزير على ما يجيء حجة هؤلاء ان قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها يدل على انه كان عالما بالله وبانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وايضا قد شرفه الله تعالى بالتكليم في قوله تعالى قال كم لبثت وفي قوله ولنجعلك وفي نفس قصته من الاعادة وغيرها اكرام له ايضا روي عن ابن عباس ان بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها احدا فتعجب من ذلك و قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي من اين يتوقع عمارتها لا بسبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب قلما يغيره الله معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم اعمى عنه في موته ابصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض تلوح وقد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الراس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا فقال اعلم ان الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا اباؤنا ان عزير بن شرخيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس اربعين الفا من قراء التورية وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا انه يقرأ التورية فلما اتاهم بعد مائة عام جدد لهم التورية واملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التورية قد دفنت في موضع فاخرجت وعورضت بما املاه فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهي بيت المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الالوف حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها ثم انقعرت من خوى النجم اذا سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كان حيطانها كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت على السقوف المنهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا خلا عن اهله وخوى بطن الحامل وعلى المعنى هي خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال في الكشاف ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي هي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان بحالها فهي مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع كون اشجارها معرشة وكان التعجب من ذلك اكثر لان الغالب من القرية الخالية ان يبطل ما فيها من عروش الفواكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة اغرب فيكون ادخل في كونه اية ثم بعثه اي احياه كما كان اولا عاقلا فهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية ولو قال احياه لم تحصل هذه الفوائد قال كم لبثت اي كم مدة فحذف المميز والحكمة في السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والا فمن المعلوم ان الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا ان يعلم ان مدة موته طويلة او قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق الكذب لبثت يوما او بعض يوم روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم والظاهر انه علم ذلك اللبث كان بسبب الموت بما راى شاهدا في نفسه وحماره لم يتسنه لم يتغير واصله من السنة اي لم يات عليه السنون لان اذا لم تغيره فكانها لم تات عليه وعلى هذا فالهاء اما للسكت بناء على ان اصل سنة سنوة بدليل سنوات

الى الجمع وسنيهة في التصغير وقولهم سانهت الرجل مسانهة اذا عاملته سنة واما اصلية على ان نقصان سنه هو الهاء بدليل سنيهة في التصغير
وقولهم اجرت الدار مسانهة وقيل اصله يتسنن اي من السن وهو التغير قال تعالى من حماء مسنون اي متغير منتن واما من السنة ايضا بناء على
نقل الواحدي من ان اصل سنة سنوة يجوز ان يكون يتسنه بدليل سنية وسنوات وان كان قليلا وعلى التقديرين ابدلت النون الاخيرة ياء
مثل تقضى البازي في تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت في الوقف وعن ابي علي الفارسي ان التسنن هو التغيب فقوله
لم يتسنه اي الشراب بقي بحاله لم يتصبب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافقه قراءة ابن مسعود رض فانظر الى طعامك
وهذا شرابك لم يتسنه واما سائر الاقوال فيكون عدم التغير صالحا لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل انه تعالى لما قال
بل لبثت مائة عام كان من حقه ان يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما او بعض يوم فالجواب
ان الشبهة كلما كانت اقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها اشد ولهذا قيل وانظر الى حمارك فراه عظاما نخرة فعظم التعجب حيث
راى ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن ان يبقى زمانا طويلا وهو الحمار عظاما نخرة فعرف طول مدة لبثه بان شاهد عظام
حماره رميما وهذه بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة في الحال ولكن انقلاب عظام الحمار
الى حالة الحيوة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك اية قال الضحاك معناه انه جعله دليلا على صحة البعث
وقال غيره كان اية لان الله تعالى بعثه شابا اسود الراس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التورية عن ظهر
قلبه فذلك كونه اية وقيل ان حماره لم يتغير والمراد وانظر الى حمارك سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات ان يعيشه مائة
عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير واما هذه الواو في قوله ولنجعلك فقد قال الفراء انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر
لانه لو قال وانظر الى حمارك لنجعلك اية للناس كان النظر الى الحمار شرطا وجعله اية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك
اية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء ومثله في القرآن كثير وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين وانظر الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة اي كيف نحييها وقرئ كيف ننشرها من انشر الله الموتى بمعنى انشرهم
ويحتمل ان يكون من النشر ضد الطي فان الحيوة يكون بالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء في قوله من يحيي العظام وهي رميم
قل يحييها الذي انشاها اول مرة ومن قرأ بالزاي فمعناه نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب والنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز
المرأة لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف في موضع الحال من العظام والعامل فيه ننشزها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله
ثم اكثر المفسرين على ان المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل
نفسه قالوا انه تعالى احيى راسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان ينظر الى اجزاء عظام نفسه فرآها تجتمع وينضم البعض
الى البعض وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما او بعض يوم انما يليق بمن لا يرى في نفسه اثر التغير لا بمن شاهد اجزاء
بدنه متفرقة وعظامه رميمة وايضا قوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هي تلك الجملة التي اماتها وقيل هي عظام الموتى الذين تعجب
من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا او التقدير فلما تبين له ما اشكل عليه من امر الاماتة والاحياء قال اعلم وتأويله اني قد علمت مشاهدة
ما كنت اعلمه قبل ذلك استدلالا ومن قرأ اعلم على لفظ الامر فمعناه انه عند التبين امر نفسه بذلك او الله تعالى امره بذلك كما في اخر قصة
ابراهيم عليه السلام واعلم ان الله عزيز حكيم قال القاضي القراءة الاولى اولى لان الامر بالشيء انما يحسن عند عدم المامور به وههنا العلم
حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك اما الاخبار بانه حصل فجائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر
عائد الى شيء آخر غير حاصل وهو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد امر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره
من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا اوردت القضية كلية نعم لو قيل ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه ان يكون امرا بتحصيل الحاصل
على ان ذلك ايضا ممنوع فان الامر حينئذ يعود الى شيء آخر غير حاصل وهو عدم الشك فيما يستانف من الزمان اي ليكن هذه الاية على ذكر
منك كيلا يعترض لك شك فيما بعد وذلك كقولك للمتحرك تحرك اي دم على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء
في بعض قراءات السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى القصة الثالثة قوله عز من قائل واذ قال ابراهيم
التقدير واذكر وقت قول ابراهيم وقيل معطوف على قوله الى الذي اي الم تر الى وقت قول ابراهيم وههنا دقيقة وهي انه لم يسم عزيرا
في قصته بل قال او كالذي مر على قرية وههنا سمى ابراهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء انى يحيي هذه الله بعد موتها وابراهيم اثنى
على الله اولا بقوله رب وايضا ان عزيرا استبعد الاحياء فاري ذلك في نفسه وابراهيم التمس ودعا بقوله ارني فاري ذلك في غيره و
معنى ارني بصرني وذكروا في سبب سؤال ابراهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء وابن جريج انه رأى جيفة مطروحة
على شط النهر فاذا مد البحر اكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت واذا ذهبت السباع جاءت الطيور فاكلت وطارت فقال
ابراهيم رب ارني كيف تجمع اجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل اولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب بالسؤال
ان يصير العلم الاستدلالي ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر انا احيي
واميت فاطلق محبوسا وقتل اخر فقال ابراهيم ليس هذا احياء واماتة وعند ذلك قال رب ارني كيف تحيي الموتى لتنكشف هذه
المسألة عند نمرود واتباعه ويزول الانكار عن قلوبهم وروي ان نمرود قال له قل لربك يحيي والا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي
اي بنجاتي من القتل او ليطمئن قلبي بقوة حجتي وبرهاني وان عدولي الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن عباس وسعيد بن جبير
والسدي ان الله اوحى اليه اني اتخذ بشرا خليلا فاستعظم ذلك ابراهيم عليه السلام وقال الهي ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيي الميت بدعائه
فلما عظم مقام ابراهيم عليه السلام في درجات العبودية واداء الرسالة خطر بباله اني لعلي اكون ذلك الخليل فسأل الله احياء الموتى
فقال الله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على اني خليلك الرابع لا يبعد ان يقال انه لما جاء الملك الى ابراهيم واخبره بان الله بعثك رسولا
الى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على ان الاتي ملك كريم لا شيطان رجيم الخامس لعله اطلع في الصحف المنزلة عليه ان الله تعالى
يحيي الموتى بدعاء عيسى عم فطلب ذلك ليطمئن قلبه انه ليس اقل منزلة عند الله من عيسى عم وانه من اولاده السادس امره بذبح الولد فسارع

الى ذلك

الى ذلك فقال الهي امرتني ان اجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فشرفني بان تجعل بدعائي فاقد الروح ذا روح السابع اراد ان يخصه الله بهذا التشريف
في الدنيا فان جميع الخلائق يشاهدون الحشر في الاخرة الثامن لعل ابراهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة واما ان
ابراهيم عليه السلام كان شاكا في المعاد فلا ينبغي ان يعتقده ومن كفر النبي المعصوم فهو بالكفر اولى وكيف يظن ذلك بابراهيم عليه السلام
وقوله بلى اعتراف بالايمان وقوله ليطمئن قلبي كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك في قدرة الله تعالى يوجب الشك في نبوة نفسه
والذي جاء في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم فذلك انه لما نزلت هذه الاية قال بعض من سمعها شك ابراهيم
ولم يشك نبينا فقال صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وتقديما لابراهيم على نفسه نحن احق بالشك منه والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف
يشك هو والاستفهام في قوله اولم تؤمن للتقرير كقوله شعر الستم خير من ركب المطايا وايضا المقصود من هذا السؤال ان يجيب بما اجاب به
ليعلم السامعون انه صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا بذلك عارفا به وان المقصود من هذا السؤال شيء اخر واللام في قوله ليطمئن يتعلق
بمحذوف اي ولكن سالت ليزيد قلبي سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وقد تعرض الخواطر للمستدل بخلاف المعاين هذا اذا
قلنا المطلوب حصول الطمانينة في اعتقاده قدرة الله تعالى على الاحياء اما اذا قلنا ان الغرض شيء اخر فلا اشكال فخذ اربعة من الطير
عن ابن عباس بن طاوس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد حمامة بدل النسر فصرهن اليك بفتح الصاد وكسرها من صاره يصوره
ويصيره اي املهن واضممهن اليك وقال الاخفش يعني وجههن اليك وفائدة امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ان يتاملها ويعرف اشكالها
وهيئاتها وحلاها كيلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك وفي الاية حذف كانه قيل اميلهن وقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن
جزءا وقيل معنى صرهن قطعهن فلا اضمار روي انه امر بذبحها ونتف ريشها وان يقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان
يمسك رؤوسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال التي بحضرته وفي ارضه على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل
جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى راسها وانكر ابو مسلم هذه القصة وقال ان ابراهيم عليه السلام
لما طلب احياء الموتى من الله تعالى اراه الله تعالى مثالا قرب به الامر عليه والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين على الاجابة اي فعود الطيور الاربعة
بحيث اذا دعوتها اجابتك حال الحيوة والغرض منه ذكر مثال محسوس لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثم ادعهن اي
الطيور لا الاجزاء يأتينك سعيا وزيف قول ابي مسلم بانه خلاف اجماع المفسرين وبان ما ذكره غير مختص بابراهيم فلا يلزم له مزية وايضا ان
ظاهر الاية يدل على انه اجيب الى ما سأل وعلى قوله لا تكون الاجابة حاصلة ولان قوله على كل جبل منهن جزءا دليل ظاهر على تجزئة الطيور
وحمل الجزء على احد الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كانه قيل
فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع اربعة جبال على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع
وقال السدي وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابراهيم وكانت سبعا واما قوله ثم ادعهن يأتينك سعيا فقيل عدوا ومشيا
على ارجلهن لان ذلك ابلغ في الحجة وقيل طيرانا ورد بانه لا يقال للطير اذا طار سعى واجيب بان السعي هو الاشتداد في الحركة مشيا كانت
او طيرانا واحتج الاصحاب بالاية على ان البنية ليست شرطا في صحة الحيوة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا
قادرا على السعي والعدو قال القاضي دلت الاية على انه لا بد من البنية من حيث اوجب التقطيع بطلان حيوتها والجواب ان حصول المقارنة
اما الانفكاك عنه في بعض الاحوال فيدل على ان المقارنة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الاية على حصول فهم النداء لتلك الاجزاء
حال تفرقها كان دليلا قاطعا على ان البنية ليست شرطا للحيوة واعلم ان الله عزيز غالب على جميع الممكنات حكيم عالم بعواقب الامور وغايات
الاشياء التأويل ان الله تعالى لما اعطى نمرود ملكا ما اعطى احدا قبله ادعى الربوبية وما ادعاها احد قبله وسبب ذلك ان الانسان
محل استعداد للطلب وغاية لطافته في الجوهر دائم الحركة في طلب الكمال لا يتوقف لحظة الا انه نوع ولكنه جبل ظلوما جهولا لنفسي وكل الى نفسه ضل
الى عالم الحس بموافقة الطبع لانه خلق من تراب وطبعه يميل الى السفل فيرى الكمال في جمع المال ثم طلب الجاه فيصرف المال فيه ثم في الحكم
والتسلط فاذا ملك المتغلبات باسرها وقهر ملوك الارض اراد ان ينازع ملك الملوك وجبار الجبابرة فقال انا احيي واميت وليس للعالم رب
الا انا جهلا بالكمال وذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا صلح جوهره وحسن تربية النبي صلى الله عليه وسلم او من ينوب منابه وهو
الشيخ قال ليس في الوجود سوى الله وهذا هو حقيقة فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك يعني كن فانيا عن وجودك بالكلية واستغفر لذنب
حسبان وجود غير وجوده فافهم جدا وان لم تكن مجردا فان المجرد من يدق بطارقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى ان يؤمن بالله ويكفر بطاغوت
وجوده ووجود كل ما سوى الله قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعتراض على قول الكافر انا احيي واميت والمراد ان
ارسال النفس الناطقة لتدبير البدن اطلاع شمس الحيوة من افق البدن فان كنت صادقا في دعواك ان هذا انباني منك فامسكها عندك وهو الاتيان
بالشمس من مغربها وانزاله القيامة من مات فقد قامت قيامته فبهت الذي كفر لانه ان امكنه ان يدعي الاحياء بمعنى الابقاء وهو اطلاع
الشمس من المشرق فلن يمكنه ان يدعي الاماتة بمعنى قبض الروح من غير آلة القتل وهو الاتيان بالشمس من المغرب فهذه طريقة عذراء لا يرد عليها شيء
من الاعتراضات المذكورة في التفسير ثم اخبر عن اظهار قدرته في احياء الموتى بعد انقطاع المدعي في محجة عقيب الدعوى بقوله تعالى او كالذي
مر على قرية وذلك ان قوما انكروا احياء الاجساد بعد اعترافهم بحشر الارواح وزعموا ان الارواح اذا خرجت من سجن الاشباح والقوالب العلوية
الكلية التي استفادتها من عالم الحس فما حاجتها ان ترجع الى السجن والقيد كما ان الصبي اذا استفاد العلوم في المكتب وكبر قدره وعظم شانه
لم يحتج ان يرجع الى المكتب وحال صباه فهو سبحانه لكمال فضله ورافته دفع هذه الشبهات النفسية ودفع هذه الشبهات الفلسفية بان امات
عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليعلم ان الله تعالى كما احيى عزير الروح احيى معه حمار الجسد وكان عزير الروح يكون عند
الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من كؤوس تجلي صفات الجمال والجلال ويسقيهم ربهم
شرابا طهورا ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين
قد علم كل اناس مشربهم شعر شربنا واهرقنا على الارض فضلها وللارض من كاس الكرام نصيب ثم اكد حديث الحشر بقصة كيف تحيي الموتى
عن خليله عليه السلام وذلك قوله رب ارني فيفوح منه رائحة قول موسى رب ارني انظر اليك الا ان موسى عم لم يحفظ الادب في الطلب فاريما
غير المقصود والنصب والادب بتأديب الخاطب الجاني وعوقب بترتيب لن تراني وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب

ربي وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح شعر شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت فلذلك موسى
كان مبسط مارة مع الحق بقوله رب ارني انظر اليك وتعريه اخرى بقوله ان هي الا فتنتك ومن كمال صحو الخليل ما زل قدمه في ادب
من اداب العبودية في الحضور والغيبة فلاجرم اكرم اليوم بكرامة الشيبة اذ اول ما شاب شيبة ابراهيم ويكرم غدا بالكسوة ان اول من يكسى
ابراهيم ولما ابتلى في ماله فبذل للضيفات وابتلى بولده فاسلم وتله للجبين وابتلى في نفسه فاستسلم للمنجنيق ابن كنعان وابتلى بجبريل فقال اما
اليك فلا فلاجرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان اول من دق باب طلب الحق وقال هذا ربي واول من
سلك طريق الحق وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين واول من نطقه بالمحبة وقال اني لا احب الافلين واول من اظهر الشوق وقال لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين واول من اظهر العداوة مع غير المحبوب فانهم عدو لي الا رب العالمين واول من اشتاق فسال
الرؤية وقال رب ارني ولا تظنن ان اشتياقه الى الرب الماكان وقت سؤاله شعر ولست حديث العهد شوقا ولوعة حديث الهوى
في حشاي قديم ولكنه من حفظ اداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال ويقول حسبي من سؤالي علمه بحالي الى ان ساقه التقدير
الى حسن التدبير وساله نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود هل رايت منه التكوين
فوجد الخليل فرصة لمامول فادرج في السؤال السؤال فاخفى سره وهو ارني في علنه وهو كيف تحيي الموتى وهو يعلم انه يعلم السر واخفى
فاول باب فتح عليه من مقصوده ان اسمعه من كلامه بفضله وجوده وقال اولم تؤمن فكان في هذه الكلمة من اعجاز القرآن ثلثة معان مضمرة
اولم تؤمن وقت ما امنت عند نمرود باني احيي واميت فما كان ايمانك حقيقيا اولم تؤمن بالمعاد رؤيتي في الجنة فاريك ثمة اولم تؤمن
بما طلبت من الاحياء مضمرا في كل منها الاثبات في لفظ النفي فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلثة بلى بهذا السر اي بلى امنت وكان
ايماني حقيقيا ولكن ما كان مقصودي الايمان او الايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فاني فارغ من الموتى واحيائهم ولكني سالت ليطمئن
قلبي بالمزيد او بلى امنت بمعادي ورؤيتك في الجنة ولكن ليطمئن قلبي برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطراب قلبي من غاية الشوق
او بلى امنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سالتك عن الاحياء فانما سالتك عن كيفية الاحياء ففي ضمن ذلك تحصيل مقصودي كما ان
المعشوق خياط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم ان يقول ارني وجهك لانظر اليك لانه يعلم ان الدلال قرين الجمال وان العزة والحسن
توامان وفي مذهب اللاح الطلب وذو السبيل سنة فيقول ارني كيف تخيط الثياب فكل صانع فاخر في صنعته يريد ان يرى جودة عمله فيخبر
المعشوق عنده وبلا حجاب وهو يخيط الثوب ويقول انظر الى كيف اخيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع
وليطمئن قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر عن الخليل من اضطراب قلبه واضطرار حاله والتضرع بين يدي مولاه وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه
حقق رجاءه وقال فخذ اربعة من الطير الاية والمراد انك محجوب عني بحجاب صفاتي عن صفاتك محجوب وبحجاب ذاتك عن ذاتي معشوق
فلهما نوت عن صفاتك تحيى بصفاتي واذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ اربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت
من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينها وهو الماء تولد الحرص
والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها
زوجها ليسكن اليها فالحرص زوجة الحسد والبخل زوجة الحقد والغضب زوجة الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هي كالمعشوق
بين الصفات فيتعلق بها كل صفة فهذه الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني من الخلق
لمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الاربعة طاوس
البخل فلولم يزين المال في نظر البخيل لما بخل به وغراب الحرص لبكوره من حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لترفعه في الطيران وهذه صفة
الغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقي له باب يدخل به النار فصارت النار عليه لما القي فيها
بردا وسلاما والمبالغة في التقطيع ونتف ريشها وخلط اجزائها اشارة الى محو اثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يدي الزارع
الروح بامر الشرع ثم اجعل على كل جبل هي الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها النفس النباتية وهي النابتة والارواح الثلثة الحيواني
والطبيعي والانساني الملكي فهذه الجبال كالاشجار والزروع واجزاء الطيور كالتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزرع فيتقوى كل واحد من هؤلاء
بقوة واحدة من اولئك ويزكي بتربيتها فيتصرف فيها الروح الانساني فيحييها بنور هو من خصائص ارواح الانسان فيكون تلك الصفات
فانية عن اوصافها حية باخلاق الروحانيات هذا لخواص الخلق الذين الغالب على احوالهم الروح واما خواص الخواص ولمن ادركته العناية
كالخليل فالله تعالى بعد خمود هذه الصفات يتجلى له بصفته المحيي فيحيي هذه الصفات الفانية عن اوصافها بنور صفته المحيية فيكون العبد في
الحالة حيا بحيوته محييا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع
وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش كما ان اميا يقول للكاتب ارني كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه في يد الامي واخذ بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد
الامي على الصحيفة ففي تلك الحالة يظن الامي انه صار كاتبا فيقول انا الكاتب كقوله شعر عجبت منك ومني افنيتني بك عني
ادنيتني منك حتى ظننت انك اني فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامي فيعلم الامي انه امي والكاتب هو الكاتب فيستغفر من ذنب حسبانه
انه هو الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اي ذنب حسبانك انك كاتب وانت نبي امي حتى ما وصلت الى ما وصلت اليه من فضل
وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى وان تجلى لخليله بصفة واحدة وهي صفة المحيي ليريه اية من اياته وهي كيفية الاحياء فقد تجلى
لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال لقد رأى من ايات ربه الكبرى والخليل طلب الرؤية لنفسه رب ارني والحبيب طلبها له ولامته ارنا
الاشياء كما هي وذلك لعلو همته ورفعة مرتبته ولكمال معرفته ولعلو همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء كما هي فان فيه مع رعاية الادب
اخفاء المقصود وكان قول الخليل بالنسبة الى هذا تصريحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وفيه ايضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات
فان جميعها داخلة في الاشياء ولكمال معرفته طلب رؤية الماهية فقال كما هي وهذا هو الملك الحقيقي الذي لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل
واعلم ان الله عزيز اعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على اسراره الا من يليق بذلك من مخلوقاته

مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة

مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ۞ الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ۞ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم
يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس
ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه
صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل
فطل والله بما تعملون بصير ۞ ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل
واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر
وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت ۞ كذلك يبين الله
لكم الايات لعلكم تتفكرون ۞ صدق الله العظيم

القراءة انبتت سبع وبابه بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل يضعف وبابه بالتشديد ابن كثير وابن عامر ويزيد
ويعقوب الباقون يضاعف رياء الناس غير مهموز حيث كان يزيد والشموني والخزاعي عن ابن فليح وحمزة في الوقف الباقون بالهمز
الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه ورويس عن يعقوب وكذلك ما كان محله النصب من الاعراب كل القرآن
بربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون بضمها اكلها وبابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع ووافق ابو عمرو فيما اتصلت الها
والالف بما يعملون بصير اليا العباسية ابو عون عن قنبل الباقون بالتاء للخطاب الوقوف مائة حبة ط لمن يشاء ط عليم ه عند
ربهم ج لعطف المختلفين يحزنون ه اذى ط حليم ه والاذى لا لتعلق كاف التشبيه اي ابطالا مثل ابطال الذي الاخر ط صلدا ط
كسبوا ط الكافرين ه ضعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل ط بصير ه الانهار لا لان ما بعده صفة لجنة ايضا
الثمرات لا لان الواو للحال ضعفاء ص والوصل اولى والوقف على فاحترقت ص ط لتناهي مقصود الاستفهام والمعنى الجاحم
احتراق جنة صفتها كذا في حالة كذا تتفكرون ه لضعف التسبيع التفسير انه سبحانه لما ذكر من اصول المبدا والمعاد ما اقتضاه المقام
اتبعه بيان التكاليف والاحكام قال القاضي في كيفية النظم انه تعالى لما اجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له
اضعافا كثيرة فصل بعد ذلك بهذه الاية تلك الاضعاف وانما ذكر بين الايتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود
الاله المثيب المعاقب بعد الحشر لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت اني خلقتك وكملت نعمتي عليك
بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتي على المجازات فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازي القليل بالكثير ثم ضرب
لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعد ما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم
ليرغبوا في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى لما بين انه ولي المؤمنين وان الكفار اولياؤهم الطاغوت بين مثل
ما ينفق المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل الطاغوت قلت لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التي
يملكها العباد الا بالانفاق اتبعه احكامه فقال مثل الذين ولا بد من اضمار ليصح التشبيه اي مثل صدقاتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل
الله قيل الجهاد وقيل جميع ابواب الخير والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى
انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا فيتشعب منها سبع شعب ولكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجد في الدنيا سنبلة
بهذه الصفة او لم توجد على انه قد يوجد في الجاورس والذرة وغيرهما مثل ذلك وسبع سنابل مثل نسمة قروء في اقامة جمع الكثرة مقام القلة
والله يضاعف اي تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين في الاخلاص او يضاعف سبعمائة ويزيد عليها اضعافها
لمن يستحق ذلك في مشيته والله واسع كامل القدرة على المجازاة لا تضيق عليه عطاياه عليم بمقادير الانفاقات وبمواقعها ومصارفها وباخلاص صاحبها
واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل له عنده ثم لما عظم امر الانفاق اردف ببيان الامور التي يجب تجنبها حتى يبقى ذلك الثواب منها
ترك المن والاذى والمن قد يراد به الانعام قال تعالى ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صنوان من منح
سائله ومن منع نائله وضنّ وذلك لما فيه من انكسار قلب الفقير ومن تعيير ذي الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله

للعباد وعباده وان المعطي هو الله واذا كان العبد في هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الحقيقية فكان في درجة البهائم التي لا يترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الآثار الى المؤثرات واما الاذى فمنهم من حمله على اذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير بما اوصل اليه ويقول لست الا مبرما وما انت الا ثقيل وباعد الله ما بيني وبينك ومعنى ثم تراخي الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما لانهما ذكرتان في سياق التي لهم اجرهم وقال فيما يجيء فلهم اجرهم لان الموصول ههنا لم يتضمن معنى الشرط وتضمنه ثمة وفرق معنوي وهو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر ههنا كان الانفاق منهم على سبيل المواظبة والاستمرار وكان التأكيد بما يوجب الربط فيها هناك انسب ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي لا يخافون فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما او المراد انهم يوم القيامة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله في سبيل الله ان قولهم اجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون ان المن والاذى من قبيل الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة بالآية من وجهين الاول ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم واجيب بان ذلك بسبب الوعد لا لسبب نفس العمل والثاني ان الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين لثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على تقدير المن لا ثواب له اصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف تقبله القلوب ولا تنكره وذلك ان يرد السائل بطريق احسن او عدة حسنة ومغفرة عفو من السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول لانه اذا رده بغير مقصوده فربما حمله ذلك على بذاءة اللسان او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من جهة السائل بان يعذر المسؤول اذا رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها اذى لانه اذا تبع الايذاء الاعطاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب النفع بعقاب الضر واما القول المعروف ففيه انتفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان اولى ومن الناس من خصص الآية بالتطوع لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه وقد يكون الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غني عن صدقة كل منفق فلا وجه للمن حليم عن معاجلة بالعقوبة اذا امن ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذي وغير المؤذي مثلا فقال يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى للفقير وعن ابن عباس بالمن على الله والاذى للفقير كالذي اي كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لاجل ان يثني بعمله غيره ولا يريد رضاء الله وثواب الآخرة ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فمثله الضمير اما ان يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه المان بالمرائي المنافق ثم شبه المنافق بالحجر واما ان يعود الى المان المؤذي على انه شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد النقي ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضربه الله لعمل المان المؤذي ولعمل المنافق فان الناس يرون في الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما اذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة اوجبت له الاجر والثواب ثم ان المن والاذى ازال ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير فعلى مذهبنا العمل الظاهر كالتراب والمان المؤذي او المنافق كالصفوان ويوم القيامة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل المان شبيه بما اذا طرح بذرا في صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا اصابه مطر جود بقي مستودعا بذره خاليا لا شيء فيه الا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شيء الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور اي لا يقدر احد من الخلق على ذلك البذر الملقى في ذلك التراب الذي فرض على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذي والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيامة وناهيك بكون المان والمنافق مزدوجين في قرن شناعة شأن المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذي لان من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذي واما لانه اشير بالذي الى الجنس والجنس في حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شيء مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة انه يمنعهم عن الثواب وطريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاته وتثبيتا من انفسهم قيل اي يوطنون انفسهم على حفظ هذه الطاعات وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة في الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لا ثبات لها في موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها امران الحيوة والمال فاذا بذل ماله وروحه معا فقد ثبت نفسه كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره في الكشاف وقال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم فمن على هذا للابتداء وجزمهم بالثواب هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطاء المراد انهم يثبتون انفسهم تثبيتا في طلب المستحق وصرف المال في وجهه قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله مضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من حظوظها فهناك اطمأن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل للنفس منازعة مع قلبه فذلك الاطمئنان هو التثبيت ويحتمل ان يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البغت والاتفاق فان الافعال ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد تظهر على جوهر النفس صفاؤها ونورانيتها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله كمثل جنة وهي البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشيء يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة النفس والربا في المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء ولهذا فسره الزجاج بما اذا كان لكونها منبت المياه فلا يحسن ريعها فان البستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل في مقابلة المثل الاول فكما ان الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغي ان يكون هذه الارض بحيث تربو وتنمو فآتت اكلها اي ثمرتها وما يؤكل منها ضعفين مثلي ما كانت تعهد منها وقيل مثلي ما يكون في غيرها فان لم يصبها وابل فطل المطر الصغير

القدر يصيبها ولا ينقص شيء من ثمرها لكرم منبتها او المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر قل ام كثر وكذلك من اخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه قل ام كثر ويحتمل ان يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة وكذلك نفقتهم تزيد في زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاقات وكيفياتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازي بحسب النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب في الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثلا آخر فقال ايود احدكم والهمزة للانكار البالغ اي لن يود وقرئ له جنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلثة اوصاف الاول كونها من نخيل واعناب كان الجنة انما تكونت منهما لكثرتهما فيها الثاني تجري من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك يزيد في رونقها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب اولا بالذكر لانهما اكرم الشجر واكثرها منافع قال في الكشاف ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل ثم شرع في بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال واصابه الكبر اي والحال انه قد اصابه الكبر وقال الفراء انه معطوف على يود والاستقام نظرا الى المعنى لانه يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فكأنه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف اي صبيان واطفال فاصابها اعصار ريح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت اي الجنة ولا يخفى ان هذا المثل في المقصود ابلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة في غاية الكمال وكان هو في نهاية الاحتياج الى المال وذلك اوان الكبر مع وجود الاولاد والاطفال فاذا اصبح وشاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة فكم يكون في قلبه من الحسرة وفي عينه من الحيرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيامة فاذا اتبع الانفاق النفاق او المن والاذى كان ذلك كالاعصار الذي يحرق تلك الجنة ويورثه الخيبة والندامة التأويل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون ارواحهم وقلوبهم في سبيل الله فلهم الله ومن اعطى تمرة الى فقير يأخذها الله بيمينه ويربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يكون اعظم من الجبل فمن اعطى قلبه الى الله فهو بين اصبعين من اصابع جلاله حتى يكون اعظم من العرش بمائة وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بايثار صفاء الاوقات وفتوحات الخلوات على طلاب الحق وارباب الصدق للقيام باموره في تشفي ما في صدورهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليحصلوا وحصلوا ليفضلوا وافضلوا ليتفضلوا وانفصلوا ليصلوا الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله في طلبه لا في طلب غيره من الثناء والجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك ووجب لي عليك اجر ولا اذى بان يطلب من الله غير الله رأى احمد بن خضرويه ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني لهم اجرهم عند ربهم منزلتهم في حضرة العندية عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بدل طلب المعروف ومغفرة له وان لم يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجهل اذى طلب غير الحق من الحق والله غني عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة من تجاسر في طلب غيره ولولا حلمه فما للتراب ورب الارباب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض ففيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن اقبل على الباطل فقد ابطل حقوقه في الاعمال فاذا بعد الحق الاشكال ولو كان قصدك في الصدقة طلب الحق لما مننت على الفقير بل كنت رهين منته حيث صار سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء اي لم يجدوا سبيلا الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغني لان الفقير يأخذ منه الدنيا ويعطيه الآخرة كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالآخرة لا ينفق للآخرة لا للناس فمثل المرائي كمثل صفوان عليه تراب هو عمله فاصابه وابل هو وابل الرد انا اغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خائبا لا يقدرون على شيء مما كسبوا ليتوسلوا به الى الله والله لا يهدي القوم الكافرين بنعمة طلب شهود جماله فحرموا عن دولة وصاله وتثبيتا من انفسهم وتخليصا لنياتهم في طلب الحق ومرضاته من حظوظ انفسهم كمثل جنة هي قلب المخلص بربوة في رتبة عالية عند الحق اصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فآتت اكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال وشهود ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطي اهل الآخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطي اهل الدنيا نصيبا من الآخرة بالتبعية وكذلك يعطي اهل الله نصيبا من الآخرة بالتبعية ولا يعطي اهل الآخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضات او لابتغاء اللذات وابتغاء الحيوان ثم ضرب مثلا لروح الانسان وقلبه كجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق في احسن تقويم مستعدا لجميع الكمالات مشرفا بعلم الاسماء منورا بانوار العقل والحواس للتلبسات متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة جنة هي منظور نظر العناية تجري من تحتها انهار الهداية واصاب لصاحبها ضعف الانسانية وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية في غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها فاصابها اعصار من اعمال التربية نار من الرياء والنفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في احالة معكم بابناء الاستعداد الفطري فلا تبطلوه بتضييع فعالكم ولا تضيعوا اعماركم في طلب امالكم واستعدوا للموت قبل حلول آجالكم الله حسبي ونعم الوكيل ونعم النصير

يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد ۝ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ۝ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو

الالباب ۝ وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين
من انصار ۝ ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير
لكم ونكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ۝ ليس عليك هديهم ولكن الله
يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا
من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون ۝ للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون
ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس
الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ۝ الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝

القراءات ولا تيمموا بتشديد التاء وبمد الالف البزي وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب اي من يؤته الباقون بالفتح فنعما هي ساكنة العين ابو عمرو والمفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما هي بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وحمزة وخلف والخزاز الباقون فنعما هي بكسر النون والعين والميم مشددة في القراءات ونكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلي ويكفر بالياء والراء مرفوعة وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم وبابه بفتح السين ابن عامر ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة بسيماهم بالامالة حمزة وعلي وخلف ابن شاذان عن خلاد مخير وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على ميزان فعلى **الوقوف** من الارض ز لعطف المتفقين تختلفوا فيه ط حميد ه بالفحشاء ج وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق وفضلا ط عليم ه وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا ط الالباب ه يعلمه ط انصار ه فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون او الياء على الاستيناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم ط خبير ه من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتداء النفي الذين وجه الله ط لا تظلمون ه في الارض ز لان يحسبهم وان صلحت حالا بعد حال تكما ولكن لا يليق بحال من احصر التعفف ز لان تعرفهم يصلح استينافا والحال اوجه اي يحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الفقر وهم لا يسألون الناس على الحال وقد يجعل لا يسألون استينافا فتجوز الوقف على بسيماهم الحافا ط عليم ه فلهم عند ربهم ج يحزنون ه **التفسير** لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك وشرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب ان يكون فقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اي من طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض مستدلا على ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روي عن علي والحسن ومجاهد ان بعض الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه في الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل ليشمل الفرض والنفل لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة في كل مال يكسبه الانسان فيشمل زكوة التجارة وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض الا ان العلماء خصصوها بالاقوات لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال الصدقة في اربعة في التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفي الزكوة في غير الاربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوب الزكوة في الاقوات دون غيرها ولا يكفي في وجوب الزكوة كون الشيء مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة ومثله الشافعي رضه بالفث وحب الحنظل وسائر البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش لا زكوة فيها لانه لا يتعهد ونحوها وايضا لا يجب الزكوة في القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق وبه قال مالك واحمد لرواية ابي سعيد الخدري رضه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة يجب العشر في القليل والكثير مستدلا بعموم الآية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها مشهور مذكور في الفروع ولذلك ولطولها لم نخض فيها واما المراد بالطيب في الآية فقيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الرديء لما روي في سبب النزول انهم كانوا يتصدقون برذالة اموالهم فنهوا عن ذلك ولان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض وبغيره والآية دلت على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم باخذيه وانتم تعلمون انه محرم الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تبالوا من اي وجه اخذتم المال من حلاله او من حرامه ويحتمل ان يراد ما يكون طيبا من جميع الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستطابة قد يكون شرعا وقد يكون عقلا واعلم ان المال الزكوي ان كان كله شريفا وجب ان يكون الماخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للآية لان الماخوذ في هذه الحال لا يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد ورديء فحينئذ يقال للانسان لا تجعل الزكوة من رديء مالك ولا يكلف ايضا جيده لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب حينئذ هو الاوسط ثم ان قلنا المراد بالانفاق في الآية التطوع او كل

الفرض خبيثا فالمعنى ان الله ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه تنبيها لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى ولا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال يممته وتيممته وتاممته كلها بمعنى قصدته ومحل تنفقون نصب على الحال وقدم منه عليه ليعلم ان المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم ابتدأ واستفهم بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه وهو غض البصر واطباق جفن على جفن واصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر واصله ان الانسان اذا راى ما يكرهه اغمض عينيه كيلا يرى ذلك ثم كثر حتى جعل كل مسامحة اغماضا اي لو اهدي لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لي ما لا ترضونه لانفسكم ويحتمل ان يراد الا اذا اغمضتم بصر البايع اي كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على النعم من البيان والتكاليف بما تجزون به النعيم الابدي او حامد شاكر على انفاقكم كقوله فاولئك كان سعيهم مشكورا ثم انه تعالى لما رغب في اجود ما يملكه الانسان ان ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر اما الشيطان فمثل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر اما الشر فقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويحتمل ان يكون استعماله في الشر محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر في اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويامركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر المامور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق ان لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل للانفاق هو ان يبذل كل ماله في سبيل الله والطرف الاخس ان لا ينفق شيئا لا الجيد ولا الرديء والاوسط ان يبخل بالجيد وينفق الرديء فالشيطان اذا اراد نقله من الافضل الى الاخس فمن حق حيلته ان يجره الى الاوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو امره بالفحشاء وذلك لان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يمكن ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة وهو التخويف بالفقر اذا اعطى الجيد من ماله فاذا اطاعه زاد فيمنعه من الانفاق بالكلية وربما تدرج الى ان يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدي الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه واتسع الخرق فيقدم على المعاصي كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان اردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك ينادي كل ليلة اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان يعد الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة في غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول اولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بآفة اخرى وعند وجدان العقبى لابد من حصول المغفرة فان الله لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف او مرض او هم بخلاف الانتفاع بما في الآخرة فانه لا مانع منه وبتقدير التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف الموعود في الآخرة فانه باق لا يزول وايضا ان لذات الدنيا مشوبة بالآلام والمضار البتة فلا لذة الا وفيها الم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الآخرة فانه لا نقص فيها ولا نقص والمراد بالمغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيه للدلالة على الكمال والتعظيم ولاسيما قد قرن به لفظة منه فان غاية كرمه ونهاية جوده ما يعجز عن ادراكها عقول الخلائق ويحتمل ان يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه في آية اخرى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات او ان يجعل شفيعا في غفران ذنوب اخوانه المؤمنين واما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخاء وذلك ان المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال الخارجي والنقصان الداخلي واذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق اولى والفضل وايضا متى حصلت ملكة الانفاق ازالت عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وايضا مهما عرف من الانسان انه منفق كانت لهم معتقدوه على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق ولعل ذلك من التاثير الخفي والله واسع كامل العطاء كامل الخلف قادر على انجاز ما وعد عليم بحال من انفق ثقة بوعده وبحال من بخل طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما يرجحه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القرآن على اربعة اوجه احدها مواعظ القرآن وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة وآتاه الله الملك والحكمة ورابعها القرآن بما فيه من الاسرار يؤتي الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم فتامل ايها المسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا قليل وذلك ان الدنيا متناهية المقدار متناهية العدد متناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبه وعدده ولذة بقائها والسعادات الحاصلة منها واعلم ان كمال الانسان في شيئين ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فمرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثاني الى فعل العدل والصواب ولذلك سال ابراهيم عليه السلام رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية والحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودي موسى عليه السلام انني انا الله لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو العملية وحكي عن عيسى عليه السلام انه قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت وكلها النظرية واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وجميعها العملية وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو العملية وقال في جميع الانبياء ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا وهو الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الآيات وامثالها ان كمال حال الانسان في هاتين القوتين والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب واصابة رأي وفعيل بمعنى فاعل ويجيء بمعنى مفعول ومنها يفرق كل امر حكيم اي محكوم وفي الآية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية انما هي باعطاء الله تعالى والذين حملوا الايتاء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة ما زادوا الا ان وسعوا الدائرة اذ لابد من الانتهاء اليه آية علموا وما يذكر الا اولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم ينسبوا هذه الاحوال الى انفسهم بل يرقون الى اسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول واما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تذكر وتذكر فعرف ما له وما عليه وعند ذلك يقدم او يحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نية الاخلاص والرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعي والنيات فلا يهمل منها شيئا فقال وما انفقتم من نفقة لله او للشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه وتذكير الضمير لانه عائد الى ما

واما لانه عائد الى الاخير كقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلزمه الانسان بايجابه على نفسه
واصله من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم ومنه الانذار ابلاغ مع تخويف واعلم ان النذر قسمان نذر اللجاج والغضب
ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل او يحثه عليه بتعليق التزام قربة بالفعل او الترك كقوله ان كلمت فلانا او اكلت كذا او دخلت
ولم اخرج من البلد فلله علي صوم شهر او صلوة او حج او اعتاق رقبة ثم انه اذا اكله او دخل او لم يخرج فللعلماء ثلثة اقوال الاول يلزمه الوفاء بما التزم
والثاني وهو الاصح ان عليه كفارة يمين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث التخيير بين الوفاء وبين الكفارة
واما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة او اندفاع نقمة مثل ان شفى الله مريضي او رزقني ولدا فلله علي
ان اعتق رقبة او اصوم او اصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه و
ونذر التبرر وهو ان يلتزم ابتداء غير معلق على شيء كقوله لله علي ان اصوم او اصلي او اعتق فالاصح انه يصح ويلزم الوفاء به كالمعلق
وما يفرض التزامه بالنذر اما المعاصي واما الطاعات واما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنى ونذر المراة صوم ايام الحيض ونذر قراءة القران
في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه لا نذر في معصية الله تعالى ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد او ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر فعل المعصية
فعليه ان يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج و
واما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوات الخمس وصوم رمضان لا معنى لالتزامها بالنذر معلقا او غير معلق وكذا لو نذر
ان لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح واما غير الواجبات فالعبادات المقصودة وهي التي وضعت
للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فيلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلوة والصدقة والحج
والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين
وفي الصلوة على الجنازة والامر بالمعروف وما ليس فيه بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم ايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر يلزم رعاية
الصفة المشروطة فيها اذا كانت من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود او الحج بشرط المشي اذا جعلناه افضل
من الركوب وهو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام والاصل واجب كتطويل الركوع او السجود او القراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها
عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا
بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب الشارع فيها واما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم
والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد نذره روي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا قائما في الشمس فسال عنه فقالوا نذر ان يقعد
ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير تسمية لزمه كفارة
يمين لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او
ينفقون اموالهم في المعاصي او للرياء او لا يوفون بالنذور او ينذرون بالمعاصي من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه والانصار
جمع ناصر كاصحاب في صاحب او جمع نصير كاشراف في شريف وقد تمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر ورد بان الشفيع
في العرف لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وايضا ان هذا الدليل النافي عام في حق كل
الظالمين وفي كل الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وايضا
اللفظ العام لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهر على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقة السر افضل ام صدقة العلانية فنزلت ان تبدوا الصدقات والتركيب موضوع للتمام
والكمال ومنه الصديق فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره اذا اخبر على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق
لان عقد النكاح به يتم ويكمل والزكوة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد وكمال ايمانه فنعما هي من قرا بسكون
العين تحمول على انه اوقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله ما يروى في الحديث
انه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعما بالمال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرا بكسر النون والعين فللتحصيل المشاكلة ومن قرا
بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة شعر نعم الساعون في الامر المبر قال سيبويه ما في تاويل الشيء اي نعم الشيء هي وقال ابو علي
الجيد في مثله ان يقال ما في تاويل شيء لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة لبقيت بلا صلة فان هي مخصوص بالمدح والتقدير نعم شيئا ابداء
الصدقات فحذف المضاف للدلالة او نعم شيئا تلك الصدقات او تلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع
لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع افضل كما ان الاظهار في الزكوة افضل اما الاول فلان ذلك
اشق على النفس فيكون اكثر ثوابا ولانه ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث
بصدقة لاشك انه يطلب الرياء والمعطي في ملاء من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم الاخذ فبعضهم كان
يلقي الصدقة في يد الاعمى وبعضهم يلقي في طريق الفقير او في موضع جلوسه حيث يراها ولا يرى المعطي وبعض يشدها في ثوب الفقير وهو نائم
وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال ايضا ان العبد
ليعمل عملا في السر فيكتبه الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب في الرياء
وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وايضا في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وتجسير
اكثر الناس على الفقير اخذ تلك الصدقة لظن الاستغناء به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار اذلالا للاخذ
واهانة له واذلال المؤمن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال صلى الله عليه وسلم من اهدي اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها
وربما لا يدفع الفقير اليهم شيئا فيقع في حيز اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اظهرها اقتدى غيره به ولم يبعد والحالة هذه ان يكون الاظهار
افضل وروي ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السر افضل من العلانية والعلانية افضل من السر لمن اراد به الاقتداء واعلم
ان الانسان اذا اتى بعمل وهو يخفيه وفي نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك الشهوة فههنا الشيطان يورد عليه ذكر رؤية
الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان بمحاربة الشيطان فيكون اخفاؤه يفضل علانيته سبعين ضعفا كما روي عن ابن عباس رض صدقات السر

في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان الله تعالى عبادا راضوا انفسهم حتى من الله عليهم بانوار هدايته وذهبت عنهم وساوس النفس
لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل ارادوا ان يقتدي بهم غيرهم فهم كالملوك
في انفسهم ويسعون في تكميل غيرهم كما قال تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق وجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء ائمة الهدى واعلام الدين وسائر الخلق
بهم يقتدي في الذهاب الى الله واما ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فلان الله امر الائمة بتوجيه السعاة لطلب الزكوة وفي دفعها الى السعاة اظهارها
ولانه ينفي التهمة ولهذا ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان اكثر صلواته في البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها
بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفى يساره وان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له افضل ولا سيما اذا خاف الظلمة ان يطمعوا في ماله
وعن بعضهم ان معنى قوله خير لكم انه في نفسه خير من الخيرات كما يقال الثريد خير من الاطعمة واما قيل وتؤتوها الفقراء لان المقصود من بعث المتصدق
ان يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء مميزا لهم من غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم اخفاها حصلت الفضيلة فلهذا اشرط في الاخفاء
ان يحصل معه ايتاء الفقراء واما في الابداء فقلما يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ويكفر عنكم من قرا بالنون مرفوعا فهو عطف على محل ما بعد الفاء
لان الاصل في الشرط والجزاء ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتدا محذوف فقوله فهو خير في تاويل فيكون خيرا لكم
ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستانفة ومن قرا مجزوما فهو عطف على محل
الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها يكن اعظم اجرا واما من قرا ويكفر بياء الغيبة مرفوعا فالاعراب كما مر في النون والضمير
لله او للاخفاء وقرئ وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرا الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها يكن
خيرا لكم وان يكفر عنكم خير لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه اي ستر ذنب الحنث وقوله من سيئاتكم يحتمل ان يكون من
للتبعيض لان السيئات كلها لا تكفر وانما تكفر بعضها ثم ابهم الكلام في ذلك البعض لان بيانه كالاغراء على ارتكابها واحسن احوال العبد ان يكون
بين الخوف والرجاء ويحتمل ان يكون للتعليل اي من اجل سيئاتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك اي من اجل ذلك وقيل انها زائدة والله
بما تعملون خبير كانه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذي هو ابعد من الرياء عن الكلبي انه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء و
كانت معه اسماء بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانكما لستما على ديني فاستامرته في ذلك فانزل الله تعالى ليس عليك هديهم فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها ان تتصدق عليهما فاعطتهما
ووصلتهما قال الكلبي ولها وجه اخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقونهم قبل ان يسلموا
فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوهم على ان يسلموا واستامروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد
بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا الا على اهل دينكم فانزل الله تعالى ليس عليك هديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصدقوا على اهل كل الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والعلماء اجمعوا على انه لا يجوز صرف
الزكوة الى غير المسلم فيكون الاية مخصوصة بالتطوع وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره ومعنى الاية ليس عليك هدى
من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمه الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله وسراجا منيرا فاما كونهم مهتدين فليس ذلك منك ولا
فالهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسواء اهتدوا او لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم وفيه وجه اخر ليس عليك ان تلجئهم الى الاهتداء
بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا ولكن الله يهدي
من يشاء اثباتا للهداية التي نفاها اولا لكن المنفي اولا هو الهداية اي الاهتداء على سبيل الاختيار وهذا الثاني فيه تعليم ان الاهتداء الاختياري
واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين
الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء
بلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هديهم انه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد
هو وامته لان ما قبله عام ان تبدوا الصدقات وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم او فلا تمنوا
على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله اي ليست في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله
من صلة رحم او سد خلة مضطر قد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي اي لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا
الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا وجه الله وقيل ليست نفقتكم الا طلب ما عند الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله
وفائدة اقحام الوجه انك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف من قولك فعلته له لان وجه الشيء اشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مطلقا
وايضا قول القائل فعلت هذا الفعل له احتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره اما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا من خير يوف
اليكم جزاؤه في الاخرة اضعافا مضاعفة واما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم
شيئا ثم لما بين انه يجوز صرف الصدقة الى اي فقير كان اراد ان يبين ان اشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء اي ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء
كما لو تقدم ذكر رجل فيقول عاقل لبيب اي ذلك الذي مر وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء والمراد صدقاتكم للفقراء
قيل نزلت في فقراء المهاجرين وكانوا نحوا من اربعمائة رجل وهم اصحاب الصفة لم يكن لهم مسكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين المسجد يتعلمون القران
ويصومون ويخرجون في كل غزوة فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب
الصفة فراى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي
ثم انه تعالى وصف هؤلاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين احصروا في سبيل الله اي حصروا انفسهم ووقفوها على الجهاد في سبيل الله لان
سبيل الله مختص بالجهاد في عرف القران ولان وجوب الجهاد في ذلك الزمان كان اكد فكانت الجهاد الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله
اشد فوضع الصدقة فيهم يكون ارفع لخلتهم والتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائي ان هؤلاء قوم اصابتهم
جراحات في الغزوات فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون
ضربا في الارض اي سيرا فيها وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة او بالجهاد فلا يتفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر

واما لان مرضهم ومجزاهم بينهم منه الثالثة يحسبهم لبئهم الجاهل بحالهم ومن لم يجز امرهم اغنياء من التعفف من اجل تركهم المسالة واظهارهم التحمل
تكلفا منهم والتعفف اظهار العفة وهي ترك الشيء والكف عنه الرابعة تعرفهم اي انت يا محمد او كل احد بسيماهم السيما والسيميا العلامة
التي يعرف بها الشيء من السمة العلامة فوزنه فعلى قال سيماهم التخشع والتواضع الرثيع والندى اثر الجهد من الجوع والفقر التضاحك صفرة لونهم
من الجوع ابو زيد رثاثة ثيابهم وقيل المهابة في العيون وقيل اثار الفكر روي انه صلى الله عليه وسلم كان كثير الفكر الخامسة لا يسألون الناس
الحافا اي الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطى وهذا التركيب يدل على الشمول كانه لزم المسؤول لزوم الساتر للمستور عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف قيل معنى الآية انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا واورد عليه انه ينافي
التعفف الذي وصفوا به قبل فالوجه ان يراد نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم
بالتعفف وفائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور والآخر طياش خفيف فاردت ان تمدح
احدهما وتذم الآخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواض ولا مهذار لم يكن غرضك من قولك ليس بخواض ولا مهذار وصفه
بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة تغني عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثاني وقيل معناه لا يتركون السؤال الا بالحاح شديد
منهم على انفسهم لشدة حاجتهم كقوله. ولي نفس اقول لها. اذا ما نازعتني لعلي او عسائي. وقيل ان عدم السؤال بطريق الالحاف يتضمن
نفي السؤال عنهم راسا لان كل سائل فلا بد ان يلح في بعض الاوقات كانه يقول ذا ارقت ماء وجهي فلا ارجع بغير مقصود وقيل لعل التسالم
عن السؤال يظهر من نفسه امارات الحاجة فيكون حال سكوته انطق مما يكون فرق القلوب له فالمراد انهم وان سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمنون
الى ذلك السؤال من رثاثة الحال واثار الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يتجملون للخلق بحيث لا يطلع على سترهم غير
الخالق عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفتح احد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله لان يأخذ
احدكم حبلا فيحتطب به فيبيعه بمد من تمر خير له من ان يسأل الناس وما تنفقوا من خير فان الله به عليم اي ثواب هذا الانفاق الذي هو اعظم
المصارف لا يكتنه كنهه فلذلك وكل الى علم الله تعالى بخلاف الآية المتقدمة فانه لما رغب في التصدق على اهل الاديان قال في آخره وما تنفقوا
من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان لعبده والذي احسن عنده موضع خدمته اني محيط بخدمتك عالم بحقك عارف كان ابلغ مما لو قال اني اجر
واصل اليك ثم ارشد في خاتمة الآيات الى اكمل وجوه الانفاقات بقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية وذلك ان الذين يعمّون
الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه متعللين
بوقت وحال والباء بمعنى في اي في الليل والنهار وسرا وعلانية منصوبا على الظرفية ايضا اي في اوقات السر والعلن او على وصف المصدر
اي انفاقا سرا او على الحال لكونه بيانا على كيفية الانفاق وقيل لما نزل للفقراء الذين احصروا بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب
الصفة وبعث بوسق من تمر ليلا فنزلت الآية وفي تقديم ذكر الليل لتقدم السر على العلانية دليلا على ان صدقة على كانت اكمل وعن ابن عباس ما كان
على رضي الله عنه تلك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما حملك
على هذا فقال ان استوجب ما وعدني ربي فقال لك ذلك ونزلت الآية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار
عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وقيل في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وكان ابو هريرة رضي الله عنه اذا مر بفرس
سمين قرأ هذه الآية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال التاويل انفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه احدها لو تصدق بالطيب
بالحلال فليقبل الله منه ولو فتر بالجودة فليجزيه بقدر جودته وثانيها ليثاب على التعظيم لامر الله وثالثها ليثاب على الشفقة على خلق الله ورابعها
ليثاب على الايثار ويؤثرون على انفسهم وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها ليثاب على زيادة الايمان
فان المتصدق في صدقته كالزارع في زراعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة اجتهد في جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايقانه
بالبعث والجزاء زاد في جودة صدقته لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الكسب على ذكر المخرج
من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسب يده وفي الآية معنى اخر لطيف انفقوا من طيبات ما كسبتم من تزكية
النفوس وتصفية القلوب ومما اخرجنا لكم من ارض طينتكم في تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق ولكن النفقة طيبة من خيانة الشبهات
طيبا انفاقها من خيانة الاعراض الدنيوية والاخروية طيبا منفقها من خيانة الانفاق والنظر الى الانفاق الى غير الله فاذا كانت
النفقة طيبة في نفسها فلله قبول طيب من الوسائط فيأخذها بيده فيربيها قبل ان يقع في يد الفقير واذا كانت اليد طيبة في انفاقها فلله
قبول طيب فانها ابلغ عند الله من محلها واذا كان قلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فلله قبول طيب عن الاغيار من اصبعين
من اصابع الرحمن وتحقيق قوله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وسر هذا الحديث ان اخذ هذا الخبيث لاني اصل الفطرة ولا
في عهد الخلقة لانكم خلقتم من اصل طيب وطينة طيبة فالروح من اطيب الاطايب لانه اقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين و
الجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم احياكم بالايمان فلنحيينه حيوة طيبة ثم يرزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم
فليس منكم شيء خبيث في الظاهر والباطن الا ان تغمضوا فيه فتقبلوه تكلفا ويفسر كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
فلما لم يكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارية عليه عارية لديه انزل الله تعالى كلمة طيبة هي لا اله الا الله ليطيب بالمواظبة عليها
اخلاقهم ويستحقوا يوم القيمة ان يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واعلموا ان الله غني عن كل غناء اراد ان يغنيكم
بثواب الانفاق حميد على انعمه بهذا التكليف ويتوسل به الى الكمال الابدي الشيطان حين يعد الفقر ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا
لانه اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق بالخلف والتضعيف وسوء الظن بالله تعالى
وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو
رأس كل خطيئة وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بهذه الآفات واضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة
الحق افاض عليه سجال غفرانه وبحار فضله واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والآثام والفضل ما لا يدركه الاوهام للذين احسنوا الحسنى وزيادة
ومن ذلك ان يفتح على قلبه باب حكمة عاجلا كما قال يؤتي الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه اهل الانكار والذين
لم يفرقوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات تكتسب بالبرهان وهي مشتركة بين اهل الاديان والاسرار الالهية مواهب

الحق لا نزول الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وما يذكر الا اولوا الالباب الذين لم يتقيدوا بعقيلهم [illegible]
[illegible] الانفاق [illegible] الصدقات عند اخفائها واخفاء ما تخفيه بها [illegible]
[illegible] قال صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] للفقراء الذين احصروا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا
انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۝ يمحق الله الربوا ويربي الصدقات
والله لا يحب كل كفار اثيم ۝ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ۝ فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله
وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ۝ وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون ۝ واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ۝ صدق الله العظيم ۝

القراءة الربا حيث كان بالامالة حمزة وعلي وخلف هذا اذا كان معرفا والا فيميلون المنكر في الاصل لاجل التنوين كقوله وما آتيتم من ربا
ويميلون في الوقف لزوال التنوين فأذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزة وحماد وابو بكر غير ابن غالب والبرجمي حمزة يقف بغير همز اي بالتسهيل الباقون
فأذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تظلمون ولا تظلمون الاول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسرة بضم السين نافع
ميسرة بضم السين واثبات الياء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم الياء وان تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد الصاد لادغام التاء
في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم ابو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا للمفعول الوقوف من المس ط مثل الربوا م لئلا يظن
ان ما بعده من قولهم وان الحق جعل واحل حالا باضمار قد وحرم الربوا ط لابتداء الشرط واستيناف المعنى ما سلف ط لتناهي الجزاء الى الله ط النار ج خالدون
الصدقات ط اثيم ۝ عند ربهم ج يحزنون ۝ مؤمنين ۝ ورسوله ج اموالكم ج لان ما بعده مستأنف او حال عاملة معنى الفعل في لام التمليك ولا تظلمون
ميسرة ط تعلمون ۝ لا يظلمون ۝ التفسير الحكم الثاني من الاحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربا وذلك ان بين الصدقة وبين الربا تناسبا
بالتضاد فان الصدقة تنقيص مامور بها والربوا زيادة منهي عنها وايضا لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب ان يردف بالمكسب الحرام هو الربوا
والحلال وهو البيع وما يناسب من الدين والرهن وغيرهما فقال الذين يأكلون الربوا انما الاكل يعم جميع التصرفات الا انه عبر عن الشيء بمعظم مقاصده
وكيف لا وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له واتفقوا ان الربا لا يمكن ان يؤكل ولكن يصرف

اي المأكول فيتوكل فالمراد المتصرف فيه والربا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومن امالها فلمكان كسرة الراء وهو في المصاحف مكتوب بالواو وثبت
مخيرا في كتابتها بالالف والواو وفي الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع
ثم الربا قسمان ربا النسيئة وربا الفضل اما الاول فهو الذي كانوا يتعارفونه بالجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على ان يأخذوا كل شهر قدرا
معينا ثم اذا حل الدين طالب المدبون برأس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل واما ربا الفضل فان يباع من الحنطة
بمنوين مثلا والمروي عن ابن عباس انه كان لا يحرم الا القسم الاول وكان يقول لا ربا الا في النسيئة ويجوز ربا النقد فقال له ابو سعيد
الخدري اشهدت ما لم نشهد اسمعت ما لم نسمع فروى له الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة
والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الآخذ والمعطي فيه سواء ثم قال ابو سعيد لا اراني واياك
في ظل بيت ما دمت على هذا فروي انه رجع عنه قال محمد بن سيرين كنا في بيت معنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة اما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا
ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برأيي ثم بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمه فاشهدوا اني قد حرمته وبرئت الى الله منه
حجة ابن عباس رض ان قوله تعالى واحل البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين نقدا وقوله وحرم الربا لا يتناوله لان كل زيادة ليست محرمة
فوجب ان يبقى على الحل ولا يخرج الى العقد المخصوص الذي كان يسمى فيما بينهم ربوا وهو ربا النسيئة وقد تأكد هذا الرأي بما روى اسامة بن زيد ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الربوا في النسيئة وفي رواية لا ربوا الا فيما كان يدا بيد وذكر ابو المنهال انه سأل البراء بن عازب وزيد بن ارقم فقالا
كنا تاجرين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا بأس
وان كان نسيئة فلا يصلح واما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربا في القسمين اما النسيئة فبالقرآن واما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على
ربا النقد في الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة ولا شك ان الربا انما ثبت فيها لمعنى فاذا عرف ذلك المعنى الحق بها
ما ثبت كما فيه اما الاشياء الاربعة فللشافعي في علة الربوا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روى عن معمر بن عبد الله قال كنت اسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل اطلق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق كالقطع
المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال الذهب بالذهب
وزنا بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربا في كل مطعوم مكيل او موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض
والجوز وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت او يستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربا وعند ابي حنيفة رحمه الله العلة الكيل حتى يثبت الربا
في الجص والنورة وعن احمد روايته كابي حنيفة وسوى الاخرى كالجديد واما النقدان فعن بعض الاصحاب ان العلة فيهما لعينهما لا لعلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية الغالبة فيشمل التبر والمضروب والحلي والاواني المتخذة منها ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان
راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال احمد وابو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا
ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه واما السبب في تحريم الربا فهو ان من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير عوض
واخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وابقاء رأس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه
وينتفع به امر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل واخذ الدرهم الزائد متيقن وتفويت المتيقن لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس
من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا او نسيئة اعرض عن وجوه المكاسب
فيختل نظام العالم وقيل لما يفضي الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ولانه تمكين للغني من ان يأخذ مالا زائدا من الفقير وقيل ان
حرمة الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكمة كل تكليف معلومة لنا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس التخبط الضرب
على غير استواء ومنه خبط العشواء وتخبط الشيطان قيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع فورد على ما كانوا
يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس اي مسه الجني فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا ايضا من زعماتهم وقيل على
ان التمس اذا اراد والتقبيح شيء ان يضيفوه الى الشيطان كما في قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين فورد القرآن على ذلك وقيل ان
الشيطان يمسه بالوسوسة المؤذية التي تحدث عندها الفزع فيصرع كما يفزع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء
وارباب الحزم واللب واكثر المسلمين على ان الشيطان لا يبعد ان يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الآية
اقوال احدها ان آكل الربا يبعث يوم القيمة مجنونا تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقوله من المس متعلق بلا يقومون اي لا يقومون
من لمس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يريد اذا بعث الناس من قبورهم
خرجوا مسرعين الا آكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فارباه الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه مأخوذ من قوله
تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وذلك ان الشيطان يدعوه الى الهوى والملك يجره الى التقوى فيقع هنالك
حركات مضطربة وافعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات آكل الربا على ذلك اورثه الخبط في الآخرة واوقعه في ذل الحجاب بينه وبين الله تعالى
ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا
البيع والا كان حق النظم في الظاهر ان يعكس فيقال انما الربا مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع ومن حق القايس ان يشبه محل الخلاف
بمحل الوفاق ثم انهم كانوا يعولون في تحليل الربا على هذه الشبهة وهي ان من يشتري ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا او نسيئة فهكذا
اذا اعطى العشرة باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان
يكون صفر اليد في الحال ويحصل له اموال كثيرة في المآل فاعطاء الزيادة عند وجدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال فاجاب الله
تعالى عنها بحرف واحد وهو قوله تعالى واحل الله البيع وحرم الربا وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض بالقياس فان ذلك عمل ابليس
لعنه الله تعالى بالسجود فعارض النص بالقياس وقال انا خير منه ثم ان ظاهر الآية يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربا دون الاقدام على اكله
مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الآية كون اكل الربا من الكبائر ويجب تأويل صدر الآية بان المراد من اكلهم الربا استطابته
واستحلاله كما يقال فلان يأكل مال الله قضما وخضما اي يستحل التصرف فيه الا ان جمهور المفسرين حملوا الآية على وعيد من يتصرف في مال الربا
لا على وعيد من يستحل هذا العقد قيل ويحتمل ان يكون قوله واحل الله البيع وحرم الربا من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد واكثر المفسرين على

ان جعله من كلام الكفار لا يتم الا باضمار وهو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار او على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف
الاصل وايضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله عن هذه الشبهة فلم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه موعظة لائقا بالمقام وايضا المسلمون
لم يزالوا متمسكين في البيع بهذه الآية ولولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها وههنا بحث للشافعي وهو ان
الآية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم وليس فيه الا تعريف الماهية فيكفي في العمل به ثبوت
فرد واحد ولو سلم افادته العموم فلا شك ان افادته اضعف مما لو قيل واحل الله البياعات بلفظ الجمع ومع ذلك فقد تطرق اليه تخصيصات
خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله تعالى لانه قريب من الكذب ثم اطلاق اللفظ المستغرق على الاغلب عرف مشهور
وايضا روي ان عمر رض قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما سألناه عن الربا ولو كان هذا اللفظ مفيدا للعموم لم يقل ذلك
وايضا قوله واحل الله البيع يقتضي ان يكون كل بيع حلالا وقوله وحرم الربا يقتضي ان يكون كل بيع حراما لان الربا هو الزيادة ولا بيع الا و
يقصد به الزيادة فاول الآية احل كل بيع وآخرها حرم كل بيع فلما وقع التعارض حصل الاجمال فوجب الرجوع الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم فمن جاءه موعظة من ربه اي وعظ من ربه فانتهى عن
استحلال الربا واتبع النهي فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عن الزجاج ان
والتنوين في موعظة للتعظيم او التقليل اي موعظة جليلة او شيء من المواعظ وقيل النهي المتأخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف
ربا فالمراد له ما اكل من الربا وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلوف التقدم ومنه الامم السالفة والسلافة الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج من
وامره الى الله لانه ان انتهى عن اكل الربا لا انتهى عن استحلاله فهو المفوض الى الله العالم بكيفيته فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال
دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن عاد الى استحلال الربا او
مثل البيع فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانه كفر لاستحلال ما هو محرم اجماعا واما القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى اكل
الربا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربا وكان قد بالغ في الآي السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما يجري مجرى الداعي الى ترك
الربا وفعل الصدقة فقال يمحق الله الربا ويربي الصدقات والمحق نقص الشيء حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل من محق الربا واربا الصدقة
اما في الدنيا واما في الآخرة وذلك ان الغالب في المربي وان كثر ماله ان يؤول عاقبته الى الفقر وتزول البركة عن ماله عن ابن مسعود ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الربا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليهم وتبغضهم اياه ولسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وذهاب
الثقة في ماله ظنا منهم ان المال في الحقيقة ليس له وعن ابن عباس في تفسير المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا
ولا صلة ثم ان مال الربا لا يبقى عند الموت ويبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام
هذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربا المثل الذي ضربه فيما تقدم كمثل صفوان
عليه تراب ونظير قوله ويربي الصدقات المثل الآخر كمثل جنة بربوة كمثل حبة انبتت سبع سنابل عن ابي هريرة رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وايضا المتصدق
يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل وتميل القلوب اليه وتنقطع الاطماع عنه متى اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فيتبين
ان الربا وان كان زيادة في المال الا انه نقصان في المآل والصدقة ان كان نقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان
لا يلتفت الى ما يقضي به الحس والطبع ويعول على ما ندب اليه العقل والشرع والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر معناه المقيم على الكفر
والصيغة للمزاولة كتمار وقوال والاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو ايضا للمبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربا
فيكون جاحدا او وجه آخر وهو ان يكون الكفار عائدا الى المستحل والاثيم الى الآكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يعود كلاهما الى آكل الربا ويكون تغليظا
في امر الربا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الآية دلالة على انه تعالى سبقت رحمته غضبه حيث انه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين
الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الآثام كالربا فان استحلاله كفر وهو في نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه
والالجاء فبقيت الآية ساكتة عن جمعه بين الامرين لا على سبيل الاصرار والمواظبة وعن الذي لم يجمع بينهما نعم قد عرف بدليل آخر ان الكفار الذي
لم يواظب على سائر الآثام لا يستاهل محبة الله تعالى وذلك لا ينافي السكوت عن حكمه ههنا والله اعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته
من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية فاحتج به من قال العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان كما مر واجيب
بانه قال في الآية واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من اعمال الصالحة ورد بان الاصل حمل كل لفظ على فائدة جديدة ترك
العمل به عند التعذر فيبقى في غيره على الاصل لهم اجرهم عند ربهم لم يقل على ربهم لان الاول يجري مجرى ما اذا باع النقد وذلك النقد
حاضر متى شاء البائع اخذه والثاني جار مجرى البيع فالذمة نسيئة ولا شك ان الاول افضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس فيما يستقبلهم من اهوال
القيمة ولا هم يحزنون بسبب ما تركوه في الدنيا فان المنتقل من حال الى حال آخر فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان
مغتبطا بالثانية لاجل الالف والعادة فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق اهل الثواب والكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم
من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذي حصل لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الآخرة وايضا انهم
لا يحزنون بسبب انه لم يصدر منهم طاعة ازيد مما صدر حتى صرنا بها مستحقين لثواب ازيد مما وجدناه لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وههنا
سؤال وهو ان المرأة اذا بلغت عارفة بالله وكما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها ماتت او الرجل بلغ عارفا بالله وقبل ان تجب عليه
الصلوة والزكوة مات فهما بالاتفاق من اهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف وقف الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب
ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الآية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي ثم انه تعالى لما بين ان من انتهى عن الربا
فله ما سلف كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا
فبين انه يحرم اخذ ما بقي من الربا في ذمتهم فان قيل كيف قال يا ايها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب ان هذا كما يقال
ان كنت اخي فاكرمني معناه ان من كان اخا اكرم اخاه او معناه اذ كنتم مؤمنين او ان كنتم تريدون استدامة الحكم بالايمان او يا ايها الذين آمنوا
بالسنتكم ذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم قال القاضي وفيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير
مؤمنا بالاطلاق متى تجنب كل الكبائر واجيب بان المراد ان كنتم عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان

وانما شدد الله تعالى في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل اذا حضر الوقت وظن بنفسه على ان تلك الزيادة قد حصلت له فقطعها عنها تكون
شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقاء ما نهى عنه وهذه الاية اصل كبير في احكام الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر
يبقى ولا ينقض ولا ينفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز في الاسلام فهو عفو لا
وان كان النكاح وقع على مهر حرام فقبضته المراة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمى وهذا مذهب الشافعي
واما سبب نزول الاية فعن ابن عباس رض بلغنا والله اعلم انها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم
كانت بنو المغيرة يربون لثقيف فلما اظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله فاتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الى عتاب بن اسيد
وهو على مكة فقال بنو المغيرة ما جعلنا اشقى الناس بالربوا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والتي بعدها فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم
بحرب من الله ورسوله وقال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ
قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي ان انتما اخذتما حقكما كله فهل لكما ان تأخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما
حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما ونزلت الاية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما
قال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا
فانزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان كل ربوا من ربا الجاهلية موضوع واول ربوا اضعه ربا العباس بن
عبد المطلب فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربا ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربا فان لم تفعلوا
اي فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فاذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على ان من كفر بشريعة واحدة من شرائع الاسلام فهو خارج
عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون مالهم فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على معاملة الربا لانه خطاب مع من
تقدم ذكرهم وهم المخاطبون بقوله يا ايها الذين آمنوا ومعنى قوله فاذنوا عند من جعله من الايذان اعلموا من لم ينته عن الربا بحرب فيه
فالمفعول له محذوف واذا امروا باعلام غيرهم فهم ايضا قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهم ايضا لم يعلموا ذلك فهذه
القراءة في الابلاغ آكد ومن قرأ فأذنوا من اذن بالشيء اذا علم به اي كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف امر بالمحاربة مع المسلمين
قلنا هذه اللفظة قد تطلق على من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اصلا
في قطاع الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه ان
المصر على عمل الربوا ان كان شخصا قدر الامام عليه قبض عليه واجرى عليه حكم الله من التعزير والحبس الى ان يظهر منه التوبة وان كان له
عسكر وشوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب ابو بكر رض مانعي الزكوة وكذا القول لو اجمعوا على ترك الاذان و
وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربوا وعن معاملة الربوا فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون الغريم بطلب
زيادة على راس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال فان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار على ان كان هي التي
التي تامة بمعنى وجد الشيء وحدث في نفسه لا التي بمعنى وجدت موصوفيته بشيء فانها حينئذ تكون ناقصة تحتاج الى الخبر وقرا عثمان رض
ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم او المشتري ذا عسرة والقراءة المشهورة اولى كيلا يكون النظرة مقصورة على الغريم المشتري بل تعمه وغيره
من ارباب العسرة وهي اسم من الاعسار وهو تعذر الموجود من المال والنظرة التأخير والامهال وفي الاية حذف والتقدير فالحكم
او فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرا عطاء فناظره على الامر اي سامحه بالانظار وناظرة اي صاحب الحق منتظرة او
ذو نظرة مثل مكان عاشب اي ذو عشب والميسرة اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومن قرا بالاضافة فلا
فقد حذف التاء كقوله واقام الصلوة واختلفوا في ان حكم الانظار مختص بالربوا او عام في الكل فعن ابن عباس وشريح والضحاك والسدي
وابراهيم الاية في الربوا قال الكلبي قال بنو عمرو لبني المغيرة هاتوا رؤس اموالنا ولكم الربوا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم اهل عسرة
فاخرونا الى ان تدرك الثمرة فابوا ان يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر المفسرين انها عامة في كل دين ولهذا
ورد كان تامة ولو فرض ان سبب النزول خاص فلابد من الحاق سائر الصور به لان العاجز عن اداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول
اكثر الفقهاء كمالك وابي حنيفة والشافعي والاعسار في الشرع هو ان لا يجد في ملكه ما يؤديه بعينه ولا يكون له ما لو باعه لامكن اداء الدين
من ثمنه فمن وجد زادا او ثوبا لا يعد من ذوي العسرة اذا امكنه بيعهما واداء ثمنهما ولا يجوز له ان يحبس الا قوت يومه لنفسه ولعياله وما لا بد لهم من كسوة
لصلواتهم ودفع الحر والبرد عنهم وهل يلزمه ان يؤجر نفسه من صاحب الدين او غيره الاصح انه لا يلزمه وكذا لو بذل غيره له ما يؤديه لا يلزمه
القبول واما من له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه ان يبيعها بالنقصان ان لم يكن الا ذلك واذا علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه
وان يطالبه بما له عليه ووجب الانظار الى وقت اليسار فاما ان كان له ريبة في اعساره جاز ان يحبسه الى ظهور الاعسار واذا ادعى
الاعسار وكذبه الغريم فان كان الدين الذي لزمه حصل له عن عوض كالبيع والقرض فلا بد له من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك
العوض قد هلك وان لم يكن عن عوض كالاتلاف وضمان فالقول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو الفقر وان تصدقوا على المعسر
بما عليه من الدين يدل على ذلك ذكر المعسر وذكر راس المال خير لكم لحصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى ان كنتم تعلمون ان
هذا التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه او تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده او تعلمون ان
ما يأمركم به ربكم اصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة
وزيف بان الانظار ثبت وجوبه بالاية الاولى فلا بد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان
المعاملين بالربوا كانوا اصحاب شرف وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر ووعيد فلا جرم ختم
احكام الربوا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال واتقاء ذلك لا يكون الا باجتناب المعاصي وفعل الاوامر
في الدنيا وهذا القول يتضمن الاتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على انه مفعول به والمعنى تأهبوا بما تشغلون من العمل الصالح للقاء

وان كان ذات شوكة وعسكر

يوم ترجعون فيه الى الله اي ما اعد لكم من ثواب او عقاب او الى علمه وحفظه وذلك ان الانسان له احوال ثلث على الترتيب الاولى كونه جنينا
لا يملك تصرفا فلا تصرف فيه الا الله الثانية خروجه الى فضاء العالم وهناك يرى للابوين ولغيرهما تصرف فيه ظاهرا الثالثة ما بعد الموت وهناك
لا يكون المتصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا الله تعالى فكانه عاد الى الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي جزاء
ذلك او المكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل لما يحصله بتجارته والمراد ان كل مكلف فانه يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى
كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل ان يقول كيف يليق باكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده
الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذي اوقع نفسه في تلك الورطة لان الله تعالى مكنه وازاح عذره وسهل طريق الاكتساب
عليه واهمل هذا على اصول المعتزلة واما على اصول الاصحاب فهو اشارة الى انه تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق والمالك اذا تصرف في ملكه
كيف شاء واراد لم يكن ظلما عن ابن عباس رض انها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها جبرئيل وقال ضعها على راس المائتين
والثمانين من البقرة وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات والله
اعلم بحقيقة الحال **التأويل** اخبر عن حرص اهل الدنيا وهم اكلة الربوا بعد ذكر قناعة اهل العقبى فمثل آكل الربوا كمثل من له جوع الكلب يأكل
ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا المال
خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم الا آكلة الخضر فانها اكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت
ثم رتعت لمن اخذه بحقه ووضعه بحقه فنعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع وفي الحديث مثلان احدهما للمفرط يحبط
يفضي به الى الهلاك في الدنيا والعقبى في جمع الدنيا واشار بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم وذلك ان الربيع ينبت احرار البقول
فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى ينتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق امعاؤها فتهلك او تقارب الهلاك والمثل الآخر
للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي امطاره ولكنها من كلاء الصيف
التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر الذي يكتسب المال بطريق البيع والشرى
ويؤدي حقه وان كان له حرص في الطلب والجمع ولكن لما كان بامر الشرع وطريق الحل ما اضر به واحل الله البيع وحرم الربوا يعني كيف يكون
ما ازال نور الامر ظلمته مثل ما زاد ظلمة ارتكاب المنهي فمرتكب الربا في ظلمات ثلث ظلمة الحرص وظلمة الدنيا وظلمة المعصية والى الله يرزقه
من حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وانواره اثيم عامل بالطبع مقيم في ظلمة احجاره ثم اخبر عن العاملين بالشرع الخارجين
عن الطبع الذين آمنوا ايمان التصديق بالتحقيق معززا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة اتباع الهوى باقامة الصلوة وعالجوا ظلمة الركون الى الدنيا
بانوار ايتاء الزكوة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة
ولا هم يحزنون لفوات انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل الايمان المجازي فقال يا ايها الذين آمنوا باللسان اتقوا الله اي بالله كما جاء كنا اذا احمر
البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه قداما ومن شرط المؤمن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربوا اتركوا ما سوى الله في طلبه ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا اكل زيادة تشغلكم
فاذنوا بحرب من الله ورسوله سيعد منها وبغض وان تبتم تركتم غيره فلكم رؤس اموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة
يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان ذو عسرة ولم يصل اليه احد
لاجله عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت وصوله اليه آجلا وان تصدقوا فتبذلوا فيما تتمنون من حظوظكم في الدنيا والعقبى على قدر همتكم فهو خير
لانا نجازيكم على قدر مواهبنا ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين ثم انه
كما جمع في القرآن خلاصة الكتب السماوية جمع في خاتمه خلاصة اي القرآن فقال واتقوا يوما الاية وذلك ان فائدة جميع الكتب راجعة الى معنيين
النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس والفوز بالدرجات
العلى وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته فقوله واتقوا اشارة
لما يتعلق بالنجاة الانسان من هذه المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب
الاقامة بشرائط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق
المحمودة ثم من ههنا يتقوى الخاص بجرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا من حجب اوصافهم الى درجة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة
المنتهى عندها جنة المأوى فيتنعمون بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجه العناية بجذبات ما زاغ البصر
وما طغى من سدرة المنتهى الاوصاف الى قاب قوسين نهاية حجاب النفس وبداية انوار القدس وهناك من عرف نفسه فقد عرف ربه
وهو مقام او ادنى ترجعون فيه الى الله لان مبدأ وجودك النفخة وآخر حالك الجذبة وبها اصطفى آدم وكرم بنيه ولهذا لم يقل ولقد كرمنا اولاد
آدم لان اهل الكرامة منهم من هو بوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء
بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا الرجوع وعد وبشارة للاولياء
ووعيد وانذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت بقدر مراتبه في العبودية والتقوى يهتدي الى مقامات القرب من المولى ويحتجب فانه عن حجاب
نفسه يبقى بمقدار ذاته وهويته وهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت وخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار فتح الروزنة وضيقه ولا يظلم
الشمس عليه مثقال ذرة فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى صدق الله

في جمع الدنيا

يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب
كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه
شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل

وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء
اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم
للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح
الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا
فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ۝ وان كنتم على سفر
ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته
وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ۝

القراءات ان يمل هو بسكون الهاء قتيبة والحلواني عن قالون الباقون بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة
والمفضل الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حمزة وجبلة فتذكر بالرفع ومن الاذكار ابو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار والنصب
ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن
بضم الراء والهاء ابن كثير وابو عمرو الباقون فرهان الوقوف فاكتبوه ط للعدول بالعدل ط لعطف المتفقين فليكتب ج شيئا ط بالعدل ط
من رجالكم ج للشرط مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول اجله ط الا تكتبوها ط لابتداء الامر تبايعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد ط بكم ط
واتقوا الله ط ويعلمكم الله ط عليم ٥ مقبوضة ط لابتداء الشرط واستئناف معنى آخر ربه ط للعدول الشهادة ط قلبه ط عليم ٥ التفسير
الحكم الثالث المداينة وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين وهما الانفاق وترك الربا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى
في هذه الآية بكمال رأفته الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على المال
ولهذه الوثيقة بالغ في الوصاية والطيب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الربوا اباح السلف وانزل فيه اطول آية ولهذا قال
بعض العلماء اللذة والمنفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل
من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وذلك ان المبايعات على اربعة اوجه احدها بيع
العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فبقي ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن
مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت الآية واما القرض فلا يدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل و
القرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة في قوله بدين تخليصه من التداين بمعنى المجازاة او التأكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه او ليشمل كل دين صغير
او كبير اسلما او غيره وفي الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه
ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل
بكلما تداينتم ليكون نصا في العموم لان الكلية تفهم من بيان العلة في قوله ذلكم اقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل فيكون الحكم حاصلا في الكل
او نقول العلة هي التداين والعلة لا ينفك عنها معلولها فتكون القضية كلية كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا والاجل مدة الشيء و
ومنه اجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد
او الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى امر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل من المداينين اوثق وامن من النسيان والتغافل
والتخالف بمقدار الدين وفي انقضاء الاجل وفي سائر ما اشترط عليه وهذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي وجمهور المجتهدين
على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان في ايجابهما حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين
فنسخا بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة اما الذي طلب بقوله فاكتبوه
فليس كل احد لوجود امنين كثيرين في الدنيا بل من له استهلال الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب وليس ذلك على الاطلاق ولكنه يجب ان
الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص احدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الالفاظ المجملة
التي يقع النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة امر للمداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا قال بعض الفقهاء العدل
ان يكون ما يكتبه متفقا عليه بين المجتهدين ولا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب
وهو معنى التنكير في كاتب ان يكتب وقوله كما علمه الله اما ان يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب ان يكتب مثل ما علمه الله تعالى
فيقع قوله بعد ذلك فليكتب تأكيدا للاول اي فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى اياها او بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا
والثاني امرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة له على المقيد فلا يكون الثاني تأكيدا للاول وانما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة
لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة المسلم لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله واحسن كما احسن الله اليك و
قيل انه على سبيل الايجاب ولكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن الشعبي انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وان
وجد اشخاصا فالواجب كتبة احدهم وقيل متعلق الايجاب هو ان يكتب كما علمه الله يعني انه بتقدير ان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله

وان لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم بجهالته واعلم ان الكتابة بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا تتم الا بالاملاء
ممن عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته واجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء لغتان
قال الفراء امللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبني اسد وامليت لغة بني تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهي تملى عليه بكرة واصيلا وليتق الله
ربه ولا يبخس منه شيئا امر ان لهذا المملي الذي عليه الحق بان يقر بتمام المال الذي عليه ولا ينقص منه شيئا والبخس النقص فان كان الذي عليه
الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف عقله او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء
بنفسه لعي او خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي عليه الحق الذي يلي امره ويقوم بمصالحه من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان
كان غير مستطيع او ترجمان يمل عليه وهو يصدقه وفائدة تأكيد المتصل بالمنفصل في قوله ان يمل هو انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي
يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع ان الضمير في وليه عائد الى الدين اي الذي له الدين ليملل قبيل وفيه بعد لان قول المدعي كيف
يقبل ولو كان قوله معتبرا فاي حاجة الى الكتبة والاشهاد ثم المقصود من الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل
الحق ان جحد ولهذا قال تعالى واستشهدوا اي اشهدوا والاشهاد والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهدته سألته ان يشهد شهيدين اي شاهدين
فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم اي من رجال اهل ملتكم وهم المسلمون
وقيل يعني الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من اهل العدالة فان لم يكونا اي الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان اي فليكن
او فليشهد او فالشاهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يشهدون جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء
وفيه دليل على انه ليس كل احد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا شرائط قبول الشهادة ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به ولم يجر
بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة
وعن علي كرم الله وجهه لا يجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وابو حنيفة وذلك لانه قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا
والاجماع منعقد على ان العبد لا يجب عليه الاباء بل يحرم عليه ذلك اذا لم يأذن له السيد فيعلم منه ان العبد لا يجوز ان يكون شاهدا وعند
شريح وابن سيرين واحمد تجوز شهادة العبيد قالوا لان العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية والرق وعند ابي حنيفة تجوز شهادة الكفار
بعضهم على بعض على اختلاف الملل ان تضل ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان تنساها لغلبة البرد والرطوبة على امزجتهن احدى النفسين فان لم
لا يخلو من النسيان فتذكر احديهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل قال الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله
قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت
ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط
فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير ان ههنا غرضين احدهما حصول الاشهاد وذلك لا يتأتى الا بتذكير احدى المرأتين
والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يتبين ان اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتأتى الا بضلال احدى
المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين صحيحا ولا محذور ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروي عن سفيان بن عيينة انه قال فتذكر
معناه فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم ان الشهادة خبر قاطع ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد او فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد لا يكفي للحكم به الا في هلال
رمضان كما مر ولا يحتاج الى ازيد من اثنين الا في الزنا لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولا يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري
انه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده ان لا تقبل شهادة النساء في الحدود وغير هلال رمضان والزنى اما عقوبة او غيرها
فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري يستوي فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص و
القذف واما غير العقوبات فاما ليس بمال ولا يقصد به المال وان كان مما يطلع عليه الرجال كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة و
البلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين ايضا وان كان مما يختص بمعرفته النساء
غالبا فيقبل فيه شهادتهن على الانفراد عن الزهري انه قال مضت السنة ان تجوز شهادة النساء في كل شيء لا يليه غيرهن وذلك كالولادة
والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت شيء من ذلك باقل من اربع نسوة
تنزيلا للاثنتين منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الاولى واما ما هو مال او يقصد به المال كالاعيان والديون
والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل وامرأتين
ثبوتها بشهادة رجلين ونص القرآن منزل الى هذا القسم والذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد واليمين لما روي انه صلى الله عليه وسلم
قضى بالشاهد واليمين وانكره ابو حنيفة ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ما زائدة مبهمة اي اذا دعوا فقيل الى اداء الشهادة عند احتياج الحق اليها
وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما امر الكاتب ان لا يأبى الكتابة امر الشاهد ان لا يأبى تحمل الشهادة وقيل
امر بالتحمل اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين التحمل اولا والاداء ثانيا والقول الاول هو الصحيح لانه اطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل
في الاطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا للضرورة وايضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وايضا
الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء الى الامر بالاداء اولى ليفيد فائدة جديدة وهي ان الشاهد ان كان
متعينا وجب عليه اداء الشهادة وان كان فيهم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسأموا لا تضجروا ولا تملوا ان تكتبوه اي الدين او
الحق لتقدم ذكرهما على اي حال كان الحق صغيرا او كبيرا كما جرت العادة ويكتبه لا كالحبة والقيراط فان القليل من المال ربما افضى الى نزاع كثير
وانما نهي عن السآمة لانها من الكسل والكسل صفة المنافق وايضا من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب
فاقتضى المقام ترغيبه والمبالغة ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلو بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفقا على تسميته ذلكم
الكتب او ذلكم الذي امركم به من الكتب والاشهاد اقسط اعدل عند الله واقوم للشهادة اعون على اقامة الشهادة وهما افعلا تفضيل من اقسط
واقام فيكون محمولا على قولهم افلس من ابن المذلق واما من قويم وقاسط بمعنى ذو قسط على طريقة النسب والا فالقاسط الجائر ولا يصح ذلك
المعنى ههنا يقال قسط اذا جار واقسط اي عدل وادنى الا ترتابوا اقرب من انتفاء الريب رتب الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلاث فوائد

[illegible]

[illegible]

لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ۝ آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ۝ لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ۝ صدق الله العظيم

[illegible]

يريد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرأ حمزة غير ابي عمرو الحلواني عن قالون وابن مجاهد والنقاش وابو ربيعة عن البزي وخلف
لنفسه يعذب من بالاظهار ابو عمرو يدغم يعذب من يشاء وكل القرآن وكتابه حمزة وعلي وخلف الباقون وكتبه جمعا لا يفرق بياء الغيبة يعقوب
الباقون بالنون اخطانا مثل فادارأتم الوقوف به الله ط لمن قرأ فيغفر بالرفع على الاستئناف اي فهو يغفر ومن جزم
بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير ه والمؤمنون ط لمن لم يقف على من ربه المصير ه وسعها ط ما اكتسبت ط او اخطانا ج من قبلنا ج لان النداء
للابتداء ولكن الواو للعطف السؤال لنا به ج واعف عنا وقفه واغفر لنا كذلك للتفصيل بين انواع المقاصد والاعتراف بان اطاعتنا [illegible]
الكافرين ه الله تعالى لما جمع في هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهي دلائل التوحيد والنبوة والمعاد واشياء كثيرة
من بيان الشرائع والتكاليف كالصلوة والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق والعدة والصداق والخلع والايلاء
والارضاع والبيع والربا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لله ما في السموات وما في الارض وعلى كمال علمه وهو قوله وان
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وفي ذلك
غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين وعن ابي مسلم انه لما قال والله بما تعملون عليم ذكر عليه دليلا عقليا وان من كان فاعلا لهذه الافعال
المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لا بد ان يكون محيطا باجزائها وجزئياتها وقيل لما امر بالوثائق من الكتبة والاشهاد و
الرهن ذكر ما علم منه ان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به وقال الشعبي وعكرمة ومجاهد انه لما اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان
له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار وعن ابن عباس وابي هريرة رضه واللفظ له لما نزل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا
اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والصدقة وقد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما قرأها القوم ذلت
بها السنتهم انزل الله في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم واعلم ان العلماء اتفقوا على ان الا...
التي تخطر بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ازالتها عن النفس لا يؤاخذ بها لانها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق واما الخواطر التي يوطن الانسان
نفسه عليه ويعزم على ادخالها في الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم كما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع

والرسل والثانية الايمان بالملائكة فانهم وسائط بين الله وبين البشر ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وعلمه شديد القوى
والثالثة الكتب فانه الوحي الذي يتلقنه الملك ويوصله الى النبي فمثال الملك في عالم الصورة جرم القمر ومثال الوحي نور القمر فكما ان القمر
يستفيد النور من الشمس ويوصله الينا فكذا الملك ياخذ الوحي من الله تعالى ويلقيه على الانبياء فلا جرم وقع الرسل في المرتبة الرابعة وهذا الترتيب
ما يقتضيه حكم عالم التكليف والوسائط والا فمقام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم
وهذا سر يطلع منه على اسرار اخرى ان كنت من اهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله وباحكامه وباسمائه اما الايمان
بوجوده فهو ان يعلم ان وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالمجسم لا يكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف معهم في ذاته
واما الفلاسفة والمعتزلة فالخلاف معهم في الصفات لا في الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز واما الايمان بصفاته
فالصفات اما ثبوتية او سلبية او اضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح وصفه تعالى بها وما لا يصح وكذا في تفسير آية الكرسي واما الايمان
بافعاله فان يعلم ان كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التي تسمى اختيارية للحيوانات وذلك ان مشية الانسان محدثة منتهية
الى الله تعالى فهو مضطر في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم واما الايمان باحكامه فان يعلم انها غير معللة بغرض
وان كان يترتب عليها الفوائد وان يعلم ان المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار
وان يعلم ان له الالزام والحكم في الدنيا كيف شاء واراد وان يعلم انه لا يجب على الحق بسبب الاعمال شيء وانه في الآخرة يغفر لمن يشاء بفضله
ويعذب من يشاء بعدله ولا يقبح منه شيء لان الكل ملكه وملكه واما الايمان باسمائه فهي الاسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كلمات انبيائه المرسلة
وقد مر في تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله واما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية محضة
او جسمانية محضة او مركبة من القسمين وبتقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية او هوائية فذلك مقام العلماء
الراسخين في العلوم القرآنية والبرهانية ويدخل في الايمان بالملائكة اعتقاد انهم معصومون وان لذتهم بذكر الله وحيوتهم بمعرفته وطاعته وانهم
وسائط بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء معصوم من اقسام هذا العالم واما الايمان
بالكتب فان يعلم ان كلها وحي من الله وليس لاحد من المخلوقات ان يلحق فيها شيئا من تلقاء نفسه ولا سيما في القرآن العظيم وان من قال ان ترتيب
القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان رضه فقد اخرج القرآن عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه وحكمه
الكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسول فان يعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي امر التبليغ وفي الفتيا وفي الاخلاق والافعال
كما مر في قصة ادم عم وان يعلم ان النبي افضل ممن ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وان بعض الانبياء افضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض واما تفضيلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء افضل من الملائكة وقال كثير من العلماء ان الملائكة السماوية افضل منهم وانهم افضل
من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك في قصة ادم ايضا وان يعلم ان شرعهم وان صار منسوخا الآن فان نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم الآن انبياء ورسل
كما كانوا وناقش بعض المتكلمين في ذلك فهذا اشارة الى اصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واما من قرأ وكتابه على الوحدة فاما ان يراد به القرآن
ثم الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب والرسل واما ان يراد جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وقال احل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا الاطلاق شائع في جميع الصيام قال العلماء قراءة الجمع اولى لمشاكلة ما قبله وما بعده وقيل قراءة الافراد
اولى لان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب ومن قرأ لا نفرق بالنون فلا بد من اضمار اي يقولون
لا نفرق ومن قرأ بالياء فعلى ان الفعل للكل فلا حاجة الى هذا الاضمار ثم ان الجملة خبر بعد خبر او حال واحد في معنى الجمع اي بين كل منهم وبين آخرهم
لان النكرة في سياق النفي تعم ولذلك صلحت لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق في الايمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على ايديهم حسب دعاويهم والغرض منه تزييف معتقد اليهود
والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابي مسلم لا نفرق اجمعوا كقوله واعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا واعلم ان قوله آمن الرسول الى قوله بين احد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا سمعنا واطعنا
اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة او نقول ان للانسان اياما ثلثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة المبدإ واليوم والبحث
عنه يسمى الوسط والغد والبحث عنه يسمى بعلم المعاد فقوله آمن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدإ وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى
غفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله في آخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وهو معرفة المبدإ لان
الكمالات الحقيقية ليست الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر كله فيه كمال القدرة
واما علم الوسط وهو علم ما يجب ان يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب وتفويض الامور
كلها الى مسبب الاسباب وهو قوله وتوكل عليه واما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون اي ليومك غدا سيصل اليك فيه نتايج اعمالك
ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدإ وسلام على المرسلين فيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة
الى علم المعاد كقوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الاسرار انما يكون بجذبة من مضيق عالم الاسرار الى فسحة عالم الانوار
او نقول والمؤمنون كل آمن اشارة الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدي اي سمعنا
قوله واطعنا امره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى ههنا اولى ليفيد انه ليس في الوجود قول يجب سمعه الا قوله ولا امر يجب طاعته الا امره والسماع ههنا
بمعنى القبول اي سمعنا بآذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم
قال واطعنا فدل هذا على انه كما صح اعتقادهم في هذه التكاليف فهم ما اخلوا بشيء منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما
وعملا غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله اي اغفر ويقال غفرانك اللهم لا كفرانك من قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي لن تعدموا
جزاءه وفي الكشاف اي نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسألك غفرانك فيكون مفعولا به والاشهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة
الاستعمال والاستغناء عنه بغفرانك سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو ان القوم لما قبلوا التكاليف وعملوا بها فاي حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب
لعلهم خافوا ان يكون فرط منهم تقصير فيما يأتون ويذرون او لعلهم كانوا يترقون في درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا
قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وقد حمل قوله صلى الله عليه وسلم واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة على مثل هذا ولان جميع الطاعات

الى جنب مواجب حقوق الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكى عن اهل الجنة دعويهم فيها سبحانك اللهم اي انت منزه عن تسبيحنا وتقديسنا
واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين اي كل الحمد له وان كنا لا نقدر على فهم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران
مقرون بامرين احدهما بالاضافة اليه والثاني بقوله ربنا اما القيد الاول فمعناه اطلب المغفرة منك وانت الكامل في هذه الصفة والمطبوع
من الكامل في صفة ان يعطي عطية كاملة وما ذاك الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها حسنات او يكون الاضافة اشارة الى ما ورد في الحديث
ان لله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزءا منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات فبها يتراحمون ويتعاطفون واخر تسعة وتسعين جزءا
ليوم القيمة او لعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فانها يظهر اثرها في محل معين فلولا الوجود بعد العدم لما ظهرت اثار قدرتك ولولا الترتيب
العجيب والتاليف الانيق لما ظهرت اثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر اثار مغفرتك ورافتك وانا اطلب الغفران
الذي لا يمكن ظهوره الا في حقي وفي حق امثالي من المذنبين واما القيد الثاني فمعناه ربيتني اذ اوجدتني من العدم لو لم تربني في ذلك الوقت
لم اتضرر به لاني كنت ابقى في العدم والان لو لم تربني اتضرر به فاسالك ان لا تهملني او ربيتني حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق بكرمك
ان لا تربيني وقد افنيت عمري في توحيدك او ربيتني في الماضي فاجعل تربيتك في الماضي شفيعا اليك في ان تربيني في المستقبل او ربيتني
فيما مضى فاتم هذه التربية فيما يستقبل فان امام الموت خير من ابتدائه واليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع احد الا باذنك
وفيه اعتراف بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له المحيا والممات قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام
كلام المؤمنين فوجه النظم انهم قالوا كيف نسمع ونطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى فكانه تعالى
انهم لما قالوا سمعنا واطعنا ثم طلبوا المغفرة دل ذلك على انه لا يصدر عنهم زلة الا على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم
ذلك اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فانه كان من امكان الانسان و
طاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ولكنه تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رافته واعلم ان المعتزلة
عولوا في نفي تكليف ما لا يطاق على هذه الاية ثم استنبطوا منها اصلين الاول ان العبد موجد لافعال نفسه اذ لو كانت بتخليق الله تعالى لم يكن
للعبد قدرة على دفعها لضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثاني ان الاستطاعة
قبل الفعل والا لكان المامور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق اما الاشاعرة فقالوا التكليف من مات على الكفر كابي جهل
مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب ان العلم بعدم الايمان ~~ليس تكليفا بعدم الايمان~~ ليس تكليفا بعدم الايمان حتى يلزم
التكليف بالنقيضين والتكليف بامر ممكن لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع لكن الاشعري لما كانت حجته قوية
عنده خصص الاية بانها انما وردت في التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق من اهل
النار على انه لو جعلت من قول المؤمنين لم يبق فيها حجة ويحتمل ان يقال لما حكاه عنهم في معرض المدح وجب ان يكونوا صادقين فيه لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت قال الواحدي ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل ان الاكتساب اخص لان الكسب لنفسه
ولغيره والاكتساب المكتسب لنفسه خاصة وقيل في الاكتساب مزيد اعتماد وتصرف ولهذا خص بجانب الشر دلالة على ان العبد لا يؤخذ من السيئات
الا بما عقد الهمة عليه وربط القلب به بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيف ما صدر عنه قالت المعتزلة في الاية دليل على ان الخير والشر كلاهما مضاف
الى العبد ولو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه الاضافة وجرى صدور افعاله منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له عليه البتة ولانتفت فائدة
التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة مرارا وكذا تفسير الكسب وبيان المذاهب فيه في تفسير قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
واحتج الاصحاب بالاية على فساد القول بالمحابطة لانه تعالى بين ان لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح في ان الاستحقاقين
يجتمعان وانه لا يلزم من طرو احدهما زوال الاخر وقال الجبائي تقدير الاية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفره
بالتوبة وانما اعتبرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالاية في ان الله تعالى
لا يعذب الاطفال بذنوب ابائهم والفقهاء تمسكوا بها في اثبات ان الاصل في الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل فيها ان المغصوب
لا تملك باداء الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت والعارض من الوجود اما الغصب واما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك
بدليل ام الولد والمدبر ومنها انه لا شفعة للجار لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل في الشريك لكثرة تضرره
بالشركة فيبقى في الجار على الاصل ومنها ان القطع لا يسقط الضمان لوجود المقتضي والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى
كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان منكري وجوب الزكوة احتجوا به والجواب ان دلائل وجوب الزكوة اخص والخاص مقدم
على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين اربعة انواع من الدعاء الاول ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا
وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت وعاقبت اللص وقيل معنى المشاركة ههنا ان الناسي قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فصار
من يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه في ايذاء نفسه وفي التفسير الكبير ان الله ياخذ المذنب بالذنب والمذنب ياخذ ربه بالعفو والكرم اي يتمسك
عند الخوف من عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو ان يترك الفعل لتاويل فاسد كما ان الخطا
هو ان يفعل الفعل لتاويل فاسد ومنه قوله نسوا الله فنسيهم اي تركوا العمل فترك ان يثيبهم واما ضد الذكر واورد عليه ان النسيان والخطا متجاوز عنهما
في قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الاول ان النسيان منه ما يعذر
صاحبه فيه ومنه ما لا يعذر فمن راى دما في ثوبه واخر ازالته الى ان نسي فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا اذ كان لزمه المبادرة على ازالته وكذا اذا تغافل
عن تعاهد القرآن حتى نسي فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسي فانه يكون معذورا وروي انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا اراد ان يذكر حاجته شد خيطا في اصبعه فثبت ان الناسي قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر
واذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل انه ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنهما من التفريط والاغفال
الثاني ان هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كان يصدر عنهم ما لا ينبغي الا على وجه الخطاء والنسيان
فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكانه قيل ان كان النسيان مما يجوز المؤاخذة فلا تؤاخذنا به الثالث
ان العلم بان النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فربما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله اما لاستدامته واما

لاعتقاد

لاعتقاد او تلك النعمة او لغير ذلك كقوله قل رب احكم بالحق ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
الرابع ان مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وانما عدم المؤاخذة بالاية والحديث فلما كان ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء
وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه جائز من الله تعالى عقلا لما ارشد الله تعالى الى طلب
ترك المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو لاهل الكبائر قالوا ان النسيان والخطا لا بد ان يفسرا بما فيه العمد والقصد الى فعل ما لا ينبغي اذ لو فسرا
بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله من فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا فسرا بما ذكرنا وقد امر الله المسلمين ان يدعوا
بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة مرجوا النوع الثاني من الدعاء ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ثم سمي العهد اصرا لانه ثقيل والاصر العطف لان من عطفت عليه فقد علق بك ثقله ويصل اليه
من المكاره يقال ما تاصرني على فلان اصرة اي ما تعطفني عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود
قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم في الزكوة ومن اصاب ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا في الدنيا
فاجاب الله تعالى دعاءهم كما قال تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي المسخ والخسف و
الغرق وانما طلبوا هذا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير موجب العقوبة وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا وميثاقا اشبه ميثاق من قبلنا
في الغلظ والشدة وهو قريب من الاول قال بعض العلماء اليهود لما كانت الفظاظة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم في التكاليف
الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غالب عليهم وكانت مصلحتهم في التخفيف وترك التغليظ واما ان اليهود لم خصت بغلظ الطبع
وهذه الامة باللطافة والكرم فليس الينا ان نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يدرك كله لا يترك كله النوع الثالث ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
ومن الاصحاب من تمسك به في جواز تكليف ما لا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء واجاب المعتزلة عنه بان معنى قوله لا طاقة لنا
اي ما يشق فعله لا الذي لا قدرة لنا عليه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق اي
لا يشق عليه وزيف بان معناه ومعنى الاية المتقدمة يكون حينئذ واحدا فعدلوا عن ذلك وقالوا المراد منه العذاب اي لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق
احتماله سلمنا انهم سالوا الله تعالى ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز ان يفعل خلاف ذلك كما ان ذلك في قوله قال
رب احكم بالحق لا يدل على جواز ان يحكم بالباطل وكذا قول ابراهيم صلوات الرحمن عليه ولا تخزني يوم يبعثون لا يدل على ان خزي الانبياء جائز
قيل لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذي لا قدرة عليه بالتحميل واجيب بان الحاصل فيما لا يطاق هو التحميل دون الحمل قيل لما طلب
ان لا يكلفه بالعمل الشاق كان من لوازمه ان لا يكلف بما لا يطاق فكان المناسب طرح هذا الدعاء لا اقل من عكس الترتيب والجواب على تفسير
المعتزلة ظاهر اي لا تحملنا عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكاليف الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم
في المحافظة عليها واما على تفسير الاشاعرة فهو انهم سالوا ان لا يكلفهم تكليفا شاقا مفيدا وهو التكليف بما كلف من قبلهم ثم سالوا ان لا يكلفهم
تكليف الشاق الذي لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم ام لا وقيل الاول ترك التشديد في مقام القيام بظاهر الشريعة والثاني
طلب ذلك في مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله تعالى وخدمته وطاعته وشكر نعمه اي لا تطلب مني حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق
بالائك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك وكمالك واما الفائدة في حكاية هذه الادعية بصيغة الجمع في لا تؤاخذنا ولا تحمل علينا وذلك انه
اذا اجتمعت النفوس والهمم على شيء كان حصوله ارجى النوع الرابع من الدعاء واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وانما حذف النداء وهو قوله ربنا
ههنا لان النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القربة والزلفى من الله والفرق بين العفو
والمغفرة والرحمة ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة ان يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له من عذاب التخجيل والفضيحة فان الخلاص من عذاب
النار انما يطيب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسماني والثاني هو العذاب الروحاني وبعد التخلص منهما اقبل على طلب
الثواب وهو ايضا قسمان جسماني هو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحاني وهو اقبال العبد بكليته على مولاه وهو قوله انت مولينا وفيه
الاعتراف بانه سبحانه هو المولى لكل نعمة جاءتنا وهو المعطي لكل كرامة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذي لا يتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد الذي
لا ينتظم شمل مهماته الا باصلاح مولاه وبهذا الاعتراف يحق الوصول الى الحق من عرف نفسه اي بالامكان والنقصان عرف ربه اي بالوجوب
والتمام ثم اذا وصل الى الحق اعرض بالكلية عما سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين اعنا على قهر كل من خالفك وناواك وعلى غلبة القوى
الجسمانية الداعية الى ما سواك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها
حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلعم
اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يوتهن نبي قبلي وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق
الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وروى الواحدي عن مقاتل بن سليمان انه لما اسري بالنبي عليه السلام الى السماء
اعطي خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة له ان الله عز وجل اكرمك بحسن الثناء بقوله امن الرسول فسله وارغب اليه فعلمه جبرئيل عليهما كيف قال النبي
صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا فقال الله تعالى قد غفرت لكم فقال لا تؤاخذنا فقال لا اؤاخذكم فقال ولا تحمل علينا اصرا فقال لا اشدد عليكم
فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال لا احملكم ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال الله تعالى قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم وانصركم على القوم
الكافرين وفي بعض الروايات ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا يقولون امين التاويل الانسان مركب من عالمي
الامر والخلق له روح نوراني من عالم الامر والملكوت وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء
تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليتها بانوار الارواح وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية واليه الاشارة في قوله ان تبدوا ما في انفسكم
مودع من انوار الاخلاق الروحانية فالظاهر باعمال الشريعة وفي الباطن باحوال الحقيقة او تخفوه بابراز ظلمات الاوصاف النفسية في الظاهر بمخالفات
الشريعة وفي الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول انوار الروح او بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء
فينور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بحرقة العلي الكبير والله على كل شيء
من اظهار التلطف والقهر على تركيب عالمي الامر والخلق قدير لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى وبلغ المقعد الاعلى ثم دنى فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى اكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فاجاب بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

فقيل له آمن الرسول عيانا بما انزل اليه من ربه فقال من كمال رأفته بامته والمؤمنون كل آمن بالله الى قوله سمعنا واطعنا فقال الله تعالى ما يطلبون منى في جزاء السمع والطاعة فقال النبي غفرانك ربنا واليك المصير ما يطلبون الا ان تسترهم بسربال فضلك ويكون مصيرهم اليك لا الى غيرك كما كان مصيري اليك لا الى من سواك قال الله في جوابه لا يكلف الله نفسا الا وسعها انك في مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولهذا قال جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت وان الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم في سماء واتقون جبلتهم رحمتي كيلا تحرقهم سبحات وجهي وسطوات قدري فكيف كلف امتك المذنبة المرحومة بهذا المسير وانا بضعف حالهم بصير وانما بلغت هذا المقام حتى جاوزت الرسل الكرام اذ اتخذتك حبيبا قبل ان اخلقك وخلقت الكائنات لمحبتك ولان امتك اكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك اختصاص بمحبتي اياهم ما داموا في متابعتك فقل لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما كسبت امتك من انوار متابعتك يصل المسير الى حضرة جلالنا وشواهد جمالنا وعلى قدر ما اكتسبت بالتواني عن ظل متابعتك يبتلى اهل المسير في دركات السعير فتارة ابكره لذة هذا الخطاب واخرى المحنة سطوة هذا العتاب فقال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تعاقب امتي ان نسيت عهدك الذي عاهدتهم ان يحبوك ولا يحبوا غيرك او اخطأت طريق طلبك ولكن ما اخطأت طريق عبوديتك فلم يعبد غيرك وانت قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا بان تجعلنا اسير النفس الامارة فنعبد عجل الهوى وسامر الشهوات كما عبد الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالصبر عن شهود جمالك واعف عنا حجب انانيتنا واغفر لنا بشواهد هويتك وارحمنا برفع البينونة من بيننا انت مولينا ووليّنا في رفع وجودنا وناصرنا في نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين بجذبات عنايتك واعتاقي المسير اليك على قمع كفار الانانية التي تمنعنا من حضرتك بيني وبينك اني يزاحمني فارفع بجودك اني من البين

سورة آل عمران مدنية آيها مائتان كلماتها ثلثة آلاف واربعمائة وثمانون حروفها اربعة عشر الف وخمسمائة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ۞ ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ۞ هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ۞ فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب ۞ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ۞ ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ۞ ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ۞ صدق الله العظيم ۞

القراءة الم الله مقطوعة الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والاعشى والبرجمي الباقون موصولا بفتح الميم التورية مماله حيث كان ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف والبخاري عن ورش والخزاز عن هبيرة وابن ذكوان غير ابن مجاهد كداب حيث كان بغير همزة ابو عمرو ويزيد وشجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة في الوقف الوقوف الم كوفي مختلف فان غير الاعشى والبرجمي ويزيد والمفضل يصلون الا هو ج القيوم ط والانجيل لا الفرقان ط شديد ط انتقام ه في السماء ط كيف يشاء ط الحكيم ط متشابهات ط لاستيناف تفصيل وابتغاء تاويله ج لان الواو تصلح استينافا والحال اليق الا الله م عند اهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخون يعلمون تاويل المتشابه كما يعلم الله ومن لم يحترز عن هذا جعل المتشابه غير صفة الله ذاتا وفعلا من الاحكام التي يدخلها القياس

والتأويل

المنصوص م

والتأويل وجعل المحكمات الاصول المجمع عليها فعطف قوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له ان لا يقف على الا الله متشابه لا لان قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان التسليم من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان ما بعده من مقولهم الالباب ه رحمة ج لابتداء ان ولاحتمال لام التعليل او فاء التعقيب للتسبيب الوهاب ه فيه ط الميعاد ه شيئا ج النار لا للتعلق كاف التشبيه فرعون لا للعطف من قبلهم ط باياتنا ج للعدول مع فاء التعقيب بذنوبهم ط العقاب ه

التفسير القراءة عاصم فلها وجهان الاول نية الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء والثاني ان يكون ذلك على لغة من يقطع الف الوصل واما من فتح الميم ففيه قولان احدهما قول الفراء واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف ان اسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدأنا به ثبتت الهمزة متحركة الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفيف والقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على انها في حكم المبقات بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها فكان الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه وهو انه لما وصل الله بالميم التقى ساكنان ضرورة سقوط الهمزة في الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست هي المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها في الوصل اصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدي نقل المفسرون انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلثة منهم كانوا اكابر القوم احدهم اميرهم واسمه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رأيهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له ابو حارثة بن علقمة احد بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان الى جنبه اخوه كرز بن علقمة فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز اخوه تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال ولم يا اخي فقال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له اخوه كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا بمحمد لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب اخيه كرز وكان يضمره الى ان اسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم اولئك الثلثة الامير والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من اديانهم فتارة يقول عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلثة ويحتجون لقولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون لقولهم انه ولد الله بانه لم يكن له اب يعلم ويحتجون على ثالث ثلثة بقول الله فعلنا وجعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقد حانت وقت صلوتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلعم دعوهم فصلوا الى المشرق فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتم كيف يصح اسلامكم وانتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتاكلون الخنزير قالوا فمن ابوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في ذلك اول سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها اية المباهلة ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يناظرهم فقال الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة وغذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هو كما زعمتم فسكتوا ثم ابوا الا جحودا ثم قالوا يا محمد الست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فنزل فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية وتمام القصة يجيء في اية المباهلة ان شاء الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة له نظم عجيب ونسق انيق وذلك ان اولئك النصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوا في الالهية او في امر النبوة اما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى حي قيوم كما مر في تفسير آية الكرسي وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان ياكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه فهذه الكلمة اعني قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث واما الثاني فقوله نزل عليك الكتاب بالحق كالدعوى وقوله وانزل التورية والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتموا على ان التورية والانجيل كتابان الهيان لانه تعالى قرن بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين اقوال الكاذبين ثم ان المعجز قائم في كون القرآن نازلا من عند الله كما قام في الكتابين واذا كان الطريق مشتركا فالواجب تصديق الكل كالمسلمين اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد واذا لم يبق بعد ذلك عذر لمن ينازعه في دينه فلا جرم ختم بالتهديد والوعيد فقال ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد انما خص القرآن بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا فيه وانهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فالمراد هناك نزوله مطلقا من غير اعتبار التنجيم قال ابو مسلم معنى قوله بالحق انه صدق بما تضمنه من الاخبار عن الامم وما فيه من الوعد والوعيد ويحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل وانه قول فصل وليس بالهزل وقال الاصم اي بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف في المعاملات وقيل مصونا عن المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا قيما لوجدوا فيه اختلافا كثيرا الى قوله مصدقا لما بين يديه انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا استحال ان يسلم من التحريف والخلاف وفيه انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق به والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمي ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مطلقا في معنى التقدم او الغاية ظهوره تلك الاخبار جعلها كالحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكامها اكثرا قلت اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ودالة على ان احكامها ثبتت الى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة في ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا تختلف والتورية والانجيل اسمان اعجميان احدهما بالعبرية والآخر بالسريانية فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا التعب ولكن قد تكلف ذلك فقال الفراء التورية معناها الضياء والنور من ورى الزند اذا قدح وظهرت النار قال اصلها تورية الياء والراء ولهذا قلبت الياء الفا وتورية بكسر الراء تفعلة مثل توصية الا ان الراء فتحت على لغة طيء فانهم يقولون في بادية بادات وزعم

الطعام م

برى م

الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث وأما الانجيل فالزجاج افعيل من النجل الاصل اى هو
الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وقيل من نجلت الشئ استخرجته اى انه تعالى اظهر الحق بسببه ابو عمرو والشيبانى التناجل التنازع سمى به
لان القوم تنازعوا فيه ومعنى قوله من قبل اى من قبل ان ينزل القرآن وهدى للناس اما ان يكون عائدا الى الكتابين فقط فيكون قد وصف
القرآن بانه حق ووصف التورية والانجيل بانه هدى وانما لم يوصف القرآن بانه هدى مع انه قال فى اول البقرة هدى للمتقين لان المناظرة
ههنا مع النصارى وهم لايهتدون بالقرآن فذكر انه حق فى نفسه سواء قبلوه او لم يقبلوه وأما الكتابان فهم قائلون بصحتهما فخصهما بالهداية لذلك
وأما ان يكون راجعا الى الكتب الثلاثة وهو قول الاكثرين وانزل الفرقان فان قيل اى جنس الكتب السماوية لانها كلها يفرق بين الحق والباطل
وقيل اى الكتب التى ذكرها كانه وصفها بوصف آخر فيكون كما قال الى الملك القرم الهمام وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم وقيل
اى الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شئ من الشرائع والاحكام وانما هو مواعظ ويحتمل ان يجاب بان غاية المواعظ
هى التزام الاحكام المعلومة فيؤول الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشأنه واظهارا لفضله
وفى التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلاثة بين انه انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذى يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها
وبين كلام المحرفين ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلائل وهم اولئك النصارى او كل من اعرض عنها
فان خصوص السبب لايمنع عموم اللفظ فقال ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد والله عزيز
لايغالب اذ لاحد لقدرته ذو انتقام عقاب شديد لايقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم والنقمة اذا كافاه عقوبة بما صنع فالعزيز اشارة
الى القدرة التامة على العقاب وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثانى صفة الفعل
ان الله لايخفى عليه شئ لما ذكر انه حى قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما بحاجاتهم
حاجاتهم وكيفياتها وكمياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لايتم الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات واشار اليه بقوله
هو الذى يصوركم ثم فيه لطيفة اخرى وهى انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله لايخفى والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لايجوز ان يكون هو السمع
لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلى فلاجرم قال هو الذى يصوركم
فى ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من اعضاء مختلفة فى الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها اوردة وبعضها
شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى البعض على التركيب الاحسن والتأليف الاكمل وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لايصدر
الا عن العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية واشرفها تعديل المزاج واشار اليها بقوله هو الذى يصوركم
وروحانية واشرفها العلم فلاجرم اشار الى ذلك بقوله هو الذى انزل عليك الكتاب ويحتمل ان ينزل هذه الآيات على سبب نزولها وذلك
ان النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا فى ذلك على نوعين من الشبه احدهما يتعلق بالعلم وهو ان عيسى عليه السلام كان يخبر عن الغيوب وذلك
قوله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم والثانية يتعلق بالقدرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غيرهما
فازال شبهتهم الاولى بقوله ان الله لايخفى عليه شئ لان من العلوم الضرورية من احوال عيسى انه ما كان عالما بجميع المعلومات واحاطته بجميع الاشياء
فيه دلالة قاطعة على انه ليس باله ولكن احاطته ببعض لاتدل على كونه الها لاحتمال انه علم ذلك بالوحى او الالهام وازال شبهتهم الثانية بقوله هو
الذى يصوركم فى الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتأليف الغريب ومعلوم ان عيسى وهو لم يكن قادرا على الاحياء
والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لامات اولئك الذين اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتة بعض الاشخاص واحياؤه لايدل
على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجز على يده والعجز عن اماتة البعض واحيائه يدل على عدم الالهية قطعا واما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات
فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات الباهرة الى مقدمات الزائغة وهو انكم ايها المسلمون توافقونا على انه ما كان له اب من البشر
فيكون ابنا لله والجواب عنه بقوله ايضا هو الذى يصوركم لان هذا التصوير لما كان منه فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء
من تراب وايضا قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم الست تقول ان عيسى كلمة الله وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام
لفظى واللفظ محتمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل العقلى كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التأويل وتفويضه الى الله
وذلك قوله هو الذى انزل عليك الكتاب الآية فظهر انه لم يبق للمسئلة حجة ولاشبهة الا وقد اشتملت هذه الآيات على دفعها والجواب عنها فان
قيل ما الفائدة فى قوله فى الارض ولا فى السماء مع انه لو اطلق كان ابلغ قلت الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى
لعظمتها فى الحس والحس متى اعان العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك اكمل ولهذه فائدة ضرب الامثلة فى العلوم قال الواحدى التصوير
جعل الشئ على صورة والصورة هيئة حاصلة للشئ عند ايقاع التأليف بين اجزائه واصله من صاره اذا امالة وذلك ان الصورة مائلة الى شكل
ابويه والارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كالسلف وقيل سمى رحما لاشتراكها ترحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقوله كيف يشاء
اى يصوركم لنفسه ولتعبده وكيف فى موضع الحال اى على اى حال اراد طويلا او قصيرا اسود او ابيض حسنا او قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة
ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهتهم اعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى
القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى لان العلم ببعض الغيوب واحياء بعض الاشخاص لايكفى فى كونه الها
ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب احكمت آياته الر تلك آيات الكتاب الحكيم والمراد كون كله
كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعانى وانه بحيث لايمكن احد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه ودل على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها
مثانى والمراد انه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والاعجاز والبراءة عن التناقض والتنافى ثم ان هذه الآية هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فينبغى ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر
والمتشابه القدر المشترك بين المجمل والمأول كما تقرر فى المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام فى اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم
يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام يمنع الفرس من الاضطراب وفى حديث النخعى احكم اليتيم كما تحكم ولدك اى امنعه من الفساد وسميت الحكمة حكمة
لانها تمنع عما لاينبغى وأما المتشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لايهتدى الانسان اليه متشابها اطلاقا لاسم
السبب على المسبب ونظيره المشكل لانه اشكل اى دخل فى شكل غيره ثم ان كل احد من اصحاب المذاهب يدعى ان الآيات الموافقة لمذهبه محكمة

ويقول خصمه متشابهة فالمعتزلى يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا ان يشاء الله متشابه والسنى يقلب الامر وكذا
المعتزلى يقول لاتدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسنى بالعكس فلابد من قانون يرجع اليه فنقول صرف
اللفظ عن الراجح الى المرجوح لابد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظى او عقلى والدليل اللفظى لايكون قاطعا البتة لتوقفه على نقل اللغات وعلى وجوه
التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلى والعقلى وكل ذلك مظنون
والموقوف على المظنون اولى ان يكون مظنونا فلايجوز التعويل عليه فى المسائل الاصولية فاذن لاسبيل الى صرف اللفظ عن معناه الراجح الى معناه
المرجوح الا بالدلائل القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى
من هذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند هذا لايحتاج الى ان عرف ان ذلك المرجوح الذى هو المراد ماذا لان السبيل الى ذلك انما يكون بترجيح
مجاز على مجاز وترجيح تأويل على تأويل وذلك الترجيح لايمكن الا بالدلائل اللفظية وهى ظنية كما بينا ولاسيما المستعملة فى ترجيح مرجوح على مرجوح
آخر فاذن الخوض فى تعيين التأويل غير جائز والله اعلم المسئلة الثانية فى حكاية اقوال الناس فى المحكم والمتشابه عن ابن عباس رضى الله عنه ان
المحكمات هى الآيات الثلث فى سورة الانعام قل تعالوا الى آخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لايتغير باختلاف الشرايع لان هذه الآى كذلك
والمتشابهات هى التى اشتبهت على اليهود كاوايل السور اولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه وعنه
ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو الذى يكون دلائلها واضحة لائحة كانشاء الخلق فى قوله خلقنا النطفة علقة و
المتشابه ما يحتاج فى معرفته الى التدبر والتأمل كآيات البعث فان التأمل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى الاصم
بوضوح الدلائل رجحانها وبالخفاء خلاف ذلك فهذا هو الذى ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والمأول وان عنى بالوضوح
ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفى ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن متشابه فان انشاء الخلق ايضا يفتقر الى دليل عقلى فان الدهرى
ينسب ذلك الى الطبيعة والمنجم الى تأثير الكواكب ولعل الاصم يسمى ما هو ابعد عن الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكما والذى هو غير ذلك متشابها وقيل
كل ما امكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلى او بدليل خفى فهو المحكم وكل ما لاسبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيامة ومقادير الثواب
والعقاب فى حق كل مكلف فذاك متشابه المسئلة الثالثة فى انه لم جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها من الملاحدة من طعن فيه وقال كيف يليق
بالحكيم ان يجعل كتابه المرجوع اليه فى دينه الموضوع الى يوم القيامة بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة ونافيها يتشبث بقوله لاتدركه الابصار ومثبت الجهة بيخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافى ليس كمثله
شئ فكل منهم يسمى الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر فى ترجيح بعضها على البعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية
وهذا لايليق بالحكمة مع انه لو جعل كله ظاهرا جليا خاليا عن المتشابه نقيا كان اقرب الى حصول الغرض والجواب انه متى كانت المتشابهات
موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وايضا لو كان كله محكما كان مطابقا لمذهب واحد فقط
فكان ينفر ارباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به واذا كان مشتملا على القسمين فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب ان يجد
فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد فى فهم معانيه وبعد الفحص والاستكشاف صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات ويتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق و
وايضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال والطمأنينة
وافتقر ايضا الى تحصيل علوم اخر كالصرف والنحو والمعانى والبيان واصول الفقه واصول الكلام الى غير ذلك ولما فى المتشابه من الابتلاء والتمييز
بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب اقوى وهو ان القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو فى الاغلب
عن ادراك الحقايق فمن سمع منهم فى اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولامتحيز ولامشار اليه ظن ان هذا عدم ونفى فوقع فى التعطيل فكان الاصلح ان
يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالاول وهو الذى يخاطب فى اول الامر من باب المتشابهات والثانى
هو الذى يكشف لهم آخر الحال من قبيل المحكمات قوله هن ام الكتاب الام فى اللغة الاصل الذى يكون منه الشئ فلما كانت المحكمات مفهومة بذاتها
والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات فلاجرم صارت المحكمات اصولا للمتشابهات وانما لم يقل امهات فيطابق المبتدأ لان مجموع المحكمات
فى تقدير شئ واحد هو اصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله وجعلنا ابن مريم وامه آية على معنى ان مجموعهما آية واحدة واخر اى ومنه آيات اخر
متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ اى ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه لايتمسكون الا بالمتشابه وقال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروح منه قال بلى فقالوا حسبنا وقال الكلبى هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة فى اوايل
السور وقال قتادة والزجاج هم منكروا البعث لانه قال فى آخره وما يعلم تأويله الا الله وما ذاك الا وقت القيمة فانه تعالى اخفاها عن الخلايق
حتى الملائكة والانبياء عليهم السلام والتحقيق انه عام لكل مبطل متشبث باهداب المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لايمنع عن عموم اللفظ
ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ايتنا بعذاب الله ومتى الساعة
ولو ما تأتينا بالملائكة فموهوا الامر على الضعفة قال اهل السنة ويدخل فى هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت
بصريح العقل امتناع كون الاله فى مكان والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة
ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلى ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعى وانه
من الله تعالى والا تسلسل فيكون حصول الفعل مع تلك الداعية وعدمه عند عدمها واجبا فيبطل التفويض ووجب ان الكل بقضاء الله وقدره واذا
لاحت الدلائل العقلية فكيف يجوز للعاقل ان يسمى الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من ان كل آية توافق مذهبهم
فهى المحكمة وكل آية تخالفها فهى المتشابهة والانصاف ان الآيات ثلثة اقسام احدها ما يتأكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذاك هو المحكم حقا وثانيها
التى قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذاك هو الذى يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وثالثها الذى لايوجد مثل هذه الدلائل على طرفى
ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز احد الجانبين عن الآخر لكن ههنا عقدة اخرى وهى ان الدليل العقلى مختلف فيه ايضا
بحسب ما رتبه كل فريق وتخيله صادقا فى ظنه مادة وصورة فكل فرقة تدعى بمقتضى فكره ان الدليل العقلى قد قام على ما يوافق مذهبه ويؤكد به الظاهر
الذى يتعلق به فلا خلاص من البين الا بتأييد سماوى ونور الهى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم انه تعالى بين للزائغين غرضين احدها
ابتغاء الفتنة وهى فى اللغة الاستهتار بالشئ والغلو فيه فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بابنه وبشعره فكان التمسك بذلك المتشابه

البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا به عاشقا لا ينقطع عنه بحيلة البتة وقيل الفتنة في الدين وهو الضلال عنه اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم
ويضلوهم وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج
فذاك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تأويله اي طلب المعنى الذي يرجع اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير ان يكون قد وجد له في كتاب الله
بيانا قال القاضي ابو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين احدهما ان يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة والثاني
ان يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه وهو قوله ابتغاء تأويله ثم قال عز من قائل وما يعلم تأويله الا الله والعلماء اختلفوا في هذا الموضع منهم
من يقف ههنا يعني هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن انس والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول ابي علي
الجبائي ومنهم من لم يجعل الواو في والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه حاصلا عند الله وعند الراسخين لانه
وصفهم بالرسوخ في العلم وهو الثبوت والتحقق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن انس واكثر المتكلمين وقد روي
عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان اما فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قدر واما الراسخون
في العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد الله علم ان مراد الله بعض مجازات
تلك الحقيقة وفي المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالترجيح اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح للاستدلال به في المسائل
القطعية مثاله الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الآية ما اشعر به ظاهرها
الا ان في مجازات هذا اللفظ كثرة ولا يتعين احدها الا بدليل لغوي ظني والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال
مالك بن انس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها ان ما قبل هذه الآية ذم لمن طلب تأويل المتشابه
حيث قال واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم
يتوجه على الكل وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون آمنا به وقال في اول البقرة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق
من ربهم فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم كل من عند ربنا لان كل من عرف
شيئا على التفصيل فانه لابد ان يؤمن به انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها
وعلموا ان القرآن كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز ان يكون ظاهرها مراد الله
عرفوا ان مراد الله تعالى منه غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى اي شيء كان فهو الحق والصواب
فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله حيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن ولم يصيرون ظاهره
مردود اشتبهاتهم في الطعن في كلام الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحال
الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند مزيد توضيح وتأكيد وتعظيم لشأن
القرآن ويحتمل ان يعود الضمائر في آمنا به الى الكتاب اي يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا تتناقض
كلامه ولا يختلف كتابه ويحتمل ان يكون قوله يقولون حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر
الراسخين والحال لا يكون الا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا اولوا الالباب ما يتعظ الا ذو العقول الكاملة الذين يستعملون اذهانهم في
القرآن فيعلمون ما الذي يطابق ظاهره دلائل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس فيكون متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه
التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه لابد ان يكون له معنى صحيح عند الله وان دق عن فهومنا وقيل هو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن
التأمل حتى علموا من التأويل ما علموا ثم انه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اي بعد وقت
هدايتنا والثاني قولهم وهب لنا من لدنك رحمة سألوا ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم
بانوار المعرفة ويزين جوارحهم واعضاءهم بزينة الطاعة ونكر رحمة ليشمل جميع انواعها فاولها ان يحصل في القلب نور الايمان والتوحيد
والمعرفة وثانيها ان يحصل في الجوارح والاعضاء نور الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل في الدنيا سهولة اسباب المعيشة من الامن
والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال والظلمة والوحشة في القبر وسادسها
في العقبة سهولة العتاب والخطاب وغفران السيئات وتبديلها بالحسنات وسابعها في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وثامنها
في الحضرة رفع الستار ورؤية الملك الجبار وفي قولهم من لدنك تنبيه على ان هذا المقصود لا يحصل الا من عنده [illegible] وقوله انك انت الوهاب
فالمطالب وان كانت عظيمة فانها حقيرة بالنسبة الى غاية كرمك ونهاية جودك وموهبتك [illegible] بالدعاء الاول قال
اهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر [illegible]
[illegible] فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين والقسوة [illegible] في القرآن وان كانت
داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن [illegible] ان الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابه بل يؤمنون بها
على سبيل الاجمال ويتركون الخوض فيها [illegible] فيكون هذه الآية من قوى المحكمات ونص ظاهر في ان
الازاغة والهداية كلتاهما من الله تعالى اما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلائل على ان الازاغة لا تجوز ان [illegible] من الله تعالى لان ذلك
ظلم وقبيح وجب صرف الآية الى التأويل فقال الجبائي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

على الكفر طول عمره يوجب ان لا يخلفه وعن الاصم ايضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته
لقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن الزيغ وان يخصهم
بالهداية والرحمة فكأنهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض فيما يتعلق بالآخرة فانا نعلم انك
جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت او جامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد
قيل هو كلام الله تعالى كانه لما تم فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا ان يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية
تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد وعد الحشر والجزاء لينتصف للمظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت
والموضع قاله في الصحاح واعلم انه لا يلزم من انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة ان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو
عندنا مشروط بشرط عدم العفو كما انه بالاتفاق مشروط بعدم التوبة بدليل منفصل قال الواحدي ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون
وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب وقال بعضهم اذا وعد السراء انجز وعده وان وعد الضراء فالعفو مالكه وناظر ابو عمرو بن العلاء
عمرو بن العبيد فقال ما تقول في اصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال ابو عمرو انك اعجم
لا اقول اعجم اللسان ولكن اعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد كرما وانشد شعر واني وان اوعدته
او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم
ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو
مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى ثم سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين
وشدة عقابهم فقال ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وقيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا في قصتهم ان
ابا حارثة بن علقمة قال لاخيه اني لاعلم انه رسول الله حقا ولكنني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم مني ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان
اموالهم واولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والآخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه
كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب المؤلمة اما الاول فاليه الاشارة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانهما اقرب الامور التي يفزع
اليها المرء عند الخطوب واذا لم يفد اقرب الطرق الى دفع المضار في ذلك اليوم فما عداه بالتعذر اولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير واما الثاني فاشار اليه بقوله واولئك هم وقود النار فانه
لا عذاب ازيد من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها في الحطب اليابس ومن في قوله من الله للبدل مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي
بدله او المضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل رحمة الله او طاعته شيئا وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه في الدنيا
بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وانشد ابو علي شعر فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على طهيان وطهيان من بلاد الازد قلت
يجوز ان يقال من للابتداء تقديره من عذاب الله والجار والمجرور مقدم حالا من شيئا او من زائدة لتأكيد النفي التقدير لن تغني عنهم عذاب الله شيئا
من الغناء اي لن تدفع وقال ابو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغني عند الله شيئا قوله تعالى كدأب آل فرعون يقال دأب فلان في عمله اي جد وتعب
دأبا ودؤوبا فهو دائب والدائبة ابدا والدائبان الليل والنهار والدأب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنيع وحالة وقد يحرك واصله
من دأبت اطلاق الاسم الخاص على العام اي جد هؤلاء الكفار واجتهادهم او شانهم او صنيعهم في تكذيب محمد وكفرهم بدينه كدأب آل فرعون مع
موسى عليه السلام ثم انا اهلكنا اولئك بذنوبهم فكذلك نهلك هؤلاء فقوله كذبوا باياتنا تفسير لدأبهم على انه جواب سؤال مقدر كانه قيل ما فعلوا
وما فعل بهم فقيل كذبوا باياتنا بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا فاخذهم الله بذنوبهم اي صاروا عند نزول العذاب كالماخوذ المأسور الذي لا يقدر
على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى كدأب الله في آل فرعون اي كعادته وتوذنا كعادته وصنيعته في آل فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل
وتارة الى المفعول وقال القفال يحتمل ان يكون الآية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة الى الكفار كانه قيل ان عادة هؤلاء
الكفار ومذهبهم في ايذاء محمد كعادة من قبلهم في ايذاء الرسل وعادتنا ايضا في اهلاك هؤلاء كعادتنا في اهلاك اولئك الكفرة وقيل الدؤوب
والداوب اللبث والدوام والتقدير دؤوبهم في النار كدؤوب آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم في النار كمشقة آل فرعون بالعذاب النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقيل التشبيه هو ان اموالهم واولادهم لا تنفعهم في ازالة العذاب
والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين بالرسل من العذاب المعجل الذي عنده لم ينفعهم مال ولا ولد فكذلك حالكم ايها الكفار
المكذبون بمحمد ينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا تغني عنكم الاموال والاولاد ويحتمل ان يكون وجه التشبيه انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستيصال
وهو قوله والله شديد العقاب فينزل بالذين كذبوا محمدا امران احدهما المحن المعجلة من القتل والسبي والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة بقوله فيما بعد
قل للذين كفروا ستغلبون والثاني المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد التاويل الم الالف
اظهار الوحدة مطلقا ذاتا وصفة فان الالف واحد في ذاته وصفاته في وضع الحساب ومنفرد بالاولية والانقطاع عن غيره في وضع الحروف
ويشير باستقامته وعدم تغيره في جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحداني ازلا وابدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامته
يخرج كل حرف معوج ثم في اللام والميم المتصل كل حرف منهما بالآخر اثبات ان كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان
قسم لم يكن فكان ثم يزول وقسم ما كان فكان ولا يزول وهذان القسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذي ما زال كان ولا يزال يكون
واليه الاشارة بالالف واما اللام فاشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك والاجساد فوقوعه
في المرتبة الثانية من الالف اشارة الى انه مسبوق بالوجود والالف سابق عليه والانكسارية يشير الى تغيره وزواله والميم اشارة الى القسم
الذي لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح وذلك ان الميم اول حرف من اسمه المبدئ وآخر حرف من اسمه القيوم
فيشير الى انه كما ابداه المبدئ حين لم يكن يبقيه القيوم حين كان لا يزال ووجه آخر الالف اشارة الى وجود حقيقي قائم بذاته واللام يشير
الى اثبات ونفي فالاثبات في لام التمليك له ما في السموات والارض والنفي في لا النافية اي لا وجود لشيء بالحقيقة سواه والميم يشير ايضا
الى اثبات ونفي فالاثبات ميم اسمه القيوم والنفي ما النافية اي ما الوجود حقيقة الا هو ودليل الوجهين في الم قوله الله لا اله الا هو الحي
القيوم فالله اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفي الشرك عن وجوده واثبات وحدته في وجوده والحي القيوم اثبات جميع صفات كماله ونفي جميع

سمات النفس عن ذاته وقد اودع مجموع معاني هذه الاية في قوله الم فمعنى قوله الله اودع في اول حرف من حروفه وهو الالف ومعنى
قوله لا اله الا هو اودع في اول حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحي القيوم اودع في اخر حرف من حروفه وهو الميم وانما اودع
في اخر حرف فههنا ليكون السر مودعا في الاية من اول حرفها الى اخر حرفها مكتوما فيما بينهما والحروف الثلثة من قوله الم يكون الالف من اولها
دالا على المعنى الذي هو في الكلمة الاولى وهي الله واللام من اوسطها دالا على المعنى الذي في الكلمة الثانية وهي لا اله الا هو والميم من آخرها
دالا على المعنى الذي مودع في الثالثة وهو الحي القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا في الم كما روي عن سعيد بن جبير وغيره وهو سر القرآن
وصفوته كما روي عن ابي بكر الصديق وعلي رضي الله عنهما ثم انه تعالى بعد ان اظهر اسرار الوهيته المودعة في الم بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم
اظهر لطائف ربوبيته المكنونة في استار العزة مع حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فقال نزل عليك الكتاب بالحق اي نزل حقايق
القرآن وانواره على قلبك بالحقيقة متجلية لسرك محققة عن ذوقك فصرت شاهدا لسر الله المودع في الم وهو الذي بين يدي الله لا اله الا
الحي القيوم فصرت منه قايله التصديق تحقيق لا التصديق تقليد فانهم اذ لم تتعلم ولا تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وانت لعد بيضة
لامن الطيارين ولامن السيارين وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظن يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن
بالحقيقة على قلبك كما قال ولكن جعلناه نورا حتى صرت مكاشفا عند تجلي انواره باسرار وحقايق بيني وبينك لا يطلع عليه ملك مقرب
ولا نبي مرسل فانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة في صحايف والواح يقرأها كل قارئ ويستوي في هداها الانبياء والامم
فانه هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلي انوار القرآن بالتنزيل على قلبك كما قال ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
وانزل الفرقان الذي يفرق بين تنزيله على قلبك وبين انزال الكتب على صورة الانبياء ويفرق بين تعلمك القرآن وبين تعلمهم الكتب
فانك كنت نورا بذا رسول الكتب فانت تحقق بالقرآن وشتان بين نبي يحيى وهو بذاته نور ومعه كتاب قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وبين نبي
يجيء ومعه نور من الكتاب قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان بين نبي تشرف بكتابه الموعظة لقوله الالواح
وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وبين نبي تشرف امته بكتابه الايمان لهم في قلوبهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان ان الذين
كفروا بايات الله يسترون بحجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فتعمى عن مشاهدة هذه الايات البينات لهم عذاب شديد من هذا
العمى والحرمان وهم في الخسران من الركون الى هذا النقصان والله عزيز ذو انتقام تعزز اهل الغرام جليل المرام وينتقم من اهل السلوة بحجاب العزة
ثم اخبر عن كمال علمه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وكيف يخفى وانه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز
عن نقص الاحكام الحكيم فيما يجري من الازل الى الابد وجفت به الاقلام وفي الاية اشارة الى انه اذا استغلت من صلب ولاية رجل من رجال
الحق من نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة تلك الارحام وينضبط المريد احواله الظاهرة والباطنة
على وفق امر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصدر منه حركة عنيفة او يجد رائحة غريبة يلزم منه سقوط النطفة وفسادها او يقعد بامر الشيخ وتدبيره
فالله تعالى يتصرف ولاية الشيخ المؤيدة بتاييد الحق بمرور كل اربعين عليه بتربيتها حولها من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى ان يرجع
الى حظاير القدس ورياض الانس التي منها صدر الى عالم الانس فيكون التعين في رحم القلب وهو طفل خليفة الله في ارضه فيستحق الان ان ينفخ
فيه الروح المخصوص باجبائه واوليائه يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وكتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح
يكون ادم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم اجمعون الايات المحكمات يتنزلها شرب الخواص والعوام لبسط الشرع والاهتداء والمتشابهات
تأويلها شرب الخواص وخواص الخواص لاختصار الاسرار عن الاغيار والابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ التبست قلوبهم غطاء الريب وحرموا انوار
الغيب وهم اهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا باهوائهم وابتغاء تاويله ليضلوا الناس باهوائهم والراسخون
في العلم يقولون امنا به بما شاهدوا من انوار الحق في تحقيق التاويل كل من عند ربنا بتوفيقه واعلامه وتعريفه وما يذكر الا اولوا الالباب
الذين خرجوا في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم من ظلمات قشور وجودهم الفاني الى نور الباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون
في قشور العلوم الكسبية الواصلون الى حقايق البناب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفي الاية اشارة الى ان علوم الراسخين كلها
بتعليم الله تعالى اياهم في الميثاق اذا تجلى بصفة الربوبية للذرات واشهدهم على انفسهم بشواهد الربوبية الست بربكم فيشهود ذلك الشواهد
ركز في جبلة الذرات علم التوحيد فقالوا بلى ويندرج في علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم ادم الاسماء كلها فلما ردت الذرات الى الاصلاب
واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتتقلب بقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام الى مقام من مقامات
البعد عن الحضرة الى ان وضع الحمل وردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة به الى اسفل السافلين القالب محجبة بحجب البشرية ناسية
تلك العلوم والنطق بها ثم ابواه يذكرانه تلك العلوم بالرموز والقرآن حتى يتذكر لبعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية واستار
الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذي اجاب به الرب وقال بلى فان ذلك اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك
وكذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور لباب ذلك الوجود لسمع المجيب في الميثاق فسمعه قشر ذلك السمع الذي استمع خطاب
الحق وبصره قشر ذلك البصر الذي ابصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذي فقه خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التي تعلمت الحق
فالنبي صلى الله عليه وسلم انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التي كان ابواه يذكرانه قشرها كما قال فذكر انما انت مذكر فالتذكير عام
ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا اولوا الالباب انما يتذكر اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراطك بغلبات ظلمات طبايعنا
بعد اذ هديتنا الى حضرت جلالك ونور جمالك حتى سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا بلب ابصارنا لب التاويل وتذكرنا بلب
عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك وتغيبنا عنا بك انك انت الوهاب وفيه اشارة الى ان وظيفة
الطالب ان لا يسكن في مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طالبا كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكما انه لا نهاية لمواهبه
فلا غاية لمطالب طالبه وان بعد هذه الدار دارا هي دار القرار يوفى فيها جزاء الابرار والفجار لحصول الارب بقدر رعاية الادب في الطلب
ومقاساة التعب والنصب وان التقوى خير زاد للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا استروا انوار روحانيتهم بظلمات
صفات نفسانيتهم لن تغني عنهم طاغوت اموالهم واولادهم من انوار الله التي حجبوا عنها واولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة
نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التي لا تحرق الا قشور الجلود ولا تخلص الى لب القلوب وان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب

الشاكرين

زقة

زرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحيوة الى سموم الممات بيت فثني فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها وكذلك دأب جميع
الكفار الذين ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة انوارنا ومحافظة اسرارنا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب
ذنوبهم وحرقة قلوبهم والله شديد العقاب اليم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشواقه بيت بالنار خوفني قومي فقلت لهم النار ترحم من في قلبه نار

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ۞ قد كان لكم اية في فئتين
التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله
يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ۞ زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب ۞ قل اؤنبئكم
بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج
مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ۞ الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار ۞ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين
والمستغفرين بالاسحار ۞ شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط
لا اله الا هو العزيز الحكيم ۞ ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع
الحساب ۞ فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله
بصير بالعباد ۞ ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون
الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم ۞ اولئك الذين
حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين ۞ الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون
۞ ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
۞ فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

القراءة سيغلبون ويحشرون بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وعباس مخير الباقون بتاء الخطاب ترونهم بتاء الخطاب ابو جعفر
ونافع وسهل ويعقوب الباقون بالياء مثليهم بفتح الهاء سهل ويعقوب وكذلك بالفتح قبل الياء مثل عليهم رأي العين بغير همزة ابو عمرو
غير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بهمزة ساكنة اؤنبئكم بهمزة غير ممدود وبعدها واو مضمومة ابن كثير
وابو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس واوقية وابي شعيب ونافع غير قالون آؤنبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد وقالون وعباس واوقية وابي شعيب
الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشى والبرجمي وابن يحيى وحماد الا الثاني من اتبع رضوانه في المائدة ان الدين
بفتح ان علي الباقون بالكسر وجهي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر غير البخاري عن هشام وحفص والمفضل والاعشى والبرجمي ومن اتبعني
باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو وابو جعفر ونافع غير قالون في الوصل ويقاتلون الذين حمزة ونصير الآخر

علي بن ابي نصير الباقون وليقتلون ليحكم بضم اليا وفتح الكاف ابو جعفر الباقون بالعكس **الوقوف** جهنم ط المهاد ه التقتا ط لان التقدير منهما فئة او احديهما العين ط من يشاء ط الابصار ط والحرث ط الدنيا ج للفصل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين للتأكيد ه من ذلكم ط لتناهي الاستفهام من الله ط بالعباد ج لكون الآية على جعل الذين خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين او مدحا على اعني الذين وبجواز انه نعت للعباد والمستغفرين بالاسحار ج لان الصابرين يصلح بدلا للذين والوقف اجوز نصبا على المدح بالاسحار ط الا هو للعطف ولو وقف احترازا عن وهم دخول الملائكة واولي العلم في الاستثناء والمشاركة في الالوهية كان جيدا بالقسط ط الحكيم ط الا لمن قرأ ان بالفتح على البدل من انه الاسلام بينهم ط لاطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ه ومن اتبعن ط لابتداء امر لقبيل اهل الكتاب والعرب والاول مختص باهل الكتاب فلم يكن الثاني من جملة جزاء الشرط واسلمتم ط لتناهي الاستفهام الى الشرط اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف البلاغ ط بالعباد ه بغير حق ز لمن قرأ ويقاتلون لعدول المعنى من قوله يقتلون اليم ه والآخرة ز للابتداء بالنفي مع اتحاد المقصود من ناصرين ه معرضون ه معدودات ص لان الواو للعطف او الحال يفترون ه لا يظلمون ه **التفسير** عن ابن عباس في رواية ابي صالح عنه في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس [illegible] لما هزم الله المشركين يوم بدر قالت يهود المدينة هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية واراد تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا فقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة ابي سفيان واصحابه فوافقوهم واجمعوا امرهم وقالوا لنكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلكم في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة اما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون تهزمون وتحشرون الى جهنم في الآخرة ومعنى جهنم قد مر في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر من قرأ بتاء الخطاب [illegible]

[illegible]

دارعون وكان معهم درع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحروب والغارات واذا كان كذلك كان غلبة المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة **وثانيها** انه صلى الله عليه وسلم كان قد اخبر عن ذلك باخبار الله تعالى في قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني جمع قريش او عير ابي سفيان وكان اخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجز **وثالثها** امداد الملائكة كما يجيء في هذه السورة **ورابعها** قوله يرونهم مثليهم وفيه اربعة احتمالات لان الضمير في يرون اما ان يعود الى الفئة الكافرة او الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير في مثليهم الى كل منهما فهذه اربعة **الاول** ان الفئة الكافرة رأت المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين **الثاني** انها رأت المسلمين مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بتاء الخطاب اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي انفسهم ودليل الاحتمالين جميعا ان عود الضمير في يرون الى الاقرب وهي الفئة الكافرة اولى والآية سيقت لجعل هذه الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فوجب ان يكون الراؤن هم الكفار حتى يكون حجة عليهم ولو كانت الآية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها حجة على الكفرة فالحكمة في ذلك ان يهابهم المشركون ويجبنوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لاختلاف الوقتين فكأنهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا على ان تقليلهم تارة في اعينهم وتكثيرهم اخرى ابلغ في القدرة واظهار الآية الاحتمال **الثالث** ان الراءين هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين وسبب فيه ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا ثلاثة امثالهم فلو رأوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال **الرابع** ان يكون ٧ هم المسلمون ثم انهم رأوا المشركين على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن ان يقول به احد لان هذا يوجب تقوية الكفار والقاء الخوف في قلوب المؤمنين والآية تنافي ذلك وفي الآية احتمال خامس وهو ان اول الآية قد بينا انه خطاب مع اليهود فيكون المراد ترون ايها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو ان الاحتمالين الاول والثاني يقتضي ان المعدوم صار مرئيا والاحتمال الثالث يوجب ان يكون الموجود والحاضر غير مرئي اما الاول فهو محال عقلا والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وعلى هذا تكون الرؤية رؤية البصر وكونه مثليهم نصبا على الحال او يحمل الرؤية على الظن والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل انه في غاية الكثرة لكن قوله رأي العين لا يجاوز ذلك او معناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات واما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ عند حصول الشرائط وصحة الحاسة يكون الادراك عندهم جائزا لا واجبا والزمان كان زمان خوارق العادات واما المعتزلة فعندهم الادراك واجب الحصول عند اجتماع الشرائط وسلامة الحس فاعتذروا عن ذلك بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتأمل البالغ فيقدر انه البعض دون البعض او لعل الغبار صار مانعا عن ادراك البعض او خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية ثلث العسكر او يحدث

٧ الراؤن هم

لا يجاوز ه

في عيونهم

في عيونهم ما يستقل به الكثير كما احدث في عيون الحول ما يرون له الواحد اثنين وكل ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما بالحجة والعاقبة كيوم احد ان في ذلك الذي ذكر من الآية لعبرة لنوع عبور وهو المجاوزة من منزل الجهل الى مقام العلم لاولي الابصار وذوي العقول التي تبصر القضايا باسرها كالمشاهد المعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لمعتبر الانسان وهو انه زين للناس اللذات الجسمانية والآخرة وهي عالم الروحانيات خير وابقى وانها معدة لمن واظب على العبودية والتقشف الخصال الحميدة واما يتعلق بالقصة فاما روينا ان ابا حارثة بن علقمة النصراني اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد عم الا انه يمنعه من اتباعه حب المال والجاه وروينا ايضا انه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر اظهروا من انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدة فبين الله تعالى في هذه الآية ان تلك الاشياء متاع الدنيا وزينتها والآخرة خير والمزين هو الله تعالى اما عند الاشاعرة فلانه خالق افعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان واما عند جمهور المعتزلة فلحكمة الابتلاء انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ولانها وسائل الى منافع الآخرة وهو ان يتصدق بها او يتقوى بها على طاعة الله او يشتغل بشكرها كما كان الصاحب بن عباد يقول شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من اقصى القلب ولان القادر على وجوه اللذات اذا تركها واقبل على اداء وظائف الخدمة كان اشق له واكثر ثوابا عن الجبائي واختاره القاضي ان كل ما كان واجبا او مندوبا او مباحا فالمزين فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالمزين فيه من الشيطان وحكي عن الحسن انه قال الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك واحتجاجه في الآية بانه اطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات وان تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير الى هذه الغاية لا يليق الا بمن جعل الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض الذم ذلك متاع الحيوة الدنيا والذم لشيء لا يكون من قبله وقال قل اؤنبئكم بخير من ذلكم والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينها اياهم انه تعالى جعل الاعيان المشتهاة شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للقدرة مقدور وللمرجو رجاء وفيه فائدة اخرى هي ان الشهوة صفة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الآية دليل على ان الحب غير الشهوة لان المضاف يجب ان يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من افعال العباد وهي ان يجعل الانسان كل همته مصروفة الى اللذات والطيبات واعلم ان الانسان قد يحب شيئا ولكنه يحب ان لا يحبه وقد يحبه ويحب ان يحبه وقد يعتقد مع ذلك ان تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام اني احببت حب الخير ومعناه احب الخير واحب ان اكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لان الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضي ان هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك انه موجود في الاغلب وفي اكثر الاوقات فلا يبعد التعميم نظرا الى اعطاء الاغلب حكم الكل على ان من همته نحو امها معقودة على طلب اللذات الروحانية في غاية الندرة وبقاء ذلك النادر في جميع الاحيان على ذلك الخاطر اعز وامنع ثم شرع في بيان تلك الاعيان المشتهيات فذكر منها ما هي الامهات ورتبها على اتم مراتب **الاولى** النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال صلعم ان اخوف ما اخاف على امتي النسوان **الثانية** الاولاد ولا سيما البنين ولهذا اختصوا بالذكر ومحبة النسوان والاولاد كانها حالة غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل للحيوانات **الثالثة والرابعة** القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار مأخوذ من عقد الشيء واحكامه ومنه القنطرة والمال الكثير قنطار لان الانسان يتوثق بها في عقد النوائب ابو عبيدة انه وزن لا يحد ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم القنطار اثنا عشر الف اوقية انس عنه هو الف دينار ابي بن كعب عنه هو الف ومائتا اوقية ابن عباس الف دينار او اثنا عشر الف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن وزعم الكلبي ان القنطار بلسان الروم ملء مسك ثور من ذهب او فضة وعن سعيد بن جبير انه مائة الف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبي القناطير ثلثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة وانما كان الذهب والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فمالكهما كالمالك لجميع الاشياء [illegible] جلت قدرته وصفة المالكية هي القدرة وانها صفة كمال والكمال محبوب لذاته **الخامسة** الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو جولانها في مشيها وسمي الخيال خيالا لجولان هذه القوة في استحضار الصور والمسومة قيل المرعية اسمت الدابة وسومتها اذا ارسلتها في مروجها للرعي ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل هي المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة فعن ابي مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هي البلق وقال قتادة الشية وقيل الكي وعن مجاهد وعكرمة المسومة المطهمة اي الحسان قال الاصمعي رجل مطهم وفرس مطهم اي تام كل شيء منه على حدته فهو بارع الجمال **السادسة** الانعام وهو جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم و بجنس الواحد منها نعم الا الابل خاصة فانها غلب عليها **السابعة** الحرث والزراعة ذلك الذي ذكر متاع الحيوة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما ان تكون من بني نوعه او من غيره والاول اصل وهو المرأة او فرع وهو الولد واخر من الكلام في الذكور لشرفهم والثاني اما ان يكون من المعدنيات واكثرها فائدة واعمها عائدة الجوهران الثمينان فخصا بالذكر واما ان يكون من الحيوانات للركوب والكر والفر وهو الخيل او للحمل واللحم وهو الانعام واما ان يكون من النباتات وهو الحاصل من الزراعة واما لم يتعرض للدور والقصور لانها لم تكن معتادة عند العرب والقرآن يخاطب اولا بهم والله عنده حسن المآب اي المرجع وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعقاب ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي ثم بين ان ذلك المرجع كما انه حسن في نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا المقصود ان يعلم العبد انه كما ان الدنيا اطيب وافسح من بطن الام فكذلك الآخرة افسح واوسع من الدنيا وانه لما عدد نعم الدنيا بين ان منافع الآخرة خير منها فقال منبها على سبيل التقرير اؤنبئكم بخير اي بشيء هو خير من ذلكم الذي عددنا ثم استأنف بيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما تقول هل ادلكم على خير من فلان عندي رجل من صفته كيت وكيت وبيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان النعمة وان عظمت فتوهم الانقطاع والزوال ينقص صفوها وينغص لذتها وبعد زوال هذا الوهم ان يتكامل طيبها الا بالنساء فهن يحصل الانس ثم وصف الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة اي من الاقذار والمستقذرات وبعد ذكر تمام النعمة ذكر ما هو فوق التمام فقال ورضوان من الله ويندرج فيه جميع المطالب والمقاصد لان العبد اذا رضي عنه المولى لم يتصور منصب اجل منه واعلى وكان المولى ومالك للعبد كما ان العبد وما يملكه للمولى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل ان يتعلق بها بالغ به قوله للذين اي ثبت لهم عند ربهم ويحتمل

ان يكون اللام في قوله للذين اتقوا متعلقا بخير واختص المتقون لانهم هم المنتفعون به وترتفع جنات على الخبر اي هو جنات ويعضده قراءة بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام في هذه القراءة يتعين ان يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل ان يتعلق بقوله للذين اي ثبت لهم عند ربهم ويحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى ان هذا الثواب لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا في علم الله والله بصير بالعباد عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختار لهم من نعيم الآخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور الدنيا او بصير بهم يثيب ويعاقب بحسب الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم في معرض المدح لهم والثناء عليهم فقيل دل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله في النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب وتوقعه عبث فلا يصلح للمدح ويمكن ان يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم انه حاصل اظهارا لذل العبودية وابداء للاستكانة والخشوع والضراعة وصورة العمل الصالح لا يفيد ما لم يقع في حيز القبول فعلى المتقي ان لا يتكل عليها ويبتهل الى الله في موجب الغفران ثم عدد من اوصاف المتقين عدة خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم في كل واحد منها او اشارة الى ان كل واحد منها يكفي في استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين اي في اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن والشدائد وقف رجل على الشبلي فقال اي صبر اشد على الصابرين فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف روحه والصادقين اي في الاقوال وفي الاحوال بان لا ينصرف عنها قبل تمامها وفي النيات بامضاء العزوم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين اي مما تيسر على من تيسر بشروطه ومصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار اي فيها والسحر قبيل طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا ليلهم وذاك نهارهم والاستغفار بالاسحار مزيد آثار وانوار لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا اعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لم يبعد ان يفيض عليه سجال المغفرة وان يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بانوار المعارف وآثار اللطائف واما بيان ترتيب الاوصاف فالصبر يشمل اداء جميع التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه امورا غير واجب عليه فالصادق من لا يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات امر محمود فاشير اليه بقوله والقانتين ثم ان هاهنا امرين يتعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال والتضرع الى حضرة القدس والجلال فذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين صعا والشفقة على خلق الله وباقي الاوصاف للتعظيم لامر الله قال الكلبي لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من احبار اهل الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد قال نعم قالا فانت احمد قال نعم قالا انا نسألك عن شهادة فان انت اخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاني فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله ووجه النظم انه مدح المؤمنين واثنى عليهم بقولهم ربنا اننا آمنا ثم بين ان دلائل الايمان ظاهرة جلية واعلم ان الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن اولي العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان لا يكون كذلك اما الاول فتقريره من وجهين احدهما ان الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل في حق الله تعالى وفي حق الملائكة وفي حق اولي العلم اما من الله فذلك انه اخبر في القرآن انه اله واحد لا اله الا هو وذلك في مواضع كثيرة كالاخلاص وآية الكرسي وغيرهما والتمسك بالدلائل السمعية في هذه المسألة جائز لان العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على العلم بها واما من الملائكة واولي العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله تعالى بالدلائل القاطعة وكلهم اخبروا ايضا ان الله تعالى واحد لا شريك له وثاني الوجهين ان يجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان فان الله تعالى اظهر ذلك وبين بان خلق ما دل على ذلك والملائكة واولو العلم اظهروا ذلك وبينوه ايضا الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت انما وقع في الشيء الذي به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم الاظهار والبيان فشيء واحد في حق الكل وكانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان وحدانية الله تعالى امر قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المتين والنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى وعبدة الاوثان فاثبت انت وقومك يا محمد على ذلك فانه هو الاسلام والدين عند الله هو الاسلام واما الثاني فمنهم من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة واولي العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه فالصلاة من الله غير الصلاة من الملائكة فان قيل المدعي للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعي شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوسل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى ارشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وفي انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله قائما بالقسط او لا اله الا هو قائما بالقسط وهذا اوجه لكون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا ابوك عطوفا او لا رجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل ان يكون حالا من اولي العلم اي حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط في اداء هذه الشهادة الثاني ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد اتسعوا في الفصل بين الصفة والموصوف الثالث ان يكون نصبا على المدح وان كان نكرة كقوله شعر ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي ومعنى كونه قائما بالقسط قائما بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجريه على سنن الاستقامة او مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وفيما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات وعدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شيء من الاشياء وعدم التنقص في شيء من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العليا ومركوز في العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شيء الا على وفق العدالة وقضية السوية ورعاية الاصلح عموما او خصوصا فكل ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة او شبيه بالجور او القبيح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه وعدم احاطته التامة بسلسلة الاسباب والمسببات والمبادي والغايات فانظر الى كيفية خلقة اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة

والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر الى كيفية خلقة العناصر واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق في العلم والجهل والفطانة والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى لم يخلق مستعدا لادراك تفاصيل حكمته فالخوض في ذلك خوض فيما لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالي بانه تعالى واحد في ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه ولا راد وان الكل بقضائه وقدره وان في كل واحد من مصنوعاته ولكل شيء من افعاله حكما ومصالح لا يحيط بذلك علما الا موجده وخالقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه مراء والجدال فيه هواء فمن نسبه الى الجور في فعل من الافعال فهو الجائر لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات والمطلع على الكليات والجزئيات من ازل الآزال الى ابد الآباد ومن زعم ان شيئا من الاشياء خيرا او شرا في اعتقاده حسنا او قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيئته وارادته فقد كذب ابن اخت خالته لانه يدعي التوحيد ثم يثبت قادرا آخر وخالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة فقال لا اله الا هو والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله تعالى ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ لامة محمد ان يقولوا على وفق شهادة الله والملائكة واولي العلم لا اله الا هو واعلام ان هذه الكلمة يجب ان يكررها المسلم ما امكنه شعر هو المسك ما كررته يتضوع ثم اكد كونه متفردا بالالوهية وقائما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم القدرة الا بالتفرد والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة للاولى والدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة تسمى دينا لانه سبب الجزاء والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم او السلامة او في اخلاص العباد من قولهم سلم له الشيء اي خلص له والاسلام في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد الكلي وهو المراد هاهنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير له في الذات ولا في صفة من الصفات كما شهد هو به واما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به ونهاه عنه فانه عدل وصواب وفيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهي عنه ليكون عبدا منقادا معترفا بانه تعالى قائم بالقسط ومن قرأ بالفتح ان فتقديره عند البصريين ان ذلك بدل من الاول فكأنه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شيء وقيل التقدير وشهد الله انه لا اله الا هو وان الدين عند الله الاسلام وقيل شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام يشتمل على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على الثاني وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه اوضح الدلائل وازال الشبهات والقوم ما اصروا الا لقصورهم وتقصيرهم فقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام لما قرب وفاته سلم التوراة الى سبعين رجلا من الاحبار وجعلهم امناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعدما جاءهم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم في امر عيسى عليه السلام بعدما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن احق بالنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم اي الدلائل التي لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد قاله في التفسير الكبير ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب لا يتعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة او المراد انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه اي يجازيه على كفره ثم بين للرسول صلى الله عليه وسلم ما يقول في محاجتهم فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله قال الفراء اي اخلصت عملي لله على هذا الوجه في معنى العمل وقيل اي اسلمت وجهي لله فحذف المضاف والمعنى كلما يصدر مني من الاعمال فالوجه في الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه وقيل الوجه مقحم والتقدير اسلمت نفسي لله وليس في العبادة مقام اعلى من اسلام النفس كانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه وقوله ومن اتبعن معطوف على الضمير المرفوع في اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه والواو بمعنى مع ثم في كيفية ايراد هذا الكلام طريقان احدهما ان هذا اعراض عن المحاجة لانه صلى الله عليه وسلم كان قد اظهر المعجزات كالقرآن ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقد قرر في هذه السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد ثم بين نفي الند والصاحبة والولد بقوله شهد الله وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغي والحسد فلم يبق الا ان يقول انا ومن اتبعني منقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكره المحتج المحق مع المبطل المصر في آخر كلامه وثانيهما ان قوله اسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقا للعبادة وكانه قال هذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك بهذا القدر المتفق عليه وداعي الخلق اليه وانما الخلاف في امور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء هم المدعون وعليهم اثباتها ونظير هذه الآية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن ابي مسلم ان الآية في هذا الموضع كقول ابراهيم اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض كانه قيل فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابراهيم وانتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا في دينه فيكون من باب التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين وهم مشركو العرب الذين لا كتاب لهم ءاسلمتم ومعناه الامر وفائدة التعبير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تأل جهدا في سلوك طريقة الكشف والبيان هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في آية تحريم الخمر فهل انتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء فان اسلموا فقد اهتدوا الى ما هدى الله اليه والى الفوز والنجاة في الآخرة وان تولوا اعرضوا عن الاسلام لي والاتباع لك فانما عليك البلاغ ما عليك الا تبليغ الرسالة وتنبيه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من يشاء ويترك على الضلالة من اراد ثم وصف المتولين بصفات ثلاث واردفه بوعيده فقال ان الذين يكفرون بآيات الله اي ببعضها المعهود لان اليهود كانوا مقرين ببعض الآيات الدالة على وجود الصانع وقدرته وعلمه وشيء من المعاد او بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض آيات الله كالكافر بجميعها ويقتلون النبيين اي المعهودين لانهم ما قتلوا كلهم ولا اكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون او يقاتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس عن الحسن ان في الآية دلالة على ان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في منزلة عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروي ان رجلا قام الى

صلى الله عليه وسلم فقال اى الجهاد افضل فقال صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جاير فان قيل اذا كان قوله ان الذين
يكفرون فى حكم المستقبل لا اقل من الحال لانه وعيد لمن هو فى زمن رسول الله عم ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القائلين بالقسط فكيف
يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا الا انه تعالى عصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم
كما يقال للسم قاتل اى ذلك من شانه ان وجد القابل او نقول رضوا بسيرة اسلافهم لانهم راضون بذلك عن ابى عبيدة بن الجراح قلت
يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرا هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة
قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنى عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا فى اخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفاء لتضمن اسم ان معنى الشرط فان لا تغير معنى الابتداء بخلاف
ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول اجتماع اسباب الالام والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم والاستعارة
ههنا للتهكم الثانى زوال اسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا
فابدال المدح بالذم والثناء باللعن واسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبى والقتل والجزية واما فى الاخرة فكما
قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك من جهتهم وهو قوله وما لهم من ناصرين ثم ذكر غاية عناد
اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت يا محمد فقال على ملة ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا
الى التورية فهى بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقال الكلبى نزلت فى اللذين زنيا فى خيبر وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما بالرجم وانكر
اليهود عليه وسوف يجيء القصة فى سورة المائدة مفصلة وقيل دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم اياهم والنصارى الى الاية الدالة على صحة
نبوته من التورية او منها ومن الانجيل فابوا فنزلت ومعنى قوله اوتوا نصيبا اى حظا وافرا من علم الكتاب يريد احبار اليهود ومن اما للتبعيض
واما للبيان والكتاب يراد به غير القرآن من الكتب التى كانوا مقرين بحقيتها وقيل اى حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهى بعض
علمهم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون الى كتاب الله وهو التورية كما مر فى اسباب النزول ولانه تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما
يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذى يعتقدون صحته وهو التورية عن ابن عباس انه القرآن وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام
الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم اى الكتاب بينهم اى بينهم وبين رسول الله فحذف الثانى للعلم به او يراد الحكم فى الاختلاف الواقع بينهم
كما فى قصة الزانيين ولهذا رجعوا فى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يكون عنده رخصة فى ترك الرجم قال فى الكشاف والوجه
ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادى بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته
وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار والذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد التولى بعد
تبين الدعاء والتولى وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وعادتهم والضمير فى هم اما ان يرجع الى الفريق اى هم جامعون بين التولى
والاعراض لا عن استماع الحجة فى ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات واما ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قد وصف العلماء والكبراء
بالتولى والباقين بالاعراض لاجل اعراض علمائهم ومتقدميهم واما ان يرجع الى كل اهل الكتاب اى هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق
ذلك التولى والاعراض او ذلك العقاب او الوعيد بسبب انهم كانوا متساهلين فى امر العقاب ولا يفرقون بين ما يتعلق باصول الدين وبين
ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات هى ايام عبادة العجل واستوجبوا الذم من وجوه احدها استحقارهم العذاب
ومن اين لهم العلم بذلك والثانى ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودات فقط
فيه دليل على انهم استحقروا تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وذلك كفر صريح وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من قولهم نحن ابناء الله واحباؤه
او من قولهم لن تمسنا النار الا اياما او من قولهم نحن اولى بالنبوة من قريش او من زعمهم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون او
فكيف حالهم وفى هذا الحذف فخامة لما فيه من تحريك النفس على استحضار كل نوع من العذاب اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا
اليوم الخميس معنا وجمعوا الفعل ليوجد يوم الخميس اما اذا قلت جمعوا فى يوم الخميس فلا تضمر فعلا وايضا من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا للمجازات
والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب او عقاب او جزاء ما عملت وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى
لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناس روى ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله
على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار التاويل ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلى بالشقاوة ربنا غلبت علينا
شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس والهوى يرد الى اسفل سافلين الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت
على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه فى قعر جهنم وبئس المهاد معاد جهده فى معاشه قد كان لكم اية فى فئتين التقتا ان الله تعالى فئتين فى الظاهر
من المؤمن والكافر وفئتين فى الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر
والله يؤيد بنصره من يشاء من القلب وجنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس واعوانها وهم الهوى والدنيا
والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن جنود الفئتين واعوان الفريقين بقوله زين للناس واعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلث
العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس والغالب عليهم الهوى وهم اصحاب النفوس والخواص ويعبر عنهم بلفظ المؤمن وهم ارباب الارواح و
الغالب عليهم التقوى وخواص الخواص ويذكرهم بلفظ الولى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق
ثم ان لجهنم سبع دركات محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة
الجمال والافتخار ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات
الثمانى للخواص منها التقوى للذين اتقوا والرضا بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا امنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق
والاستغفار بالاسحار هذه جنات عاجلة تجرى من تحتها انهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التى تتولد منها
فاذا عاش فى الجنات مات وحشر كذلك ثم اشار الى احوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب

ما احلى

ما احلى لهم الدنيا يا دنيا مرى على اوليائى ولا وقفوا عند جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى وانما طلبوا رب المولى للذين احسنوا الحسنى
شهد الله بكلامه الازلى عن علمه السرمدى على ذاته الاحدى وكونه الصمدى انه لا اله الا هو وهى شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة
الازلية الابدية لا يشاركه فيها احد فكما ان ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدرة على كمال
عزة حين لا حين ولا اين ولا عقل ولا جهل ولا جنون ولا شرك ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة
ولا اولو العلم ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر الذى كان عما كان كما كان وهو انه لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فجعل كل ذرة
من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح وبربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد ولكن ينبوع ماء التوحيد هو القدم تجرى فى مجارى انهار المحدثات
الى ان ظهر من عيون الملائكة واولى العلم ثم الملائكة وان كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان اولو العلم ولكن اختص اولو العلم منهم بشربه والزمهم
كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها شعر لى سكرتان وللندمان واحدة شىء خصصت به من بينهم وحدى فحقيقة معنى الاية شهد الله انه لا اله
الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة واولوا العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائدة الى اولى العلم الذين
لهم شركة مع الملائكة فى مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالمشربية لماء التوحيد فشاهد وحقيقة لا اله الا هو العزيز الذى لا يشاهد عزته الا عزة
من بين البرية الحكيم الذى بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الاختلاف فى العقول من نتايج تناكر
الارواح فى عالم المعنى والارواح كما تعارف منها فى الميثاق لتقاربهم فى الصف وتقابلهم فى المنزل ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم فى الصف او
لتدابرهم فى المنزل اختلف الا من بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد ولكن المحمود منه ما يخص باسم الغبطة ويقتلون النبيين لان الانسان خلق مستعدا
لقبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكما ان كمال الانسان فى قبول فيض اللطف ان يهدى لنفسه فى متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فنقصانه
فى قبول فيض القهر ان يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا حبط اعماله ولا يرجى توبته ويرجى توبة ابليس الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
فيه اشارة الى من اوتى حظا من العلم فعليه اذا دعى الى حكم من احكام الله او الى ترك الدنيا ومخالفة الهوى ان يمتثل وينقاد والا كان مغرورا
بالدنيا مغترا بالدعوى وهذه حال اكثر من اوتى نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل الغرة بالله فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله نعوذ بالله من الضلال

قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل
من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير ۞ تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل
وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب ۞ لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ۞ ومن يفعل ذلك فليس من الله
فى شىء الا ان تتقوا منهم تقية ويحذركم الله نفسه والى الله المصير ۞ قل ان تخفوا
ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله
على كل شىء قدير ۞ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان
بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد ۞ قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ۞ قل
اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ۞ ان الله اصطفى آدم
ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ۞ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ۞

القراءة الحى من الميت والميت من الحى بالتشديد على فيعل حيث كان ابو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وعاصم
عن ابى بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فعيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها ابو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون تقاة
بضم التاء وقرأ حمزة وعلى وخلف بالامالة الوقوف ممن تشاء ز لتناهى الجملتين المتضادتين مع ان الجملتين شاهما وتذل من تشاء
ط الخير ط قدير ه فى الليل ز للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحى ز لعطف المتفقتين حساب ه للمؤمنين ج تقية ط نفسه ط المصير ه
لنصف الجزء ويعلمه الله ط وما فى الارض ط قدير ه محضرا ج والاجوز ان يوقف على سوء لتقديره وما عملت من سوء كذلك بعيدا نفسه
ط بالعباد ه ذنوبكم ط رحيم ه والرسول لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين ط العالمين لان ذرية بدل البعض عليم ج لاحتمال ان او متعلق
باو معنى اى سميع دعاءها وعالم رجاءها حين قالت او اصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال النصب اذ باضمار اذكر التفسير انه سبحانه
لما ذكر من طريقة المعاندين ما ذكر اثنى على نبيه صلى الله عليه وسلم طريقة باينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم ومعناه عند
سيبويه يا الله والميم المشددة عوض من يا وانما اخرت تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول

حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع الهمزة في يا الله وعند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من ام وزيفت بان التقدير لو كان كذلك لزم ان يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا وبجاز ان يتكلم به على اصله من غير تخفيف الهمزة وباثبات حرف النداء واجيب انه انما لم يتوسط العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثاني تفسيرا للاول فيكون اكد وبان الاصل كثيرا ما يصير متروكا مثل اكرم فانه لا يقال شيء اكرم في التعجب ومالك الملك نداء ثان عند سيبويه فان النداء باللهم لا يوصف كما لا يوصف اخواته من الاسماء المختصة بالنداء يا هناه ويا لؤمان ويا ملكعان وقل واجاز المبرد نصبه على النعت كما جاز في يا الله عن ابن عباس وانس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك فنزلت الاية وعن عمرو بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم يعمل فيها المعول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها فكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الخوف لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى امر نبيه ان يسال ان يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليهما وامره بذلك دليل على انه يستجيب له هذا الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا امروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه ان قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم بين كونه مالك الملك وانه هو الذي يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك مملوكه بقوله تؤتي الملك من تشاء اي النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك فالاول عام شامل والاخر بعض من الكل وهذه الملك قيل ملك النبوة لانها اعظم مراتب الملك لان العلماء لهم امر على بواطن الخلق والجبابرة لهم امر على ظواهر الخلق والانبياء امرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل احد ان يقبل شريعتهم ولهم ان يقتلوا من ارادوا من المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا ابعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود تقول النبوة في اسلافنا فنحن احق بها وقدره وبنا في تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون ان اليهود تكبروا على النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هذه الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى انه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى انه ينقلها من نسل الى نسل كما نزعها من بني اسرائيل ووضعها في العرب او بانه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله او لتعودن في ملتنا مع ان الانبياء لم يكونوا في ملتهم قط حتى يتصور العود اليها وقيل المراد من الملك التسلط الظاهر وهو الاقتدار على المال بانواعه وعلى الجاه وهو ان يكون مهيبا عند الناس وجيها غالبا مظفرا مطاعا ومن المعلوم ان كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل رخي البال وقد رأينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا الحقارة وحموا فعلمنا ان الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفعل الله ففيه سد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل احد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا ان يكون من مسبب الاسباب وقائما على الكل ومدبرا للامور وناظما مصالح الجمهور شعر لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم اقطار السماء تعلقي لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مفترقان اي تفرق ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق وكذا الكلام في نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم فقد ينزعه عن العادل لمصلحة تقتضي ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدر والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك في بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم كما تكونون يولى عليكم والصحيح ان الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد وغير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدين او في الدنيا والعزة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده لا ذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتيسير الله تعالى وتقديره بيدك الخير اي بقدرتك تحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك او لان جميع افعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله فكلها خير او لان القادر على ايصال الخير اقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني وللاحتراز عن لفظ الشر مع ان ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك بان يجعل نقصان ويدخل ذلك القدر في النهار او بالعكس ففي كل منهما قوام العالم ونظامه او تاتي بالليل عقيب النهار فتلبس الدنيا ظلمة بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم ياتي بالنهار عقيب الليل فتلبس الدنيا ضوءا فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الاخر والاول اقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا زاد من هذا في ذلك فقد ادخله فيه وتخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا او الطيب من الخبيث او الحيوان من النطفة او الطير من البيضة وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او يخرج السنبلة من الحبة والنخلة من النواة وبالعكس واخراج النبات من الارض يسمى احياء يحيي الارض بعد موتها وترزق من تشاء بغير حساب تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اردفه بشريطة الشفقة على خلق الله او نقول لما ذكر انه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين انه ينبغي ان تكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم وبكسر الذال لالتقاء الساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرا والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الاخر وقوله من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين

مندوحة

مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو بن ابي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم ان يفتنوكم عن دينكم فابى اولئك النفر الا مباطنتهم وملازمتهم فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس ايضا في رواية الضحاك عنه نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد تكرر ذلك في ايات اخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلثة اوجه احدها ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الاية لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه وثالثها كالمتوسط بين القسمين وهو ان كون الميل والمعونة والمظاهرة لقرابة او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد ان دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه حذرا من ان يجره الى استحسان طريقته والرضا بدينه حتى يخرجه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدد فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله اي من ولايته او من دينه في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا كالبيان لقوله من دون المؤمنين ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة غير متصورة وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب قال بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفق على العدو ومشفقا على العدو الاخر كالملك العادل فانه يحب لهما فان ارادا احدا ان يتم الحكم لا بدله ان يزيد عليه اذا كانوا تحت واحد الا ان تتقوا منهم تقية قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة وتاؤها واو كتراث فالتقاة اسم وضع موضع المصدر قال الواحدي ويجوز ان يجعل تقية ههنا مثل رماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا متضمنا معنى تحذروا او تخافوا ولهذا عدي بمن ويحتمل ان يكون التقاة او التقية بمعنى المتقي مثل ضرب الامير لمضروبه فالمعنى الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء او انتظار زوال المانع من قشر العصا و اظهار الطوية كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا اي ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله وكالتقية عند العلماء احكام منها اذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له ان يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط ان يضمر خلافه ويعرض في كل ما يقول فان للتقية تاثيرا في الظاهر لا في احوال القلب ومنها انها رخصة فلو تركها كان افضل لما روى الحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم انه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الاخر فقال اتشهد ان محمدا رسول الله فقال نعم نعم نعم فقال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم ثلثا فقدمه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له واما الاخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظير هذه الاية الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد تجوز ايضا فيما يتعلق باظهار الدين واما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنا وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها ان الشافعي جوز التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكفار محاماة على النفس ومنها انها جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد ولان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في اول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن انه قال التقية جائزة الى يوم القيامة وهذا ارجح عند الائمة ويحذركم الله نفسه قيل اي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة اعدائه لان شدة العقاب على حسب قدرة المعاقب وفائدة ذكر النفس التصريح بان الذي حذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء اي ينهاكم الله عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم وضمائركم لان القلب في الصدر فجاز اقامة الظرف مقام المظروف او تبدوه يعلمه الله يتعلق به علمه الازلي ثم استانف بيانا اشتمل وتهديدا اوفى فقال ويعلم ما في السموات وما في الارض ثم قال اتماما للتحذير والله على كل شيء قدير ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب فقال يوم تجد وفي عامله وجوه قال ابن الانباري والى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شيء قدير يوم تجد وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة الله تعالى تعظيما لشانه مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر اي اذكر والاظهر ان العامل فيه تود والضمير في بينه لليوم اي تود كل نفس يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا ايضا لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا والامد الغاية التي ينتهي اليها مكانا كانت او زمانا والمقصود تمني فقده كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا هو ان يكون ما كتب فيه العمل من الصحايف حاضرا او يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل ان يكون حالا واحتمل ان يكون ما عملت مبتدا من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر و احتمل ان يكون ما شرطية وتود جزاء له وهو قليل كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وقراءة عبد الله ودت فيحملها على المساواة الا ان الحمل على المبتدا والخبر وقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم ويحذركم الله نفسه تاكيد للوعيد والله رؤف بالعباد قال الحسن ومن رأفته ان حذرهم نفسه وعرفهم كمال علمه وقدرته يمهل ولا يهمل ورغبهم في استيجاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز ان يراد انه رؤف بهم حيث امهلهم للتوبة والتلافي او هو وعد كما ان التحذير وعيد او المراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عينا يشرب بها عباد الله اي كما هو منتقم من الفساق ومحذرهم نفسه فهو رؤف بالمطيعين المحسنين ثم انه دعا القوم الى الايمان به وبرسوله من طريق اخر سوى طريق التهديد والتحذير فقال قل ان كنتم تحبون الله قال الحسن وابن جريج زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله هذه الاية وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها

بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انما نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها نزلت حين زعمت اليهود انهم ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا انهم يعظمون المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل ان كل من يدعي محبة الله تعالى من فرق العلماء فلا بد ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد وجب متابعته فليس في متابعته الا انه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه وترك تعظيم غيره لمن احب الله كان راغبا فيه لان المحبة توجب الاقبال بالكلية على المحبوب والاعراض بالكلية عن غيره ومذهبي لتفسير قوله والذين آمنوا اشد حبا لله تحقيق المحبة واما محبة الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب فقال ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور في الدنيا يستر على عبده انواع المعاصي رحيم في الاخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى انه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله بن ابي ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى فنزلت قل اطيعوا الله والرسول وذلك ان الاية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته ثم ان المنافق القى شبهة في البين امره الله تعالى ان يقول انما وجب الله عليكم متابعتي لا لما يقوله النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عنده ومبلغ تكاليفه فان تولوا اعرضوا او تعرضوا على ان يكون اتباع الاولى محذوفة ويدخل في جملة ما يقوله الرسول لهم فانه لا يحب الكافرين محبة الله لانها عبارة عن الثناء لهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين ان محبته لا تتم الا بمتابعة الرسول بين علو درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية اي جعلهم صفوة خلقه والمختارين من جميعهم تمثيلا بما نشاهد من الشيء الذي يستصفى وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته وقيل المعنى ان الله اصطفى دين ادم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الانبياء عليهم السلام يخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهي اما مدركة او محركة اما المدركة فهي الحواس الظاهرة او الباطنة اما الظاهرة فقوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله صلى الله عليه وسلم اقيموا صفوفكم وتراصوا فاني اراكم من وراء ظهري وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما حصل لابراهيم عليه السلام وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ذكروا في تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس يستبعد فانه يروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلثة ايام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط فسمع اطيط السماء وشاهد ما زعمت الفلاسفة ان فيثاغورث راض نفسه حتى سمع صفيق الفلك وقد سمع سليمان كلام النمل وفهمه ومثل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ايام وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الذراع يخبرني انه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم قيل وهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا ادراك ههنا فكيف يستدل على قوة الادراك بل يجب ان يحمل هذا على معنى اخر وهو انه تعالى لا يبعد ان يجعل المنافي ملايما للاعجاز او لخاصية او دعاها في المنافي حتى يصير ملايما واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي رضي الله عنه علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الف باب من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب واذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي واما القوة المحركة فكعروج النبي صلى الله عليه وسلم وعروج عيسى الى السماء وكرفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار واما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس او كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم تجري عليها الانوار الفائضة من المبادي العالية اتم من سائر النفوس واكمل ولهذا بعثت مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين ومصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك افضل من البشر ومن سكان السموات ايضا عند من يرى البشر افضل المخلوقات ثم ان القرآن دل على ان الانبياء هم مصطفاه ادم صفي الله وخليفته ثم انه وضع كمال القوة الروحانية في شعبة معينة من اولاد ادم وهم شيث واولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابراهيم ثم انشعب من ابراهيم صلوات الرحمن عليه شعبتان اسمعيل واسحاق فجعل اسمعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل اسحق مبدأ الشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب ووضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلوات الله عليه وسلامه فلما ظهر محمد نقل نور النبوة ونور الملك اليه وبقي الدين والملك في امته الى يوم القيمة فالمراد بآل ابراهيم اولاده وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما واما آل عمران فقيل اولاد عمران بن يصهر والد موسى وهرون وقيل المراد بآل عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امرأة عمران ولاشك انه عمران بن ماثان جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على يده فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء الله تعالى اياه لا لكونه شريكا لله ولان هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين ذرية نصب على الحال من الال ذرية بدل ممن سوى ادم بعضها من بعض قيل اي في التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير ادم كانوا متوالدين من ادم وقيل المعنى ان الالين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال في الكشاف ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان ما بين ماثان وسليمان قوما اخرين وكذلك بين ايشى ويهوذا والله سميع لاقوال العباد عليم بضمائرهم وافعالهم فيصطفي من خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه تقريرا للعوام مع علمهم ببطلان هذا الكلام فيكون اول الكلام تشريفا للمرسلين واخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل ان يتعلق بما بعده كما مر في الوقوف التأويل مالك الملك هو ملك الوجود فلا وجود بالحقيقة الا له تؤتي الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد بعضها قابلة للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النوري وتذل من تشاء بذل الفيض القهري بيدك الخير انك على كل شيء قدير تتضمن للدعاء بذكر السبب كما يقال للجواد انك الذي تقدر على اعطاء كل خير فابتنا فاغرنا بفيض

كل

كل خير ويا كاشف كل ضير تولج ليل ظلمات الصفات البشرية النفسانية في نهار انوار الصفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحي بحيوة الحقيقة من النفس الميتة وتخرج القلب الميت عن الحيوة الحقيقية من النفس الحية بالحيوة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب المؤمن والروح والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان والهوى والدنيا اولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من انوار الله والطافه في شيء الا ان تخافوا من هلاك النفوس فالنفس مركب الروح فتواسوا كيلا يعجز عن السير في الرجوع ويهلك في الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله نفسه اي من صفات قهره قل ان تخفوا ما في صدوركم من معادات الحق في ضمن موالاة النفس ويعلم ما في سموات قلوبكم وما في ارض نفوسكم يوم تجد كل نفس ما عملت اثر الخير والشر ظاهرا في ذات المرء وصفاته وبحسب ذلك يبيض وجه قلبه او يسود ولكنه في غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب النفس والجسم كرجل نائم لدغته حية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نائما نوم الغفلة فاذا مات انتبه واحس ثم اخبر عن طريق الوصول انه في متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلث درجات وللمحبة للمحب ثلث درجات ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلث درجات اما درجات الاتباع فالاولى درجة عوام المؤمنين وهي متابعة اعماله عليه السلام والثانية درجة الخواص وهي متابعة اخلاقه والثالثة درجة اخص الخواص وهي متابعة احواله واما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهو لتابعي الاعمال الذين يطمعون اجرا على ما يعملون وفيه قال ابو الطيب شعر وما انا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يرجى عليه ثواب والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا ولانه اهل لذلك كما قالت رابعة في ذلك شعر احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاكا ويتخلق المحب في هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد لبقاء الكمال والجلال على التابيد وفيه قال ما عبد تقه لا ارجو مثوبة لكن اعبده اعظاما واجلالا والثالثة محبة اخص الخواص المتبعين للاحوال وهي الناشئة من الجذبة الالهية في مكان من كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف واهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية شعر عذبنا بالمحبة يوم قالت له الدنيا ائتيا طائعين وحقيقة هذه المحبة ان يفني المحب بسطوتها وهي المحبة بنية ما هو كما ان النار تفني الحطب بسطوتها وتبقى النار منه ما هو فان المحبة نار لا تبقي ولا تذر واما درجات محبة الله للعبد فاعلم ان كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه في الحقيقة صفات المخلوقين حتى الوجود فانه ذاتي الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله وافعاله قرأ القارئ بين يدي الشيخ ابي سعيد بن ابي الخير قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعه والصانع اذا مدح صنعته فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه حقيقة الا انه لما كان مرورها على الخلق فبحسب ذلك اختلفت مراتبها مع انها صدرت عن محل واحد هو محل كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من اهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الاعمال فقيل لهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف المتابعة وتعلقت بالخواص من اهل المعرفة بالفضل ومشربهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل يخصكم بتجلي صفات الجمال ويغفر لكم ذنوبكم بستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني ببذل الوجود يحببكم الله يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحوكم عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فهم بين روضة المحو وغدير الاثبات احياء غير اموات ويكون في هذا المقام المحب والمحبوب والمحبة واحدا كما ان الرائي في المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي والمرئي والرؤية واحدا قل اطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدف درة محبة لكم ان الله اصطفى ادم وذلك ان الله تعالى خلق العالمين سبعة انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح وجمع في ادم جميع الانواع وخصه بتشريف ثامن هو سر ونفخت فيه من روحي فهو المظهر لجميع اياته وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله ان الله خلق ادم على صورته ثم ذكر خواص اولاد ادم نوحا وال ابراهيم وال عمران والمراد بالال كل مؤمن تقي بعضها من بعض بالوراثة الدينية العلماء ورثة الانبياء فالعالم كشجرة وثمرتها اهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم باحوالهم وخصالهم هم يعطون وبهم يرزقون الله حسبي وكفى الله شكور لمن اطاع غفور لمن اذنب صدق الله العظيم

اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع
العليم ۝ فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر
واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ۝ فتقبلها ربها
بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب ۝ وجد عندها
۝ رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ۝ ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله
وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ۝ قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي

عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء ۝ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس
ثلثة ايام الا رمزا ۝ واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار ۝ صدق الله العظيم

القراءة بما وضعت على الحكاية ابن عامر ويعقوب وابو بكر وحماد الباقون [illegible]

[illegible]

القصة الاولى قصة حنة ام مريم البتول زوجة عمران بن ماثان [illegible]

[illegible]

بنفي عليه [illegible] ولي الانثى [illegible] وهي حقيقة لتقدم لفظة الانثى ومن قرأ بما وضعت بسكون التاء للتأنيث فالجملتان اعني قوله والله اعلم بما و
وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعته لما علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها آية للعالمين وهي جاهلة
بذلك ثم زاد بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واني سميتها مريم وذلك ان اباها قد مات عند وضعها فلهذا
تولت الام تسميتها ومريم في لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا اردفت
ذلك بطلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها الضمير يعود الى امرأة عمران ظاهرا دليل انها التي خاطبت ونادت بقولها
رب اني وضعتها ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى انه كان راضيا في بطنها فتبرتها بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشيء وقبلته اذا
رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكى انه لم يسمع غيره واجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء في قوله بقبول بمنزلة
الباء في قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفي التقبل نوع تكلف فكأنه انما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال في الكشاف
معناه فتقبلها بذي قبول حسن اي بأمر ذي قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في النذر او بان تسلمها من امها عقيب الولادة
قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو الاختصاص ويجوز ان يكون
معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل وذلك من قولهم استقبل الامر اذا اخذه باوله اي فاخذها من اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها
نباتا حسنا قيل كان تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام وقيل المراد نماؤها في الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روي ان
حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم
هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق
بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة والوحي
على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث مرات وفي كل مرة كان يرتفع قلم زكريا وترسب اقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية يكون كفالة
زكريا اياها من اول امرها هو قول الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب المذكور والارجح انها لم ترضع ثديا قط

وكانت تتكلم في الصغر وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهو غرفة يصعد عليها بسلم وقيل هو اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت
في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس
اياه وكان اذا خرج اياها وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز قائل
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا من اين هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة
قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم وان يكون مستأنفا من كلام الله تعالى واعلم ان
الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت وذلك لدعاء حنة واني اعيذها ومنها تكلمها في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة عليها السلام رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن
ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها وفي امثال هذه الخوارق من غير الانبياء
دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق في الاول يدعي النبوة وفي الثاني يدعي الولاية والنبي
يدعي المعجز ويقطع به والولي لا يمكنه ان يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبياء مأمورون باظهار
المعجزة والاولياء مأمورون باخفاء الكرامات اما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد
مع غير النبي كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد في غير العالم واجابوا عن حديث ابي هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود
صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان
في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكشاف واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل
الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه قلت وعجيب من مثله مثل هذا الكلام فانه
لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان والصراخ منه في وقت الولادة وانه قريب العهد بعالم الارواح وزمان المكاشفة بعيد من عالم الغفلة و
الالف بالمحسوسات ان يحس به في وقت آخر او يصرح على ان اثر مس الشيطان ونخسه يظهر في جنايات النفس واحوالها وانها امور لا يحس بها الا اهل
المفارقة او قطع العلائق البدنية والكلام فيه يستدعي فهمه استعدادا آخر غير العلوم الظاهرة قال الجبائي لا يجوز ان يكون تلك الخوارق من معجزات
زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا عن تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من عند الله فاذا رأى شيئا
بعينه في وقت معين قال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك يعلم ان الله تعالى اظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا شاهد
مريم رزقا معتادا الا انه كان يأتيها من السماء وكان زكريا يسألها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند
غيره على انا لا نسلم انه قد ظهر لها شيء من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا رأى شيئا من ذلك خاف ان ذلك
الرزق اتاها من حيث لا ينبغي فكان يسألها عن كيفية الحال قلت امثال هذه الشبهات توجب الشك في القرآن وفي الاحاديث الصحيحة
على انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان مأذونا من عند الله في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال وايضا كيف تنفع معجزة
اخبارها في زوال التهمة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن اخبر الله تعالى بانه اصطفاها على نساء العالمين و
قال وجعلناها وابنها آية للعالمين القصة الثانية دعاء زكريا عليه السلام وذلك قوله سبحانه هنالك اي في ذلك المكان الذي كان فيه
في المحراب او في ذلك الوقت الذي شاهد تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضي ان يكون قد عرف في ذلك الزمان
او المكان امرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا رأى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء وبالعكس وان ذلك خارق للعادة
فطمع هو ايضا في امر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امرأة عاقر وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا في قدرة الله تعالى غير مجوز
وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية الوقت الانسب في الطلب واما المعتزلة فلانكارهم كرامات الاولياء وارهاص الانبياء قالوا ان زكريا
لما رأى آثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى ان يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء النبي لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان
لا تكون الاجابة مصلحة فتصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه واقول ان دعاء النبي لا يكون بمجرد التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن
مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالندرة على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه
لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن اصلح لم يسبقه الله عليه ويصرفه عنه ومعنى قوله من لدنك ان حصول الولد في العرف والعادة له اسباب
مخصوصة كانت مفقودة في حقه فكأنه قال اريد منك يا رب ان تعزل الاسباب في هذه الواقعة وتخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسط الاسباب
والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانثت الطيبة لتأنيث
لفظ الذرية في الظاهر فالتذكير والتأنيث تارة يجري على اللفظ واخرى على المعنى وهذا في اسماء الاجناس بخلاف اسماء الاعلام فانه لا يجوز
ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير انك سميع الدعاء تعني سامع اجابة وذلك
لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة ظاهر اللفظ للجمع وهذا في باب التشريف اعظم
ثم ما روي ان المنادي كان جبريل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل الاطعمة النفيسة اي يركب من هذا الجنس ويأكل منه او لان جبريل
كان رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه آخرون ويبشرك بيحيى يحتمل ان يكون زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء رجل اسمه يحيى وله درجة عالية
فاذا قيل ان ذلك النبي المسمى يحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل ان يكون المعنى يبشرك بولد اسمه يحيى كما جاء في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه
يحيى والاسم اعجمي كموسى وعيسى ولمن جوز ان يكون عربيا لمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله
مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال ابو عبيدة اي مؤمنا بكتاب من الله وتسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهما حاملان بهما فقالت يا مريم اشعرت اني حبلى فقالت مريم واني
ايضا حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذاك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس ان يحيى اكبر من عيسى بستة

اشهر وكان يحيى اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام وسمى عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة الله وهى كن من
من غير واسطة اب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء او لكونه متكلما فى اوان الطفولية او لانه منشأ الحقايق والاسرار كالكلمة ولهذا
سمى روحا ايضا لانه سبب لحيوة الارواح ولذا يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان او لانه وردت
البشارة به فى الكلمات للانبياء وكتبهم كما لو اخبرت عن حدوث امر ثم اذا احدث قلت قد جاء قولى او كلامى اى ما كنت اقول واتكلم به ومنها قوله وسيدا
والسيد الذى يفوق قومه فى الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم بالخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم وقال ابن المسيب الفقيه
العالم وقال عكرمة الذى لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل اى محصورا من النساء لضعف فى الآلة ورد بانه من صفات النقص
فلا يليق فى معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل فهو الذى لا ياتى النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك
النكاح كان افضل فى تلك الشريعة فلولا ان الامر بالنكاح والحث عليه وارد فى شرعنا كان الاصل بقاء الامر على ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم
ان السيادة لا تتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام وهو منع النفس عما لا ينبغى روى انه
مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا اشارة الى ما عدا المجموع الابرين فانه ليس بعدهما الا النبوة
ثم قال من الصالحين اى من اولادهم لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه فى الآخرة لمن الصالحين او لان صلاحه
كان اتم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبى الا وقد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم وفيه ان الختم على الصلاح هو المرتبة
الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمان بعد حصول النبوة وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال يوسف
توفنى مسلما والحقنى بالصالحين ثم ان الملائكة لما نادوه بما ذكر قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر
ادركتنى السن العالية واثر فى طول العمر واضعفنى قال اهل اللغة كل شئ صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا امكن القول
القلب من الجانبين فيجوز بلغت الكبر وبلغنى الكبر لان الكبر كالشئ الطالب للانسان فهو ياتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا ياتيه بمرور العمر
عليه ولا يجوز بلغنى البلد فى موضع بلغت البلد لان البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب وامرأتى عاقر هى من الصفات الخاصة بالنساء ويقال
رمل عاقر اى لا ينبت شيئا فان قيل لما كان زكريا هو الذى سال الولد ثم اجابه الله تعالى الى ذلك فما وجه تعجبه واستبعاده بقوله انى يكون من اين
يحصل لى غلام فالجواب على ما فى الكشاف ان الاستبعاد انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فتبين لسانه ونقل عن سفيان
بن عيينة ان دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة فكان قد نسى ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة وقت الشيخوخة استغرب وكان
يومئذ مائة وعشرون سنة وتسع وتسعون وعن السدى ان الشيطان جاء وعند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه
عليه الامر ولا سيما انه كان من مصالح الدنيا ولم يتاكد بالمعجزة فرجع الى ازالة ذلك الخاطر فسال ما سال والجواب المعتمد ان زكريا لم يسال عما سال استبعادا
وتشكيكا فى قدرة الله تعالى وانما اراد تعيين الجهة التى بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقر زوجته فاجيب بقوله كذلك الله
يفعل ما يشاء وهو اما جملة واحدة اى الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفانى والعجوز العاقر او جملتان
فيكون كذلك الله مبتدأ وخبرا اى على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه عليه السلام لفرط
سروره وثقة بكرم ربه وانعامه سال عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لى آية علامة اعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر من اول الامر فقال تعالى
آيتك ان لا تكلم الناس ثلثة ايام اى بلياليها ولهذا ذكر فى سورة مريم ثلث ليال ومعنى قوله الا تكلم الناس قال المفسرون اى لا تقدر على تكلم الناس
حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح ليكون فى تلك المدة مشتغلا بذكر الله وبالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشئ الواحد
علامة على المقصود واداء الشكر تلك النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفى هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز
عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر وقع
على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه عليه السلام عوتب بذلك حيث سال بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام قلت
واحسن العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهى انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل ان يكون قد طلب علامة
للعلوق واحتمل ان يكون قد طلب دلالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودلالة على الفعل الخارق
جميعا مع مناسبة للواقعة حيث سال ما كان من حقه ان لا يسال وزعم ابو مسلم ان المعنى آيتك ان تصير مامورا بعدم التكلم وكن مشتغلا بالذكر
والتسبيح الا رمزا اشارة بيد او راس او بالشفتين ونحوها واصل التركيب للتحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء من قوله
الا تكلم وجاز وان لم يكن الرمز من جنس الكلام لانه مؤدا ومؤدى الكلام ويجوز ان يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفى وعلى هذا كان استثناء
متصلا من غير تكلف وقرا يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه و
من الناس دفعة بمعنى الا مترمزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب
وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا وسبح حمله بعضهم على صل كيلا يكون تكرار الذكر وقد يسمى الصلاة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لاشتمالها عليه بالعشى
مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر ابكر يبكر ابكارا اذا خرج للامر من اول النهار ومنه
الباكورة لاول الثمار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار التأويل ان لله تعالى فى كل ذرة من ذرات الموجودات وحركة من حركاتها اسرارا
لا يعلمها الا الله فانظر ماذا اخرج الله من الاسرار عن الطعام طائر وضعه وماذا اظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيمة بواسطة
مريم وعيسى عليهما السلام فتقبل منى راجع الى المحرر لا الى المحررة اى تقبلها منى ان تتكفلها وتربيها تربية المحررين فتقبلها ربها ان يربيها بقبول حسن كقبول ذكر
او قبول اخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا من كمال رافته ان جعل كفالتها الى زكريا حيث اراد ان يخرج عيسى منها بلا اب لئلا يدخل عليها غيره فيكون ابعد
من التهمة وجد عندها رزقا اى من فتوحات الغيب الذى يطلع الله به خواص عباده الذين يبيتون عنده لا عند انفسهم ولا عند الخلق كقوله صلعم
ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ان الله يرزق من يشاء بغير حساب مما لم يكن فى حسابها من الولد بلا اب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن الجواب بلا نبوة
ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما انه جعل اطعام الطائر فرخه سببا لتحريك قلب حنة لطلب الولد فكذلك جعل حال مريم وما كان
يأتيها من الرزق خارقا للعادة سببا لتحريك قلب زكريا قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة اى ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف
الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب والواسطة الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثانى الذى هو لارواح الاولياء وبينه وبين الله تعالى

حجاب الصف الاول وبخلاف الصف الثالث الذى هو لارواح المؤمنين وبخلاف الصف الرابع الذى هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته
الملائكة وهو قائم يصلى بسر سره فى الملكوت محارب نفسه وهواه فى المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه منذ خلق ما ابتلى بالموت لا بموت القلب
بالمعاصى ولا بموت الصورة لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل احياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهى قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا
اى حرا من رق الكونين بل سيدا رقيق الكونين وحصورا لنفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من اهل الصف الاول رب انى يكون لى غلام لم يكن
استبعاده من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة آيتك ان لا تكلم الناس بغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء
سلطان الحقيقة على قلبك فان النفس الناطقة تكون مغلوبة فى تلك الحالة بشواهد الحق فى الغيب فلا تتفرغ لاجراء عادتها فى الشهادة بالكلام الا
رمزا ولهذا يقوى الروح الحيوانى ويستمد منه القوة البشرية فيحيى الله تعالى به الشهوة الميتة فتسمى ما يولد من الشهوة الميتة احياها الله تعالى
يحيى عليه السلام واستمرار هذه الحالة فى الايام الثلثة امر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا والله اعلم

واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين ۝
يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ۝ ذلك من انباء الغيب
نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ۝
اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها
فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ۝ ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ۝
قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون ۝ ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ۝ ورسولا
الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه
فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون
وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ۝ ومصدقا لما بين يدى
من التورية ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ۝
ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ۝ فلما احس عيسى منهم الكفر
قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا
مسلمون ۝ ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ۝
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ۝ اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك
الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة
ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ۝ فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ۝ واما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ۝ ذلك نتلوه عليك من الآيات
والذكر الحكيم ۝ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب

ثم قال له كن فيكون ❁ الحق من ربك فلا تكن من الممترين ❁ صدق الله العظيم

القراءة ونعلمه بياء الغيبة ابو جعفر ونافع وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بالنون اني اخلق بكسر الهمزة وبفتح الياء نافع في
اخلق وبالفتح فيهما ابن كثير وابو عمرو ويزيد كهيئة بتشديد الياء يزيد وحمزة في الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغني ان خلفا يقول ان
خلفا يقول ان حمزة كان يترك الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون بالياء والهمزة الظاهر يزيد الباقون الطير فيكون بتاء التانيث المفضل الياء
بياء الغيبة طائرا ابو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك في المائدة الباقون طيرا انصاري بفتح الياء ابو جعفر ونافع وقرا قتيبة وابو عمرو وطريق ابن
الزعراء بالامالة فيوفيهم بياء الغيبة حفص ورويس وزاد رويس ضم الهاء الباقون بالنون الوقوف العالمين ه الراكعين ه
اليك ط يكفل مريم ص لعطف المتفقتين يختصمون ه منه ق قد قيل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة في اسمه ولكن المراد الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا
فالوجه ان لا يوقف الى الصالحين ه لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا ومكلما او كائنا من الصالحين المقربين ه الصالحين
ه بشر ط يشاء ط فيكون ه والانجيل ج لان ورسولا يجوز ان يكون معطوفا على ومن الصالحين او منصوبا بالمحذوف اي ويجعله رسولا والوقف
اجوز لتباعد العطف من ربكم لمن قرا اني اخلق بالكسر اذن الله ط لان ذلك التفصيل من المعجزات في بيوتكم ط مؤمنين ج للعطف المجهول
ج فاعبدوه ط مستقيم ه الى الله ط انصار الله ج لان امنا في نظم الاستئناف مع امكان الحال اي وقد امنا بالله كذلك لا انقطاع النظم
مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون ه الشاهدين ه ومكر الله ط الماكرين ه القيمة ج لان ثم لترتيب الاخبار والاخرة ز للابتداء بالنفي مع
ان المنفي تمام المقصود ناصرين ه اجورهم ط الظالمين ه الحكيم ه ادم ط لان الجملة لا ينعت بها المعرفة فيكون ه الممترين ه التفسير
القصة الثالثة قصة مريم والعامل في اذ ههنا هو ما في قوله اذ قالت امراة عمران لمكان العطف والمراد بالملائكة ههنا جبرئيل كما في سورة
مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم ان مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فارسال جبرئيل اليها اما ان
يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما ان يكون ارهاصا لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبي من المعتزلة او معجزة لزكريا عليه السلام وهو قول
جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث في الروع والالهام كما في حق ام موسى واوحينا الى ام موسى ثم انه تعالى
وجهها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون الاصطفاءان بمعنى واحد للتكرار البرهن فحمل المفسرون الاصطفاء الاول
على ما اتفق لها من الامور في اول عمرها منها قبول تحريرها مع كونها انثى ومنها قول الحسن ان غذيتها انها طرفة عين بل القتها الى زكريا وكان رزقها
من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من انواع اللطف والهداية
والعصمة في حقها واما التطهير فتطهيرها عن الكفر والمعصية كما قال في حق ازواج النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته ويطهركم تطهيرا
وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا لم تحض وعن الافعال الذميمة والاقوال القبيحة واما الاصطفاء الثاني فهو ما اتفق لها في اخر عمرها
من ولادة عيسى من غير اب وشهادته ببراءتها عما قذفتها اليهود وقيل المراد اصطفاؤها على نساء عالمي زمانها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كمل
من نساء العالمين اربع مريم واسية امراة فرعون وخديجة وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا اوجب عليها مزيد الطاعات
شكرا لتلك النعم فقوله اقنتي امر بالعبادة على العموم واسجدي امر بالصلوة تسمية للشيء باعظم اركانه كما في قوله وادبار السجود وفي الخبر اذا
دخل احدكم المسجد فليصل سجدتين ولا ريب ان السجود اشرف الاركان لقوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال
واركعي مع الراكعين الاول امر بالصلوة مطلقا والثاني امر بالصلوة في الجماعة وانما عبر عن الصلوة ههنا بالركوع اما للتغيير في العبارة
وقد يسمى الشيء باحد اركانه واما التسمية للشيء بمعظم اركانه بناء على ما قيل ان الركوع افضل من السجود لان الراكع حامل نفسه في الركوع فالمشقة فيه اكثر
او للتمييز عن صلوة اليهود وقيل واركعي مع الراكعين امر بالخضوع والخشوع بالقلب ويحتمل ان يراد بقوله اقنتي الامر بالصلوة لان القنوت
احد اجزائها وان يراد بقوله واسجدي واركعي استعمال كل منهما في وقته اللائق به وكرر الواو ليفيد التشريك لا الترتيب او المراد انظمي نفسك في جملة
المصلين وكوني في عدادهم لا في عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما للتغليب واما لان الاقتداء بالرجال حال الاختفاء من الرجال افضل
من الاقتداء بالنساء روي ان مريم بعد ذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسال الدم والقيح منهما اللهم لا تواخذنا باسم الرجولية
ونحن اقل في خدمتك من احدى النساء ذلك الذي سبق من بيان حنة وزكريا ويحيى ومريم من اخبار الغيب نوحيه اليك قد ورد الكتاب
[illegible]

الرابعة حكاية ولادة عيسى عليه السلام وذكر طرف من معجزاته اذ قالت الملائكة يعني جبرئيل كما مر وتعلق اذ هو متعلق واذ قال لان هذا بدل من واذ
ويجوز ان يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال في الكشاف هذا على ان الاختصام والبشارة وقعتا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعني وانما لقيته
في ساعة منها فيكون الزمان الواسع زمانا لكل منهما فيكون الثاني بدل الكل من الاول ويجوز ان يتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما
روي عن الحسن انها كانت عاقلة في حال الصغر وان ذلك كان من كراماتها فجاز ان يرد عليها البشرى في حالة الصغر ولا يفتقر ان يؤخر الى حين
العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب امر ممكن في نفسه وكيف لا وقد شاهد حدوث كثير من الحيوانات على سبيل التولد كتولد
الفار عن المدر والحيات عن الشعر المتعفن والعقارب عن الباذروج غاية الاستبعاد خرق العادة وهذا لا يوجب عند الحكماء ظنا قويا فضلا عن العلم
ثم ان الصادق اخبر عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته ومما يزيده في العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما تكون اسبابا لحدوث الحوادث
كتصور حضور المنافي للغضب وكتصور السقوط لحصول السقوط للماشي على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف ما لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة
هذا كالاصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فلا مانع ان يقال انها لما تخيلت صورة جبرئيل كفى ذلك في انعقاد الولد في رحمها فان مني الرجل ليس الا
لاجل العقد فاذا حصل الانعقاد لمني المراة بوجه اخر امكن علوق الولد قوله بكلمة منه لفظة من ههنا ليس للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية
لانه تعالى غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية اي بكلمة حاصلة من الله تعالى وذلك ان عيسى لما خلق من غير واسطة اب صار
تاثير كلمة كن في حقه اظهر واكمل فكان كانه نفس الكلمة كما ان من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصريح الاقبال
والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب
ايشوع اما احتمال اشتقاق عيسى من العيس البياض الذي يعلوه حمرة فبعيد واما احتمال المسيح من المسح فقريب وعليه الاكثرون عن ابن عباس سمي بذلك
لانه ما كان يمسح ذا عاهة الا برا وقال احمد بن يحيى لانه كان يمسح الارض اي يقطعها وعلى هذا فيجوز ان يقال له مسيح بالتشديد كسكيت وقيل مسيح
لانه مسح من الاوزار والاثام وقيل لانه لم يكن في قدمه خمص وكان ممسوح القدمين وقيل لانه ممسوح بدهن طاهر مبارك تمسح به الانبياء حين يولد
ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز ان يكون هذا الدهن يجعله الله علامة للملائكة يعرفون بها الانبياء حين يولدون وقيل لان جبرئيل مسحه بجناحه وقت
ولادته صيانة له عن مس الشيطان وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن واما المسيح الدجال فسمي بذلك لانه ممسوح احدى عينيه او لانه يمسح الارض
اي يقطعها في المدة القليلة قالوا ولهذا قيل الدجال من دجل الارض اي قطعها وقيل الدجال من دجل الرجل اذا موه ولبس وتقديم المسيح وهو اللقب
على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو الدرجة وانما نسب الى مريم والخطاب لمريم تنبيها على انه لا اب له حتى ينسب اليه كما في سائر الانبياء
فلا جرم ينسب الا الى امه وذلك من جملة ما اصطفيت به وانما ذكر ضمير الكلمة في اسمه لان المسمى بها مذكر وانما قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم والاسم من مجموع
عيسى والمسيح لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز والذي يتميز به عن غيره هو مجموع الثلاثة وجيها ذا الجاه والشرف والقدر وقيل
الكريم لان اشرف اعضاء الانسان هو الوجه في الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة والبراءة عن العيوب وفي الاخرة بالشفاعة لامته المحققين وعلو
الدرجة في الجنة ونصبه على الحال من النكرة الموصوفة وهي كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما مر في الوقوف اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات ومن
من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد قيل حجر امه وقيل الالة المعروفة لاضطجاع الصبي وكيف كان فالمراد انه يكلم الناس في الحالة
التي يحتاج الصبي فيها الى المهد وكهلا عطف على الظرف اي يكلم الناس في الصغر وفي الكهولة والكهل في اللغة الذي اجتمع قوته وكمل شبابه من قولهم
اكتهل النبات اي قوي روي ان عمره ثلث وثلثين ثم رفع الى السماء ولا ريب ان كل احوال الانسان ما بين الثلثين والاربعين فيكون عيسى قد
بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن الفضل المراد ان يكون كهلا بعد نزوله من السماء وانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال فان قيل ان تكلمه في المهد من المعجزات
ولكن تكلمه في حالة الكهولة ليس من المعجزات فما الفائدة في ذكره فالجواب من وجوه قال ابو مسلم معناه انه يتكلم حال كونه في المهد وحال كونه كهلا على حد
واحد وصفة واحدة ولا شك انه غاية في الاعجاز وقيل المراد للرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلبا في الاحوال من الصبي الى الكهولة فان
التغير على الاله محال وقيل المراد انه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة امه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي وبالنبوة وقال الاصم
المراد انه يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب اخر وهو ان بحث النصارى قالوا ان كلامه في المهد من اعجب الامور واغربها ولا شك
ان مثل هذه الواقعة تكون بحضرة جمع عظيم وتتوفر الدواعي على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان اولى الناس بمعرفتها
النصارى لانهم افرطوا في محبته حتى ادعوا الالهية لكنهم اطبقوا على انكاره فعلمنا انها لم توجد اصلا والجواب ان اطباق النصارى على انكاره ممنوع
ولو سلم فان كلام عيسى في المهد انما كان للدلالة على براءة مريم مما نسب اليها من السوء وكان الحاضرون رهطا قليلا ولا يبعد في مثلهم
التواطؤ على الاخفاء ويحتمل ان يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم الى البهت فهم ايضا قد سكتوا لهذه العلة
فلهذه الاسباب بقي الامر مكتوما الى ان نطق القرآن بذلك ثم ختم اوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم اوصاف يحيى بذلك وفيه ان
الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم هو المقصد الاسنى والامر الاقصى قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك
استبعادا او تشككا وانما ارادت تعيين الجهة كما مر في قصة زكريا فاجيب بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره الا انه عبر عن الفعل
ههنا بالخلق لان القدرة ههنا اتم وهو تخليق المولود بلا اب ولهذا اكده بقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقد تقدم تفسيره في السورة
التي ذكر فيها البقرة ونعلمه بالياء عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه ويحتمل ان يكون
كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لان المذكورات في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذي علمه امور اربعة اولها الكتاب وكان المراد به
الخط وثانيها الحكمة وهو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وثالثها التورية لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع
على العلوم الجمة ورابعها الانجيل وفيه العلوم التي خصه الله تعالى بذلك وشرفه بانزاله عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا
في العلم والفهم والاحاطة بالحقايق والاطلاع على الدقايق ثم قال ورسولا عطفا على وجيها وما بعده الى بني اسرائيل اي الى كلهم لا الى جمع منهم
وفيه رد على اليهود القائلين بانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم اني قد جئتكم يتعلق بمحذوف دل عليه لفظ الرسول اي ناطقا باني قد جئتكم
وانما وجب هذا الاضمار للعدول عن الغيبة الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين يدي فمعطوف على قوله باية اي مع اية والتقدير جئتكم مصاحبا لاية
من ربكم ومصدقا لما بين يدي او جئتكم لاجل اية وفي الكشاف تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم وناطقا
باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي او الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وعن الزجاج

ان ... رسولا باني قد جئتكم باية من ربكم والمراد بالاية الجنس لا الفرد لانه عدّ انواعا من الايات ثم ابدل عن الاية قوله اني اخلق
لكم فيمن قرا بفتح اني ويحتمل ان يكون اني مع ما بعده مرفوعا اي هي اني اخلق ومن قرا اني اخلق فللاستيناف او البيان كقوله ان مثل عيسى عند الله
كمثل ادم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب وهذا احسن ليوافق قراءة الفتح والمعنى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير من هيات الشيء واصلحه فانفخ
فيه اي في ذلك الطين المصور او الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا وهو اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع يروى انه خلق انواعا من الطير وقيل
لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرا طائرا وذلك انه لما ادعى النبوة واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق الخفاش فاخذ طينا
وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن عيونهم سقط ميتا باذن الله تعالى
بتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الاية على ان الروح جسم رقيق كالريح ولذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز ان يقال انه تعالى
اودع في نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ في شيء كان نفخه موجبا لصيرورة ذلك الشيء حيا وذلك انه تولد من نفخ جبرئيل في مريم وجبرئيل روح
محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح في الاجساد او يقال ليس الامر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحيوة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى
عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات وهذا هو الحق لقوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة ولقوله حكاية عن ابراهيم في المناظرة ربي الذي يحيي
ويميت فلو حصل لغيره هذه الصفة لبطل ذلك الاستدلال وابرئ الاكمه والابرص ذهب اكثر اهل اللغة الى ان الاكمه هو الذي يولد اعمى وقيل
هو الممسوح العين وقيل لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي وهو صاحب التفسير وقيل الاكمه من عمي بعد ان كان بصيرا رواه
الخليل وعن مجاهد انه الذي لا يبصر بالليل واما البرص فبياض يظهر في ظاهر جلد البدن وقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة و
غلبة البلغم على الدم الذي يغذوه فيضعف القوة المغيرة عن تمام التشبيه وقد تغلب البرودة والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الاصداف فيحيل الدم
الصائر اليه الى مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا في جوهره ... وهو داء عياء عسر البرء لا يكاد يبرا وخاصة المزمن منه
والاخذ في الازدياد والذي يرجى برؤه من البرص ما اذا دلك احمر لذلك ويكون سطحه خشونة ما والشعر الذي ينبت عليه لا يكون شديد البياض
واذا اخذ جلده بالابهام والسبابة وانفصل عن اللحم وغرزت فيه الابرة خرج فيه دم او رطوبة مورّدة ولا شك ان ابراء مثل هذا المرض ...
من قبيل الاعجاز روي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عم وما كانت مداواته الا بالدعاء و
واحيي الموتى احيا عازر وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره
حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له وقال الكلبي كان عيسى عليه السلام يحيي الاموات بيا حي يا قيوم وكرر قوله باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه
الالوهية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل كان من اول امره يخبر بالغيوب روى السدي انه كان يلعب مع الصبيان ثم
كان يخبرهم بافعال ابائهم وامهاتهم وكان يخبرهم بان امك خبات لك كذا فيرجع الصبي الى اهله ويبكي الى ان ياخذ ذلك الشيء فقالوا لصبيانهم
لا تلعبوا مع الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا في البيت فقال فمن في هذا البيت فقالوا خنازير فقال عيسى عم
كذلك يكونون فاذا هم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر وقت نزول المائدة وذلك ان القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون و
يدخرون وكان عيسى عليه السلام يخبرهم بذلك والادخار افتعال من الذخر قلبت كل من التاء والذال دالا ثم ادغم واعلم ان الاخبار عن الغائب معجزة دالة
على ان ذلك الخبر صار معلوما بالوحي ما لم يستعن فيه بالة ولا تقدم مسئلة خلاف ما يقول المنجمون والكهان فان ذلك باستعانة من احوال الكواكب
او الجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين كونه رسولا من عند الله ذكر انه لماذا ارسل فقال ومصدقا لما بين يدي من التورية
وذلك انه يجب على كل نبي ان يكون مصدقا لمن تقدمه من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف
بنبوته ولعل من جملة الاغراض في بعثة عيسى عليه السلام تقرير احكام التورية وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا
اخر في بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما في التورية اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب
واذا لم يكن التابيد مذكورا فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التورية فمجيء عيسى يكون تصديقا لما في التورية
وعن وهب بن منبه ان عيسى عليه السلام ما غير شيئا من احكام التورية وانه ما وضع الاحد بل كان يقرر السبت ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال
بامرين احدهما ان الاحبار كانوا قد وضعوا من عند انفسهم شرايع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها واعاد الامر الى ما كان والثاني
ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واستمر ذلك التحريم الى
عيسى ورفع تلك الشدائد منهم كانوا قد حرم عليهم الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية التشديدات عنهم خ
له وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله
فاتقوا الله واطيعون اعتراض وانما جعل القول اية من ربه لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل ويجوز ان يكون تقريرا
لقوله اني قد جئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة اي جئتكم باية بعد اخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتي بغير اب فاتقوا الله لما جئتكم
من الايات واطيعون فان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربي وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية وردا
لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم القصة الخامسة ذكر عاقبة امر عيسى عليه السلام ثم شرع في بيان
ان عيسى عليه السلام لما شرح لهم تلك المعجزات فهم بما ذا عاملوه فقال فلما احس اي علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس او
انهم تكلموا بكلمة الكفر واحس ذلك باذنه قال السدي لما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى منهم
وكان امر عيسى عليه السلام في قومه كامر محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وكان مستضعفا فخرج هو وامه يسيحان في الارض فاتفق انه نزل على رجل في قرية
فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوما حزينا فساله عيسى عم عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك
انه جعل على كل رجل منا يوما يطعمه ويسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتي والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي ادع الله ليكفي
ذلك فقال يا امه اني ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد احسن واكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى عم اذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك
وخوابيك ماء ثم اعلمني فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما في القدور طبيخا وما في الخوابي خمرا فلما جاء الملك اكل وشرب وساله من اين هذا
الخمر فتوقف الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى اخبره بالواقعة فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعاه حتى يحيي ولدي
اجابه وكان ابنه قد مات في تلك الايام فدعا عيسى عم وطلب منه ذلك فقال عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال ما ابالي ما كان فدعا

عيسى عليه السلام الله فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح واقتتلوا وصار امر عيسى عليه السلام مشهورا وقصد اليهود قتله واظهروا
الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين انه هو المسيح المبشر به في التورية وانه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من اول الامر طالبين قتله قال من انصاري
الى الله قيل انه لما دعا بني اسرائيل الى الدين وتمردوا عليه فر منهم واخذ يسيح في الارض فمر بطائفة من صيادي السمك منهم شمعون ويعقوب
من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى الان تصيدون السمك فهل لكم ان تصيروا بحيث تصيدون الناس لحيوة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون
قد رمى شبكته تلك الليلة في الماء فما اصطاد شيئا فامره عيسى بالقاء شبكته في الماء مرة اخرى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا
باهل سفينة اخرى وملؤا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه للقتل وكان هو في الهرب منهم قال لاولئك الاثني
عشر من الحواريين ايكم يحب ان يكون رفيقي في الجنة على ان يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فاجابه الى ذلك بعضهم ومما ذكره النصارى في انجيلهم
ان اليهود لما اخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عليه السلام حسبك ثم ادنى اذن
العبد فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل ان المراد من طلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم
كما قال في موضع اخر فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف
قيل من يضيف نصرته اياي الى نصرة الله عز وجل اياي ~~الى نصرة الله عز وجل اياي~~ وقيل من انصاري الى ان اظهر دين الله فالجار على القولين من صلة انصاري
مضمنا معنى الاضافة وقيل من انصاري حال ذهابي الى الله او حال التجائي اليه وقيل من انصاري فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته ذلك
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا ضحى اللهم منك واليك اي تقربا اليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام وقيل
بمعنى في اي في سبيل الله وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دينه ورسوله وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات
لخلوص الوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحواري واحد ونظيره الحوالي وهو الكثير الحيلة وعن سعيد بن جبير سموا
بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة اخلاقهم ومنه قولهم فلان نقي
طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط حواري فعرب واما ان الحواريين من هم فقيل هم الذين
كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وامنوا به كما حكينا وقيل ان امه دفعته الى صباغ فكان اذا اراد ان يعلمه شيئا كان هو اعلم به منه فغاب الصباغ
يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد اعلمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا وجعل الجميع
فيه وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ وساله فاخبره بالفعل فقال قد افسدت علي الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر
كما كان يريد فتعجب الحاضرون منه وامنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى عم وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده
على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا
واذا شئنا سقيتنا وقد امنا بك فقال افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب فسموا حواريين وقيل ان واحدا من الملوك
صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فذكر واقعة لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم هو ابن الملك
بعيسى فقال من انت قال عيسى بن مريم قال فاني اترك ملكي واتبعك فتبعه ذلك الملك مع اقاربه فاولئك هم الحواريون قال القفال يجوز ان يكون
بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين وسموا جميعا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عم والمخلصين في محبته وطاعته
امنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم نحن انصار الله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون
منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله تعالى فيه او هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبياء عم وانما طلبوا
شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيمة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي
ان يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين فقال ابن عباس اي مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وعنه ايضا اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبي شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل
اكتبنا في جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق فقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم وقيل
اجعلنا ممن هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل الينا من المشاق والالام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك او اكتبنا
في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله ان كتاب الابرار لفي عليين ومكروا والمعنى كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر ومكر الله
المكر في اللغة السعي بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل اصله من اجتماع الامر واحكامه ومنه امراة ممكورة مجتمعة
الخلق فلما كان المكر رايا محكما قويا مصونا عن جهات النقص والفتور لا جرم سمي مكرا اما مكرهم بعيسى فهو انهم هموا بقتله واما مكر الله بهم فهو ان رفعه الى السماء
وما مكنهم من ايصال الشر اليه روي ان ملك اليهود اراد قتل عيسى عليه السلام وكان جبرئيل لا يفارقه ساعة فامره جبرئيل ان يدخل بيتا فيه روزنة فلما
دخلوا البيت اخرجه جبرئيل من تلك الروزنة وكان قد القى شبهه على غيره ممن وكل به ليقتله غيلة فاخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلث فرق فرقة قالت
كان الله فينا فذهب واخرى قالت كان ابن الله واخرى قالت كان عبد الله ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثني عشر وكانوا مجتمعين في بيت
فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فالقى الله شبهه عليه ورفع عيسى عم وذكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد ان رفع عيسى عليه السلام فشمسوهم
ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله
واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسالهم عن عيسى
عليه السلام فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية
في الروم وكان اسم هذا الملك طباريس وهو صار نصرانيا الا انه ما اظهر ذلك ثم انه جاء بعده ملك اخر يقال له ططيس وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع
عيسى بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في حاشية بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى
على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل انهم مكروا في اخفاء امره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث اعلى دينه واظهر شريعته وقهر بالذل اعداءه وهم اليهود
والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم ان المكر عبارة عن الاحتيال في ايصال الشر فهو في حق الله
تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان يأول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او بانه عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابه
على سبيل الاستدراج وان كان عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ من المتشابهات لانه غير ممتنع في حق الله تعالى الا انه قد اختص في العرف بالتدبير في ايصال

البشر الى الغير. اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله او مفعول اذكر يا عيسى اني متوفيك اي متمم عمرك وعاصمك من ان يقتلك الكفار الآن بل رافعك الى سمائي واصونك من ان يتمكنوا من قتلك. وقيل متوفيك اي مميتك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم رافعك الي وهذا القول مروي عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي ثلث ساعات ثم رفع واحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله تعالى ورفعه وقال الربيع بن انس نومه ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف ورعب اخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي اخذ الشيء وافيا اي اخذك بروحك وجسدك جميعا فرافعك اي رفعا لوهم من يتوهم انه اخذ بروحه دون جسده. وقيل متوفيك فاقبضك من الارض من توفيت مالي على فلان اي استوفيته. وقيل اجعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره واثره عن الارض فيكون من باب اطلاق اسم الشيء على ما يشابهه في اكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف اي متوفي عملك ورافع طاعاتك فكانه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه من المتاعب في تشييد دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع اجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه. وقيل في نسق الكلام تقديم وتاخير فان الواو لا تقتضي الترتيب والمعنى اني رافعك الي ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك اما قوله تعالى ورافعك الي فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات المكان لله تعالى وانه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على انه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التاويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قول ابراهيم اني ذاهب الى ربي وانما ذهب من العراق الى الشام وقد يسمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم او المراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان في الارض ملوكا مجازية. ولئن سلم انه تعالى يمكن ان يكون في مكان فليس رفع عيسى الى ذلك المكان سببا لبشارته ما لم يتعين الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وان يقول المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق في الآية دلالة على اثبات المكان لله تعالى ثم انه كما عظم شأنه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا اي من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيمة ولعمري انه كذلك فلا يرى ملك يهودي في الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على انا نقول المراد بمتبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون بانه عبد الله ورسوله ثم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعده فصدقوه في قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد او المتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى. واعلم ان النص القرآن دل على انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليه اشكالات الاول انه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فاني اذا رايت ولدي ثم رايته ثانيا فلم اجوز ان هذا الذي رايته ثانيا ليس ولدي بل هو انسان آخر القي شبهه عليه وكذا الصحابة الذين راوا محمدا يامرهم وينهاهم احتمل ان يكون محمد انسانا آخر القي شبهه عليه وانه يفضي الى سقوط الشرائع وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر في الاخبار المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس فاذا جوزتم وقوع الغلط في المبصرات فتح هذا الباب اوله سفسطة وآخره ابطال النبوات والثاني ان جبرئيل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي لاهل الارض فكيف لم يكف في منع اولئك اليهود وانه عليه السلام كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة اولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء والقاء الفالج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له والثالث انه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة في القاء شبهه على الغير وهل هذا الا ايقاع مسكين في القتل من غير فائدة مع ان ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا ان المصلوب هو عيسى وانه لم يكن لعيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى والرابع ان النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب وافراطهم في محبة عيسى اخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في المتواتر يوجب الطعن في نبوة جميع الانبياء والخامس ثبت بالتواتر ان المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك اشتهر وتواتر والجواب عن الاول ان كل من اثبت القادر المختار سلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك في وجوب زيد وكذا فيما ذكرتم وعن الثاني والثالث ان ذلك يفضي الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافي التكليف والتلبيس المذكور قد ازاله فائدة عيسى الحاضرون معه العالمون بالواقعة وعن الرابع انه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والواسطة وعن الخامس ما روي ان الذي القي عليه الشبه كان من خواص اصحابه فلهذا صبر على انا نقول قد ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر عنه فهذه الاحتمالات تمتنع ان تصير معارضة للنص القاطع والله ولي الهداية قال ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وفيه بشارة لعيسى عم بانه يحكم بين المؤمنين وبين الجاحدين له وتفسيره قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والذلة وانواع المصائب والرزايا التي لا ثواب عليها في الآخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين للشيء في غير موضعه بالتكذيب في مقام التصديق والعمل السيء مكان العمل الصالح وذلك ان المحبة عبارة عن ايصال الخير اليه وهو ضد اراد كفر الكافر الا انه لا يوصل الثواب اليه وقالت المعتزلة المحبة والارادة واحد والمعنى انه لا يريد ظلم الظالمين ذلك الذي سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك والتلاوة والقصص كلاهما يؤول الى معنى واحد هو ذكر الشيء وبعضه على اثر بعض جعل تلاوة الملك كتلاوته لما كانت بامره كذا وقوله من الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والمراد بها آيات القرآن ويحتمل ان يراد انه من الآيات الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وظاهر انك لا تكتب ولا تقرأ فبقي ان يكون من الوحي ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بفعل يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه او هو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى ان الاحكام تستفاد منه او بمعنى المحكم احكمت آياته اي عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذي منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبياء اخبر تعالى انه انزل هذه القصص مما كتب هناك قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير اب فان كنت صادقا فارنا مثله فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي حاله الغريبة كحاله ووجه الشبه ان كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة بل الوجود من غير اب وام اغرب فشبه الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغي ان يكون اقوى حالا من المشبه في وجه الشبه ثم فسر كيفية خلق آدم بقوله خلقه من تراب اي قدره جسدا من طين قيل اشتقاق آدم من الادمة وقال ابن عباس سمي آدم لانه خلق من اديم الارض كلها احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان في ولده

الاسود والاحمر والطيب والخبيث وقيل انه اسم اعجمي كآزر ووزنه فاعل لا افعل والضمير عائد الى آدم الموجود كقولك هذا الكوز اصله من الطين ثم قال له اي لذلك المقدر كن فيكون وهذا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر وانما لم يقل فكان اما لانه حكاية حال ماضية واما لتصوير تلك الحالة العجيبة كقوله شعر فاضربها بلا دهش فخرت ... او المراد اعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة وقيل معنى ثم تراخي الخبر عن الخبر لا تراخي المخبر عن المخبر كقول القائل اعطيت زيدا الفا اليوم ثم انا اعطيته امس الفين اي ثم انا اخبركم اني اعطيته امس الفين فكذا قوله خلقه من تراب اي صيره بشرا سويا ثم انه يخبركم انه انما خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه تعالى بكيفيته وقوعه وارادته لايقاعه على الوجه المخصوص والمراد بكن ادخاله في الوجود قالت الحكماء وانما خلق آدم من التراب لوجوه ليكون متواضعا وليكون ستارا وليكون اشد التصاقا بالارض فيصلح لخلافة فيها ولما فيه من اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التي هي اضوأ الاجرام السفلية وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملائكة من الهواء الذي هو الطف الاجرام واعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من امواج مياه البحار وابقاها معلقة في الفضاء وخلق آدم من التراب الذي هو اكثف الاجرام فاعطاه النور والهداية وكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر على ان الله تعالى هو المدبر بغير احتياج والخالق بلا مزاج وعلاج وخلق البشر من التراب لاطفاء نيران الشهوة والحرص والغضب وخلقه من الماء ليتخلق بالصفاء وليكون صافيا يتجلى فيه صور الاشياء ثم مزج بين التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا اني خالق بشرا من طين ثم انه سل من لطائف اجزاء الطين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعله طينا لازبا انا خلقناهم من طين لازب ثم جعله متغير الرائحة ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون حكي ان بعض العلماء اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق يعني الذي انبأتك من شأن عيسى لا الذي اعتقد النصارى فيه انه اله ولا الذي زعم اليهود من رميها بيوسف النجار او الحق مبتدأ ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل من الشيطان فلا تكن من الممترين الشاكين قال ابن الانباري اصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه شرا وفي هذا النهي زيادة الثبات والطمأنينة ولطف للامة وقد مر تذكاره في سورة البقرة والله اعلم. التأويل الاصطفاء ثلثة انواع اصطفاء على غير الجنس ان الله اصطفى آدم ولم يكن له جنس حين خلقه واسجد له ملائكته واصطفاء على الجنس وعلى غير الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم على الكائنات بقوله لولاك لما خلقت الكونين وقال صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي واصطفاء على الجنس كقوله يا موسى اني اصطفيتك على الناس و يا مريم ان الله اصطفاك لاصطفائك اياه وطهرك عن الالتفات بغيره واصطفاك على نساء العالمين بنيل درجة الكمال وان لم تكن من شأن النساء ان الله يبشرك بكلمة منه كل صنف من اصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كان صنفا من اصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه خلق نسخة العالم بما فيه وهو ايضا كلمة المعرفة كالعالم لكنه خص من العالم بما فيه بكرامة معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل المزكى بتزكية الشريعة المربي بتربية ارباب الطريقة وانما خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم اعني الكلمة من بين سائر الانبياء والاولياء لانه خلق مستعدا لهذا الكمال في بدء امره وقد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان من اختصاصه بالكلمة انه قال في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب روى مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت انا وهو حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وانا اسمع وحكي المسيح لانه حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاستخرج منه ذرات ذرياته لم يرد الى مقامه كما جاء في الخبر ان الله تعالى اذن للذرات بالرجوع الى ظهر آدم وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى القاها الى مريم فكان قد بقي عليه اسم المسيح اي الممسوح وكهلا اي حالة النبوة لان بلوغ الانبياء عنده كهولتهم ومن الصالحين يعني صلاحيته قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء عليهم السلام ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل الروح الانساني الذي هو خليفة الله في ارضه قابل لجميع انوار الصفات خلافة عنه حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير ذلك من الآيات التي هي من نتائج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكائن من العناصر واحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنعت عن قبول انوار الصفات الى ان يخرجه مدد العناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبي آيات المعجزات وعلى الولي امارات الكرامات وكما كان روح عيسى عليه السلام وذرة طينة النسخة من ظهر آدم محتجبة عند الله حتى القاها الى مريم من غير شائبة ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمي روح الله كان قابل انوار الصفات في بدء امره فتكلم في المهد ويكتب ويقرأ التورية والانجيل من غير تعلم ويحيي ويبرئ الاكمه الى غير ذلك من الآيات فلما احس عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما احس من النفس وصفاتها الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن انصار الله آمنا بالله اي بوحدانيته والتبري عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه ربنا آمنا بما انزلت من الحكم والاسرار واللطائف والحقائق واتبعنا الرسول الوارد من نفحات الطافك فاكتبنا مع الشاهدين المشاهدين لانوار جلالك ومكروا اي النفس وصفاتها والشياطين واتباعها في هلاك عيسى الروح ومكر الله بتجلي صفات قهره في فناء النفس وصفاتها والله خير الماكرين في قهر النفس الامارة بالسوء وقلع صفاتها وقمع شهواتها اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك عن الصفات النفسانية والسمات الحيوانية ورافعك الي بجذبات العناية كما اسرى بعبده الى قاب قوسين او ادنى ومن خواص الجذبة الربوبية محو الصفات البشرية ثم الي مرجعكم باللطف او القهر بالاختيار على قدم السلوك او بالاضطراب عند نزع الروح فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالحجاب والغفلة والاشتغال بغير الله والآخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون انفسهم بالفناء والعرق في طلب غير الله ثم قال له كن فيكون هو سنة الله في خلق الارواح والملكوت لا الاجساد والملك ولكنه اجراها في تكوين آدم من تراب بلا اب وام وخلق حواء بلا ام وخلق عيسى من مريم بلا اب خرقا للعادة ودلالة على اختياره ورغما لانف من قال بالايجاب في الايجاد فلا تكن من الممترين نهي الكينونة في الازل فما كان من الممترين ولا يكون الى الابد والله اعلم

فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا و نساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ۝ ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم ۝ فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين

قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا و
لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ۞
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون
ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ۞
ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون ۞
يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون ۞ يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ۞ صدق الله العظيم

القراءة ها انتم بالمد وغير الهمزة حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وروى ابن مجاهد وابو عون عن قنبل هانتم على وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز **الوقوف** الكاذبين ه القصص الحق ج الا الله ط الحكيم ه المفسدين ه من دون الله ط لتناهي جملة وافية الى ابتداء شرط مسلمون ه من بعده ط تعقلون ه ليس لكم به علم ط لا تعلمون ه مسلما ط المشركين ه والذين امنوا ط المؤمنين ه لو يضلونكم ط يشعرون ه تشهدون ه تعلمون ه **التفسير** روى انه صلى الله عليه وسلم لما اورد الدلائل على نصارى نجران ثم انهم اصروا على جهلهم قال صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم فقالوا يا ابا القسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم ناتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج وعليه مرط من شعر اسود وكان قد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة ثم قالوا يا ابا القسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلوات الله عليه وآله فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال فاني اناجزكم اي احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الفا في صفر والفا في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروى عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم لما خرج في المرط الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي عليهم الرضوان ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق الوحي والتنزيل فقل تعالوا هلموا واقبلوا بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة وهو في الاصل تفاعل من العلو وذلك ان بيوتهم كانت على اعالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان اي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجيء وصار بمنزلة هلم ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ويأت هو بنفسه ومن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار من هم اعز من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نتباهل وقد يجيء افتعل بمعنى تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والتباهل ان يقول كل واحد منهما بهلة الله على الكاذب منا اي لعنته ويقال بهله الله اي لعنه وابعده من رحمته ومنه قولهم ابهله اذا اهمله وناقة باهلة لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها واخذ لبنها لا قوة بها على الدفع من نفسها فكان المباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي وقوتي وخلاني من كلاءته وحفظه هذا اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الآية لئلا يلزم التكرار اي ثم نجتهد في الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسأل الله ان يلعنه وفي الآية دلالة على ان الحسن والحسين وهما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وعد ان يدعو ابناءه ثم جاء بهما وقد تمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا افضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثنا عشرية يزعم ان عليا افضل من سائر الانبياء سوى محمد قال وذلك انه ليس المراد بقوله وانفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن ابي طالب فاذن نفس علي هي نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا علي قال ويؤكده ما يرويه المخالف والموافق انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يرى آدم في علمه ونوحا في طاعته وابراهيم في خلته وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن ابي طالب فدل الحديث على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم واجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذلك انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا الانسان على ان النبي صلى الله عليه وسلم افضل ممن ليس

بنبي واجمعوا على ان عليا ما كان نبيا فلزم ان ظاهر الآية كما انه مخصوص في حق محمد عم فكذا في حق سائر الانبياء واما فضل اصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يتجرأ على تعريض اعزته وخويصته وافلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا ان القوم عرفوا من التورية والانجيل ما يدل على نبوته لما احجموا عن مباهلته واما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فليس من قبيل المباهلة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرض نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلي عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وما من اله الا الله وهو في افادة معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فيه جواب عن شبه النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله غالبا لا يدفع ولا يمنع وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون عالما بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان تولوا اعرضوا وصدفوا من التوحيد وان اله الخلق يجب ان يكون قادرا على كل المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك عنهم وفوض امرهم الى الله فانه عليم بحال المفسدين في الدين وخباثتهم واغراضهم الفاسدة ومجازيهم باعمالهم الخبيثة ثم انه صلى الله عليه وسلم لما اورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فانخزلوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية امره الله تعالى بمنهج من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا اهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الآية من تمام قصتهم ولانه كلام منصف فحق ان يطلب بالتطييب به قلوبهم كما لو قيل يا حامل القرآن يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الآية والمراد من قوله تعالوا اقبلوا وعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف وفيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه او المراد الى كلمة مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ومحل ان لا نعبد خفض على البدل من كلمة او رفع على الخبر اي هي ان لا نعبد وهو خبر في معنى الامر اي اعبدوا وانما ذكر امورا ثلثة لان النصارى جمعوا بين الثلثة يعبدون غير الله وهو المسيح واشركوا به غيره لانهم اثبتوا اقانيم ثلثة ابا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان اقنوم الكلمة تدرعت بناسوت المسيح واقنوم روح القدس تدرعت بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلين والا لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى ومريم وحيث اثبتوا الثلثة ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء انفسهم من غير شريعة وبيان ولانهم يسجدونهم ويطيعونهم في المعاصي وهوى النفس ورؤية الامور من الوسائط افرايت من اتخذ الهه هواه ولان من مذهبهم ان الكامل في الرياضة يظهر فيه اثر اللاهوت ويحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا عليهم اسم الرب الا انهم اثبتوا في حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء فان قبل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح عليه والقول بان الاشراك ايضا ضايع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب ان لا يرجع في التحليل والتحريم والانقياد والاعتبار الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت بغير القبلة فان تولوا عن التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع لزمتك الحجة فاعترف باني انا الغالب ويكون من باب التعريض ومعناه اعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون ان ابراهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التورية والانجيل ما انزلا الا من بعده وبين ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يعقل ان يكون يهوديا او نصرانيا لا يقال هذا ايضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابراهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما انزل بعده بزمان اطول مما بينه وبين انزال التورية والانجيل لانا نقول القرآن اخبر ان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس في الكتابين انه كان يهوديا او نصرانيا فظهر الفرق وايضا المسيح ما كان موجودا في زمان ابراهيم حتى يعبد وعبادة المسيح هي النصرانية عندكم وايضا لا نسخ في دين اليهود والنسخ جائز في ملة ابراهيم ها انتم هؤلاء ها حرف التنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى يعني انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل من نعت محمد وليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة انما اراد انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم وعن الاخفش ها انتم اصله أانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهالاتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم كيف كانت حال هذه الشرائع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا او عرض بالمشركين لانهم اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح فان قيل قولكم ابراهيم على دين الاسلام ان اردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان اريد به الموافقة في الفروع لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع من قبله قلت نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى يخالفون الاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح افعالهم والثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابراهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع موافقة شرعه شرع ابراهيم في معظم الفروع روى الواحدي عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما هاجر جعفر بن ابي طالب واصحابه الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا اموالا واهدوا الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي ارائكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط مع الهدايا الادم وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل احد منا عليهم ولا يخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا واية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون

لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الافاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله تعالى فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التورية والانجيل قال ايكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب لا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين ابائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمناه نحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه اصدقني قال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وامره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب الناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم بالله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيمة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه قال يقرا علينا كتاب الله ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويامر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرا علي شيئا مما يقرا عليكم فقرا عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت اعين النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون في عيسى وامه فقرا عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول امنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا انهم في دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو واصحابه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابراهيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قوله ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين امنوا في اخر الزمان والله ولي المؤمنين بالنصرة والتاييد والتوفيق والتسديد ومعنى اولى الناس اخصهم به واقربهم منه من الولي القرب وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرا ان اولى الناس الاية ثم بين انهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يسعون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما ارادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد ذكرنا في سورة البقرة وما يضلون الا انفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال او ما يقدرون على اضلال المؤمنين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح افعالهم بطريق الاستفهام فقال لم تكفرون بايات الله قيل اي بالتورية والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد وان ابراهيم كان حنيفا مسلما وان الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتورية والانجيل الكفر بالايات عليها فيكون قد اطلق اسم الدليل على المدلول والكفر بنفس التورية لانهم كانوا يحرفونها وينكرون وجود تلك الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى وانتم تشهدون انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرون اشتمال التورية والانجيل على نعت محمد واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الاية اخبار عن الغيب فيكون معجزا وقيل ايات الله هي القران وشهادتهم انهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل ايات الله جملة المعجزات التي ظهرت على النبي صلى الله عليه وسلم فمعنى تشهدون انكم تعترفون بدلالة المعجزة على صدق المدعي ثم لما وبخهم على الغواية اردف التوبيخ بالاغواء وهو اما بالقاء الشبهات في الدين وهو معنى لم تلبسون الحق بالباطل واما باخفاء الدلائل وهو كتمانهم الحق عن الحسن وابن زيد حرفوا التورية فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس اظهروا الاسلام في اول النهار ثم رجعوا عنه في اخره تشكيكا للناس وقيل ان في الكتابين ما يدل على نبوة محمد والبشارة به وفيهما ما يوهم خلاف ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه في القران فلبسوا على الضعفاء احد الامرين بالاخر كما يفعله كثير من المشبهة وهذا قول القاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا معترف بان شرع موسى حق ثم ان التورية دلت على انه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبهات واما كتمان الحق فهو ان الايات الدالة في التورية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان الاستدلال بها مفتقرا الى التدبر والتامل والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي بمجموعها يتم الاستدلال كما يفعله المبتدعة في زماننا وانتم تعلمون انكم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا وتعلمون انكم من اهل المعرفة او تعلمون حقيتها وان عقاب من يفعل هذه الافعال عظيم والله اعلم بالصواب

وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ۞ ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله

واسع

واسع عليم ۞ يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۞ ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ۞ بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ۞ ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ۞ وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ۞ ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ۞ ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ۞

القراءة ان يؤتى بهمزتين وتليين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤده ولا يؤده ابن كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلي وخلف وحفص والمفضل وعباس وسهل ويزيد عن يعقوب وقرا ابو جعفر وقالون ويعقوب غير يزيد وابو عمرو وفي رواية الترمذي طريق ابي ايوب الهاشمي بالاختلاس الباقون ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر فحذف المفعول الاول للعلم به وهو الناس الباقون تعلمون بالتخفيف من العلم ولا يامركم بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي والاعشى والبرجمي وابو زيد عن المفضل وقرا ابو عمرو بالاختلاس الباقون **الوقوف** يرجعون ج للعطف دينكم ط هدى الله لا لان التقدير ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل مع مقوله معترض ومن قرا ان يؤتى مستفهما وقف عليها ط عند ربكم ط بيد الله ج ط لان يؤتيه لا يتعلق بما قبله باسم مع ان ضميره فاعله عائد الى الله من يشاء ط عليم ط لاحتمال الاستيناف والصفة من يشاء ط العظيم ه اليك لا الاول ج لتضاد الجملتين مع اتفاقهما لفظا قائما ط سبيل ج لان الواو للاستيناف مع اتفاق معنى الكلام يعلمون ه المتقين ه يزكيهم ص اليم ه وما هو من الكتاب ط لعطف المتفقتين مع نوع العارض وما هو من عند الله لا يعلمون ه تدرسون ه لا لمن قرا ويامركم بالنصب عطفا على ان يؤتيه اربابا ط مسلمون ه **التفسير** هذا نوع اخر من حيلهم وقوله بالذي انزل يحتمل ان يراد كل ما انزل عليهم ويحتمل ان يراد بعض ما انزل اما الاحتمال الاول فقول الحسن والسدي تواطا اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار اي اوله والوجه في اللغة مستقبل كل شيء ومنه وجه الثوب لاوله ما يبدو منه روى ثعلب عن ابن الاعرابي اتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وانشد للربيع بن زياد شعر من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار يجد النساء حواسرا يندبنه قد قمن قبل تبلج الاسحار وذلك انه كان من عادتهم ان لا يظهروا الجزع على المقتول الى ان يدرك الثار فمعنى البيت من كان مسرورا فليات ليشتفي الغيظ وادرك الثار قبل ان يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا اخره اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك فان اصحابه يعني شاهد واذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد والا لما استوابه في اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب وقد تفكروا في امره وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التامل التام والبحث الشافي انه كذاب فيكون ذلك الطريق تشكيكا لضعفة المسلمين فلعلهم يرجعون عن دينهم وقال ابو مسلم معنى وجه النهار واخره ان رؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض نافقوا واظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امر هؤلاء في اضطراب فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف امرهم واضمحل فانهم فيرجعون الى دينكم فيكون هذه الاية كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى شيئين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه في جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم ويرجعوا عن دين الاسلام والرغبة فيه واما الاحتمال الثاني فقول من قال انها نزلت في شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله وهو صلوة الصبح واخره صلوة الظهر وتقريره انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلوة الظهر قال كعب بن الاشرف وغيره امنوا بالقبلة التي صلى اليها صلوة الصبح فهي الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود لمخالفتهم فقالوا امنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا بالكعبة اخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هؤلاء واطلعه على سرائرهم كيلا تؤثر الحيلة في قلوب ضعفاء المؤمنين ولان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل ليصير ذلك داعيا لهم وفيه ايضا انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا ثم قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على انه من بقية حكاية كلام اهل الكتاب وتقويتهم

على ان قوله قل ان الهدى هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى اخرها كلام الله الا انهم اختلفوا في ان قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا عدت الاية من المواضع المشكلة اما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في قراءة من قرا ء ان ومن قرا بهمزة واحدة ولتقدر همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا لام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد و عيسى بن عمر والمعنى ألان اي من اجل ان يؤتى احد شرائع مثل ما اوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب وعد ذنوبه عليه وقد احسن اليه أمن قلة احساني اليك امن اهانتي لك والمعنى امن هذا فعلت ما فعلت امن ذلك ونظيره قوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا تصدقوا الانبياء بغير شرائع التورية فاما من جاء بتغيير شيء من احكام التورية فلا تصدقوه وهذا هو مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا فهو الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور ويحتمل ان يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم فقيل للنبي قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد الضعيف ثم استفهم فقال أان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ثم قال او يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل بالايمان عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم لان ما اوتوا مثل ما اوتيتم فحين لم تؤمنوا به ثبت لهم حجة عليكم واما ان لم يقدر همزة الاستفهام فالتقرير اما كما سبق او يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون او بمعنى حتى وتم الكلام اي حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضي لهم عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى مفعول فعل محذوف وهو لا تنكروا لانه لما كان الهدى هدى الله كان له ان يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الهدى او يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم او يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل ويقدر لا بعد ان مثل ان تضلوا والتقدير قل يا محمد لا شك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو دين الاسلام الذي هو افضل الاديان ولا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عند ربكم في الاخرة لانه يظهر لهم في الاخرة انكم محقون وانهم ضالون واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان الهدى هدى الله جملة معترضة لغناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم او لا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم فحذف حرف الجر من ان على القياس قال في الكشاف اراد واسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتاب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجوكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قال ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم اي سركم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكدا للاعتراض الاول او هو اعتراض آخر يجيء بعد تمام الكلام كقوله وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها فان قيل ان جد القوم في حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد عليه السلام كان اعظم من جدهم في حفظ غير اتباعهم عنه فكيف يليق ان يوصي بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد عند اتباعهم وان يمتنعوا من ذلك عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهي الامر بافشاء هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد انه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا عند خواصكم واصحاب اسراركم على انه يحتمل ان يكون شائعا ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله قل ان الهدى هدى الله فيما بين جزئي كلام واحد وهذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل ان يكون هذا كلاما امر الله نبيه ان يقوله عند ما وصل الكلام الى هذا الحد كانه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لا جرم ادب رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى حكاية تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة آمنت بالله او لا اله الا الله او تعالى الله ثم يعود الى تلك الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله واعلم انه تعالى حكى عن اليهود امرين احدهما ان يؤمنوا وجه النهار ويكفروا آخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى الله وذلك ان مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة عين ولا اثر وثانيهما انهم استنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا من الكتاب والحكم والنبوة فاجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل الرسالة وهو في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان للفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له غالب عليه يوضحه قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة وتحصل التفضل بها لا بالاستحقاق لانها جعلها من باب الفضل الذي لفاعله ان يفعله وان لا يفعله ولا يتجه ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم والمصالح وبمواقع فضله فلهذا يختص برحمته من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على ان يؤتي بعض عباده مثل ما اتاكم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعالى امر اجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما اتاهم بل يكون اشرف واعظم والله ذو الفضل العظيم لمن قصر انعامه واكرامه على معينة وعلى اشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى في قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم في دعواهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان ونقض العهد والكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال ومن اهل الكتاب الآية فيها دلالة على انقسامهم الى قسمين اهل للامانة واهل للخيانة فقيل ان اهل الامانة هم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من يخالفهم في الدين واخذ اموالهم وقيل ان اصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم واهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال اهل الحقيقة هي فيمن يؤتى كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفاء به وفيمن يمتحن بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما يؤخر مؤديا حقوقها ويقال انه كذا

وعلى

وعلى كذا المعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستعلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه واما الاقوال فيه فقد مرت في اوائل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس ان القنطار الف و مائتا اوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والدين لان الانسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى المبايعة وعلى المقارضة وليس في الآية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس انه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقل عنه ايضا نزلت في الوديعة واما قوله الا ما دمت عليه قائما فمنهم من حمله على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه مجتمعا معه ملازما اياه فان انظرت واخرت انكر ومنهم من حمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة اصله ان المطالب للشيء يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى امة قائمة اي عاملة بامر الله غير تاركة له وقال ابو علي الفارسي انه في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما اي ثابتا لا ينسخ فمعنى الآية الا دائما ثابتا في مطالبتك اياه وبذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما اصبنا من اموال العرب سبيل بالخطاب والعتاب اما انهم يبالغون في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف واخذ ماله باي طريق كان واما انهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا ويحتمل ان يكونوا اعتقدوا ان في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين بالردة فيستحلون دماءهم واموالهم وروي ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة او يعلمون حرمة الخيانة او يعلمون ما على الخائن من الاثم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم بلى قال الزجاج عندي وقف التمام ههنا لانه ايجاب لنفي ما قبله اي بلى عليهم سبيل في ذلك وما بعده استئناف وقال غيره انه يذكر في ابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم ليس علينا جناح قائم مقام قولهم نحن احباء الله فقيل لهم ان اهل الوفاء بالعهد واهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فالوقف على بلى وفيه ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شيء ولو انهم اوفوا بالعهود واوفوا اول كل شيء بالعهد الذي اخذه الله تعالى في كتابهم من الايمان بنبي آخر الزمان وهو محمد عليه صلوات الرحمن ولو انهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قام مقام الضمير العائد الى المبتدا والضمير في بعهده يجوز ان يرجع الى من ويجوز ان يرجع الى اسم الله كقوله في الآية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى اصلان لجميع مكارم الاخلاق فالوفاء بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتممها وتزينها حتى يأتي بها على وجه الكمال من غير شائبة الاخلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر في يحب المتقين دون ان يقول يحب الموفين او الموفين المتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة فيها لا تتفق الا بالايمان الكاذبة غالبا لا جرم اردفها بالوعيد عليها وايضا الخيانة في العهود وفي تعظيم اسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلا جرم قال ان الذين يشترون الآية فاختلف الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الآيات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من جعلها بغيرهم والروايات بهذه قال عكرمة نزلت في ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤساء اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التورية في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا يفوتهم الرشى والمآكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي ان ناسا من علماء اليهود اولي فاقة اصابتهم سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسألهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله في كتابكم قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم علي وانا اريد ان امبركم واكسوا عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة سوى صفته ثم انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه وساءلوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما اتيناه اذا هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا واخرجوا الذي كتبوا فنظر اليه كعب ففرح ومارهم وانفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الآية على وفق وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه ومعنى يشترون يستبدلون وعهود الله مواثيقه والايمان هو الذي يؤكد الالتزام بها خبرا من وعد او وعيد او انكار او اقرار بذكر اسم الله تعالى او صفة من صفاته وما يجري مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه رتب على الشرى بعهد الله وبايمانهم ثلاثا للبلاغة خمسة انواع من الجزاء فقوله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة اشارة الى انه لا نصيب في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله ولهم عذاب اليم اشارة الى ما يحصل لهم هنالك من صنوف الآلام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم لان من منع كلامه في الدنيا غيره فانما ذلك لسخط عليه وقد يأمر بحجبه عنه ويقول لا اكلمك ولا ارى وجهك واذا جرى ذكره لم يذكره بالجميل قال في الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم يقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاد ونظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد من النظر تقليب الحدقة الى جانب المرئي التماسا لرؤيته لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخليل بهذه الآية على ان النظر المقرون بحرف الى ليس بمعنى الرؤية والا لزم من هذه الآية ان لا يكون الله تعالى رائيا وذلك باطل قلت يجوز ان يراد بهذا النظر النظر المعهود وهو الذي يخص الله تعالى به اولياءه من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا جاز ان يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم من نفي رؤية يراه العباد ايضا فقد نفى رؤية لا يراه منهم جنسه وان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يلوون السنتهم بالكتاب قال القفال معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللي عبارة عن عطف الشيء ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله

في العبرانية وانما كانوا يفعلون مثل ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة وفي الكشاف
اي يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف اقول وذلك ان في اللسان شبيه بالتشدق والتقطع والتكلف مذموم فعبر الله تعالى عن قراءتهم
لذلك الكتاب الباطل بلي اللسان ذما لهم وتقبيحا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق بين الفاظ المدح والذم في الشيء الواحد
لتحسبوه اي المحرف الذي دل عليه يلوون ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوه ذلك الشبه من الكتاب
وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله نفى اولا كونه من الكتاب ثم عطف عليه النفي العام ليعلم انه كما ليس من الكتاب
ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من احكام المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التورية
لفظا وبقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خابطين فان وجدوا قوما
من الاغمار الجاهلين بالتورية قالوا انه من التورية وان وجدوا قوما عقلاء زعموا انه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف
تغيير الفاظ التورية او اعراب الفاظها فالذين اقدموا على ذلك يجب ان يكونوا طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى
تشويش دلالة تلك الآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في زماننا
اذا استدل المحقون بانه من كتاب الله تعالى لم يبعد اطباق الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الكعبي والجبائي بالآية على ان فعل العبد ليس بخلق الله
والا صدق اليهود في قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم والغلط فيه ان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله وبخلقه وانما ادعوا ان المحرف
منزل من عند الله او هو حكم من احكامه فتوجه التكذيب تكذيب الله اياهم الى هذا الذي يزعموا الا الى ما لم يزعموا فلم يبق لهما في الآية استدلال ثم
من جملة ما حرفه اهل الكتاب ان زعموا ان عيسى كان يدعي الالهية ويامر قومه بعبادته فلهذا قال عز وجل ما كان لبشر الآية وقيل ان ابا رافع القرظي
من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر
بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض او لا نسجد لك
قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان اهل الايمان من درجات الفضل ما لو فقال
لهم الله ان كان الامر كما قلتم وجب ان لا تشتغلوا باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمله لفظ الآية فان قوله ثم يقول للناس كونوا
عبادا لي من دون الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان لبشر قال الاصم لو ارادوا ان يقولوا ذلك منعهم الله
منه نظيره ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم منه انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعي تبليغ الاحكام عن الله
تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ا
الادعاء لان النفس اذا لم تكن كاملة بحسب قوتها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب السماوي عليه والحكم وهو فهم ذلك
الكتاب وبيانه وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مأمورا بتبليغ ما فهم الى الخلق وما احسن هذا الترتيب واذا كانت كاملة بحسب القوتين ما
يتبعهما امتنع من مثله مثل هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبي وقصارى امره صرف القلوب والارواح من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده
فتبين انه ليس المراد من قوله كونوا عبادا لي من دون الله انه يحرم عليه هذا الكلام لان ذلك محرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب
للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل فعلا فقيل له ان فلانا لا يحل له ان يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه ومثله ما كان
لله ان يتخذ من ولد على سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله وما كان لنبي ان يغل وصفا والنفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثم يقول
تبعيد هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن يقول كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما ومواظبا على طاعته كما قال رجل الهي
اذا كان مقبلا على معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا شعراني ولحياني ورقباني
للموصوف بكثرة الشعر وطول وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدهم رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم
واصلاحهم والقيام بامورهم والالف والنون كما في ريان وعطشان للتخصيص بحال النسبة والربانيون بهذا التفسير مثل الولاة ايضا قال القفال
ان يكون الوالي يسمى ربانيا لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه فمعنى الآية ولكن يدعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم امر الله تعالى ومواظبتكم
على طاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية او سريانية وسواء كانت عربية او عبرية تدل على الانسان الذي
علم وعمل بما علم ثم اشتغل بطرق الخير عن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة والباء في قوله بما كنتم للسببية
وما مصدرية وتعلمون من التعليم او العلم على القراءتين فيعلم منه ان التعليم او العلم والدراسة وهي القراءة توجب على صاحبها كونه ربانيا والسبب
لا محالة مغاير للمسبب فهذا يقتضي ان يكون كونه ربانيا امرا مغايرا لكونه عالما ومعلما ومواظبا على قراءة العلم وما ذاك الا بان يكون تعلمه
وتعليمه ودراسته لله فمن يشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب وخسر وكان السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن
غرس شجرة تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من قلب لا يخشع وعلم لا ينفع وفي الآية دليل على صحة قوله عليه السلام
العلماء ورثة الانبياء تأتي لقيهم باذن الله تعالى ولا يأمركم من قرأ بالنصب فوجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتاكيد النفي المتقدم اي ما كان
لبشر ان ينصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص الله بالعبادة ثم يخالفه اي ان يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان لا يكون حرف النفي زائدا فيرجع المعنى الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى
قريشا من عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس
بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر في معنى النهي ويراد بالنبيين غيره كانه اخرج نفسه من تلك الدعوى عن زمرة الانبياء
ومن قرأ بالرفع على الاستيناف فظاهر ويعضده قراءة عبد الله بن مسعود ولن يأمركم والضمير فيه على قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال
ابن جريج لمحمد وقيل لعيسى وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح
ايأمركم اي البشر وقيل الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكار اي انه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على ان المخاطبين كانوا
مسلمين وهم الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسجدوا له قلت ومنع الشيء ابتداء اسهل من رفعه بعد وقوعه ثم منعه فيحتمل ان يكون
المراد المنع ولا يعقل ان يأمر النبي قوم امته بعبادة نفسه اولا ما استنبئ فكيف يعقل ان يأمرهم بذلك بعد امرهم بالاسلام واشارة باعمهم ...

واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري
قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ۝ فمن تولى بعد
ذلك فاولئك هم الفاسقون ۝ افغير دين الله يبغون وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون ۝ قل آمنا بالله وما
انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ۝ كيف يهدي الله
قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله
لا يهدي القوم الظالمين ۝ اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين ۝ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ۝ الا الذين تابوا
من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ۝ ان الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ۝ ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك
لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين ۝ صدق الله العظيم

القراءات لما بكسر اللام حمزة والخزاز الباقون بفتحها آتيناكم على صيغة جمع المتكلم ابو جعفر ونافع الباقون آتيتكم على الوحدة يبغون بتاء الغيبة
وترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول ابو عمرو غير عباس وقرأ عباس وسهل وحفص بياء الغيبة فيهما وقرأ يعقوب يبغون بالياء
التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملء بالهمزة روى البخاري عن ورش وروى الاصفهاني عنه بغير همزة
فيهما الباقون بالهمزة فيهما الوقوف ولتنصرنه ط اصري ط اقررنا ط الشاهدين ه الفاسقون ه يرجعون ه من ربهم ص منهم ج
مسلمون ه منه ج لعطف المختلفتين الخاسرين ه البينات ط الظالمين ه اجمعين لا فيها ج ينظرون لا ه لاستثناء رحيم ه توبتهم ج
الضالون ه افتدى به ط ناصرين ه التفسير الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم قطعا لاعذارهم واظهارا لعنادهم من جملتها اخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد في القرآن اذ اخذ الله
وقيل واذكروا يا اهل الكتاب واضافة الميثاق الى النبيين اما ان يكون من اضافة العهد الى المعاهد منه او من اضافة العهد الى المعاهد كما تقول
ميثاق الله وعهد الله اما الاحتمال الاول فيؤيده ما يشعر به ظاهر اللفظ من ان آخذ الميثاق هو الله والمأخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير
والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل عن علي رضي الله عنه انه ما بعث آدم ومن بعده من الانبياء الا اخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن
به ولينصرنه والذي يدل على صحته ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية اما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي
فهذا على سبيل الفرض والتقدير وهم انهم لو كانوا احياء لوجب عليهم الايمان بمحمد وان قلت لا يكون مخففا وقيل المراد اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل
على حذف المضاف او انه النبيين فقد ورد كثيرا في القرآن لفظ الامة ويراد به النبي كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم وقيل النبيون اهل الكتاب
وقد ورد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويؤكده قراءة ابي وابن مسعود واذ
اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واما الاحتمال الثاني فالمعنى عليه ان الانبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من اممهم
بانه اذا بعث محمد عليه السلام فانه يجب عليهم ان يؤمنوا به وينصروه وانه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء
وانما يليق بالامم وروي عن ابن عباس انه قيل له ان اصحاب عبد الله يقرءون واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرأ واذ اخذ الله
ميثاق النبيين فقال انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم من قرأ بفتح اللام ففيه وجهان احدهما ان ما تكون موصولة واللام للابتداء
وخبره لتؤمنن واللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول في آتيتكم محذوف وفي جاءكم ما يدل عليه لما معكم لانه في معنى ما آتيتكم والتقدير

لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه [illegible]

[illegible]

النبي في الزمان الماضي فيكون بمعنى الاية ان الله تعالى اخذ ميثاقه من كل نبي اوتي كتابا وحكمة ان يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله او جاء بعده ويعزره وينصره بان يظهر حقيته في دعوته وانه من عند الله سبحانه وانه موافق له في اصول العقائد وفي قواعد مكارم الاخلاق فتكون الاية تمهيدا لما يجي بعد من قوله قل امنا بالله الاية قال الله تعالى او كل نبي لامته ءاقررتم امرا بالايمان به والنصرة والاقرار في الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفي اللغة منقول بهمزة التعدية من قر الشي يقر اذا ثبت ولزم مكانه واخذتم اي قبلتم على ذلكم اصري عهدي والاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا يؤخذ منها عدل اي لا يقبل ويأخذ الصدقات اي يقبلها وسمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار اكد ذلك بالاشهاد فقال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتحذير من الرجوع اذا علموا اشهاد الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل احد نفسه شاهدا على نفسه كقوله واشهدهم على انفسهم وقيل فاشهدوا ان هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر في الجهل به والاصل ان الشاهد هو الذي يبين تصديق الدعوى وقيل معناه كونوا كالشاهد للشي المعاين له او يكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد الوعيد فقال فمن تولى بعد ذلك الميثاق ونقض التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته ووعيد الفساق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال افغير دين الله يبغون ويحتمل ان يراد اتتولون فغير دين الله تبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من قرأ بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب في اقررتم واخذتم او للالتفات لقبح قوله اولئك هم الفاسقون وبعد قوله من في السموات والارض ومن قرأ بياء الغيبة فلرجوع الضمير في الاول الى الفاسقين وفي الثاني الى جميع المكلفين والاصل افتبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو فائدة الهمزة ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم فكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا تكون الاية كالمنقطعة عما قبلها ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضي تعلقها بما قبلها فالوجه ان هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا التجرد للبغي والعناد كانوا طالبين دينا غير دين الله اخص له الانقياد والخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه فهو ذليل بين يدي قدرته خاضع لجلال عزته في طرفي وجوده وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا ونظير الاية ولله يسجد من في السموات والارض فلا سبيل لاحد الى الامتناع عن مراده طوعا وكرها مصدران وقعا موقع الحال لانهما من جنس الفعل اي طائعين وكارهين كقولك اتاني ركضا اي راكضا ولو قلت اتاني كلاما اي متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها في غيره من الالام والمكاره التي تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره والكافرون ينقادون في الدين كرها اي خوفا من السيف او عند الموت او نزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل الارض اقول وذلك لان السفلي ينجذب بالطبع الى السفل ومحله نفسه بما يخالف طبعه هو الكره وللصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا ومن شاهد الجلال اسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي واليه ترجعون اي الى حيث لا مالك سواه ظاهرا وباطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين اخذ

فاستنكر ان يفعلوا ذلك او قرر انهم يفعلونه ثم بين ان لا [illegible] عن دين الله [illegible]

الميثاق

الميثاق على الانبياء في تصديق كل رسول كان قبلهم امر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ليعرف منه غاية ازعانه ونهاية استسلامه اما وجه التوحيد في قل فظاهر بناء على ما قلنا واما وجه الجمع في امنا فللتشريف انه بانضمامهم معه في سلك الاخبار عن الايمان او ليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل امن بالله وملائكته او لاجلال قدر نبيه حيث امر ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقائد ثم ذكر الايمان بما انزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة لا سبيل الى معرفة احوالها الا بالقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الايمان بما انزل على مشاهير الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل وفي ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى انهم ليسوا من الدين في شي حيث خالفوا مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبي ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور في تفسير قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين فههنا قد اخذ الميثاق على محمد بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم يأخذ عليه الميثاق لمن يأتي بعده فيكون في الاية دليل على انه لا نبي بعده واعلم ان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فيجوز ان يعدى انزل بعلى تارة كما في هذه الاية وبحرف الانتهاء اخرى كما في البقرة فنطق القرآن بالاعتبارين جميعا وقيل عدي هناك بالى لكان قولوا فان الوحي ياتي الامة بطريق الانتهاء وعدي ههنا بعلى لمكان قل فان الرسول ياتيه الوحي بطريق الاستعلاء وتكلف في الكشاف بقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب وبقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا والانصاف ان هذا القائل لم يدع ان هذه المناسبة يجب اعتبارها في كل موضع وانما ادعى اعتبارها في الموضعين ليصلح نكتة للتخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار ان يعلم ان الاذعان والايمان والاستسلام لا غرض فيه الا وجه الله دون شي اخر من طلب المال والجاه بخلاف احبار اليهود الذين يشترون بايات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام في شي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال وهو في الاخرة من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكبائر عند المعتزلة وقد يستدل بالاية على ان الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام فليس بمقبول عند الله للاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظي لان الاسلام ان اريد به الانقياد الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الاية وان اريد به الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ثم بين وعيد من ترك الاسلام فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم بالبينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا ولددا وفي رواية اخرى عنه نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم اخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى التائب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه الاية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله لاصدق منك وان الله اصدق الثلاثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة في الاية ان اصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلائل والا كان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الاية بمعنى اخر سوى نصب الدلائل قالوا فالمراد بهذه الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا زادهم هدى او المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا يهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار وقال اهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في باب التكليف في دار العمل ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله يخلقه عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه وقال اهل التحقيق كيف يهدي اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبائع عن الاخلاق الربانية وقوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل اذ هو في تقدير ان امنوا كقوله تعالى فاصدق واكن من الصالحين ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وكيف ما كان فمعنى الاية يؤول الى انه تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل ولا مما يسوغ انكاره وبعد ان جاءتهم الشواهد الدالة على صدقه من القرآن وغيره ولكن الشهادة هو الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين الشي في غير موضعه وذلك ان الخصال الثلث اعني الايمان والشهادة ومشاهدة المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبي المبعوث في اخر الزمان لا الكفر والعناد وفيه دليل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل ولهذا صرح في اخر الاية بانه لا يهديهم بعد ان عرض ذلك في اول الاية ثم اردفه بغاية الوعيد قائلا اولئك جزاؤهم الاية ولا هم ينظرون وقد مر مثله في البقرة وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب اللاحق بالكافر مضرة خالصة شائبة المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم ولا يكفي التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال واصلحوا اي باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات واظهروا انا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المنحرفة مغتر رجع عنها فان الله غفور في الدنيا بالستر رحيم في الاخرة بالعفو او غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر الى كفره وهو المراد في الاية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه كل وقت وانكارهم لكل معجزة تظهر عليه الى غير ذلك من تخليطاتهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة في الكفر ثم انه تعالى حكم في الاية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم في هذه الاية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وايضا ثبت بالدليل ان التوبة بشروطها مقبولة فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطاء المراد لن تقبل زيادة الكفر اصرار عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وقيل هي محمولة على ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص وقال القاضي والقفال وابن الانباري هي من تتمة قوله الا الذين تابوا اي ان كفر بعد التوبة الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد ان التوبة عن تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه

بالفرقان

[illegible] الكفر [illegible]

او نقول ويحتمل ان يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين الثابتين على الكفر لما في قلبهم من قساوة
القلوب والافضاء الى الرين وانجراره الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آيسين من الرحمة هذا خصص اليهود
والمرتدين بالمصرين اما على التقدير التعميم فنقول انا لم نجعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان القضية حينئذ لا تكون كلية فلكم من مرتد
او يهودي مزداد الكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فاكتفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول التوبة حتى يبرز الكلام
في معرض الكناية ومن المعلوم انها ذكر اللازم وارادة الملزوم وانه لابد للعدول من فائدة فصح ان يبين فائدة العدول على وجه تصير القضية
كلية وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى
ان الموت على الكفر انما يخاف لاجل اليأس من الرحمة وهذا هو الذي عول عليه في الكشاف والحاصل انه كانه قيل ان اليهود والمرتدين الذين
فعلوا ما فعلوا من حقهم ان لا تقبل توبتهم واولئك هم الضالون الكاملون في الضلال ضلوا في تيه الاوصاف البهيمية والاخلاق السبعية
فلم يكادوا يخرجون منها لعدم الانابة واعلم ان الكافرين على ثلثة اقسام احدها الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي سبق
الآية التي رد فيها الاستثناء وثانيها الذي يتوب توبة فاسدة وهو المذكور في قوله لن تقبل توبتهم على وجه وثالثها الذي يموت على الكفر
من غير توبة فذكره في الآية الاخيرة وملء الشيء قدر ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وربما يقال على التفسير ومعناه ان يكون الكلام تاما الا انه
يكون مبهما كقولك عندي عشرون عددا فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد ومعنى الفاء في فلن يقبل ان تعلم
ان الكلام مبني على الشرط والجزاء واذا ترك كما في الآية الاولى فلعدم قصد التسبب والاكتفاء بمجرد الحكم والوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم
صاحب الكشاف وليت شعري انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به فبماذا يجيبون ولعل عقيدتهم في امثال هذه المواضع
انها من الاسولة المستقبلة وهو وهم والسر في التخصيص هو انه لما قيد في الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء التسبيبة الجزائية تاكيدا
للزوم وتغليظا في الوعيد والله اعلم اما الواو في قوله ولو افتدى به فانها تشبه عطف الشيء على نفسه لانه كالمكرر فلهذا كثر اقاويل العلماء
فقال الزجاج وابن الانباري انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه
وقيل انها لبيان التفصيل بعد الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك
قد لا يقبلون الهدية ويقبلون الفدية واذا لم يقبل الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فيعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب
وقيل انه محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم مثل ضربت ضرب زيد اي مثل ضربه وابو يوسف
ابو حنيفة تريد مثله كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا اي انت وذلك ان المثلين يقوم احدهما مقام الاخر في اغلب الامور
فكانا في حكم شيء واحد فان قيل من المعلوم ان الكافر لا يملك يوم القيمة شيئا وبتقدير ان يملك فلا ينفع في الذهب هناك فما فائدة
هذا الكلام فالجواب انه على سبيل الفرض والتقدير والذهب كناية عن اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز الاشياء وفرض
ان في بذله نفعا للاخذ وان المبذول في غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من عذاب ربه ثم صرح بعقابهم ونفي من
يشفع لهم فقال اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قال اهل التحقيق وماتوا اي ماتت قلوبهم اولئك لهم عذاب اليم بموت
القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة ۞ والله اعلم والهادي

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ۞ وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم ۞
كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان
تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين ۞ فمن افترى على الله الكذب
من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون ۞ قل صدق الله فاتبعوا ملة
ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ۞ ان اول بيت وضع للناس
للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ۞ فيه آيات بينات مقام ابراهيم
ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
ومن كفر فان الله غني عن العالمين ۞ قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله
والله شهيد على ما تعملون ۞ قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ۞ يا ايها
الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد

ايمانكم

ايمانكم كافرين ۞ وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم
رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ۞ صدق الله العظيم

القراءة ان تنزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء يزيد وحمزة وعلي و
خلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحها الوقوف الجزء الرابع تحبون ط عليم ه تنزل التورية ط صادقين ه الظالمون ه
حنيفا ط المشركين ه للعالمين ج لان ما بعده يصلح حالا ومستأنفا مقام ابراهيم ج للابتداء بالشرط مع الواو لان الامن من الآيات
آمنا ط سبيلا ط العالمين ه بآيات الله ق قد قيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون ه شهداء ط تعملون ه كافرين ه رسوله ط لتناهي
الاستفهام الى الشرط مستقيم ه التفسير انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق الذي ينتفعون به
في الآخرة وهو الانفاق من احب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهي انه سبحانه وتعالى سمى جوامع خصال الخير برا في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله الآية
وذكر في هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى انكم وان اتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا باحراز خصلة البر ولن تبلغوا حقيقتها حتى يكون
نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله
حائط لي بالمدينة يعني بيرحاء وهو احب اموالي الي صدقة فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال
ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وروي انه جعلها بين حسان بن ثابت وابي بن كعب وروي ان زيد بن حارثة جاء عند نزول
الآية بفرس له كان يحبه وجعله في سبيل الله فحمل عليه رسول الله اسامة بن زيد فوجد زيد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلعم
اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن
كسرى فلما رآها اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ولم يصب منها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي آتني
بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي
وفي تفسير البر قولان احدهما ما به يصيرون ابرارا ليدخلوا في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم فيكون المراد بالبر ما يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة
في قوله تعالى ولكن البر من آمن وجعلها التقوى لقوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون والثاني الجنة اي لن تنالوا ثواب البر و
قيل المراد بر الله اولياءه واكرامه اياهم من قول الناس برني فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني وقال تعالى ان تبروا وتقسطوا ومن في قوله تعالى مما
تحبون للتبعيض نحو اخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وقيل ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن
يحتاج اليه والمراد مما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقيل هو ما يكون محتاجا اليه كقوله ويطعمون الطعام على حبه
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل هو طيب المال وارفعها كاثر وعن ابن عباس اراد به الزكوة اي حتى تخرجوا زكوة اموالكم ورد بانه
انه لا يجب على المزكي ان يخرج اشرف امواله واكرمها وقال الحسن هو كل ما انفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها
منسوخة بآية الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافي الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله ومن في من شيء للتبيين يعني من اي شيء كان طيب او
او خبيث فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه او يعلم الوجه الذي لاجله تنفقون من الاخلاص او الرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعد توجيه الالزامات الواردة على اهل الكتاب في هذا الباب اجاب عن شبهة القوم وتقريرها
من وجوه احدها انهم كانوا يعولون في انكار شرع محمد صلى الله عليه وسلم على انكار النسخ فاورد عليهم ان الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه
كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ
فامر النبي صلى الله عليه وسلم بان يطالبهم باحضار التورية الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا فاتى
ان يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التورية الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا انك تدعي انك على ملة ابراهيم فكيف تاكل
لحوم الابل والبانها وتفتي بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابراهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابراهيم واسمعيل واسحق و
ليعقوب الا ان يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التورية وثالثها
انه لما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الآيات
الدالة على انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل ان ذلك يقتضي وقوع
النسخ ومن قبل انه يسجل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت هي عليه وما هو الا تحريم قديم فنزلت
كل الطعام اي المطعومات كلها لدلالة كل على العموم وان كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم او لا والطعام
اسم لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض اصحاب ابي حنيفة انه اسم البر خاصة ويرد عليه ان المستثنى في الآية عن الطعام كان شيئا سوى الحنطة و
وما يتخذ منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل ان يكون المراد الاطعمة التي كانت يحتج
اليهود في وقت نبينا انها كانت محرمة على ابراهيم صلوات الرحمن عليه وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز
والذل ولذا استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة واما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروي
عن ابن عباس رض عن النبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان
احب الطعام والشراب اليه لحمان الابل والبانها وهذا قول ابي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفاه الله ان لا ياكل
شيئا من العروق وجاء في بعض الروايات حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله
فكيف صار تحريم يعقوب سببا للحرمة فاجاب المفسرون بان الاطباء اشاروا اليه باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء
وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المرأة والجارية وايضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم
فاعتبروا ولقوله في معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد طاعة شاقة فيلزم ان يكون للانبياء منها نصيب اوفر لاسيما
واسرارهم اكثر وعقولهم انور واذهانهم اصفى وتوفيق الله وتسديده معهم اوفى ثم اذا احكموا الحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفتهم

في ذلك الحكم كما ان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص والا لقيل الا ما حرمه الله على اسرائيل فلما نسب الى اسرائيل دل على انه باجتهاده كما يقال الشافعي يحلل لحم الخيل وابو حنيفة يحرمه وقال الاصم لعل نفسه تشوقت الى تلك الانواع فامتنع من اكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب ومعنى قوله من قبل ان تنزل التورية ان هذا الاستثناء انما كان قبل نزول التورية اما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا الى آخر الاية ثم ان القوم نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الله تعالى فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية فلزمت الحجة عليهم وظهر اعجاز النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه فلهذا قيل لمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذي ظهر من الحجة الباهرة فاولئك هم الظالمون الواضعون الباطل في موضع الحق والكذب في مقام الصدق والعناد في محل الانصاف وايضا ان تكذيبهم وافتراءهم ظلم منهم لانفسهم ولمن يقتدي بهم من اتباعهم قل صدق الله في جواب الشبه الثلث وفيه تعريض بكذبهم فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وهي التي عليها دين محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه حتى تتخلصوا من اليهودية التي فيها فساد دينكم ودنياكم حيث الجأتكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والزمتكم تحريم الطيبات التي احلت لابراهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين وفيه تنبيه على ان محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم صلوات الرحمن عليه في الفروع لما ثبت ان الذي حكم بحله حكم ابراهيم بحله وفي الاصول لان محمدا وابراهيم كليهما صلوات الله عليهما لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى وخلاف عبدة الاوثان والكواكب

وبهتوا

قوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس قال مجاهد هو جواب عن شبهة اخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وارض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الاية المتقدمة سيقت لجواز النسخ وان اعظم الامور التي اظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى الكعبة وقيل لما انجر الكلام في الاية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابراهيم وكان الحج من شعار ملته اردفه بفضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى انه على ملة ابراهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابراهيم واهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال اول عبد اشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى في المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق ايضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدا لهم وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كل اول يقتضي ان يكون له ثان فضلا ان يشاركه في جميع خواصه فلا يلزم كونه اول ان يكون بيت المقدس ثانيا ولا مشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه اول بيت وضع للناس يحتمل ان يكون المراد انه اول في البناء والوضع ويحتمل ان يراد انه اول في الوضع وان كان متأخرا في البناء فلا جرم حصل فيه للمفسرين قولان الاول انه اول في بنائه ووضعه جميعا روى الواحدي رحمه الله في البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية اخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض بالفي سنة وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروي ايضا عن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن ابائه قال ان الله تعالى بعث ملائكته فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله تعالى من في ان يطوفوا كما يطوف اهل السماء البيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم وقد ورد في سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمرو بن مجاهد والسدي انه اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله تعالى قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض تحته وعن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابراهيم ثلثة صفوح في كل صفح منها كتاب في الصفح الاول انا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفا وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الثالث انا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا بعد وجودها ولانه تعالى سماها ام القرى وهذا يقتضي سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلوة كان ثابتا في اديان جميع الانبياء وايضا قال تعالى في سورة مريم اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله خروا سجدا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم غير الكعبة لم تكن هي اول بيت وضع للناس هذا محال خلف القول

مشاركا له

الارض صح

اسمي صح

الثاني روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس قيل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم ان الغرض الاصلي من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس ولا تأثير لاولية البناء في هذا المقصود الا انه لا يرجح ثبوت تلك الاولية ايضا كما روينا آنفا وفي سورة البقرة ايضا من الاخبار والاثار ومن فضائل البيت ان الامر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبرئيل والباني ابراهيم الخليل وتلميذه اسمعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابراهيم كما يجيء ومنها قلة ما يجتمع من الحصى والجمار فيه فانه منذ الاف سنة يرمى في كل سنة خمسمائة الف انسان كل واحد منهم سبعون حصاة ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمرات مسيل ماء او مهب رياح شديدة وقد جاء في الاثار ان من كانت حجته مقبولة رفعت جمرته الى السماء ومنها ان الطيور تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها البتة اذا وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوانات المتضادة في الطباع لا يؤذي بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها انه لم ينقل البتة ان ظالما هدم الكعبة او خرب مكة بالكلية واما بيت المقدس فقد هدمه بخت نصر بالكلية وقصة اصحاب الفيل سوف تجيء في موضعها ان شاء الله تعالى العزيز ومنها انه تعالى وضعها بواد غير ذي زرع لفوائد منها انه قطع بذلك رجاء اهل حرمه وسدنته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها انه مع كونه كذلك تجيء اليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة خليله ابراهيم وانه من اعظم الايات ومنها ان لا يسكنها احد من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فيبقى ذلك الموضع المنيف والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود ارباب الهمم الدنية ومنها ان لا يقصدها الناس للتجارة بل يأتون لمحض العبادة والزيادة ومنها انه تعالى اظهر بذلك شرف الفقر

حيث

حيث وضع اشرف البيوت في اقل المواضع نصيبا من الدنيا فكانه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا اهل البلد الامين لاجعلهم في الاخرة اهل المقام الامين ومنها كانه قيل كما لم اجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا اجعل كعبة المعرفة الا في قلب خال عن محبة الدنيا للذي ببكة للبيت الذي ببكة قال في الكشاف وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان كراتب وراتم وضربة لازم ولازب لما يعتقب فيه الميم والباء لتقارب مخرجيهما وقيل بكة البلد ومكة موضع المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة واما اشتقاق بكة فمن قولهم بكه اذا زحمه ودفعه وعن سعيد بن جبير سميت بكة لانهم يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة وقال بعضهم رايت محمد بن علي الباقر يصلي فمرت امرأة بين يديه فذهبت ادفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي ولا بأس بذلك في هذا المكان ويؤكده هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان التطاف هناك وفيه الازدحام ولا شك ان بكة غير البيت لان الاية تدل على ان البيت حاصل في بكة والشيء لا يكون ظرفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه واما مكة فاشتقاقها من قولك امتك الفصيل ضرع امه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من كل جانب وقيل لقلة مائها كان ارضها امتكت ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين اما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار واما معناه فالبركة اما النمو والتزايد وكثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شيء ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة شبه الحوض لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب قال صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل في نفسه ان الكعبة كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها في الصلوة في اقطار الارض واكنافها ولعمري انها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا شك انه يحصل فيما بين هؤلاء المصلين اشخاص ارواحهم علوية وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية وضمائرهم ربانية علم انه اذا توجهت تلك الارواح الصافية الى كعبة المعرفة واستقبلت اجسامهم هذه الكعبة الحسية اتصلت انوار اولئك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في سره قال القفال رحمه الله يجوز ان يكون بركته ما ذكر في قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء فيكون كقوله الى الارض المقدسة التي باركنا فيها وان فسرنا البركة بالدوام فلا شك انه لا ينفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكل آن يفرض فانه صبح لقوم وظهر لآخرين وعصر لغيرهم او مغرب او عشاء فلا تخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وايضا تقادم الكعبة على هذه الحالة الوفا من السنين دوام واما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم او لانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد صلى الله عليه وسلم بما فيه من الايات والاعاجيب او لانه يهدي الى الجنة ومعنى هدى ذا هدى او ذا هدى قال الزجاج ويجوز ان يكون محله رفعا اي وهو هدى فيه آيات بينات يحتمل ان يراد بها ما عددنا من بعض فضائله ويكون قوله مقام ابراهيم غير متعلق بما قبله فكانه قيل فيه آيات بينات ومع ذلك فهو مقام ابراهيم وموضعه الذي اختاره وعبد الله فيه وقال الاكثرون ان الايات بيانه وتفسير قوله مقام ابراهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لانه معجز رسول الله وكل معجز نفسه دليل ايضا على علم الصانع وقدرته وارادته وحيوته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع لقوله ان ابراهيم كان امة واما بان يجعل المقام مشتملا على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاء هذا الاثر دون آثار سائر الانبياء آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوفا من السنين آية قوله ومن دخله كان آمنا من تتمة تفسير الايات وهذه الجملة وان كانت من مبتدأ وخبر او من شرط وجزاء الا انه في تقدير مفرد من حيث المعنى فكانه قيل فيه آيات بينات وامن من دخله كما لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا كان معناه فيه آية بينة امن من دخله وهذا التفسير بعد تصحيحه مبني على ان الاثنين جمع كما قال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القرآن هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر اثنان وطوي ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة ومنهم من تمم الثلثة فقال مقام ابراهيم وامن من دخله ولله على الناس حج وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع والمراد مقامات ابراهيم وهي اقامة من المناسك فالمراد بالايات شعائر الحج وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد قال في الكشاف وفيه دليل لكون مقام ابراهيم وحده بيانا واما حديث امن من دخله فقد ذكر اختلاف العلماء فيه في سورة البقرة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقيل كان امنا من النار لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت لما ذكر فضائل البيت اردفه بايجاب الحج وهما لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وكلاهما مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله على من استطاع من الناس حج البيت وقال الفراء يجوز ان ينوي الاستيناف بمن والخبر او الجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقال ابن الانباري يحتمل ان يكون محله رفعا على البيان كانه قيل من الناس الذين لله عليهم حج البيت فقيل هم من استطاع والضمير في اليه للبيت او الحج واستطاعة السبيل الى الشيء هي امكان الوصول اليه واحتج اصحاب الشافعي بالاية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهري مكلف بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم مع ان الايمان بالله الذي هو شرط صحة الايمان بمحمد غير حاصل والمحدث مكلف بالصلوة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالاية على ان الاستطاعة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق اجابت الاشاعرة بان هذا ايضا لازم عليكم لان القادر اما ان يكون مأمورا بالفعل قبل حصول الداعي الى الفعل

وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق او بعد حصوله وحينئذ يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون في التكليف به فائدة فاذا كانت الاستطاعة
منتفية في الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافي توجيه التكليف اليه واعلم ان الحج
لا يجب باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لما روي عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس ان الله كتب
عليكم الحج فقام الاقرع بن حابس فقال في كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب
اكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد وهو الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلوته ولا يشترط
فيها التكليف بل يجوز للولي ان يحرم عن المجنون وعن الصبي الذي لا يميز ويصح حجهما لما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر
بامرأة وهي في محفتها فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت الهذا حج فقال صلى الله عليه وسلم نعم ولك اجر وعن جابر حججنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا يصح
مباشرة الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبي المميز ان يحرم ويحج باذن الولي ولا يشترط فيها الحرية كسائر
العبادات ولوقوعه عن حجة الاسلام شرطان زائدان البلوغ والحرية لقوله صلى الله عليه وسلم ايما صبي حج ثم بلغ فعليه حجة الاسلام وايما عبد حج ثم
عتق فعليه حجة الاسلام والمعنى فيه ان الحج عبادة عمر لا يتكرر فاعتبر وقوعها في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم اذن يعود
الى المنة الاسلام والحرية والتكليف فلو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة
ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد على الثلثة المذكورة انفا وهو الاستطاعة بالاية والاستطاعة نوعان استطاعة مباشرة بنفسه واستطاعة
تحصيله لغيره النوع الاول يتعلق به امور اربع احدها الراحلة والناس قسمان احدهما من بينه وبين مكة مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد
راحلة سواء كان قادرا على المشي او لم يكن لما روي انه صلى الله عليه وسلم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد والراحلة نعم لو كان
قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوي على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل ايضا اذا كان
لا يستمسك على الراحلة او يلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد مؤنة محمل او شق محمل ووجد شريكا
يجلس في الجانب الاخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا القسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج
والا فلا يجب الا مع الراحلة او معها ومع المحمل كما في حق البعيد والمراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا او استيجارا بثمن المثل
او باجرة المثل وكذا في المحمل المتعلق الثاني الزاد واوعيته وما يحتاج اليه في السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له اهل وعشيرة يرجع
اليهم او لا لحب الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب واجرة البدرقة كل ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودائع ونفقة
من يلزمهم نفقتهم حينئذ الى العود وبعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد سكنه ودست ثوب يليق به وخادم يحتاج اليه لزمانة او
لمنصبه ولو كان له رأس مال يتجر فيه وينفق من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته او كان له مستغلات يرتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة
انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة في الحال ولا عبرة بخوف الفقر في الاستقبال المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن
على النفس من كل سبع او عدو والامن على المال من عدو او رصدي وان رضي بشيء يسير والامن على البضع للمرأة بخروج زوج او محرم او نسوة ثقات
وفي البحر يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف الدابة المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان امتنع
عن ذلك لمرض او غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولا بد للاعمى من قائد وعند ابي حنيفة لا حج عليه ويروى انه يستنيب قال الائمة لا بد مع الشرائط
من امكان السير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة ما يمكنه السير فيه الى الحج السير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلة او اكثر لم يلزمه
الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة اهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلوة في وقتها فيجوز
التراخي لكنه ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال مالك واحمد وابو حنيفة في رواية
انه على الفور حجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة خمس من الهجرة واخره النبي صلى الله عليه وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع
لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الحاج سنة تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما والنوع
الثاني فهو استطاعة الاستنابة وانها جائزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة
بسبب الموت او الكبر او زمانة او مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان اختي نذرت
ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك دين اكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله فهو احق بالقضاء وعنه ان امرأة
من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة افاحج عنه قال نعم
وقد يكون الاستنابة بطريق الاستيجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستيجار كتفريق الزكوة وعند ابي حنيفة واحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو
استاجر كان ثواب النفقة للامر ويسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني واعطيك نفقتك وهذا ايضا
جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استاجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لا بد ان يكون معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة
عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا
فكذلك يجب عليه الحج وفي الاية انواع من التوكيد والتغليظ منها قوله ولله على الناس حج البيت اي حق واجب له عليهم لكونه الها فيجب عليهم العبادة
سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم يعرفوا فان كثيرا من اعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايرادا
للغرض في صورتين لتقريرا له في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ ما فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره قوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار الغنى وتحويل الخطاب بذكر اسم الله دون
ان يقول فانه او فاني وانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال عن العالمين ولم يقل عنه لانه اذا كان غنيا عن
العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد اولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد عام في حق كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله
على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روي عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود قالوا ان الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك لما نزلت
اية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين فخطبهم وقال ان الله تعالى
كتب عليكم الحج فحجوا فامن به المسلمون وكفر به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر ومن الاحاديث الواردة في تاكيد امر

الحج قوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه
اي يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الامن او غيره وعن ابن مسعود رضي حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل
منها دابة الا نفقت اي هلكت وعن عمر رضي لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اي عجل عقوبتهم وبئسما صلوا ثم انه سبحانه لاين
اهل الكتاب في الخطاب فقال قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد بعد ظهور البينات ووضوح الشبهات
او بعد معرفة فضيلة الكعبة ووجوب الحج والله شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه وهذه الحال توجب ان لا يجترئوا على الكفر بآياته ولا لنهيا
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه لما انكر عليهم في ضلالتهم ذكرهم على اضلالهم فقال لم تصدون عن سبيل الله من آمن قال المفسرون وكان
صدهم القاء الشكوك والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكار ان نعت محمد عم في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكدهم او
بتذكير ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب بغيا وشلبة وتحل تبغونها عوجا اي اعوجاجا بالنصب على الحال او بدل وهو بكسر العين
الميل عن الاستواء في كل ما لا يرى كالدين والقول واما الشيء الذي يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر
في المعاني وبالفتح في الاعيان وتبغون بمعنى تطلبون ويقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام مثل بغيت المال والاجر فان اريد تعديته الى مفعولين
زيدت اللام فالتقدير تبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا اي صدت لك ظبيا والضمير عائد الى السبيل وانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون
على الناس حتى توهموهم ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا ليس ذلك المنعوت في كتابنا والمراد
انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل شيء مستقيم ويحتمل ان يكون عوجا حالا بمعنى انكم تعوجون
وذلك انهم كانوا يدعون انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال
مضل قاله ابن عباس او انتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او انتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم
في عظائم الامور يعني الاحبار وفيه ان من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم اوعدهم بقوله وما الله
بغافل عما تعملون كقول السيد لعبده وقد انكر طريقته لا يخفى علي سيرتك ولست بغافل عنك واما ختم الاية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله
وما الله بغافل لان ذلك فيما اظهروه وهو الكفر بالاحبار والقاء الشبهة وفي تكرير الخطاب في الايتين بقوله يا اهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ
بالطف الوجوه واليق المقال لعلهم يتذكرون فينصرفون على سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة ويروى عن زيد بن اسلم وجابر ايضا
ان شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه
ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم
ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار
فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة
من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئت والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم
الظاهرة وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الايات فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين
فقراها ورفع صوته فلما سمعوا صوته انصتوا له وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي رواية زيد
اسلم خرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا
السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله عز وجل قال جابر بن عبد الله
ما كان من طالع اكره الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاومى الينا بيده فكففنا واصلح الله تعالى ما بيننا فما كان شخص احب الينا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فما رايت يوما اقبح ولا اوحش اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون استفهام بطريق الانكار والتعجب والمعنى
من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول غضة في كل واقعة وبين اظهركم رسول الله يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم
كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلالة عين ولا اثر فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالف وترجعوا في كل ما يعن لكم الى الكتاب والنبي
قلت اما الكتاب فانه باق على وجه الدهر واما النبي فان كان قد مضى الى رحمة الله في الظاهر ولكن نور سره باق بين المؤمنين فكانه باق على ان عترته
وورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر ايضا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي
ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من زمرتهم بعصمتك وهدايتك وفي هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون ابدا الى يوم القيامة ثم
بين ان الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك بدينه او يلتجي اليه في دفع شر الكفار فقد هدي الى صراط مستقيم والاعتصام
الاستمساك بالشيء في منع نفسه من الوقوع في آفة اما المعتزلة فحيث لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله وهدايته بل قالوا انه فعل العبد اولوا الاية بان
المراد بالهداية الزيادة في الالطاف المرتبة على اداء الطاعات والمراد الهداية الى الجنة قال في الكشاف فقد هدي اي فقد حصل له الهدى
لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان
قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده التأويل لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا احب الاشياء اليكم وهو النفس ومن الفراش لا ينال
من نور الشمع الا وشعلته حتى النفس مما احبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا الحق خلق ثلثة اصناف الملك النوراني العلوي وغذاؤه الذكر وخلق للعبادة
والحيوان الظلماني السفلي وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من القبيلين وغذاؤه روحانية الذكر وجسمانية الطعام وخلق للمعرفة
والخلافة وهذا الصنف على ثلثة اقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه
اولئك كالانعام بل هم اضل ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه وخلطوا عملا صالحا واخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في غذاء روحه
وهو الذكر وقرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه وقوي روحه اولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلا للانسان كالحيوان الا ما حرم الانسان
السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحيوة القلب واستيلاء الروح من قبل ان ينزل الوحي والالهام كاهل المجاهدات تورث المشاهدات والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد ان يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا

مقام ابراهيم وكانت ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون من نصبه
عليه اخر ان اول بيت وضع للناس لله لانه غني عن العالمين وان الانسان ... حيث انه في الانسان وان العالم الصغير القلب الذي هو
بكة صدر الانسان مبارك لانه يهتدي به جميع اجزاء وجوده الى الله وجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب انفسح له وانشرح فيه
يسمع به ويبصر به ويعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد
الى مقصوده منها مقام وهو المحجة التي توصل الخليل الى خليله ومن دخله يعني مقام ابراهيم ببذل المال والنفس والولد ورضا خليله كان
امنا من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل ان استطاع اليه السبيل وذلك بالى جميع
شرائط السلوك والسكة والاداب ... منها الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن الطيبات والمالوفات والتطهر
عن الاخلاق المذمومات والتوجه الى حضرة فاطر الارض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة و
العكوف على عتبة جبل الرحمة لتصديق الانجاح وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعة بالاطوار السبعة
حول كعبة الربوبية ومنها السعي بين صفا الصفات ومروة الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى انوار الالهية وقس سائر المناسك
على هذا ومن كفر بوجدان الحق والاستغراض بنفحات الالطاف والتعرض لجذبات العواطف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة
في الحقيقة فان الله غني عن العالمين ... قل يا اهل الكتاب ظاهر الخطاب معهم وباطنه ...
الذين يبيعون الدين بدنياهم ... فيقبلون ويعقلون ... وانه حسبي ونعم الوكيل

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ۝ واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله
لكم آياته لعلكم تهتدون ۝ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ۝ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم ۝ يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون ۝ واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ۝
ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور ۝ كنتم خير امة اخرجت
للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب
لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ۝ لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ۝ صدق الله العظيم ۝

القراءة حق تقاته بالامالة علي ولا تفرقوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الوقوف مسلمون ۝ ولا تفرقوا ص
لعطف المتفقين اخوانا ج لاحتمال الواو للحال والاستئناف منها ط تهتدون ۝ المنكر ط للعدول المفلحون ۝ البينات ط عظيم لا لتعلق
الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه ج اسودت وجوههم قف لان التقدير فيقال لهم اكفرتم تكفرون ۝
ففي رحمة الله ط خالدون ۝ بالحق ط للعالمين ۝ ما في الارض ط الامور ۝ وتؤمنون بالله ط خيرا لهم ط الفاسقون ۝ قيل لا وقف عليه
وعليه وقف لان المعرف لا يتضمن الجملة الا اذى ط الادبار قف لان ثم لترتيب الاخبار اي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا
لكان ثم لا ينصروا لا ينصرون **التفسير** انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار امرهم في هذه الايات بمجامع الطاعات و
معاقد الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته هو ان يطاع فلا يعصى طرفة
عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى ادعوا القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم
بالقسط ولو على نفسه والوالدين والاقربين شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى

حق تقاته واجب تقواه كما يحق ان يتقى وهو ان يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ واذا كان اباحة لبعض المعاصي ولا يجوز ان يراد
بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالقصد على سبيل الخطاء والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا لم يبق
فرق بين الآيتين ولناصر **القول الاول** ان يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال هيبته وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق
بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز ان يؤمر بالاتقاء الاغلظ والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف ويزول بعده الاشياء
بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما هو عن ان يدركهم الموت على خلاف
حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى امرهم بما هو كالاصل لجميع الخيرات واصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك به
والتفاق الآراء على اعلاء كلمته فقال واعتصموا بحبل الله جميعا حال كونكم مجتمعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به
ووثوقه بعنايته بامتساك المتدلي عن مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه لان وجه الشبه وصف غير حقيقي ومنتزع من عدة امور
ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد بناء على ان في الكلام تشبيهين ويجوز ان تفرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون
الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق دقيق والسائر عليه غير مامون ان يزل قدمه عن الجادة فيراد بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات
على الحق وان كانت عبارات المفسرين متخالفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجيء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما روي
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم
وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا القرآن حبل الله وعن ابي سعيد الخدري رضي
عن النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وقيل انه دين الله وقيل
طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا ان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق الا الضلال ويد الله مع الجماعة
قال صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحد فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروي السواد الاعظم
وروي ما انا عليه واصحابي وقال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتي على الضلالة وقد يتمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية ان استند
فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل احد يوجب التفرق والتنازع
وهو منهي عنه واجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته عليهم وذلك انهم كانوا
في الجاهلية بينهم العنف والحقد والبغضاء والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا في الله متراحمين متناصحين و
وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومنافسة لسبب الاغراض الدنيوية اما العارف الناظر من الحق الى الخلق فانه
يرى الكل اسيرا في قبضة القضاء فلا يعادي احدا البتة لانه يستبصر بسر الله في القدر فاذا اقر اقر برفق ناصح لا بعنف معير وكان حبه بحب الله
ونظرائه في الدين ورفقائه في طلب اليقين اشد من حب الوالد لولده فكانوا كالاقربين والاخوان بل كجسد واحد وكنفس واحدة وقيل يريد الاخوان
في النسب وذلك ان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام وكان بينهما العداوة والحروب وبقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان
اطفاها الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله فذكرهم الله تعالى تلك النعمة وفيه دليل على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد
الاسلام انما حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير و
المعونة والالطاف لا بخلق الفعل واجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لا بد ان يكون لامر
زائد على ما ذكرتم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها
حرفها بالتذكير والتانيث ومنه يقال اشفى على الشيء اذا اشرف عليه كانه بلغ شفاه اي حده وطرفه والانقاذ والاستنقاذ خلعه ونجاه والضمير
في منها للحفرة او للنار او للشفا اما لانه في معنى الشفة واما لاضافته الى الحفرة وهو بعضها كقوله **شعر** كما شرقت صدر القناة من الدم فان
بعضهم الشفة اصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال وكذلك قال نوح عليه السلام ليس بي ضلالة حين قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين اي
ليس بي صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحياتهم التي يتوقع بعدها
الوقوع في النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحيوة وان طالت كانه ليس بين الحيوة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا ما بين طرفي
الشيء قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الالطاف حتى آمنوا وقال اهل السنة جميع الالطاف
مشتركة بين المؤمن والكافر ولو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي انقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على ان الله تعالى هو المنقذ فعلم
ان خالق افعال العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى او لكي توقظ
جوابه فالاول قول المعتزلة والثاني لاهل السنة وقد مر في اوائل سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين في تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي من واجبات الشرع ومندوباته والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته فلا جرم
اتبعه النوعين زيادة في البيان فقال ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين او للتبعيض
طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه فكيف لا وقد وصفهم
بذلك في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من اولاده جند وللامير من غلمانه عسكر
تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به البعض سقط عن الباقين كسائر فروض
الكفايات وقال آخرون انها للتبعيض اما لان في القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنساء والمرضى
والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتها و
كيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ
في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا واما ايضا فقد اجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا
بالحقيقة ايجابا على البعض الذي يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم ان الامر بالمعروف على ثلثة
اضرب احدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث يجتمع شرائطها فان كانوا
عددا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يأمرهم بما لا يجوزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم بصلوة العيد **والثاني** ما يؤمر به الافراد

كما اذا اخر بعض الناس الصلوة عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من اخرها والوقت باق وثانيها ما يتعلق بحقوق الادميين ويختص الى عام كالبلد اذا تعطل شربه او انهدم سوره او طرقه ابناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن امر ذو المكنة برعايتها والى خاص كمطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يامره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس وثالثها الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد واخذ السادة بحقوق الارقاء وارباب البهائم بتعهدها وان لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير هيآت العبادات كالجهر في الصلوة السرية وبالعكس او يزيد في الاذان يمنعه وينكر عليه ومن تصدى للتدريس والوعظ وهو ليس من اهله ولم يامن اغترار الناس به في تاويل او تحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به واذا راى رجلا واقفا مع امراة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت محرم فصنها عن مواضع الريب وان كانت اجنبية فخف الله تعالى في الخلوة ولا ينكر في حقوق الادميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلوة من ائمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا في النظر في الخصومات وعلى المتصدي لمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فلينظر الداعي الى الخير في حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان يستنزلوا والمجانين كيلا يضروا ويدعوه الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية والجسمانية وذلك ان هذه الدعوة منصب النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين بعده ومن ههنا ذهب الضحاك الى ان المراد من المذكورين في هذه الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وكفى بقوله تعالى واولئك هم المفلحون اي الاخصاء بالفلاح مدخالهم وقد يتمسك بهذا في ان الفاسق ليس له ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه ليس من اهل الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح احوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق ممن يزني بامراة ان يامرها بالمعروف في انها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء من ترك ارتكاب المنهي وانكار المنهي واجبان على الفاسق فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الاخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل شعر وغير تقي يامر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو مريض والقرآن ينهى عليه لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقد سلف تقريره في البقرة وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر الم ازك الم اصل الم اصم الم افعل كذا وكذا فاجيب بلى يا عدو الله ولكن اذا خلوت بارزتني بالمعاصي ولم تراقبني قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا في النظم وجهان احدهما انه تعالى ذكر في الايات المتقدمة انه بين في التورية والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ذكر ان اهل الكتاب حسدوا واحتالوا لالقاء الشكوك في تلك النصوص ثم انجر الكلام الى انه امر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات في النصوص واستخراج التاويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الاية من تتمة الايات المتقدمة وثانيهما انه لما امر الامة بالامر بالمعروف والنهي عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بالقدرة على تنفيذه وكيف وفي الناس ظلمة ومتغلبون فلا جرم حذر اهل الحق ان يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا يكون الاية من تتمة السابقة فقط وقال بعضهم تفرقوا واختلفوا معناهما واحد والتكرير للتاكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين او تفرقوا بسبب التاويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة قوله او تفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بان صار منهم يدعي انه على الحق وصاحبه على الباطل ولعمري الانصاف ان اكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسأل الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة او اولئك الذين اقتفوا اثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وفي تعليق الظرف بقوله لهم فائدتان احديهما ان ذلك العذاب في هذا اليوم والاخرى ان من حكم هذا اليوم ان تبيض بعض الوجوه وتسود بعضها ونظير ذلك في القرآن وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وفي امثال هذه الالوان للمفسرين قولان احدهما واليه ميل ابي مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما سلم الحسن بن علي رضي الله عنهما الامر لمعوية رضي الله عنه قال له رجل يا مسود وجوه المؤمنين وتمام الخبر سوف يجيء ان شاء الله تعالى في تفسير سورة القدر ولبعض الشعراء في الشيب شعر يا بياض القرون سودت وجهي عند بيض الوجوه سود القرون وثانيهما ان السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في الاطلاق الحقيقة فمن كان من اهل النور والحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل الظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته واحاطت به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك ان يعرف اهل الموقف كل صنف فيعظمونهم او يصغرونهم بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور وويل وثبور وايضا اذا عرف المكلف في الدنيا انه يحصل له في الاخرة احدى الحالتين ازدادت رغبته في الطاعات وترك المحرمات قلت والتحقيق فيه ان الهيآت والاخلاق الحميدة انوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات وكل منها لا يظهر اثرها كما هي الا بعد المفارقة الى الاخرة انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج اهل السنة بالاية على ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم اهل القيمة الى قسمين مبيض الوجوه وهم المؤمنون ومسودها وهم الكفرة لقوله تعالى في اخر الاية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضي عليه بان عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه وايضا اللفظ وجوه نكرة فلا يفيد العموم وايضا المذكور في الاية هم المؤمنون والذين كفروا بعد الايمان ولا شبهة ان الكافر الاصلي من اهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول في الفساق والجواب لم لا يجوز ان يكون المراد ان كل احد مسلم وقت استخراج الذرية من صلب

ادم

ادم فيكون الخطاب لجميع الكفار وايضا انه جعل موجب العذاب في اخر الاية هو الكفر من حيث انه كفر لا الكفر من حيث انه بعد الايمان فان قيل لم قدم البياض على السواد اولا وعكس اخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو الترتيب انه بدا بذكر اهل الثواب وختم بهم ايضا تنبيها على ان ارادة الرحمة اكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت رحمتي غضبي وكما في ذلك من رعاية حسن المطلع والمقطع وانه نوع بديع في الفصاحة وهو المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قال ابي بن كعب هم جميع الكفار لانهم امنوا وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد اكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من دلائل التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج انهم اهل الكتاب امنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكفروا به بعد بعثته وقال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وكما راى ابو امامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم هذا مما اخرجه الامام ابو عيسى الترمذي في جامعه ولكن المشهور من مذهب اهل السنة ان الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام في قوله اكفرتم بمعنى الانكار وقال القاضي وفيه وكذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على ان الكفر منهم لا من الله وفي الرحمة فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافرين اما قوله ففي رحمة الله والمراد بها الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك اي لا يظعنون عنها ولا يموتون وفي اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على ان العبد وان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله ورحمته وفي اضافة الرحمة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود اهل الثواب دون اهل النار وان كانوا مخلدين ايضا دلائل واشارات الى جانب العفو والمغفرة والرحمة مغلب وكيف لا وقد ارادفه بقوله تلك الاحكام التي وردت في حيز الوعيد والوعد والتقضي ذكرها ايات الله نتلوها عليك ملتبسة بالحق العدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسيء باساءته او ملتبسة بالمعنى الحق لان معنى المتلو حق وما الله يريد ظلما للعالمين ولكن مصالح الخلق لا تنتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقيق دفعا للكذب عمن هو اصدق القائلين قال الجبائي قوله ظلما نكرة في سياق النفي فوجب ان لا يريد شيئا مما يكون ظلما سواء فرض صدوره منه او من العبد على نفسه او على غيره واذا لم يرده لم يفعله ذلك اذ لو كان فاعلا لشيء من الاقسام الثلاثة كان مريدا له هذا خلف فثبت بهذه الاية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريدا له فدلت الاية على انه قادر على الظلم وعلى ان يمنع الظلمة من الظلم على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال ولله ما في السموات وما في الارض وايضا لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل او العجز او الحاجة وكل ذلك على الله محال لانه المالك لكل ما في السموات وما في الارض بل لكل ما في الوجود وربما يقال معنى الاية اما ان يكون انه لا يريد ان يظلمهم او انه لا يريد ان يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان مذهبكم انه تعالى لو عذب البريء من الذنب اشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لان الظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم فلا يلزم منه مدح والثاني ايضا محال على قولكم لان كل ذلك بارادة الله وتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الاية على وجه صحيح في مذهبكم اجاب اهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح بنفي صفة على امكان تصور ذلك الشيء منه بدليل قوله لا تاخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم ولا يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم والاكل عليه الثاني انه تعالى ان عذب من ليس يستحق للتعذيب لم يكن ظالما لكنه في صورة الظلم وقد يطلق اسم احد المتشابهين على الاخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحق في هذا المقام ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه واذا كان اللطف والقهر من ضرورات صفات الكمال فوضع كل منهما في مظهره يكون وضع الشيء في موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله ولله ما في السموات وما في الارض على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لانها من جملة ما في السموات واجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة ملك لا اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد انه مملوكه لا انه مفعوله وايضا الاية مسوقة في معرض المدح ولا مدح في نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه وايضا قوله ما في السموات وما في الارض يتناول ما كان مظروفا فالها وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التي هي اعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله تعالى دفعا للتسلسل او الترجيح من غير مرجح قالت الحكماء تقديم السموات في الذكر على الارض دليل على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السماوية ولا شك ان الاحوال السماوية مستندة الى خلقه وتكوينه فيكون الكل ايضا لازما من هذا الوجه وفي الاية اي الى حيث لا مالك سواه ترجع الامور فالاول اشارة الى انه مبدأ المخلوقات كلها وهذا اشارة الى ان معاد الكل اليه قوله عز من قائل كنتم خير امة في النظم وجهان احدهما انه لما امر المؤمنين بالامر ونهاهم عما نهى عدل الى طريق اخر يقتضي حملهم على الانقياد والطاعة وهو كونهم خير الامم مما يقوي داعيتهم في ان لا يبطلوا على انفسهم هذه المزية وذلك انما يكون بالتزام التكاليف الشرعية وثانيهما انه لما ذكر حال الاشقياء وحال السعداء نبه اولا على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله وما الله يريد ظلما للعالمين يعني انهم استحقوا ذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على وعد السعداء بقوله كنتم خير امة اي تلك الكرامات والسعادات انما فازوا بها في الاخرة لانهم كانوا في الدنيا خير امة واقول لما انجر الكلام في تحا المؤمنين الى بيان ان كل ما في الوجود ملكه وملكه ابداعا واختراعا وان منتهى الكل اليه اتبع ذلك مرتبة هذه الامة ليعلم انها سابقة العناية الازلية اذ جعلهم مظهر الالطاف وذكر بعدها رذيلة اهل الكتاب ليعرف انهم لما وقعوا في طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وافضل منكم فانزل الله هذه الاية قال المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير امة على الحال اي حدثتم ووجدتم خير امة والاكثرون على انها ناقصة لكن ايهام انهم كانوا موصوفين بالخيرية في الزمان الماضي دون المستقبل فاجيب بان كان لا يدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل المراد كنتم في علم الله او في اللوح المحفوظ خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة كقوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وقال ابو مسلم هذا تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم وما بينهما اعتراض والتقدير انه يقال لهم عند الخلود

في الحقيقة كنتم في دنياكم خير امة فلهذا انتم من الرحمة وبياض الوجه ما انتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال انتم فكان هذا التشريف حاصلا
للكل ولكنه مخصوص بقوم معينين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها تامة
والمعنى انتم خير امة وزيفه ابن الانباري بان الزائدة لا تقع في اول الكلام ولا تقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان
ولا يقولون كان عبد الله قائم على ان كان زائدة لان الابتداء بها دليل شدة العناية والملغى لا يكون في محل العناية وقيل انها بمعنى صار
اي صرتم خير امة والاصل الامة الطائفة المجتمعة على الشيء الواحد وامة محمد هي الطائفة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا اطلقت
الامة في نحو قول العلماء اجمعت الامة وقعت عليهم وقد يقال لكل من جمعتهم دعوته انهم امة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا مقيدا
قال الزجاج ظاهر الخطاب في كنتم مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب
عليكم الصيام وقوله للناس اما ان يتعلق باخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها اظهرت لانها
حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها واما ان يتعلق بكنتم اي كنتم للناس خير امة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستيناف بقوله
يأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كما يقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالاية على ان اجماع
هذه الامة حجة لانها لو لم تحكم بالحق لم تكن خيرا من المبطل ولان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين
عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا واما انه من اي وجه يقتضي ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلاثة كانت حاصلة لسائر
الامم فذلك ان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد واقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل واعرف
المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وانكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لغرض ايصال
الخير الى اعظم المنافع وتخليصه من اعظم المضار فكان من اعظم العبادات ولما كان امر الجهاد في شرعنا اقوى منه في سائر الشرائع
انا نبي السيف امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجب الفضل هذه الامة على سائر الامم هذا معنى ما روي
عن ابن عباس في تفسير قوله كنتم خير امة تأمرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله ويقروا بما انزل الله ويقاتلونهم عليه ولا اله الا الله اعظم
المعروف والتكذيب انكر المنكر وفائدة القتل على الدين لا ينكره منصف فان اكثر الناس يحبون ما الفوه من الاديان الباطلة و
لا يتأملون في الدلائل التي تورد عليهم فاذا خوف بالقتل دخل في دين الحق كرها الى ان يألفه متدرجا واما الايمان بالله فلا شك انه
في هذه الامة اكمل لانهم امنوا بكل ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او ثواب او عقاب الى غير ذلك ولا يقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض واما اقتصر في وصف الامة على الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عددنا والا لم يكن في الحقيقة
ايمانا ولهذا نفي عن اهل الكتاب في قوله ولو امن اهل الكتاب واما قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم
على كل الطاعات لان الاية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف وتأكد القيام به ولهذا اكرر بعد قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف فكانت العناية به اشد وكانت تقديمه اهم وليعلم ان التكميل افضل من الكمال نفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون
العكس ولان التكميل متضمن الكمال فكان في تأخير الايمان بالله تكرير له مرة بالتضمن واخرى بالمطابقة على ان الواو لا يفيد الترتيب وايضا
اراد ان يبني عليه قوله ولو امن وفي التفسير الكبير ان اصل الايمان مشترك فيه بين الاديان فلا يتبين فيه الخيرية ولكن الاية سيقت لبيان الخيرية
وليس ذلك الا لان هذه الامة اقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم اتبع ذكر الايمان بالله ليعلم ان شرط تأثير الامر بالمعروف
في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى ان ايمان اهل الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا
قال تعالى ولو امن اهل الكتاب يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبسائر ما لا بد منه من الامور المعدودة لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة
الخيرية ايضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة او لحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا
التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعدوا من ايتاء الاجر في الاخرة مرتين وعلى ما هم فيه ليس الا استتباع بعض الجهلة من العوام وشيء نزر
من الرشى وبعده ذلك خلود في النار ثم فصل الكتاب على سبيل الاستيناف فقال منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي
واصحابه فاللام للمعهود السابق واكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله تعالى وعن دينه المتمردون في الكفر او يراد ان المراد انهم ليسوا
بعدول في دينهم ايضا فهم مردودون باتفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي ان يقتدى بهم البتة ثم اخبر عن حالهم وكان كما قال وهو اية
الاعجاز بجملة مستأنفة هي لن يضروكم الا اذى الا ضررا لا يجاوز الاذى بقول كطعن في الدين او تهديد او تحريف نص او القاء شبهة
او اظهار كلمة الكفر باشراك عزير والمسيح والاذى مصدر كالاسى يقال اذاه يؤذيه اذى واذاة واذية والاذى نوع من الضر فيصح استثناء
والتقدير لن يضروكم شيئا من انواع الضرر الا ضررا يسيرا ومن هذا يتبين ان الاستثناء ليس بمنقطع على ما ظن وان يقاتلوكم يولوكم
الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم ليكون نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل يرفع ليكون نفي النصر وعدا مطلقا
ويكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم وابشركم ان النصر والقوة منتف
عنهم راسا فلن يستقيم لهم امر البتة ومعنى ثم افادة التراخي في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم ابدا كان اعظم من الاخبار بانهزامهم
عند القتال فان قيل هب ان اليهود كذلك لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الايات مخصوصة باليهود واسباب
النزول تدل على ذلك فكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع واهل خيبر ولعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال ولم يوجد
نصراني بهذه الحال وفي الاية تشجيع للمؤمنين وتثبيت لمن امن من اهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتخويفاتهم **التأويل**
اتقوا الله حق تقاته لاهل العزائم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله وبوجوده ولا تموتن الا وانتم
مسلمون لا ينفك وجودكم المجازي الا وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستغرقتم الوجود الحقيقي وهو البقاء بالله
واعتصموا اهل الاعتصام طائفتان اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال فقيل لهم اعتصموا بحبل الله وهو كل سبب يوصل
الى الله من اعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب اذ مشربهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بالله هو مولاكم معتصمكم وناصركم و
لا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله
ولانفسكم فانقذكم بالهداية والايمان وتأليف القلوب كذلك مثل ما بين آياته للاوس والخزرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم ايها الطلاب آياته

وهي الجذبة الالهية وتجلي الصفات بينه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال واولئك هم المفلحون ومن وعيد من بأبلغ
ولا يأتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر اي يجعل ما في الضمائر على الظواهر اكفرتم بعد ايمانكم
هم ارباب القلوب السائرين الى الله انقطعوا في بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب لان الكافر
نيام لا يذوقون الم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ففي رحمة الله في الدنيا بالجمعية ولو ناف مع اهل الله تعالى
هم فيها خالدون في الاخرة لانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه تلك الاحوال آيات الله مع خواصه نتلوها عليك بالحق نظهرها على
التحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد او البياض في غير موضعها كنتم خير امة اخرجت من العدم الى الوجود مستعدة لقبول كمالية
الانسان من جملة الخيرية تخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عاقب مطيعهم بشؤم عصاتهم وغفر عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها
ان لاتهم لعنة ولاتنا رحمة ومنها شكا منهم الينا وشكرنا اليهم قبل وجودنا ولو امن اهل الكتاب يعني علماء السوء لن يضروكم ايها المحققون الا
اذى من طريق الانكار والحسد وان يقاتلوكم بالنازعوكم ويخاصموكم يولوكم الادبار من صدق نياتكم ثم لا ينصرون لانكم اهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون

ضربت عليهم الذلة والمسكنة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤ
بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ۝ ليسوا سواء
۝ من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
في الخيرات واولئك من الصالحين ۝ وما تفعلوا من خير فلن يكفروه
والله عليم بالمتقين ۝ ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۝
مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث
قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون ۝
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت
البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم
تعقلون ۝ ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب
كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ۝ ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
شيئا ان الله بما يعملون محيط ۝ صدق الله العظيم ۝

القراءات وتسارعون وبابه كسارعوا وسارع بامالة قتيبة وابو عمرو وطريق ابن عبدوس ما يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة
وعلي وخلف وحفص وابو عمرو مخير الباقون بتاء الخطاب تسؤهم وبابه من كل همزة مجزومة بغير همز الاعشى واوقية والاصفهاني عن ورش
وحمزة في الوقف لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضرر مجزوما ثم محرك للساكنين فالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون
محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة **الوقوف** المسكنة ط بغير حق ط يعتدون ۝ قيل لا وقف عليه وعليه وقف لان خبر
ليسوا يعود الى ما يعود اليه ضمير منهم المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين والذين عصوا واعتدوا احد الفريقين سواء ط يسجدون ۝ قيل لا وقف

[illegible]

قيل اى مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة وهي ان الآية دلت على ان المسلم قائم بحق العبودية وقوله
قائما بالقسط دل على ان المولى قائم بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم الصفة الثانية يتلون اى ان هذه الفئة تالين
آيات الله آناء الليل والتلاوة القراءة واصل الكلمة الاتباع فكان التلاوة هي اتباع اللفظ وآيات الله القرآن وقد يراد بها اصناف
مخلوقاته الدالة على صانعها وآناء الليل ساعاته واحدها انى مثل معى وامعاء وانى مثل نحى وانحاء الصفة الثالثة وهم يسجدون يحتمل ان تكون
حالا من يتلون كانهم يقرؤن القرآن في السجدة تخشعا الا ان ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انى نهيت ان اقرا راكعا وساجدا يأباه
وان يكون كلاما مستقلا اى يقومون تارة ويسجدون اخرى ويبتغون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الحسن
يريح راسه بقدميه وقدميه براسه وذلك لاحداث النشاط والراحة وان يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلوة تسمى سجدة وركعة
وسبحة وان يراد وهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من في السموات والارض وعلى هذين الاحتمالين لا مانع من كونه حالا الصفة الرابعة يؤمنون
بالله واليوم الآخر فالصفات المتقدمة اشارة الى كمال حالهم في القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم بحسب القوة النظرية فان
حاصل المعارف معرفة المبدا والمعاد ولا يخفى ان غير مؤمني اهل الكتاب ليسوا من القبيلين في شيء بسبب تحريفاتهم واعتقاداتهم
الفاسدة الصفة الخامسة والسادسة ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان اشارة الى انهم فوق التمام
وذلك لسعيهم في تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغي ومنعهم عما لا ينبغي وفيه تعريض بالامة المذمومة انهم كانوا مداهنين [illegible]
الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن الصفة السابعة ويسارعون في الخيرات اى المذكورات كلها
وهي من صفات المدح لان المسارعة في الخير دليل فرط الرغبة فيه حتى لا يفوت فيعين التاخير آفاته وما روى انه صلى الله عليه وسلم قال
العجلة من الشيطان مخصوصة بهذه الآية على انها لا تفيد كلية الحكم لان القضية المهملة [illegible] والامور متفاوتة منها ما يحمد فيه التاخير
لكونه مما يحصل على مهل وتدريج فلو طلب منه خلاف وضعه فات الغرض وضاع السعي او لكونه غير معلوم العاقبة فيفتقر الى مزيد تدبر وتامل

ومنها

ومنها ما يحمد فيه التعجيل لصدد ما قلنا فينتهز فيه الفرصة فيغتنم فان الفرص تمر مر السحاب قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك
قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك قبل موتك الصفة الثامنة واولئك من الصالحين
وذلك ان الامور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة الا في علم الله تعالى فاذا اخبر عنهم بانخراطهم في سلك الصالحين فذلك غاية المقصود ونهاية
المجهود ثم شرط للامة الموصوفة بل لجميع المكلفين ايصال الجزاء اليهم البتة تاكيدا للاخبار عنهم بقوله واولئك من الصالحين فقال وما تفعلوا
من خير فلن تكفروه اى لن تحرموا ثوابه ولن تمنعوه وتضمن الكفران معنى الحرمان ولهذا تعدى الى مفعولين مع ان الاصل فيه التعدية الى واحد
نحو شكر النعمة وكفرها وسمى منع الجزاء كفرا كما سمى ايصال الثواب شكرا في قوله فان الله شاكر عليم ثم ختم الكلام بقوله والله عليم بالمتقين
مع انه عالم بكل الاشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده بالكرامة الا اهل التقوى وتنبيها على ان الملتزم لو عدهم هو
الحق القادر الغني الخبير الذي لا غاية لكرمه ولا نهاية لعلمه فاطمئنوا بسبب ذلك نشاطا ثم بين احوال اهل الشقاء بقوله ان الذين كفروا الآية و
قد سبق تفسير مثله في اول السورة ثم انه لما بين ان اموال الكفار لا تغني عنهم شيئا امكن ان يخطر ببال احد ان الذي ينفقون منه في وجوه الخيرات
لعلهم ينتفعون بذلك فازال ذلك الوهم بقوله مثل ما ينفقون الآية قال اكثر المفسرين واهل اللغة الصر البرد الشديد وهو منقول عن ابن عباس
وقتادة والسدي وابن زيد وفي الصحاح الصر بالكسر برد يضرب النبات والحرث وعلى هذا المعنى الآية كمثل ريح فيها برد وذلك ظاهر
وجوز في الكشاف ان يكون الصر صفة معناه البارد فيكون موصوفه محذوفا بمعنى قرة فيها صر كما تقول برد بارد على المبالغة او يكون في التجريد
كما يقال رايت فيك اسدا اى انت اسد وان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل وقيل الصر السموم الحارة وروى ابن الانباري باسناده
عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى جميع الاقوال الغرض من التشبيه حاصل وسواء كان برد اهلكها او حر احرقها فانه يصير مبطلا للحرث
فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب الذي مر ذكره في سورة البقرة ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون
كمثل مهلك ريح وهو الحرث والمراد ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه
الله وقيده بقوله في هذه الحيوة الدنيا فشبه ذلك بالزرع الذي حسه البرد فصار حطاما وقيل مثل ما ينفقون يعني ابا سفيان واصحابه
من سفلة اليهود والمنفقين على احبارهم في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي جميع العساكر عليه في كونه مبطلا لما اتوا به قبل ذلك من اعمال البر
كمثل ريح فيها صر في كونه مبطلا للحرث والظاهر ان الضمير في ينفقون عائد الى جميع الكفار وذلك ان انفاقهم اما ان يكون لمنافع الدنيا او
لمنافع الاخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر واما ان يكون لمنافع الآخرة فالكفر مانع عن الانتفاع ولعلهم كانوا ينفقون في الخيرات نحو بناء
الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والارامل راجين خيرا كثيرا في المعاد لكنهم اذا قدموا الآخرة راوا كفرهم مبطلا لاثار تلك الخيرات
وكان كمن زرع وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه جائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف ولعلهم كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو معصية كانفاق
الاموال في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفي تخريب ديار المسلمين ولا يبعد ايضا تفسير الآية بتخييبهم في الدنيا فانهم انفقوا اموالا كثيرة في تجهيز
الجيوش والاغراء على المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم واظهر الله الاسلام واعز اهله فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحيرة
والحسرة وقيل المراد بالانفاق ههنا هو جميع اعمالهم التي يرجون الانتفاع بها في الاخرة كقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات
اما فائدة قوله ظلموا انفسهم وعدم الاقتصار على قوله اصابت حرث قوم فهي ان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه اثر
ولا عشر وحرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه اذا اصابته جائحة في الدنيا ابدله الله خيرا منه في الدنيا او في الاخرة فان المسلم مثاب على كل الم يصيبه
حتى الشوكة يشاكها اما الذين ظلموا انفسهم فاستحقوا اهلاك حرثهم عقوبة لهم فحرثهم هو الذي لا ينتفعون منه بعد الاهلاك فائدة اصلا ويحتمل ان يراد
بالظلم ههنا وضع الزرع في غير موضعه فان من زرع لا في موضعه او في غير اوانه ثم اصابته الآفة كان اولى بان يصير ضايعا والضمير في وما ظلمهم
للمنفقين اى ما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث اى ما ظلمهم الله باهلاك
حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ثم انه تعالى لما بالغ في شرح احوال المؤمنين والكافرين شرع في تحذير المؤمنين عن مخالطة
الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة
والحلف والجوار والرضاع فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم وبطانة الرجل خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره واى اموره
[illegible] واصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذي يلي منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن [illegible]
كل كافر لان قوله بطانة نكرة في سياق النفي وقوله من دونكم يؤكد ذلك وهو اما ان يتعلق بلا تتخذوا او يكون صفة لبطانة اى بطانة كائنة من دونكم
مجاوزة لكم والاول اولى لان الغرض ليس هو النهي عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهي عن الاتخاذ من غير ابناء جنسهم واهل ملتهم بطانة ثم انهم
[illegible] ومن للتبيين وقيل زائدة ثم ذكر علة النهي فقال لا يالونكم خبالا يقال الى في الامر يالو اذا قصر فيه
ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا وجهدا على التضمين اى لا امنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه رجل
مخبول ومخبل اى ناقص العقل فاسده وقيل خبالا نصب على التمييز وقيل مصدر في موضع الحال والمعنى لا يتركون جهدهم في مضرتكم وفساد حالكم
ودوا ما عنتم اى عنتكم على ان ما مصدرية والعنت الوقوع في امر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا اصابه شيء فهاضه قد اعنته والمراد احبوا
وتمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر والحاصل من الكلامين انهم لا يقصرون في افساد اموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج فحب
ذلك غير زائل من قلوبهم قد بدت البغضاء هي شدة البغض كالضراء شدة الضر والافواه جمع الفم واصله فوه بدليل تكسيره كسوط واسواط
فحذفت الهاء تخفيفا واقيمت الميم مقام الواو لانهما حرفان شفويان وظهور البغضاء من اليهود [illegible] عن الانابة وعدم
التقية في تكذيب النبي والكتاب واما من المنافقين فذلك ان المداجي لا بد ان ينقلب من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته لان فلتات
اللسان متناهية وكوامن الصدور تكاد تكون غير متناهية ثم بين ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل
في مدلولات هذه النصائح فقال قد بينا لكم الآيات ان كنتم من اهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدو والولي
ثم ان سياق هذه الجمل يحتمل ان يكون على سبيل تنسيق الصفات للبطانة كانه قيل لا تتخذوا بطانة غير آلين لكم خبالا وادين عنتكم بادية
بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن من ذلك وابلغ ان تكون الجمل مستانفات كلها على جهة التعليل للنهي كانه قيل لم
لا نتخذهم بطانة فقيل لانهم لا يقصرون فقيل لم نفعل ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل [illegible] فقيل قد بدت

عن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وما تخفي صدورهم اكبر
صح

والله اعلم اما كون هذا التقدير احسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف ولا عاطف هنا واما كونه ابلغ فلبناء
الكلام على السؤال والجواب ولتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوى بالبراهين ولا تخفى جلالة قدر هذه الفوائد ثم استأنف
للتحذير نمطا آخر من البيان مشتملا على التوبيخ فقال ها انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطاء وهو قوله
تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو اقبح الاشياء او تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة
ولا يحبونكم لاختلاف الدين او تحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر في باطنهم او تحبونهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحب
محبوب ولا يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في امور دينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون
مثل ذلك بكم او تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر والحق ان هذه الاعتبارات وامثالها محتملة لكن
تخصيص الخلة في الاية ثم ذكر سببا آخر محتاجا الى ان يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله كقوله واضمر قرينه وهو وهم لا يؤمنون به لان
ذكر احد الضدين يغني عن الآخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون للحال
واللام في الكتاب للعهد اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ثم ذكر مضادة
اخرى فقال واذا لقوكم قالوا آمنا احدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام
لان هذا الفعل كثيرا ما يصدر منهما فجعل كناية عن الغضب والندم وان لم يكن هناك عض وانما حصل لهم هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما رأوا
من ائتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شأنهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله فان
ذلك يغيظهم ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم بان الله ابى ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والموعود
كائن فان كان هذا سببا لغيظكم فلا محالة يكون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله انه عليم بذات الصدور اي بصواحباتها وهي الخواطر القائمة بالقلب
والدواعي والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يهلككم
او تموتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو اخفى مما تسرونه وهو مضمرات القلوب وخفياتها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب
من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني اعلم ما اضمره الخلايق ولم يظهروه على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون ثم قول بل يراد حدث نفسك
بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون امر الرسول بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ونصره ثم ذكر نوعا آخر من مضادتهم ومعاداتهم
فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والايتلاف بين الاحباب تسؤهم
ساءه يسوءه نقيض سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من اضداد ما عددنا يفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف هنا بين المس والاصابة
وجعل المعنى واحدا واقول يشبه ان يكون المس اقل من الاصابة وانه ادخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا يمتعض لقليل من الخير الا اذا
هناك كمال البغض والشماتة فلما يوجدا اذا اصاب العدو بلية عظمى كما قيل شعر عداتك مذهب الاحساد الا ان يكون ثمة غاية الحقد
واذا كان حال القوم مع المسلمين في النقيضين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في
للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او ان تصبروا على اوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم
كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه وقال ابن عباس هو العداوة شيئا من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه ارشاد
من الله تعالى الى ان يستعان على دفع مكايد الاعداء بالصبر والتقوى فمن كان لله كان الله له وفي كلام الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك
فازدد فضلا من نفسك وقال بعضهم شعر اذا ما شئت ارغام الاعادي بلا سيف يسل ولا سنان فزد في مكرماتك فهي اعدى على الاعداء
من نوب الزمان ان الله بما يعملون على عداوتكم او بما تعملون انتم من الصبر والتقوى محيط فيجازي كل احد بما هو اهله التاويل ضربت عليهم
ذلة التطمع ومسكنة الحرص الا ان يعتصموا بحبل الله وطلبه وحبل من الناس يعني متابعة النبي وسيرته ويقتلون الانبياء يميتون سننهم وسيرهم
ليسوا اي العلماء الربانيون والمداهنون فلن يكفروه لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ثم اخبر عن نفقات اهل الشهوات في استيفاء
اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح هي هواء الهوى فيها صر الشهوة اصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني
ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد والافناء ثم نهى اهل المحبة عن مباطنة اهل السلو من هذا الحديث وقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا
لا يقصرون في انكاركم والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا وشهواتها ما عنتم ما مشقتموه وزكيتموه لدناءة هممهم وعلو هممكم
او فرحوا بما قاسيتم من المجاهدات والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من افواههم باعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم اكبر
من الغل والحقد والحسد تحبونهم محبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في القرآن
من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور ان من شأنها الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق سيئة ابتلاء من الله [illegible]

وإذ غدوت من أهلك تبوي المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ۝
إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل
المؤمنون ۝ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم
تشكرون ۝ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلثة آلاف
من الملائكة منزلين ۝ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ۝ وما جعله الله إلا بشرى لكم

ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ۝ ليقطع طرفا
من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ۝ ليس لك من الأمر
أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ۝ ولله ما في السموات
وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ۝

القراءات تبوي المؤمنين بغير همز ابو عمرو غير شجاع وورش والاعشى وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاي ابن عامر الباقون
بالتخفيف والفتح ايضا مسومين بكسر الواو ابو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ورويس الباقون بالفتح الوقوف للقتال ط عليم لا لان
اذ بدل من اذ غدوت او يتعلق بالوصفين او بقوله تبوي ان تفشلا لا لان الواو للحال وليهما ط المؤمنون ه اذلة ج للفاء تشكرون ه منزلين ط
لتمام المقول بلى لا لاتحاده مع ما بعده مسومين ه قلوبكم به ط الحكيم ه لا لتعلق اللام بمعنى الفعل في النصر خائبين ه ركوع الجزء ظالمون ه
ما في الارض ط من يشاء ط رحيم ه التفسير انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا واتقوا وخلاف ذلك ان لم يصبروا اتبعه
قوله واذ غدوت من اهلك ولقد نصركم الله ببدر يعني انهم يوم احد كانوا كثيرين مستعدين للقتال فلما خالفوا امر الرسول انهزموا ويوم
بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم اطاعوا امر الرسول فغلبوا واستولوا على خصومهم ووجه آخر في النظم وهو ان الانكسار يوم احد انما حصل
بسبب تخلف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وذلك يدل على انه لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال ابو مسلم هذا الكلام معطوف بالواو
على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا اي قد كان لكم مثل تلك الآية اذ غدا الرسول تبوي المؤمنين والجمهور على انه منصوب باضمار اذكر وعن الحسن
ان هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب واكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الآية نزلت في واقعة احد وهو قول ابن عباس
والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وابي مسلم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا
عبد الله بن ابي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا
عنهم وقال صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني
ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والوحي يأتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة من المدينة
فالوا من منزل عائشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله من اهلك عن مجاهد والواقدي انه مشى على رجليه الى احد واصبح بالشعب منها يوم السبت
للنصف من شوال وجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره
وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا في هذا
المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما خالف رأي عبد الله
بن ابي شق عليه ذلك وقال اطاع الصبيان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا
فاذا رأيتم اعداءهم انهزموا فسيتبعونكم فيصير الامر على خلاف ما ذكر محمد فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام
نقتل انفسنا واولادنا وكان جملة عسكر الاسلام الفا وقيل تسعمائة وخمسين وبقي نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف فقواهم الله مع ذلك
حتى هزموا المشركين لكنهم لما رأوا انهزام القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك
الموضع وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا ان ظفرهم يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم
فنزع الله الرعب من قلوب المشركين فكروا على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى اذ تصعدون ولا تلوون
على احد والرسول يدعوكم في اخراكم وشج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه ولم يبق معه الا ابو بكر وعلي
والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر ان محمدا قتل فاشرف ابو سفيان وقال افي القوم محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه
فقال افي القوم ابن ابي قحافة فقال لا تجيبوه قال افي القوم ابن الخطاب فقال ان هؤلاء قتلوا ولو كانوا احياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال
كذبت يا عدو الله ابقى الله لك ما يخزيك فقال ابو سفيان مرتجزا اعل هبل اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه فقالوا ما نقول
قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم
قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار
ولنرجع الى التفسير بوأته منزلا وبوأت له منزلا انزلته فيه ومقاعد اي مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى استعمل المقعد والمقام
في المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك اي من موضع حكمك ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لما امرهم ان يثبتوا
في تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل ان المقاتلين قد يقعدون في الامكنة المعينة الى ان يلاقيهم العدو فيقوموا فلهذا
سميت تلك المواضع مقاعد والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم ونياتكم فانا بينا انه كان في القوم موافق ومنافق اذ همت طائفتان منكم هما حيان
من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان ان تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر انها ما كانت عزيمة ممضاة
ولكنها كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها صاحبها ذم وان ردها الى الثبات والصبر فلا بأس
بما فعل وعن معاوية انه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبت مني الا قول عمرو بن الاطنابة شعر

اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي ومما يدل على ان ذلك الهم لم يخرج الى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما ولو كانت
عزيمة لما ثبتت معها الولاية ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون والتوكل
تفعل من وكل امره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفيه اشارة الى ان الانسان يجب ان يدفع ما يعرض له من مكروه وآفة
بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل نحن الطائفتان نسخه
لقول الله والله وليهما اخرجاه في الصحيحين ومع ذلك قال بعض العلماء ان الله تعالى ابهم ذكرهما وستر عليهما فلا يجوز لنا ان نهتك ذلك
الستر ولقد نصركم الله ببدر وانه ما بين مكة والمدينة عن الواقدي انه اسم الماء بعينه وعن الشعبي انه سمي باسم رجل كان ذلك الماء له
وانتم اذلة انما جاء بجمع القلة دون الذلان الذي هو للكثرة ليدل على انهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم كانوا قليلي العدد ايضا
كما مر في تفسير قوله قد كان لكم آية ولم يبين بالذلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين او لعل المراد انهم كانوا اذلة
في زعم المشركين وفي اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكى عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل او لعل الصحابة كانوا قد شاهدوا الكفار في مكة
في غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على اولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية في نفوسهم فاتقوا الله في الثبات
مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقويكم ما انعم به عليكم من نصرة او لعل الله ينعم عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه
سبب له اذ تقول للمؤمنين اختلف المفسرون في ان هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل في اذ قوله نصركم او حصل يوم احد فيكون بدلا ثانيا
من اذ غدوت الاول قول اكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والعدد يوم بدر اقل فكان الاحتياج الى المدد اكثر والثاني
مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان بالف من الملائكة لقوله تعالى في سورة الانفال فاستجاب
لكم اني ممدكم بالف من الملائكة دون ثلثة الالف وخمسة الالف واجيب بانهم امدوا بالف من الملائكة ثم زيد الفان فصارا ثلثة الالف
ثم زيد الفان آخران فصار خمسة الالف فكانه قيل لهم الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بالف من الملائكة فقالوا بلى ثم قيل الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف
فقالوا بلى ثم قيل لهم ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة الالف وهو كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أتبشركم ان تكونوا ربع اهل الجنة
قالوا نعم قال أتبشركم ان تكونوا ثلث اهل الجنة قالوا نعم قال فاني ارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة وايضا لعل اهل بدر امدوا بالف ثم بلغهم
ان بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة عددهم فوعدهم الله بان الكفار ان جاءهم مدد فانا امدكم بخمسة الالف
من الملائكة ثم انه لم يأت قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف وقالوا ان
الكفار كانوا يوم بدر الفا والمسلمون على الثلث منهم فانزل الله الفا من الملائكة بعدد الكفار ايضا ثم وعدهم ان يجعل الثلثة الالف
خمسة الالف ان صبروا واتقوا واجيب بان هذا تقريب حسن ولكنه لا يغلب على الظن ان يكون الامر كذلك قالوا قال تعالى ويأتوكم من فورهم
ويوم احد هو الذي كان يأتيهم الاعداء اما يوم بدر فهم ذهبوا الى الاعداء واجيب بان المشركين لما سمعوا يوم بدر ان الرسول صلى الله عليه وسلم
واصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فاخبرهم الله
انهم ان يأتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة الالف ثم قالوا في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة احد ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يجب ان يكون
توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم فلقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم عاد الى قصة احد ثم انزال خمسة الالف كان مشروطا بشرط ان قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون نسخه
ان تصبروا وتتقوا ثم انهم لم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا بل خالفوا امر الرسول فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط واما انزال ثلثة الالف
فانه صلى الله عليه وسلم وعدهم ذلك بشرط ان يثبتوا في تلك المقاعد فلما اهملوا الشرط لم يحصلوا المشروط روى الواقدي عن مجاهد انه قال
حضرت الملائكة يوم احد ولكنهم لم يقاتلوا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك
في صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم انه ملك امد
وعن سعد بن ابي وقاص انه قال كنت ارمي السهم يومئذ فيرده علي رجل ابيض حسن الوجه وما كنت اعرفه فظننت انه ملك هذا تقرير حاصل القولين
واختلفوا ايضا في عدد الملائكة فمنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزائد لان الوعد بامداد الثلثة الالف لا شرط فيها والوعد بامداد خمسة
الالف مشروط بالصبر والتقوى ومجيء الكفار من فورهم فهما متغايران وعلى هذا ان حملنا الآية على قصة بدر وقد ورد فيها ذكر الالف في آية
اخرى فيكون المجموع تسعة الالف وان حملناها على قصة احد كان الجميع ثمانية الالف ومنهم ادخل الناقص في الزائد فقال وعدوا بالف ثم زيد
الفان فصح ان يقال وعدوا بثلثة الالف ثم زيد الفان آخران فوعدوا بخمسة الالف واجمع اهل التفسير وارباب السير انه تعالى انزل
الملائكة يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انه لم يقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون
ومنهم من قال ان نصر الملائكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار وباشعار المؤمنين بان النصر لهم واما ابو بكر الاصم فقد انكر امداد الملائكة وقال ان الملك
الواحد يكفي في اهلاك اهل الارض كما فعل جبرئيل بمداين قوم لوط فاذا حضر يوم بدر فاي حاجة الى مقاتلة الناس مع الكفار وبتقدير حضوره
فاي فائدة في ارسال سائر الملائكة وايضا فان اكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة معلوم وايضا لو قاتلوا فاما ان يكونوا بحث
يراهم الناس اولا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول ثلثة الالف واكثر ولم يقل احد بذلك ولانه خلاف قوله ويقللكم في اعينهم ولو كانوا
في غير صورة الناس لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم جز الرؤس وتمزيق البطون واسقاط
الكفار عن الافراس من غير مشاهدة فاعل لهذه الافعال ومثل هذا يكون من اعظم المعجزات فكان يجب ان يتواتر ويشتهر بين الكافر والمسلم
والموافق والمخالف وايضا انهم لو كانوا اجساما كثيفة وجب ان يراهم الكل وان كانوا اجساما لطيفة هوائية فكيف ثبتوا على الخيول واعلم ان
هذه الشبهة لا تليق ايرادها بقوانين الشريعة وبمن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى قادر على ما يشاء فاعل لما يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها مع
ان نص القرآن ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر روى عبيد بن عمير لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون في انديتهم بما ظفروا
ويقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا المقام ان التكليف ينافي الالجاء وانه تعالى قادر على اهلاك
جميع الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك او بلا سبب وكذا على ان يجبرهم على الاسلام ويقسرهم لكنه اراد اشاعة هذا الدين على
تدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف فلا جرم اجرى الامور على ما اجرى فلله الحمد على ما اولى وله الحكم في الآخرة والاولى والحاصل
ان اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم وهو حين نزول البأس فلا جرم اظهر القدرة وجعل عاليها سافلها وفي حرب احد كان الزمان زمان

تكليف

تكليف فلا جرم اظهر الحكمة بتمييز الموافق عن المنافق والثابت من المضطرب فانه لو جرى الامر في احد كما جرى في بدر لاشبه ان يفضي الامر الى حد الالجاء
ونافي التكليف ونوط الثواب والعقاب به ولعل ذلك انه بالملائكة جريا على عادة الامداد بالعسكر والا فالملك الواحد يكفي في اهلاك كثير من
فاعلم وللعدول الى تغيير الالفاظ قال صاحب الكشاف انما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة ليقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله و
معنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الالف من الملائكة واتى بلن الذي هو تاكيد للنفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم ومعنى الكفاية نسخه
كالآيسين من النصر ومعنى الامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال قال بعضهم ما كان على جهة القوة والاعانة قيل فيه امده يمده وما كان على جهة الزيادة
قيل فيه مده يمده وقرئ منزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غلت ثم استعمل في معنى السرعة يقال
جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور او للتراخي ثم سميت به الحالة التي لا توقف فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره كما
يقال من ساعته لم يلبث فقيل مجيء خمسة الالف مشروطا بثلثة اشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار على الفور فلما لم توجد هذه الشرائط بكلها او بعضها
فلا جرم لم يوجد المشروط ويحتمل ان يتعلق قوله من فورهم هذا بما بعده اي يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر النزول عن الاتيان وفيه بشارة
بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنائم واتقوا مخالفة الرسول وقوله مسومين من التسويم العلامة وقد يعلم الفارس يوم اللقاء ليعرف
بها فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة
على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيول واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق
وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا
فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت الابل وسومتها ارسلتها للرعي فالمعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم واسرهم
وان الله تعالى ارسلهم على المشركين ليهلكوهم كما يهلك الماشية النبات في المراعي وما جعله الله الضمير عائد الى المدد او الامداد الدال عليه الفعل
وقال الزجاج وما جعله الله ذكر المدد الا بشرى وهي اسم من البشارة اي الا لتبشروا بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل
بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما تقوى به
رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد لا يكمل الا عند الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها
وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا اي
طائفة وقطعة من الذين كفروا وانما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف كما
قال اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم والكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه وفسره الائمة
ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم والفرق بين الخيبة واليأس ان الخيبة لا تكون الا بعد
التوقع ونقيضه الظفر واما اليأس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد نصركم الله او بقوله
وما النصر ويحتمل ان يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا من البعض جاز حذف العاطف كما يقول
السيد لعبده اشتريتك لتخدمني لتعينني لتقوم بحاجتي قوله عز من قائل ليس لك من الامر شيء فيه قولان احدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة
احد عن انس بن مالك قال كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ودمي وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه ويقول كيف يفلح قوم
خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج رأسه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول
الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن اقواما فقال اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم
العن صفوان بن امية فنزلت هذه الآية او يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وذلك انه عليه السلام
لما رآه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن منهم بثلثين فنزلت وقيل اراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا امره والذين انهزموا فمنعه الله عن ذلك
وهو مروي عن ابن عباس وقيل اراد ان يدعو على المسلمين الذين عصوا امره فنزلت قال القفال كل هذه الامور وقع يوم احد فلا يمتنع حمل نزول الآية على الكل القول ان يستغفر نسخه
الثاني واليه ذهب مقاتل انها نزلت في واقعة اخرى وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جمعا من خيار الصحابة زهاء سبعين الى بني
عامر ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى موضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره واخذهم وقتلهم فحزن من ذلك رسول الله صلعم
شديدا ودعا على الكفار في القنوت اربعين يوما يقول بعد ما يرفع رأسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن بني لحيان والعن رعلا وذكوان اللهم
انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني
يوسف حتى انزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء ولا يخفى ان ظاهر الآية يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يفعل فعلا لمنع منه وحينئذ يتوجه
الاشكال بان ذلك الفعل ان كان من الله تعالى فكيف منعه منه والا فهو قادح في عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى والجواب
ان المنع من الفعل لا يدل على ان الممنوع مشتغل به كقوله ولا تطع الكافرين مع انه ما اطاعهم وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه ما اشرك
قط ولعله شاهد من قتل حمزة وغيره ما اورثه حزنا شديدا وكان من الممكن ان يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع تقوية
لعصمته وتأكيدا لطهارته ولئن سلمنا انه كان مشتغلا بذلك الفعل فانه محمول على ترك الاولى والنهي ارشاد الى اختيار الافضل وايضا
ان دعاء النبي لا يكون بمجرد التشهي وانما هو بطلب الاصلح فالذي يظن به انه خلاف سؤاله وقد وقع فهو بالحقيقة سؤاله ولهذا سأل الله تعالى ان
يجعل لعنه على من لا يستحقه طهورا وزكوة ورحمة والله اعلم وقوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة ومن شأن هذه
الحادثة شيء فاني اعلم بمصالح عبادي او الامر الذي هو خلاف النهي اي ليس لك من امر خلقي شيء الا ما يكون امري وحكمي وقوله او يتوب
منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر اي ليس لك من امر خلقي شيء الا ما يكون امري وحكمي او يتوب شيء او من التوبة
عليهم او من تعذيبهم ويجوز ان يكون معطوفا على شيء والحاصل منعه صلى الله عليه وسلم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه وامره وفيه ارشاد الى
درجات العبودية وان لا يخوض العبد في اسرار ملكه وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله او يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله
ليس لك من الامر شيء كالكلام الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذاك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك
امرهم واما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى

ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشتفي منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند اهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق العزم فيهم على ان لا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل واكد هذا الظاهر ببرهان عقلي وهو ان الندم كراهة تحصل في القلب عما سلف منه والعزم ارادة تتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر في فعلها الى ارادة اخرى وتسلسل فهو اذن بخلق الله تعالى واما المعتزلة ففسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف او بقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم او عصيانهم ثم اكد ما ذكره من قوله ليس لك من الامر شيء بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اي هما و الحقايق والماهيات التي فيهما لله فليس الحكم فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك يغفر لمن يشاء بفضله وان كان من الابالسة والفراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين وكل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة والمغفرة غالب ولهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما روي عن ابن عباس في تفسير الاية يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وايدوا هذا النقل بدليل عقلي شبيه بما مر انفا وهو ان الارادات كلها تستند الى الله تعالى دفعا للتسلسل فاذا خلق الله ارادة الطاعة اطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد ومعصيته تنتهي الى الله وفعل الله لا يوجب على الله شيئا اما المعتزلة فقد قالوا في ذلك ورووا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب والحق ان العذاب لازم ملكة العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم ملكة الطاعة فان اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان اريد غير ذلك فممنوع والله تعالى اعلم التاويل اخبر عن التغير بعد التغير بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر السالك الصادق والسائر العاشق وذلك ان يغدوا في طلب الحق والرجوع الى المبدأ من اهله اي صفات الحيوانية والبهيمية تبوي المؤمنين اي صفاتك الروحانية مقاعد للقتال للنفس والشيطان والدنيا والله سميع عليم لدعائكم بالاخلاص للخلاص عن ورطة تيه الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا يعني القلب واوصافه والروح واخلاقه والله وليهما يخرجهما من الظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم اذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى ان نور النبي يلهم ارواح المؤمنين على الدوام عند مقاتلة الشياطين ومجاهدة النفس ومكايد الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلثة الاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية التي لا يدركها الحواس كقوله وانزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يزدكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا ليقهر بعضا من الصفات النفسانية التي هي منشاء الكفر بنصر الروح وصفاته او يكبتهم او يغلبهم ويظفر بهم وما النصر الا من عند الله يغفر بحكمته من يشاء على ما يشاء كيف يشاء لمن يشاء بما يشاء انه حسبي وكفى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

وانكم ظالمون صح

يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم
تفلحون ۝ واتقوا النار التي اعدت للكافرين ۝ واطيعوا الله
والرسول لعلكم ترحمون ۝ وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ۝ الذين ينفقون
في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ۝ والله
يحب المحسنين ۝ والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله
فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا
وهم يعلمون ۝ اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين ۝ قد
خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين ۝ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ۝ ولا تهنوا
ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ۝ ان يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين

آمنوا

آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ۝ وليمحص الله
الذين آمنوا ويمحق الكافرين ۝ صدق الله العظيم

القراءات سارعوا بغير واو العطف ابو جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة الباقون بالفتح الوقوف مضاعفة ص لعطف المتفقين تفلحون ه ج للعطف للكافرين ه ج ترحمون ه ج ومن قرا سارعوا بغير واو فوقفه مطلق والارض لا لان ما بعده صفة لجنة ايضا اي جنة واسعة معدة للمتقين ه لا لان الذين صفتهم عن الناس ط المحسنين ه ج لان والذين يصلح مبتدأ وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف على يعلمون وتصلح معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون ليعرف عموم اولئك اي المتقين السابقين منهم بعصمة الله واللاحقين بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على لذنوبهم لابتداء بالاستفهام وعلى الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح لا احد يغفر الذنوب الا انت خالدين فيها ط العاملين ه سنن لا للتعقيب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بايثار المكذبين ه للمتقين ه مؤمنين ه مثله ط بين الناس ج لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اي ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين ه للعطف على ليعلم الكافرين ه التفسير قال القفال رحمه الله تعالى يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربوا وكانوا ينفقون تلك الاموال على العساكر وكان من الممكن ان يصير داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا كي يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الايات ابتداء امر ونهي وترغيب وترهيب تتميما لما سلف من الارشاد الى الاصلح في امر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهي عن الربوا في حال كونه اضعافا لما علم انه منهي عنه مع توبيخ بما كانوا عليه في الغالب والمعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل وهكذا مرة بعد اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه ان اتقاء الله في هذا النهي واجب وان الفلاح يقف عليه فلو اكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه ان الربوا من الكبائر لا من الصغائر ويؤكده قوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف اية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها لان اكثر اهل النار الكفار فغلب جانبهم كما لو قلت اعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمنع ان تركبها لبعض حوائجك ومثله قوله في صفة الجنة اعدت للمتقين فانه لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور و واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه ان رجاء الرحمة موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا تمسك به اصحاب الوعيد في ان من عصى الله ورسوله في شيء من الاشياء فهو ليس اهلا للرحمة وغيرهم تحمل الاية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرا بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشيء الواحد لانهما متلازمان وتمسك كثير من الاصوليين به في ان ظاهر الامر يوجب الفور قالوا في الكلام محذوف والتقدير سارعوا الى ما يوجب مغفرة من ربكم وتنكير المغفرة لتقييد المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن علي بن ابي طالب هو اداء الفرائض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لانه المقصود من جميع العبادات وعن ابي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة احد وقال الاصم بادروا الى التوبة من الربوا لانه ورد عقيب النهي عن الربوا ثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولا بد للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين ان نفس السموات لا تكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات كقوله في موضع آخر كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه ونظيره خالدين فيها ما دامت السموات والارض لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزى ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما يكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له فلا بد ان يكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا وقال ابو مسلم معنى العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على ان المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة ادنى من الطول واذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطائن في العادة يكون ادون حالا من الظهارة واذا كانت البطانة كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء واجيب بعد تسليم كونها الان مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروي ان هرقل سال النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فاين النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله ورسوله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وسئل انس بن مالك عن الجنة افي الارض ام في السماء فقال واي ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون في السراء والضراء في حالي الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب فكان الفقير انكر عليها فقالت احسب كم هي من مثقال ذرة وقيل في عرس وحبس والمراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا يدعون الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان والانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم بان كان مخالفا له فانهم لا يتركونه وفي افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة او لانه كان اهم في ذلك الوقت لاجل الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملاها وشد فاها وكظم كظم غيظه اذا امسك عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كانه كتمه على امتلائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الاعضاء وهو من اقسام الصبر والحلم

مخلفا بانها بعوض صح

قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ايضا ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربوا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لامثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه قال بعضهم لا يكون العبد ذا الفضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم صلوات الرحمن عليه ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك والله يحب المحسنين ويجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء وذلك ان من انواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم والنفس شعر والجود بالنفس اقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة اخرى وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الآخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان نبهان التمار اتته امراة حسنة تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت واذا فعلوا فاحشة الآية وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وكانا لا يفترقان في احوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر وخلف الانصاري في اهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امراة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستاذن حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر راجعا فقالت سبحان الله خنت امانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال وندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته اهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي قد خنت اخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاساله عن ذنبك لعل الله ان يجعل لك فرجا وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلوة العصر نزل جبرئيل عليه السلام بتوبته فتلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين فقال عمر يا رسول الله اخاص هذا لهذا ام للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنو اسرائيل كانوا اكرم على الله منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع اذنك اجدع انفك افعل كذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم وبين انهم اكرم على الله منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف اي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذ الانسان به وقيل الفاحشة هي الزنى لقوله تعالى ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة وهذا القول انسب لسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه صلى الله عليه وسلم كان مامورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله اي وعيده او عقابه او انه سائلهم او نهيه او جلاله الموجب للخشية والحياء منه او ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع المقادير فلابد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواقدي ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقيل المراد ذكروا الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من اداب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم يقال استغفر لذنبه ومن ذنبه بمعنى فالمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذلك لا اثر له في ازالة الذنب [illegible] الاستغفار لازالة التبعة [illegible] الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي [illegible] العدل في العقاب وكمال رحمته وعفوه يقتضي [illegible] ذلك العقاب عنه لكن صدور الرحمة عنه [illegible] سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة ارجح [illegible] اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار والتنصل [illegible] للعبد في كتاب مسلم عن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي رضي الله عنه قال حدثني ابو بكر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله جملة معترضة [illegible] ولم يصروا على ما فعلوا [illegible] ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة [illegible] الاصرار [illegible] وهم يعلمون [illegible] وحرف النفي منصب عليهما معا [illegible] الاصرار [illegible] العالم [illegible] ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتمييز [illegible] رفع القلم عن ثلث [illegible] اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم [illegible] العقاب وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وهذا اشارة الى ايصال الثواب ونعم اجر العاملين [illegible] الجزاء [illegible] الجنة [illegible] ان لا يدخلها غيرهم بفضل الله

وبرحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تامل احوال القرون الخالية فقال قد خلت من قبلكم سنن واصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة بمعنى المفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه وكانه اجراه على نهج واحد او من سننت النصل احددته او من سن الابل اذا احسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستيصال بدليل قوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا الانبياء للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة هذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر ولكن المؤمن يبقى له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر يبقى له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التامل في حال احد القسمين يكفي في معرفة حال القسم الآخر ولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بالتامل في احوال امثالهم وليس المراد من قوله فسيروا في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير السير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد ان يقال يندب الى السير لان للمشاهدة آثار الاقدمين اثرا اقوى من اثر السماع كما قيل شعر ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار هذا بيان للناس المشار اليه بهذا اما ان يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم واما البيان والهدى والموعظة فلابد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان احدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الى البغية والاولى ان يكون البيان عاما لجميع المكلفين وباي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وخص المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر ثم لما بين هذه المقدمات وعدها ذكر المقصود وهو قوله فلا تهنوا كانه قال اذا بحثتم عن احوال القرون الخالية علمتم ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة والغلبة لارباب الحق والوهن الضعف اي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما اصابكم يوم احد وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او انتم الاعلون شانا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او انتم الاعلون بالحجة والعاقبة المحمودة كقوله والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما ان يكون قيدا للقول وانتم الاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما ان يكون قيدا للقول ولا تهنوا اي ان صح ايمانكم بالله وثقتكم به الدين فلا تضعفوا لتيقنكم بان الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فبيناهم كذلك اذ اقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل الله هذه الآية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وانتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد كئيبا حزينا جعلت المراة تجيء بزوجها وابيها وابنها مقتولين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهكذا تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز وقيل بالفتح مصدر وبالضم اسم قال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة توهم انها جمع قرحة ومعنى الآية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك في يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم اولى بان لا تفتروا ولا تجبنوا ونظيره فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم احد وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم في اول النهار كما جاء من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازمة وانما المماثلة في نفس القتل والجراحة وتلك الايام موصوف وصفة مبتدا خبره نداولها او تلك مبتدا والايام خبره كقولك هي الايام تبلي كل جديد فان المضمر لا يوصف ويكون تلك اشارة الى الوقايع والاحوال العجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد بالايام اي تلك الاوقات من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدم والمداولة نقل الشيء من واحد الى آخر ويقال تداولته الايدي اي تناقلته والدنيا دول اي تنتقل من قوم الى آخرين لا تدوم مسارها ومضارها فيوم يحصل فيه السرور له والغم لعدوه ويوم آخر بالعكس فلا يبقى شيء من احوالها ولا يستقر اثر من آثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوة واخرى فارغة وليس المراد من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين واخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يناله الكافرون بل المراد انه تارة يشدد المحنة على الكافرين واخرى على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة ان يكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله والى هذا اشير في قوله سبحانه وليعلم الله الذين آمنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل مذهب ويعز الفوائد والتقدير نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرتهم سبحان ان يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الآية ونحوها كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا على انه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه وتاويل الآية ان اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان او قدرته والمراد معلومه او مقدوره فكان الآية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الآية ليظهر معلومنا وهو تخلص المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم وعلى الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير وليعلمهم مميزين عن غيرهم ويحتمل على جميع المقادير ان يعتبر متعلق وليعلم

[illegible]

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ۝ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ۝ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ۝ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ۝ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ۝ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ۝ فآتاهم الله ثواب

الدنيا

الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ۝ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ۝ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ۝ صدق الله العظيم

[illegible]

عن القتل بل يحمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله ذلك بعث يراد به المفارقة الى الاخرة باى طريق كان من قتل وانهم مستوون
وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزئيها لصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة
بمتساويين مع كذب جزئيها ومعنى او هو التردد لا التشكيك اى سواء فرض وقوع الموت او القتل فلا تاثير له في ضعف الدين ووجوب
الدين بالارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذي تاتي به فعلك
لا يضر السماء والارض وانما يعود ضرره عليه وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على التغليظ
عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله
بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم
انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات
عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه
مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم ففي امثالهم قال تعالى وسيجزي
الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس ان تموت ووجه النظم ان المنافقين ارجفوا
ان محمدا قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل قولهم بان القتل مثل الموت في انه لا يحصل الا في الوقت المقدر وكما انه لو مات في بلده
لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل او فيه تحريض المؤمنين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغني عن القدر وان احدا لا يموت قبل الاجل وان
خوض المهالك واقتحم المعارك والغرض بيان حفظه وكلاءته لنبيه فانه ما بقي في تلك الواقعة سبب من اسباب الهلاك والشر الا وقد حصل
الا انه تعالى لما كان حافظا لنبيه ولم يقدر في ذلك الوقت اجله لم يضره ذلك وفيه تقريع لاصحابه انهم قد قصروا في الذب عنه وجواب عما
قاله المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الاخفش والزجاج تقرير الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله
وقال ابن عباس الاذن هو قضاء الله وقدره فانه لا يحدث شيء الا بمشيئة الله وارادته فاورد الكلام على سبيل التمثيل كانه فعل لا ينبغي
لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله فيه وذلك ان اسناد الموت الى النفس بمنزلة الفعل الى الفاعل لا الى القابل فاقيم القابل مقام
الفاعل وقال ابو مسلم الاذن هو الامر والمعنى ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين
والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحيوة احد الا الله وقيل التخلية والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس ان تموت
الا باذن بتخلية بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلي بين نبيه وبين احد يقتله ولكنه جعل من بين يديه ومن خلفه رصدا ليتم على يديه بلاغ
ما ارسله به فلا تهنوا في غزو الكفر بعد ذلك بارجاف مرجف وقيل الاذن العلم اي لن يموت نفس الا في الوقت الذي علم الله موتها فيه و
في الاية دليل على ان المقتول ميت باجله وان تغيير الاجال ممتنع ولهذا اكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله
عليه اي كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الاجل وقيل هو اللوح المحفوظ
الذي كتب فيه جميع الحوادث من الخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضي الاجل والرزق مضافان الى الله تعالى و
واما الكفر والفسق والايمان والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب الله تعالى ذلك فانما يكتب ما يعلمه من اختيار العبد
وذلك لا يخرج به العبد من ان يكون مذموما او محمودا والحق ان هذا ينعكس بالقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان
ياتي هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر على الايمان حينئذ فما معنى اختياره ثم انه كان في الذين حضروا يوم
احد من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة كما اخبر الله تعالى في هذه السورة فقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اي من ثوابها تعريض
بالفريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقي الاية مدح للفريق الاخر الاخروي وان من فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين
لكن ثواب الفريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله وسنجزي الشاكرين فابهم الجزاء واضاف الى النفس
تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عن الجهاد شيء لا يكتنه كنهه ويقصر عنه العبارة وانه كما يليق بعميم فضله وجسيم
طوله وهذه الاية وان وردت في الجهاد لكنها عامة في جميع الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وذلك لان
المؤثر في جانب الثواب والعقاب المقصود والدواعي لمن وضع الجبهة على الارض والوقت الظهر والشمس امامه فان قصد بذلك
السجود وعبادة الله تعالى كان من الايمان وان قصد تعظيم الشمس كان من الكفر وكاين الاكثرون على انها في الاصل مركبة من كاف التشبيه واي
التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما ان كذا مركبة من الكاف واذا المقصود به الاشارة فحكى مثل كذا في كون المجموع
مبهمين محتاجين الى التمييز الا ان في ذا اشارة في الاصل الى ما في ذهن المتكلم بخلاف اي فانه للعدد المبهم وتمييزها منصوب مفرد على الاصل والاكثر
ادخال من في مميز كاي وبه ورد القران والتمييز بعد كذا وكاين في الاصل عن الكاف لا من ذا واي كما في ملكت رجلا لانك تبين في كذا
رجلا وكاين رجلا ان مثل العدد المبهم من اي جنس هو ولم تبين العدد المبهم فالكاف في الاصل كان معربا لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادي
وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كانه اسم مبني على السكون اخره نون ساكنة كالتي من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون
مع ان التنوين لا صورة له خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل كاين مثل كاعن وربما ظن بعضهم انه اسم فاعل من كان ولكنه بني لكثرة
الاستعمال وهاتان اللغتان فيه مشهورتان ولهذا قرئ بهما وفيه لغات اخر غير مشهورة تركنا ذكرها لانه لم يقرأ بها ولعلك تجدها
في كتبنا الادبية ومحل كاين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل او قاتل خبره والضمير يعود الى لفظ كاين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى
وربيون معناه الالوف او الجماعات الكثيرة الواحد ربي عن الفراء والزجاج قال ابن قتيبة اصله من الربة الجماعة فحذفت الهاء في النسبة
ويقال ترببوا اي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة والولاة والربيون الرعية والكسر من تغييرات النسب كالضم في دهري والفتح
ثم من قرأ قتل فمعنى الاية ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة
دينهم وكان ينبغي ان يكون لكم فيه اسوة حسنة فيكون المقصود من الاية حكاية ما جرى لسائر الانبياء ليقتدي بهذه الامة بهم ومن قرأ
قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قرح فما وهنوا فلعل هذا يكون الغرض من الاية ترغيب
الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال وربما يؤيد هذه القراءة بما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال

ويحتمل

ويحتمل ان يستدل القراءة الاولى على هذه الرواية ايضا بان يقال المعنى وكاين من نبي قتل ممن كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون
ولا استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا الاية وكانوا
من تفاريعها فقيل فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو اي لم يخضعوا له وفيه تعريض بما اصاب المسلمين من الوهن
والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا
بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وقيل الوهن استيلاء الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات
في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف يلحق القلب والضعف مطلق اختلال القوة الجسمية والاستكانة
اظهار ذلك الضعف والعجز واستكان قيل افتعل من السكون كانه سكن لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالالف اشباع كقولهم منتزاح
اي بعيد يراد بمنتزح والاصح انه استفعل من كان والمد قياس كان صاحبه تغير من كون الى كون اي من حال الى حال والله يحب الصابرين
بان يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم اخبر انهم كانوا مستعينين عند ذلك بالصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر
من الله تعالى والغرض ان يقتدي بهذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه وعدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجأ اليه
فاز بالظفر وفي اضافتهم الذنوب والاسراف الى انفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستقصار لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم
بانه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهرت امارات استيلاء الاعداء دل ذلك ظاهرا على صدور ذنب وتقصير من المؤمنين
فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة ثم انهم عمموا الذنوب اولا الصغائر
والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في امرنا لان الاسراف في كل شيء هو الافراط فيه والمراد
بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة والشدة
كالقاء الرعب في قلوب الاعداء واحداث احوال سماوية او ارضية توجب انهزامهم كهبوب ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل
في مواضع وقوفهم وفي الاية تاديب وارشاد من الله تعالى الى كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان او غيره فاتاهم الله ثواب الدنيا
من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر وثواب الاخرة وهو الجنة وما فيها من المنافع واللذات وذلك غير حاصل
في الحال فالمراد به انه حكم لهم بحصولها في الاخرة وحكم الله بالحصول كنفس الحصول او المراد انه سيؤتيهم مثل اتى امر الله اي سياتي قال القاضي
ولا يمتنع ان يكون الاية مختصة بالشهداء فانهم في الجنة عند ربهم كما ماتوا احياء وثواب الاخرة كله حسن فلذلك [illegible]
ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدر صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل ان يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس
حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية في الجود ونهاية في العدل وههنا نكتة وهي انه ادخل من التبعيضية في
المتقدمة في قوله نؤته منها في الموضعين ولم يذكر في هذه الاية لان اولئك اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء
فانهم لم يذكروا انفسهم الا بالعيب والقصور ولم يسالوا ربهم الا ما يوجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا بالكل وفيه تنبيه على ان من اقبل على خدمة الله
اقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة
ثم اثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعناية الله وفضله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا عن السدي
المراد بالذين كفروا هو ابو سفيان واصحابه فانه كان كبير القوم في ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم وتستامنوهم وعن علي رضي الله عنه
هم المنافقون عبد الله بن ابي واشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن هم اليهود والنصارى
يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ولاسيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم
وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه والاقرب انه عام في جميع الكفار فان خصوص السبب لا ينافي ارادة العموم فعلى المؤمنين
ان لا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وهو المراد بقوله يردوكم على اعقابكم اي الى الكفر بعد الايمان
فتنقلبوا خاسرين في الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام والانقياد للاعداء الذين هم اخس الاشياء لذي العقلاء وفي الاخرة بالحرمان
عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار
لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا خطاء وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون ولغير اذن الله لا ينفعون ولا ينصرون وهو خير الناصرين لوجوه
ان لا احد سواه قدرة على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاز الطلبات ينصر في الدنيا والاخرة بلا شائبة علة من العلات وغرض
من غرض فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات ولغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه **التاويل**
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة اي تلجوا عالم الملكوت ولم يظهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب على وفق
الشريعة وقانون الطريقة لينجلي الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا ارباب الصدق واصحاب الطلب تمنون الموت موت النفوس
عن صفاتها وتزكيتها من قبل ان تلقوا المجاهدات والرياضات في خلاف النفس ظاهرا عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا وفي الجهاد
الاكبر باطنا فقد رايتم هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وانتم تنظرون لا تفقدون ارواحكم ولا تجاهدون حق الجهاد في الله بارواحكم
واشباحكم افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فيه ان الايمان التقليدي لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه عند انعدام المقلد كالوالد
او الاستاد وكذا عند موت المقلد فيعجز عند سؤال الملكين في قولهما له من ربك فيقول هاه لا ادري فيقولان ما تقول في هذا الرجل فيقول هاه
لا ادري كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت وسيجزي الله بالايمان الحقيقي الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي
باداء حقوقه وهو الائتمار باوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس ان تموت عن اوصافها الذميمة واخلاقها الرديئة وتتخلص عنها بطبعها
الا بتوفيق الله وجذبه واشراق نوره كما ان ظلمة الليل لا تنتهي الا باشراق طلوع الشمس ثم اثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب
العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص اي من عمل شوقا الى الحق فقد راى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر
لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت وفيه انشد شعر خليلي هل ابصرتما او سمعتما باكرم من مولى تمشى الى عبد اتى زائرا من غير وعد
وقال لي اصونك عن تعذيب قلبك بالوعد ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره على النعمة فثوابه في الاخرة وسنجزي الشاكرين اي كلا الفريقين بحسب
شكرهما وكاين من نبي قاتل اعدى العدو الذي بين جنبيه معه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما اصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا

طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة والالتفات الى غير الله ان تطيعوا الذين كفروا اي النفوس الكافرة وصفاتها يردوكم الى اسفل سافلين بشريتكم وبهيميتكم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وماويهم النار وبئس مثوى الظالمين ۝ ولقد صدقكم الله وعده
اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد
ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم
صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ۝
اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخريكم
فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير
بما تعملون ۝ ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى
طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن
الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء
ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل ۝
الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله
عليم بذات الصدور ۝ ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله
غفور حليم ۝ يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم
اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت
والله بما تعملون بصير ۝ ولئن قتلتم في سبيل الله او متم
لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ۝ ولئن متم او قتلتم
لالى الله تحشرون ۝ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم و
شاورهم في الامر ۝ فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله

يحب المتوكلين ۝ ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي
ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝ صدق الله العظيم ۝

القراءات الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلي ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون العين وماويهم وبابه بغير همز ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ولقد صدقكم وبابه بادغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وهشام وسهل تغشى بتاء التانيث وبالامالة حمزة وعلي وخلف الباقون بياء الغيبة كله بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب بما يعملون بصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلي وخلف وحمزة الباقون بالخطاب متم ومتنا بكسر الميم من مات يمات حيث كان نافع وعلي وحمزة وخلف واتفق حفص الا ههنا لجواز فلتم الباقون بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفتين النار ط الظالمين ه باذنه ج لان حتى يحتمل انتهاء الحس ووجه الابتداء اظهر لان ان يحتمل ان يكون جواب اذا فعلتم او منع حذف الجواب اي اذا فعلتم وفعلتم انقلب الامر ويمنعكم ابصرة والوقف على تحبون في الوجهين الاخرة ج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم ج عفا عنكم ط المؤمنين ه اصابكم ج تعملون ه طائفة منكم لا لان الواو للحال الجاهلية ط من شيء ط لله ط يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم ج لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اي ليبعد الحكم فيكم وليبتلي ما في قلوبكم ط الصدور ه الجمعان لا لان انما خبران كسبوا ج لاحتمال الواو حالا واستئنافا عنهم ط حليم ه وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم او بمحذوف اي ذلك ليجعل في قلوبهم ط ويميت ط بصير ه يجمعون ه تحشرون ه لنت لهم ج لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك ص والوصل اولى لعطف الامر بالرحمة على النهي عن الغلظة تعريضا الامر ج لفاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله ط المتوكلين ه لكم ج لابتداء شرط اخر مع الواو من بعده ط المؤمنون ه التفسير انه تعالى يذكر في هذه الآيات وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا شك ان هذا من معاظم اسباب الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم احد وهو ظاهر لانه تعالى في جميع الاوقات الا انه الظاهر الثاني كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة في يوم احد الا انا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر دينكم على سائر الاديان ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب كثير من المفسرين الى انه مختص بيوم احد لان الآية في سياق تلك القصة قال السدي لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به فنزلت الآية وقيل ان الكفار لما استولوا على المسلمين وهزموهم اوقع الله تعالى الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى ان ابا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال اين ابن ابي كبشة يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فاجابه عمر رضي الله عنه وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملأ القلب فزعا ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي الغاء جميع الرعب فيها وانما يقتضي وقوع هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وكذا هو في الواقع لانه لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما في الحرب واما في المحاجة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما اشركوا اي بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الداعي انما يصير في محل الاجابة عند الاضطرار كما قال امن يجيب المضطر اذا دعاه ومن اعتقد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرني فذاك الآخر ينصرني فلا يحصل له الاجابة فيلزمهم الرعب والخوف واهل التوحيد ان معبودهم لا يصح منهم الاجابة كيف وانهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا الكتة لم ينزل الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كانه استخرج بالعصر قال الجوهري السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ان هناك حجة الا انها لم تنزل لان الشرك لن يقوم عليه حجة ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله مصراع ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كل ما لا دليل عليه لم يجز اثباته ومنهم من بالغ فيقول لا دليل عليه فيجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدثات اليه ويكفي في دفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل اليه فلم يجز اثباته اقول هذا اذا استدللنا بعدم الدليل على وجود الشريك على نفيه اما اذا استدللنا بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشراك لوجود الدليل على نفي الشريك ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الآخرة فقال وماويهم اي المكان الذي ياوون اليه النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين اي ثوى بالمكان يثوي اذا اقام به ثم اكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم تستاصلونهم قتلا قال اصحاب الاشتقاق حسه اي قتله لانه ابطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا اصاب بطنه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد انه صلى الله عليه وسلم راى في المنام انه يذبح كبشا فصدق رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين يوم احد وقيل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية هذا كان مشروطا بالصبر والتقوى وقيل المراد هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربون هم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم قال بعض العلماء هذا ليس بشرط فلهذا لم يقتض الجواب والمعنى قد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل لانه وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر وقال آخرون انه للمجازاة ثم اختلفوا في الجواب على وجوه الاول قول البصريين انه محذوف كما مر في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه الثاني قال الكوفيون جوابه وعصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع اخرجهم من المكان الذي وقفهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالث قال ابو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كانت ساقطة وقيل جوابه ما دل عليه قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة والتقدير حتى اذا فشلتم صرتم فريقين والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما انهزم المشركون ورآهم يصعدون الجبل وكشفن عن سوقهن

فيما كنتم فيه من الثبات او [illegible] تنازعتم [illegible]

بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير امير الرماة عهد الينا الرسول ان لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وذهبوا الى الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى ان قتلهم المشركون وقوله في الامر اي يكون بمعنى الشأن والقصة اي تنازعتم فيما امركم الرسول به وعصيتم بترك ملازمة ذلك المكان واعلم انه قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية لانهم فشلوا اي ضعفوا عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في انا هل نذهب في طلب الغنيمة ام لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة واما ورود الخطاب عاما وان كانت المعصية بمفارقة ذلك الموضع خاصة بالبعض اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله منكم من يريد الآخرة وفائدة قوله من بعد ما اريكم ما تحبون التنبيه على عظم شأن المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقه ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم الله ذلك الاكرام واذاقهم وبال امرهم قوله ثم صرفكم عنهم قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى وقعت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه واما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير وقالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد اضافها الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وايضا انه عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تأويل الآية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان اولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هناك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة اصلا فلهذا السبب جاز لهم ان يتنحوا عن ذلك الموضع الى موضع يتحرزون فيه عن العدو الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل في جماعة من اصحابه وتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف جائزا اضافه الله تعالى الى نفسه بمعنى انه كان بامره وباذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه امرهم هناك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل اقاربهم واحبابهم من اعظم انواع الابتلاء فاذن الآية مشتملة على معذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وقوله قد عفى عنكم يرجع الى غير المعذورين وسبب العفو انه علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان امر الرسول صلى الله عليه وسلم وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال ابو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى ازال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم ومعنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما خالفوا فيه امره ثم اعلمهم انه قد عفا عنهم قال القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح ان يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن من اهل العفو وقالت الاشاعرة لا شك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول صلى الله عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام وقتل جم غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الآية دل على انه تعالى قد عفى عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الآية دليلا على انه قد يعفو عن اصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم او عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالآية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه تعالى سماهم مؤمنين خلافا لقول المعتزلة من انه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون اما مستأنف باضمار واذكروا واما ان يتعلق بما قبله اي عفا عنكم اذ تصعدون لان ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين ذنب اقترفوه والمعنى ليبتليكم اذ تصعدون او ثم صرفكم حين اصعادكم والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد قال ابو معاذ النحوي كل شيء له اسفل واعلى كالوادي والنهر والازقة فيقال فيه اصعد اذا اخذ من اسفله الى اعلاه واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلوون على احد لا يلتفتون اليه واصله ان المعرج على الشيء يلوي اليه عنقه او عنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من كر فله الجنة فيحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى قتال العدو في اخريكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه وبقي هو في الجماعة المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما يقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم قال في الكشاف انه عطف على صرفكم واقول لا يبعد ان يعطف على تصعدون لانه بمعنى اصعدتم بدليل اذ يقال ثاب اليه اي رجع [illegible] عائد اليها فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله كان خيرا او شرا الا ان العرف خصه بالخير فان حملنا لفظ الآية على اصل اللغة استقام بلا تأويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف وتحيتك الضرب اي جعل مكان ما ترجون من الثواب الغم وهو في الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء في بغم يحتمل ان يكون بمعنى المعاوضة كقولك بعت هذا بذاك ويحتمل ان يكون بمعنى المصاحبة والتقدير اصابهم غما مع غم اما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم لما اذقتم الرسول غما بسبب عصيان امره اذاقكم الله غم الانهزام وقتل الاحباب والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد بغم احد المسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفي الكشاف يجوز ان يكون الضمير في اثابكم للرسول اي فاساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغيره غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ودخولكم في سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها واما الاحتمال الثاني ففيه وجهان الاول ان يكون هناك غمان الاول ما اصابهم عند الفشل والتنازع والثاني ما حصل عند الهزيمة او الاول غم فوات الغنائم والثاني ان ابا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما او الاول هذا والثاني خوفهم من رجوع المشركين واستيصال المسلمين او الاول ما اصابهم في انفسهم واموالهم والثاني غم الارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او الاول خوف عقاب المعصية والثاني غم التوبة فانها لا تتم الا بالعزم واذا امر بالمعاودة بعد القلة والذلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان لم يفعل خاف الكفر وعقوبة الآخرة وثانيهما ان يراد بجميع غم متواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها لتشمل جميع الغموم المعدودة وما ينخرط في سلكها ثم اللام في قوله لكيلا تحزنوا يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد عفى عنكم لان في عفوه تعالى ما يزيل كل غم وحزن واما ان يتعلق بقوله فاثابكم فيكون المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بالغم لكي يتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام

يوم احد

على

على المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم احد في مقابلة ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا وفواتها ولا تفرحوا باقبالها وعوائدها قالت الاشاعرة معنى اثابة الغم من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شيء واما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه اسنده اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغتمون بالمصائب وهم لا يجدون على ذلك ولا يذمون وان سلم انه يخلق الله فلرعاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية ولكن الغرض ان لا يبقى في قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله تعالى ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول فانما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم لئلا يحزنوا على ما فاتهم من نصر الله ولا على ما اصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى كما في قول الزجاج او المراد انكم قلتم لو بقينا في هذا المكان واشتغلنا وقعنا في غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم امر الرسول وطالبتم الغنيمة وقعتم في غموم اخر كل واحد منها اعظم من ذلك فيصير هذا مانعا لهم من ان يحزنوا على فوات الغنيمة في وقعة اخرى ثم كما زجرهم عن تلك المعصية بزاجر دنيوي زجرهم بزاجر آخر اخروي فقال والله خبير بما تعملون عالم بجميع اعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم اخبر ان الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد فريقان الاول الجازمون بحقية هذا الدين وان هذه الواقعة لا تتأدى الى الاستيصال لاخبار الصادق ان هذا الدين سيظهر على سائر الاديان فخاطب الجماعة بقوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا واراد هؤلاء بقوله يغشى طائفة منكم والامنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور في اوائل النوم وانتصاب امنة على انها حال مقدمة من نعاسا مثل رأيت راكبا رجلا او مفعول له بمعنى نعستم امنة او على انه حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة او على انه مفعول انزل ونعاسا بدل منه قال ابو طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود النعاس في القتال امنة والنعاس في الصلاة من الشيطان وذلك انه في القتال لا يكون الا من غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون في الصلاة الا من غاية البعد عن الله وكان في ذلك النعاس فوائد منها ان شموله للمؤمنين كلهم لا في الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة لهم موجبة لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم في الجهاد ومنها ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس يجدد القوة والنشاط ومنها شغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها ان الاعداء كانوا حراصا على قتلهم فبقاؤهم سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من اول الدلائل على ان حفظ الله وكلاءته معهم ومن الناس من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف للفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع ان فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم ان من قرأ تغشى بالتاء فللعود الى الامنة وتوجيهه ان الامنة مقصودة بالذات والنعاس مقصود بالعرض ولانها متبوع وانه تابع ومن قرأ بالياء فللعود الى النعاس ونحوه وكونه اقرب وكون البدل في حكم المنحي وموافقته لقوله في قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب تقول غشيه النعاس وقلما يقولون غشيه الامن ولان النعاس والامنة لما كانا شيئا واحدا كان التذكير اولى واما الفريق الثاني فهم المنافقون الذين كانوا في شك من نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن ابي ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله وطائفة قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم النبي والمسلمين والهم الامر الشديد ويقال اهمه ذلك الامر اي اقلقه واحزنه فالمعنى اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والبثاث والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشيء واستغراقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان احب الاشياء عندهم هو النفس وكانت اسباب الخوف على النفس هناك موجودة والدافع لذلك وهو الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن لهم هنالك الا هم النفس يظنون بالله غير الحق وهو في حكم المصدر اي غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه [illegible] في هذا التركيب ان غير الحق اديان كثيرة واردأها مقالات اهل الجاهلية فذكروا انهم يظنون بالله ظنا [illegible] بين انهم اتباع [illegible] الاديان وارذلها كما يقال فلان دينه ليس بحق دينه دين الملاحدة او ظن الجاهلية مصدر وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول و ظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما اضيف للملابسة اي الظن المختص بالملة الجاهلية وهي زمان الفترة قبل الاسلام او اريد ظن اهل الجاهلية وهم اهل الشرك الجاهلون بالله فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك الظن هو انهم كانوا ينكرون الاله العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول النبي ان الله يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو انهم كانوا يقولون لو كان محمد محقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد اما عند اهل السنة فلانه تعالى فاعل لما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه فاذا شرف الولي بعزه وبخلعة لم يجب ان يشرفه باخرى واما عند من يعتبر المصالح في افعاله واحكامه فلا يبعد ان يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه لاضطر الناس الى معرفة المحق وكان ينافي التكليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز الاستدلال بالدولة والشوكة والقوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شيء حكاية شبهة تمسك بها اهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانه يحتمل وجوها الاول هل لنا من الامر التدبير من شيء يعنون رأي عبد الله بن ابي واصحابه وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل قوله حين امره ان يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكي عنهم لو اطاعونا ما قتلوا الثاني من عادة العرب انه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر اي هل لنا من الشيء الذي كان يعدنا به محمد وهو النصر والظفر شيء الثالث الطمع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء والغرض منه تثبيط المسلمين عن التشدد في الجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله قل ان الامر كله لله والحوادث باسرها مستندة الى قضائه وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك واذا اراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا الدين على الاديان وقع لا محالة يخفون في انفسهم في ضمائرهم او فيما بينهم ما لا يبدون لك وذلك المخفي قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا اي لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من يذب عنه ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة فامر الله تعالى نبيه ان يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا بها لان ما كتب الله في اللوح لم يتخلف من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم ان يقتلوا الى المصارع المعلومة حتى يوجد ما علم الله وجوده وقيل معناه لو تخلفتم ايها المنافقون عن الجهاد لخرج المؤمنون الذين كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز

بخيره

التكاليف

الى هذه المصارع لا يخلوا عن الفوائد وذلك قوله ليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب
اما لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذي في الصدر والتمحيص يورد الهيئات والعقائد التي في القلب واعلم ان نسق
هذه الاية انيق ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ واهمتهم صفته ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره محذوفا اي وثمة او منهم طائفة
واهمتهم صفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استيناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون
او بيان له واما منع وفرع القول الذي مقوله انشاء بدلا من الاخبار بالظن لان سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون او
وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع فلانه مبتدأ ولله خبره والجملة خبران ومن قرأ بالنصب فلكونه
تأكيدا للامر ولله خبران كما لو قلت ان الامر جميعه لله وقوله يقولون استيناف وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف واما نظمه فانه لما
اخبر عن هذه الطائفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بانهم يقولون هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان
طالبا بل شاكا في حقيقة هذا الدين وفي المبدأ والمعاد وفي القضاء والقدر فازال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الامانة والاحياء
والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك مظنة ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين
اراد ان يكشف عن حالهم ويبين مقالهم كيلا يغتر به المؤمنون فقال يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ذلك القول انما صدر عنهم
في هذه الحالة فكان لسائل ان يسأل ما الذي يخفونه في انفسهم فقيل يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل
ان يراد لو كان لنا رأي مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل ههنا ويكون كالطعن في قوله قل ان الامر كله لله قال في التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة
الدائرة بين السني والمعتزلي فذاك يقول الطاعة والعصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء آمن
وان شاء كفر فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيب بهذا الاعتقاد وبان ما قضي فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يرد التقدير
وان ثمة المصالح ففائدة الابتلاء وهو ان يتميز الموافق عن المنافق كما في المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير للقلوب من وساوس
الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال والله عليم بذات الصدور وصاحبتها وهي الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس
لانه لا يخفى عليه شيء وانما ذلك لمحض الالهية او للاستصلاح قوله عز من قائل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يعني يوم احد ذكر محمد
بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان اولهم سعد بن عثمان اخبر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثم بعده رجال ودخلوا على نسائهم وجعل النساء يقلن أعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرون وكن
يحثين التراب في وجوههم ويقلن هناك المغزل اغزل وقال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال القفال والذي يدل عليه الاخبار
في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب واما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا
هناك ومن المنهزمين عمر الا انه لم يكن في اوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى ان صعد النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم ايضا عثمان
انهزم هو مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلثة ايام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
لقد ذهبتم فيها عريضة واما الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين ابو بكر وعلي وعبد الرحمن
بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب بن المنذر وابو دجانة
وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت
ثلثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمة وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن
حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروي ان عتبة انه اصيب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من ثلثين كلهم يجيء ويجثوا بين يديه ويقول
وجهي لوجهك الفداء ونفسي لنفسك الفداء وعليك السلام غير مودع انما استزلهم الشيطان تقول زلت يا فلان تزل زليلا اذا زل في طين او منطق والاسم
الزلة والاستزلال غيره كانه طلب منه الزلة ودعاه اليها والباء في ببعض ما كسبوا للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم والمعنى انه كان قد صدر
عنهم جنايات فبواسطة تلك الجنايات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة
المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حال يرضونها لا
بعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين فيه وقيل انهم لما اذنبوا بسبب مفارقة المركز اوقعهم الشيطان بشؤم تلك
المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشؤمها قدر الشيطان على دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة
تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال ببعض ما كسبوا لان الكل قد يكون خيرا كقوله لها ما كسبت او لان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله
تعالى كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل ان يكون الباء بمعنى في
السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض الاعمال اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة
فاقترفوا ذنوبا ولذلك منعهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي
وانما يكون اعمالا اخر اما في هذه الغزوة او قبلها ولقد عفا الله عنهم فيه بيان انهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز ثم يحتمل
ان انه اي ذنب هو والظاهر انه التولي لان التوبيخ وقع عليه والاية قد سيقت لاجله ثم انه من الصغائر او من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما
محتمل لكنه ان كان من الصغائر فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الاية
وقال القاضي الاقرب انه من الصغائر لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق
في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطاء في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا النص
وحيث عفا عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار غلب على الظن ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط ثم لما ذهب المؤمنين
الى ما يزيد رغبتهم في الجهاد فقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافق يوم احد
عبد الله بن ابي واصحابه وفيه دليل على ان الايمان ليس عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما تقوله الكرامية واللام في المنافق كما في قالوا
لاخوانهم اي لاجل اخوانهم مثل وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك انهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
والميت والمقتول لا يتكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل

المقتولين كانوا اقارب المنافقين وان كانوا مسلمين او للاتفاق في الجنس فقتل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات والمقرب في الدين
الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو قريبا كان او بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سابق وسبق وراكع وركع وانما
قال اذا ضربوا دون اذ ضربوا او حين ضربوا ليشاكل في المعنى قوله وقالوا لانه اراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض
والكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا لمن اخبر عنهم بعد ذلك لا يتأتى ان يقول قالوا ويجوز ان يكون قالوا في تقدير يقولون
قالوا والنكتة وقع التعبير عنه بلفظ الماضي لانه لازم الحصول في المستقبل مثل أتى امر الله وفيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة
قد بلغ الغاية وكان هذا المستقبل كالكائن الواقع ويمكن ان يقال عبر عن المستقبل بلفظ الماضي ليعلم ان المقصود الاخبار عن جدهم واجتهادهم
في تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القرآن اولى ويشهد لهم
وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال الواحدي في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا اما اللام في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ففي متعلقه وجهان الاول انه قالوا اي قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله
ذلك الكلام حسرة فيكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف يصير ذلك القول حصول الحسرة
فيه وجوه فقيل لان اقارب ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو بالغوا في منعه عن ذلك السفر او الغزو لبقي او لم يقتل فازدادت
حسرتهم وتلهفهم بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد في ان الحيوة والموت لا يكونان الا بقضاء الله فانه لا يحصل له شيء من هذا النوع من
وقيل لانهم اذا القوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون في الجهاد غنيمة بقي اولئك المتخلفون في الخيبة والندامة وقيل المراد
حسرتهم يوم القيمة اذا رأوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعد ما اعلم الله المؤمنين ببطلانها وقيل الغرض ان جدهم
واجتهادهم في تكثير الشبهات يعمي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والخيبة والثاني ان متعلق اللام قوله لا تكونوا وذلك اشارة
الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونكم مثلهم حسرة لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم الله
يحيي ويميت رد لجهالتهم وجواب عن مقالتهم اي الامر بيده والحكم له فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف ان يبلغ في امر
بالامتثال والله اعلم بحقيقة الاحوال ولا تجري الامور الا على وفق قضيته وحكمه ونقضه وابرامه وكل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند
موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء وفي امثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي
رضي الله عنه يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت على فراش ويجوز ان يكون المراد والله يحيي قلوب
اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب اعدائه بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم ومن قرأ على الغيبة فالضمير
للذين كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما كذب الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه سبب
النفرة عن الجهاد وتنفير الطبع عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله شيء من مغفرته ورحمته خير مما يجمعون فاللام
الاولى هي الموطئة والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الاية الاخرى والمعنى ان القتل او الموت في السفر غير لازم الحصول لان ذلك منوط
بالقدر لا بالسفر ولئن سلم انه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وان ذلك خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن
عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرأ بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال الذي يعد خيرا او في
على حسب معتقدهم ان اموالهم خيرات لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد قد يموت صاحبه وان لم يمت
فلعل المال لا يبقى في الغد فكم من امير اصبح اسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعل بالعاجز من مرض او خوف يمنعه عن الانتفاع
وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالآلام ومنافعها محفوفة بالمضار وبتقدير صفائها عن الشوائب فلا بد لها من الزوال والانقطاع
ومنافع الآخرة اصفى وابقى والبقي واستماسا فيها العقلية واتي نسبة لانتفاع الحمار بلذة قبقبة وذبذبة الى ابتهاج الملائكة المقربين
بشروق انوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع آخر فقال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت
او القتل بقيتم اياما قلائل في الدنيا مع اللذات الخسيسة الحسية والخيالية فتركتموها لا محالة فيكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو اعرضتم عن اللذات
الفانية وبذلتم النفس والمال في دين الله وصلتم الى اعلى الدرجات وهي مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الاية الاولى وعكس في الثانية ليقع
الابتداء والختم على ما هو افضل لان الاية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون
الدنيا وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه باي وجه يفارقون الدنيا ولا شك ان الغالب على احوال الخلق كلهم الموت
ولهذا التدبير اطلق القتل اطلاقا ليعم انواع القتل كلها وفي قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة الحصر
وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله تعالى بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على كمال
اللطف اعظم انواع الوعد ولدلالته على كمال القهر اشد انواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمي في الحرف المتصل باسم الله تنبيها على ان
الالهية تقتضي هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز في العقول من انه هو الذي يبدئ ويعيد لا قدرة على الاعادة
لاحد غيره ومنها اضافة حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا او امواتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه خاطب الكل ليعلم ان القاتل او المقتول
والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في بساط العدل وفضاء القضاء موقوفون واعلم انه تعالى ذكر في الآيتين المغفرة والرحمة والحشر اليه
فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه والثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم لم
الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه وما احسن هذا النسق يروى ان عيسى صلوات الله عليه مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم ورأى
عليهم سيما الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا
نطلب الجنة والرحمة فقال هو اكرم من ان يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث ورأى عليهم سمات العبودية اكثر فقالوا نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة
ولا لرغبة فقال انتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحققون قال القاضي في الاية دليل على ان المقتول ليس بميت والا كان قوله ولئن متم او قتلتم
عطفا للشيء على نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما ارشدهم في الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم
وكان من جملة ذلك ان عفا عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حين عفى عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم روي
ان امرأة عثمان دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي وعلي يغسلان السلاح فقالت ما فعل ابن عفان اما والله لا تجدونه امام القوم فقال

بما علي الا ان عثمان فضح المزمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وروي انه قال حليمة اعيا في الازواج للاخوات ان يجاوبوا دخل عثمان مع صاحبيه ما زاد على ان قال لقد ذهبتم فيها عريضة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال انما انا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب احدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال صلى الله عليه وسلم لا حلم احب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل ابغض الى الله من جهل امام وخرقه فلما كان صلى الله عليه وسلم امام العالمين وجب ان يكون اكثرهم حلما واحسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم لديه وراوا فيه اثار الشفقة وامارات النصيحة وعن بعض الصحابة انه قال لقد احسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلنا ها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم ان من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه يعلم ان الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا فاته مطلوب لا يغضب واذا حصل له مطلوب لم يانس به لانه مطلع على ان روحانيات التي هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع احدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العشرة مع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم اكمل البشر في القوتين النظرية والعملية لتتميم مكارم الاخلاق وجب ان يكون اكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتوكيد اما الحكم بزيادتها فللنظر الى اصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها وكانه قال فبرحمة واما افادتها التوكيد فلاستحالة زيادة حرف لا فائدة فيه اصلا وجوز بعضهم ان يكون استفهامية للتعجب والتقدير فباي رحمة وانما كان لينه ورفقه رحمة من الله لان الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا لله ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمته عوضا كالخوف من العقاب او الطمع في الثواب او الثناء او يحمله على ذلك رقة طبع او حمية او عصبية الى ذلك من الاغراض والعيادة رحمة المخلوق على غيره لن تتم ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد سواتاه وسائر الاسباب لسماويه من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه وربطه على جاش الراحم وضبطه حال المرحوم ثم بين ان الحكمة في لين جانبه ما هي فقال ولو كنت فظا سيئ الخلق والاصل الفظ الغليظ الجاني وقد تظلت يا رجل بالكسر فظاظة غليظ القلب قاسيه بحيث لا يتاثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد والتركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام ويقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك ومنهم من حمل الآية على واقعة احد فقال فبما رحمة من الله لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب شافهتهم بالملامة على ذلك لانفضوا من حولك هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله ولهذا امر بالغلظة في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزنى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع آخر ان الفضيلة في الوسط وهو استعمال كل شيء في موضعه وان طرفي الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقي وتمسك الاشاعرة بالآية في مسئلة القضاء والقدر وذلك انه بين ان حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدعوة والبيان والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين اصفى الاصفياء وبين اشقى الاشقياء فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف نص الآية فاذن جميع افعال العباد بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف والمستعدة الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق كل المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف فذلك بالحقيقة كسب لنفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على انه اوجب عليه ان يعفو عنهم في الحال كانه تعالى قد عفا عنهم كانه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني قد غفرت لهم قبل ان تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله تعالى بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر والمشاورة ماخوذ من شرت العسل اي اجتنيتها واستخرجتها من موضعها وقيل من شرت الدابة شورا اذا عرضتها على البيع اقبلت بها وادبرت والمكان الذي تعرض فيه الدواب مشوار يقال اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار والتركيب يدل على الاظهار والكشف فالمشاورة يظهر خير الامور وحسن الآراء وقد ذكر العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس واعقلهم فوائد منها انها توجب علو شانهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي ترك ذلك نوع من الاهانة والفظاظة وكان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا يبعد ان يخطر ببال احد ما لم يخطر بباله ولاسيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فاخطئوا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان مظنة انه قد بقي في قلبه اثر تلك الواقعة ومنها ان يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها ان تصير النفوس الطاهرة متطابقة على تحصيل اصلح الوجوه فيكون ذلك اعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وهذا هو السر في الجماعات والجمعات ومنها انه تعالى ما امر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وامره بها بعدها مع صدور المعصية عنهم ليعلموا انهم الآن اعظم حالا مما كانوا وان عفوه اعظم من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل به وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة فيه لانه اذا جاء النص بطل الرأي والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل يجوز المشاورة في كلها ام لا قال الكلبي وكثير من العلماء الامر بها مخصوص بالحرب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه من الوحي بالاتفاق فهو اذن للمعهود السابق وليس ذلك الا ما جرى من امر الحرب في قصة احد وقد اشار الحباب بن المنذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول على الماء فقبل منه واشار عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة لينصرفوا فقبل منهما وخرق الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص عنه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة على الباقي وكيف لا وانه كان مامورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه

وحي للعموم فاعتبروا يا اولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من امور الدين وقد عد المشاورة من جملة ما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب وقد روي عن الشافعي انه حمله على الندب قال وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم البكر تستامر في نفسها ولو اكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله لان الاعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والرأي الحسن وعن جابر بن زيد انه قرا فاذا عزمت بالضم اي اذا ارشدتك الى شيء والزمته اياك فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه لان الفعل عليه اوهو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك الجذبات فمن ينصركم من بعده من الانبياء والاولياء فانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله فليتوكل المؤمنون اياه بالتوكل لما علم ان الامر كله له ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه وليس المراد بالتوكل ان يهمل الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائل والاسباب كما يتصوره الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل هو ان يراعي الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتاييده وتوفيقه وتسديده التاويل ولقد صدقكم الله انجاز الطلاب وعده الازلي يحبهم ويحبونه اذ تقتلون جنود صفات البشرية بامره لا على وفق الطبع حتى اذا ركنتم قتال النفس وخالفتم في امر الطلب وعصيتم الدليل المربي من بعد ما اراكم الدليل بالتربية ما تحبون من دلالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ دلكم على الله لان منكم من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من يكان همته طلب نعيم الآخرة وفي هذه الآية عن الشبلي فصاح صيحة وقال ما كان من احد يقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقيل صفاتها ما يسليها ابتليكم بمحنتكم بالستر بعد ما تجلى لكم انوار المشاهدات وبالصحو بعد ما اسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعد ما ارضعكم بالبان الملاطفات ولقد عفا عنكم يعني بعد ابتلائكم عفا عن ذنوبكم الى الدنيا والآخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين في الازل اذ تصعدون في طريق الحق طالبين بعد ما كنتم هاربين ولا تلتفتون الى احد من الراغبين الى الدنيا والآخرة والرسول الوارد من الحق يدعوكم الى عبادي فجازاكم بدل غم الدنيا والآخرة غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا ما اصابكم من نعيم الآخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والآخرة في طلب وجدانه فلا يخيب رجاءكم ويوفي جزاءكم ثم اخبر عن ازال حقايق اصناف الطافه على عباده في صور مختلفة فانزل الامن في صورة النعاس على الصحابة واخرج جواهر الوقايع السنية لارباب القلوب والمكاشفات فان اكثرها يقع بين النوم واليقظة وطائفة من ارباب النفوس دعي الاسلام لا هم لهم الا هم انفسهم من استيفاء حظوظها واستبقاء لذاتها ظن الجاهلية وهو ان الامور الى الخلق لا الى الله ولا بقضائه ولا قدره هل لنا من امر النصرة والظفر من شيء ما قتلنا ههنا بل ابا على ايدي حزب الشيطان وليبتلي الله ما في صدوركم ايها المنافقون لان الصدر معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ونزعنا ما في صدورهم من غل يوسوس في صدور الناس وليمحص ما في قلوبكم ايها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمئنان كتب في قلوبهم الايمان الا بذكر الله تطمئن القلوب ونسبة الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استخرج من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولي ليجعله مرآة لظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ليعلم ان لله تعالى في كل شيء من الخير والشر اسرارا لا يعلمها الا هو ومن ههنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد او سلكوا في ارض نفوسهم سبيل الرشاد او كانوا غزاة مجاهدين مع كفار النفس والهوى والشيطان لو كانوا موافقين معنا ماتوا بمقاسات الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب اهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يجدون ثم ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون انهم يحسنون وباقي الحقائق قد مرت في التفسير وقد سنح عند تحرير هذا الموضع ان قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني انه به لا برحمة الله وللصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفي كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانفضت من الجوانب وتلاشت واختلت حكمة التركيب وفقدت الكمالات التي خلق الانسان لاجلها ثم ان الكلام في ان هذا اللين لا بد له من الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط ولا يخرج عن قانون الشرع والعقل كما تقدم الله تعالى حسبي وكفى صدق الله العظيم

وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ۝ افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماويه جهنم وبئس المصير ۝ هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ۝ لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ۝ اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير ۝ وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم

المؤمنين ۝ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله
او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم
للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون ۝
الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم
الموت ان كنتم صادقين ۝ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ۝ فرحين بما اتيهم الله
من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ۝ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله
لا يضيع اجر المؤمنين ۝ الذين استجابوا لله والرسول من بعد
ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ۝ الذين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل ۝ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ۝
انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين

القراءة يغل بفتح اليا، وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير رويس الباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول ولا يحسبن بياء الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر علي الباقون بالفتح وخافوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف **الوقوف** ان يغل ط لابتداء الشرط يوم القيمة ج لانتهاء جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون ۝ لضعف الجزاء جهنم ط المصير عند الله ط بما يعملون ۝ والحكمة ج لمكان العطف مبين ۝ مثليها لا لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط انفسكم ط قدير ۝ وليعلم المؤمنين ۝ لا نافقوا ج لاحتمال العطف والاستيناف والوصل اولى على تقدير وقد قيل لهم او ادفعوا لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم ج يكتمون ج لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون او خبر مبتدأ محذوف ما قتلوا ط صادقين ۝ امواتا ط عند ربهم يرزقون ۝ ج لان فرحين حالهم من فضله لا للعطف من خلفهم لا لتعلق ان يحزنون م ۝ للاية واستيناف الفعل اذ يستحيل ان يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون وفضل لا لان التقدير وبان ومن كسر وقف والجملة حينئذ اعتراضية المؤمنين ۝ ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدأ خبره للذين احسنوا ونصبا على المدح والاول اوجه لاتحاد القصة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ۝ ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدأ محذوف ايمانا قد قيل والوصل اولى للعطف واتصال توكل الثاني بيقين القلب الوكيل ۝ سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم ۝ اولياءه ص لوصل النهي عن الخوف بعد ذكر التخويف مؤمنين ۝ **التفسير** هذا حكم من احكام الجهاد واصل الغلول اخذ الشيء في خفية يقال اغل الجازر والسالخ اذا ابقى في الجلد شيئا من اللحم ليسرق والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذي يجري في اصول الشجر لانه مستتر بالاشجار وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقال ايضا هدايا الولاة غلول وقال الجوهري غل يغل غلولا اي خان واغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال ابو عبيدة الغلول في المغنم خاصة وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلثة دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني

فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك و معنى الاية بغير قراءة بفتح اليا، وضم الغين ما كان لنبي ان يخون اي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها اعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار في الاخرة كيف والامين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات افلا يكون امينا في الارض هيهات وقيل اللام منقولة والتقدير وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرأ يغل بضم اليا، وفتح الغين ففيه وجهان الاول يخان اي يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان النبي عليه كلما كان اجل منصبا كانت الخيانة في حقه افحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الاخرة تفضيح الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر فكانت تلك الخيانة وقتئذ افحش الثاني يخون اي ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد تقول العرب اكفرت الرجل جعلته كافرا او نسبته الى الكفر قال القفيني لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى ان يقال هو من اغللته اي وجدته غالا كما يقال ابخلته اي وجدته كذلك ومن هنا قال في الكشاف معناه راجع الى القراءة الاولى ومعناه ما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس رض ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبي ان يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان الغل بمعنى وجد غالا وانما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها وقد طعن بعضهم في هذه القراءة مطلقا وقال ان ما جاء من هذا القبيل في التنزيل اسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان نشرك ما كان ليأخذ اخاه ما كان لنفس ان تموت وما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس انه قال ليس في الكلام ما كان لك ان تضرب بضم التاء والحق ان القرآن حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روي انه صلى الله عليه وسلم وقعت غنائم هوازن في يده يوم حنين فغل رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعانقتان ويوافقهما اسباب النزول الكثرها يروى انها نزلت في قسمة الغنيمة في بعض الغزوات لما غنم بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت مبالغة في النهي لرسوله يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر وقيل نزلت في اداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب الهتهم فسألوه ان يترك ذلك فقيل ما كان لنبي ان يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس او رهبة منهم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره ونظيره في مانع الزكوة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس رض انه قال يمثل ذلك الشيء في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت ذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك وقتئذ يكون انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال امره ويرى نقيض مقصوده قال المحققون الفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيمة وعلى رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لوباله وشنعته والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويعزره عليه ويجازيه لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشيء وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا عذر ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات للجزاء الكل كاسب على سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهذا ابلغ مما لو قيل الغال متوفى الجزاء فقيل ثم يوفى ما كسب ثم فصل الاجمل فقال افمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره اامن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك افمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه بشدة ارادة انتقام لاجل الغلول وقال الزجاج افمن اتبع رضوان الله بامتثال امر النبي حين دعاهم الى دفع المشركين يوم احد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والاخرون المنافقون وقيل افمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب لكون الاية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله ومأويه جهنم من تمام صلة من باء وقوله بئس المصير اعتراض قال القفال لا يجوز في الحكمة ان يسوي بين المحسن والمسيء والا كان اغراء بالمعاصي واباحة لها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل اي لهم درجات وحسن هذا الحذف لان اختلاف اعمالهم كانه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا انه قال صلعم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم في انفسهم درجات لان لهم درجات وقيل المراد ذووا درجات ثم الضمير الى اي شيء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في اهل الثواب والدركات في اهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان مأويه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان ويؤيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي حكمها كذا لا يراد به عندية المكان لتنزهه تعالى عن ذلك الا انه يفيد في الجملة تشريفا وانه يليق باهل الثواب وقال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب وانهم متفاوتون في العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان منها ضحضاحا وغمرا وقال ان اهون اهل النار عذابا يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يا رب وهل يعذب احد عذابي والاولى ان يكون عائدا الى الكل لان درجات اهل الثواب متفاوتة وكذا دركات اهل العقاب حسب تفاوت اعمال الخلق وقد يستعمل الدرجات في مراتب اهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بحسب اعمالهم قوله عز من قائل لقد من الله على المؤمنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما بينهم ولم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يظن به الخيانة ومنها كانه يقال لا يكفي في وصفه بان نزهه عن الخيانة ولكني اقول ان وجوده فيكم من اعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم جاهلين جاهليين ولكنما جعل

لهم الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالتعلق فيه الظعن بحكم. ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل ان يعينه باقصى ما يقدر عليه ويكون معه باليد
وباللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد. ومعنى المن ههنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه. والوجه في
اما ان يعود الى اصل البعثة واما ان يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول ان الخلق مجبولون على النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه
دلائل الكمال ويزيح عللهم في كل حال وايضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبي
لهم وايضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة
انوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم
اليه ارشاد النبي. ومن الثاني ان هذا الرسول بعث من انفسهم اي من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون
المراد بالمؤمنين من آمن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون به. ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم اخذ
ما يجب اخذه عنه واذا كانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة كان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به. وفيه ايضا شرف لهم
وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك. وذلك ان الافتخار بابراهيم صلوات الرحمن عليه كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب. ثم
اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتوراة والانجيل وما كان للعرب ما يقابل ذلك. فلما بعث الله محمدا وانزل القرآن صار
شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الامم. وقيل من انفسهم اي من جنس الانس لا من الملك لان الجنس الى الجنس اميل. وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضي الله عنها انهما قرآ من انفسهم بفتح الفاء اي اشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون عاما. ويحتمل ان يراد بهم العرب
ايضا لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش
ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم. واما سائر اوصافه من قوله يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقد مر
تفسيرها في البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا. واعراب قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين كما سلف في قوله وان كانت لكبيرة. ووجه
المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون اعم نفعا واتم. ولما اجاب عن نسبة
النبي الى الغلول حكى عنهم شبهة اخرى وهي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله انى هذا واجاب عنها بقوله قل هو
من عند انفسكم والواو في قوله اولما اصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة احد الا ان حرف الاستفهام قدم على واو
العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومقول القول انى هذا واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه والتقدير اقلتم حين اصابتكم. ويجوز ان
يكون الجملة معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ من اين اصابنا هذا وكيف نصروا علينا ونحن على الحق ومعنا الرسول
وهم على الباطل ولا نبي معهم. والمراد بالمصيبة واقعة احد ومثليها واقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين و
قتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين. وقيل اراد نسبة الضعف في الهزيمة لا في عدد القتلى والاسرى فالمسلمون هزموا الكفار يوم
بدر وهزموهم ايضا في الاول يوم احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة. وخرج عن قوله قد اصبتم
مثليها جواب ضمني يعني ان احوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثلي ما نالوا منكم فلا وجه للاستبعاد ولكنه صرح بجواب آخر فقال
قل هو من عند انفسكم وفي تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك انهم عصوا الرسول في امور في الخروج عن المدينة
وكان رأيه في الاقامة ثم في الفشل وفي التنازع وفي مفارقة المركز وفي الاشتغال بطلب الغنيمة الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه انه قال
جاء جبرئيل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك
ان تخيرهم بين ان تقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتلوا منهم عدتهم فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا ناخذ الفداء منهم فنتقوى به على قتال العدو ويرضى بان يستشهد منا بعددهم فقتل يوم احد
سبعون رجلا بعدد اسارى بدر فمعنى هو من عند انفسكم هو اخذ الفداء واختياركم القتل. وتمسك المعتزلة بالآية على ان للعبد اختيارا في الفعل
والترك وانه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله ان الله على كل شيء قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه
فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله ان يقدر عليه اذ لا قدرة على ايجاد الموجود. والحق ان وجود الواسطة لا ينافي انتهاء الكل الى مسبب
الاسباب. ويؤيده قوله وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس اي وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لان
الرضاء بالقضاء لازم. وقيل بتخليته لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده فسمي الاذن للتخلية. وان اعتبرت المصالح فذلك قد وقع ليعلم
المؤمنين اي ليتميزوا عن اهل النفاق. والتمام يقتل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض يقتضي انهم شرعوا في الاعمال
اللائقة بالنفاق في ذلك الوقت واخذوا فيها ولانه عطف على الصلة. وقيل لهم قائل الاعتم هذا القائل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يدعوهم الى القتال. وقيل هو ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري لما انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس تبعهم وقال انشدكم الله
في نبيكم وانفسكم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ان كان في قلبكم حب هذا الدين او ادفعوا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم يكن بكم عشق الآخرة و
وطلب مرضاة الله اي كونوا من رجال الدين او من رجال الدنيا. وقال السدي وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا
لان الكثرة احد اسباب الهيبة والرعب. ثم انه كان سائلا سأل فماذا اجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل قالوا
لو نعلم قتالا لاتبعناكم كانهم جحدوا ان يكون بين الفريقين قتال البتة. او المراد لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لوافقناكم عليه ولكنكم تلقون بايديكم
الى التهلكة وذلك ان رأي عبد الله كان في الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم في الجواب فاسد اما الاول فلان
ظهور امارات الحرب كاف في وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن في امور الدنيا قائم مقام العلم ولا امارة اقوى من قرب الاعداء
من المدينة عند جبل احد واما الثاني فلانه تعالى لما وعدهم النصر والغلبة ان صبروا واتقوا لم يكن الخروج الى ذلك القتال القاء النفس
الى التهلكة ولركاكة جوابهم قال هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانهم تباعدوا بهذا الجواب النبي عن الدخل والنفاق عن الايمان المظنون بهم
قبل اليوم. او المراد انهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانعزال تقوية لجانب المشركين. وعن الاول قال
اكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان الاقرب من الكفر. قال الحسن اذا قال الله اقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة الف
او يزيدون فهذه الزيادة لا شك فيها. وقال الواحدي فيه دليل على ان الآتي بكلمة التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول بتكفيرهم يقولون بافواههم

حصول الكفر

ما ليس في قلوبهم اي لا يجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم فخلاف صفة المؤمنين في مواطأة ما يستظهرونه من التوحيد والله اعلم بما يكتمون
من بغض الاسلام والمسلمين وبسائر مجاري احوالهم فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد يعلمون البعض بالقرائن والامارات وهو تعالى اعلم بتفاصيل
ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات. الذين قالوا منصوب على الذم او على البدل من الذين نافقوا او مرفوع على الذم اي هم
الذين او على البدل من ضمير يكتمون. وقيل يجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم احد. الاخوة
في النسب او في سكنى الدار او في الجنسية في النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه. والاعتراض الاخير بانه قد خرج يوم احد
فكيف وصفه بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد قعدوا عن القتال او الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لو اطاعونا في القعود
ما قتلوا كانهم قعدوا وما اكتفوا بذلك بل ارادوا تثبيط غيرهم وذلك لما في الطباع من محبة الحيوة وكراهة الموت ومن يسمع يخل فلعل بعض
ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب في القعود ونفر طبعه عن الجهاد. فاجابهم الله تعالى بقوله قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
في ان الحذر يغني عن القدر وان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من اسباب النجاة. وفيه استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين
لاسباب الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا. وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على ان
القتل امر مكروه يجب على العاقل ان يحترز منه لو امكنه منه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا والخطاب
للرسول او لكل احد. ومن قرأ على الغيبة فالضمير للرسول او المراد لا يحسبن حاسب او لا يحسبنهم امواتا وضمير المفعول للذين قتلوا اي لا يحسبن الذين
قتلوا انفسهم امواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه فكانه مذكور كما حذف المبتدأ في قوله بل احياء اي هم احياء
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها و
تأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة
نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فانزل هذه الآية. وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من
وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال يا عبدي سلني اعطك قال اسئلك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم
اليها لا يرجعون فقال يا رب فابلغ من ورائي فنزلت. وقال جماعة من اهل التفسير نزلت الآية في شهداء بئر معونة. وقال بعضهم ان اولياء
الشهداء كانوا اذا اصابتهم نعمة او سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الآية
تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم انهم احياء متنعمون. واختلف العلماء في معنى هذه الحيوة فعن طائفة انها على سبيل المجاز
فقال الاصم والبلخي اريد بها الذكر الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى. روي ان عبد الملك بن مروان لما رأى الزهري وعلم فقهه
قال ما مات من خلف مثلك. وعن هذه الطائفة من قال بمجاز هذه الحيوة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة
روي انه لما اراد معاوية ان يجري العين الى قبور الشهداء امر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم
رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانفطرت دما. ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يبلون كما لا يبلى الاحياء. وذهب طائفة
من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون احياء والغرض تكذيب منكري المعاد. وزيف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر ثابت
فالثواب اولى وبانه نهي عن حسبانهم امواتا والذي يزيل هذا الحسبان هو اعتقاد انهم احياء في الحال لا اعتقاد انهم احياء يوم القيمة فان
ذلك مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه وبما روينا عن ابن عباس من ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
من بعدهم فان حال من يكون في الدنيا لابد ان يكون قبل يوم القيمة. وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن بحيوة روحانية وان ارواحهم تركع
وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيمة. وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان اجزاء البدن في الذوبان والانحلال
ويعرض لها السمن والهزال والقوة والكلال وكلنا يجد من نفسه انه شيء واحد من اول عمره الى آخره والباقي مغاير للمتبدل ولان الانسان
يكون عالما بنفسه حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه واجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم. ثم ذلك الشيء المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان
جسما مخصوصا ساريا او جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا او اماته الله فيعيده حيا وبهذا يثبت عذاب القبر وثوابه وزوال الشبهات
ومن تأمل في الامور الواردة عليه وجد احوال النفس مضادة لاحوال البدن ووجد قوة احدهما مقتضية لضعف الآخر كما ان البدن يضعف عند النوم
وتقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح واذا اعرضت النفس عن الطعام والشراب واقبلت على مطالعة العالم العلوي زادت
سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الحكايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية. واكثر ارباب الشرع على انهم احياء
بحيوة جسمانية. ثم منهم من قال انه تعالى يصعد اجسادهم الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها. ومنهم من قال
بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها. ومن الناس من طعن في هذا القول وقال ان نجوز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا
متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة. والحق في هذه المسئلة عندي خلاف ما يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تنتقل على بدن آخر
وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما تقوله الفلاسفة من ان النفس تنقطع علاقتها عن البدن مطلقا فاما ملتذة او متألمة بما اكتسبت
من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة او العقائد الباطلة والملكات الذميمة. والذي اقوله ان النفس يبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب
الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها وليس ببدع ان يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في هذا العمر بحسب الصبا والشباب
والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء واعمال الجوارح والآلات
وبعد الموت يحصل متصرفة فيه من جهة الجزاء والحساب فكيف ينبغي ان يقاس احدهما على الآخر. فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتألم
والادراك فقط الى ان تقوم القيمة الكبرى. وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحريك ولا احساس ونطق. ويؤيده ما روي
انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت
ما وعدني الله حقا فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون
ان يردوا علي شيئا. وفي حديث عذاب القبر انه يسمع قرع نعالهم. ولعل السر في انه اكتفى بهذا القدر من التصرف انه ان كان اكثر من ذلك
كما سيكون في القيامة الكبرى نافى تكليف سائر الاحياء والغى الامر الى الالجاء وهو السر في ان حديث عذاب القبر صيحة يسمعها من يليه

غير الثقلين. واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم الله تعالى لمزيد الشدة بنعيم الآخرة كما قتلوا تعجيلا للثواب كما عجلوا الى الانقطاع من طيبات
الدنيا وشهواتها فان جزاء كل طائفة ينبغي ان يناسب عملهم فافهم هذه الاسرار فانها علق مضنة وبه يثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة
والله اعلم. ومعنى عند ربهم انهم مقربون ذوو كرامة كقوله فالذين عند ربك. او المراد بحيث لا يملك احد سوى ربهم. او المراد في علمه
وفي حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا. يرزقون كما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف
لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث. فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصصهم به من التفضيل
على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها. وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة
وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم. وقال الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية وفرحين
رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور ومصدر الكمال. ويستبشرون بالذين باخوانهم من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور
الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم انهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم اي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم. الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال
من الذين وذلك وان الله بشرهم بان من تركوا خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيمة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمقصود
بذلك انهم لما فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبه تألم فاكرمهم الله تعالى بازالة ذلك
التعلق بان اعلمهم ان اخوانهم آمنون من عذاب الله فيحصل لهم سروران من قبل حالهم في انفسهم وذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله ومن قبل
حال اخوانهم وغيرهم وذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم. ثم كرر هذا المعنى لمزيد التأكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب
وفضل وهو التفضل الزائد وهذا هو سرورهم بسعادة انفسهم. وان الله اي بان الله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا هو سرورهم بسعادة
اخوانهم المؤمنين. ثم انه تعالى مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة احد يعرف اولاهما بغزوة حمراء الاسد والثانية بغزوة بدر الصغرى
اما الاولى فروي ان اباسفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا اكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم
فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه الى الخروج
في طلب ابي سفيان وقال لا اريد الآن ان يخرج معي الا من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية
اميال فالقى الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا باتيان جميع
المأمورات واتقوا بالانتهاء عن المحظورات او احسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات. روي انه كان فيهم
من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة اخرى. وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ويتوكأ عليه صاحبه ساعة. و
ومن في قوله للذين احسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم. وقال ابو بكر الاصم نزلت في يوم احد
لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى
عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فدفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى اخيها حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة
اخيها فقالت قد بلغني ما فعل به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت
امرأة قد قتل زوجها وابوها واخوها وابنها فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حي قالت ان كل مصيبة بعدك هدر. واما الثانية
فروى ابن عباس ان اباسفيان لما عزم ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل فنقتتل بها ان شئت
فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله فلما حضر الاجل خرج ابو سفيان مع قومه حتى نزل بمر الظهران فالقى الله
الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام
جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة وثبطهم
ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم فقتلوا اكثركم فان ذهبتم اليهم
لم يرجع منكم احد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن اليهم وحدي فخرج في سبعين
راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهي ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية
ايام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات فوافوا السوق وباعوا اما معهم واشتروا
ادما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق
وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق. وانزل الله في المؤمنين الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود كما ذكرنا. وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس
لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولان الواحد اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله ويرضون به
حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال نعيم ذلك لم يخل اناس من اهل المدينة يضاهونه ويصلون جناح
كلامه. وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس بابي سفيان فدسهم الى المسلمين ليجبنوهم وضمن لهم عليه حمل بعير من زبيب
وقال السدي هم منافقوا المدينة كانوا يثبطون المسلمين عند الخروج ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعني اباسفيان واصحابه والمفعول به
محذوف اي جمعوا لكم الجموع والعرب تسمي الجيش جمعا فاخشوهم فزادهم ذلك القول او نعيم او قول الشيطان ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم واخلصوا عنده النية والعزم
على الجهاد واظهروا حمية الاسلام وكان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم واستدل بالآية من قال ان الطاعات داخلة في مسمى
الايمان وانه يزيد وينقص بحسب زيادتها ونقصانها. واما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فتأويله ان الزيادة وقعت في ثمرات
الايمان ولكنها جعلت في الايمان مجازا وقد مر تحقيق الكلام لنا في هذا المعنى في اوائل الكتاب. وكما انهم اظهروا ذلك بحسب الاعتقاد وكقول
الخليل صلوات الله عليه حين القي في النار فاظهروه باللسان فقالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله في البقرة في قوله فحسبه جهنم. ونعم الوكيل
الكافي او الكافل او الموكول اليه الامر. ثم عملوا بما اعتقدوه وقالوه فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله وهي العافية وفضل وهو الربح بالتجارة او النعمة
منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراح وصفهم بانه حصل لهم الملايم ولم يحصل لهم المنافي وهذه غاية المطالب
ونهاية الاماني وان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله سبحانه وتعالى. ثم روي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله
ليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا ما عليهم. ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلي في ثواب المطيعين هو فضله بهم ورحمته

عليهم

عليهم ولن ينجي احدا عمله الا ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف احدا الا اياه. ومن ذلك قوله انما ذلكم المثبط هو الشيطان
لعنه الله ويزيده واعوانه ثم بين شيطنته بقوله يخوف اولياءه. او الشيطان صفة اسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول الاول محذوف اي
يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الذين هم اولياء الشيطان والاولياء
هم ابوسفيان واصحابه. وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف التقدير انما ذلكم قول الشيطان. وقيل يخوف اولياءه القاعدين
عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالضمير في فلا تخافوهم للناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم. وقيل التقدير يخوفكم باوليائه
كقوله ويخوفونك بالذين من دونه فحذف حرف الجر. قاله الفراء والزجاج وابو علي وزيفه ابن الانباري بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين
فلا ضرورة الى اضمار حرف الجر والله حسبي وكفى. التأويل قد ذكرنا ان النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فالآن نقول ان روح الشهيد
مخصوص بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على تعجيل اذاقة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى اجساد كثير منهم وتبقى غضة طرية وكانهم هم الشهداء
في الحقيقة. وكذا اجساد الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيوف الرياضات ومطارق الافكار واسنة الاسنة
والقاطعين وتجرع هموم مخالفات النفس ومكابدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سببا للتألم بل اعظمه
سبب اللذة والابتهاج ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين. وكما ورد في حديث الشهداء من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة والذي
جاء فيه ان ارواحهم في اجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم وانه بجزء اللطيفة منهم ظلمها. فيمكن ان يخلق الله تعالى من ذلك
جسما لطيفا شبه طائر ويكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى يحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى. واما كون الطير
خضرا فاما لان بدن الميت يميل الى الخضرة واما ان يكون عبارة عن النضرة تعرف في وجوههم نضرة النعيم. واما لان حالهم بالنسبة الى ما يؤول
اهل الجنة والنار يوم القيمة كالمتوسط بين الحالين اللذين يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. وهذه المعاني
ما وجدتها في كتب التفسير والتأويل وارجو ان اكون مصيبا فيها الغرض والله تعالى ورسوله اعلم بمرادهما. والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيا يريد الله
ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ۝
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب
اليم ۝ ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما
نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ۝ ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر
عظيم ۝ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله
ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير ۝ لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا
وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ۝
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ۝ الذين
قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله
النار ۝ قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم

فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ۞ فان كذبوك فقد كذب رسل
من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير ۞ كل نفس
ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار
وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ۞
لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور ۞ واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم
واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ۞ لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب ولهم عذاب اليم ۞ ولله ملك السموات والارض
والله على كل شئ قدير ۞ صدق الله العظيم ۞

القراءة ولا يحزنك من الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزنني وليحزن الذين آمنوا وقرا يزيد
بفتح الياء وضم الزاي والاخلاف مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلثة بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء
ابن كثير وقرا حمزة كلها بتاء الخطاب وقرا ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء
الباقون الاوليان على الغيبة والاخراوان بالخطاب يميز بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب عباس
الباقون خفيفا بفتح الياء وكسر الميم يعملون خبيرا بالغيبة ابن كثير ويعقوب وابو عمرو لقد سمع وابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف
سنكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في قتلهم
ابن عامر وبالكتاب الحلواني عن هشام الباقون بغير الباء وقد اختلف فيهما زحزح عن مدغما شجاع وابو شعيب من طريق عطار
مهران لتبيننه ولا تكتمونه بالياء فيهما ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير رويس وابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب
حكاية مخاطبتهم الوقوف في الكفر ج للابتداء بان والاحتمال اضمار اللام او الفاء واشيئا ط في الآخرة ج لعطف المختلفتين مع اتحاد

[illegible]

عن المسلمين اذا اقصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه
ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة احد وذلك هو شرح احوال اهل الكتاب
ويعضده ان كثيرا من الآيات لبقية السورة فيهم وعلى هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقا من النار كقوله
صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار والمراد انهم لم ينطقوا بافواههم والسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير
الاول فاما ان يكون محمولا على ظاهره وهو ان يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه
وتقول انا مالك عن ابن مسعود رض عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه شجاع اقرع
وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون الاية وعن ابن عمر رض قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الذي لا يؤدي زكوة ماله يخيل اليه ماله يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان فيلزمه اي يطوقه يقول انا كنزك انا
كنزك واما ان يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة اطواقا اي سيلزمون اثمه في الآخرة الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا
جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد سيطوقون سيكلفون ان يأتوا بما بخلوا به يوم القيمة ونظيره ما روي عن ابن عباس انه كان يقرأ و
وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه اي يؤمرون باداء ما منعوه حين لا يمكنهم الاتيان به فيكون ذلك توبيخا
على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه
بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا
ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال فلان ورث علم فلان اذا انفرد به بعد ان كان مشاركا فيه ومنه وورث سليمان داود
اي انفرد بذلك الامر بعد ان كان داود مشاركا له فيه او غالبا عليه والله بما تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر اي يجازيهم على منعهم
الحقوق ومن قرأ على الخطاب فللالتفات وهي ابلغ في الوعيد لان الغضب كانه تناهى الى حد اقبل على الخطاب وشافه بالعتاب
ثم شرع في حكاية شبه الطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما امر بالانفاق في سبيل الله قالوا لو كان محمد صادقا في ان الله
تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن اغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وايضا لو كان نبيا لكان انما يطلب المال
لاجل ان يجيء نار من السماء فتحرقه كما كان في الازمنة السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا انه ليس بنبي فهذا بيان النظم وليس في الآية
تعيين القائلين الا ان العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود ولعنهم الله لقولهم في موضع آخر يد الله مغلولة عنوا انه بخيل وذلك الجهل
يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز عن اثبات
هذا الاصل عجز عن بيان انه غني وكما روى عكرمة ومحمد بن اسحق والسدي ومقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رض
الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا
وهو من علمائهم ان زعم ان ربنا يستقرض اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر رض ولطمه في وجهه وقال لولا الذي
بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بي صاحبك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما الذي حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عدو الله قال كذا فجحد فنحاص
فنزلت هذه الآية تصديقا لابي بكر رضي الله عنه وايضا ان موسى عليه السلام لما طلب منهم الجهاد وبذل النفوس قالوا اذهب انت
وربك فقاتلا فلا يبعد ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما طلب منهم الجهاد وبذل الاموال كانوا قد قالوا لما كان الاله غنيا فاي حاجة به الى اموالنا
ثم ان القائل لو كان فنحاص وحده فانما يستقيم قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل المقتدين به حكمهم حكمه ثم انه سبحانه اجاب
عن شبههم اما على قواعد اهل السنة فبان يقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد ان يأمر عبيده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء
واما على قوانين المعتزلة فبان في هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب ومنها التوصل الى الثواب المخلد ومنها تسخير البعض
للبعض فبذلك ترتبط امور التمدن وينتظم احوال اصلاح المعاش والمعاد وانما يجب تكرير ورودها في القرآن لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان واجب الوجود عبارة عن الغني
المطلق حتى لا يحتاج في ذاته ولا في شيء من صفاته ولا جهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن عرف وجوب وجوده ثم شك في كمال غناه
وجوده فقد عاد بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند اولي الالباب وانما يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا اي
على جهة الوعيد سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فلا ينسى وفي التفسير الكبير سنكتب
عنهم هذا الجهل في القرآن حتى يبقى على لسان الامة الى يوم القيامة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على انهم كما لم يقدروا الله حق قدره حتى
نسبوا اليه ما نسبوا فكذلك لم يعرفوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق وهو من اسماء جهنم فعيل بمعنى مفعل كالاليم
بمعنى المؤلم او سميت باسم صاحبها اي ذات حرقة والمعنى ننتقم منهم فنقول لهم ذوقوا عذاب النار كما اذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا القول
يحتمل ان يقال عند الموت او عند الحشر او عند قراءة الكتب ويحتمل ان يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب او الوعيد
بما قدمت ايديكم من السب والقتل وذكر الايدي لان اكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان كان بعضه باللسان
او بسائر الجوارح والآلات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل لما قدمت يداك مثنى كما في سورة الحج قال الجبائي قوله وان الله
اي وبان الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على ان فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير ان لا يقع منهم الذنوب وفيه ابطال قول المجبرة
ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز ان يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان الظالم جاعلا والجواب انه
لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزاء لما كان مرتبا على الذنب المستند بسبب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك الملك اذا تصرف في ملكه
كيف شاء لم يكن ذلك ظلما فخلق ذلك الفعل فيهم وترتب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير عن نفسه وذلك يوهم ثبوت اصل
الظلم له اجاب القاضي عن العذاب الذي توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكرنا ان
ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين واقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
وحقيقته ما ذكرنا انه المالك الحق له ان يتصرف في ملكه كيف شاء ولكنه نفى ههنا كثرة الظلم ان العبيد عنده كانه قال ان حصل لكم ان في الوجود

شيء سواه على ما في علمه من الحكم قد يصدر عنه الشر القليل لمنفعة الخير الكثير [illegible]
القليل الذي في ضمنه خير كثير او نقول اراد نفي الشر القليل واصل الظلم عنه ولكن القليل منه بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلذا عبر
عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم ذكر شبهة اخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازوراء وحيي بن اخطب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تزعم
ان الله بعث الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله قد عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا
بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك قال عطا كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب واطايب اللحم فيضعونها في وسط
بيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي
ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله والقربان مصدر كالكفران والرجحان ثم سمي به المفعول فيقرب به
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلوة قربان اي بها يتقرب الى الله تعالى ويستشفع في الحاجة لديه
لفظا ومعنى وادعاء اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء في التورية مع استثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى
يأتيكم بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمدا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءو بالبينات والزبر والكتاب المنير [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كل نفس ذائقة الموت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وانما توفون اجوركم يوم القيمة [illegible]
[illegible]
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز [illegible]
[illegible]
[illegible]
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
هو الشيطان عن علي بن ابي طالب لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير
ان هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم الآية جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة
وضمت الواو لالتقاء الساكنين ولما كان يجب لما قبلها من الضم والمراد ما نالهم من الفقر والضر والقتل والجرح او التكاليف الشاقة البدنية والمالية
من الصلوة والزكوة والصوم والجهاد والذي كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن في الدين الحنيف واهله واغراء المخالفين وتحريضهم عليهم وقوله
انما يفتنون وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة او تصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات فان ذلك
الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التي لا يترخص العاقل في تركه لكونه حميد العاقبة بين الصواب او هو من عزائم الله وما ازكم الله
قال الواحدي كان هذا قبل نزول آية القتال وقال القفال الظاهر انها نزلت بعد قصة احد فلا تكون منسوخة بآية السيف والمراد الصبر على ما
يؤذون به الرسول صلى الله عليه وسلم على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير من الاحوال والامر بالقتال لا ينافي الامر بالمصابرة
على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش في شعره
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يستصلحهم كلهم فكان المشركون
واليهود يؤذونه ويؤذون اصحابه اشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك ونزلت الآية وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار

واردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي وذلك قبل ان يسلم
عبد الله فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين واليهود والمشركين وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله
بن ابي انفه بردائه فقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن
ابي ايها المرء لا احسن مما تقول ان كان حقا ان لا تؤذينا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى
يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم
يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يريد
عبد الله بن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل
عليك الكتاب وقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك فعفا
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله هذه الاية ثم ان الله تعالى عجب من حال اليهود انه كيف يليق بحالهم ايراد الطعن في نبوته مع ان كتبهم ناطقة
به وايضا من جملة ايذائهم الرسول انهم كانوا يكتمون نعته وصفته فلهذا قال واذ اخذ الله باضمار اذكر والضمير في لتبيننه قيل لمحمد لانه معلوم وان كان
غير مذكور اي لتبينن حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعود الى الكتاب كانه اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب
كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن ولا تكتمونه قيل الواو للحال اي غير كاتمين ويحتمل ان يكون للعطف وان لم يكن مؤكدا
بالنون والارباب ان يعتني النهي عن الكتمان لكنه صرح به للتاكيد فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشيء المطرح المتروك عن علي رضي
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل
صنم قائم لا ياكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا انهم كتموا
الحق ليتوسلوا به الى وجدان حظ يسير من الدنيا فبئس ما يشترون هو وعيد يدخل في الوعيد كل من كتم شيئا من امر الدين لغرض فاسد من تسهيل
على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمبارهم او التقية من غير ضرورة او لبخل بالعلم وغيره ان ينسب اليه غيره ثم
ذكر نوعا آخر من ايذاء اليهود واوعدهم عليه وسلى رسوله بذلك فقال لا تحسبن الذين يفرحون من قرأ بتاء الخطاب وفتح البا فالخطاب
للرسول او لكل احد واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة للفعل لطول الكلام وافادة التاكيد ومن ضم البا
فالمثال مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف اي لا يحسبن انفسهم
الذين يفرحون فائزين والثاني للتاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت
شيئا فريا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه اي بمكان الفوز وقال الفراء اي ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه في الصحيحين
ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس وقل له ان كان كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن
اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه ان
قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الايتين وقال
الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس نبي الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا
كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقرآن ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذي جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن اهل
الصوم والصلوة ونحن اولياء الله فذلك قول الله يفرحون بما اتوا بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا يعني بما ذكروا من الصوم
والصلوة والعبادة وعن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه
فاذا قدم اعتذروا عنه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد على
لو وصفه لسداد السيرة وحسن السريرة ونحن اذا انصفنا من انفسنا وجدنا اكثر مجاري امورنا على هذه الحالة فنسأل الله العصمة والهداية
ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك السموات والارض والغرض انه كيف يرجو النجاة من كان معذبه هذا القادر الغالب **التاويل**
هو خيرا لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والسخا بمنزلة الاكسير حتى يجعل الخير شرا وبالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه يحيط بالقلب
ومنه ينشأ معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب والبخل حب الدنيا راس كل خطيئة ولله ميراث
السموات والارض الانسان وارث الدنيا والاخرة اولئك هم الوارثون والوارث اذا مات من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه ان من
غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله ان الله فقير ونحن اغنياء فيه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فيكس
الغنى فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة صفات الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة
انا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن اغنياء بقربان تاكله النار فالقربان هو صفات النفس البهيمية والسبعية والشيطانية لا انقياد لرسول الهي
بخاطر رحماني او الهام رباني حتى يأتينا بقربان هو الدنيا وما فيها يجعلها النسكة لله عز وجل تاكله نار الله الموقدة التي تخرج من زناد يحبهم فان
كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله فتاكله نار الله قل يا واردات الحق قد جاءكم رسل من قبلي اي واردات الحق
بالبينات بالحجج الباهرة وبالذي قلتم اي بجعل الدنيا قربانا فلم قتلتموهم غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق اثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم
مستعدون للفناء في الله فلا بد لها من موت فمن كان موته بالاسباب يكون حيوته بالاسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله
لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من اهل العلم الظاهر ومن اهل الريا اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس
وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم الامور اي من امور اولي العزم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الله حسبي ونعم الوكيل

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب
الذين يذكرون قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض

ربنا

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ۞ ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ۞
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا
مع الابرار ۞ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك و
لا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد ۞ فاستجاب
لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم
من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا
في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم
جنات تجري من تحتها الانهار ۞ ثوابا من عند الله
والله عنده حسن الثواب ۞ لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد ۞ متاع قليل ثم مأويهم جهنم وبئس
المهاد ۞ لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله
خير للابرار ۞ وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله و ما انزل اليكم وما
انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا
قليلا ۞ اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع
الحساب ۞ يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ۞

القراءة الابرار بالامالة ابو عمرو وحمزة غير خلاد ورجاء والكسائي والبخاري عن ورش وخلف وابن مجاهد والنقاش
عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الرا غير ابن مجاهد والنقاش في جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلي وخلف وقرا ابن كثير
وابن عامر وقاتلوا وقتلوا بالتشديد الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة رويس الباقون بالتشديد نزلا
حيث كان بالاختلاس عباس **الوقوف** الالباب ه ج لاحتمال الذين صفة او مستأنفا نصبا او رفعا على المدح بتقدير اعني
الذين او هم الذين والوصل اشهر والارض ج لحق المحذوف اي يقولون ربنا باطلا ج للابتداء بسبحانك تعظيما وان فالمقول متحد
وفاء التعقيب متعقب النار ه اخزيته ط انصار ه فامنا ق قد قيل والوصل اولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا
معطوف على امنا اي اذ امنا فاغفر الابرار ه ج للاية وللعطف يوم القيمة ط الميعاد ه انثى ج لاتحاد الكلام والابعضكم مبتدا من بعض ط
الانهار ز لان ثوابا مفعول له او مصدر من عند الله ط الثواب ه البلاد ط لان التقدير لهم متاع او ذلك متاع جهنم ط المهاد ه من عند الله ط
للابرار ه لله لا لان ما بعده حال آخر قليلا ط عند ربهم ط الحساب ه تفلحون ه **التفسير** انه لما طال الكلام في تقرير القصص والاحكام عاد
الى ما هو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة رضي الله عنها
اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده

بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليلة يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض ثمانية دلائل وههنا اقتصر منها على الثلثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لابد له من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى آخر كالبصر اذا حدق الى مرئي امتنع تحديقه نحو آخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعني المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة انك بالوادي قدس الوحدانية وانما وقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها اقهر وابهر والعجائب فيها اكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله ايسر وانما قال في تلك السورة لآيات لقوم يعقلون وفي هذه السورة لآيات لاولي الالباب لان العقل له ظاهر ولب ففي اول الامر يكون عقلا وفي كمال الحال يكون لبا وباقي التفسير قد مر هناك ثم بعد دلائل الالهية ذكر وظائف العبودية وهي ان تكون باللسان وبسائر الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الذين يذكرون الله اشارة الى عبودية اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو في موضع حال اي مضطجعين على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون في اغلب احوالهم كما قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلوة اي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود فان عجزوا ففي حال الاضطجاع وهذا موافق لمذهب الشافعي في ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق بحثا طبيا وهو ان الاستلقاء يمنع من [illegible] الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع على الجنب والصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت اولى ولان الاستغراق في النوم يكون في هيئة الاستلقاء اكثر فذلك دفع الغافلين وقال ابو حنيفة يصلي المريض مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد وقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس من تفسير قوله تعالى وعلم آدم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال ويذكرون الله لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والسبب فيه ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة وانما يمكن على نعت المخالفة فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر في المخلوقات ممكن وفي الخالق غير ممكن كيف وان الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشيء عبارة عن حصول صورته في النفس فيكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شيء الا انه بكل شيء محيط لكنه اذا تفكر في مخلوقاته لاسيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف اولا ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعترف بان في كل من ذلك حكما ومصالح وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس احوال هذه المصنوعات الى صانعها علم ان ذاته تعالى منزه عن مشابهة شيء من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا في حيز وجهة فيقول سبحانك اي انزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من الاستغراق في بحار العظمة والجلال هذا المبلغ وجد لنفسه ذرة من ذرات الكائنات واقعة في حضيض عالم البشرية محاطة بالطبائع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به الى ... ولبقية عذاب كرة النار ويوصله الى معارج السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي ابلغت في اخزائه نظيره قوله فقد فاز وفي كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ثم توسل الى السؤال بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله ربنا اننا سمعنا مناديا الآية فهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والآيات على وجه الحق في زعمي والله اعلم باسرار كلامه عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وعنه لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض وعنه صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على انه بمعنى المخلوق او الى السموات والارض بتأويل المخلوق وفي كلمة هذا ضرب من التعظيم كانه لعظم شأنه معقود به الهمم حتى صار حاضرا في خزانة الخيال وباطلا نصب على المصدر اي خلقا باطلا او على الحال وقيل بنزع الخافض اي بالباطل وللباطل قالت المعتزلة فيه دليل على ان كل ما يفعله الله تعالى فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد ولاجل حكمة وغاية وقوله سبحانك جملة معترضة تنزيها له من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة ووجه النظم في قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق الارض والسموات ان يجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا لمرجح عام وذلك المرجح لابد ان ينتهي الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله تعالى وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله بمصالح العباد بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزائل الذي لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشي والاضمحلال والمراد ان خلقهما خلق متقن محكم متين لقوله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهما في غاية شدة التركيب وبعيد البقاء الا انك غني عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم كما وصف ذاته بالغنى اذل نفسه بالعجز والحاجة اليه في الدنيا والآخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالآية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب واودع في كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركاتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع سكان العالم السفلي قالوا لانها لو لم يكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن ان يقتصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها في ذلك فلا يبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف النص وشنع المتكلمون في ذلك وقالوا ان الفلكيات اسباب للارضيات على مجرى العادة لا بسبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام ان وجود الوسائط لا ينافي اسناد الكل الى مسبب الاسباب وان كون افعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد

دينا في جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم ان يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب من ذلك الاستجابة كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج اخزى الله العدو ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف او انقطاع حجة او بوقوع في بلاء قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد اخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه واجيب بانه لا يلزم من ان لا يكون من آمن وهو مع النبي مخزى ان لا يكون غيره وهو مؤمن مخزى وايضا الآية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس بمخزى وعن سعيد بن المسيب والثوري ان هذا في حق الكفار الذين ادخلوا النار للخلود وايضا انه مخزى حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله يوم لا يخزي نفي الخزي على الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد ويحتمل ان يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك واذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتج المرجئة بالآية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن لقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والمدخل في النار مخزى بهذه الآية والمقدمات باسرها مدخولة المنع اما الاول فباحتمال ان يسمى بعد القتل مؤمنا وان كان قبله مؤمنا واما الاخريان فبخصوص المحمول وجزئية الموضوع كما عرفت انفا وقد تمسك حكماء الاسلام بهذا في ان العذاب الروحاني اشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو التخجيل وهو امر نفساني وقد تمسكت المعتزلة بقوله وما للظالمين اي الداخلين في النار من انصار اي في الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب ان الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وايضا لا تأثير للشفاعة الا باذن فيؤول معنى الآية الى ان الامر بيد الله وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم ان الله وعد المتقين الفوز فلهم هذه الحجة بخلاف الفساق وايضا ادلة الشفاعة مخصصة لعموم الآية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجا بانصاره وعورض بالآيات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان تقول سمعت رجلا يتكلم كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به او جعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ادع الى سبيل ربك ادعوا الى الله وداعيا الى الله وقيل القرآن كما نسب اليه الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي كانه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه من الدلائل كما قال في جهنم تدعوا من ادبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي ويعظ لدلالة تصاريفه قال شعر يا واضع الميت في قبره خاطبك الدهر فلم تسمع ويقال ينادي الى كذا ولكذا ودعاه اليه وله وهداه للطريق واليه فيقام كل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال ابو عبيدة هذا على التقديم والتأخير اي سمعنا مناديا للايمان ينادي كما يقال جاء مناديا للامير فنادى بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض ولهذا اقتصر بقوله ان آمنوا وان مفسرة او مخففة معناه ان آمنوا او بان آمنوا والفائدة في الجمع بين المنادي وينادي للايمان هو فائدة الاطلاق ثم التقييد والاجمال ثم التفصيل من رفع شأن المطلق والمجمل وكونه حينئذ اوقع في النفس واعز فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا اصل الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية واما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتأكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء وقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر وقيل الاول اريد بها ما تقدم منهم والثاني المستأنف وقيل الاول ما اتى به الانسان مع العلم بكونه معصية وذنبا والثاني ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار اي معدودين منهم ومن اتباعهم او مشاركين لهم في الثواب او على شكل عالمهم ودرجاتهم كقول الرجل انا مع الشافعي في هذه المسألة اي مساو له في ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالآية على ان العفو غير مشروط بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل بدون التوبة بدلالة فاء التعقيب في فاغفر بعد قولهم آمنا ثم انه تعالى اجابهم الى ذلك لقوله فاستجاب لهم ويعلم منه ثبوت شفاعة النبي لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على تصديق رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وعقيب قوله وهو آمنا وهو التصديق فيكون على صلة للوعد كقولك وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل ان يتعلق بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والمتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم بانه لا يخلف الميعاد كما صرح به في اخر الادعية لان معظم الغرض في الدعاء اظهار سيما العبودية او المراد وفقنا للاعمال التي بها نصير اهلا لوعدك واعصمنا عما بها نكون اهلا لاخزائك او طلبوا تعجيل النصرة على الاعداء او المراد احفظ علينا اسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل على انهم طلبوا منافع الاخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل منحة وعطاء والحاصل من هذه الآيات انهم نظروا الى المصنوع فعرفوا منه الصانع تعالى وقالوا ربنا ثم تفكروا في عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا ان صانعه حكيم والحكيم لا يخلو افعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تأملوا في غاية العذاب ونهاية الحركات فوجدوا الانسان المكلف على السنة الرسل وجد عاقبة التكليف الجنة او النار فتضرعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والخلاص من النار ولان دفع الضرر اهم من جلب المنفعة جعلوا اول دعائهم وآخره الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحاني عند العقلاء اشد من العذاب الجسماني فلا جرم وقع الختم على الاستعاذة من الاخزاء اللهم شاركنا في هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت الارض والسماء انك واهب العطاء عن الامام الناطق جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله تعالى حكى عنهم في هذه الآيات انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم اي اجابهم اني اي باني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى من في منكم للتبعيض لان كل عامل فرد من افراد المخاطبين ومن في من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما انثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اي من اصله او المراد بعضكم كانه من البعض الاخر لفرط اتصالكم واتحادكم كما يقال فلان مني اي على خلقي وسيرتي قال صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع بذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشأن العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا واوذوا مع الرسول او

باختيارهم واخرجوا من ديارهم الجاهم الكفار الى الخروج واوذوا في سبيلي يريد طريق الدين وقاتلوا وقتلوا من قرأ بالتشديد فللتكثير وكرر
القتل فيهم اي قطعوا ومن قرأ وقتلوا وقاتلوا فانما لان الواو لا يفيد الترتيب والترتيب الطبيعي قاتلوا حتى قتلوا واما من قولهم قتلنا ورب
الكعبة اذا ظهرت امارات القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما بالاضمار اي قتلوا وقد قاتلوا لاكفرن جواب القسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو الذي
طلبوه بقولهم ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على
ثوابا من عند الله وهو الذي طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة اي ثوابا يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره و
لا يقدر عليه يقول الرجل عندي ما تريد اي انا مختص به وبملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا نصب على المصدر المؤكد اي اثابة او تثويبا من عند
الله لان قوله لاكفرن ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وقال الكسائي هو منصوب على القطع اي على الحال وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك
هبة او بيعا او صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات الغني عن جميع الحاجات
وفي تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق في دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على ان حكمة الله تعالى اقتضت نوط الثواب والجنة بالعمل
حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهمل جانب العمل رأسا عن الحسن اخبر الله تعالى انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء
وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المؤمنين الثواب العظيم وكانوا في الدنيا
في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم اراد ان يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف يسمعه اي لا يغرنك
ايها السامع او للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله اليه والمراد هو فعل السبب في عدم اغتراره وهو تواتر
امثال هذه الآيات عليه قيل ان مشركي مكة كانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع
والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد بتقلبهم تبسطهم وتصرفهم في المكاسب والمزارع
والمتاجر ذلك التقلب والكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او هو قليل
في نفسه اذ لا نسبة لمدته الى ما بين ازل الازل وابد الابد مع قلته سبب لو قوع في نار جهنم ابد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة
العظيمة لم تكن في الحقيقة نعمة فلهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما يعد للضيف ويحتمل ان
تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شيء آخر يكون اصلا بالنسبة اليها قلت ويحتمل ان يكون نزلا
قوله وما عند الله اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازيه شيء من نعيم الجنة وقيل المعنى وما عند الله من الكثير
الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل معنى الاستقرار
في لهم او هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء او نصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين وكان قد ذكر حال
الكفار بين حال مؤمني اهل الكتاب كلهم فقال وان من اهل الكتاب وهذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل نزلت في عبد الله
ابن سلام واصحابه وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا في دين عيسى عليه السلام فاسلموا
وعن جابر بن عبد الله وانس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي
مات فيه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن هو قال النجاشي فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى البقيع وكشف له من المدينة الى الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال
المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء
الذي يدخل على خبر ان او على اسمه عند الفصل كما في الآية والمراد بما انزل اليكم القرآن وما انزل اليهم الكتابان خاشعين لله حال من فاعل
يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من احبارهم ورؤسائهم اولئك
لهم اجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شأن هذا الوعد حيث اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات
فيعلم ويعطي لكل احد من جزاء الحسنات والسيئات او المراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بسرعة حصول الاجر ثم ختم السورة بآية
جامعة لاسباب سعادة الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامر فيه بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة
النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر
على شدائد الدنيا وآفاتها ومخاوفها والثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل او المدينة فامر فيه بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الردية
من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة وبالسيف والسنان
او باللسان ثم انه لا بد للانسان في تكلف اقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر
بالمرابطة من الربط الشد فكل من صبر على امر فقد ربط قلبه عليه والزم نفسه اياه ثم لا بد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق
حتى يكون معتدا بها فلهذا امر بتقوى الله ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه وظهر ان هذه
الآية مشتملة على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لآداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الامور
وهي تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والجهاد والزكوة وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه لسبب الفقر
والجوع وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما اصابكم يوم احد وقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي ان يكونوا اصبر منكم
وقال الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما كثر ترغيب الله في الجهاد فيها امرهم بالمصابرة مع الاعداء
اما المرابطة ففيها قولان احدهما ان يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط اولئك ايضا خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا
لقتال الآخر قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان
كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلوة بعد الصلوة لما روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
انه قال لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلوة خلف الصلوة وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلكم الرباط ثلث مرات والله تعالى اعلم التأويل ان في خلق السموات القلوب
واطوارها وخلق ارض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية وصفاتها ونهار الروحانية وانوارها لآيات لاولي الالباب الذين

عبرة

عبروا بقدمي الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون البصاير ولواظر الضمائر ان لهم
وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا هذه المراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال الظاهر والباطن
ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ويقولون ما خلقت هذا باطلا اي خلقته اظهار الحق على الخلق ووسيلة للخلق
الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن التشبه بالخلق فقنا بغناء عنا عذاب نار قهرك والبعد عنك ففيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة
ثم اخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية بقوله ربنا اننا سمعنا منا ديا ما لتف الحق في الغيب السمع الحقيقي مناديا فاغفر لنا
ذنوبنا اي كما اسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا قبل ان تخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا اضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن
من ذكر او انثى على قدر همتكم ورجوليتكم فالذين هاجروا عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة واخرجوا من ديارهم من معادن
الطبيعة وديارها الى عالم الحقيقي بسطوات تجلي صفات الربوبية واوذوا في طلبي بانواع البلاء وقاتلوا مع النفس وقتلوا بسيف الصدق لاكفرن
عنهم سيئات وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى و
القناعة والعفة والمروة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والقلب والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم
والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق تجري من تحتها انهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن ثواب
لا يكون عند الجنة وغيرها وان من اهل الكتاب من علماء الظاهر علماء متقين يكون ايمانهم من نتيجة نور الله الذي دخل قلبه ويؤمن بما انزل اليكم من انوار
والالهامات والكشوف وما انزل اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال صلى الله عليه وسلم اذا تجلى لشيء خضع له لا يشترون بما اوتوا
من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية قبل وفاتهم اصبروا على جهاد النفس بالرياضات في بدايتهم
القلب عند الابتلاءات ورابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله في الالتفات الى ما سواه لعلكم تفلحون فتفوزوا بالبقاء بالله وآخر
دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين

سورة النسآء مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون
به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا وآتوا
اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم
الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و
ثلث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت
ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها
واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا
بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف
ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم

فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا ۞ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ۞ وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا ۞ واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ۞ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ۞ ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

القراءة تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلي وخلف عباس مخير الباقون بالتشديد اي بادغام تاء التفاعل في السين والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ماطاب بالامالة حمزة فواحدة بالرفع يزيد الباقون بالنصب هنيئا مريئا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة في الوقف على ابتها وقفت واذا انفرد هنيئا همزا كل القراء يزيد فيما ابن عامر ونافع الباقون قياما ضعافا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعد والعجلي وخلف لنفسه وقتيبة على اصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وابو بكر وحماد والمفضل الباقون بفتحها الوقوف ونساء ج لان الجملتين وان اتفقتا الا انه اعترضت المعطوفات والارحام ط رقيبا ه بالطيب ص الى اموالكم ط ورباع ج ايمانكم ط ج الا تعولوا ط لابتداء حكم آخر نحلة ط لان المشروط خارج عن اصل الشرط الموجب مريا ه معروفا ه النكاح ج بناء على ان ابتداء الشرط بعد بلوغ النكاح او مجموع الشرط والجزاء جواب اذا وحتى تكون النخلة على جملة شرطية مقدمها جملة وتاليها شرطية اخرى اموالهم ج ان يكبروا ط لابتداء جملتين متضادتين فليستعفف ج بالمعروف ط للعود الى اصل الموجب بعد فرع العارض عليهم ط حسيبا الاقربون الاول ص او كثر ص بتقدير جعلنا نصيبا مفروضا ه معروفا ه خافوا عليهم ص سديدا ه نارا ه سعيرا ه التفسير لما كان هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطف على الاولاد والنساء والايتام وايصال حقوقهم اليهم وحفظ اموالهم اليهم ومن الامر بالطهارة والصلوة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرهن الى غير ذلك من السياسات ومكارم الاخلاق التي يناط بها صلاح المعاش والمعاد افتتح السورة ببعث المكلفين على التقوى ومن غرائب القرآن ان فيه سورتين صدرهما يا ايها الناس احديهما في النصف الاول وهي ايضا الرابعة من سورة والاخرى في النصف الثاني وهي ايضا الرابعة من سورة ثم التي في النصف الاول مصدرة بذكر المبدأ اتقوا ربكم الذي خلقكم والتي في النصف الثاني مصدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة اما العقيد الاول وهو انه خلقنا فلا شك انه علة لوجوب الانقياد لتكاليفه والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شان العبد امتثال امر مولاه في كل ما امره ونهاه وايضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة اخرى منه واما العقيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق الاشخاص غير محصورة في انسان واحد مع تغاير اشكالهم وتباين امزجتهم واختلاف اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار وحكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة او العلة موجبة كان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم في هذا العقيد فوائد اخر منها انه يأمر عقيبه بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم مفتقرين من اصل واحد وامة واحدة اعون على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة واظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر امر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابتداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا له صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابا واجمع الكل على ان المراد بالنفس الواحدة هو آدم والتانيث في الوصف نظرا الى لفظ النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعه وقال ابو مسلم المراد وخلق من جنسها زوجها كقوله من انفسكم ازواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فاي فائدة في خلقها من ضلع من اضلاع آدم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف النص وخلاف ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها احتج جمع من الطباعيين بالآية على ان الحادث لا يحدث الا من مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض والنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شيء في صورة واحدة من المادة لحكمة ان يتوقف الاحداث على المادة دائما قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف اي انشأها وخلق منها او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي خلقكم من نفس آدم لانه من جنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم [illegible] الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار في الحقيقة اذ لا يفهم من خلق بني آدم من نفس خلق [illegible] من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم [illegible] ذاته تعالى بالاوصاف الثلاثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق والا كان الانسب ان يقال فبث بالفاء [illegible] المراد هو ما ذكرنا وان الترتيب والتفصيل والتركيب موكول الى قضية العقل فافهم ومعنى بث فرق ونشر [illegible] الرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال اتم فكانت كثرتهم اظهر وفيه تنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج [illegible] الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفتين لئلا يلزم كونهما مبثوثين بنفسهما ثم ان هذا البث معناه حصول

على ظاهره وعند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب آدم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منها اولادا وهما ومن اولادها جمعا آخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قرأ بالنصب فللعطف على اسم الله اي واتقوا حق الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما للعطف على محل الجار والمجرور كقوله شعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار ابي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء اي والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرأ بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المنفصل من تتمة ما قبله ولا سيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة اخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالآباء وههنا حلف اولا بالله ثم قرن به الرحم فاين احدهما من الآخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم ايضا منهي لكن لا نسلم انها نهي عنها مطلقا وانما المنهي عنها ما حلف على سبيل التعظيم واما الحلف بطريق التأكيد فلا بأس به ولهذا جاء في الحديث افلح وابيه ان صدق سلمنا انها منهي عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والتساؤل وهو سؤال البعض البعض اسألك بالله وبالرحم وانشدك الله والرحم وقرئ والارحام بالرفع على انه مبتدأ وخبره محذوف اي والارحام كذلك اي انها مما يتقى ويتساءل به فان قيل لم قال اولا واتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا اما تكرار الامر فللتأكيد كقولك للرجل عجل عجل واما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلان الغرض في الاول الترغيب بذكر النعمة والاحسان والتربية وفي الثاني الترهيب ولفظ الله يدل على كمال القدرة والقهر فكأنه قيل انه ربك واحسن اليك فاتق مخالفته والا فانه شديد العقاب فاتق سخطه قال العلماء في الآية دليل على جواز المسألة بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى ما في الآية من تعظيم حق الرحم وتأكيد النهي عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال في سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الصحيحين عن عائشة رض قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش يقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ليس الواصل بالمكافي الواصل من اذا انقطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة السنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فلهذا بنى اصحاب ابي حنيفة على هذا الاصل مسئلتين احديهما ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقي الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن الاستخدام ايحاش وقطيعة رحم والثانية ان الهبة لذي الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها حذرا من الايحاش والقطيعة ثم انه ختم الآية بما يتضمن الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا مراقبا يحفظ عليكم جميع احوالكم فيجازيكم بحسبها ثم انه سبحانه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفة ومن له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى اموالهم واصل اليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم فاليتيم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه في عرف الشرع اختص بالذي لم يبلغ الحلم قال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم والمراد انه اذا احتلم لا يجري عليه احكام الصغار لانه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره فان قيل اذا كان اسم اليتيم في الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون يتيما لا يجوز دفع امواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع امواله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى اموالهم فنقول الجواب طريقان احدهما ان المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم كقوله فالقي السحرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة قبل السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ وقال صلى الله عليه وسلم تستأمر اليتيمة في نفسها ولا تستأمر الا وهي بالغة وعلى هذا يكون في الآية اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان انس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما روى مقاتل والكلبي انها نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده فيما كان مشركا الطريق الثاني ان المراد بهم الصغار اي الذين هم يتامى في الحال آتوهم بعد زوال صفة اليتم اموالهم او آتوهم من اموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاولياء والاوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج اي لا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى والاعتزال عنها حتى يبلغ بالامر الطيب وهو حفظها والتورع عنها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان يأخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الرديء قال صاحب الكشاف هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل يريد ان الباء في تبدل تدخل على المأخوذ وفي تبديل على المعطى ولما كان المأخوذ الطيب كان تبديلا ثم وجهه بانه لعله يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء ومكان سمينة من الصبي فيكون الباء في موضعه وقيل معنى الآية ان يأكل مال اليتيم سلفا مع التزام بدله بعد ذلك فيكون متبدلا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم منضمة الى اموالكم في الانفاق تسوية بين المالين في الحل انه اي الاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدل على التضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل الى ههنا بمعنى مع والفائدة في زيادة قوله الى اموالكم وكل اموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح والتوبيخ لانهم كانوا مستغنين عنها بما لهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم احرى ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم وان خفتم الا تقسطوا اقسط الرجل عدل وقسط جار قال الزجاج اصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا قسط فمعناه ظلم صاحبه في قسطه من قولهم قاسطته فقسطته اي غلبته على قسطه واذا قالوا اقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل اضعف اذا اتى بالضعف فيلزمه العدالة والتسوية واعلم ان قوله وان خفتم شرط وقوله فانكحوا جواب له ولابد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه الاول ما روي عن عروة انه قال قلت لعائشة ما معنى قول الله

وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها وجمالها الا انه يريد ان ينكحها بادنى
من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج عنها فقال تعالى وان خفتم
ان تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من العدد قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية فيهن فانزل الله ويستفتونك في النساء الآية قوله فيها وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد منه هذه الآية وهي قوله
وان خفتم ان لا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة اخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها
ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل
لهم ان خفتم الا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثاني وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك
والسدي منقولا عن ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة في اكل اموال اليتامى من الحوب الكبير خاف الاولياء الحوب فتحرجوا من ولاية
اليتامى وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج واكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى
فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى في العجز والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه
وهو مرتكب مثله فكأنه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا خائفين
من الزنا ايضا وانكحوا ما طاب لكم من النساء الرابع روي عن عكرمة كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده الايتام فاذا انفق مال
نفسه على النسوة اخذ في انفاق اموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم ان تظلموا اليتامى باكل اموالهم عند كثرة الزوجات فقد حظرت عليكم
ان تنكحوا اكثر من اربع ليزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع ايضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع والناقص وهو الواحدة
ونبه بذلك على ما بينهما فكأنه قال ان خفتم الاربع فثلاثا وان خفتم فاثنتان وان خفتم فواحدة قال الظاهريون النكاح واجب لقوله
فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بحال الخوف
فلا يلزم منه الوجوب على الاطلاق وأيضا الآية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب
لانه اراد به الجنس لانه يقول ما عندك فيقال رجل او امرأة تريد ما ذلك الشيء الذي عندك او ما ملكت الحقيقة ولان الاناث من العقلاء
تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله او ما ملكت ايمانكم ولان من وما يتعاقبان قال تعالى والسماء وما بناها فمنهم من يمشي على بطنه قال المفسرون
معنى ما طاب لكم اي ما حل لكم من النساء لان فيهن من يحرم نكاحها كما يجيء واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا امر اباحة فيؤول المعنى الى قوله
ابحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مستدرك سلمنا لكن الآية تصير مجملة لان اسباب الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الآية
واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص وانه اولى من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص
حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا والجواب عن الاول ان ذكر الشيء ضمنا ثم صريحا لا يعد تكرارا بدليل قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم
وعن الثاني ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما بقي بعدما اخرجه آية التحريم فلا اجمال اما قوله مثنى وثلاث ورباع
ولم يوجد في كلام الفصحاء الا هذه واحاد وموحد وجوزوا الى عشار ومعشر قياسا على قول الكميت شعر ولم يستريثوك حتى رميت
فوق الرجال خصالا عشارا فاتفق النحويون على ان فيها عدلا محققا وذلك ان فائدتها تقسيم امر ذي اجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم
عليه في غير العدد مكرر على الاطراد في كلام العرب تقول قرأت الكتاب جزءا جزءا وجاءني القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة فكان القياس في باب
العدد ايضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث غير مكرر لفظا حكم بان اصله لفظ مكرر
وليس الا ثلثة ثلثة فعند سيبويه منع صرف مثل هذا للعدل والوصف الاصلي فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل
ان فيه عدلا مكررا من حيث اللفظ لان اصله كان ثلثة ثلثة مرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلث او مثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف
اذ لا يدخله اللام خلافا لما في الكشاف واذا جرى على النكرة تحمل على البدل وضعف بعدم جريانه على المعارف ولوقوعه حالا فمعنى الآية
فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة فمن
قرأ بالنصب اراد فاختاروا او انكحوا او الزموا واحدة ومن قرأ بالرفع اراد فكفت واحدة او حسبكم واحدة وذروا الجمع رأسا فالامر
كله يدور مع العدل فاينما وجدتموه فعليكم به ثم قال او ما ملكت ايمانكم فسوى في السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شاء من الاماء لانهن اقل
تبعة واخف مؤنة من المهاير على المرء اكثر منهن او اقل عدل بينهن في القسم ام لم يعدل عزل عنهن ام لم يعزل ولمكان التسوية بينهما وبينهن احتج
بها الشافعي في بيان ان نوافل العبادات افضل من النكاح وذلك للاجماع على ان الاشتغال بالنوافل افضل من التسري فوجب ان يكون
افضل من النكاح لان الزائد على احد المتساويين يكون زائدا على المساوي الآخر ولمانع ان يمنع التسوية فان قول الطبيب مثلا للمريض
كل التفاح او الرمان يحتمل ان يكون للتسوية بينهما وقد يكون للمقاربة اي ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة
المقدرة ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسألتان احداهما اكثر الفقهاء
على ان نكاح الاربع مشروع للاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس
كذلك لانه لا يتمكن من النكاح الا باذن مولاه وأيضا انه قال بعد ذلك فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار
فكذا الخطاب الاول لان هذه الخطابات وردت متتابعة على نسق واحد فيبعد ان يدخل التغيير في اللاحق دون السابق وكذا قوله
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا والعبد لا يأكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد ان يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر
الآية ومن الشافعية من سلم ان ظاهر الآية يتناول العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على ان للرق اثرا في نقصان حقوق
النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب ان يحل للعبد نصف ما للحر والثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج
باي عدد اريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اطلاق في جميع الاعداد بدليل صحة استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح
مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا ينافي ثبوت الحكم في الباقي بل نقول ذكر هذا يدل على نفي الحرج والحجر مطلقا فان
من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى البستان كان تخصيصا في ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وأيضا ذكر
جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيه على حصول الاذن في جميعها وان سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جميع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف

كل

حل منها وأما السنة فلما ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع وقد امرنا باتباعه في قوله فاتبعوه وأقل مراتب الامر للاباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم
من رغب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جوابهم امران احدهما الخبر كما روي ان نوفل بن معاوية اسلم وتحته خمس نسوة فقال صلى الله عليه وسلم
امسك اربعا وفارق واحدة وزيف بان القرآن دل على عدم الحصر ونسخ القرآن بخبر الواحد غير جائز وبان الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع
او رضاع وأقول القرآن لم يدل على عدم الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وأيضا قوله امسك اربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة
دليل على ان المانع هو الزيادة على الاربع لا غيرها وكذا في نظائر هذا الحديث الثاني اجماع فقهاء الامصار وضعف بان الاجماع مع وجود
المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب ان المخالف اذا كان شاذا فلا نعتد به والقرآن لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم
نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل على وجود مبين في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ولئن سلم ان القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود
ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي ان يقال مثنى او ثلاث او رباع باو الفاصلة لانا نقول يلزم حينئذ ان لا يجوز
النكاح الا على احدى هذه الاقسام فلا يجوز لبعضهم ان يأتي بالتثنية وللفريق الثاني بالتثليث وللآخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع بين انواع
القسمة التي دلت عليه الواو وذلك ادنى ان لا تعولوا اي اختيار الواحدة او التسري اقرب من ان لا تميلوا ولا تجوروا وكلا اللفظين يروى عن
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال
وقيل معناه ان لا تفتقروا ورجل عائل اي فقير وذلك انه اذا قلت عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي ان معناه ان لا تكثر عيالكم
وطعن فيه بعض القاصرين ان هذا في اللغة معنى تعيلوا لا معنى تعولوا يقال اعال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس ان لا تعيلوا وأيضا
انه لا يناسب اول الآية وان خفتم الا تقسطوا وأيضا هب انه يقل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقل عند اختيار التسري ولا حصر لهن
والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى تفسير اللغة والمراد انه تعالى اشار الى الشيء بذكر لازمه اي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال
لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وقرر الكناية في الكشاف على وجه آخر وهو انه جعل قوله تعالى الا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم
كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم ولا شك ان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال
فالحاصل انه ذكر الملازم وهو الانفاق واراد اللازم وهو كثرة العيال والحاصل على قولنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور واراد الملزوم وهو كثرة
العيال والجواب عن الثاني ان حمل الكلام على ما لا يلزم منه تكرار اولى وبتقدير التسليم فتفسير الشافعي ايضا يؤول الى تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية
كما قررنا وعن الثالث ان الجواري اذا كثرن فله ان يكلفهن الكسب فينفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا فكانه لا عيال وأيضا اذا عجز المولى
باعهن وتخلص منهن بخلاف المهاير فان الخلاص عنهن يفتقر الى تسليم المهر وقال في الكشاف العزل عن السراري جائز بغير اذنهن فكان مظنة
قلة الولد بالاضافة الى التزوج وآتوا النساء صدقاتهن اي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج
لان ما قبله خطاب للناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيئا ولذلك كانوا يقولون
لمن ولدت له ابنة هنيئا لك النافجة يعنون انك تأخذ مهرها ابلا فتضمها الى ابلك فتنفج مالك اي تعظمه وقال ابن الاعرابي النافجة ما يأخذه
الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله تعالى عن ذلك وامر بدفع الحق الى اهله وهذا قول الكلبي وابي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال
القفال يحتمل ان يكون المراد من الايتاء المناولة فيكون قد امروا بدفع المهور التي قد سموها لهن ويحتمل ان يراد الالتزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد
اي حتى يضمنوها ويلتزموا فيكون المعنى ان الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمي ذلك او لم يسم الا ما خص به الرسول صلى الله عليه وسلم
من الموهوبة قال ويجوز ان يراد الوجهان جميعا اما قوله نحلة فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد اي شريعة وديانة فيكون مفعولا له
او حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي اي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء او
على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يؤخذ بالمطالبة لا يسمى نحلة او من الصدقات
اي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيئا لان البضع في ملك المرأة بعد النكاح كهو
قبله وانما الذي يستحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل منافع النكاح من قضاء الشهوة
والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان يؤتي الزوجة المهر فكان ذلك عطية من الله ابتداء ثم لما امرهم بايتاء الصدقات اباح لهم جواز
قبول ابرائها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلبس ان النفس لهن لا نفس الغير ولو جمعت لجاز والضمير في منه للصداق [illegible]
اي قوله طبن وبناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون ان يقول سخون او وهبن وفي قوله عن شيء منه دون ان يقول عنه تنبيه على ان قبول الكثير
انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعث لهن على تقليل الموهوب ولهذا [illegible]
ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا لبعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة
منها او اكثر ومن هذا التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض اخراجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور لا لانه لا يجوز هبة كل الصداق
اذا طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا
مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ
في مجراه ومنه يقال المريء لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل اصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب
وبالجملة فهو عبارة عن التحليل والمبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه
وهو هنيء مريء وقد يوقف على قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء او على انهما قاما مقام مصدريهما اي هنأ مرأ والمراد ان
التصرف شامل للعين والدين قال بعض العلماء ان وهبت ثم طلبت علم انها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء
يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية
فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما امر بايتاء اليتامى
اموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم خفاف الاحلام وان بلغوا اوان التكليف فقال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اكثر العلماء
على ان هذا الخطاب للاولياء فورد ان الانسب ان لو قيل اموالهم والجواب بانه انما حسنت اضافة الاموال الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية
مجرى الوحدة الشخصية كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضا فعلى انفسكم

لان الكل من نوع واحد فكذا ههنا المال شيء ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية حسنت اضافة اموال السفهاء الى اوليائهم ويحتمل ان يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة ادنى سبب وقيل خطاب للاباء نهاهم الله تعالى اذا كان اولادهم سفهاء ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم فعلى هذا تكون اضافة الاموال اليهم حقيقة والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا اقترب اجله يجب عليه ان يوصي بماله الى امين يحفظه على ورثته وقد يرجح القول الاول بان ظاهر النهي للتحريم واجمعت الامة على انه لا يحرم عليه ان يهب من اولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله واجمعوا على انه يحرم للولي ان يدفع الى السفهاء اموالهم وايضا قوله وارزقوهم فيها الاية وهذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا الاباء واقول لا يبعد حمل الاية على القولين لان الاضافة في اموالكم لمجرد الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية او اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء ازواجا كن او امهات او بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة اطاعت قيمها وقد يجمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم الاولاد الخفاف العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله والصحيح ان المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يفي بحفظ المال ولا يهتدي الى اصلاحه وتثميره والتصرف فيه ويدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند اهل الدين واهل العلم بمصالح الدارين وتضييع المال فيما لا ينبغي ولبعده ومعنى جعل الله لكم قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به فسماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قيما فعلى حذف الالف بمعنى قياما كما جاء عوذا عياذا بمعنى قام واصله قوام قلبت الواو ياء لاعلال فعله فان لم يكن مصدرا فهو كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا قال هي وان ادنتني منها فقد صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على اهله وفيه الفقر مخذلة والغنى مجذلة والبؤس مرذلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال ابو العتاهية شعر

اجلك قوم حين صرت الى الغنى ... وكل غني في العيون جليل
اذا مالت الدنيا على المرء رغبت ... اليه ومال الناس حيث يميل
وليس الغنى الا غنى زين الفتى ... عشية يقري او غداة ينيل

وقد اختلف اقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا قول من غلب عليه حب السلامة وقال الباقون خير الامور اوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين شعر

ومن كلفته النفس فوق كفافها ... فما ينقضي حتى الممات عناؤه

والحاصل ان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال فبذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظ المال ههنا وفي اية المداينة حيث امر بالكتابة والشهادة والرهان المقبوضة فمن اراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن ارادها لعينها فيالها من حسرة وندامة ثم انه تعالى امر بعد ذلك بثلثة اشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها وانما لم يقل منها لئلا يكون امرا بجعل بعض اموالهم رزقا لهم فيأكلها بالانفاق بل امر بان يجعلوها مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من اصول الاموال ومنابعها واكسوهم كل من الرزق والكسوة بحسب المصلحة وكالبين بحال امثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل ان يقول اذا ربحت في سفري هذا فعلت بك ما انت اهله وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلاة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته منه لقبحه فهو منكر ثم بين ان السفهاء متى يؤتون اموالهم فشرط في ذلك شرطين احدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يبلغ للنكاح عنده ويطلب ما هو المقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام بخروج المني ويدخل تحت امكانه باستكمال تسع سنين فمن لم يحتلم حتى بلغ خمس عشرة سنة تامة فهو بالغ عند الشافعي وثماني عشرة عند ابي حنيفة وهذان يشتركان بين الغلام والجارية وللجارية امارتان اخريان الحيض والحبل ولطفل الكفار امارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة واما الايناس فهو في اللغة الابصار والمراد في الاية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن هنا قال ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المأمور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا اذن له في البيع والشرى وقال الشافعي ليس الابتلاء قبل البلوغ الا ليحصل الاذن في التصرف لان الاذن يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه الموقوف على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله حسب ما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع والشرى بحضوره ثم باستكشاف ذلك البيع او الشرى منه وما فيهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيئا ليبيع او يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي بعد ذلك يتم العقد وولد الزراع يختبر في امر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف بما يتعلق بحرفته والمرأة في امر القطن والغزل وحفظ الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفارة وما اشبهها ولا يكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين واكثر على ما يليق بالحال ويفيد غلبة الظن انه رشيد ولو لم يحصل بحاله الرشد من جميع الوجوه وعلى الكل ما امكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه لا بد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق بصلاح المال لا يقدر الغير على خديعته ثم ان ابا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء لمصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله الرشد عن فرعون في قوله وما امر فرعون برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وابو حنيفة رضي الله عنه لا

ثم انه اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه المال بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند اصحاب ابي حنيفة وعند الشافعي لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الاية وعند ابي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس ثم قال ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مصدران في موضع الحال اي مسرفين ومبادرين كبرهم او مفعول لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير ضد القصد والاقتصاد والامساك والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا اي اسن وكبر بالضم يكبر كبرا وكبارة اي عظم نهاهم عن الافراط في الانفاق كما يشتهون قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه وليتركه وفي السين زيادة ومبالغة كانه طلب مزيد العفة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وللعلماء خلاف في ان الوصي هل له ان ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له ان يأخذ قدر ما يحتاج اليه وبقدر اجرة عمله لان النهي في الاية عن الاسراف مشعر بان له ان يأكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروي ان عمر بن الخطاب كتب الى عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فاني قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الا واني قد انزلت نفسي واياكم من مال الله منزلة والي اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وايضا قياسا على الساعي في اخذ الصدقات وجمعها فانه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا ههنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية ان له ان يأخذ بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا ايسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه واكثر العلماء على ان هذا الاقتراض انما جاء في اصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول من البان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال وقال ابو بكر الرازي الذي نعرفه من مذهب اصحابنا انه لا يأخذ على سبيل القرض ولا على سبيل الابتداء سواء كان غنيا او فقيرا واحتج بقوله وآتوا اليتامى اموالهم واجيب بانها عامة وقوله فليأكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما واجيب بان محل النزاع هو ان اكل الوصي مال اليتيم ظلم او لا قال وان تقوموا لليتامى بالقسط وهو ايضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على ان الوصي اذا دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط ان يشهد عليه لظهور الامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي هو لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وظاهر الامر للوجوب ولانه امين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي ولا كمال الشفقة كالاب نعم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتنفير الناس عن قبول الوصاية وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا كالشريب بمعنى الشارب وفيه تهديد للولي واليتيم ان يتعاديا او يتكاذبا والباء في بالله زائدة نظرا الى اصل المعنى وهو كفى الله حسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم انه سبحانه شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس ان اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها ام كحة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا نعطي الا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك علي بنات وانا امرأته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته من المال شيئا فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفا حتى انظر ما يحدث الله لي فيهن فانصرفا فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الاية فبعث الله تعالى اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا فلم يبين حتى يبين الله فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وسبب الاجمال في الاية ثم التفصيل فيما بعد هو ان الفطام عن المألوف شديد والتدريج في الامور دأب الحكيم وكذا قد نزل الاحكام والتكاليف شيئا بعد شيء الى ان كملت الشريعة الحقة وتم الدين الحنيفي مما قل منه او كثر بدل من ما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بتقدير اعني نصيبا مقطوعا مقدرا لا بد لهم ان يحوزوه او على المصدر المؤكد كانه قيل قسمة مفروضة احتج بعض اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال واولاد البنات لانهم من الاقربين غاية ما في الباب ان مقدار انصبائهم غير مذكور ههنا الا انا نثبت بالاية استحقاقهم لاصل النصيب ونستفيد المقادير من سائر الدلائل واجيب بانه تعالى قال نصيبا مفروضا وبالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر وايضا الواجب عندهم ما ثبت ثبوته بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا انه غير مراد من الاية وايضا ليس المراد بالاقربين من له قرابة ما وان كانت بعيدة والا دخل جميع اولاد آدم فيه فالمراد اذن اقرب الناس الى الوارث وما ذاك الا الوالدان والاولاد ودخول الوالدين في الاقربين كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار والله تعالى اعلم قال المفسرون انه تعالى لما ذكر في الاية ان للنساء اسوة بالرجال في ان لهن حظا من الميراث وعلم ان في الاقارب من يرث فيهم ومن لا يرث وربما حضروا القسمة فالحين حرمانهم قال واذا حضر القسمة اولوا القربى الاية ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من باستحبابه وعلى الوجوب نص سعيد بن المسيب والضحاك انها منسوخة باية المواريث وعن ابي موسى الاشعري وابراهيم النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها مما تهاون الناس قال الحسن ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى والمساكين من الورق والذهب فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم ارجعوا بورك فيكم وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا ان هذا الرضخ مستحب اذا كانت الورثة كبارا اما اذا كانوا صغارا فليس الا القول المعروف كان يقول الولي اني لا املك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وان يكبروا فسيعرفون حقكم والضمير في منه اما ان يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله الموصي ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل اولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون وقوله وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة صلة وهي لو مع ما في حيزه صلة الذين والمعنى ليخش الذين من صفتهم وحالهم انهم لو تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم واما المخشي فغير منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوا ضعافا وارادوا

بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون على اولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد اي الصواب المقصود هو ان لا يؤذوا اليتامى بان يكلموهم كما يكلمون اولادهم بالقول الجميل ويدعوهم بيا بني ويا ولدي وهذا القول اليق بما تقدم وتأخر من الآيات الواردة في باب الايتام نبههم الله تعالى على حال انفسهم وذريتهم اذا تصوروها لئلا يكون ذلك احد ما يدعوهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القائل شعر لقد زاد الحياة الي حبا بناتي انهن من الضعاف · احاذر ان يرين البؤس بعدي · وان يشربن رنقا بعد صاف · وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك ولا يزالون يأمرونه بالوصية للاجانب الى ان يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض خوفهم على اولاد انفسهم لو كانوا على هذا فتكون الآية نهيا للحاضرين عن الترغيب في الوصية والقول السديد ان يقولوا للمريض لا تسرف في الوصية فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز ان يتصل الاية بما قبلها فيكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن ثابت سألت مقسما عن الآية فقال هو الذي يحضره الموت ويريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وامسك على ولدك مالك مع ان ذلك الانسان يحب ان يوصي له وعلى هذا يكون نهيا عن الوصية ولا يباعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم اكد الوعيد في باب اهمال مال اليتيم فقال ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اي ظالمين او على وجه الظلم السوء وقضائه لا بالمعروف انما يأكلون في بطونهم نارا اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار فكأنه نار في الحقيقة وقال السدي يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة اسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم فقال جبريل عم هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو من صلي فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق ومن قرأ بالضم فمعناه القاء في النار لاجل الاحراق من الاصلاء وقد يشدد من التصلية والمعنى واحد والسعير النار وسعرت النار والحرب هيجتها والهبتها فهي سعير اي مسعورة والتنكير للتعظيم اي نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا خالقها قالت المعتزلة لا يجوز ان يدخل تحت هذا الوعيد اكل اليسير من المال لا بد ان يكون مقدار خمسة دراهم لانه القدر الذي وقع عليه الوعيد في اية الكنز في منع الزكوة ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم الحكم خالفتم هذا العموم من وجهين من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا ان نزيد فيه شرط عدم العفو وههنا نكتة وهي انه اوعد مانع الزكوة بالكي واكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار ولا شك ان هذا الوعيد اشد والسبب فيه ان الفقير غير مالك بجزء من النصاب حتى يملكه المالك واليتيم مالك لماله فكان منع اليتيم اشنع وايضا الفقير يقدر على الاكتساب من وجه آخر وعلى السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه اظهر وهذا من كمال عناية الله تعالى بالضعفاء فنرجو ان يرحم ذلتنا وضعفنا بعزته وقوته

التأويل ذكر الناسين به وخلقهم بالاشباح والارواح فخلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد عم قال اول ما خلق الله روحي فهو ابو الارواح وخلق من الزوج زوجه وهو النفس خلقها من ادنى شعاع من اشعة انوار روح محمد صلى الله عليه وسلم وبث منهما رجالا كثيرا ارواحا كاملين ونساء ارواحا ناقصات واتقوا الله الذي تساءلون به اي اتقوه ان تسألوا به غيره والارحام ولا تقطعوا رحم رحمتي بصلة غيري وآتوا اليتامى اموالهم تزكية عن آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروة وعلو الهمة والعاقبة ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن آفة الخيانة والخديعة وتحلية بالامانة وسلامة الصدر ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع هذه الرذائل كان حوبا كبيرا حجابا عظيما فانكحوا ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفة ذلك ادنى ان لا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم وآتوا النساء صدقاتهن تزكية عن البخل والغدر وتحلية بالوفاء والكرم فكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارات الى تربية يتامى القلوب والنفوس بايتاء حقوق تزكيتهم عن هذه الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادي الصالحون وارزقوهم فيها قدر ما يسد الجوع واكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كلوا من رزق الله فادوا شكر نعمته بامتثال اوامره ونواهيه واذيبوا طعامكم بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم اذيبوا طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى اي قلوب السائرين بادنى توسع في المعيشة بعد ان كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان آنستم منهم رشدا ان يستمدوا بذلك التوسع على السير ويزدادوا في اجتهادهم وجدهم في الطلب كما قال الجنيد عن الشيخ الزنجي وكده فادفعوا اليهم اموالهم فالعبد في هذا المقام يكون جائز التصرف في ممالك سيده كالعبد المأذون ولهذا قال ههنا اموالهم ولا تأكلوها اسرافا اي فان انتم يا اولياء الطريقة من المريدين البالغين رشد التصرف في اصحاب الارادة فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخوخة ولا تعجلوا الشيخوخة فانه لكم عزة وغبطة عليهم ان يكبروا بالشيخوخة بالتصدي نوبة الولاية سيتطيرا بالعناية فليستعفف عن الاكل بتحبيتهم ومن كان فقيرا مستفتقرا الى ولاية المريد فليأكل بالمعروف فلينتفع باعانته وليجز له الشيخوخة مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم اموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخة فاشهدوا عليهم الله ورسوله وارواح المشايخ واوصوهم برعاية حقوقها مع الخلق ثم اخبر عن نصيب كل نسيب فقال للرجال وهم الاقوياء من الطلبة وللنساء وهم الضعفاء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله وتركتهم بركتهم وانوارهم نصيبا مفروضا على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة اي في محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم اولو القربى المنتمون اليهم والمقتبسون من انوارهم والمقتفون لآثارهم فارزقوهم من مواهب بركاتكم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتقرير هوان الدنيا عند الله وعزة اهل الله في الدارين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين او المبتدئين خافوا عليهم آفات المفارقة بسفر او موت فليتقوا الله اي يوصوهم بالتقوى وان يقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى ومداومة الذكر خطوتان يوصلان العبد الى الله ان الذين يأكلون يتتبعون اطفال الطريقة بعدم التربية ورعاية وضايعوا النصيحة انما يأكلون في بطونهم نارا الحسرة والغرامة يوم لا تنفع الندامة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء

فوق

فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا

لهم عذابا اليما ۝ يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة
مبينة وعاشروهن بالمعروف ۝ فان كرهتموهن فعسى ان
تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ۝ وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا
اتأخذونه بهتانا واثما مبينا ۝ وكيف تأخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ۝ ولا تنكحوا
ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ۝ انه كان فاحشة و
مقتا وساء سبيلا ۝ صدق الله العظيم

القراءة واحدة بالرفع ابو جعفر ونافع الباقون بالنصب فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة وعلي الباقون بالضم يوصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل وافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية الباقون مبنيا للفاعل ندخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وابو جعفر الباقون بالياء وكذلك في سورة الفتح والتغابن والطلاق واللذان بتشديد النون ابن كثير وكذلك قوله هذان وهاتين وارنا اللذين واشباه ذلك واما قوله فذانك فابن كثير وابو عمرو ويعقوب سهل مخير الباقون بالتخفيف كرها بالضم وكذلك في التوبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير وابو بكر وحماد وقرأ ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب مبينة بالكسر مبينات بالفتح الباقون كلها بالكسر الوقوف الانثيين ج ما ترك ج فلها النصف ط لانها وحكم الاولاد ان كان له ولد ج فلامه الثلث ج او دين ط وابناؤكم ج لتقدير هم آباؤكم ولاحتمال كون آباؤكم مبتدأ وخبره لا تدرون نفعا ج من الله ط حكيما ه لم يكن لهن ولد ج دين ج ط لم يكن لكم ولد ج دين ج ط منهما السدس ج دين لا لان غير حال عامله يوصى مضار ج لاحتمال النصب وصية به كما يجيء من الله ط حليم ه ط لان تلك مبتدأ حدود الله ط خالدين فيها ط لان ما بعده اخبار مقرر للجزاء العظيم ه خالدا فيها ص لان ما بعده من تتمة الجزاء مهين ه اربعة منكم ج لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا ه فآذوهما ج عنهما ط رحيما ه عليهم ط ج حكيما ه السيئات ج لان حتى اذا يصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت ويصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار ط النساء كرها ط للعدول عن الاخبار الى النهي مبينة ج للعارض بين المتعاطفين بالمعروف ج كثيرا ه شيئا ط مبينا ه غليظا ه سلف ط و مقتا ط سبيلا ه التفسير انه سبحانه لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا ولم يكن ذلك الا ببيان جملة احكام الميراث او نقول اجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويأمركم في اولادكم في شان ميراثهم واعلم ان اهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين النسب والعهد اما النسب فكانوا يورثون الكبار ولا يورثون الصغار ولا الاناث كما مر مع زيادة شيئين آخرين واما العهد فالحلف والتبني كما يجيء في تفسير قوله والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم وكان التوريث بالعهد مقررا في اول الاسلام مع زيادة سببين آخرين الاول الهجرة وكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان اجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان من اقاربه الثاني المواخاة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواخي بين اثنين منهما فيكون سببا للتوارث والذي تقرر الامر عليه في الاسلام ان اسباب التوريث ثلثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء ان المعتق يرث بالعصوبة من المعتق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث بنت حمزة من مولى لها ووراء هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة كما يعقلون عنه الدية قال صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وعن ابي حنيفة واحمد انه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة لا ارثا لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال الضائع الذي لا يرجى ظهور مالكه واعلم انه سبحانه بدأ بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده اشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع مع ابوي الميت اما حال الانفراد فثلث ذكور واناث معا واناث فقط او ذكور فقط القسم الاول فبيانها قوله للذكر مثل حظ الانثيين اي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه احكام ثلثة الاول خلف ذكرا واحدا وانثى واحدة فله سهمان ولها واحد الثاني خلف ذكورا واناثا لكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم الثالث خلف مع الاولاد جمعا آخرين كالزوجين فهم يأخذون سهامهم والباقي من الاولاد للذكر مثل نصيب انثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما ضوعف حظه لذلك ولان الابتداء بما ينبئ عن فضل احد ادخل في الادب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكأنه قيل لهم كفى الذكور ان ضوعف لهم النصيب فليقطعوا الطمع عن الزيادة واما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب النساء من المال اقل من نصيب الرجال فلنقصان عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث ولان احتياجهن الى المال اقل لان ازواجهن ينفقون عليهن او لكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة فجورهن كما قيل شعر ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة فكيف حال المرأة وغرائزها

عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما ان حواء اخذت حفنة من الحنطة واكلت واخذت حفنة اخرى وخبأتها ثم اخذت حفنة اخرى ودفعتها الى آدم عليه السلام فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل [illegible] فالبنتان اولى وبهذا قياس جلي ومما يؤيده انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين وقيل لفظ فوق وهو صفة نساء او خبر بعد خبر للتأكيد او ليخرج اقل الجمع وهو اثنان زائد كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتأخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس او قالت سعد بن الربيع قتل معك يوم احد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي الله في ذلك فنزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعمهما اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فلك واما الحالة الثالثة وهو اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الآية لانه لما علم منه ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا اكثر من واحد لم يكن حرمان بعضهم ولا ترجيح بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وايضا قال صلى الله عليه وسلم ما ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص ساكت عن ولد الولد فقيل اسم يقع على ولد الابن ايضا لقوله تعالى يا بني آدم يا بني اسرائيل وقيل قيس ولد الولد على الولد لما انه كولد الصلب في الارث والتعصيب ولكنه لا يستحق شيئا مع اولاد الصلب على الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب ربما او لا يأخذ ولد الصلب كل الميراث فحينئذ يأخذ الباقي واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل الملتين والمرتد ماله في لبيت المال سواء اكتسب في الاسلام او في الردة وعند ابي حنيفة يرثه اقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء عليهم السلام لا يورثون خلافا للشيعة وروي ان فاطمة رض لما طلبت الميراث احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب وبقوله وورث سليمان داود والاصل في التوريث المال ووراثة العلم والدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في اولادكم وقال المحتاج في هذه المسئلة ما كان الا علي وفاطمة والعباس وهؤلاء كانوا من اكابر الزهاد والعلماء في الدين واما ابو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله انه يرث الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم ان يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها اشد الحاجة وايضا يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث ولعل فائدة تخصيص الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق بشيء يجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم اجابوا بان فاطمة رضي الله عنها رضيت بقول ابي بكر بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه ابو بكر رض والله اعلم جميع ما ذكرنا انما هو في حالة انفراد الاولاد اما حالة اجتماعهم بالابوين فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في ابويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرار العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لاوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما بالسوية او بالتفاوت ولو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدأ وخبره لابويه وقد توسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلاث احوال الاول ان يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر وعلى الانثى فهنا ثلثة اوجه الاول ان يحصل معهما ولد ذكر واحد او اكثر فالحكم كما ذكر الثاني ان يحصل معهما بنتان او اكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية الثالث ان يكون معهما بنت واحدة فهنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الآية والباقي للاب بحكم التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد وفضلهما عليه مما لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الاولاد اكثر ونصيب الوالدين اقل فالجواب والله اعلم ان الوالدين ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا اما الاولاد فهم في زمان الصبى فاحتياجهم الى المال اكثر وايضا كانهما قالا بلسان الحال للاطفال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وايضا ولد الولد ولده وترفيه حال الولد اهم عند الوالدين من ترفيه حالهما الحالة الثانية ان لا يكون معهما احد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله فان لم يكن له ولد وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفريضة والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قيد فرضية الثلث للام بان يكون الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين فكيف يكون للزوجين فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه او الى الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج او الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب ليكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكر والانثى فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا

عاد شي منه فيستحقا ما بقي الباقي بينهما على قدر الاستحقاق الاول وايضا الزوج انما ياخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية
في قسمة الباقي وعن ابن سيرين انه وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث
والنصف السدس اكثر مما للام وخالفه في الزوج والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث بقي للاب السدس فيكون للانثى
مثل حظ الذكرين وهذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين الحالة الثالثة ان يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان
كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان واحدا من الاخوة او الاخوات لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على ان الثلاثة
منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى اثبات الحجب بهما كما في الثلاثة بناء على ان الاثنين جمع لوجود معنى الاجتماع الحجب
في التثنية فما فوقها فصح ان يتناول الاخوة الاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب البنتين الثلثين مثل نصيب البنات
وكذلك الاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين الاعرابي في الفتوحات انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسأله
عن خلاف الائمة في ان اقل الجمع اثنان او ثلثة فعلمه ان اقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلثة وقال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما
جماعة وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا استطيع رد شي كان
قبلي ومضى في البلدان فاشار الى اجماعهم قبل ان اظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين او الثلثة اذا حجبوا الام عن الثلث الى
السدس يكون لهم حتى يبقى للاب الثلثان او لا يكون لهم شي من الميراث ويكون حصة الاسداس للاب ذهب ابن عباس الى الاول وذهب
الجمهور الى الثاني اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر الا بالحجب فوجب ان يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين
ثم ان هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء من بعد وصية يوصي بها او دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق اذ لم يبق
او كان كمنه فنفى وفضل بعده شي فان اوصى الميت بوصية اخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله عن علي بن ابي طالب
انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وان الرسول صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقديم في الذكر لان كلمة او لا تفيد
الترتيب البتة وانما استفيد الترتيب من السنة وعكس الترتيب في اللفظ وفائدة هذا العكس ان الوصية تشبه الميراث في كونها ماخوذة من غير عوض
فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوس الورثة مطمئنة الى ادائه فكان في تقديمها ترغيب لهم في ادائها ولهذا جي بكلمة او
للدلالة على التسوية بينهما في الوجوب ولان كلمة او يحصل فيه الامران لمجي او الفاصلة ليدل على انه ان كان احدهما فالميراث بعده وكذلك
ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة ان سهام اهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة انه متى هلك من المال
شي دخل النقصان في انصباء اصحاب الوصية كما في الورث بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا قال ابو البقاء ايهم مبتدأ واقرب خبره والجملة في موضع نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لانها من افعال القلوب
واقول من الجائز ان لا يكون من افعال القلوب بل يكون بمعنى المعرفة وكان ايهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة نحو لننزعن من كل شيعة ايهم
اشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض ان يناسب ما اعترض بينه
ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية اي لا تدرون من انفع لكم من اباءكم وابناءكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى
ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب
الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد
الابعد الاقصى وثواب الاخرى وان كان اجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل عن ابن عباس ان الابن ان كان ارفع درجة
من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم
اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف ان انتفاعه في الجنة بهذا الاكرام بذلك وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي الى كمية اقرب
تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم الاموال في غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة
الانفاق والذب عنه فلا يدري ان الابن يحتاج الى ان ينفق عليه الاب او الاب سيفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز ان يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالعكس
والقول هو الاول فريضة من الله نصب على انها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد اي فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما
بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيما لا يأمر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان ههنا منخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى
منزه عن الدخول تحت الزمان ولكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كان كذلك
اي لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا واعلم ان الوارث اما ان يكون متصلا بالميت بغير واسطة او بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما ان يكون
هو النسب او الزوجية فهذه ثلثة اقسام القسم الاول رابطة التوالد الفروع والاصول وهو اشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة
وغاية الالفة والشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا اردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك
ازواجكم الى قوله توصون بها او دين ثم بين احوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وان كان رجل يورث كلالة فما احسن هذا النسق وما اجمل في الموجب
النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذلك جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وقد نبه في الآية على فضل الرجال حيث
ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني مرات وذكرهن على الغيبة اقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن ولا فرق في الوالدين بين الذكر والانثى و
لا بين الابن وبين ابن الابن ولا بين البنت وبين بنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لا يرث وههنا مسئلة قال الشافعي يجوز للزوج غسل
زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم وقال ابو حنيفة لا يجوز لانها ليست بزوجة ولو كانت زوجة لحل له
وطؤها لقوله الا على ازواجهم واجيب بانه لو لم تكن زوجة لكان قوله ما ترك ازواجكم مجازا ولو كانت زوجة مع انه لا يحل له وطؤها لزم التخصيص
واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص اولى كما بين في اصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطي كزمان الحيض
والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلوة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن الوطي بالشبهة وايضا حل الوطي ثابت
على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شي من تلك المصالح فعاد الى اصل الحرمة اما حل الغسل ففيه مصالح توجب القول ببقائه
واختلفوا في تفسير الكلالة فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله تعالى وان كان
خطا فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية اخرى

التوقف وكان يقول ثلاثة لان يكون بينهن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة والربوا وقيل الكلالة القرابة
من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة [illegible] قال الفرزدق شعر ورثتم قناة الملك لا عن كلالة
عن ابني مناف عبد شمس وهاشم [illegible] ان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء
قال الاعشى شعر فآليت لا ارثي لها من كلالة [illegible] ثم استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد [illegible]
[illegible] الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالرأس بخلاف قرابة الولادة فانها
تذهب على الاستقامة كما قال شعر نسب تتابع كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب وايضا فانه تعالى قال في آخر السورة قل الله يفتيكم
في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت [illegible] والجواب انه تعالى حكم في هذه الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون
الميت كلالة [illegible] حال وجود الابوين [illegible] وايضا فانه تعالى
ذكر الولد والوالدين في الآيات المتقدمة ثم اتبعها ذكر الكلالة فهذا الترتيب يقتضي ان يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
المفعول من ورث [illegible]
امرأة ثم قال وله اخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد وجاز
اليهما ايضا تقول من كان له اخ او اخت فليصله او فليصلها والتذكير للترجيح بالشرف معارض بان التانيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز ايضا
ولعل التوحيد والتذكير في الآية اولى اما لان الرجال في الاحكام اصل والنساء تبع لهم واما بتاويل احد المذكورين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان
المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت من الام ويدل عليه انه قرأ ابي وسعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من الام فلكل
واحد منهما اي من الاخ والاخت السدس من غير مفاضلة الذكر على الانثى هذا على الاحتمال الاول وهو ان الرجل مورث منه واما على الاحتمال
الثاني وهو ان الرجل وارث فالضمير عائد الى الرجل والى واحد من اخيه او اخته والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له ولواحد من الاخ او الاخت
على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فبين ان نصيبهم كيف ما كانوا لا يزاد على الثلث
وقد ثبت الاجماع الى هذا بيانه انه قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة واثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا اثبت للاخوة و
الاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع فيعلم ان المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الآية
فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم الاخياف وهناك الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان او من الاب وهم اولاد العلات
فالكلالة وان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا انها في الآية خاصة كما ترى غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ
يوصي بنى المفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور اي يوصي اذ علم ان ثمة موصيا والضمير فيه وهو ذو الحال يعود الى الرجل على تقدير انه
المورث او الى الميت الدال عليه سياق الكلام اي ان كان الرجل وارثا ومضار الورثة بان يوصي بما يزيد من الثلث او بالثلث فما دونه ونيته
مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا وجه الله او يقر بان الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه او يبيع شيئا بثمن بخس
او يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان ان ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته
بحسب ذلك فان كان المال قليلا وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس اوصى على قانون العدالة وقد روى عكرمة عن ابن عباس
ان الاضرار في الوصية من الكبائر ويروى مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين
سنة فاذا اوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله
فيدخل الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله نصب على المصدر المؤكد او على انه مفعول مضار
اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد ان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية والله عليم بمن جار
في وصيته او عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد ثم اكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود الله وهو اشارة
الى جميع ما ذكر في السورة من احكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف ان يتجاوزها ويتخطاها الى ما ليس بحق
وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في هذه التكاليف وغيرها كما ان الوالد يقبل على ولده ويؤدبه في امر مخصوص ثم يقول احذر مخالفتي ويكون
مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور واما قيل يدخله جنات خالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال ولا يجوز ان يكونا
صفتين لجنات ونارا لانهما جريا على غير من هما له فكان يلزم حينئذ ان يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها قالت المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد
الفساق وخلودهم وذلك ان التعدي في جميع حدود الله محال لان من حدوده ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية والتعدي فيها هو الاتيان بها
جميعا وذلك محال فاذن المراد التعدي في اي حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدي في هذه الحدود واجيب
بانا لا نسلم ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاي مانع لنا من ان نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبان الآية لعلها مخصوصة بالكافر
لان جميع المعاصي يصح استثناؤها من هذا اللفظ اي ومن يعص الله في كذا وفي كذا وذلك لا يتحقق الا في حق الكافر نعم يخرج منه المخصص
دليل عقلي كما ذكرتم من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الآية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا
للمعاصي فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده هو ايضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم ان المراد هو التعدي في حدود المواريث فلعل
المراد من التعدي فيها هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر والله اعلم بمراده قوله سبحانه واللاتي يأتين الفاحشة الآية وجه النظم

ان التغليظ عليهن في باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المامور به في الآيات المتقدمة وقيل ان مدار الشرع على العدل والانصاف
والاحتراز في كل باب من طرفي التفريط والافراط فلا ينبغي ان يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتي جمع التي وفيه لغات
اللائي بالهمز واللواتي واللواي فكانها جمعا الجمع وقد تحذف الياء من الاربعة وقد تسهل همزة اللائي بين الهمزة والياء لكونها مكسورة كقراءة
ورش واللاي يئسن من المحيض وقد يقال اللاي بياء ساكنة بعد الالف من غير همزة وقد يقال اللوا بحذف التاء والياء معا وقد يقال اللاءات
كاللاعات قال ابن الانباري العرب يقول في الجمع من غير الحيوان التي ومن الحيوان اللاتي كقوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال في هذه الآية
واللاتي لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب
من يلغي هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعافية واجمعوا على انها الزنا ههنا قال المحققون خص هذا العمل بالفاحشة لان
القوى البدنية ثلاثة نطقية وغضبية وشهوية وفساد الاولى الكفر والبدعة وامثالها وفساد الثانية القتل ونحوه وفساد الثالثة الزنا واللواطة و
السحق وما اشبهها وهذه اخس الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم او من الحرائر او من نسائكم المؤمنات والثيبات اولا فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم احتياطا لامر الزنا والمراد بقوله منكم اي رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده ان
لا تقبل شهادة النساء في الحدود فان شهدوا وصفوا مفسرا كقولهم رأيناه ادخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة او كالرشا في البئر ولا بد مع
ذلك من الوصف بالتحريم لا بمعنى عرضي كالحيض ولا مع تحليل خالم كالمتعة ولا الشبهة فامسكوهن في البيوت خلدوهن محبوسات في بيوتكم حتى
يتوفاهن الموت اي ملائكة الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح او بالحد واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية
او اللائط والملوط فآذوهما فوبخوهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله اما كان في النكاح مندوحة عن هذه فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا
عنهما فاقطعوا التوبيخ والذم او خوطب الشهود الذين عثروا على سترهما ان يهددوهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا
عن العرض على الامام واعلم ان للعلماء اقوالا في الآيتين فعن الحسن ان الثانية متقدمة في النزول امروا بايذاء الزانيين اولا ثم امروا بامساك النساء
في البيوت الى ان يتبين احوالهن وقال السدي المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء وبالآية الاولى الثيب وعن ابي مسلم ان الآية الاولى في السحاقات
وحدها الحبس الى الموت او ان يجعل الله لهن سبيلا والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم
اي من رجالكم كما في قوله اربعة منكم واما الزنا بين الرجل والمرأة فذلك في سورة النور وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ
شيء من الآيات ولا تكرار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول ابي مسلم بانه قول لم يقل به احد وبان الصحابة اختلفوا في احكام
اللواطة ولم يتمسك احد منهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا الحكم دليل على ان الآية ليست في اللواطة
واجاب ابو مسلم بانه قول مجاهد وهو من اكابر المفسرين على انه بين في الاصول ان استنباط تأويل جديد جائز وايضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد
اللوطي وكميته وليس في الآية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح للحد وجمهور المفسرين على ان الآيتين في الزناة وانهما
منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه
فانزل عليه ذات يوم ولقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر مائة جلدة ونفي سنة والثيب بالثيب
جلد مائة والرجم ثم استقر الامر اخيرا على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد وعن
ابي حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلائل الرجم وقال في الكشاف من الجائز ان لا تكون
الآية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى
عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ ابو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث
وذلك ان الآية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال
صلى الله عليه وسلم خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا وصار ايضا مخصصا لعموم
آية الجلد والله اعلم ثم اخبر عن المستحقين لعدم القبول فقال انما التوبة على الله واجبة في وجوب الوعد والكرم لا وجوب الاستحقاق بترك اللازم
للذين يعملون السوء بجهالة قال اكثر المفسرين كل من عصى الله فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى عليه السلام اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لانه
حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكانه لا علم له وبهذا التفسير تكون المعصية مع العلم بانها معصية جهالة وقيل
المراد انه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد ان يكون جاهلا بكونها معصية لكنه يكون متمكنا من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا اجمعنا
على ان اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وان كان لا يعلم كون اليهودية معصية لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا
ومعصية وان النائم والساهي لا يستحق العقاب لانه اتى بالقبيح غير متمكن من العلم بكونه قبيحا اما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الآية
وانما يعرف حاله بطريق القياس وانه لما كانت التوبة على هذا الجاهل واجبة فلان يكون واجبة على العامد اولى لانه عالم بقبح تلك المعصية اما
قوله ثم يتوبون من قريب فقد اجمعوا على ان المراد من هذا القرب حضور زمان الموت ونزول سلطانه ومعاينة اهواله وانما كان ذلك الزمان قريبا
لان الاجل آت وكل ما هو آت قريب ولان مدة عمر الانسان وان طالت اذا قيست الى طرفي الازل والابد كانت كالعدم ولان الانسان
يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب ومن في من قريب اما لابتداء الغاية اي يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية
او للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين زمان وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا لما قلنا ففي اي جزء تاب من اجزاء
هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن فبين ان وقت
الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
والفائدة في قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله ان الاول اعلام بانه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل
والاحسان والثاني اخبار بانه سيفعل ذلك او المراد بالاول توفيق التوبة والاعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليما بانه انما
اتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد اذا تاب من قريب قال المحققون قرب
الموت وهو توقعه في الشدائد بحيث على ظنه نزول الموت كما في القولنج وفي حالة الغلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع قبول
التوبة بل التوبة حينئذ اولى بالقبول لقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه وانما المانع من القبول معاينة سلطان الموت ومشاهدة احواله واهواله

بحيث تصير معرفته بالله ضرورية كما لاهل الآخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يبق في يده زمام الاختيار وافضى الامر الى حد الالجاء
والاجبار وههنا بحث للاشاعرة وهو ان اهل القيامة لا يشاهدون الا انهم صاروا احياء بعد ان كانوا امواتا ويشاهدون ايضا اهوال القيامة
يستدلون بها على وجود الفاعل فكيف يكون ذلك العلم ضروريا وبتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك ان العبد مع علمه الضروري
بوجود الاله المثيب المعاقب قد يقدم على المعصية لعلمه بانه كريم وانه لا ينفعه طاعة العبد ولا يضره ذنبه وايضا العلم النظري هو الذي لا يكون
معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا للتكليف والضروري مانعا من التكليف
فثبت ضعف هذا الفرق وانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد قبول التوبة في بعض الاوقات وبعدله اخبر عن عدم قبول التوبة
في وقت آخر ولو ان يقلب الامر فيجعل المقبول مردودا والمردود مقبولا لا يسأل عما يفعل واقول تحقيقه انه تعالى مالك الملك يتصرف
في ملكه كيف يشاء ولكن قوله صدق ووعده حق وقد عين لعبيده حالين دنيا وعقبى وقد اخبر انه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه
اعتراض انه لم لم يعكس الامر ثم ان لليقين مراتب علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين وليس يبعد ان لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف ويكون عين اليقين
منافيا له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر
في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول اهوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة
كل منهما الحد المضروب للتوبة او المعنى انه كما ان التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الايمان لا يقبل عند القرب منه او المراد
ان الكفار اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا تقبل توبتهم اولئك اعتدنا لهم اي اعددنا في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد
ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت الوعيد في المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار فالاولون فساق لكنهما مشتركان
في العذاب الاليم فثبت ان حكمهما واحد واجيب بان اولئك اشارة الى اقرب المذكورين ويعضده ان الكفار اشنع فعلا من الفساق
او الطائفة الاولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه كنمرود وشداد
قال سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها من ههنا شروع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من ايذاء النساء بضروب
من العذاب وضروب من البلاء وذلك انواع النوع الاول قوله لا يحل لكم ان ترثوا النساء وفيه قولان الاول الوراثة تعود الى المال اي
لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا من اموالهن وهن كارهات لامساككم الثاني انها ترجع الى اعيانهن وكانوا اذا مات الرجل وله امرأة وجاء
ابنه من غيرها او بعض اقاربه فالقى ثوبه عليها وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق
الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها من انسان آخر واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال اكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويشق الامر عليها حتى تفتدي
منه بمالها وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل انه خطاب للوارث بان يترك منعها من التزوج بمن شاءت واردت كما اخذت لتبذل امرأة الميت ما اخذت من ميراثها
كما كان يفعله اهل الجاهلية وقيل انه نهي للاولياء عن عضل المرأة او للازواج كما مر في البقرة قال في الكشاف ولا تعضلوهن عطف على ان
ترثوا ولا لتأكيد النفي قلت الظاهر انه نهي لعطف الامر وهو قوله وعاشروهن عليه وصاحب الكشاف نظر الى ما قبله وذهل عما بعده الا ان يأتين
بفاحشة مبينة من قرأ بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي بينها او الشهود الاربعة هم بينوها ومن قرأ بالكسر
فلانها اذا تبينت وظهرت صارت اسبابا للبيان كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس لما صرن اسبابا للاضلال ثم انه استثنى مما ذا قيل من اخذ
الاموال اي لا يحل له ان يحبسها ضرارا لتفتدي الا اذا زنت فحينئذ حل لزوجها ان يسألها الخلع وكان الرجل اذا اصابت امرأته فاحشة اخذ منها
ما ساق اليها واخرجها وقيل استثناء من العضل نهوا من حبسهن في بيوت الاولياء والازواج الا بعد وجود الفاحشة ومن هؤلاء القائلين
من زعم ان هذا الحكم منسوخ بآية الجلد وقيل الفاحشة هي النشوز وشكاسة الخلق اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون
حينئذ في طلب الخلع النوع الثالث من التكاليف المتعلقة باحوال النساء وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال في القول والانصاف في
النفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فهنا قد يميل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار
على المواصلة منه الثناء في الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب
ومال كثير لهن في صحبتها قال صلى الله عليه وسلم الشوم في المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان رغبتم في مفارقتهن وربما جعل الله تعالى في تلك
المفارقة لهن خيرا كثيرا بان تخلص من زوج سيء العشرة وتجد زوجا آخر اوفق منه النوع الرابع من التكاليف وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج وذلك انه لما اذن في مضارتهن اذا اتين بفاحشة بين تحريم الضرار في غير حالة الفاحشة يروى ان الرجل منهم كان اذا مال
الى التزوج بامرأة اخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التي يريدها فنهوا عنه و
القنطار المال العظيم وفيه دليل على جواز مغالاة المهر روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة
فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنع وتلت هذه الآية فقال عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل ان يقال ذكر ايتاء القنطار
ورد على سبيل المبالغة والغرض لا الرخصة وهو في موضع الحال اي وقد آتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء ادى المال اليها ام لا
واعلم ان النشوز ان كان من قبل الزوجة حل اخذ مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا انه ينفذ الملك لو خالع كان البيع وقت النداء
منهي عنه ثم انه ينفذ الملك اتأخذونه استفهام بطريق الانكار بهتانا وهو ان يستقبل الرجل بامر قبيح يقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك
اي يتحير وفي الحديث اذا واجهت اخاك بما ليس فيه فقد بهته وهو مصدر في موضع الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له
وقيل بنزع الخافض اي ببهتان وقيل بمضمر اي تصيبون بهتانا وسبب تسمية هذا الاخذ بهتانا انه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكأنه يقول
ليس ذلك بفرض فيكون بهتانا او انه عند العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وان لا يأخذه منها فاذا اخذه منها صار القول الاول بهتانا اي باطلا
او كان من عادتهم انهم اذا ارادوا تطليق الزوجة رموها بفاحشة حتى تفتدي فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه في الاغلب سيق الكلام
الى ذلك والحقيقة ان اخذ هذا المال ظلم في ذاته من حيث انه يشعر بانها قد اتت بفاحشة وقبض ما لها فهو بهتان من وجه وظلم من وجه آخر
وقيل المراد عقاب البهتان والاثم كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا ثم تعجب من الاخذ مستقبحا فقال وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض
عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد والسدي واختاره الزجاج وابن قتيبة واليه ذهب الشافعي ان المراد بالافضاء الجماع او القضاء الساحة

ويقال افضيت اذا خرجت الى الفضى وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة عند الجماع وقيل الافضاء ان يخلو بها وان لم يجامعها وهو قول الكلبي
واختيار الفراء ويوافقه مذهب ابي حنيفة من ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح مذهب الشافعي بان الكلام ورد في معرض التعجب و
وجه التعجب انما يتم اذا كان هذا الافضاء سببا قويا في حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة وايضا الافضاء لا بد ان يكون
مفسرا بفعل ينتهي منه اليها لان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك اذ لم يحصل فعل من افعال احدهما الى الاخر فان قيل
على هذا يجب ان يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا في تحقيق الافضاء وانتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القائل
قائلان قائل بتفسير الافضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وايضا الشرع قد علق تقرر المهر بتقرر الافضاء وقد اشتبه معناه انه
الخلوة او الجماع فوجب الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم اكد المنع من استرداد المهر بقوله واخذن منكم
ميثاقا غليظا قال السدي وعكرمة والفراء هو قولهم زوجتك هذه المراة على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او
تسريح باحسان ومعلوم انه اذا الجاءها الى ان بذلت المهر فقد سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح
المعقود على الصداق واليها اشار في الحديث واستحللتم فروجهن بكلمات الله وقال آخرون اخذن منكم بسبب افضاء بعضكم الى بعض
ميثاقا غليظا وصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس
من التكاليف المتعلقة بامور النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج ابائهم
فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة خلافية قال ابو حنيفة يحرم على الرجل ان يتزوج بمزنية ابيه وقال الشافعي لا يحرم حجة ابي حنيفة ان النكاح عبارة
عن الوطء كقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد وكقوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح اي
الوطء لان اهلية العقد حاصلة ابدا وكقوله الزاني لا ينكح الا زانية وقوله صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون فيدخل في الآية المزنية لانها
منكوحة اي موطوءة وعورض بالآيات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله وانكحوا الايامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وكقوله عم
النكاح سنتي ولا شك ان الوطء من حيث هو وطء ليس سنة له وكقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبان من خلف من اولاد الزنا انهم ليسوا
من اولاد النكاح لم يحنث سلمنا ان الوطء مسمى بالنكاح لكن العقد ايضا مسمى به فلم كان حمل الآية على ما ذكرتم اولى من حملها على ما ذكرناه مع
اجماع المفسرين على ان سبب نزول الآية هو العقد لا الوطء قالوا حقيقة في الوطء مجاز في العقد لانه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل في الوطء
لا في العقد وانما اطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب والحمل على الحقيقة اولى او مشترك بينهما ويجوز استعماله في مفهوميه
معا فتكون الآية نهيا عن الوطء وعن العقد معا او لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهيا عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك
يكون نهيا عن القسمين فان النهي عن التلوين يكون نهيا عن التسويد والتبييض لا محالة واجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبان استعمال
اللفظ المشترك في كلا مفهوميه غير جائز وبان معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطء ولكن ما في قوله ما نكح لا نسلم انها
موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء وانما هي مصدرية والتقدير لا تنكحوا نكاح اباءكم فان انكحتهم كانت بغير ولي وشهود وكانت موقتة وقد
نهوا عن مثل هذه الانكحة قاله محمد بن جرير الطبري سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح اباؤكم ولكن لا نسلم ان من يفيد العموم واذا لم يفد العموم لم يتناول
محل النزاع ولا غيره تنصيصا نعم يتناول زوجات الاباء بالاجماع فيبقى غيره في حيز الاجمال سلمنا انه يتناول محل النزاع لكن لم قلتم ان
النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان النهي للتحريم لكن لا نسلم انه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد وفي صوم يوم النحر
واذا كان منعقدا كان صحيحا ثم انا نستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن الى غاية حتى
ايمانهن وهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد تلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت او غيرها الا ما اخرجه الدليل وكذا سائر العمومات كقوله
واحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا بناتكم الاكفاء وكقوله صلى الله عليه وسلم الحرام
لا يحرم الحلال ودخول التخصيص فيه بما لو وقع قطرة من الخمر في اناء من الماء فنجسته لا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن
الحسن في هذه المسئلة فرفع حتى الكلام على قول الشافعي وطء حمدت به ووطء رجمت به فكيف يشتبهان اما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين
فيه وجوه احسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على المعنى فان النهي على المؤاخذة بارتكاب المنهي عنه فكانه قيل انتم مؤاخذون بنكاح ما
نكح اباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثني غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني
ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط و
قولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد تجاوز عنه وقيل الا
بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد سلف فانكم مقرون عليه قالوا انه صلى الله عليه وسلم
اقرهم عليهن مدة ثم امر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما اقر احدا
على نكاح امراة ابيه وان كان في الجاهلية وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث ابا بردة الى رجل عرس بامراة ابيه ليقتله ويأخذ ماله انه اي ان هذا
النكاح كان قبل النهي فاحشة اعلم الله تعالى ان هذا الفعل كان ابدا ممقوتا عند العرب او هذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في
حكمه موصوفا بهذا الوصف والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب امر قبيح اركبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق
العبد يدل على غاية الخزي والخسار قال بعضهم مراتب القبح ثلث في العقول وفي الشرع وفي العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان
زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح الشرعي وساء سبيلا اشارة الى القبح العادي وساء فعل الذم وفاعله مضمر يفسره المنصوب
بعده والله تعالى اعلم التأويل الوراثة الدينية ايضا سبب ونسب فالسبب هو الارادة بلبس خرقة المشايخ والتشبه بهم
والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهرا وباطنا مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية من صلب
ولايتهم ومن ههنا قال صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وانما يتوارث اهل الدين على قدر تعلقاتهم
السببية والنسبية والذكورة والانوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد ومواريثهم العلوم الدينية واللدنية كقوله صلى الله عليه وسلم العلماء
ورثة الانبياء وكقول موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الامارة بالسوء
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من خواص العناصر الاربعة التي انتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصها الخسة والذلة والماء و

قريبا

بدل

ومن خواصه اللينة والانوثة والشره والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصه الكبر والغضب وحب
الرياسة فان شهدوا بان يظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن في البيوت في سجن الدنيا واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمسة
حتى تموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها او يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب واللذان يأتيانها
اي النفس والقالب باتيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك
الحظوظ فاعرضوا عنهما بالتلطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة اي بصفة الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية تقتضي
المعصية والاصرار عليها والجهولية تحسب يكون فاعل السوء اذا كان مصدره الجهولية تحسب يكون على عقيبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب
اي عقيب المعصية قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل ان يقال من قريب اي المعصية قبل ان يموت
القلب بالاصرار فان الله تعالى لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
فيه اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها اباؤكم العلوية الا ما قد سلف من التدبير الالهي في ازدواج
الارواح لضرورة اكتساب الكمالات فان الركون الى العالم السفلي يوجب مقت الحق والله اعلم بحقيقة الحال

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات
الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة ۞ وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ۞ فان لم تكونوا دخلتم بهن
فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم
وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ۞ ان الله كان
غفورا رحيما ۞ والمحصنات من النساء الا ما
ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم
ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم
به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ۞ ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ۞ ان الله كان عليما
حكيما ۞ ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات ۞ والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض
فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف
محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان ۞
فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب ۞ ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا
خير لكم والله غفور رحيم ۞ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن

الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ۝ والله
يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات
ان تميلوا ميلا عظيما ۝ يريد الله ان يخفف عنكم وخلق
الانسان ضعيفا ۝ يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا
انفسكم ۝ ان الله كان بكم رحيما ۝ ومن يفعل ذلك
عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا

القراءة والمحصنات كل القرآن بكسر الصاد الا قوله والمحصنات من النساء على الباقون بالفتح واحل مبنيا للمفعول يزيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون مبنيا للفاعل احصن بفتح الهمزة والصاد حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص الباقون احصن بضم الهمزة وكسر الصاد تجارة بالنصب حمزة وعلى وخلف وعاصم حفص الباقون بالرفع الوقوف دخلتم بهن الاولى ز لابتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح عليكم ز كذلك فان جملة الشرط معترضة اصلابكم لا للعطف سلف ط رحيما ه للعطف الجزء المحصنات ايمانكم ط لان كتاب الله يحتمل ان يكون مصدر التحريم لانه في معنى الكتابة ويحتمل مصدر محذوف اي كتب الله كتابا والاحسن ان يكون مفعولا له اي حرمت لكتاب الله من قرا واحل بالفتح لم يحسن الوقف له على عليكم للعطف على كتب ومن قرا واحل بالضم عطفا على حرمت جاز له الوقف لطول الكلام مسافحين ط لابتداء حكم المتعة فريضة ط الفريضة حكيما ه فتياتكم المؤمنات ط بايمانكم ط من بعض ج للعطف المختلفين اخدان ج لذلك من العذاب ط العنت منكم ط خير لكم ط رحيم ه ويتوب عليكم ط حكيم ه عظيما ه يخفف عنكم ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اي يخفف لضعفكم ضعيفا ه انفسكم ط رحيما ه نارا ط يسيرا ه التفسير انه سبحانه نص على تحريم اربعة عشر صنفا من النسوان سبعة من جهة النسب وهن الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة اخرى لا من جهة النسب الامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وامهات النساء وبنات النساء بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء والاباء وهذه في الاية المتقدمة والجمع بين الاختين والمحصنات من النساء وذهب الكرخي الى ان هذه الاية مجملة لانه اضيف التحريم فيها الى الامهات والبنات والتحريم لا يمكن اضافته الى الاعيان وانما يمكن اضافته الى الافعال وذلك غير مذكور في الاية فليست اضافة هذا التحريم الى بعض الافعال التي يمكن ايقاعها في ذوات الامهات والبنات اولى من بعض وهذا معنى الاجمال والجواب ان المعلوم بالضرورة من دين محمد صلعم ان المراد منه تحريم نكاحهن لاسيما وقد تقدم قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا لاحدى خصال ثلث فانه لا شبهة ان المراد لا يحل اراقة دمه ثم ان قوله حرمت انشاء للتحريم كقول القائل بعت او طلقت لا اخبار عن التحريم في الزمان الماضي ولا شبهة ان المحرم هو الله تعالى كقوله بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور والخطاب لاولئك الحاضرين بالذات ولمن بعدهم من الامة

[illegible]

ان المشرقي اذا تزوج بالمغربية وحصل هناك ولد فانه يثبت النسب مع القطع بانه غير مخلوق من مائه قطعا والثاني ايضا باطل باجماع المسلمين على انه لا نسب لولد الزنا من الزاني ولو انتسب اليه وجب على القاضي منعه النوع الثاني الاخوات ويشمل الاخوات من الام ومن الاب فقط ومن الام فقط النوع الثالث العمات والخالات قال الواحدي كل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد تكون العمة من جهة الام وهي اخت ابي امك وكل انثى رجع نسبها اليك بالولادة فاختها خالتك وقد تكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام ابيك ولا تحرم اولاد العمات واولاد الخالات النوع الرابع بنات الاخ وبنات الاخت والقول فيهما كالقول في بنت الصلب النوع الخامس قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة سمى المرضعات امهات تفخيما لشانهن كما سمى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم امهات تحريمهن وليس قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم كقول القائل وامهاتكم اللاتي كسونكم او اطعمنكم والا كان تكرارا كقوله حرمت عليكم امهاتكم بل المراد ان الرضاع الذي تتحقق هي بسببه الامومة ويعلم من تسمية المرضعة اختا انه اجرى الرضاع مجرى النسب لان المحرمات بسبب النسب سبع اثنتان بالولادة وهما الامهات والبنات والباقية بطريق الاخوة وهي الاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت فذكر من كل واحد من القسمين صورة واحدة ونبه بها على الباقي منهما فذكر من قسم الولادة الامهات ومن قسم الاخوة الاخوات ثم انه صلى الله عليه وسلم اكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الاية وهذا بيان لطيف فامك من الرضاع كل انثى ارضعتك او ارضعت من ارضعتك او ارضعت من ولدك من الاباء والامهات او ولدت المرضعة او الفحل الذي منه اللبن بواسطة او بغير واسطة وبنتك من الرضاع كل انثى ارضعت بلبنك او ارضعت بلبن من ولدت من الابناء او البنات واختك من الرضاع كل انثى ارضعتها امك او ارضعت بلبن ابيك او ولدتها المرضعة او الفحل الذي در لبنه على المرضعة وعمتك من الرضاع من جهة الاب كل انثى ارضعت بلبن واحد من اجدادك او كانت اخت الفحل الذي ارضعت بلبنه ومن جهة الام كل انثى هي اخت ذكر ارضعت امك بلبنه بواسطة او بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الام كل انثى هي اخت امك من الرضاع او اخت من ارضعتك من النسب او الرضاع ومن جهة الاب كل انثى ارضعت اباك من الرضاع او النسب وبنات الاخوة والاخوات من الرضاع كل انثى ولدها ابن مرضعتك وبنتها او ولدها ابن الفحل الذي منه اللبن او بنته من الرضاع او النسب ارضعتها اختك او ارضعت بلبن اخيك وكذلك حكم بنات اولاد من ارضعته اختك او ارضعت بلبن اخيك من الرضاع او النسب وكذلك حكم بنات من ارضعته امك او ارضع بلبن ابيك وبنات اولادهما من الرضاع او النسب والرضاع المحرم قد يسبق النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرا عليه فيقطعه وللرضاع اركان الاول المرضع ويجب ان يكون امراة فلبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى الذين شربا منه وكذا لبن الرجل وان يكون حية وعند ابي حنيفة ومالك واحمد يتعلق بلبن الميتة التحريم وان يكون محتملة للولادة بان بلغت تسع سنين الثاني اللبن ويتعلق التحريم ولو تغير بحموضة او انعقاد او اغلاء او اتخذ منه جبن او زبد او مخيض او اقط او ثرد فيه طعام او عجن به دقيق وخبز او خلط بمايع حلال او حرام الثالث المحل وهو معدة الصبي الحي فلا اثر للحقنة ولا بعد الحولين الهلاليين ولا للوصول الى معدة الصبي الميت ولا بد من خمس رضعات لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحرم المصة والمصتان ولا الرضعة والرضعتان ولما روت عائشة رضي الله عنها خمس رضعات يحرمن وعند ابي حنيفة سواء الرضعة الواحدة كافية النوع السادس قوله وامهات نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل الاب والام النوع السابع وربائبكم اللاتي في حجوركم والربائب جمع ربيبة وهي بنت امراة الرجل من غيره ومعناها مربوبة لان الرجل يربها والحجور جمع حجر بالفتح والكسر وكونها في حجره عبارة عن تربيته وهو بناء للكلام على الغالب ومثله هو في حضانة فلان واصله من الحضن الذي هو الابط وقال ابو عبيدة في حجوركم اي في بيوتكم وعن علي رضوان الله عليه انه جعل كونها ربيبة له وكونها في حجره شرطا في التحريم وهو استدلال حسن واما سائر العلماء فذهبوا الى ان الكلام اخرج مخرج الاعم الاغلب وانه اذا دخل بالمراة حرمت بنتها عليه سواء كانت في تربيته او لم تكن اما اشتراط الدخول بامها فلقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وهو متعلق بربائبكم كما يقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة واما عدم اشتراط التربية فلقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا يقتضي ان السبب لحصول الجناح هو مجرد الدخول وذهب جمع من الصحابة ان ام المراة انما تحرم بالدخول بالبنت كما ان الربيبة انما تحرم بالدخول بامها وهو قول علي وزيد وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انه تعالى ذكر جملتين وهو قوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ثم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوجب ان يكون ذلك الشرط معتبرا في الجملتين معا واما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط اليها اذ الظاهر تعلق الشرط بالثانية واذا تعلق باحدى الجملتين فلا حاجة الى تعليقه بالاخرى وايضا عود الشرط الى الجملة الاولى وحدها باطل بالاجماع وكذا عوده اليهما معا لان معنى من مع الاولى البيان ومعناها مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض امكن اعتبار الاتصال في النساء والربائب معا فامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الا ان هذا التفسير فيه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى اما اللفظ فلان قوله وامهات نسائكم وكذا ربائبكم يكون حينئذ مبتدا وقوله من نسائكم خبرا ويقع بين المعطوفات فاصلة لان قوله وحلائل ابنائكم وما بعده معطوف على فاعل حرمت واما من جهة المعنى فلان الحكم بالاتصال والاتحاد يقتضي التحليل لا التحريم ظاهرا ومما يدل على ان الجملة الاولى مرسلة ما روي عن عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نكح الرجل امراته فلا يحل ان يتزوج امها دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان عبد الله بن مسعود يفتي بنكاح ام المراة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة فصادفهم مجمعين على خلاف فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع عليه الباب وامره بالنزول عن تلك المراة وعن سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امراته قبل الدخول واراد ان يتزوج امها فله ذلك وان ماتت عنده لم يتزوج امها اقام الموت مقام الدخول في التحريم كما قام مقامه في باب المهر والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة عند ابي حنيفة تقوم مقام الدخول في التحريم وقد تمسك ابو بكر الرازي بالاية في اثبات ان الزنا يوجب حرمة المصاهرة قال لان الدخول بها اسم لمطلق الوطي من نكاح كان او من سفاح ورد بان تقديم قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطي بالحلال النوع الثامن وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم فيخرج التبني وكان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان نزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم فكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج

او عيالهم وحكم الابن من الرضاع حكم الابن من النسب من تحريم حليلته على ابيه لقوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان كان
ظاهر قوله وحلائل ابنائكم وظاهر قوله واحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي الحل فههنا قد يخصص عموم القرآن بخبر الواحد واتفقوا على ان حرمة التزوج بحليلة
الابن تحصل بنفس العقد ولا يتوقف الحرمة على الدخول وما روي عن ابن عباس انه قال ابهموا ما ابهم الله اراد بالتأبيد الا ترى انه قال في السبع
المحرمات من جهة النسب انها من المبهمات اي من اللواتي تثبت حرمتهن على سبيل التأبيد واتفقوا ايضا على تحريم حليلة ولد الولد على الجد
اما جارية الابن فقد قال ابو حنيفة رح يجوز للاب ان يتزوج بها وقال الشافعي رح لا يجوز لان الحليلة فعيلة اما بمعنى المفعول من الحل اي المحللة
او من الحلول بمعنى ان السيد يحل فيها واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في لحاف واحد او يحل كل واحد منهما في قلب صاحبه لما بينهما من الالفة
والمودة وعلى التقادير يصدق على جارية الابن انها حليلته كما تصدق على زوجته انها حليلته فيتناولها الحرمة بالآية النوع التاسع وان
تجمعوا بين الاختين اي حرمت عليكم الجمع بينهما والتانيث للتغليب او للاكتفاء او بتاويل الخصلة ويمكن ان يقال الواو نائب عن الفعل المطلق
من غير اعتبار تذكيره وتانيثه والجمع يكون اما بالنكاح او بالملك او بهما اما النكاح فلو عقد عليهما معا فنكاحهما باطل وعلى الترتيب يبطل الثاني لان
الدفع اسهل من الرفع واما الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احديهما ويشتري الاخرى فقد اختلف الصحابة فيه فقال علي وعمر وابن
مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر لا يجوز الجمع بينهما لاطلاق الآية ولانه لو جاز الجمع بينهما في الملك لجاز وطؤهما معا لقوله تعالى الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم ولان الاصل في الابضاع الحرمة فلو سلم ان الآية تدل على الجواز فالاحوط جانب الترك واما سائر الصحابة والفقهاء
فقد قالوا النهي وارد عن نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز الا انه اذا وطئ احديهما حرم وطء الثانية عليه ولا يزول هذه الحرمة ما لم يزل ملكه
عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج قال ابو حنيفة رح ههنا لا يجوز نكاح الاخت في عدة الاخت البائن لان النكاح الاول كانه باق
بدليل وجوب العدة ولزوم النفقة وقال الشافعي يجوز لان نكاح المطلقة زائل بدليل لزوم الحد بوطئها واما وجوب العدة ولزوم النفقة
فنقول متى حصل النكاح حصل القدرة على حبسها ولا يلزم من حصول القدرة على حبسها حصول النكاح لان استثناء عين التالي لا ينتج واذا
اسلم الكافر وتحته اختان فقد قال الشافعي رح اختار ايتهما شاء وفارق الاخرى سواء تزوج بهما معا او على الترتيب لان الكفار ليسوا
بمخاطبين في فروع الشرائع في احكام الدنيا اذ لا يتصور تكليفه بالفروع ما دام كافرا نعم يعاقب بترك الفروع في الآخرة كما يعاقب
على ترك الاسلام ومما يؤيد قول الشافعي ما روي ان فيروز الديلمي اسلم على ثمان نسوة فقال صلى الله عليه وسلم اختر منهن اربعا وفارق
الاخرى سوا تزوج سائرهن اطلق ولم يفحص عن الترتيب وقال ابو حنيفة رح ان تزوج بهما معا تركهما وعلى الترتيب فارق الثانية لان الخطاب
في قوله وان تجمعوا عام يتناول المؤمن والكافر مخالفة اصلية حيث جعل النهي دالا على الفساد والكافر مخاطبا بالفروع ومما يدل على ان
الخطاب بالفروع لا يظهر اثره في حق الكافر في احكام الدنيوية الاجماع على انه لو تزوج بغير ولي وشهود او على سبيل القهر والغصب
بعد الاسلام يقرر ذلك النكاح اما قوله تعالى الا ما قد سلف فمعناه ان ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما فقد مر نظيره واعلم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق بالاختين جميع المحارم حيث قال لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها وضبط العلماء ذلك بان كل شخصين
بينهما قرابة او رضاع لو كان احدهما ذكرا والآخر انثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فيحرم الجمع بين المرأة وبنت اخيها وبنات اولاد اخيها
وكذلك بين المرأة وبنت اختها وبنات اولاد اختها سواء كانت العمومة والخؤولة من النسب او الرضاع ولا يحرم نكاح المرأة وام زوجها
ولا نكاح المرأة وبنت زوجها لانه لا توجد الحرمة على تقدير ذكورة كل واحد منهما وانما توجد على تقدير ذكورة ام الزوج او بنته فقط
لمكان المصاهرة حينئذ بخلاف ما لو فرضت المرأة ذكرا فانه لا يكون بينهما قرابة ولا رضاع وقد يضبط تحريم الجمع بعبارتين اخريين الاول
يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة او رضاع يقتضي المحرمية الثاني يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما وصلة قرابة او رضاع لو كانت تلك
الوصلة بينك وبين امرأة لحرمت عليك النوع العاشر والمحصنات من النساء وقد ورد الاحصان في القرآن لمعان الاول
الحرية والذين يرمون المحصنات فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب الثاني العفة محصنات غير مسافحات احصنت فرجها
الثالث الاسلام فاذا احصن قيل في تفسيره اذا اسلمن الرابع كونها ذات زوج والمحصنات من النساء اي ذوات الازواج منهن والوجوه
كلها مشتركة في اصل المعنى اللغوي وهو المنع مدينة حصينة ودرع حصينة مانعة صاحبها من الآفات والجراحات والحرة والحرية سبب
لمنع الانسان من نفاذ حكم الغير فيه والعفة مانعة من ارتكاب المناهي وكذا الاسلام والزوج مانع لزوجته من كثير من الامور والزوجة مانعة
للزوج من ان يقع في الزنى قرئ بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن بالتزوج ومعنى قوله الا ما ملكت ايمانكم ان اللاتي سبين ولهن ازواج
في دار الكفر فهن حلال للغزاة المسلمين وكذا اذا سبي الزوجان معا خلافا لابي حنيفة قياسا على شرى الامة واتهابها وارثها فان كلا منها لا يوجب
الفرقة واجيب بان الحاصل عند السبي احداث الملك فيها وعند البيع نقل الملك من شخص الى شخص والاول اقوى فظهر الفرق وقيل المعنى
ان ذوات الازواج حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع الفراق بينهن وبين ازواجهن وقيل المحصنات الحرائر والمعنى حرمت
عليكم الحرائر الا العدد الذي جعله الله ملكا لكم وهو الاربع او الا ما اثبت الله لكم ملكا عليهن بحصول الشرائط المعتبرة من حضور الولي والشهود وغيره
والقول هو الاول لما روي عن ابي سعيد الخدري قال اصبنا سبايا يوم اوطاس لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن ثم اكد تحريم المذكورات من النساء بقوله كتاب الله عليكم قال الزجاج يحتمل ان يكون
منصوبا باسم فعل ويكون عليكم مفسرا له اي الزموا كتاب الله واحل لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سواء كن مذكورات بالقول الصريح او دلالة
جلية او خفية او ببيان النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا في تحريم الجمع بين الاختين وغيرهما وقد دخل بعد هذه العبارة في الآية تخصيصات اخر منها
ان المطلقة ثلاثا لا تحل والدليل ذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ومنها الحربية والمرتدة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن ومنها المعتدة بدليل قوله والمطلقات يتربصن ومنها ان من في نكاحه حرة لم يجز له ان ينكح امة بالاتفاق وعند الشافعي القادر
على طول الحرة لا يجوز له نكاح الامة بدليل فمن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل مثنى وثلاث ورباع ومنها الملاعنة بقوله صلى الله عليه وسلم
المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وقوله ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم في حال كونكم محصنين لا في حال كونكم
مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم التي جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر
وهو النساء والاجود ان لا يقدر لانه مفهوم من سوق الكلام وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ومعنى محصنين متعففين عن الزنى وسمي الزنى سفاحا لانه

لا غرض

لانه لا غرض للزاني الا صب النطفة اي صبها قال ابو حنيفة رح لا يجوز المهر باقل من عشرة دراهم لانه تعالى قيد التحليل بالابتغاء بالاموال والدرهم
والدرهمان لا يسمى اموالا وقال الشافعي رح يجوز بالقليل والكثير لان قوله باموالكم مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي توزيع الفرد على الفرد فيتمكن كل واحد
من ابتغاء النكاح بما يسمى مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى امرأة في نكاح كف
دقيق او سويق فقد استحل وقال ابو حنيفة رح لو تزوج بها على تعليم سورة من القرآن لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها لان الابتغاء بالمال شرط والمال
اسم للاعيان لا للمنافع وكذا قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه الآية والايتاء والاكل من صفة الاعيان
ولو تزوج امرأة على خدمة سنة فان كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة وقال الشافعي رح الآية تدل على ان الابتغاء بالمال جائز
وليس فيه ان الابتغاء بغيره جائز ام لا وايضا قد خرج الخطاب مخرج الاعم الاغلب فلا يدل على نفي ما سواه ومما يدل على جواز جعل المنفعة صداقا قوله
تعالى في قصة شعيب على ان تأجرني ثماني حجج والاصل في شرع من قبلنا البقاء الى ان يظهر الناسخ وايضا التي وهبت نفسها لما لم يجد الرجل
الذي اراد التزوج بها شيئا قال صلى الله عليه وسلم هل معك شيء من القرآن قال نعم سورة كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن ومما
يعلم جواز جعل عتق الامة صداقا لها انه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه من خواصه ممنوع
فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او عقد عليهن او خلوة صحيحة عند ابي حنيفة فآتوهن اجورهن اي عليه فاسقط الراجع للعلم به وجوز
ان يراد به النساء ومن للتبعيض او البيان لا الابتداء الاستمتاع ويكون رجوع الضمير اليه في به على اللفظ وفي فآتوهن على المعنى والاجور المهور لان المهر
ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار والدابة اجرا فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وقعت موقع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي
فرض ذلك فريضة ولا يخفى انه اذا استمتع بها بدخول بها يجب تمام المهر وان استمتع بعقد النكاح فقط فالاجر نصف المهر قال اكثر علماء الامة ان الآية في النكاح
المؤبد وقيل المراد بها حكم المتعة وهي ان يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم الى اجل معلوم ليجامعها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتعها بما يعطيها و
اتفقوا على انها كانت مباحة في اول الاسلام ثم اتفق السواد الاعظم من الامة على انها صارت منسوخة وذهب الباقون ومنهم الشيعة الى انها ثابتة كما كانت
ويروى هذا عن ابن عباس وعمران بن الحصين قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال هي
متعة كما قال قال قلت هل لها عدة قال نعم عدتها حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وفي رواية اخرى عنه ان الناس لما ذكروا الاشعار في المتعة
قال قاتلهم الله اني ما افتيت باباحتها على الاطلاق لكني قلت انها تحل للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير وروي انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني
اتوب اليك من قولي في الصرف والمتعة واما عمران بن الحصين فانه قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها آية تنسخها وامرنا بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتمتعنا معه ومات ولم ينهنا عنه ثم قال رجل برأيه ما شاء يريد ان عمر نهى عنها وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي رض
انه قال لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي حجة الجمهور على حرمة المتعة ان الوطء لا يحل الا في الزوجة او المملوكة لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
وهذه المرأة ليست بمملوكة ولا بزوجة والا لحصل التوارث وثبت النسب ولوجب العدة عليها بالاشهر والتوالي باطلة باسرها بالاتفاق
وروي عن عمر انه نهى عن المتعة على المنبر بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه احد منهم فلو سكتوا مع العلم بحرمتها فذاك ولو سكتوا لجهلهم بحلها وحرمتها مع
عادة شدة احتياجهم الى البحث عن امور النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فاخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة وذلك محال منهم وما روي عن عمر رض
انه قال لا اوتى برجل نكح بامرأة الى اجل الا رجمته ثم ان الصحابة لم ينكروا عليه مع ان الرجم لا يجوز في المتعة فلعله ذكر ذلك على سبيل التهديد والسياسة
ومثل ذلك جائز للامام عند المصلحة الا ترى انه قال صلى الله عليه وسلم من منع منا الزكوة فانا آخذوها منه وشطر ماله مع ان اخذ شطر المال من مانع
الزكوة غير جائز الا للسياسة وروى الواحدي في البسيط عن مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن ابيهما عن علي رض ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء وعن اكل لحوم الحمر الانسية قال وروى الربيع بن سبرة الجهني عن ابيه قال غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو قائم بين الركن والمقام مسند ظهره الى الكعبة يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا وان الله قد حرم عليكم
الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا والقائلون باباحة المتعة قالوا الابتغاء بالاموال يتناول
الاستمتاع بالمرأة على سبيل التأبيد وعلى سبيل التوقيت بل الآية مقصورة على نكاح المتعة لما روي ان ابي بن كعب كان يقرأ فما استمتعتم به منهن
الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن وبه قرأ ابن عباس ايضا والصحابة ما انكروا عليهما فكان اجماعا وايضا امر بايتاء الاجور بمجرد الاستمتاع اي التلذذ
وهذا في المتعة واما في النكاح المطلق فيلزم الاجر بمجرد العقد وايضا قال في اول السورة فانكحوا ما طاب لكم فناسب ان تحمل هذه الآية على نكاح المتعة لئلا يلزم
التكرار في سورة واحدة والحمل على حكم جديد اولى ومما يدل على ثبوت المتعة ما جاء في الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر
الاهلية يوم خيبر واكثر الروايات انه صلى الله عليه وسلم اباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح وذلك ان الصحابة شكوا اليه يومئذ طول العزوبة
فقال استمتعوا من هذه النساء وقول من قال انه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا ضعيف لم يقل به احد من المعتبرين الا الذين ارادوا ازالة التناقض
عن هذه الروايات ونهي عمر يدل على انه كان ثابتا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان ثابتا في عهده لم يكن نسخه بقول عمر رض كما اشار اليه
عمران بن الحصين واجيب بان المراد من قول عمر وانا انهى عنها انه قد ثبت عندي نسخها في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وقد سلموا له ذلك فكان
اجماعا ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة الذين حملوا الآية على بيان حكم النكاح قالوا المراد انه اذا كان المهر مقدرا بمقدار معين فلا حرج
في ان تحط عنه شيئا او تبرئه عنه بالكلية كقوله فان طبن لكم عن شيء وقال الزجاج لا اثم عليكم في ان تهب المرأة للزوج مهرا او يهب الزوج للمرأة
تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول قال ابو حنيفة رح الحاق الزيادة بالصداق جائز لان التراضي قد يقع على الزيادة وقد يقع على النقصان وهي ثابتة
ان دخل بها او مات عنها اما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها نصف المسمى في العقد وقال الشافعي الزيادة بمنزلة الهبة فان اقبضها
ملكته بالقبض وان لم يقبضها بطلت والدليل على بطلان هذه الزيادة انها لو التحقت بالاصل فاما ان يرتفع العقد الاول ويحدث عقدا ثانيا وهو
باطل بالاجماع واما ان يحصل عقدا مع بقاء العقد الاول وهو تحصيل الحاصل والذين حملوا الآية على حكم المتعة قالوا المراد انه ليس للرجل سبيل
على المرأة من بعد الفريضة وهي المقدار المفروض من الاجر والاجل فان قال لها زيدي في الايام وازيد في الاجر فهي بالخيار ان الله كان عليما
حكيما لا يشرع الاحكام الا على وفق الحكمة والصواب ثم وسع الامر على عباده فقال ومن لم يستطع منكم طولا اي فضلا في المال وسعة ومنه الطول
في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان وان ينكح متعلق بطولا يقال طال على الامر اذا غلبه اي تمكن من نكاح المحصنات يعني الحرائر
والمعنى ومن لم يقدر على نكاح الحرة فلينكح الاماء التي ملكتها ايمانكم قال ابن عباس يريد جارية اخيك فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية

نفسه فالفتيات المملوكات تقول العرب للامة فتاة وللعبد فتى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي ولكن ليقل فتاي
وفتاتي قال الشافعي ان الله تعالى شرط في نكاح الاماء شرائط اثنتان في الناكح الاولى فقد طول الحرة وهو عبارة عن عدم
ما ينكح به الحرة كما يقول الرجل لا استطيع ان احج اذا كان الانسان لا يجد ما يحج به فاذا كان كذلك جاز له التزوج بالامة لان العادة في الاماء
تخفيف مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة ساداتهن الثانية خشية العنت كما يجيء في اخر الاية الثالثة في المنكوحة وهو ان تكون
الامة مسلمة ومع ذلك تكون مؤمنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المؤمنات فالقيد الاول يستفاد من قوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات
غيركم وهم المخالفون في الدين والقيد الثاني من وصف الفتيات بالمؤمنات اما فائدة القيد الاول فهي ان الولد تابع للام في الحرية والرق و
حينئذ يتعلق الولد رقيقا على ملك الكافر الا ان هذا القيد الغاه اكثر الائمة لان الولد اذا رق للكافر بيع عليه في الحال واما فائدة القيد الثاني
فالحذر من اجتماع النقصانين الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد والحسن ومذهب مالك والشافعي رح واما ابو حنيفة فانه يقول الغني والفقير سواء
في جواز نكاح الامة وذلك انه يحمل النكاح في الاية على الوطي ويقول ان المراد ان من لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح الامة ثم الامة لو كانت
كتابية جاز له نكاحها ولكن نكاح الامة المؤمنة افضل فحمل التقييد في الاية على الفضل لا على الوجوب قياسا على جواز نكاح الحرة الكتابية الا انه
مع وصف الحرائر ايضا بالمؤمنات واجيب بالفرق وهو اجتماع النقصانين ومن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولا
ان في الاية دلالة على الحذر من نكاح الاماء وان الاقدام عليه لا يجوز الا عند الضرورة وذلك لتبعية الولد الام في الرق ولانها ممتهنة
مبتذلة خراجة ولاجة وربما تعودت بسبب ذلك فجورا ووقاحة ولان للمولى عليها من حق الاستخدام فلا تخلص لخدمة الزوج ولان السيد قد يبيعها فتصير
مطلقة عند من يقول بذلك ولان مهرها ملك لمولاها فلا تقدر على هبة مهرها من زوجها ولا ابرائه والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا
على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله اعلم بباطن الصدور بعضكم من بعض كلكم اولاد ادم فلا يتداخلكم انفة من التزوج بالاماء
عند الضرورة او كلكم مشتركون في الايمان وهو اعظم المقاصد فاذا حصل الاشتراك فيه فلا تلتفت الى غيره وفيه تهجين لما كانوا عليه
من التفخر بالانساب والاحساب وتانيس بنكاح الاماء اذا كن مؤمنات ثم شرع كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن باذن اهلهن ولذلك
اتفقوا على ان نكاح الامة بدون اذن سيدها باطل لان نكاحهن غير واجب فيتوجه الامر الى اشتراط الاذن ولان التزوج بها يبطل على السيد
اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز الا باذنه ولفظ القرآن مقتصر على الامة واما العبد فقد ثبت ذلك في حقه بالحديث روى جابر رض
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا تزوج العبد بغير اذن سيده فهو عاهر واستدل الشافعي بان الاية على ان المراة البالغة العاقلة لا يجوز
نكاحها الا باذن الولي لان قوله فانكحوهن الضمير فيه يعود الى الاماء والامة ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق صفة زائلة والاشارة
الى ذات موصوفة بصفة عرضية زائلة يبقى بعد زوال تلك الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه
يحنث في يمينه فعند زوال الرق عنها وهي حرة عاقلة بالغة يتوقف جواز نكاحها على اذن وليها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة ثبت
في سائر الصور ضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان ظاهر الاية يدل على الاكتفاء بحصول اذنهما وعنده لا يجوز
للمراة ان تزوج امتها واجيب بان المراد بالاذن الرضاء وعندنا ان رضى المولى لا بد منه فاما انه كاف فليس في الاية دليل عليه وايضا
ان اهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى ان كان رجلا او ولي المولى ان كانت امراة وسلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام يخصصه قوله
صلى الله عليه وسلم العاهرة هي التي تنكح نفسها ولا يلزم ان لا يكون لها عبارة في نكاح مملوكتها ضرورة انه لا قائل بالفرق قلنا الانصاف
ان استدلال الشافعي لا يتم فللقائل ان يقول لا نسلم ان صفة الرق للامة عرضية من حيث هي امة وان سلمنا ذلك فلم نسلم ان الاشارة
الى ذات الامة في الاية يبقى بعد زوال صفة الرق وكونها مثل قول القائل لا اكلم هذا الشاب ممنوع لان المعلوم عرفا ان المراد به ذات
الشاب من حيث هو ولكنه كقول الحالف لا اكلم شابا فحينئذ لو كلم زيدا وزيد شاب حنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث واتوهن
اجورهن اي مهورهن وفيه دلالة على وجوب مهرها اذا نكحها سمى لها المهر او لم يسم وفي قوله بالمعروف دلالة على انه مبني على الاجتهاد
وغالب الظن في المعتاد المتعارف وهو مهر المثل او المراد بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء وقيل الاجور النفقة عليهن لان المهر
مقدر فلا معنى لاشتراطه فيه فكانه تعالى بين ان كونها امة لا يقدح في وجوب نفقتها وكفايتها كما في حق الحرة اذا حصلت التخلية بين الزوج
بينه وبينها على العادة وعن بعض اصحاب مالك ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان المولى اذا اجرها المخدمة كان هو المستحق للاجرة
واحتجوا في المهر بظاهر قوله واتوهن اجورهن واما الجمهور فعلى ان مهرها لمولاها لقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء
وهذا ينفي كون المملوكة مالكة لشيء اصلا ولان منافعها كانت مملوكة للسيد وقد اباحها للزوج بعقد النكاح فوجب ان يستحق بدلها اما لفظ
الاية فلو حملنا لفظ الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه على المهور فالجواب على انها من ابضاعهن فلذلك اضيف الاجور اليهن وليس في قوله
واتوهن ما يوجب كون المهر ملكا لهن واحسب ان المهر ملك لهن ولكنه صلى الله عليه وسلم قال العبد وما يملكه لمولاه او المراد واتوا مواليهن
فحذف المضاف محصنات قال ابن عباس اي عفائف وهو حال من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرون
على انه يجوز فالاية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال اكثر المفسرين المسافحة هي التي تواجر نفسها اي رجل ارادها والمتخذة
الخدن هي التي لها صديق معين وكان اهل الجاهلية يفصلون بين الحالين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن بكونها زانية فلما كان
هذا الفرق معتبرا عندهم فلا جرم افردهما الله تعالى بالذكر تنصيصا على حرمتهما معا والاخدان جمع خدن كالاتراب جمع ترب والخدن الذي
يخادنك اي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن يقع على الذكر والانثى فاذا احصن اي بالتزوج وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير
والحسن ومجاهد او بالاسلام وهو قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكانه تعالى ذكر حال ايمانهن في النكاح في قوله من فتياتكم
المؤمنات ثم كرر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند اتيانهن على الفاحشة وههنا اشكال وهو ان المحصنات في قوله فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب يريد بها الحرائر المتزوجات او الحرائر الابكار وعلى الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم
محال وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنا الامة محصنة كانت او لم تكن وقد علق ذلك في الاية بمجموع الامرين
الاحصان والزنا والجواب انا نختار القسم الاول ويسقط الرجم عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف او الثاني والمراد بيان
تخفيف عذابهن وذلك ان حد الزنا يتغلظ عند التزوج فهذه اذا زنت وقد تزوجت فحدها خمسون جلدة لا يزيد عليها فلان يكون

قبل

قبل التزوج هذا القدر اولى اعلم ان الخوارج اتفقوا على انكار الرجم واحتجوا بان الاية تدل على ان عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة
فلو كان على الحرة الرجم لزم تنصيف الرجم في حق الامة وهو محال والجواب ما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي والفقهاء جعلوا هذه الاية اصلا
في نقصان حكم العبد عن حكم الحرة في غير الحد وان كان في بعض الامور لا يجري ذلك فيه كالصلوة والصوم وغيرهما ذلك اشارة الى نكاح الاماء باتفاق لمن
خشي العنت منكم وقد عرفت فيما مر ان معناه الوقوع في الاثم الشاق وللمفسرين ههنا قولان الاول ان الشبق الشديد والغلمة العظيمة ربما يدعوه الى الزنا
فيقع في الحد في الدنيا وفي العذاب الاليم في الاخرة الثاني ان الشبق قد يفضي الى الامراض الشديدة كاوجاع الوركين والظهر والوسواس كاختناق الرحم
للنساء والاول ابين لبيان القرآن وعليه اكثر العلماء وان تصبروا اي صبركم عن نكاح الاماء بعد شرط الطول متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور رحيم تاكيد لما ذكره من ان الاولى ترك النكاح الا انه
اباحه لاحتياج المكلفين فهو من باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين لكم قيل اثبت اللام مقام ان في قولك اريد ان تقوم وقيل زيدت اللام و
قدر ان وذلك لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتاكيد اضافة الاب وقيل في الاية اضمار والاصل يريد الله انزال هذه الاحكام ليبين
لكم دينكم وشرعكم وما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم سنن من كان قبلكم قيل المراد ان كل ما بين لنا من التحريم والتحليل في شان
النساء فقد كان الحكم كذلك في جميع الشرائع والملل وقيل بل المراد ان الشرائع والتكاليف وان كانت مختلفة في نفسها الا انها متفقة
في باب المصالح وقيل المعنى سنن من كان قبلكم من اهل الحق لتقتدوا بهم ويتوب عليكم قال القاضي معناه وكما اراد منا نفس الطاعة فلا جرم
بينها وازاح الشبهة عنها كذلك يريد ان يتوب علينا ان وقع تقصير وتفريط وفي الاية اشعار بانه تعالى هو الذي يخلق التوبة فيتاب عليه
انه اذا اراد التوبة منا وجب ان يحصل التوبة لكننا ليس كذلك واجيب بان المراد التوبة في باب نكاح الامهات والبنات وسائر المنهيات
المذكورة في هذه الايات وقد حصلت هذه التوبة وكذا الكلام في قوله والله يريد ان يتوب عليكم وقالت المعتزلة يريد ان تفعلوا ما تستوجبون
ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا عن الحق والقصد ميلا عظيما وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات
من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة حرام عليكم فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت
يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا فلضعفه خفف تكليفه
ولم يثقل اما ضعف خلقته بالنسبة الى كثير من المخلوقات بل الحيوانات فظاهر ولهذا اشتد احتياجه الى التعاون والتمدن والاغذية والادوية والمساكن
والملابس والاذخار والمعاملات الى غير ذلك من الضرورات واما ضعف عزائمه ودواعيه فاظهر ولهذا لا يصبر على مشاق الطاعات و
عن الشهوات والاستمتاع عن النساء عن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة
وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وانا اخوف ما اخاف على النساء عن ابن عباس رض ثماني ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة
مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم اللهم لا تخزنا موعدك انك
لا تخلف الميعاد ثم انه لما ذكر ابتغاء النكاح بالاموال وامر بايتاء المهور والنفقات بين عقيب ذلك انه كيف يتصرف في الاموال وقيل انه لما
شرح كيفية التصرف في النفوس بسبب النكاح شرع في كيفية التصرف في الاموال فقال يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاحتجاج الشرع
بوجه وقد مر تفسيره في البقرة في قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة صادرة عن تراض منكم وقد سبق مثله في اخر البقرة وتخص
التجارة بالذكر وان كان غير ذلك من الاموال المستفادة بجهة الهبة والوصية والارث واخذ الصدقات والمهور واروش الجنايات حلالا لان اكثر
اسباب الرزق يتعلق بالتجارة ويدخل تحت هذا النهي اكل مال الغير بالباطل واكل مال نفسه بالباطل كما ان قوله ولا تقتلوا انفسكم يدل على النهي عن قتل
غيره وعن قتل نفسه قال ابو حنيفة النهي في المعاملات لا يدل على البطلان وقال الشافعي يدل لان الوكيل اذا تصرف على خلاف قول المالك
فذلك غير منعقد بالاجماع فالتصرف الواقع على خلاف قول المالك الحقيقي وهو الله سبحانه اولى ان يكون باطلا واي فرق بين قوله لا تبيعوا الدرهم
بالدرهمين وبين قوله لا تبيعوا الخمر واذا كان الثاني غير منعقد بالاتفاق فكذا الاول وقال ابو حنيفة خيار المجلس غير ثابت في عقود المعاوضات
المحضة لان التراضي المذكور في الاية قد حصل وقال الشافعي لا شك ان هذا التراضي يقتضي الحل الا انه ثبت بعد ذلك ثبوت خيار المجلس
لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة
او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة حين يعرضه غم او خوف او مرض شديد يرى قتل نفسه اسهل عليه عن الحسن البصري قال حدثنا جندب بن
عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة وعن ابي هريرة رض
قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل ممن يدعي الاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراحة فقيل
يا رسول الله الذي قلت له انفا انه من اهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى النار فكاد بعض المسلمين ان
يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل له انه لم يمت ولكن به جراحات شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم خالدا مخلدا
فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها
في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا وعن عمرو بن العاص انه احتلم في ليلة باردة في غزاة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك
فتيممت ثم صليت باصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذي منعني من الاغتسال
وقلت اني سمعت الله تعالى يقول ولا تقتلوا انفسكم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا وقيل معنى الاية لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من القتل
والردة والزنا بعد الاحصان ان الله كان بكم رحيما ولاجل رحمته نهاكم عما يضركم عاجلا واجلا وقيل من رحمته انه لم يامركم بقتل انفسكم كما امر بني اسرائيل
بذلك توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ومن يفعل ذلك القتل عدوانا وظلما لا خطا ولا اقتصاصا هذا قول عطاء وقال الزجاج ذلك اشارة الى القتل
والاكل بالباطل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه عائد الى كل ما نهى الله تعالى عنه من اول السورة وتنكير النار للتعظيم او النوع وكان ذلك على الله
يسيرا اشتمل على وفق المتعارف كقوله وهو اهون عليه والا فلا مانع له عن حكمه ولا منازع له في ملكه التاويل حرمت عليكم امهاتكم الاية كلها اشارة
الى النهي عن التعلق ومنع التصرف في الامهات السفليات والمتولدات من اوصاف الانسان وصفات الحيوان ان الله كان غفورا بانوار غفرانه ظلمات صفات

الانانية التي تتولد من تصرفات الحواس في المحسنات بحسب الضرورات بالامر لا بالطبع رحيما بالمؤمنين فيما اضطرهم اليه من التصرفات بقدر
الحاجة الضرورية والمحصنات من النساء هي الدنيا التي يتصرف فيها العلويات الا ما ملكت ايمانكم باذن الله تعالى حيث قال كلوا واشربوا
ولا تسرفوا محصنين حرائر من الدنيا وما فيها غير مسافحين في الطلب مياه وجوهكم فما استمتعتم به منهن من الضروريات فاعطوا حقوق تلك
الحظوظ بالطاعة والشكر والذكر ثم ان الله تعالى احب نزاهة قلب المؤمن عن دنس حب الدنيا كما احب نزاهة فراشه فقال ومن لم يستطع
اي من لم يقدر ان يسخر عجوز الدنيا الصالحة بامرها ويجعلها منكوحة له ويحفظها بتصرف شرائع الاسلام بحيث لا يكون لها تصرف في قلبه بوجه ما
فليتصرف في القدر الذي ملكت يمين قلبه من الدنيا ويملك قلبه لانها مامور لها بالخدمة كما قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى يا دنيا
اخدمي من خدمني واستخدمي من خدمك محصنات بالصدق والاخلاص غير مسافحات بالتبذير والاسراف ولا متخذات اخدان من النفس والهوى
فاذا احصن بالاخلاص في العطاء والاخذ والدفع فان اتين بفاحشة هي غلبة شهواتها على القلب فليبذل النصف مما ملكت من الدنيا في الله جناية
وغرامة فهي حدها كما ان حد عجوز الدنيا اذا احصنها ذو الطول من الرجال فاتت بفاحشة اهلاكها بالكلية بالبذل في الله تعالى كما كان حال سليمان
عليه السلام اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد ولما شغلته عن الصلوة واتت بفاحشة حب الخيل طفق مسحا بالسوق والاعناق ذلك
التصرف في قدر من الدنيا لمن خشي ضعف النفس وقلة صبرا على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الاوامر والنواهي وان تصبروا عن التصرف في الدنيا
بالكلية خير لكم كما قال عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر فتركها خير وابر يريد الله ان يخفف عنكم فلكم المعونة وليغيركم المؤنة قال ابراهيم عليه السلام
اني ذاهب الى ربي واخبر عن حال موسى عليه السلام بقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وعن حال نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله سبحان الذي
اسرى بعبده وعن حال هذه الامة بقوله سنريهم آياتنا والمعونة هي الخدمة التي توازي عمل الثقلين فلا جرم كان لغير نبينا الوصول الى السموات
فقط وكان لنبينا الوصول الى مقام قاب قوسين او ادنى ولامته التقرب لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته والفرق بين النبي والولي
ان النبي يستقل بنفسه والولي لا يمكنه السير الا في متابعة النبي وتسليكه وخلق الانسان ضعيفا فلهذا اعين بالخدمة حتى يصل بقوة ذلك الى مقام
لا يصل اليه الثقلان بسعيهم الى الابد وضعفه بالنسبة الى جلال الله وكماله والا فهو اقوى في حمل الامانة من سائر المخلوقات وايضا من ضعفه انه لا يصبر عن
لحظة فانه يحبهم ويحبونه شعر الصبر يحمد في المواطن كلها الا عليك فانه لا يحمد وكان ابو الحسن الخرقاني يقول لولم الى نفسالم ابن
وعجز الانسان يصبر عن الله لعدم المحبة ومن ضعفه انه لا يصبر مع الله عند غلبات سطوات التجلي كما انه صلى الله عليه وسلم كان يغان على قلبه
وكان يقول كلميني يا حميراء وكان الشبلي يقول لا معك قرار ولا منك فرار المستغاث بك منك اليك ومن ضعف الانسان سبب كماله
وسعادته فانه يتصف بصفة البهيمة وساعة يتسم بسمات الملك وليس لغيره هذا الاستعداد فلهذا جاء في الحديث الرباني انا ملك حي لا اموت
ابدا فاطعني عبدي اجعلك ملكا حيا لا تموت ابدا الا ان تكون تجارة اي تجارة تنجيكم من عذاب اليم الآية ولا تقتلوا انفسكم بصرف اموالكم
في شهواتها فان ذلك سمها القاتل انه كان بكم رحيما اذ بين لكم هذه الآيات ودلكم على هذه التجارات ومن يفعل صرف المال الى الهوى
تعديا عن امر الله تعالى وظلما على نفسه والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم
مدخلا كريما ۝ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ۝
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون ۝ و
الذين عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء
شهيدا ۝ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله
بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات
حافظات للغيب بما حفظ الله ۝ واللاتي تخافون نشوزهن
فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا ۝ ان الله كان عليا كبيرا ۝ وان
خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا

اصلاحا

اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا ۝ واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى و
اليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب و
الصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ۝ ان الله
لا يحب من كان مختالا فخورا ۝ الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا ۝ والذين ينفقون اموالهم رئاء
الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ۝ ومن يكن
الشيطان له قرينا فساء قرينا ۝ وماذا عليهم
لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله
وكان الله بهم عليما ۝ ان الله لا يظلم مثقال ذرة
وان تك حسنة يضاعفها ۝ ويؤت من لدنه اجرا عظيما

القراءة نكفر وندخلكم بياء الغيبة المفضل الباقون بالنون مدخلا بفتح الميم وكذلك في الحج ابو جعفر ونافع الباقون بالضم
واسئلوا وبابه حماد وخلف وعلي واو العطف اذا كان قبل الفاء بغير همز ابن كثير وعلي وخلف وسهل وحمزة في الحج الوقف عقدت من العقد عاصم وحمزة و
علي وخلف الباقون عاقدت من المعاقدة حفظ الله بالنصب يزيد الباقون بالرفع والجار بالامالة ابراهيم ابن حماد وقتيبة ونصير وابو عمرو
وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو والبخاري عن ورش والجار الجنب بفتح وسكون النون المفضل الباقون بضمتين بالبخل بفتحتين حيث
كان حمزة وعلي وخلف والمفضل عباس مخير الباقون بضم الباء وسكون الخاء حسنة بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالنصب يضعفها
بالتشديد ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعفها الوقوف كريما ه على بعض ط مما اكتسبوا ط مما اكتسبن ط من فضله ط عليما ه و
الاقربون ط بناء على ان ما بعده مبتدا فاتوهم نصيبهم ط شهيدا ه من اموالهم ط ج لان ما يتلو مبتدا بما حفظ الله ج واضربوهن ط لابتداء الشرط مع
فاء التعقيب سبيلا ط كبيرا ه من اهلها ج لان ابن الشرط مع اتحاد الكلام بينهما ط خبيرا ه وابن السبيل لا للعطف ايمانكم ط فخورا لا بناء على ان الذين بدل من
ه من ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والعطف باليوم الآخر ط وان جعل الذين مبتدا لان خبره محذوف اي فاولئك قرينهم الشيطان قرينا ه رزقهم
عليما ه ذرة ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى اي لا يظلم بنقص الثواب ومع ذلك يضاعفه عظيما ه التفسير لما كان التغيير لوعيد
المتقدم ومن الناس من قال جميع الذنوب والمعاصي كبائر روى سعيد بن جبير عن ابن عباس كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة ومن عمل شيئا
منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او منكرا القدر وضعف بان الذنوب لو كانت
كلها كبائر لم يصح الفرق بين تكفير باجتناب الكبائر وبين الكبائر ولقوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وبانه يلزم
نص على ذنوب باعيانها انها كبائر ولقوله تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان والايمن فرق بين الفسوق والعصيان فالكبائر هي
الفسوق والصغائر العصيان حجة ما روي عن ابن عباس ان الذنب انما يكبر لوجهين لكثرة نعم من عصي فيه ولجلالته ولا شك ان نعمة الله تعالى
غير متناهية والله اجل الموجودات فيكون عصيانه كبيرا وعورض بانه ارحم الراحمين واغنى الاغنياء عن طاعة المطيعين وكل ذلك يوجب
خفة الذنب وان سلم ان الذنوب كلها كبائر من حيث انها ذنوب ولكن بعضها صغائر وبعضها كبائر بعض دون بعض وذلك يوجب التفاوت
وان قد ثبت ان الذنوب بعضها صغائر وبعضها كبائر فالكبيرة تتميز عن الصغيرة بذاتها او باعتبار فاعلها وذهب الى كل واحد طائفة فمن الاولين
من قال ويروى عن ابن عباس كل ما جاء في القرآن مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة كالقتل المحرم والزنا واكل مال اليتيم وغيرها وزيف بانه لا ذنب
الا وهو متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا فيكون كل ذلك كبيرا وهو خلاف المفروض وعن ابن مسعود ان الكبائر هي ما نهى الله تعالى عنها في الآيات
المتقدمة وضعف بانه تعالى ذكر الكبائر في سائر السور ايضا فلا وجه للتخصيص وقيل كل عمد فهو كبيرة ورد بانه ان اراد بالعمد انه ليس بساه فهذا حاله
فهو الذي نهى الله عنه فيكون كل ذنب كبيرا وقد ابطلناه وان اراد بالعمد ان يفعل المعصية مع العلم بانها معصية فلا يكون كفر اليهود والنصارى كبيرة
وهو باطل بالاتفاق واما الذين يقولون الكبائر تمتاز عن الصغائر باعتبار فاعلها فوجهه ان لكل طاعة قدرا من الثواب ولكل معصية قدرا من العقاب
فاذا وجد للانسان طاعة ومعصية فالتقاول بين الاستحقاقين وان كان ممكنا بحسب العقل الا انه غير ممكن بحسب السمع والا لم يكن مثل ذلك المكلف
لا في الجنة ولا في النار وقد قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير فلا بد من ترجيح احدهما ولزم حينئذ الاحباط والتكفير والحق في هذه المسئلة وطلبه

بعد ما تقرر من اثبات قسمة الذنب الى الكبيرة والصغيرة انه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بين في هذه الآية ان الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر فلو عرف المكلف جميع الكبائر اجتنبها فقط واجترأ على الاقدام على الصغائر اما اذا عرف انه لا ذنب الا ويجوز كونه كبيرا صار هذا المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها ونظيره في الشرع اخفاء ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في ساعات الجمعة ووقت الموت في جملة الاوقات هذا ولا مانع من ان يبين الشارع في بعض الذنوب انه كبيرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وذكر عند ابن عباس انها سبعة فقال هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبعمائة وعن ابن عمر انه عد منها استحلال آمين البيت الحرام وشرب الخمر وعن ابن مسعود زيادة القنوط من رحمة الله والامن من مكر الله وفي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم زيادة قول الزور وعقوق الوالدين والسرقة واما قول العلماء في الكبيرة فمنهم من قال هي التي توجب الحد وقيل هي التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب او سنة وقيل كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين وقيل لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار ويراد بالاصرار المداومة على نوع واحد من الصغائر والاكثار منها وان لم يكن من نوع واحد احتج ابو القاسم الكعبي بالآية على القطع بوعيد اهل الكبائر لانها تدل على انه اذا لم يجتنب الكبائر فلا يكفر عنه والجواب ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج ونظيره قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته فاداء الامانة واجب امنه او لم يامنه سلمنا ان الآية رجعت الى قوله من لم يجتنب الكبائر لم يكفر عنه سيئاته فغايته انه يكون عاما في باب الوعيد والجواب عنه هو الجواب عن سائر العمومات وهو انه مشروط بعدم العفو عندنا كما انه مشروط عندكم بعدم التوبة ثم قالت المعتزلة ان عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر وعندنا لا يجب على الله شيء بل كل ما يفعله فهو تفضل واحسان ويدخل في الاجتناب عن الكبائر الاتيان بالطاعات لان ترك الواجب ايضا فهو كبيرة وندخلكم مدخلا من فتح الميم اراد المكان او الدخول ومن ضمها اراد الادخال ووصفه بالكرم اشعار بانه على وجه التعظيم خلاف ادخال اهل النار الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم او هو وصف باعتبار صاحبه ثم انه سبحانه لما امرهم بتهذيب اعمال الجوارح وهو ان لا يقدموا على اكل الاموال بالباطل وعلى قتل الانفس حثهم على تهذيب الاخلاق في الباطن او نقول لما نهاهم عن الاكل والقتل ولن يتم ذلك الا بالرضا بالقضاء وتطييب القلب بالمقسوم المقدر فلا جرم قال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قالت المعتزلة التمني قول القائل ليته كذا وقال اهل السنة هو عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون ولهذا قالوا انه تعالى لو اراد من الكافر ان يؤمن مع علمه انه لا يؤمن كان متمنيا ثم مراتب السعادات اما نفسانية نظرية كالذكاء والحدس وحصول المعارف والحقائق او عملية كالاخلاق الفاضلة واما بدنية كالصحة والجمال والعمر واما خارجية كحصول الاولاد النجباء وكثرة العشائر والاصدقاء والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا للخلق حسن الذكر مطاع الامر فهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله تعالى وبعضها مما يظن انها كسبية وبالحقيقة كلها عطاء منه تعالى فانه لولا ترجيح الدواعي وازالة العوائق وتحصيل الموجودات وتوفيق الاسباب فلاي سبب يكون السعي والجد مشتركا فيه والفوز بالبغية والظفر بالمطلوب غير مشترك فيه واذا كان كذلك فما الفائدة في الحسد غير الاعتراض على مدبر الامور والكافل بمصالح الجمهور فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بانه لو لم يكن خيرا له ولو كان خلافه لكان وبالا عليه كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وفي الكلمات القدسية من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخرج من ارضي وسمائي وليطلب ربا سوائي قال المحققون لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي وعن الحسن لا يتمنى احد المال فلعل هلاكه في سبب ذلك المال اما سبب النزول فعن مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فنزلت وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء في الآخرة كما فضلنا في الميراث وقالت النساء نرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال وفي رواية قلن نحن احوج لانا ضعفاء وهم اقدر على طلب المعاش فنزلت وقيل اتت وافدة النساء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت رب الرجال والنساء واحد وانت الرسول الينا واليهم وابونا آدم وامنا حواء فما السبب في ان الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الآية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا فقال صلى الله عليه وسلم ان للحامل منكن اجر الصائم القائم واذا ضربها الطلق لم يدر احد ما لها من الاجر فان ارضعت كان لها بكل مصة اجر احياء نفس للرجال نصيب مما اكتسبوا من نعيم الدنيا وثواب الآخرة فينبغي ان يرضوا بما قسم لهم وكذا للنساء او لكل فريق جزاء ما اكتسب من الطاعات فلا ينبغي ان يضيعه بسبب الحسد المذموم وتخصيصه لا تضيع ذلك بتمني ما لغيره او للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة ازواجهن والقيام بمصالح البيت واسألوا الله من فضله فعنده من ذخائر الانعام ما لا ينفده مطالب الانام ومن للتبعيض اي شيئا من خزائن كرمه وطوله ان الله كان بكل شيء عليما فهو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل وليفوض التفصيل اليه فان ذلك اقرب الى الادب واوفق للمطالب قوله سبحانه ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون يحتمل التغيير وبحيث يكون الوالدان والاقربون وارثين وبحيث يكونان موروثا منهما والمعنى على الاول لكل احد جعلنا ورثة في تركته ثم انه كانه قيل ومن هؤلاء الورثة فقيل هم الوالدان والاقربون فيحسن الوقف على قوله مما ترك وفيه ضمير كل واما على الثاني فاما ان يكون في الكلام تقديم وتاخير اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي اي ورثة واما ان يكون جعلنا موالي صفة لكل بل المحذوف والعائد محذوف وكذا المبتدأ والتقدير ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون كما يقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله والمولى لفظ مشترك بين معان منها المعتق لانه ولي نعمته في عتقه ومنها العبد المعتق لاتصال ولاية مولاه في انعامه عليه وهذا كما يسمى الطالب غريما لان له اللزوم والمطالبة بحقه ويسمى المطلوب غريما لكون الدين لازما له ومنها الحليف لان المحالف يلي امره بعقد اليمين ومنها ابن العم لانه يليه بالنصرة ومنه المولى للناصر قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ومنها العصبة وهو المراد في الآية اذ لا يليق بها كقوله صلى الله عليه وسلم انا اولى بالمؤمنين من انفسهم من مات وترك مالا فماله للموالي العصبة ومن ترك كلا فانا وليه اما قوله والذين عقدت ايمانكم فاما ان يكون مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع قوله فآتوهم خبره واما ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ومما توسط الفاء بين

الفعل ومفعوله مقدرة ايذانا بتلازمهما واما ان يكون معطوفا على الوالدان فالايمان جمع يمين اليد او الحلف ومن الناس من قال الآية منسوخة وذلك ان الرجل كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك اي ما يهدر وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وبقوله يوصيكم الله وايضا ان الواحد منهم كان يتخذ انسانا اجنبيا ابنا وهم الادعياء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يواخي بين كل رجلين منهم فكانوا يتوارثون بالتبني والمواخاة فنسخ ومن المفسرين من زعم انها غير منسوخة وقوله والذين معطوف على ما قبله والمعنى ان ما ترك الذين عقدت ايمانكم فله وارث هو اولى به فلا تدفعوا المال الى الحليف بل الى الوارث فيكون الضمير في فآتوهم للموالي قال ابو علي الجبائي المراد بالذين عاقدت الزوج والزوجة والنكاح يسمى عقدا بين ميراث الزوج والزوجة بعد ميراث الولد والوالدين كما في قوله يوصيكم الله قاله ابو مسلم وقيل المراد الميراث الحاصل بسبب الولاء وقيل هم الحلفاء والمراد بايتاء نصيبهم النصرة والنصيحة والمصافاة وقال الاصم المراد التحفة بالشيء القليل كقوله واذا حضر القسمة وذهب جمهور الفقهاء الى انه لا يرث المولى الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث لما روى ابن عباس ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا المعتق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على ان المال صار لبيت المال ثم دفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلام لفقره وقال ابو حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الولاء وخالفه الشافعي فيه وحكى الاقطع ان هذه المواخاة لا تصح عند ابي حنيفة ايضا الا بين العرب دون العجم لعادة عقدهم في امورهم ان الله كان على كل شيء شهيدا لانه عالم بجميع الجزئيات والكليات فيشهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه وفيه وعيد للعاصين ووعد للمطيعين هذا وقد مر ان النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ونحوه فذكر في هذه الآية ما يشتمل على بعض اسباب التفضيل فقال الرجال قوامون على النساء يقال هذا قيم المرأة وقوامها بناء مبالغة للذي يقوم بامرها ويهتم بحفظها كما يقوم الوالي على الرعية ومنه سمي الرجال قواما والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا اي انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء قيل وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء والحكماء وفيهم الامامة الكبرى وهي الخلافة والصغرى وهي الاقتداء بهم في الصلوة وانهم اهل الجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص بالاتفاق وفي الانكحة عند الشافعي وزيادة السهم في الميراث والتعصيب فيه وتحمل الدية في القتل الخطأ والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وكل ذلك يدل على فضلهم وحاصلها يرجع الى العلم والقدرة وهناك سبب خارجي وذلك انهم فضلوا عليهن بما انفقوا اي اخرجوا في نكاحهن من اموالهم مهرا ونفقة عن مقاتل ان سعد بن الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه وكانت قد نزلت آية القصاص فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبرئيل اتاني وانزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فلهذا قال العلماء لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما في اللطمة ونحوها فلا ثم قسم النساء قسمين ووصف الصالحات منهن بانهن قانتات مطيعات لله وللزوج حافظات للغيب قائمات بحقوق الزوج في غيبته والغيب خلاف الشهادة ومن واجب حفظ غيبة الزوج ان تحفظ نفسها عن الزنا لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ولئلا يلحق به الولد الحاصل من نطفة غيره وان تحفظ اسراره عن الافشاء وماله عن الضياع ومنزلها عما لا ينبغي شرعا وعرفا عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وما في قوله بما حفظ الله موصولة والعائد محذوف اي بالذي حفظه الله لهن اي عليهن ان يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل عليهن وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان فقوله بما حفظ الله يجري مجرى قولهم هذا بذاك اي هذا في مقابلة ذاك او مصدرية والمعنى انهن حافظات للغيب بحفظ الله اياهن فانه لا يتيسر لهن حفظ الغيب الا بتوفيق الله او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على الامانة واوعدهن العذاب الشديد على الخيانة ومن قرأ بما حفظ الله بالنصب فما ايضا موصولة اي بالامر الذي يحفظ حق الله وامانته وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم او مصدرية اي بسبب حفظهن حدود الله واوامره فان المرأة لولا انها تحاول رعاية تكاليف الله وتجتهد في حفظ اوامره والا لما اطاعت زوجها ثم ذكر غير الصالحات منهن فقال واللاتي تخافون نشوزهن تعرفون بالقرائن والامارات نشوزهن عصيانهن والترفع عليكم بالخلاف من نشز الشيء ارتفع ومنه نشز للارض المرتفعة فعظوهن وهو ان يقول اتقي الله فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي عليك فرض ونحو ذلك واهجروهن في المضاجع اي في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع اي في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وفي ضمن الهجران الامتناع من كلامها ولكن ينبغي ان لا يزيد في الهجر في الكلام على ثلاث فاذا هجرها في المضجع فان كانت تحب الزوج شق ذلك عليها فتركت النشوز وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فكان ذلك دليلا على كمال نشوزها فيباح الضرب حينئذ وذلك قوله واضربوهن والاولى ترك الضرب لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا تضربوا اماء الله فجاء عمر رضه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء على ازواجهن اي اجترأن فرخص في ضربهن فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون ازواجهن فقال صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم ومعناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيرا ممن لم يضربوا واذا ضربها وجب ان لا يكون مفضيا الى الهلاك البتة وان يكون مفرقا على بدنها لا يوالي به في موضع واحد ويتقي الوجه لانه مجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين وقيل دون العشرين لانه حد كامل في شرب العبد ومنهم من لا يرى الضرب بالسياط والعصا وبالجملة فالتخفيف مرعي في هذا الباب ولهذا قال علي بن ابي طالب رضه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال آخرون هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز فاما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالاذى والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن ان الله كان عليا كبيرا لا بجهة كبيرا لا بجثة فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على ازواجكم واقاربكم روي ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر منك عليه فرمى بالسوط واعتق

[illegible]

[illegible]

فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا ۝ يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ۝ وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط ۝ او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ۝ ان الله كان

عفوا غفورا ۝ الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل ۝
والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ۝
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا
وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين ۝ ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا
واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله
بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ۝ يا ايها الذين اوتوا
الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل
ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ۝ ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ۝ الم تر الى الذين
يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا
انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما
مبينا ۝ الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت ۝ ويقولون للذين
كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ۝ اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ۝
ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ۝
ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ۝
فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم
ملكا عظيما ۝ فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه
وكفى بجهنم سعيرا ۝ ان الذين كفروا بآياتنا سوف
نصليهم نارا ۝ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا

غيرها

غيرها ليذوقوا العذاب ۝ ان الله كان عزيزا حكيما
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ۝ لهم فيها ازواج
مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ۝ صدق الله العظيم ۝

القراءة تسوى بادغام تاء التفعل في السين ابو جعفر ونافع وابن عامر تسوى بالامالة وحذف التاء الاولى حمزة وعلي وخلف الباقون تسوى مبنيا للمفعول من التسوية لمستم من اللمس وكذلك في المائدة حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون لامستم من الملامسة فتيلا انظر بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن ذكوان الباقون بالضم وفرق بعضهم بين موضع الخفض فلم يجوز الضم كراهة الانتقال من الكسرة الى الضمة نحو متشابها انظر وبرحمة ادخلوا وخبيثة اجتثت وعذاب اركض واشباه ذلك نضجت جلودهم وبابه مدغما حمزة وعلي وخلف وابو عمرو الوقوف شيئا ط الارض ط حديثا ه تغتسلوا ط ايديكم ط غفورا ه السبيل ط باعدائكم ط نصيرا ه في الدين ط واقوم لا لانفصال لكن قليلا ه السبت ط مفعولا ه لمن يشاء ج عظيما ه يزكون انفسهم ط فتيلا ه الكذب ط مبينا ه سبيلا ه لعنهم الله ط نصيرا ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار نقيرا لا ه للعطف من فضله ج لتناهي الاستفهام مع تعقيب الفاء عظيما ه صد عنه ط سعيرا ه نارا ط العذاب ط حكيما ابدا ط مطهرة ز لاستيناف الفعل على ان من تمام المقصود ظليلا ه التفسير انه سبحانه لما اوعد الظالمين بقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد المطيعين بقوله وان تك حسنة يضاعفها اراد ان يبين ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله الحجة على الخلق ليكون الالزام اتم والتبكيت اعظم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود اقرأ القرآن علي قال فقلت يا رسول الله انت الذي علمتنيه فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن مسعود رض فافتتحت سورة النساء فلما انتهيت الى هذه الآية قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انه بكاء فرح لمشاهدة الله تعالى بكرامة قبول الشهادة على الخلائق والمعنى كيف يصنع هؤلاء الذين شاهدتم وقد علمتم احوالهم من مردة الكفرة كاليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول قيل هذه الجملة معترضة والمراد وقد عصوا والظاهر ان الواو للعطف وحينئذ يقتضي كون عصيان الرسول مغايرا للكفر لان عطف الشيء على نفسه غير جائز فاما ان يخص الكفر بنوع منه وهو الكفر بالله او يقال انه عام واو ذكر قسم منه اظهارا لشرف الرسول وتفظيعا لشأن الجحود به او يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر فيكون في الآية دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ومعنى لو تسوى بهم لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا وكانوا والارض سواء او تصير البهائم ترابا فيودون حالها كقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما ان يتصل بما قبله والواو للعطف اي يودون لو انطبقت عليهم الارض ولم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوا او للحال والمراد ان المشركين لما رأوا يوم القيمة ان الله يغفر لاهل الاسلام دون اهل الشرك قالوا تعالوا فلنجحد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر الله لهم فحينئذ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فهنالك يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا واما ان يكون كلاما مستأنفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه وان قصدوه او توهموه ثم انه وصف اليوم كيفية الصلوة التي هي سنام الطاعات واعظم القربات فقال يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وقد مر سبب نزوله في البقرة وفي لفظ الصلوة ههنا قولان الاول ان المراد منه المسجد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن واليه ذهب الشافعي وليس فيه الا حذف المضاف اي لا تقربوا موضع الصلوة الثاني وعليه الاكثرون ان المراد نفس الصلوة اي لا تصلوا اذا كنتم سكارى ومعنى الآية على القول الاول لا تقربوا المسجد في حالتين الاولى حالة السكر وذلك ان جمعا من اكابر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم يأتون المسجد للصلوة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فنهوا عن ذلك لان الظاهر ان الانسان اذا اتى المسجد فانما يأتيه للصلوة ولا شك ان الصلوة فيها اقوال مخصوصة يمنع السكر منها الثاني حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور اي الاجتياز في المسجد بان كان الطريق الى الماء فيه او كان الماء فيه او وقع الاحتلام فيه والمعنى على القول الثاني النهي عن الصلوة في حالتين الاولى حالة السكر ايضا الا اذا علموا ما يقولون ومعنى قربان الصلوة غشيانها والقيام اليها الثانية حالة الجنابة ويستثنى منها حالة عبور السبيل ويراد به في هذا القول السفر اي لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حالة اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر ويجوز ان يكون الا عابري سبيل صفة لقوله جنبا اي لا تقربوا جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين وانما استثني حالة السفر لانه لا يجد من يغتسل فيها والمسافر اذا اجنب ثم لم يجد الماء تيمم وصلى مع الجنابة ويرد عليه ان الجنب المقيم ايضا اذا عجز عن استعمال الماء لمرض او برد يجوز له التيمم والصلوة على الجنابة اللهم الا ان يقال ان عذر السفر اعم واغلب فلهذا اختص بالذكر او لا وسكارى جمع سكران وقوله وانتم سكارى في محل النصب على الحال ولهذا عطف عليه قوله ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب وخالف الضحاك جمهور الصحابة والتابعين فقال ان السكر ههنا يراد به غلبة النوم ويوافقه الاشتقاق فان السكر عبارة عن سد الطريق ومنه سكر البثق سد طريقه والسكر في الشرب هو ان ينقطع عما عليه من المضاء في حال الصحو فعند النوم يمتلئ مجاري الروح من الابخرة الغليظة فتنسد تلك المجاري ولا ينفذ الروح الباصر والسامع الى ظاهر البدن والجواب ان لفظ السكر حقيقة في السكر من الخمر والاصل في الاطلاق الحقيقة ومتى استعمل مجازا فانما استعمل مقيدا كقوله تعالى وجاءت سكرة الموت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وايضا اجمع المفسرون على انها نزلت في شرب الخمر وسبب النزول يمنع ان لا يكون مرادا من الآية ثم على قول الجمهور يمكن ادعاء النسخ في الآية بانه انما نهى عن قربان الصلوة حال السكر ممدودا الى غاية ان يصير بحيث يعلم ما يقول والحكم الممدود الى غاية يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضي جواز الصلوة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول وجواز الصلوة مع هذا السكر يستلزم جواز هذا السكر لكنه تعالى حرم الخمر في آية المائدة على الاطلاق فتكون ناسخة لبعض مدلولات هذه الآية ومن قال ان مدلول الكلام يرجع الى النهي عن الشرب

مخل بالفهم عند القرب من الصلوة وتخصيص الشي بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فلا يكون منسوخا يدل به ان الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون الى ان نزلت اية المائدة فقالوا انتهينا يا رب والتحقيق فيه ان النهي عن مباح الاصل في وقت تا وبوجه ما وان كان لا يدل على تحريمه ولا على اباحته في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة راجح بحكم الاصل فيغلب على الظن ذلك كما فهمه الصحابة ثم انه تعالى ذكر حكم المعذورين في حال الحدث فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة والمعنى ان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك الذين هم على السفر اذا عدموه لبعده ويحتمل ان يقال قوله فلم تجدوا ماء ليس قيدا في حكم المرضى لانهم في الرخصة وان وجدوا الماء ثم عمم على كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف سبع او عدو او عدم الة استقاء او اختصار في مكان لا ماء فيه او غير ذلك من الاسباب التي لا تكثر كثرة المرض والسفر ويراد بالمرض ما يخاف معه محذورا كبطؤ برء وشين فاحش ظاهر بقول طبيب مقبول الرواية لا انه يتالم ولا يخاف وروي ان بعض الصحابة اصابته جنابة وكان به جراحة عظيمة فسال بعضهم فلم يفته بالتيمم فاغتسل فمات فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله وقال مالك وداود ويجوز له التيمم بجميع انواع المرض وفي معنى المرض البرد المؤدي الى المرض لو استعمل الماء كما في حديث عمرو بن العاص في تفسير قوله ولا تقتلوا انفسكم والسفر يعم الطويل والقصير اعني مسافة القصر وما دونها لاطلاق قوله او على سفر والغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان كان الرجل اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يغيب فيه عن اعين الناس فكني به عن ذلك واكثر العلماء الحقوا بالغائط كل ما يخرج من السبيلين من معتاد او نادر اما اللمس او الملامسة ففيه قولان الاول ان المراد به التقاء البشرتين بجماع او بغيره كما هو مقتضى اللغة وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واليه ذهب الشافعي سره الثاني المراد به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومذهب ابي حنيفة سره والشيعة لما ورد في القران بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا عن ابن عباس ان الله حيي كريم يعف ويكني يعبر عن المباشرة بالملامسة وايضا يشمل الاية الحدثين الاصغر والاكبر ثم على مذهب الشافعي قال بعض اهل الظاهر انما ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لقوله او لمستم والصحيح انه ينتقض وضوؤهما معا لاشتراك اللامس والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا ماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلوة فطلب الماء ولم يجده فتيمم وصلى ثم دخل وقت الصلوة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب وقال ابو حنيفة لا يجب بدليل قوله ولم نجد له عزما وسبق الطلب في حقه تعالى محال واجيب بانه بني الكلام على المجاز للمبالغة كانه طلب شيئا ثم لم يجده واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه احتاج اليه لعطشه او لعطش حيوان محترم معه جاز له التيمم ولو وجد من الماء ما لا يكفيه فالاصح عند الائمة انه يستعمله ويتيمم بعده ثم يتيمم ليكون عاملا بظاهر الاية والتيمم في اللغة القصد والصعيد التراب فعيل بمعنى فاعل وقال ثعلب والزجاج انه وجه الارض ترابا كان او غيره ومن هنا قال ابو حنيفة اذا كان صخرا لا تراب عليه وضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا وقال الشافعي لا بد من تراب ليتحقق مفهوم التصاعد فيه وليلتصق بيده فيمكنه المسح ببعضه كما جاء في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ولا يفهم من قول القائل مسحت براسه من الدهن الا معنى التبعيض وكان الصعيد وصف بالطيب والطيب هو الذي يحتمل الانبات لقوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته ولانه صلى الله عليه وسلم خصص التراب بهذا المعنى فقال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا واما مسح الوجه واليدين فنقل وابن عباس رضه اختصاص المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقريب منه مذهب مالك لان المسح يكتفى فيه باقل ما ينطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي سره وابو حنيفة يستوعب الوجه واليدين الى المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الاباط لان اليد حقيقة لهذا العضو الى الابط ختم الاية بقوله ان الله كان عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان عادته العفو عن المذنبين كان اولى بالترخيص للعاجزين عن عائشة رضي عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليست معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله واضع راسه على فخذي قد نام فقال احبست رسول الله والناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله اية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير وهو احد النقباء ما هو باول بركتكم يا ال ابي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر من اول السورة الى ههنا احكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من اثار المتقدمين واحوالهم لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد السامع هزة وجدة فقال الم تر الى الذين اي الم ينته علمك اي الم تنظر الى من اوتوا حظا من علم التورية وهم احبار اليهود وانما ادخل من التبعيضية لانهم عرفوا من التورية نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاما الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه فقد وصفهم بان معهم علم الكتاب في قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لانهم عرفوا الامرين جميعا يشترون الضلالة يختارونها لان من اشترى شيئا فقد اثره واختاره قال الزجاج والمراد تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم لاغراضهم الفاسدة من اخذ الرشى وحب الرياسة وقيل المراد يستبدلون الضلالة وهي البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام بعد وضوح الايات لهم على صحته ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوا وانه قبح ممن جمع بين هذين الامرين الضلالة والاضلال عن ابن عباس ان الاية نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه فيثبطانهم عن الاسلام وقيل المراد عوام اليهود كانوا يعطون احبارهم بعض اموالهم لينصروا اليهودية فكانهم اشتروا باموالهم الشبهة والضلالة والله اعلم منكم باعدائكم لانه عالم بكنه ما في صدورهم من الحنق والغيظ فاذا اطلعكم على احوالهم فلا تستنصحوهم في اموركم واحذروهم وكفى بالله وليا متوليا لامور العبد وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم وكرر كفى ليكون اشد تاثيرا في القلب واكثر مبالغة وزيدت الباء في الفاعل ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره وكان الباء للسببية وقال ابن السراج التقدير كفى الاكتفاء بالله وقيل فائدة الباء وهي للالصاق ان يعلم ان هذه الكفاية صدرت من الله تعالى بغير واسطة وقوله من الذين هادوا اما بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله اعلم الى الاية معترضات بين البيان والمبين واما بيان لاعدائكم والجملتان بينهما معترضتان واما صلة لنصيرا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا واما كلام مستانف على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه قال الواحدي الكلم جمع حروفه اقل

من حروف واحدة وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره ومعنى هذا التحريف استبدال لفظ مكان لفظ كوضعهم ادم طوالا مكان اسمر ربعة وجعلهم الحد بدل الرجم واخبر عن الدلالة على الامالة والازالة واما في المائدة فقيل من بعد مواضعه نظرا الى ان الكلم كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له وقيل المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتاويلات الفاسدة كما يفعله في زماننا اهل البدعة وجعل بعض العلماء هذا القول اصح لاستبعاد تحريف المشهور المتواتر لكن دعوى التواتر في التورية ممنوعة وقيل كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويسالونه عن امر فيخبرهم به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملة جهالاتهم انه صلى الله عليه وسلم كان اذا امرهم بشي قالوا في الظاهر سمعنا وفي الباطن عصينا او كانوا يقولون كلا اللفظين ظاهرا اظهارا للعناد والمرد والكفر والجحود ومنها قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم واسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين اما احتماله للمدح فلقول العرب اسمع فلانا اذا سبه واذا كان المراد اسمع غير مسمع مكروها كان مدحا ولو قيل ولهجا واما احتمال الذم فبان يكون معناه اسمع منا دعوا عليك بالصمت لان من كان اصم فانه لا يسمع فلا يسمع او بان يراد اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه اي غير مسمع جوابا يوافقك او بان يراد اسمع غير مسمع كلاما ترضيه وعلى هذا يجوز ان يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالا من ضميره اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لنبو سمعك عنه ومنها قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا وقد عرفت احتمالاته في البقرة وانما جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد تصريحهم بالعصيان على وجه لان المواجهة بالعصيان اهون خطبا في العرف من المواجهة بالسب ودعاء السوء ولهذا كانت الكفرة يواجهونه بالاول دون الثاني ليا بالسنتهم مفعول لاجله او مصدر لمحذوف او يعقولون لانه في معنى الليّ ايضا وعينه واو بدليل لويت فقلب وادغمت والمعنى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا او لعلهم كانوا يفتلون اشداقهم والسنتهم عند ذكر هذا الكلام سخرية وطعنا على عادة المستهزئين فبين الله تعالى انهم انما يقدمون على هذه الاشياء طعنا في الدين وتنبيها بذلك على انهم كانوا يقولون فيما بينهم انا نشتمه ولا يعرفه ولو كان نبيا لعرف باظهار الله ذلك عليه فانقلب ما جعلوه طعنا في الدين دلالة قاطعة على صحته لان الاخبار عن الغيب معجز ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا بدل قولهم سمعنا وعصينا اذ وضح لهم الايات وثبت لديهم البينات كرات بعد مرات واسمع دون ان يقال معه غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم اعدل واشد من قولهم ثم قوم اي مستقيم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي بسببه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بالله وبالنبوة وببعض الانبياء دون سائر رسله او الا قليلا منهم امنوا ان جعلنا قليلا فلا يراد به الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا او اراد بالقلة العدم ثم زجرهم عن كفرهم بالجحود والعناد بقوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب الاية والطمس المحو يقال طريق طامس ومطموس ومفازة طامسة الاعلام وطمست الكتاب محوته وهو في الاية حقيقة او مجاز قولان والمعنى على الاول محو تخطيط صورها واشكالها من عين وحاجب وانف وفم والقلب في فنردها على ادبارها اما التقليب اي فنجعل الوجوه بسبب هذا الطمس على هيئة اقفائها مطموسة مثلها لان الوجه انما يتميز عن سائر الاعضاء بما فيه من الحواس والتخاطيط فاذا ازيلت ومحيت لم يبق فرق بينها وبين القفاء واما التعقيب على ان العقوبة شيئان احدهما عقيب الاخرى الطمس ثم نكس الوجوه الى خلف والقفاء الى قدام وانما يكون هذا عقوبة لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة كما قال في حق اهل النار واما من اوتي كتابه وراء ظهره على ان وجوههم مردودة الى اقفائهم فيدركت الكتابة ويقرا من هنالك واما المعنى على القول الثاني فنحن نطمسها عن الهدى فنردها بالخذلان على ادبارها اي على ضلالتها وشبهاتها وذلك ان المتوجه الى عالم الحس معرض عن عالم العقل وبقدر الاقبال على ذلك يحصل الادبار عن هذا وقال عبد الرحمن بن زيد نردهم الى حيث جاؤوا منه وهي اذرعات الشام اجلاء بني قريظة والنضير والطمس على هذا اما تقبيح الوجه واما ازالة اثارهم عن ديار العرب وقيل الطمس القلب والتغيير والمراد بالوجوه رؤساؤهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم والتعبير الى قوله او نلعنهم اما للوجوه ان اريد بها الوجهاء واما لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فان قيل فاين وقوع الوعيد فالجواب انه مشروط بعدم ايمان جميعهم ولكنه قد امن ناس من علمائهم كعبد الله بن سلام واصحابه حكي انه لما نزلت هذه الاية اتى عبد الله بن سلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي وايضا انه ما جعل الوعيد هو الطمس بعينه بل اياه او اللعن فان كان الاحوال فقد حصل رؤساؤهم او اجلاؤهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان واللعن الموعود ظاهر واللعن المتعارف المسخ وقيل هو منتظر ولهذا قيل وجوها منكرة دون وجوهكم ليشمل وجوه غير المخاطبين من ابناء جنسهم ولا بد من مسخ وطمس لليهود قبل يوم القيامة وقيل ان قوله امنوا التكليف متوجه عليهم في جميع حياتهم فلزم ان يكون قوله من قبل ان نطمس وجوها واقعا في الاخرة فالتقدير امنوا من قبل ان يجي الوقت الذي نطمس فيه وجوهكم وهو ما بعد الموت وكان امر الله مفعولا لانه لا راد لحكمه ولا يتعذر عليه شي يريد ان يفعله وهذا كما يقال في الشي الذي لا شك في حصوله هذا الامر مفعول وان لم يفعل بعد فاذا حكم بانزال العذاب على قوم فعل ذلك البتة والمراد بالامر الشان والفعل الذي تعلق ارادته به لا الامر الذي هو احد اقسام الكلام فلا يصح استدلال الجبائي به على ان كلامه تعالى مفعول اي مخلوق ثم بين ان مثل هذا التهديد من خواص الشرك والكفر فقال ان الله لا يغفر وفي الاية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع لاتصالها بقصتهم ولانها دلت على ان ما سوى الشرك مغفور واليهودية غير مغفورة بالاجماع ومن هنا قال الشافعي سره المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك والمشرك مباح الدم ومباح الدم هو الذي لا يجب القصاص على قاتله ولا يتوجه النهي عن قتله ترك العمل بهذا الدليل في النهي فيبقى معمولا به في سقوط القصاص عن قاتله واستدلت الاشاعرة بالاية على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لان ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا الثاني لمن تاب كما ان الاول مختص بالاجماع لمن لم يتب قالوا ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء والمعنى لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله والمشية تكون قيدا في الفعلين المنفي والمثبت جميعا لانه ان شاء لم يتب المشرك فلا يترتب عليه الغفران وان شاء تاب صاحب الكبيرة فيستوجب الغفران وروى الواحدي في البسيط باسناده عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر اني لارجو كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة يوم احد وكانوا قد وعدوه الاعتاق ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا له فعند ذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ندمهم وانه لا يمنعهم من الدخول في الاسلام الا قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر فقالوا قد اتينا كل ما في الاية فنزل قوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فقالوا هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فدخلوا عند ذلك في الاسلام ومن يشرك بالله فقد افترى اثما والفعل اثما عظيما لانه ادعى ما لا يصح كونه عن ابن عباس في رواية الكلبي ان ناسا من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على

ذنب فقال لا تقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فنزل فيهم الم تر الى الذين يزكون انفسهم ويدخل فيه كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والزلفى عند الله بل الله يزكي من يشاء وان تزكيته هي التي يعتد بها كما اخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله والله اني لامين في السماء امين في الارض وكفى باظهار المعجزات على يده تزكية له وتصديقا لقوله ولا يظلمون فتيلا هو ما فتلت بين اصبعيك من الوسخ فعيل بمعنى مفعول ابن السكيت هو ما كان في شق النواة والضمير للذين يزكون اي يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او لمن يشاء اي يثابون على من غير نقص شي من ثوابهم ثم عجب النبي صلى الله عليه وسلم من فريتهم وادعاء زكاتهم ومكانتهم عند الله فقال انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اي بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم قال المفسرون خرج كعب بن الاشرف وحيي بن الاخطب في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على ابي سفيان والآخرون في دور قريش فقال لهم اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة ليجئ منكم ثلثون ومنا ثلثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا واقرب الى الحق انحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما هو عليه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعبا واصحابه فلما رجعا الى قومهما قال لهما قومهما ان محمدا يزعم انه قد نزل فيكما كذا وكذا فقالا صدق والله ما حملنا على ذلك الا بغضه وحسده وقد مر معنى الطاغوت في تفسير آية الكرسي واما الجبت ففي الصحاح انه كلمة يقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي وحكى القفال عن بعضهم ان اصله جبس فابدلت السين تاء والجبس هو الخبيث الردي وقال الكلبي الجبت في الآية حيي بن الاخطب والطاغوت كعب بن الاشرف وكانت اليهود يرجعون اليهما فسميا بهذين الاسمين لسعيهما في اغواء الناس واضلالهم فلا جرم جزاهم الله تعالى بقوله اولئك الذين لعنهم الله والخزي اذ جعلوا من هو اضل من الانعام واقل من الانعام حيث رضوا بعبودية الاصنام اهدى سبيلا وافضل حالا من الذين هم اشرف الانام لاختيارهم دين الاسلام الذي هو عبادة ذي الجلال والاكرام ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا وعيد لهم بلزوم الابعاد والطرد ولحوق العار والصغار ووعد للنبي والمؤمنين بالاستيلاء والاستعلاء عليهم الى يوم القيمة والخطاب في فلن تجد للنبي او لكل طالب بغرض ثم لما وصفهم بالضلال والاضلال وصفهم بالبخل والحسد اللذين هما شر الخصال لان البخيل يمنع ما له من النعمة والحاسد يتمنى ان يزول عن الغير اولى من الفضيلة وام قيل انها متصلة وقد سبقها استفهام في المعنى كانه لما حكى قولهم للمشركين انهم اهدى سبيلا من المؤمنين قال امن ذلك نتعجب ام من قولهم لهم نصيب والاصح انها منقطعة كانه لما تم الكلام الاول قال بل لهم نصيب من الملك ومعنى الآية انهم كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فابطل الله عليهم قولهم وقيل كانوا يزعمون ان الملك يعود اليهم في آخر الزمان ويخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل المراد بالملك التمليك يعني انهم يقدرون على دفع نبوتك لو كان التمليك لهم [illegible]

وهو انه تعالى قادر على ابقائهم في النار ابدا معذبين من غير ان يحترق جلودهم فالحكمة في انضاج جلودهم والجواب لا يسال عما يفعل

ثم ذلك مع انهم لو كان لهم ملك بخلوا بالنقير فتعجب [illegible] والتقدير انهم عجيب

كما انه قادر على ايصال الالام اليهم من غير ادخالهم النار مع انه لا يمكن ان يقال لم عذبهم بادخالهم النار وسؤال آخر وهو انه كيف يعذب مكان جلود العاصية جلودا لم تعص والجواب يجعل النضيج غير نضيج فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة ويؤيده قول اهل اللغة تبديل الشي تغييره وان لم يات ببدل وابدلت الشي بغيره فالتبديل تغيير الصفة او الذات والابدال تغيير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد بهذا التبديل هو تغيير الذات فلهذا فسر التبديل بالابدال ولعله انما حمله على ذلك وصف الجلود بقوله غيرها وللقائل ان يقول المغايرة اعم من ان تكون في الذات او في الصفات فما دريك انها في الآية مغايرة الذات لا الصفات انتهى الآن يعضده نقل صحيح فيكون الجواب عن السؤال ان المعذب هو الانسان والجلد ليس جزءا من ماهيته وانما هو سبب لوصول العذاب اليه ويقال المراد الدوام وعدم الانقطاع والنضج والاحتراق اي كلما ظنوا انهم احترقوا واشرفوا على الهلاك اعطيناهم قوة جديدة بحيث ظنوا انهم الآن حدثوا ووجدوا وقال السدي يخرج من لحم الكافر جلد آخر وفي هذا التاويل بعد لان لحمه متناه فعند نفاده لا بد من طريق آخر في تبديل الجلد فيعود اول السؤال وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه ترك الظاهر وان السرابيل لا توصف بالنضج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه او ليذوقوا بهذه الجلدة الجديدة العذاب والمراد بالذوق ان احساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق بالمذوق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه شي مما يريده بالمجرمين حكيما لا يفعل الا الصواب ثم قرن الوعد بالوعيد على عادته فقال والذين آمنوا الآية قال الواحدي الظليل ليس ينبئ على الفعل حتى يقال انه بمعنى فاعل او مفعول بل هو مبالغة في نعت الظل مشتق من لفظه كقولهم ليل اليل قيل اذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل وايضا المواضع التي لا يصل نور الشمس اليها في الدنيا يكون هواؤها عفنا فاسدا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك والجواب المنع من انه لا شمس هناك حتى او جد ضوءا فاين هو الظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فينانا اي منبسطا لا جوب فيه اي لا فرج [illegible] الاغصان ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وعند الحكماء المراد بالظل الراحة لانه من اسبابها ولا سيما في البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا اسلوبا عندهم صار موعودا لهم

التاويل لو تسوى بهم الارض اي يتمنون ان يخلو في عالم الطبيعة ولم يكشف لهم عالم الحقيقة كما يرون من عذاب الطبيعة كان السكران ممنوع من الصلوة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلات لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى من غلبات الاحوال فان التكاليف حينئذ زائلة ولا جنبا بالالتفات الى غير الله فان الصلوة اذ ذاك باطلة وتستثنى من الحالة الاولى حالة الشعور ومن الثانية حالة العبور كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل فهذا القدر من الالتفات من الضروريات التي لا بد منها الضرورات وان كنتم مرضى بحب الدنيا او على سفر في متابعة الهوى او جاء احد منكم من الغائط في قضاء شهوة من الشهوات او لمستم عجوز الدنيا في تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا فتمعكوا في تراب اقدام الكرام فانه طهور ذنوب العظام من الذين هادوا يعني دأب علماء السوء قريب من دأب الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويأولونها على حسب آرائهم ويقولون سمعنا ما في القرآن بالمقال وعصينا بالفعال وينكرون على ارباب المقامات والاحوال ويقولون اسمع غير مسمع وراعنا يخاطبونهم بكلام ذي وجهين ليا بالسنتهم وطعنا في اهل الدين يا ايها الذين اوتوا علم الكتاب ظاهرا ولم يؤتوا علم باطن الكتاب آمنوا بما نزلنا على الاولياء من علم باطن القرآن مصدقا لما معكم من العلم الظاهر لان اهل العلم اللدني يصدقون اهل العلم الظاهر ولكن اهل العلم الظاهر يصعب عليهم تصديق علوم الاولياء لانه لا يناسب عقولهم من قبل ان نطمس وجوه القلوب بالعمى والصمم فنردها على ادبارها ناظرين الى الدنيا وزخارفها بعد ان كانوا ناظرين في الميثاق الى ربها او نلعنهم بمسخ صفاتهم الانسانية بالسبعية والشيطانية كما مسخنا اصحاب السبت بالصورة ومسخ المعنى اصعب من مسخ الصورة لان فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة ان الله لا يغفر ان يشرك به للشرك ثلث مراتب وكذا للمغفرة فشرك جلي بالاعيان وهو للعوام وعبادة الكواكب والاصنام ولا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية في اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية وشرك خفي بالاوصاف للخواص وهو شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فلا يغفر الا بالوحدانية وهو افراد الواحد للواحد وشرك اخفى للاخص وهو رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهو فناء الانانية وبقاء الهوية الم تر الى الذين يزكون انفسهم من اهل العلوم الذين تعلموا العلم ليباهوا به العلماء ويماروا به السفهاء فحصل لهم صفات ذميمة اخرى مثل المباهاة والمماراة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وغلبة الاقران والايذاء بل الله يزكي من يشاء بتسليم نفوسهم الى ارباب التزكية من العلماء الراسخين والمشايخ المحققين كما يسلم الجلد الى الدباغ اولياء فاذا سلموا انفسهم اليهم وصبروا على تصرفاتهم رأوا آثار زكاء فيهم ولكن يمنع بعضهم يؤمنون بالجبت بجبت النفس الامارة وطاغوت الهوى ويقولون للذين كفروا من اهل الاهواء والبدعة والمتفلسفة هؤلاء اهدى من الذين آمنوا بكل ما امر الله به ورسوله ثم وصفهم بالبخل والحسد ثم قال فقد آتينا آل ابراهيم يعني اهل الخلة والمحبة الكتاب والحكمة العلم الظاهر والعلم الباطن وآتيناهم ملكا عظيما هو معرفة الله فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه لان من العلماء مقبلين ومنهم مدبرين وكفى بجهنم لنفسهم الحاسدة سعيرا تحرق حسناتهم فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب ان الذين كفروا باياتنا باوليائنا الذين هم مظاهر آيات الحق وحجج الله على الخلق سوف نصليهم نار الحسد والغضب والكبر والعجب كلما نضجت جلودهم اي انقطعت لبعض ادوائهم النفوس الامارة ومقتضيات هواها ولا يخفى حسن استعارة الجلود لآثار الشي من حيث الظهور والاشتمال بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فان دواعي الحرص والغضب والشهوة لا تتناهى البتة ما دامت النفس على صفة الامارية فلن يزال مبتلى بهذه الشهوات ذائقة لعذاب التعلقات والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم اي نجذبهم بجذبات العناية الى جنات الوصلة تجري من تحتها الانهار من ماء الحكمة ولبن الفطرة وخمر الشهود وعسل الكشوف لهم فيها ازواج من تجلي صفات الجلال والجمال مطهرة من لوث الوهم والخيال وندخلهم ظلا ظليلا هو ظل شمس عالم الوجود يوم لا ظل الا ظله اللهم اجعلنا منهم آمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا وشفيعنا وشفيع جميع ذنوبنا ابو القاسم محمد وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين

ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس
ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله

واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا ◉ الم تر الى الذين يزعمون
انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك ◉ يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا ◉ واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون
عنك صدودا ◉ فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما
ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا ◉ وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
توابا رحيما ◉ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما ◉ ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا
من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
لكان خيرا لهم واشد تثبيتا ◉ واذا لآتيناهم من لدنا اجرا
عظيما ◉ ولهديناهم صراطا مستقيما ◉ ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و
الصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا ◉ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ◉ صدق الله العظيم

القراءة ان اقتلوا بكسر النون لالتقاء الساكنين ابو عمرو وعاصم وحمزة وسهل ويعقوب الباقون بالضم نقلا لحركة همزة الوصل
الى ما قبلها او اخرجوا بكسر الواو للساكنين عاصم وسهل وحمزة الباقون بالضم الا قليلا بالنصب ابن عامر على احتمال الاستثناء او بمعنى الا فعلا
قليلا او الا قليلا الباقون بالرفع على البدل وهو اكثر الوقوف الى اهلها لا لان التقدير يأمركم ان تؤدوا وان تحكموا بالعدل ط
يعظكم به ط بصيرا ه منكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واليوم الآخر ط تأويلا ه ان يكفروا به ج بعيدا ه صدودا ج للآية مع فاء التعقيب
الشيء الثاني يحلفون قد قيل على ان ما بعده ابتداء قسم والاولى تعلق الباء بيحلفون وتوفيقا ه بليغا ه باذن الله ط رحيما ه تسليما ه
قليل منهم ط تثبيتا ه لا عظيما ه لا لان ما بعده من تتمة جواب لو مستقيما ه والصالحين لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى رفيقا ه
من الله ط عليما ه التفسير لما شرح بعض احوال الكفار عاد الى ذكر التكاليف وايضا لما حكى عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق وقالوا للذين
كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا امر المؤمنين في هذه الآية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب المذاهب والديانات او من باب
الدنيا والمعاملات وايضا لما وعد في الآية السابقة الثواب العظيم على الاعمال الصالحات وكان من اجلها الامانة فقال ان الله يأمركم ان

ان تؤدوا

ان تؤدوا الامانات الى اهلها روي ان عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح
اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلب منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه
المفتاح فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى ركعتين فلما خرج سأله
العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفعه الى العباس ثم قال يا عثمان خذ المفتاح على ان للعباس
معك نصيبا فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمان يا علي
اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله تعالى في شأنك فقرأ عليه هذه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واسلم و
فجاء جبريل عليه السلام وقال ما دام هذا البيت كان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان وقال صلى الله عليه وسلم خذوها يا بني طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم
الا ظالم ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة وهو اليوم في ايديهم ثم نزول الآية عند هذه القصة لا يوجب خصوصها بها ولكنها تعم جميع انواع
الامانات فاولها الامانة مع الرب تعالى في كل ما امر به ونهى عنه قال ابن مسعود رض الامانة في الكل لازمة في الوضوء والجنابة والصلوة والزكوة و
الصوم وعن ابن عمر ان الله تعالى خلق فرج الانسان وقال هذا امانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب واسع فامانة اللسان ان لا يستعمله
في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العين ان لا يستعملها في النظر الى الحرام وامانة السمع ان لا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي
والفحش والاكاذيب وكذا القول في سائر الاعضاء ثم الامانة مع سائر الخلق ويدخل فيه رد الودائع وترك التطفيف وستر عيوب الناس
وافشاء اسرارهم ويدخل فيه عدل الامراء مع الرعية والعلماء مع العوام بان يرشدوهم الى ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن العقائد الباطلة
والاخلاق غير الفاضلة ويدخل امانة الزوجة للزوج في ماله وفي نفسها وامانة الزوج للزوجة في ايفاء حقها وحفظها وامانة السيد للمملوك وبالعكس
وامانة الجار للجار والصاحب للصاحب ويدخل فيه نهي اليهود عن كتمان امر محمد صلى الله عليه وسلم والامانة مع نفسه بان يختار لها الا ما هو الانفع والاصلح في الدين
والدنيا وان لا يوقعها بسبب اللذات الفانية في التبعات الدائمة وقد عظم الله تعالى امر الامانة في مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون وقال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له والامانة مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع ثم لما امر باداء ما وجب لغيرك عليك امر بايصال
حقوق الناس بعضهم عن بعض اذا كنت بصدد الحكم فقال واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وفي قوله واذا حكمتم تصريح بانه ليس لجميع الناس
ان يشرعوا في الحكم والقضاء وقد عد العلماء من شرائط النيابة العامة الاسلام والبلوغ والعقل والذكورة والحرية والعدالة والكفاية والاهلية للاجتهاد
بان يعرف ما يتعلق به الاحكام من كتاب الله وسنة رسوله ويعرف منها العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ و
من السنة المتواتر والآحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف اقاويل الصحابة ومن بعدهم اجماعا وخلافا وجلي القياس وخفيه وصحيحه وفاسده
ويعرف لسان العرب لغة واعرابا وخصوصا وعموما الى غير ذلك مما له مدخل في استنباط الاحكام الشرعية من مداركها ومظانها وكفى بما في هذا المنصب
من الخطر انه منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الراشدين من بعده وفعل المتصدي بذلك ان يتأدب بآدابهم ويتخلق باخلاقهم والا فالويل له
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يجاء بالقاضي العادل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين قط واذا كان حال العادل
هذا فما ظنك بالجائر وعنه صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلما او لاق لهم دواة
فيجمعون ويلقون في النار ان الله نعما يعظكم به المخصوص بالمدح محذوف وما موصولة او مبهمة موصوفة والتقدير نعم الذي او نعم شيئا يعظكم به
ذلك المأمور من اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا سميع كيف تحكمون وبصير كيف تؤدون وفيه اعظم اسباب الوعد
للمطيع واشد اصناف الوعيد للعاصي ثم انه سبحانه لما امر الرعاة بطاعة الولاة كما امر الولاة في الآية المتقدمة بالشفقة على الرعاة فقال يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله الآية عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية
ان يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة وقالت الاشاعرة الطاعة موافقة الامر ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع
في ان المأمور به كايمان ابي لهب هل يكون مرادا ام لا فعند الاشاعرة الامر قد يوجد بدون الارادة لئلا يلزم الجمع بين الضدين في تكليف ابي لهب
مثلا بالايمان وعند المعتزلة لا يأمر الا بما يريد والخلاف بين الفريقين مشهور قال في التفسير الكبير هذه آية شريفة مشتملة على اكثر علم اصول الفقه
لان اصول الشريعة اربعة الكتاب والسنة واشار اليهما بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس العطف للمغايرة الكلية ولكن الكتاب يدل على امر الله
ثم يعلم منه امر الرسول لا محالة والسنة تدل على امر الرسول ثم يعلم منه امر الله لا محالة والاجماع والقياس واشير الى الاجماع بقوله واولي الامر لانه تعالى
امر بطاعتهم على سبيل الجزم وكل من امر الله تعالى بطاعته على سبيل الجزم وجب ان يكون معصوما لانه لو احتمل اقدامه على الخطأ والخطأ منهي عنه لزم
اعتبار اجتماع الامر والنهي في الفعل الواحد وانه محال ثم ذلك المعصوم اما مجموع الامة او بعضها على ما يقوله الشيعة من ان المراد بهم الائمة المعصومون او ان
او على ما زعم بعضهم انهم الخلفاء الراشدون او على ما روي عن سعيد بن جبير وابن عباس انهم امراء السرايا كعبد الله بن حذافة السهمي او كخالد بن
الوليد اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وكان معه عمار بن ياسر فوقع بينهما خلاف فنزلت الآية او على ما روي عن ابن عباس والحسن
ومجاهد والضحاك انهم العلماء الذين يفتون بالاحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم لكنه لا سبيل الى الثاني واما ما زعمت الشيعة فلانا نعلم بالضرورة انا
في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم والاستفادة منه فلو وجب علينا طاعته على الاطلاق لزم تكليف ما لا يطاق ولو وجب علينا طاعته
اذا صرنا عارفين به وبمذهبه صار هذا الايجاب مشروطا وظاهر الآية يقتضي الاطلاق على ان طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة فلو كانت هذه الطاعة
مشروطة لزم ان يكون اللفظة الواحدة مطلقة ومشروطة معا وهو باطل وايضا الامام المعصوم عندهم في كل زمان واحد ولفظ اولي الامر جمع و
وايضا انه قال فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وعلى هذا ينبغي ان يقال فردوه الى الامام واما سائر الاقوال فلا نزاع في وجوب طاعتهم
لكنه اذا علم بالدليل ان طاعتهم حق وصواب وذلك الدليل ليس الا الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسما منفصلا كما ان وجوب طاعة الزوجة للزوج والولد
للوالدين والتلميذ للاستاذ داخل في طاعة الله وطاعة الرسول اما اذا حملناه على اجماع اهل الحل والعقد لم يكن هذا داخلا فيما تقدم اذ الاجماع قد يدل
على حكم لا يوجد في الكتاب والسنة وايضا قوله فان تنازعتم في شيء مشعر باجماع تقدم يخالف حكمه حكم هذا التنازع وايضا طاعة الامراء والخلفاء
مشروطة بما اذا كانوا على الحق وظاهر الآية يقتضي الاطلاق واذا ثبت ان حمل الآية على هذه الوجوه غير مناسب تعين ان يكون ذلك المعصوم كل الامة
اي اهل الحل والعقد واصحاب الاعتبار والآراء فالمراد بقوله واولي الامر ما اجمعت الامة عليه وهو المدعى واما القياس فذلك قوله فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول اذ ليس المراد من رده الى الله والرسول رده الى الكتاب والسنة والاجماع والا كان تكرارا لما تقدم ولا التفويض علمه الى الله ورسوله والسكوت

عنه لان الواقعة ربما كانت لا تحتمل الاهمال وليفتقر الى قطع مادة الشغب والخصومة فيها بنفي او اثبات ولا الاحالة على البراءة الاصلية فانها معلومة
بحكم العقل فاذ ردها اليها لا يكون ردا الى الله والرسول فاذن المراد ردها الى الاحكام المنصوصة في الوقايع المشابهة لها وهذا يعني القياس فحاصل الآية
الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم لمن عدا الرسول بطاعة الرسول ثم لما سوى اهل الحل والعقد بطاعتهم ثم امر اهل استنباط الاحكام و
من مداركها ان وقع اختلاف واشتباه بين الناس في حكم واقعة ان يستخرجوا لها وجها من نظائرها واشباهها فما احسن هذا الترتيب ثم في الاية
الاية دلالة على ان الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقا سواء كان القياس جليا او خفيا وانه لا يجوز معارضة النص والتخصيص بالقياس وقد اعتبر
هذا الترتيب ايضا معاذ واستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا والقرآن مقطوع في متنه والقياس مظنون والقرآن كلام لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه والقياس نتيجة عقل الانسان الذي هو عرضة الخطاء والنسيان وقد اجمع العلماء على ان ابليس خصص عموم الخطاب
في قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا بالقياس وهو قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فاستحق اللعن الى يوم الدين وكل فيه ان تخصيص النص بالقياس
تقديم القياس على النص وقبحه ما فيه ثم ان كان الامر للوجوب فقوله اطيعوا يدل على وجوب الطاعة وان كان للندب فههنا يدل على الوجوب
ظاهرا لانه ختم الاوامر بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وهو وعيد والظاهر انه قيد في جميع الاوامر لا في قوله فردوه وحده وايضا الندبية
وهو اولوية الفعل معلوم من تلك الاوامر فلا بد للاية من فائدة خاصة فيحمل على المنع من الترك ليحصل من المجموع معنى الوجوب ثم هذا الوجوب
يكون دائما ان كان الامر للدوام والتكرار وكذا ان لم يكن كذلك لان الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة فلو حملناه على العموم كانت
الاية مبينة والا كانت مجملة والمبين اولى من المجمل وايضا تخصيص اسم الله بالذكر يدل على ان وجوب الطاعة انما هو لكونه الها والالهية دائمة فالوجوب
دائم وافرد لفظ اطيعوا للفصل بين اسم الله تعالى وبين المخلوقين وليعلم من اطلاق وجوب طاعة اولي الامر ان الاجماع الحاصل عقيب الخلاف
حجة وانه لا يشترط انقراض العصر ومن اطلاق قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله ان القياس يجوز اجراؤه في الحدود والكفارات ايضا والمراد بالتنازع
قال الزجاج هو اختلاف قول كل فريق القول قوله اي كان كل واحد منهما ينزع الحق الى جانبه ذلك الرد والمامور به في الاية خير لكم واحسن تاويلا اي عاقبة من آل
الشيء اذا رجع وقيل الرد الى الكتاب والسنة خير مما تاولون انتم ثم انه سبحانه لما اوجب على المكلفين طاعته وطاعة رسوله ذكر ان المنافقين الذين في قلوبهم
مرض لا يطيعون الرسول ولا يرضون بحكمه فقال الم تر الى الذين يزعمون الاية قال الليث قولهم زعم فلان معناه لا يعرف انه صدق او كذب
ومنه المثل زعموا مطية الكذب وقال ابن الاعرابي الزعم قد يستعمل في القول المحقق لكن المراد في الاية الكذب بالاتفاق قال ابو مسلم ظاهر الاية يدل على ان
الزاعم كان منافقا من اهل الكتاب مثل ان يكون يهوديا اظهر الاسلام على سبيل النفاق لان قوله تعالى يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك انما يليق بمثل هذا المنافق اما سبب النزول ففيه وجوه والذي عليه اكثر المفسرين ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان رجلا من المنافقين
يسمى بشرا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الاشرف وذلك ان اليهودي كان محقا
وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقضي الا بالحق لجلالة منصبه عن قبول الرشوة وكان كعب يبطل الحقوق بالرشى فاراد اليهودي بالمنافق حتى ذهبا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال ننطلق الى عمر بن الخطاب فاقبلا الى عمر فقال اليهودي اختصمت
انا وهذا الى محمد ثم فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه يخاصم اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما
حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فهرب اليهودي
فنزلت الاية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق وعلى هذا الطاغوت كعب بن الاشرف وقال السدي
كان ناس من اليهود اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية اذا قتل قرظي نضيريا قتل به واخذ ديته مائة وسق من تمر واذا كان بالعكس
لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا من تمر وكانت النضير حلفاء الاوس وكانوا اكثر واشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيري قرظيا واختصموا
في ذلك فقال بنو النضير لا قصاص علينا انما علينا ستون وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه وقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية ونحن وانتم اليوم اخوة
ودينا واحد ولا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون لا بل الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون فانطلقوا
الى ابي بردة الكاهن الاسلمي ليحكم بينهم فقالوا اعظموا اللقمة يعني الرشوة فقال لكم عشرة اوسق فقالوا لا بل مائة وسق ديتي فاني اخاف ان نفرت
النضيري قتلتني قريظة وان نفرت القرظي قتلتني النضير فابوا ان يعطوه فوق عشرة اوساق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله تعالى هذه الاية فدعا
النبي صلى الله عليه وسلم كاهن اسلم الى الاسلام فابى وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنيه ادركا اباكما فانه ان جاز عقبة كذا لم يسلم
فادركاه فلم يزالا به حتى انصرف واسلم وامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي الا ان كاهن اسلم قد اسلم وعلى هذا القول الطاغوت
هو الكاهن وقال الحسن ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان اهل الجاهلية يتحاكمون اليه ورجل قائم
يترجم الاباطيل عن الوثن فالطاغوت ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون الى الوثن يضربون القداح بحضرته فما خرج على القداح عملوا به فالطاغوت
هو الوثن ثم ان الطاغوت اي شيء كان من الاشياء المذكورة فانه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به ايمان بالله ورسوله فيكون
كفرا فيكفر من لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا او تمردا ويؤكده قوله بعد ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية ومن هنا
ذهب كثير من الصحابة الى الحكم بارتداد مانعي الزكوة وقتلهم وسبي ذراريهم ثم قال ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا فاحتجت المعتزلة به على ان
كفر الكافر ليس بخلق الله والا لم يتوجه الذم على الشيطان ولم يحصل التعجب والتعجب فان للقائل ان يقول انما فعلوا لاجل انك خلقت ذلك الفعل
فيهم واردته منهم بل التعجب من هذا التعجب اولى وقد عرفت الجواب مرارا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيه وجهان الاول
وهو قول الحسن واختاره الواحدي انه جملة معترضة واصل النظم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك
صدودا ثم جاؤك يعني انهم في اول الامر يصدون عنك اشد الصدود ثم بعد ذلك يجيئونك ويحلفون كذبا على انهم ما ارادوا بذلك الا الاحسان
والتوفيق وجه الاعتراض انه حكى عنهم التحاكم الى الطاغوت وانهم يصدون ثم اتبعها ما يدل على شدة احوالهم بسبب اعمالهم القبيحة في الدنيا والآخرة
والثاني انه متصل بما قبله لا على وجه الاعتراض والمعنى انه اذا كانت نفرتهم من الحضور عند الرسول في اوقات السلامة هكذا فكيف تكون نفرتهم
اذا اتوا بجناية خافوا بسببها منك ثم جاؤك كرها يحلفون بالله على سبيل الكذب ما اردنا بتلك الجناية الا الخير والمصلحة واما المصيبة فقيل
انها قتل عمر صاحبهم فانهم جاؤوا وطلبوا بدمه وحلفوا انهم ما ارادوا بالذهاب الى غير الرسول الا الصلاح وهو اختيار الزجاج وقال الجبائي هي ما امر الله
رسوله بها من انه لا يستصحبهم في الغزوات ويخصهم بمزيد الاذلال والمعنى ثم جاؤك في وقت المصيبة يحلفون ويعتذرون ما اردنا بما كان منا من مداراة

الكفار

الكفار الا اصلاح الحال وقال ابو مسلم انه تعالى بشر رسوله ان المنافقين سيصيبهم مصائب تلجئهم اليه والى ان يظهروا الايمان ومن عادة العرب
عند التبشير والانذار ان يقولوا كيف انت اذا كان كذا ومعنى الاحسان والتوفيق ما اردنا بالتحاكم الى غير الرسول الا احسانا بين الخصوم وايتلافا بينهم
فانهم لا يقدرون عند الرسول ان يرفعوا اصواتهم ويبثوا حججهم او ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بالحكم العدل والتوفيق بينه وبين
خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به وعلى هذا لا يبقى للحلف مناسبة ظاهرة او ما اردنا بالتحاكم الى غيرك يا رسول الله الا انك لا تحكم الا بالحق المر
وغيرك يدور على التوسط ويامر كل واحد من الخصمين بالاحسان الى الآخر وتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهما الموافقة ثم اخبر الله سبحانه
بما في ضمائرهم من الدغل والنفاق فقال اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وذلك ان من اراد المبالغة في شيء قال هذا شيء لا يعلمه الا الله يعني لكبر
شانه وعظم حاله لا يقدر احد على معرفته الا هو ثم علم نبيه كيف يعاملهم فامر بثلثة اشياء الاول الاعراض عنهم والمراد به انه لا يقبل منهم ذلك
العذر ويستمر على التسخط او لانه لا يهتك سترهم ولا يظهر لهم انه عالم بكنه ما في بواطنهم من النفاق لما فيه من حسن العشرة والحذر من اثارة الفتنة الثاني
ان يعظهم فيزجرهم عن النفاق بالتخويف من عذاب الدارين الثالث قوله وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه وجوه الاول ان في الاية تقديما وتاخيرا والمعنى
قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف الثاني وقل لهم في انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق
قولا بليغا هو ان الله يعلم ما في قلوبكم فلن يغني عنكم الاخفاء فطهروا قلوبكم عن دنس النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك او شرا من ذلك و
اغلظ الثالث قل لهم في انفسهم خاليا بهم مسارا لهم بالنصيحة فان النصح بين الملاء تقريع وفي السر محض ونجع قولا يؤثر فيهم وقيل القول البليغ في
الوعظ وهو ان يكون كلاما حسنا وجيزا لطيف المعاني غزير الفوائد يدخل الاذن بلا اذن مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار ثم رغبهم ثانيا في
في طاعة الرسول فقال وما ارسلنا من رسول اكثر النحاة على ان من صلة تفيد تاكيد النفي والتقدير وما ارسلنا رسولا وقيل المفعول محذوف و
التقدير وما ارسلنا من هذا الجنس احدا قال الجبائي هذه الاية من اقوى الدلائل على بطلان مذهب المجبرة لكونها صريحة في ان معصية الناس غير مرادة
تعالى والجواب ان ارسال الرسل لاجل الطاعة لا ينافي كون المعصية مرادة الله تعالى على ان قوله باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه واعانته يدل على ان الكل
بقضائه وقدره وكذا لو كان المراد بسبب اذن الله في طاعة الرسول وقيل في الاية دلالة على ان لا رسول الا ومعه شريعة فانه لو دعا الى شرع من قبله كان
المطاع هو ذلك المتقدم وفيها دلالة على ان الرسل معصومون عن المعاصي والا لم يجب اتباعهم في جميع اقوالهم وافعالهم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم
الى الطاغوت ثم جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوه فاستغفروا الله من رد قضاء رسوله واستغفر لهم الرسول انتصب شفيعا لهم الى الله بعد
اعتذارهم اليه من ايذائه برد قضائه لوجدوا الله لعلموه توابا رحيما ولم يقل واستغفرت لهم لان في الالتفات عن الخطاب الى ذكر الرسول تنبيها على ان شفاعة
من اسمه الرسول من الله بمكان فالاية على هذا التفسير من تمام ما قبلها وقال ابو بكر الاصم نزلت في قوم من المنافقين اصطلحوا على كيد في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم دخلوا عليه لذلك الغرض فاتاه جبريل فاخبره فقال صلى الله عليه وسلم ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا فليستغفروا الله حتى استغفر لهم
فلم يقوموا فقال الا تقومون فلم يفعلوا فقال صلى الله عليه وسلم قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت
ونحن نتوب الى الله من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا انا كنت في بدء الامر اقرب الى الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عني
فلا وربك لا يؤمنون عن عطاء ومجاهد والشعبي انها من تمام قصة اليهودي والمنافق وعن الزهري عن عروة بن الزبير انها نزلت في شان الزبير وحاطب
ابن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة والشراج مسيل الماء كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل
الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك وذلك ان ام الزبير صفية بنت عبد المطلب فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم
احبس الماء حتى يرجع الى الجدر يعني الجدار الذي يحيط بالمزرعة وهو اصغر من الجدار واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واعلم ان الحكم في هذا ان كان
ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقي والرسول صلى الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما اساء خصمه الادب
ولم يعرف حق ما امره الرسول عليه الصلوة والسلام من المسامحة لاجله امره باستيفاء حقه وحمل خصمه على مر الحق وفي قوله فلا وربك قولان الاول
ان لا صلة لتاكيد معنى القسم والتقدير فوربك الثاني انها مفيدة وعلى هذا ففيه وجهان الاول انه يفيد نفي امر سبق التقدير ليس الامر كما يزعمون
انهم امنوا وهم يخالفون حكمك ثم استانف القسم بقوله وربك لا يؤمنون والثاني انها لتوكيد النفي الذي جاء في الجواب وهذا الوجه لا يتمشى فيما اذا كان
الجواب مثبتا ومعنى شجر اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه والتشاجر التنازع لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج الضيق والشك لان
الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا وسلم لامر الله اي سلم نفسه له وجعلها خالصة لحكمه ومن التعليمية من تمسك بالاية في انه
لا يحصل الايمان الا بارشاد النبي وهدايته والنزول على حكمه وقضائه في كل امر ديني ومنع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو توقفت معرفة الاله
على معرفة النبوة لزم الدور فاذن الحكم غير كلي والتقليد في جميع الاحكام غير مرضي واعلم ان الرضى بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم قد يكون رضا في الظاهر
دون القلب فلهذا قال ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت وهو الجزم بان ما حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق والصدق ثم من عرف بقلبه
كون ذلك الحكم حقا وصدقا قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد او يتوقف في ذلك القبول فعدم الحرج اشارة الى الانقياد في الباطن والتسليم اشارة
الى الانقياد في الظاهر وفي الاية دليل على عصمة الانبياء عن الخطاء في الفتاوى والاحكام وعلى انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس والا كان في النفس حرج
قالت المعتزلة منها لو كانت المعاصي بقضاء الله تعالى لزم التناقض لان الرضا بقضائه واجب فالرضا بالمعاصي واجب لكن الرسول قد نهى عنها
فيجب ان يحصل الرضا في تركها ويلزم الرضا بالفعل والترك معا وهو محال واجيب بان المراد من قضاء الله التكوين والايجاد والرضا بقضائه ان يعتقد
كون الكل بايجاده والمراد من الرضا بقضاء الرسول ان يلتزم ما حكم به ويتلقى بالبشر والقبول فاين ذلك من هذا قوله ولو انا كتبنا عليهم روي
ان حاطبا لما خاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوعب الزبير حقه في صريح الحكم حرجا مر على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال قضى لابن عمته
ولوى شدقه ففطن اليهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا
مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس
بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا قال ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا
ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك ونزلت الاية والضمير في قوله عليهم يعود الى الناس والمراد بالقليل المؤمنون منهم وعن ابن عباس ومجاهد انه يعود
الى المنافقين والمراد انا لو كتبنا القتل والخروج عن الوطن على هؤلاء المنافقين ما فعله الا قليل منهم رياء وسمعة وحينئذ يصعب الامر عليهم وينكشف كفرهم فاذا لم

بهم ذلك بل كلفناهم بالاشياء السهلة فليتركوا النفاق وليلزموا الاخلاص ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من الانقياد والطاعة لله ولرسوله وسمي التكليف
وعظا لاقترانه بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم اي النفع والفضل من غيره او خير الدنيا والآخرة لان خير المستعمل للوجهين
جميعا واشد تثبيتا اقرب الى ثباتهم على الايمان والطاعة لان الطاعة تدعو الى امثالها وتجر الى المواظبة عليها ولانه حق والحق ثابت
والباطل زائل وايضا الانسان يطلب الخير اولا فاذا حصل يطلب ثباته ودوامه ثم بين ما يوعظون به كما هو خير في نفسه فهو ايضا مستعقب
للخير فقال واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ثوابا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما ذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقيل هو ان نؤتيهم
من لدنا اجرا عظيما وفي ايراد صيغة التعظيم في آتينا ولدنا اي قوله من لدنا وفي وصف الاجر بالعظيم وفي تنكير الاجر من المبالغة ما لا يخفى
ولهديناهم صراطا مستقيما الدين الحق او الطريق من عرصة القيامة الى الجنة وهذا اولى لانه مذكور بعد استحقاق الاجر ثم اكد امر الطاعة بقوله
ومن يطع الله والرسول ولا شك ان الآية عامة في جميع المكلفين الا ان المفسرين ذكروا في سبب نزولها وجوها قال الكلبي نزلت في ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه
الحزن فقال له يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة
شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك هناك لاني اعرف انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت
في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اذا خرجنا من عندك الى اهالينا اشتقنا اليك فما ينفعنا شيء حتى نرجع اليك ثم ذكرت درجتك في الجنة فكيف لنا برؤيتك ان
دخلنا الجنة فانزل الله تعالى هذه الآية فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم اتى الانصاري ولده وهو في حديقة له فاخبره بموت النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم اعمني حتى لا ارى شيئا بعده فعمي مكانه وقال السدي ان ناسا من الانصار قالوا يا رسول الله انك تسكن الجنة في اعلاها ونحن نشتاق
اليك فكيف نصنع فنزلت وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الآية ان كلهم في درجة واحدة فان ذلك يقتضي التسوية بين الفاضل
والمفضول وانه محال ولكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا
الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك والتحقيق فيه ان عالم الانوار لا تمانع فيها ولا تدافع بل ينعكس بعضها على بعض ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة
المتقابلة اخوانا على سرر متقابلين ثم انه تعالى ذكر اصنافا اربعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا شك في تغايرها اتحادا
كانت او متباينة والمراد بالتداخل ان لا يمتنع كون كل متقدم موصوفا بما يتلوه كان يكون النبي صديقا وشهيدا وصالحا والصديق شهيدا وصالحا
وقد مر تفسير النبي في اوائل البقرة واما الصديق فمبالغة الصادق وهو من غلب على اقواله الصدق وانه خصلة مرضية في جميع الاديان ومحققة
للنطق الذي هو من مقومات الانسان وكفى به منقبة ان الايمان ليس الا التصديق وكفى بضده مذمة ان الكفر ليس سوى التكذيب وذكر
المفسرون اكثرهم ان الصديقين في الآية كل من صدق بكل الدين لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
وقال قوم هم افاضل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخصصه بعضهم بمن سبق الى تصديق الرسول فصار بذلك قدوة للناس كابي بكر وعلي
وامثالهما رضي الله عنهم ولا واسطة بين الصديق والنبي ولذلك قال في هذه الآية مع النبيين والصديقين وفي صفة ابراهيم انه كان صديقا
نبيا يعني انك ان ترقيت من الصديقين وصلت الى النبوة وان نزلت من النبوة وصلت اليهم واما الشهداء والمراد بهم ههنا اعم
من المقتولين بسبب الكفار من المسلمين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الشهيد فيكم قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل الله
فهو شهيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شهداء امتي اذا لقليل وقال الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله من قتل في سبيل الله فهو
شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد وفي رواية ومن مات بجمع فهو شهيد وقيل هو الذي يشهد بصحة دين الله
تارة بالحجة والبيان واخرى بالسيف والسنان واقول لا يبعد ايضا ان يدخل كل هذه الامة في الشهداء لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس واما الصالحون فالصالح هو الذي صلح في اعتقاده وفي عمله وهذه مرتبة لا ينبغي ان ينحط عنها مرتبة المؤمن ثم قال في معرض الترغيب
وحسن اولئك رفيقا كانه قيل وما احسن اولئك والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه وانتصابه على الحال او يجوز ان يكون مفردا بين به
الجنس في باب التمييز وقيل معناه حسن كل واحد منهم رفيقا كما قال يخرجكم طفلا والرفق في اللغة لين الجانب ولطافة الفعل وسمي الصاحب رفيقا
لارتفاقك به وبصحبته ومنه الرفقة في السفر لارتفاق بعضهم ببعض وقد يكون الانسان مع غيره ولا يكون رفيقا له فبين الله تعالى ان الانبياء والصديقين
والشهداء والصالحين يكونون كالرفقاء للمطيع من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله خبره او ذلك مبتدأ
والفضل من الله خبره قالت المعتزلة ذلك اشارة الى الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم للانبياء وهذا شيء يتفضل الله به عليهم تبعا لثوابهم الواجب
على الله اداؤه او ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه ولولا انه اعطى العقل والقدرة وازاح الاعذار والموانع لم يتمكن المكلف
من فعل الطاعة فصار ذلك بمنزلة من وهب من غيره ثوبا لينتفع به فاذا باعه وانتفع بثمنه جاز ان يوصف ذلك الثمن بانه فضل من الواهب
وقال اهل السنة الاشارة الى جميع ما تقدم ولا يجب على الله شيء البتة بل الثواب كله فضل من الله وكيف يجب عليه شيء وانه هو الذي خلق
القدرة والداعية وايضا الوجوب عبارة عن استحقاق الذم عند الترك وانه ينافي الالهية وايضا كل ما فرض من الطاعات فانه في مقابلة
النعم السالفة التي لا تعد ولا تحصى فيمتنع كونها موجبة للثواب في المستقبل ومعنى الآية ان ذلك الثواب بكمال درجته كانه هو الفضل وما عداه غير
معتد به او ذلك الثواب المذكور هو من الله لا من غيره وكفى بالله عليما بالطاعة وكيفية الثواب عليها وفيه ترغيب للمكلف على اكمال الطاعة و
الاحتراز عن التقصير فيه التأويل الوجود المجازي امانة من الله تعالى كما ان وجود الظل امانة من الشمس فلا جرم اذا تجلت شمس الربوبية للظلال
وجود النفس والقلب والروح يقول بلسان العزة ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فتلاشت الظلال واضمحلت الاغيار وانمحت الآثار وبقي
الواحد القهار وهذا احد اسرار قوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا حكمتم بعد فناء الوجود المجازي وبقاء
الوجود الحقيقي بين الروح والقلب والنفس ان تحكموا بآداب الطريقة فيراقب القلب شواهد اللقاء ويلازم الروح عتبة الفناء والسر سلطان وارد
البقاء يا ايها الذين آمنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فانهم آمنوا على الحقيقة وطاعة القلب لله ان يحب الله وحده وطاعة الروح ان
لا يلتفت الى غيره وطاعة السر ان لا يرى غيره في الوجود اما الرسول فهو الرسول الوارد من الحق في الباطن كما قال صلى الله عليه وسلم لوابصة بن معبد
استفت قلبك يا وابصة ولو افتاك المفتون واولي الامر منكم يعني مشايخكم ومن بيده امر تربيتكم فان تنازعتم في شيء يعني منازعة النفس القلب والروح

والسر

والسر فردوه الى الكتاب والسنة او يريد منازعة القلب فيما يحكم به الكتاب والسنة لما عاين من قصور الفهم والدراية فردوه الى الله بمراقبة القلوب
لشواهد الغيوب والى الرسول وارد الحق بصدق النية وصفاء الطوية ذلك الايمان الايقاني به تشهد بنور الرباني خير من تعلم الكتاب والسنة
بالتقليد دون التحقيق ثم اخبر عن حال اهل القال المتحاكمين الى طاغوت الهوى والخيال من اهل البدع والضلال بقوله الم تر الى الذين يزعمون الآية
اصابتهم مصيبة اي ملامة من الخلق او سياسة من السلطان فلا وربك لا يؤمنون فيه ان الايمان الحقيقي ليس بمجرد التصديق والاقرار ولكنه
سيضرب على محك الاعتبار وهو تحكيم الشرع لا الطبع والنبوة والمولى لا الهوى ووارد الحق لا سوار الخلق فيما اختلفت اراؤهم وتحيرت عقولهم
ثم لا يجدوا في مرآة انفسهم صورة كراهة من القضاء الازلية والاحكام الالهية والصديقين الذين لهم قدم صدق عند ربهم والشهداء اهل الجهاد
الاكبر والصالحين الذين لهم صلوح الولاية وحسن اولئك رفيقا في سلوك طريق الحق والله حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا ۝
وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا ۝ ولئن اصابكم فضل من الله
ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما ۝ فليقاتل في سبيل الله الذين
يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله
فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ۝ ومالكم
لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء
والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم
اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك
نصيرا ۝ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت ۝ فقاتلوا اولياء
الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ۝ الم تر الى الذين
قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما
كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ۝ قل متاع
الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ۝
اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم

لا يكادون يفقهون حديثا ۝ ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ۝ من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ۝ ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيّتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ۝

القراءات ليبطئن ونحوه مثل وليبطئن ولنبوئنهم بالياء الخالصة يزيد والشموني وحمزة في الوقف كأن لم تكن بالتاء الفوقانية ابن كثير وحفص والمفضل وسهل ويعقوب [illegible] بياء الغيبة يغلب فسوف وبابه نحو ان تعجب فعجب اذهب فمن تبعك مدغما ابو بكر وحمزة وعلي وخلف وعلي وهشام ولا يظلمون بالياء التحتانية ابن كثير وعلي وحمزة وخلف وهشام ويزيد وابن مجاهد عن ابن ذكوان [illegible] بيت طائفة مدغما ابو بكر وحمزة الوقوف جميعا ه ليبطئن ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب شهيدا ه عظيما ه بالآخرة ط عظيما ه اهلها ج وليا ج كذلك للتفصيل بين الدعوات نصيرا ط في سبيل الله ج للفصل بين الفعلين المتضادين اولياء الشيطان ج لاحتمال الا [illegible] وتقدير الفاء واللام ضعيفا ه الزكوة ط ج لان جواب فلما منتظر ولكن التعجب في قوله ألم تر واقع على قوله اذا فريق منهم يخشون خشية ط لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى القتال ج لان قوله لولا اي هلا استفهام آخر مع اتحاد المقول قريب ط قليل ج للفصل بين وصف الدنيا [illegible] فتيلا ه مشيدة ط فعدل لفظا ومعنى من عند الله ط ج للفصل بين النقيضين من عندك ط من عند الله ط حديثا ه فمن الله ز فصلا بين النقيضين فمن نفسك ط رسولا ط شهيدا ه اطاع الله ج لحق العطف مع ابتداء شرط آخر حفيظا ه ط لاستيناف الفصل بينهما طاعة ز لابتداء الشرط مع ان المقصود من بيان نفاقهم لا يتم بعد تقول ط يبيتون ج لاختلاف الجملتين مع الاتصال اي اذ كتب الله ما يبيتون فاعرض ولا تهتم على الله ط وكيلا ه

التفسير انه سبحانه عاد بعد الترغيب في طاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد لانه اشق الطاعات ولانه اعظم الامور التي بها تقوية الدين فقال يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم والحِذر والحذَر بمعنى كالإثر والأثَر والمِثل والمَثل يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه ما يتقى به ويحذر فان قيل فأي فائدة في هذا الامر والحذر لا يغني عن القدر والمقدور كائن والهم فضل قلت هذا من عالم الاسباب والوسائط المرتبطة ولا ريب ان الكل يقع على نحو ما قدر لكن امثال ذلك ترتب عليه الاثر كان بالقدر ومن اهمل حتى عدم السلامة كان ايضا بقدر وهكذا شأن جميع التكاليف اذا اعتبر فانفروا الى قتال عدوكم اي اخرجوا اليه قال صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام واصلها ثبي فعوضت الهاء عن الياء المحذوفة والتركيب يدل على الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض الذي يجتمع عنده الماء وثبيت الشيء جمعته او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة وهذا قريب مما قاله الشاعر طاروا اليه زرافات ووحدانا والغرض النهي عن التخاذل والقاء النفس الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هي الداخلة في خبر ان والثانية هي الداخلة في جواب القسم وتقدير الكلام لمن حلف بالله ليبطئن وهو اما متعد بسبب التشديد فيكون المفعول محذوفا اي ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو كما هو ديدن المنافق عبد الله بن ابي ثبط الناس يوم احد واما لازم فقد جاء بطّأ بالتشديد بمعنى ابطأ اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وهذا المعنى ادخل لقوله فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمنادى محذوف اي يا قوم ليتني وجوز ابو علي ادخال حرف النداء في الفعل والحرف من غير اضمار المنادى كنت معهم فافوز منصوبا باضمار ان اي يا ليت لي كونا معهم فافوز والخطاب في قوله وان منكم للمذكورين في قوله يا ايها الذين آمنوا والاظهر ان هذا المبطئ سواء حمل على اللازم او المتعدي كان منافقا فلعله جعله من المؤمنين من حيث الجنس والنسب او الاختلاط او لانه كان حكمهم حكم المؤمنين لظاهر الايمان او المراد يا ايها المؤمنون في زعمكم ودعواكم كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض في البين ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن وقال جمع من المفسرين ان هؤلاء المبطئين كانوا ضعفة المسلمين وعلى هذا فالتبطئة بمعنى الابطاء لان المؤمن لا يثبط غيره ولكنه قد يتثاقل كقوله يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ثم لما ذم المبطئين رغب في الجهاد بقوله فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون معناه يشترون او يبيعون وعلى الاول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا حق الجهاد ولا يختاروا الدنيا على المعاد وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين تركوا الدنيا لاجل الآخرة والمراد ان بطأ اهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون وقيل يحتمل ان يراد المؤمنون على التقدير الاول ايضا لان الانسان اذا اراد ان يبذل هذه الحيوة في سبيل الله تخلف نفسه فكأنه اشترى من نفسه لسعادة الآخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله او لعل المراد اشتغل بالقتال واترك ترجيح الفاني على الباقي او المراد انهم كانوا يرجحون الحيوة على الموت لاستيفاء السعادات البدنية فقيل لهم قاتلوا فانكم تستولون على الاعداء وتفوزون بالاموال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب وعد الاجر العظيم على تقدير المغلوبية والغالبية ليعلم انه لا عمل اشرف من الجهاد وليكون المجاهد على بصيرة من حاله على اي تقدير كان فيقدم ولا يحجم ثم زاد في تحريضهم فقال وما لكم لا تقاتلون ومعناه انه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله والمستضعفين اما مجرور اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين واما منصوب على الاختصاص اي واختص من سبيل الله الذي هو عام في كل خير خلاص

المستضعفين

المستضعفين وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون او الاعسار والضعف عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم اذلاء يلقون منهم اذى شديدا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح والولدان جمع وليد كغربان في غراب وقيل الرجال والنساء الاحرار والحرائر والولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولدان والولائد الا انه خص الولدان بالذكر تغليبا كالآباء والاخوة مع ارادة الامهات والاخوات ايضا وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من الولدان والنساء والظالم صفة القرية اي التي تسند الى اهلها فتبع القرية في الاعراب ويبقى مذكرا لاسناده الى الاهل والاهل يذكر ويؤنث ولو انث لا لتأنيث الموصوف بل لجواز تأنيث الاهل جاز وانما اشترك الولدان في الدعاء وان كانوا غير مكلفين لان المشركين كانوا يؤذونهم ارغاما لآبائهم او لان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء واجعل لنا من لدنك وليا اي كن انت وليا وناصرا او ول علينا رجلا يوالينا ويقوم بمصالحنا فاستجاب الله دعاءهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة جعل عتاب بن اسيد اميرا لهم وكان الولي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وكان النصير عتاب بن اسيد كان [illegible] قال ابن [illegible] كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة ثم شجع المؤمنين تشجيعا بان اخبرهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل غير الله وهو الطاغوت والشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وان كيده او من سعى في اضعاف [illegible] السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال وفائدة ادخال كان ان يعلم انه منذ كان كان موصوفا بالضعف والذلة ألا ترى ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا في حيوتهم في غاية الخمول والفقر واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض اثرهم ولا يبقى في الدنيا رسمهم ولا ظلمهم قوله سبحانه ألم تر الى الذين قيل لهم فيه قولان الاول انها نزلت في المؤمنين نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا ويقولون رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم فاني لم اؤمر بقتالهم فلما هاجر الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم الثاني قال ابن عباس في رواية ابي صالح لما استشهد الله من المسلمين من استشهد يوم احد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد لو كان اخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت وقد يحتج للقول الاول بان رغبتهم في القتال اولا دليل الايمان ويمكن ان يجاب بان المنافقين ايضا كانوا يظهرون الرغبة في الجهاد الى ان امروا بالقتال فاحجموا واحتج اصحاب القول الثاني بانهم كانوا يخشون الناس كخشية الله او اشد وكانوا يعترضون على الله تعالى بقولهم لم كتبت علينا القتال وكانوا يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة فلهذا قيل لهم قل متاع الدنيا قليل وكل هذه الامور من نعوت المنافقين واجيب بان حب الحيوة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع وهو المعني بالخشية والاعتراض محمول على تمني تخفيف التكليف لا على الانكار وقوله قل متاع الدنيا قليل انما ذكر ليهون على قلبهم امر هذه الحيوة والاولى حمل الآية على المنافقين لان ما بعدها وهو قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله في شأنهم بلا خلاف وفي الآية دلالة على ان ايجاب الصلوة والزكوة كان متقدما على الجهاد وهذا ترتيب مطابق لما في العقول لان التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله مقدمان على الترغيب والقتل في سبيل الله واذا في اذا فريق للمفاجأة وهو مجرد عن الظرفية والعامل في لما معنى المفاجأة اي فاجأ وقت خشية فريق زمان كتبة القتال عليهم وقوله كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لما عطف عليه من قوله او اشد ثم نصب خشية على التمييز فالتقدير يخشون الناس مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية من خشية اهل الله نعم لو قيل اشد خشية بالاضافة ونصب خشية الله على المصدر لانك تقول خشي فلان اشد خشية بالاضافة وانت تريد المصدر ولا يمكن ان تقول اشد خشية بالنصب على ارادة المصدر اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية مثل جد جده فيكون المعنى خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وعلى هذا يجوز ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منها وكلمة او ليست للشك ههنا فان ذلك على علام الغيوب محال ولكنها بمعنى الواو او المراد ان كل خوفين فان احدهما بالنسبة الى الآخر اما ان يكون انقص او مساويا او ازيد فبين في الآية ان خوفهم من الناس ليس بانقص من خوفهم من الله بقي اما ان يكون مساويا او ازيد فهذا لا يوجب كونه تعالى شاكا فيه ولكنه يوجب ابقاء الابهام في هذين القسمين على المخاطبين وهذا نظير قوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يراهم يقول هذا الكلام وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ان كانت الآية في المؤمنين فهم انما قالوا ذلك لا اعتراضا على الله ولكن جزعا من الموت وحبا للحيوة واستزادة في مدة الكف واستمهالا الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وان كان من كلام المنافقين فلا شك انهم كانوا منكرين لكتبة القتال عليهم فهم قالوا ذلك بناء على زعم الرسول ودعواه ومعنى لولا اخرتنا هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا ثم ازال الشبهة وازاح العلة بقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لا لكل الناس بل لمن اتقى فان للكافر والفاسق هنالك نيرانا واهوالا ومن ههنا قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وانما رجح الآخرة فلان نعم الدنيا قليلة ونعم الآخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالاقذار ونعم الآخرة صافية عن الاكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع بها ونعم الآخرة يقينية الانتفاع منها ثم بكت الفريق الخاشعين بانه يدركهم الموت اينما كانوا ولو كانوا في حصون مرتفعة والبروج في كلام العرب القصور والحصون واصلها من الظهور ومنه تبرجت المرأة اذا اظهرت محاسنها والغرض انه لا خلاص لهم من الموت والجهاد موت مستعقب للسعادة الابدية واذا كان لا بد من الموت فوقوعه على هذا الوجه اولى قال المفسرون كانت المدينة مملوة من النعم وقت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين امسك الله تعالى عنهم بعض الامساك كما جرت عادته في جميع الامم قال وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء فعند هذا قالت اليهود والمنافقون ما رأينا اعظم شؤما من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم فقوله وان تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص وتتابع الامطار وان تصبهم سيئة يعني الجدب وانقطاع الامطار قالوا هذا من شؤم محمد وهذا كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقال قوم الحسنة النصر على الاعداء والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة وقال اهل التحقيق خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فكل ما ينتفع به فهو حسنة فان كان منتفعا به في الدنيا فهو الخصب والغنيمة وامثالها وان كان منتفعا به في الآخرة فهو الطاعة فالحسنة تعم الحسنات والسيئة تعم السيئات فلا جرم اجابهم الله تعالى بقوله قل كل من عند الله وجميع الممكنات من الذوات والافعال والصفات لا بد من استنادها الى الواجب الذات ولهذا تعجب من حالهم وقال فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا نفى عنهم مقاربة الفقه والفهم فضلا عن الفقه والفهم قالت المعتزلة بل هذه الآية حجة لنا لانه لو كان حصول الفهم والمعرفة بتخليق الله

[illegible]

الآية تنفعان حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم لكل فرد من افراد الانسان ويحصل موجبه كلية ويبقى نقيض هذا الحكم وهو ما كان يزعمه العنانية
من سالبة جزئية هي انه ليس مبعوثا الى بعض الناس كالعجم مثلا وانه رسول العرب خاصة وعلى هذا يكون الجن مسكوتا عنهم بالنسبة الى هذه الآية فيدل له
دليل آخر على كونه مبعوثا الى الثقلين لا يكون منافية لدلالة هذه الآية لان التقديم قد استوفى حظه من الخاصية من غير التعرض للجن ثم بين
انه لكل فرد من افراد الناس رسول اوجب طاعته بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله لان طاعة الرسول لكونه رسولا فيما هو فيه رسول لا تكون
الا طاعة لله قال مقاتل في هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون
لقد قارن الرجل الشرك وهو ينهى ان نعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه الآية وهي من اقوى الدلائل
على انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي تبليغه وفي افعاله والا لم تكن طاعته فيما اخطأ طاعة لله ومن تولى قيل هو التولي بالقلب اي حكمك بالحق
على الظواهر واما البواطن فلا تتعرض لها وقيل هو التولي بالظاهر ومعناه فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك التولي فما ارسلناك لتحفظ الناس عن المعاصي
فان من اضله الله لم يقدر احد ارشاده والمعنى فما ارسلناك لتشتغل بزجرهم عند ذلك التولي كقوله لا اكراه في الدين ثم نسخ بآية الجهاد ثم حكى
سيرة المنافقين بقوله ويقولون حين ما امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشأننا طاعة والنصب في مثل هذا جائز يعني اطعناك طاعة ولكن الرفع
يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فلهذا لم يقرأ فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي دبرت خلاف ما امرت به وما ضمنت
من الطاعة قال الزجاج كل امر تفكر فيه كثيرا وتأمل في مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا امر مبيت وفي اشتقاقه وجهان الاول ان اصلح الاوقات
للفكر ان يجلس في بيته في الليل فهناك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل فلا جرم سمي الفكر المستقصى مبيتا الثاني قال الاخفش اذا ارادت العرب
قرض الشعر بالغوا في التفكر فيه فسمي الفكر البليغ تبييتا فاشتقاقه من ابيات الشعر ثم انه تعالى خص طائفة من المنافقين بالتبييت وذكر في التخصيص
وجهين احدهما انه ذكر من علم انه يبقى على كفره ونفاقه فاما من علم انه يرجع عن ذلك فلم يذكرهم وثانيهما ان هذه الطائفة كانوا قد اسهروا
ليلهم في التبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يبيتوا فلا جرم لم يذكروا قلت ووجه ثالث وهو ان هذا النوع من الكلام اجلب للقلوب وادخل في
الانكار والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فاعرض عنهم
وتوكل على الله في شأنهم فان الله ينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعزت انصاره قال بعضهم الامر بالاعراض منسوخ بآية الجهاد والآخرون
على ان النسخ مطلق فلا حاجة الى التزام النسخ والله اعلم التأويل خذوا حذركم وهو ذكر الله فانفروا ثبات جماعة وبالرياضات من عالم
التفرقة وهو عالم الحيوانية او انفروا جميعا من عالم الجمعية وهو عالم الروحانية الى عالم الوحدة وان منكم ايها السعداء لمن ليبطئن من اهل البطالة
المتكاسلين في السير القانعين بالاسم النازلين على الرسم مصيبة شدة ومجاهدة فضل من الله مواهب غيبية وعلوم لدنية ومرتبة عند
الخواص وقبول عند العوام يشرون الحياة الدنيا يشترون حظوظ النفس بحقوق الرب فيقتل النفس بسيف الصدق او يغلب عليها بالظفر فيأمر
عليه والمستضعفين من الرجال اي الارواح الضعيفة استضعفتها النفوس باستيلائها عليها والنساء اي القلوب فان القلب للروح كالزوجة
للزوج ليتصرف الروح في القلب كتصرف الزوج في الزوجة والولدان الصفات الحميدة المتولدة بين الروح والقلب من هذه القرية قرية
البدن الظالم اهلها وهو النفس الامارة بالسوء بغير استيجار ربها الم تر الى الذين قيل لهم من اهل السلامة كفوا ايديكم عن الاعتصام بحبل اهل الملامة
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فانكم لستم اهل العزم فاقنعوا بدار السلام والسلام لارباب العزم من اهل الملام اذا فريق يخشون الناس و
يخافون لومة الناس اذ كان من شرطهم ان لا يخافوا لومة لائم ولا يبالوا بلومة لائم فيقعوا عن عزيمتهم في ذي الطلبة الذين غلب عليكم حب الد

الى اجل قريب نموت بالآجال فان انا كل لحظة موتة في ترك حظه فيا ايها البطلة في زي الطلبة الذين غلب عليكم حب الدنيا فاقعدكم عن طلب المولى
اينما تكونوا يدرككم الموت اضطرارا ان لم تموتوا قبل ان تموتوا اختيارا ولو كنتم في بروج مشيدة اجساد قوية مجسمة وان تصبهم يعني اهل البطالة
حسنة من فتوحات غيبية يقولوا هذه من عند الله لا يرون للشيخ فيها عليهم حقا وان تصبهم سيئة من الرياضات والمجاهدات يقولوا للشيخ هذه
من عندك اي بسببك وسعيك قل كل من عند الله القبض والبسط والفرح والترح ما اصابك من فتوح وموهبة فمن الله فضلا وكرما وما اصابك
من سيئة عناء وبلاء فمن شؤم صفات نفسك الامارة والتحقيق فيه ان للاعمال اربع مراتب التقدير والخلق وهما من الله تعالى والفعل والكسب
وهما من العبد وفعله وكسبه كلها مخلوقة خلقها الله فافهم وارسلناك للناس رسولا يهتدون بهداك ويحبون خطاك ويقولون اذا كانوا حاضرين
في صحبتك ينعكس اشعة انوار النبوة عليهم ويشعرون باذانهم الواعية الى الحكم والمواعظ الوافية السمع والطاعة فاذا برزوا من عندك وهبت
عليهم رياح الهوى عاد الطبع المشؤوم الى اصله وهكذا حال اكثر مريدي هذا الزمان الا ما شاء الله والله يكتب اي يغير عليهم ما يبيتون لان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم فاعرض عنهم واصبر معهم وتوكل على الله فلعل الله يصلح بالهم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا ۞ واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا
فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين ۞
عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد
تنكيلا ۞ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها
ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء
مقيتا ۞ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله
على كل شيء حسيبا ۞ الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة
لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا ۞ فما لكم في المنافقين
فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ۞ ودوا لو تكفرون كما
كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله
فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا ۞ الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ۞
ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا

الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم و
يكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ۝ صدق الله العظيم ۝

القراآت ۝ ومن اصدق وكل صاد ساكنة بعدها دال باشمام الزاي علي ورويس وحمزة غير العجلي حصرت صدورهم وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وقرأ سهل ويعقوب والمفضل حصرةً صدورهم بالنصب والتنوين الوقوف القرآن ط لتناهي الاستفهام الى الشرط كثيرا ۝ اذاعوا به ط منهم ط قليلا ۝ في سبيل الله ج لان قوله لا تكلف يحتمل الاستيناف والحال اي قاتل غير مكلف الا نفسك ولعطف قوله وحرض على قوله فقاتل المؤمنين ج لان عسى مستأنف لفظا ومتصل معنى لانه ترجية لما امر به كفروا ط تنكيلا ۝ نصيب منها ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف كفل منها ط مقيتا ۝ لنفي الجزاء اوردوها ط حسيبا ۝ الا هو ط لا ريب فيه ط حديثا ۝ بما كسبوا ط من اضل الله ط لتناهي الاستفهام الى الشرط سبيلا ۝ في سبيل الله ط وجدتموهم ص نصيرا ۝ لا او يقاتلوا قومهم ط فلقاتلوكم ج السلم لا لان ما بعده جواب فان سبيلا ۝ قومهم ط اركسوا فيها ج ثقفتموهم ط مبينا ۝ التفسير لما حكى عن المنافقين ما حكى وكان السبب فيه اعتقادهم انه صلى الله عليه وسلم غير محق في ادعاء الرسالة امرهم بالتفكر والتدبر وهو النظر في عواقب الامور وادبارها ومنه قوله الكلام لا تدبروا اعجاز امور قد ولت صدورها ويقال في فصيح الكلام لو استقبلت من امري ما استدبرت اي لو عرفت في صدري ما عرفته من عاقبته وظاهر الآية يدل على انه احتج بالقرآن على صحة نبوة محمد لان النقطع للنظم ودلالة القرآن على صدق النبي من ثلاثة اوجه الفصاحة والاشتمال على الغيوب والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الآية واختلف المفسرون في المراد من سلامته من الاختلاف فقال ابو بكر الاصم معناه ان المنافقين كانوا يتواطئون في السر على انواع كثيرة من المكايد والرسول كان يخبرهم منها حالا فحالا فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لم يطرد صدقه ولظهر انواع الاختلاف والتفاوت وقال اكثر المتكلمين المراد تجاذب معانيه وتلازم مقاصده مع انه يشتمل على علوم كثيرة وفنون عزيرة ولو كان من عند غير الله لم يخل من تناقض واضطراب والذي يظن به التناقض كقوله لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان مع قوله لنسألنهم اجمعين وكقوله فاذا هي ثعبان مبين مع قوله كأنها جان فليس بذلك عند التدبر وملاحظة شروط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما وقال ابو مسلم المراد صحة نظمه وكون كله بل كل جزء من اجزائه وابعاضه بالغا حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلا بد ان يظهر التفاوت في كلامه بحيث يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القرآن كذلك علم انه معجز من عند الله تعالى وفي الآية دلالة على وجوب النظر والاستدلال اعني التدبر فما اليه سبيل وقال الجبائي فيها دلالة على ان افعال العباد غير مخلوقة لله لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب انه لا يلزم من كون كلامه غير متفاوت ولا مختلف ان لا يكون افعاله مختلفة بحسب اختلاف الظواهر والقوابل سلمنا لكن الاختلاف هو كونه غير مطابق للاغراض والمقاصد الانسانية فيكون بحسب نظرنا الى الامر نفسه ثم حكى عن المنافقين وقيل عن ضعفة المسلمين انه اذا جاءهم الخبر بامر من الامور سواء كان ذلك الامر من باب الامن او من باب الخوف اذاعوه ونشروه يقال اذاع السر واذاع به لغتان ويجوز ان يكون معنى اذاع به فعل به الاذاعة وهو ابلغ ولا يخفى ما في ذلك الافعال من الضرر من جهة ان الاراجيف لا ينفك عن الكذب الكثير ومن جهة ان تلك الزيادات ان كانت في جانب الامن ولم تقع اورثت شبهة للضعفة المسلمين في صدق الرسول لان المنافقين كانوا يروونها عن الرسول وان كانت في جانب الخوف حصل اضطراب في الضعفة ووقعوا في الحيرة وايضا البحث عن الاراجيف يوجب ظهور الاسرار وذلك لا يوافق مصلحة المدينة فقد يصل الخبر الى الكفار فيستعدوا للقتال او يتحصنوا وفي معنى الآية اقوال الاول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولي الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط هو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر فاستعير لاستخراج المعاني والتدابير الثاني كانوا يقفون من رسول الله واولي الامر وثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فتعود اذاعتهم مفسدة فقيل لهم لو فوضوه الى الرسول والى اولي الامر وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره وكيف يدبرونه وما يأتونه ويذرون فيه الثالث كانوا يسمعون من افواه بعض المنافقين شيئا من خبر السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فقيل لهم لو سكتوا حتى سمعوه من الرسول واولي الامر لعلموا صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع فالمستنبطون هم المذيعون و معنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول واولي الامر ويستخرجون علمه من جهتهم قالت العلماء في الآية دلالة على ان القياس حجة لانهم امروا ان يرجعوا في معرفة الوقائع الى اولي الامر المستنبطين ودراية النص لا يكون استنباطا فهو اذن رد واقعة الى نظيرها وهو القياس واعترض بانا لا نسلم ان المستنبطين هم العلماء واولوا الامر بل هم المذيعون كما في القول الثالث سلمنا لكن الآية نزلت في الحروب ولا يلزم من جواز الاستنباط في الآراء المتعلقة بها جواز الاستنباط في الوقائع الشرعية فان قياس احد البابين على الآخر كان اثباتا للقياس الشرعي بالقياس الشرعي سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية او من تركيبات النصوص او بالبراءة الاصلية او بحكم العقل كما يقول الاكثرون ان الاصل في المنافع الاباحة وفي المضار الحرمة وكل هذه الامور ليس من القياس الشرعي في شيء سلمنا ان القياس الشرعي داخل في الآية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع في مثله انما النزاع في ان القياس المفيد للظن هل هو حجة ام لا واجيب بان صرف المستنبطين الى المذيعين ليس بالقوي اذ لو كان المراد ذلك لكان الاليق بنظم الكلام ان يقال ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر لعلموه من غير اقامة المظهر مقام المضمر وعن الثاني بان الامن او الخوف عام في كل ما يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامور الحرب فاذا عرف احكام الحروب بالقياس الشرعي لزم جواز التمسك به في سائر الوقائع اذ لا قائل بالفرق الا ترى ان من قال القياس حجة في باب البيع لا في باب النكاح لم يلتفت اليه وعن الثالث ان شيئا من ذلك لا يسمى استنباطا وعن الرابع ان العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن القياس الشرعي عندنا يفيد العلم لانه مهما غلب على الظن ان حكم الله في الاصل معلل بكذا ثم غلب على الظن ان ذلك المعنى قائم في الفرع حصل ظن ان حكم الله في الفرع مساو لحكمه في الاصل وعند هذا الظن

يقطع

يقطع بانه مكلف بان يعمل على وفق ذلك الظن وهذا معنى قولهم الظن واقع في طريق الحكم والحكم مقطوع به كأنه تعالى قال مهما غلب ظنك كذا في الواقعة الفلانية فاعلم قطعا ان حكمي فيها كذا اما قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا فظاهره يقتضي اشكالا وهو ان قليلا من الناس لا يحتاج في عدم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته لكن الاحتياج بالنسبة الى كل احد من الناس ثابت بالاتفاق فهذا تناقض فذكر المفسرون في ازالة التناقض وجوها الاول ان الاستثناء راجع الى قوله اذاعوا به كأنه تعالى اخرج بعض المنافقين من هذه الاذاعة كما اخرجهم في قوله بيت طائفة الثاني انه عائد الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا القليل قال الفراء والمبرد القول الاول اولى لان ما يعلم بالاستنباط فالاقل يعلمه والاكثر يجهله فصرف الاستثناء الى ما ذكروه يقتضي ضد ذلك قال الزجاج هذا غلط لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بنظر دقيق وفكر غامض انما هو استنباط خبر واذا كان كذلك فالاكثرون يعرفونه لان البالغ في البلادة والانصاف ان الاستنباط لو حمل على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف فكلام الزجاج صحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كما مر فالحق ما ذكره الفراء والمبرد الثالث ان الاستثناء مصروف الى قوله كما هو من الشيء لان الفضل والرحمة مفسران بشيء خاص وفيه وجهان الاول قول جماعة من المفسرين ان المراد انزال القرآن وبعثة محمد عليه السلام والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القرآن لاتبعتم الشيطان وكفرتم بالله الا القليل منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم بعثة محمد ما كان يكفر بالله مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم الثاني قول ابي مسلم ان المراد بالفضل والرحمة ههنا نصرته تعالى ومعونته اللذان تمناهما المنافقون بقوله فافوز فوزا عظيما والتقدير لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لتركتم الدين الا القليل منكم وهم اهل البصائر والعزائم من افاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا فلاجل تواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقا ولا لانقطاع النصر والغلبة يدل على كونه باطلا بل الامر في كونه حقا وباطلا مبني على الدليل وهذا احسن الوجوه قوله فقاتل قيل انه جواب لقوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل كأنه تعالى قال ان اردت الفوز فقاتل وقيل انه متصل بمعنى ما ذكر من قصص المنافقين والمعنى ان من اخلاق هؤلاء المنافقين كذا وكذا فلا تعبأ بهم ولا تلتفت اليهم بل قاتل فانك لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا اديت فرضك لم تكلف فرض غيرك ويعلم من قوله وحرض المؤمنين ان الواجب على الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد اي الحث والاحماء عليه فاذا اتى بالامرين فقد خرج عن عهدة التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا شيء واعلم ان الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات فما لم يغلب على الظن انه يفيد لم يجب بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله والله يعصمك من الناس وبدليل قوله ههنا عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا وعسى من الله جزم لان الرجاء عليه محال فهو اطماع والاطماع من الكريم ايجاب فلزمه الجهاد وان كان وحده فلا جرم انه صلى الله عليه وسلم قال في بدر الصغرى لاخرجن وحدي فخرج ومعه سبعون راكبا ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ثم انه تعالى كف بأس المشركين والقى الرعب في قلوب ابي سفيان واصحابه حتى انهزموا وتركوا الحرب في تلك السنة وفي الآية دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان اشجع الخلق لانه تعالى لم يأمره بالقتال وحده الا انه كذلك وقد اقتدى به ابو بكر رضي الله عنه حيث حاول الخروج وحده الى قتال مانعي الزكوة ومن عرف ان الامر كله بيد الله وانه لا يحدث شيء الا بقضائه سهل عليه الموت وكان لا يعتزل عن نفسه الموت والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا لان عذاب الله دائم وعذاب غيره غير دائم وعذاب غير الله يتخلص الله منه وعذاب الله لا يقدر احد على تخليصه منه و عذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل الى جميع الابعاض والاجزاء ويشمل الروح والجسم فهذا اطلاق من العرف والله اعلم بكنه عذابه نعوذ بالله من عقابه قوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة وجه نظمه يعرف من تفسيره وذلك انه قيل المراد منه تحريض النبي صلى الله عليه وسلم اياهم على الجهاد لانه اذا كان يأمرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفيعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد وايضا التحريض هو الحث على سبيل الرفق والتلطف جار مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق آخر ان يأذن له الرسول في التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن آخر عند مؤمن الثالث ان يحصل له عدة الجهاد فنزلت ونقل الواحدي عن ابن عباس ان الشفاعة الحسنة ههنا هي ان يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار والشفاعة السيئة ان يشفع كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقال مقاتل الشفاعة الى الله انما هي دعوة الله لمسلم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وقال الحسن ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة والحسنة منها هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في ابطال حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعلى هذا فوجه النظم ان التحريض على الجهاد بعث على فعل الحسن وانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها قال اهل اللغة الكفل ايضا النصيب فهل لاختلاف اللفظين فائدة فاجيب بان الكفل اسم للنصيب الذي عليه يكون اعتماد الانسان ومنه يقال كفل البعير والكفلة اذا ادار حول سنامه كساء وركب والكفيل الضامن لانه يعتمد عليه والتقدير من يشفع شفاعة سيئة يكن له منها نصيب يعتمد اليه ويكون له ذخيرة في معاشه ومعاده والغرض التهكم وحصول خيبة مثل فبشرهم بعذاب اليم وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا او حفيظا واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها والغرض انه قادر على كل المقدورات حفيظ لجميع المعلومات فيجازي كل شفيع بما يليق حاله ثم لما امر المؤمنين بالجهاد امرهم ايضا بان الاعداء لو رضوا بالمسالمة او تلقوا في المبارزة بالسلام فالموا بالاكرام والسلام وايضا السلام دعاء بالسلامة والدعاء نوع من الشفاعة والتحية الصلوة وتحيي مصدر التفعيل على تفعلة مثل تسلية او تعزية لكنه ادغم ههنا لاجتماع المثلين وكانت العرب تقول عند اللقاء حياك الله دعاء بالحيوة فابدل الله ذلك بالسلام ولعمري ان هذا احسن لان الحيوة ان لم تكن مقرونة بالسلامة لا يعتد بها بل يعد الموت خيرا منها وان السلام اسم من اسماء الله تعالى فالابتداء به اولى وان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقد سلم الله على المؤمن في اثني عشر موضعا في الازل والهداية بعثه بالسلام وعلى لسان نوح يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك والمراد امة محمد عليه الصلوة والسلام وسلم وعلى لسان جبريل تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام قال المفسرون انه عليه السلام خاف على امته ان يصيروا مثل امة موسى وعيسى فقال الله لا تهتم لذلك فاني وان اخرجتك من الدنيا الا اني جعلت خليفة لك ينزل الى امتك كل ليلة قدر ويبلغهم السلام مني وسلم عليك على لسان موسى والسلام على من اتبع الهدى وسلم عليك على لسان محمد قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وامر محمدا بالسلام عليك واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم وامر المؤمنين بالسلام عليك واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وسلم عليك على لسان ملك الموت الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وقيل ان ملك الموت يسلم في اذن المسلم السلام يقرئك السلام ويقول

اجبني فاني مشتاق اليك واشتاقت الجنات والحور العين اليك فاذا سمع المؤمن البشارة يقول لملك الموت لا بد من هدية ولا هدية اعز من ان
تقبض روحي هدية لك وسلم عليك من الارواح الطاهرة واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وسلم عليك على لسان
خزنة الجنة وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وسلم عليك على لسان الملائكة في الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم بما صبرتم وسلم عليك على لسان اهل الجنة تحيتهم يوم يلقونه سلام وسلام عليك الى الابد سلام قولا من رب رحيم ولما اراد اكرام يحيى عليه السلام
وعده بالسلام في مواطن ثلثة هي اشد الاوقات حاجة الى السلامة فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ولما ذكر تعظيم محمد قال
ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعن عبد الله بن سلام قال لما سمعت بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخلت في غمار الناس فاول ما سمعت عنه يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام
وكانت تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية الجاهلية حياك الله وتحيتهم لملوك
العجم صباحا فشتان ما بين تحياتهم وتحيتنا السلام عليك ورحمة الله وبركاته وفي هذا دليل على ان هذا الدين اشرف الاديان كلها ومما يدل
على فضيلة السلام عقلا ان الوعد بالنفع قد يقدر الانسان على الوفاء به وقد لا يقدر واما الوعد بترك الضرر فانه يقدر عليه لا محالة والسلام يدل
عليه فهو افضل انواع التحية قال بعض العلماء من دخل بيتا وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله تعالى واذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وقال عليه السلام
افشوا السلام والامر للوجوب وكان السلام بشارة بالسلامة وازالة الضرر فهو واجب لقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولانه من شعار الاسلام
واظهار شعائر الاسلام واجب وعن ابن عباس والنخعي واكثر العلماء ان السلام سنة واما الجواب فواجب بالاجماع لان ترك الجواب اهانة والاهانة
ضرر والضرر حرام ولقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وظاهر الآية للوجوب وعن ابن عباس ان رجلا مر على قوم مسلمين فسلم عليهم
فلا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة فقالت العلماء الاحسن ان يزيد في جواب السلام الرحمة وان ذكر في الابتداء السلام
والرحمة زاد في جوابه البركة وان ذكر المجموع اعادها فقط فان منتهى الامر في السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لان هذا القدر هو الوارد في
وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وجاء آخر فقال السلام عليك ورحمة الله
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاء ثالث فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال نقصتني فاين قول الله
فحيوا باحسن منها فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فقوله تعالى او ردوها اي اجيبوا بمثلها ورد السلام كره ودرجة اما اشارة
الى هذه الصورة واما الى التخيير بين الزيادة وتركها ورد الجواب فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين والاولى ان يقوم به الكل اكثارا
للاكرام والاحسن ان يدخل حرف العطف فيقال وعليكم السلام وهو واجب على الفور بقدر ما يعهد بين الايجاب والقبول في العقود فان اخر عن ذلك
كان ابتداء سلام لا جوابا واذا ورد عليه السلام في كتاب فجوابه بالكتابة ايضا واجب لقوله واذا حييتم بتحية فحيوا ومن قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب
عليه ان يفعل قال العلماء المبتدي يقول السلام عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليقع الابتداء والاختتام بذكر الله فان خالف المبتدي فالجواب
بحاله ويجوز سلام عليكم بل قالوا انه اولى من المعرف لان المنكر في القرآن اكثر ولان المنكرات وردت من الله تعالى والملائكة والمؤمنين والمعرفات وردت
في تسليم الانسان على نفسه قال موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى وقال عيسى عليه السلام والسلام علي يوم ولدت وايضا المعرف يدل على اصل
الماهية والمنكر على الماهية مع وصف الكمال ومن السنة ان يسلم الراكب لزيادة هيبته على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل
على الاكثر احتراما للجماعة والقائم لانه اهيب على القاعد ولان القائم اهيب ومن السنة الجهر بالسلام لانه اقوى في ادخال السرور في القلب ومنها الابتداء
اظهارا للتواضع ومنها الافشاء والتعميم لان تخصيص البعض يوحش والمصافحة عند السلام عادة والنبي صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان تحاتت ذنوبهما
كما تحات ورق الشجر ومن استقبله رجل واحد فليقل سلام عليكم وليقصد الرجل والملكين لانه اذا سلم عليهما ردا السلام عليه ومن سلم الملك عليه فقد سلم
من عذاب الله ومن دخل بيتا خاليا فليسلم ويكون كانه سلم من الله على نفسه او سلم على من فيه من مؤمني الجن او طلب السلامة ببركة اسم السلام
ممن في البيت من الشياطين والموذيات ولو قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كان حسنا ومن السنة ان يكون المبتدي بالسلام على الطهارة
وكذا المجيب روي ان واحدا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قضاء الحاجة فقام وتيمم ثم رد الجواب واذا دخل الجمعة والامام يخطب
فلا ينبغي ان يسلم لاشتغال الناس بالاستماع فان سلم ورد بعضهم فلا بأس ولو اقتصروا على الاشارة كان احسن ومن دخل الحمام فرأى الناس متزرين
سلم عليهم فان لم يكونوا متزرين لم يسلم عليهم والاولى ترك السلام على القارئ كيلا يقطع عليه القراءة باشتغاله بالجواب وكذا القول فيمن كان مشتغلا
برواية الحديث ومذاكرة العلم او بالاذان والاقامة ولا يسلم على المشغول بالاكل هكذا اطلق وحمله بعضهم على ما اذا كانت اللقمة في فيه ولا يسلم على قاضي
الحاجات قال ابو يوسف ولا على لاعب النرد ولا على المغني ومطير الحمام وكل من كان مشتغلا بنوع معصية ولا منع من السلام على من هو في مساومة او معاملة
واذا دخل الرجل بيته سلم على امرأته فان حضرت اجنبية هناك لم يسلم عليها واذا سلمت الاجنبية عليه وكان يخاف في رد الجواب عليها تهمة او فتنة
لم يجب الرد بل الاولى ان لا يفعل وحيث قلنا لا يسلم فلو سلم لم يجب عليهم الرد لانه اتى بفعل منهي عنه وكان وجوده كعدمه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تبتدئ اليهودي بالسلام وعن ابي حنيفة رحمه الله انه قال لا تبدأ بسلام لا في كتاب ولا في غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت
فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه ورخص بعض العلماء في ابتداء السلام عليهم اذا دعت الى ذلك حاجة
اما اذا سلموا علينا فقال اكثر العلماء ينبغي ان يقول وعليك لما روي ان اليهود يقولون للمسلمين السام عليكم وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك
السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال اليس في رحمة الله
يعيش واعلم ان مذهب ابي حنيفة رحمه الله ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها ما لم يثب منها فاذا اثيب منها فلا رجوع له فيها
وقال الشافعي رحمه الله له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي واحتج لابي حنيفة رحمه الله بالآية وذلك ان التحية تشتمل جميع انواع الاكرام
فيشمل الهبة ومقتضاها وجوب الرد او ما يعد مقابلا بالاحسن لاقل من الجواز وقال الشافعي رحمه الله هذا محمول على الندب بدليل انه لو اثيب بما هو اقل
سقطت كلفة الرد بالاجماع مع ان ظاهر الآية يقتضي ان يثاب بالاحسن ثم احتج الشافعي رحمه الله على قوله بما روي عن ابن عباس وابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده ان الله كان على كل شيء حسيبا فيجازيكم
على محافظة حقوق التحية وغيرها فكونوا على حذر من مخالفته ثم اكد الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم فالاول توحيد والثاني عدل كانه تعالى يقول
من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا اسلامه واكرموه وعاملوه معاملة بناء على الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما ينكشف بواطن الخلق للخلق

في يوم القيمة الذي يجمع فيها الاولون والآخرون للجزاء والحساب وقوله الله لا اله الا هو اما خبر للمبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم والتقدير الله ليجمعنكم الى يوم
القيمة اي ليبعثنكم اليه ويجمعن بينكم وفيه بان يبعثكم فيه والقيمة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال تعالى يوم يقوم
الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار وذلك ان الصدق من صفات الكمال والكمال له واجب ازلي وحق
واقدم واتم من غيره والمعتزلة نفوا عنه الكذب بناء على انه قبيح ومن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب لجر منفعة او دفع مضرة او هو غني عنه
الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق على الشهادة بايهما نطق وربما كان الكذب
احلى على حنكه من الصدق وكل هذه الامور من الحكيم قبيح يجب تنزيهه عنها واعلم ان المسائل الاصولية قسمان منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج الى العلم
بصحته كعلمنا بافتقار العالم الى صانع عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات فهذا القسم يمتنع اثباته بالقرآن والخبر والا وقع الدور ومنها غير ذلك
كاثبات الحشر والنشر وانه يمكن اثباته بالقرآن والحديث فاعلم ثم عاد الى حكاية احوال المنافقين فقال فما لكم في المنافقين فئتين وهو منصوب على الحال
والعامل معنوي مثل ما لك قائما اي ما تصنع وقيل نصب على انه خبر كان اي ما لكم كنتم في شأن المنافقين فئتين استفهام على سبيل الانكار اي لم تختلفوا
في كفرهم ولكن اتفقوا على نفاقهم فقد ظهرت دلائل ذلك وانكشفت جلية الحال وذلك انها نزلت في قوم من العرب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة فاسلموا واصابوا وباء المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله نريد ان نخرج الى الصحراء فاذن لنا فيه فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى
لحقوا بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم لو كانوا مسلمين لما نافقوا وقال بعضهم هم مسلمون فبين الله نفاقهم وقال مجاهد وقتادة هم قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا
وكتبوا انا على دينك ما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وعن زيد بن ثابت هم الذين تخلفوا يوم احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
وطعن بعضهم في القول بان نسق الكلام وهو قوله حتى يهاجروا في سبيل الله يأباه اذ الهجرة تكون من مكة لا من المدينة وعن عكرمة هم قوم اخذوا
اموال المشركين وانطلقوا بها الى اليمامة وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد
نزلت في اهل الافك وقال الحسن سماهم المنافقين وان اظهروا الكفر باعتبار حالهم التي كانوا عليها والله اركسهم الركس والاركاس رد الشيء
مقلوبا ويقال للروث الركس لانه رد الى حالة خسيسة وهي حالة النجاسة وتسمى رجيعا ايضا لذلك والمراد ردهم الى احكام الكفار من الذل والصغار
والسبي والقتل بما كسبوا اي بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا يقدر على تبديل
خلق الخالق وعلى خلاف مقتضى ارادته ومشيئته وهذا ظاهر في المقصود والمعتزلة يقولون قوله اركسهم بما كسبوا اي بسبب كسبهم وفعلهم يشعر
بان ضلالهم حصل بخلق الله فان المراد من اضلال الله حكمه بضلالهم كما يقال فلان يكفر فلانا اي ينسبه الى الكفر ويحكم عليه بذلك او المراد اضلالهم
عن طريق الجنة او هو منع الالطاف ثم ذكر انهم بالغوا في الكفر الى ان تمنوا ان يصير الكفار فكيف تطمعون في ايمانهم وهو قوله ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء اي في الكفر والمراد فتكونون انتم وهم سواء الا انه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكر غيرهم لتقدم ذكرهم وقوله فتكونون عطف
على تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا اي حتى يثبتوا على ايمانهم بالمهاجرة الصحيحة المستقيمة وهي الهجرة في سبيل الله لا لغرض من الاغراض
الفانية ومثله قوله صلى الله عليه وسلم انا بريء من كل مسلم اقام بين اظهر المشركين وانا بريء من كل مسلم مع مشرك فكانت الهجرة واجبة الى ان فتحت
مكة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لا هجرة بعد ذلك لكن جهاد ونية وعن الحسن ان حكم الآية ثابت في كل من اقام
في دار الحرب فرأى فرض الهجرة الى دار الاسلام قائما قال المحققون الهجرة في سبيل الله تشمل الانتقال من دار الكفر الى دار الايمان والانتقال من اعمال
الكفار الى اعمال المسلمين بل هذا اقدم واهم لقوله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة
فحكمهم حكم سائر المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل او في الحرم ولا تتخذوا منهم في هذه الحالة وليا يتولى شيئا من مهامكم ولا نصيرا
ينصركم على اعدائكم بل جانبوهم مجانبة كلية ثم لما امر بقتل هؤلاء الكفار استثنى عنه موضعين الاستثناء الاول الا الذين يصلون اي ينتهون
ويتصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم قال القفال وقد يحتمل الا
ان يقصد قوم حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فتعذر عليهم ذلك المطلوب فيلتجئوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد الى ان يجدوا السبيل اليه و
القوم هم الاسلميون وذلك انه صلى الله عليه وسلم وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل
الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقال ابن عباس هم بنو بكر بن زيد بن مناة كانوا في الصلح وقال مقاتل هم خزاعة وخزيمة وههنا
نكتة وهي انه تعالى رفع السيف عمن التجأ الى الكفار المصالحين فلأن يرفع الشارع عمن التجأ الى محبة الله ومحبة رسوله كان اولى وعن ابي عبيدة المراد
بالوصلة الانتساب يقال وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتسبت اليه واعترض عليه بان اهل مكة اكثرهم كانوا متصلين بالرسول صلى الله عليه وسلم
من جهة النسب مع انه كان قد اباح دم الكفار منهم الاستثناء الثاني قوله او جاؤكم في العطف وجهان احدهما ان يكون معطوفا على صفة قوم والمعنى
الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم جاؤكم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم وثانيهما العطف على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون
بالمعاهدين او الا الذين لا يقاتلونكم وهذا انسب لقوله في صفتهم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم الى آخر الآية اذ قد بين ان كفهم عن القتال سبب استحقاقهم
لنفي التعرض لهم بالاستحقاق لا بواسطة الاتصال ومعنى حصرت صدورهم ضاقت والحصر الضيق والانقباض وهو في موضع الحال بدليل قراءة
من قرأ حصرة وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف منصوب على الحال اي جاؤكم قوما حصرت وقيل هو بيان لجاؤكم وقوله ان يقاتلوكم اي عن ان يقاتلوكم
او كراهة ان يقاتلوكم ثم هؤلاء الجائون من الكفار او من المؤمنين قال الجمهور هم من الكفار بنو مدلج جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين وعلى هذا
يلزم النسخ لان الكفار وان تركوا القتال جاز قتلهم وقال ابو مسلم انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثنى من له عذر وهما طائفتان احدهما الذين
قصدوا الرسول صلى الله عليه وسلم للهجرة والنصرة الا انه كان في طريقهم كفار غالبون فصاروا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد واقاموا عندهم الى ان
يمكنهم الخلاص والثانية من صار الى الرسول ولا يقاتل الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا لانهم اقاربه ولانه بقي اولاده وازواجه
بينهم فيخاف لو قاتلهم ان يقتلوا اولاده واصحابه فهذان الفريقان من المسلمين لا يحل قتالهم وان كان لم يوجد منهم الهجرة ومقاتلة الكفار وعلى هذا فمعنى
قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي لو شاء لقوى قلوبهم ليدفعوا عن انفسهم ان اقدمتم على مقاتلتهم على سبيل الظلم وعلى الاول فمعناه ان ضيق صدورهم
عن قتالكم لانه قذف الله الرعب في قلوبهم ولو قوى قلوبهم لتسلطوا عليكم فلقاتلوكم وهو جواب لو على التكرير او البدل قال الكعبي انه تعالى اخبر انه لو شاء
لفعل وهذا ينبئ عن القدرة على الظلم وهو صحيح عندنا ولا يدل على انه تعالى يفعل الظلم ويريده والنزاع فيه فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم
اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة

اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا
فيها اي ردوا اليها منقلبين منكوسين فيها وهذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقع في حفرة منكوسا متعذر خروجه
فان لم يعتزلوكم ويلقوا اي ولم يلقوا ولم يكفوا ايديهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم قال الاكثرون وفيه دليل على انهم اذا اعتزلوا
قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا ايديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا مبني على ان المعلق بكلمة ان على الشرط يعدم عند
عدم الشرط اولئكم سلطانا مبينا لنا وحجة واضحة لانكشاف حالهم في الكفر والغدر او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم والله اعلم

وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ
فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا
فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله
وتحرير رقبة مؤمنة ۞ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
توبة من الله وكان الله عليما حكيما ۞ ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ۞ وغضب الله عليه
ولعنه واعد له عذابا عظيما ۞ يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم
في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست
مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة
كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون
خبيرا ۞ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر
والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما ۞ درجات
منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ۞ ان الذين
توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها فاولئك مأويهم جهنم وساءت مصيرا ۞ الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا ۞ فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله
عفوا غفورا ۞ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض

مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ۞ وكان الله
غفورا رحيما ۞ واذا ضربتم في الارض فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ۞ صدق الله

القراءة فتثبتوا من التثبت وكذلك في الحجرات حمزة وعلي وخلف الباقون فتبينوا من التبين السلم مقصورا ابو جعفر
ونافع وابن عامر وحمزة وخلف والمفضل وسهل الباقون بالالف غير بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي وخلف والمفضل وسهل
الباقون غير بالرفع الذين توفيهم مشددة التاء البزي وابن فليح الوقوف الا خطأ ج يصدقوا ط لابتداء حكم آخر مؤمنة ط

[illegible]

القتل العمد لا يوجب الكفارة لانه شرط في الاية ان يكون القتل خطاء وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط وقال الشافعي يوجب لما روي ان واثلة
ابن الاسقع قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا اوجب النار بالقتل فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار
وايضا نص الله تعالى على الكفارة في قتل الصيد عمدا في الحرم وفي الاحرام على الخاطى بالاتفاق فههنا نص على الخاطى فان يوجب على العامد كان اولى
لانه اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء عمدا لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها قيل ان الرقيق ممنوع من تصرف
الاحرار كما ان الميت ممنوع من التصرف مطلقا وليتحقق هذا المعنى اوجبوا ان يكون الرقبة كاملة الرق وان كان سليمة عن عيب مخل بالعمل كهرم
وعمى وجنون **الرابعة** قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي لا يجزي الرقبة الا اذا صام وصلى لانه تعالى اوجب تحرير الرقبة المؤمنة والايمان اما
التصديق واما العمل واما المجموع وعلى التقديرات فالكل فائت عن الصبي وقال الشافعي ومالك وابو حنيفة والاوزاعي يجزي الصبي اذا
كان احد ابويه مسلما لان حكمه حكم المؤمن **الخامسة** انه تعالى اوجب الدية في القرآن ولم يبين كيفيتها وانما عرفت من السنة عن عمرو بن
حزم ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن ان في النفس مائة من الابل وهذه المائة اذا كان القتل خطاء مخمسة عشرون منها بنت مخاض
وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وبه قال مالك لما روي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
قضى في دية الخطاء مائة من الابل وفصلها كما ذكرنا وابدل ابو حنيفة واحمد ابناء اللبون بابناء المخاض لان هذا الاقل متفق عليه والزائد منفي
بالبراءة الاصلية وقال غيرهما ابناء المخاض غير معتبرة في باب الزكوة فيجب ان لا يعتبر في الدية التي سببها اقوى من السبب الموجب للزكوة
واتفقوا على ان الدية في العمد المحض مغلظة من ذلك التثليث في الابل وهو ان يكون ثلثون حقة وثلثون جذعة واربعون خلفة في بطونها
اولادها ومنه الحلول على قياس ابدال سائر المتلفات خلاف دية الخطاء فانها مؤجلة الثلث في السنة الاولى والثلث الاخر في السنة الثانية
والباقي في السنة الثالثة استفاض ذلك من الخلفاء الراشدين ولم ينكرهم احد فكان اجماعا ومنه وجوبها في ذمة الجاني لا يتحملها العاقلة خلاف
دية الخطاء فانها تكون على العاقلة لما روي ان امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت احدهما الاخرى بحجر ويروى بعمود فسطاط فقتلتها فقضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية على عاقلة القاتلة وهذه صورة شبه العمد فالتحمل في الخطاء اولى وجهات التحمل ثلث القرابة والولاء و
بيت المال والقرابة يعني بها العصبة الذين هم على حاشية النسب وهم الاخوة وبنوهم وقال ابو حنيفة ومالك يتحمل الاباء والبنون كغيرهم ويراعى
الترتيب في العصبات فيقدم الاقرب فالاقرب فان كان فيهم وفاء وزع عليهم لكثرتهم او لقلة المال والا شاركهم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
وقال ابو بكر الاصم وجمهور الخوارج الدية في الخطاء ايضا تجب على القاتل كما ان تحرير الرقبة ايضا عليه ويؤيده عطف الدية في الاية على التحرير ولان
الجناية صدرت عنه فلا يعقل تضمين غيره كما في سائر الاتلافات وتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد غير جائز واجيب باجماع الصحابة على ذلك
السادسة ذهب اكثر الفقهاء ان دية المرأة نصف دية الرجل لاجماع المعتبرين من الصحابة ولان المرأة في الميراث وفي الشهادة نصف الرجل
فكذلك في الدية وقال الاصم وابن علية ديتها مثل دية الرجل لعموم قوله ومن قتل مؤمنا **السابعة** اذا لم توجد الابل فالواجب عند الشافعي
في الجديد الرجوع الى قيمة الابل بالغا ما بلغت وانما تقوم بغالب نقد البلد لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم الابل على اهل القرى فاذا
ارتفع قيمتها واذا انحطت نقص من قيمتها وقال ابو حنيفة هو الواجب حينئذ الف دينار او عشرة الاف درهم وعند مالك الدراهم اثنى عشر الفا
الثامنة لا فرق بين هذه الدية وبين سائر الاموال في انه يقضى منها الدين وينفذ منها الوصية ويقسم الباقي بين الورثة على فرائض الله
لما روي ان امرأة جاءت في ايام عمر تطلب نصيبها من دية الزوج فقال عمر لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فشهد بعض
الصحابة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يورث المرأة من دية زوجها فقضى عمر رضي الله عنه بذلك وعن ابن مسعود يرث كل
وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وهذا خلاف الجماعة
واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية ان من قتل مؤمنا خطاء فعليه تحرير الرقبة وتسليم الدية ثم قال فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
وسكت عن الدية فالسكوت عن ايجاب الدية في هذه الصورة مع ذكرها فيما قبلها وفيما بعدها وهو قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية
مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة يدل على عدم وجوب الدية ههنا ثم المعنى بقوله من قوم عدو لكم اما ان يكون ان هذا المقتول من سكان دار الحرب
او انه ذو نسب منهم مع انه في دار الاسلام والثاني باطل بالاجماع لان قتل المسلم يوجب الدية البتة فتعين الاول وانما سقطت الدية لان ايجاب
الدية في قتل المسلم الساكن في دار الحرب يحوج الى ان يبحث الغازي عن كل شخص من اشخاص قطان دار الحرب هل هو من المسلمين ام لا وذلك يوجب
المشقة والنفرة عن الجهاد على انه هو الذي اهدر دم نفسه بسبب اختياره التمكن فيهم واما الكفارة فانها حق الله تعالى لانه اهلك انسانا مواظبا على طاعته
فيلزمه اقامة اخرى مقامه يمكنه المواظبة عليها اما قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ففيه قولان **احدهما** ان المراد منه الذمي نقل عن ابن عباس
هم اهل الذمة من اهل الكتاب وعن الحسن هم المعاهدون من الكفار والتقدير وان كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي على دينهم ومذهبهم و
ثانيهما ان المراد منه المسلم وانه عطف على قوله فان كان من قوم عدو لكم والضمير فيه عائد الى ما تقدم وهو المؤمن فكذا ههنا واعترض عليه بلزوم عطف
الشيء على نفسه لان المؤمن المقتول خطاء سواء كان من اهل الذمة داخل في قوله ومن يقتل مؤمنا خطاء الا انه افرد المؤمن الساكن في دار الحرب لان الحرب او من اهل صح
من حكمه سقوط ديته وههنا لا غرض في الافراد بكرار المخصا وايضا اذا كان المراد ذلك لما كان الدية مسلمة الى اهله لان اهله كفار لا يرثونه ولكان
كونه منهم مبهما مجملا لانه لا يدرى انه منهم في اي امر من الامور فحمل كونه منهم على الوصف الذي وقع التنصيص عليه وهو حصول الميثاق بينهما
واجيب بانه لما افرد حكم المؤمن المقتول في دار الحرب للغرض الذي ذكرتم اعاد ذكر المؤمن المقتول فيما بين المعاهدين تنصيصا على الفرق بينه وبين
قتيله وتنبيها على التسوية بينه وبين المسلم المقتول في دار الاسلام واما اهله فهم المسلمون الذين يصرف ديته اليهم واما الابهام فيزول اذا جعل من
بمعنى في كما في الاية المتقدمة عليه وههنا مسئلة خلافية شرعية هي ان ابا حنيفة قال دية الذمي مثل دية المسلم لقوله تعالى وان كان اي المقتول
من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية وقال الشافعي دية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم ودية المجوسي ثلث خمسها هكذا روي من قضاء الصحابة
ولا يخفى ان استدلال ابي حنيفة مبني على الثاني من قولي المفسرين في الاية وعلى القول الاول ايضا لم لا يجوز ان يكون المراد بالدية الثانية مقدارا
مغايرا للاول وههنا سؤال وهو انه لم قدم تحرير الرقبة على الدية في الاية الاولى وفي الاخيرة عكس الترتيب ويمكن ان يقال الفائدة فيه ان يعلم
انه لا ترتيب بين التحرير والدية وايضا ليقع الافتتاح والاختتام بحق الله تعالى ويترتب على التحرير قوله فمن لم يجد اي رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به
اليها فعليه صيام شهرين متتابعين ومتى يعتبر الاعسار فيجوز له العدول الى الصوم الاصح عند الشافعي هو وقت الاداء وعند بعضهم وقت

وقت الوجوب

وقت الوجوب واما الشهران فهما بالبيان البتة يتقسم لو ابتداء في خلال شهر لم ينكسر فيلثين والمراد بالتتابع ان لا يفطر يوما منهما فلو افطر
ولو بالمرض وجب الاستيناف الا ان يكون الفطر بالحيض او النفاس وعن مسروق ان الصوم بدل من مجموع الرقبة والدية توبة من الله اي شرع لكم
الشرع توبة من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته ومعنى التوبة عن الخطاء انه لا يخلو عن ترك احتياط من ذم واسف على ما فرط منه
ويجوز ان يكون المعنى نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه اي تخفيفا منه لان التخفيف من لوازم التوبة وكان الله عليما بانه لم يقصد ولم يتعمد حكيما بحكم
الفعل لا يؤاخذ الانسان بما لا يختار ولا يتعمد وعند المعتزلة معنى الحكيم ان افعاله واقعة على قانون الحكمة وقضية العدالة ثم لما ذكر حكم
القتل الخطاء اردفه ببيان حكم القتل العمد وله احكام وجوب الدية والكفارة عند غير ابي حنيفة ومالك والقصاص كما مر في البقرة فلا جرم اقتصر
ههنا على بيان ما فيه من الاثم والوعيد ولا يخفى ما في الاية من التخويف والتهديد فلا جرم تمسكت الوعيدية بها في القطع بخلود الفاسق في النار وحكى
الواحدي بوجهين **الاول** اجماع المفسرين على انها نزلت في كافر قتل مؤمنا روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان مقيس بن ضبابة وجد اخاه
قتيلا في بني النجار وكان مسلما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رسولا من بني فهر فقال له ائت
بني النجار فاقرئهم السلام وقل لهم ان رسول الله يامركم ان علمتم قاتل هشام بن ضبابة ان تدفعوه الى اخيه فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا ان تدفعوا
اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سمعا وطاعة لله وللرسول والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه ديته فاعطوه
مائة من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شيء صنعت تقبل دية اخيك
فيكون عليك سبة اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وتفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ راسه فركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا
الى مكة كافرا وجعل يقول في شعره **شعر** قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع فادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان
اول راجع فنزلت الاية فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم اهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة فادركه الناس بالسوق فقتلوه **الوجه الثاني** انه يجوز
عندنا ان يخلف الله وعيد المؤمنين فان خلف الوعيد كرم وضعف الوجه الاول بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبان ما قبل الاية وما بعدها في نهي
المؤمن عن قتل المؤمن فكذا هذه الاية وبان ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فيجب ان يكون الموجب لهذا الوعيد هو مجرد قتل العمد ولان
الكفر بالاستقلال موجب لهذا الوعيد فاي فائدة في ضم القتل اليه وان لا اثر للقتل في هذه الصورة فيكون الكلام جاريا مجرى قول القائل ان من كفر
فجزاؤه جهنم وزيف الوجه الثاني بان الوعيد قسم من اقسام الخبر ولو اجاز الكذب فيه لغرض اظهار الكرم فلم لا يجوز في القصص والاخبار وغير ذلك
لغرض المصلحة وفتح هذا الباب يفضي الى الطعن في الشرع قال القفال الاية تدل على ان جزاء القتل العمد هو ما ذكر وقد يقول الرجل لعبده جزاؤك ان افعل
بك كذا الا اني لا افعله ولا يخفى ضعف هذا الجواب ايضا لانه تعالى قال في سائر الايات من يعمل سوءا يجز به ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وعلى انه يوصل
الجزاء الى المستحقين البتة ولان قوله وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما صريح في انه تعالى سيفعل به ذلك لا سيما وقد اخبر عنه بلفظ الماضي
ليعلم انه كالواقع ولتاكد هذه المعاني نقل عن ابن عباس ان توبة من اقدم على القتل العمد العدوان غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا
قالوا لا توبة له وحمله الجمهور على التغليظ والتشديد والا فكل ذنب يمحى بالتوبة حتى الشرك هذا عند المعتزلة وعند الاشاعرة كل الذنوب يحتمل العفو
الا الشرك لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم بالغ في تحريم قتل المؤمن فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا التفعل ههنا بمعنى
الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم والسلم بمعنى الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التحية
يعني سلام اهل الاسلام قال السدي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم
من قومه غيره وكان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله باكيا ويسلم عليهم ولم يهرب ثقة باسلامه فقتله واستاق غنما كان معه فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبره فقال قتلت رجلا يقول لا اله الا الله فقال يا رسول الله انما تعوذ من القتل فقال كيف انت اذا خاصمك يوم القيمة بلا اله الا الله قال فما زال يرددها علي
افقتلت رجلا يقول لا اله الا الله حتى تمنيت لو ان اسلامي كان يومئذ فنزلت الاية وقد روى الكلبي وقتادة مثل ذلك وقال الحسن ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
خرجوا يطوفون فلقوا المشركين فهزموهم فشد منهم رجلا فتبعه رجل من المسلمين واراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال اني مسلم فكذبه ثم اوجره السنان فقتله
واخذ متاعه وكان قليلا فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلته بعد ما زعم انه مسلم قال يا رسول الله انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه قال لم
قال لينظر اصادق هو ام كاذب قال وكيف اعلم ذلك يا رسول الله قال ويلك انك لم تكن تعلم ذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن
فاصبح وقد وضع الى جنب قبره قال ثم عادوا فحفروا له فامكنوا ودفنوه فاصبح وقد وضع الى جنب قبره مرتين او ثلثا فلما راوا ان الارض لا تقبله القوه في بعض تلك
الحسن ان الارض تقبل من هو شر منه ولكن وعظ القوم ان لا يعودوا وعن سعيد بن جبير قال خرج المقداد بن الاسود في سرية فمروا برجل في غنيمة له فارادوا
قتله فقال لا اله الا الله فقتله المقداد فقيل له اقتلته وهو يقول لا اله الا الله قال ود لو فر باهله وماله فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك
له فنزلت قال القفال ولا منافاة بين هذه الروايات فلعلها نزلت عند وقوعها باسرها فكان كل فريق يظن انها نزلت في واقعته وعن ابي عبيدة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شرع احدكم الرمح الى الرجل فان كان سنانه عند نغرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء
توبة الزنديق مقبولة لاطلاق هذه الاية وقال ابو حنيفة اسلام الصبي يصح لاطلاق الاية وقال الشافعي لا يصح والا لوجب عليه لانه لو لم يجب لكان
ذلك اذنا في الكفر وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وقال اكثر الفقهاء لو قال
اليهودي او النصراني انا مؤمن او مسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد ان الايمان والاسلام هو دينه ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فلا يحصل الجزم باسلامه
لان منهم من يقول انه رسول العرب وحدهم ومنهم من يقول ان محمدا الذي هو الرسول الحق منتظر بعد فلا بد ان يعترف بان الدين الذي كان عليه باطل
وان الدين الذي هو موجود بين المسلمين حق تبتغون عرض الحيوة الدنيا قال ابو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء يقال ان الدنيا عرض حاضر ياخذ
منها البر والفاجر سمي عرضا لانه عارض زائل غير باق ومنه العرض المقابل للجوهر لقلة ثباته كما قيل العرض لا يبقى زمانين فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل
رجل يظهر الاسلام متعوذا به لتاخذوا ماله وقيل يريد ما اعد لعباده من حسن الثواب في الاخرة كذلك كنتم من قبل اختلفوا في وجه التشبيه فقال الاكثرون
يريد انكم اول ما دخلتم في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت دماؤكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم
بالاستقامة والاشتهار بالايمان وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام ما فعل بكم واعترض بان لهم ان يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمان
هؤلاء لانا آمنا بالاختيار فهؤلاء اظهروا الايمان وتحت ظلال السيوف فكيف يمكن تشبيه احدهما بالاخر وعن سعيد بن جبير المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم
عن قومكم كما اخفى ايمانه هذا الراعي عن قومه فمن الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم واورد عليه ان اخفاء الايمان ما كان عاما فيهم وللتفسير الكبير لكم

باكل

الامر انما حدث فيكم ميل ضعيف باسباب ضعيفة اي الاسلام لمن الله عليكم بتقوية ذلك الميل وتزايد نور الايمان فكذا هولاء قد حدث لهم ميل ضعيف
الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم ايمانهم الى ان يتكامل رغبتهم فيه وقيل ان قوله لمن الله عليكم منقطع عما تقدمه وذلك ان القوم لما نهاهم عن
من يحكم بلا اله الا الله ذكر ان الله من عليكم بان قبل توبتكم عن ذلك الفعل المنكر ثم اعاد الامر بالتبيين مبالغة في التحذير ثم حذر عن الاضمار بخلاف
الاظهار فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا وفيه من الوعيد ما فيه ولما عاتبهم الله تعالى على ما صدر عنهم وبدا عنهم كان مظنة ان يقع في قلبهم ان اولى
الاحتراز عن الجهاد فذكر من فضل الجهاد ما يزيح علتهم ويزيد رغبتهم او نقول لما نهاهم عما نهاهم اتبعه فضيلة الجهاد ليبالغوا في الاحتراز عما يوجب خللا في
المنصب الجليل وقال لا يستوي القاعدون عن زيد بن ثابت قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين
والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر قال زيد فتغشى النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فاتكأ
على فخذي فوالذي نفسي بيده لقد ثقل علي حتى خشيت ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون
فكتبتها رواه البخاري والمراد بالضرر النقصان سواء كان في البنية كعمى وعرج ومرض او بسبب كعدم الاهبة من قرا غير بالنصب فعلى الاستثناء
من القاعدين او على الحال عنهم ومن قرا بالرفع فعلى انه صفة للقاعدون ويجوز ان يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في تفسير غير المغضوب عليهم
وقري بالجر على انه صفة المؤمنين قال الزجاج ويجوز ان يكون رفعا على جهة الاستثناء والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولو الضرر
فانهم يساوون المجاهدين بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من بعض غزواته لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا
معكم اولئك اقوام حبسهم العذر وعنه صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة الى ان يبرا وتعلم
ان صحة النية وخلوص الطوية لها مدخل عظيم في قبول الاعمال وذكروا في معنى قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن ابلغ من عمله ان ما ينويه المؤمن من دوام
على الايمان والاعمال الصالحة لو بقي ابدا خير له من عمله الذي ادركه في مدة حيوته قيل انه قدم ذكر النفس على المال في قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم وههنا اخر لان النفس اشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على ان الرغبة فيها اشد والبايع اخرها تنبيها على ان
المماكسة فيها اشد فلا يرضى ببذلها الا في اخر الامر وفائدة نفي الاستواء ومعلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان هي تذكير ما بينهما من التفاوت
ليهتز القاعد للجهاد ويترفع بنفسه عن انحطاط مرتبة المجاهد كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه عن صفة الجهل
الى شرف العلم ثم ان عدم الاستواء يحتمل الزيادة والنقصان فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك ونصب
درجة على المصدر لان الدرجة تدل على التفضيل وقيل حال اي ذوي درجة وقيل بنزع الخافض اي بدرجة وقيل على الظرف اي في درجة وكلا وكل
فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة قال الفقهاء فيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين
لم يكن القاعد اهلا للوعد وانتصاب اجرا بفضل لان التفضيل يدل على الاجر وههنا سؤال وهو انه لم ذكر اولا درجة وثانيا درجات واجيب بان الاول
اولا على القاعدين للعجز والمراد بهم اولو الضرر وفي قوله ثانيا على القاعدين للاصحاء الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية
وقيل المراد بالدرجة جنسا الذي يشمل الكثير بالنوع وهي الدرجات الرفيعة والمنازل الشريفة والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالدرجة الغنيمة
في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول صاحب الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالنفس والمال وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر
وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدلت الشيعة ههنا بان عليا رضه افضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهدهم وهم بالاضافة اليه
قاعدون لما اشتهر من وقايعه وآثاره وشجاعته وحماسته اجاب اهل السنة بان جهاد ابي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر وحين كان الاسلام
ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا واما جهاد علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان الاسلام في ذلك الوقت قويا والحق انه لا تدل الاية الا
على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا قالت المعتزلة ههنا قد ظهر من الاية ان التفاوت في الفضل يجب التفاوت في العمل فعلة الثواب هو العمل
ولهذا سمي اجرا واجيب بان العمل علة المثوبات لكن لا لذاته بل بجعل الشارع ذلك العمل موجبا له قالت الشافعية الاشتغال بنوافل العبادات افضل
من الاشتغال بالنكاح لان قوله وفضل الله المجاهدين تام يشمل الجهاد الواجب والمندوب فالمندوب افضل منه بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهدين اتبعه وعيد
القاعدين الراضين بالسكون في دار الكفر فقال ان الذين توفيهم وانه يحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا ومضوا عن عكرمة
عن ابن عباس قال كانوا قوما من المسلمين بمكة فخرجوا في قوم من المشركين في قتال فقتلوا معهم فنزلت الاية ويحتمل ان يكون مستقبلا بحذف احدى
التاءين فيكون الوعيد عاما في كل من كان بهذه الصفة قال الجمهور يعني تتوفيهم بقبض ارواحهم عند الموت والمنافاة بينه وبين قوله الله يتوفى
الانفس قل يتوفيكم ملك الموت لانه تعالى هو المتوفي والفاعل للكل اشيا بالحقيقة الا ان الرئيس المفوض اليه هذا العمل ملك الموت وساير الملائكة اعوانه
وعن الحسن توفاهم الملائكة اي يحشرونهم الى النار انما قوله ظالمي انفسهم منصوب على الحال عن مفعول توفى والاضافة فيه لفظية ولهذا لم يفد تعريفا فيقع
موقعه حالا والظلم قد يراد به الشرك ان الشرك لظلم عظيم فالمراد انهم ظالمون انفسهم بنفاقهم وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به المعصية لقوله
فمنهم ظالم لنفسه والمراد الذين اسلموا في دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت الهجرة فريضة وفي خبران وجوه الاول
قالوا فيم كنتم والعائد محذوف للدلالة اي قالوا لهم والثاني فاولئك فيكون قالوا حالا من الملائكة بتقدير قد الثالث ان الخبر محذوف
وهو هلكوا ثم فسر الهلاك بقوله قالوا فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم والمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضا بالسكنى في دار الكفر وهو بالحقيقة
النعي عليهم بانهم ليسوا من الدين في شيء ولهذا لم يجيبوا بقولهم كنا في كذا او لم نكن في شيء بل اجابوا بقولهم كنا مستضعفين اعتذارا عما وبخوا به واعتلالا
بانهم ما كانوا قادرين على المهاجرة من ارض مكة حتى يكونوا في شيء ثم ان الملائكة لم يقبلوا منهم هذا العذر فبكتوهم قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة ثم استثنى من اهل
الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فقيل لم عد الولدان من جملة المستثنين من اهل الوعيد ومن حق الاستثناء ان يدخل فيه المستثنى
لو لم يخرج وليس الولدان من اصحاب الوعيد لانهم ليسوا من اهل التكليف واجيب بان المراد بالولدان العبيد والاماء البالغون او المراد المراهقون الذين
عقلوا ما يعقل الرجال والنساء حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله سلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في سقوط الوعيد هو العجز وانه
حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم بهذا الوجه وقوله لا يستطيعون قيل في موضع الحال والاصح انه صفة للمستضعفين وانما جاز ذلك والجملة نكرة
لان المعرف بتعريف الجنس قريب من النكرة والمعنى ان العاجزين هم الذين لا يقدرون على حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض او كانوا تحت قهر قاهر
يمنعهم عن المهاجرة ومعنى لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق ولا يجدون من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم

بكلمة

بكلمة الاطماع تنبيها على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر من حقه ان يعفو الله عنه بل يكون من العفو على ظن وحسبان لا على جزم
وايقان فربما ظن الانسان بنفسه انه عاجز ولا يكون في الواقع كذلك لان الفطام عن المألوف شديد والفراق عن الاوطان شاق فلعل حب
الوطن يحمله على تاويل غير سديد ومع قيام هذا الاحتمال لا يحصل الجزم بالعفو هذا من جانب العبد واما من الرب فعسى للاطماع واطماع الكريم ايجاب فالجزم
بالعفو حاصل الا انه يرد على لفظ العفو انه لا يتقرر الا مع الذنب ولا ذنب مع العجز وجوابه ايضا يخرج مما قلنا وكان الله عفوا غفورا قال الزجاج اي
كان في الازل موصوفا بهذه الصفة او انه مع جميع العباد بهذه الصفة اي انه عادة اجراها في حق خلقه وايضا لو قال انه عفو غفور كان اخبارا عن كونه
كذلك وحيث قال كان دل على انه اخبار وقع مخبره على وفقه فكان ادل على كونه حقا وصدقا قالت الاشاعرة اخبر عن العفو والمغفرة مطلقا غير
مقيد بحال التوبة فدل على ان العفو مرجو من غير التوبة قال ابن عباس في رواية عطاء وكان عبد الرحمن بن عوف يخبر اهل مكة بما نزل فيهم من القرآن
فكتب اليهم ان الذين توفيهم الملائكة الاية فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لا اهتدي الى الطريق فحمله بنوه على سريره متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك
ابايعك على ما بايعك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات حميدا فبلغ خبره اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم اجرا فانزل الله
فيه ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما اي مذهبا ومهربا ومضطربا قاله الفراء وفي الكشاف راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة
تلحقه بذلك واصله من الرغام وهو التراب فانهم يقولون رغم انف فلان يريدون انه وصل اليه شيء يكرهه وذلك لان الانف عضو في غاية العزة
والتراب في غاية الذلة ويمكن ان يقال ان من فارق اهل بلدته فاذا استقام امره في بلدة اخرى رغمت انوف اهل بلدته بسبب سوء معاملتهم
معه واعلم انه سبحانه لما رغب في الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمتنع الانسان عن هجرة الوطن وبين الجواب عنه والمانع امران الاول ان يكون له
في وطنه نوع رفاهية وراحة فيخاف زوال ذلك عنه فاجاب الله تعالى عنه ومن يهاجر كانه قيل ايها الانسان ان كنت تكره الهجرة عن وطنك خوفا ان تقع
في المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فان الله يعطيك من النعم الجليلة والمراتب السنية في مهاجرك ما يصير سببا لرغم انوف اعدائك ويصير سببا لسعة
عيشك وانما قدم في الاية ذكر رغم الاعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج المهاجر بدولته من حيث انها سبب لرغم انوف الاعداء اشد من ابتهاجه بها
من حيث انها سبب سعة رزقه وعيشه المانع الثاني ان الانسان يقول ان خرجت من بيتي في طلب العمل والجهاد والمهاجرة الى الله ورسوله وفي معناه
كل غرض ديني من طلب علم او حج او زيارة الى بيت او فيه طاعة او قناعة وزهد في الدنيا وابتغاء رزق طيب فربما وصلت اليه وربما لم اصل اليه
فالاولى ان لا اضيع الرفاهية الحاضرة لطلب شيء مظنون فاجاب الله سبحانه عنه بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره على الله قال بعضهم يكتب له اجر قصده واجر القدر الذي اتى من ذلك العمل فاما اجر تمام العمل فمحال والصحيح ان المراد من قصد طاعة
ثم عجز عن اتمامها فان له ثواب تمام تلك الطاعة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المريض اذا عجز عما كان يفعله من الطاعة في حال الصحة
كتب له ثواب مثل ذلك الى ان يبرا وايضا من المعلوم ان كل من اتى بعمل فانه يجد الثواب المرتب على ذلك القدر فلا يبقى في الاية فائدة الترغيب
في الهجرة وايضا لا تكون الاية جوابا عن قول الصحابة وجندب لو وافى المدينة لكان اتم اجرا قالت المعتزلة في الاية دليل على ان العمل يوجب الثواب
على الله لان الوقوع والوجوب السقوط قال الله تعالى فاذا وجبت جنوبها اي وقعت وسقطت ولفظ الاجر وكلمة على يؤكدان ما قلنا واجيب
بانا لا ننازع في ان الثواب يقع البتة ولكن بحكم الوعد والعلم والتفضل والكرم واستدل بعض الفقهاء بالاية على ان الغازي اذا مات في الطريق وجب
سهمه في الغنيمة كما وجب اجره ورد بان قسمة الغنيمة تتوقف على حيازتها بخلاف الاجر وكان الله غفورا رحيما يغفر ما كان منه من القعود الى ان
خرج ويرحمه باكمال اجر المجاهدين ومما يفتقر المجاهد اليه معرفة كيفية اداء الصلوة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة يقال قصر صلوته واقصرها وقصرها بمعنى ولفظ القصر مشعر بالتخفيف الا انه ليس صريحا في ان التخفيف في كمية
الركعات او في كيفية ادائها والجمهور على ان المراد القصر في العدد وهو ان كل صلوة تكون في الحضر اربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء فانها تصير
ركعتين ويبقى المغرب والصبح بحالهما وعن ابن عباس فرض الله صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم و
هنا ايضا ان المراد التخفيف في كيفية الاداء كما يؤتى به عند شدة التحام القتال من الصلوة مع تلطخ الثوب بالدم ومن الايماء مقام الركوع والسجود وقد
يؤكد هذا الراي بقوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فان خوف فتنة العدو لا يزول فيما يؤتى بركعتين على تمام اوصافهما وانما يزول بالتخوف والتخفيف
حجة الجمهور ما روي عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب كيف نقصر وقد امنا وقال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم
فقال عمر رضه عجبت مما عجبت منه فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على انهم فهموا من القصر
في اعداد الركعات ويؤيده حديث ذي اليدين اقصرت الصلوة ام نسيت وايضا القصر بمعنى تغيير هيئة الصلوة وهي بعيد ذلك فحمل الكلام على الابرام منه ايضا
اولى انما تقيد القصر بحالة الخوف فلان الاية نزلت على غالب اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يكون استدلالا
على عدم جواز القصر في حالة الامن ولان حالة الخوف لسبب اخر على ان كل محنة وبلية وشدة فهي فتنة ثم ان الشافعي قال القصر رخصة كما رخص
السفر فان شاء اتم وان شاء قصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب ولما روي عن عائشة رضه قالت اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة
الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار
من الصحابة عليه وقال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد في الثنتين فسدت صلوته لما روي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خرج مسافرا صلى ركعتين ولقوله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب وعن عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين
فاقرت في السفر وزيدت في الحضر قال في الكشاف فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكان مظنة ان يخطر
ببالهم اذا قال الشارع لهم رخصت لكم في هذا القصر انما اذا قال اوجبت عليكم هذا القصر وفرضت عليكم الاتمام وجعلته سنة الصلوتكم فلا يخطر هذا الاحتمال
ببال عاقل وحديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز وخبر عائشة لا يعاضد الاية لان تقرر الصلوة على ركعتين
لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض الظاهرية وداود زعموا ان قليل السفر وكثيره سواء في القصر لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقهاء على ان
السفر المرخص مقدر بمقدار مخصوص فعن الاوزاعي والزهري ويروى عن عمر ان القصر في يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر وقال
انس بن مالك المعتبرة خمسة فراسخ وقال الحسن مسافة ليلتين وقال الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير من الكوفة الى المدينة وهو ثلاثة ايام وهو قول ابي حنيفة
بناء على مدة جواز المسح للمسافر واما اصحاب الشافعي فانهم عولوا على ما روي مجاهد وعطاء بن ابي رباح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان والمراد بالبريد اربعة فراسخ كل فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم وهي اربعة الاف خطوة فان كل ثلثة اقدام خطوة فاكثت الفقهاء فاختلاف الناس في هذه الاقوال يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير مربوط بمطلق السفر وقال اهل الظاهر اضطراب السلف في هذه الاقاويل يدل على انهم لم يجدوا في المسئلة دليلا قويا فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا يريد ان العداوة الحاصلة بينكم وبينهم قديمة فكونوا على حذر منهم والله اعلم التاويل ليس لمؤمن الروح ان يقصد قتل مؤمن القلب الا ان يكون قتل خطاء وذلك ان الروح اذا خلص عن حجب ظلمات الصفات البشرية يتجلى الروح للقلب فيتنور بانوار الروحانية ثم ينعكس انوار الروح عن مرآة القلب الى النفس الامارة فيموت صفاتها الذميمة الظلمانية ويحيى بالصفات الحميدة الروحانية وتطمئن الى ذكر الله تعالى كاطمينان القلب ففي بعض الاحوال يتايد الروح بوارد روح قدسي رباني ويتجلى في تلك الحالة الروح القلب فيخر موسى القلب صعقا بسطوة تجلي الروح القدسي الرباني ويجعل جبل النفس دكا فكان قتله خطا لانه ما كان مقصودا في القتل في هذا التجلي وكان القصد تنوير وتصفية ومن قتل النفس الكافرة ومن قتل مؤمنا اي قلبا مؤمنا فتحرير رقبة مؤمنة وهي رقبة السر الروحاني فيصير رقبة السر محررة عن رق المخلوقات ودية مسلمة الى اهله يعني يسلم العاقلة وهو الله تعالى دية القلب الى اهل القلب وهم الاوصاف الحميدة والروحانية من جمال كمال الطافة ليصير الاوصاف بها اخلاقا ربانية الا ان يتصدق الاوصاف بهذه الدية على ساكني اوطان النفس الحيوانية والشيطانية فان كان القتيل بالتجلي من قوم عدو لكم اي من صفات النفس وهو مؤمن اي بهذه الصفة قد امنت بانوار الروح القدسي دون اخواتها من الصفات فتحرير رقبة مؤمنة وهي رقبة القلب ليصير محررة عن رق حب الدنيا لاهل القتل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهم صفات النفس وميثاقها قبول احكام الشرع ظاهرا وترك المحاربة مع القلب واوصافه فدية مسلمة على عاقلة الرحمة الى اهل الصفة المقتولة وهم بقية صفات النفس كما قال الله تعالى الا ما رحم ربي وتحرير رقبة مؤمنة وهي رقبة الروح ليصير محررة عن رق الكونين فمن لم يجد رقبة مؤمنة من الروح والقلب والسر للتحرير بان يكون رقابهم قد حررت عن رق ما سوى الله فصيام شهرين متتابعين الامساك عن مشارب العالمين على التتابع الدوام مراقبا قلبه لا يدخله شيء من الدنيا والاخرة مراعيا وقته فلو افطر باونى شيء من المشارب كلها يستانف الصوم ولا يفطر بشيء دون لقاء الله تعالى قال قائلهم شعر لقد صام طرفي عن شهود سواكم وحق له لما اعتراه نواكم

بعيد قوم عين يعيد وهالهم ويعيد هلال الشيب عين يراكم توبة من الله جذبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا للعداوة الاصلية بينهما فحيوة احدهما موت الاخر فجزاؤه جهنم وهي سفل عالم الطبيعة اذا ضربتم في سبيل الله بقدم السلوك حتى صار الايمان ايقانا والايقان احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا مقام الشيخوخة فتبينوا عن حال المريد في الرد والقبول ولا تقولوا له لست مؤمنا صادقا ولا تنفروه بالتشديدات والتصرف في النفس والمال تبتغون عرض الحيوة الدنيا اي لا تنفروه لاجل رزق فان الضعيف اذا زل نزل برزقه كذلك كنتم ضعفاء في الطلب محتاجين الى الصحبة في بدء الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وتربيتهم اياكم ان الذين توفيهم الملائكة هم العوام الذين ظلموا انفسهم بتدسيتها فيم كنتم اي في غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعدادكم الفطري وفي اي واد من اودية الهوى تهيمون وفي اي روضة من رياض الدنيا ترتعون كنتم ترتدون الغافي على الباقي وتسعون لشرب الظهور والفاسقين مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامارة وغلبة الهوى الم تكن ارض الله اي ارض القلب واسعة فتخرجوا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لا يستطيعون حيلة في الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف الحال ولا يستطيعون سبيلا الى صاحب ولاية وهؤلاء المستضعفون هم الخواص المقتصدة واما خواص الخواص وهم السابقون بالخيرات فهم المجاهدون الجهاد الاكبر والقدر ومن يهاجر عن بلدة البشرية في طلب حضرة الربوبية يجد في الارض الانسانية مراغما متحولا ومنازل مثل القلب والروح والسر وسعة في تلك العوالم من جذبة الله ورحمتي وسعت كل شيء لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن فافهم بالبصير النظر باكثر الفكر تعلق العبر والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوٰة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا فإذا قضيتم الصلوٰة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوٰة إن الصلوٰة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا في ابتغاء

القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوٰة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما

القراءة من اسلحتكم وامتعتكم عباس بالاختلاس اطمانتم وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف برايا بالتشديد يزيد وحمزة في الوقف الوقوف من ورائكم ص واسلحتكم ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى واحدة ط اسلحتكم ج حذركم ط مهينا ه وعلى جنوبكم ج للابتداء باذا الشرطية مع الفاء الصلوة ج لاحتمال فان اولان موقوتا ه القوم ط كما تالمون ج لاحتمال الواو للاستيناف او الحال ما لا يرجون ط حكيما ه اراك الله ط لان ما بعده استيناف خصيما ه لا للعطف واستغفر الله ط رحيما ه للاية مع العطف انفسهم ط اثيما ج لاحتمال ما بعده العطف من القول محيطا ه وكيلا ه رحيما ه على نفسه ط حكيما ه مبينا ه يضلوك ط من شيء ط تعلم ط عظيما ه

ربع الجزء التفسير قال ابو يوسف والحسن بن زياد صلوة الخوف كانت خاصة للرسول صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره لقوله تعالى واذا كنت فيهم ولان تغيير هيئة الصلوة امر على خلاف الدليل جوزنا ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم لفضيلة الصلوة خلفه فبقي لغيره على المنع وجمهور الفقهاء على انها عامة لان ائمة الامة نواب عنه في كل عصر الا ترى ان قوله خذ من اموالهم صدقة لم يوجب كون الرسول مخصوصا به دون ائمة امته وذهب المزني الى نسخ صلوة الخوف محتجا بانه صلى الله عليه وسلم لم يصلها في حرب الخندق واجيب بان ذلك قبل نزول الاية عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلقي المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فراوه يركع ويسجد هو واصحابه قال بعضهم لبعض كان هذا فرصة لكم لو اغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم فقال قائل منهم فان لهم صلوة اخرى هي احب اليهم من اهليهم واموالهم فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها فانزل الله عز وجل على نبيه واذا كنت فيهم الى اخر الاية اما شرح صلوة الخوف فهو ان الامام يجعل القوم طائفتين ويصلي باحدهما ركعة واحدة ثم اذا فرغوا من الركعة سلموا عنها ويذهبون الى وجه العدو وتاتي الطائفة الاخرى ويصلي بهم الامام ركعة اخرى ويسلم وهذا مذهب من يرى صلوة الخوف ركعة فللامام ركعتان وللقوم ركعة وهذا مروي عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وقال الحسن البصري ان الامام يصلي بتلك الطائفة ركعتين ويسلم ثم تذهب تلك الطائفة الى وجه العدو وتاتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم مرة اخرى ركعتين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببطن النخل وليس في هذه الصلوة الا اقتداء مفترض بمتنفل فان الصلوة الثانية نافلة للامام لا محالة وفي جواز ذلك اختلاف بين العلماء وقال الشافعي رحمه الله ان كان العدو في جهة القبلة صلى الامام بجميع العسكر الى الاعتدال عن ركوع الركعة الاولى فاذا حان وقت السجدة

حرست فرقة اما صف او فرقة من صف الى ان يفرغ الامام وغير الحارسة من السجدتين فاذا فرغ الامام منهما سجدت الفرقة الحارسة ولحقت حيث الكهنا واذا سجد الامام للركعة الثانية حرست فرقة اما الفرقة الحارسة في الركعة الاولى او الفرقة الاخرى وهذه اولى فاذا فرغ الامام من السجود سجدت الحارسة ولحقت بالامام في التشهد ليسلم بهم وليس في هذه الصلوة الا التخلف عن الامام باركان السجدتين والجلسة بينهما واحتمل لحاجة الخوف وظهور العذر وكذلك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان واما ان لم يكن العدو في وجه القبلة اوكانوا بحيث يمنعهم شيء من ابصار المسلمين صلى الامام في الثنائية كالصبح او الرباعية المقصورة بكل فرقة ركعة وذلك ان يتحاز الامام بفرقة الى حيث لا يبلغهم سهام العدو فيصلي بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفردوا بها وسلموا واخذوا مكان اخوانهم في الصف المحاذي لصف المقاتل الى الامام وهو منتظر بهم والذاهبة في الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا واتموا الثانية ولحقوا به قبل السلام وسلم بهم وهذه صلوة ذات الرقاع رواه ابوداود والنسائي عن صالح عن سهل بن خيثمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابوحنيفة ويروى عن ابن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلي بهم الامام ركعة ويعودون الى وجه العدو فتاتي الطائفة الثانية فيصلي بهم بقية الصلوة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة فيقضون بقية صلوتهم بغير قراءة الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الثانية فيقضون بقية صلوتهم بقراءة والفرق ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلوة فهم في حكم من خلف الامام واما الثانية فلم تدرك اول الصلوة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في صلوته ولا خلاف في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى بهذه الصلوة في اوقات مختلفة بحسب المصالح وانما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان الافضل والاشد موافقة لظاهر الاية اي هذه الاقسام فقال الواحدي ولتات طائفة اخرى لم يصلوا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت عند اتيان الثانية كما هو مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالطائفة تاتي والاولى بعد في الصلوة وما فرغوا منها وايضا قوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلوة الطائفة الثانية مع الامام قال اصحاب ابي حنيفة فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على ان الطائفة الاولى لم يفرغوا من الصلوة ولكنهم يصلون ركعة ثم يكونون من وراء الطائفة الثانية للحراسة اجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود والكون من الوراء الذي بمعنى الحراسة للطائفة الثانية اما اذا جعلنا معنى سجدوا صلوا وحينئذ لا يبقى اشكال وايضا الذي اختاره احوط لامر الحرب فانها اخف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلوة اهون وليس فيها الا من زيادة الذهاب والرجوع وكثرة الافعال والاستدبار وليس فيها الا الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامن ايضا والانتظار للامام بالطائفة الثانية ترتيبين وان كانت الصلوة مغربا فيصلي بالاولى ركعتين وبالثانية ركعة ويجوز العكس وان كانت رباعية فيصلي بكل طائفة ركعتين ويجوز ان يفرقهم اربع فرق ان مست الحاجة اليه بان لا يكفي المسلمين لعدوهم واعلم ان الصلوة على الوجه المشروع ليست عزيمة بل لو صلى الامام بطائفة وامر غيره فيصلي بالاخرين او صلى بعضهم او كلهم منفردين جاز لكن كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمحون بترك فضيلة الجماعة وفضيلة الاقتداء به فامره الله تعالى بترتيبهم هكذا لتحوز احدى الطائفتين فضيلة التكبير معه والاخرى فضيلة التسليم معه فالخطاب في قوله واذا كنت للنبي اي اذا كنت ايها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم فاقمت لهم الصلوة فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة منهم معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم فان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فليأخذوا من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ويحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط ثم قال للطائفة الثانية وليأخذوا حذرهم فكانه جعل التحذر والتيقظ آلة يستعملها الغازي وفيه رمز لطيف في الصلوة بان يجعل بعض فكره في غير الصلوة وانما امر هذه الطائفة باخذ الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قلما يتنبه في اول الصلوة لكون المسلمين في الصلوة بل يظنونهم قياما للمحاربة واما في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من ركوعهم وسجودهم الاولين وربما يتبصرون الفرصة في الهجوم عليهم كما ذكرنا في سبب النزول فلا جرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير ميلة واحدة وشدة واحدة ثم رخص لهم في وضع السلاح اذا اصابه بلل المطر فيسود ويفسد حدته وجدته او يثقل على المرء اذا كان محشوا وحين كان الرجل مريضا فيشق عليه حمل السلاح ولكنه اعاد الامر باخذ الحذر لان الغفلة عن كيد العدو لا تجوز بكل حال قال بعض العلماء اخذ السلاح في صلوة الخوف سنة موكدة والاصح انه واجب لان ظاهر الامر للوجوب ولان رفع الجناح عند العذر ينبئ عن وجود الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط ان لا يحمل سلاحا نجسا ان امكنه ولا يحمل الرمح الا في طرف الصف وبالجملة بحيث لا يتأذى به احد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان ياتي بصلوة الخوف على جهة يكون بها حاذرا غير غافل عن كيد العدو فلا يكون شيء من الروايات الواردة فيها على خلاف نص القرآن وكما ان الاية دلت على وجوب الحذر عن العدو وكذلك يدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا قالت المعتزلة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك وعلى جميع وجوه الحذر لم يكن للامر بالحذر فائدة والجواب انا لا ننكر الاسباب لكنا ندعي انتهاء الكل الى مسببها ولهذا ختم الآية بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ليعلموا انه تعالى مرتب على هذا الحذر كون الكفار مخذولين مقهورين وكان كالاجزاء قوله فاذا قضيتم الصلوة ففيه قولان الاول فاذا قضيتم صلوة الخوف فواظبوا على ذكر الله في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف والحرب جدير بذكر الله واظهار الخشوع والالتجاء اليه والثاني ان المراد بالذكر الصلوة اي صلوا قياما حال اشتغالكم بالمسابقة والمقارعة وقعودا جاثين على الركب حال اشتغالكم بالرمي وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح واورد على هذا القول ان الذكر بمعنى الصلوة مجاز وان المعنى يصير حينئذ فاذا قضيتم الصلوة فصلوا وفيه بعد اللهم الا ان يقال ان المراد فاذا اردتم قضاء الصلوة في شدة التحام القتال واعلم ان الاية سيقت بحكمين احدهما بيان القصر في صلوة المسافر والثاني بيان صلوة الخوف وقوله فاذا اطمأننتم يحتمل ان يراد به فاذا اقمتم مقيمين فاقيموا الصلوة تامة من غير قصر البتة ويحتمل ان يراد فاذا زال الخوف بسكون القلب فاقيموا الصلوة التي كنتم تعرفونها من غير تغيير شيء من هيآتها ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبة محدودة بأوقات لا يجوز اخراجها عنها ولو في شدة الخوف وهذا دليل الشافعي في ايجاب الصلوة على المحارب في حال المسابقة والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها وعند ابي حنيفة رحمه الله هو معذور في تركها الى ان يطمئن واما اوقات الصلوة الخمس فمشهورة وقد يستدل عليها بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فان الوسطى يجب ان يكون مغايرة للصلوات لئلا يلزم التكرار فهي زائدة على الثلث ولو كان الواجب اربعا لم يوجد لها وسطى فاذا اقلها خمس وسوف يجيء آيات اخر دالة على اوقات الخمس كقوله اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل اقم الصلوة لدلوك الشمس وسنشرحها ان شاء الله تعالى في مواضعها قال المحققون ان للانسان خمس مراتب سن النمو الى تمام سن الشباب وسن الوقوف وهو ان يبقى ذلك الشخص على صفة كماله من غير زيادة ولا نقصان وسن الكهولة ويظهر فيها نقصان خفي في الانسان وسن الشيخوخة ويظهر فيها نقصان ظاهر في الكمال وسن [illegible] ويظهر فيها النقصانات جليات فيه الى ان يموت ويهلك واما المرتبة الخامسة فهي اخباره وآثاره الى ان يندرس ويبطل بالكلية كان لم يكن

الثانية

من ورائكم الطائفة وحدة لكن السجود للاولى والكون

يجوز له

وكذا

وكذا الشمس اذا ظهر سلطانها من المشرق لا يزال يزداد صعودا الى طلوع جرمها ثم يزداد ارتفاعها شيئا بعد شيء الى ان تبلغ وسط السماء ثم يظهر فيها النقصانات خفية من الانحطاط وضعف النور والحر الى وقت العصر حين يصير ظل كل شيء مثله ثم يظهر النقصانات الجلية الى ان يصير في زمان لطيف ظل كل شيء مثليه ثم ازيد الى ان تغرب ثم يبقى آثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم يمحى حتى كان الشمس لم توجد قط فهذه الاحوال الخمس امور عجيبة لا يقدر عليها الا خالقها وخالق جميع الاشياء وهي موافقة لاسنان الانسان فلهذا تعينت اوقاتها للعبادة والاقبال على المعبود الحق تعالى وحده ثم عاد الى الحث على الجهاد فقال ولا تهنوا في ابتغاء القوم لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بقلعهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون والمعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وانكم مع ذلك ترجون الثواب على الجهاد دونهم لانهم ينكرون المعاد فانتم اولى بالصبر على القتال والجد فيه منهم ويحتمل ان يراد بهذا الرجاء ما وعدهم الله من النصر والغلبة على سائر الاديان او يراد انكم تعبدون الاله العالم القادر السميع البصير الذي يصح ان يرجى منه وانهم يعبدون الاصنام التي لا خير منها يرجى ولا شر منها يخشى ويروى ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم الا ما فيه صلاح لكم في دينكم ودنياكم ثم رجع الى ما جر منه الكلام وهو حديث المنافقين وفيه ان الاحكام المذكورة كلها بانزال الله تعالى وليس للرسول ان يحيد عن شيء منها طلبا لرضا قوم وفيه ان كفر الكافر لا يبيح مسامحته في النظر وان كان يجوز الجهاد معه بل الواجب ان يحكم له وعليه بما انزل الله تعالى على رسوله قال اكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق احد بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكان الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها وماله بها من علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه في ذلك وسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وكان هواه معهم وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فانزل الله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الايات الى قوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وفي الاية دليل على ان طعمة وقومه كانوا منافقين والا لما طلبوا من الرسول نصرة الباطل والحاق السرقة باليهودي قال ابو علي قوله بما اراك ليس منقولا بالهمزة من رؤية البصر لان حكم الحادثة لا يرى بالبصر ولا من رؤية القلب والا اقتضى ثلثة مفاعيل وليس في الاية الا اثنان احدهما الكاف والاخر العائد المحذوف فهو اذن بمعنى الاعتقاد ومعناه بما علمك الله وسمي ذلك العلم بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور وكان عمر يقول لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه واما الرأي منا فظن وتكلف قال بعض العلماء في الاية دلالة على انه ما كان يحكم الا بالوحي والنص وان الاجتهاد ما كان جائزا له وحينئذ يجب ان يكون حال الامة كذلك لقوله فاتبعوه واجيب بان العمل بالقياس عمل بالنص ايضا فكانه تعالى قال مهما غلب على ظنك ان حكم الصورة المسكوت عنها مثل حكم الصورة المنصوص عليها بسبب امر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفي في حقك ان تعمل بموجب ذلك الظن ولا تكن للخائنين اي لاجلهم يريد بني ظفر خصيما مخاصما واصله الخصم بالفتح والسكون وهو ناحية الشيء وطرفه فكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم السلام لولا ان الرسول صلى الله عليه وسلم اراد ان يخاصم لاجل الخائن ويذب عنه والا لما ورد النهي عنه ولما امر بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي مرتكبا المنهي عنه بل ثبت في الرواية ان قوم طعمة لما التمسوا منه صلى الله عليه وسلم ان يذب عن طعمة ويلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي ولعله امر بالاستغفار لانه مال طبعه الى نصرة طعمة بسبب انه كان في الظاهر من المسلمين وحسنات الابرار سيئات المقربين او لعل القوم شهدوا بالسرقة على اليهودي وبراءة طعمة ولم يظهر للرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودي فاطلعه الله تعالى على مقصد ذلك الحال او لعل المراد واستغفر لاولئك الذين يذبون عن طعمة ثم قال ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني طعمة ومن عاونه من قومه ممن علموا كونه سارقا عاصيا والاختيان كالخيانة يقال خانه واختانه والعاصي خاين نفسه لانه يحرمها الثواب ويوصلها الى العقاب ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع واثم في نسبة اليهودي الى تلك السرقة وانما ورد البناء على المبالغة والعموم ليتناول طعمة وكل من خان خيانة فلا تخاصم للخائن قط ولا تجادل عنه لانه لا يحبه وايضا كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم وروي انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله ومن كانت تلك خاتمة امره لا يشك في حاله وقالت العلماء اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة وفي الاية دليل على ان من كان قليل الخيانة والاثم لم يكن في معرض التسخط من الله يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه لان الاستخفاء لازم الاستحياء وهو معهم بالعلم والقدرة والرؤية وكفى بهذا زجرا للانام من المعاصي اذ يبيتون يدبرون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته وتسمية التدبير وهو معنى في النفس قولا ليس فيها اشكال عند القائلين بالكلام النفسي واما عند غيرهم فمجاز ولعلهم اجتمعوا في الليل ورتبوا كيفية المكر فسمى الله كلامهم ذلك بالقول المبيت الذي لا يرضاه الله والمراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان خبأه ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وقوله جادلتم جملة موضحة للاول كما يقال للسخي انت حاتم تجود بمالك او المراد انتم الذين جادلتم والخطاب لقوم مؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وقومه لانهم في الظاهر مسلمون والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن الذي يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا عن عذاب الله وهذا الاستفهام معطوف على الاول وكلاهما للانكار والتقريع ثم اردف الوعيد بذكر التوبة فقال ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ايصال الضرر الى الغير سوء حاضر بخلاف الذي يعود وباله الى فاعله فان ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا لانه لا يوصل الضرر الى نفسه وقد يستدل باطلاق الاية على ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب وان كان كفرا او قتلا عمدا او غصبا للاموال بل على ان مجرد الاستغفار لا ينفع مع الاصرار فلابد من اقرانه بالتوبة يجد الله غفورا رحيما اي لم يحذف هذا الرابط لدلالة الكلام عليه لانه لا معنى للترغيب في الاستغفار الا اذا كان المراد ذلك وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ليذهب الحجة مع العلم بانه يكون منه او بعث لقومه لما وجد منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما الكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى بذلك والمقصود منه ترغيب العاصي في الاستغفار وكانه قال الذنب الذي اتيت به انما يعود وباله عليك فاني منزه عن الضرر والنفع فلا ...

من قبول التوبة وكان الله عليما حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ما عمل منه ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما كبيرة وقيل الخطيئة الذنب
القاصر على فاعله والاثم هو الذنب المتعدي الى الغير كالظلم والقتل وقيل الخطيئة ما لا ينبغي فعله سواء كان بالعمد او بالخطاء والاثم ما حصل بسبب
العمد ثم يرم به اي باحد المذكورين او بالاثم او بذلك الذنب لان الخطيئة في معنى الذنب او بذلك الكسب بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانه بكسب
الاثم اثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين فلا جرم يلحقه الذم في الدارين ولولا فضل الله عليك ورحمته ولولا ما خصك الله بالفضل وهو
النبوة وبالرحمة لهمت طائفة منهم من بني ظفر او طائفة من الناس والطائفة بنو ظفر ان يضلوك عن القضاء الحق والحكم العدل و
وما يضلون الا انفسهم بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت
بظاهر الحال وما امرت الانبياء الا بالاحكام على الظواهر او هو وعد بادامة العصمة لما يريدون في الاستقبال من ايقاعه في الباطل ثم اكد الوعد بقوله
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي انه لما امرك بتبليغ الشريعة الى الخلق فكيف يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلالات
وعلى الاول يكون المراد انه اوجب في الكتاب والحكمة بناء احكام الشرع على الظاهر فكيف يضرك بناء الامر عليه وعلمك ما لم تكن تعلم فيه معنيان
احدهما ان يكون كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي انزل الله عليك الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارها واوقفك على حقائقهما مع
انك كنت قبل ذلك غافلا بشيء منها فكذلك يفعل بك في مستانف ايامك حتى لا يقدر احد من المنافقين على اضلالك واذلالك والثاني ان يراد
خفيات الامور وضمائر القلوب اي علمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه مكايدهم ما تقدر على الاحتراز
منهم وكان فضل الله عليك عظيما فيه دليل ظاهر على شرف العلم حيث سماه عظيما وسمى متاع الدنيا باسرها بالقليل التأويل
الصلوة صورة جذبة الحق ومعراج العبد فلهذا قرنت في الخوف والامن وشدة القتال والسفر والحضر والصحة والمرض ليكون العبد مجذوب
العناية على الدوام واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة اي ادمتها لهم لان النظر اليك عبادة كما ان الصلوة عبادة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر فانك تنهاهم عن الفحشاء والمنكر فلتقم طائفة وهم الخواص منهم اي من عوامهم معك اي مع الله لانك مع الله لقوله لا تحزن ان الله
معنا وليأخذوا يعني طائفة من بقية القوم اسلحتهم من الطاعات والعبادات ودفع العدو والنفس والشيطان فاذا سجدوا يعني من معك ونزلوا
مقامات القرب فليكونوا اي هؤلاء العوام من ورائكم في المرتبة والمقام والمتابعة يحفظونكم باشتغالهم بامور الدنيا وبه تحكم الحكم الضرورية لولا
ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك في الصحبة فلم يصلوا معك في الوصلة وليأخذوا حذرهم وهو آداب الطريقة واسلحتهم وهي اركان الشريعة
ود الذين كفروا وهم عدو النفس وصفاتها ان كان بكم اذى من مطر يعني اشغال الدنيا وضرورات حوائج الانسان فلا جناح عليكم في بعض الاوقات
ان تضعوا اسلحة الطاعات والاركان ساعة فساعة وخذوا حذركم من التوجه الى الحق ومراقبة الاحوال وحفظ القلب وحضوره مع الله
وخلو السر عن الالتفات بغير الله ورعاية التسليم والتفويض الى الله والاستمداد من همم اعاظم الدين والالتجاء الى ولاية النبوة ان الله اعد
الاسباب للكافرين من كيد كفار النفس والشيطان عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلوة المكتوبة فاذكروا الله في جميع حالاتكم ان الصلوة كانت
في الازل على المؤمنين كتابا موقوتا الى الابد كما اشار اليه بقوله انا فتحنا لك اي بابا من العدم الى الحدوث ليغفر لك الله بما فتح عليك
ما تقدم في الازل من ذنبك ان لم تكن مصليا وما تأخر الى الابد من ذنبك بان لا تكون مصليا ويتم نعمته عليك بان يجعل حياتك وهي عين
صلوتك في الازل والابد مبدلة بالحسنات وهي الصلوة المقبولة من الازل الى الابد ويهديك صراطا مستقيما من الازل الى الابد ومن الابد الى الازل
ولا تهنوا في ابتغاء القوم النفس وصفاتها ان تكونوا تألمون في الجهاد معها والرياضات والعبادات فانهم يألمون في طلب اللذات والشهوات
كما تألمون وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية ما لا يرجون لان همم النفس الدنية لا يتجاوز قصورها الدنية المجازية الفانية
بما اريك الله حين اوحي اليك بلا واسطة ما اوحى واراك الاية الكبرى والله اعلم بالصواب

لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه
اجرا عظيما ۝ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت
مصيرا ۝ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ۝ ان
يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا ۝
لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ۝
ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام
ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله

فقد خسر خسرانا مبينا ۝ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم
الشيطان الا غرورا ۝ اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون
عنها محيصا ۝ والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ۝ وعد الله
حقا ۝ ومن اصدق من الله قيلا ۝ ليس بامانيكم ولا
اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله
وليا ولا نصيرا ۝ ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى
وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ۝
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم
حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ۝ ولله ما في السموات
وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ۝ صدق الله العظيم

القراءة يؤتيه بالياء ابو عمرو وحمزة وخلف وقتيبة وسهل الباقون بالنون نوله ونصله مثل نؤته يدخلون بضم الياء وفتح الخاء
وكذلك في مريم وحم المؤمن ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ويزيد وابو بكر وحماد الآخرون بالعكس ابراهام وما بعده في هذه السورة هشام
وكذلك روى الموصلي عن الاخفش عن ابن ذكوان الوقوف بين الناس ط عظيما ه جهنم ط مصيرا ه لمن يشاء ط بعيدا ه اناثا ج
لابتداء النفي مع واو العطف مريدا ه لا لان ما بعده صفة له لعنه الله م لان قوله وقال غير معطوف على لعنه مفروضا ه لا للعطف خلق الله ط
مبينا ه كيلا يصير بعدهم وصفا للخسران ويمنيهم ط غرورا ه محيصا ه ابدا ط حقا ط قيلا ه الكتاب ط يجز به لا للعطف نصيرا ه نقيرا ه حنيفا ط
خليلا ه وما في الارض ط محيطا ه التفسير ثم اشار الى ما كانوا يتناجون به حيث يبيتون ما لا يرضى من القول والنجوى السر بين اثنين وكذا النجوى يقال
نجوته نجوا اي ساررته وكذلك ناجيته قال الفراء قد يكون النجوى اسما ومصدرا والاية وان نزلت في مناجاة بعض قوم ذلك السارق بعضا الا انها
في المعنى عامة والمراد انه لا خير فيما يتناجى به الناس ويخوضون فيه من الحديث الا من امر وفي محل من وجوه مبنية على معنى النجوى فان كان السر جاز ان يكون
من في موضع النصب لانه استثناء الشيء من خلاف جنسه كقوله الا اواري ومعناه لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير او في موضع الرفع كقوله الا
اليعافير والا العيس وابو عبيدة جعل هذا من باب حذف المضاف معناه الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما يقال لا خير في قيامهم الا قيام زيد
اي في قيامه وعلى هذا يكون الاستثناء من جنسه وان كان النجوى بمعنى ذوي نجوى كقوله واذ هم نجوى كان محله ايضا مجرورا من كثير او من نجوى كما قلت
لا خير في جماعة من القوم الا زيدا ان شئت اتبعت زيدا الجماعة وان شئت اتبعته القوم وانما قال لا خير في كثير مع انه لا يبعد ان تحكم كليا بدليل قوله عليه السلام
كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله استجلابا للقلوب وليكون ادخل في الاعتراف به وليخرج عنه الخطاء والنسيان
وما استكرهوا عليه واعلم ان فعل الخير اما ان يتعلق بايصال المنفعة او بدفع المضرة والاول ان كان من الخيرات الجسمانية فهو الامر بالصدقة وان
كان من الخيرات الروحانية بتكميل القوة النظرية او العملية فهو الامر بالمعروف والثاني هو الاصلاح بين الناس فثبت ان الاية مشتملة على جوامع الخيرات
ومكارم الاخلاق وهذه الاوامر وان كانت مستحسنة في الظاهر الا انه لا يقع في حيز القبول الا اذا عمل صاحبها بما امر كيلا يكون من زمرة اتأمرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم لم تقولون ما لا تفعلون والا اذا طلب بها وجه الله فلهذا قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما
ويمكن ان يقال ان معنى ومن يفعل الامر او المراد ومن يأمر فعبر عن الامر بالفعل لان الامر فعل من الافعال او المراد بقوله من امر من فعل لان الامر يلزمه
الفعل غالبا ثم قال ومن يشاقق الرسول قال الزجاج ان طعمة كان قد تبين له بما اظهر الله من امره ما دله على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فعادى الرسول واظهر الخلاف وارتد على عقبيه واتبع دين عبادة الاوثان وهو غير دين الموحدين وسبيلهم ومعنى نوله ما تولى نجعله واليا لما اختاره لنفسه
ونكله الى ما توكل عليه قال بعض الائمة هذا منسوخ باية السيف والصحيح انه في حق المرتد والظاهر ان المراد به الطبع والخذلان ونصله جهنم نلزمه اياها وساءت
مصيرا نصب على التمييز من الضمير المبهم في ساءت لانه يعود الى ما في الذهن لا الى المذكور وحكي ان الشافعي سئل عن آية في كتاب الله دالة على ان الاجماع
حجة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى وقف على هذه الآية ووجه الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام لانه تعالى جمع بين اتباع غير سبيلهم وبين مشاقة
الرسول ورتب الوعيد عليهما واتباع غير سبيل المؤمنين يلزمه عدم اتباع سبيل المؤمنين لاستحالة الجمع بين الضدين او النقيضين فعدم اتباع سبيل المؤمنين
حرام فاتباع سبيلهم واجب كموالاة الرسول وفي الآية دلالة على وجوب عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء باقواله وافعاله والا لوجب
المشاقة في بعض من الامور وهي منهي عنها في الكل قيل في الآية دلالة على انه لا يمكن تصحيح الدين الا بالنظر والاستدلال لان الهدى اسم للدليل لا للعلم
اذ لا معنى لتبين العلم لكنه رتب الوعيد على المخالفة بعد تبين الدليل فيكون تبين الدليل معتبرا في صحة الدين والدليل الموقوف على النظر هو معرفة وجود

الواجب لذاته وصحة نبوة النبي والثاني يكفي في اعتقاده اخبار الصادق على ان اخبار الصادق ايضا دليل فلا حكم الا عن دليل ثم انه كرر في السورة قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به للتأكيد وقيل لقصة طعمة وارتداده واشراكه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لانه لا اجلى من وجود الصانع ووحدته والمطلوب كلما كان اجلى كان نقيضه ابعد ثم اوضح هذا المعنى بقوله سبحانه ان يدعون اي يعبدون من دونه الا اناثا اوثانا وكانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى فاللات تأنيث الله والعزى تأنيث الاعز قال الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان ويؤيده قراءة عائشة رضي الله عنها الا اوثانا وقراءة ابن عباس الا انثا جمع وثن مثل اسد واسد الا ان الواو قلبت همزة كاجوه وقيل المراد الا امواتا لان الاخبار عن الاموات يكون كالاخبار عن الاناث تقول هذه الاحجار اعجبتني كما تقول هذه المرأة اعجبتني ولان الانثى اخس من الذكر والميت اخس من الحي وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون الملائكة بنات الله وان يدعون ما يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا بالغا في العصيان مجردا عن الطاعة يقال شجرة مرداء اذا تناثر ورقها والامرد الذي لم تنبت له لحية قال المفسرون كان في كل واحدة من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة يكلمهم وقالت المعتزلة جعلت طاعتهم للشيطان عبادة له لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه والظاهر ان المراد بالشيطان ههنا ابليس لانه وصف بقوله لعنه الله وقال لاتخذن جواب قسم محذوف اي شيطانا جامعا بين لعنة الله اياه وبين هذا القول الشنيع وهو الاخبار عن الاتخاذ مؤكدا بالقسم ويمكن ان يقال المراد بلعنة الله انه استحق اللعن عن استكباره عن السجود كقولهم ابيت اللعن اي لا فعلت ما تستحقه به وتعني نصيبا مفروضا حظا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي واصل الفرض القطع ومنه الفريضة لانه قاطع للاعذار وقد فرضت لهن فريضة جعلت لهن قطعة من المال وفرض الجندي رزقه المقطوع المعين قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين وذلك لما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الحديث وههنا سؤال وهو ان حزب الشيطان وهم الذين يتبعون خطواته من الكفار والفساق لما كانوا اكثر من حزب الله فلم اطلق عليهم لفظ النصيب مع انه لا يتناول الا القسم الاقل والجواب ان هذا التفاوت انما يحصل من نوع البشر اما اذا ضم الملائكة اليهم فالغلبة للمحقين لا محالة وايضا الغلبة لاهل الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم وان كثروا ولاضلنهم يعني عن الحق قالت المعتزلة فيه دلالة على اصلين من اصولنا الاول ان المضل هو الشيطان دون الله والثاني ان الاضلال ليس عبارة عن خلق الكفر والضلال وان الشيطان بالاتفاق لا يقدر على ذلك واجيب بان هذا كلام ابليس فلا يكون حجة على ان كلامه في هذه المسألة مضطرب جدا فتارة يميل الى القدر المحض وهو قوله ولاضلنهم لاغوينهم واخرى الى الجبر المحض كقوله رب بما اغويتني ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال والتخام الاهوال وانتظام الاحوال فلا يكاد يعزم على التوبة والاقبال على تهيئة زاد الآخرة حتى يصير قلبه كالحجارة او اشد قسوة ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام البتك القطع وسيف باتك اي صارم والتبتيك التقطيع شدد للكثرة وجمهور المفسرين على ان المراد به ههنا قطع آذان البحائر كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا انفسهم الانتفاع بها وسموها بحيرة وقال بعضهم كانوا يقطعون آذان الانعام نسكا في عبادة الاوثان فهم يظنون ان ذلك عبادة مع انه في نفسه كفر وفسق وقوله فليبتكن بصيغة غائب للغائبين واللام لجواب قسم آخر اي فوالله ليبتكن واصله ليبتكون فلما دخلت النون الثقيلة سقطت واو الجمع لالتقاء

[illegible]

ثم نفعل ذلك بقوله ولامنينهم وهو اشد من جنس التشويش لان صاحب الاماني يشتغل فكره في استخراج الحيل الدقيقة والوسائل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية والشيطانية وقوله ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اشارة الى النقص بالنقصان لان الانسان اذا صار مستغرق العقل في طلب الدنيا صار فاتر الرأي ضعيف العزم في طلب الآخرة وقوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اشارة الى البطلان لان من بقي مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن السعادات الباقية فلا يزال يتزايد ميله وركونه الى الدنيا حتى يتغير قلبه بالكلية ولا يخطر بباله ذكر الآخرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بان يفعل ما امره الشيطان به ويترك ما امره الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا اذ فاته اشرف المطالب بسبب الاشتغال باخسها والسبب فيه ان الشيطان يعدهم ويمنيهم فيقول للشخص انه سيطول عمره وينال من الدنيا مقصوده ويستولي على اعدائه ويوقع في قلبه ان الدنيا دول فربما تيسرت لي كما تيسرت لغيري وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه ربما لم يطل عمره وان طال فربما لم يجد مطلوبه وان طال عمره ونال مأموله على احسن الوجوه فلا بد ان يكون عند الموت في اشد حسرة وابلغ حيرة لان المطلوب كلما كان الذ واشهى وكان الالف معه ادوم وابقى كانت مفارقته آلم وانكى وايضا لعل الشيطان يعدهم انه لا قيامة ولا حساب ولا جزاء ولا عقاب فاجتهدوا في استيفاء اللذات العاجلة واغتنموا فرصة الحيوة الزائلة فلذلك قيل اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا مفرا ومعدلا ولم يقل وساء مصيرا لفظ معين ولا يعني في خلود الكفار او يبقى احدهما لابد لهم من ورودها والثاني التخليد بمعنى الدوام للكفار او طول المكث للفساق ثم اردف الوعيد بالوعد على سنة المعهود فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قال اهل السنة لو كان الخلود الدوام لزم التكرار فاذن هو طول المكث المطلق وقوله ابدا لقيد التأبيد وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله سندخلهم وعد منه تعالى ومضمونه هو مضمون وعد الله واما حقا فمضمونه اخص من مضمون الوعد لان الوعد من حيث هو وعد يحتمل ان يكون حقا وان لا يكون فمضمونهما متغايران تغاير الجنس والنوع ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث ابلغ من الاستفهام المتضمن

للانكار وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة والقائه الامانية الفارغة والتنبيه على ان قول اصدق القائلين اولى بالقبول من قول من لا احد اكذب منه والقيل مصدر قال قولا وعن ابن السكيت ان القيل والقال اسمان لا مصدران عن ابي صالح قال جلس اهل التورية واهل الانجيل واهل القرآن كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب وقال مسروق وقتادة احتج المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن اهدى منكم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اهدى منكم واولى بالله نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ثم افلج الله حجة المسلمين على من ناواهم من اهل الاديان بقوله ومن يعمل من الصالحات الى قوله ومن احسن دينا الآيتان وقيل الخطاب في امانيكم لعبدة الاوثان وامانيهم ان لا يكون حشر ولا نشر ولا ثواب ولا عقاب وان عذبوا به لكنهم يسعون اصنامهم بانها شفعاؤهم عند الله وقيل الخطاب للمسلمين واما نيهم ان يغفر لهم وان ارتكبوا الكبائر واما اماني اهل الكتاب فقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودات واسم ليس مضمر فقيل اي ليس وضع الدين على امانيكم وقيل ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب اي الزمه وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وتوكيد هذا المعنى قوله بانا للمذكور من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ثم ههنا استدلت المعتزلة بالآية على القطع بوعيد الفساق ونفي الشفاعة واجيب بانه مخصوص بالكفار لانهم مخاطبون بالفروع عندنا سلمنا انه يعم المؤمن والكافر الا انه مخصوص في حق المؤمن بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون جزاؤه الآلام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية روي انه لما نزلت الآية قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفلاح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك اللأواء فهو ما تجزون وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا قرأ هذه الآية فقال انجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبة في جسده وما يؤذيه وعن ابي هريرة رضي الله عنه لما نزلت الآية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت لنا هذه الآية شيئا فقال صلى الله عليه وسلم ابشروا فانه لا يصيب احدا منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي تقع في قدمه سلمنا ان الجزاء انما يصل اليه في الآخرة لكنه روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه لما نزلت الآية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا فكيف الجزاء فقال صلى الله عليه وسلم انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده اعشاره وايضا المؤمن الذي اطاع الله سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو مؤمن قد عمل الصالحات فوجب القطع بانه يدخل الجنة فالوا ان صاحب الكبيرة غير مؤمن واجيب بنحو قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا واما حديث نفي الشفاعة فاذا كانت شفاعة الملائكة باذن الله صدق انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله قال في الكشاف من في قوله من الصالحات للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من عمل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة ولا صلوة في بعض الاحوال ومن في من ذكر لتبيين الابهام في من يعمل والضمير في لا يظلمون عائد الى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا او يعود الى الصالحين فقط وذكره عند احد الفريقين يغني عن ذكره عند الآخر والنقير منقر عن هذا العقد لكن المعلوم ان ارحم الراحمين لا يزيد في عقابه واما النقصان فيفعل في الثواب وكان محتملا فازيل ذلك الوهم ثم بين فضل الايمان لشرطه بالفوز بالجنة فقال ومن احسن دينا وبيان الفضل من وجهين الاول انه الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية والخضوع والانقياد لله والى الاشارة بقوله اسلم وجهه لله وهو راجع الى الاعتقاد الحق وعلى اظهار كمال الطاعة وحسن العمل والاخلاص واليه الاشارة بقوله وهو محسن وهو عائد الى فعل الخيرات وترك المنكرات بعفاء النيات وخلوص الطويات وفيه تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل الا عند تفويض جميع الامور الى الخالق واظهار التبري من الحول والقوة ومن الاستعانة بغير المعبود الحق من الافلاك والكواكب والطبايع وغيرها كائنا من كان الوجه الثاني ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعى الخلق الى ما يشبه دين ابراهيم عليه السلام ومن المشهور فيما بين اهل الاديان انه ما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان مائلا عن الملل الباطلة بعيدا عنها بعد المركز عن جميع اجزاء الدائرة ولهذا شرف بقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهذه جملة معترضة والسبب في ايرادها ان يعلم ان من كان في علو الدرجة بهذه الحيثية كان جديرا بان يتبع طريقته قال العلماء ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال اموره واسراره وقد دخل حبه في خلال قلبه ولما اطلع الله ابراهيم عليه السلام على ملكوت الاعلى والاسفل ودعى القوم مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس وعن عبادة الاوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم جعله الله اماما للناس ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته الى يوم الدين كان خليلا لله لان خلته عبارة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد قال صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله فلما بلغ ابراهيم صلوات الرحمن عليه في مكارم الاخلاق مبلغا لم يبلغه من تقدمه فلا جرم استحق اسم الخليل وقيل الخليل الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل فلما كان ابراهيم منقادا لكل ما امره ونهي عنه فكأنه ساير وراء اوامر الله تعالى ونواهيه فاستحق اسم الخليل لذلك هذا من جهة الاشتقاق واما من قبل اسباب النزول فعن جابر بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل لم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد وقال عبد الله بن عبد الرحمن ابن ابزي دخل ابراهيم منزله فرأى ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه فقال ابراهيم باذن من دخلت فقال باذن رب المنزل فعرفه ابراهيم فقال ملك الموت ان ربك اتخذ من عباده خليلا قال ابراهيم ومن ذلك فقال وما تصنع به قال اكون خادما له حتى اموت قال فانه انت وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس اصاب الناس سنة جهدوا فيها فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى خليله بمصر يسأله الميرة فقال خليله لو كان ابراهيم انما يريده لنفسه احتملنا ذلك له ولكنه يريد للاضياف وقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم فمروا ببطحاء فقالوا لو انا احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بالميرة انا نستحيي ان نمر بهم والابل فارغة فملأوا تلك الغرائر ثم انهم اتوا ابراهيم وسارة نائمة فاعلموه ذلك فاهتم ابراهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى تلك الغرائر ففتحتها فاذا هي اجود حواري يكون فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس واستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله فيومئذ اتخذه الله خليلا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابراهيم اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله فلا جرم

اتخذ الله خليلا وروي طاوس عن ابن عباس رض ان جبريل وميكائيل عليهما السلام لما دخلوا على ابراهيم عليه السلام في صورة غلمان حسان
الوجوه فظن الخليل انهم اضيافه وذبح لهم عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل انت خليل الله
وعن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي لاوثرن
حبيبي على خليلي ونجيي قلت وذكرت الفرق بين الخليل والحبيب في سورة البقرة في تفسير قوله اذ قال له ربه اسلم فتذكر قال في التفسير الكبير
اذا استنار جوهر الروح بالمعارف القدسية والجلايا الالهية صار الانسان متوغلا في عالم القدس فلا يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يذكر
الا الله ولا يسكن الا الله فهذا الشخص يستحق ان يسمى خليل الله لما ان محبة الله تخللت في جميع قواه قال بعض النصارى اذا جاز اطلاق
الخليل على انسان تشريفا فلم يجز اطلاق الابن على الآخر لمثل ذلك والجواب ان الخلة لا تقتضي الجنسية بخلاف البنوة وانه سبحانه متعال
عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعد ذلك ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ليعلم انه لم يتخذ ابراهيم خليلا للمجانسة والاحتياج
ولكنه اصطفاه لمجرد الفضل والامتنان وفيه انه مع خلته لم يستنكف ان يكون عبدا له داخلا تحت ملكه وملكه وفيه ان من كان في الشرف والعز بهذه
الحيثية وجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وينقاد لاوامره ونواهيه كما قال ابراهيم اسلمت لرب العالمين وايضا انه لما ذكر الوعد والوعيد
وانه لا يمكن الوفاء بهما الا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل الشامل لجميع الكليات والجزئيات اشار الى الاول بقوله ولله ما في السموات
وما في الارض والى الثاني بقوله وكان الله بكل شيء محيطا وانما قدم القدرة على العلم لان الفعل بحدوثه يدل على القدرة وبما فيه من الاحكام و
الاتقان يدل على العلم ولا ريب ان الاعتبار الاول مقدم على الثاني وقال بعضهم الاحاطة ايضا ههنا بمعنى القدرة كقوله واخرى لم تقدروا عليها
قد احاط الله بها ولا يلزم تكرار لان الاول لا يدل الا على انه مالك لكل ما في السموات والارض قادر عليها والثاني يفيد القدرة المطلقة على جميع الاشياء
وان وقعت خارج السموات والارض وعلى ان سلسلة القضاء والقدر في جميع الممكنات انما تنقطع بايجاده وتكوينه وابداعه التأويل لا خير
في كثير من نجوى النفس والهوى والشيطان الا من امر بالخيرات وهو الله بالوحي وبالخواطر الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول اي يخالف الالهام
الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين بان يتبع الهوى وتسويل النفس والشيطان نوله ما تولى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته جهنم اوصافه
البهيمية والسبعية والشيطانية ان الله لا يغفر ان يشرك به ولو كان يغفر لم يشرك به ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وهو الضلال
بالاضلال الازلي فانهم ان يدعون من دونه الا اناثا صفات ذميمة يتولد منها الشرك وان يدعون الا شيطانا مريدا هي الدنيا كما قال صلى الله
عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه والنصيب المفروض طائفة خلقهم الله بالقهر ولاضلنهم كذب عدو الله فانه ليس له
من الضلالة شيء كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت مبلغا وليس الي من الهداية شيء وعد الله حقا وهو قوله هؤلاء الى الجنة ولا ابالي ليس بامانيكم
يعني عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون ان يغفر الله لهم وقد قال واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ولا اماني اهل الكتاب
علماء اهل السوء الذين يغرون العوام بالرياء والطمع ويقطعون عليهم طريق الطلب والاجتهاد فليس من تمنى نعمته من غير ان سعى في خدمته كمن سعى في خدمته
من غير ان يتمنى نعمته من يعمل سوءا يجز به في الحال باظهار الرين على مرآة قلبه كما قال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب عبد ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء
فان تاب ورجع منه صقل ولا يجد له من دون الله وليا يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة والتوبة ولا نصيرا ينصره بالظفر على النفس الامارة
من ذكر او انثى اي من قلب او نفس ومن احسن دينا اي من محمد حين اسلم سره وروحه وقلبه ونفسه وشيطانه كما قال اسلم شيطاني على يدي
ومن اسلم نفسه يقول يوم القيامة امتي امتي حين الانبياء نفسي نفسي وهو محسن يعني انه من اهل المشاهدة يعبد الله كانه يراه ولانه احسن الذين
بخلقه العظيم الى ان يبلغ حد الكمال والختم واتبع ملة ابراهيم بان الله اتخذه خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا قيل لمجنون بني عامر ما اسمك قال ليلى و
وقيل لابراهيم ما اسمك قال الخليل وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحبيب فكان محمد صلى الله عليه وسلم حبيبا خليلا اي فقيرا من الخلة الحاجة
لانه افتقر بالكلية الى الله في كل احواله والفرق بين مقام الخليل ومقام الحبيب ان الخليل اتخذ الالهة عدوا في الله وقال فانهم عدو لي الا رب العالمين
والحبيب اتخذ نفسه عدوا في الله وقال ليت رب محمد لم يخلق محمدا وهذا مقام الفناء في الفناء بل البقاء بعد الفناء فلهذا يقول يا رب
من الرب ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

يقول به

ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم
في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن
وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان و
ان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله
كان به عليما ۝ وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او
اعراضا ۝ فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا
والصلح خير ۝ واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا
وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ۝ ولن تستطيعوا

ان

ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل
فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا
رحيما ۝ وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا
حكيما ۝ ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا
فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا
حميدا ۝ ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله
وكيلا ۝ ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين
وكان الله على ذلك قديرا ۝ من كان يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا ۝
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين ۝ ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا
فان الله كان بما تعملون خبيرا ۝ يا ايها الذين آمنوا آمنوا
بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب
الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه و
رسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ۝ ان
الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ۝ بشر المنافقين
بان لهم عذابا اليما ۝ الذين يتخذون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين ۝ ايبتغون عندهم
العزة فان العزة لله جميعا ۝ وقد نزل عليكم في الكتاب
ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ۝
ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ۝

الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا

القراآت يصلحا من الاصلاح عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون يصالحا من التصالح وادغام التاء في الصاد ان يشا حيث كان بغير همز الاعشى واوقية وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف وان تلوا بواو واحدة ابن عامر وحمزة والباقون بالواوين نزل وانزل كلاهما على ما لم يسم فاعله من التنزيل والانزال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والباقون نزل وانزل مبنيين للفاعل من التنزيل والانزال وقد نزل مشددا مبنيا للفاعل عاصم ويعقوب الباقون مبنيا للمفعول الوقوف في النساء ط فيهن لا للعطف اي الله يفتيكم والمتلو يفتيكم والولدان لا للعطف ايضا اي في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا بالقسط ط عليما ه صلحا ط خير ط الشح ط خبيرا ه كالمعلقة ط رحيما ه سعته ط حكيما ه وما في الارض ط ان اتقوا الله ط وما في الارض ط حميدا ه وما في الارض ط وكيلا ه باخرين ط قديرا ه والاخرة ط بصيرا ه والاقربين لابتداء الشرط مع اتفاق المعنى ان تعدلوا لذلك خبيرا ه من قبل ط بعيدا ه سبيلا ه ط اليما ه لا لان الذين صفة المنافقين وان كان يحتمل النصب والرفع على الذم المؤمنين ط جميعا ط عزة ز لان ما بعده كالتعليل شاهم ط جميعا ه لا لان ما بعده صفة المنافقين بكم ج لابتداء الشرط مع اتحاد بيان التربص معكم ز لترجح جانب العطف واتمام بيان النفاق نصيب لا لان قالوا جواب ان المؤمنين القيمة ط سبيلا ه

التفسير احسن الترغيبات اللائقة بالدعوة الى الدين الحق والبعث على قبول التكاليف هو ما عليه القرآن الكريم من قرن الوعد بالوعيد وخلط الترغيب بالترهيب وختم الايات الدالة على العظمة والكبرياء الى بيان الاحكام ويستفتونك الاستفتاء طلب الفتوى يقال استفتيت الرجل فافتاني افتاء وفتيا وفتوى وهما اسمان يوضعان موضع الافتاء وهو اظهار المشكل من الفتى وهو الشاب الذي قوي وكمل كانه قوي ببيانه ما اشكل فشب وصار فتيا قويا ويستفتونك في النساء لا يقع في ذوات النساء وانما يقع في حالة من احوالهن فلا جرم اختلفوا فزعم بعضهم انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان شيئا من الميراث كما مر في اول السورة فنزلت في توريثهم وقيل انه في الاوصياء وقيل في توفية الصداق لهن كانت اليتيمة تكون عند الرجل فان كانت جميلة ومال اليها تزوج بها واكل مالها وان كانت دميمة منعها من الازواج حتى تموت فيرثها اما قوله وما يتلى عليكم ففيه وجوه احدها انه رفع بالابتداء معطوفا على اسم الله اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب يفتيكم ايضا ويجوز ان يكون رفعا على الفاعلية لكونه عطفا على المستتر في يفتيكم وجاز بلا تاكيد للفصل اي يفتيكم الله والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى كقولك اعجبني زيد وكرمه وذلك المتلو هو قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى كما سلف في اول السورة وجعل دلالة الكتاب على هذا الحكم افتاء من الكتاب وثانيها وما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره وهي جملة معترضة ويكون المراد من الكتاب اللوح المحفوظ والغرض تعظيم حال هذه الاية وان العدل فيها والنصفة من رعاية حقوق اليتامى ظالم منهما من عظائم الامور عند الله ونظيره في تعظيم القرآن قوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وثالثها انه مجرور على القسم بمعنى التعظيم ايضا كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن وحق المتلو ورابعها ان يكون مجرورا على انه معطوف على المجرور في فيهن قال الزجاج انه ليس بسديد لفظا لعدم اعادة الجار ومعنى لانه لا معنى لقول القائل يفتيكم الله فيما يتلى من الكتاب لان الافتاء انما يكون في المسائل وقوله في يتامى النساء على الوجه الاول صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن او بدل من فيهن وعلى سائر الوجوه بدل من فيهن لا غير والاضافة في يتامى النساء قال الكوفيون انها اضافة الصفة الى الموصوف واصله في النساء اليتامى وقال البصريون انها على تاويل حرف نظيفة وسحق عمامة وجوز بعضهم ان يكون المراد بالنساء امهات اليتامى كما في قصة ام كجة ومعنى لا تؤتونهن ما كتب لهن قال ابن عباس يريد ما فرض لهن من الميراث بناء على انها نزلت في ميراث اليتامى والصغار وقال غيره يعني ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن قال ابو عبيدة هذا يحتمل الشهوة والنفرة اي ترغبون في ان تنكحوهن لجمالهن او ترغبون عن ان تنكحوهن لدمامتهن احتج اصحاب ابي حنيفة بالاية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ورد باحتمال ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن اذا بلغن ولان قدامة بن مظعون زوج بنت اخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغبت امها في المال فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قدامة انا عمها ووصي ابيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها صغيرة وانها لا تزوج الا باذنها وفرق بينها وبين ابن عمر ولانه ليس في الاية اكثر من ذكر رغبة الاولياء في نكاح اليتيمة وذلك لا يدل على الجواز والمستضعفين من الولدان نزلت في ميراث الصغار والخطاب في ان تقوموا للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم قيل ويجوز ان يكون وان تقوموا منصوبا على الحال اي ويامركم ان تقوموا ومن جملة ما اخبر الله تعالى انه يفتيهم به في النساء لكن لم يتقدم ذكره قوله وان امراة خافت ارتفاع امراة بفعل يفسره خافت اي علمت وقيل ظنت والظاهر انه على معناه الاصلي الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة على وقوع المخوف كان يقول الرجل لامراته انك دميمة او مسنة واني اريد ان اتزوج شابة جميلة والبعل الزوج والنشوز يكون من الزوجين وهو كراهة كل منهما صاحبه ونشوز الرجل ان يعرض عنها ويقبح وجهها ويترك مجامعتها ويسيء عشرتها عن عائشة رضي الله عنها انها نزلت في المراة يكون عند الرجل ويريد الرجل ان يستبدل بها غيرها فتقول امسكني وتزوج بغيري وانت في حل من النفقة والقسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها صلحا وهو مصدر من غير لفظ الفعل مثل والله انبتكم من الارض نباتا ان يتصالحا على ان تطلب المراة وله نفسها عن القسمة او عن بعضها او عن المهر او النفقة فان هذه الامور هي التي تطلبها المراة من الزوج شاء ام ابى اما الوطء فليس كذلك لان الزوج لا يجبر على الوطء والصلح خير من التفرقة او من النشوز والاعراض فاللام للعهد او هو خير من الخصومة في كل شيء فاللام للاستغراق وبه تمسك اصحاب ابي حنيفة في جواز الصلح على الانكار او الصلح خير من الخيرات كما ان الخصومة شر من الشرور والجملة معترضة وكذا قوله واحضرت الانفس الشح الا انه اعتراض مؤكد للمطلوب محصل للمقصود والشح البخل مع حرص فارس شحاح للسيل الا من مطر كثير جعل الشح كالامر الحاضر للنفوس لانها جبلت على ذلك ثم يحتمل ان يكون هذا

لغرضنا

[illegible]

وانما في حق العباد فالعدالة مقدمة على الشهادة وتقدم الشرط على المشروط فاعلم ان يكون المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا تكتموا الشهادة طلبا لرضا الغني او ترحما على الفقير فالله اولى بامورهما ومصالحهما وكان حق النسق ان لو قيل فالله اولى به اي باحد هذين الا انه ثنى الضمير ليعود الى الجنسين كانه قيل فالله اولى بجنس الفقير والغني اي بالاغنياء والفقراء يريد بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال السدي اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم غني وفقير وكان ميله الى الفقير راى ان الفقير لا يظلم الغني فابى الله الا ان يقوم بالقسط في الغني والفقير فانزل الاية وقوله وان تعدلوا يحتمل ان يكون من العدل ومن العدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق ويحتمل الكل وهو ان يراد اتركوا الهوى لاجل ان تعدلوا اي حتى تتصفوا بصفة العدالة لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك احد النقيضين فقد حصل له الاخر وان تلووا او تعرضوا من لوى يلوي اذا فتل وتلوا واحدة من الولاية والمعنى وان تلوا السنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم او وان توليتم اقامة الشهادة او تركتموها واعلم ان الانسان لا يكون قائما بالقسط الا اذا كان راسخ القدم في الايمان فلهذا اردفه ما ذكر بقوله يا ايها الذين امنوا امنوا وظاهره مشعر بالامر بتحصيل الحاصل فالمفسرون ذكروا فيه وجوها الاول يا ايها امنوا تقليدا في الماضي والحال امنوا في المستقبل اي دوموا على الايمان واثبتوا الثاني يا ايها الذين امنوا تقليدا امنوا استدلالا الثالث يا ايها الذين امنوا استدلالا اجماليا امنوا استدلالا تفصيليا الرابع يا ايها الذين امنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله امنوا بان كنه الله تعالى وعظمته وكذلك احوال الملائكة واسرار الكتب وصفات الرسل لا تنتهي اليها عقولكم الخامس قال الكلبي ان عبد الله بن سلام واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة ابن قيس وجماعة من مؤمني اهل الكتاب قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فانزل الله هذه الاية فامنوا بكل ذلك وقيل ان المخاطبين

إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلوة
قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا
مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له
سبيلا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء
من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا إن المنافقين في الدرك الأسفل
من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا وأصلحوا
واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين
وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ما يفعل الله
بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا
بصيرا إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله
كان عفوا قديرا إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك
هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا
والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك
سوف نؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما

والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد
سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا ۝ و
رفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب
سجدا ۝ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم
ميثاقا غليظا ۝ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله
وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله

عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ۝ وبكفرهم وقولهم
على مريم بهتانا عظيما ۝ وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى
ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم
الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه ۝
وكان الله عزيزا حكيما ۝ وان من اهل الكتاب الا
ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ۝
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ۝ واخذهم الربوا
وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا
للكافرين منهم عذابا اليما ۝ لكن الراسخون في العلم
منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون
بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما ۝
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان
وآتينا داود زبورا ۝ ورسلا قد قصصناهم
عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليما ۝ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ۝
لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون
وكفى بالله شهيدا ۝ ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ۝ ان الذين
كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا

الا

الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا ۝ صدق الله العظيم ۝

القراءة لا تعدوا بتشديد الدال مع سكون العين ابو جعفر ونافع غير ورش وقرأ ورش مفتوحة العين مشددة بل طبع بالادغام على د
هشام وابو عمرو وعن حمزة بل رفعه مظهرا وبابه الاظهار الحلواني عن قالون سيؤتيهم حمزة وخلف وقتيبة الباقون بالنون زبورا بضم الزاي حيث كان
حمزة وخلف الباقون بالفتح الوقوف بظلمهم ج لان ثم لترتيب الاخبار مع ان الكلام متفرع عن ذلك ج لان التقدير وقد اتينا مبينا ه
عليها ه غلف ط قليلا ه لا للعطف عظيما ه لان التقدير وفي قولهم رسول الله ج لان ما بعده يحتمل ابتداء النفي والحال شبه لهم ط منه ط الظن ج
لاحتمال الاستيناف والحال يقينا ه لا لتقرير نفي القتل باثبات الرفع اليه حكيما ط قبل موته ج لان الواو للاستيناف مع اتحاد المقصود شهيدا ه ج لان
لان قوله فبظلم راجع الى قوله فبما نقضهم وقولهم متعلق الكل حرمنا كثيرا ه لا بالباطل ط اليما ه واليوم الآخر ط عظيما ه من بعده ج للعطف مع تكرار
الفعل وسليمان ج لان التقدير وقد آتينا لتخصيص داود بايتاء الزبور زبورا ه ج لان التقدير وقصصنا رسلا عليك تكليما ه ج لاحتمال البدل والنصب على
الرسل ط حكيما ه بعلمه ج لاحتمال ابتداء الاستيناف والحال يشهدون ط شهيدا ه بعيدا ه طريقا ه لا ابدا ط يسيرا ه التفسير ذا نوع
ان من جهالات اليهود فانهم قالوا ان كنت رسولا من عند الله فاتنا بكتاب من السماء جملة كما جاء موسى بالالواح وقيل اقترحوا ان تنزل عليهم كتابا الى فلان
وكتابا الى فلان بانه رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل فان استكبرت ما سألوا فقد سألوا [illegible]

[illegible]

والضمير في به عائد الى عيسى عليه السلام وفي موته الى احد عن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني لأوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن ويقول انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج روحه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وفائدة هذه الاخبار الوعيد والزام الحجة والبعث على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع لانه اذا لم يكن بد من الايمان به فلان يؤمن به حال التكليف ليقع معتدا به اولى وقيل الضميران في به وفي موته لعيسى فالمراد باهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود والنمور مع الابل والبقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه قال بعض المتكلمين نزوله ينبغي ان يكون بعد ارتفاع التكاليف والا لا يعرف اذا نزل مع بقاء التكاليف على تقدير ان يعرف انه عيسى عم فاما ان يكون نبيا ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم او غير نبي وعزل الانبياء لا يجوز واجيب بانه كان نبيا الى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك انتهت نبوته فلا يلزم عزله فلا يبعد ان يصير بعد نزوله تبعا لمحمد صلى الله عليه وسلم قال في الكشاف ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله تعالى يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وكذلك كل نبي شاهد على امته قوله فبظلم التنوين للتعظيم يعني فبأي ظلم من الذين هادوا والذنوب نوعان الظلم على الخلق وهو قوله فبظلم والاعراض عن الدين الحق وهو قوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا ومن هذا القبيل اخذ الربوا وقد نهوا عنه واكل اموال الناس بالباطل اي بالرشوة على التحريف فهذه الذنوب هي الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا والآخرة اما الدنيا فتحريم بعض المطاعم الطيبة كما يجيء في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية واما في الآخرة فقوله واعتدنا للكافرين عذابا اليما واعلم ان في متعلق قوله فبما نقضهم وما عطف عليه قولين الاول انه محذوف والتقدير فبنقضهم وبكذا وبكذا لعناهم او سخطنا عليهم او نحو ذلك ثم استانف قوله فبظلم ومتعلقه حرمنا وكذا متعلق المعطوفات بعده الثاني ان متعلق الكل حرمنا وقوله فبظلم بدل عن قوله فبما نقضهم قال الزجاج ورجح الاول بان حذف المتعلق افخم ليذهب الوهم كل مذهب ولان تحريم الطيبات عقوبة خفيفة فلا يحسن تعليقها بتلك الجنايات العظام قلت لو جعل قوله واعتدنا معطوفا على حرمنا زال هذا الاشكال اما تكرار الكفر في الآية ثلث مرات ويلزم من عطف الثالث على الاول او على الثاني عطف الشيء على نفسه فقد اجاب عنه في الكشاف بانه قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عليه السلام عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا ثم وصف طريقة المؤمنين المحققين منهم فقال لكن الراسخون في العلم منهم يعني عبد الله بن سلام واضرابه ممن ثبت في العلم وثبت واستبصر حتى حصل له المعارف بالاستدلال والبرهان دون التقليد والتخمين لان المقلد يكون بحيث اذا شكك تشكك اما المستدل فانه لا يتشكك البتة والمؤمنون يريد المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار والراسخون مبتدأ ويؤمنون خبره اما قوله والمقيمين الصلوة ففيه اقوال الاول روي عن عثمان وعائشة رضي الله عنهما انهما قالا ان في المصحف لحنا وستقيمه العرب بالسنتها ولا يخفى ركاكة هذا القول لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه الثاني قول البصريين انه نصب على المدح لبيان فضل الصلوة والمؤتون رفع على المدح لبيان فضل الزكوة كقولهم جاءني قومك المطعمون في المحل والمغيثون في الشدائد فتقدير الآية اعني المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر وطعن الكسائي في هذا القول بان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام وههنا الخبر وهو قوله اولئك سنؤتيهم منتظر والجواب ان الخبر يؤمنون ولو سلم فالدليل على انه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ وخبره الثالث وهو اختيار الكسائي ان المقيمين خفض لعطفه على ما في قوله بما انزل اليك والمراد بهم الانبياء لانه لم يخل شرع واحد منهم من الصلوة قال تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة او الملائكة لقوله وانا لنحن الصافون واعلم ان العلماء ثلثة اقسام العلماء باحكام الله تعالى وتكاليفه وشرائعه والعلماء بذات الله وصفاته الواجبة والممتنعة وباحوال المبدأ والمعاد والعلماء الجامعون بين العلمين مع العمل بما يجب العمل به وهم الراسخون في العلم وانهم اكابر العلماء والى الاقسام الثلثة اشار بقوله صلى الله عليه وسلم جالس العلماء وخالط الحكماء ووافق الكبراء اللهم اجعلنا من زمرتهم بفضلك واستعان ثم انه سبحانه عاد الى الجواب عن سؤال اليهود وهو اقتراح نزول الكتاب جملة فقال انا اوحينا اليك الآية فبدأ بذكر نوح عليه السلام لانه اول من شرع الله تعالى على لسانه من احكام الحلال والحرام ثم قال والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من غيرهم ولم يذكر فيهم موسى لان المقصود من تعداد هؤلاء الانبياء عليهم السلام انهم كانوا رسلا مع ان واحدا منهم ما انزل عليه كتابا مثل التورية دفعة واحدة ثم ختم ذكر الانبياء بقوله وآتينا داود زبورا يعني انكم اعترفتم ان الزبور من عند الله وانه ما نزل على داود جملة واحدة وهو الزام حسن قوي والزبور كتاب داود عليه السلام ومن قرأ بضم الزاي فلعله جمع زبر وهو الكتاب كقدر وقدور ثم قال ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك والمعنى انه تعالى انما ذكر احوال بعض الانبياء في القرآن والاكثرون غير مذكورين على سبيل التفصيل وكلم الله موسى تكليما هذا ايضا من تتمة الجواب والمراد انه بعث كل هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام بشرف التكليم ولا يلزم منه الطعن في سائر الانبياء فلا يلزم الطعن بانزال التورية عليه دفعة واحدة وانزال غيرها على غيره منجما رسلا مبشرين ومنذرين يعني ان المقصود من بعثة الانبياء الزام التكاليف بالانذار والتبشير وقد يتوقف هذا المطلوب على انزال الكتاب وقد يكون انزال الكتاب منجما مفرقا اقرب الى المصلحة لانه اذا انزل جملة كثرت التكاليف فيثقل القبول كما ثقل على قوم موسى فعصوا ثم ختم الآية بقوله وكان الله عزيزا حكيما والمعنى ان عزته تقتضي ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه وان كان ذلك امرا هينا في القدرة وكذلك حكمته تقتضي هذا الامتناع لانه لو فعل ذلك لاصروا على اللجاج في كل قضية واحتج الاشاعرة بالآية على ان معرفة الله لا تثبت الا بالسمع لقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيكون قبل البعثة لهم حجة في ترك الطاعات والمعارف وقالت المعتزلة بان الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة مع افادة تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع والمعتزلة قالوا في الآية دلالة على امتناع تكليف ما لا يطاق

لان

لان عدم ارسال الرسل اذا كان يصلح عذرا فبان يكون عدم القدرة والمكنة صالحا للعذر اولى وعورض بانهم قالوا الآية تدل على ان العبد قد يحتج على الرب فيبطل قول اهل السنة انه لا اعتراض لاحد عليه واجيب بانه يشبه الحجة وليس حجة في الحقيقة قوله لكن الله يشهد لابد له من مستدرك لان لكن لا يبتدأ به وفي ذلك المستدرك وجهان احدهما ان هذه الآيات باسرها جواب عن قول اليهود لو كان نبيا لنزل عليه الكتاب جملة وهذا الكلام يتضمن ان هذا القرآن ليس كتابا نازلا عليه من السماء فلا جرم قيل لكن الله يشهد عليه بانه نازل عليه من السماء الثاني انه تعالى لما قال انا اوحينا اليك قال القوم نحن لا نشهد لك بذلك فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله انزال القرآن بحيث يعجز عن معارضته الاولون والآخرون اي يشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي انزل عليك ثم فسر ذلك ووضح بقوله انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره او بسبب علمه الكامل مثل كتبت بالقلم وهذا كما يقال في الرجل المشهور الكامل بكمال الفضل اذا صنف كتابا واستقصى في تحريره انما صنف هذا بكمال علمه يعني انه اتخذ جملة علومه آلة ووسيلة الى تصنيف ذلك الكتاب وانزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه او انزله بعالمه بما علم من مصالح العباد فيه او انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ من شياطين الجن والانس والملائكة يشهدون لانهم لا يسبقونه بالقول فشهادته تستتبع شهادتهم ومن صدقه رب العالمين وملائكة السموات والارضين لم يلتفت الى تكذيب اخس الناس اياه وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بمحمد والقرآن وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات كقولهم لو كان رسولا لانزل عليه القرآن دفعة كما نزلت التورية على موسى وكقولهم ان شريعة موسى لا تنسخ وان الانبياء لا يكونون الا من اولاد هرون وداود قد ضلوا ضلالا بعيدا لان غاية الضلال ان يضم معه الاضلال ان الذين كفروا وظلموا محمدا بكتمان نعته او عوامهم بالقاء الشبهات في قلوبهم ومعنى قوله ولا ليهديهم طريقا انهم لا يسلكون الا الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها والعامل في خالدين معنى لا يهديهم اي يعاقبهم او يدخلهم النار خالدين فيها وكان ذلك على الله يسيرا لانه لا صارف له عنه ولا يتعذر عليه ايصال الالم اليه شيئا بعد شيء الى غير النهاية واللام في الذين اما للعهد وهم قوم علم الله منهم انهم يموتون على الكفر واما للاستغراق فيجب اضمار شرط عدم التوبة وحمل المعتزلة قوله وظلموا على اصحاب الكبائر بناء على انه لا فرق عندهم بين الكافر وصاحب الكبيرة في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة التاويل ارنا الله جهرة لعل ضربه لموسى لن تراني كانت بشؤم القوم وما كان في انفسهم من سوء ادب هذا السؤال لما لم يطمعوا في مطلوب لم يعظم جنبهم فما تعظموا الجبال جنبهم لانهم كانوا اشقياء والسعيد من وعظ بغيره فكلما زاد عنادهم زاد بلاؤهم وابتلاؤهم كرفع الطور فوقهم وغير ذلك قال اهل الاشارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات والطيبات التي احلت لارواحهم الطيبات قبل التلوث بقاذورات المخالفات والاسراف في المباحات يستتبع حرمان المناجات والقربات لكن الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بقدمي الصدق والعمل في العلم الى ان بلغوا معادن العلوم فاتصلت علومهم المكتسبة بالعلوم العطائية واللدنية انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اي بكلها اوحينا اليهم اوحينا اليك من سر فاوحى الى عبده ما اوحى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل في ليلة المعراج ورسلا لم نقصصهم عليك لان في القرآن متعلقه انزله بعلمه على الصفة العالية حتى علم بعلمه ما كان وما سيكون والملائكة يشهدون على تلك الخلوة وان لم يكونوا معك في الخلوة وكفى بالله شهيدا على ما جرى وكان ما كان سرا لا يبوح به فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا
فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما
يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما
المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القيها الى مريم وروح منه
فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد
سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى
بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة
المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم
اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ولا نصيرا يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا
اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم

في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما ۞ يستفتونك
في النساء قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد
وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا
اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء
فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم ۞

القراءة فنحشرهم بالنون المفضل الباقون بالياء الوقوف خيرا لكم ط والارض ط حكيما ه الا الحق ط وكلمته ج لهيئة مع اتحاد المقصود وروح منه ز لعطف المختلفين ولكن فا التعقيب يوجب تعجيل الايمان مع بقاء البيان ورسله ج ثلثة ط خيرا لكم ط اله واحد ط ولد م لان المنفي منه مطلق الولد ولو وصل اوهم ان المنفي ولد موصوف بان له ما في السموت وما في الارض وكيلا ه المقربون ط جميعا ه من فضله ج اليما لا ولا نصيرا ه مبينا ه وفضل لا للعطف مستقيما ه يستفتونك ط الكلالة ط ما ترك ج لان ما بعد مبتدا ولكن الكلام متحد البيان لها ولد ط لان جملة الشرط تعود الى قوله فلها النصف ما ترك وبينهما عارض مما ترك ط لابتداء حكم جامع للصنفين اثنتين ط ان تضلوا ط عليم ط

التفسير لما بين مفتريات النصارى واليهود واجاب عن شبههم عمم الخطاب فقال يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق اي بالقرآن والقرآن معجز فيكون حقا او بالكتاب من عند الله فاعرضوا عن غيره وهذا والذي تشهد له العقول السليمة فامنوا خيرا لكم انتصابه بمضمر كذا اي انتهوا خيرا لكم ولان المقصود الحث على الايمان والانتهاء عن التثليث علم انه محمول على امر فالمعنى اقصدوا وانتهوا خيرا لكم مما انتم عليه من الكفر وهو التثليث وهو الايمان بالله ورسله والايمان لا شك انه احمد عاقبة من الكفر بل العاقبة كلها به وقيل انه منصوب على خبر يكن اي يكن الايمان خيرا لكم والاول اصح لئلا يذهب الوهم الى غيره بقرينة وان تكفروا فان الله غني عنكم لانه مالك الملك او هو قادر على انزال العذاب لان الكل تحت قهره وتسخيره او له عبيد اخر يعبدونه غيركم وكان الله عليما باحوال العباد حكيما لا يضيع اجر المحسنين ولا يهمل جزاء المسيء ثم لما اجاب على شبه اليهود خاطب النصارى ونهاهم عن الغلو الذي هو الافراط في شان المسيح اي ان اعتقدوه الها لا نبيا وحثهم على ان لا يقولوا على الله الا الحق الذي يحق ويليق وصفه به وهو تنزيهه عن الحلول في بدن الانسان والاتحاد بروحه او الاتحاد وبصاحبة وولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته وجد بامره من غير واسطة اب ولا نطفة القاها اي الكلمة الى مريم اي اوصلها فيه وروح منه اي انه ظاهر نظيف بمنزلة الروح كما يقال هذا نعمة من الله وسمي بذلك لانه سبب حيوة الارواح او كما سمي القرآن روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اي رحمة منه كقوله وايدهم بروح منه ولا شك ان وجود النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للامة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة وقيل الروح هو الريح يعني ان النفخ من جبريل عليه السلام كان بامر الله تعالى فهو منه والتنكير للتعظيم اي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية ومنه اضافة ذلك الروح الى نفسه لاجل التشريف فامنوا بالله ورسله اي امنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه الها ولا تقولوا ثلثة هو خبر مبتدا محذوف اي الله ثلثة ان كان معتقدهم ان الذات جوهر واحد وانه ثلثة بالصفات ويسمونها الاقانيم اقنوم الاب واقنوم الام واقنوم الابن واقنوم روح القدس وربما يقولون اقنوم الذات واقنوم العلم واقنوم الحيوة او الالهة ثلثة ان كان في اعتقادهم انها ذوات قائمة بانفسها الاب والام والابن ولعل القولين يرجعان الى واحد لانهم اذا جوزوا على الصفات الانتقال والحلول في عيسى وفي مريم وقد جعلوها مستقلة بانفسها ولهذا الزم الكفر والشرك والا فمجرد اثبات الصفات لله تعالى لا يوجب الشرك فالاشاعرة اثبتوا لله تعالى صفات ثماني قدماء انتهوا عن التثليث واقصدوا خيرا لكم انما الله اله واحد لا تركيب فيه بوجه من الوجوه سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا وانزهه تنزيها من ان يكون له ولد فلا تتصل به عيسى اتصال الابناء بالاباء ولكن من حيث انه عبده ورسوله موجود بامره جدا جنا من غير اب له ما في السموت وما في الارض فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يتصح في المنقسم عقلا او حسا وانه لا ينقسم بجهة من الجهات لا العقلية ولا الحسية وكفى بالله وكيلا واذا كان كافيا في تدبير ۞ المخلوقات وحفظ المحدثات فلا حاجة معه الى القول باثبات اله اخر مستقل او مشارك قال الكلبي ان وفد نجران قالوا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فقال لهم انه ليس بعار لعيسى ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله والتحقيق ان الشبهة التي عليها يقولون في دعوى انه ابن الله هي انه كان يخبر عن المغيبات ويأتي بخوارق العادات كاحياء الاموات فقيل لهم لن يستنكف المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة من عبودية الله تعالى فان الملائكة المقربين اعلى حالا منه لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ منه وقد حمل العرش مع عظمه ثمانية منهم ثم انهم لم يستنكفوا عن كونهم عبادا لله فكيف يستنكف المسيح عن ذلك اي يمتنع ويأنف والتركيب يدور على التنحية والازالة من ذلك نكفت الدمع بالاصبع اذا نحيته عن خدك بالاصبع ونكفت عن الشيء اي عدلت والقائلون بافضلية الملائكة استدلوا بهذه الاية وقد تقدم الاستدلال بها والجواب عنها والبحث عليها في سورة البقرة في تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم واما قوله ولا الملائكة فانه معطوف على المسيح وهو الاظهر وجوز بعضهم عطفه على الضمير في يكون او في عبدا بمعنى الوصفية فيه فيكون المعنى ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا الملائكة موصوفين بالعبودية او لا يأنف ان يعبد الله هو والملائكة وفي المعنيين انحراف عن الغرض فالاول اولى والمراد بالملائكة كل واحد منهم حتى يكون خبره ايضا عبدا او يكون الخبر عبادا وحذف لدلالة عبدا عليه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا يوم القيمة الى حيث لا يملكون لانفسهم شيئا ثم انه تعالى لم يذكر ما فعل بهم بل ذكر ثواب المؤمنين المطيعين فقيل ان التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد فاجاب في الكشاف بان هذا الكلام جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به فحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به او قدم ثواب المؤمنين توطئة كانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى اجور العاملين وسيعاقب مع ذلك بالتعذيب من العذاب او لو جعل الضمير في قوله فسيحشرهم راجعا الى الناس كلهم لم يحتج الى

التكليفات

التكليفات ويحصل الربط بسبب العموم ومثله غير عزيز في القرآن كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى تعميم الخطاب بقوله يا ايها الناس قد جاءكم برهان الاية ويحتمل ان يراد بالبرهان والنور كليهما القرآن ويحتمل ان يراد بالبرهان محمد صلى الله عليه وسلم لانه يقيم البرهان تحقيق الحق وابطال الباطل وبالنور المبين القرآن لانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فاما الذين امنوا بالله في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا به تمسكوا بدينه او التجأوا اليه في ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن نزغ الشيطان فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس الرحمة الجنة والفضل ما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما هو الدين الحق والتقدير صراطا مستقيما اليه ويحتمل ان يراد بالرحمة والفضل اللذات الحسية الباقية وبالهداية اللذات الروحانية الدائمة ثم انه سبحانه ختم السورة بنحو ما بدأ به وهو احكام المواريث فقال يستفتونك الاية قال اهل العلم ان الله تعالى انزل في الكلالة ايتين احديهما في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة والاخرى في الصيف وهي هذه ولهذا تسمى اية الصيف عن جابر قال اشتكيت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي سبع اخوات فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله اوصي لاخواتي بالثلثين قال اجلس فقلت الشطر قال اجلس ثم خرج وتركني قال ثم دخل فقال لي يا جابر اني لا اراك ميتا في وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك وجعل لاخواتك الثلثين وروي انه اخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم اخذ من ميراثها ان ماتت فنزلت هذه وقد تقدم ان الكلالة اسم يقع على الوارث وهو من عدا الوالد والولد وعلى المورث وهو الذي لا ولد له ولا والد ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره هذا الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد اعلم ان ظاهر الاية مطلق ولا بد فيه من تقييدات ثلاثة الاول ان الولد مطلق والمراد به الابن لانه هو الذي يسقط الاخت واما البنت فلا يسقطها ولكنها تنقصها لما روي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في بنت وبنت ابن واخت بان للبنت النصف ولبنت الابن السدس والباقي للاخت فعلى هذا لو خلف بنتا واختا فللبنت النصف والباقي للاخت بالعصوبة الثاني ان ظاهر الاية يقتضي انه اذا لم يكن للميت ولد فان للاخت تأخذ النصف وليس كذلك على الاطلاق بل الشرط ان لا يكون للميت ولد ولا والد لان الاخت لا ترث مع الوالد بالاجماع الثالث قوله وله اخت المراد الاخت من الاب والام او من الاب لان الاخت من الام والاخ من الام ذكر حكمهما في اول السورة بالاجماع ثم قال وهو يرثها اي والاخ يرث جميع مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن كما قلنا لان الابن يسقط الاخ دون البنت وايضا ان هذا في الاخ من الابوين او من الاب اما الاخ من الام فانه لا يستغرق في الميراث وايضا المراد ان لم يكن لها ولد ولا والد لان الاب ايضا يسقط الاخ لقوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ ثم قال وان كانتا يعني من يرث بالاخوة اثنتين فانث وثني باعتبار الخبر كقولهم من كانت امك وكذا الكلام في قوله وان كانوا اخوة واراد بالاخوة الاخوة والاخوات لكنه غلب جانب الذكورة روي ان الصديق رضي الله عنه قال في خطبته الا ان الاية التي انزلها الله في سورة النساء في الفرائض اولها في الوالد والولد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والتي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات من الاب والام والتي ختم بها الانفال في اولي الارحام يبين الله لكم ان تضلوا قال البصريون المضاف محذوف اي كراهة ان تضلوا وقال الكوفيون لئلا تضلوا وقال الجرجاني صاحب النظم يبين لكم الضلالة لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها والله بكل شيء عليم فيكون بيانه حقا وتعريفه صدقا ختم السورة ببيان كمال العلم كما ان ابتدأها بكمال القدرة فيها تمام الالهية ويحصل الترهيب والترغيب للعاصي والمطيع والمستعان

التأويل قال ان تكفروا فان لله ما في السموت والارض يعني ان تؤمنوا يكن لكم ماله وان تكفروا فالكل له لا تغلوا في دينكم اي لا تميلوا الى طرفي التفريط والافراط فاليهود فرطوا في شانه فلم يقبلوه نبيا وهموا بقتله والنصارى فرطوا في حبه فجعلوه ابن الله وكذلك كل ولي لله سبحانه يشقى قوم بترك احترامه وطلب اذيته وقوم بالزيادة في اعظامه حتى يعتقد فيه اليقين رضي به كالخوارج والغلاة من الشيعة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم وروح منه لانه يكون بامر كن من غير واسطة اب كما ان الروح يكون كذلك قل الروح من امر ربي ولغلبة جانب الروحانية عليه كان يحيي الاجساد الميتة او ينفخ فيها وهذا الاستعداد الروحاني الذي هو من نعمة الله مركوز في جبلة الانسان لمن يخلص جوهر روحانيته من معدن البشرية في انسانيته كون عيسى وقته فيحيي الله تعالى بانفاسه القلوب الميتة ويفتح به اذانا صما واعينا عميا فيكون في قومه كالنبي في امته ولا تقولوا ثلثة يعني نفوسكم والرسول والله بل انتهوا بنظر الوحدة عن رؤية الثلاثة فينكشف لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يولد من وحدانيته شيء له الوجود الحقيقي القائم الدائم اولا واخرا وظاهرا وباطنا كل شيء هالك الا وجهه وكفى بالله وكيلا لكل الكل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله لان العبدية هي حقيقة الامكان الذاتي واجبة له ولهذا التعلق في الحد بقوله اي عبد الله ولا الملائكة المقربون انما ذكرهم لان بعض الكفار كانوا يقولون الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله قد جاءكم برهان جعل نفس النبي برهانا لانه برهان بالكلية وبرهان غيره كان في اشياء غير انفسهم مثل ما كان برهان موسى في عصاه وتحت ذلك برهان البصر ما زاغ البصر وما طغى ومنه برهان الشم اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومنه برهان لسانه وما ينطق عن الهوى وبرهان بصاقه بصق في العجين وفي البرمة فاكلوا من ذلك وهم الف حتى تركوه والبرمة تفور كما هي والعجين يخبز وبرهان نفثه نفله في عين علي كرم الله وجهه وهي رمدة فبرأ باذن الله تعالى وذلك يوم خيبر وبرهان يده ما رميت اذ رميت وتسبيح الحصى في يده وبرهان اصبعه اشار بها الى القمر فانشق فلقتين وقد جرى الماء من بين اصابعه حتى شرب ورفع منه خلق كثير وبرهان صدره وكان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل الم نشرح لك صدرك وبرهان قلبه تنام عيناي ولا ينام قلبي نزل به الروح الامين على قلبك وبرهان كله سبحان الذي اسرى بعبده اللهم ارزقنا الاقتباس من هذا البرهان والاقتباس من انوار القرآن انك انت الرؤف المنان وعليم الديان الحنان ۞

سورة المائدة مدنية ايها مائة وعشرون كلمها الفان وثمانمائة واربع حروفها احد عشر الفا وسبعمائة وثلثة وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود ۞ احلت لكم بهيمة الانعام
الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد ۞
يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي

ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا
واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم
عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى و
لا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد
العقاب ۞ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع
الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم
فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم
يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم
من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن
عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع
الحساب ۞ اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب
حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن ۞
محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ۞ يا ايها الذين
آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق
وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين ۞ وان كنتم جنبا
فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ۞
واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا

واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور ۞ يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن
قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون ۞ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم ۞ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم ۞ يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۞

القراءات ولا يجرمنكم بالنون الخفيفة رويس عن يعقوب الباقون بالثقيلة شنآن في الموضعين بسكون النون ابن عامر واسمعيل وابو بكر رضي الله عنه وحماد ويزيد عن طريق ابن وردان الباقون بالفتح ان صدوكم بكسر الهمزة ابن كثير وابو عمرو الباقون بالفتح ولا تعاونوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الميتة لمن اضطر كما مر في البقرة واخشوني بالياء في الوقف سهل ويعقوب وارجلكم بالنصب ابن عامر ونافع وعلي والمفضل وحفص ويعقوب والاعشى في اختياره الباقون بالجر **الوقوف** بالعقود ط لاستئناف الفعل حرم ط ابدا ورضوانا ط لابتداء النهي ان تعتدوا م لئلا يوهم العطف وحذف التاء من تعاونوا والتقوى ص لعطف المتفقتين والعدوان كذلك واتقوا الله ط شديد العقاب ۞ بالازلام ط فسق ط واخشون ط دينا ط لان الشرط من تمام التحريم لا ما يليه لاثم لا لان ما بعده جزاء رحيم ه احل لهم ط فصلا بين السؤال والجواب الطيبات لا لعطف اي وصيد ما علمتم مما علمكم الله ز لفاء التعقيب مع عطف المختلفتين عليه ص واتقوا الله ط الحساب ه الطيبات ط لان ما بعده مبتدأ لكم ص لعطف المتفقتين لهم ز لان قوله والمحصنات عطف على وطعام الذين لا على ما يليه اخدان ط عمله ز لعطف المختلفتين مع ان ما بعده من تمام جزاء الكفر معنى الخاسرين ه الكعبين ط لابتداء حكم فاطهروا وكذلك وايديكم منه ط تشكرون ه واثقكم به لا لان اذ ظرف المواثقة واطعنا ز لعطف المتفقتين مع وقوع العارض واتقوا الله ط الصدور ه بالقسط ز لعطف المتفقتين مع زيادة نون التأكيد المؤذن بالاستئناف ان لا تعدلوا ط لاستئناف اعدلوا وتغيير الصيغة الضمير مبتدأ مع شدة اتصال المعنى للتقوى ز واتقوا الله ط بما تعملون ه الصالحات لا لان ما بعده مفعول الوعد اي ان لهم عظيم ه الجحيم ه ايديهم عنكم لاعتراض الظرف بين المتفقتين واتقوا الله ط المؤمنون ه **التفسير** وفى بالعهد واوفى بمعنى والعقد وصل الشيء بالشيء على سبيل طريق الاستيثاق والاحكام والعهد الزام مع احكام والمقصود من الايفاء بالعقود اداء تكاليفه فعلا وتركا والتحقيق ان الايمان معرفة الله بذاته وصفاته واحكامه وافعاله فكانه قيل يا ايها الذين التزمتم بايمانكم انواع العقود وفوا بها وتعني تسمية التكاليف عقودا انها مربوطة بالعباد كما يربط الشيء بالشيء بالحبل الموثق قال الشافعي لو نذر صوم يوم العيد او نذر ذبح الولد لغا لقوله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية الله وقال ابو حنيفة يوجب عليه الصوم والذبح لقوله تعالى اوفوا بالعقود غايته انه لغا النذر في خصوص كون الصوم واقعا في يوم العيد وفي خصوص كون الذبح في الولد وقال ايضا خيار المجلس غير ثابت لقوله اوفوا بالعقود وخصص الشافعي عموم الآية بقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ابو حنيفة الجمع بين الطلقات حرام فان النكاح من العقود بدليل ولا تعزموا عقدة النكاح وقال اوفوا بالعقود ترك العمل في الطلقة الواحدة بالاجماع فيبقى ما زاد على الاصل والشافعي خصص هذا العموم بالقياس وهو انه لو حرم الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم ثم انه سبحانه لما مهد القاعدة الكلية ذكر ما يندرج فيها فقال احلت لكم بهيمة الانعام والبهيمة كل حي لا عقل له من قولهم استبهم الامر اذا اشكل وهذا باب مبهم اي مسدود ثم خص هذا الاسم بكل ذات اربع في البر والبحر والانعام هي الازواج الثمانية من الابل والبقر والغنم قال الواحدي ولا يدخل في اسم الانعام الحافر لانه مأخوذ من نعومة الوطء واضافة البهيمة الى الانعام للبيان مثل خاتم فضة بتقدير من وفائدة زيادة لفظ البهيمة مع صحة المعنى لو قيل احلت لكم الانعام كما قال في سورة الحج هي فائدة الاجمال ثم التبيين وانما وحد البهيمة لانها اسم جنس يشمل افرادها وجمع الانعام لان النعم مفرد يقع في الاكثر على الابل وحده وقيل المراد بالبهيمة شيء وبالانعام شيء آخر وفي هذا وجهان احدهما ان البهيمة الظباء وبقر الوحش ونحوها من الوحوش مما يماثل الانعام ويدانيها من جنس الانعام في الاجترار وعدم الانياب فاضيف اليها للملابسة الشبه الثاني انها الاجنة عن ابن عباس ان بقرة ذبحت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب جنينها وقال هذه هي بهيمة الانعام وعن ابن عمر انها اجنة الانعام وذكوته ذكوة امه قالت التناسخية ذبح الحيوانات ايلام والايلام قبيح وخصوصا ايلام الحيوان فانه عاجز والحيرة الى حيث لا يقدر ان يدفع عن نفسها ولم يكن له لسان يحتج على من يقصد ايلامه والقبيح لا يرضى به الاكرم الرؤوف الرحيم فلا يكون الذبح مباحا حلالا فلقوة هذه الشبهة تزعم البكرية من المسلمين انه تعالى يدفع الم الذبح عن الحيوانات وقالت المعتزلة ان الايلام انما يقبح اذا لم يكن مسبوقا بجناية ولا ملحوقا بعوض وههنا يعوض الله سبحانه وتعالى هذه الحيوانات باعواض شريفة فلا يكون ظلما وقبيحا كالفصد والحجامة لطلب الصحة وقالت الاشاعرة الاذن في ذبح الحيوانات تصرف من الله تعالى في ملكه فلا اعتراض عليه وقال بعضهم احلت لكم بهيمة الانعام مجمل لاحتمال ان يكون المراد احلال الانتفاع بجلدها او عظمها او صوفها او وبرها والجواب ان الاحلال لا يضاف الى الذات فتعين اضمار الانتفاع بالبهيمة فيشمل اقسام الانتفاع على ان قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون يدل على الانتفاع بها من كل الوجوه الا انه الحق بالآية نوعين من الاستثناء الاول قوله الا ما يتلى عليكم اي تحريمه ما يتلى عليكم او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والجمهور على ان الآية قوله بعد ذلك حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية الثاني قوله غير محلي الصيد وانتم حرم داخلون في الحرم او في الاحرام قال الجوهري رجل حرام اي محرم والجمع حرم مثل قذال وقذل وقيل هو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع كما يقال قوم جنب وانتصاب غير محلي الصيد على الحال من الضمير في لكم اي احلت

ذكر تفصيل مذهب الحنفية
كلام ابن عباس
منع فزع العرب الحجر

لهم هذه الاشياء غير محلين الصيد في حالة الاحرام وفي الحرم ثم كان لقائل ان يقول ما السبب في اباحة الانعام في جميع الاحوال واباحة الصيد في بعض الاحوال فقيل ان الله يحكم ما يريد فليس لاحد اعتراض على حكمه ولا سؤال لم وكيف ثم اكد النهي عن مخالفة تكاليفه بقوله يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الاكثرون على انها جمع شعيرة فعيلة بمعنى مفعلة وقال ابن فارس واحدها شعارة ثم المفسرون اختلفوا على قولين احدهما انها عامة في جميع تكاليفه ومنه قول الحسن شعائر الله دين الله والثاني انها شيء خاص من التكاليف ثم قيل المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في حال احرامكم من الصيد وقيل الافعال التي هي علامات الحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر وقال الفراء كانت عامة العرب لا يرون الصفا والمروة من شعائر الحج فنهوا عن ترك السعي بينهما وقال ابو عبيدة الشعائر الهدايا التي تطعن في سنامها وتقلد ليعلم انها هدي وقال ابن عباس رض ان الحطم واسمه شريح بن ضبيعة الكندي اتى النبي صلعم من اليمامة الى المدينة فخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان ثم خرج من عنده فلما خرج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر وما الرجل بمسلم ثم مر بسرح المدينة فاستاقه فطلبوه فعجزوا عنه فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمرة القضاء سمع تلبية حجاج اليمامة فقال لاصحابه هذا الحطم واصحابه وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينة واهداه الى الكعبة فلما توجهوا في طلبه انزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يريد ما اشعر لله وان كانوا على غير دين الاسلام وقال زيد بن اسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بالحديبية حين صدهم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نصد هؤلاء كما صدنا اصحابهم فانزل الله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام اي قوما قاصدين اياه والمعنى لا تعتدوا على هؤلاء العمار لان صدكم اصحابهم فالشهر الحرام شهر الحج اعني ذا الحجة او المراد رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وعبر عنها بلفظ الواحد اكتفاء باسم الجنس اي لا تحلوا القتال في هذه الاشهر والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسك جمع هدية والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او خرز او عرى مزادة او لحاء شجر الحرم والمراد لا تحلوا ذوات القلائد من الهدي افردها بالذكر وخصصها بالفضل مثل وجبريل وميكائيل ويحتمل ان ينهى عن التعرض للقلائد فيلزم النهي عن ذوات القلائد بالطريق الاولى كقوله تعالى ولا يبدين زينتهن فانه نهى عن الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها وللمفسرين خلاف في الآية فذهب كثير منهم كابن عباس ومجاهد والحسن والشعبي وقتادة انها منسوخة وذلك ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى المسلمون ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وهؤلاء قصدوا ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على شيء من الدين وان الحج يقربهم الى رضوان الله بظنهم وقال الآخرون انها محكمة وانه تعالى امرنا ان لا نخيف من يقصد بيته من المسلمين بدليل قوله يبتغون فضلا من الله اي ثوابا ورضوانا وان يرضى عنهم وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقال ابو مسلم المراد بالآية الكفار الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر واذا حللتم فاصطادوا ظاهر الامر للوجوب الا انه يفيد ها هنا الاباحة لانه لما كان المانع من حل الاصطياد هو الاحرام كقوله غير محلي الصيد وانتم حرم فاذا زال الاحرام رجع الى اصل الاباحة ولا يجرمنكم معطوف على لا تحلوا وجرم مثل كسب من حيث المعنى ومن حيث تعديته الى مفعول واحد تارة والى مفعولين اخرى تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه وهذا هو المذكور في الآية والشنآن بالتحريك والتسكين شدة البغض مصدر شنئته اشنأه وكلاهما شاذ فالتحريك شاذ في المعنى لان فعلان من بناء الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان والتسكين شاذ في اللفظ لانه لم يجئ شيء من المصادر عليه كذا قال الجوهري ومعنى الآية لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء او لا يحملنكم بغضهم على الاعتداء وقوله ان صدوكم من قرأ بكسر الهمزة فهو شرط وجوابه ما دل عليه لا يجرمنكم ومن قرأ بالفتح ان لمعنى التعليل اي لان صدوكم قيل هذه القراءة اولى لان المراد منه ما [illegible] بمكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة والسورة نزلت بعد الحديبية وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي [illegible] واتقوا الله ان الله شديد العقاب [illegible] ثم شرع في تفصيل الاستثناء الموعود في قوله الا ما يتلى عليكم فقال حرمت عليكم الميتة [illegible] الاول [illegible] الثاني [illegible] الثالث [illegible] الرابع [illegible] الخامس المنخنقة [illegible] السادس الموقوذة [illegible] السابع المتردية [illegible] الثامن النطيحة [illegible] التاسع وما اكل السبع [illegible]

او عروة مزادة

فاذبح فهو حلال لان ذلك دليل الحياة المستقرة وقيل انه مختص بقوله وما اكل السبع وقيل انه استثناء منقطع من المحرمات كانه قيل لكن ما ذكيتم من غيرها فهو حلال او من التحريم اي حرم عليكم ما مضى الا ما ذكيتم فانه لكم حلال العاشر ما ذبح على النصب وهو مفرد وجمعه انصاب كطنب واطناب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله قاله الجوهري وضعف بانه حينئذ يكون كالتكرار لقوله وما اهل لغير الله به وقال ابن جريج النصب ليست باصنام فان الاصنام احجار مصورة منقوشة وهذه النصب احجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للاصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويشرحون اللحوم عليها فالمراد ما ذبح على اعتقاد تعظيم النصب ويحتمل ان يكون الذبح للاصنام واقعا عليها وقيل النصب جمع والانصاب جمع الجمع كحمار وحمر او النصب كسقف وسقف الحادي عشر ما ابدعه اهل الجاهلية وان لم يكن من جملة المطاعم اي حرم عليكم ان تستقسموا بالازلام وانما ذكر مع الذبح على النصب لانهم كانوا يفعلون كلا منهما عند البيت كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا آخر من معاظم الامور ضرب القداح وكانوا قد كتبوا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وتركوا بعضها غفلا اي خاليا عن الكتبة فان خرج الآمر اقدم على الفعل وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اعاد العمل فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح وقال كثير من اهل اللغة الاستقسام ههنا هو الميسر المنهي عنه والازلام اقداح الميسر والتركيب يدور على التسوية والاجادة ويقال ما احسن ما زلم سهمه اي سواه ورجل مزلم اذا كان مخفف الهيئة وامرأة مزلمة اذا لم تكن طويلة ذلكم فسق اشارة الى جميع ما تقدم من المحرمات اي تناولها فسق ويحتمل ان يرجع الى الاستقسام بالازلام فقط وكونه فسقا بمعنى الميسر ظاهر واما بمعنى طلب الخير والشر فوجهه انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم ويعتقدون ان ما خرج من الامر والنهي هو ارشاد الاصنام واعانتها فلذلك كان فسقا وكفرا وقال الواحدي انما حرم لانه طلب معرفة الغيب وانه تعالى مختص بمعرفته وضعف بان طلب الظن بالامارات المتعارفة غير منهي كالتعبير والفال وكادعية اصحاب الكرامات والفراسات ثم انه سبحانه حرض على التمسك بما شرع فقال اليوم يئس قيل لم يرد يوما بعينه وانما المراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانا اليوم شيخ وقيل المراد يوم معين وذلك انها نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته العضباء وعن ابن عباس انه قرأ الآية ومعه يهودي فقال اليهودي لو نزلت علينا في يوم لاتخذناه عيدا فقال ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد يوم الجمعة واتفق يوم عرفة اي يئسوا من ان يحللوا هذه الخبائث بعد ان جعلها الله تعالى محرمة او يئسوا من ان يغلبوكم على دينكم لانه تعالى وعده باظهار هذا الدين على سائر الاديان فلا تخشوهم واخشون اخلصوا لي الخشية قيل في الآية دليل على ان التقية جائزة عند الخوف لانه علل اظهار هذه الشرائع بزوال الخوف من الكفار اليوم اكملت لكم دينكم سئل ههنا انه يلزم منه ان الدين كان ناقصا قبل ذلك وكيف يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم مواظبا على الدين الناقص اكثر عمره واجيب بانه كقول الملك اذا استولى على عدوه اليوم كمل ملكنا وزيف بان السؤال بعد باق لان ملك ذلك الملك لا بد ان يكون قبل قهر العدو ناقصا وقيل المراد اني اكملت لكم دينكم ما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام وقوانين القياس واصول الاجتهاد وضعف بانه يلزم ان لا يحل لهم قبل ذلك اليوم ما كانوا يحتاجون اليه من الشرائع وتأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز والتحقيق في الجواب ان الدين ابدا كان كاملا بمعنى ان الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت ناسخة او منسوخة او مجملة او مبينة او غير ذلك كافية بحسب ذلك الوقت وفي آخر زمان البعثة حكم ببقاء الاحكام على حالها من غير احكام نسخ وزيادة ونقص الى يوم القيمة قالت نفاة القياس اكمال الدين ان يكون حكم كل واقعة منصوصا فلا فائدة في القياس واجيب بان كماله هو جعل النصوص بحيث يمكن استنباط احكام نظائرها منها قالوا لكن كل احد ان يحكم بما غلب على ظنه لا يكون اكمالا للدين وانما يكون القاء للناس في ورطة الظنون والاوهام واجيب بانه اذا كان تكليف كل مجتهد ان يعمل بمقتضى ظنه كان كل مجتهد قاطعا بانه عامل بحكم الله وروي انه لما نزلت الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فرح الصحابة واظهروا السرور الا اكابرهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وغيره فانهم حزنوا وقالوا ليس بعد الكمال الا الزوال وكان كما ظنوا فانه لم يعمر بعدها الا احدا وثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا نقص قال العلماء كان ذلك جاريا مجرى اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن قرب وفاته وذلك اخبار بالغيب فيكون معجزا احتجت الاشاعرة بالآية على ان الدين سواء قيل انه العمل او المعرفة او مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل لا يحصل الا بخلق الله وايجاده فانه يكون اكمال الدين منه لا من العبد والمعتزلة حملوا ذلك على اكمال بيان الدين واظهار الشرائع ثم قال واتممت عليكم نعمتي اي بذلك الاكمال لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام او بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين ورضيت اي اخترت لكم الاسلام دينا نصب على الحال او مفعول ثان ان ضمن رضيت معنى صيرت واعلم ان قوله ذلكم فسق الى ههنا اعتراض اكد به معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة واختيار دين الاسلام للناس من بين سائر الاديان ثم بين الرخصة بقوله فمن اضطر في مخمصة اي في مجاعة واصل الخمص ضمور البطن غير متجانف منصوب باضطر او بمضمر اي فتناول غير منحرف الى اثم بان ياكل فوق الشبع او عاصيا بسفره وقد مر القول في هذه الرخصة مستوفى في سورة البقرة يسئلونك ماذا احل لهم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما احل لهم والسؤال في معنى القول وانما قيل ماذا احل لنا على حكاية قولهم نظرا الى ضمير الغائب في يسئلونك وهذا كما يجوز فيه الوجهان تقول اقسم زيد ليفعلن او لافعلن اما سبب النزول فعن ابي رافع ان جبريل عليه السلام جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن عليه فاذن له فلم يدخل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال جبريل قد اذنا لك [illegible] فيه كلب ولا صورة فنظروا فاذا في بعض بيوتهم جرو قال ابو رافع فامرني ان لا ادع بالمدينة كلبا الا قتلته حتى بلغت العوالي فاذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمتها فتركته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤوا فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان نزلت هذه الآية فامر بقتل الكلب العقور وما يضر ويؤذي واذن في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها وقال سعيد ابن جبير نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير حين قالا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة وانها تاخذ البقر والحمر والظباء والضب فمنها ما ندرك ذكوته ومنه ما يقتل فلا ندرك وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فقال قل احل لكم الطيبات اي الذي ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه في كتاب الله او سنته او قياس مجتهد او احل لكم كل ما يستلذ ويشتهى عند اهل المروة والاخلاق الجميلة واعلم ان الاصل في الاعيان الحل لانها خلقت لمنافع العباد وهو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ويستثنى من ذلك الاصول الاول تنصيص الكتاب على تحريم كالميتة والدم وغيرهما الثاني تنصيص السنة كما روي عن جمع من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية والبغال كالحمير ولا يحرم الخيل عند الشافعي لما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل الثالث ما هو في معنى المنصوص كالنبيذ فانه مسكر كالخمر فيشاركها في التحريم الرابع كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور لما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور وقد مر معنى السبع عن قريب فلا يحل بموجب هذا الاصل الكلب والاسد والذئب والنمر والفهد والدب والنسر والقرد لانها تعدو بانيابها ولا يحل من الطيور البازي والشاهين والنسر والصقر والعقاب وجميع جوارح الطير الخامس ما امر بقتله

وروى البخاري ان رجلا من اليهود [illegible]

من الحيوانات فهو حرام لان الامر بقتله اسقاط لحرمته ومنع من اقتنائه ولو كان مأكولا لجاز اقتناؤه للتسمين واعداده للاكل وقت الحاجة ومنه
الفواسق الخمس روي انه صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والفارة والغراب الابقع والكلب العقور و
الحداة. السادس ورد النهي عن قتله وهو حرام لانه لو كان مأكولا لجاز ذبحه ليؤكل كما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الخطاطيف وكذا
الصرد والنملة والنحلة والهدهد والخفاش. السابع الاستطابة والاستخباث لقوله قل احل لكم الطيبات. قال العلماء فيبعد الرجوع الى طبقات الناس
وتنزيل كل قوم بما يستطيبون ويستخبثون لان ذلك يوجب اختلاف الاحكام في الحل والحرمة وذلك يخالف موضوع الشرع فالعرب اولى امة بالاعتبار
لان الدين عربي وهم المخاطبون اولا وليس لهم ترفه وتنعم يورث تضييق المطاعم على الناس ولكن المعتبر استطابة سكان القرى والبلاد دون
اجلاف البوادي الذين لا تمييز لهم. وايضا المعتبر اصحاب اليسار والترفه دون اصحاب الضرورات والحاجات. وايضا المعتبر حال الخصب والرفاهية
دون حال الجدب والشدة. والحشرات باسرها مستخبثة كالذباب والخنفساء والجعلان وحمار قبان الا الضب فانه عليه السلام قال لا آكله ولا احرمه ومنها
انه لا يجوز اكل الاعيان النجسة في حال الاختيار وكذا اكل الطاهر اذا نجس بملاقاة النجاسة كالدهن والسمن الذائب والدبس والخل. ومن الاصول الكسب
بمخامرة النجاسة ولكن كسب الحجام حلال عند الشافعي. ومن الاصول ما يضر كالزجاج والسم والنبات المسكر او المجنن. وقوله سبحانه وما علمتم من الجوارح
معناه واحل لكم صيد ما علمتم على حذف المضاف لدلالة فكلوا مما امسكن عليكم. ويجوز ان يكون ما شرطية والجزاء فكلوا وعلى هذا يجوز الوقف على الطيبات
والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والبازي والصقر. قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم وجوز بعضهم ان يكون من الجرح
وقال ان ما اخذ من الصيد فلم يسل منه دم لم يحل. وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم. وفائدة هذا الحال مع الاستغناء عنها بعلمتم ان معلم الجوارح ينبغي
ان يكون ماهرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب. نقل عن ابن عمر والضحاك والسدي ان ما صاده غير الكلاب فلم يدرك ذكوته لم يجز اكله لان
قوله مكلبين يدل على كون هذا الحكم مخصوصا بالكلب. والجمهور على ان الجوارح يدخل فيه كل ما يمكن الاصطياد به من السباع. قالوا المكلب مؤدب
الجوارح ورائضها لان يصطاد لصاحبها وانما اشتق من الكلب لكثرة هذا المعنى في جنسه او لان سائر السبع يسمى كلبا لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد. او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال فلان كلب بكذا اذا كان حريصا عليه. واحتج المذكور في الآية
الصيد بالكلب لكن تخصيصه بالذكر لا ينفي حل غيره لجواز الاصطياد بالرمي وبالشبكة ونحوهما مع سكوت الآية عنها. تعلمونهن حال ثانية او استيناف
مما علمكم الله من علم التكليب لان بعضه الهام من الله او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره. واعلم انه تعتبر
في صيرورة الكلب معلما امور منها ان ينزجر بزجر صاحبه في ابتداء الامر وكذا اذا انطلق واشتد عدوه وحدته يشترط ان ينزجر بزجره ايضا
على الاشبه فيه يظهر التأدب. ومنها ان يسترسل بارسال صاحبه اي اذا اغري بالصيد هاج. ومنها ان يمسك الصيد لقوله تعالى فكلوا مما امسكن
عليكم وفي هذا اعتبار وصفين احدهما ان يحفظ ولا يخليه والثاني ان لا يأكل منه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم فان اكل فلا تأكل فانما
امسكه على نفسه. وجوارح الطير يشترط فيها ان يهيج عند الاغراء وان يترك الاكل ولكن لا يطمع في انزجارها بعد الطيران. ويشترط عند الشافعي رحمه
تكرر هذه الامور بحيث يغلب على الظن تأدب الجارحة بها واقله ثلث مرات ولم يقدر الاكثرون عدد المرات كأنهم رأوا العرف منضبطا وطباع
الجوارح مختلفة فيرجع الى اهل الخبرة بطباعها. وعن سلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابي هريرة انه يحل وان اكل فعندهم الامساك
هو ان يحفظه ولا يتركه. ومعنى الآية كلوا مما بقي لكم الجوارح وان كان بعد اكلها منه. ومن في مما امسكن قيل زائدة نحو كلوا من ثمره. وقيل تبعيضية لان
من بعض الصيد لا يؤكل كالعظم والدم والريش. وقال سعيد بن جبير وابو حنيفة والمزني يؤكل ما بقي من جوارح الطير ولا يؤكل ما بقي من الكلب. والفرق
ان تأديب الكلب بالضرب على الاكل ممكن وتأديب الطير غير ممكن. ولا خلاف انه اذا كان الجارحة معلمة ثم اصطاد صيدا وجرحه وقتله
وادركه الصائد ميتا فهو حلال وجرح الجارحة كالذبح. فان قتلته بالغم من غير جرح ففي حله خلاف. اما قوله سبحانه واذكروا اسم الله عليه فالضمير
اما ان يعود الى ما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكوته او الى ما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او الى الاكل وعلى هذا فلا كلام. وعلى الاول فالتسمية محمولة
على الندب عند الشافعي وعلى الوجوب عند ابي حنيفة وسيجيء تمام المسئلة في سورة الانعام ان شاء الله تعالى. اليوم احل لكم الطيبات
فائدة الاعادة ان يعلم بقاء هذا الحكم عند كمال الدين واستقراره. وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم. الاكثرون على ان المراد بالطعام الذبايح
لان ما قبل الآية في بيان الصيد والذبايح ولان ما سوى الصيد والذبايح محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها
باهل الكتاب فائدة. وعن بعض ائمة الزيدية ان المراد هو الخبز والفاكهة وما لا يحتاج فيه الى الذكوة. وقيل انه جميع المطعومات. وطعامكم حل
لهم اي يحل لكم ان تطعموهم من طعامكم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى اطعامهم من ذبايحنا. وايضا فالفائدة في ذكره ان يعلم ان اباحة الذبايح حاصلة
في الجانبين وليست كاباحة المناكحة فانها غير حاصلة في الجانبين. والمحصنات الحراير او العفايف من المؤمنات. وعلى الثاني يدخل فيه نكاح
الاماء. وقد يرجح الاول بانه تعالى قال اذا آتيتموهن اجورهن. ومهر الاماء لا يدفع اليهن بل الى ساداتهن. وبان نكاح المحصنات ههنا مطلق ونكاح
الامة مشروط بعدم طول الحرة وبخشية العنت. وبان تخصيص العفايف بالحل يدل ظاهرا على تحريم نكاح الزانية وقد ثبت انه غير محرم. ولو حملنا
المحصنات على الحراير لزم تحريم نكاح الامة. ونحن نقول به على بعض التقديرات. وبان وصف التحصين في حق الحرة اكثر ثبوتا منه في حق الامة لان الامة التحصين
لا تخلوا من البروز للرجال. والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم احتج بها كثير من الفقهاء في انه لا يحل نكاح الكتابية الا اذا دانت بالتورية و
الانجيل قبل نزول الفرقان لان قوله من قبلكم يبين من دان بهما بعد نزوله. وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات اصلا متمسكا بقوله تعالى
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى. واول الآية بان المراد اللاتي امن منهن. ومن العلماء من يحتج بها على
ان الكتابية اذا آمنت هل يحل للمسلم التزوج بها ام لا. وعن عطاء ان الرخصة كانت مختصة بذلك الوقت لانه كان في المسلمات قلة ولان الاحتراز
عن مخالطة الكفار واجب. لا تتخذوا بطانة من دونكم واي خلطة اشد من الزوجية وقد يحدث ولد يميل الى دين الام. وقال سعيد بن المسيب والحسن
الكتابيات يشمل الذميات والحربيات فيجوز التزوج بكلهن. واكثر الفقهاء على ان ذلك مخصوص بالذمية فقط وهو مذهب ابن عباس فانه قال من اعطى
الجزية حل ومن لم يعط لم يحل لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية. واتفقوا على ان المجوس قد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبايحهم ونكاح
نسائهم. اذا آتيتموهن اجورهن فيه ان من تزوج امرأة وعزم على ان لا يعطيها صداقها كان كالزاني. والزنا ضربان سفاح وهو على سبيل الاعلان واتخاذ
خدن وهو على سبيل الاسرار فحرمهما الله تعالى في الآية واحل التمتع بهن على سبيل الاحصان وهو التزوج بالشروط والاركان. ثم حث على التزام التكاليف
المذكورة بقوله ومن يكفر بالايمان اي بشرايع الله وتكاليفه التي هي من نتايج الايمان بالله ورسوله. وقال ابن عباس ومجاهد معناه ومن يكفر برب الايمان

اي بالله. قال قتادة ومن يكفر بالقرآن الذي انزل فيه هذه التكاليف التي لا بد منها في الايمان فقد خاب وخسر ونكتة ان اهل الكتاب وان حصلت
لهم فضيلة المناكحة واباحة الذبايح في الدنيا الا ان ذلك لا يفيدهم في الآخرة لان كل من يكفر بالله فقد حبط عمله في الدنيا ولم يصل الى شيء
من السعادات في الآخرة البتة. واعلم ان القائلين في الاحباط فسروا قوله فقد حبط عمله بان عقاب كفره يزيل ما كان حاصلا له من ثواب عمله
ومنكروا الاحباط قالوا ان عمله الذي اتى به بعد ذلك الايمان قد بان انه لم يكن معتدا به وكان ضايعا في نفسه. ثم انه سبحانه لما افتتح السورة بطلب
الوفاء بالعقود فكأن العبد قال عهد الربوبية منك وعهد العبودية منا وانت اولى بتقديم الوفاء بعهد الربوبية فاجاب الله تعالى نعم انا اولى
بعهد الربوبية والكرم. ومعلوم ان منافع الدنيا محصورة في نوعين لذات المطعم ولذات المنكح فبين الحلال والحرام من المطاعم والمناكح وقدم المطعوم
على المنكوح لانه اهم وعند تمام هذا البيان كأنه قال قد وفيت بعهد الربوبية فاشتغل انت ايها العبد بوظايف العبودية ولا سيما بالصلوة التي هي اعظم الطاعات
بعد الايمان ولنبين تفسير الآية على مسائل الاولى ليس المراد بقوله اذا قمتم نفس القيام والا لزم تأخير الوضوء عن الصلوة وهو بالاجماع باطل وايضا لزم غسل
الاعضاء قبل الصلوة قاعدا او مضطجعا لخرج عن العهدة بالاجماع فالمراد اذا اشتغلتم بالقيام الى الصلوة واردتم ذلك. ووجه هذا المجاز ان
الارادة الجازمة سبب لحصول الفعل واطلاق اسم المسبب على السبب مجاز مستفيض. والثانية ذهب قوم الى ان الامر بالوضوء تبع للامر
بالصلوة وليس تكليفا مستقلا لانه شرط القيام الى الصلوة والاصح انه عبادة برأسها لان قوله فاغسلوا امر ظاهره الوجوب. غاية ذلك انه قيد مقيده
بوقت التهيؤ للصلوة. وايضا انه طهارة وقد قال تعالى في آخر الآية ولكن يريد ليطهركم. وقال صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة امتي غر
محجلون من آثار الوضوء يوم القيمة. والاخبار الواردة في كون الوضوء سببا لغفران الذنوب كثيرة. الثالثة قال داود يجب الوضوء لكل صلوة لانا
ليس المراد فيها اما واحدا في صلوة واحدة والا لزم الاجمال اذ لا دليل على تعيين تلك المرة والاجمال خلاف الاصل فوجب حمل الآية على العموم وايضا
ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يشعر بالعلية فيتكرر بتكرره فيجب الوضوء عند كل قيام الى الصلوة. وايضا انه نظافة فلا يكون منها بد عند القيام الى
خدمة المعبود. وقال سائر الفقهاء ان كلمة اذا لا يفيد العموم ولهذا لو قال لامرأته اذا دخلت الدار فانت طالق لم تطلق مرة اخرى بالدخول ثانيا
ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلوة الا يوم الفتح فانه صلى الصلوات كلها بوضوء واحد وقال عمر فعلت شيئا لم تكن تفعله
عمدا فعلت ذلك يا عمر. اجاب داود بان خبر الواحد لا ينسخ القرآن. وايضا في الخبر معنيان احدهما وجوب التجديد لكل صلوة لا اقل من استحباب ذلك
وثانيهما انه ترك ذلك يوم الفتح والاول يوجب المتابعة والثاني مرجوح لان الفسخ يقتضي زيادة الطاعة لا انتقاصها. وايضا التجديد احوط وايضا
دلالة ظاهر القرآن قولية ودلالة الخبر فعلية والقولية اقوى. ولنا على المذهب المشهور ان قول التيمم على المتغوط والمجامع واجب اذا لم يجد الماء بقوله
او جاء احد منكم من الغائط الآية وذلك يدل على ان وجوب الوضوء قد يكون بسبب آخر سوى القيام الى الصلوة فلم يكن الوضوء وحده واذا لم يكن مؤثرا
مستقلا جاز تخلف الاثر عنه. نعم التجديد يستحب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده كانوا يتوضؤن لكل صلوة. وقال صلى الله عليه وسلم
من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات. وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ. الرابعة الاصح ان في الآية دلالة على ان الوضوء
شرط لصحة الصلوة لانه علق فعل الصلوة بالطهور ثم بين انه متى عدم الماء لم تصح الصلوة الا بالتيمم فلو لم يكن شرطا لم يكن كذلك. وايضا الامر
بالصلوة مع الوضوء فالآتي بها بدون الوضوء تارك للمأمور به فيستحق العقاب وهذا معنى البقاء في عهدة التكليف. الخامسة قال ابو حنيفة النية ليست
شرطا في الوضوء لانها غير مذكورة في الآية والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز. وعند الشافعي هي شرط فيه لان الوضوء مأمور
بقوله فاغسلوا وامسحوا وكل مأمور به يجب ان يكون منويا لقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص النية الخالصة فاصل النية يجب
ان يكون معتبرا غاية ما في الباب انها مخصوصة في بعض الصور فيبقى حجة في غير محل التخصيص. السادسة قال مالك وابو حنيفة الترتيب غير مشروط
في الوضوء لان الواو لا يفيد الترتيب فلو قلنا بوجوبه كان زيادة على النص وهو نسخ غير جائز. وقال الشافعي انه واجب لان فاء التعقيب في قوله فاغسلوا
يوجب تقديم غسل الوجه ثم سائر الاعضاء على الترتيب. وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الصفا ابدؤا بما بدأ الله به. وايضا الترتيب المعتبر في الحس
هو الابتداء من الرأس الى القدم او بالعكس والترتيب العقلي افراد العضو المغسول عن الممسوح ثم انه تعالى ادرج الممسوح في المغسول فدل هذا على ان الترتيب المذكور
في الآية واجب لان اهمال الترتيب في الترتيب مستقبح فوجب تنزيه كلام الله عنه. وايضا ايجاب الوضوء غير معقول المعنى لان الحدث يخرج من موضع
والغسل يجب في موضع آخر ولان اعضاء المحدث طاهرة لقوله المؤمن لا ينجس حيا وميتا وتطهير الطاهر محال ولان الشرع اقام التيمم مقام الوضوء وليس التيمم
نظافة واقام المسح على الخفين مقام الغسل وانه لا يفيد في نفس العضو نظافة والماء الكدر العفن يفيد الطهارة وماء الورد لا يفيدها فاذن لا اعتماد على مورد
النص ولعل في الترتيب حكما خفية لا نعرفها او هو محض التعبد. وقد وجبنا رعاية الترتيب في الصلوة مع ان اركان الصلوة غير مذكورة في القرآن مرتبة فرعاية
الترتيب في الوضوء مع ان القرآن ناطق به اولى. السابعة قال الشافعي وابو حنيفة الموالاة في افعال الوضوء غير واجبة لان ايجاب هذه الافعال قدر مشترك
بين ايجابها على سبيل الموالاة وايجابها على سبيل التراخي وهذا القدر معلوم من الآية ومفيد للطهارة والزائد لا دليل عليه. وايضا روي انه صلى الله عليه وسلم
رأى رجلا توضأ وترك لمعة من عقبه فامره بغسلها ولم يأمره بالاستيناف ولم يبحث عن مدة الفاصلة. وعند غيرهما شرط كيلا يتخلل بين اجزاء
العبادة ما ليس منها. وحد التفريق المخل بالموالاة ان يمضي من الزمان ما يجف فيه المغسول مع اعتدال الهواء ومزاج الشخص. الثامنة قال ابو حنيفة الخارج
من غير السبيلين ينقض الوضوء لان ظاهر الآية يقتضي الاتيان بالوضوء لكل صلوة كما مر ترك العمل به عند ما لم يخرج الخارج النجس من البدن فبقي معمولا
به عند خروج الخارج النجس. وخالفه الشافعي تعويلا على ما روي انه صلى الله عليه وسلم احتجم وصلى ولم يزد على غسل اثر محاجمه. التاسعة مالك لا وضوء
في الخارج عن السبيلين اذا كان غير معتاد وتمسك في دم الاستحاضة. لنا التمسك بعموم الآية. العاشرة ابو حنيفة القهقهة في الصلوة المشتملة على الركوع
والسجود ينقض الوضوء. الباقون لا ينقض ولابي حنيفة ان يتمسك بعموم الآية. الحادي عشر ابو حنيفة لمس المرأة وكذا مس الفرج لا ينقض الوضوء
الشافعي ينقض متمسكا بالعموم. الثاني عشر لو كان على وجهه وبدنه نجاسة فغسلها ونوى الطهارة من الحدث بذلك الغسل هل يصح وضوؤه قال في التفسير
الكبير ما رأيت هذه المسئلة في كتب الاصحاب. قال والذي اقوله انه يكفي لانه امر بالغسل في قوله فاغسلوا وقد اتى به. واقول الظاهر انه لا يكفي لانه لابد لغسلة
واحدة نجاستان حكمية وعينية وهذا بخلاف ما لو نوى التبرد والتنظف فان النجاسة هناك حكمية فقط. الثالث عشر لو وقف تحت ميزاب
حتى سال عليه الماء ونوى رفع الحدث هل يصح وضوؤه يمكن ان يقال لا لانه لم يأت بالغسل وان يقال نعم لانه اتى بما افضى الى المقصود وهو الانغسال. الرابع عشر
لو غسل اعضاء الوضوء ثم كشط جلده فالاظهر وجوب غسله ليحصل الامتثال فان ذلك الموضع غير مغسول. الخامس عشر لو رطب الاعضاء من غير سيلان
الماء عليها لم يكف لانه مأمور بالغسل وهذا ليس بغسل. وفي الجنابة يكفي لانه هناك مأمور بالتطهير ولكن يريد ليطهركم والتطهير يحصل بالترطيب. السادس عشر

لو امر الثلج على العضو فان ذاب وسال جاز والا فلا خلافا لمالك والاوزاعي لنا فاغسلوا وهذا ليس بغسل السابع عشرة التثليث سنة لان الامر
بالغسل يحصل بالمرة الثامن عشرة السواك سنة لا واجبة لان الاية عنه ساكتة وكذا القول في التسمية خلافا لاحمد واسحق وكذا في تقديم غسل اليدين
على الوضوء خلافا لبعضهم التاسع عشرة الشافعي هو لا يجب المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل احمد واسحق يجب فيهما ابو حنيفة هو يجب
في الغسل لا في الوضوء حجة الشافعي هو انه اوجب غسل الوجه والوجه هو الذي يكون مواجها وحده من مبدا تسطيح الجبهة الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن
الى الاذن عرضا وداخل الفم والانف غير مواجه العشرون ابن عباس يجب ايصال الماء الى داخل العين لان العين جزء من الوجه الباقون لا يجب
لقوله في آخر الاية ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وادخال الماء في العين حرج الحادي والعشرون غسل البياض الذي بين العذار والاذن واجب عند الشافعي
وابي حنيفة ومحمد خلافا لابي يوسف لنا انه واجب قبل نبات الشعر بالاجماع فكذا بعده ولانه من الوجه والوجه يجب غسله كله الثاني والعشرون
ابو حنيفة لا يجب ايصال الماء الى ما تحت اللحية الخفيفة الشافعي يجب لقوله فاغسلوا ترك العمل به عند كثافة اللحية رفعا للحرج فيبقى عند خفتها على الاصل
الثالث والعشرون الاصح عند الشافعي وجوب امرار الماء على ظاهر اللحية النازلة طولا والخارجة الى الاذنين عرضا لانه مواجه مالك وابو حنيفة وهم
لا يجب لانه لا جلد تحتها حتى يغسل ظاهرها بتبعيتها الرابع والعشرون لو نبت للمراة لحية وجب ايصال الماء الى جلدة الوجه وان كانت لحيتها كثيفة
لانا تركنا العمل بظاهر الاية في اللحية الكثيفة في الرجل دفعا للحرج ولحية المراة نادرة وخصوصا الكثيفة فيبقى حكمها على الاصل الخامس والعشرون
يجب ايصال الماء الى ما تحت الشعر الكثيف في خمسة مواضع العنفقة والحاجب والشارب والعذار والهدب لان قوله فاغسلوا يدل على وجوب
غسل كل جلدة ترك العمل به في اللحية الكثيفة دفعا للحرج وهذه الشعور خفيفة غالبا وبقي على الاصل السادس والعشرون الشعبي ما اقبل من الاذن فهو
من الوجه فيغسل وما ادبر فمن الراس فيمسح ورد بان الاذن غير مواجه اصلا السابع والعشرون الجمهور على ان المرفقين يجب غسلهما مع اليدين وخالف فيه
مالك وزفر وكذا الخلاف في قوله وارجلكم الى الكعبين والتحقيق ان الى تفيد معنى الغاية مطلقا والمراد بالغاية جميع المسافة او حقيقة النهاية
ثم ان حد الشيء قد يكون منفصلا عن المحدود حسا كانفصال الظلمة عن النور في قوله ثم اتموا الصيام الى الليل فيكون الحد خارجا عن المحدود وقد لا يكون كذلك
نحو حفظت القرآن من اوله الى آخره وبعتك هذا الثوب من هذا الطرف الى ذلك الطرف فيدخل الحد في المحدود ولا شك ان المرفق وهو مفصل الذراع
في العضد سمي بذلك لارتفاق صاحبها بها غير متميزة في الحس عن محدودها فلا يكون ايجاب الغسل الى جزء اولى من ايجابه الى جزء آخر فوجب غسلها جميعا وان سلم
ان المرفق لا يجب غسلها لكنها اسم لما جاوز طرف العظم ولا نزاع في ان ما وراء طرف العظم لا يجب غسله وهذا الجواب اختيار الزجاج وعلى هذا لو قطع
اليد من المرفق لا يجب عليه امساس الماء بطرف العظم وان كان انقطع ما فوق المرفقين لم يجب عليه شيء لان محل هذا التكليف لم يبق اصلا الثامن والعشرون
تقديم اليمنى على اليسرى مندوب وليس بواجب خلافا لاحمد لنا انه ذكر الايدي والارجل في الاية من غير تقديم لاحدى اليدين والرجلين التاسع والعشرون
ذهب بعضهم الى ان مبدا الغسل يجب ان يكون الكف بحيث يسيل الماء من الكف الى المرفق لان المرفق جعلت في الاية نهاية الغسل وجمهور الفقهاء
على ان عكس هذا الترتيب لا يخل بصحة الوضوء لان المراد في الاية بيان حد جملة الغسل لا بيان ترتيب اجزاء الغسل الثلاثون لو نبت من المرفق ساعدان
وكفان وجب غسل الكل لعموم قوله وايديكم الى المرافق كما لو نبت على الكف اصبع زائدة الحادي والثلاثون المراد من تحديد الغسل بالمرفق بيان الواجب
فقط لما روي في الاخبار ان تطويل الغرة سنة مؤكدة الثاني والثلاثون مالك يجب مسح كل الراس ابو حنيفة يتقدر بالربع لانه صلى الله عليه وسلم
مسح على ناصيته وانها ربع الراس الشافعي هو الواجب اقل ما ينطلق عليه اسم المسح لانه اذا قيل مسحت المنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بالكلية اما
لو قال مسحت يدي بالمنديل كفى في صدقه مسح اليد بجزء من اجزاء المنديل فكذا في الاية والا احتيج في تعيين المقدر الى دليل منفصل وتصير الاية مجملة وهو خلاف
الاصل الثالث والثلاثون لا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامة لان ذلك ليس مسحا للراس وقال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لما روي انه صلى الله عليه وسلم
مسح على العمامة واجيب بانه لعله مسح الفرض على الراس والبقية على العمامة الرابع والثلاثون اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما فنقل
القفال في تفسيره عن ابن عباس وانس بن مالك وعكرمة والشعبي وابي جعفر محمد بن علي الباقر ان الواجب فيهما المسح وهو مذهب الامامية وجمهور الفقهاء
والمفسرين على ان فرضهما الغسل وقال داود يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من ائمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف
مخير بين المسح والغسل حجة من اوجب المسح قراءة الجر في وارجلكم عطفا على رؤسكم ولا يمكن ان يقال انه كسر على الجوار كما في قوله جحر ضب خرب لان ذلك
لم يجئ في كلام الفصحاء وفي السعة وايضا انه جاء حيث لا لبس ولا عطف بخلاف الاية واما القراءة بالنصب فيكون العطف على محل رؤسكم
حجة الجمهور اخبار وردت بالغسل وان فرض الرجلين محدود الى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لا في المسح والقوم اجابوا بان اخبار الآحاد لا تعارض القرآن
ولا تنسخه وبالمنع في محل النزاع وزعم الجمهور ان قراءة النصب ظاهرة في العطف على مفعول فاغسلوا وان كان ابعد من امسحوا وقراءة الجر تنبيه
على وجوب الاقتصاد في صب الماء لان الرجل تغسل بالصب فكانت مظنة للاسراف الخامس والثلاثون جمهور الفقهاء على ان الكعبين هما العظمان
الناتئان من جانبي الساق وقالت الامامية وكل من قال بالمسح ان الكعب عظم مستدير موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق
والقدم كما في ارجل جميع الحيوانات والمفصل يسمى كعبا ومنه كعوب الرمح لمفاصله حجة الجمهور انه لو كان الكعب ما ذكره الامامية لكان الحاصل في كل رجل
كعبا واحدا وكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما انه لما كان الحاصل في كل يد مرفقا واحدا لا جرم قال الى المرافق وايضا العظم المستدير الموضوع في المفصل
شيء خفي لا يعرفه الا اهل العلم بتشريح الابدان والعظمان الناتئان في طرفي الساق محسوسان لكل احد ومناط التكاليف يجب ان يكون امرا ظاهرا ويؤيده
ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال الصقوا الكعاب بالكعاب السادس والثلاثون الجمهور على جواز مسح الخفين خلافا للشيعة والخوارج حجة الجمهور الاخبار
وحجة الشيعة الاية وان جواز المسح على الخفين حاجة عامة فلو كانت ثابتة لبلغت مبلغ التواتر السابع والثلاثون رجل مقطوع اليدين والرجلين سقط
عنه هذان الفرضان وبقي عليه غسل الوجه ومسح الراس فان لم يكن معه من يوضيه او ييممه سقط عنه ذلك ايضا لان قوله فاغسلوا وامسحوا مشروط بالقدرة
عليه فاذا فاتت القدرة سقط التكليف الثامن والثلاثون قوله سبحانه وان كنتم جنبا فاطهروا الاصل تطهروا ادغم التاء في الطاء فاجتلبت
همزة الوصل وللجنابة سببان نزول المني لقوله صلى الله عليه وسلم الماء من الماء والثاني التقاء الختانين خلافا لزيد بن ثابت ومعاذ وابي
سعيد الخدري لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى الختانان وجب الغسل وختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة واما ختان
المراة فان شفريها محيطان بثلاثة اشياء ثقبة في اسفل الفرج وهي مدخل الذكر ومخرج الولد والحيض وثقبة اخرى فوق هذه مثل احليل الذكر وهي مخرج البول
لا غير والثالث جلدة رقيقة قائمة مثل عرف الديك فوق ثقبة البول وقطع هذه الجلدة هو ختانها فاذا غابت الحشفة حاذى ختانه ختانها
ولا تلاقي قوله فاطهروا اعلم انه امر بتحصيل الطهارة في كل البدن والآية خصت تلك الاعضاء بالذكر كما في الطهارة الصغرى واعلم انه لا يجب تقديم الوضوء

علي

على الغسل خلافا لابي ثور وداود واعلم ان الترتيب غير واجب خلافا لاسحق فانه اوجب البداية باعلى البدن واعلم ان الدلك غير واجب خلافا لمالك
التاسع والثلاثون لا يجوز للجنب مس المصحف خلافا لداود لنا قوله فاطهروا يدل على ان الطهارة غير حاصلة والا لكان امرا بتطهير الطاهر وحينئذ
لا يجوز له مس المصحف لقوله لا يمسه الا المطهرون الاربعون الشافعي المضمضة والاستنشاق لا يجبان في الوضوء والغسل لقوله صلى الله عليه وسلم
اما انا فاحثي على راسي ثلاث حثيات فاذا انا قد طهرت ابو حنيفة هما واجبان لقوله تعالى فاطهروا والتطهر لا يحصل الا بطهارة جميع الاعضاء ترك العمل به في الاعضاء
الباطنة للتعذر وداخل الفم والانف يمكن تطهيرهما فيبقى داخلا في النص وان قوله صلى الله عليه وسلم بلوا الشعر يدخل فيه الانف لان في داخله شعرا وقوله
وانقوا البشرة يدخل فيه جلدة داخل الفم الحادي والاربعون لا يجب نقض الشعر ان لم يمنع من وصول الماء الى منابته لان المقصود التطهر وان منع
وجب خلافا للنخعي الثاني والاربعون ان كان المرض المانع من استعمال الماء حاصلا في بعض جسده دون بعض فقال الشافعي يغسل ما امكن غسله
ثم يتيمم للاحتياط وقال ابو حنيفة ان كان اكثر البدن صحيحا غسل الصحيح دون التيمم وان كان اكثره جريحا يكفيه التيمم لان المرض اذا كان حالا في بعض اعضائه
فهو مريض الثالث والاربعون لو التصق على موضع التيمم لصوق يمنع وصول الماء الى البشرة ولا يخاف من نزع ذلك اللصوق التلف قال الشافعي
يلزمه نزع اللصوق حتى يصل التراب اليه اخذا بالاحوط وقال الاكثرون لا يجب رفعا للحرج الرابع والاربعون قال الشافعي الاستنجاء واجب اما بالماء
او بالاحجار لقوله صلى الله عليه وسلم فليستنج بثلاثة احجار وقال ابو حنيفة اوجب عند المجيء من الغائط اما الوضوء او التيمم ولم يوجب غسل موضع الحدث
فدل على انه غير واجب الخامس والاربعون لمس المراة ينقض الوضوء عند الشافعي هو ولا ينقضه عند ابي حنيفة وقد مرت المسئلة في سورة النساء
السادس والاربعون لا يكره الوضوء بالماء المسخن لقوله تعالى فلم تجدوا ماء وهيهنا قد وجد ماء وخالف مجاهد السابع والاربعون ابو حنيفة واحمد
لا يكره المشمس لقوله فلم تجدوا ماء وهذا قد وجد ماء الشافعي يكره للحديث الثامن والاربعون لا يكره الوضوء بفضل ماء المشرك وبالماء في آنية المشرك لانه
واجد للماء فلا يتيمم وقد توضأ النبي صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة وتوضأ عمر رضه من ماء في جرة نصرانية وقال احمد واسحق لا يجوز التاسع والاربعون
يجوز الوضوء بماء البحر لانه واجد للماء خلافا لعبد الله بن عمرو بن العاص الخمسون ذهب الاوزاعي والاصم الى انه يجوز الوضوء والغسل بجميع المائعات
الطاهرة والاكثرون لا يجوز حجتهما فاغسلوا امر بمطلق الغسل وامرار المائع على العضو غسل قال حتيه ثم اقرصيه ثم اغسليه بالماء لنا انه عند عدم الماء اوجب
التيمم الحادي والخمسون جوز ابو حنيفة الوضوء بنبيذ التمر للحديث ولم يجوزه الشافعي هو وقال يتيمم لانه غير واجد للماء الثاني والخمسون الشافعي الماء
المتغير بالزعفران تغيرا فاحشا لا يجوز الوضوء به لان واجده يصدق عليه انه غير واجد للماء وخالف ابو حنيفة لان اصل الماء موجود وصفة زائدة كالمتغير
بالعفن وبطول المكث او بما تساقط الاوراق بالاتفاق الثالث والخمسون مالك وداود الماء المستعمل في الوضوء بقي طاهرا طهورا لان واجده واجد الماء وهو قول
قديم للشافعي والقول الجديد انه طاهر غير طهور ووافقه محمد بن الحسن وقال ابو حنيفة في اكثر الروايات انه نجس لان النجاسة الحكمية كالعينية الرابع والخمسون
مالك اذا وقع في الماء نجاسة ولم يتغير بقي طاهرا طهورا قليلا كان او كثيرا وهو قول اكثر الصحابة والتابعين وقال الشافعي هو ان كان اقل من قلتين
ينجس وقال ابو حنيفة هو ان كان اقل من عشر في عشر ينجس حجة مالك انه واجد للماء ترك العمل بهذا العموم في الماء القليل المتغير فيبقى حجة في الباقي
ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه او لونه حجة الشافعي هو مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين
لم يحمل خبثا الخامس والخمسون يجوز الوضوء بفضل الجنب لان واجده واجد للماء وقال احمد واسحق لا يجوز الوضوء بفضل ماء المراة اذا خلت به وهو قول
الحسن وسعيد بن المسيب السادس والخمسون اسآر السباع طاهرة مطهرة وكذا اسآر الحمار لانه واجد للماء وقال ابو حنيفة نجسة السابع والخمسون قال
الشافعي وابو حنيفة هو والاكثرون لا بد في التيمم من النية لانه قال فتيمموا والتيمم عبارة عن القصد وهو النية وقال زفر لا يجب الثامن والخمسون الشافعي
لا يجوز التيمم الا بعد دخول الصلوة لانه طهارة ضرورة ولا ضرورة قبل الوقت ابو حنيفة يجوز قياسا على الوضوء والظاهر قوله اذا قمتم والقيام الى الصلوة
يكون بعد دخول وقتها التاسع والخمسون لا يجوز التيمم بتراب نجس لقوله صعيدا طيبا الستون لا خلاف في جواز التيمم بدلا عن الوضوء اما التيمم بدلا
عن غسل الجنابة فعن علي وابن عباس جوازه وهو قول اكثر الفقهاء وعن عمر وابن مسعود انه لا يجوز لنا ان قوله او لمستم اما مختص بالجماع او يدخل الجماع فيه
الحادي والستون الشافعي لا يجوز ان يجمع بتيمم واحد بين صلوتي فرضين لان ظاهر قوله اذا قمتم يقتضي اعادة الوضوء لكل صلوة ترك العمل به في الوضوء بفعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبقى في التيمم على ظاهره ابو حنيفة هو يجوز اداء الفرائض به كالوضوء احمد يجمع بين الفوائت ولا يجمع بين صلوتي وقتين
الثاني والستون الشافعي اذا لم يجد الماء في اول الوقت وتوقع في آخره جاز له التيمم لان قوله اذا قمتم يدل على انه عند دخول الوقت ان لم يجد الماء جاز له
التيمم وقال ابو حنيفة يؤخر الصلوة الى آخره الثالث والستون اذا وجد الماء بعد التيمم وقبل الشروع في الصلوة بطل تيممه لانه وجد الماء فلا يجوز له الشروع
في الصلوة بالتيمم وخالف ابو موسى الاشعري والشعبي الرابع والستون لو فرغ من الصلوة ثم وجد الماء لا يلزمه اعادة الصلوة لانه خرج عن عهدة التكليف
خلافا لطاوس الخامس والستون لو وجد الماء في اثناء الصلوة لا يلزمه الخروج منها وبه قال مالك واحمد لانه انعقدت صلوته صحيحة بحكم التيمم فلم يبطل
صلوته لانه غير قادر على استعمال الماء وما لم يصر قادرا على استعمال الماء لم تبطل صلوته فيه ورد وقال ابو حنيفة والثوري والمزني يلزمه الخروج لانه واجد للماء السادس
والستون لو نسي الماء في رحله وتيمم وصلى ثم علم وجود الماء لزمه الاعادة على احد قولي الشافعي وهو قول احمد وابي يوسف والثاني لا يلزمه وهو قول مالك وابي حنيفة
ومحمد لان النسيان في حكم العجز وكذا اذا اضل رحله في الرحال بالظلمة الاولى لان مخيم الرفقة اوسع من رحله ولو تيقن الماء في رحله واستقصى في الطلب فلم يجد
وتيمم وصلى ثم وجد فالاكثرون على انه يلزمه الاعادة لان العذر ضعيف وقيل لا لان حكمه حكم العاجز السابع والستون لو صلى بالتيمم ثم وجد ماء في بئر بجنبه يمكنه
استعمال ذلك الماء فان كان قد علمه اولا ثم نسيه فهو كما لو نسي الماء في رحله وان لم يكن عالما فان كان عليها علامة ظاهرة فالاعادة والا فلا لانه كالعاجز
الثامن والستون اذا لم يكن معه ماء ولا يمكنه ان يشتري الا بالغبن الفاحش جاز له التيمم لقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولو وهب منه الماء لزمه القبول لان
المنة فيه سهل ولو وهب منه ثمنه لم يلزمه القبول لثقل المنة ووجود الحرج ومثله يجب قبول اعارة الدلو لا هبته فهذه جملة المسائل الفقهية المستنبطة من الاية وقد
مرت في سورة النساء واعلم ان قوله سبحانه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اصل معتبر في علم الفقه لانه يدل على ان الاصل في المضار الحرمة وفي المنافع الاباحة فقد
يتمسك به نفاة القياس قالوا لان كل حادثة فحكمها المفصل ان كان مذكورا في الكتاب والسنة فذاك والا فان كان من باب المضار فالاصل فيها الحرمة وان كان
من باب المنافع فالاصل فيها الاباحة والقياس المعارض لهذين الاصلين يكون قياسا واقعا في مقابلة النص فيكون مردودا واما قوله ولكن يريد ليطهركم ففيه قولان
احدهما واليه ذهب اكثر اصحاب ابي حنيفة ان عند خروج الحدث تنجس الاعضاء نجاسة حكمية فالمقصود من هذا التطهير ازالة تلك النجاسة الحكمية وزيف
بان اعضاء المؤمن لا تنجس لقوله تعالى انما المشركون نجس ولقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا وبانه لو كان رطبا فاصابه ثوب لم ينجس ولو حمله انسان
وصلى لم تفسد صلوته بالاتفاق وبان الحدث لو كان بنجاسة الاعضاء ثم كان تطهير الاعضاء الاربعة يوجب طهارة كل عضو لوجب ان لا يختلف ذلك باختلاف

الشرائع ۞ وبيان خروج النجاسة من موضع كيف يوجب تنجس موضع آخر وبيان التيمم زيادة في التكرير كيف يوجب النظافة والتطهير وبيان المسح
على الخفين كيف يقوم مقام غسل الرجلين وبيان الذي يراد إزالته ليس من الأجسام والأكان محسوسا ولا من الأعراض لأن انتقال الأعراض محال
وثانيهما أن المراد طهارة القلب عن صفة التمرد عن طاعة الله تعالى لأن إيصال الماء أو التراب إلى هذه الأعضاء المخصوصة ليس فيه فائدة يعقلها المكلف
فالانقياد لمثل هذا التكليف تعبد محض يزيل عن القلب آثار التمرد ويؤكده الأخبار في أن المؤمن إذا غسل وجهه خرجت من وجهه وكذا القول في يديه ورأسه
ورجليه وليتم نعمته عليكم بإباحة الطيبات الدنيوية من المطاعم والمناكح بهذه النعمة الدينية وهي كيفية فرض الوضوء أو التيمم برخصة كالتيمم ونحوه
وانعامه عليكم بعزائمه ثم ذكر ما يوجب عليهم قبول تكاليفه وذلك من وجهين الأول تذكر نعمته يعني النازل في هذا النوع الذي لا يقدر عليه غيره لأن هذا
النوع هو إعطاء نعمة الحيوة والصحة والعقل والهداية والصون عن الآفات والإيصال إلى الخير في الدنيا والآخرة حيث إنه ممتاز عن نعمة غيره وأنه لا يقدر
عليه غيره يجب تلقيه بالشكر وهو الإذعان لأوامره والانقياد لنواهيه فإن قيل اذكروا مشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها مع تواترها وتواليها
في كل لحظة ولمحة والجواب أنها صارت لتواليها كالأمر المعتاد فصارت من غاية الظهور كالأمر المستور والمراد التوبيخ على عدم القيام بواجبها فكأنها كالشيء
المنسي الثاني ذكر الميثاق ومعنى واثقكم به عاقدكم به عقدا وثيقا يعني ميثاق رسوله حين بايعهم تحت الشجرة وغيرها على السمع والطاعة في المحبوب والمكروه
وعن ابن عباس هو الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل حين قالوا آمنا بالتورية وبما فيها من البشارة بنبي آخر الزمان ومن غيرها وقال غيره وقال مجاهد
والكلبي ومقاتل إنه إشارة إلى قوله للذرية ألست بربكم قالوا بلى وقال السدي هو ما ركز في العقول من حسن هذه الشريعة وهو اختيار أكثر المتكلمين واعلم
أن التكاليف وإن كثرت إلا أنها منحصرة في نوعين التعظيم لأمر الله وإليه الإشارة بقوله كونوا قوامين لله والشفقة على خلق الله وحث عليها بقوله
شهداء بالقسط قال عطاء يقول لا تحاف في شهادتك أهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك أعداءك وأضدادك وقال الزجاج تبينون عن دين الله
لأن الشاهد يبين ما يشهد عليه ثم أمر جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحدا إلا على سبيل العدل والإنصاف ويتركوا الظلم والاعتساف فقال ولا يجرمنكم أي لا
يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا أي فيهم فحذف للعلم ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا فقال اعدلوا ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل
فقال هو أي العدل الذي دل عليه اعدلوا أقرب للتقوى أي على الاتقاء من عذاب الله ومن معاصيه وقيل المراد سلوك سبيل العدالة مع الكفار الذين صدوا
المسلمين عن البيت بأن لا تقتلوهم إذا أظهروا الإسلام أو لا ترتكبوا ما لا يحل من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد ونحو ذلك وفي هذا تنبيه
على أن العدل مع أعداء الله إذا كان بهذه المكانة فكيف يكون مع أوليائه وأحبائه ثم ختم الكلام بوعد المؤمنين ووعيد الكافرين وقوله لهم مغفرة بيان
للوعد قدم لهم وعدا ثم كأنه قيل أي شيء ذلك فقيل لهم مغفرة أو يكون على إرادة القول أي وعدهم وقال لهم مغفرة أو يكون وعد بمعنى قال أو
يجعل وعدا واقعا على هذا القول وإذا وعدهم هذا القول من هو قادر على كل المقدورات عالم بجميع المعلومات غني عن كل الحاجات فقد امتنع الخلف
في وعده لأن سبب الخلف إما جهل أو عجز أو بخل أو حاجة وهو منزه عن الكل وهذا الوعد يصل إليه قبل الموت فيفيده السرور عند سكرات الموت
فيسهل عليه الشدائد وفي ظلمة القبر فيفيده نورا وفي عرصة القيامة فيزيده حبورا والجحيم اسم من أسماء النار وهي كل نار عظيمة في مهواة كقوله قالوا
ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم وأصحاب الجحيم ملازموها بسط إليه لسانه إذا شتمه وبسط اليد مدها إلى المبطوش به عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم
نزل منزلا وتفرق الناس في العضاة يستظلون تحتها فعلق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه على شجرة فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسله ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله فأغمد الأعرابي السيف فدعا النبي صلى الله عليه وسلم
أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه وقال مجاهد والكلبي وعكرمة قتل رجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من بني سليم وبين النبي
صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فجاء قومهما يطلبون الدية فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسلمان وغيرهم فدخلوا
على كعب بن الأشرف وبنو النضير يستقرضهم في عقلهما فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك
الذي تسألنا فجلس هو وأصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا إنكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو
ابن جحاش بن كعب أنا فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه فأمسك الله يده وجاء جبريل عليه السلام وأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل الله هذه
الآية وقيل نزلت في قصة عسفان حين هم الأعداء أن يوقعوا بهم فنزلت صلوة الخوف وقيل إنها لم تنزل في واقعة خاصة ولكن المراد أن الكفار أبدا كانوا يريدون
إيقاع البلاء والنهب والقتل بالمسلمين فأعز الله المسلمين وفل شوكة الكفار وقوى دين الإسلام وأظهره على الأديان والله أعلم التأويل
سماع اسم الله وهو من صفات الهيبة يوجب الفناء والغيبة وسماع الرحمن الرحيم وهما من صفات اللطف يورث البقاء والقربة أوفوا أيها
العشاق بالعقود التي جرت بيننا يوم الميثاق ليوم التلاق فمن صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده وعند بذل وجوده أحلت لكم ذبح بهيمة النفس التي كانت
في طلب المرام إلا النفس المطمئنة التي نبت عليها ارجعي إلى ربك فتبرأت من الدنيا بما فيها فهي كالصيد في الحرم وأنتم حرم بالتوجه إلى كعبة الوصال وإحرام
الشوق إلى حضرة الجلال والجمال إن الله يحكم ما يريد فيأمر بذبح النفس إذا كانت متصفة بصفة البهيمة وبترك ذبحها إذا كانت مطمئنة بذكر الحق
ومتصفة بصفات الملك ثم أخبر عن تعظيم الشعائر من صدق الشعار فقال يا أيها الذين آمنوا بالشهود والقلب فقصدوا زيارة المحبوب فخرجوا عن أوطان
الأوطار وسافروا عن ديار الأغيار لا تحلوا معالم الدين والشريعة ومراسم آداب الطريقة والحقيقة وعظموا الزمان والمكان والإخوان والقاصدين كعبة
الوصول إلى الرحمن الذين أهدوا القربان نفوسهم وقلدوا بقلائد النجرة (?) الغيبية ليأمنوا عن مكر الأعداء الخفية وإذا حللتم من مناسك الوصول فاصطادوا وإذا
الطلبة بشبكة الدعوة إلى الله ولا يجرمنكم حسد الحساد الذين يريدون أن يصدوكم عن الحق على أن تحقدوا على الطالبين فتكونوا قطاع الطريق عليهم في طلب
الحق حرمت عليكم يا أهل الحق الميتة وهي الدنيا بأسرها والدم ولحم الخنزير أي حلالها وحرامها قليلها وكثيرها لأن من الدم ما هو حلال والخنزير كله حرام والدم القليل
إلى اللحم قليل وما أهل به أي كل طاعة هي لغير الله والمنخنقة والموقوذة يعني الذين يخنقون نفسهم بالمجاهدات ويقذونها بالرياضات رياء وسمعة والمتردية و
النطيحة الذين يتردون بنفسهم إلى أسفل سافلين الطبيعة بالتناطح مع الأقران والتفاخر بالعلم والزهد بين الإخوان وما أكل السبع الظلمة المتمارسون في جيفة الدنيا
تهارش الكلاب إلا ما ذكيتم بالكسب الحلال بوجه صالح بقدر ضرورة الحال وما ذبح على النصب أي ذبح عليه النفوس من المطالب الفانية وأن تستقسموا بالأزلام
أي تكونوا مترددين في طلب المرام فإذا انتهيتم عن هذه المناهي وتخلصتم عن هذه الدواهي فقد عاد ليلكم نهارا وظلمتكم نورا اليوم يئس الذين كفروا
من النفس وصفاتها والدنيا وشهواتها من دينكم فلا تخشوهم واخشون فإن كيدي متين اليوم أي في الأزل أكملت لكم دينكم ولكن ظهر الأمر في حجة الوداع يوم عرفة
وأتممت عليكم نعمتي وهي أسباب تحصيل الكمال ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فمن اضطر لمن ابتلي بالتفات شيء من الدنيا والآخرة غير مائل إليه لا معرضا
عن الحق ولكن من تنزل للطالبين أو رفقة للسالكين يسألونك ماذا أحل لهم لأرباب السلوك إذ الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الله الطيبات

كل مأكول ومشروب وملبوس يكون سببا للقيام بأداء الحقوق فكلوا مما أمسكن عليكم مصطادات النفوس المطمئنة المعلمة بعلوم الشريعة المؤدبة بآداب
الطريقة المنورة بأنوار الحقيقة واذكروا اسم الله عليه عند تناول كل ما ورد عليكم من الأمور الدنيوية والأخروية اسم الله أي اتصفوا بأنه لا بل بالله اليوم يعني
الذي فيه ظهر كمالية الدين الأزلية وهو يوم عرفة وجه فائدة التكرار أحل لكم الطيبات التي تتعلق بسعادة الدارين بل أحل لكم التخلق بالأخلاق الطيبات
وهي أخلاق الله المنزهات عن الكبائث والخبيثات وطعام الذين أوتوا الكتاب وهم الأنبياء عليهم السلام حل لكم أي غذيتم بلبان الولاية كما غذوا بلبان النبوة
وطعامكم حل لهم أي منبع لبن النبوة والولاية واحد وإن كان الثدي اثنين قد علم كل أناس مشربهم والنبي صلى الله عليه وسلم وراء ذلك كله مشرب أبيت عند ربي
يطعمني ويسقيني والمحصنات من المؤمنات وهي أبكار حقائق القرآن والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب أبكار الكتب المنزلة على الأمم السالفة أي التي هي
في القرآن فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين إذا آتيتموهن أجورهن وهي بذل الوجود محصنين في هذا البذل ليكون على وجه الحق غير مسافحين على وجه
الطبع ولا متخذي أخدان غير ملتفتين إلى شيء من الأكوان ومن يكفر بالإيمان بهذه المقامات فقد حبط عمله الذي عمل من دون المكاشفات يا أيها الذين
آمنوا إيمانا حقيقيا عند خطاب ألست بربكم إذا قمتم من نوم الغفلة إلى الصلوة وهي معراجكم للرجوع إلى مكان قربكم فاغسلوا وجوهكم التي توجهتم بها إلى الدنيا
وتلطختم (?) بالنظر إلى الأغيار بماء التوبة والاستغفار وأيديكم إلى المرافق أي اغسلوا أيديكم عن التمسك بالدارين حتى تتقدموا إلى الموافق وترتفعوا عن المرافق وامسحوا
برءوسكم ببذل نفوسكم وأرجلكم إلى الكعبين من طين طبيعتكم والقيام بأنانيتكم ولا يجرمنكم ولا يحملنكم حسد الحساد وعداوة الأبدال على أن لا تعدلوا أبدا في نفسكم إذ هم
قوم من الشيطان والنفس والهوى أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم بالفضل والرحمة والنعمة والله خير موفق ومعين

ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا ۝ وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة
وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن
عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ۝ فمن
كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ۝ فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا
حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم
فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ۝ ومن الذين
قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا
بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله
بما كانوا يصنعون ۝ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ۝
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ۝ يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه و
يهديهم إلى صراط مستقيم ۝ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو
المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك
المسيح ابن مريم ومن في الأرض جميعا ۝ ولله ملك السموات وأمه
والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير

وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير صدق الله العظيم

القراءات قسية حمزة وعلي والمفضل الباقون قاسية الوقوف بني اسرائيل ج للعدول عن الاخبار الى الحكاية مع اتحاد القصة نقيبا ط للعدول عن الحكاية الى الاخبار معكم ط لان ما بعده ابتداء قسم محذوف جوابه لاكفرن الانهار ج السبيل قاسية ج لاحتمال الاستيناف والحال اي لعناهم محرفين مواضعه لا لان ما تلوه حال اي وقد نسوا ذكروا به ج للعدول عن الماضي الى المستقبل مع الواو واصفح ط المحسنين ذكروا به ص لعطف المتفقتين يوم القيمة ط يصنعون ه عن كثير ط مبين ه لا لان قوله يهدي وصف للكتاب الى اخر الآية مستقيم ه المسيح ابن مريم ط جميعا ط وما بينهما ط ما يشاء ط قدير ه واحباؤه ط ج بذنوبكم ط لتناهي الاستفهام الى الاخبار ممن خلق ط من يشاء ه وما بينهما ز لفصل بين ذكر الحال والمآل المصير ه ونذير ه لعطف مع وقوع العارض ونذير ه قدير ه التفسير انه سبحانه لما خاطب المؤمنين بذكر نعمه وميثاقه اردفه ذكر ميثاق بني اسرائيل ونقضهم اياه ثم لعنهم بسبب ذلك تحذيرا لهذه الامة من مثل افعالهم وفعل بهم وجه آخر لما ذكر غدر اليهود وانهم ارادوا ايقاع الشر بالنبي صلى الله عليه وسلم لولا دفع الله تعالى اردفه بذكر سائر فضائحهم ليعلم ان ذلك لم يزل دأبهم والنقيب العريف فعيل بمعنى فاعل لانه ينقب عن احوال القوم فيكون شاهدهم وضمينهم وقال ابو مسلم بمعنى مفعول يعني اختارهم على علم بهم واصل النقب الطريق في الجبل والنقب البيطار سترة الدابة ليخرج منها ما افسد والمناقب الفضائل لانها لا تظهر الا بالتنقيب عنها ويقال كلب نقيب وهو ان ينقب حنجرته لئلا يرتفع صوت نباحه وانما يفعل ذلك البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف قال مجاهد والكلبي والسدي ان الله تعالى اختار من كل سبط من اسباط بني اسرائيل رجلا يكون نقيبا عليهم وحاكما فيهم ثم انهم بعثوا الى مدينة الجبارين ليتفحصوا عن احوالهم فرأوا اجراما عظيمة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا رجلين منهم ومعنى اني معكم اي ناصركم ومعينكم والتقدير وقال الله لهم فحذف لارتباط الكلام به والخطاب للنقباء او لكل بني اسرائيل والحاصل اني معكم بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم وارى افعالكم واعلم ضمائركم واقدر على ايصال الجزاء اليكم فهذه مقدمة معتبرة جدا في الترغيب والترهيب ثم ذكر بعدها جملة شرطية مقدمها مركب من خمسة امور والجزاء هو قوله لاكفرن وهو اشارة الى ازالة العقاب وقوله لادخلنكم وهو اشارة الى ايصال الثواب واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له ولكنه سد مسد جواب الشرط ايضا والعزر في اللغة الرد ومنه التعزير التأديب لانه يرده عن القبيح ولهذا قال الاكثرون معنى عزرتموهم نصرتموهم لان نصر الانسان رد اعدائه عنه ولو كان التعزير هو التوقير لكان قوله وتعزروه وتوقروه تكرارا وههنا سؤال لم اخر الايمان بالرسل عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع ان الايمان مقدم على الاعمال واجيب بعد تسليم ان الواو للترتيب بان اليهود كانوا معترفين بان النجاة مربوطة باقامة الصلوة وايتاء الزكوة الا انهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكر انه لابد بعد الصلوة والزكوة من الايمان بجميع الرسل والا لم يكن لتلك الاعمال اثر قلت يحتمل ان يكون التقدير وقد آمنتم او آخر الايمان عن العمل تنبيها على ان الايمان انما يقع معتدا به اذا اقترن بالعمل كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى او هو من باب الذي يشجع عليه من التباس او لعل اليهود كانوا مقصرين في الصلوة والزكوة وكان ذكرهما اهم سؤال آخر ما الفائدة في قوله واقرضتم بعد قوله وآتيتم الزكوة واجيب بان المراد به الصدقات المندوبة وقال الفراء ولو قال واقرضتم الله قرضا حسنا لكان صوابا ايضا الا انه اقيم الاسم مقام المصدر مثل وانبتها نباتا حسنا ثم قال فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فان من كفر قبل ذلك ايضا فقد اخطأ الطريق المستقيم الذي شرعه الله لهم والجواب اجل لكن الضلال بعد الشرط المؤكد المعلق به الوعيد العظيم اشنع فلهذا اختص بالذكر فبما نقضهم ميثاقهم بتكذيب الرسل وقتلهم او بكتمانهم صفة محمد او باخلال جملة الشروط المذكورة لعناهم قال عطاء اخرجناهم من رحمتنا وقال الحسن ومقاتل مسخناهم حتى صاروا قردة وخنازير وقال ابن عباس ضربنا الجزية عليهم وجعلنا قلوبهم قاسية من قرأ قسية فبمعنى القاسية ايضا الا انها ابلغ كعليم وعالم ومنه قولهم درهم قسي اي رديء مغشوش لما فيه من اليبس والصلابة بخلاف الدرهم الخالص فان فيه لينا وانقيادا قالت المعتزلة معنى الجعل ههنا انه اخبر عنها بانها صارت قاسية كما يقال جعل فلانا فاسقا او عدلا يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير كلامه ونسوا حظا تركوا نصيبا وافرا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يريد ان تركهم التوراة واعراضهم عن العمل بها اغفال حظ عظيم او قد نسبت نسيانهم فحرفوا التوراة وزلت علوم منها عن حفظهم كما روي عن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وقال ابن عباس تركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم بين ان نكث اليهود والغدر لم يزل دأبهم خلفا عن سلف فقال ولا تزال تطلع على خائنة اي خيانة كالعاقبة والكاذبة او صفة لمحذوف مؤنث اي على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة او التاء للمبالغة مثل رجل راوية للشعر الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واشياعه او هم الذين بقوا على الكفر من غير غدر ونقض لعهودهم فاعف عنهم واصفح بعث على حسن العشرة معهم فقيل منسوخ باية الجهاد يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل المراد فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم وقيل بناء على ان القليل هم الذين على العهد منهم ان المراد لا تؤاخذهم بالصغائر ما داموا باقين على العهد وهذا قول ابي مسلم ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس معناه فاذا عفوت فانت محسن واذا كنت محسنا فاحبك الله وعلى قول ابي مسلم فالمراد بهؤلاء المحسنين هم القليلون الذين ما نقضوا عهد الله وفي هذا التفسير بعد والله تعالى اعلم ثم قال ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصارى لانهم انما سموا انفسهم بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله وكانوا بالحقيقة

انصار الشيطان حيث اختلفوا وخالفوا الحق اخذنا ميثاقهم ان كان الضمير عائدا الى الذين قالوا فالمعنى ظاهر وان عاد الى اليهود فالمعنى اخذنا منهم مثل ميثاق اليهود في افعال الخير والايمان بالرسل فاغرينا الصقنا والزمنا ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى او بينهم وبين اليهود ثم دعا اليهود والنصارى الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يا اهل الكتاب ووحد الكتاب لانه اخرج مخرج الجنس مما كنتم تخفون من الكتاب كصفة رسول الله وكصفة الرجم وهذا لانه لم يقرأ كتابا وقد اخبرهم باسرار كتابهم ويعفوا عن كثير مما تخفونه فلا يبينه مما ليس اليه حاجة في هذا الدين او عن كثير ويعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذكم بجرمه قد جاءكم من الله نور محمد او الاسلام وكتاب مبين هو القرآن لابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز ويحتمل ان يكون النور والكتاب هو القرآن والمغايرة اللفظية كما فيه بين المعطوفين ولا شك ان القرآن نور معنوي يتقوى به البصيرة على ادراك الحقائق والمعقولات يهدي به الله اي بالكتاب من اتبع رضوانه من كان مطلوبه اتباع الدين الذي يرتضيه الله لا الذي لا يرتضيه الله مما يحب هواه سبل السلام طرق السلامة او طرق دار السلام او سبل دين الله ان الله هو المسيح ابن مريم بناء على جواز الحلول فمن يملك من الله شيئا من الذي يقدر على دفع شيء من افعال الله ومنع شيء من مراده وقوله ان اراد شرط جزاؤه محذوف يدل عليه ما تقدمه والمعنى ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم المدعو الها وغيره فمن الذي يقدر على ان يدفعه عن مراده ومقدوره والمراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم وشكلهم في الصورة والخلقة والجسمية والتركيب وسائر الاعراض فلما سلمتم كونه تعالى خالقا لغيرهما وجب ان يكون خالقا لهما ومتصرفا فيهما وانما قال وما بينهما بعد ذكر السموات والارض ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين او النوعين وفي قوله يخلق ما يشاء وجهان احدهما يخلق تارة من ذكر وانثى وتارة من انثى فقط كما في عيسى وتارة من غير ذكر وانثى كآدم وثانيهما ان عيسى اذا قدر صورة الطير من الطين فان الله يخلق فيها اللحمية والحيوة معجزة لعيسى وكذا احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص نحن ابناء الله واحباؤه قيل عليه ان اليهود لا يقولون ذلك فكيف يجوز نقل هذا عنهم واما النصارى فلا يقولون ذلك في حق انفسهم واجيب بان المضاف محذوف اي نحن ابناء رسل الله او اريد ان عناية الله تعالى بحالهم اكمل واشد من اعتناء الاب بالابن او اليهود زعموا ان عزيرا ابن الله والنصارى ان المسيح ابن الله وقد يقال اقارب الملوك وحشمه نحن الملوك وغرضهم كونهم مختصين بذلك الشخص الذي هو الملك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله نحن ابناء الله واحباؤه ومما تلوا النصارى في الانجيل الذي لهم ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم ثم انه سبحانه ابطل عليهم دعواهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم فان قيل ان موضع الالزام هو عذاب الدنيا وحينئذ يكون المعارضة بوقعة احد وبقتل احباء الله كالحسن والحسين رضي الله عنهما او عذاب الآخرة والقوم ينكرون ذلك ولو كان مجرد اخبار محمد كافيا لكان مجرد اخباره بانهم كذبوا في ادعاء انهم احباء الله كافيا ويصير الاستدلال ضايعا واجيب بان محل الالزام عذاب عاجل والمعارضة بيوم احد ساقطة لانهم وان ادعوا انهم الاحباء لكنهم لم يدعوا انهم الابناء او عذاب آجل واليهود والنصارى يعترفون بذلك وانهم تمسهم النار اياما معدودة ويمكن ان يقال المراد مسخهم قردة وخنازير بل هذا الجواب اولى ليكون الاحتجاج عليهم بشيء قد دخل في الوجود فلا يمكنهم الانكار بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد عليه حق يوجب ان يغفر له ولا قدرة تمنعه من ان يعذبه وباقي الآية تأكيد لهذا المعنى يبين لكم في محل النصب على الحال وفيه وجهان ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحسن حذفه لان كل احد يعلم ان الرسول انما ارسل لبيان الشرائع او هو ما كنتم تخفون حذف لتقدم ذكره وان لا يقدر المبين والمعنى يبذل لكم البيان وحذف المفعول اعم فائدة وقوله على فترة متعلق بجاءكم او حال آخر قال ابن عباس اي على فتور بين ارسال الرسل وفي زمان انقطاع الوحي وسميت المدة بين الرسولين من رسل الله تعالى فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرائع وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون او ستمائة سنة وعن الكلبي بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة الف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي … والمقصود ان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي ولتطرق التحريف والتغيير الى الشرائع المتقدمة وكان ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فمن الله تعالى عليهم بازاحة هذه العلة وذلك قوله ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم اي لا تعتذروا فقد جاءكم والحاصل ان الفترة توجب الاحتياج الى بعثة الرسل والله قادر على ذلك لانه قادر على كل شيء فكان يجب في حكمته ورحمته ارسال الرسل في الفترات ازاحة للعلل واقامة للبينات التأويل جعل في امة موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا وجعل في هذه الامة من النجباء البدلاء اربعين رجلا كما قال صلى الله عليه وسلم يكون في هذه الامة اربعون على خلق ابراهيم وسبعة على خلق موسى وثلثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد وقال ابو عثمان المغربي البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء ثلثة والواحد هو القطب فالقطب عارف بهم جميعا ويشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه وهو امام الاولياء وهذا حال الثلثة مع السبعة والسبعة مع الاربعين فاذا انتقص من الاربعين واحد بدل مكانه واحد من غيرهم واذا انتقص من السبعة واحد جعل مكانه واحد من الاربعين واذا انتقص من الثلثة واحد جعل مكانه واحد من السبعة واذا مضى القطب الذي به قوام اعداد الخلق جعل بدله واحد من الثلثة هكذا الى ان يأذن الله تعالى في قيام الساعة لئن اقمتم الصلوة بان تجعلها معراجك الى الحق في درجات القيام والركوع والسجود والتشهد فبالقيام تتخلص عن حجب اوصاف الانانية واعظمها الكبر وهو من خاصية النار وبالركوع تتخلص عن حجب صفات الحيوانية واعظمها الشهوة وهو من خاصية الهواء وبالسجود تتخلص عن حجب طبيعة النبات واعظمها الحرص على الجذب للنشو والنماء وهو من خاصية الماء وبالتشهد تتخلص عن حجب طبع الجماد واعظمها الجمود وهو من خاصية التراب فاذا تخلصت من هذه الحجب فقد اقمت الصلوة مناجيا ربك مشاهدا له كما قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه وآتيتم الزكوة بان تصرف ما زاد من روحانيتك بتعلق القالب في سبيل الله وآمنتم برسلي باستسلام الكلية لتصرفات النبوة والرسالة واقرضتم الله بالوجود الحقيقي كله قرضا حسنا وهو ان يأخذ منكم وجودا مجازيا فانيا ويعطيكم وجودا حقيقيا باقيا كما يقول لاكفرن لاسترن بالوجود الحقيقي عنكم سيئات الوجود المجازي ولادخلنكم جنات الوصلة تجري من تحتها انهار العناية ولا تزال تطلع على خائنة منهم لان العصيان يجر الى العصيان فاغرينا بينهم العداوة حيث نسوا حظ الميثاق وابطلوا الاستعداد الفطري صاروا كالسباع يتهارشون ويتجاذبون يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء بجعل اقواما مظهر لطفه وفضله وآخرين مظهر قهره وعدله وهو تعالى اعلم بعباده وبعدله وقدرته والله اعلم

وغري بالشيء لزمه ولصق به

واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين

يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادبارکم فتنقلبوا خاسرين ۞ قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين ۞ وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ۞ قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ۞ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ۞ قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ۞ قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ۞ قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين ۞

القراءة جبارين بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو حيث كان فلا تاس بغير همزة حيث وقعت ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف الوقوف ملوكا ق قد قيل لا يصلح الا للضرورة لعطف جبارين ق قد قيل لشبهة الابتداء بان ولكن كسر لعطف انا بجملة بعد القول معطوفا على الاول حتى يخرجوا منها ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب داخلون ه الباب ج لذلك غالبون ه مؤمنين ه لنصب الجزاء قاعدون ه الفاسقين ه سنة ج لانها تصلح ظرفا للتيه بعده وللتحريم قبله الفاسقين ه التفسير وجه النظم انه سبحانه كانه قال اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وذكرهم موسى نعمته وامرهم بمحاربة الجبارين فخالفوا في الكل من الله تعالى عليهم بامور ثلاثة اولها قوله اذ جعل فيكم انبياء وذلك انه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وثانيها قوله وجعلكم ملوكا قال السدي اي جعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ما استعبدكم القبط وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكان لهم اموال كثيرة وخدم يقومون بامرهم ومن كان كذلك كان ملكا وقال الزجاج الملك من لا يدخل عليه احد الا باذنه وقيل الملك هو الصحة والاسلام والامن والفوز وقهر النفس وقيل من كان مستقلا بامر نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا الى احد فهو ملك وقيل كان اسلافهم واخلافهم ملوكا وعظماء وقد يقال لمن حصل فيهم ملوك انتم ملوك مجازا وقيل لانه ما من نبي الا ملك لانه يملك امر امته وينفذ فيهم حكمه وثالثها واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الخوارق والعظائم وقيل اراد عالمي زمانهم روي ان ابراهيم صلوات الرحمن عليه لما صعد جبل لبنان قال الله تعالى له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وميراث لذريتك وقيل لما خرج قوم موسى من مصر وعدهم الله اسكان ارض الشام وكان بنو اسرائيل يسمون ارض الشام ارض المواعيد ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا من الاسباط يتجسسون لهم من احوال تلك الاراضي فلما دخلوا تلك البلاد راوا اجساما عظيمة هائلة قال المفسرون لما بعث موسى النقباء لاجل التجسس رآهم واحد من اولئك الجبارين فاخذهم وجعلهم في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال متعجبا للملك هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه بما شاهدتم فانصرف النقباء الى موسى فاخبروه بالواقعة فامرهم ان يكتموا ما شاهدوه فلم يقبلوا قوله الا رجلان هما كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف فانهما قالا هي بلاد طيبة كثيرة النعم واجسامهم عظيمة الا ان قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية فانهم اوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى اظهروا الامتناع من غزوهم والارض المقدسة هي المطهرة من الآفات وقيل من الشرك وزيف بانها لم تكن وقت الجبارين كذلك واجيب بانها كانت كذلك فيما قبل لانها كانت مسكن الانبياء ثم انها ما هي عن عكرمة والسدي وابن زيد هي اريحا وقال السدي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الطور وما حوله وقيل بيت المقدس وقيل الشام ومعنى كتب الله لكم وهبها لكم او خط في اللوح المحفوظ انها لكم او امركم بدخولها قال ابن عباس كانت هبة ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم وقيل المراد خاص اي مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم وقيل ان الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وقيل حرم عليهم اربعين سنة فلما مضى الاربعون حصل ما كتب وفي قوله كتب الله لكم تقوية لقلوب القوم وان الله سينصرهم مع ضعفهم على الجبارين مع قوتهم ولا ترتدوا على ادباركم لا ترجعوا من الدين الصحيح الى الشك في نبوة موسى واخباره بهذه النصرة او لا ترجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها الى التي خرجتم عنها فقد روي ان القوم كانوا قد عزموا على الرجوع الى مصر فتنقلبوا خاسرين في الآخرة بفوت الثواب ولحوق العقاب او فترجعوا الى الذل وتموتوا في التيه غير واصلين الى شيء من مطالب الدنيا ومنافع الآخرة والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وهو اختيار الفراء والزجاج قال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا في حرفين جبار من اجبر ودراك من ادرك ويقال نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي اليها والقوم كانوا في غاية القوة ونهاية العظم فجبن قوم موسى عنهم حتى قالوا على سبيل المبالغة في الاستبعاد انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون كقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال رجلان هما يوشع وكالب من الذين يخافون الله ومحل انعم الله عليهما اي بالهداية والثقة بقوله والاعتماد على نصره مرفوع صفة لرجلان ويحتمل ان يكون جملة معترضة قال القفال يجوز ان يكون الضمير في يخافون لبني اسرائيل والعائد الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل

وهم الجبارون فعلى هذا الرجلان من الجبارين ادخلوا عليهم الباب مبالغة في الوعد بالنصر والظفر كانه قال متى دخلتم باب بلدهم لم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن دار فاذا دخلتموه فانكم غالبون علموه ظنا او يقينا من عادة الله في نصرة رسله عادة ومن صنعه لموسى في قهر اعدائه خاصة وعلى الله فتوكلوا الفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها والمعنى لما وعدكم الله النصر فلا ينبغي ان تصيروا خائفين من عظم اجسادهم بل توكلوا على الله ان كنتم مؤمنين مقرين بوجود الاله القدير موقنين بصحة نبوة موسى انا لن ندخلها نفوا دخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس ثم زادوا في التاكيد بقولهم ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك قالت العلماء والعلم كالحجة يجوز ان الذهاب والمجيء على الله تعالى او انهم ارادوا القصد واحقيقة الذهاب كقولك كانه قد ذهب يجيبني يريد القصد والارادة وقيل المراد بالرب اخوه هارون وسموه ربا لانه اكبر من موسى وقيل التقدير اذهب وربك معين لك بزعمك ولكن لم يجاوبه قوله فقاتلا ولا يبقى لقوله انت فائدة وصحة ولا يخفى ان هذا القول منهم كفر او فسق ولهذا قال موسى على سبيل التشكي والبث رب اني لا املك الا نفسي واخي قال الزجاج في اعرابه وجهان الرفع على موضع اني المعنى اني لا املك الا نفسي واخي كذلك او نسقا على الضمير في املك اي لا املك انا واخي الا انفسنا والنصب على انه نسق على الياء اي اني واخي لا نملك الا انفسنا او على نفسي اي لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي لان اخاه اذا كان مطيعا له فهو ملك طاعته وكانه لم يثق بالرجلين كل الوثوق فلهذا لم يذكرهما او لعله قال ذلك تقليلا لمن يوافقه او اراد من يواخيه في الدين فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين او المراد فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لكل منا بما يستحق وهو في معنى الدعاء عليهم بدليل فاء التعقيب في قوله فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم لفتحها الله لهم من غير محاربة او المراد انهم يتيهون اربعين سنة ومعنى يتيهون يسيرون متحيرين عن مقاتل ان موسى لما دعا عليهم فاخبره الله بانهم يتيهون قالوا له لم دعوت علينا وندم على عمل فاوحى الله اليه فلا تأس اي لا تحزن ولا تندم على القوم الفاسقين فانهم احقاء بالعذاب لفسقهم وجوز بعضهم ان يكون ذلك خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تحزن على قوم لم يزل مخالفة الرسل ديدنهم واعلم ان المفسرين اختلفوا في ان موسى وهرون هل بقيا في التيه ام لا فقال قوم انهما ما كانا في التيه لانه دعا ان يفرق بينه وبينهم وكل نبي مجاب ولان التيه عذاب والانبياء لا يعذبون ولان سبب ذلك العذاب التمرد وانهما لم يتمردا وقال آخرون انهما كانا مع القوم الا ان الله تعالى سهل عليهم ذلك العذاب كما ان النار كانت على ابراهيم بردا وسلاما ثم من هؤلاء من قال ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر وكان ابن اخت موسى ووصيه بعد موته ومات النقباء في التيه بغتة بعقوبات غليظة الا كالب ويوشع ومنهم من قال بل موسى عليه السلام خرج من التيه وحارب الجبارين وقهرهم واخذ الارض المقدسة والله تعالى اعلم واختلفوا ايضا في التيه وهي المفازة التي تاهوا فيها فقال الربيع مقدار ستة فراسخ وقيل تسعة فراسخ في ثلثين فرسخا وقيل ستة في اثني عشر وقيل كانوا ستمائة الف فارس ثم الاكثرون على ان قوله فانها محرمة تحريم منع كانوا يسيرون كل يوم على الاستدارة جادين حتى اذا امسوا واصبحوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان مع ذلك نعمة الله عليهم من تظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك متظاهرة كالوالد الشفيق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولكن لا يقطع عنه معروفه واحسانه ويشكل هذا القول بانه كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في ذلك القدر الصغير من المفازة سنين متطاولة بحيث لا يتفق لاحد منهم ان يهتدي طريق التيه ولو بامارات حركات النجوم والجواب ان هذا من الخوارق التي يجب التصديق بها كسائر المعجزات التي تستبعد وقوعها وقال بعضهم ان التحريم تعبد وانه تعالى امرهم بالمكث في تلك المفازة اربعين سنة عقابا لهم على سوء صنيعهم وعلى هذا فلا اشكال التاويل اشار موسى الروح القوى البدنية ادخلوا ارض القلب المقدسة التي كتبها الله تعالى للانسان المستعد في الفطرة فهابوا تحمل اعباء المجاهدات ولزوم المخالفات والرياضات فقال لهم رجلان النفسان اللوامة والمطمئنة انكم غالبون اذا دخلتم باب الجد والقلب تستبدل الراحة بالتعب فلم يعتدوا بقولهما فحرم الله تعالى عليهم اربعين سنة اي مدة استيفاء حظوظ النفس الامارة والكفار سورة قواها في الاغلب كقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة وفي الآية نكتة هي ان موسى لما ظن انه يملك نفسه ونفس اخيه ابتلاه الله في الحال بالدعاء على امته لان المرء انما يملك نفسه اذا ملكها عند الغضب وشتان بينه وبين من قال حين شج رأسه وكسرت رباعيته اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون اللهم صل عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كل بفضلك يا ارحم الراحمين ياخير الناصرين

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين ۞ لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين ۞ اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ۞ فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين ۞ فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين ۞ من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل

بعد ذلك

انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ۞ ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ۞ ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون ۞ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم ۞ الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ۞ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ۞ ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم ۞ يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ۞ والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ۞ فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ۞ الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشا والله على كل شيء قدير ۞

القراءات لاقتلنك بالنون الخفيفة روى المعدل عن زيد يدي اليك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وحفص اني اخاف بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو اني اريد بالفتح ابو جعفر ونافع من اجل بكسر النون يزيد وقرا ورش بفتح النون موصولة رسلنا بسكون السين حيث كان ابو بكر وابو عمرو **الوقوف** الجحيم م على ان اذ معمول اذكر محذوفا ولو وصل لاوهم انه معمول الخبر وهو محال من الاخر ط قال لاقتلنك ط المتقين ه لاقتلنك لاحتمال اضمار اللام او للفاء العالمين ه النار ج لاختلاف الجملتين الظالمين ج لاجل الفاء الخاسرين ه سوأة اخيه ط اخي ج لطول الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه النادمين ج من اجل ذلك ج كذلك لان قوله من اجل يصلح ان يتعلق بما قبله وبما بعده جميعا ط الى الموضعين بالبينات ز لان ثم لترتيب الاخبار لمسرفون ه من الارض ط عظيم ه لا عليهم ج لتناهي الاستثناء مع وجوب اي التوبة التائب فان الله غفور رحيم ه تفلحون ه منهم ج لتناهي الشرط مع اتحاد المقصود من الكلام اليم ه منها ز لاتحاد المقصود مع اختلاف الجملتين مقيم ه من الله ط حكيم ه يتوب عليه ط رحيم ه لمن يشاء ط قدير ه **التفسير** في النظم وجوه منها انه راجع الى قوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم وكانه تعالى ذكر لنبيه تسلية نبيه قصصا كثيرة كقصة النقباء وما انجر اليه الكلام من اصرار اهل الكتاب وتعنتهم بعد ظهور الدلائل القاطعة ثم ختمها بقصة ابني آدم وان احدهما قتل الاخر حسدا وبغيا ليعلم ان الفضل كان محسودا بكل اوان ومنها انه عائد الى قوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان هذه القصة وكيفية ايجاب القصاص بسببها كانت من اسرار التورية ومنها انه من تمام قوله نحن ابناء الله واحباؤه اي لا ينفعهم كونهم من اولاد الانبياء مع كفرهم كما لم ينفع قابيل واتل اتل على الناس او على اهل الكتاب خبر ابني آدم من صلبه هابيل وقابيل ملتبسا بالحق والصحة من عند الله تعالى او ملتبسة بالصدق موافقا لما في التورية والانجيل او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد والتحذير من سوء عاقبة الحاسد او اتل عليهم وانت محق صادق لا مبطل هازل كالاقاصيص التي لا غناء فيها اذ قربا قال في الكشاف نصب بالنبأ اي نبأهم ذلك الوقت على حذف المضاف والمقصود اذ قرب كل واحد منهما قربانا الا انه جمعهما في الفعل اتكالا على قرينة الحكاية او لان القربان في الاصل مصدر ثم سمي به ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة روي ان آدم عليه السلام كان يولد له

في كل سنة

في كل سنة بطن غلام وجارية فكان يزوج البنت من بطن الغلام من بطن اخر قوله قابيل وتوأمته اقليما وبعدهما هابيل وتوأمته ليوذا وكانت توأمة قابيل احسن واجمل فاراد آدم ان يزوجها من هابيل فابى قابيل [illegible] فقال لهما آدم قربا قربانا [illegible] فتقبل قربان هابيل [illegible] فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل هذا ما عليه اكثر المفسرين واصحاب الاخبار وقال الحسن والضحاك انهما ماكانا ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل لقوله عز من قائل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل ومن البين ان صدور ذلك من احد ابني آدم لا يصلح ان يكون سببا لايجاب القصاص على بني اسرائيل وزيف بان الاية تدل على ان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم ذلك من عمل الغراب ولو كان من بني اسرائيل لم يخف عليه قال مجاهد اكل النار علامة الرد وجمهور المفسرين على ان ذلك علامة القبول وقيل ما كان في ذلك الوقت فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى فكانت النار تنزل من السماء فتاكله وانما صار احد القربانين مقبولا والاخر مردودا لان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال ولهذا قال تعالى حكاية عن المحق في جواب المبطل انما يتقبل الله من المتقين وذلك انه لما كان الحسد هو الذي حمله على توعده بالقتل فكانه قال له مالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على طاعة الله التي هي السبب في القبول قيل في هذه القصة ان احدهما جعل قربانه احسن ما كان معه وكان صاحب غنم والاخر جعله ارذل ما كان معه وكان صاحب زرع وقيل انه اضمر حين قرب انه لا يزوج اخته من هابيل سواء قبل او لم يقبل وقيل لم يكن قابيل من اهل التقوى وفي الكلام حذف فكان هابيل قال في جواب المتوعد لم تقتلني قال لان قربانك صار مقبولا فقال هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين ثم حكى الله سبحانه وتعالى عن المظلوم انه قال لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك فذكر الشرط بلفظ الفعل والجزاء باسم الفاعل مقرونا بالباء المزيدة لتاكيد النفي دلالة على انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع البتة قال كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت وهذا وجه قوله اني اخاف الله رب العالمين وقيل المعنى لا ابسط يدي اليك لغرض قتلك وانما ابسط لغرض الدفع قال اهل العلم الدافع عن نفسه يجب عليه ان يدفع بالايسر وليس له ان يقصد القتل بل يجب عليه ان يقصد الدفع ثم ان لم يندفع الا بالقتل جاز له ذلك ثم قال اني اريد ان تبوء باثمي واثمك قيل انه كيف يعقل ان يرجع القاتل مع اثم المقتول ولا تزر وازرة وزر اخرى فقال ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة اي بحمل اثم قتلي واثمك الذي كان منك قبل قتلي وقال الزجاج ترجع الى الله باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وقال في الكشاف اي بحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي سؤال اخر كيف جاز ان يريد معصية اخيه وكونه من اهل النار والجواب ان هذا الكلام انما دار بينهما عندما غلب على ظن المقتول انه يريد قتله وكان ذلك قبل اقدام القاتل على ايقاع القتل فكانه لما وعظه ونصحه قال له وان كنت لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة فلا بد ان تترصد لقتلي في وقت غفلتي وحينئذ لا يمكنني ان ادفعك عن قتلي الا اذا قتلتك ابتداء بمجرد الظن والحسبان وهذا مني كبيرة ومعصية واذا دار الامر بين ان يكون فاعل هذه المعصية انا او ان يكون انت فانا احب ان تحصل هذه الكبيرة لك لا لي ومن البين ان ارادة صدور الذنب عن الغير في هذه الحالة لا يكون حراما بل هو عين الطاعة او المراد اريد ان تبوء بعقوبة قتلي ولا شك انه يجوز للمظلوم ان يريد من الله تعالى عقاب الظالم وروي ان الظالم اذا لم يجد يوم القيمة ما يرضي خصمه اخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم فعلى هذا يجوز ان يقال اني اريد ان تبوء باثمي الذي يحمل عليك يوم القيمة اذا لم تجد ما يرضيني وباثمك في قتلك اياي وهذا يصلح جوابا عن السؤال الاول ايضا فطوعت له نفسه قتل اخيه وسعته ورخصته وسهلت من طاع له المرتع واطاع اذا اتسع وله لاجل زيادة الربط كقول القائل حفظت لزيد ماله ومنهم من قال شجعته فقتله والتحقيق ان الانسان يعلم ان القتل العمد العدوان من اعظم الذنوب فهذا الاعتقاد يكون صارفا له عن فعله فلا يطاوع النفس الامارة حتى اذا كثرت وساوسها انقاد لها وخضع وتمامه التفريع والتمرين الى النفس لا ينافي كون الكل مضافا الى قضاء الله فقتله يحكى ان قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل فظهر له ابليس واخذ طيرا وضرب راسه بحجر فتعلم قابيل ذلك منه ثم انه وجد هابيل نائما فضرب راسه بصخرة فمات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها وذلك انه اول من سن القتل فاصبح من الخاسرين دنياه واخرته لانه اسخط والديه وبقي مذموما الى يوم القيمة ثم يلقى في النار خالدا قيل لما قتل اخاه هرب من ارض اليمن الى عدن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار ويعبدها فنصب بيت نار وهو اول من عبد النار وروي ان هابيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لم يضحك وانه رثاه بشعر وهو هذا الشعر تغيرت البلاد ومن عليها ۞ فوجه الارض مغبر قبيح ۞ تغير كل ذي لون وطعم ۞ وقل بشاشة الوجه المليح ۞ قال في الكشاف انه كذب بحت وقد صح ان الانبياء معصومون عن الشعر وصدقه في التفسير الكبير وقال ان ذلك الشعر من غاية الركاكة بحيث لا يليق بالآحاد فضلا عن الانبياء وخصوصا من علمه حجة على الملائكة واقول اما ان جميع الانبياء معصومون عن الشعر فلعل دعوى العموم لا يمكن فيه وكانه من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا اثنى الله عليه بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له واما انه من الركاكة بالحيثية المذكورة فمكابرة مع ان مقام البث والشكوى لا يحتمل الشعر المصنوع والله اعلم بحقيقة الحال قال المفسرون انه لما قتله تركه لا يدري ما يصنع به ثم خاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تغير فبعث الله غرابا روي انه بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فتعلم من الغراب وقال الاصم لما قتله وتركه بعث الله غرابا يحثي على المقتول فلما راى القاتل ان الله تعالى كيف يكرمه بعد موته ندم وقال ابو مسلم عادة الغراب دفن الاشياء فجاء غراب فدفن شيئا فتعلم ذلك منه ليريه اي الله او الغراب اي ليعلمه وذلك انه كان سبب تعليمه كيف يواري محله النصب على الحال من ضمير يواري والجملة منصوبة بيري مفعولا ثانيا اي ليريه كيفية مواراة سوءة اخيه اي عورته وما لا يجوز ان ينكشف من جسده وقيل اي جيفة اخيه والسوءة الخلة القبيحة يا ويلتى كلمة عذاب يقال ويل له وويلة ومعناه الدعاء بالهلاك وقد يقال في معرض الترحم وانما طلب اقبال الويل ههنا على سبيل التعجب والندبة اي احضر حتى يتعجب منك ومن فظاعتك واحضر فهذا اوان حضورك والالف بدل من ياء المتكلم اعجزت استفهام بطريق الانكار ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب اي في الفعلة المذكورة ولهذا قال فاواري بالنصب على جواب الاستفهام من النادمين الندم وضع للزوم ومنه النديم لملازمته المجلس وانما لم يكن ندمه توبة لانه لما تعلم الدفن من الغراب صار من النادمين على ان حمله على ظهره سنة او ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله بل سخط ابواه واخوته او ندم لانه تركه بالعراء استخفافا وتهاونا وكان دون الغراب في الشفقة على مقتوله حتى صار الغراب دليلا وقد قيل ما كان الغراب دليل قوم من اجل ذلك اي بسبب ذلك القتل قيل هو من اجل شرا اذا جناه اجلا اذا جناه كتبنا على بني اسرائيل ان كان القاتل والمقتول من بني اسرائيل والمناسبة بين وجوب القصاص عليهم ظاهرة وان كانا ابني آدم من صلبه فالوجه ان يكون ذلك اشارة الى ما من انواع المفاسد كخسران الدارين وكالندم على الامور المذكورة اي من اجل ما ذكرنا في اثناء القصة من المفاسد الناشئة من القتل العمد العدوان شرعنا القصاص في حق القاتل ثم وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور في الاية وهو ان قتل النفس الواحدة جاريا مجرى قتل

جميع الناس غير ثابت الا على بني اسرائيل والغرض بيان قساوة قلوبهم فانهم مع علمهم بهذا الحكم اقدموا على قتل الانبياء والرسل فيكون فيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الواقعة التي عزموا فيها على قتله ثم القايلون بالقياس استدلوا بالآية على ان احكام الله تعالى قد تكون معللة بالعلل
لانه صرح بان كتبة معللة بتلك المعاني المشار اليها بقوله من اجل ذلك والمعتزلة ايضا قالوا انها دلت على ان احكام الله تعالى معللة بمصالح العباد
ويلزم منه امتناع كونه تعالى خالقا للكفر والقبائح لان ذلك ينافي مصلحة العبد والاشاعرة شنعوا عليهم بلزوم الاستكمال والتحقيق ان استتباع الفعل
الغاية الصحيحة لا ينافي الكمال الذاتي وقد سبق مرارا بغير نفس اي بغير قتل نفس وهو ان يقع لا على وجه الاقتصاص او فساد قال الزجاج انه معطوف على نفس
بمعنى او بغير فساد في الارض كالكفر بعد الايمان وكقطع الطريق وغيره من المهدرات فكانما قتل الناس جميعا وههنا نكتة وهي ان التشبيه لا يستدعي
التسوية بين المشبه والمشبه به من كل الوجوه فلا يكون قتل النفس الواحدة قتل جميع الناس فان الجزء لا يعقل انه مساو للكل فالغرض استعظام امر القتل العمد
العدوان واشتراك القتلين في استحقاق الاثم كما قال مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب الاليم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك
والتحقيق فيه انه اذا اقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة واذا ثبت الترجيح بالنسبة الى واحد
ثبت بالنسبة الى كل واحد بل بالاضافة الى الكل لان كل انسان يدلي من الكرامة والحرمة بما يدلي به الآخر وكذا ان حد الناس واجتهادهم في دفع قاتل شخص واحد
يجب ان يكون مثل جدهم في دفعه لو علموا انه يقصد قتلهم باسرهم ومن احياها استنقذها من مهلكة كحرق او غرق او جوع مفرط ونحو ذلك فالكلام
في تشبيه احياء البعض باحياء الكل كما تعرفه في القتل ثم ان كثيرا منهم اي من بني اسرائيل بعد ذلك بعد ما كتبنا وبعد مجيء الرسل لمسرفون في القتل
لا يبالون بهتك حرمته ومعنى ثم تراخي الرتبة ثم انه سبحانه بين ان الفساد في الارض الموجب للقتل ما هو فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
استدل بالآية من جوز ارادة الحقيقة والمجاز معا من لفظ واحد لان محاربة الله عبارة عن المخالفة فقط ولا يمكن حملها على حقيقة المحاربة ويحتمل
ان يقال انا نحمل هذه المحاربة على مخالفة الامر والتكليف والتقدير انما جزاء الذين يخالفون احكام الله واحكام رسوله او المراد انما جزاء الذين
يحاربون اولياء الله واولياء رسوله كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا نصب على الحال اي مفسدين
او على العلة اي للفساد او على المصدر الخاص نحو رجع القهقرى لان الفساد نوع من السعي عن قتادة وعن انس ان الآية نزلت في العرنيين الذين
قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم وامر بقطع ايديهم وارجلهم ثم سمل اعينهم وتركهم
حتى ماتوا فكانت الآية ناسخة لتلك السنة وعند الشافعي لما لم يجز نسخ السنة بالقرآن كان الناسخ لتلك السنة سنة اخرى ونزل هذا القرآن مطابقا
للسنة الناسخة وقيل نزلت في قوم ابي بردة الاسلمي وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فمر بهم قوم من كنانة يريدون الاسلام وابو بردة
غائب فقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل انها في بني اسرائيل الذين حكى الله تعالى عنهم انهم مسرفون في القتل وقيل في قطاع الطريق من المسلمين وهذا قول اكثر
الفقهاء قالوا ولا يجوز حمل الآية على المرتدين لان قتل المرتد لا يتوقف على المحاربة واظهار الفساد في الارض ولانه لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع اليد والنفي ولان
حده لا يسقط بالتوبة قبل القدرة عليه وبعدها ولان الصلب غير مشروع في حقه ولان اللفظ عام وشرطوا في هذا المحارب بعد كونه مسلما مكلفا ان يكون معتمدا
للقوة في المغالبة مع البعد عن الغوث فيخرج الكفار والراهقون والمعتمد على الهرب وكذا المتعرض للقادر على الاستغاثة بمن يغيثه واتفقوا على ان هذه
الحالة اذا حصلت في الصحراء كان قاطع الطريق فاما في نفس البلد فكذلك عند الشافعي لعموم النص وخالف ابو حنيفة ومحمد سوى انه يلحقه الغوث في الغالب
فحكمه حكم السارق وللعلماء في لفظ او في الآية خلاف فعن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وقول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد انها للتخيير ان شاء
الامام قتل وان شاء صلب وان شاء قطع الايدي والارجل وان شاء نفى وعنه في رواية عطاء ان الاحكام تختلف بحسب الجنايات فمن اقتصر على القتل
قتل ومن قتل واخذ المال قدر نصاب السرقة قتل وصلب ومن اقتصر على اخذ المال قطع يده ورجله من خلاف ومن اخاف السبيل ولم يأخذ المال نفي
من الارض واليه ذهب الشافعي والاكثرون والذي يدل على ضعف القول الاول انه ليس للامام الاقتصار على النفي بالاجماع ولان هذا المحارب اذا
لم يقتل ولم يأخذ المال فقد هم بالمعصية ولم يفعل وهذا لا يوجب القتل كالعزم على سائر المعاصي فتقدير الآية ان يقتلوا ان قتلوا او يصلبوا ان جمعوا بين القتل
والاخذ او يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اقتصروا على الاخذ والتشديد في هذه الافعال للتكثير او ينفوا من الارض ان اخافوا السبيل والقياس الجلي
يؤيد هذا التفسير لان القتل العمد العدوان يوجب القتل فغلظ ذلك في قاطع الطريق بالتحتم وعدم جواز العفو واخذ المال يتعلق به قطع اليد فغلظ في حقه
بقطع الطرفين من خلاف اي يده اليمنى ورجله اليسرى فان عاد فاليسرى واليمنى قيل وانما قطع هكذا لئلا يفوت جنس المنفعة قلت هذا ايضا من باب
التغليظ لان اليد اليمنى اعون في العمل والرجل اليسرى اعون في الركوب وان جمعوا بين القتل والاخذ جمع بين القتل والصلب لان بقاءه مصلوبا في
الطريق اشهر وازجر وان اقتصروا على مجرد الاخافة اقتصر الشرع على عقوبة خفيفة هي النفي قال ابو حنيفة اذا قتل واخذ المال فالامام مخير بين ان
يقتل او يقطع ثم يقتل او يصلب وعند الشافعي لا بد من الصلب لاجل النص وكيفية الصلب ان يقتل ويصلى عليه ثم يصلب مكفنا ثلثة ايام وقيل
يترك حتى يتهرى ويسيل صديده اي صليبه وهو الودك وعند ابي حنيفة يصلب حيا ثم يزرق بطنه برمح حتى يموت او يترك بلا طعام وشراب حتى يموت
جوعا ثم انزل غسل وكفن وصلي عليه ودفن وان ترك حتى يتهرى فلا غسل ولا صلوة واما النفي فان الشافعي حمله على معنيين احدهما انهم اذا قتلوا
واخذوا المال فالامام ان ظفر بهم اقام عليهم الحد وان لم يظفر بهم طلبهم ابدا فكونهم خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي والثاني
الذين يحضرون الواقعة ويعينونهم بتكثير السواد واخافة المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما اخذوا المال فالامام يأخذهم ويعزرهم ويحبسهم فيكون المراد بنفيهم هو هذا
الحبس وقال ابو حنيفة واحمد واسحق النفي هو الحبس لان الطرد عن جميع الارض غير ممكن والى بلدة اخرى استضرار بالغير والى دار الكفر تعريض للمسلم للارتداد
فلم يبق الا ان يكون المراد الحبس لان المحبوس لا ينتفع بشيء من طيبات الدنيا فكانه خارج منها ولهذا قال صالح بن عبد القدوس حين حبسوه على تهمة
الزندقة وطال لبثه شعر خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاموات فيها ولا الاحياء اذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء
هذا من الدنيا ذلك لهم خزي ذل وفضيحة في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم استدل المعتزلة بها على القطع بوعيد الفساق وعلى الاحباط وقالت
الاشاعرة بل يشترط عدم العفو الا الذين تابوا قال الشافعي ان تاب بعد القدرة عليه لم يسقط عنه ما يختص بقطع الطريق من العقوبات لانه متهم حينئذ
بدفع العذاب عنه وفي سائر الحدود بعد القدرة عليه قيل يكفي التوبة اظهارا كما يكفي اظهار الاسلام تحت ظلال السيوف والاصح انه لا بد مع التوبة
من اصلاح العمل لقوله تعالى في الزنا فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب من بعد ظلمه واصلح ولعل الفائدة في هذا الشرط انه انما
ظهر بالتجاهل التوبة اقيم عليه الحد وانما يسقط بتوبة قاطع الطريق قبل القدرة عليه تحتم القتل فالولي يقتص او يعفو بناء على ان عقوبة قاطع الطريق لا تمحض
حدا بل يتعلق بها القصاص وهو الاظهر اما اذا محضناه حدا فلا شيء عليه وان كان قد اخذ المال وقطع سقط الصلب وتحتم القتل وفي القصاص

وضمان المال بما ذكرنا وان كان قد اخذ المال سقط عنه قطع الرجل وفي قطع اليد وجهان اظهرهما السقوط ايضا بناء على انه جزء من الحد الواجب فاذا لم يتحتم
لم يبق شيء من اجزائه بالاتفاق والثاني انه ليس من خواص قطع الطريق لانه يجب بالسرقة ففي سقوطه الخلاف في سائر الحدود ثم انه سبحانه لما بين كمال جسارة
اليهود على المعاصي وغاية بعدهم عن الوسائل الى الله وآل الكلام الى ما آل جاء الى ارشاد المؤمنين ليكونوا بالضد منهم فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة وايضا انهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اي نحن ابناء الانبياء وكان افتخارهم باعمال آبائهم فقيل للمؤمنين لكن مفاخركم باعمالكم لا باسلافكم فقوله تعالى
اتقوا الله اشارة الى ترك المنهيات وقوله وابتغوا اليه الوسيلة عبارة عن فعل المأمورات وان كان ترك المناهي ايضا من جملة الوسائل الا ان هذا التفسير مناسب
والفعل والترك ايضا يعتبران في الاخلاق الفاضلة والذميمة وفي الافكار الصائبة والخاطئة واهل التحقيق يسمونهما الترك والفعل التخلية والتحلية او المحو والصحو
او بالنفي والاثبات او بالفناء والبقاء والاول مقدم على الثاني فما لم يفن عما سوى الله لم يرزق البقاء بالله والوسيلة فعيلة وهي كل ما يتوسل به الى المقصود
ولهذا قد يسمى السرقة توسلا والواسل الراغب الى الله تعالى قال لبيد شعر بلى كل ذي دين الى الله واسل والتوسيل والتوسل واحد يقال وسل الى ربه وسيلة وتوسل
بوسيلة اذا تقرب اليه بعمل قالت التعليمية انه تعالى امر بابتغاء الوسيلة اليه فلا بد من معلم يعلمنا معرفته واجيب بان الامر بالابتغاء مؤخر عن الايمان لقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا فعلمنا ان المراد بالوسائل هي العبادات والطاعات ثم ان ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي لما كان شاقا على النفس ثقيلا على الطبع لان العقل يدعو
الى خدمة الله وطاعته والنفس تدعو الى اللذات الحسيات والجمع بينهما كالجمع بين الضرتين والضدين اردف التكليف المذكور بقوله وجاهدوا في سبيله
والمراد بهذا القيد ان يكون العبادة لاجله لا لغرض وهذه مرتبة السابقين ثم قال لعلكم تفلحون الفلاح اسم جامع للخلاص من المكروه والفوز
بالمحبوب وهذه دون الاولى لان غرضه الرغبة في الجنة او الهرب من النار وكلتا المرتبتين مرضية ثم اشار الى مرتبة الناقصين بقوله ان الذين كفروا
وخبر ان مجموع الجملة الشرطية وهي قوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به اي بالمذكور والواو بمعنى مع والعامل في المفعول معه هو ما في ان
من معنى الفعل اي ثبت من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم والغرض التمثيل اذ ان العذاب لازم لهم وقد تقدم مثله في سورة آل عمران وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقال للكافر يوم القيمة ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك يريدون ان يخرجوا اي يتمنون
الخروج من النار او يقصدون ذلك قيل اذا رفعهم لهب النار الى فوق فهناك يتمنون الخروج وقيل يكادون يخرجون منها لقوتها ورفعها اياهم وعمم
المعتزلة هذا الوعيد في الكفار وفي الفساق وخصصه الاشاعرة بالكفار لدلالة الآية المتقدمة ثم انه تعالى عاد الى تتميم حكم اخذ المال من غير استحقاق
وهو المأخوذ على سبيل الخفية لا المحاربة فقال والسارق والسارقة وهما مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه والاخفش والتقدير فيما فرض او فيما يتلى
عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند الفراء وهو اختيار الزجاج ان الالف واللام فيهما بمعنى الذي وخبرهما فاقطعوا ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط
كانه قيل الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على القراءة المشهورة لان الانشاء لا يحسن ان يقع
خبرا الا بتأويل واما اذا انتصبت فانه يكون من باب الاضمار على شريطة التفسير والفاء يكون مؤذنا باستلزام ما قبلها ما بعدها مثل وربك فكبر وتعقب
قول سيبويه بانه طعن في قراءة واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وترجيح للقراءة الشاذة وفيه نظر لان الاضمار الذي ذهب اليه
هو خلاف الاصل والذي مال اليه الفراء اولى على العموم واوفق لقوله سبحانه جزاء بما كسبا فانه تصريح بان المراد من الكلام الاول هو الشرط والجزاء واما البحث
المعنوي في الآية فان كثيرا من الاصوليين زعم انها مجملة لانه لم يبين نصاب السرقة وذكر الايدي وبالاجماع لا يجب قطع اليدين ولان اليد يقع على الاصابع
بدليل ان من حلف لا يمس فلانا بيده فلمسه باصابعه فانه يحنث ويقع على الاصابع مع الكف وعلى الاصابع مع الكف والساعدين الى المرفقين وعلى كل ذلك
الى المنكبين وايضا الخطاب في فاقطعوا اما للامام او الزمان كما هو مذهب الاكثرين او لمجموع الامة او لطائفة مخصوصة ثبت بهذه الوجوه ان الآية مجملة وقال
المحققون مقتضى الآية ولا سيما في تقدير الفراء عموم القطع بعموم السرقة الا ان السنة خصصته بالنصاب او نقول ان اهل اللغة لا يقولون لمن اخذ حبة بر انه
سارق والمراد بالايدي الايمان مثل فقد صغت قلوبكما وقد انعقد الاجماع على انه لا يجب قطعهما معا ولا الابتداء باليسرى واليد اسم موضوع لهذا العضو
الى المنكب ولهذا قيد في قوله وايديكم الى المرافق وقد ذهبت الخوارج الى وجوب قطع اليدين الى المنكبين لظاهر الآية الا ان السنة خصصته بالكوع وايضا ولو حمل
ان الآية عامة لكنها خصت بدلائل منفصلة فتبقى حجة في الباقي وهذا اولى من جعلها مجملة غير مفيدة اصلا ثم ان جمهور الصحابة والفقهاء ذهبوا الى ان القطع
لا يجب الا بشروط كالنصاب والحرز وخالف ابن عباس وابن الزبير والحسن وداود الاصفهاني والخوارج تمسكا بعموم الآية وان مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة
فالذي يستقله الملك يستكثره الفقير وقد قال الشافعي لو قال لفلان علي مال عظيم ثم فسره بالحبة يقبل لاحتمال ان يريد انه عظيم في الحل او عظيم عنده
لشدة فقره ولما طعنت الملحدة في الشريعة بان اليد كيف ينبغي ان يقطع في قليل مع ان ديتها خمسمائة دينار من الذهب اجيب عنه بان ذلك عقوبة
من الشارع لعلة دناءته واذا كان هذا الجواب مقبولا من الكل فليكن مقبولا في ايجاب القطع على القليل والكثير وايضا اختلاف المجتهدين في قدر النصاب
كالحجة يدل على ان الاخبار المخصصة عندهم متعارضة فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ودعوى الاجماع على ان القطع مخصوص بقدر معين غير مسموعة بخلاف بعض
الصحابة والتابعين كما قلنا واعلم ان الكلام في السرقة يتعلق باطراف المسروق ونفس السرقة والسارق اما المسروق فمن شرطه عند الاكثرين ان يكون نصابا
ثم قال الشافعي انه ربع دينار من الذهب الخالص وما سواه يقوم به وهو مذهب الامامية لما روي انه صلى الله عليه وسلم لا قطع الا في ربع دينار وقال ابو حنيفة
النصاب عشرة دراهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا قطع الا في ثمن المجن والظاهر ان ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة دراهم وقال مالك ربع دينار
او ثلثة دراهم وعن احمد روايتان كالشافعي وكمالك وقال ابن ابي ليلى خمسة دراهم وعن الحسن درهم وكان في مواعظه احذر من قطع يدك في درهم ومنها
ان يكون المسروق ملك غير السارق لدى الاخراج من الحرز فلو سرق مال نفسه من يد غيره كيد المرتهن والمستأجر او طرأ ملكه في المسروق قبل اخراجه من الحرز بان ورث
السارق او اتهبه وهو فيه سقط القطع ومنها ان يكون محترما فالخمر والخنزير ومنها ان يكون الملك تاما قويا والمراد بالتمام ان لا يكون للسارق فيه شركة او حق
كمال بيت المال وبالقوة ان لا يكون ضعيفا كالمستولدة والوقف ومنها كون المال خارجا عن شبهة استحقاق السارق فلو سرق رب الدين من مال المديون
فان اخذه لا على قصد استيفاء الحق او هو جاحد او مماطل فلا يقطع سواء اخذ من جنس حقه او لا من جنسه واذا سرق احد الزوجين من مال الآخر وكان المال محرزا عنه
فعند ابي حنيفة لا يجب القطع وعند الشافعي ومالك واحمد يجب ومنها كون المال محرزا لقوله صلى الله عليه وسلم لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا آواه
المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن وحرز كل شيء على حسب حاله فالاصطبل حرز للدواب وان كانت نفيسة وليس حرزا للثياب والنقود والصفة في الدار
وعرصتها حرزان للاواني وثياب البذلة دون الحلي والنقود فان العادة فيها الاحراز في الصناديق والمخازن وعن ابي حنيفة ان ما هو حرز لمال فهو حرز لكل مال واما
السرقة فهي اخراج المال عن ان يكون محرزا ولا بد من شرط الخفية فلا قطع على المختلس والمنتهب المعتمد على القوة ولا على المودع اذا جحد خلافا لاحمد واما السارق
فيشترط فيه التكليف والتزام الاحكام والاختيار فيقطع الذمي والمعاهد ولا يقطع المكره واما ثبوت السرقة فبان يحج باليمين المردودة او بالاقرار او بشهادة رجلين ويتعلق بها

حكان الضمان والقطع وقال ابو حنيفة والثوري واحمد واسحق القطع والغرم لا يجتمعان حجة الشافعي قوله صلى الله عليه وسلم على اليد ما اخذت حتى تؤدي
يوجب الضمان وقد اجتمع في هذه السرقة امران وحق الله لا يمنع حق العباد ولهذا يجتمع الجزاء والقيمة في الصيد المملوك ولو كان المسروق باقيا وجب رده
بالاتفاق حجة ابي حنيفة قوله تعالى جزاء بما كسبا والجزاء هو الكافي فهذا القطع كاف في جناية السرقة ورد بلزوم رد المسروق عند كونه قائما اما
كيفية القطع فقد روي انه صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فقطع يمينه قال الشافعي فان سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق ثالثا
فيده اليسرى فان سرق رابعا فرجله اليمنى وبه قال مالك وروي ذلك عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند ابي حنيفة واحمد لا يقطع في الثالثة
وما بعدها لما روي عن ابن مسعود انه قرأ فاقطعوا ايمانهما وضعفه الشافعي بان القراءة الشاذة لا تعارض ظاهر القرآن المقتضي لتكرر القطع بتكرر السرقة
واتفقوا على انه يقطع اليد من الكوع والرجل من المفصل بين الساق والقدم والسيد يملك اقامة الحد على مماليكه لعموم قوله فاقطعوا ولم يجوز ابو حنيفة
واحتج المتكلمون بالآية في انه يجب على الامة نصب الامام لان هذا التكليف لا يتم الا به وما لا يتم الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب وانتصاب
جزاء ونكالا على انه مفعول لهما والعامل اقطعوا وان شئت فعلى المصدر من الفعل الذي دل عليه فاقطعوا اي جازوهم ونكلوا بهم جزاء بما كسبا نكالا من الله فمن
تاب من بعد ظلمه اي سرقة واصلح اي يتوب بنية صالحة وعزيمة صحيحة خالية عن الاغراض الفاسدة فان الله يتوب عليه وعند بعض الائمة
يسقط العقوبة ايضا وعند الجمهور لا يسقط وباقي الآيات قد مر تفسيره وانما قدم التعذيب على المغفرة وفاقا لتقدم السرقة على التوبة التأويل
ان آدم الروح بازدواجه مع حواء القالب ولد قابيل النفس وتوأمته اقليما الهوى ثم هابيل القلب وتوأمته ليوذا العقل فكان الهوى في غاية الحسن
[illegible]

يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب
سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته
فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم
سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض
عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم
بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك

وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك
بالمؤمنين انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين
اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله
وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا
قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف
والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو
كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية
وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية
وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله
فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون

[illegible]

وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب و
مهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوآءهم عما جاءك
من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة
واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتيكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله
ولا تتبع اهوآءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك

فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس
لفاسقون ۝ افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون ۝ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي
القوم الظالمين ۝ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم
يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر
من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ۝ ويقول
الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت
اعمالهم فاصبحوا خاسرين ۝ يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة
على الكافرين ۝ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ۝ انما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ۝
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين ۝
واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون ۝

القراءات تبغون بتاء الخطاب ابن عامر والخراز عن هبيرة الباقون بالياء. ويقول بالواو وبالرفع عاصم وحمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب بالنصب عباس مخير الباقون يقول بدون واو العطف. من يرتدد بالاظهار ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالادغام. والكفار بالجر ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي الباقون بالنصب عطفا على محل الذين اتخذوا وقرأ ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه وابن رستم الطبري عن نصير طريق ابن مهران بالامالة. **الوقوف** من الحق ط ومنهاجا ط الخيرات ط تختلفون ٥ لا للعطف وان الحكم على قبله ومن وقف فلانه راس آية انزل الله اليك ط ذنوبهم ط لفاسقون ٥ يبغون ط يوقنون ٥ اولياء م ليلزم النهي عن اتخاذ الاولياء مطلقا اولياء بعض ط منهم ط الظالمين ٥ دائرة ط لتمام المقول نادمين ٥ لا لمن قرأ ويقول بالنصب عطفا على ان ياتي جهد ايمانهم لا لان قوله انهم جواب لقسم لمعكم ط خاسرين ٥ ويحبونه لا لان ما بعده صفة قوم الكافرين ز لشبه الآية لائم ط من يشاء ط عليم ٥ راكعون ٥ الغالبون ٥ اولياء ج للعطف ولطول الكلام مؤمنين ٥ ولعبا ط لا يعقلون ٥ **التفسير** من الله تعالى على نبينا بانزال القرآن اليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب اي جنسه وهو كل كتاب سوى القرآن نازل من السماء وفي المهيمن قولان قال الخليل وابو عبيدة هيمن على الشيء يهيمن اذا كان رقيبا على الشيء وشاهدا ومفتقدا قال الجوهري اصله أأمن بهمزتين قلبت الثانية ياء كراهة اجتماع الهمزتين ثم الاولى هاء كما في هرقت وهياك والمعنى انه امين على الكتب التي قبله لانه لا ينسخ البتة ولا يحرف لقوله وانا له لحافظون ومن قرأ مهيمنا عليه بفتح الميم اي هو من عليه بان حوفظ من التغيير والتبديل والذي هيمن عليه الله عز وجل كما قلنا او الحفاظ في كل بلد والقراء المشهور لهم بالاجازة فاحكم بينهم بين اليهود بالقرآن ولا تتبع اهواءهم منحرفا عما جاءك من الحق او ضمن لا تتبع معنى لا تنحرف قيل لولا جواز المعصية على الانبياء لم يجز هذا النهي والجواب ان ذلك مقدور له ولكن لا يفعله لمكان النهي او الخطاب له والمراد غيره لكل جعلنا منكم ايها الناس والامم امة موسى وامة عيسى وامة محمد لتقدم ذكر الثلاث شرعة ومنهاجا قال ابن السكيت الشرع مصدر شرعت الاهاب اذا شققته وسلخته وقيل انه من الشروع في الشيء الدخول فيه والشرعة للهيئة بمعنى الشريعة فعلة بمعنى مفعولة وهي الامور التي

اوجب الله تعالى على المكلفين ان يشرعوا فيها والمنهاج الطريق الواضح وهما عبارتان عن معبر واحد هو الدين والتكرير للتاكيد ويحتمل ان يراد بالشريعة عامة والمنهاج مكارم الشريعة فالاولى اقدم وهذه يتلوها وهي الطريقة وقال المبرد ابتداء الطريق والطريقة المنهاج المستمر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا خلاف فيه وفيه دليل على ان الكل بمشيئة الله والمعتزلة حملوه على مشيئة الالجاء ولكن ليبلوكم اي جعلكم مختلفين متخالفين ليعاملكم معاملة المختبر هل تعملون بالنواميس الالهية وتذعنون للعقائد الحقة ام تقصرون في العمل وتتبعون الشبه ولذلك قال فاستبقوا الخيرات سارعوا اليها وتسابقوا نحوها ونعني بالخيرات ههنا ما هو الحق من الاعتقادات والمحقق من التكاليف ثم علل الاستباق بقوله الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر والمراد ان الامر سيؤول الى ما يحصل معه اليقين من مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باساءته وان احكم قيل معطوف على الكتاب اي وانزلنا اليك ان احكم على ان المصدرية وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال او على قوله بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم والاول يحتمل ان يكون ان مفسرة ونقل الامام محمد ونسبا اي وامرناك ان احكم وكرر الامر بالحكم اما للتاكيد واما لانهما حكمان لانهم احتكموا اليه في زنا المحصن ثم احتكموا في قتل كان بينهم وزعم بعض الائمة ان هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وعن ابن عباس ان جماعة من اليهود منهم كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى فيهم واحذرهم ان يفتنوك محله نصب على انه مفعول له اي مخافة ان يفتنوك او على انه بدل اشتمال من مفعول احذر والمراد بالفتنة ردوا الى اهوائهم وكل من صرف من الحق الى الباطل فقد فتن قال بعض اهل العلم في الاية دليل على ان الخطاء والنسيان جائزان على النبي صلى الله عليه وسلم لان التعمد في مثل هذا غير جائز فلم يبق الا الخطاء والنسيان فلو لم يكونا جائزين ايضا لم يكن للتحذير فائدة فان تولوا عن الحكم المنزل اي فان لم يقبلوا حكمك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اما الاصابة فالمراد بها قتلهم واجلاؤهم واما ذكر بعض الذنوب فلان مجازاتهم ببعض الذنوب كافية في اهلاكهم وتدميرهم او اراد بالبعض ذنب التولي عن حكم الله وفيه ان لهم ذنوبا جمة وان هذا الذنب عظيم جدا كقول لبيد شعر تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تعظيم شانها بهذا الابهام فكانه قال نفسا كبيرة لان التنكير في معنى البعضية ايضا لفاسقون لمتمردون في الكفر وفيه ان التولي عن حكم الله فسق مؤكد جدا ثم استفهم منكرا عليهم فقال افحكم الجاهلية يبغون وفيه تعيير اليهود بانهم اهل كتاب وعلم ومع ذلك يطلبون حكم الملة الجاهلية التي هي محض الجهل وصريح الهوى وقال مقاتل ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى بواء اي سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الاية واللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم الذين يوقنون انه لا احد اعدل من الله حكما ولا احسن منه بيانا قال عطية العوفي جاء عبادة بن الصامت فقال يا رسول الله ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم حاضرا نصرهم واني ابرأ الى الله والى رسوله من ولاية يهود واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر ولا ابرأ من ولاية اليهود فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال قد قبلت فانزل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء تعاشروهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض لان الجنسية علة الضم ثم اكد ذلك بقوله ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم ولذلك قال ابن عباس يريد انه كافر مثلهم وفيه من التغليظ والتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين ما فيه ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة او وضعوا الولاء في غير موضعه عن ابي موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا اما سمعت هذه الاية قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت لا قوام للبصرة الا به قال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الان فترى الذين في قلوبهم مرض يعني امثال عبد الله بن ابي يسارعون فيهم في موالاة اليهود والنصارى يهود بني قينقاع ونصارى نجران لانهم كانوا اهل ثروة وكانوا يعينونهم على مهماتهم ويقرضونهم ويقولون يعتذرون عن الموالاة بقولهم نخشى ان تصيبنا دائرة قال الواحدي هي الدولة ومنه دوائر الزمان ونوائبه وقال الزجاج نخشى ان لا يتم الامر لمحمد فيدور الامر كما كان قبل ذلك ثم سلى رسوله والمؤمنين بقوله فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فعسى من الله الكريم اطماع واجب والفتح اما فتح مكة او مطلق دولة الاسلام وغلبة ذويه وقوله او امر من عنده والمراد فعل لا يكون للناس فيه مدخل البتة كقذف الرعب في قلوب بني النضير وغيرهم من الكفار وقيل هو ان يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم من النفاق والشك في ان امر الرسول يتم نادمين ويقول الذين آمنوا قال الواحدي حذف الواو ههنا كاثباتها فلهذا جاء في مصاحف اهل الحجاز والشام بغير واو وفي مصاحف اهل العراق بالواو وذلك ان في الجملة المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها فان قوله اهؤلاء اشارة الى الذين يسارعون فلما حصل في كل من الجملتين ذكر من الاخرى حسن الوجهان ووجه العطف مع النصب ظاهر ووجه ذلك مع الرفع على انه كلام مبتدأ اي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت ووجه الفصل هو ان يكون جواب سائل يسأل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وانما يقولون هذا القول فيما بينهم تعجبا من حالهم وفرحا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص او يقولونه لليهود الذين كانوا يحلفون لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وقوله جهد ايمانهم اي باغلظ الايمان نصب على الحال اي يجتهدون جهد ايمانهم او على المصدر من غير لفظه حبطت اعمالهم من قوله تعالى او من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها رياء وفيه معنى التعجب اي ما احبط اعمالهم فاخسرهم حيث بقي عليهم التعب في الدنيا والعذاب في العقبى من يرتد منكم عن دينه اي من يتول الكفار منكم فيرتد فليعلم ان الله تعالى ياتي بقوم آخرين غيرهم ينصرون هذا الدين على ابلغ الوجوه وقال الحسن علم الله تعالى ان قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم فاخبرهم انه سبحانه سياتي بقوم يحبهم ويحبونه فيكون الآية اخبارا عن الغيب وقد وقع فيكون معجزا روي في الكشاف ان اهل الردة كانوا احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله عليه السلام فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر

رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ وبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة ابن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر ابن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وحاربهم ابو بكر رضي الله عنه وكفى الله امرهم على يديه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم كان يطوف بالبيت ذات يوم بعد ان كان اسلم على يد عمر رض فرأى رجلا جار رداءه فلطمه فتظلم الرجل الى عمر رض فقضى بالقصاص عليه فقال انا اشتريها بالف فابى الرجل فلم يزل يزيد في الفداء الى ان بلغ عشرة آلاف فابى الرجل الا القصاص فاستنظره فانظره عمر فهرب الى الروم وتنصر وتفسير المحبة قد مر في سورة البقرة في قوله يحبونهم كحب الله وانما قدم محبته على محبتهم اياه نتيجة محبة الازلية اياهم فتلك اصل وهذه فرع والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن للشرط محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم اذلة جمع ذليل لا ذلول من الذل نقيض الصعوبة لا يجمع على ذلك وليس المراد انهم مهانون عند المؤمنين بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب فان من كان ذليلا عند انسان فانه لا يظهر الكبر والترفع البتة ولتضمين الذل معنى الحنو والتعطف عدي بعلى دون اللام كانه قيل عاطفين عليهم او المراد انهم مع شرفهم واستعلاء حالهم واستيلائهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ليضموا الى منصبهم فضيلة التواضع اعزة على الكافرين يظهرون الغلظة والترفع عليهم من عزه اذا غلبه ونحو هذه الآية قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم والواو في قوله ولا يخافون فاما ان يكون للحال اي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين حيث يخافون لومة اولياءهم اليهود واما يكون للعطف كقوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام اي هم الجامعون بين المجاهدة بعد وبين التصلب في الدين اذا شرعوا في امر من امور الدين لا يثنيهم اعتراض معترض وفي وحدة اللوم وتنكير اللائم مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام ذلك الذي ذكر من نعوت الكمال من المحبة والذلة وغيرها فضل الله احسانه وتوفيقه قالت الاشاعرة انه صريح في ان الاعمال مخلوقة لله تعالى والمعتزلة حملوه على فعل الالطاف وضعف بان اللطف عام في حق الكل فلا بد للتخصيص من فائدة والله واسع عليم تام القدرة كامل العلم يعلم اهل الفضل فيؤتيهم الفضل واعلم ان للمفسرين خلافا في ان القوم المذكورين في الآية من هم قال الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج هم ابو بكر واصحابه لانهم الذين قاتلوا اهل الردة وقال السدي نزلت في الانصار وقال مجاهد هم اهل اليمن لانها نزلت اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقال آخرون هم الفرس لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقالت الشيعة نزلت في علي كرم الله وجهه لما روي انه صلعم دفع الراية الى علي يوم خيبر وكان قد قال لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ولان ما بعد هذه الآية نازلة فيه باتفاق اكثر المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي هذه الآية من ادل الدلائل على فساد مذهب الامامية لان الذين اتفقوا على امامة ابي بكر لو كانوا انكروا نصا جليا على امامة علي لكان كلهم مرتدين ثم يجاء الله بقوم يحاربهم ويردهم الى الحق ولما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد فان فرقة الشيعة مقهورون ابدا حصل الجزم بعدم النص ولناصر مذهب الشيعة ان يقول ما يدريك ان الله تعالى لا يأتي بقوم يحاربهم ولعل المراد بخروج المهدي هو ذلك فان محاربة من دان بدين الاوائل هي محاربة الاوائل وهذا انما ذكرته بطريق المنع لا لاجل العصبية والميل فان اعتقادي ارتداد الصحابة الكرام امر فظيع والله تعالى اعلم ثم انه سبحانه لما نهى في الآي المتقدمة عن موالاة الكفار امر بعد ذلك بموالاة من يجب موالاته فقال انما وليكم ولم يقل اولياؤكم ان ولاية الله اصل والباقي تبع الله ورسوله والذين آمنوا وفيه قولان الاول ان المراد عامة المؤمنين لان الآية نزلت على وفق ما مر من قصة عبادة ابن الصامت وروي ايضا ان عبد الله بن سلام قال يا رسول الله ان قومنا قد هجرونا واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد المنازل فنزلت هذه الآية فقالوا رضينا بالله تعالى وبرسوله وبالمؤمنين اولياء ثم قال الذين يقيمون الصلوة ومحله رفع على البدل او على هم الذين يقيمون او النصب بمعنى اخص او اعني وفي الكل مدح والغرض تمييز المؤمن المخلص عمن يدعي الايمان نفاقا ومعنى وهم راكعون قال ابو مسلم اي منقادون خاضعون لاوامر الله تعالى ونواهيه وقيل المراد ومن شأنهم اقامة الصلوة وخص الركوع بالذكر لشرفه وقيل ان الصحابة كانوا عند نزول الآية مختلفين في هذه الصفات منهم من قد اتم الصلوة ومنهم من دفع المال الى الفقير ومنهم من كان بعد في الصلوة راكعا فنزلت الآية على وفق احوالهم القول الثاني ان المراد شخص معين وجيء به على لفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله ثم ان ذلك الشخص من هو روى عكرمة انه ابو بكر وروى عطاء عن ابن عباس انه علي روي ان عبد الله بن سلام قال لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله انا رأيت عليا تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه وروي عن ابي ذر انه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صلوة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سألت في مسجد الرسول فما اعطاني احد شيئا وعلي كان راكعا فاومى اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ان اخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري الى قوله واشركه في امري فانزلت قرآنا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا اللهم وانا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اشدد به ازري قال ابو ذر فوالله ما اتم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال يا محمد اقرأ انما وليكم الله الآية فاستدلت الشيعة بها على ان الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي بن ابي طالب لان الولي هو الاولى المتصرف في امور الامة وانه علي برواية ابي ذر وغيره واجيب بالمنع من ان الولي ههنا هو المتصرف بل المراد به الناصر والمحب لان الولاية المنهي عنها فيما قبل هذه الآية وفيما بعدها هو بهذا المعنى فكذا الولاية المأمور بها وايضا ان عليا لم يكن نافذ التصرف حال نزول الآية وانها تقتضي ظاهرا ان تكون الولاية حاصلة في الحال وايضا اطلاق لفظ الجمع على الواحد لاجل التعظيم مجاز والاصل في الاطلاق الحقيقة فالمراد بالذين آمنوا عامة المؤمنين فان بعضهم يجب ان يكون ناصر البعض كقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وايضا الآية المتقدمة نزلت في ابي بكر كما مر من انه هو الذي حارب المرتدين فالمناسب ان يكون هذه ايضا فيه ثم ان علي بن ابي طالب كان اعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الامامية فلو كانت الآية دالة على امامته لاحتج بها كما احتج بما ينقلون عنه انه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع مناقبه وفضائله ولو سلم انها دالة على امامته لكنه ما كان نافذ التصرف في حيوة رسول الله صلعم فلم يبق الا انه سيصير اماما ونحن نقول بموجبه ولكن بعد الشيوخ الثلثة ومن اين قلتم انها تدل على امامته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير فصل وايضا انهم كانوا قاطعين بان المتصرف فيهم هو الله ورسوله فلا حاجة بهم الى ذكر ذلك فالمراد بقوله انما وليكم الله ورسوله ان من كان الله ورسوله

ناصرين له فاي حاجة به الى طلب النصرة والمحبة من غيره واذا كان الولي مستعملا بمعنى النصرة فقد امتنع ان يراد به معنى التصرف لانه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه معا فكانه تعالى قسم المؤمنين قسمين وجعل احدهما انصار الآخر وايضا الزكوة اسم للواجب لا للمندوب ومن المشهور ان عليا ما كان يجب عليه الزكوة ولو سلم فاللائق بحاله ان يكون في الصلوة مستغرق القلب بالله فلا يتفرغ لاستماع كلام السائل ولا الى دفع الخاتم اليه لانه عمل كثير اللهم الا ان يكون الخاتم سهل المأخذ او كان قد ادى الى السائل فاخذه السائل والحق انه ان صحت الرواية فللآية دلالة قوية على عظم شان علي رضي الله عنه والمناقشة في امثال ذلك تطويل بلا طائل الا ان اصحاب المذاهب لما تكلموا فيها اوردنا حاصل كلامهم على سبيل الاختصار ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله من اقامة المظهر مقام المضمر تشريفا والمراد فانهم هم الغالبون وحزب الرجل اصحابه المجتمعون لامر حزبهم وقال الحسن جند الله ابو روق اولياء الله ابو العالية شيعة الله وقيل انصار الله الاخفش هم الذين يدينون بدينه ويطيعونه فينصرهم صاحب الكشاف يحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين اي ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب ثم عمم النهي عن موالاة جميع الكفار فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عن ابن عباس كان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا ينافي اتخاذكم اياهم اولياء بل يجب ان يقابل ذلك بالشنآن والبغضاء وانما عطف الكفار على اهل الكتاب ايضا كفار والعطف يقتضي المغايرة لانه اراد بالكفار المشركين الوثنيين خاصة لما ان كفرهم اغلظ فكانوا احق باسم الكفر ومعنى تلاعبهم بالدين واستهزائهم به اظهارهم ذلك باللسان دون مواطاة الجنان واتقوا الله في موالاة الكفار ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان الحقيقي يأبى موالاة اعداء الدين قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة فقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ركعوا لا ركعوا على طريق الاستهزاء والضحك فنزل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة وهذا البعض مما اتخذوه من هذا الدين هزوا ولعبا فلهذا اردفه الآية المتقدمة الكلية وقال السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقال آخرون ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان في هذا الامر خير كان اولى الناس به الانبياء والرسل قبلك فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه الآية وانزل ومن احسن من الله قولا ممن دعا الى الله قال بعض العلماء فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده واقول لو قيل ان اصل الاذان بالمنام والتقرير بنص الكتاب كان اجود ذلك الاتخاذ بانهم قوم لا يعقلون ما في الصلوة من المنافع لانها التوجه الى الخالق والاشتغال بخدمة المعبود او لا يعقلون ما في اللعب والهزو من السفه والجهل قال بعض الحكماء اشرف الحركات الصلوة وانفع السكنات الصيام التأويل وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي بالحقيقة لانه انزل على قلبه وانزل سائر الكتب في الالواح والصحف فلهذا كان خلقه القرآن وكان مهيمنا على جميع الكتب لشهوده عيانا لا بيانا بحيث يشاهد قلب المنزل عليه بنوره حقائق جميع الكتب واسرارها بخلاف ما انزل في الالواح فان الالواح لا تشهد ولا تشاهد حقائق الكتب ومعانيها لكل جعلنا منكم معاشر الانبياء شرعة تشرع فيها بالبيان ومنهاجا يسلك فيه بالعيان ولكن ليبلوكم ايها الامم فيما آتاكم من البيان والتبيان والحجج والبرهان والعزة والسلطان فابتلاكم بزينة الدنيا واتباع الهوى ونيل المنى والرفعة بين الورى والنجاة في العقبى ليهتدي التائبون بالبيان ويهتدي العالمون بالبرهان ويحكم العارفون بالسلطان بل يقصد الزاهدون برفض الدنيا ويقدم العابدون بنهي الهوى ويسلك المشتاقون بنفي المنى ويجذب العارفون بترك العدى ويسلب الواصلون بالسلو عن الدنيا والعقبى فاستبقوا الخيرات من هذه المقامات الى الله مرجعكم جميعا اختيارا بقدم الصدق او اضطرارا بحلول الاجل فان تولوا عن قبول الحق فاعلم بمطالعة القضاء انما يريد الله في حكم القدر ان يصيبهم بمصيبة الاعراض ببعض ذنوبهم اهوال الاعراض فان الحق سبحانه يلزم بشرط التكليف ويقدمهم ويؤخرهم بغير التعريف فالتكليف فيما اوجب والتعريف فيما اوجد والعبرة بالايجاد لا بالايجاب لفاسقون لخارجون عن جذبات العناية افحكم الجاهلية يبغون يطلبون بحكم ان يحيد عن المحجة المثلى بعد ما طلعت شموس الدين وسطعت براهين اليقين وانهتك استار الريب واستنار القلب بانوار الغيب ليسارعون فيهم لان شبيه الشيء منجذب اليه ان يأتي بالفتح فتح عيون القلب او امر من عنده وهو الجذبة التي توازي عمل الثقلين ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الغيوب في استار القلوب فاصبحوا خاسرين بابطال الاستعداد الفطري بقوم يحبهم ويحبونه هم ارباب السلوك افناهم عنهم بسطوات تجليهم ثم ابقاهم به عنده بجذبات تجليه يحبونه فان محبة الله للعبد افناؤه الناسوتية والشيخ نجم الدين الرازي المعروف بداية رضي الله عنه قد عكس القضية فلعله فهم غير ما فهمناه ثم قال انه تعالى يحب العبد بصفة ذاته ازلا وهي الارادة القديمة المخصوصة بالعناية والعبد يحب الله تعالى بذات تلك الصفة ابدا اذلة على المؤمنين بارتفاع الانانية اعزة على الكافرين لبقاء الالوهية واثبات الوحدانية يجاهدون في سبيل الله في طلب الحق في البداية ببذل الوجود ولا يخافون لومة لائم عند غلبات الوجد في الوسط لدوام الشهود ذلك يعني صدق الطلب في البداية وغلبات الوجد في الوسط والاختصاص بالمحبة في النهاية والله واسع كرمه قادر على ان يتفضل على كل احد لكنه عليم بحال كل احد فلا يتفضل الا على من يناسبه يقيمون الصلوة بدوام مراقبين حقوقها في الباطن بمراعاة السر ويؤتون الزكاة ما زكا من وجودهم وهم الفناء في الله وهم راكعون راجعون الى الله بالانحطاط من قيام البشرية الى قيام العبودية هم الغالبون على اهوائهم وانفسهم والدنيا والشيطان الذين اتخذوا دينكم يعني اهل الغفلة والسلو المستهزئين باهل المحبة والقرب من الذين اوتوا الكتاب اي العلوم الظاهرة والكفار يعني الفلاسفة ومقلديهم لانهم بمعزل عن العلوم اللدنية والكشفية واذا ناديتم الى الصلوة دعوتموهم الى محل القرب والنجوى لا يعقلون بالوهم والخيال لذاذة شهود ذلك الجمال والله اعلم باسرار الحال

قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون ۝ قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة

والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل
واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم
بما كانوا يكتمون ۝ وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان
واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ۝ لولا ينهيهم الربانيون و
الاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ۝
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه
مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض
فسادا والله لا يحب المفسدين ۝ ولو ان اهل الكتاب آمنوا
واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ۝
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم
ساء ما يعملون ۝ يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله
لا يهدي القوم الكافرين ۝ قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا
التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ۝ ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر
وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝

القراءة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ولا يبصرون نبيك فيقطعوك عن الله بالادراك العلوم الظاهرة لستم على شيء من حقيقة الدين حتى تزينوا ظواهركم وبواطنكم بالاعمال والاحوال الواردة
في الكتب الالهية وذلك لمقدمتان واربع نتايج فالمقدمتان الجذبة الالهية ونتيجتها الاعراض عن الدنيا والتوجه الى المولى ثم تربية
الشيخ ونتيجتها تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق الفاضلة ۞ والله حسبي ونعم الوكيل نعم الرب ونعم النصير ۞

لقد اخذنا ميثاق بني اسرآئيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ۞ وحسبوا
الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيرا منهم
والله بصير بما يعملون ۞ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم

وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا
عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام
انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل
اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع
العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق و
لا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا و
ضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون
ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم
ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء
ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة
للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى
الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون
ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم

القراءات ان لا تكون بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف غير سهل وحفص وابي بكر وحماد الباقون بالنصب
الوقوف رسلا ط انفسهم لا لان ما بعد جواب كلما فريقا كذبوا يقتلون ه كثير منهم ط بما يعملون ه ابن مريم ط وربكم ط النار ط من انصار ه ثلثة م
لئلا يوهم ان ما بعده من قول الكفار واحد ط اليم ه ويستغفرونه ط والوصل ايضا حسن بناء على ان الواو للحال اي وهم يستغفرون وهو غفور رحيم ه
رسول ج لاحتمال ما بعده الصفة والاستيناف الرسل ط لان الواو للاستيناف لا للعطف صديقة ط لان ما بعده لا يصلح للصفة لان الضمير في كانا
مثنى الطعام ط يؤفكون ه ولا نفعا ط والوصل احسن على ان الواو للحال اي لم تعبدون ما لا ينفع ولا يضر والحال ان الله السميع وعاء المستغفرين والعليم
رجاء المعتبر العليم ه السبيل ه ابن مريم ط يعتدون ه فعلوه ط يفعلون ه كفروا ط خالدون ه فاسقون ه اشركوا ج لطول الكلام والفصل بين الوصفين
المتضادين نصارى ط لا يستكبرون ه الجزء السابع من الحق ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف الشاهدين ه من الحق لا لان الواو بعده للحال
ه خالدين فيها ط المحسنين ه الجحيم ه التفسير افتتح السورة بقوله اوفوا بالعقود واختتم الكلام الى هذا الجزء الا ان ما كان مبدأه به والمقصود بيان عتو بني اسرائيل
وشدة تمردهم اي اخذنا ميثاقهم بخلق الدلائل وخلق العقل الهادي الى كيفية الاستدلال وارسلنا اليهم رسلا لتعريف الشرائع والاحكام قال في الكشاف
كلما جاءهم رسول الى آخره جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع الى الموصوف محذوف اي رسول منهم واقول الاصوب جعلها جملة مستانفة جوابا
لسائل كيف فعلوا برسلهم ولهذا كان الوقف على رسلا مطلقا اما جواب الشرط فاختار في الكشاف انه محذوف لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه
لا يحسن ان يقال ان اكرمت اخي اخاك اكرمت فالتقدير كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وعادوه وقوله فريقا كذبوا جواب قائل كيف
فعلوا واقول اما ان التركيب المذكور غير مستحسن فتعين النزاع واما ان الرسول الواحد لا يكون فريقين فتغليط لان قوله كلما يدل على كثرة مجيء الرسل
فلهذا صح جعلهم فريقين ومعنى بما لا تهوى انفسهم بما يضاد شهواتهم لرغبتهم عن التكاليف وفائدة تقديم المفعول وايراد يقتلون مضارعا
ذكرنا في سورة البقرة وزعم في التفسير الكبير انه ذكر التكذيب بلفظ الماضي لانه اشارة الى معاملتهم مع موسى عليه السلام في التيه وتمردهم عن قبولها
قوله وقد انقضى من ذلك ادوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المستقبل لانه رمز الى ما فعلوا بزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام على زعمهم وان ذلك
قريب فكأن كالحاضر وحسبوا ان لا تكون فتنة قال علماء الادب الافعال على ثلاثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء كالعلم والتيقن فيقع بعده ان
المشددة لان ان على ثبات على ثبات الشيء ايضا للتأكيد مقتضاه كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين فان خففت ودخل على الفعل لم يجز الا ان يكون
مع فعله قد او سوف او السين او حرف نفي ليكون كالعوض من احدى النونين وقيل من حذف ضمير الشان مثل علم ان سيكون وفعل يدل
على خلاف الثبات والاستقرار نحو اطمع واخاف وارجو فلا يجيء معه الا الخفيفة الناصبة للفعل كقوله والذي اطمع ان يغفر لي وفعل يحتمل الحالين فيجوز
فيه كلا الوجهين كقوله وحسبوا ان لا تكون وقرئ بالنصب على ان المصدرية وكون الحسبان بمعنى الظن وبالرفع على ان المخففة اي انه لا تكون فتنة
مخففة ان يحذف ضمير الشان وتنزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم وما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه سد مسد المفعولين
وكان تامة والمعنى وحسب بنو اسرائيل انه لا يقع فتنة وهي محصورة في عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وعذاب الدنيا اقسام منها القحط و
منها الوباء ومنها القتل ومنها العداوة والبغضاء فيما بينهم ومنها الادبار والنحوسة وكل ذلك قد وقع فيهم وقد فسرت الفتنة بكل ذلك
وحسبانهم ان لا يقع فتنة يحتمل وجهين الاول انهم كانوا يعتقدون ان لا نسخ لشريعة موسى وان كل رسول جاء بعده يجب تكذيبه والثاني انهم مع اعتقادهم
كونهم مخطئين في التكذيب والقتل الا انهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وان نبوة اسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم ان الآية تدل على ان
عماهم عن الدين وصممهم عن الحق حصل مرتين فقال بعض المفسرين انهم عموا وصموا في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ثم تاب الله على بعضهم
حيث وفقهم للايمان به ثم عموا وصموا كثير منهم في زمان محمد صلى الله عليه وسلم فانكروا نبوته الا بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله كثير منهم بدل
عن الضمير كقولك رأيت القوم اكثرهم وقيل انه على لغة من يقول اكلوني البراغيث وقيل خبر مبتدأ محذوف اي اولئك كثير منهم وقال بعضهم عموا
وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت وهو طلب رؤية الله جهرة وقال القفال انه يجوز ان يكون
الى ما في سورة بني اسرائيل فاذا جاء وعد اولاهما فاذا جاء وعد الآخرة وقرئ عموا وصموا بالضم اي رماهم الله وضربهم بالعمى والصمم كما يقال
ركبته اذا ضربته بالركبة ثم انه سبحانه لما استقصى الكلام مع اليهود شرع في حكاية كلام النصارى فحكى عن فريق منهم انهم قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وهذا قول اليعقوبية القائلين ان مريم ولدت الها ولعل مرادهم انه تعالى حل في ذات عيسى او اتحد به ثم حكى عن المسيح ما حكى ليكون لهم حجة
قاطعة على فساد ما اعتقدوا فيه وذلك انه لم يفرق بين نفسه وبين غيره في المربوبية وفي ظهور دلائل الحدوث عليه ثم اكد ذلك المعنى بقوله تعالى
من يشرك بالله اي في العبادة او في تجويز الحلول والاتحاد او في اجراء صفة في المخلوقين او بالعكس فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين
اي منعه منها وما للظالمين من انصار من كلام الله تعالى او من حكاية قول عيسى لهم وقد مر تفسيره في آخر سورة آل عمران وفيه تقريع لهم كانوا يعتقدون
ان لهم انصارا كثيرا فيما يقولون ويعتقدون في حق الله تعالى او عيسى ذلك وان كانوا يريدون بذلك تعظيمه قال المفسرون ثالث ثلاثة معناه ثالث
الهة ثلاثة فيلزم الكفر والا فما من شيئين الا والله ثالثهما يحكى ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس والثلاثة اله واحد كان الشمس تتناول
القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحيوة قالوا ان الكلمة التي هي كلام الله احاطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر
وزعموا ان الاب اله واحد والابن اله واحد والروح اله واحد والكل اله واحد واعلم ان هذا معلوم البطلان بالبديهة لان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد
لا يكون ثلاثة فلا جرم رد الله مقالتهم بقوله وما من اله الا اله واحد فزاده من الاستغراقية والمعنى لا اله في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له
ولا شريك ثم زجرهم بقوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا قال الزجاج يعني الذين اقاموا على هذا الدين لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية
لمن في قوله منهم للتبعيض ويجوز ان يكون للبيان والمراد ليمسنهم ولكن اقيم الظاهر مقام المضمر لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فكان حتى لو فسر الكفار المعذبون
عنوا بذلك خاصة ومعنى عذاب اليم نوع شديد الالم من العذاب افلا يتوبون قال الفراء انه امر بلفظ الاستفهام وفيه تعجيب من اصرارهم على الكفر
بعد الوعيد الشديد ثم احتج على ابطال معتقدهم بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول وهذا ترتيب في غاية الحسن لانه منعهم من الكفر اولا ثم حثهم على الاسلام
ثانيا ثم شرع في حل شبهتهم ثالثا ومن ههنا ان المرتد يستتاب ثلاثا ويجب مناظرته ان عنت له شبهة بل يلزم اولا ثم يحل شبهته ثانيا والمعنى ما هو الا رسول من جنس
الرسل الماضين لا يخلتى الرسالة الى الالهية كما لم يختلفوا فان خلق من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وان ابرأ الاكمه والابرص واحيى الموتى
فقد جعل العصا حية تسعى الى غير ذلك من آيات ربه الكبرى وامه صديقة كبعض النساء المؤمنات بالانبياء الصادقات في اقوالهن وافعالهن
واحوالهن قال تعالى في وصفها وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين اي من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم المجتهدون في اقامة مراسم

[illegible]

يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم و لا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ۞ و كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا و اتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ۞ لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم و لكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون ۞ اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم و احفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ۞ يا ايها الذين امنوا انما الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ۞ انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة و البغضاء

[illegible]

فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوٰة فهل انتم
منتهون ۝ واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا
فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ۝
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا
ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين ۝ يا ايها الذين
امنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم
ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله
عذاب اليم ۝ يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل
من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او
كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق
وبال امره عفا الله عما سلف ۝ ومن عاد فينتقم الله
منه ۝ والله عزيز ذو انتقام ۝ احل لكم صيد
البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ۝ وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى اليه تحشرون
جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر
الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم
ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شىء عليم ۝
اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ۝
ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما
تكتمون ۝ قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك
كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولى الالباب لعلكم تفلحون ۝

القراءة بما عقدتم بالتخفيف حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل وقرأ ابن ذكوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشديد من وشططا مثل منصوبتان فجزاء بالتنوين مثل بالرفع يعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل كفارة طعام بالاضافة ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون كفارة بالتنوين طعام بالرفع فيما بغير الف ابن عامر الوقوف والعقد واط المعتدين ٥ طيبا ص لعطف

المتقين

المستفتين مؤمنون ٥ الايمان ج لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب رقبة ط فيه ايام ط حلفتم ط لاضمار اى حلفتم وحنثتم ايمانكم ط تشكرون تفلحون ٥ وعن الصلوة ج لابتداء الاستفهام لاجل التحذير مع دخول الفاء فيه منتهون ٥ واحذروا ج المبين ٥ واحسنوا ط المحسنين ٥ بالغيب ج اليم وانتم حرم ط وبال امره ط سلف ط منه ط انتقام ٥ وللسيارة ج لطول الكلام وانتصاف المعنيين وان اتفقت الجملتان لفظا حرما ط لاطلاق الامر ابدا تحشرون ٥ والقلائد ط عليم ط رحيم ٥ البلاغ ط تكتمون ٥ كثرة الخبيث ج لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض تفلحون ٥ ۝ التفسير انه سبحانه لما بعد استقصاء المناظرة مع اهل الكتابين عاد الى بيان الاحكام فبدأ بتحليل المطاعم والمشارب واستيفاء اللذات كلا يوهم متوهم ان مدح القسيسين والرهبان يوجب ايثار طريقتهم فى هذا الدين قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون منهم ابو بكر وعلى وابن مسعود وابو ذر الغفارى وسلمان الفارسى فاتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا فى الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم من رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما انى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وصوموا رمضان فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فانزل الله هذه الآية فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا التى حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فنزلت لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم فهذا وجه اتصال الآيات فان قيل ما الحكمة فى قوله لا تحرموا ومن المعلوم ان توسع الانسان فى اللذات والطيبات يمنعه عن الاشتغال فى تحصيل السعادات الباقيات ولهذا قال الحكماء اذا اشبعت الاجسام صارت الارواح اجسادا واذا اجاعت الاجسام صارت الاجساد ارواحا فالجواب ان الرهبانية المفرطة مما توقع الآفة فى الاعضاء الرئيسة التى هى القلب والكبد والدماغ والانثيان فيختل الفكر ويبقى التامل فى الجواهر الروحانية وبيان وجهها ان النفوس القوية لا يمنعها التصرف فى الجسمانيات عن التامل فى الروحانيات فالرهبانية دليل الضعف والقصور والكمال فى الوفاء بالجهتين وايضا فالرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك الرهبانية مع رعاية وظائف الطاعة يفضى الى سعادة الدارين قال القفال انه تعالى قال فى اول السورة اوفوا بالعقود فبين انه كما لا يجوز استحلال المحرم فكذلك لا يجوز تحريم المحلل وذلك انهم كانوا يحللون الميتة والدم ويحرمون البحائر والسوائب ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما احل الله او لا تظهروا باللسان تحريمه او لا تجتنبوها اجتنابا يشبه اجتناب المحرمات فهذه الوجوه محمولة على الاعتقاد والقول والفعل ويحتمل ان يراد لا تحرموا على غيركم بالفتوى او لا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين كقوله يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك او لا تخلطوا المملوك بالمغصوب والطاهر بالنجس خلطا لا يبقى التمييز فانه تحريم الكل والطيبات اللذات التى تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب ثم نهى عن الاعتداء مطلقا ليدخل تحته النهى عن تحريم الطيبات تارة اخرى فقال ولا تعتدوا ويجوز ان يراد لا تتعدوا ما احل لكم الى ما حرم عليكم او يراد النهى عن الاسراف كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وكلوا امر اباحة وتحليل مما رزقكم الله فى ادخال من التبعيضية ارشاد الى الاقتصاد فى الاكل على البعض وصرف الباقى الى المحتاجين وفيه انه تعالى هو الذى يرزق عبيده ويتكفل برزقهم قال فى التفسير الكبير قوله حلالا طيبا ان كان متعلقا بالاكل كان حجة المعتزلة على ان الرزق لا يكون الا حلالا لانه يدل على الاذن فى اكل كل ما رزق الله تعالى وانما ياذن فى اكل الحلال فيلزم ان يكون كل رزق حلالا وان كان متعلقا بالماكول اى كلوا من الرزق الذى يكون حلالا كان حجة لاصحابنا لان التقييد يؤذن بان الرزق قد لا يكون حلالا اقول وهذا وزن ضعيف ولهذا قال فى الكشاف حلالا حال مما رزقكم الله مع انه من المعتزلة ثم اكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاده تاكيدا بقوله الذى انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فى اوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكرنا وجه النظم انفا وقد تقدم معنى يمين اللغو فى سورة البقرة اما قوله بما عقدتم الايمان فمن قرأ بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير فلا اشكال ومن قرأ بالتشديد فان ابا عبيدة اعترض عليه بان التشديد للتكثير فهذه القراءة توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة واجاب الواحدى بان عقد بالتخفيف وعقد بالتشديد واحد فى المعنى ولو سلم فالتكثير يحصل بان يعقد بقلبه ولسانه اما لو عقد اليمين باحدهما دون الآخر فلا كفارة ومن قرأ بالالف فمثل القراءة المخففة كقولك عاقبت اللص وعافاك الله والمعنى على القراءات ولكن يؤاخذكم بعقدكم الايمان او بتعقيدها او بما عقدتم اذا حنثتم فحذف الظرف للعلم به او المراد بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته اى الفعلة التى من شانها ان تكفر الخطيئة التى تستر باحد هذه الامور وتسمى بالواجب المخير وحاصله انه لا يجب الاتيان بكل واحد ولا يجوز الاخلال بجميعها ولكنه اذا اتى باى واحد شاء منها فانه يخرج عن العهدة ومن هنا قال اكثر الفقهاء الواجب واحد لا بعينه من الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة فان عجز عنها جميعا فالواجب شىء آخر وهو الصوم اما مقدار الطعام فقد قال الشافعى نصيب كل مسكين مد اى ثلثا من وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب والحسن والقاسم لانه تعالى قال من اوسط ما تطعمون فان كان المراد ما كان متوسطا فى العرف فثلثا من من الحنطة اذا جعل دقيقا وخبزا فانه يصير قريبا من المن وذلك كاف للواحد فى يوم واحد وان كان المراد ما كان متوسطا فى الشرع فليس له فى الشرع مقدار الا ما كان فى الاعرابى المفطر ان النبى صلى الله عليه وسلم امره باطعام ستين مسكينا من غير مقدار فقال الرجل ما اجد فاتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق فيه خمسة عشر صاعا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اطعم هذا وذلك يدل على تقدير طعام المسكين بربع الصاع وهو مد ولا يلزم كفارة الحلف لانها شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير والاطعام الاهل فكان تكفيرها معتبرا بصدقة الفطرة وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد وقال ابو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة او صاع من غيرها قال لان الاوسط هو الاعدل وما ذكره الشافعى هو ادنى ما يكفى واما الاعدل فيكون بادام وهكذا روى عن ابن عباس مد بادامه وان يبلغ قيمته مدا آخر ويزيد فى الاغلب اجاب الشافعى بان الادام غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على التوسط فى قدر الطعام ومقداره ما ذكرنا وجنس الطعام ما يخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعى الواجب تمليك الطعام قياسا على الكسوة وقال ابو حنيفة اذا غدى وعشى عشرة مساكين جاز لان ذلك اطعام ولان اطعام الاهل يكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من اوسط ما تطعمون اهليكم ولقائل ان يقول ذكر اطعام الاهل لتعيين مقدار الطعام لا لاجل كيفية الاطعام قال ابو حنيفة ولو اطعم مسكينا واحدا عشر مرات جاز وقال الشافعى لا يجزيه الا اطعام عشرة لان مدار الباب على التعبد الذى لا يعقل معناه فيجب التوقف على مورد النص قال فى الكشاف او كسوتهم عطف على محل من اوسط ووجهه بان البدل هو المقصود وكانه قيل فكفارته من اوسط والاظهر ان يكون من اوسط مفعولا آخر للاطعام سواء كان من للابتداء او للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام والكسوة معناها اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعى يجزى فى الكفارة اقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطى العورة ازار او رداء او قميص او سراويل او عمامة او مقنعة لكل مسكين ثوب واحد لما روى عن ابن عباس كانت العباءة تجزى يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان ابيضان والمراد بالرقبة الجملة كان الاسير فى العرب يجمع يديه

بالعقود

اي رقبة فاذا اطلق على ذلك الحبل فسمي الاطلاق من الحبل فك رقبة ثم اجري ذلك على العتق هكذا قيل في اصل هذا المجاز ومذهب اهل الظاهر ان جميع
الرقاب مجزية وقال الشافعي لا يجزي الا كل سليمة من عيب يخل بالعمل صغيرة كانت او كبيرة ذكرا او انثى بعد ان كانت مؤمنة قياسا على كفارة القتل
ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا شرى القريب وفي تقديم الاطعام على العتق مع ان العتق افضل تنبيه على التخيير فان الامر مبني على التخفيف ويمكن ان يقال الاطعام
افضل لان الحر الفقير قد لا يجد الطعام ولا يكون هناك من يعطيه فيقع في الضر اما العبد فيجب على مولاه طعامه وكسوته فالعتق يحتمل التأخير والاطعام
قد لا يحتمل ذلك فمن لم يجد احد الامور الثلثة فصيام اي فعليه صيام ثلثة ايام قال الشافعي اذا وجد قوت نفسه وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل
ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده ذلك القدر جاز له الصيام وذلك انه علق جواز الصيام على عدم وجدان الخصال
الثلاث فعند وجدانها وجب ان لا يجوز الصوم تركنا العمل به عند وجدان قوت نفسه وقوت عياله يوما وليلة لان ذلك ضروري وتقديم حق
النفس على حق الغير واجب شرعا فبقي الآية معمولا بها في غيره وعند ابي حنيفة يجوز الصيام اذا كان عنده من المال ما لا يجب فيه الزكوة ثم
صيام الايام الثلثة مشروطة عند ابي حنيفة بالتتابع تمسكا بقراءة أبي وابن مسعود فصيام ثلثة ايام متتابعات فان قرأتهما لا تختلف عن روايتهما
وقال الشافعي في اصح قوليه ان التفريق جائز والقراءة الشاذة لا يعتد بها لانها لو كانت صحيحة لنقلت نقلا متواترا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان رجلا قال له علي ايام من رمضان افاقضيها متفرقات فقال صلى الله عليه وسلم ارأيت لو كان عليك دين فقضيت الدرهم فالدرهم اما كان
يجزيك قال بلى قال فالله احق ان يعفو ويصفح واذا جاز التفريق في صوم رمضان ففي غيره اولى وايضا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مسئلة
من صام ستة ايام عن يمينين اجزاه ولا حاجة الى تعيين احدى الثلثتين لاحدى اليمينين لان الواجب عن كل منهما ثلثة ايام وقد اتى بها فيخرج
عن العهدة ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم بان الكفارة لا تجب بمجرد الحلف وفيه تنبيه على ان الكفارة لا يجوز
تقديمها على اليمين واما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز به قال مالك والشافعي واحمد موافقا لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حلفت
على يمين فرأيت غيرها خيرا فكفر عن يمينك ثم ائت بالذي هو خير ولان الكفارة حق مالي يتعلق بسببين فجاز تعجيله بعد وجود احد السببين كتعجيل الزكوة
بعد وجود النصاب هذا اذا كان يكفر بغير الصوم اما الصوم فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية لا تتقدم على وقتها اذا لم تمس اليه حاجة كالصلوة
وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز التكفير به عند العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب وان كان الحنث بارتكاب محظور كان
حلف ان لا يشرب الخمر اجزاه التكفير قبل الشرب ايضا لوجود احد السببين والتكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها
وقبل التكفير وبعده لا اثر لها فيه جميع ما ذكرنا ظاهر مذهب الشافعي اما عند ابي حنيفة واصحابه فلا يجوز التكفير قبل الحنث مطلقا واحفظوا ايمانكم فلا تحلفوا
الا لضرورة واحفظوها اذا حلفتم عن الحنث وعلى هذا يكون الايمان مخصصة بالتي الحنث فيها معصية كمن حلف ان لا يشرب الخمر بخلاف الحلف
لغير الشرب فانه لا يؤمر حينئذ بالحفظ عن الحنث وقيل احفظوها بان تكفروها او المراد لا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان الشافي يبين لكم آياته احكامه
واعلام شريعته لعلكم تشكرون نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الامور المستطابة الخمر والميسر وقد تقدم معناهما
وما يتعلق بهما في سورة البقرة وسلك في سلك التحريم الانصاب والازلام وقد ذكرناها في اول هذه السورة والحاصل انه كانت تحدث قبل تحريم الخمر
اشياء يكرهها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قصة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه مع عمه حمزة على ما روي في الصحيحين انه قال كانت لي شارف
من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني شارفا من الخمس فلما اردت ان ابني بفاطمة بنت رسول الله صلعم
واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع ان يرتحل معي فنأتي باذخر اردت ان ابيعه من الصواغين فاستعين به في وليمة عرسي فبينا انا اجمع لشارفي متاعا
من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار اقبلت فاذا انا بشارفي قد جبت اسنمتهما وبقرت خواصرهما
واخذ من اكبادهما فلم املك عيني حين رأيت ذلك المنظر وقلت من فعل هذا قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في البيت في شرب من الانصار
غنت قينة فقالت في غنائها شعر الا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء ضع السكين في اللبات منها فضرجهن حمزة بالدماء
واطعم من شرائحها كبابا ملهوجة على رهج الصلاء فانت ابا عمارة المرجى لكشف الضر عنا والبلاء فوثب الى السيف فاجتب اسنمتهما
وبقر خواصرهما واخذ من اكبادهما قال علي فانطلقت حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله صلعم
الذي لقيت فقال ما لك فقلت يا رسول الله ما رأيت كاليوم غدا حمزة على ناقتي فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب
قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه ثم انطلق يمشي واتبعته انا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه فاستأذن فاذن له فاذا هم
شرب فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل واذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر فنظر
الى وجهه ثم قال وهل انتم الا عبيد لابي فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا وكانت هذه القصة من الاسباب
الموجبة لنزول تحريم الخمر قالت العلماء هذه الآية تدل على تحريمهما من وجوه منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر معناه ليست الخمر الا رجسا من عمل
الشيطان ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال في موضع آخر فاجتنبوا
الرجس من الاوثان واصل الرجس العمل القبيح والقذر قال الفراء ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي العقاب والغضب وكأنه ابدال الرجز
والرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير فلهذا سمي العمل القوي الدرجة في القبح رجسا ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان ومن المعلوم انه
لا يصدر منه الا الشر البحت ومنها انه تعالى امر بالاجتناب وظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح فيكون القرب منهما خيبة والضمير
في فاجتنبوه عائد الى الرجس او العمل او الى المضاف المحذوف اي انما تعاطي الخمر ونحو ذلك ومنها شرح انواع المفاسد المنتجة منهما من التعادي والتباغض
والصد عن ذكر الله وعن الصلوة خصوصا وفيه ان غرض الشرب من الاجتماع تأكد الالفة والمودة ثم انها تورث نقيض المقصود لان العقل اذا زال استولت الشهوة
والغضب ويؤدي الى التنازع واللجاج وكذا القمار يفضي الى فناء المال والى ان يقامر على حبة اهله وولده وكل ذلك يورث العداوة والغيظ فهذان
من مكايد الشيطان ومضادان لمصالح الانسان وايضا الخمر تهيج اللذة الجسمية والقمار يورث لذة الغلبة الخيالية وكلاهما توجب الاشتغال عن اللذات
الحقيقية الحاصلة من الاستغراق في طاعة المعبود وانما افرد ذكر الخمر والميسر ثانيا لان الخطاب مع المؤمنين فقرنهما اولا بذكر الانصاب والازلام تنبيها
على انهما جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك ثم افردهما لان الكلام مسوق لنهيهما على المخاطبين حيث انهم كانوا لا يتعاطون سوى هذين ومنها سوق الكلام
بطريق الاستفهام في قوله فهل انتم منتهون كأنه قيل قد تلي عليكم ما هو كاف في باب المنع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا
ولهذا قالوا انتهينا يا رب اذ فهموا التحريم المؤكد ومنها انه قال عقيب ذلك واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا والظاهر ان المراد الطاعة فيما تقدم

بالامر بالاجتناب والحذر عن المخالفة في ذلك الباب ومنها تهديد من خالف هذا التكليف بقوله فان توليتم الآية والمراد ان اعرضتم فالحجة قد قامت عليكم
والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ وقد اعذر من انذر وجزاء المخالف الى الله وعن انس قال كنت ساقي القوم يوم حرمت في بيت ابي طلحة وما شرابهم
الا الفضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال ابو طلحة اخرج فاهرقها قال فاهرقتها فقالوا قتل فلان وفلان
وهي في بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الطعم خلاف الشرب في الاغلب وقد يقع على المشروب كقوله ومن لم يطعمه
فانه مني فيجوز ان يكون المراد فيما شربوا من الخمر ويحتمل ان يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يؤكل ويشرب جميعا فقد تقول العرب اطعم اي ذق ونظير
هذه الآية قوله في نسخ القبلة وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل في اذا ما اتقوا معنى الكلام المتقدم اي لا يأثمون في ذلك اذا اتقوا المحرمات لانهم شربوها حين
كانت محللة وذكر ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان الى الخلق وزعم بعض الجهلة ان هذا الحكم متعلق
بالمستقبل والا فبل لم يكن اولا كان جناح شيء وما كان الله ليضيع والمعنى لا جناح على من طعمها اذا لم يحصل منه العداوة والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة بل حصل
منه انواع المصالح من الطاعة والتقوى والاحسان الى الخلق والجواب ان صيغة طعموا هي للمضي لا غير وايضا ان سبب نزول الآية يكذبه روي انه لما
نزل تحريم الخمر قال ابو بكر يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر واكلوا القمار وكيف بالغائبين عنا في البلاد لا يشعرون بتحريم الخمر وهم
يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحكم قد ثبت فيما سيستقبل لكن في حق الغائبين الذين لم يبلغهم النص ثم انه سبحانه شرط في نفي الجناح حصول التقوى والايمان مرتين
وفي المرة الثالثة التقوى والاحسان فقال الاكثرون الاول فعل الاتقاء والثاني دوامه والثبات عليه والثالث اتقاء ظلم العباد مع الاحسان اليهم
وقيل الاول اتقاء جميع المعاصي قبل نزول الآية والثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الآية والثالث اتقاء ما يحدث تحريمه بعد هذه الآية وهذا قول الاصم وقيل
اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم الصغائر وقال القفال الاول الاتقاء من القدح في صحة النسخ لثبوت تحريم الخمر بعد ان كانت مباحة والثاني الاتيان بالعمل الصالح
للآية والثالث المداومة على التقوى مع الاحسان الى الخلق ثم انه تعالى استثنى بعض الصيد من المحللات فقال على سبيل توكيد القسم ليبلونكم الله اي ليعاملنكم
معاملة المختبر بشيء التنوين للتحقير وفيه انه ليس من الفتن العظام التي تدحض عندها الاقدام كالابتلاء ببذل الارواح والاموال فامتحن الله امة محمد بصيد البر
كما امتحن اصحاب ايلة بصيد البحر قال مقاتل ابن حيان ابتلاهم بالصيد وهم محرمون عام الحديبية حتى ان الوحش والطير تغشاهم في رحالهم فيقدرون على اخذها
بالايدي وصيدها بالرماح وما رأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله تعالى عن ذلك ابتلاء قال الواحدي الذي تناله ايديهم من الصيد الفراخ والبيض وصغار
الوحش والذي تناله الرماح الكبار ومن في من الصيد للبيان وللتبعيض وهو صيد البر وصيد الاحرام والمراد به العين لا الحدث بدليل عود الضمير في تناله
اليه ليعلم الله ليظهر معلومه وهو خوف الخائف او ليعاملكم معاملة من يطلب ان يعلم او ليعلم اولياء الله ومحل بالغيب النصب على الحال اي يخافه
حال كونه غائبا عن رؤيته او عن حضور الناس فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في الدنيا عن ابن عباس هو ان
يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه لا تقتلوا الصيد قال الشافعي انه البري المتوحش المأكول اللحم اما الاول فلقوله تعالى بعد ذلك احل لكم
صيد البحر واما المتوحش فيدخل فيه نحو الظبي وان صار مستأنسا ويخرج الانسي وان صار متوحشا ابقاء لحكم الاصل واما كونه مأكولا فلقوله تعالى وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما فيعلم منه انه مما يحل اكله في غير الاحرام وقال ابو حنيفة المحرم اذا قتل سبعا لا يؤكل لحمه ضمن وسلم انه لا يجب الضمان في قتل الذئب وفي قتل
الفواسق الخمس فقال الشافعي لا معنى في قتلها الا الايذاء فيلزم جواز قتل جميع الموذيات لهذا ولما جاء خمس يقتلن في الحل والحرم الغراب والحداة والحية
والعقرب والكلب العقور وفي رواية بزيادة السبع العادي واحتج لابي حنيفة بقول علي رضي الله عنه شعر صيد الملوك ارانب وثعالب
فاذا ركبت فصيدي الابطال واجيب بان الثعلب عندنا حلال وانتم حرم اي محرمون بالحج وبالعمرة ايضا على الاصح وقيل وقد دخلتم الحرم وقيل هما مرادان
بالآية وهو قول الشافعي فقوله لا تقتلوا الصيد لمنع ابتداء والمنع تسببا فليس له ان يتعرض للصيد ما دام محرما او اتى المحرم بالسلاح او بالجوارح من الكلاب والطيور
سواء كان الصيد صيد الحل او صيد الحرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم من قرأ فجزاء بالتنوين ومثل بالرفع فالمعنى فعليه جزاء مماثل
كذا ومن قرأ بالاضافة فمن باب اضافة المصدر الى المفعول اي فعليه ان يجزي مثل ما قتل قال بعض العلماء المثل مقحم للتاكيد اذ الواجب عليه جزاء المقتول
لا جزاء مثله فهو كقولهم انا احترم مثلك اي احترمك وقيل الاضافة بمعنى من اي جزاء من مثل ما قتل قال سعيد بن جبير المحرم اذا قتل الصيد خطأ لا يلزمه
شيء وهو قول داود لان النص ورد عن التعمد وهو ان يقتله ذاكرا لاحرامه او عالما ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو
يظن انه ليس بصيد او رمى غير صيد فعدل السهم فاصاب صيدا فهو مخطئ لا شيء عليه لفقدان القيد المذكور ويتأكد هذا الرأي بقوله ليذوق وبال امره وبقوله
ومن عاد اي الى ما تقدم ذكره وهو القتل العمد والانتقام ايضا يناسب العمد لا الخطأ وقال جمهور الفقهاء يلزمه الضمان سواء قتل عمدا او خطأ قياسا
على سائر محظورات الاحرام كحلق الرأس وغيره وكما في ضمان مال المسلم فانه لما ثبت الحرمة بحق المالك لم يختلف ذلك بكونه عمدا او خطأ وانما ورد
الآية بالمتعمد لان العمد اصل والخطأ ملحق به للتغليظ ولما روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت
الصيد وانت محرم فنزلت الآية على وفق القصة وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ قال النبي صلى الله عليه وسلم في الضبع كبش
اذا قتله المحرم وقالت الصحابة في الظبي شاة واطلقوا الضمان من غير فرق بين العمد والخطأ ثم ان العلماء اختلفوا في المثل فقال الشافعي ومحمد بن الحسن
الصيد ضربان منه ما له مثل ومنه ما لا مثل له فيضمن بالقيمة وقال ابو حنيفة وابو يوسف المثل الواجب هو القيمة قياسا على ما لا مثل له حجة الشافعي قوله تعالى من النعم
فانه بيان للمثل وكذا قوله هديا بالغ الكعبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه حكم في الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس
وابن عمر رضي الله عنهم انهم حكموا في امكنة مختلفة وازمان متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الضبع بكبش
وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الارنب بحمل وفي رواية بعناق وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفرة وفي الحمام بشاة وتعني به كل ما عب وهدر كالقمري
والدبسي والفاختة والعب شرب الماء مرة والهدر ترجيع صوته وتغريده وفيه دليل على انهم نظروا الى اقرب الاشياء شبها بالصيد من النعم ولو نظروا
الى القيمة لاختلفت باختلاف الاسعار والظبي الذكر من هذا الجنس والغزال انثاه والجفرة من اولاد المعز اذا انفصلت عن امها والعناق الانثى من اولاد
المعز وايضا المقصود من الضمان جبر الهالك فكلما كانت المماثلة اتم كان الجبر اكمل المسئلة الاولى جماعة محرمون قتلوا صيدا فالشافعي واحمد واسحق اوجبوا
عليهم الاجزاء واحدا لان مثل الواحد واحد واوجب ابو حنيفة ومالك والثوري على كل منهم جزاء واحدا كما لو قتل جماعة واحدا يقتص منهم جميعا وكذا لو حلف كل منهم
ان لا يقتل صيدا فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم كفارة واجيب بان قتل الجماعة بالواحد تعبدي والقود والكفارة لتعدد الايمان الثانية الشافعي المحرم
اذا دل غيره على صيد فقتله لم يضمن كما لا يجب بالدلالة كفارة القتل والدية وكما لو دل على مال المسلم وذلك ان الدلالة ليست بقتل واوجب ابو حنيفة
الضمان لما روي ان عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس اوجبوا الجزاء على الدال الثالثة الشافعي اذا جرح ظبيا فنقص من قيمته العشر فعليه عشر قيمة الشاة وارشاد

أي ما هو الأسهل لأنه قد لا يجد شريكا في ذبح شاة ويتعذر عليه إخراج قسط من الحيوان وقال المزني عليه عشر شاة وقال داود لا ضمان إلا بالقتل لظاهر الآية حيث نيط الجزاء بالقتل فقط الرابع إذا قتل المحرم صيدا وأدى جزاءه ثم قتل صيدا آخر لزمه جزاء آخر خلافا لداود ويُنقل عن ابن عباس وشريح حجة الجمهور أن الحكم يتكرر بتكرر العلة بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل منكن الدار فهي طالق فدخلت واحدة مرتين فإنه لا يقع إلا طلاق واحد لأن تكرر الحكم بتكرر الشرط غير لازم حجة داود ومن عاد فينتقم الله منه فإنه جعل جزاء العائد الانتقام لا الكفارة الخامس قال الشافعي إذا أصاب صيدا أعور أو مكسور اليد أو الرجل فداه بمثله والصحيح أحب وكذا الكبير لأجل الصغير والذكر يفدى بالذكر والأنثى والأولى أن لا يغير تحقيقا للمثلية والأنثى أفضل لأنها تلد والذكر أفضل من حيث إن لحمه أطيب وصورته أحسن قوله سبحانه يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس أي رجلان صالحان فقيهان من أهل دينكم ينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به وبهذا احتج من نصر قول أبي حنيفة فقال التقويم هو المحتاج إلى النظر والاجتهاد وأما الخلقة والصورة فمشاهد لا يفتقر إلى الاجتهاد ورد بأن وجه المشابهة بين النعم والصيد أيضا يتوقف على الاجتهاد عن قبيصة بن جابر أنه ضرب ظبيا في الإحرام فمات فسأل عمر وكان إلى جانبه عبد الرحمن بن عوف فقال له ما ترى قال عليه شاة قال وأنا أرى ذلك فاذهب فاهد شاة قال قبيصة فخرجت إلى صاحبي وقلت إن أمير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال ففاجأني عمر وعلاني بالدرة وقال أتقتل في الحرم وتسفه الحكم قال الله يحكم به ذوا عدل منكم فأنا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعي ما ورد فيه نص فهو متبع كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قضى في الضبع بكبش وكل ما حكم به عدلان من الصحابة أو التابعين أو من أهل عصر آخر من النعم أنه مثل الصيد المقتول فيتبع حكمهم ولا حاجة إلى تحكيم غيرهم لأن حكمهم أولى ونظرهم أعلى وقال مالك يجب التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم يحكم وهل يجوز أن يكون قاتل الصيد حكما إن كان القتل عمدا عدوانا فلا لأنه يورث الفسق والحكم موصوف بالعدالة وإن كان خطأ أو كان مضطرا إليه وكذلك عند مالك كما في تقويم المتلفات وجوزه الشافعي لما روي أن بعض الصحابة أوطأ فرسه ضبيا فسأل عمر فقال احكم فيه فقال أنت خير مني وأعلم يا أمير المؤمنين فقال إنما أمرتك أن تحكم فيه ولم آمرك أن تزكيني فقال الرجل أرى فيه جديا فقال عمر فذلك فيه وأيضا فإنه حق الله تعالى فيجوز أن يكون من عليه أمينا فيه كما أن رب المال أمين في الزكاة ولو حكم عدلان بأن له مثلا وآخران بأن لا مثل له فالأخذ بقول الأولين ولو حكم عدلان بمثل وآخران بمثل آخر فأصح الوجهين أنه متخير والآخر أنه يأخذ بالأغلظ قيل في الآية دليل على أن العمل بالاجتهاد والقياس جائز وأجيب بأنه لا نزاع في الصور الجزئية كالاجتهاد في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وبتقويم المقومين في قيم المتلفات وأروش الجنايات وكعمل العامي بالفتوى وكالعمل بالظن في مصالح الدنيا إنما النزاع في إثبات شرع عام في حق جميع المكلفين باق على وجه الدهر والإنصاف أن تجويز الاجتهاد في القبلة وفي تعيين مثل الصيد المقتول أمر كلي أيضا وانتصب هديا على أنه حال عن جزاء عند من وصفه بمثل لأنه حينئذ قريب من المعرفة أو بدل عن محل مثل عند من أضاف أو حال عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لأن إضافته غير حقيقية تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة ولا سيما إذا كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح في الحرم لأن الذبح والنحر لا يقعان في نفس الكعبة ولا في غاية القرب والتلاصق منها فإن دفع مثل الصيد المقتول إلى الفقراء حيا لم يجز قال الشافعي بل يجب عليه أن يتصدق في الحرم أيضا لأن نفس الذبح إيلام ولا قربة فيه وإنما القربة في التصدق على فقراء الحرم وقال أبو حنيفة له أن يتصدق به حيث شاء لأنها لما وصلت إلى الكعبة فقد خرج عن العهدة قوله أو كفارة عطف على قوله فجزاء وطعام مساكين بيان له ومن أضاف فللبيان أيضا أي كفارة من طعام مساكين مثل خاتم فضة أو عدل ذلك الطعام صياما نصب على التمييز كقولك لي مثله رجلا وعدل الشيء ما عادله من غير جنسه والعدل بالكسر المثل تقول عندي عدل غلامك إذا كان غلاما يعدل غلاما فإذا أردت قيمته من غير جنسه فتحت العين ثم مذهب الشافعي أنه يصوم بكل مد يوما ومذهب أبي حنيفة أنه يصوم لكل نصف صاع يوما وذلك بحسب الاختلاف في طعام مسكين واحد كما في كفارة اليمين وبالجملة فحاصل مذهب أبي حنيفة أنه يوجب قيمة الصيد يقوم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشتري بالقيمة طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعي هو أن الصيد قسمان ما له مثل من النعم وما ليس كذلك والأول جزاؤه على التخيير والتعديل فيتخير بين أن يذبح مثله فيتصدق به على مساكين الحرم إما بأن يفرق اللحم أو يملك جملته إياهم مذبوحا وبين أن يقوم المثل دراهم ثم لا يجوز أن يتصدق بالدراهم ولكن إن شاء اشترى بها طعاما وتصدق به على مساكين الحرم وإن شاء صام عن كل مد من الطعام يوما حيث كان والثاني وهو ما ليس بمثلي كالعصافير وغيرها وبالجملة كل ما دون الحمام أو فوقه فيه قيمته ولا يتصدق بها بل يجعلها طعاما ثم إن شاء تصدق بها وإن شاء صام عن كل مد يوما فإن انكسر مد في القسمين صام يوما لأن الصوم لا يتبعض فللجزاء في القسم الأول ثلاثة أركان الحيوان والطعام والصيام وفي القسم الثاني ركنان الطعام والصيام وهي أو هما على التخيير في ظاهر المذهب لا على الترتيب ووافق مالك وأبو حنيفة سواء أو للتخيير غالبا وخالف أحمد وزفر فقالا إنها في الآية للترتيب لأن الواجب هاهنا شرع على سبيل التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال أمره والتخيير ينافي التغليظ ثم القائلون بالتخيير اتفقوا على أن الخيار في تعيين هذه الثلاثة إلى قاتل الصيد كما هو ظاهر الآية إلا محمد بن الحسن فإنه قال الخيار إلى الحكمين قياسا على تعيين المثل ثم إن لم يكن الصيد مثليا فالعبرة في القيمة بمحل الإتلاف قياسا على كل متلف متقوم والمعتبر في العدول إلى الطعام بسعر الطعام بمكة وإن كان مثليا وأراد تقويم مثله من النعم ليرجع إلى الإطعام أو الصيام فالعبرة في قيمته بمكة يومئذ لأنها محل الذبح لو كان يذبح ولا جزاء على المحرم بأكل الصيد سواء ذبحه بنفسه أو اصطيد له أو دل أو أعان لأنه ليس بنام بعد الذبح ولا يؤول إلى النماء فلا يتعلق بإتلافه الجزاء كما لو أتلف بيضة مذرة هذا في الجديد من قولي الشافعي وعن القديم وبه قال مالك وأحمد يلزمه القيمة بعد ما أكل وإذا ذبح المحرم صيدا لم يحل له الأكل منه ولا لغيره في الجديد وبه قال مالك وأحمد وأبو حنيفة لأنه يكون ميتة كذبيحة المجوسي حتى لو كان مملوكا وجب مع الجزاء القيمة للمالك وهل يحل له بعد زوال الإحرام أظهر الوجهين لا وكذا الكلام في صيد الحرم إذا ذبح أما قوله ليذوق فإنه يتعلق بقوله فجزاء أي فعليه أن يجازي أو يكفر ليذوق والحق أن يقال يتعلق بمحذوف أي شرعنا ما شرعنا ليذوق سوء عاقبة فعله وهو هتك حرمة الحرم والإحرام والتركيب يدور على الثقل مرعى وبيل إذا كان فيه وخامة وطعام وبيل ثقيل على الطبع وعلى المعدة والأمور الثلاثة اثنان منها النقص في المال ثقيل على الطبع والثالث وهو الصوم ثقيل على البدن أيضا فكل منها نوع عقوبة عفا الله عما سلف في الجاهلية كأنهم متعبدون بشرع من قبلهم أو عما سلف قبل التحريم في الإسلام وعلى مذهب داود عفا الله عما سلف في المرة الأولى بسبب أداء الجزاء ومن عاد فإنه أعظم من أن يكفي بالجزاء فينتقم الله أي فهو ينتقم الله منه والقائل يحتج إلى إدخال فاء الجزاء لارتباطه بنفسه أحل لكم صيد البحر أي مصيداته وهي ما يوجد في جميع هذه المياه والأنهار وجملة ما يصاد منه ثلاثة أجناس الحيتان وجميع أنواعها حلال والضفادع وجميع أنواعها حرام وفيما سوى هذين خلاف فقال أبو حنيفة حرام وقال ابن أبي ليلى والأكثرون حلال أما قوله وطعامه فالعطف يقتضي المغايرة وفيه وجوه يروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أن الصيد

أن الصيد ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما يوجد مما لفظه البحر أو نضب عنه الماء من غير معالجة في أخذه وقال جمع من العلماء الاصطياد قد يكون للأكل وقد يكون لغيره كاصطياد الصدف لأجل اللؤلؤ واصطياد بعض الحيوانات البحرية لأجل عظامها وأسنانها فالمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم الأكل لما يؤكل منه وعن سعيد بن جبير أن الصيد هو الطري والطعام القديد منه وفي الفرق ضعف قال الشافعي السمكة الطافية في البحر محللة لأنها طعام البحر وقد قال تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه وقال صلى الله عليه وسلم البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته متاعا لكم أي لحاضريكم وللسيارة في السفر متاعا نصب على أنه مفعول له ولكنه مختص بالطعام وقال الزجاج إنه مصدر مؤكد لأن قوله أحل لكم في معنى متعتكم وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قال العلماء صيد البحر هو الذي لا يعيش إلا في الماء أما الذي لا يعيش إلا في البر والذي يمكنه أن يعيش في البر تارة وفي البحر أخرى فذلك كله صيد البر فالسلحفاة والسرطان والضفدع وطير الماء كل ذلك من صيد البر ويجب على قاتله الجزاء واتفق المسلمون على أن المحرم يحرم عليه الصيد الذي يصاده أما الذي يصاده الحلال فعن ابن عباس وعلي وابن عمر وسعيد بن جبير وطاوس والثوري أن الحكم كذلك لإطلاق الآية ولما روي عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدي إليه حمار وحش وهو محرم فأبى أن يأكله وقال مالك والشافعي وأحمد إن لحم الصيد مباح للمحرم بشرط أن لا يصطاده المحرم ولا يصطاد له لما روى أبو داود في سننه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يصاد لكم وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد أنهم أجازوا للمحرم ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه بدليل ما روي عن أبي قتادة أنه اصطاد حمار وحش وهو حلال في أصحاب محرمين له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أشرتم هل أعنتم فقالوا لا فقال هل بقي من لحمه شيء قالوا معنا رجله فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فأكلها وهذان القولان متفرعان على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وقال في الكشاف أخذ أبو حنيفة بالمفهوم فكأنه قيل وحرم عليكم أيها المحرمون ما صدتم في البر فيخرج منه ما صيد غيرهم ويرد عليه أن المفهوم ليس بحجة ثم حث على الطاعة والاجتناب عن المعاصي بقوله واتقوا الله الذي إليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد في الحرم وفي الإحرام فقال جعل الله أي حكم وبين بالخطاب والتعريف أو صير بخلق دواعي التعظيم في القلوب قياما للناس وهم العرب ووجه المجاز أن أهل بلدة إذا قالوا الناس فعلوا كذا أرادوا أهل بلدتهم فنزل القرآن على مجرى عادتهم ومعنى القيام أن قوام المعيشة إما بكثرة المنافع وقد جعله يجبى إليه ثمرات كل شيء وإما بدفع المضار وقد صيره حرما آمنا وإما بحصول الجاه والرياسة وتوفر الدواعي والرغبات وذلك بدعاء إبراهيم صلوات الرحمن عليه فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ثم المنافع الدينية الحاصلة من مناسكها وشعائرها أكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى وانتصب البيت الحرام على أنه عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح إذ الكعبة أوضح من أن توضح ويحتمل أن يراد بالناس جماعة الناس لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم الدينية والدنيوية وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوا عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والهدي والقلائد تقدم في أول السورة وإنما كان الشهر الحرام سببا لقيام الناس وقوامهم لأنه إذا دخل الشهر الحرام كان يزول خوفهم ويقدرون على الأسفار وتحصيل الأقوات قدر ما يكفيهم طول السنة فلولا حرمة ذلك لهلكوا من الجوع وأيضا هو سبب لاكتساب من قبل مناسك الحج وأما وأما الهدي فإنه نسك للمهدي وقوام لمعايش الفقراء وكذا القلائد فكان من قلد الهدي أو قلد نفسه من لحاء شجرة الحرم لم يتعرض له أحد وكل ذلك لأن الله تعالى أوقع في قلوبهم تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك الذي ذكر من جعل الكعبة قياما للناس أو من حفظ حرمة الإحرام والحرم مشروع لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وذلك أنه علم في الأزل أن مقتضى طباع العرب الحرص على القتل والغارة وكان ذلك مما يفضي إلى الفناء وانقطاع النسل فدبر هذا التدبير المحكم والفعل المتقن كي يصير سببا للأمان في بعض الأمكنة وفي بعض الأزمان فيستقيم مصالح الإنسان ولا ريب أن مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح إلا ممن يعلم الكليات والجزئيات وأسبابها وغاياتها ويعلم المعلومات بأسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها عللها ومعلولها موجودها ومعدومها وذلك قوله وأن الله بكل شيء عليم فما أحسن هذا الترتيب ثم خوفهم وأطمعهم بقوله اعلموا أن الله شديد العقاب لمن انتهك محارمها وأن الله غفور رحيم لمن حافظ عليها وذكر الوصفين في جانب الرحمة دليل على أن جانب الرحمة أغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ثم قرر أن الرسول ما كان مكلفا إلا بالتبليغ فإذا بلغ خرج من العهدة وبقي الأمر من جانبكم والله يعلم جهركم وسركم وفيه من الوعيد ما فيه عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل حرم عليكم عبادة الأوثان وشرب الخمر والطعن في الأنساب ألا إن الخمر لعن شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها فقام إليه أعرابي فقال يا رسول الله إني كنت رجلا كانت هذه تجارتي واقتنيت من بيع الخمر مالا فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة إن الله لا يقبل إلا الطيب فأنزل الله عز وجل تصديقا لرسوله قل لا يستوي الخبيث والطيب وهو عام في حرام الأموال وحلالها وفاسد الأعمال وصالحها وسقيم المذاهب وصحيحها ورديء النفوس وجيدها وأخبث الخبائث الروحانية الجهل والمعصية وأطيب الطيبات الروحانية معرفة الله تعالى وطاعته والتباين بين الصنفين في العالم الروحاني أشد منهما في العالم الجسماني لأن آثارهما في عالم الأرواح أبقى وأدوم وأجل وأعظم فلا تستبدل الخبيث بالطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث لأن كثرته في التحقيق قلة ولذته في الآخرة ذلة ونقده زيف وصرف العمر في طلبه حيف

التأويل لا تحرموا على أنفسكم بالاستمتاعات النفسانية طيبات ما أحل الله لكم دون سائر المخلوقات من المواهب الربانية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا عن حد العبودية وكلوا مما رزقكم الله اجتهدوا في طلب ما اختصكم به الله من تجلي جماله وجلاله حلالا طيبا يحل لكم بريئا من سمات النقائص باللغو في أيمانكم أن تخلعوا ما لابه عن البشرية من ولاية ملالة النفوس وكلالة القوى واستيلاء النفس وغلبة سلطان الهوى في أثناء المجاهدات وأعواز المشاهدات ولكن يؤاخذكم بما عقدتم أو أغويتم على الهجران وتوطنتم للخذلان فكفارته حينئذ إطعام عشرة مساكين الحواس الظاهرة والباطنة من أوسط ما تطعمون أهليكم وهو القلب والسر والروح والخفي لطعامهم الشوق والمحبة والصدق والإخلاص والتفويض والتسليم والرضا والأنس والهيبة والشهود والكشوف والأوسط الذكر والتذكر والفكر والتفكر والشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء ليشتغل الحواس العشرة بهذه الأمور أو كسوتهم لباس التقوى أو تحرير رقبة النفس من عبودية الحرص والهوى فمن لم يجد إمساك في اليوم الماضي عما عزم عليه وفي اليوم الحاضر عما لا يعنيه وفي اليوم المستقبل عن العود إليه وعن لغو اليمين عند أرباب اليقين أن الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق يقسم على الله بجلاله وجماله أن يرزقه شيئا من إقباله ووصاله وذلك في شريعة الرضا لغو وفي مذهب التسليم سهو ولكن يرجى له عفو فلا يؤاخذ به لعله بضعف حاله والكمال في الثبات والاستقامة

شعر

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد

ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري على لسانهم في حال غلبات الوجد من تجديد العهد وتأكيد العقد كقول بعضهم

شعر

وحقك ما نظرت إلى سواكا بعين مودة حتى أراكا

فإن هذا ينافي التوحيد وأين في الدار ديار كلا بل هو الله الواحد القهار ليس على الذين آمنوا بالتقليد وعملوا الصالحات الأعمال البدنية الشرعية جناح فيما طعموا من المباحات إذا ما اتقوا الشبهة والإسراف وآمنوا بالتحقيق بعد التقليد وعملوا الصالحات الأعمال القلبية الحقيقية من تخلية القلب عما سواه وتحليته بالأحوال المضادة لهواه كالصدق والإخلاص والتوكل والتسليم وما عداها ثم اتقوا شرك الأنانية وآمنوا بهويته ثم اتقوا رؤية الشرك وهو الفناء في الفناء

واحسنوا وهو البقاء به فانهم جعل الله اجلاء وابل لولاه كالتهب للذهب فقال يا ايها الذين ايان المحسنين الذين تجردوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها
الحلال والحرام مواتج الوصول وعمرة الوصال ليبلونكم الله في اثناء السلوك بشيء من الصيد وهو المطالب النفسانية والمقاصد الدنيوية الدنية تناله
ايديكم يعني اللذات البدنية ورماحكم يعني اللذات الخيالية فله عذاب الرد والصد لا تقتلوا الصيد وانتم حرم يعني من احرم لزيارة كعبة الوصال
نعليه حسم الاطماع من الحلال والحرام متعمدا اي عالما بمعاني الالتفات الى غيره من المضار مثل ما قتل من النعم يجازي نفسه برياضة ومجاهدة يماثل لها
تلك اللذة ذوا عدل هما القلب والروح يحكمان على مقدار الاسلام وعلى حسب قوة السالك بتقليل الطعام والشراب او ببذل المال او بترك
الجاه وبالعزلة وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة خالصا عن الخلق لاجل الحق طعام مساكين هم العقل والقلب والروح والسر والخفي كانوا محرومين
عن اغذيتهم الروحانية فيطعمهم المعاملات الروحانية من صدق التوجه والصبر على المكاره والفطام عن المالوفات وحسن الشكر والرضا وغير ذلك
او عدل ذلك صياما هو الامساك عن الاغيار والركون الى الواحد القهار ليذوق النفس الامارة وبال امره فان كل هذه الامور على خلاف طبعها
ذو انتقام ينتقم من جانبه بعقاب الذلال ومن اعدائه بحجاب الالام والملال احل لكم صيد بحر المعارف والكشوف يغترفون بالواردات و
يطعمون منها السائرين الى الله من اهل الارادات صيد البر ما سنح للسائرين من مطالب الدنيا ما دمتم حرما اي في حال التوجه الى حال الفتوح جعل الله
الكعبة كعبة الظاهر قياما للعوام والخواص يستنجحون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب قوام للخواص وخواص الخواص يلوذون بها بدوام
الذكر ونفي الخواطر حتى يتحققوا ان لا موجود الا هو ولا وجود الا له البيت الحرام حرام ان يسكن في كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو ايام الطلب حرام
على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدي هو النفس البهيمية تساق الى كعبة القلب مع قلائد اركان الشريعة فتذبح على عتبة القلب
بسكين اداب الطريقة عن شهواتها فاذا وصل العبد الى كعبة القلب شاهد بانوار وان له ما في السموات وما في الارض شديد العقاب لمن تبدل الحجاب
لغير الاحباب غفور رحيم لقصاد قربى في الطلب بفتح الابواب ما على الرسول الا البلاغ بالقال يتلو عليهم آياته وبالحال يزكيهم ما تبدون بمقر اللسان وما تكتمون
من تصديق الجنان الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب ما يوصلك الى الله بل الطيب هو الله والخبيث ما سوى الله وفي ذلك كثرة والله ولي
التوفيق ومنه الهداية الى هذا الطريق ۝

يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان
تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله
غفور حليم ۝ قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا
ولا يهتدون ۝ يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ۝
يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت
حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان
انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد
الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا قليلا
ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ۝
فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا

احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ۝
ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد
ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم
الفاسقين ۝ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب ۝ اذ قال الله
يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك
بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك
الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه
والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل
عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم
ان هذا الا سحر مبين ۝ واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا
بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون ۝ اذ
قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ۝
قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا
ونكون عليها من الشاهدين ۝ قال عيسى ابن مريم اللهم
ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا و
آخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين ۝ قال الله
اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه
احدا من العالمين ۝ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم
ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب
ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم

وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت
الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ۞ ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ۞
قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه
ذلك الفوز العظيم ۞ لله ملك السموات و
والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير صدق الله العظيم

القراءة ينزل من الانزال ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب شهادة بالتنوين الله بالمد روح ويزيد الآثمين بالاضافة استحق
على البناء للفاعل حفص والاعشى في اختياره [illegible] الاولين جمع الاول يعقوب وسهل [illegible] حمزة وخلف و
عاصم غير حفص والاعشى في اختياره الاوليان تثنية الاولى [illegible] الغيوب بكسر الغين حيث كان حمزة وحماد وابو بكر غير الشموني والبرجمي
[illegible]
عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد مرتين او ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم
ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم
فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقام آخر فقال يا رسول الله اين ابي فقال في النار ولما اشتد غضب الرسول
صلى الله عليه وسلم قام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فانزل الله تعالى هذه الاية وفي فائدة الى قوله ما على الرسول الا البلاغ
كأنه قال ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولا تسألوا عن غيره فلعله يجيبكم بما يشق عليكم وايضا كان المشركون يطالبونه بعد ظهور المعجزات بمعجزات اخر كقوله حكاية
عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى تمام الاية وكان لبعض المسلمين ايضا ميل الى ظهورها فمنعوا من ذلك لان طلب الزيادة بعد
ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها لو ظهرت ثم اكذبت استحقوا العقاب العاجل ويحتمل ان يكون وجه النظم قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
فاتركوا الامور على ظواهرها ولا تسألوا عن اشياء مخفية ان تبد لكم تسؤكم وللنحويين في منع صرف اشياء وجوه فقال الخليل وسيبويه اصلها شيئاء كحمراء
فهو اسم جمع لشيء استثقلوا الهمزتين في آخره فقلبوا الهمزة التي هي لام الفعل الى اول الكلمة فصار وزنه لفعاء وقال الفراء اصلها افعلاء بناء
على ان شيئا مخفف شيّء كما يقال هين في هيّن وقد يجمع فيعل على افعلاء كلين واليناء لكنهم استثقلوا اجتماع الياء والهمزتين فحذفوا اللام
فبقي اشياء على افعاء وقال الكسائي وزنها افعال ومنع الصرف لتشبيهه بحمراء ولا يلزم منه منع صرف ابناء واسماء لان ما ثبت على خلاف الدليل لا يلزم
اطراده ولكنه يكون مقصورا على المسموع والحاصل ان السؤال عن الاشياء ربما يؤدي الى ظهور احوال مكتومة يكره ظهورها وربما ترتب عليها تكاليف
شاقة صعبة فالذي سال عن ابيه لم يأمن ان يلحق بغير ابيه فيفتضح والسائل عن الحج كاد ان يوجبه وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم المسلمين في المسلمين
جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسألته وكان عبيد بن عمير يقول ان الله احل وحرم فما احل فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك اشياء
لم يحللها ولم يحرمها فذلك عفو من الله تعالى فلا تبحثوا وقال ابو ثعلبة ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها
وعفا عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ثم لما رتب المساءة على السؤال ذكر ان الابداء يكون لان الوحي غير منقطع فقال وان تسألوا عنها

حين ينزل القرآن اي في زمان الوحي لان الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك الامور او التكاليف والحاصل انهم ان سالوا عنها ابديت لهم وان ابديت لهم ساءتهم
فيلزم من المقدمتين انهم ان سالوا عنها ساءتهم وقيل السؤال قسمان احدهما السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة فنهي عنه بقوله لا تسألوا
والثاني السؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي فهذا السؤال غير مذموم فاشار الى هذا القسم بقوله وان تسألوا عنها ويتميز هذا
القسم من الاول وانما حسن عود الضمير في عنها الى الاشياء وان كانا في الحقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسؤول عنه في الجملة وقيل المعنى وان
تسألوا عن تلك السؤالات هل هي جائزة ام لا تبد لكم والمراد ان تطلب الرخصة في السؤال او لا عفا الله عنها اي عما سلف من مسألتكم واغضبتم
الرسول فلا تعودوا اليها والمراد بالعفو انه ما اظهر عند تلك المسائل ما يشق عليهم من التكاليف وقيل ان الجملة صفة اخرى للاشياء كان الجملة الشرطية
والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسألوا عن اشياء امسك الله عنها وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث عفوت عن صدقة الخيل والرقيق اي خففت
عنكم باسقاطها قد سالها يعني المسألة التي دل عليها لا تسألوا قوم من قبلكم سال الناقة قوم صالح فعقروها وسالوا الرؤية قوم موسى فصارت وبالا عليهم وسال
المائدة قوم عيسى فكفروا بها ويحتمل ان يعود الضمير في سالها الى الاشياء فكأن امة محمد صلى الله عليه وسلم سالوا عن احوال الاشياء والمتقدمين سالوا
نفس الاشياء كالناقة والمائدة والرؤية فلما اختلفت الاسولة اختلفت العبارة الا ان كل واحد من القسمين يشتركان في وصف هو الخوض في الفضول
والشروع فيما لا يعني فتوجه اللوم عليهما جميعا ولما منعهم عن امور تكلفوا البحث عنها ذم سيرة قوم تكلفوا التزام امور لم يؤمروا بها ومعنى ما جعل ما حكم بذلك
ولا شرع والبحيرة فعيلة من البحر الشق وبحر ناقته اذا شق اذنها وهي بمعنى المفعول قال ابو عبيدة والزجاج كان اهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة
ابطن وكان آخرها ذكرا شقوا اذن الناقة ومنعوا ركوبها وسيبوها لآلهتهم لا تنحر ولا يحمل على ظهرها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى ولا ينتفع بها حتى لو لقيها
المعيي لم يركبها تحرجا واما السائبة فانها فاعلة من ساب اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب
الى حيث شاءت قال ابو عبيدة كان الرجل اذا مرض او قدم من سفر او نذر نذرا او شكر نعمة سيب بعيرا فكان بمنزلة البحيرة في احكامها وقيل هي ام
البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشرة ابطن كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها او الضيف حتى تموت فاذا ماتت اكلها الرجال
والنساء جميعا وبحرت اذن بنتها الاخيرة وكانت بمنزلة امها في انها سائبة وقال ابن عباس السائبة هي التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل
يسيب من ماله ما يشاء ويجيء به الى السدنة وهم خدم آلهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل وقيل هي العبد يعتق على ان لا يكون عليه ولاء ولا ميراث واما الوصيلة
فاذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهي لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم فالوصيلة بمعنى
الموصولة كأنها وصلت بغيرها او بمعنى الواصلة لانها وصلت اخاها واما الحامي فيقال حماه يحميه اذا حفظه قال السدي هو الفحل الذي يضرب في الابل عشر
سنين فيخلى وقيل انه الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى الى ان يموت فان قيل اذا جاز اعتاق
العبيد والاماء فلم لا يجوز اعتاق البهائم من الذبح والايلام فالجواب ان الانسان خلق لعبادة الله فاذا ازيل الرق عنه كان ذلك معينا له
على ما خلق لاجله اما النعم من الحيوانات فانما خلقت لمنافع المكلفين فتركها يقتضي تفويت كمالها عليها وايضا الانسان اذا اعتق قدر على تحصيل المنافع
ودفع المضار بخلاف البهائم فانها عاجزة عن جذب الملايم ودفع المنافي في الاغلب فاعتاقها يفضي الى ضياعها [illegible] ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب قال ابن عباس يريد عمرو بن لحي واصحابه كان قد ملك مكة وكان اول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان
وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال صلى الله عليه وسلم في حقه لقد رأيته في النار يؤذي اهل النار بريح قصبه والقصب الامعاء وهذا حال
رؤسائهم واكثرهم لا يعقلون يعني العوام والاتباع ثم رد على اهل التقليد بقوله واذا قيل لهم الاية وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة فنفى العقل عنهم هناك
والعلم ههنا مع نفي الاهتداء في الموضعين وفيه دليل على ان الاقتداء لا يجوز الا بالعاقل العالم المهتدي لا غير وقوله على الحجة والدليل لا على التقليد والاضاليل قال
اهل البرهان العلم ابلغ درجة من العقل ولهذا يوصف الله تعالى بالعلم ولا يوصف بالعقل وكان دعواهم ههنا ابلغ لقولهم حسبنا ما وجدنا فناسب ان ينفي
عنهم العلم الذي هو ابلغ ثم ذكر ان هؤلاء الجهال مع ما تقدم من انواع المبالغة في الاعذار والانذار والترغيب والترهيب لم ينتفعوا بشيء منه
بل اصروا على جهالتهم وضلالتهم فلا تبالوا ايها المؤمنون فان جهلهم لا يضركم اذا كنتم منقادين لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه تقول العرب
عليك زيدا وعندك عمرا بعد وبها الى المفعول كأنه قيل خذ زيدا فقد علاك اي اشرف عليك وحضرك عمرو فخذه وليس المراد في عليك انه حرف جر
مع مجروره متعلق بمحذوف بل الجار والمجرور معا منقول الى معنى الفعل نقل الاعلام ولهذا سمي اسم فعل فان قيل ظاهر الاية يوهم ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ليس بواجب فالجواب المنع فان الاية لا تدل الا على ان المطيع لربه غير مؤاخذ بذنب العاصي ولهذا خطب ابو بكر الصديق رضي الله عنه
فقال انكم تقرؤن هذه الاية وتضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رأوا المنكر فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب
وعن عبد الله بن المبارك ان هذه الآية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان معنى عليكم انفسكم احفظوها والزموا اصلاحها بان يعظ بعضكم بعضا
ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والسيئات لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فامرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال للرسول
صلى الله عليه وسلم فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وقيل ان الاية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه
او على عرضه وعلى ماله وكان ابن شبرمة يقول من فر من اثنين فقد فر ومن فر من ثلثة فلم يفر وقيل انها مختصة بالكفار الذين علم انه لا ينفعهم الوعظ ولو كثر
اما روي في سبب النزول عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقر مجوس هجر بالجزية قال منافقو العرب عجبا من محمد يزعم ان الله بعثه ليقاتل
الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب فلا نراه الا قد قبل من مشركي اهل هجر ما رد على مشركي العرب فانزل الله تعالى الاية اي لا يضركم ملامة
اللائمين اذا كنتم على الهدى والحق وقيل كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العناد من الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وعن ابن مسعود ان الاية قرئت عنده فقال ان هذا في آخر الزمان ومثله ما روي عن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال لقد سالت
عنها خبيرا سالت رسول الله عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب
كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان
الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولمته فنزلت ثم انه سبحانه لما امر بحفظ النفس بقوله عليكم انفسكم امر بحفظ المال عن ابن عباس ان تميما الداري
واخاه عديا وكانا نصرانيين خرجا الى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه
نسخة جميع ما معه واخفاه بين الاقمشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم اوصى اليهما وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه
ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ودفعا باقي المتاع الى اهله لما قدما فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم

قرئت ومعنى شهادة بينكم شهادة ما بينكم اي من التنازع والتشاجر وانما اضيفت الشهادة الى التنازع لان الشهود انما يحتاج اليهم
عند التنازع واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي هذا دليل على ان الوصية مما لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم عند ظهور امارات
الموت وفيهما واحد وهما مستلزمان وارتفع اثنان على انه قائم مقام الخبر اي شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل فعل محذوف والتقدير
شهادة ما بينكم ان يشهد اثنان وفي قوله منكم ومن غيركم قولان فعن الحسن والزهري وعليه جمهور الفقهاء ان منكم اي من اقاربكم ومن غيركم
اي من الاجانب والمعنى ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم من اقاربكم فاستشهدوا على الوصية اجنبيين وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم
بحال الميت وارأف به وعن ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن جريج ان منكم
اي من اهل ملتكم ومن غيركم من اي كافر كان يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او عابد وثن قال الشافعي رحمه الله مرض رجل من المسلمين في الغربة فلم يجد
احدا من المسلمين يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة فاتيا ابا موسى الاشعري وكان واليا عليها فاخبراه بالواقعة
فقال ابو موسى هذا امر لم يقع بعد النبي صلى الله عليه وسلم فحلفهما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العصر بالله العظيم انهما ما كذبا وما بدلا
واجاز شهادتهما والذاهبون الى هذا القول احتجوا بان الخطاب في منكم لجميع المؤمنين فيلزم ان يكون غيرهم كافرين وبان هذين الشاهدين لو كانا
مسلمين لم يكن الاستشهاد بهما مشروطا بالسفر لجواز ذلك في الحضر ايضا بالاتفاق وبانه تعالى اوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه
البتة وبان الشاهدين في سبب النزول كانا نصرانيين وبان ابا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه احد من الصحابة وبان الضرورات تبيح المحظورات
كالتيمم والافطار واكل الميتة والمسلم اذا قرب اجله ولم يجد مسلما واذا لم يقبل شهادة الكفار ضاع اكثر مهماته فقد يكون عليه زكوات وكفارات و
وديون وعليه ودائع وله مصالح ولمثل هذه الضرورة جوزنا شهادة النساء فيما يتعلق باحوال النساء كالحيض والحبل والولادة وللاولين ان
يجيبوا بان حذف المضاف غير عزيز وبان ذكر السفر ليس لاجل اشتراط قبول الشهادة ولكن لاجل ان الغالب في السفر فقدان الاقارب ووجود
الاجانب وبان التحليف مشروط بالريبة وقد روي عن علي انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما وبان سبب النزول لا يلزم ان ينطبق
على الحكم حذو القذة بالقذة وبان قصة ابي موسى خبر الواحد وبان الضرورة كانت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذرهم في السفر غالبا
ومما يصلح ان يكون مؤكدا لهذه الاية وان لم يجز ان يكون ناسخا لها عند من يرى ان المائدة في آخر القرآن نزولا قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل
منكم وليس المراد من العدالة الاحتراز عن الكذب في النطق فقط بل في الدين والاعتقاد والكذب اعظم من الجرأة على الله وعلى رسله وانما
يقبل شهادة اهل البدع والاهواء من هذه الامة احتشاما لكلمة الاسلام وموقع تحبسونهما اي توقفونهما وتصبرونهما استيناف كأنه قيل فكيف
نعمل ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد الصلوة قال ابن عباس من بعد صلوة دينهما وقال عامة المفسرين من بعد صلوة العصر لان هذا الوقت كان
معروفا عندهم بالتحليف بعده ولفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بعد صلوة العصر ولان جميع الاديان
يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله تعالى فيه ويحترزون عن الحلف الكاذب واهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن المراد
بعد الظهر او بعد العصر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وقيل بعد اي صلوة كانت لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال الشافعي
الايمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد العصر بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند
المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في اشرف المساجد وقد تغلظ بالتكرير والتعديد كما في القسامة واللعان او بزيادة الاسماء والصفات
وقال ابو حنيفة رحمه الله يحلف من غير التغليظ بزمان او مكان ولا يخفى ان قول الشافعي اوفق للاية فيقسمان بالله والمقسم عليه قوله لا نشتري
به ثمنا ولو كان ذا قربى وقوله ان ارتبتم اعتراض والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عوضا من الدنيا ولو كان
من نقسم له قريبا منا اراد وان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا كقوله شهداء لله ولو على انفسكم وخص ذا القربى بالذكر لان الميل اليهم اتم و
والمداهنة بينهم اكمل ولا نكتم شهادة الله التي امر بحفظها وتعظيمها واداءها انا اذا لمن الآثمين اي اذا كتمنا لكنا من الآثمين ونقل عن الشعبي انه وقف
على قوله عز وجل شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه
ان منهم من يقول الله احد لقد كان كذا والمعنى بالله فان عثر قال الليث عثر الرجل يعثر عثورا اذا هجم على امر لم يهجم عليه غيره وهو من العثار
لان العاثر انما يعثر لشيء كان لا يراه والمعنى فان حصل الاطلاع على انهما استحقا اثما هو كناية عن الخيانة والحنث في الحلف فآخران خبر
مبتدأ محذوف او فاعل فعل محذوف او صفة مبتدأ محذوف اي فالشاهدان او فيشهد او فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق
عليهم قال في الكشاف اي الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي التفسير الكبير اي المال وانما وصف موالي الميت
بذلك لانه اخذ مالهم وكل من اخذ ماله غيره فقد حاول ذلك الغير ان يكون تعلقه بذلك المال مستعليا عن تعلق مالكه به فيصح ان يوصف المالك بانه
قد استحق عليه ذلك المال وارتفع الاوليان [illegible]

بعد العصر لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا في طلب هذا المال في نسبتهم الى الكذب والخيانة فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما والى اولياء
الميت وكان تميم الداري يقول بعد اسلامه صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله تعالى وعن ابن عباس انه بقيت تلك الواقعة
مخفية الى ان اسلم تميم الداري فقال حلفت كاذبا وقد بعت الاناء انا وصاحبي بالف وقسمنا الثمن ثم دفع خمسمائة من نفسه ونزع من صاحبه خمسمائة
اخرى ودفع الالف الى اولياء الميت ذلك الحكم الذي شرعناه والقرآن الذي نبهنا اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اي كما هو في الواقع او
يخافوا ان ترد في مثل هذه الواقعة ايمان على الورثة بعد ايمانهم وهذا التفسير من يرى رد اليمين واما من لا يرى ذلك فالمعنى عنده ان تكرر ايمان شهود
آخرين لانقلاب المدعى عليه وعلى التقديرين يظهر كذبهم والحاصل ان هذا الحكم يصير باعثا للشهود على اداء الشهادة للداعي والصارف والتقوى
في الايمان واسمعوا ما توعظون به سماع قبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مناهج شرائعه واحكامه وفيه من الوعيد ما فيه قال المفسرون هذه الاية
في غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما وروى الواحدي في البسيط عن عمر بن الخطاب ان هذه الاية اعضل ما في هذه السورة من الاحكام ولهذا ذهب
اكثر الفقهاء الى ان حكم هذه الاية منسوخ ثم انه سبحانه ختم الاحكام بوصف احوال القيامة وذكر بعض ما يجري هناك من الخطاب والعتاب جريا على عادة
في هذا الكتاب من خلط التكاليف بالالهيات والنبوات واحوال المعاد فقال يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج تقديره واتقوا الله يوم كذا لا على انه ظرف
لانهم غير مأمورين بالتقوى في ذلك اليوم ولكن على انه بدل الاشتمال من اسم الله ويجوز ان يكون ظرفا لقوله لا يهديهم طريق الجنة يومئذ او منصوبا
باضمار اذكر او ظرفا لما يجيء بعده وهو قالوا وعلى هذين الوجهين يكون الاية منقطعة عما قبلها وماذا منصوب باجبتم ولكن انتصاب المصدر على معنى اي اجابة
اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم وفائدة السؤال توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد ثم ظاهر قوله لا علم لنا يدل على ان الانبياء لا يشهدون
لاممهم فكيف الجمع بين هذا وبين قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقال جمع من المفسرين ان للقيامة زلازل واهوالا تزيل العقول فالانبياء عند
ينسون اكثر الامور فهنالك يقولون لا علم لنا ثم اذا عادت اليهم عقولهم شهدوا للامم ولا يرد عليه قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم لان مواقف القيامة مختلفة ولان عدم الخوف في العاقبة لا ينافي الحيرة والدهشة اولا وقال آخرون المراد منه المبالغة في توبيخ الكفرة فان ذلك
هو المقصود من السؤال كما يقول الواحد لغيره ما تقول في فلان فيقول انت اعلم به مني وكأنك قلت لا يحتاج فيه الى الشهادة لظهوره وفيه مع التوبيخ اظهار
التشكي الى الانبياء ممن كذبوهم وعادوهم وقال ابن عباس نفوا العلم عن انفسهم عند علام الغيوب ليعلم ان علمهم هناك كلا علم وقيل المراد نفي العلم بخاتمة
احوالهم وما كان منهم بعد وفاتهم وانما الامور بخواتيمها وقال في التفسير الكبير ان الذي عرفوه منهم في الدنيا كان مبنيا على ظاهر احوالهم كما قال نحن نحكم بالظاهر فكان
ظنا غالبا والاحكام في الآخرة مبنية على حقائق الامور وبواطنها فلهذا نفوا العلم فان الظن لا عبرة به في القيامة مع ان السكوت والتفويض الامر الى
الى الاعلم الاعدل اقرب الى الادب وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم عند قوله انت اي انت الموصوف بالجلال والكبرياء ثم نصب
علام على الاختصاص او على النداء ثم عدد انواع نعمه على عيسى واحدة فواحدة تنبيها على انه عبد وليس باله وتوبيخا للمتمردين من الامم وادعى الامم
الطاعنون في ذات الله سبحانه باتخاذ الصاحبة والولد وموضع اذ قال رفع بالابتداء على معنى ذلك اذ قال او نصب باضمار اذكر وهو بدل من يوم يجمع
وانما ذكر القول بلفظ الماضي دلالة على قرب القيمة حتى كانها قد قامت ووقعت كما يقال الجيش قد اتى اذا قرب اتيانهم او ورد على الحكاية كقول الرجل
لصاحبه كانك بنا وقد دخلنا بلدة كذا فصنعنا كذا ويحتمل يا عيسى ان يكون مضموما على انه مفرد معرفة او مفتوحا لانه وصف بابن مضاف الى علم وهو المختار
للتخفيف ولكثرة الاستعمال نعمتي عليك اراد الجمع ووحدت لانه مضاف يصلح للجنس وانما قال وعلى والدتك لان نعمته على الولد نعمة على ابويه ولان
بمكارم الاخلاق دليل على طيب الاعراق اذ ايدتك بدل من نعمتي اي قويتك بروح القدس او بجبريل والكلام الطاهر الذي كانت الاضافة الى نفسه لتعظيمها او بالروح
الطاهرة المقدسة وقد تقدم في البقرة تكلم الناس حكاية حال ماضية في المهد وكهلا اي ما بين الحالتين من غير تفاوت واذ علمتك الكتاب والحكمة
او جنس الكتب والحكمة النظرية والعملية والتورية والانجيل يعني الاحاطة بالاسرار الالهية بعد العلوم المتداولة فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة المضاف
اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فيكون والكاف تؤنث بحسب المعنى لدلالتها على الهيئة التي هي كهيئة الطير وتذكر في الظاهر
فلهذا اعاد الضمير اليه مذكرا تارة كما في آل عمران ومؤنثا اخرى كما في هذه السورة وكرر باذني اي بتسهيلي ليعلم ان الكل باقدار الله وتمكينه واظهار الخوارق
على يديه واذ تخرج الموتى كسام وعبيدة واذ كففت يروى انه لما اظهر هذه المعجزات العجيبة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم حيث رفعه الى السماء ان هذا الا سحر مبين
من قرأ بغير الف اشار الى ما جاء به او اراد انه ذو سحر فاطلق عليه الحدث مبالغة ومن قرأ بالالف اشار الى الرجل واللام في البينات يحتمل ان يكون للجنس
ويحتمل ان يراد المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار في حقه ان هذا الا سحر مبين يحتمل ان يكون من تمام القصة استطرادا ويمكن ان يراد بذلك تعداد
النعم ايضا لان كل ذي نعمة محسود وطعن الكفار فيه يدل على علو شانه وسمو مكانه شعر واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل
والابتهاج بمدح النعم الجسام ولكن العظام كان يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت
اينما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين ان كانوا انبياء فظاهر والا فالوحي بمعنى الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى
وهذا ايضا من جملة النعم لان كون الانسان مقبول القول عند الناس محبوبا في قلوبهم من اعظم نعم الله تعالى وقدم الايمان على الاسلام ليعلم انهم
آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم هل يستطيع ربك من قرأ بالتاء وبالنصب فظاهر والمراد هل تستطيع سؤال ربك اي هل تسأله ذلك من غير صارف
يصرفك عن سؤاله ومن قرأ بالياء وبالرفع اشكل لانه تعالى حكى عنهم انهم قالوا آمنا فكيف يتصور مع الايمان شك في اقتدار الله تعالى واجيب
بوجوه منها ان حكاية الايمان عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم في ذلك ولهذا قال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ومنها انهم طلبوا مزيد الايقان والتعاضد
ولهذا قالوا وتطمئن قلوبنا ومنها انهم ارادوا هل هو جائز في الحكمة ام لا وهذا على اصول المعتزلة من وجوب رعاية الاصلح او ارادوا هل يفعل ذلك وعلم
وقوعه ام لا فان خلاف معلومه غير مقدور وهذا عند الاشاعرة ومنها قول السدي ان السين زائدة وكذا التاء والمعنى هل يطيع ربك ومنها لعل المراد بالرب
جبريل لانه كان يربيه ومنها ان المراد بالاستفهام التقرير كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على اشباع هذا يريد ان ذلك امر جلي لا يجوز
للعاقل ان يشك فيه قال الزجاج المائدة فاعلة من ماد يميد اذا تحرك فكأنها تميد بما عليها وذلك انها لا تسمى مائدة الا اذا كان عليها طعام فاذا
لم يكن عليها طعام فهي خوان وقال ابن الانباري هي من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه وقال ابو عبيدة هي بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية
اي مرضية كان صاحبها اعطاها الحاضرين قال عيسى اتقوا الله في تعيين المعجزة فانه كالتحكم وايضا اقتراح معجزة بعد ظهور معجزات كثيرة تعنت وازدراء بالنبوة
ليتوسلوا بها الى المطلوب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاجاب الحواريون بانا لا نطلب هذه المعجزة بمجردها ولكنا نريد
ان نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا ولا نجد طعاما آخر فقد روي انهم سالوها في مفازة على غير ماء ولا طعام وان نزيد يقينا وعرفانا وطمأنينة فان انضمام

منك سموات ارضية وهذه سماوية فيكون اعجب واغرب وان نعلم صدقك في دعوى النبوة او فينا وعلمنا وذلك انه كان قال لهم صوموا ثلثين
يوما واذا اتممتم صومكم فلكل باب اسالوه الله تعالى فانه يعطيكم واذا شاهدنا المعجزة كنا عليها من الشاهدين للذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله
تعالى بالقدرة ولك بالنبوة تكون لنا عيدا صفة للمائدة او استيناف وقرئ بالجزم جوابا للامر كان نزولها يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى
عيدا والعيد ما يعود اليك في وقت معلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة بفرح جديد لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل
ديننا ولمن ياتي بعدنا او ياكل منها اخر الناس كما ياكل اولهم او للمقدمين منا والاتباع وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الجماعة فقول عيسى اللهم ربنا ابتداء
بذكر الحق وانزل علينا انتقال من الذات الى الصفات وقوله تكون لنا عيدا اشارة الى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها
نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم وقوله واية منك اشارة الى كون المائدة دليلا لاصحاب النظر والاستدلال وقوله وارزقنا اشارة
الى حصة النفس فالحواريون قدموا غرض النفس واخروا الاغراض الدينية وان عيسى بدا بالاشرف حتى انتهى الى الاخس ثم قال وانت خير الرازقين وهو
عروج مرة اخرى من الخلق الى الخالق وعند هذا يظهر التفاوت بين النفوس الكاملة والناقصة والمشرقة والمظلمة اللهم اجعلنا من اهل الكمال والاشراق
بعميم فضلك وجسيم طولك منزلها بالتخفيف والتشديد بمعنى وقيل التشديد للتكثير والتخفيف مرة واحدة عذابا لا اعذبه احدا قال ابن عباس يعني
يريد مسخهم خنازير وقيل قردة وقيل جنسا من العذاب لا يكون مؤخرا الى الاخرة وعذابا نصب على المصدر اي تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد
بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء في الموضعين فقيل اعذبه بعذاب لا اعذب به احدا واراد بالعالمين عالمي زمانهم واختلف في ان عيسى هل سال
المائدة لنفسه او سالها لقومه وان كان اضافها الى نفسه في الظاهر وكلاهما محتمل والاكثر نزولها فقد قال الحسن ومجاهد ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا
العذاب استعفوه وقالوا لا نريدها والاكثر على هذا القول بانه وصف المائدة بكونها عيدا لاولهم واخرهم فلو نزلت لبقي العيد الى يوم القيمة وقال جمهور ٧ البقرة
المفسرين انها نزلت لانه سبحانه وعد انزالها بقوله اني منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم وروي ان عيسى
لما اراد الدعاء لبس الصوف ثم قال اللهم انزل علينا مائدة فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر
اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى عم فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد
منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال
ليس منها ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة الغالبة كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية
اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة و
خنازير وقيل ان عيسى كان شرط عليهم ان لا يسرفوا في الاكل ولا يدخروا فعصوا فمسخوا واذ قال الله معطوف على مثله والتصحيح ان هذا القول
ايضا يوم القيمة لقوله عقيب ذلك هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقيل هذا عند رفع عيسى نظرا الى ان اذ للماضي وقد مر توجيه ذلك انت قلت استفهام
بطريق الانكار والغرض منه توبيخ النصارى قال بعض المتكلمين ان احدا من النصارى لم يذهب الى القول بالهية عيسى وامه مع القول بنفي الهية الله
تعالى واجيب بان الاله هو الخالق وانهم يعتقدون ان خالق المعجزات والكرامات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى ومريم وليس لقدرة الله
سبحانه في ذلك مدخل فبهذا التأويل صح ما حكي عنهم واقول يشبه ان يكون المراد بقوله من دون الله اي بعد الله فيكون التوبيخ على التثليث او المراد
انه لما دل البرهان على نفي تعدد الاله فمن قال بالهية عيسى وامه لزمه القول بنفي المعبود الحق تعالى عن ذلك وكذا قال عيسى عم سبحانك اي انزهك
تنزيها من ان يكون لك شريك ثم لم يجب باني قلت او ما قلت لان ذلك يجري مجرى الطهارة والتبرية بل اجاب بقوله ما يكون لي اي ما ينبغي لي ان
اقول قولا لا يحق لي ان اقوله اظهارا لغاية الخضوع والاستكانة ثم فوض الامر الى علمه المحيط بالكل فقال ان كنت قلته فقد علمته ثم علل ذلك بقوله
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وذكر النفس ثانيا لاجل المشاكلة وانه من فصيح الكلام او تعلم ما اخفي و
لا اعلم ما تخفي او تعلم ما عندي ولا اعلم ما عندك او تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل عبارات المفسرين ثم اكد ما ذكر بقوله انك انت
علام الغيوب ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة فالمفسر اما فعل القول او فعل الامر ولا وجه لكليهما اما فعل القول فيحكى بعده الكلام بلا ان فيقال ما قلت
لهم الا اعبدوا الله اللهم الا ان يقال ان المضاف محذوف والتقدير ما امرتني بقوله فيكون تفسيرا لصريح القول المقدر وصريح الفعل المقدر تأويل
القول بالقول في عدم الظهور حتى يجوز توسيط ان واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي
وربكم وان جعلتها مصدرية عند من يجوز دخولها على الطلبية فان كان بدلا من ما امرتني به والبدل في حكم المنحى كان المعنى ما قلت لهم الا عبادته ولا يستقيم
لان العبادة لا تقال وان جعلته بدلا من الهاء في به لم يصح ايضا لانه يؤول المعنى بعد طرح البدل الى قولك الا ما امرتني بان اعبدوا الله فيبقى الموصول
بلا عائد فاذن الوجه ان يحمل فعل القول على معناه فيكون اصل المعنى ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم الا انه وضع
القول موضع الامر رعاية للادب كيلا يجعل نفسه وربه امرين ودل على الاصل بذكر ان المفسرة قال في الكشاف ويجوز ان يكون ان مصدرية عطف بيان
للهاء لا بدلا ويحتمل بقي العائد بقوله وكنت عليهم شهيدا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من القول بما يوجب التكفير ما دمت فيهم مدة دوامي
فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كنت انت الحافظ عليهم المراقب لاحوالهم وانت تقبل وانت على كل شيء من الشهادة او من الشهود والحضور و
ان تغفر لهم فيه سؤال وهو انه كيف جاز لعيسى هذا القول والله تعالى لا يغفر الشرك والجواب ان قول عيسى ءانت قلت للناس يدل على ان قوما من النصارى
حكوا عنه هذا الكلام والحاكي لهذا الكفر عنه لا يكون كافرا بل يكون مذنبا فقط ولو سلم انه شرك فغفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة لان
العقاب حق لله على المذنب وليس في اسقاطه على الله تعالى مضرة بل كلما كان الجرم اعظم كان العفو احسن الا ان الدليل السمعي في شرعنا دل على انه
لا يكون فلعل هذا الدليل لم يكن موجودا في شرع عيسى او لعل عيسى جوز ان يكون بعضهم قد تاب عنه الا من زعم ان هذه المناظرة والمحاورة انما كانت
عند رفعه الى السماء فلا اشكال اصلا لان المراد ان توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فانهم عبادك فلك ذلك وان اخرجتهم بتوفيقك من ظلمة الكفر الى نور الايمان
وغفرت لهم ما سلف منهم فانك انت العزيز القادر على ما تريد الحكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لاحد عليك وفي مصحف عبد الله فانك انت
الغفور الرحيم وضعفه العلماء لان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم فلا يناسب تفويض الامر بالكلية الى حكمه تعالى والمقام مقام هذا لا ذاك وعن بعضهم ان ذكر
الغفور الرحيم يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة اما العزة والحكمة فلا يوجبان الا القطع عن جميع جهات الاستحقاق لحصول المغفرة بعد ثبوت هذا

الاستغنا

الاستغناء والعزة يكون اولى من كمال العفو والرحمة فان العفو عند المقدرة قال بعض العلماء في الاية نوع شفاعة من عيسى لفساق امته
فلان يثبت ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لفساق امته اولى هذا يوم ينفع من قرا بالرفع فظاهر وانه في تقدير الاضافة اي هذا يوم منفعة
الصادقين ومن قرا بالنصب فاما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدا والظرف خبر اي هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع في هذا اليوم
كقولك القتال يوم السبت قال الفراء يوم اضيف الى ليس باسم فبني على الفتح كما في يومئذ وخطاه البصريون وقالوا انما يبنى الظرف
اذا اضيف الى المبني كالماضي في قول النابغة شعر على حين عاتبت المشيب على الصبى ومثل الى قوله تعالى يوم لا تملك واجمعوا على ان هذا
اليوم يوم القيمة والمراد ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في القيمة كما قال قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق وكان قبل
ذلك كاذبا فلم ينفعه واما عيسى فكان صادقا في الدنيا وفي الاخرة فنفعه صدقه وفي هذا الكلام تصديق من الله تعالى لعيسى في قوله ما قلت لهم الا
ما امرتني به رضي الله عنهم ورضوا عنه هما متلازمان لان رضى الله عن العبد في رعاية وظائف العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واذا
صح الانسان نسبة العبودية علم ان العبد لا يكون له ارادة واختيار فيكون ارادته مغمورة في ارادة ربه ذلك الفوز العظيم اشارة الى جميع المذكورات
او الى الجزء الاشرف الاقرب وهو الرضوان وما فيهن لم يقل ومن فيهن ليكون ادل على العموم وليتنبه على ان عقول ذوي العقول وعلوم ارباب العلوم
بالنسبة الى علمه كلا علم وانما هم وغيرهم تحت قدرته وتسخيره سواء واعلم انه سبحانه افتتح السورة بقوله اوفوا بالعقود وهو الشريعة والبداية وختم السورة
بهذه الاية الدالة على فناء الكل في جنب جلاله وكبريائه وهو الحقيقة والنهاية فما احسن هذا النسق وايضا في السورة بيان الشرائع والاحكام والكثير
والمناظرة مع اليهود والنصارى فهذا الاختتام ذكر فيه انه سبحانه مالك لجميع الممكنات والكائنات موجد لجميع الارواح والاجساد ليتبح التكليف على
وجه اراد وليكون ردا على اليهود بحكم المالكية في نسخ شريعة موسى ووضع شريعة محمد وليكون ردا على النصارى في ان عيسى ومريم داخلان في المخلوقات
موجودان بايجاد الله ولا معنى للعبودية الا هذا وايضا لما اخبر عن فناء وجودهم المجازي لمن هنالك يجيب فاجاب بنفسه لله ملك السموات و
السؤال الارض كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولعل في هذه الخاتمة من الاسرار اضعاف ما عثرنا عليه والله تعالى اعلم باسرار كتابه التأويل
اخبر عن كثرة انها تورث الملال وذلك ان علوم القال غير علوم الحال والصنف الاول محمود فيه السؤال والثاني مذموم فيه اذ يحصل العيان لا بالبرهان
كما كان حال الانبياء عليهم السلام مع الله وكذلك نري ابراهيم لقد راى من ايات ربه الكبرى وقال صلى الله عليه وسلم ارنا الاشياء كما هي وقال
الخضر لموسى عليهما السلام فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء وقال موسى في الثالثة ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فان تعلم العلم اللدني
بالحال في الصحبة والمتابعة والتسليم دون السؤال لا الانقطاع عن الصحبة وان تسالوا عنها حين ينزل القران اي ان كان لابد لكم من السؤال عن حقايق فاسالوا
عنها بعد نزول القران عن القران ليخبركم عن حقايقها على قدر عقولكم والله غفور رحيم لمن تاب من طلب علوم الحقايق بالقال حليم لمن يطلب
بالحال فيصدر عنه في اثناء الطلب سؤال قد سالها قوم من قبلكم كقدماء الفلاسفة اعرضوا عن متابعة الانبياء واقبلوا على مجرد القيل والقال فوقعوا في اودية
الشبهات والضلال ما جعل الله من بحيرة قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هم الحيدرية والقلندرية يشقون اذانهم وذكرهم ويجعلون فيها
حلق الحديد ويحلقون لحيتهم ولا سائبة هم الذين يضربون في الارض على العذار بلجام الشريعة وقيد الطريقة ويدعون انهم اهل الحقيقة ولا وصيلة هم
اهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المواخاة والاتحاد ويرفضون صحبة الاقارب لاجل العصبية والعناد ولا حام وهو المغرور بالله يظن انه
بلغ مقام الحقيقة فلا يضره مخالفات الشريعة واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله من الاحكام والى الرسول لمتابعته قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا
اي مشايخنا واهل صحبتنا او لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة عليكم انفسكم اي اشتغلوا اولا بتزكية
نفوسكم ثم بارشاد الغير فان الغريق الذي لم يتعلم السباحة اذا تشبث به مثله هلكا معا الى الله مرجعكم جميعا فللطالبين بجذبات العناية وللمضلين
بسلاسل القهر والنكاية اذا حضر احدكم الموت اي النفس تموت عن صفاتها الذميمة بالرياضة والمجاهدة فتوصي ببعضها لورثتها وهم القلب واوصافه
والوصيان اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات او اخران من غيركم من غير الروحانيات هما الوهم والخيال من النفسانيات
فالعقل والسر يشهدان الحق وان كان على ذي قرابة من الروحانيات والوهم والخيال شهادتهما الصدق والكذب ان انتم ضربتم في الارض
اي سافرتم في السفليات فاصابتكم مصيبة الموت اي فتصيب النفس بجذبة الحق فتموت تحبسونهما ان كنتم في بعد من الروحانيات من بعد الصلوة
من بعد حضور مع الله وتوجههم الى الحق ومراقبة تامة فيشهد على الشاهدين بالقسم والتخويف بالله ان يرتابا بشهادة الحق ويدفعان
تركة النفس وهي صفاتها الى ورثتها وهم القلب وصفاتها والا يغير فانها في شيء من السفليات فان كل خلق اذا استعملته النفس كان صفة
ذميمة فاذا استعملته القلب صار وصفا محمودا كالحرص اذا استعملته النفس في طلب الدنيا ولذاتها كان وصفا مذموما واذا استعمله القلب
في طلب العلوم والكمالات صار محمودا فان عثر على انهما استحقا اثما بان مالا الى حظ من الحظوظ السفلية فاخران من صفات القلب هما التذكر والتفكر
والتذكر والتفكر الصائب ينظران في عواقب الامور ويشهدان على ان الاخرة خير من الدنيا والباقي خير من الفاني لشهادتنا احق من شهادتهما ان الوهم والخيال
حفظ الحقوق مالا الى الحظوظ بكتمان الحقوق بترك الحظوظ ان ياتوا بالشهادة على وجهها اي العقل والسر يانيان في هذا الامر باستعمال صفات النفس لسعادة
الاخروية او يخافا ان عواقب الامور بان يشددوا على النفس بالاستعمال وتضييع الزمان وافساد الاستعداد ثم بالتفكر والتذكر يرد الامر الى وجوب
رعاية الحقوق فيحتاجان الى كثرة الرياضة ماذا اجبتم قالوا وهم مستغرقون في بحر الشهود لا علم لنا اي بواطن الامور وحقايقها الى الحواريين اي
في عالم الارواح يوم الميثاق قالوا السبب التعارف في عالم الاشباح امنا ان بعض الحواريين المقلدين في الايمان قالوا يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك
فاراعوا الادب مع نبيهم حيث لم يقولوا يا رسول الله او يا روح الله ولا مع ربهم حيث شكوا في كمال قدرته ثم اظهروا دناءة همتهم حيث طلبوا بواسطة
مثل عيسى من واهب المواهب مائدة جسمانية لا مائدة روحانية فقال عيسى عم اللهم ربنا انزل علينا مائدة الاسرار والحقايق من سماء العناية
فغاسنام علينا اطعمة الهداية يكون لنا اي لاهل الحق والصدق عيدا الفرح بها لاولنا لاول الفناء واخرنا فان اهل الحق يراقبون الانفاس لتصعد مع الله
وتهوى مع الله وانت خير الرازقين لان الذي يرزق رزق منك ورزق غيرك رزق من غيره فمن يكفر بعد منكم بان لا يقوم بحقها ويجعلها شبكة
يصطاد بها الدنيا فاني اعذبه من مراتب الروحانية الى المهالك الحيوانية وهو المسخ الحقيقي ويوم القيمة ايضا يحشرون على صفاتهم التي ماتوا عليها كما قال
صلى الله عليه وسلم يموت الناس على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه ءانت قلت للناس الخطاب مع الامة الا ان من سنته سبحانه ان يكلم
الكفار فكلم عيسى بدلا منهم او المراد بالقول الاول امر التكوين فالمعنى انت خلقت فيهم اتخاذك وامك الهين ام انا خلقت ذلك فيهم فقد لا الهم
انك انت علام الغيوب ما غاب عن الخلق ويحتمل ان يجعله الخلق وغيب الغيب ما غاب عنهم ولا يمكنهم ان يعلموه الا الله تعالى الله حسبي وكفى

سورة الانعام مكية حروفها اثنى عشر الفا واربع مائة واثنان وعشرون كلمها ثلثة الاف اثنان وخمسون اياتها مائة وخمس وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ۝ هو الذي خلقكم
من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون ۝ وهو الله
في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ۝
وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين ۝
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم و
ارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم
فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين ۝
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين ۝ وقالوا لولا انزل عليه ملك
ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ۝ ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ۝ ولقد استهزئ
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۝

القراءة: وانشانا بغير همز حيث كان ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف ولقد استهزئ وبابه بالهمز ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وقرا يزيد والشموني وحمزة في الوقف بغير همز الباقون بغير همز مطلقا تمام الامالة حيث كان حمزة **الوقوف:** والنور ط لان ثم لترتيب الاخبار يعدلون ۝ اجلا ط تمترون ۝ وفي الارض ط وقيل لا وقف لتعبير التقدير وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وكيف تعديل المعنى وهو المستحق للعبودية في اهل السموات واهل الارض تكسبون ۝ معرضين ۝ لما جاءهم ط لابتداء بالتهديد يستهزءون ۝ مدرارا ص لعطف المتفقين اخرين ۝ سحر مبين ۝ عليه ملك ط لا ينظرون ۝ يلبسون ۝ يستهزءون ۝ المكذبين ۝ **التفسير:** عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزلت الانعام جملة واحدة ونزلت معه من الملائكة سبعون الف ملك لهم زجل ما بين الاخشبين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها من ليلتهم سوى ايات معدودات وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد بعث بها الي جبرئيل مع خمسين ملكا او خمسين الف ملك تحفها حتى اقرؤها في صدري كما يقر الماء في الحوض ولقد اعزني الله تعالى واياكم بها عزا لا يذلنا بعدها ابدا فيها دحض حجج المشركين ووعد من الله لا يخلفه ولاشتمال هذه السورة على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ونزولها جملة ذهب علماء الكلام الى ان علم الاصول مع جلالة قدره وجب تعلمه على الفور لا على التراخي بخلاف الاحكام فانها تنزل لفقد المصالح وبحسب الحوادث والنوازل واعلم ان قوله الحمد لله مذكور في اوائل سور خمس واختص كل منها بصفة تكون عمادا صدر فاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين فان العالم كل موجود سوى الله سبحانه فكان سائر السور تفاصيل لهذه الجملة اثنى الله سبحانه على نفسه بقوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض والثناء على المنعم فنبه في الثناء فتنبيه ودليل على انه لا يمكن قياس الحق على الخلق فكما انه واحد في ذاته فهو واحد في صفاته وافعاله لا اعتراض لاحد عليه والتحقيق فيه ان استحقاق المدح بحسب الفضيلة والكمال ولا يوجد في الممكن صفة كمال الا وهي مشوبة بالنقص والاختلال اوانا او الافول في افق الامكان بخلاف واجب الوجود فانه

[illegible] في اللوح لا لاجل التوضيح والكشف [illegible] اشياء لم تزده معرفة وكما اقره ذكرناه وقد تقدم في الاسماء ان معنى الخلق يرجع الى والنعت برهانه الى العلم فالمراد انه اوجد السموات والارض على حسب علمه الازلي قال بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعيين المركز ولا ينعكس لامكان ان يحيط بالمركز الواحد دوائر لا نهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع ان ظاهر التنزيل يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السموات وجمع السموات حقيقة وكذا افراد الارض او قد يجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجيء تقرير ذلك في قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام المشركين فان تخصيص حجم الفلك بقدر معين وتخصيص كل اجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما في الطبيعة الجسمية وتخصيص كل حركة بحد معين من السرعة والبطء وبجهة معينة ولا بد ان يدل على وجود فاعل مختار واحد في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وايضا ان لحركة كل فلك اولا لان حقيقة الحركة انتقال من حالة الى حالة فيقتضي المسبوقية بالغير وعدم الاولية ينافي المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت ان لكل حركة اول فاختصاص ابتدائه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اتصاف بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوي الكل في تمام الماهية وايضا ان خارج العالم الجسماني خلاء لا نهاية له كما ثبت في الكلام فحصول هذا العالم في حيزه الذي حصل فيه دون سائر الاحياز امر ممكن يحتاج الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا في ذوات هذه الاجرام اما ان اعتبرنا منافعها وكيفية تاثير الاثيريات وهي الاباء في العنصريات وهي الامهات لتحصيل المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوانات ارتقينا من ذلك ايضا الى وجود صانع قدير وحكيم خبير رتبته اعلى واجل من رتب الممكنات اما قوله وجعل الظلمات والنور فمعناه احدث وانشا ولهذا اقتصر على مفعول واحد ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم يقل وخلق لانه اراد التضمين اعني انشا شيئا من شيء كقوله تعالى وخلق منها زوجها فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كان كل واحد منهما تولد من الاخر وقيل ان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار ولهذا جمع الظلمات اذ لكل جرم ظل والظل ظلمة ووحد النور لان النار واحد وهو منها والظلمة والنور هاهنا الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل في الكلام الحقيقة والقرينة ذكر السموات والارض وعن ابن عباس ان الظلمة ظلمة الشرك والنفاق والنور نور الاسلام واليقين وعلى الاول فانما جمع الظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص قليلا قليلا وتلك المراتب كثيرة ولذا تعدد المراتب وعلى الثاني فذلك لان الحق واحد والباطل اكثر من ان يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم المحدثات سابق على وجوده والظلمة عدمية عند من يجعلها عدم النور او شبيهة بالعدم عند من يجعلها جهة مضادة للنور وقد ورد في الاخبار ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقيق بالحمد على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم او على خلق السموات معناه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون اي يسوون به ما لا يقدر على شيء من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون من العدول وعلى الثاني هو من العدل ومعنى ثم هاهنا وفي قوله ثم انتم تمترون تراخي الرتبة واستبعاد مضمون الجملتين احدهما عن الاخر ثم ذكر دليلا اخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال هو الذي خلقكم من طين اي من ادم الذي مخلوق من الطين او خلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر لا ريب ان خلق الاغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم توليد النطفة المتشابهة الاجزاء من تلك الاغذية المختلفة ثم تخليق الاعضاء المختلفة في الصفة والصورة واللون والشكل كالقلب والدماغ والكبد والعظام والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها من المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد موت الحيوان فيكون قادرا على اعادتها واعادة الحيوة فيها وذلك يدل على صحة القول بالمعاد اما قوله ثم قضى اجلا فاعلم ان لفظ القضاء قد يرد بمعنى الحكم والامر وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بني اسرائيل وبمعنى صفة الفعل اذا تم فقضاهن سبع سموات ومنه قولك قضى فلان حاجة فلان والانسب هاهنا هو الاول والاجل في اللغة بمعنى الوقت المضروب لانقضاء الامد واصله من التاخير ومنه الاجل نقيض العاجل ثم ان صريح الاية يدل على حصول اجلين لكل انسان فقال ابو مسلم الاول اجال الماضين لانهم لما ماتوا صارت اجالهم معلومة والثاني اجال الباقين لانها غير معلومة بعد وانما هي مسماة عند الله تعالى وقيل الاول اجل الموت والثاني اجل القيمة لانه لا اخر له ولا يعلم احد كيفية الحال في هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل احد والثاني ما بقي من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل الطبيعي الذي لو بقي بالنسبة الى المزاج الاول لكل شخص لو بقي مصونا عن الافات الخارجية والثاني الاجل الاخترامي الذي يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل واللدغ وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى مسمى اي مذكور اسمه في اللوح المحفوظ ومعنى عنده اي في حكمه وعلمه كما تقول هذه المسئلة عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا وارتفع اجل بالابتداء وجاز ذلك مع تنكيره لكون وصفه فقارب المعرفة وانما لم يقل وعنده اجل مسمى تعظيما لشان هذا الاجل وكانه قيل واي اجل مسمى عنده والمرية والامتراء الشك ومعنى ثم استبعاد الامتراء عن مثل هذه الحجة الباهرة الموجبة للتيقن في امر المبدا والمعاد ثم قرر سبحانه انه عالم بجميع المعلومات ردا على من زعم انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع من العاصي ولا تمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو فقال وهو الله في السموات [illegible] بهذا ونحو قوله اامنتم من في السماء انه سبحانه مستقر في السماء قالوا ويؤكده وقف بعض القراء على السموات والابتداء بقوله وفي الارض اي يعلم سرائركم الموجودة في الارض ولو سلم ان لا وقف فالاجماع حاصل على انه ليس موجودا في الارض ولا يلزم من ترك العمل باحد الظاهرين ترك العمل بالظاهر الاخر من غير دليل ونوقض بانه تعالى قال في مواضع [illegible] السموات فلو كان هو في السماء لزم ان يكون مالكا لنفسه [illegible] ضعف هذا النقض لانه مخصوص بالقرينة كقوله ان الله على كل شيء قدير وبانه اما ان يراد كونه في سماء واحد وهو ترك الظاهر او في جميع السموات وهو يقتضي كونه ذا اجزاء او حصول المتحيز الواحد في مكانين وكلاهما محال والحق انه لا يلزم من استصحاب المكان الافتقار اليه ولا التجسيم والتجزية وهو دقيق يعلمه من الف له وبانه لو كان موجودا في السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا للزيادة والنقصان فيكون اختصاصه بقدر معين بتخصيص فيكون محدثا ورد عليه انه لم لا يجوز ان يكون في السموات وفوقها الى لا نهاية اما عند من يقول ان وراء هذا العالم خلاء غير متناه وبانه لو كان في السموات فان لم يقدر على عالم اخر فوقها لزم تعجيزه وان قدر فلو فعل لحصل تحت ذلك العالم والقوم يستنكرون كونه تحت العالم والاعتراض انه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال غير المجسمة المراد وهو المعبود في السموات والارض كما يقال فلان في امر كذا اي في تدبيره واصلاحه وعلى هذا يكون في السموات خبرا بعد خبر او يوقف على اسم الله ثم يبتدا بما بعده وذلك لان المعنى انه يعلم في السموات والارض سر الملائكة والانس والجن او المراد وهو المعبود فيهما او المعروف بالالهية او المتوحد بها او هو الذي يقال له الله فيهما

بالتسكين له في هذا الاسم والسر من صفات القلوب وهي الدواعي والصوارف والجهر من اعمال الجوارح وكان الاول مقدما على الثاني
طبعا فلا جرم قدم عليه وضعا والجملة اعني قوله يعلم سركم وجهركم مقررة لما قبلها او هو خبر ثالث او كلام مبتدا ويعلم ما تكسبون الكسب اخص
من السر والجهر لانه الفعل المفضي الى اجتلاب نفع واندفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب وافراد الاخص بالذكر بعد الاعم للتقرير
والتاكيد او لكونه اهم حسن لا يلزم منه عطف الشيء على نفسه والمراد انه عالم بما يستحقه الانسان على افعاله من ثواب او عقاب ثم لما فرغ
من دلائل التوحيد والمعاد شرع في النبوات ورتب احوال الكفار مع الانبياء في ثلث مراتب الاولى كونهم معرضين عن التامل في الدلائل وذلك
قوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار
الا كانوا عنها معرضين لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم الثانية كونهم مكذبين وهذه مرتبة فوق ما قبلها لان الاعراض قد يكون للغفلة لا للتكذيب واذا كذب
فقد اعرض وزاد قال علماء المعاني ههنا حذف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الايات فقد كذبوا بما هو اعظم اية وهو الحق قال ابن عباس هو انشقاق
القمر كان القمر فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القرآن الذي تحدوا به فعجزوا عنه وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل شرعه وقيل
وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والاولى الحمل على الكل المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء كان منه غاية
في الغواية وذلك قوله فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون وهو القرآن وغيره من المعجزات وليس المراد نفس الانباء بل العذاب الذي انبا الله تعالى به
كقوله تعالى ولتعلمن نباه بعد حين والحكيم اذا توعد قريبا قال ستعرف نبا هذا اذا نزل بك ما تحذره وذلك ان الغرض من الخبر حصول العلم بالمخبر عنه
وذلك انما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الاية سيعلمون باي شيء استهزءوا به وانه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند نزول العقاب بهم في الدنيا
كيوم بدر وغيره او في الاخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء واوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة والنصيحة بذكر احوال الامم
الماضية والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون في زمان من الدهر المفترقون بعد ذلك بالموت وذلك الزمان في الاغلب ستون سنة
وقيل سبعون وقيل ثمانون والاقرب انه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الاكثر من اهل كل عصر فقد انقضى القرن
وليس المراد ان يصدق الكفار محمدا في هذه الاخبار لانهم بصدد التكذيب فيكذبونه فيها ايضا وانما المراد انها تحقق بالمتقدمين منهم مشهورة بين الناس
فيبعد ان يقال انهم سمعوا تلك الحكايات ومجرد سماعها يكفي في الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلثة اوصاف الاول تمكينهم في الارض جعل لهم
مكانا ومكنه فيها اثبته وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما في الاية والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة
في الاموال والاسباب الدنيا الثاني ارسال السماء عليهم يعني الغيث او السحاب والمطر لان المطر ينزل من ذلك العلو والمدرار الكثير
الدر ودر اللبن اذا اقبل على الحالب منه شيء كثير ويقال درت السماء بالمطر ويقال ايضا سحاب مدرار اذا تتابع امطاره ومفعال من ابنية المبالغة
يستوي فيه المذكر والمؤنث الثالث وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي من تحت المنتهم والمراد انهم اصحاب البساتين والقصور والمتنزهات فان قيل
الهلاك غير مختص بهم وانما يجري ذلك على الانبياء والمؤمنين ايضا قلت لدفع هذا الاشكال كرر فقال فاهلكناهم بذنوبهم فان الاهلاك بسبب المعاصي والاثام
لا يكون الا للعذاب والايلام ثم نبه بقوله وانشانا من بعدهم قرنا اخرين على كمال عزته واستغنائه ونهاية قدرته واستعلائه كقوله ان يشا يذهبكم ويات
بخلق جديد فالبلاد بلاده والعباد عباده وبيده التخريب والتعمير والاعدام والايجاد ثم ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبياء طوائف متعددة
منهم من بالغ في حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وفق هواه ومشتهاه فلا عليه قانون الحجة والعقل ليمنعه ذلك عن التزام التكاليف وهو المذكور في الا
وفيه ان اللذات ذاهبة وعذاب الكفر باق وليس من العقل تحمل العقاب الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حمله العصبية والعناد على تكذيب
معجزات الانبياء وجعلها من قبيل السحر الذي لا اصل له وهم الذين عنوا بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس والمعنى انه لو نزل الكتاب جملة واحدة
في صحيفة واحدة فراوه ولمسوه وشاهدوا عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سؤال وهو ان نزول الكتاب من السماء جملة ان لم يكن من باب المعجزات
لم يكن انكاره منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فالملك يقدر على انزاله من السماء وقيل الايمان بصدق الرسل لم يكن عصمة الملائكة معلومة وحينئذ يجوز ان يكون
نزول ذلك من قبل بعض الشياطين او من بعض الملائكة الذين لم يثبت عصمتهم فلا يكون دليلا على الصدق واجيب بان المقصود من الاية ليس بيان الاعجاز ولكن
المراد انهم اذا لمسوه بايديهم يتقوى الادراك البصري بالادراك اللمسي ويبلغ الغاية في القوة والظهور ثم ان هؤلاء يبقون شاكين في ان ذلك الذي راوه
ولمسوه هل هو موجود ام لا وذلك يدل على انهم بلغوا في الجهالة الى حد السفسطة قال القاضي في الاية دليل على وجوب اللطف لانه بين انه انما لا ينزل هذا
الكتاب من حيث انه لو انزله لقالوا هذا القول فعلم منه انهم لو قبلوه وامنوا به لانزله لا محالة وزيف بان المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل
على وجوبه ومن الكفرة من قابل النبوات بايراد الشبهات والاقتراحات قال الكلبي ان مشركي مكة قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله
ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله وذلك قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك فاجاب الله تعالى عن مقترحهم بقوله ولو انزلنا ملكا
لقضي الامر ثم لا ينظرون ومعنى القضاء الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب ان انزال الملك على البشر اية باهرة وحينئذ ربما لم يؤمنوا فيجب اهلاكهم بعذاب
الاستيصال او لعلهم اذا شاهدوا الملك زهقت ارواحهم الا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى جبريل عم على صورته الاصلية غشي عليه و
ان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كاضياف ابراهيم ولوط وكالذين تسوروا المحراب وان جبريل عم تمثل لمريم عم بشرا سويا وفائدة ثم ان عدم
الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اقطع من نفس الشدة ثم انهم كانوا يطعنون في نبوة محمد من جهة اخرى وهي انه بشر مثلهم ويقولون لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا وتقرير الشبهة ان الرسل اذا كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم اكثر وقدرتهم اشد ومهابتهم اعظم وامتيازهم
عن الخلق اكمل والاشتباه في نبوتهم ورسالتهم اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم اختار ما هو اسرع افضاء الى المطلوب فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله
ولو جعلناه اي الرسول ملكا لجعلناه رجلا لان انزال الملك اية ظاهرة جارية مجرى الالجاء وازالة الاختيار وذلك مناف لغرض التكليف ولان
الجنس الى الجنس اميل ولان البشر لا يطيق رؤية الملك ولان طاعة الملائكة كثيرة فيحقرون طاعات البشر ويستعظمون اقدامهم على المعاصي فلا يعذرون
معهم ولان انزال الملك يقوي الشبهة من وجه اخر وذلك ان اي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا
مثل ما حصل لك من القدرة والقوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلت ثم قال وللبسنا عليهم ما يلبسون لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا اشبهته
عليهم وجعلته مشكلا ومنه لبس الثوب لانه يفيد الستر والمعنى اذا جعلنا الملك في صورة البشر كان فعلنا نظير فعلهم في التلبيس وانما كان ذلك تلبيسا
لان الناس يظنونه ملكا مع انه ليس بملك او يظنونه بشرا مع انه ليس ببشر وانما كان فعلهم لبسا لانهم يخلطون على انفسهم ويقولون ان البشر لا يصلح للرسالة
فلا ينقطع السؤال وبذا يبقى الامر في حيز الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون قوله ما يلبسون مفعولا مطلقا ويجوز ان يراد لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ

يكون مفعولا به يعني ان القوم اذا راوا الملك في صورة الانسان اشتبه الامر عليهم واذا كنا قد فعلنا ذلك كان اللبس منسوبا الينا ثم سلى رسوله
صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي نزل وقال الفراء عاد عليهم والتركيب يدور على الاحاطة ومنه الحوق
بالضم ما استدار من الكرة ما كانوا اي الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق الذي جاء به محمد اسند الحيق اليه حيث اهلكوا لاجل الاستهزاء
ويحتمل ان يراد بلفظة ما العذاب الذي كان يخوفهم الرسول بنزوله وهم يستهزءون بذلك ثم امر رسوله بان يقول لهم لا تغتروا بما وجدتم من زخارف الدنيا
وسيروا في الارض لتشاهدوا اثار الامم السالفة والذين كذبوا رسلهم ونزل بهم ما نزل فان الاسفار تورث الاعتبار وتفيد الاستبصار والله سبحانه قال
ههنا ثم انظروا وفي موضع اخر فانظروا فالفاء يجوز اعتبار ترتب النظر على السير وثم لتباعد ما بين المباح والواجب فان السير مباح والنظر واجب
شتان بين السير الصوري بقدم الاشباح وبين السير المعنوي بقدم الارواح والتاويل حمد نفسه القديم الازلي بكلامه القديم الازلي على ان خلق
سموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات اي الصفات البهيمية والسبعية في النفوس والنور في القلوب وهو صفاتها الملكية والروحانية
وخص الجعل بالمعاني التي من عالم الامر والخلق بالاعيان لانها من عالم الصورة ولهذا لما ذكر صورة ادم قال اني خالق بشرا من طين وحيث اراد معناه
قال اني جاعل في الارض خليفة ثم بعد هذا الجعل والخلق مال نفوس الكفار بغلبات الظلمات الى طاغوت الهوى فجعلوه عديلا لربهم ثم نفى اجل الروح
المفارق عن حضرته لايام فراقه واجل مسمى عنده وهو اجل الوصال بعد الفراق بجذبة ارجعي الى ربك ثم انتم تمترون يا اهل الوصال كما يمتري اهل الفراق في انه
محال وهو الله في سموات القلوب وفي ارض النفوس يعلم سر الخلافة الذي اودع فيكم وجهركم الذي يظهر عنكم ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد السري
والجهري في المامورات والمنهيات في الخير والشر من اية من ايات ربهم في الافاق وفي انفسهم مكناهم في طلب الحق من تهذيب النفوس واكتساب الخيرات و
الطاعات وارسلنا سماء الواردات من سماء القلوب عليهم مدرارا وجعلنا انهار الحكمة تجري من تحت لسانهم فاهلكناهم مع هذه المقامات ارباب
بسموم طلب الدنيا ما لها وجاهها وانشانا من بعدهم قرنا اخرين من الطلاب الصادقين الثابتين المستقيمين ولو جعلناه رجلا ليفهموا خطابه ويكون
واقفا على الاحوال البشرية فيعالجهم بما يرى فيه صلاح حالهم كما قال وما ارسلنا الاية قل سيروا في ارض النفوس بقدم التقوى ومخالفة الهوى
الى ان تبلغوا سواحل بحار القلوب فتشاهدوا انوار الله المودعة فيها عاقبة من هلكوا في بوادي الطبيعة اذ ساروا بقدم الطبيعة والله اعلم

قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم
الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم
لا يؤمنون ۝ وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع
العليم ۝ قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض
وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا
تكونن من المشركين ۝ قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم ۝ من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز
المبين ۝ وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ۝ وهو القاهر فوق
عباده وهو الحكيم الخبير ۝ قل اي شيء اكبر شهادة قل الله
شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم
لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله
واحد وانني بريء مما تشركون ۝ الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح
الظالمون ۝ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا

أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ۝ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ۝ انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ۝

القراءات اني امرت بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع اني اخاف بفتح الياء هما وابن كثير وابو عمرو والباقون بالسكون من يصرف مبنيا
للفاعل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون مبنيا للمفعول ائنكم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر
وهشام يدخل بينهما مدة ائنكم بالياء بعد الهمزة ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد ائنكم بالمد والياء ابو عمرو ويزيد وقالون
يرى بغير همز حيث كان يزيد وحمزة في الوقف نحشرهم ثم نقول بياء الغيبة فيهما يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بتاء التأنيث حمزة وعلي وحماد
والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع ابن كثير وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب والله ربنا بالنصب على النداء حمزة وعلي
وخلف والمفضل الباقون بالجر على البدل او البيان الوقوف والارض ط قل لله ط الرحمة ط لان قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف
ليجمعنكم جواب معنى القسم في كتب وفيه نظر لان كتب وعدا ناجزا وليجمعنكم وعد منتظر لا ريب فيه ط بناء على ان الذين مبتدأ فيه معنى الشرط لا يؤمنون ه
والنهار ط العليم ه ولا يطعم ط من المشركين ه عظيم ه رحمه ط المبين ه الا هو ط قدير ه عباده ط الخبير ه شهادة ط وبينكم ط ومن بلغ ط اخرى ط لانتهاء الاستخبار
الى الاخبار قل لا اشهد ج لاتساق الكلام بلا عطف تشركون ه ابناءهم م لئلا يوهم ان ما بعده وصف لا يؤمنون ه لتعقب التبع بآياته ط الظالمون ه
تزعمون ه مشركين ه يفترون ه التفسير انه سبحانه لما برهن على اثبات الصانع وتحقيق النبوات وتقرير المعاد والجأ الكلام الى الامر باعتبار
احوال الغابرين عاد الى اثبات هذه المطالب بطريق الالزام واخذ الاعتراف وذلك ان آثار الحدوث وسمات الامكان لائحة على صفحات
السموات والارضيات حتى بلغ في ظهوره الى حيث لا يقدر منكر على انكاره فكان في السؤال تبكيت وافحام وفي الجواب تقرير والزام [illegible]

[illegible]

والارض اي خالقها ومنشئها بالتركيب الذي سبيله اي يحصل منه الشق والتأليف عند منحه لبعض الاشياء الى البعض وقد يكون انشاء ومنه قوله تعالى
هل ترى من فطور اذا السماء انفطرت وهو يطعم ولا يطعم اي هو الرزاق لغيره ولا يرزقه احد والرزق والاطعام وان كانا متغايرين [illegible]
في قوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون الا انهما متقاربان فجعل احدهما كناية عن الآخر وقرئ وهو يطعم مبنيا للمفعول ولا يطعم مبنيا
للفاعل على ان الضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم ولا يطعم كلاهما للفاعل والمعنى هو يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله والله يقبض ويبسط او الثاني بمعنى
لا يستطعم وحاصل الآية انه يجب شغل القلب كله بالله وقطع العلائق بالكلية عما سواه لانه الجواد المطلق الذي يهب لا لغرض ولا لانتفاع ثم لما بين
ان النبي ايضا داخل في تكليف المعرفة بل هو اسبق قدما في ذلك فقال اني امرت ان اكون اول من اسلم وقيل لي لا تكونن من المشركين ثم بين ان الواعظ
يجب ان يتعظ اولا بما يقوله فالمريض لا يتيسر منه العلاج ثم ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره بصدد المؤاخذة على تقدير المخالفة فقال
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولا يلزم من هذا جواز المعصية عنه لان الغرض قد يتعلق بالمستحيل كقولك ان كانت الخمسة زوجا فهي
منقسمة بمتساويين ثم قرأ من يصرف مبنيا للفاعل فالضمير فيه عائد الى الله تعالى والمفعول وهو العذاب محذوف لكونه معلوما او مذكورا قبله قال ابو علي
ويجوز ان ينتصب يومئذ على انه مفعول به ليصرف اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله ومن قرأ على بناء المفعول فهو مسند الى ضمير العذاب
ولم يسم الفاعل وهو الله تعالى للعلم به فقد رحمه اي الله الرحمة العظمى كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه يعني كمال الاحسان او المراد فقد

بجنة

بجنة فان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا او استيجابا قالت الاشاعرة في الآية دلالة على ان ايصال الثواب على الطاعة غير واجب وانما هو
ابتداء فضل واحسان والا لم يحسن ذكر الرحمة ههنا الا ترى ان الذي يقبح منه ان يضرب زيدا فاذا لم يضربه لا يقال انه رحمه وذلك اي صرف العذاب و
وايصال الثواب على سبيل التفضل او الاستيجاب الفوز المبين لانه المطلب الاعلى والمقصد الاسنى لكل مكلف ثم اكد المعنى المذكور وهو انه لا يجوز للعاقل
ان يرغب في اتخاذ ولي غير الله بقوله وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من البليات فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة
فهو على كل شيء قدير تعميم الحكم ليندرج تحته كل خير والحاصل ان اندفاع جميع المضار بقدرته وكذا حصول جميع الخيرات لان كل ما عداه فانما هو تحت
قهره وتسخيره وقد حصل بايجاده وتكوينه فان الممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ورأس المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الايمان ولن يحصل
نفرة الكفر وداعية الايمان الا بتوفيقه تعالى وكل ما يتصور انه قد نفع او ضر من الجمادات والحيوانات فان ذلك ينتهي الى تخليق الله وجعله ذلك الشيء
واسطة لذلك النفع او الضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة الا هو سبحانه ثم زاد لهذا المعنى بيانا فقال وهو القاهر فوق عباده وهو اشارة الى كمال
القدرة وهو الحكيم الخبير وهو اشارة الى كمال العلم فالحكمة اخص من العلم لانها علم وعمل وكونه خبيرا اخص من العلم لانه العلم ببواطن الامور
وخباياها فاذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل بظاهر الآية من اثبت الفوقية لله تعالى وعورض بوجوه منها انه لو كان فوق العالم
فان كان في الصغر بحيث لا يتميز منه جانب من جانب كالجوهر الفرد مثلا فذلك لا يقوله عاقل وان كان ذاهبا في الاقطار كلها كان متجزيا والجواب
انه لم لا يجوز ان يكون نورا قائما بذاته غير متناه ولا متجزيا ولا مستضيئا قاهرا لجميع الانوار غالبا على جميع الاشياء لا غاية لجوده ولا نهاية لوجوده وانما
انه كيف يتصور نور بلا نهاية مع انه لا ينقسم ولا يتبعض فهو مستبعد فلا يصلح حجة وادراك شيء من هذا النور يحتاج الى نور ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور ومنها انه لو كان غير متناه من كل الجهات لزم اختلاطه بالقاذورات والجواب ان هذا كلام مخيل فلا يستعمل في البرهان ومنها انه لو لم يكن
خارج العالم خلاء ولا ملاء لم يكن حصول ذات الله تعالى فيه وان كان خلاء فحصوله في جزء من اجزاء ذلك الخلاء دون سائر اجزائه يحتاج الى مخصص فيكون
الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا خلف والجواب انا ذكرنا ان نور الانوار لا يتبعض وانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيسقط هذا الاعتراض ومنها انه
سبحانه موجود قبل الخلاء والحيز والجهة فلا يكون بعد حصول هذه الاشياء موجودا فيها والا لزم التغير في ذاته والجواب بالفرق بين المعية وبين [illegible]
ومنها ان العالم كرة فاما ان يكون الله تعالى فوق اقوام باعيانهم وحينئذ يلزم ان يكون تحت اقدام من يقابلهم واما ان يكون فوق الكل فيكون فلكا
محيطا بسائر الافلاك وهذا لا يقوله مسلم والجواب الالزامي بعد تسليم كون العالم كرة انا نختار القسم الاول ولا يلزم التحتية لان التحت من جميع الجوانب
هو ما يلي المركز والفوق ما يلي السماء او القسم الثاني ولا يلزم من احاطته بجميع الاشياء كونه فلكا كسائر الافلاك واما التحقيق فقد تقدم ومنها ان لفظ الفوق
في الآية مسبوق بالقهر والمراد به القدرة والمكنة وملحوق بلفظ عباده وانه مشعر بالمملوكية والمقدورية فالمناسب ان يراد بالفوق ايضا فوقية القدرة
ولا يلزم التكرار لان المراد ان القهر والقدرة عام في حق الكل والجواب ان حمل الوسط على الطرفين ليس اولى من العكس بل لا نزاع في مفهوم العباد وانما النزاع
في مفهومي القاهرية والفوقية وليس احدهما على الآخر اولى من غيره ومنها ان الآية سيقت ردا على من اتخذ غير الله وليا وهذا انما يحسن لو كان المراد بالفوقية
القدرة لا الجهة والجواب ان الفوقية بالوجه الذي قررناه في جواب الاعتراض الاول يفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب ان يكون المعول عليه في كل الامور
اذ لا وجود ولا ظهور لشيء من الاشياء الا بفيضه ونوره وقد يلوح للمتأمل في هذه الاجوبة بعد التنزه عن التشبيه والتجسيم والحلول والاتحاد اسرار
شريفة ان كان اهلا لها وكل ميسر لما خلق له قال الكلبي ان رؤساء مكة قالوا يا محمد ما نرى احدا يصدقك بما تقول من امر الرسالة ولقد سألنا عنك
اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول كما تزعم فنزلت قل اي شيء اكبر شهادة الآية قال العلماء
انها دلت على ان اكبر الشهادات واعظمها شهادة الله ثم بين ان شهادة الله حاصلة الا انها لم تدل على ان تلك الشهادة لاثبات اي المطالب
فقيل انها لاثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا من سبب النزول والمعنى قل يا محمد اي شيء اكبر شهادة حتى يعترفوا بان اكبر الاشياء شهادة
هو الله تعالى فاذا اعترفوا بذلك فقل ان الله شهد لي بالنبوة بان اظهر على وفق دعواي معجزا هو القرآن الذي عجزتم معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته
وقيل ان حصول هذه الشهادة في وحدانية الله تعالى وذلك ان الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا يمتنع اثباتها بالسمع والمعنى
قل الله شهيد بيني وبينكم في اثبات الوحدانية والبراءة عن الاضداد والانداد والامثال والاشباه واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ان
الدين هو التوحيد والشرك مردود وقد استدل الجمهور على انه يصح اطلاق الشيء على الله تعالى وخالف جهم محتجا بقوله والله خالق كل شيء اذ لا يلزم
دعوى التخصيص فيه فالتخصيص انما يجوز في صورة شاذة لا يلتفت اليها لقلة اعتبارها كتطلق لفظ الكل على الاكثر ومنها ان البقية جارية
مجرى العدم فلو كان الباري تعالى شيئا لكان اعظم الاشياء واشرفها فيكون اخراجه من هذا العموم محض الكذب وايضا احتج بان الشيء يطلق
على المعدوم لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله والشيء الذي سيفعله غدا معدوم في الحال فالشيء لا يفيد صفة مدح فلا يطلق
عليه والجواب عن الاول ان اخراج الاكثر عن العموم جائز عندنا ولو سلم فانه تعالى واحد من الاشياء والمخرج بهذا الاعتبار اقل عددا من الباقي وعن الثاني
ان لفظ الشيء اعم الالفاظ ومتى صدق الخاص والحقيقة صدق العام بالضرورة قال جهم قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها
فلا يصح اسناد الاكبر قلنا قل اي شيء سؤال ولا بد له من جواب وهو اما مذكور اي قل الله اكبر الاشياء شهادة ثم ابتدئ فقيل شهيد اي وهو شهيد بيني
وبينكم او محذوف والمعنى قل هو الله والله شهيد بيني وبينكم وحسن الحذف لانه اذا سئل عن اكبر الاشياء شهادة وذكر بعد ذلك ان الله شهيد علم جزما
ان اكبر الاشياء شهادة هو الله اما قوله ومن بلغ فمعطوف على ضمير المخاطبين والعائد الى من محذوف اي لانذركم يا اهل مكة وانذر كل من بلغه القرآن الى
العجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل من بلغ اي من احتلم وبلغ
اوان التكليف وعلى هذا فلا حاجة الى اضمار العائد ثم استفهم مبكتا فقال ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى وصف الجمع بصفة الواحدة كما يقال الرجال
فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بثلاث جمل اولها قل لا اشهد اي بما تذكرونه من اثبات الشركاء وثانيها قل انما هو اله واحد وكلمة انما تفيد
الحصر وثالثها وانني بريء مما تشركون ومن هنا قالت العلماء المستحب لمن يسلم ابتداء ان يأتي بالشهادتين ويضم اليهما التبري عن كل دين سوى دين
الاسلام ولما زعم مشركوا مكة انهم سألوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ليس له عندنا ذكر كذبهم الله تعالى بقوله الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه اي يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعوته وحلاه الثابتة في الكتابين كما يعرفون ابناءهم بالنعوت والحلى لا يخفون عليهم ولا يشتبهون بغير
ابنائهم الذين خسروا انفسهم اما بدل او بيان من الذين الاولى ويكون المقصود وعيد المعاندين منهم والجاحدين واما ابتداء الكلام جملة مستأنفة شاملة
لجميع الجاحدين من اهل الكتاب ومن المشركين والمراد بخسران النفس اهلاك الذات الذي يحصل لهم بسبب الكفر وقيل وما من احد الا وله منزلة في الجنة الا من كفر فانه

منزلته الى من اسلم فيكون قد خسر نفسه واهله بان ورث منزلته غيره ثم بين سبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال ومن اظلم وذلك انهم
جمعوا بين امرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافتراء على الله وجحد الحق وهو التكذيب بآيات الله فمن الاول ان المشركين كانوا يقولون للاصنام انها
شركاء الله وانداد لهم بذلك وكانوا يقولون الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود والنصارى كانوا يزعمون ان التورية
والانجيل ناطقان بعدم النسخ وانهم ابناء الله واحباؤه وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة الى غير ذلك من مفترياتهم ومن الثاني قدحهم في القرآن
وفي صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم انه لا يفلح الظالمون الذين وضعوا الشيء في غير موضعه الباطل مكان الحق والحق بازاء الباطل ثم كشف عن حالهم
يوم القيمة فقال ويوم نحشرهم وناصبه محذوف اي ويوم كذا كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في الوعيد ويحتمل ان يكون
مفعول اذكر او معطوفا على محذوف اي لا يفلح الظالمون في الدنيا ويوم الحشر اين شركاؤكم آلهتكم التي جعلتموهم شركاء الذين كنتم تزعمون هم شركاء
فحذف المفعولان من هذا الاستفهام للتقريع والتبكيت ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حيث لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ويجوز ان يحال بينهم وبين آلهتهم
في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيزداد حسرتهم ويحتمل ان يقال اين شفاعتهم لكم وانتفاعكم بهم والغرض من جميع
الوجوه ان يتقرر في نفوسهم ان الذي يظنونه مأيوس منه فيصير ذلك تنبيها لهم في دار الدنيا على فساد هذه الطريقة ثم لم تكن فتنتهم من قرأ بالرفع
على انه اسم كان فالخبر الا ان قالوا والتقدير شيئا الا ان قالوا ومن قرأ بالنصب مع تذكير يكن فلعكس ما قلنا والتقدير شيء الا ان قالوا واما
تأنيث تكن فلوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك او بتأويل مقالتهم قال الواحدي الاختيار قراءة من قرأ بالنصب لان ان اذا وصلت بالفعل لم توصف
فاشبهت بامتناع وصفها المضمر وكان المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك كنت القائم كان جعل المضمر اسما اولى من جعله خبرا فكذلك ههنا قال الزجاج
تأويل هذه تأويل حسن في اللغة لا يعرفه الا من وقف على معاني كلام العرب وذلك انه تعالى بين كون المشركين مفتونين بشركهم متهالكين في حبه فذكر ان
عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا انه دين آبائنا لم يكن الا الجحود والتبرؤ والحلف على عدم التدين به ومثاله ان ترى
انسانا يحب شخصا مذموم الطريقة فاذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك لفلان الا ان تبرأت منه وتركته فعلى هذا فتنتهم هي كفرهم
في الدنيا كما فسرها ابن عباس ولكن لابد من تقدير مضاف وهو العاقبة ويجوز ان يراد ثم لم تكن جوابهم الا ان قالوا وسمي فتنة لانه كذب قال القاضي
الجبائي وابو بكر ان اهل القيمة لا يجوز اقدامهم على الكذب لانهم يعرفون الله تعالى بالاضطرار فيكونون ملجئين الى ترك القبيح وكيف لا وانهم يعلمون
ان ذلك لا يروج منهم حينئذ فلا يستفيدون من ذلك الا زيادة المقت والغضب من الله تعالى عليهم ولا يجوز ان يقال انهم لما عاينوا القيامة اختلت
عقولهم واضطربت فلهذا قالوا الكذب او انهم نسوا كونهم مشركين في الدنيا لانه لا يليق بحكمته تعالى ان يوقفهم ثم يحكي عنهم ما يجري مجرى الاعتذار عند اختلال
عقولهم ولان تجويز النسيان امر كان عليه الشخص مدة عمره نوع من السفسطة وايضا انهم لو كذبوا في موقف القيمة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد
اقدموا على نوعين من القبيح فان عوقبوا على ذلك صارت الآخرة دار التكليف وان لم يعاقبوا كان اذنا من الله تعالى في ارتكاب الذنوب وكلاهما محال
فاذن الوجه في الآية ان يقال ان القوم كانوا يعتقدون في انفسهم وظنونهم انهم موحدون فاجابوا بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اي في اعتقادنا وظنوننا
وعلى هذا فيكونون صادقين فيما اخبروا عنه لانهم كانوا غير مشركين عند انفسهم فيجب تأويل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم بان المراد كذبهم في دار الدنيا
كقولهم انهم على الصواب وان ما هم عليه ليس بشرك وان آلهتهم شفعاؤهم عند الله فلهذا قال وضل عنهم اي وانظر كيف غاب عنهم في الآخرة ما كانوا يفترون
اي يفتعلون الهيته وشفاعته والحاصل ان الآية سيقت لبيان تضاد حالتهم في الدنيا والآخرة بالكذب والصدق ولكن حيث لا ينفعهم الصدق لان خالهم
الصدق في الآخرة انما يعتبر اذا كان مقرونا بالصدق في الدنيا هذه جملة كلام القاضيين وقال جمهور المفسرين ان قول القائل المراد ما كنا مشركين
في اعتقادنا وكيف كذبوا على انفسهم في الدنيا مخالفة الظاهر وان الكفار قد يكذبون في القيمة كقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الى قوله الا انهم
هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون تعمدا الا ان المتحير قد ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا
بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واختلال عقولهم حال ما يتكلمون بهذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم في سائر الاوقات
التأويل ما في الكون سوى الله لا داع ولا مجيب فلهذا يسأل ويجيب قل لمن ما في السموات والارض قل لله وله ما سكن في ليل البشرية من
التمتعات الحيوانية وفي نهار الروحانية من المواهب الربانية وهو السميع انين من سكن اليه العليم بحنين من اشتاق اليه قل اغير الله اتخذ اليوم وليا
وقد اتخذني الله في الازل حبيبا فاطر سموات القلوب على محبته وفاطر ارض النفوس على عبوديته وهو يطعم ارواح العارفين طعام المشاهدات ويسقيهم
كؤوس المكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الى قبول الفيض الى غيره فالانوار عنده كالذرات اول من اسلم لاني خلقت من صفو الوجود ولهذا يقول الانبياء
نفسي نفسي واقول امتي امتي اني اخاف ان عصيت ربي برؤية الغير عذاب يوم عظيم هو وقت الاستنزال عن مقام التوحيد من يصرف عنه عذاب الشرك
يوم قدر الشرك لاقوام والتوحيد لاقوام ان يمسسك الله بضر ان دائرة ازلية متصلة بابدية وكل نقطة من الدائرة تصلح للبداية والنهاية وكل واحد منهم
فلن ينتهي الا به وهو القاهر فوق عباده قهر الكفار بموت القلوب فبقوا في ظلمات الطبيعة وقهر نفوس المؤمنين بانوار الشريعة فخرجوا من ظلمات الطبيعة و
قهر قلوب المحبين بلذعات الاشواق الى يوم التلاق وقهر ارواح الصديقين بسطوات الجلال في اوقات الوصال وهو الحكيم فيما يقهره فلا يخلو من حكمة
الخبير بمن يستاهل كل صنف من قهره فنوره به الله اكبر شهادة لانه محيط بحقائق الاشياء ولا يحيط به شيء من الاشياء ومن بلغ ومن بلغه القرآن ووقف
على حقائقه ويقول يوم حياتي للمشركين ائنكم لتشهدون الذين آتيناهم الكتاب يعني العلماء بالقرآن يعرفون الله او النبي وفيه اشارة الى ان الآباء قد
تحقق عندهم انهم مصادر الابناء وكذلك اهل المعرفة قد تحقق عندهم ان الله تعالى مصدر جميع الاشياء الذين خسروا انفسهم بافناء الاستعداد والفطرة و
ويوم نحشرهم جميعا يعني اهل المعرفة والنكرة اين شركاؤكم من الهوى والدنيا كذبوا على انفسهم في القيامة لانهم كذبوا في الدنيا ومن كان
في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي
اذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك
يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون

عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا
على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا
حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا
على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا
جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين
يتقون افلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتيهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك
من نبأ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء
فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه
يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر
على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون صدق الله

القراءة ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة وحفص ويعقوب وافق ابن عامر في ونكون الباقون بالرفع ولدار الآخرة بالاضافة ابن عامر
بتأويل الساعة الآخرة الباقون بتعريف الدار ورفع الآخرة على الوصفية تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص
وكذلك في الاعراف يكذبونك بالتخفيف من اكذبه اذا وجده كاذبا علي ونافع والاعشى في اختياره الباقون بالتشديد من كذبه اذا نسبه الى الكذب
ان ينزل بالتخفيف ابن كثير الوقوف وقرا ط بها ط الاولين ط وينأون عنه ج لابتداء النفي مع واو العطف وما يشعرون ۝ من المؤمنين ۝
من قبل ط لكاذبون ۝ بمبعوثين ۝ لتضعف الجزاء ربهم ط بالحق ط وربنا ط تكفرون ۝ بلقاء الله ط لان حتى للابتداء فيها لا لان الواو للحال على ظهورهم ط
يزرون ۝ ولهو ط يتقون ط تعقلون ط يجحدون ۝ نصرنا ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله كذلك المرسلين ۝ بآية ط من الجاهلين ۝
يسمعون ط يرجعون ۝ من ربه ط لا يعلمون ۝ التفسير لما بين احوال الكفار في الآخرة اتبعه بعض اسباب ذلك فقال ومنهم من يستمع اليك وقال
ابن عباس حضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف

واستمعوا الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال ما ادري ما يقول الا اني ارى يحرك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول
الا اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الاولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه
فنزلت الآية والاكنة جمع كنان وهو كل ما وقى شيئا وستره من الاغطية والفعل منه اكننت وكننت وان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة
ان يفقهوه والوقر الثقل في الآذان والتركيب يدور على الثقل ومنه الوقر بالكسر الحمل والوقار الحلم وفي الآية دلالة على ان الله تعالى هو الذي يصرف عن الايمان
ويحول بين المرء وبينه وقالت المعتزلة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والا كان فيها حجة للكفار ولانه يكون تكليفا للعاجز ولم يتوجه ذمهم في قولهم وقالوا قلوبنا
غلف فلا بد من التأويل وذلك من وجوه الاول قال الجبائي ان القوم كانوا يستمعون لقراءة الرسول ليتوسلوا بسماع قراءته الى مكانه بالليل
فيقصدوه بالقتل وايذائه فكان الله يلقي على قلوبهم النوم والغفلة وعلى آذانهم الثقل وزيف بان المراد لو كان ذلك لقيل ان يسمعوه بدل ان يفقهوه
وبان قوله وان يروا كل آية اي كل دليل وحجة لا يؤمنوا بها لا يناسبه الثاني ان المكلف الذي علم الله تعالى انه لا يؤمن وانه يموت على الكفر يسم قلبه
بعلامة مخصوصة ليستدل الملائكة برؤيتها فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكنان مع انها في نفسها ليست بمانعة عن الايمان الثالث يقال انه
انه جبل على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل الرابع لما منعهم الالطاف التي تصلح ان يفعل بالمهتدي وفوض امورهم الى انفسهم
ان يضيف ذلك الى نفسه الخامس ان هذا حكاية قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وعورضت هذه الادلة بالعلم والداعي و
ذلك ان الله تعالى علم من الكافر انه لا يؤمن وخلاف علمه محال وانه سبحانه هو الذي خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك الداعية يستحيل
الايمان فهو المعنى بالكنان وتحقيق المسألة تقدم في اول سورة البقرة في قوله ختم الله على قلوبهم والافراد في يستمع والجمع في قلوبهم اعتبار للفظة من تارة
وللمعنى اخرى حتى اذا جاؤك هي حتى الابتدائية التي يقع بعدها الجمل كقوله شعر حتى ماء دجلة اشكل والجملة ههنا مجموع الشرط والجزاء
اعني قوله اذا جاؤك يقول ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون جارة اي حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال بحاله ويقول تفسير والمعنى انه بلغ
تكذيبهم الآيات الى حالة المجادلة ثم فسر الجدال بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين واصل السطر هو ان يجعل شيئا ممتدا مؤلفا في صف ومنه سطر الكتاب
وسطر من نخيل وجمعه اسطار وجمع الجمع اساطير وقال الزجاج واحد الاساطير اسطورة كاحاديث واحدوثة وقال ابو زيد لا واحد له كعباديد قال ابن
عباس معناه احاديث الاولين التي كانوا يسطرونها اي يكتبونها ومن فسر الاساطير بالخرافات والترهات نظر الى ان الاغلب هو ان لا يكون فيها فائدة
معتبرة كحديث رستم وغيره فذلك معنى وليس بتفسير ثم ان غرض القوم من هذا القول هو القدح في كون القرآن معجزا كأن تلك الكتب المشتملة على الاخبار
والقصص ليست بمعجزة والجواب ان هذا مقرون بالتحدي وقد عجزوا عن آخرهم دون ذلك فظهر الفرق ثم اكد طعنهم في القرآن بقوله وهم ينهون عنه قال محمد
بن حنفية وابن عباس في رواية والسدي والضحاك اي عن القرآن وتدبره والاستماع له وينأون عنه والنأي البعد نائية ونأيت عنه ونأى الرجل اذا
بعد لغة في نأى وحملوه على القلب لان المصدر لم يجئ الا على النأي وقيل الضمير للرسول والمراد النهي عن اتباعه والتصديق بنبوته جمعوا بين فعيلين النأي والنهي
فضلوا واضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس انها نزلت في ابي طالب كان ينهى الناس عن ان يؤذوا رسول الله وينأى عما جاء به روي ان قريشا
اجتمعوا الى ابي طالب يريدون سوءا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو طالب شعر والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد بالتراب دفينا فاصدع بأمرك
ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد
صدقت وكنت ثمة امينا لولا الملامة او حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وضعف هذه الرواية بان قوله وما يهلكون الا انفسهم يعني بما تقدم ذكره
ولكن النهي عن اذيته حسن لا يوجب الهلاك ولكن ان يجاب بان الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهي مع النأي كقوله أتأمرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم ولو سلم فلم لا يجوز ان يرجع الذم الى القسم الاخير فقط ثم بين كيف يعود الضرر اليهم فقال ولو ترى اذ وقفوا على النار وجواب
لو محذوف اي لرأيت سوء منقلبهم ونحو ذلك وجاز حذفه لعلم به ولما في الحذف من تفخيم الشأن وهو ذهاب الوهم كل مذهب كما لو قلت لغلامك
والله لئن قمت اليك وسكت عن الجواب ذهب فكره الى انواع المكاره من الضرب والقتل وغيرهما بخلاف ما لو قلت لاضربنك ولتبيين هذا زيادة
المبالغة قال وقفوا بلفظ الماضي مع ان المراد على المعنى كان هذا الامر وقع وتحقق فكان من حقه ان يخبر عنه بلفظ الماضي اي وقفوا على ان يدخلوا النار
وهم يعاينونها ووقفوا عليها وهي تحتهم او هو من قولهم وقفت على المسألة الفلانية ووقفوا اي عرفوا حقيقتها تعريفا او المراد انهم في جوف النار
فيها فيكون على بمعنى في وجاز لان النار دركات بعضها تحت بعض فلا يخلو من معنى الاستعلاء يا ليتنا نرد داخل في حكم التمني اما قوله ولا نكذب
ونكون فمن قرأ بالنصب فيهما فباضمار ان على جواب التمني والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب ونكون من المؤمنين ومن قرأ بالرفع فيهما
فوجهان احدهما ان التمني تم عند قوله نرد ثم ابتدأوا ولا نكذب ونكون اي ونحن لا نكذب ونكون من المؤمنين كأنهم ضمنوا ان لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين
سواء حصل الرد او لم يحصل وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني وثانيهما ان يكونا معطوفين على نرد
او حالين على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل المجموع تحت حكم التمني واورد على هذا الوجه ان المتمني لا يكون كاذبا وقد قال
وانهم لكاذبون واجيب بان هذا التمني قد تضمن معنى الوعد فجاز ان يتعلق به التكذيب كقول القائل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك فهذا
متمن في حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه كذب لانه كان قال ان رزقني الله مالا احسنت اليك واما قراءة ابن عامر فمعناه ان رددنا
غير مكذبين نكن من المؤمنين ثم رد الله عليهم بانهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين في الايمان بل لاجل خوفهم
من العذاب الذي شاهدوه وعاينوه فقال بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وما الذي كانوا يخفونه في الدنيا قال اكثر المفسرين ان المشركين في بعض
مواقف القيامة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك حين بدا لهم ما كانوا يخفون
من قبل وقال المبرد بل بدا لهم وبال عقائدهم واعمالهم وسوء عاقبتها وذلك ان كفرهم ما كان ظاهرا لهم في الدنيا وانما ظهر لهم يوم القيامة وقال الزجاج
للاتباع ما اخفاه الرؤساء منهم من امر البعث والنشور بدليل قوله بعد ذلك وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا قول الحسن وقيل انها
في المنافقين كانوا يسرون الكفر فيظهر نفاقهم على رؤوس الاشهاد يوم القيامة وقيل هو في اهل الكتاب يظهر لهم ما كانوا يكتمون من صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
والاولى حمل الآية على الكل لانه يوم تبلى السرائر فلا جرم تظهر القبائح وتنكشف الاسرار وتنهتك الاستار اللهم كفر عنا سيئاتنا في ذلك اليوم ثم قال ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه قيل كيف يتصور هذا وانهم قد عرفوا الله تعالى حينئذ بالضرورة وشاهدوا الاحوال والاهوال واجاب القاضي بان
المراد ولو ردوا الى حالة التكليف وعلى هذا التقدير لا يبقى المعرفة ضرورية فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف بان المقصود من ايراد هذا الكلام المبالغة
في غيهم وتماديهم واصرارهم على الكفر واذا فرض عودهم الى حالة التكليف زال التعجب كما هو الآن فاذن لا تحل العقدة الا بان يقال المراد تأكيد جريان القضاء

[illegible] فيهم بحيث قد شاهدوا الثواب والعقاب ثم سألوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم يمنع ذلك منهم وانهم لكاذبون فيما وعدوا من
التمني اي كل شيء ولهذا قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ان نافية والضمير عائد الى حقيقة الحياة المعلومة في الاذهان ولهذا اضيف الى ضمير جمع المتكلم
اي ما ثمة حياة الا هذه الحياة التي هي اقرب الينا وما نحن بمبعوثين بعدها وقيل ان تقدير الآية ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولكفروا بالبعث ولقالوا
ان هي الا حياتنا الدنيا ثم لما قرر انكارهم كشف عن حالهم يوم القيامة فقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم تمسك بعض المشبهة بهذا على انه تعالى يحضر تارة
ويغيب اخرى ورد بان استعلاء شيء على ذات الله تعالى محال بالاتفاق فوجب تأويل الآية بانه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين
مولاه للعتاب او المضاف محذوف اي على جزاء ربهم او وعده او اخباره بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين او هو من قولك وقفته على كذا اي
اطلعته عليه ثم لما كان لسائل ان يقول ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فاجيب قال أليس هذا الذي عاينتموه من حديث البعث والجزاء بالحق الذي
كذبتموه قالوا بلى وربنا وفيه دليل على ان حالهم في الانكار سيؤول الى الاقرار ثم كأنه سئل ماذا قيل لهم بعد الاقرار فاجيب قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم وذلك ليعلم ان الاقرار في غير دار التكليف لا ينفع وذلك ان جوهر النفس اللطيفة القدسية بعث الى هذا
العالم الجسماني الكثيف واعطي الآلات الجسمانية لتحصيل المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة التي تعظم منافعها بعد الموت فاذا اهملها
الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد في تحصيل اللذات الفانية والسعادات المنقطعة الى ان ينقضي اجله فقد ضاع رأس المال والربح وذلك
قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي ببلوغ الآخرة وثوابها وعقابها عبر عن ذلك بلقاء الله لانه لا حكم لاحد هناك الا الله بخلاف الدنيا فانه قد يظن
ان للانسان تصرفا واختيارا وحكما وملكا وحمل اللقاء على رؤية الصانع غير بعيد عند اهل السنة وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي
ولم يزل بهم التكذيب الى تحسرهم وقت مجيء الساعة بل وقت موتهم فان امارات السعادة والشقاوة تلوح على صفحات احوال المكلف من وقت
الموت وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وتسمى يوم القيامة الساعة لسرعة الحساب فيه فكأنه قيل ما هي الا ساعة الحساب
او لانها تفجأ الناس في ساعة لا يعلمها الا الله تعالى ولهذا قال بغتة اي فجأة وانتصابها على الحال اي باغتة من بغته اذا فاجأه او على المصدر
العام اي بغتتهم الساعة بغتة او الخاص لان البغتة نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا نداء تأسف وتلهف ومر في المائدة اي احضري فهذا وقتك على
ما فرطنا اصله يدل على الترك والعجز في الافراط لازالة ذلك قولهم فرط القوم اي سبقتهم الى الماء معناه تركتهم من ورائي حتى حصل لي التقدم والتعبير
في فيها وقال ابن عباس هو اي في الدنيا وان لم يجر لها ذكر في الآية بدلالة العقل لان موضع التقصير هو الدنيا وقال الحسن اي في الساعة على معنى قصرنا في
في شأنها والايمان بها واعداد الزاد وتحصيل الاهبة لها وقال محمد بن جرير الطبري يعود الى الصفقة والمبايعة بدلالة ذكر الخسران وقيل اي ما فرطنا
اي يا حسرتنا على الاعمال والطاعات التي تركناها وقصرنا فيها ثم بين تضاعف خسرانهم بانهم لم يحصلوا الا نقيض موجب الثواب ولكن حصلوا موجب
العقاب فقال وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم هي الآثام والخطايا واصل الوزر الثقل ومنه الوزير لانه يحمل ثقل صاحبه والوزر الملجأ لانه يدفع
عنه ما اصابه فكأنه حمله اما كيفية حملهم الاوزار فقال في الكشاف انه مجاز عن حصولها لهم فيما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف
الكسب بالايدي وقال الزجاج الثقل قد يذكر في الحال والصفة تقول ثقل علي خطاب فلان اي كرهته والمعنى انهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة يثقل ذلك
عليهم وقيل هو كقولك شخصك نصب عيني اي ذكرك لازم لي وقال جمع من المفسرين ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شيء هو احسن الاشياء صورة
واطيبها ريحا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قالوا ركبانا وان الكافر
اذا خرج من قبره استقبله شيء هو اقبح الاشياء صورة واخبثها ريحا فيقول انا عملك الفاسد طالما ركبتني في الدنيا فانا اركبك اليوم قال قتادة والسدي الا ساء
ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم ثم رغب في الحيوة الباقية وزهد في الحيوة العاجلة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو قال ابن عباس يريد حياة
اهل الشرك والنفاق لان حيوة المؤمن يحصل فيها اعمال صالحة فلا يكون لعبا ولهوا وقال آخرون هو عام في حيوة المؤمن والكافر وذلك ان مدة
اللهو واللعب وكل شيء يلهيك ويشغلك مما لا اصل له قليلة سريعة الانقضاء والزوال ومدة هذه الحيوة كذلك وايضا اللعب واللهو لا بد
ان يتبعهما في اكثر الامر شيء من المكاره ولذات الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون والحكماء المتألهون وللدار الآخرة قال ابن عباس
هي الجنة وانها خير لمن اتقى الكفر والمعاصي وقال الاصم التمسك بعمل الآخرة خير وقال آخرون نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا من حيث انها دائمة
مصونة عن شوائب الآفات والمخافات آمنة من نقص الانقضاء والانقراض والذين يتقون فيه ان هذه الخيرية انما تحصل لمن اتقى الكفر والمعاصي
فاما الكافر والفاسق فالدنيا بالنسبة اليهما خير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر افلا تعقلون قال الواحدي من قرأ بالتاء
الخطاب فالمعنى قل لهم افلا تعقلون ايها المخاطبون ومن قرأ بالياء فمعناه افلا يعقل الذين يتقون ان الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار وذلك ان خيرات
الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التي يشارك فيها سائر الحيوانات بل ربما كان امر كثير من الحيوانات فيها اكمل فالجمل اكثر اكلا والديك والعصفور
اكثر وقاعا والذئب والنمر والحيات اقوى غضبا وقهرا وكل من وقف همه على هذه المطالب لم يكن له عند العقلاء وزن ولا عند الحكماء والعلماء
قدر وكل من صرف عمره في تحصيل الكمالات الذاتية والسعادات الباقية كان له في العيون مهابة وفي القلوب قبول وذلك دليل على شهادة الفطرة
الاصلية بخساسة اللذات الجسمانية وعلو مرتبة الكمالات الروحانية واجيب ان النوعين تشاركا في الفضل والمنقبة الا ان المعلوم افضل من المظنون
وان خيرات الآخرة معلومة قطعا والوصول الى خيرات الدنيا في الغد غير معلوم بل مظنون فكم من سلطان قاهر بكرة وصار تحت التراب عشية وكم من معزول
اصبح اميرا كبيرا ثم امسى فقيرا حقيرا واجيب انه وجد بعد هذا اليوم يوما آخر فلن يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب ولو انتفع فقلما تخلص من شوائب
المكاره والآفات كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق قيل وما هو يا رسول الله قال سرور يوم بتمامه
ان الدنيا له قدم ليس مآل كل ذلك الى الزوال والانقراض وكفى بذلك نقصا وكدرا كما قال شعر كمال الهم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال قد نعلم والمراد كثرة العلم والمبالغة فيه كما مر في قوله قد نرى تقلب وجهك والهاء في انه ضمير الشأن وكسرت بعد
العلم لمكان لام الابتداء في ليحزنك الذي يقولون قال الحسن قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل تصريحهم بانهم لا يؤمنون به ولا يقبلون دينه وقيل
نسبتهم اياه الى الكذب فانهم لا يكذبونك قال ابو علي وثعلب اكذبه وكذبه بمعنى وقيل اكذبت الرجل الفيته كاذبا وكذبته اذا قلت له كذبت قال الكسائي
اكذبته اذا اخبرت انه جاء بالكذب ورواه وكذبته اخبرت انه كاذب وقال الزجاج معنى كذبته قلت له كذبت ومعنى اكذبته اريته ان ما اتى به كذب ومعنى
كذبته ان الذي اتى به كذب في نفسه من غير ادعاء ان ذلك القائل يختلق ذلك الكذب واتى به على سبيل الافتعال والقصد لمن قرأ بالتخفيف نظرا الى ان
القوم كانوا يعتقدون ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ذكر ذلك على سبيل الافتعال والترويج بل يعتقد صحة ذلك وذلك بناء على انه خياله باطل ثم ان ظاهر الآية

يعني انهم لا يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم ولكنهم يجحدون بآيات الله وفي الجمع بين الامرين وجوه الاول ان القوم ما كانوا يكذبونه في السر
ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القرآن ونبوته ويؤكده رواية السدي ان الاخنس بن شريق وابا جهل بن هشام التقيا فقال الاخنس
لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ههنا ليس احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط
ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال ابو ميسرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر بابي جهل واصحابه فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك انك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر بن
نوفل كان يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب ولا احسبه الا صادقا فاذن هذه الآية نظير قوله تعالى
في قصة موسى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا الثاني في تأويل الآية انهم لا يقولون انك كذاب لانهم جربوك الدهر الطويل وما وجدوا
منك كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون بعد انك كاذب ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك اما لانهم اعتقدوا ان محمدا عرض له نوع خبل
ونقصان فلاجل ذلك تخيل انه رسول لا انه كذب في نفسه او لانهم زعموا انه امين في كل الامور الا في هذا الواحد الثالث انه لما ظهرت المعجزات على يده ثم
ان القوم اصروا على التكذيب فقال له ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني
ومثله قوله سبحانه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكانه قيل له اذ حزنك لنفسك وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك
لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه الرابع قيل في التفسير الكبير اي لا يخصونك بهذا التكذيب بل ينكرون دلالة المعجزة على الصدق مطلقا
فيكذبون جميع الانبياء والرسل وقوله ولكن الظالمين من اقامة المظهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بالظلم في جحودهم لان من وضع التكذيب
مقام التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله على اذية القوم فقال ولقد كذبت رسل واي رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم
نصرنا فانت اولى بهذه السيرة لانك مبعوث الى كافة الخلائق فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده في نحو قوله
لاغلبن انا ورسلي وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين قال الاخفش من زائدة
والاصح انها للتبعيض لقلة مجيء زيادة من في الاثبات ولان الواصل اليه بعض قصص الانبياء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك فالتقدير ولقد جاءك بعض انبائهم وكان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل وان كان كبر اي شق
عليك اعراضهم عن الايمان وصحة القرآن فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك
والجواب محذوف وحسن للعلم به والنفق سرب في الارض له مخلص الى مكان ومنه اشتقاق المنافق والسلم واحد السلاليم التي يرتقى عليها واصله
من السلامة كانه قيل لو استطعت ذلك لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها ثم قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال اهل السنة فيه دليل
على انه تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة المراد مشيئة الالجاء المنافي للتكليف والالجاء هو ان يعلمهم انهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيضطروا
الى الايمان مثاله ان يحصل شخص بحضرة السلطان وهناك خدمه وحشمه فيعلم انه لو هم بقتل ذلك السلطان لقتلوه في الحال فيصير هذا العلم مانعا له من الفعل
وعورض بالعلم والدواعي كما مر مرارا اما قوله فلا تكونن من الجاهلين اي من الذين يرومون خلاف امور الله فهذا النهي لا يقتضي اقدامه على مثل هذه الحالة
ولكنه يفيد التغليظ وتأكيد الامتناع عن الجزع والاضطراب والحزن والاسف على ايمان من لم يشأ الله ايمانه ثم بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون
الايمان فقال انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرصوا على قبول ايمانهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله
مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة والمراد انه تعالى هو الذي يقدر على احياء قلوب هؤلاء الكفار بحيوة الايمان وانت لا تقدر على ذلك او المعنى ان
هؤلاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم افاد به تشبيه الكفرة بالموتى فان حيوة الروح بالعلم ومعرفة الصانع
كما ان حيوة الجسد بالروح ثم ذكر شبهة اخرى للطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو انه ما جاء بآية قاهرة ومعجزة باهرة لكانهم طعنوا في كون القرآن معجزا
على سبيل العناد او قياسا على سائر الكتب السماوية او طلبوا معجزات تقرب الى حد الالجاء كنتق الجبل وفلق البحر فان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كتسبيح
الحصاة وانشقاق القمر وغير ذلك ليست باقل منها او اقترحوا مزيد الآيات بطريق التعنت واللجاج او المراد قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء فاجابهم الله تعالى بقوله قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون ان فاعليته ليست الا بحسب المشية عند
اهل السنة او على وفق المصلحة عند المعتزلة لا على موجب اقتراحات الناس ومطالباتهم او انه لما ظهرت المعجزة الباهرة والدلالة الكافية من القرآن وغيره
لم يبق لهم عذر ولا علة فلو اجابهم الى مقترحهم فلعلهم يقترحون اقتراحا ثانيا وثالثا وهلم جرا وذلك يفضي الى ان لا يستقر الدليل ولا يتم الحجة وهذا خلاف
المقصود او لا يعلمون انه لو اعطاهم سؤلهم ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الاستيصال او لا يعلمون انهم لما طلبوا ذلك على سبيل العناد لا لاجل الفائدة وقد
علم الله ذلك لم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب الحق ونيله لاعطى مطلوبهم على اكمل الوجوه التأويل ومنهم من يستمع اليك انكارا واختبارا
وجعلنا على قلوبهم من شؤم انكارهم حجابا من تعين الانكار وفي اذانهم وقرا من فساد الاستعداد الفطري وان يروا كل آية بعين الظاهر لا يؤمنوا بها من عمى
القلوب واعوان نور الايمان فيها وهم ينهون الطلاب عن الحق وان يهلكون بتنفير الخلق عن الحق الا انفسهم لان التباعد عن اهل الحق هو البعد
عن الحق وهذا هو الهلاك الحقيقي ولو ترى اذ وقفوا على النار ان ارواح الاشقياء بعد الخلاص عن حبس الطبيعة عرفوا الم عذاب القطيعة فقالوا يا ليتنا
نرد الى عالم الصورة والى الاستعداد بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اي يظهر عليهم آثار الشقاوة التي كتبت لهم وكانوا يتكلفون سترها في عالم الصورة ولما
ولو ردوا الى عالم الصورة لعادوا لما نهوا عنه من اتباع الهوى فيفسدون استعدادهم مرة اخرى وانهم لكاذبون فيما يدعون لانهم خلقوا لاجل التكذيب
لا لاجل التصديق ولهذا ما شاهدوا يوم الميثاق من الالطاف والاعطاف وقولهم بلى في جواب خطاب الست بربكم اذ وقفوا على ربهم عرفوا ربوبية
ربهم ولو عرفوها في الدنيا لم يذوقوا عذاب البعد العقبي حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة هي الساعة التي يجذب العبد فيها عن اوصاف البشرية
بجذبات المحبة نجاة وهي قيامة اخرى لان فيها تبدل ارض البشرية غير الارض واشرقت الارض بنور ربها فينظر المحب الصادق بالنور الى ما قطع
الى ايام ضاعت عنه في طلب غير الحق فيتأسف عليها ويقول ايها القانص احسنت صيد الظبيات فاتك السرب وما زودت غير الخسران
وهم يحملون اثقال التعلقات الزائدة على ظهور وجودهم فان الوجود على السالك ثقل مانع عن السلوك فكيف ما زيد عليه الا لعب ولهو كلعب
الصبيان ولهو اهل العصيان وللدار الآخرة هي السير من البشرية الى الروحانية والاقبال على الله والاعراض عما سواه خير للذين يتقون غير الله تعالى
افلا تعقلون ان الانسان خلق لهذا الشأن لا لغيره كقوله واصطنعتك لنفسي قد نعلم انه ليحزنك من ضيق نطاق البشرية اثر في جنب الله تعالى
الجهلة ولا مبدل لكلمات الله لمقدراته التي قدرها ودبرها من الازل الى الابد بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم في عالم الارواح عند رش النور على الهدى

فلا تكونن

فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة في جعل البعض مظاهر اللطف والبعض مظاهر القهر والنهي في حقه صلى الله عليه وسلم هو نهي الامتناع عن الكينونة
اي خلق في الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا تكن كما انه خلق مستعدا للكمال بكلمة كن قل ان الله قادر على ان ينزل آية في كل لحظة ولمحة ولكن اكثرهم
لا يعلمون دلالة الكائنات على المكون والممكنات على الواجب والمصنوعات على الصانع وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد الله لا سواه وكل نعبد الا اياه

وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم
ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون ۝ والذين
كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشاء الله يضلله
ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ۝ قل ارأيتكم
ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون
ان كنتم صادقين ۝ بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه
ان شاء وتنسون ما تشركون ۝ ولقد ارسلنا الى امم
من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون ۝ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون ۝ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين ۝ قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات
ثم هم يصدفون ۝ قل ارأيتكم ان اتيكم عذاب الله
بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون ۝ وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ۝ والذين كذبوا بآياتنا يمسهم
العذاب بما كانوا يفسقون ۝ قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما
يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون ۝

القراءة ارأيتكم وبابه بتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف ارايتكم وبابه بغير همز علي الباقون ارأيتكم بالتحقيق فتحنا بالتشديد يزيد وابن

خارجة انظر بضم الهاء روى الاصفهاني عن ورش الوقوف امثالكم ط يحشرون ه في الظلمات ط يضلله ط لابتداء شرط آخر مستقيم ه
تدعون ه لان جواب ان منتظر محذوف تقديره ان كنتم صادقين فاجيبوا مع اتحاد الكلام صادقين ه تشركون ه يتضرعون ه يعملون ه كل شيء ط مبلسون
ظلموا ط العالمين ه يأتيكم به ط يصدفون ه الظالمون ه ومنذرين ه يحزنون ه يفسقون ه اني ملك ج للابتداء بالنفي مع اتحاد القائل
والمقول الي ط والبصير ط افلا تتفكرون ه التفسير لما بين ان انزال سائر المعجزات لو كان مصلحة لهم لفعل ذلك اكده بما يدل على كمال
فضله ولطفه واحسانه وامتنانه وآصلة الى جميع الحيوانات فضلا عن الانسان فلو كانت مصلحة المكلفين في اظهار تلك المعجزات القاهرة للحجة
لم يبخل بذلك البتة وفيه ايضا مزيد تقرير لامر البعث وانه حاصل لجميع الحيوان فضلا عن الانسان فان الحيوان اما ان يكون بحيث يدب او يكون بحيث يطير
وانما خص من الدواب ما في الارض بالذكر دون ما في السماء او في الماء لان رعاية مصالح الادون يستلزم رعاية مصالح الاشرف ويمكن ان يقال
الماء ايضا من جملة الارض لانهما جميعا كرة واحدة قال علماء المعاني انما وصف الدابة بكونها في الارض والطائر بانه يطير بجناحيه ليعلم انهما باقيان على عمومهما
او تبيينهما بخواص الجنسين ولولا ذلك لاحتمل ان يعتد بهما صفة نحو ترتع او تنقيد فيتخصصا او لاوهم ان المراد بهما غير الجنسين المتعارفين لقوله بعده الا امم
امثالكم وقد يقول الرجل لعبده طر في حاجتي والمراد الاسراع قال الحماسي شعر طاروا اليه زرافات ووحدانا وقيل ذكر يطير بجناحيه ليخرج عنه
الملائكة ذوو الاجنحة فان المراد ذكر من هو دونكم حالا وقيل ان الوصف للتاكيد كقولهم نعجة انثى وكما يقال ابصرته بعيني وانما جمع الامم مع انه افرد الدابة
والطائر لان النكرة المستغرقة في معنى الجمع قال الفراء كل صنف من البهائم امة وفي الحديث لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها وما وجه المماثلة

[illegible]

ما فرطنا في الكتاب من شيء من مزيدة للاستغراق اي ما تركنا وما اغفلنا شيئا فقط وقيل للتبعيض اي ما اهملنا فيه بعض شيء يحتاج المكلف الى معرفته
والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع احوال العالم على التفصيل وقيل القرآن لانه هو الذي تنصرف اليه الاذهان فيما بين اهل الايمان واورد عليه انه ليس فيه تفاصيل
علم الطب والحساب ولا تفاصيل من العلوم ولا حاصل مذاهب الناس ودلائلهم في علم الاصول والفروع واجيب بان لفظ التفريط لا يستعمل الا فيما
يجب ان يبين والمحتاج اليه انما هو الاصول والقوانين لا الفروع التي لا تنضبط ولا تتناهى واما من علم الا وفي القرآن اصله ومنه شرفه وفضله كقوله
كلوا واشربوا ولا تسرفوا في الطب وكقوله وهو اسرع الحاسبين في الحساب وكقوله خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين في الاخلاق واما تفاصيل
علم الفروع فذكر العلماء ان السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين
وكقوله فاعتبروا وقيل ان القرآن واف ببيان جميع الاحكام لان الاصل براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لا بد فيه من دليل منفصل
وكل حكم لم يكن مذكورا في القرآن بالمطابقة او الالتزام لم يكن ذلك تكليفا او يكون باقيا على اصل الاباحة والله تعالى اعلم اما قوله ثم الى ربهم يحشرون
فللعقلاء فيه قولان الاول قول الاشاعرة انه تعالى يحشر الدواب والطيور لا لان ايصال العوض اليها واجب بل لمجرد المشيئة والارادة ومقتضى
الالهية الثاني قول المعتزلة ان حشر الطيور والبهائم لايصال الاعواض اليها لان ايصال الآلام اليها من غير سبق جناية لا يحسن الا للعوض وفرع القاضي
على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما لحقه من الآلام وكان ذلك العوض لم يصل اليه في الدنيا فانه يجب على الله تعالى حشره في الآخرة
ليوفر عليه ذلك العوض والذي لا يكون كذلك فانه لا يجب حشره عقلا الا ان السمع ورد بحشر الكل فيقطع بذلك فرع آخر كل حيوان اذن الله تعالى
في ذبحه فالعوض له على الله تعالى وكذا الذي اذن في قتله لكونه مؤذيا او آلمه بمرض وسخره للانسان لاجل حمل الاثقال واما اذا ظلمها الناس فالعوض
على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا ولو ذبح المأكول لغير اكله فالعوض على الذابح ولهذا ورد النهي عن ذبح الحيوان لغير اكله والمراد من العوض منافع
عظيمة بلغت في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت انه لا سبيل لها الى تحصيل تلك المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح لرضيت
فرع آخر مذهب القاضي واكثر المعتزلة ان العوض منقطع وبعد ذلك تصير ترابا وحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال ابو القاسم البلخي يجب
دوام العوض لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها توجب الالم وذلك الالم يوجب عوضا آخر وهلم جرا الى ما لا نهاية له
واجيب بالمنع من ان الاماتة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام آخر البهيمة اذا استحقت عوضا على بهيمة اخرى فان كانت البهيمة الظالمة قد استحقت عوضا
على الله تعالى فانه يوصل ذلك العوض الى المظلومة والا فالله تعالى يتكفل بذلك العوض وهذا القدر يكفي في احكام الاعواض بحسب المقام وهو سبحانه
اعلم ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما ينادي على عظمته ويشهد لربوبيته وينبه على حكمته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون
كلام الله البتة وبكم لا ينطقون بالحق خائضون في الظلمات ظلمة الكفر وظلمة الشكوك وظلمة الحيرة والضلال ثم بين ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان
كلها بمشيئته وارادته وتسخيره وتدبيره فقال من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم والجبائي اول الآية بان المراد انهم كذلك في الآخرة كقوله ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وبكما وصما او انهم شبهوا بمن حاله كذا او هو محمول على الشتم والاهانة واما قوله من يشأ الله يضلله اي عن طريق الجنة ولا يشاء الاضلال الا لمن
يستحق عقوبته كما انه لا يشاء الهدى الا للمؤمنين او المراد بالاضلال منع الالطاف لانهم ليسوا من اهلها وبالهداية منحها لانهم من اهلها ثم بين غاية جهالة الكفار

وانهم مع جحودهم يفزعون الى الله في البليات فقال قل أرأيتكم هو منقول من رأيت بمعنى ابصرت او عرفت كأنه قيل ابصرته وشاهدته بحالته العجيبة او عرفتها
أخبرني عنها فلا يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة لشيء فهذا من باب ايقاع السبب على المسبب لان الاخبار انما يكون بعد هذه والعرفان اما اعرابه فالتاء
ضمير الفاعل والكاف للخطاب فانه قيل يكون بلفظ واحد في التثنية والجمع والتأنيث وتختلف هذه العلامات على الكاف نحو أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم أرأيتكن
والتاء في جميع ذلك مفتوحة والكاف حرف الخطاب وليست اسما والا لكانت اما مجرورة ولا جار واما مرفوعة وليست الكاف من ضمائر المرفوع ولانه
ايضا لان التاء فاعل ولا يكون للفعل فاعلان واما منصوبة وهو باطل من وجوه احدها ان هذا الفعل قد يتعدى الى مفعولين نحو أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف
مفعولا لكان ثالثا وثانيها لو كان مفعولا لكان هو التاء في المعنى ولبس المعنى على ذلك اذ ليس الغرض أرأيت نفسك بل أرأيت غيرك ولذلك قلت
أرأيتك زيدا وزيد غير المخاطب ولا هو بدل منه وثالثها لو كان منصوبا على انه مفعول لظهرت علامة التثنية والجمع والتأنيث في التاء نحو رأيتماكما ورأيتموكم
ورأيتكن وقد ذهب الفراء الى انه اسم مضمر منصوب في معنى المرفوع وتجوز تصريف التاء فاما مفعولا أرأيت في الآية فيقال احدهما محذوف تقديره أرأيتكم عبادتكم
الاصنام هل تنفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله أغير الله تدعون وقيل لا يحتاج ههنا الى المفعول لان الشرط وجوابه قد حصل معنى المفعول واما جواب الشرط
فادل عليه الاستفهام في قوله أغير الله تقديره أرأيتكم ان اتتكم الساعة وعذاب الله وحاصل الآية قل يا محمد لهؤلاء الكفار أرأيتكم ان اتاكم العذاب في الدنيا او عند قيام الساعة
أتخصون آلهتكم بالدعوة ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه كشفه ان شاء لان قوارع الساعة
لا تكشف عن المشركين وعلى هذا يكون قوله ادعوني استجب لكم باقيا على اطلاقه لكن في الدنيا ولو علقت المشيئة بكشف العذاب في الدنيا كان قوله ادعوني استجب
ايضا مقيدا بالمشيئة وتنسون ما تشركون قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونهم لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع ويجوز ان يراد ولا تذكرون الاصنام في ذلك
الوقت لان اذهانهم مغمورة بذكر الله وحده والمقصود من الآية تبكيت الكفار كأنه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدائد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تقدمون
على عبادتها وفيه ان مبنى الدين على الحجة والدليل لا على محض التقليد ثم سلى النبي صلى الله عليه وسلم بان اعلمه انه قد ارسل قبله الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا
بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا واصروا على كفرهم بخلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون الى الله في الشدائد ويحتمل ان يقال ان حكم الطائفتين
واحد لان التضرع والالتجاء الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبر وفي الآية محذوف تقديره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فخالفوهم
فاخذناهم بالبأساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والبأساء والضراء البؤس والضر والبأساء القحط والجوع والضراء الامراض والاوجاع والزمانة لعلهم
يتضرعون يتذللون ويتخشعون واصله الانقياد وترك التمرد وضرع الرجل ضراعة فهو ضارع اي ذليل ضعيف احتج الجبائي بالآية على انه تعالى انما ارسل
الرسل وسلط البأساء والضراء عليهم ارادة ان يتضرعوا ويؤمنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل واجيب بان الترجي في حقه تعالى محال فانهم يحملونه على
ونحن نحمله على انه تعالى يعاملهم معاملة المترجي فالترجيح على ان الفسق وتزيين الشيطان وكل ما يفرطونه لا بد ان ينتهي الى خلق الله وتكوينه اما قوله فلولا اذ جاءهم
بأسنا تضرعوا فمعناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا التحضيضية ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا العناد والقسوة
والاعجاب ثم بين انه لما لم ينجع فيهم المواعظ والزواجر نقلهم من البأساء والضراء الى الراحة ففتح ابواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كفعل
الاب المشفق لولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى ومعنى كل شيء اي كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي ظنوا ان ذلك باستحقاقهم
ولم يزيدوا الا بطرا وترفا اخذناهم بغتة قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله تعالى يعطي العاصي فان ذلك
استدراج من الله تعالى قال العلماء وانما اخذوا في حال الراحة والرخاء ليكون اشد لتحسرهم على ما فات من السلامة والعطاء فاذا هم مبلسون آيسون من كل
خير قال الفراء المبلس الذي انقطع رجاؤه ويقال للذي سكت عند انقطاع حجته قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين واذا ههنا للمفاجأة وهي
ظرف مكان وهم مبتدأ ومبلسون خبره وهو العامل في اذا فقطع دابر القوم الدابر التابع للشيء من خلفه كالولد للوالد دبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان آخرهم
ابو عبيدة دابر القوم آخرهم الذي يدبرهم الاصمعي الدابر الاصل قطع الله دابره اي اصله والحمد لله رب العالمين حمد نفسه على ان لم يترك منهم احدا
واستأصلهم لان ذلك جار مجرى النعمة على اولئك الرسل او على اولئك الهالكين كيلا يزيدوا في الكفر عتوا فيزدادوا عذابا وعقابا او حمد على ما
انعم عليهم قبل ذلك وهو انه كلفهم وازال عنهم الاعذار والعلل وبعث الانبياء والرسل واخذهم بالبأساء والضراء ثم نقلهم الى الآلاء والنعماء الا انهم
لم يزدادوا الا انهماكا في البغي والضلال فطهر وجه الارض عن شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد عند هلاك كل ظالم فان ذلك من جملة آلاء الله سبحانه ثم
عاد الى الدلالة على وجود الصانع الحكيم المختار وبيان وحدته جل جلاله فقال قل أرأيتم ان اخذ الله وتقرير ذلك ان اشرف اعضاء الانسان هو السمع
والبصر والقلب كما عددناه فيما مر في اول الكتاب ولا ريب ان القادر على تحصيل هذه فيه وصرفها عن الآفات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى
اخذ السمع والبصر تعطيل منافعهما ومعنى الختم على القلب ازالة العقل حتى يصير كالمجانين وقال ابن عباس الطبع والاماتة حتى لا يعقل الهدى والفلاح
يأتيكم به اي بذلك الذي اخذ من السمع والبصر والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة بناء على ان الضمير المذكر بحكم الاستعمال يلزم ان يكون للذي
عقل لو وضعا والاحسن ان يقال انه ذكر اشياء متعددة فوجب ان يعود الضمير الى جميعها مؤنثا او لا ترجيح وحيث لم يكن الضمير مؤنثا علم ان المراد المذكور
مطلقا فتعين ان يشار اليه بذلك ثم انه اقام الضمير المذكر مقامه او يعود الى ما اخذ وختم عليه ومنع لمن غير التكليف المذكور بحكم التغليب انظر يا محمد
او كل من له اهلية النظر كيف نصرف الآيات نرددها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوي ما قبله في الايصال الى المطلوب
ومعنى ثم التفاوت بين الحالين وهم يصدفون اي يعرضون ويقال امرأة صدوف للتي تعرض وجهها عليك ثم تصدف اي تعرض والصدف ميل
الحائط الى الشق الوحشي وصدف الدرة غشاؤها المسمى به قال الكعبي لو خلق الله فيهم الاعراض والصدود لم ينكر ذلك عليهم وقالت الاشاعرة لو
تعالى يخلق فيهم الدواعي القاطعة للاعتذار ثم عمم الدليل بقوله قل أرأيتكم ان اتاكم والمعنى انه لا دافع لنوع من انواع العذاب الا الله سبحانه فوجب
ان لا يكون معبودا الا هو ثم العذاب المعروض اما ان يجيء من غير سبق امارة تدل على ذلك وهو البغتة واكثر ما يكون ذلك بالليل او مع سبق امارة وهو الجهرة
واكثره بالنهار ولهذا قال الحسن بغتة ليلا او نهارا اما قوله هل يهلك الا القوم الظالمون اي لا يهلك مع قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة فمعناه ان الهلاك بالحقيقة وهو هلاك التعذيب والسخط مختص بالظالمين الاشرار لان الاخيار وان عمهم العذاب الا انهم يستفيدون بذلك ثوابا
جزيلا فهو لهم بلاء في الظاهر وآلاء بالحقيقة خلاف الظلمة فانهم يخسرون الدنيا والآخرة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان امر المؤمن خير كله ان اصابته ضراء
كان خيرا له فان اصابته السراء فشكر كان خيرا له واعلم انه ذكر ههنا أرأيتكم مرتين فزاد خطابا واحدا لان عذاب الاستئصال اعلى من مزيد فناسب زيادة
الخطاب لاجل التأكيد وفيما بينهما قال قل أرأيتم حيث لم يكن كذلك وكذلك في يونس ثم ذكر ان الانبياء والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة لهم
على اظهار الآيات وانزال المعجزات التي اقترحوا في قوله وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه وان ذلك مفوض الى مشيئة الله وحكمته فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين

[illegible]

وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ۞ ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما
من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ۞
وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
اليس الله باعلم بالشاكرين ۞ واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا

فقل

فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا
بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم ۞ وكذلك
نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين ۞ قل اني نهيت ان
اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا
وما انا من المهتدين ۞ قل اني على بينة من ربي وكذبتم به
ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير
الفاصلين ۞ قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر
بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين ۞ وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا
يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا
في كتاب مبين ۞ وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم
ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه
مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ۞

القراءة [illegible]

الى ماذا تصيرون ثم اتخوا وقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم اكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت ولا تطرد الآية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات اثنى الله عليهم بانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس والحسن ومجاهد اي يصلون صلوة الصبح والعصر وقيل اي يذكرون ربهم طرفي النهار والمراد بالغداة والعشي الدوام والغدوة لغة ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس والعشي ما بين الزوال الى الغروب قال الجوهري غدوة بالتنوين نكرة وبدونها معرفة غير منصرفة كسحر ومحل يريدون وجهه نصب على الحال او على الاستيناف كانه قيل ما ارادوا بالمواظبة على الدعا فاجيب بقوله يريدون وجهه ولا يثبت به لله تعالى عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر عن ذات الشيء وحقيقته كما يقال هذا وجه الرأي وذاك وجه الدليل وايضا المحبة يستلزم طلب رؤية الوجه فلهذا السبب حصل الوجه كناية عن المحبة وطلب الرضا ثم علل النهي بقوله ما عليك من حسابهم من شيء وقيل الضمير عائد الى المشركين اي لا تؤاخذ انت بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم ويدعوك ذلك الى ان تطرد المؤمنين والاولى ان يعود الى الفقراء ليناسب قوله فتطردهم كما في قصة نوح ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم وقالوا يا محمد انهم قبلوا دينك ولازموك لاجل المأكول والملبوس فقال الله تعالى ان كان الامر على ما زعموا فما يلزمك الا اعتبار الظاهر وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم لا يتعدى اليك كما ان حسابك لا يتعدى اليهم فالجملتان لهما مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل ما عليك من حساب رزقهم من شيء ولا من حساب رزقك عليهم من شيء وانما الرازق لك ولهم هو الله سبحانه فدعهم يكونوا عندك اما قوله فتطردهم فهو جواب النفي فيما عليك وفي انتصاب فتكون وجهان الاول انه جواب النهي والثاني انه عطف على فتطردهم على وجه السببية لان كونه ظالما معلوم من طردهم ومسبب عنه فان طرد من يستوجب التقريب والترحيب وضع للشيء في غير موضعه ومن هنا طعن بعض الناس في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم قالوا وكان يقول كلما دخل اولئك الفقراء عليه بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم او لفظ هذا معناه والجواب انه ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما اراد تأليف القلوب المشركين وتكثير سواد الاسلام مع علمه بانه لا يفوت الفقراء بهذه المصالحة امر مهم في الدنيا ولا في الدين فغاية ذلك انه يكون من باب ترك الاولى والافضل وكذلك اي مثل ذلك الفتن العظيم فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعض فاحد الفريقين وهم الكفار يرى الآخر متقدما عليه في المناصب الدينية فيقول اهؤلاء المستذلون من الله عليهم من بيننا كقوله أألقي الذكر عليه من بيننا والفريق الآخر يرى الاول متقدما عليه في العاجلة والخصب والسعة والراحة والدعة فيقول انى الذي فضله الله علينا واما المحققون منهم الذين يعلمون ان كل ما فعله الله فهو صواب ولا اعتراض عليه بحكم المالكية او بحسب رعاية الاصلح وبالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا تجتمع في انسان واحد البتة بل هي موزعة على الخلايق وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان يجد صاحبه على ما اتاه الله من صفة الكمال ومن عرف سر القدر رضي بنصيبه لنفسه وسكت عن التعرض لغيره وعاش عيشا طيبا في الدنيا والآخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا عند حدوثها والجواب انه يعامل المكلف معاملة المختبر وقد مر مرارا قالت الاشاعرة في الآية دلالة على مسئلة خلق الاعمال لان الفتنة التي القاها الله تعالى ليست الا الاعتراض على الله والاعتراض على الله كفر فهو تعالى خالق للكفر وايضا منة الله عليهم ليست الا بالايمان ومتابعة الرسول فلو كان الموجد للايمان هو العبد كان العبد هو المان على نفسه اجاب المعتزلة بان معنى فتناهم ليقولوا خذلناهم حتى آل امرهم الى ان قالوا فيكون اللام لام العاقبة ورد بانه عدول عن الظاهر مع انا ننقل الكلام الى الخذلان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى أليس الله باعلم بالشاكرين فمن يعرف كل ما انعم به عليه فيما اعطاه لاجله فيظهر افعاله على حسب معلوم الله تعالى وقال في الكشاف اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان ولمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم وكان اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابدأهم بالسلام وقال ماهان الحنفي اتى قوم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما واظهروا الندامة والاسف فما اخاله رد عليهم بشيء فلما ذهبوا وتولوا نزلت الآية وقال في التفسير الكبير الاقرب ان تحمل الآية على عمومها فكل من آمن بايات الله تعالى يدخل تحت هذا التشريف والاكرام ثم اورد اشكالا وهو ان المفسرين اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يقال في كل واحدة من آي هذه السورة انها نزلت بسبب الامر الفلاني قلت لا استبعاد في ان ينزل السورة دفعة وينزل للصحابة كل آية منها على واقعة تناسبها كيف وهم اعرف بحقايق التنزيل واعلم بدقايق التأويل لانهم اهل مشاهدة الوحي وارباب نزول الامر والنهي واعلم ان ما سوى الله تعالى فهو آيات وجود الله تعالى وانها لا تكاد تحصر فيجب على المكلف ان يكون مدة حيوته كالسابح في تلك البحار والسابح في فلك الغفار ليكون دائما مترقيا في معارجها مترقبا ان يفيض عليه الانوار من مدارجها فيستعد لبشارة سلام عليكم ويستاهل لكرامة كتب ربكم على نفسه الرحمة فقيل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم قال الزجاج سلام المصدر سلمت سلاما وتسليما مثل كلمت كلاما وتكليما ومعناه الدعاء بان يسلم من الآفات في نفسه ودينه واما ان يكون جمع سلامة وقيل السلام هو الله اي الله عليكم اي على حفظكم ولعل هذا الوجه انما يتأتى في المعرف لا في المنكر كتب ربكم من جملة المقول لهم تبشير بسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنى كتب على نفسه الرحمة اوجب على ذاته ايجاب الكرم لا ايجابا يستحق بتركه الذم وقالت المعتزلة كونه عالما بقبح القبائح وبغناه عنها يمنعه عن الاقدام عليها ولو فعل كان ظالما والجواب ان الرحمة تنافي القول بانه منع الكافر من الايمان ثم امره حال ذلك المنع بالايمان ثم يعذبه على ذلك الايمان واجيب بانه فاعل لما يشاء ولا اعتراض عليه انه من عمل من قرأ بالفتح فعلى الابدال من الرحمة ومن قرأ بالكسر فعلى الاستيناف فكان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم سوءا بجهالة وهو في موضع الحال اي عمله وهو جاهل والمراد انه فاعل فعل الجهال لان من عمل ما يضره في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه لا من اهل الحكمة والتدبير او انه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم ان لا يقدم على ما لا يعرف مآل حاله ثم تاب من بعده اي يندم على ما فعله واصلح العمل في المستقبل فانه غفور يزيل العقاب عنه رحيم يوصل الثواب اليه ومن قرأ بالكسر فعلى ان الجملة جزاء الشرط ومن قرأ بالفتح فعلى ان الخبر والمبتدأ محذوف اي فغفرانه كاين او فامره انه غفور قيل ان الآية نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما طلبوا ولم يعلم انها مفسدة وكذلك اي كما فصلنا لك في هذه السورة دلايلنا على التوحيد والنبوة والقضاء والقدر نفصل الآيات ونميزها لك في تقرير كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين معطوف على محذوف كانه قيل ليظهر الحق وليستبين او متعلق بمحذوف اي ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل

البين

البين من رفع السبيل قرأ ليستبين بالياء او بالتاء لان السبيل يذكر ويؤنث ومن نصب السبيل قرأ لتستبين بتاء الخطاب مع الرسول يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته واستبانة سبيل المجرمين تستلزم استبانة طريق المحقين فلذلك اقتصر على ذكر احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد وانما ذكر المجرمين دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون اصناف شتى امرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم من يرجى منهم قبول الاسلام ومنهم من دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده فينبغي ان يستوضح سبيلهم ليعامل كلا منهم بما يجب ومن جملة ذلك انه نهى عن عبادة معبوديهم وذلك قوله اني نهيت اي صرفت بالدلائل العقلية والسمعية ان اعبد الذين تعبدون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم لان عبادة المصنوع والمخلوق محض التقليد وعين الهوى قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اي انت الضلال اذا وذلك ونفي الهدى مع انهما متلازمان للتقرير والتأكيد وفيه تعريض بهم انهم كذلك ثم نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي على حجة واضحة من معرفة ربي وانه لا معبود سواه وكذبتم انتم حيث اشركتم به غيره ويقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان اتباعه عن دليل وقيل اي على حجة من ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل القرآن والبيان ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قال الكلبي نزلت في النضر بن الحرث ورؤساء قريش كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا استهزاء منهم ان الحكم الا لله مطلق يتناول الكل فقالت الاشاعرة لا يقدر العبد على امر من الامور الا اذا قضى الله كان فيمتنع منه فعل الكفر الا باراده الله واحتجت المعتزلة بقوله يقضي الحق اي كل ما قضى به فهو الحق وهذا يقتضي ان لا يريد الكفر من الكافر ولا المعصية من العاصي لان ذلك ليس بحق ولكن ان يقال ان جميع احكامه حق وصدق ولا اعتراض لاحد عليه بحكم المالكية وانتصاب الحق على انه صفة مصدر اي يقضي القضاء الحق او مفعول به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره ومثله ومن قرأ يقص الحق كقوله نحن نقص عليك احسن القصص اي يقول الحق او يتبعه من قص اثره وهو خير الفاصلين اي القاضين واما كتب يقض في المصاحف بغير ياء فانها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين وليوافق قراءة يقص قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر اي امر الهلاك بيني وبينكم عاجلا غضبا لربي والله اعلم بالظالمين فيؤخر عقابهم الى وقته وانا لا اعلم ما يجب في الحكمة من وقت عقابهم ومقداره فان قلت انما يناقض هذا قوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا فان استعجال الاهلاك ينافي الحرص على الايمان لان من حرص على ايمان احد حرص على طول حياته طمعا في ايمانه قلت لا بل يؤكده قال من الحكايتين في الاستعجال اللازم للبشرية في قوله وكان الانسان عجولا ثم بين سبحانه اعليته بقوله على سبيل السعادة وعنده مفاتح الغيب الآية اراد انه المتوصل الى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها ولم يمنعه من ذلك مانع والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح او جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن قال الحكيم في بيانه ان العلم بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ما سوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه بواسطة او بوسائط فعلمه بذاته يوجب العلم بجميع آثاره على ترتيبها المعتبر كليات كانت او جزئيات وعلمه بذاته لم يحصل الا لذاته فصح ان يقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وفيه انه لا ضد له ولا ند اذ لو كان في الوجود واجب آخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة ايضا عنده فيبطل هذا الحصر ولا يمكن ان يكون هذه المفاتح عند شيء من الممكنات لان المحاط لا يحيط بمحيطه فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب فلا يكون المفتاح الاول للعلم بجميع المعلومات الا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح الغيب قضية معقولة مجردة والانسان الذي يقوى على الاحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدا والقرآن انما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الآثار المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية امثالا لها ليعين الحس العقل فقال ويعلم ما في البر والبحر لان ذكر هذا المحسوس كشف عن حقيقة عظمة تلك المعقول وقدم ذكر البر لان الانسان قد شاهد احوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان واما البحر فاحاطة الحس باحواله اقل مع كثرة ما فيها من العجايب والغرايب ايضا ثم اورد من هذه المحسوسات قسما فقال وما تسقط من ورقة الا يعلمها اي لا يتغير حال ورقة الا والحق يعلمها ثم عدل عن التعجب من كثرة المدركات الى التعجب من صغر المدرك وخفائه فقال ولا حبة في ظلمات الارض وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على امر الحساب لانه اذا كان بحيث لا يهمل امر الاشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلان لا يهمل امر المكلفين اولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المجردة بعبارة اخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قال في الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط شيء من هذه الاشياء الا وهو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح قال علماء التفسير يجوز ان يكون الله جل ثناؤه اثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل ان يخلق الخلق ليقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وانه لا يغيب عنه شيء فيكون في ذلك عبرة كافية للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون به ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا له ولانه اذا كتب احوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب او الجهل فيصير كتبة جملة الاحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في انه يمتنع تقدم ما تأخر وتأخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه اردفه ببيان كمال قدرته بقوله وهو الذي يتوفيكم اي يتوفى انفسكم التي بها تقدرون على الادراك والتمييز وذلك ان الارواح الحساسة تغور حالة النوم من الظاهر الى الباطن فتتعطل الحواس عن بعض الاعمال واما عند الموت فيصير جملة البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم اخا الموت فصح اطلاق لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه ويعلم ما جرحتم اي كسبتم من العمل بالنهار ومنه الجوارح للاعضاء والسباع ثم يبعثكم فيه اي يردكم او احكم بالنهار ليقضى اجل مسمى اي اعماركم المكتوبة وقضاء الاجل فصل مدة العمر عن غيرها بالموت ثم لما ذكر انه ينيمهم اولا ثم يوقظهم ثانيا كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلا جرم استدل بذلك على صحة البعث في القيمة فقال ثم اليه مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وجميع احوالكم واقوالكم واعلم ان في الآية اشكالا لان قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار كان ينبغي ان يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث في النهار متقدم على الكسب فيه بل على تعلق العلم بالكسب ويمكن ان يجاب بان المراد ويعلم ما جرحتم في النهار الماضي بدليل قوله جرحتم دون تجرحون ثم يبعثكم في النهار الآتي والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف لمكان هذا الاشكال عدل عن التفسير الى ان قال وهو الذي يتوفيكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كالجيف والانسداح الانبطاح او الاستلقاء ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه اي في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام في النهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فتقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب والاصوب عندي ان يقال الخطاب عام وكذا الكسب في النهار فينبغي ان لا يتقيد بالآثام اما الضمير في فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب والبعث هو البعث من القبور في آخر ما قال والله اعلم

التأويل

وانذر به اي بالحقايق والعاقل الذين يخافون اي يرجون ان يحشروا الى ربهم بجذبات العناية ويحقق لهم ان ليس لهم في الوصول الى الله من دونه ولي من الاولياء ولا شفيع يعني من الانبياء

ان الوصول لا يكون الا بجذبات الحق ولا تطرد الذين يدعون اخبر عن الفقراء انهم جلساؤه بالغدوة والعشي كما قال انا جليس من ذكرني فلا تطردهم عن مجلسك
فانهم يطلبونني في متابعتك ويريدون الدنيا ولا الاخرة ولكن يريدون وجهه شعر وكل له سؤل ودين وصلكم سؤلي ودين رضاكم قال
المحققون الارادة احتياج يحصل في القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون الوصول
الى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شيء يعني الذي لنا معك في الحساب من المواصلة والتوحيد في الخلوة فانهم ليسوا في شيء منه لكي
يكون عليك ثقلا وما من حسابك عليهم من شيء اي الذي لنا معهم في الحساب من التفرد للوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة ليشتغل عليهم
فتطردهم فتكسر قلوبهم بالطرد فتكون من الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فانك بعثت بجبر قلوبهم لا لكسر قلوبهم كقوله واخفض جناحك للمؤمنين وكذلك فتنا
بعضهم ببعض ليشكر الفاضل وليصبر المفضول فيستويان في الفضل فلهذا قيل سليمان وايوب كلاهما نعم العبد مع قدرة سليمان على اسباب الشكر
وعجز ايوب عنه ومن فتنة الفاضل في المفضول رؤية فضله على المفضول وتحقيره ومنع حقه عنه في فضله ومن فتنة المفضول في الفاضل
حسده على فضله وسخطه عليه في منع حقه من فضله عنه فان المعطي والمانع هو الله ومنها ان لا يرى الفاضل مستحقا للفضل فيقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فقل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء اجلهم محل الاكابر والملوك في الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم كن مبتدئا
بالسلام عليهم وفي الاخرة قال لهم الملائكة ان يسلموا عليهم في الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بذاته عليهم بسلام قولا من رب رحيم وكل ذلك
نتيجة سلامتهم من ظلمة الخلقة باصابة رشاش النور في الازل فلهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة اي الرحمة الخاصة كما خص الخضر في قوله واتيناه
رحمة من عندنا والرحمة العامة كما في الحديث الرباني للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي من عمل منكم اي من المؤمنين سوءا بجهالة
اي بجهالة الجهولية التي جبل الانسان عليها لا بجهالة الضلالة التي هي نتيجة اخطاء النور فان هذه لا توبة لها ثم تاب من بعده اي رجع الى الله
بقدم السير من بعد افساد الاستعداد الفطري واصلح الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل اني نهيت في الازل باصابة النور المرشش
ما عندي ما تستعجلون به من عبادة الهوى لقضي الامر يعني امر القتال والخصومات ولا استرحت من ذنبكم لان الشيء انما ينقل عن ضده لا عن شبهه
وعنده مفاتح الغيب يعني العلوم الغيبية التي هي سبب فتح ابواب صور عالم الشهادة كالنقاش ينقش الصور في ذهنه ثم يصورها في الخارج
وانما وحد الغيب وجمع المفاتح لان عالم الغيب هو عالم التكوين وهو واحد في جميع الاشياء وفي الملكوت كثرة وبعلم التكوين يعلم ما في البر وهو عالم
الشهادة وفي البحر وهو عالم الغيب وبهذا العلم ما يسقط من ورقة عن شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها ومسقطها ولا حبة هي حبة الروح
في ظلمات صفات ارض النفس او حبة المحبة في ظلمات ارض القلب ولا رطب ولا يابس الرطب الموجود في الحال واليابس ما سيصير موجودا او ما
قد صار او الرطب الروحانيات واليابس الجمادات او الرطب المؤمن واليابس الكافر او الرطب العالم واليابس الجاهل او الرطب العارف
واليابس الزاهد او الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة او الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود او الرطب الباقي بالله واليابس الباقي
بنفسه وهو الذي يتوفيكم بالليل ليل الفناء ويعلم ما جرحتم بالنهار نهار البقاء او الليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود في عالم الوحدة

وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم
الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ۞ ثم ردوا الى الله موليهم
الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين ۞ قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجينا من هذه
لنكونن من الشاكرين ۞ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم
انتم تشركون ۞ قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر
كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ۞ وكذب به قومك
وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر وسوف
تعلمون ۞ واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا
تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ۞ وما على الذين يتقون
من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون ۞ وذر الذين

اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل
نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل
كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم
شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ۞ قل اندعوا
من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ
هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران
له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى
وامرنا لنسلم لرب العالمين ۞ وان اقيموا الصلوة
واتقوه وهو الذي اليه تحشرون ۞ وهو الذي خلق
السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون
قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ۞

القراءة توفيه واستهويه ممالة حمزة الباقون بتاء التانيث قل من ينجيكم من الانجاء سهل ويعقوب وعباس الباقون بالتشديد
وخفية بالكسر حيث كان ابو بكر وحماد الباقون بالضم انجانا ممالة حمزة وعلي وخلف انجانا بدون الامالة عاصم الباقون انجيتنا قل الله ينجيكم
بالتشديد يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم وهشام الباقون بالتخفيف لعين انظر واشباه ذلك بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم
وابن شنبوذ عن اهل مكة وابن ذكوان ينسينك بالتشديد ابن عامر الوقوف حفظة ط لا يفرطون ه الحق ط الحاسبين ه وخفية ج لاحتمال
الاضمار اي يقولون لئن انجيتنا وتعلق لئن بمعنى القول في تدعونه الشاكرين ه تشركون ه باس بعض ط يفقهون ه وهو الحق ط بوكيل ط
مستقر ز للابتداء بسوف على التهديد مع شدة اتصال المعنى تعلمون ه غيره ط الظالمين ه يتقون ه ولا شفيع ج للشرط مع العطف بما
كسبوا لانقطاع النظم مع اتصال المعنى ولاحتمال ان يكون الذين صفة اولئك وقوله لهم شراب خبر الهدى ائتنا الهدى ط العالمين لا ه لان التقدير
وامرنا بان اقيموا واتقوه ط تحشرون ه بالحق ط فيكون ه في الصور ط والشهادة ط الخبير ه التفسير من الدلائل الدالة على كمال قدرته وحكمته
قوله وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال امر فلان فوق امر فلان اي انه اعلى وانفذ منه ولا ريب ان الممكنات
باسرها تحت تصريف الواجب ينقلها من حيز العدم الى حالة الوجود وبالعكس ويتصرف فيها كيف يشاء علويات كن او سفليات ذوات
او صفات نفوسا او ابدانا اخلاطا واركانا ومن جملة قهره ارسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيده لضبط اعمالهم من الطاعات والمعاصي والمباحات
لانهم مطلعون على اقوال بني ادم لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعلى افعالهم لقوله تعالى يعلمون ما تفعلون واما صفات القلوب
كالجهل والعلم فليس في الاية ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان
بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله ان يتوب عنها فان لم يتب كتب عليه قالت العلماء من فوائد
هذه الكتبة ان المكلف اذا علم ان الملائكة الموكلين عليه يكتبون اعماله في صحايف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك زجرا له
عن القبائح ومنها ان توزن تلك الصحايف يوم القيمة فان وزن الاعمال غير ممكن ومنها التعبد فعلى المكلف ان يؤمن بكل ما ورد به الشرع
وان لم يدرك وجه الحكمة في بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الاركان مع طبايعها المتضادة على
وقال بعض القدماء منهم النفوس البشرية والارواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في
الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ولكل طائفة من الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب الشفيق والسيد الرحيم
يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة وعلى سبيل الالهامات اخرى فالارواح الخيرة لها مبادي من عالم الافلاك وكذا
الارواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم تسمى الطبايع التام لان تلك الارواح في تلك الطبايع والاخلاق تامة كلها وهذه الارواح السفلية
المتولدة منها اضعف منها لان المعلول في كل باب اضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس المفارقة تميل
الى ما يناسبها وما في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فتحفظها وتعينها حتى اذا جاء احدكم الموت اي وقته او امارته توفته
رسلنا اي باذننا وتفويضنا فالمتوفي بالحقيقة هو الله كما قال الله يتوفى الانفس حين موتها وهؤلاء الرسل هم اتباع ملك الموت قل
يتوفيكم ملك الموت وهم الحفظة باعيانهم ام غيرهم فيه قولان اشهرهما الثاني لتكون ملائكة الروح والريحان وهم الروحانيون غير ملائكة الكرب والاخذ
وهم الكروبيون وعن مجاهد جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين ثم

لا يفرطون لا يقصرون فيما امرهم الله تعالى وفيه مدح لهم بالعصمة ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم الحق صفتان والضمير في ردوا اما للملائكة
يعني كما يموت بنو آدم يموت اولئك الملائكة او الى البشر اي انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى والمعنى انهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي
الباطلة وهي النفوس والشهوة والغضب فاذا ماتوا تخلصوا الى تصرف مولى الحق وفيه اشعار بان الانسان شيء آخر وراء هذا الهيكل المحسوس
فان الهيكل يبقى ميتا والانسان مردود اليه تعالى وفي لفظ الرد اشارة الى ان الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به زمانا ثم ردوا الى موضعه
الاصلي وهو عالم الارواح بجذبة ارجعي الى ربك الا له الحكم كقوله ان الحكم الا لله وهو اسرع الحاسبين حسابا قيل انه تعالى يحاسب الخلق
بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد من الملك باذن الله تعالى ثم يحاسب الكفار بذاته لتكلمهم وهو محال
لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة المحاسبة ظهور الملكات والهيآت على النفس في آن قطع التعلق قليلة كانت او كثيرة حميدة او
ذميمة وبعد تعارض البعض بالبعض يبقى ما هو اغلب ويجب ذلك يكون الثواب او ضده وذلك انه لا يحصل للانسان لحظة ولا لمحة ولا حركة
ولا سكون الا ويظهر منه في جوهر نفسه اثر من آثار السعادة او ضدها قل او كثر وهو المراد بكتبة الاعمال قال الجبائي ههنا لو كان كلامه قديما لكان
ان يكون متكلما بالمحاسبة الآن وقبل خلقه وذلك محال لان المحاسبة تقتضي حكاية عمل تقدم وعورض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بانه سيوجد
وبعد وجوده صار عالما بانه وجد ولا يلزم منه تغير العلم ثم عدد لطفه واحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر مجازا عن مخاوفهما ومهالكهما
يقال لليوم الكريه يوم مظلم وذو كواكب كانه اظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل ان يكون الظلمات بالحقيقة وظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب
وظلمات البحر هما مع ظلمة الماء تدعونه في موضع الحال تضرعا وخفية مفعول لاجلهما او تمييزا ومصدر خاص والمراد ان الانسان عند حصول هذه الشدائد
يأتي بامور احدها الدعاء الثاني التضرع الثالث الاخلاص بالقلب وهو المعني بقوله وخفية ورابعها التزام الشكر وهو قوله لئن انجيتنا
من هذه الظلمة والشدة لنكونن من الشاكرين فتبين سبحانه انه اذا شهدت الفطرة السليمة في هذه الحالة بانه لا ملجأ الا الى الله ولا معول الا عليه
وجب ان يبقى هذا الاخلاص عند كل الاحوال والاوقات ثم بين انه ينجيهم من تلك المخاوف ومن سائر موجبات الحزن والكرب ثم ان ذلك الانسان
يقدم على الشرك الجلي وهو عبادة الاوثان والخفي وهو اتباع الهوى وبالجملة فعادة اكثر الخلق ذلك اذا شاهدوا الخوف اخلصوا واذا انتقلوا
الى الامن والفراغة اشركوا ثم ذكر نوعا من دلائل التوحيد ممزوجا بنوع من التخويف فقال قل هو القادر واللام للعهد او للجنس فيفيد انه هو الذي عرفتموه
قادرا وهو الكامل القدرة على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كالمطر والحجارة مثل ما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل او من تحت
ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من قبل اكابركم وسلاطينكم او من جهة سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا
هي جمع شيعة اي يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم شايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم
فمنعني واخبرني جبرئيل ان فناء امتي بالسيف قالت الاشاعرة في قوله او يلبسكم شيعا دلالة على ان الاهواء المختلفة والآراء الفاسدة والبدع كلها
من الله تعالى وفي قوله ويذيق بعضكم بأس بعض اشارة الى ان المعاصي وانواع الظلم مستندة الى الله تعالى وقالت المعتزلة الآية لا تدل الا على انه تعالى
قادر على القبيح والنزاع في انه هل يفعل ذلك ام لا واجيب بان الآية دلت على ان القدرة على هذه الامور مختصة به وهذه الامور واقعة
فيكون هو فاعلها بالضرورة انظر كيف نصرف الآيات نقرر الدلائل او نوضحها وقد قال مثل ذلك فيما قبل فالتقدير انظر كيف نصرف
الآيات ثم هم يصدفون فلا نعرض عنهم بل نكررها لعلهم يفقهون وكذب به اي بالعذاب المذكور في الآية السابقة قومك يعني قريشا ومن دان بدينهم
وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم وقيل اي بالقرآن وهو الحق لانه كتاب منزل من عند الله وقيل اي بتصريف الآيات انهم كذبوا بهذه الاشياء والآيات
قل لست عليكم بوكيل اي بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما انا منذر لكل نبأ لكل خبر يخبر به الله تعالى مستقر اي استقرار
او موضع استقرار والمراد بالنبأ المنبأ به لان النبأ قد يحصل والمقصود ان لعذاب الله تعالى او استيلاء المسلمين على الكفار بالقتل والاسر والقهر
وقتا ومكانا يحصل فيه من غير خلف ولا تأخير وسوف تعلمون فيه من التهديد ما فيه ثم بين ان اولئك المكذبين ان خاضوا في كفرهم وتكذيبهم والاستهزاء بالآيات
والطعن في الرسول فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال فاذا رأيت ايها التابع الذين يخوضون في آياتنا والخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة
على وجه اللغو والعبث وقريب منه قول المفسرين انه في الآية الشروع في آيات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وكان قريش في انديتهم يفعلون
ذلك فاعرض عنهم بالقيام عنهم لقوله بعد ذلك فلا تقعد وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق افاد هذا الغرض وان كان غير القيام عن مجلسهم فانه
يجوز المصير اليه هذا عند عدم الخوف اما مع الخوف فهذا الغرض ساقط والتقية واجبة ثم اعلم ان كل ما وجب على الرسول صلى الله عليه وسلم
فعله وجب عليه سواء ظهر اثر الخوف او لم يظهر والا لم يبق الاعتماد على التكاليف التي يبلغها واما ينسينك الشيطان ان شغلك بوسوسته حتى تنسى
النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم قال الليث
الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء هي الذكر قال في الكشاف بناء على مذهبه يجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة
المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم قال الجبائي اذا كان عدم العلم بالشيء
يوجب سقوط التكليف فعدم القدرة على الشيء اولى بان يوجب سقوط التكليف وهذا يدل على ان التكليف بما لا يطاق لا يقع ويدل على ان الاستطاعة
حاصلة قبل الفعل لانها لو لم يحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر قادرا على الايمان فوجب ان لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كلما
استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف بالبيت فنزلت الرخصة ان نقعد ونعظهم ونذكرهم
ونفهمهم بقوله وما على الذين يتقون اي الشرك والكبائر والفواحش من حسابهم من ذنوبهم التي يحاسبون عليها من شيء ولكن ذكرى اي ولكن يذكرونهم
ذكرى او لكن عليهم ان يذكروهم او لكن الذي تأمرونهم به ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله
من حسابهم يأبى ذلك فان الذكرى ليس من حساب المشركين ثم اكد الاعراض عنهم بقوله وذر الذين والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والمبالاة
بهم لا ترك انذارهم وتخويفهم كقوله فاعرض عنهم وعظهم ووصفهم بوصفين الاول انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وفيه وجوه اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا
اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزءوا او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاوثان وغيرها دينا لهم او المراد ما كانوا يحكمون
بمجرد التقليد والهوى كتحريم البحائر والسوائب او المراد ان المشركين واهل الكتاب اتخذوا اعيادهم لعبا ولهوا لا كالمسلمين حيث اتخذوا اعيادهم كما شرعه الله
قاله ابن عباس وهو اشارة الى من جعل دين الاسلام وسيلة الى المناصب والرياسات والغلبة والجدال لا لانه حق وصدق في نفسه ويؤكد هذا الوجه الوصف

الثاني

الثاني وهو قوله وغرتهم الحياة الدنيا كانهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا وذكر به اي بالقرآن
او بالدين القويم مخافة ان تبسل نفس قال الحسن ومجاهد اي تسلم الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء عملها واصل البسل المنع فالمسلم اليه هو العذاب
يمنع المسلم ومنه اسد باسل والشجاع لامتناعه من قرنه وقال قتادة تحبس في جهنم وعن ابن عباس تفضح ليس لها اي للنفس من دون الله ولي ولا شفيع
وان تعدل كل عدل ان تفد كل فداء لان الفادي يعدل المفدى بمثله لا يؤخذ منها قال في الكشاف فاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا
مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله فلا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فيصح اسناده قلت ان فسر الاخذ بالقبول كما في قوله ويأخذ الصدقات ارتفع
الفرق اولئك المتخذون هم الذين ابسلوا بما كسبوا ثم بين ما بهم صاروا مرتهنين وعليه محبوسين بقوله لهم شراب من حميم ثم رد على عبدة الاصنام
بقوله قل اندعوا من دون الله النافع الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا اي لا يقدر على النفع والضر ونرد داخل في الاستفهام اي ارجع الى الشرك بعد
اذ هدانا الله تعالى منه وهدانا للاسلام فان الرد عود الى الحالة الاولى التي كان الانسان عليها من الجهل لقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا كالذي استهوته محله النصب على الحال من الضمير في نرد اي انكص على اعقابنا مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى في الارض
اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه اي سقوطه من الموضع العالي الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء وقيل استهام
من اتباع الهوى وحيران حال اخرى من الضمير في استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد في الامر بحيث لا يهتدي الى المخرج منه ومنه تحيرت
الروضة بالماء اذا امتلأت فتردد فيها الماء له اي لهذا المستهوي اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوي فيكون مصدرا او
سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا او الدعاء في معنى هذا القول وهذا بناء على ما تزعمه العرب وتعتقده من ان الجن والغيلان تستهوي الانسان
وتستولي عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد اعتسف المهمه تابعا للجن غير ملتفت
اليهم وقيل ان المراد الكافر واصحابه يدعونه الى ذلك الضلال ويسمونه بانه هو الهدى وروي ان الآية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فانه كان
يدعو اباه الى عبادة الاوثان قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الذي يحق ان يسمى هدى وما وراءه عمى وضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا
قال الزجاج لا بد من تأويل ليستقيم العطف فالتقدير وامرنا للتسلم ولا نقيم او امرنا ان نسلم وان اقيموا قيل والفرق العدول عن الظاهر ان الكافر
كالغائب لم يسلم فاذا اسلم صار كالحاضر وتقرير الآية ان متعلق الامر اما ان يكون من باب الافعال او من باب التروك والاول اما ان يكون من اعمال
القلوب او من افعال الجوارح ورئيس اعمال القلوب الايمان بالله والاسلام وهو قوله لنسلم ورئيس اعمال الجوارح الصلوة وهو قوله وان اقيموا ثم اشار
الى جوامع التروك بقوله واتقوه ثم قال وهو الذي اليه تحشرون ليعلم ان منافع هذه الاعمال انما يظهر في يوم الحشر ثم دل على وجود الحاشر
بقوله وهو الذي خلق السموات والارض قائما او ملتبسا بالحق بالحكم اللطيفة والغايات الصحيحة والاغراض المطابقة وذلك انه اودع في هذه الاجرام
قوى وخواص وآثارا تتضمن مصالح الابدان ومناجح نوع الانسان وكذا خلق يوم يقول كن فيكون قوله الحق فقوله فاعل يكون ويوم مفعول خلق
والمعنى انه تعالى خلق العالم من الافلاك والطبائع والعناصر والمواليد وخلق يوم القيمة لرد الارواح الى الاجساد بطريق كن فيكون وعلى هذا
يجوز ان يكون قوله الحق مبتدأ وخبرا مستأنفا او قوله الحق مبتدأ ويوم يقول ظرف دال على الخبر مثل يوم الجمعة القتال اي واقع يوم الجمعة والمراد
ان قضاءه في ذلك اليوم حق وصدق خال عن الجور والعبث وله الملك يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم والمقصود انه لا ملك
في ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا منازع والصور باتفاق اكثر اهل الاسلام قرن ينفخ فيه ملك من الملائكة كما جاء في مواضع من القرآن ونفخ في الصور
فصعق من في السماء فنفخ فاذا نقر في الناقور وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف وصوفة وخطأه الائمة فقالوا لو كان جمع صورة
الواحد لقوله بزيادة ها فيه كالصوف اما اذا سبق الواحد الجمع فليس كذلك كغرفة وغرف ولهذا جمع صورة الانسان على صور بالفتح كقوله
فاحسن صوركم ومن سكن فقد اخطأ ومما يدل على ان الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان انه تعالى لم يضف النفخ فيه الى نفسه كما قال ونفخت فيه من روحي
فنفخنا فيه من روحنا ثم انشأناه خلقا آخر ثم لما بين كمال قدرته بقوله وله الملك ذكر كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة اي هو العالم بكل المعلومات
القادر على كل المقدورات وهو الحكيم المصيب في اقواله وافعاله الخبير النافذ علمه في بواطن امور الحقائق من غير اشتباه والتباس فان امر البعث لا يتم
الا بقدرة كاملة وعلم تام كيلا يشتبه عليه المطيع والعاصي والصديق والزنديق التأويل وهو القاهر بوصف الجلال للاولياء قهار بوصف الجبروت
للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو ارادت نفسه الخروج عن قيد مجاهدتها قهرها بسطوات العتاب فردتها الى بذل الجهد وان اراد
قلبه فرجة عن مطالبات العزة قهرته صدمات الغيبة الى توديع البهجة ولو اراد روحه ابتهاجا من الحرقات تعززه بوادي التجلي فردته الى بذل المهجة
حتى اذا جاء احدكم الموت يعني الفناء عن اوصاف الوجود توفته رسل صفات قهرنا وهم لا يقصرون في افناء الاوصاف ثم ردوا الى الله
الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح بالنسبة الى عالم الالوهية ظلمانية تدعونه تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب
آفة وفتنة ثم انتم تشركون حتى يتجلى لكم نور من انوار صفاته فبعضكم يقول انا الحق وبعضكم يقول سبحاني ما اعظم شأني عذابا من فوقكم بسدل
حجاب العزة والغيرة بينه وبينكم او من تحت ارجلكم حجابا من اوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم او يلبسكم شيعا يجعل الخلق فيكم فرقا فمن قائل هو
الله يقولون ومن قائل هم الزنادقة يقولون ويذيق بعضكم بأس بعض بالقتل والصلب وقطع الاطراف انظر كيف نصرف آيات المعارف للسائرين
الى الله لعلهم يفقهون بشرائط السير ولا يقفون في مقام دون الفناء عن كلية الوجود والبقاء بشهود المعبود وكذب بهذا المقام قومك المنكرون
وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لا سلك طريق هذا المقام بكالكم لانه ليس للانسان الا ما سعى كما قال لكل نبأ مستقر اي لكل سائر وواقف مستقر
من درجات القرب او دركات البعد واذا رأيت الذين يخوضون في احوال الرجال ولا حظ لهم منها فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث
غير تلك الطامات التي هي ريح في نسج وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا انهم في لبس الخرقة والتزي بزي الطالبين انما هو الدنيا وقبول الخلق
ان تبسل نفس اي كراهة ان يبطل استعدادها بالكلية بما كانوا يكفرون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل اندعوا من دون الله انطلب غير الله الذي
هو النافع الضار بالحقيقة والنفع الحقيقي هو الفوز بالوصول اليه والضر الحقيقي هو الانقطاع عنه ونرد على اعقابنا الى مقام الانسية التي كنا فيها بعد
اذ هدينا الله الى الوحدة كالذي استهوته شياطين الجن والانس في ارض البشرية باتباع الهوى حيران من اغوائهم وامرنا لنسلم بترك الوجود كالكرة في ميدان
القدرة مستسلما لصولجان القضاء وان اقيموا الصلوة لمحافظة الاسرار عن الاغيار والاتقاء به عن غيره ليحشر اليه لا الى الجنة او النار كما قال الا من طلبني وجدني
وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اي لاظهار صفاته فجعل المخلوقات مرآة جماله وجلاله واذا اراد ان يرى عبدا من عباده تلك الصفات يقول له كن
رائيا فيكون وكن بصيرا رائيا بمجرد سعيه لان قوله في حق الانسان كن رائيا هو الحق وفي تلك الارادة وتلك الرؤية ينفخ الارادة في صور القلب وآخر

وهو الحكيم فيما اختص الانسان بادراك تلك الايات الخبير بمن يخصه من بين الناس بالاراءة والله تعالى اعلم واحكم

واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة انى اريك وقومك فى ضلال مبين ۝ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ۝ فلما جن عليه الليل رای كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الآفلين ۝ فلما رای القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين ۝ فلما رای الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون ۝ انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ۝ وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شئ علما افلا تتذكرون ۝ وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون ۝ الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون ۝ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ۝

القراءة انى اراك بفتح الياء ابو عمرو وابن كثير وابو جعفر ونافع لابيه آزر بالضم على النداء يعقوب راى كوكبا بامالة الهمزة ابو عمرو غير عباس والبخارى عن ورش وكذلك راه وراك وقرا حمزة وعلى وخلف ويحيى وعباس وحبيرة من طريق الخزاز بكسر الراء والهمزة وافق ابن ذكوان فى راى فقط وخالفهم فيما اتصلت بالكاف والهاء فى سورة النجم وافق ابن مجاهد والنقاش بالامالة وكسر الراء فى سورة اقرا باسم ربك رای القمر ورای الشمس ونحوهما بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وخلف ونصير ويحيى وعباس والخزاز ورای خلف عن يحيى بكسر الراء والهمزة اتحاجونى بتخفيف النون ابو جعفر ونافع وابن ذكوان الباقون بادغام نون الاعراب فى نون الوقاية وقد هدان بالامالة على وقرا سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل بالياء فى الحالين وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل فى الوصل درجات من بالتنوين عاصم وحمزة وعلى وخلف ويعقوب **الوقوف** الهة ج للابتداء بان مع اتحاد القول مبين ۝ الموقنين ۝ رای كوكبا ج لان جواب لما قوله راى مع اتحاد الكلام بالعطف ربى ج لان جواب لما منتظر مع فاء التعقيب فيها الافلين ۝ هذا ربى ج لذلك الضالين ۝ هذا اكبر ج لذلك تشركون ۝ المشركين ج لاحتمال الواو الحال اى وقد حاجه قومه ط هدان ط لانتهاء الاستفهام شيئا ط علما ط تتذكرون ۝ سلطانا ط لاستفهام بعد تمام الاستفهام بالامن ج لان جواب ان منتظر محذوف التقدير ان كنتم تعلمون فاجيبوا مع اتحاد الكلام تعلمون ج لتناهى الاستفهام وابتداء اخبار ولو وصل الفصل بما قبله مهتدون ۝ على قومه ط من نشاء ط عليم ۝

التفسير انه سبحانه كثيرا ما يحتج على مشركى العرب باحوال ابراهيم صلوات الرحمن عليه لانه يعرف بالفضل والتقدم عند جميع الطوائف والملل وذلك انه سلم قلبه للرحمن ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم ان ظاهر الآية يدل على ان اسم والد ابراهيم هو آزر ومنهم من قال اسمه تارخ وقال الزجاج لا خلاف بين النسابين ان اسمه تارخ لكن الملحدة من طعن فى هذا النسب لهذا السبب والجواب ان اجماع النسابين لا عبرة به لان ذلك ينتهى الى قول الواحد او الاثنين مثل وهب وكعب وغيرهما سلمنا ان اسمه كان تارخ لكنه من المحتمل ان يكون احدهما لقبا والآخر اسما او يكون آزر صفة مخصوصة فى لغتهم كالمخطئ او المخذول وقيل ان آزر هو الشيخ الهرم بالخوارزمية وهذا عند من يجوز اشتمال القرآن على الفاظ قليلة من غير لغة العرب وقيل ان آزر اسم صنم ويجوز ان ينبز به للزومه عبادته فان من بالغ فى محبة واحد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب قال الله

اتتخذ

ان تشتهر به

[illegible]

[illegible]

[illegible]

و وهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل
ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى و
هرون وكذلك نجزي المحسنين ۝ وزكريا ويحيى وعيسى
والياس كل من الصالحين ۝ واسمعيل واليسع ويونس و
لوطا وكلا فضلنا على العالمين ۝ ومن اباءهم وذرياتهم
واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ۝
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا
لحبط عنهم ما كانوا يعملون ۝ اولئك الذين اتيناهم

الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما
ليسوا بها بكافرين ۝ اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده قل لا اسئلكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ۝ صدق الله

القراءة ۝ واليسع بتشديد اللام حمزة وعلي وخلف الباقون بالتخفيف اقتدهي باشباع الهاء ابن عامر الحلواني عن هشام مختلسة وبحذف الهاء في الوصل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بسكون هاء السكت على الاصل الوقوف ويعقوب ط كلا هدينا ج لان ونوحا مفعول ما بعده ولو وصل التبس بانه مفعول ما قبله مع اتفاق الجملتين وهرون ط المحسنين ۝ لا للعطف والياس ط من الصالحين ۝ لا للعطف ولوطا ط العالمين لا ۝ للعطف واخوانهم ج لبيان ان قوله واجتبيناهم يعود الى قوله كلا هدينا كقوله وممن هدينا واجتبينا ولاحتمال الواو الحال اي وقد اجتبيناهم وذكر هديناهم بعده مستقيم ۝ من عباده ط يعملون ۝ والنبوة ج بكافرين ۝ اقتده ط اجرا ط للعالمين ۝

التفسير لما حكى حجج ابراهيم صلوات الرحمن عليه في التوحيد والذب عن الدين الحنيفي عدد وجوه نعمه واحسانه عليه بعد نعمة ايتاء الحجة ورفع الدرجة فقال ووهبنا باللفظ الدال على العظمة كما يقوله عظماء الملوك ليدل بذلك على عظم العطية وذلك انه جعل اشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله وعقبه قيل وانما لم يذكر اسمعيل مع اسحق وان كان هو ايضا ابنه لصلبه لان المقصود بالذكر ههنا انبياء بني اسرائيل وهم باسرهم اولاد اسحق ويعقوب واما اسمعيل فانه ما خرج من صلبه احد من الانبياء الا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذكر محمد في هذا المقام لانه امر محمدا ان يحتج على العرب بان ابراهيم لما ترك الشرك واصر على التوحيد رزقه الله النعم الجسام في الدين والدنيا ومن جملة ذلك ان آتاه اولادا كانوا ملوكا وانبياء فاذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمدا امتنع ان يذكر نفسه في هذا المعرض فلهذا السبب لم يذكر اسمعيل مع اسحق اما قوله ونوحا هدينا من قبل فالمقصود منه بيان كرامة ابراهيم بحسب الآباء ايضا مثل نوح وادريس وشيث واما الضمير في قوله ومن ذريته فقد قيل انه يعود الى نوح لانه اقرب ولانه تعالى ذكر في جملتهم لوطا وهو كان ابن اخي ابراهيم وما كان من ذريته بل كان من ذرية نوح ولان ولد الانسان لا يقال انه ذريته فعلى هذا اسمعيل عليه السلام ما كان من ذرية ابراهيم وكان من ذرية نوح ولان يونس عليه السلام لم يكن من ذرية ابراهيم على قول بعضهم وقيل الضمير عائد الى ابراهيم لانه هو المقصود بالذكر في هذا المقام واعلم ان الله تعالى ذكر اربعة من الانبياء وهم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ثم ذكر من ذريتهم اربعة عشر نبيا داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوط صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم اجمعين فالمجموع ثمانية عشر وانه لم يراع الترتيب بينهم في الآية لا بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فيستدل العلماء بذلك على ان الواو لا يفيد الترتيب وقال في التفسير الكبير وجه الترتيب انه تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء بنوع من الكرامة لان المراتب المعتبرة عند الجمهور الملك والسلطنة وقد اعطى داود وسليمان من ذلك نصيبا عظيما والثانية البلاء والمحنة وقد خص ايوب بذلك والثالثة استجماع الحالتين وذلك في حق يوسف فانه ابتلي اولا ثم اوتي الملك ثانيا الرابعة قوة المعجزات وكثرة البراهين والبينات وذلك حال موسى وهرون الخامسة الزهد الكامل كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا وصفهم بانهم من الصالحين السادسة الانبياء الذين ليس لهم في الخلق اتباع ولا اشياع وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط واما المراد بقوله كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل فقيل المراد الهداية الى طريق الجنة بدليل قوله وكذلك نجزي المحسنين فان جزاء المحسن على احسانه لا يكون الا الثواب وقيل لا يبعد ان يقال المراد الهداية الى الدين والمعرفة لانهم اجتهدوا في طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل انها الارشاد الى النبوة والرسالة لان الهداية المخصوصة بالانبياء ليست الا ذلك وهذا انما يصح عند من جوز ان يكون الرسالة جزاء على عمل واستدل بعضهم بقوله وكلا فضلنا على العالمين على ان الانبياء افضل من الملائكة وذلك ان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة وكذا الاولياء وقيل فضلناهم على عالمي زمانهم فلا يتم الاستدلال قال القاضي ويمكن ان يقال المراد كل من الانبياء يفضلون على كل من سواهم من العالمين ثم الكلام في ان اي الانبياء افضل من بعض كلام آخر لا تعلق له بالاول ثم قال ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم وانه معطوف على كلا اي فضلنا بعض آبائهم فالآباء هم الاصول والذريات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفيه دليل على انه تعالى خص كل من يتعلق بهؤلاء بنوع من الشرف والكرامة ثم ان قلنا المراد من الهداية الهداية الى الثواب والجنة فنقول من آبائهم وكلمة من للتبعيض يدل على انه قد كان في آباء هؤلاء الانبياء من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا انه يفيد ان لا يكون المراد رسولا ولا نبيا واجتبيناهم اي اصطفيناهم من جبيت الماء في الحوض وجبوته اي جمعته وذلك هدى الله اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله ولو اشركوا لحبط وفيه دليل على ان الهداية من الله تعالى وليس للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة اولئك الانبياء الثمانية عشر الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة لابد لحكام العالم من هذه الامور الثلاثة ووجه بان الحكام على الخلق ثلث طوائف الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين والجامعون بين الامرين وهم الانبياء فالامور الثلاثة اشارة الى هذه الاصناف الثلثة ومعنى ايتاء الكتاب تفهيم التام بمعاني هذا الجنس والعلم المحيط بحقائقه واسراره ولو قيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحي والتنزيل كصحف ابراهيم وتورية موسى وانجيل عيسى لم يشمل كل المذكورين لانه تعالى ما انزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين فان يكفر بها اي بالامور الثلاثة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اي ليسوا كافرين بها ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها وللقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ومن القوم قيل كل مؤمن وقيل اهل المدينة وهم الانصار وقيل هم والمهاجرون وقال الحسن هم الانبياء الذين تقدم ذكرهم فاختاره الزجاج لقوله عقيب ذلك اولئك الذين هدى الله وقال ابو رجاء العطاردي الملائكة وضعف بان اسم القوم قلما يقع على غير بني آدم وفي الآية دلالة على انه تعالى سينصر نبيه ويظهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد فكان اخبارا بالغيب فيصح اعجاز القرآن وكيفما استدلال الاشاعرة على انه تعالى خلق قوما للايمان ولو كان خلق الكل للايمان والبيان والتمكين والعقل والقدرة مشترك بين الكل لم يصح هذا التخصيص اجاب الكعبي بانه اراد المؤمنين من الالطاف الخفية ... وبتقدير ان يسوى فاذا لم ينتفع به

الكافر منع بحسب الظاهر ان يقال انه لم يحصل له تلك الالطاف ورد بان الالطاف الداعية الى الايمان مشترك فيها بين المؤمن والكافر وبان الوالد ما سوى بين الولدين في العطية ثم ان احدهما ضيع نصيبه فاي عاقل يجوز ان يقول ان الاب ما انعم عليه وما اعطاه شيئا فبهداهم اقتده من حذف الهاء في الوصل فعلى الاصل ومن اثبتها في الوصل كما في الوقف فلموافقة المصحف فان الهاء ثابتة في الخط فكره مخالفة الخط في الحالين واما زيادة ابن عامر فقال ابو بكر بن مجاهد انها غلط وقال ابو علي الفارسي ليست بغلط ووجهها ان تجعل الهاء كناية عن المصدر الدال عليه الفعل والتقدير فبهداهم اقتده الاقتداء وتقديم المفعول للاختصاص اي لا تقتد الا بهم ولا خلاف في انه امر محمدا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام في تفسير الهدى فمن الناس من قال المراد الامر الذي اجمعوا عليه وهو القول بالتوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق به في الذات والصفات والافعال وقال آخرون المراد به الاقتداء بهم في شرائعهم الا ما خصه الدليل وعلى هذا فيلزمنا شرع من قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المنفصل قال القاضي هذا بعيد لان شرائعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الاتيان بالامور المتناقضة معا ولان الهدى عبارة عن الدليل دون نفس العمل ودليل ثبات شرعهم كان مخصوصا بتلك الاوقات ولان منصبهم يلزم ان يكون اجل من منصبه وانه باطل بالاجماع واجيب بان العام يجب تخصيصه في الصور المتناقضة فيبقى فيما عداها حجة وبان المستدل بالدليل اصيل في ذلك الحكم فلا معنى للاقتداء بالدليل الا اذا كان فعل الاول سببا لوجوب الفعل على الثاني وبانه يلزم ان يكون منصبه اجل من منصبهم لانه امر باستجماع خصال الكمال وصفات الشرف التي كانت متفرقة فيهم كالشكر في داود وسليمان والصبر في ايوب والزهد في زكريا ويحيى وعيسى والصدق في اسمعيل والتضرع في يونس والمعجزات الباهرة في موسى وهرون ولهذا قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي ولما امره بالاقتداء بالانبياء وكان من جملة هداهم انهم لا يطلبوا الاجر على المال والجعل على ايصال الدين وابلاغ الشريعة قيل له قل لا اسئلكم ايها الامة عليه على البلاغ اجرا ان هو يعني القرآن الا ذكرى للعالمين تريد كونه مشتملا على كل ما يحتاجون اليه في المعاش والمعاد وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم والله اعلم واحكم

التأويل ووهبنا له درجات ابراهيم انا وهبنا له اسحق ويعقوب ولعله اخر ذكر اسمعيل لكان محمد صلى الله عليه وسلم ليقع ذكره تبعا لوجهة ابراهيم فان الكائنات تبع لوجود محمد عليه السلام ومن آبائهم الى آدم وذرياتهم الى محمد صلى الله عليه وسلم واجتبيناهم في الازل لهذا الشأن وهديناهم الى الابد ولو اشركوا ان لاحظوا غيرنا فاثبتوا اشباها من دوننا ونسبوا اشياء من الحوادث الى غير قدرتنا وما لم يبدلوا انانيتهم في هويتنا لحبط عنهم كل شيء عرفانهم ولطف ما سلف من احسانهم فبهداهم اقتده لانهم سلكوا حتى انتهى سير كل منهم الى ما قدر له آدم في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وموسى في السادسة وابراهيم في السابعة وجميع الملائكة المقربين الى سدرة المنتهى وانت يا محمد الى مقام قاب قوسين او ادنى قل لا اسئلكم ايها الانبياء على الاقتداء اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين لتعلموا ان الطريق الى الله لا يسلك الا بالاقتداء ولا اسئلكم ايها الامة على دعوتكم الى الحق اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين حسبنا الله نعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ۝ وهذا كتاب انزلناه مبارك
مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ۝
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون
في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا
انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله
غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ۝ ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى
معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع

بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ۞ ان الله فالق الحب والنوى
يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون ۞
فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك
تقدير العزيز العليم ۞ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا
بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون
وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد
فصلنا الايات لقوم يفقهون ۞ وهو الذي انزل من السماء
ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه
حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات
من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا
الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون ۞ وجعلوا
لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم
سبحانه وتعالى عما يصفون ۞ صدق الله العظيم

القراءة ۞ يجعلونه يبدونها ويخفون بياء الغيبة ابو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولينذر بياء الغيبة ابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب
بينكم بفتح النون ابو جعفر ونافع وعلي وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ المضي ونصب الليل عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون
جاعل الليل على لفظ اسم الفاعل بالاضافة وجنات بالرفع الاعشى والبرجمي الباقون بالنصب فمستقر بكسر القاف ابو عمرو وابن كثير وسهل
ويعقوب الباقون بالفتح ثمره بضمتين حمزة وعلي وخلف وكذلك في آخر السورة ويس الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد ابو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف
الوقوف من شيء ط كثيرا ه ط لمن قرأ تجعلونه بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء فوقفه جائز لانتهاء الاستفهام مع اتفاق الخطاب على تقدير
وقد علمتم آباؤكم ط قل الله لا لان قوله ثم ذرهم معطوف على قل يلعبون ه ومن حولها ط يحافظون ه انزل الله ط ايديهم ج ط لاتساق الكلام بمعنى
مع تقدير حذف اي يقولون اخرجوا انفسكم ط لان المراد من اليوم يوم القيامة تستكبرون ه ظهوركم ج لاتحاد المقول والوقف اوضح لابتداء النفي والقطاع
شركاء ط تزعمون ه والنوى ط من الحي ط تؤفكون ه فالق الاصباح ج لمن قرأ وجعل لانقطاع النظم واتصال المعنى على تقدير فلق وجعل
او وقد جعل وقال الحال بمعنى الفعل في فالق حسبانا ط العليم ط والبحر ط يعلمون ه ومستودع ط يفقهون ه ماء للعدول مع اتحاد المقصود
متراكبا ط ج لمن قرأ وجنات بالرفع للعطف على قنوان لفظا فيلزمه وقفه على دانية والا فلا يعطف ولكنهم ان جنات من جملة النخل ومن خفض فوقفه
على متراكبا جائز للعطف على قوله خضرا مع تنوع العارض وغير متشابه ط وينعه ط يؤمنون ه بغير علم ط يصفون ه التفسير اعلم ان مدار القرآن
على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد فبعد ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك شرع في تقرير امر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس
اي ما عظموا الله حق تعظيمه حيث انكروا النبوة والرسالة وقال ايضا في رواية ما آمنوا بان الله على كل شيء قدير وقال ابو العالية ما وصفوه
حق صفته وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته اي باللطف باوليائه او في القهر لاعدائه وقال الجوهري قدر الشيء مبلغه وقدرت الشيء اقدره واقدره
قدرا من التقدير اي حزره وعرف مقداره ثم بين سبب عدم عرفانه بقوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء وانما كان منكر البعث والرسالة
غير عارف بالله تعالى لانه اما ان يدعي انه تعالى ما كلف احدا من الخلق تكليفا اصلا وهو باطل لانه فتح باب المنكرات والقبائح باسرها واما
ان يسلم انه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على السنة الرسل وهذا ايضا جهل فان قيل لم لا يجوز ان يكون العقل كافيا في ايجاب الواجبات
وحظر المنكرات فالجواب هب ان هذا الامر كذلك الا انه لا يمتنع تاكيد التعريف العقلي بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتعريفات المشروحة على السنة
الرسل لان اكثر العقول قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما ان نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا اعين بنور من خارج كنور الشمس
والسراج وايضا تفويض مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يؤدي الى التنازع والتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الآراء فلا بد من ان يتفقوا على واحد
لا يصدرون عن رايه وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطاء في اجتهادهم فلعل الخير في نقائصهم يكون
مستندا الى نفس الامر فلزم ان يكون التعيين من الله سبحانه لكونه اعرف بالبواطن كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وانما يعرف ذلك المعين بظهور

المعجزة على وفق دعواه تصديقا لمقالته ومن انكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونقصان القدرة وقد طعن بعض
الملاحدة في الآية بان هؤلاء القائلين ان كانوا من كفار قريش او البراهمة فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد فكيف
يمكن ابطال قولهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى على ان قوله تجعلونه قراطيس بتاء الخطاب انما يليق باليهود وهذا يوجب تفكك النظم
وان كانوا اهل الكتاب فهم لا يقولون ما انزل الله على بشر من شيء بل يقرون بنزول التوراة على موسى والانجيل على عيسى وايضا الاكثرون اتفقوا
على ان السورة مكية وانها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مدنية فكيف يمكن حمل الآية على تلك
المناظرة والجواب انهم كانوا كفار قريش فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر ظهور المعجزات على يد موسى
كالعصا وفلق البحر واظلال الجبل وغيرها وكان جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا يبعد ايراد نبوة موسى الزاما لهم في قولهم ما
انزل الله على بشر من شيء ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى مشاركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لم يبعد ان يكون الكلام الواحد خطابا
لكفار قريش اولا ولاهل الكتاب اخرا واما ان كانوا اهل الكتاب وهو المشهور عند الجمهور فالوجه ما روي عن ابن عباس ان مالك بن الصيف من احبار
اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله
يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء
فقال له قومه ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف فلعل مالك بن
الصيف لما اتى من الكلام المذكور طعن في نبوة الرسول وانه ما انزل عليه من شيء البتة فامر ان يقول في جوابه من انزل الكتاب الذي جاء به موسى
اي لما سلمت ان الله تعالى انزل الوحي والتنزيل على بشر وهو موسى فكيف يمكنك ان تقطع بانه ما انزل علي شيئا غاية ما في الباب ان تطالبني بالحجة
والحاصل انهم قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على يد موسى وادرج تحت الالزام
توبيخهم بالتحريف وابداء بعض واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا بحسب اللغة الا انه مقيد بحسب العرف بتلك الواقعة فكانه قال ما انزل الله
على بشر من شيء في انه يبغض الحبر السمين وهذا كما اذا ارادت المراة ان تخرج من الدار فغضب الزوج وقال ان خرجت من الدار فانت طالق فان
كثيرا من الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك المرة حتى لو خرجت مرة اخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه ان قوله من انزل الكتاب الذي جاء به موسى لا يكون
مبطلا لكلام الخصم اما قوله ان السورة مكية فاجيب عنه بان السورة مكية الا هذه الآية فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة
والله اعلم ومن الاحكام المستنبطة من الآية ان قوله ما قدروا الله حق قدره يفيد ان عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا
مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله في موضع آخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة في سياق النفي تعم والا لم
يكن قوله من انزل مبطلا لقوله ما انزل الله على بشر من شيء ومنها ان النقض يقدح في صحة الكلام والا لم يكن في قوله من انزل حجة ويعلم منه ان قول
من يقول ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون النقض مبطلا ضعيف والا لبطلت حجة الله تعالى في هذه الآية فان لليهودي حينئذ ان يقول
معجزات موسى كانت اظهر وابهر من معجزاتك فلا يلزم نبوتك ومنها ان الغزالي رحمه الله تكلف وقال حاصل الآية يرجع الى ان موسى انزل الله عليه شيئا
واحد من البشر ما انزل الله عليه شيئا فينتج من الشكل الثاني ان موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال وليس هذه الاستحالة بحسب شكل القياس ولا
بحسب صحة المقدمة الاولى فلم يبق الا انه لزم من فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم ما انزل الله على بشر من شيء فوجب القول بكونها كاذبة فثبت ان
دلالة هذه الآية على المطلوب انما يتم عند الاعتراف بصحة قياس الخلف ثم انه سبحانه وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف
يقتضي المغايرة فالمراد بالنور ظهوره في نفسه وبالهدى كونه سببا لظهور غيره كقوله في وصف القرآن ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
قال ابو علي الفارسي تجعلونه قراطيس اي ذات قراطيس اي تودعونه اياها فان قيل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكر في معرض الذم قلنا لانهم جعلوه
قراطيس مفرقة مبعضة ليتوسلوا بذلك الى ابداء البعض واخفاء البعض مما فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم او شيء من الاحكام التي لا توافق هواهم
كالرجم وغيره وعلمتم ايها اليهود على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر
الذي هم فيه يختلفون وقيل كانوا يقرؤون الآيات المشتملة على نعت محمد وما كانوا يفهمون معانيها الى ان بعث الله محمدا فظهر ان المراد منها هو البشارة بمقدمه
وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون على ان ينكروا ذلك فان العقل السليم والطبع المستقيم
يشهد بان الكتاب المعجز المؤيد قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قل اي شيء اكبر شهادة قل الله والمقصود انه بلغت
هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل ان يعترف بها فسواء اقر الخصم به او لم يقر فالغرض حاصل ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يقال لمن كان في عمل لا يجدي
عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويحتمل ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم والمعنى انك اذا اقمت
الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ قيل انها منسوخة بآية السيف وفيه
نظر لانه مذكور لاجل التهديد فلم يكن نزول آية القتال رافعا لشيء من مدلولات هذه الآية ثم لما ذكر حال التوراة اعقبه بذكر القرآن فقال وهذا كتاب
انزلناه وفائدة هذا الوصف انه كان من الممكن ان يظن ان محمدا المخصوص من الله بعلوم كثيرة يمكن بسببها من تركيب القرآن على هذا النسق من الفصاحة فنفى
ذلك الوهم وبين ان الله هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبريل عليه السلام مبارك كثير خيره دائم نفعه باعث على الخيرات زاجر عن المنكرات
لما فيه من اصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى بان الباحث عنه والمتمسك به يفوز بعز الدنيا وسعادة الآخرة وقد جرب
فوجد كذلك مصدق الذي بين يديه اي موافق لما قبله من الكتب الالهية اما في الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيه بحسب الازمنة والامكنة
واما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ويحصل منه ان التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت ظهوره ثم تصير منسوخة
ولتنذر من قرأ بتاء الخطاب فظاهر ومن قرأ على الغيبة فلانه اسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما انذركم بالوحي وهو معطوف
على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركة والتصديق لما تقدمه من الكتب والانذار قال ابن عباس سميت مكة ام القرى لان الارضين دحيت
من تحتها وقال ابو بكر الاصم لانها قبلة اهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وايضا الناس يجتمعون اليها للحج والتجارة كما يجتمع الاولاد
الى الام وقيل لان الكعبة اول بيت وضع للناس وقيل ان مكة اول بلدة في الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف اي اهل ام القرى ومن حولها
وقيل المراد اهل جزيرة العرب فاستدل اليهود بذلك على انه مبعوث الى العرب فقط واجيب بان تخصيص هذه المواضع بالذكر لا يدل على نفي ما عداها
لا سيما وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الله الى العالمين ويحتمل ان يراد بما حولها جميع البلاد والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به اي بهذا الكتاب

لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة في تقرير قاعدة البعث والقيامة مثل محمد عليه السلام
ووجه ان كفار مكة يبعد منهم قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر وهم على صلواتهم يحافظون يعني ان الايمان بالآخرة كما انه يحمل العاقل
على الايمان بالنبي وبالكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوة وخص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين وسنام الطاعات كالذي يحافظ عليها ان يأتي
باخواتها كلها ويجتنب المنكرات باسرها ثم ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوة وانزال الكتاب عليه فرية وافتراء فقال ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا قال المفسرون نزلت في الكذابين مسيلمة الحنفي والاسود العنسي عن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين
من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء
الاسود العنسي او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كان مسيلمة يقول محمد رسول الله في بني قريش وانا رسول الله في بني حنيفة واعلم ان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب فكل من نسب الى الله تعالى ما هو بريء منه اما في الذات واما في الصفات واما في الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعي معارضة القرآن وهو قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا وروي ايضا
ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال
عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه الرسول صلى الله عليه وسلم فلما وصل الى قوله انشأناه خلقا
آخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا
لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله مكة فر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة
فغيبه عنده حتى اطمأن اهل مكة ثم اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمن له ثم نصل با اجل من الوعيد فقال ولو ترى الآية وجوابه محذوف
اي لرأيت يا انسان امرا عظيما والظالمون يعني الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فاللام للعهد ويحتمل ان يكون للجنس فيندرج هؤلاء فيه وغمرات
الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم قيل انه لا قدرة لهم
على اخراج ارواحهم من اجسادهم فما الفائدة في هذا الخطاب واجيب بوجوه منها ان المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات الموت في الآخرة
اذا ما دخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من انواع الشدائد والتعذيبات والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب يبكتونهم يقولون
لهم اخرجوا انفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا والملائكة باسطوا
ايديهم لقبض ارواحهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآفات والآلام ومنها ان قوله اخرجوا ارواحكم واخرجوا انفسكم
وهذه عبارة عن العنف والتشديد في ازهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح يبسط يده الى من عليه الحق
ويقول اخرج الي مالي عليك ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك ومنها انه ليس بامر وانما هو وعيد وتقريع كقول القائل امض الآن لترى
ما يحل بك والتحقيق ان نفس المؤمن حال النزع ينبسط في الخروج الى لقاء ربه ونفس الكافر يكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعلق
لانها تصير الى اشد العذاب والى الاشارة في الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء
الكفار يكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى فراق المألوف وفي الآية دلالة على ان النفس الانسانية شيء غير هذا الهيكل المحسوس لان المخرج يجب
ان يكون مغايرا للمخرج منه اليوم يريد وقت الاماتة او الوقت الممتد الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة تجزون عذاب الهون كقولك
رجل سوء بالاضافة لان العقاب شرطه ان يكون مضرة مقرونة بالاهانة كما ان الثواب شرطه ان يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب
يدور على قلة المبالاة بالشيء ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان عليه الشيء اي خف واهانه استخف به والاسم الهون بالضم والهوان
والمهانة والحاصل انه جمع لهم بين الايلام والاهانة بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون يعني ان هذا العذاب
الشديد انما حصل لمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على آيات الله وهو عدم الايمان بها وقال الواحدي وكنتم عن آياته تستكبرون
اي لا تصلون له لقوله صلى الله عليه وسلم من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد برئ من الكبر ولقد جئتمونا يحتمل ان يكون معطوفا
على قول الملائكة اخرجوا انفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون بقبض ارواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم ويحتمل ان يكون
القائل هو الله تعالى ان جوزنا انه يتكلم مع الكفار فرادى جمع فردان ولا ينون واحده وقيل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكران
قاله ابن قتيبة وقيل فريد كرديف وردافى وهم الحداة والاعوان لانه اذا اعيى احدهم خلفه الآخر كما خلقناكم اي على الهيئة التي ولدتم
عليها في الانفراد او مجيئا مثل خلقناكم اول مرة والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم في الدنيا في تحصيل امرين احدهما المال
والجاه والثاني انهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء لله فيهم فقلبوا القضية وتركوا الحقيقة وذلك ان النفس الانسانية انما تعلقت
بالجسد ليكون البدن آلة لها في اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل لها هذان المطلبان عظم خسرانها وكمل
حرمانها واستحق التوبيخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى اي منفردين عما يجب من الاعمال والعقائد ثم انه ان اكتسبت اشياء وقد علق الرجاء بها لانه تحمل
العمل في تحصيلها وانها ليست مما يبقى معها فلا جرم استحق التقريع بقوله وتركتم ما خولناكم اي اعطيناكم وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعني انه
كالشيء الذي يبقى وراء ظهر الانسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما يبقى معوج الرأس بسبب التفاته اليها وما نرى معكم شفعاءكم اي ليسوا معكم
حتى تزولوا او ليسوا معكم بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الآية من قرأ بالنصب على الظرف فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله
وتقطعت بهم الاسباب يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم اذا كان
غدا فأتني اي اذا كان الرخاء او البلاء غدا فأتني فاضمر لدلالة الحال ومن قرأ بالرفع فلانه اسند الفعل الى الظرف اتساعا كما تقول قوتل خلفكم
وامامكم لان المراد بالبين الوصل والاحسن ان استعماله في معنى الوصلة مع ان اصله الافتراق والتباين لانه يستعمل في الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة
من بعض الوجوه كقولهم بيني وبينه شركة وبيني وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم قلت ويحتمل ان يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم جد جده
فان العاقل من يكسب الزاد ليوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال في وجوه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله حتى لا يخاطب
بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا يطول حسرته يوم ينقطع بين النفس والجسد
وصلة ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته ليعلم ان حاصل المباحث
العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين

اوليسوا
فكأنه

في الحنطة

في الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق ووجه بان العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا انشقاق
فاخراج الشيء من العدم الى الوجود شق لذلك العدم وفلق بحسب التخيل والتعقل واعلم انه اذا وقعت الحبة او النواة في الارض الرطبة ثم مر بها
قدر من المدة اظهر الله في اعلاها شقا وفي اسفلها شقا اما العالي فيخرج منه الشجرة الصاعدة الى الهواء واما السافل فانه يخرج منها الشجرة الهابطة
في الارض وهي المسماة بعروق الشجرة وههنا عجائب منها ان طبيعة الشجرتين كانت تقتضي الهوي في عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة
الصاعدة الى الهواء وبالعكس فاتصال الشجرتين على التباد ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض
جسم صلب كثيف لا ينفذ فيه المسلة والسكين ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص في جرم الارض
فحصول هذه القوة الشديدة لجرم الضعيف ليس الا بتقدير العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة ويحصل من الشجرة اغصان واوراق وازهار
واثمار وللثمر قشر اعلى وقشر اسفل وفيه اللب وفي اللب الدهن الذي هو المقصود الاصلي فتولد هذه الاجرام المختلفة في طبايعها وصفاتها والوانها
وطعومها واشكالها مع تساوي تأثيرات النجوم والطبايع في المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها انك قد تجد الطبايع الاربع
حاصلة في الفاكهة الواحدة فالاترج قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه
بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب ومنها انك تجد احوال الفواكه مختلفة فبعضها يكون لبه في الداخل وقشره في الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون
فاكهته المطلوبة في الخارج والخشبة في الداخل كالخوخ والمشمش وبعضها يكون لنواها حب كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه يكون كله مطلوبا
كالتين فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المتخالفة تتضمن حكما وفوائد لا يعلمها الا مبدعها ومنها انك اذا اخذت ورقة واحدة من اوراق
الشجرة وجدت في وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع في بدن الانسان ولا يزال يستدق حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل عن ذلك
الخط خطوط دقاق اصغر من الاول فكأنه سبحانه اوجد ذلك ليقوى به الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية
في تلك المجاري الضيقة فاذا وقفت على عناية الخالق في ايجاد تلك الورقة الواحدة علمت ان عنايته في ايجاد جملة تلك الشجرة اكثر وعلمت
ان عنايته بتخليق الحيوان الذي خلق النبات لاجله يكون اكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذي خلق لاجله النبات والحيوان ويصير ذلك مرقاة
الى وجود الصانع الخبير الحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله يخرج الحي من الميت لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين
من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان ولهذا قال يحيي الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب والنوى قوله ومخرج الميت
من الحي قال ابن عباس يخرج من النطفة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحي نطفة او يخرج من البيض دجاجة ومن الدجاجة بيضا او يخرج المؤمن من الكافر
كما في حق ابراهيم عم والكافر من المؤمن كنوح عم وابنه او المطيع من العاصي والعاصي من المطيع او العالم من الجاهل والجاهل من العالم او الكامل
من الناقص والناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى ان انسانا سقى الافيون في الشراب ليموت فلما تناوله ظن القوم انه
سيموت فرفعوه وجعلوه في بيت مظلم فلدغته حية وصارت تلك اللدغة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برد الافيون وللشيخ عبد القاهر
الجرجاني رحمه الله ان قوله ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل على اعتناء الفاعل بذكر
الفعل في كل وقت بخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد انه يرزقكم حالا فحالا وساعة فساعة او انه لما كان اخراج
الحي اشرف من الميت فذكره بلفظ الفعل ليدل على ان الاعتناء باخراج الحي من الميت اكثر من العكس ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار
المحيي المميت فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره ام كيف تستبعدون البعث والنشور لان الاعادة اهون من الابداء ثم
عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال بما فوقها وهو الاحوال الفلكية فقال فالق الاصباح وهو مصدر سمي به الصبح والمراد فالق ظلمة الاصباح
وهو الغبش في آخر الليل فكان الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور فالمعنى فالق ظلمة الاصباح
بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به او المراد فالق الاصباح ببياض النهار واسفاره ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع الفجر او المراد مظهر الاصباح
بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب واراد المسبب او الفالق بمعنى الخالق كما مر وقد سلف لنا التقرير الصحيح في البقرة في تفسير قوله ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم ان كون الصبح بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض في جانبه الشرقي لا ينافي كونه سبحانه
فالق الاصباح بالحقيقة كما ان وجود النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافي ذلك والامام فخر الدين الرازي اراد ان يبين ان ذلك بتقدير
الفاعل المختار فنفى كونه بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك اسقطناها عن درجة الاعتبار
النوع الثاني من الدلائل الفلكية الدالة على التوحيد قوله وجاعل الليل سكنا حجة من قرأ باسم الفاعل ان المعطوف عليه اسم فاعل
وحجة من قرأ بصيغة الفعل ان قوله بعد ذلك والشمس والقمر منصوبان ولا بد من عامل وما ذاك الا ان يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل
ويطمئن اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانهم يستأنسون بها فالليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويحتمل ان
يراد وجعل الليل مسكونا فيه كما قال لتسكنوا فيه فالليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله تعالى وآيتان على وحدته وقدرته
النوع الثالث قوله والشمس والقمر حسبانا اي بحسبان لان حساب الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما والحسبان بالضم مصدر حسب
بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر وقيل انه جمع حساب مثل شهاب وشهبان قال في الكشاف والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلث
فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل او يعطفان على محل الليل لان اسم الفاعل اريد به ههنا الاستمرار كما تقول الله عالم قادر فلا تقصد زمانا دون
زمان فتكون الاضافة غير حقيقية فيكون لليل محل قلت وهذا مناقض لما ذكره في مالك يوم الدين من انه يجوز ان يراد به زمان مستمر حتى يكون الاضافة
حقيقية ويصح وقوعه صفة للمعرفة واما وجه الجر فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتدأين محذوفي الخبر اي والشمس والقمر مجعولان او محسوبان حسبانا ذلك الجعل
تقدير العزيز الذي قهرهما العليم الذي دبرهما وذلك ان تقدير اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة وهيئاتها المحدودة واوضاعها المعينة لا يتم الا
بقدرة شاملة لجميع الممكنات وعلم نافذ في الكليات والجزئيات النوع الرابع قوله وهو الذي جعل لكم النجوم عدد ههنا من منافع النجوم كونها سببا
للاهتداء في الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير في ظلمات الليل بالبر والبحر فاضافها اليهما وقيل المراد ظلمات
بر التعطيل وبحر التشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بمحال وصفة اخرى مع تشاركها في الجسمية دليل ظاهر على مختار قادر وايضا اتصافها
بالاعضاء والابعاض والحدود والاحياز مع انها لا تصلح للالهية بالاتفاق دليل على وجوب تنزيه الله سبحانه من هذه الصفات ولهذا قال قد فصلنا
الآيات لقوم يعلمون فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب ثم عدل عن الآيات الآفاقية الى آيات الانفس فقال وهو الذي

الاعتبار
فتم
الشبهات كما

انشاكم اي خلقكم بطريق التنشؤ والنماء من نفس واحدة هي آدم وحوا مخلوقة من ضلع من اضلاعه وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط
كلمة كن او بالنفخ وهي من آدم فمستقر من قرأ بكسر القاف فالتقدير ومنكم مستقر ومنكم مستودع الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول ومن قرأ
بفتح القاف فالتقدير فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسمي مكان او مصدر وذلك ان استقر لازم فلا يجي منه المفعول به بلا واسطة فينبغي
تقدير مستودع ايضا بما يشاكله استحسانا عن ابن عباس ان المستودع الصلب والمستقر الرحم لقوله ونقر في الارحام ما نشاء ولان النطفة
في الرحم اكثر فيكون لفظ القرار بذلك انسب بخلاف المستودع فانه في معرض الاسترداد ساعة فساعة وهذا شان المني في الاصلاب فانه بصدد
الاراقة في كل حين واوان وقيل المستقر صلب الاب والمستودع الرحم لان النطفة قد حصلت في صلب الاب اولا واستقرت هناك ثم حصلت
في الرحم على سبيل الوديعة ولان هذا الترتيب يناسب تقديم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حاله بعد الموت لان سعادته او
شقاوته تبقى والمستقر على حالة واحدة والمستودع حاله قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مؤمنا والفاسق صالحا والوديعة على شرف الزوال والذهاب
وقال الاصم المستقر الذي خلق من النفس الاولى ودخل في الوجود والمستودع الذي لم يخلق بعد وسيخلق وعنه ايضا المستقر من في قرار الدنيا
والمستودع من في القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس وعن ابي مسلم الاصفهاني المستقر الذكر لان النطفة انما تستقر في صلبه والمستودع
الانثى لانها مستودع النطفة وحاصل الكلام ان الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه يتقلب في الاطوار ويتردد في الاحوال وليس هذا المقتضي
الطبع والخاصية والا لتساوى الكل في الاخلاق والامزجة فذلك اذن بتدبير فاعل قدير مختار خبير ولهذا قال قد فصلنا الآيات ميزنا بعضها عن بعض
لقوم يفقهون لان الفائدة يعود اليهم وان كان الارشاد عاما ولان آيات الانفس اقرب الى الاعتبار واهون لذي الاستبصار ختم الآية بالفقه

(٨) لذوي الاستبصار

وخصص خاتمة الآية الاولى بالعلم ليعلم ان الغافل عن هذه الانفسية لدولا ذكا واصلا فضلا عن العلم ثم عدد ما كونه نعمة ابين فيه من كونه آية فقال
وهو الذي انزل من السماء ماء وقيل اي من السحاب لان العرب يسمي كل ما فوقك سماء كسماء البيت وقال اكثر اهل الظاهر اي من السماء نفسها

(٧) قيل من جانب السماء او

لانه تعالى فاعل مختار على خلق الاجسام كيف شاء واراد ونحن قد حكينا في اول سورة البقرة مذاهب الحكماء في هذا الباب والله تعالى اعلم
قال ابن عباس يريد بالماء ههنا المطر وكما ينزل قطرة من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك على الطبيعة الحالة فيها الموجبة للنزول
الى مركزها فاخرجنا به اي بواسطة ذلك الماء وذلك بموجب الطبع والمتكلمون ينكرونه نبات كل شيء قال الفراء اي نبات كل شيء له نبات
فيخصص نبت كل صنف من اصناف النامي ويخرج ما عدا ذلك وفي الآية التفاتان الاول من الحكاية الى الغيبة حيث لم يقل نحن الذي انزلناه
الثاني من الغيبة الى الحكاية وانت خبير بان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب باب من ابواب البلاغة وصيغة الجمع لاجل التعظيم كما هو ديدن
الملوك ثم لما بين ان السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسب ما ذكر في قوله ان الله فالق الحب والنوى فقال
فاخرجنا منه اي من النبات خضرا شيئا اخضر طريا وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه اي من ذلك الخضر حبا متراكبا بعضه
على بعض قال ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت والذرة فاصل ذلك هو العود الاخضر وتكون السنبلة راكبة عليه من فوقه والحبات متراكبة وفي
السنبلة اجسام دقيقة حادة كالابر والمقصود من تخليقها ان يمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما ينبت من الحب اتبعه ذكر ما ينبت
من النوى فقال ومن النخل وهو خبر وقوله من طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهي جمع قنو كصنوان وصنو والقنو العذق و
هو من التمر بمنزلة العنقود من العنب والطلع اول ما يبدو من عذق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين التي قد تدلت من الطلع دانية ممن يجتنيها

(٩) لعل الاخرجنا به ... ويخرج من طلع النخل قنوان ...

وعنه ايضا انه اراد عذوق النخلة اللاصقة بالارض قال الزجاج ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لان ذكر احد القسمين يغني عن الآخر كما قال سرابيل
تقيكم الحر ويحتمل ان يقال ترك البعيدة لان النعمة في القريبة اكمل واتم وقيل اراد بكونها دانية انها سهلة المجتنى متعرضة للقاطف كالشيء الداني
القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وجنات من اعناب بالنصب عطفا على خضرا اي
واخرجنا به جنات من اعناب ومن قرأ بالرفع فعلى انها مبتدأ محذوف الخبر اي وثم جنات من اعناب او وجنات من اعناب مخرجة ولا يجوز
ان يكون عطفا على قنوان وان جوزه في الكشاف اذ يصير المعنى وحاصلة او مخرجة من النخل من طلعها جنات حصلت من اعناب اما قوله والزيتون
والرمان بالنصب فللعطف على المنصوبات قبلها او للاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء اراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف
واعلم انه سبحانه قدم الزرع على الاشجار لانه غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر يقوم
مقام الغذاء وبالنسبة للعرب ومن فضائلها ان الحكماء بينوا ان بينه وبين الحيوانات مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم
النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم ثم ذكر العنب عقيب النخل لانه اشرف انواع الفواكه وانه ينتفع به من اول ظهوره الى آخر حاله فاوله
خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من اصحاب الصفراء ثم يتم العنب
فيؤكل كما هو ويدخر سنة ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل ومنافع كل منها لا تحصى الا ان الخمر حرمها الشرع لاسكارها واخس ما في العنب عجمه والاطباء
يتخذون منه جوارشنات نافعة للمعدة الضعيفة الرطبة ويتلو العنب في المنفعة الزيتون لانه يمكن تناوله كما هو وينفصل منه الزيت الذي يعظم
غناؤه واما الرمان فحاله عجيبة جدا لانه قشر وشحم وعجم وماء والثلاثة الاول باردة يابسة ارضية كثيفة قابضة عفصة واما ماء الرمان فما
من هذه الصفات وانه الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية لمزاج الضعيف وهو غذاء
من وجه ودواء من وجه فكانه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القدرة والرحمة والحكمة فيه اكمل وانواع النبات اكثر من ان يفي بشرحها المجلدات
فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على البواقي واما قوله مشتبها وغير متشابه ففي تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه تكون متشابهة في اللون
والشكل مع انها تكون مختلفة في الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد يكون متشابهة في الصورة واللون والشكل ثم انها تكون مختلفة في الحلاوة و
الحموضة وبالعكس الثاني ان اكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابهة في الطعم والخاصية واما ما فيها من اللحم والرطوبة فانها تكون مختلفة
ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض حبات العنقود متشابهة وبعضها غير متشابهة وذلك انك قد تأخذ العنقود من العنب
فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الا حبات مخصوصة فانها بقيت على اول حالها من الخضرة والحموضة والعفوصة ومعنى اشتبه وتشابه واحد كقولك
اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء بوصف احدهما او على تقدير والزيتون مشتبها وغير متشابه
والرمان كذلك كقول الشاعر رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني انظروا الى ثمره من قرأ بفتحتين فلانه جمع ثمرة
مثل بقر وبقرة وشجر وشجرة ومن قرأ بضمتين فعلى انه جمع ثمرة ايضا مثل خشبة وخشب قال تعالى كانهم خشب مسندة او على ان ثمرة جمعت على ثمار

ثم جمع ثمار على ثمر او الثمر اذا اخرج ثمره وينعه يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا بالفتح والضم اذا ادركت ونضجت امر بالنظر في حال ثمر كل شجر اول حدوثها
وفي آخر حالها فانها قد تكون موصوفة بالخضرة والحموضة ثم تتغير في السواد والحلاوة وربما كانت في اول الامر باردة بحسب الطبيعة ثم تصير حارة
الطبع وقد يخرج حنظلا متضعفا لا يكاد ينتفع به ثم يؤول الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات والتغيرات لا بد له من سبب مستقل غير
سوى الطبائع والفصول والافلاك والنجوم وما ذاك الا مسبب الاول ومبدع الكل ولهذا ختم الآية بقوله ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون قال

الآية

القاضي المراد ان يطلب الايمان بالله لانه آية لمن آمن ولمن لم يؤمن ويحتمل ان يقال خص المؤمنين لانهم المنتفعون بذلك دون غيرهم او المراد ان هذه الدلالة
على قوتها وظهورها دلالة لمن سبق قضاء الله تعالى في حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون من زمرة من قال في حقهم وجعلوا لله شركاء
الجن قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب والانعام وابليس خالق الحيات
والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب
الذي زعم زرادشت انه نزل عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم قالوا كل ما في هذا
العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من اهرمن فهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على ان اهرمن محدث ولهم
في كيفية حدوثه اقوال عجيبة كقولهم ان الله تعالى فكر في مملكة نفسه واستعظمها فحصل نوع من العجب فتولد الشيطان من ذلك العجب وكقولهم شك في
نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه قديم ازلي والحاصل انهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة
فيهم كثرة عظيمة وهم ارواح طاهرة مقدسة تلهم الارواح البشرية الطاعات والشياطين فيهم ايضا كثرة عظيمة يلقون الوساوس الى الارواح
البشرية والله تعالى مع عسكره يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم انهم اثبتوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع وان كان شريكه
عندهم بالحقيقة واحدا وهو اهرمن وانتصاب الجن على انه بدل وبيان لشركاء او على انه مفعول اول وشركاء ثانية ويكون لله ظرفا لغوا وفائدة تقديم
المفعول الثاني على هذا القول استعظام ان يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا او جنيا او انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع
كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين وقيل ان الآية نزلت في الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله وحسن اطلاق الجن على الملائكة
لاستتارهم عن العيون ومعنى كونهم شركاء انهم مدبرة لاحوال هذا العالم ومعينة لله اعانة الولد للوالد وعن الحسن وطائفة من المفسرين ان المراد ان الجن
دعوا الكفار الى عبادة الاصنام والى القول بالشركة فاطاعوهم كما يطاع الله اما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع على ابطال الشركة والضمير فيه اما

(٧) الشركة

ان يعود الى الجن او الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الآية نزلت في المجوس فنقرر وان الاكثرين منهم معترفون بان ابليس محدث ولزم بعضهم بذلك
فالبرهان العقلي قائم على ان ما سوى الحق الواجد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فنقول حينئذ كل محدث مخلوق وله خالق وما ذاك الا الله سبحانه
حينئذ لزمهم نقض قولهم لانه ثبت ان اله الخير قد فعل اعظم الشرور وهو خلق ابليس الذي هو مادة كل شر وان قلنا انها نزلت في كفار العرب القائلين الملائكة
بنات الله فظاهر لانهم يسلمون ان الملائكة مخلوقون وانهم تولدوا منه تولد الولد من الوالد وان عاد الضمير الى الجاعلين فالمعنى وعلموا ان الله خالقهم
دون الجن كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق والجملة في موضع الحال اي وقد خلقهم
وقرئ وخلقهم بسكون اللام اي اختلاقهم لان الافك يعني جعلوا الله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها ثم حكى عن قوم آخرين نوعا آخر من الكفر
فقال وخرقوا له بنين وبنات وذلك قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ومن هنا نعلم ضعف قول من قال وجعلوا لله شركاء
الجن نزل في كفار قريش لانه يلزم التكرار من غير فائدة ظاهرة يقال خرق الافك وخلقه واخترقه واختلقه بمعنى قال الحسن كلمة عربية كان الرجل اذا كذب
في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات اما قوله بغير علم فللتنبيه على ابطال قولهم
فان عرف الاله حق معرفته استحال ان يثبت له ولدا لان ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه قائما بذاته لا تعلق له في وجوده بالآخر
يتعلق التفرعية وان كان ممكن الوجود لذاته كان موجودا بايجاد الواجب فكان عبدا له لا ولدا وايضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تعالى
عن الفناء لم يحتج الى الولد وايضا الولد جزء من اجزاء الوالد ومن لم يكن مركبا استحال ان ينفصل منه جزء يتولد منه الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق به فقال سبحانه
وهذا على لسان المسبحين وتعالى عما يصفون وهذا الى في نفسه سواء سبحه مسبح ام لا والمراد بالتعالي العلو بالشرف والرفعة بدليل قوله عما يصفون **التأويل**

(٧) بازدياد ...

وما قدروا الله حق قدره حين انكروا انزال الكتب والبعثة على انهم لو اعترفوا بذلك ايضا لم يعرفوه حق معرفته لان المحاط لا يحيط بالمحيط نعم يزداد معرفة
واوصافه يجعلونه قراطيس اي في القراطيس وما يجعلونه في قلوبكم بالتخلق باخلاقه وعلمتم بتعليم محمد ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم كقوله ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ومن الحكمة ما هو سر والذي يكون تعليمه بشرط المتابعة سرا بسر واضمارا باضمار والذي علم النبي هو الله في خلق ما سوى الله ولهذا قال قل الله مبارك
على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم باخلاقه وفي كتاب المحبوب شفاء لما في القلوب
مصدق الذي بين يديه لانه يصدق حقائق جميع ما في الكتب ولتنذر ام القرى وهي الذرة المودعة في القلب التي هي المخاطب في الميثاق ومن حولها جميع
ارض القلب من نجاد ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات والاخلاق بان يتنوروا بانواره وينتفعوا باسراره ويتخلقوا باخلاقه
والذين يؤمنون بالآخرة ويستعملون الادوات والآلات في امور الدنيا والآخرة لا في الدنيا الفانية وشهوات النفس هم يؤمنون بالقرآن وهم على صلواتهم
بالترقي من صفاتهم الى التخلق باخلاق القرآن يداومون فان الصلاة معراج المؤمن ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار المواجيد والكلام الحاجي
رياء ومراءاة من غير ان يكون له منها نصيب او قال اوحي الي الاشارات ولم يوح اليه شيء منها ومن قال سانزل متشدقا متفيهقا بالكلام بمثل كلام الله تعالى
والاسرار فيظهر معرة ظلمه وافترائه عند سكرات الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها لتعلقها بالشهوات واللذات
وطلب الرياسات ويكون بشدة النزع والهوان بحسب التعلقات ولقد جئتمونا فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها او فرادى عن تعلقات الكونين كما خلقناكم
اول مرة في اول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب وتركتم بالتجرد عن الدنيا وبالتفرد عن الدنيا والآخرة ما خولناكم من تعلق الكونين وراء ظهوركم وما نرى شفعاء
معكم الاعمال والاحوال التي زعمتم انها توصلكم الى الله لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبريل عند سدرة المنتهى وحينئذ لا يصل الى الوحدة
الا بجذبة ارجعي الى ربك ولو لم تدركه الجذبة المستندة الى العناية لانقطع عن السير في الله بالله وبقي عند السدرة وهو يقول وما منا الا له مقام معلوم ان الله
فالق حبة الذرة التي اخذ منها الميثاق المودعة في حبة القلب عن نبات المحبة وفالق النوى ذكر لا اله الا الله في ارض القلب عن شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة
طيبة يخرج حبات المحبة التي هي من صفات الحي القيوم من الذرة الميتة الانسانية ويخرج الافعال الطبيعية التي هي من صفات الكفار الميل من المؤمن الحي
في الدارين وايضا يخرج نخل الايمان الحي من نوى الحروف الميتة من كلمة لا اله الا الله ويخرج ميت النفاق من الكلمة الحية وهي لا اله الا الله فالق الاصباح

فالق ظلمة الجاذبية بمصباح العقل والحيوة والرشاد وفالق ظلمة الجهالة بمصباح الفهم والادراك وفالق ظلمات العالم الجسماني بتجلي نفس القدسية الى صبحة عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم الممكنات بمصباح نور الاستغراق في مدبر المحدثات والمبدعات وبالجملة فالق انوار الروح عن ظلمة ليل البشرية وجاعل ليل البشرية سكنا عن صفا شمس الروح ليسكن فيه النفس الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس والقمر حسبانا يعني تجلي شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بحساب لئلا يفسد امر القلب والقالب وايضا تجلي شمس الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحساب لئلا يفسد امر الدين والدنيا على العبد بالتفريط والافراط فان افراط طلوع شمس المعارف والشهود آفة انا الحق وسبحاني وفي تفريطه آفة انا ربكم الاعلى وعبادة الهوى ذلك تقدير العزيز العليم بمن يستحق ان يهتدي اليه وهو الذي جعل لكم نجوم انوار الغيوب في سموات القلوب لتهتدوا بها في ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية الى عالم الربوبية وهو الذي انشاكم من روح واحد وهو روح محمد صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله روحي كما خلق اجسادكم من جسد واحد وهو جسد آدم ابي البشر لكن الارواح ما تعلق بالاجساد فمستقر وما هو بعد مستودع في عالم الارواح وايضا من الارواح ما هو مستقر فيه نور صفة الايمان ومنها ما هو مستودع فيه جذبات الحق ومنها ما هو مستقر في انانيته مع علو رتبته بالبقاء ومنها ما هو مستودع في انانيته بالفناء ومنها ما هو مستقر ببقاء الحق باق ومنها ما هو مستودع في بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا دلالات الوصول والوصال لقوم يفقهون اشارات الغايب وهو الذي انزل من سماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شيء من انواع المعارف فاخرجنا منه خضرا اغصانا طريا من المعاني والاسرار نخرج به من الحقايق ما ركب بعضها بعضا فرتب بعضها على بعض ومن النخل يعني اصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولاياتهم ما هو قنوان دانية للطالبين اي منهم من يكون مربيا فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين وجنات يريد ارباب الزهد والتقوى والفتوى الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من اعناب الاجتهاد والزيتون والرمان الاصول والفروع مشتبها اي متفقا في الاصول والفروع وغير متشابه اي مختلفا فيما بين العلماء انظروا الى ثمر الولاية كيف ينتفع بها الخواص والعوام وينعه اي الكامل منها ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون باحوالهم وينتفعون باقوالهم واحوالهم وجعلوا لله اشارة الى انه كما يخرج بماء اللطف من ارض القلوب ازهار انواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من ارض النفوس الامارة انواع الضلالات الله حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ۝ ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ۝ لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ۝ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ ۝ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون ۝ اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ۝ ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ۝ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ۝ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ۝ ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون

القراءات ولم يكن بالياء الغيبة قتيبة درست بتاء التانيث ابن عامر وسهل ويعقوب دارست بتاء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو الباقون بتاء الخطاب ودرست من الدرس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبة ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة

الوقوف والارض ط صاحبة ج كل شيء ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف عليم ه ربكم ج لاحتمال الجملة الاستيناف والحال والعامل معنى الاشارة الا هو ج

لان

لان قوله خالق بدل الضمير المستثنى او خبر ضمير محذوف فاعبدوه ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف وكيل ه لا تدركه الابصار ز لاختلاف الجملتين مع ان الثانية من تمام المقصود يدرك الابصار ج لاحتمال الواو الاستيناف والحال اي يدرك الابصار لطيفا خبيرا الخبير ه من ربكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه ج لذلك مع الواو فعليها ط بحفيظ ه يعلمون ه من ربك ج لاحتمال الجملة الحال والاستيناف على انها جملة معترضة الا هو ط للعطف مع العارض المشركين ه ما اشركوا ط حفيظا ج للابتداء بالنفي مع اتحاد المعنى بوكيل ه بغير علم ط يعملون ه ليؤمنن بها ط وما يشعركم ط لمن قرا انها بكسر الالف لا يؤمنون ه يعمهون ه

التفسير انه اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على ابطال من خرق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع السموات والارض الآية والمراد هو بديع السموات ويجوز ان يكون بديع مبتدا والجملة بعده خبره وتقرير الدليل انكم اما ان تريدوا بكونه ولدا له انه احدثه على سبيل الابداع من غير تقديم نطفة ووالد وحينئذ يلزمكم القول بانه والد السموات والارض لكونه مبدعا لهما وهذا باطل بالاتفاق واما ان تريدوا به الولادة كما هو المالوف من الحيوانات وهذا ايضا محال لان ذلك الولاد لا يصح الا ممن كانت له صاحبة من جنسه وينفصل منه جزء يحتبس في رحمها وهذه الاحوال انما تثبت في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحد والنهاية والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال والى هذا اشار بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وايضا الولد بهذا الطريق انما يتصور في حق من لا يقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة اما الذي اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون فذاك في حقه مستحيل والى هذا اشار بقوله وخلق كل شيء وايضا الولد لا يكون ازليا والا كان واجبا لذاته غنيا عن غيره فيمتنع ان يكون حادثا فيقول انه تعالى عالم بكل المعلومات ازلا وابدا كما قال وهو بكل شيء عليم فان كان قد علم ان له في تحصيل ذلك الولد كمالا او نفعا او لذة لتعلقت ارادته بايجاده في الازل وفيه لذلك الاحتياج والنقصان فيكون الولد ازليا على تقدير كونه حادثا هذا خلف فثبت ان اله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والاضداد والانداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال ذلكم الله فاسم الاشارة مبتدا وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم الموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى آخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شيء وفي المؤمن بالعكس لانه وقع ههنا بعد ذكر الشركاء والبنين والبنات فكان دفع الشرك اهم وهنالك وقع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية اهم ثم قال فاعبدوه وهو مسبب عن مضمون الجملة المتقدمة يعني ان من استجمعت له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة وهو مع تلك الصفات على كل شيء وكيل يحفظه ويرزقه ويراقبه قال في التفسير الكبير انه سبحانه اقام الدليل على وجود الخالق ثم زيف طريق من اثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد لحصول للعلماء في اثبات التوحيد طرق منها ان الدليل قد دل على وجود صانع واحد والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد اولى من عدد آخر فيلزم اثبات آلهة لا نهاية لها او القول بعدد معين بلا ترجيح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها انا لو قدرنا الهين قادرين على كل الممكنات عالمين بكل المعلومات وكل فعل يفعله احدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للآخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب ان يكون كل واحد سببا لعجز الآخر وهو محال وان كان في احدهما عجز ونقص لم يصلح للالهية ومنها انا لو فرضنا الها ثانيا لكان اما ان يكون الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال اولا وعلى الاول لا بد ان يتميز عنه بامر والا لم يحصل التعدد فذلك المميز ان كان من صفات الكمال لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا بينهما وان كان من صفات النقص فالموصوف لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل على ان الدليل النقلي في التوحيد كاف والله اعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق كل شيء يدل على انه خالق افعال العباد وقالت المعتزلة انما ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولكنه لا يتمدح بخلق الزنى والكفر واللواطة وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا وايضا احتج كثير من المعتزلة به على نفي الصفات وعلى ان القرآن مخلوق اما الثاني فلان القرآن شيء فيدخل تحت العموم واما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم ان يكون مخلوقة له واجيب بانكم تخصصون هذا العام بحسب ذاته ضرورة انه يمتنع ان يكون خالقا لنفسه وبحسب افعال العباد فنحن ايضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القرآن واما الفرق بين قوله وخلق كل شيء وقوله خالق كل شيء فذلك ان الاول يتعلق بالزمان الماضي والثاني يتناول الاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين ان شيئا من القوى المدركة لا يحيط بحقيقته وان عقلا من العقول لا يقف على كنه صمديته فقال لا تدركه الابصار هذه الآية من مشهورات استدلالات المعتزلة على نفي رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل ان قول القائل ادركته ببصري وما رايته متناقضان ثم ان قوله لا تدركه الابصار يقتضي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وايضا انه ذكر الآية في معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا ولم يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا في حقه تعالى وانما قيدنا بما لا يكون من باب الفعل لانه تعالى يمدح بنفي الظلم عن نفسه في قوله وما ربك بظلام للعبيد مع انه تعالى قادر على الظلم عندهم واجيب بالمنع من ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية فان اصل اللغة موضوع للوصول واللحوق ومنه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي لملحقون وقوله حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه وادرك الغلام اي بلغ وادركت الثمرة اي نضجت واذا ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك اي ادراك البصر رؤية مع الاحاطة ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي ادراك البصر نفي الرؤية سلمنا ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد الا نفي العموم وانتم تدعون عموم النفي واين ذلك من هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفي العموم لان صيغة الجمع كما تحمل على الاستغراق فقد تحمل على المعهود السابق ايضا فقوله لا تدركه الابصار يفيد انها لا تدركه في الدنيا وانما تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها في الآخرة او نقول قول القائل لا يدركه جميع الابصار يفيد سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز ان يفيد انه يدركه بعض الابصار كما يقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما امن به كل الناس فانه يفيد انه امن به بعض الناس سلمنا ان الابصار لا تدركه البتة فلم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيمة كما هو مذهب ضرار بن عمرو الكوفي او نقول سلمنا ان الابصار لا تدركه فلم قلتم ان المبصرين لا يدركونه اما قولهم ان الآية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى جائز الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار وانما يحصل التمدح لو كان بحيث يصح رؤيته ثم انه تعالى يحجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله ونهاية جماله والتحقيق فيه ان النفي المحض والعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم به ضروري بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة من صفات المدح قيل ان ذلك النفي يوجب المدح كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد ايضا لا تاخذه سنة ولا نوم الا ان هذا النفي في حق الباري تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمتنع ان يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك ما قلنا من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة به فثبت بما ذكرنا ان هذه الآية عليكم لا لكم لانها افادت انه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته ثم نقول اذا ثبت ذلك وجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيمة لان القائل قائلان قائل بجواز الرؤية مع ان المؤمنين يرونه وقائل لا يرونه ولا يجوز رؤيته واذا ابطل هذا القول بقي الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع انه لا يراه احد قول لم يقل به احد وهذا استدلال

لطيف ثم ان القاضي استدل ههنا على نفي الرؤية بوجوه اخر خارجة عن التفسير لايقة بالاصول الاول ان الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا وكانت الشرايط المعتبرة حاصلة وهو ان لا يحصل القرب القريب والبعد البعيد وارتفع الحجاب وكان المرئي مقابلا او في حكم المقابل فانه يجب حصول الرؤية والا جاز ان يكون بحضرتنا بوقات وطبول ونحن لا نسمعها ولا نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب القريب والبعد البعيد والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي لحصول تلك الرؤية سلامة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب ان يحصل رؤيته وحيث لم يحصل علمنا ان رؤيته ممتنعة في نفسها واجيب بان ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشيء ثبوت مثله فيما يخالفه وثانيها لو صحت رؤيته لاهل الجنة لرآه اهل النار ايضا لان القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى واجيب بانه لم لا يجوز ان يخلق الله تعالى الرؤية في عيون اهل الجنة ولا يخلقها في عيون اهل النار وثالثها ان كل ما كان مرئيا كان مقابلا او في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك واجيب بمنع الكلية وبانه اعادة لعين الدعوى لان النزاع واقع في ان الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته ام لا ورابعها ان اهل الجنة يلزم ان يروه في كل حال حتى عند الجماع لان القرب والبعد عليه تعالى محال ولان رؤيته اعظم اللذات وفوات ذلك يوجب الغم والحزن وذلك لا يليق باهل الجنة واجيب بانهم لعلهم يشتهون الرؤية في حال دون حال كسائر الملاذ والمنافع في تعديد الوجوه الدالة على جواز الرؤية منها هذه الاية كما بينا ومنها ان موسى عليه السلام طلب الرؤية فدل ذلك على جوازها ومنها انه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد اتفق الجمهور على ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية ومنها قوله فمن كان يرجو لقاء ربه ونحو ذلك من الايات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار على النزل لا يجوز فالزايد على جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد رآه نزلة اخرى وسوف ياتي في سورة النجم ان شاء الله تعالى ومنها قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين ومنها قوله وفيها ما تشتهي الانفس ولا شك ان القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله تعالى على اكمل الوجوه واكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا فيمن قرا بفتح الميم وكسر اللام واما الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي ومنها ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه وسلم هل راى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضا بهذا السبب فدل ذلك على انهم كانوا مجمعين على امكان الرؤية اما قوله تعالى وهو يدرك الابصار ففيه دليل على انه سبحانه مبصر للمبصرات والمرئيات مطلع على خفياتها عليم بجوارحها وذواتها ثم قال وهو اللطيف الخبير وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان ذلك من صفات الاجسام بل المراد لطف صنعه في تركيب ابدان الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والاغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التي لا يعلمها الا مبدعها او المراد انه لطيف في الانعام لانه لا يامرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم او الرفيق انه يثني عليهم بالطاعة ولا يقطع مواد احسانه عنهم بالمعصية او المراد انه يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فلا يلطف شيء عن ادراكه ثم عاد الى تقرير امر الدعوة والرسالة فقال قد جاءكم بصائر اي موجباتها والبصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بان العبد متمكن من الامرين الفعل والترك [illegible]

اي لئلا تقتلوا والمراد لام العاقبة وزيف بان حمل الاثبات على النفي تحريف لكلام الله تعالى وفتح هذا الباب يخرج الكتاب عن ان يكون حجة وايضا انه مناف للمقصود لان انزال الايات نجما نجما هو الذي اوقع الشبهة للقوم في ان محمدا انما ياتي بالقرآن على سبيل المدارسة والمذاكرة مع اقوام اخرين ولهذا كانوا يقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فالجواب الذي ذكره انما يصح لو كان التصريف علة لان يمتنعوا من هذا القول لكنه موجب لذلك كلامهم وايضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى ثم انه لما حكى عن الكفار انهم نسبوه في شان القرآن الى الافتراء وانه تدارس اقواما واستفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرآنا وادعى انه نزل عليه من الله اتبعه قوله اتبع ما اوحي اليك من ربك لئلا يصير ذلك القول سببا للفتور في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذي يعتريه بسماع تلك الشبهة وبينه بالجملة المعترضة او الحال المؤكدة وهي قوله لا اله الا هو على انه سبحانه لما كان واحدا في الالهية فانه تجب طاعته ولا يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين ثم ختم الاية بقوله واعرض عن المشركين وحمله بعضهم على انها منسوخة باية القتال وضعف بان المراد ترك مقابلتهم فيما ياتونه من سفه وان يعدل صلى الله عليه وسلم الى الطريق الذي يكون اقرب الى القبول وابعد عن التنفير والتغليظ ولو شاء الله ما اشركوا تمسك الاشاعرة وفيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشيئة الالجاء والقسر واجيب بعد المعارضة بالعلم والداعي بان الايمان الاختياري هب انه انفع وافضل من الايمان القهري الا انه تعالى لما علم ان ذلك لا ينفع ولا يحصل فقد كان يجب في حكمته ان يخلق فيه الايمان القهري كي يتخلص من العقاب وان لم يجب له الثواب كان الاب المشفق اذا علم ان ابنه لا يحصل الغوص يقول له اترك الغوص في البحر ولا تطلب اللآلي فانك لا تجدها واكتف بالرزق القليل مع السلامة فاما ان يامره بالغوص في البحر مع العلم التام بانه لا يستفيد منه الا الاهلاك فان ذلك من الرحمة والشفقة بمعزل ثم ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

الى فذكر انما انت مذكر

وذلك انه بين له قدر ما جعل حفيظا ولا وكيلا عليه وانما فوض اليه الابلاغ والانذار ثم انهم لما نسبوا الرسول صلى الله عليه وسلم الى انه جمع القرآن بتلفيق من المدارسة وكان لا يبعد ان يغضب له المسلمون بسبب ذلك فيسبوا آلهتهم نهى الله تعالى عن ذلك فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله وذلك ان المسلمين اذا شتموا آلهتهم فربما غضبوا فذكروا الله بما لا ينبغي من القول وفيه تنبيه على ان خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك ان تقدم على مشافهته بما يجري مجرى كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والسفاهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته عن سب آلهتنا وعيبها لنهجون الهك فنزلت وقال السدي لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري الى ابي طالب فقالوا انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يريدون قالوا نريد ان تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال ابو طالب قد انصفك قومك وبنو عمك فاقبل منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطيكها وعشر امثالها فما هي قال قولوا لا اله الا الله فابوا واشمأزوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان قومك قد فزعوا منها فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا او لنشتمنك ولنشتمن من يامرك فانزل الله تعالى هذه الاية قالت العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله واجيب بانه ربما كان بعضهم قائلا بالدهر ونفي الصانع فما كان يبالي بهذا النوع من السفاهة او لعل مرادهم شتم الرسول فاجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما في قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله او لعلهم من جهالتهم اعتقدوا ان شيطانا يحمله على ادعاء الرسالة ثم انهم شتموا ذلك الشيطان بانه اله محمد وههنا سؤال وهو ان شتم الاصنام من اصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى ان ينهى عنه والجواب ان هذا الشتم وان كان طاعة الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب السفاهة ويقتضي تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب في قلوبهم وفيه ان الامر بالمعروف قد يقبح اذا ادى الى ارتكاب منكر والنهي عن المنكر يقبح اذا ادى الى زيادة منكر وغلبة الظن قائمة مقام اليقين في هذا الباب وفيه تاديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتشاغل بما لا يفيد في المطلوب فان وصف الاوثان بانها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفي في القدح في الهيتها فلا حاجة مع ذلك الى شتمها يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء اذا ظلم ظلما متجاوزا للمقدار قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لان المعنى فيعدوا عدوا وقرئ عدوا بفتح العين والتشديد اي في حال كونهم اعداء ومعنى بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك اي مثل ذلك التزيين زينا لكل امة عملهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على انه تعالى هو الذي زين للكافر الكفر وللمؤمن الايمان وللعاصي المعصية وزيفه الكعبي بقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم وبقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت فاذن المراد انه تعالى زين لهم ما ينبغي ان يعملوا وهم لا يفقهون او المراد زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشانهم وامهلناهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا وضعف بعد المعارضة بالعلم والداعي بان قوله تعالى كذلك زينا بعد قوله فيسبوا الله مشعر بان اقدامهم على ذلك المنكر انما كان بتزيين الله وايضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا وجهلا والعلم بذلك ضروري بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما وحقا وصدقا ولولا سابقة الجهل الاول والا لما اختار الجهل الثاني ولا يذهب الجهالات الى غير النهاية فلا بد ان ينتهي الى جهل اول يخلقه الله تعالى فيه وهو يوجب ذلك الجهل ظن الكفر ايمانا والجهل علما ثم قال واقسموا بالله جهد ايمانهم والغرض حكاية شبهة اخرى لهم وهي ان هذا القرآن كيف كان من امره فليس من جنس المعجزات البتة ولو انك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة وبينة قاهرة لآمنا بك واكدوا ذلك المعنى بالايمان والاقسام قال الواحدي انما سمي اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر اذا كانت الحاجة الى ذكر الحلف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر الى مصدق ومكذب فتعين الاقسام ازالة القسمة وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف واليمين عن محمد بن كعب قال كلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كانت معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وان عيسى كان يحيي الموتى وان صالحا كانت له ناقة فاتنا ببعض تلك الايات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شيء تحبون ان آتيكم به قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا قال فان فعلت تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن لم ارسل اية فلم يصدق بها الا انزلت العذاب وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركهم حتى يتوب تائبهم وانزل الله الايات الى قوله ولكن اكثرهم يجهلون قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معناه بالغوا في الايمان والمراد بقوله لئن جاءتهم اية ما روينا من جعل الصفا ذهبا وقيل هي الاشياء المذكورة في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض الايات وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم بان عذاب الاستئصال كان ينزل بالامم المتقدمين المكذبين فالمشركون طلبوا امثالها قل انما الايات عند الله اي هو مختص بالقدرة على امثال هذه الايات لان المعجزات لا تحصل الا بتخليق الله تعالى او المراد بالعندية هو العلم بان احداث هذه المعجزات هل يقتضي ايمانهم ام لا كقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو او المراد انها وان كانت معدومة في الحال الا انه تعالى متى شاء احدثها وليس لكم ان تتحكموا في طلبها كقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وما يشعركم ما استفهامية مبتدا والجملة خبره ثم من قرا انها بكسر الهمزة على الابتداء وهي القراءة الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدا فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون واما قراءة الفتح فقال سيبويه سالت الخليل عن ذلك فقال لا يحسن لانها تصير عذرا للكفار لان معنى قول القائل ما يدريك انه لا يفعل هو انه يفعل فيصير معنى الاية انها اذا جاءت امنوا وذلك يوجب مجيء هذه الايات ويصير الكلام عذرا لهم في طلبها لكن القراءة لما كانت متواترة فلا جرم ذكر العلماء فيه وجوها احدها قال الخليل ان بمعنى لعل يقول العرب ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك ويقوي هذا الوجه قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها ان يجعل لا صلة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون وثالثها ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الاية ويتمنون مجيئها فقال الله وما يدريكم ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق به علمي من انهم لا يؤمنون واما من قرا لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمراد وما يشعركم ايها الكفار قال القاضي والجبائي في الاية دلالة على انه تعالى يجب ان يفعل كل ما في مقدوره من الالطاف اذ لو كان في المعلوم لطف يؤمنون عنده وهم انه لا يفعل ذلك لم يكن لتعليل ترك الاجابة بانهم لا يؤمنون وجه وايضا لو كان الايمان بخلق الله تعالى لم يكن لفعل الالطاف اثر في حمل المكلف على الطاعات ولم يكن لاظهار تلك المعجزات اثر والجواب ان تاثير المعجزات عندكم مبني على وجوب اللطف فلو اثبت اللطف به

لزم الدور وبان الاية التي بعد هذا وهو قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم يدل على ان الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة
والابصار وهو انهم اذا جاءتهم الايات القاهرة التي اقترحوها وعرفوا كيفية دلالتها على صدق الرسول الا انه تعالى اذا قلب قلوبهم و
ابصارهم عن ذلك الوجه الصحيح بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الايات والتقليب تحريك الشيء عن وجهه وكان صلى الله عليه وسلم يقول
يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك والمراد بانه تعالى يقلب القلوب تارة من داعي الخير الى داعي الشر وبالعكس وانما قدم ذكر تقليب
الافئدة على تقليب الابصار لان موضع الدواعي والصوارف هو القلب فاذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر عنه والحاصل
ان السمع والبصر آلتان للقلب ولهذا السبب وقع الابتداء بتقليب القلب قال الجبائي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم في جهنم على
النار وحرها لنعذبهم وزيف بان قوله ونذرهم انما يحصل في الدنيا وهذا يستلزم سوء النظم وقال الكعبي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم بانا
لا نفعل بهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والالطاف حيث اخرجوا انفسهم عن هذا الحد بسبب كفرهم وضعف بانه انما استحق الحرمان من تلك
الالطاف والفوائد بسبب اقدامه على الكفر فهو الذي اوقع نفسه في ذلك الحرمان فكيف يحسن اضافته الى الله تعالى في قوله ونقلب وقال القاضي
القلب باق على حالة واحدة والاية تعالى او حل التقليب والتبديل في الدلائل واعترض بان تقليب القلب نقله من صفة الى صفة ومن حالة الى
اما قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة فقال الواحدي فيه حذف والتقدير ولا يؤمنوا بهذه الايات كما لم يؤمنوا بظهور الايات اول مرة يعني اول مرة
اتتهم الايات مثل انشقاق القمر وغيره والكناية في به اما عائدة الى القرآن او الى محمد صلى الله عليه وسلم او الى ما طلبوا من الايات وقيل الكاف
للجزاء اي كما لم يؤمنوا به اول مرة وكذلك نقلب افئدتهم وابصارهم عقوبة لهم قال الجبائي ونذرهم اي لا نحول بينهم وبين اختيارهم ولا نمنعهم
بمعاجلة الهلاك وغيره لكنا نمهلهم فان اقاموا على طغيانهم فذلك من قبلهم وانه يوجب تأكيد الحجة عليهم وقالت الاشاعرة انا نقلب
افئدتهم من الحق الى الباطل ونتركهم في ذلك الطغيان والضلال والعمه **التأويل** قد جاءكم بصائر ولائحات السعادات الباقية
فمن ابصر بان اشتغل بتحصيلها واقبل على الله بسلوك سبيلها فذلك تحصيل لنفسه فان غني عن العالمين ومن عمي فبالعكس واقسموا الذين عجزوا
لا تخاطبوا اهل الضلال على موجب منازع النفس والطبيعة فيحملهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم بلسان الحجة والزام
الحجة ونفي الشبهة واقسموا بالله جهد ايمانهم ان البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا انهم مقهورون تحت حكم السلطان وما يشعركم وضوح الدلائل
لم يدركه سوابق الرحمة ونقلب افئدتهم عن الرحمة الى الدنيا وابصارهم عن شواهد المولى الى شاهد النفس والهوى كما انهم لم يؤمنوا يوم الميثاق
وقلت الست بربكم قالوا بلى الله ربي الله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء
قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون ۝
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض
زخرف القول غرورا ۝ ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم
وما يفترون ۝ ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة
وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ۝ افغير الله ابتغي حكما وهو
الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ۝ و
تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع
العليم ۝ وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله
ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ۝ ان ربك
هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ۝ فكلوا مما
ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ۝ وما لكم الا تأكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه

وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين
۝ وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا
يقترفون ۝ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون ۝

القراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفضل كلمة ربك
عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب الباقون كلمات حتى يضل من الاضلال الاصبهاني عن نصير فصل على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول
حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل وقرأ ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما ليضلون
بضم الياء عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح **الوقوف** الجزء الثامن يجهلون ۝ غرورا ط يفترون ۝ مقترفون ۝ مفصلا ط الممترين ۝
وعدلا ط لكلماته ج لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو الحال اي لا تبديل لكلماته وهو سميع بصير العليم ۝ عن سبيل الله ط يخرصون ۝ عن سبيله ج
بالمهتدين ۝ مؤمنين ۝ اليه ط بغير علم ط بالمعتدين ۝ وباطنه ط يقترفون ۝ لفسق ط ليجادلوكم ج لمشركون ۝ **التفسير** هذا شروع
في تفصيل ما اجمله قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون وكان يستهزئون بالقرآن خمسة الوليد بن المغيرة المخزومي والعاص بن وائل السهمي والاسود
بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب والحارث بن حنظلة اتوا الرسول صلى الله عليه وسلم في رهط من اهل مكة فقالوا ارنا الملائكة يشهدوا
بانك رسول الله او ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم احق ما تقول ام باطل او ائتنا بالله والملائكة قبيلا اي كفيلا على ما تدعيه فبين الله تعالى
عنهم الايمان وان اوتوا هذه المقترحات قال ابو زيد يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة كلها بمعنى واحد وهو المواجهة رواه الواحدي وقال ابو عبيدة
والفراء والزجاج قبلا بكسر القاف معناه معاينة روي عن ابي ذر قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اكان آدم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله
قبلا واما قبلا بضمتين فقيل انه جمع قبيل ومعناه الجماعة يكون من الثلثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش بمعنى
اي قبيلا قبيلا او معناه الكفيل والعريف من قبل به يقبل ويقبل قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شيء فكفلوا بصحة ما يقول ما آمنوا وموضع الاعجاز
فيه ان الاشياء المحشورة منها ما ينطق ومنها ما لا ينطق ومنها حي ومنها ميت فاذا حشرها الله تعالى على اختلاف طبائعها مجتمعة في موقف واحد ثم نطقها
واطبقوا على قبول هذه الكفالة كان ذلك من اعظم المعجزات اما قوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم فقد قالت الاشاعرة فلما لم يؤمنوا
دل على انه تعالى ما شاء ايمانهم وقالت المعتزلة لو لم يرد منهم الايمان لما وجب عليهم الايمان كما لو لم يأمرهم به لم يجب ولو اراد الكفر من الكافر لكان الكافر
في كفره مطيعا لله لانه لا معنى للطاعة الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى ان يريد الكفر لجاز ان يأمره به ولجاز ان يأمرنا بان نريد الكفر
فالمراد من الاية انه شاء من الكل الايمان الاختياري وما شاء الايمان القهري والمعنى ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا ان يشاء الله
الاكراه والاضطرار فحينئذ يؤمنون وزيف بان الاختيار لا بد معه من حصول داعية يترجح بها احد طرفي الممكن ولا يحصل تلك الداعية الا بتخليق الله
فكانه لا اختيار قال الجبائي قوله الا ان يشاء الله يدل على حدوث المشية اذ لو كانت قديمة وهي الشرط لزم من حصولها حصول المشروط وهو
باطل قديمة الا ان تعلقها باحداث المحدث في الحال اضافة حادثة ثم ختم الاية بقوله ولكن اكثرهم يجهلون قالت الاشاعرة اي لا يعلمون
ان الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم لا يدرون انهم يبقون كفارا عند ظهور الايات التي طلبوها والمعجزات التي اقترحوها فيقسمون
بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم الاختياري لمجيء الايات
المقترحات ثم قال وكذلك قيل انه عطف على قوله وكذلك زينا اي وكما زينا لكل امة عملهم جعلنا وقيل ان اشارة الى محذوف اي وكما خلينا
بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا لمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم يمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الالهي بسبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب
والاجر قالت الاشاعرة لا شك ان تلك العداوة معصية وكفر وقد جعلها شرا فالاية تدل على ان خالق الخير والشر والطاعة والمعصية والايمان
والكفر هو الله قال الجبائي المراد بهذا الجعل انه حكم وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه كفره واذا اخبر عن عدالته قيل عدله وقال الكعبي انه امر الانبياء
بعداوتهم واعلمهم بكونهم اعداء لهم فاقتضى ذلك انهم صاروا اعداء للانبياء لان العداوة تكون من الجانبين واجاب ابو بكر الاصم بانه لما ارسل محمدا
الى العالمين وخصه بتلك المعجزات صار ذلك التخصيص سببا للحسد والعداوة والبغضاء فهذا هو المراد بجعلهم اعداء له وزيف بان الافعال مستندة
الى الدواعي وهي من الله تعالى وبان العداوة والمحبة تتعلق بالطبع لا بالارادة والتكلف فلا يقدر عليهما الا الله تعالى وانتصاب شياطين كما مر في قوله
وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانباري عدوا في معنى الجمع والقائل ان يقول لا حاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا وكذلك جعلنا لكل واحد
من الانبياء عدوا او الاعداء او ليس يجب ان يحصل لكل واحد من الانبياء اكثر من عدو واحد عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان
وقال مجاهد وقتادة والحسن ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان شيطان الجن اذا اعياه المؤمن ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان
الانس فاغراه بالمؤمن ليفتنه عليه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر هل تعوذت بالله من شر شيطان الانس والجن قال قلت وهل للانس
من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقيل ان الجميع من ولد ابليس الا ان الذي يوسوس الانس والذي يوسوس الجن يسمى شيطان الجن والغرض
ان المقصود من الاية الشكاية من سفاهة الكفار الذين هم الاعداء وهم الشياطين وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن
لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا ومعنى الايحاء الايماء او القول السريع اي يوسوس
شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وكانه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير المقول
بالتسخير وزخرف القول باطله المزين من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي والتحقيق فيه ان الانسان ما لم يعتقد في امر من الامور خيرية او نفعا لم يرغب فيه
ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق والصدق والالهام وكان صادرا من الملك والا كان مزخرفا اي يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا

قال الواحدي غرورا نصب على المصدر لان ايحاء الزخرف من القول في معنى الغرور ولو شاء ربك ما فعلوه استدلال الاشاعرة به ظاهر والمعتزلة
يحملونه على مشية الالجاء فذرهم وما يفترون منصوب على انه مفعول معه او مفعول به اي واترك افتراءهم او ما يفترونه قال ابن عباس يريد ما زين لهم ابليس
وغرهم به وفيه تحذير من الكفر وترغيب في الايمان وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنبيه له على ما اعد للكفرة من العقاب وله من الثواب بسبب
صبره على سفاهتهم ولتصغى اليه الصغو في اللغة الميل يقال في السمع انه صغى اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت واصغى الاناء اذا اماله حتى انصب
بعضه في البعض ويقال للقمر اذا مال الى الغروب صغى واصغى قال الجوهري صغى يصغو صغوا اي مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا
واللام في ولتصغى لابد له من متعلق فقالت الاشاعرة التقدير وانا جعلنا مثل ذلك الشخص عدوا للنبي ليميل اليه اي الى قوله المزخرف افئدة
الكفار فيبعدوا بذلك السبب عن قبول دعوة النبي وليرضوه وليختاروه لانفسهم وليقترفوا ليكتسبوا من الاثام ما هم مقترفون وقال الجبائي
ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وزيف بان حمل لام كي على لام الامر تحريف وقال
الكعبي هي لام العاقبة تقديره وتميل الى ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار جعلنا لكل نبي عدوا وعن ابي مسلم
انها معطوفة على موضع غرورا والتقدير يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة واورد
عليه ان ميل القلوب الى الاراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشيء على نفسه وههنا بحث وهو ان الاشاعرة قالوا البنية ليست
شرطا للحيوة فالحي هو الجزء الذي قامت الحيوة به والعالم هو الجزء الذي قام العلم به وقالت المعتزلة الحي والعالم هو الجملة لا ذلك الجزء
حجة الاشاعرة انه جعل الموصوف بالميل والرغبة في الاية هو القلب لا جملة الحي وبمثله استدل من جعل المتعلق الاول للنفس هو القلب
لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر انه لا فائدة لهم في اظهار الايات التي اقترحوها بين بقوله افغير الله ابتغي حكما الاية ان الدليل الدال على نبوته قد
حصل وكمل والزائد على ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث
انه انزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته واشار الى هذا الوجه بقوله افغير الله
ابتغي حكما يعني قل يا محمد انكم تتحكمون في طلب سائر المعجزات فهل يجوز في العقل ان يطلب غير الله حكما فان كل احد يقول ان ذلك غير جائز الثاني
اشتمال التورية والانجيل على ان محمدا رسول الله حقا وعلى ان القران كتاب حق من عند الله واشار اليه بقوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق ثم قال فلا تكونن من الممترين والخطاب لكل احد اي اذا ظهرت الدلائل فلا ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب للرسول في الظاهر
والمراد الامة وقيل الخطاب للرسول في الحقيقة والمراد التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم قال الواحدي الحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة وقال بعض اهل التاويل الحكم اكمل من الحاكم
لان الحاكم كل من يحكم والحكم هو الذي لا يحكم الا بالحق ثم لما بين ان القران معجز قال وتمت كلمة ربك اي القران وقوله صدقا وعدلا مصدران ينتصبان
على الحال من الكلمة والمعنى تمامها انها وافية كافية في كونها معجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم او كافية في بيان ما يحتاج المكلفون اليه في الشريعة
علما وعملا او المراد بالتمام انها ازلية لا يحدث بعد ذلك شيء واعلم ان كل ما حصل في القران نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما اخبر الله تعالى
عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وحصول صفاته اعني كونه تعالى قادرا سميعا بصيرا ويدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله
تعالى لم يلد ولم يولد ولا تاخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن اقسام افعال الله تعالى وكيفية تدبيره لملكوته في السموات والارض وفي عالمي الارواح
والاجسام ويدخل فيه الخبر عن احكام الله تعالى في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ويدخل فيه الخبر عن اقسام اسماء الله تعالى والخبر عن النبوات وعن
المعجزات والخبر عن احوال النشر والقيامة وصفات اهل الجنة والنار والخبر عن احوال المتقدمين والخبر عن المغيبات واما التكليف فيدخل فيه
كل امر ونهي توجه منه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا او بشرا او شيطانا وسواء كان ذلك في شرعنا او في شرائع الانبياء المتقدمين او في مراسم الملائكة
المقربين الذين هم سكان السموات والجنة والنار والعرش وما وراء مما لا يعلم احوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمة ربك صدقا ان كان من باب
الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن وقيل ان كل ما اخبر الله عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لانه لا بد
ان يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل لان افعاله منزهة عن ان تكون بصفة الظلم ثم قال لا مبدل لكلماته والمعنى ان هؤلاء الكفار يلقون الشبه في كون
القران دالا على صدق محمد عم الا ان تلك الشبهات لا تاثير لها في هذه الدلالة البتة لجلاء الدلالة ووضوحها او المراد ان كلماته تبقى [illegible]
مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الغرض انها مبرأة عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا والمعنى ان احكام الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل لانها ازلية والازلي لا يزول وهذا الوجه احد الاصول القوية في اثبات الجبر
او يلزم منه ان لا ينقلب السعيد شقيا وبالعكس ثم لما اجاب عن شبه الكفار بين ان عند ظهور الحجة وتبين المحجة لا ينبغي للعاقل ان يلتفت الى كلمات
الجهال فقال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله والمضل لابد ان يكون ضالا ويعني بهم الذين ينازعون النبي في الدين غير
قاطعين بصحة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب والاصنام وكالذين يحرمون البحاير والسوائب والوصائل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق
بانه باطل وعلى الباطل انه حق فلا يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله احل كذا وحرم كذا واصل
الخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاة القياس تمسك بالاية من قبل توجه الذم على متبع الظن لان المذموم من اتباع الهوى هو الذي لا يستند
الى امارة كظن بعض الكفار المستند الى تقليد اسلافهم فقط اما اذا كان الاعتقاد الراجح مستندا الى امارة فلم قلتم انه كذلك ثم قال ان ربك هو اعلم
بالمهتدين والمراد انك بعد ما عرفت ان الحق ما هو والباطل ما هو فلا تكن في قيدهم بل فوض امرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان المهتدي من هو
والضال من هو فيجازي كل احد بما يليق بعمله او المراد ان هؤلاء الكفار وان اظهروا من انفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم بما في
قلوبهم وبواطنهم ومطلع على تحيرهم في اودية الجهالة وتيه الضلال قال النحويون ان افعل التفضيل لا يعمل في مظهر فمعنى الكلام محذوف اي يعلم من يضل
عن سبيله فان لم يقدر محذوف قرئ بالباء كما في النحل ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهذا هو الاصل وانما خص هذه
السورة بالحذف موافقة لقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته وعدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان اكثر ما يستعمل افعل من يفعل
مع الماضي نحو اعلم من دب ودرج واحسن من قام وقعد واضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة تعالى الله عن ذلك
وجوز بعضهم ان يكون من للاستفهام كقوله لنعلم اي الحزبين احصى ثم قال فكلوا والفاء مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال
وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم متحققين

بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى بسم الله فان قيل ان القوم كانوا يبيحون كل ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع
في اكل الميتة فانهم كانوا يبيحونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة في اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون
اكل المذكاة ويبيحون اكل الميتة فرد الله تعالى عليهم في الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وبقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه او نقول انهم
اجعلوا الكلام مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى هذا فيكون المراد تحريم الميتة فقط والله اعلم اما قوله وقد فصل لكم فاكثر المفسرين قالوا المراد به ما
في اول سورة المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة والدم الى اخر الاية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من اخر ما نزل بالمدينة والاية تقتضي
ان يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى ان يقال المراد قوله بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى اخرها فان هذا القدر من التاخير غير ضار وقوله
الا ما اضطررتم اليه اي دعتكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة وان كثيرا ليضلون المبالغة في قراءة ضم الياء اكثر لان كل مضل فانه يكون ضالا
وقد يكون الضال غير مضل قيل انه عمرو بن لحي لعنه الله ومن دونه من المشركين لانه اول من غير دين اسمعيل عليه السلام واتخذ البحائر والسوائب واكل الميتة وقوله
باهوائهم بغير علم يريد ان عمرو بن لحي اقدم على هذه المذاهب من الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون الميتة ويناظرون في احلالها و
يحتجون عليها بقولهم اذا حل ما تذبحون انتم فلان يحل ما يذبحه الله تعالى اولى وكذلك كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن في نبوة محمد عم
وفي الاية دلالة على ان القول في الدين بمجرد التقليد حرام ان ربك هو اعلم بالمعتدين فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر اية جامعة فقال تعالى
وذروا ظاهر الاثم وباطنه فقيل ظاهره الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون الزنى حلالا ما كان سرا
والاصح ان النهي عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما اعلنتم وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانباري يريد وذروا الاثم من جميع جهاته
كما تقول ما اخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا اي ما اخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهي عن الاثم مع بيان انه لا يخرج عن كونه اثما بسبب
اخفائه وكتمانه وقيل المراد النهي عن الاقدام على الاثم ثم قال وباطنه ليظهر بذلك ان الداعي له الى ترك ذلك الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل
ظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب من الكبر والحسد وارادة الشر للمسلمين ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمني والندم
على افعال الخيرات وحجته ليعلم ان ما يوجد في القلب قد يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون اي يكتسبون ثم ان
ومنه الاعتراف يجوز الاقتراف كما يقال التوبة تمحو الحوبة وظاهر النص يدل على انه يعاقب المذنب البتة الا ان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب لم يعاقب
واهل السنة على انه اذا لم يتب احتمل العفو ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب
فهو حرام تمسكا بعموم الاية واجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم بالذبح ثم اختلفوا فقال مالك كل ذبح لم يذكر اسم الله عليه فهو حرام ترك الذكر عمدا او
نسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين ابو حنيفة رحمه الله ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي رحمه الله متروك التسمية
عمدا او سهوا حلال اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى وانه لفسق والضمير عائد الى الاكل الذي دل عليه الفعل او الى الموصول على انه في نفسه فسق مثل رجل
عدل او على التقدير حذف المضاف اي وان اكله لفسق وقد اجمع المسلمون على انه لا يفسق باكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية وكقوله تعالى وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وهذه المناظرة كانت في مسئلة الميتة وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها
قال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله تعالى الاية فالمراد من الشياطين
ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا واصحابه في اكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين يعني مردة المجوس ليوحون
الى اوليائهم من مشركي قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من اهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا واصحابه يزعمون
ان ما يذبحونه حلال وان ما يذبحه الله حرام فوقع في النفس ناس من المشركين شيء فنزلت الاية ثم قال وان اطعتموهم يعني في استحلال الميتة انكم
لمشركون قال الزجاج وفيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله تعالى او حرم شيئا مما احل الله فهو مشرك لانه اثبت حاكما سوى الله تعالى
ثم قال الشافعي هذا الفسق في اية اخرى وهي قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله او فسقا اهل لغير الله به فصار الفسق في هذه الاية
ايضا مفسرا بذلك ثم تنزلنا عن هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم انه لا يوجد ذكر الله ههنا لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ذكر الله
مع المسلم سواء قال او لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر القلب او نقول هب ان هذا الدليل يوجب الحرمة الا ان معنا ما يدل على الحل واذا تعارض الحل
والحرمة فالحل راجح لان الاصل في الاشياء الاباحة والعمومات الدالة على الحل كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا كلوا واشربوا وانه مستقيما وقد قال
احل لكم الطيبات ولان الطبع يميل اليه وقد نهى عن اضاعة المال هذا تقرير مذهب الشافعي ومع ذلك فالاولى بالمسلم ان يحترز عنه لقوة ظاهر النص
وقال الكعبي في الاية دلالة على ان الايمان اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سمى مخالفته شركا واجيب بانه لا يجوز ان يراد بالشرك ههنا اعتقاد
ان ثمة شريكا في الحكم التاويل وتمهيد للسوق اي قلوبهم الميتة وحشرنا اي اريناهم جميع الايات المودعة في المكونات الا ان يشاء الله فان المشية
تغير الشقية والعناية الازلية كفاية الابدية ولكن اكثرهم يجهلون ان الهدى ليس بالتمني وانه بمشية المولى ثم اخبر ان اسباب العائدين الى الله هي المطايا
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس هي النفس الامارة التي هي اعدى الاعداء والذين اتيناهم الكتاب هم ارباب نور الكتاب الى حضرة الجلال
فلا تكونن نهي التكوين في الازل وتمت كلمة ربك كلامه وقضاؤه في الازل صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرزق
والعقول والخير والشر والحسن والقبح والايمان والكفر فاحسن كل شيء خلقه هو الانسان لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكذلك شر كل شيء
هو الانسان عند فساد استعداده ثم رددناه اسفل سافلين واهل الكمال ترقى في كمال الحسن الى الابد واهل النقصان تسفل في القبح الى الابد لانها
المظهر للقدرة الكاملة غير المتناهية وهو السميع لحاجة كل ذي حاجة العليم بما يناسبه كل موجود وان تطع اكثر من في الارض وهم اهل الاهواء
والقلم اهل الحق وان هم الا يخرصون في دعوى طلب الحق فان سبيل الحق لا تسلك بالهوى وانما يسلك بالصدق والهدى فكلوا مما ذكر اسم الله
عليه لان امارات الايمان ان ياكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويذبحوه بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم اذيبوا طعامكم بذكر الله فالاكل
على الغفلة والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث موت الجنان والحرمان عن الجنان وقد فصل لكم ما اهل الله ما حرم عليكم وهو الدنيا وما فيها
والاخرة ونعيمها الا ما اضطررتم اليه من ضرورات البشرية الواردين بامر المولى لا بالطبع والهوى ان ربك هو اعلم بالمعتدين الذين جاوزوا المولى
وركنوا الى الدنيا والعقبى وذروا ظاهر الاثم يعني الاعمال الطبيعية وباطنه يعني الاخلاق الذميمة الردية سيجزون بما كانوا يقترفون لان الاثم
الظلمانية يوجب صدا مراة القلب ويزيد بها رينا الى ان يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا تاكلوا طعاما الا بامر الله وعلى ذكر الله وفي طلب الله
ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وانه يعني ظلام الطعام يؤدي الى الفسق الذي هو الخروج من النور الروحاني الى الظلمة النفسانية

وان الشياطين ليوحون فان للشيطان مجالا في الوسوسة اذا كانت النفس في المجادلة مع القلوب ليدعوها الى متابعة الهوى الله حسبي

اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا
يعملون ۝ وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها
وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون ۝ واذا جاءتهم آية
قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل
رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب
شديد بما كانوا يمكرون ۝ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ۝ وهذا
صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ۝
لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ۝
ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال
اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا
اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله
ان ربك حكيم عليم ۝ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا
بما كانوا يكسبون ۝ يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم
يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا
على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ۝

القراءة ميتا بالتشديد ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب رسالته بالنصب والتوحيد ابن كثير وحفص والمفضل الباقون رسالاته على الجمع وبالكسر في موضع النصب ضيقا وبابه بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء ابو جعفر ونافع وسهل وابو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصاعد بادغام التاء في الصاد ابو بكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد نحشرهم بياء الغيبة حفص الآخرون بالنون الوقوف بخارج منها ط يعملون ۝ فيها ط وما يشعرون ۝ رسل الله ط رسالاته ط يمكرون ۝ للاسلام ج لابتداء الشرط اخرى مع العطف في السماء ط لا يؤمنون مستقيما ط يذكرون ۝ يعملون ۝ جميعا ج للحذف اي يحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس الاول ج لتبدل القائل مع اتفاق الجملتين اجلت لنا ط قال النار يغلظ الصوت على النار اشارة الى ان النار مبتدأ بعد القول وليست فاعلة شاء الله ط عليم ۝ يكسبون ۝ يومكم هذا ط كافرين ۝ التفسير انه سبحانه بعد ان ذكر المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله حيا واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان او عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب وابا جهل وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى

ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله الآية وعن مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وعن عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وابي جهل القول الثاني انه عام في كل مؤمن وكافر لحصول المعنى في الكل وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وايضا الميت لا يهتدي الى شيء وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحيوة والنور وقال بعض العلماء او من كان ميتا اشارة الى اول مراتب النفس الانسانية وهي الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولاني عند الحكيم وقوله فاحييناه اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي ان يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله وجعلنا له نورا اشارة الى ثالث المراتب وهي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل تكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه وهذا يسمى عقلا بالفعل اي الفعل القريب وقوله يمشي به في الناس اشارة الى رابعة المراتب وهي النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيئا بها ويمكن ان يقال الحيوة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحي والتنزيل فانه لابد في الابصار من امرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس والسراج فكذلك البصيرة لابد لها في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين او نور الحكمة والاقوال متقاربة واما مثل الكافر فهو كمن في الظلمات ليس بخارج منها وفيه ان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا يكاد يزول عنه فبقي متحيرا نعوذ بالله من هذه الحالة ومعنى المثل ههنا الصفة الغريبة اي كمن صفته هذه والمراد كمن هو في الظلمات ثم قال كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون والمزين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة او الله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله تعالى بالحقيقة او المجاز اولى بدليل قوله وكذلك جعلنا اي وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا او وكما زينا للكافرين اعمالهم كذلك جعلنا في كل قرية اكابر هي جمع الاكبر ومجرميها مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير جعلنا مجرميها اكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين اكابر لانهم لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم ولان كثرة المال وقوة الجاه تحمل الانسان على المبالغة في حفظهما وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والايمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه واللام في ليمكروا لام الغرض عند الاشاعرة واستدلوا به على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل في قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال في معرض التهديد وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يعود عليهم وما يشعرون وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول ابي جهل واضرابه زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فقال واذا جاءتهم آية اي معجزة قاهرة او وحي قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال الضحاك اراد كل واحد منهم ذلك كما في الآية الاخرى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة واشبه ان يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور في الآية المتقدمة وللمفسرين في تفسيرهم قولان احدهما وهو الاشهر انهم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين ومخدومين لا خادمين وثانيهما عن ابن عباس والحسن ان المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله تعالى الى ابي جهل والى فلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا آيات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله سبحانه في جوابهم على سبيل الاستيناف الله اعلم حيث يجعل رسالته على القول الاول ظاهر واما على القول الثاني فوجهه ان القوم اذا اقترحوا تلك الآيات فلو اظهر الله تلك المعجزات على وفق التماسهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال آخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها خيرة طاهرة عن علائق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مستعلية منورة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات فالنفس ما لم يكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة ومراتب الرسل ايضا مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة ومنهم ذو معجزتين او اكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من آمن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان مدار امره على التغليظ والتشديد وفي الآية تعريض بان حصول النبوة والرسالة لابد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد ما فيهم فكيف يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب اخلاقهم واحوالهم وكذا قال تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وهوان عند الله في الآخرة او في الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل او المراد من عند الله مدخر او قوله عند مستأنف اي نعد لهم ذلك واعلم ان كمال العقاب لابد فيه من الامرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وسلم طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين انه يقابلهم بضد مقصودهم فاول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد بجميع ذلك بسبب مكرهم وكذبهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يقال شرح فلان امره اذا اظهره واوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول ذلك الامر ولا شك ان توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنى وهو انه اذا اعتقد الانسان في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح مال طبعه اليه وقوي طلبه ورغبته في حصوله وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة سعة الصدر وان حصل في القلب علم او اعتقاد او ظن بكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل في النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحالة ضيق الصدر لان المكان اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه واكثر استعمال شرح الصدر في جانب الحق والاسلام وقد ورد في الكفر ايضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا قال المفسرون لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله عليه وسلم يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل له وهل لذلك من امارة يعرف بها فقال صلى الله عليه الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لابد ان يترتب على اعتقاد ان عمل الآخرة زائد النفع والخير والتجافي عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زائد الضرر والشر والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة اما قوله حرجا فمن قرأ بكسر الراء فعلى النعت ومن قرأ بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج الحرج في اللغة اضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذي لا تناله الراعية حكى الواحدي باسناده عن ابن عباس انه قرأ الآية وقال هل ههنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الاشجار المستمسك الذي لا طريق فيه فقال كذلك قلب الكافر

ويعني يصعد في السماء كأنما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكان الكافر في نفوره عن الاسلام وثقله
عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد ان قلبه يتباعد عن الاسلام ويتباعد عن الحق كما تباعد ما بين الارض والسماء كذلك يجعل اي كما جعل
ضيق الصدر في قلوبهم كذلك يجعل الله الرجس عليهم وقال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان اي يسلطه
الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وعن عطاء الرجس هو العذاب وقال الزجاج هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة قالت
الاشاعرة في الآية دلالة على ان الهداية والضلال من الله تعالى [illegible]

[illegible]

داود وعلى الشق الثاني ان يكون تكليفه يقتضي سعدة ليس معناه ان ذات التكليف يقتضي السعدة والالم ينفك تكليف عن السعدة وانه
باطل بالاتفاق لمعناه اذن انه تعالى علم انه اذا كلف هذا الشخص فانه اناء آخر يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر ان يترك الله
تكليفه وجب ان يقبح تكليف كل من علم الله من حاله انه يكفر والا لزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق مما اسلفت
فتذكر ثم قال وهذا صراط ربك وفي المشار اليه وجوه منها انه المذكور في الآية المتقدمة اما على مذهب الاشاعرة وهو ان الفعل يتوقف على الداعي
وحصول تلك الداعية من الله تعالى فيكون الفعل من الله تعالى ويلزم استناد الكل الى قضائه وقدره واما على مذهب المعتزلة فالمراد هذا الذي قررنا
طريقته التي اقتضتها الحكمة وعادته الجارية في عباده من التوفيق والخذلان ومعنى مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل في اسم
الاشارة من معنى الفعل اذ هو محذوف اي احقه وعن ابن عباس يريد هذا الذي انت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعني القرآن قد فصلنا
الآيات ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر قال في التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر في آيات كثيرة من هذه السورة
متوالية متعاقبة بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله لقوم يذكرون لانه تقرر في عقل كل احد ان احد طرفي الممكن لا يترجح على الآخر الا لمرجح فكأنه يقول
للمعتزلي تذكر ما تقرر في عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه الا لمرجح حتى يزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعي
مع تساوي طرفيه وجب ان يحصل هذا الاستغناء في كل الممكنات والمحدثات وحينئذ يلزم نفي الصانع وابطال القول بالفعل والفاعل والتأثير والمؤثر
ثم لما بين جلالة نعمته في الصراط المستقيم بين ما اعد وهيأ للمتذكرين فقال لهم دار السلام اي دار الله يعني الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم كما قيل
الكعبة بيت الله او دار السلامة من كل آفة وكدر والسلام مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة
ان انواع السلامة حاصلة في الجنة ومعنى عند ربهم انها معدة عنده وفي ضمانه كما يقال لفلان عندي حق لا ينسى وذلك نهاية في بيان وصولهم اليها
وكونهم على ثقة من حصولها وهو وليهم اي قريب منهم بالرحمة والرضوان او مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم وذلك ان القوم قد عرفوا ان المدبر
والمتصرف ليس الا هو جل جلاله وان النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن
انسهم الا به فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم فبهذا على انه متكفل بجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال بما كانوا يعملون اي بسبب اعمالهم
او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون لئلا يقطع العمل ولا يتكلوا وذلك ان بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكما ان الهيئات النفسانية قد تؤثر في البدن
كحمرة الخجل وصفرة الوجل فالهيئات البدنية قد يصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على اعمال الخيرات ظهرت الآثار المناسبة لها في جوهر النفس
فلا بد اذن من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من يتمسك بالصراط المستقيم اردفه بذكر من يتخلق بضده فقال ويوم نحشرهم والمراد
واذكر يوم كذا او ويوم نحشرهم قلنا او ستقدمه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير اما ان يعود
الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم في قوله شياطين الانس والجن او يعود الى جميع المكلفين الذين علم الله تعالى بعثهم من الثقلين وغيرهم ويكون القائل
على التقدير حذف القول هو الله تعالى كانه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا في الدنيا انتهى
حالهم في الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار لقوله
ولا يكلمهم الله قد استكثرتم من الانس لا بد فيه من اضمار لان الجن اي الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال
الانس واستتباعهم فحشر معكم الجم الغفير كما يقال استكثر الامير من الجنود اما قوله وقال اولياؤهم من الانس فالاقرب عند بعضهم ان فيه حذفا
كما قال للجن تبكيتا ناسب ان يقول للانس ايضا مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول وكما بكت الله كلا الفريقين حكى
جواب الانس وهو قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض وفيه قولان الاول ان المراد استمتاع الجن بالانس والانس بالجن وعلى هذا ففي الاستمتاع وجهان
احدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بارض منفردا وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت آمنا في نفسه فهذا
استمتاع الانس بالجن واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانس اذا عاذ بالجني كان تعظيما منهم للجن وذلك الجني يقول قد سدت الجن والانس
لان الانسي قد اعترف له بانه يقدر ان يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج ويعضده قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
وثاني الوجهين ان الانس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالاتباع فانتفعوا بالانس انتفاع الرئيس بالخادم واما
انتفاع الانس بالجن فهو انهم دلوهم على الشهوات واللذات الى ان بلغوا هذا المبلغ الذي ايقنوا عنده بسوء عاقبتهم وهذا اختيار الزجاج والقول
الثاني ان البعضين كليهما من الانس لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر قليل نادر وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي ذلك الاستمتاع
كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع وما ذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول
وغيره فانه يموت باجله لانهم اقروا بانهم بلغوا اجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة في القيامة
قال الله تعالى في جوابهم النار مثواكم منزلكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوي ثويا اذا اقام به قال ابو علي الفارسي المثوى اسم للمصدر دون المكان
لان قوله تعالى خالدين فيها حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار اهل ان تقيموا فيها خالدين الا ما شاء الله قيل المراد منه اوقات المحاسبة او بعث
كونهم في المحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله قوما سبق
في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يلزم ان يكون ما بمعنى من وفيه قول آخر وهو ان الاستثناء انما هو من يوم القيامة الذي يحشرون
فيه وقيل المراد الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير روي انهم يدخلون واديا فيه برد شديد فهم يطلبون الرد من ذلك
البرد الشديد الى حر الجحيم وقال في الكشاف ويكون هذا من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني
الله الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم لانه اطماع محض ويأس كلي ٧ وقال ابو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الخلود
وانما هو راجع الى الاجل المؤجل لهم كانهم قالوا ان بلغنا اجلنا الذي سميته لنا الا من اهلكته قبل الاجل المسمى يعني الآجال الاخترامية ان ربك حكيم فيما يفعله من ثواب
وعقاب وسائر وجوه المجازات عليم بما يستأهله كل طائفة فكانه يقول انما حكمت لهؤلاء بعذاب الابد لعلمي انهم يستحقون ذلك ثم لما حكى عن الجن ان
بعضهم يتولى بعضا بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وذلك ان القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجيح
احد الجانبين لا يكون الا بداعية يخلقها الله قطعا للتسلسل وايضا لما بين انه سبحانه ولي اهل الجنة بقوله وهو وليهم ذكر ان اولياء اهل النار من يشبههم في الظلم
والخزي والنكال واشار بقوله بما كانوا يكسبون الى سبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم وهذه مناسبة في غاية اللطف ان الجنسية علة الضم فالطيبات
للطيبين والخبيثات للخبيثين وفي الآية دلالة على ان الرعية متى كانوا ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان ارادوا الخلاص منه فليتركوا الظلم

والسلامة

وادام

ومن سفاهة

٧ وارث

وعن مالك بن دينار قال جاء في بعض الكتب السماوية انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليهم رحمة ومن عصاني جعلتهم
عليهم نقمة لا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا الي اعطفهم عليكم ثم بين ان كفار الثقلين لا يكون لهم الى الجحود يوم القيمة سبيل وانهم لا يعذبون
الا بالحجة فقال يا معشر الجن والانس قال اهل اللغة المعشر كل جماعة مختلطة يجمعهم امر واحد الم ياتكم رسل منكم استفهام على سبيل التقرير فلا جرم تمسك
الضحاك بالاية وبقوله وان من امة الا خلا فيها نذير على ان من الجن رسلا كالانس ولان استيناس الجنس بالجنس اكمل ولهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا والاكثرون على انه ما كان من الجن رسول البتة انما كانت الرسل من بني ادم وزعموا ان ذلك مجمع عليه ورد بانه كيف ينعقد الاجماع مع
حصول الاختلاف واستدل بعضهم على المطلوب بقوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا
النبوة بالاجماع واجيب عن قول الضحاك بان الاية يقتضي ان رسل الجن والانس يكون بعضا من ابعاض هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا في حمل اللفظ
على ظاهره فلا يلزم اثبات رسول من الجن وايضا لا يبعد ان يقال الرسل كانوا من الانس ثم كان من الجن نفر يسمعون من رسول الانس وينذرون قومهم كما
قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما انه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين
ثم انه سبحانه يكون قد بكت كفار الثقلين بهذه الاية لانه ازال العذر وازاح العلة بسبب انه ارسل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة والنذارة الى الكل او من الرسل
بهذا الطريق فقد حصل المقصود فقال الواحدي اراد رسل من احدكم وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احدهما وهو الملح الذي ليس بعذب
وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان بعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن والانس اما قوله يقصون عليكم اياتي فالمراد منه
التنبيه على الادلة بالتلاوة والتاويل وبالتذكرة وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي يخوفونكم عذاب هذا اليوم فلم تجدوا بدا من الاعتراف فلذلك قالوا شهدنا على انفسنا
والسبب في انهم اقروا في هذه الاية وجحدوا في قوله والله ربنا ما كنا مشركين هو انهم مختلفوا الاحوال في يوم القيمة مضطربون فتارة يقرون واخرى يجحدون
ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم اخبر الله تعالى عن حالهم في الدنيا بقوله وغرتهم الحيوة الدنيا وعن حالهم في الاخرة بقوله وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين والمقصود من شرح احوالهم في القيمة زجرا لهم في الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالاية على ان لا وجوب قبل
ورود الشرع والا لم يكن لهذا التوبيخ والتبكيت فائدة التاويل او من كان ميتا في حالة العدم فاحييناه بالحيوة الحقيقية اي الحي الذي لا يموت
وجعلنا له نورا الوجود الحقيقي الذي يمشي به في الناس وبه يسمع وبه يبصر كمن هو محبوس في ظلمات الطبيعة وكذلك جعلنا في كل قرية اي في كل قالب اكابر
مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع مثل ما اوتي رسل الله من القلب والسر والروح يشرح صدره اي
ينظر الى قلبه بنظر العناية فينوره بنور جماله وهو نور الايمان فيشرح الصدر بضوء النور الواقع في القلب وهذا الضوء هو المسمى بنور الاسلام وهذا النور يقبل
الزيادة والاشتداد الى ان يصير الايمان ايقانا والايقان عيانا والعيان عينا ضيقا بازدحام ظلمات البشرية حرجا لتعلقاته بالدنيا وشهواتها صفات
كانما يصعد في السماء لانه سفلي بالطبع لا يصعد الا بالتصعيد والتيسير وهذا الذي بينا من الهداية والضلال صراط ربك باللطف والقهر فبجذبات اللطف
يهدي السعيد وبسطوات القهر يضل الشقي لهم دار السلام اي السلامة عن القطيعة في مقام العندية بالوصول الى الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الاثنينية
ويوم نحشرهم في موقف القالب البشري بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يا معشر الجن اي الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس اي غلبتم على الصفات
الانسانية وقال اولياؤهم من الانس يعني النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو ان يستعين بصفات
مكره على تحصيل شهواتها العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو ان يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان بحواء على اغواء ادم وبلغنا
اجلنا الذي اجلت لنا يعني ان مدة الاستمتاع وما جرى بيننا انما كان بمقتضى قضائك وقدرك فاجابهم بان المثوى في النار بعضنا ابدا الا ما شاء الله
فيتوب عليهم ان ربك حكيم في تقدير الاستمتاع عليم باهل الجنة وباهل النار وكذلك اي كما جعلنا مردة الجن والانس بعضهم اولياء بعض كذلك نجعل
بعض الظالمين اولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطري الم ياتكم رسل منكم يعني الالهامات الربانية وشهدوا على انفسهم اقروا عند
الحرمان من السعادة العظمى انهم بدوا انهم كانوا اصداء ابراز تلويهم وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وما الزنتهم الانة وجنسا

ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ۝
ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ۝ وربك
الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما
انشاكم من ذرية قوم اخرين ۝ انما توعدون لات وما انتم
بمعجزين ۝ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون ۝
من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون ۝ وجعلوا لله
مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل
الى شركائهم ساء ما يحكمون ۝ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل

اولادهم

اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله
ما فعلوه فذرهم وما يفترون ۝ وقالوا هذه انعام وحرث حجر
لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ۝
وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم ۝
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله
افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ۝

القراءة عما تعملون بتاء الخطاب ابن عامر مكاناتكم بالجمع حيث كان ابو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد من يكون بالياء التحتانية
حمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الثانية بزعمهم بضم الزاي علي وكذلك ما بعده الباقون بالفتح زين على البناء للمفعول قتل اولادهم بالرفع
اولادهم بالنصب شركائهم بالجر ابن عامر الاخرون زين على البناء للفاعل قتل بالنصب اولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع وان تكن بتاء التانيث
ابن عامر ويزيد وابو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر وقرا يزيد ميتة بالتشديد الباقون بالتخفيف الوقوف غافلون ۝ عما عملوا
يعملون ۝ ذو الرحمة ط اخرين ۝ لات لا لان الواو بعده للحال بمعجزين ۝ عامل ج لابتداء التهديد مع فاء التعقيب يعلمون لا لان ما بعده مفعول سواء
كان من استفهامية او موصولة عاقبة الدار ط الظالمون ۝ لشركائنا ج للشرط مع الفاء الى الله ج للفصل بين المتضادين معنى مع الاتفاق
نظما شركائهم ط يحكمون ۝ دينهم ط يفترون ۝ افتراء عليه ط يفترون ۝ ازواجنا ج للشرط مع العطف شركاء ط وصفهم ط عليم ۝ على الله ط
مهتدين ۝ التفسير ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ويحتمل
ان يكون مبتدا خبره ان لم يكن وهو للتعليل والمعنى الامر ما قصصنا عليك او ذلك الذي ذكر لانتفاء كون ربك مهلك القرى وان هي ان الناصبة
للفعل او المخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشان محذوفا اي لان الشان والحديث كذا ويجوز ان يكون ان لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا
اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع ومعنى قوله بظلم اي بسبب ظلم اقدموا عليه وهذا اليق باصول الاشاعرة او المراد ظالما لهم فيكون من فعل الله
وهذا انسب باصول المعتزلة ومعناه انه تعالى لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لم ينبهوا برسول ولا كتاب كان ظالما وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة
ان يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن ظالما ولكنه يكون في صورة الظلم فاطلق الظلم على نفسه مجازا والا فهو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض
لاحد في شيء من افعاله واما قوله واهلها غافلون فليس المراد من هذه الغفلة ان يتغافل المرء عما يوعظ به وانما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال
وان لا يزيل عذرهم وعللهم قالت الاشاعرة في الاية دلالة على انه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان العقل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل
على انه تعالى لا يعذب احدا على امر من الامور قبل بعثة الرسل لكن بعدها والمعتزلة قالوا انها تدل من وجه آخر على تقرر الوجوب قبل الشرع لان قوله بظلم ان
كان عائدا الى العبد دل على انه يمكن ان يصدر منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله تعالى فقد تم الاعتراف بتحسين العقل وتقبيحه ثم لما شرح احوال
اهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال ولكل درجات اي ولكل عامل في عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا
فشر ومعنى مما عملوا اي من جزاء اعمالهم وقيل ان اول الاية مختصة باهل الطاعة لان لفظ الدرجة يليق بهم ولاهل المعصية تكون الدركات واخر الاية
بقوله وما ربك بغافل عما تعملون قالت الاشاعرة في الاية دليل على مسئلة الجبر والقدر فانه حكم لكل واحد بدرجة معينة في وقت معين وبحسب
فعل معين واثبت تلك الدرجة في اللوح المحفوظ واشهد عليها الملائكة وخلاف علمه واثباته واشهاده محال ثم بين انه تعالى ليس يحتاج الى طاعة المطيعين
ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال وربك الغني ذو الرحمة اما انه غني في ذاته وصفاته وفي افعاله وفي كل احكامه عن كل ما سواه فلوجوب وجوده و
ان ما سواه ممكن لذاته مفتقر في الوجود وفي الامور التابعة للوجود اليه فلا غني الا هو واما انه ذو الرحمة فلان كل ما دخل في الوجود من الخيرات والراحات
والكرامات والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالصحة والشبع والسمع
والبصر وما ذاك الا لرحمته الكاملة ورافته الشاملة والذي يتصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فتمكين الشخص
من الانتفاع بها ليس الا من الله تعالى ومن هذا يعلم تنزهه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف الخلائق ليعرضهم لمنافع الباقيات
الدائمات ثم لما وصف نفسه بانه ذو الرحمة كان لقائل ان يظن ان لرحمته معدنا مخصوصا وموضعا معينا فبين تعالى بقوله ان يشا يذهبكم انه
قادر على وضع الرحمة في هذا الخلق وقادر على ان يخلق قوما اخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن العالمين اكمل واتم ومعنى الاذهاب
الاهلاك او ان لا يبلغهم مبلغ التكليف ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وقوله ما يشاء اي خلق
ثالث ورابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا اخرين من امثال الجن والانس لكن اطوع وقال ابو مسلم يعني خلقا ثالثا مخالفا للثقلين ليكون اقوى في دلالة القدرة
ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم اخرين لان من قدر على تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء بهذه الصورة المخصوصة قدر على تصويرها
بصورة اخرى مخالفة لها وقال في الكشاف المعنى كما انشاكم من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام ثم ذكر حال المعاد

فقال انما توعدون لآت قال الحسن اي من مجيء الساعة لانهم كانوا ينكرون البعث ويحتمل ان يقال انما توعدون لآت اشارة الى اللطف اي كل ما يتعلق بالوعد والثواب فهو آت لا محالة وقوله وما انتم بمعجزين اي خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى قهره يقال اعجزه الشيء اي فاته والجزم في جانب الوعد والتعريض في جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان اغلب ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بتهديد منكري البعث فقال قل يا قوم اعملوا على مكانتكم قال الواحدي قراءة الافراد اوجه لان المصدر لا يجمع في اغلب الاحوال وقال في الكشاف المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فمعنى الاية اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليه على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون انما يكون له العاقبة المحمودة والفاء للتعقيب لجزاء الايعاد اي قل اعملوا فستجزون ولهذا في سورة الزمر بخلاف سورة هود حيث لم يقل هناك قل فصار استينافا ومحل من نصب ان كان بمعنى الذي او رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان بمعنى اي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهي كالعاقبة وهذا طريق من الانذار لطيف لما سلك فيه انصاف وادب ووثوق بان المنذر محق ولهذا قيل ان الكافر ٧ مصدر

يكون العاقبة عليه لا له ثم حكى انواعا من جهالاتهم وركاكات اقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفير العقلاء عن الالتفات الى اقوالهم امثالهم فقال وجعلوا قال الزجاج التقدير وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا بدليل قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وجعل الاوثان شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونها عليها ثم قال فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم وفي تفسيره وجوه قال ابن عباس كان المشركون يجعلون لله تعالى من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفقوه عليه وما كان لله اطعموه الضيفان والمساكين ولا ياكلون منه البتة ثم ان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط شيء مما جعلوه من الاوثان في نصيب الله تعالى اخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وانما ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وعن الحسن والسدي كان اذا هلك لاوثانهم شيء اخذوا بدله مما لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله تعالى وقال مجاهد اذا انفجر من سقي ما جعلوه للاوثان في نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على ضد ذلك تركوه وقال قتادة اذا اصابهم شدة استعانوا بالله واذا اصابتهم حسنة نسبوها الى شركائهم وقال مقاتل ان زكا ونما نصيب الآلهة ولم يزك نصيب الله تركوا النصيب لالهتهم وقالوا لو شاء زكى نصيب نفسه واما ان زكا نصيب الله وما زكى نصيب الالهة فانهم قالوا لابد لالهتنا من نفقة واخذوا النصيب الذي لله تعالى فاعطوه السدنة فمعنى فلا يصل الى الله انه لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق الى المساكين ومعنى الوصول الى شركائهم انهم ينفقونه عليها بذبح النسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرا فيه ان الله تعالى كان اولى بان يجعل له الازكى لانه هو الذي ذراه اي خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال ساء ما يحكمون وذكر العلماء فيه وجوها الاول انهم رجحوا جانب الاصنام في الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثاني جعلوا بعض الحرث لله وبعضه لغيره مع انه تعالى هو الخالق لجميع الثالث ان ذلك حكم احدثوه من قبل انفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع واشار اليه بقوله بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الاصنام لحسن افراز نصيب لكل حجر ومدر الخامس لا تاثير للاصنام في حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث النوع الثاني من احكامهم الفاسدة قوله وكذلك زين كان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر او التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركاء على الوجه الاول الشياطين الذين اطاعوهم في معصية الله تعالى وعلى الثاني هم السدنة والخدام والاول هو قول مجاهد والثاني للكلبي وتقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والالهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين زين لهم شركاؤهم من الشياطين او من سدنة الاصنام قتل اولادهم بالوأد او بالنحر ثم ان وجه القراءة الكثرى ظاهر وليس فيها الا تقديم المفعول وذلك لشدة الاعتناء به واما قراءة ابن عامر فخطاها الزمخشري من جهة الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك قد جوز بالظرف كقوله لله در اليوم من لامها وضعف بغير الظرف كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وحملوه على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عندي في هذا المقام ان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقراءات السبع كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد في القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته وان لم ينتسب الى انه هل ورد له نظير في اشعار العرب وتراكيبهم ام لا وان ورد فكيف ام لا ومع ذلك فقد وجهه بعض الفضلاء بان المضاف اليه من الاول محذوف على قوله بين ذراعي وجبهة الاسد والمضاف منتزع الثاني كقراءة من قرأ والله يريد الآخرة بالجر على التقدير عرض الاخرة فتقدير الاية قتل شركائهم اولادهم قتل شركائهم ومعنى ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم في النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من الشياطين وعلى حقيقة التعليل ان كان من الشيطان وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوا عليهم ويشبهوه وهو دينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذي اتاهم بهذه الاوضاع الفاسدة واراد ان يزيلهم عن ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل ليوقعوهم في دين ملتبس ولو شاء الله ما فعلوه كما فعل المشركون ما زين لهم او لما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة والمعتزلة حملوا هذه المشية على مشية الالجاء والقسر ثم قال فذرهم وما يفترون على نحو قوله اعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التسجيل على المامور بانه لا يأتي منه الا الافتراء والشرك قيل انما قال في هذه الاية ولو شاء الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شاء ربك ما فعلوه لانه وقع عقيب آيات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الايات النوع الثالث من احكامهم الباطلة انهم قسموا انعامهم اقساما فاولها ان قالوا هذه انعام وحرث حجر وحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات واصل الحجر المنع وسمي العقل حجرا لمنعه عن القبائح وفلان في حجر القاضي اي في منعه كانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وثانيها ان قالوا هذه انعام حرمت ظهورها وهي البحاير والسوايب والحوامي وقد سبق في المائدة وثالثها انعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل هي انعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع منه بل افتراء عليه وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء ثم قال سيجزيهم بما كانوا يفترون وفيه وعيد النوع الرابع من قضاياهم الفاسدة ان قالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحاير والسوايب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا هذا ان ولد حيا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء اي اشترك فيه الذكور والاناث ومن قرأ بنصب ميتة فبتقدير وان تكن

ما في بطونها

ما في بطونها ميتة ومن قرأ بالرفع فعلى ان كان تامة او كان للتقدير وان لم يكن لهم او هناك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتأنيثه لان تأنيث الميتة غير حقيقي او لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل ميت ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا في قوله فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله فهم للتغليب سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم على الله الكذب في التحليل والتحريم انه حكيم عليم ليكون الجزاء واقعا على حد الحكمة ويجب الاستحقاق فان قيل كيف انث خالصة وذكر محرم قلنا الاول حملا على المعنى لان ما في بطون الانعام في معنى الاجنة والثاني حمل على اللفظ وفي الاول وجهان آخران ان يكون التاء للمبالغة مثل راوية الشعر وان يكون مصدرا كالعافية والعاقبة اي ذو خالصة ثم انه سبحانه جمع قبايح احكامهم وافعالهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم وبالضلال وعدم الاهتداء فقال قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الاية وذلك ان الولد نعمة عظيمة من الله فيبقى ذكره ونسله فالسعي في ابطال مثل هذه النعمة لعذر يظنون هو الفقر او نحوه او لفائدة موهومة هي القربة الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما احل الله من الطيبات بالهوى والتقليد بل محض الافتراء على الله وان ذلك من اعظم الذنوب واكبر الكباير ولهذا سجل عليهم اخرا بالضلال ثم بعدم الاهتداء ليحصل كلا الامرين لهم بالمطابقة كما حصل بالتضمن والله اعلم التاويل مهلك اي قوى استخلاص الانسان بالظلم وهو صرف الاستعداد الفطري في استيفاء اللذات الفانية واهلها غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف بعد ذلك الغني عن كل مخاوف عامة وعن الانسان خاصة وذا الرحمة خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم اعملوا على مكانتكم اي على ما جبلتم عليه اني عامل على ما جبلت عليه فقتل اولادهم شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا سيجزيهم بما كانوا يفترون لانهم ذهبوا مذهب الطبع لا مذهب الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع مجاهدة النفس لا يكون له نور اذ لم يكن لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا اولادهم لان ذلك نتيجة انتزاع الرحمة عن قلوبهم وحرموا ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد حصول مراتب اهل القرب وما كانوا مهتدين لان خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال اهل التحقيق من امارات الايقان وحقايقه كثرة العيال على بساط التوكل والله اعلم

وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل
والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا
من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ۝
ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين ۝ ثمانية ازواج من الضان
اثنين ومن المعز اثنين قل آالذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ۝
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آالذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ۝ ام كنتم شهداء اذ وصيكم الله
بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم
ان الله لا يهدي القوم الظالمين ۝ قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او
لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ
ولا عاد فان ربك غفور رحيم ۝ وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما
او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا
لصادقون ۝ فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد

باسه عن القوم المجرمين ۝ سيقول الذين اشركوا لو شاء الله
ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين
من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا
ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون ۝ قل فلله الحجة
البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين ۝ قل هلم شهداءكم
الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد
معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين
لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون ۝

القراءات حصاده بفتح الحاء ابو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالكسر وكلاهما مصدر من الضأن بفتح الهمز ابو عمرو غير شجاع وراوية والاعشى والاصفهاني عن ورش ويزيد وحمزة في الوقف والمعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلي وخلف ونافع وابو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي والقواس غير ابن مجاهد وابي عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا ان تكون بتاء التأنيث ابن كثير وابن عامر ويزيد وحمزة وعباس طريق ابن رومي عنه ميتة بالتخفيف والرفع ابن عامر زاد يزيد التشديد الباقون بالياء والنصب الحوايا ممالة علي وحمزة وخلف فقل ربكم وبابه مظهر الحلواني عن قالون والبرجمي الوقوف متشابه ط حصاده ز ولا تسرفوا ط المسرفين ٥ لا لان قوله حمولة منصوب بانشأ وفرشا ط الشيطان ط مبين ٥ لا لان ثمانية منصوب بانشأ ازواج ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى المعز اثنين ط ارحام الانثيين ط لانها الاستفهام صادقين ٥ لا لان اثنين منصوب بانشأ ايضا ومن البقر اثنين ط ارحام الانثيين ط لان ام في قوله ام كنتم بمعنى الف استفهام توبيخ بهذا ط للاستفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم ط الظالمين ٥ لغير الله ج رحيم ٥ ظفر ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى بعظم ط ببغيهم ز للابتداء بان واثبات وصف الصدق مطلقا وللوصل وجه لان المعنى وانا لصادقون فيما اخبرنا من التحريم ببغيهم واسعة ط القوم المجرمين ٥ من شيء ط باسنا ط لنا ط تخرصون ٥ البالغة ج للشرط مع الفاء اجمعين ٥ حرم هذا ج كذلك معهم ج لتناهي جزاء الشرط مع العطف يعدلون ٥ التفسير انه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وانه بالغ في تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح احوال السعداء والاشقياء ثم انتقل منه الى تهجين طريقة منكري البعث والقيامة ثم اتبعه حكاية اقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الدلائل على ذاته ووجوب توحيده فقال وهو الذي انشأ الاية نشأ الشيء ينشأ نشأ اذا ظهر وارتفع وانشأه ينشئه انشاء اظهره ورفعه جنات معروشات وغير معروشات يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعض الاعناب يعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات ما يحتاج الى ان يتخذ له عروش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستوائه وذهابه علوا لقوة ساقه عن التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا لغرسه وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فيبقى غير معروش والنخل والزرع فسر ابن عباس الزرع بجميع الحبوب التي تقتات مختلفا اكله واكل كل ما يؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على احدهما كقوله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي اليهما والمراد ان لكل شيء منهما طعما غير طعم الاخر ومختلفا حال مقدرة اي انشأه مقدرا اختلاف اكله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك متشابها وغير متشابه في القدر واللون والطعم ثم قال كلوا من ثمره وقد قال في الاية المتقدمة اعني نظير هذه الاية وذلك قوله وهو الذي انزل من السماء فاخرجنا به نبات كل شيء الاية انظروا الى ثمره فنبهنا على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم على الاذن في الانتفاع بها لان الحاصل من الاول سعادة روحانية ابدية والحاصل من الانتفاع الثاني سعادة جسمانية زائلة وفائدة هذا الامر الاباحة وقدم اباحة الاكل على اخراج الحق كيلا يظن انه يحرم على المالك تناوله لمكان شركة المساكين فيه وفي الاية اشارة الى ان خلق هذه النعم اما للاكل واما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثاني لانه حق الغير وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن ان يستدل به على ان الاصل عدم وجوب الصوم وان من ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وان المجنون اذا افاق في اثناء النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام قال علماء الاصول من المعلوم من لغة العرب ان صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل فحملها على الاباحة او الوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل وفائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه هي ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع اما قوله وآتوا حقه يوم حصاده فعن ابن عباس في رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك ان الاية مدنية والحق هو الزكوة المفروضة وعلى هذا فكيف يؤدي الزكوة يوم الحصاد والحب في السنبل والجواب ان المراد اعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الاية مكية وان هذا حق في المال سوى الزكوة وكان يقول اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا دسته واذا عرفت كيله فاعزل زكوته وزيف بقوله صلى الله عليه وسلم ليس في المال حق سوى الزكوة وبان

قوله وآتوا حقه وآتوا انما يحسن ذكره ان لو كان ذلك الحق معلوما قبل ورود هذه الاية والا لزم الاجمال وعن سعيد بن جبير ان هذا كان قبل وجوب الزكوة فلما فرض العشر او نصف العشر فيما سقي بالسواقي نسخ والقول الاول اصح ثم ان ابا حنيفة احتج بالاية على وجوب الزكوة في الثمار لانه قال وآتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهو العنب والنخل والزرع والزيتون والرمان واعترض عليه بان لفظ الحصاد مخصوص بالزرع واجيب بان الحصد في اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج ايضا بها على ان العشر واجب في القليل والكثير للاطلاق والجواب انا بيانه بالحديث ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ثم قال تعالى ولا تسرفوا ولاهل اللغة فيه تفسيران فعن ابن الاعرابي السرف تجاوز ما حد لك فعلى هذا اذا اعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف كما جاء في الخبر ابدأ بمن تعول وروي ان ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمسمائة نخلة فجذها فقسمها في يوم واحد ولم يدخل الى منزله شيئا فنزلت الاية ولا تسرفوا اي لا تعطوا كله واذا منع الصدقة فقد اسرف وبه فسر الاية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد يكون الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال عمر سرف المال ما ذهب منه في غير منفعة وعلى هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الانعام والحرث وقال الزهري لا تنفقوا في معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان ابو قبيس ذهبا فانفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو انفق درهما في معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى اراد حاتم الطائي حين قيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ثم ختم الاية بقوله انه لا يحب المسرفين والمقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله تعالى فانه من اهل النار لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله حمولة وفرشا معطوف على جنات اي وانشأ من الانعام هذين الجنسين فالحمولة ما تحمل الاثقال فعولة بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله قالت المعتزلة اي مما احلها لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان ولا تسلكوا الطريقة التي يدعوكم اليه في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين بين العداوة وفي انتصاب ثمانية ازواج وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره ان يكون مفعول كلوا والعرب تسمي الواحد فردا اذا كان وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان قال تعالى فخلق منه الزوجين الذكر والانثى وقال ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين اي زوجين اثنين ومن المعز اثنين وفي الاية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهري الضأن خلاف المعز والجمع يعني اسم الجمع الضأن والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر وضأن ايضا مثل حارس وحرس وقال في الكشاف انهما قرئا بفتح العين والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها قل آلذكرين حرم ام الانثيين نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله ويريد بالذكرين الذكر من الضأن وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس وبالانثيين الانثى من الضأن وهي النعجة والانثى من المعز وهي العنز وذلك على طريق الجنسية والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تشتمل عليه ارحام الانثيين اي مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر يعني الجمل والثور والانثيان منهما الناقة والبقرة وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطا من غلط مادة وكانوا يقولون قد حرمها الله فقيل لهم ألكم لا تقرون بنبوة نبي ولا شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم واكد ذلك بقوله نبئوني بعلم اي اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه والحكم انه سبحانه من على عباده باثبات الازواج الثمانية من الانعام لمنافعهم وبما ابيح لهم الاية فصل من بعض المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك باجنبي وانما هي جملة معترضة جيء بها تاكيدا وتشديدا للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد اما قوله ام كنتم شهداء فام منقطعة اي بل اكنتم ومعناه الانكار المراد ام شهدتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة فتهكم بهم بذلك وسجل عليهم وعلى امثالهم بالظلم بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون يريد عمرو بن لحي بن قمعة الذي غير شريعة اسمعيل وبحر البحائر وسيب السوائب والاقرب ان اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب في تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة والنبوات وفي المعاد قال القاضي في الاية دلالة على ان الاضلال عن الدين مذموم فلا يجوز ان ينسب الى الله تعالى واجيب بانه ليس كل ما كان مذموما منا كان مذموما من الله تعالى فان تمكين العبيد من اسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا دونه ان الله لا يهدي القوم الظالمين قال القاضي لا يهديهم الى ثوابه والى زيادات الهدى التي تختص المهتدي بها وقالت الاشاعرة معناه انه لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم اتبعه البيان الصحيح في الباب فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما اي طعاما محرما على طاعم يطعمه على اكل يأكله الا ان يكون ذلك المأكول او الموجود او الطعام ميتة او دما مسفوحا مصبوبا سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهي احياء وما يخرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما ولا ما يختلط باللحم من الدم فانه غير سائل وسئل ابو مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر الذي يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس به انما النهي عن الدم المسفوح وباقي الاية ظاهر مما سلف في امثالها وانتصاب فسقا على انه معطوف على المنصوبات قبله واهل صفة له منصوبة المحل سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق كما يقال فلان كرم وجود وجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وعلى هذا فقد عطف اهل على يكون والضمير في به يعود الى ما رجع اليه المستكن في يكون قال العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين في الاية انه لم يجد فيما اوحي اليه قرآنا او غيره محرما سوى هذه الاربعة وقد اكد هذا بما في النحل وفي البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة على الحصر فصارت المدنية مطابقة للمكية والذي جاء في المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم من اقسام الميتة وانما خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان الشريعة من اولها الى آخرها كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقي الكلام في الخمر وفي سائر النجاسات والمستقذرات فنقول انه سبحانه قد وصف الخمر بانه رجس وههنا علل تحريم لحم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا ان النجاسة علة للتحريم فالاكل لكل نجس فانه يحرم اكله ويحرم [...] كل ذي ناب ومستقذر بعد اجماع الامة على تحريم الخبائث والنجاسات وان جوزنا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد كما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور فلا اشكال وقيل المراد ان وقت نزول هذه الاية لم يكن محرم غير هذه الاربعة وزيف بان تحريم شيء خامس نسخ والاصل عدمه ثم بين سبحانه انه حرم على اليهود اشياء اخر سوى هذه الاربعة فقال وعلى الذين هادوا حرمنا وذلك نوعان الاول انه حرم عليهم كل ذي ظفر وفيه لغات ضم الفاء والعين وهي الفصحى وكسرهما وهي قراءة ابن السماك والضم مع السكون وهي قراءة الحسن واختلف في ذي الظفر فعن ابن عباس في رواية عطاء انه الابل فقط وعنه في رواية اخرى وهو قول مجاهد انه الابل والنعام وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة وزيف بان الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبان البقر والغنم مباحان

لهم لا يحل مع ان لهما حافرا فاذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن من الجوارح والسباع بل على كل ما له اصبع من دابة وطائر وكان لبعض ذوات
الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عمم التحريم فعموم التحريم خاص بهم ولهذا قدم الجار في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل بذلك على حل بعض هذه
الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى ذات المخلب والناب فيكون الحصر مستفادا للاية لا كما ظن صاحب التفسير الكبير النوع الثاني قوله
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال في الكشاف هو كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة يعني اضافة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة
الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذي ظفر كله ومن البقر والغنم بعضهما وذلك شحومهما فقط وهذا ايضا ليس على الاطلاق لقوله الا ما حملت ظهورهما
قال ابن عباس الا ما علق من الشحم فاني لم احرمه وقال قتادة الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما وقيل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من شحمه
وهي الشحمة التي على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى الوركين وهي بالحقيقة لحم سمين لانه يحمر عند الهزال ولهذا لو حلف لا ياكل الشحم
فاكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثاني قوله او الحوايا الامعاء واحدها حوية وفي معناها حاوية البطن وحاويا البطن
وقال الواحدي هي المباعر والمصارين والمعوى او ما اشتمل على الامعاء يعني ان الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء
الثالث او ما اختلط بعظم قال جمهور المفسرين يعني شحم الالية وقال ابن جريج كل شحم في القوائم والجنب والراس وفي العينين والاذنين
فانه مخلوط بعظم فهو حلال لهم والحاصل ان الشحم الذي حرم الله عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا غير معطوف على المستثنى وانما هو
معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما او الحوايا او ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم ودخول كلمة او كدخولها في قوله
ولا تطع منهم اثما او كفورا والمعنى كل هؤلاء اهل ان يعصى فاعص هذا واعص هذا فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا ذلك الجزاء وهو تحريم الطيبات
جزيناهم ببغيهم بسبب قتلهم الانبياء واخذهم الربوا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وغير ذلك من قبائح افعالهم وانا لصادقون في هذا الاخبار
او فيما نوعده العصاة قال القاضي نفس التحريم لا يجوز ان يكون عقوبة على جرم صدر عنهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان
واجيب بان المنع من الانتفاع يمكن ان يكون لمزيد الثواب ويمكن ان يكون لشوم الجرم المتقدم فان كذبوك في ادعاء النبوة والرسالة وفي تبليغ
الاحكام وعلى اصول المعتزلة فان كذبوك في ايجاب ايعاد العصاة وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه يخلف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو رحمة
واسعة فلذلك لا يعجل العقوبة ولا يرد باسه اذا جاء وقت عذابه عن القوم المجرمين يعني المكذبين وعلى اصولهم رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد
باسه مع ذلك عن الذين ارتكبوا الكبائر فلم يتوبوا قبل التوبة ثم حكى اعتذار الكفار الواهية فقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا
ولا اباؤنا وانما جاز العطف على الضمير المتصل من غير ان اكد بالمنفصل لمكان الفصل بعد حرف العطف بلا الزائدة لتاكيد النفي اخبر الله تعالى
بما سوف يقولونه ولما قالوه قال في سورة النحل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وانما قال في سورة النحل بزيادة
نحن ومن دونه مرتين لان الاشراك منكر مطلقا فلفظ الاشراك يدل على اثبات شريك لا يجوز اثباته ودل على تحليل اشياء وتحريم اشياء
من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه واما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه ولا يدل
على تحريم شيء فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه ولما حذف من الاية لفظة من دونه مرتين حذف معه نحن ليطرد الاية في حكم التخفيف
والتغيير الاية زعمت المعتزلة انها تدل على قولهم في مسئلة ارادة الكائنات من سبعة اوجه الاول انه حكى عن الكفار في معرض الذم والتقبيح
وذلك قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك وهو صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما الثاني قوله كذلك كذب الذين من قبلهم
فلم يذكر التكذيب مبنيا على انهم جاؤوا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشية
القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشية الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله
ورسله وكتبه ونبذ ادلة السمع والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتاخرين في تكذيب الانبياء
وفي دفع دعوتهم عن انفسهم لانهم يقولون الكل بمشية الله تعالى الثالث قوله حتى ذاقوا باسنا وذلك يدل على انهم استوجبوا الوعيد من الله تعالى
في هذا المذهب الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على سبيل الانكار لا علم لهؤلاء القائلين ولا حجة الخامس ان تتبعون
الا الظن السادس وان انتم الا تخرصون السابع قل فلله الحجة البالغة لانه ازال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق لكم على الله حجة وانما الحجة البالغة له
وذلك انكم تقولون لو اتينا بعمل على خلاف مشية الله لزم ان يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر على ان يحملكم على الايمان
والطاعة على سبيل القهر والالجاء الا ان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف وهذا هو المراد من قوله فلو شاء لهديكم اجمعين
وبوجه اخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله فقد الحجة الكاملة عليكم فان تعليقكم دينكم بمشية الله يقتضي ان تجعلوا دين من
يخالفكم ايضا بمشيته فتوالوا جميع اهل الاديان ولا تعادوهم اجابت الاشاعرة بانا قد بينا بالدلائل القاطعة من اول القران الى ههنا
صحة مذهبنا فوجب تاويل هذه الاية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون بمشية الله تعالى في ابطال دعوة الانبياء اي ان التكليف
عبث فبين الله تعالى ان ذلك من تكذيبهم واكاذيبهم وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه الاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض
عليه شاء الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وامر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيد ذلك ما روي
عن ابن عباس اول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكذبون بالقدر
مجوس هذه الامة ثم ان ظاهر اخر هذه الاية معناه وهو قوله فلو شاء لهديكم اجمعين وحمل المشية على مشية الالجاء والقسر تعسف والله اعلم
ثم لما ابطل جميع حجج الكفار بين انه ليس لهم على قولهم شهود فقال قل هلم ومعناه اذا كان لازما اقبل واذا كان متعديا احضر قال الخليل اصله
لم من قولهم لم الله شعثه اي جمعه كانه قال لم نفسك الينا اي اقرب وها للتنبيه والاستعطاف للامر حذفت الفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما
واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتانيث في لغة اهل الحجاز واهل نجد يصرفونها فيقولون هلما هلموا هلمي هلممن والاول افصح وقد يوصل باللام كقوله تعالى والقائلين
لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء اصلها هل ام ارادوا هل حرف الاستفهام ومعنى ام اقصد وقيل ان اصل استعماله ان قالوا هل لك في الطعام ام اي
اي اقصد ثم شاع في الكل امر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر ان لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه وانما لم يقل شهداء
يشهدون لانه ليس الغرض احضار اناس يشهدون بالتحريم وانما المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال
فان شهدوا اي فان وقعت شهادتهم فلا تشهد معهم اي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم محض الهوى والتعصب ولاجل ذلك
قال ايضا ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب وليرتب عليه باقي الاية فيعلم ان المتصف بهذه الصفات

لايكون

لا يكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة التاويل هو الذي انشا جنات في القلوب معروشات من شجرة الاسلام والايمان والاحسان
وغير معروشات هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة والفتوة والشفقة والعفة والحلم
والعلم والعقل والشجاعة والقناعة والنخل الايمان وزروع الاعمال الصالحة والزيتون الاخلاق الحميدة ورمان الاخلاص متشابها اعمالها
وغير متشابه احوالها كلوا من ثمره اي انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاق والاخلاص بالشواهد والاحوال لا بالدعاوي والقيل والقال واتوا
حقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة يوم حصاده اوان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند ادراك ثمر الكمال
للواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا تسرفوا بالشروع في الكلام في غير وقته والحرص على الدعوة قبل اوانها ومن الانعام
اي ومن الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها ما هو مستعد للاكل والشرب لصلاح
القالب وقيام البشرية كلوا مما رزقكم الله رزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المحبة بصدق التجرد عن الاكوان ورزق
السر هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغي انه لكم عدو مبين يخرجكم بالتفريط والافراط الى ضد المقصود
ثم ان صفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث يتولد منها صفات اخر كلها محمودة اذا استعملت في محلها بمقدار ما ينبغي من الضان
اثنين ومن المعز اثنين الضان والمعز من جنس الفرشية كما ان الابل والبقر من جنس الحمولة والذكر من الضان والمعز هما صفة شهوة البطن
والفرج والانثى منهما صفة حسن الخلق عند الاستمتاع بهما وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفتان الظلومية والجهولية والانثى منهما
الحمولية والاستسلام للاستعمال فبهذه الصفات الثمانية صار الانسان حامل اعباء الامانة التي ابت المكونات عن حملها ومن ابتغى حملة عرش القلب
فانهم وقد احل الله استعمالها والاستعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة ومن زعم ان تحريم تركها ورفضها بالكلية فقد افترى لو شاء الله
ما اشركنا الكلام في نفسه حق وصدق الا انهم لما ذكروه في معرض الالزام دفعا للاذية والالام كذبوا فيما قالوا الله حسبي وكفاه

قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيا وبالوالدين
احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا
الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون ۝ ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان
بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى
وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون ۝ وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم
عن سبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون ۝ ثم اتينا موسى
الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى و
رحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ۝ وهذا كتاب انزلناه مبارك
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ۝ ان تقولوا انما انزل
الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين ۝
او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة
من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها
سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات

ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت
من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون ◎
إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم
إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ◎ من جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ◎
قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ◎ دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا
وما كان من المشركين ◎ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين ◎ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول
المسلمين ◎ قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب
كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ◎ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض
ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك
سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ◎ صدق الله العظيم

القراءة تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد فحذفوا إحدى التاءين الباقون بالتشديد لأجل إدغام تاء التفعل في الذال وأن هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وإن هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلي وخلف الباقون وأن بالفتح والتشديد صراطي بفتح الياء ابن عامر والأعشى والبرجمي فتفرق بتشديد التاء البزي وابن فليح أن تأتيهم بالياء التحتانية وكذلك في النحل حمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الفوقانية فارقوا وكذلك في الروم حمزة وعلي الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين أمثالها بالرفع يعقوب الباقون بالإضافة ربي إلى بفتح ياء المتكلم أبو عمرو وأبو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياي بالسكون ومماتي بالفتح أبو جعفر ونافع الباقون بالعكس وأنا أول بالمد نافع وأبو جعفر **الوقوف** شيئا ط للحذف أي وأحسنوا بالوالدين إحسانا ج لابتداء النهي مع احتمال العطف أي وأن لا تقتلوا من إملاق ط للعطف مع العارض وما بطن ج للفصل بين الحكمين المتفقين مع اتفاق الجملتين بالحق ط لانتهاء بيان الأحكام إلى توكيد الإيصاء بالأحكام تعقلون ه أشده ج للفصل بين الحكمين بالعطف لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف ذا قربى ج لتناهي جواب إذا وتقدم مفعول أوفوا تذكرون ه لمن قرأ وإن هذا بالكسر فاتبعوه ج للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله ط تتقون ه يؤمنون ه ترحمون ه لا لأن التقدير فاتبعوه لئلا تقولوا من قبلنا ص لغافلين ه لا للعطف أهدى منهم ج للفاء مع أن قد لتوكيد الابتداء ورحمة ج للاستفهام مع الفاء وصدف عنها ط يصدفون ه بعض آيات ربك ط خيرا ط منتظرون ه في شيء ط يفعلون ه أمثالها ه لابتداء شرط آخر مع العطف لا يظلمون ه مستقيم ج ه لاحتمال أن دينا نصب على البدل من محل إلى صراط أو على الإغراء أي الزموا حنيفا ج لابتداء النفي مع اتحاد المعنى المشركين ه لا العالمين ه لا لا شريك له ج المسلمين ه كل شيء ط لانتهاء الاستفهام إلى الإخبار إلا عليها ج لتفصيل الأمرين على التهويل مع اتفاق الجملتين أخرى ج لأن ثم لترتيب الأخبار مع اتحاد المقصود تختلفون ه آتاكم ط العقاب ز للفصل بين تحذير وتبشير والوصل للعطف أو منع رحيم ه **التفسير** لما بين فساد ما يقوله الكفار في باب التحليل والتحريم أتبعه البيان الشافي في الباب فقال قل تعالوا وهو من الذي عاما لأن أصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه وما في قوله ما حرم إما منصوب بفعل التلاوة أي أتل الذي حرمه ربكم أي شيء حرم لأن التلاوة نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فإن قيل قوله ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا كالتفصيل لما أجمله في قوله ما حرم فيلزم أن يكون ترك الشرك والإحسان إلى الوالدين محرما فالجواب أن المراد من التحريم البيان المضبوط أو الكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتدأ فقال عليكم أن لا تشركوا وأن مفسرة أي ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا في النواهي واضح وأما الأوامر فيعلم بالقرينة أن التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا يجوز أن يجعل أن ناصبة والأمر عطف الطلب أعني الأمر على الخبر واعلم سبحانه بين فرق المشركين في هذه السورة أحسن بيان وذلك أن منهم من يجعل الأصنام شركاء لله كما حكاه الله عنهم بقوله وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ومنهم عبدة الكواكب الذين أبطل قولهم بقوله لا أحب الآفلين ومنهم القائلون

بيزدان وأهرمن والثنوية الذين يقولون الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وقد تقدم نقولهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهي بقوله لا تشركوا به شيئا ثم حث على الإحسان بالوالدين [illegible]

فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا ثم ذكر أربعة أنواع أخر من التكاليف وذلك قوله ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن أي بالخصلة والطريقة التي هي أحسن وهي السعي في تثميره وإنمائه ورعايته وجوه الغبطة لأجله كما مر في أول سورة النساء حتى يبلغ أشده أي احفظوا ماله إلى هذه الغاية أي أوان الاحتلام ولكن بشرط أن يؤنس منه الرشد قال الفراء واحد الأشد شد في القياس ولم يسمع وقال أبو الهيثم واحدة شدة كالنعم في نعمة والشدة القوة ومنه قولهم بلغ الغلام شدته وقيل إنه واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا نظير لهما وأوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية وإيفاء الكيل إتمامه خلاف البخس وقوله والميزان أي الوزن بالميزان فإن قيل إيفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا أمر الله المعطي بإيفاء ذي الحق حقه من غير نقصان وأمر صاحب الحق بأخذ حقه من غير طلب الزيادة ثم قال لا نكلف نفسا إلا وسعها ليعلم أن الواجب هو القدر الممكن من العدل والتسوية لا التحقيق المؤدي إلى الحرج والعسر وزعمت المعتزلة ههنا أن هذا القدر من التضييق حين لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الإيمان مع لا قدرة عليه أو يخلق القدرة الموجبة للكفر والداعية المقتضية له ثم ينهاه عنه وعورض بالعلم والداعي كما تقدم مرارا وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان المقول له أو عليه ذا قربى حمله المفسرون على أداء الشهادة وعلى الأمر والنهي والأولى أن يحمل على الأقوال كلها فيدخل فيه قول الرجل في الدعاء إلى الدين وتقرير الدلائل عليه بأن يذكر الدليل ملخصا عن الحشو ومبرأ عن النقض ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهي وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يستوي فيه القريب والبعيد والأجنبي ابتغاء لرضاء الله ثم ختم الأوامر بقوله وبعهد الله أوفوا كما قال أوفوا بالعقود ويندرج في هذه الخاتمة بالحقيقة جميع الأنواع المذكورة وأن هذا صراطي من قرأ بالفتح والتخفيف فأعماله في ضمير الشأن والتقدير تعالوا أتل ما حرم وأتل أنه هذا صراطي وكذا من قرأ بالتشديد وبالفتح إلا أن ضمير الشأن لا يقدر وإن شئت جعلتها مخففا متعلقا بما قبله أي ذلكم وصاكم به وبأن هذا أو بما بعده والتقدير ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن كسر فلأن التلاوة في معنى القول أو على الاستئناف والمعنى اتبعوا صراطي إنه مستقيم ولا تتبعوا السبل المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم الباء للتعدية أي فيفرقكم ذلك الاتباع عن سبيله المستقيم وهو دين الإسلام عن ابن مسعود رضي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية فهذه الآية بالحقيقة إجمال لما في الآيتين المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد وختم الأولى بقوله لعلكم تعقلون لأنها أمور ظاهرة جلية يكفي في تعقلها أدنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لعلكم تذكرون لأن المذكورة فيها أمور خفية تحتاج إلى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال ونقول الأمور الخمسة المذكورة في الآية الأولى كلها عظام جسام وكانت الوصية بها من أبلغ الوصايا فختم الآية بما في الإنسان من أشرف السجايا وهو العقل الذي امتاز به الإنسان عن سائر الحيوان والمذكورة في الثانية فاحشة يقبح تعاطيها وارتكابها فكانت الوصية بها تجري مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تذكرون أي تتعظون بمواعظ الله تعالى قوله ثم آتينا موسى الكتاب معطوف على وصاكم به فيشكل كيف صح عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل والجواب أن التكاليف التسعة المذكورة تكاليف لا تختلف بحسب اختلاف الشرائع كما روي عن ابن عباس أن هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة وأما الشرائع التي كانت التوراة مختصة بها فهي إنما حدثت بعد تلك التكاليف التسعة فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل إن في الآية حذفا تقديره ثم قل يا محمد إنا آتينا والمعنى أتل ما أوحي إليك ثم أتل عليهم خبر ما آتينا موسى وقيل معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب وقوله تماما على الذي أحسن مفعول له أي ليتم نعمتنا على الذي أحسن أي على من كان محسنا صالحا أو المراد إتمام النعمة والكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وكل ما أمر به أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه وقرئ أحسن بالرفع أي على الذي هو أحسن أو على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه وتفصيلا لكل شيء فيدخل في ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه وسلم وصحة دينه وشريعته وهدى دلالة ورحمة لكي يؤمنوا بلقاء ربهم أي عدهم ربهم به من ثواب وعقاب وهذا كتاب أنزلناه لا شك أنه القرآن مبارك كثير الخير والنفع أو ثابت لا يتطرق إليه النسخ كما في الكتابين فاتبعوه واتقوا لكي ترحموا لأن الغرض من التقوى رحمة الله تعالى أو اتقوا لترحموا جزاء على التقوى أو اتقوا مخالفته على رجاء الرحمة قال الفراء قوله أن تقولوا مفعول واتقوا وقال الكسائي التقدير أنزلناه لئلا تقولوا وقال البصريون أنزلناه كراهة أن تقولوا والخطاب لأهل مكة إنما أنزل الكتاب أي التوراة والإنجيل على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى وإن كنا هي المخففة من الثقيلة واللام في لغافلين هي الفارقة بينها وبين النافية والأصل وإنه كنا ومعنى الدراسة القراءة وإنما قالوا ذلك لأنا لا ندري منهم لحدة أذهانهم وكثرة حفظهم لأيام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأنسابها مع كونهم أميين فقطع الله عذرهم بإنزال القرآن عليهم ثم قال فقد جاءكم بينة من ربكم فيما يعلم سمعا وهدى فيما يعلم سمعا وعقلا ورحمة من الله في المعاش والمعاد فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها أي منع غيره منها لأن الأول ضلال والثاني إضلال

سورة الاعراف مكية حروفها اربعة عشر الفا وثلثمائة وعشر كلماتها ثلثة الاف وثلثمائة وخمس وعشرين آياتها مائتان وست

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ۝ اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون ۝ وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم

قائلون ۞ فما كان دعويهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا
ظالمين ۞ فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين ۞
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ۞ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت
موازينه فاولئك هم المفلحون ۞ ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون ۞ ولقد مكناكم
في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ۞

القراءة يذكرون بياء الغيبة ثم تاء التفعل ابن عامر الباقون كما مر في اخر الانعام الوقوف المص ه كوفي للمؤمنين ه
اولياء ط تذكرون ه قائلون ه نصف الجزء والربع الثاني من القران ظالمين ه المرسلين لا للعطف غائبين ه يومئذ الحق ج لابتداء الشرط مع فاء
التعقيب المفلحون ه يظلمون ه معايش ط تشكرون ه التفسير قد تقدم اول الكتاب مباحث هذه الحروف المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس
معنى المص انا الله اعلم وافصل وقال السدي معناه انا المصور وقيل معناه الم نشرح لك صدرك بدليل فلا يكن في صدرك حرج منه كما زاد في الرعد
راء لقوله بعده رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف جملة فلا محل لها من الاعراب وان كانت اسما للسورة جاز ان يكون المص مبتدأ وكتاب
ويعني به السورة خبره والجملة بعده صفة له وجاز ان يكون المص خبر مبتدأ محذوف وكذا كتاب اي هذه المص هو كتاب انزل اليك والدليل
على انه منزل من الله تعالى هو انه ما تلمذ لاستاذ ولا تعلم من معلم ولا طالع كتابا ولم يخالط اهل الاخبار والاشعار وقد مضى على ذلك اربعون سنة
ثم ظهر عليه هذا الكتاب المشتمل على علوم الاولين والاخرين فلم يبق شبهة في انه مستفاد بطريق الوحي القائلون بخلق القران زعموا ان الانزال
يقتضي الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات واجيب بان الموصوف بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ
ولا نزاع في كونها محدثة مخلوقة فان قيل الحروف اعراض غير باقية بدليل انه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالي وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها
بالنزول اجيب بانه تعالى احدث هذه الرقوم في اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال
فلا يكن في صدرك حرج اي شك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرج كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه ومعنى منه اي من شان الكتاب اي
لا تشك في انه منزل من عند الله او من تبليغه اي لا يضيق صدرك من الاداء وتوجه النهي الى الحرج كقولهم لا ارينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك
سبب رؤيته ومثله قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة ظاهره امر للمشركين فانه في الحقيقة امر للمؤمنين بان يغلظوا على المشركين وفي متعلق قوله لتنذر اقوال
قال الفراء انه متعلق بانزل وفي الكلام تقديم وتأخير اي انزل اليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج وفائدة التقديم والتأخير ان الاقدام على الانذار
والتبليغ لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانباري انه متعلق بالنهي واللام بمعنى كي والتقدير فلا يكن في صدرك شك كي تقدر على انذار
غيرك لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور لتوكله على ربه وثقته بعصمته وقال بعض
النحويين اللام بمعنى ان كقوله يريدون ان يطفئوا وفي موضع آخر ليطفئوا والتقدير لا يضيق صدرك ولا تضعف عن ان تنذر به وقيل ان التقدير الكلام
هذا الكتاب انزله الله عليك واذا علمت انه تنزيل الله تعالى فاعلم ان عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرج لان من كان الله له
حافظا وناصرا لم يخف احدا واذا زال الخوف والضيق عن القلب اشتغل بالابلاغ والانذار اشتغال الرجال الابطال ولا يبالي باحد من اهل الضلال والابطال
ثم قال وذكرى للمؤمنين قال ابن عباس يريد مواعظ للمصدقين به وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر وقال الليث الذكرى اسم للتذكرة
وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف
والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى وانما لم يقل على محل لتنذر لان المفعول له يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا ولو صح
ذلك لكان محله النصب لا الجر وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين والتحقيق فيه ان النفوس البشرية بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر
اللذات الجسمانيات فيحتاج الى زاجر قوي ومنها مشرقة بالانوار الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا انها غشيتها غواش من عالم الجسم فعرض لها
نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى انذار وتخويف واما الصنف الثاني فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها انوار ارواح رسل الله
تذكرت معدنها وابصرت مركزها واشتاقت الى ما هنالك من الروح والراحة والريحان فلم تحتج الا الى تذكرة وتنبيه فثبت انه سبحانه انزل هذا الكتاب
على رسوله ليكون انذارا في حق طائفة وذكرى في شان طائفة ثم لما امر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوي وعزم صحيح امر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة
فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ومعنى كونه منزلا اليهم انهم مخاطبون بذلك مكلفون به والا فهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل يتناول
القران والسنة جميعا عن الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وفي الاية دلالة على ان تخصيص عموم القران بالقياس غير جائز لان متابعة
معاملة المنزل واجبة فلو عمل بالقياس لزم التناقض فان قيل العمل بالقياس لكونه مستفادا من القران وهو قوله فاعتبروا عمل بالقران ايضا قلنا بعد التسليم
ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء اولى من العمل بالمنزل بواسطة ثم اكد الامر المذكور بقوله ولا تتبعوا من دونه اي لا تتخذوا من دون الله اولياء من شياطين
الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل اي لا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء احتج
نفاة القياس بان الاية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما انزل الله تعالى والعمل بالقياس متابعة غير ما انزل الله فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل
لقوله فاعتبروا لانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك العمل بمقتضى القياس كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقد اجمعت
الامة على عدم تكفيره واجاب مثبتوا القياس بان كون القياس حجة ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض

القاطع وزيف بانكم اثبتم ان الاجماع حجة بعموم قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه وسلم
لا تجتمع امتي على الضلالة والفرع لا يكون اقوى من الاصل اجاب المثبتون بان الايات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت في اثبات القياس
قوي الظن وحصل الترجيح ومن الحشوية من انكر النظر في البراهين العقلية تمسكا بالاية واجيب بان العلم بكون القران حجة موقوف على صحة
التمسك بالدلائل العقلية فكيف ينكر ثم ختم المخاطبة بنوع معاتبة فقال قليلا ما تذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة
ثم ذكر ما في ترك المتابعة من الوعيد فقال وكم من قرية فموضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتاكيد والبيان اي كثير من القرى اهلكناها مثل زيد ضربته
والتقدير النصب ايضا عربي جيد وفي الاية حذف لان القرية لا تهلك فقط فان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك اهلها ولكنه لما
التقدير وكم من اهل قرية لقوله فجاءها بأسنا والبأس بالاهل انسب ولقوله او هم قائلون ولان الزجر والتحذير لا يقع للمكلفين الا باهلاكهم
ولان معنى البيات والقيلولة لا يصح الا منهم وانما قال فجاءها ردا بالكلام على اللفظ او كما يقال الرجال فعلت وههنا سؤال وهو ان قوله فجاءها بأسنا
ان يكون الاهلاك متقدما على مجيء البأس ولكن الامر بالعكس والعلماء اجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها او اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم
الى الصلوة فاغسلوا ومنها ان معنى الاهلاك ومعنى مجيء البأس واحد كانه قيل وكم من قرية اهلكناها فجاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح فان قيل كيف يصح
العطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد تجيء للتفسير كقوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلوة احدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه
ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجيء البأس جار مجرى التفسير للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد
وقد يكون بتسليط البأس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا يبعد ان يقال البأس والهلاك يقعان معا كما يقال اعطيتني فاحسنت وما كان
الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها ان ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير اهلكناها فحكمنا بمجيء البأس لان الاهلاك امارة الحكم
بوصول مجيء البأس ومنها انه من باب القلب الذي يشجع عليه امن الالباس كقولهم عرضت الناقة على الحوض وقوله بياتا قال الجوهري بيت العدو اي اوقع
بهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل بياتا حسنا وعلى القولين فانه وقع موقع الحال بمعنى بائتين او مبيتين ثم قال او هم قائلون والجملة
حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءها بأسنا مبيتين او بائتين او قائلين وانما حسن ترك الواو ههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا لان واو الحال قريب
من واو العطف لانها استعيرت منها للوصل فالجمع بين حرف العطف وبينه جمع بين المثلين وذلك مستثقل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس
كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو محذوفة مقدر ورده الزجاج لما قلنا اما معنى القيلولة فالمشهور انها
نومة الظهيرة وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم لقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص
وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وكانه قيل للكفار لا تغتروا باسباب الفراغ والرفاغ والامن والسكون
فان عذاب الله انما يجيء بغتة من غير سبق امارة شعر يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا فقوم لوط اهلكوا وقت السحر وقوم
شعيب وقت القيلولة ثم ذكر حالهم عند مجيء البأس فقال فما كان دعويهم اي ما كانوا يدعونه من قبل دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه
والاقرار بالاساءة والظلم على انفسهم وقال ابن عباس ما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرار منهم على انفسهم بالشرك وقال
اهل اللغة الدعوى اسم يقوم مقام الادعاء حكى سيبويه اللهم اشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين الاية فما كان دعاءهم ربهم الا اعترافهم بعلمهم
ان الدعاء لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما فرط منهم وفرطوا فيه ومحل دعويهم وعلى عكسه محل ان قالوا ويجوز ان يكون نصبا او رفعا
في اعراب قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيدا اجلا فقال فلنسئلن الذين ارسل اليهم نسال المرسل اليهم عما اجابوا به
كقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونسال المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم المرسلين ثم قال فلنقصن عليهم
اي على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفائدة
في سؤال المرسل اليهم بعد ما اخبر عنهم انهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب انهم لما اقروا بانهم كانوا مقصرين ظالمين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم والتقصير
تقريعا وتوبيخا فان قيل ما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بانه لم يوجد عنهم تقصير البتة قلنا ليلحق كل التقصير بالامة فيتضاعف اكرام الله
في حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير ويتضاعف اسباب الخزي والاهانة في حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن
وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان ان القوم لا يسئلون عن الاعمال لان الكتب مشتملة عليها و
ولكنهم يسئلون عن الدواعي التي دعتهم اليها وعن الصوارف التي صرفتهم عنها او المراد نفي سؤال الاستفادة والاسترشاد واثبات سؤال التوبيخ والاهانة فلا تناقض
وفي الاية ابطال قول من زعم انه لا حساب على الانبياء ولا على الكفار وفيها انه سبحانه عالم بالكليات والجزئيات ولا يعزب عن علمه شيء في الارض ولا في السموات
فالالهية لا تكمل الا بذلك وفيها انه غير مختص بشيء من الاحياز والجهات والا لكان غائبا عن غيره ثم بين ان من جملة احوال يوم القيمة وزن الاعمال فقال والوزن
هو مبتدأ خبره يومئذ وقوله الحق صفة المبتدأ اي الوزن العدل يوم يسال الله الرسل واممهم وقيل لا يجوز الاخبار عن شيء وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا
ان يكون الحق خبرا ويومئذ ظرفا للوزن ومعنى الحق انه كائن لا محالة وفي كيفية الميزان قولان الاول ما جاء في الخبر انه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان
يوم القيمة يوزن به اعمال العباد خيرها وشرها وكيف يوزن فيه وجهان احدهما ان المؤمن يتصور اعماله بصورة حسنة واعمال الكافر بصورة قبيحة فتوزن
تلك الصور ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التي يكون فيها اعمال العباد مكتوبة يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يوزن يوم
القيمة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتي الميزان على الجنة والاخرى على جهنم ولو
وضعت السموات والارض في احديهما لوسعتهن وجبريل اخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل
يوم القيمة الى الميزان ويؤتى له تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيها شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فتوضع في الاخرى فترجح قال القاضي يجب ان يحمل هذا على انه يأتي بالشهادتين بحقهما من العبادات والا لكان
اغراء على المعصية ورد بانه خلاف الظاهر وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة اوفى واوفر من سائر الاعمال لان معرفة الله اشرف
العقائد والاعمال وروى الواحدي في البسيط انه اذا خف حسنات المؤمن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجزته بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة
الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك وخلقك فيقول انا نبيك محمد وهذه
صلواتك التي كنت تصليها علي قد وفيتك احوج ما تكون اليها القول الثاني قول مجاهد والضحاك والاعمش وكثير من المتاخرين ان المراد من الميزان
العدل لان العدل في الاخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازا عن العدل ومما يؤكد ذلك ان اعمال العباد اعراض وانها قد فنيت

العالم

وعدمت ووزن المعدوم محال وكذا لو قدر بقاؤها وأما قولهم الموزون صحائف الأعمال أو صور مخلوقة على حسب مقادير الأعمال فيقول المكلف يوم
القيامة إما أن يكون مقرا بأنه تعالى عادل حكيم وحينئذ يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب في علمه بأنه عدل وصواب وإما أن لا يكون مقرا
فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حقيقة الرجحان أجاب الأولون بأن جميع المكلفين يعرفون يوم القيامة أنه تعالى منزه عن الظلم
والجور لكن الفائدة في وضع الميزان ظهور الرجحان لأهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن وبالضد للكافر واختلف العلماء أيضا في كيفية الرجحان
فقال بعضهم يظهر هناك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيئات وقال آخرون بل يظهر الرجحان في الكفة واختلف أيضا في الموازين فقيل إنها
جمع موزون والمراد الأعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولئن سلم أنها جمع الميزان فالعرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فيقول خرج فلان إلى مكة
على الأفراس أو البغال قاله الزجاج وقال الأكثرون كما لا يمتنع إثبات ميزان له لسان وكفتان فكذا لا يمتنع إثبات موازين بهذه الصفة فما الموجب
لترك الظاهر والمصير إلى التأويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وأيضا لا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح
ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر ثم إن المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الإيمان قالوا إن الله تعالى حصر أهل الموقف في قسمين منهم من يزيد حسناته
على سيئاته ومنهم من على العكس ولا ريب أن هذا القسم أهل الكفر لأنه حكم عليهم بأن الذين خسروا أنفسهم بسبب الظلم بآيات الله أي التكذيب بها وهذا لا يليق
إلا بالكافر ولئن سلم أن المعاصي يعاقب لكنه يعاقب أياما ثم يعفى عنه ويتخلص إلى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله أبد الآباد من غير
زوال ولا انقطاع قيل في الآية دلالة على أن الذي يكون حسناته وسيئاته متساوية غير موجود والله تعالى أعلم ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب
الآجل رغب الخلائق في قبول دعوة الأنبياء بطريق آخر وهو تذكير النعم فإن ذلك يوجب الطاعة فقال ولقد مكناكم في الأرض أقدرناكم على التصرف فيها
وجعلنا لكم فيها معايش هي جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك وبالجملة وجوه المنافع التي تحصل
بتخليق الله تعالى ابتداء كالثمار أو بواسطة كالاكتساب والوجه في معايش تصريح الياء لأنها أصلية لا زائدة كصحائف بالهمز في صحيفة وعن ابن عامر
ونافع في بعض الروايات الهمز تشبيها بصحائف واستبعده النحويون ثم عاتب المكلفين بأنهم لا يقومون بشكر نعمه كما ينبغي فقال قليلا ما تشكرون
وفيه إشارة إلى أنهم قد يشكرون وقليل من عبادي الشكور التأويل المص هو الله من لطفه أفرد عباده بالمحبة والمعرفة وأنعم عليهم
بالصدق والصبر لقبول كمالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب أنزل على قلبك فانشرح له صدرك وانفسح فلم يبق فيه ضيق وحرج بخلاف ما أنزل
على الكتب في الألواح والصحف فقد عرض لبعضهم ضيق عطن فألقى الألواح وكما شرف نبيه بالخطاب المنزل على قلبه حتى صار خلقه القرآن شرف
أمته بأن أمرهم باتباع ما أنزل إليهم ليتخلقوا بأخلاق الله وكم من قرية قلب أفسدنا استعدادها فجاءها بأسنا أي أزعجت قلوبهم بأصبع القهر
وأهلها نائمون على فراش الحسبان قائلون في نهار الخذلان فما كان دعواهم إلا أن قالوا من قصر نظر بأنفسهم لا من طريق الأدب إنا كنا ظالمين
فنسبوا التصرف إلى أنفسهم ولم يعلموا أن الله تعالى يقلب أفئدتهم وأبصارهم فلنسألن الذين أرسل إليهم عامة الخلائق هل قبلتم الدعوة وعلمتم بالأمر
أم لا فيكون السؤال سؤال التعنيف والتعذيب أو هم الذين قبلوا الدعوة فيكون السؤال سؤال التشريف والتقريب ولنسألن المرسلين سؤال الإنعام والإكرام
هل بلغتم وهل وجدتم أمما قابلي الدعوة فلنقصن عليهم بعلم فيعلمون أنا ما أرسلنا الرسل إليهم عبثا وإنا أرسلناهم لأمر عظيم وخطب جسيم وما كنا
غائبين عن الرسل بالنصر والمعونة وعن المرسل إليهم بالتوفيق والعناية والوزن يومئذ لأهل الحق لا الباطل فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روي أنه يؤتى
يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والأحوال الكاملة
فأولئك هم المفلحون من شر أنانيتهم وإنما جمع الموازين لأن لبدن كل مكلف ميزانا يوزن به أعماله ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها ولقلبه ميزانا يوزن
أوصافه ولروحه ميزانا يوزن به نعوته ولسره ميزانا يوزن به أحواله ولخفيه ميزانا يوزن به أخلاقه والخفي لطيفة روحانية قابلة لفيض الأخلاق الربانية
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما وضع في الميزان شيء أثقل من حسن الخلق وذلك أنه ليس من نعوت المخلوقين وإنما هو خلق رب العالمين
والعباد مأمورون بالتخلق بأخلاقه خسروا أنفسهم أفسدوا استعدادها لقد مكناكم هيأنا لكم خلافة الأرض دون غيركم من الحيوانات والملك وجعلنا لكم
خاصة معايش ولكل صنف من الملك والشيطان والحيوان معيشة صفة واحدة وذلك أن الإنسان مجموع من الملكية والحيوانية والشيطانية و
الإنسانية فمعيشة الملك هي معيشة روحه ومعيشة الحيوان هي معيشة بدنه ومعيشة الشيطان هي معيشة نفسه الأمارة بالسوء وقد جعل الله
بهذا التركيب مراتب الإنسانية وأنها لم تكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان وهي القلب والسر والخفي فمعيشة قلبه هي الشهود ومعيشة
سره هي الكشوف ومعيشة خفيه هي الوصال والوصول والله أعلم بحقيقة الحال

ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس
لم يكن من الساجدين ۝ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين ۝ قال فاهبط منها فما يكون لك
أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ۝ قال أنظرني إلى يوم
يبعثون ۝ قال إنك من المنظرين ۝ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم
صراطك المستقيم ۝ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم
وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ۝ قال اخرج منها مذءوما مدحورا

لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ۝ ويا آدم اسكن أنت
وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين
وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ۝ فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة
بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما
ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين
قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع
إلى حين ۝ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ۝

القراءات لأملأن بتليين الهمزة الثانية حيث كان الأصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف تخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف
وسهل ويعقوب وابن ذكوان الباقون مبنيا للمفعول من الإخراج الوقوف إلا إبليس ط لأنه معرفة لا يصلح الجملة صفة له الساجدين ه
إذ أمرتك ط منه ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول طين ه الصاغرين ه يبعثون ه المنظرين ه المستقيم ه لا للعطف شمائلهم ط شاكرين ه
مدحورا ط لأن ما بعده ابتداء قسم محذوف أجمعين ه الظالمين ه الخالدين ه الناصحين ه لا بغرور ج لأن جواب لما منتظر مع اتحاد الكلام ورق الجنة ط لأن
الواو للاستئناف مبين ه أنفسنا ط لسكتة للأدب إعلاما بانقطاع الجملة قبل ابتداء الخاسرين ه عدو ط لعطف المختلفتين إلى حين ه تخرجون ه
التفسير من جملة نعم الله تعالى علينا أن خلق أبانا آدم وجعله مسجودا للملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تذكير النعم ونظير هذه الآيات
ما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو أنهم
كانوا أمواتا فأحياهم ثم خلق لهم ما في الأرض جميعا من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل آدم خليفة في الأرض مسجودا للملائكة والغرض من الكل أن التمرد
والجحود لا يليق بإزاء هذه النعم الجسام وقصة آدم وما جرى له مع إبليس ذكرها الله تعالى في سبعة مواضع في البقرة وههنا وفي الحجر وفي سبحان وفي الكهف
وفي طه وفي ص وسنبين حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم إن شاء الله تعالى وههنا سؤال وهو أن قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضي أن
أمر الملائكة بالسجود لآدم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والأمر في الواقع بالعكس وأجاب المفسرون بوجوه منها وهو قول الأخفش ويوسف النحوي وهو المختار أن المضاف
محذوف أي خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورنا أباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وإنما حسن هذه الكناية لأن آدم عليه السلام أصل البشر نظيره قوله
لبني إسرائيل المعاصرين وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور أي ميثاق أسلافكم وقال صلى الله عليه وسلم لقريظة قد قتلتم هذا القتيل وإنما قتله أجدادهم و
منها أن المراد خلقناكم من آدم ثم صورناكم أي صورنا ذرية آدم في ظهره في صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم
أنا قلنا للملائكة ومنها أن الخلق في اللغة التقدير وتقدير الله تعالى عبارة عن علمه بالأشياء ومشيئته لتخصيص كل شيء بمقداره المعين فقوله
خلقناكم إشارة إلى حكم الله وتقديره لإحداث البشر في هذا العالم وقوله صورناكم إشارة إلى أنه تعالى أثبت في اللوح المحفوظ صورهم كما أنه أثبت
صورة كل كائن كما جاء في الخبر اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ثم بعد هذين الأمرين أحدث الله تعالى آدم وأمر الملائكة بالسجود له قال الإمام فخر الدين رحمه الله
وهذا التأويل عندي أقرب الوجوه وتأويل هذه السجدة وأن إبليس هل هو من الملائكة أم لا تقدم في أوائل سورة البقرة فلا وجه للإعادة أما قوله سبحانه
ما منعك أن لا تسجد فظاهره يقتضي أنه تعالى طلب من إبليس ما منعه من ترك السجود وليس الأمر كذلك فإن المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال في سورة ص
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي فلهذا الإشكال حصل للمفسرين رحمهم الله أقوال أولها وهو الأشهر أن لا صلة زائدة كما في لا أقسم وكما في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب
أي ليعلم وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والأكثرين قال في الكشاف وفائدة زيادتها توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم
أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك قلت لعله أراد أن زيادة لا إشارة إلى نفي ضد المذكور ليلزم تحقق المذكور
وثانيها أن إثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الأدب وأن الاستفهام للإنكار أي لم يمنعك من ترك السجود شيء كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي
منعك من ضربي أدينك أم عقلك أم حياؤك والمعنى أنه لم يوجد أحد هذه الأمور فما امتنعت من ضربي وثالثها قال القاضي ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعي فكأنه
قال ما دعاك إلى أن لا تسجد لأن مخالفة أمر الله تعالى حالة عظيمة يتعجب منها ويسأل عن الداعي إليها وقيل الممنوع من الشيء مضطر إلى خلاف ما منع منه وقيل
ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل معناه من قال لك أن لا تسجد وأقول يمكن أن لا يتعلق قوله أن لا تسجد بقوله ما منعك وإنما يكون متعلقة بمحذوف والتقدير
ما منعك من السجود ألا تسجد أي لأن لا تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل أن عدم سجودك ما سببه إذ أمرتك أمر إيجاب وفائدة هذا السؤال توبيخ
المعيوب وتوبيخه وإظهار معاندته وجحوده واستدل العلماء بالآية على أن مجرد الأمر يقتضي الوجوب والإلزام بترتب الذم عليه وأن الأمر يقتضي الإلزام

الادم بترك السجود في الحال ثم استأنف اللعين قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على ادم زعما منه ان مثله مستبعد ان يؤمر بما امر به وتلك الخيرية هي
التي منعته من السجود فقال انا خير منه ثم بين هذه المقدمة بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين فالنار افضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوي
لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الاجرام اللطيفة كلها وايضا النار قوية
التأثير والفعل والارض ليس فيها الا القبول والانفعال والفعل اشرف من الانفعال وايضا النار مناسبة للحرارة الغريزية وهي مادة الحيوة والنضج
واما الارضية فللبرد واليبس تناسب الموت والحيوة اشرف من الموت وايضا سن التمييز والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كان افضل اوقات
عمر الحيوان وبخلافه وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية فالمخلوق من الافضل افضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع
واما ان الاشرف لا يجوز ان يؤمر بخدمة الادون فمما قد تقرر في العقول فهذه شبهة ابليس والمقدمتان باسرهما ممنوعة اما ان النار افضل من الارض فممنوع لان
كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوائد ليست لغيره وكل منها ضروري في الوجود والتركيب ولكل فضيلة في مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل
بلا طائل ومن تأمل ما ذكرنا في تفسير قوله سبحانه الذي جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم ان طعن اللعين مردود جدا ولو لم يكن فيها
الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار والترفع وفي الارض الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى بردا للكلام واما ان المخلوق من الافضل افضل
فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ويحصل الدخان
من النار والتكليف يتناول الحي بعد انتهائه الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد قال النبي ائتوني باعمالكم ولا تأتوني بانسابكم
ان اكرمكم عند الله اتقيكم وفي كلام الحكماء العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية ثبت ان دعوى اللعين في قوله انا خير منه باطلة ولئن سلم
فلم لا يجوز خدمة الفاضل للمفضول تواضعا واسقاطا لحق النفس ثم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال او لتشريف المفضول والترفيع بحاله
قالت العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة اسجدوا لادم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس اخرج نفسه من هذا العموم بالقياس ثم اوجب
الذم والتعنيف والدخول في زمرة المتكبرين على الله فدل ذلك على انه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس انه كان
الطاعة بابليس اول من القياس فعصى ربه وقاس واول من قاس ابليس فلا تقيسوا فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله تعالى مع ابليس ويمكن
ان يجاب بانه انما استحق الذم لان قياسه كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح امر من كان مخلوقا من النار بسجود من كان مخلوقا
من الارض لكان قبح امر من كان مخلوقا من النار المحض بسجود من هو مخلوق من الارض اولى ويحتمل ان يزيف هذا الجواب بان التشريف اذا رضي بتلك
الخدمة فلا اعتراض عليه وحينئذ لا يقبح امره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك ولا بأس واما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق فيقبح امره بالسجود فحينئذ
يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص النص بالقياس كما ادعينا قال اي الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا كرام
وتشريف او قال على لسان بعض ملائكته فاهبط لعصيانك امري فاهبط منها قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق ادم
وقال بعض المعتزلة امر بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون
لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان يقال للرجل قم صاغرا اذا اهين وفي ضده قم راشدا قال الزجاج
ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار كما قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون طلب الانظار
من الله تعالى الى وقت البعث وهو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده انه لا يذوق الموت فلم يعطه الله
ذلك بل قال انك من المنظرين قيل ان هذا المطلق مقيد بقوله في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم اي اليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت
النفخة الاولى وقال اخرون لم يوقت الله تعالى له اجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز
ان يعلم اجله لانه يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب اجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصي فيكون قبيحا اجاب الاولون بان من علم الله
تعالى من حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء او على الكفر والمعاصي كابليس فان اعلامه بوقت اجله لا يكون اغراء على المعصية لانه
لا يتفاوت حاله بسبب ذلك التعريف والاعلام قال فبما اغويتني الاغواء ضد الارشاد واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم اللبن
فسد وبعرض في جوفه من كثرة شرب اللبن ويمكن انه يتعلق الباء بقوله لاقعدن لان لام القسم تأبى ذلك لا يقال والله بزيد لامرن لان حكم
القسم وما يليه وحكم همزة الاستفهام وحرف النفي الذي هو ما وهي تمنع من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لكنها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شيء من معمولاتها
لضعفها وانما يتعلق بفعل القسم المحذوف وما مصدرية تقديره فبما اغويتني اي بسبب اغوائك اياي اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي
فاقسم باغوائك لان معنى القسم بالاغواء انه من جملة اثار القدرة اي بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لاقعدن وقال في الكشاف ان الامر
بالسجود كان سبب غوايته وهو تكليف والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به وهذا يناسب اصول الاعتزال
قال مشايخ العراق الحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة والجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا و
يعني بصفات الفعل ما يجوز ان يوصف بضده ويقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب وقال بعضهم ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني
ثم ابتداء فقال لاقعدن ويرد على هذا القول ان اثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس اضاف الاغواء ههنا الى الله
وفي قوله فبعزتك لاغوينهم اضاف الاغواء الى نفسه والاول يدل على الجبر والثاني على القدر وهذا دليل على انه كان متحيرا في هذه المسألة اجاب
المعتزلة عن قوله فبما اغويتني بان قول ابليس واعتقاده ليس بحجة او المراد انه تعالى لما امره بالسجود لادم فعند ذلك ظهر منه كفره فلهذا المعنى اضاف الغي
الى الله تعالى وقد يقال لا تحملني على ضربك اي لا تفعل ما اضربك عنده او المراد بالاغواء الاهلاك واللعن وقالت الاشاعرة ولكن لا نسلم
في ان المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيف ما كان يرجع الى حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا انا نقطع بان الغاوي لا بد له من مغو ليس ذلك
نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها غواية والدور او التسلسل محال فلا بد ان ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود اما قوله لاقعدن لهم
صراطك فانتصابه على الظرف كقوله شعر لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيد
الظهر والبطن اي على الظهر والبطن فالمراد لاعترضن لهم اي لبني ادم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق
ليقطعه على السابلة والحاصل انه يواظب على الافساد بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر القعود لان من اراد المبالغة في تكميل امر من الامور
قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود واعلم ان العلماء اختلفوا في ان كفر ابليس كفر عناد او كفر جهل فمن قائل بالاول لقوله صراطك المستقيم
وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن قائل بالثاني لقوله فبما اغويتني فدل ذلك على انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط المستقيم

بناء على زعم الخصم واعتقاده ورد بانه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكار اللسان لا القلب وهو معنى
كفر العناد ويمكن ان يجاب بانه اراد بالاغواء ايضا الاغواء بزعم الخصم قالت الاشاعرة في الاية دلالة على انه لا يجب على الله رعاية مصالح
العبد في دينه ولا في دنياه والا لم يمهل ابليس حين استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك ومما يؤيد ذلك انه بعث الانبياء دعاة للخلق
الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا الى الكفر والضلال ثم انه امات الانبياء وابقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه ان يفعل ذلك قال
الجبائي في دفع هذا الاعتراض انه لا يختلف الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله احد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل ايضا بدليل قوله
ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو ضل به احد لكان بقاؤه مفسدة وقال ابو هاشم يجوز ان يضل به قوم ويكون خلقه جاريا
مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة توجب الزيادة في الثواب وضعف قول الجبائي بانا نعلم بالضرورة ان الانسان اذا حصل عنده
جلساء السوء وحسنوا في عينه امرا من الامور مرة بعد اخرى فانه لا يكون حاله في الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا الشيطان القرين الملقي
في قلوب الكفار والفساق وزيف ابي هاشم بان خلق الزيادة في الشهوة حجة اخرى لنا في انه تعالى لا يراعي المصلحة وتقرير الحجة ان خلق تلك الزيادة يوقع
في الكفر وعقاب الابد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته انه يزداد ثوابه وحصول هذه الزيادة شيء لا حاجة اليه والاهم دفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب
فلو كان اله العالم مراعيا لمصالح العباد لم يهمل الاهم لطلب الزيادة التي لا ضرورة اليها اما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه الاول من بين ايديهم اي اشككهم
في صحة البعث والقيامة ومن خلفهم القي اليهم ان الدنيا قديمة ازلية والثاني من بين ايديهم انفرهم عن الرغبة في سعادات الاخرة ومن خلفهم اقوي رغبتهم
في لذات الدنيا فالاخرة بين ايديهم لانهم يردون اليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها والثالث قول الحكم والسدي من بين ايديهم يعني الدنيا
لانها بين يدي الانسان وانه يشاهدها ومن خلفهم الاخرة لانها تأتي بعد ذلك واما قوله وعن ايمانهم وعن شمائلهم فقيل عن ايمانهم في الكفر والبدعة وعن شمائلهم في
في انواع المعاصي وقيل عن ايمانهم في الصرف عن الحق وعن شمائلهم في الترغيب في الباطل وقيل عن ايمانهم افترهم عن الحسنات وعن شمائلهم اقوي دواعيهم
الى السيئات قال ابن الانباري وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلني في يمينك اي من المقدمين ولا تجعلني في شمالك اي من المؤخرين والاتي من
هو عندنا باليمين اي بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوى اربعا هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية احدها
القوة الخيالية التي يجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم وثانيها القوة الوهمية
التي تحكم في غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة ومحلها الكبد
التي عن يمين البدن ورابعها الغضب ومنشاؤه القلب الذي هو في الشق الايسر فالشياطين الخارجة ما لم تستعن بشيء من هذه القوى الاربع لم تقدر
على القاء الوسوسة وقيل من بين ايديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما في الذات او في الصفات كشبه المجسمة واما في الافعال كشبه المعتزلة في
التجوير والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فهي بين يديه ويحضر منه فيعتقد ان الغائب مثل الشاهد ومن خلفهم شبهات
اهل التعطيل لان هذه بازاء الاولى وعن ايمانهم الترغيب في ترك المامورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات وعن شقيق رحمه الله ما من
صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واما
من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين
واما من شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه
فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق
الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل وعلى هذا فالقعود في الطريق والاتيان من الجهات مثل الوسوسة اليهم وتسويله بكل ما يمكنه
ويتيسر له كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك بقي ههنا بحث وهو انه كيف قال من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف
الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف قد تختلف حروف الظروف كما تختلف حروف التعدية على حسب السماع يقال جلس
عن يمينه وعلى يمينه ومعنى على انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له
ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره ونظيره في المفعول به رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها
للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما
تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقال بعض المفسرين خص اليمين والشمال بكلمة عن لانها تفيد البعد والمباينة وعلى جهتي اليمين والشمال ملكان
لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لا بد ان يتباعد عن الملك ولا كذلك حال القدام والخلف وقالت الحكماء من بين ايديهم ومن خلفهم
هما الوهم والخيال كما مر والاتي منهما العقائد الباطلة والكفر وعن ايمانهم وعن شمائلهم الشهوة والغضب والاتي منهما الافعال الشهوية والغضبية
وضرر الكفر لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصي مفارق لان عذابها منقطع فلهذا السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على انهما في القدوم
الاتصال دون القسم الاول وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق والتحت لان القوى التي منها يتولد ما يوجب تفويت السعادات الروحانية
هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربع من البدن واما في الظاهر فقد روي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا الهنا
كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليهم من الجهات فاوحى الله تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهتا الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق
بالدعاء على سبيل الخضوع او وضع جبهته على الارض بطريق الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة قال القاضي هذا القول من ابليس كالدلالة على انه كان يمكنه
ان يدخل في بدن ابن ادم ويخالطه لانه لو امكنه ذلك لكان بان يذكره في باب المبالغة احق قلت هذا مناف لما في الحديث ان الشيطان يجري من ابن
ادم مجرى الدم اما قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فسئل انه من باب الغيب فكيف عرف واجاب بعضهم بانه كان قد رآه في اللوح المحفوظ فقاله على سبيل
القطع واليقين وقال اخرون انه قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله و
لقد صدق الله تعالى في ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادي الشكور وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الخمس الظاهرة والخمس
والباطنة والشهوة والغضب والقوى السبع النباتية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهي باسرها تدعو النفس
الى عالم الجسم واما التي تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهي العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اكثر من استيلاء واحدة لا سيما وهي في اول
الخلقة تكون قوية والعقل يكون ضعيفا وهي بعد قوتها يعسر جعلها ضعيفة مرجوحة فلذلك قطع بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين قال الله تعالى في جوابه ان
كان هذا غرضك فاخرج منها مذءوما مدحورا الذام العيب والذم يهمز ولا يهمز والدحر الطرد والابعاد وفي المثل لا تعدم الحسناء ذاما واللام في لمن

تبعك موطئة للقسم. وكلاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط. وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله
لاملان جهنم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون اي انكم وانهم وعلى هذا فقوله لاملان في محل الابتداء ولمن تبعك خبره. قال القاضي كما ان الكافر
تبعه وكذلك الفاسق يتبعه فكذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار واجيب بشرط عدم العفو. قوله ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة الاية
فيها مسائل ان قوله اسكن امر تعبد او امر اباحة من حيث انه لا مشقة فيه فلا يتعلق به التكليف. وان زوج ادم وهي حواء. وان تلك الجنة كانت
جنة الخلد او جنة من جنان السماء او جنة من جنات الارض. وان قوله وكلا امر اباحة لا امر تكليف. وان قوله ولا تقربا نهي تنزيه او نهي تحريم. وان الشجرة
المشار اليها شجرة واحدة بالشخص او بالنوع. وانها اي شجرة كانت. وان ذلك الذنب كان صغيرا او كبيرا. وان الظلم بقوله فتكونا من الظالمين باي معنى
هو. وان هذه الواقعة وقعت قبل نبوة ادم او بعدها. ونحن قد قضينا الوطر عن جميعها في سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة. فوسوس لهما الشيطان
الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع الذئب. والمصدر الوسواس ايضا بكسر الواو. والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال و
الزلزال. ويوصل الى المفعول باللام وبالى فمعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله. ومعنى وسوس اليه القاها اليه اي تكلم معه كلاما خفيا يكرره. ليبدي لهما ما ووري
عنهما من سوآتهما قيل اللام لام العاقبة لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما ال امرهما الى ذلك. وقيل لام الغرض وبدو العورة
كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذي كان غرضه. ولعله راى في اللوح المحفوظ او سمع من الملائكة انه اذا اكل من الشجرة بدت عورته وفي ذلك
سقوط حشمته. وقوله ووري مجهول واري اي ستر والسوأة فرج الرجل والمراة. ثم بين وسوسة ابليس بانه قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا
ان تكونا اي كراهة ان تكونا ملكين الى قوله اني لكما لمن الناصحين. سؤال كيف يطمع ابليس ادم في ان يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملائكة ساجدين
له معترفين بفضله. والجواب بعد تسليم ان هذه الواقعة كانت بعد النبوة وبعد سجود الملائكة له ان هذا انما يدل على ان الملائكة الذين سجدوا لادم
هم ملائكة الارض اما ملائكة السموات وملائكة العرش والكرسي والملائكة المقربون فما سجدوا البتة لادم والا كان هذا التطميع فاسدا. وربما يجاب
بانه اراد ان يصير مثل الملك في البقاء والدوام. وزيف بلزوم التكرار من قوله او تكونا من الخالدين. قال الواحدي كان ابن عباس يقرا ملكين بكسر
اللام كان اللعين اتاهما من جهة الملك كقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى. واعترض بانه لا نزاع في هذه القراءة الشاذة وانما النزاع
في القراءة المشهورة. ويمكن ان يجاب بان ادم لعله رغب في ان يصير من الملائكة في القدرة والقوة والبطش والخلقة بان يصير جرما نورانيا
سقفه العرش والكرسي. نقل ان عمرو بن عبيد قال للحسن ان ادم وحواء هل صدقاه في قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه لكانا من الكافرين اراد الحسن
ان تصديق الخلود يوجب انكار البعث والقيامة وانه كفر. ويمكن ان يقال المراد بالخلود طول المكث فلم يلزم التكفير. ولو سلم ان الخلود مفسر بالدوام
فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من ادم يوجب الكفر لان العلم بالموت ثم البعث يتوقف على السمع. ولعل ذلك الدليل السمعي لم يصل الى ادم وقتئذ. ثم ان
المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد من ادم لا قطعا ولا ظنا وانما اقدما على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من انفسنا عند الشهوة ان نقدم على الفعل
اذا زين لنا الغير ما نشتهيه وان لم نعتقد ان الامر كما قال. ثم ان بعضهم زعم ان الترغيب كان في مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه
للتخيير. سؤال المقاسمة من الجانبين فكيف يتصور التقاسم بين ادم وابليس. والجواب كانه قال لهما اقسم بالله اني لكما لمن الناصحين وقالا اتقسم بالله انك
لناصح. او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم. فدلاهما بغرور اي اوقعهما فيما اراد من تغريره
واصله ان الرجل العطشان يدلي رجليه في البئر لياخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه. وقيل اي جراهما على اكل الشجرة من قولهم
فلان يدلي على اقرانه في الحرب كالبازي يدلي على صيده. قال ابن عباس غرهما باليمين وكان ادم يظن ان لا يحلف احد بالله كاذبا. وعن ابن عمر رضي الله عنهما
انه كان اذا راى من بعض عبيده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له.
فلما ذاقا الشجرة فيه دلالة على انهما تناولا اليسير قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر في اية اخرى فاكلا منها لم يدل على الاكل لان الذوق قد يكون من غير
اكل. بدت لهما سوآتهما ظهرت عوراتهما اي عورة كل منهما لصاحبه. وطفقا يخصفان اخذا في الفعل وهو الخصف ويستعمل طفق كما لا يستعمل
كاد. قال الزجاج اي يجعلان ورقة على ورقة ليستترا بها كما يخصف النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور. والورق ورق التين. وفيه دليل ان كشف
العورة مستهجن من لدن ادم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة. الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ. وباقي الايات
مفسرة في سورة البقرة. عن ثابت البناني لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني
الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوه ودفنوه بسرنديب بارض الهند
وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده. وقد بقي علينا من التفسير سؤالات المتشابهات الواقعة في هذه القصة فلنفرغ لها. قوله قال ما منعك وفي ص يا ابليس ما منعك
وفي الحجر يا ابليس ما لك. حذف المنادى في هذه السورة لانه مضى ذكره هنا بقرب فلم يحتج الى اعادة اسم اللعين بالنداء. قوله ما منعك ان لا تسجد
وفي ص ما منعك ان تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا في السورة لانه لما حذف النداء زاد لفظة لا زيادة في النفي واعلاما بان المخاطب به ابليس ثم انه
قلت جمع في السورة بين ما في ص وما في الحجر فقال ما منعك ان تسجد وما لك ان لا تسجد وحذف ما لك لدلالة الحال ودلالة السورتين
عليه فبقي ما منعك ان لا تسجد. قوله قال انا خير منه الاية وفي ص مثله كلاهما في جواب ما منعك ظاهرا الا انه زاد في الحجر لفظ الكون فقال لم اكن لاسجد
لبشر ليكون مطابقا للسؤال حيث قيل ما لك الا تكون مع الساجدين. قوله انظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر رب فانظرني لانه لما اقتصر في السؤال
على الخطاب دون صريح الاسم اقتصر ههنا ايضا على الخطاب دون ذكر المنادى بخلاف السورتين. واما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلان
داعية الفاء ما تضمنه النداء من ادعو وانادي نحو قوله ربنا فاغفر اي ادعوك فاغفر فلما حذف النداء في هذه السورة ترك الفاء وكذلك قوله
قال انك من المنظرين ليطابق الجواب السؤال. قوله فبما اغويتني وفي الحجر رب بما اغويتني بزيادة النداء ليوافق ما قبله وزاد في هذه السورة الفاء
وكذا في ص فبعزتك لاغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب. قال اخرج منها مذؤما
ليس في القران. وانما اختص الموضع بذلك لان اللعين بالغ في العزم على الاغواء فقال لاقعدن لهم الى اخره فبالغ الله عز وجل في ذمه اذ الذام اشد
الذم. قوله فكلا بالفاء وفي البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع مسكنا لا يستدعي زمانا ممتدا لم يمكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه
بل يقع الاكل عقيبه وفي البقرة من السكون الذي يراد به الاقامة فلا يصلح الا بالواو. ولان المعنى اجمعا بين الاقامة فيها والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء
لوجب تاخير الاكل الى الفراغ من الاقامة. وانما زاد في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا. قال بعض الافاضل في الجواب عن هذه المسائل ان القصص
ما مضى اذا لم يقصد به اداء الالفاظ باعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا ادى المعنى المقصود وهذا المعنى جواب حسن ان رضيت به كفيت مؤنة

السنة اي التمر. **التأويل** ولقد خلقناكم ارواحكم ثم صورناكم اي خلقنا لارواحكم اجسادا كما جاء في الحديث ان الله تعالى خلق الارواح
قبل الاجساد بالفي عام. وتصوير الاجساد بداية وهي قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم فان لفظ الذرية يقع على المتصورين ووسطه
يصوركم في الارحام كيف يشاء ونهايته هي حالة الكهولية في الاغلب. ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم وانتم في صلبه وهذا من التمكين ايضا فسجدوا
لاستعدادهم الفطري للسجود ولايتمارهم بامر الله. الا ابليس لم يكن من الساجدين للسجود لما فيه من الاستكبار الناري. قال ما منعك خطاب الامتحان
ابليس ليظهر به استحقاقه فانه لو كان ذا بصيرة لقال في الجواب منعني تقديرك وقضاؤك ولكنه كان اعور عين اليقين بصيرا بالعين التي راى بها انا خير
فقال انا خير منه اي منعني خيرتي منه ان اسجد لمن هو دوني. واستدل على خيريته بانه خلقه من نار وهي علوية نورانية لطيفة وادم خلق من طين وهو
سفلي ظلماني كثيف. وهذا القياس معارض بان النار من خاصيتها الاحراق والفناء والطين من خواصه النشوء والنماء والاستمساك الذي يجوز
بصير الانسان مستمسكا للفيض الالهي ونفخ الروح فيه. فاستحق سجود الملائكة لانه صار كعبة حقيقية. فلما ابتلي ابليس بالصغار وطرد من الجوار اخذ في النوح
وايس من الروح ورضي بالصغار والالحاق بالحيوة فقال انظرني فاجيب الى ما سال ليكون وبالا عليه ويزيد في شقوته ولكن لم يجبه بان لا يذيقه الم الموت
لقوله في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم. قال فبما اغويتني لم يكن حوالة الاغواء الى الله منه من نظر التوحيد وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لاغوينهم
لاقعدن لهم. ثم لاتينهم من الجهات التي فيها حظوظ النفس. من بين ايديهم من قبل الجد على الاكابر من المشايخ والعلماء المعاصرين. ومن خلفهم من قبل
الطعن في الاكابر الاقدمين والسلف الصالحين. وعن ايمانهم من قبل افسادات البين والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان. وعن شمائلهم
من جهة ترك النصيحة مع اهاليهم واقاربهم وترك الامر بالمعروف مع عامة المسلمين. او المراد من بين ايديهم من قبل الرياء والعجب. ومن خلفهم من قبل
الصلف والعجز. وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواجد والمواجيد. وعن شمائلهم من قبل الافتراء على انفسهم ما ليس فيها من الكشوف والاحوال او من بين
ايديهم من قبل الاعتراض على الشيخ. ومن خلفهم من قبل التفرق والاخراج عن صحبة الشيخ. وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ. وعن شمائلهم من قبل مخالفة
الشيخ والزهد بعد القبول. او من بين ايديهم اوثر عليهم اهاليهم واولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق. ومن خلفهم اوثر عليهم اباءهم وامهاتهم. وعن ايمانهم اوثر عليهم اخوانهم
وعن شمائلهم اوثر عليهم اعداءهم وحسادهم. ولا تقربا هذه الشجرة يعني شجرة المحبة فان المحبة مطية المحنة. فتكونا من الظالمين على انفسكما ان المحبة نور
ونار النور يرد نارها لم يجد نورها ومن يرد نورها احترقت انانيته فبقي بلا هويته لنفسه مع هوية ربه فههنا يجد نور المحبة ويتنور بنور ربه كقوله يحبهم ويحبونه
فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل ادم كما خمر طينة ادم بيده ولاجل هذه الشجرة وان منعه منها كان تحريضا له على تناولها فان الانسان
حريص على ما منع. ولم يكن الشجرة علفة لبني ادم واولاده. الا ان تكونا ملكين اي من اهل النشو كالملكين في زوايا الجنة او تكونا من الخالدين في الجنة كالحور
والرضوان. فسقاهما ابليس في كاس القسم او شراب ذكر الحبيب. وقاسمهما فلما غرقا في لجة المحبة وذاقا شجرة المحبة بدت لهما سوآت نار المحبة
قبل نورها وهي نار فرقة الاحبة في البداية وطفقا لاشتغال نار المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارهما. فلما التهبت احرقت بلفظها راحة الوصلة
او نعب غراب البين بالفرقة. شعر بينا نحن في لهو وفي طرب. بدا السحاب قران صوته جلل. وان كنت مشوقا بطلعته. معنى وافتقر منه كرم
والطلل. فالعيش مرتحل والوجد متصل. والدمع منهمك والقلب مشتعل. وناداهما ربهما بنداء العزة والكبرياء. الم انهكما عن تلكما الشجرة فانها تبين
العزيز وتزيل النعيم وتذهب الطرب وتورث التعب والنصب. ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن في عداوته صداقة مخفية تظهر ولو بعد حين. شعر
وانجلسا في قول ناب دراهم. اذ قيل لي مغضبا من انت يا رجل. فانغسلا بماء الخجلة منها رعونات البشرية ولوث العجب والانانية فرجعا عما طمعاه
ووقفا لديه وعلما ان لا منجا ولا ملجا منه الا اليه فقالا ربنا ظلمنا انفسنا بان اوقعناها في شبكة المحنة المحبة تعبنا وللمحبة تعيينا بالزوال وان لم تغفر لنا
بنوال الوصال وترحمنا بتجلي الجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى. فامرا بالصبر على الهجر. وقيل اهبطوا بعضكم لبعض
عدو النفس عدو القلب والروح والقلب عدو لما سوى الله. ولكم اي للنفس والقلب والروح في ارض البدن مقام وتمتع في الشريعة باستعمال
الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين يصير النفس مطمئنة فيستحق لخطاب ارجعي من الهبوط. وارتقى بعد السقوط. شعر ان الامور اذا انسدت مسالكها
فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا. لا تياسن وان طالت مطالبه اذا استعنت بالصبر ان ترى فرجا. اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب
ان يلجا. قال فيها اي في المحبة تحيون بصدق المحبة وقرع باب العزة. وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى عالم الحقيقة

يابني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس
التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ۞
يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ۞ واذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر
بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ۞ قل امر ربي بالقسط
واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين

كما بدأكم تعودون فريقا هدى و فريقا حق عليهم الضلالة انهم
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله و يحسبون انهم مهتدون
يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد و كلوا و اشربوا و لا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين ۞ قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده و الطيبات من الرزق قل هي للذين في الحيوة الدنيا امنوا
خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ۞
قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الاثم و البغي بغير
الحق و ان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا و ان تقولوا
على الله ما لا تعلمون ۞ و لكل امة اجل فاذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون صدق الله

القراءة ورياش ابو زيد عن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي الباقون بالرفع خالصة بالرفع نافع الآخرون بالنصب ربي الفواحش مرسلة الياء حمزة الوقوف وريشا ط لمن قرأ ولباس مرفوعا ومن قرأ بالنصب وقف على التقوى خير ط يذكرون ه سوآتهما ط لا يؤمنون ه امرنا بها ط بالفحشاء ط ما لا تعلمون ه الدين ط تعودون ط على جواز الوصل لرد النهاية الى البداية الضلالة ط مهتدون ه ولا تسرفوا ج لاحتمال الفاء فيها ولا يستقدمون ه التفسير لما ذكر ان الارض مستقر لبني آدم ذكر انه انزل كل ما يحتاجون اليه في الدين والدنيا فقال يا بني آدم قد انزلنا وايضا ذكر واقعة آدم في انكشاف العورة وانه كان يخصف عليها اتبعه ذكر اللباس الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بان الستر باب من ابواب التقوى ومعنى انزال اللباس انه قضي ثم وكتب او انه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال ومن قرأ رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهري الريش والرياش بمعنى كاللبس واللباس وهو اللباس الفاخر ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شيء يعيش به الانسان من متاع ومنه قولهم ريشت فلانا اصلحت حاله وقال ابن السكيت الريش مختص بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على سائر الاموال اما قوله ولباس التقوى فمن قرأ بالنصب فعلى المنصوبين قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة كالضمائر في صلوح العود بها واما المفرد الذي هو خير لكم وذلك بدل او عطف بيان او صفة بتأويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما لتعظيم لباس التقوى واما ان يكون المراد بلباس التقوى هو اللباس الموارى للسوأة اي لان موارة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس اي اللباس الذي انزله الله تعالى ليوارى به السوأة هو لباس التقوى لان قوما من اهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب [illegible]

منسوبة الى الشيطان واجيب بانه لا بد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعي ثم علل النهي واكد التحذير بقوله انه يريكم هو وقبيله اي جماعته من الشياطين وقال ابن قتيبة اي اصحابه وجنده وقال الليث اي هو ومن كان من قبيله اي جماعته من حيث لا ترونهم اي يكيدونكم ويغتالونكم من حيث لا تشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن الانس كثافة اجسام الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوي ابصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله تعالى في قوة ابصارنا لرأيناهم كما يرى بعضنا بعضا ولو انه تعالى كثف اجسامهم وبقيت ابصارنا على هذه الحالة لرأيناهم وقال اهل السنة انهم يرون الانس لانه تعالى خلق في عيونهم ادراكا والانس لا يرونهم لانه تعالى لم يخلق هذا الادراك في عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم حيثما دل اوقات الاستقبال من غير تخصيص فيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة ولو قدر الجن على تغيير صور انفسهم باي صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن معرفة الناس حتى الزوجة والولد ولو كانوا قادرين على تخبيط الناس وازالة العقل عنهم لكان اولى الناس بذلك العلماء المشايخ لان العداوة بينهم وبين خواص الانس اشد وعن مجاهد قال ابليس اعطينا اربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله تعالى والضمير في انه للشان وهو تأكيد ليصح العطف على المرفوع المتصل ثم قال انا جعلنا الشياطين اولياء واحتج اهل السنة به على انه تعالى هو الذي سلط الشياطين عليهم حتى اضلهم واغواهم ويتأكد هذا النص بقوله انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا واجاب القاضي بان المراد من الجعل الحكم بان الشيطان ولي لمن لا يؤمن او المراد التخلية بينهم وبينهم كمن يربط الكلب في داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل اجيب بان حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وايضا انه حكم اذا حكم بذلك فهل يمكن مخالفة حكم الله وبان الارسال انما يصدق على التخلية المجردة قوله واذا فعلوا فاحشة قال بعضهم نزلت في اتخاذهم البحاير والسوائب وقيل في الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشة المتزايدة في القبح اعني الكبيرة والمراد انهم كانوا يفعلون اشياء هي في انفسها فواحش ويعتقدون انها طاعات فوبخوا على ذلك لينتهوا عنها ثم انه حكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يذكر جوابها لظهور بطلانها عند كل عاقل والثانية ان الله امرهم بذلك فاجاب عنها بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء فللمعتزلة ان يحتجوا به على ان الشيء انما يقبح لوجه عائد اليه وان كونه في نفسه من الفحشاء مغاير لتعلق الامر والنهي به ولتأكد هذا المعنى بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون والجواب ان عدم الامر بالفحشاء لا ينافي ارادة الفحشاء ومشيتها ونحن لا ندعي الا انه تعالى مريد لجميع الكائنات وان شيئا منها لا يخرج عن حكمه وارادته وتقديره مع انه لا يأمر الا بالعدل والصواب كما قال قل امر ربي بالقسط قال عطاء والسدي اي بالعدل وبما ظهر في العقول كونه حسنا وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله ويندرج فيه معرفة الله تعالى بذاته وافعاله واحكامه اما قوله واقيموا فليس من باب عطف الطلب على الخبر وانما التقدير وقل اقيموا وجوهكم اي استقبلوا او استقيموا عند كل مسجد في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وكان المعنى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلوة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد اذا حضرت الصلوة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجد قومي ثم لما امر بالتوجه الى القبلة امر بعده بالدعاء والاظهر ان المراد به اعمال الصلوة سميت دعاء لان اشرف اجزاء الصلوة هو الدعاء والذكر ويمكن ان يقال بمعنى العبادة فيكون كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم ذكر ما يدل على العاد وتحقق الجزاء فقال كما بدأكم تعودون قال الحسن ومجاهد كما بدأكم خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون احياء وعن ابن عباس المراد كما خلقكم مؤمنا او كافرا تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله تعالى في اول الامر للشقاوة يعمل بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل اهل السعادة وكانت عاقبته السعادة ويؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وانتصاب فريقا الثاني بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل او اضل فريقا حق عليهم الضلالة كقوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم قال القاضي المعنى فريقا هدى الى الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة اي العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذي يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق ان يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز ان يأمر انبياءه باضلالهم عن الدين كما يأمرهم باقامة الحدود المستحقة واجيب بان قوله هدى وحق مطلق وحمله على المفعول خلاف الظاهر وبان الهدى الى الجنة او الضلال عنها لا بد ان يكون محكوما به في الازل وخلاف حكمه محال ثم بين ان الاجلة حقت على هذه الفرقة لعلل اي السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله فضلوا دعوتهم دون دعوته ولم يتأملوا في التمييز بين الحق والباطل ثم عين ان جهلهم مركب لا بسيط فقال ويحسبون انهم مهتدون وفيه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في اصول الدين بل لا بد فيه من الجزم واليقين ثم لما امر بالقسط وكان من جملته امر اللبس والمأكول والمشروب وايضا امر باقامة الصلوة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلا جرم يا بني آدم خذوا زينتكم عن ابن عباس قال كان اناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق على سفليها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر من الذباب وهي تقول شعر اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه انهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما يتعرون وقال الكلبي كان اهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في ايام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يا رسول الله نحن احق بذلك فانزل الله الآية قال اكثر المفسرين المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى ولا يبدين زينتهن يعني الثياب وايضا الزينة لا تحصل الا بستر التام للعورات ولانه يناسب ما تقدم من ذكر اللباس والرياش ولان ظاهر الامر للوجوب وكل ما سوى اللبس غير واجب فوجب حمل الزينة على اللبس عملا بالنص بقدر الامكان والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية تقتضي وجوب اللبس التام عند كل صلوة ترك العمل به في القدر الذي لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا بقي الباقي داخلا تحت اللفظ فاذن ستر العورة واجب في الصلوة والا فسدت صلوته قال اصحاب ابي حنيفة من لبس الثوب المغسول بالماء الورد على اقصى وجوه النظافة اخذ الزينة فيكفي في صحة الصلوة واجيب بان اللام في قوله واقيموا الصلوة ينصرف الى المعهود السابق وهو صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم قلتم انه صلى في الثوب المغسول بماء الورد واما قوله وكلوا اي اللحم والدسم واشربوا فقد قيل انهما امر اباحة بالاتفاق فوجب ان يكون اخذ الزينة ايضا على الاباحة واجيب بانه لا يلزم من ترك الظاهر في المعطوف تركه في المعطوف عليه مع ان الاكل والشرب قد يكونان واجبين ايضا في الجملة وهما يشتملان جميع المطعومات والمشروبات وقتا ولا الاحوال والاوقات الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل ايضا مؤكد لهذا المعنى لان الاصل في المنافع الحل والاباحة وفي قوله ولا تسرفوا وجهان اولهما انه يأكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره والثانية وهو قول ابي بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم اخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وايضا انهم حرموا على انفسهم في وقت الحج ما احلها الله تعالى لهم قال بعض العلماء ان حمل الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغي اولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي عن ابن عباس كل ما شئت

والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وحكي ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد صاحب المعارف ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء من الطب فقال قد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك بقوله قل من حرم زينة الله قال ابن عباس وكثير من المفسرين هي اللباس الساتر للعورة وقال اخرون انها تتناول جميع انواع الزينة من الملابس والمراكب والحلي وكذا كل ما يستطاب ويستلذ من الماكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غلبني حديث النفس عزمت على ان اختصي فقال مهلا يا عثمان فان خصاء امتي الصيام قال فان نفسي تحدثني بالترهب قال ترهب امتي القعود في المساجد لانتظار الصلوات قال تحدثني نفسي بالسياحة قال سياحة امتي الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسي تحدثني ان اخرج مما املك فقال الاولى ان تكفي نفسك وعيالك وان ترحم المسكين واليتيم وتعطيه افضل من ذلك فقال نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال ان الهجرة في امتي هجرة ما حرم الله تعالى قال فان نفسي تحدثني ان لا اغشاها قال ان المسلم اذا غشي اهله او ما ملكت يمينه فان لم يصب من وقعته تلك ولدا كان له وصيف في الجنة وان كان له ولد مات قبله او بعده كان له قرة عين وفرح يوم القيامة وان مات قبل ان يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيمة قال فان نفسي تحدثني ان لا اكل اللحم قال مهلا اني اكل اللحم اذا وجدته ولو سالت الله ان يطعمنيه كل يوم فعله قال فان نفسي تحدثني ان لا امس الطيب قال مهلا فان جبرئيل امرني بالطيب غبا وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتي فانه من رغب عن سنتي ومات قبل ان يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي واعلم ان كل واقعة تقع فاما ان لا يكون فيها نفع ولا ضرر او يتساوى ضررها ونفعها فوجب الحكم في القسمين ببقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا وجب الاطلاق الاية وان كان الضرر خالصا كان تركه خالص النفع فيلتحق بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر مرجوحا يقابل المثل بالمثل ويبقى القدر الزائد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقي القدر الزائد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا فبهذا الطريق صارت هذه الاية دالة على الاحكام التي لا نهاية لها في الحل والحرمة الا ان يجد نصا خاصا في الواقعة فيقضي به تقديما للخاص على العام قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما ان يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضايعا لان هذا النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس مخصصا لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص اولى من العمل بالقياس فان القران واف ببيان جميع الاحكام الشرعية والله تعالى اعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت في الحيوة الدنيا لاجل المؤمنين بالاصالة والكفرة بالتبعية كقوله ومن كفر فامتعه قليلا واما في الاخرة فانها خالصة لهم فقال قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة من قرا بالرفع فلانه خبر بعد خبر قال ابو علي او على الخبر وللذين امنوا متعلق به والتقدير هي خالصة للذين امنوا في الحيوة الدنيا يوم القيمة وعلى هذا يكون في الحيوة ظرفا لامنوا ويوم القيمة ظرفا لخالصة فيفهم من ذلك انها في غير يوم القيمة غير خالصة بل يكون مشوبة بزحمة الكفار وعلى الاول يكون في الحيوة ظرفا لمحذوف اي هي للذين امنوا غير خالصة في الحيوة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيمة ومن قرا بالنصب فعلى الحال والتقدير كما ذكرنا انفا كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين اصول الافعال المحرمة وحصرها في ستة انواع لان الجناية اما على الفروج واشار اليها بقوله قل انما حرم ربي الفواحش الكباير والاثم الصغاير وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كانه خصص اولا ثم عمم واما ان يكون الجناية على العقول او الاموال او الاعراض واليه الاشارة بقوله والبغي بغير الحق ومعنى بغير الحق ان يقدموا على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا ان يكون لهم فيه حق فحينئذ يخرج عن ان يكون بغيا واما ان يكون الجناية على الاديان اما بالطعن في التوحيد واليه الاشارة بقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي حتى ينزل واما بالافتراء على الله وذلك قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فان قيل الفاحشة وغيرها هي التي نهى الله تعالى عنها فيصير تقدير الاية انما حرم ربي المحرمات وهذا كلام خال عن الفائدة فالجواب ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله في ذاته على امور باعتبارها يجب النهي عنه فيزول الاشكال ثم شدد امر التكاليف بالاجال المحدودة والانفاس المعدودة فقال ولكل امة اجل عن ابن عباس والحسن ومقاتل معناه انه تعالى امهل كل امة كذبت رسولها الى وقت معين لا يعذبهم قبل ذلك ولا يؤخرهم عنها والمقصود وعيد اهل مكة وقيل معناه ان اجل العمر لا يتقدم ولا يتاخر سواء الهالك والمقتول والاكثر على القول الاول لانه ليس لكل امة من الامم وقت معين في نزول عذاب الاستيصال وعلى الثاني انه كان ينبغي ان يقال ولكل انسان واحد اجل ويمكن ان يقال الامة هي الجماعة في كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت في الاجال فزال السؤال وليس المراد انه تعالى لا يقدر على تبقيته ازيد من ذلك ولا انقص ولا يقدر على ان يميته الا في ذلك الوقت لان هذا يقتضي خروجه سبحانه وتعالى عن كونه قادرا مختارا او صيرورته كالموجب لذاته بل المراد انه تعالى اخبار ان الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان اقل ما يستعمل في تقليل الاوقات عرفا و والساعة في اصطلاح اهل التنجيم جزء من اربعة وعشرين جزءا من يوم بليلته قيل عند حضور الاجل يمتنع عقلا وقوع ذلك الاجل في الوقت المتقدم فما معنى ولا يستقدمون والجواب ان مجيء الاجل محمول على قرب حضور الاجل لقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على الوقت تارة والتاخر عنه اخرى والله اعلم

التاويل

قد انزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يواري سوات الافعال القبيحة في الظاهر وسوات الصفات الذميمة النفسانية والحيوانية باداب الطريقة في الباطن وريشا زينة وجمالا في الظاهر والباطن ولباس التقوى هو لباس القلب والروح والسر والخفي فلباس القلب من التقوى هو الصدق في طلب المولى فيواري به سوات الطمع في الدنيا وما فيها ولباس الروح من التقوى هو محبة المولى فيواري سوات التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى فيواري بها رؤية غير المولى ولباس الخفي من التقوى بقاؤه بهوية المولى فيواري بها هويته وهوية غير المولى ذلك خير لان لباس البدن بالتقوى ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ذلك من ايات الله اي انزال الشريعة والحقيقة مما يدل على المولى ولا يفتننكم الشيطان بالدنيا وما فيها ومتابعة الهوى فيخرجكم عن جنة الصدق في طلب الحق كما اخرج ابويكم من الجنة وجوار الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك نهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سواتهما من مخالفة الحق وما علما ان فيهما هذه الصفة ومن جملة سواتهما كل كمال ونقصان كان مستورا فيهما فاراهما بعد تناول الشجرة انه يريكم هو وقبيله يعني الروحانيين الذين لا صورة لهم في الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي يتولد عن الاوصاف البشرية كما راوا في ادم وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها من حيث لا ترونهم اي انهم يرونكم من حيث البشرية التي منشاؤها الصفات الحيوانية وانتم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث الروحانية التي هي منشا علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وانتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنور الرباني انا جعلنا الشياطين اولياء خلقناهم

مستعدين لتولية امور اهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب الدنيا وجيفها قالوا انا وجدنا اباءنا على محبة الدنيا وشهواتها والله امرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوة واللباس ليقوم باداء حق العبودية وذلك قوله قل امر ربي بالقسط كما بداكم لطفا او قهرا تعودون اليه فاهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة واهل القهر الذين حقت عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيسحبون في النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين اثار السجود وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا في مقام العندية كما قال ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط في حفظ القوة بحيث تضيع حقوق العبودية زينة الله فزين الابدان بالشرايع واثارها وزين النفوس بالاداب واسرارها وزين القلوب بالشواهد وانوارها وزين الارواح بالمعارف واسرارها وزين الاسرار بالطوالع واثارها لمن يقتدي الطلب بهذه المقامات وهي مباحة له من غير تاخير وقصور وخطر ومنع والطيبات من الرزق لم يكن مشوبا بحظوظ النفس فهذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادة في الدنيا مشوبة بشوائب الافات النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيمة من هذه الافات والكدورات كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الفواحش ما يقطع على العبد طريق السلوك الى الرب ففاحشة العوام ما ظهر منها ارتكاب المناهي وما بطن خطورها بالبال وفاحشة الخواص ما ظهر منها [illegible]

[illegible]

يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ والذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۝ فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله قالوا
ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ۝ قال ادخلوا
في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة
لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم
ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار ۝ قال
لكل ضعف ولكن لا تعلمون ۝ وقالت اولاهم لاخراهم
فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ۝
ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب
السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك
نجزي المجرمين ۝ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش و
كذلك نجزي الظالمين ۝ والذين امنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون ۝ ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم

الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ● صدق الله العظيم

خلق اولا بني الجان منهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى اهل الكفر منهم بعث اليهم جندا من الملائكة قيل رئيسهم ابليس فاستأصلوهم ثم خلق آدم وذريته فمنهم مؤمن ومنهم كافر كلما دخلت امة في اعمال اهل النار لعنت اختها المتقدمة في تلك الاعمال لانهم سنوها حتى اذا اداركوا الكل في الاعمال الموجبة للنار فآتهم ضعفا لان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها لكل ضعف لان المتأخر ايضا يقتدي بالمتقدم الذي يتلوه ويستن بسنته ولكن لا تعلمون انكم متقدمون لمتأخريكم فما كان لكم علينا من فضل لانكم سننتم لمتأخريكم كما سننا لكم لا تفتح لهم ابواب سماء القلوب في الحضرة ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة في سم خياط احكام الشريعة وآداب الطريقة او حتى تصير بالتربية في ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ما سوى الله ادق من الشعر بالف مرة فيلج في سم خياط الفنا فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزي المجرمين الذين صارت انفسهم في حمل الاوزار كالجمل لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفة النفس وقمع الهوى لحاف فتذيبهم وتحرق انانيتهم لا نكلف نفسا الا وسعها فنرفع عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى يتيسر العبودية بحسن التوفيق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ۝ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون ۝ وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ۝ واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ۝ ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ۝ اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ۝ ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ۝ الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ۝ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ۝ هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ۝

القراءات نعم بكسر العين حيث كان علي الباقون بالفتح مؤذن بغير الهمزة البخاري عن ورش ويزيد والشموني وحمزة في الوقف ان مخففة لعنة بالرفع عاصم وابو عمرو وابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون مشددة وبالنصب الوقوف حقا لانتهاء الاستفهام نعم للعطف مع الابتداء بالتأذين على التعظيم الظالمين لا لان الذين صفتهم عوجا ج لاحتمال الواو الاستئناف والحال كافرون ه لان ما بعده لم يدخل في التأذين ولم يجز ان يكون حالا حجاب لتناهي حال الفريقين مع اتفاق الجملتين بسيماهم يطمعون ه اصحاب النار لان بعده جواب اذا الظالمين ه تستكبرون ه برحمة لتناهي الاستفهام والاقسام تحزنون ه رزقكم الله الكافرين ه الحيوة الدنيا

للابتداء مع فاء التعقيب هذا لان ما مصدرية كما في كما نسوا والتقدير كنسيانهم وجحودهم يجحدون ه يؤمنون ه الا تأويله ط بالحق ج لابتداء الاستفهام مع فاء التعقيب كنا نعمل يفترون ه

التفسير ولما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار اتبعه المناظرات التي تدور بين الفريقين فقال ونادى وانما ذكر بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه من حيث تحقق وقوعه كالماضي والظاهر ان هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها قيل الجنة في اعلى السموات والنار في اسفل الارض ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء واجيب بان البعد الشديد والقرب القريب عندنا ليس من موانع الادراك ولو سلم المنع في الشاهد فلم يسلم في الغائب وهذا النداء يقع من كل اهل الجنة لكل اهل النار لان اصحاب الجنة واصحاب النار يفيد العموم لان الجمع اذا قوبل بالجمع يوزع الفرد على الفرد ولكل فرد من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار وان في ان وجدنا مفسرة او مخففة من الثقيلة كما مر في قوله ان تلكم الجنة وكذا قوله ان لعنة الله لان النداء والتأذين في معنى القول قال ابن عباس وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب في الدنيا حقا صحيحا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن في قلب العدو وفي هذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما في سائر الآيات واما حذف المفعول في وعد ربكم لدلالة المفعول في وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين ويحتمل ان يكون الاطلاق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيامة قالوا نعم قال سيبويه نعم عدة وتصديق اي يستعمل تارة عدة وتارة تصديقا فاذا قال اتعطيني قال نعم فهو عدة واذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقت والحاصل ان نعم للتصديق في الخبر وللتحقيق في الاستفهام مثبتين كانا او منفيين ولو قيل قام زيد او اقام زيد فتقول نعم كان معناه نعم قام زيد مصدقا او محققا ولو قيل ما قام زيد او لم يقم زيد فقلت نعم كان المعنى نعم ما قام زيد مصدقا او محققا ومن ثمه قال ابن عباس لو قالوا في جواب الست بربكم نعم لكان كفرا وهذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل اليس لي عليك دين فقلت نعم لزمك الدين بناء على العرف الطارئ بعد الوضع وكنانة تكسر العين من نعم وروي عن عمر رضي الله عنه انه سأل قوما عن شيء فقالوا نعم فقال عمر رضه اما النعم فالابل قولوا نعم وانكر هذه الرواية ابو عبيدة فأذن مؤذن قال ابن عباس هو ملك صاحب الصور يأمره فينادي نداء يسمع اهل الجنة واهل النار ومعنى التأذين النداء والتصويت للاعلام ومنه الاذان لانه اعلام بالصلوة وبوقتها والظالمون في الآية قيل هم الكافر والفاسق والظاهر انهم الكفار لان الصد عن سبيل الله المنع عن قبول الدين الحق بالقهر او بالحيلة والقاء الشكوك او الشبهات في الدلائل وهو المراد بقوله ويبغونها عوجا وقد مر في آل عمران والكفر بالآخرة كلها من اوصاف الكفرة وانما قدم بالآخرة تصحيحا للفواصل اذ لو لم يزد لفظة هم هنا على القياس اي في سورة هود فقال تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ثم قال الا لعنة الله على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك لالتبس انهم هم ام غيرهم فكرر ليعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف اهل الجنة والنار فقال بينهما يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين حجاب وهو السور المذكور في قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب قيل اي حاجة الى ضرب هذا السور والجنة فوق السموات والجحيم في اسفل سافلين واجيب بان بعد احدهما عن الآخر لا يمنع ان يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع عرف بالضم وهو الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه والاعراف في الآية تفسر بالمكان تارة وبغيره اخرى اما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الاعراف اعالي السور المضروب بين الجنة والنار وروي عن ابن عباس رض وعنه ايضا ان الاعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف من هم فيه قولان احدهما انهم اقوام يكونون في الدرجة العليا من الثواب الثاني انهم في الدرجة النازلة وعلى الاول فيه وجوه فقال ابو مجلز هم ملائكة يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل له يقول الله تعالى وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملائكة فقال الملائكة ذكور لا اناث ورد عليه ان الرجل يطلق لغة على من يصلح ان يكون من نوعه انثى بل يطلق على الذكر من بني آدم وقيل انهم الانبياء عليهم السلام اجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالي اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثاني قيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم اوقفهم الله تعالى على هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يؤول عاقبة امرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قاله حذيفة وابن مسعود رض واختاره الفراء وخصصه بعضهم فقال هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن آبائهم فاستشهدوا فتساوت معصيتهم طاعتهم وفي هذا التخصيص نظر وقال عبد الله بن الحارث انهم مساكين اهل الجنة وقال قوم هم الفساق من اهل الصلوة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف واما الذين فسروه بغير المكان وهو قول الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة اهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض او بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا ادري لعل بعضهم الآن معنا وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون اهل الجنة واهل النار قال قوم يعرفون اهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة مستبشرة وبيضاء واهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بان هذا النوع من المعرفة عام لاهل المحشر فلا وجه لتخصيص اصحاب الاعراف به ويمكن ان يقال ان معرفتهم لكونهم على الاماكن المرتفعة ابين وقال المحققون انهم كانوا يعرفون اهل الخير والايمان والصلوة واهل الشر والكفر والفساد وهم كانوا في الدنيا شهداء الله على اهل الايمان والطاعة وعلى اهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الاعراف ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل احد بما يليق به ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على اهلها ثم اخبر على سبيل الاستئناف كأن سائلا سأل عن حالهم او على انه صفة اخرى لرجال ان اهل الاعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها فان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف فيكون الله تعالى اخر دخولهم الجنة ليطلعوا على احوال الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى الدرجات العلى في الجنة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في وسط السماء وان ابا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ولا يخفى ما في هذه العبارة من حسن الآداب وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون من فضل الله واحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قال الواحدي التلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة وهو في الاصل مصدر استعمل ظرفا ولم يأت من المصادر على تفعال بالكسر الا حرفان تبيان وتلقاء وانما في الاسم كثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما وقعت ابصار اصحاب الاعراف على اهل النار تضرعوا الى الله تعالى ان لا يجعلهم من زمرتهم وفي بناء الفعل للمفعول وان لم يقل واذا ابصروا فائدة هي ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا ويستعيذوا ويتحققوا ثم ان اصحاب الاعراف ينادون رجالا من اكابر اهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم بما لا يليق الا بهم فقال ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم زادوا في التبكيت مشيرين الى فريق من اهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويحتقرون احوالهم وربما استهزؤا بهم واقسموا ان مشاركتهم في دينهم لعلة حظوظهم من الدنيا فقالوا اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم قالوا ادخلوا الجنة فهذا من قول الله تعالى لاصحاب الاعراف او من قول الملائكة لهم بامره او من قول بعضهم لبعض وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويقولوا ما قالوا قال المفسرون الرجال هنا الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي ونظراؤهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان وعمارا وامثالهم

... النار كلا والله ان الله لا يفضل علينا خدمنا وعاشنا اقسموا ان لا يخصهم بفضل دونهم فنادوهم اصحاب الاعراف ...

[illegible]

[illegible]

ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ۞ ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ۞ ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين ۞ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ۞ والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ۞ صدق الله العظيم

القراءة [illegible]

[illegible]

بل على نحو آخر تعجز العقول عنه ومنها انه تعالى لو كان في مكان وجهة لكان اما ان يكون غير متناه من الجهات او متناهيا من كل الجهات او متناهيا من بعضها
دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى القاذورات ومع ذلك فالشيء الذي هو محل السموات اما ان يكون عين الشيء الذي هو محل الارض
او غيره وعلى الاول يلزم ان يكون السماء والارض حالتين في محل واحد فهما شيء واحد لا شيئان وعلى الثاني يلزم التركيب والتجزية في ذاته قطعا واما ان
كان متناهيا من الجهات فلو حصل في جميع الاحياز فهو محال بالبداهة وان حصل في حيز واحد فلو كان جوهرا فردا لزم ان يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا
لزم التبعيض لان جهة الفوق منه تكون مغايرة لمقابلها وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من بعض الجهات ولو جاز ان يكون الشيء المحدود من جانب او من جوانب
قديما ازليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز ان يقال فاعل العالم هو الشمس او القمر او كوكب آخر وايضا يصح على الشيء المتناهي ان يكون غير متناه وعلى غير المتناهي ان يكون
متناهيا لان الاشياء المتساوية في تمام الماهية كل ما صح على واحد منها صح على الباقي فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفرق والتمزق على ذاته تعالى
فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقائل ان يقول انه غير متناه ولا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستصحاب الشيء للمحل غير كونه نفس
المحل او مفتقرا الى المحل وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل لا اصل له عند الرجل الرباني ومنها انه لو كان الباري تعالى حاصلا في المكان والجهة لكان الامر
المسمى بالجهة اما ان يكون موجودا مشارا اليه او لم يكن فان كان موجودا كان له بعد وامتداد ولما حصل فيه ايضا بعد وامتداد فيلزم تداخل البعدين ومع ذلك
يلزم كون العدم المحض ظرفا لغيره ازليين ضرورة كون الباري تعالى ازليا ومحال ان يكون ما سوى الواجب ازليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم
المحض ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بان ذلك ايضا وارد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة واجيب بان مكان
الجسم عندنا عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحوي وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله تعالى محال فسقط الاعتراض ولقائل ان يقول الجهة متعلق الاشارة
الحسية وهذا في حقه محال لعدم تناهيه ولم لا يجوز ان يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هناك لزم في الاجسام ايضا بل لا بعد هناك
ولا امتداد ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام في الخارج ومنها انه لو امتنع وجود الباري تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة في تحققها
ووجودها الى الغير فيكون ممكنا والجواب ما مر من ان استصحاب المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة لا معنى له الا الفراغ المحض ولان هذا
المفهوم واحد فالاحياز باسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل ما كان فعلا لفاعل مختار
فهو محدث فحصوله في الحيز محدث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو اولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل ان يقول لا يتناهى العقل له
حيز معين ولو فرض لا تناهي الاحياز ايضا فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشيء الى ما تأخر وجوده عن وجود ذلك الشيء والمعية بعد ذلك لا تضر
ومنها لو كان في الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزي والا لكان نقطة او جوهرا فردا فلا يبعد ان يقال ان اله العالم
جزء من الف جزء من رأس ابرة منقسمة بنصف قملة او نملة ولقائل ان يقول لا نسلم ان كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم كونه مشارا اليه
حسا فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقي الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمة بالنفس مشار اليها بجانب الحس فلا بد ان يكون جانب
يمينه مغاير الجانب شماله فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبني على نفي الجوهر الفرد ومنها لو كان في حيز لكان اما اعظم من العرش
او مساويا له او اصغر منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوي للمنقسم منقسم وكذا الزائد عليه لان القدر الذي فضل به عليه
مغاير لما سواه ولقائل ان يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الانوار وتستحيل هذه التقادير منه ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات
كما زعم الخصم لزم لا تناهي الابعاد وانه محال لبرهان تناهي الابعاد ولقائل ان يقول ان براهين تناهي الابعاد لا تتم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسماني
فلا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا في الحيز وكونه هناك اما ان يمنع من حصول جسم آخر فيه او لم يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام
في هذا المعنى ثم انه ان لم يحصل بينه وبينها مخالفة بوجه آخر صح عليه ما صح عليها من التغيرات وانه محال وان حصل بينه وبينها مخالفة من سائر الوجوه
كان ما به المشاركة مغايرا لما به المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وايضا ان ما به المشاركة وهو طبيعة البعد والامتداد اما ان يكون محلا لما به المخالفة او
فيه او لا هذا ولا ذاك فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه والامور التي بها حصلت المخالفة اعراض وصفات واذا كانت الذوات متساوية
في تمام الماهية فكل ما يصح على بعضها يصح على البواقي وكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى
وان كان ما به المخالفة محلا وذاتا وما به المشاركة حالا وصفة فذلك المحل ان كان له ايضا اختصاص بحيز وجهة فيجب افتقاره الى محل آخر لا الى نهاية والا
كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا وامتدادا هذا خلف وان لم يكن حالا ولا محلا كان اجنبيا مباينا فيكون ذات الله تعالى مساوية لتمام الاجسام في الماهية
ويصح عليه ما يصح عليها هذا محال وعلى التقدير الثاني وهو ان ذاته تعالى لا يمنع من حصول جسم آخر في حيزه لزم منه ما يترتب على ذلك الجسم وتداخل البعدين
كابر والكل محال والمقدم وهو كونه تعالى في حيز محال ولقائل ان يقول كون الباري تعالى في الحيز مغاير لكون الجسم في الحيز فاين الاشتراك فلو سلم فالاشتراك
في اللوازم لا يوجب الاشتراك في الملزومات فمن اين يلزم التركيب قوله فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قائما بنفسه حق ولكن
الملازمة ممنوعة وكذا قوله الامور التي بها حصلت المخالفة اعراض وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطء والسرعة القائمين بالحركة قوله والا كان
موجودا مجردا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال وجود بعد مجرد بل من وجوبه والكلام في سرايته في الموجودات قد مر ومنها لو انه كان في حيز فان امكنه التحرك
منه بعد سكونه فيه كان المؤثر في حركته وسكونه فاعلا مختارا وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث وما لا يخلو عن المحدث اولى بان يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه
كان كالزمن المقعد العاجز وذلك محال وايضا لا يبعد فرض اجسام اخرى مختصة باحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن اثبات حدوث الاجسام
بدليل الحركة والسكون والكرامية يساعدون على انه كفر ولقائل ان يقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى الاحياز فاما النور المجرد فلا يوصف
بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والمتحيز سلمنا وجوب اتصافه باحدهما فلم لا يجوز ان لا يمكنه التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لانه نور غير متناه لا يصح
وصفه بالتخلخل والتكاثف ونحو ذلك فيستحيل عليه الحركة لانها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز آخر ولان العالم النوراني الذي لا نهاية له مملو منه فكيف
يتصور خلو حيز عنه ومنها انه لو كان مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان اله العالم جبلا حجريا واقعا
في الحيز العالي وان كان نورا محضا جاز ان نفرض هذه الانوار التي تشرق على الجدران الها وايضا كان له طرف وحد فان كان ذا عمق وثخن كان كثيفا
غير ظاهر والا كان سطحا في غاية الرقة مثل قشر الثوم بل ارق منه الف الف مرة قلت ان امثال هذه الكلمات لا تصدر الا عمن لا يفرق بين النور المعقول
والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادي والشيء القائم بذاته والمفتقر الى غيره ومن العجب العجاب ان هذا المستدل قد سمع من جمهور العقلاء ان الاجرام الفلكية
لا تتعلق عليها الصلابة واللين واذا جاز ان يكون في انواع الاجسام نوع لا يمكن ان يتصف بهذين وان ذلك الموضع اجل واشرف من ان يتصف
باحدهما فلم لا يجوز ان يكون فيما هو اشرف من ذلك النوع شيء لا يتصف بهما ومنها لو كان اله العالم فوق العرش لكان مماسا للعرش او مباينا له ببعد

متناه

[illegible]

العالمين ولم يزد موسى على ذكر الاوصاف واما فرعون فقد طلب [illegible]
والتحيز دين فرعون والجواب لا نزاع في ان حقيقة ذاته كما هي لا يعلمها الا هو والبسائط المحضة لا تعرف الا باللوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه يعتقد
ان يكون للاله شخصا مثله على تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم من اله غيري ومنها هذه الآية لانها تدل على انه استقر على العرش بعد تخليق السموات والارض
وكان قبل ذلك مضطربا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شيء فاذا خلق ما خلق من عالم الاجسام والاختلاط بقي ما وراءه نورا محضا ومنها قصة
ابراهيم عليه السلام وتنزيهه عن الآفلين ولو كان جسما لكان آفلا اي في الامكان والجواب ان نور الانوار جل عن ذلك ولا يلزم من كونه مع جميع الاحياز مع
ما سواها ان يكون في مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول ومنها ان اول الآية وهي قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض يدل على قدرته وحكمته
وكذا يغشي الليل النهار الى آخر الآية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان اجنبيا عما قبله وعما بعده ولانه ليس من صفات المدح اذ لو استقر عليه بق او بعوض
صدق عليه انه استقر على العرش فان المراد بالاستواء كمال قدرته في تدبير الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها والجواب
ان الاستقرار بالتفسير الذي ذكرناه اول شيء على المدح والثناء وحديث البق والبعوض خرافة وما هو الا كقول القائل لو كان واجب الوجود بقا او بعوضا
صدق عليه انه اله فلا يكون الاله دالا على المدح ومنها انه سبحانه حكم في آيات كثيرة بانه خالق السموات فلو كان فوق العرش كان سماء لساكني العرش فان
السماء عبارة عن كل ما علا وسما ومن هذا قد يسمى السحاب سماء فيلزم ان يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم ان كل ما سما وارتفع فهو سماء من غير اعتبار
انه نور او جسم انه ذاته سبحانه مخصوصة بدليل منفصل كقوله الله خالق كل شيء هذا ولغير الموحدين المجسمة المشبهة في الآية قولان الاول القطع بكونه متعاليا
عن المكان والجهة ثم الوقوف على تأويل الآية وتفويض علمها الى الله تعالى الثاني الخوض في التأويل وذلك من وجوه احدها تفسير العرش بالملك و
الاستواء بالاستعلاء اي استعلى على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر شعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم
مهراق وثالثها ذكروا ان العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال استوى على عرشه سرير ملكه اذا استقام
له امره واطرد وثل عرشه وعلا عرشه اي انتقض ملكه وفسد فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم بالوجه الذي الفوه من ملوكهم ورؤسائهم
استقرت عظمة الله تعالى في قلوبهم الا ان ذلك مشروط بنفي التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لا يخفى عليه شيء ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل
ذلك العلم بفكرة وروية ولا باشتغال حاسة واذا قال قادر علموا منه انه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم عرفوا انه غني في ذلك الايجاد
والتكوين عن الآلات والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول في كل من صفاته واذا اخبر ان له بيتا يجب على عباده حجه فهموا منه
انه نصب موضعا يقصدونه لمآربهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وانه لم يجعل ذلك
البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا امرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه انه امرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا بعقولهم انه لا يفرح بذلك التحميد
والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه واذا اخبر انه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش فهموا منه انه بعد ان خلقهما استوى على عرش الملك
والجلال ومعنى التراخي انه يظهر تصرفه في هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان تأثير الفاعل لا يظهر الا في القابل وقال ابو مسلم العرش لغة هو البناء
والعارش الباني قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون فالمراد انه بعد ان خلقها قصد الى تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لها قال سبحانه يغشي
الليل النهار قال صاحب الكشاف اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما اللفظ جميعا وقال القفال لما اخبر باستوائه على العرش وان امر المخلوقات منوط
بتدبيره ومشيئته اراهم ذلك عيانا فيما يشاهدونه لينضم العيان الى الخبر وقدم ذكر الليل والنهار لما في تعاقبهما من المنافع الجليلة فبهما يتم امر الحيوة ثم وصف الحركة
التي يحصلان منها بالسرعة حتى انها في مقدار ما يقول واحد واحد تتحرك الفا وسبعمائة واثنين وخمسين فرسخا من مقعر فلكه والله اعلم بما يتحرك محدبه فان قيل
ما محل الجملتين قلت اما الاولى فمستأنفة كانه قيل فما فعل بعد خلق السموات والارض فاجيب يغشي الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف
يحتمل ان يكون هذه الجملة بيانية واما الثانية ففي محل النصب على الحال من الملوي كان حثيثا منصوب على الحال من الطالب وهو الليل بعينه ثم قال والشمس
والقمر والنجوم مسخرات من قرأها مرفوعات فعلى الابتداء والخبر وكلتا القراءتين حسنة لانك اذا قلت ضربت زيدا مستقيم ان يقال زيد مضروب وقوله بامره متعلق
بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره قال في الكشاف سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن مأمورات بذلك ومنهم من حمل هذا الامر على الامر

الذي هو الحكيم وقيل هذا ابعد ان يكون بامره وسخرها لخلق هذا العالم بالشمس انه سلطان الكواكب وشبه القمر انه كالنائب ووقت سائر النجوم لانها
كالخدم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وللشمس تاثير بالتسخين وللقمر تاثير في الترطيب وتوليد المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان
لا يتم ذلك الا بتاثير الحرارة في الرطوبة ثم انه سبحانه خص كل كوكب بخاصية عجيبة وتاثير غريب لا يعلمه تماما الا مبدعه وخالقه واعلم ان الاجسام
متماثلة في الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور الباهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي وكذا اختصاص كل واحد من سائر الكواكب
ومن الثوابت بقوة اخرى لابد ان يستند الى فاعل حكيم مدبر عليم فلهذا قال مسخرات بامره وايضا ان لكل واحد من اجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا
من المشرق الى المغرب وسيرا اخر بحسب حركة الفلك الاعظم فقوله يغشي الليل النهار تنبيه على ان حدوث الليل والنهار انما هو بحركة الفلك
الاعظم المسمى بالعرش وقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اشارة الى ان العرش يحرك جميع الافلاك والكواكب وانه سبحانه اودع في جرمه قوة
قاهرة قوية باعتبارها قويت على تحريك ما دونه على خلاف طبعها من المشرق الى المغرب وايضا ان اقسام الاجسام ثلثة متحرك الى الوسط وهما
العنصران الثقيلان ومتحرك عن الوسط وهما الخفيفان ومتحرك على الوسط وهي الاجرام الفلكية فكون الافلاك والكواكب متحركة بالاستدارة لا الى المركز ولا
عن المركز لا يكون الا بتسخير الله تعالى ولا مر ما اكثر الله سبحانه في كتابه الكريم من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة باحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار
وكيفية تبدل الضياء بالظلام وبالعكس واحوال الشمس والقمر والنجوم وامر بالنظر في ملكوت السماء والغبراء وبالتفكر فيها فقال اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض اولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان من صنف كتابا
شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على
على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب ان اعتقاد الفريق الثاني يكون اكمل واقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله
محدث حصل له بهذا الطريق اثبات الصانع اما الذي ضم الى هذه المعرفة البحث عن احوال العالم العلوي والسفلي على التفصيل فكان لا يزال ينتقل من برهان
الى برهان ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد وبصيرته تتكامل الى ان يصير عالما محققا اصناف ما اشتمل عليه من الوجوه ولمثل هذه الفوائد والاغراض والغايات
انزل هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات المؤدية الى الاطناب والاسهاب واما قوله الا له الخلق والامر فالخلق عبارة
عن التقدير وتخصيص كل ما هو جسم وجسماني لانه خص بمقدار معين وكل ما كان بريا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجد بامر كن من غير
سبق مادة ومدة فعالم الخلق في تسخيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره وههنا مسائل ذكرها العلماء الاولى انه تعالى
متكلم امرا ناهيا مخبرا مستخبرا لان قوله الا له الخلق والامر دل على ان له الامر فوجب ان يكون له النهي وسائر انواع الكلام ضرورة انه لا قائل بالفرق الثانية
لا خالق الا هو لان قوله الا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر ولو سلم انه لا يفيده فلا اقل من افادة انه خالق بعض الاشياء وحينئذ يثبت المطلوب لان افتقار
المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في كل الممكنات وانه علة الحاجة الى موجود معين فجميع الممكنات محتاجة الى ذلك المعين فالذي يكون
مؤثرا في وجود شيء واحد يجب ان يكون هو المؤثر في جميع الممكنات الثالثة قالت الاشاعرة كل اثر يصدر عن فلك او ملك او جني او انسي فخالق ذلك
الاثر في الحقيقة هو الله تعالى لقوله الا له الخلق والامر ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله والا كان الثاني مدبرا وخالقا وانه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم
وان القول بالطبائع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة واصحاب الطلسمات باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تعالى وان القول بان العلم يوجب
العالمية والقدرة توجب القادرية باطل كل ذلك لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان كلام
مخلوقا لما صح هذا التمييز اجاب الجبائي بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا في الخلق كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وعارضه
الكعبي بقوله فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم ان يكون الكلمات غير الله تعالى فانه
محدث ومخلوق فكلمات الله تعالى مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله تعالى بل المراد به نفاذ ارادته واظهار قدرته
وقال قوم لا يبعد ان يقال الامر داخل في الخلق ولكنه من حيث كونه امرا يدل على نوع اخر من الكمال والجلال فالمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد
الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية ومعنى قوله الا له الخلق انه ان شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر وان شاء
لم يامر ويلزم منه ان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن الامر بحيث مشيئته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر وهذا
خلف واجيب بانه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة في الاية دلالة
على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله تعالى ففعل الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الالم لا يوجب العوض السادسة
دلت الاية على ان القبيح لا يجوز ان يقبح لوجه عائد اليه وان يحسن الحسن لامر عائد اليه والا لم يامر الا بما حصل فيه وجه الحسن ولم ينه الا عما حصل فيه وجه القبح
فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد وهذا خلاف الاية السابعة اطلق الخلق والامر ليعلم انه لو اراد خلق الف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب في اقل
من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان
اهل السنة يقولون معنى قوله الامر انه صفة له فكذا الخلق صفة قائم بذاته فلا يكون مخلوقا واجيب بان الخلق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم منه
قدم المخلوق واما ان يكون حادثا فيفتقر الى خلق اخر ويتسلسل ويمكن ان يقال الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة له الامر يقتضي ان لا امر الا لله وقول النبي صلى الله عليه وسلم
اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان الموجب لامره في الحقيقة هو امر الله تعالى العاشرة في الاية دلالة على ان لله تعالى امرا ونهيا
على عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع لكان واجب الوقوع فكان الامر به تحصيلا للحاصل وان كان معلوم اللاوقوع فكان
الامر به امرا بالممتنع وقوعه وهو محال ايضا انه تعالى ان خلق الداعي الى فعله كان واجب الوقوع والا فلا فائدة في الامر به وايضا الكافر والفاسق لا يستفيد
بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم انه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا لا يليق بارحم الراحمين الحكيم العليم وايضا
التكليف ان لم يكن لفائدة فهو عبث وان كان لفائدة فلابد ان يعود الى المكلف لانه سبحانه غني وجميع الفوائد منحصرة في تحصيل نفع او دفع ضرر والله
قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسط التكليف اضرارا محضا والجواب ان اول الاية دل على انه تعالى هو الخالق لكل العبيد
واذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم وتصرف المالك في ملك نفسه كيف شاء مستحسن وحسن منه تعالى ان يامر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لهم لا كما تقول
المعتزلة من كون ذلك الفعل صالحا او من كونه موجب عوض او ثواب ولما بين ان له الامر والنهي والحكم والتكليف ذكر انه مستحق الثناء والتقديس
فقال تبارك الله رب العالمين والبركة تفسر بامرين احدهما الثبات والدوام ولا ريب انه الواجب لذاته الدائم القائم بذاته الغني بذاته وصفاته
وافعاله واحكامه عن كل ما سواه وثانيهما كثرة الاثار الفاضلة ولا شك ان كل الخيرات والكمالات فائضة من جوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار

وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وارشد الى التكليف الموصل الى سعادة الدارين اتبعه ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب والمآرب الدنيوية
والدينية فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال في الكشاف نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب
على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم او بالكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة
لئلا يلزم التكرار وعطف الشيء على نفسه في قوله وادعوه خوفا وطمعا والاظهر انه على الاصل ومن الناس من انكر الدعاء لان المطلوب بالدعاء ان كان
معلوم الوقوع او كان مرادا في الازل او كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضا
بالقضاء وقد يطلب ما ليس بنافع له وفيه من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق ان الدعاء نوع من انواع العبادة ورفعه يستدعي رفع
كثير من الوسائط والروابط ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روي عنه صلى الله عليه وسلم ما من شيء
اكرم على الله سبحانه من الدعاء الا انه لا بد فيه من الاخلاص والصون عن الرياء واليهما اشار بقوله تضرعا وخفية وقد مر المباحث في تحقيق الدعاء و
شرائطه في سورة البقرة في تفسير قوله واذا سالك عبادي عني ثم ختم الاية بقوله انه لا يحب المعتدين والمسلمون اتفقوا على انه ليس معنى المحبة عند اطلاقها
على الله شهوة النفس وميل الطبع ولكنها عبارة عن ايصال الثواب والخير الى العبد وهذا مبني على قول الكعبي وابي الحسن انه تعالى غير موصوف بالارادة
وان كونه مريدا لافعال نفسه عبارة عن ايجادها وفعلها وكونه مريدا لافعال غيره هو كونه امرا لها واما الاشاعرة ومعتزلة البصرة القائلون بصفة
الارادة فانهم فسروا المحبة بارادته لايصال الثواب وقال بعض العلماء انا نجد في الشاهد ان الاب يحب ابنه فيترتب على تلك المحبة ارادة ايصال الخير
الى ذلك الابن فكانت هذه الارادة اثرا من اثار تلك المحبة وثمرة من ثمراتها غاية ما في الباب ان هذه المحبة في الشاهد عبارة عن الشهوة وميل
الطبع ورغبة في النفس وذلك في حقه تعالى محال الا انا نقول لم لا يجوز ان يقال ان محبة الله صفة اخرى يترتب عليها ايصال الثواب او ارادة الايصال
لكنا لا نعرف تلك المحبة ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشيء لا يوجب العلم بعدم ذلك الشيء ونظير ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مرئيا لكنهم يقولون
ان تلك الرؤية بلا كيف وانها مخالفة لرؤية الاجسام والالوان وعني بالمعتدين المجاوزين ما امروا به فيشمل كل من خالف امر الله ونهيه وقال الكلبي و
ابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء ويؤيده انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهر الامر للوجوب وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء
خفيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب
المرء ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا قوله تعالى انه لا يحب المعتدين
ومن ههنا اختلف ارباب الطريقة ان الاولى في العبادات الاخفاء ام الاظهار فقيل الاولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الاولى الاظهار
ليرغب غيره في الاقتداء وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة
اليقين الى حيث صار امنا من شائبة الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي رحمه الله اظهار التامين افضل وقال
ابو حنيفة رحمه الله الاخفاء افضل لانه ان كان دعاء وجب اخفاؤه لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من اسماء الله تعالى فكذلك
لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندبية ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا في الارض
فيدخل فيه جملة اشياء المنع من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة ومن افساد الانساب بالزنا واللواط والقذف ومن افساد
العقول بشرب المسكرات ومن افساد الاديان بالكفر والبدعة وذلك ان قوله ولا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي
المنع من جميع انواعها ومعنى بعد اصلاحها بعد ان اصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع المخلوقين ولمصالح المكلفين او المراد اصلاح الارض بسبب ارسال الانبياء وانزال
الكتب وتفصيل الشرائع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرائع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث الفتن في الارض وفي الاية
دلالة على ان الاصل في المضار الحرمة فان وجد نص خاص على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا فيه بالبطلان عملا بالاخص تحصيلا لاحكام الله تعالى والادلة
عموم هذه الاية الدالة على ان الاصل في المنافع واللذات الاباحة والحل وكل واحدة من الايتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين ان الدعاء لا بد
ان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء وبعدم المنافي وهو الافساد بالوجوه المختلفة ذكر ان فائدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين الخوف من العقاب
والطمع في الثواب واعترض عليه بان اهل السنة يقولون التكاليف انما وردت لمقتضى الالهية والعبودية اي كونه الها وكوننا عبيدا يقتضي ان يحسن منه
ان يامر عبيده بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انما وردت لانها في انفسها مصالح فعلى القولين من اتى بها لخوف
من العقاب والطمع في الثواب لم يات بها بوجه وجوبها فوجب ان لا يصح واجيب بان المراد من الاية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض الشرائط
المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرائط باسرها اي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع اعمالكم ولا تقطعوا املكم وان اجتهدتم
انكم اديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي ان غاية التكليف من الامر غير غايته من المامور فغاية الاولى هي
المصلحة او الالهية والعبودية فلم لا يجوز ان يكون الغاية الثانية الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الاية بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين
وظاهره ان يقال قريبة وذكروا في حذف علامة التانيث وجوها فقيل لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو
والانعام بمعنى واحد او لان المراد بالرحمة الترحم او الرحم وقيل انه صفة محذوف اي شيء قريب او شبه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذلك به فقيل
قتلاء واسراء وقيل انه بزنة المصدر كالنقيض صوت العقبان والدجاجة والضغيب صوت الارنب وقيل المراد ذات مكان قريب كلابن وتامر
وروى الواحدي باسناده عن ابن السكيت تقول العرب هو قريب مني وهما قريب مني لانه في تاويل هو في مكان قريب مني قال بعض المفسرين معنى
هذا القرب ان الانسان يزداد بعدا عن الماضي وقربا من المستقبل اي الاخرة التي هي مقام رحمة الله تعالى ويمكن ان يقال المراد به قرب الوصول سواء كان في الدنيا
او في الاخرة كقوله الا ان نصر الله قريب قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حصة المحسنين وجب ان لا يحصل للكافر والفاسق منها شيء والغرض ان
صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من العفو واجيب بان المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من امن بالله تعالى واقر بالتوحيد والنبوة فقد احسن
والدليل عليه الاجماع على ان الصبي اذا بلغ وقت الضحوة وامن بالله ورسوله واليوم الاخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مؤمنا محسنا على ان قوله ماهية
الرحمة نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر ايضا في رحمة الله ونعمته في الدنيا بدليل قوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم انه سبحانه لما ذكر دلائل الالهية وكمال العلم
والقدرة من العالم العلوي اتبعه ذكر الدلائل من احوال هذا العالم وهي الاثار العلوية والمعادن والنبات والحيوان ومن جملتها احوال الرياح والسحب و
الامطار وايضا لما اقام الدلالة في الاية الاولى على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم اقام الدلالة في هذه الاية على صحة القول بالحشر والنشر ليتم بالايتين
تقرير المبدأ والمعاد فقال وهو الذي يرسل الرياح الريح هواء متحرك وحركته ليس لذاته ولا للوازم ذاته والا لدام بدوام الذات فهو بتحريك الفاعل المختار

فقال

قالت الحكماء من اسباب الريح ان يرتفع من الارض اجزاء ارضية لطيفة تسخنت تسخنا شديدا فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى
من الفلك فان الهواء الملتصق بمقعر الفلك يمنع هذه الادخنة من الصعود بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تبعا للفلك
فحينئذ ترجع الادخنة وتتفرق في الجوانب وبسبب تفرقها يحصل الرياح وكلما كانت تلك الادخنة اكثر وكان صعودها اقوى كان رجوعها ايضا اشد
فكانت الرياح اقوى ورد بان صعود تلك الاجزاء الارضية انما يكون لاجل شدة تسخنها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة بردت
فامتنع صعودها الى الطبقة العليا المتحركة بحركة الفلك سلمنا انها تصعد الى الطبقة المتحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة
كما هو مقتضى طبيعة الارض لكنها تتحرك يمنة ويسرة وايضا ان حركة تلك الاجزاء لا تكون قاهرة فان الرياح اذا اصعدت الغبار الكثيرة ثم عاد ذلك
الغبار ونزل على السطوح لم يحس احد بنزولها ونحن نرى هذه الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وايضا لو كان الامر على ما قالوه لكانت
الرياح كلما اشتد وجب ان يكون حصول الاجزاء الغبارية الارضية اكثر وليس كذلك فقد يوجد الرياح العاصفة في وجه البحر وليس فيها شيء من الغبار كانت
ويمكن ان يجاب بان الحكم بامتناع الصعود استبعاد محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبني على ان الريح هي تلك الاجزاء الراجعة فقط وليس كذلك

[illegible]

منصرفة عن اللذات الجسمانيات كقوله ترى اعينهم تفيض من الدمع للفقراء الذين احصروا في سبيل الله ومنها قاسية قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة
ومنها مائلة الى الشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة في المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبين في المال من يرغب
في العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من على العكس وتمام هذه المعاني قوله سبحانه باذن ربه اي بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا
كاملا لو توجه في نباته نكدا والنكد الذي لا خير فيه وتقدير الاية ونبات البلد الذي خبث او البلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات
واقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد ان كان مجرورا بارزا ومن قرأ نكدا بفتح الكاف فعلى المصدر اي ذا نكد
كذلك مثل ذلك التصريف نردد الايات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فائدة التصريف تعود عليهم وانما ختم الاية بالحث على الشكر لان الذي سبق ذكره
هو ان الله تعالى ارسل الرياح ان فيه تجعلها سببا لنزول المطر الذي هو سبب لحدوث النبات فهذا دليل من الدلائل على وجود الصانع وقدرته ومن الوجه الثاني
على عظيم نعمته وقدرته فوجب من هذا الوجه مقابلتها بالشكر والله اعلم التاويل عرف ذاته للخلق بصفات الربوبية والالوهية والقادرية والخالقية

[illegible]

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ۝
قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين ۝ قال يا قوم
ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ۝
ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون
اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا
ولعلكم ترحمون ۝ فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين ۝ والى عاد
اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ۝
قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك
من الكاذبين ۝ قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب
العالمين ۝ ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين
اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله

لعلكم تفلحون ۝ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان
يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ۝
قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء
سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني
معكم من المنتظرين ۝ فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا
دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ۝ صدق الله

القراءات غيره بالجر على الوصف حيث كان يزيد وعلي والباقون بالرفع حملا على محل من إله إني أخاف بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن
كثير أبلغكم بالتخفيف حيث كان أبو عمرو والباقون بالتشديد بسطة بالصاد أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وأبي عون عن قنبل
وعاصم وعلي وسهل وشجاع وابن الأخرم عن ابن ذكوان الحلواني عن قالون مخير الوقوف غيره ط عظيم ه مبين ه العالمين ه لا تعلمون ه
ترحمون ه بآياتنا ط عمين ه هودا ط غيره ط تتقون ه الكاذبين ه العالمين ه أمين ه لينذركم ط لتناهي الاستفهام بسطة ج بنينا على الانعام
بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون ه آباؤنا ط للعدول مع فاء التعقيب الصادقين ه وغضب ط من سلطان ط لابتداء الاستفهام
إلى أمر التهديد المنتظرين ه مؤمنين ه التفسير لما ذكر في تقرير المبدأ والمعاد دلائل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الأنبياء وفي ذلك فوائد
منها التنبيه على أن إعراض الناس عن قبول الدلائل عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها بيان سوء عاقبة المتكبرين

[illegible]

والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم ۝ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ۝ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون ۝

قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون ۝ فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ۝ فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ۝ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ۝ ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ۝ انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون ۝ فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون ۝ فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين ۝ وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ۝ صدق الله العظيم

القراءة [illegible]

التفسير [illegible]

قال

قال الذين استكبروا اي جوابهم انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب كشف عرقوب البعير ثم اطلق على النحر اطلاقا
اسم السبب على المسبب واسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم مع انه ما باشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا ولعله لم يفعله الا واحد
منهم واذ قتلتم وعتوا عن امر ربهم استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو في الباطل وامر ربهم شأنه اي دينه او المراد ما امر به على لسان صالح من قوله كقوله
فذروها ولا تمسوها او المعنى صدر عتوهم عن امر ربهم بتركها كان هذا السبب في عتوهم فان الانسان حريص على ما منع وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت
من المرسلين اطلقوا الوعد وارادوا ما وعدهم من العذاب الاليم واستعجالهم للعذاب انما كان لاجل تكذيبهم بكل ما اخبر عنه من الوعد والوعيد ولكن
علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقال
الليث هي كرجفان البعير تحت الرحل وكما ترجف الشجرة اذا ارجفتها الريح وهذا لا ينافي ما ورد في موضع اخر انهم اهلكوا بالطاغية وفي اخر انهم اهلكوا
بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة هي الحركة الخارجة عن الحد المعتاد والغالب ان الزلزلة لا تنفك
عن الصيحة الهايلة فاصبحوا في دارهم اي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في اية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد بالدار ما لكل واحد
من منزله الخاص به الا انه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كانها من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة ومعنى جاثمين
موتى لا حراك بهم قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه المجثمة وهي التي جاء
النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى فتولى عنهم ثم الفاء للتعقيب والظاهر انه ادبر عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولى عنهم مغتما متحسرا على ما فات
من ايمانهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي وحد الرسالة بخلاف ما مر في قصتي نوح وهود لان المراد هنالك اشياء كانا يامران بها بعد الايمان
بالله وههنا وقع في اخر القصة فاراد بها مجموع ما ادى من الرسالة او اراد بذلك امر الناقة فقط ونصحت لكم لم آل جهدا في النصيحة ولكن
لا تحبون الناصحين حكاية الحال الماضية واعترض على هذا التفسير بانه كيف يصح خطاب الموتى واجيب بانه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان
قد نصحه فلم يصغ اليه يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني حتى القيت بنفسك الى التهلكة والفائدة في مثل هذا الكلام ان يسمعه بعض الاحياء
فيعتبر به ولعل القائل انما تسلى بذلك ويزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قليب قتلى بدر
وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فقيل له كيف تتكلم مع هؤلاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
ويجوز ان يكون تولي عنهم تولي ذاهب عنهم منكرا لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روي ان عادا لما اهلكت عمرت
ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء
من العيش فعتوا عن امر الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه
الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه اية فقال اي اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا
فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع
بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان
صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وكانت في غاية العظم حتى قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها
فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا كما قال عز وجل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك ان الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك
الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم في يوم ثان قال السدي وكانت الناقة في اليوم الذي تشرب فيه الماء تحلب فيكفي الكل فكانها كانت تصب
اللبن صبا وفي اليوم الذي يشربون الماء لا تاتيهم وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا
وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يده فذبحوا التسعة نفر من ابنائهم ثم ولد للعاشر
فابى ان يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام جلس مع قوم يشربون الشراب فارادوا ماء يمزجونه وكان يوم شرب الناقة فما وجدوا الماء
فاشتد ذلك عليهم فقال الغلام هل لكم في ان اعقر هذه الناقة فشد عليها فلما ابصرت به شدت عليه فهرب منها الى جانب صخرة فردها عليه فلما مرت
به تناولها فعقرها فسقطت فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر واظهروا حينئذ كفرهم وقيل زينت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت
المختار لما اضرت الناقة بمواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوها فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة
وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان
اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم ان العاقل مع مشاهدة
هذه المعجزات والعلامات يبقى مصرا على كفره واجيب بانهم عند مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف وان يكون توبتهم مقبولة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما مر بالحجر فقال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج
من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي ان نبينا صلى الله عليه وسلم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون
من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ههنا وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن
وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزول العذاب بهم يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى
الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احدكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل
الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم
قال قاتلك القصة الخامسة قوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه تقديره وارسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز ان يكون معناه واذكر لوطا اذ قال على انه
بدل من المفعول به لا ظرف وانما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قاوم احد السببين اتاتون الفاحشة الفعلة
الخصلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها قال في الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله اي ما عملها قبلكم قلت ومن المحتمل ان يكون الباء

فيه مثله في قولك كتبت بالقلم او في قولك ذهبت بالدهن اي ما سبقكم ملتبسا بها من احد من العالمين من الاولى زائدة لتاكيد النفي وافادة الاستغراق والثانية
للتبعيض وموقع هذه الجملة الاستيناف لانه انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او هو جواب سؤال مقدر كانه قيل
لم لا تاتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ويجوز ان يكون صفة الفاحشة كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني وههنا سؤال وهو انه كيف يجوز
دعوى عدم السبق في هذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل متقدميهم كانوا يستقذرونها ويتنفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات او المراد
ان الاقبال بالكلية على ذلك العمل لم يوجد في الاعصار المتقدمة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال في ادبارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس
استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض ائنكم لتاتون الرجال بيان لما اجمله في قوله اتاتون الفاحشة وكلا الاستفهامين للانكار ولكن الانكار في الثاني
اكثر ولهذا زيد فيه ان واللام ومثله في النمل اتاتون وبعده ائنكم لتاتون وفي العنكبوت ائنكم لتاتون الفاحشة ائنكم لتاتون الرجال لجمع بين ان واللام لموافقة اخر
القصة انا منجوك انا منزلون وانتصب شهوة على انها مفعول له اي لا حامل لكم على غشيان الرجال من دون النساء الا مجرد الشهوة او مصدر وقع موقع الحال اي
مشتهين شهوة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الزاجرة لارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود
في كل شيء ختم هذه الاية بلفظ الاسم لموافقة رؤس الايات التي تقدمت وهي العالمين الناصحين جاثمين المرسلين وفي النمل قال بل انتم قوم تجهلون اما
العدول من الاسراف الى الجهل فلتغيير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف واما العدول من الاسم الى الفعل فلتوافق ما قبلها من الايات وكلها افعال
تبصرون تتقون تعلمون واعلم ان قبح هذا العمل كالامر المقرر في الطباع ووجوه القبح فيه كثيرة منها ان اكثر الناس يحترزون فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء
على طلب المال واتعاب النفس في وجوه المكاسب الا ان الله تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى ان الانسان يطلب تلك اللذة ويقدم على الوقاع
وحينئذ يحصل الولد شاء ام ابى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشيء الذي يشتهيه الحيوان في الفخ والغرض ابقاء
النوع الانساني الذي هو اشرف انواع الحيوان فتحصيل تلك اللذة بما لا يؤدي الى هذا الغرض وجب الحكم بحرمتها لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف الحكمة ومنها ان الذكورة
مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة
الانسانية واجيب ان الفاعل يلتذ بذلك الفعل الا انه سعي في الحاق العار العظيم بالمفعول على الدوام وما فيه والعاقل لا يرضى لاجل لذة زائلة الحاق منقصة دائمة
بغيره ومنها انه يوجب استحكام العداوة بين الفاعل والمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل او على الحاق الضرر به بكل طريق لتعذره عليه وذلك لتنفر
طبعه عن رؤيته واما حصول هذا العمل بين الرجل والمراة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما قال خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة
ومنها انه تعالى اودع في الرحم قوة جاذبة تمتص المني بحيث لا يبقى شيء منه في مجاريه واوعيته واما اذا وقع في الذكر فانه يبقى شيء من اجزائه في المجاري فيعفن ويفسد
ويتولد منه العلل والاورام في الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم يقتضي حل وطي المملوك
مطلقا ذكرا كان او انثى ولا يمكن تخصيصه بعموم قوله اتاتون الذكران من العالمين لان كلا من الآيتين اعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد من غيره
لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص احدهما بالاخرى ترجيح بلا مرجح بل الترجيح بجانب الحل بمقتضى الاصل ولان المالك مطلق التصرف ولان شرع
محمد اولى من شرع لوط واجيب بان الاعتماد على التواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا العمل حرام وما كان جواب قومه بالواو وكيلا يكون للتعقيب
بالفاء بعد الاسم وفي النمل تجهلون فما كان وفي العنكبوت وتاتون في ناديكم المنكر فما كان لصحة تعقيب الفاء الفعل الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وفي النمل اخرجوا
ال لوط ليكون ما في النمل تفسيرا لهذه الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح في الاولى وكنى في الثانية قال في الكشاف يعني ما اجابوه
بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة ووصفهم بصفة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بكلام اخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه
ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا منهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة
كما يقال الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اخرجوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد وقيل المراد ان ذلك العمل في موضع النجاسة
فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى طهارة فالمراد انهم يتباعدون عن المعاصي والاثام فانجيناه واهله اي انصاره واتباعه والذين قبلوا دينه و
وعن ابن عباس اراد المتصلين به في النسب بدليل قوله الا امرأته يقال امرأة الرجل اي زوجته ولا يقال مرأة المرأة يعني زوجها لان المالكية حق الزوج
كانت من الغابرين وفي النمل قدرناها من الغابرين اي كانت في علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين وان قلنا بتاخر نزول الاعراف فالمعنى قدرناها
من الغابرين فصارت من الغابرين والغبور المكث والبقاء اي من الذين بقوا في ديارهم وهلكوا والتذكير لتغليب المذكر وكانت كافرة موالية لاهل سدوم
روي انها التفتت فاصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال وامطرنا عليهم مطرا اي ارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مداين
وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم قيل
امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فانظر يا محمد وكل من له
اهلية الاعتبار كيف كان عاقبة المجرمين وهذه الاية وان امنت من عذاب الاستيصال الا ان الخوف والاعتبار من شعار المؤمنين ولا ينبغي ان يسكت عنه مذهب
على ان عذاب الاخرة اشد وابقى ولم يامنوه بعد مسائل مذهب الشافعي ان اللواطة توجب الحد لانه ثبت في شريعة لوط فالاصل بقاؤه الى طرو
الناسخ ولم يظهر نسخ في شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالاية دلت على ان هذا الجرم المخصوص علة لحصول
هذا الزاجر المخصوص وقال ابو حنيفة الواجب فيه التعزير لانه فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول في عقوبة الفاعل قولان
احدهما ان عقوبته القتل محصنا كان او لم يكن لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول والاصح
ان حده حد الزنا فيرجم ان كان محصنا ويجلد ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطء فيختلف فيه البكر والثيب كالاتيان في القبل وعلى قول القتل فيه وجوه
احدها بالقتل بالسيف كالمرتد والثاني وبه قال مالك واحمد يرجم تغليظا وروي عن علي ايضا والثالث يهدم عليه جدار او يرمى من شاهق
ليموت اخذا من عذاب قوم لوط فاما المفعول فان كان صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طائعا فيقتل
بالقتل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يجب حد الزنا فيجلد ويغرب محصنا كان او لم يكن وان اتى امراة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فالاظهر انه لواط
لانه اتيان في غير المأتى فيجري في الفاعل والمفعول ما ذكرنا وقيل انه زنا لانه وطء انثى فاشبه الوطء في القبل فعلى هذا حده حد الزنا بلا خلاف وترجم المراة ان كانت
محصنة واما اللواط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح ولو اتى امراته او جاريته في الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه بالجملة للتاويل بها الجلد
ناقة الله معجزة الخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء سبقت سر السر وهو الخفي وناقة الله تحمل امانة معرفته ويقطعها الغالب من القوى
والحواس لبعض الواردات الالهية فذروها ترتع في رياض القدس وحياض الانس ولا تمسوها بسوء المخالفات الشرعية ومعارضات الطريقة فياخذكم عذاب اليم

بالانقطاع عن المواصلات الحقيقية اذ جعلكم خلفاء مستعدين للخلافة وبوّاكم في ارض القلوب تتخذون من سهولها وهي المعاملات بالصدق والكد تقصورا في الجنان والجنان تنحتون من جبال اطوار القلب بيوتا هي مقامات السائرين الى الله فيها فاذكروا آلاء الله النعماء والاخلاص نعما الاول تميز تزويج الظاهر والثاني تزويج السر فالترويج بوجوه المبار والتلويح بشهود الاسرار ولا تعثوا في ارض القلب بالفساد للاستعداد الفطري الذين استكبروا هم الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة للذين استضعفوا من اوصاف القلب والروح وتعلمون ان صالح الروح مرسل من الحق الى بلد القالب وساكنيه ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا الى النفس وصفتها ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق فاخذتهم رجفة الموت فاصبحوا في دارهم قالبهم جاثمين والله العزيز الحكيم الرحيم العليم العظيم تمت

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ۝ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۝ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ۝ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝

القراءات كما مر الوقوف شعيبا ط غيره لا اصلاحها ط مؤمنين ج لعطف المتفقتين مع وقوع العارض ورأس الآية عوجا ج لاتفاق الجملتين مع طول الكلام فكثركم ج لعطف المتفقتين المفسدين ه بيننا ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف الحاكمين ه الجزء التاسع ملتنا كارهين ه قيل لا وقف لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان ابيح ولكن الكلام معلق بشرط يعقبه منها . الله ربنا . علما . توكلنا . للعدول الفاتحين ه لخاسرون ه جاثمين ج ان توصل وقف على كان لم يغنوا فيها على جعل الذين بدلا عن الضمير في اصبحوا وكان لم يغنوا حال بمعنى الفعل في جاثمين وان جعل الذين مبتدأ خبره كان لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا عن الذين الاول

على شعيبا ومستأنف بكانوا لا يخلوا من تعسف الخاسرين . ونصحت لكم . لان كيف للتعجب فيليق للابتداء مع ان فيه فاء التعقيب كافرين التفسير
القصة السادسة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانه شعيب بن توبة بن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب
الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك انه امرهم باشياء الاول عبادة الله امرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر في شرائع جميع الانبياء الثاني
تصديق ما ادعاه من النبوة واشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة اي معجزة دالة على صدق نبوتي وفي الآية دلالة بجملة ان لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدعي
نبوة والا كان متنبيا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه يحكى انه دفع الى موسى عصاه وتلك العصا كانت من آس الجنة او جاريت كما
هي تنبيا وكان قد دفع الى موسى غنمه واخبر انها تلد اغنامها رؤسها وعنقها اسود وسائرها ابيض وقد وجدتها شك وكان الامر كما اخبر عنه وكل ذلك قبل
ان يستنبأ موسى فقال اهل السنة ان هذه الامور علامات لنبوة موسى وتسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على ان الارهاص عندهم
غير جائز الثالث قوله فاوفوا الكيل الآية واعلم ان عادة الانبياء عليهم السلام ان يبدؤوا في الموعظة بما يكون قومهم مقبلين عليه وكان قوم شعيب مشغوفين
بالبخس والتطفيف وكانه يقول البخس عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو امر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق
لكم فيه عذر فاوفوا الكيل والميزان قال في الكشاف ولم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود لانه اراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش
لما يعاش به او اريد فاوفوا اكيل المكيال ووزن الميزان او الميزان مصدر كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسه حقه اذا نقصه
اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس قال الثعلب وان شئت قلت باخسة وذلك يتناول الانسان والبهيمة تضرب لمن لا يغتبا
ديته دهاء وجربزة وخص او الا ام عم ليشتمل جميع انواع الظلم كالغصب والسرقة واخذ الرشوة وانتزاع الاموال بوجوه الاحتيال يروى انهم كانوا مكاسين
لا يدعون شيئا الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بالنقصان ثم اعطوه
بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا في الارض وهذا اعم من البخس لشموله الاموال والاعراض والنفس وكل ما يوجب مفسدة دنيوية او دينية ومعنى
بعد اصلاحها بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف او هو كقوله بل مكر الليل والنهار اي بعد الاصلاح فيها يعني اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العاملين
بشرائعهم ذلكم الذي ذكرت من الامور الخمسة خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس في متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة
ولا يخفى ان حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة لخلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ثم فصل بعض ما اجمل فقال
ولا تقعدوا بكل صراط قيل الصراط حقيقة وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من آمن بشعيب ويقولون انه
كذاب لا يفتنكم عن دينكم او كانوا يقطعون الطرق او كانوا عشارين وقيل انه مجاز وهم الذين قعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل ان يمنعوا الناس
عن قبوله فيه اقتداء بالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله وتصدون عن سبيل الله يقال قعد بمكان كذا اي التصق
وعلى مكان كذا اي على ذلك المكان وفيه اذا حل فحروف الجر تتعاقب في مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال اي
عن القعود على صراط الله حال الاشتغال باحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع ان صراط الحق واحد لانه متشعب الى معالم وحدود واحكام كثيرة كل منها
سبيل وكانوا اذا رأوا احدا يشرع فيها اوعدوه وصدوه والضمير في به راجع الى كل صراط والتقدير توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع المضمر
زيادة في التقبيح والتفظيع ومعنى وتبغونها تطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال في الكشاف
او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا
اذ كنتم اي وقت كونكم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة بعد الفقر وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة وقيل ان مدين
ابن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء وصار والكثيرين في العدة والعدد والشدة ثم حذرهم سوء عاقبة من افسد قبلهم من الامم
وكانوا قريبي العهد بما اصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين رغبهم اولا ثم رهبهم ثانيا واكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الآية وفيه
وعيد للكافرين ووعد للمحقين المؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم بمقتضى العدل والحكمة خير الحاكمين ثم حكى جواب قومه المتوجهين
المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي احد الامرين كائن لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا
سؤال وهو ان الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور عوده اليه واجاب ان قول الكفار ليس بحجة انما الحجة قول شعيب حيث قال ان عدنا في ملتكم واجيب بان
الكلام بني على التغليب وان شعيبا اراد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم لما ذكرنا ولعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على العوام وشعيب اجرى كلامه
على وفق ذلك الابهام او انه كان في اول امره يخفي مذهبه فتوهموا انه على دينهم او اريد بالملة الشريعة التي صارت منسوخة بشرعه او يطلق العود على الابتداء
كقول الشاعر وان تكن الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب قال شعيب في جوابهم اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير اتعيدوننا
في ملتكم في حال كراهتنا ثم صرح بانه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان فعلنا ذلك وذلك ان اصل الباب في النبوة والرسالة صدق اللهجة
والبراءة عن الكذب والعود في ملتكم ينافي ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد ان علمنا قبحه وفساده ونصب الادلة على بطلانها او المراد نجى قومه
او المراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كافر قال في الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا فيه معنى
التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد اعظم من الكفر حيث ان المرتد زعم انه قد تبين له ما خفي عنه من التمييز بين
الحق والباطل بكفره ازدياد والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذبا وما يكون لنا اي ما ينبغي لنا ولا يصح ان نعود
فيها الا ان يشاء الله ربنا قال اهل السنة في الآية دلالة على ان المنجي من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدي ولم يزل الانبياء والاكابر يخافون
العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل صلوات الرحمن عليه واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب
القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما اجابت المعتزلة بوجوه الاول ان قوله الا ان يشاء الله في قوة
قضية شرطية اي ان شاء بعد وليس فيه بيان انه شاء ام ابى والثاني ان هذا على طريق التبعيد والاحالة كما يقال لا يفعل ذلك الا اذا ابيض القار
وشاب الغراب والثالث لعل المراد ما لو اكرهوا على العود فان اظهار الكفر عند الاكراه جائز وان كان الصبر افضل وما كان جائزا صح ان يكون مراد الله
كان المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين افضل الرابع يحتمل ان يعود الضمير في فيها الى القرية كانه قال ان اخرجتمونا من القرية حرم علينا العود فيها الا
باذن الله تعالى الخامس المشية عند اهل السنة لا توجب جواز الفعل فانه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذي يوجب الجواز هو الامر فيحتمل ان يراد بالمشية
ههنا الامر فيكون التقدير الا ان يأمر الله ان نعود الى شريعتكم المنسوخة فان الشرع المنسوخ لا يبعد ان يأمر الله تعالى بالعمل به مرة اخرى السادس قال الجبائي
المراد بالملة الشريعة التي لا يجوز اختلاف التعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلوة فمن الجائز ان يكون بعض احكام الشريعة المنسوخة باقيا فيكون المعنى الا ان يشاء الله

بنا وبعض تلك الملة فيدل عليها ثم ان المعتزلة تمسكوا بالآية على صحة قولهم من وجهين احدهما ان قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا
اليها لكان لنا ان نعود وذلك يقتضي ان كل ما شاء الله وجوده كان فعله جائزا مأذونا فيه وما كان حراما ممنوعا منه لم يكن مرادا لله تعالى وثانيهما ان قوله
لنخرجنك او لتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان العود بخلق الله كان الاخراج ايضا بخلقه قلت للسني ان يلتزم ذلك واما قوله وسع ربنا كل شيء
فوجه تعلقه بما قبله على قول الجبائي هو ان التكليف يجب للمصالح فيكون معنى قول شعيب الا ان يشاء الله الا ان تختلف المصلحة في تلك العبادات
فحينئذ يكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون الا لمن وسع كل شيء علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق هو ان القوم لما قالوا لنخرجنك او لتعودن قال شعيب
وسع ربنا كل شيء علما فربما كان في علمه قسم ثالث وهو ان يبقينا في القرية مؤمنين ويجعلكم مقهورين خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله عقيبه على الله
توكلنا اي لا على غيره وانتصاب علما على التمييز وفي قوله وسع بلفظ الماضي دلالة على انه تعالى كان في الازل عالما بجميع المعلومات فلا يخرج شيء عن تعلق
علمه وهو معنى جفاف الاقلام وطي الصحف ولزوم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقي ويعلم من عموم كل شيء انه علم الماضي والحال والمستقبل
وعلم المعدوم انه لو كان كيف يكون فهذه اقسام اربعة يقع كل منها على اربعة اوجه لانه علم الماضي كيف كان وعلم انه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا او مستقبلا
او معدوما محضا فانه كيف يكون وكذا الكلام في الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس او نوع او صنف او شخص من جواهر
ومن الاعراض صار مبلغا يتحير فيه عقول العقلاء بل يقف دون اول قطرة من قطرات بحاره ثم ان شعيبا لما اعرض عن الاسباب وارتقى بطريق التوكل الى مسبب الاسباب
ختم كلامه بالدعاء فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي احكم واقض وعن ابن عباس ما ادري ما معناه حتى سمعت
ابنة ذي يزن تقول لزوجها تعال افاتحك اي احاكمك وجوز الزجاج ان يكون معنى الآية اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد ان ينزل
عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم اثنى على الله بقوله وانت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين قالت الاشاعرة الايمان
فتح باب الخيرات وهو اشرف صفات المحدثات فلو كان موجد الايمان هو العبد لكان خير الفاتحين هو العبد وللمعتزلة ان يقولوا لولا الالطاف المرجحة لما
لم يوجد الايمان من العبد فصح ان الله هو خير الفاتحين ثم بين ان رؤساء قوم شعيب لم يقتصروا على الضلال بل بادروا الى الاضلال قائلين لمن دونهم لئن اتبعتم
شعيبا انكم اذا لخاسرون اي في الدين او في الدنيا لانه يمنعكم من ازدياد الاموال بطريق البخس والتطفيف فاخذتهم الرجفة قد سبق تفسيرها الذين كذبوا
شعيبا قد تقدم اعرابه في الوقوف كأن لم يغنوا فيها يقال غني القوم في دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغاني المنازل اذا كان فيها اهلها وقال الزجاج اي
كأن لم يعيشوا فيها مستغنين من الغنى الذي هو ضد الفقر وعلى التفسيرين شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار كقوله شعر
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر قال في الكشاف الذين كذبوا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا
معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا
شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء والتكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء
بنبيهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم والعرب تكرر للتفخيم والتعظيم فتقول اخوك الذي اخذ اموالنا اخوك الذي هتك اعراضنا وايضا ان القوم لما قالوا لئن
اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى ان الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفي الآية فوائد اخر منها ان ذلك العذاب انما حدث بخلق
فاعل مختار وليس ذلك اثر الكواكب والطبيعة والا حصل في اتباع شعيب كما حصل في حق الكفار ومنها ان ذلك العذاب لفاعل عليم بالجزئيات حتى
يمكنه التمييز بين المطيع والعاصي ومنها ان يكون معجزة لشعيب حيث وقع ذلك العذاب على قوم دون قوم مع كونهم مجتمعين في بلد واحد فتولى عنهم
قد تقدم ان هذا التولي جاز ان يكون قبل نزول الهلاك وجاز ان يكون بعده قال الكلبي خرج من بين اظهرهم ولم يعذب قوم نبي حتى خرج من بين اظهرهم
ولما اشتد حزنه على قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة ولانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف
آسى على قوم كافرين لانهم هم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والاسى شدة الحزن وقيل المراد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير
مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف آسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك التأويل ولا تبخسوا فيه ان الخساسة والدناءة والحرص
والبخل من الصفات التي يجب تزكية النفس عنها فان الله تعالى يحب معالي الامور ويبغض سفسافها ولا تفسدوا في الارض الطيبة التي جبل الانسان
عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريقة على الطالبين بانواع الحيل والمكايد اذ كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون في الامور بكثرة العدد ولعله يجب
ان يصرف في اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم اي الروح والقلب وطائفة لم يؤمنوا وهم النفس وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب
المؤمنين تبعا للنفس الكافرة في العذاب واذاقة الم الهجران او لتعودن في ملتنا اشارة الى ان كل جنس يميلون الى اشكالهم [illegible]
بعد اذ نجانا الله منها في العصمة الازلية افتح بيننا وبين قومنا بالحق اظهر حقيقة ما قدرت لنا من الخير والظهار وما قدرت لهم من خاتمة السوء فاخذتهم الرجفة فصار
صورتهم تبعا لمعناهم فانهم كانوا جاثمي الارواح في ديار الاشباح كأن لم يغنوا فيها لان الباطل زاهق لا محالة والله اعلم بالقلوب واليه المرجع والمآب

وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء
لعلهم يضرعون ۝ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا
وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون ۝
افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ۝ اوامن اهل القرى

ان

ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ۝ افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله
الا القوم الخاسرون ۝ اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون
تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك يطبع الله
على قلوب الكافرين ۝ وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان
وجدنا اكثرهم لفاسقون ۝ صدق الله العظيم

القراءة لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد اوامن بسكون الواو ابو جعفر ونافع غير ورش وابن عامر وابن كثير غير ابن فليح وقرأ ورش بنقل
حركتها الى الساكن الذي قبلها اولم نهد بالنون حيث كان زيد عن يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف
يضرعون ه لا يشعرون ه يكسبون ه نائمون ه لمن قرأ اوامن بفتح الواو على ان الهمزة للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف لان او للعطف يلعبون ه مكر الله
للفصل بين الاخبار والاستخبار مع ان الفاء للتعقيب الخاسرون ه بذنوبهم للفصل بين الماضي والمستقبل والتقدير ونحن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعون ه
من انبائها لعطف الجملتين بالبينات لان الضمير فما كانوا ليؤمنوا لاهل مكة وضمير جاءتهم للامم الماضية مع ان الفاء توجب الاتصال من قبل ط الكافرين ه
من عهد لعطف الجملتين المختلفتين لفاسقين التفسير انه سبحانه لما عرفنا احوال هؤلاء الانبياء وما جرى على اممهم ذكر ما يدل ان هذا الجنس من الهلاك
قد فعله بغيرهم وليس مقصورا عليهم وبين العلة التي لاجلها فعل بهم ما فعل والقرية مجمع القوم فتشمل المدينة ايضا والتقدير الكلام وما ارسلنا في قرية من نبي فكذبه
اهلها الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة في الاموال والضراء الامراض في الابدان وقيل العكس لعلهم يضرعون فادغم التاء
في الضاد والمعنى ليحطوا اردية التعزز والاستكبار ويتبعوا انبياءهم ثم بين ان تدبيره في اهل القرى لا يجري على نمط واحد فقال ثم بدلنا مكان السيئة وهي كل ما يسوء
صاحبه الحسنة وهي كل ما يستحسنه الطبع والعقل اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم
عفا النبات والشحم والوبر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كما هو دأب الاشرين يقولون هذه عادة الدهر
في اهله يوم محنة ويوم منحة والمراد انهم لم ينتفعوا بتدبير الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة وامن بعد خوف وراحة بعد عناء فاخذناهم بغتة امنا ما كانوا
عليه ليكون ذلك اعظم في الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة في جميع الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف ان العصيان سبب
للحرمان عن الخيرات وسد لجميع ابواب السعادات ولهذا قال ولو ان اهل القرى اي جنسها او القرى المذكورة في قوله وما ارسلنا في قرية آمنوا بما يجب الايمان
به في باب المبدأ والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي لآتيناهم بالخير من كل وجه واراد القطر والنبات والمراد فتح البركات
عليهم تيسير اسباب النجاح كقولهم فتحت على القارئ اذا تيسرت القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بالجدب والقحط وهو ضد البركة والخير بما كانوا
يكسبون اي بشؤم كسبهم وهو الكفر والمعاصي ثم خوف المكلفين بنزول العذاب عليهم في الوقت الذي يكونون فيه في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال
الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على المرء التشاغل باللذات والمهمات فقال افأمن قال في الكشاف الهمزة للانكار والفاء للعطف على قوله فاخذناهم بغتة
والآية بينهما اعتراض والتقدير بعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا او امنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى فلهذا عطفت الثانية بالواو واما قوله افامنوا
مكر الله فتكرير لقوله افامن اهل القرى فلهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز ان يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى افعلوا ما فعلوا فامنوا ومن قرأ او ساكنة
الواو فللعناد اما احد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا افامنوا احد هذه العقوبات واما الاضراب كما تقول انا اخرج ثم تقول او اقيم على ان المراد هو الاضراب عن الخروج والاثبات
للاقامة اي لا بل اقيم ومعنى بياتا قد تقدم في اول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق
الشمس مقصورة تذكر على انه المفرد كصرد وتؤنث على انها جمع ضحوة ثم بعده الضحاء ممدود مذكرا وهو عند ارتفاع النهار الاعلى وقوله وهم يلعبون يحتمل التشاغل
بما لا يجدي عليهم من امور الدنيا التي هي لهو ولعب ويحتمل خوضهم في كفرهم لان ذلك كاللعب في انه لا يضر ولا ينفع ومكر الله تقدم في آل عمران انه عذاب بعد امهال
او سمي جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خيثم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا ابنتاه ان اباك يخاف البيات يعني المذكور في الآية
اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من الآمنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا ومجملا وكان الغرض من القصص حصول العبرة للباقين فقال اولم
يهد من قرأ بالياء ففاعله ان لو نشاء والمعنى اولم يهد للذين يخلفون اولئك المتقدمين فيرثون ارضهم وديارهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
اي بعقابهم كما اصبنا من قبلهم ومن قرأ بالنون فقوله ان لو نشاء منصوب والهداية بمعنى التبيين على القراءتين ولهذا اعدي فعلها باللام والمفعول على القراءة
الاولى محذوف والتقدير اولم يكشف لهم الحال الشأن المذكور واما قوله ونطبع على قلوبهم فاما ان يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع كما مر في الوقوف واما
ان يكون متصلا بما قبله قال في الكشاف وذلك هو يرثون او ما دل عليه معنى اولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع قال ولا يجوز ان يكون معطوفا على اصبناهم
بمعنى لو شئنا اصبنا وطبعنا لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجري مجرى تحصيل الحاصل وللقائل ان يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين ان يكونوا
مطبوعين فاقتراف الذنوب غير الطبع لانه يذنب اولا ثم يكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه وايضا جاز ان يراد لو شئنا لزدناهم في طبعهم
والله سبحانه اعلم بمراده ثم اخبر عن الاقوام المذكورين تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال تلك القرى وهو مبتدأ وخبر وقوله نقص حال والعامل معنى اسم
الاشارة او خبر بعد خبر او القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة واما على الاولين فترجع الفائدة الى الحال او الخبر الثاني كما ترجع

الى الصفة في قولك هو الرجل الكريم فالحاصل ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك وايضا خصصنا تلك القرى بقصص بعض انبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا اقرب الامم الى العرب فذكرنا احوالهم تنبيها على الاحتراز عن مثل اعمالهم عن رسوله بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اللام لتاكيد النفي فان الايمان كان منافيا لحالهم قال ابن عباس والسدي فما كان اولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر آدم اقروا باللسان كرها واضمروا التكذيب وقال الزجاج فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما كذبوا من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل الى ان ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الآيات كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب ان لا يؤمنوا ابدا والطبع والختم والرين والكنان والغشاوة والصد والمنع واحد قال وقال الجبائي هو ان يسم قلوب الكفار بسمات وعلامات تعرف الملائكة بها ان صاحبها لا يؤمن وقال الكعبي انما اضاف الطبع الى نفسه لاجل ان القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند امره وامتحانه فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا ثم شرح حال المكلفين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس يعني بالعهد قوله للذر الست بربكم اقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله الا الله وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة في قوله لفاسقين وقد عملت في ضمير شان مقدر والتقدير وان الشان والحديث علمنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والآية اعتراض ويحتمل ان يعود الضمير الى الامم المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنكونن نكثوه بعد كشف الضر التأويل الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء الولي يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعدو يذهل عن الحق ولا يرجع اليه ولو ان اهل القرى يعني صفات النفس آمنوا بإرادة صفات القلب والروح من الطاف الحق واتقوا شهوات النفس لفتحنا عليهم اسباب العواطف من سماء الروح وارض القلب فاخذناهم عاقبناهم بعد البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وموافقات الطبع بياتا في صورة القهر ضحى في صورة اللطف بسطوات الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من اهل القهر هم الذين خسروا السعادة الدارين ومن اهل اللطف هم الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى اولئك لهم الامن وهم مهتدون

ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ۝ وقال موسى يا فرعون
انى رسول من رب العالمين ۝ حقيق على ان لا اقول على الله
الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل ۝ قال ان
كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين ۝ فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين ۝ ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ۝
قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ۝ يريد ان يخرجكم
من ارضكم فماذا تأمرون ۝ قالوا ارجه واخاه وارسل
في المدائن حاشرين ۝ يأتوك بكل ساحر عليم ۝
وجاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ۝
قال نعم وانكم لمن المقربين ۝ قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون نحن الملقين ۝ قال القوا فلما القوا سحروا اعين
الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ۝ واوحينا
الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون ۝ فوقع
الحق وبطل ما كانوا يعملون ۝ فغلبوا هنالك وانقلبوا

صاغرين ۝ والقي السحرة ساجدين ۝ قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون ۝ قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان
هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون ۝
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين ۝
قالوا انا الى ربنا منقلبون ۝ وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات
ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ۝

القراءات حقيق على بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف بمعنى بفتح الياء حيث كان حفص ارجه باسكان الهاء حمزة وعاصم غير المفضل ارجئه بكسر الجيم والهاء من غير اشباع يزيد وقالون ارجهي بالاشباع نافع غير قالون وعلي وعباس وخلف والمفضل ارجئه بالهمزة ابو عمرو غير عباس وسهل ويعقوب وابن الاخرم عن ابن ذكوان وهشام غير الحلواني ارجئهو بالاشباع ابن كثير والحلواني عن هشام بكسر الهاء ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان سحار بالمبالغة حمزة وعلي وخلف وكذلك في يونس وقرأ قتيبة ونصير والدوري وحمزة في رواية ابن سعدان ولابي عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف همزة الاستفهام ابن كثير وابو جعفر ونافع وحفص ائن لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة آين لنا بالمدة وقلب الهمزة ياء ابو عمرو ويزيد الا ابن بالياء والمدة سهل ويعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص المفضل هي تلقف بالتشديد وادغام التاء الاولى في التاء البزي وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل آمنتم بهمزة واحدة ممدودة حفص أآمنتم بزيادة همزة الاستفهام حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص آمنتم بالمد وتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وابن مجاهد وابي عون والشذبي عن قنبل فرعون وآمنتم بالواو الحلواني الهاشمي عن قنبل وآمنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وابن عون والشذبي عن قنبل الوقوف فظلموا بها ط للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين ه العالمين ج وقف على بالتشديد اي واجب على ومن قرأ مخففا جاز له الوصل على جعل حقيق صفة الرسول وعلى بمعنى الباء الا الحق ط بني اسرائيل ط الصادقين ه مبين ج للفصل بين الجملتين والوصل اجوز للجمع بين العجبين للناظرين ه عليم لا لان ما بعده صفة للساحر من ارضكم ج لاحتمال ان ما بعده من تمام قول الملأ او قول فرعون وجنده والجمع لتعظيم اوله ولفظا حضرته وان يكون ابتداء جواب من فرعون اي فماذا تشيرون تأمرون ه حاشرين ه لان ما بعده جواب الامر عليم ه الغالبين ه المقربين ه الملقين ج القوا ج لحق العطف عظيم ه عصاك ج لحق المحذوف لان التقدير فالقاها فاذا هي تلقف ما يأفكون ج وكذلك يعملون ج صاغرين ج لمكان حروف العطف ساجدين ج لاحتمال كون قالوا حالا باضمار قد العالمين لا للبدل وهرون ه اذن لكم ط للابتداء مع اتحاد القائل اهلها ج لان سوف للتهديد مع العطف تعلمون ه اجمعين ه منقلبون ج لان الآية مع اتحاد القول جاز ناط للعدول عن المخاطبات الى المناجاة مسلمين ه التفسير القصة السابعة من قصص هذه السورة قصة موسى عليه السلام وذكر في هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر في غيرها لان جهل قومه اعظم وافحش من جهل سائر الاقوام ولهذا كانت معجزاته اقوى من معجزات متقدميه من الانبياء والضمير في قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى الرسل او الامم المذكورين وفي قوله بآياتنا دلالة على كثرة معجزاته وقال النبي لا بد له من آية ومعجزة يمتاز بها عن المتنبي فظلموا بها اي بتلك الآيات والمراد كفرهم بها لان وضع الانكار في موضع الاقرار وايراد الكفر بدل الايمان وضع الشيء في غير موضعه او ظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من آمن بها فانظر ايها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين وكيف فعلنا بهم هذه اجمالية ثم شرع في تفصيلها وذلك قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اي من آله قادر عليم حكيم وفيه ان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على ان لا اقول من قرأ بالتشديد فحقيق اما بمعنى الفاعل اي واجب على ترك القول على الله الا الحق او بمعنى مفعول اي حق على ذلك تقول العرب انى لمحقوق على ان افعل خيرا ومن قراءة العامة حقيق على بارسال الياء ففيه وجوه احدها ان يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حال حسنة وبحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط اي على كل صراط ويؤكد هذا الوجه قراءة ابي حقيق بان لا اقول اي انا خليق بذلك وثانيها ان الحق هو الثابت الدائم والحقيق مبالغة فيه وكان المراد فقد لزمته فكان المعنى انا ثابت مستمر على ان لا اقول الا الحق وثالثها ان يضمن حقيق معنى حريص ورابعها ان يكون من القلب الذي يشجع عليه امن الالباس كقوله المعنى الى قراءة نافع وخامسها ان يكون اغراقا في الوصف ومبالغة في الصدق والمراد انا حقيق على قول الحق اي واجب على ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي به وسادسها ان يكون على هذه هي التي تقترن بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ويقال جاء في فلان على عادته وعرفه وتحققه على كذا وكذا من الصفات فمعنى الآية انا المحقق الا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى دالا على وجود الاله القادر المختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم اي بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فارسل معي بني اسرائيل اي اطلقهم وخل سبيلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم واستخدمهم في الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فيه سؤالان احدهما اللفظي وهو ان هاهنا شرطين فاين جوابهما والجواب ان المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما ان قوله ان كنت جئت بآية وقوله فات بها كلاهما واحد في المعنى فكيف يفيد تعليق احدهما بالآخر وجوابه المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فاحضرها لتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى عليه السلام باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب العصا ثعبانا واظهر اليد البيضاء وذلك قوله سبحانه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا انه امر ظاهر لا يشك في انه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات او المراد انه ابان قول موسى عن قول المدعي الكاذب والثعبان في اللغة الحية الضخم الذكر

روي انه كان اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون
من سريره وهرب واخذه البطن في ذلك اليوم اربعمائة مرة وكان لم ير منه الحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا ومات
منهم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا ونزع النزع
القلع والاخراج اي اخرجها من جيبه او من جناحه بدليل قوله في موضع آخر وادخل يدك في جيبك تخرج روي انه اري فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك
ثم ادخلها في ابطه عليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة وقوله للناظرين
يتعلق ببيضاء فانها لا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجايب واعلم ان القول
بتجويز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطرب اقوال العلماء فيه فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول
بالفاعل المختار فجوزوا في الانسان وساير انواع الحيوان ان يتولد دفعة واحدة من غير سابقة مادة ومدة وجوزوا في الجوهر الفرد ان يكون حيا عالما قادرا
قاهرا من غير حصول بنية ولا امزاج وجوزوا في الاعمى الذي بالاندلس ان يبصر في ظلمة الليل البقة التي تكون باقصى المشرق وفي سليم البصر ان لا يرى
الشمس في كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا انخراق العادات في بعض الصور دون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا ان يحال على الشرع
والطبيعيون المتفلسفون انكروا ذلك على الاطلاق وزعموا انه لا يجوز حدوث الاشياء ودخولها في الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين
والا لزم فتح باب الجهالات فانه اذا جاز ان ينقلب العصا ثعبانا جاز في الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام مثلا انه ليس هو الشخص
الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة فان زعم زاعم ان هذه الامور تختص بزمان دعوة الانبياء قلنا التخصص في ذلك الزمان لا يعرف
الا بدليل غامض وكل من لا يقف على ذلك الدليل يقع في هذه الاشكال والضلال مع ان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم ابدا فلا ينقضي التجويز سرمدا
هذا وانما جمع بين العصا واليد مع ان المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل توجب مزيد اليقين قال بعض المحققين هما شيء واحد والمراد ان حجة موسى كانت
قوية ظاهرة فمن حيث ان الحجة ابطلت اقوال المخالفين كانت كالثعبان الذي يلقف ما يأفكون ومن حيث انها كانت باهرة ظاهرة في نفسها وصفت
باليد البيضاء كما يقال لفلان يد بيضاء في الامر الفلاني اي قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والتحقيق ان انقلاب العصا وغيره امور ممكنة في ذواتها لان
الاجسام متماثلة في الجسمية فكل ما صح على شيء صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تأويل
ودفع ان السحر كان غالبا في ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين في ذلك فزعم اتباع فرعون ان موسى عليه السلام كان لكونه في النهاية في من علم
السحر اتى بتلك الصنعة وانه كان يطلب بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
من ارضكم ولا ينافي هذا ما حكى الله تعالى في سورة الشعراء انه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول في تلك الحالة منه ومنهم او لعل فرعون قاله ابتداء
فتلقنه الملأ منه فقالوه لغيرهم او قالوه عنه لساير الناس على طريق التبليغ فان الملوك اذا راوا رأيا ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر
ان قوله فماذا تأمرون من كلام فرعون اما لان الامر يجوز ان يكون من الادنى للاعلى او لانه من قولهم امرته فامرني بكذا اي شاورته فاشار عليك برأي
ولهذا قال الملأ قالوا في جوابه ارجه واخاه اي اخر امره وارجئه ولا تعجل بقتلهما في شأنهما فتصير عجلتك حجة عليك قال الجوهري ارجيت الامر
اخرته يهمز ولا يهمز وعن الكلبي وقتادة ان المعنى احبسه وزيف بانه خلاف اللغة الا ان يقال حبس الرجل نوع من التأخير لامره وبان فرعون ما كان يظن انه
قادر على حبس موسى بعد مشاهدة حال العصا وارسل في المدائن المدينة فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا اقام به ولهذا اطبق القراء على همز مداين
لانه كصحائف وقيل انها مفعلة من دنت اي ملكت وكان هذا القائل لا يهمز مداين وقال المبرد اصلها مديونة من دانه اذا قهره وساسه فعل بها فعل
بمبيع في مبيوع وليس المراد مداين الارض كلها ولكن المقصود مداين صعيد مصر قال ابن عباس وكان رؤساء السحرة باقصى مداين الصعيد حاشرين جامعين
يأتوك بكل سحار الباء بمعنى مع او للتعدية قيل كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلثين الفا وقيل سبعين الفا وقيل ثمانين الفا وقيل كان
يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى قرية بقرب الموصل وضعف بان المجوس من اتباع زرادشت وهو انما جاء بعد موسى وفي الآية دلالة على كثرة
السحرة في ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كان مخالفا في الحقيقة كما ان الطب لما كان غالبا على اهل زمن عيسى كانت معجزته من جنس
ذلك كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وكانت الفصاحة غالبة في عصر نبينا صلى الله عليه وسلم فلاجرم كانت معجزته العظمى وهي القرآن من جنس
الفصاحة وتحقيق السحر وسائر ما يتعلق به قد مر في سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا ولم يقل فقالوا بناء الكلام على سؤال مقدر وكان سائلا
سأل ما قالوه اذ جاؤه فاجيب قالوا ائن لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة قال
نعم اي ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم لان الثواب انما يهنأ
اذا كان مقرونا بالتعظيم روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل وآخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة فقال ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه
سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وفي الآية اشارة الى ان اهل السحر ليسوا قادرين على قلب الاعيان والا لقلبوا الحجر
ذهبا بل قلبوا ملك فرعون الى انفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فعلى العاقل ان لا يغتر باكاذيبهم وزخارفهم ثم ان السحرة راعوا حسن الادب فخيروا
موسى اولا وقدموه في الذكر ثانيا حيث قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين كما هو دأب المناظرين والمتصارعين مع ان في قولهم
واما ان نكون نحن الملقين ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل ومن جهة تعريف الخبر واقحام الفصل قال الفراء قد يجمع
بين اما وان في هذه الآية بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل ههنا في موضع امر بالاختيار اعني في موضع نصب كقول القائل اختر ذا او ذا
كانهم قالوا اختر ان تلقي بخلاف تلك الآية فان الامر لا يصلح هنالك وقال موسى للسحرة القوا جعل لهم ما رغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة
بهم وثقة بان الامر الالهي يغلب ولن يغلب فان قيل ان القاءهم الحبال والعصي معارضة للمعجز بالسحر وذلك كفر والامر بالكفر كفر فالجواب من وجوه
احدها انه انما امرهم بشرط ان يعلموا في فعلهم ان يكون حقا فاذا لم يكن كذلك فلا امر البتة كقول القائل اسقني الماء من الجرة فهذا انما يكون امرا
بشرط حصول الماء في الجرة والثاني ان موسى عليه السلام علم انهم جاؤا لذلك فلابد ان يفعلوه ووقع التنازع في التقديم والتأخير والثالث
انه اذن لهم في الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليبحث عنها ويكشف عن ضعفها يقول له هات وقل ومراده
ان يجيب عنها ويتبين لكل احد ضعفها وسقوطها فلما القوا سحروا اعين الناس قال القاضي لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا اعينهم فثبت
انهم خيلوا اشياء الحقيقة بخلافه وقال الواحدي بل المراد انهم قلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروي انهم اتوا بالحبال والعصي
ولطخوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا الزيبق في دواخل العصي فلما اثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض فخيل الى الناس انها تسعى واسترهبوهم

اي ارهبوهم والسين زائدة كانهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج استدعوا رهبة الناس فجعلوا جماعة ينادون عند الالقاء ذلك ايها الناس احذروا فهذا
هو الاسترهاب وجاؤا بسحر عظيم كانهم زعموا ان ذلك سحر لا تطيقه سحرة الارض عن ابن عباس انه خيل الى موسى عليه السلام ان حبالهم وعصيهم حيات مثل
عصا موسى فاوحى الله عز وجل اليه ان الق عصاك وفي رواية الواحدي عنه ان المراد بالوحي ههنا الالهام وههنا اضمار والتقدير فالقاها فاذا هي تلقف قال
الجوهري لقفت الشيء بالكسر القفه لقفا وتلقفته ايضا تناولته بسرعة وما في ما يأفكون موصولة او مصدرية بمعنى ما يأفكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل
ويزورونه او افكهم تسمية للمأفوك بالافك قال المفسرون لما القى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الافق ثم فتحت فاها فكان ما بين لحييها ثمانين ذراعا وابتلعت
ما القوا من حبالهم وعصيهم فلما اخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في الحجم والمقدار اصلا فلعل الله سبحانه اعدم بقدرته تلك الاجرام
العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن ظهر وقال الفراء فتبين الحق من السحر وقيل الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلا الى
مستقره وهذا الظهور ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا ولم تفقد ولما فقدت ثبت ان ذلك بخلق الله وتقديره وبهذا تميز المعجزة عن السحر
وقال القاضي معناه قوة الظهور بحيث لا يصح فيه نقيضه كما لا يصح في الواقع ان يصير لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التي افكوها وهي تلك الحبال
والعصي وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون اي الذي عملوه او عملهم فغلبوا هنالك اي في خير التحدي وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار اعظم في حق
المبطل من ظهور حجته روي ان تلك الحبال والعصي كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا
خارج عن حد السحر وانما هو امر الهي قال المحققون انهم لاجل كمالهم في السحر ميزوا السحر عن غيره فانقلبوا ببركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان
الكامل في علم التوحيد والشريعة والحكمة وفي قوله والقي السحرة ساجدين دليل على ان لهم ملقيا القاهم وما ذاك الا ان الله سبحانه الموجد للدواعي والقدر
وقال الاخفش من سرعة ما سجدوا صاروا كان غيرهم القاهم لانهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف نقل عنهم انهم
سجدوا ثم قالوا آمنا برب العالمين واجيب بانه لا يبعد انهم لذهاب الى السجود قالوا ذلك وانهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله في الحال شكرا على الفوز بها
واظهار الخشوع والتذلل واقرارا بالايمان بعد تصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا آمنا برب العالمين قال فرعون اياي تعنون فقالوا رب موسى فقال
اياي تعنون لاني انا الذي ربيت موسى فلما زادوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم آمنوا باله السماء وكفروا بفرعون وقيل افردا بالذكر من جملة العالمين
ليعلم ان الداعي الى ايمانهم هو موسى وهرون وقيل خصا بالذكر تعظيما وتشريفا ثم ان فرعون لما رأى ان علم الناس بالسحر اقر بنبوة موسى بمحضر جمع عظيم
خاف ان يصير ذلك حجة عليه عند قومه فالقى في الحال شبهة في البين بعد ما انكر عليهم ايمانهم اما الانكار فذلك قوله آمنتم له من لم يرو حرف الاستفهام
فعلى انه اخبار توبيخا اي فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرأ بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد والانكار قوله قبل ان آذن لكم دلالة على مناقضة فرعون في ادعاء
الالهية لانه لو كان الها لما جاز ان يأذن لهم ان يؤمنوا بغيره وهذا من جملة الخذلان والتخويف الذي يظهر على المبطلين واما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه
في المدينة لتخرجوا منها اهلها اي هذه حيلة احتلتموها انتم وموسى وتواطأتم عليها لغرض لكم وهو ان تخرجوا القبط وتسكنوا بني اسرائيل وروى محمد بن جرير
عن السدي في حديث عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة ان موسى وامير السحرة التقيا فقال له موسى ارأيتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد
ان ما جئت به حق فقال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لأومنن بك وفرعون ينظر اليهما ويسمع فلذلك زعم انه تواطؤ فسوف تعلمون
وعيد اجمالي وتفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه ام لا فقيل لم يقع لانهم
سألوا ربهم ان يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قائل وقع وهو الاظهر وعليه الاكثر ومنهم ابن عباس الا انه حكي عن الملأ انهم قالوا لفرعون أتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض ولو انه ترك اولئك السحرة لذكروهم ايضا وحذروه اياهم وانهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب
عن الاول بانهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثاني بانهم طلبوا الصبر على الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الى وعيده وعن قتادة كانوا اول النهار
كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة ثم حكى عن القوم انهم قالوا عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون اي نحن لا نبالي بالموت انا ننقلب الى لقاء ربنا ونخلص منك
او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون فلا تقدر ان تفعل
بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا قال ابن عباس اي ما اتينا بذنب تعذبنا عليه وما تعيب منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا
مثل لها الا الله تعالى وهذا من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله شعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ثم فزعوا
الى الدعاء كما هو دأب الصديقين حين نزول البلاء فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا ما يجال الثبات على متابعة الدين او على ما يوعدنا به فرعون وتوفنا مسلمين
ثابتين على الدين جاء به موسى اخبروا عن ايمانهم اولا وسألوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن ان يستدل بذلك على ان الايمان والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة
بالآية على ان الايمان والاسلام بخلق الله تعالى والا لم يطلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون امثال ذلك على منح الالطاف واعلم ان مبنى القصة في هذه السورة
على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا قيل هنالك يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون فلسوف تعلمون
وفي كل ذلك زيادة واما قوله ههنا وارسل في المداين وهناك وابعث فلان الارسال يفيد معنى البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم ان المخاطب
فرعون دون غيره وانما قال ههنا آمنتم به وفي طه والشعراء آمنتم له باللام لان الضمير في هذه يعود الى رب العالمين وفي سورتين الى موسى وقيل آمنتم به
وآمنتم له واحد وقال ههنا ثم لاصلبنكم وفي السورتين لاصلبنكم لانه لما افاد الترتيب كان العطف المطلق كافيا وكثير امن متشابهات هذه السور الثلث
يعود الى رعاية الفواصل فتنبه التأويل ظلموا بها بان جعلوها سحرا فوضعوها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين الذين افسدوا الاستعداد الفطري بالركون الى الدنيا
حقيق على ان لا اقول لاني قائم بحقائق الجمع فان عن الخلق وآثار التفرقة فاذا هي ثعبان لانه اضاف العصا الى نفسه في قوله هي عصاي وتعلم منه ان كل شيء
اضفته الى نفسك وجعلته محل حاجاتك فانه ثعبان حية ولهذا قيل القها يا موسى فاذا هي بيضاء فيه ان اليد قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء نقية نورانية
وان اليد الروحانية لموسى كانت روحانية في جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله تعالى في بعض الاوقات خرقا للعادات
على يد والجسمانية يريد ان يخرجكم لا شك ان موسى اراد ان يخرجهم من ارضهم ولكن من ارض بشريتهم الى النور الروحانية قالوا ارجه توهموا ان التأخير وحبس اليد
يغير شيئا من التقدير ولم يعلموا ان عند حلول الحكم سلطان للعلم والفهم ائن لنا لاجرا لم يعلموا ان اجرهم في المغلوبية لا في الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين
اجرى الله تعالى هذا على لسان فرعون حقا وصدقا فصاروا مقربين عند الله قالوا يا موسى اما ان تلقي اكرموا موسى بالتقديم والاستيذان فاكرمهم الله تعالى بالسجود
والايمان بسحر عظيم اي عظيم في الاثم كما قال سبحانه هذا النبأ عظيم وعظمة اثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هي تلقف ما يأفكون فيه ان عصا الذكر عند القاء
سحرة صفات النفس مبتلع بعزم لا تلقي جميع ما سحروا به اعين الناس فوقع الحق باثبات لا اله الا الله وبطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف الدنيا
في العيون فغلبوا اي سحر وصفات النفس بنور الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت اوامر الشرع ونواهيه والقي السحرة ساجدين اي صارت صفات النفس

[illegible]

وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون ۝ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ۝ قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ۝ ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ۝ فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝ وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ۝ فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ۝ ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل ۝ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون ۝ فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ۝ واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ۝ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ۝ ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ۝ قال اغير الله ابغيكم

الها وهو فضلكم على العالمين ۝ واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

[illegible]

بيان لمهما والضمير في به وكذا في بها يعود الى مهما لان البيان كالزيادة فلا يعود اليه شيء ما امكن العود الى المبين الا ان الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ
وانث اخرى حملا على المعنى وسموها آية تهكما وتهيبا اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لم يردفوها بقولهم لتسحرنا بها وبقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن
عباس ان القوم لما قالوا ما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فارسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض و
قيل هو الموتان وقيل الطاعون والاصح انه المطر والسيل الطائف وغلب من مطر وسيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل
وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف
عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله وزعموا ان هذا الذي جزعوا منه هو خير لهم ولم يشعروا
فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء
ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فالقته في البحر وقيل خرج موسى عليه السلام الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب
فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان كبار القردان عن ابي عبيدة وقيل الدباء
وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وقرا الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير وهو السوس تاكل
ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر
فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذ في ابشارهم واشعارهم وعيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع
عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل عليهم الضفادع بعد شهر فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم و
اطعمتهم وكان احدهم اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكان يمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدر
وهي تغلي فشكوا الى موسى فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطي
والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وعطش فرعون حتى اشرف على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها
صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله آيات مفصلات نصب على الحال من المذكورات ومعناها ظاهرات
لا يشكل على عاقل انها معجزات او فصل بين بعضها وبين بعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر أيؤمنون بالعهد ام ينكثون كما روي ان موسى عليه السلام
مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات ولا شك ان كل واحدة من هذه معجزة في نفسها واختصاصها بالقبطي دون
الاسرائيلي معجز آخر فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين على الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم فقال ولما
وقع عليهم الرجز اي الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وعن سعيد بن جبير انه الطاعون وهو العذاب السادس الذي كان اصابهم فمات من القبط
سبعون الف انسان في يوم واحد فتركوا غير مدفونين قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة فما مصدرية والباء
يتعلق بادع تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم اي ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك او تعلق القسم به بالفعل فيكون باء الاستعطاف اي
استعطفنا الى الطلب اليك من الله ما دعا لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه آخر وهو ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن فيكون متعلقا
بالاقسام اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي لنخلينهم وشانهم تذهب بهم حيث شئت
فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا في جميع الوقائع بل الى اجل هم بالغوه لا محالة ومعذبون فيه اذا هم ينكثون جواب لما اي لما كشف عنهم فاجاؤوا
النكث وبادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فاغرقناهم في اليم وهو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظمه بانه سمي يما
لان المنتفعين به يتيممونه اي يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم بسبب التكذيب وبانهم كانوا عنها اي عن الآيات وقيل عن النقمة
بدلالة انتقمنا اي وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين اي معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها
ثم بين ما فعله بالمحقين بعد اهلاك المبطلين فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام في الاعمال الشاقة مشارق
الارض ومغاربها يعني ارض مصر والشام لانها هي التي كانت تحت تصرف فرعون ولقوله التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق
الا بارض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من بني اسرائيل من ملك جملتها كداود وسليمان وتمت كلمة ربك الحسنى انث الحسنى صفة للكلمة قيل يريد
بالكلمة قوله في سورة القصص ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة الى تمام الآيتين ومعنى تمت مضت واستمرت من قولك تم على الامر اذا
مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد الذي تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض لان الوعد بالشيء يبقى كالمعلق فاذا حصل الموعود صار
تاما كاملا بما صبروا اي بسبب صبرهم وفيه ان الصبر عنوان الظفر وضمين بالنصر والفرج ودمرنا اي اهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه
قال ابن عباس يريد المصانع وقال غيره يعني العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المعاني والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله
وهو الذي انشأ جنات معروشات وقيل وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وههنا انتهت قصة فرعون والقبط ثم ذكر ما جرى
على بني اسرائيل بعد ذلك فقال وجاوزنا ببني اسرائيل البحر روي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعدما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله تعالى
فاتوا على قوم اي فمروا بقوم يعكفون يواظبون على عبادة اصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل وقيل كانوا من لخم نزلوا
بالرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا دخلت
على الجملة وكانهم طلبوا من موسى ان يعين لهم اصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فتوجه
الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم لا يليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام وكان هذا القول لم يصدر من مشاهير بني اسرائيل وعظمائهم كالسبعين
المختارين ولكنه صدر عن عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الآيات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق الموكد
وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال علي رضي الله عنه اختلفنا عنه لا فيه ثم قلتم اجعل لنا الها كما
لهم آلهة ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر اي مكسر مهلك ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون
اي يتبر الله اصنامهم ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي فيصير الى الزوال والاضمحلال وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وفي تقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة
خبرا لان اشارة الى ان عبدة الاصنام ليسوا على شيء البتة وان مصيرهم الى التبار لا محالة قال اغير الله ابغيكم الها انتصب غير على الحال المتقدمة التي
لو تاخرت كانت صفة كما يقول ابغيكم الها غير الله وانتصب الها بالمفعول به قال الواحدي يقال بغيت فلانا شيئا وبغيته له قال تعالى يبغونكم الفتنة
والمعنى اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون ابناء زمانكم ومعنى الهمزة الانكار والتعجب مما اقترحوه مع

كونهم مغمورين في نعم الله فان الاله ليس شيئا يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر على الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والآية الباقية
قد مر تفسيرها في البقرة والفائدة في اعادتها ههنا التعجب والتعجب ممن يشتغل بعبادة غير المنعم وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون ليناسب
قوله سنقتل ابناءهم **التأويل** وقال الملأ من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر لفرعون النفس اتذر موسى الروح وقومه من القلب والسر
والعقل ليفسدوا في الارض البشرية ويذرك والهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم يعني اعمالهم الصالحة نبطلها بالريا
والعجب ونستحيي نساءهم اي الصفات التي يتولد منها الاعمال نودها لنورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فيتصف بصفاته ونورث ارض
بشرية الاشقياء النفس وصفاتها اوذينا من قبل ان تأتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا نتاذى من اوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد
ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ فنتاذى من دواعي البشرية عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة الى ان
الواردات الروحانية لا تكفي لافناء النفس وصفاتها ولا بد في ذلك من تجلي صفات الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة الكفور لا يرى فضل النعم وكذا الملوك اذا
ارادوا قطيعة قل الوصال وقال كان وكانا ولكن اكثرهم لا يعلمون لان بصائرهم مسدودة وعيونهم عن شهود الحق مصدودة فارسلنا عليهم الطوفان فيه
العلم الكثيرة والجراد الواردات والقمل الالهامات والضفادع الخواطر والدم احسانات المجاهدات والرياضات آيات مفصلات وقتا بعد وقت وحينا
بعد حين فاستكبروا عن قبولها والعمل بها وكانوا قوما مجرمين في الازل ولهذا لم يفدهم الوسائط والاسباب ولما وقع عليهم الرجز وهو عذاب القطيعة
فاغرقناهم في يم الدنيا وشهواتها وما كانوا يعرشون اي يرفعون بالتجبر والتكبر انفسهم يقال عرش الطائر اذا ارتفع بجناحيه على من تحته وجاوزنا
بصفات القلب من بحر الدنيا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الى صفات الروح يعكفون على اصنام لهم من المعاني المعقولة والمعارف
الروحانية فاستحسنوها وارادوا العكوف على عتبة عالم الارواح قال لهم موسى الوارد الرباني عند ركونهم الى الروحانيات انكم قوم تجهلون قدر الله
وعنايته فعلم ان هؤلاء يعني صفات الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف على مستحسنات المعاني المعقولة وباطل ما كانوا يعملون في غير طلب الحق و
الوصول الى المعارف الربانية وهو فضلكم على العالمين بين الحيوان والجن والملك بفضيلة العبور من الجسمانيات والروحانيات والوصول الى معادن الحقائق الالهية

وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه
اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح
ولا تتبع سبيل المفسدين ۝ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه
قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
وخر موسى صعقا ۝ فلما افاق قال سبحانك تبت اليك
وانا اول المؤمنين ۝ قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس
برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ۝ وكتبنا له
في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر
قومك يأخذوا باحسنها سأريكم دار الفاسقين ۝ ساصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا
بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ۝ وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا ۝ ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا
عنها غافلين ۝ والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم
هل يجزون الا ما كانوا يعملون ۝ واتخذ قوم موسى من بعده
من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ۝

اتخذوه وكانوا ظالمين ۝ ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ۝
ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا ۝ قال بئسما خلفتموني
من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه
قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي
الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ۝ قال رب اغفر لي و
لاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ۝ ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا
وكذلك نجزي المفترين ۝ والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها
وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ۝ ولما سكت عن موسى
الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون

القراءة ارني انظر بسكون الراء وفتح الياء ابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي الباقون بكسر الراء وسكون الياء دكا بالمد حمزة وعلي و خلف اني اصطفيتك بفتح ياء المتكلم ابن كثير وابو عمرو برسالتي على التوحيد ابو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون برسالاتي اياتي الذين بسكون الياء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتين حمزة وعلي وخلف الباقون بضم الراء وسكون الشين من حليهم بفتح الحاء وسكون اللام يعقوب حليهم بالكسرتين وتشديد الياء حمزة وعلي الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعدي اعجلتم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وقال ابن ام بكسر الميم ابن عامر وحمزة و علي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله يا ابن ام في طه الوقوف اربعين ليلة ج للعطف مع اختلاف القائل المفسدين ۝ ربه لا لان ما بعده جواب لما اليك ط فسوف تراني ۝ صعقا ج المؤمنين ۝ الشاكرين ۝ لكل شيء ج للعدول مع فاء التعقيب باحسنها ط الفاسقين ۝ بغير الحق ط بها ج لابتداء شرط آخر وبيان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا ج كذلك ۝ سبيلا ط غافلين ۝ اعمالهم ط يعملون ۝ خوار ط سبيلا م لئلا تصير الجملة صفة السبيل فان الهاء ضمير العجل ظالمين ۝ ضلوا لا لان ما بعده جواب الخاسرين ۝ اسفا لا لما مر بعدي ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد القائل امر ربكم ج لان قوله والقى معطوف على قوله قال بئسما وقد اعترض بينهما استفهام اليه ط يقتلونني ز والوصل اولى لان الفاء للجواب اي اذا هم همّوا بقتلي فلا تشمتهم لضربي الظالمين ۝ في رحمتك ز الاولى ان يوصل لان الواو للحال تحسينا للدعاء بالثناء الراحمين ۝ الدنيا ط المفترين ۝ السيئات لظاهر ان والوجه الوصل لان ما بعده خبر والعائد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور رحيم ۝ الالواح ج لاحتمال ما بعده الحال يرهبون ۝

التفسير لما اهلك الله سبحانه اعداء بني اسرائيل سأل موسى ربه ان يؤتيه الكتاب الذي وعده فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فمه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك فاوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها العشرة ايام من ذي الحجة لهذا السبب وقيل فائدة التفصيل انه تعالى امره بصوم ثلثين وان يعمل فيها ما يقربه الى الله تعالى ثم انزلت عليه التورية في العشرة وكلم فيها وقال ابو مسلم الاصفهاني من الجائز ان يكون موسى عند تمام الثلثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله في طه وما اعجلك عن قومك يا موسى فلما اعلمه الله تعالى خبر قومه مع السامري رجع الى قومه ثم عاد الى الميقات في عشرة اخرى فتم اربعون ليلة وقيل لا يمتنع ان يكون الوعد الاول لحضرة موسى وحده والوعد الثاني لحضور المختارين معه ليسمعوا الكلام وفي قوله الفذلكة في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة ازالة وهم من يتوهم ان الميقات كان عشرين ثم اتمه بعشر فصار ثلثين والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشيء قدر او لم يقدر وانتصاب اربعين على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح كن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك الى الافساد فلا تتبعه وانما جعله خليفة مع انه شريكه في النبوة بدليل واشركه في امري والشريك اعلى حالا من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكانه خليفته ووزيره وانما وصاه بالاصلاح تاكيدا واطمينانا والا فالنبي لا يفعل الا الاصلاح ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كانه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذي حددنا له كما يقال اتيته لعشر خلون من شهر كذا وكلمه ربه للناس في كلام الله مذاهب فقيل عبارة عن هذه الحروف المؤلفة المنتظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف والاصوات وعلى الاول فمحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية او جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة وعلى الثاني قال الاشعرية قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية لانه كما لا يتعذر رؤية ذاته مع انه ليس بجسم ولا عرض كذا لا يمتنع سماع كلامه مع انه ليس بحرف ولا صوت وقال ابو منصور الماتريدي الذي سمعه موسى عليه السلام اصوات مقطعة وحروف

مؤلفة

مؤلفة قائمة بالشجرة واختلف العلماء ايضا في ان الله تعالى كلم موسى وحده وهو ظاهر الاية او مع السبعين المختارين والاول قول القاضي لان تكليم الله موسى معجز وقد تقدمت نبوة موسى فلا بد من ظهور هذا المعنى لغيره قال رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك واجعلني متمكنا من رؤيتك فانظر اليك واراك وعن ابن عباس ان موسى عليه السلام جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقي السبعون في اسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له في الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب ارني انظر اليك قالت الاشاعرة ان موسى سأل الرؤية وانه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها قال القاضي فللمحصلين من العلماء في هذا المقام اقوال احدها قول الحسن وغيره ان موسى ما عرف ان الرؤية غير جائزة على الله تعالى وهذا لا يقدح في معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد ان يكون موقوفا على السمع وزيف بانه يلزم ان يكون موسى ادون حالا من علماء المعتزلة العالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى وبانهم يدعون العلم الضروري بان كل ما كان مرئيا فانه يجب ان يكون مقابلا او في حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل وهو محال وان كان حاصلا وجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو ايضا محال وثانيها طريقة ابي علي وابي هاشم ان موسى عليه السلام سأل الرؤية عن لسان قومه فقد كانوا يكررون المسئلة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة و زيف بانه لو كان كذلك لقال موسى ارهم ينظروا اليك ولقال الله تعالى لن يروني وبانه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها وبان ذكر الدليل القاطع في هذا المقام زمن ضيق فلم يكن تاخيره مع انهم لو كانوا اقروا بنبوة موسى كفاهم في الامتناع عن السؤال قول موسى وان لم يقروا لم يفد الجواب فان لهم ان يقولوا لا نسلم ان هذا المنع من الله بل هذا افتراء على الله وثالثها وهو اختيار ابي القاسم الكعبي ان موسى سأل ربه المعرفة الضرورية بحيث يزول عنده الخواطر والوساوس كما في معرفة اهل الآخرة وزيف بانه تعالى اراه من الآيات كالعصا واليد ما يغنيه بعدها الكشف ويليق به ان يقول اظهر لي آية تدل على انك موجود ولو فرض انه لا يليق بحال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك ولقائل ان يقول منعه في الدنيا لحكمة عرفها الله تعالى ولا يلزم منه المنع الا ورابعها وهو قول ابي بكر الاصم ان موسى اراد تاكيد الدليل العقلي بالدليل السمعي وتعاضد الدلائل امر مطلوب للعقلاء وضعف بانه كان يوجب عليه حينئذ ان يقول اريد يا الهي ان يقوي امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في عقلي ولقائل ان يقول هذا تعيين الطريق وفي الاية سؤال وهو انه تعالى لم قال لن تراني دون لن تنظر الي ليناسب قوله انظر اليك والجواب لان موسى لم يطلب النظر المطلق وانما طلب النظر الذي معه الادراك بدليل قوله ارني ومن حجج الاشاعرة انه تعالى علق رؤيته على امر جائز هو استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ورد بانه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه اي في وقت النظر وعقيبه واستقرار الجبل حال حركته محال ومنها قوله فلما تجلى ربه اي ظهر وبان ومنه جلوت العروس اذا ابرزتها او ظهر للجبل اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول والدك والدق اخوان ومن قرأ بالمد اراد ارضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام ودكاء ايضا اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة والغرض من الجميع تعظيم شان الرؤية وان احدا لا يقوى على ذلك الا بتقوية الله وتاييده وقالت المعتزلة الرؤية امر محال لقوله لن تراني وكلمة لن ان لم تفد التابيد فلا اقل من التاكيد وايضا الاستدراك في قوله ولكن انظر معناه ان النظر امر محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر الى الجبل لتشاهد دك اجزائه وتفرق ابعاضه من عظمة التجلي واذا لم يطق الجبل ذلك فكيف الانسان قالت الاشاعرة ههنا لم يبعد ان يخلق الله تعالى حينئذ في الجبل حيوة وعقلا وفهما ورؤية وايضا قوله وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم روي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وايضا قوله بعد الافاقة من الصعقة سبحانك اي تنزيهك عما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك اني تبت اليك من طلب الرؤية بغير اذن منك وان كان الغرض صحيحا هو تنبيه القوم على استحالة ذلك بنص مسموع من عندك وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس وقالت الاشاعرة وانا اول المؤمنين بانك لا ترى في الدنيا او بانه لا يجوز السؤال منك الا باذنك ثم لما سأل الرؤية ومنعه الله اياها اخذ في تعداد سائر نعمه عليه وامره ان يشتغل بشكرها فقال يا موسى اني اصطفيتك الاية والمقصود تسلية موسى عن منع الرؤية قيل وفي هذا دليل على جواز الرؤية في نفسها والا لم يكن الى هذا العذر حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله من غير واسطة كما سمعه موسى والغرض انه خصه من دون الناس بمجموع امرين الرسالة والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وانما كان الكلام بلا توسط سببا للشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء في المثل لشتان بين من اتخذه الملك لنفسه حبيبا وقربه اليه بلطفه تقريبا وبين من ضرب له الحجاب والحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب وبواب والمراد بالرسالة ههنا اسفار التورية فخذ ما آتيتك من شرف الرسالة والكلام وكن من الشاكرين بان تشتغل بلوازمها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له في الالواح قيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطاه الله التورية يوم النحر وذكروا في الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبرئيل وقيل من زبرجدة خضراء او ياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب انها كانت من صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده وشققها باصابعه وقيل طولها كان عشرة اذرع والتحقيق ان امثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والا وجب السكوت عنه اذ ليس في الاية ما يدل على ذلك واما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبرئيل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم هذا النقل ايضا كما قلنا من كل شيء مفعول كتبنا ومن للتبعيض كما اخذت من الدراهم وموعظة وتفصيلا بدل منه فيدخل في الموعظة كل ما يوجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد واراد بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من اقسام الاحكام ويجوز ان يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا له في الالواح موعظة من كل شيء وتفصيلا لكل شيء قيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على ارادة القول اي وكتبنا فقلنا له خذها او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالة او للتورية بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك يأخذوا باحسنها سئل ههنا انه لما تعبد بكل ما في التورية وجب كون الكل مأمورا به وظاهر قوله يأخذوا باحسنها يقتضي ان فيه ما ليس باحسن وانه لا يجوز لهم الاخذ به واجاب العلماء بوجوه منها ان تلك التكاليف منها ما هو حسن ومنها ما هو احسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يأخذوا بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب فيكون كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال قطرب باحسنها يعني بحسنها وكلها حسن وقيل الحسن يشمل الواجب والمندوب والمباح والاحسن الواجب والمندوب وقال في الكشاف يجوز ان يراد يأخذوا بما هو المأمور به دون المنهي عنه كقولهم الصيف احر من الشتاء ثم ختم الاية بالوعيد والتهديد فقال ساريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعني جهنم اي ليكن ذكر جهنم حاضرا في اذهانكم لتحذروا ان تكونوا منهم وعن قتادة يريد مواطن الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشام ومصر ليعتبروا

[illegible]

الواقعة

الواقعة في الميقات والاسف الشديد الغضب وهو قول ابي الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن والسدي انه الحزين وقال الواحدي
متقاربان لانه اذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فكان موسى غضبان على قومه اسفا على فتنة ربه حيثما
خلفتموني خاطب عبدة العجل او وجوه القوم هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص محذوف تقديره
بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي مع قوله خلفتموني من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الانداد او من بعد ما كنت احمل القوم عليه
من التوحيد والكف عن اتخاذ اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير
الاية فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة اعجلتم امر ربكم قال الواحدي العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك
صارت مذمومة في الاغلب بخلاف السرعة فانها عمل الشيء في اول وقته قال ابن عباس يعني اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم
الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه لما لم يأت على رأس الثلاثين ليلة فقد مات وروي ان السامري قال لهم ان موسى لم يرجع وانه قد مات
وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا وقال الكلبي اعجلتم عبادة العجل قبل ان يأتيكم امر ربكم وقال عطاء اعجلتم سخط
ربكم وفي الكشاف يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى
اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصيتكم به والقى الالواح التي فيها التوراة لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله تعالى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يرحم الله اخي موسى ما الخبر كالمعاينة لقد اخبره الله تعالى بفتنة قومه فعرف ان ما اخبره الله تعالى به حق وانه
مع ذلك تمسك بما في يده وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح ثابت بالقرآن فاما القاؤها بحيث تكسرت فلا وانه جراءة
عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء واقل الجراءة تحصل بنفس الالقاء لا بالتكسر الذي لا يتعلق باختياره فكل ما يحمل هذا على نفس الالقاء صح ان يحمل
هذا على التكسر واخذ برأس اخيه اي بشعر رأسه يجره اليه بذؤابته واعلم ان موسى عليه السلام كان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون
الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وقد استتبع غضبه امرين احدهما القاء الالواح والآخر اخذ برأس اخيه جارا اليه وزعم مثبتو عصمة
الانبياء انه جر برأس اخيه الى نفسه ليساره ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لاجل الاهانة والاستخفاف ثم ان هرون خاف ان يتوهم جهال بني اسرائيل
ان موسى فعل الفعل به اهانة فقال يا ابن ام من كسر الميم على طرح ياء المتكلم ومن فتحها شبهها بخمسة عشر لكثرة الاستعمال او على حذف الالف المبدلة من ياء
الاضافة وانما اضافه الى الام اشارة الى ان امهما واحدة على ما روي انه كان اخاه لابيه وامه ليكون ادعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافتخر
بنسبها ولانها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ان القوم استضعفوني استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي لقلة انصاري وكادوا يقتلونني
حين منعتهم عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء العابدين العجل فانهم يحملون هذا الذي تفعل بي على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع
القوم الظالمين في اشراك العقوبة والاذلال ولا تعتقد اني واحد منهم ولا يخفى ما في بعض هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق ان هذا القدر
من الحدة قبل جلية الحال ولا يخفى ان عتابه وقع في شأن الخلافة ثم اخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم
وذلة كلاهما في الحيوة الدنيا فالغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض ان قوله سينالهم للاستقبال
وفي وقت نزول الاية كان القتل واقعا واجيب ان هذا الكلام حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى في الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم
في الغضب والذلة قلت ويجوز ان يكون الاتيان من تتمة قول موسى الا ان قوله وكذلك نجزي المفترين ينبو عن ذلك الا ان يحمل على الاعتراض وكما كان
في هذا التفسير من التكلف ذهب بعض المفسرين الى ان المضاف في الاية محذوف والتقدير ان الذين اتخذوا اباؤهم العجل يعني الذين كانوا في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحيوة الدنيا بضرب الجزية او غضب وذلة كلاهما في الدنيا بالقتل والجلاء كما فعل
في بني قريظة والنضير او التقدير ان الذين اتخذوا العجل سينالهم لاولادهم وكذلك نجزي المفترين اي كل مفتر في دين الله فجزاؤه الغضب والذلة
قال مالك بن انس ما من مبتدع الا ويجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الاية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ظاهر الاية يدل على ان التوبة
بشرط العفو وانه لا بد مع التوبة من تجديد الايمان لما صعب شأن المذنبين لكن عموم لفظ السيئات يدل على ان من اتى بجميع المعاصي ثم تاب فان الله
يغفرها فما احسن حال التائبين لغفور يستر عليهم محاء لما صدر عنهم رحيم منعم عليهم بالجنة وفيه ان الذنوب وان جلت وعظمت الا ان عفوه وكرمه
اعظم واجل ولما بين ما كان من موسى مع الغضب بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان انه خرج على قانون
الاستعارة وكأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وغير ذلك فترك النطق وقطع الاغراء وعن عكرمة ان المعنى سكت موسى عن الغضب
فقلب كما يقال ادخلت الخف في رجلي وانما ادخل الرجل في الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ به اخذ الالواح التي القاها منبها على زوال
غضبه لانه اوكد ما تقدم من امارات الغضب وفي نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ الكتب اي فيما نسخ فيها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح
لم تتكسر واخذها موسى باعيانها بعد ما القاها او قلنا انها تكسرت واخذ ما بقي منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روي عن ابن عباس انه لما القى الالواح تكسرت
فصام اربعين يوما فاعادها الله تعالى الالواح وفيها عين ما في الاولى هدى من الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ادخل اللام في المفعول لتقدمه
فان تأخير الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت ويجوز ان يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون لا رياء ولا سمعة وجوز
بعضهم ان يكون اللام صلة نحو ردف لكم التأويل ثلثين ليلة لئلا يستكثر النفس الاربعين من ضعف البشرية واتممناها بعشر لخصوصية الاربعين
في ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى الروح لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلي كن خليفتي في قومي من الاوصاف
البشرية واصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة وهذه الخلافة هي السر الاعظم في بعثة
الروح من ذروة عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى ولما حصل الروح على بساط القرب وتتابع عليه كاسات الشرب اثر فيه سماع
الكلمات فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب ارني انظر فقيل هيهات انت بعد في بعد الاثنينية وحجاب جبل الانانية فلن تراني لانه
لا يراني الا من كنت له بصرا حتى يبصر ولكن انظر الى جبل الانانية فان استقر مكانه عند التجلي فسوف تراني ببصر انانيتك وخر موسى صعقا بالانانية
فكان ما كان بعد ان بارز جابان فاشرقت الارض بنور ربها قد كان ما كان سرا ابوح به فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر فلو لم يكن جبل انانية النفس من
الروح وتجلي الرب لتلاشى في الحال وما عاش ولولا ان القلب خليفة عند الفناء بالتجلي لما امكنه الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح
لما استعد بالتجلي ولا بالتجلي فافهم فلما افاق عن غشية الانانية بسطوة تجلي الربوبية قال موسى بلا هويته سبحانك تنزيها لك من خلقك واتصالا
الخلق بك وانا اول المؤمنين بانك لا ترى بالانانية وانما ترى بنور هويتك برسالاتي وبكلامي دون رؤيتي وكن من الشاكرين فان الشكر

سيلغك الى ماسالت من الرؤية لان الشكر يورث الزيادة والزيادة هي الرؤية للذين احسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة اي بقوة الصدق و
الاخلاص او بقوة واعانة منا ساريكم دار الفاسقين الخارجين عن طلب الله الى طلب الاخرة او الدنيا ساصرف عن اياتي فيحجب المتكبر بحجاب الكبر
عن رؤية الايات واتخذ قوم موسى ان سامري الهوى من بعد توجه موسى الروح لميقات مكالمة الحق اتخذ من حلي زينة الدنيا وزخارف البشرية
التي استعارها بنوا اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعو الخلق به الى نفسه ولما سقط في ايديهم عند رجوع موسى
الروح الى قومه وهم الاوصاف الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عبودية الحق والاخلاص له قالت لئن لم يرحمنا بجذبات العناية
ربنا الاية غضبان مما عبدت صفات القلب عجل الدنيا اسفا على ما فات لها من عبودية الحق اعجلتم امر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها
والتعلق بها قبل اوانه من غير ان يامركم به ربكم وفيه اشارة الى ان اصحاب السلوك لا ينبغي ان يلتفتوا الى شيء من الدنيا في اثناء السلوك اللهم الا
اذا قطعوا منازل النفس والهوى ووصلوا الى الكعبة وصال المولى فيامرهم المولى ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق والقى الالواح يعني الالواح للروح
من اللوائح الربانية عند استيلاء الغضب الطبيعي واخذ براس اخيه القلب فانه اخو الروح يجره اليه قهرا عند استيلاء طبيعة الروحانية قال ابن ام
هما من اب وام واخذ ابوهما الامر وامهما الخلق وانما نسبه الى الخلق لان في عالم الخلق تواضعا وتذللا بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفوني يعني
ان اوصاف البشرية استولى بالغلبات عند غيبتك وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلني مع القوم
الظالمين فيه ان صفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس ورعوناتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما
يتغير صفاته كما ان النفس لا تتغير من حيث هي عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما يتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والملهمية والمطمئنة
والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت الى طبعها رب اغفر لي ولاخي اشارة الى ان الروح والقلب محل استعداد قبول
الجذبة الالهية التي تدخلهما بالسير في عالم الصفات وكذلك نجزي المفترين الذين يزعمون ان الله تعالى اعطاهم قوة لا تغيرهم عبادة الهوى
والدنيا وشهواتها والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب واليه التكلان

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب
لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا
فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير الغافرين ۝ واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به
من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون و
يؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون ۝ الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية
والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم و
الاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا
النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون ۝ قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات
والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ۝ ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ۝ صدق الله العظيم

القراءة

القراءات عذابي اصيب بفتح الياء ابو جعفر ونافع اصارهم على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون على التوحيد
الوقوف لميقاتنا ج للابتداء بكلمة الجزاء مع فاء التعقيب واياي ط منا ج لتصدر ان النافية مع اتحاد القائل فتنتك ط لان ما بعده مستانف
ويهدي به من يشاء ط الغافرين ه اليك ط من اشاء ط للفصل بين الجملتين تعظيما لشانها مع الاتفاق في اللفظ كل شيء ط للتبيين واختلاف
الجملتين والفاء للاستيناف وعد على الخصوص يؤمنون ج لاحتمال ما بعده النصب او الرفع على المدح او الجر على البدل والانجيل ز لان يامرهم يحتمل
ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو يامرهم وان يكون نعتا اي مكتوبا امرا او بدلا عن مكتوبا او مفعولا بعد مفعول اي يجدونه امرا او يكون التقدير الذي
يامرهم فيكون كالبدل عن الصلة كانت عليهم ط انزل معه لا لان ما بعده خبر فالذين المفلحون ه والارض ج لاحتمال ما بعده الابتداء والحال اي استحق
ملك السموات غير مشارك ويميت ص لطول الكلام والا فالفاء للجواب اي اذ كنت رسولا فامنوا اجابة تهتدون ه التفسير الاختيار
افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره ومن هنا سمي فعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك ان صدور الفعل عن الحيوان موقوف على كونه
يكون ذلك الفعل خيرا له من تركه قال النحويون اصله واختار موسى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه لان من الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف
واحد ثم يتسع فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبي واستغفرت
ذنبي وجوز بعضهم في الاية ان يراد بالقوم المعتبرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا اول من غير واسطة ويكون سبعين بدلا او بيانا
قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فصاروا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج
فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين
ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه والمفسرون مختلفون
في ان هذا الميقات عين ميقات الكلام والرؤية ام غيره الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما
سمعوا الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة في هذه الاية والذاهبون الى الثاني حملوا
القصة على ما مر في البقرة في تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هنالك ان منهم من قال هذه الواقعة كانت قبل قتل الانفس توبة عن عبادة
العجل ومنهم من قال انما كانت بعد القتل واحتج اصحاب هذا المذهب على المغايرة بانه تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم اتبعها ذكر
قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضي ان يكون هذه القصة مغايرة لتلك القصة والا لزم التناسب وعن علي رضي الله عنه
ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون
فاحياه الله فقال ما قتلني احد فاخذتهم الرجفة هنالك قيل كانت موتا وقيل اخذتهم الرعدة حتى كادت تتفكك مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف
موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي قال في الكشاف هذا تمن منه لان يهلك قبل ان يرى ما راى كما يقول النادم
على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم بما فعل السفهاء منا قال اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله
يهلك قوما بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد اي انك لا تفعل ذلك كما تقول اتهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد انه
استفهام استعطاف اي لا تهلكنا قيل لو كان السفهاء هم القائلون لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لناسب ان يقال اتهلكنا بما قاله السفهاء فاذن السفه
بفعل صدر عنهم كعبادة العجل او غيرها ومنه يعلم ان هذا الميقات غير ميقات طلب الرؤية ان هي الا فتنتك الضمير يعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد
وان هي الا هند قاله الواحدي ولعله يعود الى مقدر وهي المعنى ان الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك ابتلاؤك ومحنتك حين كلمتني وسمعوا
كلامك او حين اسمعتهم صوت العجل تضل بها اي بالفتنة من تشاء فيفتتن وتهدي به من تشاء فيثبت على الحق قالت الاشاعرة في الاية دلالة ظاهرة
على مذهبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان المحنة لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم في الكلام
الضمير يعود الى الرجفة اي تضل عن الجنة بسبب عدم الصبر على تلك الرجفة او لعدم الايمان بانها من عندك من تشاء وتهدي الى الجنة بها
ما قلنا من تشاء او المراد بالاضلال الاهلاك اي تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها عمن تشاء انت ولينا يفيد الحصر اي لا ولي لنا ولا ناصر الا انت
فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر ان قوله ان هي الا فتنتك جراءة عظيمة فاشرك نفسه مع قومه في طلب المغفرة والرحمة وانت خير الغافرين لان غفرانك غير
موقوف على طلب نفع او دفع ضرر بل لمحض الفضل والكرم واكتب اوجب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة نظيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا
اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقد فسرناها في سورة البقرة واعلم ان كونه تعالى وليا للعبد يناسب ان يطلب العبد منه دفع الضرر وتحصيل المنافع
ليظهر اثار كرمه والهيته وايضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختمه بالسبب الثاني
وهو قوله انا هدنا اليك قال اهل اللغة الهود التوبة اي تبنا ورجعنا اليك وقدم ذكر السببين عند عزة الربوبية وعند ذلة العبودية فلا يبعد وقوع الاجابة
ولان دفع الضرر مقدم على تحصيل النفع قدم طلب المغفرة والرحمة على طلب ايجاب الحسنة في الدارين قال الله تعالى في جواب موسى عذابي من حاله وصفته
اني اصيب به من اشاء اي ليس لاحد علي اعتراض في ملكي وقالت المعتزلة اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة
وقرا الحسن من اساء من الاساءة ورحمتي من شانها انها وسعت كل شيء قالت الاشاعرة هذا من العام الذي اريد به الخاص وقال اكثر المحققين
ان رحمته في الدنيا تعم الكل ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمته واما في الاخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله فساكتبها
للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض وما بالذات راجح غالب و
قالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا حي الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير واللذة وان حصل هناك الم فله اعواض كثيرة واعلم ان
تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين التروك والافعال فقوله فساكتبها للذين يتقون اشارة الى التروك والتكليف الفعلي اما مالي وهو قوله
ويؤتون الزكوة واما غيره وذلك قوله والذين هم باياتنا يؤمنون فانه يشمل كل ما يجب على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك اتباع النبي الامي الى اخره ووصف
محمدا صلى الله عليه وسلم في هذه الاية بصفات تسع الاولى الرسالة الثانية النبوة فان قيل النبوة مندرجة تحت الرسالة فلم افردها بالذكر قلنا
لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا لقوله جاعل الملائكة رسلا وقد يكون نبيا ولا رسولا ككثير من الانبياء فلا يكون احدهما مغنيا
على الاطلاق مغنيا عن الاخر ولو سلم فذكر الاخر تتميم وتصريح بما علم ضمنا الثالثة كونه اميا قال الزجاج معناه انه على صفة امة العرب قال صلى الله عليه
انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وقيل انه منسوب الى الام اي انه على هيئته يوم ولد لم يكتب خطا ودراسة وكان هذا من جملة معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم
وبيانه من وجوه الاول انه كان يقرا عليهم كتاب الله منظوما مرة بعد اخرى من غير تبديل والخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم اعادها فانه لا بد ان يزيد

[illegible]

[illegible]

وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقيه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا

[illegible]

انفسهم يظلمون ۝ واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها
حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم
سنزيد المحسنين ۝ فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل
لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ۝ و
اسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت
اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ۝ واذ قالت امة منهم لم
تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم
ولعلهم يتقون ۝ فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ۝
فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ۝ واذ تاذن
ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك
لسريع العقاب ۝ وانه لغفور رحيم ۝ وقطعناهم
في الارض امما منهم الصالحون ۝ ومنهم دون ذلك وبلوناهم
بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ۝ فخلف من بعدهم
خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير
للذين يتقون افلا تعقلون ۝ والذين يمسكون بالكتاب
واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين ۝ واذ نتقنا الجبل
فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة
واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ۝ صدق الله العظيم

القراءة تغفر لنا بالتاء الفوقانية مضمومة وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب المفضل الباقون بالنون وكسر الفاء خطاياكم مجموعا جمع التكسير ابو عمرو وخطيئاتكم بالرفع وعلى الوحدة ابن عامر خطيئاتكم بالرفع مجموعا جمع السلامة ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون مثله ولكن بالنصب الذي يليق بجمع السلامة المؤنث يسبتون من الاسبات ابو زيد عن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بئيس مثل ريم ابو جعفر ونافع بيئس على فيعل كسيد ابن عامر بئس على فعيل بفتح العين الاعشى والبرجمي الباقون بيئس على فيعل تاذن بالتليين الاصفهاني

عن ورش والشموني وحمزة في الوقف تنقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص الباقون بياء الغيبة يمسكون من الامساك ابو بكر وحماد الآخرون بالتشديد **الوقوف** امما ط وان اتفقت الجملتان لان اذ اوحينا عامل اذ استسقاه دون قطعناهم فان تفرق الاسباط لم يكن في زمان الاستسقاء الحجر ط لحذف مع اتحاد الكلام اي فضرب فانبجست عينا ط مشربهم ط والسلوى ط ما رزقناكم ط لحذف جمل اي فكلنا لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وما ظلمونا ط يظلمون ه خطاياكم ط المحسنين ه يظلمون ه البحر كيلا يصير ما بعده ظرفا لقوله واسئلهم فانه محال لا تاتيهم ج لاحتمال التعلق كذلك به اي يوم لا يسبتون لا تاتيهم اتيانا كاتيانها يوم السبت والاصح ان كذلك صفة مصدر محذوف اي نبلوهم بلاء كذلك فالوقف على كذلك جائز ايضا يفسقون ه قوما لا لان الجملة بعده صفة شديدا ط تتقون ه يفسقون ه خاسئين ه العذاب ط رحيم ه لضعف الجر واحاج لاحتمال كون ما بعده صفة او استئنافا دون ذلك ز للعطف على قطعنا فان لم تجعل الجار صفة لامم كان عطفا مع عارض يرجعون ه سيغفر لنا ج ياخذوه ط ما فيه ط يتقون ه يعقلون ه الصلوة ط على تقدير حذف اي لا نضيع اجرهم انا لا نضيع او هم المصلحون ولا نضيع اجر المصلحين وللوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع المضمر اي انا لا نضيع اجرهم المصلحين ه النوع الثالث واقع بهم ج لحق المحذوف تتقون ه **التفسير** انه سبحانه ختم قصة بني اسرائيل بتعداد جمل من احوالهم تبصرة للمكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم ميزناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم عن بعض كيلا يتحاسدوا ولا يتباغضوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط وهو من السبط بفتح يعتلفه الابل فكان الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو ان مميز ما بعد العشرة الى التسعة والتسعين مفرد فهلا قيل اثني عشر سبطا واجيب بان كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة شعر جعلت في اول النبقل من رماحي مالك ونهشل ولهذا انث اثنتي عشرة وقال الزجاج المميز محذوف واسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتي عشرة فرقة اسباطا وقال الفارسي والجوهري اسباطا بدل من اثنتي عشرة والمميز محذوف كما قال الزجاج وقوله امما بدل من اثنتي عشرة ان كل اسباط كانت جماعة كثيفة العدد وكل امة تؤم خلاف ما كانت تؤمه الاخرى وباقي الاية الى قوله ما كانوا يظلمون تقدم تفسيره في البقرة وكذا بيان المتشابهات فنذكر النوع الآخر من احوالهم قوله سبحانه وسئلهم عن القرية اي عن اهلها وليس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلومة للرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الله تعالى ولكن المراد تقريرهم انهم قد سوا لفهم من الاعتداء والفسق ليعلم ان لهم سابقة في ذلك وليس كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم اول مناكيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا وكذا ليعرف ذلك الغير انه محيط بملك القصة وفيه انه اذا اخبرهم محمد صلى الله عليه وسلم وهو اول مناكيرهم ... من لم يقرأ كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحي فيكون معجزا والاكثرون على ان تلك القرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون في السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا من القرية بدل الاشتمال اي وسلهم عن وقت عدوانهم قال في الكشاف ويجوز ان يكون منصوبا بحاضرة او بكانت بناء على ان كان تعمل في غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية حاضرة البحر في وقت العدوان لانها حاضرة في جميع الاحيان وقوله اذ تاتيهم منصوب بيعدون او مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت وهو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع كركع وراكع وكل شيء دان من شيء فهو شارع ودار شارعة اذا دنت من الطريق ونجوم شوارع اي دنت من المغيب فالحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض وقال ابن عباس ومجاهد ان اليهود امروا باليوم الذي امرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه وباقي القصة مذكورة في البقرة وفيها دلالة على ان من اطاع الله تعالى خفف الله عليه احوال الدنيا والاخرة ومن عصاه ابتلاه بانواع البلاء والمحن وقالت الاشاعرة لو وجب رعاية الاصلح على الله تعالى لوجب ان لا يكثر الحيتان في ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وفيها الاعتراض الوارد على خلق ابليس وسائر اسباب الشرور **النوع الثالث** قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب انه منهم جماعة من صلحاء اهل القرية الذين بالغوا في موعظتهم حتى ايسوا الآخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بان عاقبة المعصية شؤم والتمهك في الفساد والايكاد بفلح قالوا معذرة من رفع فبتقدير هذه او موعظتنا او قولنا ابلاء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة او وعظناهم معذرة الى ربكم اي اذا طولبنا باقامة النهي عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولانا نرجوا ان يتقوا بعض الاتقاء فيتركوا الصيد في السبت فلما نسوا يعني اهل القرية تركوا ما ذكرهم به الصالحون انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراآت شديد من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد والظاهر ان هذا العذاب غير المسخ المتاخر في قوله فلما عتوا تجبروا وتمردوا وابوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن المنهي عنه يكون طاعة قلنا لهم كونوا قردة خاسئين والمراد امر التكوين والايجاد لا ان هناك قولا وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث وهو ان اهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان المذنبة والواعظة واما الامة القائلة لم تعظون قوما فهم المذنبة بعينها قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم بزعمكم والاعتراض على هذا القول انه لو صح ذلك لكان اللائق ان يقال في الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجميع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح انهم ثلاث فرق فرقة مذنبة وفرقة واعظة وفرقة قالوا للواعظين لم تعظون اما المذنبة فقد هلكوا بالاتفاق واما الواعظة فقد نجوا بقي الكلام في الثالثة فعن ابن عباس انه توقف فيهم وكان يقول ليت شعري ما فعل بهؤلاء وعنه ايضا انهم هلكوا وكان اذا قرئ عليه هذه الاية يبكي وقال ان هؤلاء الذين سكتوا عن النهي عن المنكر هلكوا ونحن نرى اشياء فنكرها ثم نسكت ولا نقول شيئا وعن الحسن انهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويحكمون بان الله سيهلكهم او يعذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي بحال المنهي وان النهي لا ينجع فيه سقط عنه النهي ولعل الواعظين لم يستحكم ياسهم بعد كما استحكم ياس هؤلاء او لعلهم كانوا احرص الطائفتين او لعل الامة سالوا عن علة الوعظ سؤال المسترشدين لا سؤال المنكرين ومنه اعلم بالسرائر **النوع الرابع** واذ تاذن ربك هو تفعل من الايذان الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكانه يؤذن النفس بانه بفعله واجري مجرى فعل القسم في الجزم بالجزم نحو علم الله وشهد الله فاجيب بجواب القسم اي حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد واختلف في العايد في عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على ان لهم نسلا وقيل الى صلحاء تلك القرية فكانه مسخ المتقدين والحق الذل بالتبعية وقال الاكثرون هم اليهود الذين ادركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى شريعته فثبتوا على الكفر واستمروا على الكوبة

اما العذاب فقيل مواخذة الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيمة وقيل الاستخفاف والاهانة وقيل القتل والقتال كما وقع في زمن بختنصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما في يهود خيبر وبني قريظة والنضير واذ قد اخبر الله تعالى بلزوم الذل والصغار اياهم ونحن نشاهد ان الامر كذلك فهو اذن اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروي في ان اتباع الدجال هم اليهود ان صح معناه انهم كانوا قبل خروجه يهود ثم دانوا بالهيبة فذكروا بالاسم الاول واما التخلف ذلك لانهم يكونون في وقت اتباع الدجال ظاهرين غالبين **النوع الخامس** وقطعناهم في الارض امما فرقناهم فيها تفريقا شديدا فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا في زمن موسى يهدون بالحق او الذين هم وراء الصين وعن ابن عباس ومجاهد الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وامنوا به ومنهم دون ذلك اي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه فيجوز ان يكون فيهم بعض الصلاح وان كان ادون من صلاح الاولين الا ان قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بهم الكفرة الفسقة الباقية على ضد الخير والرشاد ومحل دون ذلك رفع على انه صفة مرفوع محذوف كما قلنا و وبلوناهم عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالحسنات الخصب والعافية والسيئات الجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين تدعو الى الطاعة والانابة والنعم بالترغيب والنقم بالترهيب فخلف من بعدهم ظاهره يدل على ان الاول ممدوح والثاني مذموم فالمراد فخلف من بعد اولئك الصلحاء خلف قال الجوهري الخلف القرن بعد القرن يقال هؤلاء خلف سوء لناس لاحقين بناس اكثر منهم قال الاخفش وقد يحرك ومنهم من يقول خلف سوء من ابيه بالتسكين وخلف صدق من ابيه بالتحريك قال لبيد شعر ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب والخلف الردي من القول يقال سكت الفا ونطق خلفا اي سكت عن الف كلمة ثم تكلم بخطاء ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وفي الاشارة بقوله هذا الادنى تحقير وتخسيس واراد بالدنو القرب لانه عاجل او دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشي في تحريف الاحكام والنعوت ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا بما اخذنا واسند الفعل الى الجار والمجرور او الى الاخذ الدال عليه يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون والمراد الاخبار عن اصرارهم على الذنوب وقال الحسن هو اخبار عن حرصهم على الدنيا وانهم لا يشبعون منها ثم بين نكث عهدهم فقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي التورية ومحل ان لا يقولوا على الله الا الحق رفع او عطف بيان للميثاق المذكور في التورية وهو ان لا يحرفوا الكلم عن مواضعه ولا يقبلوا الرشى او لا يصروا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف ذلك خروج من ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق ويجوز ان يكون ان لا يقولوا مفعولا لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطف على الم يؤخذ لانه تقرير كانه قيل اخذ عليهم الميثاق وقرؤا ما فيه اي انهم ذاكرون لما اخذ عليهم لانهم قد قرؤه ودرسوه والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم ثم لما ذكر حال من ترك التمسك بالتورية اتبعها حال من تمسك اي اعتصم به فقال والذين يمسكون الاية والتشديد للتكثير وفي افراد اقامة الصلوة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة اظهار لمزية الصلوة واشعار بانها عماد الدين **النوع السادس** واذ نتقنا قال ابو عبيدة اصل النتق قلع الشيء عن موضعه والرمي به ومنه امرأة ناتق اذا كثر ولدها لانها ترمي باولادها رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من اصله وجعلناه فوقهم كانه ظلة وهي كل ما اظلك من سقف او حائط وظنوا انه واقع بهم علموا وتيقنوا انه ساقط عليهم وقيل قوي في نفوسهم انه يقع بهم ان خالفوا روي انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التورية الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا اي قلنا القول اي وقلنا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي او من التعريض للثواب او المراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما انتم عليه من الاباء **التاويل** القرية التي كانت حاضرة البحر هي قرية الجسد الحيواني على شاطئ بحر البشرية واهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف روحاني كصفات الروح وصنف قلبي كصفات القلب وصنف نفساني كصفات النفس الامارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعي البشرية في سبت محارم الله فلم يهتك الحرمة الا الصفات الانسانية اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع فتهيج الدواعي في المحرمات دون المحللات بما كانوا يفسقون اي بما كانوا من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج عن امر الله لانها امارة بالسوء واذ قالت امة منهم هي صفات القلب قالوا لصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفات عند استيفاء اللذات والشهوات او معذبهم عذابا شديدا هو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لانه خلقنا لكذا امرين بالمعروف ناهين عن المنكر فيقتضي ما علينا ليعلم انا ما تغيرنا من اوصافنا الروحانية والملكية ولعل النفس وصفاتها يتقون فيتصف بالمامورية والاطمينان فانها قابلة لذلك بعذاب بئيس هو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليبعثن عليهم على الارواح والقلوب الذين يتبعون النفس وصفاتها من يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيمة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذاب ذل الخدمة للنفس والشيطان وقطعناهم فرقناهم الارواح والقلوب في ارض الاجساد منهم الصالحون القابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك في القبول وبلوناهم بالحسنات وهي الطاعات والسيئات وهي المعاصي لعلهم يرجعون الى الحق وذلك ان السير الى الله يتم بقدم الطاعة وبقدم ترك المعصية ومن ههنا قيل خطوتان وقد وصلت او بلوناهم بالحسنات ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر او بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب بها كما كان حال ابليس وبكثرة المعاصي والندامة عليها كما كان حال ادم فخلف من بعد الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والمعاني والاسرار وورثت النفوس وجعلوها ذريعة للعروض الدنياوية وتحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب اهل الاباحة او سيغفر لنا اذا استغفرنا وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب واذ نتقنا الجبل فيه ان الانسان وكل الى طبعه ونفسه لا يقبل شيئا من الامور الدينية وانما يعان على القبول بامر ظاهر او باطن وفيه ان على رؤس اهل الطلب جبل امر الحق وهو امر التحويل فيخوفهم بالقدرة الى ان يأخذوا ما اتاهم الله تعالى بقوة منه لا بقوتهم وارادتهم والله اعلم بالصواب واليه المآب

واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين ۝ او يقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون ۝ وكذلك نفصل
الآيات ولعلهم يرجعون ۝ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ۝
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هويه فمثله
كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم
الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ۝
ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون ۝
من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ۝
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ۝ ولله الاسماء
الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما
كانوا يعملون ۝ وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ۝
والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ۝
واملي لهم ان كيدي متين صدق الله العظيم

القراءة ذريتهم على التوحيد حمزة وعلي وخلف وابن كثير وعاصم سوى المفضل الباقون على الجمع ان يقولوا او يقولوا بياء الغيبة في الحرفين ابو عمرو يلهث ذلك بالاظهار حفص والاصفهاني عن ورش والحلواني عن قالون ولقاش عن ابي ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرانا مظهرا ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بالهمز **الوقوف** انفسهم ج لان التقدير وقال الست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم ط فصلا بين السؤال والجواب بلى ج لان شهدنا يصلح ان يكون من قولهم فيوقف على شهدنا ويعلق ان بمحذوف اي فعلنا ذلك لئلا يقولوا ويصلح ان يكون شهدنا من قول الملائكة اي قيل للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا فيكون منفصلا من كلمة بلى ومتصلا بان يقولوا غافلين لا للعطف من بعدهم ج لابتداء الاستفهام واتحاد القائل المبطلون ۝ يرجعون ۝ الغاوين ۝ هويه ج لان قوله فمثله مبتدأ ولدخول الفاء فيه كمثل الكلب ج لابتداء الشرط مع ان الجملة تفسير للمثل او تتركه يلهث ط بآياتنا ج يتفكرون ۝ يظلمون ۝ المهتدي ج للعطف ولان التفصيل بين الجملتين ابلغ في التنبيه الخاسرون ۝ والانس ص والوصل اولى لان الجملة بعده صفة كثيرا لا يفقهون بها ج لان العطف صحيح ولكن الوقفة لوصال وجه الاعتبار وكذا الثانية ولهذا كرر لفظة لهم في اول كل جملة لا يسمعون بها ط اضل ط الغافلون ۝ فادعوه بها ط للعطف المتفقين في اسمائه ط يعملون ۝ يعدلون ۝ لا يعلمون ۝ ج وعطف واملي على سنستدرجهم حسن من جعله مستانفا فوقف على املي لهم متين ۝ **التفسير** لما شرح قصة موسى على اقصى الوجوه وذكر ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين وفي الاية للمفسرين قولان احدهما ما روى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه

ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي وابن عباس اما المعتزلة واصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الاية انه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب في عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته فبالاشهاد صاروا كأنهم قيل لهم الست بربكم وكأنهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل باب واسع في كلام الله تعالى ورسوله وفي كلام العرب ونظيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال الشاعر شعر امتلأ الحوض وقال قطني وهذا القول الثاني غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون في نفسه انما الكلام في صحة القول الاول والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ اخذ ربك من ظهور بني آدم وعلى هذا فلم يذكر الله تعالى انه اخذ من ظهر آدم شيئا ويمكن ان يجاب بانه تعالى يعلم ان الشخص الفلاني يتولد من آدم ومن فلان فلان آخر فعلى الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض فثبت اخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر فوجب المصير اليهما معا صونا للاية والخبر عن الطعن ومنها ان اولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء لم يصح اخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب ان يتذكروا تلك الحالة في هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل ان يجاب بالفرق وذلك انا اذا كنا في ابدان اخرى وبقينا فيها سنين ودهورا امتنع في مجرى العادة نسيانها واما اخذ هذا الميثاق فانما حصل في اسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان ومنها ان جميع الخلق من اولاد آدم جمع عظيم وجم غفير وصلب آدم على صغره لن يتسع لذلك المجموع على ان البنية شرط لحصول الحيوة والعقل والفهم فكل واحد من اولئك الذر لا بد له من بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما في الحجمية والمقدار واجيب بان البنية عندنا ليست شرطا في الحيوة والعقل فمن الجائز ان يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها ان فائدة اخذ الميثاق ان يكون حجة عليهم في ذلك الوقت او في الدنيا والاول باطل لانه متفق على انهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب على انهم ادون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف يتوجه على الذر واجيب بانه لا يسئل عما يفعل وان المعتزلة اذا ارادوا التصحيح لقول وزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد ان يكون لبعض المكلفين في اسماع هذه الاشياء لطف فكذا ههنا لا يبعد ان يكون لبعض الملائكة في تمييز السعداء من الاشقياء في وقت اخذ الميثاق لطف وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيمة ومنها انه سبحانه قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق فلو كان الذر انسانا لنافى كون الانسان مخلوقا من الماء او الطين والجواب لم لا يجوز ان يخرج الله تعالى من صلب آدم ذرة من الماء ثم منها ذرة اخرى وهلم جرا الى آخر نسلها ثم يعدم الكل او يبقيها فيحصل الحيوة للانسان اربع مرات اولها وقت الميثاق وثانيها في الدنيا وثالثها في القبر ورابعها في القيامة ويحصل له الموت ثلث مرات بين كل حيوتين واحد ولا ينافي هذا حكاية كلام الكفرة ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء على حسب ظنونهم اما قوله ان يقولوا فالتقدير واشهدهم على انفسهم كراهة ان يقولوا او لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا الشهود غافلين ومن قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة وهو قوله من بني آدم من ظهورهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون في المعنى او يقولوا يعني الكفار انما اشركنا لان آباءنا اشركوا فقلدناهم في ذلك الشرك وكان الذنب لاسلافنا فكيف تعذبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله افتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل ان الله لما اخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة معناه اشهدناهم عليهم كراهة ان تقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لاسلافنا لان نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء وقال في الكشاف المراد ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذريتهم الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم المقتدين بآبائهم لان الايات السابقة في شان اليهود وكذلك قوله واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا وقوله وكذلك اي ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل او يرجعوا الى ما اخذه الله عليهم من الميثاق في التوحيد ولبعض العلماء في الاية قول ثالث وهو ان الارواح البشرية موجودة قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم ليس مما يحتاج في تحصيله الى كسب وطلب وهو المراد باخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن تعلقها فربما تذكر بالتذكير والتنبيه وربما لا يتذكر واتل عليهم على بني آدم او اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت في بلعم بن باعوراء وذلك ان موسى عليه السلام قصد بلده قصة بلعم بن باعورا
الذي هو فيه وغزا اهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو اسرائيل بدعائه في التيه فقال موسى يا رب باي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى عليه السلام ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره حمامة بيضاء فهذه قصته ويقال ايضا انه كان نبيا من انبياء الله تعالى فلما دعا عليه موسى عليه السلام انتزع الله منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه تعالى قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وفيه انه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده بمزيد الشرف والفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله بن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابو روق نزلت في امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله يرسل رسولا في ذلك الوقت فرجا ان يكون هو فلما ارسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حسده ثم مات كافرا ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ولقد كاد ان يسلم وذلك انه يوحد الله تعالى في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السموات والارض واحوال الآخرة والجنة والنار وقيل نزلت في ابي عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق وكان يترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وامر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار واتى قيصر واستنجده على النبي صلى الله عليه وسلم فمات هنالك طريدا وحيدا وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب وكانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم وعن الحسن والاصم وروى عكرمة عن ابن عباس قال هو رجل اعطي ثلث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امرأة يقال لها البسوس وكان له منها ولد وكانت لها محبة فقالت اجعل لي منها دعوة واحدة قال لك واحدة فماذا تأمرين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه وارادت شيئا آخر فدعا الله عليها ان يجعلها كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس فادع الله ان يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت

كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وبها يضرب المثل فيقال اشأم من البسوس وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فاعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وابي مسلم ومعنى قوله آتيناه آياتنا عند الاكثرين علمناه حجج التوحيد وفهمناه ادلته حتى صار عارفا بها فانسلخ منها فخرج من محبة الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيئا بالكلية انه انسلخ منه وقال ابو مسلم آتيناه آياتنا فانسلخ منها اي ابيناها فلم يقبل وعري منها وتباعد كما هو شان كل كافر لم يؤمن بالادلة واقام على الكفر والقول الاول اولى لان الانسلاخ يدل على انه كان الشيء موجودا فيه ثم خرج منه لا على انه لم يوجد فيه اصلا وايضا ثبت بالاخبار ان الاية نزلت في انسان كان عارفا بدين الله ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فاتبعه الشيطان اي ادركه ولحقه وصار قرينا له او اتبعه الشيطان خطواته او كفار الانس وغواتهم اي الشيطان جعل كفار الانس اتباعا له فكان من الغاوين في علم الله تعالى او فصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار بها اي بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض اصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكأنه قيل لزم الميل الى الارض ومنه اخلد فلان بالمكان اذا لزم الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضي الله عنه رضي بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا قال الواحدي فهؤلاء فسروا الارض بالدنيا لان ما في الدنيا من الضياع والعقار كلها ارض وسائر امتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى قوله واتبع هواه انه اعرض عن التمسك بما آتاه من الايات ثم انه لو جاء الكلام على ظاهر النقل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله ولكنه اخلد الى الارض لما دل على هذا المعنى لا جرم اقيم مقامه قالت الاشاعرة لفظة لو تدل على ان الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر وقال الجبائي معناه ولو شئنا لرفعناه باعماله بان نخترمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى تسلم له الرفعة لكنا عرضناه بزيادة التكليف لمنزلة زائدة فابى ان يستمر على الايمان او المراد لو شئنا لرفعناه بان نحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا ان ذلك ينافي التكليف فلا جرم تركناه ومع اختياره وقال صاحب الكشاف معناه ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله تعالى رفعه تابعة للزوم الايات فذكرت المشية والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنها كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في هذا المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين ويجوز ان يكون لتفسير المثل كما مر قال الليث اللهث هو ان الكلب ونحوه اذا ناله الاعياء عند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شيء يلهث فانه يلهث من اعياء او عطش الا الكلب اللاهث فانه يلهث في جميع احواله لحاجة وضرورة وبل الطبيعة الخبيثة فمعنى الاية ان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث ايضا لاجل ذلك الفعل القبيح لطبيعة اصلية له وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل واعلم ان التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث واخس الحيوانات هو الكلب واخس الكلاب هو اللاهث وان الرجل العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما يكون لاجل انه يورد عليهم انواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها ولا شك انه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته شبيهة بحال الكلب الكلب الذي اخرج لسانه ابدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخبيثة وايضا فالحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال لاجل ان ذلك الضلال والخسار عادة اصلية وطبيعة ذاتية له كما ان ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عمم التمثيل جميع المكذبين الضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وقال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم وداعيا يدعوهم الى طاعة الله ثم جاءهم من لا يشكون في صدقه وديانته فكذبوه وقيل هم اليهود قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقصص القصص يريد قصص المكذبين او قصص بلعم الذي هو نحو قصص المكذبين لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته ثم ذكر تأكيدا آخر في باب التحذير فقال ساء مثلا ولا بد من تقدير مضاف ليناسب التمييز المخصوص بالذم فيصير التقدير ساء مثلا مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وفي ساء ضمير يفسره التمييز والمنصوب بعده وظاهر الاية يقتضي كون المثل مذموما فقيل كيف يتصور ذلك مع ان الله ذكره والجواب ان الذم يتوجه الى ما افاده المثل من تكذيبهم بايات الله واعراضهم عنها حتى صاروا في ذلك بمنزلة الكلب اللاهث اما قوله وانفسهم كانوا يظلمون فاما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها ثم بين ان الهداية والضلال بتقديره فقال من يهدي الله فهو المهتدي فهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان اهتدى مطاوع هدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون وانه محمول على المعنى لان من معناه ههنا الجمع لان الخسار ليس مطاوع الاضلال بل الضلال مطاوع له والخسار لازم اللازم ولا يخفى ان ظاهر الاية موافق لمعتقد الاشاعرة ان الهداية والضلال بل جميع الاعمال بخلق الله تعالى والمعتزلة اولوها بان المراد من يهده الله الى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا ومن يضلله عن طريق الجنة وقال بعضهم التقدير من يهده فقبل هداه فهو المهتدي ومن يضلل بان لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف وزيادة الهدى فهو المهتدي ومن يضلله عن ذلك بالقدم على سوء اختياره فاخرج بهذا السبب تلك الالطاف من ان يؤثر فيه فهو الخاسر وزيف بان العلم والداعي وبان الاصل عدم الاضمار وبان كل ما في مقدورهم من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة في حق جميع الكفار وبالاية بعدها وهي قوله ولقد ذرأنا الى آخره وذلك انه بين انه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك في الازل وخلاف معلومه محال وايضا العاقل لا يريد الكفر والجهل الموجبين لدخول النار فحصول ذلك على خلاف قصده ودواعيه لا يكون الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهي الى مسبب الاسباب لا محالة لا يقال العبد انما سعى في تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشتبه الامر عليه فظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع في هذا الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهي الى جهل حصل ابتداء فيتوجه الالزام قالت المعتزلة الايات الدالة على انه سبحانه اراد من العبد الطاعة والعبادة والخير فقط كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضا انه قال في معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى آخره ولو كانوا مخلوقين للنار غير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وايضا لو خلقهم للنار لما كان له نعمة على الكفار لان منافع الدنيا باسرها لا اعتداد بها في جنب العذاب الدائم لكن القرآن مملو من انه تعالى منعم على جميع الخلائق وايضا مذهبكم يوجب ان لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب ان يخلقهم في النار ابتداء لانه لا فائدة في ان يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم وايضا الاية متروكة الظاهر لان لام الاختصاص لا يفيد فيها الا اذا قدر ولقد ذرأنا لجهنم لكي يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب بناؤها على قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان ظاهره صحيح من غير حذف وعلى هذا وجب ان يأول الاية بان اللام فيها لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا او يقال انه جعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه كانهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا لكذا اذا كان غريقا في بعض الامور واجيب اجمالا بانه لا يسأل عما يفعل وتفصيلا بان النعمة وان قلت فهي في نفسها نعمة وبان الوسائط معتبرة وبان حمل اللام على العاقبة يجوز ولكن لا يصار اليه الا لضرورة ولتصحيح المعنى

وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلائل العقلية كالعلم والداعي والنقلية كآيات كثيرة على ان الكل من الله فوجب المصير الى الجبر ولا سيما
فان ما قبل هذه الآية وهو قوله من يهدي الله فهو المهتدي وما بعدها وهو قوله والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم يدل على ما قلناه وايضا لا ريب ان اولئك
الكفار كانت لهم قلوب يفقهون بها مصالح الدنيا وكذا اعين مبصرة وآذان سامعة فالمراد انهم ما كانوا يفقهون ويسمعون ويبصرون ما يرجع الى مصالح
الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف وان الكفار بلغوا في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والى شدة النفرة عن قبول دينه
مبلغا لا يمكنه كنهه والعلم الضروري حاصل بان حصول الحب والبغض في القلب ليس باختيار الانسان بل هو حالة حاصلة في القلب كره الانسان
او اراد وحينئذ يثبت القول بالجبر وروى الشيخ احمد البيهقي في كتاب مناقب الشافعي رح ان علي بن ابي طالب خطب الناس فقال واعجب
ما في الانسان قلبه فيه مواد من الحكمة واضدادها فان سنح له الرجاء ولهه الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له
الغضب اشتدت به الغيظ وان اسعد بالرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته المصيبة قتله الجزع وان وجد مالا اطغاه الغنى
وان عضته فاقة شغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة
القضاء والقدر لان اعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من احوال القلب فانها مستندة الى حالة اخرى حصلت قبلها واذا وقف
الانسان على هذه الحالة علم انه لا خلاص من الاعتراف بالجبر وذكر الامام الغزالي في الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اني اجد من نفسي اني ان شئت الفعل
فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلي حاصلا بي لا بغيري اجيبنا وقلنا هب انك وجدت من نفسك ذلك الا انا نقول وهل تجد من نفسك
انك ان شئت ان تشاء شيئا شئت وان شئت ان لا تشاء لم تشأ ما اظنك تقول ذلك والا لذهب الامر فيه الى ما لا نهاية له فلا مشيئتك
بك ولا حصول فعلك بعد حصول مشيئتك بك وانما انت مضطر في صورة مختار والله تعالى اعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض
الذم وفيه دليل على ان محل الفقه هو القلب واقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم الصنوبري بل اللطيفة الانسانية التي بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها
بالنفس الناطقة وبالروح اما قوله اولئك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان يشارك سائر الحيوان في القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمو[لدة]
وفي منافع الحواس الخمس الظاهرة وفي احوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التي يهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به
فاذا لم يحصل هذه العلة للانسان صار في درجة الانعام بل اضل وادون لان الذي اعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث النوع
كان اخس حالا ممن لا يمكنه مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية ان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع وقال مقاتل الانعام تعرف ربها وتبصر منافعها
ومضارها فتسعى في تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار اكثرهم معاندون مصرون وقال انها تفر ابدا الى اربابها ومن يقوم بمصالحها والكافر يهرب عن ربه
الى الاصنام وقيل انما لا تضل اذا كان معها مرشد والكافر يضل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقال عطاء
انهم الغافلون عما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله سبحانه
والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ذوق في هذه وجد من نفسه ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن الذكر واقبل على الدنيا وقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان
ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا انفتح على قلبه باب الذكر خلص من نيران الآفات وحرمان الحسرات
الى معرفة رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور في ثلثة مواضع اخر في بني اسرائيل وفي اوائل طه وفي اواخر الحشر ومعنى حسن الاسماء حسن معانيها
ومفهوماتها لان اسماءه دالة على صفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين عدم افتقاره الى غيره وثبوت افتقار غيره اليه وقد عرفت في تفسير
البسملة ان اسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر بحسب السلوب والاضافات فكل من كان وقوفه على اسرار حكمه في مخلوقاته اكثر كان علمه باسماء الله الحسنى اكثر
والآن نقول ان من تقسيم اسماء الله تعالى ما يقوله المتكلمون من ان صفات الله تعالى ثلثة انواع ما يجب عليه وما يجوز وما يستحيل ومنها ان يقال ان اسماء الله
اما ان يجوز اطلاقها الى غيره كالرحيم والكريم وان كان معناها في حق الله مغايرا لمعناها في حق غيره واما ان لا يجوز نحو الله والرحمن وقد يفيد القسم الاول بقيود
مخصوصة فيصير من القسم الثاني مثل يا ارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين ويا خالق السموات والارضين ومنها ان يقال من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا
يا الله يا رحمن يا حي يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب ان يقال يا محيي يا مميت يا ضار يا نافع ومنها
ان يقال اول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك
المرجح اما ان يرجح على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول باطل والا لزم دوام العالم بدوامه والثاني هو المعني بكونه قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكون
افعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم يمتنع ان لا يكون حيا فظهر ان العلم بصفاته تعالى وباسمائه ليس واقعا في درجة واحدة بل
العلم بها علوم مترتبة يستفاد بعضها من بعض ومن البين ان الاسماء الحسنى لا يكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلالة يستلزم وجوب الوجود وكل
نقص وخساسة فانه يعقب الامكان وكل اسم لا يفيد في المسمى صفة كمال وجلالة فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن ههنا اختلف في انه هل يطلق عليه
اسم الشيء ام لا وقد مر تحقيق ذلك في تفسير البسملة وفي الانعام في قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله واما قوله فادعوه بها ففيه دليل على ان الانسان
لا يجوز ان يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى بعد ان عرف معانيها ويكون مستحضرا لا يرى عزة الربوبية وذلة العبودية كما انه في قوله عند التحريم
الله اكبر يشير الى انه لا نسبة لكبريائه وعظمته الى ما سواه من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات وانما هو اكبر من هذه الاشياء
واكبر من ان يقال له اكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون في اسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال قد الحد
في الدين ولحد وقال غيره من اهل اللغة الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر قال الواحدي الاجود قراءة العامة
ولا يكاد يسمع لاحد بمعنى لحد والالحاد في اسماء الله تعالى يقع على ثلثة اوجه الاول اطلاق اسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى
من العزيز ومناة من المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمي نفسه بالرحمن الثاني ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمع من البدو وقالوا بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
يا نجي بناء على ان النجوة مدح الثالث ان يأبوا التسمية ببعض اسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء ان ورد الاذن في بعض الاسماء لا يجوز اطلاق
سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز ان يقال يا معلم وان ورد وعلم آدم الاسماء وكذا في حق الانبياء عليهم السلام لا يجوز ان يقال ان آدم عاص او غاو
وان ورد وعصى آدم ربه فغوى ثم اوعد الملحدين في اسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم لما اخبر ان كثيرا من الثقلين مخلوقون للنار حكى ان بعضا
منهم مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا امة يهدون بالحق وقد مر مثل هذه الآية في قصة موسى عن قتادة وابن جريج وابن عباس ان المراد في الآية امة محمد صلى الله عليه وسلم
وروى الربيع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها وعن الربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه
الآية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقال الجبائي هم العلماء والدعاة الذين في كل حين ثم

اعاد ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا بآياتنا قال ابن عباس يريد اهل مكة والظاهر انه عام والاستدراج استفعال من الدرجة ومنه
درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء ومعنى الآية سنقربهم الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون
ما يراد بهم وذلك انهم كلما اقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب الخير فيزدادون بطرا وانهماكا في الغي والفساد ثم يأخذهم اغفل ما يكونون واملي لهم
اطيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان مكري شديد والمتين من كل شيء هو القوي يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بالفاظ [illegible]
والاملاء والكيد في مسئلة القضاء والقدر حتى قال بعض المجبرة سنستدرجهم الى الكفر مع انه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا آخر وحملها المعتزلة على ان المراد
سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا او في الآخرة وزيف بان هذا الاستدراج والامهال اذا كان مما يزيد الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو اراد به الخير لاما[ته]
قبل ان يصير مستوجبا لتلك من العقوبة بل كان يجب في حكمته ورعايته للاصلح ان لا يخلقه ابتداء او يميته قبل التكليف فلما خلقه وابقاه في دركة التكليف و
امهله ومكنه من المعاصي مع علمه بان كل ذلك لا يفيده الا مزيد استحقاق العقاب علمنا انه ما خلقه الا للنار كما قال ولقد ذرأنا لجهنم **التأويل** واذا تقرب
لم يقل ربكم ليعلم ان في الآية عموما لا يطلع عليه غيره وغيره من النعم الله به عليه من خواص متابعيه وانه تعالى لم يكلم احدا وهو بعد في العدم الا بني آدم كلهم
وهم غير موجودين واجابوه وهم معدومون مجري بالجود ما جرى لا بالوجود فهذا ابتداؤهم والى هذا ينتهي نهايتهم بان يكون الله تعالى سمعهم وابصارهم والسنتهم انما
اشرك آباؤنا بان صنعوا الاثنينية وما رجعوا الى الوحدة بالفناء في الله بالفعل المبطلون الذين ابطلوا استعداد الرجوع الى الوحدة لله ولعلهم يرجعون بهذه الدلالات
من البداية الى النهاية وهو مقام الوحدة فانسلخ منها اي وقع في فخ همته العلية عن ذكر طلب الحق ومحبته فادركته [illegible] الشيطان وجعلته من الهالكين [illegible]
ان المعصوم من عصمة الله وان السالك بل الواصل يجب ان لا يأمن مكر الله فلا يفتح على نفسه ابواب التنعم والترفه والميل الى حب المال والجاه ولقد ذرأنا
لجهنم كثيرا وهم مظاهر القهر فادعوه بها بان تتصفوا بصفاته بالنيات الصالحات وبالاعمال الزاكيات ثم تتخلقوا بها بالاحوال بتصفية مرآة القلب و[illegible]
عن التعلق بما سوى الله تعالى والذين كذبوا بآياتنا بان لم يوافق اقوالهم افعالهم سنستدرجهم فيتخلفون عن مراتبهم بالتدريج والله تعالى اعلم بالغيوب

اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين ۝ اولم ينظروا
في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ۝ من يضلل الله فلا هادي
له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ۝ يسئلونك عن الساعة ايان
مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات
والارض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كانك حفي عنها قل انما علمها
عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝ قل لا املك لنفسي
نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ۝
هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما
تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا
صالحا لنكونن من الشاكرين ۝ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ۝ ايشركون ما لا يخلق شيئا
وهم يخلقون ۝ ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون ۝
وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون ۝ ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ۝ الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد

يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ۝ ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ۝ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون ۝ وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ۝ صدق الله العظيم

القراءة فبأي بتليين الهمزة حيث كان الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ويذرهم بالياء مرفوعا ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عباس والمفضل ويذرهم بالياء مجزوما عباس وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون مرفوعا ان انا الا بالمد ابو نشيط شركا بكسر الشين وسكون الراء ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد الآخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففا نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام وكذا بابه حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعباس الآخرون بالضم للاتباع كيدوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل والحلواني عن هشام في الوصل تنظرون بالياء في الحالين يعقوب ان ولي الله بياء واحدة مشددة عن المفضل وشجاع وعباس اذا افرد بالا وعام الكبير وليي بثلاث ياءات يونس والبرجمي الباقون بياءين اولاهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة

الوقوف من جنة ط مبين ه من شيء لا لان التقدير وفي ان عسى اجلهم ج لابتداء الاستفهام مع الفاء يؤمنون ه هادي له ط لمن قرأ ويذرهم بالرفع على الاستئناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادي له يعمهون ه مرسيها ط عند ربي ج لاختلاف الجملتين الا هو ط والارض ط بغتة ط عنها ط لا يعلمون ه ما شاء الله ط من الخير ج لاحتمال ان يقدر السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب لو واحتمال ان يقدر بالجنون الذي نسبوا اليه فيكون ابتداء نفي يؤمنون ه اليها ج لاجل الفاء فمرت به ج لذلك الشاكرين ه فيما آتاهما ج لابتداء التنزيه ووجه الوصل تعجيل التنزيه يشركون ه وهم يخلقون ه ز والوصل اولى للعطف ينصرون ه لا يتبعوكم ط صامتون ه صادقين ه يمشون بها لان ام عاطفة مع انها في معنى ابتداء استفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ط تنظرون ه الكتاب ز والوصل اولى ليكون الواو عاطفة الصالحين ه ينصرون ه لا يسمعوا ط لا يبصرون ه

التفسير انه تعالى لما بالغ في تهديد الملحدين المعرضين عن آياته الغافلين عن التأمل في بيناته عاد الى الجواب عن شبهاتهم فقال اولم يتفكروا واعلم ان الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والجلاء ولها مقدمة هي تقليب الحدقة الى جهة المرئي كذلك رؤية البصيرة وهي المسماة بالعلم واليقين حالة متعينة في الوضوح والانارة ولها مقدمة هي تقليب حدقة القلب الى الجوانب طلبا لذلك وهذه الحالة تسمى بنظر العقل وفكرته وفي اللفظ محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهي حالة من الجنون كالجلسة كان جهال اهل مكة ينسبونه الى الجنة لوجهين احدهما انه صلى الله عليه وسلم كان تغشاه حالة عجيبة عند الوحي شبيهة بالغشي يتربد وجهه ويتغير لونه والثاني ان فعله وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والدعاء الى الله تعالى كان مخالفا لفعلهم عن الحسن وقتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلا على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت على الصياح الى الصباح فامرهم الله تعالى بالتفكر والتدبر في امره وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الدلائل القاطعة بالفاظ فصيحة عجز الاولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الاخلاق طيب العشرة مرضي السيرة مواظبا على اعمال حسنة صار بسببها قدوة لعقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة ان مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه بالجنون وانما هو نذير مبين ارسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر في امر النبوة مفرعا على دلائل التوحيد قال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض اي لم ينظروا نظر استدلال في الملكوت الملك العظيم وفي انكار عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال فيما للعقل اليه سبيل وقد مر في هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والارض على وجود الصانع وخصوصا في سورة البقرة عند قوله ان في خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شيء اي مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس غير محصورة والغرض التنبيه على ان الدلالة على التوحيد ليست مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات هذا العالم فيها برهان باهر ودليل قاهر على الوحدانية لانها مخصصة بحيز معين من الاحياز غير المتناهية وبقدر معين من الاقدار وبوضع معين من الاوضاع وكذا الكلام في لونها وشكلها وطبعها وطعمها وسائر صفاتها فكل واحد من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الى واجب واحد في ذاته وفي جميع اعتباراته وان عسى هي مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير للشان وفي ان يكون ضمير الشان ايضا والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم الموت والعقوبة واذا كان احد هذين الاحتمالين قائما وجب على العاقل المسارعة الى هذا الفكر والنظر سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم اما قوله فبأي حديث بعده يؤمنون فمتعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا ولا دلالة في اطلاق لفظ الحديث على القرآن على انه ليس بقديم لان المراد بالحديث ما رادف الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ والكلمات ولا نزاع في حدوثها قوله من يضلل الله فلا هادي له قد سبق تفسير مثله ثم لما تكلم في النبوة والتوحيد والقضاء والقدر اتبعه الكلام في المعاد فقال يسألونك عن الساعة والغرض انه لما ذكر اقتراب الاجل بين ان وقت الساعة مكتوم عن الانام لتصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة واداء الفرائض ومن السائل عن ابن عباس انهم اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة قال في الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها كما يقال للحبشي ابو البيضاء او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق وايان سؤال عن الزمان ويختص بالامور العظام نحو ايان مرسيها وايان يوم الدين ولا يقال ايان نمت وكسر همزته لغة سليم وعن ابن جني ان اشتقاقه من اي فعلان منه واي فعل منه اوقيت اليه لان البعض آو الى الكل والمتوقع ان يكون اشتقاقه من اين لانه للزمان واين للمكان وقلة فعال في الاسماء وكثرة فعلان

[illegible]

الايمان نفع والكفر ضرر فوجب ان يحصل الابتلية الله تعالى واجابت المعتزلة بان المراد لا املك لنفسي من النفع والضر الا قدر ما شاء الله ان يقدرني عليه ويمكنني منه او ظاهر الآية وان كان عاما الا انها مخصوصة بصورة النزول قال الكلبي ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو لتشتري فتربح وبالارض التي تريد ان تجدب فترتحل عنها الى قد اخصب فانزل الله هذه الآية فالمراد بالخير في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح والاكساب وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان الدعوة الى الدين الحق تؤثر في هذا ولا تؤثر في ذاك فكنت اشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق جاء في الطريق ريح نفرت الدواب منها فاخبر صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا اين ناقتي فقال عبد الله بن ابي لقومه الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فنزلت اما قوله وما مسني السوء فالمعنى ولكان حالي على خلاف ما هي عليه من المغلوبية في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدابير ان انا الا عبد مرسل للنذارة والبشارة وما من شأني ان اعلم الغيب وقوله لقوم يؤمنون اما ان يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير وهو للكافرين محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر او يتعلق بالوصفين جميعا لان المؤمنين لما كانوا هم المنتفعون بهما خصوا بالذكر كقوله هدى للمتقين واعلم ان اكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه اولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيث تقدم النفع على الضر فذلك لسابقة لفظ تضمن نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل وتقدم الخير على السوء في قوله لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وفي الرعد فتقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبأ تقدم البسط في قوله ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير امر التوحيد وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة المروي عن ابن عباس انها نفس آدم وقد تقدم مثل ذلك في اول سورة النساء قال مجاهد كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحارث وكان اسم ابليس في الملائكة الحارث وذلك قوله تعالى فلما آتاهما صالحا اي ولدا سويا جعلا يعني آدم وحواء له شركاء والمراد تسميته بعبد الحارث هذا تمام القصة وقد زيفها لوجوه منها انه تعالى قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله ايشركون ما لا يخلق شيئا الى آخر الآيات وفي ذلك تصريح بان المراد الاصنام ولو كان المراد ابليس لقال ايشركون من لا يخلق شيئا وهو يخلق ومنها ان آدم عليه السلام كان عالما بجميع الاسماء فكيف خفيت عليه الاسماء ام كيف لم يعرف ان اسمه كان حارثا ام كيف لم يتنبه لغدر ابليس بعد ان جرى عليه منه ما جرى ومنها انه ان اراد بذلك اسم علم او اسم صفة والاول لا يستلزم محذورا لان اسماء الاعلام لا تفيد في المسميات فائدة فلا يلزم الاشتراك والثاني يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى آدم فبعد ذلك ذكر العلماء في تأويل وجوها احدها ان هذا مثل فكانه تعالى يقول هو الذي خلقكم اي كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها انسانا يساويه في الانسانية ليسكن اي تلك النفس فذكر بعد ما انث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتطلق اليها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى فلما تغشاها اي جامعها لانه اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد النطفة والحمل بالفتح ما كان في البطن او على رأس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر او على الدابة فمرت به اي استمرت ومضت على ذلك الحمل من غير ازلاق وقيل فقعدت وقامت وقعدت به من غير ثقل وقيل المراد بالخفة انها لم تلق ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها دعوا اي الزوج والزوجة الله ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه او ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين لنعمائك فلما آتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرأ شركا فعلى حذف المضاف اي ذوي شرك وهم الشركاء ايضا والمراد احدثا لله اشراكا في الولد

[illegible]

للعبودية لتكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا اى الروح والقلب له شركاء اى جعلا وجه النفس الى الدنيا ونعيمها فصارت عبد البطن وعبد الخميصة وعبد الدرهم والدينار ولا يستطيعون لهم نصرا اى لا يستطيع الدنيا ومن فيها الروح والقلب النفس تقوية وتربية الا بامداد الافلهم نصر [illegible] بالبقاء والدوام

خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ۝ واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ۝ ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ۝ واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ۝ واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصاير من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ۝ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ۝ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين ۝ ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ۝

القراءة طيف بسكون الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعلى الباقون طايف على وزن فاعل يمدونهم من الامداد ابو جعفر ونافع الآخرون بفتح الياء وضم الميم من المد العفو وامر مدغما ابو عمرو وقرئ بغير همز حيث كان يزيد والشموني وحمزة في الوقف الوقوف الجاهلين ۝ بالله ط عليم ۝ مبصرون ۝ ج لان قوله واخوانهم مبتداء الا ان المعنى يقتضي الوصل لبيان اختلاف حال الفريقين لا يقصرون ۝ اجتبيتها ط من ربي ز [illegible] الجاهلين بلا عطف مع اتحاد المقول يؤمنون ۝ ترحمون ۝ من الغافلين ۝ يسجدون ۝ سجدة [illegible] لما ذكر [illegible] وطريقة عبدة الاصنام [illegible] النهج القويم والصراط المستقيم ارشد الى مكارم الاخلاق والعفو الفضل وكل ما اتى من غير كلفة واعلم ان الحقوق التي تستوفى من الناس اما ان يجوز [illegible] المساهلة فيها وهو المراد بقوله خذ العفو ويدخل فيه التخلق مع الناس بالخلق الحسن وترك الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب ان يدعو الخلق الى الحق بالرفق واللطف كما قال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واما ان لا يجوز دخول المسامحة فيها وذلك قوله وامر بالعرف وهو [illegible]

[illegible]

الذين لا يعلمون ان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ان الذين عند ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم اقبلوا احكام
في اخلاقه ويسبحونه ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون في الوجود والعدم من الازل الى الابد منه البداء واليه المنتهى والله اعلم

سورة الانفال مدنية هي الا سبع آيات قوله واذ يمكر بك الى قوله يحشرون حروفها ٥٢٩٤ كلماتها ١٢٣١ آياتها ٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ۝ انما
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته
زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ۝ الذين يقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون ۝ اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات
عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
وان فريقا من المؤمنين لكارهون ۝ يجادلونك في الحق بعدما
تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون ۝ واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم
ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ۝ ليحق الحق و
يبطل الباطل ولو كره المجرمون ۝ اذ تستغيثون ربكم فاستجاب

لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ۝ وما جعله الله إلا بشرى
ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ۝

القراءة مردفين بفتح الدال أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون بالكسر **الوقوف** عن الأنفال ط والرسول ج لعطف المختلفتين مع الفاء ذات بينكم ص مؤمنين ۝ يتوكلون ۝ ج لاحتمال جعل الذين مبتدأ والوصل أولى فيكون الوقف على ينفقون ط ويكون الثناء بحقيقة الإيمان منصرفا إلى قوله هم المؤمنون حقا ط كريم ۝ ج لمجيء التشبيه بالحق ص لطول الكلام لكارهون ۝ ينظرون ۝ الكافرين ۝ لا المجرمون ۝ ج لاحتمال كون إذ متعلقا بمحذوف وهو اذكر أو بقوله ويحق مردفين ۝ قلوبكم ج لابتداء النفي مع احتمال الحال عند الله ط حكيم ۝

التفسير روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنيمة جاء الشبان يطلبون نفلهم وقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فإنا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا ردءا لكم فأنزل الله تعالى يسئلونك عن الأنفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم أحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طائفة بالعسكر والنهب فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم قالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله تعالى وهزمهم وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أنتم بأحق به منا نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينال العدو منه غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن أخذناه واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الآية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسواء وعن سعد بن أبي وقاص لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فأخذت سيفه فأعجبني فجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض أي في المقبوض من الغنائم فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزلت سورة الأنفال فقال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه الآن قد صار لي فاذهب فخذه. والنفل بالتحريك الغنيمة وجمعه الأنفال وهي الأموال المأخوذة من الكفار قهرا قال الأزهري هو ما كان زيادة على الأصل سميت الغنائم بذلك لأن المسلمين فضلوا بها على سائر الأمم الذين لم تحل لهم الغنائم وصلاة التطوع نافلة لأنها زائدة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة أي زيادة على ما سأل والضمير في يسئلونك عائد إلى جمع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كما قررنا وحسن العود وإن لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة الحال عليهم ولفظ السؤال وإن كان مبهما إلا أن تعيين الجواب يدل على أن المراد أنهم سألوا عن الأنفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج إنما سألوا عنها لأنها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بأن الآية دلت على أنها مسبوقة بالتنازع والتنافس فسألوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة أن المراد من هذا السؤال الاستعطاء أي يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعده وهذا التفسير يناسب خبر سعد بن أبي وقاص في إعطاء السيف إياه وعن ابن عباس في بعض الروايات أن المراد بالأنفال ما شذ عن المشركين إلى المسلمين من غير قتال من دابة أو عبد أو متاع فهو إلى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء وعن مجاهد الأنفال الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس وعلى هذا فالقوم إنما سألوه عن الخمس فنزلت الآية ثم أمر بالشروع في الجواب فقال قل الأنفال لله والرسول أي حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر في قسمتها مفوضا إلى رأي أحد قال مجاهد وعكرمة والسدي إنها منسوخة بقوله واعلموا أنما غنمتم الآية وضعف بأن جعل أربعة أخماسها ملكا للغانمين لا ينافي كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الأنفال بالخمس أو بالسلب فلا إشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى الموافقة والمصافاة فقال فاتقوا الله أي عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الأموال وأصلحوا ذات بينكم أي التي هي بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومودة وموافقة لما كانت الأحوال واقعة في البين قيل لها ذات البين كما أن الأسرار لما كانت مضمرة في الصدور قيل لها ذات الصدور ثم ختم الآية بقوله إن كنتم مؤمنين أي كاملي الإيمان تنبيها على أن كمال الإيمان موقوف على التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين فقال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من أليم عقابه وقد يطمئن القلب بعد ذلك إذا ذكر كمال رأفته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وقيل هو الرجل يهم بظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا قال العلماء زيادة الإيمان تكون على ثلاثة أنحاء **الأول** بقوة الدليل وبكثرته فإن كل دليل فهو مركب لا محالة من مقدمات ولا شك في أن النفوس مختلفة في الإشراق والإظلام والأذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات أكثر وأدوم كان علمه بالنتيجة أكمل وأتم وكذا من سنح له على المطلوب دليلان كان علمه أتم ممن لا يجد للمطلوب سوى دليل واحد ولهذا يورد العلماء دلائل متعددة على مدلول واحد وقد ذكر القائل شعر وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد **الثاني** بتعدد التصديق وتجدده فإن المعلوم أن من صدق إنسانا في شيئين كان تصديقه أزيد في تصديق من صدقه في شيء واحد فمعنى الآية أنهم كلما سمعوا آية متجددة أتوا بإقرار جديد **الثالث** أن يقال الإيمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والإقرار والعمل كما ينبئ عنه ظاهر الآية لأنه لما ذكر الأمور قال أولئك هم المؤمنون فدل ذلك على أن كل تلك الخصال داخلة في مسمى الإيمان ويؤيده ما رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان وإذا كان الإيمان عبارة عن مجموع الأركان الثلاثة فبسبب دخول التفاوت في العمل يظهر التفاوت في الإيمان وإن لم يكن التفاوت في الإقرار والاعتقاد متصورا ثم قوله وعلى ربهم يتوكلون يفيد الحصر أي لا يتوكلون إلا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على أحسن جهات الترتيب **فالأول** الفزع من عقاب الله **والثانية** الانقياد لتكاليفه **والثالثة** الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من أحوال القلوب وهي الخشية والتسليم والتوكل شرع في وصفهم بأعمال الجوارح وذكر منها رئيسها ومنبعها وهما الصلوة والصدقة ثم عظمهم بقوله أولئك هم المؤمنون وفي أولئك وفي توسيط الفصل وتعريف الخبر وإيراد حقا من المبالغات ما لا يخفى وحقا صفة مصدر محذوف أي إيمانا حقا أو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه أخبركم بذلك إخبارا حقا وقيل إنه منوط بما بعده أي حقا لهم درجات واعلم أن الأئمة اتفقوا على أن الرجل المؤمن يجوز له أن يقول أنا مؤمن ثم اختلفوا في أنه هل يجوز له أن يضيف إليه حقا أو لا بل

يستلزم قول إن شاء الله [illegible]

موصوف بأنه كريم لأنه محمود في كل ما يحتاج إليه والقرآن كريم لأنه يوجد فيه بيان كل شيء وقال في كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وكل ما هو كريما قال بعض العارفين المغفرة إزالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال بغير الله تعالى والرزق الكريم الأنوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما أخرجك يقتضي تشبيه شيء بهذا الإخراج وذكروا فيه وجوها **أحدها** أن التشبيه مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن أسر أسيرا فله كذا وكذا ليرغبهم في القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو أعطيت ما سميتهم بقي خلق كثير بغير شيء فنزلت قل الأنفال لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فأمسك المسلمون عن الطلب وفي النفس بعضهم شيء من الكراهة **ثانيها** أن ينتصب الكاف على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الأنفال لله والرسول أي ثبت الحكم واستقر بأن الأنفال لله وإن كرهوا ثباتا مثل إخراج ربك إياك إلى القتال وإن كرهوا ووجه تخصيص المشبه به بالذكر من بين سائر أحكام الله أن القصة واحدة ووجه جعل الإخراج مشبها به كونه أقوى في وجه الشبه لأن مدار القصة عليه وقيل التقدير هو أن الحكم لكونهم مؤمنين حق كما أن حكم الله بإخراجك من بيتك لأجل القتال حق **ثالثها** قال الكسائي الكاف يتعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك والتقدير كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيته في المدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجره ومسكنه فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق أي إخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب وإن فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز أن يكون الجملة بدلا أو خبرا بعد خبر روي أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها إني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما رضي رجالهم أن يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير وفي المثل لا في العير ولا في النفير فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير فمضى بهم إلى بدر ونزل جبريل فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فأحسنا في الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فإنا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم ومرجع الضمير في قوله في الحق أي في تلقي النفير بعد ما تبين أي بعد إعلام النبي عليه السلام بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال كأنما يساقون إلى الموت المتيقن لمشاهدة أسبابه من قلة العدد والعدد روي أنه ما كان فيهم إلا فارسان وانتصب إذ بإضمار اذكر وقوله وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين وقوله أنها لكم بدل من إحدى الطائفتين أي العير والنفير وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أي تتمنون أن يكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله أن يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة من إنزال الملائكة وأسر الكفرة وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين أي يستأصلهم والدابر الآخر يعني أنكم تريدون العاجل وسفساف الأمور والله يريد معاليها وما يرجع إلى تقوية الدين وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف أي لإظهار الإسلام وإبطال الكفر فعل ما فعل وإنما قدر المحذوف متأخرا ليفيد معنى الاختصاص أي ما فعل

ذلكنا لتحقيق الحق وابطال الباطل وقيل يتعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته والباطل باطل في ذاته وما ثبت للشيء لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل قلنا المراد اظهار كون الحق حقا والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل وتارة بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل فان قيل اليس في الكلام تكرار قلنا لا اذ المراد بالاول تثبيت ما وعده في هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثاني اعلاء الاسلام ومحو الكفر و والحاصل ان الاول جزئي اي انتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثاني كلي يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التي حصل منهما اعلاء كلمة الله وقمع كلمة الكفر احتجت الاشاعرة بقوله كما اخرجك ربك وقوله ليحق الحق على ان الاعمال والعقائد كلها بخلق الله وبتكوينه ولا يمكن ايضا المراد من اظهار الحق وضع الدلائل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقيل هذه الواقعة بعدها فلا يبقى للتخصيص فائدة والمعتزلة تمسكوا بالآية على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله يريده لان ذلك ينافي ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل واجيب بان اللام في الحق ينصرف الى المعهود السابق اي في هذه القضية فلم قلتم انه كذلك في جميع الصور ولو كره المجرمون اي الكافرون والمشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وفي موضع آخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله اذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ويروى انه لما اصطفت القوم قال ابو جهل لعنه الله اللهم اولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده بالدعاء المذكور ومعنى تستغيثون تطلبون الاغاثة كقول الواقع في بلية اغثني اي فرج عني فاستجاب لكم اني اي باني ممدكم بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها من اردفته اياه اذا اتبعته متعديا الى مفعولين او من ردفته اذا تبعته اي جئت بعده متعديا الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين بعضهم او مجعولين بعضهم تابعا لبعضهم او انفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم او الملائكة اخرى ومعنى تابعين بعضهم لبعض او للمؤمنين يقدمونهم وهم على ساقتهم يحفظونهم او لغيرهم من الملائكة واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم ويروى ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا وقد اجبنا عن هذه الشبهة في تفسير آل عمران وكذا تفسير قوله وما جعله الله الآية وقد مر هنالك وقد بقي علينا بيان التشابه فنقول حذف لكم ههنا لان المخاطبين معلومون في قوله فاستجاب لكم وقدم قلوبكم واخر به في آل عمران اذ ورد ثانيا بين الخطابين وههنا اذ ورد اولا بين الغائبين ثم ان قصة بدر سابقة على قصة احد فقيل في الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعله في آل عمران صفة لان الخبر قد سبق والله اعلم التأويل كثرة السؤال توجب الملال وانما سألوا ليكون لهم الانفال فاجيبوا على خلاف ما سألوا وقيل الانفال لله والرسول فقطعوا نظر الاعتراض والسؤال واصلحوا ما بينكم من اخلاق الردية والهمم الدنية واطيعوا الله ورسوله بالتسليم والايثار زادتهم ايمانا بحسب تزايد الانوار كما اخرجك فيه اشارة اخراج المؤمن بالتخلي عن اوصاف البشرية الى مقام العندية بجذبات العناية كما اخرجك من وطن وجودك بالحق وهو بتجلي صفات الجمال و والجلال وان فريقا منهم القلب والروح لكارهون للفناء عند التجلي فان البقاء محبوب عند كل ذي وجود يجادلونك اي الروح والقلب في محو الحق بعدما تبين بحجة كأنهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت واذ يعدكم الله ايها السائرون احدى الطائفتين الظفر بالاعداء وهي النفوس واما غير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار الربانية وتودون ان غير ذات الشوكة اي اردتم ان لا تجاهدوا اعدى النفوس ذات المكر والحيلة والهوى واستجلبتم الواردات والشواهد الغيبية وذلك ان السير قسمان سير السالكين على اقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية بالصفات الروحانية وسير المجذوبين على اجنحة عنقاء الجذبات الى وراء قاف الانانية فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان حظه سمع الله المكالمة وكان محمد من المجذوبين وكان سيره على جناح جبريل الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين او ادنى فكان حظه المشاهدة فمن العناية ان لا يكل الله السائر الى ما يوافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اي بجذباته ويقطع دابر الكافرين النفوس الامارة بالسوء اذ تستغيثون ربكم يعني استغاثة الروح والقلب من النفس الى الله عند استيلاء صفاتها بالف من الملائكة اي الصفات الملكية والروحانية الا بشرى لكم بتبديل الاخلاق وما النصر باهلاك النفس وصفاتها الا بتجلي صفة القهارية ان الله عزيز لا يوصل اليه الا بعد فناء الوجود حكيم في كل الفعل من يعمل الله يقول الحق وهو يهدي السبيل نعم المولى ونعم النصير

اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ۞ اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق ۞ واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ۞ ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار ۞

يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير ۞ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ۞ ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ۞ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين

القراءة يغشاكم النعاس ابن كثير وابو عمرو ويغشيكم النعاس من باب الافعال ابو جعفر ونافع الباقون يغشيكم النعاس من التفعيل وينزل من الانزال ابن كثير وسهل ويعقوب وابو عمرو الآخرون بالتشديد رمى بالامالة حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وسهل ورويس موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب وان الله بالفتح ابن عامر وابو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر **الوقوف** الاقدام ط لتعلق اذ بمحذوف هو اذكر الذين آمنوا ط كل بنان ط ورسوله الاول ج العقاب ٥ النار ٥ الادبار ج جهنم ٥ المصير ٥ قتلهم ص لعطف المتفقتين رمى ج لاحتمال ان يكون الواو مقحمة واللام متعلقا بما قبله واحتمال ان يكون عاطفة على ولكن الله رمى او على محذوف اي ليستبشروا وليبلي حسنا ط عليم ٥ الكافرين ٥ الفتح ج للفصل بين الجملتين المتضادتين مع العطف خير لكم ج لذلك نعد ج كثرت ط لمن قرأ وان بالكسر المؤمنين ٥ **التفسير** قال في الكشاف اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وامنة مفعول لاجله ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من عند الله ولما كان غشيان النعاس وكذا اغشاؤه وتغشيته متضمنا المعنى يغشون كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شريطة انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعسون لامنكم او يغشيكم النعاس فتنعسون امنا وجوز على قراءة الاغشاء والتغشية ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي يغشيكم ايمانا منه وجوز ان ينتصب الامنة على انها للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على ان المراد انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل وقد مر فوائد هذا النعاس في سورة آل عمران ومن نعم الله تعالى عليهم في تلك الواقعة انزال المطر عليهم وكان فيه فوائد احديها تحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هو الجنابة التي اصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا تكرار لان الاول عام وهذه خاص وقيل المراد المني لانه شيء مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون في الآية دالة على نجاسة المني لقوله والرجز فاهجر وقيل المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك ان المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم فلو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام و كانت هذه ثالثة الفوائد واشار اليها بقوله ويثبت به اي بالماء الاقدام وقيل الضمير عائد الى الربط الذي دل عليه قوله وليربط على قلوبكم والمراد من الصبر في مواطن القتال وذلك ان من كان قلبه ضعيفا فر ولم يقف فلما ربط الله على قلوبهم اي قواها ثبت اقدامهم ومعنى على ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه ان يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما اوقع فيها من اليقين روي ان المطر نزل على الكفار ايضا ولكن الموضع الذي نزل الكفار به كان موضع التراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم عن المشي والاستقرار قوله ويثبت به الاقدام قيل معناه على ان حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم قوله اذ يوحي ربك وهو بدل ثالث من اذ يعدكم او منصوب بيثبت او باذكر اني معكم الخطاب للملائكة والمراد اني معكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وفيه نبوة لقوله فثبتوا الذين آمنوا وفي هذا التثبيت وجوه احدها انه مفسر بقوله سألقي فاضربوا والمعونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة وثانيها ان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما يقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال فالالهام من الملائكة كالوسوسة من الشيطان وثالثها ان الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال من معارفهم وكانوا يعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل وكان ايقاع الضرب فيها ازالة الرأس من الجسد وقيل اراد ضرب الهام لان الرأس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت بذلك لان بها صلاح احوال الانسان التي يريد ان يقيمها من أبن بالمكان اي اقام به والمراد بها الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فمنهم من قال المراد ان يضربوهم كما شاؤوا لان ما فوق العنق هو الرأس وهو اشرف الاعضاء والبنان عبارة عن اضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس تنبيها على كل الاعضاء وبوجه آخر الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل وقطع البنان

عبارة عن افناء الآلات المدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وجوز في الكشاف ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به اي قولوا
لهم قولي او يكون واردا على الاستيناف كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل لهم قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل
من الضرب والقتل وقع عليهم بانهم شاقوا السبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء يسير ونزر
في جنب ما اعد الله لهم ولامثالهم في الآجل وقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب اي له والكاف في ذلك للرسول او لكل من اهله
الخطاب وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع لتقديره ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر او العذاب ذلكم او النصب والتقدير عليكم
ذلكم اي الزموه فذوقوه او هو كقولك زيدا فاضربه قال في الكشاف وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او النصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا
هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع ضمير الخطاب قلت ويجوز ان يكون مبتدا محذوف الخبر اي وان للكافرين عذاب النار
حق او بالعكس اي والحكم او الشان ان للكافرين وفي ذلك الذوق اشارة الى ان عذاب الدنيا شيء قليل بالنسبة الى عذاب الآخرة قوله سبحانه يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا قال الازهري اصل الزحف ان يزحف الصبي على استه قبل ان يقوم شبه بزحف الصبي مشي الطائفتين تمشي
كل فئة مشيا رويدا الى الفئة الاخرى ليدنوا للضراب فانتصابه على الحال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ويجوز ان يكون حالا من الذين
كفروا او الزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم
قليل فلا تفروا فضلا عن حالتي المداناة والمساواة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون اي اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا ومعنى فلا تولوهم
الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم او هو لتقدمه نهي لهم عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وفي قوله
ومن يولهم يومئذ دبره امارة عليه ثم بين ان الانهزام محرم الا في حالتين فقال الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه و
وهو نوع من خدع الحرب او متحيزا اي منحازا الى فئة اي جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعلى هذا انتصب متحرفا او متحيزا على انه استثناء
مفرغ من اعم العام ووجه صحته مع انه ليس في الكلام نفي ظاهرا هو انه في معنى النفي كانه قيل ومن لا يقوم او لا يعطف عليهم في حال من الاحوال الا في حال
التحرف او التحيز ويجوز ان يكون الاستثناء تاما على ان الموصوف محذوف والتقدير ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل
لانه من حاز يحوز فيقال به ما فعل بايام ولو كان متفعلا لقيل متحوز عن ابن عمر خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت
فقلت يا رسول الله نحن الفرارون قال بل انتم العكارون وانا فئتكم والعكرة الكرة وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف في غيرها من الموبقين من الكبائر
الكبائر واحتج القاضي بالآية على القطع بوعيد الفساق من اهل الصلاة واجيب بانه مشروط بعدم العفو وعن ابي سعيد الخدري والحسن وقتادة
والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حاضرا بنفسه ولانه تعالى وعدهم النصر ولانه كان اول جهاد فخص با
التشديد ولهذا منع من اخذ الفداء واكثر المفسرين على انه عام في جميع الحروب لان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب قال اكثر المفسرين لما
لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر وان القائل يقول قتلت واسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره
ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وربط عليها ولما طلعت
قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ
قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل
بعينيه فانهزموا فنزلت وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى اثبت الرمي للرسول لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها فوق طاقة
القوى البشرية قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك الحصاة فانهزمنا وعن سعيد بن المسيب عن ابيه قال اقبل ابي بن خلف يوم احد الى النبي صلى الله عليه وسلم يريده فاعترض له رجال من المؤمنين فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوا سبيله فاستقبله مصعب بن عمير اخو بني عبد الدار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة ابي من فرجة بين سابغة البيضة
والدرع فطعنه بحربته فسقط ابي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من اضلاعه فاتاه اصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا والله ما اعجزك انما هو خدش فقال
والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز لماتوا اجمعين فمات ابي الى النار قبل ان يقدم فانزل الله في ذلك وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى و
قيل نزلت في خيبر حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوس فرمى منها بسهم فاقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن ابي الحقيق وهو على فراشه والصحيح انه
هو الاول كيلا يدخل في اثناء القصة كلام اجنبي نعم لا يبعد ان يدخل تحته سائر الوقايع لان العموم للفظ لا لخصوص السبب وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
وليعطيهم عطاء جميلا فعل ما فعل وما فعله الا لذلك قال القاضي ولولا ان المفسرين اجمعوا على ان معنى البلاء ههنا النعمة والا لكان يحتمل المحنة اي الذي
فعله تعالى يوم بدر كان السبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامكم عليم بضمائركم وهذا يجري مجرى التحذير
والترهيب كيلا يغتر العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض والغرض ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين اعرابه كما مر في قوله وان للكافرين عذاب النار قال
ابن عباس ينبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اني قد اوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم قال السدي والكلبي والحسن
كان المشركون حين خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر على الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل
الدينين فانزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق
فنزلت وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل انه خطاب للمؤمنين الذين استغاثوا الله وطلبوا النصرة
ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا اي عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا للمحاربة نعد لنصرته عليكم وجوز بعضهم ان يكون الخطاب في الجميع
للمؤمنين اي ان تكفوا عن المنازعة في امر القتال او عن طلب الفداء فهو خير لكم وان تعودوا الى تلك المنازعات نعد الى ترك نصركم ثم ختم الآية بقوله وان الله
مع المؤمنين والتقدير على قراءة الفتح ولان الله معين المؤمنين التأويل اذ يغشيكم النعاس امنة فيه تقلب الحال الى ضده بامر التكوين كما قال يا نار
كوني بردا وسلاما على ابراهيم كذلك قال للخوف كن امنا على محمد واصحابه فكان ينزل عليكم من سماء الروحانية ماء الالهام الرباني ليطهركم به من دنس الصفات
والحيوانية ويذهب عنكم وساوس الشيطان وهواجسه وليربط قلوبكم بالصدق والاخلاص والمحبة والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على طريق الطلب
اني معكم فثبتوا فيه ان التثبت من الله لا من غيره وكذلك القاء الرعب في قلوبهم وغير ذلك اذا لقيتم الذين كفروا اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها
المجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا تنهزموا فتقعوا عن صراط الطلب الا متحرفا الا لنيات تحرف لتهيئة اسباب القتال مع النفس او راجعا الى الاستمداد
من الروح وصفاتها او الى ولاية الشيخ او الى حضرة الله تعالى مستمدا في قمع النفس قهرا بطريق المجاهدة فانها تورث المشاهدة فلم تقتلوهم بنفي القتل عن العبد

بالجملة

بالكلية واحاله الى نفسه تعالى ولكن لم ينف الرمي عن النبي بالكلية حيث قال اذ رميت لانه تعالى كان قد تجلى بالقدرة كان يده يد الله كما كان حال
عيسى لما تجلى له بصفة الاحياء كان يحيي الموتى وليبلي المؤمنين منه فيجتهدوا في متابعته الى ان يبلغوا هذا المقام ان تستفتحوا اي تفتحوا ابواب قلوبكم
بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى الله في طلب التجلي فقد جاءكم الفتح بالتجلي فانه تعالى متجل في ذاته ازلا وابدا وانما التغير في احوال الخلق
فهم عند انغلاق ابواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح ابوابها محظوظون وان تنتهوا عن طلب غير الله فهو خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا و
زخارفها نعد الى خذلانكم وتكلكم الى انفسكم ودواعيها ولن تغني عنكم اي لا يقوم شيء من الدنيا والآخرة وما فيهما مقام شيء مما اعد الله لكم
وخاصته مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الله حسبي ونعم الوكيل ونعم النصير

يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ۝
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ۝ ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ۝ ولو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ۝ يا ايها الذين آمنوا
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين
المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ۝ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب ۝ واذكروا
اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس
فاويكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ۝
يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون ۝
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم ۝
يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم
والله ذو الفضل العظيم ۝ واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ۝

الوقوف ولا تولوا بالادغام وابن فليح يسمعون ۝ ج للآية والعطف لا يسمعون ۝ لا يعقلون ۝ لاسمعهم ط معرضون ۝
لما يحييكم ج لعطف المتفقين مع اعتراض الظرف تحشرون ۝ خاصة ج لتمام العقاب ۝ تشكرون ۝ تعلمون ۝ فتنة لا للعطف عظيم ۝ ويغفر لكم ط
العظيم ۝ او يخرجوك ط ويمكر الله ط الماكرين ۝ التفسير انه سبحانه بعد ذكر نحو من قصة بدر والغنائم اوجب المؤمنين احسن ادب فامرهم
بطاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنائم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لان التولي انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا عنه وعن قبول قوله وعن معونته
في الجهاد او لان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال
لا ينفع فلان فيجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي لا تتولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون ثم يبين انهم ماذا يسمعون الا انه يعلم من مساق الكلام في السورة
ان المراد وانتم تسمعون دعاءه الى الجهاد او المراد وانتم تسمعون الامر المذكور او وانتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا
بمصدقين فلا تقبيح ودعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان الانسان لا يمكنه ان يقبل التكليف ويلتزمه الا بعد ان يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ثم اكد
التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب اي ان شر من يدب على الارض او ان شر البهائم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة الا انه ذكر في معرض
الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو شبح وجسد والثاني مذكور في معرض التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم اضل وفي
عند الله اي في حكمه وقضائه ثم قال ولو علم الله فيهم اي في هؤلاء الصم البكم خيرا لاسمعهم عن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب وقيل عبد الدار
بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء
وروي انهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من امواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم بقول

هؤلاء الاموات لاحياء هم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت ولو انهم لو اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه على عادتهم المستمرة واعلم ان معلومات الله تعالى على اربعة اقسام جملة الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا فكيف يكون حاله والاولان علم بالواقع والاخران علم بالمقدر ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده واورد على الاية انها على صورة قياس شرطي فاذا حذفنا الحد الاوسط لم تثبت النتيجة لو علم الله فيهم خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لاجل انتفاء غيره فيكون التولي منتفيا لاجل انتفاء علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولي خير من الخيرات فاول الكلام يقتضي نفي الخير عنهم واخره يقتضي حصول الخير عنهم وهذا تناقض والجواب المنع من ان الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهيم والزام القبول والمراد بالاسماع الثاني صورة الاسماع فحسب وايضا كلمة لو في المقدمة الثانية هي التي تجيء للمبالغة بمعنى ان لو صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فاذن لا تعلق لاحدى الجملتين بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالاية على ان صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد اخبر انهم على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال في الكشاف ولو علم الله فيهم خيرا اي انتفاعا للطف بهم حتى يسمعوا اسماع المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المؤمنين ادبا اخر فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم توحيد الضمير كما مر لما مر والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وقد تمسك الفقهاء بهذا الخبر على ان ظاهر الامر للوجوب والا فلم يتوجه اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته ثم الاحياء لا يمكن ان يحمل على نفس الحيوة لان احياء الحي محال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان لان الايمان حيوة القلب والكفر موته بدليل قوله يخرج الحي من الميت اي المؤمن من الكافر وقال قتادة يعني القرآن لان فيه العلم الذي هو الحيوة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لان وهن اعداء الدين سبب حيوة الاخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحيوة الدائمة لقوله بل احياء عند ربهم وقيل انه عام في كل حق وصواب فيدخل القرآن والايمان والجهاد وكل اعمال البر والطاعة والمراد لما يحييكم الحيوة الطيبة كما قال فلنحيينه حيوة طيبة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه بحسب اختلافهم في مسئلة الجبر والقدر فنقل الواحدي عن ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من اسعده الله والشقي من اضله الله والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها المقصود والدواعي والعقائد حسب ما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوب انتهاء جميع الاسباب اليه ثم ختم الاية بقوله وانه اليه تحشرون ليعلم انهم ... مجبورين خلقوا اشقياء معاقبين المحنة واما القدرية لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله بينه وبين الايمان فهو عاجز وامر العاجز سفه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وانه تعالى امر بالاستجابة لله وللرسول فلو لم تكن الاجابة ممكنة فكيف يامر بها ولو كان الامر بغير المقدور جائزا لكان القرآن حجة للكفار على الرسول لا له عليهم فاذن لا يمكن حمل الاية على ما قاله اهل الجبر فتاويلها ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه اي وان الشان انه اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة قبل نزول سلطان الموت او انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه تسمية للشيء باسم محله فكانه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل او المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون في قلوبكم من الضعف والجبن فان الله مقلب القلوب من حالة العجز والجبن الى حالة القوة والشجاعة وقد يبدل بالامن خوفا وبالخوف امنا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى واما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل والمعنى بادروا الى الاعمال وانتم تعقلون ولا تامنوا زوال العقول التي عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن ان الغرض التنبيه على انه تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره وانه قريب من عبده اشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هي العذاب وقيل هي افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكر بين اظهرهم وقوله لا تصيبن اما ان يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهي كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وان شئت قلت لا تطرحنك وعلى هذا من في منكم للتبعيض وقيل الجواب محذوف والمعنى ان اصابتكم لا تصيب لظلمكم وهم الظالمون حال كونهم خاصة ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية او لاشتمال ذلك على نوع من الاصلاح واما ان يكون نهيا بعد امر ومن البيان كانه قيل احذروا ذنبا وعقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم كان الفتنة نهيت عن ذلك الاختصاص على طريق الاستعارة وهكذا ان جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول اي واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط عن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الاية بقوله واعلموا ان الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ انتم وانتصابه على انه مفعول به لا ظرف اي وقت انتم قليل يستوي فيه الواحد والجمع مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس يستلبوكم لكونهم اعداء لكم فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون اي نقلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء الى النعماء والالاء حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم ان تشتغلوا بالمنازعة في الانفال ثم منعهم من الخيانة في الامانة يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه اي ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الاية فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها

[illegible]

بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح الصدر وازالة الغل والحسد والكبر وسائر الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية والبهيمية وفي الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار على اهل الاديان كلهم وفي احوال الاخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة ويكفر عنكم سيئاتكم يستر عليكم في الدنيا صغائركم ان فرطت منكم ويغفر لكم في دار الاخرة والله ذو الفضل العظيم فاذا وعد شيئا وفى به احسن الوفاء ومن عظيم فضله انه متفضل بالنعم من غير واسطة وبدون التماس عوض وكل متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد ان يخلق الله فيه داعية التفضل وبعد ان يمكن المتفضل عليه من الانتفاع بذلك وبعد ان يكون قد تصور فيه ثوابا او ثناء او حمله على ذلك رقة طبع او عصبية والا فلا فضل في الحقيقة الا لله سبحانه فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل ذكر رسوله نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم وفيما اتيح له من حسن العاقبة والمعنى واذكر وقت مكرهم قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم من المفسرين ان قريشا اجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ فقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقالوا هذا من نجد لا باس به عليكم فقال ابو البختري من بني عبد الدار رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقوا اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر عليا فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا بادروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك ويلجموك لانه لا يقدر على الحركة وهو اشارة الى راي البختري وقوله او يقتلوك اشارة الى راي ابي جهل وقوله او يخرجوك اي من مكة اشارة الى راي هشام وانكر القاضي حديث ابليس في القصة وتصوره بصورة الانس قال لان ذلك التغير ان كان بفعل الله فهو اعانة للكفار على المكر وان كان من فعل ابليس فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى الا ان اقدر ابليس على تغيير صورة نفسه اعانة له على الاغواء والتلبيس هذا ما حكي عن القاضي وذهب عليه ان هذا الاعتراض وارد على خلق ابليس نفسه وعلى خلق سائر اسباب الشرور والاثام وقد اجبنا عن امثال ذلك مرارا وقد عرفت تفسير المكر في سورة ال عمران والحاصل انهم احتالوا في ابطال امر محمد والله نصره وقوى شانه فعلم ان صنع الله قليل لا خير في مكرهم فكيف قال والله خير الماكرين واجيب بان المراد انه اقوى الماكرين او المراد انه لو قدر في مكرهم خير لكان مكره خيرا منه او المراد انه في نفسه خير والله اعلم التاويل ان شر من دب في الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق بسمع القلب البكم عن كلام الحق والكلام معه والاصم لا بد ان يكون ابكم فلذلك خصا بالذكر الذين لا يعقلون انهم لماذا خلقوا فلا جرم يؤول حالهم من ان يكونوا خير البرية الى ان يكونوا شر الدواب استجيبوا لله تعالى يطلب الجنة من العبد الاجابة كما يطلب العبد الحاجة منه الاجابة فالاستجابة لله اجابة الارواح للشهود واجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للشاهد واجابة الخفي في الفناء في الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم بنفسكم عنكم ويبقيكم به واعلموا ان الله يحول بسطوات انوار جماله وجلاله بين مرآة قلبه وظلمة اوصاف قالبه وانه اليه تحشرون بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا فتنة ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيب النفوس الظالمة فقط بل يصيب ظلمتها الارواح النورانية والقلوب الربانية فتحجبها من حظائر القدس ورياض الانس الى حظائظ صفات الانس واعلموا ان الله شديد العقاب يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ما سواه واذكروا اذ انتم ايتها الارواح والقلوب قليل لم ينشأ بعد كمال الصفات والاخلاق الروحانية مستضعفون من غلبات صفات النفس لاعواز التربية بالبان وآداب الطريقة ولانعدام جريان احكام الشريعة عليهم الى اوان البلوغ تخافون ان يتسلبكم النفس وصفاتها والشيطان واعوانه فآواكم الى حظائر القدس وايدكم بالواردات الربانية ورزقكم من الطيبات الطاهرة من لوث الحدوث يا ايها الذين امنوا يعني الارواح والقلوب المنورة بانوار الايمان المستعدة لسعادات العرفان لا تخونوا الله فيما اكرم بكم من المواهب فتجعلوا اشبكة لاصطياد الدنيا ولا تخونوا الرسول بترك السنة والقيام بالبدعة وتخونوا اماناتكم التي هي محبة الله وحبا تبدلها بمحبة المخلوقات وانتم تعلمون انكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى بالاولى فتنة يختبركم الله بها ليتميز الوافي من المنافق والصديق من الزنديق يا ايها الذين امنوا بهد ولقاه والكرامات ان تتقوا الله من غير الله يجعل لكم فرقانا نعيش عليكم من سبحات جماله وجلاله القديم ما تفرقون به بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم سيئات وجودكم

[illegible]

واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا
الا اساطير الاولين ۞ واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ۞
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه
ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون ۞ وما كان
صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون ۞ ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ۞ والذين كفروا
الى جهنم يحشرون ۞ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث
بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اوليك هم الخاسرون ۞
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد
مضت سنة الاولين ۞ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير ۞ وان تولوا
فاعلموا ان الله موليكم نعم المولى ونعم النصير

[illegible]

[illegible]

يوم بدر او عذاب الاخرة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم والمناكم التي لا تقدم عليها الا الكفرة ولما شرح احوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية اتبعها شرح احوالهم في الطاعات المالية فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم الاية قال مقاتل والكلبي نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل ابن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وابو البختري ابن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن اسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن ابزى نزلت في ابي سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش والاحبوش جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان والاربعون مثقالا قاله في الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما اصيب قريش يوم بدر فرجع فلهم الى مكة ورجع ابو سفيان بعيره مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش اصيب اباؤهم وابناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على حربه لعلنا ان ندرك منه ثارا بمن اصيب منا ففعلوا فانزل الله تعالى الاية والمعنى ليصدوا عن سبيل الله ان غرضهم في الانفاق كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم اخبر عن الغيب على وجه الاعجاز فقال فسينفقونها اي سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وينقلب حسرة ثم يغلبون اخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا لقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي والمعنى ثم في الجملتين انما التراخي في الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المباينة ثم قال والذين كفروا اي الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون والى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم دون من اسلم منهم ثم بين الغاية او الغرض فيما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشي يركمه اذا جمعه والقى بعضه على بعض اولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال اي ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله والمؤمنين من المال الطيب الذي انفقه المهاجرون والانصار في نصرته فيركمه فيضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيه في جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وعلى هذا فاللام في قوله ليميز متعلق بقوله ثم تكون عليهم حسرة [illegible] ولا يبعد عندي ان يتعلق بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا ولما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية ارشدهم الى الطريق المستقيم وما ينبغي من الصلاح فقال قل للذين كفروا اي لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول في السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي ولو كان المراد خاطبهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وقد قرا بذلك ابن مسعود رض وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فاهلكوا او غلبوا كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي واستدل كثير من العلماء منهم اصحاب ابي حنيفة رض بالاية على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب ابو حنيفة الى ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وان يعودوا بالعود الى الردة واختلفوا في ان الزنديق هل يقبل توبته ام لا والصحيح انها مقبولة لشمول الاية جميع الكفار ولقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر ولانه مكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم يقبل لزم تكليف ما لا يطاق ثم امر بقتالهم ان اصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الاية وقد مر تفسيره في سورة البقرة الا انه اراد ههنا لفظة كله في قوله ويكون الدين كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع اهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم ومن قرا بتاء الخطاب اراد فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله موليكم ناصركم ومتولي اموركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير فنعموا بولايته ونصرته

التاويل

قالوا قد سمعنا وما سمعوا في الحقيقة والا لم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوقين لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم عقيب زعمهم لقلنا مثل هذا قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر ليعلم ان من هذا حاله كيف يكون مثل القران مقاله ولو كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا له وشرفنا به وبانواره واسراره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه رحمة للعالمين والرحمة تنافي العذاب ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم يعني اكثر المتقين لا يعلمون انهم اولياؤه لان الولي قد لا يعرف انه ولي ان الذين كفروا ينفقون كذلك دأب كفار النفوس ينفقون اموال الاستعداد الفطري في غير طلب الله وانما يصرفونها في استيفاء اللذات والشهوات فيندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بشهوات النفس كلها ولاجلها والذين كفروا من الارواح والقلوب التابعة للنفوس الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة

[illegible]

التي لا تركن الى الدنيا ولا تنخدع بخداع النفوس فيركمه جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفس الخبيثة فتلقى الجميع في جهنم الطبيعة قل للذين كفروا من ارباب
القلوب استتروا النور الروحاني بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم يستر لهم تلك الظلمات بنور العرفان والرشاد
وقاتلوا كفار النفوس حتى لا تكون آفة مانعة عن الوصول ويكون الدين كله لله ببذل الوجود وبغية الموجود ولنيل الجود وكرامة الشهود والله اعلم

واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم
الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير ۝ اذ انتم بالعدوة
الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم
في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ۝ ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم ۝ اذ يريكهم الله
في منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله
سلم انه عليم بذات الصدور ۝ واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم
قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع
الامور ۝ يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله
كثيرا لعلكم تفلحون ۝ واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ۝ ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون
محيط ۝ واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال
اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب
اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل
على الله فان الله عزيز حكيم ۝

بالعدوة بالكسر في الحرفين ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيي بيائين ابو جعفر ونافع وخلف وسهل ويعقوب
والبزي ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام البزي وابن فليح ويذهب بالجزم الخزاز عن هبيرة والذين وبابه حمادا
البرجمي وحمزة في رواية خلاد وابن سعدان وابي عمرو وهشام اني اري اني اخاف بفتح اليا فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وتراءت
الفئتان بالامالة نصير الوقوف وابن السبيل لا لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا هذه الاقسام
ان كنتم الجمعان ط قدير ه اسفل منكم ط في الميعاد لا للعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حيي عن بينة ط عليم ه لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور ه
مفعولا ط الامور ه تفلحون ه ج الآية وللعطف واصبروا ط الصابرين ه ج لما ذكر عن سبيل الله ط محيط ه جار لكم ج اخاف الله ط العقاب ه
دينهم ط حكيم ه لما امر سبحانه بالقتال في قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة اعاد حكم الغنيمة ببيان وافي واشفى فقال
واعلموا ان ما غنمتم الذي غنمتم به من اموال الكفرة قهرا وقوله من شئ بيان ما اي من كل ما يقع عليه اسم الشئ حتى المخيط والخياط وقوله فان لله

بالفتح مبتدا محذوف الخبر وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر قال في الكشاف والمشهورة آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات
الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت وواجب حق لازم كان اقوى لايجابه من النص
على واحد عن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا
من الهجرة واعلم ان الآية تقتضي اخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة ذلك الخمس على اقوال اشهرها ان ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع
الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد واما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يصرف الآن الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطير والمساجد وارزاق القضاة والائمة ولا اهم فالاهم
وواحد لذوي القربى يعني اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اولاد هاشم والمطلب ابني عبد مناف دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف ايضا
لما روي عن عثمان ابن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بني عبد شمس وجبير من بني نوفل انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك
بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم
لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وانما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين اصابعه يستوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا ان للذكر مثل حظ
الانثيين وثلثة اخماس الخمس الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل هذا عند الامامين ابي حنيفة والشافعي الا ان ابا حنيفة قال ان سهم رسول الله
ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فان لله خمسه وللرسول
فان لرسول الله خمسه كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وعن ابي العالية ايجاب سهم آخر لله وانه يقسم الخمس على ستة اسهم والذاهبون الى هذا القول
اختلفوا فقيل ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه
قبضة فيجعلها للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة
وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم
ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيئا وروي عن زيد بن علي انه قال ليس لنا ان نبني منه
قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة لما روي عن علي كرم الله وجهه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا
ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعند مالك بن انس الامر في الخمس مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه
بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان راى اعطى بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فذاك فعلى هذا يكون معنى قوله فان لله خمسه اي من حق
الخمس ان يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وحاصل الآية ان كنتم امنتم
بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا واستيقنوا ان الطاعة ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة ويوم الفرقان يوم بدر
لانه فرق فيه بين اهل الحق والباطل والجمعان فريقا بدر والذي انزل عليه يومئذ الآيات والملائكة والنصر والتائيد والله على كل شئ قدير فيقدر على نصر
القليل على الكثير اذ انتم بدل من يوم الفرقان والعدوة بالضم والكسر شط الوادي اي جانبه وحافته وقال ابو عمرو وهي المكان المرتفع والدنيا تانيث
الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو تقلب ياء كالعليا واما القصوى تانيث الاقصى فانه
كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا ايضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة والركب يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم انتصب
وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر المبتدا اي مكانا اسفل من مكانكم والفائدة في ذكر مراكز الفرق الثلث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه فيها
من عجيب صنعه وكمال رافته ونصره وحتى كان ما كان وذلك ان العدوة القصوى التي اباح بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها واما
العدوة الدنيا فهي خبار رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم
وتجد شهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب بعيالهم واثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم
بالانحياز اليه ولو تواعدتم انتم واهل مكة على موضع تتلاقون فيه لاختلفتم في الميعاد فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من
الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما تيسر بتوفيق الله تعالى وتسبيبه ولكن ليقضي الله اي ليظهر امرا كان مفعولا معقودا وهو نصر اوليائه وقهر
اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل من ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة بدر كانت
فيها من الآيات والمعجزات ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة اي لا شك في كفره وعناده كما لم يبق شك للمسلمين في
دين الاسلام وفي قوله ليقضي ليهلك دلالة على ان افعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب الاشاعرة
وان الله لسميع لدعائكم عليم بحالكم اذ يريكهم منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم تدابيركم اذ يريكهم في منامك اي في رؤياك
قليلا اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في منامك اي في عينك في اليقظة لان العين موضع النوم
وفيه تكلف ولو اراكهم كثيرا الى ما هم عليه لفشلتم والفشل الجبن والخور ولتنازعتم في الامر امر الحرب والاقدام ولكن الله سلم عصم من الفشل والتنازع انه عليم
بذات الصدور يعلم ما سيحدث فيها من موجب الاقدام والاحجام واذ يريكموهم يبصركم اياهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا نصب على الحال لان الرؤية رؤية
العين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعولية فلن يتعدى الى ثالث ويقللكم في اعينهم الحكمة في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهرة مع ان في ذلك
تصديقا لرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم واما تقليل المؤمنين في اعينهم فالحكمة في ذلك ان يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاة بهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغي ليقضي الله
امرا كان مفعولا فعل ما فعل من التقليل والى الله ترجع الامور فيه ان احوال الدنيا غير مقصودة لذاتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زاد المعاد ثم علم
المؤمنين اداب اللقاء في الحروب فقال اذا لقيتم فئة فاثبتوا القتالهم ولا تفروا واللقاء اسم قد غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة
المحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات في القتال لا ينافي الرخصة في التحرف والتحيز فلعل الثبات في الحرب لا يحصل الا بهما واذكروا الله كثيرا في مواطن
الحرب لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان العبد لا يجوز له ان يفتر عن ذكر ربه في اي شغل وعمل كان ولو ان رجلا اقبل من المغرب
الى المشرق منفقا امواله لله والآخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله اعظم اجرا وقيل المراد من هذا الذكر ان يدعوا على العدو
اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك والاولى حمله على العموم واطيعوا الله ورسوله في سائر ما يؤمر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات
ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان ويجوز ان يكون مجزوما لدخوله في حكم النهي ويظهر التقدير ان في قوله ويذهب بالجزم على القراءتين والريح هنا الدولة شبهت
في نفوذ امرها ومشيه على وفق المشية بالريح وهبوبها هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله

وسنة الحديث تغيرت النية عند هم التنازع واختلاف الرأي نحوما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله احتج نفاة القياس بالاية لان القول به يفضي غالبا الى التنازع المنهي عنه وكذا القائلون بان النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال اهل السير ان اهل مكة حين نفروا لحماية العير اتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا بها كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم كاطعام الطعام ونحوه فقال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الاية وصفهم باوصاف ثلثة الاول البطر وهو الطغيان في النعمة ويقال ايضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فاذا صرفها الى مرضاته وعرف حق الله فيها فذاك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على ابناء الزمان فذاك هو البطر والثاني رياء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية او هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والثالث قوله ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون عن قبول دين محمد عم قال الواحدي معناه وصدا عن سبيل الله فيكون عطفا الاسم على الاسم او يكون الكل احوالا على تأويل بطرين مرائين صادين او يبطرون ويراؤن ويصدون واقول عادة التعبير الكبريائية تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليصح كون الكلمة معطوفا على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذي لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان ابا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والرياء فذكرا بلفظ الاسم تنبيها على ثباتهم فيهما واما الصد فانما حصل في زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت ولو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التي اخترعها الامام والله بما تعملون محيط فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم منه ان المعصية مع الانكسار اقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار واذ زين معناه واذكر اذ زين او هو معطوف على ما قبله من النعم واقربها قوله واذ يريكموهم وفي هذا التزيين وجهان احدهما ان الشيطان زين بوسوسته من غير ان تمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان مما يجيرهم فلما التقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اي بطل كيده وحين نزلت جنود الله وثانيهما انه ظهر في صورة انسان وذلك ان المشركين حين ارادوا المسير الى بدر ذكروا التي بينهم وبين كنانة من الحرب فلم يأمنوا ان يأتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم من الناس اي لا غالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لا غالب اياكم لانتصب كما يقال لا ضارب زيدا واني جار لكم اي مجيركم من بني كنانة او من كل عدو ويفرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار فلما تراءت الفئتان اي التقى الجمعان بحيث رأت كل واحدة الاخرى نكص على عقبيه والنكوص الاحجام عن الشيء اي رجع وقال اني بريء منكم قيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون اي من نزول الملائكة ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا انهزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رئي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رئي يوم بدر واما قوله اني اخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبرئيل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لانه ظن ان الوقت الذي انظر اليه قد حضر قال قتادة صدق في قوله اني ارى ما لا ترون وكذب في قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد العقاب يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفه اذ يقول او لا ظرف له واذ منصوب باذكر على انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد قوم من قريش اسلموا وما قوي الاسلام في قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلعم قال اولئك نخرج مع قومنا فان كان محمد في كثرة خرجنا اليه وان كان في قلة اقمنا في قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا مع المشركين يوم بدر غر هؤلاء دينهم قال ابن عباس معناه انه خرج بثلثمائة وثلثة عشر الى زهاء الف وما ذلك الا انهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون في قتل انفسهم رجاء ان يجعلوا احياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله ويكل امره اليه ويثق بفضله ان الله عزيز غالب يسلط الضعيف القليل على القوي الكثير حكيم يوصل العذاب الى اعدائه والرحمة الى اوليائه التأويل واعلموا يا اهل الجهاد الاكبر انما غنمتم عند رفع الحجب من انوار المشاهدات واسرار المكاشفات فلكم اربعة اخماسه تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقون خمسها في الله مخلصا وللرسول متابعا ولذي القربى يعني الاخوان في الله مواصلا واليتامى يعني اهل الطلب من الذين غاب عنهم شيخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين يتمسكون بايدي الاذيال بارشادكم وابن السبيل يعني الصادر والوارد من اهل الصدق والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسب صدقهم وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم في متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا وما انزلنا على عبدنا في سفر فاوحى الى عبده ما اوحى يوم الفرقان الذي فيه الرحمن علم القرآن يوم التقى الجمعان جمع الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار محمد صلى الله عليه وسلم مع الله خلوة لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل والله على كل شيء قدير على ان يوصلكم في متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود والبقاء بالمعبود اذ انتم ايها الصادقون في الطلب بالعدوة الدنيا نازلة وهم بالعدوة القصوى اي الارواح باقصى عالم الملكوت بارزة والركب اسفل منكم يعني الهياكل والقوالب في اسفل سافلين الطبيعة ولو تواعدتم ايها الارواح والنفوس والاجساد واختلفتم في الميعاد لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضي الله امرا كان مفعولا وهي ايصال كل شخص الى رتبته التي استعد لها فيهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة ويحيى من حي عن بينة فالاشقياء يبقون في سجين الطبيعة ونار القطيعة واما السعداء فارواحهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر كما قال ارجعي الى ربك ونفوسهم مع الملائكة المقربين كما قال فادخلي في عبادي وابدانهم في جنات النعيم كما قال وادخلي جنتي وان الله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالغدو والآصال عليم بمن يستحق الاذلال او الاجلال اذ يريكهم الله في منامك قليلا مع كثرتهم في الصورة ليدل على قلتهم في المعنى لغلبتهم على عادة طبع الانسان ولكن الله سلم عن الخوف البشري ويقللكم في اعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم ومددكم بالملائكة اذا لقيتم فئة هي النفس وهواها والشيطان واعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما انتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص في الطلب ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم وتركوا الدنيا ودار البلاد وزاروا العباد ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان اعمالهم فظنوا انهم بلغوا مبلغ الرجال وانه لا يضرهم التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعه في نفي الرياء والعجب اذ هو طريق اهل الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب وفئة النفوس وصفاتها وامد الله تعالى فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى انقادت النفوس لها الكفر

لا غالب اياكم

ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم
وذوقوا عذاب الحريق ۞ ذلك بما قدمت ايديكم وان الله
ليس بظلام للعبيد ۞ كداب آل فرعون والذين من قبلهم
كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب
ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وان الله سميع عليم ۞ كداب آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل
فرعون وكل كانوا ظالمين ۞ ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يؤمنون ۞ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ۞ فاما تثقفنهم في الحرب
فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ۞ واما تخافن من قوم خيانة
فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ۞ ولا تحسبن
الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون ۞ واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين
من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله
يوف اليكم وانتم لا تظلمون ۞ وان جنحوا للسلم فاجنح لها
وتوكل على الله انه هو السميع العليم ۞ وان يريدوا ان يخدعوك
فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين ۞ والف
بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ۞ يا ايها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ۞ يا ايها النبي
حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا

بانهم قوم لا يفقهون ۝ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ۝ وان يكن منكم
الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ۝

تتوفى بتاء التانيث شامي الباقون بالتذكير ولا تحسبن بيا الغيبة ابن عامر ويزيد وحفص والمفضل الآخرون بتاء
الخطاب انهم بالفتح ابن عامر الباقون بالكسر ترهبون مشددا رويس الباقون بالتخفيف من الارهاب وان يكن منكم بالياء
التحتانية ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول ضعفا بالضم
يزيد وقرا ابو جعفر وعاصم وحمزة غير المفضل وخلف ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم
[illegible]

ليكون كنانة عن تحقير شان العدو ذلك او عن انكشاف حاله في النبذ قال اهل العلم ان اثار نقض العهد اذا ظهرت فاما ان تظهر ظهورا محتملا
او تظهر ظهورا مقطوعا به ففي الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور في الآية وذلك ان قريظة عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفيان ومن معهم
من المشركين الى تظاهرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء
ويؤذنهم بالحرب اما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من
فاته يوم بدر ولم يتمكن من التشفي والانتقام كيلا يبقى حسرة في قلبه فقد كان فيهم من بلغ في اذيته مبلغا عظيما فقال ولا تحسبن من قرا بتاء الخطاب فمفعوله
الاول الذين كفروا والثاني سبقوا اي فاتوا وفلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون كل من المكسورة والمفتوحة على القراءتين تعليل الا ان المكسورة على طريقة
الاستيناف كان سائلا سال ما بالهم لا يحسبون سابقين فاجيب بما اجيب والمفتوحة تعليل صريح والجار محذوف اي لانهم لا يعجزون الله من الانتقام
منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم اعجزت فلانا وعجزته خيلته وجدته عاجزا والمراد لا تحسبنهم انهم لما تخلصوا من القتل والاسر يوم بدر فقد تخلصوا
من العقاب عاجلا واجلا ومن قرا بالياء التحتانية فذكر فيه وجوها منها ان فاعله الذين كفروا ومفعوله سبقوا على الاصل ان سبقوا فحذفت
ان كقوله ومن اياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود انهم سبقوا ومنها ان الفعل وقع على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في موضع الحال
ومنها ان المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا يحسبنهم او لا يحسبن انفسهم الذين كفروا سبقوا ومنها ان فاعله محذوف اي ولا يحسبن
قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قصة بدر ان قصدوا الكفار بلا آلة وعدة امرهم الله ان لا يعودوا
لمثله وبان يتاهبوا لقتال الاعداء فقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة عن عكرمة هي الحصون وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه
الاية على المنبر ثم قال الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله والاصح انها عامة في كل ما يتقوى به في الحرب من آلة
وعدة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمي كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من اجزاء المقصود ومن رباط الخيل هو اسم للخيل
التي تربط في سبيل الله الخمس فما فوقها ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال والظاهر انه بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا
للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال فلا ريب ان ربط الخيل من اقوى آلات الجهاد روي عن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في
الحصون فقال يشترى به الخيل فيربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ولقد علمت على توقي الردى ان الحصون
الخيل لا مدر القرى وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها اولى بالربط لتبقى النسل والنماء وقيل هي الفحول لانها اقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر
ما لاجله امر باعداد هذه الاشياء فقال ترهبون به اي بما استطعتم عدو الله وعدوكم لان الكفار اذا علموا تاهب المسلمين للقتال لم يجترؤا
عليهم وخافوهم وربما يدعوهم ذلك الى الانقياد والطاعة وآخرين من دونهم يريد بالاولين اهل مكة وبالآخرين اليهود على قول ولكنه لا يجاوبه قوله
لا تعلمونهم الله يعلمهم والمنافقين على قول واعترض عليه انهم لا يرهبون لانخراطهم في سلك المسلمين ظاهرا واجيب بان المنافق خائف فكلما اشتدت
شوكة المسلمين ازداد المنافقون في خوفهم فربما دعاهم ذلك الى الاخلاص وعن السدي هم اهل فارس وروى ابن جريج عن سليمان بن موسى
انهم كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد
اعداء المؤمن ومن ويه فان المسلم قد يعاديه مسلم آخر ثم رغبهم في الانفاق باب الجهاد فقال وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اي ثوابه وانتم
لا تظلمون اي لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم رخص في المصالحة ان مال الاعداء اليها فقال وان جنحوا للسلم الآية جنح له واليه جنوحا اذا مال والفعل
فاجنح لها لان السلم قد يؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب او بتاويل الخصلة او الفعلة عن ابن عباس ومجاهد ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله او بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى ان يقال انها ثابتة فليس يجب ان يقاتل المشركين ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وانما الامر موقوف
على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله فاذا راى الصلاح في الصلح فذاك والمصلحة قد تظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد او لقلة المال او لبعد
وقد تكون مع القوة للطمع في اسلامهم او قبولهم الجزية او اذا خالطوا المسلمين ارادوا ان يعينوه على قتال غيرهم واما مدة المهادنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف
وراى الامام الصلاح في المهادنة فقد قال الشافعي ما دون اربعة اشهر وذلك كان في اقوى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفا من تبوك
وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حين صالح اهل مكة بالحديبية
على وضع القتال عشر سنين الا انهم نقضوا العهد قبل كمال المدة فان انقضت المدة والحاجة باقية يستانف العقد ثم قال وتوكل على الله اي فوض
الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شان قريظة والنضير
وعن مجاهد نزلت فيهم انه هو السميع للاقوال العليم بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما امكن ثم ذكر حكما من احكام المهادنة فقال وان يريدوا ان يخدعوك
فان حسبك محسبك وكافيك الله والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم يبتني على الظاهر كما ان ابقاء
الايمان مبني على الظاهر ولا تنافي بين هذه الآية وبين المتقدم من قوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة على امور خفية تدل على
النفاق وذلك الخوف محمول على امارات قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم اكد كونه كافيا له بقوله هو الذي ايدك بنصره اي
من غير واسطة اسباب معتادة وبالمؤمنين اي بواسطة الانصار ثم بين انه كيف ايده بالمؤمنين فقال والف بين قلوبهم قال كثير من المفسرين
هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك اشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله ذلك بلطيف صنعه والاولى حمله على العموم والتاليف
من قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن في الامور المحقرة
لم تكد يأتلف اهواؤهم وينتظم شملهم ثم ائتلف قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس
ذلك الا من مقلب القلوب والاحوال والتحقيق في الباب ان المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كانت سبب انعقاد
المحبة امرا سريع التغير كالمال والجاه واللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال كالمعشوق يريد العاشق لماله والعاشق يحب
المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية فما حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل عادا متباغضين وان كان سبب المودة كمالا حقيقيا روحانيا
دائما لم يتصور لها تغير وزوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم مقبلين على المفاخرة والتسابق في المال والجاه و
والتفوق فلا جرم كانوا متحابين تارة متباغضين اخرى فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا ولذاتها
على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلوبهم وصاروا اخوانا متراحمين متحابين في الله وانه عزيز حكيم اي قادر قاهر على تقليب القلوب
والدواعي فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام والاتقان وعلى حسب المصالح على اختلاف القولين في مسئلة الجبر والقدر قال القاضي لولا الطاف الله

ساعة فساعة لما حصلت هذه الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد وادبه الى ابيه لاجل انه لم يحصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته وجب
بانه عدول عن الظاهر والاية صريحة في ان العقايد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت
قلبي على دينك ووفقني لمتابعة نبيك انك قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الاعداء
وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال يا ايها النبي حسبك الله ومحل ومن اتبعك منصوب لانه بمنزلة زيد في قولك حسبك وزيدا درهم
قال الفراء وليس بكثير في كلامهم ان يقولوا حسبك واخيك بل المستعمل ان يقال حسبك وحسب اخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا
لقيل حسبك الله وحسب من اتبعك ومعنى الاية كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا وجوز ان يكون في محل الرفع اي كفاك الله
وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين ولنزوله ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فصاروا اربعين فانزل الله تعالى الاية ثم بين سبحانه ان الكفاية مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد
فقال يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء وذكروا في اشتقاقه انه من الحرض وهو الاشراف
على الهلاك من شدة الضنا كانه ينسبه الى الهلاك لو تخلف عن المامور وكانه يامره ان يبالغ فيه وفي تحصيله حتى يؤمن من التلف وفي قوله
ان يكن منكم عشرون صابرون عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم بعون الله وتاييده واعترض عليه بانه
يلزم منه ان لا يغلب قط مايتان من الكفار عشرين من المؤمنين ويمكن ان يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان الخلل لعله يكون من فقدان الشرط
وهو التصبر قال بعض العلماء هذا خبر في معنى الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن بدليل قوله الان خفف الله عنكم والنسخ بالامر اليق
بالخبر بدليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد ومعنى الاية اذن ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال
حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا ان يكون شديد الاعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وعند حصول هذه
الامور كان يجب على الواحد ان يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر في قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كرر النسبة مرتين
لان السرايا التي كان يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينقص عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة واما الكرة
الثانية فانما كررت النسبة للطباق ولكن فيها بشارة واشارة الى ان عدد عسكر الاسلام سيؤول من العشرات والمئات الى الالوف والله اعلم
بمراده ثم بين السبب في الغلبة فقال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة والبهجة عندهم في
الحيوة العاجلة وايضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستعينونه ويوقنون منه انجاز ما وعد من النصر والتاييد
ووجه اخر وهو ان اهل العلم والمعرفة يكون لهم في اعين الناس هيبة وحشمة ويكونون في انفسهم اقوياء واشداء لما تجلى عليهم من انوار المعرفة ويعرف
ذلك اصحاب العلوم وارباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول ضج
المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في اهليهم وقال الانصار شغلنا بعدونا وواسينا اخواننا وعن ابن جريج
كان عليهم ان لا يفروا وثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب وارادوا قتالهم
فمنعهم جهينة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن انيس الى خالد بن سفيان في جماعة فابتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لي فقال
انك اذا رأيته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة وبلغني انه جمع لي فاخرج اليه واقتله فلما خرجت نحوه فلما دنوت منه وجدت القشعريرة
فقال لي من الرجل قلت ابن من العرب سمعت بك وبجمعك ومشيت معه حتى اذا امكنت منه قتلته بالسيف واسرعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكرت اني قتلته فاعطاني عصاه وقال امسكها فانها اية بيني وبينك يوم القيامة وقال عكرمة انما امر الرجل ان يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان
المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس ايما رجل فر من ثلثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله
الان خفف الله عنكم ناسخ بحكم الاية المتقدمة منه وانكر ذلك ابو مسلم الاصفهاني قال لان لفظ الاية ورد على الخبر سلمنا انه بمعنى الامر لكن
لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا
بجهادهم واذا كان الشرط غير حاصل في حق هؤلاء كقوله وعلم ان فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي
ورود التثقيل قبله لان مثل هذا الكلام قد تقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الايتين والناسخ يجب ان يكون بعد المنسوخ بزمان
هذا حاصل قول ابي مسلم وهو انما يستحق الجواب لو لم يحصل قبله اطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى اعلم ومعنى قوله وعلم ان فيكم ضعفا ظهر متعلقه
فلا يبقى لهشام حجة في مذهبه انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين
وكانوا متفاوتين في ذلك والظاهر ان المراد بالضعف الانسان المذكور في قوله وخلق الانسان ضعيفا التاويل يضربون وجوههم وادبارهم
لان الكافر اذا احب من الدنيا مع تعلقه بها يحصل له الم من جهة الخلف ويقبل على الاخرة ولا نور له يبصره به امامه فيحصل له الم من قدام لم يك
مغيرا لم يك مبدلا احسن تقويم واستعداد اعطاهم الله بفتنة حتى يغيروا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نور الاستعداد الفطري الذين عاهدت
منهم بالروح في الازل لان نورك ومعصيتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فشرد بالروح بهم من خلفهم اي ابلغ في تبديل صفات النفس في تزكيتها
بحيث يؤثر نور تبدلها في الصفات التي وراءها فانبذ اليهم على سواء اي اظهر عداوتك معهم وجاهدهم انهم لا يعجزون اي النفوس الكافرة تحت تصرفك
فلا تقنطوا من رحمتي في اصلاح حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعداده بمداومة الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق
المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الله الشيطان وعدوكم النفس والهوى واخرين من دونهم من نفوس شياطين
الانس لا تعلمونهم انهم عدو لكم من الاحباب والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم انهم عدو لكم كقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وما تنفقوا من شيء
من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة يوف اليكم فوائده من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا والف بين قلوبهم بين
الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو انفقت ما في الارض وجودك من السعي والجد والاجتهاد لما بين الروح النوراني والنفس الظلماني من التضاد
ولكن الله الف بين الروح والنفس وبين القلب والقالب ليكون الشخص الانساني طلسما على كنوز وجوده ثم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله اعلم قوله تعالى

ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض يريدون عرض

الدنيا

الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم ۝ لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ۝ فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ۝ يا ايها النبي قل لمن
في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ۝ وان يريدوا خيانتك
فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ۝
ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين
آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا و
ان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم و
بينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ۝ والذين كفروا بعضهم
اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ۝
والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا
ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ۝
والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم ۝

ان تكون بالتاء الفوقانية ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد اسارى يزيد والمفضل الاخرون اسرى من الاسارى يزيد وابو عمرو
والمفضل الباقون من الاسرى من ولايتهم بكسر الواو حمزة الباقون بفتحها الوقوف في الارض ط لتقدير الاستفهام اي اتريدون الاخرة ط حكيم ه
عظيم ه واتقوا الله ط رحيم ه ويغفر لكم ط رحيم ه منهم ط حكيم ه اولياء بعض ط حتى يهاجروا ج ميثاق ط بصير ه اولياء بعض ط كبير ه حقا ط
كريم ه منكم ط في كتاب الله ط عليم ه هذا حكم اخر من احكام الجهاد ومعنى ما كان ما صح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته
من الثخانة التي هي الغلظة والكثافة والمعنى فيه تذليل الكفر واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل في الكفرة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها
اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة
من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله
ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك
يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال
لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء
العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك
في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله
كان الاثخان في القتل احب الي واعلم ان الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم السلام تمسكوا في هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبي صريح في النهي وقد حصل الاسر
بدليل قوله قل لمن في ايديكم من الاسرى الثاني انهم امروا بالقتل يوم بدر في قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية واجيب بان قوله حتى يثخن يدل على ان

الاسرا كان مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما ترتب لان الاثخان امر غير مضبوط
فظنوا ان ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطأوا في الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الا بعد
انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم باخذ الفداء معصية والاثم متوجه الذم في قوله تريدون عرض الدنيا اي حطامها سمي بذلك لانه سريع الزوال كانه عرض
نسيم الجوهر والله يريد الاخرة اي ثوابها او ما هو سبب الجنة وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل في اعدائه وقرئ بجر الاخرة اي عرض الاخرة على التقابل
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويقهرونهم ويلجئونهم الى القتل والفداء بعد الاسر ولكنه حكيم لا يرخص في اخذ الفداء الا بعد فشاء القتل في الاعداء
والجواب ان كل ذلك محمول على ترك الاولى وكذا الكلام في قوله لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا
بخطأ في الاجتهاد لانهم نظروا الى ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وحصول اولاد منهم مسلمين وان فداهم يتقوى به على الجهاد في سبيل
وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوي اسلامهم انزل الله
بعد ذلك في الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضى الايتين مختلفان وليس كذلك
فان كليهما تدل على انه لا بد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الفدية وكان قرب الوقت
من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق لا يعذب احدا الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي وحاصل هذا القول
يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث
على فعل الاولى وعن بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم ان لا يكونوا مكلفين والجواب ان عدم العقاب على الذنب
لا يوجب على التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان يستحقان من العذاب حاصلا روي
انهم امسكوا عن الغنائم او عن اخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت فكلوا والفاء للتسبيب ومعنى الاية قد ابحت لكم الغنائم فكلوا وحلالا نصب على الحال
من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا واتقوا الله فيما يستقبل فلا تقدموا على شيء لم تؤمروا به ان الله غفور لما فرط منكم من ترك الاولى رحيم
فبذلك رخص لكم فيما رخص من اخذ الفداء ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله ان يظهر معلوم
ان في قلوبكم خيرا وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصي ويدخل فيه العزم على نصرة رسوله
والتوبة عن محاربته يؤتكم في الدنيا خيرا مما اخذ منكم من المنافع العاجلة ويغفر لكم في الاخرة او المراد بالخير ايصال الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب
ثم انا قد نعلم ان كل من خلص من الاسر واتى بعد ذلك الى الله في الدنيا خيرا لدلالة الاية على ذلك اجمالا وذلك الخير ان كان دينيا فلا شك انهم
قد وجدوا ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان اعظم من كثير الدنيا مع الكفر وان كان دنيويا فتفصيل ذلك غير معلوم الا ما روي عن بعضهم كالعباس
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان يأخذ منه فاخذ ما قدر
على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وانا ارجو المغفرة وقال ابن عباس نزلت الاية في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس
اسيرا يوم بدر ومعه عشرون اوقية من الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى اسر فقال
العباس كنت مسلما الا انهم استكرهوني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا قال العباس فكلمت
رسول الله ان يرد ذلك الذهب علي فقال اما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكلفني الرسول فداء ابن اخي عقيل بن ابي طالب عشرين اوقية
وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد اتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي
قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت
مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني
زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي ثم قال وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه روي انه صلى الله عليه وسلم لما
اطلقهم من الاسر عهد معهم ان لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا
من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن اي المؤمنين منهم يوم بدر قتلا واسرا فذاقوا وبال امرهم فسيمكن المؤمنين
منهم مرة اخرى ان اعادوا الخيانة والله عليم باحوالهم حكيم فيجازيهم على حسب اعمالهم واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اظهرت نبوته بمكة ودعا
الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه في الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه في ذلك ومنهم من آمن
بعد هجرته فذكر في خاتمة هذه السورة احكام هذه الاصناف واحوالهم مع ذكر الانصار والمدينة ومع ذكر الكفار ايضا فقال ان الذين آمنوا ويدخل فيه الايمان بالله و
ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والانقياد لجميع التكاليف وهاجروا فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران في طلب مرضاة الله تعالى وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضيعاتهم وبقيت في ايدي الاعداء واحتاجوا الى الانفاق
في تلك الغربة والسفر وفي الغزوات والمحاربات واما المجاهدة بالانفس فيكفي في وصف ذلك انهم اقدموا على قتال اهل بدر من غير آلة ولا عدة والاعداء
في غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على انهم ازالوا اطماعهم عن الحيوة وبذلوا ارواحهم في سبيل الله وكانوا اول الناس اقداما على هذه الافعال
والتزاما لهذه الخصال ولهذه السابقة اثر عظيم في تقوية الدين لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا
من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدي بهم ويقوى دواعيهم بما يرون منهم والمحن يخفف على القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة قدم
في الاسلام ذكر الله تعالى الانصار بعدهم فقال والذين آووا ونصروا اي الذين انزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم مأوى ونصروهم على اعدائهم اولئك
بعضهم اولياء بعض اتفق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد بهذه الولاية الارث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة
والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين رازي رحمه الله تعالى هذا التفسير لانه يستلزم
النسخ والتزام النسخ محذور منه ما امكن وكان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث يطلق دون الارث كقولهم السلطان ولي من لا ولي له وقال سبحانه
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم فاذن المراد ان المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصر وانهم يد واحدة على الاعداء وان حب كل
واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه اما قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء فوجهت قراءة حمزة بان تولي بعضهم بعضا شبيه بالعمل
والصناعة كالتجارة والقصارة كانه بتوليه صاحب الاول مزاولا ومباشرا عملا قال المفسرون لا يجوز ان يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح

مختلف وان استنصروكم عليه لان الشيء لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر واجيب بانا لو حملناها على التعظيم والاجلال زال الاشكال وحصل
التغاير لان اهل الايمان قد ينصر بعض اهل الذمة في بعض الاحوال مع انهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده والتعظيم جعل الله تعالى
حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار
المعاهدين لانهم لا يبدأون بالقتال ثم قال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهي المسلمين عن موالاتهم وان كانوا اقارب
وان يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه ان المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة موجبة لانضمام
بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان كل واحد منهم في نهاية الانكار لصاحبه وذلك من اول الدلائل على ان تلك العداوة ليست لاجل الدين ولكنها
محض الحسد والعناد ومن جعل الولاية في هذه الايات بمعنى الارث استدل بذلك على ان الكفار في التوارث على اختلاف مللهم كاهل ملة واحدة
فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يرث المجوسي وبالعكس ثم قال الا تفعلوه اي ما امرتكم به من موالات المسلمين المهاجرين ومن
موالات غير المهاجرين الا في حالة الاستنصار ومن عدم موالات الكفرة اصلا تكن فتنة اي تحصل مفاسد عظيمة في الارض من تفرق الكلمة واختلاط
المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشان المؤمنين واثناء عليهم قوله والذين آمنوا وهاجروا الاية فوصفهم بانهم هم المؤمنون حقا ولهم مغفرة
ورزق كريم وقد تقدم تفسير مثله في اول السورة والحاصل ان هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم اعرضوا عن اللذات الحسيات فتركوا
الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة
بعد السابقين اليها فقال والذين آمنوا من بعد نقل الواحدي عن ابن عباس ان المراد بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الاية وقيل
بعد يوم بدر والاصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فاولئك منكم الحقهم بالاولين تشريفا للاخرين وتعظيما لشان السابقين ولولا كون القسم
الاول اشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله واولوا الارحام اي ذوو القرابات بعضهم اولى ببعض اي احق بهم واجدر في كتاب الله اي في حكمه
وقسمته او في اللوح او في القرآن وهو آية المواريث وهذه الآية ناسخة عند الاكثرين للتوارث بالهجرة والنصرة واما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة
والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية محالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى في هذه الاية ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود
من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم يعني ازالة وهم من يجعل الولاية هناك بمعنى الارث وقد تمسك اصحاب ابي حنيفة رحمه الله بهذه الاية في توريث ذوي
الارحام وهم ذو قرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة او كل قريب يخرج عن اصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة اصناف الجد ابو الام وكل
جد وجدة ساقطين واولاد البنات وبنات الاخوة واولاد الاخوات وبنو الاخوة للام والعم للام وبنات الاعمام وبنات العمات والاخوال والخالات
والخلاف في انه اذا لم يوجد ذو فرض ولا عصبة فهل يورث ذو الارحام او يوضع المال في بيت المال فقدمهم ابو حنيفة رحمه الله على بيت المال لكن
قال ان الاية مجملة في الشيء الذي حصلت فيه الاولوية فلما قال في كتاب الله كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الاية مقيدة
باحكام آية الميراث فلا يبقى حجة في توريث ذوي الارحام واعلم انه سبحانه قال في اول هذه الايات وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وفي براءة
بتقديم في سبيل الله لان في هذه السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله لمسكم فيما اخذتم اي من الفداء وفي قوله فكلوا مما
غنمتم وفي براءة تقديم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ثم اخذ
من الاية الثانية باموالهم وانفسهم اكتفاء بما في الاولى وحذف من الثالثة في سبيل الله ايضا اكتفاء بما في الايتين قبلها والله اعلم ثم ختم السورة
بقوله ان الله بكل شيء عليم والمراد ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها عبث وخلف لان العالم بجميع المعلومات
لا يحكم الا بالصواب نظيره ان الملائكة لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قال اني اعلم ما لا تعلمون والله اعلم التأويل ما كان لنبي الروح ان يكون
له نفس باسورة وقوى موجهة الى تدبير امور المعاش والدعوة الى الله وان كان نصرا بالحق المطلق حتى يثخن في ارض البشرية بقتل القوى والنفوس المنبعثة بسبب
الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي يتحنث في غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى ان الانسان اذا وكل الى الطبيعة
وطبعه يكون مائلا الى الدنيا راغبا فيها والله يريد الاخرة لكم اي ليس الانسان من سجيته وطبعه ان يميل الى الاخرة انما هو بتوفيق الله اياه وعنايته الازلية
لولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون مستحقا بالحو عالم الارواح الكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين مراعيا للطرفين لمسكم فيما اخذتم من فداء النفس
المأسورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد عن عالم النور فكلوا مما غنمتم من اوقات الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند رفع
الاستار حلالا طيبا لنفوسكم عن لوث محبتها المتكلي بالشغل المراعن الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا الله عما سواه ان الله غفور يستر بانوار جوده ظلمات
وجودكم رحيم لكم حيث يفنيكم عنكم ويبقيكم به يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الصفات المأسورة التي اسرت في الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذل عليها ان يعلم الله
في قلوبكم خيرا من الاطمئنان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من اللذات الفانية ومباحاتها وذلك هو البقاء الحقيقي والذوق السرمدي
وان يريدوا خيانتك بمعنى الميل الى ما جبلت النفوس عليه من طموح الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل بالتجاوز عن حدود الشريعة ورسوم الطريقة
فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم باحوالها حكيم فيما دبر من امر جهادها وتزكيتها والذين آووا ذكر الله ومحبته في القلوب
ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم اولئك بعضهم اولياء في المرافقة والموافقة في الطلب والسير الى الله والذين آمنوا بان الطلب حق ولم يهاجروا
عن اوصافهم وافعالهم ووجودهم المجازي وان استنصروكم فاستمدوا منكم بالارادة الى الاصلين منكم فعليكم النصر ان تدلوهم على طريق الحق بعد ما لكم وسيركم الى
وباحوالكم الا على قوم اي الا على بعض احوالكم حجابا لكم حالية لنفوسكم بعد ما جاهدتموها واسرتموها واستشرتها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الفتح
في اوان الجهاد فاولئك منكم يشير الى ان المتأخرين اذا دخلوا في زمرة المقتدين الواصلين فهم منهم وانهم ذوو رحم الوصول لانه ليس عند الله صباح ولا مساء
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم امتي كالمطر لا يدري اوله خير ام آخره صدق رسول الله

سورة التوبة مكية حروفها عشرة آلاف وثمانمائة وسبعة وثمانون كلماتها الفان واربعمائة وتسع وتسعون آياتها مائة وتسع وعشرون

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض
اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين

واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برئ
من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم
غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم ۝ الا الذين عاهدتم
من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين ۝ واذا
انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ۝
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم
ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون ۝ كيف يكون
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند
المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب
المتقين ۝ كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا
ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم
فاسقون ۝ اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا
عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون ۝ لا يرقبون فى مؤمن
الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون ۝ فان تابوا واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين ونفصل الايات
لقوم يعلمون ۝ وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم
ينتهون ۝ الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول
وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم
مؤمنين ۝ قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ۝ ويذهب غيظ
قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ۝ ام حسبتم

ان

ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ۝

ورسوله بالنصب روح وزيد · الباقون بالرفع · ائمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة · الباقون
بالفتح بين يعلمون بياء الغيبة عباس مخير الوقوف من المشركين ۝ معجزى الله لا اليم ۝ للاستثناء مدتهم ط المتقين ۝ مرصد ج سبيلهم ط
رحيم ۝ مامنه ط لا يعلمون ۝ المسجد الحرام ط لان الجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم ط المتقين ۝ ولا ذمة ۝ قلوبهم ۝ فاسقون ۝ لان ما بعده يصلح
وصفا واستئنافا يعملون ۝ ولا ذمة ۝ المعتدون ۝ فى الدين ۝ يعلمون ۝ ائمة الكفر لا لتعلق لعلهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون ۝ اول مرة
اتخشونهم ۝ لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مؤمنين ۝ مؤمنين لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم ۝ وليجة ط بما تعملون ۝ قد عد فى الكشاف
من اسماء هذه السورة براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق اى تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة
والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبحث عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم
عليهم · وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هى سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه · وعن ابن عباس ما زالت تقول ومنهم ومنهم حتى حسبنا
ان لا تدع · وللعلماء اختلاف فى سبب اسقاط التسمية من اولها · فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان فى ذلك فقال كان النبى صلى الله عليه وسلم كلما نزلت
عليه سورة يقول ضعوها فى موضع كذا وكذا وكان براءة من اخر القرآن نزولا وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها
فقرنت بينهما · وكان اتحادهما بالمشابهة ما روى عن ابى بن كعب ان فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود فوضعت احداهما بجنب الاخرى · واستبعد جمع من العلماء
هذا القول لانا لو جوزنا فى بعض السور ان لا يكون ترتيبها من الله تعالى على سبيل الوحى لجوزنا مثله فى سائر السور · وفى ايات السورة الواحدة وذلك يفضى
الى تجويز الزيادة والنقصان فى القرآن على ما يقوله الامامية · وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا فى ان الانفال مع التوبة سورتان ام سورة واحدة
لانهما معا مائتان وست ايات فهما بمنزلة احدى الطول وكلتاهما وردت فى القتال والمغازى فلما كان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول
من يقول انهما سورتان ولم تكتب البسملة تنبيها على قول من يرى انهما سورة واحدة فعلوا ما دل على ان هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لم يسامحوا بهذا القدر
من الشبهة ودل على انهم كانوا متشددين فى ضبط الدين وحفظ القرآن عن التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية · وفيه دليل على ان البسملة انزلت
سورة والا جازت كتابتها ههنا بل عند كل مقطع كلام · وعن ابن عباس سالت على بن ابى طالب عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم
امان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود · وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى واكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا فقيل له
اليس ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا
قال فى اخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى · ومما يؤكد شبهة من زعم انهما سورة واحدة هو ان ختم الانفال وقع بايجاب ان يوالى المؤمنون بعضهم
بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية · وقوله براءة من الله ورسوله تاكيد لذلك الكلام وتقرير له · ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهى خبر مبتدأ
محذوف · ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان · ويجوز ان يكون
براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها وهى الجار والمجرور كما قلنا والخبر كما ذكرنا نظيره وقولك رجل من بنى تميم فى الدار · وكان قد اذن الله فى معاهدة المشركين
فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فكانه قيل للمسلمين اعلموا ان الله ورسوله قد برئا من العهد
الذى عاهدتم به المشركين · روى انهم كانوا عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا اناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد
الى الناكثين وامروا ان يسيحوا فى الارض اربعة اشهر امنين اين شاؤوا او الاشهر هى الحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم · والسياحة الضرب فى الارض والاتساع
فى السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب ومنه يقال للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب · والمعنى فى هذا الامر اباحة الذهاب مع
الامان وازالة الخوف · روى ان فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن اسيد الموقف بالناس فى الموسم
فاجتمع فى تلك السنة فى الموقف ومعالم الحج المسلمون والمشركون · ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد امر فيها ابا بكر على الموسم فلما نزلت السورة اتبعه
عليا راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى · فلما دنا على سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور · وروى ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل
منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشىء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلى ينادى بالاى فلما كان قبل التروية
خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلاثين او اربعين اية
وعن مجاهد ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم
الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف · ثم
الامامية بهذه القصة على تفضيل على كرم الله وجهه وعلى تقديمه · واجاب اهل السنة بانه امر ابا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه لتبليغ هذه الرسالة حتى
يصلى على خلف ابى بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة ابى بكر · واما قوله لا يبلغ عنى الا رجل منى فذلك لان المتعارف بين العرب انه اذا
عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا او عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو او رجل من ذوى قرابته كالاخ او العم فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف
فينا فى نقض العهود فازيحت عليهم علته بتولية ذلك عليا · وقيل لما خص ابو بكر بتولية امر الموسم خص على بهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب
ولنرجع الى التفسير · قال ابن الانبارى فى الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقيهم ربهم شرابا طهورا
ان هذا كان لكم جزاء · واختلفوا فى الاشهر الاربعة فعن الزهرى ان براءة نزلت فى شوال والمراد شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم · وقيل هى عشرون
من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او سميت حرما على التغليب لان ذا الحجة
والمحرم منها · وقيل ابتداء المدة من عشر ذى القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت للنسىء الذى كان فيهم ثم صار
فى السنة الثانية فى ذى الحجة · قال المفسرون هذا تاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اكثر من اربعة ومن كانت مدته اقل رفعت [illegible]

من هذا التاجيل ان يتفكروا في انفسهم ويحتاطوا في الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا احد امور ثلثة الاسلام او قبول الجزية او السيف
فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى اشار بقوله واعلموا انكم غير معجزي الله اي اعلموا ان هذا الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة و
لطف ليتوب من تاب وفيه ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما امكنكم من اعداد الالات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو
مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب . وقوله مخزي الكافرين من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة وفي وضع الظاهر موضع المضمر
ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم اراد ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال واذان وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة
معطوفة على مثلها وخطأ الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو ايضا مخبرا عنه بالخبر الاول وهو الى الذين عاهدتم لكنه غير
مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله الى الناس والاذان اسم بمعنى الايذان اي الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومنه اذان الصلوة
امر الله تعالى بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الجمع الاعظم الذي حضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد والناكث ليصل الخبر الى جميع الاطراف
ويشتهر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يحج في السنة الاتية فامر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر
يوم عرفة لان فيه اعظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وهو قول عمر وابن سعد بن المسيب وابن الزبير وعطا
وطاوس وابن مجاهد واحدى الروايتين عن علي وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشية عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس في رواية عطاء هو يوم النحر ووافقه قول الشعبي والنخعي والسدي والمغيرة بن شعبة وسعيد
بن جبير وذلك ان معظم افعال الحج من الطواف والحلق والرمي والنحر يقع فيه ومثله ما روي عن علي كرم الله وجهه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما يوم
الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي يعني يوم النحر وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال
هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وهو قول سفيان الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايامه كلها كيوم صفين ويوم
الجمل يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت اياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل
الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد ايضا هذا وقد حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا والتقدير بان الله بريء من المشركين قوله
ورسوله بالرفع مبتدا محذوف الخبر اي ورسوله ايضا كذلك او هو معطوف على المنوي في بريء اي بريء هو ورسوله وجاز العطف من غير تاكيد
بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار او على ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله ان الله
بريء ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة والمقصود من هذا الثاني اعلام جميع الناس بما حصل وثبت وايضا المراد بالاول البراءة من العهد
وبالثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على ان الموجب لهذه المعاهدة البراءة هو كفرهم
وشركهم ولهذا اتبعه قوله فان تبتم اي من الشرك فهو خير لكم وفيه ترغيب في التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة وان توليتم اعرضتم عن التوبة او ثبتم
على التولي والاعراض عن الايمان والوفاء فاعلموا انكم غير فائتين اخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه واعلموا انكم غير معجزي الله ليس بتكرار لان الاول للمكان
والثاني للزمان وبشر يا محمد ويا من له الخطاب وفيه من التهكم والتهديد ما فيه كيلا يظن ان عذاب الدنيا لما فات وزال خلصوا عن العذاب بل العذاب الشديد
معد لهم يوم القيمة اما قوله الا الذين عاهدتم فقال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد
وقال في الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا
اليهم عهدهم وقيل مستثنى من قوله الى الذين عاهدتم ومعنى لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ومعنى لم يظاهروا لم يعاونوا اي لم يعدوا
على المحاربة بانفسهم ولم يهيجوا اقواما اخرين وقرئ لم ينقضوكم بالضاد المعجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم ادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي
من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ثم ختم الاية بقوله ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلتين والحيل الوافي
كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم الانصار كرشي وعيبتي اراد انهم بطانتي وموضع سري وامانتي خزانته ك
وظاهرهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده شعر لاهم اني ناشد محمدا ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا حلف ابينا وابيه الاتلدا فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم ومعنى
محمدا اذكره الحلف والعهد لانه كان بين ابيه عبد المطلب وبين خزاعة حلف قديم والاتلد الاقدم ثم بين حكم انقضاء اجل الناكثين فقال فاذا انسلخ الاشهر
الحرم اي التي فيها ابيح للناكثين ان يسيحوا وانسلاخ الشهر تكامله جزءا فجزءا الى ان ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن
عن مكانه فكلاهما ظرف فاقتلوا المشركين يعني الناكثين حيث وجدتموهم من حل او حرم وفي اي وقت كان وخذوهم واسروهم والاخذ الاسر واحصروهم انقضا ك
امنعوهم من التصرف في البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز ترقبونهم هناك
وانتصابه على الظرف كما في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة ان حصلوا على شرط ما تقدم فخلوا سبيلهم
المراد من التخلية الكف عنهم واطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام او تمكينهم منها ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف منهم من الكفر والغدر قال
الشافعي انه تعالى اباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فما لم يوجد احد هذه الامور لم يوجد
هذا المجموع فوجب ان يبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلوة يقتل ولعل ابا بكر الصديق رضي الله عنه استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعي الزكوة
وحمل اكثر الائمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان كان عدولا عن الظاهر عن الحسن ان اسيرا نادى بحيث يسمع النبي
صلى الله عليه وسلم اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فارسلوه قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة
عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلوة والزكوة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغي ولا ريب ان كمال السعادة منوط بهذا المعنى جعلنا الله
من اهلها لما اوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من انواع
الدلائل والبينات كفى في ازاحة عللهم فيلزم من ذلك ان احدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام او بالجزية او بالقتل فازال الله
تعالى بكمال رافته هذه الشبهة فقال وان احد من المشركين استجارك الاية قال علماء العربية ارتفع احد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد
استجارك كرهوا الجمع بين المفسر والمفسر وحذفوا المفسر والغرض بناء الكلام على الابهام ثم التفسير من حيث ان مظان وقوع الفعل بعده وايضا
ذكر الفاعل ههنا اهم لما جيئنا ان ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار يقال استجرت فلانا اي طلبت منه ان يكون
جارا لي اي محاميا وحافظا من ان يظلمني ظالم ومنه يقال اجاره الله من العذاب اي انقذه والمعنى وان جاءك احد من المشركين استجارك بعد انسلاخ الاشهر

لاعهد

لا عهد بينك وبينه فاستامنك ليسمع ما تدعوا اليه من التوحيد والقرآن فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبر ويتامل ثم ابلغه داره التي يامن فيها ان لم يسلم
ثم قاتله ان شئت وفيه ان المقصود من شرع القتال قبول الدين والاقرار بالتوحيد في دين الله وان التنظر في دين الله من اعلى المقامات فان الكافر الذي
هو مهدر الدم لما اظهر من نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مبلغه ثامنه امانا ثم ان مهلة النظر فليس في الاية ما يدل
على ذلك ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على ذلك المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال امهل وترك ومتى ظهر عليه كونه
معرضا عن الحق ودافعا للزمان بالاكاذيب لم يلتفت اليه والمبلغ المامن وشبه ان يقال المدة اربعة اشهر وهو الصحيح من مذهب الشافعي والمذكور في الاية
كونه طالبا لسماع القرآن الا انه الحق به كونه طالبا لسماع الدلائل او الجواب عن الشبهات لانه تعالى علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال في اخر الاية ذلك
بانهم قوم لا يعلمون فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفي سماع كلام الله وجوه قيل اراد جميع القرآن لان تمام البينات والدلائل فيه وقيل
اراد سماع سورة براءة لانها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القرآن بالذكر لانه الكتاب الحاوي لمعظم الدلائل
واعلم ان الامان قد يكون عاما يتعلق باهل اقليم او بلدة او ناحية وهو عقد المهادنة ويختص بالامام وقد مر في تفسير قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون
خاصا يتعلق باحاد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن احاد المسلمين ايضا وهذا مقصود الاية وانه ثابت غير منسوخ روي عن سعيد بن جبير ان رجلا من المشركين
جاء الى علي رض فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا وتستدل بالاية وعن السدي والضحاك
هو منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق روي انه صلى الله عليه وسلم قال يسعى بذمتهم ادناهم
وعن ام هاني قالت اجرت رجلين من احمائي فقال صلى الله عليه وسلم امنا من امنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح امان المكره على عقد الامان
وينعقد الامان بكل لفظ مفيد للغرض صريحا كقوله اجرتك او لا تخف وكناية كقوله انت على ما تحب او كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة
المفهمة روي عن عمر انه قال والذي نفسي بيده لو ان احدكم اشار باصبعه الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلادنا بلا سبب اما اذا
دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا راى الامام مصلحة في دخول التجار وحكم الامان اذا انعقد عصمة النفس
من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن بالدية ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب من اهل ومال واما الذي معه منهما فان وقع التعرض له في الامان اتبع
الشرط والا فالارجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك وقد تعلق في الاية مسئلة كلامية هي ان المعتزلة استدلوا بالاية على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة
ويتبع ذلك ان يكون كلامه محدثا لان دخول هذه الحروف في الوجود على التعاقب واجيب بان هذه المسموعة فعل الانسان وليست هي التي خلقها الله تعالى اولا
عندكم فعلمنا ان هذا المجموع ليس كلام الله بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها هي الدالة على الكلام النفسي فلهذا اطلق عليها انها
كلام الله كان الجبائي قال ان كلام الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قاري وزعم بعض الناس حين راوا انه تعالى
جعل كلامه مسموعا ان هذه الحروف والاصوات قديمة ليلزم قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم اكد المعاني المذكورة من اول السورة الى ههنا فقال على سبيل
الاستنكار والاستبعاد كيف يكون للمشركين عهد مرفوع اسم كان وفي خبره ثلثة اوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وعند على هذين
ظرف للعهد او ليكون او للجار او هو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء
عهد وهم اضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تفكروا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام الذين لم يظهر منهم نكث
كبني كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال فما استقاموا لكم وفي ما وجهان احدهما ان يكون زمانية وهي المصدرية على التحقيق اي استقيموا لهم مدة استقامتهم
لكم الثاني شرطية اي ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين فيه اشارة الى ان الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من اعمال
المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال كيف وحذف الفعل لكونه معلوما اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك
ان الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من يتصور في نفسه كمالا فانه يريد ان يظهره لغيره فاطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا لا يراعوا
فيكم ولا ينظروا لكم الا ولا ذمة قال في الصحاح الال العهد والقرابة وزاد في الكشاف ان اشتقاقه من الال وهو الجؤار والانين لانهم اذا تحالفوا
رفعوا به اصواتهم وسميت به القرابة لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفي الصحاح ايضا ان الال بالكسر من اسماء الله عز وجل وفي الكشاف انه
قرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندي على ما توجبه اللغة يدور
على معنى الحدة من ذلك الالة الحربة واذن مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل امر
لزمك وكان بحيث لو ضيعته لزمك مذمة وقال ابو عبيدة الذمة ما يتذمم به اي يجتنب فيه الذم قال في الكشاف يرضونكم كلام مبتدا في وصف حالهم
من مخالفة الظاهر للباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتابى قلوبهم مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل ثم قال
سبحانه واكثرهم فاسقون عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار قد اسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر انه اراد ان اكثرهم فساق متمردون
لا يتحرزون من الكذب ونقض العهد الذي هو مذموم في جميع الاديان والنحل ثم زاد في تقريره فقال اشتروا بايات الله بالقرآن وبالاسلام ثمنا قليلا هو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا
عن سبيله فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم انهم ساء ما كانوا يعملون قال مجاهد اراد الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم وقيل لا يبعد ان يراد طائفة من اليهود الذين كانوا
يعينون المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ في القرآن كالامر المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولو ارادوا المشركين كان تكرارا
واولئك هم المعتدون المجاوزون حد الله في دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فان كان هذا في اليهود والمراد
قبل في الكفار فلا تكرار وان كان كلاهما في الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثاني قوله فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين فلم يكن من التكرار في شيء قال
ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة ونفصل الايات نبينها لقوم يعلمون لانهم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة للتنبيه والبعث على التامل في الاحكام
في احكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها وان نكثوا يعني هؤلاء الناكثين ايمانهم من بعد عهدهم اي من بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين او المراد نكث المشركين
عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض الخيط من بعد ابرامه وطعنوا في دينكم ثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر هي جمع امام والاصل اءممة كمثال وامثلة نقلت
حركة الميم الى الهمزة وادغمت الميم في الميم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو حري في الكفر
متقدم فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص ساداتهم بالذكر لان من سواهم تبعهم لا محالة ثم ابدى غرض القتال بقوله لعلهم ينتهون ليعلم ان الباعث على قتالهم هو
ردهم الى الطاعة سعيا وراء رحمة عليهم لا ارتفاق ولا داعي شهواني ثم وسط بين الامر بالقتال وبين الحامل عليه قوله انهم لا ايمان لهم تنبيها على العلة الباعثة
اثبت لهم الايمان اولا في الظاهر حيث قال وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم في الحقيقة لان ايمانهم ليست ايمانا اذ لم يوفوا بها وبهذا تمسك ابو حنيفة في ان
ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرا لا ايمان لهم بالكسر اي لا اسلام لهم او

او لا يعقلون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن
فلو طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع في ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال الا تقاتلون قال اهل المعاني اذا قلت الا تفعل كذا فانما تستعمل ذلك
في فعل تعذر وجوده واذا قلت لست تفعل فانما تقول ذلك في فعل تحقق وجوده والفرق ان لا ينفي بها المستقبل فاذا دخلت عليه الالف صار تحضيضا
على فعل المستقبل وليس يستعمل في نفي الحال فاذا دخلت عليه الالف صار لتحقيق الحال قال ابن عباس والسدي والكلبي نزلت في كفار مكة نكثوا ايمانهم
بعد عهد الحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين [illegible] من المدينة يريد اليهود وهموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا ابا سفيان
عليه يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يدخلوه مكة ثم يحجزوه قبل ان يتم حجه استخفافا به وعلى هذا اريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد
وهم بدأوكم اول مرة بالقتال يعني يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا ومن معه او المراد انهم قاتلوا حلفاءه من خزاعة او المراد ان
الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادي اظلم والحاصل ان من كان
في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبداء بالقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وان يوبخ من فرط فيها ثم زاد في التوبيخ فقال اتخشونهم فيه تقرير
للخشية وتقوية لداعية القتال منهم كما اذا قلت للرجل اتخشى خصمك لانه يستنكف ان ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب ان يكون الامر عليه
فقال فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا الله لان قدرته اتم وعقابه اشد بل لا قدرة الا له ولا كبر
الا ما يريد وفي الفاء نوع تعليل لان الاستفهام في معنى النهي كانه قيل لا تخشوهم لان الله احق بالخشية واحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كانه قيل ان صح انكم
مؤمنون فلا تخشوا الا الله ثم زاد في تاكيد الامر بالقتال فقال قاتلوهم ورتب عليه خمس نتائج الاولى قوله يعذبهم الله بايديكم اي بالقتل والاسر واغتنام الاموال
وهذا لا ينافي قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لان المراد هناك عذاب الاستئصال قالت الاشاعرة في الاية دلالة على ان الذي هو فعل في الوجود من افعال
كلها من الله يظهرها على ايدي العباد واعترض الجبائي بانه لو كان كذلك لجاز ان يقال كذب الله انبياءه على لسان الكفرة واجيب بان الامر كذلك عندنا
الا انا لا نقول رعاية للادب كما لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما انكم لا تقولون يا مسهل اسباب الزنى واللواطة ويا رافع الموانع عنها الثانية
ويخزهم قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل بهم من الذل والهوان حين شاهدوا انفسهم مقهورين في ايدي المؤمنين وهو قريب من الاول او هو هو وقيل هو
عذاب الاخرة الثالثة وينصركم عليهم اورد عليكم ان النصر يستتبع اخزاء الخصم فاي حاجة الى افراده بالذكر والجواب ان المغايرة كافية في افراد
كل من المتلازمين بالذكر على انه من المحتمل ان يحصل لهم الخزي من جهة المؤمنين الا ان المؤمنين يحصل لهم افة بسبب اخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك
الاحتمال الرابعة ويشف صدور قوم مؤمنين هم خزاعة وعن ابن عباس بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب الخامسة ويذهب غيظ قلوبهم قيل شفاء الصدور واذهاب غيظ القلب
كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب ان القلب اخص من الصدر كقوله يا داوية بالعليا فالسند او شفاء الصدر اشارة الى الوعد بالفتح ولا ريب ان
الانتظار شاق وان كان مع الثقة بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى وقوع الفتح وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على
النبي صلى الله عليه وسلم واعجازه ثم قال ويتوب الله على من يشاء وهو ابتداء كلام للاخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد اسلم ناس منهم
وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فاصدق واكن اما ان التوبة كيف يقع جزاء
لمقاتلة فذلك من قبل الكفرة والفتح فان القتال قد يصير سببا للتوبة لبعضهم عن الكفرة واما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان شاقا على بعضهم فاذا اقدم
عليه صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة عن تلك الكراهة وايضا ان حصول النصر والظفر انعام عظيم والعبد اذا شاهد توالي النعم لم يبعد ان يصير ذلك
داعيا له الى ان يتوب عن جميع الذنوب وقد يصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فينتهي عن الحرام وايضا الانسان حريص على ما
منع فاذا انفتحت عليه ابواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا احد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله
حكاية عن سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يعني بعد حصول هذا الملك لا ينبغي للنفس الاشتغال بالدنيا والله عليم بكل ما يجري في ملكه
وملكوته حكيم مصيب في افعاله واقواله واحكامه وتدابيره وعن ابن عباس ان قوله الا تقاتلون الاية ترغيب في فتح مكة لان النتائج المذكورة مشاكلة
لتلك الاحوال واستبعده الحسن لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنتين والله اعلم ثم بين انه ليس الغرض من ايجاب القتال نفس القتال وانما المقصود
ان يؤتى به انقيادا لامر الله ولكي ليبتغي ليظهر المخلص من المنافق فقال ام حسبتم الاية وقد مر وجه اعرابه في آل عمران عند قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة والوليجة البطانة يعني الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة
من دخل وهو الرجل يكون في القوم وليس منهم قال الواحدي يقال هو وليجتي وهم وليجتي يستوي فيه الواحد والجمع ومعنى الاية لا تحسبوا ان تتركوا على ما انتم
عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تمييز المجاهدين المنافقين من المجاهدين المخلصين الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا حبيبا من الذين يضادون رسول الله
والمؤمنين ثم ختم الاية بقوله والله خبير بما تعملون ليعلموا انه لم يزل عالما بالاشياء لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وفيه التحذير عن استبطانه
وتحديد وان يقال التبري والتاويل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس المشركة التي اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فيها وتحرج
القلب في اذان الطغولية لاستكمال القالب وتربيته فسيحوا في ارض البشرية اربعة اشهر هي مدة كمال الاوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية
والانسانية واذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة
الوصال حرام على مشركي الصفات الناسوتية فان تبتم عن الناسوتية بافنائها في اللاهوتية فهو خير لكم من بقائكم بالناسوت فان توليتم وكنتم الى غير الله
فاعلموا انكم غير معجزي الله عن التصرف فيكم اما لاهل السعادة فبالجذبات الازلية واما لاهل الشقاوة فباليم عذاب القطيعة الا الذين عاهدتم ايها القلوب
والارواح من مشركي النفوس على التوافق في العبودية ثم لم ينقصوكم شيئا من وظائف الشريعة ولم يظاهروا عليكم احدا من الشيطان والدنيا فاتموا
اليهم عهدهم بالمداراة والرفق الى اوان طلوع قمر العناية ونجم الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف الاربعة
فاقتلوا النفس المشركة بسيف النهي عن الشهوات حيث وجدتموهم في التطبع بان يتعلقوا بايدي المعصية بان تزجروها عنها وخذوهم بآداب الطريقة
واحصروهم احبسوهم في حصار الحقيقة واقعدوا لهم كل مرصد راقبوهم في الاحوال كلها فان تابوا رجعوا الى طلب الحق واقاموا الصلوة واداموا العبودية
واتوا الزكوة تزكت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية هي الرجوع
الى البداية وان احد من مشركي صفات النفس استجارك يا قلب بترك ما هو المخصوص به من الصفات الذميمة فاجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم
بالهام الله ثم ابلغه مامنه ومواد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تجذب النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون

الله واسراره فلا يميلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون لمشركي النفوس ثبات على العهد وقد جبلت سيالة الى السفليات
وخاتها بعد اصلاح حالها ان تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على اهل الدنيا والاخرة وهو مقام اهل الله وخاصته
الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم
بترجاتي [illegible] في رياض الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب مزدوجة في عالمي الامر والخلق يرضونكم بالاعمال
الظاهرة وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا بآيات الله توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا
ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب فاخوانكم في الدين رفقاؤكم في طلب الحق فارعوا حقوقهم فان لنفسك عليك
حقا لقوم يعلمون ان السير الى الله من اعظم المقامات واهم المهمات وطعنوا في دينكم انكروا مذهب السلوك ائمة الكفر هم النفوس وهموا باخراج
الرسول يعني الواردات الغيبية بالشداد ورونة القلب اول مرة في اوان الطفولية اتخشونهم في فوات حظوظها والله احق ان تخشوه بفوات حقوقها
ويذهب غيظ قلوبهم يعني وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادي في الباطل من غير حاجة الى رياضة
شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر لكل منها ام حسبتم ايها النفوس الامارة ان تتركوا بلا رياضة وليجة اولياء من الشيطان والدنيا والاخرة والله اعلم

ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم
بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون ۞
انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة
واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي
القوم الظالمين ۞ الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم
الفائزون ۞ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات
لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم ۞
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا
الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين ۞ لقد
نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم
فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت
ثم وليتم مدبرين ۞ ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين

وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين

ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم

يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا تقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا

وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء

ان الله عليم حكيم صدق الله العظيم

مسجد الله ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم خفيفا حمزة وعشيرتكم على الجمع ابوبكر وحماد وجبلة
وضاقت ونحوها بامالة حمزة رحبت ثم بسكون ابو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى الوقوف بالكفر اعمالهم ج
لعطف المختلفين خالدون المهتدين في سبيل الله عند الله الظالمين للآية تشبه بالوصف وانفسهم لان ما بعده خبر الذين
عند الله الفائزون ومقيم لا لان ما بعده حال ابدا عظيم على الايمان الظالمون بامره الفاسقين كثيرة للعطف على الظرف
حنين لان اذ ظرف نصركم مدبرين ج للآية وللعطف كفروا الكافرين من يشاء ط رحيم ط نجس ج هذا ان شاء
حكيم ط انه سبحانه بدأ السورة بذكر البراءة من المشركين وبالغ في ايجاب ذلك بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم اراد ان يحكي شبهاتهم
التي كانوا يحتجون بها في ان هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما اسر العباس يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة
الرحم واغلظ علي له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي ألكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ردا عليهم ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام ومن قرأ على الجمع
فاما ان يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام ايضا الذي هو اشرفها وهذا اكد لان طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتاب الله كنت انفى لقراءة القرآن [illegible]

[illegible]

[illegible]

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله
ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية
عن يد وهم صاغرون ۝ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول
الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون ۝ اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ۝ يريدون ان يطفئوا
نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ۝
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون ۝ يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون
عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ۝ يوم يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون ۝ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر
شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة
حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين
كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين ۝ انما
النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه

[illegible]

عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين صدق الله

عزير ابن الله بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلي وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهئون بالهمزة عاصم غير الخزاز الآخرون يضاهون بحذف الهمزة ان يطفئوا وليواطئوا بحذف الهمزة فيهما يزيد وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد والخزاز انما النسئ بالتشديد ورش من طريق البخاري وحمزة في الوقف الباقون بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد علي وحمزة غير العجلي وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد العجلي والاوقية ورويس الباقون بفتح الياء وكسر الضاد الوقوف صاغرون المسيح ابن الله بافواههم لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف من قبل قاتلهم الله يؤفكون ابن مريم لاحتمال الجملة بعده ان يكون حالا واستئنافا واحدا لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الا هو يشركون الكافرون كله لتعلق لو بما قبله المشركون عن سبيل الله في سبيل الله لتعلق الفاء اليم اي في يوم وظهورهم يكنزون حرم يقاتلونكم كافة المتقين فيحلوا ما حرم الله اعمالهم الكافرين

انه سبحانه لما ذكر شبهات المشركين واجاب عنها باجوبة صحيحة اراد ان يبين احكام اهل الكتاب والمقصود تمييزهم من المشركين في الحكم لان الواجب في المشركين القتال او الاسلام والواجب في اهل الكتاب القتال او الجزية او الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات اربعة وامر بقتال من اتصف بها ثم بين الموصوفين بها بقوله من الذين اوتوا الكتاب فدل ذلك على ان اهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله فان قيل انه معلوم ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله واجيب بان ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بان كل من نازع في صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم ان يكون اكثر المتكلمين كذلك فالاشعري من اهل السنة اثبت البقاء صفة والقاضي انكره وعبد الله بن سعيد اثبت القدم صفة والباقون انكروه والقاضي اثبت لله ادراك الطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاذ ابو اسحق انكره والقاضي انكر للصفات سبعة احوال معللة بتلك الصفات وغيره انكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله في الازل ما كان امرا ونهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والآخرون انكروه وقوم من قدماء الاشاعرة اثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهي والاستخبار والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا في انه مختلف باختلاف المعلوم بل هو متعدد ام لا واما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فاكثر من ان تحصى ههنا واجيب بان المجسم كافر في الذات لانه يقول ان الاله جسم والبرهان دل على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني واما الخلاف في المسائل المذكورة فراجع الى الصفة فظهر الفرق نعم المكفر الحلولية والحروفية القائلين بان كلام الله تعالى يحل في كل لسان وفي كل جسم كتب فيه القرآن كما كفر النصارى القائلين بان اقنوم الكلمة حلت في عيسى الصفة الثانية انهم لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسماني والقرآن دل على ان اهل الجنة ياكلون ويشربون وبالحور يتمتعون اما السعادات الروحانية فمتفق عليها الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي لا يحرمون ما حرم الله في القرآن والرسول في سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال ابو روق اي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها واتوا باحكام توافق شهواتهم الصفة الرابعة ولا يدينون دين الحق اي لا يعتقدون في صحة دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله ثم ذكر غاية القتال فقال حتى يعطوا الجزية فعلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه قال الواحدي هي ما يعطي المعاهد على عهده وقال في الكشاف سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى عن يد ان اريد بها يد المعطي اي عن يد مواتية غير ممتنعة يقال اعطى بيده اذا انقاد واصحب او المراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد احد وان اريد بها يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او بسببها كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسببهما او المراد عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم بدلا عن ارواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود من هو موحد فما وجه ايجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم لزم القول به في حق الكل لعدم الانفكاك ولوجود الصفات الباقية فيهم اما مقدار الجزية فعن انس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر رضي الله عنه على فقرائهم في المدينة اثني عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين فذهب الشافعي الى ان اقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضي وذهب ابو حنيفة الى قسمة عمر رضي الله عنه والمجوس سبيلهم سبيل اهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب ويروى انه صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس هجر وذلك ان لهم شبهة كتاب ومعنى ذلك ان كتبهم وهي الصحف التي انزلت على ابراهيم صلوات الرحمن عليه قد رفعت الى السماء لاحداث احدثوها وليس المقصود من اخذ الجزية تقرير الكفر وعلى كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون في كتابهم فيعرفون صدق محمد وما دعاهم اليه [illegible] حرمة اتباع وحرمة كتابهم وحرمة آبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل واما قوله وهم صاغرون فمعناه انه لابد مع اخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه ان طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل فاذا امهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر ويسمع الدلائل فالظاهر ان مجموع ذلك يحمله على الانتقال الى الاسلام وفسروا الصغار في الآية باخذ الجزية على سبيل الاهانة بان يكون الذمي قائما والمسلم الذي ياخذ الجزية قاعدا ويامر بان يخرج يده من جيبه ويحني ظهره ويطاطئ راسه فيصب ما معه في كفة الميزان وياخذ المستوفي بلحيته ويضرب في لهزمتيه مستحبة على الاصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس اخذ الجزية والجزية تسقط بالاسلام عند ابي حنيفة دون الشافعي وانما تؤخذ عند ابي حنيفة في اول السنة وعند الشافعي في آخرها ولا تؤخذ من فقير لا كسب له ولا من امراة وخنثى ولا صبي ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه ويضرب على الزمن والعجيف والشيخ الفاني والراهب والاعمى على الاصح من قولي الشافعي لان الجزية بمنزلة الكراء يستوي فيه المعذورون وغيرهم قال الشافعي في احد قوليه العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فاذا تم الحول بقيت ان ايسر والا بقي في ذمته الى ان يوسر وهكذا في كل حول ولا يصح عقد الذمة الا من الامام او نائبه الذي فوضه اليه لانه من الامور الكلية وكيفية العقد ان يقول اقررتكم او اذنت لكم في الاقامة في دار الاسلام على ان تبذلوا كذا وتنقادوا لاحكام الاسلام التي يراها الامام ولا يقر اهل الكتاب بالجزية في ارض الحجاز لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا اليهود من الحجاز قال الشافعي يعني مكة والمدينة ومخاليفهما اي قراها وما روي انه صلى الله عليه وسلم اوصى ان يخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب يحمل على ان المراد الحجاز جمعا بين الحديثين وقد بقي في الآية نكتة ذكرها بعض العلماء في ان المسلم لا يقتل بالذمي لان قوله قاتلوا

يشتمل على اباحة دمهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية [illegible]

[illegible]

وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلثة وقال لكل واحد منهم انت خالصتي فادع الناس الى نحلتك ولقد رأيت عيسى في المنام ورضي عني واني غدا اذبح نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فهذا هو السبب في وقوع هذا الكفر في طوائف النصارى والاقرب ان لفظ الابن قد وقع في الانجيل على سبيل التشريف كما وقع لفظ الخليل في حق ابراهيم صلوات الرحمن عليه وقال المسيح للحواريين احبوا اعداءكم وبركوا على لاعنيكم واحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء يشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل ان يقابلوا غلوهم الفاسد في احد الطرفين بغلو فاسد في الطرف الآخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله اعلم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه ذلك قولهم بافواههم وفائدة هذا التخصيص وكل قول فانما يقال بالفم انه قول لا يعضده برهان بل البرهان دال على نقيضه لاستحالة اثبات الولد لمن هو منزه عن الحاجة والشهوة والمضاجعة واتخاذ الصاحبة فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي لا تجاوز الحناجر ولا يؤثر معناها في القلب بل لا معنى لها حتى تؤثر نظيره قوله ويقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم او يقول ان الانسان عند اختياره مذهبا ولكن لا يصرح به ولا يذكره بلسانه انما القول به فذلك هو الغاية في اختياره واذا ساعده عليه دليل كان نهاية في الحسن فالمراد بالقول المذهب وانهم يصرحون به لا يحتشمونه البتة او لانه مذهب لا يساعده دليل فلا اثر له في القلوب ويحتمل ان يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت بالافواه والالسنة يضاهئون من قرأ بغير همز فظاهر لانه من ضاهى يضاهي مضاهاة اي شاكل ومن قرأ بالهمز فلعله لغة في ضاهى ويقولهم ضهياء على فعيل وهي التي شاكلت الرجال في انها لا تحيض ومن جعل ضهياء فعلاء بزيادة الهمزة كما في غرقئ لقشرة البيض السفلى فضهياء ممدود والمقصور [illegible] فلا حجة في هذا الثاني عنده ولابد من تقدير مضاف اي يضاهي قولهم قول الذين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا لفقد الجار والمعنى ان قول هؤلاء المعاصرين للنبي من اهل الكتاب يشبه قول قدمائهم اي انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير في يضاهئون للنصارى فقط اي يشاكل قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود اقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب متعجبا مستفهما على سبيل الانكار قاتلهم الله انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم ولمن ضل عن الطريق اين يذهب ثم وصفهم بضرب آخر من الاشراك فقال اتخذوا احبارهم ورهبانهم قال اهل المعاني الحبر العالم الذي يعبر عما يريد باحسن بيان والراهب الذي ظهرت آثار الرهبة على وجهه ولباسه لكن في عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان بعلماء النصارى من اصحاب الصوامع والمفسرون على اتخاذهم اياهم اربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد انهم جعلوهم آلهة العالم فقال اكثر المفسرين المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم نقل ان عدي ابن حاتم كان نصرانيا فانتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة براءة فلما وصل الى هذه الآية قال عدي انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله ويحلون ما حرم الله فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان وكانوا ياخذون باقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما لم يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلافا لما عليه الخوارج لان الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا انه يلعنه ويستخف به بخلاف اولئك الاتباع المعظمين لمتبوعهم قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها ولم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الي كالمتعجب يعني كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع ان الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تاملت حق التامل وجدت هذا ساريا في عروق الاكثرين قلت ولعلهم لو تفقدوا احسن ظنهم بالسلف لانهم ربما وقفوا على الآي على ما لم يقف عليه الخلف وقيل في تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يأخذهم الشيخ في ذلك اذا كان مزورا طالبا للدنيا وقد رضي بسجودهم له تعظيما واجلالا مع ان السجود لا يليق الا بالله واذا كان مما شاهد في هذه الامة فكيف بالامم السالفة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة والالهية الكشاف لان افراد المسيح بالذكر لان قولهم فيه اشنع من قولهم في الاحبار والرهبان والآن القول بالهية المسيح مخصوص باحد الفريقين فلو قيل اتخذوا احبارهم والمسيح ابن مريم اربابا لاوهم اشتراك الفريقين في اتخاذ المسيح ربا وما امروا الضمير للمتخذين والذين المراد بذلك ما ذكره العقل والكتب السماوية وفي القرآن حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وكذا

ان يكون الضمير للاحبار والرهبان اي وما امر هؤلاء الذين عندهم ارباب الا بان يكونوا مربوبين ثم نزه نفسه عن مقالة الظالمين فقال سبحانه عما يشركون
ثم ذكر نوعا آخر من قبايح افعال اهل الكتاب وهو سعيهم في ابطال امر محمد وجدهم في اخفاء الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال يريدون ان يطفؤا نور الله
اي دينه الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما في الاهتداء بهما وذلك ان دين محمد مؤيد بالمعجزات الباهرة التي بمثلها ثبت نبوة موسى وعيسى و
ولسيما بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد لطاعته وصرف النفس عن الامور الفانية والترغيب في السعادات
الباقية ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة ارادوا ابطال هذه الدلائل وكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذي هو اشد الانوار المحسوسة
بسبب ان ينفخ فيه ولا ريب ان ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال ويابى الله الا ان يتم نوره اي لم يرد الله الا ذلك الا ان الاباء يفيد زيادة
زيادة على عدم الارادة وهي المنع والامتناع قال وان اراد والظلم ابينا امتدح بذلك ولا يجوز ان يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك يجري
فيه القوي والضعيف وفيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم اكد ذلك المعنى بقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي بكثرة الدلائل والمعجزات
ودين الحق وهو اشتماله على امور تظهر لكل احد كونه موصوفا بالصواب ومطابقا للحكمة ومؤديا الى صلاح الدنيا والآخرة ثم بين غاية امره وتمام حاله فقال
ليظهره على الدين كله اي ليجعل الرسول او دين الحق غالبا على اهل الاديان كلهم او على كل دين عن ابي هريرة انه قال هذا وعد من الله بان يجعل الاسلام
غالبا على جميع الاديان وتمام هذا انما يظهر عند خروج عيسى وقال السدي ذلك عند خروج المهدي ولا يبقى احد الا دخل في الاسلام او ادى الخراج
قلت قد دخل في عصرنا من الملوك الكفرة ومن اتباعهم في الاسلام ما لا يعد ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على ان الكل سيدخلون
في الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لي الارض فرايت مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقيل ليظهر الاسلام
على غيره في جزيرة العرب وهذا التخصيص اوجه ضيق العطن وقيل ليظهر الرسول على جميع شرايط الدين حتى لا يخفى عليه شيء من مدارك الاحكام وقيل ليظهره
بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار في بعض الاقطار ظاهرة وللقائل ان يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان قلوا غالبة على الكفار وان كثروا بدليل
انهم لا يمنعونهم من اظهار شعاير الاسلام والتزام احكامه قوله هو الذي ارسل فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة انه هو القادر على ايجاد مثل هذا الامر العظيم
ومن جهة انه هو الغالب على ايصاله الى حيث شاء واراد من غير معاند ولا منازع ومن جهة انه هو المعطي لمثل هذه النعمة العظيمة التي لا يوازيها نعمة وهي
نعمة الهدى والاسلام ولو كره الكافرون وفي الآية الثانية ولو كره المشركون اما متساويا الدلالة حينهما على ان اليهود والنصارى ايضا مشركون و
واما تخصيص بعد تعميم ولعله رغم لانف مشركي قريش ثم لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق اراد
ان يصفهم بالطمع والحرص فقال يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الآية وفيه تنبيه على ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل
حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى ولعمري من تأمل في احوال اهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كانها ما انزلت الا في شانهم
وشرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعي انه لا يلتفت الى الخلق ولا يتعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا
آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة في تحصيله وفي قوله كثيرا دلالة على ان هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم
لا يخلو عن المحق واطباق الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم انه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل كذلك في ساير الامم وعبر
عن اخذهم اموال الناس بالاكل لتسمية الشيء باسم ما هو اعظم مقاصده والغناص الكل شيئا فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كالواخذ ولهذا قال
اخذ اموال الناس فاذا طولب بردها قال اكلتها وما بقيت فلا قدرة لي على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها انهم كانوا ياخذون الرشى في تخفيف الاحكام
والمسامحة في الشرايع وفي اخفاء نعت محمد وتاول الدلائل الدالة على نبوته ومنها انهم كانوا يدعون عند عوامهم الحق انه لا سبيل الى الفوز بمرضاة الله تعالى
الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في رضاهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها انهم قالوا لا طريق الى تقوية دينهم الا اذا كان اولئك الفقهاء
اقوياء عظماء اصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون في زماننا هذا وقوله ويصدون عن سبيل الله لانهم يبالغون في المنع من متابعة محمد كيلا
يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو اقروا بدينه ثم قال سبحانه والذين يكنزون الذهب الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه
ناقة كناز كثيرة اللحم والكنز الشيء المجتمع قيل المراد بقوله والذين الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد اراد ان يصفهم بالامتناع من اخراج
الواجبات عن اموالهم وقيل المقصود مانعوا الزكوة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان حال من امسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك
بحال من سعى في اخذ مال غيره بالباطل والخديعة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا انا بابي ذر فقلت ما انزلك هذه البلاد فقال كنت بالشام
فاختلفت انا ومعاوية في هذه الآية فقال معاوية نزلت في اهل الكتاب وقلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الى عثمان يشكوني
فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عني كانهم لم يروني من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت
قريبا والله اني لا ادع ما كنت اقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رايت ابا ذر يقول بشر الكانزين بوسم يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة
ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت له ما رايت هؤلاء الا كرهوا
ما قلت لهم فقال ما عسى يصنع بي قريش واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذي لم يؤد زكوته عن عمر بن الخطاب
ما ادي زكوته ليس بكنز وقال ابن عمر كل مال اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل ما لم يؤد زكوته فهو كنز وان كان فوق الارض
وقال جابر اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس قوله ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين لا يؤدون
زكوة اموالهم قال القاضي ويندرج فيه ساير الحقوق من الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات
واروش الجنايات وقال الاقلون كل مال كثير فهو مذموم سواء اديت زكوته او لم تؤد حجة الاولين قوله تعالى لها ما كسبت ولا يسالكم اموالكم وقوله
كل امرئ احق بكسبه نعم المال الصالح للرجل الصالح ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى ولم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان يعدهم من اكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث
او الاقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان يامر المريض ان يتصدق بالكل بل الصحيح في حال صحته حجة الاقلين عموم الآية وما روى سالم بن الجعد انها
لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب وتبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه
وقوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان
وعن علي كل مال زاد على اربعة آلاف فهو كنز اديت منه الزكوة او لم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لرفع الحاجات فاذا حصل للمرء منها مقدار ما
على قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا عن ظهور حكم الله ودافعا لوجوه الاحسان الى عبيده وقد رام طايفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا ان هذا التشديد

ان تعرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله تعالى اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه ثم يعاقبه وقال اهل التحقيق
النهي عن جمع المال محمول على التقوى لان تزايد المال لا حد له يقف عنده فلا يزال ينجر الى تضييع العبادة في تحصيله والحرص في حفظه ولانه كلما ازداد المال ازدادت
لذته بذلك فيشتد حرصه ولا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ولو لم يكن في القلب سوى الاغترار
وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة وفخرا وكل ما يمسك عن الله ولم يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده واما الظاهر الفتوى فهو ان صاحب المال الكثير
لا عتب عليه اذا ادى منه حقوقه هذا ومن حمل الآية على وجوب الزكوة في النقود قاس الزكوة في المواشي عليه وقد ورد في الحديث ما من صاحب
ابل او غنم وهو حديث مشهور ولا ريب ان الاصل المعتبر في الاموال هو النقدان وسائر الامتعة انما يحصل بهما ويدور عليهما ومن اوجب الزكوة في الحلي المباح ادخل
في الآية لان الذهب والفضة يشمله ومن لم يوجب الزكوة فيه خصص عموم الآية بما روي انه صلى الله عليه وسلم لا زكوة في الحلي المباح ولم يصححه ابو عيسى الترمذي و
وبتقدير ان يصح حمله على اللآلي لقوله تعالى وتستخرجون منه حلية تلبسونها وللقائل ان يقول لو حملنا الحلي في الحديث على اللآلي لم يبق لقيد المباح فائدة
ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فقيل الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز او الاموال او لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودراهم
ودنانير فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ اي ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب اما لانه داخل في الفضة من حيث كونهما
جوهرين ثمنين نفيسين مقصودين بالكنز فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا واما
لان التقدير والذهب كذلك كان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك ثم قال فبشرهم بعذاب اليم تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم
وقيل البشارة هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح او من الغم كان حقيقة يوم يحمى عليها معناه ان النار يحمى
عليها اي توقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم يحمى اي الكنوز لم يعط هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الحماء
للنار لانه مسند الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما تقول رفعت القضية الى الامير فان لم يذكر القضية قلت رفع الى الامير فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
ذكر العلماء في تخصيص هذه الاعضاء بالكي وجوها منها ان حصول الاموال يقصد به فرح في القلب يظهر اثره في الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب
فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعوقبوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء يعظم تالمها لكونها مجوفة ولما في داخلها من الاعضاء الشريفة ومنها انهم كووا
على الجهات الاربع اما من قدام فعلى الجبهة واما من خلف فعلى الظهر واما من اليمين والشمال فعلى الجنبين ومنها ان المراد وقوع الكي على كل الاعضاء لانها
اما في غاية اللطافة وبمثاله الجبهة واما في نهاية الصلابة وبمثاله الظهر واما متوسطة وبمثاله الجنبان ومنها ان الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والانسان
انما يطلب المال للجمال والقوة فعوقب بازالتهما ومنها قول ابي بكر الوراق خصت بالذكر لان ذا المال اذا رأى الفقير قبض جبينه واذا قعد بجنبه تباعد وتجافى عنه
وولى عليه ظهره واما قول من قال يحتمل ان يراد بالجباه قدام الشخص حين لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلف حين خلف ما اعقبه الحسرات وبالجنبين اليمين
والشمال حين لم ينفق المال في مرضات الله تعالى وانفقه في معصيته وسخطه وهذا بالتاويل اليق ثم الذي جعل كيا هو كل المال او القدر الزكوي الظاهر انه الكل
لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شايعا في كل ماله فناسب ان يعذب بكل الاجزاء ثم قال هذا ما كنزتم والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم وفيه
توبيخ واشعار بانهم عوقبوا بنقيض القصد واكد ذلك بقوله فذوقوا ما كنتم تكنزون ما مصدرية او موصولة والمعنى ذوقوا وبال كونكم كانزين او ذوقوا وبال المال
الذي كنتم تكنزونه ثم ذكر نوعا آخر من قبايح اعمال اليهود والنصارى والمشركين وقال ان عدة الشهور الآية وذلك انه تعالى لما حكم في كل وقت بحكم خاص فاذا
غيروا تلك الاوقات بسبب النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة في كفرهم واعلم ان المعالم الشرعية
كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة اثني عشر شهرا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور اثنا
عشر شهرا قال ابو علي الفارسي لا يجوز ان يتعلق قوله في كتاب الله بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر اعني اثنا عشر فقوله في كتاب الله ويوم خلق
بدل الثاني من الاول وهو من عند والتقدير ان عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفائدة الابدالات تقرير الكلام في الاذهان
لانه يعلم منه ان ذلك العدد واجب عند الله وثابت في علمه في اول ما خلق الله العالم ويجوز ان يكون في كتاب الله صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا
في كتاب الله وعلى هذا لا يجوز ان يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق به ولا يتعلق الظروف باسماء الاعيان لا تقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب
يكون مصدرا بمعنى المفعول اي فيما اثبته في ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في كتاب الله يوم خلق
قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقيل القرآن منها اربعة حرم ثلثة سرد اي مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ذلك الدين
القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي كان عليه ابراهيم واسمعيل فقد توارثه العرب منهما فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو
لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه تركه فلا تظلموا فيهن اي في الاشهر الاربعة انفسكم بان تجعلوا حرامها حلالا عن عطاء تالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم
ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت الدائم الذي لا يزول وعن عطاء الخراساني احلت القتال
في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه ولا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق
والسبب فيه ان لبعض الاوقات اثرا في زيادة الثواب والعقاب كالامكنة وكانت الحكماء يختارون لاجابة الدعاء اوقاتا مخصوصة وفيه فائدة اخرى
هي ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الامكنة والازمنة بطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيها ولا
عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو امر مطلوب في نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد والاعتقاد وان الاقدام على تمدد
يبطل مساعيات الف فذلك هو المطلوب الكلي ولا ريب ان تخصيص ذلك من الشارع اقرب الى اتحاد الآراء وتطابق الكلمة وقيل الضمير في قوله فيهن عائد
الى الاثني عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الفساد مدة عمره والمراد المنع من النسيء على الحج قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولانه كما
ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب ان يخص بالمنع من الظلم ولان العرب يختار فيما بين الثلثة الى العشرة ضمير الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة يختار ضمير
الواحدة قال حسان شعر لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما ويقال لثلث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت
ثم قال عز من قائل وقاتلوا المشركين وظاهر الآية يدل على اباحة القتال في جميع الاشهر لان الامر الوارد عقيب الحظر يدل على الاباحة ومعنى كافة جميعا الا انه اذا جمعوا
تراحموا فكف بعضهم بعضا ونصبه على المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز ان يثنى ويجمع ولا يعرف باللام كقولك
قاتلوا اسعادا فاترا جميعا وفي وجه التشبيه في قوله كما يقاتلونكم كافة قولان فقيل جميعا كما هم يقاتلونكم ولا تخبوا بعضهم بترك القتال كانهم يستحلون قتال جميعكم و
وقيل قاتلوهم باجمعكم غير متفرقين في مقاتلة الاعداء وكما يقاتلونكم فعلى الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله واعلموا ان الله مع
المتقين حث لهم على التقوى وعلى الجهاد ببيان النصرة والمعونة ثم فسر الظلم المنهي عنه في الآية المتقدمة واكد النهي عنه بقوله انما النسيء وهو مصدر نساه اذا اخره كا

والتكثير وقال قطرب اصله الزيادة من قولهم نسأت المرأة اذا حبلت لزيادة الولد فيها ورد بانه يقال لها ذلك لتأخر حيضها وقيل هو بمعنى
منسوء كقتيل بمعنى مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤول المعنى الى ان الشهر زيادة في الكفر وهذا المحل غير صحيح ويمكن ان يجاب بان المراد ان العمل
الذي سنته بتغيير الشهر الحرام مؤخرا زيادة في الكفر احتج الجبائي ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وايضا اطلق الكفر على هذا العمل فدل ذلك
يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار واجيب بان الزيادة راجعة الى الكمال وانما سمي هذا العمل كفرا لانه يؤول الى اعتقاد تحليل ما هو حرام
وبالعكس وفي قوله يضل به الذين كفروا البحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز او بالحقيقة وقد مر مرارا قوله
يحلونه عاما الضمير فيه عائد الى النسيء قال الواحدي اي يحلون التاخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمون التاخير عاما اخر
وهو الذي يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا اصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلثة اشهر متوالية من غير قتل وغارة
فاذا اتفق لهم في شهر منها او في المحرم حرب وغارة اخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر اخر قال الواحدي واكثر العلماء على ان هذا التاخير كان من المحرم
الى صفر ويروى انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم
فيقول باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القبائل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه واكثرون على انهم كانوا
يحرمون من جملة شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا انهم خالفوا
ترك القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله اي من القتال وترك الاختصاص قال اهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا
اذا اجتمعوا عليه كان كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء في الشعر من هذا وهو ان يأتي في القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد
قال ابن عباس انهم ما احلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا اخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا اخر من الحرام لا
ان يكون عدة الحرم اربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطأة وللاية تفسير اخر وهو ان يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمرية بشهر
حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة القمرية اعني اثنا عشر شهرا قمريا هي ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم على ما عرف من علم النجوم
وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من اية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم
الا كسرا قليلا فالسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بعشرة ايام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريبا وبسبب هذا النقصان ينتقل الشهور القمرية
من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا في الشتاء مرة وفي الصيف اخرى وكذا في الربيع والخريف وكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور
التجار من الاطراف فكان يختل اسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب قدموا على عمل الكبيسة بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهوا وادراك الثمار والغلات
وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفي فكبسوا التسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا في السنة
الثانية شهرا ثم في الخامسة ثم في السابعة ثم في العاشرة ثم في الثالثة عشرة ثم في السادسة عشرة ثم في الثامنة عشرة وذلك ترتيب بهجزوج
عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصنعة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لاجل اعيادهم فالشهر الزائد هو الكبيس وسمي بالنسيء لانه المؤخر والزائد مؤخر
عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روي انه صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع وكان في جملة ما خطب به الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان
والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة في نفس الامر وكانت
حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة والتي سموها ذا الحجة واما لزوم العتب عليهم في هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها ثلثة عشر شهرا كان مخالفا
لحكم الله بان عدة الشهور اثنا عشر شهرا اي لا ازيد ولا انقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير ويلزمهم ايضا الزعم في التغيير
الاول من تغيير الاشهر الحرم عن اماكنها فيجوز ان يكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما اي يحلون النسيء في عام الكبيس ويحرمونه عاما اي في غير سنة
الكبيس ومعنى قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله ما روي انه كان يقوم في الموسم منهم خطيب ويقول انا الذي لكم في هذه السنة شهرا وكذا نفعل في كل سنتين
او ثلث حتى يأتي حجكم وقت الادراك فيسمى المحرم وجعله كبيسا ثم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فكرر حرم عليهم واحدا برايه على وفق مصلحتهم والغى
الاخر وباقي الاية قد مر تفسيره مرارا والله تعالى اعلم **التأويل** قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الاخر اي العاملين لاخرة
ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها رأس كل خطيئة وحرم رسوله على لسانه ولا يدينون دين الحق اي لا يطلبون الحق من الذين اوتوا الكتاب
من النفوس الملهمة بالواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهي معاملتها على خلاف طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت يهود
النفس ان عزير القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مرآة القلب اثار انوار الواردات الى النفس المظلمة فتنورت كان اليهود لما سمعت التورية وعلوم
التي هي عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك ان الروح ربما يتجلى للقلب في صفة
الربوبية والخلافة مقترنا بصفة ابداع الحق وتشريف اضافة ونفخت فيه من روحي يضاهون قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكافرة اتخذوا
اتخذوا احبارهم اي قلوبهم ورهبانهم اي ارواحهم اربابا والمسيح ابن مريم وهو الخفي وذلك ان الخفي هو اول مظهر للفيض الالهي الذي منه التربية
ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها يرى التربية من القلب ثم يترقى نظرها الى ان ترى التربية من الروح ثم من الخفي
ولا يترقى نظرها الى ان يرى الكل من الحق فان رؤية ذلك من شان القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما راى يريدون اي النفوس ان يطفؤا نور الله الذي
رش على الارواح في بدء الخلق بافواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات وهو الذي ارسل رسوله وهو النور المرشش بالهداية الى الله وطلب
الحق ليظهره في طلب الحق على طلب غيره ان كثيرا من احبار القلوب ورهبان الارواح ليأكلون اي يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون
الذهب والفضة حرصا وطمعا في الاستمتاع بحظوظ النفس لا ينفقونها في سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدمي ترك الدنيا وقمع الهوى
يحمى عليها في نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم استعبدوا ذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث استجابوا جنوبهم عن مضاجع
المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذي اصابكم من الم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا
الان نار الحرص لانكم لم تذوقوه في الدنيا حيث كنتم في مقام الغفلة منها اربعة حرم فيه اشارة الى ان الطالب المفتقر الى التحصيل قوت لنفسه يجب
ان يجعل اوقات عمره اثلاثا ثلث للطلب للمعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التي ينتفع بها في الاخرة وثلثا من ذلك حرام ان يقع
في خاطره غير المولى ومن استغنى عن الموانع فيحرم عليه صرف لحظة في غير طلب الحق والى هذا المعنى اشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على ان
من لم يكن بهذا كان في سلوكه اعوجاج ثم ذكر ان من شان النفوس المشركة ان قبلت على طاعة اخرها عن وقتها وهو النسيء الموجب لازدياد كفرها لانها قد
خالفت الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث انها اعتقدت ان ذلك التاخير مما لا بأس به والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة
الدنيا في الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما
ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شئ قدير
الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ
هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله
سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم انفروا
خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا
قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله
لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم
لكاذبون عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك
الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
والله عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا
الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل
اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا
ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله
عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك
الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون و
منهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا
وان جهنم لمحيطة بالكافرين صدق الله العظيم

وكلمة الله بالنصب ليعقوب الباقون بالرفع الوقوف الى الارض ط قليل ط شيئا ط قدير ط معنا ج لعطف انزل على نصر
مع عوارض الظروف السفلى ط الا من قرأ وكلمة بالنصب العليا ط حكيم ط في سبيل الله ط تعلمون ط الشقة ط معكم ج لاحتمال البعد والاستئناف
والحال انفسهم ج لواو الابتداء والحال لكاذبون ه عنك ج لحق الاستفهام مع اتصال الكلام معنى الكاذبين ه والقسم بالمتقين ه يترددون ه العاقدين
القنة ج لاحتمال البعد الاستئناف والحال لهم بالظالمين ه كارهون ه ولا تفتني ط سقطوا ط بالكافرين ه التفسير لما شرح معايب
هولاء الكفار عاد الى الترغيب في قتالهم عن ابن عباس انها نزلت في غزوة تبوك سنة عشر وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما رجع عن الطائف
اقام بالمدينة اياما فامر بجهاد الروم فاستثقله الناس لكون الزمان زمان الضيق والقحط ولبعد المسافة ولمزيد الاحتياج الى الاستعداد ولشدة الحر والخوف
من عسكر الروم ولوجود اسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما خرج في غزوة الا ورّى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة واصل النفر الخروج الى مكان لامر يباح عليه واسم ذلك القوم
الذين يخرجون النفير واصل اثاقلتم تثاقلتم كما قلنا في فادارأتم ومعناه تباطأتم وانما عدي بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كقوله اخلد الى الارض
اي مال الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد ملتم الى الاقامة بارضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام في مالكم الانكار وقرئ أاثاقلتم على الاستفهام للانكار
ايضا فيكون جواب اذا فعلا آخر مدلولا عليه باثاقلتم كتوقفتم وذلك ان جواب اذا عامل في اذا والاستفهام لا يعمل فيما قبله ويجوز على هذا ان
يكون اذا مجرد الظرفية والعامل فيه ما في مالكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم ومن في من الاخرة للبدل كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض
يخلفون كأنه قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا انواع فضائحهم التي تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه الا طاعة المعبود المستلزمة
لثواب الاخرة لكفى به باعثا فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة اي في جنبها وفي مقابلتها الا قليل ويجوز ان يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهي الزائل
الى غير المتناهي الباقي والظاهر ان هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة اطباق هذه الامة على المعصية والضلالة الا انه لما اعطي للاكثر
حكم الكل واطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم في الجهاد بعرض الثواب عليهم رغبهم فيه بعرض العقاب فقال الا تنفروا ورتب عليه ثلث
خصال الاولى قوله يعذبكم عذابا اليما قيل هو عذاب الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتثاقلوا فامسك الله
عليهم المطر وقال الحسن الله اعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم وقيل هو عذاب الاخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق
الشامل للدارين الثانية قوله ويستبدل قوما غيركم يعني قوما آخرين خيرا منهم واطوع قيل هم اهل اليمن عن ابي روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن
جبير وقيل يحتمل ان يراد بهم الملائكة وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين اظهركم وهي المدينة والاصح ابقاء الاية على الاطلاق الثالثة قوله ولا تضروه
شيئا قال الحسن الضمير لله وفيه انه غني عنهم في النصرة وفي كل شيء وقال آخرون الضمير للرسول لان الله وعده ان يعصمه ووعد الله كائن لا محالة
وفي قوله والله على كل شيء قدير تنبيه على انه قادر على نصرة رسوله باي وجه كان اراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف امره كائنا من كان عن الحسن
وعكرمة ان الاية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا فلا نسخ قال
الجبائي الاية دالة على بطلان مذهب المرجئة من ان اهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضي فيها دلالة على وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول ام لا لقوله تعالى
مالكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير في قوله ولا تضروه عائد الى الرسول فجوابه ان خصوص آخر الاية لا يمنع من عموم اولها ثم
رغبهم في الجهاد بطريق آخر فقال الا تنصروه فقد نصره الله وهذا كالمتقرر لما تقدم والمعنى فان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقواه
حال ما لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد وفيه انه لما وجب له النصرة وقتئذ فلن يخذله بعد ذلك وقوله اذ اخرجه الذين كفروا اي الجاؤه الى ان خرج
خوف ليقتلوه وثاني اثنين نصب على الحال ومعناه احد اثنين لانه حضر اثنان فكل واحد منهما ثان للاخر واحد منهما وقوله اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه واذ
يقول بدل ثان والغار نقب عظيم في الجبل والمراد به نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة واعلم انا قد ذكرنا في سورة الانفال ان قريشا
ومن بمكة تعاقدوا وائتلفوا على قتل رسول الله عليه الصلوة والسلام فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا فامره الله تعالى ان يخرج هو وابو بكر الصديق الى الغار وامر عليا
ان يضطجع على فراشه فلما وصل الى الغار دخل ابو بكر يلتمس ما في الغار فقال له الرسول ما لك فقال بابي انت وامي الغيران مأوى السباع والهوام فان
كان فيه شيء كان بي فخرق عمامته وسد الجحرة وبقي جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذي الرسول فلما طلب المشركون الاثر وقربوا بكى ابو بكر
خوفا على رسول الله فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا تحزن ان الله معنا فقال طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا
في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد اخذ الله تعالى
ابصارهم عنه استدل اهل السنة بالاية على افضلية ابي بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقة باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه في مثل
تلك الحالة وانه كان ثاني رسول الله في الغار وفي العلم لقوله ما صب في صدري شيء الا صببته في صدر ابي بكر وفي الدعوة الى الله لانه صلى الله عليه وسلم
عرض الايمان اولا على ابي بكر فآمن ثم عرض ابو بكر رض الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة اخرى من اجلة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وكان
رضي الله عنه لا يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزوات وفي اداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد اقامه في مرضه مقامه في الامامة ولما توفي
دفن بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ثاني اثنين امره الى آخره ولو قدرنا انه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك السفر لزم ان لا يقوم
بامره ولا يكون وصيه الا ابو بكر وان لا يبلغ ما حدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا ابو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي
الدوام والتكرار فهو لا يحزن قبل الموت وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله تعالى ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسين بن الفضل من انكر صحبة غير ابي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن انكر صحبة ابي بكر فانه يكون
كافرا لانه خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه اجابت الشيعة بان كونه ثاني اثنين ليس اعظم من كون الله رابع الكل ثلثة في قوله ما يكون من نجوى ثلثة
الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون الصاحبية موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت
بالذي خلقك وكما احتمل ان يقال انه صلى الله عليه وسلم استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الشفقة احتمل ان يكون ذلك لاجل انه خاف ان يدل الكفار عليه
او يوقفهم على اسراره لو تركه ثم ان حزنه لو كان حقا لم ينه عنه فهو ذنب وخطاء سلمنا دلالة الاية على فضل ابي بكر الا ان اضطجاع علي كرم الله وجهه على فراشه
اعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس اجاب اهل السنة بان كون الله تعالى رابع الكل ثلثة امر مشترك وكونه ثاني اثنين تشريف زائد اختص الله ابا بكر به
على ان المعية هنالك بالعلم والتدبير وههنا بالصحبة والمرافقة فاين احديهما من الاخرى والصحبة في قوله قال له صاحبه مقرونة بما يقتضي الاهانة والاذلال

[illegible]

على الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم بناء اول الكلام على التكلم وآخره على الغيبة والمحل الصحيح حينئذ ان لو قيل لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله اعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله عفا الله عنك فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله لم اذنت لهم فانه استفهام في معنى الانكار وبيان لما كنى عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيئان فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه للفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون والذي عليه المحققون انه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير لقدر امثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي وبعد حصول العفو منه يستحيل ان يكون قوله لم اذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الاية دلالة على جواز الاجتهاد لانه صلى الله عليه وسلم اذن لهم من تلقاء نفسه من غير ان يكون من الله في ذلك اذن والا لم يعاتب او منع والا كان حاكما بل كان كما قال ومن لم يحكم بما انزل الله ولا ريب انه لا يكون لمجرد التشهي فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هي قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولا يمكن ان يكون المراد من ذلك التبين التبين

[illegible]

لان لا بل اللغة فيقال اكثرهم هو متعد يقال وضع البعير اذا عدا واوضعه الراكب اذا حمله العدو وعلى هذا يكون في الاية حذف والتقدير ولاوضعوا ركائبهم وقال الاخفش وابو عبيدة انه جاء لازما ويقال وضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم افاض من عرفة وعليه السكينة واوضع في وادي محسر اي اسرع قال الواحدي والاية تشهد للاخفش وابي عبيدة وعلى القولين المراد في الاية السعي بين المسلمين بالتضريب والنميمة والمبالغة في الاول اكثر لان الراكب اسرع من الماشي ومعنى خلالكم اي فيما بينكم والخلل الفرجة بين الشيئين ويبغونكم الفتنة اي يبغون لكم قال الاصمعي ابغني كذا وابغ لي اي اطلبه لاجلي ومعنى الفتنة ههنا افتراق الكلمة والتشويش في المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام اسرع فالحاصل من النوع الاول تحصيل اختلاف الاراء ومن الثاني المشي بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض واما النوع الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد وابن زيد عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة وفيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا القاه الغافل والقابل وقع الاثر على الكل او جره والمحالة واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم واجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام او لمن جبل على الجبن والفشل او لمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة او وجاهة وقلما يخلو الاقرباء من ضعيف يحيق او اهل الحق من مبطل منافق ولهذا ختم الاية بقوله والله عليم بالظالمين الذين

[illegible]

ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ۝ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝ قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون ۝ قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين ۝

وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجاء او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون

هل تربصون باظهار اللام وتشديد التاء البزي وابن فليح وقرا حمزة وعلي وهشام مدغما حتى لا يتبع ان كان المنافقون ... وتخفيف التاء ان يقبل بالياء التحتانية حمزة وعلي وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا بفتح الميم وسكون الدال سهل ويعقوب الآخرون بكسر الميم سوى عباس فانه مخير

الوقوف تسوءهم ج لابتداء الشرط اخر مع واو العطف فرحون ○ لنا ج للابتداء لفظا مع الاتحاد معنى هو مولانا ج لابتداء اخبار من الله او الحكاية عنهم المؤمنون ○ الحسنيين ط لاستيناف بعد تمام الاستفهام بايدينا ط والوصل اصح لان الفاء جواب نتربص متربصون ○ منكم ط فاسقين ○ كارهون ○ ولا اولادهم ط كافرون ○ لمنكم ط يفرقون ○ يجمحون ○ في الصدقات ج للشرط مع الفاء يسخطون ○ ورسوله لا الى قوله راغبون ○ لان الكل متعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف اي لكان خيرا لهم

هذا نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة في يوم بدر والمصيبة في يوم احد والاولى حمله على العموم المعلوم من حال المنافقين انهم كانوا في كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذي ذكر والله تعالى ومعنى اخذنا امرنا الذي نحن متوسمون به من التيقظ والتحرز وحسن الرأي والتدبير من قبل اي ما وقع وتولوا اي عن مقام التحدث بذلك الى اهلهم او اعرضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم امر نبيه بان يقولوا في جوابهم لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قيل اي في اللوح المحفوظ من خير او شر او خوف او رجاء او شدة او رخاء وفائدته انه اذا علم الانسان ان الذي وقع امتنع ان لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال زالت عنه منازعة النفس وهانت عليه المصائب وقيل اي في عاقبة امرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان احوال المسلمين وان كانت مختلفة في الغم والسرور والدولة والمحنة الا ان العاقبة تكون لهم والظفر يقع من جانبهم فلا معنى لفرح المنافقين في الحال وقال الزجاج معناه لن يصيبنا الا ما اخصنا الله به من النصر عليكم

[illegible]

مستقل في سمع القبول ... [illegible]

الى الله فانه المقصد الحقيقي والمقصود الاصلي من الايمان والطاعة والمال والمقال يروى ان عيسى عليه السلام مر بقوم يذكرون الله تعالى فقال ما الذي حملكم
عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال اصبتم ومر على اخرين يذكرون الله فقال ما الذي حملكم عليه قالوا الرغبة في الثواب فقال اصبتم ومر على قوم ثالث
مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف
اللسان بذكره فقال انتم المحقون **التأويل** وان تصبك يا روح حسنة من عواطف الحق تحزن النفس وصفاتها لما بظفر الروح عليها وان
تصبك مصيبة من الموانع والقواطع اخذنا نصيبنا من المراتع الحيوانية لما خالفنا من السير الى العالم الروحاني قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
اي علينا فان الفترات والوقفات للتربية لا للرد والطرد قل هل تربصون بنا ايتها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الاحسان والمواطنة او
الوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء والمصائب من الخوف والجوع او غيرهما او بايدينا بالمنع من المخالفات وكثرة الرياضات
والمجاهدات طوعا اي رياء او كرها اي نفاقا لن يتقبل منكم لان اعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب بدون الجوارح مقبولة بقوله نية المرء
ابلغ من عمله وباقي الايات اشارات الى ان من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة الخلاق وحال المخلص بالعكس والله اعلم بالصواب

انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة
قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل
فريضة من الله والله عليم حكيم ۝ ومنهم الذين يؤذون النبي و
يقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة
للذين امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم ۝
يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا
مؤمنين ۝ الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار
جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم ۝ يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله
مخرج ما تحذرون ۝ ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن ۝
لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ۝ المنافقون والمنافقات
۝ بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف
ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ۝ كالذين من قبلكم
كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا

والاخرة واولئك هم الخاسرون ۝

القراءات اذن خير كلاهما بالرفع والتنوين الاعشى والمفضل الباقون بالاضافة ورحمة بالجر حمزة الاخرون بالرفع الم تعلموا بتاء الخطاب
جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة
في الاول وبتاء التانيث في الثاني **الوقوف** وابن السبيل ط اي فرض الله فريضة من الله ط حكيم ۝ هو اذن ط امنوا منكم ط اليم ۝ ليرضوكم ج
لاحتمال الواو الحال والاستيناف مؤمنين ۝ خالدا فيها ط العظيم ۝ بما في قلوبهم استهزؤا لاحتمال الفاء وان للتعليل تحذرون ۝ ونلعب ط تستهزؤن
بعد ايمانكم ط مجرمين ۝ من بعض م كيلا تصير الجملة صفة لبعض المنافقين وهي صفة الكل ايديهم ط فنسيهم ط الفاسقون ۝ فيها ط حسبهم ج لاختلاف النظم
مع اتحاد المقصود في اتمام الجزاء ولعنهم الله ج لذلك مقيم ۝ لا بناء على تعلق الكاف واولادا ط خاضوا ط والاخرة ج الخاسرون ۝
التفسير ان المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قسمة الصدقات بين الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن اذا وجد فعله موافقا لحكم الله تعالى
فقال انما الصدقات الاية وفي تصدير الكلام بانما دلالة على انه لا حق لاحد في الصدقات الا لهؤلاء ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل
ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع في الراس وداء في البطن ولنتكلم في تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثاني الفقراء
والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاجون لا يفي دخلهم بخرجهم انما الكلام في انهما متساويان في الدلالة او احدهما اسوأ حالا فعن ابي يوسف ومحمد
والجبائي انهما واحد حتى لو اوصى لزيد وللفقراء والمساكين بال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائي انه تعالى ذكرهما باسمين ليوكد امرهم في الصدقات
والفائدة فيه ان يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسائرهم وعند الشافعي الفقير اسوأ حالا لانه تعالى اثبت الصدقات لهؤلاء الاصناف
دفعا لحاجاتهم فالذي وقع الابتداء بذكره يكون اشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار الفقر بالشدة العظيمة قوله تعالى
تظن ان يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن اعظم انواع الشر والدواهي وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقد سال المسكنة
في قوله اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فكانه سال توسط الحال ولهذا لما توفي صلى الله عليه وسلم ترك اشياء معلومة
مع انه تعالى اجاب دعاءه ظاهرا فاماته مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله ذا متربة يدل على ان المسكين قد لا يكون كذلك وقال تعالى اما السفينة
فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذي لا يجد شيئا كاهل الصفة والمسكين بانه الطواف الذي يسال الناس والغالب انه يحصل
منهم شيء وقريب منه قول من قال سمي مسكينا لانه دائم السكون الى الناس ومما كان المسكين هو السائل لما قلنا فالمحروم في قوله سبحانه وفي اموالهم
حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على ان الفقير ضد الغني ولم يقل احد ان الغني والمسكنة ضدان فلعل الترفع هو ضد المسكنة
وقال ابو حنيفة هو المسكين اسوأ حالا لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة ولا فاقة اعظم من الجوع ونقل
الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي افقير انت قال لا والله بل مسكين وقيل سمي
مسكينا لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل واجيب بانه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه واما النزاع في المسكين المطلق
والروايات متعارضة باشباهها والله اعلم **الصنف الثالث** العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن عمر وابن زيد وابن ع
يعطى هؤلاء اجور امثالهم لانها اجرة العمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من الثمانية والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون
عاملا على الصدقات لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى ان يبعث ابا رافع عاملا على الصدقات وقال اما علمت ان مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى
التسليط والولاية يقال فلان على بلد كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا في ان الامام هل له حق لانه هو العامل في الحقيقة او لا حق له لخروجه عن الاصناف والجمهور
على ان العامل ياخذ نصيبه وان كان غنيا لان ذلك اجرة عمله وعن الحسن انه لا ياخذ الا مع الحاجة **الصنف الرابع** المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس
هم قوم اشراف من الاحياء اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر نفرا منهم ابو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصين
اعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء ولعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع في الجملة صرف الاموال الى المؤلفة والا فلم يكن ما اعطاهم من الصدقات وروي
ان ابا بكر الصديق اعطى عدي بن حاتم لما جاء بصدقاته وصدقات قومه ايام الردة والذي استقر عليه راي الائمة ان المؤلفة ثلاثة اقسام صنف السنة
في الاسلام وترغيب باعطائه من يقع اسلام نظرائه والمتالف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعي الزكوة حيث يكون ذلك اهون للامام من بعث جيش يعطي
كل واحد منهم ما راى الامام باجتهاده هذا اذا كانوا مسلمين فاما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون باعطاء مال والذي يخاف شرهم فيتالفون لدفع
الشر فلا يعطون شيئا من الزكوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس والان لا يعطون اصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تالفهم ولانه ليس
في الاية دلالة على ان المؤلفة يجوز ان يكونوا من الكفار فلا ينبغي ان يقال ان حكم الاية منسوخة **الصنف الخامس** قوله وفي الرقاب قال الزجاج تقديره وفي فك
الرقاب والائمة في تفسيره اقوال فعن ابن عباس انهم المكاتبون وهو مذهب الشافعي قال لو اتجروا عن اداء النجوم بان لا يكون لهم شيء ادى في ايديهم
يجوز صرف اليهم او الى سيدهم باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك واحمد واسحق المراد ان يشترى به عبيد فيعتقون وعن ابي حنيفة واصحابه وهو قول
سعيد بن جبير والنخعي انه لا يعتق من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطي منها في رقبة ويعان مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي ان يكون له فيه مدخل و
ذلك ينافي كونه تاما فيه وقال الزهري سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون قال
المفسرون انما عدل عن اللام الى في لان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف المال
اليهم بل يصرف الى جهة الحاجات المعتبرة في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكوة ففي الرقاب يوضع نصيبهم في تخليص رقابهم عن الرق والاسر
ولا يدفع اليهم وفي الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف المال الى اعداد ما يحتاج اليه في الغزو وفي السبيل كذلك يصرف الى
المقصد وقال في الكشاف انما عدل للايذان بانهم ارسخ في استحقاق الصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان يجعلوا مصبا
للصدقات وتكرير في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين **الصنف السادس** الغارمون قال الزجاج اصل الغرم
لزوم ما يشق ويسمى العشق غراما لكونه امرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء ويسمى الدين غرما لانه شاق لازم فالغارمون المدينون والدين ان حصل بسبب معصية
لم يدخل في الاية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الاية سواء حصل بسبب نفقات ضرورية او لاصلاح ذات البين وكل ذلك
يسمى لا وللضمان ان عسر هو والاصل وكل داخل في الاية روى الاصم في تفسيره انه صلى الله عليه وسلم لما قضى بالغرة في الجنين قالت العاقلة الغرة

فقال محمد بن مالك اغنهم بغزوة من صدقاتهم وكان حمل على الصدقة يومئذ وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شيء وان قدر على البعض اعطي الباقي
الصنف السابع قوله وفي سبيل الله يعني الغزاة قال الشافعي يجوز له ان يأخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واحمد واسحق وابو عبيد
وقال ابو حنيفة لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا واعلم ان ظاهر لفظ الاية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقة
الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل الصنف الثامن ابن السبيل وهو المسافر لا لاجل معصية يعطى
ما يبلغه المقصد او موضع ماله ان كان له في الطريق مال قال الشافعي ويدخل في المسافر الشاخص من وطنه او من بلد كان مقيما به منشئا للسفر والغريب المجتاز
ببلدنا والله اعلم ولنذكر طرفا من احكام هذه الاصناف الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكاة الواجبة في قوله انما الصدقات لقوله في موضع اخر خذ
من اموالهم صدقة واختلفوا في الصدقة المندوبة فمنهم من قال تدخل والفائدة ان يعلم ان مصارف جميع الصدقات ليست الا هؤلاء الاصناف
والاظهر اختصاص الاية بالواجبة لدخول لام التمليك في الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا الزكاة ولان الاية تدل على الحصر في الاصناف الثمانية
والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه اخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى ولان الصدقات تنصرف الى المعهود السابق وهو الصدقات الواجبة
في قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات الحكم الثاني في الاية دلالة على ان الزكوة انما يتولى اخذها الامام او نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل
هو الذي نصبه الامام لاخذ الزكوات ويتأكد هذا النص بقوله خذ من اموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له ان يخرج زكوة الاموال الباطنة
بنفسه انما يعرف بدليل اخر كقوله وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان ذلك حقا لهما وجب ان يجوز دفعه اليهما ابتداء واذا كان الامام
جائرا فالتفريق بنفسه افضل الحكم الثالث مذهب ابي حنيفة انه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وحذيفة
وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وابي العالية والنخعي لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم ان يكون كل جزء من اجزائها كالصدقة مثلا
موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذي لا يملك الا عشرين دينارا فاخرج نصف دينار لو كلفناه ان يقسمه على اربعة وعشرين لصار كل ثلاثة منها
الى ثلثة من كل صنف حقيرا صغيرا غير منتفع به في مهم معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى بيت من فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وقال الشافعي
لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بان الله تعالى ذكر هذه القسمة في نص الكتاب ثم اكدها بقوله
فريضة من الله وهو في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء في قوة قوله فرض الله الصدقات لهم وهذا كالزجر عن مخالفة ظاهر الاية وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يرض بقسمة ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسمها بنفسه ثم ختم الاية بقوله والله عليم اي بمقادير الاصناف
والمصالح حكيم لا يفعل الا ما هو الاصوب الاصلح وكل هذه المؤكدات دليل على وجوب الاحتياط في صرف الزكوة ومن هنا قال الشافعي لا بد في كل صنف من ثلاثة
لانه تعالى ذكر اكثر الاصناف بلفظ الجمع واقل الجمع ثلاثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين غرم للثالث اقل متمول على الاقيس لا الثلث لان التفضيل
في افراد الصنف جائز للمالك لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف الثمانية لانهم محصورون
فيسهل التسوية بينهم الحكم الرابع المؤلفة قلوبهم والعامل مفقودان في زماننا فبقي ان تصرف الزكاة الى الاصناف الستة الباقية كما لو فقد بعض الاصناف
في بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يلزم النقل الى بلد وجدوا فيه جميعا والاحوط رعاية التسوية بينهم على ما يقوله الشافعي الا اذا لم يفعل ذلك فانه يجزيه عند
سائر الائمة اما الحكمة في ايجاب الزكوة فهو ان المال محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمآرب
لكن الاستغراق في حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للاخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس
ومنعا لها من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكوة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم عن دنس
الاستغراق في حب المال وايضا ان كثرة الاموال توجب القوة والشدة والقدرة وتزايد تلك الالات يدعو الانسان الى التحصيل للاموال المزيدة
فتصير المسئلة دورية لا يستطيع لها نهاية اخر فاثبت الشرع لها مقطعا واخرا وهو صرف طائفة من المال في طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك
الطريق الظلماني الذي لا اخر له ويفضي في الاغلب الى الطغيان وقساوة القلب وايضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها في التعظيم لامر الله و
عملية وكمالها في الشفقة على خلق الله فاوجب الله الزكوة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محببا الى الخلق والمدح والثناء والدعاء
والهمة وايضا المال سمي مالا لكثرة ميله الى كل احد وهو غاد ورائح سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا انفقه لوجه الله بقي بقاء لا يخشى
زواله وفي انفاق المال التشبه بالمجردات والمفارقات وليس الغناء الا عن الشيء لا به لان الاستغناء عن الشيء صفة الحق والاستغناء بالشيء صفة
المخلوقين العاجزين ففي الامر بالزكوة نقل للانسان من درجة ادنى الى درجة اعلى وايضا الانسان روح وبدن ومال فاذا ابذل الروح في الاستغراق
في بحار معرفة الله وبذل البدن في العبودية لله والصلاة له فكيف يليق به ان لا يبذل المال في ابتغاء مرضاته وايضا اذا فضل المال عن قدر الحاجة
وحضر انسان اخر محتاج فههنا حصل سببان كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال اما في حق المالك فهو انه سعى في اكتسابه وتحصيله وتعلق
قلبه به واما في حق الفقير فلاحتياجه الموجب للتعلق به وقد وجد هذان السببان المتداعيان فاقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان و
رجح جانب المالك لان له حق الاكتساب وحق التعلق فابقى عليه الكثير وامر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين المصلحتين مع
رعاية المال عن التعطيل فلا معطل في الوجود وايضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا انه القاها في ايديهم لما ملكوا منها حبة وكم
من عاقل لا يملك بلاء بطنه وكم من غافل تأتيه الدنيا عفوا صفوا وليس يستبعد ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة مما في ايديكم الى المحتاجين من عبيدي و
وايضا ان الاغنياء لو لم يقوموا باصلاح مهمات الفقراء فربما حملهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها او على الالتحاق باعداء المسلمين
وقال صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فكان الله تعالى يقول للغني اعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين فاخرج
من يدك نصيبا منه حتى تصبر على فقدان المال فصرت من الصابرين ويقول للفقير ما اعطيتك الاموال الكثيرة فصبرت فصرت من الصابرين ولكني اوجبت
على الغني ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكرني فتكون من الشاكرين وايضا اراد الله سبحانه وتعالى ان يكون الغني منعما على الفقير بما يؤديه اليه
ويكون الفقير منعما على الغني بما قبله منه ليحصل له الخلاص في الدنيا من الذم والعار وفي الاخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا اخر من قبائح المنافقين
وهو انهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الطعن والذم هو اذن عن ابن عباس كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغي
فقال بعضهم لا تفعلوا ذلك فانا نخاف ان يبلغه فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن سامعة
فنزلت الاية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلا احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذي
قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال

انما

انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا وقال السدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة
بن ثابت فارادوا ان يقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا لئن كان ما يقوله محمد حقا
لنحن شر من الحمير فغضب الغلام فقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم لشر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا
كاذب وحلف عامر انهم كذبة وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الاية قال علماء اللغة الاذن الذي يصدق
كل ما يسمع ويقبل كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ومنه قولهم للربيئة عين فسر ايذاؤهم النبي صلى الله عليه وسلم بانهم يقولون
هو اذن وذلك انهم نسبوه الى البلاهة وانه ليس فطنا ولا بعيد الغور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع ويجوز ان يراد بالايذاء انواع اخر سوى هذا القول
اي يؤذونه بالغيبة والنميمة وسائر انواع الاذية ويقولون في وجه الاعتذار عن ذلك هو اذن يقبل كل ما يسمع فنحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ويرضى
ثم انه سبحانه اجاب عن قولهم فقال قل اذن خير لكم بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ويجوز ان الاضافة هو اللابسة كانه قيل نعم
هو اذن ولكن نعم الاذن او اريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويؤيده قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه عطف
الخاص على العام اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه اذن خير بانه يؤمن بالله اي يقر به ويعترف بوحدانيته لما قام عنده من الادلة
ويؤمن للمؤمنين يسلم لهم قولهم لكونه يثق بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من اهل الغرة والبله وهو رحمة للذين امنوا منكم باللسان دون الجنان لانه يجري
امركم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم فان الله هو الذي يتولى السرائر ولهذا ختم الاية بقوله والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
واما من قرأ اذن خير بالرفع فيهما فقيل ان اذن خبر محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير والمعنى هو اذن موصوف بالخيرية في حقكم لانه يقبل معاذيركم
ويتغافل عن جهالاتكم فيحفظ بذلك دماءكم واموالكم وقيل التقدير قل اذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم ذكر بعده ما يدل
على فساد هذا الطعن وهو قوله يؤمن بالله الى اخره ووجه ذلك ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدي وهو ان قوله اذن وان كان رفعا في الظاهر
لكنه نصب في الحقيقة على الحال وما يليه قل هو اذنا خيرا لكم ثم ذكر ان من قبائح المنافقين اقدامهم على الايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله
ورسوله احق ان يرضوه اي كان من الواجب ان يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما يستترون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر
او المراد والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك او وقع الاكتفاء بذكر الله لان رضاء الله ورضاء رسوله شيء واحد كما يقال احسان زيد واجماله نعشني ومعنى
ان كنتم مؤمنين اي بزعمكم ثم وبخهم بقوله الم يعلموا وذلك انه يقال لمن بولغ في تعليمه مدة ثم لم يظهر عليه اثر العلم والرشد وكان النبي صلى الله عليه وسلم
طال مكثه فيهم وكثر تحذيره عن معصية الله وترغيبه في طاعة الله والضمير في قوله انه للشان وفائدته مزيد التعظيم والتهويل والمحادة المخالفة لان كلا منهما في حد
غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما في شق اخر وقال ابو مسلم هي من الحديد حديد السلاح ثم ذكر في الجزاء قوله فان له نار جهنم اي فحق ان له نار جهنم وقيل
ان تكرير للتأكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على انه والجواب محذوف وهو هلك واجاز الزجاج كسر ان على الاستئناف بعد الفاء وكذا القراءة
بالفتح ونقل الكعبي في تفسيره انه قد قرئ بالكسر قال السدي قال بعض المنافقين والله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا فنزلت
يحذر المنافقون وقال مجاهد كانوا يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا فنزلت والضمير في عليهم وفي تنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم
للمنافقين بدلالة قرينة الحال ويجوز ان يكون كلها للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم وكانها تخبرهم بما في بواطنهم وتذيع اسرارهم
قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحي لانه غير قائل به واجيب بانهم عرفوا ذلك بالتجربة او كفرهم كان كفر عناد او كانوا شاكين في صحة نبوته والشاك
في امر خائف من وقوعه وهذا الخبر في معنى الامر اي ليحذر المنافقون وعن ابي مسلم انهم اظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا اجابهم الله بقوله قل استهزءوا
وهو امر تهديد ان الله مخرج ما تحذرونه من نفاقكم او محصل انزال السورة لان الشيء اذا حصل بعد عدمه فكان فاعله اخرجه من العدم الى الوجود قوله
ولئن سألتهم الاية عن ابن عمر ان رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رأيت مثل هؤلاء القراء ارغب بطونا اي اوسع ولا اكذب السنا ولا اجبن
عند اللقاء يعني رسول الله واصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وانت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد القرآن قد سبقه فجاء
ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عناء الطريق قال ابن عمر
رأيت عبد الله بن ابي يشتد قدام رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ابالله
واياته ورسوله كنتم تستهزءون ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين
يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب
فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدي اصل الخوض الدخول في مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى اطلق على كل دخول
فيه تلويث واذى اي كنا نخوض في الباطل كما يخوض الركب لقطع الطريق ثم امر نبيه ان يقول في جوابهم ابالله اي بتكاليفه او باسمائه او بقدرته حيث
استبعدتم اعانته النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه على فتح قصور الشام واياته يعني القرآن ورسوله كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم فجعلوا كانهم معترفون بوقوع
الاستهزاء منهم فاوقع الانكار على الاستهزاء بالله بان ولي الاستفهام الذي يفيد التقرير المستهزأ به ولم يقل اتستهزءون بالله ثم قال لا تعتذروا ونقل الواحدي
عن ائمة اللغة ان معنى الاعتذار محو اثر الذنب وقطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت المياه اذا انقطعت ومنه عذرة الجارية لانها تعذر
اي تقطع والعذر سبب لقطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض واللعب لان الشيء الذي يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله قد كفرتم اي اظهرتم الكفر
بعد ايمانكم اي بعد الايمان الذي اظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالتصريح لان العمدة الكبرى في الايمان هو التعظيم لامر الله والشفقة
ان نعف عن طائفة منكم ذكر المفسرون انهم كانوا ثلاثة نفر استهزأ اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك اخف لانه لم يوافق القوم و
في الكفر فلا جرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى ان من خاض في عمل باطل فعليه ان يجتهد في التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى له ببركة ذلك القليل ان
يعفو الله عنه الكل قال الزجاج الطائفة في اللغة الجماعة لانها الذي يمكنه ان يطيف بالشيء ثم يجوز ان يسمى الواحد بالطائفة قال الله تعالى وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين واقله الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس انه قال الطائفة الواحد فما فوقه ووجه بان من اختار مذهبا فانه
ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد ان يسمى طائفة بهذا السبب والهاء للمبالغة وقال ابن الانباري العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد
وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا للطائفة الثانية بانهم كانوا مجرمين اي مصرين مستمرين على الجرم ويجوز ان
يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى اخلاصهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق ويجوز ان يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ ان يعف بالياء
للمفعول والتذكير فلانه مسند الى الظرف كما تقول سير بالدابة وسيرت دون سرت وقرئ بالتأنيث ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة ثم ذكر جملة

[illegible]

الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم
واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۞ والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف و
ينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله
ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم ۞ وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار

خالدين

خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله
اكبر ذلك هو الفوز العظيم ۞ يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبئس المصير ۞ يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا
وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا
يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما ۞ في الدنيا
والاخرة وما لهم من ولي ولا نصير ۞ ومنهم من عاهد الله لئن اتانا
في الارض
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ۞ فلما
اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ۞ فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه
وبما كانوا يكذبون ۞ الم يعلموا ان الله يعلم سرهم و
نجواهم وان الله علام الغيوب ۞ الذين يلمزون المطوعين
من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم
فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم ۞

[illegible]

لان العزيز هو من امتنع من مراده في عباده من رحمة او عقوبة والحكيم هو الذي يدبر امر عباده على وفق ما تقتضيه العدل والصلاح ثم فصل
ما اجمل من الرحمة بقوله وعد الله المؤمنين الاية وقد كثر كلام اصحاب الاثار في معنى جنات عدن فقال الحسن سالت عمران بن الحصين وابا هريرة [illegible]
فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو قصر في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون
بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا
من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطي المؤمن من القوة ما يأتي على ذلك اجمع وعن ابن عباس انها دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب
بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها قال الازهري وبطنان الاودية المواضع التي يستنقع فيها ماء السيل واحدها بطن وقال
عطاء عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء والشهداء وائمة الهدى وسائر الجنات
حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال عبد الله
ابن عمرو ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وفي
الاخبار دلالة على ان عدنا علم ويؤيده قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده ولو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا ريب ان اصله صفة من قولك
عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن الذي يخلق فيه الجوهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا ان يغلب الاسم على بعضها ورضوان من الله
شيء يسير من رضاه اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضى المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على ان
السعادات الروحانية اعلى حالا واشرف من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على ان الاعتراف بالسعادات الجسمانية
واجب من حيث الشرع ذلك الموعود او الرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وفي الحديث ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل
رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال
احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ثم عاد مرة اخرى الى شرح احوال المنافقين فقال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال الضحاك
جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافقين لا تجوز محاربتهم في ظاهر الشرع وضعف بان الشق يأباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين هم الذين عرف الله
حالهم فصاروا كالكفرة فجاز قتالهم وزيف بانه وان علم حالهم بالوحي الا انه مامور بان يحكم بالظاهر والقوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز
قتالهم والصحيح ان الجهاد بذل الجهد في حصول المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهاد
جميعا وعن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه وان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه بان يكرهه ويبغضه ويتبرأ منه وحمل الحسن جهاد
المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها واعترض عليه بان اقامة الحدود واجبة على كل فاسق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق واعتذر
عنه بانه انما قال ذلك لان عنده ان كل فاسق منافق او لان الغالب ممن يقام عليه الحد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كونه منافقا قال الضحاك
خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكانوا اذا خلا بعضهم الى بعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وطعنوا في الدين
فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا ما قالوا شيئا من ذلك فانزل الله
تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وعن قتادة ان رجلين اقتتلا رجل من جهينة ورجل من غفار فظهر الغفاري على الجهني فنادى
عبد الله بن ابي يا بني الاوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت الاية ومعنى قوله وكفروا بعد اسلامهم انهم
اظهروا الكفر بعد ما كانوا يظهرون الاسلام اما قوله وهموا بما لم ينالوا فهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك وذلك انه توافق خمسة
عشر رجلا منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما
كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون [illegible]
عامر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقد مر في تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما نقموا الا ان اغناهم الله كقول القائل شعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم [illegible] وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا بالغنائم وجمعوا الاموال وروي انه قتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر
الفا فاستغنى ثم استعطفت قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال ان يتوبوا يك يعني ذلك الرجوع خيرا لهم وكان الجلاس ممن تاب فحسنت توبته
وان يتولوا يعرضوا عن التوبة يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والسبي واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم عند الموت ومعاينة [illegible] كما ينافقون
الرسول والمؤمنين فكذلك ينافقون ربهم فيما يعاهدونه فقال ومنهم من عاهد الله يروى عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب الانصاري
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة اخرى فقال اما
ترضى ان تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسيل معي الجبال فضة وذهبا لسالت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله
ان يرزقني مالا لاوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت
عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة
وهي تنمو كما ينمو الدود وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم وكتب لهما كيف ياخذان الصدقة
وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما ادري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا واخبرا السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها
للصدقة ثم استقبلهم بها فلما راوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد ان ناخذ هذا منك ثم مرا على ثعلبة فقال اروني كتابكما ثم قال ما هذه الا اخت
الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة ثم نزلت
الاية وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فخرج اليه وقال ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم اتى ابا بكر حين استخلف فقال
قد علمت منزلتي من النبي صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله وانا اقبلها فقبض ابو بكر وابى ان يقبلها

ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وكذا في خلافة عثمان وهلك ثعلبة في خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفاء اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقول وما ذلك الا لشؤم الشح اولا وآخرا قال بعض العلماء المعاهدة اعم من ان يكون باللسان او بالقلب وقال المحققون انه لا بد من التلفظ بها
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى عفى عن امتي ما حدثت به نفوسهم ولم يتلفظوا به ولان قوله عز وجل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن ظاهره مشعر بالقول والتلفظ والمراد بالفضل ايتاء المال بطريق التجارة او الاستغنام ونحوهما واصل لنصدقن لنتصدقن ادغمت التاء
في الصاد والمتصدق المعطي والسائل كقوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ومعنى قوله ولنكونن من الصالحين عن ابن عباس انه
اراد الحج وقيل المراد اخراج ما يجب اخراجه او لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلاث فقال فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعي والتولي نقض العهد والاعراض ازالة الاجسام عن تكاليف الله تعالى وان ذلك منهم عادة [illegible] ولترتب
هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظ البخل عليه وهو في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة الملتزمة في قوله لنصدقن
هي الصدقة الواجبة وان الرجل قد عاهد ربه ان يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون ما يلزمه الانسان بالنذر من المندوبات
او لا دليل في الاية على ذلك مع ان سبب النزول يأباه فان قيل الزكاة لا تلزم بسبب الالتزام وانما تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا
ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن في وقته الذي يليق به وفي الاية دلالة على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما ثم انه
لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه فاعقبهم نفاقا عن الحسن وقتادة ان اعقب مسند الى ضمير البخل اي اورثهم البخل نفاقا
متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا التاويل ان جعل عائدا الى التولي والاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا لاداء الواجب
وذلك لا يمكن جعله مؤثرا في حصول النفاق في القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو امر وجودي والعدم لا يؤثر في الوجود ولان هذا الترك
قد يوجد في حق كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو اوجب حصول الكفر في القلب لاوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا او محرما [illegible]
اختلاف الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه مؤثرا ولان البخل او التولي او الاعراض هو بعينه اخلاف ما وعدوا الله به فيصير تقدير الاية ان التولي اوجب
النفاق بسبب التولي وهذا الكلام كما ترى فلم يبق الا ان يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على ان خالق الكفر في القلوب هو الله ومن هنا قال الزجاج
معناه انهم خذلوا في الماضي فاالله تعالى [illegible] عن الدين في المستقبل ومما يؤكد هذا القول بان الضمير في اعقب عنده ان الضمير في قوله الى يوم يلقونه عائد الى الله
وللمعتزلة ان يقولوا النفاق وان سلم انه وجودي لكنه شرعي ولا يبعد جعل شيء عدمي امارة عليه وايضا الترك المقرون بالتولي والاعراض لا نسلم انه لا يحصل
معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم ان البخل بعينه هو اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع
البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله ولكن من اين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز ان يراد فاعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث
الغم في قلوبهم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والخوف او يراد خذلهم الله حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا ولاهل السنة ان يقولوا
هذا عدول عن الظاهر مع ان الدلائل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشيئة الله وتقديره وتعضده [illegible] قال العلماء ظاهر الاية يدل على ان نقض العهد وخلف
الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه وذهب حسن البصري ان نقض العهد يوجب النفاق لا محالة متمسكا بهذه الاية وبقوله صلى الله عليه وسلم
ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال عطاء ابن ابي رباح حدثني جابر بن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذكر ثلاث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين حدثهم النبي صلى الله عليه وسلم فكذبوه وائتمنوا على
سره ووعدوه ان يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه ونقل ان عمرو بن عبيد فسر الحديث فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد
اخلف كما ذكره الله فيمن عاهد واذا ائتمن على دين الله خان في السر فكان قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطاء ارسل الى الحسن البصري
رجلا فقال ان اولاد يعقوب حدثوه في قولهم فاكله الذئب فكذبوه ووعدوه في قولهم وانا له لحافظون فاخلفوا وائتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه
فهل يحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن في مذهبه قال اهل التفسير قوله الى يوم يلقونه دل على ان ذلك المعاهد يموت على النفاق وكان كما اخبر
فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائي هذا اللقاء لا شك انه ليس بمعنى الرؤية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء في القرآن ليس بمعنى
الرؤية وضعف بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية كون كل لقاء ورد في القرآن كذلك كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ثم وبخهم
على عدم العلم بعلم الله واحاطته باسرارهم ومناجيهم فقال الم يعلموا الاية والسر ما تنطوي عليه الصدور والنجوى ما يكون بين اثنين او اكثر مع الاخفاء
عن غيرهم والتركيب يدل على التخصيص كما مر في الانجاء وكان المتناجيين تخلصا عن غيرهما ومنه خلصوا نجيا ومعنى الاية كيف يتجرءون على النفاق الذي
الاصل فيه الاستسرار والتناجي فيما بينهم مع ان الله تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم لجميع المعلومات على اي
وجه يعرض عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على ان يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف
درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف جئتك بنصفها فاجعلها في سبيل الله وامسكت نصفها لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك
فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله تعالى في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وقيل صولحت احداهما
على ثمانين الفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من التمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال آجرت الليلة الماضية نفسي
من رجل بارسال الماء الى نخيله فاخذت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعيالي واقرضت الاخر ربي فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة واما ابو عقيل فانه جاء بصاعه ليذكر مع سائر الاكابر والله غني عن صاعه فانزل الله سبحانه
الذين يلمزون المطوعين اي المتطوعين فادغمت التاء والتطوع التنفل وهو الطاعة لله بما ليس بواجب والجهد بالضم والفتح شيء قليل يعيش به المقل [illegible]
[illegible] وقال الفراء الضم لغة اهل الحجاز والفتح لغيرهم وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبي الاول في العمل والثاني في
القوت سخر الله منهم خبر او دعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة او المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال الاصم
المراد انه تعالى يلحقهم [illegible] مع انه لا يثيبهم عليها وانما توجه الذم على المنافقين في هذا اللمز لان الحكم بالرياء لمن يعطي الكثير كعبد الرحمن بن عوف وعاصم
حكم على بواطن الامور وذلك مما استاثر الله به وبرسوله وايضا لمز الفقير على جهد المقل سفه لانه لما لم يقدر الا عليه فقد بذل كل ماله فعلم منه غالبا انه
ان قدر على الاكثر من ذلك لم يكن منه منع وسعى الانسان في ان [illegible] نفسه الى اهل الكسل والبطالة ولو لم يكن فيه الا الشفقة بالله والدخول في زمرة من يؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة لكفى به منقبة وفضلا التاويل بعضهم اولياء بعض لان التعارف في عالم الارواح يوجب التالف في عالم
الاشباح يامرون بالمعروف الحقيقي اي بطلبه والمعروف هو الله تعالى لقوله فاحببت ان اعرف وينهون عن المنكر وهو ما يقطع العبد عن الله تعالى

ويقيمون الصلوة الحقيقية ويؤتون الزكوة تعني بالفضل عن كفافهم الضروري ويطيعون الله ورسوله بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس
والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا ايها النبي يعني القلب الذي له نبأ من عالم الانباء جاهد
النفوس الكافرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين يدعون الارادة في الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم في المواخذات
باحكام الشريعة والطريقة حتى تتزكى نفوسهم والا فمأواهم جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهي التي توجب الانكار والاعتراض على الشيخ وهموا بما
لم ينالوا اثبتوا لانفسهم مرتبة الشيخوخة قبل اوانها وما نقموا الا ان شيخ رباهم بلبان فضل الله عن حلمة الولاية فلم يحفظوا الحق حرمة النعمة ومربي الطريقة
اعظم من مربي الشريعة كما قال الجنيد لو اقبل صديق الى الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده
الفطري لئن اتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن لنصرفن كل اعطانا فيما اعطي لاجله الى يوم يلقونه اي يلقون جزاء النفاق
وان الله علام الغيوب سخر الله منهم ذكره بلفظ الماضي ليعلم ان سخرية المنافقين نتيجة سخرية الله بهم في الازل الله حسبي ونعم الوكيل

استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ۝
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار
جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ۝ فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ۝ فان رجعك الله الى طائفة
منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين ۝
ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون ۝ ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
واذا انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك
اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ۝ رضوا
بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ۝
لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم
واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون ۝
اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
الفوز العظيم ۝ صدق الله العظيم

معي ابدا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحفص والمفضل معي عدوا بالفتح حفص الوقوف
او لا تستغفر لهم ط فلن يغفر الله لهم ط ورسوله ط الفاسقين ۝ في الحر ط حرا م لان المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا
في الحر ولو وصل لاوهم ان جهنم لا يكون نارها اشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون ۝ كثيرا ج لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له وصلة

محذوف اي يجزون جزاء يكسبون ۝ معي عدوا ط الخالفين ۝ على قبره ط فاسقون ۝ واولادهم ط كافرون ۝ القاعدين ۝ لا يفقهون ۝ وانفسهم ط
الخيرات ز لابتداء وعد الفلاح على التعظيم بدليل تكرار اولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون ۝ خالدين فيها ط العظيم ۝ عن ابن عباس
ان هذه نزول الاية الاولى في المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار فنزل استغفر لهم الاية ومن المفسرين من قال انهم طلبوا من الرسول
صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لهم ان الله نهاه عنه والنهي عن الشيء لا يدل على ان المنهي اقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل قد دل على انه اشتغل بالاستغفار
[illegible]

وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ۝
ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ۝
ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم
تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون ۝ انما السبيل
على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع
الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ۝
يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم
قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ۝
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا
عنهم انهم رجس وماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ۝
يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم

الفاسقين

الفاسقين ۝ الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا
حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ۝ ومن الاعراب
من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء
والله سميع عليم ۝ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر
ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول
الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم ۝

المعذرون من الاعذار قتيبة ويعقوب الباقون بالتشديد دائرة السوء بضم السين وكذلك بالفتح ابو عمرو وابن كثير الآخرون
بفتحها قربة بضم الراء نافع جز قالون الباقون باسكانها وكلاهما بمعنى الوقوف ورسوله ط اليم ۝ سبيل ط ورسوله ط من سبيل ط رحيم ۝ للعطف
ما ينفقون ۝ اغنياء ج لاحتمال ان يكون رضوا استئنافا وصفا مع الخوالف ج لان الواو للعطف والحال لا يعلمون الجزء الحادي عشر
ثمن القرآن اليكم ط من اخباركم ط تعملون ۝ لتعرضوا عنهم ط عنهم ط رجس ز لاختلاف الجملتين مع شدة اتصال المعنى في تمام الوعيد جهنم ج لان جزاء
يصلح ان يكون مفعولا له ومفعولا مطلقا لمحذوف اي يجزون جزاء يكسبون ۝ لترضوا عنهم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الفاسقين ۝ على رسوله ط
حكيم ۝ الدوائر ط دائرة السوء ط عليم ۝ الرسول ط لهم ط في رحمته ط رحيم ۝ لما شرح احوال منافقي المدينة شرع في احوال المنافقين من الاعراب
البدو فقال وجاء المعذرون من قرأ بالتخفيف فهو من اعذر اذا اجتهد في العذر وبالغ فيه ومنه قولهم من انذر فقد اعذر فكانه تعالى فصل بين اصحاب
العذر وبين الكاذبين بالمعذرون هم الذين اتوا بالعذر وهم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط
عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار
[illegible]

[illegible]

والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري

تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ۞ وممن
حولكم من الاعراب منافقون ۞ ومن اهل المدينة مردوا على النفاق
لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم ۞
وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله
ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ۞ خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله
سميع عليم ۞ الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ
الصدقات وان الله هو التواب الرحيم ۞ وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون ۞ وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم
واما يتوب عليهم والله عليم حكيم ۞ والذين اتخذوا مسجدا
ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله
ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم
لكاذبون ۞ لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى
من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله
يحب المطهرين ۞ افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار
جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ۞ لا يزال بنيانهم الذي
بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ۞

[illegible]

تحتها

هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبي هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة
نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن والظاهر ان الاية عامة في كل
من سبق الى الهجرة والنصرة قال اهل السنة لا شك ان ابا بكر سبق في الهجرة او هو من السابقين فيها وقد اخبر الله تعالى عنهم بانه رضي عنهم
ولا شك ان الرضا معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة امامته والا لاستحق اللعن والمقت قال اكثر العلماء كلمة من في قوله
من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم امنوا وفي عدد المسلمين في مكة والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوي الاسلام
بسببهم وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وقيل للتبيين ليتناول المدح جميع الصحابة روى
عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان بينهم فقال لي ان الله تعالى
قد غفر لهم واوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت له في اي موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرأ قوله تعالى والسابقون الاولون
الى اخر الاية اوجب لجميعهم الرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشرط عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك ان يقتدوا بهم في اعمالهم الحسنة لا السيئة
او باحسان في القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءا ويحفظون لسانهم عن الاغتياب والطعن في حقهم قال العلماء معنى رضاء الله في حقهم قبول طاعاتهم ثم عاد
الى شرح احوال المنافقين فقال وممن حولكم هو خبر ومن الاعراب حال منافقون مبتدأ ومن اهل المدينة عطف على الخبر او هو خبر لمبتدأ اخر بناء على
التقدير ومن اهل المدينة قوم مردوا والتركيب يدل على الملابسة والبقاء على هيئة واحدة من ذلك صرح ممرد وغلام امرد وارض مرداء لا نبات فيها والمرد
اذا عتا فانه لم يقبل قول غيره ولم يلتفت اليه بقي كما كان على هيئته الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا او تمرنوا وبقوا عليه
حذاقا معودين الى حيث لا تعلمهم انت نفاقهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال سنعذبهم مرتين قال ابن عباس هما العذاب في الدنيا
بالفضيحة والعذاب في القبر روى السدي عن ابي مالك انه صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان انك منافق اخرج يا فلان
انك منافق حتى اخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبي وعذاب القبر وقال قتادة بالزبانية وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق هو ما دخل
عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم في القبور وقال الحسن باخذ الزكاة من اموالهم وبعذاب القبر وقيل احد العذابين ضرب الملائكة
الوجوه والادبار والاخر عند البعث يوكل بهم عنق من نار ثم يردون الى عذاب عظيم هو الدرك الاسفل من النار قال الكلبي وممن حولكم جهينة
ومزينة واشجع واسلم وغفار ومن اهل المدينة عبد الله بن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قشير وابو عامر الراهب واضرابهم ثم قال واخرون وهو
معطوف على منافقون او مبتدأ واعترفوا صفته وخلطوا خبره وعسى الله جملة مستأنفة وقيل خلطوا حال باضمار قد وعسى الله خبر وللمفسرين خلاف
في انهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم او قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على ما فعلوا وعن ابن
عباس في رواية الوالبي نزلت في قوم كانوا قد تخلفوا ثم ندموا وقالوا نكون في الكن والظلال مع النساء ورسول الله واصحابه في الجهاد روى
انهم كانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم حين بلغهم ما نزل في المتخلفين
فايقنوا بالهلاك اوثقوا انفسهم على سواري المسجد وقالوا والله لا نطلق انفسنا حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقنا ويعذرنا فقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين فسأل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا
ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم فنزلت
الاية فاطلقهم واعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم
شيئا فنزل خذ من اموالهم صدقة الاية والاعتراف هو الاقرار بالشيء عن معرفة والمراد انهم اقروا بذنوبهم وهذا كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب
لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضي والعزم على تركه في الحال وفي الاستقبال خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اي خلطوا كل واحد منهما
بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن وهذا ابلغ من قولك خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان تكون الواو بمعنى الباء كقولك بعت الشاء شاة
ودرهما اي شاة بدرهم وذلك ان الواو للجمع والباء للالصاق فهما متقاربان ويجوز ان يقال الخلط ههنا بمعنى الجمع قال اهل السنة فيه دليل
على نفي القول بالمحابطة لانه لو لم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفي قوله عسى الله ان يتوب عليهم دليل على وقوع التوبة التي اخبر بحصول مقدمتها وهي
الاعتراف عنهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع واجب وفائدته ان يكون المكلف على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه
ان التوبة تخلق وقالت المعتزلة معنى ان يتوب ان يقبل التوبة ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان الدليل العام وهو وجوب انتهاء الكل الى مشيئته و
تكوينه يعضد ما قلناه ثم قال سبحانه خذ من اموالهم صدقة عن الحسن كانوا يقولون ليس المراد من الاية الصدقة الواجبة وانما هي كفارة الذنب الذي صدر
عنهم وبهذا يحصل النظم بينها وبين ما قبلها كما مر وقال اكثر الفقهاء المراد بها الزكاة ووجه النظم انهم لما اظهروا التوبة والندامة امروا باخراج الزكاة
الواجبة تصحيحا لدعوتهم ومما يدل على ذلك ان الامر ظاهر في الوجوب وايضا التطهير والتزكية يناسب الواجب لا التطوع وفي قوله من اموالهم دلالة
على ان القدر المأخوذ بعض تلك الاموال وتعيين ذلك البعض انما عرف من السنة وفي اضافة المال اليهم دليل على ان
المال لهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكوة متعلقة بذمته حتى لو تلف النصاب بعد الوجوب بقي بواسطة تلك الصدقة وقيل التاء في تطهرهم
للتانيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع للمعطوفين قال العلماء المعطوفان متغايران لا محالة فالتزكية مبالغة في التطهير او هي بمعنى الانماء
كانه تعالى جعل النقصان سببا للانماء والزيادة والبركة او المراد بالتزكية تعظيم شانهم والاثناء عليهم قال ابو حنيفة ظاهر الاية يدل على ان
الزكوة طهرة للاثام فلا تستقر الا حيث يمكن حصول الاثام وذلك لا يعلم الا في حق البالغ العاقل دون الصبي والمجنون وقال الشافعي تجب الزكوة
في مالهما لانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وصل عليهم قال ابن عباس معناه ادع لهم قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ
الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال اخرون بظاهر اللفظ لما روي عن عبد الله بن ابي
اوفى قال كان ابي من اصحاب الشجرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقاتهم قال اللهم صل على ال فلان فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم
صل على ال ابي اوفى واكثر الائمة الان على انه لا تحسن الصلاة لغير النبي على غيره الا تبعا واطلق بعضهم كالغزالي وامام الحرمين لفظ الكراهة وقالوا
ايضا السلام في معنى الصلاة واما الشيعة فانهم يذكرون الصلاة والسلام في حق الرسول ايضا كعلي واولاده وبهم على العموم من القرشيين بنوا
هاشم والمطلب دون بني امية وبني نوفل وغيرهم قالوا لانها كانت جائزة في حق من يؤدي الزكوة فكيف يمنع ذكره او لا يحسن في اهل بيت
الرسول ولان الكل اجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق واما السلام فلا كلام عليه لانه جائز في حق جمهور المسلمين فكيف لا يجوز في ال الرسول ان

صلوتك

ان صلوتك سكن لهم والسكن ما يسكن اليه المرء ويطمئن به نفسه وذلك ان دعاءه يستجاب البتة فيستظهرون بها وكيف لا وللقبض اشراق لنفسه عليهم
بتوجهه اليهم والترحم لهم احتج مانعو الزكوة في زمان ابي بكر قالوا الوجوب مشروط بحصول السكن والان لا سكن ورد عليهم بسائر الايات روي انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم
فنزلت الم يعلموا يعني غير التائبين وقيل معناه الم يعلم التائبون قبل ان يتاب عليهم ويقبل صدقاتهم ان الله يقبل التوبة الصحيحة ويقبل الصدقات
الصادرة عن خلوص النية وفائدة توسط هو ان يعلم ان الله هو الموجب لقبول التوبة لاستغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين فاذا
انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة وجب على كرمه قبول توبته وفيه ايضا ان قبول التوبة ليس الى الرسول وفي قوله عن عباده دون منه
اي البعد الذي يحصل للعبد عن الله بسبب العصيان اولى تبعيد وليشعر عن الله بصفة الانكسار وفي اضافة اخذ الصدقات الى الله بعد ان امر رسوله
بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة وانها من الله بمكان وانه يربيها كما يربي احدنا فلوه حتى ان اللقمة تكون عند الله اعظم من احد وقد جاء بهذا
المعنى في الحديث ثم امر نبيه بان يقول للتائبين ولغير التائبين ترغيبا لهم في التوبة اعملوا وفيه نوع تهديد وتخويف فسيرى الله عملكم وقد مر
تفسير مثله عن قريب والحاصل انه كانه قيل لهم اجتهدوا في العمل فان له في الدنيا حكما وهو ان يراه الله ورسوله والمؤمنون وفي الاخرة حكما وهو
الجزاء وبوجه اخر كانه قيل ان كنت من المحقين فاعمل لله وان كنت من المظاهرين فاعمل للفوز بثناء الخلق وهم الرسول والمؤمنون فانهم شهداء الله
يوم القيمة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية ولا شك ان رؤية الله تعالى شاملة لافعال القلوب والجوارح جميعا اما رؤية الرسول والمؤمنين
فلا تشمل افعال القلوب الا باراءة الله واطلاعه وافشائه واعلم انه سبحانه قسم المتخلفين الى ثلاثة اقسام الاول منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق
والثاني التائبون المعترفون بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفا امرهم وذلك قوله واخرون مرجون واعرابه كاعراب قوله واخرون اعترفوا
ومعنى مرجون اي مؤخرون من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه قولهم المرجئة والمرجية كالقرية سميت المرجئة لانهم لا يجزمون بغفران ذنب التائب
ولكن يؤخرونها الى مشيئة الله ويقولون انهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعي لانهم يؤخرون العمل عن الايمان قال ابن عباس نزلت في كعب بن
مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم
على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم ونزل فيهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا
كما سيجيء وقال الحسن انهم قوم من المنافقين حذرهم الله بهذه الاية ان لم يتوبوا فقوله اما يعذبهم للتشكيك فيه راجع الى العباد اي ليكن امرهم على الخوف
والرجاء وكان يقال ياليت شعرنا ما الذي ينزل الله لهم عذرا ويقول اخرون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائي جعل امرهم دائرا بين التعذيب والتوبة
فدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير توبة واجيب بانه لم لا يجوز ان تكون المنفصلة مانعة الجمع فقط ولما ذكر اصناف المنافقين
وبين طرائقهم المخالفة والذين اتخذوا كانه قال ومنهم الذين اتخذوا وفي الكشاف ان محله النصب على الاختصاص او الرفع على الابتداء وخبره محذوف
اي فيمن وصفنا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير كانوا اثنى عشر رجلا بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء روي
ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف
وقالوا نبني مسجدا كذلك واعلم انه سبحانه حكى ان الباعث لهم على هذا العمل كان امورا اربعة الاول الضرار وهو المضارة والثاني الكفر بالنبي
صلى الله عليه وسلم وذلك انهم ارادوا التقوية لاهل النفاق والثالث التفريق بين المؤمنين لانهم ارادوا ان لا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعتهم ولا سيما
اذا صلى النبي في مسجدهم فيؤدي ذلك الى اختلاف الكلمة وبطلان الالفة والرابع قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وقوله من قبل متعلق
بحارب اي من قبل بناء مسجد الضرار او قال في الكشاف انه متعلق باتخذوا والمراد من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال
ابن قتيبة الانتظار مع العداوة وقال الاكثرون انه الاعداد والمراد بمن حارب ابو عامر الراهب والد حنظلة الذي غسلته الملائكة وسماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه لانه زالت رياسته وقال لرسول الله
يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا
واستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وات بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا ابا عامر ليصلي بهم في ذلك
المسجد ثم اخبر الله تعالى عن نفاقهم بقوله وليحلفن ان اردنا اي ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال
المفسرون انهم لما بنوا المسجد قبل غزوة تبوك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة
الشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة
تبوك سالوه اتيان المسجد فنزل لا تقم فيه ابدا الاية فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر ان يتخذ مكانه كناسة ترمى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين وقال الحسن هم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرئيل لا تقم فيه ولا ريب ان النهي عن القيام فيه يستلزم النهي عن الصلوة فيه ثم بين علة
النهي بقوله لمسجد اسس على التقوى من اول يوم اي من ايام وجوده احق ان تقوم فيه والمعنى لو كان القيام في غيره جائزا لكان هذا اولى لاشتماله على الخيرات
الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا على المفاسد المذكورة من الضرار وغيره قالت الشيعة في هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من اول
يوم كان اولى بالصلاة فيه فالامام اولى بان يكون متقيا من اول عمره وما ذاك الا علي كرم الله وجهه واختلفوا في هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة عن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء وضرب
بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين
والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة قال في الكشاف وهذا اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع وقال القاضي كل مسجد بني على التقوى
فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح احق ان تجالسه لم يكن ذلك مقصورا على واحد وايضا كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى وجه الله
او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا اخر وذلك قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقيل انه التطهر من الذنوب بالتوبة
والاستغفار والاخلاص كما ان اهل مسجد الضرار وصفوا باضداد هذه الامور من الضرار والكفر والتفريق ولان طهارة الباطن اشد تاثيرا من طهارة الظاهر
في القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء وذلك انهم كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وروي انها لما نزلت مشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله

انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال
صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط
فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط بالاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقيل يحبون ان يتطهروا من
الكفرة لذنوبهم بحموا باجمعهم ومحبة التطهر ايثاره والحرص عليه ومحبة الله الرضا عنهم والاحسان اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه ثم بين انه لا نسبة بين الفريقين
وان بينهما بونا بعيدا فقال [illegible] على سبيل التقرير لمن اسس بنيانه وهو مصدر كالغفران واريد به المبني والمعنى ان من اسس بناء دينه على قاعدة قوية
محكمة وهي التقوى من الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على ضد ذلك والشفا هو الشفير اي الشفة والجرف هو ما اذا سال السيل واتخذ الوادي وبقي
على طرف السيل طين واه مشرف على السقوط ساعة فساعة وذلك الموضع الذي هو بصدد السقوط جرف والهار الهاير وهو ايضا المتصدع
الذي اشفى على التهدم والسقوط قال الليث الهار مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع من خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فاذا سقط فقد انهار وها
في الكشاف انه صفة قصرت عن فاعل كخلف عن خالف والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور على فعل ولا ترى ابلغ من هذا الكلام
ولا ادل على حقيقة الباطل فلكونه على شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط في قعر جهنم روي
انها حفرت بقعة من مسجد الضرار فرأى الدخان يخرج ثم ذكر ان بنيانهم ذلك سبب لازدياد ريبهم فقال لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في [illegible]

[illegible]

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل
والقران ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ۞ التائبون العابدون

الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ۞
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ۞ ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ۞ وما كان
استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له
انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم ۞ وما كان الله ليضل
قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ۞ ان الله بكل شيء
عليم ۞ ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت و
ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ۞ لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد
ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف
رحيم ۞ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ
من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب
الرحيم ۞ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلي وخلف [illegible]

[illegible]

قوله يقاتلون والتحقيق ان كل انواع الجهاد يدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلائل التوحيد اكمل اثرا من القتال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
لعلي كرم الله وجهه لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولان الانسان
جوهر شريف لمنتهى الكون ازالة صفاته الرذيلة مع ابقاء ذاته الشريفة كان اولى في افناء ذاته الا ترى ان جلد الميتة لما كان منتفعا به من بعض
الوجوه حث الشارع على ابقائه فقال هلا اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به قوله وعدا عليه قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بان لهم الجنة
كانه قيل وعدهم الجنة وعدا فهو مصدر مؤكد وكذا قوله حقا او هو نعت للمصدر مؤكد واما الذي حصل في التورية والانجيل والقرآن قيل وعد
المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لامة محمد وقيل الامر بالقتال ومن اوفى استفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بما وعد من الله لانه الغني
عن كل الحاجات القادر على كل المقدورات وفي الاية انواع من التوكيدات فاولها قوله ان الله اشترى واذا كان المشتري هو الله الواجب
الذات المتصف بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به ومنها انه عبر عن ايصال الثواب بالبيع حتى يكون حقا مؤكدا ومنها انه قال بان لهم
الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون ان يقول بالجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا
ومنها قوله حقا وهو تأكيد التحقيق ومنها قوله في التورية والانجيل والقرآن وانه يجري مجرى الاشهاد بجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل
على هذه المبايعة ومنها قوله ومن اوفى بعهده من الله وفيه تنبيه على انه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر السار
الاول ومنها قوله وذلك هو الفوز ثم وصف الفوز بالعظيم واعلم ان هذه الخاتمة تقع على ثلاثة اوجه احدها ذلك الفوز بغير هو وانه في ستة
مواضع في براءة موضعين وفي النساء والمائدة والصف والتغابن وفي النساء بزيادة واو والآخر ذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك في ستة
مواضع اخرى براءة موضعين ويونس والمؤمن والدخان والحديد وفي براءة احدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الاية وكذلك ما في المؤمن بسبب
هذا الاختلاف ان الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة اما بواو العطف واما بالكناية العائدة من الثانية الى الاولى واما باشارة
فيها اليها وربما جمع بين اثنين منها والثلاثة للدلالة على المبالغة وقد جمع في هذه الخاتمة بين الثلاثة لغاية التوكيد والمبالغة اولانه ذكر الكتب الثلاث
فكل رابطة في مقابلة كتاب واحد وكذلك في المؤمن وقع الثلاثة في مقابلة ثلاثة ادعية فاغفر وقهم وادخلهم قال ابو القاسم البلخي لا بد من حصول
الاعواض على الآلام للاطفال والبهائم قياسا على اثابة الله تعالى المكلفين من العوض على الم القتل وهو الجنة ثم ذكر ان حكم سائر المؤمنين كذلك فقال
التائبون قال الزجاج انه مبتدأ محذوف الخبر اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل التائبون
رفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل مبتدأ خبره العابدون وما بعده اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال ثم لتفسير
هذه الاوصاف فقد قال ابن عباس والحسن التائبون هم الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقال آخرون الى التعميم ليشمل المعاصي كلها
اذ لا دليل على التخصيص والعابدون قال ابن عباس هم الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء والعبادة
لا شك انها عبارة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم اخذوا انفسهم في ليلهم ونهارهم والحامدون هم الذين يقومون بحق شكر
نعم الله ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم وذلك ان الحمد ذكر من كان قبل آدم لقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك وذكر اهل الدنيا يقولون في كل يوم سبع
عشرة مرة الحمد لله رب العالمين وذكر من يكون بعد خراب الدنيا لقوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والسائحون قال عامة المفسرين هم
الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصيام ثم قال هذا صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهري انما قيل للصائم سائح
لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه فيكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصائم وقيل السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء الذي يسيح والصائم
مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي من الاكل والشرب والوقاع وقال اهل المعنى الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه ابواب المعاني
والحكم وتجلت له انوار المعارف والحقائق فتحصل له سياحة في عالم العقول وقيل السائحون طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم
في مظانه وكانت السياحة في بني اسرائيل قاله عكرمة عن وهب بن منبه ولا ريب ان للسياحة اثرا عظيما في تكميل النفس لانه يلقى انواعا من الضر
والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له وقد ينتفع بالمشاهدة والزيارات للاحياء والاموات وليستفيد ممن هو فوقه
وليفيد من هو دونه ويكتسب التجارب ومعرفة الاحوال والاخلاق والسير والآثار الراكعون الساجدون يعني المصلين وقال بعض العلماء
انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلوة لان سائر هيئات المصلي موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما حصل الفصل بين المصلي وغيره بالركوع
والسجود وقيل اول مراتب التواضع القيام واوسطها الركوع وغايتها السجود فخصا بالذكر تنبيها على ان المقصود من الصلوة نهاية الخضوع ثم قال
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ومعناهما مذكور فيما مر الا ان ههنا بحثا آخر وهو انه لم ادخل الواو في قوله والناهون عن المنكر والحافظون
دون سائر الاوصاف والجواب ان النسق يجيء بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب او المراد ان الموصوفين بالصفات
الستة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب في الجهاد لان راس المعروف الايمان بالله وراس المنكر الكفر بالله والجهاد
يوجب حصول الايمان وازالة الكفر والنهي عن المنكر اصعب اقسام التكاليف لافضائه في الاغلب الى الخصومة وثوران التعصب فادخل فيه الواو تنبيها
على هذه المخالفة والمباينة ولبعض النحويين جواب عام يشمل هذه الاية وما في الكهف في قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وما في الزمر في قوله في ذكر الجنة وفتحت
ابوابها وما في التحريم في قوله ثيبات وابكارا وذلك انهم سموا هذه الواوات واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد ولهذا كثر ذكرها في القرآن والاخبار
فالثمانية تجري مجرى استيناف كلام فلهذا انفصل بالواو وأما قوله والحافظون لحدود الله فكالاجمال بعد التفصيل وذلك ان التكاليف اما ان تتعلق بمصالح
الدين وهي باب العبادات من الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذور ونحوها او بمصالح الدنيا وهي المعاملات وانها
اما لجلب المنافع او لدفع المضار والمنافع اما ان تكون مقصودة بالاصالة او بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هي المنافع الحاصلة من طرق الحواس
الخمس وهي المذوقات ويدخل فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح والضحايا والملموسات ويدخل فيها باب احكام الوقاع فمنها ما يحله
كتاب النكاح والرضاع وما يتبعهما من المهر والنفقة والسكنى واحوال القسم والنشوز ومنها ما يوجب ازالته كالطلاق والخلع والايلاء والظهار
واللعان ومن احكام الملموسات البحث عما يحل لبسه واستعماله وعما لا يحل كالاواني الذهبية ونحوها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل
والمسموعات وهو ما يحل سماعه وما لا يحل والمشمومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيها مجال ويحتمل ان يقال ان منها جواز استعمال الطيب في بعض
الاوقات ومنعه في بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كاكل البصل والثوم للمصلي بالجماعة في المسجد والمنافع المقصودة بالتبعية هي الاموال
والبحث عنها اما من جهة الاسباب المفيدة للملك كالارث والهبة والوصية واحياء الموات والالتقاط واخذ الفيء والغنائم والزكوات

وكالبيع

وكالبيع العين بالعين او بيع الدين بالعين وهو السلم او بالعكس كما اذا اشترى شيئا في الذمة او بيع الدين بالدين وهو بيع الكالي بالكالي المنهي عنه
الا عند تقاص الدينين او من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد المضاربة او من جهة الاسباب التي توجب لغير المالك التصرف
فيه كالوكالة والوديعة او من جهة الاسباب التي تمنع من التصرف في ملكه كالرهن والاجارة والتفليس وأما دفع المضار فالمضرة اما في النفس وهو
كتاب الجراح او في الدين وهو كتاب الجهاد وباب الارتداد واحكام البغاة واما في النسب وهو باب احكام الزنا والقذف واللعان واما في العقل
كتاب تحريم الخمر واما في المال والضرر فيه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق او على سبيل الخفية وهو السرقة وههنا باب آخر
وهو ان كل احد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب نصب الله الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام
نواب وهم الامراء والقضاة وليس قول الغير معتبرا الا بحجة وهي الشهادة والايمان فحصل من ذلك كتاب ادب القضاء وباب الدعاوى والبينات
فهذا ما امكن من ضبط معاقد تكاليف الله تعالى واحكامه وحدوده وكلها منوطة باعمال الجوارح دون اعمال القلوب التي لا يطلع عليها الا الله تعالى
ولكن قوله والحافظون لحدود الله يشمل ذلك الفضائل رعايته اهم من رعاية احوال الظاهر ثم ختم الاية بتكرير البشارة وفيه من كمال العناية ما فيه ولما
بين من اول السورة الى ههنا وجوب اظهار البراءة من المنافقين والكفرة الاحياء اراد ان يبين وجوب البراءة من موتاهم ايضا وان كانوا اقارب
فقال ما كان للنبي ومعنى ما كان للنبي اي ما صح له وما استقام وما ينبغي له ذلك ثم علل المنع بقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك
وقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فطلب غفرانهم جار مجرى طلب اخلاف وعد الله ووعيده وفيه حط لمرتبة النبي حيث يدعو بما لا يستجاب له
وهذه العلة لا تختلف بان يكونوا من الاباعد او من الاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله ولو كانوا اولي قربى روى الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب
عن ابيه قال لما حضر ابا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وابن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به انا على ملة عبد المطلب
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا ولذوي قرابتنا قد استغفر
ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فنزلت ما كان للنبي الآيتان وقيل عن ابن عباس لما افتتح مكة سأل اي ابويه احدث به
عهدا اي آخرهما موتا فقيل امه آمنة فزار قبرها ثم قام باكيا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم
يأذن لي فيه ونزل علي ما كان للنبي الاية قال بعضهم كصاحب الكشاف والحسين بن الفضل هذا ضعيف لان هذه السورة من آخر القرآن نزولا ووفاة
ابي طالب بمكة في اول الاسلام ويمكن ان يوجه الاول بانه صلى الله عليه وسلم لعله بقي يستغفر الى حين نزول الاية ثم اعتذر عن استغفار
ابراهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك ان اباه كان وعد ابراهيم ان يؤمن فكان يستغفر له بناء على ذلك الوعد فلما تبين له
انه عدو لله اما باصراره على الكفر او بموته على ذلك او بطريق الوحي تبرأ منه وترك الاستغفار ويجوز ان يكون الواعد ابراهيم عليه السلام ويوافقه
قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة وذلك قوله لاستغفرن لك وعده ان يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد من استغفار ابراهيم لابيه دعاؤه
له الى الاسلام الموجب للغفران وكان يتضرع الى الله تعالى ان يوفقه الى الايمان وقيل المقصود النهي عن صلاة الجنازة فيكون قوله ولا تصل على احد
منهم في حق المنافقين خاصة وهذه في حق الكافرين عامة ثم ختم الاية بقوله ان ابراهيم لاواه حليم قال اهل اللغة اواه فعال مأخوذ من حروف اوه
كلمة يقولها المتوجع وذلك ان الروح القلبي يختنق عند الحزن في داخل القلب وتشتد حرارته فاذا تكلم صاحبه بها خرج ذلك النفس المختنق فخف بعض ما به
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاواه الخاشع المتضرع وتكلم عند السلف وصفه تعالى بشدة الرقة والشفقة والخوف والوجل فبين ان ابراهيم مع
هذه العادة تبرأ من ابيه حين انقطع رجاؤه منه فانتم بهذا المعنى اولى ثم ان المسلمين خافوا ان يؤاخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين
فانزل الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اي عن طريق الجنة او يحكم عليهم بالضلال ويخذلهم او يوقع الضلالة في قلوبهم حتى يكون منهم الامر الذي يستحق به
العقاب بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ما يجب عليهم ان يحترزوا عنه والحاصل ان الله لا يسمي قوما ضلالا بعد ان سماهم مهتدين ما لم يقدموا
على شيء بين حظره واما قبل العلم والبيان فلا يؤاخذهم كما لم يؤاخذ بشرب الخمر والربوا قبل تحريمهما وفي الاية تشديد عظيم حيث جعل ان المهدي للاسلام
اذا اقدم على بعض المحظورات واخل كان في حكم الضلال ثم قال ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت والمراد من كان عالما
قادرا هكذا لم يحتج الى ان يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة وفيه دليل على انه يقبح من الله الابتداء بالعقاب واجيب ان ذلك
بحكم المالكية غايته ما في الباب انه لا يعاقب الا بعد ازاحة العذر عادة وفي قوله ان الله له ملك السموات والارض فائدة اخرى هي انه لما امر بالبراءة
من الكفار بين غاية قدرته ونهاية نصرته لمن اراد استظهار المسلمين كيلا تضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار وايضا كانه قال وجب
عليكم ان تنقادوا الى حكمي وتكاليفي لاني الهكم وانتم عبيدي ثم عاد الى بقية احكام الكفار فقال لقد تاب الله على النبي الاية ولنبين بعض الابحاث على اسئلة
مع اجوبتها فالسؤال الاول ان قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبي معصوم والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه تحملوا اعباء ذلك السفر العظيم
فكان اللائق بحالهم ان يثني عليهم والجواب انه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار لانه لا ينفك عن هفوة اما من باب الكبائر واما من باب
الصغائر واما من باب ترك الاولى والافضل كما اشير الى ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم ولعله قد وقع في قلوب
المؤمنين نوع نفرة من تلك السفرة لما عاينوا المتاعب ولا اقل من الوساوس والهواجس فاخبر الله تعالى ان تلك الشدائد صارت مكفرة لجميع
الزلات التي صدرت عنهم في ذلك السفر الطويل في مدة عمرهم وصارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز ان يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم
شان المهاجرين والانصار لا لانه صدر عنه ذنب السؤال الثاني ما المراد بساعة العسرة الجواب قد تستعمل الساعة في معنى الزمان المطلق والعسرة
تعذر الامر وصعوبته والمراد الزمان الذي صعب عليهم الامر جدا في ذلك السفر كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا
التمر المدود والشعير المسوس والاهالة السنخة المنتنة وقد بلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان ثم الى ان مصها جماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة
من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حرارة القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا في الحر وقال مسلم يجوز بساعة العسرة جميع الاحوال
والاوقات العسرة التي مرت عليهم في غزواتهم كما ذكر الله تعالى في غزوة الخندق واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معنى
كاد يزيغ وما اعرابه والجواب ان لها استعمالين كاد زيد يخرج وكاد يخرج زيد ومعنى الاول كاد زيد خارجا اي قارب الخروج ومعنى الثاني كاد الشان يخرج
كذا المعنى قارب الشان هذا الخبر وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله اي ليس الشان ذلك ولكن حذفه والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم
الميل عن الايمان وقيل هم بعضهم عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حبسوا انفسهم وصبروا وثبتوا وندموا وقيل كان ذلك حديث نفس بلا عزيمة ومع

ذلك خافوا ان يكون معصية الرابع ذكر التوبة في اول الاية فلم كررها بقوله ثم تاب عليهم الجواب ان عاد الضمير في عليهم الى الفريقين فلا تكرار وان عاد
الى النبي والمهاجرين والانصار جميعا فالتكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هو ان التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه وذلك انه بدأ بذكر التوبة قبل ذكر
الذنب تطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم اردفه بذكر التوبة ليدل على ان العفو عفو متأكد كما يقول السلطان عند كمال الرضى وزوال السخط بالكلية عفوت
عنك ثم عفوت عنك عشرين مرة وقال ابن عباس في تفسير قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد عنهم رضى ثم اكد هذه المعاني بقوله انه بهم رؤف رحيم
ويشبه ان يراد بالرأفة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة او الاول رحمة سابقة والثاني لاحقة الخامس للثلاثة الذين خلفوا من هم الجواب
هم مرجون لامر الله كما مر سموا المخلفين كما سموا مرجين اي مؤخرين عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعد ذلك وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ومثله قراءة
من قرأ بالتخفيف اي خلفوا الغازين بالمدينة وقيل المخفف من خلوف الفم اي فسدوا وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في الامر وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور وظنوا اي علموا وتيقنوا ان لا ملجأ من سخط الله تعالى
الا الى استغفاره كقوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلي وهو الرجحان وذلك انهم ما كانوا قاطعين بان ينزل الله في شانهم
قرآنا وان سلم انهم قطعوا بذلك الا انهم جوزوا ان يكون المدة قصيرة وجواب اذا محذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا تاب عليهم وحسن حذفه
لتقدم ذكره عن كعب بن مالك قال لما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما كان ذكرني في الطريق
وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة
فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء
من ذروة سلع وهو جبل بالمدينة ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وتتابعت البشارة
فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله حتى صافحني وقال لتهنك
توبة الله تعالى عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك
ثم تلا علينا الاية سئل ابو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه
السادس قد عرفنا فائدة قوله ثم تاب عليهم فما فائدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا
على توبتهم او تاب عليهم في الماضي ليتوبوا في المستقبل اذا فرطت منهم خطيئة علما منهم بان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة او تاب
عليهم ليرجعوا الى حالهم وعادتهم في الاختلاط بالمؤمنين او تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وثوابها لان الانتفاع بها لا يحصل الا بعد توبة الله عليهم وقالت
الاشاعرة المقصود بيان ان فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى انه لو لم يتب عليهم لم يتوبوا وايضا قالوا في الاية دلالة على ان قبول التوبة غير واجب عقلا
لان توبة هؤلاء قد حصلت في اول الامر ثم انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت اليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن ان يجاب بان شرائط التوبة من الندم
والنصح وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة من اول الامر فلهذا تأخر القبول وتكملة قوله حتى اذا ضاقت الاية ثم حث سبحانه المؤمنين على ملازمة سيرة
التقوى والانضمام في زمرة اهل الصدق لا النفاق فقال يا ايها الذين آمنوا الاية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المؤمنين ان يكونوا مع الصادقين و
لا يعني ان يكونوا على طريقتهم وسيرتهم لان ذلك عدول عن الظاهر بل يعني المصاحبة والكون مع الشيء مشروط بوجود ذلك الشيء فلا بد من وجود الصادقين
ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان التكاليف المذكورة في القرآن متوجهة على المكلفين الى يوم القيامة فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون
مع الرسول واصحابه في الغزوات بل اعم من ذلك ثم ان الصادق لا يجوز ان يكون منحصرا في الامام المعصوم الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما تقوله
الشيعة لان كون واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين اهل الحل والعقد في كل حين والمراد
انهم اذا اجتمعوا على كل شيء كانوا صادقين فيه محقين ويجب على الباقين ان يكونوا معهم ظاهرا وباطنا وقال اكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا
في دين الله نية وقولا وعملا وقيل اي كونوا مع الثلاثة المذكورين في الصدق والثبات وعن ابن عباس الخطاب لمن
آمن من اهل الكتاب اي وافقوا المهاجرين والانصار في الصدق وقيل الخطاب للذين تخلفوا وانضموا على السواري وفي الاية دلالة على فضيلة الصدق
وكمال درجته ومن خصائص الصدق ما روي ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد ان اومن بك الا اني احب الخمر والزنا والسرقة
والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لي بتركها فان قنعت مني بترك واحد منها آمنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق
ثم اسلم فلما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت فسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شربها وكذبت
نقضت العهد وان صدقت اقام الحد علي فتركها ثم عرض عليه الزنا فجاءه ذلك الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ما احسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب انسد ابواب المعاصي علي وتاب عن الكل ومن فضائل الصدق ان الايمان منه لا من سائر الطاعات ومن معايب
الكذب ان الكفر منه لا من سائر الذنوب ومن مثالب الكذب ان ابليس مع تمرده وكفره استنكف منه حتى استثنى في قوله لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين ثم المقتضي لقبح الكذب هو كونه كذبا عند الاشاعرة وكونه مفضيا الى المفاسد عند المعتزلة والله اعلم التأويل
ان الله اشترى في التقدير الازلي ولما اخبرهم الآن ببذل النفس والمال في الجهاد الاصغر وفي الجهاد الاكبر وانه كما اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة اشترى من اولياء الصديقين قلوبهم وارواحهم بان لهم الجنة التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون الى الله على قدم العبودية الحامدون له على وفق
سنته طلبه السائحون السائرون اليه بقدمي الصبر والشكر او البري والنول الراكعون اي الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجوده
الساجدون الفانون عن هيئة الوجود بالاهيتم الآمرون بالمعروف الحقيقي الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا عن طلبه الى
غيره ما كان للنبي فيه ان الاجتهاد ليس سببا لنيل المراد وان الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية ان ابراهيم لاواه والاواه هو المتبري
من المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضيق البشرية تواها وبراه فهما ورد له وارد الحق ضاق عليه نطاق الخلق فيتأوه عند تنفس القلب
المتنفس من الخلق الى الحق حليم عما اصابه من الخلق الى الحق فلا رجوع من الحق الى الخلق بحال من الاحوال ولهذا قال لجبريل حين سأله الك حاجة اما
اليك فلا وما كان الله ليضل قوما ليردهم الى الكثرة الاجنبية والبعد بعد اذ هداهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يبين لهم ما يتقون من آفات
البشرية وعادات الدنيا فهي رأس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها وقعوا في الاستدراج الى حيث خرجوا عنها نعوذ بالله من الحور بعد الكور ان الله
ان الله تعالى بعد اذ هداهم بافنائهم عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردهم الى الفناء البقاء وهو الاثبات بعد المحو والصحو بعد السكر وقد سماه المشايخ
الثاني حتى يبين لهم ما يتقون من الاقوال والاعمال والاحوال ان الله له ملك سماوات القلوب وارض النفوس يحيي بنور ربوبيته

من يشاء ويميت عن صفات بشريته من يشاء وما لكم من دون الله من ولي فلا يشغلكم طلب الملك عن المالك وان طالب الملك لا يجد الملك
دون المالك وطالب المالك يجد المالك والملك جميعا لقد تاب الله على النبي التوبة فضل من الله ورحمة فقدم ذكر النبي على المهاجرين ليكون
وصول الفضل اليهم بعد العبور على النبي تحقيقا لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الذين اتبعوه في ساعة عسرة الدنيا وترك شهواتها ونعيمها
لقد تاب الله اي افاض انوار عرفانه على نبي الروح ومهاجري صفاته الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الى مدينة الجسد وانصار من القلب
والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه في ساعة رجوعه الى عالم العلو بالعسرة لانهم من عالم السفل وعلى الثلاثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع ومتبعوا
الروح عند رجوعه الى عالمه ابتداء حتى اذا ضاقت عليهم ارض البشرية شوقا الى تلك الحضرة وضاقت عليهم انفسهم تحننا الى نيل تلك السعادات
تحقق لهم بنور اليقين ان لو بقوا في السفل لا ملجأ لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بجذبة العناية ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا
طريقة الحق ابدا مع الصادقين الذين صدقوا يوم الميثاق الله حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء ولا نصب
ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار
ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع
اجر المحسنين ۞ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون
واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون ۞ وما
كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
لعلهم يحذرون ۞ يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين ۞ واذا ما
انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ۞ واما الذين في قلوبهم مرض
فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون ۞ اولا يرون
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ۞
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا
صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون ۞ لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف
رحيم ۞ فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم ۞ صدق الله العظيم

القراءة موطيا ونحوه بالياء يزيد والشموني وحمزة في الوقف غلظة بفتح الغين المفضل الباقون بكسرها اولا يرون بتاء الخطاب

من يشاء

للمؤمنين حمزة ويعقوب آيات فون على الغيبة الوقف عن نفسه ط صالح ط المحسنين ٥ لا للعطف - يعملون ٥ كافة ط يحذرون ٥ غلظة ط
المتقين ٥ ايمانا ج يستبشرون ٥ كافرون ٥ يذكرون ط الى بعض ط لحق المحذوف اى يقولون هل يراكم ثم انصرفوا ط لا يفقهون ٥ عزيز قف على ان
عليه ما عنتم والصحيح الوصل لان المعنى شديد عليه ما عنتم اولا وقف فى الاية الى قوله رحيم ٥ حسبى الله قف والاصح الوصل على جعل الجملة حالا اى حسبى
الله غير مشارك فى الالوهية الا هو ط العظيم ٥ التفسير لما امر بموافقة النبى والصحابة فى جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين اكد
ذلك المعنى بالنهى عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل المدينة اى لا يستقيم ولا يجوز لهم والاعراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس انهم
مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار وكانه اراد المعروفين منهم والا فاللفظ عام ومعنى ولا يرغبوا ولا ان يرغبوا يقال رغبت بنفسى عن هذا الامر
اى بخلت بها عليه ولا اتركها له والمراد انه لا يصح لهم ان يرغبوا عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب صلاح انفسهم وبقائها عليهم ان يصحبوه
على البأساء والضراء ويرضوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه لان نفسه اعز النفس عند الله فاذا تعرضت مع كرامتها للخوض فى شدة وجب على سائر
الانفس ان لا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفى هذا النهى مع التهييج توبيخ عظيم لا يخفى ان الجهاد لا يجب على كل ذى بعينه للاجماع لان اصحاب الاعذار
من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل والنقل فبقى ما وراء ما بين المقوين داخلا تحت عموم الاية ثم ذكر ترغيبا يجرى مجرى علة المنع من التخلف فقال
ذلك بانهم اى الوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب انهم شاربون على انواع المتاعب واصناف الشدائد على جميع الحركات والسكنات وفى اقدام
والاياب والظمأ شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التى تظهر ضمور البطن والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان وعلى التقديرين
الضمير فى يغيظ عائد الى الموطئ الصحيح او المقدر ثم الوطئ يجوز ان يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام وحوافر الخيول وباخفاف الابل ويجوز ان يكون مجازا
فيراد به الايقاع والاهلاك قال ابن الاعرابى غاظه وغيظه واغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا ارزاه ونقصه وهو عام فى كل ما يسوءهم ويلحق بهم ضررا من قتل
او اسر او غنيمة او هزيمة والمراد انهم لا يتصرفون فى ارض الكفار تصرفا يغيظهم ويرزاهم شيئا الا كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على من قصد طاعة الله
كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول فى طرف المعصية ولكن بالضد فما اعظم بركة الطاعة وما اشد شؤم المعصية
وبهذه الاية استشهد اصحاب ابى حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش فى الغنيمة لان وطئ ديارهم مما يغيظهم وينكى فيهم وقال الشافعى
لا يشاركون الغانمين فى الغنيمة وان شاركوهم فى الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تعاطى خطرا قال قتادة هذا الحكم من خواص رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان فى المسلمين قلة فلما كثروا نسخها الله بقوله وما كان المؤمنون
لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وامرهم قال العلماء وكذلك غيره من الائمة والولاة اذا عينوا طائفة لانا لو سوغنا
للمندوب ان يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدى الى تعطيل الجهاد قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها
وعلاقة سيف وسوط وما اربى عليها مثل ما انفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة ولا يقطعون واديا اى ارضا فى ذهابهم ومجيئهم وهذا شائع
فى استعمال العرب يقولون لا تصل فى وادى غيرك وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال والوادى كل منعطف من جبال وآكام يكون منفذا للسيل الا كتب
لهم ذلك الانفاق والقطع او ذلك العمل الصالح المعهود فى الاية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال ليجزيهم اى اثبت فى صحائفهم لاجل الجزاء احسن
من اعمالهم واجل وقيل الاحسن من صفة الفعل اى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح واعلم انه سبحانه عدد ههنا اشياء بعضها
ليس من اعمال المجاهدين وهو الظمأ والنصب والمخمصة وباقيها من اعمالهم وهى الوطئ والنيل والانفاق وقطع الارض وقسم هذا الباقى الى قسمين فضم شطر
منه الى ما ليس من اعمالهم تنبيها على انه فى الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح اى جزاء عمل صالح واكد ذلك بقوله تعالى
ان الله لا يضيع اجر المحسنين ثم اورد الشطر الباقى لغرض آخر وهو الوعد باحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان هذا القسم من عملهم فلم يحتج
الى التصريح بذلك اكتفاء بما تقدم او لان الضمير عائد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى اعلم بمراده ثم قال وما كان المؤمنون وفيه قولان احدهما انه من بقية
احكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ فى عيوب المنافقين كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة
وحده فنزلت الاية قال ابن عباس والمعنى انه لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا باسرهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين احداهما الملازمة لحضرة الرسول والاخرى
للنفر الى الغزو ثم ههنا احتمالان الاول قال مجاهد فلولا نفر اى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين فذهب الاكثرون الى ان الضمير فى ليتفقهوا
عائد الى الفرقة الباقية فى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم اذا بقوا فى خدمته شاهدوا الوحى والتنزيل وضبطوا ما حدث من الشرائع وعلى هذا فلا بد
[illegible]

واحدة

واحدة متعذر وللاقرب ترجيح ظاهر كما فى الدعوة وكما فى سائر المهمات مثل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مبتدئا بالجمع الحاضرين ثم ينتقل الى الغائبين
وايضا المؤونة فى قتال الاقربين من النفقة والدواب تكون اقل والقتال معهم يكون اسهل للوقوف على احوالهم وعدد عسكرهم والفرقة المجاهدة
اذا تجاوزوا من الاقرب الى الابعد فقد عرضوا الذرارى للفتنة وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزو
الشام ويروى ان اعرابيا جلس على المائدة وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كل مما يليك ثبت
بهذه الوجوه ان الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب ما لم يضطر الى العدول ضرورة وقوله وليجدوا فيكم غلظة اى شدة نظير قوله واغلظ عليهم و
من قرأ بفتح الغين فهو المصدر وايضا كالسخطة وهى لفظة جامعة للجرأة والصبر على القتال والشدة والعداوة والعنف فى القتل والاسر كل ذلك
ما يتصل بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالسيف اما فيما يتصل بالبيع والشراء والمجالسة فلا ولكن بتقوى الله على ذكر منه فى موارده ومصادره ولهذا
ختم الاية بقوله واعلموا ان الله مع المتقين فان قتله قتله لله وان تركه على الجزية تركه لله وان كسر عدوه ومال الامر الى اخذ الغنيمة راعى فيه حدود الله
ثم حكى بقية فضائح اعمال المنافقين فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اى يقول بعض المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين
زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحى والعمل به او يقولونه لعوام من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول ايكم مرفوع بالابتداء وخبره زادته هذه
ايمانا ثم انه تعالى حكى انه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة امران احدهما ازدياد الايمان وقد مر معناه فى اول سورة الانفال والثانى
الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الآخرة واما بالعزة والنصرة فى الدنيا او المراد انهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث انه
يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين لهم عقائد فاسدة واخلاق ذميمة امران اولهما زيادة الرجس لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها
انضمام كفر الى كفر ولان حصول حسد وغل ونفاق عقيب امثالها ازدياد لتلك ذميمة غب اخرى وثانيهما بقاؤهم على تلك العقائد والاعمال الى ان ماتوا
لان الملكة الراسخة لا تزول الى ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقى عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر
والايمان فى العبد فلا يبعد احداث السورة فيهم الرجس واسناد مجازى عند المعتزلة لانهم يقولون انهم احدثوا الرجس من عند انفسهم حين نزول السورة
بدليل ان الآخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه ان النفس الطاهرة النقية عن درن الدنيا باستيلاء حب الله والآخرة اذا سمعتها صار
سماعها موجبا لازدياد رغبته فى الآخرة ونفرته عن الدنيا واما النفس الحريصة المتهالكة على لذات الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الآخرة وعشق المولى
اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد زادت نفرته عنها وانكاره عليها وكل بقدر ثم تعجب من حال المنافقين فقال او لا
يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين قال ابن عباس معناه يمتحنون بالمرض ثم لا يتوبون من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن
فانه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدى ربه فيزيده ذلك ايمانا وخوفا وقال مجاهد بالقحط والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد فان تخلفوا وقعوا
فى السنة الناس بالطعن والخزى وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا انفسهم للقتل واموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر
الرسول بالطعن فيخبره جبريل فيوبخهم بذلك ويعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا آخر من مخازيهم فقال واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض اى سورة
مشتملة على ذكرهم او اعم من ذلك والمراد نظر الطعن والاستهزاء والازدراء بالوحى قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه
ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان نظر التغامز دال على ما فى الباطن من الانكار الشديد او ارادوا ان كان من وراءكم فلا تخرجوا والا فاخرجوا
لنتخلص من هذا الايذاء وسماع الباطل ثم انصرفوا اى من مكان الوحى الى مكانهم او عن استماع القرآن الى الطعن فيه ومعنى صرف الله قلوبهم قال ابن عباس
منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طبع الله قلوبهم عليها وقال الزجاج اضلهم الله قالت الاشاعرة هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان
والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح او اخبار بانه صرفهم عن الالطاف التى يختص بها من آمن بها او المراد
صرف قلوبهم بما اورثهم من الغم والكيد قالوا ومعنى قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن
اسحاق انه قال لا تقولوا انصرفنا من الصلوة فان قوما انصرفوا صرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلاة كان مقصوده التفاؤل باللفظ الوارد فى الخير
دون الشر فانه تعالى قال فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما امر رسوله فى هذه السورة بتبليغ تكاليف شاقة يعسر تحملها
ختم السورة بما يوجب سهولة تحملها فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم اى من جنسكم وهو جنس البشر لا الملك لان الجنس الى الجنس اميل وبه الف وانس
او الخطاب للعرب والمقصود ترغيبهم فى نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزهم وفخرهم لانه من ابناء بلدهم
او الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون اهل الحرم اهل الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهماتهم فكانه قيل لهم كنتم قبل مبعثه
مجدين فى خدمة اسلافه فلم تتكاسلون فى خدمته مع انه لا نسبة لهم فى الشرف الى آبائه او المقصود من ذكر هذه القصة التنبيه على طهارته كانه قيل هو من
عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الآفات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال من هذه حاله وصفته يكون من اعظم
نعم الله عليكم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم وافضلكم وينسب هذه القراءة الى النبى والوصى واهل البيت عليهم السلام ثم وصفه بما
يستتبع المجانسة والمناسبة من النتائج وذلك قوله عزيز عليه ما عنتم العزة الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع فى المكروه والاثم وما مصدرية
اى شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه واولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما ارسل لدفع هذا المكروه حريص عليكم الحرص يمتنع ان
يتعلق بذواتهم فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم فى الدارين فالصفة الاولى لدفع الآفات والمخافات والثانية لايصال الخيرات والسعادات
للاكثار قال الفراء الحريص الشحيح والمعنى انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين انه رحمة للعالمين فقال بالمؤمنين اى منكم ومن غيركم رؤف
رحيم قال ابن عباس لم يجمع الله لنبى بين اسمين من اسمائه الا له وحاصل هذه الخاتمة ان هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه
كالطبيب الحاذق وكالاب الشفيق واذا عرف ان الطبيب حاذق والاب شفيق فالعلاج والتأديب منهما احسان واجمال وان كان صعبا
مؤلما فاقبلوا ما امركم به من التكاليف وان كانت شاقة لتفوزوا بالسعادة الدارين ثم قال لرسوله فان لم يقبلوا بل اعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت
اليهم وارجع فى جميع امورك الى الذى بالحق ارسلك فهو كافيك وهو رب العرش العظيم فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شىء لانه محيط بالعرش
وبما يحويه العرش والله اعلم التأويل ما كان لاهل مدينة القالب وهم النفس والهوى والقلب ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية
والقلبية ان يتخلفوا عن رسول الروح السائر الى الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه بل وجوده بالفناء فى الله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ من ماء الشهوات ولا نصب
من انواع المجاهدات والمخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى طلب الله ولا يطؤن موطئا من مقامات الفناء يغيظ كفار النفس والهوى ولا ينالون
من عدو الشيطان والنفس والدنيا جاها ومحبة وفقرا وحزنا ونحو ذلك من اسباب الفناء الا كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله ولا ينفقون نفقة

صغيرة هي بذل الصفات والكبيرة هي بذل الذات في صفات الله وفي ذاته ولا يقطعون واديا من اودية الدنيا والاخرة والنفس والهوى والقلب والروح احسن ما كانوا يعملون لان علمهم بقدر معرفتهم وجزاؤه يليق عنه نطاق فهمهم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وما كان المؤمنون لينفروا في السير الى الله وبالله وفي الله فلولا نفر من كل قوم وقبيلة وفرقة طائفة هم خواصهم واهل الاستعداد العاملون ليتعلموا السلوك ويخبروا بذلك قومهم لعلهم يحذرون من غير الله يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من كفار النفس والهوى وصفاتها وليجدوا فيكم غلظة عزيمة صادقة في ترك شهواتها وماتوا وهم كافرون اي يموت قلبهم لتزايد ظلمة النفاق كل حين ثم اخبر عن موت القلب بقوله اولا يرون انهم يفتنون والفتنة موجبة لانتباه الحي ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي قلب حي بل يراكم من احد في مقام الانكار والنفاق اي هل يرى محمد انكارنا على رسالته والقرآن فان كان رسولا اثابنا بنور رسالته ثم انصرفوا على هذا الحسبان لان قلوبهم مصروفة وليس لهم فقه القلب لان ذلك من امارات حيوة القلب من انفسكم تسكين للعوام لئلا ينفروا عنه واشارة للخواص الى ان البشرى لهم باستعداد الوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فاتبعوني يحببكم الله ومن قرأ من انفسكم اي من اشرفكم فلانه اول جوهر خلقه الله تعالى اول ما خلق الله روحي ولاختصاصه بالخلاص عن تعلق الكونين وبلوغه الى قاب قوسين او ادنى وتخليته بحلية فاوحى الى عبده ما اوحى ولعلو همته ما زاغ البصر وما طغى ولرؤيته سر القدر ولقد رأى من آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رؤف رحيم لمن رأفته امر بالرفق كما قال ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه بالرفق ومن رحمته قيل له فبما رحمة من الله لنت لهم وههنا نكتة هي ان رأفته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت بالمؤمنين فقط ولما كانت رحمته تعالى ورأفته للناس عامة ان الله بالناس لرؤف رحيم ونكتة اخرى هي ان رحمته صلى الله عليه وسلم عامة للعالمين لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واما رحمته المضمومة الى الرأفة فخاصة بالمؤمنين فكان الرأفة اشارة الى ظهور اثر الدعوة في حقهم والمؤمنون اهل الدعوة والاجابة جميعا وغيرهم اهل الدعوة فقط فقل حسبي الله لان المقصود من الملك قد حصل لك وهو وصولك الى الله اعرضوا عن دعوتك او قبلوا والله المستعان

سورة يونس مكية الا ثلث ايات قوله تعالى فان كنت في شك الى آخرهن حروفها خمسة الاف وخمسمائة وسبعة وستون كلماتها الف وثمانمائة واثنان وثلثون اياتها مائة وتسع م

بسم الله الرحمن الرحيم

الر ۝ تلك ايات الكتاب الحكيم ۝ اكان للناس عجبا ان اوحينا
الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند
ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ۝ ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر
ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون ۝
اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ۝ هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ۝
ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ۝
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض
لايات لقوم يتقون ۝ ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة
الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون ۝ اولئك
ماويهم النار بما كانوا يكسبون ۝ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات

يهديهم

يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم ۝
دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر
دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ۝

القراءة الر بالامالة وكذلك ما بعده ابو عمرو وخلف وحمزة وعلي والخزاز عن هبيرة والبخاري عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش وابن ذكوان الا لساحر بالالف ابن كثير وعاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون لسحر حقا انه بالفتح يزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وابو عون عن قنبل نفصل بالياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والعجلي الباقون بالنون واطمأنوا بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الوقوف الر قف كوفي الحكيم ه عند ربهم ط مبين ه يدبر الامر ط اذنه ط فاعبدوه ط تذكرون ه جميعا ط حقا ط الا لمن قرأ انه بالفتح بالقسط ط يكفرون ه والحساب ط الا بالحق ط لمن قرأ نفصل بالنون ومن قرأ بالياء فالحكمة ان يجعل نفصل حالا يعلمون ه يتقون ه غافلون ه لان اولئك خبران بايمانهم ج لحذف تقدير ويهديهم ربهم بايمانهم الى دار البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود النعيم ه سلام ج لان الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة اخرى لان قوله واخر دعويهم معطوف على دعويهم الاول العالمين ه التفسير اتفقوا على ان قوله الر ليس باية وعلى ان طه اية ولعل الفرق ان الر لا يشاكل مقاطع الاي التي بعده عن ابن عباس الر معناه انا الله ارى وقيل انا الرب غيري وقيل الر وحم ون اسم الرحمن تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والتبعيد للتعظيم والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او وصف بصفة من تكلم به ومنه قولهم القصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل او يحكم بان محمدا صادق لان القرآن اظهر معجزاته وابقاها وقيل بمعنى مفعول اي حكم فيه بجميع المأمورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك انه لا يحوه الماء ولا تحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل ان يقال الكتاب الحكيم هو القرآن او اللوح المحفوظ او التورية والانجيل لان جميع الكتب الالهية متوافقة في الاصول ويجوز ان يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات القرآن واعلم انه سبحانه لما اختتم السورة المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدي وذلك ان حروف القرآن من جنس الحروف التي يتلفظون بها فلولا انه معجز لعارضوه واتوا بمثله ولما بين هذا الطريق ان محمدا رسول حق من عند الله انكر على كفار قريش تعجبهم من كونه رسولا فقال اكان للناس عجبا نصب على انه كان واسمه ان اوحينا وفائدة اللام في قوله للناس مع تعديه هي انهم جعلوه لهم اعجوبة يتحدثون بها ثم ان تعجبهم اما ان يكون من جعل البشر رسولا او من تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي والنبوة فقد روي انهم كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وكلا الامرين ليس بعجب اما الاول فلان الجنس الى الجنس اميل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اما الثاني فلان الفقر واليتم لا يوجب في النبوة قدحا لان الله غني عن العالمين وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى واما كفر ابي لهب فلا يضره كونه متصفا بالصدق والامانة والتقوى وما كان لمحمد في ذلك قبل بعثته اليد الطولى وكان يدعى محمد الامين وان في قوله ان انذر الناس هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول او مخففة من الثقيلة وقد حلت في ضمير شان مقدر معناه انه اي ان الشان قولنا انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم اي بان لهم الانذار الاخبار مع تخويف وانه عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل ان يراد بالناس الكفار فقط ويمكن ان يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير وليس ذلك بعجب بل المنكر في العقول تعطيل الاعمال وان يترك الانسان سدى وارسال الرسل امرا خلى الله تعالى المكلفين عنه شيئا من الازمنة وبه تتم المالكية والامر والنهي والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغي والتبشير ترغيب في فعل ما ينبغي والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى قدم صدق سابقة وفضل ومنزلة رفيعة اي سبق لهم عند الله خير قال احمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانباري كناية عن العمل الذي لا يقع فيه تأخر ولا ابطاء والسبب في اطلاق القدم على السابقة ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة والتنبيه على انها من السوابق العظيمة اي المقدم التي بصدق ويحق ان تسمى قدما واما عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هي الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم اما قوله قال الكافرون فقد قال القفال فيه اضمار والتقدير فلما انذرهم قالوا ذلك ثم من قرأ لساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن قرأ لسحر فهو اشارة الى القرآن وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بانهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز بعضهم ان يكونوا ارادوا به المدح اي انه لكمال فصاحته وتعذر الاتيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما انكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهي الواسطة اراد ان يقيم البرهان عليها باثبات المبداء ويبين غايتها باثبات المعاد وكيف في آيتين متواليتين وقد مر في الاعراف تفسير قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ثم استوى على العرش فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره فقال يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وانما فقد العاطف لانهما كالتفسير والتفصيل لما اول عليه قوله ان ربكم الى آخره والامر الشان اراد به احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى انه يقضي ويقدر مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المصيب في افعاله الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي قال الزجاج ان الكفار الذين خوطبوا بهذه الاية كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بانه ليس لاحد ان يشفع اليه في شيء الا بعد اذنه لانه اعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم ان يسألوه ما لا يعلمون انه صواب وصلاح وفي قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله في التصرف في جانب المبداء وفي قوله ما من شفيع اشارة الى استقلاله في طرف المعاد ويمكن ان يقال المراد انه خلق العالم على احسن الوجوه واقربها من الاصلح مع انه ما كان هناك شفيع يشفع في تحصيل المصالح فدل ذلك على انه محسن الى عباده ومريد الخير والراحة بهم كال العناية باحوالهم قال ابو مسلم الشفيع معناه الثاني من الشفع الذي يخالف الوتر اي خلق السموات والارض وحده ولا حي معه ولا شريك معينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد انه لم يدخل في الوجود احد الا من بعد ان قال له كن حتى كان وحصل ثم اشار الى المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال ذلكم الله ربكم الذي يستأهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام من خلق السموات والارض وما فيها وعليها فاعبدوه وحده افلا تذكرون فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والتفكر في الدلائل الدالة على عظمته وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال اليه مرجعكم اي رجوعكم جميعا مجموعين وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى انكم ترجعون في العاقبة الا الى جزائه وحكمه

فاستعدوا للقائه ثم أكد ذلك بقوله وعد الله حقا وفيه تأكيدان كما ترى ثم قال انه يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو استيناف فيه معنى التعليل كأنه قال ان الذي
قدر على الابداء ليقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وننشئكم فيما لا تعلمون يعني انه سبحانه لما كان قادرا على انشائكم اولا ثم على انشاء اجزائكم
حال حيوتكم ثانيا شيئا فشيئا من غير ان تكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه وجب القطع بانه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق
ومن قرأ انه بالفتح فعلى حذف لام التعليل اي لانه او على انه منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بداء الخلق ثم اعادته ويجوز ان يرتفعا
بالنصب حقا اي حق حقا بداء الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمتها فقال ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال المفسرون في الآية اضمار والتقدير
انه يبدؤ الخلق ليأمرهم بالعبادة ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزي وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولان الاعادة لا تكون الا بعد الابانة والاعدام
وقوله بالقسط اي بالعدل متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او ليجزيهم بقسطهم وبما لم يظلموا انفسهم حين آمنوا وعملوا صالحا وهذا وجه حسن لمقابلة
قوله بما كانوا يكفرون وفي قوله والذين كفروا من غير ان يدخل لام العاقبة في الجملة كما ادخلها في الاولى دليل على انه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء العذاب
بغرض … وقوعهم في طريق القهر والحكيم الذي استحق بالنار حتى انتهى حره قالت الاشاعرة في الآية دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة
واجيب بان عدم الذكر لا يدل على العدم ورد بان الفساق اكثر من اهل الطاعة فكيف يجوز طي ذكرهم واعلم ان للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاول
طريقة القائلين بالحسن والقبح العقليين والثانية طريقة من يقول لا يجب على الله تعالى شيء اصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اما الفريق الاول
فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها انه تعالى خلق الخلق واعطاهم عقولا وقدرا فيجب في حكمته ان يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا
الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب على الترك هذا في المأمورات والعكس في المنهيات وذلك الثواب المرغب والعقاب
المرهب غير حاصل في الدنيا فلا بد من دار اخرى هي الآخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم ان يكون الله تعالى كاذبا في قوله ليجزي الآية فان قيل لم لا يكفي
في الترغيب والوعيد ما اودع الله في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد ولئن سلم فلم لا يجوز ان يكون الغرض
من الترغيب والترهيب نظام العالم لا انه يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على … تخصيص اكثر عمومات القرآن ثم تزعمون انه لا يكون
سلمنا انه يفعل لكن لم لا يجوز ان يكون الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان في دار الدنيا من الراحات والآلام فالجواب ان العقل وان كان يدعو
الى فعل الخير وترك الشر الا ان الهوى والنفس يدعوان الى الانهماك في الشهوات الجسمانية واذا حصل التعارض فلا بد من مرجح وما ذاك الا الترغيب
والوعيد والوعد على الاعمال وتجويز الخلف في ذلك مناف للغرض واخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام في الدنيا فهو في العمل
وقد نرى ازهد الناس واعلمهم مبتلى بالآفات والبليات وافسقهم واجهلهم في اتم اللذات والمسرات ومنها ان صريح العقل يوجب في حكمة الحكيم ان
يفرق بين المحسن والمسيء والمظلوم والظالم وان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن عرفه واطاعه وليس هذه التفرقة في الدنيا كما قيل شعر كم عالم عالم اعيت
مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا فلا بد من دار اخرى يظهر فيها هذا التفاوت ومنها انه كلف عبيده بان يعبدوه والحكيم اذا امر عبده بشيء
فلا بد ان يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال باداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر الى تحصيل اسباب الراحات
فلو لم يكن زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لا يتفرغ المكلف لاداء ما امر به فان قيل لم لا يكفي في نظام العالم مهابة الملوك و
سياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا ولا خوف له في المعاد فحينئذ يقدم على انواع الظلم
والايذاء لان الداعية النفسانية دائمة ولا رادع له في الدنيا ولا في الآخرة ومنها انه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم
الرحيم فوجب ان يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك في الدنيا لان لذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الالم امر عدمي وكان …
حاصل قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وايضا ان لذات الدنيا مشوبة بالآلام بل اللذة في الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان للراحة دارا اخرى …
قيل اليس انه يعذب اهل النار لا لمصلحة ولا فائدة لهم قلنا الفرق ان ذلك الالم استحقوه على اعمالهم وهذا الالم الحاصل في الدنيا غير مستحق فوجب …
خيرات عظيمة والا لما بقي كونه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ومنها انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان اخس من جميع الحيوانات لانها تشاركه في اللذات
الحسية لان الروث في مذاق الجعل كاللوزينج في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تألمه وتأذيه في اغلب الاحوال لانه يتفكر في الاحوال
الماضية فيتأسف ويتأمل في الاحوال الآتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد به يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سببا لشقائه وخسته دون شرفه ومرتبته
ومنها ان ايصال النعم اما ان يكون مشوبا بالآفات او خالصا عنها فلما انعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية
في دار اخرى اظهارا لكمال القدرة والرأفة والحكمة فهناك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل الغموم والهموم والآفات والمخافات ومما يقوي هذا
الكلام ان الانسان دائما في الترقي من حين كونه جنينا في بطن امه الى ان يخلص من هذا السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من تناول اللبن والشد
الوثيق في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشي والعدو الى ان يصير اميرا نافذ الحكم على الخلق او عالما مشرفا على حقائق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء
ان يكون حاله بعد الموت اشرف وابهى من اللذات العاجلة المشوبة بالآلام ومنها طريقة الاحتياط فاذا آمنا بالمعاد وتأهبنا له فان كان هذا …
حقا فقد نجونا وهلك المنكر وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد وغاية ذلك فوات بعض اللذات الزائلة المشوبة بالمنغصات ومنها ان احوال
الانسان من صباه الى هرمه يضاهي حال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض في الربيع الثاني يعود الى تلك الحيوة فلم لا نعقل مثل ذلك
في الانسان ومنها ان الانسان انما تولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها فاذا
مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع ان يجتمع مرة اخرى على مثال ذلك الاول ومنها ان النظر في تغيرات العالم ادى الى اثبات صانع حكيم
قادر قاهر والعقل يحكم بان هذا الحكيم لا يليق به ان يترك عبيده … يكذبون عليه ويجوزون فلا بد ان يكون له امر ونهي ووعد ووعيد من غير تجويز خلف
فيهما كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء واما الفريق الآخر الذين لا يعللون افعال الله تعالى برعاية المصالح فانهم يقولون المعاد امر جائز
الوجود ولان تعلق النفس بالبدن لما كان في المرة الاولى جائزا فالمرة الثانية ايضا جائزة ثم ان اله العالم قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات
والجزئيات فلا يعجزه تمييز اجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن اجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء
عليهم السلام وعلى ان القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون بآيات البعث و
الجزاء فوجب علينا القطع بالمعاد الجسماني اما شبه المنكرين فمن ذلك انهم قالوا الدار الآخرة ان كانت شرا من هذه فالتبديل سفه وان كانت مثلها
فعبث وان كانت خيرا منها فاما ان يقال انه قادر على خلق ذلك الاجود اولا ثم تركه وفعل الادون وذلك سفه او يقال انه ما كان قادرا ثم حدث
القدرة وذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة وهو محال على القديم والجواب ان كلا من الدارين خير في وقتها فالاولى لتحصيل الكمالات

النفسانية

[illegible]

… استفادة من الشمس وبذلك يقع اختلاف احواله من الهلالية الى البدرية كما بيناه في تفسير قوله يسئلونك عن الاهلة وقدرناه منازل اي قدر
مسيره منازل او قدره ذا منازل ومنازل القمر ثمانية وعشرون التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجعلها ثمانية وعشرون واسماؤها مشهورة
الشرطين والبطين والثريا الى آخرها وهي كواكب ثابتة معروفة … جعلت علامات للمنازل لينزل القمر كل ليلة منزلا لا يتخطاه … وذلك انهم قسموا
دور الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عدد ايام دور القمر فاصاب كل برج منزلان وثلث فسموا كل منزل بالعلامة التي وقعت وقت
التسمية بحذائه ثم ذكر بعض منافعها العائدة الى المكلفين لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وقد ذكرنا السنة
الشمسية والسنة القمرية وكيفية دوران احدهما على الاخرى في تفسير قوله ان عدة الشهور الآية فلا حاجة الى التكرار ثم اشار الى بعض منافعهما وحكمهما
بقوله ما خلق الله ذلك المذكور الا ملتبسا بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل وبحركة الشمس تنفصل
السنة الى فصولها الاربعة وبالفصول ينتظم مصالح هذا العالم وتحصل معايش الخلائق وبحركة القمر تحصل الشهور وباختلاف حاله في زيادة النور و
نقصانه تختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي يرشد اليها التامل والتدبر فلهذا قال نفصل الآيات لقوم يعلمون انهم هم الذين ينتفعون
بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذي يتم التكاليف ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقد مر تفسيره في سورة البقرة في قوله
ان في خلق السموات والارض الآية ومعنى قوله وما خلق الله في السموات والارض كقوله ما خلق الله من شيء وقد مر في اخر الاعراف واما تخصيص كونها
آيات بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لبقاء الناس و
ان خالقها وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من امر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة
دالة على صحة القول بالمبدأ والمعاد ثم شرع في شرح احوال من لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا عن ابن عباس
ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث كقوله وهم من الساعة مشفقون واستعمال الرجاء بمعنى الخوف وقالوا انه بمعنى الطمع اي
لا يطمعون في حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يتوقعونه اصلا لانهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية فارغون من التوجه نحو
السعادات الباقية ورضوا بدل ذلك بالحيوة الدنيا الخسيسة الفانية واطمأنوا بها سكنوا اليها سكون العاشق الى معشوقه وهذا نهاية الانهماك
والاستغراق في اللذات الجسمانية والذين هم عن آياتنا غافلون فلا يعتبرون بالآيات فلا ينظرون في الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدأ والمعاد فلم يعملوا
بالتقليد ولم ينظروا انها تعين الاجتهاد اولئك مأواهم النار فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله بما كانوا يكسبون وفيه تنبيه ان الاعمال السابقة هي المؤثرة
في حصول العذاب الجسماني وهو النار المحسوسة والعذاب الروحاني وهو نار البعد من المألوفات والقطيعة عن السعادات الباقيات فيكون مثاله مثال من
اخرج من … معشوقة فالقي في بئر ظلمانية لا الف بها ولا مؤنس بل يكون فيها انواع الموذيات … فنعوذ بالله من تلك الحالات
هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له واما حال الذي يؤمن به فذلك قوله ان الذين آمنوا استكملوا من جهة القوة النظرية وعملوا الصالحات استكملوا من قبل
القوة العملية او صدقوا بقلوبهم ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء والكتب من عند الله او شغلوا قلوبهم واعضاءهم بتحصيل المعرفة
ثم جوارحهم بالخدمة حتى يكون عيونهم مشتغلة بالاعتبار واذانهم باستماع كلام الله والسنتهم بذكر الله وسائر اعضائهم بطاعة الله يهديهم ربهم بايمانهم قال
اكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم واعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم اي بايمانهم المضموم اليه العمل الصالح … هذا التفسير بوجوه احدها قوله تعالى
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك
فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الآية ان بايمانهم يهديهم ربهم لذلك
من الالطاف والمواضع من الانوار بحيث يزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فيؤدي الى حصول الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له
وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوائد والزوائد الحاصلة في الدنيا بعد الايمان قال القفال على هذا الوجه كان
المعنى يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو وجعل قوله تجري خبرا مستأنفا منقطعا عما قبله والتحقيق في تقرير هذا الوجه ان العلم نور
يحصل في الروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش … بالنقوش الجسمانية فان تراكم النقوش الجسمانية يكدر اللوح والروح
النقوش المعنوية يكاثرها يزيد اللوح الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس في الرجل لمنتهى العلوم والحقائق
… فالانسان اذا آمن بالله فقد اشرق روحه بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له ملكة التوجه الى الآخرة والاعراض عن الدنيا
وبحصول تراكم اشراقات هذه المعارف والملكات يترقى في معارجها لحظة فلحظة ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب
هذه الهداية وفي قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنهما تعدان الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق
ومعنى تجري من تحتهم انهم يكونون في البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والارائك والانهار تجري من بين ايديهم دعويهم فيها قال بعض المفسرين

325

دعاؤهم وندائهم كاية عن لغاية بقوله اللهم اياك نعبد وقيل الدعاء العبادة كقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله واذا تكون هذه عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة ابتهاجا بذكر الله وقيل الادعاء بين المتخاصمين والمعنى ان اهل الجنة يدعون في الدنيا والاخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار بالالهية قال القفال واصله من الدعاء لان الخصم يدعو خصمه الى من يحكم بينهما وقيل اي طريقتهم وسيرتهم وذلك ان المدعي للشيء مواظب عليه فيمكن ان يجعل الدعوى كناية عن الملازمة وان لم يكن في قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل اي تمنيهم كقوله ولهم ما يدعون وتقول العرب ادع ما شئت على اي تمن فكان تمنيهم في الجنة ليس الا تسبيح الله وتقديسه ولقد كانوا في الدنيا يدعون في الحروب لمن يتكلون اليه ويستنصرونه فيقولون يا آل فلان فاخبر الله تعالى عنهم ان شعارهم في الجنة ذكر الله وسكونهم بتحميده وتحيتهم فيها سلام اي بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الله او الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول واخر دعويهم ان الحمد هي ان المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد على التفسير للشان قال اهل الظاهر من المفسرين في سبب تخصيص هذه الاذكار باهل الجنة ان قوله سبحانك اللهم علم بين اهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم اتوهم بما يشتهونه قال ابن جريج ورد في الاخبار انه اذا مر بهم طير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فياتيهم الملك بذلك المشتهى فاذا نالوا منه شهوتهم قالوا الحمد لله رب العالمين وقال القاضي انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل اهل الجنة الجنة ووجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم اي سبحانك عن الخلف في الوعد وقيل اللهم بني آدم في الجنة بعد انقراض الدنيا ما افتخر به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن ان يقال ان لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله قال سبحانك واذا ارتقى منها الى الذات قال اللهم فاعجز عن ذلك المقام واحترق في اوائل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فافاض الخير على جميع المحتاجين ودفع المخافات والمكاره عنهم بكل الممكن وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا اثر نعمة الله عليهم بالاستفاضة والافاضة ختموا الكلام بقولهم الحمد لله رب العالمين وعلى هذا يدور امرهم في العروج والنزول ما داموا في الدنيا فيكون كذلك حالهم في العقبى لقوله كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون والله اعلم **التاويل** الم تر انه اشارتان احداهما من الحق للحق الى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال يا لامي طلبتك في الازل وانت في العدم وطلبي طلبتك في الوجود وبرحمتي ورافتي لك في الازل الى الابد **والثانية** من الحق لنبيه اليه عليه السلام يقول يا انسك معي حين خلقت روحك ولم يكن ثالث وبحبك الذي اجتبيتك حين دعوتك للخروج من العدم فقلت لبيك اي يا سيد فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك وبرجوعك منك الى حين ورانه لك ويا الحكيم الحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب وهو ينسخ الشرائع والكتب كلها الى رجل منهم لما راى فيه رجولية قبول الوحي دون غيره ويحتمل انه كون معنى للناس الناسي عهد الله قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول من خرج من العدم الى الوجود او هو العناية الازلية سبقت رحمتي غضبي لساحر مبين هو في انهم مسحورون الا انه لسحرهم سحرة وصفات وعون النفس ان الذي ربكم هو الذي سوى ثم استوى واحكم وارض نفوسكم بسبعة انواع هي الروح والقلب والعقل والنفس الحيواني والنفس النباتي والصورة المعدنية ثم استوى على عرش القلب يدبر امر السعادة والشقاوة ويقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجوع المقبولين بجذبات العناية التي صورتها خطاب ارجعي الى ربك وحقيقتها انجذاب القلب الى الله واستواء الذهب والمدر عنده او رجوع المردودين بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال وهي نتائج تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس بالقسط اي بكل بحسب كاله ونقصانه جعل شمس الروح ضياء يستنير بها قمر القلب اذا وقع في مواجهتها واذا وقع في مقابلة ارض النفس انكسف ولهذا سمي قلبا لتقلبه اوله بين الروح والنفس وتلك الاحوال هي منازله ومقاماته لتعلموا عدد سني المقامات وحساب الكشوف والمشاهدات ان في اختلاف ليل صفات البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله في سموات الروحانية وارض البشرية من الاوصاف والاخلاق وتبدل الاحوال لآيات ودلالات على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم عن آياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها كالرهابين والبراهمة وبعض الفلاسفة ثم

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ۝ واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ۝ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ۝ واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم

عظيم

7 في نسخة ... الآيات ... الحكيم الذي ... نسخة

عظيم ۝ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون ۝ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون ۝ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ۝ وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ۝ ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين ۝ صدق الله

القراءات لقضي اليهم مبنيا للفاعل اجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الآخرون مبنيا للمفعول ورفع اجلهم اوبدا بفتح اللام وسكون الهاء روى خلف عن الكسائي والاختيار عنه وعن غيره الاشمام لي ان بفتح الياء وكذلك اني اخاف ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو نفسي ان بفتح الياء ابو عمرو وجعفر ونافع لا ادريكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى ابو ربيعة عن البزي وحمزة وقرا حمزة وعلي وابو عمرو وخلف وورش من طريق النجاري والحراز عن هبيرة وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى طريق ابن حمدون بالامالة فعلا ماضيا منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب وكذلك في النحل والروم حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء **الوقوف** اجلهم ط لان ما بعده مستقبل مستانف اي فنحن نذر يعمهون ه او قائما ج يعملون ه ظلموا لا لان الواو للحال ليؤمنوا ط المجرمين ه تعملون ه بينات لا لان ما بعده جواب اذا او بدله ط نفسي ج لان ان النافية لها صدر الكلام ولكن القائل متحد الى اليّ عظيم ه به ز قف والوصل اولى للفاء ولشدة اتصال المعنى من قبله ط تعقلون ه باياته ط المجرمون ه عند الله ط في الارض ط تشركون ه فاختلفوا ط يختلفون ه من ربه ط لاحتمال الابتداء بالامر مع الفاء فانتظروا ج لاحتمال الابتداء والتعليل المنتظرين **التفسير** انه سبحانه ابتدا في هذه السورة بذكر شبهات القوم فالاولى انهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا بالنبوة فازال ذلك التعجب بالانكار وبالدلائل الدالة على صحة المبداء والمعاد فكانه قيل انه ما جاء الا بدلائل التوحيد والاقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع في شبهة اخرى وهي انهم كانوا يقولون ابدا اللهم ان كان محمد حقا فامطر علينا حجارة فاجابهم بقوله ولو يعجل الله الآية وقال القاضي لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالمبداء والمعاد ذكر ان ذلك العذاب من حقه ان يتاخر عن هذه الحيوة الدنيا والا لنافي التكليف وقال القفال لما وصفهم فيما مر بالغفلة اكد ذلك بان من غاية غفلتهم ان الرسول متى انذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى انه لا مصلحة في تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنون او يخرج من اصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول الشدة يدعون الله بكشفها كما يجيء في الآية التالية وفي الرخاء كانوا يستعجلون النبي بالعذاب فقال ما معناه ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لاميتوا واهلكوا قال في الكشاف اصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل منه لهم وقيل التعجيل معناه طلب العجلة الا ان الاستعجال اشهر واظهر فمعنى الآية لو اراد الله عجلة الشر للناس كما ارادوا عجلة الخير لهم وقيل هما متلازمان فكل معجل يريد الاستعجال الا انه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللائق به التكوين واللائق بهم الطلب سمى العذاب في الآية شرا لانه اذى والم في حق المعاقب به ثم ان قوله ولو يعجل كان متضمنا لمعنى نفي التعجيل فيمكن ان يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوي كانه قيل ولكن لا نعجل فنذرهم الزاما للحجة او لمصالح اخرى ثم بين انهم كاذبون في استعجال الشر ولو اصابهم ما طلبوه اظهروا العجز والطيش فقال واذا مس الانسان الضر هي هنا الجنس دعانا لجنبه اللام في معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت في موضع الحال لان الظرف والحال متاخيان فيصح عطف احدهما على الآخر وتاويل احدهما بالآخر اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما او وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد انه يدعو الله تعالى في جميع احواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل ان يراد انه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود او قاعدا غير قادر على القيام او قائما لا يطيق المشي او المضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها او يراد ان من المرضى من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضر قال بعض المفسرين الانسان ههنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع في القران ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به هو الكافر وهذا شبه تحكم لورود مثل قوله هل اتى على الانسان ولا يساعده نقل صحيح والاصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على اللاواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ما هم وهم الذين نظرهم في جميع الاحوال على المقدر الموجد للاشياء حسب ارادته ومشيئته فلا جرم اذا اصابهم السراء شكروا وان اصابتهم الضراء صبروا فانهم في ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج في الآية تقديم وتاخير والتقدير واذا مس الانسان الضر لجنبه او قاعدا او قائما دعانا وضعف بان تعديد احوال الدعاء ابلغ من تعديد احوال الضر لانه اذا كان داعيا على الدوام ثم نسي ذلك في وقت الرخاء كان اعجب ومعنى مر مضى على طريقته التي كان عليها قبل مس الضر او مر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه ومعنى كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من متابعة الشهوات والمزين هو الله او النفس او الشيطان مفرع على مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمى الكافر مسرفا لانه انفق ماله من الاستعداد الشريف

من القوى البدنية والاموال النفيسة في الامور الخسيسة الزائلة من الاصنام التي هي احقر من الاشياء ومن الشهوات الفانية التي لا اصل لها ولا دوام والمسرف في اللغة هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجري مجرى الردع والزجر لهم عن القاء الشبه والاغاليط فقال ولقد اهلكنا القرون وقد مضى تفسير القرن في اول الانعام وكلمة لما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالدلائل والحجج على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا اما ان يكون عطفا على ظلموا او يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي وان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر فالسبب في اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله باصرارهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء وهو الاستيصال الكلي نجزي كل مجرم وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله ثم خاطب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ثم جعلناكم خلائف اي استخلفناكم في الارض من بعد تلك القرون لننظر كيف تعملون خيرا او شرا استعير النظر للعلم الحقيقي الذي لا يتطرق اليه شك ويعني به العلم الذي يتعلق به الجزاء كما مر في الاعراف قال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبهاتهم فقال واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالنشور فانه يرجو ثوابه ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا من رسول الله احد الامرين اما الاتيان بقرآن غير هذا القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله واما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض الآيات ووضع اخرى في مكانها فامره الله تعالى ان يقول في جوابهم ما يكون لي اي ما ينبغي وما يحل ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي فنفى عن نفسه احد القسمين الذي هو اسهل واقل ليلزم منه نفي الاصعب الاكثر بالطريق الاولى ثم اكد الجواب بقوله ان اتبع الا ما يوحى الي ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد واجيب بان رجوعهما ايضا الى الوحي ونقل عن ابن عباس ان قوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وضعف بان النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل ان يكون على سبيل السخرية فقد روى مقاتل والكلبي انهم خمسة نفر من مشركي مكة اي المستهزئون في قوله انا كفيناك المستهزئين ويحتمل ان يكون على سبيل التجربة والامتحان حتى انه ان فعل ذلك علموا انه كاذب او ارادوا ان هذا القرآن مشتمل على ذم آلهتهم فطلبوا قرآنا آخر لا يكون كذلك ثم اكد كون هذا القرآن من عند الله وانه غير مستبد في ايراده فقال لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم ولا اعلمكم الله به على لساني ومن قرأ بدوام الابتداء فمعناه ما تلوته انا عليكم ولا اخبركم الله به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فرآني اهلا لذلك دون غيري وقرئ ولا ادراكم به بالهمز ووجهه ان يكون الهمزة مقلوبة من الالف او يكون من الدرء الدفع والمعنى ادرأته جعلته داريا اي لم اجعلكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا اي لبثا معتبرا من العمر وهو اربعون سنة من قبله اي من قبل نزول هذا القرآن افلا تعقلون فيه قدح في صحة عقولهم لان ظهور مثل هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والاخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء اذا شك فيه انه من قبيل الوحي والمدد السماوي كان ذلك انكارا للضروريات وافتراء على الله فلهذا قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا الآية وفيه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول الى الله لم يكن احد اظلم منه ثم نعى الله اصنامهم معاتبا لهم بنقيض مقصودهم من الالتماس فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه ومن حق المعبود ان يكون مثيبا معاقبا وفيه اشعار بانه جماد والمعبود لا بد ان يكون اكمل من العابد واذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا يليق العبادة الا به ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قد ذكرنا وجه ذلك في اوائل سورة البقرة في قوله فلا تجعلوا لله اندادا ثم انكر عليهم معتقدهم بقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم والمراد انه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور تقول ما علم الله ذلك مني والمقصود انه ما وجد منك قط وفي قوله في السموات ولا في الارض تاكيد آخر لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون اما ان يكون من تمام ما امر النبي ان يقول لهم او ابتداء كلام من الله تنزيها لنفسه عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به ثم بين ان عبادة الاصنام بدعة وان الناس يعني العرب والبشر كلهم كانوا على الدين الحق فاختلفوا وقد مر تفسير مثله في البقرة في قوله كان الناس امة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك في اعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هذا الامر المستحدث الفظيع ولولا كلمة سبقت من ربك من بناء امر الثواب والعقاب على التكليف لا الالجاء والقسر او من تاخير الحكم منهم الى يوم القيمة او من قوله سبقت رحمتي غضبي لقضي بينهم عاجلا وتميز المحق من المبطل ثم ذكر نوعا رابعا من اغاليطهم فقال ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه وقد مر تفسيره في الانعام في قوله وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه كانهم لم يعتدوا بالقرآن آية فاقترحوا غيره تعنتا فقل انما الغيب لله هو مختص بعلمه فانتظروا نزول ما اقترحتموه وهذا امر فيه تهديد ووعيد والله اعلم

واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ۞ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ۞ فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم

فننبئكم

فننبئكم بما كنتم تعملون ۞ انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ۞ والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ۞ للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ۞ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۞ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ۞ فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ۞ هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ۞

يمكرون بياء الغيبة سهل وروح الباقون بالتاء الفوقانية ينشركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير وعلي وسهل ويعقوب الآخرون بفتحها تبلوا بتائين من التلاوة حمزة وعلي [illegible] الباقون بتاء ثم باء موحدة كل بفتح الباقون بتاء التأنيث كل بالرفع الوقوف آياتنا ط خلف وروح [illegible] وروي عن عاصم نبلوا بالنون ثم الباء والموحدة تمكرون ط والبحر ط في الفلك ج للعدول مع ان جواب اذا منتظر احيط بهم لا لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به وان جعل دعوا جوابا عن سؤال سائل فما صنعوا كان للوقف وجه الدين ج لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء في معنى القول الشاكرين ه بغير الحق ط على انفسكم ط اولمن جعله متعلقا ببغيكم تعملون ه والانعام ط عليها لا لان ما بعده جواب اذا بالامس ط يتفكرون ه السلام ط مستقيم ه وزيادة ط ولا ذلة ط الجنة ج خالدون ه بمثلها لا لان قوله وترهقهم معطوف على محذوف اي يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم ذلة عاصم لان الكاف لا يتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى لان وجوه الذلة سواد الوجه المعبر عنه بقوله كانما مظلما ط اصحاب النار ج خالدون ه شركاؤكم ج للعدول مع فاء التعقيب تعبدون لغافلين ه يفترون ه تفسير الجزء [illegible] لما بين في الآية المتقدمة انهم يطلبون الآيات زيادة عنادا ومكرا ولجاجا اكد ذلك بقوله واذا اذقنا روي انه سبحانه سلط القحط على اهل مكة سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار النافعة ثم انهم اضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من القاء شبهة او تخليط في المناظرة وفي تخصيص الاذاقة بجانب الرحمة دليل على ان كثيرا من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وفيه ان الانسان لغاية ضعفه الفطري لا يطيق ذوق الراحة كما انه لا يطيق ذوق الالم الذي يمسه قال في الكشاف معنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم وهذا ايضا من جملة الضعف لانه ينبئ ما يجده من المس الشديد واذا الثانية للمفاجأة وقعت مقام الفاء في جواب الشرط كما مر في قوله اذا هم يقنطون وفائدته ان يعلم انهم فاجؤوا وقوع المكر منهم في وقت الاذاقة وسارعوا اليه ولم يلبثوا قدر ما ينفضون رؤسهم من غبار الضر ولهذا قال سبحانه قل الله اسرع مكرا يقدر على ايصال جزاء مكرهم اليهم قبل ان يرتد اليهم طرفهم ولكنه يمهلهم لاجل معلوم ليتضاعف خبثهم مع كونه محفوظا بيانه قوله ان رسلنا يكتبون ما تمكرون وقد مر تحقيق هذا في تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم ان مضمون هذه الآية قريب من مضمون قوله واذا مس الانسان الضر الا ان في هذه زيادة عليها وفيه هي انهم بعد الاعراض عن الدعاء يشتغلون بالمكر والخديعة ويقابلون الرحمة بالمكر والخديعة ولا يرضون رأسا برأس ثم ضرب لاجل زيادة تفهيمهم مثالا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال هو الذي يسيركم ومن قرأ ينشركم فكقوله فانتشروا في الارض قال بعض العلماء السير في البحر هو الله سبحانه واما في البر فالمراد من التسيير التمكين والاقدار والحق ان جميع الافعال والحركات مستندة الى احداث الله تعالى غاية ذلك ان آثار اقداره واحداثه في البحر اظهر كما مر في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر قال القفال هو الله الهادي لكم الى السير في البر والبحر طلبا للمعاش وهو المسير لكم لاجل انه هيأ لكم اسباب ذلك السير وحتى لانتهاء

الغاية والعناية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة في الشرط ثلثة الاول الكون في الفلك والثاني جري الفلك بهم الريح الطيبة والضمير في جرين للفلك على انها جمع كاثر والثالث فرحهم بها والقيود المعتبرة في الجزاء ثلثة ايضا الاول جاءتها اي الفلك او الريح الطيبة يتلقتها ريح عاصف ذات عصوف كلابن لذات اللبن اولان لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح الثاني وجاءهم الموج من كل مكان اي من جميع جوانب احياز الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر الثالث وظنوا انهم احيط بهم اي غلب على ظنونهم الهلاك واصله ان العدو اذا احاط بقوم او بلد وقد دنوا من البوار فجعل احاطة العدو بالشخص مثلا في الهلاك وقرئ في الفلكي والباء زائدة في الاخرى او اريد به الماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه قال في الكشاف اما التفت في قوله وجرين بهم الى آخره من الخطاب الى الغيبة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم بها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح وقال الامام فخر الدين الرازي الانتقال من مقام الخطاب الى الغيبة في هذه الاية دليل المقت والتبعيد كما ان عكس ذلك في قوله اياك نعبد دليل الرضاء والتقريب قلت وهذا وجه حسن اما قوله دعوا الله مخلصين فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من آلهتهم شيئا واقروا بالربوبية والوحدانية وقال الحسن ليس هذا اخلاص الايمان لكن لاجل العلم بانه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطراري وقال ابن زيد هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاء الضراء والبلاء لم يدعوا الا الله وعن ابي عبيدة ان المراد من ذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا تفسيره يا حي يا قيوم يحكى ان رجلا قال لجعفر الصادق رضي الله عنه ما الدليل على اثبات الصانع فقال اخبرني عن حرفتك فقال التجارة في البحر فقال صف لي كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح من الواحها وجاءت الرياح العاصفة فقال جعفر هل وجدت في قلبك تضرعا فقال نعم قال جعفر فالهك هو الذي تضرعت اليه في ذلك الوقت لئن انجيتنا من هذه الشدة كما مر في الانعام يبغون في الارض البغي قصد الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد واصله الطلب فلهذا اكد المعنى بقوله بغير الحق قال في الكشاف انما زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على ارض الكفرة بهدم دورهم واحراق زروعهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة قلت ويحتمل ان يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق من قرا متاع بالنصب فما قبله جملة تامة اي انما بغيكم وبال على انفسكم وهو مصدر مؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ومن قرا بالرفع فاما على ان التقدير هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام او على انه خبر وقوله على انفسكم صلة اي انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها والبغي من منكرات المعاصي قال صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي اثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم اي لا يتهيأ لكم بغي بعضكم على بعض الا اياما قلائل وهي مدة حيوتكم مع قصرها وسرعة انقضائها ثم الينا وعدا من المجازاة ثم مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون وهو في هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل في معرض التهديد سأخبرك بما فعلت ثم مثلا لمن يبغي في الارض ويغتر في الدنيا ويشتد تمسكه بها فقال انما مثل الحيوة الدنيا اي صفتها العجيبة الشان كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي اشتبك بسبب هذا الماء نبات الارض فيحتمل ان يراد ان نباته تم وصوله الى حد الكمال كلها بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان النبات كان في اول بروزه ومبدا حدوثه غير مهتز ولا مترعرع فاذا انزل المطر عليه اهتز وربي حتى اختلط بعض الانواع ببعض وتكاثف حتى اذا اخذت الارض زخرفها قال الجوهري الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور وازينت اصله تزينت فادغمت واجتلبت لذلك همزة الوصل وهذا الكلام في نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التي تاخذ الثياب الفاخرة من كل لون فتلبسها ثم تتزين بجميع الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوها وظن اهلها اي غلب على ظنونهم او تيقنوا انهم قادرون عليها متمكنون من تحصيل ثمرتها اتيها امرنا بالهلاك او استيصالها وضربها ببعض العاهات ليلا او نهارا اي حين غفلتهم بالنوم او حين اشتغالهم وتقلبهم في طلب معايشهم فجعلناها اي زرعها حصيدا شبيها بالحصيد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن اي كان لم يلبث زرعها بالامس في زمان قريب يقال غني بالمكان بالكسر يغنى بالفتح اذا اقام به والامس مثل في الوقت القريب هذا والصحيح عند علماء البيان ان هذا التشبيه من التشبيه المركب قال في الكشاف شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد ان عاقبة هذه الحيوة التي ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم الرجاء به وقع اليأس لان الغالب ان المتمسك بالدنيا اذا اطمأن بها وعظمت رغبته فيها وانتظم امره بعض الانتظام اتاه الموت وتحقيقه انه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة تحمد فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد ويحتمل ان يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض المزينة اذا زال حسنها فانه يعود ذلك مرة اخرى فكذا النشور وكذلك نفصل الآيات نذكر واحدة منها بعد الاخرى ليكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين وموجبا لزوال الشك لقوم يتفكرون في احوال الآفاق والانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الاخرة بقوله والله يدعو الى دار السلام ومثله ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيد بنى دارا وصنع مأدبة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل ورضي عنه السيد ومن لم يدخل ولم ياكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دار السلام والمأدبة الجنة والداعي محمد وعنه صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق الا الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام واتفقوا على ان دار السلام الجنة واختلفوا في سبب التسمية فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف واما اطلق السلام عليه تعالى لانه سلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص والحدوث ومن الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والآفات والمخافات وقيل لان السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم ان الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ومن هنا ذهب اهل السنة الى ان الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشية الله تعالى وارادته وقالت المعتزلة المراد ويهدي من يشاء اجابة تلك الدعوة يعنون ان من اجاب الدعاء واطاع واتقى فان الله يهديه اليها او المراد من الهداية الالطاف ثم قسم اهل الدعوة الى محسن ومسيء فقال كل طائفة فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا بد من تفسير هذه الالفاظ الثلثة فعن ابن عباس احسنوا اي ذكروا كلمة لا اله الا الله وذهب غيره الى ان المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا تليق الا بهم واما الحسنى فقال في الكشاف المراد المثوبة الحسنى وقال ابن الانباري العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك ترك موصوفها واما الزيادة فحملها اهل السنة على رؤية الله لان النعم في الحسنى معدود بين المسلمين من المنافع التي اعدها الله لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها فما هي الا الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وايضا فان الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين وجب ان يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره اعطيتك عشرة امنان من الحنطة وزيادة اما

اذا كان غير مقدر كما لو قيل اعطيتك الحنطة وزيادة لم يجب ان يكون الزيادة من جنس الحنطة والمذكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شيء مغاير لكل ما في الجنة وعن علي كرم الله وجهه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة هي ان تمر السحابة باهل الجنة فيقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وهذا شان المنافع الحاصلة لهم واما انها منافع خالصة عن الكدورات فافاد ذلك بقوله ولا يرهق اي لا يغشى وجوههم قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال ثم اشار الى كون تلك المنافع الخالصة آمنة من الانقطاع بقوله اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا معنى قول علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الآخر بقوله والذين اي وجزاء الذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها اي جزاؤهم ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز ان يكون التقدير وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على ان المراد بالزيادة في الآية المتقدمة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله وفي اثبات ان يكون قد دل هناك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وترهقهم ذلة فانهم حين ماتوا ناقصين خالين عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سببا لذلهم وهوانهم في انفسهم هذا على قاعدة حكماء الاسلام ان الجهل سواد وظلمة كما ان العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي رحمه الله شعر كل بيت انت ساكنه غير محتاج الى السرج وجهك المامول حجتنا يوم ياتي الناس بالحجج ومرتضى انت عائده قد اتاه الله بالفرج مالهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من عذابه وسخطه او ما لهم من الله من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق انه لا عاصم من الله لا في الدنيا ولا في الآخرة الا باذن الله الا ان هذا المعنى في الآخرة اظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجوههم فقال كانما اغشيت اي البست وجوههم قطعا من الليل من قرا بسكون الطاء فالمعنى البعض والطائفة ومظلما صفته ومن قرا بفتحها على انه جمع قطعة فمظلما حال من الليل والعامل فيه اما معنى الفعل في من الليل او اغشيت لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاء العامل الى الموصوف كافضائه الى الصفة قاله في الكشاف واعلم ان جمعا من العلماء ذهبوا الى ان المراد بقوله والذين كسبوا السيات هو الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر بدليل قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ولقوله بعده ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك وقال الآخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا ان الآيات المذكورة مخصصة ثم شرح بعض احوال المشركين في القيمة فقال ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بهنالك اي في يوم كذا تبلو كل نفس وحاصل الكلام انه يجمع العابد والمعبود ليسالوا فيتبرأ المعبود عن العابد خلاف ما كانوا يزعمون من قولهم شفعاؤنا وفيه اشارة الى ان الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا تبرأ من ذلك في مقام لا ينفع الا الصدق قال في الكشاف مكانكم اي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وعن ابي علي هو اسم من اسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب وانتم تاكيد للضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيل عين الكلمة واو لانه من زال يزول وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل اي فيولنا مثل بيطر فاعل اعلال سيد وقيل هي من زلت الشيء ازيله فعينه على هذا ياء والوزن فعل ونظير زيلنا قولنا ونادى اصحاب الاعراف لان حكم الله بانه سيكون كالكائن وقال شركاؤهم في صحة هذه الاضافة وجوه منها انهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها انهم مشاركون في قوله مكانكم ومنها انهم اثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد وانه لا يليق بالملائكة المقربين وكيف تنطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحيوة والعقل والنطق ثم بل يبقيهم او يفنيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه وقيل يخلق فيهم الكلام فقط وهذا الخطاب تهديد في حق المعبودين قالت المعتزلة لانه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له يقبح من الله تهديده وتخويفه وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل اما قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد انكم ما عبدتمونا بامرنا وارادتنا لقولهم فكفى بالله شهيدا الآية ومن عظم اسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل ان ذلك الموقف موقف الدهشة والحيرة فذلك الكذب يجري مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا فجعلوا كالعدم وقيل المراد انهم عبدوا الشياطين حيث امروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب في القيمة فلا اشكال هنالك اي في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل ومن قرا بالنون فالمعنى نفعل بها فعل الخابر او نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما اسلفت من الشر ومن قرا تتلوا بالتائين فمعناه تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرا في صحيفتها ما قدمت من خير او شر وردوا الى الله مولاهم الحق الصادق ربوبيته وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او كانوا يختلقون من شفاعة الآلهة والحاصل انهم يرجعون عن الباطل ويعترفون بالحق حين لا ينفعهم ذلك والله اعلم التاويل واذا اذقنا الناس ذوق توبة وانابة او ذوق كشف وشهود من بعد ضراء وهي الفسوق والاخلاق الذميمة وحجب الاوصاف اذا لهم مكر في آياتنا باظهارها الى غير اهلها بشرب النفس وطلب الجاه والقبول قل الله اسرع مكرا فيستدرجهم عن تلك المقامات الى دركات البعد من حيث لا يشعرون هو الذي يسيركم في بر البشرية وبحر الروحانية او في بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم في فلك جذبات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم نشوة الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها نكباء تجلي صفات الجلال وجاءهم موج البلايا والمحن من كل مكان لشعر البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما انجاهم فيه اشارة الى ان ارباب القلب لما وصلوا بجذبات الحق الى الشهود وتجلى واستغرقوا في بحر الجلال استقبلتهم عواصف العزة والكبرياء فيستدرجهم الى البغي وهو الطلب في ارض ما سوى الحق بغير الحق كماء انزلناه من سماء القلب الى ارض البشرية فاختلط به الصفات المتولدة من ارض البشرية مما ياكل الناس والانعام من الصفات الحميدة الانسانية والذميمة البهيمية اتيها حكمنا الابتلاء ليلا اي عند استيلاء ظلمات صفات النفس او نهارا اي عند بقاء ضوء الفيض الروحاني لكنه باستراج القوة الخيالية والوهمية فيقع في ورطة العقائد الباطلة كالبعض الفلاسفة والمبتدعة والله يدعو الى دار السلام وهي مقام الفناء لان صاحبه يسلم عن آفات الحجب او مقام العلم والمعرفة لان صاحبه يسلم عن آفات الاغنية والجهالة ويهدي من يشاء بجذبات العناية الى صراط مستقيم يؤدي الى السير بالله في الله للذين احسنوا الحسنى فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه والحسنى هي شواهد الحق والنظر اليه والزيادة الجنة وما فيها من النعيم او هي ما زاد على النظر من افناء الناسوتية في اللاهوتية والله ولي التوفيق منه الاجابة والقبول

قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج

الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل
افلا تتقون ۝ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى
تصرفون ۝ كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون
قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده
فانى تؤفكون ۝ قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي
للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم
كيف تحكمون ۝ وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق
شيئا ان الله عليم بما يفعلون ۝ وما كان هذا القرآن ان يفترى
من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين ۝ ام يقولون افتريه قل فاتوا بسورة
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ۝
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ۝ ومنهم من يؤمن به ومنهم
من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين ۝ وان كذبوك فقل لي
عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون ۝ صدق الله

القراءة كلمات ربك وكذلك في آخر السورة على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدي مثل يرمي حمزة وعلي وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال ابو جعفر ونافع غير ورش وعباس ابو عمرو غير عباس باشمام الفتحة قليلا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وحبلة وزويس يهدي بكسرتين والتشديد يحيى يهدي بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس الوقوف يدبر الامر ط اسرع تتقون ۝ ربكم الحق ج للاستفهام مع الفاء الا الضلال ج تصرفون ۝ لا يؤمنون ۝ ثم يعيده الاول ط تؤفكون ۝ الى الحق ط للحق ط ان يهدى ج لما مر فما لكم قف لحق الاستفهام الثاني تحكمون ۝ الا ظنا ط شيئا ط يفعلون ۝ العالمين ۝ افتريه ط صادقين ۝ تاويله ط الظالمين ۝ لا يؤمن به ط بالمفسدين ۝ عملكم ج لان انتم مبتدا والقائل واحد تعلمون ۝ التفسير لما بين فضائح عبدة الاوثان اكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من احوال الرزق والحواس والموت والحيوة والابداء والاعادة والارشاد والهداية وقدم الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسؤل ليكون ابلغ في الزام الحجة واوقع في النفوس فالحجة الاولى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض بانزال الامطار النافعة الموجبة لتولد الاغذية النباتية والحيوانية في الارض بعد رعاية شرائط تربيتها وانمائها وحفظها من العاهات امن يملك السمع والابصار خص الحاستين بالذكر لما في خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان صلى الله عليه وسلم يقول سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ولما في تحصينهما من الآفات في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء مزيد قوة ورأفة ومن يخرج الحي من الميت الحيوان الماشي والطائر من النطفة والبيضة فقد مر سائر الاقوال في سورة الانعام ومن يدبر الامر عمم بعدما خصص لان اقسام تدبيره تعالى في العالم العلوي والعالم السفلي وعالمي الغيب والشهادة امور لا نهاية لها وذكر كلها كالمتعذر فسيقولون الله وفيه دليل على انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انها شفعاؤهم وانها يقربهم الى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين في هذا الاعتقاد ولهذا ختم الآية بقوله فقل افلا تتقون الله الذي اعترفتم بانه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف اشركتم بعبادته الجمادات التي لا تقدر على نفع او ضر فذلكم الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة ربكم الحق الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان فماذا بعد الحق ذا مزيدة وما نافية او استفهامية او مجموع ماذا كلمة واحدة معناها اي شيء بعد الحق الا الضلال والمراد انه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكنا لذاته باطلا دعوى الالهية لان واجب الوجود يجب ان يكون واحدا في ذاته وفي صفاته وفي جميع اعتباراته والا لزم افتقاره الى ما انقسم اليه فلا يكون واجبا هذا خلف محال ولهذا ختم الآية بقوله فانى تصرفون كيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر فتقعون في الضلال اذ لا واسطة بين الامرين فمن تخطى احدهما وقع في الآخر كذلك اي كما حق وثبت ان الحق بعد الضلال او كما حق انهم مصروفون

عن الحق

قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي في العربية والفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله اي لا تستعينوا بالله وحده وثم استعينوا بكل من سواه ان كنتم صادقين انه افتراه قال بعض العلماء هذه الآية في سورة يونس وهي مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح ان التحدي واقع على اقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يكن الاتيان بمثل القرآن صحيح الوجود في الجملة لم يتحد العرب بكونهم تحدوا بذلك فدل على ان القرآن محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدي واجيب بان القرآن يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدي انما وقع بهذه لا بتلك بل كذبوا سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه وهو القرآن ولما ياتهم تاويله ومعنى التوقع فيه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوا به بعد التدبر وتكرير التحدي عليهم واستيقان عجزهم عن مثله بغيا وحسدا وعنادا ولددا وانما حملهم على التكذيب امور واحد وجوه منها انهم وجدوا في القرآن اقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا اساطير الاولين وخفي عنهم ان الغرض منها بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلف ان الدنيا ليست مما يبقى فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون ان لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها انهم كلما سمعوا حروف التهجي في اوائل السور ولم يفهموا منها شيئا ساء ظنهم بالقرآن فاجابهم الله تعالى عنه بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب الى قوله واخر متشابهات الآية ومنها انهم رأوا القرآن يظهر شيئا فشيئا فاتهموا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة ومنها انهم وجدوا القرآن مملوا من حديث الحشر والنشر وكانوا قد الفوا المحسوسات فاستبعدوا ذلك ومنها ان القرآن فيه تكاليف كثيرة من الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان اله العالم غني عنا وعن طاعتنا كذلك كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات انبيائهم قال اهل التحقيق في الآية دلالة على ان من كان غير عارف بوجوه التاويل قد يقع في الكفر والبدعة لان ظواهر النصوص قد تتعارض فيفتقر هنالك الى تطبيق التنزيل على التاويل وقيل معنى الآية ان القرآن كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ومن جملتها احوال الآخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى تسرعهم الى التكذيب به قبل ان ينظروا الى نظمه ويبلغوا حد الاعجاز وقوله ولما ياتهم تاويله اشارة الى تكذيبهم قبل ان يجربوا اخباره بل يطابق الواقع ثم ختم الآية بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمراد انهم طلبوا الدنيا واعرضوا عن الآخرة فلم يبق عليهم الدنيا وفاتتهم الآخرة فبقوا في خسر الدارين وقيل المقصود عذاب الاستيصال الذي نزل بالمكذبين من قبلهم ثم قسم طوائف المكذبين فقال ومنهم من يؤمن به اي بالقرآن او بالرسول اي

يصدق به بنفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ومنهم من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن ان يقال المراد به قسمتهم في الاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيبقى على الكفر فيكون الآية كالعذر في تبقيتهم وعدم استيصالهم وربك اعلم بالمفسدين فيجازيهم على حسب مراتبهم في التكذيب او ليب طوياتهم بل يتوبون او ينصرون ثم بين اختصاص كل مكلف بافعاله ونتايج اعماله من الثواب والعقاب فقال وان كذبوك فقل لي عملي وجزاء عملي على الاتيان والايمان وتبليغ الرسالة ولكم عملكم قال مقاتل والكلبي هي منسوخة باية القتال والتحقيق ان اية القتال لا ترفع شيئا من مدلولات هذه فلا نسخ التاويل قل من يرزقكم اي من ينزل من سماء النفس مطر الهواجس ويخرج من ارض البدن نبات الافعال والاعمال او ينزل من سماء القلب مطر اثار فيض الروح وتخرج من ارض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية او ينزل من سماء الروح ويخرج من ارض القلب نبات الاوصاف الحميدة او ينزل من سماء القدرة مطر الفيض الرباني ويخرج من ارض الروح المحبة والاخلاق الالهية او ينزل من سماء الذات مطر تجلي الصفات ويخرج من ارض الروح المحبة والاخلاق الالهية او ينزل من سماء الذات مطر تجلي الصفات ويخرج من ارض الوجود نبات الفناء في الله وثمرات البقاء بالله ام من يملك السمع والابصار فيكون سمعه الذي يسمع وبصره الذي به يبصر يخرج الحي من الميت النفس من القالب والقلب من النفس والروح من القلب وبالعكوس ومن يدبر الامر اي ان الانسان بالتربية من مرتبة الى ان يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل لمن بلغ نظره الى هذه المراتب العلية وانها عتبة باب التوحيد والمعرفة الا تتقون بالله عن غيره لتدخلوا بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك بهذا جرى القلم في الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور حين رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب وتفصيل الجملة التي هي مكتوبة عنده في ام الكتاب وهو علمه القائم بذاته وربك اعلم بالمفسدين الذين افسدوا استعدادهم الفطري اعوذ بالله منهم والله ولي التوفيق

ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون
ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض
الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون
ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي
ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا
يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قل ارايتم ان اتيكم عذابه
بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به
الآن وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب
الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك احق
هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت
ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات و
الارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي و
يميت واليه ترجعون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم

شفاء

شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل ارايتم ما انزل الله
لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان الله لذو فضل
على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون صدق الله

افانت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف ولكن الناس بالتخفيف والرفع حمزة وعلي وخلف يحشرهم بالياء حفص ... نرينك او نتوفينك الموت الحقيقة ... الآن ... بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام حيث كان ... فليفرحوا ... بالغيبة يجمعون ... وقراءة زيد ...
... يعقلون ه اليك ط لا يبصرون ه يظلمون ه بينهم ط مهتدين ه يفعلون ه رسول ج ...

[illegible]

ولكل رسول ثم امره ان يجيب بما يحسم مادة الشبهة وهو قوله قل لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله قال العـ انه استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب ثم بين ان احدا لا يموت الا بانقضاء اجله وان العذاب طائفة امد محدود لا يتجاوزه فلا وجه للاستعجال فقال لكل امة اجل الاية وقد مر تفسير الاية في اوائل الاعراف الا انه ادخل الفاء هاهنا في الجزاء لانه بني على الاستئناف او البيان بخلاف ما هنالك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل امة اجل فلم يحسن الجمع بين الفاءين ثم زيف رايهم في استعجال العذاب مرة اخرى فقال قل ارايتم اي اخبروني ان اتاكم عذابه بياتا اي في حين الغفلة والراحة او نهارا حين الاشتغال بطلب المعاش كما مر في اول الاعراف ماذا يستعجل اي شيء يستعجل منه اي من العذاب المجرمون وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه دلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه وان ابطا مجيئه فضلا ان يستعجله ومن للبيان او للابتداء والمعنى ان العذاب كله مر المذاق موجب النفار فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال او المراد التعجب كانه قيل اي شيء هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير في منه لله تعالى وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال وتعرفوا الخطاء فيه وماذا الجملة مفعول ارايتم ويجوز ان يكون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم ويجوز ان يكون اعتراضا وجواب الشرط اثم اذا ما وقع امنتم به والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء والان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون على جهة التكذيب والانكار وقوله ثم قيل عطف على قيل المقدر قبل الان والحاصل ان الذي تطلبونه ضرر محض عار عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك وانما قال انه ضرر محض لانهم اذا وقع العذاب فاما ان يؤمنوا وايمان اليأس غير مقبول واما ان لا يؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب اخر اشد وادوم وهو قوله تعالى على سبيل الاهانة ذوقوا عذاب الخلد فان قلت الله الغني عن الكل فكيف يليق برحمته هذا الوعيد والتهديد جوابه بل تجزون الا بما كنتم تكسبون فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقوله الحكيم او ترتب الاجر الواجب عند المعتزلة او بحكم الوعد المحض عند اهل السنة وتفسير الكسب المذكور في البقرة في قوله لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ثم حكى عنهم نوعا اخر من الجهالات بعد هذه البيانات [illegible] فقال ويستنبئونك احق هو وهو استخبار على جهة الاستهزاء والانكار اي احق ما تعدنا به من نزول العذاب في العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب غير مرة واحدة لا حاجة ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه وقيل المراد احق ما جئت به من القرآن والشرائع وقيل اي ما تعدنا من البعث والقيمة فامره الله تعالى ان يجيبهم بقوله قل اي وربي ومعناه نعم وكثيرا ما تستعمل مع القسم البتة وفائدة هذا القسم في جوابهم ان يكون قد ابرز الكلام معهم على وجه المعتاد بينهم استمالة لقلوبهم ومن الظاهر ان من اخبر عن شيء واكده بالقسم فقد اخرجه عن حد الهزل واللغو وادخله في باب الجد فقد يكون هذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم الد ثم اكد مضمون المقسم عليه بقوله وما انتم بمعجزين فائتين العذاب والغرض التنبيه على ان احدا لا يدفع نفسه عما اراد الله وقضى ثم زاد في التاكيد بقوله ولو ان لكل نفس الاية وقد مر مثله في ال عمران والمائدة وظلمت صفة لنفس والمراد ولو ان لكل نفس ظالمة واسروا الندامة فقد قيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب اي اظهروا الندامة حين لا ينفعهم وليس هناك تجلد والمشهور انه للاخفاء وسببه انهم بهتوا حين عاينوا ما سلبهم قواهم فلم يطيقوا صراخا ولا بكاء او اخفوا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اي [illegible] او اراد بالاخفاء الاخلاص لان من اخلص في الدعاء اسره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم لانهم اتوا بها في غير وقتها وقضي بينهم بالقسط قيل اي بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم وان اشترك كلهم في العذاب ثم ذكر ما يجري مجرى الدليل على ان له جميع ما في السموات والارض [illegible] والقدرة على الاحياء والاماتة والابداء والاعادة وقيل في وجه النظم انه لما ذكر حديث الافتداء بين انه ليس للظالم شيء يفتدي به فان كل الاشياء لله ملكه وملكه وقيل انه لما اقسم على حقيقة ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وكان دليلا اقناعيا اراد ان يصححها بالبرهان النير فذكر ان كل ما في العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوي وسفلي وبسيط ومركب فهو ملكه وملكه فلكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر على ايصال الرحمة الى اوليائه والعذاب الى اعدائه ولكونه منزها عن النقائص والافات يكون بريئا عن الخلف في الوعد والايعاد وفي تصدير الكلام بكلمة الا تنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين وتقريع للناظر في الاسباب الظاهرة القائلين البستان للامير والدار لعمرو والغلام لزيد والجارية لعمرو ولا يعلمون ان كلها عواري وودائع ولا بد يوما ان ترد الودائع وقد علم ان الطريق الى اثبات نبوة الانبياء امور احدها ظهور المعجزات على يده ومطابقة الدعوى وقد ذكره سبحانه في هذه السورة على احسن الوجوه حيث قال وما كان هذا القرآن ان يفترى الى تمام الايتين والثاني ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو فكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا انه النبي الحق فاشار سبحانه الى هذا الطريق بقوله يا ايها الناس الاية فوصف القرآن بصفات اربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغي كالطبيب ينهى المريض الا عما يضره الثانية كونه شفاء لما في الصدور بتحصيل العقائد الحقة والاخلاق الحميدة وهذا بالحقيقة كالطبيب بعد الحمية يزيل المرض والاخلاق المذمومة ويزيل الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصائبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسببه وذلك انه اذا زالت الملكات الردية التي هي بمنزلة الظلمة فصارت مراة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع فيها نقش الملكوت وتجلى لها قدس اللاهوت الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك ان النفس البالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض انوارها على ارواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وانما خص المؤمنين بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى جهة ارواح الانبياء المطهرين لم ينتفع بانوارهم كما ان كل جرم لم يقع في مواجهة قرص الشمس لا يستضيء بنورها والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهي الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقائد الفاسدة والاخلاق المذمومة بتحصيل اضدادها وهي الطريقة والهدى عبارة عن ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهي الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق الى حيث تصير مكملة للناقصين وهي النبوة ولما ارشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية ذكر انها هي التي يجب ان يحمل الفرح بحصولها دون السعادات الفانية الجسمانية فقال قل بفضل الله وبرحمته قال في الكشاف اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وعلى هذا يكون قل اعتراضا ومن قرا بتاء الخطاب فتعاضد على النقل عن زيد بن ثابت فبذلك فلتفرحوا يا اصحاب محمد هو خير مما

يجمع الكفار ونسبت هذه القراءة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاصل والقياس لانه ادل على الامر بالفرح واشد تصريحا به وانما قلنا انه الاصل لان حكم الامر في المخاطب والغائب واحد الا انه خفف امر المخاطب بحذف اللام وبحذف حرف المضارعة لكثرة الاستعمال فاضطروا الى همزة الوصل ومن قرا تجمعون بتاء الخطاب فانه عنى المخاطبين والغائبين جميعا الا انه غلب الخطاب كما يغلب او كانه اراد المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية الروحانية على النوازع النفسانية الجسدانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الالام والمعنى العدمي لا يستحق الفرح به وبتقدير ان يكون صفات ثبوتية الا ان التضرر بالامها اقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع وهي اقوى اللذات الى الم القولنج وسائر الالام القوية وايضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومداخل الالام كل جزء من اجزاء البدن وايضا اللذات الجسمانية لا بقاء لها مثلا اذا زال الم الجوع زال الالتذاذ بالاكل وكل ما لا بقاء له لا يشتد فرح العاقل بحصوله ولو لم يحصل في لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس والجوارح في تحصيلها لكفى وقد علم ان الفرح الحاصل بحدوث الولد لا يعادل الحزن الواقع عند موته وفيه قال المعري شعر ان حزنا في ساعة الموت اضعاف سرور في ساعة الميلاد تبين بهذه الوجوه ان الفرح انما يجب ان يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانيات الزائلات اما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله ما روي عن ابي سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من اهله ثم اشار الى طريق ثالث في اثبات النبوة فقال قل ارايتم الاية وتقريره انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها فان كان هذا بمجرد التشهي فذلك طريق باطل مهجور بالاتفاق لادائه الى التنازع والتشاجر واختلاف الاراء وافتراق الاهواء وان كان لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول ارسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله تعالى وفي الاية ايضا اشارة الى فساد طريقتهم في شرعهم واحكامهم من تحريم السائبة والبحيرة وقولهم هذه انعام وحرث حجر وغير ذلك وما انزل بالجملة في محل الرفع بالابتداء وخبره الله اذن لكم وقل مكرر للتاكيد والرابطة محذوف والجملة من المبتدا والخبر متعلق بارايتم والمعنى اخبروني الذي انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الله اذن لكم في تحريمه وتحليله ام على الله تفترون وعن الزجاج ان ما في ما انزل بمعنى الاستفهام منصوبا بانزل وانه مع معموله مفعول ارايتم معناه اخبرونيه وعلى هذا يكون قل الله كلاما مستانفا ومعنى انزل خلق وانشا كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وذلك ان كل ما في الارض من زرع او ضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء وقال في الكشاف ويجوز ان يكون الهمزة في الله للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء ثم قال وما ظن الذين يعني اي شيء ظنهم في ذلك اليوم الصنيع بهم فيه وهو في صورة الاستفهام ولكن المراد تعظيم وعيد من يفتري على الله حيث ابهم امره وكفى به زاجرا للمفتي في الاحكام بغير علم فلينتق الله ولينظر ان الله لذو فضل على الناس اذ انعم عليهم بالعقل ورحمهم بارسال النبي وتعليم الشرائع ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة بجحدها او مخالفتها التاويل افانت تسمع الصم منهم اذان القلوب افانت تهدي العمي عمى ابصار البصائر ويوم نحشرهم حشر العوام خروج اجسادهم من القبور الى الحشر وحشر الخواص خروج ارواحهم الاخروية من قبور اجسامهم الدنيوية بالسير والسلوك وحشر الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الى هوية الربانية كما قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرفون تفاوت مقامات كل صنف من مولاه واما نرينك بعض الذي نعدهم بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن او نتوفينك فبلغناك اقصى المراتب ومقامك المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطراريا لا اختياريا ثم الله شهيد على ما يفعلون من خسارة الدارين ولكل امة رسول في الظاهر من الانبياء والباطن من الهام الحق لكل امة اجل في السعادة والشقاوة بياتا اي في الازل او نهارا اي يظهر الان ماذا قدر لكم في الازل قل اي وربي انه لحق اي انتم بربك الذي يربيك ان وقوع الامور الاخروية حق لانك عبرت على الجنة والنار ليلة المعراج فلكت بافنا والمسعد او الا ان لله ما في سموات الارواح وارض القلوب والنفوس الا ان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة في الازل حق هو يحيي قلوب بعضهم بالمعرفة ويميت قلوب آخرين بالجهل او يحيي بالنور ويميت بالظلمة او يحيي بصفة الجمال ويميت بصفة الجلال يا ايها الناس يا ايها النسيان قد جاءتكم موعظة هي خطاب الست بربكم وهو دواء العشق وشفاء من ذلك الداء وهو توفيق اجابة بلى لما في الصدور وهو القلب فانها درة صدف الصدر وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة اتصال امداد الفيض الى ان يبلغ غاية الكمال ويفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو استماع الخطاب وبرحمته وهو الابقاء على مدلول الخطاب فليفرحوا هو خير مما يجمعه اهل الدنيا في دنياهم ما انزل الله لكم من رزق القلوب والارواح فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما على انفسكم وحلالا على غيركم اي حدثت انفسكم بان تحصيل هذه السعادات ونيل تلك الكرامات ليس من شاننا وانما هو من شان الانبياء وخواص الاولياء قل الله اذن لكم ان تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها ام على الله تفترون بان الدعوة اختصت بهم دوننا ان الله لذو فضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطري والله اعلم بحقيقة الحال وهو علام الغيوب

وما تكون في شان وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا
عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب
مبين ۞ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞
الذين امنوا وكانوا يتقون ۞ لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ۞ ولا يحزنك
قولهم ان العزة لله جميعا وهو السميع العليم ۞ الا ان لله من

في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ۝ هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون ۝ قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما
في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون
على الله ما لا تعلمون ۝ قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا
يفلحون ۝ متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون صدق الله العظيم

شان بغير همز حيث كان ابو عمرو وغير شجاع والاعشى ويزيد والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يعزب بالكسر حيث كان علي الباقون بالضم ولا اصغر ولا اكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب والمفضل الاخرون بالنصب الوقوف تفيضون فيه ط مبين ه يحزنون ج لان الذين يصلح صفة للاولياء ويصلح نصبا ورفعا على المدح فيوقف على يتقون ه او ابتداء خبره لهم البشرى فلا يوقف على يتقون وفي الاخرة ط لكلمات الله ط العظيم ه لانه لو وصل لاوهم ان الضمير عائد الى الاولياء وقول الانبياء لا يحزن الرسول قولهم م لئلا يوهم ان قوله ان العزة مقول الكفار جميعا ط العليم ه الارض ط شركاء ط يخرصون ه مبصرا ط يسمعون ه سبحانه ط الغني ط وما في الارض ط بهذا ط لا تعلمون ه لا يفلحون ه يكفرون ه

لما بين فساد طريقة الكفار في عقائدهم واحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل احد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال وما تكون يا محمد في شان اي امر من الامور. واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده. قال ابن عباس اي في شان من اعمال البر. وقال الحسن في شان الدنيا وحوائجها. وما في وما تكون وما تتلو نافية. والضمير في منه اما لله عز وجل اي نازل من عنده واما للشان لان تلاوة القران شان من شؤون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه ولهذا افرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل. واما للقران والاضمار قبل الذكر تفخيم له كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران. ثم عمم الخطاب فقال ولا تعملون ايها المكلفون من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء. والجمع للتعظيم او لان المراد الملائكة الموكلون. اذ تفيضون فيه الافاضة الشروع في العمل على جهة الانصباب الا ان ومنه قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات. قيل شهادة الله علمه فيلزم انه لا يعلم الاشياء الا بعد وجودها. والجواب ان الشهادة علم خاص فلا يلزم امتناع تقدم العلم المطلق على الشيء كما لو اخبرنا الصادق ان زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين. ثم زاد في التعميم فقال وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب ومنه كلا عازب اي بعيد والرجل العزب لبعده عن الاهل. ومعنى مثقال ذرة قد مر في قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذلك في سورة النساء. والمقصود انه لا يغيب عن علمه شيء اصلا وان كان في غاية الحقارة. وانما قال ههنا في الارض ولا في السماء خلاف ما في سبأ وهو المعهود في القران لان الكلام سيق لشهادته على شؤون اهل الارض فناسب ان يقدم ذكر ما في الارض. هذا بعد تسليم ان الواو تفيد الترتيب. ثم بالغ في تعميم علمه فقال ولا اصغر من ذلك ولا اكبر. من قرأ بالنصب على نفي الجنس او بالرفع على الابتداء ليكون كلاما براسه فلا اشكال واما من جعل منصوبه معطوفا على لفظ مثقال لانه في موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف وجعل مرفوعه معطوفا على محل من مثقال لانه فاعل يعزب فاورد عليه اشكال وهو انه يصير التقدير لا يعزب عنه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب ويلزم منه ان يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن ان يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم اوجده الله ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم اخر اوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا القسم الثاني متباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب الوجود فالمراد من الاية انه لا يبعد عن مرتبة وجوده شيء في الارض ولا في السماء الا وهو في كتاب مبين وهو كتاب اثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على من يزعم انه غير عالم بالجزئيات. او نقول ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو في كتاب مبين. وذكر ابو علي الجرجاني صاحب النظم ان الا بمعنى الواو على ان الكلام قد تم عند قوله ولا اكبر ثم وقع الابتداء بكلام اخر فقال الا في كتاب اي وهو ايضا في كتاب مبين. والعرب تضع الا موضع واو النسق كثيرا ومنه قوله اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا. ثم لما بين احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين اتبعها تفصيل كل فريق فقال الا ان اولياء الله الاية والتركيب يدل على القرب فكانهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم في نور معرفته وجماله وجلاله. قال ابو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة اليه. وقال المتكلمون ولي الله من يكون اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اتيا بالاعمال الصالحة الواردة في الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى في وصفهم الذين امنوا وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الى حال القوة العملية. وههنا مقام اخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون التقوى متقيا في كل الاحوال اما في موقف العلم فبان يقدس ذاته عن ان يكون مقصورا على ما عرفه او يكون كما وصفه. واما في مقام العمل فان يرى عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله فيكون ابدا في الخوف والدهشة. واما نفي الخوف والحزن عنهم فقد مر تقريره في اوائل سورة البقرة. وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكرون الله برؤيتهم يعني ان مشاهدتهم تذكر امر الاخرة لما فيهم من اثار الخشوع والاخبات

بالسكينة

سكينة. وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الاية. يحكى ان ابراهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه وجاءت السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق على رأس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما اصبح وزالت تلك الحال ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على يده فاظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف يليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا البارحة ما تحملنا بسبب القوة الواردة من الغيب فلما غاب ذلك الوارد فانا اضعف خلق الله. ثم اخبر سبحانه عنهم بان لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فقيل بشراهم في الدنيا ما بشرهم الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات. وقيل انها عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن ابي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن. والدليل العقلي عليه ان الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا لكل احد اذا اتصف لم يجده. ولا كمال للعبد اتم واشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله محبوب بالذات فمتى تجلى في قلب حصل كان محبوبا وما الطبع لما سوى الله. وقيل هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له. وعنه صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات. قيل وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة. وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة. والسبب في تخصيص هذا العدد ان النبي صلى الله عليه وسلم استنبئ بعد اربعين سنة الى استكمال عمره وهو ثلث وستون سنة وكان يأتيه الوحي اولا بطريق المنام ستة اشهر. ونسبة هذه المدة الى ثلث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة واربعين. واما الرؤيا الصادقة توجب البشارة فلانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الى عالم القدس والاطلاع على بعض ما هنالك. وعن عطاء البشرى في الدنيا عند الموت تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة. والبشرى في الاخرة تلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها الى غير ذلك من احوالهم في الجنة. لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا خلف لمواعيده وقد مر مثله في الانعام. ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كقولك فلان ينطق بالحق والحق ابلج. قال القاضي لا تبديل لكلمات استدل على انها قابلة للتبديل لان كل ما قبل العدم امتنع ان يكون قديما. وتحليل المنع ظاهر فان نفي شيء عن شيء لا يلزم منه امكانه له كقول الموحد لا شريك لله. ثم تسلى رسوله عن تشنيع الفريق المكذبين فقال ولا يحزنك او نقول انه لما ازال الحزن عنه في الاخرة بقوله الا ان اولياء الله ازال الحزن عنه في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم اي تكذيبهم لك وتهديدهم بالخدم والاموال وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وبالجملة كل ما يتكلمون به في شانك من المطاعن والقوادح. ثم استأنف قوله ان العزة كانه قيل مالي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا ان الغلبة والقهر له ومن جملته كتب الله لاغلبن انا ورسلي. وقري انّ بالفتح لا على انه بدل فان ذلك يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل ان التقدير لان العزة على صريح التعليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واثقا بوعد الله تعالى في جميع الاحوال وان كان قد يقع في بعض الحروب والوقائع انكسار وهزيمة فان الامور بخواتيمها. ثم اكد الوعد بقوله هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويكافئهم. ثم زاد في التاكيد مع اشارة الى فساد عقيدة المشركين فقال الا ان لله من في السموات ومن في الارض تخصيص ذوي العقول اما للتغليب واما لان الاية سيقت لبيان فساد عقائد اهل الاشراك فذكر ان العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيد له ولا يصلح احد منهم لان يكون شريكا له فما وراءهم ممن لا يسمع ولا يعقل كالاصنام اولى بان لا يكون ندا له. ثم اكد هذا المعنى بقوله وما يتبع ما نافية ومفعول يدعون محذوف اي ليس يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة انما هي اسماء لا مسميات لها لان شركة الغني في الربوبية محال. واما حذف احد المكررين لدلالة الثاني عليه فالاول مفعول يدعون والثاني مفعول يتبع. ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى اي شيء يتبعون وشركاء على هذا انتصب بيدعون ولا حاجة الى اضمار. ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم. ثم زاد في التاكيد فقال ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقد مر مثله في سورة الانعام. ثم ذكر طرفا من اثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه طلبا للراحة. والنهار مبصرا اسناد الابصار باعتبار صاحبه اي جعله مضيئا لتبصروا به في حوائجكم ومهماتكم وهذا طرف من منافع الليل والنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر وقبول. ثم حكى نوعا اخر من اباطيلهم فقال قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وقد مر في البقرة. ولما نزه نفسه عن اتخاذ الولد برهن على ذلك بقوله هو الغني وتقريره ان الغني التام يوجب امتناع كونه ذا اجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه يكون كالبذر الشبيه الى النبات. وايضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثل الذي يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانقراض فالازلي القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل. وايضا الغني لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح ان يتولد منه مثله لصح ان يكون هو ايضا متولدا من مثله. ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعى هو الصحة لا الوقوع. ثم تابع البرهان فقال له ما في السموات وما في الارض واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شيء منها ولدا له لان الاب يساوي الولد في الطبيعة بخلاف المالك. ثم زيف دعواهم الفاسدة فقال ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة بهذا القول. قال في الكشاف والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان. اقول كانه نظر الى ان استعمال الباء بمعنى في اكثر منه بمعنى على. ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون. ثم اوعدهم على افترائهم فقال قل ان الذين يفترون الاية. ثم بين ان ذلك المفتري ان فاز بشيء من المطالب العاجلة والمارب الخسيسة من رياسة ظاهرة وعرض زائل فذلك متاع قليل في الدنيا ثم لا بد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاء المؤبد والعذاب الاليم اعاذنا الله منه والله اعلم.

التأويل وما تكون في شان من شان النبوة وما تتلو من شان النبوة من قران ولا تعملون يا امة محمد من عمل من اعمال الامة من قبول القران ورده من مثقال ذرة مما ظهر من حركة في ارض البشرية بعمل من اعمال الخير والشر ولا في السماء اي في سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة ولا اصغر من الحركة وهو القصد دون الفعل ولا اكبر من النية وهو الفعل. الا ان اولياء الله الذين هم اعداء النفوس لا خوف عليهم من غلبة النفوس ولا هم يحزنون على ما فاتهم من شهوات النفوس للعداوة القائمة بينهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا بالوقائع والمبشرات وفي الاخرة بكشف القناع عن جمال العزة. لا تبديل لكلمات الله لاحكامه الازلية حيث قال الولي من يكن وليا والعدو من يكن عدوا. ولا يحزنك يا رسول القلب قول مشركي النفوس في تزيين شهوات الدنيا ولذاتها فانك ان العزة لله جميعا تعز من يشاء في الدنيا وفي الاخرة جميعا فلا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الاخرة بل بما يعينه على الاخرة كما جاء في الحديث الرباني وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى فان افقرته

يبدو ذلك ألا ان لله ما في السموات ومن في الارض اي القلوب السماوية والنفوس الارضية ان يتبعون الا الظن اي يظنون انهم يتبعون ...
الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هو الذي جعل لكم الليل البشرية لتستريحوا فيه من تعب المجاهدات وتزول عنكم الملالة والكلالة والنهار الروحانية
ضيا وبصيرة يبصر بها مصالح السلوك والترقي في المقامات لقوم يسمعون حقايق القران بسمع القلوب الواعية ثم اخبر عن الشبهات التي يقع في
السلوك قالوا اي شركوا النفوس عند تجلي الروح بالخلافة في صفة الربوبية مقترن بتجلي صفة ابداع الحق وبدعية الروح مع كمال القرب واختصاص
بالحق عند بقا وتصرفات الخيال حتى يثبت الابوة والبنوة بين الله وبين العبد اذ البنوة اخص التعلقات بالوالد وهذا الكشف والابتلاء هو
مبدا ضلالة اليهود والنصارى له ما في السموات الروحانية من الكشوف والاحوال وما في ارض البشرية من الوهم والخيال وما ينشأ من الشبهات
والافات ان الذين يفترون هم النفوس الامارة بالسوء لا يفلحون لا يظفرون بكشف الحقايق ثم نذيقهم لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فانتبهوا الم

واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري
بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم
عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ۝ فان توليتم فما سالتكم
من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين ۝
فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف و
اغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ۝
ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما
كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب
المعتدين ۝ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون
وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ۝ فلما جاءهم
الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين ۝ قال موسى اتقولون
للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون ۝ قالوا اجئتنا
لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن
لكما بمؤمنين ۝ وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم ۝ فلما
جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ۝ فلما القوا قال
موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ۝
ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ۝ فما امن لموسى الا ذرية
من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون
لعال في الارض وانه لمن المسرفين ۝ وقال موسى يا قوم ان كنتم
امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ۝ فقالوا على الله توكلنا
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ۝ ونجنا برحمتك من القوم

الكافرين

الكافرين ۝ فاوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا
واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين ۝
وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة
الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم
واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ۝
قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون ۝ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده
بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي
امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين ۝ الان وقد عصيت
قبل وكنت من المفسدين ۝ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون
لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلين ۝

وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان اجري بفتح اليا حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ويكون لكما بيا الغيبة حماد ويزيد
وزيد البا قون بتا ان اتيت السحر بالمد يزيد وابو عمرو ان تبوّا باليا الخزاز وحمزة في الوقف وان شا لين الهمزة الاخرون بالهمزة ليضلوا بضم اليا
حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل ولا تتبعان بتخفيف النون ابن عامر غير الحلواني عن هشام فتبعان بخفيفة التا والنون ابن مجاهد والنقاش
عن ابن ذكوان وفي كلتا القرائتين خففت النون ثم كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلواني عن هشام فتبعان بتشديدهما
في الحالين امنت انه بكسر الهمزة على الاستيناف بدلا من امنت حمزة وعلي وخلف الاخرون بالفتح ننجيك من الانجاء سهل ويعقوب وقتيبة الاخرون
بالتشديد الوقوف نبا نوح م لئلا يوهم ان اذ ظرف لقوله اتل بل التقدير واذكر اذ قال ولا تنظرون ۝ من اجر ط على الله لا لان التقدير وقد امرت
من المسلمين ۝ باياتنا ج للفا ولان امر النظر للعبرة يقتضي التثبت للتدبر المنذرين ۝ من قبل ط المعتدين ۝ مجرمين ۝ مبين ۝ لما جاءكم لا بنا على ان
التقدير اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله اسحر يستحق الابتداء ويجئ له مزيد بيان هذا ط للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون ۝ في الارض ج
بمؤمنين ۝ عليم ۝ ملقون ۝ ما جئتم به ط لمن قرأ السحر مستفهما السحر ط سيبطله ط المفسدين ۝ المجرمون ۝ ان يفتنهم ط في الارض ج لاتصال الكلام لتبرئ
مسلمين ۝ توكلنا ج للعدول مع اتحاد القائل الظالمين ۝ لا للعطف الكافرين ۝ لا واقيموا الصلوة ط لان قوله وبشر خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم
وان اريد به موسى فلا بد من العدول المؤمنين ۝ الدنيا لا لتعلق قوله ليضلوا بقوله اتيت وربنا لتكرار لا ولاجل التضرع عن سبيلك ج لابتداء الندا
مع اتحاد القائل الاليم ۝ لا يعلمون ۝ وعدوا ط الغرق لا لان قال جواب اذا المسلمين ۝ المفسدين ۝ اية ط لغافلون ۝ لما بالغ في تقرير
الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب اقرب الى انشراح الصدر ودفع الملال
مع ان في ذكرها تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد التي سبق ذكرها في الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة
الى مقامي وجوه منها انه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان اي لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي ربه ومثله قولهم فلان ثقيل الظل
ومنها ان يراد المكث اي شق عليكم مكثي بين اظهركم مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما ولا شك ان من الف طريقة وبدع الى خلافها ولبث اداه
الدعا وكان ذلك موجبا للتنفير والثقل وخاصة اذا كانت تلك الطريقة مقتضاة الداعين الى اللذات العاجلة ومنها ان يكون المقام بمعنى القيام
لانهم كانوا يقومون على ارجلهم في الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود و
جواب الشرط اما قوله فعلى الله توكلت اي ان شدة بغضكم لي يحملكم على الاقدام على ايذائي وانا لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله فان ذلك عادتي
اجبرتي قديما وحديثا واما قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك شعر ان كنت اكرت على شيئا فالله حسبي فاعل ما تريد ولكن
ان يقال ان الفا الثانية عاطفة لاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فاجمعوا امركم اعزموا عليه من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه قاله الفرا وقال ابو الهيثم اجمع
امره اي جعله جميعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع
ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه والفصيح اجمعت الامر واما الواو في وشركاءكم بمعنى مع واما
على المفعول معه اي مع شركائكم ومن قرأ بالرفع عطفا على الضمير المتصل فانما يحسن ذلك من غير تأكيد بالمنفصل لطول الكلام بالمفعول
تركهم ودينهم واما الاصنام فحسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم انه عليه السلام قال في اول الامر فعلى الله
توكلت ليدل على انه واثق بوعد الله جازم بان تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا كانه قال حصلوا كل

ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى سطوتكم غير مقتصرين على ذلك بل ضامين الى انفسكم شركاءكم الذين تزعمون ان حالكم يقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا آخر فقال ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو الهيثم اي مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم اي التبس وقال الليث يقال انه لفي غمة من امره اذا لم يهتد له وقال الزجاج اي ليكن امركم الذي اجتمعتم عليه ظاهرا منكشفا اي تجاهروني بالاهلاك ويحتمل ان يراد بهذا الامر العيش الحال اي الكون لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد قيدا آخر فقال ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه واحكموا القصة والمشاورة وعن القفال انه ضمنا لمعنى القوا الي ما استقر عليه رايكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام بقوله ولا تنظرون اي عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير امهال ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ في التوكل الغاية القصوى ثم بين ان كل ذلك فارغ من الطمع الدنيوي والغرض الخسيس فقال فان توليتم اعرضتم عن نصحي وتذكيري فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع او غرض عاجل ان اجري الا على الله اي الصحيح الا وجه فلا يمنعني الا هو وفي الآية نكتة كأنه اراد انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله فعلى الله توكلت الى آخره ولا بانقطاع الخير منهم وذلك قوله فان توليتم الآية وامرت ان اكون من المسلمين اي سواء قبلتم دين الاسلام او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام او مامور بالاستسلام لكل ما ياتي من قبل الله عز وجل فكذبوه فبقوا على تكذيبهم الى آخر المدة المتطاولة فنجيناه ومن معه في الفلك قد ذكرنا في الاعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لشان اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الآية قد مر تفسيرها في اواسط الاعراف الا انه زيد ههنا لفظة به لتناسب ما قبله وهو كذبوا بآياتنا وكذلك في الاعراف راعى المناسبة لان ما قبله ولكن كذبوا بغير الباء ثم بعثنا من بعدهم من بعد الرسل او الامم موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا يعني الآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام فلذلك اجترؤا على رد الآيات اما قوله اسحر هذا فليس بمقول لقوله تقولون لانهم قطعوا في قولهم ان هذا لسحر مبين بانه سحر وما استفهموا ولكن الوجه فيه ان يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن والعيب كالذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف القالة اي كلام الناس فكانه قال اتعيبون الحق وتطعنون فيه ثم انكر عليهم قولهم فقال اسحر هذا او يقال مفعول تقولون محذوف وهو قولهم ان هذا لسحر مبين او يقال جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا منكرين لما جاء به اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح السحرة لان حاصل صنيعهم تخييل وتمويه قالوا اجئتنا لتلفتنا التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات افتعال من اللفت وهو الصرف واللي وتكون لكما الكبرياء في الارض اي الملك والعز في ارض مصر قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وايضا فالنبي اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد امرهم اليه وصار اكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر والحاصل انهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بامرين التمسك بالتقليد وهو عبادة آبائهم الاصنام والحرص على طلب الدنيا والجد في بقاء الرياسة ويجوز ان يقصدوا ذمهما واتهموهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب قائلين وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا المعارضة وقد مرت تلك القصة في الاعراف اما قوله ما جئتم به السحر فمعناه الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذي سبق كانهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى ما جئتم به السحر فوجب دخول الالف واللام لانه جواب لان النكرة اذا عادت عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل ولو قال من رجل لم يقع في وجه انه يسأله عن الرجل الذي ذكره ومن قرأ السحر بالاستفهام فما استفهامية مبتدأ وجئتم به خبره كانه قيل اي شيء جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ اي هو السحر او السحر جئتم به ان الله سيبطله باظهار المعجزة عليه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يؤيده ولا يكمل الخاتمة ويحق الله الحق يثبته بكلماته بمواعيده او بما سبق من قضائه او باوامره فما آمن لموسى اي في اول امره الا ذرية من قومه قال ابن عباس لفظ الذرية يعبر بها عن القوم على وجه التحقير ولا ريب ان المراد ههنا ليس هو الاهانة فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل المراد اولاد من اولاد قومه كانه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون فاجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون ان يصرفهم عن دينهم بتسليط انواع البلاء عليهم وقيل ان الذرية اقوام كان آباؤهم من قوم فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل الذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وماشطته والضمير في قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى اظهر لانه اقرب المذكورين وكما نقل ان الذين آمنوا به كانوا من بني اسرائيل والضمير في ملائهم اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب يأتمرون له او المراد آل فرعون فحذف المضاف او للذرية يعني اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من آل فرعون عليهم وعلى انفسهم يدل على ذلك قوله ان يفتنهم اي يعذبهم فرعون ثم اكد اسباب الخوف بقوله ان فرعون لعال لغالب في الارض ارض مصر وانه لمن المسرفين في القتل والتعذيب او لمن المجاوزين الحد لانه من اخس العبيد فادعى الربوبية العليا وقال موسى تسلية لقومه ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا اخصوه بتفويض اموركم اليه ان كنتم مسلمين قال العلماء المؤخر في مثل هذه الصورة مقدم في المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك قوة فان ضربك زيد فاضربه فكانه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم منقادين لتكاليف ربكم بالاخلاص مصدقين بالتحقيق عارفين بانه واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع اموركم اليه وحده فقالوا مؤمنين لموسى على الله توكلنا ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم او صرفهم عن دينهم او المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم في انا لسنا على الحق ويجوز ان تكون الفتنة بمعنى المفتون اي لا تجعلنا مفتونين بان تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق ولما قدموا التضرع الى الله في ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه سؤال عصمة انفسهم فقالوا ونجنا الآية وفي ذلك دليل على ان عنايتهم بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب ان يكون عقيدة كل مسلم والله الموفق واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اتخذا المكان مباءة او مرجعا مثل توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون في البيوت فمنهم من ذهب الى انها المساجد كقوله في بيوت اذن الله ان ترفع فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة ان يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة وهي جهة بيت المقدس او الكعبة على النقل عن ابن عباس وقال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول عنها بامر الله تعالى في ايام نبينا صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة اي صلوا في بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة اما السبب في اتخاذ البيوت فان يصلوا في بيوتهم خيفة من الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة او المقصود الجمعية واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التقدير الاول لما اظهر فرعون العداوة الشديدة امر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل ان يصونهم عن شرهم واما تثنية الخطاب اولا ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء

الى موسى وهرون وذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة واقامة الصلوة واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير في قوله وبشر المؤمنين لان الغرض الاصلي من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم يكن لائقا الا بحال موسى الذي هو الاصل في الرسالة وفيه تعظيم لشان البشارة والمبشر قال الضعيف مؤلف الكتاب قد سنح في خاطري وقت هذه الكتابة ان الخطاب في قوله وبشر لنبينا صلى الله عليه وسلم على طريقة الالتفات والاعتراض ومضمون البشارة انه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم امروا باتخاذ موضع يرجعون اليه البتة للعبادة والله اعلم بمراده ثم ان موسى عليه السلام لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والعناد اخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب الدعاء عليه فلهذا قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا والزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب واثاث البيت والاموال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة ذهب الاشاعرة الى ان اللام في قوله ليضلوا لام التعليل كان موسى عليه السلام قال يا رب انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا ففيه دلالة على انه تعالى يسبب لضلالهم ويريده منهم وذلك والا لم يهيئ اسبابه ثم شرع في الدعاء عليهم اطمس على اموالهم والطمس المحو والمسخ كما مر في سورة النساء في قوله سبحانه من قبل ان نطمس وجوها واشدد على قلوبهم اقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان وقالت المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر الغائب ودعا عليهم بثلثة امور بالضلال والطمس والشد لانه لما علم بالتجربة وطول الصحبة ان ايمانهم كالمحال او علم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره فانه ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل النصحة واستمر على غيه سلمنا ان قوله ليضلوا ليس دعاء عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا ان اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا او لم لا يجوز ان يكون لا مقدرة اي لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا او يكون حرف الاستفهام مقدرا اي آتيت على سبيل التعجب اما قوله تعالى فلا يؤمنوا فاما ان يكون معطوفا على قوله ليضلوا على التقادير كلها وما بينهما اعتراض واما ان يكون جوابا لقوله واشدد ويجوز ان يكون دعاء بلفظ النهي معطوفا على اشدد قال قد اجيبت دعوتكما اضاف الدعوة اليهما لان موسى كان يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكون جميعا دعوا الا انه خص موسى بالذكر في الآية الاولى لاصالته في الرسالة والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من التبليغ والانذار زيادة في الزام الحجة ولا تستعجلا فقد لبث نوح في قومه الف سنة الا قال ابن جريج فلبث موسى بعد الدعاء اربعين سنة يدعوهم الى الله تعالى ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ان الاستعجال لا يفيد في اجابة الدعاء فقد يستجاب الدعاء ولكن يظهر الاثر بعد حين وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قد مرت تلك القصة في اوائل البقرة في قوله واذ فرقنا بكم البحر الآية ومعنى قوله فاتبعهم لحقهم يقال تبعته حتى اتبعته والبغي الافراط في الظلم والعدو التجاوز عن الحد وفي الآية سؤال وهو ان فرعون تاب ثلاث مرات احدها قوله آمنت وثانيها انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وثالثها وانا من المسلمين فلم لم يقبل توبته والجواب من وجوه الاول انه ايمان اليأس وانه لا يقبل لان الالجاء ينافي التكليف الثاني انه لم يكن مقرونا بالاخلاص وانما كان لدفع البلية الحاضرة والمحنة الناجزة الثالث ان ذلك التوحيد كان مبنيا على محض التقليد والتخيل كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا يزول ظلمته الا بنور الحجة القطعية الرابع ما روي ان بعض بني اسرائيل لما جاوز البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلعله اراد الايمان بذلك العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الكلمة سببا لزيادة الكفر الخامس ان اكثر اليهود يميلون الى التجسيم والتشبيه ولذلك عبدوا العجل فكانه ما آمن الا بالاله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول السادس لعل الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى كما انه لو قيل الف مرة لا اله الا الله لم ينتج ايمانا الا اذا قرن به محمد رسول الله الى الناس كافة السابع روي ان جبرئيل عليه السلام اتى فرعون بفتيا ما قول الامير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمه فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته ان يغرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق دفع جبرئيل اليه خطه فعرفه اما قوله الآن فالمشهور من الاخبار انه قول جبرئيل وقيل انه قول الله سبحانه والتقدير أتؤمن الساعة وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وآيست من نفسك وقوله وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وانا من المسلمين يروى ان جبرئيل اخذ يملأ فاه بالطين حين قال آمنت لئلا يتوب غضبا عليه والاقرب عند العلماء ان هذا الخبر غير صحيح لانه ان قال ذلك حين بقاء التكليف لم يجز على جبرئيل ان يمنعه من التوبة بل يجب ان يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو منعه لكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك المعاودة الى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه ان يقول لموسى وهرون فقولا له قولا لينا ثم يأمر جبرئيل بمنعه عن الايمان ولو قيل ان جبرئيل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما نتنزل الا بامر ربك لا يسبقونه بالقول وان كان قال ذلك بعد زوال التكليف فلم يكن لما فعل جبرئيل فائدة اللهم الا ان يقال انه دس حال الحجر في فيه في وقت لا ينفعه ايمانه غضبا منه على الكافر قوله فاليوم ننجيك ببدنك فيه اقوال منها ان معناه نخرجك من البحر ونخلصك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ولكن بعد ان تغرق وقوله ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور او المراد ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا وفيه نوع تهكم كانه قيل ننجيك لكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك كما يقال نعتقك او نخلصك من السجن ولكن بعد ان تموت وقيل ننجيك ببدنك اي نلقيك بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع وقيل ببدنك اي بدرعك قال الليث البدن الدرع القصير الكمين عن ابن عباس قال كان عليه درع من الذهب يعرف بها فاخرجه الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف فان صحت هذه الرواية كان معجزا لموسى عليه السلام قوله لتكون لمن خلفك آية فقيل ان قوما اعتقدوا فيه الالهية وزعموا ان مثله لا يموت فاظهر الله تعالى امره بان اخرجه من الماء بصورته حتى يشاهدوه وزالت الشبهة عن قلوبهم وكان مطرحه على ممر بني اسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل انه تعالى اراد ان يشاهده الخلق على ذلك الذل والاهانة بعد ما سمعوا منه قوله انا ربكم الاعلى ليكون ذلك زجرا للغافلين عن مثل طريقته ويعرفوا انه كان بالامس في نهاية الجلالة ثم آل امره الى ما آل فلا يجترؤا على نحو ما اجترأ عليه وقيل المراد ليكون طرحك على الساحل وحدك دون المغرقين آية من آيات الله تمام الآية ثم زجر هذه الامة عن ترك النظر في الدلائل وحثهم على التامل والاعتبار فقال وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون

التأويل واتل عليهم نبأ نوح الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والنفس وصفاتها يا قوم ان كان عظم عليكم مقامي في الاخلاق الحميدة الروحانية ودعائي الى الله تعالى ببراهينه الواضحة فما سألتكم من اجر من حظ من حظوظ مشاربكم الدنيوية فاحظى الا من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفاء الله في ارضه وباقي التأويل كما مر في الاعراف وهكذا في قصة موسى عليه السلام ولا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود المجازي ويحق الله الحق اي الذكر بكلماته وهي لا اله الا الله ولو كره اهل الهوى والنفوس الامارة فما آمن لموسى القلب الا صفاته او بعض صفات فرعون النفس لتبديل اخلاقها الذميمة بالاخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس والهوى وشهواتها ان يفتنهم الى حالها الطبيعية التي جبلت عليها واوحينا الى موسى القلب وهرون السر ان تبوءا لقومكما بمصر عالم الروح مقامات

[illegible]

وانه اعلم بحقيقة الحال

ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون ۝ فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين ۝ ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون
من الخاسرين ۝ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ۝
ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم ۝ فلولا كانت قرية امنت
فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة
الدنيا ومتعناهم الى حين ۝ ولو شاء ربك لامن من في الارض
كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ۝ وما كان
لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ۝
قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر
عن قوم لا يؤمنون ۝ فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ۝ ثم ننجي رسلنا والذين امنوا
كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ۝ قل يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي
يتوفيكم وامرت ان اكون من المؤمنين ۝ وان اقم وجهك
للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ۝ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين ۝ وان يمسسك الله

بضر

بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء
من عباده وهو الغفور الرحيم ۝ قل يا ايها الناس قد جاءكم
الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها وما انا عليكم بوكيل ۝ واتبع ما يوحى اليك واصبر
حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ۝ صدق الله الاحد

[illegible]

صنفت خمس وثلاثون آمامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى بيوتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والضجيج واظهروا الايمان
والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله تعالى وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان
يقلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي
محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية الى حين انقضاء آجالهم وعن الفضيل بن عياض
قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ثم بين ان الايمان وضده وكلاهما بمشيئته
وتقديره ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا قالت الاشاعرة هذه القضية تفيد الشمول والاحاطة لكنه ما حصل ايمان اهل الارض بالكلية فدل
على انه تعالى ما اراد ايمان الكل وتأول المعتزلة المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر واجيب بان الكلام في الايمان الذي كان يطلبه النبي منهم وهو الايمان المنوط به
التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الآية وكذا المشيئة على ايمان الالجاء ومشيئة القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر ان
القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست الا للحق سبحانه وتعالى فقال افانت تكره فاولى الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما
الكلام في المكره من هو وما هو الا الله وحده وحمل المعتزلة هذا الاكراه على الالجاء ومعناه ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه
على خلق الايمان ومعناه انه قادر على خلق الايمان والكفر فيهم لا انت بدليل قوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس اي الكفر والفسق على الذين
لا يعقلون وفسر المعتزلة الاذن بمنح الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه وخصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين
لا يعقلون بغير المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على انه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن عبارة عن الاطلاق
في الفعل ورفع الحجر واذا كان اصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه اولى اجابت المعتزلة بان المراد بالاذن التوفيق والتسهيل او الالطاف و
لما بين ان الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله امر بالنظر والاستدلال بالدلائل السماوية والارضية حتى لا يتوهم ان الحق هو الجبر المحض فقال قل انظروا ماذا
في السموات والارض اي شيء فيهما من الآيات والعبر ثم ذكر ان التفكر والتدبر في هذه الدلائل لا ينفع في حق من حكم الله عليه في الازل بالشقاء فقال
وما تغني يحتمل ان يكون نافية اي لا تفيد هذه الآيات والنذر وهي جمع نذير صفة او مصدرا في حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وان يكون استفهامية
للانكار بمعنى اي شيء يغني عنهم ثم قال فهل ينتظرون والمراد ان الانبياء المتقدمين كانوا يتوعدون كفار زمانهم بايام مشتملة على انواع العذاب
او بوقايع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم كذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه قل انتظروا وفيه تهديد قل ع
ووعيد بانه سينزل بهؤلاء مثل ما نزل باولئك من الاهلاك بعد انجاء الرسول واتباعه كما حكى تلك الحال الماضية بقوله ثم ننجي رسلنا الآية قالت
المعتزلة حقا علينا المراد به الوجوب والاستحقاق اذ لا يحسن تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم وان العبد لا يستحق
على خالقه شيئا ثم امر نبيه باظهار التباين الصريح بين طريقته وطريقة المشركين فقال يا ايها الناس والمعنى يا اهل مكة ان كنتم لا تعرفون ديني
فاعلموا اني مبرأ عن اديانكم الباطلة ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق اولا والاعادة ثانيا كما مر مرارا ولان
الموت اشد الاحوال مهابة في القلوب فكان اقوى في الزجر والردع او لانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقايع النازلة بالامم الخالية فكانه قال اعبد الله
الذي وعدني باهلاككم وانجائي وفي الآية اشارة الى انه لن يوافقهم في دينهم كيلا يشكوا في امره ويقطعوا اطماعهم عنه ولما ذكر انه لا يعبد الا الله بين انه
مأمور بالايمان والمعرفة فقال وامرت ان اكون اي بان اكون من المؤمنين ثم عطف قوله وان اقم ولا فرع نظرا الى المعنى كانه قيل له كن مؤمنا ثم اقم وادع عطف ع
او المراد وامرت بهذا واوحي الي ان اقم قال في الكشاف قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب
لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال والمعنى اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا
وشمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه قال المحققون الوجه ههنا وجه العقل والمراد توجهه بالكلية الى طلب الدين كمن يريد ان ينظر الى شيء نظرا تاما فانه
يقيم وجهه في مقابلته لا يصرفه ثم اكد الامر بالنهي عن ضده فقال ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت اي فان عنـ ع
دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل للاختصار واذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة
الاوثان وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ما سوى مدبر الكل وضع الشيء في غير موضعه ثم صرح انه مبدأ الكائنات ومنتهى الحاجات
لا غيره فقال وان يمسسك الآية وقد مر تفسير مثلها في اول سورة الانعام قال الواحدي وان يردك بخير من المقلوب واصله وان يرد بك الخير ولكنه
لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جاز كل واحد منهما واقول في تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على ان الخير يصدر عنه سبحانه بالذات
والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره في الهداية والضلال فقال قل يا ايها الناس الآية وفسرها الاشاعرة بان من حكم له في الازل
بالاهتداء فينفع له ذلك وان حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة في دفعه كما مر في سورة الانعام قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه الآية وقالت المعتزلة
المراد انه بين الشريعة وازاح العلة وقطع المعذرة فمن اختار الهدى فالنفع باختياره والا فضرر من آثر الضلال فلا يعود وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس
ان الآية منسوخة بآية القتال ولا يخفى ضعفه ثم امر باتباع الوحي والتنزيل فان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر فيه الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين لتعينهم
الى الصبر شعر ساصبر حتى يعجز الصبر عن صبري ۰ واصبر حتى يحكم الله في امري ۰ ساصبر حتى يعلم الصبر انني ۰ صبرت على شيء امر من الصبر التأويل
ولقد بوأنا بني اسرائيل يعني متولدات الروح العلوي من القلب والسر دون النفس لانهما من البنات لا من البنين مبوأ صدق منزلا عليها في العالم
النوري ورزقناهم من الطيبات من الفيض الرباني الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب فكلما فاض من صفة الرحمانية على الروح
يفيض الروح على القلب والسر فما اختلف القلب والسر حتى جاءهم دعوة النبي فمن قبلها صار مقبولا ومن ردها كان مردودا وبوجه آخر مبوأ صدق
بين الاصبعين من اصابع الرحمن فما اختلفوا حتى ادركهم علم الله الازلي بالسعادة والشقاوة فان كنت في شك خلق الانسان ضعيفا فاذا
انفتح عليه ابواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما ظن انه مما يخادع به الاطفال فلا يدري هل هو من كرامة الاحباب او من وخامة الابتلاء فكان
النبي صلى الله عليه وسلم من خصوصية انما انا بشر مثلكم يرتع في هذه الرياض وباختصاص يوحى الي ان يسقى بكاسات المناولات من تلك الحياض
فيشك عند سكره وانه من شهود التلوين او من كشوف التمكين ويدركه العناية الازلية فاكرم بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن بل كان في
النهي نهي التكوين فما كان ممتريا ولهذا قال والله لا اشك ولا اسأل او تأمل ايام الذين خلوا من انه كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا واظهروا ما قدر لكم ولكن اعبد الله
الذي يتوفاكم العنا عن النفس وصفاتها حنيفا طاهرا عن لوث الالتفات الى ما سواه
والله سبحانه الموفق والملهم

سورة

سورة هود مكية غير آية قوله واقم الصلوة طرفي النهار كلماتها الف وسبعمائة خمس عشر آياتها مائة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ۝ الا تعبدوا
الا الله انني لكم منه نذير وبشير ۝ وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله
وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير ۝ الى الله مرجعكم وهو
على كل شيء قدير ۝ الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين
يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات
الصدور ۝ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم
مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ۝ وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم
ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ۝ ولئن اخرنا عنهم العذاب
الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم و
حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ۝ ولئن اذقنا الانسان منا
رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ۝ ولئن اذقناه نعماء بعد
ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور ۝ الا
الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير ۝
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء
وكيل ۝ ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ۝ فالم يستجيبوا
لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون ۝
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها
لا يبخسون ۝ اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما

[illegible]

صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ۝ افمن كان على بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون
به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق
من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ۝ ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ۝ الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون ۝
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء
يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ۝
لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون ۝ ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون ۝ مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير
والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ۝ صدق الله العظيم

[illegible]

ومن عذابه

الكافر ولان وصف اليأس والكفر والفرح المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافر وذلك انه يعتقد ان السبب في حصول تلك
النعمة من الامور الاتفاقية فاذا زالت استبعد حدوثها مرة اخرى فيقع في اليأس الشديد وعند حصولها كان ينسبها الى الاتفاق فلا يشكر الله
بل يكفره واذا انتقل من مكروه الى محبوب ومن محنة الى نعمة اشتد فرحه بذلك والتجربها لذهوله عن السعادات الاخروية الروحانية فيظن انه
فاز بغاية الاماني ونهاية المقاصد واما المؤمن فحاله على العكس ولذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير ثم تفسير الالفاظ فالاذاقة والذوق
اقل ما يوجد به الطعم وفيه دليل على ان الانسان لا يصبر عن اقل القليل ولا عليه وفيه ان جميع نعم الدنيا في قلة الاعتبار وسرعة الزوال يشبه احلام
وخيالات المبرسمين والرحمة النعمة من صحة او امن او جدة ونزعها سلبها واليؤس والكفور بناءان للمبالغة والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه
والضراء مضرة كذلك قال الواحدي لانها خرجت مخرج الاحوال الظاهرة نحو حمراء وعوراء والسيئات يريد بها المصائب التي ساءته ثم سلى نبيه
صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك تارك قال ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا ان كنت رسولا فاجعل لنا جبال مكة ذهبا او ائتنا بالملائكة ليشهدوا لك
فخاطب الله سبحانه نبيه بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك واختلفوا في ذلك البعض فعن ابن عباس هو ان المشركين قالوا ائتنا بكتاب ليس
فيه شتم آلهتنا حتى نتبعك ونؤمن بك وقال الحسن طلبوا منه ان يترك قوله ان الساعة آتية واجمع المسلمون على انه لا يجوز على الرسول ان يترك بعض
ما اوحى الله اليه لانه ينافي المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة فاولوا الآية بان امثال هذه التهديدات لعلها سبب عدم التقصير في اداء الوحي فلهذا
خوطب بها ولعله كان للنبي صلى الله عليه وسلم بين محذورين الاول ترك اداء شيء من الوحي والثاني انهم يتلقون الوحي بالطعن والاستهزاء فيه

[illegible]

كانه قيل للمسلمين اذا تبين صحة قول محمد وازددتم بصيرة وطمأنينة وجب عليكم الزيادة في الاخلاص والطاعة وتفسير آخر وهو ان يكون الضمير في لم يستجيبوا
لمن في من استطعتم والخطاب في لكم للمشركين وكذا في قوله فاعلموا اي انتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا
انه منزل من عند الله وان توحيده واجب ثم رغبهم في اصل الاسلام وهددهم على تركه بقوله فهل انتم بعد لزوم الحجة مسلمون ثم اوعد من كان همته
مقصورة على زينة الحيوة الدنيا وكان مما عن الدين جهلا او عنادا فقال من كان يريد الحيوة الآية عن انس رضي الله عنه انهم اليهود والنصارى
وقيل المنافقون كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم فكان يسهم لهم فيها وقال الاصم هم منكروا البعث وقال آخرون هي عامة في الكافر والمسلم
المرائي وقال القاضي المراد من كان يريد بعمل الخير الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو
ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر اللذات والمنافع عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة يدعى برجل جامع للقرآن
فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت فيه آناء الليل والنهار فيقول الله كذبت اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال
فيقول الله الم اوسع عليك فماذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ثم يؤتى بمن قتل
في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جريء قال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيمة روي ان ابا هريرة ذكر الحديث عند معوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق
فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآيتان ثم بين ان بين طالب الدنيا وحدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا
بينا فقال افمن كان والمعنى امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة عند الله ولا يقاربونهم ونظيره اذا اتاك العلماء والجهال
فاستأذن الجهال للدخول قبل العلماء فتقول الجهال ثم العلماء كلا وحاشا تريد ان العلماء ينبغي ان يدخلوا اولا ثم الجهال ويمكن ان يقال التقدير افمن
كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا فحذف الخبر للعلم به ومثله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر
الآخرة واعلم ان اول هذه الآية يشتمل على الفاظ اربعة مجملة الاول ان هذا الذي وصفه الله بانه على بينة من هو والثاني ما المراد بالبينة والثالث
ما معنى يتلوه اهو من التلاوة ام من التلو والرابع الشاهد من هو وللمفسرين فيها اقوال اصحها ان معنى البينة البرهان العقلي الدال على صحة الدين الحق
والذي هو على البينة مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ومعنى يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العائد الى البينة بتأويل البيان والبرهان والمراد بالشاهد
القرآن ومنه اي من الله ومن القرآن لتقدم ذكره في قوله ام يقولون افتريه ومن قبله كتاب موسى اي ويتلو ذلك البرهان من قبل القرآن كتاب موسى
وهو التورية حال كونه اماما او وحي اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم والحاصل ان المعارف اليقينية المكتسبة اما ان
يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان واما ان يكون بالوحي والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان الامران واعتضد كل منهما بالآخر كان المطلوب
اوثق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ثم انه حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الامور الثلاثة جميعا البينة
وهي الدلائل العقلية اليقينية والشاهد وهو القرآن المستفاد من الوحي وكتاب موسى المشتمل على الشرائع المتقدمة عليه المصالح لاقتداء الخلف به وعند اجتماع
هذه الامور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك وارتياب وقيل الذي كان محمد صلى الله عليه وسلم والبينة القرآن ويتلوه يقرأه شاهد

هو جبرئيل

هو جبرئيل نزل بامر الله وقرأ القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم او شاهد من محمد هو لسانه او شاهد هو بعضه محمد يعني علي بن ابي طالب كرم الله وجهه او
يتلوه اي يعقب ذلك البرهان شاهد من النبي هو صورته ومخائله فان من نظر اليه بعقله تفرس انه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب ولا كاهن وقيل لكل من
على البينة هم المؤمنون والبينة القرآن ويتلوه يعقب القرآن شاهد من الله هو محمد او الانجيل لانه يعقبه في التصديق والدلالة على المطلوب وان كان
موجودا قبله او ذلك الشاهد كون القرآن واقعا على وجه يعرف المتأمل فيه اعجازه واشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة اي غير ذلك من المزايا
التي قلما يخبر عنها الا الذوق السليم ثم مدح الكائن على البينة بقوله اولئك يؤمنون به اي بالقرآن ثم اوعد غيرهم بقوله ومن يكفر به من الاحزاب يعني
اهل مكة ومن انحاز معهم كاليهود والنصارى والمجوس والنار موعده فلا تك في مرية في شك منه من القرآن او من الموعد ثم ابطل بعض عادات الكفرة
من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله من كان يريد الحيوة الدنيا ومن انكارهم نبوة محمد وذلك قوله افمن كان على بينة اراد ان يبطل ما كانوا يعتقدون
في اصنامهم من انها تشفعهم فقال ومن اظلم ثم قال اولئك يعرضون لم يجعل عليهم العرض لانهم مخصوصون بالعرض فان العرض عام ولكن فائدة الجمل ترجع
الى المطلوب اراد انهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد ومعنى عرضهم على ربهم انهم يعرضون من الاماكن المعدة للحساب والسؤال او المراد عرضهم
على من يوبخ ويبكت بامر الله من الانبياء والمؤمنين او اراد انهم يحبسون في الموقف ويعرض اعمالهم على الرب قال مجاهد الاشهاد الملائكة الحفظة وقال
قتادة هم الناس كما يقال على رؤس الاشهاد اي الناس وقيل هم الانبياء كقوله ولنسئلن المرسلين والاشهاد اما جمع شاهد كصاحب واصحاب او
جمع شهيد كشريف واشراف وقال ابو علي وهذا ارجح لكثرة ورود شهيد في القرآن ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة وباقي الآية قد مر تفسير مثلها في الاعراف اولئك لم يكونوا معجزين في الارض
اي لم يكن يمكنهم ان يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالنسبة الى القريب والبعيد والضعيف والقوي وما كان لهم من دون الله
من اولياء ينصرونهم ويمنعونهم من عقابه جمع تعالى بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب
الآخرة وقيل هذا من كلام الاشهاد والمراد انه تعالى لو شاء عقابهم في الدنيا لعاقبهم ولكنه اراد انظارهم وتأخيرهم الى هذا اليوم يضاعف لهم العذاب
من قبل الكفر والصد اي الضلال والاضلال وما كانوا يستطيعون السمع يريد ما هم عليه في الدنيا من صمم القلوب وعمى البصائر ثم ان الاشاعرة قالوا ان
ذلك بتخليق الله تعالى حيث صيرهم عاجزين ممتنعين عن الوقوف على دلائل العقل ويوافقه ما روي عن ابن عباس انه قال انه تعالى منع الكافرين من الايمان
في الدنيا وذلك قوله ما كانوا يستطيعون الآية وفي الآخرة كما قال يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقالت المعتزلة المراد استثقالهم لاستماع الحق ونفورهم
عنه كقول القائل هذا الكلام مما لا استطيع ان اسمعه وهذا الشخص لا استطيع ان ابصره او المراد بالاولياء الاصنام كانه قال الذين سموه اولياء ليسوا في الحقيقة
باولياء ثم نفى كونهم اولياء بانهم لا يسمعون ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا بوعيد واعلم انه سبحانه وصف
الكفار في هذه الآيات بصفات كثيرة الاولى ومن اظلم ممن افترى الثاني اولئك يعرضون اي في موقف الذل والهوان والثالث بيان الخزي والفضيحة
في قوله ويقول الاشهاد والرابع اللعنة عليهم الخامس الصد عن سبيل الله السادس سعيهم في القاء الشبهات وذلك قوله ويبغونها عوجا السابع كونهم
كافرين بالآخرة الثامن كونهم عاجزين عن الفرار والتخلص لم يكونوا معجزين التاسع وما كان لهم من دون الله من اولياء العاشر مضاعفة العذاب لهم الحادي عشر
ما كانوا يستطيعون الثالث عشر اولئك الذين خسروا انفسهم وقد مر في الانعام الرابع عشر وضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق في يونس الخامسة عشر
لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولك لابد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفي وجرم اي قطع معناه لا قطع قاطع انهم
في الآخرة هم الاخسرون وقال الزجاج لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم وجرم معناه كسب والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب لهم ذلك الفعل خسارة الدارين قال
الازهري وهذا من احسن ما قيل في هذه اللفظة ثم قال في وعد المؤمنين واخبتوا الى ربهم معناه اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع من الخبت وهي الارض المطمئنة
وفيه اشارة الى ان الاعمال لابد فيها من الاحوال القلبية الموجبة للالتفات عما سوى الله وقيل المراد اطمئنانهم ولقد يقنهم كل ما وعد الله به من الثواب وعنده
وقيل المراد كونهم خائفين من وقوع الخلل في بعض تلك الاعمال ثم ضرب للفريقين مثلا وهو اما تشبيهان بان شبههما تارة بالاعمى والبصير والاخرى بالاصم والسميع
واما تشبيه واحد والواو لعطف الصفة على الصفة فيكون قد شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين البصير والسميع ولا شك ان الفريق الكافر
هو الذي وصفه بالصفات الخمس عشر واما الفريق المؤمن فقيل المراد به قوله افمن كان على بينة وقيل المذكور في قوله ان الذين آمنوا ثم انكر ان يستويا
والمراد بقوله هل يستويان مثلا اي تشبيها وفي قوله افلا تذكرون تنبيه على ان علاج هذا العمى وهذا الصمم يمكن بتبديل الاخلاق وتغيير الاحوال بتيسير الله وتوفيقه
التأويل الر الالف اشارة الى الله واللام الى جبرئيل والراء الى الرسول يعني ما انزل الله على لسان جبرئيل الى الرسول كتاب من لدن حكيم
لقوله وعلمناه من لدنا علما وراء العلم اللدني ان تقول لا تشك يا محمد ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم مما ضاع من عمركم في غير طلب الله ثم توبوا
ارجعوا اليه بقدم السلوك ليكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا حسنا هو الترقي في المقامات العلية الى اجل مسمى هو حين انقضاء
المقامات وابتداء درجات الوصول ويؤت كل ذي فضل فضله اي يعطي كل ذي صدق واجتهاد في الطلب درجات الوصول فان المشاهدات بقدر المجاهدات
والحاصل ان اتباع الحسن في مراتب السير الى الله وايتاء الفضل في درجات السير في الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير الا حين يستغشون ثيابهم
الجسمانية على وجه الروح كان يعلم ما يسرون من جريان النور المرشش ومن نقص الحرمان تحت ثياب القالب وما يعلنون من شيء الصدر انه عليم بذات الصدور
من القلوب الظلمانية وما من دابة في الارض الا على الله رزقها لان كل حيوان له صفة مخصوصة ومزاج مخصوص وغذاؤه يجب ان يكون ملائما لمزاجه فعلى تقدير ان الله
انه كما خلق اجسادها على الامزجة المتعينة يخلق غذاءها موافقا لمزاج كل منها ثم يهديها الى ما يوافق لها ويعلم مستقرها في العدم كيف قدرها مستعدة للصورة
المختصة بها ومستودعها الذي يؤول اليه عند ظهورها فيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم بما فيه محل الابتلاء ومحك السعداء والاشقياء ولئن قلت انكم
مبعوثون عن الطبيعة باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة لتحيوا بالحقيقة فان الحيوة الحقيقية تكون بعد الموت عن الحيوة الطبيعية ليقولن الذين كفروا استتروا
حسن استعدادهم الفطري بتعلق الشهوات الفانية ان هذا الا سحر مبين اي كلام مموه لا اصل له ولئن اخرنا عنهم عذاب البعد الى الله الى حين ظهور ذوق العذاب فان

قال الله سبحانه وتعالى — الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا صدق ولي الله

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم منه نذير مبين ۞ ان لا تعبدوا
الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم ۞ فقال الملاء الذين كفروا

من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادی
الرأی وما نری لکم علینا من فضل بل نظنکم کاذبین ۝ قال یا قوم ارایتم
ان کنت علی بینة من ربی واتانی رحمة من عنده فعمیت علیکم انلزمکموها
وانتم لها کارهون ۝ ویا قوم لا اسئلکم علیه مالا ان اجری الا علی الله وما انا
بطارد الذین امنوا انهم ملاقوا ربهم ولکنی اریکم قوما تجهلون ۝ ویا قوم
من ینصرنی من الله ان طردتهم افلا تذکرون ۝ ولا اقول لکم عندی
خزائن الله ولا اعلم الغیب ولا اقول انی ملک ولا اقول للذین تزدری اعینکم لن یؤتیهم الله
خیرا الله اعلم بما فی انفسهم انی اذا لمن الظالمین ۝ قالوا یا نوح قد جادلتنا
فاکثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان کنت من الصادقین ۝ قال انما
یاتیکم به الله ان شاء وما انتم بمعجزین ۝ ولا ینفعکم نصحی ان اردت
ان انصح لکم ان کان الله یرید ان یغویکم هو ربکم والیه ترجعون ۝ ام
یقولون افتریه قل ان افتریته فعلی اجرامی وانا بریء مما تجرمون ۝ واوحی
الی نوح انه لن یؤمن من قومک الا من قد امن فلا تبتئس بما کانوا یفعلون ۝
واصنع الفلک باعیننا ووحینا ولا تخاطبنی فی الذین ظلموا انهم مغرقون
ویصنع الفلک وکلما مر علیه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا
فانا نسخر منکم کما تسخرون فسوف تعلمون ۝ من یاتیه عذاب یخزیه
ویحل علیه عذاب مقیم ۝ حتی اذا جاء امرنا وفار التنور ۝ قلنا احمل
فیها من کل زوجین اثنین واهلک الا من سبق علیه القول ومن امن
وما امن معه الا قلیل وقال ارکبوا فیها بسم الله مجریها ومرسیها ان
ربی لغفور رحیم ۝ وهی تجری بهم فی موج کالجبال ونادی نوح ابنه
وکان فی معزل یا بنی ارکب معنا ولا تکن مع الکافرین ۝ قال ساوی
الی جبل یعصمنی من الماء قال لا عاصم الیوم من امر الله الا من رحم
وحال بینهما الموج فکان من المغرقین ۝ وقیل یا ارض ابلعی ماءک
ویا سماء اقلعی وغیض الماء وقضی الامر واستوت علی الجودی وقیل
بعدا للقوم الظالمین ۝ ونادی نوح ربه فقال رب ان ابنی من اهلی وان

وعدک الحق وانت احکم الحاکمین ۝ قال یا نوح انه لیس من اهلک
انه عمل غیر صالح فلا تسئلن ما لیس لک به علم انی اعظک ان تکون من الجاهلین
قال رب انی اعوذ بک ان اسئلک ما لیس لی به علم والا تغفر لی و
ترحمنی اکن من الخاسرین ۝ قیل یا نوح اهبط بسلام منا وبرکات
علیک وعلی امم ممن معک وامم سنمتعهم ثم یمسهم منا عذاب
الیم ۝ تلک من انباء الغیب نوحیها الیک ما کنت تعلمها انت
ولا قومک من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقین ۝

انی لکم بکسر الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة الاخرون بفتحها بادی بالهمز ابو عمرو وبغیر الرأی بالیاء ابو عمرو وغیر شجاع ویزید والاعشی
والاصبهانی عن ورش وحمزة فی الوقف فعمیت مجهولا مشددا حمزة وعلی وخلف وحفص الباقون بفتحها انلزمکموها باختلاس حرکة المیم عباس
اجری الا بالفتح ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص ولکنی اریکم بالفتح حیث کان ابو جعفر ونافع وابو عمرو ونصحی ان ابو جعفر ونافع وابو عمرو باعیننا
حیث کان عباس من کل بالتنوین حیث کان حفص والمفضل مجریها بفتح المیم بالامالة حمزة وعلی وخلف وحفص مجریها بالضم والامالة ابو عمرو والباقون
بالضم مفخما یا بنی بفتح الیاء عاصم ارکب معنا مظهرا عاصم وحمزة عمل علی انه فعل غیر بالنصب علی وسهل ویعقوب الاخرون عمل غیر بالرفع فیهما تسئلن
بالنون المشددة المکسورة لادغام النون المخففة فی نون الوقایة بعد حذف یاء المتکلم فی الحالین ابن عامر وقالون باثبات الیاء فی الوصل ابو جعفر
ونافع غیر قالون بفتح النون المشددة ابن کثیر تسالنی بغیر نون التاکید واثبات الیاء فی الحالین سهل ویعقوب الباقون بغیر یاء فی الحالین
انی اعوذ بفتح الیاء فیهما ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو الوقوف مبین ه الا الله ط الیم ه الرأی ج کاذبین ه فعمیت علیکم ط کارهون
مالا ط امنوا ط تجهلون ه طردتهم ط تذکرون ه خیرا ط انفسهم ج الظالمین ه الصادقین ه بمعجزین ه ان یغویکم ط ترجعون ه افتریه ط تجرمون ه یفعلون
ج للایة والعطف ظلموا ج لاحتمال التعلیل مغرقون ه سخروا منه ط تسخرون ه تعلمون لا لان ما بعده مفعول مقیم ه التنور لا لان ما بعده جواب اذا ومن امن ط
[illegible]

واحتجت المعتزلة بالآية على عدم الشفاعة للفاسق اذ لو كانت جائزة لكانت في حق نوح اولى ثم لم يقل من الذي يخلصني من عذابه واجيب بانه مخصوص بآيات العفو ثم ذكر اخلاق الهية بالاً فانه لا يدعي ان عنده خزائن الله حتى يجحدوا ان له فضلاً عليهم من هذه الجهة ولا اعلم الغيب حتى اصل الى ما اريده لنفسي ولاتباعي واطلع على الضمائر ولا اقول اني ملك اتعظم بذلك عليكم بل طريقي الخضوع والتواضع وعدم الاستنكاف عن مخالطة الفقراء وقد مر في الانعام سائر ما يتعلق بالآية ومعنى تزدري تعيب وتحقر والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وفي قوله تعالى الله اعلم بما في انفسهم دلالة على انهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق اي اذا اي ان قلت شيئاً من ذلك كنت من الظالمين لنفسي او ان قلت انهم لن يؤتيهم خيراً مع انه لا وقوف لي على باطنهم ثم ان قومه وصفوه بكثرة الجدال قائلين يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قال اهل المعاني معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر لم ترد انه اعطى عطيتين اقل فاكثر بل تريد ان الوصف مقارن للموصوف وفي الآية دلالة على ان الجدال في تقرير دلائل التوحيد من دأب اكابر الانبياء ثم استعجلوا العذاب الذي كان يتوعدهم به فاجاب نبي الله بان ذلك ليس الي وانما هو بمشيئته وارادته ولا يعجزه عن ذلك احد وقوله ولا ينفعكم نصحي الى آخره كقول القائل لامرأته انت طالق ان دخلت الدار ان اكلت الخبز لم يقع الطلاق الا اذا دخل الدار فاكل الخبز فلهذا قال الفقهاء المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى فكانه قيل ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لم ينفعكم نصحي واحتجاج الاشاعرة بالآية ظاهر واجابت المعتزلة بانه لا يلزم من فرض امر وقوعه ولعل نوحاً انما قال ذلك ليتبين لهم انه تعالى بنى امر التكليف على الاختيار والا لم يكن للنصح فائدة ولتشبث الخصم بالجبر ولزم افحام النبي ومن الجائز ان يراد بالاغواء التعذيب من غوى الفصيل اذا بشم فهلك او يراد به الخيبة كقوله فسوف يلقون غياً اي خيبة من خير الآخرة او يراد به منع الالطاف وقد تقدم امثال ذلك مراراً ثم اشار الى المبدأ والمعاد بقوله هو ربكم واليه ترجعون ثم انكر الله سبحانه عليهم قولهم انما ادعى نوح انه اوحي اليه مفترى فقال ام يقولون افتراه فامره بان يجيب بكلام منصف هو قوله ان افتريته فعلي اجرامي اي عقاب اثمي وهو الافتراء وانا بريء مما تجرمون اي من اجرامكم وهو اسناد الافتراء الي وههنا اضمار كانه قيل لكني ما افتريته فاجرامكم وعقابه عليكم وانا بريء منه واكثر المفسرين على ان هذه الآية من تمام قصة نوح وعن مقاتل انها من قصة محمد عليه السلام وقعت في اثناء قصة نوح قوله سبحانه واوحي الى نوح انه لن يؤمن اقناط له من ايمانهم الذي كان يتوقعه منهم بدليل قوله الا من قد آمن فان قد للتوقع وقوله فلا تبتئس اي لا تحزن بالفعل ومن تكذيبك وايذائك فقد كان وقت الانتقام منهم قال اكثر المعتزلة انه لا يجوز ان ينزل الله عذاب الاستئصال على قوم علم ان فيهم من يؤمن او في اولادهم من يؤمن بدليل دعاء نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً الى قوله الا فاجراً كفاراً علل الاهلاك بمجموع الامرين فدل ذلك على انه لو لم يحصلا لم يجز الاهلاك وذهب كثير منهم الى الجواز فليس كل خير معلوم بواجب الوقوع نعم كل ما يقع يجب ان يكون على الوجه الاصلح ومذهب الاشاعرة في هذا المعنى ظاهر فله ان يفعل في ملكه ما يشاء ثم عرفه وجه اهلاكهم والهمه وجه خلاصه من الغرق فقال واصنع الفلك وهو امر ايجاب على الاظهر لانه لا سبيل الى صون نفسه عن الهلاك في الطوفان الا بذلك وصون النفس واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقيل امر اباحة كمن اراد ان يتخذ الانسان لنفسه داراً ليسكنها والانصاف ان الامر ظاهره الوجوب وان قطعنا النظر عن فائدته وغايته وقوله باعيننا ووحينا في موضع الحال اي ملتبساً بذلك والسبب فيه ان اقدامه على صنعة السفينة مشروط بامرين احدهما انه لا يمنعه اعداؤه عن ذلك العمل اشار اليه بقوله باعيننا وليست العين بمعنى الجارحة لانه منزه عن الجوارح والاعضاء فالمراد بها الحفظ والحياطة والكلاءة لان العين آلة الحفظ والحراسة والثاني ان يكون عالماً بكيفية تركيب الاخشاب ونحتها عن ابن عباس لم يعلم كيف الفلك فاوحى الله عز وجل اليه ان يصنعه مثل جؤجؤ الطير وقيل المراد اعين الملك الذي كان يعرفه كيفية اتخاذ السفينة ثم قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي في شأنهم وعلل عدم الخطاب بقوله انهم مغرقون اي انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد جف القلم عليهم بذلك فلا فائدة للشفاعة وقيل لا تخاطبني في تعجيل عقابهم فانهم يغرقون في الوقت المعين كذلك فلا فائدة في الاستعجال فلكل امر اجل وقيل المراد بالذين ظلموا امرأته واعلة وكنعان ابنه ثم حكى الحال الماضية بقوله ويصنع الفلك والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ويحتمل ان يكون هذا جواب لما وقوله قال ان تسخروا استئناف على تقدير سؤال سائل كانه قيل فماذا قال نوح حينئذ ويحتمل ان يكون سخروا بدلاً من مر او صفة لملأ وقال جواباً قيل كانوا يقولون يا نوح كنت نبياً فصرت نجاراً ولو كنت صادقاً في دعواك لكان الهك [illegible]

اثنان وسبعون

ثنان وسبعون رجلاً وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم قيل في بعض الروايات ان ابليس دخل معهم السفينة وفيه بعد لانه جسم ناري فلا يؤثر الغرق فيه قوله سبحانه حكاية عن نوح عليه السلام وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها الآية فيه ابحاث الاول ان الركوب يتعدى بنفسه يقال ركبت الدابة والبحر والسفينة اي علوتها فالفائدة في زيادة لفظة في قال الواحدي فائدته انه امرهم بان يكونوا في جوف الفلك لا على ظهره الثاني قوله بسم الله اما ان يتعلق بقوله اركبوا فيكون حالاً من الواو اي مسمين الله او قائلين بسم الله مجريها ومرسيها مصدران حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج او يراد مكان الاجراء والارساء او زمانهما وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بالقول المقدر وعلى التقادير يكون مجموع قوله وقال اركبوا الى قوله ومرسيها كلاماً واحداً واما ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها كلاماً آخر من مبتدأ وخبر اي باسم الله اجراؤها وارساؤها روي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله شعر ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها وكان نوح عليه السلام امرهم بالركوب اولاً ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها بذكر اسم الله او بامره وقدرته وجوز في الكشاف ان تكون هذه الجملة في موضع الحال عن ضمير الفلك فلا تكون جملة مستأنفة ولكن فضلة من تتمة الكلام الاول كانه قيل اركبوا فيها مقدراً ان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى يقال رسا الشيء يرسو اذا ثبت وارساه غيره روي انها سارت لاول يوم من رجب لعشر مضين منه فسارت ستة اشهر ثم استوت على الجودي يوم العاشر من المحرم وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعاً فاعتقها الله من الغرق الثالث قوله ان ربي لغفور رحيم كيف ناسب الاهلاك واظهار القهر والجواب كان القوم اعتقدوا انهم نجوا ببركة ايمانهم وعلمهم فنبههم الله تعالى بهذا الذكر على ان الانسان في كل حال من احواله لا ينفك عن ظلمات الخطاء والزلل فيحتاج الى مغفرة الله ورحمته وفي الآية اشارة الى ان العاقل اذا ركب في سفينة الفكر ينبغي ان يكون تبرياً من حوله وقوته وقاطع النظر عن الاسباب ورابط قلبه وفاق همته بفضل واهب العقل فيقول بلسان الحال بسم الله مجريها ومرسيها حتى يصل سفينة فكره الى ساحل الايقان ويخلص عن امواج الشبه والظنون والاوهام قال في الكشاف وهي تجري بهم متصل بمحذوف كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم وهم فيها في موج كالجبال في التراكم والارتفاع فلعل الامواج احاطت السفينة من الجوانب فصارت كانها في داخل تلك الامواج واختلف المفسرون في قوله ونادى نوح ابنه فالاكثرون على انه ابنه في الحقيقة لئلا يلزم صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة ولا استبعاد في كون ولد النبي كافراً كعكسه واعترض على هذا القول بانه كيف ناداه مع كفره وقد قال رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً واجيب بانه كان منافقاً فظن نوح انه مؤمن او ظن انه كافر الا انه توقع منه الايمان عند مشاهدة العذاب بدليل قوله ولا تكن مع الكافرين او لعل شفقة الابوة حملته على ذلك النداء وعن محمد بن علي الباقر والحسن البصري انه كان ابن امرأته ويؤيده ما روي ان علياً كرم الله وجهه قرأ ونادى نوح ابنها ويؤكد هذا الظن قوله ان ابني من اهلي دون ان يقول انه مني وقيل انه ولد على فراشه لغير رشدة واليه الاشارة بقوله فخانتاهما وزيف هذا القول بانه يجب صون منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة لقوله الخبيثات للخبيثين وفسر ابن عباس تلك الخيانة بان امرأة نوح عليه السلام كانت تقول لزوجي مجنون وامرأة لوط دلت الناس على ضيفه قوله وكان في معزل هو مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده اي كان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن السفينة ومن فيها او كان في معزل عن دين ابيه وقيل في معزل عن الكفار وكذا ظن نوح انه يريد مفارقة الكفر ولكن قوله ولا تكن مع الكافرين لا يساعد هذا القول وقوله يا بني بكسر الياء لاجل الاكتفاء به عن ياء الاضافة وبفتحها اكتفاء به عن الالف المبدلة من الياء ويجوز ان يكون الياء والالف ساقطين من اللفظ لالتقاء الساكنين ثم حكى اصرار ابنه على الكفر بان قال ساوي الى جبل فاجاب نوح بانه لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم واعترض عليه بان معنى من رحم من رحمه الله وهو معصوم فكيف استثناه من العاصم واجيب بان من فاعل في معنى المفعول والمراد نوح لانه سبب الرحمة والنجاة كما اضيف الاحياء الى الطبيب او الرحيم الذي مر ذكره في قوله ان ربي لغفور رحيم وهو عاصم المعصوم او هو استثناء مفرغ والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من امر الله الا من رحم او العاصم بمعنى ذو العصمة كلابن وتامر وذو العصمة المعصوم او المضاف محذوف والتقدير لا عاصم قط الا مكان من رحمهم الله ونجاهم مع السفينة او هو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحم الله فهو المعصوم وحال بينهما الموج اي بسبب هذه الحيلولة خرج من ان يخاطبه نوح فصار من جملة الغرقى قوله سبحانه وقيل يا ارض الآية مما اختص بمزيد البلاغة حتى صارت متداولة بين علماء المعاني فتكلموا فيها في وجوه محاسنها فلا علينا ان نورد بعض ما استفدنا منهم فنقول النظر فيها من اربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني ومن جهتي الفصاحتين المعنوية واللفظية اما من جهة علم البيان والنظر فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فالقول فيه انه عز سلطانه اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغاض وان نقضي امر نوح وهو انجاؤه واغراق قومه كما وعدناه فقضي وان نسوي السفينة على الجودي وهو جبل بقرب الموصل فاستوت وابقينا الظلمة غرقى فبنى الكلام على تشبيه الارض والسماء بالمأمور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتخيل تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويراً لاقتداره وان السماء والارض مع عظم جرمهما تابعتان لارادته ايجاداً واعداماً وتغييراً وتصريفاً كانهما عقلاء مميزون قد احاطا علماً بوجوب الامتثال والاذعان لحكمه فاستعمل قيل بدل اريد مجازاً اطلاقاً للمسبب على السبب فان صدور القول انما يكون بعد ارادته وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد بقوله يا ارض ويا سماء والخطاب ايضاً على سبيل الاستعارة للشبه المذكور وهو كون السماء والارض كالمأمور المنقادين واستعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال القوة الجاذبة في المطعوم للشبه بين الغور والبلع وهو الذهاب الى مقر خفي وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل الى المفعول وجعل الماء مكان الغذاء ايضاً استعارة لانه شبه الماء بالغذاء لتقوي الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار تقوي الآكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء ثم امر الجماد على سبيل الاستعارة للشبه المتقدم ذكره وخاطب في الامر دون ان يقول لتبلع ترشيحاً لاستعارة النداء اذ كونه مخاطباً من صفات الحي كما ان كونه منادى من صفاته ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيهاً لاتصال الماء بالارض باتصال الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب دون ان يقال ابلعي ماءها لاجل الترشيح المذكور ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب في الامر قائلاً اقلعي لمثل ما تقدم في ابلعي من ترشيح استعارة النداء ثم قال وغيض الماء غاض الماء قل ونضب وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً فلم يصرح بالفاعل سلوكاً لسبيل الكناية لان هذه الامور لا يتأتى الا من قدير قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره ومثله في صدر الآية ليستدل من ذكر الفعل وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شأن الكناية ثم ختم الكلام بالتعريض لانه مبني عن الظلم الطارق وعن علة قيامة الطوفان واما النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة منها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها فذلك انه اختير يا للنداء لانها اكثر استعمالاً ولدلالتها على تبعيد المنادى الذي يستدعيه مقام العزة والهيبة وكذا قيل يا ارض بالاضافة تهاوناً بالمنادى ولم يقل يا ايتها الارض للاختصار مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لئلا يلبس من شأنه

[illegible]

[illegible]

العابنة لمن اتقى طوفان فتن الدنيا والنفس والهوى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل قال الله سبحانه وتعالى

والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم
الا مفترون ۝ يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى
افلا تعقلون ۝ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء
عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ۝ قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك
بمؤمنين ۝ ان نقول الا اعتريك بعض آلهتنا بسوء قال انى
اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا
ثم لا تنظرون ۝ انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ
بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم ۝ فان تولوا فقد ابلغتكم
ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان
ربى على كل شئ حفيظ ۝ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه
برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ۝ وتلك عاد جحدوا بآيات
ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد ۝ واتبعوا فى هذه
الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود ۝
والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم
من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب

[illegible]

مجيب ۝ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ۝ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير ۝ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ۝ فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ۝ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز ۝ وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ۝ كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ۝ صدق الله العظيم

[illegible]

[illegible]

ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ۝ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ۝ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ۝ قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب ۝ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ۝ فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ۝ إن إبراهيم لحليم أواه منيب ۝ يا إبراهيم أعرض

[illegible]

عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ۝
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا
يوم عصيب ۝ وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون
السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا
تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد ۝ قالوا لقد علمت
ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد ۝ قال لو ان لي بكم
قوة او اوي الى ركن شديد ۝ قالوا يا لوط انا رسل ربك لن
يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم
احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس
الصبح بقريب ۝ فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك
وما هي من الظالمين ببعيد ۝ صدق الله العظيم

القراءات سلم بكسر السين بلا الف فيهما حمزة وعلي ويعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص الآخرون بالرفع سيء بهم وبابه كضرب مجهولا ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي ورويس والآخرون سيء مثل قيل تخزوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل ضيفي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو فاسر وبابه بهمزة الوصل ابو جعفر ونافع وابن كثير وعباس من طريق الموصلي وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الا امراتك بالرفع ابن كثير وابو عمرو الباقون بالنصب الوقوف سلاما ط حنيذ ه خيفة ط قوم لوط ط يعقوب لمن قرا يعقوب بالرفع يعقوب ه شيخا ط عجيب ه اهل البيت ط مجيد ه قوم لوط ط منيب ه عن هذا ج لاحتمال التعليل امر ربك ج للابتداء بان مع اتصال المعنى مردود ه عصيب ه اليه ج للعطف ولاختلاف النظم السيئات ط ضيفي ط رشيد ه من حق ط ما نريد ه شديد ه الا امراتك ط اصابهم ط الصبح ط بقريب ه منضود ه لا لان ما بعده صفة حجارة عند ربك ط ببعيد ه التفسير الرسل ههنا الملائكة واجمعوا على ان الاصل فيهم جبرائيل ثم اختلفوا فقيل كان معه اثنا عشر ملكا في احسن ما يكون من صورة الغلمان وقال الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل هم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الحجر ونبئهم عن ضيف ابراهيم وفي الذاريات هل اتيك حديث ضيف ابراهيم والظاهر ان البشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ومعنى سلاما سلمنا عليك سلاما ومعنى سلام امركم سلام او سلام عليكم ولان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب يدل على الحدوث لمكان تقدير الفعل قال العلماء ان سلام ابراهيم كان احسن اقتداء بقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها واما صح وقوع سلام مبتدا مع كونه نكرة لتخصصه بالاضافة الى المتكلم اذ اصله سلمت سلاما فعدل الى الرفع لافادة الثبات ومن قرا سلم فمعناه السلام ايضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام وقال ابو علي الفارسي يحتمل ان يراد بالسلم خلاف الحرب فما لبث ابراهيم خمس عشرة ليلة لا ياتيه ضيف فاهتم لذلك فجاءته الملائكة فراى اضيافا فلم ير مثلهم فما لبث في ان جاء اي فما لبث مجيئه بعجل او فما لبث مجيئه بعجل هو ولد البقرة حنيذ مشوي في حفرة من الارض بالحجارة المحماة وهو من فعل اهل البادية معروف ومعناه محنوذ كطبيخ بمعنى مطبوخ وقيل الحنيذ الذي يقطر دسما كقوله بعجل سمين يقول حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا فلما راى ايديهم لا تصل اليه الى العجل او الطعام نكرهم واستنكرهم واوجس منهم خيفة لانه ما كان يعرف انه ملائكة وكان من عادة العرب انه اذا نزل بهم الضيف ولم يتناول طعامهم توقعوا منه المكروه والشر وقيل انه كان ينزل في طرف من الارض بعيد عن الناس فلما امتنعوا من الاكل خاف ان يريدوا به شرا وقيل انه كان يعرف انهم ملائكة الله لقولهم له لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لم يقولوا لا تخف انا ملائكة بل ذكروا سبب الارسال وهو اهلاك قوم لوط وعلى هذا فانما خاف ان يكون نزولهم لامر انكره الله او لتعذيب قومه والاحتمال الاول هو انه كان لا يعرف انهم ملائكة اقرب بدليل احضار الطعام واستدلاله بترك الكلام على توقع الشر منهم وانما ذكروا سبب الارسال ايجازا واختصارا لدلالة الارسال على كونهم رسلا لا اضيافا وانما اتوه على صورة الاضياف ليكونوا على صفة يحبها لانه كان مشغوفا بالضيافة ثم عرف الملائكة خوفه قيل بالتغير في وجهه او بتعريف الله وعلموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بالعذاب وامراته هي سارة بنت هاران بن ناخورا بنت عم ابراهيم قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهم قعود فضحكت قال العلماء لابد للضحك من سبب فقال السدي سببه السرور بزوال الخيفة وقيل بهلاك اهل الخبائث وعن السدي ان ابراهيم قال لهم الا تاكلون قالوا انا لا ناكل طعاما الا بثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله على اوله وتحمدوه في اخره

قال جبرئيل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه ربه خليلا فضحكت امراته فرحا بهذا الكلام وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم ان سينزل بهؤلاء القوم عذاب ففرحت بموافقة قولهم لقولها فضحكت وقيل طلب ابراهيم صلوات الرحمن عليه منهم معجزة دالة على انهم من الملائكة فدعوا ربهم باحياء العجل المشوي فطفر ذلك العجل المشوي الى مرعاه فضحكت سارة من طفرته وقيل ضحكت تعجبا من قوم اتاهم العذاب وهم غافلون وقيل تعجبت من خوف ابراهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلثة انفس وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي فبشرناها باسحق فضحكت سرورا وعن مجاهد وعكرمة ضحكت اي حاضت ومنه ضحكت الطلعة اذا انشقت يعني استعدادها للعلوق والولد من قرا يعقوب بالرفع فعلى الابتداء والخبر محذوف اي يعقوب مولود او موجود من بعد اسحق ومن قرا بالنصب فعلى العبارة المتروكة كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن بعد اسحق يعقوب اولى من احتمال ان يكون يعقوب مجرورا بالعبارة الموجودة اي وبشرناها بيعقوب من بعد اسحق وقيل الوراء ولد الولد ووجهه ان يراد بيعقوب اولاده كما يقال هاشم ويراد اولاده يا ويلتى نهدلت وقد مرت في المائدة في يا ويلتى اعجزت وشيخا نصب على الحال والعامل فيه ما في هذا من معنى انبه او اشير ان هذا يعني ان يولد ولد من هرمين لشيء عجيب عادة فازال الملائكة تعجبها منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستئناف رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت خليل الرحمن والمقصود ان رحمته عليكم متكاثرة وبركاته فيكم متواترة وخرق العادات في اهل بيت النبوة غير عجيب ويحتمل ان يكون انتصاب اهل البيت على الاختصاص وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم ولد ابراهيم ثم اكدوا ازالة التعجب بقولهم انه حميد محمود في افعاله مجيد ذو الكرم الكامل فلا يبعد ان يمنح لطالبه ومطلوبه فلما ذهب عن ابراهيم الروع الخوف الذي لحقه حين انكر اضيافه وجاءته البشرى البشارة بحصول الولد يجادلنا في قوم لوط اي في شانهم وهو جواب لما على حكاية الحال ولان لما ترد المضارع الى الماضي عكس ان ويحتمل ان يكون جواب لما محذوفا ودل عليه يجادلنا اي اجترا على خطابنا او قال كذا ابتداء فقال يجادلنا وقيل معناه اخذ يجادلنا ولا بد من حذف مضاف اي يجادل رسلنا لانه بمعنى مخالفة امر الله فان ذلك يكون معصية بل معناه في تاخير العذاب عنهم رجاء ايمانهم وتوبتهم يروى انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال فان كان رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله قال الاصوليون ان ابراهيم كان يقول ان امر الله ورد بايصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور والملائكة تدعون الفور اما للقرائن او لان مطلق الامر يستدعي ذلك فهذه هي المجادلة او لعل ابراهيم كان يدعي ان الامر مشروط بشرط لم يحصل بعد وهم ادعوا حصوله وبالجملة فان العلماء يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص وليس يوجب القدح في واحد منهم فكذلك ههنا ولذلك مدحه بقوله ان ابراهيم لحليم غير عجول في الامور اواه كثير التاوه من الذنوب منيب راجع الى الله في كل ما يسخطه وهذه الصفات تدل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى حملته على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع العذاب عنهم [illegible]

يتحنون اليه كانه يحث بعضهم بعضا وقال الجوهري الاهراع الاسراع واهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد من غضب او حمى او خوف وقيل انما لم يسم فاعله للعلم به والمعنى اهرعه خوفه اي جرمه ثم بين ان اسراعهم انما كان لاجل العمل الخبيث فقال ومن قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش فمرنوا عليها فلذلك جاؤا مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم في ذلك العمل قبل ذلك فاراد ان يقي اضيافه ببناته فقال هؤلاء بناتي عرضهن بناته من صلبه وعن مجاهد وسعيد بن جبير اراد نساء امته لان النبي كالاب لامته واختير هذا القول لان عرض البنات الحقيقيات على الفجار لا يليق بذوي المروات ولان التوالي من صلبه لا يكفي الجمع العظيم وكما روي انه لم يكن له الا ابنتان واقل الجمع ثلثة والقائلون بالقول الاول قالوا انه دعا القوم الى التزوج بهن وانما دعاهم الى التزوج بهن بعد الايمان او مع الكفر فلعل تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا كما في اول الاسلام تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع بن عبد العزى وهما كافران فنسخ بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل ان بناته كن اكثر من ثنتين ويجوز ان يكون قد عرض البنات عليهم لا بطريق الجد بل طمعا منهم ان يستحيوا منه ويرتدوا والمراد بقوله هن اطهر لكم الطاهرة في نكاح الرجال فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون لا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق اضيافي فان اخزاء الضيف والجار يورث للمضيف العار والشنار والضيف يستوي فيه الواحد والجمع ويجوز ان يكون مصدرا اليس منكم رجل رشيد صالح او مصلح مرشد يمتنع او يمنع عن مثل هذا العمل القبيح او قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شيء فكانه حصل له فيه نوع حق وكذلك قالوا وانك لتعلم ما نريد ويجوز ان يراد انهن لسن لنا بازواج فلا حق لنا فيهن من حيث الشرع ومن حيث الطبع او يراد انك دعوتنا الا الى نكاحهن بشرط الايمان ونحن لا نؤمن ابدا فلا نستحق نكاحهن قال لوط لو ان لي بكم قوة وجوابه محذوف اي لفعلت بكم وصنعت وبالغت في دفعكم قال اهل المعاني حذف الجواب ابلغ لان الوهم يذهب الى انواع كثيرة من الدفع والمنع والمراد لو ان لي ما اتقوى به عليكم فسمي موجب القوة بالقوة ويحتمل ان يريد بالقوة القدرة والطاقة او اوي انضم الى ركن شديد حام منيع شبهه بركن من الجبل في شدته وقوله او اوي عطف على الفعل المقدر بعد لو والحاصل انه تمنى ان تكون له قوة بنفسه او بمعاونة غيره قال ذلك من شدة القلق والحيرة في الامر النازل به ولهذا قالت الملائكة وقد رقت عليه وخزنت له ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد فما بعث نبي بعد ذلك الا في ثروة من قومه ويحتمل ان يريد بالركن اشد حصنا يتحصن به فيامن من شرهم ويحتمل انه لما شاهد سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدرك وقال بل الاولى الاوي الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله تعالى روي انه اغلق بابه لما جاؤا فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا

اليك وهذه جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصل الاعداء اليه ولن يقدروا على ضرره فامره الملائكة ان يفتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال سبحانه ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون نحو ابوابهم يقولون ان في بيت لوط سحرة ثم تبين نزول العذاب ووجه خلاص لوط واهله فقال فاسر باهلك الباء للتعدية ان كانت الهمزة للوصل من سرى او زائدة ان كانت للقطع من الاسراء بقطع من الليل عن ابن عباس اي في اخر الليل بسحر قال قتادة بعد طائفة من الليل وقيل نصف الليل كانه قد منتصفين ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر الى ما وراءه الا امرأتك اكثر القراء على النصب فاعترض بان الفصيح في مثله هو البدل لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير الافصح فاجاب جار الله بان الرفع بدل من احد على القياس والنصب مستثنى من قوله فاسر لا من قوله لا يلتفت وزيف بان الاستثناء من اسر يقتضي كونها غير مسري بها والاستثناء من لا يلتفت احد يقتضي كونها مسري بها لان الالتفات بعد الاسراء فيكون مسري بها وغير مسري بها ويمكن ان يجاب بان اسر وان كان مطلقا في الظاهر الا انه في المعنى مقيد بعدم الالتفات اذ المراد اسر باهلك اسراء لا التفات فيه الا امرأتك فانك تسري بها اسراء مع الالتفات فاستثن على هذا ان شئت من اسر وان شئت من لا يلتفت ولا تناقض وبعضهم كابن الحاجب جعل الا امرأتك في كلتا القرائتين مستثنى من لا يلتفت ولم يستبعد اجتماع القراء على قراءة غير الاقوى ويمكن ان يقال انما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من اسر اذ لو جعل استثناء من لا يلتفت لزم ان يكون مأمورة بالالتفات لان القائل اذا قال لا يقم منكم الا زيد كان ذلك امرا لزيد بالقيام اللهم الا ان يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم احد لكن امرأتك تلتفت فيصيبها ما اصابهم واذا كان هذا الاستثناء منقطعا كان النفي معنيه قال في الكشاف وروي انه امر ان يخلفها مع قومها فلم يسر بها واختلاف القرائتين لاختلاف الروايتين اقول في هذا الكلام خلل لان الروايتين لا يمكن اجتماعهما على الصحة والقراءتان يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القراءات كلها روي انها لما سمعت هذه العذاب اي صوتها التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وقيل المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والامتعة فعلى هذا يصح الاستثناء من غير شائبة التناقض كانه امر لوطا ان يخرج بقومه ويترك هذه المرأة فانها هالكة من الهالكين ثم امر ان تقطعوا العلائق واخبر ان امرأته تبقى متعلقة القلب بها يروى انه لهم متى موعد هلاكهم فقيل له ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقال اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا بهلاكهم جعلنا اي جبريل سافلها روي ان جبريل ادخل جناحه الواحد تحت مداين قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع اهل السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصياح الديوك لم تنبه لهم طعام ولم يكفر لهم اناء ثم قلبها دفعة وضربها على الارض ثم امطر عليهم حجارة من سجيل وهو معرب سنك كل كانه مركب من حجر وطين وهو في الصلابة وقيل سجيل اي مثل السجل وهي الدلو العظيمة وشبهها في تضمن الاحكام الكثيرة وقيل اي مرسلة عليهم من اسجلته اذا ارسلته وقيل اي مما كتب ان يعذب به او كتب عليه اسماء المعذبين من السجل وقد سجل لفلان وقيل اي من سجين اي من جهنم فابدلت النون لاما وقيل انه اسم سماء الدنيا منضود موضوع بعضها في النزول اي على سبيل المتابعة والتلاصق او نضد في السماء نضد اعدادا لاهلاك الظلمة وفي السماء معادنها في جبال مخصوصة كقوله من جبال فيها من برد مسومة معلمة للعذاب او ببياض وحمرة وعن الحسن والسدي عليها امثال الخواتم وقال ابن جريج كان عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع مكتوب على كل حجر اسم من رمي به وقال ابو صالح رأيت منها عند ام هاني حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع ومعنى عند ربك اي في خزائنه لا يتصرف في شيء منها الا هو مستقر في علمه اهلاك من اهلك بكل واحد منها وما هي اي تلك الحجارة من الظالمين اي من كل ظالم ببعيد وهو وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عن هذا فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة فساعة وقيل اي تلك القرى ليست ببعيدة من ظالمي مكة يمرون بها في مسائرهم الى الشام وقيل المراد انها وان كانت في السماء الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه والله تعالى اعلم بمراده

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان إني أريكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ۝
ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم و
لا تعثوا في الأرض مفسدين ۝ بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ۝
وما أنا عليكم بحفيظ ۝ قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك
ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم
الرشيد ۝ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه
رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح
ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ۝
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود

أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ۝ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه
إن ربي رحيم ودود ۝ قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنريك
فينا ضعيفا ۝ ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز ۝
قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون
محيط ۝ ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون ۝
من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب ۝
ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت
الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ۝ كأن لم يغنوا
فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ۝ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا
وسلطان مبين ۝ إلى فرعون وملإيه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون
برشيد ۝ يقدم قومه يوم القيمة فأوردهم النار وبئس
الورد المورود ۝ وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد
المرفود ۝ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد
وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون
من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب ۝
وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ۝

القراءات: إني بالفتح أريكم بالامالة ابو جعفر ونافع وابو عمرو والبزي وكذلك روي عن اهل مكة إني أخاف شقاقي بالفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو أصلوتك كما في التوبة إن صلوتك سكن توفيقي بالفتح ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر ونافع أرهطي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو بعدت ثمود بالاظهار ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى
الوقوف: شيئا ط غيره ط محيط ۝ مفسدين ۝ مؤمنين ج للابتداء بالنفي مع الواو بحفيظ ۝ ما نشاء ط الرشيد ۝ حسنا ط عنه ط ما استطعت ط الا بالله ط انيب ۝ نصف الجزء صالح ط ببعيد ۝ اليه ط ودود ۝ ضعيفا ج لان لولا للابتداء مع الواو رجمناك ز لحق النفي وكون الواو للحال اوجه بعزيز ۝ من الله ط للفصل بين الاستخبار والاخبار واتحاد المقصود وجه للوصل ظهريا ط محيط ۝ عامل ط تعلمون لا كاذب ط للفصل بين الخبر والطلب رقيب ۝ جاثمين ۝ لا فيها ط ثمود ۝ مبين ۝ لا للتعلق الجار فرعون ج للنفي مع الواو للعطف او للحال برشيد ۝ النار ط المورود ۝ القيمة ط المرفود ۝ وحصيد ۝ امر ربك ط تتبيب ۝ ظالمة ط شديد ۝
التفسير: نقص المكيال يشمل معنيين بان ينقص في الايفاء من القدر الواجب ويزيد في الاستيفاء على قدر الواجب فيلزم في كلا الحالين نقصان حق الغير ثم علل النهي بقوله اني اريكم بخير اي بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او بنعمة من الله حقها ان تشكر لتزداد لا ان تكفر فتزال واني اخاف عليكم عن ابن عباس انه فسر الخوف بالعلم وقال اخرون انه الظن الغالب لانه كان يجوز ازدجارهم وانتهاؤهم والعذاب المحيط المهلك المستأصل كانه احاط بحيث لا ينفلت منهم احد وزيادة اليوم لاجل المبالغة والاسناد المجازي باعتبار ما هو واقع فيه ومشتمل عليه ذلك اليوم قيل هو عذاب الاستئصال في الدنيا وقيل عذاب الآخرة والاظهر العموم قوله اوفوا المكيال الى قوله اشياءهم قد مر تفسير مثله في الاعراف وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين مضى تفسيره في اوائل البقرة بقي في الآية سؤال وهو انه سبحانه نهى اولا عن التنقيص ثم امر بالايفاء فهل فيه فائدة سوى التأكيد والتقرير والجواب بعد تسليم ان النهي عن الشيء امر بضده وان النهي عن النقص في المبايعة وان كان يفيد بصريحه تغييرا وتوبيخا لكنه يوهم عن اصل المبايعة فلدفع هذا الخيال امر بايفاء الكيل ففيه اباحة اصل المبايعة مع التصريح بالنعت المستحسن في العقول لزيادة الترغيب وفيه ايضا فائدة اخرى من قبل تقييد الايفاء بالقسط ليعلم ان ما جاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل ومروءة اليقف عنده حد وانما الواجب شيء من اوليفاء ما يخرج عن العهدة بيقين كما ان غسل الوجه لحصول اليقين لا بد فيه غسل شيء من الرأس بقيت الله قيل ثواب الله وقيل طاعة الله ورضاه كقوله والباقيات

الصالحات خير وقيل اي ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم بشرط ان تؤمنوا لان شيئا من الاعمال لا ينفع مع الكفر او ان كنتم مصدقين
اي فيما انصح لكم ولا ريب ان الامانة تجر الرزق لاعتماد الناس واقبالهم عليه فينفتح له ابواب المكاسب والخيانة تجر الفقر لتنفر الناس عنه وعن معاملته
وصحبته قالت المعتزلة في اضافة البقية الى الله دليل على ان الحرام لا يسمى رزق الله وقرئ تقية الله بالتاء الفوقانية اي اتقاؤه والتصارف
عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم لاجازيكم انما انا مبلغ ناصح وقد اعذر من انذر قوله اصلوتك قيل اي دينك وايمانك لان الصلوة
عماد الدين فعبر عن الشيء باسم معظم اركانه وقيل المراد الاتباع لانه اصل الصلوة ومنه المصلي للذي يتلو السابق والمعنى ربك اي اتباعه يامرك بكذا
والاظهر ان المراد به الاعمال المخصوصة يروى ان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلوة فكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلوتك
تامرك السخرية والهزء فكان الصلوة التي يداوم عليها ليلا ونهارا هي من باب الجنون والوساوس ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك
على حذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقوله ان نفعل معطوف على ما في ما يعبد اي تامرك صلوتك بترك ما عبد آباؤنا وبترك ان نفعل في اموالنا
ما نشاء روي انه كان ينهاهم عن قطع اطراف الدراهم بترك التطفيف والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير انك لانت الحليم الرشيد قيل انه
مجاز والمراد نسبته الى غاية السفاهة والغواية فعكسوا تهكما به وقيل حقيقة وانه كان معروفا فيما بينهم بالحلم والرشد فكانهم قالوا انك المعروف بهذا فلم تنهانا عن دين آبائنا
تنهانا عن دين آبائنا وسيرة تعودناها ثم اشار عليه السلام الى ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والكرامة والرزق الحلال الحاصل من غير بخس وتطفيف
وجواب الشرطية محذوف اكتفي عنه بما ذكر في قصتي نوح وصالح والمعنى ارايتم ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وقد اتاني بعد هذه السعادات
الروحانية السعادات الدنيوية من المنافع الحسنات والمنافع الجلية فهل يسعني مع هذه الاكرامات ان اخون في وحيه وان آمركم بترك الشرك والبخس
والانبياء لا يبعثون الا لذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه فالمعنى لا اجعل قولي مخالفا لقولي
فلا اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها ان اريد الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالموعظة والنصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطعت ظرف للاصلاح
اي مدة استطاعتي للاصلاح او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه او المضاف محذوف اي الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعول للاصلاح
فقد يعمل المصدر المعرف كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فسادكم ثم بين ان كل ما ياتي ويذر فوقوعه بتسهيل
وتاييده فقال وما توفيقي الا بالله والتوفيق ان يوافق ارادة العبد ارادة الله تعالى عليه توكلت اخصه بتفويض الامور اليه لانه مبدا المبادي واليه انيب لانه
المعاد والحق وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم منه ثم اوعدهم بقوله لا يجرمنكم شقاقي ولا يكسبنكم خلافي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود
من الريح العقيم او قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد لم يقل ببعيدة حملا على لفظ القوم لانه مؤنث ولا ببعيدين حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف
اي وما اهلاكهم ببعيد لانهم اهلكوا في عهد قريب من عهدهم او المراد وما هم بشيء بعيد او بزمان او بمكان بعيد وجوزوا ان يستوي في بعيد وقريب وقليل وكثير بين
المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما ان ربي رحيم ودود ويجوز ان يكون بمعنى فاعل او مفعول كقوله يحبهم ويحبونه وهذا
حث لهم على الاستغفار والتوبة وتنبيه على ان سبق الكفر والمعصية لا ينبغي ان يمنعهم من الايمان والطاعة وكان يقال له خطيب الانبياء في التقرير والبيان
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول لقلة الرغبة او قالوه تهكما واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبا بحديثه ما ادري ما تقول كانهم جعلوه كلاما مخلطا و
هذيانا لا ينفعهم كثير منه وقيل لانه كان الثغ وانا لنراك فينا ضعيفا عن الحسن مهينا اي لا عزة لك فينا ولا قوة فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا
مكروها وفسر بعضهم الضعيف بالاعمى لان الاعمى سبب الضعف او لانه لغة حمير وزيف هذا القول اما عند من جوز العمى على الانبياء فلان لفظة فينا يأباه لان العمى
بينهم وفي غيرهم واما عند من لا يجوزه كبعض المعتزلة فلان الاعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولى
ثم ذكروا انهم انما لم يبدؤوا به المكروه ولم يوقعوا به لاجل رهطه والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة والرجم شر القتل وهو الرمي بالحجارة او
المراد الطرد والابعاد ومنه الشيطان الرجيم ثم اكد والمذكور بقولهم وما انت علينا بعزيز وانما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم ولكن لانهم من اهل
ديننا فالكلام واقع في فاعل العز لا في الفعل وهو العز ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل اعززت عليكم لم يصح هذا الجواب وانما قال
اعز عليكم من الله ايذانا بان التهاون بنبي الله تهاون بالله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه اي امر الله او ما جئت به وراءكم ظهريا منسوب
الى الظهر والكسر من تغييرات النسب اي جعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت اليه ثم وصف الله تعالى بما تضمن الوعيد في حقهم فقال ان ربي بما تعملون
محيط ثم زاد في الوعيد والتهديد بقوله اعملوا على مكانتكم وقد مر تفسير مثله في الانعام قال في الكشاف الاستيناف يعني في سوف تعلمون وصف حقيقي
تقديري وانه اقوى من الوصل بالفاء وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه ثم بالغ في التهديد بقوله وارتقبوا انتظروا عاقبة الشقاق اني معكم
رقيب راقب كالضريب بمعنى الضارب او مراقب كالعشير والنديم او مرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع وباقي القصة على قياس قصة صالح
واخذ الصيحة واخذت الصيحة كلتا العبارتين فصيحة لمكان الفاصلة الا انه لما جاء في قصة شعيب مرة الرجفة ومرة الظلة ومرة الصيحة ازداد التانيث
حسنا بخلاف قصة صالح وانما دعا عليهم بقوله كما بعدت ثمود لما روى الكلبي عن ابن عباس قال لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وصالح
فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم من فوقهم قوله سبحانه باياتنا وسلطان مبين قال في التفسير الكبير الايات اسم القدر
المشترك بين العلامات المفيدة وبين الدلائل التي تفيد اليقين والسلطان اسم لما يفيد القطع وان لم يتاكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالدليل القاطع
الذي يعضده الحس وقال في الكشاف يجوز ان يراد ان الايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها
وقوله الى فرعون متعلق بارسلنا فاتبعوا امر فرعون اي شانه وطريقته او امره اياهم بالكفر والجحود وتكذيب موسى وما امر فرعون برشيد اي ليس في امره
رشد انما فيه غي وضلال وفيه تعريض بان الحق والرشد في امر موسى ثم ان قومه عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط فلا جرم كما كان فرعون قدوة
لهم في الضلال فكذلك يقدمهم اي يتقدمهم يوم القيمة الى النار وهم على اثره ويجوز ان يراد بالرشد الاحماد وحسن العاقبة فيكون المعنى وما امر فرعون بحميد
العاقبة ثم فسره بانه يقدم قومه اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته ويقال قدمه وقدمه بالتخفيف والتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش ومثله
اقدم ومنه مقدم العين وانما قال فاوردهم بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع والورد المورود والذي ورد وشبه فرعون بمن يتقدم الوارد الى الماء
وشبه اتباعه بالوارد ثم نعى عليهم بقوله وبئس الورد المورود الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده وتذكير بئس
لتذكير الورد وان كان هو عبارة عن النار كقولك نعم المنزل دارك ولو قلت نعمت نظرا الى الدار في تشبيه النار بالماء نوع تهكم بهم واتبعوا في
حذف صفته في هذه الاية اكتفاء بما مر في قصة عاد وقيل الرفد المرفود اي بئس العطاء المعطى ذلك وقيل الرفد العون والمرفود المعان وذلك ان اللعنة
في الدنيا رفدت اي اعينت وامدت باللعنة في الاخرة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان لعنة الله والملائكة والاعنين في الدنيا ولعنة في الاخرة ذلك

الذي ذكرناه من انباء بعض انباء القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر ثم استانف فقال منها قائم وحصيد اي ومنها حصيد والمراد بعضها باق
كالزرع القائم على ساقه وبعضها عافي الاثر كالزرع المحصود وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا عن ابن عباس وما نقصناهم
في الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استخفوا بحقوق الله فما اغنت فما قدرت ان ترد عنهم آلهتهم التي يدعون يعبدون وهي حكاية حال ما
باس الله حين جاء وما زادوهم يعني آلهتهم غير تتبيب تخسير تب خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران كانوا يعتقدون في الاصنام انها تعين في الدنيا على تحصيل
المنافع ودفع المضار وستشفع عند الله في الاخرة فلم تنفعهم في الدنيا حين جاءهم عذاب الله وسيورثهم ذلك الاعتقاد عذاب النار في الاخرة فهو في خسران
الدارين ثم بين ان عذابه غير مقصور على اولئك الاقوام ولكنه يعم كل ظالم سيوجد فقال وكذلك اي مثل ذلك الاخذ اخذ ربك فالاخذ مبتدا وكذلك
خبره وقوله وهي ظالمة حال من القرى باعتبار اهلها ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهو تحذير من وخامة عاقبة كل ظلم على الغير او على النفس فعلى العاقل
ان يبادر الى التوبة ولا يغتر بالامهال التاويل ولا تنقصوا مكيال المحبة وميزان الطلب لكيال المحبة عداوة ما سوى الله وميزان الطلب السير على قدمي الشريعة والطريقة
اني اريكم بخير هو حسن الاستعداد الفطري واني اخاف عليكم عذاب فناء الاستعداد في طلب غير الحق بالقسط في تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله ولا تبخسوا
الناس حقوق النصيحة وحسن العشرة في الله لله ولا تعثوا في ارض وجودكم بقية الله بقاؤكم بعد فنائكم خير لكم مما فاتكم بايفاء المكيال والميزان ورزقا حسنا
نورانيا ما اريد به اصلاح الامور والاستعدادات ان ساعدني التوفيق وما معاملة قوم لوط من معاملتكم ببعيد لان الكفر كله ملة واحدة وما امر فرعون برشيد
لان فرعون النفس امارة بالسوء اذا اخذ القرى قرى الاجساد منها قائم قابل لتدارك ما فات ومنها ما هو محصود بفوات الاستعداد والله اعلم بمراده

ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود ۝ وما نؤخره الا لاجل معدود ۝ يوم يات لا تكلم
نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد ۝ فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها
زفير وشهيق ۝ خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما
شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ۝ واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم
من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ۝ ولقد آتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم
وانهم لفي شك منه مريب ۝ وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم
انه بما تعملون خبير ۝ فاستقم كما امرت ومن تاب معك
ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ۝ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون ۝ واقم الصلوة
طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك
ذكرى للذاكرين ۝ واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ۝
فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض
الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين ۝
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ۝ ولو شاء

الذي

ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك
ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك
في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب
السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه
وما ربك بغافل عما تعملون صدق الله العظيم

القراآت وما نؤخره بالياء يعقوب والمفضل الباقون بالنون يوم يأتي باثبات الياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب ووافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي في الوصل الآخرون بحذف الياء لا تكلم بتشديد التاء البزي وابن فليح سعدوا بضم السين حمزة وعلي وخلف وحفص قيل انه على حذف الهمزة من اسعد واذا ان سعد لازم ولكنه قد جاء المسعود الآخرون بفتحها وان كلا بالتخفيف ابن كثير ونافع وابو بكر وحماد والمفضل الباقون بالتشديد لما مشددة ابن عامر وعاصم ويزيد وحمزة وكذلك في الطارق الباقون بالتخفيف وزلفا بضمتين يزيد الآخرون بفتح اللام فؤادك وبابه بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يرجع مجهولا نافع وحفص والمفضل تعملون خطابا وكذلك في آخر النمل ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الباقون على الغيبة الوقوف الاخرة ط مشهود ه معدود ه باذنه ج لاختلاف الجملتين مع فاء التعقيب وسعيد ه وشهيق ه لا لان ما بعده حال والعامل فيه ما في النار من معنى الفعل شاء ربك ط يريد ه شاء ربك ط لان التقدير يعطون عطاء مجذوذ ه هؤلاء ط من قبل ط منقوص ه فاختلف فيه ط بينهم ط مريب ه اعمالهم ط خبير ه ولا تطغوا ط بصير ه النار ط لان ما بعده من تمام جزاء والاركنوا تنصرون ه من الليل ط السيئات ط للذاكرين ج المحسنين ه منهم ج لان التقدير وقد اتبع مجرمين ه مصلحون ه مختلفين ه رحم ربك ط خلقهم ط اجمعين ه فؤادك ج اذ التقدير وقد جاءك للمؤمنين ه مكانتكم ط عاملون ه لا للعطف وانتظروا ج اي فانا منتظرون ه وتوكل عليه ط تعملون ه

التفسير ان في ذلك الذي قصصنا عليك من احوال الامم لآية لعبرة لمن خاف اي لمن هو اهل لان يخاف عذاب الاخرة كقوله هدى للمتقين لان انتفاعه يعود اليهم قال القفال في تقرير هذا الاعتبار انه اذا علم ان هؤلاء عذبوا على ذنوبهم في الدنيا وهي دار العمل فلان يعذبوا عليها في الاخرة التي هي دار الجزاء اولى واعترض عليه في التفسير الكبير بان ظاهر الآية يقتضي ان العلم بان القيامة حق كالشرط في حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستئصال في الدنيا والقفال جعل الامر على العكس قال والاصوب عندي ان هذا تعريض لمن زعم ان اله العالم موجب بالذات لا فاعل مختار وان هذه الاحوال التي ظهرت في ايام الانبياء عليهم السلام مثل الغرق والخسف والصيحة انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واذا كان كذلك فلا يكون حصولها دليلا على صدق الانبياء اما الذي يؤمن بالقيامة ويخاف عذابها فيقطع بان هذه الوقائع ليست بسبب الكواكب واتصالاتها فيستفيد مزيد الخشية والاعتبار اقول وهذا نظر عميق والاظهر ما ذكرت اولا ومثله في القرآن كثير ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ثم لما كان لعذاب الاخرة دلالة على يوم القيامة اشار اليه بقوله ذلك يوم مجموع اي يجمع له لما فيه من الحساب والثواب والعقاب الناس وهو اسم المفعول على فعله لاجل افادة الثبات فان حشر الاولين والاخرين فيه صفة له لازمة نظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه الخلائق فاتسع في الظرف باجرائه مجرى مفعول به والفرق بين هذا الوصف وبين الاول ان هذا يدل على حضور الناس فيه مع اطلاع البعض منهم احوال الباقين من المحاسبة والمسائلة بحيث لا يعرف كل والعد الا واقعة نفسه والجمع المطلق لا يفيد هذا المعنى وانما فسرنا اليوم بانه مشهود فيه لا انه مشهود في نفسه لان سائر الايام يشركه في كونها مشهودا وانما يحصل التميز بانه مشهود فيه دونها كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها وما نؤخره الا لانتهاء اجل معدود اي لانقضاء مدة معلومة عين الله وقوع الجزاء بعدها وفيه فائدتان احديهما ان وقت القيمة متعين لا يتقدم ولا يتأخر والثانية ان ذلك الاجل متناه فانه يفنى لا محالة وكل آت قريب ثم ذكر بعض احوال ذلك اليوم فقال يوم يأت حذف الياء والاكتفاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل وفاعل يأت قيل الله كقوله او يأتي ربك اي امره او حكمه ودليله قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه وقيل المراد الشيء المهيب الهائل المستعظم فحذف ذكره بتعيينه ليكون اقوى في التخويف وقيل فاعله ضمير اليوم والمراد اتيان هوله وشدائده ولئلا يصير اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب يوم بلا تكلم او باذكر مضمرا او بالانتهاء المقدر اي ينتهي الاجل يوم يأتي وتاء التأنيث محذوفة من لا تكلم والآيات الدالة على التكلم في ذلك اليوم مع الآيات الدالة على نفي التكلم كقوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله هذا يوم لا ينطقون محمولة على اختلاف المواطن والازمنة او نفي العذر الصحيح المقبول واثبات العذر الباطل الكاذب ثم قسم اهل الموقف المجموعين للحساب او الافراد العامة التي دلت عليها نفس فقال فمنهم شقي وسعيد اي ومنهم سعيد ولا خلاف ان الشقاء والسعادة مقترنان بالعمل الفاسد والعمل الصالح ويترتب عليهما النار والجنة في الاخرة وانما النزاع في ان العمل سبب للشقاوة مثلا كما هو مذهب المعتزلة او الشقاء سبب العمل كما هو مذهب اهل السنة فيختلف تفسير الشقاء بحسب المذهبين فهو عند المعتزلة المحكوم بوجوب النار له لاساءته وعند السني جرى القلم عليه في الازل بانه من اهل النار وانه يعمل عمل اهل النار والتحقيق في المسألة قد مر مرارا قيل قد بقي ههنا قسم آخر ليس من اهل النار ولا من اهل الجنة كالمجانين والاطفال ومنهم اصحاب الاعراف وتخصيص القسمين بالذكر لا يدل على نفي الثالث اما قوله في صفة اهل النار لهم فيها زفير وشهيق ففيه وجوه قال الليث وكثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه وحينئذ يرتفع صدره

وينفخ

[illegible]

[...] قلت هي مغالطة لان قول القائل وفيته شطر حقه ان غير منقوص حال من النصيب ليعلم انه تام كامل او يجوز ان يوفى بعض الشيء كقولك وفيته شطر حقه [...] فالصواب ان يقال انه حال مؤكدة او صفة يقوم مقام المصدر اي توفية [illegible] ولا تعود الى الشطر ولو قيل غير منقوص كان كالمكرر وعاد السؤال [illegible] في الارض اي افسادا ثم اورد نظير انكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به آخرون كما اختلف في القرآن والغرض ان انكار الحق عادة قديمة للخلق ولولا كلمة سبقت من ربك هي ان رحمتي سبقت غضبي او هي ان دار الجزاء الآخرة لا الدنيا وان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال لقضي بينهم بين قوم موسى او بين قومك بتمييز المحق من المبطل بسبب الانجاء والاهلاك وهذه من جملة التسلية ايضا وانهم يعني قوم موسى او قومك لفي شك منه من كتابه او من كتابك او من امر المعاد او القضاء او الجزاء ثم جمع الاولين والآخرين في حكم توفية الجزاء ثوابا او عقابا فقال وان كلا التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اي وان كلهم يعني ان جميع المختلفين فيه ومن التخفيف فعلى اعمال المخففة اذ لا يلزم من التخفيف ابطال العمل كما في لم يك ولم يكن ومن قرأ لما مخففا فاللام هي الداخلة في خبر ان وما مزيدة للفصل بين لام ان ولام جواب القسم المقدر كما فصلوا بالالف بين النونات في قولهم اخشينان ويمكن ان يكون ما نكرة اي خلق او جميع والتقدير فيهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود ومن قرأ لما مشددا فاصله لمن ما قلبت النون ميما فاجتمع ثلث ميمات فحذفت الاولى تخفيفا وجاز حذف الاول وابقاء الساكنة لاتصال اللام بها ويجوز ان يكون اصله لما بالتنوين كما في قراءة الزهري وسليمان بن ارقم فحذف تنوينه لما محمودا ومعناه ملمومين اي مجموعين وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا كما في الطارق ولا يخفى ما في الآية من مؤكدات توفية الجزاء وان شيئا من الحقوق لا يضيع عنده منها لفظة ان ومنها كل ومنها لام خبر ان ومنها ما المزيدة ومنها القسم ومنها لام القسم ومنها نون التأكيد ومنها لفظ التوفية ومنها ربك فان من يربيك يقدر على توفية حقك ومنها الجمع المضاف ومنها ختم الآية بقوله انه بما يعملون خبير

فانه اذا كان عالما بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات كان عالما بعمل كل احد وبمقدار جزاء عمله وقادرا على ايصال ذلك اليه ثم ان كلامه حق وصدق وقد اخبر عن التوفية مع المؤكدات المذكورة فيقع وعده ووعيده لا محالة ثم امر نبيه لتقتدي به امته بكلمة جامعة للعقائد والاعمال فقال فاستقم كما امرت عن الامام الناطق جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه معناه افتقر الى الله لصحة العزم يعني الوثوق به والتوكل عليه ومن تاب معك عطف على الضمير في فاستقم وصح للفصل او هو ابتداء اي ومن تاب معك فليستقم او مفعول معه ثم كما امر بالاستقامة على جادة الحق نهى عن الانحراف عنها فقال ولا تطغوا والطغيان مجاوزة الحد وقال ابن عباس يريد تواضعوا لله ولا تتكبروا على الخلق وخصص بعضهم الطغيان بالتجاوز عن حد القرآن بتحليل حرامه وتحريم حلاله وهذه الاية اصل عظيم في الشريعة فيكون الترتيب في الوضوء واجبا كما ورد في القرآن وكذلك القول في الكفارات ونصاب الزكوة واعداد الركعات وجميع المأمورات والمنهيات ويجب الاحتياط في المسائل الاجتهادية وفي القياسات وكذا في الاخلاق والملكات وفي كل ماله طرفا افراط وتفريط فهما مذمومان والمحمود هو الوسط وهو الصراط المستقيم المأمور بالاستقامة والثبات عليه ولا ريب ان معرفته صعبة وبتقدير معرفته فالعمل به والبقاء عليه اصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية في القرآن اشد ولا اشق من هذه حتى ان اصحابه قالوا لقد اسرع فيك الشيب فقال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود وعني هذه الاية منها ثم لما كان للقرين السوء مدخل عظيم في تغيير العقائد وتبديل الاخلاق نهى عن مخالطة من يضع الشيء في غير موضعه فقال ولا تركنوا اي لا تميلوا بالمحبة والهوى الى الذين ظلموا قال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب فاما مداخلتهم لدفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة في الركون واقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده وفي قوله فتمسكم النار اشارة الى ان الظلمة اهل النار بل في النار او كالنار اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار وقوله وما لكم من دون الله من تتمة الجزاء وقال في الكشاف الواو للحال من اولياء من انصار اي لا يقدر على منعكم من عذاب الله الا هو ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو ايضا وفيه اقناط كلي وفائدة ثم تبعيد النصرة من الظلم قال اهل التحقيق الركون الميل اليسير وقوله الى الذين اي الى الذين حدث منهم الظلم فلم يقل الى الظالمين ليدل على ان قليلا من الميل الى من حدث منه شيء من الظلم يوجب هذا العذاب واذا كان هذا حال من ركن الى من ظلم فكيف يكون حال الظالم في نفسه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ثم خص من انواع الاستقامة اقامة الصلوة تنبيها على شرفها فقال واقم الصلوة قيل تمسك بعض الخوارج بهذه الاية على ان الواجب من الصلوة ليس الا الفجر والعشاء لانهما طرفا النهار وهما الموصوفان بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون ليلا غاية ما في الباب ان هذا يقتضي عطف الصفة على الموصوف وهو كثير في كلامهم ولئن سلم وجوب صلوة اخرى الا ان قوله ان الحسنات يذهبن السيئات يشعر بان اقامة الصلوة طرفي النهار كفارة لترك سائر الصلوة وجمهور الائمة على بطلان هذا القول واستدلوا بالاية على وجوب الصلوات الخمس لان طرفي النهار منصوب على الظرف لاضافتهما الى الوقت فيكتسب المضاف حكم المضاف اليه كقولك اتيته نصف النهار والطرفان الغدوة وهي الفجر والعشية وفيها الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وزلفا جمع زلفة كظلم وظلمة اي ساعات من الليل قريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وقرئ زلفا بسكون اللام كبسر وبسر وزلفا بضمتين كبسر وبسر وقيل زلفى اي قربا فيكون معطوفا على الصلوة اي اقم الصلوة واقم زلفى اي صلوات يتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل وبالجملة صلوة الزلف المغرب والعشاء وقيل ان طرفي النهار لا يشمل الا الفجر والعصر وبه استدل على مذهب ابي حنيفة ان التنوير بالفجر افضل وتأخير العصر افضل لان الاية اوجبت على الطرفين وهما وقتا الطلوع والغروب لا يصلح لاقامة الصلوة بكل وقت وكان اقرب الى الطرفين كان اولى باقامة الصلوة فيه حملا للمجاز على ما هو اقرب الى الحقيقة ما لكن هذا ما ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره وللقائل ان يقول هذا لا يمشي في صلوة الفجر لان الطرف الاول للنهار في الشرع هو طلوع الصبح الصادق والتنوير بعد للصلوة منه لا مقرب ولا ادري كيف ذهب الى هذا المعنى مع افراط عصبيته للشافعي واستدل ايضا لابي حنيفة على مذهبه في وجوب الوتر ان اقل الجمع ثلثة فيجب اقامة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلث زلف من الليل اي ثلث ساعات ذهب منها ساعتان للمغرب والعشاء فتعين ان يكون الساعة الثالثة للوتر واذا وجب عليه وجب على امته لقوله فاتبعوه وللمانع ان يمنع ان اقل الجمع ثلثة ثم ان كل ساعة لاجل صلوة ثم ان كل ما يجب على النبي يجب على امته لان الاتباع يشتمل فعله اعم من ان يكون على تلك الجهة ام لا ان الحسنات يذهبن السيئات قال المفسرون نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال اذهب فانها كفارة لما عملت فقيل له هذا خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات قال ابن عباس اي الصلوات الخمس كفارات لسائر الذنوب ما لم تكن كبيرة وقيل المراد بالصلوة ... وذكر مجاهد الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد يحتج بالاية على ان المعصية لا تضر مع الايمان الذي هو رأس الاعمال الحسنة ذلك الذي ذكر من قوله تعالى فاستقم الى هنا ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين وارشاد للمسترشدين ثم امر بالصبر على ما ذكر من التكاليف فقال واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ثم عاد الى احوال الامم الخالية وبين ان السبب في حلول عذاب الاستيصال بهم امران الاول انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد وذلك قوله فلولا اي فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ذوو خير ورشد وفضل وذلك ان الرجل ينتقي افضل ما يخرجه اجوده وافضله فصار البقية مثلا في الجودة يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقوله الا قليلا استثناء منقطع لان في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا ممن انجينا منهم ومن للبيان لا للتبعيض قال في الكشاف لان النجاة انما هي للناهين وحدهم ولقائل ان يقول لما كان النهي عن المنكر فرض كفاية لم يلزم من حصر النجاة في الناهين ان تجعل من للتبعيض ويجوز على ما في الكشاف ان يكون استثناء متصلا معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون ينهون عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ولا يتحقق كون الكلام تحضيضا الا على البقية الا قليلا ممن انجينا منهم كما تقول ما

قرأ قومك

قرأ قومك القرآن الا الصلحاء ومنهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن واقول لم لا يجوز ان يكون المراد من استثناء الصلحاء منهم انه لا حاجة لهم الى التحضيض كانك قلت احضض قومك على القراءة الا الصلحاء فانهم لا يحتاجون الى ذلك لانهم مواظبون عليها على ان في جعل الاستثناء منقطعا شبه تناقض لان اول الكلام يدل على انه لم يكن فيهم ناه واخره يدل على ان القليل منهم قد نهوا فتأمل في هذا المقام فانه من مزلة الاقدام السبب الثاني في نزول العذاب قوله واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اي عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة واسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك مما يتعلق بامر الدين فهذه الجملة معطوفة على مدلول الجملة التحضيضية اي ما كان من القرون ناس كذا واتبع الظالمون كذا ويجوز ان يكون في الكلام الواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم والمترف الذي ابطرته النعمة وصبي مترف منعم البدن وقوله وكانوا مجرمين اما معترضة واما معطوف على اتبع اي وكانوا مجرمين بذلك او على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر ثم بين انه ما ينبغي له سبحانه ان يهلك القرى بظلم اي بسبب مجرد الشرك والحال انهم مصلحون في المعاملة والعشرة فيما بينهم وذلك ان حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة بخلاف حقوق العباد ولهذا قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ويؤكد هذا التفسير ان عذاب الاستيصال انما نزل بقوم لوط وشعيب لما حكى الله عنهم من ايذاء الناس والافساد في الارض وقالت المعتزلة قوله بظلم حال من الفاعل والمعنى يستحيل في الحكمة ان يهلك القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون في العمل تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين ظلم ثم ذكر ان الكل بمشيئته وارادته ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مهتدية والمعتزلة يحملون هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر وقد مر مرارا ولا يزالون مختلفين في الاديان والاخلاق فمنهم من انكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات وهم السوفسطائية ومنهم من سلم استنتاج العلوم والمعارف ولم يثبت لهذا العالم الجسماني مبدأ اصلا وهم الدهرية ومنهم من اثبت موجبا بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم ولهذا القول تحقيق ليس ههنا موضع بيانه ومنهم من انكر النبوات وهم البراهمة ومنهم من اثبتها وهم المليون المجوس واليهود والنصارى وفي كل واحد من هذه الطوائف اختلافات لا تكاد تدخل تحت الحصر وانما لم نحمل الاختلاف في الاية على الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمال بل حملناه على الاختلاف في الاديان وما يتعلق بها لانه يتبين من ذلك ما قبل الكلام وهو قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة وما بعده وهو قوله الا من رحم ربك قالت المعتزلة الا اناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على الدين الحق وقال اهل السنة الالطاف التي فعلها في حق المؤمن فهي مفعولة ايضا في حق الكافر وهذه الرحمة مختصة بالمؤمن ترجح جانب الايمان وصدوره منه فاذن الايمان بخلق الله وتكوينه وكذا ضده ثم قال ولذلك خلقهم فاختلف العلماء في المشار اليه بذلك فالمعتزلة قالوا ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره او ولما ذكر من الرحمة خلقهم والاشاعرة قالوا ولاجل ما ذكر من الاختلاف خلقهم لما صح في الحديث ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وللدلائل الدالة على ان الكل بايجاده وان خلاف معلومه محال والى هذا اشار بقوله وتمت كلمة ربك اي علمه وارادته او قوله للملائكة لاملأن جهنم الاية وفرق المعتزلة بين معلومه ومراده ثم ذكر طرفا من فوائد القصص المذكورة في السورة فقال وكلا اي وكل نبأ نقص عليك وقوله من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت بدل من كلا او المراد وكل نوع من الاقتصاص على انه مصدر اي على الاساليب المختلفة نقص وما نثبت مفعول ومعنى تثبيت فؤاده زيادة اليقين والطمأنينة لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم والمعنى تثبيت قلبه على اداء الرسالة وتحمل الاذى من قومه اسوة بسائر الانبياء وجاءك في هذه السورة او في هذه الانباء الحق وهو البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والوسط والمعاد وموعظة وهي الدلائل المقنعة المرققة للتصديق بقدر الامكان والاول للخواص انفع والثاني للعوام انجع وذكرى للمؤمنين وهي الارشاد الى الاعمال الصالحة النافعة في الاخرة المحصلة لما هنالك من السعادة فان حسن هذا الدين معلوم لمن يرجع الى نفسه وعمل بمقتضى تذكره وذكره واعلم ان المعارف الالهية لا بد من قابل وفاعل وقابلها القلب وانه ما لم يكن مستعدا لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلائل وورودها عليه فلهذا السبب قدم ذكر اصلاح القلب وما جاء وهو تثبيت الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر القابل وهو مجيء هذه السورة بل اية منها وهي قوله فاستقم كما امرت مشتملة على الحق والموعظة والذكرى وهذا ترغيب في غاية الحسن ثم امر بالتهديد لمن لم يؤثر فيهم هذه البيانات من اهل مكة وغيرهم فقال وقل للذين لا يؤمنون اعملوا وقد مر تفسير مثله في هذه السورة وفي الانعام وانتظروا ما يعدكم الشيطان انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان وعن ابن عباس انتظروا بنا الدوائر فانا منتظرون بكم العذاب كما حل بنظرائكم ثم ختم السورة باية مشتملة على جميع المطالب من المبدأ والوسط والمعاد وقد سبق تقريره في اخر البقرة في تفسير امن الرسول فلا حاجة الى الاعادة والله تعالى اعلم

التأويل

ما دامت السموات والارض اي سموات الارواح والقلوب وارض النفوس البشرية الا ما شاء ربك من الاشقياء وذلك ان اهل النار صنفان شقي واشقى فالشقي بالمعاصي سعيد بالتوحيد يتخلص بالنار اخرا والاشقى هو الكافر فيبقى مخلدا فيها ومن اهل الجنة سعيد يخلد فيها واسعد وهم الذين يترقون الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهنالك مقام الوحدة الذي لا انقطاع له كما قال عطاء غير مجذوذ لموفوهم نصيبهم الذي قدر لهم في الازل من الشقاء ولولا كلمة سبقت من ربك باستكمال الشقاء لقضي بينهم بالهلاك عاجلا لفي شك منه اشارة الى الضلال وقوله مريب اشارة الى الاضلال وان كلا اي كل واحد من الضالين والمضلين فاستقم امر التكوين وكذلك قال كما امرت اي في الازل وفي قوله ومن تاب معك اشارة الى ان النفوس جبلت على الاعوجاج فيحتاج الى الرجوع من الطريق المنحرف الى الصراط المستقيم الا من اختص بالاستقامة بسبب امر التكوين كالنبي صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات يعني ان الاعمال الصالحة في الاوقات المعدودة تزيل ظلمات الاوقات المصروفة في قضاء الحوائج النفسانية الضرورية وذلك ان تعلق الروح النوري العلوي بالجسد الظلماني السفلي موجب لخسران الروح كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا ان يتداركه انوار العمل الصالح فيرقيه من حضيض البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الوحدانية الربانية فيندفع عنه ظلمة الجسد الثقلي مثاله البقاء والحبة في الارض فانه من خسران الحبة الا ان يتداركه الماء وسائر الاسباب فيربيها الى ان تصير الحبة الواحدة الى سبعمائة وما زاد ذلك الذي ذكرنا من التدارك عظة للذاكرين الذين يريدون ان يذكروا الله في جميع الاحوال فانهم اذا حافظوا على هذه الاوقات فكانهم حافظوا على جميعها لان الانسان خلق ضعيفا ليس يقدر على صرف جميع الاوقات في محض العبودية والعبادة فلولا كان من القرون صورته التحضيض وحقيقته النفي للايجاب بانه لم يكن كذلك لان ربك فعال لما يريد خلقت خلقا للانكار وخلقت خلقا للاقرار ولا اعتراض لاحد عليك ويؤيده قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة طالبة للحق متوجهة اليه ولا يزالون مختلفين منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى وهم المشار اليهم بقوله الا من رحم ربك ولذلك اي لطلب الله خلقهم بحسن الاستعداد ولان رحمته سبقت غضبه ولكن وقوع فريق في طريق القهر ضروري في الوجود وهو قوله وتمت كلمة ربك جهنم القهر للضرورة وما نثبت به فؤادك التثبيت منه والتشكيك منه بيده مفاتيح ابواب اللطف والقهر وقل للذين لا يؤمنون لطلب الحق ولا جذبة اعملوا في طلب المقاصد من باب القهر انا عاملون في طلب الحق من باب اللطف وانتظروا نتائج اعمالكم انا منتظرون ثمرات اعمالنا ولله غيب السموات

والارض اي ما غاب عنكم مما اودع من لطفه في سموات القلوب ومن قهره في ارض النفوس واليه يرجع امر اهل السعادة والشقاوة ومظاهر
اللطف والقهر فاعبده ايها الطالب للحق فانك مظهر اللطف وتوكل عليه في الطلب لا على طلبك
فانك ان طلبته بك لم تجده وما ربك بغافل في الازل عما تعملون في الابد
حسبي الله ونعم الوكيل سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين

[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

سورة يوسف مكية وقيل فيما بين مكة الى المدينة وقت الهجرة حروفها سبعة آلاف ومائة وست وستون كلمها الف وسبعمائة وست وسبعون آياتها مائة واحدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الر ۝ تلك آيات الكتاب المبين ۝ انا انزلناه قرانا عربيا
لعلكم تعقلون ۝ نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا
اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ۝ اذ قال يوسف
لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان
للانسان عدو مبين ۝ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك
من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها
على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ۝
لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ۝ اذ قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين ۝
اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده
قوما صالحين ۝ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه
في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين ۝
قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ۝ ارسله

معنا

ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ۝ قال اني ليحزنني
ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب ونحن عصبة انا اذا
لخاسرون ۝ فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت
الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ۝
وجاؤا اباهم عشاء يبكون ۝ قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو
كنا صادقين ۝ وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم
انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ۝
وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا
غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ۝ وشروه بثمن
بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ۝ صدق الله الرحيم

وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب

يا ابت بفتح التاء والوقف بالهاء يزيد وابن عامر وقرا ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء الباقون بالكسر في الحالين احد عشر بسكون
العين يزيد وابن عباس والخزاز لي ساجدين بفتح الياء الاعشى والبرجمي يا بني بفتح الياء حيث كان حفص والمفضل الباقون بكسرها رؤياك بالامالة علي غير قتيبة
وليث وقرا ابو عمرو بالامالة اللطيفة وقرا يزيد وابو عمرو غير شجاع وورش من طريق الاصفهاني والاعشى وحمزة في الوقف بغير همز آيات
على التوحيد ابن كثير الآخرون آيات للسائلين على الجمع مثل لكم بالادغام شجاع من طريق ابي خالب وابو شعيب غيابات وما بعده على الجمع ابو جعفر ونافع
غيابة على التوحيد لا تامنا بغير اشمام ضمة النون يزيد والحلواني عن قالون الآخرون بالاشمام الذيب وما بعده بغير همز ابو عمرو غير شجاع والاوقية ويزيد و
الاعشى وورش خلف وعلي وحمزة في الوقف يرتع ويلعب بالياء فيهما والجزم عاصم وحمزة وعلي وخلف بكسر العين في الاول ابو جعفر ونافع بالنون فيهما و
والجزم ابن عامر وابو عمرو بكسر العين ابن كثير سوى الهاشمي وابي ربيعة عن قنبل فانهما نرتعي بالكسر مع الياء بعده نرتع ونلعب بالجزم فيهما مع النون في الاول
الياء في الثاني يعقوب غير رويس ليحزنني ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرا نافع ليحزنني بفتح الياء ولكن من باب الافعال بل سولت ادغ
مدغما حمزة وعلي وهشام يا بشرى بالامالة غير مضافة حمزة وعلي وخلف وحماد والخزاز عن هبيرة يا بشرى بغير امالة واضافة عاصم غير حماد والخزاز الباقون
يا بشراي بالاضافة الى ياء المتكلم الوقوف الر ط كوفي المبين ه ط كوفي ايضا وغيرهم لا يقفون عليها لانهم يجعلون انا جواب معنى القسم في آلر القرآن
تعقلون والوصل اصح لان الواو للحال الغافلين ه ساجدين ه كيدا ط مبين ه واسحق ط حكيم ه للسائلين ه عصبة ط مبين ه ج والعربية توجب الوقف
وان قيل ان الابتداء به لاجل صالحين ه فاعلين ه لناصحون ه لحافظون ه غافلون ه لخاسرون ه في غيابت الجب ج لاحتمال ان يكون جواب لما
محذوفا والواو في اوحينا للاستيناف تقديره فعلوا ما فعلوا واعتوا عليه وان يكون الواو مقحمة والجواب اوحينا لا يشعرون ه يبكون ه ط فاكله الذئب ج
لابتداء النفي مع واو العطف صادقين ه كذب ط امرا ط جميل ط تصفون ه دلوه ط غلام ط بضاعة ط تعملون ه معدودة ج لاحتمال الواو والحال الزاهدين ه
قال في الكشاف تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات
السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم
او قد ابين فيها ما سالت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر
وعن قصة يوسف ثم اقول مدار هذا التفسير على ان ابان لازم ومتعد يقال بان الشيء وابان هو جنسه انا انزلناه اي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف
يعني هذه السورة في حال كونه قرآنا عربيا والقرآن اسم جنس يقع على كله وعلى بعضه وقوله قرآنا يسمى حالا موطئة لان المراد وصفه بالعربية احتج الجبائي بانزال
القرآن بكونه عربيا وآيات على انه محدث لان هذه من اوصاف المحدثات واجيب بانه لا نزاع في حدوث الالفاظ وانما النزاع في الكلام النفسي ومعنى
لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم لانه بلغتكم قال الجبائي فيه دليل على انه اراد من المكلفين كلهم ان يعقلوا توحيده وامر دينه و
واجيب بان الآية تدل على انه انزل هذه السورة واراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولا دلالة فيه على انه اراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال اهل اللغة
القصص مشتقة من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا ومثله التلاوة لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية ثم
ان كان القصص مصدرا بمعنى الاقتصاص فيكون احسن منصوبا لاضافته الى المصدر ويكون المفعول اي المقصوص محذوفا وهو لدلالة اوحينا عليه ويكون هذا
القرآن مفعول اوحينا محذوفا كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اياه اليك وعلى هذا فالحسن يرجع الى المنطق لا الى القصة
وحسن المنطق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية مقتضية في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولم يبلغ شيء منها الى حد الاعجاز وان اريد بالقصص

المقصوص كما يريد بالنبا والخبر المنبأ به فالحسن يرجع الى القصة ولا سيما فيما يرجع الى اصلاح حال المكلف في الدارين ووجه حسنها اشتماله
على الغرائب والعجائب والنكت وان الصبر مفتاح الفرج وان ما قضى الله كائن لا محالة لا يرده كيد كائد ولا حسد حاسد روي ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها ثم انهم ملوا فقالوا يا رسول الله
لو قصصت فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص كل ذلك يؤمرون بالقرآن وان كنت هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة والمعنى
ان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة او عن الدين والشريعة اذ قال بدل الاشتمال من احسن القصص لان الوقت
مشتمل على القصص اذا قص وقته فقد قص المقصوص او منصوب باضمار اذكر ويوسف ليس عربيا على الاصح اذ لا سبب فيه بعد التعريف الا العجمة
فهو اسم عبراني ومن ظن انه من اسف يوسف بناء على انه قرئ بكسر السين وبفتحها فيوجد فيه وزن الفعل ايضا فقد اخطأ لان القراءة المشهورة
تاباه ولن يكون الاسم عربيا تارة وعجميا اخرى وهذا الخلاف روي في يونس ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم قال النحويون التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وهي للتأنيث لانها قد تقلب هاء في الوقف
ويجوز الحاق التاء بالمذكر نحو حمامة ذكر والكسرة فيه لمناسبة الياء التي هي بدل منها والفتحة اما فتحة الياء بين بفتحها او الفتحة الباقية بعد حذف الالف
من ابتا اني رأيت هو من الرؤيا التي تختص بالمنام لا من الرؤية التي تشمل اليقظة بدليل قول يعقوب له لا تقصص رؤياك ولان ذلك لو كان
في اليقظة لكانت آية عظيمة ولم يخف على احد ومن قرأ احد عشر بسكون العين فلكراهة توالي المتحركات فيما هو في حكم كلمة وكذا الى تسعة عشر الا اثنا
عشر لئلا يلتقي ساكنان قال في الكشاف روى جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان والطارق
والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال
اليهودي اي والله انها لاسماؤها واقول ان اكثر هذه الاسماء ليست مما اشتهر عند اهل الهيئة فان صح الخبر فهي من العلوم التي تفرد بها الانبياء وافراد الشمس
والقمر من الكواكب بعد ذكرها دليل على شرفهما كقوله وملائكته وجبريل وميكال واما تكرار الفعل فلطول الكلام او على تقدير السؤال كانه قيل له كيف رأيتها فقال رأيتهم
لي ساجدين والظاهر ان هذه السجدة كانت بمعنى وضع الجبهة اذ لا مانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما اجريت الكواكب مجرى
العقلاء في عود الضمير اليها لان السجود من شان العقلاء كقوله للاصنام وتراهم ينظرون اليك وعند الفلاسفة هم احياء ناطقة فلا حاجة الى العذر
عبر ابوه رؤياه بان اخوته سيسجدون له وهم احد عشر وكذا ابواه وهما الشمس والقمر وقيل هما ابوه وخالته لان امه لم تدخل مصر وتوفيت قبل ذلك و
وعن وهب ان يوسف عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة التي حول القمر وهي الهالة واذا
عصا صغيرة وثبت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب
تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال علماء التعبير
ان الرؤيا الرديئة تظهر آثارها عن قريب كيلا يبقى المؤمن في الحزن والغم واما الرؤيا الجيدة فيبطئ تأثيرها ليكون بهجة المؤمن ادوم قوله فيكيدوا منصوب
باضمار ان جوابا للنهي واللام في لك لتأكيد الصلة مثل نصحتك ونصحت لك وقال في الكشاف ضمن الكيد معنى الاحتيال ليفيد معنى الفعلين
فيكون ابلغ في التخويف وقيل متعلق بالمصدر الذي بعده وكما انه وصل بهذه النصيحة شيئا من تعبير رؤياه فقال وكذلك اي ومثل اجتبائك لهذه الرؤيا
الشريفة يجتبيك ربك لامور عظام والاجتباء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته وخص الحسن الاجتباء بالنبوة
قال في الكشاف ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه ليس بمضارع وفي تأويل الاحاديث وجوه منها انه تأويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم
سمي التعبير تأويلا لانه يؤول امره الى ما رآه في المنام او يؤول امر ما رآه في المنام الى ذلك والاحاديث اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة لانها التي تحدث
بها الناس ومنها انه تبيين معاني كتب الله وسنن الانبياء لان المفسر والمحدث يحدثان عن الله ورسوله فيقولان قال الله كذا وقال الرسول كذا ومنها
ان الحديث بمعنى الحادث والمراد كيفية الاستدلال بالحادث على القديم سبحانه واما اتمام النعمة فمن فسر الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدنيوية
والاخروية من المال والجاه والعلوم والاخلاق الفاضلة ومن فسر ذلك بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة لان التمام المطلق في حق البشر ليس الا النبوة
ولان اتمام النعمة عليه شبه باتمامها على ابراهيم واسحق ومن المعلوم ان الامتياز بينهما وبين غيرهما لم يكن الا بالنبوة وقد يفسر اتمام النعمة على ابراهيم
بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه فيكون وجه التشبيه انجاءه من الحبس
والمحن كانجائهما من النار والذبح والمراد بآل يعقوب نسله قيل علم يعقوب ان يوسف واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب واعترض بما فرط منهم في حق
يوسف واجيب بان ذلك قبل النبوة وقيل اتمام النعمة وصل نعمة الدنيا بنعيم الآخرة وذلك انه جعلهم ملوكا وانبياء وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك
لان ابا الجد في حكم الاب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم لا يضع الشيء الا في موضعه فلا يجعل الرسالة الا في نفس قدسية وجوهر مشرق قيل حكم يعقوب
بوقوع هذه الامور دليل على جزمه بها فكيف خاف على يوسف حتى قال فاخاف ان يأكله الذئب والجواب لعل جزمه بذلك كان مشروطا بعدم كيد اخوته
ولعل قوله اخاف ان يأكله كيلا يتهاونوا في حفظه فان للوسائط والاسباب مدخلا عظيما في وجود الاشياء وحصولها لقد كان في يوسف اي في قصته
وحديثهم آيات للسائلين لمن سأل عن تلك القصة وعرفها او آيات على نبوة محمد للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه انه
يجب ان يصبر على بغي قومه الى ان يظهر امره كما فعل يوسف عليه السلام روي ان اسامي اخوته يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر
ودينة وهؤلاء من ليا بنت خالة يعقوب ودان ونفتالي وجاد واشر وهم من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها
راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ظرف لكان او منصوب باضمار اذكر ليوسف في لام الابتداء تحقيق لمضمون الجملة واخوه اي لابويه
والله عنوا بنيامين احب اذا كان افعل التفضيل مستعملا بمن لم يتصرف فيه ونحن عصبة الواو للحال والعصبة العشرة فصاعدا لان الامور تعصب بهم
اي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن نكفي مهماته ونقوم بمصالحه ان ابانا لفي ضلال مبين اراد ضلالا خاصا
وهو البعد عن طريق اصلاح المعاش وحسن العشرة مع الاولاد ولم يعلموا ان المحبة امر يتعلق بالقلب وليس لله فيه تكليف ولعل يعقوب تفرس في يوسف
ما اوجب اختصاصه بمزيد البر ومن جملة اقوالهم انهم قالوا لما تشاوروا في امره اقتلوا يوسف قيل الآمر بالقتل شمعون او دان ورضي به الباقون فجعلوا
آمرين والظاهر انه قال ذلك بعضهم بدليل انه لم يقع القتل ولقولهم او اطرحوه وكان بعضهم اشار الى القتل وبعضهم الى الطرح وكلاهما صدر امر من بعض القوم مع
اسناده اليهم او قتلهم لقتا(؟) انتصب ارضا على الظرف كالظروف المبهمة اي ارضا مجهولة بعيدة عن العمارة يخل لكم وجه ابيكم يخلص محبته لكم سليمة

ذو الكتفات نخ

والاسباط نخ

زبولون نخ

عن المنازع فيها وكان ذكر الوجه لتصوير الاقبال عليهم بالكلية ويجوز ان يراد بالوجه ذاته او المراد يفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا مجزوم لانه معطوف على جواب
الامر من بعده من بعد قتله او طرحه او من بعد يوسف اذا قتل او غرب قوما صالحين تائبين الى الله والى ابيه بعذر تمهدونه لما جنيتم عليه او المراد صلاح دنياهم و
انتظام امورهم وتفرغهم لمهماتهم بعد يوسف لفراغ البال قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض لا تقتلوا يوسف
لان القتل عظيم ولا سيما قتل الاخ وخاصة اذا كان القاتل والمقتول من اولاد الانبياء والقوه في غيابة الجب سمي البئر جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها
شيء سوى القطع للارض والغيابة غور البئر وما غاب منها عن عين الناظر واظلم من اسفلها ومن قرأ على الجمع فلان للجب اقطارا ونواحي يلتقطه بعض السيارة
اي الرفقة السائرة قال ابن عباس اي المارة والالتقاط تناول الشيء من الطريق ونحوه يستعمل في الانسان وغيره ومنه اللقيط للمنبوذ ان كنتم فاعلين ان
لم يكن من فعل هذا الامر بد فهذا هو الرأي ثم ان يعقوب كان خائفا على يوسف من كيدهم وكان يظهر امارات ذلك على صحائف افعاله واقواله فلذلك قالوا ما لك
لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ما وجه تمام بابه سوى النصح والاشفاق على الاطلاق ارسله معنا غدا يرتع من قرأ بالجزم فمن الرتعة كاللمعة وهي الخصب
والسعة ومن قرأ بالكسر على حذف الياء فمن يرتعي مستعارا من ارتعاء الابل والماشية واللعب ترك ما ينفع الى ما لا ينفع فمن قرأ بالياء فلا اشكال لان
الصبي لا تكليف عليه ومن قرأ بالنون قال كان لعبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق سمي لعبا لانه في صورته او اللعب قد يطلق على استعمال
المباحات لاجل انشراح الصدر قال صلى الله عليه وسلم لجابر فهلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك قال اني ليحزنني لام الابتداء للتأكيد ولتخصيص المضارع بالحال
واخاف ان يأكله الذئب اصله الهمز ولهذا قال بعضهم انه مشتق من تذأبت الريح اذا اتت من كل جهة قيل كانت ارضهم مذأبة فلذلك قال اخاف وقيل رأى في
المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فلقنهم العذر كما جاء في امثالهم البلاء موكل بالمنطق قوله انا اذا جواب للقسم المقدر سادّ مسد جواب الشرط علقوا الامر
كان بما خافه وحالهم انهم رجال كفاة وحماة فهم اذ ذاك خاسرون عاجزون او مستحقون للدعاء عليهم بالخسار او المراد ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا و
خسرناها كان يعقوب قد اعتذر اليهم بامرين احدهما ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من خطفة الذئب فلم يجيبوا عن الاول لانه
هو الذي كان يغيظهم فلم يعبأوا بذلك الكلام فخصوا الجواب بالثاني وههنا اضمار والتقدير واذن لهم وارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا عزموا على ان يجعلوه في غيابة
الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ثم ان كان جواب لما محذوفا فالاية اضمار جزء
كما تقدم في الوقف قال السدي ان يوسف عليه السلام لما برز مع اخوته اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاذى
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم
فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر
والاحد عشر كوكبا حتى يؤنسوك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة
ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام وروي انه عليه السلام لما القي في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا
غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وحكي ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه
واوحينا اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذ ذاك بالغا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم
لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المغير للهيئات والاشكال روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم
له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان ابوه يدنيه دونكم وانكم انطلقتم
والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيه اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يراد وهم لا يشعرون انا آنسناه بالوحي وازلنا الوحشة عن قلبه فيتعلق الجملة بقوله
واوحينا روي ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة وما ينبغي لاحد ان يقضي
الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية عن مقاتل انهم جاءوا عشاء يبكون لئلا يظهر امارة الخجل والكذب على وجوههم ولما سمع صوتهم يعقوب فزع وقال
ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو او في الرمي وقيل ننتضل وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق
لشدة محبتك ليوسف وفيه دليل لمن زعم ان الايمان هو التصديق ولو كنا صادقين من اهل الصدق والثقة فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا
وجاءوا على قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه لا على الحال المتقدمة لان حال المجرور لا يتقدم عليه بدم كذب اي ذي كذب او الكذب بعينه مبالغة روي
انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه
بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلث آيات آية ليعقوب على كذبهم وآية
حين القاه البشير على وجهه فارتد بصيرا وآية على براءة يوسف حين قد من دبر وكان تبين ليعقوب بالآيات المذكورة او بالوحي انهم كاذبون قال على سبيل
الاضراب بل سولت قال ابن عباس بل زينت لكم انفسكم امرا اي شانا غير ما تصفون والتسويل تقرير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه وهو تفعيل من السول
الامنية قال الازهري واصله مهموز غير ان العرب استثقلوا فيه الهمزة وقال في الكشاف سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير
دليل التعظيم فصبر جميل لابد من تقدير مبتدأ او خبر اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي الحديث انه الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق لقوله انما اشكو بثي
وحزني الى الله وقيل اي لا اعاشركم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت يحكى انه سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال
طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي ثم بين ان الصبر على ما صعب من هلاك يوسف لا يمكن
الا بمعونة الله تعالى فقال والله المستعان على ما تصفون والفرق بينهما كقوله اياك نعبد واياك نستعين ويعلم من الآية ان الصبر ان كان لاجل الرضا بقضاء الله تعالى
او استغراقه في شهود نور الحق بحيث يمنعه من الاشتغال بالشكاية عن البلاء فذلك صبر جميل والا فلا واعترض بان هذا الصبر كان فيه اعانة الظالمين واهمال تخليص
المظلوم من المحن والشدائد والرقية فكيف جاز صبر يعقوب حتى لم يبالغ في التفتيش والتنقير ولو بالغ لظهر عليه الامر لشهرته وعظم قدره واجيب بان الله سبحانه
لعله منعه عن الطلب تشديدا للمحنة عليه او لعله بالغ في البحث فلم يظفر او علم انه تعالى يصون يوسف ويعظم امره بالآخرة فلم يرد هتك ستر اولاده
والقاءهم في السنة الناس كقول القائل فاذا رميت يصيبني سهمي فكان الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى ثم شرع في حكاية خلاص
يوسف فقال وجاءت سيارة عن ابن عباس قوم يسيرون من مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه
وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء
ومعنى الوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم فادلى دلوه ارسلها في البئر قال الواحدي ادلاها اذا ارسلها ودلاها اذا اخرجها قيل ولا بد في قوله يا بشرى من تقدير فتعلق يوسف فقال الوارد
يا بشرى كانه ينادي البشرى ويقول تعالي فهذا اوانك وحتى قال الوارد هذا الكلام قال جمع من المفسرين حين رأى يوسف متعلقا بالحبل وقال الآخرون لما ذا

اي المكره نخ

فجعله ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها على عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه والبسه اياه

صاح بذلك يبشرهم به قال السدي كان الوارد وصاحب يقال له بشرى فنادى يا بشرى كما يقال يا زيد والاكثرون على انها بمعنى البشارة فقال ابو علي يجوز ان يكون منادى مضموما مثل يا رجل وان يكون منصوبا مثل يا رجلا كانه جعل ذلك النداء شايعا في جنس البشرى ومن قرأ بالاضافة فنصبه ظاهر والضمير في اسروه اما عائد الى الوارد واصحابه اي اخفوه من الرفقة لئلا يدعوا المشاركة في الالتقاط او في الشرى ان قالوا اشتريناه وطريق الاخفاء انهم تكتموا من الرفقة وقالوا ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر واما عائد الى اخوة يوسف بناء على ما روي عن ابن عباس انهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولعل الوجه الاول اولى بدليل قوله بضاعة وهي نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واصل البضع القطع والبضاعة قطعت من المال للتجارة والله عليم بما يعملون فيه وعيد اما للوارد واصحابه اي باعوه بثمن قليل لان الملتقط للشي متهاون به وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده قال اهل اللغة زهد فيه معناه رغب عنه وزهد عنه معناه رغب فيه واما ان يعود الى الاخوة والمعنى باعوه او الى الرفقة والمعنى اشتروه وكذا الضمير في وكانوا ان عاد الى الاخوة فعلة رغبتهم في يوسف ظاهرة واما ليفعلوا به ما فعلوا وان عاد الى الرفقة فلانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا اعطاء الثمن الكثير عن ابن عباس ان اخوته عادوا الى الجب بعد ثلثة ايام يتعرفون خبره فلما لم يروه في الجب ورأوا آثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قال هذا عبد ابق منا فقالوا لهم فبيعوه منا فباعوه منهم ولعلهم عرفوا انه ولد يعقوب فكرهوا اشتراءه خوفا من الله ومن ظهور تلك الواقعة الا انهم مع ذلك اشتروه بالآخرة بثمن بخس اي مبخوس ناقص عن القيمة او ناقص العيار وقال ابن عباس البخس ههنا الحرام لان ثمن الحر حرام دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون عن ابن عباس كانت عشرين درهما فاخذ كل اثنين وعشرين اخذ واحد من الاخوة درهمين الا يهوذا فانه لم يأخذ شيئا ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يأبق والظاهر ان الضمير في فيه عائد الى يوسف ويحتمل ان يعود الى الثمن البخس اي اخذوا في ثمنه ما ليس يرغب فيه قال النحويون قوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الالف واللام فيه موصول وزاهدين صلة وكما لا يتقدم نفس الصلة فكذا ما هو متعلق به فلا يقال بشاة وكانوا زيدا من الضاربين فهو بيان كانه قيل في اي شي زهدوا فقيل زهدوا فيه والله تعالى اعلم التأويل تلك آيات الكتاب دلالات كتاب المحبوب الى المحب لهدايته الى طريق الوصال ولهذا كانت احسن القصص لانها اتم قصص القرآن مناسبة ومشابهة باحوال الانسان اذ قال يوسف القلب لابيه يعقوب الروح اني رأيت احد عشر كوكبا من الحواس الخمس الظاهرة والباطنة اي المذكرة والحافظة والمتخيلة والمتوهمة والحس المشترك مع المفكرة ولكل من هذه اضاءة اي ادراك معنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم تولدوا بازدواج يعقوب الروح وزوج النفس والشمس والقمر الروح والنفس رأيتهم لي ساجدين وهذا مقام كمالية الانسان ان يصير القلب سلطانا يسجد له الروح والنفس والحواس والقوى وكذلك يجتبيك ربك على سائر المخلوقات وهذا كمال حسن يوسف ويعلمك من تأويل الاحاديث العلم اللدني المختص بالقلب ويتم نعمته عليك بان يتجلى لك ويستوي عليك اذ القلب عرش حقيقي للرب وعلى آل يعقوب اي متولدات الروح من القوى والحواس كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم السر واسحق الخفي وبهما يستحق القلب لقبول فيض التجلي وههنا لطائف خفية لا يسع الانسان فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل آيات للسائلين عن طريق الوصول الى الله ليوسف واخوه بنيامين الحس المشترك فان له اختصاصا بالقلب احب الى ابينا منا لان القلب عرش الروح ومحل استوائه عليه والحس المشترك بمثابة الكرسي للعرش اقتلوا يوسف القلب بسكين الهوى وسم الميل الى الدنيا او اطرحوه في ارض البشرية يخل لكم وجه ابيكم بقبول الروح بوجهه الى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها وتكونوا بعد موت القلب قوما صالحين للتنعم الحيواني والنفساني قال قائل منهم هو يهوذا القوة المفكرة القوه في غيابت جب القالب وسفل البشرية يلتقطه بعض سيارة الجواذب الربانية نرتع في المراتع البهيمية ونلعب في ملاعب الدنيا وانا له لحافظون من فتنة الدنيا وآفاتها لئن اكله ذئب الشيطان انا اذا لخاسرون لان خسران جميع اجزاء الانسان في هلاك القلب وربحها في سلامة القلب وهم لا يشعرون فيه اشارة الى ان من خصوصية تعلق الروح بالقالب ان يتولد منهما القلب العلوي والنفس السفلية والحواس والقوى فيحصل التجاذب فان كانت الغلبة للروح سعد وان كانت للنفس شقي وجاؤا اباهم عشاء اي في النصف الآخر من مدة العمر تشاغل باللهو في ايام الشباب وتركنا يوسف القلب مهملا معطلا عن الاستكمال فاكله ذئب الشيطان وجاؤا على قميصه اي قالب القلب بدم كذب هو آثار الملكات الردية زعموا انها قد سرت الى القلب وازالت نور الايمان عنه بالكلية قال يعقوب الروح بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل على ما قضى الله وقدر والله المستعان على ما تصفون من زين القلب وموته وجاءت سيارة هي هبوب نفحات الطاف الحق فارسلوا واردهم الحق فادلى دلوه جذبة من جذبات الرحمن قال يا بشرى فيه اشارة الى ان للجذبة بشارة في تعلقها بالقالب كما ان للقلب بشارة في خلاصه من جب الطبيعة كما قال يحبهم ويحبونه والله عليم بحكمة البشارتين وبما يعملون من شراء بثمن بخس هو الحظوظ الفانية في ايام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لانهم ما عرفوا قدره وانما ميلهم الى استجلاب المنافع العاجلة الله حسبي ونعم الوكيل

وقال الذي اشتريه من مصر لامرأته اكرمي مثويه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء

والفحشاء

والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنريها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين صدق الله العلي العظيم

هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسر الهاء وفتح التاء ابو جعفر ونافع وابن ذكوان والرازي عن هشام مثله ولكن الهمز الحلواني عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء البخاري عن هشام الباقون هيت لك بفتحتين وسكون الياء المخلصين بفتح اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام وقالت اخرج بكسر التاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم الآخرون بالضم للاتباع حاشا لله وما بعده في الحالين ابو عمرو رب السجن بفتح السين على انه مصدر يعقوب الباقون بكسر الوقوف ولدا ط في الارض ز بناء على ان الواو مقحمة واللام متعلقة بمكنا اذ هي عطف على محذوف قبله اي لنتمكن الاحاديث لا يعلمون ○ وعلما ط المحسنين ○ هيت لك ط مثواي ط الظالمون ○ همت به ج فقد قيل هنا على ان قوله وهم جواب لولا ان ليس بصحيح لان جواب لولا لا يتقدم عليه وانما جوابه محذوف وهو تحقق ما هم به كذا قال السجاوندي واقول او وقف للفرق بين الهمين لم يبعد ربه ج والفحشاء ط المخلصين ○ لدى الباب ط اليم ○ عن نفسي لم يذكره الائمة عليه وقفا ولعل الوقف عليه حسن كيلا يظن عطف اشهد على انهم مفعول برهان ربه او على جملة هي راودتني من اهلها ج على تقدير وقال ان كان الكاذبين ○ الصادقين ○ من كيدكن ○ عظيم ○ عن هذا سكتة للعدول عن مخاطب الى مخاطب لذنبك ج لاحتمال التعليل الخاطئين ○ عن نفسه ج لان قد شغفها يحتمل الابتداء مع اتحاد القائل حبا ط مبين ○ عليهن ج بشرا ط كريم ○ فيه ط فاستعصم ط لاحتمال القسم الصاغرين ○ اليه ج للشرط مع الواو الجاهلين ○ كيدهن ط العليم ○ حين ○ قد ثبت في الاخبار ان الذي اشتراه اما من الاخوة او من الواردين ذهب الى مصر فباعه

فاشتراه العزيز واسمه قطفير او اطفير ولم يكن ملكا ولكنه كان على خزاين مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف
ومات في حيوة يوسف عليه السلام فملك بعده قابوس بن مصعب ولم يؤمن بيوسف عم روي ان العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله
ثلث عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد ثم آتاه الله الحكمة والعلم ابن ثلث وثلثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل الملك في ايامه فرعون
موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والمعنى ولقد جاء اباءكم وقيل
اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه
قطفير بذلك المبلغ ومعنى اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا وفي هذه العبارة دلالة على انه عظم شان يوسف عليه السلام كانه
سلام على المجلس العالي وقال في الكشاف المراد تعهديه بحسن الملكة حتى يكون نفسه طيبة في صحبتنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل
الرجل به من انسان رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده واللام في لامراته متعلق بقال ثم بين الغرض من الاكرام فقال عسى ان ينفعنا
بكفاية بعض مهماتنا او نتخذه ولدا لان قطفير كان لا يولد له ولدا وكان حصورا وعن ابن مسعود افرس الناس ثلثة العزيز حين قال لامراته اكرمي مثواه
فتفرس في يوسف ما تفرس والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وروي انه سأله عن نفسه فاخبره
بنسبه فعرفه ثم قال وكذلك اي كما انعمنا عليه بالانجاء من الجب وعطف قلب العزيز عليه مكنا له في ارض مصر حتى يتصرف فيها بالامر والنهي ولنعلمه
قد مر في الوقوف بيان متعلقه وفي اوائل السورة معنى تاويل الاحاديث والمراد من الآية حكاية اعلاء شان يوسف في الكمالات الحقيقية والمجازية
القدرة واشار اليه بقوله ولنعلمه ولا ريب ان ابتداء ذلك كان حين القي في الجب كما قال واوحينا اليه لتنبئنهم وكان يرتقي في ذلك الى ان بلغ حد
الكمال وصار مستعدا للدعوة الى الدين الحق وللارسال الى الخلق والله غالب على امره اي على امر نفسه لا منازع له ولا دافع او على امر يوسف لم يكله الى
غيره ولم ينجح كيد اخوته فيه فلم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال امره فقال ولما بلغ
اشده قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون الى ثمانين وستين آتيناه حكما وعلما فالحكم الحكمة العملية والعلم الحكمة
النظرية وانما قدمت العملية لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم الى العلم اللدني بخلاف الافكار والانظار والاول
هو طريقة يوسف لانه صبر على البلايا والمحن ففتح الله عليه ابواب المكاشفات وقيل الحكم النبوة لان النبي حاكم على الخلق والعلم علم الدين وقيل الحكم
صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على النفس الامارة وقاهرة لها حينئذ تفيض الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس والتحقيق
في هذا الباب ان استكمال النفس الناطقة انما يتيسر بواسطة استعمال الآلات الجسدانية وفي اول الصغر تكون الرطوبات مستولية عليها فتضعف تلك
الآلات واذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت تلك الآلات صالحة لان
يستعملها النفس الانسانية في تحصيل المعارف واكتساب الحقائق فقوله ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله آتيناه حكما وعلما اشارة
الى استكمال النفس الناطقة وقوة لمعان الاضواء القدسية فيها قال في الكشاف وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان
امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه واعترض عليه بان النبوة غير مكتسبة والحق ان الكل بفضل الله ورحمته ولكن للوسائط والمعدات مدخل
عظيم في كل ما يصل الى الانسان من الفيوض والآثار والانوار السابقة تصير سببا للاضواء اللاحقة ونعم جزاء عن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته
آتاه الحكمة في كهولته ثم ان يوسف عم كان في غاية الحسن والجمال فلما شب طمعت فيه امراة العزيز وذلك قوله وراودته والمراودة مفاعلة من راد
يرود اذا جاء وذهب ضمنت معنى المخادعة اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه حتى تزله عن الشيء الذي يريد ان يخرجه من يده وتحتال ويحاول الوقاع
فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه اذا حاول كل منهما الوطي والجماع وانما قال التي هو في بيتها ولم يقل زليخا قصدا الى زيادة التقرير
مع استهجان اسم المراة وغلقت الابواب لا ريب ان التشديد يدل على التكثير لان غلق [illegible] وهو فتح والمفسرون ذكروا ان الابواب كانت
سبعة وقالت هيت لك هذه اللغة في جميع القراءات اسم فعل بمعنى هلم الا ان عند من قرا هيت لك بهاء مكسورة بعد همزة ساكنة ثم تاء مضمومة
فانها بمعنى تهيات لك يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء بمعنى تهيا قال النحويون هيت جاء بالحركات الثلث فالفتح للخفة والكسر لالتقاء الساكنين
والضم تشبيها بحيث واذا بين باللام نحو هيت لك فهو صوت قائم مقام المصدر كاف له اي لك اقول هذا واذا لم يبين باللام فهو صوت قائم
مقام مصدر قائم مقام الفعل فيكون اسم فعل ومعناه اما خبر اي تهيات واما امر اي اقبل وقد روى الواحدي باسناده عن ابي زيد قال هيت لك
بالعبرانية هيتالج اي تعال عربه القرآن قال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى مكة فتكلموا بها وقال ابن الانباري هذا وفاق بين لغة قريش واهل حوران
كما اتفقت لغة العرب والروم في القسطاس ولغة العرب والفرس في السجيل ولغة الترك والعرب في الغساق ولغة العرب والحبشة في ناشئة الليل
ثم ان المراة لما ذكرت هذا الكلام اجاب يوسف عليه السلام بثلثة اجوبة الاول قال معاذ الله هو من المصادر التي لا يجوز اظهار فعلها اي اعوذ بالله معاذا
وفيه اشارة الى ان حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل الثاني انه الضمير للشان ربي اي سيدي ولكن بزعمهم واعتقادهم والا فيوسف كان عالما بانه حر
والحر لا يصير عبدا بالبيع او المراد التربية اي الذي رباني احسن مثواي حين قال اكرمي مثواه وفي هذا اشارة الى حق الخلق ايضا يمنع عن ذلك العمل وقيل اراد
بقوله ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب الثالث قوله انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء او اراد الذين يزنون لانهم ظلموا انفسهم
وفيه اشارة الى الدليل العقلي فان صون النفس عن الضرر واجب وهذه اللذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة فعلى العاقل ان يحترز عنها ثم لما حسن
نسق هذه الاجوبة قوله سبحانه ولقد همت به وهم بها لا شك ان الهم لغة هو القصد والعزم لكن العلماء اختلفوا فقال جم غفير من المفسرين الظاهريين ان
تلك الهمة بلغت حد المخالطة فقال ابو جعفر الباقر باسناده عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انما طمعت فيه وانه طمع فيها حتى هم ان يحل
التكة وعن ابن عباس انه حل الهميان اي السروال وجلس منها مجلس المجامع وعنه ايضا انها استلقت وقعد هو بين شعبها الاربع وروي ان
يوسف حين قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
وقال آخرون ان الهمة ما كانت الا ميلة النفس ولم يخرج شيء منها من القوة الى الفعل ولكن كانت داعية الطبيعة وداعية العقل والحكمة متجاذبين
اما الاولون فقد فسروا البرهان بان المراة قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت في زاوية من زوايا البيت فسترته بالثوب فقال يوسف
لم فعلت فقالت استحيي من الهي هذا ان يراني على المعصية فقال يوسف عم تستحيين من صنم لا يسمع ولا يعقل ولا استحيي من الهي القائم على كل نفس بما كسبت
والله لا افعل ذلك ابدا وعن ابن عباس انه مثل له يعقوب عاضا على اصابعه قائلا اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبياء والى هذا ذهب
عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضربه في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل صيح

يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما
كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى
جبرئيل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال
العزيز واما الآخرون فما سلموا شيئا من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم فتوارد الدلائل على المطلوب الواحد غير بعيد وكذا ترادف الزواجر فهو عليه السلام
كان ممتنعا من ذلك العمل بحسب النظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما اعطاه الله من النفس القدسية المطهرة ثم
انضاف الى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلا للالطاف وتتميما للعناية قالوا ولو ان اوقح الزناة واشطرهم لقي بما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق
ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبي الى جميع هذه الزواجر والمؤكدات حتى ينتهي على اقتضاء العزيمة قالوا والهم انما يتعلق بالاعيان وانما يتعلق بالمعاني
فانتم تقدرون قد هم بمخالطتها ونحن نقول هم بدفعها لولا ان عرف برهان ربه وهو ان الشاهد سيشهد له انه ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
فلعله لو اشتغل بان يدفعها امكن ان يتمزق قميصه من قبل وكانت الشهادة عليه لا له فلذلك ولى هاربا عنها وفي قوله وهم بها فائدة اخرى هي ان ترك المخالطة
بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن بل لاجل ان دلائل دين الله منعه عن ذلك العمل وكيف يظن بيوسف معصية وانه قد ادعى البراءة بقوله
هي راودتني عن نفسي وبقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والمراة اعترفت بذلك حين قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت
الآن حصحص الحق وزوج المراة صدقه فقال انه من كيدكن وشهد له شاهد من اهلها كما يجيء وشهد له الله تعالى فقال كذلك اي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنى او السوء مقدمات الجماع من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ثم
اكد الشهادة بقوله انه من عبادنا والاضافة للتشريف كقوله وعباد الرحمن ثم زاد في التاكيد فوصفه بالمخلصين اي هو من جملة من اخلص في طاعة الله
الاخلاص او من جملة من اخلصه الله بناء على قراءة فتح اللام وكسرها ويحتمل ان يكون من للابتداء لا للتبعيض اي هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم فكل هذه
الدلائل تدل على عصمة يوسف عليه السلام وانه بريء من الذنب ولو كان قد وجدت منه زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما في آدم وذي
النون وغيرهما ولما استحق هذا الثناء والله اعلم بحقائق الامور واستبقا الباب اي تسابقا اليه على حذف الجار وايصال الفعل مثل واختار موسى قومه
او على تضمين استبقا معنى ابتدرا واما وحد الباب لانه اراد البراني لا جميع الابواب التي غلقتها روى كعب انه لما هرب يوسف عليه السلام جعل فراش
القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر لانها اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق طولا والفيا سيدها اي صادفا بعلها وهو قطفير
وانما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يكن ملكا في الحقيقة روي انهما الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمراة ثم انه كان لسائل
ان يسال فما قالت المراة اذ ذاك فقيل قالت ما جزاء هي استفهامية او نافية معناه اي شيء جزاؤه او ليس جزاؤه الا السجن او العذاب وربما فسر العذاب
بالضرب بالسياط جمعت بين غرضين تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يؤاتيها خوفا اذا لم يؤاتها طوعا ثم انها
لحبها يوسف راعت دقائق المحبة فذكر السجن اولا ثم العذاب لان المحب لا يريد ايلام المحبوب بالكلية ثم انها لم تصرح بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا بل قصدت العموم
ليندرج يوسف فيه وفي قولها الا ان يسجن اشعار بان ذلك السجن غير دائم بخلاف قول فرعون لموسى لاجعلنك من المسجونين ففيه اشعار بالتابيد وقال يوسف
هي راودتني عن نفسي وانما صرح بذلك لانها عرضته للسجن والعذاب فوجب عليه الدفع عن نفسه ولولا ذلك لكتم عليها ثم قال سبحانه وشهد شاهد من اهلها قال
جمع من المفسرين هو ابن عم المراة وكان رجلا حكيما اتفق في ذلك الوقت انه كان مع العزيز فقال قد سمعت الجلبة من وراء الباب وشق
القميص الا اني لا ادري ايكما قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدام فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلف فالرجل صادق وانت كاذبة
فلما نظروا الى القميص ورأوا الشق من خلفه قال انه من كيدكن وعن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ان الشاهد ابن خال لها وكان صبيا في المهد
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وعن مجاهد
ان الشاهد هو القميص المشقوق من خلف وضعف بان القميص لا يوصف بالشهادة ولا بكونه من الاهل واعترض على القول الاول بان العلامة المذكورة
لا تدل قطعا على براءة يوسف لاحتمال ان الرجل قصد المراة وهي قد غضبت عليه فعدت خلفه كي تدركه وتضربه ضربا وجيعا واجيب بان هناك
امارات اخر منها ان يوسف عم كان عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يتسلط على مولاه الى هذا الحد ومنها قرينة الحال لكثرة تزين المراة فوق المعتاد ومنها شواهد
من احوال يوسف في مدة اقامته في منزلهم واعترض على القول الثاني بان شهادة الصبي امر خارق للعادة فيكون حجة قطعية فلم يبق للاستدلال بحال
القميص ولا لكونه من اهلها فائدة وايضا لفظ الشاهد لا يقع في العرف الا على من تقدم له معرفة بالواقعة والجواب ان تعيين الطريق في الاخبار والاعلام
غير لازم وكون الشاهد من اهلها اوجب للحجة عليها والزم لها واطلاق الشاهد هاهنا مجاز ووجه حسنه انه ادى مؤدى الشاهد حيث ثبت به قول يوسف عليه السلام
وبطل قولها قال في الكشاف التنكير في قبل او دبر معناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر اما الضمير في قوله فلما رأى وفي قوله قال انه من كيدكن
فقيل انه للشاهد الذي هو ابن عمها كما ذكرنا اي ان قولك وهو ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو الذي افضى الى هذه الريبة من عملكن ان
كيدكن عظيم قال بعض العلماء انا اخاف النساء اكثر مما اخاف الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم و
والاول لا شك ان القرآن كلام الله الا ان هذا حكاية قول الشاهد فلا يثبت به ما ادعاه ذلك العالم وان سلم فالمراد ان كيد الشيطان ضعيف بالنسبة الى ارادة الله
تعالى ومشيئته وكيد النساء عظيم بالنسبة الى كيد الرجال فانهن يغلبنهم ويسلبن عقولهم او اعوض انفسهن عليهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم النساء
حبائل الشيطان ثم قال الشاهد يوسف اي يا يوسف فحذف حرف النداء اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري يا امراة لذنبك و
والاستغفار اما من الزوج او من الله لانهم كانوا يعبدون الآلهة الا ان الله اعظم ويجعلون الاصنام شفعاء ولهذا قال يوسف لصاحبيه في السجن أارباب متفرقون
خير ام الله الواحد القهار انك كنت من الخاطئين من المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقيل الضمير في رأى وقال عائد الى زوج
المراة وانه كان قليل الغيرة فلذلك اكتفى منها بالاستغفار قاله ابو بكر الاصم وقال نسوة هي اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي ولذلك حسن حذف التاء
من فعله وقد يضم نونها قال الكلبي هن اربع في مدينة مصر امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وزاد مقاتل امراة
الحاجب والفتى الغلام الشاب والفتاة الجارية قد شغفها اي خرق حبه شغاف قلبها والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب
وحبا نصب على التمييز وحقيقة شغفه اصاب شغافه كما يقال كبده اذا اصاب كبده وكذا فيما ساير الاعضاء وقرئ بالعين المهملة اي احرقها من شعف
البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وقال ابن الانباري هو من الشعف وهو رؤس الجبال اي ارتفع حبه الى اعلى المواضع من قلبه والضلال المبين الخطاء
عن طريق الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن فيها وانما سمى التعبير عن الاغتياب بالمكر لاشتراكهما في الاخفاء وقيل ارادت بذلك ان يوسفوا

الى رؤيته يوسف فلهذا اسمي مكرا وقيل انهن منهن كتمان سره فافشينه فسمي مكرا ارسلت اليهن تدعوهن وقيل كن اربعين واعتدت اي
وهيأت لهن متكأ موضع اتكاء واصله متكأ لانه من توكأت ابدلت الواو تاء ثم ادغمت والمراد هيأت لهن نمارق يتكئن عليها كعادة المترفهات
كانها قصدت بذلك تهويل يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن السكاكين توهمهن انهن يثبن عليه وقيل المتكأ مجلس الطعام لانهم
كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث على هيئة المترفات ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا واتت كل واحدة منهن سكينا ليعالجن بها ما ياكلن وقيل اراد بالمتكأ
الطعام على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له متكأ وقال مجاهد هو طعام يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع
بالقطع وقرئ متكأ مضموم الميم ساكن التاء مقصورا وهو الاترج فلما رأينه اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الجمال وكان احسن خلق الله الا ان نبينا
صلى الله عليه وسلم كان املح قيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وما كان احد يستطيع وصفه ويرى تلألؤ وجهه على الجدران وقد ورث الجمال من جدته سارة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر
ليلة البدر وقال الازهري اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اي دخلت في الكبر بالحيض ووجه حيضهن حينئذ بان المرأة اذا فزعت
اسقطت ولدها فحاضت فالمراد حضن ودهشن وقيل اكبرنه لما رأين عليه من نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والاخبات والاخلاق الفاضلة
الملكية كعدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح فلذلك وقعت الهيبة والرعب في قلوبهن وقطعن ايديهن اي جرحنها بانهن لم يعرفن الفاكهة من اليد
او بان لم يفرقوا بين الجانب الحاد من السكين وبين مقابله فوقع الطرف الحاد في كفهن وحصل الاعتماد على ذلك الطرف فجرح الكف وهذا القول
شديد الملائمة لقولهن حاش لله اي تنزيها عما نسبته من خصلة ذميمة ان هذا الا ملك كريم في السيرة والعفة والطهارة اما قول زليخا فذلكن الذي
لمتنني فيه فانما ينطبق على هذا التأويل من حيث ان الصورة الحسنة مع العفة الكاملة توجب حصول اليأس من الوصال وحصول الغرض المجازي وذلك
يستتبع فرط الحيرة وزيادة العشق وعلى القولين الاولين فالمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله كان قولهن حاش
لله ما علمنا عليه تعجب من قدرته على خلق عفيف مثله قال صاحب الكشاف حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء واللام في لله لبيان من يبرأ
وينزه وهي حرف من حروف الجر وضع موضع التنزيه والبراءة وقال ابو البقاء الجمهور على انه ههنا فعل لدخوله على حرف الجر وفاعله مضمر ومن حذف
الالف من آخره فللتخفيف ولكثرة دوره على الالسن تقديره حاشى يوسف اي بعد عن المعصية لخشية الله وصار في حاشية اي ناحية ما هذا بشرا
اعمال ما عمل ليس لغة حجازية ان هذا اي ما هذا الشخص الا ملك كريم استدل بعضهم بالآية على افضلية الملك كما مر في اول سورة البقرة قالوا انما قلن ذلك
لما ركز في العقول ان لا احسن من صورة الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من صورة الشيطان واعترض عليه بانه لا مشابهة بين صورة الانسان وصورة الملك
واجيب بعد التسليم بتغيير المدعى وهو انهن اردن المشابهة في الاخلاق الباطنة وبها يحصل المطلوب وزيف بان قول النساء لا يصلح للحجة وفي الآية
دلالة على انهن اليوم احق لانه تحققن بنظرة واحدة ما لم يحققها في مدة طويلة وانظار كثيرة فلذلك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه قيل ههنا ان يوسف
كان حاضرا فلم اشارت اليه بعبارة البعيد واجاب ابن الانباري بانها اشارت اليه بعد انصرافه عن المجلس وهذا شيء يتعلق بالنقل فاما علماء البيان
فانهم بنوا الامر على ان يوسف حاضر واجابوا بانها لم تقل فهذا رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاقه ان يحب ويفتتن به واستبعادا لمحله او هو اشارة الى المعنى
بقولهن في المدينة عشقت عبدها الكنعاني كانها قالت هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه يعني انكن لم تصورنه حق ذلك
حق التصور والا لعذرتنني في الافتتان به ولما اظهرت عذرها عند النسوة صرحت بحقيقة الحال فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم قال
السدي اي بعد حل السراويل والذين يثبتون عصمة الانبياء قالوا ان استعصم بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحرز الشديد كانه في عصمة
وهو يجتهد في الاستزادة منها وفيه شهادة من المرأة على ان يوسف ما صدر عنه امر بخلاف الشرع والعقل اصلا ولئن لم يفعل ما آمره قال في الكشاف
معناه الذي آمر به فحذف الجار كما في امرتك الخير او ما مصدرية والضمير ليوسف اي امري اياه اي موجب امري ومقتضاه وليكونا من الصاغرين
بنون التاكيد المخففة ولهذا يكتب بالالف لان الوقف عليها بالالف والصغار الذل والهوان ومعلوم ان التوعد بالصغار له تاثير عظيم في حق
من كان رفيع النفس جليل القدر مثل يوسف ثم انه اجتمع على يوسف في هذه الحالة انواع من المحن والفتن منها ان زليخا كانت في غاية الحسن ومنها
انها كانت ذات مال وثروة وقد عرفت ان تبذل الكل ليوسف على تقدير ان يساعدها ومنها ان النسوة اجتمعن عليه بترغيبات ومخوفات ومنها
كانت ذات قدرة ومكنة وكان خائفا من شرها ومن اقدامها على قتله ولا ريب ان نطاق عصمة البشرية يضيق عن بعض هذه الاسباب فضلا عن كلها
وعن ازيد منها ولهذا التجأ يوسف عليه السلام الى الله سبحانه فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه ان السجن وان كان مشقة فهي زائلة والذي يدعون
اليه وان كان لذة الا انها عاجلة مستعقبة لخزي الدنيا وعذاب الآخرة والا تصرف عني كيدهن بترجيح داعية الخير وخروف النفس او بمزيد
الالطاف والعصمة اصب اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصب لان النفوس تصبو الى روحها واكن من الجاهلين الذين لا يعملون بما
يعلمون فلا يكون في علمهم فائدة او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح ولما كان في قوله والا تصرف معنى الدعاء وطلب الصرف قال سبحانه
فاستجاب له ربه ثم ان المرأة اخذت في الاحتيال وقالت لزوجها ان هذا العبد العبراني فضحني في الناس ويقول لهم في المجالس اني راودته
عن نفسي وانا لا اقدر على اظهار عذري فاما ان تأذن لي فاخرج فاعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه
حتى ينسى الناس هذا الحديث فذلك قوله تعالى ثم بدا اي ظهر لهم للعزيز ومن يليه اوله وحده والجمع على عادتهم في تعظيم الاشراف من بعد ما رأوا الآيات
الدالة على براءة يوسف من شهادة الصبي واعتراف المرأة وشهادات النسوة له بالسيرة الملكية والعفة وفاعل بدا مضمر اي ظهر لهم
رأي او بحبسه وانما حذف لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والقسم محذوف حتى حين الى زمان ممتد عن ابن عباس اي الى زمان انقطاع القالة
وما شاع في المدينة وعن الحسن خمس سنين وعن غيره سبع سنين وعن مقاتل انه حبس اثنتي عشرة سنة والله اعلم التأويل لما اخرجوا يوسف
القلب من جب الطبيعة وذهبوا به الى مصر الشريعة فاشتراه عزيز مصرها وهو الدليل المربي على جادة الطريقة ليوصله الى عالم الحقيقة فقال لامرأته وهي الدنيا
اكرمي مثواه اغذيه بقدر الحاجة الضرورية عسى ان ينفعنا حتى يكون صاحب الشريعة فيتصرف في الدنيا باكسير النبوة فيصير الشريعة حقيقة والدنيا
آخرة او نتخذه ولدا بلبان ثدي الشريعة والطريقة الى ان نرى الفطام عن الدنيا الدنية وكذلك مكنا ليوسف اي تمكين يوسف في ارض البشرية
انما هو لتعلم العلم اللدني لان الثمرة انما تظهر على الشجرة اذا كان اصل الشجرة راسخا في الارض والله غالب على امر القلب في توجيهه الى محبة الله
وطلبه او على امر القالب بجذبات العناية واقامته على الصراط المستقيم فيكون تصرفاته بالله ولله وفي الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم خلقوا مستعدين
لهذا الكمال وكذلك نجزي المحسنين اي كما افضلنا على القلب باستحقاقه من الحكمة والعلم وكذلك نجزي الاعضاء الرئيسة والجوارح اذا احسنوا الاعمال

الاخلاق على قاعدة الشريعة والطريقة خير الجزاء وهو التبليغ الى مقام الحقيقة وراودته فيه اشارة الى ان يوسف القلب وان استغرق في بحر
صفات الالوهية لا ينقطع عنه تصرفات زليخا الدنيا ما دام هو في بيتها اي في الجسد الدنياوي وغلقت ابواب اركان الشريعة وقالت هيت لك اي
اقبل الي واعرض عن الحق قال اي القلب الفاني عن نفسه الباقي ببقاء ربه معاذ الله عما سواه احسن مثواي الى عالم الحقيقة انه لا يفلح الظالمون الذين
يقبلون على الدنيا ويعرضون عن المولى وهم بها فوق الحاجة الضرورية لولا ان رأى برهان ربه وهو نور خصلة القناعة التي هي من نتائج نظر العناية لنصرف
عنه السوء الحرص على الدنيا والفحشاء التصرف حب الدنيا انه اي من عبادنا المخلصين الذين خلصوا من سجن الوجود المجازي ووصلوا الى الوجود الحقيقي
فاستبقا الباب الموت الاختياري وقدت قميص بشريته من دبر شهواتها قبل خروجه من الباب والفيا سيدها وهو صاحب ولاية تربية يوسف
القلب وزوج زليخا الدنيا لانه يتصرف في الدنيا كما ينبغي تصرف الرجل في المرأة وشهد شاهد من اهلها هو حاكم العقل الغريزي دون العقل المجرد
الذي ليس من الدنيا واهلها في شيء فتبين حاكم العقل ان يد تصرف زليخا الدنيا لا تصل الى يوسف القلب الا بواسطة قميص بشريته انه من كيدكن عظيم
وهو قطع طريق الوصول الى الله العظيم على القلب السليم يوسف اعرض عن هذا فانه ذكر الله يورث المحبة وذكر الدنيا يورث محبتها وحب الدنيا رأس
كل خطيئة وقال نسوة هي الصفات البشرية من البهيمية والسبعية والشيطانية تراود فتاها لان الرب اذا تجلى للعبد خضع له كل شيء يا دنيا اخدمي
من خدمني واعتدت لهن متكأ الطعمة مناسبة لكل منها وآتت كل واحدة منهن سكينا هو سكين الذكر وقالت اخرج عليهن اشارة الى تجليات
احوال القلب على الصفات البشرية وقطعن ايديهن بالذكر عما سوى الله ثم بدا لهم اي ظهر لمربي القلب بلبان الشريعة وهو شيخ الطريقة ومن يراعي صلاح
حال القلب من بعد ما رأوا آثار عناية الله وعصمة القلب عن الالتفات الى سواه ليسجننه في سجن الشرع الى حين قطع تعلقه عن الجسد بالموت نظيره واعبد
ربك حتى يأتيك اليقين واذا كان النبي مع نهاية كماله مأمورا بان يكون مسجونا في هذا السجن فكيف بمن دونه والله اعلم

ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني
اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نريك من المحسنين
قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما
مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم
كافرون ۝ واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان
لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون ۝ يا صاحبي السجن ءارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار ۝ ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم
الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ۝ يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر
فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان ۝
وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانسيه الشيطان
ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ۝ وقال الملك اني ارى سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون ۝ قالوا اضغاث
احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ۝ وقال الذي نجا منهما وادكر

[illegible]

بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون ۞ يوسف ايها الصديق افتنا
في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون ۞ قال تزرعون سبع
سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ۞ ثم
ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ۞ ثم
ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ۞ وقال
الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فسئله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم ۞ قال ما خطبكن
اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء
قالت امرات العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن
الصادقين ۞ ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله
لا يهدي كيد الخائنين ۞ وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم ۞ صدق الله العظيم

اني اراني اعصر في الحرفين ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن كثير [illegible]

[illegible]

الى المعبر ثم منها ما هي متسقة منتظمة فيسهل على المعبر الانتقال من تلك المتخيلات الى الحقائق الروحانيات ومنها ما يكون مختلطة مضطربة ولا يضبط
تحليلها وتركيبها لتشويش وقع في تركيبها وتاليفها فتسمى بالاضغاث وبالحقيقة الاضغاث ما يكون مبداها تشويش القوة المتخيلة لفساد
وقع في القوى البدنية او لورود امر غريب عليه من خارج لكن القسم المذكور قد يعد من الاضغاث من حيث انها اعيت المعبرين عن تاويلها
ولتشتمل بتغيير الالفاظ اما الملك فريان بن الوليد ملك مصر وقوله اني ارى حكاية حال ماضية وسمان جمع سمينة وسمين وسمينة يجمع على سمان كما يقال
رجال كرام ونسوة كرام قال النحويون اذا وصف المميز فالاولى ان يقع الوصف وصفا للمميز كما في الآية دون العدد لانه ليس بمقصود بالذات فلهذا قيل
سمان بالجر ليكون وصفا لبقرات وتحصل التمييز للسبع بنوع البقرات وهي السمان منهن ولو نصب حصل تمييز السبع بجنس البقرات ولا لزم ان يعلم من الوصف
ان المميز الجنس موصوف بالسمن والعجف الهزال الذي ليس بعده هزال والنعت اعجف وعجفاء وهما لا يجمعان على فعال ولكنه حمل على سمان لانه نقيضه ومن
سبع عجاف فحذف للعلم به كما في قوله واخر يابسات لتقدير وسبعا اخر لانصباب المعنى الى هذا العدد وانما لم يقل سبع عجاف على الاضافة لان البيان
لا يقع بالوصف وحده وقولهم ثلاثة فرسان وخمسة صحاب لانه وصف جرى مجرى الاسم ولا يجوز ان يكون قوله واخر مجرورا عطفا على سنبلات لان العطف
الاخر يابسات ويبطل مقابلة السبع بالسبع واراد بالملاء الاعيان من العلماء والحكماء واللام في للرؤيا للبيان كما قلنا في وكانوا فيه من الزاهدين ولان عمل
العامل فيما تقدم عليه يضعف فيعضد باللام كما يعضد اسم الفاعل بها وان تاخر معموله او لان قوله للرؤيا خبر كان كقوله هو لهذا الامر اي متمكن منه مستقل
وتعبرون خبر آخر او حال والمعنى تعبرون معنى ينسبون لعبارة الرؤيا والفصيح عبرت الرؤيا بالتخفيف وقد يشدد واشتقاقه من العبر بالكسر والسكون
وهو جانب النهر فيقال عبرت النهر اذا قطعته حتى يبلغ آخر عرضه وعبرت الرؤيا اذا تاملت ناحيتها فانتقلت من احد الطرفين الى الآخر والاضغاث
جمع ضغث وهو الحزمة من انواع النبت والحشيش مما طال ولم يقم على ساق والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والصيغة للجمع ولكن الواحد قد
يوصف به كما يقال برمة اعشار فالمراد هي حلم اضغاث احلام وقد يطلق الجمع ويراد به الواحد كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم
وان لم يركب الا فرسا واحدا ولم يلبس الا عمامة فذة ويجوز ان يكون قد قص عليهم احلاما اخر واللام في الاحلام اما للعهد كانهم ارادوا والمنامات الباطلة او الجنس
ارادوا انهم غير متبحرين في علم تاويل الرؤيا ولما اعضل على الملاء تاويل رؤيا الملك تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه المصلوب وتذكر
قوله اذكرني عند ربك وذلك قوله سبحانه وادكر واصله اذتكر قلبت التاء دالا والذال كلاهما دالا وادغمت بعد امة اي بعد حين كانها حصلت من اجتماع
ايام كثيرة وقرئ بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بوزن عمه ومعناه انا انبئكم بتاويله اخبركم به عمن عنده علمه فارسلون
اليه لاسئله والخطاب للملك والجمع للتعظيم او له وللملاء حوله والمعنى مروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة وجهنا احضار المراد
فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف اي يا يوسف ايها الصديق البليغ الكامل في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه يعرف احواله من قبل وفيه
انه يجب على المتعلم تقديم ما يفيد المدح لمعلمه وانما اعاد عبارة الملك بعينها لان التعبير يختلف باختلاف العبارات وقوله لعلي ارجع فيه نوع من
الادب لانه لم يقطع بانه يعيش الى ان يعود اليهم وعلى تقدير ان يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التي لا تحصى كثرة وكذا في قوله
لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيخلصوك او يعلموا تاويل ذلك فيكون فيه شك لانه راى عجز سائر المعبرين وقيل كرر لعل مراعاة لفواصل
الآي والا كان مقتضى النسق لعلي ارجع الى الناس فيعلموا ومثله في هذه السورة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون قال يوسف
في جواب الفتوى تزرعون سبع سنين وهو خبر في معنى الامر يفيد المبالغة في ايجاب ايجاد المامور به قال في الكشاف والدليل على كونه في معنى الامر
قوله فذروه في سنبله واقول يمكن ان يكون قوله تزرعون اخبارا عما سيوجد منهم في زمن الخصب والمطر لان الزرع يلزم نزول الامطار عادة وقوله فما حصدتم
ارشاد لهم الى ما يصلح لهم في ذلك الوقت ودابا بتسكين الهمزة وتحريكها مصدر داب في العمل اذا استمر عليه وانتصابه على الحال اي تزرعون ذوي
داب او على المصدر والحال فعله اي تدابون دابا واما امرهم بان يتركوه في السنابل الا القدر الذي ياكلونه في الحال لئلا يقع فيه السوس ثم ياتي من بعد
ذلك فيه دليل على ان تزرعون اخبار لا امر سبع شداد اي سبع سنين شداد على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من الاسناد المجازي لان الآكلين اهل تلك
السنين الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخباؤن والاحصان جعل الشيء في الحصن كالاحراز جعله في الحرز ثم اخبر بما ياتي من بعد ذلك
عام فيه يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا امطرت وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع
تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين جدب ثم بشرهم بالبركة في الثامن فقال المفسرون انه
قد عرف ذلك بالوحي عن قتادة زاده الله تعالى علم سنة وقيل عرف استدلالا فليس بعد انتهاء الجدب الا الخصب والجواب انه لا يلزم من انتهاء
الجدب الخصب والخير الكثير فقد يكون توسط الحال والظاهر في قوله وفيه يعصرون نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحي ولما رجع الشرابي الى الملك وعرض
عليه التعبير استحسنه وقال ائتوني به ليجعل الله سبحانه علمه مبدا الخلاص من المحنة الدنيوية فيعلم منه ان العلم سبب الخلاص من المحن الاخروية ايضا فلما جاءه
الرسول وهو الشرابي فقال اجب الملك قال يوسف ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة ما شانهن وما حالهن ان ربي اي ان الله العالم بخفيات
الامور او العزيز الذي رباه بكيدهن عليم وعلى الاول اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه او اراد الوعيد
اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن ترغيبهن اياه في موافقة سيدته او تقبيح صورته عند العزيز حتى رضي بسجنه ومن لطايف الآية انه انما
قال سل الملك ان يسال ما بالهن الا انه راعى الادب فاقتصر على سؤال الملك عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يهيجه على البحث والتفتيش ومنها انه لم يذكر
سيدته بسوء بل ذكر النسوة على التعميم ومع ذلك راعى جانبهن ايضا اذ وصفهن بتقطيع الايدي فقط لا بانهن رغبن في الخيانة عن النبي صلى الله عليه وسلم
لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت
حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر ان كان لحليما
ذا اناة قال العلماء ان الذي فعله يوسف هو اللائق بالحزم والعقل لانه لو خرج في الحال فربما يبقى في قلب الملك من تلك التهمة اثر ولعل الحساد يتسلقون
بذلك الى تقبيح امره عنده وفي هذا التاني والتثبت تلافي ما صدر منه في قوله للشرابي اذكرني عند ربك قال الملك بعد احضار النسوة ما خطبكن
ما شانكن العظيم اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن او الى زليخا قيل الخطاب لزليخا والجمع للتعظيم وقيل خاطبهن جميعا لان كل واحدة
منهن راودت يوسف لنفسها او لاجل امراة العزيز قلن حاش لله تعجبا من عفته ونزاهته قالت امراة العزيز حين عرفت انه لا بد من الاعتراف
الان حصحص الحق وضح وانكشف وتمكن في القلوب من قولهم حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة والاستقرار على الارض وقال الزجاج اشتقاقه
من الحصة اي بانت حصة الحق من حصة الباطل اما قوله سبحانه ذلك ليعلم الى تمام الآيتين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون انه حكاية قول يوسف ع م

ان الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الحاضرة بقوله ذلك
بل التعظيم او المراد ما ذكر من رد الرسول والتثبت واظهار البراءة عن ابن عباس انه لما دخل على الملك قال ذلك والاظهر انه قال ذلك في السجن عند
عود الرسول اليه ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل اي وانا غائب عنه او من المفعول اي وهو غائب عني او على الظرف اي بمكان الغيب وهو الاستتار
وراء الابواب المغلقة قيل هذه الخيانة لو وقعت لوقعت في حق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم الملك واجيب بانه اذا خان وزيره فقد خان الملك
من بعض الوجوه او اراد وليعلم الله لان المعصية خيانة او اراد ليعلم الملك اني لم اخن العزيز او ليعلم العزيز اني لم اخنه وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده
وفيه تعريض بامراة العزيز حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه فكانه خان حكم الله وفيه تاكيد لامانته وانه لو كان خائنا لم يهد الله كيده ولا ينجحه
ان هذه الكلمات من يوسف مع انه شهادة الجارية والاعتراف الصريح من المراة دليل على نزاهة يوسف من كل سوء قال اهل التحقيق انه لما راعى حرمة سيدته في
ما بال النسوة ودون ان يقول ما بال زليخا ارادت ان تكافيه على هذا الفعل الحسن فلا جرم ازالت الغطاء واعترفت بان الذنب كله منها ونظيره ما يحكى ان امراة جاءت
زوجها الى القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي بان يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر بصداقها
فقالت المراة لما اكرمني الى هذا الحد فاشهدوا اني ابرات ذمته من كل حق لي عليه ولما كان قول يوسف ذلك ليعلم جاريا مجرى تزكية النفس على الاطلاق
في هذه الواقعة وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم اتبع ذلك قوله وما ابرئ نفسي ان النفس اي هذا الجنس لامارة بالسوء مائلة الى القبايح راغبة في المعاصي
وفيه ان ترك تلك الخيانة ما كان لعدم حظ النفس وشرهها ولكن كان بتوفيق الله وتسهيله وصرفه الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة
او المراد انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت رحمة ربي او الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة القول الثاني انه حكاية
قول المراة لان يوسف ما كان حاضرا في ذلك المجلس والمعنى واني كنت احلت عليه الذنب عند حضوره ولكني ما احلته عليه في غيبته حين كان في السجن وان الله
لا يهدي فيه تعريض بانها لما اقدمت على المكر فلا جرم افتضحت وانه لما كان بريئا من الذنب لا جرم طهره الله منه وما ابرئ نفسي من الخيانة مطلقا فاني
قد خنته حين قلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا واودعته السجن ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي نفس
يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت قال المحققون النفس الانسانية شيء واحد فاذا مالت الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا
مالت الى الشهوة والغضب سميت امارة وهذه هي اغلب احوالها لالفها الى العالم الحسي وقرارها فيه فلا جرم اذا خليت وطباعها انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل
انها من حيث هي امارة بالسوء واذا كانت متجاذبة مرة الى العالم العلوي ومرة الى العالم السفلي سميت لوامة ومنهم من زعم ان النفس المطمئنة هي الناطقة
العلوية والنفس الامارة منطبعة في البدن تحمله على الشهوة والغضب وسائر الاخلاق الرذيلة وتمسك الاشاعرة بقوله الا ما رحم ربي ظاهرا لانه دل على ان
الصرف عن السوء بخلق الله وتكوينه وحمله المعتزلة على منح الالطاف والله اعلم بالحقايق التاويل لما دخل يوسف القلب سجن الشريعة دخل
معه فتيان الملك الروح هما النفس والبدن فان الروح العلوي لا يعمل عملا في السفل الدنيوي الا من شرب النفس فهي صاحب شرابه والبدن يهيئ زاده من الاعمال
الصالحة ما يصلح لغذاء الروح فان الروح لا يبقى الا بغذاء روحاني كما ان الجسم لا يبقى الا بغذاء جسماني وانما جعلا في سجن الشريعة لانهما متهمان بحبل الهوى
والمعصية في شراب ملك الروح وطعامه وفي رؤياهما دلالة على انهما من الدنيا واهل الدنيا نيام فاذا ماتوا انتبهوا انا نريك من المحسنين الذين يعبدون الله
كانهم يشهدونه اني تركت ملة قوم فيه اشارة الى ان القلب مهما ترك ملة النفس والهوى والطبيعة علمه الله علم الحقيقة اما احدكما فيسقي ربه اي سيده
باقداح المعاملات شراب الكشوف والمشاهدات وهي باقية في خدمة ملك الروح ابدا واما الآخر وهو البدن فيصلب بحبل الموت فتاكل طير اعوان ملك الموت
من راسه الخيالات الفاسدة قضي في الازل هذا الامر اذكرني عند ربك يعني ان القلب المسجون في بدو امره يلهم النفس ان يذكره والمعاملات المستحسنة
الشرعية عند الروح ليتقوى بها الروح ويتنبه عن نوم الغفلة الناشية من الحواس الخمس ويسعى في استخلاص القلب عن اسر الصفات البشرية
بالمعاملات الروحانية مستمدا من الالطاف الربانية ثم ان الشيطان بوساوسه محا عن النفس اثر الهامات القلب والشيطان انسى القلب ذكر ربه
حين استغاث بالنفس ليذكره عند الروح ولو استغاث بالله لخلصه في الحال فلبث في السجن بضع سنين اشارة الى الصفات البشرية السبع التي بها
القلب محبوس هي الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب اني ارى سبع بقرات سمان هي الصفات المذكورة ياكلهن سبع عجاف
من اضدادها وهي القناعة والسخاوة والعفة والشفقة والحلم والتواضع يا ايها الملأ يعني الاعضاء والجوارح والحواس والقوى افتوني في رؤياي ايت
في غيب الملكوت وما نحن بتاويل الاحلام اي ليس التصرف في الملكوت في شواهدها من شاننا فارسلون فيه ان النفس اذا ارادت ان تعلم شيئا مما يجري في الملكوت
يرجع بقوة التفكر الى القلب فتستخبر عنه فالقلب ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان الغيب ايها الصديق لانه يصدق فيما يرى من شواهد
الحق ويصدق فيما يروي للخلق ما كذب الفؤاد ما راى حدثني قلبي عن ربي قاله الكتاني ارجع الى الناس اي الاجزاء الانسانية تزرعون سبع سنين اشارة
الى تربية الصفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة في اوان الطفولية فذروه في سنبله اي ما حصلتم من هذه الصفات فذروه في اماكنه ولا تستعملوه
الا قليلا مما تعيشون به الى اوان البلوغ وظهور نور العقل في مصباح السر عن زجاجة القلب كانه كوكب دري ثم اذا ايد نور العقل بانوار تكاليف الشرع و
شرف بالهام الحق في اظهار فجور النفس وتقويها فزكاها عن هذه الصفات وحلاها بالصفات الروحانية السبع فكان السبع العجاف اكلن السبع السمان
وانما سمي ما هو من عالم الارواح عجافا للطافتها وما من عالم الاجسام سمانا لكثافتها الا قليلا مما تحصنون به الانسان حيوة قالبه ثم ياتي من بعد ذلك عام
اي بعد غلبات الصفات الروحانية واضمحلال الصفات البشرية يظهر مقام فيه يتدارك السالك جذبات العناية وفيه يتبرا العبد من معاملاته ويخرج من حبس
وجوده وحجب انانيته ولما اخبر القلب بنور الله تعالى ما راه الروح في عالم الملكوت وتاوله استحق تربية الروح وصحبته فاستدعى حضوره على لسان رسول
النفس فرده اليه وقال سله ما بال النسوة لان الاوصاف الانسانية لما راين جمال القلب المنور بنور الله قطعن ايديهن من ملاذ الدنيا وشهواتها وتركن
السعادات الاخروية على الشهوات الفانية ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي القلب المنظور بنظر العناية لما غاب عن حضرة الروح لاشتغاله بتربية النفس
والقالب ما خانه بالالتفات الى الدنيا ونعيمها وان الله لا يهدي كيد الخائنين الذين يبيعون الدين بالدنيا ثم قال اظهارا للعجز عن نفسه والفضل من ربه
وما ابرئ نفسي لان النفس جبلت على الامارية ولكن اذا رحمها ربها يقلبها ويغيرها فاذا انفلق صبح الهداية صارت لوامة نادمة على فعلها واكتسبت
توبة واذا طلعت شمس العناية صارت ملهمة فالهمها فجورها وتقويها واذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية اشرقت الارض بنور ربها وصارت
النفس مطمئنة مستعدة لجذبة ارجعي الى ربك راضية مرضية ان ربي غفور لنفس تائبة رجعت اليه رحيم لمن احسن طاعته وعبادته

الله حسبي وكفى — وهو اعلم بالصواب — واليه المرجع والمآب

وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا
مكين امين ۝ قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم ۝ و
كذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا
من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ۝ ولاجر الآخرة خير للذين امنوا وكانوا
يتقون ۝ وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له
منكرون ۝ ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم
الا ترون اني اوف الكيل وانا خير المنزلين ۝ فان لم تاتوني به فلا
كيل لكم عندي ولا تقربون ۝ قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا
انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون ۝ فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا
منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون ۝
قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو
ارحم الراحمين ۝ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا
ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير ۝ قال لن ارسله
معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه
موثقهم قال الله على ما نقول وكيل ۝ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم
الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ۝ ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب
قضيها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝

القراءات

حيث نشاء بالنون ابن كثير الآخرون بياء الغيبة اني اوفي بفتح الياء المتكلم نافع غير اسمعيل لفتيانه خير حافظا حمزة وعلي وخلف غير ابي بكر وحماد الباقون لفتيته خير حفظا نكتل بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون تؤتوني بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الوقوف لنفسي ج امين ه الارض ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عليم ه في الارض ج لاحتمال ما بعده الاستيناف او الحال حيث يشاء ط المحسنين ه يتقون ه منكرون ه من ابيكم ج لحق الاستفهام مع اتحاد القائل المنزلين ه ولا تقربون ه لفاعلون ه يرجعون ه لحافظون ه من قبل ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار حافظا ص الراحمين ه اليهم ط لتمام جواب لما ما نبغي ط لان ما بعده جملة مستانفة موضحة للاستفهامية او المنفية قبلها الينا ج لاحتمال العطف والاستيناف على ونحن نمير كيل بعير ط يسير ه بكم ج قال الله قيل فيكث بين الفعل والاسم لان القائل

وكيل ه لئلا يلزم الفصل بين القائل والمقول والاحسن ان يفرق بينهما بقوة النغمة فقط متفرقة ط من شيء ط لله ط توكلت ط المتوكلون ه ابوهم ط لان جواب لما محذوف اي سلوا باذن الله قضيها ط لا يعلمون ه الاظهر ان هذا الملك هو الريان لا العزيز لان قوله استخلصه لنفسي يدل على انه قبل ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف قبل ذلك خالصا للعزيز وفي قول يوسف اجعلني على خزائن الارض دلالة ايضا على ذلك والاستخلاص طلب خلوص الشيء من شوائب الاشتراك ومن عادة الملوك ان يتفردوا بالاشياء النفيسة روي ان جبريل دخل على يوسف وهو في السجن وقال قل اللهم فرج لي من عندك فرجا ومخرجا وارزقني من حيث لا احتسب فقبل الله دعاءه واظهر السبب في خلاصه فلما جاءه الرسول وقال اجب الملك لنخرج من السجن دعا لاهله وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه فلما كلمه احتمل ان يكون ضمير الفاعل ليوسف وللملك وهذا اولى لان مجالس الملوك لا يحسن ابتداء الكلام فيها لغيرهم روي ان الملك قال له ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك بعينها فعبرها فتعجب من وفور علمه وحدسه وكان قد علم من حاله من نزاهة ساحته وعدم مسارعته في الخروج من السجن وقد وصف له ما كان من جده في الطاعة والاحسان الى سكان السجن بما وصف فعظم اعتقاده فيه فعند ذلك قال انك اليوم لدينا مكين امين ويندرج في المكانة كمال القدرة والعلم اما القدرة فظاهرة واما العلم فلان كونه متمكنا من افعال الخير وباضدادها وكونه امينا متفرع على كونه حكيما لانه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة وانما يفعله لداعي الحكمة قال المفسرون لما حكى يوسف رؤيا الملك وعبرها بين يديه قال له الملك فما ترى ايها الصديق قال ارى ان تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن والاهراء وتجمع الطعام فيها فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض اللام للعهد اي ولني على خزائن ارض مصر والخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء اي يحفظ اني حفيظ للامانات واموال الخزائن عليم بوجوه التصرف فيها على وجه الغبطة والمصلحة وقيل حفيظ لوجوه اياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والشفقة قال الواحدي في هذا الطلب خطيئة منه فكانت عقوبته ان اخر التفقد عنه سنة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك اخره الله عنه سنة وقال آخرون انما تصرف في امور الخلق كان واجبا عليه لان النبي يجب عليه رعاية الاصلح لامته بقدر الامكان وقد علم بالوحي انه سيحصل القحط والضنك فاراد السعي في ايصال النفع الى المستحقين ودفع الضرر عنهم واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى دفع الظلم والضرر عن الناس الا بالاستعانة بمن كان كافرا او فاسقا فله ان يستظهر به على مجاهدة زعم ان الملك كان قد اسلم وقيل كان الملك يصدر عن رايه وكان في حكم التابع لا المتبوع ووصف نفسه بالحفظ والعلم على سبيل المبالغة لم يكن لاجل التمدح ولكن للتوصل الى الغرض المذكور وكذلك اي مثل ذلك التقريب والانجاء من السجن مكنا ليوسف في الارض ارض مصر وهي اربعون فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء ينزل او نشاء نحن على القراءتين والمراد بيان استقلاله بالتقلب والتصرف فيها بحيث لا ينازعه منازع نصيب برحمتنا من نشاء فيه ان الكل من الله وبتيسيره وقالت المعتزلة ملك المملكة لما لم يتم الا بامور فعلها الله صارت كانها من قبل الله تعالى وقيدوا المشيئة بالحكمة ورعاية الاصلح والاشاعرة نافوا في هذا القيد ولا نضيع اجر المحسنين وان اضاعة الاجر يكون للعجز او للجهل او البخل والكل ممتنع في حقه تعالى ولاجر الآخرة خير من اجر الدنيا او هو خير في نفسه وفي قوله المحسنين وقوله للذين امنوا وكانوا يتقون اشارة الى ان يوسف كان في الزمان السابق من المحسنين ومن المتقين وفيه دليل على نزاهة يوسف من كل سوء قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته لك اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افراثيم وميشا واقام العدل بمصر واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال الملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا فذلك قوله سبحانه وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لطول العهد جدا ولاعتقادهم انه قد هلك ولان الذي عهدوا حين فارقوه صبيا يباع بدراهم معدودة ثم راوه ملكا مهيبا جالسا على السرير في زي فراعنة ويحتمل ان يكون بينه وبينهم مسافة وما وقفوا الا حيث يقف المحتاجون ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم ويحتمل ان يكون عرفهم بالوحي وما عرفهم حتى يتعرفوا اليه ولما جهزهم بجهازهم هو ما يحتاج اليه في كل باب ومنه جهاز العروس والميت قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز السفر قال سمعت اهل البصرة يقولون الجهاز بالكسر قال الازهري القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة قال ائتوني باخ لكم من ابيكم قال العلماء لا بد من كلام يجر هذا الكلام فروي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون قالوا انا ببلاد لا يعرفنا احد قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى يشهد لكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وقيل كانوا عشرة فاعطاهم عشرة احمال فقالوا ان لنا ابا شيخا كبيرا واخا آخر بقي معه ولا بد لهما من حملين آخرين فاستحسن الملك مقالتهم فدل على زيادة محبته اياه وكونه فائقا في الجمال والادب فاستدعى منهم احضاره وقيل لعلهم لما ذكروا اباهم قال يوسف فلم تركتموه وحيدا فريدا فقالوا لم يبق عنده واحد فقال لهم لم خصه بهذا المعنى لاجل نقص في جسده فقالوا لا بل لزيادة محبته فقال يوسف ان اباكم رجل عالم حكيم ثم انه خصه بزيادة المحبة مع انكم فضلاء ادباء فلا بد ان يكون هو زائدا عليكم في الكمال والجمال فائتوني به لاشاهده والاول قول المفسرين والآخران محتملان ولما طلب منهم احضار الاخ جمع لهم بين الترغيب والترهيب فالاول قوله الا ترون اني اوف الكيل وانا خير المنزلين المضيفين وكان قد احسن ضيافتهم اذ زاد لكل من الاب والاخ الغائب حملا والثاني فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون مجزوم على النهي او انه داخل في حكم الجزاء كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون كل ما في وسعنا في هذا الباب او لقادرون على ذلك وقال لفتيانه ولفتيته قراءتان وهما جمع فتى كالاخوان والاخوة للاخ

فنعلة للقلة وتوجيهه ان هذه الاعمال من الاسرار فوجب كتمانه من العدد الكثير وفعلان للكثرة ووجهه انه قال اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال
كثير فناسبه الجمع الكثير من الغلمان الكيالين والبضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل والمراد به هنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث و
على انه امر بوضع بضاعتهم في رحالهم على وجه لا يعرفون بدليل قوله لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم
الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل امر بوضعها على وجه عرفوا والمعنى لعلهم يعرفون حق ردها اما السبب الذي لاجله امر يوسف
بذلك فقيل ليعلموا كرم يوسف فيبعثهم ذلك على العود وقيل خاف ان لا يكون عند ابيه من البضاعة ما يدعوهم الى الرجوع واراد به التوسعة على ابيه لان الـ
كان زمان قحط او لان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لؤم او اراد ان يرجعوا فيعرفوا سبب الرد لانهم اولاد الانبياء فاحترزوا ان لا يكون ذلك على سبيل
السهو او اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا منة فلا يشق على ابيه ارسال اخيه وقيل يرجعون متعد اي لعلهم يردونها فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل اراد وا قول
يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم وقت انذار المنع بمنزلة المنع نفسه ومن قرأ نكتل بالنون اي نرفع المانع ونأخذ من الطعام ما نحتاج اليه ويحتمل ان يراد المنع انهم اذا طلبوا
الطعام لابيهم والاخ المتخلف فلعله منع من ذلك ويقوي هذا الاحتمال قراءة الغيبة اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا قال هل آمنكم عليه فضمنوا كونهم حافظين
فقال يعقوب انكم ذكرتم مثل هذا الكلام في يوسف فهل يكون امني الآن الا كامني فيما قبل يعني كما لم يحصل الامان هناك فكذا الآن والظاهر ههنا
اضمار والتقدير فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وقال فالله خير حافظا وحافظا نصب على التمييز واحتمل الثاني الحال نحو لله دره فارسا وهو ارحم
الراحمين ارجو ان لا يجمع علي مصيبتين وقيل انه ذكر يوسف فقال فالله خير حافظا اي ليوسف لانه كان يعلم انه حي ولما فتحوا متاعهم هو ما في الكل
ما يستمتع به ويجوز ان يراد به ههنا الطعام او الاوعية اما قوله ما نبغي فالبغي بمعنى الطلب وما نافية او استفهامية والمعنى ما نطلب شيئا وراء ما فعل بنا
من الاحسان او ما نزيد منك بضاعة اخرى او اي شيء نطلب وراء هذا ثم استظهر البضاعة المردودة الينا ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا
فلا يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المساعي ويجوز ان يكون البغي بمعنى
الكذب والتزيد في القول على ان ما نافية اي ما نكذب فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة
لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا تلك الكرامة قال في الكشاف فعلى هذا التفسير لا يكون قوله ونمير معطوفة على معنى قوله هذه بضاعتنا وانما يكون قوله
هذه بضاعتنا بيانا انا لصدقتم وقوله ونمير معطوفا على ما نبغي او يكون كلاما مبتدأ اي وينبغي ان نمير كما تقول سعيت في حاجة فلان ويجب او ينبغي ان اسعى ويجوز
ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به اليك من ارسال اخينا معنا ثم بينوا كونهم مصيبين في رأيهم بقولهم هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا
الى اخره يقال ماره يميره اذا اتاه بميرة اي بطعام ذلك كيل يسير اي ذلك كيل لا يعطينا قليل يريد ان ينضاف اليه ما يكال لاجل اخينا وقال مقاتل ذلك
اشارة الى كيل بعير اي ذلك القدر سهل على الملك لا يضايقنا فيه ولا يطول مقامنا بسببه واختاره الزجاج وجوز في الكشاف ان يكون
من كلام يعقوب يعني ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر بمثله بالولد قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله اي ما اتوثق به من عند الله اراد الحلف به
وجواب الحلف لتأتنني به الا ان يحاط بكم استثناء من اعم العام في المفعول له وقد يقع مثل هذا الاستثناء في الاثبات او استقام المعنى نحو قرأت
الا يوم كذا وان شئت فاوله بالنفي اي لا تمتنعون من الاتيان به لعلة من العلل الا لعلة واحدة هي ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا قال مجاهد او تغلبوا
فلم تطيقوا الاتيان به قال قتادة على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل مطلع رقيب قال جمهور المفسرين انما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد خوفا عليهم
من اصابة العين وههنا مقامان المقام الاول ان الاصابة بالعين حق لاطباق كثير من الامة ولما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن
والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة اي جامعة للشر من لمه اذا جمعه والمراد ملمة والتغيير للمزاوجة وعبادة بن
الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فرأيته معافى فقال ان جبريل
عليه السلام اتاني فرقاني وقال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من كل عين وحاسد الله يشفيك قال فافقت وروي انه دخل رسول الله صلعم
بيت ام سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا يا رسول الله اصابته العين قال افلا تسترقون له من العين وعنه صلعم العين حق ولو كان شيء يسبق القدر
لسبق العين القدر وقالت عائشة كان يأمر العائن ان يتوضأ ثم يغتسل منه المعين المقام الثاني في الكشف عن حقيقته قال الجاحظ يمتد من العين
اجزاء فيتصل بالشخص المستحسن فيؤثر ويسري فيه كتأثير السم والسم واعترض الجبائي وغيره بانه لو كان كذلك لاثر في غير المستحسن كتأثيره في المستحسن
واجيب بان المستحسن ان كان عدوا فانما حصل للعائن عند ذلك الاستحسان خوف شديد من زواله وان كان عدوا حصل له حزن شديد من حصوله فعلى التقديرين
يسخن الروح وينحصر في داخل القلب ويحصل في الروح الباصرة كيفية مسخنة مؤثرة فلهذا السبب امر النبي صلى الله عليه وسلم العائن بالوضوء
ومن اصابته العين بالاغتسال منه وقال ابو هاشم وابو القاسم البلخي لا يمتنع ان صاحب العين اذا شاهد الشيء واعجب به كانت المصلحة له في تكليفه
ان يغير الله ذلك الشخص حتى لا يبقى قلب ذلك المكلف معلقا به وقالت الحكماء ليس من شرط المؤثر ان يكون تأثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة
بل قد يكون التأثير نفسانيا محضا او وهميا كالماشي على الجذع او تصوريا كما في الحركات البدنية وقد يكون للنفوس خواص عجيبة تتصرف في غير
ابدانها بحيث انها المعجز ومنها السحر ومنها الاصابة بالعين اما الجبائي وغيره ممن انكر العين فقد قالوا ان اولاد يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث
الناس بجمالهم وجلالهم وهيبتهم فلم يأمن يعقوب ان يخافهم الملك على ملكه فيحبسهم وقيل انه كان عالما بان ملك مصر ولده الا ان الله تعالى لم يأمره
باظهاره وكان غرضه ان يتصل بنيامين اليه في غيبتهم قاله ابراهيم النخعي واعلم ان العبد يجب عليه ان يسعى باقصى الجهد والقدرة ولكنه بعد السعي
البليغ يجب ان يعلم ان كل ما يدخل في الوجود فهو بقضاء الله تعالى وقدره وان الحذر لا يغني عن القدر فلهذا قال يعقوب وما اغني عنكم من الله من شيء
فقوله الاول مبني على رعاية الاسباب والوسائط وقوله الثاني الى آخر الآية اشارة الى الحقيقة وتفويض الامور بالكلية الى مسبب الاسباب
وقد صدق الله تعالى في ذلك بقوله ما كان يغني عنهم من الله من شيء قال ابن عباس ما كان ذلك التفرق يرد قضاء وقضاء الله وقال الزجاج وابن
الانباري لو سبق في علم الله ان العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وقال آخرون ما كان يغني عنهم رأي يعقوب شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم
مع تفرقهم من اضافة السرقة واخذ الاخ وتضاعف المصيبة على الاب الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي
الشفقة والنصيحة او الخوف من اصابة العين او من اهل مصر او من قصد الملك ثم مدحه الله تعالى بقوله انه لذو علم يعني بان الحذر لا يرفع القدر
لما علمناه ما مصدرية او موصولة اي لتعليمنا اياه او الذي علمنا وقيل العلم الحفظ والمراقبة وقيل المضاف محذوف اي لفوائد ما علمناه وحسن آثاره اشارة
الى كونه عاملا بعلمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب او لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة في العلم وقيل المراد باكثر الناس المشركون لا يعلمون ان الله
تعالى كيف ارشد اولياءه الى العلوم التي تنفعهم في الدنيا والآخرة والله اعلم التأويل لما تبين للملك الروح قدر يوسف القلب والامانة في...

يردونها

من استعداده وسعيه اي خلاصه من سجن البشرية ليكون خالصا له في كشف حقائق الاشياء ولم يعلم انه خلق لصلاح جميع رعايا المملكة روحانية وجسمانية كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم مضغة ان صلحت صلح بها سائر الجسد وان فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب وللقلب اختصاص آخر بانه دون
سائر المخلوقات قال سبحانه لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن اجعلني على خزائن ارض الجسد فان لله تعالى في كل عضو من الاعضاء خزانة من لطف
يستعمله الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزانة من القهر ان يستعمله في ضده اني حفيظ للخزائن عليم باستعمالها فيما ينفعها دون ما يضرها نصيب برحمتنا فيه
من الاصابة اللطف من تلك الخزائن دون القهر وهو قوله اي بمشيئة الله تعالى وجاء اخوة يوسف وهم الاوصاف البشرية فدخلوا على يوسف القلب لانه ينظر بنور الله وكانوا
هم له منكرون لبقائهم في الظلمة وحرمانهم عن النور ولما جهزهم بجهازهم اي ان يوسف القلب لما احتاجت اليه الاوصاف البشرية في صفاتها الذميمة النفسانية الا صفة
حميدة الروحانية فاستدعى منهم احضار بنيامين السر لان السر لا يحضر مع القلب الا بعد تبديل المذكور واذا حضر معه يوفي اوفى الكيل الم يروا الى الاوصاف البشرية
جعلوا بضاعتهم في رحالهم فيه ان بضاعة كل عمل من الاعمال البدنية التي يجيء بها الاوصاف البشرية الى حضرة يوسف مردودة اليها لان القلب مستغن عنها ولكن الاوصاف
البشرية محتاجة اليها النفس لان النفس تتأدب وتتزكى بها كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان تربية القلب باعمال القلبية كالنيات الصالحة
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله وكالعزائم الخالصة والاخلاق الحميدة والتوكل والصدق والاخلاص ثم كمال تربية القلب بالتحلية وتجلي صفات
الحق وذاته لعلهم يرجعون من صفة الامارية الى المأمورية والاطمئنان فيستحق بجذبة ارجعي الى ربك ردت الينا فوائد ترجع الى يوسف القلب ونمير
اهلنا الاعضاء والجوارح تحصل لهم قوة زائدة على الطاعة بواسطة رسوخ الملكة ونحفظ اخانا من الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية ونزداد بواسطة حضور
السر عند القلب كيل بعير من الفوائد الربانية ذلك كيل يسير لمن يسره الله لتأتنني به مع الفوائد الربانية الا ان يحاط بكم الا ان يغلب الاحكام الازلية لا تدخلوا
من باب واحد لا تتقربوا الى القلب بنوع واحد من المعاملات فللاسباب مدخل في التقريب الا ان الكل موكول الى مسبب الاسباب والله اعلم

ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس
بما كانوا يعملون ۝ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل
اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون ۝ قالوا واقبلوا
عليهم ماذا تفقدون ۝ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به
حمل بعير وانا به زعيم ۝ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الارض وما كنا سارقين ۝ قالوا فما جزاؤه ان كنتم
كاذبين ۝ قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك
نجزي الظالمين ۝ فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها
من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا
ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ۝
قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه
ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون ۝ قالوا
يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نريك
من المحسنين ۝ قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا
عنده انا اذا لظالمون ۝ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال
كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما
فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي

كذلك كدنا

وحسن

أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ۝ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا
إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ۝
واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون ۝
قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ۝ عسى الله أن يأتيني بهم
جميعا إنه هو العليم الحكيم ۝ صدق الله العظيم

أني أنا أخوك بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع نرفع درجات من نشاء بالإضافة وبياء الغيبة في الفعلين سهل ويعقوب بالنون والتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون وعلى الإضافة فلما استيأسوا وبابه بالألف ثم الياء أبو ربيعة عن البزي وحمزة في الوقف وإن شاء لين الهمزة الباقون بياء ثم همزة على الأصل لي أبي بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وافق ابن كثير في أبي الوقوف يعملون ه سارقون ه تفقدون ه زعيم ه سارقين ه كاذبين ه فهو جزاؤه ط الظالمين ه من وعاء أخيه ط ليوسف ط يشاء الله ط لأن ما بعده مستأنف نشاء ط عليم ه من قبل ج مكانا ج تصفون ه مكانه ج الثلاثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى المحسنين ه عنده لا لتعلق إذن بما قبلها الظالمون ه نجيا ط في يوسف ج للابتداء بالنفي مع فاء التعقيب بحكم الله لي ج لاحتمال ما بعده الابتداء والحال الحاكمين ه سرق ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل حافظين ه أقبلنا فيها ط لأن الجملتين والابتداء بإن لصادقون ه أمرا ط جميل ط جميعا ط الحكيم ه روي أنهم لما أتوه بأخيهم بنيامين أنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته ثم أمر أن ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثاني له فاتركوه معي فآواه إليه أي أنزله في المنزل الذي كان يأوي إليه فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وكلما أتى نفسه لوح بأبيك قال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال إني أنا أخوك قال وهب أراد إني أقوم لك مقام أخيك في الإيناس وعدم التوحش وقال ابن عباس وسائر المفسرين أراد تعريف النسب لأن ذلك أقوى في إزالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة فلا تبتئس افتعال من البؤس وهو سوء العيش والشدة والفقر أي نهيه عن اجتلاب الحزن بما كانوا يعملون من دواعي الحسد والأعمال المنكرة التي أقدموا عليها يروى أن بنيامين قال ليوسف أنا لا أفارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما ليس بحسن قال أنا راض بما رضيت قال فإني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك أنك قد سرقته قال فافعل فذلك قوله سبحانه فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه والسقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع كان يسقي بها الملك أو الدواب ثم جعلت صاعا فيكال به وكان مستطيلا من ذهب وفضة مموهة بالذهب أو مرصعا بالجواهر أقوال ثم أذن مؤذن نادى مناد ومعناه راجع إلى الإيذان الإعلام إلا أن أذّن يفيد التكثير والتكرير النداء أيتها العير أي أصحاب العير كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والعير الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير كأنها جمع عير وأصلها فعل بالضم كسقف وسقف فأبدلت الضمة كسرة لأجل الياء كما في بيض ثم كثر في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وههنا سؤال وهو أنه كيف جاز لنبي أن يرمي بنسبة قوم إلى السرقة وهم برآء وأجاب العلماء بأنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم لأنهم لما لم يجدوا السقاية غلب على ظنونهم أنهم أخذوها أو المؤذن ذكر ما ذكر على سبيل الاستفهام أو المراد إنهم سرقوا يوسف من أبيهم أو المراد إن فيكم سارقا وهو الأخ الذي رضي بذلك البهتان فلا ذنب لأن الخصم رضي به في حقه ذلك ثم إن إخوة يوسف قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك قيل الصواع اسم للصاع والسقاية وصف ولمن جاء به أي بالصواع حمل بعير من الطعام جعلا لمن حصله وأنا به زعيم أي كفيل وهو من قول المؤذن وفيه أن الكفالة كانت صحيحة في شرعهم أيضا إذا كان معلوما وكان حمل بعير كان عندهم شيئا معلوما كالوسق مثلا إلا أن هذه كفالة مال لرد السرقة وهو كفالة ما لم يجب لأنه لا يحل للسارق أن يأخذ شيئا على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة تصح عندهم قالوا تالله التاء مبدلة من الواو وضعفت عن التصرف في سائر الأسماء وجعلت فيما هو أحق بالقسم وهو اسم الله عز وجل حلفوا على أمرين متعجبين الأول أنهم علموا أن إخوة يوسف ما جاؤوا لأجل الفساد في الأرض بالنهب والغصب ونحو ذلك حتى روي أنهم دخلوا وأفواه دوابهم مشدودة خوفا من أن يتناول زرعا أو طعاما لأحد في الطرق والأسواق وكانوا مواظبين على أنواع الطاعات ورد المظالم حتى حكي أنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم الثاني أنهم ما وصفوا قط بالسرقة قالوا أي أصحاب يوسف فما جزاؤه قال في الكشاف الضمير للصواع والمضاف محذوف أي فما جزاء سرقته إن كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة قلت ويحتمل أن يعود إلى السارق وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه حتى قالوا جزاؤه من وجد في رحله أي جزاؤه الرق قال الزجاج وقوله فهو جزاؤه زيادة في البيان أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كما يقال حق السارق القطع فهو جزاؤه للتقرير ذكر من استحقاق ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ وباقي الكلام جملة شرطية مرفوعة المحل بالخبرية على أن الأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فيكون الضمير الثاني عائدا إلى المبتدأ والأول إلى من ولكنه وضع المظهر مقام المضمر للتأكيد والمبالغة وجوز في الكشاف أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤول عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه أما قوله كذلك أي مثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين فيحتمل أن يكون من بقية كلام إخوة وأن يكون كلام أصحاب يوسف والله أعلم ثم قال لهم المؤذن ومن معه لا بد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم إلى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه لنفي التهمة وإكمال الحيلة قال قتادة كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأثما مما قذفهم به حتى إذا لم يبق إلا أخوه قال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فنظر ثم استخرجها أي السقاية أو الصواع لأنه يذكر ويؤنث من وعاء أخيه فأخذوا برقبته وحكموا برقه ثم قال سبحانه كذلك أي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه والكيد مبدؤه السعي في الحيلة والخديعة ونهايته إلقاء الإنسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه لا سبيل إلى دفعه وقد سبق فيما تقدم أن أمثال هذه الألفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات لا على البدايات وههنا الكيد قيل إن إخوة يوسف سعوا في إبطال أمره والله تعالى نصره وقواه وقيل الكيد يستعمل في الخير أيضا والمعنى كفعلنا بيوسف

... فعلنا به ابتداء وقيل تفسير هذا الكيد هو قوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك لأن حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم مثلي ما سرق فما كان يوسف قادرا على حبس أخيه بها على دين الملك وحكمه ومعنى إلا أن يشاء الله هو أن الله كاد له فأجرى على لسان إخوته أن جزاء السارق هو الاسترقاق حتى توسل بذلك إلى أخذ أخيه وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى بعض الأغراض الدينية أو الدنيوية ثم مدحه على الهداية إلى هذه الحيلة كما مدح إبراهيم بما حكى عنه من دلائل التوحيد والبراءة من آلهية الكوكب ثم القمر ثم الشمس فقال نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم وفوقه أرفع درجة منه في علمه وإن أطلق على الله تعالى أنه ذو علم كان هذا العام مخصوصا لأنه لا عليم فوقه وإن قيل إنه عالم بلا علم كما يقوله بعض المعتزلة كان النص باقيا على عمومه وإن قلنا إن الكل بمعنى المجموع كان المعنى وفوق جميع العلماء عليم هم دونه في العلم وهو الله تعالى وقيل في هذا التقرير لأن قوله ذو علم يشعر بكون علمه زائدا على حقيقته وصفته تعالى عين ذاته وفي هذا البحث طول وفي الرمز كفاية يروى أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا ما هذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنيامين بل بنو راحيل لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فعند ذلك قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل عنوا به يوسف واختلف في تلك السرقة عن سعيد بن جبير أن جده أبا أمه كان يعبد الوثن فأمرته أمه بأن يسرق تلك الأوثان ويكسرها فلعلها تترك عبادتها وقيل سرق عناقا من أبيه ودجاجة ودفعها إلى مسكين وقيل كانت لإبراهيم عليه الصلاة والسلام منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحق ثم وقعت إلى ابنته عمة يوسف فحضنت يوسف إلى أن شبت فأراد يعقوب عليه السلام أن ينتزعه منها وكانت تحبه حبا شديدا فشدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه ثم زعمت أنه قد سرقها وكان في شرعهم استرقاق السارق فتوسلت بهذه الحيلة إلى إمساكه عند نفسها وقيل إنهم كذبوا عليه وبهتوه حسدا وغيظا فأسرها يوسف قال الزجاج وغيره الضمير يعود إلى الكلمة أو الجملة كأنه قيل فأسر الجملة في نفسه ولم يبدها لهم ثم فسرها بقوله قال أنتم شر مكانا والمعنى أنه قال هذه الجملة على سبيل الخفية وطعن أبو علي الفارسي في هذا الوجه فقال إن هذا النوع من الإضمار على شريطة التفسير غير مستعمل والحق أن القرآن حجة على غيره وقيل الضمير عائد إلى الإجابة أي أسر يوسف إجابتهم في ذلك الوقت إلى وقت آخر وقيل يعود إلى المقالة أو السرقة أي لم يبين يوسف أن تلك السرقة كيف وقعت وأنه ليس فيها ما يوجب الذم والعار عن ابن عباس أنه قال عوقب يوسف ثلاث مرات عوقب بالحبس لأجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني عند ربك وبقولهم فقد سرق أخ له من قبل لقوله إنكم لسارقون ومعنى شر مكانا شر منزلة في السرق لأنكم سرقتم أخاكم من أبيكم على التحقيق وقلتم أكله الذئب والله أعلم بما تصفون المراد أنه يعلم أني لست بسارق في التحقيق ولا أخي أو الله أعلم بأن الذي وصفتموه هل يوجب ذم قائله أم لا قال ابن عباس لما قال يوسف هذا القول غضب يهوذا وكان إذا غضب وصاح لم يسمع صوته حامل إلا وضعت وقام شعره على جلده فلا يسكن حتى يمسح بعض آل يعقوب يده عليه فقال لبعض إخوته اكفوني أسواق أهل مصر وأنا أكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسه فذهب غضبه وهم أن يصيح فركض رجله على الأرض ليريه أنه شديد وجذبه فسقط فعند ذلك قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا في السن أو في القدر فهو أحب إليه منا فخذ أحدنا مكانه استعبادا أو رهنا حتى نبعث الفداء إليك فلعل العبودية والفداء كان جائزا أيضا عندهم إنا نراك من المحسنين لو فعلت ذلك أو من المحسنين إلينا بأنواع الإكرام ورد البضاعة إلى رحالنا أراد والإحسان إلى أهل مصر حيث أعتقهم بعد ما اشترى رقابهم بالطعام قال يوسف معاذ الله من أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا أي إذا أخذنا غيره لظالمون في مذهبكم لأن استعباد غير من وجد الصواع في رحله ظلم عندكم أو أراد أن الله أمرني وأوحى إلي بأخذ بنيامين فلو أخذت غيره كنت ظالما بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه حيث لم يقبل الشفاعة أي يئسوا والزيادة للمبالغة خلصوا اعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا مصدر والمضاف محذوف أي ذوي نجوى أو المراد أنهم التناجي في أنفسهم لاجتماعهم لذلك وإنما فاتهم فيه بجد واهتمام كما يقال رجل جود ورجال عدل وصفة لموصوف محذوف أي فوجا نجيا بمعنى مناجيا بعضهم لبعض كالعشير بمعنى المعاشر وفيهم كان يناجيهم الجواب في تدبير أمرهم على أي وجه يذهبون وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم فعند ذلك قال كبيرهم في السن وهو روبيل أو في القدر وهو شمعون لأنه كان رئيسهم أو في العقل والرأي وهو يهوذا وقوله ما فرطتم إما أن يكون ما صلة أي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم وإما أن يكون مصدرية محله الرفع على الابتداء وخبره الظرف تقديره ومن قبل تفريطكم أي وقع من قبل تقصيركم في حقه أو النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا كأنه قيل ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل وإما أن يكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه أي قدمتموه في شأن يوسف من الجناية والخيانة ومحل الموصول الرفع أو النصب على الوجهين فلن أبرح الأرض فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الانصراف أو يحكم الله لي بالخروج منها أو بالانتصاف ممن أخذ أخي أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب ثم إنه بقي ذلك الكبير في مصر وقال لغيره من الإخوة ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق قاله بناء على ما شاهد من استخراج الصواع من وعائه أو أراد أنه سرق في قول الملك وأصحابه كقول قوم شعيب إنك لأنت الحليم الرشيد أي في زعمك واعتقادك أو المراد أن ابنك ما يشبه السرقة وإطلاق اسم أحد الشبيهين على الآخر جائز والقوم ما كانوا أنبياء فلا يبعد منهم الذنب وعن ابن عباس أنه قرأ سرق مشددا مبنيا للمفعول أي نسب إلى السرقة وعلى هذا فلا إشكال ومما يدل على أنهم بنوا الأمر على الظاهر وما شهدنا إلا بما علمنا أي بقدر ما تيقناه من رؤية الصواع في وعائه وما كنا للغيب للأمر الخفي حافظين فإن الغيب لا يعلمه إلا الله وعن عكرمة أن الغيب الليل معناه لعل الصواع دس في رحله بالليل من حيث لا نشعر أو ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق قاله مجاهد والحسن وقتادة أو ما علمنا أنا إذا قلنا إن شرع بني إسرائيل هو استرقاق السارق أخذ أخونا بتلك الحيلة ثم بالغوا في إزالة التهمة فقالوا واسأل القرية التي كنا فيها والأكثرون على أنها مصر وقيل قرية على باب مصر وقع فيها التفتيش أي أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنه القصة واسأل أصحاب العير التي أقبلنا فيها وكان قوم من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوم من أهل صنعاء وقال ابن الأنباري إن يعقوب كان من أكابر الأنبياء فلا يبعد أن يحمل سؤال القرية على الحقيقة بأن ينطق الله الجمادات لأجله معجزة فالمراد سل القرية والعير والجدران والحيطان فإنها تجيبك بصحة ما ذكرنا وقيل إن الشيء إذا ظهر ظهورا تاما فقد يقال سل عنه السماء والأرض وجميع الأشياء ويراد أنه ليس للشك فيه مجال ثم زادوا في تأكيد نفي التهمة قائلين وإنا لصادقون وليس غرضهم إثبات صدقهم فإن ذلك يجري مجرى إثبات الشيء بنفسه ولكن الإنسان إذا ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء فقد يقول بعده إني صادق فيما ذكرته لزوال الشك وههنا إضمار التقدير فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم فعند ذلك قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وقد مر تفسيره في أول السورة ولكن المفسرين زادوا ههنا شيئا آخر فقيل المراد أنه خيل إليكم أنه سرق وما سرق وقيل أراد سولت لكم أنفسكم إخراج بنيامين والمصير إلى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر وألححتم علي في إرساله معكم ولم تعلموا أن قضاء الله ربما جاء على خلاف تقديركم وقيل أراد فتواهم وتعليمهم وإلا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ برقبته واعترض على هذا القول بأنه كيف يجوز على يعقوب النبي في إخفاء حكم الله تعالى وأجيب بأن ذلك الحكم لعله كان مخصوصا بما إذا كان السارق مسلما وكان الملك في ظن يعقوب كافرا ولما طال بلاؤه ومحنته علم بحسن الظن والرجاء أنه سبحانه سيجعل له فرجا ومخرجا عما قريب أو لعله علم بالوحي أن يوسف حي وكان بنيامين والكبير الذي قال فلن أبرح الأرض قد بقيا في مصر فلذلك قال عسى الله أن يأتيني بهم أي بثلاثة

الغائبين جميعا انه هو العليم بحالي الحكيم في كل ما يفعله من الابتلاء والابلاء لما دخل الاوصاف البشرية وعلمهم السر على يوسف القلب
اوى القلب السر اليه لانه اخوه الحقيقي بالمناسبة الروحانية فلا تبتئس اذ اوصلت بي بما كانوا يعملون معك في مفارقتي لان السر مهما كان مفارقا للقلب
مقارنا للاوصاف كان محروما عن كمالات هو مستعد لها فلما جهزهم القلب الاوصاف بجهازهم احوالها جعل السقاية وهي مشربة كان منها شربة في رحل
لانهما جميعا لبان واحد ايتها العير انكم لسارقون سرقتم في الاول يوسف القلب وشريتموه بثمن بخس من متاع الدنيا وشهواتها وسرقتم في الاخر مشربة ليست من مشارب
وفيه ان من ادعى الشرب من مشارب الرجال وهو طفل بعد اخذ بالسرقة واسترد منه ولمن جاء به حمل بعير من علف الدواب ومراتع الحيوانات لا انه
مستحقا الشرب من مشارب الملوك لقد علمتم انا من المقبولين على يوسف القلب لا نريد الا فسادا في ارض الدنيا كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها
وما كنا سارقين اذا اخذنا يوسف القلب والقيناه في جب البشرية بل سعينا في ان ينال مملكة مصر العبودية ليكون عزيزا فيها نحن اذا اوله جزاؤه من وجد
في رحله اي لكل شارب مشرب ولكل مشرب مذاق فمذاق الشارب من مشرب الدنيا صنعته وحرفته وكسبه ومذاق الشارب من مشرب الاخرة اذنب
وشهواتها ومذاق الشارب من مشرب المحبة بذل الوجود كذلك نجزي الظالمين الذين وضعوا صواع الملك في غير موضعه طمعا في ان يكونوا حريف الملك
وشربه كذلك كدنا ليوسف اي كما كاد الاوصاف البشرية في الابتداء بيوسف القلب اذ القوه في جب البشرية كدناهم عند قسمة الاقوات من خزانة
الملك فجعلنا قسمتهم من مراتع الحيوانات يأكلون كما تأكل الانعام وقسمة جنابين السر من مشربة الملك وفوق كل ذي علم عليم وهو علم الصعود عليم بحذر
من المصعد الذي يصعد اليه بالعلم المخلوق الى مصعد لا يصعد اليه الا بالعلم القديم وهو السير في الله بالله الى الله وهذا صواع لا يسعه وعية الانسانية ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل فيه اشارة الى ان السر والقلب مع انهما مخصوصان بالحظوظ الاخروية الروحانية فانهما قابلان لاسترق من الشهوات الدنياوية و
النفسانية وكذلك ان الاوصاف البشرية غيرة القلب ونوكنا اختصاص السر اي ارادت ان تتخذ نفسها وسيلة الى يعقوب الروح فخذ
احدنا مكانه قال معاذ الله ان نقبل الصحبة والمخالطة الا من وجدنا متاعنا عنده من الصدق والمحبة والاخلاص عنده اي لا يكون صحبتنا بالكراهية وانا
وانا لا نكون بعلة الجنسية فلما استيأسوا منه من صحبة القلب خلصوا عن الاوصاف الذميمة نجيا قال كبيرهم وهو العقل الم تعلموا ان اباكم وهو الروح
قد اخذ عليكم موثقا من الله يوم الميثاق الا تعبدوا الا الله فلن ابرح ارض فناء القلب وهي القدر والحاصل ان صفة العقل لما تخلصت عن الاوصاف
البشرية خرجت عن اوامر النفس وتصرفاتها وصارت محكومة لاوامر الروح مستسلمة لاحكام الحق ارجعوا الى ابيكم الروح على اقدام العبودية وتبديل الاخلاق ان
ابنك سرق لانه وجد في رحله مشربة المحبة التي بها يكال الحب على وقده وما كنا للغيب عند ارتحاله من الغيب الى الشهادة حافظين لانه جعل السقاية
في رحله في غيبتنا واسأل اهل مصر الملكوت وارواح الانبياء والاولياء قال بل سولت فيه ان للنفس تزيينات وللاوصاف البشرية خيالات
بها يعقوب الروح لكن عليه ان يصبر على امضاء احكام الله وتنفيذه وقضائه عسى الله ان يأتيني فيه ان متولدات الروح من القلب والاوصاف وغيرها وان
تفرقوا وتباعدوا عن الروح في الجهد لا استكمال فان الله بجذبات العناية يجمعهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر انه هو العليم بافتراقهم الحكيم بالجمع

وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ۞
قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين ۞
قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون ۞ يا بني
اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ۞ فلما دخلوا عليه
قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجات
فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ۞
قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون ۞ قالوا
ءانك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا
انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ۞ قالوا تالله
لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ۞ قال لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ۞ اذهبوا بقميصي هذا
فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم اجمعين ۞ ولما

فصلت

فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون ۞
قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم ۞ فلما ان جاء البشير القاه
على وجهه فارتد بصيرا ۞ قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ۞ قال سوف
استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم ۞ فلما دخلوا على يوسف
اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ۞ ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي
من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم
من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف
لما يشاء انه هو العليم الحكيم ۞ رب قد آتيتني من الملك
وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي
في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ۞ صدق الله

تر جاءه بالامالة حمزة وعلي وخلف حزني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو قالوا انك على الخبر او على حذف حرف
الاستفهام ابن كثير ويزيد ءانك بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام يدخل بينهما مدة آئنك بهمزة ثم ياء نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير
اينك بهمزة ممدودة ثم ياء ابو عمرو ويزيد وقالون من يتقي بالياء في الحالين ابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون بغير ياء اني اعلم بفتح الياء ابو جعفر و
ونافع وابن كثير وابو عمرو ربي انه بالفتح ايضا ابو جعفر ونافع وابو عمرو بي اذ بالفتح ايضا عندهم اخوتي ان بفتح الياء ايضا يزيد والبخاري عن ورش
وقالون غير الحلواني الوقوف كظيم ه الهالكين ه لا تعلمون ه ولا تيأسوا من روح الله ط الكافرون ه فتصدق علينا ط المتصدقين ه جاهلون ه
لانت يوسف ط اخي ز لتعجيل الشكر مع اختلاف الجملتين علينا ط لاحتمال انه ابتداء اخبار من الله وان كان من قول يوسف جاز الوقف ايضا لاتحاد القائل
مع الابتداء بان المحسنين ه لخاطئين ه اليوم ط لاختلاف الجملتين نفيا واثباتا او خبرا ودعاء لكم ز لاحتمال الاستيناف والحال وفتح الراحمين ه يأت بصيرا ج
لطول الكلام واعتراض الجواب مع اتفاق الجملتين اجمعين ه تفندون ه القديم ه بصيرا ج لاحتمال ان يكون ما بعده جواب لما او قوله القاه حالا باضمار قد ما لا تعلمون ه
خاطئين ه ربي ط الرحيم ه آمنين ه سجدا ج من قبل ز لتمام الجملة لفظا دون المعنى حقا ط لتمام بيان الجملة الاولى وابتداء جملة عظمى اخوتي ط لما يشاء ط الحكيم
الاحاديث ج لحق حذف حرف النداء مع اتصال الكلام والاخرة ج لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعاء الصالحين ه التفسير لما سمع يعقوب
واسمع من حال ابنه ضاق قلبه جدا وتولى عنهم اي اعرض عن بنيه الذين جاؤا بالخبر وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والالف بدل من ياء الاضافة و
ونداء الاسف كنداء الويل وقد مر في المائدة والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف لا يخفى حسنه وهو من الفصاحة اللفظية وكيف تأسف على يوسف دون اخيه
والاخر الذي اقام بمصر والرزء الاحدث اشد العذاب لان الحزن الجديد يذكر العتيق والاسى يجلب الاسى ولان رزء يوسف كان اصل تلك الرزايا فكان الا
عليه اسفا على الكل ولانه كان عالما بحياة الاخرين دون حياة يوسف وابيضت عيناه من الحزن اي من البكاء الذي كان بسبب الحزن قال الحكماء اذا كثر
الاستعبار اوجب كدورة في سواد العين مائلة الى البياض فيكون منها العمى لاجل الظلمات ولاجل القربة وانصباب الفضول الرديئة اليها قال مقاتل لم يبصر
ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف وقال اخرون لم يبلغ حد العمى وكان يدرك ادراكا ضعيفا او المراد بالبياض غلبة البكاء كان العين ابيضت
من بياض ذلك الماء روي انه لم يجف عين يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب ع م
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه
بالله ساعة قط ونقل ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام حين ما كان في السجن فقال ان بصر ابيك ذهب من الحزن عليك فوضع يوسف يده على راسه
وقال ليت امي لم تلدني فلم يكن حزنا على ابي قال اكثر اهل اللغة الحزن والحزن لغتان بمعنى وقال بعضهم الحزن بالضم والسكون البكاء والحزن بفتحتين ضد الفرح
وقد روى يونس عن ابي عمرو قال اذا كان في موضع النصب فتحوا كقوله تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا واذا كان في موضع الجر او الرفع ضموا كقوله من الحزن
وقوله انما اشكوا بثي وحزني الى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء قيل كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ فاجيب بان المنهي من الجزع هو الصياح
والنياحة وضرب الخد وشق الثوب لا البكاء ونفثة الصدر وقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم عليه السلام وقال القلب
يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وفيه دليل على ان يعقوب عليه السلام امسك لسانه عن النياحة وعما لا ينبغي لقوله فهو كظيم

فتيل يعني مفعول اي مملوء من الغيظ على اولاده من غير اظهار ما يسوءهم او مملوء من الحزن مع سد طريق نفثة الصدور من كظم السقاء اذا شده
او بمعنى فاعل اي الممسك لحزنه غير مظهر اياه والحاصل انه غرق ثلثة اعضاء شريفة منه في بحر المحبة فاللسان كان مشغولا بذكر يا اسفا والعين
مستغرقة في البكاء والقلب كان مملوا من الحزن ومثل هذا اذا لم يكن بالاختيار لم يدخل تحت التكليف فلا يوجب العتاب يروى ان ملك الموت
دخل على يعقوب فقال له جئتني لتقبضني قبل ان ارى حبيبي قال لا ولكن جئت لاحزن لحزنك واشجو لشجوك عن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط
من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا وضعف هذا الامام
فخر الدين الرازي في تفسيره وقال من المحال ان لا يعرف امة من الامم ان الكل من الله تعالى وان الرجوع لا محالة اليه واقول هذا نوع من المكابرة فان
منكري المبداء والمعاد اكثر من حصى الوادي على ان المراد من الاعطاء الارشاد الى هذا الذكر خصوصا عند المصيبة وقد اخبر الصادق ان هذا مما خص
هذه الامة به والله اعلم قالوا الاظهر انهم ليسوا اولاده لهم الذين تولى عنهم وانما هم جماعة كانوا في الدار من خدمه واولاد اولاده تالله تفتؤ اراد لا تفتؤ
فحذف حرف النفي لعدم الالباس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة اي لا تزال تذكر وعن مجاهد لا تفتر
من حبه كأنه جعل الفتور والفتو اخوين قال ابو زيد ما فتئت اذكره اي ما زلت لا يتكلم به الا مع الجحد حتى تكون حرضا وصف بالمصدر ولهذا لم
والحرض فساد في الجسم والعقل للحزن والحب حتى لا يكون لا كالاحياء ولا كالاموات ارادوا انك تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تشرف
على الهلاك او تهلك فاجابهم بقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قالت العلماء اذا اسر الانسان حزنه كان هما واذا لم يقدر على اسراره فذكره لغيره
كان بثا فالبث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس فمعنى الآية اني لا اذكر الحزن الشديد ولا الحزن القليل الا مع الله ملتجئا اليه
وداعيا له لا للخلق وشكايتي وهذا مقام العارفين الصديقين كقول نبينا صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك ويحتمل ان يكون هذا معنى توليه
عنهم اي تولى عنهم الى الله والشكاية اليه يحكى انه دخل على يعقوب رجل وقال له ضعف جسمك ونحف بدنك وما بلغت سنا عاليا فقال الذي
بي لكثرة غمومي فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو
بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت اي غضبت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي
الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم ان حال يعقوب في
الواقعة كانت مختلفة فتارة كان مستغرقا في بحار معرفة الله وتارة كان يستولي عليه الحزن والاسف فلهذا كانت هذه الحادثة بالنسبة اليه كالقاء
ابراهيم في النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل همه بيوسف بغير اختيار منه وكذا تاسفه عليه وما روي انه عوتب على ذلك فلان حسنات الابرار
سيئات المقربين وبالحقيقة كانت واقعة يعقوب امرا خارق العادة اراد الله تعالى بذلك ابتلاءه وتمادى اسفه وحزنه والتامع غاية شهرته وشدة
محبته وقرب المسافة بينه وبين ابنه كيف خفي حال يوسف ولم لم يبعث يوسف اليه رسولا بعد تملكه وقدرته ولم زاد في حزن ابيه بحبس اخيه عنده واما قوله
واعلم من الله ما لا تعلمون فمعناه اعلم من رحمته واحسانه ما لا تعلمون فارجوا ان ياتيني الفرج من حيث لا احتسب وقيل انه راى ملك الموت في المنام
فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله فاشار الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا وقيل انه كان قد راى امارات الرشد والكمال
في يوسف فعلم ان رؤياه صادقة لا تخطئ وقال السدي اخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله في اقواله وافعاله فظن انه ابنه وعلم ان بنيامين لا يسرق و
سمع ان الملك ما اذاه فغلب على ظنه ان الملك هو يوسف وقيل اوحى الله تعالى اليه انه سيلقيه او سيلقى ابنه ولكنه ما عين الوقت فلذلك
قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا هو طلب الشيء بالحاسة كالتسمع والتبصر ومثله التجسس بالجيم وقد قرئ بها وربما
يخص الجيم بطلب الخبر في ضد الخير ولا تياسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرئ بالضم اي من رحمته التي يحيي بها العباد قال الاصمعي الروح
ايجده والانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكل ما يهتز لوجوده ويلتذ به فهو روح انه لا ييأس من روح الله الا
القوم الكافرون لان هذا اليأس دليل على انه اعتقد ان الله تعالى غير قادر على كل المقدورات او غير عالم بجميع المعلومات او ليس بجواد
مطلق ولا حكيم يفعل العبث والعبث وكل واحدة من هذه العقائد كفر فضلا عن جميعها اللهم اني لا ايأس من روحك فافعل بي ما انت اهله ولا تفعل
بي ما انا اهله ثم ههنا اضمار والتقدير فقبلوا وصية ابيهم وعادوا الى مصر فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المنيع مسنا واهلنا الضر
الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا باهلهم من خلفهم وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته قال سبحانه الم تر ان الله
يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل قال الكلبي هي من لغة العجم وقيل هي لغة القبط والاصح انها عربية لوضوح اشتقاقها
قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن وقيل الصنوبر وحبة خضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بنقص لانها لم يكن عليها
صورة يوسف وكان دراهم مصر منقش عليها صورته فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا واعلم انهم طلبوا المسامحة بما بين الثمنين
وان يسعر لهم بالردي كما يسعر الجيد فاختلف العلماء في انه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا على الانبياء
سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون ارادوا بالتصدق التفضل بالاغماض عن رداءة البضاعة وبايفاء الكيل والصدقات محظورة
على الانبياء كلهم وقوله ان الله يجزي المتصدقين يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان يبتغى به وجه الله فان ذلك لا يضيع عنده والصدقة الحقيقية
التي يرجى بها المثوبة عند الله ومن ثمة لم يجوز العلماء ان يقال الله تعالى متصدق او اللهم تصدق علي بل يجب ان يقال اللهم اعطني او تفضل علي
او ارحمني كان يعقوب امرهم بالتجسس من يوسف واخيه والمتجسس يجب عليه ان يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق كما قيل الغريق يتعلق بكل شيء فبدأوا
بالعجز والاعتراف بضيق اليد واظهار الفاقة فرق الله تعالى قلبه وارفضت عيناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وقيل ادوا اليه
كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت
يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان
لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه
ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك ثم بهالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرا الكتاب بكى
وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وقوله هل علمتم استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما اعظم الامر الذي ارتكبتم من يوسف وما اجترأتم
الله وعليه كما يقال هل تدري من عصيت وفيه تصديق لقوله سبحانه لتنبئنهم بامرهم هذا وما فعلتم باخيه فتفريقكم اياه للغم بافراده عن اخيه

مزجاة اي قليلة

[..]واته وايذاؤهم له بالاحتقار والامتهان وقوله اذ انتم جاهلون جار مجرى الاعتذار عنهم كانه قال انما اقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال
[..]كم في اول الصبى وزمان الجهالة والغرة ازالة للخجالة عنهم فان سطوة الجهل والشباب وتمتحالهم في الدين اي بل علمتم قبحه فتبتم لان العلم بالقبح يدعو
الى التوبة غالبا فاثر كما هو عادة الانبياء حق الله على نفسه في المقام الذي يشتفى المغيظ وينفث المصدور ويدرك تارة الثار وقيل انما نفى العلم عنهم
لانهم لم يعملوا بعلمهم ولما كلمهم بذلك قالوا ائنك لانت يوسف عرفوه بالخطاب الذي لا يصدر الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم او تبسم فعرفوه بثناياه التي
كانت كاللؤلؤ المنظوم او رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه يشبه الشامة البيضاء كان ليعقوب وسارة مثلها قال انا يوسف صرح باسمه تعظيما
لما جرى عليه من ظلم اخوته كانه قال انا الذي ظلمتموني على اشنع الوجوه والله وصلني الى اعظم المناصب انا ذلك الاخ الذي قصدتم قتله ثم صرت كما ترون
ولهذا قال وهذا اخي مع انهم كانوا يعرفونه لانه مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما كما كنت ثم صار منعما عليه من الله وذلك قوله قد من الله علينا
بكل خير دنيوي واخروي او بالجمع بعد التفريق انه ان الشأن من يتق عقاب الله ويصبر عن معاصيه وعلى طاعته فان الله لا يضيع اجر المحسنين اراد بهم
[..] من الربط بالعموم ومن قرا يتقي باثبات الياء فوجهه ان يجعل من بمعنى الذي ويجوز على هذا الوجه ان يكون قوله ويصبر في موضع الرفع الا انه حذفت
حركته للتخفيف والشاكلة وفي الاية دليل على براءة ساحة يوسف ونزاهة جانبه من كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
اختارك منهم بتفضيله عليهم بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وصورة الاحسنين ولا يلزم من ذلك ان لا يكونوا انبياء وان احتج بعضهم ان الانبياء يتفاوتون
في الدرجات تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وان كنا وان شأننا انا كنا لخاطئين قال ابو عبيدة خطئ واخطأ بمعنى واحد وقال الاموي المخطئ من اراد
الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي قال ابو علي الجبائي انهم لم يعتذروا عن ذلك الذي فعلوا بيوسف لانه وقع
منهم قبل البلوغ ومثل ذلك لا يعد ذنبا وانما اعتذروا من حيث انهم اخطأوا بعد ذلك حين لم يظهروا لابيهم ما فعلوه ليعلم انه حي وان الذئب لم ياكله واعترض
عليه فخر الدين الرازي بانه يبعد من مثل يعقوب ان يبعث جماعة من الصبيان من غير ان يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا فالظاهر انه وقع ذلك منهم بعد البلوغ سلمنا
لكن ليس كل ما لا يجب الاعتذار عنه لا يحسن الاعتذار عنه ولما اعترفوا بفضله عليهم وكونهم متعدين للاثم قال يوسف لا تثريب لا تانيب ولا توبيخ وقيل
لا اذكركم ذنبكم وقيل لا مجازاة لكم عندي على فعلكم وقيل التخليط والافساد عليكم واشتقاقه من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب
كالتجليد والتقريد لازالة الجلد والقراد وذلك لانه اذا ذهب عنه الثرب كان في غاية الهزال والعجف فضرب مثلا للتقريع المدنف المعنى وقوله اليوم اما ان
يتعلق بالتثريب او بالاستقرار المقدر في عليكم اي لا اثربكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره ثم ابتدأ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم ليكون عقاب
الذنب مزالا عنهم واصل الدعاء ان يقع على لفظ المستقبل فاذا اوقعوه بلفظ الماضي فذلك للتفاؤل ويحتمل ان يكون اليوم متعلقا بالدعاء فيكون فيه
بشارة بعاجل غفران الله لتجدد توبتهم وحدوثها في ذلك اليوم يروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن
نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخذ يوم الفتح بعضادتي
باب الكعبة فقال لقريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال عطاء
الخراساني طلب الحوائج الى الشباب اسهل منها الى الشيوخ الا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ولما عرفهم
يوسف نفسه سالهم عن ابيهم فقالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا كقولك جاء البناء محكما ومثله
فارتد بصيرا او المراد يأت الي وهو بصير دليل قوله واتوني باهلكم اجمعين قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة
عافية كل مبتلى وشفاء كل سقيم وقالت الحكماء لعله علم ان اباه ما كان اعمى وانما صار ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا القي عليه قميصه صار منشرح الصدر
فتقوى به روحه وزال ضعفه يروى ان يهوذا حمل القميص وقال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم فافرحه كما احزنته فحمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان
وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا عن الكلبي كان اهله نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق دخل قوم يوسف مصر وهم ثلثة وتسعون بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى
ومقاتلتهم نحو من ستمائة الف ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر فصل من البلد فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه وفصل مني اليه كتاب اذا انفذ واما
فصل متعديا كان مصدره الفصل قال ابوهم لمن حوله من قومه اني لاجد تجاسة الشم ريح يوسف قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت رائحة
الجنة في الدنيا فعلم يعقوب انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال اهل التحقيق ان الله تعالى اوصل اليه ريح يوسف عند انقضاء
مدة المحنة ومجيء اوان الروح والفرج من مسيرة ثمان ايام ومنع من وصول خبره اليه مع قرب البلدين في مدة ثمانين سنة او اربعين عند الاكثرين وكلاهما معجزة
ليعقوب خارقة للعادة وذلك يدل على ان كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فانه في زمان الاقبال سهل وقوله لولا ان تفندون جوابه
محذوف اي لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وتغير العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات
راي فتفند في الكبر قالوا يعني الحاضرين عنده تالله انك لفي ضلالك القديم اي فيما كنت فيه قدما من البعد عن الصواب في افراط محبة يوسف كما قال بنوه
ان ابانا لفي ضلال مبين وقيل لفي شقائك القديم بما تكابد على يوسف من الاحزان قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة لاعتقادهم ان يوسف قد مات
فلما ان جاء ان صلة اي فلما جاء مثل فلما ذهب عن ابراهيم الروع وقيل هي مع الفعل بعده في محل الرفع بفعل مضمر اي فلما ظهر ان جاء البشير وهو يهوذا القاه طرحه
البشير او يعقوب على وجهه فارتد بصيرا انقلب من العمى الى البصر او من الضعف الى القوة قال الم اقل لكم جوز في الكشاف ان يكون مفعوله محذوفا وهو قوله اني
لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله ويكون قوله اني اعلم كلاما مستانفا والظاهر ان مفعوله قوله اني اعلم ما لا تعلمون وذلك انه كان قال لهم
انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يروى انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال
على دين الاسلام قال الان تمت النعمة ثم ان اولاده اخذوا يعتذرون اليه فوعدهم الاستغفار قال ابن عباس والاكثرون اراد ان يستغفر لهم في وقت السحر
لانه ارجى لاوقات الاجابة وعن ابن عباس في رواية اخرى الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة وقيل اخر ليتعرف حالهم في الاخلاص وقيل استغفر لهم في كل
[..] وعدهم ولم الاستغفار في الاستقبال تقدر روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة يروى انه قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع
يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله تعالى قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد
غلبهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك العفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا
خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى جهدوا وظنوا انهم هلكوا نزل جبرئيل فقال ان الله تعالى قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة و
اختلاف الناس في نبوتهم مشهور يحكى انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة الالف من الجند والعظماء

مصر ٧

[illegible]

[illegible]

الوجود المجازي والبقي ببقائك مع الباقين بك آمين يا رب العالمين

ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم
وهم يمكرون ۞ وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ۞
وما تسئلهم عليه من اجر ان هو الا ذكرى للعالمين ۞ وكاى من آية
في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ۞ وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون ۞ افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ۞ قل هذه سبيلي ادعو
الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين ۞
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير
للذين اتقوا افلا تعقلون ۞ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد

كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين ۞ لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ۞ ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شي وهدى ورحمة لقوم يومنون

سورة الرعد مكية وقيل مدنية ومكية سوى آية نزلت بحفة قوله وهم يكفرون ۞ حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة
كلمها ثمانمائة وخمس وخمسون ۞ آياتها ثلث واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

المر ۞ تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يومنون ۞ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ۞ وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ۞ وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۞ وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ءانا لفي خلق جديد ۞ اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۞ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ۞ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد ۞ الله يعلم ما تحمل كل انثى

وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ۞ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ۞ سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ۞ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ۞

القراآت وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع فيهن ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون بالجر [illegible]

[illegible]

لشيم وكرة البحار وليس فيما وراء ذلك ضياء ولا ظلام فتعاقب الليل والنهار من جملة الاحداث السفلية وان كان سببها طلوع الشمس وغروبها ثم يحتمل ان يقال ان هذا دليل سماوي وانه سبحانه عاد مرة اخرى الى الدليل السماوي ثم الى الدليل الارضي وذلك قوله وفي الارض قطع متجاورات اي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومتلاصقة طيبة الى سبخة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على خلافها وفي هذه دلالة ظاهرة على انها بجعل فاعل مختار موقع وفعاله على حسب ارادته وكذا الكروم والزروع والنخيل الكائنة في هذه القطع مختلفة الانواع مخالفة الثمار باللون والطعم والشكل وهي تسقى بماء واحد فدل على ان هذه الاختلافات لا تستند الى الطبيعة فقط ولكنها بتقدير العزيز العليم وانما ذكر الزرع بين الاعناب والنخيل لانها كثيرا ما يكون كذلك في الوجود كقوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان واصلهما واحد وعن ابن الاعرابي الصنو المثل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه فمعنى الآية على هذا ان اشجار النخيل قد يكون متماثلة وقد لا يكون والاكل الثمر الذي يؤكل قاله الزجاج وعن غيره انه عام في جميع المطعومات وانما ختم الآية السابقة بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وهذه بقوله لقوم يعقلون لان المقام الاول يحتاج الى التفكر لان الفلاسفة يسندون الحوادث السفلية الى الآباء الاثيرية والامهات العنصرية لكن العاقل اذا تفكر في اختصاص كل ممتزج بحيز معين وشكل معين وطبيعة وخاصية متخالفتين لغيره علم ان كل هذه الاختلافات لا تستند الى اشعة كواكب معدودة ولا الى طبايع عناصر محصورة كما اشير الى ذلك بقوله وفي الارض قطع الآية ولئن سلم ان الاتصالات الفلكية واختلافات الفواعل والقوابل قد يرتقي الى حد يظهر منها هذه الآثار فلا بد لكل سبب من الانتهاء الى مسبب لا يوقته وليس ذلك الا الله وحده فهذا لا يجحده الا جاحد عقل بل فاقد حس والحاصل ان التفكر في الآيات يوجب دلالة عقلية ما جعلت الآيات دليلا عليه فهو الاول المؤدي الى الثاني والله ولي التوفيق ثم عاد سبحانه الى ذكر المعاد فقال وان تعجب قال ابن عباس ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك بعدما كانوا حكموا انك من الصادقين فهذا اعجب او ان تعجب من عبادتهم الاصنام بعد الدلائل الدالة على التوحيد او ان تعجب يا محمد فقد عجبت في موضع العجب لانهم اعترفوا بانه تعالى رفع السموات بغير عمد وسخر الشمس والقمر على وفق مصالح العباد واظهر الغرائب والعجائب في عالم الخلق ثم انكروا الاعادة التي هي اهون واسهل قال المتكلمون موضع التعجب هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حقه تعالى محال فالمراد وان تعجب فعجب عندك قولهم ولئن سلم ان المراد فعجب عند الله كما روي في الصافات بل عجبت بضم التاء فتأويله انه محمول على النهاية لا على البداية اي منكر عند الله ما قالوه فان الانسان اذا تعجب من شيء انكره قال في الكشاف أئذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نحشر ثم حكم عليهم بامور ثلاثة الاول اولئك الذين كفروا بربهم يعني اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم وذلك ان انكار البعث لا يكون الا عن انكار القدرة او عن انكار كمالها بان يقال انه موجب بالذات لا فاعل مختار فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الابوين وتاثير الطبايع والافلاك او انكار العلم بان يقال انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن العاصي او تمييز اجزاء بدن زيد من اجزاء بدن عمرو او انكار الصدق كما اذا قيل انه اخبر عنه ولكنه لا يفعل لان الكذب جائز عليه كما يكذب احدنا بناء على مصلحة عامة او خاصة وكل واحد من هذه العقائد كفر نعوذ بالله منها الثاني واولئك الاغلال في اعناقهم قال الاصم المراد بذلك كفرهم وذلتهم وانقيادهم للاصنام يقال للرجل هذا غل في عنقه للعمل الردي اذا كان لازما له وهو مصر على فعله وقال الآخرون هو من جملة الوعيد ثم انه من يجوز على القولين اما على الاول فظاهر واما الثاني فلان المراد انه سيحصل هذا المعنى والظاهر انه حاصل في الحال ويؤيد القول الثاني قوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل والاول قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الثالث واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وربما يستدل الاشاعرة به ان الصيغة للحصر فيدل على ان اهل الكبائر لا يخلدون في النار ويمكن ان يناقش في افادتها الحصر ثم انه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب الآخرة وكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويخوفهم تارة بعذاب الدنيا فيستعجلونه بزعمهم بانه كلام لا اصل له والى هذا اشير بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة والعقوبة التي تسوءهم قبل تمام الحسنة وهي العافية والاحسان اليهم بالامهال والتاخير وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون واصل هذا الحرف من مثل الذي هو الشبيه لان العقاب مماثل للمعاقب عليه ومنه المثلة بالضم والسكون لتقبيح الصورة بقطع الانف والاذن وسمل العين ونحو ذلك وذلك انه ليس تغييرا كليا لا يماثل الصورة الاولى وانما ذلك تغيير تبقى الصورة معه قبيحة فان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على جواز العفو عن صاحب الكبيرة قبل التوبة لان قوله على ظلمهم حال منهم ومن المعلوم ان الانسان حال اشتغاله بالظلم لا يكون تائبا لكن الآية دلت على انه تعالى يغفر الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ترك العمل بها في حق الكافر فيبقى معمولا بها في حق اهل الكبائر لا يقال ان المراد من هذه المغفرة تاخير العقاب الى الآخرة ليقع جوابا عن استعجالهم او المراد غفران الصغائر لمجتنب الكبائر او غفران الكبائر بشرط التوبة فان تاب والا فهو شديد العقاب لانا نقول تاخير العقاب الى الآخرة لا يسمى مغفرة والا كان غافرا للكفار وايضا انه تعالى مدح نفسه بهذا والتمدح انما يحصل بالتفضل لا باداء الواجب وعندكم يجب غفران الصغائر لمن اجتنب الكبائر والجواب الباقي ما مر عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد قال اهل النظم ان الكفار طعنوا في نبوته بسبب الطعن في الحشر والنشر ثم طعنوا في نبوته بسبب استبطاء نزول العذاب ثم طعنوا في نبوته بسبب عدم الاعتداد بمعجزاته وذلك قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه وقد تقدم مثل هذا في الانعام في تفسير قوله وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه ويجيء امثال هذه في هذه السورة قيل وليس بتكرار محض لان المراد بالاول آية مما اقترحوا نحو ما في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الآيات وبالثاني آية ما لانهم لم يعتدوا بالقرآن آية ونحوه كل آية وانكروا سائر آياته صلى الله عليه وسلم او لعلهم ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات فاجاب سبحانه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت منذر ما عليك الا الاتيان بالنصح بدعوى انذارك ورسالتك ولكل قوم هاد من الانبياء يدعوهم الى الله بوجه من الهداية والارشاد خاص بزمانه وباتته ولم يجعل الهدى مشروطا بالمعجزات فعلى هذا التقدير المنذر نبي والهادي نبي الا ان الاول محمد والثاني نبي كل زمان وقيل المنذر محمد والهادي هو الله تعالى قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والمعنى انهم ان جحدوا كون القرآن معجزا فلا يضيق قلبك بسببه فما عليك الا الانذار والهداية من الله تعالى وقيل المنذر النبي والهادي هو الولي روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على صدره فقال انا المنذر واومى الى منكب علي فقال يا علي انت الهادي بك يهتدي المهتدون من بعدي قاله في التفسير الكبير ثم اكد المعاني المذكورة في الآيات السابقة بقوله الله يعلم لانه اذا كان عالما بجميع المعلومات قدر على تمييز اجزاء بدن كل مكلف من غيره فلا يستنكر منه البعث ويكون نزول العذاب مفوضا الى علمه فلا يجوز استعجاله به وكذا انزال الآيات يكون موكولا الى تدبيره فان علم ان المكلفين اقترحوا الآيات للاسترشاد ونزلها وان اظهرها الله تعالى لهم والا فلا وقيل ان اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية وعلى القول الثاني فيه ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم باي طريق شاء وعلى هذا احتمل ان يكون الله تعالى خبر مبتدأ محذوف والجملة تفسير لهاد اي هو الله تعالى ثم ابتدأ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى قال في الكشاف لفظة ما في تحمل وما تغيض وما تزداد اما ان يكون موصولة والمعنى يعلم ما تحمله كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها [illegible]

ذكورته وانوثته وتخاطيط اعضائه وسائر احواله من السعادة والشقاوة وضدها من العلم وضده والى غير ذلك ويعلم ما تغيض الارحام اي تنقصه كقوله وغيض
وما تزداد من العدد فقد يكون واحدا او اكثر ومن الخلقة فقد يكون تاما او مخدجا ومن المدة فقد يكون اقل من تسعة اشهر او ازيد الى سنتين عند ابي حنيفة
والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل من دم الحيض وقال ابن عباس كلما سال الحيض يوما زاد في مدة الحمل يوما ليحصل الجبر ويعتدل الامر ثم قرر
كمال علمه ونفاذ امره بقوله وكل شيء عنده بمقدار بقدر وحد لا يتجاوزه في طرفي التفريط والافراط والمراد بالعندية العلم كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي
كذا وذلك انه سبحانه خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة حسب مشيته الازلية وارادته السرمدية وقال حكماء الاسلام وضع اسبابا كلية واودع فيها
قوى وخواص وحرك الاجرام بحيث يلزم من حركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة احوال جزئية معينة ومناسبات معلومة مقدرة ومن جملتها افعال العباد
واحوالهم واخلاقهم وخواطرهم ولذلك ختم الاية بقوله عالم الغيب والشهادة اي هو عالم بما غاب عن الحس وبما حضر له او بما غاب عن الخلق وبما شهدوه او بالمعدوم
وبالموجودات الكبير ذاته لا بحسب الجثة بل بالرتبة والشرف لانه اجل الموجودات المتعال المنزه عن كل ما لا يجوز عليه في ذاته وصفاته وفي افعاله ثم زاد
في التاكيد فقال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به اي مستو في علمه هذان لانه يعلم السر كما يعلم الجهر لا يتفاوت في علمه احد الحالين وسواء عنده من هو مستخف
بالليل وسارب على ان سارب معطوف على من لا على مستخف ليتناول معنى الاستواء شخصين احدهما مستخف والآخر سارب والا لم يتناول الا واحدا هو مستخف
وسارب الا ان يكون من في معنى الاثنين حتى كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار وفي المستخفي والسارب قولان الاول ان المستخفي هو
المستتر الطالب للخفاء في ظلمة الليل والسارب من يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد يقال سرب في الارض سروبا اي ذهب في سربه
بالفتح والسكون وهو الطريق ويؤيده قول مجاهد معناه وسواء من يتقدم على القبائح في ظلمات الليالي ومن ياتي بها في النهار الظاهر على سبيل التوالي وثانيهما
نقل الواحدي عن الاخفش وقطرب المستخفي الظاهر من قولهم اختفيت الشيء اي استخرجته والسارب المتواري الداخل سربا بفتحتين ومنه انسرب الوحشي اذا
دخل في كناسه وهذا ان صح من حيث اللغة لكن ذكر الليل والنهار انما ساعد القول الاول ولهذا اطبق اكثر المفسرين عليه ثم ذكر ما يجري في الظاهر مجرى
السبب لاستواء علمه بحال المسر والمعلن فقال له اي لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل
معتقبات فادغمت او هو على اصله من عقبه بالتشديد اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه والتانيث للمبالغة نحو نسابة و
علامة او لانه جمع معقبة اي ملائكة معقبة او جماعة معقبة وقوله من امر الله ليس من صلة الحفظ لانه لا قدرة للملك ولا لاحد من الخلق على ان يحفظوا احدا من امر الله
وانما هو صفة اخرى كانه قيل له معقبات من امر الله يحفظونه او له معقبات يحفظونه ثم بين سبب الحفظ فقال من امر الله اي من اجل ان الله امرهم
بحفظه فمن بمعنى الباء وقرا به علي وابن عباس وغيرهما ويجوز ان يكون صلة على معنى يحفظونه من باس الله اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله
رجاء ان يتوب قال ابن جريج هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد صاحب اليمين يكتب الحسنات والذي عن يساره يكتب السيئات وقال
مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظه من الجن والانس والهوام في نومه ويقظته وقيل المراد يحفظونه من جميع المهالك من بين يديه ومن خلفه لان كلا من المستخفي والسارب
اذا سعى في مهماته فانما يحذر من الجهتين وما الفائدة في تسليط هؤلاء الملائكة على بني آدم قال علماء الشريعة ان الشياطين يدعون الى المعاصي
والشرور وهؤلاء الملائكة يدعون الى الخيرات والطاعات بالالهامات الحسنة والاخطارات الشريفة واذا علم ابن آدم ان معه ملائكة يحصون عليه افعاله واقواله
استحيى منهم وكان ذلك له رادعا قويا وقد مر في هذا الباب كلام في الانعام في قوله ويرسل عليكم حفظة فليتذكر وللاية تفسير آخر منقول عن ابن عباس واختاره
ابو مسلم الاصفهاني قال المعقبات الحرس واعوان الملوك والجملة وهي قوله له معقبات صفة للمستخفي والسارب او حال منه لكونه نكرة موصوفة اي سوى
في علم الله السر والجهر والمستخفي بظلمة الليل والسارب بالنهار مستظهرا بالمعاونين والانصار والمقصود بعض الامراء والسلاطين على ان يطلب الخلاص عن المكاره
بعصمة الله لا بالحرس والاعوان ولذلك ختم الاية بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم قالت الاشاعرة
في هذا الكلام دلالة على ان العبد غير مستقل في الفعل لانه اذا كفر العبد فلا شك انه تعالى حكم بكونه مستحقا للذم في الدنيا والعقاب في الآخرة فلو كان العبد
مستقلا بتحصيل الايمان لكان رادا لقضاء الله تعالى وقالت المعتزلة هذا معارض بما تقدم عليه من كلام الله وهو قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم لانه لو ابتدا العبد اولا يبلغ بالضلال والخذلان كان ذلك من اعظم العقاب مع انه ما كان منه تغيير قالوا وفيه دليل على انه لا يعاقب اطفال المشركين
بذنوب آبائهم لانهم لم يغيروا ما بانفسهم من نعمة الله فيغير الله ما بهم من النعمة الى العقاب اجابت الاشاعرة بان هذا راجع الى قوله ويستعجلونك بين سبحانه
انهم لا ينزل بهم عذاب الاستيصال الا والمعلوم منهم الاصرار على الكفر حتى قالوا اذا كان المعلوم ان فيهم من يؤمن او في اعقابهم من يؤمن فانه لا يستاصلهم وهذا
خلاف الظاهر وقد صرح بذلك في سورة الانفال في قوله ذلك بان الله لم يك مغيرا الآية والحق ان ترتيب النعمة على تغيير النعمة لا ينافي استناد تغيير النعمة الى الله
فانه مبدا المبادي ومنتهى الوسائط ومسبب الاسباب التأويل المر انا الله لا اله الا هو الحي القيوم الذي له مقاليد السموات والارض الرحيم
مالك يوم الدين اراه رب العالمين من الازل الى الابد اقسم بهذه الامور ان الذي انزل على محمد هو الحق وانه حبل الله الذي به يوصل المؤمن من حضيض عالم
الطبيعة الى ذروة عالم الحقيقة لانه الله الذي رفع السموات بغير عمد فكما انه رفع السموات بقدرته فكذلك يرفع الدرجات برحمته او كما انه رفع السموات المحسوسة
بعمد القدرة كذلك يرفع سموات القلوب بجذبة العناية وسخر شمس الروح وقمر القلب او النفس لتدبير مصالح العالم الصغير وانما يظهر هذه الغرائب والعجائب
لحصول كمال الايقان بالرجوع الى الله والفناء فيه بل البقاء به وهو الذي مد ارض البشرية وجعل فيها رواسي من الاوصاف الروحانية وانهارا
من منابع العناية ومن كل الثمرات وهي الملكات والاخلاق جعل فيها زوجين اثنين ملكة روحانية حميدة واخرى نفسانية ذميمة فالاولى نورية كالنهار
والاخرى ظلمانية كالليل يغلب هذه تارة وتلك اخرى وهذا معنى قوله يغشي الليل النهار وفي ارض الانسانية قطع متجاورات هي النفس والقلب والروح
والسر والخفي حيوانية وملكوتية روحانية وجبروتية وعظموتية وجنات هي هذه الاعيان المستعدة لقبول الفيض عند بلوغها من اعناب هي ثمرة النفس من الصفات
التي هي اصل الاسكار كالغفلة والحمق والسهو واللهو وزرع هو ثمرة القلب فان القلب كالارض الطيبة التي منها غذاء الروح ونخيل هو الروح ذو الاخلاق
الحميدة كالكرم والجود والشجاعة والقناعة والحياء والتواضع والشفقة صنوان هو السر الجبروتي الكاشف عن اسرار الجبروت بين الرب والعبد فانه اذا
حكى السر للعبد كان المحكي مثالا لما عليه الوجود وغير صنوان هو الخفي الواقف على اسرار العظموت التي لا مثل لها ولا مثال ولا يحكي لعبده كما قال فاوحى الى عبده
ما اوحى وكما قال بين المحبين سر ليس يفشيه يسقى بماء واحد هو ماء القدرة والحكمة الله يعلم ما تحمل كل انثى اي ما في استعداد كل مستعد من الفضائل
او ما في كل ذرة من ذرات المكونات من الخواص والطبائع او ما في كل منها من الآيات الدالة على موجدها سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وما تغيض الارحام
وما تزداد اي ما يظهر من الاستعدادات في جانبي التفريط والافراط والمراد ما ينقص من ارحام الموجودات او المعدومات فيها او حد شيء من رحم العدم واحد وزاد
في رحم الوجود واحدا وبالعكس في جانب الاعدام مستخف بليل العدم وظاهر بنهار الوجود وله اي لله معقبات من العلم والقدرة من بين يدي المعلوم ومن خلفه

اي حالتي عدمه ووجوده من ازله الى ابده يحفظونه من امر الله اي لاجل امره حتى لا يخرج من قبضة تدبيره ان الله لا يغير ما بقوم من الوجود والعدم حتى يغيروا
ما بانفسهم من استدعاء الوجود او العدم بلسان استحقاق الوجود او العدم كما يقتضيه حكمته وتدبيره والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة
من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو
شديد المحال ۞ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء
الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا
في ضلال ۞ ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والآصال ۞ قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم
من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى و
البصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا
كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ۞
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما
توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله
الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في
الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين
لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك
لهم سوء الحساب ومأويهم جهنم وبئس المهاد ۞ افمن يعلم انما انزل
اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب ۞
الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به
ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ۞ والذين صبروا
ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار ۞ جنات عدن
يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب ۞ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ۞
والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل و

يفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ۝ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب ۝ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب ۝ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ۝

كما بسط مثل بسطة وقد مر في البقرة ام هل يستوي بياء تحتانية حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الآخرون بتاء التانيث يوقدون على الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الخطاب ايا الكفرة في قوله قل افاتخذتم او ايا المكلفين على العموم كما في القراءة الاخرى الضمير يعود الى الناس المعلوم من سياق الكلام الوقوف المتعال ج لاختلاف الفاعل مع اتفاق اللفظ من خيفته ج لذلك في التدرج لاحتمال الواو والحال والاستئناف المحال ج للاية وانقطاع النظم دعوة الحق ط بالغه ط ضلال ه والاصال ه السجدة والارض ط قل الله ط ولا ضرا ط والبصير لا للعطف والنور ج لاحتمال ان يكون هذا الاستفهام بدلا عن الاول عليهم ط القهار ه رابيا ط مثله ط والباطل ط جفاء ج لاتفاق الجملتين مع كون ما في الارض ط الامثال ط الحسنى ط لافتدوا به ط الحساب ه جهنم ط مهاد ه لتعف الجزء اعمى ط الالباب ه لا الميثاق ه للعطف سوء الحساب ه الدار ه لا لان قوله جنات عدن بدل من عقبى من كل باب ج لحق المحذوف اي قائلين والاولى عقبى الدار ط في الارض لا سوء الدار ه ويقدر ط الدنيا ط متاع

[illegible]

كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا

اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب

ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا

افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال

الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله

ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت

للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قائم على كل نفس

[illegible]

بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض
ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله
فما له من هاد ۝ لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اشق وما لهم
من واق ۝ مثل الجنة التي وعد المتقون ۝ جنات تجري من تحتها
الانهار اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ۝
والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر
بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه ماب ۝
وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم
ما لك من الله من ولي ولا واق ۝ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب ۝
يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ۝ وامّا نرينك بعض
الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ۝
اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو
سريع الحساب ۝ وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا ۝
يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ۝ ويقول الذين
كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ۝

القراءات سيأتي وعقابي ومابي بالياء في الحالين يعقوب والشذوذي عن قنبل وافق سهل وعباس في الوصل بل زين ونحوه بالادغام
علي وهشام وصدوا بالضم الكوفة وكذلك في حم المؤمن عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بفتحها ويثبت مخففا من الاثبات ابن كثير وابو عمرو وسهل

[illegible]

ان اليهود والنصارى كلهم يفرحون بما انزل اليك لانه مصدق لما معهم ومن سائر الكفرة من ينكر بعضه واعترض بانهم كلهم لا يفرحون بكل ما انزل اليه ...
وقوله بما انزل يفيد العموم واجيب بالمنع من ان ما يفيد العموم لصحة الاستثناء وصحة ادخال كل عليه ولا كثر وادخال البعض ولا نقض ثم لما بين عقايد الفرق
نبيه بان يصرح بطريقته فقال قل انما امرت ان اعبد الله ما امرت الا بعبادته وعدم الاشراك به ويندرج فيه جميع وظايف العبدية ثم ذكر انه مع كماله يكمل ...
اليه دعوتهم بالدعاء الى عبوديته دون غيره كائنا من كان ثم ختم بذكر المعاد فقال واليه مآب لا مرجع لى الا اليه ومن تأمل فى هذه الالفاظ عرف انها مع قلتها
على حاصل علوم المبدأ والوسط والمعاد ثم ذكر بعض فضائل القرآن واوعد على الاعراض عن اتباعه فقال وكذلك انزلناه الضمير يعود الى ما فى قوله بما انزل اليك والى
فى قوله وكذلك قرآنا ووجه التشبيه كما انزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم كذلك انزلنا اليك هذا القرآن وقال فى الكشاف معناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا
بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا نصب على الحال اى حكمة مترجمة بلسان العرب وقيل سمى حكما لانه حكم على جميع المكلفين ...
والعمل به اولانه اشتمل على اصول الاحكام والشرائع فجعل نفس الحكم مبالغة روى ان الكفار كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور ليوافقهم فيها منها ان يصلى الى قبلتهم
بعد ما حوله الله عنها فاوعد على ذلك وعن ابن عباس الخطاب له والمراد امته وقد مر الوجوه فى مثله فى اوائل سورة البقرة ...

[illegible]

عبد الله ذلك امر بان يقول فى الجواب هو ربى الذى رباني لا اله الا هو لا يستحق العبادة الا هو ولا افوض اموري الا اليه واليه مرجعي كما كان منه مبدأى ...
جبال النفوس او قطعت به ارض البشرية اوكلم به القلوب الميتة بتلاوته عليهم تصيبهم باصنافهم كفرهم بالرحمن قارعة من الاحكام الازلية تقرعهم فى انواع المعاملات
التى تصدر عنهم موجبة للشقاوة او تحل قريبا من دارهم بان يصدر تلك المعاملات ممن يصحبهم من اهل الاتصال ... حتى يأتى وعد الله بدرك الشقاوة
الازلى ومن امارات الشقاوة الاستهزاء بالانبياء والاولياء ثم اخذتهم اى اسكتهم لئلا يرجعوا عن مقام الشقاوة ولهم عذاب فى الحيوة الدنيا بالبعد والحجاب
وعبودية النفس والهوى ولعذاب الآخرة بانواع الحسرات والشعور بالهيات والملكات الموجبة للدركات اكلها دائم هى مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال
وظلها اى انهم فى ظل معاملاتهم واحوالهم التابعة لشمس وجودهم على الدوام والذين آتيناهم الكتاب هم السر والروح والقلب الذين فهموا اسرار القرآن ومن الاحزاب
النفس والهوى والقوى من ينكر بعضه لثقل التكليف عليهم وللجهل بفوائده ولئن اتبعت اهواء المخالفين بالشرك فى الطلب من بعد ما جاءك من العلم
وهو طلب الوحدانية ببذل الانانية وجعلنا لهم ازواجا وذرية فيه ان الرسل جذبتهم العناية بالبداية فرقوا من حضيض الحيوانية الى اوج الروحانية ثم الى معارج
النبوة والرسالة فى النهاية فلم يبق فيهم من دواعى البشرية ما يزعجهم الى طلب الازواج بالطبيعة والركون الى الاولاد بخصائص الحيوانية بل رغبهم الله سبحانه فى ذلك

[illegible]

على وفق الشريعة بخصوصية الخلافة واظهار صفة الخالقية ومثله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ... اهل السعادة من افاعيل اهل الشقاوة وبالعكس
لهم من خصال اهل السعادة وبالعكس لاهل الشقاوة وعنده ام الكتاب الذى قدر فيه ازلا خاتمة كل من الفريقين ولا يزيلك الكشف بعض معاملاتهم كما اخبر عن العشرة
المبشرة بانهم فى الجنة وعن غيرهم بانه فى النار الا ان فى ارض البشرية فتنقص منها باو زياد فى الاوصاف الروحانية الله حسبى ونعم الوكيل ونعم النصير

سورة ابراهيم عليه السلام مكية غير آيتان نزلتا فى بدر الم تر الى الذين بدلوا الآيتان ◉ حروفها ثلاثة الآف واربعمائة واربعة
وثلثون ◉ كلمها ثمانمائة وخمس وخمسون ◉ آياتها اثنان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر ◉ كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن
ربهم الى صراط العزيز الحميد ◉ الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض
وويل للكافرين من عذاب شديد ◉ الذين يستحبون الحيوة الدنيا
على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك فى ضلال
بعيد ◉ وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ◉ ولقد ارسلنا
موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ◉ وذكرهم
بايام الله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ◉ واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ◉ واذ تأذن
ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ◉ وقال موسى ان تكفروا
انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد ◉ الم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم
بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفى شك
مما تدعوننا اليه مريب ◉ قالت لهم رسلهم افى الله شك فاطر السموات
والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا

تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فأتونا بسلطان مبين ۞
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۞
وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدينا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون ۞ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ۞ ولنسكننكم الارض من بعدهم
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ۞ واستفتحوا وخاب
كل جبار عنيد ۞ من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ۞
يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه
عذاب غليظ ۞ صدق الله العظيم

القراءات الله الذي بالرفع على الابتداء في الحالين ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل وقرأ يعقوب والخزاعي عن ابن فليح بالرفع اذا ابتدأ وبالخفض اذا وصل الباقون بالجر مطلقا وعيدي بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل الوقوف الر قف كوفي الحميد ۵ لمن قرأ الله بالرفع وما في الارض ط شديد لا بناء على ان الذين صفة الكافرين عوجا ط بناء على ما قلنا او على ان الذين منصوب او مرفوع على الذم اي اعني الذين او هم الذين وان جعل الذين مبتدأ وخبره اولئك في ضلال فلا وقف على عوجا وكذا ان تعلق على شديد للآية بعيد ۵ ليبين لهم ط لان قوله فيضل حكم مبتدأ خارج عن تعليل الارسال ويهدي من يشاء ط الحكيم ۵ بايام الله ط شكور ۵ نساءكم ط عظيم ۵ لشديد ۵ جميعا لا لان جزاء حميد ۵ وثمود ط لمن لم يعطف وجعله مبتدأ نفيا ومن عطف فوقفه على بعدهم ط الا الله ط مريب ۵ والارض ط فصلا بين الاستخبار والاخبار مسمى ط مثلنا ط للتقدير بهمزة الاستفهام اي تريدون مبين ۵ من عباده ط باذن الله ط المؤمنون ۵ سبلنا ط آذيتمونا ط المتوكلون ۵ في ملتنا ط من بعدهم ط وعيد عنيد ۵ لا لان ابعده وصف صديد ۵ لا لذلك بميت ط غليظ ۵

التفسير كون السورة مكية او مدنية انما تفيد في الاحكام ليعرف المنسوخ من الناسخ وفي غير ذلك المكية والمدنية سيان قوله الر كتاب اي السورة المسماة بالر كتاب انزلناه اليك لغرض كذا وان كان الر مذكورا على جهة التعديد فقوله كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هذا القرآن او هذه السورة كتاب والظلمات مستعارة لطرق الضلال ومظانه والنور مستعار للحق واللام في لتخرج للغرض عند المعتزلة وللغاية عند الحكيم وان شئت فقل للعاقبة واللام في الناس للجنس المستغرق ظاهرا ففيه دليل على ان دعوته صلى الله عليه وسلم عامة ومعنى اخراج النبي اياهم من الظلمات الى النور انه سبحانه جعل انزال الكتاب عليه ودعوته اياهم به الى الحق واسطة لهدايتهم لا مطلقا ولكن باذن ربهم اي بتسهيله وتيسيره وخلق ميل لها خلق له والحاصل ان المراد من الاذن معنى يقتضي ترجيح جانب الوجود على جانب العدم ومتى حصل الرجحان فقد حصل الوجوب عند المحققين وكذا ان يعبر عن ذلك المعنى بداعية الايمان احتج بالآية من قال ان معرفة الله تعالى لا يمكن الا بالتعليم الذي عبر عنه بالاخراج من الظلمة الى النور واجيب بان الاخراج تنبيه واما المعرفة فانما تحصل من الدليل وقوله الى صراط بدل من قوله الى النور بتكرير العامل الجار وجوز في الكشاف ان يكون على جهة الاستئناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وفي ذكر الوصفين تأكيد لحقية الصراط واستنارته لان العزيز هو القادر الغالب والحميد هو الكامل في خصايص الحمد من العلم والغنى وغير ذلك ولا ريب ان من هذه صفته كان سبيله الذي نهج لعباده مفضيا الى صلاح حالهم دينا ودنيا اذ لا حاجة به الى ارتكاب عبث او قبيح قال بعض العلماء انما قدم ذكر العزيز لان الصحيح ان اول العلم بالله العلم بكونه قادرا غالبا وهو معنى العزيز ثم بعد ذلك العلم بكونه عالما او العلم بكونه غنيا عن الحاجات والنقائص وهذا معنى الحميد ثم اثنى على نفسه تحقيقا لحقية صراطه وبيانا لتنزهه عن العبث والعيث فقال الله الذي مبتدأ وخبر او المبتدأ محذوف تقديره هو الله ومن قرأ بالجر فعلى انه عطف بيان للوصفين بناء على ان لفظ الله جار مجرى اسم العلم وقد سلف هذا البحث مشبعا في تفسير البسملة من سورة الفاتحة ثم ختم الآية بوعيد من لا يعترف بربوبيته ولا يقر بوحدانيته وذلك قوله وويل للكافرين وهو دعاء عليهم بالهلاك والثبور وكل سوء قال في الكشاف وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل انهم يولولون من العذاب ويقولون يا ويلاه الذين يستحبون اي يؤثرون ويختارون لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون ذلك الشيء عندها احب من الآخر وذلك ان الانسان قد يحب الشيء ولكنه يكره كونه محبا له اما اذا احب الشيء وطلب كونه محبا له واحب تلك المحبة فذلك نهاية المحبة وحاشا ان محبة اهل الدنيا للدنيا وكلها اولى مراتب الضلال وقوله ويصدون عن سبيله اشارة الى الاضلال وقوله ويبغونها عوجا اراد به الاضلال بالقاء الشكوك والشبهات واجتماع هذه الخصال نهاية الضلال فلهذا وصف ضلالهم بالبعد عن الحق لانه وقع عنه في الطرف الآخر فبينهما غاية الخلاف ويمكن ان يكون اسنادا مجازيا باعتبار ان صاحبه بعيد عن طريق الحق ثم لما من على المكلفين بانزال الكتاب وارسال الرسول ذكر ان من كمال تلك النعمة ان يكون ذلك الكتاب بلسان المرسل اليهم احتج اصحاب ابي هاشم بالآية على ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحد او جماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقراين كالاطفال قالوا ان كانت توقيفية والتوقيف انما يكون بالوحي والوحي موقوف على لغة سابقة لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغتهم لزم الدور واجيب بان الآية تخص برسول له

قوم

قوم لآدم فينتهي التوقيف اليه فيندفع الدور ۞ وتمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الآية في ان محمدا رسول الله ولكن الى العرب لانهم قومه وهم الذين عرفوا فصاحة القرآن واعجازه فيكون القرآن حجة عليهم لا على غيرهم ۞ والجواب سلمنا ان قومه هم العرب ولكن قوم النبي اخص من اهل دعوته فقد يكون اهل دعوته الناس كافة بل الثقلين كما في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان التحدي وقع بالفريقين في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن وانما كان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فيرسل الرسول اولا اليهم ليبين لهم فيفقهون عنه ثم يدعوهم اليه ثم ينوب التراجم في كل امة من امم دعوته مقام الاصل ويكفي التطويل ويؤمن اللبس والتخليط ويحصل للمفسرين الثواب الجزيل في التعلم والتعليم والارشاد والاجتهاد ۞ قالت المعتزلة ان مقدمة هذه الآيات وهي قوله ليخرج الناس ووسطها وهو قوله ليبين لهم فان التبيين انما تكون اذا كان للمكلف قدرة واختيار ۞ وآخرها وهو قوله الحكيم فان الحكمة تنافي خلق الكفر والقبائح يدل على صحة مذهب الاعتزال ۞ وقالت الاشاعرة قوله فيضل الله من يشاء وقوله العزيز فان العزيز لا يجامع ان يكون لغيره قدرة وتصرف وتؤيد مذهبنا ۞ اقول نحن قد حققنا مسئلة الجبر والقدر وما يختص بهذا الموضع قول الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان لم يكن النسق مشاكلا للاول فالرفع على الاستئناف هو الوجه كقوله لنبين لكم ونقر بالرفع ۞ نظيره في الآية قوله فيضل بالرفع على الاستئناف كانه قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانه لهم تلك الشرائع بلغة القوم واعتيادهم ومع ذلك فان المضل والهادي هو الله والبيان لا يوجب حصول الهداية الا اذا جعله الله واسطة وسببا ۞ ولما بين ان المقصود من بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم هو اخراج الناس من الظلمات الى النور اراد ان يبين ان الغرض من ارسال جميع الانبياء لم يكن الا ذلك وذكر لذلك مثالا وخص موسى بالذكر لان امته اكثر الامم سوى امة محمد عليه السلام كما جاء في الحديث ولكثرة معجزاته القاهرة ۞ ومعنى ان اخرج اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول ويجوز ان يكون ان ناصبة والتقدير بان اخرج ۞ ومعنى التذكير بايام الله الانذار بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم ويقال ايام العرب لحروبها وملاحمها ۞ وعن ابن عباس ايام الله نعماؤه من تظليل الغمام وانزال المن والسلوى ۞ وبلاؤه اهلاك القرون او الايام التي كانوا تحت تسخير فرعون والمراد وعظهم بالترغيب والترهيب ان في ذلك التذكير والتنبيه لآيات لكل صبار على البلاء شكور على النعماء وذلك ان فائدة الآيات انما تعود عليهم حيث ينتفعون بها ۞ ولما امر الله موسى بالتذكير حكى عنه انه ذكرهم ولم يقل ههنا يا قوم كما ذكر في المائدة اقتصارا على ما ذكره هناك وقوله عليكم ان كان صلة للنعمة بمعنى الانعام فقوله اذ انجاكم ظرف للانعام ايضا وان كان مستقرا بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم جاز ان ينتصب اذ انجاكم بعليكم وفي الوجهين جاز ان يكون اذ بدلا من النعمة اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال وباقي الآية قد مر في اول البقرة ۞ ومن جملة النعم قوله واذ تأذن اي واذكروا حين تأذن ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك ويزاح معه الشبهات وقد تقدم في اواخر الاعراف ان فيه معنى القسم ولذلك دخلت اللام الموطئة في الشرط والنون المؤكدة في الجزاء وقد سلف منا في هذا الكتاب ان الشكر بالحقيقة عبارة عن صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه فيما اعطاه لاجله ولا شك ان المكلف اذا سلك هذا الطريق كان دائما في مطالعة اقسام نعم الله وفي ملاحظة دقائق لطفه وصنعه وفي اعمال الجوارح في الاعمال الصالحة الكاسبة لانوار الملكات الحميدة وشغل النفس بمطالعة النعم يوجب مزيد محبة المنعم وقد يترقى العبد من هذه الحالة الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا له عن رؤية النعم وتصدر منه الاعمال الصالحة بطريق الاعتبار حتى يصير التطبع طبعا والتكلف خلقا وهذا معنى ازدياد الشكر مزيد الانعام وقد يفيض عليه بحكم وعد الله الذي هو الحق والصدق سجال مواهب لدنية والهية لانه مهما صار مطيعا مستفادا لواجب الوجود سبحانه تجلى فيه نور الوجوب فلا عزو ان ينقاد لذلك النور كثير من الممكنات وينفتح عليه باب التصرف في الكون بالحق للحق ۞ وان كان حال المكلف بضد ما ذكرنا ظهر عليه ضد تلك الآثار لا محالة وذلك قوله ولئن كفرتم بمعنى كفران النعم ان عذابي لشديد ۞ ثم بين ان منافع الشكر ومضار الكفران لا يعود الا الى صاحبه او عليه والله تعالى غني عن ذلك كله فقال ان تكفروا انتم الآية وذلك ان واجب الوجود في ذاته واجب الوجود في جميع صفاته ولن يكون كذلك الا اذا كان غنيا عن الحاجات مستغنيا بكل الكمالات اهلا للحمد وان لم يكن حامد ۞ قوله الم يأتكم يحتمل ان يكون خطابا من موسى لقومه والغرض تخويفهم بعقاب من تقدم من القرون فيكون داخلا تحت التذكير بايام الله ويحتمل ان يكون مخاطبة من الله على لسان موسى لقومه يذكرهم امر القرون الاولى ابو مسلم ۞ والاكثرون على انه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم تحذيرا لهم عن مخالفته ۞ وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ان كان جملة من مبتدأ وخبر فالمجموع اعتراض وان كان قوله والذين من بعدهم معطوفا على قوم نوح فقوله لا يعلمهم الا الله وحده اعتراض ۞ ثم ان عدم العلم اما ان يكون راجعا الى صفاتهم بان يكون احوالهم واخلاقهم وعددهم واعمارهم غير معلومة واما ان يكون عائدا الى ذواتهم بان يكون فيما بين القرون اقوام ما بلغنا اخبارهم ۞ كما روي عن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون ۞ وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد ونظير الآية قوله وقرونا بين ذلك كثيرا منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ۞ قال القاضي رحمه الله وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع بعدد السنين من لدن آدم عليه السلام الى هذا الوقت لانه لو امكن ذلك لم يبعد تحصيل العلم بالانساب الموصولة ۞ ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام انهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات اتوا بامور احدها فردوا ايديهم في افواههم وفيه قولان احدهما ان المراد باليد والفم الجارحتان وعلى هذا فيه احتمالات الاول ان الكفار ردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ ۞ قال ابن عباس وابن مسعود وهو الاظهر او وضعوا الايدي على الافواه ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك او وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان اسكتوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث ۞ قاله الكلبي او اشاروا بايديهم الى السنتهم والى ما تكلموا به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق وهذا قول قوي لعطف قوله وقالوا ۞ والاحتمال الثاني ان يكون الضمائر راجعة الى الرسل والمراد ان الرسل لما ايسوا منهم سكتوا ووضعوا ايدي انفسهم على افواه انفسهم ارادوا انهم لا يعودون الى ذلك الكلام البتة او يكون الضميران الاخيران راجعين الى الرسل والمعنى ان الكفار اخذوا ايدي الرسل ووضعوها على افواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ۞ او يكون الضمير الاخير فقط عائدا الى الرسل والمراد ان الكفار لما سمعوا وعظ الانبياء ونصائحهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل تكذيبا لهم وردا عليهم او وضعوا ايديهم على افواه الانبياء منعا لهم من الكلام فهذه جملة الاحتمالات على القول الاول ۞ القول الثاني ان ذكر اليد والفم توسع ومجاز عن ابي مسلم ان المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج لان دلائل الوحي من اجل النعم لانهم اذا كذبوا الآيات ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل ۞ ونقل محمد بن جرير عن بعضهم انه يقال للرجل اذا امسك عن الجواب رد يده في فيه ومعنى الآية انهم سكتوا عن الجواب ۞ وزيف بانهم قد اجابوا بالتكذيب وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به ۞ والمراد بما زعمتم ان الله ارسلكم به وكانهم في اول الامر حاولوا اسكات الانبياء وفي المرتبة الثانية صرحوا بتكذيبهم وفي الثالثة قالوا وانا لفي شك وقد مر مثله في سورة هود ۞ فان قلت كيف صرحوا بالكفر ثم بنوا امرهم على الشك قلت ارادوا انا كافرون برسالتكم وان نزلنا عن هذا المقام فلا اقل من انا نشك في صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا مطمع في الاعتراف بنبوتكم ثم حكى جواب الرسل وذلك قولهم افي الله شك فاطر السموات والارض ادخل همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وان وجود الله لا يحتمل الشك ۞ قال الضعيف المذنب المفتقر الى عفو ربه الكريم مؤلف الكتاب الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله في الدارين انه كان من عقيدتي ان العلم بوجوب واجب الوجود في الخارج من جملة البديهيات وكان يستبعد ذلك كثير من اقراني واصحابي لما رأوا ان الاقدمين من الاكابر يصنفون على ذلك في الكتب الكلامية والحكمية كتبا فلما وقفت قد كتبت لاجلهم رسالة في الالهيات مشتملة على دلايل تجري مجرى التنبيهات على ذلك المعنى فان الضروريات قد ينبه عليها

وان لم يحتج في الاقتباس الى البراهين فالآن اريد ان اذكر بعض تلك التنبيهات في هذا المقام لانها مقررة لقوله سبحانه أفي الله شك فاقول وبالله التوفيق المفهوم بالنظر الى ذاته والى الخارج اما ان يكون واجب الوجود فقط او واجب العدم فقط او واجب الوجود والعدم او واجب الوجود وممكن الوجود والعدم معا او واجب العدم وممكن الوجود والعدم معا او واجب الوجود وواجب العدم وممكن الوجود والعدم جميعا فهذه اقسام سبعة والعقل الصريح لا يشك في استحالة خمسة اقسام منها في الخارج الاول واجب العدم لذاته فقط الثاني واجب الوجود لذاته وواجب العدم في ذاته معا الثالث واجب الوجود لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته الرابع واجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته الخامس واجب الوجود لذاته وواجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم في ذاته ثم نقول ان العقل كما لا يشك في استحالة الوجود الخارجي لهذه الاقسام الخمسة ينبغي ان لا يشك في وجود الواجب لذاته فقط في الخارج لانه لو لم يكن موجودا في الخارج كان معدوما في الخارج فان كان عدمه لذاته كان من القسم الثاني من الممتنعات وان كان لغيره كان من القسم الثالث منها وكلاهما محال والمفروض خلاف ذلك فثبت كونه موجودا في الخارج بالضرورة وهو المطلوب فهذه طريقة عذراء تيسرت لنا من غير احتياج الى دور وتسلسل يرد عليهما المنع المشهورة وجه ثان الموجود في الخارج اما واجب او ممكن وهذه قضية اتفقوا على ضروريتها لانه ان كان مستغنيا عن المؤثر في وجوده الخارجي فواجب والا فممكن فنقول ان كانت القسمة فيه تنويع حتى يكون المعنى ان الموجود في الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب في الخارج بالضرورة وهو المطلوب وان كانت القسمة قسمة انفصال ولا محالة تكون مانعة الخلو فقط اما كونها مانعة الخلو فلاستحالة العقل رفعهما معا في الخارج ضرورة ثبوت موجود ما في الخارج بالضرورة واما انها ليست مانعة الجمع فلان الممكن موجود بالضرورة ولا منافاة بين وجود الواجب ووجود الممكن بالضرورة والا لم يستدل العقلاء من وجود الممكن على اثبات الواجب بل يستدل منه على نفيه واذا كان الجمع بين الواجب والممكن ممكنا في الوجود والممكن موجود بالضرورة مع انه مفتقر في وجوده الى مؤثر موجد فلان يكون الواجب موجودا اولى بالضرورة لاستغنائه عن المؤثر وكون ذاته كافية في ايجاب الوجود له وهذه مقدمة جلية ومكشوفة لمن تأمل في مفهوم وجوب الوجود اذ لا معنى لوجوب الوجود الا انه وجود يوجد البتة من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما سواه ولهذا قال المحققون ان الوجود يقع على الواجب وعلى الممكن بالتشكيك بمعنى انه في الواجب اول واولى منه في الممكن وجه ثالث طبيعة الواجب وطبيعة الممكن من حيث ذاتيهما تشتركان في صحة وجودهما الخارجي بالضرورة وتفترقان في ان الواجب ذاته كافية في ايجاب الوجود له والممكن لا يكفي فيه ذلك بل يحتاج في ايجاب وجوده الخارجي الى الغير ولا ريب ان الاول اقرب الى طبيعة الوجود لان الموقوف على مقدمات اكثر اعسر وجودا من الثاني والتبع بالضرورة فالاولى اولى بكونه ضروري الوقوع وجه رابع نسبة كل محمول الى موضوعه لا يخلو في نفس الامر من ان يكون بالوجوب او بالامكان او بالامتناع فنسبة الوجود الخارجي الى الماهيات الخارجية كذلك انها لا تخلو من احد الامور الثلاثة لكن نسبته اليها بالامتناع ظاهرة الاستحالة فهي اما بالامكان او بالوجوب ولا شك ان نسبة الوجود الى ذات الموجود اولى من نسبته الى غيره واذا لا يحصل عدم الغير فكل ما دل البرهان على وجوده من غيره لتغيره او نقص يحكم عليه بانه ممكن الوجود وما لم يدل البرهان عليه على ذلك بل يدل على وجوب وجوده بجميع صفاته الكمالية فهو واجب الوجود ومن شك في وجود ما وجوده من تلقاء نفسه ويكون متصفا بجميع الكمالات بعد مشاهدة ما وجوده من غيره وهو عرضة للنقائص والرذائل كان ابلها لا يميز الحكمة وجه خامس نفس الامكان نقص لا نقص فوقه لاستتباعه العجز والافتقار وصحة العدم عليه الذي لا اضعف منه الوجود المتصف به متحقق بالضرورة فالموجود الذي يجوزه العقل الصريح متصفا بصفة الوجوب كيف لا يكون متحققا ومن يستبهم عليه مثل هذا الجلي فليطلع من تلقاء نفسه وجه سادس مقتضى ذات الشيء اوجب ايجابا عند العقل من مقتضى كل ما يغايره لكن الوجود الذي مقتضاه الامكان ثابت في الخارج مع ان ثبوته في الخارج مقتضى الغير فالوجود الذي مقتضاه الوجوب ثابت بالطريق الاولى وجه سابع الوجود الممكن ثابت بالضرورة وليس ثبوت ذلك الوجود من تلقاء نفسه والا كان وجودا واجبا لا ممكنا فالمعنى بالوجود الواجب الا هذا فاما ان يكون من وجود واجب وهو المطلوب او من وجود مثله وحينئذ ما لم يكن ثابتا في نفسه لم يتصور منه فاذن حصل لنا وجود ممكن موصوف بالثبوت في نفسه وموصوفا بكونه مستفيد الوجود مثله فاذا صح هذان الوصفان للوجود الممكن المفتقر فكيف لا يصح ان يوجد الوجود الواجب الغني بل نسبتهما الى الثاني اولى من نسبتهما الى الاول الحكم الفهم الصحيح وجه ثامن كون الشيء موجودا في نفسه اقرب واقبل عند العقل من كونه موجدا للغير اذ ليس كل من له وجود في نفسه يكون موجدا للغير وكل موجد للغير موجود في نفسه واذا كان اتصاف الوجود الممكن مع ضعفه بابعد الامرين عن القبول واقعا فكيف لا يكون اتصاف الوجود الواجب مع قوته باقربهما من القبول واقعا وجه تاسع انجذاب النفوس السليمة وغير السليمة من الانبياء والاولياء والحكماء وسائر العقلاء من اهل الصفاء واهل الوفاء وارباب البدع والاهواء الى وجود واجب متى رجعوا الى انفسهم وطالعوا ملكوت السموات والارض وتاملوا في الاحوال الواردة عليهم من كشف كرب او هجوم نعمة اجلى دليل على وجود رب جليل منزه عن صفات النقص والافول في حيز الامكان مفيض للخيرات مدبر للممكنات ولهذا قال رب السموات والارضين عن الطائفة المعاندين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم اخبر انهم يعتذرون عن عبادة اصنامهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله اذ لم يكن جحدهم وعنادهم عن تحقيق وصدق وانهم كانوا مكابرين في الظاهر ابتلاء من الله وشقاء منهم والحاصل ان المؤمن والمشرك والمقر والجاحد سيان في انه تشهد فطرته بوجود صانع للعالم واجب في ذاته وصفاته ولا ادل من ذلك على انه ضروري الوجود وجه عاشر وهو الاستدلال بالآفاق كل موجود سوى الواجب فله ظهور في الخارج لكنه اذا اعتبر في نفسه لم يكن له ذلك من تلقاء نفسه وكان مفتقرا في نفسه وذلك افول له في افق الامكان واذا كان ما يقتضي ذاته الافول طالعا فما يقتضي ذاته الطلوع اولى بان يكون طالعا وجه حادي عشر وهو الاستدلال بالانفس من تأمل في ذاته وفرض شخصه في هواء طلق لا يحس فيه بمتضاد واغفل الحواس عن افعالها وجد شيئا هو به هو ولذلك يصح انيته وهو لطيفة الناطقة التي نسبتها الى بدنه نسبة الملك الى المدينة يتصرف فيها كيف يشاء ومهما انقطعت علاقته عن البدن مات صاحبه وانخرط في سلك الجمادات فكما ان البدن لضعفه وخسته مفتقر في قوامه وقيامه الى مدبر يدبره ويقيمه فجميع العالم الجسماني بل الممكنات باسرها لخستها وفقرها تستند لا محالة الى ما هو اشرف منها وذلك اوجوده من تلقاء نفسه وهو الواجب الحق تعالى شانه ولولاه لتبدد نظام العالم ولم يكن من الوجود عين ولا اثر وجه ثاني عشر وهو نور الوجود واظهرها وهو الاستدلال بالنور على النور لا شك ان شاهد نور الحس به ما هو ظاهر في نفسه مظهر لغيره فنقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب والا فيحتاج الى ما يظهره وما يظهره لا يمكن ان لا يكون ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهور الغير فينتقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فذلك والا احتاج الى ما يظهره ولا بد ان ينتهي في طرف الصعود الى ما يكون ظهوره في نفسه بنفسه والا لم ينته الامر في طرف النزول الى الظاهر المفروض اولا فنهاية ما لا نهاية له محال من اي جانب فرض ولا ينتقض العود الابدية لقضائنا عليها بناء على انها مسبوقة بعورات لا متناهية فان لا تناهيها في جانب الازل محال عندنا وكانا قد كتبنا في بعض كتبنا بيان استحالة ذلك فان نقلنا الكلام الى فيض الواجب وقلت الفيض الواقع في زمان الحال مسبوق بافاضات غير متناهية لا محالة قلنا لو سلمنا ذلك لكنه لا يستحيل لان الواجب لان وجوده واوصافه المعتبرة كلها مقتضيات ذاته ومقتضى ذات الشيء يدوم بدوام الشيء ويستحيل انفكاكه عنه فلا نهاية فيضانه تابعة لا مسبوقية بغيره وكون وجوده من ذاته ولا يلزم من تطلق الفيض ازليا ان يكون

البعض

البعض المخصوص ازليا واذا ثبت وجوب انتهاء الظاهر المفروض الى ما هو ظاهر في نفسه بنفسه ثبت المطلوب وهو وجود نور الانوار تعالى شانه وبهر برهانه وهو نهاية الممكنات في جانب الابد فهو قديم ازلي ولان وجوده مقتضى ذاته وبالذات لا يزول فهو الباقي الدائم هذا ما سنح من التنبيهات لهذا الضعيف ثم اني هذا الكتاب الشريف ليبقى ان شاء الله على وجه الدهر وينظر من مواهبها في كل عصر والله المستعان قال بعض العقلاء من لطم على وجه صبي فتلك اللطمة تدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف وعلى ثبوت دار الجزاء وعلى ضرورة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اما الاول فلان الصبي يصيح ويقول من الذي ضربني وما ذاك الا شهادة فطرته على ان هذه اللطمة لما حدثت بعد عدمها وجب ان يكون حدوثها لاجل فاعل مختار ادخلها في الوجود واذا كان حال هذا الحادث مع حقارته كذا فما ظنك بجميع الحوادث الكائنة في العالم العلوي والعالم السفلي واما دلالتها على وجوب التكليف فلان ذلك الصبي ينادي ويصيح ويقول لم ضربني ذلك الضارب وكيف دلالة على ان الافعال الانسانية داخلة تحت التكليف وان الانسان ما خلق حتى يفعل اي شيء اشتهى واما دلالتها على الجزاء فلانه يطلب الجزاء على تلك اللطمة ولا يترك الكه واذا كان الحال في هذا العمل القليل كذلك فكيف يكون الحال في جميع الاعمال واما وجوب النبوة فلانهم يحتاجون الى انسان يبين لهم ان العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي ولا فائدة في بعثة النبي الا تبيين الشرائع والاحكام وتاكيد دعوة العاقل الى الاعتراف بالمبدا والمعاد وانه لو ترك مهملا بان الامر على خلافه فلا ضرر فيه البتة اما اذا اعترف بالصانع والتكليف والجزاء وكانت هذه الامور في الخارج ثابتة حقة تنفي انكارها اعظم المضار فيلزم على العاقل ان يعترف بهذه الامور اخذا بالاحوط ثم ان الرسل بعد التنبيه على وجود الصانع ذكروا فائدة الدعوة وغايتها وذلك شيئان الاول قوله يدعوكم اي الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم ويستدل بالآية من جوز زيادة من في الاثبات وذلك لقوله تعالى في مواضع اخر ان الله يغفر الذنوب جميعا واجيب بانه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لامة محمد عم غفران جميع الذنوب لغيرهم فالوجه ان يكون من للتبعيض تمييزا بين الفريقين ويؤيده ما ذكرنا استقراء الآيات فانها جاءت في خطاب الكافرين التي مقرونة بمن كالتي الآية وفي سورة نوح وفي سورة الاحقاف وقال في خطاب المؤمنين في سورة الصف يغفر لكم ذنوبكم بغير من وقيل اراد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله تعالى لا ما بينهم وبين العباد من المظالم وقيل من للبدل اي ليكون المغفرة بدلا من الذنوب وضعف بانه لم يوجد له في اللغة نظير وعن الاصم انه اراد اذا آمنتم يغفر لكم بعض الذنوب التي هي الكبائر فاما الصغائر فلا حاجة الى غفرانها لانها في انفسها مغفورة وزيف القاضي بان الصغيرة انما تكون مغفورة من الموحدين حيث يزيد ثوابهم على عقابها فاما من لا ثواب له اصلا فلا يكون شيء من ذنوبه صغيرا ولا كبيرا مغفورا وقيل ان الكافر قد يجني بعض ذنوبه في حال توبته وايمانه فلا يكون المغفور منها الا ما ذكره وتاب منه وقال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في الآية دلالة قد يغفر ذنب اهل الايمان من غير توبة لانه وعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير اشتراط التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب ان يكون ذلك البعض هو ما عدا الكفر من الذنوب ولقائل ان يقول لا نسلم انه لم يشترط التوبة في الآية لان قوله يدعوكم اي الى الايمان بمعنى واسلموا يغفر لكم فكانه قيل ان الايمان شرط غفران بعض الذنب فلم لا يجوز ان يكون ذلك البعض هو الكفر الغاية الثانية قوله ويؤخركم الى اجل مسمى عن ابن عباس اي يمتعكم في الدنيا باللذات والطيبات الى الموت الطبيعي ولا يعاجلكم بعذاب الاستيصال ثم تحقيق الاجل في اول الانعام ثم شرع في حكاية شبه الكفار وانها ثلاث الاولى قولهم ان انتم الا بشر مثلنا وذلك لاعتقادهم ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع ان يبلغ التفاوت بينهم الى هذا الحد مع اشتراك الكل في الضروريات البشرية من الحاجة الى الاكل والشرب والوقاع وغير ذلك الثانية التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا الثالثة انكارهم دلالة المعجزة على الصدق وعلى تقدير التسليم زعموا انهم ما اتوا بحجة اصلا لاعتقادهم ان معجزاتهم من جنس الامور المعتادة فاقترحوا سلطانا مبينا اي برهانا باهرا وحجة قاهرة ثم ان الانبياء سلموا انهم بشر تسليم ولكنهم وصفوا انفسهم بمزية من عند الله بطريق المنة والعطية وبهذا استدل من جعل النبوة محض العطاء من الله اجاب المخالف بانهم لم يذكروا الفضائل النفسانية والجسمانية تواضعا منهم ولانه قد علم انه اختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لها لخصائص فيهم واما الشبهة الثانية فانما لم يذكروا الجواب عنها لان صحة النبوة تهدم قاعدة التقليد واما الشبهة الثالثة فجوابها وما كان لنا اي وما صح منا ان نأتي بآية اقترحتموها من تلقاء انفسنا وانما ذلك امر متعلق بمشيئة الله والظاهر ان الانبياء لما اجابوا عن شبهاتهم بما اجابوا فالقوم اخذوا في السفاهة والتخويف فعند ذلك قالت الانبياء وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون قال علماء المعاني الاول لاستحداث التوكل والثاني للسعي في ابقائه وادامته وقيل معنى الاول ان الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على الله لا علينا فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ومعنى الثاني ابداء التوكل على الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم وفي قولهم وقد هدانا سبلنا اشارة الى ما اصل الله عليهم من طريقة التكميل والارشاد وتحمل اعباء الرسالة والصبر على متاعبها فان تاثير نفوسهم في عالم الارواح كتاثير الشمس في عالم الاجسام بالاضاءة والانارة وقد خوفوا النفوس المشرقة اما بنور الالهية او بالوحي الصريح انه تعالى يعصمهم من كيد الاعداء ومكر الحساد وفي قولهم ولنصبرن على ما آذيتمونا دليل على ان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات ثم السعادات الاقوال الكفار للرسل ولتعودن في ملتنا فقد مر البحث عليه في سورة الاعراف في قصة شعيب وقال صاحب الكشاف العود هنا بمعنى الصيرورة حلفوا ان يخرجوهم البتة الا ان يصيروا كافرين مثلهم فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه او اضمر القول عن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ذلك الذي قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم حق لمن خاف مقامي يريد موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة وهو موقف الحساب او فالمقام للعبد اي خاف قيامي عليه بالحفظ والمراقبة كقوله افمن هو قائم على كل نفس او قيامي بالعدل والصواب مثل قائما بالقسط والمقام مقحم اي خافني مثل سلام الله على المجلس العالي وخاف وعيد قال الواحدي هو اسم من الايعاد التهديد قال المحققون الخوف من الله مغاير للخوف من وعيده لان حب الله مغاير لحب ثواب الله وهذه فائدة عطف احد الخوفين على الآخر قوله واستفتحوا الضمير اما للرسل والمعنى استنصروا الله على اعدائهم او استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من المفاتحة وهي الحكومة واما للكفرة بناء على ظنهم انهم على الحق والرسل على الباطل وعلى الاول يكون في الكلام اضمار التقدير فنصروا وفازوا بالمقصود وخاب كل جبار عنيد معاند واصل العنود الميل من العند الناحية والجانب كان كلا من المتعاندين في جانب الآخر قيل الجبار هو المتكبر اشارة الى ان فيه خلق الاستكبار والعنيد اشارة الى آثار الصادرة عن ذلك الخلق وهو كونه مجانبا للحق منحرفا عنه واصل الكلام على الاول واستفتح الرسل وخاب الكفرة وعلى الثاني واستفتحوا وخابوا لوضع الاسم موضع الاخص والتعابير مقام التعيير تنصيصا على الكفرة بان سبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم من ورائه اي من بين يديه يقال الموت وراء كل احد وذلك ان قدام وخلف كلما تواري عن الشخص فيصح اطلاق اللفظ وراء على كل واحد منهما وقال ابو عبيدة هو من الاضداد لان احدهما ينقلب الى الآخر وهذا وصف حاله في الدنيا او في الآخرة حين يبعث ويوقف قال جار الله قوله ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى في جهنم ويسقى من ماء صديد من ماء بيانه او صفته والصديد ما يسيل من جلود اهل النار واشتقاقه من الصد لانه يصد الناظر عن رؤيته او تناوله وقيل خلق الله في جهنم ماء شبيه الصديد في النتن والغلظ والقذارة يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه اي لم يقارب الاساغة فضلا عن الاساغة قيل ليس المراد بالاساغة مجرد حصول المشروب في الجوف لان هذا المعنى حاصل لاهل النار بدليل قوله يصهر به ما في بطونهم وانما المراد جريان المشروب في الحلق بالاستطابة وقبول النفس لا بالكراهة وان نوى قلت يحتمل ان يراد بالاساغة مجرد الحصول والآية اعني قوله يصهر به لا يدل على الحصول لقوله قبله يصب من فوق رؤسهم الحميم ويأتيه الموت من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة وقيل المراد ان

موجبات الموت احاطت به من جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت كقوله لا يموت فيها ولا يحيى ثم اخبر والعياذ بالله ان العذاب في كل وقت من الاوقات المستقبلة يكون اشد واكثر مما قبله ومن ورائه عذاب غليظ عن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد قال في الكشاف يحتمل ان يكون اهل مكة استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي سلطت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب كل جبار عنيد فانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار وعلى هذا التفسير يكون قوله واستفتحوا كلاما مستانفا منقطعا عن حديث الرسل التاويل بسم الله اي باسم الذات وهو الاسم الاعظم ابتدات بخلق عالم الدنيا اظهار الصفة الرحمانية التي هي للمبالغة لاشتراك الحيوان والجماد والمؤمن والكافر في الرحمة وبخلق عالم الاخرة اظهار الصفة الرحيمية لاختصاصها بالمؤمنين خاصة وقوله الر اي بالآلاء والمطلق ان القران انزلناه اليك لتخرج الناس بدلالة نوره من ظلمات عالم الطبيعة والكثرة الى نور عالم الروح باذن ربهم الذي يربيهم هو لا انت وفي قوله الى صراط اشارة الى ان القران هو طريق الوصول الى من احتجب بحجب العزة والمحمدة واستغنوا بظاهر العزة والتلطف وفي الاختتام بقوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض اشارة الى ان من بقي في افعاله وهي المكونات لم يصل الى صفاته ومن بقي في صفاته لم يصل الى ذاته ومن وصل الى ذاته بالخروج عن انانيته الى هويته انتفع بصفاته وافعاله وويل للكافرين من شدة الم الانقطاع عن الله تعالى ثم اخبر ان الكافر الحقيقي هو الذي قنع بالايمان التقليدي فاقبل على الدنيا واعرض عن المولى ... الا بلسان قومه اي يتكلم معهم بلسان عقولهم ولقد ارسلنا بواسطة جبرئيل الجذبة موسى القلب بآيات عصا الذكر واليد البيضاء من الصدق والاخلاص ان اخرج قومك وهم الروح والسر والخفي من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي وذكرهم بايام الله التي كان الله ولم يكن معه شيء ... ان في ذلك لآيات لكل ... في الوجود لكل صبار بالله مع الله عن غير الله شكور لنعمة الوجود الحقيقي ببذل الوجود المجازي لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الوصول بتقربي اليكم ولئن شكرتم في تقربي اليكم لازيدنكم في محبتي لكم ولئن شكرتم في محبتي لكم لازيدنكم في الجذبة ولئن شكرتم بالجذبة لازيدنكم في الوصول ولئن شكرتم في الوصول لازيدنكم في التجلي ولئن شكرتم في التجلي لازيدنكم في الفناء عنكم ولئن شكرتم في البقاء لازيدنكم في الوحدة ولئن كفرتم نعمتي في المقامات كلها ان عذاب قطيعتي لشديد وقال موسى القلب ان تكفروا انتم ايها الروح والسر والخفي بالاعراض عن الحق والاقبال على الدنيا بتبعية النفس ومن في ارض البشرية من النفس والهوى والطبيعة يدعوكم من الملك الى الملكوت ليغفر لكم بصفة الغفارية من ذنوبكم التي اصابتكم من حجب عالم الخلق ويؤخركم في التخلق باخلاقه الى اجل مسمى هو وقت الفناء في الذات وعلى الله فليتوكل المتوكلون للمتوكل مقامات فتوكل المبتدي قطع النظر عن الاسباب في طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المتوسط قطع تعلق الاسباب بالمسبب وتوكل المنتهي قطع تعلق ما سوى الله والاعتصام ببابه لمن خاف مقامي وهو مقام الوصول الي فان هذا مقام الخشية فاما خوف الخواص فمن مقام الجنة وخوف العوام من مقام النار وخاف وعيد القطيعة واستفتح القلب والروح من الله على النفس والهوى من ورائه اي قدام النفس بمتابعة الهوى جهنم صفات الذميمة ويسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات والاخلاق من الافعال الرذيلة يسيغه منه صاحب النفس الامارة يتجرعه بالتكلف ولا يكاد يسيغه لانه ليس من شربه ويأتيه اسباب الموت من كل فعل مذموم ومن ورائه عذاب غليظ هو عذاب القطيعة والبعد والله اعلم

مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ۞
الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت
بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ۞ وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله
من شيء قالوا لو هدينا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا
من محيص ۞ وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني
ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل
ان الظالمين لهم عذاب اليم ۞ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ۞
الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس

لعلهم يتذكرون ۞ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض
ما لها من قرار ۞ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة
الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ۞ الم تر
الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس
القرار ۞ وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان
مصيركم الى النار ۞ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ۞
الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين ۞ وسخر لكم الليل والنهار ۞ واتيكم من كل ما سألتموه
وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ۞ صدق الله العظيم

القراءات الرياح على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون على التوحيد خالق السموات بلفظ اسم الفاعل حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الفعل سبلنا بسكون الباء حيث كان ابو عمرو ولي عليكم بفتح الياء حفص بمصرخي بكسر الياء حمزة الآخرون بالفتح اشركتموني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد وقتيبة واسمعيل في الوصل البوار بالامالة ابو عمرو ليضلوا بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بضمها لعبادي الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة وعلي ويعقوب والاعشى الباقون بالفتح من كل بالتنوين يزيد وعباس الباقون بالاضافة الوقوف عاصف ط بناء على ان ما بعده مستانف كان سائلا سأل بل يقدرون من اعمالهم على شيء من الثواب على شيء ط البعيد ه بالحق ط جديد لا لان ما بعده تتميم معنى الكلام بعزيز ه لهديناكم ط محيص ه فاخلفتكم ط فاستجبتم لي ج لاختلاف الجملتين انفسكم ط لابتداء النفي بمصرخي ط بحق ان ومن قال ان لابتداء بقوله اني كفرت فجوابه ان الكفر بالاشراك واجب كالايمان من قبل ط اليم ه باذن ربهم ط سلام ه في السماء ه لا ربها ط يتذكرون ه ... من قرار ه وفي الآخرة ج لتكرار اسم الله تعالى في الفعلين مع ان كليهما مستقل بحذف قوله ويفعل الله لانه في المعنى بيان قوله ويضل الله ما يشاء ه البوار ه لا جهنم ج لان ما بعده يصلح استئنافا او حالا ... احلوا او من مفعوله او من كليهما يصلونها ط القرار ه عن سبيله ط الى النار ه ولا خلال ه رزقا لكم ج بامره ج الانهار ه دائبين ج والنهار ج لحسن هذا الوقف مع العطف لتفصيل النعم تنبيها على الشكر سألتموه ط لابتداء الشرط مع تمام الكلام لا تحصوها ط كفار ه التفسير لما ذكر في الآيات المتقدمة انواع عذاب الكفار اراد ان يبين غاية حسرتهم ونهاية خيبتهم فقال مثل الذين وارتفاعه عند سيبويه على الابتداء والخبر محذوف اي فيما يتلى ونقص عليكم مثلهم وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم وقال الفراء المضاف محذوف اي مثل اعمال الذين كفروا وانما جاز حذفه استغناء بذكره ثانيا وقيل المثل صفة فيها غرابة فاخبر عنه بالعجب والمراد صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله ... ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا والخبر كرماد وحده والمراد باعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين واعانة المظلومين شبهها في حبوطها لبنائها على غير اساس من التوحيد والايمان برماد طيرته الريح في يوم عاصف قال الزجاج جعل العصف لليوم وهو لما فيه يعني الريح مجازا كقولك يوم ماطر قال الفراء وان شئت قلت في يوم ذي عصوف او في يوم عاصف الريح فحذف الريح لذكره مرة وقيل المراد من اعمالهم عبادتهم للاصنام ووجه حسرتهم انهم اتعبوا ابدانهم فيها دهرا طويلا لم ينتفعوا بذلك ... به وقوله مما كسبوا على شيء القياس من عكسه كما في البقرة لان على من صلة القدرة ولان مما كسبوا صفة لشيء ولكنه قدم في هذه السورة لان الكسب هو العمل الذي ضرب له المثل هو المقصود بالذكر ولهذا اشار اليه بقوله ذلك هو الضلال البعيد اي عن الحق او الثواب ثم كان لسائل ان يسأل كيف يليق بحكمته احباط اعمال المكلفين فقال الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق مستتبعة للفوائد والحكم الدالة على وجود الصانع القدير فحبوط الاعمال انما لزم من كفر المكلفين وكونها غير مبنية على قاعدة الايمان والاخلاص لا من انه سبحانه يمكن ان يوجد في افعاله عبث او خلل او سهو ثم بين كمال قدرته واستغنائه عن الظلم والقبائح وعن كل ما لا ينبغي فقال ان يشأ يذهبكم وقد مر مثله في سورة النساء وما ذلك على الله بعزيز لانه قادر بالذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور قال اهل النظر من الآية اظهار القدرة وزجر المكلفين عن المعصية وذلك انما يتم بقوله ان يشأ يذهبكم فما فائدة قوله ويأت بخلق جديد قلت فيه دليل على ان الفياض لا يوجد دون الفيض قلت على تقدير تسليمه لا تنحصر الفائدة فيه بل لعل الفائدة هي تأكيد التخويف فان المتألم من تصور العدم المجرد ليس كالمتألم من اعدامه مع اقامة غيره مقامه على ان الاذهاب لا يلزم هاهنا الاعدام فيكون شبيها بعزل شخص ونصب غيره مقامه وللحكيم ان يستدل بقوله يذهبكم على ان مادة الجوهر لا تعدم وانما تعدم الصور والاعراض والجواب ان الاذهاب هاهنا بمعنى الاعدام ولو سلم فلا يلزم من عدم وقوع الاعدام هاهنا امتناعه في جميع الصور وفيه ان المحقق بان يخشى عقابه ويرجى ثوابه فلذلك اتبعه احوال الآخرة فقال وبرزوا بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع مثل سيق ونادى والتركيب يدل على الظهور بعد الخفاء ومنه البراز

برزة اذا كانت تظهر للناس وبرز فلان على اقرانه اذا فاقهم ومعنى برزوا لله وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او المضاف محذوف اي برزوا لحساب الله وحكمه قال ابو بكر الاصم قوله وبرزوا لله هو المراد من قوله من ورائه عذاب غليظ وعلى قواعد الحكماء النفس اذا فارقت الجسد زال الغطاء وكشف الوطاء وظهرت عليه آثار الملكات والنيات التي كان يمنعها عن الشعور بها اشتغالها بعالم الحس فذلك هو البروز لله فان كانوا من السعداء برزوا لموقف الجمال بصفاتهم القدسية وهيآتهم النورية فاهلا بتلك الاحوال وياطوبى لاهل النوال وان كانوا من الاشقياء برزوا لموقف الجلال بصفاتهم الذميمة وهيآتهم المظلمة فما اعظم تلك الفضيحة وما اشد تلك المهانة فقال الضعفاء ابو وقيل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله علموا بني اسرائيل والضعفاء العوام والاراذل والذين استكبروا ساداتهم واشرافهم الذين استكبروا عن عبادة الله تعالى فضلوا واضلوا قال الفراء اكثر اهل اللغة على ان التبع جمع تابع كخدم وخادم وحرس وحارس وجوز الزجاج ان يكون التبع مصدرا اي ذوي تبع اما في الكفر او في الامور الدنيوية فهل انتم مغنون اي دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للتبيين وفي من شيء للتبعيض والمعنى هل تدفعون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله او كلاهما للتبعيض بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله قالوا لو هدانا الله لهديناكم عن ابن عباس لو ارشدنا الله لارشدناكم قال الواحدي معناه انهم انما دعوهم الى الضلال لان الله تعالى اضلهم ولو هداهم لدعوهم الى الهدى وقال في الكشاف لعلهم قالوا ذلك مع انهم كذبوا فيه كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعترض عليه بان هذا على مذهبه لانهم لا يجوزون صدور الكذب عن اهل القيمة كما مر في اوائل الانعام في قوله والله ربنا ما كنا مشركين وجوز ايضا ان يكون المراد لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وزيف بان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله وقيل لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة ويؤكد هذا التفسير سواء علينا اجزعنا ام صبرنا واعرابه كقوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم ارادوا انهم آيسون من دفع العذاب بالكلية او ارادوا ان عتب الضعفاء لهم وتوبيخهم اياهم نوع من الجزع ولا فائدة فيه ولا في الصبر وجوز في الكشاف ان قوله سواء الى آخره من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا نظيره في جعل كلام اثنين بكلام انسان واحد قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص المنجى والمهرب مصدر كالمغيب والمشيب او مكان كالمبيت والمصيف ولما ذكر مناظرة شياطين الانس اتبعها مناظرة شياطين الجن ومعنى قضي الامر قطع وفرغ منه وذلك حين انقضاء المحاسبة والاكثرون على انه بعد الحساب ودخول الاشقياء النار والسعداء الجنة وعند اهل السنة هو بعد خروج الفساق من النار فليس بعد ذلك الا الدوام في الجنة او في النار يروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في النار فيقول ان الله وعدكم وعد الحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلق وقضى بينهم يقول الكافرون قد وجد المسلمون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذي اضلنا فيأتونه ويسألونه فعند ذلك يقول هذا القول ووعد الحق من اضافة الموصوف الى صفته مثل مسجد الجامع وتأويله وعد اليوم الحق او الامر الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال وفي الآية اضماران الاول وعدكم وعد الحق فوفى لكم بما وعدكم الثاني ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم الوعد ووجه الاضمار الاول دلالة الحال عليه لانهم كانوا شاهدوه وليس وراء العيان بيان ولان ذكر نقيضه وهو اخلاف الوعد من الشيطان يغني عنه الوجه الثاني ايضا مثل ذلك ثم ذكر طريق وسوسته واغوائه منهم فقال وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم قال النحويون هذا الاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان فالمراد لكن دعائي اياكم الى الضلالة بوسوسته ويمكن ان يوجه الاستثناء بالاتصال لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال تارة يكون بالقهر وتارة بتقوية الداعية في قلبه بالقاء الوساوس اليه فهذا نوع من انواع التسلط فلا تلوموني ولوموا انفسكم لانكم ما سمعتم مني الا الدعاء والتزيين وكنتم سمعتم دلائل الله ورسالة انبيائه فكان من الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولي وان لا تلتفتوا الي قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة وليس من الله الا التمكين وليس من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما زعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وقول الشيطان وان لم يصلح للحجة الا ان عدم انكار الله عليه حجة هذا مع ان اول الكلام العين مبني على الانصاف والصدق فكذا ينبغي ان يكون آخره قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك ان الانسان اذا احس بشيء او ادركه ترتب عليه شعوره بكونه ملايما له او بكونه منافرا له وتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل او الى الترك وكل ذلك من شان النفس ولا مدخل للشيطان في شيء من هذه المقامات الا بان يذكره شيئا مثل ان الانسان كان غافلا عن صورة امراة فيلقي الشيطان حديثها في خاطره وكيف يعقل تمكن الشيطان من النفوذ في داخل اعضاء الانسان والقاء الوسوسة اليه جوابه ان الشيطان ان كان جسما لطيفا والله سبحانه ركبه تركيبا عجيبا لا يقبل التفرق والتمزق مع لطافته فلا يستبعد نفوذه في الاجرام الكثيفة كالنار تسري في الفحم وكالدم في البدن وان كان جوهرا نورانيا مجردا على التشبه والنفوس الانسانية ايضا جواهر علوية مجردة فلا يبعد وصول اثر احدهما الى الآخر وذهب بعض الحكماء الى ان كل روح من الارواح البشرية فانه ينتسب الى روح معين من الارواح السماوية وانها تتولى ارشاد الارواح الانسانية الى مصالحها بالالهامات الحقة في حالتي النوم واليقظة هذا اذا كانت خيرة واما ان كانت شريرة فانها توسوسها بالخواطر والاعمال القبيحة والقدماء كانوا يسمون كلا من تلك الارواح بالطباع التام وذكر بعض العلماء احتمالا آخر وهو ان النفوس البشرية اذا فارقت ابدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان وكملت فيها فاذا حدثت نفس اخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة من بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدثت بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق فتصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن وتعضدها على احوالها وافعالها فاذا كان هذا المعنى في ابواب البر والخير كان الهاما وان كان في باب الشر كان وسوسة ثم حكى الله سبحانه عن الشيطان انه قال ما انا بمصرخكم قال ابن عباس يريد بمغيثكم ولا منقذكم قال ابن الاعرابي الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اي اغثته وعاب النحويون على حمزة انه قرأ وما انتم بمصرخي لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء وما تمحل لها باطل لانه لم يوجد له نظير في استعمال العرب لكنك تعلم ان القرآن حجة على غيره قوله اني كفرت بما اشركتمون ان كانت ما مصدرية فالمعنى اني كفرت اي انا جاحد وما كان رضي باشراككم لي في الدعاء مع الله في الطاعة وفي ان لي تدبيرا وتصرفا في العالم وان كانت موصولة على ما قاله الفراء من ان ما في معنى من كقوله سبحان من سخركن لنا فالمراد اني كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالله الذي اشركتمونيه ووجه نظم الكلام على هذا التفسير ان ابليس كانه يقول لا تاثير لوسوستي في كفركم بدليل اني كفرت بالله قبل ان كفرتم وما كان كفري بسبب وسوسة اخرى والا لزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الوقوع في الكفر شيء آخر سوى الوسوسة وهذا التقرير يناسب اصول الاشاعرة اما قوله ان الظالمين لهم عذاب اليم فالاظهر انه كلام الله وشمل ابليس ومن تابعه من الثقلين وليس ببعيد ان يكون من بقية كلام ابليس قطعا لاطماع اولئك الكفار عن اعانته ثم شرع في احوال السعداء فقال وادخل على لفظ الماضي تحقيقا للوقوع وقوله باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلهم الملائكة الجنة باذن الله وامره وقرأ الحسن وادخل على لفظ المتكلم قال في الكشاف على هذا يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحييهم الملائكة باذن ربهم وقد تقدم معنى قولهم تحيتهم فيها سلام في اول سورة يونس ثم لما بين احوال السعداء وكان قد ذكر احوال اضدادهم اراد ان يذكر لكل من الفريقين مثلا قال في الكشاف كلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويضرب بمعنى جعل اي جعل الله كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة اي هي كشجرة

وقال

وقال صاحب حل العقد الظن ان الوجه هذا ان يجعل قوله كلمة عطف بيان وقوله كشجرة مفعول ثان عن ابن عباس الكلمة الطيبة هي قوله لا اله الا الله محمد رسول الله والشجرة الطيبة شجرة في الجنة وعن ابن عمر هي النخلة وقيل الكلمة الطيبة كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وقيل لا حاجة بنا الى تعيين تلك الشجرة والمراد ان الشجرة الموصوفة ينبغي لكل عاقل ان يسعى في تحصيلها وادخارها لنفسه سواء كان لها وجود في الدنيا او لم يكن اما صفات الشجرة فالاولى كونها طيبة وتشمل المنظر والشكل والرائحة وطيب الفواكه المتولدة منها وطيب منافعها والثانية اصلها ثابت راسخ آمن من الانقطاع ولا شك ان الشيء الطيب انما يكمل الفرح بحصوله اذا امن انقراضه وزواله والثالثة وفرعها في السماء اي في جهة العلو وهذا تاكيد لرسوخ اصله فان الاصل كلما كان اقوى وارسخ كان الفرع اعلى وانشخ ومن فوائد ارتفاع الاغصان بعدها عن عفونات الارض ونقاؤها عن الكدورات قال في الكشاف فرعها اعلاها ورأسها ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس والرابعة تؤتي اكلها كل حين اي تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها وعن ابن عباس الحين ستة اشهر لان من حملها الى صرامها ستة اشهر وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل الثمرة ولا سيما النخلة اذا ترك عليها الثمر بقي من السنة الى السنة وقال الزجاج الحين الوقت طال ام قصر والمراد انه ينتفع بها في كل وقت يفرض ليلا ونهارا صيفا وشتاء باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه قال المحققون معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته وطاعته هي الشجرة الطيبة بل الاطيب والالذ الالهي لان اللذات المحسوسة انما تصير مدركة لملاقاة شيء من المحسوس شيئا من الحواس اما نور معرفة الله واشراقها فانما ينفذ ويسري في جميع جوهر النفس حتى انه يكاد يتحد به ثم ان سائر اللذات منقطعة متناهية ولذة المعرفة لا تكاد تنتهي الى حد وان عروق هذه الشجرة ثابتة راسخة في جوهر النفس الناطقة ولها شعب واغصان صاعدة الى هواء العالم الروحاني وهواء العالم الروحاني تجمعها التعظيم لامر الله وغشاؤها القوة النظرية وغايتها الحكمة العملية باقسامها واصولها وفروعها واغصان ثابتة في فضاء العالم الجسماني ومنبتها القوة العملية وفائدتها الحكمة الخلقية التي تجمعها الشفقة على خلق الله عموما وخصوصا واما رسوخ شجرة المعرفة في القلب فان يكون نظره للاعتبار فاعتبروا يا اولي الابصار وسمعه للحكمة الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ونطقه بالصدق والصواب وقولوا قولا سديدا وكذا الكلام في سائر القوى والاعضاء وبحسب ذلك مراتب لا تكاد تنحصر بحسب مراتب الاستعدادات واذا صار جوهر النفس كاملا بحسب هذه الفضائل فقد يكون مكملا لغيره وذلك قوله تؤتي اكلها كل حين وفي قوله باذن ربها اشارة الى ان النظر في جميع هذه المراتب يجب ان يكون على المفيض لا على الفيض وعلى المنعم لا على النعمة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون المبدأ ويعرفون المعاد واياته فيختارون الكمال على النقصان ويؤثرون العرفان للمعروف لا للعرفان فيكون حينئذ جوهر نفسه كلمة طيبة كما قال في حق عيسى كلمة من الله واذا عرفت الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة سهل عليك معرفة ضديهما فالكلمة الخبيثة كلمة الشرك او كل كلمة قبيحة او كل نفس شريرة والشجرة الخبيثة الباطل او كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والثوم ونحو ذلك ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار مصدر كالثبات والنبات وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة قلت وذلك ان الباطل لا قائل به ولا يرافعه فيه من هو بصدد الاعتبار فهو مضمحل زائل والحق بنقيض ذلك بل الباطل لا يستقر صاحبه عليه والحق منه براء ويقين وكذا النفس الخبيثة لا يكون لها طمأنينة ولا وقار بل ابدا تسعى في الطرق المضلة والسبل المتفرقة كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران ولما شبه حال الفريقين بين مآل حالهما فقال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت اي الذي ثبت بالحجة والبرهان وتمكن في قلب صاحبه بحيث لم يكن للتشكيك فيه مجال هذا في الحيوة الدنيا فلا جرم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كاصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا في القبور لم يتلعثموا واذا وقفوا بين يدي الجبار لم يبهتوا عن ابن عباس من دام على الشهادة في الحيوة الدنيا يثبته الله تعالى عليها في قبره ويلقنه اياها وقد ورد في الحديث سؤال القبر عن البراء بن عازب مثل ذلك والسبب الحقيقي فيه ان المواظبة على العمل توجب رسوخ الملكة بحيث لا يزول بتبدل الاحوال وتقلب الاطوار وانما فسر الآخرة ههنا بالقبر لان الميت ينقطع بالموت عن احكام الدنيا ويدخل في احكام الآخرة لمعنى الآية يثبت الله الذين آمنوا بالله وبما يجب الايمان به على الصواب في الدارين اي يثبتهم فيهما بسبب القول الثابت على القول الثابت وقيل معنى الآية يثبتهم الله على الثواب والكرامة بسبب القول الثابت الذي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الدنيا وسيصدر عنهم حال يكونون في الآخرة ويرد عليه ان الآخرة ليست دار عمل وان كان قوله في الحيوة متعلقا بقوله يثبت الله اي يثبتهم على الثواب في الحيوة الدنيا بسبب القول ورد عليه ان الدنيا ليست دار ثواب ويمكن ان يناقش في هذا الايراد بقوله سبحانه من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ويضل الله الظالمين الذين وضعوا الباطل موضع الحق والشرك بدل التوحيد في الدارين فلا جرم اذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري ويفعل الله ما يشاء من التثبيت والاضلال ولا اعتراض لاحد عليه ومن منح الالطاف ومنعها كما تقتضيه الحكمة ثم تعجب من حال من يكفر بقوله الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله اي شكر نعمة كفرا اي وضعوا مكان الشكر الكفر او بدلوا نفس النعمة كفرا اي سلبوا النعمة فلم يبق معهم الا الكفر وذلك انه تعالى اسكنهم حرمه ووسع عليهم معايشهم واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فلم يقوموا بشكر تلك النعم فضربهم بالقحط سبع سنين وقتلوا يوم بدر وبقي الكفر طوقا في اعناقهم واعناق من تابعهم وذلك قوله واحلوا قومهم دار البوار اي الهلاك وقوله جهنم عطف بيان وعن الفراء اي المقر مصدر سمي به قوله ليضلوا من قرأ بفتح الياء فاللام للغرض او للعاقبة ومن قرأ بضمها فاللام للعاقبة لان العاقل لا يريد ضلال نفسه ولكنه قد يريد اضلال الغير لمصلحة دنيوية وانما حسن استعمال اللام لاجل العاقبة من حيث انها تشبه الغاية والغرض من قبل حصولها في آخر المراتب والمشابهة احد الامور المصححة للمجاز قل تمتعوا امر وعيد وتهديد قال جار الله فيه ايذان انهم لانغماسهم في التمتع الحاضر مأمورون به قد امرهم آمر مطاع هو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار وانما سمى عيش الكفار تمتعا لان اعمالهم في الدنيا على اي وجه يفرض يكون سهلا مما اعد لهم في الآخرة من العقاب ومن الذين نزل فيهم روي عن عمر رضي الله عنه انه قال هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه ولما امر الكافرين بالتمتع بنعيم الدنيا تهديدا امر نبيه صلى الله عليه وسلم بحث المؤمنين على خلاف ذلك وهو اقامة ما ينفعهم في الآخرة فقال قل لعبادي المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه التقدير قل لهم اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوز بعضهم ان يكون المذكور هو المقول بناء على انه امر غائب محذوف وانما حسن الحذف لان الامر الذي هو قل عوض منه وقيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز والخلال المخالة اراد انفقوا اموالكم في الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك الانفاق في هذا اليوم الذي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مصادقة فانما ينتفع بالانفاق لوجه الله ونفي المخالة في هذه الآية وفي قوله في البقرة لا بيع فيه ولا خلة لا ينافي اثباتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين لان المنفية هي التي سببها ميل الطبيعة ورغبة النفس والمثبتة هي التي سببها الاشتراك في الايمان والعمل الصالح ولما تمم احوال المعاد عاد الى المبدأ فقال الله وهو مبتدأ خبره الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وقد مر في اول البقرة والمراد من السماء جهة العلو وقيل نفس السماء وزيف بان الانسان ربما كان واقفا على قلة جبل عال ويرى الغيم اسفل منه واذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا عليه وسخر لكم الفلك كما مر في اواسط البقرة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقد مر ومعنى بامره بتيسيره وتسخيره لانه خلق مواد ما اولهم صنعها وجعل الماء بحيث يسهل على وجهه جريها ولان الملك العظيم قلما يوصف بانه فعل وانما يقال انه امر بكذا ومنهم من حمل الامر على الظاهر اي بقوله كن وسخر لكم

[illegible]

واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس
تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم
ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله
الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب
اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفرلي

ولوالدي

ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي
رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم يأتيهم
العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب
نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم و
ضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال (وعند الله مكرهم)
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى
المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى
وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب
هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب

[illegible]

السعيد على الكفر معنى وحمله المعتزلة على منح الالطاف رب انهن اضللن كثيرا من الناس [illegible]

[illegible]

بالمعاصي وهم قوم عاد وثمود وغيرهم وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة والبيان والعيان كيف فعلنا بهم من اصناف العقوبات وضربنا لكم الامثال اي [illegible] وصفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقال غيره المراد ما اورد في القرآن من دلائل القدرة على الاعادة والابداء او على العذاب المعجل والمؤجل ثم حكى مكرهم فقال وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وقيل الضمير عائد الى قوم محمد كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك وقيل اراد ما نقل ان نمرود حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائم الاربع باربعة نسور وكان قد جوعها ورفع على الجوانب الاربعة على التابوت عصيا اربعا وعلق على كل واحدة منها قطعة من اللحم ثم انه جلس مع صاحبه في ذلك التابوت فلما ابصرت النسور ذلك اللحم تصاعدت في جو الهواء ثلثة ايام وغابت الارض عن عين نمرود ورأى السماء بحالها فعكس تلك العصي التي عليها اللحوم فهبطت النسور الى الارض وضعف هذه الرواية لانه لا يكاد يقدم عاقل على مثل هذا الخطر وعند الله مكرهم ان كان مضافا الى الفاعل فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فيجازيهم عليه باعظم من ذلك وان كان مضافا الى المفعول فمعناه وعنده مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم من حيث لا يشعرون اما قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فمن قرأ بكسر اللام الاولى ونصب الثانية فوجهان احدهما ان تكون ان مخففة من الثقيلة وزوال الجبال مثل لعظم مكرهم وشدته اي وان الشأن كان مكرهم معدا لذلك وثانيهما ان تكون ان نافية واللام مكسورة لتأكيد النفي كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرايعه الثابتة على حالها ابد الدهر ومن قرأ بفتح اللام الاولى ورفع الثانية فان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى كما [illegible] ثم انه سبحانه اكد كونه مجازيا لاهل المكر على مكرهم بقوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله قال جار الله قدم المفعول الثاني وهو الوعد على المفعول الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد على الاطلاق ثم قال رسله تنبيها على انه اذا لم يكن من شأنه اخلاف الوعد فكيف يخلف رسله الذين هم صفوته والمراد بالوعد قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ونحوهما من الايات قوله والله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض قال الزجاج انتصاب يوم على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والاظهر انتصابه باذكر كما مر في الوقوف ومعنى قوله والسموات اي وتبدل السموات قال اهل اللغة التبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ولتفسير ابن عباس ناسب الوجه الثاني قال هي تلك الارض وانما تغير فتسير عنها جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وعن ابي هريرة رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهذا القول يناسب مذهب الحكماء في ان الذوات لا يتطرق اليها العدم وانما يعدم صفاتها واحوالها والمتكلمون جوزوا انعدام الجواهر [illegible] عندهم وتفسير ابن مسعود يناسب الوجه الاول قال يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي كرم الله وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقيل لا يبعد ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة وبرزوا لله قد ذكرناه في السورة وتخصيص الواحد القهار بالموضع لتعظيم وتهويل وانه لمستغاث وقت اي عزه والحكم يومئذ لواحد الذي لا ينفرد في حكمه وقهره سواه ومن نتائج قهره وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم الى بعض لان الجنسية علة الضم او مع الشياطين الذين اضلوهم قالت الحكماء هي الملكات الذميمة والعقائد الفاسدة والتي اكتسبوها في تعلق الابدان وقوله في الاصفاد اي القيود اما ان يتعلق بمقرنين واما ان يكون وصفا مستقلا اي مقرنين مصفدين وقيل الاصفاد الاغلال والمعنى قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل فيه ان الملكات الحاصلة في جواهر النفس انما يحصل بتكرر الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء سرابيلهم جمع سربال وهو القميص من قطران هو ما يتحلب اي يسيل من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحرارته وحدته وقد يبلغ حرارة الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل فيجتمع عليهم لذع الحرق والاشتعال والسواد والنتن على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين والوجه العقلي ان البدن بمنزلة القميص للنفس وكل ما يحصل للنفس من الالام والغموم فانما يحصل بسبب هذا البدن فلهذا البدن لدغ وحرقة في جوهر النفس بنفوذ الشهوة والحرص والغضب وسائر اثار الملكات الردية فيه ومن قرأ من قطر ان فالقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي حره قال ابن الانباري وتلك النار لا يبطل ذلك السربال ولا يفنيه كما لا يهلك النار اجسادهم والاغلال التي عليهم وتغشى وجوههم النار خص الوجه بالذكر لانه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه فعبر به عن الكل قوله ليجزي الله متعلقة بتغشى او بجميع ما ذكر كانه قيل يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل نفس ما كسبت قال الواحدي اراد انفس الكفار لان ما سبق لا يليق الا بهم ويحتمل ان يراد كل نفس مجرمة ومطيعة لانه تعالى اذا عاقب المجرمين علم انه يثيب المطيعين الطائعين ثم اشار الى القرآن او الى ما في السورة او الى ما مر من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى ههنا فقال هذا بلاغ كفاية للناس في التذكير والموعظة لينتصحوا به ولينذروا به بهذا البلاغ ثم رمز الى استكمال القوة النظرية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والى استكمال القوة العملية بقوله وليذكر اولوا الالباب لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى استكمال النفس بحسب القوتين والله ولي التوفيق

التأويل واذ قال ابراهيم الروح رب اجعل بلد القلب آمنا من وسوسة الشيطان وهواجس النفس وآفات الهوى واجنبني وبني هم الفؤاد والسر والخفي ان نعبد الاصنام وهو كل ما سوى الله فصنم النفس الدنيا وصنم القلب العقبى وصنم الروح الدرجات العلى وصنم السر العرفان والقربات وصنم الخفي الركون الى المكاشفات والمشاهدات وانواع الكرامات ومن عصاني فانك غفور رحيم فيه نكتتان الاولى لم يقل ومن عصاك اشارة الى ان عصيان الله لا يستحق المغفرة والرحمة الثانية لم يقل فانا اغفره وارحم عليه لان عالم الطبيعة البشرية يقتضي المكافات واما المغفرة والرحمة من شان الغني المطلق اسكنت من ذريتي هم صفات الروح والعقل والسر والخفي بواد غير ذي زرع هو وادي النفس عند بيتك المحرم على ما سواك وهو كعبة القلب حرام ان يكون بيتا لغير الله لا يسعني ارضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن وفيه انه توسل في اجابة الدعاء بمحمد صلى الله عليه وسلم وكانه قال ان ضيعت اجر اسمعيل فقد ضيعت محمدا عم وفي قوله ليقيموا الصلوة اشارة الى انه لولا تعلق الروح بالجسد وطول الامر عن القالب لم يكن استكمال الروح بالاعمال البدنية وانه لولا غرض هذا الاستكمال لم يحصل ذلك فاجعل افئدة الصفات الناسوتية تهوي الى الصفات الروحانية وارزقهم من ثمرات الصفات اللاهوتية لعلهم يشكرون هذه النعمة الجسيمة التي ليس ينالها الملائكة المقربون وفي هذا سر عظيم لا يمكن افشاؤه ربنا انك تعلم ما نخفي من حقائق الدعاء وما نعلن من ظاهر القصة وما يخفى على الله من شيء في ارض المعاملات الصورية ولا في سماء القلوب من الغيوب على الكبر اي بعد تعلق الروح بالقالب اسمعيل السر واسحق الخفي مقيم الصلوة دائم العروج فان الصلوة معراج المؤمن ربنا اغفر لي بستري والمعنى بصفة معرفتك ولوالدي من الاباء العلوية والامهات السفلية لئلا يحجبوني عن رؤيتك يوم يقوم حسابك بكمالية كل نفس لا كون في الكاملين لا في حساب الناقصين ولا تحسبن اي لم يكن الله غافلا في الازل بل الكل بقضائه وقدره انما يؤخرهم ليبلغوا الى ما قدر لهم من الاعمال فانها مودعة في الاعمار وبذلك يصل كل من اهل السعادة والشقاوة الى منازلهم اقسمتم من قبل مالكم من زوال فيه ابطال مذهب التناسخية زعموا ان نفوسهم لا تزال تتعلق بالابدان وسكنتم في مساكن الذين ظلموا النفس بابدان مثل ابدانهم متمكنين في ظلمات الاخلاق الذميمة وعند الله مكرهم وان كان مكرهم بحيث يؤثر في ازالة الجبال عن اماكنها

منه الجبال

ولكنه لا يحرك شعرة الا باذن الله وقضائه يوم تبدل ارض البشرية بارض القلوب فيضمحل ظلماتها بانوار القلوب وتبدل سموات الاسرار لسموات الارواح
شموس الارواح اذا انجلت لكواكب الاسرار انمحت انوار كواكبها بسطوة اشعة شموسها بل تبدل ارض الوجود المجازي عند اشراق تجلي انوار هويته بحقايق انوار الوجود
الحقيقي كما قال واشرقت الارض بنور ربها وحينئذ برزوا لله الواحد القهار فان شموس الارواح تصير مقهورة في تجلي انوار الوهية وترى المجرمين يوم التجلي مقرنين
في قيود الصفات الذميمة لا يستطيعون البروز لله سرابيلهم من قطران المعاصي وظلمات النفوس فهم محجوبون بها عن الله وتغشى وجوههم نار الحرقة والقطيعة هذا
بلاغ للناس الذين نسوا عالم الوحدة ولينذروا به قبل المفارقة فان الانبياء بالموت لا ينفع وليعلموا انما هو اله واحد فيعبدوه ولا يتخذوا الها غيره من الدنيا
والهوى والشيطان وليذكر اولوا الالباب عالم الشهود فيخرجوا من قشر الوجود انتهى وكفى

سورة الحجر مكية بالاجماع ۝ حروفها الف وسبعماية واحد وسبعون ۝ كلمها ستماية واربعة وخمسون ۝ اياتها تسع وتسعون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب وقرآن مبين ۝ ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين ۝ ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون ۝
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ۝ ما تسبق من امة اجلها وما
يستاخرون ۝ وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ۝
لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ۝ ما ننزل الملائكة الا بالحق
وما كانوا اذا منظرين ۝ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ۝ ولقد ارسلنا
من قبلك في شيع الاولين ۝ وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ۝ لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ۝ لقالوا انما سكرت
ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ۝ ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها
للناظرين ۝ وحفظناها من كل شيطان رجيم ۝ الا من استرق
السمع فاتبعه شهاب مبين ۝ والارض مددناها والقينا فيها
رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون ۝ وجعلنا لكم فيها معايش
ومن لستم له برازقين ۝ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر
معلوم ۝ وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
وما انتم له بخازنين ۝ وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ۝ ولقد
علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين ۝ وان ربك هو
يحشرهم انه حكيم عليم ۝ ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما
مسنون ۝ والجان خلقناه من نار السموم ۝ واذ قال ربك للملائكة

من قبل

اني

اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون ۝ فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فقعوا له ساجدين ۝ فسجد الملائكة كلهم اجمعون ۝ الا
ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ۝ قال يا ابليس ما لك الا تكون
مع الساجدين ۝ قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما
مسنون ۝ قال فاخرج منها فانك رجيم ۝ وان عليك اللعنة
الى يوم الدين ۝ قال رب فانظرني الى يوم يبعثون ۝ قال فانك
من المنظرين ۝ الى يوم الوقت المعلوم ۝ قال رب بما اغويتني
لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين ۝ الا عبادك منهم
المخلصين ۝ قال هذا صراط علي مستقيم ۝ ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ۝ وان جهنم لموعدهم
اجمعين ۝ لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ۝
ان المتقين في جنات وعيون ۝ ادخلوها بسلام آمنين ۝ ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ۝ لا يمسهم فيها نصب
وما هم بمخرجين ۝ نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ۝ وان عذابي هو العذاب الاليم

القراءة ربما بفتح الباء مخففة ابو جعفر ونافع وعاصم غير الشموني ربما بضم الباء خفيفة الشموني الباقون بالفتح التشديد ما ننزل بالنون الملائكة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد ما تنزل بضم التاء وفتح الزاء التشديد الملائكة بالرفع ابو بكر وحماد الباقون مثله ولكن بفتح التاء ما تنزل بالادغام البزي وابن فليح سكرت خفيفة ابن كثير فتحنا بالتشديد يزيد الريح على التوحيد حمزة وخلف صراط علي بكسر اللام ورفع الياء على النعت يعقوب الآخرون على جار ومجرور وعيون بكسر العين حمزة وعلي وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها نبئ عبادي مثل نبئنا عبادي اني بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو والآخرون بالاسكان الوقوف الجزء الرابع عشر الر قف كوفي مبين ۝ مسلمين ۝ يعلمون ۝ معلوم ۝ وما يستاخرون ۝ لمجنون لان التخفيض لصدر الكلام صادقين ۝ منظرين ۝ لحافظون ۝ الاولين ۝ يستهزئون ۝ المجرمين ۝ الاولين ۝ يعرجون لا مسحورون ۝ للناظرين لا رجيم لا مبين ۝ موزون ۝ برازقين ۝ خزائنه ز لاتفاق الجملتين مع الفصل بين معنيين الجمع في التقدير والتفريق في التنزيل فاسقيناكموه ج لاحتمال ما بعده الاستئناف او الحال بخازنين ۝ الوارثون ۝ المستاخرين ۝ يحشرهم ط عليم ۝ مسنون ج لاتفاق الجملتين مع تقدم المفعول في الثانية السموم ۝ مسنون ۝ ساجدين اجمعون لا الا ابليس ط الساجدين ۝ مسنون ۝ رجيم ۝ الدين ۝ يبعثون ۝ من المنظرين ۝ لا المعلوم ۝ اجمعين ۝ لا المخلصين ۝ مستقيم ۝ الغاوين ۝ اجمعين ۝ لا ابواب ط مقسوم ۝ وعيون ۝ لا لارادة القول بعده آمنين ۝ متقابلين ۝ بمخرجين ۝ الرحيم لا الاليم ۝ التفسير قال جار الله تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الاي والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم وقال آخرون الكتاب والقرآن المبين هو الكتاب الذي وعد محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى تلك الايات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان اما قوله ربما يود فذكر السكاكي ان فيه سبع لغات اخر لغة المشهورة ورب الراء مضمومة والباء مخففة مفتوحة او مضمومة او ساكنة ورب الراء مفتوحة والباء كذلك مشددة او مخففة وربت بالتاء مفتوحة والباء كذلك اي مفتوحة مخففة او مشددة وانما دخلت على المضارع مع انه مختص بالماضي لان المترقب في اخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود وما هذه كافة اي تكف رب عن العمل فيتهيأ بذلك للدخول على الفعل وقيل ان المعنى رب شيء يوده الذين كفروا ورب للتقليل فاورد عليه ان تمنيهم يكثر ويتواصل لا معنى للتقليل واجيب بانه على عادة العرب اذا ارادوا التكثير ذكروا الفظا وضع لاجل التقليل كما اذا ارادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالتعريض فيقولون ربما ندمت على ما فعلت ولعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك اراد لو كان الندم قليلا او مشكوكا فيه لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعب القليل كما يتحرزون من الكثير ومن الغم المظنون كما من المتيقن المعنى الاية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقوله لو كانوا مسلمين اخبار عن ودادتهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لافعلن ومتى يكون هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا

من احوال المسلمين ود لو كان مسلما وعلى هذا فقد قيل في وجه التقليل ان العذاب يشغلهم عن كثير التمني فلذلك قلل وقال الضحاك هي عند الموت اذا شاهد
امارات العقاب وقيل اذا اسودت وجوههم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة اجتمع اهل النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة فقال
الكفار لهم الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيامر لكل من كان من اهل القبلة بالخروج فحينئذ يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة
الملائكة والانبياء حتى انه تعالى في اخر الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فهناك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ظاهره امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يخليهم وشانهم فاحتجت الاشاعرة به على انه سبحانه وتعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون مفسدة في الدين وقالت المعتزلة ليس هذا اذنا
وتجويزا وانما هو تهديد ووعيد وقطع طمع النبي عن ارعوائهم وفيه انهم من اهل الخذلان ولا يجيء منهم الا ما هم فيه ولا زاجر ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به
حتى لا ينفعهم الوعظ وفي الاية تنبيه على ان ايثار التلذذ والتمتع وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين ويلههم الامل يشغلهم الرجاء عن الايمان
والطاعة لهيت عن الشيء بالكسر الهى لهيا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه والهاني غيره عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خط خطا
وقال هذا الانسان وخط الى جنبه خطا وقال هذا اجله وخط اخر بعيدا منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب فسوف يعلمون سوء صنيعهم مزيد
للتشديد ثم ذكر ما هو نهاية في الزجر والتحذير فقال وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب اي مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ قال جار الله قوله
ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والواو لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر السكاكي في المفتاح ان هذا سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز بل
الجملة حال من قرية ومثل هذا جائز ولو كان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءني رجل وعلى كتفه سيف لعدم التباس الحال بالوصف لمكان الفاصلة بالواو كيف
وقد زادت الفاصلة في الاية بكلمة الا وذو الحال قريب من المعرفة اذ التقدير وما اهلكنا قرية من القرى من قبل افادة من الاستغراق قال قوم المراد بهذا الهلاك
عذاب الاستيصال الذي كان ينزل الله بالمكذبين المعاندين من الامم السالفة وقال اخرون اراد الموت والاول اقرب لانه في الزجر ابلغ وكانه قيل ان هذا الامهال
لا ينبغي ان يغتر به العاقل فان لكل امة وقتا معينا في نزول العذاب لا يتقدم ولا يتاخر وقيل اراد مجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان السبق واقعا
على شخص فمعناه جاز وخلف كقولك سبق زيد عمرا اي جازه وخلفه وانه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبق فلان عام كذا
معناه مضى قبل اتيانه ولم يبلغه فمعنى الاية انه لا يحصل اجل امة قبل وقته ولا بعده كان كل حادث وقد مر بحث الاجل في اول سورة الانعام وانث الامة
اولا ثم ذكرها اخرا في قوله وما يستاخرون حملا على اللفظ والمعنى وحذف متعلق يستاخرون وهو عنه للعلم به ولما بالغ في تهديد الكفار شرع في تعديد
بعض شبههم وشناعتهم في النبي فالاولى انهم يحكمون عليه بالجنون لانهم كانوا يسمعون منه صلى الله عليه وسلم ما لا يوافق اراءهم ولا يطابق اهواءهم وكانوا
نادوه يا ايها الذي نزل عليه الذكر مع انهم كانوا لا يقرون بنزول الوحي عليه لتكميل الكلام استهزاء وتهكما او ارادوا يا ايها من نزل عليه الوحي في زعمه واعتقاده
وعند اصحابه واتباعه الثانية لو ما تاتينا بالملائكة لو ما حرف تحضيض مركب من لو المفيدة للتمني ومن ما المزيدة فافاد المجموع الحث على الفعل الداخل هو عليه
والمعنى هلا تاتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك ويعضدوك على انذارك والمراد هلا تاتينا بملائكة العذاب ان كنت صادقا في ان تكذيبك يقتضي العذاب
العاجل فاجاب الله سبحانه عن شبهتهم بقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قالت المعتزلة اي نزولا ملتبسا بالحكمة والمصلحة والغاية الصحيحة والحكمة في ان ياتيكم
عيانا فان امر التكليف حينئذ يؤول الى الاضطرار والالجاء فلا فائدة تعود عليكم لانه تعالى يعلم اصرارهم على الكفر فيصير انزالهم عبثا ولا حكمة في انزالهم لانهم لو نزلوا ثم لم يؤمنوا
وجب عذاب الاستيصال وذلك قوله وما كانوا اذا منظرين فان التكليف بعد نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة ان لا تهلك هذه الامة ويمهلهم لما علم
من ايمان بعضهم او ايمان اولادهم وقالت الاشاعرة الا بالحق اي الا بالوحي او العذاب قال صاحب النظم لفظ اذن مركبة من اذ بمعنى حين ومن ان الدال
على مجي فعل بعد وخففت الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها فكانه قيل وما كانوا منظرين اذ ان كان ما طلبوه وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو نزلنا الملائكة ما
كانوا منظرين وما اخر عذابهم ثم انكر على الكفار استهزاءهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر فقال على سبيل التوكيد انا نحن نزلنا الذكر ثم دل على كونه منزلا من عنده
فقال وانا له لحافظون لانه لو كان من قول البشر او لم يكن اية لم يبق محفوظا من التغير والاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله كقوله والله يعصمك والقول الاول ارجح
ووجه حفظ القران قيل هو جعله معجزا مباينا لكلام البشر حتى لو زادوا فيه شيئا لظهر ذلك للعقلاء ولم يخف فلذلك بقي مصونا عن التحريف وقيل حفظه بالدرس والبحث
ولم يزل طائفة يحفظونه ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس احتياطا بليغا وجدا كاملا حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن في حرف من كتاب الله لقال له بعض
الصبيان اخطات ومن جملة اعجاز القران وصدقه انه سبحانه اخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما اخبر بعده سبحانه سنة فلم يبق لملحد
في اعجازه وههنا نكتة هي انه سبحانه تولى حفظ القران ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهر بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين
والاحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر ان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وفي الكلام اضمار تقديره
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه ومعنى في شيع الاولين في امهم واتباعهم وقد مر معنى الشيعة في اخر الانعام قال
جار الله معنى ارسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال الفراء اضافة الشيع الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وبجانب الغربي
قوله وما ياتيهم حكاية حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة في كل زمن لان الفطام عن المالوف شديد وكون الانسان سخرة لامر من هو مثله او اقل
حالا منه في المال والجاه والعقول اشد على ان السبب الكلي فيه هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه وتوهم ظاهر القهر في الاول قوله كذلك نسلكه
[illegible]

وبالذكر المنزل عليهم وهذا يناسب تفسير المعتزلة وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة الله في الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا
قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا اي هؤلاء الكفار فيه يعرجون يصعدون
لقالوا انما سكرت ابصارنا اي سدت من سكر الشراب او من السكر بمعنى الشق يقال سكرت النهر اذا سددته وحبسته من الجري والتركيب يدل على قطع الشيء من سننه
الجاري عليه ومنه السكر في الشراب لانه ينقطع عما كان عليه من المضاء في حال الصحو فمعنى الاية حيرت ابصارنا ووقع بها من فساد النظر ما يقع بالرجل السكران من تغير
عن افعالها بحيث لا ينفذ نورها ولا تدرك الاشياء على حقائقها عن ابن عباس رضي الله عنهما المراد لو ظل المشركون يصعدون في تلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله
تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لشكوا في تلك الرؤية وبقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات
من انشقاق القمر وما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من القران المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس ان ياتوا بمثله قال في الكشاف ذكر الظلول يعني انه قال فظلوا
ولم يقل فباتوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار وقيل الضمير
في فظلوا للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا نشاهد هذه الاباطيل التي لا حقيقة لها وههنا سؤال و
هو كيف جاز من جم غفير ان يصيروا شاكين فيما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح واجيب بانهم قوم مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر وكانوا
قليلة العدد وتجاز تواطئهم على المكابرة والعناد ولا سيما اذا جمعهم غرض معتبر كدفع محجة او غلبة خصم ولما اجاب عن شبهة منكري النبوة بما اجاب وكان القول بالنبوة
مفرعا على القول بالصانع اتبعه دلائل ذلك فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا وهي اثنا عشر عند اهل النجوم وذلك انه قسم نطاق الفلك الثامن عندهم باثني عشر
قسما متساوية ثم اجري منتهى كل قسم وبادله مبتدئة من اول الحمل نصف دائرة عظيمة تقطع قطبي الفلك فصار الفلك ايضا منقسما باثني عشر قطعة كل منها شبيه ببطيخة
لمن ابتلاع البطيخ يسمى برجا ولا شك ان هذه البروج مختلفة بالطبايع كل ثلثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة فلذلك يسمى الحمل والاسد والقوس مثلثة نارية
والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت اجزاء الفلك مختلفة
في الماهية على ما يجوزه المتكلمون او كانت متساوية في تمام الماهية مختلفة في التاثير كما يقول به الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة
او بتاثير معين مع تساوي الكل في حقيقة الجسمية دالا على صانع حكيم ومدبر قدير الدليل الاخر قوله وزيناها اي بالشمس والقمر والنجوم للناظرين بنظر الاعتبار
والاستبصار قال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك الثامن وهذا لا ينافي الاية على ما يمكن ان يسبق الى الوهم لانها سواء كانت في السماء الدنيا او في سموات
اخر فوقها فلا بد ان يكون ظهورها في السماء الدنيا فيكون سماء الدنيا متزينة بها والاية لا تدل الا على هذا القدر ونظير هذه الاية قوله تعالى في حم السجدة وزينا السماء الدنيا
بمصابيح ومثله في سورة الدليل الثالث قوله وحفظناها اي البروج او السماء من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن
من استرق وجاز ان يكون محفوظا اي الا من استرق عن ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة فاتبعه اي ادركه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة
نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون اخبار الغيوب من الملائكة
فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات كما يحفظ
احدنا منزله ممن يخشى منه الفساد واستراق السمع في استماع الكلام مستخفيا قالت الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار
التي دون الفلك احترق بها واشتعل لدهنية فيه فيحدث منها انواع النيران من جملتها الشهب فلا ريب انها كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
الا انها لم يكن مسلطة على الشياطين وانما قيض كونها رجوما للشياطين في زمن عيسى عليه السلام ثم في زمن محمد صلى الله عليه وسلم اسولة كيف يجوز ان يشاهد هؤلاء الجن واحدا
او اكثر من جنسهم يسترقون السمع فيحترقون ثم انهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضاء عمي البصر فاذا قيض لطائفة منهم الحرق لطغيانها قدر له
من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عنده يقدم على العمل المفضي الى الهلاك والبوار اخر قد ورد في الاخبار ان ما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام فهؤلاء
الجن ان قدروا على خرق السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى من فطور وان لم يقدروا فكيف يمكنهم استماع اسرار الملائكة من ذلك البعد البعيد ولم لا يسمعون كلام
الملائكة حال كونهم في الارض واجيب بانا سلمنا ان البعد ما بين كل سماءين ذلك القدر الا ان ثخن الفلك لعله قدر قليل وقد روى الزهري عن علي بن الحسين عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال بينا النبي جالس في نفر من اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل ذلك قالوا كنا نقول يولد
عظيم او يموت عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يرمى لموت احد ولا لحيوته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل السماء وسبح
كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى هذه السماء ويتخطف
الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه اخر الشياطين مخلوقون من نار فكيف يحترق النار والجواب الاقوى قد يبطل الاضعف وان كان من جنسه اخر ان هذا
الرجم لو كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بقي بعد وفاته الجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض ابطال الكهانة اخر ان الشهب قد يحدث بالقرب
من الارض واجيب بان البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى اجرى عادته بانهم اذا وقعوا في ذلك لا يمنع سمعوا كلام الملائكة اخر لو كان يمكنهم نقل
اخبار الملائكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على نقل اسرار المؤمنين الى الكفار واجيب بانه تعالى اقدرهم على شيء وعجزهم عن شيء ولا يسئل عما يفعل
واقول لعل السبب فيه ان نسبتهم الى الروحانيات اكثر اخر اذا جوزتم في الجملة اطلاع الجن على بعض المغيبات فعند ارتفاع الوثوق عن اخبار النبي صلى الله عليه وسلم
عن بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لا يقال انه تعالى اخبر انهم عجزوا عن ذلك بعد مولد النبي عم لانا نقول صدق هذا الكلام مبني على صحة نبوته فلو اثبتنا
صحة نبوته به لزم الدور والجواب انا نعرف صحة نبوته بدلائل اخر حتى لا يدور ولكن لا ريب ان الاخبار عن بعض المغيبات مؤكد لنبوته وان لم يكن مثبتا
لها الدليل الرابع قوله والارض مددناها اي بسطناها والقينا فيها رواسي وقد مر تفسير مثله في اول سورة الرعد الدليل الخامس فانبتنا فيها اي في الارض او في الجبال الرواسي
من كل شيء موزون بميزان الحكمة ومقدر بمقدار الحاجة وذلك ان الوزن سبب معرفة المقدار فاطلق اسم السبب على المسبب وقيل له اي وزن وقدر
في ابواب النعمة والمنفعة وقيل اراد ان مقاديرها من العناصر معلومة وكذا مقدار تاثير الشمس والكواكب فيها وقيل اي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة
بالحسن واللطافة يقال كلام موزون اي متناسب وفلان موزون الحركات وقيل اراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها من الموزونات كالخ
الفواكه والنبات وجعلنا لكم فيها اي في الارض او في تلك الموزونات معايش ما يتوصل به الى العيشة وقد مر في اول الاعراف ومن عطف على معايش اي و
جعلنا لكم من لستم له برازقين او عطف على محل لكم لا على المجرور فقط فانه لا يجوز في الاكثر الا باعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين
واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله وحده لا الاباء والسادات والمخاديم ويدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من الانعام
والدواب والوحش والطيور كقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد ذكر غير من يعقل بصيغة من يعقل لوجه تاسيس التشبيه كقوله يا ايها النمل ادخلوا والدواب
تشبه ذوي العقول من جهة انها طالبة للارزاق عند الحاجة يحكى انها قلت مياه الاودية في بعض السنين واشتد عطش الوحوش فرفعت رؤوسها الى السماء

المتغير من الطين وكذلك الحماة بالتسكين والمسنون المصور من سنة الوجه اي صورته قال سيبويه وقال ابو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ اي افرغ صورة
انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت ابا عمرو يقول معناه متغير منتن وكانه من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين
ولا يكون الا منتنا قال في الكشاف قوله من حما صفة صلصال اي خلقه من صلصال كائن من حما قلت ولا يبعد ان يكون بدلا اي خلقه من حما وقال وحق
مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحماة فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر
اخر قوله والجان قال الحسن ومقاتل وقتادة وهو رواية عطاء عن ابن عباس يريد ابليس وعن ابن عباس في رواية اخرى هو ابو الجن كادم ابو الناس
وهو قول الاكثرين والتركيب يدل على الستر والتواري عن الاعين وقد مر فيما سلف وفي تفسير الاستعاذة في اول الكتاب خلقناه من قبل قال ابن عباس
اي من قبل خلق ادم والسموم الريح الحارة النافذة في المسام تكون بالنهار وقد يكون بالليل ومسام البدن الخروق الخفية التي يبرز منها العرق وبخار الباطن ولا
ان تلك الريح فيها نار ولها لفح على ما ورد في الخبر انها نفخ جهنم قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان ولا استبعاد
في خلق الحيوان من النار فانا نشاهد السمندل قد يتولد فيها وعلى قاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن ان يغلب عليه احدها وحينئذ يكون مكانه مكان
الجزء الغالب والحرارة مقوية للروح لا مضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه مختارا ذكر بعده واقعة والمراد بكونه بشرا انه يكون جسما
كثيفا يباشر ويلاقي والملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها او سويت اجزاء بدنه
بتعديل الاركان والاخلاط والمزاج التابع لذلك اعدادا لا نوعيا او شخصيا ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح في تجاويف جسم اخر فمن زعم ان الروح جسم
لطيف كالهواء سار في البدن فمعناه ظاهر ومن قال انه جوهر مجرد غير متحيز ولا حال في متحيز فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لاجل تعلق النفس الناطقة به
قال جار الله ليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه وتمام الكلام في الروح سوف يجيء ان شاء الله في قوله ويسالونك عن الروح ولا خلاف
في ان الاضافة في قوله روحي للتشريف والتكريم مثل ناقة الله وبيت الله والفاء في قوله فقعوا يدل على ان وقوعهم في السجود كان واجبا عليهم عقيب التسوية
والنفخ من غير تراخ قال المبرد قوله كلهم ازال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجدوا وقوله اجمعون ازال احتمال انهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل اجمعون
توكيد بعد توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان اجمع معرفة فلا يقع حالا ولو صح ان يكون حالا لكان منتصبا لا فاد المعنى الذي ذكره المبرد ثم استثنى ابليس
من الملائكة وقد سلفت وجوه الاستثناء في اول سورة البقرة ثم استانف على تقدير سؤال سائل هلا سجد فقال ابى ان يكون مع الساجدين يعني اباه واستكبر
ثم قال سبحانه خطاب تقريع وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس ما لك ان لا تكون مع الساجدين وقال بعض المتكلمين خاطبه على لسان بعض رسله لان
تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف يناله اللعين قال جار الله حرف الجر مع ان محذوف ومعناه اي غرض لك في الامتناع من السجود قال لم اكن

لسبق الكلام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر وحاصل شبهة اللعين انه روحاني لطيف وادم جسماني كثيف واصله نوراني شريف
واصل ادم ظلماني خسيس فعارض النص بالقياس فلا جرم اجيب بقوله فاخرج منها اي من الجنة او من السماء او من جملة الملائكة وضرب يوم الدين اي يوم الجزاء
حد اللعنة جريا على عادة العرب في التابيد كما في قوله ما دامت السموات والارض او اراد ان اللعن المجرد من غير تعذيب عني اذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى
اللعن معه قاله صاحب الكشاف واقول هذا ان اريد باللعن مجرد الطرد من الحضرة اما ان اريد به الابعاد من كل خير فيتعين الوجه الاول لا محالة ثبت لابليس حاله
العفو وانما ذكر اللعنة ههنا باللام للجنس لانه ذكر ادم بلفظ الجنس حيث قال اني خالق بشرا ولما خصص ادم بالاضافة الى نفسه في سورة ص حيث قال لما خلقت
بيدي خصص اللعنة ايضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتي فافهم قال رب فانظرني قد مر مثله في اول الاعراف ومعنى الوقت المعلوم ان ابليس لما خيبه واشار
به بعينه صار كالمعلوم والمراد منه الوقت القريب من البعث الذي يموت فيه الخلائق كلهم ليشمل الموت اللعين ايضا وقيل لم يجبه الى ذلك وانظره الى يوم لا يعلمه
الا الله تعالى قال رب بما اغويتني قد مر مباحثه في الاعراف ومفعول لازينن محذوف اي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور
انه اذا اقدر على الاحتيال لادم وهو في السماء فهو على التزيين لاولاده وهم في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض بان ازين الارض في اعينهم
واحدثهم ان الزينة هي في الارض وحدها كقوله شعر وان يعتذر بالمحل من ذي ضرعها الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي اراد يجرح عراقيبها نصلي
ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه علم ان كيده لا يؤثر فيهم قال بعض الحكماء احترز ابليس بهذا الاستثناء عن الكذب فيعلم منه ان الكذب في غاية
الشناعة والاخلاص جعل الشيء خالصا لله من شائبة الغير لا اقل من ان يكون حق الله فيه راجحا او مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ما ذكر قال الله سبحانه
هذا يعني الاخلاص طريق مستقيم علي ان اراعيه او على مروره وهي على ... وقيل لما ذكر اللعين انه يغوي بني ادم الا من عصمه الله بتوفيقه تضمن ذلك
تفويض الامور الى مشيئته تعالى فاستبشر بقوله هذا اي تفويض الامور الى ارادتي ومشيئتي صراط علي تقديره وتاكيده ومن قرأ علي بالتنوين فهو من علو الشرف اي
الاخلاص او طريق التفويض الى الله او الايمان بالجملة طريق رفيع مستقيم لا عوج له وقال جار الله هذا اشارة الى ما بعده وهو قوله ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان قال الكلبي المذكورون في هذه الاية هم الذين استثناهم ابليس وذلك انه لما ذكر الا عبادك بين به انه لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه تعالى
فقال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين فلك تسلط عليهم وهذا يناسب اصول الاشاعرة وقال اخرون هذا تكذيب
لابليس وذلك انه اوهم بما ذكر ان له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى انه ليس له على احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا الا الغواة
لا بسبب الجبر والقسر بل من جهة الوسوسة والتزيين نظيره قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم وهذا يناسب اصول الاعتزال وان جهنم لموعدهم
اجمعين قال ابن عباس يريد ابليس ومن تبعه من الغاوين لها سبعة ابواب اي سبع طبقات بعضها فوق بعض اعلاها للموحدين والثاني لليهود و
الثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لمن
ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان قرار جهنم مقسوم بسبعة اقسام
لكل قسم باب معين لكل باب جزء من اتباع ابليس مقسوم في قسمة الله سبحانه والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلا جرم صارت مراتب العذاب
ايضا متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعيد بالوعد فقال ان المتقين في جنات وعيون زعم جمهور المعتزلة انهم الذين اتقوا جميع المعاصي واقول لبعد المدح وقال
جمهور الصحابة والتابعين هم الذين اتقوا الشرك بالله واحتجوا عليه بانه اذا اتقى مرة واحدة صدق عليه انه اتقى وكذا الكلام في الضارب والكاتب وليس من شرط
صدق الوصف كونه اتيا بجميع اصنافه الا ان الامة اجمعوا على ان التقوى عن الشرك شرط في حصول هذا الحكم والاية ايضا وردت عقيب قوله الا عبادك منهم
المخلصين ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلزم اعتبار الايمان في هذا الحكم والظاهر انه لا يزاد شرط اخر لان التخصيص خلاف الظاهر فكلما كان اقل كان
اوفق لمقتضى الاصل فثبت ان المتقين يتناول جميع القائلين بكلمة الاسلام وهي لا اله الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا سواء كان من اهل الطاعة او من اهل
المعصية ثم ان الجنات اقلها اربع لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان واما العيون فاما ان يراد بها الانهار المذكورة
فيها انهار من ماء غير اسن الاية واما ان يراد بها منابع مغايرة لذلك ثم ان كل واحد من المتقين يحتمل ان يختص بعين وينتفع بها كل من في خدمته من الحور والولدان ويكون ذلك
على قدر حاجتهم وعلى حسب شهوتهم ويحتمل ان يجري من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون من كل حقد وحسد فان قيل اذا كانوا في جنات وعيون فكيف يعقل ان يقول لهم
الله تعالى وبعض الملائكة ادخلوها فالجواب لعل المراد انهم لما ملكوا الجنات فكلما ارادوا ان ينتقلوا من جنة الى اخرى قيل لهم ذلك ومعنى بسلام اي مع السلامة من افات
النقص والانقطاع قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل وقد مر تفسيره في الاعراف اخوانا نصب على الحال وكذلك على سرر متقابلين والمراد بالاخوة اخوة
الدين والتعاطف والسرر جمع سرير قيل هو مجلس رفيع مهيأ للسرور وقال الليث سرير العيش مستقره الذي اطمان عليه في حال سروره وفرحه والتركيب
يدل على العزة والنفاسة ومنه قولهم سر الوادي لافضل موضع منه ومنه السر الذي يكتم وعن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت
وعن مجاهد يدور بهم الاسرة حيث داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين والتقابل التواجه نقيض التدابر وتقابل الاخوان يوجب اللذة والانس ولا يكون كل
منهم مقبلا على الاخر بالكلية وتقابل الاعداء يكون تقابل التضاد والتمانع فيكون موجبا للتباغض والتخالف واعلم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة
عن الافات دائمة من الزوال فقوله ان المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها اشارة الى انها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله لا يمسهم فيها نصب اي تعب
اشارة الى كونها سالمة من المنغصات وقوله وما هم منها بمخرجين معناه معنى الخلود ثم لما ذكر الوعيد والوعد زاده تقريرا وتمكينا في النفوس فقال نبئ عبادي وفيه من التوكيدات
ما لا يخفى منها اشهاد رسوله والاعلام ومنها تشريفهم باطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بان وبالفصل وبصيغتي الغفور الرحيم مع لام التعريف
تكرار وكل ذلك يدل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي التاويل ربما يود الذين كفروا اي النفوس الكافرة لو كانوا مستسلمين
لاوامر الله ونواهيه وذلك انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب والروح وتنور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها وتبدلت
احوالها من الامارية الى الاطمئنان فتمنت حينئذ ذاقت حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدو الخلقة مسلمة مؤمنة كالقلب والروح ثم هذه النفس التي ذاقت
حلاوة الاسلام ثم عادت لميشوم الى طبعها واستحلت المشارب الدنيوية فقوله ذرهم ياكلوا وما اهلكنا من قرية من القرى البدنية بافنائها واستعدادها الا ولها كتاب
مكتوب في علم الله من سوء اعماله واحواله ما تسبق من امة اجلها حتى يظهر منها ما هو سبب هلاكها وما يستاخرون لحظة بعد استيفاء اسباب هلاكها وقالوا يعني النفوس
المتمردة مخاطبا للقلب الذاكر لو ما تاتينا بصفات الملائكة المعاندين وفيه اشارة الى ان النفس الامارة لا تؤمن بما انزل الله الى القلوب من الانوار الالهية
حتى يصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو نزلت قبل اوانها وكمال استعدادها القبول ما كانوا اذا منظرين من الهلاك والتلف لضيق نطاق طاقتهم انا نحن نزلنا
كلمة لا اله الا الله في قلوب المؤمنين كتب في قلوبهم الايمان والمنافق يقول ذلك ولكن لم ينزل في قلبه ولم يحفظ ولو فتحنا على من اسلكنا الكفر في قلوبهم بابا من سماء
القلب لاكمر وانتج البا ولقد جعلنا في سماء القلب بروج الاطوار فكما ان البروج منازل السيارات فكذلك الاطوار منازل شموس المشاهدات واقمار المكاشفات

وسيارات اللوامع والطوالع ﴿وزيناها﴾ بالنظر للناظرين السائرين الى الله ﴿وحفظناها﴾ من وساوس الشيطان وهواجس النفس الامارة ﴿الا من استرق السمع﴾ من الشيطان فادركه شعلة من انوار تلك الشواهد فيمحق الباطل ويحق الحق ﴿والارض مددناها﴾ فيه ان ارض البشرية تمثيل النفس الحيوانات الى ان يرسى بجبال العقل وصفات القلب ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ هي اسباب الوصول والوصال ﴿ومن لستم له برازقين﴾ فهو جوهر المحبة وان فلانا من يزكي ويحلي حاله فقط ولكل شئ خزانة فللصورة الاجسام خزانة وللاسماء خزانة ولمعانيها خزانة وكذا الالوان والطعوم والخواصها من المنافع والمضار وكذا الظلمة والنور بالحكمة وملكوتها ﴿وان من شئ الا عندنا﴾ لطف الله وقهره مخزون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى باجمعها ﴿وارسلنا الرياح﴾ العناية ﴿لواقح﴾ الاشجار القلوب بانهار المكشوفات باثمار الشواهد كما قال بعضهم اذا هبت رياح الكرم على اسرار العارفين اعتقهم من هواجس النفس ورعونات طبايعهم وتلقح في القلوب نتائج ذلك وهو الاعتصام بالله والاعتماد عليه ﴿فانزلنا من السماء﴾ الهداية ماء الحكمة ﴿وما انتم له بخازنين﴾ في اصل الخلقة فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الاعجاز ﴿وانا لنحن نحيي﴾ قلوب اوليائنا بانوار جمالنا ﴿ونميت﴾ نفوسهم بسطوة جلالنا ﴿ونحن الوارثون﴾ بعد افناء وجودهم ليبقوا ابقائنا ﴿وان ربك هو يحشرهم﴾ المستقدمين الى حظاير قدسه والمتاخرين الى اسفل سافلين الطبيعة خاطب النفس بقوله ﴿وان عليك اللعنة الى يوم الدين﴾ اي الى ان تطلع شمس شروق من مشرق الروح ويصير ارض النفس مشرقة ويتبدل صفاتها الذميمة المظلمة بالاخلاق الروحانية الحميدة ﴿الى يوم يبعثون﴾ اي يبعث الارواح في بيان العشق وهو الوقت المعلوم الذي يتجلى الرب فيه لارواح العشاق فينعكس نور التجلي من الارواح الى النفوس فيجعلها مطمئنة ﴿بما اغويتني﴾ اضللتني من طريق لازين الارواح في ارض البشرية من الاعمال الصالحات التي تورث الاخلاق الحميدة وبها تربية الارواح وترقيها ﴿ولاغوينهم اجمعين﴾ عما كانوا عليه من الاحوال الروحانية الملكية التي لا يتاتى ﴿الا عبادك﴾ الذين خلصوا من حبس الوجود بجذبات الالطاف ﴿هذا صراط﴾ اي هو طريق اهل الاستقامة في السير الى الله المنقطعين عن غيره ﴿ان عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ الحجة يتعلق بتلك الحجة لهدايتهم واغوائهم فانهم طلابهم وان من خصوصية العبودية المضافة الى الحضرة الحرية عما سواه ﴿لها سبعة ابواب﴾ من الحرص والشره والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر او الابواب السبعة اشارة الى الحواس الخمس الظاهرة والى الوهم والخيال فانهما اصل الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعاني والثاني يدرك الصور والباقية اعني المفكرة والحافظة والذاكرة من اعوانهما واكثر ما يشغل الانسان بهذه المشاعر انما يصرفها في الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلا جرم صارت ابوابا لجهنم فاذا استعملها في تحصيل السعادات الباقية بحسب اشراق العقل الغريزي صيرت مع العقل ابوابا اسبابا لحصول الجنة ﴿ادخلوها بسلام﴾ والسلام من الله الجذبات ﴿آمنين﴾ من موانع الخروج والدخول بعد الوصول فان السير في الله لا يمكن الا بالله وجذباته ولهذا قال جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج لو دنوت انملة لاحترقت ﴿ونزعنا﴾ فيه ان نزع الغل من الصدور لا يكون الا بنزع الله وان الارواح القدسية مطهرات عن علايق القوى الشهوانية والغضبية مبرات من حوادث الوهم والخيال ومعنى تقابلهم ان النفوس المصفاة عن كدورات عوالم الاجسام وتوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها انوار جمال الله وجلاله انعكست منها الى من في مثل درجاتها كما يتعاكس المرايا الصافية المتجاذبة فيزداد كل منها في نفسها بها وصفتها في قوله ﴿نبئ عبادي﴾ اشارة الى ان سلوك السالكين وطير الطائرين يجب ان يكون على قدمي الرجاء والخوف وجناحي الانس والحزن والله الموفق والمرشد

﴿ونبئهم عن ضيف ابراهيم ۝ اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون ۝ قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم ۝ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون ۝ قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين ۝ قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ۝ قال فما خطبكم ايها المرسلون ۝ قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين ۝ الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين ۝ الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين ۝ فلما جاء آل لوط المرسلون ۝ قال انكم قوم منكرون ۝ قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ۝ واتيناك بالحق وانا لصادقون ۝ فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون ۝ وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ۝ وجاء اهل المدينة يستبشرون ۝ قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ۝ واتقوا الله ولا تخزون ۝ قالوا اولم ننهك عن العالمين ۝ قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين ۝ لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ۝ فاخذتهم الصيحة مشرقين ۝ فجعلنا عاليها﴾

سافلها

﴿سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ۝ ان في ذلك لآيات للمتوسمين ۝ وانها لبسبيل مقيم ۝ ان في ذلك لآية للمؤمنين ۝ وان كان اصحاب الايكة لظالمين ۝ فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ۝ ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين ۝ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ۝ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ۝ فاخذتهم الصيحة مصبحين ۝ فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ۝ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ۝ ان ربك هو الخلاق العليم ۝ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ۝ لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ۝ وقل اني انا النذير المبين ۝ كما انزلنا على المقتسمين ۝ الذين جعلوا القرآن عضين ۝ فوربك لنسألنهم اجمعين ۝ عما كانوا يعملون ۝ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ۝ انا كفيناك المستهزئين ۝ الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ۝ ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ۝ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ۝ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ۝﴾

اذ دخلوا وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام ﴿انا نبشرك﴾ بسكون الباء وضم الشين حمزة الآخرون بالتشديد تبشرون بالتشديد وكسر النون المخففة نافع سلمه ولكن بشدة النون ابن كثير الباقون بفتح النون على انها علامة رفع ﴿يقنط﴾ بكسر النون ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي وخلف وكذلك بابه الآخرون بالفتح ﴿آل لوط﴾ مدغما حيث كان شجاع ﴿لمنجوهم﴾ بالتخفيف يعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد ﴿قدرنا﴾ بالتخفيف حيث كان ابو بكر وحماد الباقون بالتشديد ﴿بناتي ان﴾ بفتح الياء ابو جعفر ونافع ﴿اني انا﴾ بفتح الياء المتكلم ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو الوقوف ابراهيم م ليتبين اذ دخلوا ظرف لنبئهم فانه محال سلاما ط وجلون ۝ عليم ۝ تبشرون ۝ القانطين ۝ الضالون ۝ المرسلون ۝ مجرمين ۝ لا لاستثناء آل لوط ط اجمعين قدرنا لا لان الجملة بعده مفعول والكسر لدخول اللام في الجنس الغابرين ۝ المرسلون ۝ لا لان ما بعده جواب لما منكرون ج يمترون ۝ لصادقون ۝ تؤمرون ۝ مصبحين ۝ يستبشرون ۝ فلا تفضحون لا للعطف ولا تخزون ۝ العالمين ۝ فاعلين ۝ ط لابتداء القسم يعمهون ۝ مشرقين ۝ لا لاتصال انقلابها بالصيحة من سجيل ط للمتوسمين ۝ مقيم ۝ للمؤمنين ۝ ط لتمام القصة لظالمين ۝ لا لاتصال الانتقام بظلمهم منهم م لان الواو للابتداء فلو وصل اشتبه بالحال وهو محال مبين ج لتمام قصتهم المرسلين ۝ لا لان الواو بعده للحال اي وقد آتيناهم معرضين ۝ لا للعطف آمنين ۝ ط مصبحين ۝ لا لاتصال المعنى يكسبون ۝ ط لتمام القصص الا بالحق ط لجميع العليم ۝ العظيم ۝ للمؤمنين ۝ المبين ۝ ج لجواز تعلق الكاف بقوله فاخذتهم او بقوله فانتقمنا وجواز تعلقها بمحذوف اي انزلنا عليهم العذاب كما انزلنا وتمام البحث يجيء في تفسير المقتسمين ۝ لا عضين ۝ لا اجمعين ۝ لا يعملون ۝ المشركين ۝ المستهزئين ۝ لا الاحرج لابتداء التهديد مع الفاء يعلمون ۝ يقولون ۝ لا لاتصال الامر بالتسبيح الساجدين ۝ لا للعطف اليقين ۝ التفسير انه سبحانه قال نبئهم عن ضيف ابراهيم ونبئ عبادي لتكون سماع هذه القصص رغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا عن المعصية المستتبعة لدركات الاشقياء ولما في قصة لوط من ذكر انجاء المؤمنين واهلاك الظالمين وكل ذلك يقوي ان ذكر انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه اليم للكافرين وعند المعتزلة غفور للتائبين معذب لغيرهم وقد مر تفسير اكثر هذه القصة في سورة هود فلا نذكر الا ما هو مختص بالمقام فقوله وجلون معناه خائفون خافهم لامتناعهم من الاكل او لدخولهم بغير اذن وفي غير وقت ﴿انا نبشرك﴾ استئناف في معنى تعليل النهي عن الوجل لبشروه بالولد الذكر وكونه عليما فقيل اراد والعلم بنبوته وقيل العلم مطلقا وقوله على ان مسني في موضع الحال اي مع هذه الحالة استبعد حصول الولادة في حالة الهرم الاسنادية بحسب عادة لالانه شك في قدرة الله تعالى وكذلك قال فبم تبشرون استفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشرون او انتم لا تبشروني البتي في حقيقة لان ذلك امر غير متصور في العادة والحسن قيل فيه ان لا يكون قوله باصلة التبشير بل يكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني اذا كان الطريق المعتاد ممتنعا فباي

طريق تبشروني بالولد فلذلك قالوا في جوابه بشرناك بالحق اي باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بالولد بطريق هو حق وذلك قول الله ووعده وانه قادر
على خلق الولد من عجوز ابن فعلا من شيخ فان وعجوز عاقر قال ابو حاتم حذف نافع ياء المتكلم مع النون واسقاط الحرفين لا يجوز واجيب بانه لم يحذف الا الياء اكتفاء
بالكسرة ونون الوقاية لم يرد بها ... في قراءة التشديد وانما كسرت النون لاجل الياء وكلتا اللغتين فصيحة قيل عظم فرحه بتلك البشارة فدهش عن
المستلم فتكلم بالكلام المضطرب وقيل طلب مزيد الطمانينة كقوله ولكن ليطمئن قلبي عن ابن عباس يريد بالحق ما قضى الله ان يخرج من صلب ابراهيم اسحق ومن صلب
اسحق اكثر الانبياء وقوله فلا تكن من القانطين لا يدل على انه كان قانطا فقد ينهى عن الشيء ابتداء كقوله فلا تطع الكافرين ولذلك اكد ابراهيم نفيه بقوله ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق الصواب او الكافرون نظيره انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وفيه انه لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمة
ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله هما لغتان قنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم وزعم الفارسي ان الاولى اعلى اللغتين ثم سأل عما
ارسلهم الله حيث قال فما خطبكم والخطب الشان العظيم قال انهم لما بشروه بالولد وذكر العليم فما وجه السؤال عن خطبهم واجاب بان المراد ما الامر الذي وجهتم فيه سوى
البشرى وقال القاضي انه علم ان المقصود لو كان التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل انه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها اولا اذ دخلوا قبل ان يوجس ابراهيم منهم
خيفة قلت لعله استشعر ان التبشير انما هو لاجل التواضع والا لانه واقعة خاصة فسألهم عن الامر الذي هو اعظم من ذلك واهم تعظيما لشانهم قالوا انا ارسلنا
ان الارسال بهذا المعنى التعذيب والاهلاك كارسال الحجر والسهم الى المرمى واقول كانه لا حاجة الى هذا التجوز لقوله في سورة والذاريات انا ارسلنا
الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا ارسلنا اليهم لنهلكهم الا آل لوط وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنسين فان القوم موصوفون بالاجرام
دون آل لوط ويكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى خبر لكن قيل لكن آل لوط منجون ويكون قوله الا امرأته استثناء من استثناء اي ارسلنا اليهم لنهلكهم الا آل لوط
الا امرأته كقول المقر لفلان علي عشرة الا ثلثة الا واحدا وجوز في الكشاف ان يكون قوله الا آل لوط مستثنى من الضمير في مجرمين حتى يكون الاستثناء متصلا اي الى قوم
قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم ولم يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء على ان آل لوط مستثنى من معمول ارسلنا او مجرمين والا امرأته من معمول منجوهم وقد ثبت
ما فيه على انه اذا جعل الارسال بمعنى الاهلاك كما قرره صاحب الاول لا يرى ما ذكرنا فلا ادري لم استبعده مع ظهور فضله قال اهل اللغة قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف و
التثقيل جعل الشيء على مقدار غيره ومنه قدر الله الاقوات اي جعلها على مقدار الكفاية وقدر الامور اي جعلها على مقدار يكفي في ابواب الخير والشر وقيل في معنى
قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب والمشهور في هذا المعنى اكثر استعمالا وانه جواب سؤال كانه قيل لها استثنيت من الناجين فقيل قدرنا
انها لمن الغابرين اي الباقين في الهوالك ويقال للماضي ايضا غابر وهو من الاضداد قال في الكشاف علق في التعبير مع ان التعليق من خصائص افعال القلوب
لانه في معنى العلم وانما اسندوا الفعل الى انفسهم مع ان التقدير لله عز وجل بيانا لاختصاصهم به تعالى كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر
هو الملك وحده ثم ان الملائكة لما بشروا ابراهيم صلوات الرحمن عليه بالولد واخبروه بانهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وذلك قوله فلما جاء آل
لوط المرسلون قال اي لوط انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم وذلك انهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف ان يطرقوه بشر فلذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه
يمترون اي ما جئناك بما توهمت بل جئناك بما فيه فرحك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تخوفهم به وهم يشكون في وقوعه وآتيناك بالحق و
باليقين الثابت وقال الكلبي بالعذاب الذي لا شك فيه وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك بقطع من الليل اي في آخره وقد مر في سورة هود وزاد ههنا
قوله واتبع ادبارهم لانه اذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم ففي الآية زيادة بيان لكيفية الاسراء ثم زاد في البيان فقال ولا يلتفت منكم احد
ولم يستثن امرأته اكتفاء بما في السورة من قوله الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قال جار الله انما امر باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات ليكون فارغ البال
من حالهم فيخلص لشكر الله ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب ولئلا يشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع انهم ليسوا من اهل الرقة عليهم وليوطنوا انفسهم
على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا وجوز ان يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني لان من يلتفت لا بد ان يقع له ادنى وقفة وامضوا
حيث تؤمرون قال الجوهري مضى الشيء مضيا ذهب ومضى في الامر مضيا نفذ وقال في الكشاف عدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث
مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون قلت فحاصل الكلام يرجع الى قوله اذهبوا الى المكان الذي تؤمرون بالذهاب اليه او انفذوا امر الذهاب الى هنالك
عن ابن عباس انه الشام وقيل مصر وقال المفضل حيث يقول لكم جبرئيل وكانت قرية معينة ما عمل اهلها عمل قوم لوط ثم اخبر عن حالهم مجملا فقال وقضينا اي
معنى اوحينا ولذلك عدي بالى كانه قيل واوحينا اليه ذلك الامر مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين اي يستأصلون
عن آخرهم حال ظهور الصبح ودخولهم فيه وفي هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشان الامر وتعظيم له ثم حكى ما ابدى قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال
وجاء اهل المدينة اي اهل سدوم التي يضرب بقاضيها المثل فيقال اجور من قاضي سدوم يستبشرون بظهور السرور بمجيء الملائكة لانهم رأوهم مردا حسان
الوجوه قال لوط لما قصدوا الضيافة ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان الضيف يجب اكرامه فاذا اسيء اليه في دار المضيف كان ذلك
اهانة وفضيحة للمضيف يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله ولا تخزون مر في هود قالوا في جواب لوط اولم ننهك
عن العالمين اي الم ننهك عن ان تكلمنا في شان احد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط عليه السلام ينهاهم
عن ذلك فاوعدوه نظيره لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل نهوه عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي من الصلب او ازواجكم من نساء امتي
كما مر في هود قال جار الله ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله
دون ما حرم ثم قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك مبتدأ محذوف الخبر لكثرة الاستعمال اي قسمي او هو ما اقسم به والعمر والعمر بالفتح والضم
واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فان الحلف كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم غوايتهم التي اذهبت عقولهم حتى لم يميزوا
بين خطائهم وصوابك يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك والذي تأمرهم به من ترك البنين الى البنات وقيل انه سبحانه خاطب رسول الله صلعم
واقسم بحيوته كرامة له وما اقسم بحيوة احد قط وذلك يدل على انه اكرم الخلق على الله فاخذتهم الصيحة مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس كان
العذاب كان من اول الصبح لقوله مصبحين اليس الصبح بقريب وتمامه كانت عند طلوع الشمس قال المفسرون هي صيحة جبرئيل قلت ويحتمل ان يكون
صيحة قلب المدائن وارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين الاقرب وامطرنا عليهم في سورة هود وامطرنا عليها لا تنافي لان ههنا من شذ من القرية منهم
وقيل بسبب تخصيص هذه ... المذكور من اول القصة على قوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين ان في ذلك لآيات للمتوسمين وحقيقة المتوسم
المتثبت في النظر حتى يعرف حقيقة سمة الشيء فعبر به عن المتأمل والمتفكر وانها يعني تلك القرى وآثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز
الى الشام يشاهدون آثار قهر الله وغضبه هنالك قال بعضهم انما جمع الآيات في قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين لانه اشار الى ما تقدم من ضيف ابراهيم
وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم وقال في الثانية وانها اي القرية لبسبيل وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك قال ان

في ذلك

في ذلك لآية للمؤمنين وقيل ما جاء في القرآن من الآيات فلجمع الدلائل وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلما ذكر عقيبه المؤمنين وهم مقرون بوحدانيته ذكر
الآية نظيره في العنكبوت خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين ثم اجمل قصة قوم شعيب فقال وان كان اصحاب الايكة لظالمين
ان مخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبرها كانوا اصحاب غياض ومواضع ذات شجر فنزلوا بها والايكة الشجر الملتف والضمير
في قوله وانهما يعود الى قرى قوم لوط والى الايكة وقيل بل الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فدل بذكر احد الموضعين ههنا وهو الايكة على الآخر لبامام
مبين لبطريق واضح قال الفراء والزجاج سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده ثم ختم القصص
بقصة ثمود فقال ولقد كذب اصحاب الحجر وهو واد بين المدينة والشام وجمع المرسلين لان تكذيب نبي واحد وهو صالح تكذيب جميع الانبياء او لان القوم
كانوا براهمة منكرين لكل الرسل وانما وصالحا ومن معه من المؤمنين وآتيناهم اي اعطينا رسولهم آياتنا اراد الناقة وكانت فيها آيات خروجها من الصخرة وعظم
خلقها وكثرة لبنها الى غير ذلك كما حكينا في الاعراف فكانوا عنها اي عن النظر فيها والاعتبار بها معرضين وفيه ان التقليد مذموم والاستدلال واجب وكانوا
ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من ان تتهدم ويتداعى بنيانها او يقع سقفها عليهم او آمنين من عذاب الله او من حوادث الدهر فما اغنى عنهم لم يدفع عنهم شيئا من العذاب ما
كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة ومن جمع الاموال والعدد ولما فرغ من القصص قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي ملتبسة بالفوائد والحكم
والغايات الصحيحة ومنها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى لو تركوها واعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض عنهم وبهذا النظم يناسب
اصول الاعتزال قال الجبائي فيبطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون ان اكثر ما خلق الله بين السموات والارض من الكفر والمعاصي باطل واجيب بان افعال العباد
من جملة ما بين السموات والارض فوجب ان يكون الله خالقها ويمكن ان يقال في وجه النظم ان هذا ابتداء شروع في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتصبيره على اذيات
قومه بعد اقتصاص من احوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع انبيائهم ويؤيد هذا النظم قوله وان الساعة لآتية معناه ان الله سينتقم لك فيها من اعدائك و
يجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله اهمال امرك فاصبر على اذى
قومك ورغبه في الصفح فقال فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء ان كان اللام للجنس فالمراد هذا النوع من الصفح وهو الذي يشتمل على حسن
الخلق وان كان للعهد فلعل المراد ما امر به في نحو قوله خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين قيل هو منسوخ بآية السيف والاظهر ان حسن المعاشرة والمخالقة
مامور به في كل حال فلا حاجة الى ارتكاب النسخ ان ربك هو الخلاق كثير الخلق العليم بعلم ما يجري بين الخلائق من الاحوال والاخلاق وان كثروا وكثرت فيجازيهم يوم القيامة
على حسب ذلك وقيل انما وانه الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فاليوم الصفح اصلح فاصفحوا الى ان يكون السيف اصلح ثم حثه على الصفح والتجاوز بتذكير النعم العظام
التي خصه بها ولقد آتيناك سبعا من المثاني اكثر المفسرين على انها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابي هريرة والحسن وابي العالية ومجاهد والضحاك
وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم وذلك انه سبع آيات والمثاني جمع مثناة من التثنية او جمع مثنية وانها تثنى في كل صلوة وقال الزجاج تثنى بما يقرأ بعدها معها
وايضا قسمت الصلوة بنصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد ورد الحديث في هذا المعنى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين وقد مر في اول الكتاب وايضا كلماتها مثناة
مثل الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط صراط عليهم عليهم واشتمالها على ثناء الله تعالى وتحميده وتقريره ومما يتفرع على هذا القول ما نقل القاضي عن ابي بكر الاصم انه قال كان ابن
مسعود لا يكتب في مصحفه فاتحة الكتاب فقيل كانه رأى انه تعالى عطف قوله والقرآن العظيم والعطف يوجب المغايرة فوجب ان السبع المثاني غير القرآن والجواب انه قد يعطف
الجزء على الكل كقوله وملائكته وجبريل وبالعكس كما في الآية والمقصود في الموضعين تمييز البعض عن الكل فيما على مزية ذلك البعض وشرفه فان قلت اليس العطف
الكل على البعض نظيرا والاستدلال بالآية استدلال بصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفي بقوله ولقد آتيناك دليلا على انه من القرآن وعن ابن عمر وسعيد بن جبير في رواية
ان السبع المثاني هو السبع الطول سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك او لانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى
وانكر الربيع هذا القول لان هذه السورة مكية واكثر تلك السور مدنية واجيب بان المراد من الايتاء انزالها الى سماء الدنيا والمكية والمدنية في ذلك سيان وضعف
بان اطلاق لفظ الايتاء على ما لم يصل بعد اليه خلاف الظاهر وقال قوم السبع المثاني هي التي دون الطول والمئين وفوق المفصل واحتجوا عليه بما روى ثوبان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع الطول مكان التورية واعطاني المئين مكان الانجيل واعطاني المثاني مكان الزبور وفضلني ربي
بالمفصل قال الواحدي والقول في تسمية الطول مثاني كالقول في تسمية هذه السورة مثاني وروي عن ابن عباس واليه ذهب طاوس ان المثاني القرآن لقوله
سبحانه كتابا متشابها مثاني وانها سبعة اسباع كرر فيها دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف ومعنى العطف على هذا القول الجمعية كقوله الى الملك
القرم وابن الهمام وكانه قيل آتيناك ما هو الجامع لكونه سبعا مثاني ولكونه قرآنا عظيما قال الزجاج ووافقه صاحب الكشاف من اما من المثاني للبيان
او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ولما فرغ رسول النعمة الدينية رغبه فيها ونفره عن اللذات العاجلة الزائلة
لان كل نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الى نعمة القرآن فضلة حقيرة ومنه الحديث من لم يتغن بالقرآن اي لم يستغن به فليس منا وقول ابي بكر رضي الله عنه
من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا ومن حق قارئ القرآن لو اقف على معانيه ان لا يشتغل سمعه
بالالتفات الى الدنيا وزهرتها قال الواحدي انما يكون مادا عينيه الى الشيء اذا ادام النظر نحوه وادامة النظر اليه تدل على استحسانه وتمنيه وقال في الكشاف
معنى لا تمدن لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اي اصنافا من الكفار قاله ابن قتيبة وقال الجوهري الازواج القرناء وقال
بعضهم لا تمدن عينيك اي لا تحسدن احدا على ما اوتي من الدنيا وضعف بان الحسد منهي عنه مطلقا فكيف يكون تخصيص الرسول به ويمكن ان يجاب بان المراد
نهي التكوين كقوله ولا تكونن من المشركين والمراد الغبطة فهي محظورة عليه صلى الله عليه وسلم لجلالة منصبه وان كانت جائزة لامته وروي انه وافت من اذرعات
اذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال
لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع وانما قال في هذه السورة لا تمدن بغير واو العطف لانه لم يسبقه طلب بخلاف ما في سورة طه
ثم نهاه عن الالتفات الى اموالهم وامتعتهم نهاه عن الالتفات اليهم انفسهم وان يحصل لهم في قلبه قدر ووزن فقال ولا تحزن عليهم اي على انهم لم يؤمنوا فيتقوى
بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون ولما امره بالتكبر على الاغنياء والترفع عنهم اذا كانوا كفارا امره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مؤمنين فقال واخفض جناحك
للمؤمنين الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه وخفضهما كناية عن اللين والرفق وانما قال في سورة الشعراء بزيادة لمن اتبعك لانه قال قبله وانذر
عشيرتك الاقربين فلو لم يذكر هذه الزيادة لكان الظاهر ان اللام للعهد فصار الامر بخفض الجناح مختصا بالاقربين من عشيرته فزيد لمن اتبعك ليعلم ان هذا التشريف
شامل لجميع متبعيه من الامة ولما بعثه على الرفق باهل الايمان امره بالانذار لكل المكلفين فقال وقل اني انا النذير المبين ويدخل تحت كونه نذيرا كونه مبلغا لجميع
التكاليف لان ما كان واجبا يترتب على تركه عذاب وكل ما كان حراما يترتب على فعله عقاب ويدخل في كونه مبينا كونه شارحا لجميع مراتب اهل التكليف من الجنة
والنار فالانذار بالنار ظاهر والاخبار بالجنة هو الاخبار عن موجب الحرمان عنها وفي متعلق قوله كما انزلنا وجهان بعدما ترى الوقوف احدهما ان يتعلق بقوله

ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم قيل اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اجزاء واعضاء او فعلة من عضهته اذا بهته فالمحذوف منه الهاء لا الواو وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش ويقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة فنقصانها الهاء ايضا وجمعت العضة بالمعاني جمع العقلاء لما لحقها من الحذف فجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا عما لحقها من الحذف كسنين لمعنى الآية ان اليهود اقتسموا القرآن الى حق وباطل وجزؤوه فقالوا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموا بتحريفهم وبالاقرار بالبعض والتكذيب بالبعض كقوله افتؤمنون ببعض وتكفرون ببعض وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وعداوتهم ولهذا اوسط بين المتعلق والمتعلق بقوله لا تمدن الى آخره لانه مؤكد التسلية لما فيه من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم من الاقبال بالكلية على المؤمنين الوجه الثاني ان يتعلق بقوله النذير المبين وعلى هذا لا يكون بد من التزام اضمار او زيادة اما الاضمار فان يكون التقدير انا النذير عذابا كما انزلنا كقولك رأيت كالقمر في الحسن اي وجها كالقمر واما الزيادة فان يكون الكاف زائدة كقوله ليس كمثله شيء ويمكن ان يقال الكاف بمعنى مثل ولا حاجة الى التزام والتقدير انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اما اليهود ويراد بالعذاب ما جرى على قريظة والنضير فيكون قد جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان واما غيرهم من اهل مكة او من قوم صالح قال ابن عباس هم الذين اقتسموا طرق مكة وعقابها ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان بالرسول يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات وكانوا قريبا من اربعين منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وقال عكرمة اقتسموا القرآن استهزاء وكان يقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي وقال قتادة اقتسموه فقال بعضهم شعر وبعضهم كذب وبعضهم اساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا بالله لنبيتنه واهله كما يجيء في سورة النمل فرماهم الملائكة بالحجارة وقتلوهم وعلى هذا يكون قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزؤون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزل على المقتسمين ثم اقسم على سبيل الوعيد فقال فوربك لنسألنهم الآية وقد مر تفسير مثله في اول الاعراف وذلك قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم والاظهر ان الضمير عائد الى جميع المكلفين المنذرين وان السؤال يكون عن جميع الاعمال وقد يخص الضمير بالمقتسمين والسؤال بالاقتسام ثم شجع نبيه قائلا فاصدع اي اجهر بما تؤمر واظهره وفرق بين الحق والباطل واصل الصدع الشق والفصل ومنه سمي الصبح صديعا كما سمي فلقا وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قال النحويون المجاز محذوف والمعنى بالذي تؤمر به من الشرائع مثل امرتك الخير ويجوز ان يكون مصدرية اي بامرك وشأنك مصدر من المبني للمفعول قالوا ومازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال واعرض عن المشركين اي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على الدعوة وهذا لا ينافي آية القتال حتى يلزم النسخ على الظن بل تؤكده ثم اكد النهي عن الاكتراث بهم وقوى قلبه فقال انا كفيناك المستهزئين ولا ريب انهم طبقة ذو شوكة وقدر واعلى الاستهزاء بالرسول مع جلالة قدره والآية لا تفيد الا هذا القدر لكن المفسرين ذكروا عددهم واسماءهم على اختلاف بينهم والا على رواه عروة بن الزبير انهم خمسة نفر من الاشراف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل يوم بدر قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي واشار الى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد في تسلية نبيه فقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من المطاعن فيك وفي القرآن لان الجبلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك ثم امره بكشف الغمة باربعة اشياء بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة الى اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت سمي بذلك لانه امر متيقن ولا يجب الاخلال بالعبادة ما دام المكلف حيا وهذا كما قيل في تحديد طلب العلم انه من المهد الى اللحد وكيف يصير الاقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب قال المحققون لانه يكشف له اضواء عالم الربوبية فيهون في نظره المصالح الدنيوية فلا يستوحش من فقدانها ولا يستأنس بوجدانها وقال اهل السنة اذا انزل الى العبد بعض المكاره فعليه ان يفزع الى الله بالذكر الدائم والسجود وسائر انواع العبادة وكأنه يقول وجب على عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او ابتليتني بالمكاره وقالت المعتزلة من اعتقد تنزيه الله من القبائح سهل عليه تحمل المشاق لانه يعلم انه تعالى عدل منزه عما لا فائدة فيه ولا غرض فيطيب قلبه التأويل في بشارة ابراهيم اشارة الى ان الطالب الصادق وان كان شيخا ضعيف القوى كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد فانه ينبغي ان لا يقنط من رحمة الله ويتقرب اليه بالاعمال القلبية ليتقرب اليه ربه بانواع الالطاف وجذبات الاعطاف فيخرج من صلب روحه ورحم قلبه غلاما عليما بالعلوم اللدنية وهو واعظ الله الذي في قلب مؤمن ان في ذلك لآيات لاصحاب القلوب المتوسمين بشواهد احكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وارض الاشباح وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار والخفيات الا بالحق اي الا لمظهرية الحق ومظهره وهو الانسان المخصوص بذلك من بين سائر المخلوقات وان الساعة يعني قيامة العشق لآتية لنفوس الطالبين الصادقين من اصحاب الرياضات لان انفسهم تموت بالرياضة ومن مات فقد قامت قيامته فاصفح ايها الطالب الصادق عن النفس بان يداريها وتواسيها فان في قيامة العشق يحصل من تزكية النفس في لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة في سنين كثيرة ومن هنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ان ربك هو الخلاق بصور المخلوقات ولمعانيها وحقائقها العليم لمن خلقه مستعدا لمظهرية ذاته وصفاته ومظهريتها وليس ذلك في السموات والارض وما بينهما الا الانسان الكامل وهو يختص بمظهرية الصفات دون الذات وان كان ملكا فلهذا قال ولقد آتيناك سبعا اي سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحيوة والعلم والارادة والقدرة من المثاني اي من خصوصية المظهرية والمظهرية للذات والصفات والقرآن العظيم ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان خلقه القرآن لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا من اهل الدنيا والآخرة واخفض جناحك للمؤمنين بهذا المقام ليصلوا بجناح همتك اليه على المقتسمين الذين قسموا انعم الله على انفسهم فصاروا مظاهر القهر الذين جعلوا القرآن عضين اي جزؤوه في الاستعمال فقوم قرؤوه ليقال لهم القراء وبه يأكلون وقوم حفظوه ليقال الحفاظ وبه يجرون الرزق وقوم جعلوا التفسير والتأويل اظهار الفضل وطلب الشهرة وقوم استنبطوا معانيه وتفقهوا على وفق آرائهم ومذاهبهم فكفروا ان فسروا القرآن برأيهم انا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين يجعلون مع الله الها آخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك الا انك لست منهم وكن من الساجدين سجدة الشكر واعبد ربك بالاخلاص حتى يأتيك اليقين اي الى الابد لان كل مقام يحصل فيه اليقين بالعيان والعرفان فانه يحصل فوقه مقام آخر مشكوك فيه الى ان يحصل برد اليقين فيه ايضا فهناك مراتب لا تتناهى فاليقين يكون اشارة الى الا... الله حسبي وكفى واليه التكلان

سورة النحل مكية غير ثلث آيات وان عاقبتم الى آخرها حروفها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة كلمها الف وثمانمائة وواحد واربعون ۝ آياتها مائة وثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ۝ ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون ۝ خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ۝ خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ۝ والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ۝ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ۝ وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم ۝ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ۝ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهديكم اجمعين ۝ هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ۝ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ۝ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۝ وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ۝ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ۝ والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون ۝ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ۝ افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون ۝ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم ۝ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ۝ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ۝ اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون ۝ الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ۝ لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ۝ انه لا يحب المستكبرين ۝

تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف الآخرون على الغيبة تنزل الفتحات الثلاث الملائكة بالرفع سهل ويعقوب
وروح وزيد وابو زيد مثله ولكن بضم التاء الفوقانية جبلة تنزل من الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير وابو عمرو ورويس الباقون بالتشديد من التنزيل شق
الانفس بفتح الشين يزيد الباقون بكسرها ننبت بالنون يحيى وحماد الآخرون بياء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر وافق حفص
والمفضل في والنجوم مسخرات الباقون بنصب الجميع على ان مسخرات حال تسرون وتعلنون بالياء التحتانية فيهما الخزاز عن هبيرة الآخرون بتاء الخطاب يدعون
على الغيبة سهل ويعقوب وعاصم غير الاعشى الباقون على الخطاب **الوقوف** فلا تستعجلوه ط يشركون ○ فاتقون ○ بالحق ط يشركون ○ مبين ○
خلقها ج لاحتمال تمام الكلام واحتمال ان يكون لكم متعلقا به والوقف حينئذ على لكم ج تاكلون ○ ص للعطف تسرحون ○ ص لا لكلا الانفس ط رحيم ○ لا لان الخيل
مفعول خلق وزينة ط ما لا تعلمون ○ جائر ط اجمعين ○ تسيمون ○ الثمرات ط يتفكرون ○ والنهار ط لمن قرا والشمس وما بعده بالرفع ومن نصب الشمس
والقمر ورفع النجوم وقف على القمر ومن وقف النحل وقف على امره ط يعقلون ○ لا لان ما بعده مفعول سخر الوانه ط يذكرون ○ تلبسونها ج لان قوله وترى
فعل مستانف مع اتصال المعنى تشكرون ○ تهتدون ○ لا لان قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات ط يهتدون ○ لا يخلق ط تذكرون ○ لا تحصوها ط
رحيم ○ وما تعلنون ○ وهم يخلقون ○ لا لان التقدير هم اموات غير احياء ج لاختلاف الجملتين وما يشعرون ○ لان ما بعده مفعول يبعثون ○ واحد ○ لان بعده
مبتدأ مع الفاء مستكبرون ○ وما يعلنون ○ المستكبرين ○ **التفسير** هذه السورة تسمى سورة النعم ايضا وحكى الاصم عن بعضهم ان كلها مدنية وقال
آخرون من اولها الى قوله كن فيكون مدنية وما سواه مكي وعن قتادة بالعكس منه قال اهل التفسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة و
هو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب القيمة ثم ان القوم لما لم يشاهدوا شيئا من ذلك اقبلوا على تكذيبه وكانوا يستعجلون ما وعد به استهزاء
وروي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا
ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب
رسول الله ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا والحاصل ان قوله اتى امر الله جواب عن شبهتهم اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع كما يقال لمن
طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع او المراد ان امر الله بذلك وحكمه قد وقع واتى فاما المحكوم به فانه لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت
معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ثم ان المشركين كانهم قالوا هب يا محمد انا سلمنا
صحة ما تقوله من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الآخرة الا انا نعبد هذه الاصنام لانها شفعاؤنا عند الله فكيف نستحق العذاب بسبب
هذه العبادة فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون كما مر في اول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه عن الاضداد والانداد وان يجوز
لاحد من الارواح والاجساد ان يشفع عنده الا باذنه او يستقل في حكم من احكامه وقضية قبل اوانه ثم انهم كانهم قالوا سلمنا انه تعالى يقضي على طائفة
باللطف وعلى الآخرين بالقهر ولكن كيف صرت واقفا على اسرار الله تعالى في ملكه وملكوته دوننا ومن اين حصل لك هذا الفضل علينا فازال الله سبحانه شبهتهم
بقوله ينزل الملائكة الآية والمراد انه بحكم المالكية ان يخص بعض عبيده بانزال الوحي عليه ويامره بان يكلف سائر العباد بمعرفة توحيد الله وبعبادته فظهر بهذا
البيان ان هذه الآيات منتظمة على احسن الوجوه قال الواحدي روى عطاء عن ابن عباس انه اراد بالملائكة ههنا جبريل وحده وتسمية الواحد بالجمع اذا كان رئيسا
مطاعا جائزة وعلى هذا التفسير فالمراد بالروح كلام الله تعالى كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال المحققون الروح الاصلي هو القرآن الذي فيه بيان
المبدا والوسط والمعاد وفيه يحصل استنارة العقل بالعقل كمل صفاء جوهر الروح وبالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والباقي فرع عليه وبهذه المناسبة سمي
جبريل روحا وعيسى روحا وعن ابي عبيدة ان الروح ههنا جبريل والباء بمعنى مع اي ينزل الملائكة مع جبريل وذلك انه في اكثر الاحوال كان ينزل ومعه
اقوام من الملائكة كما في يوم بدر وحنين وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك البحار وملك الجبال وخزان الجنة وغيرهم قال في الكشاف بالروح من امره
اي بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقال غيره من امره معناه ان ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بامره
كقوله وما نتنزل الا بامر ربك قال الزجاج ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وان اما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه معنى القول واما مخففة من الثقيلة
وضمير الشان مقدر اي بان الشان اقول لكم انذروا اي اعلموا الناس قولي لا اله الا انا وهو اشارة الى استكمال القوة النظرية وقوله فاتقون رمز الى استكمال
القوة العملية ومنه يعلم ان النفس متى كملت من هاتين الجهتين حصل لها روح حقيقي وحيوة ابدية وسعادة سرمدية قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله
انا لا نعلم كون ابليس غير صادق ولا معصوم من الكذب والتلبيس الا بالدلائل السمعية وصحة الدلائل السمعية موقوفة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه
يتوقف على ان هذا القرآن معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بان جبريل صادق مبرا من التلبيس والافعال القبيحة
وح يلزم الدور وهذا مقام صعب **قول** قد ذكرنا مرارا ان الفرق بين المعجز والسحر هو ان صاحب المعجز يدعو الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين
الملك والشيطان هو ان الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس بضده واذا كان الامر كذلك فكيف يشتبه المعجز بالسحر وجبريل بابليس ومن اين يلزم الدور ولما بين
الله سبحانه ان روح الارواح وروح الاجساد هو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به شرع دلائل التوحيد مبتدئا من الاشرف وهو السماويات الى الادون
وهو الارضيات فقال خلق السموات والارض بالحق وقد مر تفسيره مرارا وفي قوله تعالى عما يشركون تنزيه لذاته عمن يشاركه في الازلية والقدم وان تاثير الصنع
والابداع فالفائدة المطلوبة من هذا الكلام غير الفائدة من مثله في اول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان اشرف الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا

[illegible]

[illegible]

فرجوا بالغداة الى المرعى وقدم الاراحة لان الجمال فيها اظهر حين تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها قوله بشق الانفس من قرا بالفتح
فمعناه المشقة فيكون مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع ومن قرا بالكسر فمعناه النصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد قال
معنى النصف في قوله لم تكونوا راجع الى الغرض والتقدير اي لم تكونوا الا كذلك وانما لم يقل لم تكونوا حامليها الى ذلك البلد ليطابق قوله وتحمل اثقالكم لاجل المبالغة كانه قيل
قد علمتم انكم لا تبلغونه باثقالكم الا بجهد ومشقة وذهاب قوة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون العائد الى الاثقال محذوفا اي لم تكونوا بالغيه الا بالشق وكذا لو قيل
الاجمال وعن ابن عباس يعني انه فتر البلد بالمكة الى اليمن والى الشام والى مصر قال الواحدي وهذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد
لانها اكثر متاجر اهل مكة قوله ان ربكم لرؤف رحيم والا لم يخلق هذه الحوامل لاجل تيسير هذه المصالح احتج منكرو الكرامات بالآية على امتناع طي الارض كما ينقل
عن بعض الاولياء والجواب ان الامتناع العادي لا ينافي الامكان الذاتي قوله والخيل والبغال والحمير معطوفات على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة
فانتصب على انه مفعول له معطوف على محل لتركبوها وانما لم يقل ولتتزينوا بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة
ففعل الزاين وهو الخالق والتحقيق فيه ان ركوب هذه الامور المعتبرة في المقصود وتحلية التزين بالشيء مما لا يلتفت اليه ارباب الهمم العالية لانه يورث العجب والتيه
غالبا وكانه قال لتركبوها فتدفعوا عن انفسكم بواسطتها ضرر الاعياء والمشقة واما التزين بها فهو حاصل في نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات احتجت المعتزلة
القائلون بان افعال الله معللة بالمصالح قوله لتركبوها يقتضي ان هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصلحة والجواب ان استتباع الغاية مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج
الحنفية بالآية على تحريم لحوم الخيل من وجوه احدها افراد هذه الانواع الثلاثة بالذكر فيجب اشتراك الكل في الحكم لكن البغال والحمير محرمان فكذا الخيل وثانيها انه سبحانه
الاكل وعظم منه من الركوب والزين فلو كان اكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر وثالثها ان قوله فيها قبل ومنها تاكلون يقتضي الحصر فيجب ان لا يجوز اكل
ما عدا الانعام الا بدليل منفصل والاصل عدمه ورابعها ان قوله لتركبوها يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلثة هو الركوب والزينة فلو كان حل اكلها مقصودا
لزم ان يكون بعض تمام المقصود وبعض المقصود هذا محال والجواب ان تحريم الخيل حق الشرع وتحريم الحمير بنص الكتاب ممنوع كما روي عن جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم نهى
عام خيبر عن لحوم الحمر الاهلية فلو كان للآية دلالة على تحريم لحم الخيل لفهموه منها قبل ذلك العام لان الآية مكية عند الاكثرين ولو فهموا منها التحريم قبل ذلك لم يبق لتخصيص التحريم
بعد ذلك فائدة واما لحوم الحمير والخيل محرمين لم يكن لتحريم البغال المتولدة منهما وجه واما الاكل في عظم المنة في الاكل بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل الحمل والركوب
قدم لرعاية الفاصلة ثم ان انواع الغرائب والعجائب المخلوقة في هذا العالم لا حد لها ولا حصر فلهذا اشار الى ما بقي منها على سبيل الاجمال فقال ويخلق ما لا تعلمون الى كنهه
بل نوعه وجنسه فان مركبات العالم السفلي وغرائب العالم العلوي لا يعلمها الا موجدها روى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور
مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيها جبريل صلوات الله عليه كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل
نقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ذلك البيت المعمور وفي الكعبة ايضا سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمة وقيل المراد ما خلق
في الجنة والنار مما لم يبلغه فهم احد ولا وهمه ولما ذكر بعض دلائل التوحيد بين انه انما ذكرها ازاحة للعذر وازالة للشبهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
فقال وعلى الله قصد السبيل ذكر صاحب الكشاف ان السبيل يذكر ويؤنث والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه
السالك لا يعدل عنه والجور الميل عن الاستقامة احتجت المعتزلة بالآية على مسئلتين من اصولهم احدهما انه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب
والمضاف محذوف اي وعلى الله بيان قصد السبيل والمعنى ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه والثانية انه لا يضل احدا ولا يغويه لانه لو فعل ذلك لقال وعلى الله قصد السبيل
وعليه جائرها او وعليه الجائر فلما غير اسلوب الكلام قائلا ومنها جائر دل على انه اراد ان يبين ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم افادة كلمة
على الوجوب انه وجوب بحسب التفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك وعن الثاني ان دلالة قوله ومنها جائر على ما ذكرتم ليست دلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام
لان قول القائل من السبيل سبيل منحرفة لا تفيد الا الاخبار بوجود الانحراف في بعض السبل فاما ان فاعل تلك السبل من هو فلا دلالة للكلام عليه اصلا على ان قوله ولو شاء لهديكم
اجمعين اما نص او ظاهر وتفسير المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر والهداية الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات
اراد ان يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب احوال النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء وقوله لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد
ان الماء النازل من السماء قسمان قسم جعله سبحانه لاجل الشرب كما هو ويحتمل ان يكون الماء المحتبس في الآبار والعيون منه لقوله فاسلكه ينابيع في الارض وبعضه يحصل منه شجر ترعاه المواشي
قال الزجاج كل ما نبت من الارض فهو شجر لان التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط اصوات بعضهم ببعض ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلاء وفيما
له ساق وقال ابن قتيبة المراد من الشجر في الآية الكلاء وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت اراد الكلاء وقيل الشجر كل ماله ساق لقوله والنجم والشجر يسجدان

والعطف يقتضي التغاير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب ان يكون الشجر ما له ساق . واجيب بان عطف الجنس على النوع جائز وبان قوله فيه تسيمون من سومت
الماشية اذا رعت واسامها صاحبها وهو من السومة العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض يقتضي ان لا يكون الشجر هو العشب ليمكن الرعي . ورد بان الابل تقدر
على رعي الاشجار الكبار . وحين ذكر مرعى الحيوان اتبعه ذكر غذاء الانسان فقال ينبت لكم به الزرع الذي هو الغذاء الاصلي والزيتون الذي هو فاكهة من وجه
وغذاء من وجه لكثرة ما فيه من الدهن والنخيل والاعناب والتين هما اشرف الفواكه ثم اشار الى سائر الثمرات بقوله ومن كل الثمرات كما اجمل الحيوانات التي
لم يذكرها بقوله ويخلق ما لا تعلمون . قال في الكشاف وانما لم يقل وكل الثمرات وكل التبعيضية لان كلها لا يكون الا في الجنة . واعلم انه قدم الغذاء الحيواني على
النباتي لان النعمة فيه اعظم لانه اسرع تشبها ببدن الانسان وفي ذكر الغذاء النباتي قدم غذاء الحيوان وهو الشجر على غذاء الانسان وهو الزرع وغيره تنبيها
على مكارم الاخلاق وهو ان يكون اهتمام الانسان بحال من تحت يده اكمل من اهتمامه بحال نفسه وانما عكس الترتيب بقوله كلوا وارعوا انعامكم بناء على ما هو الاقرب
الى نفس الامر كقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول . قوله وسخر لكم الليل والنهار معنى تسخيرهما للناس تقييدهما باوقات لهم بحسب مصالحهم

[illegible]

لانها لا تيبس الماء اي اذا كانت جارية . وقوله ولتبتغوا من فضله اي لتتجروا فيه فتطلبوا الربح من فضل الله فاذا وجدتم فضله واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره وقدم
ان قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف المتعلق بمواخر بعد مفعولي ترى . واما في سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل
ولتقدم الجار في قوله ومن كل تأكلون وحذف لفظة منه هنالك . وزاد في ولتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتأكلوا . وقوله وترى الفلك مواخر
فيه اعتراض في السورتين تجري مجرى المثل ولهذا وحد الخطاب في قوله وترى وقبله وبعده جمع اي لو حضرت ايها المخاطب لرأيته بهذه الصفة . ويمكن ان يقال انما قال
في الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر وليكشف المتعلق المتعلقين واذا ثبت الكلام على ان قوله فيه متعلق بمواخر وبكشف
لا بترى لقرب هذا وبعد ذلك والله اعلم . قوله ان تميد بكم اي كراهة ان تميد الارض بكم والباء للتعدية او للمصاحبة . والميد الحركة والاضطراب يمينا وشمالا . روي ان الله
خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت . قال جمهور المفسرين ان السفينة اذا القيت
على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فهكذا الارض تستقر على الماء بسبب
ثقل الجبال . واعترض عليه بان السفينة انما تضطرب على الماء لخفتها وخفتها بسبب الهواء الداخل في تجاويف الخشب ومسامها واما الارض فجسم كثيف ثقيل من شأنه
الرسوب في الماء على ما هو مشاهد من حال اجزائها المنفصلة عنها فان كان بطبيعة الكل كذلك حتى يكون طافية [illegible] وقد ارساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ
انما يتصور على جسم واقف وليس الا الماء فينتقل الكلام الى وقوف الماء في حيزه المعين فان كان بحسب الطبيعة فهذا خلاف التقدير لانا نفينا القول
بالطبايع الموجبة لهذه الاحوال وان لم يكن بالطبع بل كان واقفا بتخليق الفاعل المختار وتسكينه في حيزه المخصوص فلم لا نقول مثله في تسكين الارض [illegible]
قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله ونسب المقام الى الصعوبة والاشكال واستخرج بحله وجها مبنيا على قوانين الحكمة وهو ان الارض جسم كري والكرة
اذا كانت صحيحة الاستدارة فانها تتحرك بادنى سبب فلما احدث الله سبحانه على وجه الكرة هذه الخشونات الجارية مجرى الاوتاد ومنعها عن السلاسة
والحركة . قلت في هذا الحل خلل اما اولا فلكونه مبنيا على قواعد اهل [illegible] واما ثانيا فلما ثبت في الحكمة ان نسبة اعظم جبل في الارض وهو ما ارتفاعه
فرسخان وثلث فرسخ الى جميع الارض كنسبة خمس سبع عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب ان ذلك القدر من الشعيرة لا يخرج الكرة المذكورة عن صحة
الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة الحركة فكذا ينبغي ان يكون حال الجبال بالنسبة الى كرة الارض . والجواب الصحيح على قاعدة اهل الشرع ان يقال انا لا نسلم
ان الارض بكليتها لها طبيعة موجبة لحالة من الاحوال وعلى تقدير التسليم فلا نسلم ان طبيعتها الرسوب بل لعل طبيعتها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسي . ثم انا لو
لم اوقف الله الماء في حيزه ولم يوقف الارض من غير ارساء فلا يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فللوسائط والاسباب مدخل في الامور العادية وان لم

بانها

بتأثيرها ابدا وان حركة الارض عند الزلازل لا ينافي حكم الله بعدم اضطرابها لان اثبات الحركة لجزء الشيء لا ينافي نفيها عن كليته . وشبهوا الزلزلة وهي حركة قطعة
من الارض باحتقان البخارات في داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل في جزء معين من بدن الحيوان . قوله سبحانه وانهارا معطوف على رواسي اي وجعل
انهارا وسبلا لان الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله والقيت عليك محبة مني . وكذا قوله وسبلا اي اظهرها وبينها لاجل ان تهتدوا بها في اسفاركم ولما ذكر انه اظهر
في الارض سبلا معينة ذكر انه اظهر في تلك السبل علامات مخصوصة وهي كل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك . يحكى ان جماعة يشمون التراب فيعرفون
الطرقات . قال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله وبالنجم هم يهتدون كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كما يقال كثر الدرهم في ايدي الناس
وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي . وقال بعض المفسرين اراد بقوله هم يهتدون اهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه . وقيل اراد [illegible]
فان البر ايضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم في الطرق والمسالك وفي معرفة القبلة . واما حق الضمير الغائب فلعوده الى السائرين المدلول عليهم بذكر السبل . وقال في الكشاف
كأنه اراد قريشا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا بتقديم النجم
خصوصا هؤلاء فخصوصا يهتدون . ثم لما عدد الآيات الدالة على الصانع ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال اراد ان يوبخ اهل الشرك والعناد فقال افمن يخلق
كمن لا يخلق اي كالاصنام التي لا تخلق شيئا . وانما اجراها مجرى اولي العلم فاطلق عليها لفظ من التي هي لاولي العقل بناء على زعمهم انها آلهة او لاجل المشاكلة بينه وبين
من يخلق او اراد ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده او اراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم . واعلم ان اهل البيان يقولون
ان المشبه به يجب ان يكون اقوى واتم في وجه التشبيه من المشبه ليلحق الاضعف بالاقوى في وجه الشبه كقولك وجهه كالقمر ولا ريب ان الخالق اقوى من غير الخالق
فكان حق النظم في الظاهر ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق والقرآن ورد على العكس . ووجهه عند العلماء زيادة التوبيخ ليكون كانهم جعلوا غير الخالق اقوى حالا واتم
من الخالق . قال في الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبها بها حين جعلوا غيره مثله في التسمية والعبادة فانكر عليهم ذلك . ولوضوح كون هذا الامر مسلما
عند من له ادنى عقل بل حس قال افلا تذكرون . وفيه مزيد توبيخ وتجهيل لانه بجلائه كالحاصل الذي يحصل عند العقل بادنى تذكر ومع ذلك هم عنه غافلون . قال بعض [illegible]
في الآية دلالة ان العبد غير خالق لافعال نفسه لان الآية سيقت لبيان امتياز صفة الخالقية . اجابت المعتزلة بان المراد افمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض
والانسان والحيوان والنبات والبحار والجبال والنجوم . او نقول معنى الآية ان من كان خالقا كان افضل ممن لا يكون خالقا وهذا القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا
يجب ان يكون الها كقوله الهم ارجل يمشون بها اراد ان الانسان افضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا . وقال الكعبي في تفسيره ونحن لا نطلق
لفظ الخالق على العبد ومن اطلق ذلك فقد اخطأ الا في موضع ذكره الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلى هذا لا يتوجه عليهم السؤال الا ان اصحاب ابي هاشم
يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان ابا عبد الله البصري قال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن و
والحساب . ثم لما فرغ من تعديد الآيات التي هي بالنسبة الى المكلفين نعم قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد مر تفسيره في سورة ابراهيم . قال العقلاء ان كل جزء
من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه ادنى خلل لتنغص العيش على الانسان ولتمنى ان ينفق الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل . ثم انه سبحانه يدبر احوال
بدن الانسان على الوجه الملايم له غالبا مع ان الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده . فليكن هذا المثال حاضرا في ذهنك وقس عليه سائر
نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك وقصورك عن شكر ادنى نعمة فضلا عن جميعها ولهذا ختم الآية بقوله ان الله لغفور رحيم يغفر التقصير الصادر عنكم في اداء شكر
النعمة ويرحمكم حيث لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كما لم يمنعهم اشتغالهم بعبادة غيره عن درور نعمه . ولما كان من الكفر والمكايد في حق الرسول صلى الله عليه وسلم
وعدهم بقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون . وفيه ايضا تعريض وتوبيخ بان الاله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التي عبدوها جمادات لا شعور
لها اصلا فكيف يحسن عبادتها . ثم زاد في التوبيخ والذين يدعون اي الالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يخلقون شيئا وقد ذكر هذا المعنى في قوله كمن لا يخلق
وزاد ههنا قوله وهم يخلقون اي يخلقهم الله او النحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم ففي هذه الآية زيادة بيان لانه نفى عنهم صفة الكمال
واثبت صفة النقصان وكذلك قوله اموات غير احياء الالزام وفيه ترتيب لان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطفة والجسد الانساني الذي فارقته الروح
واما الحجارة فاموات لا يقبل الحياة اصلا . وفيه ان الحي يجب ان يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس . وفيه ان هؤلاء الكفار في غاية الغباوة وقد
المعنى الواحد مع الغبي الجاهل بعبارتين مختلفتين تنبيها على بلادته . وما يشعرون الضمير فيه للالهة . واما الضمير في ايان يبعثون فاما للالهة ايضا ويؤيده ما روي عن ابن عباس
ان الله تعالى يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار . واما للداعين اي لا يشعر الالهة متى تبعث عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من حيث
ان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم . وفيه انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف . واما الاحياء اي لا يعلم هؤلاء الالهة متى
تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه . وجوز في الكشاف ان يراد بالذين يدعوهم الكفار الملائكة فان منهم
من كانوا يعبدونهم . ومعنى انهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء اي غير باقية حياتهم ولا علم لهم بوقت بعثهم . ولما زيف طريق عبدة الاصنام صرح بما هو الحق
في نفس الامر فقال الهكم اله واحد ثم ذكر ما لاجله اصر الكفار على شركهم فقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية او لكل كلام يخالف هواهم وهم مستكبرون
عن قبول الحق . وذلك ان المؤمن بالبعث والجزاء يؤثر فيه الترغيب فينقاد للحق اسرع . واما الجاحد للمعاد فلا يقبل الا ما يوافق رايه ويلايم طبعه فيبقى في ظلمة
الانكار . لا جرم اي حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على الاسرار من الاستكبار والاعلان من العناد . انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد فيختص المشركين
او كل مستكبر فيدخل هؤلاء دخولا اوليا لان الكلام فيهم . **التأويل** الناس طبقات ثلث الغافلون والخطاب معهم بالعتاب اذا كانوا مشتاقين الى الدنيا
وزخارفها وهم اصحاب النفوس . والعاقلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم في الطاعات والاعمال الصالحات وهم ارباب العقول . والعاشقون والخطاب
معهم بوصل رب الارباب لاشتياقهم الى جمال ذي الجلال الحنين قال في الازل اتى امر الله استعجل ارواح كل طبقة منهم للخروج من العدم الى الوجود لنيل المقصود وطلب المفقود
فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب لها في القسمة الازلية والله سبحانه منزه عن ان يشاركه في الحكم احد فلا مبدل لكلماته ينزل الروح من امره [illegible]
القلوب من المواهب الربانية من امره الوارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس بآداب الطريقة وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضور [illegible]
وعلى الاسرار بالمراقبات للمشاهدات وعلى الخفيات بتجلي الصفات لافناء الذوات على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء ان انذروا واعلموا
اوصاف وجودكم ببذلها في انانيتي انه لا اله الا انا فاتقوا عن انانيتكم بانانيتي . خلق سموات الارواح وارض الاشباح وجعلها مظهرا لافاعيله فهو الفاعل لما
يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشرك الارواح والاشباح في احالة افاعيله الى غيره . خلق الانسان من نطفة لا علم لها ولا فعل فاذا هو خصيم مبين
يدعي الشركة معه في الوجود والافاعيل . والانعام اي الصفات الحيوانية خلقها لكم فيها دفء لانها المودعة في جبلتكم ومنافع ومنها تأكلون باستفادة وبدل
ما يتحلل . ولكم فيها جمال في اوقات المعرفة وازمنة الاستغراق . وتحمل اثقالكم اي اثقال ارواحكم وهي اعباء الامانة الى بلد عالم الجبروت ان ربكم لرؤوف رحيم اذ [illegible]
انفسكم في جبروتية بتبقيكم ببقاء عظمته . والخيل والبغال والحمير اي صفاتها خلقت فيكم لانها مراكب الروح عند السير الى عالم الجبروت وزينة عند رجوعه بالجذبة الى [illegible]

واقام لفظة هم كانه قيل وبالنجم هم

[illegible]

وإذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ۝ ليحملوا اوزارهم كاملة
يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون ۝ قد
مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ۝ ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين
شركاى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزى اليوم و
السوء على الكافرين ۝ الذين تتوفيهم الملائكة ظالمى انفسهم فالقوا السلم
ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون ۝ فادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ۝ وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم
دار المتقين ۝ جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم
فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين ۝ الذين تتوفيهم الملائكة
طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ۝ هل ينظرون
الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما
ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۝ فاصابهم سيئات ما عملوا
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ۝ وقال الذين اشركوا لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء
كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ۝
ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم

من

من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين ۝ ان تحرص على هديهم فان الله لا يهدى من يضل
وما لهم من ناصرين ۝ واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝ ليبين لهم الذى
يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ۝ انما قولنا
لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ۝ والذين هاجروا فى الله من بعد
ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ۝
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ۝ صدق الله العظيم ۝

[illegible]

وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل
اليهم ولعلهم يتفكرون ۞ افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله
بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ۞ او يأخذهم
في تقلبهم فما هم بمعجزين ۞ او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم
اولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم
داخرون ۞ ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة و
هم لا يستكبرون ۞ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ۞
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون ۞
وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون ۞ وما
بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ۞ ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ۞ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف
تعلمون ۞ ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن
عما كنتم تفترون ۞ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ۞
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ۞ يتوارى من القوم
من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون ۞
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ۞

للفصل بين الاستخبار والاخبار رحيم ٥ داخرون ٥ لا يستكبرون ٥ ما يؤمرون ٥ سجدة اثنين ج للابتداء بانما مع اتحاد القائل واحد ج للعدول مع الفاء فارهبون ٥ واصبا ط تتقون ٥ تجأرون ٥ ج لان ثم لترتيب الاخبار مع شدة اتصال المعنى يشركون ٥ لا لتعلق لام كي آتيناهم ط للعدول والفاء للاستئناف تعلمون ٥ رزقناهم ط تفترون ٥ سبحانه لا لان ما بعده من جملة مفعول يجعلون وسبحانه معترض تنزيه يشتهون ٥ كظيم ٥ ج لاحتمال ان ما بعده وصف كظيم او بالبشرى به ط لان التقدير متفكرا في نفسه المسألة في التراب ط ما يحكمون ٥ السوء ج لتضاد الجملتين معنى مع العطف لفظا الاعلى ط الحكيم ٥ التفسير

ان قريشا كانوا يقولون الله اعلى واجل من ان يكون رسوله بشرا فاجاب سبحانه بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا والمراد ان هذه عادة مستمرة من اول زمان الخلق والتكليف وزعم ابو علي الجبائي انه لم يبعث الى الانبياء الا من هو بصورة الرجال من الملائكة قال القاضي ولعله اراد الملك الذي يرسل الى الانبياء بحضرة اممهم لما روي ان جبرئيل عليه السلام كان يأتي في صورة دحية وفي صورة سراقة واما في غير ذلك بحضرة الامم لان الملائكة قد يبعثون على صورهم الاصلية عند ابلاغ الرسالة من الله تعالى الى انبيائه كما روي انه صلى الله عليه وسلم راى جبرئيل على صورته التي هو عليها مرتين وعليه تأولوا قوله ولقد رآه نزلة اخرى ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود والنصارى اصحاب العلوم والكتب فامرهم الله تعالى ان يرجعوا في هذه المسألة اليهم ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله فاسألوا اهل الذكر قال بعض الاصوليين فيه دليل على انه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد اخر فيما يشتبه عليه واحتج نفاة القياس بالاية قالوا لو كان حجة لما وجب على السائل بل كان عليه ان يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس واجيب بانه قد ثبت العمل بالقياس باجماع الصحابة والاجماع اقوى من هذا الظاهر اما قوله بالبينات ففي متعلقه وجوه منها ان يتعلق بارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وانكر الفراء ذلك وقال ان صلة ما قبل الا لا يتأخر الى ما بعد الا لان المستثنى عنه هو مجموع ما قبل الا مع صلته كانه قيل وما ارسلنا بالبينات الا رجالا فلما لم يصر هذا المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه ومنها ان يتعلق برجالا صفة له اي رجالا متلبسين بالبينات ومنها ان يتعلق بارسلنا مضمرا نظيره ما مررت الا باخيك ثم يقول بزيد قاله الفراء ومنها ان يتعلق بيوحي اي نوحي اليهم بالبينات ومنها ان يتعلق بالذكر بناء على انه بمعنى العلم ومنها ان يتعلق بلا يعلمون اي ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسألوا قال في الكشاف والشرط بهذا في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي قلت اراد ان مدعو عليهم مقرر كان عمل الاجير ثابت وسلم جار الله ان مثل قوله فاسألوا جواب الشرط على هذا الوجه واما على الوجوه المتقدمة فجزم انه اعتراض بناء على ان جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما ارسلنا الى اخره وعندي ان هذا الجزم ليس بحتم ويجوز على كل الوجوه ان يكون مثل فاسألوا جوابا والله اعلم واهل الذكر اهل التورية كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التورية وقال الزجاج سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظة جامعة لكل ما يتكامل به امر الرسالة لان مدارها على المعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي تعتبر في باب العبادة وهي الزبر ثم قال وانزلنا اليك الذكر اي القرآن الذي هو موعظة وتنبيه وتذكير لاهل الغفلة والنسيان وهي الغاية المرتبة على الانزال وهي تبيين الاحكام والشرائع بالنسبة الى الرسول وارادة التأمل والتفكر في المعاد بالاضافة الى المكلفين ثم في ظاهر هذا النص دلالة على ان القرآن مجمل [illegible] فذهب بعضهم الى انه متى وقع التعارض بين القرآن والخبر وجب تقديم الخبر لان القرآن مجمل والخبر مبين له واجيب بمنع الكلية لان القرآن ما هو محكم وقوله لتبين محمول على المتشابهات والمجملات قال بعض من نفى القياس لو كان حجة لما وجب على الرسول ان يبين للمكلفين ما انزل الله عليهم من الاحكام بل كان له ان يفوض بعضها الى راي القايس واجيب بانه لما ثبت ان القياس من جملة الحجج فالقياس ايضا راجع الى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع جوابها شرع في التهديد والوعيد والانذار والتنبيه فقال افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات اهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبي يعني هذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله والاقرب ان المراد سعيهم في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وايذاء اصحابه على سبيل الخفية ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب وملائكة العذاب من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين فانهم لا يفوتون الله وذكر المفسرون في هذا التقلب وجوها منها انه تعالى يأخذهم في اسفارهم ومتاجرهم فانه قادر على ان يهلكهم في السفر كما انه قادر على ان يهلكهم في الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب ضربهم في البلاد البعيدة ومنها انه يأخذهم بالليل والنهار في حال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وحقيقته في حال تصرفهم في الامور التي يتصرف فيها امثالهم ومنها انه اراد في حال ما يتقلبون في قضاء اوطارهم بوجوه الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى الاول مأخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور او يأخذهم على تخوف على حالة تخوفهم وتوقعهم للبلاء بان يكون قد اهلك قوما قبلهم فتخاف الاخرون فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل التخوف التنقص والمعنى انه يأخذهم بطريق التنقص شيئا بعد شيء في ديارهم واموالهم وانفسهم حتى يأتي الفناء على الكل عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا زهير شعر

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

قوله تامكا قردا اي سناما مرتفعا متراكما والسفن ما ينحت به الشيء ومنه السفينة لانها تسفن وجه الماء كانها تنحره فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ثم ختم الاية بقوله فان ربكم لرؤف رحيم فذهب المفسرون الى ان معناه انه يمهل في اكثر الامر لانه رؤف رحيم فلا يعجل بالعذاب والاولى يحتمل ان يكون قوله فان تعليلا للعقوبة افأمن كقوله ما غرك بربك الكريم ولما خوف المكذبين بما خوف اتبعه ذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير العالم العلوي والسفلي ومكانهما فقال اولم يروا الى ما خلق الله قال جار الله [illegible] بيانه من شيء وقال اهل المعاني قوله يتفيؤ ظلاله اخبار عن شيء وليس بوصف له ويتفيأ يتفعل من الفيء واصله الرجوع ومنه فيئة المولي قال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرف عنه الشمس والقمر والذي يكون بالغداة ظل وقال ثعلب اخبرت عن ابي عبيدة ان رؤبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله اضاف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال ووجه حسنه كون المرجوع اليه واحدا في اللفظ وان كان كثيرا في المعنى وهو قوله الى ما خلق الله نظيره لتستووا على ظهوره اضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد اريد به الكثرة وهو ما تركبون قال الجوهري تفيأت الظلال اي تقلبت وقوله عن اليمين والشمائل قال اهل التفسير ومنهم الفراء انه وحد اليمين لانه اراد واحدا من ذوات الاظلال وجمع الشمائل لانه اراد كلها لان قوله ما خلق لفظه مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت صيغتي جمع عبرت عن احدهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقطة التي هي المشرق وانها واحدة والشمائل عبارة عن الانحراف الواقع في فلك الاظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة وانما عبر عن المشرق باليمين لان اقوى جانبي الانسان يمينه ومنه يظهر الحركة القوية وكذا جانب الشرق اقوى جوانب الفلك ومنه يظهر الحركة اليومية التي هي اسرع الحركات وقوله ويمكن ان يقال ان الانسان اذا توجه الى المشرق الذي هو اولى الجوانب بالاعتبار لشرفه كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب ان وصول الشمس الى خط نصف النهار يختلف بحسب البلاد وقد يتفق انتقال الماس من الجنوب الى الشمال وبالعكس في بلد واحد اذا كان عرضه متقاصرا عن الميل الكلي ومن المعلوم ان الشمس حين ميلها الى نصف النهار ان كانت في جنوب سمت الراس وقع ظلها الى الجنوب فيحتمل ان يراد بتفيؤ الاظلال تقلبها في ناحيتي الجنبين والله اعلم اما قوله سجدا لله فانه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها لامر الله منتقلة من جانب الى جانب حسب تحرك النير على نسب مخصوصة ومقادير معلومة وكما بعضها في كتب التوسية ونحو

بنى المتأخرون

بنى المتأخرون على الاظلال مسائل كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلي مع فروعه وذكر بعضهم في تفسير هذا السجود ان هذه الاظلال واقعة على الارض ملصقة بها على هيئة الساجد وقوله وهم داخرون حال اخرى من الظلال وانما جمع بالواو والنون لانهم اشبهوا العقلاء من حيث طاعتهما لله سبحانه وقال جار الله اليمين والشمائل استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال الاخفش اي من الدواب واخبر بالواحد كما تقول ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال وقال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر انه ذكر في اية الظلال ان الجمادات باسرها منقادة لله فبين في هذه الاية ان الحيوانات باسرها ايضا كذلك ثم عطف عليها الملائكة اما لشرفها واما لانها ليست مما تدب ولكنها تطير بالجناحين وبين النوعين مغايرة لقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة انها ارواح مجردة ليست من شأنها الحركة والدبيب قال جار الله من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم انتهى كلامه ثم شرع سبحانه وتعالى في ذكر عصمتهم فقال وهم لا يستكبرون يخافون على انه حال منهم او بيان لنفي استكبارهم لان الخوف اثر عدم الاستكبار وقوله من فوقهم اما ان يتعلق بيخافون ومعنى يخافون ربهم ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما ان يكون حالا من الرب اي يخافونه عاليا قاهرا وبحث الفوقية قد تقدم في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وزعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة انه تعالى وصفهم بالخوف وحصول الخوف نتيجة تجويز الاقدام على الذنوب وبانهم فعلوا كل ما امروا به فمن اين علم انهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الاول انهم انما يخافون من العقاب لقوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فمن هذا الخوف يتركون الذنب وعن ابن عباس ان هذا الخوف خوف الاجلال كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب انه كلما كانت معرفة جلال الله اتم كانت الهيبة والحيرة اعظم وعن الثاني ان النهي عن الشيء امر بتركه وفي الاية دلالة على ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه ابى واستكبر وانهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على ان الملك افضل من البشر لان كل المخلوقات والا لما خصهم بالذكر من جميعا وتخلو بواطنهم وظواهرهم عن الاخلاق الذميمة والنفس البشري الدواعي الشهوية والغضبية ولهذا ورد في حقه قتل الانسان ما اكفره وقال صلى الله عليه وسلم ما منا الا من قد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا وقال ايضا صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته فضل الشيخ على الشاب لتقادم عهده وطول مدته ولا شك ان الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة وقرون متمادية وانهم سنوا الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وتمام البحث في هذه المسألة مذكور في اول سورة البقرة وفي قوله ما يؤمرون دلالة على ان الملائكة مكلفون بالامر والنهي والوعد والوعيد راجين خائفين ولما بين ان كل ما سواه في عالمي الارواح والاجسام فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه اتبعه النهي عن الشرك فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فسئل ان التثنية والواحد حيث كانا دالتين على العدد والجنس فما الفائدة في وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد واجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه تقديما وتأخيرا اي لا تتخذوا اثنين الهين ومنها انه كررت العبارة لاجل المبالغة في التنفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول اهل المعاني ان فائدة الوصف والبيان هي ان يعلم ان النهي راجع الى التعدد لا الى الجنسية وكذا لو قلت انما هو اله ولم تؤكد بواحد سبق الى الوهم انك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف احتاج المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزئين ما به الاشتراك في الوجوب الذاتي وما به الامتياز وكل مركب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافي الوجوب وادلة التمانع ايضا تعين على المطلوب كما لو اراد احدهما تحريك جسم معين واراد الاخر تسكينه او قوي احدهما على مخالفة الاخر ولا يقوى او قدر احدهما على ان يستر ملكه عن الاخر ولا يقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم على طريقة الالتفات قائلا فاياي فارهبون وقد مر مثله في اول البقرة ثم لما قرر وحدته وانه يجب ان يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر ان الكل ملكه وله ما في السموات والارض فقال الاشاعرة ليس المراد من كونها لله انها مفعولة لاجله والغرض طاعته لان منها المباحات والمحظورات التي تؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فالمراد انها بتخليقه وتكوينه ومن جملة ذلك افعال العباد ثم قال وله الدين واصبا فالدين الطاعة والواصب الدائم ومفازة واصبة بعيدة لا غاية لها والفعل الدائم وصب لكون ذلك الغرض لا زاله وانتصابه على الحال والعامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حالة الحيوة والموت الا الحق سبحانه فان طاعته واجبة ابدا ويحتمل ان يكون الدين بمعنى الملك اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما لا يزول يعني الثواب والعقاب وقال بعض المتكلمين المحققين قوله وله ما في السموات والارض اشارة الى احتياج الكل اليه في حال حدوثه وقوله وله الدين اي الانقياد واصبا اشارة الى ان جميع الممكنات مفتقرة الى خلقه وجوده في حال بقاء وجوده لان الصحيح ان الممكن حال بقائه لا يستغني عن المرجح ثم انكر ان يكون الممكن مع شدة افتقاره اليه يخشى غيره فقال افغير الله تتقون ثم من عليهم بقوله وما بكم من نعمة فمن الله والمعنى الذي بكم حاصل ومن نعمة حال من الضمير في الجار وبيان لما وقوله فمن الله الخبر وقيل ما شرطية وفعل الشرط محذوف اي ما يكن وقال جار الله معناه اي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله قال الاشاعرة افضل النعم نعمة الايمان والاية تفيد العموم فهو من نعم الله والنعمة اما دينية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل العمل به واما دنيوية نفسانية او بدنية او خارجة كالسعادات المالية وغيرها وكل واحدة من هذه جنس تحتها انواع لا حصر لها والكل من الله فعلى العاقل ان لا يشكر الا اياه ثم بين ان جبلة الانسان بعد استغراقه في بحار نعم الله تعالى انه اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون قال جار الله يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد والاول اظهر الوجهين الاول والمعنى ان فريقا منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر في ان لا يفزع الا الى الله وفريقا يتغير عن حاله فيشرك بالله ولعل هذه صفة لازمة لجوهر الانسان ولهذا قال ليكفروا كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ويجوز ان يكون لام العاقبة يعني عاقبة تلك التضرعات ما كانت الا هذا الكفران والمراد بقوله بما اتيناهم كشف الضر وازالة المكروه او القرآن والشرائع او جميع النعم الظاهرة والباطنة التي انعم الله بها على الانسان ثم قال على سبيل التهديد وبطريقة الالتفات نظرا الى اول الكلام فتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة كفركم ومثله في الروم كما يجيء واما في العنكبوت فانه قال ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا بالعطف على القياس ثم حكى نوعا اخر من قبائح اعمال بني ادم فقال ويجعلون لما لا يعلمون الضمير الاول للمشركين والثاني قيل لهم وقيل للاصنام التي لا توصف بالعلم والشعور ورجح الاول بان نفي العلم نفي الحي حقيقة وعن الثاني بان جميع الصفات بالعقلاء اليق وقد رجح الثاني بان الاول يفتقر الى الاضمار كما لو قيل يجعلون لما لا يعلمون في طاعته نفعا ولا في الاعراض عنه ضرا وقال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه يضرهم نصيبا او يجعلون لما لا يعلمون الهيتها والسبب في صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وقيل البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وحكى الحسن عن قبل اهل النجوم الذين يزعمون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لزحل كذا وكذا من المعادن والنبات والحيوان وللمشتري كذا الى اخر الكواكب ثم اوعدهم بقوله تالله لتسألن عما كنتم تفترون على الله من ان له شريكا وان الاصنام

[illegible]

ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا
جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ۝ ويجعلون لله ما يكرهون
وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون ۝
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم
اليوم ولهم عذاب اليم ۝ وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ۝ والله انزل من السماء
ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون ۝
وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا

خالصا سائغا للشاربين ۝ ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون ۝ واوحى ربك
الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ۝ ثم كلي
من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف
الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ۝ والله خلقكم
ثم يتوفيكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ان الله عليم قدير

[illegible]

للمعنى ومن الناس من رجح هذا القول لانه تعالى رد عليهم بعد ذلك بقوله لا جرم ان لهم النار قال الزجاج لا رد لقولهم اي ليس الامر كما وصفوا جرم اي كسب ذلك
القول ان لهم النار فان مع ما بعده في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال قطرب ان في موضع رفع والمعنى حق ان لهم النار وانهم مفرطون من قرا بكسر الراء
فهو من الافراط في المعاصي وفي الافتراء على الله وجوز ابو علي الفارسي ان يكون من الافراط اي صاروا ذا فرط مثل اجرب اي صار ذا جرب ومن قرا بفتحها مخففة
فهو من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته فالمعنى انهم يتركون في النار منسيون ومن قرا بكسر الراء المشددة فهو من التفريط في الطاعات وقرى بفتح المشددة
من فرطته في طلب الماء اذا قدمته وجاء افرطته بمعناه ايضا فالمراد انهم يعجلون الى النار ثم بين سبحانه ان مثل صنيع قريش قد صدر عن سائر
الامم فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي رسلا فزين لهم الشيطان اعمالهم قالت المعتزلة لو كان خالق الاعمال هو الله تعالى فما معنى تزيين الشيطان وكيف
توجه عليه الذم وان كان خالق ذلك الفعل اجدر بان يكون وليا لهم من الداعي اليه واجيب بان الوسائط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال جار الله
فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او اراد فهو وليهم اي قرينهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا واليوم
عبارة عن يوم الاخرة وهو الذي يعذبون فيه في النار فهو حكاية للحال الاتية واولى الناصر اي هو ناصرهم يوم القيمة فقط والمراد نفي الناصر عنهم على ابلغ الوجوه
لان الشيطان لا يتصور منه النصرة اصلا واذا كان الناصر منحصرا لزم ان لا نصرة بالضرورة قال ويجوز ان يرجع الضمير في وليهم الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم
اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه انه ما ارسلك الا لبعد اقامة الحجة وازاحة
العلة فقال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه كالشرك والتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكار له وكتحريم الاشياء المحللة
كالبحيرة والسائبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم وهدى ورحمة انتصابا على انهما مفعول لهما ولا حاجة الى اللام لانهما فعلا فاعل الفعل المعلل بخلاف لتبين
فانه فعل المخاطب لا فعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكلبي وصف القرآن بكونه هدى ورحمة لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به وان كان ذلك في حق الكل وخص المؤمنون بالذكر
من حيث قبلوه وانتفعوا به ولما اعاد الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات فقال والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها وفي العنكبوت من بعد
موتها لان هناك سؤال تقرير والتقرير يحتاج الى التحقيق فقيد الظرف بمن للاستيعاب وايضا حذف من في هذه السورة موافقة لقوله لكي لا يعلم
بعد علم شيئا وانما حذف من هنا بخلاف ما في الحج لانه اجمل الكلام في هذه السورة فقال والله خلقكم ثم يتوفاكم وفصل في الحج فقال خلقكم من تراب
ثم من نطفة الى اخره فاقتضى الايجاز الحذف والاطناب الاثبات ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم ثم استدل
بعجائب احوال الحيوانات قائلا وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي سورة المؤمنين مما في بطونها فذكر النحويون ان الانعام من جملة الكلمات التي
لفظها مفرد ومعناها جمع كالرهط والقوم والنعم فجاز تذكيره على اللفظ وتانيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شائع في القرآن قال تعالى فلما راى الشمس بازغة
قال هذا ربي يعني هذا الشيء الطالع وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره اي ذكر هذا الشيء وعد سيبويه الانعام في الاسماء المفردة الواردة على افعال وجوز في الكشاف
ان يكون تانيثه على انه تكسير نعم وقيل ان الانعام ههنا بمعنى النعم لان الالف واللام يلحق الاحاد بالجمع والجمع بالاحاد قلت ذكر الائمة حسن الا انه لا يصلح جوابا لمطلق
السؤال ان الضمير في هذه السورة يعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن لا يكون للكل فالتقدير وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه واما في المؤمنين فانه لما
عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو قوله ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها لم يحتمل ان يكون المراد به البعض فانث ليكون نصا على ان المراد بها الكل
روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دما واوسطه لبنا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع
ويبقى الفرث كما هو وذلك هو قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه الدم ولا الفرث وانكر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة اما
الحس فلان الحيوانات تذبح ذبحا متواليا ولا يرى في كرشها دم ولا لبن واما التجربة فلان الدم لو كان في اعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء ان يقي الدم وليس
كذلك بل الحق ان الحيوان اذا تناول العلف حصل في معدته او كرشه هضم اول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم الذي يحصل
في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء
الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق
كثيرة فينصب الدم في تلك العروق الى الضرع وهو لحم غددي رخو ابيض فيقلب الله تعالى الدم هناك الى صورة اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان الانثى لان الحكمة
الالهية اقتضت تدبير كل شيء على الوجه اللائق به والذكر من كل حيوان اسخن واخف والانثى ابرد وارطب لان بدن الانثى يحتاج الى مزيد رطوبة لتولد الولد ونشوه
بها ثم ان تلك الرطوبة التي كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين حين كان في الرحم ينصب بعد انفصال الجنين الى الثدي ليصير مادة لغذاء الطفل واعلم
انه تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثقل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء او شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا الى ان يكمل انهضامه في المعدة
وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل فهذه الانطباق والانفتاح بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتاتى
الا بتقدير الفاعل الحكيم وايضا انه اودع في الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التي في ذلك الماكول والمشروب طابخة لها حتى تنقلب دما دون الاجزاء
الكثيفة في المعدة بالعكس واودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء واودع في الطحال قوة جاذبة للسوداء وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية وتخصيص كل واحدة
من هذه الاعضاء بفعله الخاص بها لا يمكن الا بتدبير العليم الخبير وكذا الكلام في انصباب مادة اللبن الى الثدي في وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوزعها على
البدن في غير ذلك الوقت ثم انه تعالى احدث في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص وقت المص او الحلب فهو بمنزلة المصفاة للبن يخرج اللطيف منها
ويبقى الكثيف فبهذا الطريق يصير خالصا سائغا للشاربين اي سهل المرور في الحلق حتى قيل انه لم يغص احد باللبن قط ومن عجائب حال اللبن اجتماعه من اجسام
مختلفة الطبائع مع انها واحدة في الحس فمنها الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهي باردة رطبة ومنها الجبن وهو بارد يابس وكلها حاصلة من عشب
واحد ثم انه تعالى الهم الطفل الصغير مص الثدي عند انفصاله من الام وكل ذلك دليل على عناية كاملة ورحمة شاملة وعلم تام وقدرة باهرة قال المحققون في تقلب
العشب في هذه الاطوار الى ان يصير لبنا خالصا سائغا دليل على انه تعالى قادر على تقليب الانسان في اطواره الى ان يصير مستعدا للبقاء الابدي واللقاء السرمدي
قال جار الله من في مما في بطونه للتبعيض وفي قوله من بين فرث لابتداء الغاية فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض وجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق
بمحذوف اي كائنا من بين كذا وكذا وانما قدم لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قالت الشافعية ليس يستنكر ان يسلك المني مسلك البول وهو طاهر كما انه يخرج اللبن من بين
الفرث والدم طاهرا اما قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب فاما ان يتعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم المتقدم
عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاسقاء واما ان يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه تكرير الظرف لاجل التاكيد نظيره قولك زيد في الدار فيها واما ذكر
في منه لانه يعود الى المذكور او الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كانه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه ويحتمل ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف
كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا الا ملك فالتقدير ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمر تتخذون منه سكرا او رزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها

السكر

سكرا وهو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير ففي الاية قولان الاول ويروى عن الشعبي والنخعي انها منسوخة فان
السورة مكية وتحريم الخمر نزل في المائدة وهي مدنية القول الثاني انها جامعة بين العتاب والمنة وذكر المنفعة لا ينافي الحرمة على ان في الاية تنبيها على الحرمة ايضا
لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب في السكر ان لا يكون رزقا حسنا لا بحسب الشهوة بل بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب
والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر واحتج بان الاية دلت على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره في معرض
الانعام والمنة ودل الحديث على ان الخمر حرام لعينها وهذا يقتضي ان يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من اثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ عن ابي علي الجبائي انه صنف
كتابا في تحليل النبيذ فلما اخذ منه السن العالية قيل لو شربت منه ما يتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله كتابا فقال تناولته ايدي الشطار فقبح عند ذوي
المروات والاقدار وقيل السكر الطعم قاله ابو عبيدة وقيل السكر رزق الحسن واحد كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ومن اعجب احوال الحيوان حال النحل
علمها اللين في موافقة اللذة وفي الخروج من البطن فلذلك افردها بالذكر واوحى ربك يا محمد او يا انسان الى النحل اي الهمها وعلمها على وجه هو اعلم به والغرض ان
امرها عجيب صنعتها ان يطلق عليه لفظ الايحاء وذلك انها تبني البيوت المسدسة من اضلاع متساويات التي لا يمكن للعقلاء تركيب امثالها الا بالمساطر
والفرجارات وقد علم من الهندسة ان تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية ضايعة فاهتداء ذلك الحيوان
الضعيف الى هذه الحكمة الدقيقة من الاعاجيب ومن غرائب امرها ان لها رئيسا هو اعظم جثة من الباقين وهم تحت سومه يحملونه ويخدمونه وينقادون نهيه وامره ومنها
انها اذا نفرت عن وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع اخر فاذا ارادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهي وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون
على ردها الى اوكارها وبالجملة فان غرائب هذا الحيوان اكثر من ان تحصى واشهر من ان تخفى والغرض ان امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على الذكاء و
الكياسة حالة شبيهة بالوحي بمعنى الالهام قال الزجاج يجوز ان يقال سميت نحلا لانه تعالى نحل الناس العسل بواسطتها وهي مؤنثة في لغة اهل الحجاز ولذلك
قال تعالى ان اتخذي وهي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ومعنى من في قوله من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون اي يبنون ويرفعون للتبعيض لانها لا تبني
في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولكنها تبني في مساكن يوافقها ويليق بها وكثيرا ما يتعهدها الناس ويصلح احوالها ثم كلي من كل الثمرات اي بعضها من كل ثمرة تشتهيها
فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك وفهمك في عمل العسل ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله تعالى ذللها وسهلها عليها او من الضمير في فاسلكي
اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة او المراد فاسلكي ما اكلت في سبل ربك المذللة اي في مسالكها التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا او هي اجوافك ومنافذ
ماكلك او اراد انك اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي راجعة الى بيوتك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكى انها ربما اجدب عليها ما حولها
فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة ويجوز ان يريد بقوله ثم كلي اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك واعلم ان ظاهر قوله ان اتخذي
ثم كلي فاسلكي امر فمن الناس من قال لا يبعد ان يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه بها عليها من الله امر ونهي ومنهم من انكر ذلك وقال المراد انه سبحانه خلق فيها غرائز
وطبايع توجب هذه الاحوال وتمام الكلام فيه سيجيء في سورة النمل اما حدوث العسل من النحل فاما صح عند الاطباء ان الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث في الهواء
طل لطيف في الليالي ويقع على اوراق الاشجار فقد يكون كثيرا يجتمع منها اجزاء محسوسة وهي الترنجبين ونحوه وقد يكون قليلا متفرقا على الاوراق والازهار وهو
الذي الهم تعالى هذا النحل فيلتقط تلك الذرات بافواهها وتاكلها وتغتذي بها فاذا شبعت التقطت مرة اخرى وذهبت بها ووضعتها في بيوتها ادخارا لانفسها
فاذا اجتمع في بيوتها شيء محسوس من تلك الاجزاء الطلية فذاك هو العسل ولا يبعد ان يحصل لتلك الاجزاء في افواهها نوع هضم وتغير ونضج لخاصية فيها فلذلك قال
ولا يخرج من بطونها اي من افواهها ومن الناس من زعم ان النحل تاكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرة ما شاءت ثم انه تعالى تقلب تلك الاجسام
في داخل بدنها عسلا ثم انها تقي مرة اخرى فذاك هو العسل قال العقلاء والقول الاول اقرب الى التجربة والقياس فان طبيعة الترنجبين قريبة من العسل في الطعم
والشكل ولا شك انه طل يحدث في الهواء ويقع على اطراف الاشجار والازهار فكذا العسل وايضا النحل انما تغتذي بالعسل ولهذا يترك منه بقية في بيوتها بعد الاشتيار
ولكن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب اي الشرب يعضد القول الثاني وقوله مختلف الوانه اي منه ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف الاماكن وامزجة النحل
واختلاف الازهار والاعشاب التي ترعى فيها ثم وصفه بقوله فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة ولهذا يقع في اكثر المعاجين و
تنكير شفاء لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء فان كل دواء كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه
العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا كانما انشط من عقال قال اهل المعاني
انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بانه سيظهر نفعه ولهذا قال كذب بطن اخيك حين لم يظهر النفع في الحال وعن عبد الله بن مسعود ان العسل شفاء من كل داء
والقران لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل واعلم انه سبحانه ختم الاية الاولى بقوله لقوم يسمعون لان انزال الماء من السماء واحياء الارض بعد موتها
ارشاد محسوس لمن تذكر ذلك فاقد الحس واما خص بالذكر حس السمع لان لفظ القران المنبه على هذه الاية مسموع وختم الاية الثانية بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر
فالمعرض عنه فاقد العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان امر النحل وتصنيعها العجيبة من انقيادها بالامير واتخاذها البيوت على اشكال يعجز عنها الحاذق منا
ثم تتبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها لعابا او قيئا يقتضي فكرة بليغة ولما ذكر بعض عجائب احوال الحيوان اتبعه عجيب خلق الانسان فقال والله خلقكم
ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم عند انقضاء اجالكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وعن علي رضي الله عنه هو خمس وسبعون سنة وعن قتادة
تسعون سنة وقال السدي هو حالة الخرف ودليله قوله لكي لا يعلم بعد علم شيئا اي ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفل في النسيان وعدم التذكر وقيل لئلا يعقل
بعد عقله الاول شيئا او العلم زيادة علم على علمه وقيل ان الرد الى ارذل العمر ليس في المسلمين والمسلم لا يزداد بسبب اطالة العمر الا كرامة على الله تعالى وتكريرا له
قوله ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات واعلم ان العقلاء ضبطوا مراتب عمر الانسان في اربع اولها سن النشو وثانيها سن الوقوف
وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفي اليسير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء واصحاب الطبيعي ان بدن
الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة اذا عملت في الجسم الرطب قللت رطوبته فلا يزال في هذين الجوهرين من قوة الحرارة
يقلل في العضو من الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم والغضروف والعصب والوتر والرباط وسائر الاعضاء فاذا تم تكوين البدن وكمل فعند ذلك ينفصل الجنين ثم
الام ويكون رطوبته بعد زائدة على حرارته فتكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو سن النشو وغايته الى ثلثين او الى خمس وثلثين سنة ثم تصير رطوبات البدن
اقل وتكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية الاصلية الا انها لا تكون زائدة على هذه القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين وبها يتم الاربعون ثم تقل
الرطوبات بحيث لا تكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية وحينئذ يظهر النقصان قليلا الى ستين سنة هي سن الكهولة ثم يظهر جدا الى تمام مائة وعشرين سنة قال
المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن في حال كونه منيا ودما كانت كثيرة ولذلك كانت الحرارة الغريزية مغمورة ثم انها مع ذلك كانت قوية على تحليل اكثر الرطوبات
حتى نقلتها من حد الدموية والمنوية الى ان صارت عظاما وغضروفا وعصبا ورباطا فعند ما تولدت الاعضاء وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب ان تقوى الحرارة الغريزية

قوة ازيد مما كانت قبل ذلك فوجب ان يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكماله اكثر من تحليلها قبل تولد البدن فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عكسه فعلمنا ان البدن انما يتولد بتدبير قادر حكيم لا لاجل ما قالوه ولتوجه آخر الحرارة الحاصلة في بدن الانسان الكامل الغريزية اما ان يكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة او صارت ازيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزي الحاصل في جوهر النطفة كان بمقدار جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب ان لا يظهر منه في هذا البدن تاثير اصلا واما الثاني ففيه تسليم ان الحرارة تتزايد بحسب تزايد الجثة ولا ريب ان تزايدها تزايد القوة والصحة مساعة فساعة فيلزم ان لا ينهدم البدن الحيواني ابدا وليس كذلك ولتوجه ثالث وهب ان الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب ان تصير اقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب الى سن النقصان قالوا السبب فيه انه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر في تخفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية بحيث لا تفي بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة الغريزية ايضا لان الرطوبات الغريزية كالغذاء للحرارة الغريزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذي فينتهي الامر الى ان لا يبقى من الرطوبة شيء لان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها توجب ضعف الحرارة الغريزية فيلزم من ضعف احدهما ضعف الاخرى فينطفي الحرارة ايضا ويحصل الموت واورد عليهم ان الحرارة اذا اثرت في تجفيف الرطوبة وتقليلها فلم لا يجوز ان تورد القوة الغاذية بدلها فاجابوا بان القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله رادا عليهم ان القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وانما تكون الحرارة الغريزية ضعيفة ان لو قلت الرطوبة الغريزية وانما تحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور محال فثبت ان اسناد هذه الاحوال الى الطبايع والقوى غير ممكن فتعين اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم قدير يعلم مقادير المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد واذ الطبيعة بمثابة عاجزة قلت لا شك ان نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجهل بانها ليست واجبة الوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى والطبايع ايضا بعيد عن الانصاف والحق انها وسائط والآلات لما فوقها من المبادي والعلل الى ان ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدا الكل وقد ثبت عند الحكيم ان كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية آخر الامر عن ايراد البدل بما يتحلل فيحل الاجل بتقدير العليم الحكيم القدير التأويل والله خلقكم النفس الخبيثة بالظلمة على القلوب والارواح ما ترك على ارض البشرية من صفة من صفات الحيوانية ولكن يؤخر اهل السعادة الى اجلهم وهو افناء صفات النفس بصفات القلب والروح في حينه واوانه ويؤخر اهل الشقاوة الى اوان العكس من ذلك ويجعلون لله ما يكرهون اي يعاملون الله باعمال يكرهون ان يعاملهم بها غيرهم وتسول لهم انفسهم ان تلك المعاملة حسنة والله انزل من سماء العزة ماء بيان القرآن فاحيا به ارض قلوب الامم بعد موتها باختلافهم على انبيائهم ان في ذلك لاية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم في الانعام النفوس لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث الخاطر الشيطاني ودم الخاطر النفساني لبنا خالصا من الالهام الرباني سائغا جائزا لاهل هذا الشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات واعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا هو ما يحصل منها شرب النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتها بالافعال وبالاحوال رياء وسمعة وشهوة ورزقا حسنا ما يكون منه شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق في الطلب شكر شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت واوحى ربك الى النحل اشارة الى حال الكمال ان اتخذي من الجبال بيوتا اراد الاعتزال عن الخلق والتبتل الى الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء اسبوعا واسبوعين وشهرا ولا بد ان ينظف كما ان النحل يحترز عن التلوث وفيه ان نحل الارواح اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك نظيره قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحة وثمرات النفوس من الرياضات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب الى الله وهذه كلها اغذية نحل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية تسلك السبل الى ان تصل الى مقعد الصدق عند مليك مقتدر فيكون غذاؤها بمكاشفات الحق ومشاهداته فتبيت عند ربها يطعمها ويسقيها فحينئذ يخرج من بطونها شراب الحكم والمواعظ مختلف الالوان من المعاني والاسرار والدقائق والحقائق فيه شفاء للقلوب المريضة القاسية عن ذكر الله والله خلقكم من العدم الى الوجود ثم يتوفاكم عن الوجود المجازي ومنكم من يرد الى ارذل العمر هو مقام الفناء في الله لكيلا يعلم بعد فنائه علمه شيئا يعلمه بل يعلم ربه الاشياء كما هي الله حسبي

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون ۞ والله جعل لكم من انفسكم ازواجا و جعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون و بنعمة الله هم يكفرون ۞ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ۞ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ۞ وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم ۞ ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر

او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير ۞ والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ۞ الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ۞ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ۞ والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ۞ فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين ۞ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ۞ صدق الله العظيم

يجحدون بتاء الخطاب ابو بكر وحماد الآخرون على الغيبة من بطون امهاتكم ونحوها بكسر الهمزة وفتح الميم على امهاتكم بكسرهما حمزة الباقون بضم الهمزة وفتح الميم الم تروا على الخطاب ابن عامر وحمزة وخلف وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون بفتحها الوقوف في الرزق ج لاختلاف الجملتين مع الفاء سواء ط يجحدون ه من الطيبات ط يكفرون ه لا للعطف ولا يستطيعون ه ج لابتداء النهي مع الفاء الامثال ط لا يعلمون ه وجهرا ط هل يستوون ط الحمد لله ط لان بل للاعراض عن الاول لا يعلمون ه مولاه لا لان الجملة بعد صفة احدهما بخير ط ثم لا وقف الى مستقيم لاتحاد الكلام والارض ط او اقرب ط قدير ه شيئا لا للعطف والافئدة لا لتعلق لعلكم تشكرون ه السماء ط للفصل بين الاستخبار والاخبار الا الله ط يؤمنون ه اقامتكم لا للوقوع جعل على اثاثا الى حين ه باسكم ط تسلمون ه المبين ه الكافرون ه لما بين خلق الانسان وتقلبه في اطوار مراتب العمر اراد ان يذكر طرفا من سائر احواله لعله يتذكر فقال والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ولا ريب ان ذلك امر مقسوم من قبل القسام والا لم يكن العاقل حتى البالغ العاقل ذي الحال ليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك فرب ملك يقاد الجنائب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحدة منها ورب اطعمة شهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شيء منها ورب انسان كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش لا يجد ما يملأ بطنه طعاما والمفسرون في الآية قولان احدهما ان المراد تقرير كون السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وانه جعل بعض الناس موالي وبعضهم مماليك وليس المالك رازقا للعبد وانما الرازق للعبد والمولى هو الله فلا تحسبن الموالي المفضلون انهم يرزقون مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق وانما ذلك رزق الله اجراه لهم على ايديهم وثانيهما ان المراد الرد على من اتخذ لله شريكا كالصنم او كعيسى فضرب لهم مثلا فقال انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تردون رزقكم عليهم حتى تتساووا في المطعم والملبس فالفاء في قوله فهم فيه سواء للتعليل ولكنه انه تقول يعني حتى اي حتى يكون عبيدهم معهم سواء في الرزق فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما العبيد اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله وهي انه جعلهم موالي مفضلين لا عبيدا مفضولين يجحدون وجعل عدم التسوية بينهم وبين عبيدهم من جملة جحود النعمة او جعل اعتقاد الالهية والعبادة لغير الله كفرا بنعمة والجحود في معنى الكفران فلذلك عدي بالباء قال ابو عبيدة وابو حاتم قراءة الغيبة وهي الكبرى اولى لقرب المخبر عنه ولانه لو كان خطابا لكان للمسلمين وانهم لا يخاطبون بجحد نعمة الله الحالة الاخرى من احوال الانسان قوله عز طوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا فيكون الانس به اتم ولا ريب ان تخليق الذكر والاناث مستند الى قدرته وتكوينه والطبيعيون قد ذكروا له وجها قالوا ان المني اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة بناء على ان الذكر اسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد انثى تاما في الانوثة وان انصب من اليمنى الى الايسر كان ذكرا في طبيعة الاناث وان كان العكس كان العكس قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى هذه العلة ضعيفة فقد رأينا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولقائل ان يقول الكلام في المزاج النوعي لا في المزاج الشخصي وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض باحدهما على الآخر وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واصل الحفد الاسراع في الخدمة والفاعل حافد والجمع حفدة ويقال لولد الولد حفدة وقيل المراد بها في الآية الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون الخدم لانهم الجامعون بين الامرين النبوة والخدمة وقيل لا دليل في دخول الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم بالمطعوم الطيبة لان لذة المنكوح لا تتم الا بعد الفراغ من المطعوم والفراغ من تحصيل اسبابها واورد من التبعيضية لان كل الطيبات لا تكون الا في الجنة ثم ختم الآية بقوله افبالباطل يؤمنون تفضيل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة الله ما عدده في الآيات السابقة وقيل الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرها ونعمة الله ما احل لهم وانما قال ههنا وبنعمة الله هم يكفرون وفي آخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لان تلك الآيات استمرت على الغيبة فلم يحتج الى زيادة ضمير الغائب وآي هذه الآية تقدمت بمخاطبات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب المؤكد لئلا يلتبس بالخطاب ولما عدد بعض الآيات الدالة على الاقرار بالتوحيد انكر صنيع اهل الشرك عليهم فقال ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا قال جار الله ان كان بمعنى المصدر انتصب به شيئا اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اريد المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق اما الضمير في لا يستطيعون فعائد الى ما بعد ان قيل لا يملك على اللفظ وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم انها اصنام الهة

[illegible]

[illegible]

ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون ۝ وادا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ۝ و
اذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ۝ والقوا الى الله
يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ۝ الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون

ضربها

ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين
ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ۝ واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله
يعلم ما تفعلون ۝ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة
انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به
وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ۝ ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم
تعملون ۝ ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا
السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ۝ ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ۝ ما عندكم
ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا
يعملون ۝ من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ۝ فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم ۝ انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون ۝ انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ۝

ولنجزين بالنون ابن كثير وعاصم ويزيد وعباس والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالياء قرأت القرآن مثل انشأ الوقوف
يستعتبون ○ ولا هم ينظرون ○ من دونك ج لاختلاف الجملتين مع اتفاق الكاذبون ○ ج للعطف مع انه رأس آية يفترون ○ يفسدون ○ على هؤلاء ط
لواو الاستئناف للمسلمين ○ والبغي ط لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف تذكرون ○ كفيلا ط يفعلون ○ انكاثا ط بناء على ان التقدير تتخذون من امة ط به ط تختلفون
ويهدي من يشاء ط تعملون ○ في سبيل الله ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ○ قليلا ط تعلمون ○ باق ط يعملون ○ طيبة ج للعدول عن الواحد الى الجمع
مع اتحاد ضمير ابن يعملون ○ الرجيم ○ يتوكلون ○ مشركون ○ لما بين من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وان اكثرهم كافرون اتبعه

واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم
لا يعلمون ۞ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين
آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ۞ ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ۞ ان الذين
لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم ۞ انما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون ۞ من كفر
بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر
صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ۞ ذلك بانهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين
۞ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك
هم الغافلون ۞ لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون ۞ ثم ان
ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك
من بعدها لغفور رحيم ۞ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى
كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ۞ وضرب الله مثلا قرية
كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله

فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ۝ ولقد جاءهم
رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون ۝ فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ۝ انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور
رحيم ۝ ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا
على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ۝ متاع
قليل ولهم عذاب اليم ۝ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك
من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۝ ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور
رحيم ۝ ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ۝
شاكرا لانعمه اجتبيه وهديه الى صراط مستقيم ۝ واتيناه في الدنيا
حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين ۝ ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة
ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ۝ انما جعل السبت على الذين اختلفوا
فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ۝ ادع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان
ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ۝ وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ۝ واصبر وما صبرك
الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ۝ ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون ۝ صدق الله العظيم ۝

بما ينزل من الانزال ابن كثير وابو عمرو. يلحدون بفتح اليا والحا حمزة وعلي وخلف. فتنوا مبنيا للفاعل ابن عامر. والخوف بالنصب عباس. ابرهام هشام وما بعده والاخفش عن ابن ذكوان في ضيق بالكسر ابن كثير وكذلك في النمل. الاخرون بالفتح. الوقوف مكان آية لا لان جواب اذ هو قالوا وقوله والله اعلم بما ينزل جملة معترضة مفترط لا يعلمون ۝ مسلمين ۝ بشر ط مبين ۝ بايات الله لا لان ما بعده خبر ان اليم ۝ بايات الله ج لاختلاف جملتين مع العطف الكاذبون ۝ غضب من الله ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ۝ على الاخرة لا للعطف الكافرين ۝ وابصارهم ج لاختلاف جملتين الغافلون ۝ الخاسرون ۝ وصبروا لا لان الثانية تكرار الاولى لطول الكلام بصلته وخبرهما والله رحيم ۝ لا يظلمون ۝ يصنعون ۝ ظالمون ۝ طيبا ص لعطف المتفقتين تعبدون ۝ لغير الله به ج رحيم ۝ على الله الكذب ط لا يفلحون ۝ ط قليل ص لعطف المتفقتين وكلتيهما اذ التقدير لهم متاع اليم ۝ من قبل ۝ لابتداء النفي مع العطف يظلمون ۝ واصلحوا لا لان ما بعده خبر رحيم ۝ حنيفا ط من المشركين ۝ لا لان شاكرا وصف آخر او بدل من حنيفا لانعمه ط مستقيم ۝ حسنة ط الصالحين ۝ ط لان ثم لترتيب الاخبار حنيفا ط المشركين ۝ ط اختلفوا فيه ط يختلفون ۝ احسن ط بالمهتدين ۝ عوقبتم به ط للصابرين ۝ يمكرون ۝ محسنون ۝ هذا شروع في حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان اذا انزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية الين منها قالت كفار قريش ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فنزل واذا بدلنا ومعنى التبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه وتبديل الاية

رفعها باية اخرى غيرها وهو نسخها باية سواها والله اعلم بما ينزل شيئا فشيئا على حسب المصالح مغلظا ثم مخففا او العكس بل اكثرهم لا يعلمون فوائد النسخ والتبديل
قال ابو مسلم اراد وتبديل اية مكان اية في الكتب المتقدمة مثل اية تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وسائر العلماء اطبقوا على ان المراد بهذا التبديل النسخ
ونقل عن الشافعي ان القرآن لا ينسخ بالسنة لانه تعالى اخبر بتبديل الاية مكان الاية وضعف بانه لا يلزم من وجود التبديل بالاية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة
اذ لا دلالة في الاية على الحصر وقد مر مباحث النسخ مفصلة مستوفاة في سورة البقرة قل نزله اي القرآن روح القدس هو جبريل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود
والمراد الروح المقدس المطهر عن دنس المآثم من ربك صلة نزله اي ابتداء تنزيله من عنده وقوله بالحق حال اي متلبسا بالحكمة والصواب ليثبت الذين آمنوا القول
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فيقولوا كل من الناسخ والمنسوخ من عند ربنا وكل منهما في وقته خير وصلاح لان الذي نزله حكيم لا يفعل الا ما هو خير في اوانه و
وجواب الشبهة الى المكلف وحين ما يختلف وهدى وبشرى معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال
لغيرهم ثم حكى شبهة اخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا يستفيد القصص والاخبار من انسان آخر ويتعلمها منه واختلف في ذلك البشر فقيل كان غلاما لحويطب
بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان
السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه وقيل هو سلمان الفارسي ثم اجاب
عن شبهتهم فقال مستانفا لسان الذي واللسان اللغة والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان
عربي مبين ذو بيان وفصاحة وقد مر في اول الاعراف ان تركيب الالحاد يدل على الامالة ومنه اللحد لانه امال عن جهة من الاوساط قال ابو الفتح الموصلي تركيب
ع ج م يدل على الابهام والخفاء ضد البيان والافصاح ومنه عجم الزبيب لاستتاره وخفائه والعجمي البهيمة وصلاة الظهر والعصر عجماوان لان القراءة فيهما سرية واعجمت
الكتاب اي ازلت عجمته ثم ان العرب تسمي كل من لا يعرف لسانهم ولا يتكلم بلغتهم اعجميا وقالوا زيادة الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان عربيا وحاصل
الجواب هبوا ان محمدا يتعلم المعاني من ذلك الرجل الا انه لا يقدح في المقصود لان القرآن بفصاحته اللفظية ايضا معجز ولما ذكر جوابهم وبخهم وهددهم بقوله ان الذين
لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله يعني ان بسبب عدم ايمانهم هو ان الله لا يهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم وفسره الامام فخر الدين الرازي بان الله لا يهديهم الى طريق
الجنة بل يسوقهم الى النار وهذا التفسير يناسب اصول المعتزلة فلا ادري كيف مال اليه ثم لما بين انهم لبسوا بانكارهم الشطط وكان قد بين الامر جوابهم على سليم ما ادعى
الخصم من انه يتعلم من ذلك البشر اراد ان يبين ان الذي قالوا غير صحيح ولا صادق في نفس الامر فقال انما يفتري الكذب وهذا العبارة لقولهم انما انت مفتر يعني
انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا على الافتراء واولئك اشارة الى قريش او الى الذين لا يؤمنون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون على الحقيقة
الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله اعظم الكذب او هم الذين من شانهم الكذب وذلك ديدنهم لا يحجبهم عنه مروة ولا دين واولئك هم الكاذبون في
انما انت مفتر وفيما دل على كذبهم عقلا انهم اعداؤه وكلام العدو ضرب من الهذيان ولا شهادة لمتهم وايضا ان امر التعليم والتعلم لا يتم في مجلس واحد ولكنه يحتاج
الى ازمنة متمادية ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر وايضا ان العلوم الموجودة في القرآن كثيرة والمعلم يجب ان يكون اعلى حالا من المتعلم فلو كان مثل هذا العالم الذي
يتعلم منه مثل النبي موجودا في ذلك العصر لم يخف حاله وحال الناس اليه دون النبي قال بعض علماء المعاني عطف الجملة الاسمية التي هي قوله واولئك هم الكاذبون
على الفعلية وهي فعلية والة على ان من اقدم على الكذب فانه دخل على الكفر جنبها على ان صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة كما تقول كذبت وانت كاذب زيادة في الوصف
بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء اعظم من انكار الالهية والنبوة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرا هذه الاية
ثم انه سبحانه من كمال عنايته اراد ان يفرق بين الكفر اللساني وحده وبين اللساني المنضم اليه القلبي فقال من كفر بالله اختلف العلماء في اعرابه فالاكثرون
على انه بدل الا من الذين لا يؤمنون بايات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفتري الكذب من كفر واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح
بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب واما من المبتدا الذي هو اولئك او من الخبر الذي هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم اي اخص و
اعني من كفر وجوز بعضهم ان يكون من شرطية والجواب محذوف لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح
بالكفر صدرا فعليهم غضب واباح استثناء المكره من الكافر مع انه ليس بكافر لانه ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء
قال ابن عباس نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين بمكة اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فاما سمية فانها ربطت
بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها انك اسلمت من اجل الرجال وقتلت وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت لمن هنا حكم العلماء بان الاكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر وحد الاكراه ان يعذبه بعذاب لا طاقة
له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد وسائر الايلامات القوية واجمعوا على ان قلبه عند ذلك يجب ان يكون مبرا عن الرضاء بالكفر وان يقتصر على التعريض
ما امكن مثل ان يقول ان محمدا كذاب يعني عند الكفار او يعني به محمدا آخر ويذكره على نية الاستفهام بمعنى الانكار واذا اعجله من اكرهه عن احضار هذه النية او لانه لما اعظم خوفه
زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره عليه حتى يصرح بالكفر من غير تورية ويطلب منه ان يقول لا اريد بقلبي سوى ما اذكر بلساني فههنا
يتعين اما الكذب واما تورية النفس للعذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب حينئذ ومنهم من قال ليس له ذلك واختاره القاضي لان الكذب انما يقبح لكونه
كذبا فوجب ان يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن القبح لرعاية بعض المصالح لم يمتنع ان يفعل الله الكذب لمصلحة فلا يبقى وثوق بوعده ووعيده ولاكراه مراتب
منها ان يجب الفعل المكره عليه كما لو اكره على شرب الخمر واكل الميتة لما فيه من صون النفس مع عدم اضرار الغير والاهانة بحق الله ومنها ان يصير الفعل مباحا لا واجبا
كما لو اكره على التلفظ بكلمة الكفر لما روي ان بلالا صبر على العذاب وكان يقول احد احد حتى قتلوه ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما فعلت بل عظموه فثبت
في ترك التقية والصبر على القتل والتعذيب اعزاز للاسلام ومنها انه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما اذا اكره على قتل انسان او على قطع عضو من اعضائه فههنا يبقى الفعل
على الحرمة الاصلية وحينئذ لو قتل فللعلماء قولان احدهما لا يلزم القصاص وبه قال ابو حنيفة والشافعي في احد قوليه لانه قتله دفعا عن النفس فاشبه قتل الصائل والثاني
كالالة للمكره ولذلك وجب القصاص على المكره وثانيهما وبه قال احمد والشافعي في اصح قوليه ان عليه القصاص لانه قتله عدوانا لاستبقاء نفسه فصار كما لو قتل المضطر
انسانا فاكله ومن الافعال ما لا يمكن الاكراه عليه قيل وهو الزنى لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الالة فلو دخل الزنى في الوجود علم انه وقع بالاختيار
لا بالاكراه والاصح ان الاكراه فيه متصور وان الحد يسقط حينئذ وعن ابي حنيفة هو انه ان اكره السلطان لم يجب الحد وان اكره بعض الرعية وجب قال بعض الائمة
في قوله وقلبه مطمئن بالايمان دلالة على ان محل الايمان هو القلب فهو اما الاعتقاد ان كان الايمان معرفة واما كلام النفس ان كان تصديقا وانتصاب صدرا على التمييز و
والاصل ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل الى النصب للمبالغة وليبنى الكلام على الابهام ثم التفسير قوله ذلك بانهم اي ذلك الارتداد بسبب انهم رجحوا الدنيا
على الآخرة ولاجل ان الله تعالى ما هداهم الى الايمان ولم يعصمهم عن الكفر وقال جار الله ذلك الوعيد والغضب والعذاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وهذا البحث وكذا

بحث الطبع والختم والخلاف في التفسير وبين الاشاعرة والمعتزلة قد مر في اول سورة البقرة وفي غيرها فلا حاجة الى الاعادة اولئك هم الغافلون اى الكاملون
في الغفلة اذ غفلوا عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون وقال في اوائل سورة هود هم الاخسرون لان اولئك صدوا عن سبيل الله وجملة
غيرهم فضلوا واضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الاخسرون وهؤلاء صدوا انفسهم فهم الخاسرون ويمكن ان يقال ان ما قبل الفواصل في تلك السورة
لم يعتمد على الف قبلها مثل يبصرون يفترون وفي هذه السورة اعتمدت على الالف مثل الكافرين الكاذبون فجاء في كل سورة على ما يناسبها ولما ذكر حال من اكره
اتبعه حال من هاجر من بعد ما فتن قال جار الله معنى ثم ان ربك تباعد حال هؤلاء من حال عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا
يخذلهم ويحتمل ان يكون الجار متعلقا بالخبر على نية التأخير وتكرير ان لطول الكلام من قرأ من بعد ما فتنوا بفتح الفاء مبنيا للفاعل فوجهه ان فتن وافتتن بمعنى وهم
او المراد ان اولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكانهم فتنوا انفسهم وان الرخصة في اظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد او اراد ان اكابر المشركين الذين
اذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرأ بضم الفاء مبنيا للمفعول فالمراد المستضعفين المعذبين
الذين حملهم اولياء المشركين على الردة والرجوع عن الايمان ان هاجروا وجاهدوا وصبروا فان الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر وقال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين
كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في رسول الله ثم اسلموا وهاجروا فنزلت الاية فيهم فمعنى ثم تباعد حالة الغفران والرحمة عن حالة الارتداد والشك
في امر الرسول الا ان الله سبحانه بكرمه يغفر لهم اذا تابوا وقيل نزلت في عبد الله بن ابي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار بعثمان
فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه اسلم وحسن اسلامه وهذه الرواية انما تصح لو جعلنا الاية مدنية ومثله ما روي عن قتادة انه لما انزل الله ان اهل مكة
لا يقبل منهم اسلام حتى يهاجروا كتب بها اهل المدينة الى اصحابهم من اهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها اليهم فتبايعوا بينهم على ان يخرجوا فان لحق بهم المشركون من اهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا او يلحقوا بالله فادركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل
ومنهم من نجا فنزلت هذه الاية والضمير في قوله من بعدها يرجع الى الافعال المذكورة من الهجرة والجهاد والصبر فالحاصل ان الاية اما في حق من عذب فارتد
ومع ذلك هاجروا وجاهدوا واما نازلة فيمن ارتد ثم تاب وقام بما يجب القيام به فوعده الله المغفرة والرحمة قال الزجاج يوم تأتي منصوب بقوله رحيم او باضمار اذكر
او ذكرهم وانذرهم ومعنى الاية ظاهر الا ان في قوله عن نفسها اشكالا من حيث اضافة النفس الى ضمير النفس واجيب بان المراد بالنفس الاولى جملة بدن الحي
وبالنفس الثانية الذات فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين
ونحو ذلك عن بعضهم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا لركبتيه يقول يا رب نفسي نفسي حتى ان ابراهيم الخليل عليه السلام
يفعل ذلك ثم اوعد الكفار بافات الدنيا ايضا فقال وضرب الله مثلا قرية يحتمل ان تكون مقدرة وان تكون معينة موجودة كمكة او غيرها وذهب اكثر
من المفسرين الى انها مكة والاقرب انها غيرها لان مثل مكة تكون غيرها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها قال العلماء ثم انه سبحانه وصفها بالامن والطمأنينة
والكفاية فوصف الله تعالى تلك القرية بالامن ثم بالاطمئنان اشارة الى ان هواء ذلك البلد لاعتداله ملائم لامزجتهم حتى اطمأنوا واستقروا ولم يحتاجوا
الى الانتقال طلبا للصحة ثم باتيان رزقها رغدا من كل مكان والا لم على حصول الكفاف لهم من غير كد قال في الكشاف الانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد
بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس قلت لعله حمله على ذلك طلب الضبط والا فلا حاجة الى هذا التكلف وكذا اطلق الاكثرون ان جمع فعلة بكسر الفاء على افعل
قليل انما ذكر جمع القلة تنبيها بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعم القليلة يوجب العذاب فكيف كفران النعم الكثيرة العظيمة وهذا مثل اهل مكة كانوا في
الطمأنينة والخصب ثم انعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وبالغوا في ايذائه فسلط الله عليهم البلاء عذبهم بالجوع سبع سنين
حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز والقد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم نقل ان ابن الراوندي قال لابن الاعرابي الاديب
هل يذاق اللباس قال ابن الاعرابي لا باس ايها النسناس هب ان محمدا ما كان نبيا اما كان عربيا كانه طعن في الاية ان المناسب ان لو قيل فكساها الله
لباس الجوع او فاذاقها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الاعرابي والذي اجاب به علماء البيان ان هذا من تجريد الاستعارة وذلك انه استعار اللباس لما غشي
الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف لان اطلاق
الذوق على ادراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها لكانت
مرشحة وقد سلف منا تقرير هذا الاصطلاح في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وان كان مستحسنا من جهة المبالغة الا ان للتجريد ترجيحا
من حيث انه روعي جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل ان اصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع التعرف والاختبار يقول انظر فلانا وذق ما
عنده قال شعر ومن يذق الدنيا فاني طعمتها وسيق الينا عذبها وعذابها تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان تعرفت اظهر عليه من الضمور وشحوب
اللون وتغير الحال وكسوف البال فمعنى الاية عرفها الله اثر لباس الجوع والخوف وقيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم من التكذيب والهم بقتله والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات اجريت على القرية الا قوله
يصنعون تنبيها على ان المراد في الحقيقة اهلها ولما ذكر المثل والممثل قال ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم من انفسهم يعرفونه باصله ونسبه فكذبوه فاخذهم العذاب
وهم ظالمون قال ابن عباس يعني بالعذاب الجوع الذي كان بمكة وقيل القتل يوم بدر قيل ان قول ابن عباس اولى والمراد ان ذلك الجوع بسبب كفرهم
فاتركوا الكفر فكلوا مما رزقكم الله من الغنائم فاكل الغنائم مسبب عن ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين جهدوا وقالوا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن في حمل الطعام اليهم فمعنى
قوله فكلوا ورجح قول ابن عباس بانه تعالى قال بعد ذلك انما حرم عليكم الميتة فالمراد انكم لما امنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب وهو الغنيمة واتركوا الخبائث
وهي الميتة والدم وانه سبحانه اعاد تحريم هذه الاشياء في البقرة وفي المائدة والانعام وفي هذه السورة قطعا للاعذار وازالة للشبهة ثم زيف طريقة الكفار
في الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفي النقصان عنها كتحليل الميتة والدم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب قال الكسائي والزجاج
ما مصدرية وانتصاب الكذب بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لاجل وصف السنتكم قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب وذلك ان تصف الكذب
بمعنى تكذب ويحتمل ما مصدرية ايضا اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة ودليل ويجوز
ان يكون ما موصولة اي ولا تقولوا للذي تصف السنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام فحذفت لفظة فيه لكونه معلوما وقوله تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه
كان ماهية الكذب مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقته نظيره قولهم وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر واللام في قوله لتفتروا لام العاقبة لا الغرض والمقصود
من ذكره بيان انه كذب على الله فان قوله لما تصف السنتكم الكذب لم يكن فيه هذا البيان ثم اوعد المفترين بقوله ان الذين يفترون الاية وقوله متاع قال الزجاج
اي متاعهم وعن ابن عباس اراد ان متاع كل الدنيا قليل والمعنى ان منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية او ان نعيم الدنيا كالعارية زائل عنهم عما قريب ويبقى العقاب

الدائم

الدائم الاليم ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني في سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر ثم قال وما ظلمناهم كقوله هناك ذلك جزيناهم ببغيهم ثم بين ان الافتراء على الله ومخالفة امره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة وقوله
بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متأملين في وخامة عاقبته لغلبة الشهوة عليهم ان ربك من بعدها من بعد تلك السيئة
او التوبة او الجهالة ولما بالغ في ابطال مذاهب المشركين وفي الجواب عن شبههم ومطاعنهم وكان ابراهيم عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة اكابر النبيين ذكره
في اخر هذه السورة فقال ان ابراهيم كان امة اي هو وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا
وحده والناس كلهم كفار فلهذا قيل انه امة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده وعن شهر بن حوشب لم تبق الارض الا وفيها
اربعة عشر رجلا يدفع بهم الله عن اهل الارض الا زمن ابراهيم فانه كان وحده وقيل انه بمعنى مأموم اي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كقوله اني
جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق السبب على المسبب وقيل حصلت لامته الامتياز عن سواهم قانتا لله قائما بامر الله وعن ابن عباس مطيعا لله
حنيفا مائلا الى ملة الاسلام ميلا لا يزول عنه وقال ابن عباس المراد انه اول من اختتن واقام مناسك الحج وضحى ولم يك من المشركين قط لا في الصغر ولا في الكبر شاكرا
لانعمه وان كانت قليلة فضلا عن النعم الكثيرة يروى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم
الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة
الاسلام واتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي ان الله تعالى حببه الى اهل الاديان كلها وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي كما صليت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين في اعلى مقاماتهم من الجنة تحقيقا لدعائه والحقني بالصالحين قال في الكشاف معنى ثم في قوله ثم اوحينا تبعيد هذا النعت
من سائر النعوت التي اثنى الله بها على ابراهيم ليعلم ان اجل ما اوتي خليل الله اتباع نبينا ملته في الاصول من التوحيد والمعاد وغيرهما كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك
العمل قال اهل النظم كان لسائل ان يسأل لم اختار اليهود السبت مع ان ابراهيم كان اختار الجمعة فاجاب الله تعالى بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فاختاره
بعضهم للفراغ واختار بعضهم الجمعة روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال امرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا في كل سبعة ايام يوما واحدا فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا
لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة ايضا فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيدهم
بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا
تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين
اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة ومعنى القول الاول بان اليهود مستقيمون
على تعيين يوم السبت للفراغة ويمكن ان يقال لعل منهم من اختار الجمعة في قديم الدهر ثم وقع الخلاف حتى ان النصارى يقولون ان يوم الاحد مبدأ الخلق فيكون
على ما اتفق عليه اهل الملل انه تعالى خلق العالم في ستة ايام اولها الاحد فجعلوه عيدا واليهود قالت ان يوم السبت هو اليوم الذي قد فرغ الله فيه من الاعمال فنحن
نوافق ربنا فاوجب جعل الجمعة عيدا والجواب عند التعبد هو ان يوم الجمعة يوم التمام والكمال وذلك يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا اولى ثم اوعد اليهود بقوله وان
ربك ليحكم الى اخره ولما امر محمدا باتباع ابراهيم صلى الله عليه وسلم بين وجه المتابعة فقال ادع الى سبيل ربك الاية وذلك ان طريقة ابراهيم صلى في الدعوة كانت هكذا وتقرير
ذلك ان الداعي الى مذهب ونحلة لابد ان يكون قوله مبنيا على حجة وهي اما ان تكون يقينية قطعية مبرأة من شائبة احتمال النقيض واما ان يكون مفيدة للظن القوي
والاقناع التام واما لم يكن متنبها اليهما في العلوم وقد يكون الجدال والخصام غالبا على المدعو فيحتاج حينئذ الى الزامه وافحامه بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة
عند الجمهور ومن الجدال والخصام غالبا اي مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله بالحكمة اشارة الى استعمال الحجج القطعية المفيدة لليقين والمكالمة بهذا الطريق انما يكون مع
الطالبين البالغين في الاستعداد الى درجة الكمال وقوله والموعظة الحسنة اشارة الى استعمال الدلائل الاقناعية الموقعة للتصديق بمقدمات مقبولة وهذا يكون مع
اقوام انحطت درجتهم عن درجة الطائفة الاولى الا انهم باقون على الفطرة الاصلية طاهرون عن دنس الشغب وكدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الا هذان
الطريقان لكن الداعي قد يضطر مع الخصم الالد الى استعمال الحجج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوة قوله وجادلهم بالتي اي بالطريقة التي هي احسن فان
طريق الجدال لم يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعي اليه لاجل كون الخصم مشاغبا وانما يستحسن هذا الطريق لكون الداعي محقا وغرضه صحيحا فان كان
مبطلا واراد تغليط السامع لم يكن جدالا حسنا ويسمى دليله مغالطة هكذا ينبغي ان يفسر تفسير هذه الاية فان كلام المفسرين الظاهرين فيه غير منضبط وجوز في الكشاف
ان يريد القران اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم باحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ولما حث على الدعوة بالطرق
المذكورة بين ان الرشد والهداية ليس الى النبي وانما ذلك الى الله فقال ان ربك هو اعلم الاية اي هو العالم بضلال النفوس واهتدائها وكدورتها وصفائها
ولمن جعل الدعوة سببا لسعادتها او واسطة لشقائها ثم ان الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع عن الدين المألوف والعظام منه شديد وربما تجر الى
المقاتلة فخفف امر الداعي واتباعه برعاية العدل والانصاف في حال القتال قائلا وان عاقبتم اي ان رغبتم في استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقتلوا بالمثل
ولا تزيدوا عليه والاية عامة وقد خصصها رواة اسباب النزول بقصة حمزة قالوا ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا
غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به ان اظفرني الله
بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده قال ابن عباس في رواية عطاء وابي بن كعب ومن ههنا ذهبوا الى ان خواتيم سورة النحل مدنية
ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد امروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا يبدءوا بالقتال
فهو كقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم امر الله تعالى ان يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا وقال مجاهد والنخعي وابن سيرين انه نهى المظلوم عن استيفاء
الزيادة من الظالم وفي قوله ولئن صبرتم رمز الى ان الاولى له ان لا يفعل كقول الطبيب للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى
التصريح قائلا ولئن صبرتم لهو اي صبركم خير لكم فوضع الظاهر موضع المضمر ثناء من الله عليهم ومدحا لهم بالصفة التي تحصل لهم او جنس الصبر خير للصابرين جنسهم ثم صرح كل
التصريح فقال واصبر ثم ذكر ما يفيد سهولة الصبر على النفس فقال وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه وهذا سبب كلي مفيد للصبر واما السبب الجزئي
القريب فذلك قوله ولا تحزن ولا تك وذلك ان اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وانما يهيج الغضب لفوات نفع واشار اليه بقوله ولا
تحزن عليهم قيل اي على قتلى احد وقيل على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين والاخر لتوقع مكروه في المستقبل واشار الى ذلك بقوله ولا تك في ضيق
من قرأ بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذي يشجع عليه امن الالباس لان الضيق وصف فهو يكون في الانسان ولا يكون الانسان فيه وفيه لطيفة اخرى
هي ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط به من جميع الجوانب ومن قرأ بفتحها فاما على انه مصدر ايضا او على انه مخفف ضيق ومعناه في امر ضيق وانما
لم يقل ولا تكن بالنون كما في اخر النمل موافقة لما قبله ولم يك من المشركين ولان الحزن ههنا اكثر بناء على انها وردت في قتل حمزة فبولغ بالحذف في النهي عن الحزن ثم

ختم السورة باية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات فقال ان الله مع الذين اتقوا المعاصي كلها والذين هم محسنون اي الطاعات بان يعبدوا الله مخلصين عن شوائب الرياء وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء الزيادة والذين هم محسنون في ترك اصل الانتقام فان اردت ان اكون معك بالنصر والتأييد فكن من المتقين ومن المحسنين وفيه ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب ان يكون بالرفق واللين برتبة وقيل الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله وسئل بعض المشايخ كان الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واحتضر هرم بن حيان فقيل له اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي اوصيكم بخواتيم سورة النحل التأويل واذا بدلنا آية الله تعالى يعالج بدواء القرآن امراض القلوب في كل وقت بنوع آخر على حسب ما يعلمه من المصالح فلذلك قال والله اعلم بما ينزل وبشرى للمسلمين الذين استسلموا للطبيب ومعالجته حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلمه بشر فيه ان الطب القلوب وعلاجها من شان البشر بنظر العقل لانه مبني على معرفة الامراض وكميتها وكيفيتها ومعرفة الادوية وخواصها وكيفية استعمالها ومعرفة الامزجة واختلاف احوالها ان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء فيضيق عن معالجتها نطاق عقول البشر ولهذا قال ابراهيم صلعم واذا مرضت فهو يشفين اللهم الا اذا علم بتعليم الله كقوله وما علمك ما لم تكن تعلم ومع هذا كان يقول نحن نحكم بالظاهر يلحدون اليه اعجمي هو الذي لا يفهم من كلام الله اسراره وحقايقه والعربي ضده كما قال فانما يسرناه بلسانك انما يفتري الكذب لان الافتراء من شان النفس الامارة الكاذبة التي لا تؤمن بآيات الله واولئك هم الكاذبون الذين استمروا على الكذب لان المؤمن قد يكذب في بعض الاحوال لكنه لا يصر على بعض الاحوال ذلك وهكذا في جميع المعاصي ولهذا لا يخرج من الايمان بالكلية ولا ينقص ايمانه ويرجع بالتوبة الى الاصل قال صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا من كفر بالله بعد ايمانه اشارة الى المريد المرتد تشمم روايح نفحات الحق بشام قلبه عند هبوبه واصطلى من اهوية عالم الباطن واخترق سحب حجب البشرية فلمع له برق اضاءات من آفاق سماء القلب واشرقت ارض النفس من حقيقة الطلب واحتمال التعب فيه وقد نار الشوق والمحبة فلما اضاءت حوله وبذل في الاجتهاد جهده وحولها حجب تحجاب الكبات فصدئت مرآة قلبه وذهب الله بنوره واخمدت نار الطلب وآل المشوم الى طبعه الا من اكره على مباشرة فعل او قول يخالف الطريقة من معاملات اهل الطبيعة فيوافقهم فيها في الظاهر ويخالفهم بالباطن حتى يتخلص من شوم صحبتهم استحبوا اختيار الحياة الدنيا وشهواتها على محبة الله وان الله لا يهدي الى حضرته القوم الكافرين بنعمته اولئك هم الغافلون عما اعد لعباده الصالحين هم الخاسرون لان الاعراض عن العبودية يورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا انفسهم وهواهم من بعد ما فتنوا بالمخالفة اوامر الحق ونواهيه ثم جاهدوا النفوس بسيوف الرياضات وصبروا على تزكيتها وتحليتها متمسكين بذيل ارادة الشيخ يوم تأتي ارباب النفوس تجادل عن نفسها على قدر بقاء وجودها ونفي المضار عنها او جذب المنافع حتى ان كل نبي يقول نفسي نفسي الا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه فان بالكلية عن نفسه باق ببقاء ربه فيقول امتي امتي لانه مغفور ذنب وجوده المتقدم في الدنيا والمتأخر في الآخرة بالفتح ليلة المعراج واذا واجهه بخطاب سلام عليك ايها النبي فني عن وجوده بالسلام وبقي بوجوده بالرحمة فكان رحمة مهداة بركاته الى الناس كافة ولكن يرفع الزلة من تلك الضيافة وجب لمتابعيه فلهذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين الذين صلحوا لبذل الوجود في طلب المقصود هي قرية شخص الانسان كانت آمنة الى اهله وهو الروح الانساني مطمئنة بذكر الله يأتيها رزقها من المواهب من كل مكان روحاني وجسماني فكفرت النفس الامارة فاذاقها الله لباس الجوع وهو انقطاع مواد التوفيق فاكلوا من جيفة الدنيا وميتة المستلذات والخوف وهو خوف الانقطاع عن الله ولقد جاءهم رسول الوارد الرباني فتخلقوا اخلاقه وكلوا مما رزقكم الله من انوار الشريعة واسرار الطريقة هذا حلال وهذا حرام على عادة اهل الاباحة وعلى الذين هادوا اي تابوا ورجعوا من موانع الوصول ما قصصنا عليك في بدو نبوتك حتى كنت محترزا عن صحبة خديجة وتحنث في حراء اسبوعا واسبوعين وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم بل انعمنا به عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون باعراضهم عنا بعد الاقبال علينا ولم يك من المشركين حين لم يشركه مع الله في الوجود اتبع ملة ابراهيم في الظاهر حتى يتبعك هو في الباطن ولهذا ذهب الى ربه ماشيا اني ذاهب الى ربي واسرى بمحمد راكبا سبحان الذي اسرى بعبده فهو خليل وانت حبيب فتبعت الخليل في الدنيا ويتبعك الخليل في الآخرة الناس يحتاجون الى شفاعتي يوم القيامة حتى ابراهيم عم وان عاقبتم النفس الامارة فعاقبوا اي اعزوا في عقابها بالفطام عن مألوفاتها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع عن مواد التكليف والمواهب ولئن صبرتم على معاقبتهم لهو خير لان عتاب الحبيب على قدر عقاب العدو واعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك واصبر على معاقبة النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله لان الصبر من صفات الله ولا يقدر احد ان يتصف بصفاته الا بان يتجلى بذاته لصفته ولا تحزن على النفس وجزوعها عند المعاقبة فان فيها صلاح حالهم ومآلهم ولا تك في ضيق مما يمكرون تندفع بمعونة الله عند الفرار اليه الله حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا
حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ۝ وآتينا موسى الكتاب و
جعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ۝ ذرية
من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ۝ وقضينا الى بني اسرائيل
في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ۝ فاذا جاء وعد
اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان
وعدا مفعولا ۝ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم

اكثر

اكثر نفيرا ۝ ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد
الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا
عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ۝
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا ۝ وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ۝
ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ۝ وجعلنا الليل
والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم
ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ۝ وكل
انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ۝
اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ۝ من اهتدى فانما
يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا ۝ واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ۝ وكم اهلكنا من القرون
من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ۝ من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ۝
ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم
مشكورا ۝ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك
محظورا ۝ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا ۝ صدق الله العظيم

يتخذوا بياء الغيبة ابو عمرو وعباس مخيرا الباقون بتاء الخطاب اسأتم بالمد ابو عمرو ويزيد والاصفهاني عن ورش والاعشى وحمزة في الوقف ليسوء بياء الغيبة على التوحيد ابن عامر وحمزة وابو بكر وحماد لنسوء بالنون علي ويزيد الباقون ليسوءوا على الجمع ويبشر مخففا حمزة وعلي ويخرج بالياء مجهولا يزيد ويخرج لازما يعقوب الآخرون بالنون متعديا يلقاه مشددا ابن عامر ويزيد وروى النقاش عن ابن ذكوان بالامالة الباقون مخففة وقرأ حمزة وعلي وخلف بالامالة اقرأ كتابك بغير همز الاعشى واوقية وحمزة في الوقف امرنا من باب المفاعلة يعقوب الوقوف الجزء الخامس عشر آياتنا ط البصير ه وكيلا ه ط لمن قرأ الا تتخذوا بتاء الخطاب لامكان ان يجعل ذرية منادى نوح ط شكورا ه كبيرا ه الديار ط مفعولا ه نفيرا ه فلها ط لان اذا بعده عامل الى قوله فاذا جاء وعد الآخرة مع اعتراض الجواب من تتبيرا ه يرحمكم ج لابتداء الشرط مع العطف عدنا م عدنا نعم حصيرا لئلا يوهم العطف حصيرا ه كبيرا ه للعطف اليما ه بالخير ط عجولا ه والحساب ط تفصيلا ه عنقه ط منشورا ه كتابك ط حسيبا ه ط لنفسه ج للشرط مع العطف عليها ط اخرى ط رسولا ه تدميرا ه نوح ط بصيرا ه جهنم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف مدحورا ه مشكورا ه عطاء ربك ط محظورا ه بعض ط تفضيلا ه لما عزم على جنيد في خواتيم النحل جوامع مكارم الاخلاق حكى طرفا مما خصه به من المعجزات فقال سبحان الذي وهو اسم للتسبيح وقد جاء اعرابي في قوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والمراد تنزيه الله من كل ما لا يليق بجلاله واسرى وسرى لغتان يروى انه لما وصل النبي صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العلية في معراجه اوحى الله اليه يا محمد بم اشرفك فقال يا رب بنسبتي الى نفسك بالعبودية فانزل فيه سبحان الذي اسرى بعبده وقوله ليلا نصب على الظرف وفيه تاكيد لمعنى

وفي تنكيره وتقليله بدلالة الاول التنكيرية معنى البعضية اجزاء اسرى به في بعض الليل من المسجد الحرام عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند
البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق وقيل اراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد والى هذا القول ذهب
الاكثرون قالوا انه اسرى به من دار ام هانئ بنت ابي طالب قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس بالاتفاق
سمي بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام
ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقوله اسرى مع قوله باركنا سلوك لطريق الالتفات لنريه من اياتنا بيان لحكمة الاسراء سؤال
اري ابراهيم ملكوت السموات والارض واري محمدا صلى الله عليه وسلم بعض اياته فيلزم ان يكون معراج ابراهيم افضل الجواب لعل بعض الايات لمحمد
اشرف واجل من ملكوت السماء والارض كلها وقد ختم الاية بقوله انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله المهذبة الخالصة فيكرمه على حسب ذلك واعلم ان
الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا على انه اسرى بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقلون على انه ما اسرى الا بروحه حكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة
انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عرج بروحه وحكي هذا القول عن عائشة ايضا وقد احتج بعض العقلاء على هذا القول
بوجوه منها ان الحركة الجسمانية البالغة في السرعة الى هذا الحد غير معقولة ومنها ان صعوده الى السموات يوجب انخراق الافلاك ومنها انه لو صح ذلك لكان
من اعظم معجزاته وجب ان يكون بمحضر من الجم الغفير حتى يستدلوا بذلك على صدقه وما الفائدة في اسرائه ليلا على حين غفلة من الناس ومنها ان الانسان عبارة
عن الروح وحده لانه باق من اول عمره الى اخره والاجزاء البدنية في التغير والانتقال والباقي مغاير للمتغير ولان الانسان يدرك ذاته حين ما يكون غافلا عن جميع جوارحه
واعضائه ومنها قوله سبحانه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما ذلك الرؤيا الا حديث المعراج وانما كانت فتنة للناس لان كثيرا ممن امن به حين
سمعها ارتد وكفر به ومنها ان حديث المعراج الجسماني اشتمل على اشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وتطهيره بماء زمزم وركوب البراق وايجاب خمسين صلوة
فان ذلك يقتضي نسخ الحكم قبل حضور وقته وانه يوجب البداء اجاب الاكثرون عن الاول بان حركة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى فوق الفلك
الاعظم لم يكن الا نصف قطر الفلك ونسبة نصف القطر الى نصف الدور نسبة الواحد الى ثلثة وسبع [illegible] نصف حركة الفلك في يوم وليلة واذا كان
الاكثر واقعا فالاقل بالامكان اولى ولو كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتنعا لكان القول من نزول جبرئيل من العرش الى مكة في لحظة واحدة
ممتنعا لان الملائكة ايضا اجسام عند جمهور المسلمين وكذا القول في حركات الجن والشياطين وقد سخر الله لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذي
عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكان عرش بلقيس في اقصى اليمن وسليمان في الشام وعلى قول من يقول ان الابصار بخروج الشعاع فانه
ينتقل شعاع العين من البصر الى الكواكب السيارة في ان واحد فثبت ان المعراج امر ممكن في نفسه اقصى ما في الباب الاستبعاد وخرق العادة ولكنه غير مخصوص بهذه
الصورة وانما ذكره حاصل في جميع المعجزات وعن الثاني ان انخراق الافلاك عند حكماء الاسلام جائز وعن الثالث ان فائدة الاسراء قد عادت اليه حيث
شاهد العالم العلوي والعرش والكرسي وما فيهما وعليهما فحصل في قلبه زيادة قوة وطمانينة بها انقطعت تعلقاته عن الكونين ولم يبق مشغول القلب بشيء من امور الدنيا
والاخرة وعن الرابع ان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وعن الخامس ان تلك الرؤيا هي غير حكاية المعراج كما يجيء في تفسيره ولو سلم انها هي المعراج كان رؤيا بمعنى
الرؤية وعن السادس انه لا اعتراض على الله تعالى في شيء من افعاله وانه على كل شيء قدير واعلم انه ليس في الاية دلالة على العروج من بيت المقدس الى السموات
والى ما فوق العرش الا انه ورد الحديث به ومنهم من يستدل على ذلك باول سورة النجم او بقوله لتركبن طبقا عن طبق والتفسير ما ذكر في موضعه يروى انه صلى الله عليه وسلم
كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت
ام هانئ بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء
وانه اسرى من مكة الى بيت المقدس ومنه عرج الى السماء ورأى ما فيها من العجائب ولقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى فقال ابو جهل يا معشر
بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقال
ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من سافر الى الشام فاستنعتوه المسجد
فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس
يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت وقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق
كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين ولما حكى طرفا من اكرام محمد صلى الله عليه وسلم ذكر شيئا من اكرام موسى فقال واتينا موسى الكتاب اي التورية
وجعلناه هدى لبني اسرائيل اخرجناهم بواسطته من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الا تتخذوا من قرا على الغيبة فان ناصبة ولام العاقبة محذوفة اي لئلا
يتخذوا ومن قرا على الخطاب فان مفسرة بمعنى اي لا تتخذوا او الكلام كتبت اليه ان افعل كذا او زائدة والقول مضمر يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون
اليه اموركم يا ذرية من حملنا مع نوح قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح عليه السلام لانه كان معه في السفينة ثلثة بنين سام وحام ويافث والناس
كلهم من ذريته اولئك فقوله يا ذرية قائم مقام قوله يا ايها الناس وعلى القراءة الاولى انتصب ذرية على الاختصاص وعلى القراءتين احتمل ان ينتصب على انه مفعول
اخر لتتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير ثم علل النهي عن الشرك بقوله
انه كان عبدا شكورا اي انتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعلوه اباؤكم اسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له ويجوز ان يكون تعليلا
لاختصاص بني اسرائيل والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فلهذا استاهلوا الاختصاص وجوز في الكشاف ان يكون ثناء على نوح بطريق
الاستطراد يروى من شكره انه كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى
قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وكان
اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان وجده محتاجا اثره به ثم ذكر ان كثيرا من بني اسرائيل ما اهتدوا بهدى التورية فقال وقضينا الى بني اسرائيل
اوحينا اليهم وحيا مقضيا مقطوعا به في الكتاب الذي هو التورية وقوله لتفسدن جواب قسم محذوف او اجري القضاء المبتوت مجرى القسم كانه قيل واقسمنا
لتفسدن في الارض ارض مصر مرتين ولتعلن ولتغلظن ولتستولن على الناس علوا كبيرا [illegible] فاذا جاء وعد عقاب اولاهما اولى المرتين بعثنا
ارسلنا وسلطنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد اصحاب نجدة وشدة في القتال فجاسوا ترددوا للغارة خلال الديار وسطها وفرجها يعني ديار بيت المقدس وكان
وعد العقاب وعدا مفعولا لا بد من وقوعه ثم رددنا لكم الكرة الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم و
النفير من ينفر مع الرجل من قومه [illegible] احتجت الاشاعرة بقوله سبحانه وقضينا بعثنا وكان وعدا مفعولا على صحة القضاء والقدر وان الافساد والنهب والقتل والاسر
كلها بفعله واجابت المعتزلة بان المراد انه خلى بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم من تخريب بيت المقدس واحراق التورية وقيل [illegible] ضعيف لان تفسير البعث

التخلية وعدم المنع خلاف الظاهر على ان الدليل الكلي العقلي قد دل على وجوب انتهاء الكل اليه ولما حكى عنهم انهم حين عصوا سلط اعداءهم عليهم ذكر قاعدة كلية
في الاحسان والاساءة فقال ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها لم يقل فعليها او فاليها للتقابل مع ان حروف الاضافة تقوم بعضها مقام البعض قال اهل
الاشارة انه اعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الا مرة تنبيها ودليلا على ان جانب الرحمة اغلب فاذا جاء وعد عقاب المرة الاخرة بعثناهم حذف جواب اذا
لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلها العدو او الوعد او البعث ليجعلوا بادية اثار المساءة والكآبة فيها لان اثار الاعراض النفسانية الحاصلة في القلب
انما تظهر على الوجه وليتبروا ما علوا تتبيرا ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه ويجوز ان يكون بمعنى المدة اي ما دام سلطانهم جاريا على بني اسرائيل وقوله
تتبيرا ذكر للمصدر ازالة للشك وتحقيقا للخبر يروى ان بني اسرائيل لما طغوا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك اول الافسادين
سلط الله عليهم بخت نصر او سنحاريب وجنوده او جالوت وعن ابن عباس قتلوا علماءهم واحرقوا التورية وسبوا منهم سبعين الفا وبقوا في الذل الى ان [illegible]
[illegible] من اهل بابل وتزوج بامراة من بني اسرائيل وطلبت من ذلك الملك ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء
ورجعوا الى احسن ما كانوا عليه ثم اقدموا على قتل زكريا ويحيى عليهما السلام وقصدوا قتل عيسى بن مريم ثم وهذا ثاني الافسادين فانتقم منهم وبعث عليهم ملك
من الروم يقال له قسطنطين الملك وقال صاحب الكشاف المرة الاولى قتل زكريا وحبس ارميا والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى واعلم انه
لا يتعلق كثير غرض بمعرفة اعيان هؤلاء الاقوام والمقصود الاصلي الذي دل عليه القرآن هو انهم كلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم اعداءهم وفيه تحذير للعقلاء
عن مخالفة اوامر الله ونواهيه ثم قال عسى ربكم يا بني اسرائيل ان يرحمكم بعد انتقامه منكم في المرة الثانية وان عدتم للثالثة عدنا لها قال اهل السير ثم انهم قد عادوا
الى فعل اليهود وهو تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وكتمان ما ورد من نعته في التورية والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على ايدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة
وبني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والاجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا شوكة لهم واخرة فيهم في عذاب الى يوم القيمة واما بعد ذلك فهو قوله وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا اي محبسا حاصرا او محصورا لهم لا يتخلصون منه ابدا وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المنسوج ثم لما شرح فعله في حق عباده المخلصين كمحمد وموسى
صلوات الله عليهما وفي حق عبيده العاصين كاكثر بني اسرائيل وكان في ذلك تنبيه على ان طاعة الله توجب كل خير وكرامة ومعصيته تقتضي كل شر وغرامة
عظم شان القرآن المبين للاحكام الهادي للانام فقال ان هذا القرآن يهدي للتي اي للحالة او الشريعة او الطريقة التي هي اقوم وفي حذف الموصوف فخامة [illegible]
اهل البلاغة لعموم الاعتبار وذهاب الوهم كل مذهب قيل هذا الشيء اقوم من ذلك انما يصح في شيئين يشتركان في معنى الاستقامة ثم يكون للاول فضل على الاخر
وكيف يتصور في غير هذا الدين شيء من الاستقامة حتى يستقيم هذا التفضيل واجيب بان افعل هاهنا بمعنى الفاعل كقولنا الله اكبر اي هو الكبير وكقولهم الناقص والاشج
اعدلا بني مروان اي عادلا بني مروان ويمكن ان يقال لا شيء من الاديان الا وفيه نوع من الاستقامة كالاعتراف بالله لاصول الاخلاق ومكارم العادات وفي
الديانات الا ان بعض الخلل يبطل الكل فالكل منهدم بانهدام الجزء ثم ان كون القرآن هاديا الى الاعتقاد الاصوب والعمل الاصلح له نتيجة واثر وذلك لوجب الذات
والالتزام بالاجر الكبير لاهل الايمان والعمل الصالح والعذاب الاليم لغيرهم والتعبير بلفظ البشارة بمعنى الانذار يستعمل للتهكم او البشارة مطلق الخبر المغير للبشرة
فكانه قيل ويخبر الذين لا يؤمنون بالاخرة ان لهم عذابا ويجوز ان يبشر المؤمنين ببشارتين احديهما ثوابهم والاخرى بعقاب اعدائهم قال في الكشاف كيف ذكر المؤمنين
الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة واجاب على اصول الاعتزال بان الناس كانوا حينئذ اما من اهل التقوى واما من اهل الشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين
بعد ذلك قلت هذا الجواب منه عجيب فان هذا الصنف لو سلم انه لم يكن موجودا في ذلك العصر الا ان حكمه يجب ان يذكر في القرآن الذي فيه اصول الاحكام على انه
ذكر الفساق من الامة في القرآن لكن والذي هو موجود قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم واذا كان ذكرهم في القرآن واراد الله تعالى بعد ههنا اوصاف القرآن على جهة المدح فاي مقام ادعى الى ذكر هذا الصنف من ههنا والجواب الحق ان الفسقة
جعلوا تابعين لاهل الايمان والله اعلم قيل هذه الاية واردة في شرح احوال اليهود وهم كانوا ينكرون الايمان بالاخرة والجواب المنع من الخصوص ولم سلم فانهم
بالاخرة كلا ايمان فبعضهم انكروا المعاد الجسماني وبعضهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما واعلم انه سبحانه قال ههنا اجرا كبيرا وفي اول الكهف اجرا حسنا رعاية للفاصلة والا
فالاجر الكبير والاجر الحسن كلاهما الجنة ولما بين ان القرآن كاف في الهداية وذكر ان الانسان قد يعدل عن التمسك باحكامه فقال ويدع الانسان اي جنس الكافر وقد ذكر
جمع من المفسرين انه النضر بن الحارث دعا اللهم ان كان هذا هو الحق فاجاب الله دعاءه وضربت رقبته صبرا وكان بعضهم يقول ائتنا بعذاب الله واخرون
سموا هذا الوعد جهلا منهم واعتقادا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كاذب وقيل المراد انه يدعو الله عند غضبه وضجره على نفسه واهله وولده وماله ولو استجيب له في الشر
كما يستجاب له في الخير لهلك يروى انه صلى الله عليه وسلم دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يان بالليل فقالت له ما لك تان فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما
امسى اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها لتوقع الاجابة وان يقطع
يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها وكان
الانسان عجولا يستعجل العذاب مع انه اية او يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتعنى بان خيره فيه وان كان ذلك عند التامل مضرا له وقيل اراد
بهذا الانسان ادم وذلك انه لما انتهى الروح الى سرته نظر الى جسده فاعجبه ما راى فذهب لينهض فلم يقدر وليس هذا القول بالحقيقة مغايرا للاول لان اصل
الادمي اذا كان كذلك كان كل فرد منه متصفا به لا محالة قال اهل النظم لما ذكر نعمة الدين وهو القرآن اردفها بنعمة الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار ايتين وفيه
ان القرآن لا يتم المقصود منه الا بمزج المحكم والمتشابه فكذا الزمان لا يكمل الانتفاع به الا بجري الليل والنهار فالمحكم كالنهار في وضوحه والمتشابه كالليل في خفائه
وبوجه اخر لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد اكده بدليل اخر من عجائب الزمان وبوجه اخر لما وصف الانسان بكونه عجولا اي منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة
بين ان كل احوال هذا العالم كذلك فينتقل من النور الى الظلمة وبالعكس وينتقل القمر من النقصان الى الامتلاء وبالضد فمحونا اية الليل هي اضافة الشيء الى نفسه
للبيان كقولك نفس الشيء وذاته اي فمحونا الاية التي هي الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا الاية
التي هي النهار مبصرة ذات ابصار وذلك باعتبار من فيها اي يبصر فيها الاشياء وتستبان او اريد بالابصار الاضاءة لانها سببه وقيل المضاف محذوف والتقدير وجعلنا
نيري الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا
فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار وشعاع الشمس المستلزم للنهار الى التصرف في وجوه معاشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين او بزيادة نور القمر ونقصانه عدد السنين الشمسية
والقمرية المركبة من الشهور والحساب [illegible] وقيل اراد بمحو القمر الكلف الذي في وجهه وسببه في الشرع ما روي
ان الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فارسل الله تعالى جبرئيل فامر جناحه على وجه القمر فذهب عنه الضياء وسببه عند الفلاسفة انه اركز في وجه القمر اجسام قليلة
القبول للنور [illegible] في اجرام الافلاك ولما كانت تلك الاجرام اقل ضوءا من جرم القمر لاجرم شوهدت تلك الاجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الانسان ونحن قد ذكرنا له
وجها اخر في الهيئة قال اهل التجارب ان اختلاف احوال القمر في مقادير النور له اثر عظيم في احوال هذا العالم ومصالحه كما في احوال البحار والبحارين على ما ذكره الاطباء

[illegible]

حق عليها القول استوجبت العذاب فدمرناها تدميرا اهلكناها على سبيل الاستئصال قالت الاشاعرة ظاهر الآية يدل على انه تعالى اراد اهلاكهم ابتداء ثم توسل
الى اهلاكهم بهذا الطريق وتوجيه قوله فحق عليها القول اي بالكفر ثم التعذيب وقال الكعبي ان سائر الآيات دلت على انه تعالى لا يبتدئ بالتعذيب لقوله
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فتلك الآيات محكمة وهذه من المتشابهات فيجب حمل هذه على تلك قال
في التفسير الكبير احسن الناس كلاما في تاويل هذه الآية القفال فانه ذكر وجهين الاول اخبر الله انه لا يعذب احدا بما علمه منه ما لم يعمل به اي لا يجعل علمه حجة على من علم انه
[illegible] حتى يظهر عصيانه للناس [illegible] ومعنى الآية واذا اردنا امضاء ما سبق من القضاء باهلاك قوم الثاني ان يقول فاذا اردنا اهلاك قوم
بسبب ظهور العصيان منهم لم نعاجلهم بالعذاب في اول ظهور المعصية منهم بل امرنا مترفيها بالرجوع عن تلك المعاصي وخص المترفين بذلك لان نعمة الله عليهم اكثر فكان الشكر
عليهم اوجب فاذا لم يرجعوا واصروا [illegible] عليهم البلاء صبا وزعم الجبائي ان المراد بالارادة الدنو والمشارفة كقولك اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه

[illegible]

لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا ۞ وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ۞ واخفض

[illegible]

لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا
ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا
وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان
المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما
تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ
كبيرا ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
فلا يسرف انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي في القتل
احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا و
اوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن
تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولئك كان عنه مسؤولا ولا تمش في الارض مرحا انك لن
تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند
ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل
مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا افاصفاكم ربكم بالبنين
واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما صدق الله الكريم العظيم

[illegible]

جل

عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء له انفع من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضاء الله في
الوالدين وسخطه في سخطهما وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابواي بلغا من الكبر اني الي منهما
ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اباه وانه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو
قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع ذلك الا بكى ثم قال صلى الله عليه وسلم للولد انت ومالك لابيك انت
ومالك لابيك مرتين وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك
حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جازيتها
ولو طلقة وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها ثم قال سبحانه ربكم اعلم بما في نفوسكم اي بما
في ضمائركم من الاخلاص وعدمه في كل الطاعات ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر الى الوالدين ثم فرطت منكم بادرة في حقهما فانيبوا الى الله و
استغفروه منها فانه كان للاوابين غفورا اللام للعهد كما روي عن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير والجنس فيشمل
كل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره ثم وصى بغير الابوين من الاقارب بعد
التوصية بهما فقال وآت ذا القربى حقه قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يؤتي اقاربه الحقوق التي وجبت لهم في الفيء والغنيمة واوجب
عليه اخراج حق المساكين وابناء السبيل ايضا من هذين المالين والاظهر انه خطاب لكل انسان كما في قوله وقضى ربك واما الحق المأمور به للاقارب فهو اذا
كانوا محارم كالابوين والولد وكانوا فقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم بقدر الحاجة وعند الشافعي لا ينفق الا على الولد والوالدين
وان كانوا مياسير او يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة على السراء والضراء وفي عطف المسكين وابن السبيل على ذي القربى
دليل على ان المراد بالحق الحق المالي وقد تقدم وصف المسكين وابن السبيل في البقرة وفي التوبة ثم نهى عن التبذير وهو تفريق المال كما يفرق البذر وهو الانفاق
المذموم كانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتنفق اموالها في الفخر والسمعة كما ذكروا ذلك في اشعارها فنهوا عن ذلك وامروا بالانفاق فيما يقرب
الى الله قال ابن مسعود هو التبذير انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا ثم بالغ في تقبيح شأن التبذير فقال ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين اي امثالهم في الشر او اصدقاءهم من حيث انهم يطيعونهم في الامر بالاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا
لانه يستعمل قواه البدنية في المعاصي والافساد والاضلال وكذلك من رزقه الله مالا او جاها فصرفه الى غير مرضاة الله كان كفورا لنعمة الله ثم علم ونبه حال
السائل ان يقتضي الامر الى ذلك ضرورة فقال واما تعرضن عنهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء والقول
الميسور الرد بالطريق الاحسن وقيل اللين السهل قال الكسائي يسرت له القول اي لينته وقيل القول المعروف كقوله قول معروف ومغفرة خير وذلك ان القول المتعارف
لا يحوج الى تكلف وقيل ادع لهم بان يسهل الله عليهم اسباب الرزق اي دعاء فيه يسر قال جار الله قوله ابتغاء رحمة اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه
اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا ابتغاء رحمة من الله ترجوها بسبب رحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق
من ربك ترجو ان يفتح لك فردهم ردا جميلا فسمى الرزق رحمة ووضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فالفقد سبب الابتغاء فاطلق المسبب
على السبب ويجوز ان يكون الاعراض كناية عن عدم الاعطاء فان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه ولما ذكر ادب المنع ونهى عن التبذير صرح بادب الانفاق
فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وهو مثل لغاية الامساك بحيث يضيق على نفسه واهله في سلوك سبيل الانفاق ولا تبسطها كل البسط اي لا تتوسع
في الانفاق بحيث لا يبقى في يدك شيء وحين نهى عن طرفي التفريط والافراط المذمومين بقي الفاضل المسمى بالجود وهو العدل والوسط ثم بين غاية استعمال
الطرفين فقال فتقعد ملوما عند الناس بالبخل محسورا بالاسراف اي منقطعا عن المقاصد بسبب الفقر بعير محسور منقطع عن السير ولا شك ان المال شقيق الارواح
والاموال وكثيرا ما يلام الرجل على تضييع المال بالكلية وابقاء الاهل والولد في الضر والمحنة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ اتى صبي فقال ان امي تستكسيك
درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد
عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة فنزلت الاية وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة ابن حصين فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول
شعر اتجعل نهبي ونهب العبيد • بين عيينة والاقرع • وما كان حصن ولا حابس • يفوقان جدي في مجمع • وما كنت دون امرئ منهما • ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم انه سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بان الذي رهقه من الاضاقة ليس لهوان منه على الله ولا لبخل عليه ولكنه تابع
لمشية الخالق الرزاق فقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق انه كان بعباده وبمصالحهم خبيرا بصيرا فالتفاوت في الارزاق ليس لاجل البخل ولكن
لرعاية الصلاح ويمكن ان يكون مراد الاية ان البسط الكلي والقبض الكلي من شأن الرب الخبير البصير وليس للعباد الا الاقتصاد ويحتمل ان يراد انه تعالى مع غاية قدرته وسعة جوده
يراعي اوسط الحالين فلا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته وتخلقوا باخلاقه وفي الاية دلالة على انه هو المتكفل بارزاق العباد
فلذلك قال بعده ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وايضا علم كيفية البر بالاولاد وقبله البر بالاباء مكافاة وبر الابناء ابتداء اصطناع وفيه نظام العالم وبقاء نوع الانسان
لان قتل الاولاد ان كان لخوف الفقر فهو سوء الظن بالله وان كان لاجل الغيرة لاجل البنات فهو سعي في تخريب العالم والاول ضد التعظيم لامر الله والثاني ضد الشفقة
على خلق الله ومن يرغب عن محبة الولد فكأنه رغب عن جزئه قال ولد المرء منه جزء ما حال امرئ يودع المرء منه جزء وكانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب
وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على السبي والقتل والغارة وايضا كانوا يخافون ان فقرها ينفر كفاءها فيحتاجون الى انكاحها من غير الاكفاء وفي ذلك عار شديد
فبين الله سبحانه ان الموجب للرحمة والشفقة هو كونه ولدا فلهذا قال اولادكم وبين ان الخوف من الفقر لا وجه له لان الله هو الرزاق للكل وكثيرا ما يكون الابن اخرق
من البنت بعد البلوغ وكلا الصنفين يشتركان في الانفاق عليهما قبل البلوغ ولما نهى عن قتل الاولاد والمستدعي لافناء النسل ذكر النهي عن الزنى المفضي الى ذلك
ولا اقل من اختلاط النسب فقال ولا تقربوا الزنى وهذا اكد من ان يقال لا تزنوا ثم علل النهي بقوله انه كان فاحشة اي خصلة متزايدة في القبح وساء سبيلا فتمسك
القائلون بالتحسين والتقبيح العقليين بهذا التعليل في اثبات الاشياء للحسن والقبح بذواتها لوجوه عائدة اليها في انفسها وان تكاليف العباد واقعة على وفق مصالحهم
في المعاش والمعاد ومن مفاسد الزنى اختلاط الانساب وتضييع الاولاد واهمال تربيتهم فان الولد اذا لم يكن منسوبا الى شخص معين لم يكن احد بالتزام تربيته اولى فهذا
وكذا المرأة التي ولدته اذا لم يوجد سبب شرعي الزنى صارت هي بها اولى بالرجل لم يحصل الالف والمحبة ولا تم السكون والازدواج وتوثب كل رجل على كل امرأة
اراد وبحسب شهوته ومقتضى طبعه فيهيج الفتن والحروب بعد التشبيه بالبهائم وايضا ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة ولكن المقصود الكلي هو ان تكون شريكة
للرجل في ترتيب المنزل واعداد مهماته والقيام بامور الاولاد والعبيد ولن تتم هذه المقاصد الا اذا كانت مقصورة الهمة على رجل واحد منقطعة الطمع عن غيره وايضا

الوطئ يوجب الذل والعار ولهذا لا يرتكب الا في الاماكن المستورة وفي الاوقات المعلومة فاقتصار المرأة على الواحد من الرجال سعي في تقليل ذلك العمل وكفى في قبح
الزنى ان مرتكبه من الرجال والنساء مذموم ومستقذر عند كل عقل سليم ويحط بذلك عن درجة الاعتبار والاعتماد ثم انه زعم في التفسير الكبير انه تعالى وصف الزنى في
هذه الاية بكونه فاحشة وسبيلا وفي اية اخرى بكونه مقتا وهو وهم لان ذلك قد ورد في اول سورة النساء في نكاح منكوحات الاب ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء
الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وانما نبهنا عليه لئلا يقتدي غيره في السهو ولما فرغ من التكليف بالاحتياط في ابتداء حال الانسان شرع بالتكليف
بالاحتياط في اخر عمره فقال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله وفي التصريح في التحريم بعد النهي تأكيد للحظر ولا ريب ان الاصل في قتل الانسان هو التحريم لانه ضرر
والاصل في المضار الحرمة ولان الانسان خلق للاشتغال بالعبادة وانه لا يتم الا بالحيوة وكمال البنية ولكن الحل انما يثبت لاسباب عرضية فلهذا قال الا بالحق
ثم اجمل فبين ذلك الحق بقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي تسلطا على استيفاء القصاص فظاهر الاية دل على ان سبب حل القتل ظلما و
ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق يقتضي ضم شيئين اخرين اليه فزعما على الغول فخصص
عموم القرآن بخبر الواحد ويحتمل ان يقال قوله ومن قتل مظلوما كلام مستأنف والحديث بيان وتفسير لقوله الا بالحق فلا يلزم التفريع المذكور ثم انه دلت اية اخرى على
سبب رابع وهو قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واية اخرى على سبب خامس وهو الكفر الاصلي اقتلوهم حيث ثقفتموهم وقد ابرز الفقهاء اسبابا
منها تارك الصلوة يقتل عند الشافعي دون ابي حنيفة وكذا اللائط ومنها الساحر اذا قال قتلت فلانا بسحري وجوز بعضهم قتل من منع الزكوة ومن اتى البهيمة
والذين منعوا القتل في هذه الصور قالوا الاصل حرمة القتل كما بينا فلا يترك الا بدليل معارض اقوى او لا اقل من المساوي وهو النص المتواتر ثم انه سبحانه اثبت لولي
الدم سلطانا ولم يبين ان هذه السلطنة بما تحصل فيها فقيل انه لما قال فلا يسرف في القتل عرف ان تلك السلطنة انما تحصل في استيفاء القتل وقيل معنى قوله فلا يسرف
في القتل ان ما حصلت السلطنة باستيفاء القصاص وسلطنة استيفاء الدية بقوله كتب عليكم القصاص في القتلى الى قوله فمن عفي له الاية فالاولى به ان لا يقدم على استيفاء
القتل وان يكتفي بالعفو واخذ الدية فثبت ان هذه الاية لا يجوز التمسك بها في مسئلة ان موجب العمد هو القصاص وعن الشافعي ان التنوين في قوله مظلوما للتنكير فيدل
على ان المقتول ما لم يكن كاملا في وصف المظلومية لم يدخل تحت هذا النص فعلم منه ان المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك فان ذنبه غير مغفور كالمشرك وكان النصارى
قائلون بالتثليث وقد قال تعالى اقتلوا المشركين فثبت ان الذمي غير كامل في المظلومية فلا يندرج في الاية وايضا ليس فيها دلالة على ان الحر يقتل بالعبد لانها وان كانت
عامة الا ان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد خاص والخاص مقدم على العام من قرأ فلا تسرف بالتاء الفوقانية فعلى خطاب الولي او قاتل المظلوم ومن قرأ على الغيبة
فالضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول ثم الضمير في قوله انه كان منصورا فاما للولي اي حسبه ان الله
قد نصره بايجاب القصاص فلا يستزد عليه او نصره بمعونة السلطان والمؤمنين فلا يتبع ما وراء حقه واما للمظلوم فان الله نصره في الدنيا بايجاب القصاص على قاتله وفي الاخرة
باعطاء الثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف ولما ذكر النهي عن اتلاف النفوس في المبادي وختم بها
اتبعه النهي عن اتلاف الاموال وكان اهمها بالحفظ والرعاية مال اليتيم فقال ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وهي تثميره وانماؤه وروى مجاهد
عن ابن عباس اذا احتاج الولي اكل بالمعروف فاذا ايسر قضاه وان لم يوسر فلا شيء عليه ويتصرف الولي في مال اليتيم على الوجه المذكور حتى يبلغ اليتيم اشده وبان يكمل
قواه العقلية والحسية كما مر في اخر الانعام واوفوا بالعهد يتناول كل عقد جرى بين انسانين على وفق الشرع وقانونه في المعاملات والمناكحات وغيرها الا اذا دل
دليل خاص على ضده ان العهد كان مسؤلا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او هو على حذف المضاف والمراد ان صاحب العهد مسؤل ويحتمل
كانه يقال للعهد لم نكثت تبكيتا للناكث كقوله واذا الموؤدة سئلت ثم امر بايفاء الكيل فيما يكال والوزن فيما يوزن والقسطاس بضم القاف وكسرها هو
القبان المسمى بالقرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر والاصح انه لغة الروم من القسط النصيب العدل وقيل رومي او سرياني ذلك الايفاء والوزن العدل خير
من التطفيف واحسن تأويلا عاقبة من آل اذا رجع اما في الدنيا فانه اذا اشتهر بالاحتراز عن الخيانة مالت القلوب اليه وعول الناس عليه فينفتح عليه ابواب المعاش
واما في الاخرة فظاهر قال الحكيم ان نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد عليه شديد والعار فيه عظيم فيجب على العاقل ان يحترز عنه ثم امر باصلاح اللسان والقلب
فقال ولا تقف اي لا تتبع من قولك قفوت فلانا اي تبعت اثره ومنه قافية الشعر لانها تقفو كل بيت والقبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون اثار اقدام الناس
ويستدلون بها على احوالهم في النسب والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم او يعمل بما لا علم له به وهذه قضية كلية ولكن المفسرين حملوها على صور مخصوصة فقيل نهي المشركين
عن تقليد اسلافهم في الالهيات والنبوات والتحليل والتحريم والمعاد كقوله ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وعن محمد
بن الحنفية المراد شهادة الزور ومثله عن ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك وسمعته اذناك ووعاه قلبك وقيل المراد النهي عن القذف ورمي المحصنين و
المحصنات بالاكاذيب وكانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها في الهجاء ويبالغون فيه وقال قتادة معناه لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم
تعلم وقيل القفو هو البهت وهو في معنى الغيبة لانه قول يقال في قفاه ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج اي
يتوب وردغة الخبال بفتح الدال وسكونها هي عصارة اهل النار من القيح والصديد احتج نفاة القياس بالاية زعما منهم ان الحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم و
ان العلم قد يراد به الظن قال تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا ريب انه لا يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وانه لا يفيد الا الظن سلمنا
الظن وقع في الطريق لان الشرع اقام الظن الغالب مقام العلم وامر بالعمل به وزيف بانه لا دليل قاطعا على وجوب العمل بالظن الغالب لان ذلك الدليل ليس
عقليا بالاتفاق ولا نقليا لانه انما كان قطعيا لو كان منقولا نقلا متواترا او كانت دلالته على ثبوت هذا المطلوب دلالة قطعية غير محتملة للنقيض ولو حصل مثل هذا
الدليل لوصل الى الكل ولم يبق خلاف ولو فرض ان الدليل الذي عولتم عليه وهو هذه الاية تمسك بعام مخصوص للاتفاق على ان العمل بالشهادة عمل بالظن وهو جائز
وكذا الاجتهاد في القبلة وفي قيم المتلفات واروش الجنايات وكذا الفصد والحجامة وسائر المعالجات وكذا الحكم بكون الشخص المعين كالذابح مؤمنا ليحل ذبيحته
او الوارث لحصول التوارث او الميت ليدفن في مقابر المسلمين وبالحقيقة اكثر الاعمال المعتبرة في الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الاجال المعينة
والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وقال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه
الاية على ان التمسك بالظن غير جائز لزم ان لا يجوز التمسك بهذه الاية وكل ما يفضي ثبوته الى نفيه يسقط الاستدلال به واجيب بان العلم بالتواتر الظاهر من دين محمد
صلى الله عليه وسلم ان التمسك بايات القران جائز ورد بان كون العام المخصوص حجة غير معلوم بالتواتر ثم علل النهي بقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة
الى الاعضاء الثلثة وان لم يكن ذوات العقول كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا قال في الكشاف عنه في موضع الرفع بالفاعلية مثل غير المغضوب عليهم
وفيه نظر لان المسند اليه الفعل او شبهه لا يتقدم عليه والصواب ان يقال انه فاعل مسؤلا المحذوف والثاني مفسر له وكيف يسأل عن هذه الجوارح قيل يسأل اصحابها عما
استعملها فيه لانها الات والمستعمل لها هو الروح الانساني فان استعملها في الخيرات استحق الثواب والا فالعقاب وقيل انه تعالى ينطق الاعضاء ثم يسألها عن افعالها و
ولا تمش في الارض مرحا نصب على الحال مع انه مصدر اي ذا مرح وهو شدة الفرح وفي وضع المصدر موضع الصفة نوع من التأكيد مثل الا ما ركنا وهي نهي عن مشية اهل

الحياء والكبر انك لن تخرق الارض لن تثقبها بشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال طولا مصدر فى موضع الحال من الفاعل او المفعول او تمييز او مفعول له
من معنى تبلغ بين ضعف الادمى بانه فى حال انخفاضه لا يقدر على خرق الارض وحال ارتفاعه لا يقدر على الوصول الى رؤس الجبال فلا يليق به ان يتكبر
كانه قيل له انك خلق ضعيف محصور بين حجارة من فوقك وتراب من تحتك فلا تفعل فعل المقتدر القوى وقيل انه مثل ومعناه كما انك لن تخرق الارض
فى مشيك ولن تبلغ الجبال طولا فكذلك لا تبلغ ما اردت بكبرك وعجبك ففيه يأس للانسان من بلوغ ارادته كل ذلك كان سيئة من قرا بالاضافة
فظاهر ان المذكور من قوله لا تجعل مع الله الها آخر بعضها حسن وهو المأمورات وبعضها سئ وهو المنهيات فالمعنى ان ما كان من تلك الاشياء سيئا فانه
مكروها عند الله ويمكن ان يراد بسيئه تلك الخصال طرف الافراط والتفريط ومن قرا سيئة فقوله كل ذلك اشارة الى المنهيات خاصة وقيل ان الكلام
عند قوله واحسن تأويلا وقوله ذلك اشارة الى ما نهى عنه فى قوله ولا تمش وانما قال سيئة على التأنيث مع قوله مكروها على التذكير لانه جعل السيئة فى معنى الذنب
والاثم قالت المعتزلة الكراهة نقيض الارادة ففى الآية دلالة على ان المنهيات لا تكون مرادة لله تعالى لانها مكروهة عنده واذا لم يكن مرادة فلم تكن مخلوقة
له لان الخلق بدون الارادة محال اجابت الاشاعرة بان المراد من كراهتها كونها منهيا عنها ... بانه عدول عن الظاهر مع لزوم التكرار لان كونها
يدل على كونها منهية واجيب بانه لا بأس بالتكرار لاجل التاكيد ...

[illegible]

ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا ۞ قل لو كان معه
آلهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ۞ سبحانه وتعالى عما
يقولون علوا كبيرا ۞ يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ
الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ۞ واذا قرأت
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ۞ وجعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا ۞ واذا ذكرت ربك فى القرآن
وحده ولوا على ادبارهم نفورا ۞ نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون
اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ۞
انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ۞ وقالوا
اءذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ۞ قل كونوا حجارة

او حديدا ۞ او خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول
مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا ۞
يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا ۞ وقل لعبادى
يقولوا التى هى احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا ۞ ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما
ارسلناك عليهم وكيلا ۞ وربك اعلم بمن فى السموات والارض
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا ۞ قل
ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ۞
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ۞ وان من قرية الا
نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب
مسطورا ۞ وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون
وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا ۞
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى اريناك
الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ۞

ليذكروا من التذكر ولذلك فى الفرقان حمزة وعلى وخلف الآخرون بتشديد الذال والكاف من التذكر كما يقولون على الغيبة ابن كثير وحفص
عما تقولون على الخطاب حمزة وعلى وخلف تسبح بتاء التأنيث ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد والمفضل والخزاز عن هبيرة الآخرون
على التذكير ءاذا ءانا القول فيه كما مر فى الرعد وكذلك فى آخر هذه السورة وفى سورة قد افلح المؤمنون وفى سورة السجدة الوقوف ليذكروا ط نفورا ه سبيلا ه
كبيرا ه فيهن ط بحمده ط تسبيحهم ط غفورا ه مستورا ه لا للعطف وقرا ه لا نفورا ه مسحورا ه سبيلا ه جديدا ه او حديدا ه صدوركم ج للفاء مع ان والسين للاستئناف ط
يعيدنا ط اول مرة ج لما قلنا متى هو ط قريبا ه قليلا ه احسن ط بينهم ط مبينا ه اعلم بكم ط يعذبكم ط وكيلا ه والارض ط زبورا ه تحويلا ه عذابه ط محذورا ه شديدا ط
مسطورا ه الاولون ط فظلموا بها ط تخويفا ه بالناس ط فى القرآن ط الكل لا تفريق لاختلاف المستقبل على المستقبل كبيرا ه لما بين انواع الحكم
بمكارم الاخلاق غاية فلوتية الانسان وجهوليته فقال ولقد صرفنا اى بينا احسن بيان لان من حاول بيان شئ فانه يصرف كلامه من نوع الى نوع ومن مثال الى مثال
حتى ينتهى به الى ما هو مراده ومن الايضاح ومفعول التصريف متروك اى اوقعنا التصريف فى هذا القرآن او محذوف للعلم به والمراد صرفنا فيه ضروبا من كل مثل او
اراد بهذا القرآن ابطال اضافتهم البنات الى الله تعالى لانه مما كرر ذكره والمقصود ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى وقيل لفظة فى زائدة كقوله واصلح لى فى ذريتى

[illegible]

التخلية والخذلان كالسيد اذا رأى حال عبده وفساد اخلاق العبد يقول انا القيتك فى هذه الحالة بسبب انى خليتك وذاك وقال جار الله هو حجاب
لما كانوا يقولون من قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ومن قبائح اهل الشرك انهم كانوا يحبون ان يذكر آلهتهم كلما ذكر الله فاذا سمعوا
ذكر الله دون ذكر آلهتهم نفروا وانهزموا من المجلس فلذلك قال تعالى واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده وهو مصدر سد مسد الحال والمعنى يحده وحده مثل واحد
ولوا على ادبارهم نفورا مصدر من غير لفظ التولية او جمع نافر كقاعد وقعود فاوعدهم الله على ذلك بقوله نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن
قال جار الله به فى موضع الحال كما يقول يستمعون بالهزء اى هازئين اذ يستمعون نصب بما دل عليه اعلم اى اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون
واذ هم نجوى اى بما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم ان تتبعون اى على تقدير الاتباع لانهم لم يتبعوا رسول الله الا رجلا مسحورا
سحر فاختلط عقله وزال عن حد الاعتدال وقيل المسحور الذى افسد من قولهم طعام مسحور اذا افسد عمله وارض مسحورة اصابها من المطر اكثر مما ينبغى فافسدها وقيل
مجاز مسحور المخدوع فان السحر حيلة وخديعة وزعموا ان محمدا يتعلم من بعض الناس واولئك الناس كانوا يخدعونه بهذه الحكايات او زعموا ان الشيطان يخدعه
فيتمثل له بصورة الملك وقال ابو عبيدة يريد بشرا ذا سحر وهو الرئة قال ابن قتيبة لا ادرى ما حمله على هذا التفسير المستكره مع ان السلف فسروه بالوجوه الواضحة
انظر كيف ضربوا لك الامثال شبهوك كل منهم بشى آخر فقالوا انه كاهن وشاعر وساحر ومعلم ومجنون وضلوا فى جميع ذلك عن طريق الحق فلا يستطيعون
سبيلا الى الهدى والبيان ضلال من تحير فى التيه الذى لا منار به وحين فرغ من شبهات القوم فى النبوات حكى شبهتهم فى امر المعاد وايضا لما ذكر ان القوم
وصفوه بانه مسحور فاسد العقل ذكر ما كان فى زعمهم دالا على اختلاط العقل وهو دعوى الانسان انه يصير حيا بعد ان كان عظاما ورفاتا والرفات الاجزاء المفتتة
من كل شى يكسر وهو اسم كالرضاض والفتات ويقال منه رفت عظام الجزور رفتا اذا كسرها وتقرير الشبهة ان الانسان اذا مات جفت اعضاؤه وتناثرت
وتفرقت فى جوانب العالم واختلطت بسائطها بامثالها من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها باعيانها ثم عود الحيوة الى ذلك المجموع فاجاب الله تعالى
عن شبهتهم بان اعادة بدن الميت الى حالة الحيوة امر ممكن ولو فرضتم ان بدنه قد صار ابعد شى من الحيوة ومن رطوبة الحى وغضاضته ومن جنس ما ركب منه البشر كالحجارة
والحديد وهو كقول القائل اتطمع فى وانا فلان فيقول كن ابن الخليفة او من شئت فساطلب منك حقى او خلقا مما يكبر فى صدوركم فالمراد او خلقا اخر ابعد
من قبول الحيوة من الحجر والحديد بحيث يستبعد عقولكم كونه قابلا لوصف الحيوة وعلى هذا لا حاجة الى تعيين ذلك الشى وقال مجاهد اراد به السموات والارض و
عن ابن عباس انه الموت اى لو صارت ابدانكم نفس الموت فان الله يعيد الحيوة اليها وهذا انما يحسن على سبيل المبالغة كما يقال هو روح مجسم او جود مجسم
والا فالموت عرض لانقلاب الجسم عرضا محال وبتقدير التسليم فالموت كيف يقبل الحيوة لان الضد يمتنع ان يقبل الضد وفى قوله قل الذى فطركم اول مرة بيان
كاف وبرهان شاف لانه لما سلم ان خالق الحيوان هو الله فتلك الاجسام فى الجملة قابلة للحيوة والعقل والاله عالم بجميع الجزئيات والكليات فلا يشتبه
عليه اجزاء بدن كل من الاموات وانه قادر على جعلها متصفة بالحيوة فى اول الامر فلان يقدر على اعادتها الى الحيوة فى ثانى الحال اولى الزمهم او لا بان المبعث

ممكن فان زعمتم بدن الميت اى شى اردتم فكانهم سلموا امكانه ولكن تجاهلوا وتغافلوا عن تعيين المعيد فقالوا من يعيدنا فاجاب بانه الفاطر الاول ثم
زادوا فى الاعتراض فسالوا عن تعيين الوقت تعنتا وذلك قوله فسينغضون اليك رؤسهم اى فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء قال ابو الهيثم يقال للرجل اذا اخبر
بشى تحرك راسه الى فوق والى اسفل انكارا له انغض راسه قال المفسرون عسى من الله واجب فعلم منه قرب وقت البعث ولكن وقته على التعيين مما استاثر الله بعلمه
ويقال كيف يكون قريبا وقد انقرض اكثر من سبعماية سنة ولم يظهر لانا نقول كل ما هو آت قريب واذا كان ما مضى اكثر مما بقى كان الباقى قليل يوم يدعوكم فينتصب باذكر
والمراد يوم يدعوكم كان ما كان او هو بدل من قريبا والمعنى عسى ان يكون البعث يوم يدعوكم بالنداء الذى يسمعكم وهو النفخة الاخيرة يروى ان اسرافيل ينادى ايتها الاجسام
البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودى كما كنت والاستجابة موافقة الداعى فيما دعا اليه وهى مثل الاجابة بزيادة تاكيد لما فى السين من طلب الموافقة قال
فى الكشاف الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اى حامدين اى مبالغة فى انقيادهم للبعث
كقولك لمن تامره بامر يشق عليه ستاتى به وانت حامد شاكر اى ستنتهى الى حالة تحمد الله وتشكره على ان اكتفى منك بذلك العمل وهذا يذكر فى معرض التهديد وقال
سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وقال قتادة بحمده اى بمعرفته وطاعته لان التسبيح والتحميد معرفة وطاعة هنا
وقال بعضهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال آخرون الخطاب مختص بالمؤمنين لانهم الذين يليق بهم الحمد على احسانه اليهم وتظنون ان لبثتم الا قليلا من عبادة وتجارة
فى القبور حين عاينوا الاخرة ومثله قول الحسن معناه تقريب وقت البعث وكانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال ابن عباس يريد ما بين النفختين الاولى
والثانية فانه يزول عنهم العذاب فى ذلك الوقت وقيل اراد استقصار لبثهم فى عرصة القيمة حين عاينوا اهوال النار ثم امر المؤمنين بالرفق والتدريج عند ايراد الحجة
على المخالفين فقال وقل لعبادى اى المؤمنين لان لفظ العباد مختص بهم فى اكثر القرآن فبشر عبادى الذين يستمعون القول عينا يشرب بها عباد الله فادخلى فى عبادى
يقولوا الكلمة او الحجة التى هى احسن والين وهى ان لا يكون مخلوطة بالسب والطعن والغلظة ثم نبه على وجه المنفعة بهذا الطريق فقال ان الشيطان ينزغ بينهم اى بين
الفريقين جميعا فيزداد الغضب ويتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود ثم قال ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم ايها المؤمنون بالانجاء من كفار مكة وايذائهم او ان يشا
يعذبكم بتسليطهم عليكم وما ارسلناك يا محمد عليهم وكيلا اى حافظا موكولا اليك امرهم انما انت بشير ونذير والهداية الى الله وقال جار الله الكلمة التى هى احسن
مفسرة بقوله ربكم اعلم بكم الى آخره اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يزيد غيظهم وقيل ان الشيطان
ينزغ بينهم اعتراض وقيل المراد بالعباد الكفار اى قل لعبادى الذين اقروا انكم عبادى يقولوا الكلمة التى هى احسن وهى كلمة التوحيد والبراءة من الشركاء
والاضداد ولان ذلك احسن الحسن يعنى من الاشراك ووصفه بالقدرة على الحشر احسن من وصفه بالعجز عنها والحامل على مثل هذه العقاب هو الشيطان المعادى
ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم بتوفيق الهداية او ان يشا يعذبكم بالاماتة على الكفر الا ان تلك المشية غائبة عنكم فلا تقصروا فى الجد والطلب ثم قال لرسوله
وما ارسلناك عليهم وكيلا حتى تقسرهم على الاسلام وما عليك الا البلاغ على سبيل الرفق والمداراة وهذا قبل نزول آية السيف وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه رجل
فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين بالمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وحين قال ربكم اعلم بكم عمم الحكم فقال وربك اعلم بمن فى السموات
والارض يعنى ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات وبما يليق بكل منها وبذلك حصل التمايز والتفاضل كما قال ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض وفيه رد على اهل مكة فى انكارهم ان يكون يتيم ابى طالب مفضلا على الخلائق نبيا دون صناديد قريش واكابرهم وانما ختم الاية بقوله وآتينا داود زبورا ليعلم ان
التفضيل ليس بالمال والملك وانما هو بالعلم والدين فان داود كان ملكا عظيما ولم يذكره الله سبحانه الا بنبوته والكتاب وفيه ايضا اشارة الى نبيا دون صناديد
قريش واكابرهم وانما ختم الاية بقوله ان محمدا خاتم الانبياء وان امته خير الامم بدليل قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون اى محمد وامته
ومعنى التنكير فى زبورا انه كامل فى كونه كتابا او الزبور وزبور كالعباس وعباس والحسن وحسن او المراد بعض الزبور او الزبور كما يسمى بعض القرآن قرآنا وقيل ان كفار قريش كانوا
اهل نظر وجدال بل كانوا يرجعون الى اليهود فى استخراج الشبهات وكانت اليهود تقول انه لا نبى بعد موسى ولا كتاب بعد التورية فنقض الله كلامهم بانزال الزبور على داود
بعد موسى ثم رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على انها صور الملائكة او على طائفة من اهل الكتاب يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فقال ثم قل
ادعوا الذين زعمتم من دونه وقيل اراد بالذين زعمتم نفرا من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا وانما ضعفت الاية باحدى هؤلاء الطوائف
لان قوله بعد ذلك يبتغون الى ربهم الوسيلة لا يليق بالجمادات قال ابن عباس كل موضع فى كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو بمعنى الكذب وتقرير الرد ان المعبود الحق
هو الذى قدر على ازالة الضر وتحويله من حال الى حال او من مكان الى مكان وهذه التى زعمتم انها آلهة لا يقدرون على شى من ذلك فوجب القطع بانها ليست بآلهة
سؤال والدليل على ان الملائكة لا قدرة لها على كشف الضر فان قلتم لانا نرى ان اولئك الكفار كانوا يتضرعون اليها ولا يحصل الاجابة قلنا ان المسلمين ايضا يتضرعون
الى الله تعالى ولا يجابون ويعتقدون الاجابة فى بعض الاوقات فالكفار ايضا يحصل مطلوبهم احيانا فيقولون انه من الملائكة جوابه ان الملائكة مقرون بان الاله الاعظم
خالق العالم لكمال قدرته معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه المتيقن دون المظنون الموهوم على ان اهل السنة قاطعون بانه لا تاثير
لشى فى الوجود الا الله تعالى يقول مؤلف هذا التفسير الضعيف عباد الله احوجهم اليه الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابورى نظم الله احواله فى اولاه واخراه رايت فى بعض
الكتب مرويا عن امير المؤمنين على كرم الله وجهه من وقع فى ظلمة او طلب كفاية مهم فليسجد فى خلوة وليقل فى سجدته الهى انت الذى قلت قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فيا من يملك كشف الضر عنا وتحويله اكشف بلى فاقة او قال ذلك كشف الله عنه ضره وكفى مهمه وقد جرب
فوجد كذلك ثم انه اكد عدم اقتدار معبوديهم ببيان غاية افتقارهم الى الله تعالى فى جذب المنافع ودفع المضار فقال اولئك وهو مبتدا والذين يدعون صفته
ويبتغون خبره والمعنى ان اولئك المعبودين يطلبون الى ربهم الوسيلة اى القربة فى الحوائج وايهم بدل من واو يبتغون وهو موصول وصدر صلته محذوف اى يبتغى
من هو اقرب الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب والدليل على هذا الافتقار اقرار جميع الكفار بامكانهم الذاتى وجوز فى الكشاف ان يضمن يبتغون الوسيلة معنى
يحرصون وكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بازدياد الخير والطاعة والصلاح ويرجون ويخافون كغيرهم من العباد وقيل اولئك الذين يدعون هم
الانبياء الذين ذكرهم الله فى قوله ولقد فضلنا بعض النبيين اى الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء لا يدعون الا الى الله ولا يعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة الا اليه
فانتم احق بالعبادة واحتج هذا القائل على صحة قوله بان الله قد يخافون عذابه والملائكة لا يعصون الله فكيف يخافون واجيب بانهم يخافون عذابه لو اقدموا على الذنب
يقدمون عليه الكفار لقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ان عذاب ربك كان محذورا اى حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبى
مرسل فضلا عن غيرهم فان لم يحذره بعض الجهلة فانه لا يخرج عن كونه واجب الحذر ثم بين مآل حال الدنيا واهلها فقال وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
بالموت والاستئصال او معذبوها بالقتل وانواع البلاء كالسبى والاغتنام وقيل الهلاك للصالحة والتعذيب للطالحة كان ذلك فى الكتاب وهو اللوح المحفوظ
مسطورا فلا يوجد له تبديل قط ثم ذكر نوعا آخر من سننه فقال وما منعنا استعار المنع للترك من اجل لزوم خلاف الحكمة النبوية عن سعيد بن جبير ان كفار قريش اقترحوا
منه آيات باهرة كاحياء الموتى ونحوه وعن ابن عباس انهم سالوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا تلك الاراضى فطلب النبى صلى الله عليه وسلم

تعالى ذلك فقال ان شئت فعلت لكنهم ان كفروا بعد ذلك اهلكتهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا اريد ذلك وانزل الله تعالى الاية وما منعنا ان نرسل
بالمقترحة من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا عذاب الاستئصال
على ما جرى الله تعالى به عادته والحاصل ان المانع من ارسال الايات التي اقترحوها هو ان الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلي وقد عزمنا ان نؤخر
بعث اليهم الى يوم القيمة ويحتمل ان يراد انهم مقلدون لابائهم فلا يؤمنون البتة كما لم يؤمنوا فيكون ارسال الايات عبثا ثم استشهد على ذلك بقصة صالح
وناقته لان اثارها كانت في بلاد العرب قريبة يبصرها صادرهم وواردهم وهذا معنى قوله مبصرة او المراد حال كون الناقة اية يبصر السائل بها رشده فظلموا انفسهم
بقتلها او كفروا بها يعني انهم جحدوا انها من الله قاله ابن قتيبة وما نرسل بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب العاجل يعني ان من انكر ان
عليه او المراد ما نرسل بايات القرآن وغيرها من المعجزات الا انذارا بعذاب الاخرة على المعنى المذكور وحين امتنع من ارسال الايات المقترحة على رسوله للعارض
المذكور قوى قلبه بوعد النصر والغلبة فقال واذ قلنا لك ان ربك اي واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس اي انهم في قبضته وقدرته فلا يقدرون
على خلاف اراده فبشرك وليقويك حتى تبلغ الرسالة عن الحسن حال بينهم وبين ان يقتلوه كما قال والله يعصمك من الناس وقيل اراد بالناس اهل مكة واحاطة
في معنى الاستقبال الا ان خبر الله تعالى لما كان واجب الوقوع عبر عنه بلفظ الماضي ووعد نبيه بانه سيهلك قريشا وقعة بدر اما قوله وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس ففيه اقوال الاول انه تعالى اراه في المنام مصارع قريش حتى قال والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض
ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فلما سمع قريش ذلك جعلوا رؤياه سخرية وكانوا يستعجلون بما وعد الثاني انه رؤياه التي راى انه يدخل مكة واخبر فاه
منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لابي بكر رضي الله عنهما قد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ندخل البيت ونطوف
فقال ابو بكر رضي الله عنه انه لم يخبرنا انا نفعل ذلك في هذه السنة فسنفعل ذلك في سنة اخرى فلما جاء العام القابل دخلها وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله
[illegible]

فامت قيامته او اعتبروا بانواع الرياضات والمجاهدات ففي السير الى الله ذوبان الافعال وفي السير في الله ذوبان الصفات وفي السير بالله ذوبان الذات اخاط
بالناس حتى يغني كل نفس من الخير والشر وما جعلنا الرؤيا التي اريناك كان الوحي يصل الى النبي صلى الله عليه وسلم في مبدأ امره بطريق المنام وكان في ذلك
اختبار الناس ففي وقته يظهر الموافق من المنافق والصديق من الزنديق وكذا كان في شجرة وجود ابليس ابتلاء للناس ولم يكن يحيط باحوال الناس حاجة الى ابتلاء وكنه يعاملهم معاملة المختبر

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا
قال ارايتك هذا الذي كرمت على لئن اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا
قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ۝ واستفزز

من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم
في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ۝
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ۝ ربكم الذي يزجي
لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما ۝ واذا مسكم الضر
في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجيكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا
افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ۝
ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما
كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ۝ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر
والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ۝
يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم
ولا يظلمون فتيلا ۝ ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ۝

اخرتني باليا في الحالين ابن كثير غير الهاشمي عن ابن فليح وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو في الوصل الباقون بالحذف ورجلك
بكسر الجيم حفص وابو زيد عن المفضل الاخرون بسكونها او نخسف او نرسل ان نعيدكم فنرسل فنغرقكم كلها بالنون ابن كثير وابو عمرو الباقون على الغيبة الا يعقوب ويزيد
[illegible]

في الاموال فهي كل تصرف في المال على غير وجه الشرع سواء كان اخذا من غير عوض او صنعا في غير حق كالزنا والغصب والسرقة وقيل هي تبتيك آذان الانعام وجعلها بحيرة وسائبة والشركة في الاولاد دعوى الولد بغير سبب وتحصيله بالدعاء الى الزنا او تسميتهم بعبد اللات وعبد العزى او تربيتهم لا كما ينبغي حتى ينشأوا غير راشدين والاستدينين بدين الحق وعدهم بتزيين المعاصي في اعينهم وترغيبهم فيها وتثقيل الطاعات والعبادات عليهم وتنفيرهم عنها وهذه قضية كلية وربما خصه المفسرون فعن بعضهم ان المراد وعدهم بانه لا جنة ولا نار وقيل تسويف التوبة وقيل الكرامة على الله بالانساب والاحساب وقيل بشفاعة الاصنام والاماني الباطلة وايثار العاجل على الآجل ثم نفى ان يكون لوعد الشيطان عاقبة حميدة فقال وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه انما يدعو الى اللذات البهيمية او السبعية او الخيالية واكثرها رفع الاوهام وكلها لا اصل لها ولا دوام ومن اراد الاستقصاء في هذا الباب فعليه بمطالعة باب ذم الغرور من كتاب احياء علوم الدين للشيخ الامام محمد الغزالي رحمه الله ولما قال للشيطان على سبيل الوعيد والتهديد افعل ما تقدر عليه ربط جأش سائر المكلفين بقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال الجبائي المراد كل عبادي لانه استثنى متبعيه في غير هذا الموضع فقال الا من اتبعك وقال اهل السنة المراد عباد الله المخلصين ثم زاد في تقوية جانب المكلف فختم الآية بقوله وكفى بربك وكيلا فهو يدفع كيد الشيطان ويعصمهم من اغوائه ثم عدد على بني آدم بعض النعم به عليهم ليكون مذكرا لهم وتحذيرا فقال ربكم الذي يزجي لكم اي ليسير لاجلكم الفلك في البحر والازجاء سوق الشيء حالا بعد حال لتبتغوا من فضله الربح بالتجارة انه كان بكم رحيما فلذلك هداكم الى مصالح المعاش المؤدية الى منافع المعاد واذا مسكم الضر اي خوف الغرق في البحر ضل من تدعون ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم تعقدون برحمته رجاءكم فلما نجاكم من ذلك الغرق واخرجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص وكان الانسان كفورا لنعمة الله لانه غلب عليه شدة تمسك برحمة الله في الرخاء يعرض عنه ثم انكر عليهم سوء اعمالهم فقال افامنتم فحملكم ذلك على الاعراض ان يخسف اصله دخول الشيء في الشيء ومنه عين خاسفة للتي غارت حدقتها في الرأس وخسف القمر دخل تحت الحجاب وهو دائرة الظل عند الحكماء وبكم حال اي ان يقلب جانب البر لانه ذكر البحر في الآية الاولى وهو جانب والبر جانب وخسف جانب البر بهم قلبه وهم عليه فالخسف تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فنبه انكم بنجوتكم من هول البحر هل امنتم من هول البر فانه قادر على تسليط آفات البر عليكم اما من جانب التحت بالخسف واما من جانب الفوق بامطار الحجارة وذلك قوله او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء وقال الزجاج الحاصب التراب الذي فيه الحصباء فالحاصب ذو الحصباء كاللابن والتامر ولا يخفى ان هذين العذابين اشد من غرق البحر ثم لا تجدوا لكم وكيلا يصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى بان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ركوب البحر فيرسل عليكم قاصفا من الريح القاصف اي صوت شديد او العاصف الكاسر وقوله من الريح بيان له فيغرقكم بما كفرتم بسبب كفركم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا متبعا الانكار ما نزل بكم او يصرفه عنكم كقوله ولا يخاف عقبيها ثم اجمل ذكر النعمة بقوله ولقد كرمنا بني آدم وقد ذكر المفسرون في تكريمه وجوها منها الخط فيه يقدر الانسان على ابداع العلوم التي استنبطها هو او غيره الذي فاته فتبقى على وجه الدهر مصونة عن الاندراس محفوظة عن الانطماس اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ومنها الصورة الحسنة وصوركم فاحسن صوركم ومنها القامة المعتدلة لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ومنها ان كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم يحكى عن الرشيد انه حضر لديه طعام فاحضر الملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس ان هذا التكريم هو انه جعل لهم اصابع يأكلون بها فرد الملاعق واكل باصابعه ومنها قال الضحاك انه النطق والتمييز فان الانسان يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه بخلاف سائر الحيوانات ويدخل الاخرس في هذا الوصف لانه يعرف بالاشارة او الكتابة ويخرج الببغاء ونحوه لانه لا يقدر على تعريف جميع الاحوال على الكمال ومنها تسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم فالارض لهم كالام الحاضنة منها خلقناكم وفيها نعيدكم وهي لهم فراش ومهاد والماء ينتفعون به في الشرب والزراعة والعمارة وماء البحر ينتفع به في التجارة واستخراج الحلي منه والهواء مادة الحيوة ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على المعمورة والنار ينتفع بها في الطبخ والانضاج ودفع البرد وغير ذلك وانتفاعهم بالمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ظاهر وبالجملة فهذا العالم باسره كقرية معمورة او خوان معد والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع فاي تكريم يكون ازيد من هذا ولا شك ان الانسان لكونه مجمعا للقوة العقلية القدسية وللقوى الشهوية البهيمية والغضبية السبعية وللقوى الحس والحركة الارادية وللقوى النباتية وهي الاغتذاء والنمو والتوليد يكون اشرف مما لم يجتمع الجميع سوى المجردات المحضة وقال بعضهم ان هذا التكريم هو انه تعالى خلق آدم بيده وابدع غيره بواسطة كن يروى عن زيد بن اسلم ان الملائكة قالت ربنا انك اعطيت بني آدم يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ثم خص بعض انواع التكريم بالذكر فقال وحملناهم في البر والبحر قال ابن عباس في البر على الخيل والبغال والحمير وفي البحر على السفن ورزقناهم من الطيبات من كل غذاء نباتي او حيواني اللطيف واللذيذ واعلم ان التكريم لا يدل على التفضيل لان تكريم زيد لا ينافي تكريم غيره بازيد من ذلك ولذلك ختم التكريم بقوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قال بعض الاشاعرة الكثير ههنا بمعنى الجميع فشنع عليه جار الله بانه تمحل في الخلق وقذى في العين لشناعة قول القائل وفضلناهم على جميع ممن خلقنا واقول الانصاف ان كون الكثير بمعنى الجميع لا يوجب هذا التشنيع لانه لا يلزم من افادة اللفظ معنى لفظ آخر بمعنى انه يرجع الحاصل الى ذلك بدلالة الالتزام او بحكم العرف ان يوضع ذلك اللفظ موضعه وينطق به على ان التعبير بالعموم مقام المفسر البتة لان هذا مجرد دون ذلك فكيف يبقى الذوق بحاله وايضا فالحاصل هو قولنا على جميع ممن خلقنا فان الدعوى هي ان كثيرا من الشيء الذي يقوم مقام كل الشيء لا كل من ذلك الشيء حتى يلزم الشناعة من قبل الجمع بين لفظي الكل ومن التبعيضية هذا وان الحق في المسئلة هو اجراء الكلام في معرض المدح ولو كان الانسان مفضلا على الكل لم يقع من الله تعالى الاقتصار على ذكر البعض وكل من اثبت هذا القسم قال هو الملائكة فلزم القول بان كل الانسان ليس افضل من كل الملائكة بل بعض الملائكة افضل من اكثر الانسان وان كان يوجد في خواص الانسان من هو افضل من عوام الملائكة بل من خواصهم والى هذا ذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط واما ان كل الملائكة افضل من كل البشر على ما زعم جار الله واشياعه فانه تحكم محض ولما ذكر من ذكر من انواع كرامات الانسان في الدنيا شرح احوال درجاته في الآخرة فقال يوم ندعو هو منصوب باضمار اذكر او بقوله فضلناهم على عادة الله في الاخبار اي ونفضلهم في هذا اليوم بما نعطيهم من الكرامة والثواب وعلى هذا يكون التكريم في الدنيا والتفضيل في الآخرة ولا وقف على تفضيلا والامام في اللغة كل ما يؤتم به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين والباء في قوله بامامهم للالصاق كما تقول ادعوا باسمك عن ابي هريرة مرفوعا انه ينادى يوم القيامة يا امة ابراهيم يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فيأخذون كتبهم بايمانهم ثم ينادي يا اتباع نمرود يا اتباع فرعون وفلان وفلان من رؤساء الضلال واكابر الكفر ويجوز ان يتعلق الباء بمحذوف وهو الحال والتقدير ندعو كل اناس متلبسين بامامهم اي يدعون وامامهم فيهم نحو ركب بجنوده وروى الضحاك وابن زيد انه ينادى في القيامة يا اهل التورية يا اهل الانجيل يا اهل القرآن وقال الحسن يدعون بكتابهم الذي فيه اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وهو قول الربيع وابي العالية ايضا قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم والحكمة في ذلك رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا ثم قال وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته وقيل في التفسير الكبير كل خلق يظهر من الانسان حسن كالعفة والشجاعة والعلم او قبيح كاضدادها فالداعي الى تلك الافعال خلق باطن هو كالامام له كالسبع والمثاني يوم القيامة فانيط الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة من تلك الاخلاق فمن اوتي هو في معنى الجمع ولذلك قيل في جزائه فاولئك يقرؤن وخص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم لان قراءة اصحاب الشمال كلا قراءة لما يعرض لهم وقته من الحياء والخجل والتقريع ومن كان في هذه الدنيا اعمى بلا خلاف ان المراد بهذا العمى عمى القلب اما قوله فهو في الآخرة اعمى فيحتمل ان يراد به عمى البصر كقوله ونحشرهم يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا في هذا زيادة العقوبة ويحتمل ان يراد عمى القلب قال ابن عباس المراد ومن كان اعمى في هذه النعم التي عددها من قوله ربكم الذي يزجي الى قوله تفضيلا فهو في الآخرة التي لم يره ولم يعاين اعمى اي الطريق او اولى لان العقل عن معرفة احوال الآخرة اوجب وقوفا فعلى هذا يكون العمى في الموضعين في الدنيا ومثله ما روى ابو روق عن الضحاك من كان في الدنيا اعمى عما يرى من قدرته في خلق السماء والارض والبحار والجبال والناس والدواب فهو عن امر الآخرة وتحصيل العلم به اعمى قال المفسرون لا يبعد ان يكون اعمى على هذا التفسير افعل التفضيل ودليله قراءة ابي عمرو بامالة الاول وتفخيم الثاني لان الاول اسم وقعه في الطرف فكانت عرضة للامالة ومظنة لها بخلاف الثاني فان اعمى من كان تمت الالف في حكم وسط الكلمة هذا قول صاحب الكشاف تبعا لابي علي الفارسي واقول في هذا الوجه نظر لان الف افعل ايضا محققة باخر الكلمة مثل شيئا او الكافرين ونحوهما قرئتا بامالة كليهما مع قيام هذا الاحتمال في الثاني وتعلل من اهل الثاني رعاية المشاكلة بينه وبين اضل سبيلا والله اعلم وقال الحسن في الآخرة اي في الدار الآخرة وذلك انه [illegible] يقبل توبته وفي الآخرة لا يقبل وقيل المراد بالعمى في الآخرة انه لا يهتدي الى طريق الجنة [illegible] التأويل من استطعت منهم بصوتك اي بكلمات المبتدعة ومقالات اهل الطبيعة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لانهم مخصوصون العبودية مخلصون عن رق الكونين [illegible] وكفى بربك وكيلا [illegible] ربكم الذي يزجي لكم فلك الشريعة في بحر الحقيقة لتبتغوا من فضله جذبة العناية فلما نجاكم الى بر الوصال والوصول اعرضتم بحجب العجب ورؤية الاعمال حاصبا [illegible] فيغرقكم في بحر الشبهات ولقد كرمنا بني آدم بالكرامات البدنية العامة للمؤمن والكافر وهي تخمير طينته بيده والتصوير في الرحم بنفسه وبالكرامات الروحانية العامة وهي ان نفخ فيه من روحه وشرفه بخطاب الست بربكم والنطق بجواب بلى والولادة على الفطرة وارسال الرسل وانزال الكتب وبالكرامات الروحانية الخاصة كالنبوة والولاية والهداية والجذبة كما قال وحملناهم في البر والبحر اي عبرنا بهم من بر البشرية وبحر الروحانية الى ساحل الربانية ورزقناهم من طيبات المواهب وذوق الكشوف وفضلناهم على كثير اي على الملائكة لانهم الخلق الكثير من مخلوقات الله تعالى وبيان تفضيله حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة وهو المراد بالامانة في قوله انا عرضنا الامانة يوم ندعو كل اناس بامامهم من الدنيا والآخرة وغيرهما فيقال يا اهل الدنيا ويا اهل الآخرة ويا اهل الله فمن اوتي كتابه بيمينه فيه اشارة الى ان اهل الله يؤتون كتابهم كما ان اصحابهم باهل الشمال يؤتون الكتاب ولكنهم لا يقدرون على القراءة لانهم اعمى والقراءة يحتاج الى الابصار بالابصار والبصائر والله اعلم

وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ۝ ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ۝ اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ۝ وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا ۝ سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ۝ اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ۝ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ۝ وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ۝ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ۝ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ۝ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا ۝ قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ۝ ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ۝ ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ۝ الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا ۝ قل لئن اجتمعت الانس والجن

على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى اكثر الناس الا كفورا

خلفك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وابو بكر وحماد الآخرون خلافك بكسر الخاء وبالالف وننزل من مخففا ابو عمرو ويعقوب الباقون
بالتشديد ونأى بجانبه مثل ناء يزيد وابن ذكوان ونأى بفتح النون وامالة الهمزة مثل رمى حمزة غير خلف والعجلي وحماد ويحيى وعباس وابو شعيب والنصير مثل
ولكن بكسر النون على غير النصير والعجلي وخلف لنفسه الباقون بالفتحتين [illegible] الوقوف خليلا ٥ قليلا ٥ [illegible] اذا لقيته قليلا ٥ تحويلا ٥ وقرآن

[illegible]

بالدليل الى شيء معرفة المدلول ‌ وقال صاحب الكشاف ادخلني القبر ادخالا مرضيا واخرجني منه عند البعث اخراجا ملقى بالكرامة يدل على ما المتغير ذكره وعلى
ذكر البعث ‌ واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة ظاهرة تظهرني بها على جميع من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام على من ناواه ثم شرفه بالاستجابة ووعده بقوله
وقل جاء الحق اى الاسلام وزهق الباطل اى محق الشرك زهقت نفسه اذا خرجت ‌ ان الباطل كان زهوقا غير ثابت في كل وقت وان اتفقت له دولة وصولة في
بعض الاوقات ‌ عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما لقبائل العرب صنم كل قوم بحيالهم فجعل يطعنها بعود في يده
ويقول جاء الحق وزهق الباطل فيكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد ‌ فلا جرم كذبهم الله تعالى وصدق نبيه بقوله وننزل من القرآن من للبيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس
من الاوثان او للتبعيض اى ننزل ما هو شفاء وهو بعض القرآن او بعض هذا الجنس وقيل انه لما كانت ازالة المرض مقدمة على السعي في تكميل موجبات الصحة ذكر اولا
شفاء من الامراض الروحانية كالعقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة ومن الامراض الجسمانية ايضا لان قراءته من التيمن والبركة وحصول الشفاء للمرضى كما قال عليه السلام
من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ‌ ثم بين انه رحمة للمؤمنين لما فيه من كيفية اقتناص العلوم الجليلة والاخلاق الفاضلة التي بها يصل الانسان الى جوار الملائكة المقربين
بل الى جناب رب العالمين ‌ ولما كان قبول القابل شرطا في ظهور الاثر من الفاعل فلا جرم لا يزيد القرآن الظالمين الذين وضعوا التكذيب مقام التصديق في
موضع الايقان والاطمئنان الا خسارا لان البدن غير النقي كلما غذوته زدته شرا فلا يزال سماع القرآن يزيد المشركين غيظا وحنقا ويدعوهم ذلك الى زيادة ارتكاب
الاعمال القبيحة وهلم جرا الى ان يرفع الله مكرهم وكفرهم ‌ ثم ذكر نتيجة شيمة الانسان الذي جبل عليه فقال واذا انعمنا على الانسان اى على هذا الجنس بالصحة والغنى عن ابن
عباس انه الوليد بن المغيرة ولكن التخصيص نظرا الى كون سبب النزول اعرض ونأى بجانبه النأي البعد والباء للتعدية او المصاحبة وهو تاكيد للاعراض لان
الاعراض عن الشيء هو ان يوليه عرض وجهه اى ناحيته والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره واراد الاستكبار لان هذا الفعل من شأن المتكبرين ومن قرأ
ناء فاما من النوء بمعنى النهوض مستقلا واما مقلوب كقولهم راء في رأى ‌ واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله والحاصل
انه ان فاز بالمطلوب الدنيوي وظفر بالمقصود نسي المنعم الحقيقي وان فاته شيء من ذلك استولى عليه الاسف حتى كان قد هلكت او بلغت وكلاهما من الخصال
المذمومة ولا تستغني لها الا الجزع والتفليس ‌ قل كل يعمل على شاكلته اى كل واحد من الخلائق انما يعمل على سيرته وطريقته التي تشاكل حاله
التي جبل عليها من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه ‌ فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا لانه الذي خلق كل شيء ورباه وعالم بالخاصة كل نفس ومنتهى
جوهرها المشرق والمظلم سواء قلنا ان النفوس مختلفة بالماهيات او متساوية الحقائق واختلاف احوالها لاختلاف امزجة ابدانها كما ان الشمس تعقد الملح
وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه ‌ ولما انجر الكلام الى ذكر الانسان واجل ما فيه لزم البحث عن ماهية الروح فلذلك قال ويسألونك عن الروح
ذكر المفسرون في سبب نزوله ان اليهود قالوا لقريش سلوا محمدا عن ثلث عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عن الاولين ولم يجب
عن الثالثة فهو نبي لان ذكر الروح مبهم في التورية ‌ وان اجاب عن الكل او سكت فليس بنبي فبين لهم القصتين وابهم الروح بقوله الروح من امر ربي اى مما استأثر الله
بعلمه فندموا على سؤالهم ‌ ومن الناس من طعن في هذه الرواية لوجوه منها ان الروح ليس اعلى شأنا من الله تعالى ولا اخفى فاذا كانت معرفة الله ممكنة بل حاصلة فاي مانع
من معرفة الروح ‌ ومنها ان هذه المسئلة يعرفها الفلاسفة والمتكلمون فكيف يليق بالنبي ان يقول اني لا اعرفها مع وفور علمه وكمال معرفته وكيف يصح ما روي عن الجنيد
رحمه الله انه قال مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما علم الروح ‌ ومنها ان جعل الحكاية دليلا على النبوة غير معقول لكن نقتصر على المسئلة فنقول السؤال عن الروح اما ان
يكون عن حقيقته او عن حال من احواله لكونه متحيزا او غير متحيز او قديما او حادثا او باقيا بعد البدن او فانيا وعلى تقدير البقاء سعادته وشقاوته وبالجملة فالمباحث
المتعلقة بالروح كثيرة ‌ وقوله تعالى ويسألونك عن الروح ليس فيه ما يدل على تعيين شيء من هذه المسائل فالاولى ان يحمل السؤال على السؤال عن الحقيقة لان
معرفة حقيقة الشيء اهم واقدم من معرفة حال من احواله فيكون قوله قل الروح من امر ربي رمزا الى ان الروح جوهر بسيط مجرد يحصل بمجرد الامر وهو قوله كن فيكون انما امره
اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ومنه يعلم انه شيء مغاير للاجسام المتوقفة على المادة والمدة كالاعراض المتوقفة على الاجسام وانه بسيط محض لا توقف له
على انضمام اجزائه ولا يلزم من كون الروح كذلك كونه مشاركا للباري تعالى في الحقيقة فان الاشتراك في اللوازم لا يقتضي الاشتراك في الملزومات ‌ ولكن في الآية دلالة
على حدوث الروح او وجوب الذات بل المستقل ان يستدل بها على قدمه بالزمان اذ لو كان موقوفا على الزمان لم يكن حاصلا بمجرد الامر والمفروض خلافه ‌ ولما كان امر الروح
مشتبها على الناس كلهم او جلهم ختم الآية بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا ‌ وذلك ان الانسان وان كثر علمه وكثرت معرفته بحقائق الاشياء ودقائقها فانه لم
يكن اقل مما لم يعلم واذا نسب معلومه الى معلومات الله اتت زائلها بقوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي كان الكلام فاقر لا نسبة للمتناهي
الى غير المتناهي اصلا ‌ وقال بعض المفسرين هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد قلت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله ‌ وذكر الامام فخر الدين الرازي ان قوله قل الروح من امر ربي يدل على ان الروح حادث لان الامر قد جاء بمعنى الفعل
قال تعالى وما امر فرعون برشيد اى فعله وقال فلما جاء امرنا اى فعلنا واذا حصل الروح بفعل الله وتكوينه كان من المحدثات ‌ قلت هذا عين النزاع فان الخصم لا يسلم ان كل
ما هو من فعل الله وايجاده فانه حادث ‌ ثم ذكر حجة اخرى على حدوث الروح مستنبطة من قوله سبحانه وما اوتيتم من العلم الا قليلا وتقريرها ان الانسان بل روحه في مبدأ
الفطرة خال عن العلوم والمعارف ‌ ثم لا يزال يحصل له المعارف فهو ابدا في التبدل والتغير من النقصان الى الكمال وكل متغير محدث ومنع كلية هذه القضية عند الخصم مشهور
على ان حمل وقت قلة العلم على اول الفطرة تخصيص من غير دليل مع ان ظاهر الآية يدل على ان الانسان وان اوتي حظا من العلم وافرا فانه قليل بالاضافة الى علم
الذات ‌ وقيل الروح المذكور في الآية هو القرآن الذي هو سبب حيوة الارواح كان القوم استعظموا امره فسألوا انه من جنس الشعر او من جنس الكهانة فاجابهم الله تعالى
بانه ليس من جنس كلام البشر انما هو كلام ظهر بامر الله ووحيه وتنزيله ‌ وقيل هو ملك في غاية العظم والشرف وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا
ونقل عن علي كرم الله وجهه ان له سبعين الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله تعالى من كل
تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيمة ولم يخلق الله تعالى خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبلع السموات والارضين السبع بلقمة واحدة لفعل وامثال هذه
الروايات مسرحة الى بقعة الامكان ولا وجه للاعتراض عليه عقلا ‌ وقال الحسن وقتادة هذا الروح جبرئيل كانهم سألوا الرسول كيف جبرئيل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ
الوحي فامره بان يقول الروح من امر ربي اى نزوله بامر الرب كقوله وما نتنزل الا بامر ربك ‌ وقال مجاهد الروح خلق ليسوا بالملائكة على صورة بني آدم لهم ايد وارجل ورؤس
يأكلون كما يأكل الناس وليسوا بالناس ‌ وزيف هذه الاقوال بان صرف السؤال عن الروح الانساني الذي يتوفر دواعي العقلاء على معرفته الى اشياء مجهولة الوجود مستنكر
واعلم ان للعقلاء في حقيقة الانسان اختلافات كثيرة ‌ واذا كان حال العلم باقرب الاشياء الى الانسان وهو نفسه كذا فما ظنك بما هو ابعد ‌ ولنذكر بعض ما قيل
فلعل الحق يلوح في تضاعيف ذلك فنقول العلم الضروري حاصل بوجود شيء يشير اليه كل واحد بقوله انا فذلك المشار اليه اما جوهر او عرض فان كان جوهرا فهو هذه البنية او جسم
داخل فيها او خارج عنها او عرضا ‌ اما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا الى ان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس ورد بان البدن دائما في التغير والتبدل والمشار اليه بانا

السبع

واحد

واحد من اول العمر الى آخره ‌ وبان الانسان قد يغفل عن نفسه حين يكون ذاهلا عن اجزاء بدنه وبان النصوص الواردة في القرآن والخبر كقوله عز من قائل ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ‌ يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي ‌ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ‌ وكقوله صلى الله عليه وسلم اولياء الله لا يموتون ولكن
ينقلون من دار الى دار القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ‌ وقوله في خطبة طويلة حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول
يا اهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله ومن غير حله فالهنا لغيري والتبعة علي فاحذروا مثل ما حل بي توجب مغايرة النفس للبدن وبان
جميع فرق الدنيا من ارباب الملل والنحل يتصدقون عن موتاهم ويزورونهم ويدعون لهم بالخير ‌ وبان الميت قد يرى في المنام فيخبر عن امور خافية ويكون كما اخبر وبان الانسان
قد يقطع عضو من اعضائه ويعلم يقينا انه هو الذي كان قبل ذلك وبثبوت المسخ في حق طائفة من اهل الكتاب وليس المسخ الا تغير البنية مع بقاء الحقيقة ‌ وبان جبرئيل
قد رؤي في صورة دحية ‌ وابليس رؤي في صورة الشيخ النجدي فعلم ان لا عبرة بالبنية ‌ وبان الزاني يزني بفرجه فيضرب على ظهره فعلم ان اللذة والالم لشيء آخر سوى
العضوين ‌ وبانا نعلم ضرورة ان العالم الفاهم المخاطب انما هو في ناحية القلب ليس جملة البدن ولا شيئا من الاعضاء ‌ فان قيل الانسان جسم حوى داخل البدن فاعلم
ان احدا من العقلاء لم يقل بان الانسان عبارة عن الاعضاء الكثيفة الصلبة التي غلبت عليها الارضية كالعظم والغضروف والعصب والوتر والرباط والشحم
واللحم والجلد ولكن منهم من قال انه الجسم الذي غلب عليه المائية من الاخلاط الاربعة اعني الدم بدليل انه اذا خرج لزم الموت ومنهم من قال انه الذي غلب عليه الهوائية والنارية
وهو الروح الذي في القلب او الروح الذي في الدماغ ‌ ومنهم من يقول اخلاط هذه الارواح القلبية والدماغية اجزاء نارية مسماة بالحرارة الغريزية وهي الانسان ‌ ومنهم من
قال اذا تكون بدن الانسان وتم استعداده نفذت فيه اجرام سماوية نورانية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس غير قابلة للتبدل والتحليل والتفرق والتمزق نفوذا
يشبه نفوذ النار في الفحم والدهن في السمسم وماء الورد في الورد وهذا النفوذ هو المراد بقوله ونفخت فيه من روحي ‌ ثم اذا تولد في البدن اخلاط غليظة منعت من سريان
تلك الاجسام فيها فانفصلت لذلك عن البدن فحينئذ يعرض الموت ‌ قال الامام فخر الدين الرازي هذا ما ذهب اليه ثابت بن قرة وغيره وهو مذهب قوي شريف
يجب التأمل فيه فانه شديد المطابقة لما ورد في الكتب الالهية من احوال الحيوة والموت ‌ قلت اما نفوذ الجوهر النوري في البدن كنفوذ الدهن في السمسم فحق ‌ واما انه
اجرام واجسام ففيه نظر ‌ واعلم انه لم يذهب احد الى ان الانسان جسم خارج البدن والى انه عرض حال في البدن الا ما نقل عن الاطباء وعن ابي الحسين البصري من المعتزلة
ان الانسانية عبارة عن امتزاجات اجزاء العناصر بمقدار مخصوص وعلى نسبة معلومة بحيث هذا الصنف ‌ ومن شيوخ المعتزلة من قال الانسان عبارة عن اجزاء مخصوصة بشرط
اتصافها بصفات واعراض مخصوصة هي الحيوة والعلم والقدرة ‌ ومنهم من قال انه ممتاز عن سائر الحيوانات بشكل جسده وهيئة اعضائه ‌ والصحيح من المذاهب عند اكثر علماء
الاسلام كالشيخ ابي القاسم الراغب الاصفهاني والشيخ ابي حامد الغزالي ومن قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمي ومن الشيعة الشيخ المفيد ومن الكرامية جماعة ومن الفلاسفة
الالهيين كلهم ان الجوهر الانساني جوهر مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما ان اله العالم متعلق
بالعالم الا على سبيل التصرف والتدبير واذا انقطعت علاقته من البدن بقي البدن معطلا ميتا ‌ واستدلوا على هذا المطلوب بحجج منها ما اختاره الامام فخر الدين الرازي رحمه الله
وهي لو كان الانسان جوهرا متحيزا لكان كونه متحيزا عين ذاته المخصوصة اذ لو كان صفة قائمة بها لزم كون الشيء الواحد متحيزا مرتين ولزم اجتماع المثلين ‌ وايضا لم يكن جعل احدهما ذاتا
والآخر صفة اولى من العكس ‌ وايضا التحيز الثاني ان كان عين الذات فهو المقصود وان كان صفة لزم التسلسل واذا كان التحيز عين ذاته لزم انه متى عرف ذاته عرف تحيزه ولكنا
قد نعرف ذاتنا مع الجهل بالتحيز والامتداد في الجهات الثلث وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان واذا كان اللازم باطلا فالملزوم مثله ‌ وعورض بانه لو كان الانسان جوهرا
مجردا لكان كل من عرف ذاته عرف تجرده وليس كذلك ‌ واجيب بالفرق بين التحيز وهو صفة ثبوتية وبين التجرد وهو صفة سلبية ‌ ومنها ان الشيء الذي يشير اليه كل واحد
بقوله انا واحد بالبديهة وان الغضب مثلا حالة نفسانية تحدث عند محاولة دفع المنافي ومحاولة دفع المنافي مشروطة بالشعور بكون الشيء منافيا والذي غضب الان
هو بعينه مدرك ولان اشتغال النفس بالغضب والانصباب اليه يمنعه من الاشتغال بالشهوة والانصباب اليها فعلمنا انهما صفتان مختلفتان لجوهر واحد اذ لو كان لكل منهما
مبدأ مستقل لم يكن اشتغال احدهما بفعله مانعا للآخر ‌ وايضا اذا ادركنا شيئا فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا لحصول الغضب فعلمنا ان صاحب
الادراك بعينه هو صاحب الشهوة والغضب ‌ وايضا النفس يمكنها ان تحرك الارادة الا عند حصول الداعي ولا معنى للداعي الا الشعور بخير يرغب في جذبه او بشر
يرغب في دفعه وهذا يقتضي ان المتحرك بالارادة هو بعينه المدرك للخير والشر والملذ والموذي والنافع والضار وهو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس والمتخيل والمتفكر
والمشتهي والغاضب بواسطة آلات مختلفة وقوى متغايرة ‌ واذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان للكل اثر واحد ولو كانت جزءا من
البدن كانت قوة سارية في جميع اجزاء البدن والوجود بخلافه فالكل يحصل اليقين بان النفس شيء مغاير لكل البدن ولكل جزء من اجزائه ‌ ومنها ان التأمل
يدل على ان احوال النفس بالضد من احوال الجسم لان الجسم اذا قبل شكل التثليث مثلا امتنع ان يقبل حينئذ شكل التربيع ولا كذلك حال النفس فان ادراك كل صورة
يعينها على ادراك ما عداها ولذلك يزداد الانسان فهما وذكاء بازدياد العلوم ‌ وايضا كثرة الافكار توجب قوة للنفس وتستدعي استيلاء اليبس على البدن وتصير
ابدان ارباب الرياضة في غاية النحافة والهزال وتقوى نفوسهم بحيث لا يلتفتون الى السلاطين واصحاب الشوكة والقوة ‌ ومما يختص بهذه الآية التي نحن في تفسيرها
ان الروح لو كان جسما منتقلا من حالة الى حالة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من اجسام متغيرة من صفة الى صفة فحين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح
كان الاولى ان يقول انه جسم كان كذا ثم صار كذا وكذا كما ذكر في كيفية تولد البدن انه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة الى آخره ‌ والاحاديث الواردة في ان الارواح
مخلوقة قبل الاجساد ‌ ويؤكد ذلك الذي ادعينا من ان النفس شيء مغاير للبدن ولاجزائه ‌ والله اعلم بحقائق الامور ‌ قال اهل النظم لما بين انه ما آتاهم من العلم الا قليلا
اراد ان يبين انه لو شاء ان يأخذ منهم ذلك القليل لقدر عليه فقال ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ‌ قلت معنى نسبة علم القرآن الى القلة خروج عن الادب
فالاولى في وجه النظم ان يقال انه لما كشف لهم الغطاء عن مسئلة الروح وبين ان ذلك من العلوم الالهية لا نهاية لها من العلوم الانسانية القليلة كان فيه بيان
كمال علمه تعالى ونقصان علم الانسان ‌ اراد ان يبين غاية قدرته ونهاية ضعف الانسان فبين انه قادر على ذهاب القرآن ومحوه عن الصدور والمصاحف وسيكون
ذلك في آخر الزمان كما جاء في الروايات ‌ ثم لا تجد لك به الذي هو اكمل نوع الانسان من يتوكل على الله باسترداده وفصله عن غيره ‌ الا رحمة من ربك استثناء منقطع
اى الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او منقطع بمعناه ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به ‌ ان فضله كان عليك كبيرا بانجاء القرآن ثم ابقائه
عليك او بهذا او بسائر الخصائص والمزايا كان عليك كبيرا وفيه ان نعمة القرآن وبقائه محفوظا في الصدور والسطور من اجل النعم واشرفها فعلى كل ذي علم ان لا يغفل
عن شكرها والقيام بواجبها جعلنا الله ممن يرعى حق القرآن ويعمل بمقتضاه ‌ احتج الكعبي بالآية على ان القرآن مخلوق لان ما يمكن ازالته والذهاب به يستحيل ان يكون قديما
واجيب بان ازالة العلم به عن القلوب والذهاب بالنقوش الدالة عليه في المصحف لا يوجب حدوث الكلام النفسي الذي هو محل النزاع ‌ ثم دل على ان الذي اوحي اليه
ليس من جنس كلام المخلوقين فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية ‌ وقد مر وجه اعجاز القرآن في اوائل سورة البقرة ‌ فان قيل هب انه ظهر عجز الانسان عن معارضته
فكيف عرف عجز الجن عن معارضته ولم لا يجوز ان يقال ان الجن ليسوا بالفصحاء فكيف يعقل ان يكون القرآن كلامهم ‌ لانا نقول التحدي مع الجن انما يحسن لو كانوا الفصحاء
فالجواب ان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه معجزا ثم ان الصادق الذي ثبت صدقه بظهور المعجز على وفق دعواه اخبر ان الجن ايضا عاجزون عن الاتيان

[illegible]

وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ۝ او تكون لك جنة
من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ۝ او تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا ۝ او يكون لك بيت من زخرف او ترقى
في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت
الا بشرا رسولا ۝ وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا
ابعث الله بشرا رسولا ۝ قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ۝ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان
بعباده خبيرا بصيرا ۝ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم
اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما ماويهم جهنم كلما
خبت زدناهم سعيرا ۝ ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا
عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ۝ اولم يروا ان الله الذي خلق

السموات

السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى
الظالمون الا كفورا ۝ قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية
الانفاق وكان الانسان قتورا ۝ ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى
مسحورا ۝ قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا ۝ فاراد ان يستفزهم من الارض
فاغرقناه ومن معه جميعا ۝ وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض
فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا ۝ وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا ۝ وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا
قل امنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا ۝ ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ۝
ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ۝ قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك
سبيلا ۝ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ۝ صدق الله العظيم

[illegible]

واسقطها علينا وقال عكرمة كما زعمت يا محمد انك نبي فاسقط علينا السماء وقيل كما زعمت ان ربك ان شاء فعل قال في الكشاف الكسف بكسر السين وفتحها جمع كسفة بالسكون كسدرة وسدر وسدر وقال ابو علي الكسف بسكون السين الشيء المقطوع كالطحن بمعنى المطحون واشتقاقه على ما قال ابو زيد من كسفت الثوب كسفا اذا قطعته وقال الزجاج من كسفت الشيء اذا غطيته كانه قيل او تسقطها طبقا علينا وهو منصوب على الحال في القراءتين وحتى قبيلا كفيلا بما تدعي من صحة النبوة والمراد او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا فاختصر او المراد المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وفيه دليل على غاية جهلهم حيث لم يعلموا انه تعالى لا يجوز عليه المقابلة والمعاينة نظيره قولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقال ابن عباس اراد فوجا بعد فوج وقال الليث كل جند من الجن والانس قبيل وقد مر في قوله انه يريكم هو وقبيله او يكون لك بيت من زخرف قال مجاهد كنا لا ندري ما الزخرف حتى رايناه في قراءة عبد الله او يكون لك بيت من ذهب وقال الزجاج هو الزينة والاصل في تحسين البيت وتزيينه كالذهب او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة والمصدر رقي واصله فعول كشعود والمعنى لن نؤمن بك لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك قال الرسول متعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من تحكماتهم سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا فان طلبهم هذه الاشياء ان كان من الله فالبشر لا يقدر على امثال ذلك فكيف اقدر انا عليها وان اراد ثم اي طلب من الله اظهارها على يدي فالرسول اذا اتى بمعجزة واحدة وجب الاكتفاء بها ولا ضرورة الى طلب الزيادة وانا عبد مامور ليس لي ان اتحكم على الله بما ليس بضروري في الشرع ثم حكى عنهم شبهة اخرى فقال وما منع الناس ان يؤمنوا اي الايمان بالقرآن وبنبوة محمد اذ جاءهم الهدى وهو الوحي المعجز الهادي الى طريق النجاة الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا ثم اجاب عن شبهتهم بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون على الاقدام كما يمشي الانس مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لان الرسول لابد ان يكون من جنس المرسل اليهم فكانه اعتبر في الرسول من جنس الملائكة امرين احدهما كون سكان الارض ملائكة وثانيهما كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران باجنحتهم الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا وسمعوا من اهلها ما يجب معرفته وسماعه فلا يكون في بعثة الملك اليهم فائدة وجوز في الكشاف ان يكون قوله بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا بل زعم ان المعنى له اوجب ولعل ذلك لان الانكار توجه الى كون الرسول متصفا بحالة البشرية لا الملكية واذا كان احد الصنفين المتقابلين حالا لزم ان يكون الاخر كذلك ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد فقال قل كفى بالله وذلك ان اظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله له على الصدق فاذا ثم السمع بهذه الشهادة وهو عليم ببواطن الامور وخفيات الضمائر خبيرا بصيرا علم الله ان هذا مجرد الحسد والعناد من العباد فيجزيهم على حسب ذلك ثم بين ان الاقرار والانكار مستندان الى مشيئته وتقديره فقال ومن يهد الله الاية وقد مر خلاف المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة في مسئلة الهداية والضلال وقوله فهو المهتد حمل على اللفظ وقوله فلن تجد لهم حمل على المعنى فالخطاب اي لن تجد ايها النبي او كل من يستحق الخطاب والاولياء الانصار والحشر على الوجوه اما بمعنى السحب عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم واما بمعنى المشي عليها لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقيل عن ابن عباس قد اخبر الله تعالى عنهم بانهم يرون وينطقون ويسمعون حيث قال ورأى المجرمون النار دعوا هنالك ثبورا سمعوا لها تغيظا وزفيرا فكيف الجمع بين ذلك وبين قوله عميا وبكما وصما فاجاب بانهم لا يرون ما يسرهم ولا ينطقون بحجة تقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم وفي رواية عطاء انهم عمي عن النظر الى ما جعله لاوليائه بكم عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين صم عن ثناء الله على اوليائه وقال مقاتل هذه الاحوال بعد قوله تعالى لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون او بعد ان يحاسبوا فيذهب بهم الى النار وانما جعلوا كذلك في الحواس جزاء على ما كانوا عليه في الدنيا من التعامي والتصامم عن الحق ومن عدم النطق به كلما خبت اي سكنت لهبها خبت النار تخبو خبوا خمدت زدناهم سعيرا اي تلهبا قال ابن قتيبة اي تسعرا وهو التلهب ان قيل النار تخفيف لالمها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب واجيب بانه يحصل لهم في الحالة الاولى خوف حصول الحالة الثانية فيتم العذاب او يقال لم تخفف العذاب بمعنى التفاوت الحاصل في الوقتين يسير لا يشعر به ويحتمل ان يقال المراد بعدم التخفيف انه لا يتخلل زمان محسوس بين الخبو والتسعر وقال في الكشاف كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها وفيه زيادة في تحسرهم وفي الانتقام منهم ويدل على هذا التفسير قوله ذلك جزاؤهم الى اخر الاية ثم ابدى للجاحدين حجة ينبههم بها على الحق اولا فقال اولم يروا الاية وذلك ان من قدر على خلق السموات والارض كان على اعادة من هو دون ذلك اقدر وعلى هذا فالمراد من خلق مثلهم اعادتهم بعد الافناء كما يقول المتكلمون من ان الاعادة مثل الابتداء وقيل اراد انه قادر على افنائهم وايجاد غيرهم بصورتهم ليوحدوه ويتركوا الاعتراض عليه كقوله ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد اي بغيرهم وحين بين ان البعث امر ممكن في نفسه ذكر ان لوقوعه وقتا معلوما عنده فقال وجعل لهم اي لجنسهم اجلا لا ريب فيه قال جار الله قوله وجعل معطوف على قوله اولم يروا والمعنى قد علموا بدليل العقل انه قادر على خلق امثالهم وجعل لهم واقول يحتمل ان يكون الواو للاستيناف ووجه النظم كانهم لما طلبوا اجراء الانهار والعيون في اراضيهم لتتسع معايشهم بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله وهي رزقه وسائر نعمه على خلقه التي لا نهاية لها لبقوا على بخلهم وشحهم فضلا ان يملكوا خزائن من الضيعة الفناء والنفاد قال النحويون كلمة لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء لانها حين يكون على معناها الاصلي تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذي يدل على الاثار والاحوال والمنتفي هو الاثار والاحوال لا الذوات وايضا انها هنا بمعنى ان الشرطية وهي مختصة بالفعل فلا بد من تقدير فعل بعدها فاصل الكلام لو تملكون تملكون مرتين فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير فصار الضمير المتصل منفصلا لسقوط ما كان يتصل هو به فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وقال علماء البيان فائدة هذا التصرف الدلالة على الاختصاص وانهم هم المختصون بالشح البالغ وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر من حيث انه لا يقصد الفعل بل الفاعل كما في قول حاتم لو ذات سوار لطمتني لا يقصد اللطمة بل اللاطمة هي حرة لطمتني وقوله خشية الانفاق اي خوف الفقر من انفق ماله اذا ذهب وامسكتم مترك المفعول ومعناه لبخلتم وكان الانسان قتورا اي بخيلا شحيحا والقتر والاقتار والتقتير التقصير في الانفاق وهذا الحكم لا ينافي ما قد يوجد في الانسان من هو كريم جواد لان اللام للجنس اي هذا الجنس من شأنه الشح اذا كان باقيا على طبعه لانه خلق محتاجا الى المسكن والملبس والمطعوم والمنكوح ولا بد له في تحصيل هذه الاشياء من المال فيريد ان يرفع حاجاته ويتم الامور المتوقفة على التعاون فلا جرم يحب المال ويمسكه لايام الضرورة والفاقة ومن الناس من يحب المال لحبة ذاتية لا لغرضية فاذن الاصل في الانسان هو البخل والجود منه اما هو امر تكليفي او هو مقتضى طلب الثناء او الثواب وقيل المراد بهذا الانسان المعهود السابق من قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن الارض لبخلوا بها ثم قال ولقد آتينا موسى تسع آيات فكانه اراد انا اتينا معجزات مساوية لهذه الامور التي اقترحتموها بل اقوى منها واعظم فليس عدم الاستجابة الى ما طلبتموه من البخل ولكن لعدم المصلحة او لعدم استتباع الغاية لعلمنا باصراركم وبالختم على قلوبكم عن ابن عباس ان الايات التسع هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن سعيد بن جبير انه سال محمد بن كعب عنهن فذكر من جملتها حل عقدة اللسان والطمس على اموالهم فقال سعيد لا يكون لفقيه الا هكذا اخرج يا غلام الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل

ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فقام اليهوديان فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي ولولا نخاف القتل لاتبعناك قال الامام فخر الدين الرازي هذا اجود ما قيل في الايات التسع واقول هذه الاحكام من الايات البينات فيه بعد الا ان يقال النهي عن مساوي الاخلاق والعادات من جملة علامات النبوة قال بعض العلماء اجابهم النبي بتسع وزاد واحدة تخصهم وروى ابو داود هذا الحديث ولم يذكر ولا تقذفوا المحصنة وشك شعبة في انه صلى الله عليه وسلم قال ولا تقذفوا المحصنة او قال ولا تولوا الفرار وقيل انه كان لموسى ايات اخر كانزال المن والسلوى عليه وعلى قومه وكالايات التي عدها بعضهم من التسع وتركها بعضهم لان تخصيص العدد بالذكر لا يقدح في الزيادة عليه هكذا قال الاصوليون ولكن الذوق يابى ان لا يكون للتخصيص فائدة والذي يدور في خلدي ان سبب التخصيص هو ان مرجع جميع معجزاته الى التسع انواع كالسنين ونقص من الثمرات مثلا فانهما نوع واحد هو القحط وقلة الغذاء ولا يلزم الاشتراك ولكن لا بد عندي من اعتقاد الانحصار في التسع لاجل خبر الصادق اما قوله فسل بني اسرائيل فالخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والسؤال سؤال استشهاد لمزيد الطمانينة والايقان لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت والمسؤلون مؤمنو بني اسرائيل كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله اذ جاءهم يتعلق بآتينا او ينتصب باضمار اذكر او هو للتعليل اي اذكر فسلهم يخبروك لانه جاءهم اي جاء اباءهم ويحتمل ان يكون الخطاب لموسى بتقدير القول اي فقلنا له حين جاءهم سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم عن ان يعاضدوك دليلا على صدقك في الامور والمسحور الذي سحر فخولط عقله وقيل هو بمعنى الساحر كالمشؤوم والميمون قاله الفراء وعن محمد بن جرير الطبري ان معناه اعطي علم السحر فهذه علمت بضم التاء وفتحها فالضم لان موسى كان عالما بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض فما لي لا اشك في امري بسبب تشكيكك بكذب شكك ومن قرا بفتحها فالمراد تبيين ان كفر فرعون كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله للايات هؤلاء اشارة كقوله والعيش بعد اولئك الايام ومعنى بصائر بينات مكشوفات وانتصابها على الحال كانه اشار بقوله ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض الى انها افعال خارقة للعادة وبقوله بصائر الى ان فاعلها انما فعلها لغرض تصديق المدعي ثم حكى عجز فرعون بجميع المعاندين ثم قارع موسى ظنه بظن فرعون فقال واني لاظنك يا فرعون مثبورا اي ملعونا مطرودا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقال مجاهد وقتادة اي هالكا من الثبور الهلاك ولا ريب ان ظن موسى اصح من ظنه لان ظنه علم بصحة ما يتعقب المحالة ويلا وثبورا وحسرة وندامة ولهذا قال فاراد اي فرعون ان يستفزهم من الارض اي يستخف موسى وقومه من بسيط الارض او من ارض مصر بالقتل والاستئصال او بالنفي والاخراج والحاصل ان فرعون حاول نقيض المقصود فاغرق هو وقومه واسكن بنو اسرائيل مكانه تحقيقا لقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله ثم اخبر عن المعاد وقال فاذا جاء وعد الاخرة وهي قيام الساعة جئنا بكم لفيفا يعني حشر المكلفين كلهم لفيفا جماعات من قبائل شتى ذوي اديان ومذاهب مختلفة وذلك لاجل الحكم والجزاء والفصل والقضاء ولما بين اعجاز القرآن فاجاب عن شبهات القوم اراد ان يعظم شان القرآن ويذكر جلالة قدره فقال وبالحق انزلناه التقديم للتخصيص اي ما اردنا بانزاله الا تقرير الحق في مركزه وتمكين الصواب في نصابه قال جار الله اي ما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وقال اخرون الحق هو الثابت كما ان الباطل هو الزاهق ولا ريب ان هذا الكتاب الكريم مشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة وتقرير النبوات واثبات المعاد وعلى اصول الاديان والملل التي لا يتطرق اليها النسخ والتبديل وكل هذه الامور يدل على المعنى المذكور لانها لا تبقى مصونة عن التغيير وقال ابو علي الفارسي الباء في بمعنى مع كما في قولك خرج بسلاحه اي انزل القرآن مع الحق ونزل مع الحق ويحتمل ان يكون الباء الثانية كما في قولك نزلت بزيد فيكون الحق عبارة عن محمد لان القرآن نزل به اي عليه وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين والاتيان بشيء مما اقترحوه ثم ان القوم كانهم من تعنتهم طعنوا في القرآن من جهة انه لم ينزل دفعة واحدة فاجاب عن شبهتهم بقوله وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه اي جعلنا نزوله مفرقا منجما عن ابن عباس انه قرأه بالتشديد وقال انه لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب وقال ابو عبيدة التخفيف اعجب الي لان تفسيره بيناه وليس للتشديد معنى الا انه نزل متفرقا فالفرق يتضمن التبيين ويؤكده ما روى ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت افرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام واقول ان ابن عباس اعتبر الفصل بين اول نزوله وبين آخره فراى التشديد اولى ولعل المراد الفصول المتقاربة التي فيما بين المدة بدليل قوله لتقراه على الناس على مكث بفتح الميم اي على مهل وتؤدة وقوله ونزلناه تنزيلا اي على حسب المصالح والحوادث ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بان يقول للمقترحين امنوا به او لا تؤمنوا وهو امر وعيد وتهديد وخذلان وتخلية قال جار الله قوله ان الذين اوتوا العلم اما ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء واما ان يكون تعليلا لقوله امنوا به او لا تؤمنوا اي ان لم تؤمنوا به لقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب من قبل نزول القرآن قال مجاهد هم ناس من اهل الكتاب حين سمعوا ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم خروا سجدا منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وفي قوله يخرون للاذقان سجدا دون ان يقول يسجدون مبالغة من وجهين احدهما انه قيد الخرور وهو السقوط بالذقن فقال الزجاج لان الذقن مجمع اللحيين وكما يبتدي الانسان بالخرور للسجود فاول ما يحاذي به الارض من وجهه الذقن قلت هذا التوجيه صحيح المعنى ولا يظهر منه لتغيير العبارة فائدة وقال غيره المراد تعفير اللحية في التراب فان ذلك غاية الخضوع وان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض مغشيا عليه وثانيهما انه لم يقل يخرون على الاذقان كما هو ظاهر وانما قال للاذقان لان اللام للاختصاص فكانهم خصوا اذقانهم بالخرور او خصوا الخرور باذقانهم ثم حكى انهم في سجودهم يراعون شرائط التنزيه والتعظيم فقالوا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا بانزال القرآن وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبنا لمفعولا اي منجزا ان مخففة من الثقيلة ولهذا دخلت اللام في خبر كان ثم ذكر انهم كما خروا لاذقانهم في حال كونهم ساجدين فقد خروا لها حال كونهم باكين ويجوز ان يكون التكرير لاجل الدلالة على تكرير الفعل منهم بدليل قوله ويزيدهم اي القرآن خشوعا لين قلب ورطوبة عين ثم اراد ان يعلمهم كيفية الخشوع والدعاء فقال قل ادعوا عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت قال جار الله الدعاء بمعنى التسمية لا النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا او للتخيير فالمعنى على السبب الاول سموه بهذا الاسم وبهذا وعلى السبب الثاني اذكروا اما هذا واما هذا ايا ما تدعوا يعني اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فالتنوين عوض من المضاف اليه وما صلة زيدت لتاكيد الابهام والضمير في فله لا يرجع الى احد الاسمين ولكن الى مسماهما وكان اصل الكلام ان يقال ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان ومعنى حسن الاسماء استقلالها بنعوت الجلال والاكرام وقد مر في آخر الاعراف ثم ذكر كيفية اخرى للدعاء فقال ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلوتك على حذف المضاف للعلم بان الجهر والمخافتة من نعوت الصوت لا الصلوة افعالها فهو من اطلاق الكل وارادة الجزء يقال خفت صوته خفوتا اذا انقطع كلامه وضعف وسكن وخفت الزرع اذا ذبل وخافت الرجل بقراءته اذا لم يبين قراءته برفع الصوت روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فاوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلوتك فيسمعه المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا تخافت
بها فلا تسمع اصحابك وابتغ بين ذلك الذي ذكر من الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور الصحابة وكان ابو بكر
يخفى صوته في صلوته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع صوته
قليلا وامر عمر ان يخفض قليلا فنزلت الاية على حسب ذلك وقيل معناه ولا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل
وتخافت بصلوة النهار وعن عائشة وابي هريرة ومجاهد ان الصلوة ههنا الدعاء وقد روى هذا مرفوعا قال الحسن لا ترائي بعلانيتها ولا تسيء بسريرتها وقيل
في الجهر اسماع غيره الذنوب وهو الموجب للتعيير والتوبيخ وعلى هذا ذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال جار الله ابتغ بين ذلك سبيلا
لا تجاوز الوجه الوسط في القراءة وكما امران لا يذكر ولا ينادي الا باسمائه الحسنى نبه على كيفية التحميد بقوله وقل الحمد لله الاية قال في الكشاف كيف لاق وصفه
بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد واقول الولد هو الذي جزء من اجزاء
الوالد فالوالد مركب محدث والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وايضا الولد مبخلة ومجبنة فلا يستحق الحمد والشريك
انما يتصور لمن لا يستقل بالمالكية فيفتقر الى من يتم مشاركته امور مملكته ومصالح قدرته وكل من كان كذلك كان عاجزا بالنظر الى ذاته فلا يتم فيضانه فلا يستحق الحمد على
وهذا حكم من كان له ولي من الذل اي اتخذ حبيبا من اجل ذل به واستفادة لا من عز وقوة وافاضة او الولي يعني الناصر اي ناصر من اجل مذلة به ليدفعها بنصرة
وايضا فمنعه الشريك من اصابة الخير الى اوليائه والذي يكون له ولي من الذل يكون محتاجا اليه فينعم عليه دون من يستغني عنه اما اذا كان منزها عن الولد و
عن الشريك وعن ان يكون له ولي ينصره ويلي امره كان مستوجبا لاعظم انواع الحمد ومستحقا لاجل اقسام الشكر قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى التكبير انواع
منها تكبيره في ذاته وهو ان يعتقد انه واجب الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ومنها تكبيره في صفاته بان يعتقد ان كلها من صفات الجلال والاكرام وفي غاية
العظمة ونهاية الكمال وانها منزهة عن سمات التغير والزوال والحدوث والانتقال ومنها تكبيره في افعاله وعند هذا يعود مسئلة الجبر والقدر قال سمعت
ان الاستاذ ابا اسحق الاسفرايني كان جالسا في دار الصاحب ابن عباد فدخل القاضي عبد الرحمن بن احمد الهمداني فلما رآه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال
الاستاذ سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ومنها تكبيره في احكامه وهو ان يعتقد ان احكامه كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة وقضية الاستقامة
ومنها تكبيره عن هذا التكبير وتعظيمه عن هذا التعظيم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية والله اعلم التأويل
وقالوا لن نؤمن لك كانوا ارباب الحس فلم يبصروا شواهد الحق ودلائل النبوة ولم يطلبوا منه ما كان هو عليه من تزكية النفوس وتصفية القلوب وتحلية الارواح
وتفجير ينابيع الحكمة من ارض القلوب لانبات نخيل المشاهدات واعناب المكاشفات في جنات المواصلات ابعث الله بشرا رسولا تعجبوا من كون البشر رسولا
حين ظنوا ان الملك اعلى حالا من البشر وغفلوا عن رتبة الانسان الكامل حيث جعله الله مسجود الملائكة المقربين فاودع فيه سر الخلافة مأويهم جهنم الحرص والشهوات
كلما سكنت نار شهوة باستيفاء حظها زدناهم سعيرا باشتغال طلب شهوة اخرى تسع آيات بينات قال الشيخ المحقق نجم الحق والدين المعروف بداية رحمه الله تعالى
اراد الايات التي تدل على نبوته فيما يتعلق بنفسه خاصة كالقائه في اليم واخراجه منه وتربيته في حجر العدو وتحريم المراضع عليه ونحو ذلك وبالحق انزلناه لان الارواح
المتعلقة بالعالم السفلي احتاجت في الرجوع الى عالم الحبل المتين هو القرآن كقوله واعتصموا بحبل الله جميعا وبالحق نزل التمييز بين اهل السعادة والشقاء بالاتباع
وعدمه ان الذين اوتوا العلم من قبل نزوله في الازل اذا يتلى عليهم في الازل عند خطاب الست بربكم يخرون للاذقان سجدا للاجابة يقولون بلى ويخرون للاذقان في عالم
الصورة يبكون فالتواضع والسجود من شأن الارواح والبكاء والخشوع من شأن الاجساد ثم بين ان الارواح لما ارسلت الى الابدان للعبودية وذكر الله تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى اي كل اسم من اسمائه حسن فادعوه حسنا وهو الدعاء بالاخلاص ولا تجهر بصلاتك رياء وسمعة ولا تخافت بها
بان تخفيها بالكلية فيحرموا المتابعة والاسوة الحسنة وابتغ بين ذلك سبيلا باظهار الفرائض واخفاء النوافل والله اعلم

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك الاية ◉ حروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون ◉ كلمها الف
وخمسمائة وسبعة وسبعون ◉ آياتها مائة واحدى عشر ◉

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا
من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه
ابدا ◉ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ◉ ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت
كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا ◉ فلعلك باخع نفسك على آثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ◉ انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملا ◉ وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ◉ ام حسبت ان اصحاب
الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ◉ اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا
آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ◉ فضربنا على آذانهم في الكهف

سنين

سنين عددا ◉ ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا ◉ نحن
نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ◉ وربطنا
على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد
قلنا اذا شططا ◉ هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ◉ واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا ◉ وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم
ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله
من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ◉ وتحسبهم ايقاظا
وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ◉ وكذلك بعثناهم
ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ◉ قالوا
ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما
فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا ◉ انهم ان يظهروا عليكم
يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا ◉ وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا
ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا ◉
سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا
مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ◉ ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب
من هذا رشدا ◉ ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ◉
قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه
من ولي ولا يشرك في حكمه احدا ◉ صدق الله العظيم

القراءة من لدنه باشمام الدال شيئا بالضم وكسر النون ووصل الهاء بالياء يحيى الآخرون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء ويبشر مخففا حمزة وعلي
الباقون بالتشديد هي لنا ويهيئ لكم بتليين الهمزة فيهما الاوقية والاعشى وفي الوقف فاووا بالدال الهمزة الفا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش

وحمزة في الوقف مرتفقا بفتح الميم وكسر الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والاعشى والبرجمي الآخرون على العكس تزاور خفيفا بحذف تاء التفاعل عاصم
وحمزة وعلي وخلف تزور بتشديد الراء ابن عامر مثل تحمر ويعقوب الباقون تزاور بتشديد الزاي لادغام التاء فيه المهتدي كما مر في سبحان ولملئت بتشديد اللام
ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرأ ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف غير مهموز بورقكم بسكون الراء ابو عمرو وحمزة وحماد وابو بكر
عن هبيرة وعباس بكسر الراء وادغام القاف في الكاف الآخرون بكسر الراء مظهرا ربي اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان يهدين وان ترني وان
يؤتيني وان تعلمني بالياءات في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ عن قنبل كلها بالياء في الحالين وافق البرجمي وابن فليح
كلها بغير الياء في الحالين الفقهاء ابو عمرو وابو جعفر ونافع بالياء في الوصل ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلي وخلف الباقون بالتنوين ولا تشرك بالتاء على النهي ابن عامر
وروح وزيد الآخرون ولا يشرك بياء الغيبة ورفع الكاف **الوقوف** عوجا لا لان قيما ليس بصفة له ولكنه انتصب بمحذوف دل عليه المتلو وهو انزله او
انزل قيما والتوصل وجه وهو ان يكون حالا من الكتاب او العبد وما بينهما اعتراض حسنا ابدا ولدا لا لان ما بعده يحتمل الصفة او ابتداء اخبار والوقف اوضح لئلا يو
اوهم الولد مطلقا كما هو انطا برلابائهم ط من افواههم ط كذبا ه اسفا ه عملا ه جرزا ج لتمام القصة وما بعده استفهام تقرير وتعجيب عجبا ه رشدا ه عددا ه لا للعطف
امدا ه بالحق ط هدى نف والاصل اولى للعطف شططا ه آلهة ط لابتداء التحضيض بين ط كذبا ه مرفقا ه فجوة منه ط آيات الله ط هو المهتد ج مرشدا ه رقود نف والاولى
الوصل على ان ما بعده حال اي رقدوا ونحن نقلبهم الشمال ق والوصل احسن على ان المعنى نقلبهم باسطا بالوصيد ط رعبا ه بينهم ط كم لبثتم ط بعض يوم ط اعداء ابدا ه
لا ريب فيها ج لان اذ يصلح ان يكون ظرفا لاعثار عليهم وان يكون منصوبا باضمار اذكر بنيانا ط بهم ط مسجدا ه رابعهم كلبهم ج فصلا بين المقالتين مع اتفاق الجملتين ج
لوقوع العارض كلبهم ط قليل ط ظاهرا ه احدا ه يشاء الله ز لاتفاق الجملتين مع عارض الظرف والاستثناء رشدا ه تسعا ه لبثوا ج لاحتمال ان ما بعده مفعول
قل او اخبار مستأنف والارض ط لابتداء التعجب واسمع ط من ولي ط لمن قرأ ولا تشرك على النهي ومن قرأ على الغيبة اخبارا جوز وقفه لاختلاف الجملتين احدا
التفسير الحمد والتكبير المذكوران في آخر السورة المتقدمة بالحمد على انزال نعمة على العباد وهي نعمة انزال الكتاب على عبده محمد صلى الله عليه وسلم قال بعض العلماء
نزه نفسه في اول سورة سبحان عما لا ينبغي وهو اشارة الى كونه كاملا في ذاته وحمد نفسه في اول هذه السورة وهو اشارة الى كونه مكملا لغيره وفيه تنبيه على ان مقام
التسبيح مبدأ ومقام التحميد نهاية موافقا لما ورد في الذكر سبحان الله والحمد لله وفيه ان الاسراء اول درجات كماله من حيث انه يقتضي حصول الكمال وانزال الكتاب عليه
غاية درجات كماله لان فيه تكميل الارواح البشرية ونقلها من حضيض البهيمية الى اوج الملائكة ولا شك ان المنافع المتعدية افضل من القاصرة كما ورد في الخبر من تعلم
وعلم فذلك يدعى عظيما في السموات وانزال الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم نعمة عليه وعلينا اما انه نعمة عليه فلانه اطلع بواسطته على اسرار التوحيد ونعوت الجلال والاكرام
واحوال الملائكة والانبياء وسائر النفوس المقدسة وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي بالعالم العلوي والشهادة بالغيب وارتباط احدهما بالآخر واما
نعمة علينا فلانا نستفيد منه مثل ذلك ونعرف منه الاحكام الشرعية المفضية الى صلاح المعاش والمعاد وفي انتصاب قيما وجوه فاختار صاحب الكشاف
ان يكون منصوبا بمضمر اي جعله وانزله قيما وابى ان يكون حالا لان العطف يدل على تمام الكمال وجعله حالا يدل على نقصانه وقال جامع الاصفهاني هما حالان متواليتان
الا ان الاولى جملة والثانية مفردة وقيل حال من الضمير في قوله ولم يجعل له وفائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة هي التأكيد فرب مستقيم في الظاهر لا يخلو
عن ادنى عوج في الحقيقة وفي تفسير ابن عباس ويحتمل ان يراد انه قيم على سائر الكتب مصدق لها شاهد بصحتها وانه قيم بمصالح العباد وما لا بد لهم من الشرائع والاحكام
وعلى هذا يكون قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى انه كامل في ذاته مبرأ عن الاختلاف والتناقض مشتمل على كل ما هو في نفس الامر حق وصدق وقوله قيما اشارة الى انه
مكمل لغيره مصلح لجنس بيانه وارشاده لاحوال معاشه ومعاده فيكون الآية نظير قوله في اول البقرة لا ريب فيه هدى للمتقين ثم اراد ان يفصل ما اجمل في قوله قيما فقال
لينذر بأسا شديدا من لدنه وحذف المنذر للعلم به وعمومه وليطهر اللسان عن ذكره اي لينذر الذين كفروا عذابا اليما صادرا من عنده واما اجر المحسن الجنة بدليل قوله
ماكثين فيه وهو حال من الضمير في لهم ثم كرر الانذار وذكر المنذر بخصوصه وحذف المنذر به وهو البأس لتقدم ذكره وقد ذكر قضية كلية ثم تعطف عليها تفريعا
بينها على كونه اعظم جزئيات ذلك الكلي ففي عطف الانذار المخصوص على الانذار المطلق دليل على ان افحش انواع الكفر والمعصية اثبات الولد لله تعالى على زعم
بعض كفار قريش من ان الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال ما لهم به اي بالولد او باتخاذ الله اياه من علم ولا لآبائهم والمنفي
العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال فلا يتعلق به العلم لذلك والمراد في الآية اي قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد لآبائهم الذين
هم مثلهم في الجهالة قال جار الله الضمير في قوله كبرت يعود الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها قلت ويجوز ان يعود الى مضمر فيه تفسيره الظاهر كقولهم
ربه رجلا ونعمت امرأة هند قال الواحدي انتصب كلمة على التمييز وذلك انك لو قلت كبرت المقالة او الكلمة جاز ان يتوهم انها كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما قلت كلمة
فقد ميزتها من محتملاتها وقرئ بالرفع على الفاعلية كما يقال عظم قولك قال اهل البيان النصب اقوى وابلغ لان فيه التعجب من جهتين من جهة الصيغة ومن جهة التمييز
كانه قيل ما اكبرها كلمة وفي وصف الكلمة بقوله تخرج من افواههم مبالغة اخرى من وجهين الاول ان كثيرا من وساوس الشيطان وهواجس القلوب لا يتمالك العقلاء
ان يتفوهوا بها حياء وخجلا فبين الله تعالى ان هذا المنكر لم يستحيوا من اظهاره والنطق به فما اشنع فعلهم وما اعظم تجاسرهم الثاني ان هذا الذي يقولونه لا يحكم
عقلهم وفكرهم البتة لكونه في غاية البطلان وكانه شيء يجري على لسانهم بطريق التقليد احتج النظام على مذهبه ان الكلام جسم بان الخروج عبارة عن الحركة والحركة
من خواص الاجسام والجواب ان الخارج من الفم هو الهواء لان الحروف والاصوات كيفيات قائمة بالهواء فاسند الى الحال ما هو من شأن المحل مجازا ثم زاد في تقبيح
صورتهم بقوله ان يقولون الا كذبا وفيه ابطال قول من زعم ان الكذب هو الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه مع علم قائله بانه غير مطابق وذلك ان العقيدة الاخيرة غير حاصلة
ههنا مع انه تعالى سماه كذبا ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك باخع قال الليث بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا وقال الاخفش والفراء اصل
البخع الجهد يروى ان عائشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض اي جهدها حتى اخذ ما فيها من اموال الملوك وقال الكسائي بخعت الارض بالزراعة اذا جعلتها ضعيفة
بسبب متابعة الحراثة وبخع الوجد نفسه اذا نهكها واسفا منصوب على المصدر اي تأسف اسفا وحذف الفعل لدلالة الكلام عليه وقال الزجاج هو مصدر
في موضع الحال ومفعول له اي لفرط الحزن شبهه واياهم حين لم يؤمنوا بالقرآن واعرضوا عنه بمن فارقه احبته فهو يتساقط حسرات عليهم والحاصل انه قيل له لا تعظم
حزنك عليهم بسبب كفرهم فانه ليس عليك الا البلاغ فاما تحصيل الايمان فيهم فليس اليك قال القاضي اطلق الحديث على القرآن فدل ذلك على انه غير قديم واجيب
بانه لا نزاع في حدوث الحروف والاصوات فاما النزاع في كلام النفس قوله سبحانه انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال اهل النظم كانه تعالى يقول اني خلقت الارض
وزينتها ابتلاء للخلق بالتكاليف ثم انهم يتمردون ويكفرون ومع ذلك فلا اقطع عنهم مواد هذه النعم فانت ايضا يا محمد لا تترك الاشتغال بدعوتهم بعد ان لا تأسف
عليهم وما على الارض المواليد الثلاثة اعني المعادن والنبات والحيوان واشرفها الانسان وقال القاضي الاولى ان لا يدخل المكلف فيه لان ما على الارض له زينة لها في الحقيقة
فاما هو زينة لاما لغرض الابتلاء فالذي له الزينة يكون خارجا عن الزينة ومعنى انه مجاز بالصورة المقولة والمراد انه تعالى يعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة
عن غيره لكان من قبيل الابتلاء والامتحان وقد مر هذا البحث بتمامه في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه واللام في لنبلوهم للغرض عند المعتزلة

للعاقبة

[illegible]
غير ضالين فيكون من للابتداء ويجوز ان يكون للتجريد كما في قولك رأيت منك اسدا اي اجعل امرنا رشدا كله فضربنا على آذانهم قال المفسرون اي انمناهم
والاصل فيه ان المفعول محذوف وهو الحجاب كما يقال بنى على امرأته اي بنى عليها القبة وسنين ظرف زمان وعددا اي ذوات عدد او هو مصدر وصفت
والمراد بهذا الوصف اما القلة لان الكثير قليل عند الله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون واما الكثرة قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى العد
واذا كثر احتاج ان يعدد ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليظهر معلومنا وفعل العلم معلق لما في اي من معنى الاستفهام فارتفع اي الحزبين على الابتداء وخبره احصى وهو
فعل ماض وما في لما لبثوا مصدرية اي احصى امد اللبث فيكون الجار والمجرور صفة للامد فلما قدم صار حالا منه وقيل اللام زائدة وما بمعنى الذي وامدا تمييز والتقدير
احصى اللبث امدا والامد الغاية وزعم بعضهم ان احصى افعل التفضيل كما في قولهم اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق ولم يستحسنه في الكشاف لان الشاذ لا يقاس
عليه واختلفوا في تعيين الحزبين فعن عطاء عن ابن عباس ان اصحاب الكهف حزب والملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك حزب وقال مجاهد الحزبان من قوم اصحاب
الكهف وذلك انهم لما انتبهوا اختلفوا فقال بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم وقال آخرون ربكم اعلم بما لبثتم وذلك حين عدوا ان لبثهم قد تطاول وقال الفراء ان
طائفتين من المسلمين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم نحن نقص عليك نبأهم بالحق اي على وجه الصدق انهم فتية شباب آمنوا بربهم اي فيه وضع
الظاهر موضع المضمر وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم قويناها بالهام الصبر على فراق الخلان والاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران
اذ قاموا في هذا القيام اقوال فعن مجاهد انهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو اكبر القوم اني لاجد في نفسي شيئا ما اظن احدا يجده ان ربي رب
السموات والارض فقالوا نحن كذلك في انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض وقال اكثر المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس
وكان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض وعن عطاء ومقاتل انهم قالوا ذلك
عند قيامهم من النوم والشطط الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط بعد والمراد قولا ذا شطط اي بعيد عن الحق هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان او بدل واتخذوا خبره
وهو اخبار في معنى انكار وفي اسم الاشارة تحقير لهم لولا يأتون عليهم هلا يأتون على حقيقة الهيتهم او على عبادتهم بسلطان بين بحجة ظاهرة استدل بعدم الدليل على عدم
الشركاء والاضداد فاستدل بعض العلماء بذلك على ان هذه طريقة صحيحة ويمكن ان يجاب بانه انما ذكر ذلك على سبيل التبكيت فمن المعلوم ان الاتيان بسلطان
على عبادة الاوثان محال وفيه دليل على فساد التقليد ويؤكده قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه خاطب بعضهم بعضا حين صمم عزمهم على الفرار
بالدين وقوله وما يعبدون عطف على الضمير المنصوب يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم وقوله الا الله استثناء منقطع على الظاهر ويجوز ان يكون متصلا بناء على
ان المشركين يقرون بالخالق الاكبر وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله فما نافية قال الفراء فأووا الى الكهف جواب اذ ومعناه اذهبوا اليه
واجعلوه مأواكم ينشر لكم ربكم من رحمته يبسطها لكم ومرفقا على القراءتين مشتق من الارتفاق الانتفاع وقيل فتح الميم اقيس وكسرها اكثر وقيل المرفق بالكسر اليد
والمرفق بالفتح الامر الرفق وكان الكسائي ينكر في مرفق اليد الا كسر الميم قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه ولعله اخبره نبي في عصرهم منهم او من غيرهم وترى الشمس
ايها الانسان اذا طلعت تزاور واصله من الزور بفتح الواو وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق وذات اليمين الجهة المسماة باليمين وانتصابها
على الظرف والقرض القطع وقال الكسائي قرضت المكان اي عدلت عنه قالوا ان الشمس تعدل عن سمتهم الى الجهتين فلا تقع عليهم والفجوة المتسع من المكان وقد تحدث
فاما وجه هذه فقد نقل المفسرين في الآية قولان احدهما انهم في ظل نهارهم كله لا يصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح والى هذا التعجب اشار بقوله
ذلك من آيات الله وثانيهما ان باب ذلك الكهف مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف فاذا غربت كانت على يساره فلذلك
كانت الشمس لا تصل اليهم ثم انهم كانوا مع ذلك في متسع من الغار ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم واعترض بان عدم وصول الشمس اليهم لا يكون آية من آيات الله
على هذا التقدير واجيب بان الاشارة الى حفظهم في ذلك الغار مدة طويلة والمقصود من بيان وضع الغار تعيين مكانهم ثم بين انه سبحانه لطف بهم بصون ابدانهم عن الفساد
في تلك المدة المديدة كما لطف بهم في اول الامر بالهداية فكان فيه ثناء عليهم وتذكير لغيرهم ان الهداية وضدها كليهما بمشية الله وعنايته الازلية ولطفه وقهره الذي سبق
القلم به وقال جار الله فيه تنبيه على ان من سلك طريق المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده ثم حكى طرفا آخر
من غرائب احوالهم فقال وتحسبهم ايقاظا وهو جمع يقظ بكسر القاف كانكاد في جمع نكد وهم رقود جمع راقد كقعود في قاعد واستبعد وفي التفسير الكبير وقيل عيونهم مفتحة
وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقال الزجاج لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وعن مجاهد يمكثون رقودا على ايمانهم
سبع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودا سبع سنين وفائدة تقليبهم ظاهرة وهي ان لا تأكل لحومهم الارض قال ابن عباس وتعجب منه الامام فخر الدين قال لانه
تعالى قادر على حفظهم من غير تقليب واقول لا ريب في قدرة الله ولكن الوسائط معتبرة في اغلب الاحوال ونقلبهم وباسط حكاية الحال الماضية ولهذا اعمل في المفعول به
والوصيد الفناء وقيل العتبة او الباب قال السدي الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما اراد ان الكلب منه موضع العتبة من البيت عن ابن عباس هربوا ليلا من ملكهم فمروا
براع معه كلب فتبعهم على دينهم ومعه كلبه وقال كعب مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك ثلاث مرات فقال لهم الكلب ما تريدون مني انا احب احباء الله
فناموا حتى احرسكم وقال عبيد بن عمير كان ذلك كلب صيدهم والاطلاع على الشيء الاشراف عليه قال الزجاج قوله فرارا منصوب على المصدر لان معنى التولية والهرب
الرعب هيبة البسهم الله اياها وقيل طول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم ووحشة مكانهم يحكى ان معوية غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا

اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث اناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وكذلك اشارة الى المذكور قبله اي وكما انمناهم تلك النومة وفعلنا بهم ما فعلنا من الكرامات كذلك بعثناهم وفيه تذكير لقدرته على الاماتة والبعث جميعا ثم ذكر غاية بعثهم فقال ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا والاختلاف والتنازع في مدة اللبث غرض صحيح لما فيه من انكشاف الحال وظهور آثار القدرة قال قائل منهم كم لبثتم اي كم مدة لبثكم قالوا بناء على الظن الغالب لبثنا يوما او بعض يوم وقد مر مثله في عزير في البقرة قالوا استدلالا او الهاما ربكم اعلم بما لبثتم قال ابن عباس هو رئيسهم يمليخا رد علم ذلك الى الله تعالى حين رأى التغير في شعورهم واظفارهم وبشرتهم والغار فابعثوا احدكم كأنه قيل واذ قد حصل اليأس من تعيين مدة اللبث فخذوا في شيء آخر مما يهمكم بورقكم الورق الفضة مضروبة او غير مضروبة وفي تزودهم بالورق عند فرارهم دليل على ان امساك بعض ما يحتاج اليه الانسان في سفره او حضره لا ينافي التوكل على الله هذه الى المدينة طرسوس قال في الكشاف ايها ازكى طعاما اي اهلها ازكى طعاما والاولى ان يعود الضمير الى الاطعمة وهنا كقولك زيد طيب ابا على ان الاب هو زيد ويجوز ان يراد اي اطعمة المدينة ازكى طعاما على الوجه المذكور عن ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون ذبائحهم وقال مجاهد احل وقيل اطيب وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا اي لا يفعلن ما يؤدي الى الشعور ويسبب له انهم ان يظهروا عليكم على مكانكم او عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم في ملتهم بالاكراه والعنف قال في الكشاف العود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل قلت يحتمل ان يكون العود ههنا على معناه الاصلي لاحتمال ان يكون اصحاب الكهف على ملة اصحاب المدينة قبل ان هداهم الله تعالى ولن تفلحوا اذا ابدا اذن في معنى الشرط كأنه قال ان رجعتم الى دينهم فلن تفلحوا اذا ابدا قال المحققون لا خوف على المؤمن العارف بدينه اعظم من هذين ففي الاول هلاك الدنيا وفي الثاني هلاك الاخرة وانما نفوا الفلاح على التأبيد مع ان الكفر بالاكراه لا يضر لانهم خافوا ان يجرهم ظاهر الموافقة الى الكفر القلبي وكما انمناهم وبعثناهم اعثرنا عليهم سمي الاعلام اعثارا والعلم عثورا لان من كان غافلا عن شيء فعثر به نظر اليه فعرفه فكان الاعثار سببا لحصول العلم واليقين وفي سبب الاعثار قولان احدهما انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وتغيرت بشرتهم فعرفوا بذلك والاكثرون قالوا ان ذلك الرجل لما ذهب بالورق الى السوق وكانت دراهم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقال له من اين وجدت هذه الدراهم فقال بعت بها امس شيئا من التمر فعرف الملك انه ما وجد كنزا وان الله بعثه بعد موته فقص عليه القصة ثم ذكر سبحانه غاية الاعثار فقال ليعلموا ان وعد الله حق يروى ان ملك ذلك العصر كان ممن ينكر البعث الا انه كان مع كفره منصفا فجعل الله امر الفتية دليلا للملك وقيل بل اختلفت الامة في ذلك الزمان فقال بعضهم الجسد والروح يبعثان جميعا وقال آخرون الروح يبعث واما الجسد فتأكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع ان يظهر له آية يستدل بها على ما هو الحق في المسألة فاطلعه الله تعالى على امر اصحاب الكهف حتى تقرر عنده صحة بعث الاجساد لان انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث فالمراد بالتنازع هو اختلافهم في حقيقة البعث والضمائر في قوله اذ يتنازعون بينهم امرهم تعود الى تلك الامة وقيل المراد اذ يتنازع الناس بينهم من اصحاب الكهف ويتكلمون في نسبتهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا يروى انه انطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا فيكون فيه دليل على ان اولئك الاقوام كانوا عارفين بالله تعالى معترفين بالعبادة والصلوة وقيل ان الكفار قالوا انهم كانوا على ديننا فنتخذ عليهم بنيانا وقال المسلمون بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا في عددهم واسمائهم قال جار الله ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يهتدوا الى حقيقته فقالوا ذلك او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والذين غلبوا على امرهم هم المسلمون وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم وصيانة لها سيقولون يعني الخائضين في قصتهم من المؤمنين ومن اهل الكتاب المعاصرين وكان كما اخبر فكان معجزا يروى ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا هم ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا هم خمسة سادسهم كلبهم فزيف الله قولهما بان قال رجما بالغيب اي يرمون رميا بالخبر الخفي يقال فلان يرمي بالكلام رميا اي يتكلم من غير تدبر وكثيرا ما يقال رجم بالظن مكان قولهم ظن وقال المسلمون هم سبعة وثامنهم كلبهم قال العلماء وهذا قول الحق عرفها المسلمون باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام والذي يدل عليه امور منها ما روي عن علي كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكسلمينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم واسمه كفشططيوش واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير وقيل ريان عن ابن عباس رضي الله عنه ان اسماء اصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب واطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ولبكاء الطفل تكتب وتوضع تحت رأسه في المهد وللحرث تكتب على القرطاس ويرفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان وللحمى المثلثة والصداع والغنى والجاه والدخول على السلاطين يشد على الفخذ اليمين ولعسر الولادة يشد على فخذها الايسر ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من القتل ومنها قول صاحب الكشاف ان الواو في قوله وثامنهم هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة في قولك جاءني رجل ومعه آخر كما تدخل على الجملة الواقعة حالا من المعرفة في قولك مررت بزيد ومعه سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر فالواو مقتضاها الجمعية وكأنهم وصفوا كونهم سبعة مرتين بخلاف القولين الاولين فانهم وصفوا بها وصفا مرة واحدة ولقائل ان يقول ان العاطف لا يوسط بين الصفة والموصوف البتة لشدة الاتصال بينهما ومقتضى الواو هو الحالة المتوسطة بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بل الواو انما لعطف الجملة على الجملة واما الحال فجاز لانهم انما لم يسوغوا وقوع ذي الحال نكرة لامكان التباس الحال بالصفة في نحو قولك رأيت رجلا راكبا وههنا الالتباس مرتفع لمكان الواو ومنها قول بعضهم ان السبعة في قوله ويقولون سبعة لله تعالى والجمع للتعظيم ومنها قول ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات ومنها انه خص القولين الاولين بزيادة قوله رجما بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فمن البعيد ان يذكر الله تعالى جملة الاقوال الباطلة ولا يذكر الحق على ان نبيه منعه عن المناظرة معهم وعن الاستفتاء منهم في هذا الباب وهذا المنع انما يصح اذا علمه حكم هذه الواقعة وايضا انه تعالى قال ما يعلمهم الا قليل ويبعد ان لا يحصل العلم بذلك للنبي عليه السلام ويحصل لغيره وكان ابن عباس يقول انا من اولئك القليل وقد عرفت قولهما في هذا الباب واذا حصل فالظاهر انه حصل بهذا الوحي لان الاصل فيما سواه العدم وقيل الضمير في سيقولون لاهل الكتاب منهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وقوله سبحانه في الموضعين الاخيرين ويقولون بغير السين

ورجما انها للاستقبال ايضا الا ان ذلك يحتمل ان يكون لاجل الصيغة التي تصلح له وان يكون المقصد بالسين حكم العطف كما تقول قد اكرم وانعم اي وقد انعم واما فائدة تخصيص الواو في قوله وثامنهم فقد عرفتها وقد يقال ان العدد السبعة عند العرب عدد تام كامل ... في نظائر المبالغة من ذلك قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة ان هذا العدد سبعة عقود فاذا وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستئناف كقوله في ابواب الجنة وفتحت ابوابها وقوله ثيبات وابكارا وزيف القفال هذا الوجه بقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وذلك انه لم يذكر الواو في النعت الثامن والانصاف ان هذا الترتيب ليس في موضعه ان وجود الواو هو الذي يفتقر الى التوجيه واما عدم دخول الواو في الاصل فبين التوجيه والايجاب بون بعيد والقائل بعده والاول دون الاخير ثم نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الجدال مع اهل الكتاب في شأن اصحاب الكهف ثم قال الا مراء ظاهرا فقال جار الله اي جدالا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف وقال في التفسير الكبير المراد ان لا تكذبهم في تعيين ذلك العدد بل تقول هذا التعيين لا دليل عليه فوجب التوقف ثم نهاه عن الاستفتاء منهم في شأنهم لان المفتي يجب ان يكون اعلم من المستفتي وههنا الامر بالعكس ولا سيما في باب واقعة اصحاب الكهف كانوا آية ولنذكر ههنا مسألة جواز الكرامات وما يتوقف عليه فنقول الولي مشتق من الولي وهو القرب فعيل بمعنى فاعل كعليم وقدير وذلك انه توالت طاعاته من غير تخلل معصية او بمعنى مفعول كقتيل وذلك ان الحق سبحانه تولى حفظه وحراسته من الذنب ومنه التفضل والاحسان فاذا ظهر فعل خارق للعادة على انسان فان كان مقرونا بدعوى الالهية كما نقل ان فرعون كان يظهر على يديه الخوارق وكما ينقل ان الدجال سيكون منه ذلك فهذا القسم جوزه الاشاعرة لان شكله وخلقته يدل على كذبه فلا يفضي الى التلبيس وان كان مقرونا بدعوى النبوة فان كان صادقا وجب ان لا يحصل له المعارض وان كان كاذبا وجب ويمكن ان يقال ان الكاذب يستحيل ان يظهر منه الفعل الخارق واليه ذهب جمهور المعتزلة خالفهم ابو الحسين البصري وصاحبه محمود الخوارزمي ويجوز ظهور خوارق العادات على من كان مردودا عند الله ويسمى بالاستدراج وقد يفرق بين النبي الصادق والكاذب بالدعاء الى الخير والى الشر وان كان مقرونا بدعوى الولاية فصاحبه هو الولي ومن المحققين من لم يجوز للولي لانه مأمور بالاخفاء والنبي مأمور بالاظهار ثم ان المعتزلة انكروا كرامات الاولياء والاشاعرة اثبتوها مستدلين بالقرآن والاخبار والآثار والمعقول اما القرآن فكقصة مريم ونبأ اصحاب الكهف قال القاضي لا بد ان يكون في ذلك الزمان نبي حتى يكون آية له لا الكرامات واجيب في التفسير الكبير بان القاءهم على النوم امر غير خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لاحد واما قيامهم من النوم بعد ثلثمائة سنة فهذا ايضا لا يمكن جعله معجزة لان الناس لا يصدقونهم في هذه الواقعة لانهم لا يعرفون كونهم صادقين في هذه الدعوى الا اذا بقوا طول هذه المدة وعرفوا ان هؤلاء الذين جاؤوا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثمائة وتسع سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء فلم يبق الا ان يجعل كرامة لهم ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون بعثهم معجز النبي ذلك الزمان واما ان ذلك البعث بعد نوم طويل فيعرف بامارات اخر كما مر من حديث الدرهم وغيره واما الاخبار فمنها ما اخرج في الصحاح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يتكلم في المهد الا ثلثة عيسى بن مريم وصبي في زمان جريج وصبي آخر اما عيسى فقد عرفتموه واما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له ام فكان يوما يصلي اذ اشتاقت اليه امه فقالت يا جريج فقال يا رب الصلوة خير ام رؤيتها ثم صلى فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى كان ذلك ثلث مرات وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على امه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه المومسات وكان في بني اسرائيل زانية فقالت لهم انا افتن جريجا حتى يزني فاتته فلم تقدر على شيء وكان هناك راع يأوي بالليل الى اصل صومعته فارادت الراعي على نفسها فاتاها فولدت غلاما فقالت ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته وشتموه فصلى ودعا ثم نخس الغلام قال ابو هريرة كاني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبني صومعتك من ذهب وفضة فابى عليهم وبناها كما كانت واما الصبي الآخر فان امرأة كان معها صبي ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مرت بها امرأة ذكروا انها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال اللهم اجعلني مثلها فقالت له امه في ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة وان هذه قيل لها سرقت ولم تسرق وزنت ولم تزن وهي تقول حسبي الله ومنها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انطلق ثلثة رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما فنأى بي طلب شجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان اغبق قبلهما فقمت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الآخر اللهم انه كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فاردتها عن نفسها فامتنعت حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا اذن لك ان تفك الخاتم الا بحقه فتحرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معها اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث اللهم اني استأجرت اجراء فاعطيتهم اجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اد الي اجري فقلت له كل ما ترى من الابل والغنم والرقيق من اجرك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذ ذلك كله اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك فافرج فانفرجت الصخرة من الغار فخرجوا يمشون هذا حديث صحيح متفق عليه ومنها قوله صلى الله عليه وسلم كم من اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله تعالى ومنها رواية سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يسوق بقرة وقد حمل عليها التفتت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم فقال صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا ابو بكر وعمر ومنها رواية ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا رجل يسمع رعدا او صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال فغدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك فقال فلان بن فلان فقلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال اما اذا قلت فاني اجعلها اثلاثا فاجعل لنفسي ولاهلي ثلثا واجعل للمساكين وابناء السبيل ثلثا وانفق عليها ثلثا واما الآثار فمن كرامات ابي بكر رضي الله عنه انه لما حملت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا ابو بكر بالباب فاذا الباب قد فتح فاذا بهاتف يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب ومن كرامات عمر رضي الله عنه ما روي انه بعث جيشا وامر عليهم رجلا يدعى سارية بن حصين فبينا عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته يا سارية الجبل الجبل قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه فكتبت تاريخ هذه الكلمة فقدم رسول ذلك الجيش فقال يا امير المؤمنين غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة قال بعض العلماء كان ذلك في الحقيقة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه قال لابي بكر وعمر رضي الله عنهما انتما مني بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر رضي الله عنه بمنزلة البصر لا جرم قدر على رؤية الجيش من ذلك البعد ومنها ما روي ان نيل مصر كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمرو بن العاص بهذه الحالة الى عمر رضي الله عنه فكتب عمر على خزفة من عبد الله امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجري بامرك فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجري بامر الله فانا نسأل الله ان يجريك فالقى الخزف في النيل فجرى ولم يقف بعد ذلك ومنها ان الزلزلة وقعت بالمدينة فضرب عمر رضي الله عنه الدرة على الارض فقال اسكني باذن الله فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك ووقعت النار في بعض دور المدينة

فكتب عمر رضي الله عنه يا نار اسكني باذن الله تعالى فالقوها في النار فانطفت في الحال ويروى ان رسول ملك الروم جاء الى عمر رضي الله عنه وطلب داره وظن ان داره
كقصور الملوك فقالوا ليس له ذلك انما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء رأى عمر واضعا درته تحت رأسه وهو نائم على التراب فتعجب الرسول
من ذلك وقال في نفسه ان اهل الشرق والغرب يخافون منه وهو على هذه الصفة فسل سيفه ليقتله فاخرج الله اسدين من الارض فقصداه فخاف والقى السيف فانتبه
عمر رضي الله عنه واسلم الرجل قال اهل السنة لم يتفق لاحد من اول عهد آدم عليه السلام الى الآن ما تيسر له فانه مع غاية بعده عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات
ولا شك ان هذا من اعظم الكرامات واما عثمان فعن انس رضي الله عنهما قال مررت في طريق فوقعت عيني على امرأة ثم دخلت على عثمان رضي الله عنه فقال ما لي اراكم تدخلون
علي وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت أوحي نزل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن فراسة صادقة وقيل لما طعن بالسيف فاول قطرة سقطت من دمه سقطت على المصحف
على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ويروى ان جهجاه الغفاري انتزع العصا من يده وكسرها على ركبته فوقعت الاكلة في ركبته واما علي رضي الله عنه فيروى ان
واحدا من اصحابه سرق وكان عبدا اسود فاتى به الى علي رضي الله عنه فقال أسرقت قال نعم فقطع يده فانصرف من عند علي رضي الله عنه فلقيه سلمان الفارسي وابن الكوا
فقال ابن الكوا من قطع يدك قال امير المؤمنين ويعسوب الدين وختن الرسول وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه قال ولم لا امدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني
من النار فسمع سلمان ذلك فاخبر به عليا فدعا الاسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا
الرداء فاذن اليد كما كان باذن الله تعالى واما سائر الصحابة فعن محمد بن المنكدر انه قال ركبت البحر فانكسرت السفينة التي كنت فيها فركبت لوحا من الواحها
فطرحني اللوح في اجمة فيها اسد فخرج الي الاسد فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتقدم ودلني على الطريق ثم همهم فظننت انه يودعني
ورجع وروى ثابت عن انس ان اسيد بن حضير ورجلا آخر من الانصار خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب من الليل قطع وكانت ليلة مظلمة
وفي يد كل واحد منهما عصا فاضاءت عصا احدهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقا اضاءت لكل واحد منهما عصاه حتى مشى في ضوئها وبلغ منزله وقيل لخالد بن الوليد
ان في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلا فطاف في العسكر فرأى رجلا على فرس ومعه زق من خمر فقال ما هذا فقال خل فقال خالد اللهم اجعله خلا فذهب
الرجل الى اصحابه وقال اتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها فلما فتحوا اذ هي خل فقالوا ما جئتنا والله الا بخل فقال هذه والله دعوة خالد ومن الوقايع المشهورة
ان خالد بن الوليد اكل كفا من السم على اسم الله تعالى وما ضره وعن ابن عمر انه كان في بعض اسفاره فلقي جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع
عن طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال
بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الاعظم فمشوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ولا سيما في كتاب تذكرة الاولياء ومن ارادها
فليطالعها واما المعقول فهو ان الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب لقوله تعالى يحبهم ويحبونه فاذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه الى حيث يفعل كل ما امره الله
فاي بعد في ان يفعل الرب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة واحدة ما يريد العبد وايضا لو امتنع اظهار الكرامة فذلك اما لاجل ان الله تعالى ليس اهلا له وذلك قدح
واما لان المؤمن ليس اهلا له وهو بعيد لان معرفة الله والتوفيق على طاعته اشرف العطايا واجلها واذا لم يبخل الفياض بالاشرف فلان لا يبخل بالادون اولى ومن هنا
قالت الحكماء ان النفس اذا قويت بحسب قوتها العلمية والعملية تصرفت في اجسام العالم السفلي كما يتصرف في جسده قلت وذلك ان النفس نور ولا يزال يتزايد قوته
واشراقه بالمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية عليه حتى ينبسط ويقوى على انارة غيره والتصرف فيه والوصول الى هذا المقام هو المعنى بقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه
والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية حجة المنكرين للكرامات ان ظهور الخوارق دليل على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة
واجيب بالفرق بين المعجزة والكرامة بان المعجز مقرون بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية وايضا النبي صلى الله عليه وسلم يدعي المعجزة ويقطع بها والولي
اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها وايضا انه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة جميع هذا عند من يجوز للولي دعوى الولاية واما من لا يجوز ذلك
من حيث ان النبي مأمور بالاظهار لضرورة الدعوة والولي ليس كذلك ولكن اظهاره يوجب طلب الاشتهار ونفور المهتدين عنه فانه يفرق بينهما بان المعجز مقرون
بدعوى النبوة والكرامة غير مقرونة بشيء من الدعاوي قالوا قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله سبحانه لن يتقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم فكون المتقرب
الى الله باداء الفرائض لا يحصل له شيء من الكرامات فالمتقرب اليه باداء النوافل اولى بان لا يحصل له ذلك واجيب بان الكلام في المتقرب اليه باداء الفرائض والنوافل
جميعا قالوا قال تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فالقول بطي الارض للاولياء طعن في الآية وطعن في محمد صلى الله عليه وسلم حين لم يصل
من المدينة الى مكة الا في الايام واجيب بان الآية وردت على ما هو المعهود المتعارف وكرامات الاولياء احوال نادرة فيصير كالمستثناة من ذلك العموم وان محمدا
صلى الله عليه وسلم لم يكن قاصرا عن رتبة بعض الاولياء ولكنه لم يتفق له ذلك والعلة تتفق له في غير ذلك السفر قالوا اذا ادعى الولي على انسان درهما فان لم
يطالب بالبينة كان تاركا لقوله صلى الله عليه وسلم البينة على المدعي وان طالبه كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه دليل قاطع على انه لا يكذب ومع الدليل القاطع لا يجوز العمل
بالظن والجواب مثل ما مر من ان النادر لا حكم به قالوا لو جاز ظهور الكرامة على بعض الاولياء لجاز على كلهم واذا كثرت الكرامات انقلب خرق العادة وفقالها
واجيب بان المطيعين فيهم قلة لقوله تعالى وقليل من عبادي الشكور والولي فيهم اعز من الكبريت الاحمر واتفاق الكرامة للولي ايضا يقع على سبيل الندرة وكيف يصير
ما يظهر عليه معتادا اي الفرق بين الكرامات والاستدراج هو ان يعطيه الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وقد يسمى مكرا وكيدا وضلالا واملاء والفرق ان
صاحب الكرامة لا يستأنس بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة وصاحب الاستدراج يسكن الى ما اوتي ويشتغل به وانما كان الاستيناس بالكرامات قاطعا للطريق لانه حينئذ
اعتقد انه يستحق لذلك وان له حقا على الحق فيعظم شانه في عينه ويفتخر بها لا بالمكرم والارباب الاعجاب مهلك وانه اوقع العجب فيما وقع والعبد الصالح هو الذي
يزداد تذللا وتواضعا بين يدي مولاه بازدياد آثار الكرامة والولاية عليه قرأ المقرئ في مجلس الاستاذ ابي علي الدقاق اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال
علامة رفع العمل ان لا يبقى منه في نظرك شيء فان بقي فهو غير مرفوع فان الولي هل يعرف كونه وليا قال الاستاذ ابو بكر بن فورك لا يجوز لان ذلك يوجب الامن الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والامن ينافي اعتقاد الربوبية لله تعالى ويقتضي زوال العبودية الموجب لسخط الله وكيف يأمن الولي وقد وصف الله تعالى
عباده المخلصين بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وايضا ان طاعات العباد ومعاصيهم لا تؤثر في محبة الحق وعداوته لانها محدثة متناهية وصفاته قديمة غير متناهية
والمحدث المتناهي لا يغلب القديم غير المتناهي فقد يكون العبد في عين المعصية ونصيبه في الازل هو المحبة وقد يكون في عين الطاعة ونصيبه المبغضية ولهذا لا يحصل الجزم
بمعرفة الخاتمة قيل من هنا قال سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل حسنة ومن كانت محبته لا لعلة امتنع ان يصير عدوا بالعلة المعصية
وبالعكس فمحبة الحق وعداوته من الاسرار التي لا يطلع عليها الا الله ومن اطلعه عليها الله وقال الاستاذ ابو علي الدقاق وتلميذه ابو القسم القشيري ان
للولاية ركنين احدهما الانقياد للشريعة في الظاهر والثاني كونه في الباطن مستغرقا في نور الحقيقة فاذا حصل هذان الامران وعرف الانسان ذلك عرف انه
كونه وليا وعلامته ان يكون فرحه بطاعة الله واستيناسه بذكر الله قلت لا ريب ان مداخل الاغاليط في هذا الباب كثيرة ودون الوصول الى عالم الربوبية حجب
واستار من نيران وانوار فالجزم بالولاية خطر والقضاء بالمحبة عسر والله تعالى اعلم قال المفسرون ان اليهود حين قالت لقريش سلوا محمدا عن مسائل ثلثة عن الروح

وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسألوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجيبكم عنها غدا ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه خمس عشرة ليلة وقيل اربعين يوما
ثم نزل قوله ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد بعينه وقوله الا ان يشاء الله ليس فيه بيان انه ماذا يشاء
فقال العلماء انه لا يمكن ان يكون من تمام قوله اني فاعل اذ يصير المعنى اني فاعل الا ان يشاء الله ان لا افعله اي الا ان تعترض مشية الله دون فعله وهذا ليس منهيا عنه فالصواب
ان يقال انه من تمام قوله ولا تقولن ثم ان قدر المراد الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك في ذلك الاخبار كان معنى صحيحا ولكنه لا يكون موافقا لسبب النزول
فالمعنى الموافق هو ان يكون قوله هذا في موضع الحال اي الا متلبسا بان يشاء الله وهذا نهي تأديب لنبيه لان الانسان اذا قال سافعل الفعل الفلاني غدا لم يبعد
ان يموت قبل مجيء الغد او يعوقه عن ذلك عائق فلو لم يقل ان شاء الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب منفر وجوز في الكشاف ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تأبيد
كانه قيل ولا تقولنه ابدا قال اهل السنة في صحة الاستثناء بل في وجوبه دلالة على ان ارادة الله تعالى غالبة وارادة العبد مغلوبة ويؤكده انه اذا قال المديون القادر على اداء
الدين والله لاقضين هذا الدين غدا ثم قال ان شاء الله فاذا جاء الغد ولم يقض لم يحنث بالاتفاق وما ذاك الا لان الله ما شاء ذلك الفعل مع انه امر باداء الدين
وانما لا يقع الطلاق في قول الرجل لامرأته انت طالق ان شاء الله تعالى لان مشية الله غير معلومة فيلزم الدور لتوقف العلم بالمشية على العلم بوقوع الطلاق وبالعكس
واستدل القائلون بان المعدوم شيء بقوله ولا تقولن لشيء وذلك ان الشيء الذي سيفعله غدا معدوم مع انه سماه شيئا في الحال واجيب بانه مجاز كقوله اعصر خمرا واذكر
ربك اي مشية ربك اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها واختلفوا في مدة النسيان الى الذكر فعن ابن عباس يستثني ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد
ابن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وهو قول ابن عباس بعينه وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة
وعند عامة الفقهاء لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا قالوا ان الآيات الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعقد فاذا اتى بالعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه خالفنا
هذا الدليل فيما اذا كان الاستثناء متصلا بناء على ان المستثنى منه مع الاستثناء وادائه كالكلام الواحد فاذا كان منفصلا لم يكن هذا التوجيه فوجب الرجوع الى اصل الدليل وقيل
الاول واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء وفيه حث على الاهتمام بها وقيل اذكره اذا اعتراك النسيان في بعض الامور ليذكرك المنسي او اذكره
اذا تركت بعض ما امرك به وليس لهذين القولين شديد ارتباط بما قبله وكذا قول من حمله على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها واختلفوا في المشار اليه بقوله لاقرب من هذا
فالظاهر عند صاحب الكشاف ان المراد اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا
وادنى خيرا ومنفعة وقيل ان ترك قوله ان شاء الله ليس بحسن وذكره احسن فقوله هذا اشارة الى الترك واقرب منه ذكر هذه الكلمة وقيل انه اشارة الى نبأ اصحاب
الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبأهم وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار
بالمغيبات ما هو اعظم وادل وعن قتادة ان قوله سبحانه ولبثوا في كهفهم حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم بما لبثوا رد عليهم ويؤيده قراءة عبد الله وقالوا لبثوا
والجمهور على انه بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا والمراد من قوله قل الله اعلم ان لا تتجاوز والحق الذي اخبر الله به ولا تلتفت الى اقوال
اهل الاديان نظيره قوله قل ربي اعلم بعدتهم بعد قوله سبعة وثامنهم كلبهم قال النحويون سنين عطف بيان لثلثمائة لان مميز مائة واخواتها مجرور مفرد وقيل فيه تقديم
وتقدير اي لبثوا سنين ثلثمائة ومن قرأ بالاضافة فعلى وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كما في قوله وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما وقوله وازدادوا تسعا اي تسع سنين
لدلالة ما قبله عليه دون ان يقول ولبثوا ثلثمائة وتسع سنين قال الزجاج ان المراد ثلثمائة بحساب السنين الشمسية وثلثمائة وتسع بالسنين القمرية وهذا شيء تقريبي وقيل انهم لما
استكملوا ثلثمائة سنة قرب امرهم من الانتباه ثم اتفق ما اوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك تسع سنين ثم اكد قوله الله اعلم بما لبثوا بقوله له غيب السموات والارض اي ليس
لغيره فيها خفي من احوال اهلها فكيف يخفى عليه حالهم ثم زاد في المبالغة فجاء بما دل على التعجب من ادراكه المبصرات والمسموعات والضمير في قوله ما لهم لاهل السموات والارض وفيه
بيان لغاية قدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره وانه لا يتولى امورهم غيره ولا يشرك في حكمه وقضائه احدا منهم ومن قرأ ولا تشرك على النهي فهو معطوف
على ولا تقولن والمراد انه لا تسأل احدا عما اخبرك الله به من نبأ اصحاب الكهف واقتصر على بيانه وقيل الضمير في ما لهم لاصحاب الكهف اي انه هو الذي حفظهم في ذلك
النوم الطويل وتولى امرهم وقيل ليس للمختلفين في مدة لبثهم من دون الله من يتولى امورهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من دون اعلامه وقيل فيه نوع تهديد لانهم
لما ذكروا في هذا الباب اقوالا على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب فبين الله تعالى انه ليس لهم من دونه ولي يمنع العقاب عنهم واعلم ان الناس اختلفوا في زمان
لبث اصحاب الكهف وفي مكانهم فقيل كانوا قبل موسى عليه السلام وانه ذكرهم في التورية فلهذا سألت اليهود ما سألوا وقيل دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر بخبرهم ثم بعثوا
في الوقت الذي بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام وحكى القفال عن محمد بن اسحق انهم دخلوا الكهف بعد عيسى وقيل انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيمة وذكر
ابو علي بن سينا في باب الزمان من كتاب الشفاء ان ارسطاطاليس الحكيم زعم انه عرض لقوم من المتألهين حالة شبيهة بحال اصحاب الكهف ثم قال ابو علي ويدل
التاريخ على انهم كانوا قبل اصحاب الكهف واما المكان فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي المنجم ان الواثق انفذه الى ملك الروم ليعرف حال اصحاب الكهف فوجه معه من
الى ذلك الموضع قال وان الرجل الموكل بذلك المقام فزعني من الدخول عليهم فدخلت فرأيت الشعور على صدورهم فعرفت انه تمويه واحتيال وان الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث
بالادوية المجففة الحافظة لابدان الموتى عن البلى كالتصبير وغيره قلت حيث لم يعلم الخوارزمي وغيره من الاطلاع عليهم حصل القطع بانهم ليسوا اصحاب الكهف والرقيم وقد صح
عن معاوية حين غزا الروم حصل ظن غالب انهم هم والله تعالى اعلم التأويل الحمد لله الذي انزل على قلب عبده الكتاب والعبد الحقيقي من يكون حرا عن الكونين
وهو محمد صلى الله عليه وسلم اذ يقول امتي امتي يوم يقول كل نبي نفسي نفسي ولانه هو الذي تحقق بشية العبودية كما ينبغي اطلق عليه اسم العبد مطلقا وقيل لسائر الانبياء كما قال عبده
زكريا واذكر عبدنا داود وانه خلقه القرآن فلم يجعل له اي لقلبه عوجا ليستقيم فيه القرآن ومن استقامة قلبه ليلة المعراج اوحى الى عبده ما اوحى
بلا واسطة جبرئيل ونال قلبه الاستقامة بامر التكوين في قوله فاستقم كما امرت ارواحنا لموضع من حسن الله وجماله فلعلك باخع نفسك كان من عادته عليه السلام
ان يبالغ في المأمور به حتى ينهى عنه بالغ في الدعوة والشفقة على الامة حتى قيل له لا تبخع نفسك وبالغ في الانفاق الى ان اعطى قميصه فقعد عريانا فنهى عنه بقوله ولا تبسطها
كل البسط انا جعلنا ما على الارض زينة لها اي زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملائمة لطباعهم وجعلناها محل ابتلاء وسبب الابتلاء لنبلوهم ايهم احسن عملا في تركها ومخالفة هوى النفس
طلبا لله ومرضاته ثم اخبر عن سعادة السادة الذين اعرضوا عن الدنيا واقبلوا على المولى بقوله ام حسبت ومعناه لا تتعجب من حالهم فان في امتك من هو اعجب حالا
منهم فقيهم اصحاب الخلوات الذين كهفهم بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فانهم اووا الى الكهف حرفا من الفتنة وفرارا من دقيانوس وهؤلاء اووا الى الخلوة
شوقا الى الله تعالى وفرارا اليه وانهم طلبوا النجاة من شره والخروج من الغار بالسلامة بقولهم ربنا آتنا الآية فهؤلاء طلبوا الخلاص من شر نفوسهم والخروج من ظلمات
عالم المجاز للوصول الى نور الوجود الحقيقي فضربنا على آذان باطنهم وحواسهم الاغراق في قعر الخلوة لمحو النقوش الفاسدة عن الواح نفوسهم وانتقاشها بالعلوم الدينية
والانوار الالهية ليغنيهم الله عنهم ويبقيهم به وهو سر قوله ثم بعثناهم اي احييناهم بالعلم لنعلم اي الحزبين اصحاب الخلوة ام اصحاب الصلوة احصى اي اكثر فائدة واتم عائدة
لما لبثهم في الدنيا التي هي مزرعة الآخرة وزدناهم هدى فانهم كانوا يريدون الايمان الغيبي فاثبتناهم ثم بعثناهم حتى صار الايمان عيانا والغيب شهادة والحمد لله
الله من الدنيا والهوى وترى الشمس اذا طلعت قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هذا اخبار عن احوال الطائفة باضافة وفيه اشارة الى ان نور ولايتهم غلب

نور الشمس وبرده عن الكهف كما يطلب نور المؤمن نار جهنم لقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا ورد النار يتغيث النار ويقول جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وهم في فجوة منه في متسع وفراغ من ذلك النور يرفع عنهم كل ضرر ويراعيهم عن بلي اجسادهم وثيابهم قلت ويحتمل ان يراد ان شمس الروح والمعرفة والولاية اذا اطلعت من افق الهداية فاشرقت في سماء الواردات وهو حالة السكر وغلبات الوجد لا يتصرف في احوال خلوتهم الى ان يتعلق بالعقبى وهو جانب اليمين واذا غربت اي سكنت تلك الغلبات فظهرت حالة الصحو لا يلتفت بهم ارواحهم الى ان يتعلق بالدنيا وهو جانب الشمال بل يتحرف عنهم بل الى المولى وهم في حالة رفاغ وفراغ مما يشغلهم عن الله وتحسبهم ايقاظا متصرفين في امور الدنيا وهم رقود عنها لانهم يتصرفون فيها لاجل الحق لا لحظ النفس او تحسبهم ايقاظا مشغولين بامور الاخرة لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وهم رقود مستغرقون في امور الدنيا لان الناس بهم يرزقون ويمطرون وفي قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اشارة الى انهم في التسليم لتقلب القلوب في الاحوال كلها كالميت بين يدي الغسال قيل في الآية دلالة ان المريد الذي يربيه الله تعالى بلا واسطة المشايخ يكمل امره في ثلثمائة وتسع سنين والذي يربيه بواسطتهم يتم امره في اربعينات معدودة ولهذا يكون ثمرة البالغين الذين من ثمرة الجبال وفي قوله وكلبهم باسط اشارة الى ان كلب نفوسهم نائمة معطلة عن الاعمال التي بها تربية القلوب والارواح يعني ان هذا النوع من التربية من قبيل القدرة الالهية التي اختصهم بها ويمكن ان يراد ان نفوسهم صارت بحيث تطيعهم في جميع الاحوال وتحرسهم عما يضرهم ولمليت منهم رعبا باشاهدت عليهم من آثار الانوار التي زينهم وبجلاجيب الهيبة والعظمة التي البستهم لبثنا يوما او بعض يوم لان ايام الوصال قصيرة فلما رأوا انهم في دهشة الوصال وحيرة الاحوال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم لانه كان حاضرا معكم وانتم غيب عنكم فابعثوا احدكم من العجب انهم ما احتاجوا الى الطعام مدة ثلثمائة وتسع سنين بما نالوا من غذاء الروح كقوله صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فلما رجعوا من عند الله الحق الى عندية الخلق احتاجوا الى اغذية الجسماني ازكى طعاما لما رجعوا الى العالم الجسماني تعلقوا من جمال الله بشاهد كل جميل وتوسلوا الى تلك الملاطفات بلطافة الاغذية الجسمانية وزكاتها ولا يشعرن بكم احدا فيه ان ارباب المعرفة والمحبة يجب ان يحترزوا عن شعور اهل الغفلة والتلوين ليعلموا ان وعد الله حق باحياء القلوب الميتة حتى فتقد الامر فيها اظهر وابدا او اسرار واخفى سيقولون ان القوى والاركان الاصلية للانسان ثلثة الحيوانية والطبيعية والنفسانية التي منشأها القلب والكبد والدماغ رابعهم كلبهم هو النفس الناطقة ويقولون خمسة هو الحواس الظاهرة سادسهم النفس ويقولون سبعة هو الحواس الظاهرة مع الوهم المدرك للمعاني والخيال المدرك للصور وثامنهم كلبهم هو النفس المدرك للكليات قل ربي اعلم بعدتهم لان القوى الباطنة والظاهرة وافاعيلها وغاياتها لا يعلمهن الا الله سبحانه ومن اطلعه الله عليها وذلك ما يعلمهم الا قليل والله اعلم بالصواب

واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا ۝
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد
عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هويه
وكان امره فرطا ۝ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا
للظالمين نارا ۝ احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي
الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ۝ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا ۝ اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم
الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس
واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ۝
واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل
وجعلنا بينهما زرعا ۝ كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما
نهرا ۝ وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا
ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا ۝ وما اظن الساعة
قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا ۝ قال له صاحبه وهو
يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سويك رجلا ۝ لكنا

هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ۝ ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله
لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ۝ فعسى ربي ان يؤتين خيرا
من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا ۝
او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ۝ واحيط بثمره فاصبح يقلب
كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي
احدا ۝ ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ۝ هنالك
الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا ۝ واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله
على كل شيء مقتدرا ۝ المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ۝ صدق الله العظيم

وثمرا بالتخفيف سهل ويعقوب غير رويس له ثمر وكذا بثمره بفتح الثاء والميم يزيد وعاصم وسهل ويعقوب وابن عامر بضم الثاء واسكان الميم الباقون بضم الثاء والميم جميعا منهما على الوحدة ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون على التثنية لكنا بالتشديد من غير الف في الحالين قتيبة وقرأ ابن عامر وابن فليح ويعقوب بالالف في الوصل بغير الالف واتفقوا على الالف في الوقف بربي احدا مفتوحة الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان ترن بفتح الياء السرندي عن قنبل غورا بضم العين وكذلك في الملك البرجمي الباقون بفتحها ولم يكن له بياء الغيبة الولاية بكسر الواو حمزة وعلي وخلف الآخرون بتاء التأنيث وفتح الواو لله الحق بالرفع ابو عمرو وعلي الآخرون بالجر عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وخلف الباقون بضمها على التوحيد حمزة وعلي الوقوف من كتاب ربك ط لاختلاف الجملتين ملتحدا ه عنهم ج لان ما بعده يصلح حالا او مستأنفا مع محذوف الالف لدلالة حال الخطاب فرطا ه فليكفر لا لان الامر للتهديد وقيل انا اعتدنا فلو فصل صار مطلقا نارا لا لان ما بعده صفة سرادقها ط الوجوه ط الشراب ط مرتفقا ه عملا ج لاحتمال كون اولئك مع ما بعده خبر ان الذين وقوله انا لا نضيع جملة معترضة الارائك ط الثواب ط مرتفقا ه زرعا ه شيئا ه لا للعطف نهرا ط نفرا ج للعدول مع الفاء انفراج لنفسه ج لاتحاد القائل بلا عطف ابدا ط قائمة لا لان ما بعده شك من قول الكافر في البعث منقلبا ه رجلا ط لتمام الاستفهام احدا ه ما شاء الله لا لتمام المقول الا بالله ج لابتداء الشرط بحذوف جوابه مع اتحاد القائل والمقول له وولدا ج لاحتمال كون ما بعده جواب الشرط زلقا لا طلبا ه احدا ه منتصرا ط وقيل يوقف على هنالك والاوجه ان يبتدأ بهنالك اي عند ذلك يظهر لكل سلطان الله ونفاذ امره الحق ط على القرائتين عقبا ه الرياح ط مقتدرا ه زينة الحيوة الدنيا ج فصلا بين المحل الفاني والموحل الباقي مع اتفاق الجملتين املا ه لما اجاب عن سؤالهم بما اجاب امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه وعلى الصبر مع الفقراء الذين آمنوا بما انزل عليه واحتمل ان يكون اتل امرا من التلو لا من التلاوة اي اتبع ما اوحي اليك والزم العمل بمقتضاه وقوله من كتاب ربك بيان للذي اوحي اليه ثم بين سبب اللزوم فقال لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده فليس لك ولا لغيرك الا المواظبة على العلم والعمل به يؤكده قوله ولن تجد من دونه ملتحدا اي ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك فرضا واصل اللحد الميل كما مر في قوله يلحدون في اسمائه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الانعام عن طرد فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين الآية وامره في هذه السورة بحبس النفس معهم ومراقبة احوالهم بقوله ولا تعد عيناك قال جار الله تمام الفعل ولا تعد عيناك من عداه اذا جاوزه لانه ضمن عدا معنى نبا وفيه مبالغة من جهة تحصيل المعنيين جميعا كانه قيل ولا تقتحم عيناك مجاوزين الى غيرهم ثم نهاه عن الالتفات الى الاغنياء الكفرة الذين التمسوا منه طرد الفقراء حتى يؤمنوا به فقال ولا تطع من اغفلنا قلبه قال اهل السنة معنى الاغفال ايجاد الغفلة وخلقها فيهم او من اغفلها اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان ويؤيد هذا المعنى ان الغفلة عن الذكر لو كانت بايجاد العبد والقصد الى ايجاد الغفلة عن الشيء لا يتصور الا مع الشعور بذلك الشيء لزم اجتماع الضدين وقالت المعتزلة معنى اغفلناه وجدناه غافلا بالخذلان والتخلية بينه وبين الاسباب المؤدية الى الغفلة يؤيده قوله واتبع هويه بالواو دون الفاء واو لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة في القلب لقيل فاتبع بالفاء ويمكن ان يجاب بانه لا يلزم من كون الشيء في نفس الامر نتيجة لشيء ان يعتبر كونه نتيجة له والفاء من لوازم الثاني دون الاول على ان الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير كلية فقد يكون الانسان غافلا عن ذكر الله ومع ذلك لا يتبع هواه بل يبقى متوقفا متحيرا وكان امره فرطا اي متجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للخيل ويلزم منه ان يكون نابذا للحق وراء ظهره وانت اذا تأملت وجدت حال الاغنياء المتجبرين بخلاف حال الفقراء المؤمنين لان هؤلاء الفقراء يدعون ربهم بالغداة والعشي ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته فاقبلوا على الحق وشغلوا عن الخلق والاغنياء قد اعرضوا عن المولى واقبلوا على الدنيا فوقعوا في ظلمة الهوى وبقوا في تيه الجهل والعمى وانما لم يجز طرد الفقراء لاجل ايمان الاغنياء لان ايمان من ترك الايمان احترازا من مجالسة الفقراء كلا ايمان فوجب ان لا يلتفت اليه ثم بين ان الحق ما هو ومن اين هو فقال وقل الحق من ربكم اي الدين الحق حصل ووجد من عند الله ويحتمل ان يراد بالحق الصبر مع الفقراء وقال في الكشاف الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختيار الايمان او الكفر وفيه دليل على ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها مفوضة الى مشيئة العبد واختياره وحمله الاشاعرة على الامر التهديد وقالوا ان الفعل الاختياري يمتنع حصوله

ربك والله اعلم بالصواب

واليه المرجع والمآب وهو حسبي ونعم الوكيل

ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا ۝ وعرضوا

على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا ۝

ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب

لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا ۝

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ۝
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين
عضدا ۝ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم
وجعلنا بينهم موبقا ۝ ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا
عنها مصرفا ۝ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان
اكثر شيء جدلا ۝ وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا
ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا ۝ وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين ۝ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به
الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا ۝ ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض
عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا ۝ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم
بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ۝ و
تلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ۝ صدق الله العظيم

تسير الجبال على بناء الفعل للمفعول ورفع الجبال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والآخرون على بناء الفعل للفاعل ونصب الجبال
ما اشهدناهم يزيد الآخرون ما اشهدتهم وما كنت على الخطاب روى ابن وردان عن يزيد الباقون على التكلم ويوم نقول بالنون حمزة الباقون على الغيبة
لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام حفص لمهلكهم بفتحهما يحيى وحماد والمفضل الباقون بضم الميم وفتح اللام الوقوف بارزة لا لان المعنى وقد حشرناهم
قبل ذلك احدا ج للآية مع العطف صفا ط للعدول والحذف اي يقال لهم لقد جئتمونا اول مرة ز لان بل قد يبتدأ به مع ان الكلام متحد موعدا ه احصاها
ج لاستئناف الواو بعد تمام الاستفهام مع احتمال الحال احصاها ط حاضرا ط احدا ه الا ابليس ط امر ربه ط عدو ط بدلا ه انفسهم ص عضدا ه موبقا ج مصرفا
مثل ط جدلا ه قبلا ه ومنذرين ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف هزوا ه يداه ط وقرا ط ابدا ه الرحمة ط العذاب ط موئلا ه موعدا ه
[illegible]

وعشيا

[illegible]

وإذ قال موسى لفتيه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا ۝ فلما بلغا مجمع
بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا ۝ فلما جاوزا قال لفتيه آتنا
غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ۝ قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني
نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا ۝
قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا ۝ فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه
رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ۝ قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن
مما علمت رشدا ۝ قال انك لن تستطيع معي صبرا ۝ وكيف تصبر على ما لم تحط
به خبرا ۝ قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا ۝ قال فان اتبعتني
فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ۝ فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة
خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا ۝ قال الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا ۝ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا ۝ فانطلقا حتى اذا
لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا ۝ قال
الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ۝ قال ان سالتك عن شيء بعدها
فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ۝ فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية
استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال

لو شئت لاتخذت عليه اجرا ۝ قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع
عليه صبرا ۝ اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها
وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا ۝ واما الغلام فكان ابواه
مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ۝ فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا
منه زكوة واقرب رحما ۝ واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان
تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا ۝ فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا ۝

[illegible]

لا ابرح سيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر حذف المضاف اليه وهو السير واقيم المضاف وهو ياء المتكلم مقامه فانقلب الفعل من لفظ الغايب الى لفظ المتكلم
ويجوز ايضا ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول من برح المكان والمعنى لا ابرح ما انا عليه اي لا اترك السير والطلب حتى ابلغ مجمع البحرين يعني ملتقى بحري فارس والروم وقد شرح
موضع البحار في سورة البقرة في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقيل اراد طنجة وقيل افريقية ومن غرائب التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما
بحرا العلم وهذا مع غرابته مستبشع جدا لان احد البحرين اذا كان هو موسى فكيف يصح ان يقول حتى ابلغ مجمع البحرين اذ يؤل حاصل المعنى الى قولنا حتى ابلغ مكانا يجتمع فيه بحران
من العلم احدهما انا او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا قال الجوهري الحقب بالضم ثمانون سنة ويقال اكثر من ذلك وقيل ان الله تعالى اعلم موسى حال هذا العالم وما اعلم
موضعه بعينه فقال لا ازال امضي حتى يجتمع البحران فيصيرا بحرا واحدا او امضي دهرا طويلا حتى اجد هذا العالم وهذا اخبار موسى بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد
الى ان يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم وان طالب العلم يحق له ان يسافر ويحمل المتاعب في الطلب من غير ملال وكلال فلما بلغا مجمع بينهما قال جمهور المفسرين
الضمير للبحرين اي تحقق ما قال موسى وبلغ المكان الذي وعده فيه لقاء الخضر ولا بد للبين من فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتقي وسط ما امتد من البحرين طولا
او الاضافة بمعنى في اي مجمعا في وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين والتبيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى اولى منه بكلام موسى او البين بمعنى
الافتراق اي البحرين المفترقان يجتمعان هناك ويحتمل على هذا ان يعود الضمير الى موسى والخضر اي وصلا الى الموضع الذي وعد اجتماع شملهما هناك او البين بمعنى
الوصل لانه من الاضداد فيفيد مزيد التاكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه معالم احدها في التفسير فان كن صوابا فمن الله والا فمني ومن الشيطان نسيا حوتهما
لانه تعالى جعل انقلاب الحوت حيا علامة على مكان الخضر قيل ان الفتى كان يغسل السمكة لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضأ في ذلك
المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب الى الماء وقيل انفجرت هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة فحييت وطفرت
الى البحر ونسيان الحوت الذهول عن الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب والسبب في هذا الذهول مع ان هذه الحالة كانت امارة لهما على الطلبة
التي تناهضا من اجلها هو ان يوشع كان قد تعود مشاهدة المعجزات القاهرة فلم يبق بحيرة السمكة وانقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب
منه وقع عنده وقيل ان موسى لما استعظم علم نفسه ازال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الذي يشبه الضروري تنبيها لموسى عليه السلام على ان العلم لا يحصل الا
بتعليم الله وحفظه على قلوب عباده وانتصاب قوله سربا على انه مفعول ثان لاتخذ اي اتخذ سبيله سبيلا سربا وهو بيت في الارض وذلك ان الله
امسك جرية الماء عن الجري وجعله كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى او الخضر وقيل السرب هو الذهاب والتقدير سرب في البحر سربا الا انه اقيم قوله واتخذ
سبيله مقام سرب فلما جاوزا اي موسى وفتاه الموعد المعين وهو الصخرة قال موسى لفتيه آتنا غداءنا وهو ما يؤكل بالغداة لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا
ووجعا قال المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الى سيرهما وراء الصخرة ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك قال الفتى متعجبا ارايت ومفعوله محذوف لدلالة قوله
فاني نسيت الحوت عليه كانه قال ارايت ما دهاني وما وقع لي اذ اوينا الى الصخرة قيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت ثم ذكر ما
يجري مجرى السبب في وقوع ذلك النسيان فقال وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره بدل الاشتمال من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره قال الكعبي لو كان
النسيان بخلق الله وارادته لكان اسناد ذلك الى الله تعالى اولى من اسناده الى الشيطان اذ ليس له في وجوده سعي ولا اثر وقال القاضي المراد بانساء الشيطان
ان يشغل قلب الانسان بوساوسه التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاده الذكر لان ذلك لا يصح ان يكون الا من قبل الله تعالى قال اهل البرهان لما كان
اتخاذ الحوت سبيله في البحر عقيب النسيان ذكر ذلك فاتخذ بالفاء والتاخير منهما ثانيا لجملة معترضة هي قوله وما انسانيه زال معنى التعقيب وبقي العطف المجرد فقال
واتخذ سبيله بالواو وانتصاب عجبا كما ترى سربا قال صلى الله عليه وسلم كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا قال موسى ذلك يعني اتخاذ الحوت السبيل في البحر
ما كنا نبغ اي الذي كنا نطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب فارتدا على آثارهما رجعا في طريقهما السلوك قصصا مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر اي يتبعان
آثارهما اتباعا او هو مصدر في موضع الحال اي رجعا على الطريق الذي جاءا منه مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا الاكثرون على ان ذلك العبد كان نبيا لانه تعالى
وصفه بقوله آتيناه رحمة من عندنا والرحمة هي الوحي والنبوة بدليل قوله اهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك
ومنع ان كل رحمة نبوة قالوا وصفه بقوله وعلمناه من لدنا علما والعلم المختص به تعالى هو الوحي والاخبار بالغيوب وايضا قال في اخر القصة وما فعلته عن امري
اي عن رويته وفعلته بامر الله وذلك مستلزم للوحي وروي ان موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال من عرفك
هذا قال الذي بعثك الي والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والتحقيق فيه انه اذا انضعفت القوى الحسية والخيالية بواسطة الرياضة
قويت القوة العقلية واشرقت الانوار الالهية على جواهر العقل وفيض عليه من عالم الارواح انوار يستعد بها لملاحظة اسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت
الاكثرون ايضا على ان ذلك العبد هو الخضر سمي بذلك لانه كان لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموقف وقال الجبائي روي ان الخضر انما بعث بعد موسى عليه السلام
من بني اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد الخضر لانه بعث بعده وبتقدير كونه معاصرا له فانه اظهر الترفع على موسى حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
وان موسى اظهر التواضع له حين قال ولا اعصي لك امرا مع انه كان مبعوثا الى كافة بني اسرائيل والامة لا يكون اعلى حالا من النبي وان لم يكن الرواية صحيحة لان لا يكون الخضر
من بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل من موسى عموما لانه تعالى قال لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين واجيب بانه يجوز ان يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا توقف
نبوته عليها قال العلماء ان موسى راعى مع الخضر في قوله هل اتبعك الى آخره انواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا وفيه ان المتعلم يجب عليه تخدمة وتسليم
النفس والاتيان بمثل افعال الاستاذ واقواله على جهة التبعية لا الاستقلال فان المتابعة هي الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا لسنا متبعين لليهود
في قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة التوحيد لاجل انهم قالوا بل لقيام الدليل على قولها وكنا متابعين في الصلوات الخمس للنبي صلى الله عليه وسلم لانا ناتي بها لاجل انه اتى بها
ومنها انه استاذن في اثبات هذه التبعية ومنها انه قال على ان تعلمني مما علمت وفيه اقرار على استاذيته بالعلم وفيه انه لم يطلب منه الا بعض ما له ولم يطلب منه الجملة
مساويا له في العلم كما يطلب الفقير من الغني ان يدفع اليه جزءا من اجزاء ماله لا كله وفيه اعتراف بان ذلك العلم علمه الله تعالى والاستاذ فاعله وفيه اشعار بان انعامه عليه
في هذا التعليم شبيه بانعام الله عليه فيه ومن هنا قيل انا عبد من علمني حرفا ومنها ان الخضر عرف انه نبي صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع هذه المناصب العلية
والمراتب السنية لم يطلب منه المال والجاه وانما طلب التعليم فقال على ان تعلمني فدل ذلك على انه لا كمال فوق كمال العلم وانه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه ان كل
من كانت احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر فكان حرصه على زيادتها اوفر ومنها انه قال رشدا وهو يصلح ان يكون مفعولا لتعلمني ولعلمت
اي علما ذا رشد ارشد به في ديني وفيه تعظيم لاستاذه فان الارشاد هو الامر الذي لو لم يحصل لحصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر انه قال انك لن تستطيع معي صبرا اتى بنفي استطاعة
الصبر معه على وجه التاكيد لعلمه بانه يتولى امورا هي في الظاهر منكرة والرجل الصالح ولا سيما النبي الذي يحكم بظواهر الامور لا يتمالك ان يصبر عليها وخبرا
تمييز اي لم تحط به خبرك او هو مصدر لكونه في معنى الاحاطة استدلت الاشاعرة بالآية على ان الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل والا كانت الاستطاعة على الصبر حاصلة
قبل الصبر فيكون قول الخضر نفي الاستطاعة كذبا وكذا قوله وكيف تصبر لانه استفهام في معنى الانكار اي لا تصبر البتة اجاب الجبائي بانه اراد بنفي الاستطاعة انه يثقل عليه

الصبر

الصبر لا انه لا يستطيعه يقال في العرف ان فلانا لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا قال له موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك
ستجدني غير عاص لك امرا ويجوز ان يكون ولا اعصي جملة مستانفة معطوفة على مثلها اي ستجدني ولا اعصي قال اهل السنة في قوله ان شاء الله بطريق التبرك المعتبر
امور به دليل على انه تعالى قد اراد من العبد ما رجيه عليه قالت المعتزلة انما ذكر بطريق الادب واجيب بان هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد
فاي ادب في ذكر الكلام الباطل قال الاصوليون في قوله ولا اعصي لك امرا دليل على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عاص بهذه الآية والعاصي يستحق العقاب بقوله
ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون في قول الخضر تغليظ وتجهيل وفي قول موسى تحمل وتواضع فدل ذلك على ان المعلم ان راى التغليظ على المتعلم فيما يفيده
نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم ان يتلقاه بالبشر والطلاقة ثم قال فان اتبعتني فلا تسالني شرط على موسى في اتباعه ان لا يسال عما خفي عليه وجه صحته
حتى يكون الخضر هو المبتدي بتعليمه اياه واخباره عن وجه الحكمة فيه فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا ما روي ان اهلها قالوا انهما من اللصوص
وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة وقال اني ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بلا اجرة فلما حصلوا في اللجة اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع
لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اي شيئا عظيما يقال امر الامر اذا عظم وكثر
في الشيء العجيب الذي لا يعرف سببه انه امر احتج الطاعنون في عصمة الانبياء بان موسى اعترض على الخضر بعد توكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب واجيب
بانه لم يقل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه احب ان يقف على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة او انه خالف الشرط بناء على النسيان ولهذا قال لا تؤاخذني بما نسيت
لا مؤاخذة على الناسي وما موصولة او مصدرية اي بالذي نسيت او بشيء نسيته وجوز في الكشاف ان لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه اوهم بقوله لا تؤاخذني بما نسيت
انه نسي ليبسط عذره في الاعتراض على المعلم وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز ايضا ان يكون النسيان بمعنى الترك اي بما
تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني ولا تغشني من امري عسرا او لا اولا بامر المتابعة اي يسر علي متابعتك بالاغضاء وترك المناقشة وانما قال
في هذه القصة خرقها بغير فاء لانه جعله جزاء للشرط وفي قصة الغلام جعل قتله من جملة الشرط معطوفا لا بفاء التعقيب لان القتل يعقب لقاء الغلام ولفظ الغلام يتناول
الشاب البالغ كما يتناول الصغير ومنه قولهم رائي الشيخ خير من مشهد الغلام واصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القرآن انهما كيف لقياه وهل كان يلعب مع
جمع من الغلمان او كان منفردا وهل كان مسلما او كان كافرا وهل كان بالغا او كان صغيرا واسم الغلام بالصغير اليق الا ان قوله بغير نفس اليق لان الصبي لا يقتل قصاصا
وعن ابن عباس ان نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم
موسى فلك ان تقتل قال الكسائي الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة طاهرة عنده قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل
النكر اشد لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه وايضا الامر العجيب يستعمل في الخير والشر والنكر ما تنكره العقول فهو شر وظاهر الآية يدل
على ان موسى استبعد ان يقتل النفس الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل دمه بسبب اخر الا ان هذا السبب الاغلب الاقوى واختلفوا في كيفية قتله فقيل فتل عنقه
وقيل ضرب راسه بالحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر انه ما زاد على ان ذكره ما عاهد عليه فقال الم اقل لك وانما زاد ههنا لك
لان الانكار اكثر وموجب العتاب اقوى وقيل اكد التقرير الثاني بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك اقول واياك اعني وقيل بين في الثاني المقول له لما لم يبين في الاول
فعندها قال موسى ان سالتك عن شيء بعدها اي بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني نهاه عن المصاحبة حينئذ مع حرصه على التعلم لظهور عذره كما قال قد بلغت من لدني
عذرا وهذا الكلام نادم شديد الندامة اضطره الحال الى الاعتراف وسلوك سبيل الانصاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى
فقال ذلك فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله من السماء استطعما اهلها وكان حق الايجاز ان يقال استطعماهم فوضع الظاهر
موضع المضمر للتاكيد كقوله ليت الغراب غداة ينعب دائبا كان الغراب مقطع الاوداج وايضا فلعله كره اجتماع الضميرين المتصلين في مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة
والاستطالة فابوا ان يضيفوهما يقال ضافه وضيفه اذا نزله وجعله ضيفه والتركيب دال على الميل من ضاف السهم عن الغرض والضيف يميل الى المضيف عن النبي عليه السلام
كانوا اهل قرية لئاما قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف اقدم عليه موسى وايضا الضيافة من المندوبات وترك المندوبات غير منكر فكيف جاز لموسى ان يغضب عليهم حتى لو
ترك عهد صاحبه فقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا واجيب بان الرجل اذا جاع بحيث ضعف عن الطاعة او اشرف على الهلاك لزم الاستطعام ووجبت اجابته ولقائل
ان يقول لو كان قد بلغ في الجوع الى هذا الحد لما كان يقوى على اصلاح الجدار ويحتمل ان يقول انه اقام الجدار معجزة فقد روي انه مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه
وقيل بناه وروي انه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال اهل الاعتبار شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ويحكى ان اهل تلك
القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب فقالوا يا رسول الله نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء اي اتوا
ان يضيفوهما فامتنع رسول الله عن ذلك يريد ان ينقض معناه يسرع سقوطه من النقض الطائر اذا هوى في طيرانه يقال انقضت فانقض ويحتمل ان يكون
انفعل من النقض كاحمر من الحمرة فالنون يكون اصلية واحدى الضادين مكررة زائدة عكس الاول واستعيرت الارادة للمداناة والمشارفة تشبيها للجماد بالاحياء
لغيره ولما سكت عن موسى الغضب قال اوتيتما الى العين ولما اقام الخضر الجدار وراى موسى الحرمان ومساس الحاجة قال لصاحبه لو شئت لاتخذت عليه اجرا اي لطلبت
على عملك جعلا حتى تستدفع به الضرورة واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ على الاصح قال الخضر هذا اشارة الى الفراق المذكور في قوله فلا تصاحبني او الى
السؤال والاعتراض هذا فراق بيني الاضافة بمعنى في اي فراق في بيني وبينك وحكى القفال ان البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرع في تقرير الحكم التي
تضمنتها افعاله وتلك الحكم تشترك في اصل واحد هو انه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الادنى لدفع الاعلى فقال اما السفينة فكانت لمساكين قيل كانت لعشرة
اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الآية على ان الفقير اسوء حالا من المسكين وكان وراءهم ملك اسمه جلندي ولوراء
ههنا بمعنى الامام وقد مر في قوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل اراد خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما كانت عندهم خبره ياخذ كل سفينة اي صحيحة غصبا
لا يخفى ان الضرر الحاصل من التخريق اهون من فوات السفينة بالكلية والتخريق وان كان تصرفا في ملك الغير الا انه اذا تضمن نفعا زائدا لم يكن به باس ولعل مثل هذا
التصرف كان جائزا في تلك الشريعة او لعله كان من مخصوصات النبي قال جار الله قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه ان يتاخر
عن السبب ولكنه قدم للعناية اي شيء من هذا هو مرادي وانا مامور به وايضا خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كون السفينة للمساكين فهو توسط
ارادة العيب بين المسكنة والغصب كتوسط الظن بين المبتدا والخبر في قولك زيد ظني منطلق ليتعلق بالطرفين واما الغلام فقد قيل انه كان بالغا قاطع الطريق
يقدم على الافعال المنكرة وكان ابواه مضطرين الى التعصب له والذب عنه فكانا يقعان في الفسق لذلك واحتمل ان يؤدي ذلك الى الكفر والارتداد كما قال فخشينا
ان يرهقهما طغيانا وكفرا اي يغشيهما ويلحقهما ويرهقهما وقيل انه كان صبيا الا ان الله تعالى علم من حاله انه لو صار بالغا لصدرت عنه هذه المفاسد فامر الخضر
بحاله وامره بقتله لئلا يرتد الابوان بسببه وقيل هذا لا يجوز الا اذا كان الظن بالوحي وقيل اراد فخشينا ان يغشي الوالدين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه او
او فخفنا ان يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر وجوز ان يكون قوله فخشينا من كلام الله تعالى اي كرهنا كراهة من خاف سوء عاقبته

امر غيره والزكوة والطهارة والنقاء من الذنوب وكانه بازاء قول موسى نفسا زكية ° واقرب رحما من الرحمة والعطف بمعنى الاشفاق على الابوين ° يروى انه
ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم ويروى انها ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسم الغلام المقتول
الجيسور وفي نسخة الحيسن ° واما الجدار فكان لغلامين قيل اسمهما اصرم وصريم ° وقوله في المدينة بعد قوله اتيا اهل قرية فيه دلالة على ان القرية لا تنافي المدينة ومعنى اهل
والاقامة مراعى فيها ° الكنز فقيل هو المال لقوله ويستخرجا كنزهما ولان المفهوم منه عند اطلاقه هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان ابوهما صالحا ودفن المال لا يليق
باهل الصلاح وعورض بقول قتادة واحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا ° وجمع بعضهم بين الامرين فقال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه
عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ° وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب ° وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ° وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها ° لا اله الا الله محمد رسول الله ° وفي قوله كان ابوهما صالحا دلالة على ان صلاح الاباء يفيد العناية باحوال الابناء
عن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وذكر من صلاح ابيهما ان الناس كانوا يضعون الودائع عنده فيردها اليهم سالمة
العلماء والاشبه ان اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز ووصيهما كان عالما به الا انه غائب وقد انقض الجدار على السقوط رحمة من ربك مصدر منصوب بارادة لانه في معنى
رحمهما او مفعول له وما فعلته عن امري اي اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله سبحانه لم قال في الاول فاردت وفي الثاني فاردنا وفي الثالث

[illegible]

ويسئلونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا ۝ انا مكنا له في الارض
واتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا ۝ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما ۝ قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان
تتخذ فيهم حسنا ۝ قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا
نكرا ۝ واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى ۝ وسنقول له من امرنا يسرا
ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها

سترا

سترا ۝ كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ۝ ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين
وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ۝ قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج و
ماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا
قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما ۝ اتوني زبر الحديد
حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه
قطرا ۝ فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا ۝ قال هذا رحمة من ربي
فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا ۝ وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ۝ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا ۝ الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا ۝
افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا ۝ اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم
القيمة وزنا ۝ ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا ۝
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا
خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ۝ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ۝ قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

فاتبع ثم اتبع مقطوعة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف [illegible]

شرع في السؤال الثالث والجواب عنه واصح الاقوال ان ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس الرومي الذي ملك الدنيا باسرها اذ لو كان غيره لانتشر خبره وكيف مكانه عادة تحكي انه لما مات ابوه جمع الروم بعد ان كان طوايف ثم قصد ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم عطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرات الى ان قتله فاستولى على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله لما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او ما يقرب منها وثبت من علم التاريخ ان من هذا شانه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذ ارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطو حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله اخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والله اعلم واختلفوا في تسميته بذي القرنين فقيل انه بلغ قرني الشمس اي مطلعها ومغربها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب انه سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس ويروى الروم والترك وعنه كان صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وقيل راى في المنام كانه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس اي بقرنيها وزعم الفرس ان دارا الاكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما قرب منها وجد رائحة منكرة فردها الى ابيها وكانت قد حملت منه بالاسكندر فولدت الاسكندر وبقي عند فيلقوس واظهر انه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الاكبر وقال ابو الريحان انه من ملوك حمير والدليل عليه ان الاذواء كانوا من اليمن كذي يزن وغيره وروي انه ملك الدنيا باسرها اربعة ذو القرنين وسليمان وهما مؤمنان ونمرود وبختنصر وهما كافران واختلفوا فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور واحب الله واحبه وسال ابن الكواء وكان من اصحابه اذو القرنين ملك ام نبي فقال ليس ملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله اي جهاده فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله يعني نفسه قالوا وكان ذو القرنين يدعو الناس الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض والتمكين المعتد به هو النبوة ولقوله واتيناه من كل شيء سببا وظاهر العموم فيكون قد نال اسباب النبوة ولقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب وتكليم الله بلا واسطة لا يتيسر الا للنبي وقيل كان ملكا من الملائكة عن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم اغفر اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسموا باسماء الملائكة قل ساتلوا عليكم اي ساتلو ان وفقني الله تعالى وانزل فيه وحيا والخطاب في عليكم للسائلين اما اليهود او قريش كابي جهل واضرابه واتيناه من كل شيء سببا طريقا موصلا اليه والسبب في اللغة هو الحبل والمراد به ها هنا كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة وذلك انه اراد بلوغ المغرب فاتبع سببا واصلا اليه وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا موصلا اليه واراد بلوغ السدين فاتبع سببا ادى اليه ثم انه سبحانه شرع في نعت سيره الى المغرب قائلا فاتبع سببا اي سلك طريقا افضى به الى سفر المغرب ومن قرا بقطع الهمزة فمعناه واتبع نفسه سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامية اي حارة ومن قرا بحذف الالف مهموزا فمعناه ذات حماة اي طين اسود ولا تنافي بين القراءتين لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين عن ابي ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية قال حكماء الاسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية ان الارض كرية في وسط العالم وان السماء محيطة بها من جميع الجوانب وان الشمس في فلكها تدور بدوران الفلك وايضا قد صح ان جرم الشمس اكبر من جرم الارض بمائة وستة وستين مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الارض فتاويل الاية ان الشمس شوهد هناك اعني في طرف العمارة كانها تغيب وراء البحر الغربي في الماء كما ان راكب البحر يرى الشمس تغيب في الماء لانه لا يرى الساحل ولهذا قال وجدها تغرب ولم يخبر انها تغرب في عين ولا شك ان البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية وهي ايضا حمئة لكثرة ما في البحار من الطين الاسود واما قوله ووجد عندها قوما فالضمير اما للشمس واما للعين وذلك ان الانسان لما تخيل ان الشمس تغرب هناك كان سكان ذلك الموضع كانهم سكنوا بالقرب من الشمس قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر الف باب لولا اصوات اهلها سمع الناس وجيب الشمس حين تجب كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يتخذ فيهم حسنا وهو تركهم احياء فاختار الدعوة والاجتهاد فقال اما من ظلم بالاصرار على الشرك فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا ثم يرد الى ربه في الاخرة فيعذبه عذابا نكرا منكرا فظيعا روى صاحب الكشاف عن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه وفيه نظر لان العذاب النكر لعطفه على ثم يرد الى ربه لا يمكن ان يكون من فعل ذي القرنين ومن قرا جزاء الحسنى بالنصب فالمعنى فله الفعلة الحسنى جزاء ومن قرا بالرفع اراد فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة او فله ان يجازى المثوبة الحسنى وسنقول له من امرنا اي مما نامر به الناس من الزكوة والخراج وغير ذلك يسرا اي قولا ذا يسر واليسر لين الصعب ثم حكى سفره الى اقصى المشرق قائلا ثم اتبع سببا اي جهاد او سببا يليق بسفر المشرق هو الابنية وذلك ان ارضهم لا تمسك الابنية فليس هناك شجر ولا جبل ولا ابنية تمنع شعاع الشمس فيدفع حره عنهم فاذا طلعت الشمس دخلوا في اسراب لهم واذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعاش فحالهم بالضد من احوال سائر الخلق وعن مجاهد ان الستر الثياب وانهم عراة كالزنج وحال كل من سكن في البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك حكى صاحب الكشاف عن بعضهم انه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى وحين قرب طلوع الشمس سمعت كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم انتعشت فلما طلعت الشمس فاذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وللمفسرين في متعلق قوله كذلك وجوه احدها كذلك امر ذي القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به الثاني لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الابنية والآلة الثالث بلغ مطلع الشمس مثل الذي بلغ من مغربها الرابع تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم فقضى في هؤلاء كما قضى في اولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين وقد تبين بعض هذه الوجوه في الاول ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالي بعد تهيئة اسبابه قائلا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين قيل السد اذا كان بخلق الله فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه واذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثا قاله ابو عبيدة وابن الانباري وانتصب بين على انه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية في قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله الاظهر ان موضع السدين في ناحية الشمال بين ارمينية واذربيجان وقيل في منقطع ارض الترك وحكى محمد بن جرير الطبري في تاريخه ان صاحب اذربيجان ايام فتحها وجه انسانا من ناحية الخزر فشاهده ووصف انه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل ان الواثق بالله راى في المنام كانه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه ووصفوا انه بناء من لبن من حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع اخرجهم الدليل الى البقاع المحاذية لسمرقند قال ابو الريحان البيروني مقتضى هذا الخبر ان هذا الموضع في الربع الغربي الشمالي من المعمور والله اعلم بحقيقة الحال وكان بلغ الاسكندر بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وجد من دونهما اي من ورائهما متجاوزا لهما

حتى اذا بلغ مطلع الشمس ... وجدها تطلع على قوم ... صح

قوما

قوما لا يكادون يفقهون قولا لا يفهمون او يفهمون غيرهم قولا لانهم لا يعرفون غير لغة انفسهم سؤال كيف فهم منهم ذو القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض الى آخره والجواب ان كاد لنفي اثبات الفعل فهم اي فهم غيرهم بالقرآن والاشارات او بوحي والهام وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من اجيج الظليم في مشيه او هرولته وتاجج النار اي تلهبت ومن مج الريق او هرول او موج البحر سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة واثبت لهم مخالب واضراسا كاضراس السباع وافسادهم في الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل ياكلون لحومهم وقيل يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا حملوه فهل نجعل لك خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقيل الخرج ما يخرجه كل احد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان من البلد كل سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج في الارض قال ذو القرنين ما مكني فيه ربي اي جعلني فيه مكينا والمكانة من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج [illegible] سليمان عليه السلام فما آتاني الله خير مما آتاكم فاعينوني بقوة بالات ورجال وصناع وقيل بمال اصرفه في هذا المهم ولا آخذه لنفسي والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردوم فيه رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة ومن قرا آتوني بالمد فظاهر ومن قرا ائتوني من الاتيان فعلى حذف باء التعدية ونصب بنزع الخافض ثم ههنا اضمار اي فاتوه بها فوضع بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما على القراءات جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان افرغ عليه قطرا اصب عليه النحاس المذاب وقطرا منصوب بافرغ عليه لتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا من جملة ما يستدل به البصريون في ان المختار عند تنازع الفعلين هو اعمال الثاني اذ لو اعمل الاول لقال افرغه عليه يحكى انه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد والله رايته قال العلماء هذا معجز من ذي القرنين لان تلك الزبر الكثيرة اذا صارت كالنار لم يقدر الآدمي على القرب منه وكانه تعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته لما كرر لفظ الاستطاعة مرارا حذف ههنا التاء تخفيفا في الموضعين واعاد ذكرها بالاخرة تنبيها على الاصل ورجوعا الى البداية ثم قال ذو القرنين هذا السد او هذا الاقرار والتمكين نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده فاذا جاء اي دنا مجيء القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرا دكاء بالمد فعلى الوصف اي جعله ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا هذا آخر حكاية قول ذي القرنين ثم شرع سبحانه في بقية اخبارهم فقال وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض اي ياجوج حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد يروى انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة ولا المدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله تعالى نغفا وهو دود يكون في انوف الابل والغنم فيدخل آذانهم فيموتون وقيل اراد ان قوم السد لما منعوا من الخروج ماج بعضهم في بعض خلفه وقيل الضمير للخلق واليوم يوم القيمة اي وجعلنا الخلق يضطربون ويختلط انسهم وجنهم حيارى ونفخ في الصور من آيات القيمة ويجيء وصفه ومعنى عرض جهنم ابرازها وكشفها للذين عموا عنها في الدنيا وفي ذلك نوع من العقاب للكفار لما يداخلهم من الغم والفزع عن ذكري اي عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم فاطلق المسبب على السبب او عن القرآن وتامل معانيه وصفهم بالعمى عن الدلائل والآثار فاراد ان يصفهم بالصمم عن استماع الحق فقال وكانوا لا يستطيعون سمعا وهو ابلغ من ان لو قال وكانوا صما لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم الاستطاعة بالكلية احتجت الاشاعرة بالآية على ان الاستطاعة مع الفعل لانهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا واجيب بان المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم اخذ في التوبيخ والوعيد قائلا افحسب الذين كفروا المراد فظنوا انهم ينتفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر آيات الله وتمردهم عن قبول امره وامر رسوله وفيه اضمار تقديره افحسبوا اتخاذ عبادي اولياء نافعا والعباد اما عيسى والملائكة واما الشياطين الذين يطيعونهم واما الاصنام اقوال ومن قرا بسكون السين فمعناه افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على انه مثل اقائم الزيدان يريد ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل المأوى والنزل وقيل انه الذي يعد للضيف فيكون تهكما بهم كقوله فبشرهم بعذاب اليم الذين ضل سعيهم اي ضاع وبطل فعن علي رضي الله عنه انهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وروي عنه انهم اهل حروراء وعن مجاهد اهل الكتاب والتحقيق انه يندرج فيه كل من ياتي بعمل خير لا يبتني على ايمان واخلاص عن سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا وذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قال القاضي ان من غلبت معاصيه طاعاته صار ما في ميزانه من الطاعة كان لم يكن فلا يدخل في الوزن شيء من طاعاته وهذا مبني على الاحباط والتكفير وفي قوله فحبطت اعمالهم اشارة الى ذلك والمراد فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ذلك الذي ذكرناه من انواع الوعيد جزاؤهم وقوله جهنم عطف بيان للجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ آيات الله واتخاذ رسله محل هزو وتكذيب ويجوز ان يكون كل من الامرين سببا مستقلا لمزيد التعذيب ثم اردف الوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس اوسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية وعن النبي صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة عام والفردوس اعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة فاذا سالتم الله فاسئلوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال اهل السنة جعل جنات الفردوس نزلا فالاكرام التام يكون وراء ذلك وليس الا الرؤية ونظيره انه جعل جهنم باسرها نزلا فما وراءها هو العذاب الحقيقي وهو عذاب الحجاب كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول وفيه انه لا مزيد على نعيم الفردوس حتى تنازعهم انفسهم الى تلك الزيادة ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود اي لا تحول فيطلب كقوله ولا ترى العين بها نجمه ولما ذكر انواع الدلائل والبينات وشرح اقاصيص نبه على كمال حال القرآن والمداد اسم لما يمد به الشيء كالحبر للدواة والزيت للسراج والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وفرض ان جنس البحر مداد لها لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا والمدد تمييز من مثله كقولك على التمرة مثلها زبدا والمدد والمداد واحد يروى ان حيي بن اخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قالت الاشاعرة ان كلام الله تعالى واحد واعترض عليه بهذه الآية فانها صريحة في اثبات كلمات كثيرة لله تعالى واجيب بان المراد من الكلمات متعلقات علم الله تعالى وزعم الجبائي ان قوله قبل ان تنفد كلمات ربي يدل على ان كلمات الله قد تنفد بالجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه واجيب بان المراد الالفاظ الدالة على متعلقات تلك الصفة الازلية قلت الانصاف ان نفاد شيء قبل نفاد شيء آخر لا يدل على نفاد الشيء الآخر ولا على عدم نفاده فلا يستفاد من الآية الا كثرة كلمات الله بحيث لا يضبطها عقول البشر اما انها متناهية او غير متناهية فلا دليل في الآية على احد النقيضين ولكن الحق في نفس الامر ان كلمات الله لا تتناهى لانها تابعة لمعلوماته وهي غير متناهية بالبرهان ثم امر نبيه ان يسلك سبيل التواضع ويبين ان حاله مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية الا ان الله بعثه لاجل الابلاغ اليه وكفى به تزيينا ومباينة ثم بين ان الوحي هو انما الهكم اله واحد وفي تخصيص هذا الوحي بالذكر فائدة هي ان يستدل به على صدقه فان من علم

صدق مدعي النبوة ان يدعوا الى التوحيد ثم ان يدعوا الى العمل الصالح المقترن بالاخلاص وذلك قوله فمن كان يرجوا اي يأمل حسن لقائه او يخاف سوء لقائه ولقاء
بمعنى الرؤية عند الاشاعرة وبمعنى لقاء الثواب والعقاب عند المعتزلة فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال المفسرون النهي عن الاشراك بالعبادة
هو ان لا يرائي بعمله ولا يبتغي به الا وجه ربه يروى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل
ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية قال العلماء الرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد
ان يقتدى به قال في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض
الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم
وان كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ التأويل لما بين ان
كما لا يكونوا [illegible] يمكن له تحصيله بالتربية والارشاد اراد ان يبين ان الانسان الكامل انما هو يستحق الخلافة في الارض وهو ذو القرنين الذي ملك الجانبين
يعني جانب عالم الارواح وجانب عالم الاشباح لانه اوتي التمكين في الارض واوتي اسباب كل شيء في عالم الوسائط والاسباب فبذلك يصير كاملا
بكمال العزة فاتبع سببا من اسباب الوصول الى عالم السفلي وهو مغرب شمس الروح الانساني فوجدها تغرب في عين حمئة هي عالم القوى والطبايع والاجساد ووجد
عندها قوما هم القوى البدنية والنفوس الارضية قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذبهم بالقتل بسكين الرياضة وسيف المجاهدة واما ان تتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة
قال اما من ظلم بوضع خاصيته واستعمالها في غير موضعها فسوف نعذبه بقهره على خلاف ما هو مراده وهواه ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذي يربيه فيعذبه عذابا
نكرا هو المنع عن مشتهياته ويرد الى الله تعالى فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى هو مقام الوصول والوصال وسنقول له من امرنا يسرا
هو التحقيق والاستراحة بعد العناء والمجاهدة ثم اتبع اسباب الوصول الى عالم الارواح وهو مطلع شمس النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم مجردين عن العلائق
الجسمانية والعوائق الساترة الجلالية حتى اذا بلغ بين السدين وهو عالم التعيش والتمدن والجولان في تحصيل اسباب قوام البدن وقيامه على وجه الحسبانية في صلاح المعاد
ونظامه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وهم القوم الذي تصادى امرهم الجهل البسيط ان يأجوج ومأجوج القوى والطبايع مفسدون في ارض البشرية
باستعمال خواصها في غير ما خلقت هي لاجلها فهل نجعل لك خرجا هو ترك الوجود وبذل الموجود فاعينوني بقوة بهمة صادقة وعزيمة صادقة آتوني زبر الحديد ملكات
راسخة وهيئات ثابتة او قلوبا هي كالحديد في الصلابة وكالجبال في الثبات والبقاء حتى اذا ساوى عرض ابن طرفي العمر كاقبل من المهد الى اللحد قال انفخوا
على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا بتأثير حرارة الطاعة والذكر في حديد القلب قال آتوني افرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة وكيمياء الاخلاص النافذ في سويداوات
القلوب بحيث لا ينفذ فيه كيد الشيطان ولا يعلوه ما سوى الرحمن الله حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

سورة مريم عليها السلام مكية حروفها ثلاثة آلاف وثمانماية كلماتها تسعمائة واثنان وستون آياتها ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا ۝ اذ نادى ربه نداء خفيا ۝ قال رب
انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا ۝
وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا ۝ فهب لى من لدنك وليا
يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ۝ يا زكريا انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ۝ قال رب انى يكون لى غلام وكانت
امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ۝ قال كذلك قال ربك هو على هين وقد
خلقتك من قبل ولم تك شيئا ۝ قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس
ثلث ليال سويا ۝ فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ۝
يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ۝ وحنانا من لدنا وزكوة وكان
تقيا ۝ وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ۝ وسلام عليه يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث حيا ۝ صدق الله العظيم

كهيعص بامالة الهاء فقط ابو عمرو وكهيعص بامالة الياء فقط حمزة وخلف وقتيبة وابن ذكوان وقرأ علي غير قتيبة ويحيى وحماد بامالتهما

وقرأ ابو جعفر ونافع والخزاعي عن البزي وابن فليح بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب الباقون بتفخيمها صاد ذكر مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وابن عامر
وسهل من ورائي بفتح الياء مهموزا ابن كثير غير زمعة والخزاعي عن البزي وقرأ زمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي من وراي مثل عصاي يرثني ويرث بالجزم
فيهما ابو عمرو وعلي الباقون برفعهما [illegible] وكذلك في آخر السورة حمزة عتيا وجثيا وصليا وبكيا بالكسر الا ابا حمزة وعلي وابي حمزة وحفص الا ان بكيا
يخبر عن هبيرة عتيا الاولى بالكسر والثانية بالفتح وقد خلقناك حمزة وعلي الآخرون خلقتك على التوحيد لي آية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبوذ
عن اهل مكة الوقوف كهيعص كوفي زكريا ج لجواز تعلق اذ بذكر رحمة ربك لاحتمال انتصابه باذكر محذوفا خفيا ه شقيا ه وليا لا من آل يعقوب ط
ولوجه الوصل العطف الجملتين المتفقتين يحيى ه لا لان ما بعده صفة غلام والاستيناف ليس بقوي سميا ه عتيا ه كذلك ج بناء على ان التقدير الامر كذلك شيئا ه
آية ط سويا ه وعشيا ه بقوة ط صبيا ه لا للعطف اي آتيناه الحكم به وحنانا منا عليه وزكوة ط تقيا ه لا عصيا ه حيا ه حروف المعجم في اوائل السور
ثنائية وثلاثية وقد جرت عادة العرب بامالة الثنائيات وتفخيم الثلاثيات وفي الراي احد الامرين لانه قد يلحق باخره ياء وقد لا يلحق فيصير ثنائيا ولا ريب ان
ان التفخيم اصل والامالة فرع عليه فمن قرأ بامالة الهاء والياء معا فعلى العادة ومن قرأ بتفخيمها جميعا فعلى الاصل ومن قرأ بامالة احدهما فلرعاية الجانبين وقد
روى صاحب الكشاف عن الحسن انه قرأ بضمهما فقيل لانه تصور ان عين الكلمة فيهما واو فنبه بالضم على اصلها والبحث عن هذه الفواتح قد سلف في اول البقرة
ونختص بهذا الموضع ما روي عن ابن عباس ان قوله كهيعص ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لامور عباده والهاء هاد والعين عالم او عزيز والصاد
صادق وعنه ايضا حمل الكاف على الكريم او الكبير والياء على الكريم مرة وعلى الحكيم اخرى وعن الربيع بن انس ان الياء من مجير وهذا التفسير لا يخلو عن تحكم الا ان يستند
الى الوحي او الالهام وارتفع ذكر رحمة على الخبر اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وانتصب عبده على انه مفعول الذكر وزكريا عطف بيان وقرئ برفعهما
على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبي انه قرأ ذكر بلفظ الماضي مشددا تارة ورحمة وعبده منصوبان على المفعولية ومخففا اخرى وعبده مرفوع على الفاعلية
وقرئ ذكر على الامر وهي قراءة ابن يعمر وقيل يحتمل على هذا ان يكون الرحمة عبارة عن زكريا لان كل نبي رحمة لامته ويجوز ان يكون رحمة لنبينا صلى الله عليه وسلم
ولامته لان طريقه في الاخلاص والابتهال يصلح ان يقتدى به وكان ذكره رحمة لنا ولنبينا وفي خفاء ندائه وجوه منها ان الاخفاء ابعد عن الرياء وادخل في الخشية
ولهذا فسره الحسن بانه نداء لا رياء فيه ومنها انه اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في غير وقته ومنها اسره من مواليه الذين خافهم ومنها انه خفت صوته
لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفاة وسمعه تارات وكلة اي بالقصى بالقدر عليه من الصوت ومع ذلك كان خفيا لنهاية كبره ثم شرع في حكاية ندائه
قائلا قال رب اني وهن العظم الى قوله واجعله رب رضيا قال علماء المعاني في الآية لطائف وذلك ان اصل الكلام يا رب قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف
البدن وشيب الرأس ثم ترك الاجمال الى التفصيل لتوخي مزيد التقرير فصار ضعف بدني وشاب رأسي ثم في القرينة الاولى عدل من التصريح الى الكناية التي هي ابلغ
منه فصار اني وهنت عظام بدني فان وهن عظام البدن لضعفه ثم بنيت الكناية على المبتدأ لتقوي الحكم فحصل انا وهنت عظام بدني ثم ادخلت ان لاجل
نفي الشك فصار اني وهنت عظام بدني ثم سلك طريق الاجمال والتفصيل لمزيد البيان فصار اني وهنت العظام من بدني لانك اذا قلت اني وهنت العظام
افاد ان عظاما واهنة عندك فاذا قلت من بدني فقد فصلت ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام به فحصل اني وهنت العظام مني واوحد
الوهن في هذا الجنس الذي هو اصلب الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنة لسائر الاعضاء الرئيسة كالقحف للدماغ والقص للقلب فبقي الاعضاء الآخر
اولى واما القرينة الاخرى فترك الحقيقة فيها الى الاستعارة التي هي ابلغ فحصل اشتعل شيب رأسي وبيان الاستعارة فيه انه شبه الشيب بشواظ النار
في بياضه وانارته وشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بان حذف المشبه واداة التشبيه
فصار اشتعل شيب رأسي ويمكن تقدير الاستعارة بوجه آخر وهو ان يكون استعمل اشتعل بدل انتشر فيكون الاستعارة تبعية تصريحية وقرينتها ذكر الشيب ثم ترك
هذه المرتبة الى ما ابلغ منها وهي اشتعل رأسي شيبا وكونها ابلغ من جهات منها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس كما لو قلت اشتعل
بيتي نارا مكان اشتعل النار في بيتي ومنها الاجمال والتفصيل والايقان في طريق التمييز ومنها تنكير شيبا للتعظيم كما هو حق التمييز ثم عدل الى مرتبة اخرى وهي اشتعل
الرأس مني شيبا لتوخي مزيد التقرير بالابهام ثم البيان على نحو وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لسبق ذكره في القرينة الاولى ففي ذلك احالة تأدية المعنى
على العقل دون اللفظ وكم بين الحالتين مع بناء الكلام على الاختصار حيث قال رب بحذف حرف النداء وياء المتكلم مناسب الاختصار في آخره واما الجنة
في هذا المقام لان هذه الآية كالعلم فيما بين علماء المعاني والبيان ثم انه توسل الى الله عز وجل بما سلف له معه من الاستجابة قائلا ولم اكن بدعائك رب شقيا كما
ان محتاجا قال لكريم انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته تقول العرب سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم
ومعنى بدعائك اي بدعائي اياك واعلم ان زكريا عليه السلام قدم على السؤال امورا ثلثة الاول كونه ضعيفا والثاني انه تعالى لم يرد دعاءه والثالث كون المطلوب
بالدعاء سببا للمنفعة في الدين وذلك قوله واني خفت الموالي قال ابن عباس ومنه والحسن اي الورثة وعن مجاهد العصبة وعن ابي صالح الكلالة وعن الاصم بنو العم
وهم الذين يلونه في النسب وعن ابي مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من يتقدم في ميراثه كالولد والمختار ان المراد من الموالي الذين يخلفونه
بعده اما في السياسة او في المال الذي كان له او في القيام بامر الدين وكان من عادتهم ان كل من كان الى صاحب الشرع اقرب كان متعينا للجمهور وقوله من ورائي اي
بعدي لا يتعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف اي الموالي الذين يخلفون من بعدي او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت وليهم وسوء خلافتهم بعدي كان
زكريا النعم له مع النبوة الملك فخاف بعده على احدهما او عليهما بسبب كون القرائن والامارات التي ظهرت له من صنائع احوالهم واخلاقهم واما قال خفت بلفظ
الماضي لانه قصد به الاخبار عن تقادم الخوف ثم استغنى بدلالة الحال كشكلة الوارث واظهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف في الحال وقرئ خفت
الموالي بتشديد الفاء وعلى هذا معنى ورائي خلفي وبعدي اي قلوا وعجزوا عن امر الدين والاقامة بوظايفه والظرف متعلق بالموالي او معناه قدامي والظرف
متعلق بخفت اي درجوا ولم يبق من اعتضد به ثم صرح بالمسئلة قائلا فهب لي واكده بقوله من لدنك اي وليا صادرا من عندك مضافا الى اختراعك بلا
لان امرأتي لا تصلح للولادة ومن قرأ يرثني ويرث بالجزم فيهما فهو جواب الدعاء ومن قرأ برفعهما فالاكثرون ومنهم جار الله قالوا انه صفة وقال صاحب
المفتاح الاولى حمله على الاستيناف كانه قيل لم تطلب الولد فقال مجيبا يرثني لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل زكريا واعترض عليه بان حمله على الاستيناف
يوجب الاخبار بعدم الوقوع وكذب النبي ممتنع من كونه غير مستجاب الدعوة واجيب بان عدم ترتب الغرض من طلب الولد لا يوجب الكذب واقول الاعتراض بحقيقته
بعد باق لان المعنى يؤل الى قولنا هب لي وليا موصوفا بالوراثة او بان الغرض منه الوراثة او هب لي وليا اخبر عنه بانه يرثني وعلى التقادير يلزم عدم الاستجابة او الكذب
والحق في الجواب هو ما سلف لنا في قصة زكريا من سورة آل عمران ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يطلب في الدعاء الا الاصلح حتى لو كان الاصلح غير ما طلبه وليصرفه
عنه كان المصروف اليه هو الحقيقة مطلوبه ويمكن ان يقال لعل الوراثة قد تحققت من يحيى وان قتل قبل زكريا وذلك كون قد بقي منه كتاب او شرع هو المقصود
من وجود يحيى وبقي ذلك الكتاب والشرع معمولا به بعد زكريا ايضا الى حين وقد روى صاحب الكشاف ههنا زيادة شاذة لا فائدة كثيرة في تعدادها الا قوله عن

واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا ۝ فاتخذت من دونهم
حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ۝ قالت اني اعوذ بالرحمن
منك ان كنت تقيا ۝ قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ۝
قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا ۝ قال كذلك قال ربك
هو علي هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا ۝ فحملته
فانتبذت به مكانا قصيا ۝ فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني
مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ۝ فناديها من تحتها الا تحزني قد جعل
ربك تحتك سريا ۝ وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا
جنيا ۝ فكلي واشربي وقري عينا ۝ فاما ترين من البشر احدا
فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا ۝ فاتت به قومها تحمله
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ۝ يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء
وما كانت امك بغيا ۝ فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد
صبيا ۝ قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا ۝
وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا ۝
وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ۝ والسلام علي يوم ولدت ويوم
اموت ويوم ابعث حيا ۝ ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ۝
ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون

[illegible]

وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ۝ فاختلف الاحزاب
من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ۝ اسمع بهم وابصر
يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ۝ وانذرهم يوم الحسرة
اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ۝ انا نحن نرث الارض و
من عليها والينا يرجعون ۝ صدق الله العظيم

[illegible]

قال الكلبي هم اليهود والنصارى وقيل النصارى اختلفوا ثم اتفقوا على ان رجعوا الى علماء زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكا فقيل للاول ما تقول في عيسى
فقال هو الله هبط الى الارض فخلق واحيى ثم صعد الى السماء فتبعه ذلك خلق كثير وهم اليعقوبية وسئل الثاني فقال هو ابن الله فتابعه جم غفير وهم النسطورية و
سئل الثالث فقال كذبوا وانما كان عبد المخلوق فاجتبا بظلم وبيام فصارا خصمه وهو المؤمن المسلم وقيل كانوا اربعة والرابع اسمه اسرائيل فقال هو اله وامه اله و
الله ثالثه اقانيم والروح واحد واعلم ان بحث الحلول والاتحاد فيه طول وقد يجر الكلام فيه الى مقامات يصعب الترقي اليها فلذلك ضل فيه من ضل وزل عنه من زل والله
اعلى من جميع ذلك واجل فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الجزاء والحساب في ذلك اليوم او من زمان شهودهم فيه وهو الموقف وتحقيق
ان يكون الشهد من الشهادة اي من ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء او جوارحهم فيه بالكفر والقبائح او من مكان الشهادة او وقتها وقيل يوما قالوه وشهدوا ابنا عيسى
يوم ولادته ومعنى من التعليل اي الويل لهم من اجل المشهد

وٱذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ۝ اذ قال لابيه يا ابت
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ۝ يا ابت اني قد جاءني
من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ۝ يا ابت لا تعبد
الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ۝ يا ابت اني اخاف
ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ۝ قال اراغب
انت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا ۝
قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا ۝ واعتزلكم
وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا

فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيا ۝ ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق
عليا ۝ واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ۝
وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ۝ ووهبنا له
من رحمتنا اخاه هرون نبيا ۝ واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان
صادق الوعد وكان رسولا نبيا ۝ وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة
وكان عند ربه مرضيا ۝ واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا
نبيا ۝ ورفعناه مكانا عليا ۝ اولئك الذين انعم الله
عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم
واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا
سجدا وبكيا ۝ فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات
فسوف يلقون غيا ۝ الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ۝ جنات عدن التي وعد الرحمن
عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا ۝ لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ۝ تلك الجنة التي نورث من عبادنا
من كان تقيا ۝ وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ۝ رب السموات والارض وما
بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ۝ صدق الله العظيم

بري انه بالفتح اليا، ابوجعفر ونافع وابو عمرو مخلصا بفتح اللام حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بكسرها ابرهام وما بعده هشام
والاخفش عن ابن ذكوان اذا يتلى بالياء التحتانية وكذلك في سورة الحج قتيبة نورث بالتشديد رويس الوقوف ابراهيم ط نبيا ه شيئا ه
سويا ه لا تعبد الشيطان ط عصيا ه وليا ه يا ابراهيم ج وقد يوصل ويوقف على لانتهي مليا ه سلام عليك ج للابتداء بسين الاستقبال مع ان القائل واحد
ربي ط حفيا ه وادعوا ربي ز لانقطاع النظم والوصل اولى لان عسى لتطمع الاجابة فيوصل بالدعاء شقيا ه من دون الله لا لان ما بعده جواب لما
ويعقوب ط نبيا ه عليا ه موسى ز للابتداء بان مع ان المراد بالذكر اخلاص موسى نبيا ه نجيا ه نبيا ه اسمعيل ز لما مر نبيا ه ج لاية مع العطف والزكوة
ص ه مرضيا ه ادريس ز نبيا ه عليا ه مع نوح ز على تقدير ومن ذرية ابراهيم ويوم اذا يتلى عليهم وكذا وجه من وقف على ذرية آدم او على اسرائيل
والاصح ان الكل عطف على ذرية آدم والوقف على قوله واجتبينا لئلا يحتاج الحذف وليرجع ثناء السجود والبكاء الى الكل وبكيا ه غيا ه شيئا ه لا بناء على ان جنات
بدل من الجنة بالغيب ه ماتيا ه سلاما ه وعشيا ه تقيا ه بامر ربك ج لاختلاف الجملتين ذلك ط لان قوله وما كان معطوف على نتنزل مع وقوع العارض
نسيا لان ما بعده بدل او خبر مبتدا محذوف لعبادته ط سميا ه ان الذين اثبتوا معبودا سوى الله منهم من اثبت معبودا حيا عاقلا كالنصارى
ومنهم من اثبت معبودا جمادا كعبدة الاوثان وكلا الفريقين ضال الا ان الفريق الثاني اضل وعين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني
متدرجا من الاسهل الى الاصعب وانما بدا بقصة ابراهيم صلوات الرحمن عليه لانه كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شانه وكمال دينه فكانه قال لهم ان كنتم مقلدين
فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وعبادتها وان كنتم مستدلين فانظروا في الدلائل التي ذكرها على ابيه والمراد بذكر الرسول اياه في الكتاب ان يتلو ذلك

على الناس

على الناس كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فهو سبحانه هو الذي يذكره في تنزيله وكقوله اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض ولكان هذا الاعتراض جعل الوقت
على ابراهيم مطلقا وجوز في الكشاف ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات
والصديق من ابنية المبالغة فهو اما مبالغة صادق لان ملاك امر النبوة الصدق واما مبالغة مصدق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا ايضا بالحقيقة يعود الى قولها
ان مصدق الحق لا يعتبر تصديقه الا اذا كان صادقا في نفسه والحاصل انه كان صادقا جدا في اقواله مصدقا لجميع من تقدمه من الانبياء والكتب وكان نبيا في نفسه
رفيع القدر عند الله وعند الناس بحيث جعله واسطة بينه وبين عباده قيل ان كان بمعنى صار والاصح انه بمعنى الثبوت والاستمرار اي انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة
في الاوقات الممكن لذلك فيها والتاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وقد مر في اول سورة يوسف اورد على ابيه الدلائل والنصائح وصدر كلا منها بالنداء المتضمن للرفق
واللين استمالة لقلب ابيه وامتثالا لامر ربه على ما رواه ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل
مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي وان اسكنه حظيرة القدس وان ادنيه من جواري فقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر حذف المفعول لان نية
فان الغرض نفي الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصولة او موصوفة اي الذي لا يسمع او معبودا لا يسمع وشيئا مفعول به من قولهم اغن عني وجهك اي
ادفعه ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اي شيئا من الاغناء وعلى هذا يجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين اي لا يسمع شيئا من السماع الى اخره وحاصل
[illegible]

[illegible]

ويقول الانسان ءاذا ما مت لسوف اخرج حيا ۞ اولا يذكر الانسان
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول
جهنم جثيا ۞ ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا
ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ۞ وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا ۞ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ۞ واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا ۞ وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا ۞
قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ۞ حتى اذا راوا ما يوعدون
اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا

[illegible]

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك
ثوابا وخير مردا ۝ افرايت الذى كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا ۝
اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا ۝ كلا سنكتب ما يقول ونمد له
من العذاب مدا ۝ ونرثه ما يقول وياتينا فردا ۝ واتخذوا من دون الله
الهة ليكونوا لهم عزا ۝ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ۝
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا ۝ فلا تعجل عليهم انما نعد لهم
عدا ۝ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ۝ ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ۝
لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ۝ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ۝ لقد
جئتم شيئا ادا ۝ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ۝ ان دعوا للرحمن ولدا ۝ وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ۝ ان كل
من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا ۝ لقد احصيهم
وعدهم عدا ۝ وكلهم اتيه يوم القيمة فردا ۝ ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ۝ فانما يسرناه بلسانك لتبشر به
المتقين وتنذر به قوما لدا ۝ وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس
منهم من احد او تسمع لهم ركزا ۝ صدق الله العظيم

القراآت اذا مثل ادنكم فى الادغام بذكر من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم وسهل ويروح والمعدل عن زيد الآخرون بتشديد الذال من التذكر وعما ثم ننجى من الانجاء على وروح والمعدل عن زيد الآخرون بالتشديد خير مقاما بضم الميم ابن كثير الباقون بفتحها وريا بالتشديد ابو جعفر ونافع غير ورش وابن ذكوان والاعشى وحمزة فى الوقف وعن حمزة ايضا بالهمز فى الوقف ليدل على اصل اللغة الآخرون بهمز بعده ياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلى الآخرون بفتحهما يكاد على التذكير نافع وعلى ينفطرن من الانفطار ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وابو بكر وحماد والخراز عن هبيرة الباقون يتفطرن من التفطر الوقوف حيا ه جثيا ه ج للاية وللعطف عتيا ه ج لذلك صليا ه واردها ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقضيا ه تقريبا للنجاة من الورود مع ان ثم لترتيب الاخبار جثيا ه انكروا الان ما بعده مفعول قال نديا ه وريا ه مدا ج لان حتى لانتهاء وما بعده للابتداء او الرؤية وجواب اذا محذوف وهو اما الساعة ط لابتداء التهديد جندا ه هدى ط مردا ه وولدا ه ط لابتداء الاستفهام للتقريع عهدا ه للردع كلا ط مدا ه للعطف فردا ه لنصب العجز عزا ه لا كلا ط ضدا ه ازا ه لا للتعجيل عليهم ط عدا ه وفدا ه وردا ه لئلا يشتبه الجملة بالوصف لهم عهدا ه م حذرا من ايهام العطف ولدا ه لان ما بعده صفته ادا لان التقدير لان دعوا ولدا ه ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف ولدا ه عبدا ه فردا ه ودا ه لدا ه من قرن ج ركزا ه
لما امر غيبه واتبعه بالتنبيه ان يعبدوا الله ويصطبروا لعبادته كان للمنكران يعترض بان هذه العبادات لا منفعة فيها فى الدنيا لانها مشقة ولا فى الآخرة لا يستبعاد حشر الاجساد الى حالها فلا جرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال ويقول الانسان وهو للجنس لان هذا الاستغراب مركوز فى الطباع قبل النظر فى الدليل ولان هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح اسناده الى بنى نوعه لانه منهم كما يقال بنو فلان قتل فلانا وانما القاتل احد منهم وقيل المراد بالانسان ههنا شخص معين هو ابو جهل وابى بن خلف وقيل بعض الجنس وهم الكفرة وانتصب اذا بفعل مضمر دل عليه اخرج المذكور لا به نفسه لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول اليوم لزيد قائم وانما جاز الجمع بين حرف الاستقبال وبين لام الابتداء المفيد لمعنى الحال لان اللام ههنا خلصت لاجل التاكيد كما خلصت الهمزة فى يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما فى اذا للتاكيد ايضا وكانهم قالوا مستنكرين احقا انا سنخرج احياء حين يمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج اما الخروج من الارض او الخروج من الفناء او الندور من قولهم خرج فلان عالما اذا كان نادرا فى العلم فكانه قال على سبيل الهزء ساخرج حيا نادرا واما تقدم الظرف وايلاء حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء الانكار كقولك لمن اساء الى المحسن حين تمت عليك نعمة فلان اساءت اليه ولان الانسان لا يصدر عنه هذا الانكار الا اذا لم يتذكر ولم يذكر النشاة الاولى قال سبحانه منبها على ذلك ولا يذكر وههنا اضمار تقديره ايقول ذلك ولا يذكر ورحم جار الله

ان الواو عطفت لا يذكر على يقول فى قوله ويقول الانسان ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء ولو اجتمعت الخلايق على ايراد حجة فى البعث او جزء من هذه لم يقدروا عليها لان خلق الذات مع الصفات اعجب من تغيير الذات فى اطوار الصفات وهذا معلوم لكل صانع يتعذر عنه عمل لان الاول لم يستقر بعد فى خزانة خياله والثانى قد ارتسم واستقر وثبت له مثال واحتذاء واذا كان حال من يتفاوت فى الصعب والسهل كذلك فالظن بمن لا يتوقف مقدوره الا على مجرد تعلق الارادة الازلية به وفى قوله ولم يك شيئا بحث قد مر فى اول سورة وشمله وحين نبه على النكتة الضرورية اكدها بالاقسام فاتلا فوربك لنحشرنهم والفاء للاستيناف وهو يفيد الاعراض عن قصة والشروع فى اخرى عقيبها وايراد القسم باسم الله وتعليقه بالرب وليل كمال العناية بالمقسم عليه واضافة القسم الى المخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين تفخيم بشانه ورفع من مقداره والواو فى والشياطين اما للعطف واما بمعنى مع بناء على ان كل كافر مقرون مع شيطانه فى سلسلة واذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى منكرى البعث فقط فلا اشكال وكذا فى قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا اى جثاة على الركب غير مشاة على اقدامهم لا بد جثيهم من شدة الامر التى لا يطيقون معها القيام على الارجل وهو على العادة المعهودة فى مواقف مطالبات الملوك ... ثم لننزعن من كل شيعة اى طائفة شاعت اى تبعت غاويا من الغواة ... فى تفسيره فى الانعام ايهم اشد فى النصب وهو ظاهر والكثيرون على الضم فذهب سيبويه الى انها مبنية كما يلزم خلاف القياس من وجهين احدهما اعرابها مع ان من حق الموصول ان يبنى والاخر حذف المبتدا مع ان الاصل حينئذ ان يكون مذكورا او النقدير انهم هو اشد وذهب الخليل الى انها معربة ولكنها لم تنتصب على ان يكون مفعول لننزعن بل رفعت بتقدير الحكاية اى من كل شيعة مقول فيهم ايهم اشد فيكون من كل شيعة مفعول لننزعن كقولك اكلت من كل طعام اى بعضا من كل ويجوز ان يقدر لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد قال سيبويه لو جاز اضرب ايهم افضل على الحكاية بجاز اضرب الفاسق الخبيث اى الذى يقال له الفاسق الخبيث واما ما اشار اليه فى سعة الكلام وذهب يونس فى مثله الى ان الفعل الذى قبل اى معلق عن العمل لجواز التعليق فى غير افعال القلوب ثم ان علقت قوله على الرحمن بابتد كقولهم هو اشد على خصمه فظاهر وان علقته بالمصدر فذلك مما يميل اليه عند النحويين لان المصدر لا يعمل فيما قبله فالوجه ان يقال انه بيان لمحذوف فكانه سئل ان عتوه على من فقيل على الرحمن وكذا الكلام فى قوله اولى بها صليا تعلق الجار والمجرور بافعل من غير تاويل على التاويل صلى فلان النار ... اذا احترق الحجر ولانه يميز من كل فرقة ضالة من هو اضل ثم بين بقوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا انه يلقيهم اى اهل الضلال البعيد فى النار على الترتيب يقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم ولا ريب ان ضال الضال يكون اولى بالتقديم من الضال والكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وان كانوا جميعا مشتركين فى شدة العتو ويجوز ان يراد بالذين هم اولى المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وانهم اولى بالصلى لكون دركاتهم اسفل وان منكم الخطاب للناس من غير التفات او للانسان المذكور فيكون التفاتا وعلى التقديرين فان اريد الجنس كلهم لم يكن فى قوله ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اشكال ولكنه يشكل بان المؤمنين كيف يردون النار واجيب بما روى عن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة وعنه ايضا انه صلى الله عليه وسلم الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فيكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن عباس يردونها كانها اهالة وعنه من لم يفسر الورود بالدخول ان ابن عباس قال قد يرد الشئ الشئ ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ومعلوم ان موسى لم يدخل الماء ولكنه قرب منه ويقال وردت القافلة البلد اذا قربت منه فالمراد بالورود جثوهم حولها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هو مس الحمى جسده فى الدنيا قال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وفى رواية الحمى حظ كل مؤمن من النار وان اريد بالناس او بالانسان الكفرة فلا اشكال فى ورودهم النار ولكنه لا يطابقه قوله ثم ننجى الذين اتقوا ووجه بانه اراد ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لانهم يوردونهم ثم يتخلصون اسئلة كيف يندفع عنهم ضرر النار عند الورود والدخول وعم بعضهم ان البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع ان يكون فى خلالها مواضع خالية عن النار ... والاصح انه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين النار اذا المراد بورودها ... وجوه منها ان يزدادوا ... ومنها ان يزيد افتضاح الكافرين اذا اطلع المؤمنون عليهم ومنها ان المؤمنين يوبخون الكفار ويسخرون منهم كما سخروا فى الدنيا ومنها ان يزيد التذاذهم بالجنة ... بل ثبت فى الاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها فقد ثبت ان المحاسبة تكون فى الارض اولى موضعها لقوله يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة فى السماء فالاجتماع يكون فى موضع الحساب ثم يدخلون من المواضع الى جهنم ثم يرفع الله اهل الجنة ويبقى اهل النار فيها قلت هذا على راى القائلين بالجنان وفى الارض ... اهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة فى النار وقوله كان على ربك حتما اى محتوما مصدر بمعنى المفعول مقضيا قضى به وعزم على ان لا يكون غيره ... من جميع الجوانب على كرة النار واحتجت المعتزلة بذلك على ان العقاب واجب على الله تعالى عقلا وقالت الاشاعرة ... الخلف ... وقد سبق ان المتقى عند المعتزلة من يجتنب المعاصى كلها وعند غيرهم هو الذى اجتنب الشرك فقط ... بان نجية المتقين ... ومن المعتزلة من تمسك فى الوعيد بقوله ونذر الظالمين ... واذا تتلى عليهم آياتنا الآية والمراد انهم عارضوا حجة الله بكلام ... ان بين اوليائه وبين اعدائه ... قال جار الله معنى بينات مرتلات الالفاظ ... او عجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها ... للذين آمنوا انهم يخاطبون هم ... وقوله اى الفريقين يعنى المؤمنين بالآيات والجاحدين لها ... المحال فى الدنيا دليل ظاهر على الفضل والرفعة ... كم اهلكنا قبلهم من قرن ... ويجوز ان يكون زائدة للتاكيد وكم استفهامية ... والاثاث متاع البيت وقد مر فى النحل فى قوله اثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهرى ... فاما ان يكون على تخفيف الهمزة ... وقال جار الله الرئى هو المنظر والهيئة فعيل بمعنى مفعول وقرئ بهمزة قبلها ياء على القلب كقولهم راء فى راى وقرئ بالزاى المنقوطة واشتقاقه من الزى بالفتح وهو الجمع لان الذى محاسن مجموعة وفى الاية حذف

والتقدير احسن من هولاء والحاصل انه تعالى اهلك من كان اكثر مالا وجمالا منهم وذلك دليل على فساد احدى مقدمتيهم وهي ان كل من وجد الدنيا كان حبيبا
او على فساد المقدمة الاخرى وهي ان كل من كان حبيبا لله فانه لا يوصل اليه غما ثم بين ان كل الضال لا اخرى فالتكالى وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله فليمدد له
الرحمن خبر مخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب الامهال وانه مفعول لا محالة لتنقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او ليزدادوا اثما كقوله انما نملي
لهم ليزدادوا اثما او هو في معنى الدعاء بان يمهله الله عز وجل وينفس في مدة حيوته والغاية احد الامرين المذكورين اي انقطاع العذر او ازدياد الاثم اما قوله حتى
اذا راوا فقال في الكشاف انه يحتمل ان يكون متصلا بقوله اي الفريقين الى آخره وما بينهما اعتراض اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا
ما يوعدون والمعنى لا يزالون يتفوهون بهذا القول مولعين به الى ان يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم بالقتل والاسر وتغير الحال بهم
من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيمة ويحتمل ان يتصل بما يليها والمراد انهم لا ينفكون عن ضلالهم وسوء مقالتهم الى ان يعاينوا عذاب الدنيا او الساعة و
مقدماتها وقوله فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة قولهم خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم
والجند الاعوان ولا ريب ان مكان القتل والاسر شر مكان في الدنيا ومكان عذاب النار شر مكان في الاخرة ولا شك ايضا انه لو كان لهم في الدارين
ناصر قوي لم يلحقهم من الخزي والنكال ما لحقهم ولما بين حال اهل الضلال اراد ان يبين حال اهل الكمال فقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وذلك ان بعض الاهتداء
يجر الى البعض الآخر كالايمان يجر الى الاخلاص فيه كما ان بعض الغواية يجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات المرتبة على الايمان والواو في ويزيد للاستيناف
وقد تكلف جار الله فقال انه للعطف على معنى فليمدد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه وقد مر في سورة الكهف ان الباقيات الصالحات
فسرها الاكثرون بجميع الاعمال الصالحات المؤدية الى السعادات الباقيات وفسرها بعضهم بما هي اعظم ثوابا منها كالصلوات الخمس وغيرها وقوله خير بمعنى
خيرا ان يكون مشاركا في اصل الخيرية ويكون هذا اخير منه فان قدرنا ذلك شيئا فيه خيرية كبعض الاعمال الدنيوية المباحة او كسائر الاعمال الصالحة عند من يفسر
الباقيات بمعنى اخص فظاهر انها خير ثوابا وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وان قدرنا ذلك شيئا لا ثواب فيه ولا خيرية كما زعم جار الله ان
المراد هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق الثواب على عقاب الكفار من قبيل التهكم ومن باب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وكذا وجه التفضيل في الخير كما
في قولهم الصيف احر من الشتاء اي هو ابلغ في حره من الشتاء في برده ثم اردف مقالتهم الحمقاء باخرى مثلها قائلا على سبيل التعجب افرايت كانه قال اخبر ايضا
بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك وانما استعملوا ارايت بمعنى اخبر لان رؤية الشي من اسباب صحة الخبر عنه عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة
والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته وقيل صاغ له حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة
ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ من قرا ولدا بفتحتين فظاهر ومن قرا بالضم فالسكون فاما جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى
الولد كالعرب والعرب فانكر الله سبحانه عليه بقوله اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اي ارتقى الى اعلاه وفي اختيار هذه الكلمة شان كانه قال او قد بلغ من عظمة شانه
ان ارتقى الى علم الغيب الذي تفرد به علام الغيوب ام اتخذ عند الرحمن عهدا عن الكلبي هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك
القول وقيل العهد كلمة الشهادة كلا ردع وتنبيه على الخطاء فيما تصوره لنفسه وتمناه وفي قوله سنكتب بسين التسويف مع ان الحفظة يكتبون ما قاله في الحال دليل على ان
السين جرد ههنا لمعنى الوعيد او اراد سنظهر له بناء الكتابة التعذيب والانتقام نمده قوله ونمد له اي نطول له من العذاب ما يستاهله مما ذكرناه منتهى
او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى ثم اكد المد بالمصدر وهو مؤذن بفرط الغضب اعاذنا الله منه ثم عكس استهزاؤه بقوله ونرثه
ما يقول اي ننزع عنه منتهى ما زعم انه ينال في الآخرة من المال والولد لانه تالى على الله في قوله لاوتين ومن يتال على الله يكذبه لان ذلك غاية الجراة وهذا
الاشعبية ما اشتهاه الماثر منه في العاقبة ويأتينا غدا فردا بلا مال ولا ولد وكلام صاحب الكشاف في الوجهين محيط فليتامل فيه وكذا في قوله فردا على الاول
حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك وذلك ان الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول واما الفردية
فمتحقق في حال الاتيان وتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك الكل في الاتيان منفردا لا مدخل له في المقصود فلا ادري ما حمله على هذا التكلف قال ويحتمل ان هذا
القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضنا حلنا بينه وبين ان يقول ويأتينا فردا عنه غير قائل له او اراد ان هذا القول لا ننساه ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب
به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نعطه سؤله ومتمناه فيجتمع عليه خطابان تبعة قوله وفقد سؤله وحين فرغ من الرد
على منكري البعث شرع في الرد على عبدة الاصنام فبين اولا غرضهم وذلك ان يعتزوا بآلهتهم وينتفعوا بشفاعتهم ثم انكر عليهم وردعهم بقوله كلا ثم اخبر عن
حالهم بقوله سيكفرون فان كان الضمير للمعبودين فهم اما الملائكة كقوله سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واما الاصنام وبعيد
ان ينطق الله الجماد بذلك كقوله فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين فهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين والضمير
في ويكونون للمعبودين وقوله عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا وضد العز الذل والهوان كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا ويحتمل ان يراد بالضد العون لانه يضاد
عدوه ويعاديه لا تفاق كلمتهم وفرط تضامهم وتوافقهم كقوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم ومعنى كون الآلهة اعداء اي اعوانا عليهم انهم وقود النار وان
المشركين عذبوا بسبب عبادتها ويحتمل ان يكون الضمير في يكونون للمشركين اي يكون المشركون كفرة بآلهتهم واعداء لهم بعد ان كانوا يعبدونها وحيث بين مذاهب
الفرق الضالة اراد ان يبين منشاءها فقال الم تر انا ارسلنا الآية والازاز التهييج قالت الاشاعرة في الآية دلالة على انه تعالى مريد لجميع الكائنات لان قول
القائل ارسلت فلانا على فلان يفيد انه سلطه عليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم سلط الله وارسل كلبك عليه ويؤيده قوله تؤزهم اي تغريهم على المعاصي وتحثهم
عليها بالوسواس والتسويلات وقالت المعتزلة اراد بهذا الارسال التخلية بينهم كما اذا لم يمنع الرجل كلبه من دخول بيت جيرانه والحاصل انهم انه ارسل الانبياء
وارسل الشياطين ثم خلى بين المكلفين وبين الانبياء والشياطين الا انه خص اولياءه بمزيد الالطاف حتى قبلوا قول الانبياء ومنع اعداءه تلك الالطاف وهو
المسمى بالخذلان فقبلوا قول الشياطين ولما كان هذا الارسال سببا لهلاك الكفار عداه بعلى لا بالى قلت لا يخفى ان الاسناد والكل الى الله تعالى فنزاع لفظي
وقريب منه فلا تعجل عليهم يقال عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا فتستريح انت والمسلمون من شرورهم فليس بينك وبين
ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة قال ابن عباس نزلت في المستهزئين وهم خمسة رهط ومعناه انه قراها بكى وقال آخر العدد خروج
نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المأمون فقراها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع
ما ينفد وقال بعضهم شعر ان الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس وكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس
لما قرر امر الحشر واجاب عن شبه منكريه اراد ان يشرح حال المكلفين وقتئذ فقال يوم نحشر وانتصابه بمضمر متقدم او متاخر اي اذكر يوم كذا او يوم كذا نفعل بالفريقين ما لا يحيط
به الوصف ويجوز ان ينتصب بلا يملكون نحشر المتقين بالجمع الى محل كرامة الرحمن والذين يقال وفد فلان على الامير وفادة اي ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد كصاحب و
وصحب وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت ونسوق المجرمين بالسوق

او يوم كذا نفعل

الابهم

الى جهنم وردا اي ورادا وهم الذين يردون الماء وفيه من الاهانة ما فيه كانهم نعم عطاش تساق الى الماء وقال جار الله حقيقة الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون
وقال بعض العلماء في الآية دلالة على ان اهوال يوم القيمة تختص بالمجرمين وان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة فكيف ينالهم بعد ذلك شدة قلت
يحتمل ان يكون الحشر الى الرحمن عند الحشر الى الموقف فيراد بالحشر الى الرحمن اي الى دار كرامته سوقهم الى الجنة كقوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وهذا بعد
امتياز الفريقين فالامن الكلي انما يحصل بعد هذه الحالة لا ينافي الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد في حديث الشفاعة وغيره وقوله الى الرحمن دون ان يقول الينا
من وضع الظاهر موضع المضمر وفيه من البشارة ما فيه ولا يلزم منه تجسيم للتأويل الذي ذكرناه والضمير في لا يملكون للمكلفين المذكورين بقسميهم وذلك من اتخذ على البدلية
في معنى الجمع ويجوز ان يكون الواو علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء مفرغا ويجوز ان ينتصب من اتخذ على الاستثناء او على تقدير
حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ واختلف المفسرون في الشفاعة فقيل لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك غيرهم ان يشفعوا لهم واتخاذ العهد الاستظهار
بالايمان والعمل وبكلمة الشهادة وحدها والاول يناسب اصول الاشاعرة وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ
كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحيوة
باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلني الى نفسي فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني
لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد
اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز ان يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها كقوله وكم
من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله وحين رد على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا من اليهود والنصارى
والعرب ومنهم من خص الآية بالرد على العرب القائلين بان الملائكة بنات الله لان الرد على النصارى تقدم في اول السورة وفي قوله لقد جئتم التفات من الغيبة
الى المخاطبة تسجيلا عليهم بالجراءة والتعرض لسخطه والاد الامر العجيب او المنكر والتركيب يدور على الشدة والثقل ومنه ادت الناقة تئد اذا رجعت الحنين في جوفها
ويقال تفطره بالتخفيف اذا شقه وطاوعه انفطر والتشديد للتكثير وطاوعه تفطر وهذا البناء كثيرة وانتصب هدا على المصدر لان الخرور في معناه واما
لان التقدير تهد هدا او على الحال اي مهدودة او على العلة اي لانها تهد ومحل ان دعوا اما مجرور بدلا من الهاء في منه واما منصوب بنزع الخافض اي هدا لان دعوا
علل الخرور بالهد والهد بالدعاء واما مرفوع بانه فاعل هدا اي هدها الدعاء وخير الوجوه اوسطها كما مر في الوقف والدعاء اما بمعنى التسمية فيكون المفعول الاول متروكا
طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي ولدا له واما بمعنى النسبة اي نسبوا الى الرحمن ولدا وما ينبغي للصحيح والمستقيم وهو في الاصل مطاوع بغى اذا طلب وانما لا يتصور
لانه محال اما الولادة المعروفة فلا استحالة في استحالتها واما التبني فلان القديم لا جنس له حتى يميل طبعه اليه ميل الوالد الى ولده لان المتخذ ولدا انما يتخذه لكونه بعض جنسه
واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن المختص به فلما قيل اصول النعم وفروعها الا انه كما قيل ليكشف عن بصرك غطاءه فانت وجميع ما عندك عطاؤه وهذا نوع
تكرير هذا الاسم في هذا المقام سؤال كيف تؤثر الكلمة المذكورة في الجمادات حتى تتفطر وتنشق وتخر اجيب بانه سبحانه كانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض
والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي او هو تصوير لاثر هذه الكلمة في الدين والمراد ان هذا الاعتقاد يوجب ان لا يكون هذه الاجرام على هذا النظام
كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال ابو مسلم اراد ان هذه الاجرام لو كانت ممن تعقل لكادت تفعل ذلك ثم بين ان العابدين والمعبودين في السموات
او في الارضين كلهم تحت قهره وتسخيره في الدنيا وفي الآخرة وانه محيط بجل احوالهم وتفاصيلها فقال ان كل ان نافية اي ليس فرد من افراد الا آتي الرحمن الا وهو ملتجئ
الى ربوبيته مقر بعبوديته ثم اجمل حال المؤمنين بالا مزيد عليه في باب الكرامة فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي سيحدث لهم في القلوب
مودة من غير سبب من اسباب المودة كقرابة واصطناع وذلك كما تقذف في قلوب اعدائهم الرعب والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين
بين الكفرة فوعدهم الله المودة بين الناس عند اظهار الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه و
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء
ثم يوضع له القبول في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال مكتوب في التورية لا محبة لاحد في الارض حتى يكون
ابتداؤها من الله تعالى ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين وعن ابي مسلم ان المراد يهب
لهم في الجنة ما يحبون واستعمال المصدر بمعنى المفعول كثير واختار هذا القول لان المسلم المتقي يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون اكثرهم وقد تحصل مثل هذه المحبة للكفار
والفساق فيكونون مرزوقين بميل الناس الى اختلاطهم وصحبتهم فكيف جعله انعاما في حق المؤمنين وايضا ان محبتهم في قلوبهم من فعلهم لا من فعل الله تعالى
فحمل الكلام على اعطاء المنافع به اولى واجيب بان المراد محبة الملائكة والانبياء والصالحين ومثل هذا لا يحصل للكافر والفاسق وبانه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية
الكراهة في قلوبهم ثم عظم شان هذه السورة من التوحيد والنبوة وبيان الحشر والرد على الفرق الضالة فقال فانما يسرناه كانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر
فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد جمع الالد الشديد الخصومة بالباطل كقوله في البقرة وهو الد الخصام يريد اهل مكة ثم ختم السورة بما هو
غاية في الانذار ونهاية في التخويف لانباءه عن انقضاء القرون الخالية بالفناء او بالافناء بحيث لم يبق منهم شخص يرى او صوت يسمع فيعلم منه ان آل حال الباقين ايضا
كذلك فيجتهد في تحصيل الزاد للمعاد [illegible] الى ابعد والزوال والنفاد والركز الصوت الخفي وركز الرمح تغييب طرفه في الارض والركاز المال المدفون التأويل
ونقول النفس الانسانية بجهلها بالحقائق اذا ماتت عن الصفات البشرية احيي حيا بالصفات الروحانية لنحشرنهم والشياطين فلكل شخص قرين من الشياطين
ثم لنحضرنهم حول جهنم القهر والطبيعة وان منكم من الانبياء والاولياء والمؤمنين والكافرين الا هو وارد هاوية الهوى لعدم الطبيعة حتما مقضيا لان حكمة الازلية
اقتضت خلق هذا النوع المركب من العلوي والسفلي ثم ننجي الذين اتقوا الهوى بقدم الشريعة على طريق الطريقة للوصول الى الحقيقة اياما من الحقائق والمعارف
قال الذين كفروا ستروا الحق للذين آمنوا تحقيقا وايقانا وكم اهلكنا حجب الدنيا والاغراق في بحر الشهوات والاحراق بنار المصيبات الا الغاب وبهيئات
على الانكار والغفلة واما الساعة وهي الاماتة عن الصفات البشرية عند قيام قيامة الشوق والمحبة فسيعلمون حزب الله من حزب الشيطان ويزيد الله بالترقي
من الايمان الى الايقان ومن الايقان الى العيان ان ادعوا للرحمن ولدا من الفوائد ذكر اسم الرحمن ههنا ان الرحمانية امهلتهم حتى قالوا ما قالوا ولولا الرحمانية
مقتضية لاعدامهم في الحال وكلهم آتيه يوم القيمة فردا عن شيئيته وارادته بجلائه في الدنيا فانهم يطيعون الله لهم ارادة واختيارا فانما يسرناه فيه انه لولا تيسيره
ورعايته على قلب النبي صلى الله عليه وسلم والا كيف يسع ظرف الحروف المحدثة المتناهية حقائق كلامه الازلية غير المتناهية وكم اهلكنا اي بنية العقلانية او تسمع لهم ركزا بالشاهد من غيره

سورة طه مكية حروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون كلماتها الف وثلثمائة واحدى واربعون

ايآتها مائة وخمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ۝ ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ۝ الا تذكرة لمن يخشى ۝ تنزيلا ممن خلق
الارض والسموات العلى ۝ الرحمن على العرش استوى ۝ له ما في السموات
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ۝ وان تجهر بالقول فانه يعلم السر و
اخفى ۝ الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ۝ وهل اتيك حديث موسى
اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار
هدى ۝ فلما اتيها نودي يا موسى ۝ اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد
المقدس طوى ۝ وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ۝ انني انا الله لا اله
الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ۝ ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى
كل نفس بما تسعى ۝ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هويه فتردى ۝
وما تلك بيمينك يا موسى ۝ قال هي عصاي اتوكؤ عليها واهش بها على غنمي و
لي فيها مآرب اخرى ۝ قال القها يا موسى ۝ فالقيها فاذا هي حية تسعى ۝
قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى ۝ واضمم يدك الى جناحك
تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى ۝ لنريك من آياتنا الكبرى ۝ اذهب الى فرعون
انه طغى ۝ قال رب اشرح لي صدري ۝ ويسر لي امري ۝ واحلل عقدة من لساني ۝ يفقهوا
قولي ۝ واجعل لي وزيرا من اهلي ۝ هرون اخي ۝ اشدد به ازري ۝ واشركه
في امري ۝ كي نسبحك كثيرا ۝ ونذكرك كثيرا ۝ انك كنت بنا بصيرا ۝ قال
قد اوتيت سؤلك يا موسى ۝ صدق الله العظيم

طه بامالة الطاء والهاء حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وعباس وقرا ابو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وفي الكشاف ان ابا عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء والآخرون بتفخيمهما لانه اكتفوا بضم الهاء وكذلك في القصص حمزة اني آنست اني انا بفتح ياء المتكلم فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو لعلي آتيكم بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر غير ابن مجاهد على النار بين حالة على غير ليث وابي حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو والبخاري عن ورش وابن عمرو غير ابراهيم ابن حماد اني انا ربك بفتح الهمزة وياء المتكلم ابن كثير وابو عمرو ويزيد وبكسر الهمزة وفتح الياء نافع الباقون بكسر الهمزة وسكون الياء وطوى منونا حيث كان عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وانا اخترتك على الجمع حمزة والمفضل لذكري ان لي امري يسر لي اذ برالتي اي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو ولي فيها بالفتح حفص والمفضل والاعشى والبرجمي والاصبهاني عن ورش مخير اخي اشدد بفتح الياء موصولة ابن كثير غير الخزاعي عن ابن فليح وابو عمرو اشدد بفتح الهمزة واشركه بضمها على المتكلم ابن عامر الباقون بضم الاول وفتح الثاني على الامر سؤلك بالواو ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الآخرون بالهمز الوقوف طه كوفي ومن قال معناه يا رجل او يا طالب ويا هادي لم يقف لتشقى ۝ لا للاستثناء يخشى ۝ لا لابدال على ان تنزيلا بدل تذكرة العلى ۝ ط لان الرحمن مبتدا استوى ۝ الثرى ۝ واخفى ۝ الا هو ط الحسنى ۝ حديث موسى ۝ للا يوهم ان اذ ظرف للاتيان هدى يا موسى ۝ لا نعليك ج للابتداء بان مع اتحاد المقول طوى ۝ ط

ولمن قرا وانا اخترتك يوحى ۝ فاعبدني ط للعطف لذكري ۝ تسعى ۝ فتردى ۝ يا موسى ۝ عصاي ج لامكان ان يجعل اتوكا مستانفا او حالا والعامل
معنى الاشارة على ان هي بمعنى هذه اخرى ۝ يا موسى ۝ تسعى ۝ ولا تخف قد تحقق السين الاولى ۝ آية اخرى ۝ لا لتعلق اللام الكبرى ۝ ج للآية والاستيناف
بالامر على ان المقول مستقل طغى ۝ صدري ۝ لا امري ۝ لساني ۝ لا قولي ۝ ص لطول الكلام اهلي ۝ لا اخي ۝ لا ولمن قرا اشدد بفتح الهمزة جوابا للدعاء ومن فتح
بناء فله الوصل ومن قرا اشدد بضم الهمزة فله الجواز لاتساق الدعاء على الدعاء بلا عاطف ازري ۝ لا امري ۝ لا لتعلق كي كثيرا ط بصيرا ۝ يا موسى ۝
التفسير في طه قولان احدهما انه من حروف التهجي وقد سلف البحث في امثالها والذي زاده ههنا امور منها قول الثعلبي طا شجرة طوبى والهاء الهاوية وكانه
اقسم بالجنة والنار ومنها ما روي عن جعفر الصادق رضه ان الطاء طهارة اهل البيت والهاء هدايتهم وقيل اراد يا طاهرا من الذنوب ويا هاديا الى علام الغيوب
ومنها قول سعيد بن جبير هو افتتاح باسمه الطيب الطاهر الهادي وقيل الطاء تسعة في الحساب والهاء خمسة ومعناه يا ايها البدر القول الثاني انه كلمة مفيدة
ومعناها يا رجل مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية
وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال الكلبي بلسان عك وهو عك بن عدنان اخو معد وهو اليوم في اليمن وعن الحسن ان طه واصله طا امرا بالوطي فقلبت الهمزة
ها وذلك لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطا الارض بقدميه معا ويؤكده ما روي انه صلى الله عليه وسلم
صلى بالليل حتى اسمعدت قدماه اي تورمتا فقال له جبرئيل ابق على نفسك فان لها عليك حقا ونزلت ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اي لتهلك نفسك
بالعبادة ولكنك بعثت بالحنيفية السمحة وعند الاكثرين معنى لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وتحسرك على ان يؤمنوا والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه
المثل اشقى من رايض مهر واتعب وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين ابائك فرد الله عليهم بان القرآن هو السبب في نيل
كل سعادة قال جار الله ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف فقوله ما انزلنا ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة فمبتدا او بعد خبر وقد اقيم الظاهر وهو القرآن مقام
الضمير الرابط وان جعلتها قسما فا بعده جواب وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس بفاعل الفعل المعلل والثاني
جاز قطع اللام عنه لوجود الشرط ولا يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين فان التذكرة لا يمكن ان يحمل على الشقاء ولكنها نصب على الاستثناء
المنقطع الذي فيه الا بمعنى لكن وفي قوله لتشقى والا تذكرة وجه اخر وهو ما انزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة اي ما انزلنا عليك هذا
الشاق الا وجاز ان يكون تنزيلا بدلا منها اذا كانت مفعولا لا علة لامر يجوز ان يكون تنزيلا بدلا منها لان الشيء لا يعلل بنفسه فلا انزال الا بعلة بالتنزيل في الظاهر
ويجوز ان ينتصب تنزيلا بمضمر اي نزل تنزيلا او بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة او على المدح والاختصاص ويخشى مفعولا به اي انزله تذكرة
لمن يخشى تنزيل الله عز وجل اي لمن يؤل امره الى الخشية لانه هو المنتفع به ومعنى كون القرآن تذكرة انه صلى الله عليه وسلم كان يعظهم به وبيانه ومن خلق
متعلق بتنزيلا فيكون الظرف لغوا او بكائنا صفة له فيكون مستقرا وفائدة الانتقال الى الغيبة من لفظ المتكلم حيث لم يقل تنزيلا منا امور منها الافتنان في الكلام
على عادتهم ومنها تفخيم للصفات مع لفظ الغيبة ومنها التفخيم بالاسناد اولا الى ضمير المتكلم المطاع في انزلنا ثم الى المختص بصفات العظمة والتمجيد وقيل انزلنا
حكاية كلام جبرئيل فلا التفات والعلى جمع العليا تانيث الاعلى وفي وصف السموات بها دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها ويحصل منه تعظيم
شان القرآن بالضرورة وتعلى قدر المرسل بكون حال الرسالة ومنه قول الحكماء عقول الرجال تحت لسان اقلامهم وارتفع الرحمن على المدح على تقدير هو الرحمن او مبتدا
مشار بلامه الى من خلق والبحث في الاستواء على العرش من جانبي المشبهة والموحدة قد مر مستوفى في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وفي الاعراف في قوله
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض فلا حاجة الى الاعادة ثم اكد كمال ملكه بقوله له ما في السموات الاية عن محمد بن كعب ان ما تحت الثرى هو ما تحت سبع
الارضين وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وقيل الثور او الحوت والتحقيق ان الثرى هو التراب الندي وهو ما جاوز البحر من جرم الارض فالذي
تحته هو ما بقي من جرم الارض الى المركز فيحتمل ان يكون هنالك اشياء لا يعلمها الا الله سبحانه من المعادن وغيرها ولا ريب ان الكل لله سبحانه ثم بين كمال علمه
بقوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى فالسر ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك ما اخطرته ببالك فالسر ما اخفيت منه المستتر وقيل اخفى فعل ماض اي يعلم
اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو قلت هذا المعنى صحيح لانه تعالى محيط بجميع الاشياء فلا يعزب عنه شيء قط ولا يحيط بشيء من الاشياء فلا يطلع على غيبه احد
الا ان اللفظ يحصل فيه بشاعة اذا حمل على هذا التفسير فلهذا قال صاحب الكشاف وليس بذاك وكيف طابق الجزاء الشرط اجيب بان معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء
او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك واما ان يكون تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض اخر كان التعبدي
غيره به ومن فوائد الاية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت او باطنة وترغيبه في الطاعات ظاهرة او باطنة وقد مر جانب مهم من حقيقة علمه تعالى في
قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وفي غير ذلك من المواضع المناسبة فلنقتصر الان على ذلك ثم ذكر ان الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور واحد لا شريك له وهو الذي
يستحق العبادة دون غيره واعلم ان مراتب التوحيد اربع الاقرار باللسان ثم الاعتقاد بالقلب ثم تاكيد ذلك الاعتقاد بالحجة ثم الاستغراق في بحر المعرفة
بحيث لا يدور في خاطره سوى الاحد الصمد والاول بدون الثاني نفاق والثاني بدون الاول غير مفيد الا اذا لم يجد مهلة كما اذا نظر وعرف ثم مات
يروى ان ملك الموت مكتوب في جبهته لا اله الا الله حتى اذا راى المؤمن تذكر كلمة الشهادة فيكفيه ذلك ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان والاولان بدون الثالث ايمان المقلد وفيه خلاف مشهور والاصح انه مقبول واما المقام الرابع فهو مقام الصديقين
والمخلصين من عباد الله وابتداؤه التفريق ونفض وترك ورفض على ما قرره المحققون واخره الفناء في الله والبقاء به قال النحويون لا اله الا الله تقديره لا اله في الوجود
الا الله وقال اهل العرفان معناه لا اله في الامكان الا الله وروي ان موسى بن عمران قال يا رب علمني شيئا اذكرك به فقال قل لا اله الا الله قال كل عبادك
يقول فقال قل لا اله الا الله قال انما اردت شيئا تخصني به قال يا موسى لو ان السموات السبع ومن فوقهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله والبحث
عن اسماء الله تعالى قد سلف في تفسير البسملة وعن اسماء الله الحسنى تقدم في الاعراف في قوله ولله الاسماء الحسنى واعلم ان الموجودات على ثلثة اقسام كامل
لا يحتمل النقصان وهو الله تعالى وتقدس وناقص لا يحتمل الكمال سوى الصورة الكمالية التي جبل عليها كصغير الانسان من المخلوقات وناقص يتقلب بين الامرين فتارة
يصعد الى حيث يخبر عنه بانه في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتارة يتسفل الى ان يقال له ثم رددناه اسفل سافلين والكمال الحقيقي ما ليس في معرض الزوال
فلا كمال في الصحة والمال والجاه وانما الكمال في الانتساب الى الكبير المتعال وهو تحقيق نسبة العبدية المنبئة عن عزة الربوبية وكل منتسب الى بلد او قبيلة فانه يبالغ في مدحها
حتى يلزم مدحه بالعرض فيجب على المكلف ان يذكر ربه بالاسماء الحسنى حيث يثبت بذلك شرفه ويحسن ذكره واكثها حسن الاسم دليل حسن المسمى وحسن المسمى يدل على انه قابل
التسبيح والابتهال مواظبا على الاحسان كما قيل يا حسن الوجه توق الخنا لا تخلطن الزين بالشين فيا حسن الاسماء والصفات لا تردنا عن خزان احسانك محرومين وذكر ان صيادا
اصطاد سمكة وكانت له بنت فاخذتها والقتها في البحر وقالت انها ما وقعت في الشبكة الا لغفلتها الهنا ملك المراد ورحمت سمكة بسبب غفلتها ونحن قد اصطادنا ابليس
واخرجنا من بحر رحمتك لغفلتنا فردنا الى بحر غفرانك وانت ارحم الراحمين عن محمد بن كعب القرظي ان موسى عم قال يا الهي اي خلق اكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه رطبا

من ذكري قال واي ملوكك اعلم قال الذي يلتمس علما الى علمه قال واي خلقك اعدل قال الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال واي خلقك اعظم
الذي يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيته له الحسنا انا لا نتهمك فانا نعلم ان كل ما احسنت فهو فضل وكل ما تفعله بنا من الاحسان فهو عدل فلا تؤاخذنا
بسوء اعمالنا وعن الحسن اذا كان يوم القيمة نادى مناد سيعلم الجمع من اهل الكرم اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون رقاب الناس
ثم يقال اين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي اين الحمادون لله على كل حال ثم تكون التبعة والحساب على من بقي الهي فنحن حمدناك واثنينا عليك
بمقدار قدرتنا وطاقتنا فاعف عنا بفضلك وحين عظم شان القران وبين حال الرسول فيما كلف من اعباء الرسالة اتبعه بقصة موسى
تثبيتا له وتقوية وتسلية قال الكلبي معناه وهل يأتيك ولم يأتك الى الان وقد اتاك الان فتنبه ويقول المرء لصاحبه هل بلغك خبر كذا ليطلع الى سامع لما يلقى اليه
وعن مقاتل والضحاك عن ابن عباس ان المراد منه تقرر الخبر في قلبه اي قد اتاك ذلك في الزمان المتقدم واذ ظرف للحديث لانه حدث والمراد اذكر وقت كذا او مفعول
محذوف اي حين رأى نارا كان كيت وكيت قال اهل التفسير استأذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية
مثلجة وكانت ليلة جمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى نارا من يسار الطريق من بعيد قال السدي ظن انها من نيران
الرعاة وقال آخرون انه رآها في شجرة واختلفوا ايضا في ان الذي رآه كان نارا ام لا قالوا الصحيح انه كان نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء
ويمكن ان يقال اطلاق اللفظ على ما يشبهه مستعمل وليس بكذب قيل النار اربعة اقسام نار تأكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر جعل من الشجر الاخضر
نارا ونار تأكل وتشرب وهي نار المعدة ونار لا تأكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وبعبارة اخرى نور بلا حرقة وهي نار موسى وحرقة بلا نور وهي نار جهنم
وحرقة ونور وهي نار الدنيا ولا حرقة ولا نور وهي نار الاشجار فقال لاهله امكثوا انما جمع لان اهله جمع وهم المرأة والخادم والولد ويجوز ان يخاطب المرأة وحدها
ولكن اخرج الخطاب على ظاهر لفظ الاهل فانه اسم جمع وايضا فقد يخاطب الواحد بلفظ الجماعة تفخيما اي اقيموا في مكانكم اني آنست نارا اي ابصرت ابصارا لا شبهة
فيه والايناس الابصار البين وهذا التركيب يدل على الظهور ومن ذلك انسان العين لانه يظهر به الاشياء ومنه الانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم ومنه الانس ضد
الوحشة لظهور المطلوب وهو الماء الذي يونس به قال جار الله لما وجد الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى
مترقبين بنى الامر فيهما على الرجاء دون الجزم قال لعلي آتيكم قال المحققون فيه دلالة على ان ابراهيم صلوات الرحمن عليه لم يكذب البتة لان موسى يوم قبل نبوته احترز
عن الكذب للظنون فلم يقل اني آتيكم لئلا يعد ما لا يستيقن الوفاء به فابراهيم وهو ابو الانبياء اولى بالاحتراز من كذب الصريح والقبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة
ونحوهما وهدى على حذف المضاف اي ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى والظاهر انه اراد قوما يهدونه الطريق وعن مجاهد وقتادة قوما ينفعوني
بهداهم في ابواب الدين وذلك ان همم الابرار معقودة في جميع احوالهم بالامور الدينية لا يشغلهم عنها شاغل ومعنى الاستعلاء على النار وهو مفعول ثان لاجد او حال
من ذوي هدى ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او المصطلين بها كما ينفعوا قياما وقعودا انهم مشرفون عليها فلما اتيها اي النار
قال ابن عباس رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي
وكانت الشجرة عوسجة وقال وهب ظن موسى انها نار اوقدت فاخذ من دقاق الحطب ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم تزل تطمعه
ويطمع فيها ثم لم يكن اسرع من خمودها فكانها لم تكن ثم رمى موسى نظره الى فرعها فاذا خضرته ساطعة في السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الابصار
فلما رأى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودي يا موسى من قرأ اني بالفتح فتقديره نودي باني ومن قرأ بالكسر فلان النداء في معنى القول او لان التقدير نودي فقيل
يا موسى وتكرير الضمير في اني انا ربك لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك فوسوس
اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهات الست واسمعه بجميع اعضائي حتى كان كل جارحة مني صارت اذنا وقيل
لعله سمع النداء من جماد كالحصى والشجرة فيكون معجزا وايضا انه رأى النار في الشجرة الخضراء بحيث ان الخضرة ما كانت تطفئ تلك النار ولا النار تضر بالخضرة فعرف انه
لا يقدر عليه احد الا الله وجوز الاشاعرة ان يكون قد خلق الله تعالى له علما ضروريا بذلك والمعتزلة منعوا منه قال ان حصول العلم الضروري بان ذلك المتكلم هو الله تعالى
يستلزم العلم الضروري بوجود الصانع ينافي التكليف وبالاتفاق لم يخرج موسى عن التكليف قال القاضي ان كانت النبوة قد تقدمت لموسى فلا كلام في حصول هذه المعجزات
والا وجب ان يكون المعجزات لغيره من انبياء زمانه كشعيب ونحوه مثلا قال وهذا اولى لان قوله وانا اخترتك فاستمع لما يوحى دليل على انه اول وحي يوحى اليه وعند اهل
السنة الارهاص جائز فلم يوجبوا احالة تلك الخوارق الى غيره وعندهم ان الله تعالى اسمعه الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت والمعتزلة انكروا وجود ذلك الكلام وقالوا انه تعالى
خلق ذلك النداء في جسم من الاجسام كالشجرة وهو قادر على ذلك واهل السنة ما وراء النهر اثبتوا الكلام القديم الا انهم زعموا ان الذي سمعه موسى صوت
خلقه الله تعالى في الشجرة لانه تعالى رتب النداء على اتيان النار والمرتب على المحدث محدث ومن ثم استدل المعتزلة بقوله فاخلع نعليك على ان كلامه تعالى ليس
بقديم لان الامر والمأمور معدوم سفه فلا بد ان يكون هذا الامر عند وجود موسى فيكون محدثا اجابت الاشاعرة بان كلامه الازلي ليس بامر ولا نهي ولو سلم
فامره في الازل مستمر الى ان صار الشخص مأمورا عن غير تغير في امره كالقدرة الازلية تتعلق بالمقدورات الحادثة وما الحكمة في الامر بخلع النعلين قال المفسرون لانهما كانتا
من جلد حمار ميت غير مدبوغ وهو قول علي ومقاتل والكلبي والضحاك وقتادة والسدي وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد ليباشر الوادي بقدميه متبركا به
وقيل ليعظم البقعة عن وطئها الا حافيا يؤيده قوله انك بالواد المقدس ومن هنا كره بعضهم الصلوة والطواف في النعل وكان السلف يطوفون بالكعبة
حفاة ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا وقع منه ذلك تصدق وعلى القول الاول لا يكره الا اذا كان غير مدبوغ وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم
في نعليه ثم خلعهما في الصلوة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال ما لكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال فان جبريل اخبرني ان فيهما قذرا وروي ان موسى يوم خلع نعليه
والقاهما من وراء الوادي قال الجوهري طوى بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشام فمن صرفه جعله اسم واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم
مثل طوى وهو الشيء المثنى اي طوى مرتين اي قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين ويحتمل ان يراد نودي نداءين وقيل طوى مصدر كهدى ومعناه
الطي وعن ابن عباس انه مر بذلك الوادي ليلا فطواه فكان المعنى بالوادي المقدس الذي طويته طيا اي قطعته حتى ارتفعت الى اعلاه وانا اخترتك اصطفيتك
للنبوة قيل فيه دلالة على ان النبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هي ابتداء عطية من الله وفي هذه الاخبار غاية اللطف والرحمة ولكن في قوله فاستمع
نهاية الجلال والهيبة ففي الاول رجاء وفي الثاني خوف كانه قال لقد جاءك امر عظيم فتأهب له واجعل جميع همتك مصروفة اليه لما يوحى اي للذي يوحى
او للوحي متعلق باستمع او باخترتك ثم قال انني انا الله لا اله الا انا ورتب عليه فاعبدني ليعلم ان عبادته انما لزمت لالهيته ومن هنا قال العلماء انما الله هو
المستحق للعبادة قال الاصوليون تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز لانه امره بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وايضا قال واقم الصلوة ولم يبين هيئاتها اجاب
القاضي عن هذا الاخير بانه لا يمتنع ان موسى يوم قد عرف الصلوة التي تعبد الله بها شعيبا وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بان حمل الخطاب
على التأسيس اولى قالوا العلة قد بين له ولكن لم يحكه الله تعالى سوى هذا القدر ورد بان البيان اكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية وللقائل

ان يقول سلمنا ان المبين اكثر فائدة للمخاطب ولكن لا نسلم ان حكاية المبين اولى فلعل حكاية المجمل تكفي للغير لتيسير وتعرض جهات ذلك التكليف منه وكان
وان كان اصله باقيا وفي قوله لذكري وجوه لان اللام اما بمعنى الوقت او هي للتعليل والذكر اما باللسان او هو ضد النسيان والياء المتكلم فاعل في الاصل او مفعول ويحتمل
الكلام لتقدير مضاف ام لا فلنشتمل هذه الاعتبارات لتعدد الوجوه منها ان اللام للتعليل والياء مضروب اي لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي
لتذكرني في الصلوة لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد والفرق ان اطلاق الذكر على العبادة والصلوة في الاول حقيقة شرعية وفي الثاني مجاز وايضا في الاول
يكون نفس الصلوة مطلوبة بالذات وفي الثاني هي مطلوبة بعرض الذكر او اراد لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري ومنها ان المضاف مع ذلك محذوف اي لاخلاص
ذكري وطلب وجهي ومنها ان الياء فاعل اي لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق ومنها ان اللام للوقت
كقولك جئتك لوقت كذا اي لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة ومنها ان يحمل الذكر على ضد النسيان اي لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في كونهم رطاب الالسنة
في جميع الاحيان بذكر مولى الانعام وولي الاحسان رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او اراد ذكر الصلوة بعد نسيانها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كقوله صلى
من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فلعل المضاف محذوف اي لذكر صلوتي او ذكر الصلوة هو ذكر الله فالياء في الاصل مضروب والذكر والنسيان من الله
في الحقيقة فالياء فاعل قال الشافعي من فاتته صلوات يستحب ان يقضيها على ترتيب الاداء ولو ترك الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان في الوقت
سعة يستحب ان يبدأ بالفائتة وان بدأ بصلوة الوقت جاز الا اذا ضاق الوقت فانه يجب الابتداء بصلوة الوقت وان تذكر الفائتة بعدما شرع في صلوة الوقت
اتمها ثم يقضي الفائتة ويستحب ان يعيد صلوة الوقت بعدها وقال ابو حنيفة رح يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم يزد على صلوة يوم وليلة حتى لو تذكر حال صلوة
الوقت بطلت الا ان يكون الوقت ضيقا فلا يبطل حجة الشافعي ما روي في حديث قتادة انهم ناموا عن صلوة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس فامرهم النبي ان يقودوا
رواحلهم ثم صلاها ولو كان وقت الانتباه متعينا للصلوة لما فعل كذلك نعم انه وقت لتقرر الوجوب عليه ثم الوقت موسع بعد ذلك حجة ابي حنيفة رح قوله تعالى
اقم الصلوة لذكري وقوله صلى الله عليه وسلم فليصلها اذا ذكرها وفي حديث جابر رضه ان عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فسب كفار قريش وقال
يا رسول الله ما صليت صلوة العصر حتى كادت تغيب الشمس فقال صلى الله عليه وسلم وانا والله ما صليتها بعد فنزل في البطحاء وصلى العصر بعدما غابت الشمس ثم صلى
المغرب بعدها واما القياس فهما صلاتان فريضتان جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلوتي عرفة ومزدلفة فلما لم يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب ان يكون
كذلك حكم الفوائت فيما دون اليوم والليلة واذا دخل في حد الكثرة يسقط الترتيب ثم لما امر موسى بالعبادة عامة وبالصلوة التي هي افضلها خاصة علل ذلك
بقوله ان الساعة آتية سؤال كاد نفيه اثبات واثباته نفي فقوله اكاد اخفيها يكون معناه لا اخفيها وهو باطل لقوله ان الله عنده علم الساعة ولان قوله لتجزى كل نفس بما
انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار ولو كان المكلف عارفا وقت القيمة وكذا وقت الموت يشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون اغراء
على المعصية والجواب لا نسلم ان كاد اثباته نفي وانما هو للمقاربة فقط والباقي موكول الى القرينة ولئن سلم فالمراد بعدم الاخفاء اخباره بانها آتية وان كان
وقتها غير متعين كانه قال اكاد ولا اقول هي آتية لفرط ارادة الاخفاء ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وبالغ بعض المفسرين
في هذا المعنى فقال اراد اكاد اخفيها من نفسي اي لو صح اخفاؤها من نفسي لاخفيتها مني وذلك بانهم وجدوه في مصحف ابي كذلك فقال قطرب هذا
على عادة العرب في المخاطبة اذا بالغوا في كتمان الشيء قال كتمته من نفسي وقيل كاد من الله واجب واراد انا اخفيها من الخلق كقوله عسى ان يكون قريبا اي هو
قريب قال الحسن وعن ابي مسلم ان كاد بمعنى اريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومنه قولهم لا افعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعله وقيل اكاد صلة والمعنى
ان الساعة آتية اخفيها وقال ابو الفتح الموصلي الهمزة للازالة اي اكاد اظهرها ومعناه قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة ومثله ما روي عن ابي الدرداء وسعيد
بن جبير اخفيها بفتح الهمزة من خفاه اذا اظهره وقوله لتجزى متعلق باخفيها كما قلنا او بآتية فلولا القيمة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء وذلك
خلاف قضية العدالة والحكمة واحتجاج المعتزلة بالآية ظاهر لانه قال بما تسعى اي بسعيها فلو لم يكن اعمال العباد بسعيهم لم يصح هذا الاسناد ولو لم يكن الثواب
مستحقا على العمل لم يكن لباء السببية معنى والجواب ان اعتبار الوسط لا ينافي انتهاء الكل الى الله واسناد الجزاء الى عناية الازلية التي لا علة لها ومعنى الفاء
في فلا يصدنك انه اذا صح عندك اني اخترتك باتيان الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذي يصدك عن التصديق بالساعة ان قوله ما شئ من الهوى
واتباعه وجوز ابو مسلم ان يكون الضمير في عنها للصلوة والعرب تذكر شيئين ثم ترجع بضمير الى السابق اعتمادا على انه يرد وكلا منهما الى اهله وزيف بان
انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا واما الخطاب فالظاهر انه لموسى لان الكلام معه وجوز بعضهم ان يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم والمقصود لا
والنهي عن الصد في الظاهر لمن لا يؤمن بالساعة وهو في الحقيقة نهي لموسى عن التكذيب والوجه فيه ان صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب
او صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كانه قيل كن في الدين صليبا حتى لا يطمع في اغوائك الكافر ولا
وحالي بهذا النهي البالغ في معناه وهو ان المبطلين والجاحدين كثرة فرقة قدم نفسي المرء ان يكون مع المحقين وان قلوا الا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ
على العمل بالدليل وزجر قوي عن التقليد وانذار بان الردى والهلاك مع اتباع الهوى وههنا استدل الاصوليون على شرف علم الكلام ووجوب تعلمه كيلا يتمكن الخصم
من تشكيكه وزعم القاضي ان في نسبة الصد الى الكافر والبعث دليل على ان القبائح انما تصدر عن العباد وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا قال اهل التحقيق قوله
اولا لموسى اخلع نعليك اشارة الى التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل اصول ذلك ترجع الى علم المبدأ وهو قوله
انني انا الله والى علم الوسط وهو قوله فاعبدني وانه مشتمل على الاعمال الجسمانية وقوله لذكري وهو مشتمل على الاعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة
آتية وايضا افتتح الخطاب بقوله وانا اخترتك وهو غاية اللطف وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى آخره وهو القهر تنبيها على ان رحمته سبقت غضبه
وان العبد لا بد ان يكون سلوكه على قدمي الرجاء والخوف قوله وما تلك مبتدأ وخبر وبيمينك حال منتصب بمعنى الاشارة او الاستفهام وجوز الكوفيون
ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك اي التي بيمينك قيل لم قال بيدك لانه يحتمل ان يكون في يساره خاتم او شيء آخر وكان يلتبس عليه الجواب وسؤاله تعالى
في هذا السؤال جوابه ان الصانع الماهر اذا اراد ان يظهر من الشيء الحقير كقطعة من حديد شيئا شريفا كاللبوس المسرد عرضه على الحاضرين ويقول ما هذا حتى انه بعد اظهار
صنعته يلزمهم بقولهم ويقول خذوا هذا من ذاك الذي تكلم فكذا انه سبحانه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما في يمينك وانه خشبة يابسة حتى اذا قلبه ثعبانا عظيما
كان قد نبهه على كمال القدرة الباهرة وقال اهل الخطابة انه سبحانه لما اطلعه على تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء واسمعه تسبيح الملائكة ثم اسمعه كلام نفسه
ممزوجا باللطف والقهر والتكاليف تحير موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له وما تلك بيمينك ليعرف موسى ان يمينه هي التي فيها العصا
وايضا انه لما تكلم معه بالكلم الالهية وقرب موسى ان يدهش تكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة ولان المسئول عنه مما يقع فيه الغلط كان السائل
لا يجوز عليه الغلط نظيره حال المؤمن في القبر يغلبه الوجل والخجل والحياء فيسئل عن امر لا يشك فيه في الدنيا وهو التوحيد دفعا للايحاش وجلبا للاستيناس
وايضا لما عرف موسى كمال الالهية اراد ان يعرفه نقصان البشرية فسأله عن منافع العصا فذكرها فعرفه الله تعالى ان فيها منافع اجل مما ذكر تنبيها على ان

وكلام مع محمد سرا

عقول البشر قاصرة عن خفيات الامور لولا التوفيق والارشاد آخر خاطب موسى بلا واسطة وخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بواسطة جبرئيل ثم ان يكون موسى افضل جوابه المنع بدليل فاوحى الى عبده ما اوحى وبيان الافضلية ان كلامه مع موسى لم يكن سرا لم يسأل له سواه وايضا حصل له في الدنيا شرف التكليم المصلي يناجي ربه وفي الاخرة شرف التكريم والتسليم سلام قولا من رب رحيم وايضا ان موسى كان عند استغراقه في بحر المحبة مشتغلا بالعصا ومنافعها ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يلتفت الى الكونين حين عرضهما عليه مازاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالواحد القهار ولهذا لم يزد في الثناء حينئذ على قوله انت كما اثنيت على نفسك وههنا نكت منها انه سبحانه لما اشار الى العصا واليد بقوله وما تلك بيمينك حصل في كل منها برهان باهر ومعجز قاهر فصار احدهما وهو الجماد حيوانا والآخر وهو الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى قلب العبد فاي عجب ان ينقلب قلبه الجامد المظلم حيا مستنيرا ومنها ان العصا صارت بيمين موسى حية فكيف لا يصير قلب المؤمن الذي هو بين اصبعين من اصابع الرحمن حيا ومنها ان العصا باشارة واحدة صارت بحيث ابتلعت سحر السحرة كلهم فقلب المؤمن اولى ان يصير بنظر الرب في كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الامارة بالسوء ثم ان جواب موسى يتم بقوله هي عصاي الا انه زاد على ذلك لانه كان يحب المكالمة وكان المقام مقام انبساط ورب فاغتنم الفرصة وجعل ذلك كالوسيلة الى درك الغرض وقيل هو جواب سؤال آخر كانه سئل ما تصنع بها فاخذ يعدد منافعها وقيل خاف ان يأمر بالقائها يستصحب العصا كالنعلين ومعنى اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة والركوب كالوسيلة الى درك واهش بها اي اخبط الورق بها على رؤس غنمي لتأكله والتركيب يدل على الرخاوة واللين ومنه رجل هش المكسر سهل اللسان فيما يطلب من الحوائج وهو هو مع وهش الخبز يهش بالكسر اذا كان يكسر لرخاوته قال المحققون ان موسى كان يتوكأ على العصا ومحمد صلى الله عليه وسلم كان يتكل على فضل الله ورحمته قائلا مع امته حسبنا الله ونعم الوكيل ورد في حقه حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي حسبك وحسب من اتبعك وايضا انه بدأ بمصالح نفسه في قوله اتوكأ عليها ثم بمصالح رعيته بقوله واهش بها على غنمي ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل في الدنيا الا باصلاح امر امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلاجرم يقول موسى يوم القيمة نفسي نفسي ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول امتي امتي ثم قال ولي فيها مآرب اي حوائج المأربة بضم الراء الحاجة وقد يفتح الراء وحكى ابن الاعرابي وقطرب بكسر الراء ايضا ومثله الارب بفتحتين والاربة بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال اخرى لان المآرب في معنى جماعة ونظيره الاسماء الحسنى ومن آياتنا الكبرى قالوا انما اجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيطول مكالمته وقالوا انقطع بالهيبة كلامه فاجمل وقيل ان المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن فاذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع على غنمه وقيل ان موسى كانه احس بانه تعالى انما سأله عن امر العصا لمنافع عظيمة فقال الهي ما هذه العصا الا كغيرها ولكنك لما سألت عنها وكلمتني بسببها عرفت ان لي فيها مآرب اخرى وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قلت هذه الخوارق ان كانت بعد نبوة موسى عم فلا كلام وان كانت قبلها ففي صحة الرواية نظر والا كان الانسب تعدادها عند تعداد المنافع على تقدير صحتها فلعلها ارهاص او من معجزات شعيب على ما يروى انه كان قد اعطاها اياه قال اهل النكت ان موسى عم لما قال ولي فيها مآرب اخرى اراد الله تعالى ان يعرفه ان فيها مآرب اخرى لا يفطن لها فقال القها يا موسى وتوجيه آخر كان في رجله شيء وهو النعل وفي يده شيء وهو العصا والرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب فامر بتركهما تنبيها على ان السالك ما دام في مقام الطلب والهرب كان مشتغلا بنفسه وطالبا لحظه فلا يحصل له كمال الاستغراق في بحر العرفان وفيه ان موسى عم مع جلالة منصبه وعلو شانه لم يمكنه الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل والقى العصا فانت مع الف وقر من المعاصي كيف يمكنك الوصول الى جنابه قال الكعبي الاستطاعة قبل الفعل لان القدرة على العصا اما ان توجد والعصا في يده فذاك قولنا او توجد وهي خارجة عن يده وذلك تكليف بانه يلقي من يده ما ليس في يده ويمكن ان يجاب بان القدرة مع القاء العصا قوله فاذا هي حية تسعى وفي موضع آخر فاذا هي ثعبان وفي آخر كانها جان عبارات عن مخبر واحد لان الحية اسم الجنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم واما الثعبان وهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها فبينهما تناف في الظاهر لا في التحقيق لانها حين انقلابها كانت بلون حية صفراء دقيقة كالجان ثم يتورم ويتزايد جرمها حتى يصير ثعبانا آخر الامر وانها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان ولهذا وصفها بالسعي وهو المشي بسرعة وخفة حركة والعجائب ان موسى قال اتوكأ عليها فقصد الله تعالى في ذلك وجعلها متكأ له بان كانت اعظم معوله واما قلبها حية في ذلك الوقت ليكون معجزة لموسى يعرف بها نبوة نفسه فان النداء والنور والكلام لم يكن في ظهور الدلالة كهذه ولان توالي المعجزات كتتابع الخلع والكرامات وايضا لانه عرضها عليه ليشاهده ويوطن نفسه عليها حتى لا يخافها عند عدوه فالولي يستر العيوب والعدو يبرز المناقب في صورة المثالب فكيف اذا وجد مجال طعن وقدح وقد مر في الاعراف ان الحية كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا فلما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما لا يملك البشر عند الاهوال حتى ولى مدبرا ولم يعقب وانه بلغ حينئذ مقام فقر الى الله لم يفتقر من شيء ولعله لما حصل له مقام المكالمة بقي في قلبه عجب فاراه الله تعالى انه بعد في النقص الامكاني ولم يفارق عالم البشرية وما النصر والتثبيت الا من الله وحده وقد روي انه لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها قال الشيخ ابو القاسم الانصاري ذلك الخوف من اقوى الدلائل على صدقه في النبوة لان الساحر يعلم ان الذي اتى به تمويه فلا يخافه البتة وعن بعضهم انه خافها لانه عرف ما لقي آدم منها قلت يحتمل ان يكون خوف موسى وهربه منها من فوات المنافع المعدودة ولهذا علل عدم خوفه بقوله سنعيدها سيرتها الاولى قال جار الله السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة ومنه سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي في طريقتها الاولى حال ما كانت عصا ويكون اعاد منقولا بالهمزة من عاده بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين ويكون المراد بالاعادة الانشاء ثانيا وينتصب سيرتها بفعل مضمر في موضع الحال اي سنعيدها تسير سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها ثم ثنى بامر معجزة ثانية فقال واضمم يدك الى جناحك يقال لكل ناحيتين جناحان ومنه جناحا العسكر وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران اي يميلهما فقيل المراد بالاية تحت العضد بدليل قوله تخرج وعن ابن عباس معناه الى صدرك وضعف بانه لا يطابقه قوله تخرج قلت لا شك ان الصدر مستور بالقميص فيظهر عند ذلك معنى الخروج ويفسره قوله في موضع آخر وادخل يدك في جيبك والسوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة والبرص ابغض شيء عند العرب بحيث تمجه اسماعهم فكان جديرا بان يكنى عنه ومعنى بيضاء انها ترى كشعاع الشمس قال في الكشاف من غير سوء من صلة بيضاء كما تقول ابيضت من غير قلت لعله اراد ان من للتعليل اي ليس سبب البياض هو السوء انما السبب غيره وحقيقته يرجع الى الابتداء وايضا آية حالان معا او متداخلتان ويحتمل ان ينتصب آية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ ودونك وقوله لنريك اما ان يتعلق بهذا المحذوف اي لنريك من آياتنا فعلنا ما فعلنا والابعد عندي ان يتعلق

بالامرين المذكورين اي القها واضمم لنريك قال الحسن اليد في الاعجاز اعظم من العصا لانه تعالى وصفها بالكبرى وضعف بانه ليس في اليد الا تغير اللون واما العصا ففيه تغير اللون والزيادة في الحجم وخلق الحيوة والقدرة على الامور الخارقة فالمراد لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى وجوز في الكشاف ان يكون المراد لنريك بهما الكبرى من آياتنا ويرد عليه لزوم ان يكون الآيات الكبرى منحصرة فيهما وليس كذلك فان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اكبر من الكل كالقرآن القرآن شاهدا على ذلك ثم صرح بالمقصود من المعجزات فقال اذهب الى فرعون وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم بين العلة في ذلك فقال انه طغى عن وهب ان الله تعالى قال لموسى استمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في امري ابعثك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي واني اقسم بعزتي لولا الحجة والعذر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالاتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا وان ناصيته بيدي لا ينطق ولا يتنفس الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسى سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال له اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري قال علماء المعاني ابهم اولا بقوله اشرح لي ويسر لي ليعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكر الصدر والامر وكان ذلك تاكيدا من جهة الاجمال ثم التفصيل كان في صدر موسى ضيق كما جاء في موضع آخر ويضيق صدري فسأل الله ان يبدل الضيق بالسعة حتى يفهم ما انزل عليه الوحي وقيل اراد شجعني على مخاطبة فرعون وعلى تحمل اعباء الرسالة واعلم ان الكلام في الدعاء وشرائطه وفوائده وسائر ما يتعلق به قد سبق مشبعا في البقرة في تفسير قوله سبحانه واذا سألك عبادي عني فاني قريب ولنذكر ههنا نكتا شريفة الاولى انه تعالى كامل في الازل الا انه غير مكمل في الازل لان التكميل هو جعل الشيء كاملا ولا شيء معه في الازل فالتكميل في ذلك كما يقال انه سبحانه لا يعلم عددا مفصلا لحركات اهل الجنة لان كل ما له عدد مفصل فهو متناه وحركات اهل الجنة غير متناهية فامتنع ذلك لا لقصور في العلم بل لكونه في نفسه ممتنع الحصول ولما كان الغرض من التكوين تكميل الناقصين وكان الوجود اول صفة من صفات الكمال اجلس الله سبحانه على هذه المائدة بعض المعدومات لانه لو اجلس الكل عليها لدخل في الوجود ما لا نهاية له ولا يتناهى القدرة الذاتية لامتناع ايجاد الموجود وكان رحمته اقتضت وضع مائدة الوجود لبعض المعدومات اقتضت وضع مائدة الحيوة لبعض الموجودات دون البعض حتى صار ذلك البعض جمادا وكذا للمنافي والملائم واللذة والالم والخير والشر فقال الاحياء عند ذلك يارب الارباب شرفتنا بخلعة الوجود وخلعة الحياة ولكن ازدادت حاجتنا لانا حال الجمادية وحال العدم ما كنا نحتاج الى الملائم والموافق وما كنا نخاف المنافي والموذي والآن احتجنا الى طلب الملائم ودفع المنافي فان لم يكن لنا قدرة على الهرب والطلب كنا كالزمن المقعد في الطريق عرضة للآفات وهدفا لسهام البليات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت تخصيص بعض المعدومات بالوجود وتخصيص بعض الموجودات بالحيوة فقال القادرون عند ذلك الهنا الجواد الكريم ان الحيوة والقدرة بلا عقل لا تكون الا كبهائم المسخرة في حمل الاثقال فافض علينا من العقل الذي هو اشرف مخلوقاتك فاعطى البعض العقل فحصل لهم انواع لؤلؤ البصيرة وجوهر الهداية ثم انه سبحانه كما ان خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كان افضل المخلوقات فنظر العقل في نفسه فرأى نفسه كالحقة المملوة من الجواهر بل كسماء مزينة بالزواهر وهي العلوم الغريزية المركوزة في بداية العقول وصرائح الاذهان يهتدي بها السائرون في ظلمات الشكوك وبحار الشبهات فاستدل العقل بتلك الارقام على الراقم وبتلك النقوش على نقاشه وبتلك الانوار الازلية وكاد يغرق في بحار الفكر ويضيق عليه نطاق التأمل والتدبر ويقع في مخاوف بوادي الاعداء الداخلة والخارجة وشياطين الجن والانس فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري فانه جميع الحوادث اليه وتيسير الامور الكلية والجزئية من عنده وهو الذي يعطي القابل قابلية والفاعل فاعلية الثانية انه تعالى خاطبه اولا بالتوحيد انني انا الله لا اله الا انا وثانيا بالعبادة فاعبدني وثالثا بمعرفة المعاد ان الساعة آتية ورابعا بمعرفة الحكمة في جملة افعاله وما تلك بيمينك وخامسا بعرض المعجزات الباهرة عليه لنريك من آياتنا الكبرى وسادسا بارساله الى اعظم الناس كفرا وكانت هذه التكاليف الشاقة سببا لضيق القلب والعطش والكلال وعقدة الصبر فلاجرم تضرع الى الله سبحانه قائلا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وههنا دقيقة هي ان شرح الصدر مقدمة لسطوع الانوار الالهية في القلب والاستماع سعة الفهم ولما اعطى موسى المقدمة بقوله فاستمع نتج موسى على ذلك السؤال فقال رب اشرح لي ولما كان امر محمد صلى الله عليه وسلم وكان خاتم النبيين ومقصود اسرار الكائنات وخاطبه بقوله الم نشرح لك صدرك اعطي النتيجة فقيل له وقل رب زدني علما ودعاء بقوله ومن ذلك شرح الصدر بعنوان الخير العظيم فان النور والسراج المنير هو المعطي للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام هو التفاوت بين الآخذ والمعطي ولهذا قال موسى اللهم اجعلني من امة محمد الثالثة انه تعالى ذكر عشرة اشياء ووصفها بالنور احدها وصف ذاته بالنور الله نور السموات والارض وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب واتبعوا النور الذي انزل معه ورابعها الايمان يريدون ان يطفئوا نور الله وخامسها عدل الله واشرقت الارض بنور ربها وسادسها ضياء القمر وجعل القمر فيهن نورا وسابعها النهار وجعل الظلمات والنور وثامنها البينات انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكوة فيها مصباح وكان موسى عم قال اولا رب اشرح لي صدري باتباع وحيك بمعرفة انوار جلال كبريائك وثانيها رب اشرح لي صدري بالتخلق باخلاق رسلك وانبيائك وثالثها رب اشرح لي صدري باتباع وحيك وامتثال امرك ونهيك ورابعها رب اشرح لي صدري بنور الايمان والايقان بآياتك وخامسها رب اشرح لي صدري للاطلاع على اسرار عدلك في قضائك وحكمك وسادسها رب اشرح لي صدري بالانتقال من نور شمسك وقمرك الى انوار جلال عزتك كما فعله ابراهيم صلوات الرحمن عليه وسابعها رب اشرح لي صدري من مطالعة نهارك وليلك الى مطالعة نهار فضلك وليل عدلك وثامنها رب اشرح لي صدري بالاطلاع على مجامع آياتك ومعاقد بيناتك في ارضك وسمائك وتاسعها رب اشرح لي صدري في ان اكون خلف صدق للانبياء المتقدمين ومشابهم في الانقياد لحكم رب العالمين وعاشرها رب اشرح لي صدري بان تجعل سراج الايمان كالمشكوة التي فيها المصباح والرابعة شرح الصدر عبارة عن القاء النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج ومستوقد السراج يحتاج الى سبعة اشياء زند وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند زند المجاهدة والذين جاهدوا فينا والحجر حجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق منع الهوى ونهى النفس عن الهوى والكبريت الانابة وانيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلوة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لازيدنكم والدهن الرضاء واصبر لحكم ربك ثم اذا اصلحت هذه الادوات فلا تعول عليها بل ينبغي ان تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء قائلا رب اشرح لي صدري فهنالك تسمع نداء قد اوتيت سؤلك يا موسى الخامسة هذا النور الروحاني المسمى بشرح الصدر افضل من الشمس الجسمانية لوجوه احدها الشمس يحجبها الغيم وشمس المعرفة لا يحجبها السموات السبع اليه يصعد الكلم الطيب وثانيها الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب ليلا ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار سبحان الذي اسرى بعبده ليلا شعر الليل للعاشقين ستر يا ليت اوقاته تدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى وثالثها الشمس تفنى اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى اصلها ثابت وفرعها في السماء سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قارنها القمر انكسفت وشمس المعرفة وهي اشهد ان لا اله الا الله اذا لم يقترن بقمر النبوة وهي اشهد ان محمدا رسول الله لم يصل نوره الى عالم الجوارح وخامسها الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجه يوم تبيض وجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الاحراق جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وسابعها الشمس تصدع والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس منفعتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدارين فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وبوجه آخر الشمس زينة لاهل الارض والمعرفة زينة لاهل السماء وتاسعها الشمس في فلك الصورة

تحتاج الى المعنى والمعارف الالهية تحتاجية الصورة لو فانية المعنى وفيه ان الجنة مع الترفع والشرف مع التواضع وعاشرها الشمس يتربا احوال الخلق بالله
يصل القلب الى الخالق والشمس يقع على الولي والعدو والمعرفة لا تحصل الا للولي ولما كان شرح الصدر الذي هو اول مراتب الروحانيات اشرف من اعلى مراتب
الجسمانيات بدا موسى بطلبه فقال رب اشرح لي صدري السادسة الشمس سراج اوقده الله تعالى للفنا كل من عليها فان والمعرفة سراج اوقده الله
للبقا يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت والذي خلقه للفنا اذا قرب منه الشيطان احرق يجد له شهابا رصدا فالذي خلقه للبقا كيف يقرب منه
الشيطان رب اشرح لي صدري وايضا الشمس في السماء ثم اشاع بعدها يزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها لانها في قلبك اولى ان تزيل ظلمة المعصية
والكفر عن قلبك وايضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده ويمده والله تعالى هو الموقد لسراج المعرفة ولكن الله حبب اليكم الايمان فلا بد ان يتعهده وهو
قوله رب اشرح لي صدري وايضا اذا كان في البيت سراج فان اللص لا يقرب منه وانه سبحانه تعهد وقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقرب الشيطان منه رب اشرح
لي صدري وايضا المجوس اذا اوقدوا نارا لا يجوزون اطفاءها فالملك القدوس اذا اوقد سراج المعرفة في قلبك كيف يرضى باطفائها رب اشرح لي صدري
السابعة انه سبحانه اعطى قلب المؤمن تسع كرامات احدها ومن كان ميتا فاحييناه وقال صلى الله عليه وسلم من احيى ارضا ميتة فهي له فعلم منه انه لما خلق ارض
القلب فاحياها بنور الايمان لا يكون لغيره فيها نصيب وثانيها الشفاء ويشف صدور قوم مؤمنين وفيه انه لما وضع الشفا في العسل بقيت تلك الخاصية فيه ابدا
فاذا وضع الشفا في الصدور فكيف لا يبقى ابدا وثالثها الطهارة اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وفيه ان الصائغ اذا امتحن الذهب مرة فبعد ذلك لا يدخله
في النار فالله تعالى لما امتحن قلب المؤمن كيف يدخله النار بعده ورابعها الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه وفيه ان الرسول صلى الله عليه وسلم يهدي نفسك
والقران يهدي روحك والمولى يهدي قلبك والاول قد يحصل وقد لا يحصل انك لا تهدي من احببت وكذا الثاني يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما هداية
القلب فلا يزول البتة لان الهادي لا يزول ولكن الله يهدي من يشاء والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وخامسها الكتابة اولئك كتب في قلوبهم
الايمان وفيه ان القرطاس اذا كتب فيه القرآن لم يجز احراقه فقلب المؤمن الذي فيه القرآن وجميع احكام ذات الله وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه وايضا
ان بشر الحافي اكرم قرطاسا فيه اسم الله تعالى فنال سعادة الدارين فاكرام قلب فيه معرفة الله اولى بذلك وايضا القرطاس اذا كتب فيه اسم الله الاعظم عظم
حتى انه لا يجوز للجنب والحائض مسه فالقلب الذي فيه اكرم الموجودات كيف يجوز للشيطان الخبيث ان يمسه وسادسها هو الذي انزل السكينة في قلوب
المؤمنين وفيه ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت عليه السكينة في الغار قيل له لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا نزلت السكينة في قلبه لا بد ان يقال له عند قبض الروح الا
ولا تحزن كما قال تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وسابعها المحبة والزينة ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وفيه ان الدهقان اذا القى
حبة في الارض فانه لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه حين القى حبة المحبة في ارض القلب كيف يحرقها وثامنها الف بين قلوبهم وفيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم
حين الف بين قلوب اصحابه ما تركهم غيبة ولا حضورا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاكرم الاكرمين وارحم الراحمين كيف يتركهم سلام قولا من رب رحيم وتاسعها
الطمأنينة الا بذكر الله تطمئن القلوب وفيه ان الحاجات غير متناهية وما سوى الله فهو متناه والمتناهي لا يقابل غير المتناهي فالكافي للمهمات لا يكون الا من
كمالات غير متناهيات فلا يزيل قلق الجوارح واضطراب الاماني الا الله سبحانه وبازاء هذه الكرامات ورد في حق الكفار اضدادها فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم في قلوبهم مرض قلوبهم قاسية انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ختم الله على قلوبهم ام على قلوب اقفالها بل ران على قلوبهم
طبع الله على قلوبهم فلاجل طلب تلك الكرامات والهرب من اضدادها قال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي امري الثامنة ان حقيقة شرح الصدر
ان لا يبقى للقلب التفات الى الدنيا لا رغبة بان يكون متعلق القلب بالاهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ولا رهبة بان يكون خائفا من الاعداء
والمنازعين فان القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير فاذا وزعت على جداول كثيرة ضعفت الكل وضاعت واذا انصب الكل في موضع واحد ظهر اثره
فائدتها فسأل موسى ربه ان يوقفه على معايب الدنيا وقبح صفاتها ليكون متوجها بالكلية الى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا معنى قوله رب اشرح
لي صدري او يقول انه لما كلف بضبط الوحي في قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على خدمة الخالق في قوله فاعبدني وكانه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات
الى احدهما يمنع من الاشتغال بالاخر فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لي صدري او يقول معدن النور هو القلب والاشتغال بما سوى الحق
من الزوجة والولد والصديق والعدو بل الجنة والنار هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب الى فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع
عجز الخلق وقلة فائدتهم في الدارين صغروا في عينه كالذباب والبق والبعوض فلا يدعوه رغبة الى شيء مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من ذلك فيصير الكل عنده
كالعدم فعند ذلك يزول الحجاب وينفسح القلب بل الصدر للنور رب اشرح لي صدري التاسعة لنضرب مثلا لذلك فنقول البدن بالكلية كالمملكة والصدر
كالقلعة والفؤاد كالصفة والقلب كالسرير والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم الى البلدة والغضب كالاسفهسالار الذي
يشتغل بالضرب والتاديب والحواس كالجواسيس وسائر القوى كالمحترفين والعملة والصناع ثم ان الشيطان كملك يطالع وانه يخاصم هذه البلدة والغفلة والهوى
والحرص وسائر الاخلاق الذميمة جنوده فاذا اخرج الروح وزيره وهو العقل اخرج الشيطان في مقابلته الهوى فجعل العقل يدعو الى الله تعالى والهوى الى الشيطان
ثم ان الروح اخرج الفطنة اعانة للعقل فاخرج الخصم في مقابلة الشهوة فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحسن لذات الدنيا ثم ان الروح امد الفطنة
بالفكرة لتوقف على الحاضر والغائب من المعايب ثم انا قال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة فاخرج الشيطان في مقابلة الفكرة الغفلة ثم
اخرج الروح الحلم والثبات فان العجلة تري الحسن قبيحا والقبيح حسنا فاخرج الشيطان بازائه العجلة والسرعة فلهذا قال صلى الله عليه وسلم ما دخل الرفق في شيء الا زانه
وما دخل الخرق في شيء الا شانه وخلق السموات والارض في ستة ايام ليتعلم منه الرفق والثبات فهذه هي الخصومة الواقعة بين الصنفين وقلبك وصدرك هو المعركة
ثم ان لهذا الصدر الذي هو القلعة خندقا وهو الزهد في الدنيا وسورا وهو الرغبة في الاخرة وفي كل ما هو لله تعالى فان كان الخندق عظيما والسور قويا عجز عسكر الشيطان
وانهزموا وان كان بالضد دخل الشيطان وجنوده من الهوى والكبر والعجب والبخل وسوء الظن بالله تعالى ومن النميمة والغيبة وسائر الخصال الذميمة وتحصر الملك
في القصر ويضيق الامر عليه ثم اذا جاء مدد التوفيق واخرج هذا العسكر من القلعة انفتح وانشرح رب اشرح لي صدري النكتة العاشرة في الفرق بين الصدر
والقلب والفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام افمن شرح الله صدره للاسلام والقلب مقر الايمان حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم اولئك كتب في قلوبهم
الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما رأى واللب مقام التوحيد انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين خرجوا من قشر الوجود المجازي وبقوا بلب الوجود
الحقيقي ثم ان القلب كاللوح المحفوظ في العالم الصغير فاذا ركب العقل في سفينة التوفيق والقاها في بحار امواج المعقولات من عالم الروحانيات هبت من جانب
العظمة والكبرياء رياح السعادة تارة ودبور الادبار اخرى فحينئذ ينتظر الراكب الى النهوض بنور الهدايات وطلب الفتاح ابواب السعادات فيقول رب اشرح
صدري وانما سأل موسى شرح الصدر دون القلب لان انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس وايضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والحكيم
يكفيه الاشارة فاذا علم انه طالب المقدمة فلا يليق بكرمه ان يمنع النتيجة وايضا انه راعى الادب في الطلب فاقتصر على طلب الادنى فلا جرم اعطي المقصود فقيل

قد اوتيت

قد اوتيت سؤلك يا موسى [illegible]

رحمه الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم قالوا ترك الكلام له اربعة اسماء الصمت وهو اعمها حتى انه يستعمل فيما ليس يقوى على النطق كقولهم مال ناطق وصامت والسكوت وهو
ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات وهو سكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وانصتوا والاصاخة وهو الاستماع الى الصوت من المكان البعيد ثم العقدة قيل
انها كانت في اصل خلقته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه في حال صباه اخذ بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هو الذي يزول ملكي على يده فقالت آسية انه صبي لا يعقل
وان شئت فامتحنه بالتمر والجمر وقيل الياقوت والجمر فاحضرا بين يديه فاراد مد اليد الى الياقوت فحول جبريل يده الى الجمر فاخذها ووضعها في فيه فظهرت العقدة وقيل عند جعفر بن
فان صحت هذه الرواية فان النار انما احرقته واثرت فيه اطفاء لنائرة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما في حق ابراهيم صلوات الرحمن
عليه وكما في حق موسى ايضا حين القي في التنور ويروى ان يده احترقت ايضا وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ
يدي وقد عجزت عنها وعن بعض العلماء انه لم تبرأ يده لئلا تنعقد بينه وبين فرعون حرمة المؤاكلة من قصعة واحدة وقيل لم تحترق يده لان العقدة ظهرت
وانما احترق اللسان لانه خاطبه بقوله يا ابت وما الحكمة في طلب حل العقدة والاظهر كيلا يقع في اداء الرسالة خلل ولهذا قال يفقهوا قولي وقيل ان العقدة
تقتضي الاستخفاف بالقائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهار المعجزة فكما ان حبس لسان زكريا عن الكلام كان معجزا له فكذا اطلاق لسان موسى كان معجزا في حقه
وهل زالت تلك العقدة بالكلية نعم قال الحسن لقوله قد اوتيت سؤلك والاصح انه بقي بعضها لقوله تعالى حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد
يبين اي يقارب ان لا يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة لانه طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة
قال اهل التحقيق وذلك لان حل العقدة بالكلية نصيب محمد صلى الله عليه وسلم كان افصح العرب والعجم وقد قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
فلما كان ذلك حقا لليتيم ومن مطالب موسى قوله واجعل لي وزيرا قال اهل الاشتقاق هو من الوزر بالكسر والسكون لانه يتحمل عن الملك اوزاره
ومؤنته او من الوزر بفتحتين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره او من الموازرة المعاونة فيكون من الازر القوة ومنه قوله تعالى اشدد به ازري
اي ظهري لانه محل القوة قال الجوهري آزرت فلانا اي عاونته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس ازيرا بالهمزة على ما حكي عن الاصمعي ووجه القلب حمل
فعيل على مفاعل لاتحاد معنييهما نحو عشير وجليس وصديق وعزيز او حمله على اخواته من نحو الموازنة ويوازر والاستعانة بالوزير وحسن رأيه دأب الملوك العقلاء وقد استحسنه
نبينا صلى الله عليه وسلم فقال اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا اعانه عليه وان اراد شرا كفه وكان انوشروان يقول
لا يستغني اجود السيوف عن الصيقل ولا اكرم الدواب عن السوط ولا اعلم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة منقبة وفخرا وذكر ان النبي المؤيد بالمعجزات الباهرة
ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب والمكالمة بطلبه منه فيجب على من اولي هذه الرتبة ان يؤدي الى الله حقها ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويزرع في ارض الوزارة
ما لا يندم عليه وقت حصاده وقيل ان موسى عليه السلام خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر العظيم والخطب الجسيم وطلب المعين والاظهر انه راى ان التعاون
على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية ابعد عن التهمة واعون على الغرض ولهذا حكي عن عيسى انه قال من انصاري الى الله وخوطب نبينا
بقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السماء جبريل
وميكائيل واللذان في الارض ابو بكر وعمر رضي ثم ان موسى عليه السلام طلب ان يكون ذلك الوزير من اهله اي من اقاربه ليكون الثقة به اكثر وليكون الشرف في بيته اوفر
ولانه كان واثقا باخيه هرون فاراد ان يكون شريكه في هذا المنصب الشريف قضاء لحقوق الاخاء وكان افصح منه لسانا واكبر سنا والين جانبا قال
جار الله وزيرا وهرون مفعولا اجعل قدم ثانيهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولان وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان
وقيل يجوز ان يكون [illegible] اشدد على الامر يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد خبره ويوقف على هرون وشد الازر به عبارة عن تقويته به [illegible]
عليه من الشدائد والخطوب بل جعله رسولا في امر النبوة وطرق الرسالة لانه صرح بذلك في قوله واشركه في امري ثم ذكر غاية الادعية فان المقصود اقصى امور الاستغراق
في بحر التوحيد او غاية الاشتراك فان التعاون مهيج الرغبات ومسهل سلوك سبيل الخيرات فقال كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفي
مقدم على الاثبات فالاول يزول العقائد الفاسدة والثاني ترسم النفوس الحكمة المفيدة ثم ختم الادعية بقوله انك كنت بنا بصيرا وفيه فوائد منها انه عرض
استجابة الدعوات الى علمه باحوالهما وانهما بصدد اهلية الاجابة ثم الادعية من حسن الادب [illegible] ومنها انه عرض فقره واحتياجه على علمه وانه مفتقر الى التعاون فلهذا

سل اسأل ومنها انه علم باحوال اخيه بل يصلح لوزارته ام لا وان وزارته بل تصير سببا لكثرة التسبيح والذكر وحين ما عين من دقايق الادب وانواع حسن
الطلب ما يجب رعايته فلا جرم اجاب الله تعالى مطالبه وانجح مآربه فقال قد اوتيت سؤلك والسؤل بمعنى المسؤل كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى المأكول يا
توله يا موسى بعد رعاية الفاصلة لاجل كمال التمييز والتعيين والله اعلم بمصالح عبيده التأويل يا من طاب بطهارته بساط النبوة ما انزلنا عليك القرآن
الا لتسعد بتجلياتك بخلقه وليسعد بسببك الاولون والآخرون من اهل السموات واهل الارضين تنزيلا ممن خلق ارض بشريتك وسموات روحانيتك التي
هي اعلى الموجودات الممكنات كما قال اول ما خلق الله روحي استوى بصفة الرحمانية على عرش قلبك وما بينهما اي ما بين سماء الروح وارض النفس وهو القلب
بما فيه من الايمان والايقان والصدق والاخلاص وما تحت الثرى اي ما هو مركوز في جبلة الانسانية وان تجهر بالقول ان يظهر شيء من صفاتك بالقول فانه
يعلم السر وهو ما يظهر من سيرتك واخفى وهو ما اخفى الله من خفيك والسر في اصطلاح الصوفية لطيفة بين القلب والروح وهو معدن الاسرار الروحانية ومحلها
المعقولات وقد يحصل لكل انسان عند نشأته الاولى وان كان كافرا والخفي لطيفة بين الروح والحضرة الالهية ويكون عند نشأته الاخرى ولا يحصل الا لمؤمن موحد
صار مهبطا لانوار الربانية ومحلها المشاهدات والمكاشفات وحقايق العلوم اللدنية ولهذا قال عقيبه الله لا اله الا هو لان مظهر الالوهية وصفاته العليا واسماء
الحسنى هو الخفي الذي لا شيء اقرب الى الحضرة منه الا هو سر وعلم آدم الاسماء كلها وهو حقيقة قوله ان الله خلق آدم فتجلى فيه وهل اتيك حديث موسى
القلب اذ رأى نارا هو نور الحقيقة آنوس به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا في ظلمة الطبيعة الحيوانية اني آنست نارا
المحبة التي لا تبقي ولا تذر من حطب الوجود المجازي شيئا لعلي آتيكم منها بقبس يخرجكم من ظلمات الطبيعة الى انوار الشريعة او اجد على النار هدى باداب الطريقة الى الحقيقة
فلما اتيها نودي من شجرة القدس بخطاب الانس فاخلع نعليك اي اترك الالتفات الى الزوجة والولد فان النعل يعبر في الرؤيا بهما او اترك الالتفات الى الكونين
واصل الى جناب القدس او هما المقدمتان في نحو قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وموجد وذلك انه اذا اغرق في لجة العرفان بقيت المقدمات
على ساحل الوسائل وانا اخترتك يا موسى القلب من سائر خلق وجودك من البدن والنفس والسر والروح فاستمع لسمع الطاعة والقبول لما يتجلى بانانية
الرحيمية لانانية وجودك المجازي لا يبقى الا انا فاعبدني بافناء وجودك وادم المناجات معي لنيل ذكري اذ ذاك التجلي ان غيابة العشق اتيه اكاد اخفيها لعظمتها
والآن مقتضى الكرم اقتضى اظهارها لاخص عبيدي لتجزى كل نفس بما تسعى في العبودية من الروح والسر والقلب والنفس والقالب فما كان سعي الروح بحب الله
الاصلي للرجوع الى الحق اضافة وتحققت فيه من روح فجزاؤه من تجلي صفات الجلال بانعدام الناسوتية وكان سعي السر بالخلوص عن الاكوان لقبول فيض المكون فجزاؤه
باضافة الفيض الالهي عليه وسعي القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلي صفات الجمال والجلال فجزاؤه بدوام التجلي وابيت عند ربي يطعمني و
يسقيني من شراب الطهور الذي يزيل لوث الحدوث عن لوح القلوب لكشف حقايق الغيوب وسعي النفس بتبديل الاخلاق وانتفاء الاوصاف الحيوانية
فجزاؤه باشراق نور ربها لازالة ظلمة صفاتها واطمئنانها الى ذكر ربها البصير قابلة لجذبة ارجعي الى ربك وسعي القالب باستعمال اركان الشريعة وآداب
الطريقة فجزاؤه رفعة الدرجات ونيل الكرامات في الدارين فلا يصدنك عن هذه السعادات النفس الامارة بالسوء التي لا يؤمن بها ويحتمل ان يقال
اكاد اخفي الساعة واخفي احوال الجنة والنار لئلا يكون عبادتي مشوبة بطمع الجنة وخوف النار قالوا اخطأ موسى في قوله هي عصاي وكان عليه ان يقول انت
اعلم بحالها مني وفي قوله اتوكأ عليها وكان عليه ان يتكي على لطف الله وكرمه فلهذا قيل له القها يا موسى وفي قوله واهش بها اذ لقى ان العصا لا يكون واسطة
لرزق اغنامه وانا الرزاق هو الله خذها ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يكن خوفك الا منه ولا رجاؤك الا به واضمم يدك جناحك الى جناح
توكلك تخرج بيضاء نقية عن دون السؤال وعار الطمع وباقي الحقايق مذكور في التفسير وفي قوله قد اوتيت سؤلك بلفظ الماضي اشارة الى انه اعطى كل
بالتقدير الازلي لا بالتدبير لعلي والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ولقد مننا عليك مرة اخرى ۝ اذ اوحينا الى امك ما يوحى ۝ ان اقذفيه
في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له والقيت
عليك محبة مني ولتصنع على عيني ۝ اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من
يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم
وفتناك فتونا ۝ فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى ۝
واصطنعتك لنفسي ۝ اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري ۝ اذهبا
الى فرعون انه طغى ۝ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ۝ قالا ربنا اننا
نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى ۝ قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى ۝
فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك
باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ۝ انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى ۝ قال فمن ربكما يا موسى ۝ قال ربنا الذي اعطى كل شيء

خلقه

خلقه ثم هدى ۝ قال فما بال القرون الاولى ۝ قال علمها عند ربي في كتاب
لا يضل ربي ولا ينسى ۝ الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا
وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى ۝ كلوا وارعوا انعامكم
ان في ذلك لايات لاولي النهى ۝ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة اخرى ۝ ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى ۝ قال اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك يا موسى ۝ فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك
موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى ۝ قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس
ضحى ۝ فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى ۝ قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله
كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ۝ فتنازعوا امرهم
بينهم واسروا النجوى ۝ قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم
من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ۝ فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا
وقد افلح اليوم من استعلى ۝ قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى
قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ۝ فاوجس
في نفسه خيفة موسى ۝ قلنا لا تخف انك انت الاعلى ۝ والق ما في يمينك
تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى ۝
فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى ۝ قال امنتم له قبل ان
اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم
في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى ۝ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا
من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا ۝
انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى ۝
انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ۝ ومن يأته مؤمنا قد
عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى ۝ جنات عدن تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى

ولتصنع بسكون اللام والعين على الامر يزيد الآخرون بكسر اللام ونصب العين لنفسي اذهب في ذكري اذهبا بفتح ياء المتكلم
ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو خلقه بفتح اللام على انه فعل لقليل الباقون بالسكون مهدا وكذلك في الزخرف عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح

الآخرون مهادا سوى بكسر السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وعلى الآخرون بالضم لا نخلفه بالجزم جوابا للامر يزيد يوم الزينة على الظرف هبيرة
وقد خاب حيث كان بالامالة حمزة فيسحتكم من الاسحات حمزة وعلى وخلف ورويس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان مخففة ابن كثير وحفص المفضل
الباقون مشددة هذين ابو عمرو وهذان بالتشديد ابن كثير الباقون بالتخفيف فاجمعوا بهمزة الوصل وفتح الميم امر من الجمع ابو عمرو الآخرون بقطع
الالف من الاجماع وقد افلح بنقل الحركة الى الدال حيث كان ورش وعباس وحمزة في الوقف تخيل بالتاء الفوقانية ابن ذكوان وروح والمعدل عن
الباقون وابن مجاهد عن ابن ذكوان بالياء التحتانية تلقف بالتشديد والرفع على الاستئناف ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص والمفضل
وقرأ البزي وابن فليح مشددة التاء كيد سحر على المصدر حمزة وعلى وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال آمنتم بالمد ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن
وابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وابي عون عن قنبل قال آمنتم على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد وابي عون عن قنبل الباقون أآمنتم بزيادة همزة
ومن يأته مختلسة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو وعن طريق الهاشمي عن اليزيدي ومن يأته بسكون الهاء خلاد ورجاء والعلي وشجاع واليزيدي
غير ابي شعيب ويحيى وحماد الباقون يأتهي باشباع الوقوف اخرى لا لان اذ تقدير مرة ما يوحى لا لان ما بعده تفسير ما يوحى وعدو له ط سيني ج
لان الواو قد يكون مقحمة وتعلق اللام بالقيت وقد يكون عاطفة على محذوف اي لتحب ولتصنع ومن جزم اللام وقف على متى لا محالة على عيني م لئلا يوهم ان اذ
ظرف لتصنع من يكفله ط لانقطاع النظم وانتهاء الاستفهام على ان فاء التعقيب مع اتحاد القصة تجيز الوصل ولا تحزن ط لابتداء منة اخرى فتونا ه
يا موسى ه لنفسي ج لاتساق الكلام مع حق الفاء مستمرة ذكري ه ج طغى ه ج يخشى ه يطغى ه وارى ه والتقدير ط لان قد
لتوكيد الابتداء وقد انقطع النظم على ان اتحاد القول يجيز الوصل من ربك ج لذلك فان الواو للابتداء في كتاب ج لاحتمال ما بعده الصفة والاستئناف
ولا ينسى ه زيادة على ان الذي صفة الرب والاحسن تقديره الذي او هو الذي ماء ط لان الفات شتى ه انعامكم ط النهى ه اخرى ه وابى ه يا موسى ه سوى ه
ضحى ه اتى ه بعذاب ج لاختلاف الجملتين افترى ه النجوى ه المثلى ه صفا ه ج استعلى ه القى ه القوا ج لان التقدير فالقوا فاذا حبالهم
مع فاء التعقيب واذا المفاجأة المنافيان للوقف تسعى ه موسى ه الاعلى ه ما صنعوا ط كيد ساحر ط اتى ه وموسى ه لكم ط السحر ج للقسم المحذوف
لانقطاع مع فاء التعقيب والام مقصود الكلام النخل ز لابتداء معنى القسم ولفظ استفهام بعقبه مع اتفاق الجملة واتحاد الكلام وابقى ه فاسمع ط
من السحر ط وابقى ه جهنم ط ولا يحيى ه العلى ه لا لان ما بعده بدل فيها ط تزكى ه من عليه منا النعم ومن عليه منة اي امتن عليه كان ابتدأ
سبحانه قال لموسى اني راعيت صلاحك قبل سؤالك فكيف اعطيك مرادك بعد السؤال او كنت ربيتك من غير سابقة حق فلو منعتك الآن بطل جميع
لكان ذلك ردا بعد القبول وحرمانا بعد الاحسان وذلك ينافي الكرم الذاتي قالوا المنة تهدم الصنيعة فهي نوع من الاذى فقوله ولقد مننا عليك يكون
من المن لا من المنة قلت يحتمل ان لا يكون المنة من المنعم المطلق اذية وانما يكون تنبيها على النعم والعافي من سنة الغفلة حتى يتلقى المكلف النعمة
بالشكر والطاعة وانما قال مرة اخرى لان الجملة قصة واحدة وان اشتملت على منن كثيرة واوحى الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في عصرها كشعيب مثلا او
على لسان ملك لا على طريق النبوة كالوحي الى مريم في قوله واذ قالت الملائكة يا مريم او اراها في المنام انه رضيع ولدها في التابوت ويقذف في اليم ثم يرده اليها
والهمها ذلك او العقل الانبياء المتقدمين كابراهيم واسحق ويعقوب اخبروا بذلك وانتهى خبره اليها ومعنى ما يوحى ما يجب ان يوحى لانه من المصالح الدينية ولانه
امر عظيم ولانه مما لا يعلم الا بطريق الوحي وان هي المفسرة لان الايحاء في معنى القول والقذف يستعمل بمعنى الوضع اي وضعه في التابوت وقد مر معناه
في قصة طالوت قال جار الله الضميران الباقيان في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه عائدان الى موسى ايضا لئلا يؤدي الى تنافر النظم فان المقذوف
والملقى اذا كان موسى وهو في جوف التابوت ايضا مقذوف وملقى ويؤيده ان الضمير في قوله عدو له لموسى بالضرورة لان عداوة التابوت غير معقولة واذا
كان ضمير الاولى والضمير الاخير لموسى فالانسب باعجاز القرآن ان يكون الضمير المتوسطة ايضا له لان المعنى صحيح واللفظ متناسب فلا حاجة الى العدول اعتمادا
على القرينة واليم هو البحر والمراد ههنا نيل مصر والساحل شط البحر واصل التسحل القشر ولهذا قال ابن دريد هو مقلوب لان الماء سحله فهو مسحول قال اهل
الاشارة من خصوصية انشراح الصدر بنور الوحي ان يقذف في قلبه قذف الولد الذي هو اعز الاشياء في تابوت التوكل بحر التسليم حتى يلقيه اليم بساحل الارادة
المشيئة يروى انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا ووضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس
على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ يدل
على ان التابوت التقط من الساحل فلعل اليم القاه بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون فاداه النهر الى البركة اما كون فرعون عدوا لله من جهة كفره وعتوه
فظاهر واما كونه عدوا لموسى وهو صغير فباعتبار المآل او لانه لو ظهر له حاله لقتله فسبحان من ربى حبيبه في حجر عدوه قالوا كان بحضرة فرعون حينئذ اربعمائة غلام
وجارية فحين اشار باخذ التابوت وعد من يسبق الى ذلك الاعتاق فتسابقوا جميعا ولم يظفر باخذه الا واحد منهم فاعتق الكل والنكتة فيه ان عدو الله
لم يجوز من كرمه حرمان البعض اذ عزم الكل على الاخذ فاكرم الاكرمين كيف لا يعتبر عزائم المؤمنين على الطاعة والخير فالمرجو منه اعتاق الكل من النار وان وقع لبعضهم
تقصير في العمل قوله مني اما ان يتعلق بالقيت او يكون صفة لمحبة اي محبة حاصلة مني وعلى الوجهين فالمحبة اما محبة الله ومن احبه الله احبته القلوب واما محبة
الناس التي زرعها الله في قلوبهم تقدير يروى انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه قال القاضي هذا الوجه اقرب لانه في الصغر
او وصف بمحبة الله التي يرجع معناها الى ايصال الثواب ورد بان محبة الله عبارة عن ارادة الخير والنفع وهو اعم من ان يجازى على عمل او لا يكون ولهذا
بين المحبة بقوله ولتصنع على عيني اي لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الشيء بالعينين اذا عني بحفظه ولما كان العالم بالشيء حارسا له عن الآفات
كما ان الناظر اليه يحرسه اطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه وايضا العين سبب الحراسة فاطلق السبب واريد المسبب ويقال عين الله عليك
اذا دعي له بالحفظ والحياطة فالجار والمجرور في موضع الحال من الضمير المستتر في لتصنع وجوز في الكشاف ان يكون اذ تمشي ظرفا لتصنع وليس بذاك وانما هو
ظرف لالقيت او بدل من اذ اوحينا على ان الوقتين من زمان واحد واسع يقول الرجل لقيت فلانا سنة كذا فيقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه
هو في اولها وانت في آخرها يروى انه لما فشا الخبر ان آل فرعون اخذوا غلاما في اليم وانه لا يرتضع من ثدي امرأة كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت
اخت موسى واسمها مريم متنكرة فقالت هل ادلكم على من يكفله فجاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله فرجعناك الى امك وقال في القصص فرددناه
الى امه تشديدا لقوله انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن بسبب وصول لبن غيرها الى معدتك وقتلت نفسا هو القبطي الذي يجيء ذكره في القصص فنجيناك من الغم وهو اقتصاص فرعون منك وقيل الغم هو القتل بلغة قريش اراد بالغم خوف عقاب الله
وذلك قوله فاغفر لي فغفر له وفتناك فتونا مصدر على فعول في المتعدي كالشكور والكفور او جمع فتن كالظنون للظن او جمع فتنة على ترك الاعتداد بتاء
التأنيث كبدور في بدرة وحجوز في حجزة والفتنة المحنة والابتلاء

او اراد تخليصه عن الفتن روى سعيد بن جبير انه سأل ابن عباس عن الفتون فقال اي خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان والقته امه في اليم وهم
فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء
لا يجوز اطلاق اسم الفتان على الله تعالى وان جاء وفتناك لانه صفة ذم في العرف وسوف يجيء قصة لبثه في اهل مدين وانه على ثمان مراحل من مصر في سورة
القصص ان شاء الله العزيز قوله على قدر اي في وقت سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك فيه او على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس
اربعين سنة او على موعد قد عرفته باخبار شعيب او غيره الصنع بالضم مصدر صنع اليه معروفا او قبيحا اي فعل والاصطناع افتعال منه واستعماله في الخير اكثر
واصطنع فلان فلانا اذا اتخذه صنيعه واصطنعتك لنفسي اذا اصطنعته وخرجته وصفاه واختاره حتى انه يضاف الي وقوله لنفسي اي لامري وحوائج
جعلتك في اوامري حتى لا تشتغل بغير ما امرتك به من تبليغ الرسالة واقامة الحجة وقال جار الله مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك اهلا للتقريب والتكريم لجمعه
فيه خصال الكرامة فيستخلصه لنفسه فلا يبصر الا بعينه ولا يسمع الا باذنه ولا يأتمن على مكنون سره سواه وقال بعض من المعتزلة انه سبحانه اذا كلف عباده
وجب عليه ان يلطف بهم ومن جملة الالطاف ما لا يعلم الا سمعا فلو لم يصطنعه لرسالته لبقي في عهدة الواجب فهذا امر فعله الله لاجل نفسه حتى يخرج عن عهدة
ما يجب عليه ولما عدد عليه المنن السابقة بازاء الادعية المذكورة رتب على ذكر ذلك امرا ونهيا اما الامر فقوله اذهب انت واخوك وفيه بيان ما لاجله اصطنعه
وهو الابلاغ واداء الرسالة باياتي اي مع اياتي لا تهملوا ولا تتجاوزوا وهذا من اقوى الدلائل على فساد التقليد والمراد بالايات قيل العصا
واليد لانه لم يجر الا ذكرهما فاطلق الجمع على الاثنين ولان كلا منهما مشتملة على ايات اخر لانه يستدل بكل منهما على وجود الله قادر على الكل عالم بالكل وعلى نبوة موسى
وعلى جواز الحشر حيث انقلب الجماد حيوانا والمظلم مستنيرا ومثله قوله فيه ايات بينات مقام ابراهيم وقيل جامع حل العقدة وقيل اراد اذهبا الى ما اذكرها باياتي و
انهما على ايديكما متى وقع الاحتياج اليها واما النهي فقوله ولا تنيا بكسر النون مثل لا تعدا وقرئ بكسر حرف المضارعة ايضا للاتباع والونى الفترة والضعف و
الفتور والكلال والاعياء والمعنى لا تنيا بل اتخذا ذكري وسيلة في تحصيل المقاصد واعتقدا ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري فان المداومة على ذكر الله
توجب عدم الخوف من غيره وان يستحقر في نظره ما سواه لقوة نفسه واستنارته بالله وقيل اراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على كل العبادات فضلا
عن اعظمها فائدة واتمها عائدة وقيل اذكراني عند فرعون وتوعداه باني لا ارضى بالكفر واعاقب عليه واثيب على الايمان وارغب فيه والجملة كل ما يتعلق بالترغيب والترهيب
والفائدة في تكرير قوله اذهبا الى فرعون والجواب بعد التقرير والتأكيد ان يشتغلا باداء الرسالة معا لا ان ينفرد به موسى او الاول امر بالذهاب الى كل من له شأن من
القبط والثاني مخصوص بفرعون الطاغي ثم انه خوطب كلاهما وموسى حاضر فقط لانه اصل او كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد منهم ويحتمل ان هرون
قد حضر وتثنية لتقدير روي ان الله عز وجل اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل الهم بذلك وقيل سمع بمجيئه فتلقاه سؤال لم امرا بتليين القول لعدو الله
جوابه لان من عادة الجبابرة اذا اغلظ لهم في الكلام ان يزدادوا عتوا وعلوا وقيل لما له من حق تربية موسى شبه حق الابوة وكيف ذلك القول اللين الاصح انه
نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح الدارين وقيل اراد عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع
عنه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته حكي عمرو بن دينار قال بلغني ان فرعون عمر اربعمائة وستين سنة فقال له موسى ان اطعتني
ملكت مثل ما عمرت فاذا مت فلك الجنة وقيل اراد كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس ابو الوليد وابو مرة ويحتمل ان يكون امر بالقول اللين لانه كان في موسى
حدة وخشونة بحيث اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا فعالج حدته باللين ليكون حليما في اداء الرسالة لعله يتذكر او يخشى فقيل المراد واصراره قالت المعتزلة جدوى ارسالهما
اليه مع العلم بانه لن يؤمن قطع المعذرة والزام الحجة وقالت الاشاعرة العقول قاصرة عن معرفة سر القدرة وسبيل التسليم ترك الاعتراض والسكوت بالقلب واللسان
قالوا انه لم يرجع سكتا الى من علم قطعا انه يغرق بل بنفسه ثم يقول اني ما اردت برفع التكليف اليه الا الاحسان ويروى عن كعب انه قال والذي يحلف
به انه مكتوب في التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسي قلبه فلا يؤمن قالا ربنا فيه دليل على ان هرون ايضا كان حاضرا وقيل تكلما وقيل انه شرح صدره
ويسر امره فكيف قالا اننا نخاف فان حصول الخوف ينافي شرح الصدر واجيب بان المراد من شرح الصدر ضبط الاوامر والنواهي وحفظ الشرائع والاحكام
بحيث لا يتطرق اليها خلل وتحريف وهذا شيء آخر مغاير لزوال الخوف قلت لعلهما خافا ان لا يتمكنا من اداء الرسالة من قبل ان يفرط علينا اي يسبق
رسالتنا ويبادرنا بالعقوبة او ان يطغى اي يجاوز الحد بان يقول فيك ما لا ينبغي او يجاوز حد الاعتدال في معاقبتنا ان لم يعاجل بها فلا نتمكن من اقامة رسالتنا
الاداء وايضا الدليل النقلي السمعي اذا انضاف الى الدليل العقلي ازداد اليقين وطمأنينة ولهذا قال لا تخافا انني معكما اي بالنصرة والتأييد اسمع وارى الجاري
بينكما وبينه من قول وفعل فافعل كما يوجبه حفظي ونصرتي
سبب خوفكما ويجوز ان يكون الفعلان منزلين منزلة اللازم كانه قيل انا سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وكملت النصرة قال بعض الاصوليين
في الآية دلالة على ان الامر لا يقتضي الفور والا كان تغلظهما بالخوف معصية وانها غير جائزة على الرسل في الاصح وقال بعض المتكلمين فيها دليل على ان السمع والبصر
صفتان زائدتان على العلم والا لزم التكرار فان معنيهما في العلم وللقائل ان يقول الخاص يغاير العام ولكن لا اجابة ثم كرر الامر قائلا فاتياه فقولا وفيه انهما امران
يقولا له قولا لينا فكيف غلظا واجيب بان الاول لقوله انا رسولا ربك فيه ايجاب الانقياد ولهما واكراهه على طاعتهما وهذا مما يعظم على الجبابرة وثانيها قوله فارسل معنا بني اسرائيل
وفيه ادخال النقص في ملكه لانه كان يستخدمهم في الاعمال الشاقة وثالثها قوله ولا تعذبهم وفيه منعه عما يريده بهم واجيب بان هذا القدر من التغليظ ضروري في اداء
الرسالة قيل ليس الاولى ان يقول انا رسولا ربك قد جئناك باية من ربك فارسل معنا بني اسرائيل ليكون ذكر المعجز مقرونا باداء الرسالة والجواب ان قوله
فارسل من تتمة الدعوى وانما وحد قوله باية ومعه آيتان بل آيات لقوله اذهب انت واخوك باياتي لان المراد الجنس كانه قيل قد جئناك ببيان من عند الله وبرهان قال
في الكشاف قلت وفيه ايضا نوع من الادب كما لو قلت لرجل قد حصلت شيئا من العلم ولعل عندك علوم جمة على ان تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه وايضا
الاصل في معجزات موسى كان هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضة كما ان الاصل في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كان هو القرآن فوقع لذلك في معرض
التحدي والسلام اي جنس السلام او سلام خزنة الجنة على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون هذا ايضا مما امرا ان يقولاه لفرعون ويحتمل ان يكون الرسالة قد تمت عند
قوله باية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن آمن وصدق قالت الاشاعرة في قوله ان العذاب اي جنسه او كل فرد منه على من كذب
وتولى دليل على انه لا يعاقب احد من المؤمنين بترك العمل في بعض الاوقات فوجب ان يبقى على اصله في نفي الدوام على ان العقاب المتناهي لا نسبة له الى النعيم و
النعيم الذي لا نهاية له فكانه لم يعاقب اصلا وايضا العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب ان يكون من اهل السلامة قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه
النداء الى موسى وحده لانه الاصل في اداء الرسالة وهرون وزيره ويجوز انه خص موسى بالنداء لما عرف من فصاحة هرون والرتة التي كانت في لسان موسى فاراد
ان يعجزه عن الجواب قال اهل الادب ان فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك لم يبدأ بالسفاهة والشغب بل شرع في المناظرة وطلب الحجة فدل على
الشغب من جهة ... فرعون مع كمال جهله وكفره كيف يليق ذلك بمن يدعي الاسلام والعلم وفي اشتغال موسى باقامة الدلالة على المطلوب

ودليل على فساد التقليد وفساد قول القائل بان معرفة الله يستفاد من قول الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لئلا يبقى الشك وفيه ان المحق
عليه استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها واعلم ان العلماء اختلفوا في كفر فرعون فقيل كان عارفا بالله وانه كان معاندا بدليل قوله لقد علمت ما انزل
هؤلاء الا رب السموات والارض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله في سورة القصص وظنوا انهم الينا لا يرجعون وليس فيها الا انكار المعاد
انكار المبدا وقوله في الشعراء وما رب العالمين الى قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب منه الماهية وهو يشرح الوجود فدل على انه اعترف
باصل الوجود وايضا ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام لان موسى لما هرب الى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين فكيف
يعتقد مثل هذا الشخص انه اله العالم بل كل عاقل مكلف يعلم بالضرورة انه وجد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وايضا انه سال ههنا بمن طالبا للكيفية
وفي الشعراء بما طالبا للماهية فكان موسى لما اقام الدلالة على الوجود ترك المنازعة معه في هذا المقام لظهوره وشرع في مقام اصعب لان العلم بماهيته
تعالى غير حاصلة للبشر وايضا انه قال في الجواب ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وصلة الذي لا بد ان يكون جملة معلومة الانتساب ومن الناس من قال انه
كان جاهلا بالله بعد اتفاقهم على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق السموات والارض وما بينهما فمنهم من قال انه كان دهريا نافيا للمؤثر اصلا ومنهم من قال
انه فلسفي قائل بالعلة الموجبة او هو من عبدة الكواكب او من الحلولية والمجسمة واما ادعاؤه الالهية والربوبية فبمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد لحكمه قال
بعض العلماء انما قال فمن ربكما ولم يقل فمن الهكما تعريضا بانه رب موسى كما قال الم نربك فينا وليدا قلت يحتمل ان يكون تخصيص موسى بالنداء فيها
على هذا المعنى ولم يعلم الكافر ان الربوبية التي ادعاها موسى في قوله انا رسولا ربك غيرها في الحقيقة ولا مشاركة بينهما الا في اللفظ وهذا كما عارض نمرود
ابراهيم صلوات الرحمن عليه في قوله انا احيي واميت ولم يعلم ان احياءه واماتته ليس من الاحياء والاماتة في شيء ثم شرع موسى في الدلالة على
الصانع باحوال المخلوقات وفيه دلالة على ان موسى كان اصلا في النبوة وان هرون راعى الادب فلم يشتغل بالجواب قبله لان الاصل في النبوة هو موسى
ولان فرعون خصص موسى بالنداء من قرا خلقه بسكون اللام فالمعنى الخليقة والضمير مجرور عنده وقدم المفعول الثاني ليتصل قوله ثم هدى بالخليقة اي اعطى
الخلايق ما به قوامهم من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون الحديد من الجبال واللآلي من البحار ويركبون
والادوية والاسلحة والامتعة ونظيره في الكلام قوله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقوله حكاية عن ابراهيم الذي خلقني فهو يهدين واما ان يكون
الخلق بمعنى الصورة والشكل اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فاعطى العين هيئتها التي تطابق الابصار والاذن ما يوافق الاستماع
والانف للشم واليد للبطش والرجل للمشي بل اعطى رجل الادمي شكلا يوافق سعيه ورجل الحيوانات الاخر شكلا يطابق مشيها بل اعطى ذوات القرون رجلا
توافق حاجتهن وكذا الخف والحافر وذوات المخالب وقيل اراد اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة فجعل الحصان والحجر زوجين وكذا البعير والناقة
والرجل والمراة ومن قرا خلقه بفتح اللام صفة للمضاف او المضاف اليه والمفعول الثاني متروك اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه
واعلم ان عجايب حكمة الله تعالى في مخلوقاته بحر لا ساحل له وقد دون العلماء طرفا منها في كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان ولنذكر ههنا
واحدا منها وهي ان الطبيعي يقول الثقيل هابط والخفيف صاعد فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه سبحانه جعل العظم و
الشعر اصلب الاعضاء على طبيعة الارض وجعل مكانهما فوق البدن وجعل تحته الدماغ الذي هو بمنزلة الماء وجعل تحته النفس الذي هو الهواء وجعل تحته الحرارة
الغريزية في القلب كالنار ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار خلاف ما يقوله الدهري والطبيعي وساير الكفار وايضا اختصاص كل جسم بقوة وتركيب
ونهاية اما ان يكون واجبا او جائزا والاول محال والالم يقع فيها تغير والثاني يستدعي مرجحا فان كان ذلك المرجح واجب الوجود لذاته فهو المطلوب وان كان
جائز الوجود افتقر في اتصافه بالوجود الى موجد ولا بد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم يستغني عن سمات النقص وشوائب الافتقار وليس الا الله الواحد
القهار قال اهل النظم ان موسى لما قرر عليه امر المبدا قال فرعون ان كان وجود الواجب في هذا الحد من الظهور فما بال القرون الاولى لم يثبتوه وجحدوه وانغمروا في لجة
التقليد والضلال او انه لما هدد بالعذاب في قوله ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بالهم كذبوا فما عذبوا فاجاب بان هذا سؤال استاثر الله بعلمه وما انا الا
عبد لا اعلم منه الا ما يخبرني به علام الغيوب او انه سأله عن احوال القرون الخالية وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد ليصرف موسى عن المقصود
ويشغله بالحكايات خوفا من ان يميل قلوب طائفة الى الحجة الباهرة والدلالة الظاهرة فلم يلتفت موسى الى حديثه بل قال علمها عند ربي ولا يتعلق غرضي باحوالهم
ويجوز ان يكون الكلام قد انجر ضمنا او صريحا الى احاطة الله سبحانه بكل شيء فنازعه الكافر وقال ما بال سوالف القرون في تمادي كثرتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط
بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كاين محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطاء والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل وقوله علمها
عند ربي مع قوله في كتاب لا تنافي فيه بل المراد انه تعالى عالم بجميع المغيبات مطلع على الكليات والجزئيات من احوال الموجودات والمعدومات ومع ذلك
فان جميع الاحوال ثابتة في اللوح المحفوظ ثم كان لقائل ان يقول لعلها اثبت في اللوح احتمال الخطاء والنسيان فتدارك ذلك بقوله لا يضل ربي ولا ينسى
قال مجاهد هما واحد والمراد انه لا يذهب عنه شيء ولا يخفى عليه والاكثرون على الفرق فقال القفال الاول اشارة الى كونه عالما بالكل والثاني اشارة
الى بقاء ذلك العلم اي لا يضل عن معرفة الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه ولا يتغير عليه يقال ضللت الشيء اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له وقال مقاتل
لا يخطي ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه قال الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه وقال ابو عمرو الاصل الغيب من شيء اذا لم يعزب عنه شيء وقال جرير لا يخطئ
في التدبير فيعتقد غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قال القفال وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه
ولا يترك من وحده حتى يجازيه ولما ذكر الدليل العام المتناول لجميع المخلوقات السماويات والارضيات من الانسان وساير الحيوانات وانواع النبات
والجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال الذي جعل لكم الارض مهدا اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي قال ابو عبيدة الذي اختاره مهادا لانه اسم لما يمهد والمهد مصدر
وقال غيره المهد اسم والمهاد جمع وقال المفضل هما مصدران وسلك اي جعل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري يقال سلكت الشيء في الشيء
سلكا بالفتح اي ادخلته فيه فاخرجنا به اي بواسطة انزال الماء وعن المتكلمين الاقربين من الكثير الوسائط اسبابا ازواجا اي اصنافا سميت بذلك
لانها مزدوجة مقترنة بعضها ببعض وشتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى او صفة للنبات لانه مصدر يسمى به النابت كالنبت يستوي فيه الواحد
والجمع يعني انها مختلفة النفع والطبع والطعم واللون والرائحة والشكل ثم اضمار القول تقديره قلنا او قائلين كلوا وارعوا انعامكم وذلك ان منها
يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم واباحة الاكل يتضمن اباحة سائر وجوه الانتفاع كقوله ولا تاكلوا اموالكم ومن نعمة الله تعالى ان ارزاق العباد انما
تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله قال الجوهري النهية بالضم واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن القبيح
وجوز ابو علي الفارسي ان يكون مصدرا كالهدى وخص ارباب العقول بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها منها
خلقناكم لان ادم مخلوق من الارض او لان بني ادم خلقوا من النطفة ودم الطمث المتولدين من الاغذية المنتهية الى العناصر الغالبة عليها الارضية او لما ورد

في الخبر ان الملك ياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه الادمي فيبددها على النطفة وفيها نعيدكم لان كل واحد يصير ترابا مختلطا بالارض الا من رفعه الله الى السماء
وهو ايضا يحتمل ان يعاد اليها بعد ذلك ومنها نخرجكم بالحشر والبعث تارة اخرى نخرجكم ترابا وطينا ثم نحييكم بعد الاخراج او المراد الاحياء في القبر وههنا بحث
وهو ان يكون قوله الذي جعل لكم الارض الى ههنا من تتمة كلام موسى او هو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول يمكن ان يوجه قوله فاخرجنا بان المراد فاخرجنا نحن معاشر
عباده بذلك الماء بالحراثة والزرع ازواجا من نبات شتى الا ان قوله كلوا وارعوا الى قوله ومنها نخرجكم لا يطابقه وان قيل ان كلام موسى يتم عند قوله وانزل
من السماء ماء لم يصلح قوله فاخرجنا ابتداء كلام من الله لمكان فاء التعقيب فالصواب ان يتم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدا الذي اي هو الذي
جعل الى اخره وعلى هذا يكون قوله فاخرجنا من قبيل الالتفات افتنانا في الكلام وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتخضيصا بان مثل هذا لا يدخل
تحت قدرة احد سواه والحاصل انه تعالى عدد عليهم ما علق بالارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها عند الاقامة وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها
في حال اسفارهم وانبت فيها اصناف النبات متاعا لهم ولانعامهم ثم ان الارض لهم كالام التي منها انشاؤا وهي التي تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا ثم يخرجون منها
خروج الاجنة من الارحام ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض اي ارقدوا واسجدوا عليها من غير حائل او تيمموا بها فانها بكم برة اي انها لكم كالام
منها خلقتم وفيها معايشكم وهي بعد الموت كفاتكم قوله عز وعلا ولقد اريناه اياتنا اي عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف يستلزم حصول المعرفة فيكون كفره كفر جحود
وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والا كان كفره جهالة او ضلالة سؤال الجمع المضاف يفيد العموم ولا سيما اذا اكد بالكل لكنه تعالى ما اراه جميع الايات لان
من جملتها ما اظهر على الانبياء الاقدمين ولم يتفق لموسى مثلها والجواب ان هذا التعريف للاضافة محذوف تقديره هذه والتعريف العهدي اي تلك الايات كلها وهي التي ذكرت
في قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ولو سلم العموم فالمراد انه اراه الايات الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وعلى النبوة بالعصا واليد والمعجزات
القاهرة وعلى المعاد لان تسليم القدرة على الانشاء يستلزم تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى او اراد انه اراه الايات المختصة بها وعدد عليه سائر ايات الانبياء
واخبار النبي الصادق جار مجرى العيان واراه او الكل لان تكذيب بعض الايات يستلزم تكذيب الكل كما قال فكذب اي الايات كلها وابى
قبول الحق قال القاضي الاباء الامتناع وانه لا يوصف به الا من يتمكن من الفعل والترك والالم يتوجه الذم والجواب الاشاعرة انه لا يسال عما يفعل ثم ان
فرعون خاف ان يميل قلوب طائفة الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عنه مع القدح في نبوته لادعاء انه لا يمكن معارضته فقال اجئتنا لتخرجنا فان الاخراج من البلاد
قرينة القتل بدليل قوله ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ثم طالب للمعارضة بموعد فان جعلته زمان الوعد بدليل قوله موعدكم يوم الزينة بالرفع كان الضمير في لا نخلفه
عائدا الى الوعد المعلوم من الموعد والى الزمان الموعد مجازا وانتصب مكانا على انه ظرف للوعد المقدر وان جعلته مكان الوعد ليكون قوله مكانا بدلا منه وجب
عود الضمير في لا نخلفه مثل ما قلناه ويكون قوله موعدكم يوم الزينة مطابقا له معنى لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان يشتهر عندهم فكانه قيل موعدكم
مكان الاجتماع في يوم الزينة وان جعلته مصدر الميمي وصفه بعدم الاخلاف من غير ارتكاب اضمار او تجوز انتصب مكانا على انه ظرفه ثم من قرا يوم الزينة
بالنصب فظاهر اي وعدكم او انجاز وعدكم في يوم الزينة او وقت وعدكم في يوم الزينة وفي يوم حشر الناس وهو ضحى ذلك اليوم ومن قرا بالرفع فبتقدير مضاف
محذوف اي وعدكم وعد يوم الزينة ومعنى سوى بالكسر والضم عدلا ووسطا بين الفريقين وهو معنى قول مجاهد نصف المكان المستوي باعتبار المسافة
وقال ابن زيد اي مستويا لا يحجب شيئا بارتفاعه وانخفاضه ليستمل على كل الحاضرين ما يجري بين الفريقين وقال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه الان
قال القاضي الاظهر ان قوله موعدكم يوم الزينة من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع وقال الامام فخر الدين الرازي الاقرب انه من كلام موسى ليكون الكلام
مبنيا على السؤال والجواب ولان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع وهذا انما يليق بالمحق الواثق بالغلبة لا بالمبطل المزور على ان موعدكم خطاب
الجمع وليس هناك الا موسى وهرون فاما ان يركب ان اقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح واما ان يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون ليعظمهما ويوم الزينة
يوم عيد لهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن سعيد بن جبير يوم سوق لهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال وان يحشر من غير تسمية الفاعل
لانهم يحشرون ذلك اليوم بانفسهم من غير حاشر لهم ومحل ان يحشر رفع او جر عطفا على اليوم او الزينة وعين اليوم ثم الساعة وهو ضحى ذلك اليوم وانما واعدهم ذلك
اليوم ليكون علو كلمة الله وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ويشيع الامر العجيب في الاقطار والامصار والاطراف
والاكناف ففي ذلك تقوية دين الحق وتكثير راغبيه وقلة شوكة المخالف وتوهين عزائمهم فتولى فرعون انصرف الى مقاتلة تهيئة لاسباب المعارضة فان صاحب
السحر يحتاج في تدبير السحر الى طول الزمان ولهذا طلب الموعد وقال مقاتل اعرض وثبت على اعراضه عن الحق فجمع كيده اي اسباب الكيد وادوات الحيلة والتمويه
من مهرة السحرة وغير ذلك ثم اتى الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقيل اربعمائة وقيل اكثر من ذلك فضرب لفرعون
قبة طولها سبعون ذراعا مجلس فيها ينظر اليهم فبين الله تعالى ان موسى قدم قبل كل شيء الوعيد والتحذير على عادة الصالحين من اهل النصح والاشفاق واهتماما لامر
المبعوثين رحمة لهم ونصب على المصدر الذي لا فعل له وعلى النداء لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم السحت لغة اهل الحجاز والاسحات
لغة اهل نجد وبني تميم ومعناه الاستئصال بعذاب اي بعذاب الدارين والتنوين للتعظيم والاخر الخيبة والحرمان عن المقصود فان التمويه لا بقاء له فتنازعوا
امرهم بينهم كقوله في الكهف اذ يتنازعون بينهم امرهم اي وقع التنازع بينهم واسروا النجوى الضمير لفرعون وقومه وقيل للسحرة لما روي عن ابن عباس ان نجواهم
ان غلب موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والاكثرون على
ان ذلك انهم تفاوضوا وتشاوروا حتى استقروا على شيء واحد وهو انهم قالوا ان هذان لساحران الى اخر الاية لا اشكال في قراءة ابن كثير وحفص لانه كقولك ان زيد لمنطلق
واللام فارقة بين المخففة والنافية واما من قرا ان بالتشديد وهذان بالالف فاورد عليه ان اسم ان منصوب في المثنى واجيب بانه على لغة الحرث بن كعب وخثعم وبعض بني
عذرة ونسبها الزجاج الى كنانة وابن جني الى بعض بني ربيعة جعلوا التثنية كعصا وسعدى مما اخره الف فلم يقلبوا ياء في الجر والنصب وقيل ان بمعنى نعم
واعترض بان ما بعده حينئذ يصير كقوله خال لانت ام الحليس لعجوز شهربة ولا يجوز مثله الا في ضرورة الشعر والا فموضع لام الابتداء في السعة هو المبتدا والجواب
ان القران حجة على غيره وذكر الزجاج في جوابه ان التقدير لهما ساحران فاللام داخلة على صدر الجملة الصغرى قال وقد عرضت هذا القول على محمد بن يزيد وعلى اسمعيل بن
اسحق بن ... فقبلاه وكل منهم ذكروا انه اجود ما سمعناه في هذا الباب وضعفه ابن جني بان المبتدا انما يجوز حذفه لو كان امرا معلوما جليا والا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب
واذا كان معروفا فالعلم يستغني معرفته عن تاكيده باللام وايضا ان الحذف من باب الاختصار والتاكيد من باب الاطناب فالجمع بينهما محال مع ان ذكر المؤكد وحذف
التاكيد احسن في العقول من العكس ولهذا امتنع البصريون من حمل النفس في قولك زيد ضربت نفسه تاكيدا للمسكن فدل ذلك على ان تاكيد المنوي غير جائز وايضا
لو كان ما ذهب اليه الزجاج جائزا لحمل النحويون قول الشاعر على ذلك ولم يحملوه على الاضطرار ولمن ينصر قول الزجاج ان يجيب عن الاول بان التاكيد انما هو لنسبة الحكم الى
المبتدا وحده ولو سلم فذكر اللام دليل على المبتدا المنوي وذكر المبتدا لا يدل على التاكيد فكان حذف المبتدا اولى وعن الثاني بان الكلام قد يكون موجزا من وجه مطنبا
من وجه اخر فلا منافاة وانما المنافاة اذا كانت الجهتان واحدة وعن الثالث بانهم منعوا من حمل النفس على التاكيد في المثال المذكور لانهم راوا اسناد الفعل

صاحب الكبيرة الا ان قوله فاولئك لهم الدرجات العلى يدل على حصول العفو لاصحاب الكبائر لانه تعالى جعل الدرجات العلى من الجنة لمن اتى بالايمان والاعمال
الصالحات اي الواجبات لان الزائد عليها غير محصور فالدرجات التي هي غير عالية لا بد ان يكون لغيرهم وما هم الا العصاة من اهل الايمان ثم عظم
شان المذكور بقوله وذلك جزاء من تزكى اي قال لا اله الا الله قاله ابن عباس رضه وهذا دليل على ان قوله ومن يأته مؤمنا يشمل صاحب الكبيرة وقال الخوارج
تزكى اي تطهر من دنس الذنوب وعلى هذا يقع صاحب الكبيرة خارجا والله اعلم بالصواب

ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا
لا تخاف دركا ولا تخشى ۝ فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل
فرعون قومه وما هدى ۝ يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب
الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه
فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ۝ واني لغفار لمن تاب وآمن
وعمل صالحا ثم اهتدى ۝ وما اعجلك عن قومك يا موسى ۝ قال هم اولاء
على اثري وعجلت اليك رب لترضى ۝ قال فانا قد فتنا قومك من بعدك
واضلهم السامري ۝ فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا ۝ قال يا قوم الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم
موعدي ۝ قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم
فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار ۝ فقالوا هذا
الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا
امري ۝ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ۝ قال يا هرون
ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري ۝ قال يا ابن ام لا تأخذ
بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب
قولي ۝ قال فما خطبك يا سامري ۝ قال بصرت بما لم يبصروا به
فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي
قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا
لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم
نسفا ۝ انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما ۝ كذلك نقص
عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ۝ من اعرض عنه فانه

يحمل يوم القيمة وزرا ◎ خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا ◎ يوم ينفخ
في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ◎ يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا ◎
نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ◎ ويسئلونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ◎ فيذرها قاعا صفصفا ◎ لا ترى فيها
عوجا ولا امتا ◎ يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات
للرحمن فلا تسمع الا همسا ◎ يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي
له قولا ◎ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ◎ وعنت الوجوه
للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ◎ ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف
ظلما ولا هضما ◎ وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد
لعلهم يتقون ◎ او يحدث لهم ذكرا ◎ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ◎

ويقبل توبتهم ثم بين ان الرسالة اي معرفة كيفية عبادة الله تعالى هو اتباع النبي وطاعته فقال فاتبعوني واطيعوا امري وهذا ترغيب في غاية الحسن
واعلم ان الشفقة على خلق الله اصل عظيم في الدين وقاعدة متينة روى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم
مثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو جالس اذ نظر الى شاب على باب المسجد
فقال من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر اليه فسمع الشاب ذلك فولى وقال الهي وسيدي هذا رسولك يشهد علي باني من اهل النار وانا اعلم انه
صادق فاذا كان الامر كذلك فاسألك ان تجعلني فداء امة محمد وتشغل النار بي حتى تبر يمينه ولا تسمع النار احدا فهبط جبرئيل عم وقال يا محمد بشر الشاب بان الله
قد انقذه من النار بتصديقه لك وفدائه امتك بنفسه وشفقته على الخلق قال اهل السنة ههنا ان الشيعة تمسكوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رض انت
مني بمنزلة هرون من موسى ثم ان هرون ما منعته التقية في مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته فلو كانت امة محمد على الخطاء لكان
يجب على علي ان يفعل ما فعل هرون من غير تقية وخوف وللشيعة ان يقولوا ان هرون صرح بالحق ثم خاف فسكت ولهذا عاتبه موسى بما عاتب فاعتذر
بان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني وكذا علي امتنع اولا من البيعة فلما آل الامر الى ما آل اعطاهم ما سألوه انما قلت هذا على سبيل البحث لا لاجل التعصب
ثم ان القوم قابلوا احسن موعظة هرون بالتقليد والجحود وقالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ولا يخفى ما في هذا الكلام من انواع التوكيد من جهة النفي
ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل ومن تقديم الجار ثم حكى ما جرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن
كقوله ما منعك ان لا تسجد في ان لا هذه مزيدة ام لا وقد مر في الاعراف وفي هذا الاتباع قولان فعن ابن عباس رض ما منعك من اتباعي في الطاعة واللحوق بي
وترك المقام بين اظهرهم وقال مقاتل اراد الاتباع في وصيته كانه قال هلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره قال الاصوليون في قوله افعصيت
امري دلالة على ان تارك المأمور به عاص والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فيعلم منه ان الامر للوجوب واحتج الطاعنون
في عصمة الانبياء بان موسى اما ان امر هرون باتباعه ام لا وعلى التقديرين فهرون اما ان اتبعه ام لا فان لم يأمره او امره ولكن اتبعه فلامته لهرون من غير جرم يكون ذنبا
وان امره ولم يتبعه كان هرون عاصيا وايضا قوله افعصيت استفهام بمعنى الانكار فاما ان يكون موسى عم كاذبا في نسبة العصيان الى هرون واما ان يكون
هرون عاصيا وايضا اخذ بلحية هرون وبرأسه ان كان بعد البحث والتفتيش فهرون عاص والا فموسى عم والجواب ان كل ذلك امور اجتهادية جائزة
الخطاء او هي من باب ترك الاولى وقد مر في اوائل البقرة في نفسه او ما يتعلق بهذه المسألة قوله ولم ترقب قولي اي وصيتي لك بحفظ الدهماء وجمع الشمل
وتوئيده قبله خشيت ان تقول فرقت قال الامام ابو القسم الانصاري الهداية انفع من الدلالة فان السحرة رأوا الآية واحدة فآمنوا وتحملوا في الدين ما
تحملوا واما قوم موسى عم فقد رأوا ذلك مع زيادة وسائر الآيات التسع ومع ذلك اغتروا بصوت العجل وعكفوا على عبادته فعرفنا ان الغرض تحصيل
الا بهداية الله تعالى ولما فرغ موسى عن عتاب هرون اقبل على السامري ويحتمل ان يكون بعيدا ثم حضر او ذهب اليه موسى ليخاطبه قال جار الله الخطب
مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه قال اي السامري بصرت بما
لم تبصروا به قال ابن عباس رض وهو رواية ابو عبيدة علمت ما لم تعلموا به من البصارة بمعنى العلم وقال آخرون رأيت ما لم تروه والباء للتعدية ويرجح
العلماء قراءة الغيبة على الخطاب احترازا من نسبة عدم البصارة الى النبي صلى الله عليه وسلم والقبضة بالفتح مصدر بمعنى المفعول وهو المقبوض ثم اجمع
عامة المفسرين على ان المراد بالرسول جبرئيل عم واثره التراب الذي اخذه من موقع حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحيوة ومتى رآه الاكثرون على انه رآه يوم
فلق البحر كان جبرئيل على الرمكة وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبرئيل فتبعه فرس فرعون وعن علي رض ان جبرئيل لما نزل ليذهب بموسى عم
الى الطور ابصره السامري من بين الناس وكان قد ركب حيزوم وقال ان لهذا شانا فقبض من تربة موطئه فمعنى الآية فقبضت من اثر فرس المرسل اليك
يوم حلول الميعاد ثم من المفسرين من جوز ان السامري لم يعرف انه جبرئيل ومنهم من قال انه عرفه عن ابن عباس رض في رواية الكلبي انما عرفه لانه رباه في صغره
وحفظه من القتل حين امر فرعون بذبح اولاد بني اسرائيل فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون فيأخذ الملائكة الولدان فيربونهم
حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري اخذه جبرئيل وجعل كف نفسه في فيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه وقال ابو مسلم
اطلاق الرسول على جبرئيل في هذا المقام من غير قرينة تعلم الغيب وايضا تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبرئيل وبمعرفته وبمعرفة خاصية تراب
حافر دابته لا يخلو عن تعسف وكيف جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه فلقائل ان يقول لعل موسى اطلع على شيء آخر فلاجله قدر على الخوارق فالاولى
ان يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الامير في كذا ويكون اطلاق الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان كافرا مكذبا
واراد باثره سنته ورسمه من قولهم فلان يقفو اثر فلان اي عرفت ان الذي انتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيئا من سنتك فطرحتها فعلى قول العامة
يكون قوله وكذلك سولت لي نفسي اشارة الى ما اوحى اليه وليه الشيطان ان تلك التربة اذا انبذت على الجماد صار حيوانا وعلى قول ابي مسلم يشير الى ان اتباع
الشرك كان من تسويلات النفس الامارة فلذلك تركه ثم بين موسى عم له عقوبتين في الدنيا وعقوبة في الآخرة يروى انه اراد ان يقتله فمنعه الله من ذلك
وقال لا تقتله فانه سخي وفي قوله لا مساس وجوه الاول انه حرم عليه مماسة الناس وانه اذا اتفق ان يماسه احد حم الماس والممسوس فلذلك اذا رأى احدا صاح
لا مساس ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى الآن الثاني ان المراد منع الناس من مخالطته قال مقاتل ان موسى عم اخرجه من محلة بني اسرائيل وقال له اخرج
انت واهلك طريدا الى البراري اعترض الواحدي عليه بان الرجل اذا صار مهجورا فلا يقول هو لا مساس انما يقال له ذلك واجيب بان هذا على الحكاية اي اجعلك
يا سامري بحيث اذا اخبرت عن حالك لم تقل الا لا مساس والثالث قول ابي مسلم ان المراد انقطاع نسله وان يخبر بانه لا يمكن له مماسة المرأة اي مجامعتها
واما حاله في الآخرة فذلك قوله وان لك موعدا لن تخلفه قال جار الله من قرأ بكسر اللام فهو من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا ثم بين حال الهه فقال وانظر الى الهك
الذي ظلت عليه عاكفا اي ظللت فحذف احدى اللامين تخفيفا لنحرقنه من حرق الاحراق ففيه دليل على انه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن
احراقه بالنار ولننسفنه في اليم قال السدي امر موسى بذبحه فسال منه الدم ثم احرق ثم نسف رماده والنسف النقض ومن جعله من الحرق اي لنبردنه بالمبرد
ففيه دلالة على انه لم ينقلب حيوانا الا اذا اريد به عظام ومن جعله من التحريق فانه يحتمل الوجهين والمراد اظهار غباوة السامري وابطال كيده ومحو صنيعه
والله خير الماكرين ثم ختم الكلام ببيان الدين الحق فقال انما الهكم اي المستحق للعبادة والتعظيم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما قد مر مثله في الانعام
قال مقاتل اي يعلم من يعبده ومن لا يعبده وحين فرغ من قصة موسى عم شرع في تثبيت رسولنا صلى الله عليه وسلم فقال كذلك اي كما قصصنا
عليك قصة موسى وفرعون والسامري نقص عليك من سائر اخبار الرسل مع اممهم تكثيرا لمعجزاتك ثم عظم شان القرآن بقوله وقد آتيناك من لدنا
ذكرا اي ما ذكرا فيه كل ما يحتاج اليه المكلف في دينه ودنياه والوزر العقوبة الثقيلة التي ينقض ظهر صاحبها او المراد جزاء الوزر وهو الاثم خالدين فيه اي
في ذلك الوزر او في احتماله وساء فيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف للقرينة اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ويجوز

[illegible]
عليها هناك ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بان الخلائق فيه يتبعون الداعي قيل هو النفخ في الصور وقوله لا عوج له اي لا يعدل عن احد بل يحشر
الكل وقيل ان اسرافيل او ملكا آخر يقوم على صخرة بيت المقدس ينادي ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى ربك للحساب والجزاء
فلا يعوج له بل هو حول يتبعون صوته من غير انحراف وخشعت الاصوات للرحمن خفضت من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الصوت
الخفي وذلك ان الانس والجن علموا ان لا مالك لهم سواه وحق لمن كان الله محاسبه ان يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه وعن ابن عباس
والحسن وعكرمة وابن زيد الهمس وطء الاقدام اي لا يسمع الا صوت نقل الاقدام الى المحشر قوله الا من اذن يصلح ان يكون منتصبا على المفعولية وان يكون مرفوعا
على البدل بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضي له اي لاجله قولا قال الامام فخر الدين الرازي الاحتمال الاول اولى
لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع درجة عظيمة فلا تحصل الا لمن اذن فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملنا الآية على ذلك كان من ايضاح الواضحات
بخلاف ما لو حملت على المشفوع واقول الاحتمالان متقاربان لان المشفوع لا يقبل الشفاعة في حقه الا اذن الرحمن لاجله فيعود الى الثاني قالت المعتزلة الفاسق
غير مرضي عند الله تعالى فوجب ان لا ينتفع بشفاعة الرسول واجيب بانه قد رضي لاجله قولا واحدا من اقواله وهو كلمة الشهادة قالوا هب ان الفاسق قد رضي الله قولا
لاجله فلم قلتم ان الاذن حاصل للشافع في حقه والجواب انا لا نسلم ان الاذن غير حاصل في حقه على انه قال في موضع آخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر
الا احد القيدين ثم اخبر عن نهاية علمه بقوله يعلم ما بين ايديهم والضمير للذين يتبعون الداعي اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون به علما
وقال الكلبي ومقاتل الضمير للشافعين من الملائكة والانبياء كما مر في آية الكرسي وفيه تقريع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا اي يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان بعد خلقهم من امر
الآخرة والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيئا من ذلك فكيف يصلحون للعبودية ثم ذكر غاية عزته بقوله وعنت الوجوه اي ذلت وخضعت خضوع العناة اي الاسارى
لامره كالاسارى عنا يعنو عنوا اذا صار اسيرا وقيل اراد وجوه العصاة في القيمة كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ولعله خص الوجوه بالذكر لان اثر الذل والكآبة
فيها ابين واظهر قال جار الله وقد خاب وما بعده اعتراض اي كل من ظلم فهو خائب خاسر وقال اهل السنة اي يخص الظلم ههنا بالشرك او يعارض هذا العموم بعمومات الوعد
من قرأ فلا يخاف بالرفع فعلى الاستيناف اي فهو لا يخاف كقوله ومن عاد فينتقم الله منه ومن قرأ فلا يخف فمعناه فليأمن لان النهي عن الخوف امر بالامن ومن فسر
الظلم بانه الاخذ فوق حقه والهضم بان ينقص من حقه كصفة المطففين فتقدير معناه فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم ومن فسر
الظلم بان العقاب لا على جريمة والهضم بانه النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف وقال ابو مسلم الظلم ان ينقص من الثواب والهضم ان لا يوفى حقه
من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم قال جار الله قوله وكذلك عطف على قوله كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال
وعلى نهجه وكما انزلنا عليك هؤلاء الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله عربيا لان العرب اصل والقوم تبع لان النبي عربي وصرفنا فيه من الوعيد كررناه وفصلناه
ويدخل في ضمنه الفرائض والمحارم لان الوعيد يتعلق بترك احدهما وبفعل الآخر لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا حمل جار الله الاول على ارادة ترك المعاصي والثاني
على فعل الخير والطاعة لان الذكر قد يطلق على الطاعة والعبادة قلت لا ريب ان القرآن يزجر عن السيئات ويبعث على الطاعات من حيث ان فهم معانيه
يؤدي الى ذلك وانما قدم الاول على الثاني لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل ان يكون التقوى عبارة عن فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا
على ضد النسيان اي ان نسوا شيئا من التروك والافعال احدث القرآن لهم ذكرا اذا تأملوا معانيه وكلمة او على الاول للتخيير والاباحة لا للشك وعلى الثاني يجوز ان يكون للشك
وقيل اراد انزلنا القرآن ليتقوا فان لم يحصل ذلك فلا اقل من ان يوجب القرآن لهم ذكرا اي شرفا ومنصبا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقديرين يكون في انزال
القرآن نفع ثم عظم شان القرآن من وجه آخر وهو عظمة شان منزله فقال فتعالى الله الملك الحق اي ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين انزل القرآن لحجته
عما لا ينبغي وانه منزه عن الانتفاع والتضرر بطاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق قد مر في البسملة قال جار الله فيه استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته قال ابو مسلم ان من قوله ويسألونك عن الجبال الى ههنا كلام تام
وقوله ولا تعجل خطاب مستانف وقال آخرون انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف ان يفوته شيء فيقرأ مع الملك فانه تعالى حين شرع في كيفية نفع القرآن

ان يكون

للمكلفين وتبين انه سبحانه متعال عن الانتفاع والتضرر بالطاعات والمعاصي وانه موصوف بالملك الدائم والعز الباقي وكل من كان كذلك وجب ان يعبد
رسوله عن السهو والنسيان في امر الوحي وما يتعلق بصلاح العباد في المعاش والمعاد قال ولا تعجل بالقران لانه حصل لك الامان من السهو والنسيان من قبل ان يقضى
اليك وحيه اي من قبل ان يتم قراءة جبرئيل ونحوه قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به قاله مقاتل والسدي وابن عباس في رواية عطا وقال مجاهد وقتادة اراد ولا تعجل
بالقران فتقرأه على اصحابك من قبل ان يوحى اليك بيان معانيه اي لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان وقال الضحاك ان اهل مكة واسقف نجران قالوا
اخبرنا عن كذا وكذا وقد ضربنا لك اجلا ثلثة ايام فابطأ الوحي وفشت المقالة ان اليهود قد غلبوا فنزلت هذه الآية اي لا تعجل بنزول القران من قبل ان يقضى
اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبرئيل ومنه اليك وعن الحسن ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت زوجي لطم وجهي فقال
بينكما القصاص فنزلت الآية فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القصاص وانما ثبت هذه الاقوال لان قوله ولا تعجل بالقران يحمل التعجيل بقراءته في نفسه
او في تأديته الى غيره او في اعتقاد ظاهره او في تعريف الغير ما يقتضيه الظاهر وقوله ان يقضى اليك وحيه احتمل ان يراد من قبل ان يقضى اليك تمامه او من
ان يقضى اليك بيانه فقد يجوز ان يحصل عقيبه استثناء او شرط او غيرهما من المخصصات والمبينات ويؤكده هذه المعاني بقوله وقل رب زدني علما لان

[illegible]

ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ۞ واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس ابى ۞ فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا
يخرجنكما من الجنة فتشقى ۞ ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ۞ وانك لا تظمؤا
فيها ولا تضحى ۞ فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى ۞ فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ۞ ثم اجتبيه ربه فتاب عليه
وهدى ۞ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى
فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ۞ ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا
ونحشره يوم القيمة اعمى ۞ قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ۞ وكذلك نجزي من
اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى ۞ افلم يهد لهم
كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى

ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى ۞ فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ۞ ومن آناء الليل
فسبح واطراف النهار لعلك ترضى ۞ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى ۞ وأمر
اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة
للتقوى ۞ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اولم تأتهم بينة ما في الصحف
الاولى ۞ ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى ۞ قل كل متربص
فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ۞

[illegible]

العاصي والغاوي اسمان مذمومان فهو عاص غاو فقد رتب الوعيد عليهما واجيب بان المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون مندوبا وقد يقف بالمنع من ان المندوب مامور به ثم من ان مخالفه عاص والا كان الانبياء كلهم عصاة لانهم لا ينفكون عن ترك المندوب قالوا يقال اشرت اليه في امر كذا فعصاني وامرته بشرب الدواء فعصاني واجيب بالمنع من ان هذا من مستعملات العرب العاربة ولو سلم فلعله انما يقال ذلك اذا اوجب ان المشير لا بد ان يفعل ذلك وحينئذ يكون معنى الايجاب حاصلا وان لم يكن وجوب شرعي لان ذلك الايجاب لم يصدر عن الشارع ومنهم من زعم انه ذنب صغير وهو حاجة المعتزلة ورد بان العاصي اسم يستحق العقاب وهذا لا يليق بالصغير اجاب ابو مسلم الاصفهاني بانه عصى في مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف ولهذا قال سبحانه فغوى اي خاب من نعيم الجنة لان الرشد هو ان يتوصل بشيء يوصل الى المقصود والغي ضده وانه سعى في طلب الخلود فنال ضد المقصود وعن بعضهم فغوى اي بشم من كثرة الاكل وزيفه جار الله ورد قول ابي مسلم بان مصالح الدنيا تكون مباحة فلا يوصف تاركها بالعصيان قلت وفي هذا نظر والاحوط في هذا الباب ان يعتقد كون هذه الواقعة قبل النبوة بدليل قوله ثم اجتباه ربه اي اختاره للرسالة وهدى بحفظ اسباب العصمة واصل الاجتباء هو الجمع كانه في افراد الاعراف يروى عن ابي امامة لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قال العلماء فيه دليل على انه لا راد لقضائه وما قدره كائن لا محالة واذا جاء القضاء عمي البصر والدليل قد يكون في غاية الظهور ومع ذلك يخفى على اعقل الناس كما خفي على آدم عداوة ابليس وانه يتعرض لسخط الله في شانه حين امتنع من سجوده فكيف قبل منه وسوسته لولا كتاب من الله سبق قال المحققون الاولى ان لا يطلق لفظ العاصي والغاوي على آدم وان ورد في القرآن فعصى آدم ربه فغوى لانه لم يصدر عنه الزلة الا مرة واحدة وصيغة اسم الفاعل تنبئ عن المزاولة وكان المسلم اذا تاب عن الشرب والزنا وحسنت توبته لا يقال له شارب وزان ولان السيد يجوز له ان يشتم عبده بما شاء وليس لغيره ذلك قال اهبطا قد مر تفسير مثله في البقرة وخاطبهما بالهبوط لانهما اصلا البشر ثم عمم الخطاب لهما ولذريتهما في قوله فاما ياتينكم او لان قوله بعضكم لبعض عدو قال القاضي يكفي في توفية هذا الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين اعداء الانس والانس اعداء لهم فاذا انضاف الى ذلك عداوة بعض القرنيين لبعض لم يمتنع دخوله في الكلام عن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والسبب فيه ان العقاب في الاخرة لاجل انه قد ضل عن الدين في مدة التكليف واتباع كتاب الله يستلزم عدم الضلال عن الدين المستتبع للنجاة من العقاب في الاخرة واما الشقاء الذي قد يلحق المؤمن في الدنيا فلا اعتداد به لقصر مدته على ان الرضاء بالقضاء يهون عليه مصائب الدنيا وآفاتها ثم ذكر وعيد من اعرض عن ذكره وظاهر الكلام يدل على ان الذكر ههنا هو الهدى المذكور لان قوله ومن اعرض عن ذكري في مقابلة قوله فمن اتبع هداي وقد مر في اول البقرة ان المراد به الشريعة والبيان وقال كثير من المفسرين ان الذكر هو القرآن وسائر كتب الله وفيه نوع تخصيص والضنك الضيق مصدر وصف به ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث يقال منزل ضنك ومعيشة ضنك كانه قيل ذات ضنك قال الحكماء عيش الدنيا ضنك ضيق لانقضائه وقصر مدته وكثرة شوائبه انما العيش الواسع عيش الاخرة وهذا الضيق المتوعد به اما في الدنيا او في القبر او في الاخرة مال الى كل طائفة اما الاول فلان المسلم الراضي بقضاء ربه معه من التسليم والتوكل والقناعة ما يعيش به عيشا رافغا والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص والشح فلا ينفك عن الانقباض والطموح الى ما ليس ينال من الفراغ والرفاغ فلا هم له الا هم الدنيا وعن ابن عباس المعيشة الضنك هي ان يضيق عليه ابواب الخير فلا يهتدي لشيء منها وعن الكفرة من ضربت عليهم الذلة والمسكنة وسئل الشبلي عن قوله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اهل البلاء فاسئلوا الله العافية فقال اهل البلاء هم اهل الغفلات عن الله تعالى فعقوبتهم ان يردهم الله تعالى الى انفسهم واي معيشة اضيق واشد من ان يرد الانسان الى نفسه قلت التحقيق ان بعض البليات من العقوبات فطلب العافية منها لازم وبعضها لمزيد الدرجات ولكن الانسان مخلوق خلق ضعيفا فكثيرا ما يؤول امر المبتلى الى الجزع والفزع فيحرم الثواب فطلب العافية من هذه الحيثية هو الاحوط واما الثاني فعن ابن مسعود وابي سعيد الخدري ورفعه ابو هريرة رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه عذاب القبر للكافر وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الاية نزلت في الاسود بن عبد الله المخزومي والمراد ضغطة القبر تختلف فيها اضلاعه واما الثالث فعن الحسن وقتادة والكلبي انه ضيق في الاخرة في جهنم وان طعامهم فيها الضريع والزقوم والحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون اما قوله ونحشره يوم القيمة اعمى كقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فيمن فسر الزرق بالعمي ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قال الجبائي اراد انه لا يهتدي يوم القيمة الى طريق ينال منه خيرا كالاعمى وعن مجاهد والضحاك ومقاتل انه اراد اعمى عن الحجة وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال القاضي هذا القول ضعيف لانه لا بد في القيمة ان يعلمهم الله تعالى بطلان ما كانوا عليه حتى يميزوا لهم الحق من الباطل ومن هذه حالة لا يوصف بذلك الا مجازا باعتبار ما كان كقوله وقد كنت بصيرا بيانه قال الامام فخر الدين الرازي ومما يؤكد هذا الاعتراض انه تعالى علل ذلك العمى بان المكلف نسي الدلائل في الدنيا فلو كان العمى الحاصل في الاخرة عين ذلك النسيان لم يكن للمكلف بسبب ذلك ضرر كما في الدنيا قال اهل التحقيق في الجواب عن الاعتراض هو ان النفوس الجاهلة في الدنيا اذا فارقت ابدانها بقيت على جهالتها في الاخرة فيصير تلك الجهالة سببا لاعظم الالام الروحانية واقول على القاضي يحتمل ان يكون مجازا باعتبار الغاية فقد يسمى الشيء باعتبار عدم غايته وثمرته فلا ينافي كونه اعمى في الاخرة بهذا الاعتبار اعلام الله اياه الحجة ولا كونه بصيرا في الدنيا كونه اعمى في الاخرة بالاعتبار المذكور لان المعرض عن الدليل يشبه ان يكون كافرا معاندا ويكون الغرض من الاعلام التوبيخ والالزام يؤيده قوله تعالى في جوابه كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر ذلك بقوله اتتك آياتنا اي واضحة مستنيرة فنسيتها اي تركت العمل والقيام بموجبها وكذلك اليوم تنسى تترك بلا فائدة ونظر والاعتبار وعلى الالزام انه لا يلزم من كون المكلف غير متضرر بنسيان الدلائل في الدنيا كونه غير متضرر في الاخرة واما قوله في الجواب المحقق بناء على قاعدة الحكيم ان جهل النفس يصير سببا لتعذيبها فان كان منعا لقول المعتزلة انه تعالى يعلم المكلف بطلان ما كان عليه في الدنيا فذلك لا يفتقر الى العدول وان كان تسليما لقولهم فلم يندفع الاعتراض بهذا وقد رايت في بعض الآثار ان اشد الناس عمى يوم القيمة هم الذين حفظوا القرآن ثم نسوه وكيف لا وقوله اتتك آياتنا فنسيتها اللهم اجعلني ممن يواظب على تلاوة كتابك حتى القاك يوم القاك وكذلك نجزي من اسرف قيل عصى ربه والاظهر انه اراد اشرك وكفر بدليل ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الاخرة وهو الحشر على العمى اشد وابقى من ضيق المعيشة في العاجل او اراد وتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا ثم وبخ المعرضين عن الدلائل بعدم الاعتبار باحوال القرون الخالية فقال افلم يهد لهم بالفاء وفي السجدة بالواو لان الكلام ههنا كالمتصل بقوله ومن اعرض عن ذكري وهناك كالمنفصل عن الاعراض لانه قال ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها وبعد ذلك اورد قصة موسى فناسب الاستيناف بالواو واما حذف من ههنا واثباته هناك فلما مر من ان من يفيد الاستيعاب وقد زاد في القرون بشرح قصة بني اسرائيل وما فيهم من الملوك والانبياء قال في الكشاف فاعل لم يهد الجملة بعده وانكر البصريون مثل هذا لان الجملة لا تقع فاعلا فلهذا قال يريد الم يهد لهم هذا المعنى او مضمون هذا الكلام قال القفال جعل كثرة ما اهلك من القرون مبينا لهم وقال الزجاج اراد ولم يبين لهم ما يهدون به لو تدبروا وتاملوا وقيل فيه ضمير الله او الرسول والجملة بعده تفسير يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم

والنهي

والنهي العقول وقد مر في السورة قال بعض اهل اللغة ان النهية مرتبة على العقل فلا يقال الا لمن له عقل ينتهي به عن القبايح فقوله اولي النهى كقولنا اولي العزم والحزم ومن ههنا فسره بعضهم باهل الورع والتقوى ثم بين الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كذب من هذه الامة فقال ولولا كلمة هي العدة بتاخير جزائهم الى الاخرة كتبها في اللوح المحفوظ واخبر بها ملائكته ورسله لان فيهم او في نسلهم من يؤمن او لمصلحة اخرى خفية قال اهل السنة له بحكم المالكية ان يفعل ما يشاء من غير علة واللزام مصدر لازم وصف به وقيل فعال بمعنى مفعل فهو بمعنى ملزم كانه آلة اللزوم اي لكان الاخذ العاجل لزاما واجل مسمى وهو عذاب الاخرة وقيل يوم بدر معطوف على كلمة وجوز في الكشاف ان يكون معطوفا على الضمير في كان وللعلة انما جوز ذلك للفصل اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل وحين بين انه لا يهلكهم بعذاب الاستيصال امره بالصبر على ما يقولون من التكذيب وسائر الاذيات زعم الكلبي ومقاتل انها منسوخة باية القتال وليس كذلك فان كلا منهما معمول بها في موضعها وسبح بحمد ربك اي متلبسا بحمده على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والاكثرون انها بمعنى الصلوة ليكون كقوله واستعينوا بالصبر والصلوة ولانه بين اوقاتها فقبل طلوع الشمس هو صلوة الفجر وقبل غروبها صلوة الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار ومن اناء الليل تسبيح المغرب والعتمة وقوله واطراف النهار اي في طرفيه فجمع للمبالغة وامن الالباس او لان اقل الجمع اثنان او اراد في كل نهار تكرار لصلوتي الفجر والمغرب على ظن اعتناء بشانهما كقوله والصلوة الوسطى والاناء جمع اني وهو الساعة وقد مر في آل عمران وقدم اناء الليل وادخل الفاء في تسبيح المذكورة تلازم ما قبلها وما بعدها تنبيها على زيادة الاهتمام بشان صلوة الليل لان الليل وقت السكون والراحة وهدو الاصوات فالصلوة فيه اشق على النفس وادخل في الاخلاص واقرب من المحافظة على الخشوع والاخبات وبعضهم اخرج من الاناء صلوة الظهر لانه خصص قبل الغروب بصلوة العصر ومنهم من زاد فيها النوافل لان الصلوة في الاوقات المذكورة تشملها والامر قد يكون للندب لا اقل من التغليب وقال ابو مسلم الاقرب حمل التسبيح على التنزيه والاجلال كانه لما امره بالصبر على اذية القوم بعثه على الاشتغال بالتقديس والمواظبة عليه في كل الاوقات وقوله لعلك ترضى كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا ريب ان الاطماع من الكريم واجب الوقوع اللهم ارزقنا شفاعته لما حث رسوله على الامور الدينية نهاه عن الميل الى زخارف الدنيوية فقال ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله استحسانا للمنظور اليه وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وقال ابو مسلم المنهي عنه في الاية ليس هو النظر بل هو الاسف اي لا تاسف على ما فاتك مما نالوا من حظ الدنيا قال ابو رافع نزل ضيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني الى يهودي يستقرضه فقال لا اقرضه الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل عليه درعي الحديد فنزلت والازواج الاصناف وقيل اي اشكالا واشباها من الكفار لانهم اشكال في الذهاب عن الصواب وقد مر في الحجر ولقد شدد العلماء المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وملابسهم ومراكبهم لانهم اتخذوها لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم فيكون اغراء لهم على اتخاذها قال جار الله انتصب زهرة على الذم او على تضمين متعنا معنى خولنا واعطينا او على ابداله من محل به او على ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة وهي الزينة والبهجة ومن قرا بفتح الهاء فجمعها ايضا او هي جمع زاهر كانهم لصفاء الوانهم وظهور آثار النعمة عليهم زاهرو هذه الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون الصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب وقوله لنفتنهم اي لنبلوهم كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم كقوله ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم وقال الكلبي ومقاتل لنشدد عليهم في التكليف لان الاجتناب عن المعاصي مع القدرة يكون اشق على النفس ورزق ربك وهو ثواب الاخرة وما رزقت من الاسلام والنبوة خير وابقى وقيل اراد الحلال الطيب الذي يحق ان ينسب الى ربك خير من اموالهم التي غلب عليها الغصب والسرقة وسائر وجوه الخيانة وابقى بركة ونماء وحسن عاقبة وامر اهلك كقوله في سورة مريم وكان يأمر اهله بالصلوة اي اقبل انت مع اهلك على عبادة الله مستعينين بها على خصاصتكم وكان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الاية وعن عروة بن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرا ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول الاية يذهب الى فاطمة وعلي كل صباح ويقول الصلوة كان يفعل ذلك شهرا وقوله واصطبر عليها اراد انك كما امرتهم بها فحافظ عليها فان الوعظ بلسان الفعل اتم منه بلسان القول لا نسالك رزقا كما يريد الملوك خراجا من رعيتهم والسادة خراجا من عبيدهم بل نحن نرزقك كقوله وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين والحاصل انا لما امرناك بالصلوة فذلك لاجل انتفاعك بثوابها لا انا ننتفع بها وقيل لا نسالك رزقا لنفسك ولا لاهلك بل نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك عن امر الرزق والمعيشة وفرغ بالك لامر الاخرة وفي معناه قولهم من كان في عمل الله كان الله في عمله وقال اهل الاشارة ورزق ربك رمز الى قوله ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني قال عبد الله بن سلام كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق او شدة امرهم بالصلوة والعاقبة اي الجميلة للتقوى ثم عاد الى قوله فاصبر على ما يقولون فحكى من شبهاتهم هي قولهم لولا ياتينا باية من ربه كانهم لم يعتدوا بالقرآن الذي اخرس شقاشقهم فرد الله عليهم بقوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى لان القرآن برهان سائر الكتب المنزلة لانه معجز وهي ليست بمعجزة فهو شاهد لها بالصحة وانها من عند الله وقيل اراد بالبينة ما فيها من البشارة بمقدم محمد وعن ابن جرير اراد ما فيها من قصص الامم المكذبة وبيان اهلاكهم بعد اقتراح الايات وانا ما هم ذا البيان في القرآن فلهذا وصف القرآن بكونه بينة ما في الصحف الاولى ثم بين الحكمة في نزول القرآن فقال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل البرهان المذكور الدال عليه البينة لقالوا اي في القيمة لان الهالك لا قول له في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله تعالى يوم القيمة ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم ياتني رسول ولو اتاني لكنت اطوع خلقك وتلا قوله لولا ارسلت الينا رسولا والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي عقلا انتفع به ويقول الصبي كنت صغيرا لا اعقل فترفع لهم نار ويقال ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله تعالى انه سعيد ويتلكا من كان في علمه انه شقي فيقول الله تعالى عصيتموني اليوم فكيف برسلي لو اتوكم طعن المعتزلة في هذا الخبر فقالوا لا يحسن العقاب على ما لم يفعل وقال الجبائي في الاية دلالة على وجوب فعل اللطف واكدوا انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده والا لكان لهم ان يقولوا يا لو فعلت ذلك بنا لآمنا وقال الكعبي فيها اوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده وليس معنى قوله لا يسئل عما يفعل انه لا يكون منه ما يكون عنه حجة بل اريد انه لا يقع منه الا العدل واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على امره لكان لهم به اعظم حجة واستدل اهل السنة بها على ان الوجوب لا يتحقق الا بالشرع والا لكان العقاب حاصلا قبل مجيئه ثم ختم السورة بوعيد اجمالي فقال قل كل اي كل منا ومنكم متربص عاقبة امره وهذا الانتظار اما قبل الموت بسبب الامر بالجهاد او ظهور الدولة والغلبة او بالموت فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت وهو ظهور امر الثواب والعقاب وتميز المحق من المبطل يؤيده قوله فستعلمون الى آخره وهذا من الكلام المنصف والحمد لله رب العالمين والصلوة على نبيه الاتقى

سورة الانبياء عليهم السلام مكية حروفها اربعة آلاف وثمانمائة وتسعون كلمها الف ومائة وثمان وسبعون

[illegible]

آياتها مائة واثنتان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ۝ ما يأتيهم من ذكر
من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون ۝ لاهية قلوبهم واسروا
النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون ۝
قل ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم ۝ بل قالوا
اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون ۝
ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون ۝ وما ارسلنا قبلك
الا رجالا يوحى اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ۝ وما جعلناهم
جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ۝ ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم
ومن نشاء واهلكنا المسرفين ۝ لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا
تعقلون ۝ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين
فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون ۝ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم
فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون ۝ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين ۝
فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ۝ وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما لاعبين ۝ لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه
من لدنا ان كنا فاعلين ۝ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
ولكم الويل مما تصفون ۝ وله من في السموات والارض ومن عنده لا
يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ۝ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ۝

قال ربي بالالف حمزة وعلي وحفص الباقون قل على الامر نوحي بالنون مبنيا للفاعل حفص غير الخراز الباقون بالياء مجهولا
الوقوف الجزء السابع عشر معرضون ۝ ج للآية مع احتمال كون ما بعده صفة او استئنافا يلعبون ۝ لا لان لاهية حال اخرى مترادفة [illegible]

وارباب الطمع مستمطرين سحاب كفهم اما انهم كانوا اسخياء ولكن بسمعة ورياء واما انهم بخلاء وفي كل هذه الوجوه تهكم بهم وتوبيخ لهم فما زالت تلك دعواهم
وهي قولهم يا ويلنا الى المولول كانوا يدعوا ويل دعواهم الاول اسم مازال والثاني خبره او بالعكس والدعوى بمعنى الدعوة وقد مر في قوله وآخر دعواهم ان
الحمد لله رب العالمين والحصيد المحصود كقوله منها قائم وحصيد شبهوا بالزرع المستأصل والنار التي خمدت فصيرناهم اي جعلناهم شبيهين بالحصيد ولم يجمع
حصيدا لان المراد زرعا حصيدا او لان فعيلا يستوي فيه الواحد والجمع عن ابن عباس ان الاية نزلت في حضور وسحول قريتين باليمن ينسب اليهما الثياب
وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوري بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على اهل
بيت المقدس فاستاصلهم فكان القوم حصدوا بالسيوف وروي انه لما اخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء قال اهل النظم
لما بين انه اهلك كثيرا من القرى لاجل ظلمهم وتكذيبهم منها القتال رواها ابن عباس اتبعه ما يدل على انه فعل ذلك عدلا ومجازاة لا عبثا ومجازفة فقال وما خلقنا
السماء والارض الاية اي وما سوينا هذا السقف المرفوع والمهاد الموضوع وما بينهما من الاركان والمواليد كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم
للهو واللعب وانما سويناها لغايات صحيحة ومنافع للخلق دينية ودنيوية كما مر طرف منها في اول البقرة ويمكن ان يقال المقصود من سياق الاية تقرير نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم والرد على منكريه لانه اظهر المعجز عليه فان كان صادقا فهو المطلوب وان كان كاذبا كان اظهار المعجز عليه من باب اللعب وهو منفي
عنه سبحانه قال القاضي عبد الجبار فيه دليل على انه لا يخلق اللعب وكل قبيح والا كان لاعبا وعورض بمسئلتي العلم والداعي ثم بين ان السبب في ترك
اتخاذ اللهو واللعب ليس هو العجز والضعف ولكن لان الحكمة منافية وعني من لدنا من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن او المراة وقيل من لدنا اي من الملائكة
لا من الانس ردا على من قال عزير ابن الله والمسيح ابن الله ويحتمل ان يقال من لدنا اي من عندنا على سبيل الخفية فلا تعرفونه ولا تسمعون اسمه فيكون الرد
شاملا لكل من ادعى لله ولدا ولو من الملائكة ثم اضرب عن اتخاذ اللهو واللعب ووصف لنفسه ما يضاد فعل العبث فقال بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو يعني الباطل زاهق اي فاجا الدمغ زهوق الباطل قال علماء المعاني هذا من باب استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلي فاصل استعمال القذف
والدمغ في الاجسام لان القذف الرمي بنحو الحجارة والدمغ من دمغه اذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ
لاذهاب الباطل بجامع الزهوق ثم وبخهم ونعى عليهم بما وصفوه بالولد وغير ذلك مما لا يجوز عليه وينافي وجوب الوجود وبما وصفوا رسوله به من السحر والشعر
وغير ذلك من الاوصاف المضادة للرسالة فقال ولكم الويل مما تصفون اي تصفونه به ثم بين كمال قدرته ونهاية حكمه وحكمته فقال وله من في السموات
والارض والمراد بمن عنده الملائكة المقربون والمقصود عندية الشرف والرتبة فاما عندية المكان ففيها بحث طويل قال الزجاج لا يستحسرون اي لا يتعبون
ولا يمسهم الاعياء قال جار الله كان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور ولكنه ذكر بلفظ المبالغة وهو استفعل لبيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور
وانهم احقاء لتلك العبادات الشاقة بان يستحسروا ومع ذلك لا يعدونها تعبا عليهم ثم اكد ذلك بقوله يسبحون الليل والنهار منصوبان على الظرفية
لا يفترون لا يتخللهم الفتور والكلال وحاصل الاية ان الملائكة مع غاية شرفهم ونهاية قربهم لا يستنكفون عن طاعة الله فكيف يليق بالبشر مع ضعفهم ونقصهم
ان يتمردوا عن طاعته وقد مر في اول سورة البقرة استدلال بفضل الملائكة على الانبياء بهذه الاية وبغيرها فلا حاجة الى اعادته عن عبد الله بن الحرث
بن نوفل قال قلت لكعب الاحبار رايت قول الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا اولئك عليهم لعنة الله والملائكة اليس
الرسالة واللعن يمنعان لهم عن التسبيح اجاب كعب بان التسبيح لهم كالتنفس لنا لا يمنعهم عن الاشتغال بشيء آخر واعترض بان آلة التنفس فينا مغايرة للسان
فلهذا صح اجتماع التنفس والتكلم واجيب بانه لا استبعاد في ان يكون لهم السن كثيرة او يكون المراد بعدم الفتور انهم لا يتركون التسبيح في اوقاته اللائقة به
التاويل اقترب لاهل النسيان ان يحاسبوا انفسهم كقوله الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ما ياتيهم من ذكر من وعظ وتذكير من عالم رباني
محدث الهامه والاكثر وعليه وسلم الى التخليط ونحوه وما جعلناهم جسدا اي ان الله قادر على ان يجعل النبي والولي واحدا ولكن حكمته اقتضت كونهم
ذوي اجساد آكلين للطعام فان الطعام للروح الحيواني الذي هو مركب الروح الانساني كالدهن للسراج وبالقوى الحيوانية يتم الكمالات النفسانية وتدرك
المحسوسات ويستفاد العلوم المستندة للاحساس والتجربة والفضيلة اكثر من ان يحصى وقال بعض المشايخ لولا الهوى ما سلك احد طريقا الى الله تعالى وما كانوا خالدين
والتربية ان يعلموا من الموت حقيقة اسم المميت كما علموا من الحيوة حقيقة اسم المحيي ثم صدقناهم الوعد الذي وعدناهم حين اهبطوا الى الارض
فانجيناهم ومن نشاء من متابعيهم من هاوية الهوان وعالم الطبيعة واهلكنا المسرفين الذين اسرفوا على انفسهم بالركون الى اسفل سافلين الطبائع
وكم قصمنا من اهل قرية قالب فلما احسوا باسنا وهي شدة قطع التعلق عن الكونين فان الفطام عن المالوف شديد لا تركضوا [illegible] بل ارجعوا
الى النعمات الروحانية ومساكنكم الاصلية لعلكم تسالون عزة وكرامة وما خلقنا سموات الارواح وارض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار
من غير غاية وانما خلقناها ليكون مظاهر لطفنا وقهرنا بل نقذف بالحق على الباطل للحق ثلث مراتب مرتبة افعال الحق ومرتبة صفات الحق ومرتبة
ذات الحق ففي كل مرتبة يتجلى الحق فيها للعبد زهق باطل تلك المرتبة عن العبد حتى اذا تجلى له بافعاله ذهب عنه باطل الافعال واذا تجلى له بصفاته ذهب
باطل صفاته واذا تجلى له بذاته فني ذاته فيقول انا الحق وسبحاني والويل لمن لم يذهب باطله بامدى هذه المراتب فيبقى متصفا بالوجود المجازي قوله تعالى

ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ۞ لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله
رب العرش عما يصفون ۞ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ۞ ام اتخذوا
من دونه الهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق
فهم معرضون ۞ وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون ۞ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ۞
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ۞ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون

الا

الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ۞ ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ۞ اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون ۞ وجعلنا
في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ۞
وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ۞ وهو الذي
خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ۞ وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون ۞ كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ۞ واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا
هزوا ۞ اهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون ۞ خلق الانسان
من عجل ساوريكم آياتي فلا تستعجلون ۞ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ۞
لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم
ينصرون ۞ بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ۞
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون ۞
قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ۞
ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون ۞
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا ناتي الارض
ننقصها من اطرافها افهم الغالبون ۞ قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا
ما ينذرون ۞ ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
۞ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة
من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ۞ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين ۞ الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة
مشفقون ۞ وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون

القراءات نوحي اليه بالنون حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد آني اله بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن مجاهد عن ابن ذكوان
الم ير بغير واو ابن كثير الآخرون بواو متوسطة بين همزة الاستفهام والفعل ونظائرها كثيرة ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان
ولا تسمع من الاسماع خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم الصم بالنصب ابن عامر الآخرون على الغيبة من السماع الصم بالرفع مثقال حبة بالرفع وكذلك
في سورة لقمان ابو جعفر ونافع الباقون بالنصب الوقوف ينشرون ه لفسدتا ج للابتداء بسبحان للتعظيم مع فاء التعقيب تعجيبا للتنزيه يصفون

يسئلون ۝ الهة ط برهانكم ج لاتحاد المقول من غير عاطف قبلي ط لايعلمون لا لان ما بعده مفعول معرضون ۝ فاعبدون ۝ سبحانه ط مكرمون ۝ لا لان ما بعده
صفة بعد صفة يعملون ۝ لا ولايشفعون ۝ لا للاستثناء مشفقون ۝ جهنم ط الظالمين ۝ ففتقناهما ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار حي ط يؤمنون ۝ يهتدون ۝
محفوظا ج لاحتمال الواو الاستيناف والحال معرضون ۝ والقمر ط يسبحون ۝ الخلد ط الخالدون ۝ الموت ط فتنة ط ترجعون ۝ هزوا ۝ الهتكم ج لاحتمال
الواو الاستيناف والحال كافرون ۝ من عجل ط فلا تستعجلون ۝ صادقين ۝ ينصرون ۝ ينظرون ۝ يستهزءون ۝ من الرحمن ط معرضون ۝ من دوننا ط نفسا
بين الاستفهام والاخبار يصحبون ۝ العمر ط من اطرافها ط الغالبون ۝ بالوحي ز للاستيناف ولاتسمع بالياء التحتانية والوصل اجوز لتتميم المقول ومن قرا
على الخطاب وقف لانه خرج عن المقول ينذرون ۝ ظالمين ۝ شيئا ط اتينا بها ط حاسبين ۝ للمتقين لا لاتصال الصفة ولايخفى انه يحتمل النصب والرفع على المدح
فيجوز ان لايوصل مشفقون ۝ انزلناه ط منكرون ۝ انه سبحانه بدا في اول السورة بذكر المعاد ثم انجر الكلام الى النبوات وما يتصل بها
سؤالا وجوابا فختم الكلام بالالهيات لانها المقصود بالذات فقال على سبيل الاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها بواسطة ام المنقطعة ام اتخذوا الهة من الارض
لانها تنحت من حجارة او تعمل من جواهر ارضية ويقال نشر الله الموتى وانشرها اي احياها ومن اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات كانهم بادعائهم
لها الالهية ادعوا لها الانشار وان كانوا منكرين البعث فضلا عن قدرة الاصنام عليه لانه لايستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة
المقدورات بالدلائل الباهرة وفيه باب من التهكم والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لايصح استبعاده لان الاقتدار على الابداء والاعادة من لوازم
الالهية ومعنى هم افادة الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا الهة لايقدر على الانشار الا هم وحدهم وفيه رمز الى ان الامر المختص بالاحداث هو وحده و
لما قدم الانكار شرع في دليل التوحيد فقال لو كان فيهما اي في السموات والارض فقد مر ذكرهما الهة الا الله اي غير الله قال النحويون الا ههنا بمعنى غير
لتعذر حمل الا على الاستثناء لانها تابعة لجمع منكور غير محصور والاستثناء لايصح الا اذا كان المستثنى داخلا في المستثنى منه لولا الاستثناء وقد يقال ان
الا في هذه المادة لايمكن ان يكون للاستثناء لانا لو حملناها على الاستثناء لصار المعنى لو كان فيهما الهة ليس معهم الله وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان
فيهما الهة معهم الله لم يحصل الفساد وللمفسرين في تقرير الاية طريقان احدهما حمل الغائب على الشاهد والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما الهة شتى غير الواحد
الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين الاول وجوب ان لايكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لايكون ذلك الواحد الا اياه لقوله غير الواحد
وانما وجب الامران لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وثانيهما طريق التمانع بان يقال لو فرضنا
الهين واراد احدهما تحريك جسم والاخر تسكينه فان وقع مرادهما لزم اجتماع الضدين في محل واحد وان لم يقع مرادهما لزم عجزهما وان وقع مراد احدهما دون
الاخر فذلك الاخر عاجز لايصلح للالهية والاعتراض على هذا التقرير من وجهين الاول ان اختلافهما في الارادة امر ممكن والممكن لايجب ان يقع والثاني
ان الفساد في السموات والارض كيف يترتب على اختلافهما وفي الجواب طريقان احدهما الرجوع الى التقرير الاول وهو احالة الامر على ما هو الغالب المعتاد
من ان الملك عقيم ولايجتمع فحلان في شول والشول جماعة النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها واتى عليها من نتاجها سبعة اشهر او ثمانية فلابد من وقوع التنازع
والاختلاف وحدوث الهرج والمرج عند ذلك الطريق الثاني العدول الى ضرب اخر من البيان وهو ان اتفاق الالهين على مقدور واحد محال لان كلا منهما
مستقل بالتاثير كالمقدر فاذا وقع المقدور باحدهما استحال ان يقع بالاخر مرة اخرى على انه لو اراد كل واحد منهما ان يوجد هو فهذا ايضا اختلاف ولو قيل
انه يريد كل واحد منهما ان يكون الموجد له احدهما لا بعينه فهذه ارادة مبهمة لاتصلح للتاثير فلابد من الاختلاف وقد عرفت حاله وان لزوم الفساد حينئذ ظاهر
لان كل ما صدر عن الهين عاجزين او عن اله عاجز لم يكن على الوجه الاصلح والنمط الاصوب بل العاجز لايصلح للايجاد اصلا فلا يوجد على ذلك التقدير شيء من الممكنات
وهو الفساد الكلي ومنهم من يقرر دليل التمانع على وجوه اخر منها انه لو قدرنا الهين فهل يقدر كل منهما على ان يمنع صاحبه عن مراده ام لا فان قلت يقدر
كان كل منهما مقهورا للاخر وان قلت لايقدر فقد ثبت عجز كل واحد منهما ومنها ان احدهما هل يقدر على ان يستر شيئا من افعاله عن الاخر او لا فان قدر فالمستور
عنه جاهل عاجز والا فالاول عاجز ولايخفى ما في امثال هذين الوجهين من الضعف لان عدم القدرة على المحال لايسمى عجزا ولهذا لايمكن ان يقال انه تعالى عاجز
عن خلق مثله او انه اذا اوجد شيئا نفدت قدرته على خلق ذلك الشيء وحصل العجز ومن الطاعنين في دلالة التمانع من فسر الاية بان المراد لو كان في السماء والارض
الهة غير الله كما زعم عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لاتقدر على وجوه التدبير والتصرف لانفسها فضلا عن غيرها ولقائل ان يقول ان
الالهة لو كانت منفردة بالتدبير لزم الفساد واما لو كانت وسائط او معاونة للاله الاعظم كما زعم عبدة الاوثان فمن اين يلزم الفساد واعلم انا قد بينا
دلائل التوحيد في مواضع من هذا الكتاب ولا سيما في سورة البقرة في تفسير قوله والهكم اله واحد ولنا في هذا المقام طريقة اخرى ما الطفها واطيبها فنقول
وبالله التوفيق ان الوحدة من صفات الكمال وقد ركز ذلك في العقول حتى ان كل عاقل يهتم لدفع امر ما ادام لم يتعد فيه الى اثنين واذا اضطر الى الشركة فالعاقل
راعى فيه الابسط فالابسط لايزيد العدد الا بعد الافتقار وعلى هذا دار الامور السياسية والمنزلية بل الى موثر واما في الاثر فلا ريب انه اذا استند
الى ما هو بسيط حقيقي لم يكن فيه الا جهة واحدة افتقارية واذا استند الى اكثر من ذلك كانت فيه من الجهات الافتقارية بحسب ذلك فيكون النقص تابعا
لقلة جهات الافتقار وكثرتها ولكل مرتبة للممكنات بعرض من العقول والنفوس والافلاك والعناصر والمواليد فان كان مبدا تلك السلسلة المطولة واحدا
كانت الجهات الاعتبارية الافتقارية فيها اقل مما لو كان المبدا ازيد من واحد وهذه قضية يقينية اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه سبحانه اراد ان يرفع هذا
النقص عن الممكنات ولو بوجه فبين ان المراد بهذا النقص والفساد لازم لوجود الهة غير الله سواء كان احد من جملتهم ام لا ولكن لايرضى العاقل بما فيه نقصه
وفساده فوجب ان لايعتقد الها غير الله وهذه النتيجة هي المراد بقوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون من الانداد والشركاء فيكون هذه الاية نظيرة قوله
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه شعر
اربا واحدا ام الف رب ۝ ادين اذا انقسمت الامور ۝ تركت اللات والعزى جميعا ۝ كذلك يفعل الرجل البصير ۝ ثم اكد تفرده بالالهية بقوله
لايسال عما يفعل وفيه رد على الثنوية والمجوس الذين اثبتوا شريكا فاعلا للشرور والالام وذلك انهم طلبوا الحكمة في افعال الله تعالى فقالوا لو كان مدبر العالم
واحدا لم يخص هذا بانواع الخيرات من الصحة والغنى وذاك باصناف الشرور من المرض والفقر فذكر سبحانه ان الاعتراض على افعاله مناف للديانة وان له ان يفعل ما يشاء
والمحال السؤال عن افعاله لكل من الاشاعرة ومن المعتزلة سلموا انه لايجوز ان يقال له لم فعلت ولكنهم حملوا عدم جواز السؤال على ماخذ اخر اما الاشاعرة فذهبوا الى ان
افعاله لاتعلل بالمصالح والاغراض وله بحكم المالكية ان يفعل في مخلوقاته ما يشاء فان من يتصرف في ملك نفسه لايقال له لم فعلت وكيف يتصور في حقه سبحانه
المدح لو قديم وواجب للشيء لذاته يستحيل ان يتبدل لاجل تبدل الصفات وكما ان ذاته غير معللة بشيء فكذلك صفاته وافعاله وانه غير محتاج الى الاسباب والوسائط
والاغراض والمقاصد واما المعتزلة فقد قالوا انه تعالى عالم بقبح القبائح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل ان يفعل القبيح واذا عرف المكلف
اجمالا ان كل ما يفعله فهو حكمة وصواب وجب ان يسكت عن لم واذا كان الملوك المجازيون لايسالهم من في مملكتهم عما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا

واجلالا

[illegible]

او اراد بالظلم ههنا الشرك والمعتزلة حملوه على الاول والاول اظهر ثم عدل في ادلة التوحيد الى نهج اخر من البيان وهو الاستدلال بالافاق والانفس قائلا اولم ير الذين كفروا
ان السموات والارض اي جماعة السموات وجماعة الارض كانتا رتقا ففتقناهما الرتق بالسكون الشد ورتقت الشيء فارتتق اي التأم ومنه امرأة رتقاء ومصدرا
الرتق بالتحريك والفتق ضده اي كانتا مرتوقتين فجعلناهما مفتوقتين عن ابن عباس في رواية عكرمة وهو قول الحسن وقتادة ان المراد كانتا شيئا واحدا
ملتزقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء الى حيث هي واقر الارض ومثله قول كعب خلق الله السموات والارض وكانتا ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطهما ففتقهما
وقال ابو صالح ومجاهد كانت السموات متلاصقات لافرج بينها ففتقها الله تعالى بان جعلها سبعا وكذلك الارضون وعن ابن عباس في رواية اخرى
وعليه كثير من المفسرين ان السموات والارض كانتا رتقا بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات والشجر ويشبه ان يراد بالسموات
على هذا التفسير السحاب نظيره قوله والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ويؤيده قوله عقيبه وجعلنا من الماء كل شيء حي وقيل انما جمع السموات وان كان
نزول المطر من سماء الدنيا فقط باعتبار الجمع لان جهتها جهتين او باعتبار ان كل قطعة منها سماء فيكون كقولهم ثوب اخلاق وبرمة اعشار وقريب
من هذا قول من قال المعنى ان السموات والارض كانتا مظلمة ففتقهما الله تعالى باظهار النور فيهما كقوله واية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال ابو مسلم الاصفهاني
الرتق حالة العدم اذ ليس فيها ذوات متميزة فكانها امر واحد متصل متشابه والفتق ايجاد وحصول التمييز وانفصال بعض الحقائق عن بعض فيكون كقوله فاطر
السموات والارض والفطر الشق وعن بعض علماء الاسلام ان الرتق انطباق منطقتي الحركتين الاولى والثانية الموجب لبطلان العمارات وفصول السنة والفتق
افتراقهما المقتضي لامكان العمارة وتمييز الفصول وفيه بعد وههنا سؤال وهو ان الكفار متى راوهما رتقا حتى صح هذا الاستفهام للتقرير كيف وقد قال تعالى
ما اشهدتهم خلق السموات والارض والجواب على الاقوال الاخيرة ظاهر فان فتق السماء بالمطر والارض بالنبات وفتقهما بتبعيد النور فيهما واظهاره عليهما امور محسوسة
وكذا اخراجهما من العدم الى الوجود مما يشهد به الحس السليم والعقل المستقيم واما على القولين الاولين فلعلهم علموا ذلك من اهل الكتاب وكانوا يقبلون قولهم لانهم
من المتوافقين في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقال صاحب الكشاف في الجواب انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد وان تلاصق
الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلابد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قال السكاكي صاحب
المفتاح اي جعلنا مبدا كل حي هذا الجنس الذي هو جنس الماء واعترض عليه بانه كيف يصح ذلك وادم من تراب والجن من نار والمشهور ان الملائكة ليست احياء
مائية واجاب بانه يأتي في الروايات انه عز وجل خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وادم من تراب خلقه منه وقال في الكشاف
انما قال خلقنا كل شيء حي من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وجوز ان لايكون الجعل بمعنى الخلق بل يكون بمعنى التصيير متعديا
الى مفعولين والمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لابد له منه وقال في التفسير الكبير اللفظ وان كان عاما الا ان القرينة قائمة بان الدليل لابد ان يكون مشاهدا محسوسا
ليكون اقرب الى المقصود فبهذا الطريق يخرج الملائكة والجن وادم لان الكفار لم يروا شيئا من ذلك قلت فعلى هذا يكون قوله وجعلنا داخلا في حيز الاستفهام كانه
قيل الم يروا انا فتقنا السموات والارض بعد رتقهما وجعلنا من الماء كل حيوان ومن المفسرين من حمل الحي على النبات ايضا كقوله فاحيي به الارض بعد موتها
قوله وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم قد مر تفسيره في اول النحل وباقي الاية كقوله في طه وسلك لكم فيها سبلا الفجاج جمع الفج وهو الطريق الواسع وهي صفة سبلا
قدمت عليه فصارت حالا عنه لما وانه حين خلقها على تلك الصفة فهذا كالبيان لما ابهم في قوله لتسلكوا منها سبلا فجاجا والاهتداء اما حسي اي يهتدون
الى البلاد واما عقلي وهو الاهتداء الى وحدانية الله تعالى ومنهم من زعم ان الضمير في قوله وجعلنا فيها عائد الى الجبال وهو قول مقاتل والضحاك ورواية عطاء عن ابن عباس
وروي عن ابن عمر انه قال كانت الجبال مصمتة فلما اغرق قوم نوح خرقها فجاجا وجعل فيها طرقا وقال علماء الاسلام للهيئة قوله وجعلنا السماء سقفا ان السماء
للارض كالسقف للبيت فوق لايقابله مثله ولكنه اطلق عليها اسم السقف لانها كذلك في نظر الحس الى سكان كل بقعة وفي محفوظا وجهان اي محفوظا بقدرته

من ان يقع على الارض ومحفوظ بالشهب من الشياطين وهم عن آياتها معرضون فلا يتدبرون في تركيبها وترتيبها وسيراتها وطلوع اجرامها وغروبها و
اتصالاتها وانصرافاتها وتأثيراتها فيها ودلالتها باذن خالقها ومبدعها قوله كل في فلك من مغلوب الكل والفلك في اللغة كل شيء دائر وجمعه افلاك وزعم
الضحاك انه ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم والاكثرون على ان الفلك جسم يدور النجوم عليه ثم اختلفوا في حقيقته فقال الكلبي ماء مكفوف اي مجموع تجري فيه
الكواكب بدليل قوله يسبحون والسباحة لا تكون الا في الماء ورد بانه يقال فرس سابح اذا امتد في الجري وقالت الحكماء هو جسم كري لا ثقيل ولا خفيف
غير قابل للخرق والالتئام والنمو والذبول ولذلك منعوا من كون الفلك ساكنا والكواكب متحركة فيه كالسمك في الماء واعتذروا عن السباحة بانها في النظر
كذلك قال صاحب الكشاف التنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كلهم فورد عليه اشكال لان احدهما انه لم يسبق الا ذكر الشمس والقمر فكيف يعود
ضمير الجمع اليهما واجاب بان ذلك باعتبار كثرة مطالعهما كالجمع الشموس والاقمار لذلك ولكن ان يقال اقل الجمع اثنان او انه جعل النجوم تبعا لذكرهما الثاني
ان كلهم ليسوا في فلك ولكن كل منهم في فلك آخر على ما يشهد به علم الهيئة واجاب بان المراد جنس الفلك كقولك كسانا الامير حلة والمراد كل واحد قلت
لو صح هذا التقدير الثاني لم يرد الاشكال الاول ولكنه ينافي قوله يسبحون مجموعا قال بعض الحكماء في هذا الجمع دلالة على ان الكواكب احياء ناطقة واجيب بانه لما
جمع جمع العقلاء لان السباحة من فعلهم قلت قد يسبح كثير من الحيوانات فلعل المختص بالعقلاء هو السباحة الفضائية المكتسبة وههنا بحث اجراه الامام فخر الدين
الرازي استحسن قول بعض الاوائل ان الحركة السماوية صنف واحد وهي الآخذة من الشرق الى الغرب الا ان بعضها ابطأ من بعض فالحركات الغربية وكذا
اختلافات تلك الحركات بسبب تلك التخلفات قال وهذا اقرب ليكون غاية سرعة الحركة للفلك الاعظم وغاية السكون للجرم الذي هو ابعد المحيط
وهو الارض ولئلا يلزم بسبب حركة ما دون الفلك الاعظم بحركته وبحركتها الخاصة تحرك الجرم الواحد في زمان واحد بحركتين مختلفتين الى جهتين فانه يستلزم كون
الجسم دفعة واحدة في مكانين لممنوع لان التي يظهر في المتحرك هي الحركة المركبة الحاصلة من فضل الاسرع على الابطأ لا كل من الحركتين وهذا شاهد من حركة
النملة الى خلاف جهة حركة الرحى ومن حركة راكب السفينة فيها الى خلاف جهة حركتها واما الذي استحسنه من كلام الاوائل فباطل لانه لو كان كذلك لحصلت
الاظلال اللائقة بكل جزء من اجزاء فلك البروج في يوم بليلته وكذا الارتفاعات المناسبة لها في البلاد المتفقة العرض وليس كذلك وقد ذكرنا هذا المعنى في كتابنا
التوضيحية ايضا وحين فرغ من بيان طرف من هيئة الاجرام السماوية ومنافعها الدنيوية نبه بقوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد على ان هذه الآثار لا تدوم
ولم تخلق للبقاء وانما خلقت للابتلاء والامتحان ولكن يتوصل بها المكلفون الى السعادات المدخرة لهم في الآخرة وهي دار الخلود او توجيه آخر لما فرغ من دلائل
الآفاق شرع في دلائل الانفس فقال وما جعلنا الآية عن مقاتل ان ناسا كانوا يقولون ان محمدا لا يموت فنزلت وقيل لعلهم ظنوا انه لو مات لتغيرت حاله(؟)
وهو ابتاني كونه خاتم الانبياء فبين الله سبحانه ان حاله كحال من تقدمه من الانبياء في المفارقة عن دار الدنيا والاكثرون على ان سبب النزول هو انهم كانوا يقدرون
انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا وفي معناه قول القائل شعر فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا قوله كل نفس
ذائقة الموت قد تقدم في آل عمران تفسيره قوله ونبلوكم اي نعاملكم معاملة المختبر بالسوق اليكم من الشر والخير ليظهر عند ما صبركم وشكركم وقدم الشر لان
الموت من باب الشرور في نظر اهل الظاهر وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وحين اثبت الموت الذي هو الفراق عن دار التكليف بين بقوله والينا ترجعون
ان الجزاء على الاعمال ثابت مرئي البتة بعد المفارقة احتجت المجسمة بقوله والينا انه تعالى جسم ليمكن الرجوع الى حيث هو والتناسخية بان الرجوع مسبوق بالكون
في المكان المرجوع اليه وجواب الاولين انه اراد الرجوع الى حيث لا حكم الا له وجواب الآخرين التسليم لكنه لا يفيد مطلوبهم لان الرجوع الى المبدأ غير الرجوع الى دار الدنيا
واعلم ان مثل هذه الآية سيجيء في سورة العنكبوت الا انه قال هناك ثم الينا ولم يذكر قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة فكان هذه الفاصلة قامت مقام التراخي في ثم قال
السدي ومقاتل مر النبي صلى الله عليه وسلم بابي جهل وابي سفيان فقال ابو جهل لابي سفيان هذا نبي بني عبد مناف فقال ابو سفيان وما تنكر ان يكون نبيا في بني عبد مناف
فسمع النبي صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لابي جهل ما اراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة واما انت يا ابا سفيان فانما قلت حمية فنزل
تعالى واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ثم فسر ذلك بقوله اهذا الذي يذكر آلهتكم والذكر اعم من ان يكون بالخير او بالشر الا انه اذا كان
من العدو فيفهم منه الذم ومن الصديق(؟) الثناء والمعنى انه يبطل معبودتهما وينكر عبادتها ويقبح امرها ثم بين غاية جهالتهم وتعكيس قضيتهم بقوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون قدم
الجار والمجرور وكرر الضمير ليفيد انهم عاكفون بهمهم على ذكر آلهتهم من كونها شفعاء وشهداء ولو ذكر احد بخلاف ذلك ساءهم واما ذكر الرحمن الذي منه جلائل
النعم ودقائقها واصولها وفروعها فلا يخطر منهم ببال ولو ذكره ذاكر استهزؤا به حتى انهم(؟) يقولون ما نعرف الرحمن الا مسيلمة فهم احق بان يتخذوا هزوا وجعل
ان يكون الها والسببية اي هم كافرون بسبب ذكرهم الرحمن لا على ما ينبغي فيكون الذكر في الموضعين بمعنى واحد وقيل بذكر الرحمن اي بما انزل اليك من القرآن ولما كانوا
يستعجلون بعذاب الله كما يجيء من قوله ويقولون متى هذا الوعد فقدم لذلك توطئة هي قوله خلق الانسان اي هذا الجنس من عجل اراد انه مجبول على فرط العجلة
كما في قوله وكان الانسان عجولا وعن ابن عباس انه اراد آدم ان يقوم حين بلغ الروح صدره وعن مجاهد ان آدم لما دخل الروح رأسه وعينيه رأى الشمس قاربت
الغروب فقال رب عجل خلقي قبل ان تغيب الشمس وعن ابن عباس ايضا انه النضر بن الحرث والاول اظهر وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال الاخفش اي خلق
من لا مر وهو قوله كن وقيل هو على القلب اي خلق العجل من الانسان ساريكم آياتي وهي الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الآخرة فلا تستعجلون فانها كائنة
لا محالة في وقتها وقيل هي ادلة التوحيد وصدق الرسول وقيل آثار القرون الخالية بالشام واليمن سؤال قوله خلق الانسان من عجل يفيد ان الآدمي معذور
على الاستعجال لانه له كالامر الطبيعي الذي لابد منه فلم رتب عليه النهي بقوله فلا تستعجلون واجيب بان فيه تنبيها على ان ترك العجلة حالة شريفة وخصلة عزيزة وقال جار الله
هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها آخر القوم استعجلوا الوعد على جهة التكذيب ومن هذا حاله لا يكون مستعجلا في الحقيقة واجيب بان الاستعجال على هذا الوجه
ادخل في الذم لانه استعجال على امر موهوم عندهم لا معلوم لو يعلم جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم والمعنى لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه وهو وقت احاطة
النار بهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ويجوز ان يكون متروك المفعول اي لو كانوا من اهل العلم لما كانوا مستعجلين وعلى هذا يكون
حين منصوبا بمضمر اي حين لا يكفون يعلمون انهم كانوا على الباطل وخص الوجوه والظهور بالذكر لان نكاية النار في هذين العضوين اشد مع ان الاحاطة التامة يفهم
منها ثم بين ان وقت مجيء العذاب غير معلوم لهم فان مجيء الساعة مخفي عن المكلفين ليكونوا اقرب الى التلافي الذنوب فقال بل تأتيهم بغتة فتبهتهم قال جار الله
لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم قلت فائدة بل في هذه المقامات الانتقالات من جملة الى اخرى اهم من الاولى ويحتمل ان يكون لاظهار التمني والتغيير للتار(؟)
وقيل بغتة وفي قوله ولا هم ينظرون تذكير بامهالهم في دار الدنيا اي لا يمهلون بعد طول الامهال ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ولقد استهزئ الآية
وقد مرت في اول الانعام ولما بين ان الكفار في الآخرة لا يكفون عن وجوههم النار ذكر انهم في الدنيا ايضا مفتقرون الى حراسة الله وكلاءته فقال قل من يكلؤكم بالليل
اذا نمتم وبالنهار اذا انقلبتم في وجوه المصالح من الرحمن اي من بأسه وعذابه كالقتل والسبي ونحوهما وقيل انما خص الذكر الرحمن تلقينا للجواب حتى يقول العاقل
انت الكالي يا الهنا لكل الخلائق برحمتك نظيره ما غرك بربك الكريم ثم اضرب عن الامر بالاستفهام قائلا بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا

ان

ان يخافوا بأسه كانه امر رسوله بسؤالهم عن الكالي ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم اما قوله ام لهم آلهة فذكر في الكشاف انه اضراب عن الكلام
الاول بما في ام من معنى بل وقال غيره الميم زائدة والاستفهام مستأنف والتقدير ألهم آلهة تمنعهم من العذاب ومعنى من دوننا ان تلك الآلهة تتجاوز منعنا
وحفظنا ثم استأنف فقال لا يستطيعون ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي تلك الآلهة ليست تقدر على نصر انفسها فكيف يحفظ غيرها وينصره وقوله ولا هم
منا يصحبون قال المازني هو من اصحبت الرجل اذا منعته والاكثرون على انه من الصحبة بمعنى النصرة والمعونة ومنه قولهم صحبك الله والحاصل ان من لا يكون قادرا
على دفع الآفات ولا يكون مصحوبا من الله بالاعانة والنصرة كيف يتوقع منه دفع ضر وجلب نفع ولما ابطل كون الاصنام نافعة اضرب عن ذلك منتقلا الى بيان
ان ما هم فيه من الحفظ والكلاءة والتمتع بالحيوة العاجلة هو من الله تعالى لا من مانع يمنعهم من الهلاك ولا من آمر يحثهم على اسباب التمتع سوى الله وفي قوله حتى طال
عليهم العمر اشارة الى انه لما امتدت ايام الروح والطمأنينة حسبوا ان ذلك لن يزول عنهم فاغتروا به ونسوا المنعم فاستأهلوا العقاب كما اشار اليه بقوله افلا يرون
انا نأتي الارض وفي لفظ الاتيان تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين الذين هم حزب الله من نقص ديار الكفر وتخريبها وعمارة حوزة الاسلام وتشييد مبانيه(؟) وقد مر مثله
في آخر سورة الرعد والاستفهام في قوله افهم الغالبون للتقرير اي نحن الغالبون وهم المغلوبون ثم بين ان هذه الانذارات ليست من قبل الرسول ولكنه الوحي ثم مهد
عذر الرسول انه لم ينجع فيهم رسالته بان منهم لا يسمعون دعاء النذر واللام في الصم للعهد اي لا يسمع هؤلاء الانذار فوضع الصم موضع اسم الاشارة ايذانا بانهم هم الموصوفون
بالصمم عن استماع الحق ولو كان اللام للجنس لكان الانسب اطلاق الدعاء لان الصم لا يسمعون الدعاء بشروا او انذروا ثم ذكر انهم لا يعترفون بالتقصير والظلم الا عند
معاينة العذاب فقال ولئن مستهم نفحة وفي ذكر المس وبناء المرة من النفح الذي هو بمعنى القلة والنزارة منه قولهم نفحه بعطية اي رضخه ونفحة الدابة وهو رمح يسير
دليل على انهم في غاية الضعف يجزعون من ادنى اثر من عذاب ربهم قوله ونضع الموازين القسط المراد من الوضع الاحضار والقسط اي العدل صفة الموازين
وان كان موحدا كقولهم للقوم انهم عدل قاله الفراء وعن الزجاج اراد ذوات القسط واللام في ليوم القيمة بمعنى الوقت كما يقال جئته لتاريخ كذا وقيل اراد لاهل
الحساب يوم القيمة وقد مر تحقيق الوزن وما يتعلق به من الابحاث في اول سورة الاعراف يروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه
غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وفي قوله فلا تظلم نفس شيئا بحث بين
المعتزلة والاشاعرة وقد مر مرارا وان كان اي الوزن او العمل مثقال حبة من خردل اتينا بها انث ضمير المثقال لاعتبار اضافته الى الحبة قيل الحبة اعظم من الخردل
فكيف قال حبة من خردل واجيب بان الوجه فيه ان يفرض الخردلة كالدينار ثم يعتبر الحبة من ذلك الدينار والظاهر انه اراد الحبة من حيث اللغة وقوله من خردل
بيان لها لان الحبة اعم من ان يكون من الخردل او من الحنطة او من غيرها ولكن المبالغة في الاول اكثر وذلك ان الخردلة سدس ثمن الدينار عند الحساب و
سدس سدس في الشرع والحبة ثمن تسع الدينار في عرف حساب فارس والعراق فمثقال حبة من خردل يكون على الوجه الاول ثمن تسع خردلة وعلى ما قلنا يكون هو
الخردل بعينه والحاصل ان شيئا من الاعمال صغيرا كان او كبيرا غير ضائع من علم الله وانه يجازي عليه رأى الشبلي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبوني فدققوا
ثم منوا فاعتقوا قال في التفسير الكبير زعم الجبائي ان من استحق مائة جزء من العقاب فاتى بطاعة يستحق بها خمسين جزءا من الثواب فهذا الاقل يحبط بالاكثر ويبقى الاكثر
كما كان والآية تبطل قوله لان الله تعالى بين بان اليسير من الطاعة لا يسقط ولو كان الامر كما قاله الجبائي لسقطت الطاعة من غير فائدة قلت للجبائي ان يقول الاتيان
بالطاعة مشروط عنده بعدم الاحباط كما ان العقاب على المعصية مشروط عندكم بعدم العفو وكفى بنا حاسبين كقوله وكفى بالله حسيبا وحين فرغ من دلائل التوحيد
والنبوة والمعاد شرع في قصص الانبياء تسلية لنبيه وتثبيتا وعظة لامته وتذكيرا وقد مر قصة موسى وانما اوجز فيها ههنا والموجز نقدمه(؟) القصص غالبا ولان موسى اوتي
حالا ومعجزة وان ذكر التورية يناسب ما تقدم من قوله قل انما انذركم بالوحي وصف التورية بانها جامعة لكونها فرقانا نفرق به بين الحق والباطل وقد مر سائر تفسير الفرقان
في اول البقرة وضياء كقوله فيها هدى ونور وذكرا للمتقين اي شرفا وموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ودنياهم وقوله بالغيب اما حال من الرب اي حال كونه غائبا
عن حسهم والله لا يغيب عنه شيء فيكون كقوله صلى الله عليه وسلم فان لم تكن تراه فانه يراك واما حال عنهم اي حال كونهم غائبين عن عذاب الآخرة واحوالها او غائبين
عن الناس اي يخشون ربهم في الخلوات ثم عظم شان القرآن بقوله وهذا ذكر مبارك اي كثير البركة انزلناه افانتم له منكرون اي انتم دون سائر الناس مع علمكم بفصاحته
واعجازه تجحدونه بالانكار ولا يخفى ما فيه من التوبيخ للعرب ومن دونهم التأويل ام اتخذوا آلهة من ارض البشرية هم يحيي القلوب الميتة بل الله يحييها بنور ذكره ولو
لو كان في سماء الروحانية وارض البشرية آلهة الا الله كالعقل والهوى لفسدتا كما فسد سماء ارواح الفلاسفة حين اتبعت عقولهم لواجب صفات لا يليق به وفسد ارض
البشرية الطباعية حين زلت قدمهم عن استعمال قوانين الشريعة بمقتضى الطبيعة لا يسأل عما يفعل لان افعاله صادرة عن الحكمة والقدرة وهم يسألون لان
افعالهم منشؤها الظلومية والجهولية لا يسبقونه بالقول لانه ليس فيهم ما يخالف داعية العقل وهو الطبع الذي يجذب صاحبه الى السفل ولهذا مدحهم بالاكرام ووصف
بني آدم بالتكريم في قوله ولقد كرمنا بني آدم وفي التكريم تكثير لشرف الاكرام والسبب ان مرتبة آدم اشكل حالهم صعب تعلم ما بين ايديهم من حجابه قولهم اتجعل فيها من
يفسد فيها وما خلفهم من الامر بسجود آدم والاستغفار لمن في الارض اولم ير الذين كفروا المعنى انهم راؤا في عالم الارواح لانها خلقت قبل الاجساد بالفي الف عام
وفي رواية باربعة آلاف سنة كما اشار اليه كانت سموات الارواح متعلقة بارض القوالب ففتقناهما بالمفارقة وقطع التعلق وجعلنا من ماء حيوة العلم كل
شيء حي بحيوة الابدية وجعلنا في الارض ارض القالب رواسي هي هموم العلائق البدنية ان تميد بهم فلولا تمانعت كل نفس الى عالمها ولبطل الغرض من التكليف
ويمكن ان يكون الرواسي اشارة الى الابدال الذين هم اوتاد الارض بهم يرزق ويمطر الناس فجاجا سبلا هي طرق الارشاد والتسليك وجعلنا سماء القلب سقفا
محفوظا من وساوس شياطين الانس والجن وهو الذي خلق ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس المعرفة وقمر الاسلام كل في فلك يسبحون فلك الاسلام في فلك
الشريعة وفلك الايمان في فلك الطريقة وفلك الولاية في فلك انوار الحقيقة كل نفس ذائقة الموت اما النفس الحيوانية فلان من خواصها ان يصير الغذاء من جنسها فلاجرم اذا
ادركت الغذاء عن التشبه بها لعجز القوة الغاذية حل اجلها واما النفس الناطقة فلان من خواصها انها تصير من غذاءها وهو الكمالات العلمية والعملية التي هي قوت
ربانية بجوهر الروح بجوهرها فيحصل له الفناء عن وجوده والبقاء بشهوده ونبلوكم بالمكروهات التي تشتهيها والمحبوبات التي تحبونها خيرا فتنة فربما كان الام
نكس المحسور(؟) ثم الينا ترجعون اختيارا او اضطرارا واذا رآك الذين كفروا فيه ان الاغيار لا ينظرون الى الاخيار الا بعين الانكار خلق الانسان من عجل فيه ان خلق السموات
والارض وما بينهما فانها خلقت في ستة ايام وخمرت طينة آدم اربعين صباحا مع ان فيها انموذجا من الكل واستعداد القبول الخلافة وقابلية تجلي الذات والصفات
ومظهرية الكنز المخفي واشار الى هذه المعاني بقوله ساريكم آياتي اي في مظاهر الآفاق ومرايا الانفس بالتدريج والتربية في كل طور فلا تستعجلون فان هذا الكمال من العهد
الى العهد بل من الازل الى الابد وهذا استنطق الطير البنية(؟) او سليمان الوقت ويمكن ايضا ان يقال ان الروح الانساني اول شيء تعلقت به القدرة فهذا معنى العجلة قل من
يكلؤكم فيه ان ملك الارض لو حرسوهم الليل والنهار من الخصوم والاعداء ما امنوهم حتى يحفظوهم من ليل البشرية ونهار الروحانية من سطوات قهر الجلال الذي الرحمانية من صفاته
كما ان الرحيمية من صفات الجمال فلو وكلهم الى ظلمة البشرية بقوافي الجهل ولو وكلهم الى الاضلال في نور المعقولات لهوى اودية الحيرة والحجب النورانية المنع من الحجب
الظلمانية والجهل البسيط اسرع ازالة من الجهل المركب بل متعنا هؤلاء الجهال وآباؤهم الذين علومهم تلك المعقولات التي صارت حجبا نورانية لهم حتى اغتروا بظاهر الحال

والمكر والعناد والشرعية ثم تبين ان الحق يغلب على الباطل البتة فقال اولم يروا انا نأتي الارض البشرية ونضع الموازين ميزان الفضل قد نصب في دار
نحن نقصنا ذلك الرسل وفضلنا وميزان العدل ينصب في الابد ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فالاول كالبذرة والثاني كالثمرة والله اعلم

ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ۝ اذ قال لابيه وقومه ما هذه
التماثيل التي انتم لها عاكفون ۝ قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين ۝ قال لقد
كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين ۝ قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ۝
قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين ۝
وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين ۝ فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم
اليه يرجعون ۝ قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ۝ قالوا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ۝ قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون ۝
قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ۝ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم
ان كانوا ينطقون ۝ فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ۝ ثم نكسوا
على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ۝ قال افتعبدون من دون الله
ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ۝ اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ۝
قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ۝ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم ۝ وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ۝ ونجيناه ولوطا الى الارض
التي باركنا فيها للعالمين ۝ ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ۝
وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وكانوا لنا عابدين ۝ ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي
كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين ۝ وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ۝
ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ۝ ونصرناه
من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين ۝ وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ۝
ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا
فاعلين ۝ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ۝
ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ۝

ومن

ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين ۝ وايوب
اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين ۝ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر
وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ۝ واسمعيل وادريس
وذا الكفل كل من الصابرين ۝ وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين ۝
وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ۝ فاستجبنا له ونجيناه من الغم
وكذلك ننجي المؤمنين ۝ وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين ۝
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا
رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ۝ والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا
وجعلناها وابنها آية للعالمين ۝ صدق الله العظيم

جذاذا بكسر الجيم علي ... الآخرون بضمها اف بفتح الفاء ابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب اف بالكسر والتنوين ابو جعفر ونافع وحفص ... [illegible]

الوقوف ... [illegible]

[illegible]

ثم اخبر انه سبحانه هم جاداً جاداً بالفعل من غير تقية وخوف فقال وتالله لاكيدن قال جار الله في تا القسم مع انه عوض من الباء زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من سهولة الكيد على يده لان ذلك لصعوبته كان كالمقنوط منه خصوصا في زمن نمرود مع شدته وشكيمته وقوة سلطانه قلت لاريب ان هذا مستبعد عادة ولكنه سهل لتأييد الله ونصره كما قال علي رضي الله عنه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة روحانية سؤال الكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به فكيف يتصور ذلك في حق الاصنام وجوابه انه قال ذلك بناء على زعمهم انه يجوز ذلك عليها او اراد لاكيدنكم في اصنامكم لانه بذلك الفعل اغمهم واحزنهم قال السدي كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابراهيم لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فلما مضوا وبقي ضعفاء الناس نادى وقال تالله لاكيدن اصنامكم وروى الكلبي ان ابراهيم كان من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابراهيم بالذي هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء فقال لاصحابه اني اراني اشتكي غدا وذلك قوله في الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم واصبح من الغد معصوبا راسه فخرج القوم لعيدهم لم يتخلف احد غيره فقال اما والله لاكيدن اصنامكم فسمعه رجل واحد واخبر به غيره وانتشر الخبر وعلى الوجهين يتجه قوله فيما بعد قالوا سمعنا فتى يذكرهم وروي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى اذا لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه وذلك قوله فجعلهم جذاذا قال الجوهري جذذت الشيء اجذه قطعته وكسرته والجذاذ ما كسر منه وضمه افصح من كسره قلت فعلى هذا هو اسم جمع لا جمع الا كبيرا لهم في الخلقة كما هو بناء وقيل في التعظيم ويحتمل ان يكون جامعا للامرين لعلهم اليه يرجعون يحتمل عوده الى ابراهيم اي جعلهم جذاذا واستبقى الكبير رجاء انهم يرجعون الى دينه او الى السؤال عنه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم بقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ويحتمل عوده الى الكبير كما ذهب اليه الكلبي والمعنى لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك وهذا بناء على ظنهم ان الاصنام قد تكلم ويجيب او على ان الغرض ذلك الكبير دليلا على فساد مذهبهم لان الاله يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء لانهم كانوا يعظمونها ويقولون الذي استخف بها يلحقه ضرر عظيم فحين كسرها ابراهيم ولم يلحقه ضرر من تلك الجهة بطل اعتقادهم فلما انكشف لهم جلية الحال قالوا من فعل هذا الكسر والحطم والاستخفاف بالهتنا انه لمن الظالمين تعديه في جملة من يضع الشيء في غير موضعه لانه وضع الاهانة مكان التعظيم قالوا سمعنا يحتمل ان يكون القائل واحدا ونسب القول الى الجماعة لانه منهم واحتمل ان يكون جمعا على الوجهين اللذين روينا هما او لانهم سمعوا منه قوله على وجه الاستهزاء ما هذه التماثيل والفعلان بعد فتى صفتان له الا ان الاول ضروري ذكره لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع والثاني ليس كذلك والاصح ان قوله ابراهيم فاعل يقال لان المراد الاسم المسمى وقيل هو خبر مبتدأ محذوف او منادى قالوا اي فيما بينهم فأتوا به على اعين الناس الجار والمجرور في محل الحال اي بمراى منهم ومنظر ومعاينا مشاهدا قال في الكشاف معنى الاستعلاء في على انه يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب ونكتة منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما فعله فيكون حجة عليه قال الحسن وقتادة والسدي وعطاء عن ابن عباس وقال محمد بن اسحق لعلهم يشهدون يحضرون عقوبته ليكون ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله وههنا اضمار اي فأتوا به ثم قالوا أأنت فعلت هذا الكسر والاستخفاف بالهتنا يا ابراهيم طلبوا منه الاعتراف ليقدموا على ايذائه فقال بل فعله كبيرهم وقوله هذا صفة كبيرهم زعم الطاعنون في عصمة الانبياء ان هذا القول من ابراهيم عليه السلام كذب واكدوا قولهم بما جاء في الحديث ان ابراهيم عليه السلام لم يكذب الا ثلث كذبات والعلماء في جوابهم طريقان احدهما تسليم انه كذب ولكنهم قالوا الكذب ليس قبيحا لذاته وانما يقبح لاشتماله على مفسدة وقد يحسن الكذب اذا اشتمل على مصلحة كتخليص نبي ونحوه وزيف هذا الطريق بانا لو جوزنا ان يكذب النبي لمصلحة بطل الوثوق بالشرائع فلعل الانبياء اخبروا عما اخبروا لمصلحة المكلفين في باب المعاش مع انه ليس للمخبر عنه وجود في الواقع الطريق الثاني وعليه جمهور المحققين المنع من انه كذب وبيانه من وجوه الاول انه من المعاريض التي يقصد بها الحق وهو الزام الخصم وتبكيته كما قال صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق احسن انت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي الثاني ان ابراهيم عليه السلام غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها الثالث ان يكون ذلك حكاية لما يؤل اليه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على امثال هذه الافعال ويؤيد هذا الوجه ما يحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار الرابع ما روي عن الكسائي انه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدي كبيرهم هذا اي فعله من فعله الخامس عن بعضهم انه يقف عند قوله كبيرهم ثم يبتدي فيقول هذا فاسألوهم واراد بالكبير نفسه لان الانسان اكبر من كل صنم السادس ان في الكلام تقديما وتاخيرا والتقدير بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم فيكون اضافة الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع ان يكونوا فاعلين السابع قراءة محمد بن السميفع فعلّه كبيرهم بالتشديد اي فلعل الفاعل كبيرهم وفيه تعسف واما قوله ابراهيم اني سقيم فلعله كان به سقم قليل وسوف يجي تمام البحث فيه واما قوله لسارة انها اختي فالمراد انها اختي في الدين فلم يكن على وجه الارض مسلم سواهما فرجعوا الى انفسهم حين نبههم على قبح طريقتهم فقالوا انكم انتم الظالمون لانكم تعبدون من لا يستحق العبادة وقال بعضهم لبعض فلاموا انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون لابراهيم حيث تزعمون انه كسرها مع ان الفاس بين يدي الصنم الكبير وقيل انتم الظالمون لانفسكم اذ سألتموه منه ذلك حتى اخذ يستهزئ بكم في الجواب ثم نكسوا على رؤوسهم نكسه اي قلبته فجعلت سافله اعلاه وانتكس انقلب وانتكاس الانسان هو ان يكون راسه من تحت فلهذا قال ثم نكسوا على رؤوسهم والمراد انهم استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة قائلين لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وفيه انهم رجعوا بالهتهم مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق وقال ابن جرير المعنى نكست حجتهم فاقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم وبيان انتكاس الحجة قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فان هذه حجة عليهم لا لهم وقيل المراد بانتكاسهم اطراقهم خجلا وانكسارا ثم زاد ابراهيم صلوات الرحمن عليه في توبيخهم قائلا افتعبدون الاية وقد مر في سورة سبحان ان اف صوت يدل على التضجر واللام لبيان المتأفف به اي لكم ولالهتكم هذا التأفف وذلك انه اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم قالوا حرقوه المشهور ان الذي اشار بتحريقه هو نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وقال مجاهد سمعت ابن عمر يقول انه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وعن ابن جريج عن وهب ان الذي قال هذا القول خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة روى مقاتل ان نمرود وقومه اجتمعوا على احراقه فحبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وهي من قرى الانباط وذلك قوله ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير اربعين يوما حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم فلما اشتعلت النار واشتدت وصار الهواء بحيث لو مر الطير في اقصى الهواء لاحترق ثم اخذوا ابراهيم ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فضجت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين ضجة واحدة اي ربنا ليس في ارضك احد يعبدك غير ابراهيم وانه

يعبدك فأذن لنا في نصرته فقال سبحانه ان استغاث باحد منكم فاغيثوه وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن الرياح وقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة بي اليكم ثم رفع راسه الى السماء فقال انت الواحد في السماء وانا الواحد في الارض ليس في الارض احد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وروي انه قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم اتى جبريل في الهواء وقال يا ابراهيم هل من حاجة قال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فارسل الله ملائكة اخذوا بضبعيه واقعدوه في الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم يحرق النار منه الا وثاقه واتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وقال يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائي قال المنهال بن عمرو اخبرت ان ابراهيم مكث في النار اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اياما اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قلت وذلك لاستغراقه في بحر الفيض والانوار الربانية ولو لم يكن فيه الا القرب من لطف خليله والبعد من قهر عدوه لكفى ثم نظر نمرود من صرح له مشرف على ابراهيم فراه جالسا في روضة ومعه جليس له من الملائكة والحطب يحترق حواليه فنادى يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم فقام يمشي حتى خرج فقال نمرود اني متقرب الى ربك قربانا فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم صلوات الرحمن عليه اذ ذاك ابن ست عشرة سنة قال العلماء اختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولهذا جاء في الحديث لا يعذب في النار الا خالقها ومن ثمة قالوا وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا قويا فاختاروا اشد العقاب وهو الاحراق والا فانتم مقصرون في نصرتها قوله قلنا عن السدي ان القائل هو جبريل والاكثرون على انه الله سبحانه وذهب ابو مسلم الاصفهاني الى انه لا قول هناك بل اراد به الجعل لان النار جماد فلا فائدة في خطابه ويمكن ان يجاب بان الله قادر على ان يخلق فيها فهما يعتد به لتحمل الخطاب والسلام فلعل في ذلك الخطاب مصلحة للملائكة والظاهر ان قوله يا نار خطاب لتلك النار المخصوصة لان الغرض يتعلق ببردها فقط وفي النار منافع للخلائق فلا يحسن من الكريم ابطالها وقيل المذكور اسم الماهية فلا بد من حصول البرد في تلك الماهية اينما وجدت ويناسبه رواية مجاهد عن ابن عباس انه لم يوقد في الدنيا نار الا طفئت واختلفوا في ان النار كيف بردت فقيل ان الله تعالى ازال عنها ما فيها من الحر والاحراق وابقى ما فيها من الاضاءة والاشراق والله على كل شيء قدير وقيل خلق في جسد ابراهيم عليه السلام كيفية مانعة من وصول اذى النار كما يفعل بخزنة جهنم وكما في النعامة لا تضره ابتلاع الحديد المحماة والسمندل الا انه يقام في النار وقيل جعل بينه وبين النار حائلا يمنع من وصول اثر النار اليه والمحققون على الاول لان الظاهر يدل على ان نفس النار صارت باردة وليست الحرارة جزءا من مسمى النار حتى يمتنع كونها نارا وهي باردة واما على القولين الاخرين فلم يحصل البرد فيها وهو خلاف النص قوله وسلاما اي ذات برد وسلام فبولغ في ذلك حتى كان ذاتها برد وسلام والمعنى ابردي حتى يسلم منك ابراهيم او ابردي بردا غير ضار ويناسبه ما روي عن ابن عباس انه لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها وقوله على ابراهيم حال من فاعل الكون او متعلق بالبرد والسلام ولولا هذا القيد لكان النار بردا على كافة الخلق قوله فجعلناهم الاخسرين وفي الصافات فجعلناهم الاسفلين لان في هذه السورة كادهم ابراهيم لقوله لاكيدن اصنامكم وكادوا لقوله وارادوا به كيدا فغلبهم ابراهيم لانه كسر اصنامهم وسلم من كيدهم فكانوا هم الاخسرين وفي الصافات قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فاججوا نارا عظيمة وبنوا بناء عالية ورفعوه اليه ورموه الى اسفل فرفعه الله وجعلهم في الدنيا من الاسفلين وفي العقبى في اسفل السافلين وروي انهم بنوا لابراهيم عليه السلام بنيانا والقوه فيه ثم اوقدوا عليه النار سبعة ايام ثم اطبقوه عليه ثم فتحوا عنه فاذا هو غير محترق يعرق عرقا فقال لهم هاران ابو لوط ان النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شيء واوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بئر او عود واحتجه فطارت شرارة فوقعت في لحية ابي لوط فاحرقته فآمن له لوط كما يجيء في العنكبوت وهاجر الى ارض الشام فذلك قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق او بالمنافع الدينية لان اكثر الانبياء بعثوا فيها وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت صخرة بيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقيل الارض امن مكة ووهبنا له اي لابراهيم اسحق ويعقوب نافلة اي ولد الولد فهي حال من يعقوب فقط وقيل النافلة العطية الزائدة ومنه النفلة النافلة ونوفل الرجل الكثير العطاء وعلى هذا احتمل ان يكون حالا من يعقوب فقط اي سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب زيادة وفضلا من غير سؤال واحتمل ان يكون حالا من كليهما اي وهبناهما له عطية منا والاول قول مجاهد وعطاء والثاني اي النافلة العطية قول ابن عباس وابي بن كعب وقتادة والفراء والزجاج وكلا من ابراهيم واسحق ويعقوب جعلنا صالحين قال الضحاك اي مرسلين وقال غيره عاملين عاملين وفي قوله جعلنا صالحين وكذا في قوله وجعلناهم ائمة دلالة الاشاعرة على ان الصلاح بجعل الله وكذا الامامة وغيرها من الافعال اجاب الجبائي بانه اراد وسميناهم بذلك ومدحناهم وانه حكم به لهم كما يقال ان الحاكم عدل فلانا وجرحه اذا حكم بالعدالة والجرح وضعف بانه خلاف الظاهر وقوله يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى دين الله بامرنا وارادتنا قال اهل السنة فيه ان الدعوة الى الحق والمنع من الباطل لا يجوز الا بامر الله تعالى وقالت المعتزلة فيه ان من صلح لان يقتدى به في الدين فالهداية واجبة عليه ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها ولا خلاف في ان الهادي اذا كان مهتديا بنفسه كان الانتفاع بهداه اعم واتم والنفوس الى الاقتداء به اميل فلذلك قال واوحينا اليهم فعل الخيرات اي ان يفعلوها لان المراد هو ايجاد ان يحدثوا الخيرات من انفسهم ونفس الفعل لا يمكن ايجاده فرد الى فعل الخيرات تحقيقا فان المقصود معلوم ثم اضيف المصدر الى المفعول لافادة تخفيف آخر في اللفظ وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة اي اوحينا اليهم ان يقيموا ويؤتوا قال الزجاج حذف الهاء من اقامة لان المضاف اليه عوض منها وقال غيره الاقام والاقامة مصدران ولا ريب ان تخصيص هاتين الخصلتين دليل على شرفهما والاولى اصل التعظيم لامر الله والثانية اصل الشفقة على خلق الله وكانوا لنا عابدين فيه انه سبحانه لما وفى بعهد الربوبية فاتاهم النبوة والدرجات العالية فهم ايضا وفوا بعهد العبودية فلم يغفلوا عنها طرفة عين قوله ولوطا عن الزجاج انه معطوف على اوحينا وعن ابي مسلم انه معطوف على قوله ولقد اتينا ابراهيم والحكم والحكمة وقيل الفصل بين الخصوم وقيل النبوة والقرية سدوم والمراد اهلها وخبائثهم مشهورة قد عدت في الاعراف وفي هود وقوم سوء فاسقين خارجين عن طاعة الله وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة والثواب عن ابن عباس والضحاك وقال مقاتل هي النبوة اي انه لما كان من الصالحين انبياء النبوة كي يقوم بحقها وقال اهل التحقيق حين اتاه الحكم والعلم وخلص من خباثات القوم فتحت عليه ابواب المكاشفات وتجلت له انوار الذات والصفات وانها هي الرحمة الحقيقية قوله ونوحا وكذا ما بعده معطوف على قوله ولقد اتينا او المراد واذكر نوحا واذ نادى بدل منه اي اذكر وقت ندائه من قبل هؤلاء المذكورين والنداء هو دعاؤه على قومه نحو قوله رب اني مغلوب فانتصر وقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا بدليل قوله فاستجبنا له فنجيناه واهله اي اهل دينه ومن معه في الفلك من الكرب العظيم وهو الطوفان وما كان عنه من تكذيب قومه وايذائهم وفي لفظ الكرب وهو الغم الذي ياخذ بالنفس ثم وصفه بالعظم اشعارا بانه عليه السلام لقي من قومه اذى شديدا لا يكتنه كنهه ثم زاده بيانا بقوله ونصرناه الاية تقول نصرته منه فانتصر اي جعلته منتصرا منه اي منتقما وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت ظرف ليحكمان وهو حكاية حال ماضية قال ابن السكيت النفش بالتحريك ان ينتشر الغنم بالليل من غير راع وعليه جمهور المفسرين وعن الحسن انه يكون ليلا ونهارا وفي قوله وكنا لحكمهم دلالة على ان اقل الجمع اثنان لاحتمال انه اراد داود وسليمان والمتحاكمين اليهما والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى يروى انه دخل رجلان على داود عليه السلام احدهما صاحب حرث اي زرع وقيل كرم والاخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان غنم هذا دخلت في حرثي وما ابقت منه شيئا فقال داود عليه السلام اذهب فان الغنم لك فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فاخبراه

فقال لو كنت انا القاضي لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك ابوه فدعاه وقال كيف كنت تقضي بينهما قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له منافعها من الدر
والنسل والوبر حتى اذا عاد الحرث من العام القابل كهيئته يوم اكل دفعت الغنم الى اهلها وقبض صاحب الحرث حرثه قال ابو بكر الاصم الحكمان واحد لان الثاني
بيان للاول والمشهور من الصحابة ومن بعدهم انهما متغايران لقوله وكنا لحكمهم ولقوله ففهمناها سليمان والفاء للتعقيب فدل على انه فهم حكما خلاف الاول
وعلى تقدير الاختلاف فهما بالوحي او بالاجتهاد وفيه خلاف بين العلماء فمنهم من لم يجوز الاجتهاد على الانبياء اصلا كالجبائي لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
ولان النبي قادر على تحصيل حكم الواقعة بالنص ولان مقتضى الاجتهاد مظنون وخلاف المظنون لا يوجب الكفر وخلاف الرسول يوجب الكفر ولما ثبت ان
النبي كان يتوقف في بعض الاحكام انتظارا للوحي ولو جاز له الاجتهاد لم يتوقف ولانه لو جاز على النبي لجاز على جبرئيل ايضا
وحينئذ يرتفع الامان عن الوحي فلعل هذه الشرائع من مجتهدات جبرئيل واجيب بانه اذا اوحي اليه جواز الاجتهاد لم يصح قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى او بان الحكم الحاصل عن الاجتهاد مقطوع لا مظنون لانه تعالى اذا قال له مهما غلب على ظنك كون الحكم في الاصل معللا بكذا ثم غلب على ظنك قيام
المعنى في صورة اخرى فاحكم بذلك فهذا الحكم مقطوع به والظن واقع في طريقه سلمنا جواز المخالفة لكنه مشروط بصدوره عن غير المعصوم ولهذا لو اجمعت الامة
على مسئلة اجتهادية امتنع خلافهم وحال الرسول كذا وبان التوقف لعله وجد منه حين لم يظهر له وجه الاجتهاد وباقي الائمة اجمعوا على عدم جواز اجتهاد جبرئيل وعلى ان
على جواز الاجتهاد لنا انه اذا غلب ظن المجتهد احد الطرفين فان عمل بهما كان جمعا بين النقيضين وان اهملهما لزم ارتفاع النقيضين وان عمل بالمرجوح دون الراجح
فذلك باطل بالاتفاق فلم يبق الا العمل بالراجح قال الجبائي ولئن سلمنا ان الاجتهاد على الانبياء جائز لكن هذه المسئلة غير اجتهادية لان الذي اتلفه صاحب
الماشية مجهول المقدار فكيف يجعل الغنم في مقابلته ذلك وايضا ان اجتهاد داود ان كان صوابا فالاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد وان كان خطأ فكيف لم يذكر الله
توبته بل مدحه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما وايضا لو حكم بالاجتهاد لم يسم ذلك علما وايضا قوله ففهمناها يدل على انه من الله تعالى لا من سليمان واجيب بان الجهالة بعد
تسليمها قد يكون معفوا عنها كما في حكم المصراة ولعل الخطأ في اجتهاد داود كان من الصغائر فلهذا اهمل ذكره والاجتهاد من باب العلوم والظن في الطريق كما مر والذي
يحصل عقيب نظر المجتهد مستند الى الله اما الذين منعوا من الاجتهاد مطلقا او في هذه المسئلة فذهبوا الى ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمن ولا استبعاد في ان يوحى
الناسخ الى غير من اوحي اليه المنسوخ قال الفقهاء مثال حكومة داود في شرعنا قول ابي حنيفة رحمه الله في العبد اذا جنى على النفس خطأ يدفعه المولى بذلك او يفديه
وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ومثال حكومة سليمن قول الشافعي رحمه الله فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن
بقيمته فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد تراد او يقال له ضمان الحيلولة هذا ولو وقعت هذه القضية في شرعنا فلا ضمان
عند ابي حنيفة واصحابه لا بالليل ولا بالنهار لان جرح العجماء جبار الا ان يكون معها سائق وعند الشافعي يجب الضمان بالليل دون النهار لان الليل وقت لهدو
وجمع الماشية فيتهم بها التقصير من صاحبها بخلاف النهار وعن البراء بن عازب انه كانت له ناقة ضارية فدخلت حائطا فافسدت فذكر ذلك لرسول الله
فقضى ان حفظ الحوائط بالنهار على اهلها وان حفظ الماشية بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل قال بعض الاصوليين كل مجتهد مصيب لقوله
وكلا آتينا حكما وعلما وقال بعضهم المصيب واحد لقوله ففهمناها سليمان ولو كان كلاهما مصيبا لم يكن لتخصيص سليمان بالفهم فائدة وضعف بعضهم كلا الاستدلالين بعد
تسليم ان ما ثبت في شرعهم لا يلزم ان يكون ثابتا في شرعنا ولما مدح داود وسليمن على سبيل الاشتراك ذكر ما يختص بكل منهما بدأ بداود فقال وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن اي حال كونهن مسبحات او هو استئناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير وهو معطوف على الجبال او مفعول معه وتسبيح الجبال اما حقيقة او مجاز وعلى الاول
قال مقاتل كان اذا سبح داود سبح الجبال والطير وقال الكلبي اذا سبح داود اجابته الجبال وقال سليمن بن حيان كان داود اذا وجد فترة امر الله تعالى الجبال فسبحت
فيزداد نشاطا واشتياقا وعلى الثاني قيل كانت الجبال تسير معه حيث سار فكل من رآها كان يسبح الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به وهذا القول اختيار كثير
من اصحاب المعاني والمعتزلة لان الجماد غير قابل للحيوة والفهم عندهم ولان المتكلم هو الذي يفعل الكلام لا الذي يكون محلا للكلام ولهذا يقال ان المتكلم هو الله حين كلم موسى
لا الشجرة وانما قدم تسبيح الجبال على الطير لان ذلك ادل على القدرة وادخل في الاعجاز فان الطير اقرب الى الحيوان الناطق من الجماد ولا يلزم من نطق الطير والجبل
ان يكونا مكلفين فليس كل ناطق مكلفا كالاطفال والمجانين وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل امثال هذه الخوارق على ايدي الانبياء فلا تستبعدوها وان
كانت عجيبة عندكم اللبوس اللباس قال الليث لكل حالة لبوس والمراد الدرع عن قتادة انها كانت صفائح فسردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين
وتوارث الناس منه وعمت النعمة بها كل المحاربين فلذلك قال فهل انتم شاكرون قال علماء المعاني هذا التركيب ادخل في الانباء عن طلب الشكر من قولنا فهل تشكرون
او فهل انتم تشكرون لان الفعل فيه مقدر اي فهل تشكرون ومن قولنا افانتم شاكرون لانه وان كان ينبئ عن عدم التجدد لكن الجملة الاسمية دون المذكور في القرآن
فان هل ادعى للفعل من الهمزة فترك الفعل معه يكون ادخل في الانباء عن استدعاء المقام عدم التجدد ولان تخلف المعلول عن العلة القوية يدل على وجود مانع
اقوى منه اذ التخلف عن العلة الضعيفة ثم حكى انعامه على سليمان فقال ولسليمن اي وسخرنا له الريح حال كونها عاصفة ولا ينافي هذا قوله في ص فسخرنا له الريح
تجري بامره رخاء والمراد انها مع كونها في نفسها رخية طيبة كالنسيم كانت في عملها عاصفة تحمل كرسيه من اصطخر الى الشام او انها كانت في وقت رخاء
وفي وقت عاصفا لهبوبها على حسب ارادته وامره وفي قوله وكنا بكل شيء عالمين اشارة انه تعالى فعل كل ما فعل بالانبياء المذكورين عن حكمة بالغة وتدبير محكم
واحاطة باحوالهم وعلم بمصالحهم قوله ومن الشياطين اي وسخرنا من الشياطين من يغوصون له ويجوز ان يكون الكلام خبرا ومبتدأ ومن موصولة او موصوفة كانوا
يغوصون لاجله في البحار فيستخرجون الجواهر ويعملون عملا دون ذلك اي متجاوزا ما ذكر من بناء المدائن والقصور وسائر مواضع الصنائع العجيبة قالت العلماء الظاهر
ان التسخير للكفار منهم دون المؤمنين منهم لاطلاق الشياطين ولقوله وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره ويبدلوا او يوجد منهم فساد في الجملة اذ كان من دابهم
ان يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار والحفظ اما بسبب الملائكة او بمؤمني الجن الموكلين بهم او بان حبب اليهم طاعته وخوفهم مخالفته قال ابن عباس في الخبر ويريد ان سلطه
عليهم يفعل بهم ما يشاء قال الجبائي كيف يتهيأ منهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة وانما يمكنهم الوسوسة فقط فلعل الله تعالى كثف اجسامهم خاصة وقواهم على
الاعمال الشاقة وزاد في عظمهم معجزة لسليمان فلما مات سليمان ردهم الى الخلقة الاولى اذ لو ابقاهم على الخلقة الثانية لكان شبهة على الناس فلعل بعض الناس يدعي النبوة
ويجعله دلالة عليها واعترض عليه الامام فخر الدين الرازي سلمنا لم قلت ان الجن اجسام فلعلهم من الموجودات التي ليست متحيزة ولا حالة في المتحيز ولا يلزم منه
الاشتراك مع الباري فان الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا يدل على الاشتراك في الملزومات فضلا عن اللوازم السلبية سلمنا ان الجن اجسام لكن لم قلت ان
البنية شرط للقدرة ولم يقم دليلكم الا الاستقراء الضعيف سلمنا انه لا بد من تكثيف اجسامهم فمن اين يلزم ردها الى الخلقة الاولى قوله يفضي الى التلبيس قلنا اذا
ثبت ان ذلك كان معجزة لنبي قبله لم يمكن المتنبي من الاستدلال ومن عجيب قدرة الله تعالى انه اصلب الاجسام في هذا العالم الحجارة والحديد وقد سخرهما تعالى
لداود فانطق الحجر ولين الحديد وفي ذلك دلالة باهرة على انه تعالى قادر على احياء العظام الرميمة ومن الغرائب ان الشياطين مخلوقة من النار وكان يامرهم بالغوص
في الماء وفيه اظهار الضد من الضد فتبارك الله رب العالمين ومن عجائب القصص والاخبار حكاية ايوب وصبره على بلائه حتى صار مثلا عن وهب بن منبه

انه كان من الروم من ولد عيص بن اسحق وكانت امه من ولد لوط اصطفاه الله وجعله نبيا ومع ذلك بسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله وكان له سبعة بنين
وسبع بنات وله اصناف المواشي وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل وكان ابليس لا يحجب عن السموات حين اخرجه الله من الجنة حتى رفع
عيسى فحجب عن اربع حتى اذا ولد نبينا صلى الله عليه وسلم حجب عن جميع السموات الا من استرق السمع قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة في شان ايوب فادركه
الحسد فقال يا رب انك انعمت على عبدك ايوب فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة ولا بلاء وانا زعيم ان ضربته بالبلاء ليكفرن بك فقال الله تعالى انطلق
فقد سلطتك على ماله فجمع ابليس عفاريت الجن وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني سلطت على مال ايوب فقال عفريت اعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا
من نار فاحرقت كل شيء فقال ابليس فات الابل ورعاتها فذهب ولم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار لا يدنو منها شيء الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها
حتى اتى على آخرها فذهب ابليس على شكل اولئك الرعاة الى ايوب فوجده قائما يصلي فلما فرغ من الصلوة قال يا ايوب هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترت
الابل ورعاتها فقال ايوب انها ماله اعارنيه وهو اولى به اذا شاء نزعه فقال ابليس ان الناس منهم من يقول كان ايوب يعبد شيئا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان الهه يقدر
على شيء لمنع من وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به اعداؤه ويفجع به اصدقاؤه فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني خرجت من بطن
امي عريانا وانبعث في التراب عريانا واحشر الى الله تعالى عريانا ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لقبض روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا واجرك فرجع
ابليس الى اصحابه خاسئا فقال عفريت آخر ان عندي من القوة ما اذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت نفسه فقال ابليس فات الغنم ورعاتها فانطلق فصاح
بها فماتت وماتت رعاتها فخرج متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب فقال له القول الاول ورد عليه ايوب الرد الاول فرجع ابليس صاغرا فقال له عفريت آخر عندي من القوة
ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفة اقلع كل شيء اتيت عليه قال فاذهب الى الحرث والثيران فاتاهم فاهلكهم ثم اخبر ابليس ايوب فرد عليه مثل الرد الاول فجعل ابليس
يصيب امواله شيئا فشيئا حتى اتى على جميعها فلما رأى ابليس صبره على ذلك صعد الى السماء وقال يا الهي هل انت مسلطي على ولده فانها الفتنة الكاملة فقال الله تعالى
انطلق فقد سلطتك فاتى اولاد ايوب في قصره وقلب القصر عليهم ثم جاء الى ايوب متمثلا بالمعلم وهو جريح مشدوخ الراس يسيل دمه ودماغه فقال لو رأيت بنيك
كيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم يسيل ادمغتهم من انوفهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويرققه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على راسه
فاغتنم ذلك ابليس ثم لم يلبث ايوب حتى استغفر واسترجع فصعد ابليس ووقف موقفه وقال يا الهي انما هون على ايوب خطب المال والولد لعلمه انك تعيد له المال
والولد فهل انت مسلطي على جسده واني لك زعيم لو ابتليته في جسده ليكفرن بك فقال تعالى انطلق فقد سلطتك على جسده وليس لك سلطان على عقله
وقلبه ولسانه فاتاه وايوب ساجد فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده وخرج من فرقه الى قدمه ثآليل وقد وقعت فيه حكة لا يملكها فكان يحك باظفاره
حتى سقطت اظفاره ثم حكها بالمسوح الخشنة ثم حكها بالفخار والحجارة ولم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له
عريشا ورفضه الناس كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف عليه السلام فكانت تصلح امره ثم ان وهبا طول في الحكاية الى ان قال ايوب عليه السلام
واقبل على الله تعالى مستغيثا متضرعا اليه فقال يا رب لاي شيء خلقتني يا ليتني كنت عرفت الذي اذنبت والعمل الذي عملت حتى صرفت
وجهك الكريم عني الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي انا عبد ذليل ان احسنت فالمن لك وان اسأت فبيدك عقوبتي جعلتني
للبلاء غرضا وسلطت علي ما لو سلطته على جبل لضعف من حمله الهي تقطعت اصابعي وسقطت لهواتي وتناثر شعري وذهب المال وصرت اسال اللقمة فيطعمني من
يمن بها علي ويعيرني بفقري وهلاك اولادي قال الامام ابو القاسم الانصاري في جملة هذا الكلام لبيك لو كرهتني لم تخلقني ثم قال ولو كان ذلك صحيحا لاغتنمه ابليس
فان قصده ان يحمله على الشكوى وان يخرجه من زمرة الصابرين قلت ان غرض ابليس لم يحصل بمجرد الشكوى وانما كان غرضه ان يرتد ايوب ولهذا قال سفيان بن عيينة
من شكا الى الله تعالى فانه لا يعد ذلك جزعا اذا كان في شكواه راضيا بقضاء الله تعالى وليس من شرط الصبر استحلاء البلاء الم تسمع قول يعقوب انما اشكو بثي
وحزني الى الله وما حكى الله سبحانه من شكوى ايوب قوله اني مسني الضر والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال قال ابن عباس الطف في السؤال
حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة عليه وذكر ربه بما يوجب ان يفيد الرحمة عنه ولم يصرح بالمطلوب وحسن الطلب باب من ابواب الادب يحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد
الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصا فقال لها الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا وفي قوله وانت ارحم الراحمين
رمز الى انه جواد مطلق لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا لمضرة يدفعها عنه ولا يجلب ثناء ولا يطلب مدحا وكل من سواه فانما رحمته لغرض من الاغراض او لرقة طبع ونحو
ذلك على ان تلك الرحمة ايضا يتوقف على داعية يخلقها الله تعالى فيه والآلام والآفات التي نراها في هذا العالم كلها مستندة الى حكمة فهي التي لا بد لكل شيء
منه او مستتبعة لمصالح وغايات لا يعلمها الا هو وانها ضرورية في الوجود لاشتمالها على خيرات اكثر من الشرور واختلف العلماء في السبب الذي لاجله دعا
ايوب قوم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ايوب بقي في البلاء ثماني عشرة سنة رفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه
ويروحان فقال احدهما ذات يوم لو علم الله من ايوب خيرا ما بلغ الى هذه الحالة قال فما شق على ايوب شيء مما ابتلي به مثل ما سمع منهما فقال اللهم ان
كنت تعلم اني لم ابت شبعان وانا اعلم مكان جائع فصدقني فصدق وهما يسمعان ثم خر ايوب ساجدا وقال اللهم اني لا ارفع راسي حتى تكشف ما بي فكشف الله
ما به وقال الحسن مكث ايوب بعد ما القي على الكناسة سبع سنين واشهرا ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امرأته صبرت معه وكانت تاتيه بالطعام وكان ايوب
مواظبا على حمد الله والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه فصرخ ابليس صرخة جزعا من صبر ايوب فاجتمع جنوده من اقطار الارض وقالوا له ما خبرك قال اعياني
هذا العبد الذي سألت الله ان يسلطني عليه وعلى ماله وولده فانه لا يزيد بالبلاء الا صبرا وحمدا لله تعالى فقالوا له اين مكرك الذي اهلكت به من مضى من قبل
آدم حين اخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشانك بايوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها لانه لا يقربه احد غيرها فانطلق حتى اتى
امرأته فتمثل لها في صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله قالت هو ذا يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده فظن ابليس انها جزعت فطمع فيها ووسوس
اليها وذكرها ما كان بها من النعم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم ان قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح هذه باسمي ايوب
ويبرأ قال فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال واين الماشية اين الولد اين الصديق اين اللون الحسن اين جسمك الذي قد بلي وقد صار
مثل الرماد وتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح فقال ايوب اتاك عدو الله ونفخ فيك ويلك من اعطانا الذي تذكرين من المال والولد والصحة
قال الله تعالى كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويلك ما انصفت ربك الا صبرت
في البلاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتني ان اذبح لغير الله وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك الذي
تاتيني به فطردها فلما نظر ايوب في شانه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خر ساجدا وقال اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
فقال ارفع راسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ثم ضرب رجله مرة
اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار احسن مما كان حتى ذكر ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا

من وهب تحمل الغنيمة بيده فأوحى اليه يا ايوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب انه طردني أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لأرجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحالة فجعلت تطوف وتبكي وهابت ايوب وقالت للرجل يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة فقال لو عرفته اذا رأيته قالت وهل يخفى على احد يراه فتبسم فقال انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال انك امرتني ان اذبح لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان فدعا الله تعالى برحمة فرد ذلك الرواية الثالثة قال الضحاك ومقاتل بقي في البلاء سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات فلما غلب ايوب ابليس ذهب الى امرأته على هيئة ليس بهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس كمراكب الناس وقال لها انت صاحبة ايوب قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض انا صنعت بايوب ما صنعت وذلك انه عبد اله السماء وتركني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك جميع ما كان من مال وولد فان ذلك عندي قال وهب وسمعت انه قال لو ان صاحبك اكل طعاما ولم يسم الله تعالى لعوفي مما به من البلاء وايضا قال لها لو شئت فاسجدي لي سجدة واحدة حتى ارد عليك المال والولد وأعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته فقال لها اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم لئن عافاه الله لأجلدنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر يعني من طمع ابليس في سجودي وسجود زوجتي له الرواية الرابعة قال اسمعيل السدي ان ابليس تمثل لقوم في صورة بشر فقال لئن تركتم ايوب في قريتكم اعدى اليكم ما به من العلة فاخرجوه الى باب البلد ثم قال لهم ان امرأته تدخل بيوتكم وتلمس زوجها أما تخافون ان يعدي اليكم علته فحينئذ لم يستعملها احد فتحيرت وكان لها ثلاث ذوائب فعمدت الى احديها وقطعتها وباعتها فاعطوها بذلك خبزا ولحما فقال ايوب من اين هذا فقالت كل فانه حلال فلما كان من الغد لم تجد شيئا فباعت الثانية وكذلك فعلت في اليوم الثالث وقالت كل فانه حلال فقال لا آكل او تخبريني فاخبرته فبلغ ذلك من ايوب ما الله به عليم فقال رب اني مسني الضر الرواية الخامسة قيل سقطت دودة من فخذه فرفعها وردها الى موضعها وقال قد جعلني الله طعمة لك فعضته عضة شديدة فقال مسني الضر فاوحى الله تعالى اليه لولا اني جعلت في كل شعرة منك صبرا لما صبرت واعلم ان مس الضر ههنا مطلق لكنه ورد في ص مقيدا وذلك قوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فيحتمل ان يكون مسنده الله تعالى الا ان الجبائي طعن فيها بان الشيطان كيف يقدر على احداث الامراض والاسقام والقادر على ذلك قادر على خلق الاجسام وحينئذ يكون الها وايضا ان هذه التأثيرات تنافي قوله سبحانه حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم والجواب انه كان باذن من الله كما حكينا فلا محذور ولا تنافي وقال الجبائي انه لم يسأل الله الا عند امور مخصوصة والجواب ان الامور مرهونة بأوقاتها قال بانها امراض الانبياء الى حد التنفير من القبول غير جائز والجواب المنع وكأنها بشرط العافية في العاقبة قوله سبحانه فكشفنا ما به من ضر يقتضي اعادته الى ما كان في بدنه واحواله وقوله وآتيناه اهله ومثلهم معهم تفصيل لذلك المجمل وفيه قولان الاول قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومقاتل والكلبي ان الله تعالى احيى له اهله يعني اولاده باعيانهم والثاني قال الليث ارسل مجاهد الى عكرمة وسأل عن الآية فقال اراد ان اهلك لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقد روي ان زوجته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا له ثم بين الحكمة في ذلك الابتلاء وفي الاستجابة بقوله رحمة من عندنا لايوب وذكرى لغيره من العابدين او الرحمة والذكرى كلاهما للعابدين ليتفكروا ويصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب وانما خص الرحمة والتذكرة بالعابدين لانهم هم المنتفعون بذلك لا الذين يعبدون الهوى والشيطان قال اهل البرهان وانما قال في هذه السورة رحمة من عندنا وقال في ص رحمة منا لانه بالغ ههنا في الدعاء بزيادة قوله وانت ارحم الراحمين فبالغ في الاستجابة لان لفظ عند يدل على مزيد التخصيص وانه سبحانه وتعالى تولى ذلك من غير واسطة وحين ذكر صبر ايوب والتقاطه ذكر غيره من الانبياء المشهورين بالصبر منهم اسمعيل يوم صبر على الانقياد للذبح وعلى الاقامة بواد لا زرع فيه ولا ضرع وصبر على بناء البيت ورفع قواعده فلا جرم اخرج الله ببركته ذلك من صلبه خاتم النبيين ومنهم ادريس وقد مر ذكره في سورة مريم قال ابن عمر بعث الى قومه داعيا لهم الى الله تعالى فابوا فاهلكهم الله ورفع ادريس الى السماء ومنهم ذو الكفل قيل هو زكريا وعلى هذا فقد تقدمت قصته وفي هذا القول نظر لان قصة زكريا ويحيى عن كثب فيلزم التكرار وقيل هو الياس وكان خمسة من الانبياء ذوي اسمين اسرائيل ويعقوب والياس وذو الكفل وعيسى والمسيح ويونس وذو النون ومحمد واحمد وقيل يوشع بن نون سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله دينا ودنيا او لانه كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم قال ابو موسى الاشعري ومجاهد انه لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا وقال الحسن والاكثرون انه من الانبياء وهذا اقرب لانه معطوف عليهم معدود فيما بينهم يروى عن ابن عباس ان اليسع نبيا آخر في بني اسرائيل قرب وفاته فاراد ان يستخلف رجلا على الناس فقال من يتقبل مني ثلاثا اخلفه على ان يصلي بالليل ويصوم بالنهار ويقضي بين الناس فلا يغضب فقام رجل قال انا اتكفل لك بهذه الثلاثة فدفع اليه ملكه فحسده ابليس فاتاه وقت القيلولة فقال ان لي غريما قد ظلمني حقي وقد دعوته اليك فابى فارسل معي من يأتيك به فارسل معه وقعد حتى فاتته القيلولة وعاد الى صلوته وصلى ليلة الى الصباح ثم اتاه من الغد وقال مثل ذلك حتى شغله عن القيلولة وهكذا في اليوم الثالث وقيل انه في الثالث قال للبواب قد غلب علي النعاس فجاء ابليس فلم يأذن له البواب فدخل من كوة البيت ودق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وعاتب البواب فقال اما من قبلي فلم يؤت فقام الى الباب فاذا هو مغلق وابليس على صورة شيخ في البيت فقال له اتنام والخصوم على الباب فعرفه وقال ابليس فقال نعم اعييتني في كل شيء ففعلت هذه الافعال لاغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه قد وفى بالكفالة ولا خلاف ان ذا النون هو يونس لان النون هو السمكة والاكثر اذا ذهب ان يكون غضبا محضا وبين ان يكون معقبا فالحمل على العقد اولى وقد اختلفوا في ان وقوعه في بطن الحوت كان قبل اشتغاله باداء الرسالة او بعده اما القول الاول فعن ابن عباس رض ان يونس وقومه كانوا من فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيا عم ان اذهب الى حزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فاني القي في قلوب اولئك ان يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك من ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس بن متى فانه قوي امين فدعاه الملك وامره ان يخرج فقال له يونس هل امرك الله باخراجي قال لا قال فههنا انبياء غيري فالحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه فاتى بحر الروم فوجد قوما هيأوا سفينة فركب معهم فاضطربت السفينة حتى كادوا ان يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل عاص او عبد ابق لان السفينة لا تفعل هذا من غير ريح الا وفيها رجل عاص ومن عادتنا في مثل هذا البلاء ان نقرع فمن خرجت له القرعة القيناه في البحر حتى تسلم السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة في كلها على يونس عم فقال انا الرجل العاصي والعبد الآبق والقى نفسه في البحر فابتلعه حوت فاوحى الله تعالى الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنا له ولم اجعله طعاما لك ثم نجاه الله تعالى من بطن الحوت ونبذه بالعراء كالفرخ المنتوف ليس عليه شعر ولا جلد فانبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد فلما يبست الشجرة حزن عليها يونس فقيل له اتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة الف او يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب سلامتهم فتوجه يونس نحوهم حتى دخل ارضهم وهم منه غير بعيد فقال لملكهم ان الله ارسلني اليك لترسل معي بني اسرائيل فقالوا ما نعرف ما تقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا ولقد اتيناكم في دياركم وسبيناكم فلو كان كما تقول لمنعنا الله منكم فطاف فيهم ثلاثة ايام يدعوهم الى ذلك فابوا عليه فاوحى الله تعالى اليه قل لهم ان لم تؤمنوا جاءكم العذاب فابلغهم فابوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه فقال علماؤهم اطلبوه فان كان في المدينة

فليس بشيء وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فلم يجدوه فلما يئسوا اغلقوا ابواب مدينتهم فلم يدخلها بقرهم وغنمهم وعزلوا الوالدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات فلما طلع الصبح رأوا العذاب ينزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان وثغت المواشي فرفع الله عنهم فبعثوا الى يونس عم وآمنوا به وبعثوا معه بني اسرائيل القول الثاني وعليه اكثر المفسرين ان قصة الحوت كانت بعد دعائه اهل نينوى وتبليغه رسالة الله اليهم كما في سورة يونس عم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه القصة من وجوه الاول انه ذهب مغاضبا لربه كذا فسره ابن عباس وابن مسعود والحسن والشعبي وسعيد بن جبير ووهب واختاره ابن قتيبة ومحمد بن جرير ومن المعلوم ان مغاضبة الله من اعظم الذنوب ولئن قيل انه كان مغاضبا لقومه فذلك ايضا محظور لانه كان عليه ان يصبر معهم الثاني قوله فظن ان لن نقدر عليه وهو شك في قدرة الله تع الثالث اعترافه بانه من الظالمين والظلم من صفات الذم الرابع اخبار الله تعالى في موضع آخر بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم والملامة ذم المليم الخامس قوله للنبي عم ولا تكن كصاحب الحوت وقال في موضع آخر فاصبر كما صبر اولو العزم والجواب انه عليه السلام غضب لاجل ربه اتقه لدينه وبغضا للكفر واهله فغاضب قومه بمفارقته كيف خوفهم حلول العقاب عليهم عندها فغاية ما في الباب ان تلك المغاضبة ترك الاولى وهو الصبر على مشاق الرسالة بعد اداءها الى ان يأذن الله له في المهاجرة وعن الثاني ان معنى لن نقدر لن نضيق لقوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ومن قدر عليه رزقه فهو من القدر لا من القدرة ويجوز ان يكون من القدر بمعنى القضاء قال الزجاج يقال قدر الله الشيء قدرا وقدره تقديرا والمعنى فظن ان لن نقضي عليه بشدة وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي ورواية ابن عباس في رواية واختاره الفراء والزجاج يقال قدر الله عليه الضراء وقدر له السراء كما يقال حكم القاضي على فلان او له ولئن سلمنا انه من القدرة فالمراد القدرة بالفعل اي فظن ان لن نعمل فيه قدرتنا فالقدرة غير اعمالها فظن انتفاء الاول لفقدان الثاني او هو وارد على سبيل التمثيل والاستعارة اي كانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمة قومه من غير انتظار لامر الله او هو استفهام بمعنى التوبيخ معناه أفظن ان لن نقدر عليه وعن ابن زيد سلمنا الكل لكن هذه الواقعة لعلها قبل رسالته كما حكينا ومثل هذا الظن في حق غير الانبياء لا يبعد بوسوسة الشيطان ولكن المؤمن يرده بعد ذلك بالبرهان وعن البواقي ان الكل راجع الى ترك الاولى ونحن لا ننكر ذلك وكفى بذكر يونس في الانبياء والصابرين الصالحين دليلا على انه لم يصدر عنه شيء ينافي عصمته والله تعالى اعلم اما قوله فنادى في الظلمات فمعنى الجمع راجع الى شدة الظلمة وتكاثفها اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر وقيل ان الحوت اذا عظم غوصه في البحر كان ما فوقه من البحر ظلمة في ظلمة ومعنى ان لا اله الا انت اي لا اله الا انت او بانه لا اله الا انت سبحانك تنزيه له عن كل النقائص منها الظن المذكور على اي وجه فرض ومنها العجز عن تخليصه ومنها خلو ذلك الفعل عن حكمة كاملة اني كنت من الظالمين بالفرار من غير اذن وانا الآن من التائبين وفيه من حسن التقلب ما فيه فلذلك قال فاستجبنا له ثم بين الاستجابة بقوله ونجيناه من الغم اي من غمه بسبب كونه في بطن الحوت وبسبب خطيئته وكما انجينا يونس عن كرب الحبس اذ دعانا كذلك ننجي المؤمنين من كل كرب اذا دعونا بنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه الله الا اقراره على نفسه بالظلم وقد بقي من الآية بحث لفظي وهو ان بعض اهل العربية غلطوا عاصما في قراءته نجي بالتشديد والنون لا تدغم في الجيم واستخرج بعضهم له وجها وهو ان يكون نجي فعلا ماضيا مجهولا من التنجية لكنه ارسل الياء واسند الفعل الى المصدر المضمر ونصب المؤمنين بذلك المصدر اي نجي النجاء المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيدا ثم ضرب زيدا على اضمار المصدر وانشد ابن قتيبة حجة لهذه القراءة ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا وقال ابو علي الفارسي وغيره من الائمة المحققين ان مثل هذا لا يجوز الا في ضرورة الشعر واما الوجه الصحيح في قراءة عاصم ان يحمل ذلك على الاخفاء فلعل الراوي التبس عليه فظنه ادغاما ثم بين انقطاع زكريا وتبتله اليه رغبة فيمن يولي له ويعينه في امر دينه ودنياه وان انتهى الحال به وبزوجته في الكبر الى حد اليأس من ذلك عادة وفي قوله وانت خير الوارثين وجهان احدهما انه ثناء على الرب بان مآل كل الامور اليه فيكون متوكدا لما رخص فيه من امر الولد والثاني انه اراد وان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث وفي اصلاح زوجه وجوه منها انها جعلت صالحة للولد بعد عقرها ومنها انها جعلت حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق ولا شك ان حسن خلق الزوج نعمة عظيمة ومنها ان الاصلاح يتعلق بامر الدين كأنه سأل ربه المعونة على الدين والدنيا بالولد والاهل جميعا ويرد على الوجه الاول ان اصلاح الزوج مقدم على هبة الولد والجواب ان الواو لا يفيد الترتيب او اراد بالهبة ارادة الهبة اما الضمير في قوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات فقد قيل انه عائد الى زكريا وولده واهله وقال جار الله للمذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمسارعتهم في تحصيل الخيرات وهذا من اجل ما يمدح المؤمن به لانه يدل على الجد والرغبة في الطاعة ويدعوننا رغبا في ثوابنا ورهبا من عقابنا ومعنى خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وقيل متواضعين وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وفي تقديم الجار والمجرور على خاشعين اشارة الى انهم لا يخشون احدا الا الله وروي عن ابراهيم النخعي انه الذي اذا ارخى ستره واغلق بابه رأى الله منه خيرا وقيل هو الذي يأكل خشنا اي غليظا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه ولما فرغ من ذكر الرجال الكاملين ذكر من هي سيدة نساء العالمين فذكرها باحصان فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا حتى انها منعت جبريل حين دخل درعها قبل ان عرفه والنفخ فيها عبارة عن احياء عيسى في بطنها اي نفخنا الروح في عيسى فيها كقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته او المراد فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها وهذا البيان هو المراد في سورة التحريم فلذلك قال هناك فنفخنا فيه اراد فرج الجيب وغيره وانما قال وجعلناها وابنها آية لانه اراد ان مجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل التأويل الاشارات المفهومة من قصص الانبياء قد سلف اكثرها فلنذكر ما يختص بالمقام منها قوله بل فعله كبيرهم اي الله الكبير لان كسر الاصنام ليس من طبيعة الانسانية بل من طبعها ان يحبها فان صدر من احدهم كسرها فانما ذلك بتوفيق الله وتأييده فقوله هذا بدل الكل من الضمير في فعله قالوا حرقوه اذا اراد الله ان يكمل عبدا من عباده المخلصين فداه خلقا عظيما كما لو اراد استكمال حوت في البحر فداه كثيرا من الحيتان الصغار فلما اراد تخليص ابراهيم خليله من غش البشرية جعل نمرود وقومه فداء له حتى اجتمعوا على تحريقه ولم يعلموا ان تلك النار له نور وذلك العذاب له روح وريحان لان نار العشق قد احرقت انانيته حتى لم يبق غير الله بل لم يبق الا هو فلم يكن للنار ان يتصرف فيه فوقع قوله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم تمثيلا لهذا المعنى شعر بالنار خوفني قومي فقلت لهم النار ترجمن في قلبه نار ونجيناه ابراهيم الروح ولوط القلب من ارض البشرية الى ارض الروحانية المتبركة من غير راعي العقل فافسدت الحرث بالافراط والاسراف المشرقة بتجلي الذات والصفات ونجيناه من قرية القالب التي كانت تعمل الخبائث بالاوصاف البهيمية والسبعية وداود الروح وسليمان القلب اذ يحكمان في شأن حرث الدنيا اذ نفشت اي دخلت فيه في ظلمة ليل البشرية غنم القوم اي الصفات البشرية من غير راعي العقل فافسدت الحرث بالافراط والاسراف فحكم الروح بانجذابه الى عالمه بالكلية ان يمنع الاوصاف عن التصرف فيها مطلقا ففهمناها سليمان القلب لكونه متقلبا في الطورين الروحي والجسد ان يحكم بمنع الاوصاف عن التصرف فيها الى ان يعود الحرث من حالة الاسراف فيه المؤدي الى الفساد الى حالة التوسط والاعتدال الذي هو المعتبر في باب الكمال والاكمال جمعا بين المصلحتين ورعاية للجانبين وسخرنا مع داود الروح الجبال وهي الاعضاء والجوارح التي فيها ثقل وكثافة يسبحن بتسبيحه والطير وهي القوى الحيوانية السيارة بل الطيارة بين فضاء القلب والقالب في الباطن والظاهر فاذا استولى سلطان الذكر على اجزاء البدن انعكس نوره في مرآة القلب الى اجزائها كاد

والحيوانات فيذكر ان يذكره كالحصاة سبحت في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة انه قال كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه وعلمناه صنعة لبوس لكم ان الله تعالى الهم داود الروح كيفية الآية للقلب الذي هو في القادة بمنزلة الحديد حتى يتولد من ذلك القلب اوصاف حميدة تحصن الانسان من بأس الاعداء التي هي النفس والهوى والشيطان وسخرنا لسليمان القلب ريح الروح الحيواني فانه مركب الروح الانساني به يتهيأ له السير الى مقام بورك فيه ومن الشياطين وهم الاوصاف النفسية من يغوصون له في بحار الحديد فيستخرجون درر الفضائل الانسية ويعملون عملا دون ذلك من الوسائط والوسائل الى تلك الفضائل وكنا لهم حافظين من ان يزيغوا عن سواء السبيل ويميلوا عن جادة الشريعة وقانون الطريقة قال اهل التحقيق اذا بلغ الاطفال مبلغ الرجال البالغين سخر الله له بحسب مقامه السفليات والعلويات كما سخر لسليمان الريح والجن والشياطين والطير ومن العلويات الشمس حين ردت لاجل صلوته وسخر لداود من الجبال والطير والحديد والاحجار التي قتل بها جالوت وسخر لنبينا صلى الله عليه وسلم جميع السفليات والعلويات حتى قال لي الارض وقال واوتيت مفاتيح خزائن الارض وكان الماء ينبع من بين اصابعه وقال نصرت بالصبا وكانت الاشجار تسلم عليه وتسجد له وتقلع باشارته من مكانها وترجع والحيوانات تكلم معه وتشهد بنبوته وقال اسلم شيطاني على يدي واما من العلويات فقد انشق القمر باشارته وسخر له البراق وجبرئيل وعبر السموات والجنة والنار والعرش والكرسي الى مقام قاب قوسين او ادنى واوتيا للقلب السليم بميدان الهواجس والوساوس الذي فارقه اوصافه الحميدة واخلاقه الشريفة لشدة تألمه بالعلائق البدنية وعوائق الامور الدنيوية فكشفنا ما به من ضر بان قلنا اركض برجلك نظره الى ان ينبسك لينبع اوجيرة العلم والمعرفة فتسلم من تعلقات الكونين المؤذية للقلب والروح وذا النون الروح اذ ذهب من عالمه مغاضبا الغيره من المجردات فالتقى في بحار الدنيا فالتقمه حوت النفس الامارة بالسوء وابتلع حوت النفس حوت القالب فنادى في الظلمات حجب النفس والقالب والدنيا وزكريا الروح وهبنا له يحيى القلب واصلحنا له زوج القالب ويدعوننا رغبا في الفنا فينا ورهبا من البقاء بانانيتهم وكانوا لنا خاشعين اما القالب فباعمال الشريعة واما النفس فبتهذيب الاخلاق واما القلب فبالاطمينان بذكر الله واما السر فبالجنوح في كشف الاسرار واما الروح فببذل الوجود في طلب المعبود واما الخفي فبالفناء في الله والبقاء بالله والتي احصنت فرجها بالنفس حفظت قلبها عن تصرفات الكونين فاحيينا [illegible]

ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون
فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية
اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون
واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا
بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها
وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقيهم الملائكة هذا
يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدانا اول خلق
نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون
فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه
يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين
قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

وحرم بكسر الحاء وسكون الراء حمزة وعلي وعاصم غير حفص ولا يزيد عن المفضل فتحت بالتشديد ابن عامر ويزيد ويعقوب لا يحزنهم الياء وكسر الزاء يزيد تطوى بضم التاء الفوقانية وفتح الواو والسماء بالرفع يزيد للكتب على الجمع حمزة وعلي وخلف وحفص هذا مثل اشانا قال بالالف على حكاية قول

الرسول رب بحذف الياء اكتفاء بالكسرة حفص غير الخراز رب بضم الباء يزيد ربي بالياء على انه مبتدا احكم على صيغة التفضيل يزيد عن يعقوب [illegible] رب احكم يصفون على الغيبة المفضل وابن ذكوان في رواية الوقوف واحدة ز لان المقصود من قوله وانا ربكم قوله فاعبدون وكان الكلام متصلا فاعبدون ه بينهم ط راجعون ه لسعيه ج لاختلاف الجملتين كاتبون ه لا يرجعون ه ينسلون ه كفروا ط لاضمار القول ظالمين ه جهنم ط واردون ه ما وردوها ط خالدون ه فيها لا يسمعون ه الحسنى لا لان ما بعده خبر ان مبعدون ه لا لان ما بعده خبر بعد خبر حسيسها ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف خالدون ج لا الجملة بعد وان يكون صفة واستينافا الملائكة ط لان التقدير قائلين هذا يومكم توعدون ه للكتب ط لان الجار يتعلق بما بعده نعيده ط لحق المصدر اي وعدنا وعدا علينا ط فاعلين ه الصالحون ه عابدين ه ط لاختلاف الجملتين للعالمين ه واحد ج لاستفهام مع الفاء مسلمون ه على سواء ط لابتداء النفي توعدون ه تكتمون ه حين ه بالحق ط لان ما بعده مبتدا خارج عن المقول ومن قرأ رب احكم فوقفه مجوز لنوع عدول من الواحد الى الجمع يصفون ه

لما فرغ من قصص الانبياء اراد ان يذكر ما استقر عليه امر الشرائع في اخر الزمان فقال ان هذه امتكم فالامة الدين والطريقة لانه اصل وقانون يرجع اليه والتركيب والادلة على ذلك وهذا اشارة الى ملة الاسلام اي ان هذه الملة هي طريقتكم وسيرتكم التي يجب ان يكونوا عليها حال كونها طريقة واحدة غير مختلفة وانا ربكم لا غيري فاعبدون والخطاب للناس كافة وكان الظاهر ان يقال بعده وتقطعتم امركم بينكم اي جعلتم امر دينكم بينكم قطعا كما يتقسم الشيء بين الجماعة فيصير لهذا نصيب ولهذا نصيب فرقا مختلفة واحزابا شتى الا انه عدل عن الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم الى غيرهم فيقول الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفرقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة وان امتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة ويخلص فرقة واحدة قالوا يا رسول الله ومن الفرقة الناجية قال الجماعة فهذا الحديث مقرر للآية من حيث ان هذه الامة يجب ان يكونوا على كلمة واحدة طعن بعضهم في الحديث انه ان اراد باثنين وسبعين فرقة اصول الاديان فانها لا يبلغ هذا العدد وان اراد الفروع فانها اضعاف هذا العدد واجيب بانه اراد سيفترق امتي هذا العدد في حال ما وهذا لا ينافي كون العدد في بعض الاحوال انقص او ازيد قال اهل البرهان انما قال في هذه السورة فاعبدون وتقطعوا بالواو وفي المؤمنين فاتقون فتقطعوا بالفاء لان الخطاب ههنا اعم والعبادة اعم من التقوى وايضا الخطاب ههنا اول الكفار وقد وجد منهم التقطع قبل هذا القول وفي سورة المؤمنين الخطاب للنبي والمؤمنين بدليل قوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ثم قال فتقطعوا اي ظهر منهم اي من امتهم التقطع بعد هذا القول ولما التقطع منهم اوجب اكده هناك بقوله زبرا وفي قوله كل الينا راجعون وعيد عظيم للفرق المختلفة ثم فصل مآل حالهم بقوله فمن يعمل الآية فالكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه في قوله فاولئك كان سعيهم مشكورا وانما لم يقل فلا يكفر سعيه لان نفي الجنس ابلغ فان نفي الماهية يستلزم نفي جميع افرادها وفي قوله وانا له اي لذلك السعي كاتبون مبالغة اخرى فان المثبت في الصحيفة ابعد من النسيان والغلط كما قيل قيدوا العلم بالكتابة ولاسيما اذا كان الكاتب ممن لا يجوز عليه السهو والنسيان قال المفسرون معناه حافظون لنجازي عليه وقيل مثبتون في ام الكتاب او في صحف الاعمال هذا حال السعداء ثم احوال اضدادهم فذلك قوله وحرام ومن قرأ وحرم فانه فعل بمعنى مفعول والتركيب يدور على المنع اي ممتنع او ممنوع وهو خبر لابد له من مبتدا وذلك قوله انهم لا يرجعون او غيره وذلك ان الرجوع اما الرجوع عن الشرك الى الاسلام او الرجوع الى الدنيا او الى الآخرة وعلى الاول فاما ان يكون لا زائدة كما لحقت للتاكيد ومعنى الآية ممتنع على اهل قرية عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ان يرجعوا ويتوبوا الى ان تقوم الساعة والمراد تصميمهم على الكفر واما ان يكون مستعملة ولكن الحرام بمعنى الواجب وتسمية احد الضدين باسم الآخر لاشتراكهما في المنع الا ان الوجوب منع عن الترك والحرمة منع عن الفعل وقد ورد في الاستعمال مثل ذلك قال سبحانه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا وترك الشرك واجب وليس بحرام وقالت الخنساء شعر وان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على صخر وعلى الثاني فالاهلاك على اصله والمعنى ان رجوعهم الى الدنيا ممتنع او عدم رجوعهم واجب الى قيام الساعة نظيره قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون وعلى الثالث فقوله حتى غاية لقوله لا يرجعون اي ممتنع عدم رجوع المهلكين الى عذاب الآخرة حتى الساعة وذلك ان رجوعهم الى عذاب النار قبل الساعة واجب لقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال النبي عليه السلام [illegible] اذا دان رجوعهم الى الآخرة واجب الى هذه الغاية اي انهم يكونون اول الناس حضورا في محفل القيمة وعلى الرابع فالمعنى وحرام عليهم ذلك وهو المذكور من السعي المشكور غير المكفور لانهم لا يرجعون عن الكفر الى ان تقوم الساعة قوله حتى اذا فتحت هي حتى التي يقع بعدها الجملة وهي ههنا مجموع الشرط والجزاء واذا للمفاجاة وهي سدت مسد فاء الجزاء وقد يجمع بينهما للتعاون على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد وانما احتيج الى هذا التاكيد لان الشرط يحصل في آخر ايام الدنيا والجزاء انما يحصل يوم القيمة ولعل بينهما فاصلة بالزمان الا ان التفاوت القليل كالمعدوم والمضاف محذوف اي سد ياجوج وماجوج وتأنيث الفعل لانهما قبيلتان وهما من جنس الانس كما مر في آخر الكهف يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وفي الحديث ان منكم واحدا ومن ياجوج وماجوج الف قوله وهم من كل حدب قال اكثر المفسرين الضمير لياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد وعن مجاهد انه لجميع المكلفين الذين يأتون الى المحشر والحدب ما ارتفع من الارض والنسلان الاسراع واقترب عطف على فتحت وهو داخل في الشرط والوعد الحق القيمة وقوله فاذا هي شاخصة كقوله في سورة ابراهيم ليوم تشخص فيه الابصار قال في الكشاف هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره فقيل فاذا هي مبتدا وشاخصة خبره والابصار بدل او قيل هي ضمير القصة مبتدا والجملة التي هي ابصار الذين كفروا شاخصة خبره جاز وهو قول سيبويه ثم ههنا اضمار اي يقولون يا ويلنا وهو في موضع الحال من الذين كفروا والحال شاخصة قد كنا في غفلة من هذا اليوم اضرابا بل كنا ظالمين نفي تلك الغفلة وتكذيب الرسل وعبادة الاوثان ثم بين حال معبوديهم يوم القيمة فقال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اي محصوبها يعني محصوب بها والحصب الرمي ومنه الحصباء لانه يرمى بها الشيء وقرئ حطب واللام في قوله انتم لها واردون كاللام في قوله عز وجل للرؤيا تعبرون وذلك لضعف عمل اسم الفاعل فيما تقدم عليه والمعنى لابد لكم ان تردوها ولا معدل لكم عن دخولها ثم الزمهم الحجة بقوله لو كان هؤلاء المعبودين آلهة في الحقيقة ما وردوها لكنهم وردوها للخبر الصادق الذي ثبت بصدقه من تأمل في الاعجاز فينتج ان هؤلاء ليسوا بآلهة وانها لا تستحق تعظيما اصلا ثم اخبر انهم بعد ورودهم النار لا يخلصون منها ابدا فقال وكل اي من العابدين والمعبودين فيها خالدون لهم فيها زفير قد سبق بيانه في آخر سورة هود وهم فيها لا يسمعون شيئا لانهم يجعلون في توابيت من نار عن ابن مسعود واما لانه تعالى يصمهم كما يعميهم والصمم في بعض الاوقات لا ينافي كونهم سامعين قول اهل الجنة في غير ذلك الوقت او المراد انهم لا يسمعون ما يسرهم او الضمير للمعبودين والسماع سماع اجابة وعلى هذا فالضمير في لهم فيها زفير للعابدين وجاز اعتمادا على فهم السامع حيث يرد كلا من الضميرين الى ما يليق به كانه قيل العابد يدعو والمعبود لا يجيب ويجوز ان يكون المعبود العقلاء لان فيهم من يتأتى منه الزفير كالشياطين تغليبا او لان الجماد ينطقه الله وقيل الزفير بمعنى [illegible] والله اعلم يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فاخبره الوليد بن المغيرة بما جرى فقال ستعرضنا اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك وانزل الله تعالى ان الذين سبقت الآية فخرج من الحديث ان الآية جواب ابن الزبعرى على ابلغ وجه واكمله كانه قيل اولا ان الآية باقية على عمومها الا ان الذين عبدوا عزيرا والمسيح والملائكة

[illegible]

[illegible]

سورة الحج مكية الا قوله هذان خصمان الى قوله صراط الحميد حروفها خمسة الاف ومائة وخمسة وسبعون
كلمها الف ومايتان واحدى وتسعون آياتها ثمان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ۝ يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ۝ ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ۝ كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه
الى عذاب السعير ۝ يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر
في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ۝ ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم
من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى
الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج
بهيج ۝ ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير ۝
وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ۝ ومن الناس

اذا زلزلت الارض زلزالها [illegible]

[illegible]

من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ۝ ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله
له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ۝ ذلك بما قدمت يداك
وان الله ليس بظلام للعبيد ۝ ومن الناس من يعبد الله على حرف فان
اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة
ذلك هو الخسران المبين ۝ يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك
هو الضلال البعيد ۝ يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
ان الله يفعل ما يريد ۝ من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة
فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ۝ وكذلك
انزلناه ايات بينات وان الله يهدي من يريد ۝ ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم
القيمة ان الله على كل شيء شهيد ۝ الم تر ان الله يسجد له من في السموات و
من في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس
وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء ۝ هذان
خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق
رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد ۝ كلما ارادوا
ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ۝ صدق الله

[illegible]

قلت ان هذا التفسير غير واف فللقائل ان يقول محاصل الايات يرجع الى قولنا ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم بالتدريج واحيينا الارض
بسبب الماء وعدنا الساعة ووعدنا صادق وهذا كلام غير منتظم في الظاهر كما ترى ولو صح هذا الاستغناء عن التطويل بان يقال مثلا لا تشكوا في امر
فانه كائن لا محالة والذي يسنح لي في تفسيره انه سبحانه ازال الشك في امر البعث بقوله ان كنتم في ريب من البعث فنزل ريبكم بهذا الاستدلال ثم قدر
سائل ان يسأل لم خلق الانسان وما يترتب عليه معاشه فاجيب بان لهذا الشأن وهو خلق الانسان اسبابا فاعلية واسبابا غائية اما الاولى فهو
انه تعالى واجب الوجود الحق وانه قادر على كل مقدور ولا سيما احياء الموتى الذي اسنده الينا عليه لانه اهون وان قدرته لا يظهر الا اذا تعلقت بالمقدور
فكمال القدرة بالفعل هو ان يتعلق بكل مقدور يصح في القسمة العقلية وهذا النوع من المقدور كان ثابتا في القسمة لانه واسطة بين العالم العلوي والعالم السفلي
وله تعلق بالطرفين وانجذاب الى القبيلين فوجب في الحكمة والقدرة ايجاده ثم ايجاد ما يتوقف عليه بقاؤه واستكماله واما العلة الغائية فهي ان هذه الدنيا
كانت دار تكليف وقد جبا نواله واذا اخرى لاجل الجزاء وذلك لا يحصل الا بالبعث والنشور ولعل هذا الموضع مما لم يفسره على هذا الوجه غيري ارجو ان يكون
صوابا والله تعالى اعلم بمراده قوله ومن الناس من يجادل عن ابن عباس انه ابو جهل وقيل هو النضر بن الحرث ايضا وكرر للتاكيد كما كرر سائر الاقاصيص و
قال ابو مسلم الاول في المقلدين لانهم قد يجادلون تصويبا لتقليدهم وهذا في المقلدين المتبوعين بدليل قوله ليضل عن سبيل الله قال العلماء اراد بالعلم العلم الضروري
وبالهدى النظري من العلم لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير العلم السمعي المتعلق بالوحي قال بعض اهل اللغة العطف المنكب وقال الجوهري عطفا الرجل جانباه
من لدن رأسه الى وركه ويقال فلان ثنى عطفه عني اي اعرض وقيل هو عبارة عن التكبر والخيلاء كلي الجيد قال جار الله لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه اذ
كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال بالجدال وفسر الخزي ههنا بما اصابه يوم بدر من القتل
الذي مني به من خزي الدنيا وعذاب الاخرة هو بما قدمت يداه وباقي مباحث الاية قد سلف في اواخر آل عمران ثم اخبر عن شقاق اهل النفاق فقال
ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على طرف من الدين لا في وسطه وهذا مثل لكونه مضطربا في امر الدين غير ثابت القدم كالذي يكون على طرف
العسكر ينهزم بادنى سبب وباقي الاية تفصيل لهذا الاجمال قال الكلبي نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا
وولدت امرأته غلاما وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن به وقر وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب
عن دينه الذي اظهره بلسانه وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم منهم الاقرع بن حابس والعباس
بن مرداس وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اقلني فقال ان الاسلام يسبك كما يسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة والاسلام لا يقال ونزلت الاية والفتنة ههنا مخصوصة بالابتلاء
بالشرور والالام لوقوعها في مقابلة الخير وهذا على الاستعمال الغالب والا فالخير ايضا قد يكون سببا للابتلاء كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم حكى حاله في الدارين
بقوله خسر الدنيا والاخرة اما خسران الدنيا فبعد ان اصابه ما اصاب ففقدان العز والكرامة والغنيمة واهلية الشهادة والامامة والقضاء وكون عرضه
وماله ودمه مصونة واما الاخرة فحرمان الثواب وحصول العقاب ابد الاباد والخسران ابين من هذا نعوذ بالله منه وفي قوله يدعو من دون الله الاية دلالة على ان
المذكورة قبلها انما نزلت في اهل النفاق من المشركين لا من اليهود فانهم لا يعبدون الاصنام نعم انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قوله
يدعو لمن ضره الاية فيه بحث لفظي وبحث معنوي اما الاول فهو ان يدعو بمعنى يقول والجملة بعده محكية ومن موصولة او موصوفة وعلى التقديرين هو مع تمامه مبتدأ
ما بعده وهو لبئس المولى خبره واللام الثانية في الخبر لتاكيد اللام الاولى وهذا احسن بخلاف قوله ام الحليس لعجوز شهربه فانه ادخل لام الابتداء في الخبر على سبيل [illegible]
ويجوز ان يكون يدعو تكرارا للاول وما بعده جملة مستأنفة على الوجه المذكور وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام وهو وجه ظاهر وعلى هذا يكون قوله لبئس المولى جملة
مستقلة والمولى الناصر والعشير المعاشر اي الصاحب واما البحث المعنوي فهو انه نفى الضر والنفع عن الاصنام اولا ثم اثبتهما لها ثانيا حين قال ضره اقرب من نفعه
فما وجه ذلك والجواب ان المقصود في الاية الثانية رؤساؤهم الذين كانوا يفزعون اليهم في الشدائد مستصوبين آراءهم لان وصف المولى والعشير لا يليق الا
بالرؤساء سلمنا انه اراد في الموضعين الاصنام الا انه اثبت الضر لها مجازا لانها سبب الضلال الذي هو سبب عذاب النار نظيره رب انهن
اضللن كثيرا من الناس واثبت لها النفع بناء على معتقدهم انها شفعاؤهم عند الله والمراد يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
بالاصنام ولا يرى اثر الشفاعة لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى والعشير ذلك او اراد يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه ثم قال ضره بكونه معبودا
اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى ثم لما بين حال المنافقين والمشركين اتبعها حال المؤمنين الذين معبودهم قادر على ايصال كل المنافع فقال ان الله
يدخل الاية قالت الاشاعرة في قوله ان الله يفعل ما يريد دليل على انه خالق الايمان وفاعله لانه يريد الايمان من العبد بالاتفاق اجاب الكعبي بانه
يفعل ما يريده لا ما يريد ان يفعله غيره ورد بان ما يريد اعم من قولنا ما يريد من فعله وما يريد من فعل غيره قوله سبحانه من كان يظن ان لن ينصره الله
في هذا الضمير وجهان الاول وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدي واختيار الفراء والزجاج انه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم
للعلم به ولان ذكر الايمان يدل على الايمان بالله ورسوله وعلى هذا فالظان من هو قيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطئون النصر فنزلت
وعندي ان هذا القول بعيد وعن مقاتل نزلت في نفر من اسد وغطفان قالوا نخاف ان الله لا ينصر محمدا فينقطع بيننا وبين حلفائنا من اليهود والاولى انهم
وكان حساده واعداؤه يتوقعون ان لا ينصره الله وان الله لا يغلبه على اعدائه فمتى شاهدوا ان الله نصره غاظهم ذلك والسبب الحبل والسماء
البيت والقطع الاختناق لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه والمراد من كان يظن من حاسديه ان الله تعالى يفعل خلاف النصر والظفر وكان يغيظه
نصره الله اياه فليستفرغ جهده في ازالة ما يغيظه وليس ذلك الا بان يمد حبلا الى سماء بيته ثم يشده في عنقه ويختنق ويصور في نفسه انه ان فعل
ذلك هل يذهبن كيده ما يغيظ سمى فعله كيدا حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والحاصل ليبلغ به
الاما ليس بذهب لما يغيظ ومنهم من قال السماء هي المظلة لان الاختناق حينئذ ابعد عن الامكان فيكون اصعب فيصرف الحاسد عن الغيظ الى متى
ورسوله ومنهم قال مع ذلك ان القطع هو قطع المسافة اي فليصعد على الحبل الى السماء والغرض تصوير مشقة من غير فائدة والقطع قطع الوحي و
النصر اي فليصعد وليقطع الوحي ان ينزل عليه والنصر ان ياتيه الوجه الثاني ان الضمير عائد الى من والنصر الرزق قال ابو عبيدة وقف علينا
سائل من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله اي من يعطيني اعطاه الله ووجه النظم من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة فلهذا الظن
يعدل عن التمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم وينقلب على وجهه كما مر فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق او غير ذلك مما عددنا فان ذلك لا يقلبه مرزوقا
حائنا بين الاهوال ومضرب الامثال اشار الى هذا المذكور بلفظ البعيد اما للتعظيم واما لان كل ما دخل في حيز الذكر وحصل في خبر كان فهو في حكم البعيد فقال وكذلك
انزلناه اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات وان الله حرف التعليل وكذا متعلقه محذوف للعلم به اي ولان الله يهدي من يريد انزله

كذلك

كذلك مبينا قالت الاشاعرة المراد بالهداية اما وضع الادلة او خلق المعرفة والاول غير جائز لانه تعالى فعل ذلك في حق كل المكلفين ولان قوله يهدي من يريد
يدل على ان الهداية غير واجبة عليه بل هي متعلقة بمشيئته ووضع الادلة واجب فتعين ان المراد خلق المعرفة اجاب القاضي عبد الجبار بانه اراد يكلف
من يريد لان التكليف لا يخلو من صعب ما كلف به ومن هداية او اراد يهدي الى الجنة والاثابة من يريد ممن آمن وعمل صالحا او يهدي به الذين يعلم منهم الايمان
او يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى والى هذين الوجهين اشار الحسن بقوله ان الله يهدي من قبل لا من لم يقبل واعترض بان الله سبحانه وتعالى ذكر هذا الكلام
بعد بيان الادلة والجواب عن الشبهات فلا يجوز حمله على محض التكاليف واما الوجوه الاخر فمخالف الظاهر مع ان ما ذكرتموه واجب عندكم على الله وقوله يهدي
من يريد ينافي الوجوب ثم اراد ان يميز بين المهدي من الفرق وبين الضال منهم فقال ان الذين آمنوا الاية قال مقاتل الاديان ستة واحد لله تعالى وهو الاسلام
وخمسة للشيطان قلت فالمؤمنون واليهود والنصارى يشترك في القول بالاله والنبي ويفترق بالاعتراف بعموم نبوة محمد عليه السلام وبعدم الاعتراف به و
الصابئون من قد يجعل من جنس النصارى وقد يجعل من غيرهم والمجوس قولهم في البابين مضطرب لان الاله عندهم اثنان ونبيهم ليس بنبي في الحقيقة وانما هو
متنبئ والمشركون لا نبي لهم ولا كتاب قال اهل البرهان قدم النصارى على الصابئين في اوائل البقرة لانهم اهل كتاب وعكس ههنا لان الصابئين متقدمة عليهم بالزمان
وفي المائدة يحتمل الامران اي والصابئون كذلك وهم والنصارى ان الله يفصل بينهم اي يقضي بين المؤمنين وغيرهم وكرر ان في الخبر لزيادة التاكيد والفصل
مطلق يحتمل الفصل في الاحوال وفي المواطن ايضا ان الله على كل شيء شهيد فلا يجري في قضائه ظلم ولا حيف الم تر اي الم تعلم باخبار الله والمراد ان هذه الاجسام غير ممتنعة
عما يريد الله احداثه فيها من انواع تصرفاته وتدابيره قال العلماء قوله وكثير من الناس ليس بمعطوف على ما قبله من المفردات لان السجود بالمعنى المذكور يتناول كل
الناس ولا يختص ببعضهم لدليل العقل ولان قوله ومن في الارض يتناول الثقلين جميعا والعطف يوهم تخصيص البعض ولا يمكن ان يكون السجود بالنسبة الى كثير
من الناس بمعنى وضع الجبهة وبالنسبة الى غيرهم بمعنى نفوذ مشيئة الله فيها لان اللفظ المشترك لا يجوز استعماله في مفهوميه معا فهو اذن مرفوع بفعل مضمر يدل
عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة ايضا او هو مبتدأ محذوف الخبر وهو مثاب لان خبر مقابله دليل عليه وهو قوله حق عليه العذاب او هو
مبتدأ وخبر اي كثير من المكلفين من الناس الذين هم الناس على الحقيقة فكانه اخرج الذين وجب عليهم العذاب من جملة الناس لانهم اشبه بالنسناس
اولئك كالانعام بل هم اضل او قوله ثانيا وكثير تكرار للاول لاجل المبالغة كانه قيل وكثير من الناس حق عليهم العذاب وباقي الاية دليل على ان الكل بقضائه وقدره
والاكرام والاهانة من عنده وبسابق علمه وسابق مشيئته فمن اهانه في الازل لم يكرمه احد الى الابد عن ابن عباس ان قوله هذان خصمان راجع الى اهل الاديان
الستة اي هما فوجان فريقان خصمان والخصم صفة وصف بها المحذوف واما قيل اختصموا نظرا الى المعنى وقيل لان اقل الجمع اثنان ومعنى في ربهم اي في دينه
وصفاته فقال المؤمنون في شأنه قولا وقال الكافرون قولا وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله آمنا بالله وبمحمد ونبيكم وبجميع الكتب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه حسدا فنزلت وعن قيس بن عباد وعن ابي ذر الغفاري انه كان يقسم
بالله انها نزلت في ستة نفر من المسلمين علي وحمزة وعبيدة بن الحرث ومن المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة فقال علي رضي الله عنه انا اول من يجثو للخصومة بين
يدي الله تعالى يوم القيامة وعن عكرمة هما الجنة والنار قالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته فقص الله خبرهما على محمد صلى الله عليه وسلم و
الاقرب هو الاول وقوله فالذين كفروا تفصيل الخصومة المعني بقوله ان الله يفصل بينهم وقوله قطعت لهم ثياب فيه انه تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم
كما تقطع الثياب الملبوسة او المراد ان تلك النيران متظاهرة عليهم كالثياب الظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض وعن سعيد بن جبير ان قوله من نار اي من نحاس
مذاب بالنار كقوله سرابيلهم من قطران والحميم الماء الحار وعن ابن عباس لو انقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ومعنى يصهر يذاب صهرت الشيء فانصهر
اي اذبته فذاب فهو صهير اي يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم لان تاثير الشيء من الظاهر في الباطن
ابلغ من تاثيره من الباطن قال في الكشاف المقامع السياط وقال الجوهري المقمعة واحدة المقامع من حديد كالمحجن يضرب على رأس الفيل وفي الحديث لو وضعت
مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها والاعادة لا تكون الا بعد الخروج ففي الاية اضمار اي كلما ارادوا ان يخرجوا من غم فخرجوا اعيدوا فيها والمراد منها
بالارادة المداناة والمشارفة كقوله يريد ان ينقض وهذا اقرب لقوله لا يخفف عنهم العذاب ويؤيده ما روي عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا
في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا واما اختصت هذه السورة بقوله من غم وهو الاخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه متنفسا لانه بولغ ههنا
في اهوال النار بخلاف ما في السجدة وانما اختصر القول ههنا فقيل وذوقوا بخلاف السجدة وقيل لهم ذوقوا لانه وقع الاختصار ههنا على عذاب الحريق وهنالك
اطنب فقيل ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون وايضا قد تقدم ذكر القول في تلك السورة وكثر الحلاف ههنا والله تعالى اعلم التأويل ان زلزلة
الساعة بالاك الاستعداد الفطري شيء عظيم تذهل كل مرضعة هي مواد الاشياء فان لكل شيء مادة ملكوتية ترضع رضيعها من الملك وتربيه وتضع كل ذات
حمل وهي الهيوليات حملها وهو الصور الكمالية التي خلقت الهيوليات لاجلها وترى الناس سكارى الغفلة والعصيان وحب الدنيا والجاه والرياسة
وغيرها وما هم بسكارى العشق والمحبة والمعرفة فانا خلقناكم من تراب اي كنتم ترابا ميتا فبعثنا التراب بان خلقنا منه آدم ثم انشانا منه نطفة ثم بعثناها بان جعلناها
علقة ثم مضغة ثم خلقا آخر لنبين لكم امر البعث والنشور ونقر في الارحام امهات العدم ما نشاء الى اجل مسمى هو وقت ايجاده وتعلق الارادة به وفيه
دليل على انه لا يبعد ان يكون الفاعل كاملا في فاعليته ولكن لا يتعلق ارادته بالمعدوم فيبقى في حيز العدم الى حين تعلق الارادة به ومنه يظهر حدوث العالم ثم نخرجكم
طفلا من اطفال المكونات خارجا من رحم العدم مستعدا للتربية والكمال ومنكم من يتوفى عن الشهوات فيحيى بحصول الكمالات ومنكم من يرد الى اسفل السافلين
الطبيعة وترى ارض القالب هامدة فاذا انزلنا عليها ماء حيوة المعرفة والعلم اهتزت ذلك وان الله هو الحق في الالهية وانه يحيي القلوب الميتة وان الساعة قيامة
العشق والخدمة للطالبين الصادقين آتية وان الله يبعث القلوب المحجوبة في قبور الصدور من عذاب الحرمان ببذل الشهوات لكنه لا يحس بها في الدنيا لانه نائم بنوم الغفلة
فاذا مات انتبه من كان يظن فيه ان العبد يجب ان يكون حسن الظن بالله ثم ليقطع مادة تقديري في الازل ونزول احكامي في القدر فلينظر هل يقطع ام لا
هذان خصمان يعني النفس الكافرة والروح المؤمن قطعت لهم ثياب بتقطيع خياط القضاء على قدهم وهي ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع ولحمة
موافقات الطبع تصب من فوق رؤسهم حميم الشهوات النفسانية وفي لفظ الفوق دلالة على انهم مغلوبون تحتها وفيه ان الخيالات الفاسدة تنصب
من الدماغ الى القلب يصهر به ما في بطونهم من الاخلاق الحميدة الروحانية والجلود اي يفسد احوالهم الباطنة والظاهرة لفساد نحلتهم وهي المقامع ايضا
ولا مخلص لهم من دركات تلك الملكات لغاية رسوخها والله اعلم بالصواب

ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار

يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ۝ وهدوا
الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ۝ ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ۝ واذ بوأنا لابراهيم مكان
البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ۝ و
اذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ۝ ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام
فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ۝ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت
العتيق ۝ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم
الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور ۝
حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او
تهوي به الريح في مكان سحيق ۝ ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى
القلوب ۝ لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ۝ ولكل امة
جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله
اسلموا وبشر المخبتين ۝ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما
اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ۝ والبدن جعلناها لكم
من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها
فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ۝
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله
على ما هديكم وبشر المحسنين ۝ ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب
كل خوان كفور ۝ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم
لقدير ۝ الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر
فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ۝ الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور

القراءة

جار الله كثر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وقد كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله
لان المسلمين لا ينفكون عن التسمية اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان التسمية من الاغراض الاصلية المعتبرة خلاف ما كان يفعله المشركون من الذبح
للنصب وفي قوله على ما رزقهم اشارة الى ان نفس القربان وتيسير ذلك الفعل من نعم الله تعالى ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام
لم يكن شيء من هذه الفوائد والايام المعلومات عند اكثر العلماء عشر ذي الحجة آخرها يوم النحر لانها معلومة عند الناس لحرصهم على اعمال الحج فيها
ثم للمنافع اوقات من العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام وكذلك للذبح وقت بعينه وهو يوم النحر وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والحسن
ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس واختيار الشافعي وابي حنيفة وعن ابن عباس في رواية اخرى انها يوم النحر وثلاثة ايام بعدها وهو اختيار
ابي مسلم وقول ابي يوسف ومحمد وعلى الاول يكون قوله في ايام متعلقا بكلا الفعلين اعني ليشهدوا ويذكروا وعلى الثاني يختص تعلقه بالثاني
ومعنى بهيمة الانعام بهيمة من الانعام لان البهيمة تشمل كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز وقد مر في اول
المائدة قال مقاتل اذا ذبحت فقل بسم الله والله اكبر اللهم منك واليك تقبل القبلة وزاد الكلبي ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله
رب العالمين قال القفال كان المتقرب بها وباراقة دمها يتصور بصورة من يفدي نفسه بما يعادلها فكانه يبذل تلك الشاة بدل مهجته طلبا
لمرضات الله تعالى واعترافا بان تقصيره كاد يستحق مهجته الاولى فكلوا منها واطعموا البائس الفقير قال البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير قد مر
في آية الصدقات في التوبة وفي غيرها ثم من الناس من قال الامران للوجوب لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون منها فامر المسلمون بمخالفتهم والاكثر
على ان الاكل ليس بواجب ثم منهم من قال يحسن ان ياكل النصف ويتصدق بالنصف رعاية للامرين ومنهم من قال ياكل الثلث ويتصدق بالثلثين لما في
قوله وكلوا منها واطعموا القانع والمعتر فجعلها على ثلاثة اقسام ومنهم من قال ياكل الثلث ويدخر الثلث ويتصدق بالثلث لما جاء في الحديث من الامر
والاولى وهو مذهب الشافعي انه ان اطعم جميعها اجزأه وان اكل جميعها لم يجزه واذا تصدق باقل شيء من لحمها كفى هذا اذا كان متطوعا وان
الواجبات كالنذور والكفارات وجبران النقصانات مثل دم القران ودم التمتع ودم الاساءة فلا ياكل منها لا هو ولا اغنياء الرفقة ولا فقراؤها
لما روي عن هشام بن عروة عن ابيه عن ناجية الخزاعي قال قلت يا رسول الله كيف اصنع بما عطب من البدن قال انحرها واغمس نعلها في دمها وخل
بين الناس وبينها ياكلونها وقال ايضا صلى الله عليه وسلم في مثله لا تأكل منها انت ولا احد من اهل رفقتك قوله ثم ليقضوا تفثهم لا يبعد ان يكون معطوفا
على ليشهدوا فان هذه الاعمال كلها غايات للاتيان الا ان اسكان هذه اللامات في بعض القراءات يدل على انها لام الامر وعلى هذا يكون هذه الاوامر الغائبة
معطوفة على الامرين الحاضرين قبلها والله اعلم قال ابو عبيدة لم يجئ في الشعر ما يحتج به في معنى التفث وقال الزجاج ان اهل اللغة لا يعرفون التفث
الا من التفسير قال القفال قال بعضهم سألت اعرابيا فصيحا ما معنى قوله ثم ليقضوا تفثهم فقال ما افسر القرآن ولكنا نقول للرجل ما اتفثك وما ادرنك
ثم زعم القفال ان هذا اولى من قول الزجاج لان المثبت اولى من النافي وقال المبرد التفث في كلام العرب كل قاذورة يلحق الانسان فيجب عليه نقضها
واجمع اهل التفسير على ان المراد ههنا ازالة الاوساخ والزوائد كقص الشارب والاظفار ونتف الابط وحلق العانة فتقدير الآية ثم ليقضوا ازالة تفثهم
وليوفوا نذورهم اي الاعمال التي اوجبها الحج بالشروع فيه او اعمال البر التي اوجبوها على انفسهم بالنذر فان الرجل اذا حج او اعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدي
وغيره ما لولا ايجابه لم يكن الحج يقتضيه وليطوفوا هو طواف الافاضة والزيارة الذي هو ركن وقد شرحت حاله في البقرة في قوله فاذا افضتم من عرفات
وقيل هو طواف الوداع والصدر وسمي البيت العتيق لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وقال قتادة لانه اعتق من تسلط الجبابرة عليه وهو قول ابن عباس
وابن الزبير ورووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عيينة لانه لم يملك قط وعن مجاهد لانه اعتق من الغرق ايام الطوفان وقيل معناه البيت الكريم
من قولهم عتاق الخيل والطير والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع التكاليف بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها ويحتمل ان يراد ههنا ما يتعلق بالحج عن زيد بن اسلم
ان الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل وتعظيمها العلم بوجوبها والقيام بحقوقها وقوله فهو خير اي
فالتعظيم خير له من التهاون بذلك وقوله عند ربه اشارة الى ان ثوابه مدخر الى الاجل قوله واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم قد مر في اول المائدة مثله
اي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وهي حرمت عليكم الميتة او قوله غير محلي الصيد وانتم حرم او قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ولما حث على تعظيم
الحرمات اتبعه الامر بما هو اعظم انواعها واقدم اصنافها قائلا فاجتنبوا الرجس وبينه بقوله من الاوثان اي الرجس الذي هو الاوثان كقولك عندي عشرون من الدراهم
والرجس العمل القبيح في الغاية وقد مر في آخر المائدة في تفسير قوله رجس من عمل الشيطان والزور من الزور والميل والاضافة كقولهم رجل صدق
جمع بين قول الزور وبين الشرك لان عبادة الاوثان هي رأس الزور وملاكه قال الاصم وصف الاوثان بانها رجس لان عادتهم في القرابين ان يتعمدوا سقوط
الدماء عليها والاقرب انها وصفت بذلك لان عبادتها فعلة متمادية في القبح والسماجة وللمفسرين في قول الزور وجوه منها انه قولهم هذا حلال وهذا حرام
ومنها انه شهادة الزور وبه فسره النبي صلى الله عليه وسلم ومنها انه الكذب والبهتان ومنها انه قول اهل الجاهلية في الطواف لبيك
لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقوله حنفاء لله غير مشركين به حالان مؤكدتان والمراد الاخلاص في التوحيد كقوله حنيفا ولم يك من المشركين
وفائدة الحالين هي فائدة التولي والتبري وانما اخر نفي الاشراك وان كان مقدما في الرتبة لان التخلية والتبرية مقدمة على التحلية والتولية ليترتب عليه قوله
ومن يشرك بالله الآية قال جار الله كان تشبيها مركبا والمعنى من اشرك بالله فقد اهلك نفسه غاية الاهلاك وذلك ان صور حاله بصورة من خر من السماء
فاختطفته اي استلبته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح السحيقة البعيدة
وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي تركه واشرك فقد سقط منها والاهواء التي توزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان
الذي يطرحه في وادي الضلال بالريح التي تهوي بالاشياء في المهاوي المتلفة وتعظيم شعائر الله هي الهدايا كما مر في اول المائدة وهي ان يختارها عظام
الاجرام غالية الاثمان وقد مر وصفها الشرعي في البقرة وقوله فما استيسر من الهدي وقد اهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل
لابي جهل في انفه برة من ذهب قال في الكشاف فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات
ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به واقول في هذا الوجوب نظر لانه ليس بشرعي ولا بعقلي على زعم المعتزلة اما
المضاف الاول فلانه يحتمل ان يعود الضمير الى التعظيم بمعنى الخلة واما الاخران فلان من للعموم فلا يلزم ان يقدر لفظة منه او فاعل التعظيم موحدين
حتى لا يطابقهما لفظ القلوب بل يحتمل ان يقدر لفظة منهم او يقدر فان تعظيمهم اياها فيرجع الكلام الى قولنا ومن يعظم شعائر الله فان تلك الخلة
منهم من تقوى القلوب اي ناشئة من تقوى قلوبهم فان القلوب مركز التقوى التي منها عيارها وعليها مدارها ولا غيره بما يظهر من آثارها على سائر الجوارح
ودونها ثم كان لسائل ان يسأل ما بال هذه الحيوانات تذبح فيتقرب بها الى الله تعالى فلهذا قال لكم فيها منافع يعني الدنيوية من الدر وركوب الظهر

وتسمية

[illegible]
على ان البدنة مختصة بناقة او بقرة يذبح بمنى ومكة واتفقوا انها اذا نذر بدنة يجب ذبحها بمكة وفيما اذا نذر جزورا انه يذبح حيث شاء وانتصب قوله والبدن
بفعل يفسره ما بعده ومعنى جعلها من شعائر الله انها من اعلام الشريعة التي شرعها الله تعالى عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها
بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير اي ثواب في الآخرة كما ذكرنا وبعضهم لم يفرق بين الآيتين فحمل كلا منهما على خير الدنيا والآخرة والانسب
ما قررناه حذرا من التكرار ما امكن ومعنى صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن ولعل الغرض تكثير سوادها للناظرين وتقوية قلب المحتاجين فاذا وجبت
جنوبها اي سقطت على الارض من وجبت الحائط وجبة سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى اذا زهق روحها فقد حل لكم الاكل منها واطعام القانع والمعتر
فالقانع السائل والمعتر الذي لا يسأل تعففا وقيل بالعكس فهما من الاضداد وكان القانع قنع بالسؤال او قنع بما قسم له فلا يسأل والمعتر يعتري بعروه اي يعتريه
او بسؤال ثم من على عباده بان سخر لهم البدن اذ يجب بها مع انها اقوى منهم لكنها مطاوعة لهم مثل التسخير الذي شاهدوا وعلموا ياخذ بخطامها صبي فيقودها الى حيث شاء
وليست باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر جرما واقل قوة لولا انه سبحانه سخرها يروى ان اهل الجاهلية كانوا يلطخون الاوثان وحيطان الكعبة بلحوم القرابين ودمها
فبين الله تعالى ما هو المقصود منها فقال لن ينال الله اي لن يصيب رضا الله اصحاب اللحوم والدماء المهراقة بالنحر والذبح والتصدق ولكن يناله التقوى منكم بان
يكون القربان حلالا وعلى جهات الاجزاء ثم يصرف فيما امر ثم كرر منة التسخير وان الغاية منه تكبير الله على الهداية لاعلام دينه ومناسك حجه وصورة
التكبير وما يتعلق بها قد سبق في البقرة في آية الصيام قالت المعتزلة لما لم ينتفع المكلف بالاجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه وجب ان يكون
التقوى فعلا له والا كان بمنزلة الاجسام وايضا انه قد شرط التقوى في قبول العمل وصاحب الكبيرة غير متق فوجب ان لا يقبل عمله والجواب انه لا يلزم من عدم
انتفاعه ببعض ما ليس من افعاله ان لا ينتفع بكل ما ليس من افعاله وايضا ان صاحب الكبائر اتقى الشرك فيصدق عليه انه متق وبشر المحسنين الى انفسهم بتوفير
الثواب عليها والاحسان بالحقيقة ان تعبد الله كانك تراه وفيه ترغيب لما شرط من رعاية الاخلاص في القرابين وغيرها وحين فرغ من تعداد بعض مناسك
الحج ومنافعها وكان الكلام قد انجر الى ذلك من ذكر الكفار وصدهم عن المسجد الحرام اتبعه بيان ما يزيل ذلك الصد ويمكن من الحج وزيارة البيت فقال ان الله
يدفع ومن قرأ يدافع فلغلو ويبالغ في الدفع عن الذين آمنوا فعل المغالب والمدفوع هو بأس المشركين وما كانوا يخونون الله ورسوله فيه ثم دل عليه تعليله بقوله
ان الله لا يحب كل خوان كفور اي انه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته قال مقاتل اقروا بالصانع وعبدوا غيره فاي خيانة اعظم من هذا وكان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقون من المشركين اذى شديدا وكانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال
حتى هاجر فنزل اذن وفاعله الله سبحانه سمي او لم يسم والمأذون فيه القتال بدليل قوله للذين يقاتلون ان فتح التاء فظاهر لان المشركين كانوا يقاتلون المؤمنين وانهم
يؤمرون بالصبر وان كسرت فمعناه اذن للذين يحرصون على قتال المشركين في المستقبل نزل حرصهم على القتال منزلة نفس القتال بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين
وهي اول آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم وفي قوله ان الله
يدفع ثم في قوله وان الله على نصرهم لقدير عدة كامنة باعلاء هذا الدين واظهاره وزيد على اهل الاديان كلهم كما يقول الجبار ان اطعتني فهو قادر على مجازاتك لا تريد
مجرد اثبات القدرة بل تريد انك ستفعل ذلك ثم وصف اولئك المظلومين وصف الموعودين بالنصر بقوله الذين اخرجوا من ديارهم ومحل ان يقولوا جر
على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي يوجب الاقرار والتمكين لا الاخراج والازعاج نظيره وهل تنقمون منا الا ان آمنا بالله ولولا دفع الله
الناس قد مر في اواخر البقرة وللمفسرين فيه عبارات قال الكلبي يدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمجاهدين عن القاعدين وعن ابن عباس يدفع بالمحسن
عن المسيء وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من اهل بيته ومن جيرانه ثم تلا هذه الآية وقال الضحاك يدفع بدين الاسلام
وباهله عن اهل الذمة وقال مجاهد يدفع عن الحقوق بالشهود وعن النفوس بالقصاص اما الصوامع والبيع والصلوات فعن الحسن انها كلها اسماء المساجد فقد يتخذ
المسلم لنفسه صومعة لاجل العبادة قال الجوهري الاصمع الصغير الاذن ويقال ثنائية صومعة اذا وقفت وحدها وسميت صومعة النصارى لرفعة من هذا

وتبقة الرأس وقد يطلق البيعة على المسجد للتشبيه وكذا الصلوات وسميت كنيسة اليهود صلوة لانها يصلى فيها ويحتمل ان يراد بمكان الصلوات اوراد الصلوات
الشرعية نفسها ومع ايقاع الهدم عليها نظرا الى قرائنها كقوله متقلدا سيفا ورمحا واذا كان الرمح لا يتقلد بذا كله توجيه تفسير الحسن والاكثرون على انها
متعبدات مختلفة وعن ابي العالية ان الصوامع للنصارى والبيع لليهود والصلوات للصابئين والمساجد للمسلمين وفي تخصيصها بقوله يذكر فيها اسم الله
كثيرا تشريف لها وتفضيل على غيرها لان الظاهر عود الضمير اليها فقط وعن قتادة ان الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود قال الزجاج وهي
بالعبرانية صلوثا وقيل الصوامع والبيع كلتاهما للنصارى ولكن الاولى في الصحراء والاخرى في البلد وانما اخر متعبد اهل الاسلام لتاخر زمانهم ولا ضير فان اول الفكر اخر
العمل وقال صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون وتفسير الاية على قول الاكثرين لولا دفع الله لهدم في شرع كل نبي المكان المعهود لهم في العبادة فهدم في زمن
موسى عليه السلام الصوامع والبيع وفي زمان محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وعلى هذا الوجه انما دفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ ويحتمل ان يراد
لولا ذلك لاستولى اهل الشرك على اهل الاديان في زمان امة محمد من المسلمين واهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا المتعبدات باسرها وعلى هذا انما دفع
عن سائر اهل الاديان لان متعبداتهم يجري فيها ذكر الله في الجملة ليست بمنزلة بيوت الاصنام ثم عزم على نفسه نصرة من ينصر دينه واولياءه واكد ذلك
بقوله ان الله لقوي عزيز ومعنى القوة والعزة انه لا يمتنع شيء من نفاذ امره فيه مع انه لا يتاثر عن شيء اصلا ونصرة الله للعبد تقويته على اعدائه ومنع
الدلالة على ما يعيدون في الدارين ونفث روح القدس بامره وداعية الخير والصلاح في روعه ثم اتبع قوله الذين اخرجوا قوله الذين ان مكناهم وقيل هو بدل
من قوله من ينصره وهو اخبار منه عز وجل عما ستكون عليه سيرة المهاجرين اذا مكنهم في الارض وبسط لهم الدنيا وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلاء اراد ان الله
تعالى قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا في شان الدين والانه ما احدثوا وقيل انه مخصوص بمن جملة المهاجرين الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ
الامر مع السيرة العادلة غيرهم وعن الحسن انهم امة محمد صلى الله عليه وسلم على هذا فتمكينهم هو ابقاؤهم الى اوان التكليف وقد يثبت الاطفال انهما اذا ماتوا قبل
البلوغ كقوله الله اعلم بما كانوا عاملين ثم ختم الاية بقوله ولله عاقبة الامور اي مرجعها ومصيرها الى حكمه وتقديره وقد اراد تمكين اهل هذا الدين في كل حين فيقع
لا محالة التأويل ويصدون عن مسجد حرام القلب سواء فيه من سبق اليه مدة طويلة والذي يصل اليه في الحال لافضل الهمين مقامات القلب
ومنازله واذ بوانا لابراهيم الروح مكان بيت القلب وطهر بيتي غيري وهو كل ما فيه حظ النفس دون الواردات اللطيفة والاخلاق الثابتة والاحوال
المتعالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والانس والهيبة رجالا هي النفس وصفاتها وعلى كل ضامر من البدن وجوارحه فان الاعمال الشرعية
قد ركبت الجوارح المرتاضة فاعمال البدن مركبة من حركات الجوارح ونيات الضمير كما ان اعمال النفس بسيط لانها نيات الضمير فقط من كل فج عميق
هو مصالح الدنيا لان مصالحها بعيدة عن مصالح الاخرة ليشهدوا منافع لهم لمنافع النفس وصفاتها تبديل الاخلاق ومنافع القالب والجوارح بظهور
اثر الطاعة عليها ويذكروا اي القلب والنفس والقالب شكرا على ما رزقهم من تبديل الصفات البهيمية بالصفات الروحانية فاستعملوها وانفعها لها
على الطالبين فهو خير له لان العبد يصل بالطاعة الى الجنة ويصل بحرمة الطاعة الى الله وترك الحرمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة وحلت
لكم استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة الا ما يتلى عليكم في قوله ولا تسرفوا وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فاجتنبوا
الهوى وكونوا صادقين في الطلب لا مزورين مائلين الى الحق غير طالبين معه غيره ومن خر من سماء القلب فتسلبه الشياطين او تهوي به ريح الهوى والخذلان الى اسفل
سافلين البعد والحرمان لكم في شواهد اثار صنع الله في الارشاد منافع وهو لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الانس الى اجل مسمى هو حد الكمال ثم
انتهاء السلوك الى حضرة القديم ولكل سالك جعلنا مقصدا وطريقا منهم من يطلب الله من طريق المعاملات ومنهم من يطلبه من طريق المجاهدات
ومنهم من يطلبه بطريق المعارف ومنهم من يطلبه به فله اسلموا اي اخلصوا والاخلاص تصفية الاعمال من الافات ثم الاخلاق من الكدورات ثم الاحوال من الالتفات
ثم الانفاس من الاغيار وبشر المخبتين المستقيمين على هذه الطريقة وجلت قلوبهم الوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب والصابرين على ما اصابهم
من غير تمني فرجة ولا روم فرجة والمقيمي الصلوة الحافظين مع الله اسرارهم لا يطلبون اطلاع الخلق على احوالهم ومما رزقناهم ينفقون يبذلون الوجود في طلب
المقصود والوجود بشهود المعبود والبدن يعني بدن الابدان الجسام جعلناها قربانا عند كعبة القلب بذبحها عن شهواتها من شعائر اهل الصدق في الطلب
فاذا ماتت عن طبيعتها فانتفعوا بها انتم وغيركم من الطالبين والقانعين بما قسم عليه والمعترين المتعطشين الذين لا يروون ريا من ماء حيوة المعرفة
شعر شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت كذلك سخرناها لكم فيه ان ذبح النفس بسكين الرياضة لا يتيسر الا بتسخير خالقها وتيسير
موجدها يؤكده قوله ان الله يدافع خيانة النفس وهواها عن الذين امنوا اذن للذين يقاتلون فيه ان قتال النفس يجب ان يكون باذن من الله تعالى وان
يكون على وفق الشرع وفي اوان التكليف وعلى حسب ظلم النفس على القلب واخراجها اياه من ديار الطمانينة ولولا دفع الله النفوس بالقلوب لضيعت
صوامع اركان الشريعة وبيع اداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التي يذكر فيها اسم الله كثيرا لاشتغالها باشراق نور الله عليها ان
مكناهم في ارض البشرية اقاموا الصلوة المواصلة واتوا زكوة الاحوال وهي ايثار ربع عشر الاوقات على مصالح الاخلاق وامروا بحفظ الحواس عن مخالفات الله
ومراعاة الانفاس مع الله ونهوا عن مناكير الرياء والاعجاب ولله عاقبة امور المعاملات والله حسبي ونعم الوكيل

وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط
واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير
فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر
مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان
يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف

سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي الى
المصير قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معاجزين اولئك
اصحاب الجحيم وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى
الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم
ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين
لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين امنوا الى صراط مستقيم ولا يزال
الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم
الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات
النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله
لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم
ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو
غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه
هو الباطل وان الله هو العلي الكبير الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح
الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض
وان الله لهو الغني الحميد صدق الله الاحد

نكيري باثبات الياء حيث كان في الحالين يعقوب وابن ورش وسهل وعباس في الوصل اهلكناها على التوحيد ابو عمرو وسهل ويعقوب
الاخرون اهلكناها وبير بالياء ابو عمرو غير شجاع واوقيه ويزيد والاعشى وورش وربيعه وابن فليح وحمزه في الوقف تعدون على الغيبة ابن كثير وحمزة
وعلي وخلف معجزين بالتشديد حيث كان ابن كثير وابو عمرو وقتلوا بالتشديد ابن عامر وان ما يدعون بياء الغيبة ابن كثير وكذلك في سورة لقمان ابو عمرو
وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وحمزة وحفص الوقوف وثمود ه لا لوط ه لا مدين ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اخذتهم ج لابتداء
التهديد مع فاء التعقيب نكير ه مشيد ه يسمعون بها ج للابتداء بان مع الفاء الصدور ه وعده ط تعدون ه اخذتها ج المصير ه مبين ج للابتداء مع الفاء
كريم ه الجحيم ه امنيته ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اياته ط حكيم ه لا للتعلق اللام قلوبهم ط بعيد ه لا قلوبهم ط مستقيم ه عقيم ه لله ط بينهم ط النعيم
مهين ه حسنا ط الرازقين ه يرضونه ط حليم ه ذلك ج لينصرنه الله ط غفور ه بصير ه الكبير ه ماء ز لنوع عدول مع العطف مخضرة ج خبير ه وما في الارض ط
الحميد ه انه سبحانه بعد ضمان النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم والدفع عن امته ذكر ما فيه تسلية وهو انه ليس باوحدي في التكذيب له والقصص معلومة
مما سلف قال جار الله انما لم يقل وقوم موسى لان موسى كذبه غير بني اسرائيل وهم القبط او المراد وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك
بغيره والنكير بمعنى الانكار عبر به عن الهلاك المعجل لانه يستلزمه او لان الهلاك رادع لغيرهم فكانه انكر عليهم حتى ارتدعوا وهو بمعنى التغيير لانه ابدلهم بالنعمة محنة

وبالحيوة بلاكة وبالعمارة خرابا قوله وهي ظالمة فهي خاوية الاولى والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذه ليس لها محل قال ابو مسلم اراد انها كانت ظالمة فهي الآن خاوية على عروشها وقد مر تفسيرها في البقرة في قوله او كالذي مر على قرية وهي خاوية قوله وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عطلناها عن سقاتها مع انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء وكم قصر مشيد مجصص او مرتفع اخليناه عن ساكنيه فحذف هذه الجملة لدلالة معطلة عليها وقد يغلب على الظن من هاتين القرينتين ان على في قوله على عروشها بمعنى مع كانه قيل هي خاوية اي ساقطة او خالية مع بقاء عروشها قال في الكشاف وأقول اذا كانت القرى المهلكة غير البئر والقصر فهذا الظن مرجوح او مساو لا غالب يروى ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت سميت بذلك لان صالحا حين حضر مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامّروا عليهم زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم يحكى ان الامام ابا القاسم الانصاري قال هذا عجيب لاني زرت قبر صالح بالشام ببلدة يقال لها عكة فكيف قيل انه بحضرموت قلت لا غرو ان يتفق الموت بارض والدفن بارض اخرى ثم انكر على اهل مكة عدم اعتبارهم بهذه الآثار قائلا افلم يسيروا وحثهم على السفر ليروا مصارع تلك الامم فيعتبروا ويحتمل ان يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا فلهذا جاء الانكار كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون والمراد بالسماع سماع تدبر وانتفاع والا كان كلا سماع كما ان المراد بالابصار ابصار الاعتبار ولهذا قال فانها اي ان القصة لا تعمى الابصار اي ابصارهم ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وذكر الصدور زيادة التمكين والتقرير لغرابة نسبة العمى الى القلب وجوز في الكشاف ان يكون الضمير في فانها ضميرا مبهما يفسره الابصار وفاعل تعمى ضمير عائد الى الضمير الاول المبهم والمعنى على الوجهين ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار وان فرض لانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب وزعم بعضهم ان في الآية ابطال قول من جعل محل الفكر الدماغ وليس بقوي فقد يشار كان في ذلك او يكون سلطانه في القلب والدماغ كالآلة ثم حكى عن عظيم ما هم عليه من التكذيب انهم يستهزؤن باستعجال العذاب العاجل والآجل كانهم جوزوا الفوت فلهذا قال ولن يخلف الله وعده او لعلهم علموا عذاب الآخرة فذكر ان استعجاله في الدنيا كالخلف لان موعده الآخرة وان يوما عند ربك كالف سنة قال ابو مسلم اراد ان العاقل لا ينبغي ان يستعجل عذاب الآخرة لان يوما واحدا من ايام عذاب الله في الشدة كالف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كالف سنة من سني العذاب اذا عدها العاد وذلك لشدة العذاب ايضا وقيل اراد ان اليوم الواحد والف سنة بالنسبة اليه على السواء لانه القادر الذي لا يعجزه شيء فاذا لم يستبعدوا امهال يوم فلا يستبعدوا ايضا امهال الف سنة وقد يورد في التحقيق ان هذا اشارة الى لاتناهي طرف الابد لستتبع ازدياد استداد الآحاد والاعتبارية لاجل سهولة الضبط والغرض ان من كانت ايامه في الطول الى هذا الحد لا يفيد الاستعجال بالنسبة اليه شيئا قال الاولى بل الواجب تفويض الامور الى اوقاتها المقدرة لها من غير تقدم ولا تاخر ثم كرر قوله وكاين من قرية وليس بتكرار في الحقيقة لان الاول سيق لبيان الاهلاك مناسبا لقوله فكيف كان نكير ولهذا عطف بالفاء بدلا عن ذلك والثاني سيق لبيان الاملاء مناسبا لقوله لن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة فكانه قيل وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الى حكمي ثم امر رسوله بان يتلو عليهم جملة حاله في الرسالة وهي انه نذير مبين وجملة حالهم في باب التكليف وانما اقتصر على النذارة لانها تتضمن البشارة فان كلام الحكيم لا يخلو عن ترغيب وانه كان مبنيا على الترهيب بدليل يا ايها الناس وهو خطاب للكفرة في قول ابن عباس قال في الكشاف هم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا قالت الاشاعرة المغفرة للصغائر او للكبائر بعد التوبة او قبلها والاول ان جاز عند الخصم واداء الواجب لا يسمى عفوا فبقي الثالث ويلزم منه عفو صاحب الكبيرة من اهل القبلة اما الرزق فلا شك انه الثواب واما الكريم فاما ان يكون امرا سلبيا وهو ان يكون الانعام معه بحيث يستغني عن المكاسب وتحمل المتاعب والذل والدناءة وما يجر الى المآثم والمظالم واما ان يكون ثبوتيا وهو ان يكون رزقا كثيرا وانا خالصا عن شوائب الضرر مقرونا بالتعظيم والاجلال والذين سعوا في آياتنا اي بذلوا جهدهم في تكذيبها وارادة ابطالها كل السعي اي مشى شيئا سريعا قال اهل اللغة عاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمراد معاجزين الله ورسوله اي مقدرين ذلك ظنا منهم ان كيدهم للاسلام يتم لهم وان طعنهم في القرآن وتثبيط الناس عن التصديق يبلغ بهم غرضهم ثم بين ان له اسوة بالانبياء السالفة والرسل السابقة في كل ما ياتي ويذر فقال وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي خصص ثم عمم فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا فقد لا يكون معه كتاب بل يؤمر بان يدعو الى شريعة من قبله وقد لا ينزل عليه الملك ظاهرا وانما يرى الوحي في المنام او يخبره بذلك رسول في عصره ولا بد للكل من المعجزة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا قال عامة المفسرين في سبب نزول الآية انه صلى الله عليه وسلم لما شق عليه اعراض قومه عنه تمنى في نفسه ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه لحرصه على ايمانهم وكان ذات يوم جالسا في ناد من انديتهم وقد نزل عليه سورة والنجم اذا هوى فاخذ يقرؤها عليهم حتى بلغ قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وكان ذلك التمني في نفسه فجرى على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعت قريش فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته حتى ختم السورة فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي من المسلمين والمشركين فتفرقت قريش مسرورين وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر فاتاه جبرئيل وقال ما تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف خوفا شديدا فانزل الله تعالى هذه الآية واعترض المحققون على هذه الرواية بالقرآن والسنة والمعقول اما القرآن فكقوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله وما ينطق عن الهوى وقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن بنفي المقارب من الركون فكيف به واما السنة فهي ما روي عن محمد بن اسحق بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وقد صنف فيه كتابا فقال الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم اخذ يتكلم ان رواة هذه القصة مطعون فيهم وقد روى البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة والنجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق واما المعقول فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لنفي الاوثان فكيف يثنيها وايضا انه بمكة لم يكن متمكنا من القراءة والصلوة عند الكعبة ولا سيما في محفل غاص وايضا ان معاداتهم اياه كانت اكثر من ان يغتروا بهذا القدر فيخروا سجدا قبل ان يقفوا على حقيقة الامر وايضا منع الشيطان من ابطاله اولى من تمكينه من الالقاء ثم نسخه وايضا لو جوزنا ذلك لارتفع الامان من الشرع ولناقض قوله بلغ ما انزل اليك وحال الزيادة في الوحي كحال النقصان منه اذا عرفت هذا فللائمة في تاويل الآية قولان الاول ان التمني بمعنى القراءة كما سلف في البقرة في قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني واما المراد بهذه القراءة ففيه وجهان احدهما انه لا يجوز ان يسهو النبي عم فيه ويشتبه على القارئ ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى وثانيهما انها قراءة حمزة هذه الكلمة وانها قد وقعت بعينها وكيف وقعت وذهب جماعة الى انه لما قرا سورة النجم اشتبه على الكفار فتوهموا لبعض الفاظه ذلك وزيف بان هذا التوهم من اعجم الغير بعيد وقيل ان شيطان الجن القاها في البين فظنها الحاضرون من قول الرسول وضعف بان هذا يفضي الى ارتفاع الوثوق عن ما يتكلم به النبي صلى الله عليه وسلم

قلت الانصاف انه غير ضعيف ولا يفضي الى ارتفاع الوثوق لقوله سبحانه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقيل ان المتكلم به شيطان الانس وهم الكفرة كانوا يقربون منه في حال صلوته ويسمعون قراءته ويلغون فيها في اثناء وقفاته وقيل ان المتكلم به الرسول عليه السلام قاله سهوا كما روي عن قتادة ومقاتل انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند المقام فنعس فجرى على لسانه هاتان الكلمتان ولا ريب ان يكون بالقاء الشيطان وضعف باستلزامه زوال الامان عن الشرع وقد عرفت جوابه وبان مثل هذا الكلام المطابق لفواصل السورة يستبعد وقوعه في النعاس وزعم قوم ان الشيطان اجبره عليه ورد بنحو قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وذهب جماعة الى انه قال ذلك اختيارا ثم انهم اختلفوا فيه وجهان اما الاول ففيه طريقان احدهما قول ابن عباس في رواية ان شيطانا يقال له الابيض اتاه على صورة جبرئيل والقاها اليه فقراها فلما سمع المشركون ذلك اعجبهم فجاء جبرئيل واستعرضه فقراها فلما بلغ الى تلك الكلمة انكر عليه جبرئيل فقال انه اتاني آت على صورتك فالقاه على لساني وثانيهما انه لشدة حرصه على ايمان القوم ادخل هذه الكلمة من تلقاء نفسه ثم رجع عنها والطريقان منحرفان عند المحققين لان الاول يقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يفرق بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث والثاني يؤدي الى كونه خائنا في الوحي واما الوجه الثاني فتصحيحه انه اراد بالغرانيق الملائكة وقد كان قرآنا منزلا في وصف الملائكة فلما توهم المشركون انه يريد آلهتهم فنسخ الله تلاوته او هو في تقدير الاستفهام بمعنى الانكار او المراد بالاثبات ههنا النفي كقوله يبين الله لكم ان تضلوا قال الجوهري الغرنوق بضم الغين وفتح النون من طير الماء طويل العنق واذا وصف به الرجال فواحدهم غرنيق وغرنوق بكسر الغين وفتح النون فيهما وغرنون بالضم وغرانيق وهو الشاب السيد والجمع غرانق بالفتح والغرانيق القول الثاني ان التمني هو تمني القلب ومعنى الآية ما من نبي الا وهو بحيث اذا تمنى امرا من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل ويدعوه الى ما لا ينبغي ثم ان الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى اتباع الحق وما تلك الوسوسة قيل هي ان يتمنى ما يتقرب به الى المشركين من ذكر آلهتهم بخير وقد مر فساده وقال مجاهد انه كان يتمنى انزال الوحي بسرعة دون تاخير فنسخه الله تعالى بان ذلك خاطر غير رحماني وانما المصلحة في انزال الوحي على وفق الحوادث وقيل كان يتفكر في تاويل المجمل فيلقي الشيطان في جملته ما هو غير مراد وكان يرده الله سبحانه تعالى الى المعنى المراد بانزال المحكمات وقيل معناه اذا اراد فعلا يتقرب به الى الله حال الشيطان بينه وبين مقصوده والله تعالى ينبهه على ذلك نظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله واعترض على هذا القول بان تمني القلب كيف يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والقاسية قلوبهم وهم المشركون واجيب بانه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر به فحصل السهو في الافعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنة لكن ضعفت عقيدته في النبي والحاصل ان الرسل لا ينفكون عن السهو وان كانوا معصومين عن العمد فعليهم ان لا يتبعوا الا ما يقطعون بصدوره عن علم ودليل هو المحكم وذهب ابو مسلم الى ان حاصل الآية هو ان كل نبي من جنس البشر الذين هم بصدد الخطاء والنسيان من قبل وساوس الشيطان ووجه النظم من هذه الآية والتي قبلها انه امره بان يقول اني لكم نذير لكني من البشر لا من الملائكة ولم يرسل الله قبلي ملكا بل ارسل رجالا يوسوس الشيطان اليهم وعلى هذا فالملائكة لعدم امكان استيلاء الشيطان عليهم اعظم درجة من الانبياء واقوى حالا منهم وقال صاحب الكشاف المعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك واذا تمنوا مثل ما تمنيت وهو ان لا ينزل عليه ما ينفرهم ولا يوافق هواهم مكن الله الشيطان ليلقي في امنيتهم مثل ما القى في امنيتك حتى بالملك فقلت تلك الغرانيق الى آخره وسبب التمكين ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين فهذه جملة اقوال المفسرين في الآية اما قوله فينسخ الله فالمراد ازالة تاثير ما يلقي الشيطان وهو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الاحكام وقوله ثم يحكم الله آياته فالمراد بالآيات هو آيات القرآن اي يجعلها بحيث لا يختلط بها شيء من كلام غيره فيكون ثابتة في مكانها او يجعلها بحيث لا يتطرق اليها تاويل فاسد معمول به عند الامة ويحتمل ان يكون المراد باحكام الآيات الارشاد الى ادلة الاحكام الشرعية وقوله وان الظالمين اراد المنافقين والمشركين المذكورين الا انه وضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم والشقاق البعيد المعاداة الكاملة واعلم انه سبحانه ذكر لتمكين الشيطان في القاء في الامنية اثرين احدهما في حق غير اهل الايمان وهم اهل النفاق والشرك وذلك قوله ليجعل الآية وثانيهما في حق المؤمنين العالمين بالله وصفاته وهو قوله وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق قال مقاتل يعني القرآن وعن الكلبي اي النسخ وقال جار الله اي تمكين الشيطان من الالقاء ثبت اما عند الاشاعرة فلان المالك له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء واما عند المعتزلة فلان افعاله جارية على وفق الحكمة والتدبير فتخبت فتخضع وتطمئن له قلوبهم بناء على اصل الفريقين والصراط المستقيم ههنا النظر والتاويلات الصحيحة والبيانات المطابقة للاصول قلت ويعني اعم من ذلك غير جائز ثم بين ان الكفار الى قيام الساعة لا يخلو من يكون في شك من القرآن او الرسول واليوم العقيم قيل يوم بدر لانه لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه او لانه لا خير فيه للكفار من قولهم ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لان يوم الحرب يقال له العقيم من حيث ان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او من حيث المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا بقي اليوم بلا ابناء وعن الضحاك انه يوم القيمة لانهم لا يرون فيه خيرا او لان كل ذات حمل يضع فيه حملها او لانه لا ليل فيه فيستمر كاستمرار المراة على عدم الولادة ولا اشكال على هذا القول لان المراد بالساعة مقدماته او المراد حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم مقام الضمير واستحسن بعض الائمة قول الضحاك ورجحه لان الاول يلزم منه ان الكفار ينتهي شكهم في يوم بدر وليس كذلك فانهم في مرية بعد يوم بدر ايضا ويمكن ان يقال العطف على اول الآية فيكون المراد بالذين كفروا في الاول الجنس وفي الثاني العهد سلمنا انه للعطف على ما يليهم الا ان اللام في الذين كفروا للجنس فيقع على الذين انتهى شكهم في بدر وعلى الذين لا ينتهي شكهم الى يوم القيمة ويحتمل ان يراد بالساعة وقت موت كل احد وبعذاب يوم عقيم القيمة ثم بين انه لا ملك يوم ياتي الساعة الا الله وانه يحكم بين الناس فيميز بين اهل الجنة واهل النار ثم افرد المهاجرين بالذكر تخصيصا لهم بمزيد التشريف يروى ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله عز وجل والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا قال بعض المفسرين هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة وقال بعضهم هم الذين خرجوا من الاوطان في سرية او عسكر ولا يبعد حمل الآية على الفريقين والرزق الحسن نعيم الجنة وعن الكلبي هو الغنيمة لانها حلال وقال اهل العلم والفهم كقول شعيب ورزقني منه رزقا حسنا واستشعر الرجحان بانهما مستويان بعد القتل او الموت قال العلماء وانما بهذه الفضيلة للمهاجرين في مزيد الدرجات والا فلا بد من شرط اجتناب الكبائر كما في حق غيرهم وان الله لهو خير الرازقين لان رزق غيره ينتهي اليه وغيره لا يقدر على مثل رزقه ولان رزقه لا يختلط بالمن والاذى ولا بغرض لا عوضا الفاسدة ولانه يرزق ويعطي ما به يتم الانتفاع بالرزق من القوى والحواس وغير ذلك من الشرائط الوجودية والعدمية قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان غير الله يقدر على الفعل وهو الرزق ويمكن ان يجاب بانه مجاز او على سبيل الفرض والتقدير وليس في الآية دليل ظاهر على ان المهاجر المقتول والمهاجر الميت على قدر سواء ايستويان في الاجر ام لا بل المعلوم منها هو الجمع بينهما في الوعد وقد استدل على التسوية بما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقتول في سبيل الله والمتوفى في سبيل الله بغير قتل هما في الاجر شريكان قال لفظ الشركة مشعر بالتسوية وحين بين رزقهم شرع في ذكر مسكنهم فقيل ليدخلنهم

الذي يرضونه خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون الف مصراع • وقال ابو القاسم القشيري هو ان يدخلهم الجنة من غير مكروه ولعله
وقال ابن عباس يرضون في الجنة بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه ولا يبغون عنها حولا وان الله لعليم بدرجات العاملين
ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم فيمهله حتى يتوب فيدخل الجنة ثم بين انه مع اكرامه لهم في الاخرة لا يدع نصرهم في الدنيا قبل ان يقتلوا او بعد
فقال ذلك قال الزجاج اي الامر ما قصصنا عليكم من انجاز الوعد للمهاجرين خاصة اذا قتلوا او ماتوا عن مقاتل ان قوما من المشركين لقوا قوما من المسلمين
لبقيتين من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ان يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فابوا وقاتلوهم فذلك
بغيهم عليهم وثبت لهم المسلمون فنصروا فوقع في انفس المسلمين شيء من القتال في الشهر الحرام فنزل ومن عاقب اي قاتل بمثل ما عوقب به اي كما ابتدي بالقتال
سمي الابتداء باسم الجزاء للطباق والملابسة من حيث ان ذلك سبب وهذا مسبب عنه ثم بغي عليه اي ثم كان المجازي مبغيا عليه اي مظلوما ومعنى ثم تفاوت
الرتبة لان كونه مبدوا بالقتال معه نوع ظلم كما قيل البادي اظلم وهو موجب لنصرته ظاهرا الا ان كونه في نفس الامر مظلوما هو السبب الاصلي في النصرة •
وعن الضحاك ان الاية مدنية وهي في القصاص والجراحات واستدل الشافعي رحمه بها في وجوب رعاية المماثلة في القصاص فقال من حرق حرقناه ومن غرق
غرقناه وفي ختم الاية بذكر العفو والمغفرة وجوه منها ان المندوب للمجني عليه هو ان يعفو على الجاني كقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وكانه قال انا امرتكم بالمعاقبة
وان تركتم بالانتقام وطلب الثار فما هو اولى به فان الله عفو غفور ومنها انه ضمن النصر على الباغي ولوح بذكر هاتين الصفتين بما هو اولى بالمجني عليه وهو العفو
ومنها انه دل بذكرهما على انه قادر على العقوبة لان العفو عند القدرة ثم بين ان ذلك النصر بسبب انه قادر ومن كمال قدرته ايلاج الليل وذلك ان زيادة احدهما
يستلزم نقصان الاخر وادا وتحصيل احد العوضين الظلام والضياء في مكان الاخر وقد مر في اوائل ال عمران وايضا ان خالق الليل والنهار ومصرفهما لا دوار والاكوار
لا يخفى عليه شيء من الزمانيات خيرا وشرا انصافا وبغيا واكد هذا المعنى بقوله ان الله سميع بصير يسمع اقوال الخلائق ويبصر افعالهم ثم بين ان كمال القدرة والعلم
هو لشيئين وجوب الوجود فقال ذلك اي الوصف بخلق الملوين وبالاحاطة بما يجري فيهما بسبب انه الحقيقة منحصرة في ذاته وان وجود غيره وكل ما سواه
موسوم بالبطلان فلا نقص كالامكان ولعلم مما ذكر انه الشيء الاعلى منه شانا والاكبر سلطانا وانما قال ههنا من دونه هو الباطل بزيادة هو وفي لقمان من دونه
الباطل لان هذا وقع بين عشر ايات كل اية مؤكدة مرة او مرتين ولهذا ايضا زيدت اللام في قوله وان الله لهو الغني الحميد بخلاف ما في لقمان ايضا ويمكن ان يقال
تقدم في هذه السورة ذكر الشيطان فلهذا ذكرت هذه المؤكدات بخلاف لقمان فانه لم يتقدم ذكر الشيطان هناك نحو ما ذكره ههنا ثم ذكر انواعا اخر من دلائل
قدرته ونعمته فقال الم تر قيل هي رؤية البصر لان نزول الماء من جهة السماء واخضرار النبات من المبصرات وقيل بمعنى العلم لان الرؤية اذا لم يقترن بها العلم لم يعتد بها
وفي قوله فتصبح دون ان يقول فاصبحت مناسبا للانزال اشارة الى بقاء اثر المطر زمانا طويلا وان كان ابتداء الاصباح عقيب النزول نظيره قول
القائل انعم فلان علي عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قال فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما لم ينصب فتصبح جوابا للاستفهام لايهام عكس
ما هو المقصود لانه يوهم نفي الاخضرار كما لو قلت لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك لتفريطه فيه وان
رفعته فانت مثبت للشكر والطريق الاستمرار ولا يبعد ان يكون هذه الاية اشارة الى دليل الاعادة كما في اول السورة وهذا قول ابي مسلم ان الله لطيف
خبير قال الكلبي لطيف في افعاله خبير باعمال خلقه وقال مقاتل لطيف باستخراج النبت خبير بكيفية خلقها وقال ابن عباس لطيف بارزاق عباده خبير
بما في قلوبهم من القنوط وقد مر مثل هذا في اواسط الانعام ثم بين ان كل ما في السموات والارض ملكه وملكه لا يمتنع شيء منها من تصرفه فيه وهو غني عن ذلك انما
خلقها لحاجة المكلفين اليها ومن جملتها المطر والنبات خلقهما رحمة للحيوانات وانعاما عليها واذا كان انعامه خاليا عن غرض عائد اليه كان مستحقا للحمد فهو
حميد في ذاته وان لم يحمده الحامدون **التأويل** وكاين من قرية قالب اهلكناها بتغيير الصدر وسوء الخلق واستيلاء الغفلة وبئر معطلة هي القلب
الفارغ عن اعمال القوى الروحانية في طلب المعارف والحقائق وقصر مشيد هو الرأس الخالي عن نتائج الفكر الصافي والحواس السليمة افلم يسيروا اي ارض البشرية
سائرين على منازل السالكين الى ان يصلوا الى مقام القلب فيكون لهم قلوب يعقلون بها الرحمن بذاته او اذان قلوب يسمعون بها قوله او ابصار بصائر يبصرون بها
افعاله واذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر صح وصفه بسائر وجوه الادراكات فقد يدرك نسيم اقبال ايام النصر كقوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن
وكقول يعقوب اني لاجد ريح يوسف ولن يخلف الله وعده ليس خلفه في وعد المؤمنين بخلف في الحقيقة لانه تصديق قوله سبقت رحمتي على غضبي وان
يوما عند ربك كالف سنة قيل لانه موجد الزمان وليس عنده صباح ولا مساء فوجود الزمان وعدمه وكثرته وقلته سواء عنده والاستعجال وحده انما يتصور
في المزمنات قلت وفيه ان الكل بارادته وان اراد الله فاسبابه متهيئة يحصل في يوم بارادته ما لا يحصل في الف سنة بحسب ظننا وتقديرنا ومن ههنا
قيل جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين امليت لها فيه انه تعالى يمهل ولكنه لا يهمل لهم مغفرة اي ستر فمنهم من يستر زلته ومنهم من يستر عليه اعماله الصالحة
صيانة لهم من الملاحظة ومنهم من يستر عليه حاله لئلا يصيبه من الشهرة فتنة كما قيل شعر لا تنكرن جحدي هواك فانما ذاك الجحود عليك ستر مسبل ومنهم من
يستره بين اوليائه في قباب العزة كما قال اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري ومنهم من يستر انانيته بهويته فيقول انا الحق وسبحاني والرزق الكريم هو الخالي
عن شوب الحدوث لانه من القديم الكريم الا اذا تمنى فيه ان النبي بل الولي لا يليق به التمني بل ما على الرسول الا البلاغ ولا على الولي الا الرضا والتسليم فلو بقي في احدهما
ادنى ملاحظة لغير الله كالحرص على ايمان القوم فوق ما امر به ابتلاه الله بيلاء ويجال الشيطان في امنيته بقول او بعمل فيدركه العناية الازلية ويزيل الخاطر الشيطاني
ويثبته على الخاطر الرحماني ولا يكون لدخان الفتنة تاثير في نور يقينه كما لا تاثير للضباب في شعاع الشمس بخلاف من في قلبه ظلم الشبهات فان ذلك الدخان
يزيدها كدورة وريبا حتى تاتيهم ساعة سلب الاستعداد بالكلية او ياتيهم عذاب يوم عقيم هو الابد لانه لا ليل له وهو عذاب القطيعة لا وصلة بعدها والذين هاجروا
من اوطان الطبيعة في طلب الحقيقة ثم قتلوا بسيف الصدق والرياضة حتى تزكو نفوسهم او ماتوا عن اوصاف البشرية ليرزقنهم الله رزقا حسنا فرزق القلوب
حلاوة العرفان ورزق الاسرار مشاهدات الجمال ورزق الارواح مكاشفات الجلال وان الله لهو خير الرازقين لانه يرزق من اوصاف ربوبيته كما قال
ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ومن عاقب المجاهدة نفسه بمثل ما عاقبت النفس المخالفة قلبه ثم بغي عليه اي غلبت النفس على القلب باستيلاء صفاتها
لينصرنه الله باستعمال النفس وتحقيق صفاتها ان الله لعفو لما سلف غفور لما بقي في نفوس الطالبين من الانانية يولج ليل الستر في نهار التجلي وبالعكس ويولج
ليل القبض في نهار البسط او ليل الهيبة في نهار الانس انزل من سماء القلب ماء الحكمة فتصبح ارض البشرية مخضرة بالشريعة والارض القلوب والارواح
والاسرار بالعلوم والكشوف والانوار والله اعلم بحقيقة الحال والاسرار

الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الا

الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم ۝ وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان
الانسان لكفور ۝ لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع
الى ربك انك لعلى هدى مستقيم ۝ وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون ۝
الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون ۝ الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ۝ ويعبدون من دون الله
ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ۝ واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ۝
يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب
والمطلوب ۝ ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز ۝ الله يصطفي
من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير ۝ يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم والى الله ترجع الامور ۝ يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ۝ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم
وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سميكم المسلمين من قبل وفي هذا
ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا
الزكوة واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير ۝ صدق الله

ما لم ينزل من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون بالتشديد تدعون بالتاء وسهل كما في البقرة الذين يدعون
بالياء يعقوب سهل ويعقوب الوقوف بامره ط باذنه ط رحيم ه احياكم ز لان ثم لترتيب الاخبار يحييكم ط لكفور ه ربك ط مستقيم ه تعملون ه
تختلفون ه والارض ط كتاب ط يسير ه علم ط نصير ه المنكر ط اياتنا ط ذلكم ط النار ط كفروا ط المصير ه فاستمعوا له ط اجتمعوا له ط منه ط والمطلوب ه قدره ط
عزيز ه ومن الناس ط بصير ه خلفهم ط الامور ه تفلحون ج للاية مع العطف لسجدة جهاده ط حرج ط ابراهيم ط الناس ج للعطف مع الفاء بالله ط موليكم ج
النصير ه **التفسير** ان من جملة نعم الله تعالى على عباده تسخير الارضيات وتذليلها لهم فلا اصلب من الحديد والحجر ولا اشد نكاية من النار وقد
سخرها للانسان وسخر لهم الانعام ايضا ينتفعون بها بالاكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر اليها افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وسخر لهم
الدواب وغيرها وسخر لهم الفلك حال كونها جارية بامره وامر تهيئة الاسباب المعاونة ودفع الاشياء المعاودة لسهولة جريها ولا ريب ان الانتفاع
بالارضيات لا يتاتى الا بعد الامن من وقوع السماء على الارض فمن الله تعالى على المكلفين بان حفظها لئلا تقع او كراهة ان تقع على الارض وذلك
بمحض الاقتدار عند اهل الظاهر او بان جعل طبعها هو الاحاطة بما في ضمنها او لا خفة فيها ولا ثقل ولهذا حصلت بالحركة على المركز وفي قوله الا باذنه اشارة
الى ان الافلاك ستخرق وتنشق فتقع على الارض ويحتمل ان يقال توقيت الوقوع على الاذن فالانخراق والانشقاق لا يستفاد من هذه الاية ثم ذكر
الانسان مبداه ومعاده فقال وهو الذي احياكم نظيره قوله في اول البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقد سبق هنالك وفي قوله تعالى
ان الانسان لكفور زجر لهم عن الكفران بطريق التوبيخ وعن ابن عباس انه الكافر وبعضهم جعله خاصا فقال هو ابو جهل والعاص بن وائل والاولى ارادة الجنس ثم عاد
الى بيان ان امر التكاليف مستقر على ما في هذه الشريعة فقال لكل امة الاية قال في الكشاف انما جاء العاطف ههنا بخلاف ما تقدم نظيرتها في السورة لان تلك
مناسبة لما تقدمها وهذه مباينة لها قلت وذلك لان من ههنا الى اخر السورة عودا بعد ذكر المعاد الى الوسط الذي هو حالة التكليف وان ذبائح

ان المنسك في هذه الآية هو الشريعة كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهو قول ابن عباس في رواية عطا وقيل اراد مكانا معينا او زمانا معينا لاداء الطاعات وقال مجاهد هو الذبايح ولا وجه للتخصيص ههنا والاحسن ان يكون قد بقيت آثارهم او لم تبق اما الضمير في قوله فلا ينازعنك فلا بد من رجوعه الى الامم الباقية آثارهم في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزجاج انه نهي له عن منازعتهم كما يقول لا يضاربك فلان اي لا تضاربه وذلك ان المفاعلة تقتضي العكس ضمنا وقال في الكشاف هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يلتفت الى قولهم ولا يمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في امر الدين وكانوا يقولون في الميتة ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله ومنهم من يعم استقرار امر الديانة في الشريعة وان على كل امة من الامم التي بقيت منها بقية ان يتبعوه ويتركوا المخالفة فلذلك قال وادع الى ربك اي لا تختص بالدعوة امة دون امة بل كلهم امتك انك لعلى هدى مستقيم اي على دين وسط ودليل ظاهر وان ابوا الا الجدال فكل امرهم الى الله فقل الله اعلم بما تعملون وفيه وعيد وانذار مخلوط برفق ولين الله يحكم بينكم اي يفصل بين المؤمنين والكافرين منكم ويحتمل ان يكون من تتمة المقول وان يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه للامم الم تعلم خطاب لكل عالم او للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد تقوية قلبه والانذار رسالة لا يكون الا بعد العلم بكونه تعالى عالما بكل المعلومات والاشياء عليه لصادق بالكاذب ان ذلك الذي ذكر وهو كل ما في السماء والارض في كتاب قال ابو مسلم اراد به الحفظ والضبط كالشيء المكتوب والجمهور على انه حقيقة وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه ولعل في ذلك الكتابة لطفا للملائكة لان مطابقة تلك الاشياء المكتوبة لما يحدث الى الابد من اول دليل على كونه عالم الذات وكذلك قال ان ذلك على الله يسير وهذا الشيور لضده وهو صعوبة مثل ذلك على غيره والا فلا مدخل لليسر والصعوبة في كمال قدرته وحين بين كمال الوهيته قطع شان اهل الشرك بقوله ويعبدون الآية والمراد انهم لم يتمسكوا في صحة عبادته بدليل سمعي ولا علم ضروري وقوله وما للظالمين من نصير الظلم الشرك والنصرة اما الشفاعة او بالحجة ولا حجة الا الحق وهو كقوله في آخر آل عمران وما للظالمين من انصار وقد مر والمنكر دلائل الغيظ والحنق وقال جار الله هو التقطيع من التجهم والبسور او هو الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقال الكلبي اراد انهم كرهوا القرآن وقال ابن عباس هو التجبر والترفع وقال مقاتل الكره وان يكون من الله تعالى السطو الوثب والبطش اي يهمون بالبطش والوثوب لعظم انكارهم عليهم وقوله من ذلكم اشارة الى غيظهم على التالين او الى همهم بالسطو انه كان سائلا قال ما ذلك اي شر قيل النار اي هو النار قلت وذلك ان حرارة الغيظ والسطو شبيه حرارة النار لكن هذه اقوى وهي نار جهنم ثم استانف للنار حكما فقال وعدها الآية ويحتمل ان يكون النار مبتدا ووعدها خبرا ثم ضرب للاصنام مثلا فقال يا ايها الناس ضرب مثل انما قال بلفظ الماضي لانه معلوم من قبل لكل ذي عقل والمثل بمعنى المثل استعاره وجملة من الكلام مستغربة متلقاة بالرضى والقبول اهل التعبير والارسال وذلك انهم جعلوا مضربها مثلا لمورد ثم استعار واستفظعه المستعار للقصة او الحالة او الصفة المستغربة لتمامها في الغرابة وهذا هو الذي قصد في الآية فاستمعوا له تدبروه وحق له ذلك فان الشيء المجرد لا ينفع له قال جار الله محل لو اجتمعوا النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا فكيف لو انفردوا والاول الظاهر ان لو هذه للمبالغة وجوابه محذوف لدلالة ما تقدم عليه تقديره ولو اجتمعوا لخلق الذباب لن يخلقوا ايضا وليس من شرط كل جملة ان يكون لها محل ثم زاد لعجزهم وضعفهم تاكيدا بقوله وان يسلبهم الذباب الآية يعني ترك امر الخلق والايجاد وتكلم فيما هو اسهل من ذلك ان هذا الحيوان الضعيف الذي لا قدرة لهم على خلقه لو سلب منهم شيئا لم يقدروا ايضا على استخلاص ذلك الشيء منه عن ابن عباس انهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله وقيل سمي الذباب ذبابا لانه كلما ذب آب ثم عجب من ضعف الاصنام والذباب بقوله ضعف الطالب والمطلوب فالصنم كالطالب من حيث انه يطلب خلق الذباب او يطلب استنقاذ ما سلبه منه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم او عبادته ويجوز ان يكون الطالب هو الذباب والمطلوب المسلوب منه ثم بين ان المشركين الذين عبدوا من دون الله آلهة بهذه المثابة ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته وقد مر مثله في الانعام ان الله لقوي عزيز قادر غالب فكيف يسوى بينه وبين العاجز المغلوب في العبادة وهي نهاية التعظيم وذلك انهم لو اعتقدوا كون تلك الاصنام طلسمات موضوعة على الكواكب فاذا لم ينفع نفسها في المقدار المذكور فلان لا ينفع غيرها اولى وان اعتقدوا انها تماثيل الملائكة والانبياء فلا يليق بها غاية الخضوع التي يستحقها خالق الكل وحين رد على اهل الشرك معتقدهم في الالهيات اراد ان يرد عليهم عقيدتهم في النبوات وهي ان الرسول لا يكون بشرا فقال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فالملك رسول الى النبي والنبي رسول الى سائر البشر قال مقاتل ههنا سؤالان الاول ان من للتبعيض فيفيد الآية ان بعض الملائكة رسل فيكون مناقضا لقوله جاعل الملائكة رسلا والجواب ان الموجبة الجزئية لا تناقض الموجبة الكلية او اراد بهذا البعض من هو رسول الى بني آدم وهم اكابر الملائكة ولا يبعد ان يكون بعض الملائكة رسلا الى بعض آخر منهم وثانيهما انه قال في موضع آخر لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقد اشير في هذه الآية ان بعض الناس مصطفى فيلزم من مجموع الاثنين انه قد اصطفى ولدا والجواب ان تلك الآية دلت على ان كل ولد مصطفى ولكن لم يلزم من هذه الآية ان كل مصطفى ولد فلن يحصل ما ادعيت والتحقيق ان الموجبتين في الشكل الذي لا ينتجان هذا ويحتمل ان تكون هذه الآية مسوقة للرد على عبدة الملائكة كما كانت الآية المتقدمة مسوقة للرد على عبدة الاصنام او يعلم من هذه ان علو درجة الملائكة ليس لكونهم آلهة بل لان الله اصطفاهم للرسالة حين كانوا امناء على وحيه لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ثم علو شانه وكمال علمه واحاطته احوال المكلفين ما مضى منه وما غبر وان مرجع الامور كلها اليه وفي كل ذلك زجر عن الاقدام على المعصية وبعث على الجد في الطاعة فلا جرم صرح بالمقصود قائلا يا ايها الذين آمنوا الظاهر انه خطاب مختص بالمؤمنين يؤكده قوله بعد ذلك هو اجتباكم هو سماكم المسلمين وقيل عام لكل المكلفين لان المامورات بعده لا تختص ببعض الناس دون بعض والتخصيص بالذكر للتشريف فانهم الذين قبلوا الخطاب وقدم الركوع والسجود على الصلاة لانهما ركنان معتبران وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان يكون صلاتهم بركوع وسجود ذكره ابن عباس رض قال جار الله عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وهو مذهب الشافعي واما ابو حنيفة رحمه الله فلا يرى هذه سجدة لانه قرن الركوع بالسجود فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وقدم الصلوة لانها اشرف العبادات ثم عم فامر بالعبادة مطلقا ثم جعل الامر اعم وهو فعل الخيرات ليشمل التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله كانه كلفكم ما هو اعم منها وهو العبادة بل كلفكم ما هو اعم وهو فعل الخير على الاطلاق وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله عز وجل وعن ابن عباس ان فعل الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق ومعنى لعلكم تفلحون افعلوا كل ذلك راجين الفلاح وهو الظفر بنعيم الآخرة لا مستيقنين ذلك فان الانسان قلما يخلو عن اداء فريضة من تقصير والعواقب ايضا مستورة ثم امر بمخالفة النفس والهوى في جميع ما ذكر وهو الجهاد الاكبر فقال وجاهدوا في الله اي في ذاته من اجله حق جهاده اي حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه فاضافة الجهاد الى الله من قبيل التوسعة ولادنى ملابسة من حيث ان الجهاد فعل لوجهه وقيل هو امر بالغزو وامر

ان يجاهدوا آخرا كما جاهدوا اولا فقد كان جهادهم في الاول اقوى وكانوا فيه اثبت على عدوهم يوم بدر وعن عمر انه قال لعبد الرحمن بن عوف اما علمت انا كنا نقرا وجاهدوا في الله حق جهاده في آخر الزمان كما جاهدتم في اوله فقال عبد الرحمن ومتى ذلك يا امير المؤمنين قال اذا كانت بنو امية الامراء وبنو المغيرة الوزراء قال العلماء لو صحت هذه فلعل هذه الزيادة من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ليست من نفس القرآن والا لتواترت واما عبارات المفسرين فعن ابن عباس حق جهاده اي لا تخافوا في الله لومة لائم وقال الضحاك اعملوا لله حق عمله وقال آخرون استفرغوا ما في وسعكم في احياء دين الله واقامة حقوقه باليد واللسان وجميع ما يمكن وردوا انفسكم عن الهوى والميل وعن مقاتل والكلبي ان الآية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم كما ان قوله اتقوا الله حق تقاته منسوخ بذلك وضعف بان التكليف مشروط بالقدرة فلا حاجة الى التزام النسخ ثم عظم شان المكلفين بقوله هو اجتباكم اي اختاركم لدينه ونصرته وفيه تشريف كقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا ثم كان لقائل ان يقول التكليف وان كان تشريفا الا ان فيه مشقة على النفس فقال وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وشدة وذلك انه فتح باب التوبة ووسع على المكلفين بانواع الرخص والكفارات والديات والارش يروى ان ابا هريرة قال كيف قال سبحانه ما جعل عليكم في الدين من حرج مع انا منعنا عن الزنا والسرقة فقال ابن عباس بلى ولكن الاصر الذي كان على بني اسرائيل وضع عنكم قالت المعتزلة لو خلق الله فيه الكفر ثم نهاه عنه كان ذلك من اعظم الحرج وعورض بانه نهاه عن الكفر مع انه علم ذلك منه وكانه امره بقلب علم الله جهلا وهو اعظم الحرج ثم اثنى على هذه الامة بقوله ملة ابيكم اي اعني بالدين ملة ابيكم ويجوز ان ينتصب بمضمون ما تقدم كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم فاقام المضاف اليه مقام المضاف وانما كان ابراهيم ابا هذه الامة لانه ابو الرسول صلى الله عليه وسلم وكان كل نبي ابو امته والمراد ان التوحيد والحنيفية هي ما شرعه ابراهيم هو اي الله او ابراهيم عم سماكم المسلمين من قبل اي في سائر الكتب او في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وفي هذا القرآن اما اذا كان المسمي هو الله فظاهر واما ان كان هو ابراهيم فلعله اراد ان حكاية دعائه مذكورة في القرآن وقوله ليكون الرسول متعلق بقوله هو اجتباكم اي فضلكم على الامم لهذا الغرض نظيره قوله في البقرة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا والاصل لتقدم الآية كما في البقرة لان الخطاب معهم وليقع الختم على شهادة الرسول كما هو الواقع الا انه عكس الترتيب في هذه السورة ليناسبه قوله فاقيموا والمراد اذ خصكم بهذه الكرامة فاعبدوه واعتصموا بالادلة العقلية والسمعية وبالطافه وعنايته قال ابن عباس سلوا الله العصمة عن كل المحرمات وقال آخرون اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون فهو خير مولى وناصر استدلت المعتزلة بالآية في قولهم انه يريد الايمان من الكل من وجوه الاول انه اراد ان يكونوا شهداء ولن يكونوا كذلك الا اذا آمنوا الثاني انه لا يمكن الاعتصام به الا اذا لم يوجد منه الشر البتة الثالث انه لو خلق في عباده الكفر والمعاصي لم يكن نعم المولى والجواب بعد تسليم ارادة الايمان من الكل ان ارادة الشيء ان كانت مستلزمة لارادة لوازمه فارادة الايمان من الكفار يستلزم ان يكون الله تعالى مريدا الجهل لنفسه وان لم يستلزم فقد سقط السؤال وايضا الاعتصام به انما يكون منه كقوله اعوذ بك منك وايضا انه خلق الشهوة في قلب الفاسق وخلق المشتهى وقربه منه ورفع المانع وسلط عليه شياطين الانس والجن فلو لم يكن كل هذه مقتضية لكونه بئس المولى لم يكن خلق الكفر ايضا مقتضيا لذلك التاويل تحرككم ما في ارض البشرية من الصفات الحيوانية والشيطانية وتحركك الواردات الغيبية تجري في بحر القلب ويمسك سماء القلب ان يقع على ارض النفس بان تتصف بصفاتها الا باذنه بقدر اباحة الشرع من ضرورات المأكول والملبوس وغيرهما هو الذي احياكم بازدواج الروح الى القالب ثم يميتكم عن صفات البشرية ثم يحييكم بنور الصفات الربانية فلا ينازعنك في امر فان لك مع الله وقتا لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولكل قوم رتبة لا يتجاوزونها ان الذين تدعون من دون الله كالاصنام الظاهرة والباطنة لن يقدروا على خلق ذباب وان يسلبهم ذباب هواجس النفس شيئا من صفاء القلب وجمعية الوقت ضعف الطالب وهو القلب غير المؤيد بنور الايمان والمطلوب وهو النفس والشيطان اركعوا بالنزول عن مرتبة الانسانية الى خضوع الحيوانية ومنهم من يمشي على اربع واسجدوا بالنزول الى مرتبة الجمادية والنجم والشجر يسجدان واعبدوا ربكم بتحصيل الطاعة خالصة له وافعلوا الخير بمراقبة الله في جميع احوالكم لعلكم تفلحون بالوصال وجاهدوا في الله حق جهاده فجهاد النفس بتزكيتها باداء الحقوق وترك الحظوظ وجهاد القلب بتصفيته وقطع تعلقه عن الكونين وجهاد الروح بتحليته بافناء الوجود في وجوده هو اجتباكم لهذه الكرامات من بين سائر البريات ولولا انه اجتباكم ما اهتديتم اليه كما قيل شعر فلولاكم ما عرفنا الهوى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي في دين العشاق وهو السير الى الله من ضيق من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا والسير الى الله من سنة ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين هو سماكم المسلمين في الازل وفي هذا الطور وانما قدم الرسول لانه روحه في الازل بتقدم اول ما خلق الله روحي فهو مشرف وشهيد على ارواح امته وبعد ذلك خلقت ارواح امته مشرفين على احوال غيرهم وفي سورة البقرة اعتبر طرف الابد فوقع الختم على الرسول وعلى شهادته فاقيموا الصلوة بدوام السير والعروج الى الله والتعظيم لامره وآتوا الزكوة بدعوة الخلق الى الله والشفقة عليهم واعتصموا بحبل الله حتى تصلوا اليه هو مولاكم افنائكم عنكم فنعم المولى في افناء وجودكم ونعم النصير في ابقائكم بربكم والله اعلم

سورة المؤمنين مكية حروفها اربعة آلاف وثمانية كلمها الف وثمانية واربعون آياتها مائة وثمانية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون ۝ والذين هم عن اللغو معرضون
والذين هم للزكوة فاعلون ۝ والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ۝ فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ۝ والذين هم على صلوتهم يحافظون
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ۝ ولقد خلقنا

الانسان من سلالة من طين ۝ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ۝ ثم خلقنا النطفة علقة
فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر
فتبارك الله احسن الخالقين ۝ ثم انكم بعد ذلك لميتون ۝ ثم انكم يوم القيمة
تبعثون ۝ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ۝ و
انزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون
فانشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون
وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ۝ وان لكم
في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ۝
وعليها وعلى الفلك تحملون ۝ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
مالكم من اله غيره افلا تتقون ۝ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم
يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ۝
ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين ۝ قال رب انصرني بما كذبون ۝
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور
فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون ۝ فاذا استويت انت ومن معك على الفلك
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ۝ وقل رب انزلني منزلا مباركا
وانت خير المنزلين ۝ ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ۝

[illegible]

ان

[illegible]

ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الفردوس مقصورة الرحمن فيها الانهار والاشجار وعن ابي امامة مرفوعا سلوا الله الفردوس فانه اعلى الجنان وان اهل الفردوس يسمعون اطيط العرش ويروى عن النبي صلى الله عليه السلام انه قال لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون ويروى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا احسن العبد الوضوء وصلى الصلوة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتني وتشفع لصاحبها فاذا اضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني وتلف كما يلف الثوب ويضرب بها وجه صاحبها قالت العلماء اما كلام الجنة فلعلها (?) انها اعدت للمتقين كقوله قالتا اتينا طائعين وكذا الكلام في كلام طوبى واما انه تعالى خلق الجنة بيده فالمراد تولى خلقها وايجادها من غير واسطة واما حديث الصلوة فلا ريب انها حركات وسكنات ولا يصح عليها التكلم فالمراد به ضرب المثل كقولك للنعم عليك ان احسانك ينطق بالشكر ولما حث عباده على العبادات ووعدهم الفردوس على مواظبتها عاد الى تقرير المبدأ والمعاد ليتمكن ذلك في نفوس المكلفين وهو ثلثة انواع الاول الاستدلال باطوار خلق الانسان والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وهذا البناء للقلة كما يسقط عن الشيء كالقلامة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد آدم لانه استل من الطين والكناية في جعلناه راجعة الى الانسان الذي هو ولد آدم اي جعلناه جوهرة نطفة وقال آخرون الانسان ههنا هو ولد آدم والطين اسم آدم والسلالة هي الاجزاء الطينية المبثوثة في اعضائه التي يجتمع منها في اوعيته ويحتمل ان يقال ان كل بشر آدم حاله كذا (?) لان غذاءه ينتهي الى النبات المتولد من صفو الارض والماء المسمى بالسلالة ثم ان تلك السلالة تصير منيا وعلى هذا فكلمة من في الاولى للابتداء وقال في الكشاف الاولى للابتداء والثانية للبيان وهو موجه على التفسير الاول فقط والقرار المستقر اراد به الرحم واما وصفت بالمكين لمكانها في نفسها فانها مكنت حيث هي واحرزت او على الاسناد المجازي باعتبار المستقر فيها كقولك طريق سائر ورتب الاطوار كما مر في اول الحج ومعنى ثم في الجنس هذه المعطوفات تراخي الرتبة ولا سيما في قوله ثم انشأناه خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول حيث صار حيوانا وكان جمادا الى غير ذلك ثم دقائق اللطف وغرائب الصنع وذلك بعد استكمال عشرة اربعينات ومن ههنا ذهب ابو حنيفة فيمن غصب بيضة فافرخت عنده الى انه يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة وروى العوفي عن ابن عباس رضي ان ذلك تصريف الله في اطواره بعد الولادة من الطفولية وما بعدها الى استواء الشباب وخلق الفهم والعقل فيه يؤيده قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون وروي ان هذا القول ايضا عن مجاهد وابن عمر فتبارك الله كثر خيره وبركته او هو وصف له بالدوام والبقاء او بالتعالي لان البركة يرجع معناها الى الامتداد وكل ما زاد على الشيء فقد علاه ومعنى احسن الخالقين احسن المقدرين تقديرا فحذف المميز للعلم به قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان كل ما يفعله الله تعالى فهو حسن وحكمة فلا يكون خالقا للكفر والمعاصي واجيب بان الحسن ههنا بمعنى الاحكام والاتقان في التركيب والتأليف وبانه لا يقبح منه شيء لانه متصرف في ملكه قالوا لولا ان غيره تعالى خالق لم يحسن هذه الاضافة فيعلم منه ان العبد خالق افعاله وعورض بقوله الله خالق كل شيء واجيب بان المراد انه احسن الخالقين في زعمكم واعتقادكم وبعضهم اجاب بان وجه حسن الاضافة هو انه تعالى وصف عيسى عم بانه يخلق من الطين كهيئة الطير ولا يخفى ضعف هذا الجواب من انه يلزم اطلاق الجمع على الواحد ومن حيث انه يلزم اطلاق الخالق على المصورين والحق ان الخلق لو كان بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد لا يلزم شيء من هذه الاشكالات وروي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلعم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا انزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وروي عن عمر ايضا انه سبق لسانه بقوله فتبارك الله احسن الخالقين قبل ان ينزل واعلم ان هذا غير مستبعد ولا قادح في الاعجاز لانه ليس بمقدار سورة الكوثر التي وقع التحدي اقله به سؤال الحكمة في الموت واجاب واما وصل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة ليكون في الانعام ابلغ جوابه لو كان كذلك لكان الاتي بالطاعة اتيا بها لمحض الجنة والثواب لا جرم اوقع الله تعالى الاماتة والاعادة في البين ليكون الطاعات ادخل في الاخلاص وابعد عن صورة المبالغة وليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر فيعرف تلك بدليل آخر ويمكن ان يقال بل الآية متضمنها فانها ايضا من جنس الاعادة النوع الثاني الاستدلال بخلق السموات قال الخليل والفراء والزجاج سميت السموات طرائق لانها طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وقال علي بن عيسى لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق اي عن السموات وحفظها ان تقع على الارض قاله سفيان بن عيينة وقال الحسن اراد بالخلق الناس اي ما كنا غافلين عن مصالحهم فخلقنا الطرائق فوقهم لننزل منها عليهم البركات والارزاق ولينتفعوا بغير ذلك من منافعها ويحتمل ان يريد بالاول كمال قدرته وبالثاني كمال علمه باحوال المخلوقات وفيه نوع من الزجر ويمكن ان يراد خلقنا السموات وما كنا عن خلقها ذاهلين فلهذا لم تخرج عن التقدير الذي اردنا كونها عليه نظيره ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت النوع الثالث الاستدلال بنزول الامطار واخراج النبات وانشاء الحيوانات ونزول المطر عند الظاهريين من اهل الشرع لا يبعد ان يكون من نفس السماء وعند ارباب المعقول منهم يراد به انزاله من جهة السماء قالوا انه سبحانه يصعد الاجزاء المائية من البحر بواسطة التبخير فتصير في الجو صافية عذبة زائلة عنها ملوحة البحر ثم ينزلها بواسطة السحب وقد سلف اول البقرة تفصيل ذلك ومعنى بقدر بمقدار يسلمون منه من المضار ويصلون الى المنافع او بمقدار يوافق حاجاتهم ومعنى اسكان الماء في الارض جعله ثابتا في الينابيع والآبار وقيل اراد اثباتها في الارض على ما روي عن ابن عباس ان الانهار خمسة سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة واستودعها الجبال واجراها في الارض وانا على ذهاب به لقادرون اي كما قدرنا على انزاله فنحن قادرون على ان نذهب به بوجه من الوجوه ولهذا التنكير حسن موقع لا يخفى اذ فيه ايذان على ان الذهاب به قادر على اي وجه اراد وفيه تحذير من كفران نعمة الماء وتخويف من نفاده اذا لم يشكر ثم نبه على عظيم نعمة بخلق الماء بين المنافع الحاصلة بسببه وخص منها النخيل والاعناب وشجرة الزيتون لانها اكرم الشجر واعمها الغذاء ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع لامرين التفكه والتطعم وجوز في الكشاف ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفة كذا كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم ووصف الزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا قال جار الله طور سيناء وطور سينين اما ان يكون الطور فيه مضافا الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون المجموع اسما للجبل وهو جبل فلسطين على قول او الطور الذي منه نودي موسى عم ومن قرأ سيناء بفتح السين فهذا كصحراء ومن قرأ بكسرها لمنع صرفه للعلمية والعجمة او التأنيث بتأويل البقعة ولا يكون الفه حينئذ للتأنيث كعلباء وحرباء قال في الكشاف بالدهن في موضع الحال والباء صلة دون التعدية لان نبات الدهن وانباته لا يكاد يستعمل فالمعنى تنبت الشجرة وفيها الدهن او تنبت الشجرة زيتونها وفيه الزيت ويجوز ان يكون انبت بمعنى نبت ايضا والصبغ الادام لانه يصبغ به الخبز قلت لا يبعد ان يريد الصبغ نفس ثمرة الزيتون لا الزيت ولذا احتمل ان يكون الباء في بالدهن للتعدية الا ان يكون الانبات متعديا قال المفسرون انما اضافه الله تعالى الى هذا الجبل لانها منه تشعبت في البلاد وتفرقت او لان معظمها هناك قوله وان لكم في الانعام لعبرة قد مر في النحل ولعل في القصد بالانعام ههنا الى الابل خاصة لانها هي الابل المحمول عليها في العادة ولانه قرنها بالفلك وهي سفائن البر كما ان الفلك سفائن البحر واما قال في هذه السورة فواكه كثيرة بالجمع بخلاف ما في الزخرف ليناسب قوله ههنا منافع كثيرة وليناسب قوله جنات كما ان

هنالك فاكهة على التوحيد ليناسب قوله وتلك الجنة وانما هنا في الموضعين ومنها تاكلون بزيادة الواو خلاف الزخرف لان تقدير الاية منها تدخرون ومنها تاكلون ومنها تبيعون وليس كذلك فاكهة الجنة فانها للاكل فحسب فافهم واعلم انه لما انجر الكلام الى ذكر الفلك اتبعه قصة نوح عم لانه اول من (?) صنعها وفيه ايضا ترويح بالقصص عن دلائل التوحيد على عادة القرآن لاجل الاعتبار والتنشيط وقوله ما لكم من اله غيره جملة مستأنفة تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة يعني افلا تتقون افلا تخافون ان تتركوا عبادة من هو واجب الوجود مستحق العبادة ثم تذهبوا فتعبدوا ما ليس بهذه الصفة بل هو في اخس مراتب الامكان وهي الجمادية ثم حكى سبحانه عنهم شبهاتهم الاولى قولهم ما هذا الا بشر مثلكم ومعناه انكار كون الرسول من جنس البشر او انكار كونه مثلهم في الاسباب الدنيوية من المال والجاه والجمال كانهم ظنوا ان القرب من الله يوجب المزية في هذه الامور ويتأكد هذا الاحتمال بالشبهة الثانية وهي قوله يريد ان يتفضل عليكم اي يتكلف طلب الفضل والرياسة عليكم نظيره وتكون لكما الكبرياء في الارض ويتأكد الاحتمال الاول بالشبهة الثالثة وهي ولو شاء الله لانزل ملائكة لعلو شأنهم وكمال قوتهم وقد حكى هذه الشبهة عن قوم آخرين في حم السجدة قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة خص هذه السورة باسم الله على الاصل لتقدم ذكر الله وخص حم السورة باسم الرب لتقدم ذكر الرب في قوله ذلك رب العالمين وهم من جملة العالمين قالوه اما اعتقادا واما استهزاء الشبهة الرابعة الاعتصام بحبل التقليد ما سمعنا بهذا اي بمثل هذا الكلام او بمثل هذا المدعي فيجوز ان يكونوا صادقين في ذلك للفترة المتطاولة ويجوز ان يكونوا تجاهلوا وكذبوا لانهماكهم في الغي وتشمرهم لدفع الحق واخماد النبي باي وجه يمكنهم يؤيده الشبهة الخامسة وهي نسبتهم اياه الى الجنون مع علمهم ظاهرا بانه ارجح الناس عقلا ورزانة قال جار الله الجنة الجنون او الجن اي به جن يخبلونه وهذا بناء على زعم العوام ان المجنون ضربه الجن ثم رتبوا على هذه الشبهة قولهم فتربصوا به حتى حين اي اصبروا عليه الى ان يكشف جنونه ويفيق او الى ان يموت او يقتل وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام فانه عليه السلام كان يفعل افعالا على خلاف عاداتهم وكان رؤساؤهم يقولون للعوام انه مجنون لينفروهم عنه وليلبسوا عليهم امره ويحتمل ان يكون هذا كلاما مستأنفا وهو ان يقولوا لقومهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوي امره فنحن حينئذ نتبعه وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل امره فحينئذ نستريح منه واعلم انه سبحانه لم يذكر جواب شبهاتهم لركاكتها ولانه قد علم في هذا الكتاب الكريم اجوبتها غير مرة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون واذا ابطل طريقة التقليد صار حديث التربص ضائعا بل يجب قبول قول من ادعى النبوة بعد ظهور المعجزة من غير توقف ثم حكى ان نوحا عم لما علم اصرارهم على الكفر قال رب انصرني اي اهلكهم بسبب تكذيبهم او اي في النصرة اهلاكهم او انصرني بدل تكذيبهم كقولك هذا بذاك والمراد ابدلني من غم التكذيب سلوة النصرة او انصرني بانجاز ما كذبوني فيه وهو ما وعدهم من العذاب في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وباقي القصة الى قوله انهم مغرقون قد مر تفسير مثلها في سورة هود ومعنى فاسلك ادخل فيها كما في اول الحجر في قوله كذلك نسلكه ومن سبق عليه القول تحقيق سبقت لهم منا الحسنى لان على يستعمل في الضار كما ان اللام يستعمل في النافع وقد جاء زيادة منهم هنا (?) على الاصل وحذفت في هود ليحسن عطف ومن آمن من غير التباس وبشاعة قيل في قوله باعيننا على الجمع فساد قول المشبهة ان الله خلق آدم على صورته اما قوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل لم يقل فقولوا لان اول الكلام مبني على خطاب نوح ولان قول النبي صلى الله عليه وسلم قول لامته مع ما فيه من الاشعار بفضله ومن اظهار الكبرياء وان كل احد لا يليق بخطاب رب العزة وفي الامر بالحمد على اهلاكهم تقبيح صورة الظلمة كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين واما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق جزاء لانه كان يعرفه ان ذلك سبب نجاتهم من الاشتراك مع الظلمة في حكم الاهلاك ثم امره ان يسأل باهم الاهم والانفع وهو ان ينزله في السفينة بدليل عطف وقل على جزاء فاذا استويت او ينزله في الارض عند خروجه من السفينة لانه لا يبعد ان يدعو عند ركوب السفينة بما يتعلق بالخروج منها منزلا او انزالا او موضع انزال تبارك له فيه بزيادة واعطاء خير الدارين وقدامه ان يشفع بالدعاء الثناء المطابق للمسألة وهو قوله وانت خير المنزلين اي انزالا وذلك انه اقدر على الحفظ واعلم بمحال المنازل بل كل منزل فانه لا يقدر على ايصال الخير الى النازل الا باقداره وتمكينه والقاء تلك الداعية في قلبه ان في ذلك الذي ذكر من القصة لآيات لعبرا وذوي الآيات لمن اعتبر واذكر فان اظهار تلك المياه العظيمة والذهاب بها الى سماء لا يقدر عليها الا القدير الخبير وان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام في لمبتلين هي الفارقة والمعنى وان الشأن والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء الغرق او مختبرين بهذه الآيات من بعدهم لينظر من يعتبر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر وقيل المراد كما يعاقب بالغرق من كفر فقد يمتحن به من لم يكفر على وجه المصلحة لا التعذيب فليس الغرق كله على وجه واحد التأويل الفلاح الظفر والفوز والبقاء اي ظفر المؤمنون بالايمان الحقيقي المقيد بجميع الشرائط بنفوسهم ببذلها في الله وفازوا بالوصول الى الله وبقوا به بعد ان فنوا فيه الخشوع في الظاهر انتكاس الرأس وغض العين واستماع الاذن وقراءة اللسان ووضع اليمين على الشمال كالعبد واعتدال الظهر في القيام والانحناء في الركوع وثبات القدمين والخشوع في الباطن سكون النفس عن الخواطر والهواجس وحضور القلب لمعاني القراءة والاذكار ومراقبة السر بترك الالتفات الى المكونات واستغراق الروح في بحر المحبة وذوبانه عند تجلي صفات الجمال والجلال اللغو كل ما يشغلك عن الله والزكوة تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة بل عن حب الدنيا لانه رأس كل خطيئة الا على ازواجهم في كلمة على دلالة على انه يجب ان يستولوا على الازواج لا بالعكس والا كن عدوا لهم كقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وعلامة الاستيلاء على الازواج ان يبتغي بالنكاح النسل ورعاية السنة في اوانها لا حظ النفس والاركان متجاوزا طريق الكمال لاماناتهم يعني التي حملها الانسان وعهدهم هو عهد الميثاق في الازل يحافظون الفرق بين المحافظة والخشوع ان الخشوع معتبر في نفس الصلوة والمحافظة معتبرة فيها وفيما قبلها من الشرائط وفيما بعدها وهو ان لا يفعل ما يحبطها ويضيعها الوارثون لانهم احياء القلوب وقد نالوا من المراتب ما خلقتها اموات القلوب من سلالة لانه سل من جميع اجزاء الارض فجاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف اجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين ففيه حرص الفأرة والنملة وشهوة الحمار والعصفور وغضب الفهد والاسد وكبر النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازي وتلطفا ونحوها من الاخلاق الحميدة فتبارك الله احسن الخالقين لانه خلق احسن المخلوقين اما من حيث الصورة فلانه خلق من نطفة متشابهة الاجزاء بدنا مختلف الابعاض والاعضاء كاللحم والشحم والعظم والشعر والظفر والعصب والعروق والعظام والمخ والعين والانف والفم واليد والرجل وغيرها مما يشهد لبعضها علم التشريح واما من حيث المعنى فلانه خلق الانسان مستعدا لحمل الامانة التي ابى عن حملها السموات والارض والجبال ويجيء تحقيق ذلك في موضعه ثم انكم بعد ذلك لميتون الى قوله تبعثون فيه ان الانسان قابل لموت القلب ولموت النفس ولحشرهما وفي موت احدهما حيوة الآخر وحشره وموت القلب عبارة عن انغماسه وتستره في حجب الغواشي الآتية عليه من طرق الحواس الظاهرة وحواشي (?) الوهم والخيال فلذلك قال ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق هي الاغشية والحجب من الجهات المذكورة وما كنا عن مصالح الخلق غافلين فلا نترك العبد في تلك الحجب بدليل قوله فانزلنا من السماء سماء العناية ماء الرحمة بقدر استعداد السالك فاسكناه في ارض وجوده فانشأنا لكم به جنات من نخيل المعارف

واعناب الكشوف وشجرة الخفي الذي تخرج من طور سيناء الروح بتاثير تجلي انوار الصفات تنبت بدهن حسن الاستعداد لقبول الفيض الالهي ملا
لانه شر بين الله وبين الروح وصبغ للآكلين الكونين بقوة الهمة ثم اخبر عن نغم القالب ان فيها منافع لانها آلة تحصيل الكمال عليها وعلى الفلك الشريعة في منهج
الى الله يحملون وتأويل قصة نوح عليه السلام قد مر في سورة هود والله اعلم بالصواب

ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين ۝ فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله
مالكم من اله غيره افلا تتقون ۝ وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء
الآخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه و
يشرب مما تشربون ۝ ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ۝
ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون ۝ هيهات هيهات لما
توعدون ۝ ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ۝ ان
هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن بمؤمنين ۝ قال رب
انصرني بما كذبون ۝ قال عما قليل ليصبحن نادمين ۝ فاخذتهم
الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ۝ ثم
انشانا من بعدهم قرونا آخرين ۝ ما تسبق من امة اجلها وما
يستاخرون ۝ ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها
كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم
لا يؤمنون ۝ ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان
مبين ۝ الى فرعون وملايه فاستكبروا وكانوا قوما عالين ۝
فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ۝ فكذبوهما فكانوا
من المهلكين ۝ ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ۝
وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ۝
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم ۝
وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون ۝ فتقطعوا امرهم
بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ۝ فذرهم في غمرتهم حتى حين ۝
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون

هيهات هيهات بكسر التاء فيهما يزيد والوقف بالتاء لا غير وهو الصحيح عنه وروى ابن وردان عنه بالكسر والتنوين فيهما الباقون
بفتح التاء فيهما في الحالين الا الكسائي فانه يقف بالهاء تترى بالتنوين ابن كثير وابو عمرو ويزيد والوقف بالالف لا غير الباقون بالياء في الحالين

[illegible]

وآوا انجيناكم من آل فرعون الى قوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة والقصة مشهورة فالصحيح انه ذكر موسى واراد قومه كما يقال هاشم وثقيف
ويراد قومهم نظيره على خوف من فرعون وملائهم وقد مر في آخر سورة يونس ثم اجمل قصة عيسى بقوله وجعلنا ابن مريم وامه آية قال جار الله لو قيل آيتين
لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا
ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والاقرب حمل اللفظ على الوجه الذي لا يتم الا بمجموعهما وهو الولادة على الوجه العجيب المخالف
للعادة والربوة بحركات الراء هي الارض المرتفعة عن كعب وقتادة وابي العالية هي ايلياء ارض بيت المقدس فانها كبد الارض واقرب الى السماء
بثمانية عشر ميلا وعن الحسن فلسطين والرملة ومثله عن ابي هريرة قال الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله تعالى وقال الكلبي
وابن زيد هي مصر والاكثرون على انها دمشق وغوطتها والقرار المستقر من ارض منبسطة مستوية وعن قتادة اراد ذات ثمار وماء يعني لاجل الثمار يستقر
فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض من عانه اذا ادركه بعينه فوزنه في الاصل معيون على مفعول وقال الفراء والزجاج ان شئت
جعلته فعيلا من الماعون وهو ما سهل على معطيه من اثاث البيت ومثله قول ابي علي المعين السهل الذي ينقاد ولا يتعاص وقال جار الله وجه من جعله
فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة قال المفسرون سبب الايواء انها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثنتي عشرة سنة
وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد ما مات ملكهم قوله سبحانه يا ايها الرسل ليس على ظاهره لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة وفيه
وجوه احدها الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه ويؤيد
هذا التاويل ما روي عن ام عبد الله اخت شداد بن اوس انها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح من لبن في شدة الحر عند فطره
وهو صائم فرده الرسول اليها وقال من اين لك هذا فقالت من شاة لي ثم رده وقال من اين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فاخذه ثم انها
قالت لرسول صلى الله عليه وسلم لم رددته فقال صلى الله عليه وسلم بذلك امرت الرسل ان لا تاكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا وثانيها وهو
قول محمد بن جرير ان المراد به عيسى وقد خاطب الواحد خطاب الجمع لتشريفه وكقوله الذين قال لهم الناس المراد نعيم بن مسعود او وقع هذا الاعلام عند
ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقنا كما واعملا
صالحا اقتداء بالرسل وثالثها وهو الاظهر عندي ان المراد نبينا صلى الله عليه وسلم لانه ذكر ذلك بعد انقضاء اخبار الرسل ووجه نظم
الكلام بما بعده ظاهر كما نقرره ووجه اتصاله بما قبله هو انتهاء الكلام الى ذكر المستلذات وبالحقيقة المراد به الامة كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء والطيب
المستطاب المستلذ من الماكل والفواكه او هو الحلال وقيل طيبات الرزق حلال لا يعصى الله فيه وصاف لا ينسى الله فيه وقوام يمسك النفس ويحفظ
العقل وفي تقديم الاكل من الطيبات على الامر بالعمل الصالح دليل على ان العمل الصالح لا بد ان يكون مسبوقا بالاكل الحلال وفي قوله اني بما تعملون عليم تحذير
من مخالفة هذا الامر وقال في سورة سبا اني بما تعملون بصير وكلاهما من اسمائه تعالى الا انه ورد ههنا على الاصل لان العلم اعم وهناك راعى لفظ
او خصص لان الخطاب مخصوص بآل داود ومن قرا وان بالكسر فعلى الاستيناف ومن قرا بالفتح مخففا او مشددا فعلى حذف لام التعليل والمعلل
فاتقون ثم من قال الخطاب لجميع الرسل فالمشار اليه بهذه هو اصول الاديان والشرائع التي لا خلاف فيها بين الرسل وجعلها تقوى الله كما ختم به الآية
والضمير في تقطعوا راجع الى امم قال الكلبي ومقاتل والضحاك يعني مشركي مكة والمجوس واليهود والنصارى ومن قال الخطاب لعيسى فهذه اشارة
الى ملته في وقتها وعلى القول الاظهر بل على جميع الاقوال المشار اليه ملة الاسلام كما مر مثله في اواخر سورة الانبياء وكانه امر هناك بالعبادة التي هي اعم
ثم امر بالتقوى التي هي اخص ولهذا قال فتقطعوا بالفاء ليتوجه الذم اتم فان المامور به كلما كان ابعد من المامور به كان سبب الذم اقوى فلا يكون ترتب
التقطع على التقوى كترتبه على العبادة ولهذا اكد التقطع بقوله زبرا بضم الباء جمع زبور اي حال كونه كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا ومذاهب
شتى ومن قرا بفتح الباء فالمعنى قطعا واستعيرت من زبر الفضة والحديد ثم اكد الذم بقوله كل حزب اي كل فريق منهم مغتبط بما اتخذه دينا لنفسه
معجب به يرى انه الحق الراجح وغيره المبطل الخاسر ثم بالغ في الذم والتهديد بقوله فذرهم في غمرتهم وهذا الامر مما يدل على ان المخاطب بقوله يا ايها الرسل
هو نبينا صلى الله عليه وسلم وقد يطلق لفظ الجماعة على الواحد تعظيما وتفخيما كقوله ان ابراهيم كان امة والغمرة الماء الذي يغمر القامة قال جار الله ضرب
مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وغوايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قلت وانت اذا تاملت فيما اسلفنا لك في المقدمة
التاسعة من مقدمات الكتاب عرفت الفرق بين الوجهين قال في الكشاف الى حين اي الى ان يقتلوا او يموتوا والتحقيق انه الحالة التي يظهر عندها
الحسرة والندامة وذلك اذا عرفهم بطلان ما كانوا عليه وعرفهم سوء منقلبهم فيشمل الموت والقبر والمحاسبة والنار وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونهي عن الجزع من تاخير عقابهم ثم ان القوم كانوا اصحاب نعمة ورفاهية فبين الله تعالى ان ذلك يجعله مددا لهم وهو المال والبنون سبب للاستدراج
الى زيادة الاثم نظيره في آل عمران انما نملي لهم ليزدادوا اثما وما في انما موصولة والرابط محذوف اي نسارع لهم به وفي قوله بل لا يشعرون انهم اشباه البهائم
لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتفكروا اهو استدراج ام مسارعة في الخير وفيه انه سبحانه اعطاهم هذه النعم ليكونوا متمكنين بها من الاشتغال بطلب الحق
فحين اعرضوا عن الحق كان لزوم الحجة عليهم اقوى التاويل ياكل مما ياكلون لم يعلموا انهم ياكلون مما ياكلون ولكنهم ياكلون كما ياكلون المؤمن ياكل
من معاء واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام واهل الله ياكلون ويشربون من مقام ابيت عند ربي
يطعمني ويسقيني وقومهما لنا عابدون اي في حال الطفولية كانت صفات الروح والقلب في فرعون النفس وتربيتها وتربية صفاتها لاستكمال القالب
وقواه الى حد البلوغ والاستعداد لتحمل اعباء تكاليف الشرع وآويناهما يعني مريم النفس وعيسى القلب الى ربوة القالب الذي فيه قرارهما ويجري فيه ماء
معين الحكمة من القلب على اللسان يا ايها الرسل اي القوى المرسلة الى القالب والله اعلم

ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ۝ والذين هم بايات ربهم يؤمنون
والذين هم بربهم لا يشركون ۝ والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم
الى ربهم راجعون ۝ اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون

ولا نكلف

ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ۝
بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون ۝
حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون ۝ لا تجأروا اليوم انكم منا
لا تنصرون ۝ قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون ۝
مستكبرين به سامرا تهجرون ۝ افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات
آباءهم الاولين ۝ ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ۝ ام يقولون
به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون ۝ ولو اتبع الحق اهواءهم
لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم
معرضون ۝ ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين ۝
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ۝ وان الذين لا يؤمنون بالاخرة
عن الصراط لناكبون ۝ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم
يعمهون ۝ ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون ۝ وهو
الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ۝
وهو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون ۝ وهو الذي يحيي ويميت
وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون ۝ بل قالوا مثل ما قال الاولون
قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون ۝ لقد وعدنا نحن و
آباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ۝ قل لمن الارض ومن فيها
ان كنتم تعلمون ۝ سيقولون لله قل افلا تذكرون ۝ قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم ۝ سيقولون لله قل افلا تتقون
قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ۝
سيقولون لله قل فانى تسحرون ۝ بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ۝

تهجرون بضم التاء وكسر الجيم نافع الاخرون بفتح التاء وضم الجيم خرجا فخرج بغير الالف فيهما ابن عامر وكلاهما بالالف حمزة
وعلي وخلف الباقون بحذف الالف من الاول واثباتها في الثاني فتحنا بالتشديد سيقولون الله الثانية والثالثة ابو عمرو
وسهل ويعقوب الآخرون لله باللام فيهما كالاول حملا على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد الوقوف مشفقون ۝ لا
يؤمنون ۝ لا لا يشركون ۝ لا راجعون ۝ لا لان الكل معطوفات على اسم ان والخبر اولئك الجملة سابقون ۝ لا يظلمون ۝ عاملون ۝ يجأرون ۝

يحق القول لاتنصرون ۝ تنكصون ۝ لالان ما بعده حال مستكبرين ق قد قيل على جعل الجار والمجرور مفعول سامرا او مفعول تهجرون ۝ الهجر
۝ ز منكرون ۝ ز لصورة الاستفهام وهو لعطف جنة ط كارهون ۝ فهن ط معرضون ۝ ط لان ام استفهام انكار خيرٌ قد قيل بنا على ان
الواو للابتداء والحال اوجه الرازقين ۝ مستقيم ۝ لناكبون ۝ يعمهون ۝ يتضرعون ۝ مبلسون ۝ والافئدة ط تشكرون ۝ تحشرون ۝ و
النهار ط تعقلون ۝ الاولون ۝ لمبعوثون ۝ الاولين ۝ تعلمون ۝ لله ط تذكرون ۝ العظيم ۝ لله ط تتقون ۝ تعلمون ۝ لله ط تسحرون ۝ لكاذبون

انه سبحانه لما نفى الخيرات الحقيقة عن الكفرة المتنعمين اتبعه ذكر من هو اهل للخيرات عاجلا واجلا فوصفهم الله بصفات اربع الاولى الاشفاق من خشية ربهم وظاهره ينبئ عن تكرار لان الاشفاق يتضمن الخشية فمنهم من قال جمع بينهما للتاكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب اي من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبي ومقاتل ومنهم من حمل الاشفاق على اثره وهو الدوام في الطاعة والمعنى الذين من خشية ربهم دائمون على طاعته جادون في طلب مرضاته ومنهم من قال الاشفاق كمال الخوف اي هم من سخط الله عاجلا ومن عقابه اجلا في نهاية الخوف ويلزم ذلك ان يكونوا في غاية الاحتراز عن المعاصي وفيه انهم اذا كانوا خائفين من الخشية فلان يخافوا من عدم الخشية اولى الثانية قوله والذين هم بايات ربهم يؤمنون والظاهر انها القرآن وقيل هي المخلوقات الدالة على وجود الصانع وليس المراد التصديق بوجودها فقط فان ذلك معلوم بالضرورة فلا يوجب المدح بل التصديق بكونها دلائل موصلة الى العرفان ويتبعه الاقرار اللساني ظاهر الثالثة التبري عما سوى الله ظاهرا وباطنا بان لا يشرك به طرفة عين الرابعة قوله والذين يؤتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوا وقلوبهم وجلة خائفة في شان ذلك الاعطاء ثم علل ذلك الوجل بقوله انهم اي لانهم الى ربهم راجعون فان من اعتقد الرجوع الى الجزاء والمسائلة ونشر الصحف وتتبع الاعمال وعلم ان المجازي هو الذي لا يخفى عليه الضمائر والسرائر لم يخل علمه من حسن النية وخلوص الطوية بحيث يكون ابعد عن الرياء وادخل في الاخلاص والظاهر ان هذا الايتاء مختص بالزكوة والصدقة ويحتمل ان يراد اعطاء كل فعل او خصلة اي اتيانها ويؤيده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعن عائشة انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه وفي اولئك يسارعون في الخيرات معنيان احدهما يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا وجوه المنافع لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها قال جار الله وهذا الوجه احسن طباقا للاية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقال في قوله وهم لها سابقون انه متروك المفعول او منويه اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او المراد اياها سابقون كقولك هو لزيد ضارب بمعنى هو زيدا ضارب جيئت باللام لضعف عمل اسم الفاعل ولا سيما فيما قبله والمعنى انهم ينالون الخيرات قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وجوز ان يكون لها سابقون خبرين احدهما بعد الاخر كقولك هو لهذا الامر اي صالح له وحين انجر الكلام الى اعمال المكلفين ذكر حكمين لها الاول قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها وفي الوسع قولان احدهما انه الطاقة والاخر انه دون الطاقة وهو قول المعتزلة ومقاتل والضحاك والكلبي لانه اتسع فيه على المكلف ولم يضيق مثاله ان لم يستطع ان يصلي قائما فليصل قاعدا والا فليوم ايماء وفيه ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من وسعهم الثاني قوله ولدينا كتاب ينطق والمراد بنطقه اثبات كل عمل فيه وهو اللوح او صحيفة الاعمال لا يقرؤن منها يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل والبحث بين الاشاعرة والمعتزلة في مثل هذا المقام معلوم اما قوله بل قلوبهم في غمرة من هذا ففيه طريقان احدهما انه راجع الى الكفار والمعنى بل قلوب الكفار في غفلة غامرة لها من هذا الذي بيناه في القرآن او من هذا الذي ينطق بالحق او الذي عليه هؤلاء المؤمنون ولهم اعمال متجاوزة لذلك الذي وصف به المؤمنون كمتابعة الهوى وطلب الدنيا والاعراض عن المولى هم لها عاملون في الحال على سبيل الاعتياد ولا ينقطعون عنها حتى ياخذهم العذاب او في الاستقبال لانها مثبتة في علم الله مكتوبة في اللوح عليهم ان يعملوها بحكم الشقاء الازلي وثانيهما وهو اختيار ابي مسلم ان هذه الايات من صفات المشفقين كانه سبحانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ونهايته ما اتى به هؤلاء ولدينا كتاب يحفظ اعمالهم بل قلوبهم في حيرة من هذا الذي وصفناهم به اهو مقبول عند الله ام مردود ولهم اعمال من دون ذلك الذي وصف هم لها عاملون وهي النوافل السرية والاعمال القلبية ثم انه رجع الى وصف الكفار بقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب وهو عذاب الاخرة او قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة والقد والاولاد والجؤار الصراخ باستغاثة ثم اخبر انه يقال لهم حينئذ على جهة التبكيت لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون وعن ابن جبير ان الجؤار الصراخ والتضرع وقد كانت ايتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون ترجعون القهقرى والنكوص على الاعقاب مثل في الاعراض عن الحق والتباعد عنه ثم قال مستكبرين به والضمير للبيت او للحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وافتخارهم بولايته والقيام به وكانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم وقال في الكشاف تعلق الباء بمستكبرين بمعنى انهم يستكبرون بالبيت ويجوز ان يكون مستكبرين متعلقا بسامرا او بتهجرون والمعنى على التكذيب والقرآن والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه سبحانه قال افلم يدبروا القول بعد ان وصف حالهم فاحتج عليهم بوجوه اربعة الاول عدم التدبر في القرآن لانهم لو تدبروا لظهر لهم صدقه واعجازه فيصدقوا به وبمن جاء به الثاني قوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين اي ام جاءهم امر غريب لم يات اباءهم وفيه تقرير لانه لم يات اباءهم الاولين رسول فلذلك انكروه كما كان لابائهم الاولين رسل فكان مجيء الرسول اليهم امرا معتادا كقوله اسمعيل واعقابه كانوا على دين ابراهيم او فعلهم بخوف الله حتى امنوا به وعرفوا الله والثالث قوله ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون اي لم يعرفوه بصحة النسب والامانة والصدق وحسن الاخلاق والرابع قوله ام يقولون به جنة وقد علموا انه ارجحهم عقلا ولكنه جاء بما يخالف اهواءهم فلذلك نسبوه الى الجنون ثم اضرب عن ذلك فقال بل جاءهم بالحق اي بالقرآن او بالتوحيد والنبوة واكثرهم للحق كارهون

اولها بالتعدية او لما التحقير التين اي بالعظيم وبالصراط المستقيم وذكر انهم عن ذلك معرضون كارهون وان اكثرهم كانوا يكرهونه وان لم يظهر والايمان به خوفا من قالة الاعداء او تكبرا عن الحق انه لو كان الحق تابعا لاهوائهم لفسد نظام العالم لان اهواءهم متعارضة متناقضة والحق لا يكون الا واحدا ثم ان ذلك لا ينافي قوله او انها اي انه الحق الذي لو كان تابعا لاهوائهم لكان الحاكم والمستحق للعبادة متعددا فيفسد النظام ثم انه بين ان ذلك التقليل بالطلب كالنبا العالم نحو قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والعالم والمعاصي المغرور بالاستقلال الذي تخذله اللوامع الى الطاعة والحق تم ذكر ان نزول القرآن عليهم لو كان من تابع العالم او لو لم ياتهم بالحق لكان اهواءهم تفسد كل امر الانسان او الانسان ومن تابع الحق فيجب عليه ان يتحمل كذلك بل اتيناهم بذكرهم اي الكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او شرفهم وفخرهم والاضافة بدل اللام

يظاهر وان كانت للمصاحبة فعلى حذف مضاف اي اتاهم رسولنا ملتبسا بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم وفخرهم والاضافة بدل اللام العهدي اي بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ثم بين ان دعوته ليست مشوبة بالطمع لتوجب نفرة فقال ام تسالهم خرجا اي جعلا وكذا الخراج وقد مر في اخر الكهف وقيل الخرج اقل ولذا قرأ الاكثرون خرجا فخراج ربك يعني ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وحين اثبت لرسوله موجب قبول قوله ونفى عنه اضداده اصرح بمضمون امره ومكنون سره فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم هو دين الاسلام لا تدعوهم الى غيره من الطرق المنحرفة عن جادة الصواب واشار الى هذه الطرق بقوله وان الذين لا يؤمنون بالاخرة هم المذكورون فيما تقدم او كل من لا يؤمن بالاخرة عن الصراط المستقيم المذكور لناكبون والتركيب يدور على العدول عن القصد والنكب المجرح عظم العضد والكتف والنكباء الريح التي تعدل عن مهاب الرياح للقوم ثم بين اصرارهم على الكفر بقوله ولو رحمناهم الاية يروى انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله ان يكشف عنا الضر فانزل الله الاية والمعنى لو كشف الله برحمته هذا الهزال والجوع عنهم لاصروا واللجوا فيما هم فيه من الطغيان ثم استشهد على ذلك بقوله ولقد اخذناهم اي قبل ذلك بالعذاب يعني ما جرى عليهم يوم بدر فما استكانوا لربهم اي ما خضعوا له وقد مر اشتقاقه في آل عمران وما يتضرعون عدل الى المضارع لانه اراد ومن عادة هؤلاء ان لا يتضرعوا حتى نفتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد وهو الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل فابلسوا الساعة اي خضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة واخشنهم عريكة يستعطفك ويحتمل ان يراد محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما شوهد منهم انقياد للحق وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون والابلاس السكوت مع تحير او الياس من خير ثم نبه بقوله وهو الذي انشا لكم على ان اسباب التامل في الدلائل موجودة وابواب الاعذار بالكلية مسدودة فما الكفر من غفلة من عند الا الشقاء الازلي وفي قوله قليلا ما تشكرون اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتوكيد دليل على ان المقر اقل من الجاحد وعن ابي مسلم انه قال ان الافئدة العدم وفي الاية ثلث سعادات احدها اظهار النعمة وثانيها مطالبة العباد بالشكر عليها فشكر السمع ان لا يسمع الا لله وبالله ومن الله وشكر البصر ان ينظر بنظر العبرة لله وبالله والى الله وشكر الفؤاد تصفيته عن رين الاخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين لشهود الله وثالثها الشكاية ان الشاكر قليل ثم بين دلائل اخر على الوحدانية فقال وهو الذي ذرأكم اي خلقكم وبثكم في الارض للتناسل والى حيث لا مالك سواه تحشرون بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وفيه مع تذكير نعمة الحيوة بيان ان المقصود منها الانتقال الى دار الثواب وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص بتصريفهما وانهما اشبهان للموت والحيوة وفي قوله افلا تعقلون توبيخ وتهديد ثم نبه بقوله بل قالوا الايات على انه لا شبهة لهم في انكار البعث الا التشبث بحبل التقليد والاستبعاد قال علماء المعاني قوله لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا وارد على الاصل لان التاكيد مذكور عقيب المؤكد وبعده المعطوف وبعده المفعول الثاني واما في سورة النمل سبب تقديم المفعول الثاني على الضمير وعلى المعطوف هو ان القصد هناك على قوله ترابا والتراب ابعد في باب الاعادة من العظام فقدم ليدل على مزيد الاعتناء به في شان الاستنكار ثم رد على منكري الاعادة او على عبدة الاوثان بقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون اي ان كان عندكم علم فاجيبوني وفيه استهانة بهم وتجهيل لهم بامر الديانات حتى جوزان يشتبهم عليه مثل هذا الشكوف الجلي وفي قوله افلا تذكرون ترغيب في التدبر وبعث على التامل في امر التوحيد والبعث فان من قدر على اختراع الارض ومن فيها كان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه وكان قادرا على اعادة ما افناه وفي قوله افلا تتقون مثل هذا الترغيب مع التخويف وكان اولى بالاية الثانية لاجل التدريج ولتعظيم السموات والعرش ولان تذكر واجب الوجود مقدم على اتقاء مخالفته قال جار الله اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا ان كنتم تعلمون بهذه الصفة عبرة فاجيبوني ومعنى تسحرون تخدعون عن طاعته والخادع هو الشياطين والهوى ثم بين بقوله بل اتيناهم بالحق انه قد بالغ في الحجاج عليهم بهذه الايات حتى اتيناهم بما هو الحق والصدق وانهم مع ذلك لكاذبون حيث يدعون له الولد والشريك وينسبون اليه العجز عن الاعادة التاويل من خشية ربهم مشفقون اشارة الى استيلاء سلطان الهيبة في الحضور والغيبة بايات ربهم يؤمنون هي ما يكاشف لهم من شواهد الحق في السر والعلانية بربهم لا يشركون هو ترك الملاحظة في رد النفس وقبولهم ومدحهم وذمهم والانقطاع بالكلية في المضار والمضاد عن الوسائط والاسباب يسارعون في الخيرات يتوجهون الى الله وينقطعون عما سواه وهم لها سابقون على قدر سبق العناية ولا نكلف نفسا الا وسعها كلفهم ان يقولوا لا اله الا الله وهم قادرون على ذلك والزمهم بقبول دعوة الانبياء وما هم بعاجزين عنه وقد كتب في اللوح انهم يقدرون على هذه التكاليف وهم لا يطيقون فلا يكلفون الا بما في وسعهم واستعدادهم حتى اذا اخذنا اكابر مترفيهم بعذاب فناء الاستعداد او القسوة ثم حرمات ارواحهم وارض نفوسهم ومن فيض من القلب والسر وهو خزائن فيه ان العلماء بالله علمهم ان لا يدفعوا او جوه قلوبهم الناظرة بدون الاطلاع الفارغة ولقد اخذناهم اولا بعذاب الغين حتى اذا فتحنا عليهم باب عذاب الرين يحيي بنوره قلوب بعض عباده ويميت نفوسهم عن صفاتها الذميمة او يحيي بعض النفوس باتباع شهواتها ويميت بعض القلوب باستيلاء ظلمات الطبيعة عليها وله اختلاف ليل البشرية ونهار الروحانية او طول ليل الفراق وقصر نهار الوصال قالوا اذا متنا فيه ان ليس من وصول الوصال لمن شم اهل الكمال فقد يقوم قيامة العشق فيبعث القلب الميت الذي كان ميتا فاحييناه ملكوت كل شيء هي جهة روحانية وهو يجير الاشياء بقيوميته عن الهلاك ولا مانع له ممن اراد به ان لا يجيره والله اعلم بالصواب واليه المآب

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض
سبحان الله عما يصفون ۝ عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ۝

قل رب اما تريني ما يوعدون ۝ رب فلا تجعلني في القوم الظالمين ۝
وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون ۝ ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن
اعلم بما يصفون ۝ وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين ۝
واعوذ بك رب ان يحضرون ۝ حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم
يبعثون ۝ فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ۝ ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون ۝ تلفح وجوههم
النار وهم فيها كالحون ۝ الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ۝
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ۝ ربنا اخرجنا منها فان
عدنا فانا ظالمون ۝ قال اخسؤا فيها ولا تكلمون ۝ انه كان فريق من
عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين ۝
فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون ۝ اني جزيتهم اليوم
بما صبروا انهم هم الفائزون ۝ قال كم لبثتم في الارض عدد سنين ۝ قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين ۝ قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم
تعلمون ۝ افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ۝
فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ۝ ومن يدع مع الله
الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون ۝
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ۝

لبثتم

عالم بالرفع ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وعاصم غير حفص الا الخزاز وقرا رويس بالخفض اذا وصل وبالرفع اذا ابتدا الآخرون
بالخفض لعلي اعمل بسكون اليا عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان شقاوتنا حمزة وعلي وخلف
والمفضل الباقون شقوتنا بكسر الشين وسكون القاف من غير الف سخريا بضم السين وكذلك في ص ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي و
خلف والمفضل والخزاز عن هبيرة الآخرون بكسرها انهم بالكسر حمزة وعلي والخزاز عن هبيرة قل كم لبثتم قل ان لبثتم على الامر فيهما حمزة و
علي وابن مجاهد وابو عون عن قنبل وافق ابن كثير في الاولى لا ترجعون على البناء للفاعل يعقوب وحمزة وعلي وخلف الوقوف
على بعض ط يصفون ۝ ط لمن قرا عالم بالرفع اي هو عالم ومن خفض لم يقف لانه بدل او وصف يشركون ۝ ما يوعدون ۝ لا لان قوله فلا جواب
للشرط وهو اما والنداء معترض الظالمين ۝ لقادرون ۝ السيئة ط يصفون ۝ الشياطين ۝ لا يحضرون ۝ ارجعون ۝ لتعلق لعل كلا ط
لانها للردع عما قبلها اي لا رجوع وقيل مبتدا بها بمعنى حقا والاول احسن قائلها ط يبعثون ۝ ولا يتساءلون ۝ المفلحون ۝ خالدون ۝ كالحون ۝
تكذبون ۝ ضالين ۝ ظالمون ۝ ولا تكلمون ۝ الراحمين ۝ للآية والوصل اجوز لشدة اتصال المعنى والفا يضحكون ۝ صبروا ط لمن قرا انهم
الفائزون ۝ سنين ۝ العادين ۝ تعلمون ۝ لا ترجعون ۝ الحق ج لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا اي تعالى متوحدا غير مشارك الا هو ج

من قوله رب العرش يفلح بدلا من هو وخبر مبتدا محذوف الكريم ۝ آخر لا لان الجملة بعده صفة لربه لا لان ما بعده جواب عند ربه الكافرون ۝
الراحمين ۝ لما اثبت لنفسه الالهية بالدلائل الالزامية في الآيات المتقدمة نفى عن نفسه الانداد والاضداد بقوله ما اتخذ الله من ولد وما
كان معه من اله وفيه رد على القائلين بان الملائكة بنات الله وابطال لاقوال اليهود والنصارى والثنوية ثم ذكر شبه دليل التمانع بقوله اذا
لذهب وهو جواب لمن معه المحاجة من اهل الشرك وجزاء الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق تقديره ولو كان معه آلهة اذا لذهب كل اله بما خلق
لانفرد كل واحد منهم بخلقه الذي خلقه واستبد به لان اجتماعهم على خلق واحد لا يتصور فان ذلك يكون مقتضى عجز الواحد عن ذلك الخلق وحينئذ
يرى ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخرين ولعلا بعضهم على بعض اي لغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا من تمايز الممالك وتغالب الملك
عدم اللازم يدل على عدم الملزوم فلذلك ختم الآية بقوله سبحان الله عما يصفون الى قوله عما يشركون ثم امر نبيه بمكارم الاخلاق واحاسن العادات
دايما قل رب اما تريني اي ان كان لا بد من ان تريني ما نعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم وقد يجوز ان يستعيذ العبد
بالله مما علم انه لا يفعله اظهار العبودية واستكانة له وتوبيده تكرار رب تربين وكانوا ينكرون العذاب ويسخرون منه فاكد وعده بقوله وانا على ان
نريك ما نعدهم لقادرون قيل فيه دليل على ان القدرة تصح على المعدوم لانه اخبر انه قادر على تعجيل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك ثم امره بالصفح عن اساءتهم
ومقابلتها بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كان حسنا لانها حسنة مضاعفة بازاء سيئة او تقول
الحكاية حسنة ولكن العفو احسن عن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام عليه اذا لقيه قيل هي منسوخة
بآية السيف والاولى ان يقال هي محكمة لان المداراة مستحبة ما لم تؤد الى محذور نحن اعلم بما يصفون مما ليس فيك من المثالب والمراد انه اقدر على جزائهم
فعليه ان يفوض امرهم الى الله ويدفع اذاهم بالكلام الجميل والسلام وبيان الادلة على احسن الوجوه ثم اتبع هذا التعليم بالتقوية على ذلك وهو الاستعاذة
بالله من همزات الشياطين والهمز النخس ومنه مهماز الرائض وذلك انهم يحثون الناس على المعاصي بانواع الوساوس كما تحث الرائض الدابة
على المشي بالمهماز وهي حديدة تكون في مؤخر خفه عن الحسن انه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد استفتاح الصلوة اللهم اني اعوذ بك من همزات
الشياطين همزه ونفخه ونفثه فهمزه الجنون ونفثه الشعر ونفخه الكبر ثم امره بالتعوذ من ان يحضروه اصلا كما يقال اعوذ بالله من خصومتك بل اعوذ بالله
من لقائك وعن ابن عباس اراد الحضور عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع والاولى العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اشتكى اليه
رجل ارقا به اذا اراد النوم فقال اعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون قوله حتى اذا
جاء قيل متعلق بقوله وانهم لكاذبون وقيل بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض وتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا
بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم والمراد بمجيء الموت اماراته التي يتحقق عندها الموت وصارت المعرفة ضرورية فحينئذ يسال الرجعة ولا ينافي هذا
سؤال الرجعة عند معاينة النار كقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد والاكثرون على انهم الكفار وروى الضحاك عن ابن عباس رضي
انها تشمل من لم يزك ولم يحج لقوله وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني والوجه الجمع في قوله ارجعون مع وحدة القائل
قيل ان الجمعية راجعة الى الفعل كانه قال ارجع مرات ونظيره القيا في جهنم اي الق وقيل رب للقسم والخطاب للملائكة القابضين للارواح اي بحق الله ارجعون
والاقرب ان الجمع للتعظيم كقول الشاعر الا فارحموني يا اله محمد وقوله فان شئت حرمت النساء سواكم عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة
قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال جار الله اي
لعلي آتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على اس تريد او سلم اسا وابني عليه وقيل اي فيما خلفت من المال والاولى العموم
فيدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق كانهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما افسدوه ويطيعوا فيما عصوا قيل كيف سالوا الرجعة وقد علموا صحة الدين
بالضرورة ومن الدين ان لا رجعة والجواب بعد تسليم انهم عرفوا كل الدين ان الانسان قد يتمنى شيئا مع علمه بتعذره كقول القائل ليت الشباب يعود
والاستغاثة بجنس هذه المسئلة قد يحسن وقولهم لعلي ليس المراد به الشك وانما هو كقول المقصر لمحسن اليه لعلي اتدارك مع كونه جازما بانه سيتدارك ويحتمل انهم
وان كانوا جازمين بذلك الا ان امر المستقبل مبني على الظن والتخمين دون اليقين فلذلك اوردوا الكلام بصورة الترجي ثم ردعهم بقوله كلا
اي ليس الامر على توهمه من امكان الرجعة انها كلمة والمراد بها طائفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض وهي قوله ارجعون لعلي اعمل صالحا هو
قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والحيرة عليه او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه ومن ورائهم الضمير للكافرين اي
امامهم برزخ حائل بينهم وبين الجنة والنار او بين الجزاء التام الى يوم يبعثون وذلك البرزخ هو مدة ما بين الموت الى البعث ولعل بعض العجب من الاخلاق
الذميمة يندفع في هذه المدة وقال في الكشاف حائل بينهم وبين الرجعة ومعناه الاقناط الكلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة ثم وصف
يوم البعث بقوله فاذا نفخ في الصور وقد مر معناه في اواخر طه وقوله فلا انساب بينهم ليس المراد به نفي النسب لان ذلك ثابت بالحقيقة فاذن المراد حكمه
وما يتفرع عليه من التعاطف والتراحم والتواصل فقد يكون احد الفريقين في الجنة والآخر في النار ويكون بكل مكلف من اشتغاله بنفسه ما يمنعه من الالتفات
الى احوال نسيبه عن قتادة لا شيء ابغض الى الانسان من ان يرى من يعرفه مخافة ان يثبت له عليه شيء والجمع بين قوله ولا يتساءلون وبين قوله واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون فظاهر لان هذا في صفة اهل الموقف وذاك في صفة اهل الجنة ولو سلم ان كليهما في صفة اهل الموقف فلعل ثمة اختلاف
المواطن والازمنة وغيرها من الاعتبارات التي تقع فيها التساؤل كحقوق النسب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مواطن تذهل فيها كل
نفس حين يرمى الى كل انسان كتابه وعند الموازين وعلى جسر جهنم وقد مر مثل آية الموازين في اول الاعراف فليرجع اليه هنالك وقوله في جهنم خالدون
بدل من خسروا انفسهم ولا محل للمبدل فان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف ومعنى خسران انفسهم امتناع انتفاعهم
بها وقال ابن عباس خسروها بان صارت منازلهم للمؤمنين ومعنى تلفح تسفع اي تضرب وتاكل لحومهم وجلودهم النار قاله ابن عباس وعن الزجاج ان
اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان عن الاسنان كالرؤوس المشوية يروى ان عتبة الغلام مر في السوق براس اخرج
من التنور فغشي عليه ثلثة ايام ولياليهن وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته
السفلى حتى تبلغ سرته وقال الجوهري الكلوح تكشر في عبوس ثم بين سبحانه انه يقال لهم حينئذ تقريعا وتوبيخا الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون
قالت المعتزلة لو كان فعل التكذيب بخلق الله تعالى لم يكن لهذا التقريع وجه وعورض بالعلم والداعي وفسر المعتزلة الشقاوة بسوء العاقبة التي علم انهم يستحقونها
بسوء اعمالهم وتفسير الاشاعرة بما كتب الله عليهم في الازل من الكفر وسائر المعاصي ان يعملوا حتى يؤول حالهم الى النار ومعنى غلبة الشقاوة على التفسير
ظاهر واما على تفسير المعتزلة فقد قال جار الله معناه ملكتنا وانجرتنا وقال الجبائي اراد ان طلبنا اللذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا الى هذه الشقاوة

الملك

لان

فاطلق اسم المسبب على السبب وليس هذا باعتذار منهم لعلمهم ان لا عذر لهم فيه ولكنه اعتراف بقيام حجة الله تعالى عليهم في سوء صنيعهم واجيب
بان طلب تلك اللذات لا بد ان ينتهي الى داعية يخلقها الله فيه بدليل قوله وكنا قوما ضالين اي في علم الله وسابق تقديره وحمله المعتزلة على
انهم اختاروا الضلال قالوا ولو كان الكفر بخلق الله لكانوا بان يجعلوا ذلك عذرا لهم اولى واجيب بان فحوى الكلام يؤول الى هذا كما قررنا
وعن ابن عباس رضه ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا
امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا
اخرنا الى اجل قريب فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل فينادون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا ربنا اخرجنا
منها فيجابون اخسؤا فيها وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ولعذاب
ولا تكلمون اي في رفع العذاب وليس نهيا عن الكلام فانها ليست بدار تكليف ولكنه تنبيه على ان العذاب لا يرفع ولا يخفف ومعنى اخسؤا
انزجروا صاغرين كما ينزجر الكلاب اذا طردت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه يتعدى ولا يتعدى وهو المراد في الآية ثم عدد عليهم بعض قبائحهم
في الدنيا بقوله انه كان فريق من عبادي هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة وعن الخليل وسيبويه ان السخري بالضم والكسر مصدر سخر الا ان في الياء
زيادة تأكيد وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزؤ والمضموم من التسخير والاستعباد والمعنى اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم
بهم على تلك الصفة ذكري فلم تذكروني حتى تخافوني ثم ذكر من حال المؤمنين ما اوجب الحسرة والندامة للكافرين فمن قرأ انهم بالكسر على الاستئناف
فمعناه ظاهر اي قد فازوا حيث صبروا ومن قرأ بالفتح فعلى انه مفعول جزيتهم اي جزيتهم فوزهم من قرأ قال فالضمير لله او لمن امر بسؤالهم من الملائكة
ومن قرأ قل فالخطاب للملك او لبعض رؤساء اهل النار والغرض من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت فقد كانوا لا يعدون اللبث الا
في الدنيا ويظنون ان الفناء يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا في النار وايقنوا انهم فيها خالدون سئلوا كم لبثتم تنبيها لهم على ان ظنوه
دائما طويلا فهو يسير بالاضافة الى ما انكروه اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي ولا سيما اذا كان الاول ايام سرور والثاني ايام غم وحزن
واختلفوا في الارض فقيل اراد وجه الارض حين كانوا احياء فانهم زعموا ان لا حيوة سواها فلما احياهم الله تعالى وعذبوا في النار سئلوا عن ذلك
توبيخا وقال آخرون المراد جوف الارض وهو القبر لظاهر لفظة في ولقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقوله عدد سنين
بدل من كم تمييز وقيل تمييز احتج بعض من انكر عذاب القبر بان قوله في الارض يتناول زمان كونهم احياء فوق الارض وزمان كونهم امواتا في بطن الارض
فلو كانوا معذبين في القبر لعلموا ان مدة مكثهم في الارض طويلة فما كانوا يقولون لبثنا يوما او بعض يوم واجيب بان الجواب لا بد ان يكون
على حسب السؤال وانما سئلوا عن موت لا حيوة بعده الا في الآخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر ويحتمل ان يكونوا سئلوا عن قدر اللبث
الذي اجتمعوا فيه فلا يدخل في ذلك تقدم موت بعضهم على البعض فيصح ان يكون جوابهم لبثنا يوما او بعض يوم عند انفسنا وليس هذا من قبيل الكذب
او لعلهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال فقالوا لا نعرف من عدد السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث
قالوا فاسئل العادين اي ليس من شأننا ان نعدها لما نحن فيه من العذاب فاسئل من يقدر ان يلقي اليه فكره وهم الملائكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون
اعمالهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل ارادوا بقولهم لبثنا يوما او بعض يوم تصغير لبثهم وتحقيره بالاضافة
الى ما وقعوا فيه وعرفوه من دوام العذاب وقد صدقهم الله في ذلك حيث قال ان لبثتم الا قليلا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها بقوله لو انكم كنتم
تعلمون اي لو علمتم البعث والحشر لما كنتم تعدونه طويلا ثم زاد في التوبيخ بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي عابثين او لاجل العبث وهو الفعل الذي
لا غاية صحيحة له وجوزوا ان يكون قوله وانكم الينا لا ترجعون معطوفا على عبثا اي للعبث ولتركهم غير مرجوعين وفيه دلالة على وجوب وقوع القيمة
فلولاها لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء ثم نزه ذاته عن كل عيب وعبث قائلا فتعالى الله الآية ووصف العرش بالكريم لنزول الرحمة
والخير منه او باعتبار من استوى عليه كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع وهو ظاهر ثم زيف طريقة المقلدة من اهل
الشرك وقوله لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة جئ بها للتأكيد لان بعض الآلهة قد يقوم على وجوده برهان وجوز جار الله
ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقول القائل من احسن الى زيد لا احق بالاحسان اليه منه فالله مثيبه ومعنى حسابه عند ربه انه يبلغ عقابه الى حيث
لا يقدر احد على حسابه الا الله وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة اي حسابه عدم فلاحه فوضع الكافرون موضع الضمير جعل فاتحة السورة قد افلح
المؤمنون واورد في خواتيمها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفريقين وحين اثنى على المؤمنين في اثناء الكلام فانهم يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير الراحمين بين في اخر السورة على ان قول جنبي ان يواظب المكلف عليه ففيه الانقطاع الى الله والاعراض عن سواه والله المستعان
التأويل فاذا نفخ في الصور فيه ان نفخة العناية الازلية اذا نفخت في صور القلب قامت القيامة وانقطعت الاسباب فلا يلتفت الى احد
من الانساب لا الى اهل ولا الى ولد لاشتغاله في طلب الحق واستغراقه في بحر المحبة فلا يقع بينهم التسائل عما تركوا من اسباب الدنيا ولا عن احوال الآخرة
واخوانهم واوطانهم اذا فارقوها لكل امرئ منهم يومئذ في طلب الحق شأن يغنيه عن طلب الغير فاولئك الذين خسروا انفسهم لانهم اذ خفت
موازينهم عن طلب الحق انقطع عليه الطريق بنوع من التعلقات ورجوع القهقرى بطل استعداده في الطلب فان الانسان كالبيضة المستعدة
لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه وخروج الفرخ فيها فما لم يتصرف فيها الدجاجة يكون استعداده باقيا فاذا انصرفت الدجاجة فيها وانقطع تصرفها
بان فسد البيضة فلا ينفعها التصرف بعد ذلك لفساد الاستعداد ولهذا قال المشايخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال في جهنم خالدون
واجيبوا بقوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون لانه ليس من سنتها اصلاح الاستعداد بعد فساده انه كان فريق من عبادي هم العلماء بالله النصحاء لله
فاتخذتموهم سخريا فغرتم انفسكم على سيوف همتهم العلية حتى انسوكم بهممهم ذكري وكنتم منهم تضحكون فان قلوبكم قد ماتت وكثرت الضحك
وقساوة القلب جزيتهم اليوم بما صبروا فيه ان اهل السعادة كما يخففون لمخالطاتهم الصالحة مع الله يخففون بانكار منكرهم ومثله حال اهل الشقاوة في
الآخرة وهو الاستمرار لا برهان له به اي لا يظهر عليه برهان العبادة وهو النور والضياء ولهما والضياء ولا يقرب الى الله الذي يخلو من انواع العذاب

سورة النور مدنية حروفها خمسة آلاف وثلثماية وثلاثون حرفا كلمها الف وثلاث ماية
وست عشرة آياتها اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون ۝ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طايفة من المؤمنين ۝ الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ۝ والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون ۝ الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ۝ والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ۝ والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ۝ ويدرؤ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ۝ والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ۝ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ۝ صدق الله العظيم

وفرضناها بالتشديد ابن كثير وابو عمرو رافة بفتح الهمزة ابن كثير عن ابن فليح وزمعة الباقون بالاسكان وكلاهما مصدر وكذلك
روى الخزاعي عن اصحابه وروى ابن شنبوذ عن البزي ههنا وفي الحديد متحركة الهمزة وعن قنبل ههنا بالفتح وفي الحديد بالسكون وقرأ ابو عمرو
غير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بغير همز اربع شهادات بالرفع حمزة وعلي وخلف وحفص غير ابي بكر وحماد الآخرون
بالنصب على اعمال المصدر فيها في حكم المصدر والتقدير فواجب شهادة احدهم شهادات اربعا ان مخففة لعنة الله بالرفع نافع وسهل ويعقوب
والمفضل الباقون بالتشديد والنصب والخامسة الثانية بالنصب حفص على معنى وتشهد الشهادة الخامسة ان مخففة غضب فعلا ماضيا الله بالرفع
نافع والمفضل ان بالتخفيف غضب الله بالرفع سهل ويعقوب الباقون ان غضب الله بالتشديد والنصب الوقوف تذكرون ۝ جلدة ص
لاخرج للعدول واعتراض الشرط مع اتفاق الجملتين المؤمنين ۝ مشركة ج للتفصيل بين الحالين مع اتفاق الجملتين مشرك ج لاختلاف الجملتين
المؤمنين ۝ ابدا ج الفاسقون ۝ لا لاستثناء واصلحوا ج للفاء ولان رحيم ۝ بالله لا الى المخففين لان ما بعده جواب لما في حكم القسم الصادقين ۝ الكاذبين ۝
الكاذبين ۝ الصادقين ۝ حكيم ۝ للامر بقوله صلى الله عليه وسلم في خاتمة السورة المتقدمة بطلب المغفرة والرحمة وطلبه يستلزم
مطلوبه لا محالة ادلى دليل بتلك تعطف اردفه بذكر ما هو محصل كل رحمة ومنشأ كل خير فقال سورة اي هذه سورة انزلناها او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها
وقرئ بالنصب على ودونك سورة او اتل سورة او على شريطة التفسير وعلى هذا لا يكون لقوله انزلناها محل من الاعراب لانها ليست بصفة
وانما هي مفسرة للمضمر فكانت في حكمه ومعنى انزال الوحي قد سلف في اول البقرة والغرض القطع والتقدير ولا بد من تقدير مضاف لان السورة قد خلت
في الوجود فلا معنى لفرضها فالمراد فرضنا احكامها التي فيها ومن شدد فللمبالغة او التكثير في احكام هذه السورة كثرة ويجوز ان يرجع معنى الكثرة الى المفروض
عليهم فان كل المكلفين من السلف والخلف مفروض عليهم واما الآيات البينات فانها دلائل التوحيد التي ذكرها الله تعالى بعد الاحكام والحد وتوجيه قوله
لعلكم تذكرون فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها بخلاف دلائل التوحيد فانها كالمعلومة لظهورها فيكفي فيها التذكر وقال ابو مسلم
هي الحدود والاحكام ايضا ولا بعد في تسميتها آيات كقول زكريا رب اجعل لي آية سأل ربه ان يفرض عليه عملا وقال القاضي المراد بها الاشياء المباحة المذكورة
في السورة بينها الله تعالى لاجل التذكر لتتم جملة الاحكام حكم الزنى قال الخليل وسيبويه رفعهما على الابتداء والخبر محذوف ولا بد من تقدير مضاف اي فيما فرض
عليكم جلد الزانية والزاني او فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني وقال آخرون الخبر فاجلدوا والفاء لتضمن معنى الشرط فان الالف واللام بمعنى الموصول
تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوا وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر فان الطلب
الفعل والجلد ضرب الجلد كما يقال رأسه اي ضرب رأسه وكذلك في سائر الاعضاء بعد ثبوت الزنا وفيه اشارة الى ان اقامة الحد ينبغي ان تكون
على الاعتدال بحيث لا يتجاوز الالم من الجلد الى اللحم فعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب فالرجل يجلد قائما على تجرده وليس عليه
ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها الا الفرج والوجه والمرأة تجلد قاعدة ولا تنزع من ثيابها الا الحشو والفرو والصحيح ان

الزنى من الكبائر ولهذا قرنه الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون وقد وفى فيه حقه المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر و
فيه الرجم الذي هو اشنع انواع القتل ونهى المؤمنين عن الرأفة بهما وامر بشهود طائفة للتشهير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الزنى فان فيه ست
خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة اما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخط وسوء
الحساب والخلود في النار واعلم ان البحث في هذه الآية يقع عن امور احدها عن ماهية الزنى وثانيها عن احكام الزنى وثالثها في الشرائط المعتبرة
في كون الزنى موجبا لتلك الاحكام ورابعها في الطريق الذي به يعرف حصول الزنى وخامسها عن المخاطب بقوله فاجلدوا وسادسها عن كيفية
اقامة هذا الحد الاول قد حده علماء الشافعية بانه عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا قالوا فيدخل فيه اللواطة لانها مثل الزنى صورة
وذلك ظاهر بحصول معنى الايلاج في الدبر ايضا ومعنى لانهما يشتركان في المعاني المتعلقة بالشهوة من الحرارة واللين وضيق المدخل ولذلك لا يفرق
اهل الطبايع بين المحلين والاكثرون على ان اللواطة لا يدخل تحت الزنى للعرف ولهذا لو حلف لا يزني فلاط او بالعكس لم يحنث والصحابة اختلفوا في حكم
اللواطة مع كونهم عالمين باللغة وما روى ابو موسى الاشعري انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان محمول على اشتراكهما في الاثم بدليل
قوله ايضا اذا اتت المرأة المرأة فهما زانيتان وقوله اليدان تزنيان والعينان تزنيان والقياس المذكور بعيد لانه لا يلزم من تسمية القبل فرجا لانفراجه
تسمية كل منفرج كالفم والعين فرجا واعلم ان للشافعي في اللائط قولين اصحهما ان عليه حد الزنى ان كان محصنا فيجلد ويغرب والثاني يقتل
الفاعل والمفعول والقتل اما بحز الرقبة كالمرتد او بالرجم وهو قول مالك واحمد واسحق او بالهدم عليه ويروى عن ابي بكر او بالرمي من شاهق ويروى
عن علي رضه وذلك ان قوم لوط عذبوا بكل هذه الوجوه قال عز من قائل فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل واما المفعول فان كان
صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان بضع الرجل لا يتقوم وان كان مكلفا طايعا فهو كالفاعل في الاقوال وان اتى امرأة في دبرها ولا ملك
ولا نكاح فالاظهر انه لواط وحكمه ما مر وقيل زنى لانه وطء انثى فاشبه الوطء في القبل واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح ولو اتى امرأته او جاريته
في الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاع بالجملة جميع ذلك مما ذهب اليه الشافعي رضه وقال ابو حنيفة رضه ان اللائط لا يحد بل يعزر حجة الشافعي
خبر ابي موسى الاشعري فانه يدل على اشتراك اللواط والزنى في الاسم والحقيقة لا لاشتراكهما في اللوازم وايضا انه قال صلى الله عليه وسلم من عمل
عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل منهما والمفعول وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث زنى بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس
بغير حق وليس اللواط من قبيل الثاني والثالث فهو من الاول وايضا قاس اللواط على الزنى بجامع كون الطبع داعيا اليه فيناسب الزاجر وفرق
بان الزنى اكثر وقوعا وكان الاحتياج فيه الى الزاجر اشد وبان الزنى يقتضي فساد الانساب دون اللواط واتفق الفرق بوطء العجوز الشوهاء
وجه ابي حنيفة انه وطء لا يتعلق به المهر فلا يتعلق به الحد وضعف بفقد الجامع قال انه لا يساوي الزنى في الحاجة الى شرع الحد لان اللواط لا
يرغب فيه المفعول طبعا ولانه ليس فيه اضاعة النسب واجيب بان الانسان حريص على ما منع فلو لم يشرع الحد شاع اللواط فادى الى اضاعة النسب
بل الى افناء الاشخاص وانقطاع طريق التولد والتناسل وللشافعي في اتيان البهيمة اقوال احدها انه كالزنى في احكامه وثانيها القتل مطلقا لما روي
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه ثم قيل لابن عباس ما شان البهيمة قال لانه كره ان يؤكل لحمها
واصحها وهو قول مالك وابي حنيفة واحمد والثوري ان عليه التعزير لانه غير مشتهى طبعا والحديث ضعيف الاسناد وبتقدير صحته معارض بما روي انه عليه السلام
نهى عن ذبح الحيوان الا لاكله ولا خلاف في ان السحق والاتيان في الميتة والاستمناء باليد لا يشرع فيها الا التعزير البحث الثاني قد مر في اول سورة النساء ان حكم الزنى
في اول الاسلام كان الحبس في البيوت في حق الثيب والايذاء بالقول في حق البكر ثم نسخ باية الزنى وبقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة
ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والخوارج انكروا الرجم لانه لا ينتصف وقد قال تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولانه تعالى
اطنب في احكام الزنى بما لم يطنب في غيره فلو كان الرجم مشروعا لكان اولى بالذكر ولان قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب الجلد على كل الزناة وايجاب
الرجم على البعض يقتضي تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وجمهور المجتهدين خالفوهم في ذلك فاجابوا عن الاول بان الرجم حين لم ينتصف لم يشرع في حق
العبد لتخصيص العذاب بغير الرجم للدليل العقلي وعن الثاني ان الاحكام الشرعية كانت تنزل بحسب تجدد المصالح فلعل المصلحة التي اقتضت وجوب
الرجم حدثت بعد نزول هذه الايات وعن الثالث ان تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد جائز عندنا لان القرآن وان كان قاطعا في متنه الا ان العام
غير قاطع الدلالة فامكن تخصيصه بالدليل المظنون سلمنا ان الرجم ثبت بالتواتر رواه ابو بكر وعمر وعلي وجابر والخدري وابو هريرة وبريدة
الاسلمي وزيد بن خالد في اخرين من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وما نقل عن علي رضه انه جمع بين الجلد والرجم وهو اختيار احمد واسحق وداود محمول
على مثل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا زنى بامرأة فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فجلد ثم اخبر النبي عم انه كان محصنا فامر به فرجم
وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة متروك العمل بما روي في قصة العسيف انه قال يا انيس اغد على امرأة هذا فان
اعترفت فارجمها ولو وجب الجلد اذ ذاك لذكره وان قصة ماعز رويت من جهات مختلفة وليس فيها ذكر الجلد مع الرجم وكذا قصة الغامدية
وروى الزهري باسناده عن ابن عباس عن عمر قال قد خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك
فريضة انزلها الله سبحانه وقد قرأنا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ورجم النبي صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخبر ان الذي فرضه الله تعالى
هو الرجم ولو كان الجلد واجبا مع الرجم لذكره قال الشافعي يجمع بين الجلد والتغريب في حد البكر وقال ابو حنيفة يجلد واما التغريب فمفوض الى راي
الامام وقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وكذا ما روي عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ او محمول على وجه التعزير والتاديب
من غير وجوب وقال مالك يجلد الرجل ويغرب ويجلد المرأة بلا تغريب حجة الشافعي حديث عبادة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وقد ورد مثله
في قصة العسيف حجة ابي حنيفة ان ايجاب التغريب يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد بيانه ان ايجاب الجلد مرتب على الزنى بالفاء التي هي للجزاء ومعنى
الجزاء كونه كافيا في ذلك الباب منه قوله صلى الله عليه وسلم يجزيك ولا يجزي احدا بعدك وايجاب شيء اخر غير الجلد يقتضي نسخ كونه كافيا ولو كان
النفي مشروعا لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم توقيف الصحابة عليه عند تلاوة هذه الاية ولو فعل لاشتهر وقد روى ابو هريرة رضه قال في الامة اذا زنت
فاجلدوها فان زنت فاجلدوها والاستدلال به انه لم يذكر النفي مع الجلد ونظيره ما روي ان شيخا وجد على بطن جارية فاتي به النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اجلدوه مائة فقالوا انه اضعف من ذلك فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله لا يقال
انما لم ينفه لانه كان عاجزا عن الحركة لانا نقول كان ينبغي ان يامر له بدابة يركبها ولا يقال لعله كان ضعيفا عن الركوب ايضا لانا نقول القادر على الجماع
كيف لا يقدر على الاستمساك وايضا الامر بالنفي لو كان مشروعا لزم في حق العبد الاضرار بسيده في مدة غيبته وفي حق المرأة الاضرار بزوجها

وكذا

وكذا ابن يؤمن ان يكون معها من محارمها او من النسوة الثقات مع انفتاح باب الزنى عليها في الغربة ولهذا روي عن علي رضه انه قال في البكرين
اذا زنيا يجلدان ولا ينفيان فان نفيهما من الفتنة وعن ابن عمر ان امة له زنت فجلدها ولم ينفها وايضا النفي نظير القتل لقوله تعالى اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم فاذا لم يشرع القتل في حق البكر وجب ان لا يشرع نظيره وهو التغريب واجيب بان ايجاب الجلد مفهوم مشترك بين ايجاب
الجلد فقط مع ايجاب التغريب ومن ايجابه مع نفي التغريب فلا اشعار في الاية باحد القسمين الا ان عدم التغريب موافق للبراءة الاصلية فايجابه بخبر الواحد
لا يزيل الا محض البراءة فلا يلزم نسخ القرآن به وقول الاوباء ان الجزاء اسمي جزاء لانه كاف في الشرط لا يصلح حجة في الاحكام ولا استبعاد في عدم اشتهار
بعض الاحكام كاكثر المخصصات والاخبار الواردة في نفي التغريب معارضة بما روى ابو علي في جامعه انه صلى الله عليه وسلم جلد وغرب ولا نبعد ان يكون
القادر على الزنى عاجزا عن الاستمساك على الدابة والاضرار بالسيد قد يجوز للضرورة كالعبد المرتد يقتل وعلى هذا يغرب نصف سنة على الاصح لانه
يقبل التنصيف وقيل سنة كاملة لان التغريب للايحاش وهذا معنى يرجع الى الطبع فيستوي فيه الحر والعبد كمدة الايلاء والعنة واما المرأة فلا تغرب وحدها
لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة ان تسافر الا ومعها ذو محرم فان تبرع المحرم او نسوة ثقات فذاك والا اعطي اجرتهم من مالها او من بيت المال فيه قولان
ويقتضي التهمة حينئذ مع ان اكثر الزنى انما يقع بالالفة والمؤانسة وفراغ القلب وفي التغريب الاغلب هو الوحشة والتعب واما ان النفي يشبه القتل فسلم
من بعض الوجوه لا من كلها واعلم ان قولنا الزانية والزاني اما مطلق دال على الجنسين المنافيين لجنسي العفيفة والعفيف او عام يشتمل كل من اتصف بهذه
الصفة الشنعاء فلابد من تقييد او تخصيص وهو البحث الثالث فنقول اجمعت الامة على انه لا بد فيه من العقل والبلوغ فلا حد على مجنون ولا على صبي لانهما ليسا
من اهل التكليف هذا في غير الرجم واما في الرجم فلا بد من شرط اخر ويسمى الزاني حينئذ محصنا منها الحرية بالاجماع ولا فرق بين القن والمدبر والمكاتب
والمستولدة ومن بعضه حر والسبب ان الحرية توسع بعض طرق الحلال لان الرقيق يحتاج في النكاح الى اذن السيد ولا يجوز له ان ينكح الا امرأتين وجناية
من ارتكب الحرام مع اتساع طريق الحلال اغلظ ومنها الاصابة في نكاح صحيح وقد يعبر عن هذا الشرط بشرطين احدهما التزويج بنكاح صحيح والاخر الدخول
وكيف ما كان فوجه الاعتبار انه قضى الشهوة واستوفى اللذة فحقه ان يمتنع من الحرام ويكفي في الاصابة تغييب الحشفة بلا انزال في القبل ولو في حالة الحيض
والاحرام وعدة الوطء بالشبهة ولا يحصل الاحصان بالاصابة في ملك اليمين كما لا يحصل التحليل ولا بالاصابة بالشبهة وفي النكاح الفاسد قولان احدهما
انه يفيد الاحصان لان الفاسد كالصحيح في العدة والنسب واصحهما المنع لان الفاسد لا اثر له في اكمال طريق الحلال وهل يشترط ان يكون الاصابة في حال
بعد التكليف والحرية الاصح عند امام الحرمين لا فانه وطء يحصل به التحليل فكذا الاحصان والارجح عند معظم الاصحاب نعم لان شرط الاصابة ان
تحصل باكمل الجهات وهو النكاح الصحيح فيعتبر حصولها من كامل وعلى هذا فهل يشترط كمال الواطئين جميعا قال ابو حنيفة نعم وهو احد قولي الشافعي فلو كان
احدهما كاملا دون الاخر لم يصر الكامل محصنا ايضا وقال الشافعي في اصح قوليه لا بل لكل منهما حكم نفسه ومنها الاسلام عند ابي حنيفة لقوله صلى الله عليه وسلم
من اشرك بالله فليس بمحصن دون الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قبلوا الجزية فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ولحديث مالك عن نافع عن ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا فلو حكم بشرعه فهو ظاهر او بحكم الشريعة من قبله فقد صار شرعا له ولان زنى الكافر مثل زنى المسلم في الحاجة الى الزجر
ولهذا قلنا اذا اقر الذمي بالزنى انه يقام عليه الحد بخلاف الشرب فانه لا يعتقد تحريمه ومما احتج لابي حنيفة ان النعمة في حق المسلم اعظم وكانت جنايته
اغلظ كقوله يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وعورض بان الاسلام من كسب العبد وزيادة الخدمة وان لم يكن
سببا للعذر فلا اقل من ان يكون سببا لزيادة العقوبة قالوا احصان القذف يعتبر فيه الاسلام بالاجماع فكذا احصان الرجم والجامع كمال النعمة واجيب
بان حد القذف لدفع العار كرامة للمقذوف والكافر لا يكون محلا للكرامة وصيانة العرض والجواب عن الحديث ان الاسلام الذي مشترك سلمنا لكن احصانه
قد يراد به التزوج كقوله تعالى فاذا احصن والذمي الثيب محصن بهذا التفسير فوجب رجمه لقوله وزنى بعد احصان ولقوله عليهم ما على المسلمين قال بعض اهل
الظاهر عموم قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب المائة على العبد والامة الا ان الامة ورد النص بالتنصيف في حقها فلو قسنا العبد عليها لزم تخصيص عموم الكتاب
بالقياس ومنهم من قال الامة اذا تزوجت فعليها خمسون لقوله فاذا احصن اي تزوجن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات فاذا لم تتزوج
فعليها المائة لعموم قوله الزانية واتفاق الجمهور على حذف هذين وقال الشافعي وابو حنيفة رضه الذمي يجلد للعموم ولانه صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين فالجلد اولى
وقال مالك لا يجلد بناء على ان الكفار ليسوا مخاطبين بالفروع البحث الرابع في طريق معرفة الزنى وانه ثلاثة الاول ان يراه الامام بنفسه فيبنى على الخلاف في ان
القاضي هل له ان يقضي بعلمه ام لا والارجح كلام مرجوح وجه القضاء انه يقضي بالظن وذلك عند شهادة شاهدين فلان يقضي بالعلم اولى ووجه عدم القضاء
ان فيه تهمة والتهمة تمنع القضاء ولهذا لا يقضي القاضي لولده ووالده وهذا الوجه في حدود الله تعالى ارجح لان الحاكم فيه مامور بالستر ولهذا قال عم
في قصة اللعان لو كنت راجما بغير بينة لرجمتها ولا فرق على القولين ان يحصل العلم للقاضي في زمان ولايته ومكانها او في غيرهما وعن ابي حنيفة رضه
انه ان حصل له العلم فيما يقضي بعلمه والا فلا الطريق الثاني الاقرار ويكفي عند الشافعي مرة واحدة وقال ابو حنيفة رضه لا بد من اربع مرات في اربعة
مجالس وجوز احمد ان يكون المجلس واحدا حجة الشافعي قصة العسيف فان اعترفت فارجمها والقياس على الاقرار بالقتل والردة مع ان الصارف
عن الاقرار بالزنى قوي وهو العار في الحال والقتل او الالم الشديد في المآل فالاقدام على الاقرار مع هذا الصارف لا يكون الا عن صدق ويقين حجة
ابي حنيفة رضه قصة ماعز واعراضه صلى الله عليه وسلم مرات حتى قال ابو بكر رضه له بعد ما اقر ثلث مرات لو اقررت الرابعة رجمك رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقياس على الشهادة واجيب بانه لا منافاة بين القضيتين فالاولى محمولة على اقل المراتب والثانية على كمالها او بالفرق فان المقذوف لو اقر
بالزنى مرة سقط الحد عن القاذف ولو شهد اثنان بزناه لم يسقط الطريق الثالث الشهادة واجمعوا على انه لا بد من شهود اربعة من الرجال لقوله
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء والشهادة على الاقرار بالزنى كالشهادة على الزنى في انه لا بد من شهود اربعة في قول
يكفي اثنان لان الفعل مما يعسر الاطلاع عليه فلزم الاحتياط فيه باشتراط الاربعة والاقرار امر ظاهر فيكفي فيه رجلان البحث الخامس اجمعت الامة على ان المخاطب
بقوله فاجلدوا هو الامام حتى احتجوا به على وجوب نصب الامام فان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقال الشافعي رضه السيد يملك اقامة الحد على مملوكه
وهو قول ابن مسعود وابن عمر وفاطمة وعائشة وقال ابو حنيفة رضه والصحابة لا يملك حجة الشافعي رضه انه صلى الله عليه وسلم قال اقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم وعن ابي هريرة
انه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت امة احدكم فليجلدها وحمل الاول على رفع القضية الى الامام حتى يقيموا عليهم الحدود وحمل الثاني على التعزير خلاف الظاهر
وايضا ان ولاية السيد على العبد فوق الولاية بالبيعة فكان اولى وايضا الاجماع على ان السيد يملك التعزير مع انه في محل الاجتهاد فلان يملك الحد مع التنصيص عليه
اولى حجة ابي حنيفة رضه ان الخطاب في قوله فاجلدوا للائمة بالاتفاق ولم يفرق بين الاحرار والعبيد وايضا لو جاز للمولى ان يسمع شهادة الشهود
على عبده بالسرقة فيقطعه فلو رجعوا عن شهادتهم وجب ان يمكن من تضمين الشهود وليس له ذلك بالاتفاق لانه ليس لاحد ان يحكم لنفسه وايضا المالك

في محل التهمة لانه قد يشفق على ملكه فلا يستوفي الحد اجابت الشافعية بان عدم ذكر الفرق لا يدل على عدم الفرق مع ان الكلام في جواز اقامة
الحد لا في وجوبه فالامام يملك حد العبد في الجملة وذلك كان في بقاء الاية على عمومها وحكى الشاشي بان للشافعي في القطع والقتل قولين احدهما يجوز لما
روي ان ابن عمر قطع عبدا له سرق وثانيهما لا وهو قول مالك ان القطع للامام بخلاف الجلد لان المولى يملك جنس الجلد وهو التعزير وفي سماع البينة
الشهادة ايضا وجهان فاذا فقد الامام فليس لاحاد الناس اقامة هذه الحدود بل ينبغي ان يعينوا واحدا من الصلحاء ليقوم بها وفي الخارجي المتغلب
خلاف البحث السادس في كيفية اقامة الحد انه سبحانه قد اشار الى ان هذا الحد يجب ان لا يكون في غاية العنف بلفظ الجلد كما مر والى انه يجب ان
لا يكون في غاية الرفق بقوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وذلك اما بان يترك الحد راسا او ينقص شيء منه او يخفف بحيث لا يحس الزاني بالالم
وفي معناه ان يفرق على الايام كان يضرب كل يوم سوطا او سوطين وان ضرب كل يوم عشرين مثلا كان محسوبا لحصول التنكيل والاولى ان
واكد هذا المعنى بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر قال الجبائي فيه دلالة على ان الاشتغال باداء الواجبات من الايمان لان التقدير ان كنتم مؤمنين
فلا تتركوا اقامة الحدود ورد بان الرأفة لا تحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه ان الاولى ترك اقامة الحد وحينئذ يكون منكرا للدين فلهذا يخرج من الايمان وفي الحديث
يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له لم فعلت ذلك فيقول رحمة لعبادك فيقول له انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار وروى ابو عثمان النهدي
قال اتى عمر رجل في حد ثم جيء بسوط فيه شدة فقال اريد الين من هذا فاتى بسوط فيه لين فقال اريد اشد من هذا فاتى بسوط بين السوطين و
روي ان ابا عبيدة بن الجراح اتى برجل في حد فذهب الرجل ينزع قميصه وقال ما ينبغي لجسدي هذا المذنب ان يضرب وعليه قميص فقال ابو عبيدة لا تدعوه
ينزع قميصه وضرب عليه ولا خلاف في ان المراة لا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف ويلي ذلك منها امراة وجوز الشافعي
الضرب على الراس لما روي ان ابا بكر قال اضرب على الراس فان الشيطان فيه قال ابو حنيفة حكم الراس حكم الوجه لان الموضحة وسائر الشجاج
في الراس والوجه واحد واما سائر البدن فلا يجب الا الحكومة وايضا ان ضرب الراس يوجب في الاغلب ظلمة البصر ونزول الماء واختلاط العقل
كالوجه فانه ايضا عرضة للافات وفيه الاعضاء الشريفة اللطيفة وللشافعي ان يقول انما يحترم الوجه لما جاء في الحديث ان الله تعالى خلق ادم على
صورته وهذا المعنى مفقود في الراس وليكن اقامة الحد في وقت اعتدال الهواء الا اذا كان رجما فان المقصود هو قتله لا يتفاوت بذلك ولهذا
يرجم المريض ايضا في مرضه وقيل ان كان مرضا يرجى برؤه يؤخر كما في الجلد لانه ربما رجع عن اقراره في حال الرجم وقد اثر الرجم في بدنه فتعين بشدة الحر
والبرد مع المرض على الهلاك وهذا بخلاف ما ثبت بالبينة لانه لا يسقط وفي الجلد ان كان المرض مما لا يرجى زواله كالسل او زمانة فلا يؤخر سواء زنى في حال
الصحة او في حال المرض ولكن لا يضرب بالسياط عند الشافعي لان المقصود ليس موته بل يضرب بعثكال عليه مائة شمراخ كما روي ان مقعدا اصاب
امراة فامر النبي صلى الله عليه وسلم فاخذوا مائة شمراخ فضربوه ضربة واحدة والاثكال والعثكال الغصن الذي عليه فروع خفيفة من النخل او من غيره
وعند ابي حنيفة يضرب بالسياط ثم انه ان ثبت الزنى باقرار ومتى رجع ترك وان وقع بعض الحد او لم يقع وبه قال ابو حنيفة والشافعي والثوري واحمد واسحق
لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وعن الحسن وابن ابي ليلى وداود انه لا يقبل رجوعه ويحفر للمراة الى الصدر ما خشي ان
يرى بدنها ولا يحفر للرجل كما في حق ماعز اذ لو كان في الحفرة لم يمكنه الهرب ولما روى ابو سعيد الخدري في قصته فما اوثقناه ولا حفرنا له واذا مات
في الحد يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ومن تغليظات حد الزنا قوله سبحانه وليشهد ظاهره امر للوجوب الا ان الفقهاء اجمعوا على ان
حضور الجمع مستحب والمقصود اعلان اقامة الحد لما فيه من زجر الزوع ولما فيه من دفع التهمة عمن يجلد وفي لفظ العذاب دليل على انه عقوبة لا امتحان
الا ان يراد بالعذاب المنع من المعاودة كالنكال وقد مر في اول البقرة في قوله ولهم عذاب عظيم ومعنى الطائفة قد مر في التوبة فقال النخعي ومجاهد اقلها
واحد وعن عطاء وعكرمة اثنان وعن الزهري وقتادة ثلاثة وقال ابن عباس والشافعي اربعة بعدد شهود الزنا وعن الحسن عشرة لانها اول عقد و
جوز ابن عباس اربعين رجلا من المصدقين بالله وحضور الامام والشهود ليس بلازم عند الشافعي ومالك لانه صلى الله عليه وسلم لم يحضر رجم ماعز
والغامدية وقال ابو حنيفة ان ثبت بالبينة وجب على الشهود ان يبدؤا بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت باقراره بدأ الامام ثم الناس ثم ذكر شيئا
من خواص الزناة فقال الزاني لا ينكح وهو خبر في معنى النهي كقراءة عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية بذلك
وفي الاية اسولة الاول كيف قدمت الزانية على الزاني في الاية المتقدمة وعكس الترتيب في هذه والجواب ان تلك الاية مسوقة لبيان عقوبتهما
على جنايتهما وكانت المراة اصلا فيها لانها هي التي اطمعت الرجل في ذلك اما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل هو الاصل في الرغبة والخطبة واما
الثالثة فما الفرق بين الجملتين في الاية والجواب معنى الاول صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة
الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان لانه لا يلزم عقلا من كون الزاني كذلك ان يكون حال الزانية منحصرة في كذلك
فاخبر الله تعالى بالجملة الثانية عن هذا الانحصار الثالث انا نرى الزاني قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وايضا المؤمن قد يحل
له التزوج بالمراة الزانية الجواب للمفسرين فيه وجوه احدها وهو الاحسن قول القفال ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الاعم الاغلب وذلك
ان الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا والتعب لا يرغب غالبا في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او مشركة
والفاسقة الخبيثة المسافحة لا يرغب في نكاحها الصلحاء في الاغلب وانما يرغب فيها اشكالها من الفسقة او المشركين نظير هذا الكلام قول القائل لا يفعل
الخير الا الرجل التقي وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي واما التحريم على المؤمنين فصرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات الاخر الظم بسبب هذا
الحصر في سلك الفسقة المتهمين بالزنى الوجه الثاني ان الالف واللام في قوله الزاني وفي قوله المؤمنين للعهد روى مجاهد وعطاء بن ابي رباح وقتادة
انه قدم المهاجرون المدينة وليست لهم اموال ولا عشائر وبها نساء بغايا يكرين انفسهن وهن يومئذ اخصب اهل المدينة لكل واحدة منهن علامة على بابها
لتعرف بها وكان لا يدخل عليها الا زان او مشرك فرغب فيهن ناس من فقراء المسلمين وقالوا نتزوج بهن الى ان يغنينا الله عنهن فاستاذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية والتقدير اولئك الزواني لا ينكحون الا اولئك الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحها الا اولئك الزناة
وحرم نكاحهن باعيانهن على المؤمنين الوجه الثالث ان هذا خبر في معنى النهي كما مر وهكذا كان الحكم في ابتداء الاسلام ثم قيل ان ذلك الحكم باق
الى الان حتى يحرم على الزاني والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس ويقال هذا مذهب ابي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعائشة ثم في هؤلاء
من يسوي بين الابتداء والدوام فيقول كما لا يحل للمؤمن ان يتزوج بالزانية فكذلك اذا زنت تحته لا يحل له ان يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في جملة ما
يمنع من التزوج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة وقيل انه منسوخ اما بالاجماع وهو قول سعيد بن المسيب وزيف بان الاجماع لا ينسخ
ولا ينسخ به واما بالعموم قوله وانكحوا الايامى فانكحوا ما طاب لكم وهو قول الجبائي وضعف بان ذلك العام مشروط بعدم الموانع النسبية والسببية

فلكن

يشمل هذا المانع ايضا من جملتها وسئل ابن عباس عن ذلك فاجازه وشبهه بمن سرق ثمرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل
عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال الوجه الرابع قول ابي مسلم ان النكاح محمول على الوطء وذلك اشارة الى الزنى اي وحرم
الزنى على المؤمنين قال الزجاج هذا التاويل فاسد من جهة ان النكاح في كتاب الله لم يرد الا بمعنى التزويج ومن جهة انه يخرج الكلام عن الفائدة اذ لا معنى
لقول القائل الزاني لا يطأ الا الزانية حين يكون وطئه زنى ولو اريد حين التزوج فالاشكال عائد لان الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها الحكم الثاني
من احكام السورة حد القذف والرمي قد يكون بالزنى وبغيره كالكفر والسرقة وشرب الخمر الا ان العلماء اجمعوا على ان المراد به في الاية هو الرمي بالزنى لتقدم
ما تقدم ذكر الزاني ومنها ذكر المحصنات وهن العفائف ومنها قوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء اي على صحة ما رموا به ومعلوم ان هذا العدد من الشهود
مشروط الا في الزنى والقذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان والفاظ القذف تنقسم الى صريح وكناية وتعريض فالصريح ان يقول يا زانية او زنيت
وزنى قبلك او دبرك والاصح ان قوله زنى بدنك صريح لان الفعل لكل البدن والفرج آلة والكناية ان يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا ابن الحرام
وامراته لا ترد يد لامس فهذا لا يكون قذفا الا ان يريده وكذا لو قال لعربي يا نبطي الدار واللسان وادعت ام المقول له انه اراد القذف فالقول
قوله مع يمينه والتعريض ليس بقذف كقوله يا ابن الحلال واما انا فلست بزانية وهذا قول الشافعي وابي حنيفة واصحابه وقال مالك يجب الحد فيه
وقال احمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا لنا ان الاصل براءة الذمة فلا يرجع عنه بالشك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود
بالشبهات والايذاء الحاصل بالتصريح فوق الايذاء الحاصل بالتعريض حجة المخالف ما روي ان رجلين استبا في زمان عمر بن الخطاب فقال احدهما للاخر والله
ما انا بزان ولا امي بزانية فاستشار عمر الناس في ذلك فقال قائل مدح اباه وامه وقال اخرون قد كان لابيه وامه مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين و
اذا قذف شخصا واحدا مرارا فان اراد بالكل زنية واحدة كما لو قال مرارا زنيت بعمرو لم يجب الا حد واحد ولو اراد الثاني بعد حد الاول عزر للثاني وان
اراد زنيات مختلفة كان قال زنيت بزيد زنيت بعمرو فالاصح تداخل الحدود لانهما حدان من جنس واحد لمستحق واحد فصار كما لو قذف زوجته مرارا يكتفي بلعان
واحد واذا قذف جماعة بكلمات او بكلمة واحدة كان قال يا ابن الزانيين فعليه حدان لانه قذف لكل واحد من ابويه هذا هو الجديد من قول الشافعي وعند ابي حنيفة
لا يجب الا حد واحد لان قوله والذين يرمون المحصنات معناه كل من رمى جماعة من المحصنات فاجلدوه ثمانين ولانه صلى الله عليه وسلم قال لهلال بن امية او حد
في ظهرك لم يوجب عليه الا حدا واحدا مع قذفه لامراته ولشريك بن سحماء والقياس على من زنى مرارا او شرب او سرق مرارا والجامع دفع مزيد الضرر والجواب
ان قوله والذين صيغة جمع وقوله المحصنات كذلك واذا قوبل الجمع بالجمع تقابل الفرد بالفرد فيصير المعنى كل من رمى محصنة فاجلدوه وثانيه ان رمي المحصنة
علة الجلد فحيث وجدت وجد ولا شك ان هذه العلة موجودة عند رمي كل واحدة من المحصنات فيترتب عليها الجلد لا محالة واما السنة فلا نسلم
ان دلالتها على المطلوب قوية واما القياس فالفرق ان هذا حق الادمي وتلك حقوق الله تعالى هذا كله في البحث عن الرمي واما البحث عن الرامي
فنقول لا عبرة بقذف الصبي والمجنون الا في باب التعزير للتاديب ان كان له تمييز ولو لم يتفق اقامة التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير
لانه كان للزجر والعقل بعد قوي والاشارة من الاخرس وكتابته قذف ولعان عند الشافعي قياسا على سائر الاحكام ولانه كان في لحوق العار وعند
ابي حنيفة لا يصح قذفه ولعانه لضعف تاثيرهما واذا قذف العبد حرا فعليه اربعون جلدة قاله مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه على قانون قوله فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب وعند الشيعة ويروى عن علي رضه انه يجلد ثمانين اخذا بعموم الاية ولهذا اتفقوا على دخول الكافر فيه حتى لو قذف اليهودي
مسلما جلد ثمانين ويستثنى من الرماة الاب والجد اذا قذف اولاده واحفاده فانه لا يجب عليه الحد كما لا يجب عليه القصاص واما البحث عن المرمي
فالمحصنات العفائف لانهن يحصن فروجهن الا من ازواجهن وهي عامة الا ان الفقهاء اعتبروا لكونها محصنة شرائط خمسا الاسلام لقوله صلعم
من اشرك بالله فليس بمحصن والعقل والبلوغ لان المجنون والصبي لا اهتمام لهما بدفع العار عن انفسهما والحرية لمثل ما قلنا والعفة لان الحد شرع
لتكذيب القاذف فاذا كان صادقا فلا معنى للحد حتى لو زنى مرة في عنفوان شبابه ثم تاب وحسنت حاله لم يحد قاذفه بخلاف ما لو زنى في حال صغره او
جنونه ثم بلغ او افاق فقذفه قاذف فانه يحد لان فعل الصبي والمجنون لا يكون زنى ولو زنى بعد القذف وقبل اقامة الحد على القاذف سقط الحد عن قاذفه
قاله ابو حنيفة والشافعي لان ظهور الزنى منه خدش ظن الاحصان به وقت القذف ودل على انه كان متصفا به قبله كما روي ان رجلا زنى في عهد عمر رضه
فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده في اول مرة وقال احمد والمزني وابو ثور الزنى الطاري لا يسقط الحد عن القاذف
ولفظ المحصنات لا يتناول الرجال عند جمهور العلماء الا انهم اجمعوا على انه لا فرق في هذا الباب بين المحصنين والمحصنات والقذف بغير الزنى كان
يقول يا اكل الربوا او يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق وكذا قذف غير المحصنين بالزنى لا يوجب الا التعزير ولو كان المقذوف معروفا بما ذكره فلا تعزير
ايضا واعلم انه سبحانه حكم على القاذف اذا لم يأت باربعة شهداء بثلاثة احكام جلد ثمانين وبطلان الشهادة والحكم بفسقه الى ان يتوب فذهب جمع
من الائمة كالشافعي والليث بن سعد الى انه رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهداء الاربعة امور ثلثة معطوفا بعضها على بعض بالواو وهو لا يفيد الترتيب فوجب
ان لا يكون رد الشهادة مرتبا على اقامة الحد بل يجب ان يثبت رد الشهادة بالقذف مع عدم البينة سواء اقيم عليه الحد ام لا وقال مالك وابو حنيفة
واصحابه شهادته مقبولة ما لم يحد فاذا استوفي لم يقبل شهادته وانما ذهب الى هذا نظرا الى ظاهر الترتيب مع موافقته للاصل وهو كونه مقبول الشهادة
ما لم يطرأ المانع ولقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا في قذف اخبر ببقاء عدالته ما لم يحد اما الاستثناء في قوله الا الذين تابوا فانه
لا يرجع الى الجملة الاولى اتفاقا لانه اذا عجز عن البينة وهو الاتيان باربعة شهداء وجب عليه الجلد ولم يكن للامام ولا للمقذوف ان يعفو عن القاذف لانه
خالص حق الله تعالى ولهذا لا يصح ان يصالح عنه بمال هذا قول ابي حنيفة واصحابه وقال الشافعي اذا عجز عن البينة وجب على الامام وهو المخاطب بقوله فاجلدوهم
ان يامر بجلده وان تاب لان القذف حده حق الادمي والمغلب فيه حقه فليس للامام ان يعفو عنه ولا خلاف في رجوع الاستثناء للجملة الاخيرة وان المراد انهم
محكوم عليهم بالفسق الى ان يتوبوا بقي الخلاف في رجوع الاستثناء الى الجملة المتوسطة ومنشأ الخلاف مسئلة اصولية هي ان الاستثناء بعد جمل عطف
بعضها على بعض للجميع وهو مذهب الشافعية او للاخيرة وهو مذهب الحنفية ويتفرع على مذهب الشافعي ان القاذف اذا تاب وحسنت حاله قبلت شهادته
فيكون الابد مصروفا الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف ويتفرع على مذهب ابي حنيفة انه لم يقبل شهادته وان تاب والابد
عنده مدة حياته وقوله واولئك هم الفاسقون جملة مستانفة عنده لا معطوفة لانها خبرية وما قبلها طلبية ولو سلم انها معطوفة فالاستثناء يرجع اليها
فقط قال صاحب الكشاف حق المستثنى عند الشافعي ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب قلت حقه
عند الامامين ان يكون منصوبا لان الاستثناء يعود عند الشافعي الى الجملتين ولا يمكن ان يكون الاسم الواحد معربا باعرابين مختلفين في حالة واحدة ولكنه
يجب نصبه نظرا الى الاخيرة فيتعين نصبه نظرا الى ما قبلها ايضا وان جاز البدل في غير هذه المادة هذا وقد احتجت الشافعية ايضا في قبول شهادة القاذف

بعد التوبة بقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له وإذا كانت التوبة من الكفر والزنى والقتل مع غلظها مقبولة فلأن تقبل من القذف أولى وأيضا فإن أبا حنيفة يقبل شهادته قبل الحد فبعده وقد تاب وحسن حاله أولى وأيضا الكافر يقذف فيتوب من الكفر فيقبل شهادته بالإجماع فالقاذف المسلم إذا تاب من القذف كان أولى بأن يقبل شهادته لأن القذف مع الإسلام أهون حالا من القذف مع الكفر لا يقال المسلمون لا يتعيرون بسبب الكفار لاشتهارهم بعداوتهم والطعن فيهم فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر عار وشين بخلاف ما لو قذفه مسلم وأيضا الإيمان يجب ما قبله ولهذا لا يلزم الحد بعد التوبة من الكفر ويلزم بعد التوبة من القذف لأنا نقول هذا الفرق يشكل في أهل الذمة لقوله لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين واحتج الحنفية في عدم قبول شهادته بما روي عن ابن عباس رضي في قصة هلال بن أمية يجلد هلال ويبطل شهادته في المسلمين ولم يشترط التوبة وبقوله قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا محدودا في قذف ولم يذكر التوبة وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلعم قال لا تجوز شهادة محدود في الإسلام والشافعية عارضوا هذه الحجج بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم إذا علمت مثل الشمس فاشهد فإذا علم المحدود وجبت عليه الشهادة ولو لم يقبل كان عبثا ومنها قوله نحن نحكم بالظاهر وههنا قد ظهرت العفة والصلاح ومنها أن عمر بن الخطاب ثم ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته فأكذب نافع ونفيع أنفسهما وتابا يقبل شهادتهما وقد بقي في الآية مسائل الأولى قال الشافعي رح لا فرق بين أن يجيء الشهود متفرقين أو مجتمعين وقال أبو حنيفة رح إذا جاؤوا متفرقين لم يثبت وعليهم حد القذف كما لو شهد على الزنى أقل من أربعة حجة الشافعي هو أن الآتي بالشهداء متفرقين آت بمقتضى النص واجتماعهم أمر زائد لا أمر به وأيضا القياس على سائر الأحكام بل تفرقهم أولى لأنه أبعد عن التهمة والتواطؤ وكذلك يفعل القاضي في كل حكم سواء عند الريبة وأيضا لا يجب أن يشهدوا معا في حالة واحدة بل إذا اجتمعوا عند القاضي ويقوم واحد بعد آخر ويشهد جاز فكذا إذا اجتمعوا على بابه ويدخل واحد بعد آخر حجة أبي حنيفة رح أن الشاهد الواحد لما شهد قذفه ولم يأت بأربعة شهداء فوجب عليه الحد فخرج عن كونه شاهدا ولا عبرة بتسميته شاهدا إذ النقد المسمى فلا خلاص عن هذا الإشكال إلا باشتراط الاجتماع ونظيره ما روي أن المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنى عند عمر بن الخطاب أربعة أبو بكرة ونافع ونفيع وقال زياد وكان رابعهم رأيت رجليها على عاتقه كأذني حمار ولا أدري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر فلو قبل ذلك شهادة غيرهم لتوقف في الحد للاحتياط الثانية جوز أبو حنيفة رح أن يكون زوج المقذوفة واحدا من الشهود الأربعة وأباه الشافعي رح الثالثة قال الشافعي في أحد قوليه إذا أتى بأربعة فساق فشهدوا فيجب عليهم الحد كما يجب على القاذف الأول وقال أبو حنيفة رح لا حد عليهم ولا على القاذف لأنه أتى بأربعة من أهل الشهادة إلا أن الشرع لم يعتبر شهادتهم فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك يجب اعتبارها في نفي الحد عنهم الرابعة لا يكفي في الشهادة إطلاق الزنى بل لا بد أن يذكروا التي زنى بها وأن يذكروا الزنى مفصلا مفسرا فيقولوا رأيناه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة أو كالرشاء في البير ولا بد مع ذلك من التصريح بالتحريم ولو أقر على نفسه بالزنى فهل يشترط التفسير والبيان فيه وجهان نعم كالشهود ولا كالقذف الخامسة قالوا أشد الحد ضرب الزنى ثم شرب الخمر ثم القذف لأن سبب عقوبته يحتمل الصدق والكذب إلا أنه عوقب صيانة للأعراض السادسة حد القذف يورث عند مالك والشافعي بناء على أنه حق الآدمي وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك حقا فلورثته والأصح أنه يرثه جميع الورثة وفي قول سوى الزوج والزوجة لأن الزوجية ترتفع بالموت ولأن لحوق العار بهما أقل وعلى هذا القول عرض أبو حنيفة رح بأنه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجة فيه نصيب السابعة إذا قذف إنسان إنسانا بين يدي الحاكم أو قذف امرأة برجل والرجل غائب فعلى الحاكم أن يبعث إلى المقذوف ويخبره أن فلانا قد قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له مال على آخر وهو لا يعلم يلزمه إعلامه وبهذا المعنى بعث النبي صلى الله عليه وسلم أنيسا ليخبر بأن فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتفحص عن زناها الثامنة قال الشافعي وليس للإمام إذا رمي رجل بالزنى أن يبعث إليه فيسأله عن ذلك لأن الله تعالى قال ولا تجسسوا وأراد به إذا لم يكن القاذف معينا كأن قال رجل بين يدي الحاكم الناس يقولون إن فلانا زنى فلا يبعث الحاكم إليه فيسأله التاسعة قال الشافعي توبة القاذف إكذابه نفسه وفسره الإصطخري بأنه يقول كذبت فيما قلت فلا أعود إلى مثله وقال أبو إسحق لا يقول كذبت لأنه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية والإتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية أخرى بل يقول القذف باطل ندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا أعود إليه ولا بد من مضي مدة عليه في حسن الحال وهو المراد بقوله وأصلحوا وقدر ذلك المدة سنة لأن مرور الفصول الأربعة لها تأثير في الطباع وأن الشرع جعل السنة معتبرة في الزكوة والجزية وغيرهما أما قوله وأولئك هم الفاسقون ففيه دليل على أن القذف من جملة الكبائر وأن الفاسق اسم من يستحق العقاب لأنه لو كان مشتقا من فعله لكان التوبة لا تمنع من دوامه كما لا يمنع من وصفه بأنه ضارب اللهم إلا أن يقال إنما لا يطلق عليه هذا الاسم بعد التوبة للتعظيم كما لا يقال لأكابر الصحابة كافر لكفر سبق قالت الأشاعرة في قوله فإن الله غفور رحيم دلالة على أن قبول التوبة لا يجب عليه والله أعلم الحكم الثالث اللعان وسببه قذف الزوجات خاصة القذف أمر محظور في نفسه إلا إذا عرض ما يباح أو يجب به وتفصيل ذلك أنه إن رأى الزوج بعينه تزني أو أقرت هي على نفسها ووقع في قلبه صدقها أو سمع ممن يثق بقوله أو استفاض بين الناس أن فلانا يزني بفلانة وقد رآه الزوج يخرج من بيتها أو رآه معها في بيت أبيح له القذف لتأكد التهمة ويجوز أن يمسكها ويستر عليها لما روي أن رجلا قال يا رسول الله إن لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها قال إني أحبها قال فأمسكها إذا وإن سمعه ممن لا يوثق بقوله أو استفاض ولكن لم يره الزوج معها أو بالعكس لم يحل له قذفها لأنه ربما دخل بخوف أو لسرقة أو لطلب فجور وأبت المرأة هذا كله إذا لم يكن ثمة ولد يريد نفيه فإن كان ثمة ولد فإن تيقن أنه ليس منه بأن لم يكن وطئها الزوج أو وطئها لكنها أتت به لأقل من ستة أشهر من وقت الوطي أو لأكثر من أربع سنين يجب عليه نفيه باللعان لأنه ممنوع من استلحاق نسب الغير كما هو ممنوع من نفي نسبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله تعالى في شيء ولن يدخلها الله الجنة وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين وإن احتمل أن يكون الولد منه بأن أتت به لأكثر من ستة أشهر من وقت الوطي ولأقل من أربع سنين فإن لم يكن استبرأها بحيضة أو استبرأها وأتت به لدون ستة أشهر من وقت الاستبراء لم يبح له القذف والنفي والأولى أن لا يفعل لأنها قد ترى الدم على الحبل وإن أتت امرأته بولد لا يشبهه كأن كانا أبيضين وأتت به أسود فإن لم يتهمها بالزنى فليس له نفيه لما روى أبو هريرة أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن امرأتي ولدت غلاما أسود فقال هل لك من إبل قال نعم قال ما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال فأنى ذلك قال نزعه عرق قال فلعل هذا نزعه عرق وإن كان يتهمها بزنى أو برجل فأتت بولد يشبهه فهل يباح له نفيه فيه وجهان أما سبب نزول الآية فقد قال ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة قال عاصم بن عدي الأنصاري إن دخل منا رجل بيته فوجد رجلا على بطن امرأته فإن جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وإن قتله قتل به وإن قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وإن سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها

خولة بنت

خولة بنت قيس فأتى عويمر عاصما وقال رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الأخرى فقال يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا في أهل بيتي أخبرني عويمر أنه رأى شريكا على بطن امرأته وكان عويمر وخولة وشريك كلهم أبناء عم عاصم فدعا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله أقسم بالله إني رأيت شريكا على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنها حبلى من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقي الله ولا تخبري إلا بما صنعت فقالت يا رسول الله إن عويمرا رجل غيور وإنه رأى شريكا يطيل النظر ويتحدث فحملته الغيرة على ما قال فأنزل الله سبحانه هذه الآيات والذين يرمون أزواجهم إلى آخرهن فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلوة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل أشهد بالله إن خولة لزانية وإني لمن الصادقين ثم قال في الثانية قل أشهد بالله أني رأيت شريكا على بطنها وإني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة قل أشهد بالله إنها حبلى من غيري وإني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة قل أشهد بالله أنها زانية وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة قل لعنة الله على عويمر يعني نفسه إن كان من الكاذبين فيما قال ففعل ثم قال لخولة قومي فقامت وقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجي عويمرا لمن الكاذبين وقالت في الثانية أشهد بالله أنه ما رأى شريكا على بطني وإنه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة أشهد بالله أني حبلى منه وإنه لمن الكاذبين وقالت في الرابعة أشهد بالله أنه ما رآني على فاحشة قط فإنه لمن الكاذبين وقالت في الخامسة غضب الله على خولة إن كان عويمر من الصادقين في قوله ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وعن ابن عباس أيضا في رواية الكلبي أن عاصما رجع إلى أهله فوجد شريكا على بطن امرأته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث كما تقدم وفي رواية عكرمة عن ابن عباس لما نزلت آية القذف قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار لو وجدت رجلا على بطنها فإني إن جئت بأربعة شهداء فيكون قد قضى حاجته وذهب فقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار ألا تسمعوا ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور فقال سعد يا رسول الله إني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكني عجبت منه فقال صلى الله عليه وسلم فإن الله يأبى إلا ذاك فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فقال يا رسول الله إني وجدت على امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به فقال هلال والله يا رسول الله إني لأرى الكراهية في وجهك مما أخبرتك به والله يعلم إني لصادق وإني لأحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البينة وإلا إقامة الحد عليك فاجتمعت الأنصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد فبيناهم كذلك إذ نزل الوحي عليه يا هلال أبشر فقد جعل الله لك فرجا وأمر بالملاعنة وفرق بينهما فقال أبصروها فإن جاءت به أصهب حمش الساقين أي دقيقهما فهو لهلال وإن جاءت به أورق جعدا خدلج الساقين أي ممتلئهما فهو لصاحبه فجاءت به خدلج الساقين فقال صلى الله عليه وسلم لولا الأيمان لكان لي ولها شأن قال عكرمة لقد رأيته بعد ذلك أميرا من الأمراء لا يدري من أبوه واعلم أن الفرق بين قذف غير الزوجة وبين قذف الزوجة هو أن المخلص من الحد في الأول إقرار المقذوف بالزنا أو بينة تقوم على زناه وفي الثانية المخلص أحد الأمرين أو اللعان وسبب شرع اللعان هو أنه لا معرة على الزوج في زنا الأجنبية والأولى له الستر أما زنى الزوجة فيلحقه العار والشنار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على البينة كالمتعذر وأيضا الغالب أن الرجل لا يقصد رمي زوجته إلا عن حقيقة فنفس الرمي دليل على صدقه إلا أن الشرع أراد كمال شهادة الحال بقرينة الأيمان كما أن شهادة المرأة حين ضعفت أكدت بزيادة العدد وههنا قال كثير من العلماء إن حد قاذف الزوجة كان هو الجلد وإن الله نسخه باللعان ولنذكر ههنا مسائل الأولى قال الشافعي إذا نكل الزوج عن اللعان لزمه الحد للقذف فإذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد الزنا وقال أبو حنيفة إذا نكل الزوج يحبس حتى يلاعن وكذا المرأة حجة الشافعي إذا لم يأت بالمخلص وهو الملاعنة وجب الرجوع إلى مقتضى آية القذف وهو الحد وأيضا قوله ويدرؤا عنها العذاب ليس اللام فيه للجنس لأنه لا يجب عليها جميع أنواع العذاب ولأن الآية تفسيرا إذ ذاك مجملة فهو للعهد والمعهود في الآية هو حد القذف ولقوله صلى الله عليه وسلم لخولة الرجم أهون عليك من غضب الله وللمرأة أن يقول إن كان الرجل يحد وإن كان كاذبا فلم لا تخلى أنا فالحبس ليس حكما في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله حجة أبي حنيفة رح أن النكول ليس بصريح في الإقرار فلا يجوز إثبات الحد به كاللفظ المحتمل بالزنا وغيره الثانية الجمهور على أنه إذا قال يا زانية وجب اللعان لعموم قوله والذين يرمون وقال مالك لا يلاعن إلا أن يقول رأيتك تزنين أو نفى حملا بها أو ولدا منها الثالثة قال الشافعي من صح يمينه صح لعانه فلا يشترط إلا التكليف ويجري اللعان بين الزوجين المحدودين والذميين وذهب أبو حنيفة إلى أن الزوج ينبغي أن يكون مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة ينبغي أن يكون بهذه الصفة مع العفة فإذا كان الزوج عبدا أو محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الأجنبيات دليل الشافعي عموم قوله والذين يرمون أزواجهم والإجماع على أنه يصح لعان الفاسق والأعمى وإن لم يكونا من أهل الشهادة فكذا القول في غيرهما والجامع هو الحاجة إلى دفع العار دليل أبي حنيفة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أربع من النساء ليس بينهن وبين أزواجهن ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت المسلم والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر وأيضا اللعان في الزوجات قائم مقام الحد في الأجنبيات فلا يجب اللعان على من لا يجب عليه الحد لو قذفها أجنبي وأيضا اللعان شهادة لقوله تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات وقد جاء مثله في أحاديث اللعان وإذا كان شهادة وجب أن لا يقبل من المحدود في القذف ولا من العبد والكافر أجاب الشافعي بأن اللعان يمين مؤكدة بلفظ الشهادة أو يمين فيها شائبة الشهادات فلا اشتراط في الملاعن إلا أهلية اليمين ومما يدل على أنه يمين قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن أمية احلف بالله الذي لا إله إلا هو إنك لصادق وقوله لولا الأيمان لكان لي ولها شأن وأيضا لو كانت شهادة لكان حظ المرأة فيها على شهادة لأنها على النصف من الرجال ولم يجز لعان الفاسق والأعمى لأنهما ليسا من أهل الشهادة لا يقال الفاسق والفاسقة قد يتوبان لأنا نقول العبد أيضا قد يعتق بل العبد إذا عتق تقبل شهادته في الحال والفاسق إذا تاب لا تقبل شهادته إلا بعد الاختبار ثم ألزم الشافعي أبا حنيفة رح بأن شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض مقبولة فينبغي أن يجوز اللعان بين الذمي والذمية ثم قال الشافعي بعد ذلك يحد أحد ولمن لاعن له ومعناه أن الزوج إذا لاعن يسقط الحد عليه برقه وإن لاعن ولم تلاعن اختلف حدها بإحصانها وحريتها ورقها الرابعة اختلف المجتهدون في نتائج اللعان فعن عثمان البتي أنه لا تحصل به الفرقة لأن أكثر ما فيه أن يكون الزوج صادقا في قذفه وهذا لا يوجب تحريما كما لو قامت البينة عليها وأيضا إن تلاعنهما في بيتهما لا يوجب الافتراق فكذا عند الحاكم وأيضا أنه قائم مقام الشهود في الأجنبيات فلا يكون له تأثير إلا في إسقاط الحد وأيضا إذا أكذب الزوج نفسه ثم حد لا يوجب الفرقة فكذا اللعان وأما تفريق النبي صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين في قصة العجلاني فلذلك لأن الزوج كان طلقها ثلاثا قبل اللعان وعن أبي حنيفة وأصحابه أنه لا فرقة إلا أن يفرق الحاكم يفرق بينهما لما روى سهل بن سعد مضت السنة في المتلاعنين أن يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا وفي قصة عويمر كذبت عليها إن أمسكتها هي طالق ثلاثا فلو وقعت الفرقة باللعان لم يكن إمساكها وقال مالك والليث وزفر إذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة بينهما وإن لم يفرق الحاكم لأنهما لو تراضيا على دوام النكاح لم يخليا فدل ذلك على وقوع الفرقة بينهما وقال الشافعي إذا فرغ الزوج وحده من اللعان حصل بذلك خمس نتائج درء الحد عنه ونفي الولد والفرقة والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها ولا تأثير للعان الزوجة إلا في دفع العذاب عن نفسها وما روي أنه صلى الله عليه وسلم فرق بينهما محمول على أنه أخبر عن وقوع الفرقة بينهما زعم

ابو بكر الرازي ان قول الشافعي خلاف الآية لانه لو وقعت الفرقة بلعان الزوج لاعنت المراة وهي اجنبية وكذا تعالى اوجب اللعان بين الزوجين
وايضا اللعان شهادة فلا يثبت حكمها الا عند الحاكم كسائر الشهادات وايضا اللعان يستحق بها المراة نفسها كما يستحق المدعي بادعائه بالبينة
فيتوقف على حكم الحاكم وايضا اللعان لا اشعار فيه بالتحريم فهو كما لو قامت البينة على زناها فلا بد من احداث تفريق اما من قبل الزوج او من قبل الحاكم
وللقائل ان يقول سلمنا وجوب باعتبارها كان كالعبد على من علق زناها سلم ان اللعان شهادة محققة وكما يؤكد قول الشافعي تنصيص الله سبحانه على ذلك
بقوله ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد نفيه دلالة على ان كل ما يجب باللعان من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج الا درء العذاب وايضا ان لعان الزوج
مستقل بنفي الولد عنه لان الاعتبار في الالحاق بقوله لا بقولها الا ترى انها لو لاعنها بعد الولد به وهو ينفيه عنه واذا انتفى الولد عنه بمجرد لعانه وجب ان يكون
الفراش زائلا لقوله الولد للفراش الخامسة مذهب مالك والشافعي وابي يوسف والثوري واسحق ان المتلاعنين لا يجتمعان ابدا وهو قول علي وعمر وابن مسعود
لما روى الزهري عن حديث سهل بن سعد ولما روي انه صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان
الاكذاب غاية لهذه الحرمة انه اذا اكذب نفسه وحد زال تحريم العقد وحلت له بنكاح جديد لذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فان طلقها فلا تحل له
من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقد يحتج لابي حنيفة بعموم قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم السادسة اتفق اهل العلم على ان الولد
ينتفي من الزوج باللعان وخالف بعضهم مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش ورد بان الاخبار الدالة على ان النسب ينتفي باللعان
كالمتواتر فلا يعارضها هذا الواحد بل يجب تخصيصه بها السابعة لو اتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق بها الحكم عند الشافعي وهو ظاهر وعن ابي حنيفة ان اكثر
حكم الكل اذا حكم به الحاكم الثامنة كيفية اللعان كالمصرحة في الآية وفي الحديث فقد ذكرنا بيانا كاملا وقد عد الشافعي من سننها ان يقام الرجل حتى يشهد
والمراة قاعدة ويقام المراة حتى تشهد والرجل قاعد ويامر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء الى اللعنة ويقول له القاضي او صاحب المجلس اتق الله
فانها موجبة وهكذا يقال للمراة اذا انتهت الى الغضب ومما يستحب في اللعان ولا يجب على الاصح التغليظ بالزمان وهو ما بعد صلاة العصر ولا يتعين
يوم الجمعة وبالمكان وذلك بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة بين المنبر والمدفن وفي سائر البلاد عند المنبر في المسجد الجامع ايضا هو المقصود وفي بيت
المقدس في المسجد الاقصى عند الصخرة واليهود في الكنيسة والنصارى في البيعة والمجوس في بيت نارهم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام
ولا بد من حضور الحاكم سواء كان مدار اللعان على اليمين او على الشهادة ولا بد من حضور جمع من الاعيان اقلهم اربعة التاسعة قال جار الله انما خصت الملاعنة
بان تخمس بغضب الله تغليظا عليها لانها اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد العاشرة في فوائد متعلقة بالآية منها
ابطال الجمهور قول الخوارج ان الزنى والقذف كفر وذلك ان الرامي ان صدق فهي زانية وان كذب فهو قاذف فلا بد من كفر احدهما والردة توجب
الفرقة من غير لعان ومنها ابطال قول من زعم ان الزنى يوجب فساد النكاح لان رمي الزوج اياها اعتراف منه بزناها بل بفساد النكاح على قول هذا
القائل فيحصل الفرقة بلا لعان ومنها ان المعتزلة قالوا المتلاعنان يستحقان اللعن او الغضب الموجبين للعقاب الابدي المضاد للثواب وذلك يدل على خلود
الفاسق في النار اجابت الاشاعرة بان كونه مغضوبا عليه بفسقه لا ينافي كونه مرضيا عنه بجهة ايمانه فلا بد ان يحصل له بعد العقاب ثواب ثم اخبر
عن كمال رأفته بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي فيما بين من هذه الاحكام وفيما امهل وابقى ومكن من التوبة وجواب لولا محذوف اي لهلكتم او لفضحتم
او لكان ما كان من انواع المفاسد وانما حسن حذفه ليذهب الوهم كل مذهب فيكون ابلغ في البيان فرب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به التأويل
النفس الزانية المتسلمة لتصرفات الشيطان والدنيا فيها والروح الزاني بتصرفه في الدنيا وشهواتها المنهية عنها فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
من الجوع وترك الشهوات والمرادات ومن حملها على المخالفات ولعل السر في تخصيص هذا العدد هو ان ساعات اليوم بليلته اربع وعشرون منها
اربع ساعات لاجل النوم ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل والباقية يجب فيها مراقبة الحواس وتاديبهن باداب الشرع والعقل
فيكون الجوع مائة اوبة ويحصل بها نجاة وكالها للنفس والروح والله تعالى اعلم وليشهد عذابهما وليكن هذه التزكية والتاديبات بحضر شيخ واصل كامل
يحفظه من طرفي الافراط والتفريط الزاني لا ينكح فيه ان الطبع من الطبع يسرق والجنس الى الجنس يميل فاهل الفساد لا يرغب الا في صحبة اشكالهم من اهل
الفساد كما ان ارباب السداد لا يطمح الا في صحبة امثالهم من ارباب السداد وحرم ذلك الذي قلنا من اختلاط الاشرار على المؤمنين والذين يرمون
المحصنات اي الازواج الذين ينسبون الى النقصان النفوس المستعدات للكمالات ثم لم ياتوا باربعة شهداء اي ان لم يكن خواص العناصر الاربعة ظاهرة على صفحات
احوالهن كما مر تقريرها في اول السورة في قوله فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اولم يبلغ الملكات الذميمة منهن مرتبتها الرابعة كالكاتب يكتب بالفعل فاجلدوهم
ثمانين جلدة مر ذوهم بالخلوة اربعين يوما واربعين ليلة حتى يظهر لهم كمال احوال النفوس في الموافقة لهم ولا تقبلوا لهم بعد ذلك شهادة عليهن واولئك
هم الذين يريدون ان يخرجوا عن طاعة الله بعذر نسبة النقصان الى النفوس المستعدة والذين يرمون ازواجهم وهن القوالب المزدوجة بالازواج ولم يكن
لهم شهداء الا انفسهم لانه لا يطلع على احوال القالب الا الروح فشهادة احدهم اربع شهادات هي الاسنان الاربعة التي فيها يحصل التربية والاستكمال
والخامسة وهي حالة حلول الاجل اللعنة والغضب والعذاب الابدي وما تولد منهما من الصفات الذميمة ينسبها الروح الى ثالث هو الشيطان وينسبها القالب
الى الروح الذي يدبره ويتصرف فيه الافتراق الذي يحصل منهما ليس بالصورة بل المعنى لان الروح يميل الى العالم العلوي والقالب يخيره الى العالم السفلي
بعدم الموافقة بينهما وهو سبحانه اعلم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

تخمس

ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم
ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ۝ لولا اذ سمعتموه
ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين ۝
لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم
الكاذبون ۝ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم

فيه عذاب عظيم ۝ اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به
علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ۝ ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ۝ يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين ۝ ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا و
الآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون ۝ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
رؤف رحيم ۝ يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ۝ ولا ياتل اولوا
الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ۝ ان الذين يرمون
المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب
عظيم ۝ يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ۝
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين ۝ الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات ۝ والطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات ۝ اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ۝

كبره بضم الكاف يعقوب اذ سمعتموه وبابه مدغما ابو عمرو وعلي وهشام وحمزة غير خلف ورجال العجلي اذ تلقونه بالاظهار وتشديد
التاء البزي وابن فليح والابدال من التاء الثاني يزيد تاركي بالتشديد والامالة روح وقراءة قتيبة ممالة مخففة يوم تشهد على التذكير حمزة وعلي وخلف
الباقون بتاء التانيث الوقوف عصبة منكم ط شرا لكم ط خير لكم ط من الاثم ج لتنوع عدول من اجمال حكم الكل الى بيان حكم البعض
مع اتفاق الجملتين عظيم ۝ خيرا للعطف مبين ۝ شهداء ج للشرط معنى مع الفاء الكاذبون ۝ عظيم ج لاحتمال كون اذ ظرف قوله لمسكم او انتم
واحتمال كونه منصوبا باذكر وابتداق قد قيل والوصل الزم لان قوله سبحانك من جملة مقول قلتم عظيم ۝ مؤمنين ج لاتفاق الجملتين مع تكرار اسم
دون الاكتفاء بالضمير وانها آية الآيات ط حكيم ۝ اليم ۝ لا لتعلق الظرف والآخرة ط لا تعلمون ۝ رحيم ۝ لتعقب الجزء خطوات الشيطان ط والمنكر ط
اما لتعلق لكن من يشاء ط عليم ۝ في سبيل الله ط والوصل اولى للعطف وليصفحوا ط لكم ط رحيم ۝ والآخرة ص عظيم ۝ لا لتعلق الظرف يعملون ۝ المبين ۝
للخبيثات ج للعطف مع التضاد للطيبات ۝ ج لاتحاد المعنى مع فقدان العاطف يقولون ۝ كريم ۝ انه سبحانه لما ذكر من احكام القذف
ما ذكر اتبعها حديث الافك حالة الصديقة رضي الله عنها وما قذفها به اهل النفاق روى الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة
ابن ابي وقاص وكلهم رووا عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج اسمها اخرج بها
فاقرع بيننا في غزوة قال الزهري هي غزوة المريسيع وذكره البخاري في غزوة بني المصطلق من خزاعة قال وهي غزوة المريسيع ايضا فخرج اسمي
فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف وقرب من المدينة نزل منزلا ثم اذن بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت
الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي وحبسني طلبه واقبل الرهط
الذين كانوا يرحلون فحملوا هودجي وهم يحسبون اني فيه لخفتي فاني كنت جارية حديثة السن وبعثوا البعير فلما رجعت الى مكاني وليس بها احد جلست
ابعوداً ... ان يعودون في طلبي فنمت وقد كان صفوان بن المعطل مكث في العسكر يتبع اساقط الناس فجاء الى المنزل الآخر لئلا يذهب منهم شيء فلما رآني عرفني وقال
ما خلفك عن الناس فاخبرته الخبر فنزل وتنحى حتى ركبت ثم قاد البعير وافتقدني الناس حتى نزلوا وخاض الناس في ذكري فبينما انا في ذلك وجعت

عليهم فتكلم القوم في وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولكنا شهرا ابكي ولا يرقأ لي دمع اقول كما يقول العبد الصالح ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون الى ان نزل في ان الذين جاءوا بالافك الى آخر الآيات وفي الحديث طول هذا حاصل سبب النزول واما التفسير فالافك ابلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وقيل هو البهتان والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين والتركيب يدل على الاجتماع ومنه العصابة قال المفسرون هم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد
ابن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ومعنى منكم انهم كانوا من جملة من حكم لهم من الايمان بظاهر اما الخطاب في قوله
لا تحسبوه شرا لكم فالصحيح انه لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا
فيه الثواب العظيم لان عظم الثواب على قدر عظم البلاء وانه نزلت فيه بضع عشرة آية فيها تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه ام
المؤمنين وتطهير لاهل البيت وتهويل للطاعنين فيهم الى غير ذلك من الاحكام الشرعية والآداب العقلية وقيل الخطاب لعائشة وحدها والجمع
لتعظيمها وقيل الخطاب للقاذفين وبيان الخيرية صرفهم عن الاستمرار على حديث الافك الى التوبة عن ذلك ولعل في هذا الذكر عقوبة معجلة لهم فيكون
كالكفارة وضعف هذا القول بانه لا يناسب تسلية الرسول والمؤمنين ولا يطابق قوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي نصيب كل خائض
في حديث الافك نصيبه من عقاب ما اكتسب من اثم الخوض والذي تولى كبره اي معظم الافك وهو في قول الضحاك حسان ومسطح ولهذا جلدهما رسول
صلى الله عليه وسلم مع امرأة من قريش والاشهر ان عبد الله رأس النفاق يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه
فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاءت يقودها ويروى ان عائشة ذكرت حسانا
وقالت ارجو له الجنة فقيل اليس هو الذي تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم رجوت له الجنة وفي رواية اخرى
قالت واي عذاب اشد من العمى ثم علم ادبا حسنا في مثل هذه الواقعة فقال لولا اذ سمعتموه ظن فصل بين لولا التحضيضية وبين فعلها بالظرف لانه يتسع
في الظرف ما لا يتسع في غيره وتنزيلا للظرف منزلة الظرف نفسه ولان الممكنات لا تنفك عن الظروف والفائدة فيه ان يعلم ان ظن الخير كان يجب
عليهم اول ما سمعوا بالافك فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم ومثله لولا اذ سمعتموه قلتم ثم لا يخفى ان اصل المعنى ان يقال لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم
خيرا وقلتم هذا افك ومعنى بانفسكم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات فعدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ليبالغ في التوبيخ بطريقة
الالتفات وليبنيه بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن بل يقول بملأ فيه
بناء على ظن الخير مصرحا ببراءة ساحته هذا افك مبين وذلك ان المؤمن لما معه من العقل والدين ما يهديه الى الصلاح ويزجره عن القبيح ولم يوجد لهذا
الداعي والصارف معارض يساويهما كما قيل كلام العدى ضرب من الهذيان فوجب ان ينصف المؤمن الى قول الطاعن في حق اخيه ويبني على حسن
ظنه به وهذا ادب حسن قل العامل به ولبئسك تجد من يسمع فيسكت ولا يزيد لغيره ويروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت
لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعائشة خير مني وصفوان خير منك وفي الآية دلالة على قول الحنفية ان المسلمين عدول بعضهم على بعض ما لم يظهر منهم ريبة لانا مأمورون بحسن الظن وذلك
يوجب قبول الشهادة ومن هنا قال الشافعي ايضا اذا باع درهما ودينارا بدرهمين ودينارين انا نخالف بينهما لانا قد امرنا بالظن الخير فوجب حمله على الجواز ومثله
ما اذا باع سيفا محلى فيه مائة درهم بمائتي درهم يجعل المائة بالمائة والفضل بالسيف واذا وجدنا المرأة اجنبية مع رجل يعترفا بالتزويج فقد ذهب جماعة من
المسلمين ويقصر فاتهم على الجواز والصحة وزعم مالك انهما يحدان لم يقيما بينة على النكاح وقيل ان الآية مختصة بعائشة لان كونها زوجة النبي كالدليل
على ان الذي قيل فيه افك صريح قال العلماء يجوز ان يكون زوجة النبي صلى الله عليه وسلم كافرة كامرأة نوح ولوط ولا يجوز فاجرة لان الانبياء معصومون
عن المنفرات البتة فان حصول المنفر معه ينافي بعثته لكن الكفر غير منفر للكفرة قال ان الكشخنة من اعظم المنفرات قيل يدع المنفر الكشخان الذي يجب
امرأته الرجال الى نفسها ويقال كشخته اي قلت يا كشخان ثم بالغ في زجرهم عن حديث الافك بقوله لولا جاءوا وهي ايضا تحضيضية والمراد التفصلة بين
الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاؤها ولكن هذا العدد وكل فرد منه مستقيف في حق عائشة رضي الله عنها في حكم الله وشريعته كاذبون
وهذا القدر كاف بالزام في اولئك الطاعنين والاخبار عن نفس الامر بالنسبة الى هذه الواقعة كاذبون كما مر تقريره آنفا ثم زاد في التهديد والزجر بقوله تعالى
ولولا فضل الله هي لولا الامتناعية قال جمهور المفسرين لولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان ارحم عليكم
في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك وعن مقاتل ان في الآية تقديما وتأخيرا والمعنى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته بالحلم عنكم والحكم عليكم بالتوبة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم في الدنيا والآخرة معا ومعنى الافاضة من القائل وقوله والاصل تتلقونه
بتائين وقد قرئ به كان الرجل يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى طار وانتشر وفي زيادة قوله بافواهكم اشارة الى انه قول لا وجود
له الا في العبارة ولا حقيقة لمؤداه في الواقع والقذف كبيرة من الكبائر كما سبق لا سيما قذف زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وخاصة بنتا اصلم (?) فلهذا
قال وهو عند الله عظيم عن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي النصائح الكبار لا تقولن لشيء
من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك صغير وصفهم في الآية بارتكاب ثلاثة آثام تلقي الافك والتكلم بما لا حقيقة له ولا علم لهم به واستهانة
عظيمة من العظائم وفيه ان عظم المعصية لا يتعلق بظن فاعله بل جهله بعظمه ربما يصير مؤكدا لعظمه وفيه ان الواجب على المكلف ان يستعظم الاقدام على كل محرم
او لا يأمن ان يكون عند الله من الكبائر ثم علمهم ادبا آخر ومعنى ما يكون لنا لا ينبغي ولا يصح لنا ومعنى سبحانك تنزيها لله من ان يكون زوجة نبيه الذي
هو احب خلقه فاجرة وتنزيهه من ان يرضى بقذف هؤلاء المفترين ولا يعاقبهم او هو التعجب من عظم الامر وذلك انه يسبح الله عند رؤية كل امر عجيب من صنائعه
فكثر حتى استعمل في كل متعجب منه والفرق بين هذه الآية وبين قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون وهو ان تلك تميل الى العموم وهذه الى الخصوص فكانه بين ان هذا
القذف خاصة مما ليس لهم ان يتفوهوا به لما فيه من ايذاء زوجة النبي اي حبيبه يعظكم الله بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب كراهة ان تعودوا
وفي شان ان تعودوا لمثله ابدا اي مدة حياتكم ولا دلالة للمعتزلة في قوله ان كنتم مؤمنين على ان ترك القذف من الايمان لاحتمال انه للتهييج والازدجار
ويبين الله لكم اي لانتفاعكم الآيات الدالات على علمه وحكمته وما ينبغي ان يتمسك المكلف به في ابواب صلاح معاشه ومعاده والله عليم حكيم هما
صفتان مختلفتان عند المعتزلة لانهما اخص من الاول وعند الاشاعرة الثانية للتأكيد لمحض المراد انه يجب قبول تكاليفه وبياناته لانه عالم بما امر وبما يستحقه كل
مأمور وليس في تكليفه عبث ولا عبث ومن كان هذه صفته وجب طاعته ليثيب ولا يعاقب استدلت المعتزلة بالآية في انه يريد الايمان من الكل وانه
لم يكن واعظا ولا مبينا بالآية لانتفاعهم ولانه حكيم ما لا يفعل القبائح والجواب للاشاعرة انه يفعل ما يشاء ولا اعتراض عليه ثم بين بقوله ان الذين يحبون
ان تشيع ان اهل الافك يشاركهم في عذاب الدارين من رضي بقولهم وانهم كما هم مؤاخذون بما اظهروه هم معاقبون على ما اضمروه من محبة اشاعة الفاحشة الخ

بما تدل على الدخل والنفاق وعدم سلامة القلب والفاحشة الفحشاء ما افرط قبحه وشيوعها انتشارها وظهورها بحيث يطلع عليها كل واحد وخصوص السبب
لا يقتضي خصوص الحكم فهذا الوعيد شامل لكل ما اراد بواحد من المؤمنين والمؤمنات شيئا من العار والاذيات وبعضهم حمل الفاحشة على الزنى وخص
من يحب بشيوع الفاحشة بعبد الله بن ابي وخص الذين آمنوا بعائشة وصفوان ولا يخفى ما فيه من حسن الظن الا ان يساعده نقل صحيح وعذاب الدنيا
الحد واللعن والذم وما على اهل النفاق من صنوف البلاء ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان
فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وعذاب الآخرة في القبر وفي القيمة هو النار وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اعرف قوما يضربون صدورهم ضربا يسمعه اهل
النار وهم الهمازون اللمازون الذين يلتمسون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم ويشيعون عليهم من الفواحش ما ليس فيهم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن العبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه من الخير واما قوله والله يعلم وانتم لا تعلمون ففي نهاية حسن الموقع لان الاعمال القلبية كمحبة الشر والخير لا يطلع
عليها احد كما هي الا الله سبحانه واما نعرف نحن شيئا منها بالقرائن والامارات وفيه زجر عظيم لمن لا يجتهد في ان يكون قلبه سليما من النفاق والغل وحصول
هذا الغل في القلب غير العزم على الذنب فان الاول ملكة والثاني حال ولا يلزم من ترتب العقاب على الملكات ترتبه على الاحوال فافهم قال ابو حنيفة
العناية بالنحو لا يستنطق لان استنطاقها اشاعة للفاحشة وانها ممنوع عنها وقالت المعتزلة في الآية دليل على انه تعالى غير خالق للكفر ولا مريد له الا
كان ممن يحب ان يشيع الفاحشة وللقائل ان يقول قيس الغائب على الشاهد فاسد ثم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب والتمكين من التلافي وبالغ
فيها بذكر الرؤف الرحيم وجواب لولا محذوف على نسق ما مر وقيل جوابه ما دل على ذلك في قوله ما زكى منكم وهو بعيد وعن ابن عباس ان الخطاب لحسان
ومسطح وحمنة والاقرب العموم ثم نهى عن اتباع آثار الشيطان وسلوك مسالكه والاقتداء به في الاصغاء الى الافك واشاعة الفحشاء وارتكاب ما ينكره
العقول وتاباه وقوله فانه يامر بالفحشاء من وضع السبب مقام المسبب والمراد مثل قالت الاشاعرة في قوله ما زكى بالتشديد والضمير لله وكذا في قوله
ولكن الله يزكي دلالة على ان الزكاء وهو الطهارة عن دنس الآثام لا يحصل الا بالله وهو دليل على انه خالق الافعال والآثار وحمله المعتزلة على منح الالطاف
او على الحكم بالطهارة وضعف بانه خلاف الظاهر وبانه يجب انتهاء الكل اليه وبان قوله من يشاء ينافي قولكم ان خلق الالطاف واجب عليه ثم علم ادبا
آخر جميلا بقوله ولا يأتل وهو افتعال من الالية اي لا يحلف على عدم الاحسان وحرف النفي محذوف من جواب القسم كثيرا نحو كقراءة من قرأ ولا يتأل و
قيل هو من قولهم ما ألوت جهدا اذا لم تدخر منه الاجتهاد شيئا اي لا يقصر في الاحسان الى المستحقين قالوا نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر فقيرا من فقراء
المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر فلما وصل الى قوله تعالى
الا تحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر بلى احب ان يغفر الله لي فعفا عن مسطح ورجع الى الانفاق عليه وقال والله لا انزعها ابدا قال الامام فخر الدين الرازي رح
هذه الآية تدل على فضيلة ابي بكر من وجوه وذلك ان الفضل المذكور في الآية لا يراد به السعة في المال والا لزم التكرار فهو الفضل في الدين ولكنه مطلق
غير مقيد فيثبت له الفضل على الاطلاق تركنا العمل به في حق النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق فيبقى في الغير معمولا به وايضا ذكره الله تعالى في الآية بلفظ
الجمع وانه مشعر بالتعظيم وايضا قد قيل شعر وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند فهذا الظلم من مسطح كان في غاية العظم و
قد امره الله تعالى بالصفح عنه واحتمل هو فكان فيه نهاية جهاد النفس فيكون ثوابه على حسب ذلك وايضا في تسميته اولي الفضل والسعة شرف تام فكأنه قيل
لانت افضل من ان تقابل اساءته بمثلها وانت اوسع قلبا من ان يقيم للدنيا وزنا فلا يليق ذلك بفضلك وسعة قلبك ان تقطع بره عن قرابتك
اليك وايضا امره الله تعالى بالعفو والصفح وقال لنبيه فاعف عنهم واصفح فهو من هذه الجهة ثاني اثنين له في الاخلاق وايضا علق المغفرة بالعفو
وقد حصل العفو فيحصل المغفرة البتة في الحال وفي الاستقبال لقوله ان يغفر فهو للاستقبال فيكون كما قال لنبيه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وفيه دليل على صحة خلافته والا كان عاصيا والعاصي في النار وقيل النهي في قوله ولا يأتل نهي زجر عن المعصية ولكنه ندب الى الاولى والافضل وهو العفو عن الجاني
افضل اخلاق المسلمين العفو وعنه صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه واعلم ان العلماء اجمعوا
على ان مسطحا كان بدريا لانه اتى بالقذف ارضى به على الروايتين عن ابن عباس ولهذا جلده رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوا ايضا على انه من اهل بدر
وقد ورد فيهم الخبر الصحيح لعل الله نظر الى اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف الجمع بين الامرين اجابوا بانه ليس المراد من قوله اعملوا ما شئتم انهم
خارجون عن حد التكليف وانما المراد اعملوا من النوافل ما شئتم قليلا او كثيرا فقد اعطيتكم الدرجات العاليات في الجنة او اراد حسن حالهم في العاقبة وانهم
يوافون بالطاعة فكانه قال قد غفرت لكم لعلمي بانكم تموتون على التوبة والانابة قالت الاشاعرة في وصف مسطح ومدحه بكونه من المهاجرين دليل على ان ثواب
كونه مهاجرا لم يحبط باقدامه على القذف فيكون القول بالمحابطة باطلا واستدل جمهور الفقهاء بالآية في قول من فسر الايتلاء بالحلف على ان اليمين على الامتناع
من الخير غير جائزة وانما يجوز اذا جعلت داعية للخير لا صارفة عنه ثم قالوا من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فينبغي له ان يأتي بالذي هو خير ثم يكفر
عن يمينه كما جاء في الحديث ولقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو عام في جانب الخير وفي غيره وتمسك بما ورد في قصة ايوب وخذ بيدك
ضغثا فاضرب به ولو كان الحنث كفارة لم يأمره بضرب الضغث عليها وقال بعض العلماء انه يأتي بالذي هو خير وذلك كفارته لقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث آخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وذلك كفارته ولانه تعالى امر ابا بكر في هذه الآية بالحنث ولم يوجب عليه
كفارة واجيب بان معنى الكفارة في الحديث تكفير الذنب لا الكفارة الشرعية التي هي احدى الخصال وانما ذهبنا الى هذا ليكون مطابقا للحديث
الآخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه واما هذه الآية فانما لم يذكر فيها الكفارة لانها معلومة من آية المائدة
قوله ان الذين يرمون المحصنات قد مر تفسير المحصنة واما الغافلات فهن السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لعدم التجربة او
لقلة التجارب وقد يعين على ذلك صغر السن وغير ذلك من الاحوال قال الاصوليون خصوص السبب لا يمنع العموم فيدخل في الآية قذفة عائشة وقذفة
غيرها وخصصه بعض المفسرين فمنهم من قال المراد عائشة وحدها والجمع للتعظيم ومنهم من قال عائشة مع سائر ازواج النبي صلى الله عليه وآله ومنهم من قال
هي ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من الامة لمشاكلة لهن في الاحصان والغفلة والايمان وذكروا في سبب التخصيص ان قاذف سائر
المحصنات يقبل توبته لقوله الا الذين تابوا واما القاذف المذكور في هذه الآية فوعيده مطلق من غير استثناء واجيب بانه طوى ذكر التوبة في هذه
الآية لكونها معلومة وقد يحتج المخصص بما روي عن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة فسئل عن تفسير هذه الآية فقال من اذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته
الا من خاض في امر عائشة ومنهم من قال نزلت الآية في مشركي مكة حين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وكانت المرأة اذا خرجت
الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من اهل مكة وقالوا انما خرجت لتفجر اما شهادة الجوارح فلا اشكال فيها عند الاشاعرة لانهم يقولون البنية ليست شرطا
في الحيوة فيجوز ان يخلق الله تعالى الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما وقالت المعتزلة المتكلم هو فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف الى الجوارح هو في الحقيقة من الله

ويجوز ان ينبي الله تعالى بهذه الجوارح على خلاف ما عليها ويلجيها الى ان تشهد على الانسان وتخبر عن اعماله ويعني ويهم الحق الجزا المستحق وقال ...
معنى قوله هو الحق المبين العادل الظاهر عدله وقال غيره سمي حقا لانه يحق عبادته او لانه الموجود بالحقيقة وما سواه فوجوده مستعار زائل والمبين ذو ال...
الصحيح او المظهر للموجودات فالحاصل انه واجب الوجود لذاته مفيد الوجود لغيره ثم ختم الايات الواردة في اهل الافك بكلمة جامعة وهي قوله تع
[illegible]

يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها
ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ۞ فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم
وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ۞ ليس عليكم
جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون و
ما تكتمون ۞ قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك
ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ۞ وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن
ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا
يبدين زينتهن الا لبعولتهن او اباءهن او اباء بعولتهن او ابناءهن او ابناء بعولتهن
او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او
التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات
النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايه

المؤمنون

المؤمنون لعلكم تفلحون ۞ وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ۞ وليستعفف
الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما
ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي اتيكم و
لا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا
ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ۞ ولقد انزلنا
اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ۞

[illegible]

أي بحجرة من حجر النبي صلى الله عليه وسلم مدرى يحك بها رأسه فقال علمت انك تنظر الي لطعنت بها في عينك انما الاستئذان من النظر وعن ابي هريرة
انه صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في دار قوم بغير اذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه قال ابو بكر الرازي هذا الخبر مردود لوروده على خلاف الاصول لانه
لو دخل داره بغير اذنه ففقأ عينه كان ضامنا وعليه القصاص ان كان عامدا ومعلوم ان الداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع فظاهر الحديث لو حمل على
من اطلع في دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم ثم منع فلم يمتنع فذهبت عينه في حال الممانعة فهي هدر واجيب بالفرق فانه اذا علم القوم دخوله عليهم احترزوا عنه
وستروا واما اذا نظر على حين غفلة منهم اطلع على ما لا يراد الاطلاع عليه فلا يبعد في حكمة الشرع ان يبالغ ههنا في الزجر حسما لمادة هذه المفسدة ثم استثنى
بيانا اذا كانت الدار مسكونة فان لم تكن مسكونة فذلك قوله ليس عليكم جناح الآية وللمفسرين فيه اقوال الاول قول محمد بن الحنفية انها الخانات والرباطات
وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرجال والنساء والبيع والشرى يروى ان ابا بكر قال يا رسول الله ان الله
قد انزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخرابات يتبرز فيها والمتاع التبرز
وقيل الاسواق والاولى العموم وانما لا يحتاج الى الاذن دفعا للحرج ولانها مأذون في دخولها من جهة العرف ثم ختم الآية بوعيد مثل ما تقدم الحكم الرابع
غض البصر وحفظ الفرج عما لا يحل وتخصيص المؤمنين بهذا التكليف عند من لا يجعل الكفار مكلفين بفروع الاسلام ظاهر واما عند من يجعلهم مكلفين
بالفروع ايضا فالتخصيص للتشريف ونزل فقدان مقدمة التكليف منزلة فقدان التكليف وان كان حالهم في الحقيقة كحال المؤمنين في استحقاق
العقاب على تركها قال اكثر النحويين من للتبعيض والمراد غض شيء من البصر لان غض كله كالمتعذر بخلاف حفظ الفرج فانه ممكن على الاطلاق وجوز الاخفش
ان يكون من مزيدة وقيل صلة للغض اي ينقصوا من نظرهم يقال غضضت من فلان اذا انتقصت من قدره فالنظر اذا لم يكن عن عمد فهو معفو وممنوع عنه
قوله ليغضوا كالامر في سورة ابراهيم في قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا قال الفقهاء العورات اربعة اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المرأة مع المرأة وعورة
المرأة مع الرجل وبالعكس اما الرجل مع الرجل فيجوز ان ينظر الى جميع بدنه الا الى عورته وعورته ما بين السرة والركبة والسرة والركبة ليستا بعورة وعند ابي حنيفة
الركبة عورة وقال مالك الفخذ ليست بعورة وهو خلاف ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي رض لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي ولا ميت فان كان
في نظره الى وجه الرجل او سائر بدنه شهوة او خوف فتنة بان كان امرد لا يحل النظر اليه ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان واحد منهما في جانب الفراش
لرواية ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال لا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في الثوب الواحد وتكره المعانقة وتقبيل
الوجه الا للولد شفقة وتستحب المصافحة والمرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل فلها النظر الى جميع بدنها الا ما بين السرة والركبة ولا يجوز عند خوف الفتنة
ولا تجوز المضاجعة ايضا لما مر في الحديث والاصح ان الذمية لا يجوز لها النظر الى بدن المسلمة لانها اجنبية في الدين والله تعالى يقول او نسائهن اما عورة
المرأة مع الرجل فان كانت اجنبية حرة فجميع بدنها عورة ولا يجوز له ان ينظر الى شيء منها الا الوجه والكفين لانها تحتاج الى ابراز الوجه للبيع والشرى
والى اخراج الكف للاخذ والاعطاء ونعني بالكف ظهرها وبطنها الى الكوعين وقيل ظهر الكف عورة وفي هذا المقام تفصيل قال العلماء لا يجوز ان يتعمد النظر
الى وجه الاجنبية لغير غرض فان وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولقوله صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع
النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة فان كان هناك غرض ولا شهوة ولا فتنة فذلك امور منها ان يريد نكاح امرأة فينظر الى وجهها
وكفيها روى ابو هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امرأة من الانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار شيئا
ومنها اذا اراد شرى جارية فله ان ينظر اليها ما ليس بعورة منها ومنها انه عند المبايعة ينظر الى وجهها متأملا حتى يعرفها عند الحاجة ومنها انه ينظر
عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه لان المعرفة تحصل به ومنها يجوز للطبيب الامين ان ينظر الى بدن الاجنبية للمعالجة وكما يجوز للختان
ان ينظر الى فرج المختون لانه محل ضرورة وكما يجوز ان ينظر الى فرج الزانيين لتحمل الشهادة والى فرجها لتحمل شهادة الولادة اذا لم يكن نسوة والى ثدي
المرضعة لتحمل الشهادة على الرضاع فان كان هناك شهوة وفتنة فالنظر محظور قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان وقيل مكتوب في التوراة
النظر يزرع الشهوة في القلب ورب شهوة اورثت حزنا طويلا وتستثنى منه ما لو وقعت في حرق او غرق فله ان ينظر الى بدنها ليخلصها وان كانت
الاجنبية امة فالاصح ان عورتها ما بين السرة والركبة لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يشتري الامة لا بأس ان ينظر اليها الا الى العورة
وعورتها ما بين معقد ازارها الى ركبتها وقيل الا ما يبدي المهنة فيخرج منه الرأس وعنقها وساعدها وساقها ونحرها وصدرها ليس بعورة وفي ظهرها و
بطنها وما فوق ساعديها الخلاف وحكم المكاتبة والمدبرة والمستولدة ومن بعضها رقيق حكم الامة ولا يجوز لمسها ولا لمسها منه لان اللمس اقوى
من النظر بدليل ان الانزال باللمس يفطر الصائم وبالنظر لا يفطر وقال ابو حنيفة يجوز ان يمس من الامة ما يحل النظر اليها واما ان كانت المرأة ذات
محرم بنسب او رضاع او صهرية فعورتها ما بين السرة والركبة كعورة الرجل وعند ابي حنيفة عورتها ما لا يبدو عند المهنة فان كانت مستمتعة
كالزوجة والامة التي يحل له الاستمتاع بها جاز له ان ينظر الى جميع بدنها لكنه يكره ان ينظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لما روي انه يورث الطمس وقيل لا يجوز
النظر الى فرجها فان كانت الامة مجوسية او مرتدة او وثنية او مشتركة بينه وبين غيره او مزوجة او مكاتبة فهي كالاجنبية روى عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا زوج احدكم جاريته عبده او اجيره فلا ينظر الى ما دون السرة وفوق الركبة واما عورة الرجل مع المرأة فان كان اجنبيا
منها فعورته ما بين السرة والركبة وقيل جميع بدنه الا الوجه والكفين كهي معه والاصح هو الاول لان بدن المرأة في نفسها عورة بدليل انه لا يصح صلوتها مكشوفة
البدن وبدن الرجل بخلافه ولا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روي عن ام سلمة انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وميمونة اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقالتا يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا فقال اعمياوان انتما الستما تبصرانه وان كان
محرما لها فعورته ما بين السرة والركبة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قال اكثر

المفسرين

المفسرين الزينة ههنا اريد بها امور ثلاثة احدها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة في حاجبيها والحمرة في خديها والحناء في كفيها وقدميها وثانيها الحلي
كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط وثالثها الثياب وقال آخرون الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التي خلقها
الله تعالى وعلى ما يتزين به الانسان من فضل لباس او حلي او غير ذلك وذلك ان كثيرا من النساء ينفردن بخلقهن عن سائر ما يعد زينة وفي قوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن
اشارة الى ذلك وكأنه تعالى منعهن من اظهار محاسن خلقتهن فاوجب سترها بالخمار وقال القفال بناء على هذا القول معنى قوله الا ما ظهر منها الا ما يظهره الانسان
في العادة الجارية وذلك في النساء الحرائر الوجه والكفان وفي الاماء كل ما يبدو عند المهنة وفي صوتها خلاف الاصح انه ليس بعورة لان نساء النبي صلى الله عليه وسلم
كن يروين الاخبار للرجال واما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فذهبوا الى انه تعالى انما حرم النظر اليها حال اتصالها ببدن المرأة لاجل المبالغة في حرمة النظر
الى اعضاء المرأة الا ما ظهر من هذه الزين كالثياب مطلقا اذ لم تصف البدن لونها وكالحمرة والوسمة في الوجه كالخضاب والخواتيم في اليدين وما سوى ذلك
يحرم النظر اليه ولهذا قال وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع الخمار المقنعة قال المفسرون ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وكانت جيوبهن
من قدام واسعة فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن فامرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليسترن بذلك اعناقهن ونحورهن وما حواليها من شعر وزينة وفي لفظ
الضرب مبالغة في الالقاء شبه الالصاق وعن عائشة ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت
منه صدعة فاختمرن فاصبحن كأن على رؤسهن الغربان ثم بين ان الزينة الخفية يحل ابداؤها لاثنتي عشرة فرقة الاولى بعولتهن اي ازواجهن والبعل والبعولة
الجمع كالفحولة الثانية آباؤهن وان علوا من جهة الاب والام الثالثة آباء بعولتهن وان علوا الرابعة ابناؤهن وان سفلوا الخامسة ابناء بعولتهن وان
سفلوا ايضا السادسة اخوانهن سواء كانوا من الاب او من الام او منهما السابعة بنو اخوانهن الثامنة بنو اخواتهن وحكم اولاد الاولاد حكم الاولاد
فيها وهؤلاء كلهم محارم وترك من المحارم العم والخال فعن الحسن البصري انهما كسائر المحارم في احوال النظر وقد يذكر البعض لينبه على الجملة ولهذا لم يذكر المحارم من
الرضاع في هذه الآية وكذا في سورة الاحزاب قال لا جناح عليهن في آبائهن الى آخرها ولم يذكر البعولة ولا ابناءهم وقال الشعبي انما لم يذكرهما الله تعالى لئلا
يصفها العم عند ابنه والخال عند ابنه وذلك ان العم والخال يفارقان سائر المحارم في ان ابناءهما ليسوا من المحارم فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس
بمحرم ومعرفة الوصف قريب من النظر وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط في التستر وانما يحل ابداء الزينة الخفية لهؤلاء المذكورين لاحتياجهم
الى مداخلتهم ومخالطتهم ولا سيما في الاسفار للنزول والركوب وايضا لقلة وقوع الفتنة من جهاتهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب والاقارب
التاسعة قوله او نسائهن فذهب اكثر السلف الى ان المراد اهل دينهن ومن هنا قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء اهل الذمة ولا تبدي للكافرة
الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون امة لها وكتب عمر الى ابي عبيدة ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات وقال آخرون المعول عليه ان المراد
جميع النساء وقول السلف محمول على الاولى والاوجب العاشرة قوله او ما ملكت ايمانهن وظاهر الآية يشمل العبيد والاماء ويؤيده ما روى انس انه صلى الله عليه وسلم
اتى فاطمة رض بعبد قد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى
قال انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وعن عائشة رض انها قالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعنها انها كانت تمتشط
والعبد ينظر اليها وقال ابن مسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب ان العبد لا ينظر الى شعر مولاته وهو قول ابي حنيفة اذ ليس ملكها للعبد كملكه
للامة فلا خلاف انها لا تستبيح بملك العبد شيئا من التمتع منه كما يملك الرجل من الامة وتحريم تزوج العبد لمولاته عارض غير مؤبد كمن عنده اربع نسوة لا يجوز له
التزوج بغيرهن فلما لم تكن هذه الحرمة مؤبدة كان العبد بمنزلة سائر الاجانب خصيا كان العبد او فحلا واورد على هذا القول لزوم التكرار ضرورة ان الاماء
من جملة النساء واجيب بانه اراد بالنساء الحرائر كما اراد بالرجال الاحرار في قوله شهيدين من رجالكم الحادية عشرة قوله او التابعين غير اولي الاربة وهي الحاجة
وهم البله واهل العنة الذين لا يعرفون شيئا من امور النساء انما يتبعون الناس ليصيبوا من فضل طعامهم او شيوخ صلحاء لا حاجة بهم الى النساء فالخنث
او حاجة عن زينب بنت ام سلمة ان النبي دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على اخي ام سلمة وقال يا عبد الله ان فتح الله لكم الطائف ادلكم على بنت
غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان حتى بكى بطنها فقال صلى الله عليه وسلم لا ارى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم هذا فاباح النبي صلى الله عليه وسلم دخول المخنث عليهن حين
ظن انه من غير اولي الاربة فلما علم انه يعرف احوال النساء واوصافهن علم انه من اولي الاربة فحجبه الثانية عشرة قوله او الطفل وهو جنس يقع على الواحد
والجمع وهو المراد ههنا قال ابن قتيبة معنى لم يظهروا لم يطلعوا على عورات النساء والعورة سوأة الانسان وكل ما يستحيى منه وقال الفراء والزجاج هو من قولهم
ظهر على كذا اذا قوي عليه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء فعلى الاول يجب الاحتجاب ممن ظهر فيه داعية الحكاية وعلى الثاني انما يجب الاحتجاب من المراهق
الذي ظهرت فيه مبادي الشهوة قال الحسن هؤلاء الفرق وان اشتركوا في جواز رؤية الزينة الظاهرة فهم على اقسام ثلاثة فاولهم الزوج وله حرمة ليست
لغيره يحل له كل شيء منها والثاني الاب والابن والاخ والجد وابو الزوج وكل ذي محرم من الرضاع او النسب يحل لهم ان ينظروا الى الشعر والصدر والساقين
والذراع واشباه ذلك والثالث التابعون غير اولي الاربة وكذا المملوك لا بأس ان تقوم المرأة الشابة بين يدي هؤلاء في درع وخمار صفيق بغير ملحفة
ولا يحل لهؤلاء ان يروا منها شعرا ولا بشرا ولا يصلح للشابة ان تقوم بين يدي الغريب حتى تلبس الجلباب فهذا ضبط هذه المراتب ثم علمهن ادبا آخر جميلا
بقوله ولا يضربن بارجلهن قال ابن عباس كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى
رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين وفي النهي عن اظهار صوت الحلي بعد نهيهن عن اظهار الحلي مبالغة ليعلم ان كل ما يجر الى الفتنة يجب الاحتراز عنه فان
الرجل الذي يغلب عليه الشهوة اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعيا له الى مشاهدتهن ومنه يعلم وجوب اخفاء صوتهن اذا لم يؤمن الفتنة ولهذا
كرهوا اذان النساء ثم ختم الآية بالامر بالدوام على التوبة والاستغفار لان الانسان خلق ضعيفا لا يكاد يقدر على رعاية الاوامر والنواهي كما يجب
قال العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه عز وجل وعن ابن عباس ان المراد توبوا
مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة قال جار الله من قرأ ايه المؤمنون بضم الهاء فوجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف
فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها الحكم السادس النكاح وذلك انه عز من قائل امر بغض الابصار وحفظ الفروج ارشد بعد
ذلك الى طريق الحل فيما يدعو اليه الشهوة واصل الايامى ايايم فقلب [illegible] ويشتمل الرجل والمرأة قال النضر بن شميل الايم في كلام العرب كل ذكر لا انثى
معه وكل انثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس في رواية الضحاك يقول زوجوا اياماكم بعضهم من بعض وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين
قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم وظاهر الامر للوجوب الا ان الجمهور حملوه على الندب لانه لو كان واجبا لشاع في عصر الرسول عليه السلام
النكاح ولانتشر ولنقل لعموم الحاجة اليه وقد ورد في الاخبار التصريح بكونه سنة لقوله عليه السلام النكاح سنتي ولقوله صلى الله عليه وسلم من احب فطرتي
فليستن بسنتي وهي النكاح وقد اجمعوا على ان الايم الثيب لو ابت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه واتفقوا على ان السيد لا يجبر على تزويج عبده وامته نعم

نعم قد يجب في بعض الصور كما اذا التمست التزويج من الولي فعليه الاجابة اذا كان الخاطب كفوا واستدل الشافعي بعموم الاية على جواز تزويج الابكار
البالغة بدون رضاها واعترض ابو بكر الرازي بان الايامى شامل للرجال والنساء وحين لزم في الرجال تزويجهم باذنهم فكذا في النساء ويؤيده ما روي انه
صلى الله عليه وسلم قال البكر تستامر في نفسها واذنها صماتها واجيب بان تخصيص النص لا يقدح في كونه حجة في الباقي والفرق ان الايم من الرجال
يتولى امر نفسه فلا يجب على الولي تعهده بخلاف المراة فان احتياجها الى من يصلح امرها اظهر على انا لا نسلم ان لفظ الايامى عند الاطلاق يتناول الرجال
وفي تخصيص الاية بخبر الواحد ايضا نزاع واستدل ابو حنيفة بعموم الاية ايضا على ان العم والاخ يليان تزويج الثيب الصغيرة ونوقش فيه قال الشافعي
من تاقت نفسه الى النكاح استحب له ان ينكح اذا وجد اهبة النكاح والا فليكسر شهوته بالصوم لما روى عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء والذي لا يتوق نفسه الى النكاح
لكبر او مرض او عجز او كان غير قادر على النفقة يكره له ان ينكح لانه يلتزم ما لا يمكنه القيام بحقه وان لم يكن به عجز وكان قادرا على القيام بحقه لم يكره له ان ينكح لكن
ان يتخلى لعبادة الله تعالى وقال ابو حنيفة النكاح افضل حجة الشافعي انه تعالى مدح يحيى بقوله وسيدا وحصورا والحصور الذي لا ياتي النساء
مع القدرة عليهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم افضل اعمالكم الصلوة وقال افضل اعمال امتي قراءة القرآن وقال احب المباحات الى الله تعالى النكاح
والمباح ما استوى طرفاه والمندوب ما ترجح فعله ولو كان النكاح عبادة لم يصح من الكافر والنكاح فيه شهوة النفس والعبادة فيها مشقة النفس
والاقبال على الله تعالى فاين احدهما من الاخر ولو كان النكاح مساويا للنوافل في الثواب لم يكن النوافل مشروعة لان الطريق المؤدي الى المطلوب مع بقاء
اللذة وعدم التعب اولى بالسلوك وان كان الاشتغال بالنكاح اولى من النافلة لانه سبب لبقاء الاشخاص ونظم العالم فالاشتغال بالزراعة ايضا اولى
من النافلة للعلة المذكورة وقد وقع الاجماع على ان واجب العبادة مقدم على واجب النكاح وكذا مندوبهما على مندوبه لاتحاد النسبة وعن النبي صلى الله
اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزوبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وعنه ياتي على الناس زمان لا ينال المعيشة فيه الا بالمعصية
فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة حجة ابي حنيفة ان النكاح يتضمن صون النفس من ضرر الزنى ودفع الضرر اهم من جلب النفع وايضا النكاح يتضمن
العدل وقد ورد في الحديث عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وقال في الصلوة انها خير موضوع فمن شاء
فليكثر ومن شاء فليستقل ثم ان الايامى جمع مستغرق لكنهم اجمعوا على انه لا بد من شروط اخر ذكرنا بعضها في سورة النساء في قوله واحل لكم ما وراء ذلكم وفي
منكم اي من احراركم فالاكثرون من المفسرين لان حكم العبيد والاماء يعقب ذلك ومنهم من قال اراد من يكون تحت ولاية المامور من الولد والقريب ومنهم من
قال الاضافة لا تفيد الحرية والاسلام ثم ان المراد بقوله والصالحين ان يزوجوا ارقاءهم واتفقوا على انه للاباحة والترغيب لان في تزويج العبد
التزام مؤنة زوجته وتعطل خدمته واستفادة المهر وسقوط النفقة في تزويج الامة ليس قوله بلازم على السيد ايضا وتخصيص الصالحين بالذكر عناية من الله
بحالهم ليتحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم وايضا الصالحون من الارقاء هم الذين يشفق عليهم مواليهم ويهتمون بشانهم حتى ينزلونهم منزلة الاولاد ويجوز ان
ان يراد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ومن جملة ذلك ان لا يكون في غاية الصغر بحيث لا يحتاج الى النكاح واذن السيد لهم ان يزوجوا انفسهم
يقرب عن تزويج السيد اما قوله ان يكونوا فقراء فالاصح ان هذا ليس وعدا من الله تعالى باغناء من يتزوج حتى لا يجوز ان يقع فيه خلف فرب غني يفقره
النكاح ولكن المعنى لا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم ففي فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورائح على ان مثل هذا الوعد قد جاء مشروطا بالمشية في قوله وان خفتم
عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فالمطلق محمول على المقيد وقيل اراد بالغنى غنى النفس والعفاف تملك البضع الذي يغنيه عن الوقوع في الزنى
وعن طائفة من الصحابة ان هذا وعد عن ابي بكر قال اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن ابن عباس التمسوا الرزق بالنكاح وشكى
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك بالباءة وقد يستدل بالاية على ان العبد والامة تملكان والا لم يتصور فقرهما وغناهما والمفسرون
قالوا الضمير عائد الى الاحرار خاصة وهم الايامى وان فسر الغنى بالعفاف فلا يبعد رجوعه الى الكل والله واسع افضاله ولكنه عليم يبسط الرزق كما يريد وعلى
ما ينبغي وفيه اشارة الى قيد المشية في الوعد المذكور ثم ذكر حال العاجزين عن القيام بمؤنة النكاح بقوله وليستعفف اي ليطلب العفة في نفسه والمضاف
محذوف اي لا يجدون استطاعة نكاح ولا يقدرون عليه والنكاح يراد به ما ينكح بواسطته وهو المال ولا محذوف وفي قوله حتى يغنيهم نوع تاكيد للمستعففين
وفيه ان فضله من اهل الصلاح والعفاف قريب الحكم السابع المكاتبة وحين رغب السادة في تزويج الصالحين من العبيد والاماء ارشدهم الى الطريق
الذي به ينخرط العبيد في سلك الاحرار مع عدم الاضرار بالسادة فقال والذين يبتغون ومحله اما رفع والخبر فكاتبوهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط واما
نصب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم والفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها كقوله وربك فكبر والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة والتركيب يدل
على الضم والجمع لما فيه من ضم النجوم بعضها الى البعض وقال الازهري هو من الكتابة ومعناه كتبت لك على نفسي ان يعتق مني اذا وفيت المال وكتبت
على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق وقيل سمي بذلك لما يقع فيه من التاجيل والاجل عند الشافعي وهو الظاهر عند ابي حنيفة
كالحجي والاجل يستدعي الكتابة لقوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه قال محيي السنة رسم الكتابة ان يقول لمملوكه كاتبتك على كذا ويسمي مالا معلوما تؤدي
في نجمين او اكثر ويبين عدد النجوم وما يؤدي في كل نجم ويقول اذا اديت ذلك المال فانت حر ولم ينو بقلبه ويقول ذلك لم يعتق لان الكتابة ليست بعقد
معاوضة محضة فان ما في يد العبد فهو ملك السيد والانسان لا يمكنه بيع ملكه بعين ملكه فقوله كاتبتك كناية في العتق فلا بد فيه من لفظ التعليق ونيته وقال ابو حنيفة
ومالك وابو يوسف ومحمد وزفر لا حاجة الى ذلك لاطلاق قوله فكاتبوهم واذا صحت الكتابة وجب ان يعتق بالاداء للاجماع الثاني لا تجوز الكتابة عند الشافعي
الا مؤجلة لان العبد لا يتصور له ملك يؤديه في الحال وجوز ابو حنيفة الحلول لاطلاق الاية ولانه لا يجوز العتق على مال في الحال بالاتفاق والكتابة ايضا مثله
الثالث قال الشافعي لا يجوز الكتابة على اقل من نجمين روي ذلك عن علي وعمر وعثمان وابن عمر وذلك انه عقد ارفاق ومن تمام الارفاق
التنجيم وجوز ابو حنيفة على نجم واحد لاطلاق الاية وللقياس على سائر العقود الرابع جوز ابو حنيفة كتابة الصبي قال ويقبل عنه المولى وذهب الشافعي
الى انه يجب ان يكون عاقلا بالغا لانه تعالى قال والذين يبتغون والصبي لا يتصور منه الطلب الخامس جوز ابو حنيفة ان يكاتب الصبي باذن الولي وحجة
الشافعي كونه مكلفا مطلقا لان قوله فكاتبوهم خطاب فلا يتناول الا العاقل غير المحجور عليه هذا وللمفسرين خلاف في ان قوله فكاتبوهم امر ايجاب او استحباب
فقال قائلون ومنهم عمرو بن دينار وعطاء وداود بن علي ومحمد بن جرير الى وجوب الكتابة اذا طلبها المملوك بقيمته او اكثر وعلم السيد فيه خيرا ولو كان بدون
قيمته لم يلزمه واكدوه بما روي في سبب النزول انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له صبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت ويروى ان عمر
امر انسا بان يكاتب سيرين ابا محمد بن سيرين فابى فضربه بالدرة ولم ينكر احد من الصحابة عليه وذهب اكثر العلماء ومنهم ابن عباس والحسن والشعبي ومالك
وابو حنيفة والشافعي والثوري الى انه ندب لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال مسلم الا بطيب من قلبه ولان طلب الكتابة كطلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة فكما

لا يجب الاجابة وهذه طريقة المعاوضات اجمع وقال العلماء اذا ادى مال الكتابة عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له ومن منافع
كسب مولاه الثواب اما قوله ان علمتم فيهم خيرا فعن عطاء الخير هو المال كقوله ان ترك خيرا قال يعني ذلك عن ابن عباس وضعف بانه لا يقال في فلان
مال وانما يقال له او عنده مال وبان العبد لا مال له بل المال لسيده وعن ابن سيرين اذا صلى وعن النخعي وفاء وصدقا وقال الحسن صلاحا في الدين وادا
انه شيء يتعلق بالكتابة ولهذا فسره الشافعي بالامانة والقوة على الكسب ويروى مثله مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان مقصود الكتابة لا يحصل
الا بالكسب ثم بالامانة كيلا يضيع ما يكسبه واختلفوا ايضا في المخاطب بقوله واتوهم فعن الحسن والنخعي وابن عباس في رواية عطاء وهو مذهب ابي حنيفة هو انهم
المسلمون والمراد اعطوهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال وكذا بعيد لكون المخاطب في احد المعطوفين غير الاخر ولان كون احدهما للاستحباب والاخر
للايجاب والسهم الذي ياخذه المكاتب له صدقة ولسيده عوض كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعن كثير من الصحابة وهو مذهب
الشافعي ان المخاطب هو المولى والامر امر ايجاب فيجب عليهم ان يبذلوا للمكاتبين شيئا من اموالهم او يحطوا عنهم جزءا من مال الكتابة ثم اختلفوا في قدره فعن علي
انه كان يحط الربع ومثله ما روى عطاء بن السائب عن ابي عبد الرحمن انه كاتب غلاما له فترك له ربع مكاتبته وعن ابن عمر انه كاتب عبدا له بخمسة وثلاثين
الفا ووضع عنه خمسة الاف وهو السبع والاكثرون على انه غير مقدر ويحصل الامتثال باقل متمول وعن ابن عباس يوضع له من كتابته شيئا وعن عمر انه
كاتب عبد الله بن الكيس ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى اخر نجم فقال اخاف
ان لا ادرك ذلك وهذا الحط عند الاولين على وجه الندب فلا يجبر المولى عليه واكدوه بما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم قال ايما عبد كوتب
على مائة اوقية فاداها الا عشر اواق فهو عبد فلو كان الحط واجبا لسقط عنه بقدره ومثله المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وايضا لو كان الحط واجبا فان كان
معلوما لزم عتقه اذا بقي ذلك القدر وليس ذلك بالاتفاق ولو كان مجهولا لكان ما بقي وهو مال الكتابة مجهولا فلا يصح الكتابة وايضا امر بايتاء من مال الله الذي
اتاهم ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه بصدد العجز عنه فلا يستحق ذلك المال بهذا الوصف فصح ان هذا امر من الله تعالى للناس اولهم وللسادة ان يعينوا المكاتب
على كتابته بما يمكنهم قال صلى الله عليه وسلم من اعان مجاهدا او مكاتبا في فك رقبته اظله الله في ظل عرشه الحكم الثامن المنع من اكراه الاماء على الزنى كان لعبد الله
بن ابي راس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء اي الزنى فشكت ثنتان منهن معاذة ومسيكة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد الاكراه قد مر في سورة النحل في قوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان والنص وان كان مختصا بالاماء الا انهم اجمعوا على ان حال الحرائر
ايضا كذلك والسؤال المشهور في الاية هو ان المعلق بكلمة ان على الشيء يعدم عند عدم ذلك الشيء فيستدل بالاية على جواز الاكراه على الزنى عند عدم
ارادة التحصن والجواب بعد تسليم ان مفهوم الخطاب حجة هو ان الاكراه مع عدم ارادة التحصن التعفف مما لا يجتمعان فهذا المفهوم قد خرج عن كونه دليلا لامتناعه
في ذاته وقدره تعالى ان غالب الحال ان الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن والكلام الوارد على سبيل الغالب لا يكون له مفهوم الخطاب كما مر في قوله فليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم وقيل ان بمعنى اذ لان سبب النزول وارد على ذلك قال جار الله واوثرت كلمة ان على اذ ايذانا بان المساعيات
كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من قبيل الشاذ النادر وللاية مفهوم اخر هو ان السادة اكرهوهن على النكاح وليس لها
ان تمتنع على السيد اذا زوجها وعرض الحيوة الدنيا كسبهن واولادهن ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهم على الاطلاق او بشرط التوبة على اصل
الاشاعرة والمعتزلة او غفور لهن لان الاكراه قد لا يكون على حد المعتبر في الشرع من التخويف الشديد فيكون والاثم حينئذ ولقد انزلنا هذه الاحكام وصف القرآن
بصفات ثلاث الاولى الايات المبينات اي الموضحات او الواضحات في معاني الحدود والاحكام وغيرها والايات التي بينت في هذه السورة الثانية
كونه مثلا من الذين خلوا اي قصة عجيبة من قصصهم فان العجب في قصة عائشة ليس باقل من قصة يوسف ومريم وما اتهما به وعن الضحاك انه اراد بالمثل شبه ما ذكر
في التورية والانجيل من اقامة الحدود وعن مقاتل اراد شبه ما حل بهم من العقاب اذا عصوا الثالثة كونه موعظة ينتفع بها المتقون خاصة **التاويل**
لا تدخلوا بيوت عالم القرار التي هي غير بيوتكم من دار الفرار حتى تعرفوا احوالها وتسلموا على اهلها سلام توديع ومتاركة فان لم تجدوا فيها احدا فان صرتم بحيث تنعم
عن حظوظ الدنيا وشهواتها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بالتصرف فيها بالحق للحق وان قيل لكم ارجعوا الجذبة ارجعي الى ربك فارجعوا ثم اشار الى ان التصرف في الدنيا
لاجل البلاغ يجب للضرورة وجائز اذا لم يكن للنفس حظ فيها فقال ليس عليكم جناح الاية ثم امر بغض بصر النفس عن مشتهيات الدنيا وبصر القلب عن رؤية الاعمال
ونعيم الاخرة وبصر السر عن الدرجات والقربات وبصر الروح عن الالتفات الى ما سوى الله وبصر الهمة عن العلل بان لا يرى لنفسه الا شهود الحق تنزيها له واجلالا ولهذا امر
بحفظ فروج البواطن عن التصرفات الكونين فيه ثم امر النساء بمثل ما امر به الرجال تنبيها على ان النساء بالصورة قد يكن رجالا في المعنى ثم نهى عن اظهار ما زين الله به سرائرهم
واحوالهم الا ما ظهر على صفحات حالهم من غير تكلف منهم ثم اباح لهم اظهار بعض الاسرار الى شيوخهن او اخوانهن في الدين والحال او المريدين الذين هم
تحت تربيتهم وتصرفهم بمنزلة النساء والمماليك او من لا خبر عندهم من عالم المعنى كالبله والاطفال فتغنيه لقمة مصدودة من غير ضرب وتوبوا الى الله جميعا
فان حسنات الابرار سيئات المقربين فتوبة المبتدي من الحرام وتوبة المتوسط من الحلال وتوبة المنتهي مما سوى الله وانكحوا الايامى فيه امر بطلب شيخ كامل يودع
في رحم القلب من صلب الولاية نطفة استعداد قبول الفيض الالهي وهو الولادة الثانية المستدعية للولوج في ملكوت السماء والارض وقد اشار الى افاضة هذه
بذر الاستعداد بقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وليستعفف ليحفظ الذين لا يجدون شيخا في الحال ارحام قلوبهم عن تصرفات الدنيا والهوى والشيطان
حتى يدلهم الله تعالى على شيخ كامل كما دل موسى على الخضر او يخصهم بجذبة الله يجتبي والذين يبتغون فيه ان المريد اذا طلب الخلاص عن قيد الرياضة لزم اجابته ان علم فيه
الصلاح ووجب ان يؤتى بعض ما خص الله الشيخ به من المواهب ولا تكرهوا فيه ان النفس اذا لم يكن مائلة الى التصرف في الدنيا وان كان بالحق لم تكره عليه فان
فان اصحاب الخلوة غير ارباب الجلوة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة
الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله
الامثال للناس والله بكل شيء عليم ۝ في بيوت اذن الله ان ترفع و

ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ۝
ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا
ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب ۝ او كظلمات
في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ۝ ظلمات بعضها
فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يريها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ۝
الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم
صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ۝ ولله ملك السموات والارض
والى الله المصير ۝ الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى
الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به
من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ۝ يقلب الله
الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ۝ والله خلق كل دابة
من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي
على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ۝ لقد انزلنا ايات
مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ۝ ويقولون امنا
بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون ۝ وان يكن لهم
الحق ياتوا اليه مذعنين ۝ افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان
يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون

القراءات نور السموات على الفعل يزيد من طريق ابن ابي عبلة وابن شنبوذ المشكوة ممالة ابو عمرو عن الكسائي دري بكسرتين وبالهمزة ابو عمرو وعلي والمفضل مثله بضم الدال حمزة وابو بكر وحماد والخزاز الباقون بضم الدال وتشديد الياء توقد بضم التاء وفتح القاف حمزة وعلي وخلف وابو بكر وحماد مثله ولكن بياء الغيبة على ان الضمير للمصباح ابن عامر ونافع وحفص وابو زيد عن المفضل الباقون وجبلة توقد بالفتحات وتشديد القاف يسبح بفتح الباء ابن عامر وابو بكر وحماد سحاب ظلمات على الاضافة البزي سحاب بالتنوين ظلمات بالكسر على انه بدل على الحال القواس وابن فليح الباقون بالرفع والتنوين فيهما ينزل من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب يذهب من الاذهاب يزيد على ان الباء زائدة في قوله بالابصار خالق كل على الاضافة حمزة وعلي وخلف الاخرون خلق على لفظ الفعل الماضي كل منصوبا الوقوف والارض ط مصباح ط زجاجة ط غربية لا لان ما بعده صفة شجرة نار ط نور ط يشاء ط للناس ط عليم ه بناء على ان الظرف يتعلق بما قبله اي كمشكوة اي مثل مشكوة في بعض بيوت الله عز وجل والاولى تعلقه بيسبح وفيها تكرار كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف وهو سبحوا اسمه لا لان ما بعده صفة بيوت او لان الظرف يتعلق بيسبح

والاصال

والآصال ط لمن قرأ يسبح بفتح الباء كأنه قيل من يسبح فقيل رجال اي يسبحه رجال ومن قرأ بالكسر لم يقف لأنه فاعل الفعل الظاهر رجال لا لان ما بعده صفة الزكوة لا لان ما بعده ايضا صفة والابصار لا لتعلق اللام ابو حاتم يقف ويجعل اللام لام القسم على تقدير ليجزين قال فلما سقطت النون انكسرت اللام من فضله ط حساب ه ماء ط حسابه ط الحساب لا للعطف سحاب ط لمن قرأ ظلمات بالرفع ولم يجعلها بدلا فوق بعض ط يريها ط من نور ط صافات ط وتسبيحه ط يفعلون ه والارض ج فصلا بين الامرين العظيمين مع اتفاق الجملتين المصير ه من خلاله ج لما قلنا عمن يشاء ط بالابصار ط والنهار ط الابصار ه من ماء ج للتفاصيل مع التفصيل بطنه ج رجلين ج لما قلنا اربع ط ما يشاء ط قدير ه مبينات ط مستقيم ه ذلك ط بالمؤمنين ه معرضون ه مذعنين ط ورسوله ط الظالمون ه

التفسير انه سبحانه لما بين من الاحكام ما بين اردفها على عادة القرآن بالالهيات وقدم بذلك مثلين احدهما في ان دلائل الايمان في غاية الظهور والثاني في ان اديان الكفر في نهاية الظلمة اما الاول فهو قوله الله نور السموات والارض واعلم ان النور في اللغة موضوع لهذه الكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على ما يحاذيها من الاجرام ولا شك انه لا يمكن ان يكون الها لانه ان كان عرضا فظاهر وان كان جسما فكذلك للدليل الدال على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني ولانه يزول ولا ينتقل الى غير ذلك من امارات الحدوث والافتقار وعند ذلك ذكر العلماء في تأويل الاية وجوها الاول وهو قول ابن عباس والاكثرين ان المضاف محذوف اي هو ذو نور السموات والارض لانه قال مثل نوره ويهدي الله لنوره والمضاف مغاير للمضاف اليه فنظير الاية قولك فلان زيد بحرم وجود للمبالغة الثاني ان معناه منور السموات كقراءة من قرأ نور بالتشديد وعلى القولين فالمراد بالنور فالاكثرون على انه الهداية كما قال في اخر الاية يهدي الله لنوره من يشاء فشبه النور في ظهوره وبيانه واضافه الى السموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض وقيل حذف المضاف اي هو نور اهل السموات والارض وقيل نور السماء بالملائكة وبالاجرام النيرة والارض بهما وبالانبياء والعلماء وهو مروي عن ابي بن كعب والحسن وابي العالية وقيل هو مدبرها اي هما بحكمة بالغة كما يوصف الرئيس المدبر بانه نور البلد اذا كان يدبر امورهم تدبيرا حسنا فهو لهم كالنور الذي يهتدى به في المضايق والمزالق وهذا القول اختيار الاصم والزجاج وقيل هو ناظمها اي هما على النهج الاحسن والوجه الاصلح وقد يعبر بالنور عن النظام يقال ارى لهذا الامر نورا الثالث ما ذهب اليه الحكماء الاولون الاشراقيون واليه ميل الشيخ الامام حجة الاسلام محمد الغزالي على ما قرر في رسالته المسماة بمشكوة الانوار ان الله تعالى نور في الحقيقة بل لا نور في الحقيقة الا هو وبيانه ان للانسان بصرا يدرك به النور المحسوس الواقع من الاجرام النيرة على ظواهر الاجسام الكثيفة وبصيرة هي القوة العاقلة ولا شك ان البصيرة اقوى من البصر لان القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا تدرك ادراكها ولا تدرك آلتها وهي العين واما القوة العاقلة فانها تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك آلتها في الادراك وهي القلب والدماغ والبصر لا يدرك الكليات والبصيرة تدركها والادراك الحسي غير منتج لانه لا يصير سببا لاحساس آخر والادراك العقلي يصير سببا لادراكات اخر حتى يجتمع علوم جمة والحس يضطرب بكثرة ورود المحسوسات عليه حتى انه لا يسمع الصوت الضعيف مثلا بعد سماع الصوت الشديد والعقل يزداد بها ذكاء ونورا بكثرة توارد العلوم وتعاورها والقوى الحسية تضعف بضعف البدن والقوة العقلية تقوى بعد الاربعين حتى استدل بذلك على بقائها بعد خراب البدن والقوة الحسية لا تدرك من القريب القريب ولا البعيد البعيد والعقلية لا يختلف حالها في القرب والبعد فيدرك ما فوق العرش الى ما تحت الثرى في لحظة واحدة بل يدرك ذات الله وصفاته مع انه منزه عن القرب والبعد والجهة والحس لا يدرك من الاشياء الا ظواهرها والعقل يغوص في حقائق الاشياء وفي اجزائها وجزئياتها وفي ذاتياتها وعرضياتها فيوحد الكثير تارة بانتزاع صورة كلية من الجزئيات ويكثر الواحد اخرى بالتجنيس والتنويع والتصنيف وغير ذلك من التقسيمات التي لا تكاد تتناهى وادراك العقل قد يكون متقدما على وجود الشيء ويسمى العلم الفعلي وادراك الحس تابع لوجود الشيء واذا كان الروح الباصر نورا فالبصيرة التي هي اشرف منها اولى بان يكون نورا وكما ان نور البصر يحتاج في ادراكه الى معين من الخارج هو الشمس او السراج مثلا فنور البصيرة ايضا يحتاج في ادراكه الى مرشد هو النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن فلذلك سمي القرآن نورا والنور الذي انزلنا والنبي نورا وسراجا منيرا فروح النبي في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام ثم ان الانوار النبوية القدسية مقتبسة من انوار اخرى فوقها علمه شديد القوى قل نزله روح القدس من ربك فكل الانوار ينتهي الى ما لا نور فوقه ولا اجل واشرف وهو الله سبحانه والكلام المجازي في هذا المقام هو الذي قد سلف تحقيقه مرارا وهو ان الكمالات انوار والملكات الذميمة ظلمات وايضا الوجود نور والعدم ظلمة فان نظرنا الى الكمال فكل كمال ينتهي الى الله سبحانه ولا كمال فوق كماله فهو نور الانوار وان نظرنا الى الوجود فلنفسه فلا ريب ان الممكن وجوده مستفاد من غيره الى ان ينتهي الى واجب الوجود لذاته فهو نور الانوار فسبحان من اختفى عن الخلق بشدة ظهوره واحتجب عنهم باشراق نوره ومن ههنا قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادركه بصره وفي بعض الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعين الفا قال العلماء الحجب ثلثة اقسام حجب ظلمانية محضة وحجب ممزوجة من نور وظلمة وحجب نورانية صرفة اما المحجوبون بالاول فهم الذين بلغوا في الاشتغال بالعلائق البدنية الى حيث لا يلتفت خاطرهم الى الاستدلال بالمصنوعات على الصانع واما المحجوبون بالثاني فهم الذين اعتقدوا في الممكنات انها غنية عن المؤثر فنقص بتصور الاستغناء عن الغير نور لانه من صفات الله تعالى ولكن اعتقاد حصوله لمن لا يليق به ظلمة فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة واما المحجوبون بالثالث فهم الذين استغرقوا في بحار صفات الله وافعاله فاحتجبوا بالصفات عن الذات فعرف من هذا التقرير ان الحجب لا يكاد يتناهى حسب لا نهاية للممكنات ولا انحصار للسلوب والاضافات ولكن الحديث ورد على ما هو المتعارف في باب التكثير ولنرجع الى التفسير قال الفراء المشكوة الكوة في الجدار غير النافذة وهذا القول اصح عند ائمة اللغة وهي من لغة العرب ومنه المشكو الزق الصغير وقيل هي بلغة الحبشة وعن ابن عباس وابي موسى الاشعري ان المشكوة هي القائم الذي في وسط القنديل الذي يدخل فيه الفتيلة وهو قول مجاهد والقرظي ومثله قول الزجاج هي قصبة قنديل من الزجاجة التي توضع فيها الفتيلة وتلك الشباك هي الحلقة التي يتعلق فيها القنديل والمصباح السراج الضخم الثاقب واصله من الضوء ومنه الصبح والدري فيمن قرأ بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر اي ابيض متلالئ ومن قرأ بالهمز مضموم الدال كمرتين او المكسورها فسكيت فمعناه انه يدرأ الظلام بضوئه وقال ابو عبيدة ان ضممت الدال وجب ان لا تهمز لانه ليس في كلام العرب فعيل ومن همزه من القراء فانما اراد فعول على صبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر والدراري من الكواكب هي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وما يضاهيها من الثوابت التي هي في العظم الاول ومعنى من شجرة مباركة ان ابتداء ثقوبه من شجرة كثيرة المنافع وهي الزيتون عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانها مصحة من الناسور وقيل سميت مباركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين او بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم صلوات الرحمن عليه فقوله زيتونة بدل من شجرة ومعنى لا شرقية ولا غربية ان منبتها في الاكثر الشام وازيتونها اجود الزيتون والشام وسط من وسط العمارة ليس على الطرف الشرقي من الربع المسكون ولا على الطرف الغربي منه وعن الحسن اراد شجرة الزيت في الجنة اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية او غربية وضعف بان المثل انما يضرب بما يشاهد وانهم ما شاهدوا شجرة الجنة وقيل اراد انها شجرة محفوفة بالاشجار او باوراقها فلا تصيبها الشمس في مشرق ولا مغرب وزيف بان الغرض وهو صفاء الزيت لا يحصل الا بكمال النضج وذلك يتوقف عادة على وصول

الشمس الى الشجرة وعن ابن عباس رضي الله عنه وسعيد بن جبير وقتادة وهو اختيار الفراء والزجاج المراد انها ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل يصيبها بالغداة والعشي جميعا لانها في موضع مكشوف [illegible] وذلك يدل على كمال النضج الموجب لصفاء الزيت ومنهم من قال في شجرة [illegible] سقناة وهي المكان الذي لا تطلع عليه الشمس ولكن الظل [illegible] ولا نبات في سقناة ولا خير فيهما في مضجع ثم وصف الزيت بالصفاء [illegible] على تحمل الالفاظ على ظاهر التفسير اما ما يتعلق بالمعنى فنقول ان جمهور المتكلمين [illegible] التي يكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت [illegible] لان الغالب على اوهام الخلق وخيالاتهم انما هو كالشبهات [illegible] الشمس لانها اذا طلعت لم يبق ظلمة اصلا والامور التي اعتبرها الله [illegible] تكاثف الاشعة واعون له عن تعرض الرياح زعم بعضهم ان في الكلام قلبا والمراد المشكوة في مصباح والصحيح انه لا حاجة اليه لان هذا التشبيه مركب [illegible] جار الله اراد ان صفة نور العجيبة الشان في الاضاءة كصفة مشكوة ومنها كون المصباح في زجاجة صافية فان تعاكس الانوار من جوانب الزجاجة يزيد المصباح نورا ومنها كون المصباح متقدا بدهن الزيت فليس في الادهان ما يدانيه في اللمعان والتطليس ومنها كون الزيت من شجرة بارزة للشمس فان ذلك يدل على كمال نضج الثمرة ونهاية صفاء دهنها واما الامام الغزالي بعرفانه فقول المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت عبارة عن المراتب الانسانية فاولها القوة الحساسة التي هي اصل الروح الحيواني ويوجد للصبي بل لكل حيوان واوفق مثال لها من عالم الاجسام المشكوة لان تلك القوى تخرج من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وثانيها القوة الخيالية التي تحفظ ما يورده الحواس محزونا عنده لتعرضه على القوة التي فوقها عند الحاجة اليه وانت لا تجد شيئا في عالم الاجسام يشبه الخيال سوى الزجاجة فانها في الاصل جوهر كثيف ولكن صفي ورقق حتى صار [illegible] نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظ عن الانطفاء بالرياح العاصفة كذلك الخيال من طينة العالم السفلي الكثيف بدليل ان الشيء [illegible] وقدر وشكل وحد ولكنه اذا صفي وهذب صار موازيا للمعاني العقلية ومؤديا لانوارها ولذلك يستدل المعبر بالصور الخيالية على المعاني كالشمس على الملك وبالقمر على الوزير وكمن يختم فروج الناس وافواههم على انه مؤذن يؤذن في رمضان قبل الصبح وثالثها القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات الكلية والمعارف اليقينية ولا يخفى وجه تمثيلها بالمصباح كما ترى في تسمية النبي سراجا وحين كان الحس كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل فيكون المشكاة كالزجاجة التي هي كالظرف للمصباح ورابعها القوة الفكرية على التقسيمات والاستنتاجات تشاكلها مثال الشجرة المثمرة واذا كان [illegible] لزيادة انوار المعارف فبالحري ان لا تشبه الا بالشجرة الزيتون لان لب ثمرها هو الزيت الذي هو مادة المصباح وله من بين سائر الادهان خاصية زيادة الاشراق وقلة الدخان واذا كان الماشية تسمى مباركة لكثرة درها ونسلها فالذي لا يتناهى نمرته الى حد محدود اولى ان يسمى مباركا واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام ناسب ان يقال لها لا شرقية ولا غربية وخامسها القوة القدسية النبوية التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار واما الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا فانه نزل الامثلة الخمسة على مراتب ادراكات النفس الانسانية المشهورة فالمشكوة هي العقل الهيولاني وهو الاستعداد المحض والزجاجة هي العقل بالملكة وهي قوة النفس حين حصل لها البديهيات وامكن لها بواسطتها الترقي الى النظريات والاكتسابات ثم ان كان الانتقال ضعيفا فهي الشجرة وتسمى فكرا وان كان قويا فهي الزيت وتسمى حدسا وان كان في النهاية القصوى سميت قوة قدسية وهي التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ثم اذا حصل لها المعارف والعلوم المكتسبة بالفعل بحيث يقدر على ملاحظتها متى شاءت من غير تجشم كسب جديد فهو المصباح وتسمى عقلا بالفعل وغايته ان يكون المعقولات حاضرة عنده متمثلة لها كانها تشاهدها وهي نور على نور وتسمى عقلا مستفادا اما الاول فلانه نور ومشاهدة ملك نور اخر واما الثاني فلان ذلك غاية الاستفادة ونهاية التحصيل وزعم الشيخ ان المخرج من العقل الهيولاني الى الملكة والعقل التام هو العقل الفعال وهو المدبر لما تحت كرة القمر عند الحكماء وعبر عنه في الاية بالنار وعن مقاتل انه قال مثل نوره اي مثل نور الايمان في قلب محمد كمشكوة فالمشكوة نظير صلب عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح النبوة والرسالة وقيل المشكوة نظير ابراهيم عم والزجاجة نظير اسمعيل عم والمصباح نظير جسد محمد عليهم الصلوة والسلام وعن ابي بن كعب انه قرا مثل نور من امن به ورايت في كتب الشيعة عن علي رضي الله عنه مرفوعا الشجرة [illegible] بها اهل السموات والارضين وعلى الوجهين كتوب اتدرون ما كتابته قالوا الله ورسوله اعلم فقال علي ولي [illegible] الارضين وقيل المشكوة صدر محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح ما في قلبه من الدين والشجرة ابراهيم صلوات الرحمن عليه وقوله [illegible] واتبعوا ملة ابراهيم ومعنى لا شرقية ولا غربية ان ابراهيم لم يكن يصلي قبل المشرق كالنصارى ولا قبل المغرب كاليهود بل كان يصلي قبل الكعبة وهي ما بين المشرق والمغرب ومعنى يكاد زيتها يضيء ان نور محمد عم يكاد يتبين للناس قبل ان يتكلم قاله كعب وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي ومن هنا قال عبد الله بن رواحة شعر: لو لم يكن فيه ايات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر وقال محيي بن سلام قلب المؤمن يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته له وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى وقيل يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم به ولهذا ازداد نورا على نور وقال ابي بن كعب المؤمن بين اربع خلال ان اعطي شكر وان ابتلي صبر وان قال صدق وان حكم عدل فهو في سائر الناس كالرجل الحي الذي يمشي بين اموات يتقلب في خمس من النور كلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيمة [illegible] بالعالية عن مدخله ومخرجه فقال بستره وعلانيته قالت الاشاعرة في قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى ان هذه الدلائل [illegible] ما لم يخلق الله الايمان فيه وقالت المعتزلة اراد يهدي الله بطريق الجنة او اراد بقوله من يشاء الذي يلهم حد التكليف [illegible] زيادات الالطاف التي هي ضد الخذلان ولهذا قال في الكشاف معناه يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين الانصاف وجانب المراد [illegible] الذي يستوي عنده جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس واكد ذلك بقوله ويضرب الله الامثال للناس يعني النبي والمكلفين [illegible] ما ذكره في معرض الانعام ولو كان الكل بخلق الله تعالى لما كان للناس الانتفاع بالمثل فلا يكون نعمة ثم زاد في التاكيد بقوله والله بكل شيء [illegible] لمن لا يتفكر ولا يعتبر ولا يستدل ولا ينظر قوله في بيوت اعترض ابو مسلم على قول من قال انه يتعلق بمشكوة او بتوقد لان كون [illegible] بيوت الله لا يزيد المصباح انارة واضاءة وايضا الموصوف واحد فلا يكون الا في مكان واحد وقوله في بيوت امكنة متعددة ولا يجوز [illegible] متعددة في حالة واحدة وكذا لو جعل في بيوت صفة مصباح او زجاجة او كوكب واجيب بان هذه صفة موضحة لا مميزة [illegible] المشكوة يكون غالبا في بيوت العبادة والمشكوة التي فيها مصباح ان كانت في مثل هذه البيوت الرفيعة كانت اعظم واكثر ضخامة فيكون

في باب التمثيل ادخل وعن الثاني انه اريد بالمشكوة النوع لا الواحد كما لو قيل الذي يصلح لخدمتي رجل يرجع الى علم وكفاية وقناعة يلزم بيته فانه يراد النوع لا الواحد وذهب ابو مسلم الى انه راجع الى قوله ومثلا من الذين خلوا هم الانبياء والمؤمنون الذين مضوا وكانوا ملازمين لبيوت العبادة واعترض عليه بتفكك النظم اذ ذاك وبان الذين خلوا هم المكذبون والاكثرون على ان البيوت هي المساجد والاذن الامر والرفع التعظيم او البناء وعن عكرمة هي البيوت كلها ومعنى الرفع البناء وذكر اسم الله عام في كل ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ان يتلى فيها كتابه وقيل لا يتكلم فيها بما لا ينبغي والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق به وقيل الصلوات الخمس وقيل صلوة الصبح والعصر وكانتا واجبتين فقط في اول الاسلام فزيد فيهما وعن ابن عباس رضي الله عنه ان صلوة الضحى في كتاب الله تعالى وقرا هذه الاية والاولى العموم قيل خص الرجال بالذكر لانهم من اهل الجماعات دون النساء ويحتمل ان يقال لانهم اصل والنساء تبع واختلفوا في لا تلهيهم تجارة فقيل نفي الالهاء لانه لا تجارة ولا بيع كقوله شعر: ولا ترى الضب بها ينجحر وقيل اثبت التجارة والبيع وبين انهم مع ذلك لا يشغلهم شيء عن ذكر الله وهذا قول الاكثرين عن الحسن اما والله ان كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شيء واما الفرق بين التجارة والبيع فقيل الاول عام لان صناعة التاجر قد يقع فيها البيع وقد يقع فيها الشرى وخص البيع لان الربح فيه يقين وفي الشرى مظنون فالبيع اولى في الالهاء وقيل اراد بالتجارة الشرى اطلاقا لاسم الجنس على النوع وقال الفراء التجارة لاهل الجلب يقال تجر فلان في كذا اذا جلبه من غير بلده وذكر الله دعاؤه والثناء عليه بما هو اهله وقيل هو الصلوات ومن هنا قال ابن عباس اراد باقام الصلوة اتمامها لمواقيتها وبايتاء الزكوة طاعة الله والاخلاص له والتاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ثم حكى ان هؤلاء الرجال مع ما ذكر من الطاعة والاخلاص موصوفون بالوجل والخوف من اهوال يوم القيمة وتقلب القلوب اضطرابها من الهول والفزع وتقلب الابصار شخوصها او المراد تقلب احوالهما فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتدرك الابصار بعد ما كانت عميا عن النظر والاعتبار وكانهم انقلبوا من الشك والغفلة الى اليقين والمعاينة وقال الضحاك ان القلوب تزول عن اماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير زرقا وقال الجبائي ويحتمل ان يراد تقلبها على جمر جهنم او تغير هياتها بسبب ما ينالها من العذاب فتكون مرة بهيئة ما انضج بالنار ومرة بهيئة ما احرق وقيل ان القلوب تتقلب في ذلك اليوم من طمع النجاة الى الخوف من الهلاك والابصار تتقلب من اي ناحية يؤخذ بهم امن ناحية اليمين ام من ناحية الشمال ومن اي جهة يعطون كتابهم امن قبل الايمان ام من قبل الشمال ليجزيهم متعلق بما قبله اي يسبحون ويخافون او يفعلون هذه القربات ليجزيهم الله احسن اعمالهم وهو الواحد بعشر الى سبعماية واكثر وقيل اراد بالاحسن الحسنات اجمع وهي الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل انما ذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوي اعمالهم بل يغفرها لهم وقال القاضي اراد بذلك ان يكون الطاعات منهم مكفرة لمعاصيهم فصح تعالى يجزيهم باحسن الاعمال وهذا مبني على مذهبه في الاحباط والموازنة ومعنى ويزيدهم من فضله كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب قد مر تفسيره في البقرة ولما بين حال المؤمن انه في الدنيا يكون في النور وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح وفي الاخرة يفوز بالنعيم المقيم والثواب العظيم اتبعه بيان ان الكافر يكون في الدنيا في انواع الظلمات وفي الاخرة في اصناف الحسرات وضرب لكل من حالتيه مثلا اما المثل الدال على خيبته في الاخرة فقوله والذين كفروا اعمالهم كسراب قال الازهري هو ما يرى في الفلوات وقت الضحى الاكبر في الفلوات تشبيها بالماء الجاري كانه يسرب على وجه الارض اي يذهب واما الال فهو ما يرى في اول النهار وظاهر كلام الخليل انه لم يفرق بينهما والقيعة القاع وهو المستوي من الارض وقال الفراء هي جمع قاع كجيرة في جار والظمان الشديد العطش ووجه التشبيه ان الكافر ياتي ببعض اعمال البر ويعتقد ثوابا عليه فاذا وافى عرصة القيمة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب عظمت حسرته وتناهى غمه وحيرته فيشبه حاله حال الظمان الذي تشتد حاجته الى الماء ويحيه ويتبعه فاذا شاهد السراب تعلق قلبه به رجاء للحيوة فاذا جاءه ولم يجده شيئا عظم غمه وحزنه قال مجاهد السراب عمل الكافر واتيانه اياه موته وفراقه الدنيا وههنا سؤال وهو انه كيف قال جاءه فاجبت انه شيء لان العدم لا يتصور المجيء اليه ثم قال لم يجده شيئا فنفى كونه شيئا والجواب اراد شيئا نافعا كما يقال فلان ما عمل شيئا وان كان قد اجتهد او المراد جاء موضع السراب فلم يجد هناك شيئا او اراد اذا لحقه او اخفيا ما وجيا او شبه الماء وذلك باعانة من شعاع الشمس فاذا قرب منه رق وانتشر وصار هواء وهذا قول الحكماء وقوله ووجد الله اي وجد عقاب الله او زبانيته ياخذونه فيتقلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق خلاف ما تصوره من الراحة والنعيم قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام واما المثل الاخر فهو قوله او كظلمات وقد يقال معنى او انه شبه اعمالهم الحسنة بالسراب والقبيحة بالظلمات او الاول للاعمال الظاهرة والثاني لعقائدهم الفاسدة واللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر والظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب كذلك ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل قاله الحسن وعن ابن عباس قلبه وبصره وسمعه وقيل قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم والظاهر ان الجمع للتكثير وان انواع الضلالات والاباطيل اجتمعت فيه والضمير في اخرج للواقع في الظلمات يدل عليه قرينة الحال ومعنى لم يكد يريها لم يقرب ان يراها ونفي القرب من الرؤية ابلغ من نفي الرؤية نفسها وقد مر هذا البحث في البقرة في قوله وما كادوا يفعلون قالت الاشاعرة في قوله ومن لم يجعل الله له نورا دلالة على ان الهداية بخلق الله وجعله وحمله المعتزلة على منح الالطاف وقد مر امثال ذلك مرارا ولما وصف انوار المؤمنين وظلمات الكافرين صرح بدلائل التوحيد وقال مستفهما على سبيل التقرير الم تر ان الله يسبح له وقد مر مثله في سورة سبحان والخطاب لكل من له اهلية النظر او للرسول صلى الله عليه وسلم وقد علمه بالوحي او بالاستدلال ومعنى صافات انهن يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير في علم للكل او لله عز وجل وعلى الاول فالضمير في صلوته وتسبيحه للكل او لله والمعنى كل مسبح قد علم صلوته التي تليق بحاله او صلوة الله التي كلفه اياها وعلى الثاني فالضمير فيهما للكل والصلوة بمعنى الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطائر دعاء وتسبيحه كما الهمها العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والاستقصاء في حكايات مذكور في خواص الحيوانات ولا سيما في كتاب عجائب المخلوقات ثم بين ان المبدا منه والمعاد اليه فقال ولله ملك السموات الاية ثم ذكر دليلا اخر من الاثار العلوية فقال الم تر ان الله يزجي سحابا اي يسوقه بالرياح ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه اي يجمع قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا متراكما والركام المتراكب بعضه فوق بعض فترى الودق المطر والقطر يخرج من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل قوله من السماء من جبال فيها من برد الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض ومعناه انه ينزل بعض البرد من السماء من جبال فيها وقد مر في اول البقرة في قوله او كصيب من السماء ان المراد السحاب والمعنى والبرد وانه يجاز يجمد بعد ما استحال قطرات ماء قال علماء المفسرين ان في السماء جبالا من برد خلقها فيها كما خلق في الارض جبال حجر وقال اهل المعنى السماء ههنا هو الغيم المرتفع على رؤوس الناس والمراد بالجبال الكثرة كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب ثم بين بقوله فيصيب به الى اخر الاية انه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها كيف يشاء او يهلك بالبرد من يشاء ان يعذبه به ويعصم منه من يشاء ان يعصمه ويرحمه سنا البرق في السحاب بحيث يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا او يحذروا وتعاقب بين الليل والنهار وتخالف بينهما في الطول والقصر وفي كل ذلك معتبر لذوي الابصار الذين يترقون من المصنوع الى الصانع ويستدلون بالمحسوس على الغائب منتقلين من ظلمة التقليد الى نور البرهان ثم ذكر دليلا ثالثا من عجائب خلق الحيوان فقال والله خلق كل دابة من ماء قال علماء المعاني التنكير في ماء للتنويع اي خلق كل دابة من نوع من الماء يختص بتلك الدابة و

وخلق الكل من ماء مخصوص وهو النطفة وعلى التقديرين الوحدة نوعية الا ان شموله على التقدير الثاني اكثر وانما عرف في قوله وجعلنا من الماء كل شيء
حي لانه قصد هناك معنى اخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وعن القفال ان قوله من ماء صفة دابة لا صلة خلق
والمعنى ان كل دابة متولدة من ماء فهي مخلوقة لله تعالى واحترز بهذا عن الاعتراض الذي ذكرناه في سورة الانبياء وهو ان بعض الاحياء لم يخلقهم الله
من الماء وقيل نزل الغالب منزلة الكل واراد بالدابة من يدب على وجه الارض ومسكنهم هناك وكل منها اما متولد من النطفة واما بحيث لا يعيش
الا بالماء ثم بين ان اصلهم وان كان واحدا الا ان خلقهم مختلفة فمنهم من يمشي على بطنه وقدم هذا القسم للغرابة ومنهم كذا ومنهم كذا وفي ضمير العقلاء واطلاق
لفظة من تغليب للعقلاء وسمى الزحف على البطن مشيا على سبيل المشاكلة والاستعارة نظيره قوله فلان لا يتمشى له امر وقد يوجد من الدواب ذات
ارجل ازيد من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلاوات بل مثل الحيوان الذي له اربع واربعون رجلا المسمى دخال الاذن وانما لم يذكرها الله سبحانه
لانها نادرة بالنسبة الى سائرها ومن العقلاء من زعم ان امثال هذه الدواب انما يعتمد وقت المشي على اربع فقط وقيل ان قوله تعالى يخلق ما يشاء
تنبيها على سائر الاقسام ولا ريب ان اختلاف الحيوانات لا يكاد ينحصر الا انا نذكر طرفا من ذلك تذكيرا لعجائب قدرة الله في خلقه فنقول الاختلاف بين الحيوانات
اما في جوهر العضو كالفرس له ذنب دون الانسان وان كان اجزاء الذنب من العظم والعصب واللحم والجلد والشعر حاصلة له في غير هذا العضو وكالسلحفاة
فله صدف يحيط به ليس للانسان وكذا السمك له فلوس والقنفذ له شوك واما في كمية العضو كاختلاف الالوان او الاشكال او الصلابة واللين واما
في الوضع كما ان يدي الفيل اقرب الى الصدر من يدي الفرس واما في الانفعال كما ان عين الخطاف لا تتحير في الضوء وعين الخفاش تتحير واما في سائر
الاحوال وذلك ان من الحيوانات بري وبحري او بري فقط ومن البحري ما يعتمد في السباحة على جناحه كالسمك ومنها ما يعتمد فيها على ارجله كالضفادع او بحري فقط
وكل من البحري والبري له اماكن مختلفة من البحر والبر فمنها ما له ماوى معلوم كالزوابي او الحفر او الشقوق او الحجرة في البراري كالعقرب او الشط او الصخر او الطين
في البحر ومنها ما ماواه كيف ما اتفق الا ان يلد فيقيم للحضانة ومن الحيوانات طيارة فمنها ما يسبح في الهواء فقط ومنها ما يسبح على وجه الماء ايضا
وكل طائر يمشي على رجلين وقد يصعب عليه المشي كالخطاف الكبير الاسود وكالخفاش ومنها ما جناحه جلد او غشاء وقد يكون عديم الرجل كصنف يكون
بالحبشة يطير ومنها ما يختار الاجتماع كالكراكي ومنها ما يوثر التفرد كالعقاب وكثير من الجوارح التي تتنازع على الطعم ومنها ما يتعايش زوجا كالقطا
والانسان من الحيوان الذي لا يمكنه ان يعيش وحده ومنها ما يتعاونه النحل والنمل الا ان النمل لا رئيس لها ومنها اكل لحم ومنها لاقط حب ومنها اكل
عشب ومنه زهر ومنه النحل ومن الحيوان ما هو انسي بالولد كالهرة والغرانيق او بالقهر كالفهد ومنه ما لا يانس كالنمر او يبطئ استيناسه كالاسد
ومن الحيوان ما لا صوت له ومنه ما له صوت وكل مصوت فانه يصير عند الاغتلام وحركة شهوة الجماع اشد تصويتا حتى الانسان ومنه ما له تسبيح ونشيد
كل وقت كالديك ومنه عفيف له وقت معين ومنه ولود ومنه بيوض وكل اذون ولود وكل صموخ بيوض سوى الخفاش ومنه هادي الطبع قليل الغضب
كالبقر ومنه شديد الجهل حاد الغضب كالخنزير البري ومنه حليم حمول كالابل ومنه محتال مكار كالثعلب ومنه غضوب سفيه الا انه ملق متودد كالكلب
ومنه شديد الكيس مستانس كالقرد والفيل ومنه حسود بهاء كالطاوس ومنه شديد الحفظ كالجمل والحمار لا ينسى الطريق الذي رآه وفي قوله ان الله على كل
شيء قدير اشارة الى ان اختصاص كل حيوان بهذه الخواص وباشباهها لا يكون الا عن فاعل مختار قدير قهار وحين فرغ من اثبات هذه الدلائل اراد ان يبين
احوال المكلفين وان فيهم منافقين فقدم لذلك مقدمة هي قوله لقد انزلنا آيات مبينات واما فقد العاطف ههنا بخلاف قوله ولقد انزلنا اليكم
آيات مبينات ومثلا فلان المقصود هناك هو ما سبق من التكاليف والمواعظ والغرض ههنا توطئة مقدمة لما يجيء عقيبه من حال اهل النفاق
والوفاق قوله وما اولئك اشارة الى الفريق المتولي وانما قال بالمؤمنين معرفا لانه اراد انهم ليسوا بالذين عرفت صحة ايمانهم وثباتهم واستقامتهم و
يحتمل ان يكون اولئك اشارة الى جميع القائلين آمنا واطعنا وحينئذ يكون قوله ثم يتولى فريق منهم حكما على البعض دفعا للالزام والتنقيض فان الحكم الكلي فيهما حكم
عن منع ومثل هذا قال في الآية الثانية اذا فريق منهم معرضون والحاصل انه حكم اولا على بعضهم بالتولي ثم صرح آخرا بان الايمان منتف عن جميعهم ويجوز ان
الفريق المتولي منهم رؤساء النفاق وقيل اراد بتولي هذا الفريق رجوعهم الى الباقين قال جار الله معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد
وكرمه اما سبب نزول الآية فعن مقاتل انها في بشر المنافق كما سبق في سورة النساء في قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وعن الضحاك نزلت
في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارض فتقاسما فوقع الى علي رض منها ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها
منه وتقابضا فقيل للمغيرة اخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي رض اقبض ارضك فاني ... فابى ودعا المغيرة الى محاكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي قوله يأتوا اليه مذعنين صلة الى فانه يتعدى بالى قال جار الله واحسن ان
يتصل بمذعنين ليفيد الاختصاص اي لا يتحاكمون اذا عرفوا ان الحق لهم الا الى الرسول مسرعين في طاعته ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق
عليهم بين ان يكون مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه وهذه الامور وان كانت متلازمة الا انها متغايرة
في الاعتبار فصحت القسمة ثم ابان بقوله بل اولئك هم الظالمون انهم لا يخافون حيفه لانهم عارفون امانته وانما الظلم مركوز في جبلتهم وانهم لا يستطيعون
الظلم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك يأتون المحاكمة اليه اذا كان الحق عليهم التأويل للآية تاويلان احدهما من عالم الآفاق والثاني
من عالم الانفس اما الاول فالمشكوة عالم الاجسام والزجاجة العرش والمصباح الكرسي والشجرة شجرة الملكوت وهي باطن عالم الاجسام وهي غير منسوبة
الى شرق الازل والقدم ولا الى غرب الفناء والعدم بل هي مخلوقة للابد ولا يعتريها الفناء يكاد زيتها وهو عالم الارواح يضيء اي يظهر من العدم في عالم
الصورة المتولدة بازدواج عالمي الغيب والشهادة ولو لم تمسسه نار رموز القدرة الالهية وذلك لقرب طبيعتها من الوجود نور على نور فالاول نور صفة
الرحمانية والثاني نور العرش فهو كقوله الرحمن على العرش استوى وفي قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى ان فيض نور الرحمانية ينقسم على كل
من يريد الله تعالى ايجاده من العرش الى ما تحت الثرى واما التاويل الثاني فالمشكوة الجسد والزجاجة القلب والمصباح السر والشجرة شجرة روحانية
التي خلقت للبقاء كما مر والزيت الروح الانساني القابل لنور العرفان قبولا في غاية القرب والنار نار التجلي والهداية في الازل فاذا انضم الى نور العقل
صار نورا على نور واذا تنور مصباح سر من يشاء بنور القدم تنور زجاج القلب ومشكوة الجسد ويخرج اشعتها من روزنة الحواس فيتنور ارض البشرية كما
قال واشرقت الارض بنور ربها وهو مقام كنت له سمعا وبصرا الحديث في بيوت هي القلوب اذن الله امر واراد ان ترفع درجاتها من بين سائر الارواح
والنفوس الى ان تسع الله كما قال وانما يسعني قلب عبدي المؤمن يروى انه اوحى الى داود عليه السلام فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال رب انت منزه عن البيت
فقال فرغ لي قلبك ومن يتاتى هذا التفرغ الا بواسطة ذكر الله فلهذا قال ويذكر فيها اسمه لا تلهيهم تجارة هي الفوز بدرجات الجنان كما قال هل ادلكم على تجارة
تنجيكم ولا بيع هو بيع الدنيا بالجنة كقوله ان الله اشترى الى قوله فاستبشروا ببيعكم وفيه ان الرجولية لا تتحقق الا اذا لم يلتفت الى الدنيا ولا الى الاخرة فيكون بحيث

بحيث لا يتصرف فيه ما سوى الله وحينئذ يصلي صلوة الوصال ويفيض على المستعدين زكوة حصول الكمال يخافون يوما هو يوم الفراق تتقلب فيه
القلوب والابصار البصائر لانها بيد الله يقلبها كيف يشاء او كظلمات في بحر لجي هو حب الدنيا يغشاه موج الرياء من فوقه موج هو حب الجاه
وطلب الرياسة من فوقه سحاب الشرك الخفي اذا اخرج يده سعيه واجتهاده لم يكد يرى طريق خلاصه ومن لم يجعل الله له نورا اي لم يصبه رشاش النور
الالهي في الازل يزجي سحب المعاصي المتفرقة الى ان تتراكم فترى الودق وهو مطر التوبة يخرج من خلاله كما خرج من سحاب وعصى آدم مطر ثم اجتبيه ربه
وينزل من سماء القلوب من جبال قساوة فيها من برد هو برد القهر يقلب الله ليل المعصية لمن يشاء الى نهار الطاعة وبالعكس لاولي الابصار اصحاب البصائر
الذين يشاهدون آثار لطفه وقهره في مرآة القلب والله خلق كل ذي روح من ماء هو روح محمد صلى الله عليه وسلم كما قال اول ما خلق الله روحي فمنهم
من يمشي اي يكون سيره تحصيل شهوات بطنه ومنهم من يمشي على رجلين اي يضيع عمره في شهوات الفرج لان الحيوان اذا قصد الوقاع يعتمد على رجلين
وان كان من ذوات الاربع ومنهم من يمشي على اربع هم اصحاب المناصب يركبون الدواب البتة أفي قلوبهم مرض انحراف في الفطرة ام ارتابوا فتشكك
اهل البدع والاهواء ام يخافون الحيف حين امروا بترك اللذات العاجلة لاجل الخيرات الباقية والله اعلم بحقيقة الحال والمآل

انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا
واطعنا واولئك هم المفلحون ۞ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله و
يتقه فاولئك هم الفائزون ۞ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا
تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون ۞ قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا
البلاغ المبين ۞ وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم و
ليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك
فاولئك هم الفاسقون ۞ واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول
لعلكم ترحمون ۞ لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماويهم النار و
لبئس المصير ۞ يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم
يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ۞
طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم
كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم ۞ والقواعد من النساء اللاتي
لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة
وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم ۞ ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباءكم
او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت

عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم
جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية
من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون
انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا
حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله
ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم
ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم

ويتقه بكسر القاف واختلس الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو وطريق الهاشمي بكسر القاف وسكون الهاء على انها
للسكت ابو عمرو وغير عباس وخلاد ورجا ويحيى وحماد وهبيرة من طريق الخراز وابن مجاهد عن ابن ذكوان باسكان القاف وكسر الهاء حفص غير الخراز
[illegible]

[illegible]

بعض

دعي

فقال لانهن محل فتنة فعلى هذا كان ينبغي ان لا يحسن تكليف العاجز بالتستر فاجاب بانه كان يلزم اذ ذاك مصيبتان احديهما عدم رؤية آخر والثانية لزوم رؤية القباح ثم ختم السورة بسائر العورات التي يعتبر فيها الاذن فقال ليس على الاعمى حرج نفى الحرج عن الاصناف الثلاثة ثم قال ولا على انفسكم ان تاكلوا ذهب ابن زيد الى ان المراد نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد ثم عطف على ذلك انه لا حرج عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة ووجه صحة العطف التقاء الطائفتين في ان كل واحدة منهما منفي عنها الحرج قال جار الله مثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر فقال آخرون كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي الآفات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب الكل ريبة خوفا من ان يلحقهم اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على هؤلاء الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك قال قتادة كانت الانصار في انفسها قزازة وكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا والقزازة احتراز عن القذر وهي مدح والكزازة ذم وروى الزهري عن سعيد بن المسيب وغيره ان المسلمين كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون كما يحكى عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت قال الاكثرون كان هؤلاء الضعفاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم فيقول الاعمى اني لا ارى شيئا فربما آخذ الاجود واترك الردي والاعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة او غيرها من اسباب الكراهة وايضا كان المؤمنون يقولون الاعمى لا يبصر الطعام الجيد ولا نأكله والاعرج لا يتمكن من الجلوس فلا يقدر على الاكل كما ينبغي والمريض لا يتأتى له ان ياكل كما ياكل الاصحاء فقيل ليس على هؤلاء ولا عليكم في المؤاكلة حرج ثم انه تعالى عدد من مواضع الاكل احد عشر موضعا الاول قوله من بيوتكم وفيه سؤال وهو انه اي فائدة في اباحة اكل الانسان طعامه من بيته والجواب اراد من بيوت ازواجكم وعيالكم لان بيت المراة كبيت الزوج قاله الفراء وقال ابن قتيبة اراد بيوت اولادهم ولهذا لم يذكر الاولاد في جملة الاقارب وان الولد اقرب الاقربين لانه بعض الرجل وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وباقي البيوت لا اشكال فيها الى البيت العاشر وهو قوله او ما ملكتم مفاتحه وفيه وجوه احدها قال ابن عباس وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وثانيها قال الضحاك يريد الزمنى الذين يخلفون الغزاة وثالثها قيل اراد بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه الحادي عشر قوله او صديقكم يعني او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا كالعدو وعن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد اكابر الصحابة وعن جعفر بن محمد الصادق رض من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط بمنزلة النفس والاب والاخ والابن قال العلماء اذا دل ظاهر الحال على رضاء المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه احتج ابو يوسف بالآية على انه لا قطع على من سرق من ذي رحم محرم وذلك انه تعالى اباح الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذن فلا يكون ماله محرزا منهم واورد عليه ان لا يقطع اذا سرق من صديقه واجاب بان السارق لا يكون صديقا للمسروق منه واعلم ان ظاهر الآية دل على اباحة الاكل من هذه المواضع لا يتوقف على الاستيذان نعم فائدة ان الاكل مباح ولكن لا يحمل وجمهور العلماء انكروا ذلك فقيل كان ذلك في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه ومما يدل على هذا النسخ قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وقال ابو مسلم هذا في الاقارب الكفرة اباح في هذه الآية ما حظره في قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وقيل ان هؤلاء القوم كان يطيب انفسهم اكل من يدخل عليهم والعادة كالاذن في ذلك فلا جرم خصهم الله تعالى بالذكر لان هذه العادة في الاغلب توجد فيهم ولذلك ضم اليهم الصديق واذا علمنا ان الاباحة انما حصلت في هذه الصورة لاجل حصول الرضا فلا حاجة الى القول بالنسخ ولما بين نفي الحرج عنهم في نفس الاكل اراد ان ينفي الحرج عنهم في كيفية الاكل فقال ليس عليكم جناح ان تاكلوا وانتصب قوله جميعا او اشتاتا على الحال اي مجتمعين او متفرقين والاشتات جمع شت وهو نعت وقيل مصدر وصف به ثم اجمع اكثر المفسرين ومنهم ابن عباس على انها نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون من الانفراد في الطعام فربما قعد الرجل منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله اكل ضرورة وقال عكرمة وابو صالح نزلت في قوم من الانصار لا ياكلون الا مع ضيفهم وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما على حدة وكذلك للزمن والمريض فبين الله ان ذلك غير واجب وقال آخرون كانوا ياكلون فرادى خوفا من ان يحصل عند الجمعية ما ينفر او يؤذي فرفع الله الحرج ثم علمهم ادبا جميلا قائلا فاذا دخلتم بيوتا اي من البيوت المذكورة لتاكلوا فسلموا على انفسكم اي ابدؤا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وانتصب تحية بسلموا نحو قعدت جلوسا ومعنى من عند الله انها ثابتة من عنده ومشروعة من لدنه او اراد ان التحية طلب حيوة للمخاطب من عند الله وكذا التسليم طلب السلامة له من عنده ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله تعالى زيادة الخير وطلب الرزق وتضعيف الثواب عن انس قال كنت واقفا على رأس النبي صلى الله عليه وسلم اصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال الا اعلمك ثلث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين قال العلماء ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن جملة الآداب قوله سبحانه انما المؤمنون الآية والمقصود ان يبين عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع وهو الذي يجمع له الناس فلما كان الامر سبب الجمع وصف به مجازا قال مجاهد هو امر الحرب ونحوه من الامور التي يعم ضرره ونفعه وقال الضحاك هو الجمعة والاعياد وكل شيء يكون فيه الخطبة وذلك انه لا بد في الخطوب الجليلة من ذوي رأي وقوة يستعان بها بآرائهم ويجاريهم في كفايتها فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ويشعب عليه رأيه قال الجبائي في الآية دلالة على ان استيذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز ان يكونوا كاملي الايمان وان تركوا الاستيذان واجيب بان ترك الاستيذان من اهل النفاق لا نزاع انه كفر لانهم تركوه استخفافا قال جار الله ومما يدل على عظم هذه الجناية انه جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه فيأذن لهم ثالث الايمان بالله والايمان برسوله مع ذلك صدر الجملة بانما واوقع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فجعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمان بالله والرسول وفيه تعريض بحال المنافقين وتسللهم لواذا وفي قوله لبعض شأنهم دليل على ان امر الاستيذان مضيق لا يجوز ارتكابه في كل شأن وفي قوله فاذن لمن شئت منهم دلالة على انه تعالى فوض بعض امر الدين الى اجتهاد الرسول ورأيه وزعم قتادة انها منسوخة

بقوله لم اذنت لهم وفي قوله واستغفر لهم الله وجهان احدهما ان هذا الاستغفار لاجل انهم تركوا الاولى والافضل وهو ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب والاستئذان والثاني انه جزاء لهم على تمسكهم باذن الله تعالى في الاستيذان ثم حثهم على طاعة رسوله بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول اي لا تقيسوا دعاءه اياكم لخطب جليل على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي وذلك ان امره فرض لازم وامر غيره ليس بفرض وانما هو ادب مستحسن رعايته مع الائمة والمتقدمين هذا ما عليه الاكثرون منهم المبرد والقفال وعن سعيد بن جبير لا تنادوه باسمه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض وقيل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه عليكم اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره والتسلل الانسلال والذهاب على سبيل التدرج واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا وانتصابه على الحال والحاصل انهم ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة وهو استتار بعضهم ببعض وقيل كان يلوذ من لم يؤذن له بالذي اذن له فينطلق معه قال مقاتل هذا في الخطبة وقال مجاهد في صف القتال وقال ابن قتيبة نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن ومعنى قد يعلم تكثير العلم والمبالغة فيه كما مر في البقرة في قوله قد نرى تقلب وجهك يقال خالفه عن القتال اي جبنت عنه واقدم هو وخالفه الى القتال اي اقدمت وجبن هو والفتنة المحنة في الدنيا كالقتل والزلازل وسائر الاهوال والعذاب الاليم هو عذاب النار وعن جعفر بن محمد الفتنة ان يسلط عليهم سلطان جائر قال الاصوليون في الآية دلالة على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك المامور به مخالف لذلك الامر فان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه والموافقة ضد المخالفة فاذا اخل بمقتضاه كان مخالفا والمخالف مستحق للعقاب بالآية ولا نعني بالوجوب الا هذا واعترض عليه بان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه على الوجه الذي يقتضيه الامر فان الامر لو اقتضاه على سبيل الندب وانت تاتي على سبيل الوجوب كان ذلك مخالفة الامر ومنع من ان المندوب مامور به فان هذا اول المسئلة والظاهر ان الضمير في امره للرسول ولو كان لله تعالى لم يضر لانه لا فرق بين امر الله وبين امر رسوله وامر الرسول متناول عند بعضهم للقول والفعل والطريقة كما يقال امر فلان مستقيم وعلى هذا فكل ما فعله الرسول فانه يكون واجبا علينا ثم بين كمال قدرته وعلمه بقوله الا ان لله الى آخره تاكيدا لوجوب الحذر قال جار الله الخطاب والغيبة في قوله ما انتم عليه ويوم يرجعون كلاهما للمنافقين على طريقة الالتفات والاول عام والثاني لاهل النفاق والاول يحتمل ان يكون كلاهما عاما للمنافقين والفاء في قوله فينبئهم لبيان ما قبلها وما بعدها بالغوك وربك

التأويل

ومن يطع الله ورسوله فيما يدعوه منه الى الحضرة بترك ما سوى الله ويخش الانقطاع عن الله ويتق به عما سواه فاولئك هم الفائزون بالوصول والوصال وصالا بلا انفصال وزوال لان امرتهم بالخروج عن غير الله طاعة معروفة بالفعل دون القول ليستخلفنهم ليخرجن ما في استعدادهم من خلافة الله في ارض البشرية من القوة الى الفعل وليمكنن كل صنف حمل الامانة المودعة فيه على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم فمنهم حفاظ اخبار النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ومنهم علماء الاصول ومنهم علماء الفروع ومنهم اهل المعرفة واصحاب الحقائق وارباب السلوك الكاملون المكملون ومنهم خلفاء الله على الحقيقة واقطاب العالم واوتاد الارض وليبدلنهم من بعد خوفهم من الشرك الخفي امنا يعبدونني بالاخلاص لا يشركون بي شيئا من مطالب الدنيا والآخرة ليستاذنكم المريدون الذين هم تحت تصرفكم والذين لم يبلغوا اوان الشيخوخة ثلاث مرات في المبادي وفي اوساط السلوك وفي نهاية امرهم فاذا صلحت احوالهم في هذه الاوقات صلح سائرها في الاغلب والله المستعان والقواعد فيه اشارة الى ان المريد اذا صار بحيث امن منه افشاء الاسرار وما استودع فيه من متولدات الاحوال فلا ضير عليه ان لا يبالغ في التستر والاخفاء من الاغيار والكتمان خير له ليس على الاعمى حرج قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية وفيه اشارة الى ان من لا يبصر الا بالله ولا يمشي الا بالله ولا يعلم الا بالله فانهم مخصوصون بالكون بكينونة الله كما قال كنت له سمعا الحديث فانهم مستعدون لقبول الفيض الالهي وهم السابقون المقربون فلا حرج في الشروع على من يكون مستعدا لهذا الكمال فان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفي قوله ولا على انفسكم الى آخره اشارة الى انه لا حرج على ارباب النفوس ان يكون ماكلهم من بيوتهم او بيوت ابناء جنسهم وهي الجنات ومراتبها كما قال فيها ما تشتهيه الانفس وفي قوله او ما ملكتم مفاتحه اشارة الى ان درجات الجنة مساكن اهل الكتاب كما ان مقامات اهل القرب عند مليك مقتدر منازل اهل المواهب قوله او صديقكم فيه ان درج الجنان ينالها المرء ببركة جليسه الصالح وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآت قلب المريد الصادق فينال به مرتبة لم يكن وصل اليها بجده واجتهاده ليس عليكم جناح فيه انه لا حرج على اهل الجنة ان يكون ماكلهم من درجة واحدة او من درجات شتى فاذا دخلتم بيوتا اي بلغتم منزلا من المنازل فسلموا اي استسلموا الاحكام الربوبية بمزيد العبودية حتى يرتقوا منها الى منازل اعلى واطيب انما المؤمنون فيه ان المريد الصادق ينبغي ان لا يتنفس الا باذن شيخه فان الشيخ في قومه كالنبي في امته ان تصيبهم فتنة من المال او الجاه او قبول الخلق او التزوج او السفر بلا اذن الشيخ او التردد على ابواب الملوك ونحو ذلك او العقبة ...

سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بالطائف الم تر الى ربك كيف مد الظل حروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون كلماتها ثمانمائة واثنان وسبعون آياتها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ۝ الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا ۝ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ۝ ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ۝ وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتريه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا ۝ وقالوا اساطير الاولين اكتتبها

فهي تملى عليه بكرة واصيلا ۝ قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
انه كان غفورا رحيما ۝ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ۝ او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها
وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ۝ انظر كيف ضربوا لك
الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ۝ تبارك الذي ان شاء
جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ۝
بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ۝ اذا رأتهم من مكان
بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ۝ واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا
هنالك ثبورا ۝ لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ۝ قل اذلك
خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا ۝ لهم فيها ما يشاؤون
خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا ۝ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله
فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل ۝ قالوا سبحانك ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا
قوما بورا ۝ فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ۝
ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا ۝ وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا

جنة نأكل بالنون حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء التحتانية ويجعل لك بالرفع ابن عامر وابو بكر وحماد والمفضل وابن كثير الباقون بالجزم وذلك ان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم نحشرهم فيقول كلاهما بالياء ابن كثير ويزيد وسهل ويعقوب وعباس وحفص وقرأ ابن عامر بالنون فيهما الباقون بالنون في الاول وبالياء في الثاني ان نتخذ على البناء للمفعول يزيد ويزيد بما تقولون بتاء الخطاب الترمذي عن قنبل تستطيعون على الخطاب حفص غيره بياء الغيبة ۞ الوقوف نذيرا لا بناء على ان ما بعده بدل من الذي نزل او تعليل من تمام الصلة ولو قدر رفعه او نصبه على المدح جاز الوقف تقديره ولا نشورا ج آخرون ج لاجل الفاء مع اختلاف القائل او لاحتمال ان يكون فقد جاءوا مقول الكفار اي جاء محمد ومن اعانه بظلم وزور وزورا ج لاحتمال المذكور ولعطف المتفقتين مع عوارض وطول الكلام واصيلا والارض ط رحيما الاسواق ط نذيرا لا منها ط مسحورا سبيلا الانهار ان جعل يجعل على الاستئناف قصورا سعيرا ج لاحتمال كون ما بعده صفة او استئنافا وزفيرا ثبورا الاول ط كثيرا المتقون ط لانتهاء الاستفهام ومصيرا خالدين ط مسؤولا السبيل ط الذكر ج لجواز ان يكون المراد وقد كانوا ولجواز ان يراد وصاروا فيتصل بقوله لنسوا بورا يقولون الا من قرأ تستطيعون بتاء الخطاب نصرا ج للشرط مع العطف كبيرا في الاسواق ط فتنة ط اتصبرون ج لاحتمال كون الواو للحال بصيرا ۞ التفسير انه سبحانه تكلم في هذه السورة اولا في التوحيد لانه اقدم واهم ثم في النبوة لانها الواسطة ثم في المعاد وختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين فما اشرف هذه المطالب وما احسن هذا الترتيب ومعنى تبارك كثر خيره وزاد او تعالى عن اوصاف الممكنات وقد مر في قوله فتبارك الله احسن الخالقين قال العلماء هذه اللفظة لا يستعمل الا بالله الا بلفظ الماضي وجاء في هذه السورة في ثلثة مواضع لان ما بعدها عظائم الامور وكل وصف نفسه بتنزيل القرآن الفارق بين الحق والباطل او المفرق في الانزال بعد قوله تبارك دليل على ان كل البركة والخير انما هو في القرآن وكان هذه الصفة معلومة بدلايل الاعجاز فلذلك صح ايقاعها صلة للذي والضمير في ليكون لعبده او للفرقان كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والعالمون يشمل الخلايق كلهم الا ان الاجماع دل على خروج الملائكة وما على الثقلين فبقي ان يكون مبعوثا الى الجن والانس الى آخر مدة التكليف والنذير المنذر او الانذار كالنكير قالت المعتزلة لو لم يرد الايمان من الكل لم يكن الرسول نذيرا للكل وعورض بنحو قوله ولقد ذرانا لجهنم والانذار الموجب للخوف لا ينافي ووصفه تعالى بالبركة والخير لان النظر على السعادات الاخروية التي يحصل بالانذار

على ذوات بعض الالات العاجلة ثم وصف ذاته بصفات اربع اولها الذي له ملك السموات والارض وفيه تنبيه على افتقار الكل اليه في الوجود وفي توابعه من البقاء وغيره الثانية ولم يتخذ ولدا وفيه رد على النصارى واليهود الثالثة ولم يكن له شريك في الملك وفيه رد على سائر المشركين من الثنوية والوثنية وارباب الشرك الخفي ايضا ولكنه صرح بهذا الاخير في الصفة الرابعة وهي قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا قال جار الله المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية والتهيئة لما يصلح له والمراد بالخلق الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق وهو ما فيه من معنى التقدير لئلا يلزم التكرار فكانه قيل اوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا او احدثه فقدره للبقاء الى امد معلوم وعندي ان الكلام محمول على القلب الذي يشجع عليه امن الالتباس اي قدره في الازل تقديرا فخلقه في وقته موافقا لذلك التقدير والبحث فيه بين المعتزلة والاشاعرة كما مر في قوله الله خالق كل شيء ثم صرح بتزييف مذاهب عبدة الاوثان قائلا واتخذوا الآية وحاصله ان اله العالم يجب ان يكون قادرا على الاشياء واشرفها الاحياء واخسها وهو الجماد بل الملائكة والمسيح لا قدرة لهم على الايجاد والتصرف في شيء الا باذن الله فيكون الآية ردا على الكل والقائل في هذه السورة ومن دونه لتقدم الذكر منفردا في ارم وليس من دون الله لان ما قبلها بلفظ الجمع لتعظيمها فلم يكن بد من التصريح وحين فرغ من بيان التوحيد ونفي الانداد شرع في شبهات منكري النبوة والاجوبة عنها فالشبهة الاولى قولهم ان هذا الا افك افتريه اراد انه كذب في نفسه او انه كذب في اضافته الى الله تعالى وقوله واعانه عليه قوم آخرون نظير قوله تعالى انما يعلمه بشر وقد مر ما قيل في سبب نزوله في النحل فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله فقد جاءوا ظلما وزورا اي اتوهما فانتصب بوقوع المجيء عليه وعن الزجاج انه انتصب بنزع الخافض اي اتوا بالظلم والزور فالظلم هو انهم نسبوا هذا الفعل الشنيع وهو الافتراء على الله الى من هو عندهم في غاية الامانة والصدق والزور هو انحرافهم عن جادة العدل والانصاف فلو انصفوا من انفسهم لعلموا ان العربي لا يتلقن من العجمي كلاما عجز بفصاحته جهابذهم ولو استعان محمد في ذلك بغيره لامكنهم ايضا ان يستعينوا بغيرهم قال ابو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول والزور كذبهم عليه الشبهة الثانية قولهم انه اساطير الاولين اي احاديث سطرها المتقدمون كاحبار الاعاجم اكتتبها لنفسه كقولك استكتب الماء اي سكبه لنفسه واخذه وقد يظن ان في الكلام قلبا لانه يقال امليت عليه فهو يكتبها واجيب بان المعنى اراد اكتتابها فهي تقرأ عليه او كتبت له وهو امي فهي اي تلقى عليه من كتابه ليحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب قال الضحاك ما يملى عليه بكرة يقرأ عليكم عشية وما يملى عليه عشية يقرأ عليكم بكرة وقال جار الله بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم فاجاب عن هذه الشبهة بقوله قل انزله الذي يعلم السر الآية والمعنى ان العالم بكل سر هو الذي يقدر على الاتيان بمثل هذا الكتاب بفصاحته بيانه وبلاغة معانيه وبراءته من التناقض والاختلاف واشتماله على الغيوب وعلى مصالح العباد في المعاش والمعاد وقال ابو مسلم اراد انه يعلم كل سر خفي ومن جملته ما يسرونه انتم من الكيد والنفاق فهو يجازيكم عليه ولاجل هذا ختم الآية بذكر المغفرة والرحمة فانه لا يوصف بهما الا القادر على العقوبة وقيل هو تنبيه على انهم استحقوا بمكابرتهم العذاب العاجل ولكنه صرفه عنهم برحمته وغفرانه الشبهة الثالثة قولهم على سبيل الاستهانة والتصغير لشأنه ما لهذا الزاعم انه رسول اي ما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد وزعموا انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن هذا المقام فطلبوا ان يكون انسانا معه ملك يعضده ويساعده في باب الانذار ثم نزلوا فاقترحوا ان يكون مستظهرا بكنز يلقى اليه من السماء حتى لا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فقالوا لا اقل من ان يكون كواحد من الدهاقين له بستان ينتفع به او ننتفع نحن بذلك على اختلاف القرائتين والنصب في فيكون لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام ومحل انزل الرفع كما نقول لو لا ينزل ولهذا عطفت عليه يلقى وتكون مرفوعين وقال الظالمون من وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش النضر بن الحارث واشباهه والمسحور المغلوب على عقله والامثال الاقوال النادرة والاقتراحات الغريبة المذكورة فبقوا متحيرين ولا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق ولا يجدون طريقا اليه وقد مر مثل هذه الآية في اواسط سورة بني اسرائيل وحين حكى شبههم وسطا عنهم صرح لنفسه بالتمجيد والتعظيم وقوله تبارك اي تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقيل المراد خيرا من ذلك اي مما عيروك به الفعة الواحدة وعن عكرمة خيرا من المشي في الاسواق لابتغاء المعاش وفي قوله ان شاء دليل على انه لا حق لاحد من العباد عليه لا في الدنيا ولا في الآخرة وان حصول الخيرات بمحض مشيئته وعنايته وقيل ان بمعنى اذا اي قد جعلنا لك في الآخرة جنات وبنينا لك قصورا والقصر المسكن الرفيع ويحتمل ان يكون لكل جنة قصر وان يكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل لك في الآخرة جنات وفي الدنيا قصورا وعن طاوس عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبريل عنده قال جبريل هذا ملك قد نزل من السماء استأذن ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم وقال ان الله تعالى يخيرك بين ان يعطيك مفاتيح كل شيء ولم يعطها احدا قبلك ولم يعطها احدا بعدك من غير ان ينقصك مما ادخر لك شيئا فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها لي في الآخرة فنزلت هذه الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم عرض علي جبريل بطحاء مكة ذهبا فقلت بل شبعة وثلث جوعات وفي رواية اشبع يوما واجوع ثلاثا فاحمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت قوله بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها اذ لا يرجون ثوابا ولا عقابا ويجوز ان يراد وليس ما تعلقوا به شبهة علمية في نفس المسئلة بل ما حملهم على ذلك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها واعتدنا جعلناه عتيدا ومعدة لهم وقد يستدل به على ان النار مخلوقة ويحتمل ان يقال هو كقوله ونادى وسبق قالت الاشاعرة البنية ليست شرطا في الحيوة وتراءيهما فاجروا قوله اذا رأتهم على ظاهره وقالوا لا امتناع في كون النار حية رائية متغيظة على الكفار والمعتزلة اولوا وقالوا معنى رأتهم ظهرت لهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وقال الجبائي ذكر النار واراد الزبانية اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم قيل التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعا فكيف قال الله تعالى سمعوا لها تغيظا واجيب بان المراد سماع ما يدل على التغيظ وهو الصوت اي سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيظ قاله الزجاج قال قطرب علموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر متقلدا سيفا ورمحا يروى ان جهنم تزفر زفرة لا يبقى احد الا ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم صلوات الله عليه يجثوا على ركبتيه ويقول نفسي نفسي وحين وصف حال الكفار اذا كانوا بالبعد منها وصف حالهم حين يلقون فيها عن ابن عباس انه يضيق عليهم المكان كما يضيق الزج في الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يخفضهم الداخلون فيزدحمون في تلك الابواب الضيقة وقال جار الله الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا وقالت الصوفية المكان الضيق قلب الكافر في صدره كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا ثم ان اهل جهنم مع ما هم فيه من الضيق يكونون مقرنين في السلاسل والاصفاد وقد مر في آخر سورة ابراهيم والثبور الهلاك ودعاؤه النداء وا ثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا اوانك وهنيئا

اضمارا اي يقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اذ هم احقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يكن ثمة قول والمعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم او لانهم يجدون بسبب ذلك القول خفة فان المعذب اذا صاح وبكى وجد بسببه راحة قال الكلبي نزل هذا في ابي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات ثم وبخهم بقوله قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اي وعدها فحذف الرابط للعلم به وليس هذا الاستفهام كقول القائل السكر احلى ام الصبر لكن الغرض منه التقريع كما اذا اعطى السيد عبده مالا فتمرد وابى واستكبر فضربه ضربا وجيعا ويقول على سبيل التوبيخ هذا الطيب ام ذلك والاضافة في الخلد للتوضيح والتاكيد لا للتمييز فان الجنة معلوم ان نعيمها لا ينقطع قالت الاشاعرة في قوله وعد دلالة على ان الجنة انما يستحق بحسب الوعد والفضل لا بالعمل وقالت المعتزلة في قوله المتقون اشارة الى ان الجنة لا ينال الا بالتقوى ولذلك اكد بقوله على سبيل التخصيص بسبب تقديم الجار كانت لهم جزاء ومصيرا اجابت الاشاعرة بان كونه جزاء ثبت في الازل ولا عمل هناك قالت المعتزلة لا عفو لصاحب الكبيرة لان الجنة جزاء المتقين خاصة فلا يجعل جهنم جزاءهم اجابت الاشاعرة بانه لم لا يجوز ان يرضى المتقون بادخال الله تعالى اهل العفو الجنة قال جار الله ذكر المصير مع ذكر الجزاء مدحا للثواب ومكانه كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفي قوله لهم فيها ما يشاؤن دلالة على ان حصول المرادات باسرها لا يكون الا في الجنة واما الدنيا فالراحات فيها مخلوطة بالجراحات والضمير في كان لما يشاؤن واستدلت المعتزلة بقوله على ربك ان ذلك واجب على الله حتى انه لو لم يفعل استحق الذم واجيب بانه وجب بحكم الوعد لقوله وعدا مسؤلا كان المكلفون سالوه بلسان الحال من حيث تحملوا المشقة الشديدة في طاعته او سالوه حقيقة بقولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك او سالة الملائكة في قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم او من حقه ان يسال ويطلب لانه حق واجب بحكم الاستحقاق او بحكم الوعد على المذهبين قوله ويوم نحشرهم رجوع الى قوله واتخذوا من دونه الهة وظاهر قوله وما يعبدون انها الاصنام فظاهر قوله انتم اضللتم انه من عبد من العقلاء كالملائكة والمسيح فلاجل هذا اختلفوا فحكى قوم منهم الكلبي على الاوثان ثم قالوا لا يبعد ان يخلق الله تعالى فيها الحيوة والنطق او اراد انهم تكلموا بلسان الحال وقال الاكثرون انه عام للاصنام والمعبودين العقلاء ونظيره قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ثم قالوا ان لفظة ما قد يستعمل في العقلاء او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم كما اذا اردت السؤال عن صفة زيد فيقول ما زيد تريد اطويل ام قصير والسائل هو الله تعالى وحده او الملائكة باذنه وانما قال انتم وهم ولم يقل اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لان السؤال وقع عن تولي فعل الاضلال لا عن نفس الاضلال وفائدة هذا السؤال مع علام الغيوب ان يجيب المعبودين بما اجابوا به حتى يحصل لعبدتهم الالزام والتوبيخ كما قال لعيسى ءانت قلت للناس وكان القياس ان يقال ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل هداه الى الطريق او للطريق قالوا سبحانك تعجب مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا او قصدوا تنزيهه من ان يكون مقصوده من هذا السؤال استفادة علم او ايذاء من كان بريا من الجرم بل انما سالهم تقريعا للكفار وتوبيخا لهم من قرا ان نتخذ بفتح النون فظاهر وهو متعد الى واحد والاصل ان نتخذ اولياء من دونك فزيدت من لتاكيد معنى النفي ومن قرا بضم النون فهو متعد الى اثنين الاول ضمير نحن والثاني من اولياء ولا يكون من زائدة لانها لا تزاد في المفعول الثاني يقول ما اتخذت من احد وليا ولا يقول ما اتخذت احدا من ولي لكن من للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والمعنى انا لا نصلح لذلك فكيف ندعوهم الى عبادته وفي تفسير الاية على القراءة الاولى وجوه الاول ان المعنى اذا كنا لا نرى ان نتخذ من دونك وليا فكيف ندعو غيرنا الى ذلك الثاني ما كان يصح لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة عن ابي مسلم الثالث بتقدير مضاف محذوف اي ما كان لنا ان نتخذ من دون رضاك من اولياء اي لما علمنا انك لا ترضى بهذا ما فعلنا وقالت الملائكة انا وهم عبيدك ولا ينبغي لعبيدك ان يدعوا من دون اذنك وليا الرابع قالت الاصنام لا يصح منا ان نكون من العابدين فكيف يمكننا ادعاء انا من المعبودين وفي الاية دلالة على انه لا يجوز الولاية والعداوة الا باذن الله والولاية المبنية على ميل النفس وشهوة الطبع مذمومة شرعا والذكر ذكر الله والايمان به او القران والشرائع او ما فيه حسن ذكرهم في الدنيا والاخرة قالت المعتزلة في قوله ولكن متعتهم الى اخره دليل بين على ان الله عز وجل لا يضل عباده على الحقيقة والا كان جواب العبيد ان يقولوا بل انت اضللتهم لا ان يقولوا بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وعلى ابائهم بتفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان يكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر فالحاصل انهم بانفسهم لا باضلالك وقالت الاشاعرة بل فيه دلالة على قسم ثالث وهو ان الله تعالى هو المضل في الحقيقة كانهم قالوا الهنا انت الذي اعطيتهم جميع مطالبهم في الدنيا حتى استغرقوا في بحر الشهوات واعرضوا عن التوجه الى طاعتك والاشتغال بخدمتك فان هي الا فتنتك الى قوله وكانوا قوما بورا قال الاكثرون البور جمع بائر من البوار الهلاك كعائذ وعوذ وحائل وحول وحكى الاخفش انه اسم جمع يقال رجل بور اي فاسد هالك لا خير فيه وامراة بور وقوم بور كما يقال انت بشر وانتم بشر قالت المعتزلة معناه وصاروا الى الهلاك بسبب اختيارهم الضلال وقالت الاشاعرة اراد انهم كانوا في اللوح المحفوظ من جملة الهالكين وكونه قيل انه فعل بالكافر ما صار معه بحيث لا يمكنه ترك الكفر صح القول بالقدر ايضا قوله فقد كذبوكم التفات لاجل الالزام والفاء فيه تدل على شرط مقدر كانه قال ان زعمتم انهم الهتهم فقد كذبوكم بقولكم انهم الهة او بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا على اختلاف تراكيب الخطاب والغيبة قال جار الله الباء في الاول كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من كاف الخطاب كانه قيل فقد كذبوا بما يقولون وفي الثاني كقولك كتبت بالقلم فما تستطيعون انتم يا كفار او فما تستطيع الهتكم على القراءتين صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة لانها تصرف العاصي عن فعله وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ثم ذكر وعيد كل ظالم بقوله ومن يظلم الاية فاستدلت المعتزلة به على وعيد الفاسق وخلوده وذلك ان الفسق ظلم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون والانصاف انه لا دلالة في الاية على خلودهم لان من ليست من صيغ العموم عند بعضهم وان سلم فلعل المراد الاكثر والاقوام باعيانهم لقوله منكم ولئن سلم فلعله مشروط بعدم العفو كما انه مشروط عند المعتزلة بعدم التوبة ولو سلم الجميع فاذاقة العذاب لا يدل على الخلود ثم بين بقوله وما ارسلنا الاية انه لا وجه لقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام لان هذه عادة مستمرة من الله في كل رسله قال الزجاج الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف لان في قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد وقال الفراء المحذوف هو الموصول والتقدير الا من انهم وقال ابن الانباري المحذوف هو الواو وبعد الا فيكون الجملة حالا كقوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة قال الكلبي والفراء والزجاج ان هذا في رؤساء المشركين كابي جهل وغيره وفي فقراء الصحابة كانه اذا راى الشريف الوضيع وقد اسلم قبله انف ان يسلم فاقام على كفره لئلا يكون للوضيع السابقة والفضل عليه ودليله قوله

كان خيرا ما سبقونا اليه وعن ابن عباس والحسن انه في اصحاب البلاء والعافية يقول احدهم لم لم اجعل مثله في الخلق والخلق وفي العقل والعلم والرزق والاجل وغير ذلك يؤيده ما روي عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرا هذه الاية وقال اخرون انه احتجاج عليهم في تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مع مساواته اياهم في البشرية وصفاتها فابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وانواع الاذى وابتلى المرسل اليهم بتكليف بذل النفس والمال وصبيرورتهم تابعين خادمين لعبد ان كانوا متبوعين مخدومين قالت الاشاعرة في هذا الجعل اشارة الى مذهبنا في القدر وقال الجبائي هذا الجعل بمعنى التعريف كما يقال فلان يثبت ان فلانا لص انه جعله لصا قال في الكشاف موقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا قلت اراد ان كلا من الابتلاء والفتنة يستدعي التمييز فيحسن الاستفهام بعده اي ليفتنكم لينظر اتصبرون على البلاء ام لا ولعل الاظهر ان الاستفهام غير معلق بالفتنة وانما هو مستانف للوعيد كقوله فهل انتم منتهون ويؤيده قوله وكان ربك بصيرا بالعالم لمن يصبر ومن لا يصبر فيجازي كلا منهم بحسب ذلك وقيل في الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر فقد جعل الاغنياء فتنة للفقراء وقيل جعلناك فتنة لهم حين بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله ولو كنت غنيا صاحب كنز كما اقترحوا لم يظهر الطامع من المخلص وقالت الصوفية اتصبرون يا معشر الانبياء على ما يقولون ويا معشر الامم على ما يقولون والله اعلم

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا
في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ۝ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ۝
ويقولون حجرا محجورا ۝ وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ۝
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ۝ ويوم تشقق السماء
بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ۝ الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما
على الكافرين عسيرا ۝ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا ۝ يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ۝ لقد اضلني
عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا ۝ وقال الرسول
يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا ۝ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ۝ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ۝ ولا ياتونك
بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ۝ الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا ۝ ولقد اتينا موسى الكتاب
وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا ۝ فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا
فدمرناهم تدميرا ۝ وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم
للناس اية واعتدنا للظالمين عذابا اليما ۝ وعادا وثمود واصحاب
الرس وقرونا بين ذلك كثيرا ۝ وكلا ضربنا له الامثال وكلا
تبرنا تتبيرا ۝ ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا
يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا ۝ واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا

كان

اهذا الذي بعث الله رسولا ۝ ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان
صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ۝
ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ۝ ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ۝
الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه
دليلا ۝ ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ۝ وهو الذي جعل لكم
الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ۝ وهو الذي
ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا ۝
لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا ۝ ولقد
صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا ۝

تشقق بتخفيف الشين على حذف تاء التفعل وكذلك في سورة ق عاصم وحمزة وعلي وخلف وابو عمرو والآخرون بالتشديد
للادغام وننزل من الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير الباقون ونزل ماضيا مجهولا من التنزيل الملائكة بالرفع يا ليتني اتخذت بفتح ياء المتكلم ابو عمرو
وقومي اتخذوا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وثمود بغير تنوين في الحالين حمزة وسهل ويعقوب وحفص الآخرون بالتنوين
للمشاكلة او بتاويل الحي لا القبيلة او لانه اسم الاب الاكبر الريح على التوحيد ابن كثير نشرا مذكور في الاعراف ميتا بالتشديد يزيد ولنسقيه بفتح النون
المفضل البرجمي الباقون بضمها الوقوف الجزء التاسع عشر ربنا ط كبيرا ۝ محجورا ۝ منثورا ۝ مقيلا ۝ تنزيلا ۝ للرحمن ط عسيرا ۝ سبيلا ۝
خليلا ۝ اذ جاءني ط لان ما بعده من اخبار الله تعالى ظاهرا ويحتمل ان يكون من تتمة حكاية كلام الظالم خذولا ۝ مهجورا ۝ المجرمين ط ونصيرا ۝ واحدة ۝
على تقدير فرقنا انزاله كذلك اي كما ترى لنثبت وان وصلت وقفت على كذلك ط والتقدير جملة واحدة كذلك الكتاب المنزل وهو التوراة ثم ابتدأ
فعلنا اي فرقنا ولنثبت ترتيلا ۝ تفسيرا ط لان ما بعده مبتدأ وخبر سبيلا ۝ وزيرا ۝ ج لانه ولفاء العطف بايانا ط للفاء الفصيحة اي

الذي

المضل وخالف الرسول ثم خذله واراد الجنس فيدخل فيه كل من تشيطن من الجن والانس ثم ان الكفار لما اكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت ضاق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وشكاهم الى الله عز وجل وقال يا رب ان قومي يعني قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا اي تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن ابي مسلم ان المراد وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة روي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى والمعنى اتخذوه اي جعلوه مهجورا فيه وعلى هذا فله معنيان احدهما انهم زعموا انه كلام لا فائدة فيه والثاني انهم كانوا اذا سمعوه لغوا فيه وجوز في الكشاف ان يكون المهجور مصدرا بمعنى الهجر كالميسور والمجلود اي اتخذوه هجرا سؤال هذه الشكوى بمنزلة قول نوح رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا فلم صارت شكاية نوح سببا لحلول العذاب بامته ولم يصر شكاية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سببا لذلك الجواب ان الكلام بالتمام وكان من كلام نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولم يكن كلام رسولنا الا مجرد الشكاية ولم يفض الى الدعاء عليهم وذلك من غاية شفقته على الامة ان بلغ ايذاؤهم اياه الغاية ما اوذي نبي مثل ما اوذيت هذا مع ان الله سبحانه سلاه وعزاه وامره بالصبر على اذاهم حين قال وكذلك جعلنا لكل نبي ان له اسوة بسائر الانبياء فليصبر على ما يلقاه من قومه كما صبروا وتمام البحث فيه قد سلف في الانعام في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وكفى بربك هاديا الى مصالح الدين والدنيا والى طريق قهرهم والانتصار منهم ونصيرا لك على اعدائك ثم حكى عنهم شبهة خامسة وهي قولهم لولا نزل عليه القرآن حال كونه جملة واحدة اي مجتمعا ومعنى التنزيل ههنا التعدية فقط بقرينة قوله جملة خلاف ما يقرر في اكثر المواضع من ارادة التكثير المفيد للتدريج كما في قوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل والقائلون قريش او اليهود فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله كذلك لنثبت الى آخره وتقريره من وجوه احدها ان محمدا لم يكن قارئا كاتبا بخلاف موسى وداود وعيسى فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وعن ابن جريج في ثلث وعشرين ليكون اقرب الى الضبط وابعد عن النسيان والسهو وثانيها ان الاعتماد على الحفظ اقرب الى التحصيل من الاعتماد على الكتابة والحفظ لا بد فيه من التدريج وثالثها ان نزول الشرائع متدرجة اسهل على المكلف منها دفعة ورابعها ان نزول جبريل عليه السلام ساعة فساعة مما يقوي قلبه ويعينه على تحمل اعباء النبوة والرسالة وخامسها ان نزوله مفرقا يوجب وقوع التحدي على ابعاض القرآن واجزائه ونزوله جملة يقتضي وقوع التحدي على مجموعه ولا ريب ان الاول ادخل في الاعجاز وسادسها ان نزوله بحسب الوقائع والحوادث اوفق في باب التكليف والاستبصار وادل على الاخبار عن الحوادث في اوقاتها وسابعها ان في تجديد منصب السفارة في كل حين مزيد تشرف لجبريل عليه السلام وللترتيل معان منها انه قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ومنها التأني في القراءة ومعنى رتلناه امرنا بترتيل قراءته ومنه حديث عائشة في قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعده عده وهو مأخوذ من ترتيل الاسنان اي تفليجها يقال ثغر رتل ورتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه ومنها انه نزله في مدة متباعدة الاطراف جملتها عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ثم ذكر انهم محجوجون في كل اوان بقوله ولا يأتونك بمثل اي بسؤال عجيب من اسولتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا ونحن نأتي بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم قال جار الله لما كان التفسير هو التكشيف عما دل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا ووجه آخر وهو ان يراد ولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت صفتك وحالك ان ينزل معك ملك او يلقى اليك كنز او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا وما هو احسن بيانا لما تبعث به ومن جملة ذلك تنزيل القرآن مفرقا منجما فان ذلك ادخل في الاعجاز كما مر ثم اوعد هؤلاء الجهلة بانهم شر مكانا والبحث عنه نظير ما مر في صفة اهل الجنة خير مستقرا قال جار الله كانه قيل لهم ان الذي يحملكم على هذه الاسولة هو انكم تضللون سبيله وتحقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوهكم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وعن ابي هريرة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا ثم ذكر طرفا من قصص الاولين على عادة افتنانه في الكلام تنشيطا للامة وتسلية لنبيه كانه قال لست يا محمد باول من ارسلناه فكذب وآتيناه الآيات فرد ولقد آتينا موسى التورية وقويناه باخيه ومع ذلك كذب ورد ومعنى الوزير تقدم في طه والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا والمشركون الكهان في النبوة قيل لهما اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا ان حملناه على تكذيب الآيات الالهية فظاهر وان حملناه على تكذيب آيات النبوة فاللفظ ماض والمعنى على الاستقبال على عادة اخبار الله تعالى ويجوز ان يراد الى القوم الذين آل حالهم الى ان كذبوا فدمرناهم وعلى هذا فلا حذف والتدمير الاهلاك وقوم نوح لما كذبوا الرسل بان كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل صريحا كانهم لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة او لان تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل اغرقناهم وجعلناهم اي اغراقهم او قصتهم للناس آية محل اعتبار واعتدنا للظالمين وهم قوم نوح او لكل من سلك سبيلهم في التكذيب وقصة عاد وثمود مذكورة مرارا واما الرس فعن ابي عبيدة انه البئر غير المطوية والقوم كانوا من عبدة الاصنام اصحاب آبار ومواشي فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم حول الرس انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان ابتلاهم الله بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم وتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس عند العرب الدفن يقال رس الميت اذا دفن وغيب في الحفرة وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار ويجيء القصة في سورة يس وعن علي رض انهم قوم يعبدون شجرة الصنوبر رسوا نبيهم في الارض وقيل هم قوم كانت لهم قرى على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق فبعث الله تعالى اليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا ثم حفروا بئرا فارسلوه فيها وقالوا نرجو ان يرضى عنا آلهتنا وكان عامة يومهم يسمعون انين نبيهم يقول الهي وسيدي ترى ضيق مكاني وشدة كربي وضعف قلبي فعجل قبض روحي حتى مات فارسل الله تعالى ريحا عاصفة شديدة الحمرة وصارت الارض من تحتهم حجر كبريت متوقدا واظلتهم سحابة سوداء فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص وروى ابو جرير باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى بعث نبيا الى اهل قرية فلم يؤمن به من اهلها الا عبد اسود ثم عدوا على الرسول فحفروا له بئرا فالقوه فيها ثم اطبقوا عليه حجرا ضخما فكان ذلك العبد يحتطب ويشتري له طعاما وشرابا ويرفع الصخرة ويدليه اليه فكان كذلك ما شاء الله تعالى فاحتطب يوما فلما اراد ان يحملها وجد نوما فاضطجع فضرب الله تعالى على اذنه سبع سنين ثم انتبه فتمطى وتحول لشقه الآخر فنام سبع سنين ثم انتبه فاحتمل حزمته وظن انه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته فاشترى طعاما وشرابا وذهب الى الحفرة فلم يجده وكان قومه استخرجوه فآمنوا به وصدقوه وذلك النبي يسألهم عن الاسود فيقولون لا ندري حاله حتى قبض الله تعالى النبي ع م وقبض ذلك الاسود فقال صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود اول من يدخل الجنة قلت هذه الرواية ان صحت فلا يدخل اهلها في المقصود فان المقام يقتضي ان يكونوا قوما

نبيهم فاهلكوا لاجل ذلك اما قوله وقرونا بين ذلك فاشارة الى ما ذكر من الامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ومثله قول الحاسب ذلك كذا اي فما ذكر من الاعداد مجموعها كذا وكلا من الامم والقرون ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة ليعتبروا ويتعظوا وكلا تبرنا اهلكنا اشنع اهلاك حين لم ينجع فيهم ضرب المثل والتتبير التفتيت والتكسير وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا وكلا الثاني منصوب بتبرنا لانه ليس يشتغل عنه بضميره والضمير في لقد اتوا لقريش والقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا ومطر السوء الحجارة افلم يكونوا في مرات مرورهم على تلك القرية في متاجرهم الى الشام يرونها بل كانوا قوما كفروا بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فمن ثم لم ينظروا الى آثار عذاب الله نظر عبرة وادكار ومن جملة كفرهم وعنادهم انهم اذا راوك ان يتخذونك الا محل هزو ثم فسر ذلك الاستهزاء بانهم يقولون مشيرين اليه على سبيل الاستحقار اهذا الذي بعث الله حال كونه رسولا بزعمه ويجوز ان يكون تسميته رسولا استهزاء آخر من حيث انه تسليم واقرار في معرض الجحود والانكار وفي هذا جهل عظيم لانهم ان استحقروا صورته فانه احسنهم خلقا واعدلهم مزاجا مع انه لم يكن يدعي التميز بالصورة وان استهزؤا بالمعنى فيه وقد وقع التحدي عليه وقامت الحجة عليهم فهم احق بالاستهزاء منهم حين اصروا على الباطل بعد وضوح البرهان على الحق ولقد شهد عليهم بمضمون هذا التقرير ان حكت عنهم انهم قالوا ان كاد وهي مخففة من الثقيلة واللام ليضلنا هي الفارقة كانهم سلموا انه لقوة العقل وسطوع الحجة شارف ان يضلهم عن دينهم ويقلبهم عن طريقتهم لولا فرط لجاجهم وصبرهم على عبادة آلهتهم واطلقوا المقاربة اولا ثم قيدوه بلولا الامتناعية ثانيا وفيه انه صلى الله عليه وسلم بذل قصارى مجهوده في دعوتهم حتى شارفوا على الايمان بزعمهم ولكن الضلال والمضل لا بد ان يكون ضالا في نفسه فكانهم وصفوه بالضلال فلا جرم اوعدهم الله تعالى على ذلك بقوله وسوف يعلمون الى آخر الآية واراد حين يرون العذاب عند كشف الغطاء عن بصر البصيرة ثم بين انه لا متمسك لهم فيما ذهبوا اليه سوى التقليد واتباع هوى النفس فقال متعجبا لرسوله ارأيت من اتخذ الهه هواه قدم المفعول الثاني للعناية كما يقال علمت منطلقا زيدا ثم نفى ان يكون هو حافظا عليهم كقوله وما انت عليهم بوكيل لست عليهم بمسيطر قال الكلبي نسختها آية القتال وعن سعيد بن جبير كان الرجل يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به واخذ آخر ثم عنفهم باتخاذ الهوى الها الى نوع آخر اشنع في الظاهر فقال ام تحسب وهي منقطعة ومعناه بل أتحسب وخص اكثرهم بالذكر لان السوان الكلام عن المنع على عادة الفصحاء العقلاء ولا ان منهم من كان يعرف الحق الا ان حب الرياسة حمله على الخلاف وانما نفى عنهم السماع والعقل لانتفاء فائدتهما واثرهما وباقي الآية تفسيره مذكور في اخر الاعراف في قوله اولئك كالانعام بل هم اضل قال جار الله جعلوا اضل من الانعام لانها تنقاد لاربابها التي تعلفها وتعرف المحسن من المسيء وتجتلب المنافع وتجتنب المضار وتهتدي للمراعي والمشارب وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون اعظم المنافع وهو الثواب ولا يتقون اشد المضار وهو العقاب ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمشرع الروي قلت ويحسن ايضا ان يذكر في وجه التفضيل ان جهل الانعام بسيط غير مضر وجهل هؤلاء مركب مضر ومنهم من قال ان الانعام تسبح ربها بخلاف الكفار ثم ذكر طرفا من دلائل التوحيد مع ما فيها من عظم الانعام فاولها الاستدلال من احوال الظل والرؤية اما بمعنى البصر فالمراد الم تر الى صنع ربك والم تر الى الظل كيف مده ربك واما بمعنى العلم وهو ظاهر وذلك ان الظل متغير ولكل متغير موجد وصانع والخطاب لكل من له اهلية النظر والاستدلال والكلام في تفسير الآية مجال الا ان يحصر الاقوال فيه اثنان الاول ان الظل امر متوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة كالكيفيات الحاصلة داخل السقوف وافنية الجدران وهو اعدل الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الكامل لقوته يبهر الحس البصري ويؤدي بالتسخين ولذلك وصف الجنة به في قوله وظل ممدود ثم ان الناظر الى الظل اي الجسم الملون كانه لا يشاهد شيئا سوى الجسم واللون فاذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم زال ظله فتظهر للعقول انه كيفية زائدة على ما شاهده اولا فمعنى الآية الم تر الى عجيب صنع ربك كيف مد الظل اي جعله ممتدا منبسطا على الاجسام ولو شاء لجعله ساكنا دائما بكل ظل ثم جعلنا الشمس على وجوده دليلا فلولا الشمس ووقوع ضوئها على الاجرام لما عرف ان للظل وجودا لان الاشياء انما تعرف باضدادها ثم قبضناه اي ازلنا الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الاظلال في جانب المغرب شيئا بعد شيء وفي القبض على هذا الوجه منافع جمة الثاني انه سبحانه لما خلق السماء والارض القت السماء ظلها على الارض ممدودا منبسطا ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها دليلا على ذلك الظل ان يتبعها كما يتبع الدليل في الطريق من حيث انه يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم لقبض الظل معنيان احدهما انتهاء الاظلال الى غاية ما من النقصان بالتدريج وثانيهما قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام النيرة وقوله الينا يؤكد هذا الثاني فيكون قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير الاستدلال الثاني من احوال الليل والنهار شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الراحة قال ابو مسلم وذلك ان النوم سبب الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه عند طائفة وعلى هذا فالنشور بمعنى الانتشار والحركة قال جار الله السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وعلى هذا فالنشور بمعنى البعث ويكون الآية نظير قوله وهو الذي يتوفيكم بالليل وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر الاستدلال الثالث قوله وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر وقد مر تفسيره في الاعراف وانه لم قال ههنا ارسل بلفظ الماضي وهناك يرسل اما قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا فقد تكلم من الفقهاء في الاستدلال به على طهارة الماء في نفسه وعلى مطهريته لغيره حتى فسر الطهور بعضهم ومنهم احمد بن يحيى بانه الذي يكون طاهرا في نفسه مطهرا لغيره واعترض عليهم صاحب الكشاف بان الذي قالوه وان كان شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا والا فليس فعول من التفعيل في شيء واقول ان الزمخشري سلم ان الطهور في العربية على وجهين صفة كقولك ماء طهور اي طاهر واسم غير صفة ومعناه ما يتطهر به كالوضوء والوقود بفتح الواو فيهما لما يتوضأ به ويوقد به النار وعلى هذا فالنزاع مرتفع لان كون الماء مما يتطهر به هو كونه مطهرا لغيره فكانه سبحانه قال وانزلنا من السماء ماء هو آلة للطهارة ويلزمه ان يكون طاهرا في نفسه ومما يؤكد هذا التفسير انه تعالى ذكره في معرض الانعام فوجب حمله على الوصف الاكمل ولا يخفى ان المطهر اكمل من الطاهر ونظيره وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ولا ضير ان نذكر بعض احكام المياه المستنبطة من الآية فنقول ههنا نظران الاول ان غير الماء هل هو طهور ام لا ذهب الاصم والاوزاعي انه يجوز الوضوء بجميع المايعات وقال ابو حنيفة يجوز الوضوء بنبيذ التمر في السفر ويجوز ازالة النجاسة بجميع المايعات المزيلة لاعيان النجاسات وقال الشافعي وغيره من الائمة ان الطهورية مختصة بالماء لما مر في اول المائدة من ايجاب التيمم عند عدم الماء ولو شارك الماء مايع آخر لما امر بالتيمم الا بعد اعوازه ايضا ودليله في الخبث قوله صلى الله عليه وسلم ثم اغسليه بالماء النظر الثاني في الماء وفيه بحثان الاول في الماء المستعمل وانه طاهر عند الشافعي وليس بمطهر في قوله الجديد اما الاول فلاطلاق الآية وانزلنا من السماء ماء طهورا والاصل بقاؤه ولحديث خلق الماء طهورا ولان السلف كانوا لا يحترزون عن تقاطر ماء الوضوء على ثيابهم وابدانهم ولانه ماء طاهر لاقى جسما طاهرا فاشبه ما اذا لاقى حجارة واما الثاني فلقوله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل احدكم في الماء الدائم وهو جنب ولو بقي الماء كما كان طاهرا مطهرا لما كان للمنع منه معنى وكانت الصحابة لا يعتنون بحفظه ليستعملوه ثانيا ولو كان طهورا لحفظوا ما يغنيهم عن التيمم وقال مالك والسدي انه طاهر مطهر لاطلاق الآية والحديث والاصل بقاء صفته على ما كان عليه وروي انه صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح رأسه بفضل ما في يده وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم اغتسل فرأى لمعة في جسده لم يصبها الماء فاخذ شعرة عليها بلل فامرها على تلك اللمعة ولقياس الفضل من العضو على ما انفصل منه وقال ابو حنيفة انه نجس قياسا للنجاسة الحكمية على النجاسة والمراد باستعمال الماء في المسألة اداء عبادة الطهارة

ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا
وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا و
حجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا
وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم
وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل
ما اسئلكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي

الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا ۝ الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به
خبيرا ۝ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم
نفورا ۝ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ۝
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ۝ وعباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ۝
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ۝ والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ۝ انها ساءت مستقرا ومقاما ۝
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ۝ والذين لا يدعون
مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق اثاما ۝ يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا ۝ الا من
تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله
غفورا رحيما ۝ ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ۝
والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما ۝ والذين اذا ذكروا
بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ۝ والذين يقولون ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما ۝ اولئك يجزون
الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ۝ خالدين فيها حسنت مستقرا
ومقاما ۝ قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ۝

ملح بفتح الميم وكسر اللام كحذرا ولانه مقصور مالح وكذلك في فاطر قتيبة يامرنا على الغيبة حمزة وعلي سرجا بضمتين حمزة وعلي و
خلف ان يذكر من الذكر حمزة وخلف يقتروا بضم التاء حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى المفضل بضم الياء وكسر التاء من الاقتار ابو جعفر ونافع وابن
عامر والمفضل الباقون بفتح الياء وكسر التاء يضاعف ويخلد بالرفع فيهما من المضاعفة ومن يخلد ابو بكر وحماد ومثله ولكن يخلد مجهولا من الاخلاد المفضل
يضعف بالتشديد والرفع ويخلد بالرفع من يخلد ابن عامر مثله ولكن بالجزم فيهما ابن كثير ويعقوب ويزيد الاخرون كالاول ولكن بالجزم فيهما فيهي باشباع
الكسرة ابن كثير وحفص يبدل من الابدال البرجمي وذريتنا على التوحيد ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص المفضل ويلقون بفتح الياء وسكون اللام و
وسكون القاف من اللقاء حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف من باب التفعيل **الوقوف**
نذيرا ه ز والوصل اولى للفاء كبيرا ه اجاج ج لعطف الجملتين المتفقتين مع العارض محجورا ه وصهرا ه قديرا ه ولا يضرهم ط ظهيرا ه ونذيرا ه سبيلا ه
بحمده ط خبيرا ج ه لان الذي يصلح صفة للحي والوقف على العرش على تقدير هو الرحمن اولا وقف عليه ايضا بناء على ان الرحمن بدل من المستتر في استوى
ويصلح ان يكون الذي مبتدأ والرحمن خبره خبيرا ط وما الرحمن ط قد قيل ولا وجه له لان الكل مقول قالوا نفورا ه سجده منيرا ه شكورا ه سلاما ه وقياما ه
جهنم ج قد قيل والوصل اولى لاتحاد القائل غراما ه لذلك ومقاما ه قواما ه ولا يزنون ج للشرط مع واو العطف اثاما ط لمن قرا يضاعف بالرفع على الاستئناف
دون الجزم على ابدال الجملة من الجملة لتقارب معنييهما مهانا لا وقد يوقف على جعل الا بمعنى لكن والوصل اولى لان لكن يقتضي الوصل ايضا حسنات ط رحيما ه
متابا ه الزور لا كراما ه وعميانا ه اماما ه وسلاما لا لاتصال الحال فيها ط ومقاما ه دعاؤكم ج لاختلاف الجملتين لزاما ه انه سبحانه لما قرر سيرة

القوم من كفران النعمة وايذاء النبي اراد تهييج نبيه على استمرار الدعوة وفي الاية لطف ممزوج بنوع تاديب وارشاد وفحواه ولو شئنا لخففنا
عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ولكن خصصناك برسالة الثقلين اجلالا وتعظيما فقابل هذا التفضيل بالتشدد في الدين وفي اول
الاية بيان كمال الاقتدار وانه لا حاجة الى نبي محمدا كان او غيره ولكن في مفهوم لو دلالة على انه لم يفعل ذلك بل خصه بهذا المنصب الشريف لكمال العناية وان
نعلى ان يترك طاعة الكافرين فيما يريدونه وعليه تمايلوا الى اهوائهم وهذا النهي كقولك للمتحرك لا تسكن اي كقولك لمن كان لا تسكن فانه صلى الله عليه وسلم
لم يترك طاعة الله طرفة عين ثم بالغ في النهي بان امره بضده قائلا وجاهدهم به اي بالقران او بترك طاعتهم او بسبب كونك نذيرا للقرى كلها لانه لو بعث في كل
قرية نذيرا لم يكن على كل نذير الا مجاهدة قرية وحين اقتصر على نذير واحد لكل القرى وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلا جرم اجتمع عليه تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده
بعظمه وصار جامعا لكل مجاهدة ثم ذكر دليلا رابعا على التوحيد فقال وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما وارسلهما متجاورين متلاصقين يقال مرجت الدابة
اي خليتها ترعى وسمى الماءين الكثيرين بحرين والفرات البليغ العذوبة والتركيب يدل على الكسر لانه يكسر العطش بخلاف الاجاج وهو الملح فانه يدل على الشدة و

[illegible]

الطمع في شيء من الثواب والثانية اظهار الشفقة وانه ان حفظ ماله رعي الساعي به كان منيء المثاب الثواب بذا ماقاله جار الله وقال القاضي معناه لا اسئلكم اجر
النفس واسئلكم ان تطلبوا الاجر لانفسكم باتخاذ السبيل الى ربكم بالايمان والطاعة ولما بين ان الكفار متظاهرون على ايذائه وامره ان لا يطلب منهم اجرا البتة امره
بان يتوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع وتمسك بقاعدة التنزيه والتحميد في وصفه ذاته بالحي الذي لا يموت اشارة الى ان الذي يوثق به في المصالح يجب
ان يكون موصوفا بهذه الصفة وليس الا الله وحده وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بالمخلوق والاصار ضايعا اذا مات ذلك المخلوق
ثم ختم الاية بما لا مزيد عليه في الوعيد اي لا احتياج معه الى غيره ولانه خبير باحوالهم قادر على مجازاتهم ومعنى كفى به اي حسبك وهذه كلمة يراد بها المبالغة كقولك كفى
بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا ثم زاد وصف علمه وقدرته مبالغة وبيانا فقال الذي خلق الى اخره وقد سبق تفسيره في الاعراف واما قوله فسئل به خبيرا ففيه وجوه قال الكلبي
الضمير في به يعود الى ما ذكر من خلق السماء والارض والاستواء على العرش والباء من صلة الخبير قدمت لرعاية الفاصلة وذلك الخبير هو الله عز وجل لان كيفية ذلك الخلق
والاستواء لا يعلمها الا الله سبحانه وعن ابن عباس ان ذلك الخبير هو جبريل عليه السلام وقال الاخفش والزجاج الباء بمعنى عن فسئل به مثل اهتم به واشتغل به وسئل
عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه قال تعالى سال سائل بعذاب واقع وقال ثم لتسألن يومئذ وقال ابن جرير الباء زائدة والمعنى فسله حال كونه عالما بكل شيء وجوز
جار الله ان يكون الباء تجريدية كقولك رايت به اسدا اي برؤيته والمراد فسل بسؤاله خبيرا اي ان سالته وجدته عالما به وقيل الباء للقسم والعلق الوجه
الاول اقرب الى المراد نظيره ولا ينبئك مثل خبير ثم اخبر عن قوم انهم قالوا وما الرحمن والواو عاطفة وقعت في كلامهم تحكي كما هو فاحتمل انهم جهلوا الله سبحانه وان
انهم عرفوه لكن جحدوه واحتمل انهم عرفوه بغير هذا الاسم فلهذا سالوا عنه وعن هذا ذهب بعضهم الى تفسير اخر لقوله فسئل به خبيرا وهو ان الرحمن اسم من اسماء
تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره وكانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي
باليمامة يعنون مسيلمة قال القاضي والاقرب ان المراد انكارهم له لا للاسم لان هذه اللفظة عربية وهم يعلمون انها تفيد المبالغة في الانعام ثم ان قلنا
انهم كانوا منكرين لله فالسؤال عن الحقيقة كقول فرعون وما رب العالمين وان قلنا انهم كانوا مقرين لكنهم جهلوا ان الله تعالى سمي بهذا الاسم فالسؤال عن الاسم
ومعنى لما تامرنا للذي تامرنا به بمعنى تامرنا سجوده مثل امرتك الخير فاتبع او لام حذف ثانيا ويجوز ان يكون ما مصدرية اي لامرك لنا ومن قرا على الغيبة و
فالضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم او للمسمى بالرحمن لانهم قالوا بذا القول فيما بينهم والضمير في زادهم للمقول وهو اسجدوا للرحمن اي وزادهم امره نفورا ومن جعله من قرا
باعثا على الفعل والقبول قال الضحاك لما رآهم المشركون يسجدون تباعدوا الى ناحية المسجد مستهزئين فهو معنى الاية وزادهم سجودهم نفورا وعن سنة ابي القول
ان الساجد والقاري اذا بلغ هذا الموضع زادنا الله خضوعا ما زاد للاعداء نفورا ثم ذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود للرحمن فقال تبارك الى اخره فالبروج هي الاثنا
الاثنا عشر للفلك واساميها مشهورة الحمل والثور والجوزاء الى اخرها شبهت بالقصور العالية واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس ومن جميع
ارادوا الشمس والكواكب الكبار والخلفة للهيئة من الخلافة يريد الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منها الاخر اي جعلهما ذوي خلفة يعقب هذا ذاك وذاك
هذا ومثله قوله واختلاف الليل والنهار في احد تفاسيره وعن ابن عباس جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فاته شيء من وظائف العبادة
قضاه في الاخر وعن مجاهد وقتادة والكسائي يقال لكل مختلفين هما خلفتان فالمعنى ان احدهما اسود والاخر ابيض وهذا طويل وهذا قصير ثم بين ان هذه النعمة
سبب للتذكر لمن اراد ذلك او للشكر لمن اراد اما التذكر فلدلالة الانتقال والتغير على الناقل والمغير واما الشكر فلان الليل سبب الراحة والسكون والنهار سبب
لسهولة التصرف في المعايش قال بعضهم معنى او الفاصلة انه ان كان كافرا ذكر وان كان مؤمنا شكر وقيل اراد ليكون وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما

ورد ومن العبادة قام به في الآخر والشكور مصدر كالكفور ثم اراد ان يختم السورة بوصف عبادة المخلصين فقال وعباد الرحمن وهو مبتدأ خبره آخر السورة اولئك يجزون الغرفة او خبره الذين يمشون والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتشريف وفي عباد جمع عابد وصف سيرتهم مع الخلق بالنهار اولا ثم وصف معاملتهم مع الحق بالليل ثانيا ثم قسم الوصف الاول الى نوعين احدهما ترك الايذاء وهو المراد بقوله الذين يمشون على الارض هونا مصدر وضع للمبالغة موضع الحال او الصفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعضهم الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق دون الركوب سيرة المرسلين قال عز من قائل وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وثانيهما تحمل الايذاء واليه الاشارة بقوله واذا خاطبهم الجاهلون يعني السفهاء وقليل الادب قالوا سلاما يعني سلام توديع ومتاركة كسلام ابراهيم صلوات الرحمن عليه حين قال لابيه سلام عليك ولا نسخ في الآية على ما زعم الكلبي وابو العالية من انها نسخت باية القتال فان الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم بسوء الادب مستحسن عقلا وشرعا والبيتوتة هي ان يدركك الليل نمت اولم تنم ثم وصفهم باحياء الليل اكثره وقوله لربهم اما ان يتعلق بما قبله او بما بعده اي يبيتون لله على اقدامهم ويفرشون خدودهم ويعفرون جباههم وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء قال ابن عباس ثم وصفهم بانهم يقولون في سجودهم ودعائهم ربنا اصرف عنا الآية وقال الحسن خشعوا بالنهار وتعبوا بالليل فرقا من عذاب جهنم وقوله غراما اي هلاكا وخسرانا ملحا لازما ومنه الغريم لالحاحه وخسران وفلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسأل ابن عباس نافع بن الازرق عن الغرام فقال هو الوجيع وعن محمد بن كعب في غراما ان سأل الكفار ثمن نعمه فما ادوها اليه فاغرمهم فادخلهم النار وساءت اما بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز واما بمعنى بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم وهو الرابط ايضا محذوف اي ساءت مستقرا ومقاما والظاهر ان الجملتين من قول الداعي وجوز جار الله ان يكونا من كلام الله والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين بان يكون قوله انها ساءت تعليلا لقوله ان عذابها كان غراما وان يكونا مترادفين كل منها تعليلا لقوله ربنا اصرف قال المتكلمون التعليل الاول اشارة الى ان عقاب اهل النار مضرة خالصة والتعليل الثاني اشارة الى كونها دائمة وقد يفرق بين المستقر والمقام بان المستقر للعصاة من اهل الايمان والمقام للكفار الذين لا خلاص لهم منها ثم وصفهم بالتوسط في الانفاق والقتر والاقتار التضييق نقيض الاسراف وكان اصحاب محمد لا ياكلون طعاما للتنعم ولا يلبسون ثيابا للجمال والزينة ولكن ما يسد جوعتهم ويستر عورتهم ويكنهم من الحر والقر عن عمر رضي كفى شرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله ثم بالغ في نسبة انفاقهم الى الاعتدال بقوله وكان اي الانفاق بين ذلك قواما والمنصوبان يجوز ان يكونا خبرين وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وقال في الكشاف يجوز ان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا ولعل معناه انه يقوم مقام لفظ المستقر اذا كان متعلقا في قولك الانفاق بين ذلك وقد ذكر مثله في اول الشعراء في قوله انا معكم مستمعون والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ بكسر القاف وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل ولا ينقص واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كما يقال كان دون هذا كافيا يريد اقل من ذلك فيكون المعنى وكان الوسط بين ذلك قواما وضعف في الكشاف ان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة واقول اذا اريد بالقوام حاق الوسط وبقوله بين ذلك اعم منه لم يلزم التكرار عن ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك فانزل الله عز وجل تصديقه والذين لا يدعون الى قوله ولا يزنون قال جار الله نفي هذه الامور الشنيعة عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين تعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه وقيل ان الموصوف بالصفات المذكورة قد يرتكب هذه الامور دينيا فبين الله تعالى ان المكلف لا يصير بتلك الخلال وحدها من عباد الرحمن حتى ينضاف الى ذلك كونه مجانبا لهذه الكبائر والقتل بغير حق يشمل الواد وغيره كما مر في سبب النزول ومن يفعل ذلك اي المذكور فترك المامورات او ارتكب المنهيات والآثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما وقيل هو الاثم والمضاف محذوف اي يلق جزاء اثم وقرأ ابن مسعود اياما بتشديد الياء الجماعة يعني ايام الشدة ومعنى مضاعفة العذاب لمن ارتكب مخالفة المذكورات ان يعذب على الشرك وعلى المعاصي الاخر جميعا وهذا عند من يرى تعذيب الكفار بفروع الشرائع والمخالف يدعي ان المشار اليه بقوله ذلك هو قوله والذين لا يدعون قال القاضي قوله ويخلد فيه اي في ذلك التضعيف والمضعف نفسه دليل على ان حالة الزيادة كحال الاصل في الدوام فيكون عقاب المعصية دائما واذا كان كذلك في حق الكافر لزم ان يكون كذلك في حق المؤمن واجيب بان الشيئين قد يكون كل واحد منهما قبيحا ويكون الجمع بينهما ابرح ولا يلزم ان يكون للانفراد حكم الاجتماع وفي قوله ويخلد فيه مهانا اشارة الى ان العذاب هو المضرة الخالصة الدائمة المقرونة بالاذلال والاهانة كما ان الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالاجلال والتعظيم وقوله الا من تاب لا يفهم منه الا ان التائب لا يضاعف له العذاب ولا يلزم منه ان يكون مثابا فلذلك قال فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات عن ابن عباس رض والحسن ومجاهد وقتادة ان هذا التبديل انما يكون في الدنيا فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا يبشرهم الله تعالى بانه يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة اذا تابوا واستووا وعملوا سائر الاعمال الصالحة وانما افرد التوبة والايمان بالذكر اولا لعلو شانهما وقال الزجاج السيئة لنفسها بعينها لا تصير حسنة ولكن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله ويكتب عليه السيئات وذهب سعيد بن المسيب ومكحول الى ظاهر الآية وهو انه تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة واكدوا هذا الظاهر بما روي عن ابي هريرة مرفوعا ليتمنين اقوام انهم اكثروا من السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال القاضي والقفال انه تعالى يبدل العقاب الثواب فذكر السبب واراد به المسبب ثم عمم الحكم فذكر ان جميع الذنوب بمنزلة الخصال المذكورة ومن يترك المعاصي كلها ويندم عليها واتى بالعمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله عز وجل متابا مرضيا مكفرا للخطايا ويجوز ان يرجع الفائدة الى تخصيص اسم الله فانه تائب متابا الى الله الذي هو المفيض لكل الخيرات يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يليق بكرمه ويحتمل ان يرجع الفائدة الى تنكير متابا والمتاب المرجع اي يرجع الى الله مرجعا حسنا اي مرجع وقيل هو وعد للتائبين المخلصين فيما مضى بانه سيوفقهم للتوبة في المستقبل ثم وصفهم بانهم لا يشهدون الزور فان كان من الشهادة فالمضاف محذوف اي لا يشهدون شهادة الزور وان كان من الشهود والحضور فللمفسرين اقوال عن قتادة هي مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين وعن ابن عباس رض هي المجالس التي يقال فيها الزور والكذب على الله تعالى وعلى رسوله والتحقيق انه يدخل فيه حضور كل موضع يجري فيه ما لا ينبغي كمجامع الكذابين ومجالس الخطائين وكالنظارة الى ما لا يسوغه الشريعة لان الحضور والنظر الى تلك المجالس ارضاء به وبعث لفاعله عليه لا زجر له عنه وفي مواعظ عيسى بن مريم اياكم ومجالسة الخطائين واذا مروا باللغو مروا كراما مكرمين انفسهم عن الخوض فيه ومع المشتغلين به واصل الكلمة من قولهم ناقة كريمة اذا كانت لا تبالي بما يحلب منها للغزارة فاستعير للصفح عن الذنوب ويقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عن ذلك وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه قال جار الله قوله لم يخروا عليها ليس نفيا للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما يقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمراد انهم اذا ذكروا بآيات الله اي وعظوا بها وتمنوا عليها حرصوا على استماعها باذان واعية

عيون كالآية لا كالمنافقين الذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان لا يعونها ولا يبصرون ما فيها فهم يتساقطون عليها غير منتفعين بها قوله من ازواجنا من للبيان ويسمى في علم البيان تجريدية كانه قال هب لنا قرة عين ثم فسرت القرة بالازواج والذرية كقولهم رأيت منك اسدا اي انت اسد ويجوز ان يكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا لا في الامور الدنيوية من الجاه والمال والجمال بل في الامور الاخروية من الطاعة والصلاح عن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا ان يلحق الله عز وجل بهم اولادهم وازواجهم في الجنة ليتم لهم سرورهم وتنكير اعين لانه اراد اعينا مخصوصة هي اعين المتقين ولهذا اختير جمع القلة لان اعين المتقين قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم وقيل من عبادي الشكور وانما لاجل تنكير القرة فان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه اي هب لنا منهم سرورا وفرحا قال الزجاج يقال اقر الله عينك اي صادف فؤادك ما تحبه وقال المفضل في قرة العين ثلاثة اقوال الاول برد دمعها لانه دليل السرور والضحك كما ان حره دليل الحزن والغم الثاني نومها لانه يكون مع فراغ الخاطر وذهاب الحزن والثالث حصول الرضا وقوله اماما في معنى الجمع اكتفى به لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كما قال يخرجكم طفلا واريد كل واحد منا او اجعل امامنا واحدا لاتحاد كلمتنا او هو جمع آم كصائم وصيام وصاحب وصحاب وقيل في الآية دلالة على ان الرياسة يجب ان تطلب ويرغب فيها والاقرب انهم سألوا الله ان يبلغهم في الطاعة المبلغ الذي يشار اليهم ويقتدى بهم ومن هنا فسره القفال بان لا اجعلنا حجة للمتقين قالت الاشاعرة الامامة في الدين لا يكون الا بالعلم والعمل فدل ذلك على ان العلم والعمل بل جميع افعال العباد مخلوقة لله تعالى وقالت المعتزلة انهم سألوا من الالطاف ما يختارون من افعال الخير الى ان يصيروا ائمة واجيب بان تلك الالطاف مفعولة لا محالة فيكون سؤالها عبثا ثم بين جزاء عبادة العباد بقوله اولئك يجزون الغرفة اي الغرفات وهي العلالي لوجود الاكتفاء بالجنس وقيل الغرفة اسم للجنة وقوله بما صبروا اي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار وعلى الفقر ولهذا اطلق اطلاقا يشمل كل مصبور عليه ثم بين بقوله ويلقون فيها المنافع مقرونة بالتعظيم والتحية الدعاء بالتعمير والسلام الدعاء بالسلامة من الآفات وهما من الملائكة او من الله او من بعضهم لبعض ثم ذكرهم انه غني عن طاعة الكل وانه انما كلفهم لينتفعوا بذلك قال الخليل ما عبأت بفلان اي ما صنعت به كانه يستقله ويستحقره ويدعي ان وجوده وعدمه سواء وقال الزجاج ما يعبأ بكم ربي يريد اي وزن يكون لكم عنده والعبء الثقل وما استفهامية او نافية والدعاء اما مضاف الى المفعول اي لولا دعاؤه اياكم الى الدين والطاعة واما الى الفاعل اي لولا ايمانكم او لولا عبادتكم اياه في الشدائد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله ولولا شكركم له على احسانه كقوله ما يفعل الله بكم ان شكرتم او ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة او ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا ان تسئلوني فاعطيكم وتستغفروني فاغفر لكم قوله فقد كذبتم اي اذا اعلمتكم اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم قولي فسوف يكون جزاء التكذيب لزاما وهو عقاب الآخرة نظيره قول الملك اذا استعصى عليه من تحت يده ان من حقي ان يطيعني فقد عصيت فسوف ترى عقوبتي والخطاب لجنس الانس اذا وجد في جنسهم التكذيب فقد صح الخطاب واما رجاء ان يترك اسم كان غير منطوق ليذهب الوهم كل مذهب من انواع الابعاد وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وقد لوزم اذ ذاك بين القتلى التأويل لو شئنا لبعثنا فيه كمال القدرة وان امر النبوة ليس يتعلق بالقرابات والمزاجات بل بمحض المشيئة الازلية ويروى ان موسى عليه السلام شق الرسالة وبرم في بعض الايام فاوحى الله تعالى في ليلة واحدة الى الف من بني اسرائيل فاصبحوا انبياء وضاق قلب موسى وغار وقال يا رب اني لا اطيق ذلك فقبض الله ارواحهم في ذلك وفيه كمال الحكمة فان النبوة في القلة ومنه يظهر فائدة الخاتمية وعموم رسالته وفيه تاديب الخواص وعصمتهم عن رؤية الاعمال فلا تطع كفار النفس وسائر القوى البدنية وجاهدهم بهذا الخلاف جهادا كبيرا لانهم اشد بارتخص ولكن تحملهم على الغرام وهو الذي مرج بحر الروح وبحر النفس هذا عذب فرات من الاخلاق الحميدة والروحانية وهذا ملح اجاج من الصفات الذميمة الحيوانية والبرزخ هو القلب وفائدة مرج الاجاج هو احتياج الانسان الى الاخلاق الذميمة لدفع المضرات الدنيوية والاخروية في معاشها ومعادها وحرام على الروح ان يشاء الاخلاق الذميمة وعلى النفس ان يكون معدن الاخلاق الحميدة فجعله نسبا وصهرا اهل النسب هم الذين صحت نسبتهم الى عالم الامر وهو قوله ونفخت فيه من روحي واهل الصهر هم الذين بقوا في عالم الخلق واختلطوا بالصفات البشرية من الحرص والشهوة والغضب اشار الى هذا الصنف بقوله ويعبدون من دون الله الآية وكان الكافر النفس على ربه ظهيرا في اظهار صفة قهره لانها مظهره وما ارسلناك الا مبشرا لاهل النسب ونذيرا لاهل الصهر الا من شاء ان يتوسل الى الرب بطاعتنا اي بخدمتي وعن ههنا قال المشايخ يصل المريد بالطاعة الى الجنة وبتعظيم الشيخ واجلاله الى الله وتوكل اصل التوكل ان يعلم العبد ان الحادثات باسرها مستندة الى تكوين الله وتخليقه وهذا القدر من اصول الايمان وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وما زاد على هذا القدر من سكون القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فانه مقام ارباب الاحوال واصحاب الكمال وسبح بحمده اي بما حمد به نفسه كقوله انت كما اثنيت على نفسك والعدم لا يليق به الا الحمد القديم الرحمن اقبل عليهم بقهره ولو كان اقبل عليهم بلطفه لخضعوا او استكانوا تبارك الذي جعل في سماء القلوب بروج المنازل والمقامات وهي اثنا عشر التوبة والزهد والخوف والرجاء والتوكل والصبر والشكر واليقين والاخلاص والتسليم والتفويض والرضا وهي منازل الاحوال السيارة شمس التجلي وقمر المشاهدة وزهرة الشوق ومشتري المحبة وعطارد الكشوف ومريخ الفناء وزحل البقاء وهو الذي جعل ليل الستر ونهار التجلي خلفة رعاية لحقوق القلب وحظوظ النفس لمن اراد ان يتعظ عند الستر او اراد شكورا عند التجلي وعباد الرحمن دون الشيطان والهوى والنفس يمشون في ارض الوجود عند السير الى الله هونا لئلا يتأذى بآثار وغبار صفات بشريتهم احد واذا خاطبهم الجاهلون وهم كل ما سوى الله تعالى من الدنيا والآخرة وما فيهما من اللذة والنعيم قالوا سلاما سلام توديع و والذين يبيتون لربهم لا لحظ انفسهم في الرواح ساجدين في الصباح واجدين في احسن الاشياء ظاهر السجود ومحو باطن الوجود رجع هذه الاحوال والمقامات يقفون في مواقف الاعتذار والتذلل قائلين ربنا اصرف عنا عذاب جهنم القطيعة والبعد ان انفقوا وجودهم في ذات الله وصفاته لم يبالغوا في الرياضة الى حد تلف البدن ولم يقتروا في بذل الوجود بالركون الى الشهوات لا يدعون مع الله الها آخر بان لا يرفع حوائجهم الى الاغيار ولا يشوبون اعمالهم بالرياء والسمعة ولا يحبون مع الله غيره ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها بكثرة المجاهدة الا بسطوات تجلي صفات الحق وفي مثل هذا القتل حيوة ابدية ولا يزنون بالتصرف في عجوز الدنيا بغير حق ومن يفعل ذلك تضاعف له العذاب وهو عذاب النيران وعذاب الحرمان عن نعيم الجنان ومن قرب الرحمن الا من تاب من عبادة الدنيا وهوى النفس وآمن بكرامات الاولياء ومقامات الاصفياء وعمل عملا صالحا هو الاعراض عن غير الله وهو الاكسير الاعظم الذي لو طرح ذرة منه على ملء الارض سيئة يبدلها ابرار الحسنات ومن تاب اي رجع عن انانيته الى هوية الحق وعمل صالحا بالدوام على هذه الحالة فانه يتوب يرجع الى الله متابا لا مزيد عليه وهو جذبة ارجعي وحينئذ لا يشهد الزور لانه لا يكن عن هويته واذا مروا باللغو وهو ما سوى الحق لا يلتفت اليه واذا ذكرت بآيات الله تأمل فيها حق التأمل بان يجد له من ازدواج الروح والجسد ومتولداتهما من القلب والنفس وملكات الاخلاق الصالحة ما يقربها عين القلب وعين السر وعين الروح اي جنوز منور وبصيرا وذلك مقتدى للمتقين لمتقي الجسد من مخالفات الشريعة ومتقي النفس من الاوصاف الذميمة ومتقي الروح عما سوى الله فيجزى الغرفة في مقام العندية بما صبروا في البداية على التكاليف الشرعية ومتقي النفس وفي الوسط على تبديل الاخلاق الذميمة وفي النهاية بافناء الوجود ثم اخبر عن استغنائه عن وجود الخلق وعدمهم لولا دعاؤهم عليه اياه او بلسان الحاجة في حين العدم اذ لولا دعاؤه اياهم في الازل بلسان القدرة فقد كذبتم حين توهمتم الغني عن الصانع فسوف يكون خسران السعادة الابدية لازما لكم والله اعلم بحقيقة الحال

سورة الشعراء مكية الى قوله والشعراء الى آخرهن حروفها ستة الآف وخمسمائة واثنان واربعون كلمها الف ومائتان وتسع وتسعون آياتها مائتان وسبع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين ۝ لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مؤمنين ۝ ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين
وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين ۝ فقد كذبوا فسيأتيهم
انباء ما كانوا به يستهزءون ۝ اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم
ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم
واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين ۝ قوم فرعون الا يتقون ۝
قال رب اني اخاف ان يكذبون ۝ ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
فارسل الى هرون ۝ ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون ۝ قال كلا فاذهبا
بآياتنا انا معكم مستمعون ۝ فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
ان ارسل معنا بني اسرائيل قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك
سنين ۝ وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين ۝ قال فعلتها
اذا وانا من الضالين ۝ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني
من المرسلين ۝ وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل قال فرعون وما رب
العالمين ۝ قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
قال لمن حوله الا تستمعون ۝ قال ربكم ورب آبائكم الاولين ۝ قال ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ۝ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون ۝ قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
قال اولو جئتك بشيء مبين ۝ قال فأت به ان كنت من الصادقين
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ۝ ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم ۝ يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا
تأمرون ۝ قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين ۝ يأتوك
بكل سحار عليم ۝ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ۝ وقيل للناس هل انتم

مجتمعون ۝ لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ۝ فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ۝ قال نعم وانكم اذا لمن المقربين
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ۝ فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون ۝ فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون ۝ فالقي
السحرة ساجدين ۝ قالوا آمنا برب العالمين ۝ رب موسى وهرون
قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين ۝ قالوا لا ضير انا الى ربنا
منقلبون ۝ انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون ۝ فارسل فرعون في المدائن
حاشرين ۝ ان هؤلاء لشرذمة قليلون ۝ وانهم لنا لغائظون ۝
وانا لجميع حاذرون ۝ فاخرجناهم من جنات وعيون ۝ وكنوز ومقام
كريم ۝ كذلك واورثناها بني اسرائيل ۝ فاتبعوهم مشرقين ۝ فلما تراء
الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون ۝ قال كلا ان معي ربي سيهدين
فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم
وازلفنا ثم الآخرين ۝ وانجينا موسى ومن معه اجمعين ۝ ثم اغرقنا الآخرين
ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم

طسم وما بعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وقرأ ابو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وقرأ حمزة ويزيد بمظهرة النون عند
الميم اني اخاف بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ويضيق ولا ينطلق بالنصب فيهما يعقوب ارجه مثل ما مر في الاعراف ائن لنا بالمد والياء
يزيد وابو عمرو ويزيد وقالون وقرأ ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير يزيد بهمزة ثم ياء وحفص قبل ان لنا على الخبر الباقون بهمزتين هشام يدخل
بينهما مدة آمنتم بالمد ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب آمنتم على الخبر حفص غير الخراز الآخرون آمنتم بهمزتين بعبادي انكم بفتح الياء
نافع وابو جعفر حاذرون بالالف عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون بغير الف فاتبعوهم بالتشديد يزيد عن يعقوب الباقون بفتح الهمزة وسكون
التاء تراء الجمعان بكسر الراء في الوصل حمزة ونصير وهبيرة من طريق الخراز واختلفوا في الوقف فعن الكسائي بكسر الراء والهمزة على وزن تريعي وفي رواية اخرى عنه
تراءي تراعي والمشهور عنه تراء بكسر الراء وفتح الهمزة واما حمزة فانه يقف ترايا بترك الهمزة وكسر الراء ويمد ويشير الى موضع الهمزة وهو المد وابو عمرو فانه
يقف ترايا بكسر الراء ويشير الى فتحة الهمزة الباقون يقفون تراءى على وزن تراعى حتى ربي بفتح الياء حفص الوقوف طسم ۝ كون المبين ۝
مؤمنين ۝ خاضعين ۝ معرضين ۝ يستهزؤن ۝ كريم ۝ لآية ط مؤمنين ۝ الرحيم ۝ الظالمين ۝ للابدال والبيان تنجيلا عليهم بالظلم فرعون ۝ للعدول عن الامر
الى الاستفهام يتقون ۝ يكذبون ۝ لمن قرأ ويضيق بالرفع على الاستئناف هرون ۝ يقتلون ۝ قال كلا ۝ للعطف معنى لا لفظا مستمعون ۝ العالمين ۝
لتعلق ان بني اسرائيل سنين ۝ الكافرين ۝ الضالين ۝ المرسلين ۝ اسرائيل ۝ العالمين ۝ وما بينهما لان جواب الشرط محذوف اي ان كنتم موقنين فلا تكذبون
موقنين ۝ يستمعون ۝ الاولين ۝ لمجنون ۝ وما بينهما ۝ تعقلون ۝ المسجونين ۝ مبين ۝ الصادقين ۝ مبين ۝ للآية مع العطف للناظرين ۝ عليم ۝ لان ما بعده صفة
بسحره فقد قيل بناء على ان ما بعده قول الملاء لفرعون بالجمع للتعظيم والاصح لانه من تتمة قول فرعون تأمرون ۝ حاشرين ۝ لان يأتوك جواب عليم ۝ معلوم ۝ لتعلق
مجتمعون ۝ لاتصال المعنى الغالبين ۝ لمن المقربين ۝ ملقون ۝ الغالبون ۝ ما يأفكون ۝ للآية وللدلالة على اسراعهم في السجود ساجدين ۝ العالمين ۝ وهرون ۝
لكم ۝ للابتداء بان مع اتحاد القول السحرة لا للفاء ولام الابتداء فلسوف تعلمون ۝ لتقدير القسم اجمعين ۝ لا ضير ۝ لوقفة تعمل ان والفاء لا صل هو الوصل لان
ما بعده هو المقول في الحقيقة كما في الاعراف منقلبون ۝ للآية مع اتحاد المقول المؤمنين ۝ متبعون ۝ حاشرين ۝ للآية مع ان التقدير بان هؤلاء قليلون ۝

لغائظون ٥ حاذرون ٥ لابتداء اخبار من الله وعيون ٥ كريم ٥ لتعلق الكاف كذلك اي كما وعدنا بني اسرائيل اورثناها ثم اخبر عن وقوع الموعود مشرقين ٥ لمدركون ٥ ووجه الوصل الاسراع في تداركهم عن خوف الادراك كلا ج لاحتمال ان يكون للردع وان يكون لمعنى حقا سيهدين ٥ البحر لاجل الفاء الفصيحة اي فضرب فانفلق العظيم ٥ الآخرين ٥ اجمعين ٥ الآخرين ٥ لآية مؤمنين ٥ الرحيم ٥ قال جار الله معنى طسم ان آيات هذا الكتاب من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين وقد مر مثله في اول سورة يوسف والبخع الاهلاك وقد مر في اول الكهف عزاه وعرفه ان غمه وحزنه لا ينفع كما ان وجود الكتاب على بيانه ووضوحه لا ينفع ثم بين انه قادر على ان ينزل آية ملجئة الى الايمان ولكن المشية والحكمة يقتضيان بناء الامر على صورة الاختيار قال صاحب الكشاف وقوله عطف فظلت على ننزل كما قيل في قوله فاصدق واكن كانه قيل انزلنا فظلت والقول الظاهر ان الفاء في فظلت للسببية بدليل عدم الاستقرار فيه كما في ننزل ووجه العدول الى الماضي كما قيل في ونادى ونحوه ووجه مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق ان يكون الاعناق مقحما لبيان موضع الخضوع واصل الكلام فظلوا لها خاضعين او حين وصفت الاعناق بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم كما يقال لهم الرؤس والصدور وقيل اراد جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة ومعنى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث قد مر في سورة الانبياء نبه سبحانه بذلك على انه مع اقتداره على ان يجعلهم ملجئين الى الايمان يحكم باتيانهم بالقرآن حالا بعد حال رعاية لقاعدة التكليف ثم ذكر انه تعالى لا يجدد لهم توجيه موعظة وتذكير الا جددوا ما هو نقيض المقصود منهم وذلك النقيض هو الاعراض والتكذيب والاستهزاء وهذا ترتيب في غاية الحسن كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به ومن كذب به فقد خف عندهم قدره حتى صار عرضة للاستهزاء وهذه درجات من اخذ في الشقاء فانه يعرض اولا ثم صرح بالتكذيب ثانيا ثم بلغ في التكذيب والانكار الى حيث يستهزئ به وفي قوله فسيأتيهم وعيد لهم بعذاب بدر او يوم القيامة وقد مر مثله في الانعام ثم بين انه مع حكمته في انزال القرآن حالا بعد حال رحيم يظهر من الدلائل الحسية ما يكفي للمتأمل في باب النظر والاستدلال والزوج الصنف والكريم نعت لكل ما يرضى ويحمد في بابه ومنه وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في مبانيه ومعانيه ونبات كريم مرضي فيما يتعلق به من المنافع فما من نبت الا وفيه نفع وفائدة من جهة وان كانت فيه مضرة من جهة اخرى ويحتمل ان يراد بالكريم المنافع منه ويكون المضار مسكوتا عنه قال جار الله معنى الجمع بين كم وكل وهو ان يقول كم انبتنا فيها من زوج كريم هو ان كلا قد دل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم دل على ان هذا المحيط مفرط الكثرة قلت فالحاصل ان خلق النوع يصدق بخلق فرد واحد منه كما يصدق بخلق افراد كثيرة منه فقوله كل زوج اشارة الى خلق كل نوع من نوع النبات وقوله كم انبتنا اشارة الى كثرة افراد كل نوع منه وفيه تنبيه على كمال القدرة ونهاية الجود والرحمة ولهذا اختتم الكلام بقوله ان في ذلك الانبات او في كل واحد من تلك الازواج لآية على الابداء والاعادة وما كان اكثرهم مؤمنين لان الله تعالى طبع على قلوبهم وان ربك لهو العزيز الرحيم فمن عزته قدر على عقوبتهم ومن رحمته بين لهم الدلائل ليتفكروا ويعتبروا والرحمة اذا صدرت عن القدرة كانت اعظم موقعا واعلم انه سبحانه كرر بعض الآيات في هذه السورة لاجل التأكيد والتقرير فمن ذلك انه كرر قوله ان في ذلك لآية الى قوله الرحيم في ثمانية مواضع اولها في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وثانيها في قصة موسى عليه السلام ثم ابراهيم ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم لوط ثم شعيب ومن ذلك قوله الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين وهو مذكور في خمسة مواضع في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك انه كرر فاتقوا الله واطيعون في قصة نوح وهود وصالح وليس في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين لذكرها في مواضع من غير هذه السورة وليس في قصة موسى لانه رباه فرعون حيث قال الم نربك فينا وليدا ولا في قصة ابراهيم لان اباه في المخاطبين حيث يقول اذ قال لابيه وقومه وهو قد رباه فاستحيى موسى وابراهيم ان يقولا ما اسألكم عليه من اجر وان كانا منزهين من طلب الاجر ثم انه تعالى اعاد في هذه السورة قصص الانبياء المشهورين مع اممهم عبرة لهذه الامة فبدأ بقصة موسى لما فيه من غرائب الاحوال وعجائب الامور والنداء المسموع عند الاشعري هو الكلام القديم الذي لا يشبه الحروف والاصوات وعند المعتزلة واليه ميل ابي منصور الماتريدي انه من جنس الحروف والاصوات وانه يقع على وجه علم به موسى انه من قبل الله تعالى وقد عرف انه سيظهر عليه المعجزات اذا طولب بذلك قال جار الله قوله الا تتقون كلام مستأنف فيه تعجيب لموسى من حال الظالمين في فرط جرأتهم وكثرة ظلمهم او هو حال دخلت عليه همزة الانكار ثم ان موسى خاف ان يكذب عند اداء الرسالة فيستظهر بهرون في قراءة النصب خاف التكذيب المستتبع لضيق الصدر المستلزم لاحتباس اللسان عن الجريان في الكلام ولعله اراد بهذه الحبسة عقدة في لسانه قبل اجابة دعوته او بقيته يروى انها بقيت بعد الاجابة كما مر في طه ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا يعضدني في امري فاختصر الكلام اختصارا ثم ذكر ان لهم علي ذنبا سمى جزاء الذنب ذنبا او المضاف محذوف اي تبعة ذنب وهي قود قتل القبطي كما يجيء تفصيله في سورة القصص فيمكن ان يقتل قبل اداء الرسالة فلا يتمكن من المقصود وهذا قد جوزه الكعبي وغيره من البغداديين وقال الاكثرون الا ترى من حال الانبياء انهم يعلمون اذا حملهم الله تعالى الرسالة انه يمكنهم من ادائها فلا معنى للخوف من القتل قبل الاداء نعم لو خاف بعد الاداء جاز وذلك لما جبل عليه طبع الانسان من التنفر عن القتل فسأل الله الامان من ذلك وقد جمع الله له بقوله كلا الكلاءة وبقوله فاذهبا استنباء اخيه كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون ومعكم مستمعون خبران لان او الخبر مستمعون ومعكم متعلق به ولا يخفى ما في المعية من المجاز لان المصاحبة من صفات الاجسام فالمراد معية النصرة والمعونة واما الاستماع فمجاز ايضا وان كان اطلاق اسم السميع على الله حقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء ولا بد فيه من الجارحة فحاصل الآية انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه وانما وحد الرسول في قوله انا رسول رب العالمين لانه اراد كل واحد او اراد الرسول بمعنى المصدر اي ذوو رسالة رب العالمين يقال ارسلتهم برسول اي برسالة او جعلا لاتفاقهما واتحاد مطلبهما كرسول واحد وههنا اضمار دل عليه سياق الكلام اي فاتيا فرعون فقالا له ذلك ويروى انهما انطلقا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف انه موسى فعند ذلك قال الم نربك فينا وليدا اي صبيا وذلك لقرب عهده من الولادة قيل مكث فيهم ثلاثين سنة من اول عمره وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة ففر منهم والفعلة الوكزة عدد عليه نعمه ثم وبخه بقتل النفس منهم وسماه كافر النعمة بسبب ذلك وجوز جار الله ان يراد وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة فيكون قد افترى على موسى او جهل امره لانه كان يعاشرهم بالتقية وانما قلنا انه افتراء او جهل لان الكفر غير جائز على الانبياء ولو قبل النبوة ويجوز ان يراد انه من الكافرين بفرعون والهيته او بالهته كانوا يعبدونها قال تعالى ويذرك والهتك ثم ان موسى انكر تربيته ولكن انكر الكفر فلم ينسب لنفسه الا الضلال واراد به الذهاب عن الصواب او اراد النسيان او الخطاء وعدم التدبر في ادبار الامور ثم ذكر موهبة ربه في حقه حين فر من فرعون وملائه المؤتمرين بقتله والحكم العلم بالتوحيد وكمال العقل والرأي ولا يدخل فيه النبوة ظاهرا لئلا يلزم شبه التكرار بقوله وجعلني من المرسلين وقال جار الله وتلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدري ما هي الا بعد ان فسرت بقوله ان عبدت نظيره وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي كانه ابى ان يسمي نعمة الا نقمة لان تعبيدهم اي تذليلهم واتخاذهم عبيدا وقصدهم الى ذبح ابنائهم صار هو السبب في حصوله عنده وفي تربيته

ولهذا

ولهذا قال الزجاج ان مع ما بعده في موضع نصب اي انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اذ لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم ومن هنا قال جار الله ان قول موسى فعلتها اذن جواب لقول فرعون وفعلت فعلتك وجزاء له كان فرعون قال جازيت نعمتي بما فعلت فقال موسى نعم فعلتها مجازيا لك وان نعمتك جديرة بان يجازى بنحو ذلك الجزاء وقال الحسن اراد انك استعبدتهم واخذت اموالهم ومنها انفقت علي فلا نعمة لك بالتربية على ان التربية كانت من قبل امي وعشيرتي ولم يكن منك الا انك لم تقتلني وقيل اراد انك كنت تدعي ان بني اسرائيل عبيدك ولا منة للمولى على العبد في الاطعام والكسوة واعلم ان للعلماء خلافا في نعمة الكافر فقيل انها لا تستحق الشكر لان الكافر يستحق الاهانة بكفره فلو استحق الشكر بانعامه لزم الجمع بين الاهانة والتعظيم في حق شخص واحد في وقت واحد وقيل لا يبطل بالكفر الا الثواب والمدح الذي يستحقه على الايمان وفي الآية نوع دلالة على كل من القولين ثم ان موسى حين اتى بما من قوله انا رسول رب العالمين قال فرعون وما رب العالمين وقد سبق مرارا ان كفره احتمل ان يكون كفر عناد وان يكون كفر جهالة والذي يخص المقام هو ان ما انما يطلب به حقيقة الشيء وماهيته وهذا هو الذي قصده فرعون بسؤاله ولم يعرف ان الماهية لا يطلق على ذاته تعالى اذ لا اجزاء لماهيته ولا مقدارية ولا باي وجه فرض ضرورة انتهاء الكل اليه واستغنائه عن الكل من كل الوجوه فلا يتيح ان يسأل عنه بما هو ولا بكيف هو ولا باي شيء هو ولا بهل هو غاية ذلك ان ينبه على وجوده الذي هو اظهر الاشياء بلوازمه وآثاره وعلى وجه يعم الكل كما يقال انه رب السموات والارض وما بينهما او ما يخص من ذلك بان يقال مثلا ربكم ورب آبائكم وهو الاستدلال بالانفس او يقال رب المشرق والمغرب وما بينهما من الجهات المعروضة على السماء من لدن طلوع الكواكب الى غروبها وبالعكس وهو الاستدلال بالآفاق وقد راعى في الجواب الاول طريقة التلطف فختم قوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين بشيء فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وجلائه وخشنهم في الاخير بقوله ان كنتم تعقلون حين نسبوه الى الجنون بعد ان تهكموا به بقوله ان رسولكم ويمكن ان يراد بقوله وما بينهما ما بين المشرق والمغرب من المخلوقات فيكون الفرق بين هذا الاستدلال وبين الاول ان الاول هو الاستدلال بالامكان على طريقة الحكيم والثاني هو الاستدلال بالحدوث على طريقة المتكلمين والاول اقرب الى اليقين فلهذا قال ان كنتم موقنين والثاني اقرب الى الحس فلهذا قال ان كنتم تعقلون ولما انجر الكلام الى حد العناد والتحكم هدده فرعون بقوله لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين وهذا ابلغ من ان لو قال لاسجننك والمعنى لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع وحينئذ عدل موسى الى الحجة الاصلية في الباب وهو اظهار المعجز المنبئ عن صدقه فقال اولو جئتك بشيء اي اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء اي جائيا بالمعجزة قال فأت به ان كنت من الصادقين ان سلم انه قاله جدا لا هزلا وجد انه دلالة على ما ركز في العقول من ان دعوى الرسالة اذا اقترنت بظهور المعجزة على يده تحقق صدقها وقد شنع في الكشاف ههنا على اهل القبلة من خفي عليهم ما لم يخف على فرعون حتى جوزوا القبيح عليه سبحانه ولزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وفي التخطئة سهو من وجهين احدهما انه لا قبيح عند الاشاعرة عقلا والثاني انه على تقدير التسليم لا يلزم تجويز كل قبيح واين هذا من ذلك للزوم الاشتباه وباقي هذه القصة سبق تفسيرها في الاعراف فلنقتصر في التفسير على ما يختص بالسورة قوله قال للملأ حوله قال في الكشاف الظرف في محل النصب على الحال والاول الاصوب ان يجعل نعتا للملأ اي الملأ الاشراف حوله على طريقة قوله ولقد امر على اللئيم قوله لميقات يوم معلوم اليوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى كما مر في طه قوله هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع وحث عليه كقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحثه على الانطلاق قوله لعلنا نتبع السحرة لم يكن غرضهم اتباع السحرة في دينهم وانما غرضهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق المجاز لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى قوله بعزة فرعون هي من ايمان الجاهلية ولا يصح الحلف في الاسلام الا بالله تعالى وبصفاته كما مر في البقرة قوله فالقي السحرة لم يسم فاعله وهو الله تعالى في الحقيقة حين القى داعية الايمان في قلوبهم ويجوز ان ينسب الى ما خايلوا من المعجز الباهر وذلك انه لا تعذر فاعلا اي خروا قوله لا ضير علينا فيما يتوعدنا به من القتل قوله انا نطمع الطمع في هذا الموضع يحتمل اليقين كقول ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي ويحتمل الظن بناء على ان المرء لا يعلم استحقاره وما يؤول اليه حاله عند الوفاة ومعنى ان كنا لان كنا وكانوا اول طائفة مؤمنين من اهل زمانهم او من قوم فرعون او من اهل المشهد قوله انكم متبعون تعليل للاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده الى ان ابتاهم من اليم قوله لشرذمة هي الطائفة القليلة ثم وصفهم بالقلة واختار جمع السلامة ليدل على ان كل حزب منهم في غاية القلة وذلك بالنسبة الى عسكره والا فهم كثير في انفسهم يروى ان فرعون ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت على مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وكان قوم موسى ستمائة الف وسبعين الفا ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والحقارة لا قلة العدد قوله وانهم لنا لغائظون معناه انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم ولكنهم يفعلون افعالا يغيظنا كأخذ الحلي وادعاء الاستقلال والاستخلاص عن ذل الاستخدام ونحن قوم مجموعون كلنا ذوو اسلحة ومن عادتنا التيقظ والحذر والحزم في الامور فالحذر المتيقظ وهو يفيد الثبات والحاذر الذي يجدد حذره وقيل هو تام السلاح لانه يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه فكل هذه المعاذير لاجل ان لا يظن به العجز وخلاف ما ادعاه من القهر والتسلط وقرئ حادرون بالدال غير المعجمة والحادر السمين القوي اراد انهم اقوياء اشداء فاخرجناهم من جنات اي بساتينهم التي فيها عيون الماء ومن كنوز الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى والمقام الكريم المنازل الحسنة والمجالس البهية وقال الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل النصب اي اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على الوصف اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك وعلى هذا فيوقف على كريم فاتبعوهم اي فلحقوهم ومن قرأ بالتشديد فظاهر والاشراق الدخول في وقت الشروق فلما تراءى الجمعان رأى قوم موسى قوم فرعون وحصل كل من الفريقين بمرأى للآخر قال اصحاب موسى فرقا وفزعا انا لمدركون قال موسى تثبيتا لهم وردعا عما هم عليه من الجزع والفزع كلا ان معي ربي بالنصرة والمعونة سيهدين سبيل النجاة والخلاص كما وعدني ثم بين انه براه بقوله فاوحينا الآية ومعنى فانفلق فضرب فانفلق فكان كل فرق اي كل جزء متفرق منفلق منه كالطود وهو الجبل العظيم ومع ذلك وازلفنا ثم اي قربنا حيث انفلق البحر الآخرين وهم قوم فرعون والمقرب منه هو اسرائيل او قوم فرعون ايضا اي ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد ويجوز ان يراد قدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم حتى بان لم يكن لهم البحر يبسا كما كان لبني اسرائيل او عقلا اي اذهبنا عزهم والبحر بحر القلزم او بحر من وراء مصر يقال له اساف قالت الاشاعرة انه تعالى اضاف الازلاف الى نفسه مع ان اجتماعهم في طلب موسى كفر اجاب الجبائي بان قوم فرعون تبعوا بني اسرائيل وبنو اسرائيل انما فعلوا ذلك بامر الله تعالى فلما كان سيرهم بتدبير الله وهؤلاء اتبعوهم اضاف الى نفسه توسعا وهذا كما يتعب احدنا في طلب غلام له فيجوز ان يكون يتعبني العلام لما حدث ذلك عند فعله والمراد ازلفناهم الى الموت والاجل وقال الكعبي اراد انه جمع تقدمهم كيلا يصلوا الى موسى وقومه او اراد انه خلى عنهم وترك لهم البحر يابسا حتى طمعوا في دخوله والغرض بان كل ذلك لا بد ان يكون له اثر في استجلاب داعية قوم فرعون الى الذهاب خلفهم فيعود المحذور ان في ذلك الذي حدث في البحر من انجاء البعض واغراق البعض او في ذلك الذي ذكر من القصة بطولها لآية عجيبة للمتدبر المتفكر في الامور الالهية وما كان اكثرهم مؤمنين حين سألوا العبد النجاة ان يجعل لهم موسى الها غير الله واتخذوا العجل الها واقترحوا اقتراحا خارجة عن قانون

الادب ويحتمل ان يعود الضمير الى هذه الامة بدليل واتل عليهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يغتم بتكذيب قوم بعد ظهور المعجزة ونزول الايات التأويل الطا طوله في كمال عظمته والسين سلامته عن كل عيب ونقص والميم مجده الذي لانهاية له او الطا طهارة قلب نبيه عن تعلقات الكونين والسين سيادته على الانبياء والمرسلين والميم مشاهدته جمال رب العالمين او الطا طيران الطائرين بالله والسين سير السائرين الى الله تعالى والميم مشي الماشين مع الله الذين يمشون على الارض هونا ان نشأ ننزل من سماء قلوبهم آية من واردات الحق فظلت اعناق نفوسهم لها خاضعين فسيأتيهم بعد مفارقة الارواح الاجساد انبؤا ما كانوا به يستهزؤن لظهور نتايج معاملاتهم الخبيثة على ارواحهم اولم يروا الى قلوب العارفين كم انبتنا من انجار اصناف الايمان والتوكل واليقين والاخلاص وساير الاخلاق الكريمة وما كان اكثرهم مؤمنين لان جناب الحق يعز يجل عن ان يكون شريعة لكل وارد وان ربك لهو العزيز الذي وجد بالسعي الرحيم حين ادرك اولياءه بجذبات العناية كما ادرك موسى حين ناداه من الشجرة وذلك لانه جعله مظهر لطفه كما انه جعل فرعون مظهر قهره فصار من العتو والاستكبار في غاية الكمال وليعلم منه ان للانسان استعدادا في مظهرية صفة القهر ليس لابليس ولذلك عاند ابليس آدم عم وقال انا خير منه وعاند فرعون الرب وقال انا ربكم الاعلى وان له استعدادا في مظهرية صفة اللطف ليس للملك ولهذا صار الانسان مسجود الملائكة ان ارسل معنا بني اسرائيل فيه ان موسى القلب مرسل الى فرعون النفس لئلا يستعبد الصفات الروحانية فان لفرعون النفس في البداية استيلاء على موسى القلب والصفات الروحانية واستعمالهم في قضاء حوائجه وتحصيل مقاصده وغرضه فرعون النفس قال الم نربك فينا وليدا فان موسى القلب كان في حجر فرعون النفس الى ان بلغ اوان الحلم وهي خمس عشرة سنة فقتل قبطي الشهوة حين بقره بالة الهوى وكان قبل القتل ضالا عن حضرة الربوبية ففررت منكم الى الله تعالى لما خفت ان يقطعوا علي الطريق الى الله ورب سموات القلوب وارض البشرية وما بينهما من المنازل قال لمن حوله من صفات النفس الا تستمعون قال موسى القلب لمعارضته ربكم ورب ابائكم الاولين يعني الاباء العلوية ثم وفي قوله ان رسولكم لمجنون اشارة الى كمال ضدية القلب والنفس فما يصدر عن القلب بعده النفس من الجنون وبالعكس رب مشرق الروح من افق القلب ورب مغربه فيه وما بينهما من مدة التعلق وقد مر نظيره في محاجة ابراهيم في البقرة لاجعلنك من المسجونين في سجن حب الدنيا فان القلب اذا توجه الى الله فلا استيلاء للنفس عليه الا بسلسلة حب الجاه والرياسة فان اخر ما يخرج من رؤس الصديقين فقال موسى القلب لا يقدر على ان يسجنني فان معي عصا الذكر واليد المنزوعة عما سوى الله تعالى وباقي التأويل قد سبق قوله فاخرجناهم اي من جنات الاوصاف الروحانية وعيون الحكمة وكنوز المعارف ومقام كريم في حضرت اكرم الاكرمين واورثناها بني اسرائيل فيه ان النفس اذا انبتت ورث القلب منها صفاتها وبقوتها يسير الى مقامات لم يمكنه الوصول اليها بقوة صفاته ولو مات القلب ورثت النفس منه صفاته ولقوتها تنزل الى دركات لم يمكنها الوصول اليها بجود صفاتها فاتبعوهم اي لحق اوصاف النفس اوصاف القلب عند اشراق شمس الروح فكان كل فرق فيه ان كل صفة من اوصاف الروح كجبل عظيم في العبور عنه وازلفنا ثم الاخرين اي قربنا صفات النفس بتبعية صفات القلب الى بحر الروح وانجينا موسى ومن معه من الاوصاف في بحر الروح بالوصول الى الحضرة ثم اغرقنا اوصاف النفس في بحر الروحانية فان الوصول الى الحضرة من خواص القلب وغاية سير النفس هو الاستغراق في بحر الروحانية ان في ذلك لاية لارباب العرفان وما كان اكثرهم مؤمنين بهذه المنازل فانه لا يصير اليها الا الشاذ من المجذوبين بجذبة ارجعي الى ربك جعلنا الله من المستعدين لها

واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ۞ قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين ۞ قال هل يسمعونكم اذ تدعون ۞ او ينفعونكم او يضرون ۞
قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون ۞ قال افرايتم ما كنتم تعبدون ۞
انتم واباؤكم الاقدمون ۞ فانهم عدو لي الا رب العالمين ۞ الذي خلقني فهو
يهدين ۞ والذي هو يطعمني ويسقين ۞ واذا مرضت فهو يشفين ۞
والذي يميتني ثم يحيين ۞ والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ۞
رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ۞ واجعل لي لسان صدق في الاخرين ۞
واجعلني من ورثة جنة النعيم ۞ واغفر لابي انه كان من الضالين ۞
ولا تخزني يوم يبعثون ۞ يوم لا ينفع مال ولا بنون ۞ الا من اتى الله بقلب سليم ۞
وازلفت الجنة للمتقين ۞ وبرزت الجحيم للغاوين ۞ وقيل لهم اينما
كنتم تعبدون ۞ من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون ۞ فكبكبوا فيها هم و
الغاوون ۞ وجنود ابليس اجمعون ۞ قالوا وهم فيها يختصمون ۞ تالله

ان كنا لفي ضلال مبين ۞ اذ نسويكم برب العالمين ۞ وما اضلنا الا المجرمون ۞
فما لنا من شافعين ۞ ولا صديق حميم ۞ فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ۞
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين ۞ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۞
كذبت قوم نوح المرسلين ۞ اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون ۞
اني لكم رسول امين ۞ فاتقوا الله واطيعون ۞ وما اسئلكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين ۞ فاتقوا الله واطيعون ۞ قالوا انؤمن لك
واتبعك الارذلون ۞ قال وما علمي بما كانوا يعملون ۞ ان حسابهم الا على ربي
لو تشعرون ۞ وما انا بطارد المؤمنين ۞ ان انا الا نذير مبين ۞ قالوا لئن
لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ۞ قال رب ان قومي كذبون ۞
فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ۞ فانجيناه ومن معه
في الفلك المشحون ۞ ثم اغرقنا بعد الباقين ۞ ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين ۞ وان ربك لهو العزيز الرحيم

القراآت لي الا الي انه بفتح اليا فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو اجري الا بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص واتباعك على الجمع نافع وابن يعقوب انا الا بالمد ابو نشيط عن قالون ومعي من المؤمنين بفتح ياء المتكلم حفص وورش الوقوف ابراهيم م لئلا يوهم ان اذ ظرف اتل وانما هو منصوب باذكر ما تعبدون ه عاكفين ه تدعون ه لا يضرون ه يفعلون ه تعبدون ه لا لان الضمير بعده توكيد الاقدمون ه لا الوصل اولى للفاء العالمين لا لان الذي صفة الرب يهدين لا ويسقين لا يشفين لا يحيين لا الدين ط بالصالحين لا الاخرين لا النعيم لا الضالين لا يبعثون لا ولا بنون لا سليم ط بناء على ان ما بعده الى اخر احوال الجنة والنار هو من كلام الله تعالى وهو الظاهر وقيل انه من تتمة كلام ابراهيم للمتقين لا للغاوين لا تعبدون ه دون الله ط ينتصرون ط والغاوون لا اجمعون ط يختصمون ط مبين ط المجرمون ه شافعين ه لا حميم ه المؤمنين ه لاية ط مؤمنين ه الرحيم ه المرسلين ج لان اذ يصلح ظرفا للتكذيب ومفعولا لاذكر تتقون ج لان ما بعده من تمام المقول امين ه للفاء واطيعون ج من اجر ج العالمين ج واطيعون ط الارذلون ط يعملون ج لان ما بعده من تمام المقول تشعرون ج لذلك المؤمنين ج مبين ه لتفصيل الجزاء المرجومين ط كذبون ج المؤمنين ه المشحون ج الباقين ط لاية ط مؤمنين ه الرحيم ه التفسير القصة الثانية قصة ابراهيم صلوات الرحمن عليه وكان يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سألهم الالزام والتبكيت ومثله اهل المعاني بان يقول احد للتاجر ما مالك وهو يعلم ان ماله الرقيق ثم يقول الرقيق جمال وليس بمال وانما قال في سورة الصافات ماذا تعبدون بزيادة ذا لانه اراد هناك مزيد التوبيخ ولذلك بنى الكلام على الزيادة ثم اردفه بقوله ائفكا آلهة دون الله تريدون وحين صرح هنالك بالتوبيخ لم يجيبوه وههنا ظنوا انه يريد الاستفهام حقيقة فاجابوه ولكنهم بسطوا الكلام بسطا ولم يقتصروا على صنما بل ارادوا ما يشبه جعفره بقولهم فنظل لها عاكفين اظهارا للابتهاج والافتخار قال في الكشاف وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قلت وهذا مبني على تفسير الصحيح والظل بحسب قال الامام من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم قلت ويحتمل ان يكون المحذوف مفعولا ثانيا اي هل يسمعونكم تدعون اذ تدعون وهو حكاية حال ماضية لان او للماضي ومعناه استحضار الاحوال الماضية التي كانوا يدعونها فيها وحين تشكوا في الجواب بطريقة التقليد قائلين على سبيل الاضراب بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون نبههم ابراهيم عم بقوله افرايتم على ان الباطل لا يتغير بان يكون قديما او حديثا ولا بان يكون في مرتكبيه كثرة او قلة وصرح بان معبوديهم اعداء له لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان الذي يغري على عبادتها هو الشيطان وهو اعدى عدو للانسان وانما لم يقل عدو لكم لانه اراد التصوير بالمسألة في نفسه ليكون ادل على النصح وارب الى القبول كانه قال اني تفكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو ويحكى عن الشافعي ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وقوله الا رب العالمين استثناء منقطع اي لكن رب العالمين حبيب لي ثم وصف لهم الرب بانه الذي خلقني فهو يهدين اي خلق بدني فكل كالة الممكن له ثم يهديني في الاستقبال الى ضروب مصالح الدين والدنيا كامتصاص الدم في البطن والثدي بعد الولادة ونظيره قوله الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ثم نبه بقوله والذي هو يطعمني ويسقين ان الذي يتعلق به قوام البدن من الاغذاء بالطعام والاساغة بالشرب هو من جملة انعام الله تعالى لانه خلق هناك قوى جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها لولاها لما تم امر الانتفاع بالغذاء بل نفس الغذاء من جملة نعمه السالفة ثم قال واذا مرضت فهو يشفين وذلك ان البدن ليس واما على النهج الطبيعي بحيث يصدر عنه الافعال الموضوعة هو لها سليمة فاسترداد الصحة بعد زوالها ليس الا باذن الله وما خلق لكل داء دواء وانما لم يقل امرضني لان كثيرا من اسباب المرض يحدث باسراف الانسان في المطعم والمشرب وايضا الصحة بعد زوالها ليس

الاحتياج الى سبب قاهر لتبدد الاخلاط والقوى على النسبة المطلوبة اما المرض فانه بسبب تنافر الاخلاط وطلب كل منها مركزه الاصلي والثاني
رعاية الادب في مقام المدح وتعداد النعم وتمام براعة هذه النكتة في قوله والذي يميتني لان الامانة ليست بضرر كالمرض اما لعدم الاحساس فيه
واما لانها مقدمة الوصول الى عالم الخير والراحة وانما زاد لفظة هو في الاطعام والشفاء لانهما قد ينسبان الى الانسان فيقال زيد يطعم وعمرو يداوي فاكدهما
بان ذلك في الحقيقة من الله واما الامانة والاحياء فلا يدعيهما مدع فاطلق ثم اشار الى ما بعد الاحياء من المجازات بقوله والذي اطمع فحمل الاشاعرة
الطمع على مجرد الظن والرجاء بناء على انه لا يجب لاحد على الله شيء وحمله المعتزلة على اليقين تارة وعلى هضم النفس والتواضع وتعليم الامة اخرى كما انه نسب
الخطيئة الى نفسه لمثل ذلك وقد يحمل الخطيئة على المعاريض المنسوبة اليه من قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي واما علق المغفرة
بيوم الدين لان اثرها يتبين يومئذ وهو في الدنيا خفي قال بعضهم فائدة زيادة لي هو ان يعلم ان المغفرة فائدتها عائدة اليه والله سبحانه لا يستفيد بذلك
كما لا يمكن له ان المراد اطمع ان يغفر لي بمجرد عبوديتي له واحتياجي اليه لا بواسطة شفيع كما قال لجبرئيل اما اليك فلا وحين قدم الثناء شرع في الدعاء تعليما
لامته اذا ارادوا مسألة فقال رب هب لي حكما وهو اشارة الى كمال القوة النظرية والحقني بالصالحين وهو اشارة الى كمال القوة العملية ولقد اجابه
حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل الحكم النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله تعالى ورد بانه كان حاصلا فكيف يطلبه والظاهر
انه اراد بالحكم النسب الذهنية المطابقة للخارجية اعني العلوم النظرية كما بينا قالت الاشاعرة في الآية دلالة على مسألة خلق الاعمال لانه طلب العلم
من الله فلولا ان العلم بخلقه لكان السؤال عبثا وحمله المعتزلة على منح الالطاف قبل الحكم والمطلوب بالدعاء ان كان هو العلم بغير الله لزم ان يكون سائلا لما شغله
عن الله وهو باطل وان كان العلم بالله بقدر ما هو شرط صحة الايمان لزم طلب ما هو حاصل لانه من المؤمنين فضلا عن ابراهيم فاذن هو العلم الزائد على ما
هو شرط في الايمان وهو الوقوف على حقيقة الذات والصفات بالكشف الذي يتعال عنها عن الخيال وبه يصير المرء من الواصلين الى العين دون التابعين
الى الاثر ثم طلب الذكر الجميل بقوله واجعل لي لسان صدق والاضافة كقوله قدم صدق قال ابن عباس وقد اعطاه الله ذلك لقوله وتركنا عليه في الآخرين
ولهذا اتفق اهل الاديان قاطبة على حبه وادعاء متابعته ومدح الكافر ليس مقصودا من حيث هو كافر وانما المقصود ان يكون ممدوح كل انسان ومحمودا
بكل لسان وفائدة الثناء على الشخص بعد وفاته هو انصراف الهمم الى ما به يحصل له عند الله زلفى وقد يصير ذلك المدح داعيا للمادح او لمن يسمعه الى اكتساب
مثل ذلك الفضائل وقيل سأل ربه ان يجعل من ذريته في آخر الزمان من يكون داعيا الى ملته وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم سأل ما هو غاية كل سعادة فقال
واجعلني من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى هذه الوراثة في تلك الجنة التي اورثتموها وكذلك في سورة مريم تلك الجنة التي نورث من عبادنا ثم طلب السعادة
الحقيقية لاشد الناس اتصالا به وهو ابوه فقال واغفر لابي وقد سبق في آخر التوبة وفي مريم ما يتعلق به من المباحث وههنا سؤال وهو انه متى حصلت
الجنة بدعائه امتنع حصول الخزي فكيف قال بعده ولا تخزني وايضا قال تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وما كان نصيب الكافر كيف يخاف منه المعصوم اجاب
عنه في التفسير الكبير كما ان حسنات الابرار سيئات المقربين فكذلك درجات الابرار دركات المقربين وخزي كل واحد لائق بحاله فكانه سأل الشركة اولا ثم الخصوصية
ثانيا واقول يحتمل ان يكون هذا الدعاء من تتمة دعائه لابيه اي ولا تخزني ولا تفضحني بسبب تعذيب ابي يوم يبعث الضالون او العباد كلهم ومثل هذا الضمير
ما يعلم عوده بالقرينة ويجوز ان يكون سأل الجنة بشرط التعظيم والاجلال ويجوز ان يكون اخر هذا الدعاء لما يعقبه من حديث يوم القيامة واهوالها واحوالها
واراد ان لا ينقطع نظم الكلام وفي قوله الا من اتى الله بقلب سليم اشارة الى ما وصفه الله به في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وفي الا
الاستثناء وجوه منها انه منقطع والمضاف محذوف اي الا حال من اتى الله بقلب سليم والمراد بالحال سلامة القلب والمعنى ان المال والبنين لا ينفعان
وانما ينفع سلامة القلب عن الامراض الروحانية كالجهل وسائر الاخلاق الذميمة ويندرج في سلامته سلامة سائر الجوارح لانه رئيسها ولا شك ان المال
والبنين ليسا من جنس سلامة القلب فيكون الاستثناء منقطعا ومنها انه متصل وذلك على وجهين احدهما اغناؤه في دنياه بماله وبنيه وثانيهما ان يجعل
من باب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع والمضاف المحذوف الحال اي السلامة ونظيره ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال
والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك ومنها ان يكون المفعول محذوفا لينفع والاستثناء مفرغ اي لا ينفع مال ولا بنون احدا الا رجلا
سليم قلبه مع ماله وبنيه حيث انفقه في طاعة الله وما قصر في باب تأديبهم وارشادهم او سليم قلبه من فتنة المال والبنين فلم يكفر ولم يعص وقد يفسر السليم
بالملدوغ من خشية الله تعالى وحين انجر الكلام الى ذكر يوم القيامة وصف الله تعالى او ابراهيم احواله واهواله فقال وازلفت الجنة للمتقين قال المفسرون
يقرب من موقف السعداء ليكون لهم فرحا معجلا وتجعل النار بارزة مكشوفة للاشقياء ليزدادوا غما وحسرة وليسأل هؤلاء توبيخا بقوله اينما كنتم تعبدون يعني
اين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار وذلك قوله فكبكبوا فيها هم اي الآلهة
والغاوون الذين عبدوهم قال جار الله الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر
في قعرها اعاذنا الله منها والمراد بجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن قالوا اي الغاوون وجنود ابليس وهم والحال ان الاصنام وعبدتهم
فيها يختصمون قال اكثر المفسرين يجوز ان ينطق الله الاصنام بحيث يصح منها التخاصم وقيل ان التخاطب بين العصاة والشياطين اذ سووهم برب العالمين و
والمراد بالمجرمين على تفسير الرؤساء والكبراء وعن السدي الاولون الذين سنوا الشرك وعن ابن جريج ابليس وقابيل لانه سن القتل وانواع المعاصي فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم خالص بحيث يهمه ما يهمنا وفيه نفي الشفعاء والصديق رأسا او نفي للذين كانوا يعدونهم شفعاء واصدقاء من الاصنام والرؤساء
او نفي للانتفاع بهم قصدوا ام شفيهم نفي ما يتعلق بهم من الفائدة فجعل عديم النفع حكمه حكم المعدوم قال جار الله انما جمع الشافع ووحد الصديق لكثرة
الشفعاء لاجل الحسبة عادة ولكن الصديق الصادق اعز من الكبريت الاحمر حتى زعم بعض الحكماء انه اسم لا معنى له ويجوز ان يكون الصديق في معنى
الجمع والكرة الرجعة الى الدنيا ولو في معنى التمني وقوله فنكون جواب التمني او عطف في المعنى على كرة اي ليت لنا كرة فان نكون وعلى هذا جاز ان يكون لو على
اصل معنى الشرط والجواب محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت ثم بين ان فيما ذكره من قصة ابراهيم لآية لمن يريد ان يستدل بذلك وما كان اكثرهم قوم
ابراهيم مؤمنين القصة الثالثة قصة نوح عليه السلام ولا ريب ان نبأه عظيم فقد كان يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك لم يزد قومه الا تكذيبا
والقوم مؤنث بدليل تصغيره قويمة وكان ايمانهم مشهورا محمد صلى الله عليه وسلم في قريش وكرر قوله فاتقوا الله واطيعون تأكيدا وتقريرا في النفوس مع انه علق كل واحد
بسبب وهو الامانة في الاول وقطع الطمع في الثاني نظيره قول الرجل لغيره الا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيرا الا تتقي الله في عقوقي وقد علمتك كبيرا
وقدم الامر بتقوى الله على الامر بطاعته لان تقوى الله علة لطاعته قوله وما علمي يريد اي شيء علمي ونفى انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله عز وجل والاطلاع
على باطنهم وكون ضميرهم كانهم طعنوا في ايمانهم ايضا فذكر ان حسابهم على الله وانه لم يبعث الا للنذارة ويجوز ان يكون تعالى لهم فسر الرذالة بما هو الرذالة حقيقة
من سوء الاعمال وفساد العقائد فبنى جوابه على ذلك وقال وما علمي الا اعتبار الظاهر والله يتولى السرائر وفي قوله لو تشعرون اشارة الى انهم لا يصدقون

الحساب والجزاء وفيه انكار ان ينفي المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى رب ان قومي كذبون
ليس اخبارا لاجل علام الغيوب وانما هو تمهيد مقدمة لطلب الفتح والحكومة والفلك المشحون المملوء من كل زوجين اثنين مع نوح واهله التأويل
عليهم نبأ ابراهيم القلب اذ قال لابيه وقومه وهو الروح وما يتولد منه نعبد اصناما وهو ما سوى الله فنظل لها عاكفين الا ان ادركتنا العناية فتعرض
عنها بل وجدنا اباءنا وهم الارواح الآباء العلوية كذلك يتعلق بعضهم ببعض فانهم عدو لي اذ تعلقت بهم ونفرت محجوبا بهم عن الله الذي خلقني فهو
يهدين الى حضرته والذي هو يطعمني من طعام العبودية الذي يعيش القلوب ويسقين من شراب طهور التجلي واذا مرضت بمتعلقات الكونين فهو يشفين بجذبة
الالهية والذي يميتني عن اوصاف البشرية ثم يحيين باوصاف الروحانية ويميتني عن اوصاف الروحانية ثم يحيين بالاوصاف الربانية ويميتني عن انانيتي
ثم يحيين بهويته والذي اطمع ان يستر ظلمة خطيئة وجودي بطلوع شمس نهار الدين رب هب لي من لدنك حكما على بذل وجودي في هويتك
والحقني بالذين صلحوا للقبول الفيض الالهي بلا واسطة واجعل لي لسان صدق في الآخرين من النفوس وصفاتها ليعبدوا غير ما سوى الله واغفر لابي الروح انه كان
من الضالين حين نزل من العالم العلوي الى السفلي من قولهم ضل الماء في اللبن ولا تخزني بمتعلقات الكونين قال نوح القلب وما علمي بما كانوا يعملون يعني
اراذل الجسد والاعضاء لانهم عملة عالم الشهادة وانا من عملة عالم الغيب ان حسابهم الا على ربي فيما يعملون من الاعمال الحيوانية لحاجة ضرورية يعفو عنها المنتهون
الحيوانية يؤاخذهم بها لو تشعرون الفرق بينهما قالوا اي النفس وصفاتها لئن لم تنته يا نوح القلب عما تدعونا اليه على خلاف ارادتنا لنكونن من المرجومين بحجارة
الوساوس والهواجس في الفلك المشحون اي في فلك الشريعة المملوء بالاوامر والنواهي والحكم والمواعظ والاسرار والحقائق ثم اغرقنا بعد الباقين بطوفان
استيلاء الاخلاق الذميمة وآفات الدنيا الدنية وباقي القصص اشارات الى رسول القلب المستسلم من الله تعالى وقومه النفس وصفاتها كما قررناه [illegible]

كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون ۝ اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتبنون بكل ريع آية تعبثون ۝ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ۝ واذا بطشتم
بطشتم جبارين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ واتقوا الذي امدكم بما تعلمون
امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ۝ اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم ۝ قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ۝ ان
هذا الا خلق الاولين ۝ وما نحن بمعذبين ۝ فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك
لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝ كذبت
ثمود المرسلين ۝ اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون ۝ اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين ۝
اتتركون في ما ههنا آمنين ۝ في جنات وعيون ۝ وزروع ونخل
طلعها هضيم ۝ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ۝ فاتقوا الله واطيعون
۝ ولا تطيعوا امر المسرفين ۝ الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون
قالوا انما انت من المسحرين ۝ ما انت الا بشر مثلنا فات بآية ان كنت من الصادقين
قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ۝ ولا تمسوها بسوء فياخذكم
عذاب يوم عظيم ۝ فعقروها فاصبحوا نادمين ۝ فاخذهم العذاب ان
في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝
كذبت قوم لوط المرسلين ۝ اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون ۝ اني لكم

رسول امين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين ۝ اتاتون الذكران من العالمين ۝ وتذرون ما خلق لكم ربكم
من ازواجكم بل انتم قوم عادون ۝ قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين
قال اني لعملكم من القالين ۝ رب نجني واهلي مما يعملون ۝ فنجيناه واهله
اجمعين ۝ الا عجوزا في الغابرين ۝ ثم دمرنا الاخرين ۝ وامطرنا عليهم مطرا فساء
مطر المنذرين ۝ ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝
وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝ صدق الله العظيم

او خطت مدغما عباس والنشر خلق الاولين بفتح الخاء وسكون اللام وابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد وعلي كذبت ثمود مثل لعدت ثمود فارهين بالالف ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف الوقوف المرسلين ۝ تتقون ۝ امين ۝ واطيعون ۝ اجري العالمين ۝ تعبثون ۝ تخلدون ج جبارين ج واطيعون ج تعلمون ج وبنين لا وعيون ج عظيم ط للاحتراز عن الابتداء بمقولهم الاولين ط لا لذلك بمعذبين ج فاهلكناهم ط لاية ط مؤمنين ۝ الرحيم ۝ المرسلين ۝ لا تتقون ج امين لا واطيعون ج العالمين ۝ امنين لا لتعلق الظرف وعيون لا هضيم ج فارهين ج مثلنا ج من الصادقين ۝ معلوم ج عظيم ۝ نادمين لا العذاب ط لاية ط مؤمنين ۝ الرحيم ۝ المرسلين لا الا تتقون ج امين لا واطيعون ج اجري العالمين ط للعطف من ازواجكم ط عادون ۝ المخرجين ۝ القالين ج يعملون ۝ اجمعين لا الغابرين ج الاخرين ج مطرا ج المنذرين ۝ لاية ط مؤمنين ۝ الرحيم ۝
القصة الرابعة قصة هود عليه السلام ولنذكر من التفسير ما هو غير مكرر فالريع بالكسر وقرئ بالفتح المكان المرتفع ومنه ريع الغلة لارتفاعها والاية العلم وفي هذا البناء وجوه فعن ابن عباس انهم كانوا يبنون بكل موضع مرتفع علما يعبثون فيه بمن يمر في الطريق الى هود وقيل كانوا يبنون ذلك ليعرف فخرهم وغناهم فنهوا عنه ونسبوا الى العبث وكانوا يهتدون بالنجوم قاله مجاهد والمصانع ماخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون ومعنى لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا اي فعلتم وعلوا لوصفوا لكونهم اذ ذاك جبارين وقد قيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن اراد انهم يبادرون بتعذيب الناس من غير تفكر في العواقب والحاصل ان اتخاذ الابنية الرفيعة يدل على حب العلو واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والبطش الشديد يدل على حب التفرد بالعلو فكانهم احبوا العلو وبقاء العلو والتفرد بالعلو وكل هذه من الصفات الالهية لا العبدية ثم بالغ في تنبيههم على نعم الله تعالى حيث اجملها بقوله امدكم بما تعلمون ايقاظا لهم عن سنة الغفلة مستشهدا بعلمهم ثم فصلها بقوله امدكم بانعام عليها مدار معاشكم وبنين بهم يتم امر حفظها والقيام بها وجنات تحصل بها التفكه والتنزه وعيون بانها يكمل النماء ثم ختم الكلام بتخويفهم تنبيها على انه كما قدر ان يتفضل عليهم بهذه النعم الجسام فهو قادر على العذاب العظيم فيكون فيه مزيد حث على التقوى وكمال تنفير عن العصيان ثم شرع في حكاية جواب القوم وانهم قالوا ان وعظه وعدم وعظه بالنسبة اليهم سيان واما لم يقل او غفلت اولم تعظ مع كونه اخصر لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن من مباشريه وذويه رأسا وهذا ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قرا خلق الاولين بفتح الخاء فالمعنى ان هذا الا اختلاق الاولين واكاذيبهم او ما خلقنا هذا الا خلق الاولين نحيا ونموت ولا بعث ولا جزاء والقراءة الاخرى معناها ما نحن الا على دين الاولين من ابائنا او ليس ما نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة جارية قديمة لهم او ما هذا الذي جئت به من تلفيق الاكاذيب الا عادة مستمرة من المتنبئين ثم اكدوا انكارهم للمعاد بقوله وما نحن بمعذبين فاظهروا بذلك جلادتهم وقوة نفوسهم فاخبر الله تعالى عن اهلاكهم وقد تبين كيفيته ذلك مرارا القصة الخامسة قصة صالح عليه السلام قال جار الله الهمزة في اتتركون يجوز ان يكون للانكار اي لا تتركون مخلدين في الامن والراحة ولكل نعمة زوال ويجوز ان يكون للتقرير اي انتم قد تركتم في اسباب الامن والفراغ اجمل اولا بقوله فيما هاهنا اي في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وذكر النخل بعد ذكر الجنات اما تخصيص للجنات بغير النخل واما تخصيص للنخل بالذكر تنبيها على فضله وفرتبه وطلع النخلة اول ما يبدو ومنها كنصل السيف ونحو في الانعام والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم اراد انه وهب لهم اجود النخل والطفه كالبرني مثلا وقيل وصف نخلهم بالحمل الكثير فانه اكثر الحمل منهم اي لطف وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة وفارهين حال من الناحتين قال علماء المعاني جعل الاسراف امرا مجاز حكمي والمطاع بالحقيقة هو الامر وفي قوله ولا يصلحون اشارة الى ان فسادهم في الارض غير متمزج بالاصلاح رأسا والمسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله من السحر الرئة اراد وانه بشر ذو سحر وهو ضعيف لانه يلزم التكرار بقوله ما انت الا بشر مثلنا الا ان يقال انه بيان والشرب النصيب من الماء كالسقي للحظ من السقي وقرئ بالضم عن قتادة انه اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه السؤال لم اخذهم العذاب وقد ندموا والندم توبة جوابه كان ندمهم ندم خوف من العقاب العاجل او ندموا والندم توبة ولكن في غير اوانها وذلك عند عيان العذاب وقيل ندموا على ترك سقي ولدها وفيه بعد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم القصة السادسة قصة لوط عليه السلام انكر على قومه اتيانهم الذكور من الناس لا الاناث على كثرتهن وانكر عليهم كونهم مختصين من العالمين بهذه الفاحشة فقوله من العالمين يعود على الاول الى الماتي وعلى الثاني الى الاتي والعالمون على هذا كل ما ينكح من الحيوان ولا شيء من الحيوان يركب هذه الفاحشة الا الانسان وقوله من ازواجكم اما بيان لما خلق واما للتبعيض فيراد بما خلق العضو المباح منهن فلعلهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم والعادي المتجاوز الحد في الظلم اي بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي وهذه واحدة منها او بل انتم احقاء بان تنسبوا الى العدوان حيث تعملون هذه الجريمة العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عن نهينا لتكونن من جملة من اخرجناه من بلدنا ولعلهم كانوا يطردون من خالف امرائه كان لهم قال اني لعملكم من القالين اراد انه معدود في زمرة مبغضيهم كما يقول فلان من العلماء فيكون

ابغ

ابلغ من قولك هو عالم ثم طلب النجاة من عقوبة عملهم او سال العصمة من مثل عملهم ولقد عصمه الله الا عجوزا رضيت بفعلهم واعانت على ذلك وكانت من اهله بحق الزواج وان لم يشاركهم في الايمان ومعنى في الغابرين الا عجوزا مقدرا غبورها اي بقاؤها في الهلاك واللام في المنذرين للجنس ليصلح لفاعلية فعل الذم والمخصوص محذوف اي ساء مطر جنس المنذرين مطرا ولئك المعهودين

كذب اصحاب الايكة المرسلين ۝ اذ قال لهم شعيب الا تتقون ۝ اني لكم رسول
امين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين ۝ اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ۝ وزنوا بالقسطاس المستقيم ۝
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين ۝ واتقوا الذي خلقكم
والجبلة الاولين ۝ قالوا انما انت من المسحرين ۝ وما انت الا بشر مثلنا وان
نظنك لمن الكاذبين ۝ فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين ۝
قال ربي اعلم بما تعملون ۝ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب
يوم عظيم ۝ ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز
الرحيم ۝ وانه لتنزيل رب العالمين ۝ نزل به الروح الامين ۝ على قلبك
لتكون من المنذرين ۝ بلسان عربي مبين ۝ وانه لفي زبر الاولين ۝
اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ۝ ولو نزلناه على بعض الاعجمين ۝ فقراه عليهم
ما كانوا به مؤمنين ۝ كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ۝ لا يؤمنون به حتى يروا
العذاب الاليم ۝ فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون ۝ فيقولوا هل نحن منظرون ۝
افبعذابنا يستعجلون ۝ افرايت ان متعناهم سنين ۝ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ۝
ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ۝ وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ۝ ذكرى
وما كنا ظالمين ۝ وما تنزلت به الشياطين ۝ وما ينبغي لهم وما يستطيعون ۝
انهم عن السمع لمعزولون ۝ فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين ۝ وانذر
عشيرتك الاقربين ۝ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ۝ فان
عصوك فقل اني بريء مما تعملون ۝ وتوكل على العزيز الرحيم ۝ الذي يريك
حين تقوم ۝ وتقلبك في الساجدين ۝ انه هو السميع العليم ۝ هل انبئكم
على من تنزل الشياطين ۝ تنزل على كل افاك اثيم ۝ يلقون السمع واكثرهم
كاذبون ۝ والشعراء يتبعهم الغاوون ۝ الم تر انهم في كل واد يهيمون ۝ وانهم
يقولون ما لا يفعلون ۝ الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا

من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ۝ صدق الله العظيم

ليكة بلام مفتوحة بعدها ياء ساكنة وبفتح التاء على انها ممتنعة من الصرف للعلمية والتأنيث وكذلك فى صاد ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الآخرون الايكة معرفا مجرورا كسفا بالفتح السين حفص غير الخزاز الآخرون بسكونها ربى اعلم بفتح الياء نافع وابو جعفر وابن كثير وابو عمرو ونزل به مخففا الروح الامين مرفوعين ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحفص وابو زيد عن المفضل وزيد عن يعقوب الباقون نزل مشددا الروح الامين منصوبين اولم تكن بتاء التأنيث آية بالرفع ابن عامر الباقون بالياء التحتانية آية بالنصب فتوكل بالفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالواو من تنزل الشياطين بتشديد التاء وكذلك تنزل البزى وابن فليح يتبعهم بالتخفيف نافع وآوى بالياء فى الوقف يعقوب والسرندى عن قنبل

الوقوف المرسلين ج تتقون ه امين ه لا واطيعون ج اجر ج العالمين ه ط المخسرين ج المستقيم ج مفسدين ج الاولين ج المسحرين ه لا الكاذبين نصف اى القرآن الصادقين ه ط تعملون ه الظلة ط عظيم ه لاية ط مؤمنين ه الرحيم ه العالمين ه ط الامين ه ط المنذرين ه لا مبين ه ط الاولين ه اسرائيل ه ط الاعجمين ه لا مؤمنين ه ط المجرمين ه ط بناء على ان لا يؤمنون مستأنف للبيان ولو جعل حالا فلا وقف الاليم ه ط لا يشعرون ه لا منظرون ه ط يستعجلون ه سنين ه لا للعطف يوعدون ه لا لان قوله ما اغنى جملة نفى او استفهام قامت مقام جواب الشرط يمتعون ه ط منذرون ه وقد توقف عليها بناء على ان ذكرى ليس بمفعول له والمراد ذكرناهم ذكرى والتوقف على ذكرى جائز ظالمين ه الشياطين ه يستطيعون ط ه لمعزولون ه ط المعذبين ج الاقربين ه لا للعطف المؤمنين ه تعملون ج الرحيم ه لا تقوم ه لا الساجدين ه العليم ه الشياطين ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار اثيم ه لا بناء على ان يلقون حال من ضمير الشياطين اى ينزل ملقين السمع او صفة لكل افاك وان جعل مستأنفا كان قائلا قال لم ينزل فقيل يلقون كيت وكيت فلك الوقف كاذبون ه ط الغاوون ه ط يهيمون ه لا لا يفعلون ه لا ظلموا ط ينقلبون ه

القصة السابعة قصة شعيب عليه السلام وانه كان اخا مدين دون اصحاب الايكة ولهذا لم يقل اخوهم شعيب يروى ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهى التى حملها المقل قال فى الكشاف قرئ اصحاب الايكة بتخفيف الهمزة وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف فى هذه السورة وفى سورة ص ثم اعترض عليه بان ليكة اسم لا يعرف قلت انه لا يلزم من عدم العلم بالشئ عدم ذلك الشئ والنقل بالمتواتر يجب ان يكون احسن من ذلك امرهم شعيب بايفاء الكيل ونهاهم عن الاخسار وهو التطفيف وان يجعل البخس جائزا فكانه امر بالايفاء ثم تأكيدا ثم زاد فى البيان بقوله وزنوا بالقسطاس المستقيم وقد مر فى سورة سبحان قال فى الكشاف ان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعى قلت ان كان مكررا فوزنه فعلال ايضا وقوله ولا تبخسوا تأكيد آخر وقد سبق فى هود والجبلة الخليقة حذرهم الله الذى تفضل عليهم بخلقهم وخلق من تقدمهم من لولا خلقهم لما كانوا مخلوقين قال فى الكشاف الفرق بين ادخال الواو ههنا فى قوله وما انت الا بشر وبين تركها فى قصة ثمود هو انه قصد ههنا معنيان منافيان عندهم للرسالة كونه مسحرا وكونه بشرا وهناك جعل المعنى الثانى مقررا للاول قلت الفرق بين والاشكال فى تخصيص كل من القصتين بما خصت به ولعل السبب فيه هو ان صالحا قلل فى الخطاب فقللوا فى الجواب واكثر شعيب فى الخطاب ولهذا قيل له خطيب الانبياء فاكثروا فى الجواب وان فى قوله وان نظنك هى المخففة من الثقيلة عملت فى ضمير شان مقدر واللام فى قولهم لمن الكاذبين للفارقة والكسف بالسكون والحركة جمع كسفة وهى القطعة وقد مر فى سبحان فى اقتراحات قريش والمعنى ان كنت صادقا فى دعوى النبوة فادع الله ان يسقط علينا قطع السماء وانما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فارادوا بذلك اظهار كذبه فحلم عنهم شعيب ولم يدع عليهم بل فوض الامر الى الله بقوله ربى اعلم بما تعملون يروى ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبرئيل واهلك اصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة وذلك انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الحر فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وحين سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه القصص المذكورة المؤكدة بالمكررات المختتمة بالمقررات عاد الى مخاطبته قائلا وانه اى وان الذى نزل عليك من اخبار لتنزيل رب العالمين اى منزله والباء فى نزل به على القراءتين للتعدية ولكنها فى قراءة التشديد تقتضى مفعولا آخر [illegible] والظاهر من قول ائمة اللغة ان القلب والفؤاد مترادفان ونقل الامام فخر الدين الرازى عن بعضهم ان القلب هو العلقة السوداء فى جوف الفؤاد وذكر كلاما طويلا فى ان محل العقل هو القلب دون الدماغ وهو المخاطب فى الحقيقة ولهذا قال نزله على قلبك ونحن قد تركناه لعلمه لطفه بالمقام ولضعف دلائله مع مخالفته لما عليه معظم ارباب العقول قوله وانه لفى زبر الاولين يعنى ان ذكر القرآن مثبت فى الكتب السماوية للامم المتقدمة وان معانى القرآن فى تلك الزبر وقد يحتج به لابى حنيفة فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلوة وقيل الضمير فيه وفى ان يعلمه للنبى صلى الله عليه وسلم وانه حجة ثانية على نبوته قد شهد بها علماء بنى اسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره من الذين اسلموا منهم واعترفوا ان نعته وصفته فى كتبهم مذكور وكان مشركوا قريش يذهبون الى اليهود ويتعرفون منهم هذا الخبر من قرأ يكن بالتذكير وآية بالنصب على الخبر والاسم ان يعلمه فظاهر ومن قرأ تكن بالتأنيث وآية بالرفع على الاسم والخبر ان يعلمه فقيل ليست بقوية لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا ويمكن ان يجاب بان الفعل المضارع مع ان ليس من المعارف الصريحة وقد توجه هذه القراءة بتقدير ضمير القصة فى تكن والجملة آية ان يعلمه خبرها وان يعلمه بدل من آية قال جار الله انما كتب علموا بالواو على لغة من يميل الالف الى الواو وكذلك كتبت الصلوة والزكوة بالواو ثم اكد بقوله ولو نزلناه بأمن انه لو نزله بالعجمى فقرأه عليهم بعض الاعجمين لم يؤمنوا به لانهم لم يكونوا يفهمونه وقال جار الله معناه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذى لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك اى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم وقررناه فيها فعلى وجه دبر امرهم فلا سبيل الى تغييرهم عما هم عليه من الانكار والاصرار وقد سبق مثل هذه الآية فى اول الحجر والحاصل انهم لا يزالون على التكذيب حتى يعاينوا الوعيد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان اليأس احدى الراحتين قال فى الكشاف ليس الفاء فى قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا للاجل ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال النظرة وانما المعنى ترتبها فى الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى يكون رؤيتهم العذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة نظيره قولك ان اسأت مقتك الصالحون فمقتك الله لا تريد الترتيب فى الوجود ولكن فى الشدة قلت هذا معنى صحيح

ولكن

ولكن لا مانع من ارادة الترتيب والتعذيب فى الوجود ليظهر بان قال ان شاء الله تعالى ثم انكرهم بقوله افبعذابنا يستعجلون وفيه انكار وتهكم اى كيف يستعجل العذاب من لا طاقة له حتى يستمهل بعد ان كان من العمر فى مهلة وجوز فى الكشاف ان يكون يستعجلون حكاية حال ماضية يوبخون بها عند استنظارهم او يكون متصلا بما بعده وذلك انهم اعتقدوا ان العذاب غير كائن فلذلك استعجلوه وظنوا انهم يمتعون باعمار طوال فى سلامة وامن فانكر الله عليهم استعجالهم العذاب عن الاشر والبطر والاستهزاء والاتكال على طول الامل ثم قال هب ان الامر كما ظنوا من التمتع والتعمير فاذا لحقهم الوعيد والاجل او الغاية فهل ينفعهم ذلك عن ميمون بن مهران انه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظنى فلم يزد على تلاوة هذه الآية فقال له ميمون لقد وعظت فابلغت ثم بين انه ما اهلك قرية الا بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم وعلى هذا يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا لانذر بمعنى التذكرة فان انذر وذكر متقاربان او حالا من الضمير فى منذرون او مفعولا له متعلقا به اى ينذرونهم ذوى تذكرة او لاجل الموعظة والتذكرة والتقدير هذه ذكرى فالجملة اعتراض ويجوز ان يكون صفة لمنذرون على حذف المضاف اى ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لبلوغهم فى التذكرة اقصى غاياتها والبحث عن وجود الواو وعدمه فى مثل هذا التركيب قد مر فى اول الحجر فى قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم الا انا نذكر ههنا سبب تخصيص هذه الآية بالواو وهذه بعدم الواو فنقول لا ريب ان الواو يفيد مزيد الربط والاجتماع فى الحال وفى الوصف ان جوزنا فسواء قدرنا الجملتين اعنى قوله ولها كتاب معلوم وقوله لها منذرون حالا او وصفا فالمقام يقتضى ورود النسق على ما ورد وذلك ان قوله ولها كتاب معلوم صفة لازمة للقرية فان الكتب فى اللوح وصف ازلى فناسب ان يكون فى اللفظ ما يدل على اللزوم والالتصاق وهو الواو ثم زيد فى التأكيد بقوله معلوم وهذا بخلاف قوله لها منذرون فانها صفة حادثة كما وجرد صدر الجملة عن الواو لذلك والله اعلم ثم انه لما احتج على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بكون القرآن معجزا منزلا من رب العالمين مشتملا على معانى كتب الاولين وكان الكفار يقولون انه من القاء الجن كحال الكهنة اراد ان يزيل شبهتهم بقوله وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم التنزل بالوحى وما يستطيعون ثم بين عدم اقتدارهم بقوله انهم عن السمع اى عن سماع كلام اهل السماء لمعزولون وذلك بواسطة رجم الشهب كما اخبر عنه الصادق والمعجزات يشد بعضها ببعض ولو فرض انهم غير مرجومين بالشهب فالنقل يدل على ان الاهتمام بشان الصديق اقوى منه بشان العدو وكان محمد صلى الله عليه وسلم يلعن الشياطين ويامر الناس بلعنهم فلو كان الغيب بالقاء الشياطين لكان الكفار اولى بان يحصل لهم ذلك وحين اثبت حقية القرآن امر نبيه بجوامع مكارم الاخلاق ومحاسن العبادات والعادات فاولها فلا تدع والمراد انه كما مر فى نظائره من قوله وان اتبعت اهواءهم وغير ذلك وانذر عشيرتك الاقربين فيه ان الاهتمام بشان من هو اقرب الى المرء اولى وفيه انه يجب ان لا يأخذه فى باب التبليغ ما يأخذ القريب للقريب من المسامحة ولين الجانب يروى انه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية صعد الصفا فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف يا عباس عم النبى صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا املك لكم من الله شيئا سلونى من المال ما شئتم وروى انه جمع بنى عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى شبعوا ثم انذرهم فقال يا بنى عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد قوله واخفض جناحك قد مر تفسيره فى اخر الحجر وفى سبحان وزاد ههنا لمن اتبعك كيلا يذهب الوهم الى ان خفض الجناح وهو التواضع ولين الجانب مخصوص بالمؤمنين من عشيرته وانما لم يقتصر على قوله لمن اتبعك لان كثيرا منهم كانوا يتبعونه للقرابة والنسب لا للدين وقال فى الكشاف سبب الجمع بين اللفظين هو انه سماهم قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك والمراد بالمؤمنين المصدقين بالالسنة فزاد قوله لمن اتبعك ليخرج من صدق باللسان دون الجنان او صدق بهما ولم يتبعه فى العمل وحين امره بالتواضع لاهل الاخلاص فى الايمان امره بالتبرئة من ارباب العصيان فاستدل الجبائى به على ان الله تعالى ايضا برئ من عملهم فكيف يكون فاعلا له واجيب بانه ان اراد برئ الله انه ما امر بها فمسلم وان اراد انه لا يريدها فممنوع لانها وجميع الحوادث الى ارادته ضرورة قوله وتوكل معطوف على قوله فلا تدع او على قوله فقل امره بتفويض الامر فى دفع اعاديه الى العزيز الذى يقهر من ناوى اولياءه الرحيم الذى لا يخذل من ينصر دينه قال بعض العلماء المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية الله عز وجل ولو وقع فى محنة واستعان فى دفعها ببعض المخلوقين لم يخرج من حد المتوكلين ثم عدد مواجب الرحمة وهى رؤية قيامه وتقلبه فى الساجدين اى فى المصلين وللمفسرين فيه وجوه منها ما روى انه حين نسخ فرض التهجد طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه حرصا عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات فوجدها كبيوت الزنابير ذكرا وتلاوة فالمراد تقلبه فى الساجدين تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم كيف يعملون لآخرتهم ومنها ان المراد تصرفه فيما بين المؤمنين بالقيام والركوع والسجود والقعود يروى عن مقاتل انه استدل به على وجود فضل صلوة الجماعة فى القرآن ومنها انه اشارة الى ما جاء فى الحديث اتموا الركوع والسجود فوالله انى لاراكم من خلف ظهرى فالتقلب تقلب بصره فيمن يصلى خلفه وقيل المراد انه لا يخفى علينا حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية امور الدين وقد احتج بالآية علماء الشيعة فى مذهبهم ان اب النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون كافرا قالوا اراد تقلب روحه من ساجد الى ساجد كما فى الحديث المعتمد عليه عندهم لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وتأويلهم اهل السنة فى التأويل المذكور وفى صحة الحديث والاصوب عندى ان لا يشتغل بمنع امثال هذه الدعوى ويصرح الى بقعة الامكان على انه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ثم اكد قوله وما تنزلت به الشياطين بقوله هل انبئكم على من تنزل قال فى الكشاف تقديره اعلى من تنزل لكون الاستفهام فى صدر الكلام كقولك اعلى زيد مررت قلت هذا تكلف بارد لان الاستفهام فى من حتى لا يصرح به قط والافاك الكثير الافك والاثيم مبالغة اثم وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح ومسيلمة واشباههما والضمير فى يلقون عائد الى الشياطين كانوا قبل الرجم بالشهب يختطفون بعض الغيوب من الملأ الاعلى بالقاء السمع اى باصغاء ثم يوحون به الى اوليائهم واكثرهم كاذبون لانهم يخلطون الحق المسموع بكلامهم الباطل كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب وقيل السمع بمعنى المسموع اى يلقى الشياطين الى اوليائهم ما يسمعونه من الملائكة ويحتمل ان يكون الضمير فى يلقون للافاكين والسمع الاذن او المسموع اى يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم يعنى وكلهم كاذبون لان الكذوب قد يصدق فيصدق عليه انه صادق فى الجملة لان هذه عبارة الفصحاء لا يحكمون حكما كليا ما لم يدع اليه ضرورة والحاصل انهم كانوا يقيسون حال النبى عليه السلام بحال الكهنة فقيل ان الاغلب على الكهنة الكذب ولم يظهر من احوال محمد صلى الله عليه وسلم الا الصدق فكيف يكون كاهنا ثم بين ما يعرف منه ان النبى صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر كما انه ليس بكاهن فقال والشعراء يتبعهم الغاوون قيل اى الشياطين والاظهر انهم الذين يروون اشعارهم وكان شعراء قريش مثل عبد الله بن الزبعرى وامية بن ابى الصلت يهجون النبى صلى الله عليه وسلم ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اهاجيهم فنزلت ثم بين غوايتهم بقوله الم تر انهم فى كل واد يهيمون وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول يمدحون انسانا تارة ويذمونه اخرى غالين فى كلا الطرفين مستعملين التخييل فى كل باب ومن ذكر من قبائح خصالهم انهم يقولون هنة الصلف والدعاوى ما لا يفعلون ولعمرى انها خصلة شنعاء تدل على الدناءة واللؤم قالوا ما لا فعلوا وابن هم من معشر فعلوا ما قالوا وعن الفرزدق

ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله شعر فبتن بجانبي مصرعات ٭ وبت افض اغلاق الختام ٭ فقال وجب عليك الحد وتلا الآية فقال
قد درأ الله عني الحد يا امير المؤمنين ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين اغلب احوالهم الذكر والفكر فلا بأس بما فيه من المواعظ والنصائح ومدح الحق وذويه
ويكون هجاؤهم على سبيل الانتصار وممن يهجوهم مثل عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب
بن مالك ان رسول الله قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك والحاصل ان النظر من الشعر
على المعنى لا الى مجرد النظم والروي فان كان المعنى صحيحا مطابقا للحق والصدق فلا بأس بادخاله في سلك النظم والقافية بل لعل النظم يروجه ويهيج الطبع
على قبوله وهو الذي عناه صلى الله عليه وسلم بقوله ان من الشعر لحكما وان كان المعنى فاسدا والغرض غير صحيح فهو الذي توجه الذم اليه والانتصار حده معلوم
وهو ان لا يزيد على الجواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فهو على البادي ما لم يعتد
المظلوم ثم ختم السورة بآية جامعة للوعيد كله فقال وسيعلم الذين ظلموا خصصه بعضهم بالشعراء اذا خرجوا عن حد الانصاف ومالوا الى الجور والا
ولعله عام يتناول الكل من ظلم نفسه بالاعراض عن تدبر ما في هذه السورة بل القرآن كله وقوله اي منقلب ينقلبون اي ينقلبون من الدركات السفلى
انقلابا اي منقلب والعمل فيه يعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وعن ابن عباس انه قرأه بالفاء والتاء والمراد سيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه
الانفلات وهو النجاة التأويل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فيه اظهار العذر من وجهين الاول جعل الاعجمي بحيث يقرأ العربي عليهم كقول الشاعر
امسيت كرديا واصبحت عربيا والثاني ان اهل الانكار لا يصيرون اهل الاقرار ولو اتاهم مثل هذا الاعجاز المبين وذلك لان الله كذلك سلكه في قلوبهم
فيأتيهم عذاب البعد والطرد في الدنيا بغتة وهم لا يشعرون لانهم نيام فاذا ماتوا انتبهوا فيقولوا هل نحن منظرون وما ينبغي لهم وما يستطيعون لانهم خلقوا
من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة قوة حمل النور القديم ولهذا يستغيث النار من نور المؤمن ويقول جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي فتكون
من المعذبين لان كل من طلب مع الله شيئا اخر حتى الجنة فله عذاب البعد والحرمان من الله تعالى وانذر عشيرتك فيه ان النسب نسب النفوس فان الكل
شجرة والشيخ ولده اولاد الاكل الطعام كما اذا اكل ولده وهو اصعب المتابعة اي برئ مما تعملون لم يقل اني برئ منكم لان المراد لا تبرأ منهم وقل لهم قولا جميلا ٭
بالنصح والموعظة الحسنة حتى يرجعوا ببركة دعوتك الى قبول الحق او ينالوا الجنة بواسطة شفاعتك وتقلبك في الساجدين بان خلقنا روح كل ساجد من روحك
انه هو السميع في الازل مقالتك انا سيد ولد آدم عليه السلام ولا فخر لان ارواحهم خلقت من روحك ٭ العليم باستحقاقك بهذه الكرامة والله اعلم

سورة النمل مكية حروفها اربعة آلاف وستمائة وتسعة وتسعون كلمها الف ومائة وتسعة واربعون آياتها ثلاث وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ۝ هدى وبشرى للمؤمنين ۝
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ۝ ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون ۝ اولئك الذين لهم سوء العذاب
وهم في الآخرة هم الاخسرون ۝ وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ۝
اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم
تصطلون ۝ فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله
رب العالمين ۝ يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم ۝ والق عصاك فلما
رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون
الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم ۝ وادخل يدك في جيبك
تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين
فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ۝ وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ۝ صدق الله العظيم

اني آنست بفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو بشهاب منونا على ان قبسا ويعني مقبوس بدل وصفة عاصم وحمزة

وعلي وخلف وورش آتيكم بالاضافة من في النار عمالة على غير ليث وابي حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان والبخاري عن ورش وابو عمرو
غير ابراهيم بن حماد وكذلك في القصص الوقوف اول ربع الجزء طس كوفي مبين ٥ لا بناء على ان هدى حال والعامل معنى الاشارة في تلك او هو مرفوع
بدلا من الآيات او خبرا بعد خبر وان كان التقدير هي هدى فلك الوقف للمؤمنين ٥ لا لان الذين صفتهم يوقنون ٥ يعمهون ٥ ط تنصيصا على ان اولئك مبتدأ
مستأنف الاخسرون ٥ عليم ٥ نارا ط تصطلون ٥ حولها ط العالمين ٥ الحكيم ٥ للعطف الجملتين لاختلاف الجملتين تحت النداء عصاك ط للعدول عن بيان
حال الخطاب الى ذكر حال المخاطب مع حذف اي فالقاها فحينئذ لم يعقب ط لابتداء النداء المرسلون ٥ لا لان الا ان كان بمعنى لكن فلا استدراك يوجب الوصل
ايضا رحيم ٥ وقومه ط فاسقين ٥ مبين ٥ ج للآية وللعطف وعلوا ج لاختلاف الجملتين وتعظيم الامر بالاعتبار بعد حذف اي فاعرفنا هم المفسدين
تلك الآيات التي تضمنت هذه السورة آيات القرآن الذي علم انه منزل مبارك مصدق لما بين يديه وكتاب مبين اي كتاب فان اريد به اللوح فابانته انه
اثبت فيه كل ما كان وما يكون وان اريد به السورة او القرآن والغرض تفخيم شانهما من قبل التنكير فابانتهما ان اعجازهما ظاهر مكشوف وفيهما من العلوم والحكم ما لا يخفى و
لان الواو لا يفيد الترتيب فلا حكمة ظاهرة في عكس الترتيب بين ما ههنا وبين ما في اول الحجر ومعنى كون الآيات هدى وبشرى انها تزيد في ايمانهم وتبشرهم بالثواب
قال جار الله يحتمل ان يكون قوله وهم بالآخرة هم يوقنون من تتمة الموصول الا ان الاوجه ان يكون جملة مستقلة ابتدائية شبيهة بالمعترضة بدليل تكرير المبتدأ الذي
هو هم وكانه قيل وما يؤمن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة هو الذي يسهل عليهم متاعب التكاليف
واقول انه وصفهم بالايمان ليكون اشارة الى معرفتهم المبدأ ثم وصفهم باقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهما الطاعة بالنفس والمال وهذه اشارة الى الوسط ثم وصفهم
بمعرفة المعاد فلا احسن من هذه النسق وفيه ان المهتدي بالقرآن حقيقة هو الذي يكون موقنا باحوال المعاد لا شاكا فيها اتيا بالطاعات للاحتياط قائلا ان كنت
مصيبا فقد بلغت السعادة وان كنت مخطئا فلم يفتني الا لذات يسيرة زائلة ثم اورد وعيد المنكرين للمعاد واسناد تزيين الاعمال الى الله ظاهر على قول اهل السنة
واما المعتزلة فاولوه بوجوه منها انه استعارة وكانه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا ذلك التمتع ذريعة وهو الذي يصححه بعض الملابسات ولا ريب ان اهمال
الشيطان وتخليته حتى يزين لهم اعمالهم كما قال وزين لهم الشيطان اعمالهم ملابسة ظاهرة للتزيين ومنها ان المراد زينا لهم امر الدين وما يلزمهم ان يسلكوه
وذلك بان بينا لهم حسنه وما لهم فيه من الثواب فهم يعمهون يعدلون ويتحيرون عما زينا لهم قالوا الحسن لهم سوء العذاب اي القتل والاسر كيوم بدر
ثم مهد مقدمة لما سيذكر في السورة من الاخبار العجيبة فقال وانك لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم واذ قال منصوب بعليم
او باذكر كانه قيل خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى العجيبة الشأن والخبر خبر الطريق لانه كان قد ضله وفي قوله سآتيكم مع قوله في طه والقصص لعلي آتيكم دلالة
على انه كان قوي الرجاء والا انه كان يجزم البعض ووعد اهله بانه يأتيهم باحد الامرين وان ابطأ او بعدت المسافة او تعذر فاوالي اولويل على انه جزم بوجدان احدهما
ثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده والاعطاء بالنار الاستدفاء بها والاجتماع عليها واما خصت هذه السورة بقوله فلما جاءها
وقد قال في طه والقصص فلما اتاها نودي لانه كرر لفظ اتيكم ههنا بخلاف السورتين فاحترز من تكرار ما يقاربه في الاشتقاق مرة اخرى وان مفسرة لان النداء
فيه معنى القول او المخففة من الثقيلة بدليل فقدان قد في فعلها قال جار الله معنى بورك من في النار ومن حولها بورك في مكان النار ومن حول مكانها و
مكانها البقعة التي حصلت النار فيها كما قال في القصص نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ووجه البركة حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله
اياه واظهار المعجزات عليه وقيل معنى بورك تبارك والنار بمعنى النور اي تبارك من في النار وهو الله سبحانه مروي عن ابن عباس وعن قتادة و
الزجاج ان من في النار هو نور الله ومن حولها الملائكة وقال الجبائي ناداه بكلام سمعه من الشجرة في البقعة المباركة وهي الشام فكانت الشجرة محلا للكلام و
المتكلم هو الله بان خلقه فيها ثم ان الشجرة كانت في النار ومن حولها الملائكة وقيل من في النار هو موسى لقربه منها ومن حولها الملائكة وفي الابتداء بهذا
الخطاب عند مجيء موسى بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه البركة في ارض الشام وفي قوله وسبحان الله رب العالمين تنزيه له عما لا يليق بذاته من التجسيم
والحلول ونحوهما مما هو من خواص المحدثات وتنبيه على ان الكائن من جلائل الامور التي لا يقدر عليها الا رب العالمين والهاء في انه انا للشأن وانا راجع الى ما دل
عليه سياق الكلام اي ان المتكلم انا وعلى هذا فالله مع صفتيه بيان لانا وقيل انه تلويح الى اراد اظهاره وعليه يريد انا القادر القوي على اظهار الخوارق الحكيم الذي لا يفعل
الا جزافا ولا عبثا وقوله والق عصاك معطوف على بورك وكلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك والق ومعنى لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر
بعد الفر واما اقتصر ههنا على قوله لا تخف ولم يضف اليه اقبل كما في القصص لانه اراد ان يبني عليه قوله اني لا يخاف لدي المرسلون وسبب نفي الخوف عن الرسل
مشاهدة مزيد فضل الله وعنايته في حقه ثم استثنى من ظلم منهم بترك ما هو اولى به وقد مر بحث عصمة الانبياء في البقرة وفي الآية لطائف واشارات منها
اشارة بقوله اني لا يخاف لدي المرسلون الى ان موسى قد جعل رسولا ومنها انه اشار بقوله الا من ظلم الى ما وجد من موسى في حق القبطي وبقوله ثم بدل حسنا بعد
سوء الى توبة بعد ذنب الى قول موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقرئ الا بحرف التنبيه ومنها انه اشار بقوله ثم بدل حسنا على ظلم الى ان النبي المرسل
بدل البتة ولم يصر على فعله والا كان هذا العطف منقطعا عن الكلام ضائعا فانه اذا ظلم ولم يبدل كان خائفا ايضا ومنها انه اشار بقوله فاني غفور رحيم الى ان الخوف
وان يحق للمستثنى الا انه ينتفي عنه ايضا بسبب غفرانه ورحمته فنفي الخوف ثابت على كل حال فهذا الاستثناء قريب من تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله هو
البدر الا انه البحر زاخرا وكقوله شعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتائب ٭ هذه اللطائف مما سنح بها الخاطر وان الكتابة
ارجو ان يكون صوابا ان شاء الله العزيز قوله فادخل يدك وفي القصص اسلك يدك موافقة لانضم ولان المبالغة في ادخل اكثر منها في اسلك لان سلك
لازم ومتعد وههنا قال فذانك برهانان وههنا قال في تسع آيات وكان الابلغ في العدد فناسب الابلغ في اللفظ قال النحويون متعلق الجار محذوف
مستأنف اي اذهب في تسع آيات والمراد وادخل يدك في تسع لي في جملتهن وعدادهن اذهب الى فرعون وتفسير التسع قد مر في آخر سبحان وانما قال
ههنا الى فرعون وقومه دون ان يقول وملائه كما في القصص لان الملأ اشراف القوم وقد وصفهم ههنا بقوله فلما جاءتهم الى قوله ظلما وعلوا فلم يناسب ان يطلق
عليهم لفظ ينبئ عن المدح ومعنى مبصرة ظاهرة بينة كانها تبصر فتهدي ويجوز ان يكون الابصار مجازا باعتبار ابصار صاحبها وهو كل ذي عقل او فرعون وقومه
والواو في واستيقنتها للحال وقد مضمر وفي زيادة انفسهم اشارة الى انهم اظهروا خلاف ما ابطنوا والاستيقان ابلغ من الايقان والمبصرة ظاهر المبين وقوله
ظلما وعلوا اي كبرا وترفعا مفعول لاجلهما وقرئ مبصرة بفتح الميم نحو مبخلة قرأها علي بن الحسين وقتادة والله اعلم التأويل طا طلب الطالبين و
سين سلامة قلوبهم من تعلقات غير الله تلك دلالات القرآن وشواهد انواره وكتاب مبين فيه بيان كيفية السلوك ولذلك قال هدى وبشرى للمؤمنين
بالوصول الى الله الذين يستقيمون في المعارج بحقائق الصلوات ويؤتون زكوة احوالهم واحوالهم بالاضافة على المستحقين زينا لهم اعمالهم الدنيوية النفسانية فهم
يعمهون لعمى قلوبهم عن رؤية الآخرة ونعيمها ويكون في عالم الآخرة اعمى الا كان اصم وابكم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حبك للشيء يعمي ويصم فحب الدنيا
عميت عين القلوب وصمت اذنه وصار ابكم عن العلم اللدني والنطق به وهو سوء العذاب وهو الموجب لخسران الدارين مع خسران المولى وانما يكون خسران الدارين محمودا

اذا ربح المولى وجد ابو زيد في البادية محفا مكتوبا عليه خسر الدنيا والاخرة فبكى وقبله وقال هذا انس معوتي وحين اخبر عن مقامات المؤمنين ودركات
الكافرين اخبر عن مقامات النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وانك لتلقى القرآن الا من عند جبريل بل من لدن حكيم بحكمة القرآن عليم بعلم حيث
يجعل رسالاته ثم ضرب مثالا لذلك واحوال موسى القلب لما كشف له انوار شواهد الحق في ليلة الهوى وظلمة الطبيعة قال لاهله وهم النفس وصفاتها
اني انست نارا بوادي ايمن السر لعلكم تصطلون بتلك النار عن جمود الطبيعة فلما جاءها على قدمي الشوق وصدق الطلب نودي من الشجرة الروحانية
ان بورك من في نار المحبة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ومن حولها كالفراش يريد ان يقع فيها والق عن يدك همتك كل ما يعتمد عليه سوى فضل الله
فانه جان في الحقيقة ولى مدبرا هاربا الى الله ولم يعقب لم يرجع الى غيره فلذلك نودي بالخوف فان القلوب الملهمة المرسلة اليها الهدايا والتحف والالطاف
لا يخاف سوى الله الا من ظلم نفسه بالرجوع الى الغير وادخل يدك همتك في جيب فناء همتك تخرج بيضاء نقية من لوث الدارين في تسع ايات
من اسباب هلاك النفس وصفاتها فانظر كيف عاقبة الذين افسدوا الاستعداد الفطري والله حسبي ونعم الوكيل ونعم النصير

ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده
المؤمنين ۞ وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير
واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين ۞ وحشر لسليمان جنوده من الجن
والانس والطير فهم يوزعون ۞ حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ۞ فتبسم
ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي
وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ۞
وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ۞ لاعذبنه عذابا شديدا
او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين ۞ فمكث غير بعيد فقال احطت
بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين ۞ اني وجدت امراة تملكهم
واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ۞ وجدتها وقومها يسجدون للشمس
من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون
الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون
الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ۞ قال سننظر اصدقت ام كنت
من الكاذبين ۞ اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا
يرجعون ۞ قالت يا ايها الملؤا اني القي الي كتاب كريم ۞ انه من سليمان
وانه بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الا تعلوا علي واتوني مسلمين ۞ قالت
يا ايها الملؤا افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون ۞ قالوا نحن اولوا
قوة واولوا بأس شديد ۞ والامر اليك فانظري ماذا تامرين ۞ قالت
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون ۞

والي

واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ۞ فلما جاء سليمان
قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما اتيكم بل انتم بهديتكم تفرحون ۞ ارجع اليهم
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ۞ قال يا ايها الملؤا
ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين ۞ قال عفريت من الجن
انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين ۞ قال
الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر
ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم ۞ قال نكروا لها
عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون ۞ فلما جاءت
قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين
وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين ۞
قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه
صرح ممرد من قوارير ۞ قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت
مع سليمان لله رب العالمين ۞ صدق الله

واد النمل بالامالة عباس وقتيبة وقرا يعقوب وعلي والشيرزي عن قتيبة بالياء في الوقف لا يحطمنكم بالنون الخفيفة عباس ورويس اوزعني
بفتح الياء ابن كثير وكذلك في الاحقاف ما لي لا بفتح المتكلم ابن كثير وعلي وعاصم فيأتيني بنون الوقاية بعد الثقيلة ابن كثير فمكث بفتح الكاف عاصم و
سهل ويعقوب غير رويس الاخرون بضمها من سبا بفتح الهمزة لامتناع الصرف البزي وابو عمرو وعن قنبل الهمزة ساكنة وفي رواية اخرى عنه و
عن ابن فليح وزمعة بغير همزة الباقون بهمزة منونة مكسورة وكذلك في سورة سبا الا يسجدوا بالتخفيف يزيد وعلي ورويس الاخرون بالتشديد وقال
ابن مجاهد اذا وقفوا على الا يا والابتداء اسجدوا يخفون ويعلنون بتاء الخطاب فيهما علي وحفص الباقون على الغيبة فالقه بسكون الهاء حمزة وعاصم غير
المفضل وابو عمرو غير عباس وقرا باختلاس حركة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو من طريق الهاشمي عن اليزيدي الباقون بالاشباع اني القي بفتح
ياء المتكلم ابو جعفر ونافع اتمدونني بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ووافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن فليح وحفص لمن فتح الياء فالوقف بالياء الاخرون من حذف
الياء وقف بغير ياء الا سهلا ويعقوب فانهما يقفان بالياء وقرا اتاني الله بالامالة انا اتيك بالامالة وكذلك ما بعد حمزة في رواية خلف وابن سعدان
والعجلي وابي عمرو وخلف لنفسه فلما راه بكسر الراء نضير ليبلوني بفتح الياء ابو جعفر ونافع ساقيها بالهمزة ابن مجاهد وابو عون عن قنبل الاخرون بترك الهمز
في الكشاف من همز فوجهه انه سمع سؤقا فاجرى عليه الواحد الوقوف علاج للعدول عن بيان الياء الفضل ابتداء الى ذكر قول النمل عليهما شكرا وفاقا
شيء ط المبين ٥ يوزعون ٥ النمل لا لان ما بعده جواب اذا مساكنكم ج لانقطاع النظم لنهي الغائب مع اتحاد القائل وجنوده لا لان ما بعده الواو للحال لا يشعرون ٥
الصالحين ٥ الهدهد ز على معنى بل كان من الغائبين على التهديد والاصح ان ام متصل بمعنى الاستفهام في ما لي اي ما لا اراه وهو غائب الغائبين ٥ مبين ٥ يقين ٥
عظيم ٥ لا يهتدون ٥ لا ومن خفف الا وقف مطلقا يعلنون ٥ العظيم ٥ سجدة الكاذبين ٥ يرجعون ٥ كريم ٥ الرحيم ٥ لا للتعلق ان مسلمين ٥ امري ج للانقطاع
النظم مع اتحاد القائل تشهدون ٥ تامرين ٥ اذلة ج لان قوله وكذلك يحتمل ان يكون من تتمة قولها او هو تصديق من الله لما قالت يفعلون ٥ المرسلون ٥ بمال ج
لانتهاء الاستفهام مع وفاء التعقيب وبيان الاستغناء على التعجيل اتاكم ج لاختلاف الجملتين على ان بل يرجح جانب الوقف تفرحون ٥ صاغرون ٥ مسلمين ٥ مقامك
لابتداء بان مع اتحاد القائل امين ٥ طرفك ط للعدول مع حق المحذوف اي فذهبا فاحضره والتدام الكفر ط لنفسه ط كريم ٥ لا يهتدون ٥ عرشك ط هو لاحتمال ان يكون
ما بعده من كلامها او من كلام سليمان وقومه مسلمين ٥ من دون الله ط كافرين ٥ الصرح ج ساقيها ط قوارير ٥ العالمين ٥ لما فرغ من قصة موسى عم
شرع في قصة داود وابنه سليمان والتنوين في علما اما للتنويع اي طائفة من العلم او للتعظيم اي علما غزيرا قال علماء المعاني الواو في وقالا للعطف على محذوف لان
هذا المقام الفاء كقولك اعطيته فشكر فالتقدير ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة والفضيلة فيه وقالا الحمد لله وبيانه ان الشكر باللسان وانما يحسن اذا كان
صادرا عن القلب وهو العزم على فعل الطاعة وترك المعصية وعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات فكانه قال ولقد اتيناهما علما فعملا به قلبا وقالبا وقالا الحمد لله

قلت للقائل ان يقول الاصل عدم الاضمار وقوله هذا استعمال الفاء ممنوع وانما يكون كذلك اذا اريد التعقيب والتسبيب فاما ان كان المراد مجرد
الاخبار عما فعل بهما وعما فعلا قالوا وكذلك اعطيته وشكر وقوله على كثير من عباده يجوز ان يكون واردا على سبيل التواضع وان كانا مفضلين على جميع
اهل زمانهما ويجوز ان يكون واردا على الحقيقة بالنسبة الى زمانهما وبالنسبة الى سائر الازمنة وهذا اظهر واما وصف العباد بالمؤمنين فلدلالته على ان سبب
الفضيلة هو مجرد الايمان ولكن لا يزيد عليه من الاستغراق في بحر العبودية والعرفان وفي الاية دليل على شرف العلم وان العالم يجب ان يتلقى علمه بشكر النعمة
قلبا وقالبا وما التوفيق الا منه قوله وورث سليمان داود عن الحسن انه المال لان النبوة عطية مبتداة وزيف بان المال ايضا عطية مبتداة ولكنه
يرث الولد اذا كان مؤمنا ولا يرث اذا كان كافرا او قاتلا وما المانع من ان يوصف بانه ورث النبوة لما قام بها عند موته والظاهر انه اراد وراثة النبوة
والملك معا دليله قوله تشهيرا لنعمة الله ودعاء للناس الى التصديق بالمعجزة يا ايها الناس علمنا منطق الطير والمنطق يشمل كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف
مفيدا وغير مفيد ومنه ولهم نطقت الحمامة قال المفسرون انه تعالى جعل للطير في ايامه مما له عقل وليس كذلك حال الطيور في ايامنا وان كان فيها ما الهمه الله
الدقائق التي خصت بالحاجة اليها يحكى انه مر على بلبل في شجرة فقال لاصحابه انه يقول اكلت نصف تمرة وعلى الدنيا العفاء اي التراب وصاحت فاختة
فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال كما تدين تدان واخبر ان الهدهد يقول استغفروا الله يا مذنبون والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه والرخمة
تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه والقمري يقول سبحان ربي الاعلى والقطاة يقول من سكت سلم والببغاء يقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول
اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس ومعنى من كل شيء وقال في الكشاف
اراد كثرة ما اوتي كما يقول فلان يقصده كل احد تريد كثرة قاصديه وانما قال علمنا واوتينا لانه اراد نفسه واباه ويجوز ان يريد نفسه فقط على طريق التكبر
بل على عادة الملوك يعظمون انفسهم لمصلحة التهيب وقوله ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والتحدث بالنعم كما قال صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا شكرا لا فخرا يروى ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة للانس وخمسة للطير وخمسة
للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان
يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي
الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر وكان يقول
مع ذلك لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي آل داود ومعنى يوزعون يحبسون قيل كانوا يمنعون من يتقدم من عسكره ليكون مسيره مع جنوده على ترتيب
ومنه يعلم انه كان في كل قبيل منها وازع يكون له تسلط على الباقين يكفهم ويصرفهم ومعنى اتوا على وادي النمل قطعوه وبلغوا آخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفده
وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي ويجوز ان يقصد اتيانهم من فوق لان الريح كانت تحملهم في الهواء فلذلك عدي بعلى عن قتادة انه
دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه
فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى لقوله تعالى قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة لان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فلا بد من التمييز بالعلامة
وحين عبر عن تفاهم النمل بلفظ التقاول جعل خطابهم خطاب اولي العقل يحكى انها قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم اما جواب للامر واما نهي بدلا
من الامر اي لا تكونوا بحيث يحطمنكم اي يكسرنكم سليمان وجنوده على طريقة لا ارينك ههنا وفي قوله سليمان وجنوده دون ان يقول جنود سليمان مبالغة اخرى كما
يقال اعجبني زيد وكرمه وفي الاية دلالة على ان من يسير في الطريق لا يلزمه التحرز وفي قولها وهم لا يشعرون تنبيه على وجوب الجزم بعصمة الانبياء كانها عرفت
ان النبي لعصمته لا يقع منه قتل هذه الحيوانات الا على سبيل السهو عن بعضهم انها خافت على قومها ان يفتتنوا بكفران نعمة الله تعالى اذا راوا جلالة سليمان
وهذا معنى الحطم فلذلك امرتهم بدخول المساكن وفيه تنبيه على ان مجالسة ارباب الدنيا محذورة قيل سمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال فتبسم ضاحكا اي
شارعا في الضحك واخذا فيه ولكن لم يبلغ حد القهقهة وكمال الضحك وما روي انه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فعلى وجه المبالغة في الضحك
النبوي وانما اضحكه من قولها شفقتها على قومها وسروره بما آتاه الله تعالى من ادراك الهمس واشتهاره بالتحرز والتقوى وكذلك مال الى الدعاء قائلا رب
اوزعني قال جار الله حقيقة اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واربطه لا ينفلت عني فلا ازال شاكرا لك وانما ادرج ذكر الوالدين لان النعمة على الولد نعمة
عليهما وبالعكس ثم طلب ان يضيف لواحق نعمه الى سوابقها ولا سيما النعم الدينية فقال وان اعمل صالحا ترضاه ثم دعا ان يجعله في الآخرة من زمرة الصالحين لان
ذلك غاية كل مقصود يروى ان النملة احست بصوت الجنود ولم تعلم انهم في الهواء فامر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة
القصة الثالثة قصة بلقيس وما جرى بينها وبين سليمان عم وذلك بدلالة الهدهد يروى ان سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز
للحج مع حشره فاتى الحرم واقام به ما شاء يقرب كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا
فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته بهجتها الا انهم لم يجدوا الماء فطلب الهدهد لانه يرى الماء من تحت الارض
وعن ابن عباس انه اخل بالنوبة التي كانت نوبتها فلذلك تفقده وقيل انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف
الطير وهو النسر فسأل عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها بالله لما تركته فتركته
وقالت ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بسلطان مبين اي بعذر واضح فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه
يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ سليمان برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله
عما لقي في غيبته وفي تفقد الهدهد اشارة الى ان الملوك يجب عليهم التيقظ وعدم الغفلة عن اصغر رعيتهم وارجع الى التفسير قوله ما لي لا ارى استبعاد منه انه لا يراه
وهو حاضر في الجند كان ساترا ستره ثم لاح له انه غائب فقال ام كان من الغائبين وقد مر في الوقف قوله لاعذبنه لا شك ان تعذيبه لا يكون الا
بما يحتمله حاله فقيل اراد ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل كان عذابه للطير ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل هو ان يلقيه للنمل لتأكله وقيل ايداعه القفص
وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل اراد لالزمنه صحبة الاضداد كما قيل اضيق السجون مجالسة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه وحل التعذيب له
لانه في عصره وجائز لمصلحة السياسة كما اباح لنا ذبح كل ما كول لحمه لمصلحة التغذي وحاصل القسم يرجع الى قوله ليكونن احد هذه الامور الثلاثة التعذيب
او الذبح او الاتيان بالعذر البين وجهته وضحه ويحتمل ان يكون قد عرف اتيانه بالعذر بطريق الوحي فلذلك ادرجه في سلك ما هو قادر على فعله فاقسم عليه ثم
اخبر الله سبحانه انه اتى بسلطان مبين وذلك قوله فمكث غير بعيد اي غير زمان بعيد فقال مخاطبا لسليمان احطت بما لم تحط به قالوا فيه ابطال قول من زعم
ان امام الزمان لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وفيه دليل على شرف العلم فان صاحبه له ان يتبجح به من هو اعظم حالا منه والاحاطة بالشيء
علما هو ان يعلمه من جميع جهاته وقوله من سبا بنبا من جملة صنائع البديع على ان النبا خبر له شان فذكره في هذا الموضع دون ان يقول من سبا بخبر حسن

على حسن

على حسن وسبا اسم للقبيلة فلا ينصرف او اسم للحي او الاب الاكبر فينصرف وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مارب بسبا
وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ويحتمل ان يراد بسبا المدينة او القوم ثم شرع في النبا وهو قوله اني وجدت امراة واسمها بلقيس بنت شراحيل بملك
اليمن كابرا عن كابر الى تبع الاول ولم يكن له ولد غيرها فورثت الملك وكانت هي وقومها مجوسا عبدة الشمس والضمير في تملكهم يعود الى سبا ان اريد به القوم
والى الاهل المحذوف ان اريد به المدينة واوتيت من كل شيء اي بعض كل ما يتعلق بالدنيا من الاسباب ولها عرش عظيم لانه استعظم لها ذلك مع صغر
حالها بالنسبة الى حال سليمان عم او استعظم في نفسه لانه لم يكن لسليمان مثله مع علو شانه وقد يتفق لبعض الامراء شيء لا يكون مثله لمن فوقه في الملك
وقد يطلع بعض الاصاغر على مسالة لم يطلع عليها احد كما اطلع الهدهد على حال بلقيس دون سليمان ووصف كل شيء بالعظم انما هو بالاضافة الى سائر ما خلق
من السموات والارض يحكى من عظم شانها انه كان مكعبا ثمانين في ثمانين وثمانين في ثمانين وكان من ذهب وفضة ومكللا بانواع الجواهر وكذا قوائمه
وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق قال بعض المعتزلة في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم دليل على ان المزين للكفر والمعاصي هو الشيطان واجيب
بان قول الهدهد لا يصلح للحجة والتحقيق فيه قد مر ولا يبعد ان يلهم الله الهدهد وجوب معرفته والانكار على من يعبد غيره خصوصا في زمن سليمان عم قوله الا يسجدوا
من قرا بالتشديد على ان الجار محذوف فان كان متعلقا بالصد فالتقدير صدهم لان لا يسجدوا وان كان متعلقا بلا يهتدون فلا مزيدة اي لا يهتدون
الى ان يسجدوا ومن قرا بالتخفيف فقوله الا حرف تنبيه ويا حرف النداء والمنادى محذوف والتقدير الا يا قوم اسجدوا كقوله الا يا اسلمي يا دار مي
على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر قال الزجاج السجدة في الاية على قراءة التخفيف دون التشديد والحق عدم الفرق لان الذم على الترك كالامر
بالسجود في الاقتضاء الخبء مصدر بمعنى المخبوء وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه الله عز وجل من غيوبه ومن جملة ذلك اطلاع الكوكب من افق المشرق
بعد اختفائها في افق المغرب ومنها الاغنية والاحكام والوحي والالهام ومنها انزال الملك وكل امر علوي وفي تخصيص وصف الله تعالى في هذا المقام
باخراج الخبء اشارة الى ما عهده الهدهد من قدرة الله تعالى في اخراج الماء من الارض الهمه هذا التخصيص كما الهمه تلك المعرفة ولما انجر كلام الهدهد الى هذه
الغاية قال سليمان سننظر اي سنتامل في صفحات حالك اصدقت ام كنت من الكاذبين وهذا ابلغ من ان لو قال ام كذبت لانه اذا كان معروفا بالكذب كان
متهما في كل ما اخبر به ثم ذكر كيفية النظر في امره فقال اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم لم يقل اليها لانه كان قد قال وجدتها وقومها فكان سليمان قال فالقه الى الذين
هذا دينهم اهتماما فيه بامر الدين ولمثل هذا في الكتاب ان لا تعلوا علي وائتوني مسلمين ومعنى ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه لتسمع ما يقولون وما يرجع
من رجع القول كقوله يرجع بعضهم الى بعض القول يروى انها كانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب
على نحرها وهي مستلقية نائمة وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والجنود حولها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها
وقيل كان في البيت كوة تقع الشمس فيها كل يوم فاذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد فسد تلك الكوة بجناحه فلما رات ذلك قامت اليه فالقى الكتاب اليها
وهنا اختصار اي فذهب فالقى ثم توارى ثم كان ما يلائم ما قالت بلقيس فقيل قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم اي مصدر بالتسمية او حسن مضمونه
او هو من عند ملك كريم او مختوم يروى انه طبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه
فقد استخف به ثم ان سائلا كانه قال لها ممن الكتاب وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت سؤال لم قدم سليمان اسمه على اسم الله الجواب
انها لما وجدت الكتاب على وسادتها ولم يكن لاحد اليها طريق ورات الهدهد علمت انه من سليمان وحين فتحت الكتاب رات التسمية ولذلك قالت ما قالت
او لعل سليمان كتب على عنوان الكتاب انه من سليمان فقرات عنوانه اولا ثم اخبرت بما في الكتاب او لعل سليمان قصد بذلك انها لو شتمت لاجل كفرها حصل الشتم
لسليمان لا لله تعالى وان في ان لا تعلوا مفسرة لما القي اليها اي لا تتكبروا كما يفعل الملوك يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس
ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي وائتوني مسلمين وكان كتب الانبياء عليهم السلام جملا وانه وجازته مشتمل على تمام المقصود
لان قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات الصانع وصفاته والباقي نهي عن الترفع والتكبر وامر بالانقياد والتكاليف كل ذلك بعد اظهار المعجزة
برسالة الهدهد قوله قالت يا ايها الملا استيناف آخر وهكذا الى تمام القصة ومعنى افتوني اشيروا علي بما يحدث لكم من الرأي والفتوى الجواب
في الحادثة واصلها من الفتاء في السن وقطع الامر فصله والقضاء فيه ارادت بذلك استعطافهم وتطييب نفوسهم واستطلاع ارائهم فاجابوا بانهم
اصحاب القوى الجسدانية والخارجية ولهم النجدة والبلاء في الحرب ومع ذلك فوضوا الامر اليها فما احسن هذا الادب ويحتمل ان يراد نحن من ابناء الحرب
لا من ارباب الرأي والمشورة وانما الرأي رأيك وحيث كان يلوح من وصفهم انفسهم بالشجاعة والعلم بامور الحرب انهم مائلون الى المحاربة ارادت
ان تنبههم على الامر الاصوب وهو الميل الى الصلح فلذلك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وذلك اذا ارادوا قهرها والتسلط عليها ابتداء والا فالافساد
غير لازم بل لعل الاصلاح الزم او اسلك سبيل العدل والانصاف فليس للظلمة في الاية حجة ومفعول مرسلة محذوف اي مرسلة رسلا بهدية وهي اسم
المهدى كالعطية اسم المعطى وانما ارادت الاهداء اولا لان الهدية سبب استمالة القلوب قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا قال في الكشاف
روي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج مرصعة اللجم والسروج بالجواهر وخمسمائة
جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وخرزة معوجة الثقب وبعثت
رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة
خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن
الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها
عن يمين الميدان وعن يساره على اللبنات وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين وعن اليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت
الشياطين صفوفا فراسخ والانس كذلك والوحش والطير كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب على اللبنات فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا
بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبرهم بما فيه ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل
رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الخرزة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى
ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله على سبيل الانكار اتمدونن بمال ثم قال على سبيل الاعلام وتعليل الانكار
فما آتاني الله من الكمالات والقربات والدرجات خير مما آتاكم ثم اضرب عن ذلك في بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون الغرض الا ان يهدى
اليهم حظ من الدنيا فعلى هذا يكون الهدية مضافة الى المهدى اليه ويجوز ان يكون مضافة الى المهدي والمعنى انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون
فرح افتخار على الملوك ويحتمل ان يكون الكلام عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ثم قال للرسول او للهدهد اذا كان معه

كتاب اخر ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ومعنى لا قبل لا طاقة ولا مقابلة واذلة ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار
ان يقعوا مع ذلك في اسر واستعباد يروى انه لما رجع اليها الرسول عرفت ان سليمان نبي وليس لهم به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف
قيل مع كل قيل الوف وامرت عند خروجها ان يجعل عرشها في اخر سبعة ابيات في اخر قصر من سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حراسا فلعل سليمان
اوحي اليه ذلك فاراد ان يريها بعض ما خصه الله به من المعجزات فلذلك قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها وعن قتادة اراد ان يأخذه قبل ان
تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها وقيل اراد بذلك اختبار عقلها كما يجيء وقيل اراد ان يعرف تجملها وسعة مملكتها قبل وصولها
اليه والعفريت من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد ووزنه فعليت قالوا كان اسمه ذكوان وآتيك
في الموضعين يجوز ان يكون فعلا مضارعا وان يكون اسم فاعل ومعنى ان تقوم من مقامك اما على ظاهره وهو ان يقوم فيقعد واما ان يكون
المقام هو المجلس ولا بد فيه من عادة معلومة حتى يصح ان يوقت به وعلى هذا فقيل المراد مجلس الحكم وقيل مقدار فراغه من الخطبة وقيل الى انتصاف
النهار واني عليه اي على حمله لقوي امين اي به على حاله لا اتصرف فيه بشيء واختلفوا في الذي عنده علم من الكتاب فقيل هو الخضر وقيل جبريل
وقيل ملك ايد الله به سليمان عم وقيل آصف بن برخيا وزيره او كاتبه وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطأ العفريت فقال له انا اريد ما هو اسرع
مما تقول وقد يرجح هذا القول بوجوه منها ان الشخص المشار اليه بالذي يجب ان يكون معلوما للمخاطب وليس سوى سليمان ولو سلم ان آصف
ايضا كان كذلك فسليمان اولى بذلك وكذا باحضار العرش في تلك اللمحة والا لزم تفضيل آصف عليه من هذا الوجه ومنها قول سليمان هذا من فضل
ربي ويمكن ان يقال الضمير راجع الى استقرار العرش عنده ولو سلم رجوعه الى الاتيان بالعرش فلا يخفى ان كمال حال التابع والخادم من جملة كمالات المتبوع
والمخدوم ولا يلزم من ان يأمر الانسان غيره بشيء ان يكون الآمر عاجزا عن الاتيان بذلك الشيء واختلفوا ايضا في الكتاب فقيل هو اللوح وقيل الكتاب
المنزل الذي فيه الوحي والشرائع وقيل كتاب سليمان او كتاب بعض الانبياء وما ذلك العلم قيل نوع من العلم لا يعرف الآن والاكثرون على انه العلم
باسم الله الاعظم وقد مر في تفسير البسملة كثير مما قيل فيه ومما وقفت عليه بعد ذلك ان غالب بن قحطان مكث عشرين سنة يسأل الله الاسم الاعظم
الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى فاري في منامه ثلاث ليال متواليات قل يا غالب يا فارج الهم يا كاشف الغم يا صادق الوعد يا موفيا بالعهد
يا منجز الوعد يا حي لا اله الا انت صل اللهم على محمد وال محمد وسلم والطرف تحريك الاجفان عند النظر فوضع موضع النظر فاذا فتحت العين توهمت ان نور
العين يمتد الى المرئي واذا اغمضت توهمت ان ذلك النور قد ارتد ومعنى الاية انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك
يروى ان آصف قال له مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرته تعالى
قبل ان يرتد طرفه ومن يستبعد هذا بقدرة الله تعالى فليتأمل في الحركات السماوية على ما يشهد به علم الهيئة حتى يزول استبعاده وقال مجاهد هو تمثيل
لاستقصار مدة الاتيان به كما تقول لصاحبك افعل هذا في لحظة او لمحة وحين عرف سليمان عم نعمة الله تعالى في شأنه وان ذلك صورة الابتلاء
بين ان شكر الشاكر انما يعود الى نفس الشاكر لانه يرتبط به العتيد ويستري المزيد كما قيل قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة وروي في الكشاف
عن بعضهم ان كفران النعم بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار قوله اقشعت
نافرة اي ذهبت في حال نفارها وراهنها اي ثابتها ومن كفر فان ربي غني عن عبادة كل عابد فضلا عن شكر شاكر كريم لا يقطع امداد نعمه عنه
لعله يتوب ويصلح حاله زعم المفسرون ان الجن كرهوا ان يتزوجها سليمان فيفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية او خافوا ان يولد له
منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار
فاختبر عقلها بتنكير العرش وذلك قوله نكروا لها عرشها اي اجعلوه منكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل لغيره لئلا يعرفه قالوا وسعوه
وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وقوله ننظر بالجزم جواب للامر وقرئ بالرفع على الاستئناف اتهتدي لمعرفة العرش او للجواب الصواب
اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان عم اذا رأت تلك الخوارق وقوله ام تكون من الذين لا يهتدون ابلغ من ان لو قال ام لا تهتدي
كما في قوله ام كنت من الكاذبين فلما جاءت قيل اهكذا اي امثل ذا عرشك لئلا يكون شبه تلقين فقالت كأنه هو ولم تقل هو هو مع انها عرفته
ليكون دليلا على وفور عقلها حيث لم تقطع في المحتمل وتوقفت في مقام التوقف اما قوله واوتينا العلم فمعطوف على مقدر كانهم قالوا عند قولها
كأنه هو قد اصابت في جوابها وتبعت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة نبوة سليمان بهذه الخوارق
واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس وكونها بين ظهراني الكفرة والغرض
التحدث بنعمة الله بالشكر على سابقة الاسلام وقيل هو موصول بكلام بلقيس والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة
او الحالة وذلك عند وفد المنذر ثم قال سبحانه وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ما كانت تعبد من دون الله وقيل الجار محذوف اي وصدها الله
او سليمان عما كانت تعبد واخبر سابقتها بان امر ان يبني على طريقها قصرا من زجاج ابيض فاجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره
ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس ثم قيل لها ادخلي الصرح اي القصر وصحن الدار فلما رأته حسبته لجة اي ماء
غامرا وكشفت عن ساقيها لتخوض في الماء فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء فصرف سليمان بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير
اي مملس من قوارير هذا عند من يقول تزوجها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها غمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت
له ولدا قالوا كون ساقيها شعراء هو السبب في اتخاذ النورة امرها الشياطين فاتخذوها وقال آخرون المقصود من الصرح تهويل المجلس وحصل كشف
الساق على سبيل التبع عن ابن عباس رض لما اسلمت قال لها اختاري من ازوجك فقالت مثلي لا ينكح الرجال مع سلطاني فقال النكاح من الاسلام
فقالت ان كان كذلك فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردهما الى اليمن ولم يزل بها ملكا قالت رب اني ظلمت نفسي اي بالكفر في الزمن
السالف او بسوء ظني بسليمان اذ حسبت انه يغرقني في الماء وهذا التفسير انسب بما قبله ولعل في قولها مع سليمان اي مصاحبة له اشارة الى ان
اسلامها تبع لاسلام سليمان وانها تريد ان يكون معه في الدين جميعا والله اعلم التأويل ولقد آتينا داود الروح وسليمان القلب علما
لدنيا على كثير من عباده وهم الاعضاء والجوارح المستعملة في العبودية وورث سليمان داود لان كل الهام وفيض يصدر من الحضرة الالهية يكون عبوره
على داود الروح الا انه للطافته لا يحفظها وانما يحفظها القلب لكثافته ولذلك كان سليمان اقضى من داود وقوله منطق الطير يعني الرموز والاشارات
التي يحفظها بلسان الحال ارباب الاحوال الطائرين في سماء سماء القلب وقيل اراد الخواطر الملائكة الروحانية قوله من الجن والانس والطير
اي من صفات الشيطنة والانسانية والملائكة فهم يوزعون على طبيعتهم بالشريعة واد النمل هو النفس الحريصة على الدنيا وشهواتها قالت نملة

هي النفس

هي النفس اللوامة يا ايها النمل هي الصفات النفسانية ادخلوا مساكنكم بحالكم المختلفة وهي الحواس وهم لا يشعرون انهم على الحق وانتم على الباطل
لان الشمس لا خبر عندها من نورها ولا من الظلمة التي تزيلها نعمتك التي انعمت على بتسخير جنودي لي وعلى والدي وهما الروح والجسد انعم
على الروح بافاضة الفيوض وعلى الجسد باستعماله في اركان الشريعة وفي قوله بنبأ يقين اشارة الى ان من ادب المخبر ان لا يخبر الا عن يقين وبصيرة و
وانها عند الملوك وفي قول سليمان سننظر اصدقت اشارة الى ان خبر الواحد وان زعم اليقين لا يعول عليه الا بامارات اخر كتاب كريم كانها عرفت
انه بكرامته تهتدي الى حضرة الكريم ان الملوك الصفات الربانية اذا دخلوا قرية الشخص الانساني افسدوها بافناء الطبيعة الحيوانية وجعلوا اعزة اهلها
وهم النفس الامارة وصفاتها اذلة بسطوات التجلي وكذلك يفعلون مع الانبياء والاولياء وفي قوله ايكم يأتيني بعرشها اشارة الى ان سليمان عم
كان واقفا على قومه من هو اهل لهذه الكرامة وكرامات الاولياء من قوة اعجاز الانبياء وقيل لها ادخلي الصرح فيه دليل على ان سليمان اراد ان ينكحها
والا لم يجوز النظر الى ساقيها واسلمت لنفسي للنكاح مع سليمان لله وفي الله تأويل آخر وتفقد الطير هم اهل العشق الطيارة في فضاء سماء
وجو عالم الانس والهدهد الرجل العلوي عول على فكره واعمال قريحته في استنباط خبايا الاسرار وكوامن الاستار عذابا شديدا بالرياضة والمجاهدة او لاذبحنه
بسكين مخالفات الارادة وسبأ مدينة الاختلاط والانس بالانس والمراة الدنيا وبهجتها وعرشها العظيم حب الجاه والمناصب يسجدون للشمس
عالم الطبيعة وهو الهوى والهدية عرض الدنيا وزينتها والاتيان بالعرش قبل اتيانهم هو اخراج حب الجاه من الباطن حتى ينقاد الاعضاء والجوارح الكلية
لاشتغال العبودية اخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الجاه والعفريت الرياضة الشديدة والذي عنده علم من الكتاب هو الجذبة التي توازي
عمل الثقلين وتنكير العرش تغيير حب الجاه بهوى محبة الحق والقصر قصر التشرف في الدنيا بالحق وكشف الساق كناية عن اشتداد الامر عليه و
والقوارير عبارة عن رؤية بواطن الامور مع الاشتغال بظاهرها وهذه جملة منطق الطير نفهم ان شاء الله العزيز وحده

ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان
يختصمون ۝ قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا
تستغفرون الله لعلكم ترحمون ۝ قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال
طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون ۝ وكان في المدينة تسعة رهط
يفسدون في الارض ولا يصلحون ۝ قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه
واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ۝ و
مكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ۝ فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين ۝ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا
ان في ذلك لاية لقوم يعلمون ۝ وانجينا الذين امنوا وكانوا
يتقون ۝ ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون
ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون ۝ فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين ۝
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ۝ قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى الله خير اما يشركون ۝ امن خلق السموات والارض و
انزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون ۝ امن جعل الارض قرارا

وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ءاله مع الله
بل اكثرهم لا يعلمون ۞ امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء و
يجعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون ۞ امن يهديكم في ظلمات
البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ءاله مع الله تعالى الله عما
يشركون ۞ امن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض
ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ۞ قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون ۞ بل ادارك علمهم
في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ۞

لتبيتنه على الجمع المخاطب وبهذا التقولن حمزة وعلي وخلف الباقون فيهما على التكلم مهلك بفتح الميم واللام ابو بكر غير الرحمي وحماد والمفضل وقرا حفص بفتح الميم وكسر اللام الباقون بضم الميم وفتح اللام والكل يحتمل المصدر والمكان والزمان انا دمرناهم وان الناس بالفتح فيهما عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ورويس ايتكم مذكور في الانعام تشركون بياء الغيبة ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم ءاله مثل ايتكم الرجع على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلي وخلف تذكرون بياء الغيبة ابو عمرو وهشام الاخرون بتاء الخطاب بل ادارك بقطع الهمزة وسكون الدال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد والمفضل بل ادرك بهمزة موصولة ودال مشددة الشموني الباقون مثله ولكن بالف بعد الدال الوقوف يختصمون ه الحسنة ج لابتداء استفهام اخر مع اتحاد القائل ترحمون ه معك ط يفتنون ه ولا يشعرون ه لصادقون ه لا يشعرون كرهم ط لمن قرا انا بكسر الالف على الاستيناف اجمعين ه ظلموا ط يعلمون ه يتقون ه تبصرون ه النساء ط تجهلون ه الجزء العشرون قريتكم ج لاحتمال تقرير لام التعليل يتطهرون ه الا امراته ز لاحتمال ان ما بعده مستانف والاظهر انه حال تقديره استثناء امراته مقدرة في الغابرين ه مطرا ج المنذرين ه اصطفى ط تشركون ه ط لان ما بعده استفهام مستانف وام منقطعة تقديره بل امن خلق السموات خير ام ما تشركون وكذلك نظائره ماء ج للعدول مع اتحاد المقول بهجة ج لاحتمال كون ما بعده صفة او استيناف شجرها ط مع الله ط يعدلون ه حاجزا ط مع الله ط لا يعلمون ط خلفاء الارض مع الله ط ما تذكرون ه رحمته ط مع الله ط تشركون ط والارض ط مع الله ط صادقين ه الا الله ط يبعثون ه عمون ه القصة الرابعة قصة ثمود والفريقان المؤمن والكافر وقيل صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد والاختصام قول كل فريق الحق معي وفيه دليل على ان الجدال في باب الدين حق ومعنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة انه تعالى قد مكنهم من التوصل الى رحمة الله وثوابه فعدلوا الى استعجال عذابه وقال جار الله خاطبهم صالح على حسب اعتقادهم وذلك انهم قدروا في انفسهم ان التوبة مقبولة بعد رؤية العذاب فقالوا ائتنا وعنت العقوبة فتابوا حينئذ فالسيئة العقوبة والحسنة التوبة ولولا للتحضيض اي هلا تستغفرون الله قبل عيان عذابه لعلكم ترحمون بان يكشف العذاب عنكم والحاصل ان التوبة يجب ان تتقدم على رؤية العذاب ولا يجوز ان تؤخر وفيه تنبيه على خطائهم وتجهيل لهم قالوا اطيرنا اي تشاءمنا بك وبمن معك وكانوا قد قحطوا قال طائركم اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره او اراد عملكم مكتوب عنده ومنه ينزل بكم العقاب ومعنى التطير والطائر قد مر في الاعراف وفي سبحان ثم جزم بنزول العذاب بقوله بل انتم قوم تفتنون اي تعذبون او تختبرون او يفتنكم الشيطان بوسوسة الطيرة ثم حكى سوء معاملتهم مع نبيهم بقوله وكان في المدينة يعني منزلهم المسمى بالحجر وكان بين المدينة والشام تسعة رهط لم يجمع المميز لان الرهط في معنى الجمع وهو من الثلثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة وقد عد في الكشاف اسماءهم منهم قدار بن سالف عاقر الناقة وكانوا مفسدين لا يخلطون الافساد بشيء من الاصلاح ومن جملة الافساد هممهم بقتل نبيهم والتقاسم التحالف فان كان امرا فظاهر وان كان خبرا فمحله نصب باضمار قد اي قالوا متقاسمين والتبييت العزم على اهلاك العدو ليلا ومنه قيل للاسكندر البيات فقال ليس من ايين الملوك استراق الظفر قال في الكشاف كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما قلت انما ارتكب هذا التكلف لانه استقبح ان ياتي العاقل بالخبر على خلاف المخبر عنه يروى انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب مبادرين وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فهذا مكرهم فبعث الله صخرة فطبقت عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا في مكانه ونجى صالحا ومن معه وهذا مكر الله وقيل جاؤا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا من قرا انا دمرناهم بالفتح فرفوع المحل بدلا من العاقبة او خبر المحذوف اي هي تدميرهم او منصوب على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار او مجرور تقديره لانا دمرناهم وجوز في الكشاف على هذا التقدير ان يكون منصوبا بنزع الخافض وانتصب خاوية على الحال والعامل معنى الاشارة في تلك وانما قال في هذه السورة وانجينا الذين امنوا موافقة لما بعده فانجيناه واهله وامطرنا وكله على افعل وقال في حم السجدة ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون موافقة لما قبله وما بعده وزينا وقيضنا والله اعلم القصة الخامسة قصة لوط فانتصب لوطا باضمار اذكر او بما دل عليه ولقد ارسلنا واذ بدل على الاول ومعنى او الوقت ظرف على الثاني وتبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة فكانهم كانوا معلنين بتلك المعصية في ناديهم او اراد ترون آثار العصاة قبلكم او من بصر القلب

والمراد وتعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وعلى هذا المعنى قوله بل انتم قوم تجهلون اي تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او اراد جهلهم بالعاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها والخطاب في قوله تجهلون تغليب ولو قرئ بياء الغيبة نظرا الى الموصوف وهو قوم لجاز من حيث القرينة وباقي القصة مذكور في الاعراف قل الحمد لله قيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على اهلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الذنوب وبالنجاة من العذاب وقيل امر للنبي صلى الله عليه وسلم بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والتسليم على الانبياء واشياعهم الناجين والاكثرون على انه خطاب مستانف لانه صلى الله عليه وسلم كان كالمخالف لمن تقدمه من الانبياء من حيث ان عذاب الاستيصال مرتفع عن قومه فامره الله سبحانه بان يشكر ربه على هذه النعمة ويسلم على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة ثم شرع في الدلالة على الوحدانية والرد على عبدة الاوثان وفيه توقيف على ادب حسن وبعث على التيمن بالحمد والصلوة قبل الشروع في كل كلام يعتد به ولقد توارثه العلماء خلفا عن سلف فافتتحوا بهما امام كل كتاب وخطبة وعند التكلم بكل امر ذي شان قال جار الله معنى الاستفهام وام المتصلة في قوله الله خير اما يشركون الزام وتبكيت وتهكم بحالهم وتنبيه على الخطاء المفرط والجهل المورط اذ من المعلوم انه لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه قلت يحتمل ان يكون هذا من قبيل الكلام المنصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم ثم عدل عن التهكم بذكر الالهة الى الاستفهام بذكر الصفات مبتدئا بما هو ابين الحيثيات فقال امن خلق السموات وانما قال ههنا وانزل لكم واقتصر في ابراهيم على قوله وانزل لان لفظة لكم وردت هناك بالاخرة وليس قوله ما كان لكم مغنيا عن ذكره لانه نفي لا يفيد معنى الاول ومعنى الالتفات من الغيبة الى التكلم في قوله فانبتنا تاكيد معنى اختصاص الانبات بذاته لان الانسان قد يتوهم ان له مدخلا في ذلك من حيث الغرس والسقي والحدائق جمع الحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة والبهجة الحسن والنضارة لان الناظر يبتهج به وانما لم يقل ذات بهجة على الجمع لان المعنى جماعة حدائق كما قال النساء ذهبت ومعنى ءاله مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له قال في الكشاف قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رايهم قلت انما تعين الغيبة ههنا لان الخطاب في قوله ما كان لكم انما هو لجميع الناس اي ما صح وما ينبغي للانسان ان يتاتى منه الانبات ولو قال بعد ذلك بل انتم لزم ان يكون كل الناس مشركين وليس كذلك وقوله يعدلون من العدل او من العدول اي يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد ثم شرع في الاستدلال باحوال الارض وما عليها والقرار المستقر اي دحيها وسواها بحيث يمكن الاستقرار عليها والحاجز البرزخ كما في الفرقان ثم استدل بحاجة الانسان اليه على العموم والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او من مرض فالجاء والتضرع الى الله سبحانه وانه افتعال من الضر وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول ولا قوة وقيل هو المذنب دعاؤه استغفاره والمضطر اسم الجنس يصلح للكل او للبعض فلا يلزم من الاية اجابة جميع المضطرين نعم يلزم الاجابة بشرائط الدعاء كما مر في البقرة في قوله ادعوني استجب لكم وقوله ويكشف السوء عنكم كالبيان لقوله يجيب المضطر والخلافة في الارض اما بتوارث السكنى واما بالملك والتسلط وقد مر في اخر الانعام وقوله قليلا ما تذكرون معناه تذكرون تذكرا قليلا ويجوز ان يراد بالقلة العدم ثم استدل بحاجة الناس خصوصا والهداية في البر والبحر والعلامات وبالنجوم ثم استدل باحوال المبدا والمعاد وما بينهما وذلك انهم كانوا معترفين بالابداء ودلالة الابداء على الاعادة دلالة ظاهرة فكانهم كانوا مقرين بالاعادة ايضا فاحتج عليهم بذلك لذلك والرزق من السماء الماء ومن الارض النبات واعلم ان الله سبحانه ذكر قوله ءاله مع الله في خمس ايات على التوالي وختم الاولى بقوله بل هم قوم يعدلون ثم بقوله بل اكثرهم لا يعلمون ثم بقوله قليلا ما تذكرون ثم بقوله تعالى الله عما يشركون ثم بقوله هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين والسر فيه ان اول الذنوب العدول عن الحق ثم لم يعلموا ولو علموا ما عدلوا ثم لم يتذكروا فيعلموا بالنظر والاستدلال فاشركوا من غير حجة وبرهان قل لهم هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ان مع الله الها وحين بين اختصاصه بكمال القدرة واراد ان يبين اختصاصه بعلم الغيب وقال في الكشاف هذا على لغة بني تميم يرفعون المستثنى المنقطع على البدل اذا كان المبدل مرفوعا يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر كقوله شعر وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس والمعنى ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب كما ان معنى البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس قلت لقائل ان يقول ان استثناء نقيض المقدم غير منتج فلا يلزم من محالية كون الله سبحانه ممن في السموات والارض انهم لا يعلمون الغيب ولا من امتناع كون اليعافير انيسا القطع بخلو البلدة عن الانيس وقال غيره ان الاستثناء متصل لان الله سبحانه في كل مكان بالعلم فيصح الرفع عند الحجازيين واعترض عليه في الكشاف بان كونه في السموات والارض بالعلم مجاز وكون الخلق فيهن حقيقة من حيث حصول ذواتهم في تلك الاحياز ولا يصح ان يريد المتكلم بلفظ واحد حقيقة ومجازا معا واجيب بانا نحمل كون الخلق فيهن على المعنى المجازي ايضا لانهم ايضا عالمون بتلك الاماكن لا اقل من العلم الاجمالي وضعفه في الكشاف بان فيه ايهام تسوية بين الله وبين العبد في العلم وهو خروج عن الادب ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم لمن خطيب القوم انت لمن قال ومن يعصهما فقد غوى والحق ان وقوع اللفظ على الواجب وعلى الممكن بمعنى واحد لا بد ان يكون بالتشكيك اذ هو في الواجب اول واولى لا محالة فهذا الوهم مدفوع عند العاقل ولا يلزم منه سوء الادب ولهذا جاز اطلاق العالم والرحيم والكريم ونحوها على الواجب وعلى الممكن بمعان غير محذور شرعي ولا عقلي وليس هذا كالجمع بين الضميرين اذ كان يمكن للقائل ان يفرق بينهما فيزداد الكلام جزالة وفخامة عن عائشة رضي من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من الخلق مكره قال المفسرون سال المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة فنزلت وايان بمعنى متى الا انه لا يسال الا عن امر ذي بال وهو فعلان من آن يئين فلو سمي به لانصرف وحين ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته بين ان عندهم عجزا اخر ابلغ منه وهو انهم ينكرون الامر الكائن مع ان عندهم اسباب معرفته فقال بل ادارك اي تدارك ومن قرا بغير الف فهو افتعل من الدرك اي تتابع واستحكم ومعنى ادرك بقطع الهمزة انتهى وتكامل علمهم في الاخرة اي في شانها ومعناها ويمكن ان يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما يقول لاجهل الناس ما اعلمك واذا لم يعرفوا اصل البعث يقينا فلان لا يعرفوا وقته اولى ويحتمل ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التي عنده ما تقدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم اضرب عن ذلك قائلا انهم لا يعلمون القيامة فضلا عن وقتها ثم ان عدم العلم قد يكون مع الغفلة الكلية فاضرب عن ذلك قائلا انهم ليسوا غافلين بالكلية ولكنهم في شك ومرية ثم ان الشك قد يكون بسبب عدم الدليل فاضرب عن ذلك قائلا انهم عمون عن ادراك الدليل مع وضوحه وقد جعل الاخرة مبدا اعماهم وغشاوه فلهذا عداه بمن دون عن والضمائر تعود الى من في السموات والارض وذلك ان المشركين كانوا في جملتهم فنسب

فعلهم الى الجميع كما يقول بنو فلان فعلوا وانما فعله رئيس منهم قاله في الكشاف قلت قد تقدم ذكر المشركين في قوله بل هم قوم يعدلون وغيره فلا حاجة الى هذا التكلف ولو لم يتقدم جاز للقرينة ولقد ارسلنا صالح القلب بالالهام الربانى الى صفات القلب وهو الفريق المؤمن والى النفس وصفاتها وهو الفريق الكافر بالسيئة طلب الشهوات واللذات الفانية والحسنة طلب السعادات الباقية وكان في المدينة القالب الانسانى تسعة رهط هم خواص العناصر الاربعة والحواس الخمس يفسدون في ارض القلب بفساد الاستعداد الفطرى تقاسموا بالموافقة على السعى فى اهلاك القلب وصفاته وان يقولوا لوليه وهو الحق سبحانه ما اهلكناهم وما حضرنا مع النفس الامارة حين قصدت اهلاكهم ومكروا كما فى اهلاك القلب بالهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية ومكرنا مكرا بانوار الواردات الربانية وتجلى صفات الجمال والجلال وهم لا يشعرون ان صلاحهم فى هلاكهم فمن قتلته فانا ديته فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا افنينا خواص التسعة وآفاتها وافنينا قومهم اجمعين وهم النفس وصفاتها فتلك بيوتهم وهى القلب والاعضاء التى هى مساكن الحواس خالية عن الحواس المهلكة والآفات الغالبة بما ظلموا اى وضعوا من نتائج خواص العناصر وآفات الحواس فى غير موضعها وهو القلب وكان موضعها النفس بامر الشرع لا بالطبع لصلاح القالب وبقائه وانجينا الذين آمنوا وهم القلب وصفاته من شر النفس وصفاتها ولوط الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والعقل عند تبدل اوصافهم بمجاورة النفس أتأتون الفاحشة وهى كل ما زلت به اقدامهم عن الصراط المستقيم وامارتها فى الظاهر اتيان المناهى على وفق الطبع وفى الباطن حب الدنيا وشهواتها وانتم تبصرون تميزون الخير من الشر واتيان الرجال دون النساء عبارة عن صرف الاستعداد فيما يبعد عن الحق لا فيما يقرب منه فما كان جواب قومه وهو القلب المريض بتعلق حب الدنيا والسر المكدر بكدورات الرياء والنفاق والعقل المشوب بآفة الوهم والخيال اخرجوا الصفات الروحانية من قرية الشخص الانسانى انهم اناس يتطهرون من لوث الدنيا وشهواتها فانجيناه واهله وهم السر والعقل وصفاتهما من عذاب تعلق الدنيا الا امرأته وهى النفس الامارة بالسوء وامطرنا على النفس وصفاتها مطرا من ترك الشهوات فساء مطر المنذرين اى صعب فان الفطام عن المألوفات شديد وهذه حالة مستدعية للحمد والشكر فلهذا قال قل الحمد لله وسلام من تعلقات الكونين وآفات الوجود المجازى على عباده امن خلق سموات القلوب وارض النفوس وانزل من سماء القلب ماء قطر الرحمة فانبتنا به حدائق من العلوم والاسرار أإله مع الله من الهوى امن جعل ارض النفس قرارا فى الجسد وجعل خلالها انهارا من دواعى البشرية وجعل لها رواسى من القوى والحواس وجعل بين بحر الروح وبحر النفس حاجزا القلب فان فى اختلاطهما فساد حالهما أإله مع الله كما زعمت الاطباء الطبائعية امن يجيب المضطر اذا دعاه فى العدم بلسان الحال ويجعلكم مستعدين لخلافة فى الارض أإله مع الله كما زعم ارباب الحلول والاتحاد امن يهديكم فى ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية نورانية بالنسبة الى ظلمات البشرية والمراد يهديكم باخراجكم من ظلمات البشرية الى نور الروحانية ومن ظلمات الروحانية الى نور الربوبية وذلك حين يرسل رياح العناية بين يدى سحاب الهداية أإله مع الله كما يقوله المنجمون مطرنا بنوء كذا كقوله قاصر والنظر بدانا الشيخ والمعلم الى كذا امن يبدؤا الخلق بالوجود المجازى ثم يعيده بالوجود الحقيقى الى عالم الوحدة ومن يرزقكم من سماء الربوبية لتربية الارواح ومن ارض البشرية لتقوية الاشباح أإله مع الله كائنا من كان وليسلم انه لا يعلم الغيب الا هو ومن جملته علم قيام الساعة والله اعلم بالغيوب

وقال الذين كفروا اءذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون ❁ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا
من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ❁ قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المجرمين ❁ ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ❁ ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ❁ قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى
تستعجلون ❁ وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون
وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ❁ وما من غائبة فى السماء
والارض الا فى كتاب مبين ❁ ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل
اكثر الذى هم فيه يختلفون ❁ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ❁ ان
ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ❁ فتوكل على الله انك على الحق
المبين ❁ انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ❁
وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم
مسلمون ❁ واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس
كانوا بآياتنا لا يوقنون ❁ ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم

يوزعون ❁ حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ❁
ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ❁ الم يروا انا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ❁ ويوم ينفخ
فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين
وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ❁ صنع الله الذى اتقن كل شىء
انه خبير بما تفعلون ❁ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ
آمنون ❁ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم
تعملون ❁ انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء
وامرت ان اكون من المسلمين ❁ وان اتلوا القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى
لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين ❁ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها
وما ربك بغافل عما تعملون ❁ صدق الله العظيم

ائنا ائنا بياء مكسورة بعد همزة مفتوحة ابن كثير ويعقوب غير زيد ومثله ولكن بالمد ابو عمرو وزيد ائذا بهمزة مفتوحة ثم ياء مكسورة ائنا بكسر الهمزة وبعدها نون مشددة سهل اذا من غير همزة الاستفهام آئنا بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة يزيد وقالون مثله ولكن من غير نافع غير قالون آإذا بهمزتين مفتوحة ثم مكسورة ائنا بهمزة مكسورة بعدها نون مشددة على وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة أإذا ائنا بهمزتين مفتوحة ثم مكسورة فيهما حمزة وخلف وعاصم لا يسمع بفتح الياء التحتانية الصم بالرفع ابن كثير وعباس وكذلك فى الروم الآخرون بضم التاء الفوقانية وكسر الميم ونصب الصم وما انت تهدى على انه فعل الكمى بالنصب وكذلك فى الروم حمزة الباقون بهادى على انه اسم فاعل العمى بالجر آتوه مقصورا على انه فعل ماض حمزة والمفضل الآخرون بالمد على انه اسم فاعل بما يفعلون على الغيبة ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحماد والاعشى والبرجمى والحلوانى عن هشام فزع بالتنوين عاصم وحمزة وعلى وخلف يومئذ بفتح الميم هم وابو جعفر ونافع الباقون بكسرها تعملون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الوقوف لمخرجون ٥ من قبل لا لتحرز عن الابتداء بمقول الكفار الاولين ٥ المجرمين ٥ يمكرون ٥ صادقين ٥ تستعجلون ٥ لا يشكرون لا وما يعلنون ٥ مبين ٥ يختلفون ٥ للمؤمنين ٥ بحكمه ج لتعظيم الابتداء بالصفتين مع اتفاق الجملتين العليم ٥ ج للآية واختلاف الجملتين وللفاء والقتال المعنى اى اذا كان الحكم لله فاسرع التوكل على الله ط المبين ٥ مدبرين ٥ ضلالتهم ط مسلمون ٥ تكلمهم ج لمن قرأ ان بكسر الالف فانه يحتمل ان يكون الكسر للابتداء ولكونها بعد التكليم لانه فى معنى القول ومن فتح فلا وقف والتقدير بكلمهم بان لا يوقنون ٥ يوزعون ٥ تعملون ٥ لا ينطقون ٥ مبصرا ط يؤمنون ٥ من شاء الله ط داخرين ٥ السحاب ط على كل شىء ط تفعلون ٥ خير منها ج لان ما بعده من تتمة الجزاء آمنون ٥ لا لعطف جملتى الشرط فى النار ط تعملون ٥ شىء ز للعارض وطول الكلام مع العطف المسلمين ٥ لا لعطف القرآن ج لنفسه ج المنذرين ٥ فتعرفونها ط تعملون ٥ لما ذكر ان المشركين فى شك من امر البعث عمون عن النظر فى دلائله اراد ان يبين غاية شبهتهم وهى مجرد استبعادهم احياء الاموات بعد صيرورتهم ترابا عند الحس قال النحويون العامل فى اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى حال الحيوة وانما ذهبوا الى هذا التكلف بناء على ان ما بعد همزة الاستفهام وكذا ما بعد ان واللام لا يعمل فيما قبلها لان هذه الاشياء تقتضى صدر الكلام وكرر حرف الاستفهام فى اذا وان جميعا انكارا على انكار والضمير فى انا لهم ولآبائهم جميعا وقد مر فى سورة المؤمنين تفسير قوله لقد وعدنا وبيان المتشابه فليتذكر ثم اوعدهم على عدم قبول قول الانبياء بالنظر فى حال الامم السالفة المكذبة ولم يؤنث كان لان تأنيث العاقبة غير حقيقى ولان المراد كيف كان آخر امرهم والمراد بالمجرمين الكافرون لان الكفر جرم مخصوص وفيه تنبيه على تقبيح موقع الجرم آيا كان فعلى المؤمنين ان يتخوفوا عاقبتها ويتركوا الجرائم كلها كيلا يشاركوا الكفرة فى هذا الاسم الشنيع ومعنى قوله ولا تحزن عليهم الآية قد مر فى آخر النحل وفى هذه الآية تسلية لرسول صلى الله عليه وسلم على ما كان ينال من قومه ثم انهم استعجلوا العذاب الموعود على سبيل السخرية فامره ان يقول لهم عسى ان يكون وهذا على قاعدة وعد الملوك ووعيدهم يعنون بذلك القطع بوقوع ذلك الامر مع اظهار الوقار والوثوق بما يتكلمون وان كان على سبيل الرجاء والطمع ولعل لهذا قال ردف لكم بعض الذى دون ان يقول ردفكم الذى واللام زائدة للتأكيد كالباء فى قوله ولا تلقوا بايديكم او اريد ازف لكم ودنا لكم فيتضمن فعل يتعدى باللام ومعناه تبعكم ولحقكم وقال بعضهم المقتضى للعذاب والمؤثر فيه حاصل فى الدنيا الا ان الشعور به غير حاصل الى الان وان تمام العذاب انما يحصل بعد الموت وان كان طرف منه حاصلا فى الدنيا فلهذا ذكر البعض ثم ذكر انه متفضل عليهم بتأخير العقوبة فى الدنيا ولكنهم لا يشكرون هذه النعمة فيستعجلون وقوع العقاب بجهلهم وفيه دليل على ان نعمة الله تعم الكافر والمؤمن ثم انه مطلع على ما فى صدورهم يخفون كالعقود والدواعى وعلى ما يظهرون من الافعال

يوزعون

افعال الجوارح وغيرها وتعلق الغرض انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك ثم اكد ذلك بان المغيبات كلها ثابتة في اللوح المحفوظ والغائبة اما مصدر كالعاقبة واما اسم غير صفة كالذبيحة والرمية واما صفة والتاء للمبالغة كالرواية كقولهم ويل للشاعر من رواية السوء كانه قيل وما من شيء شديد الغيبوبة الا وهو مثبت في الكتاب الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملائكة ثم بين ليدفع شبه القوم اعجاز القرآن الموافق لقصصه لما في التورية والانجيل مع كونه صلى الله عليه وسلم اميا والمطابق غرضه لما هو الحق في نفس الامر وقد حرفه بنو اسرائيل عن وجهه كاختلافهم في شان المسيح وفي كثير من الشرائع والاحكام وذكر انه هدى ورحمة لمن آمن منهم وانصف او منهم ومن غيرهم ثم ذكر ان من لم ينصف منهم فالله يقضي بينهم بحكمه اي بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما وهو العزيز الذي لا يغالب فيما يريد العليم بما يحكم ومن يحكم لهم او عليهم ثم امرهم بالتوكل وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل ذلك بامرين احدهما انه على الحق الابلج وفيه ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بنصرة الله وثانيهما قوله انك لا تسمع الموتى لانه اذا علم حالهم الاتباع وجدوى للسماع كحال الموتى او كحال الصم الذين لا يسمعون ولا يفهمون والعمي الذين لا يبصرون ولا يهتدون صار ذلك سببا قويا في اظهار مخالفتهم وعدم الاعتداد بهم وقوله اذا ولوا مدبرين تاكيد لان الاصم اذا توجه الى الداعي لم يرج منه سماع فكيف اذا ولى مدبرا وهداه من الضلالة كقولك سقاه عن العيمة ثم بين ان اسماعه لا يجدي الا على الذين علم الله انهم يصدقون باياته فهم مسلمون اي مخلصون منقادون لامر الله بالكلية ثم هدد المكلفين بذكر طرف من اشراط الساعة وما بعدها فقال واذا وقع القول اي دنا وشارف ان يحصل مؤداه وهو مضمونه عليهم وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة وقد تكلم علماء الحديث فيها من وجوه احدها في مقدار جسمها فقيل ان طولها ستون ذراعا وقيل ان راسها يبلغ السحاب وعن ابي هريرة ما بين قرنيها فرسخ للراكب وثانيها في كيفية خلقتها فروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا وثالثها في كيفية خروجها عن علي كرم الله وجهه انها تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام ورابعها مكان خروجها سئل النبي صلى الله عليه وسلم من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية وخامسها في عدد خروجها روي انها تخرج ثلث مرات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وسادسها فيما يصدر عنها من الآثار والعجائب فظاهر الآية انها تكلم الناس وفحوى الكلام ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون قال جار الله معناه ان الانسان كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الآيات ومن قرأ ان مكسورة فقولها حكاية قول الله فلذلك قالت باياتنا او المعنى بآيات ربنا فحذف المضاف او بسبب الاضافة اختصاصها بالله كما تقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي بينا عيسى عم يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عم فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى عم فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه ويكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه ويكتب بين عينيه كافر وروي انها تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقيل تكلمهم من الكلم على معنى التكثير والمراد به الجرح وهو الوسم بالعصى والخاتم ثم ذكر طرفا من اهوال يوم القيمة قائلا ويوم اي واذكر يوم نحشر من كل امة فوجا اي جماعة كثيرة ممن يكذب [illegible]

او كريم مصدرا ويكون صنع الله مصدرا موكدا لنفسه اي صنع سير الجبال وهو صنع الله قال القاضي عبد الجبار في قوله اتقن كل شيء دلالة على ان القبائح ليست من خلقه والا وجب وصفها بانها متقنة ولكن الاجماع مانع منه واجيب بان الآية مخصوصة بغير الاعراض فان الاعراض لا يمكن وصفها بالاتقان لان الاتقان وهو الاحكام من اوصاف المركبات قلت ولو سلم وصف الاعراض بالاتقان فوصف كل الاعراض به ممنوع لما من عام الا وقد خص ولو سلم فالاجماع المذكور لعله ممنوع يؤيده قوله انه خبير بما يفعلون واذا كان خبيرا بكل افعال العباد على كل نحو يصدر عنهم وخلاف معلومه يمتنع ان يقع فقد صحت معارضة الاشعري وعلى مذهب الحكيم وقاعدته صدور الشر القليل من الحكيم لاجل الخير الكثير لا ينافي الاتقان والله اعلم ثم فصل اعمال العباد وجزاءها بقوله من جاء بالحسنة فله خير منها اي اجر لا يتناهى وبيان الخيرية بالاضعاف وبان العمل منقض والثواب دائم وبان فعل السيد بينه وبين فعل العبد بون بعيد على ان الاكل والشرب انما هو جزاء الاعمال البدنية واما الاعمال القلبية من المعرفة والاخلاص فلا جزاء لها سوى الالتذاذ بلقاء الله تعالى والاستغراق في بحار الجمال والجلال جعلنا الله اهلا لذلك وقيل المراد فله خير حاصل منها وعن ابن عباس ان الحسنة كلمة الشهادة التي هي اعلى درجات الايمان واعترض عليه بانه يلزم منه ان لا يعاقب مسلم واجيب بانه يكفي في الخيرية ان لا يكون عقابه مخلدا ثم وعد بتحسين امر آخر وهو قوله وهم من فزع يومئذ آمنون وآمن يعدى بالجار وبنفسه والتنوين في فزع في احدى القراءتين اما للنوع وهو فزع العقاب فان فزع الهيبة والجلال يلحق كل مكلف وهو الذي استثنى في قوله ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله واما للتعظيم اي من فزع شديد لا تكتنهه الواصف وهو خوف النار آمنون واما حال العصاة فان يكب في النار فعبر عن الجملة بالوجه لانه اشرف او لانهم يلقون في الجحيم منكوسين وقوله هل تجزون الخطاب فيه اما على طريقة الالتفات واما على سبيل الحكاية باضمار القول اي يقال لهم عند الكب هذا القول ثم ختم السورة بخلاصة امر رسوله وذلك اشياء منها عبادة الرب سبحانه ثم وصف الرب بامرين احترازا من ارباب اهل الشرك اولهما كونه ربا لما هو ادرب في نظر قريش وهو بلد مكة حرمها الله وفيه نوع منة عليهم كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وثانيهما عام وهو قوله وله كل شيء ومنها امره بالاسلام وهو الانقياد الكلي لاوامر الله بجميع اعضائه وجوارحه ومنها امره بتلاوة القرآن او يتلوه اي اتباعه وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما امر به اتم قيام حتى خوطب بقوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ثم لما بين سيرته ذكر ان نفع الاهتداء ووبال الضلال لا يعود الا الى المكلف وعليه وليس على الرسول الا البلاغ والانذار ثم جعل خاتمة الخاتمة الامر بالحمد كما هو صفة اهل الجنة وبعد امره بالحمد على نعمة النبوة والرسالة هدد اعداءه باسيرهم في الآخرة من الآيات الملجئة الى الاقرار وذلك حين لا ينفعهم الايمان قال الحسن وعن الكلبي هي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من العقوبات في الدنيا وما ربك بغافل عما يعملون ولكنه من وراء جزاء العاملين التاويل قل سيروا في ارض البشرية فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين لان خواص نفوسهم النزوح من جهنم كما ان خواص اهل القلوب النزوح من الجنة وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم لانه خمر طينة آدم بيديه اربعين صباحا ونفخ فيه من روحه فهو مطلع على قالبه وعلى قلبه ولهذا قال وما من غائبة من الخواص في سماء القلب وارض القالب الا في كتاب مبين وهو علم الله تعالى ان هذا القرآن يقص لان كل كتاب كان مشتملا على شرح مقام ذلك النبي ولم يكن لنبي مقام في القرب مثل مقام نبينا فلا جرم لم يكن في كتبهم من الحقايق مثل ما في القرآن ولهذا قال ان ربك يقضي بينهم اي بين هذه الامة وبين امة كل نبي بحكمه اي بحكمته بان يبلغ متابعي كل نبي الى مقام نبيهم ويبلغ متابعي نبينا الى مقام المحبة فاتبعوني يحببكم الله وهو العزيز لا يهتدي كل ممتن الى مقام حبيبه العليم بمن يستحق هذا المقام فتوكل على الله انك على الحق المبين في دعوة الخلق الى الله واذا وقع قول محبتهم عليه وذلك بعد البلوغ ومضي زمان الرعي في مراتع البهيمية اخرجنا لهم من تحت ارض البشرية دابة تكلمهم وهي النفس الناطقة فانها الى الآن كانت موصوفة بصفة الصمم والبكم بتبعية النفس الامارة التي لا تؤمن هي وصفاتها بالدلائل ويوم نحشر من كل امة وهي صفات الروح والقلب فوجا وذلك بعد التصفية والمداومة على الذكر والفكر حتى اذا رجعوا الى الحضرة قال اكذبتم باياتي بعد اذ كنتم مصدقيها عند خطاب الست بربكم وهو خطاب فيه استبطاء وعتاب ووقع قول الحبهم عليه بل ما ظلموا فهم لا ينطقون كقوله من عرف الله كل لسانه الم يروا انا جعلنا الليل البشرية سببا لاستمام القلب ونهار الروحانية يتجلى شمس الربوبية مبصرا يبصر به الحق من الباطل ويوم ينفخ اسرافيل المحبة في صور القلب ففزع من في سموات الروح ومن في الصفات الروحانية ومن في ارض البشرية من الصفات النفسانية وهي النفخة الاولى في بداية تاثير العناية للهداية والقاء المحبة التي تنظر العناية في تخصيص المحبة فزع الصفات هيجانها للطلب بتهييج انوار المحبة الا من شاء الله وهو الخفي وهي لطيفة خفيفة في الروح بالقوة وانما تصير بالفعل عند طلوع شموس الشواهد وآثار التجلي فلا يصيبه الفزع بالنفخة الاولى ولا يدركه الصعقة بالنفخة الثانية وترى جبال الاشخاص جامدة على حالها وهي تمر بالسير في تبديل الاخلاق من السحاب رب هذه البلدة وهي القلب والرب هو الله كما ان رب بلدة القالب هو النفس الامارة والله تعالى حرم بلدة القلب على الشيطان كما قال يوسوس في صدور الناس دون ان يقول في قلوب الناس سيريكم آياته فتعرفونها [illegible]

سورة القصص مكية سوى آية نزلت بجحفة قوله ان الذي فرض عليك القرآن حروفها خمسة آلاف وثمانماية كلمها الف واحد واربعون آياتها ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين ۝ نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون
بالحق لقوم يؤمنون ۝ ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف
طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ۝ ونريد ان
نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ۝ ونمكن

لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ۝
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا
تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ۝ فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ۝
وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه
ولدا وهم لا يشعرون ۝ واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به
لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ۝ وقالت لاخته قصيه
فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ۝ وحرمنا عليه المراضع من قبل
فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ۝ فرددناه الى امه
كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝
ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ۝
ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى
فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ۝ قال رب اني
ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم ۝ قال رب بما انعمت
علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين ۝ فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي
استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين ۝ فلما ان اراد
ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا
بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين ۝
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك
ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين ۝ فخرج منها خائفا يترقب قال
رب نجني من القوم الظالمين ۝

ونري بفتح اليا وامالة الرا وفرعون وهامان وجنودهما مرفوعات حمزه وعلي وخلف وكذا قراءتها قوله وحزنا بضم الحا و
وسكون الزا الباقون بفتحهما الوقف طم كوفي ۝ المبين ۝ يؤمنون ۝ ناهم ط المفسدين ۝ الوارثين لا للعطف يحذرون ۝
ارضعيه ج للفاء مع احتمال الابتداء باذا الشرطية ولا تحزني ج للابتداء بان مع ان التقدير فانا المرسلين ۝ وحزنا ط خاطئين ۝ ولك ط لا تقتلوه
ق والوجه الوصل لان الرجاء بعده تعليل للنهي لا يشعرون ۝ فارغا ط المؤمنين ۝ قصيه ز بناء على ان التقدير فتبعته فبصرت ط لا يشعرون ۝

بناء

بناء على ان التقدير فتبعته فبصرت لا يشعرون لا بناء على ان الواو للحال اي وقد حرمنا وقوله فقالت عطف على قوله فبصرت والحال معترض
ناصحون ۝ لا يعلمون ۝ وعلما ط المحسنين ۝ يقتتلان ز لان ما بعده صفة لرجلين ظاهرا ولكن مع اضمار اي يقال لهما هذا من شيعته وهذا من عدوه
وليس ببعيد ان يكون مستانفا من عدوه الاول ج لان ما يليه معطوف على قوله فوجد مع اعتراض عارض من عدوه والثاني لا للعطف عليه ز لعدم
العطف مع اتحاد القائل الشيطان ط مبين ۝ فغفر له ط الرحيم ۝ للمجرمين ۝ يستصرخه ط مبين ۝ لهما لا لان ما بعده جواب لما بالامس ق للتهما
بالنفي والوصل اوجه لاتحاد القائل المصلحين ۝ يسعى ز لعدم العاطف مع اتحاد القائل من الناصحين ۝ يترقب ز لما قلنا في يسعى الظالمين تضعف
التبع فاتحة هذه السورة كفاتحة سورة الشعراء نتلو عليك على لسان جبرئيل من نبا موسى وفرعون اي طرفا من خبرهما ملتبسا بالحق
او محقين لقوم يؤمنون لان التلاوة انما ينفع هؤلاء ثم شرع في تفصيل هذا المجمل وفي التفسير وكان سائلا سال كيف كان نباهما فقال مستانفا ان
فرعون علا في الارض اي طغى وتكبر في ارض مملكته وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه او جعلهم اصنافا في استخدامه من بان وحارث
وغير ذلك او فرقا مختلفة بينهم عداوة ليكونوا له اطوع وهم بنو اسرائيل والقبط وقوله يستضعف حال من الضمير في جعل او صفة لشيعا او مستانف
ويذبح بدل منه وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل من فعل اهل الفساد ولا عبرة لان الكهنة ان صدقوا فلا فائدة في القتل وان كذبوا فلا وجه
للقتل اللهم الا ان يقال ان النجوم دلت على انه يولد ولد لو لم يقتل لصار كذا وكذا وضعفه ظاهر لان المقدر كائن البتة ونريد حكاية حال ماضية معطوفة
على قوله ان فرعون علا فهذه ايضا تفسير للنبا ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يستضعف اي يستضعفهم وهو ونحن نريد ان نمن عليهم في المال
ارادة الوقوع كالوقوع ونجعلهم ائمة مقتدين في امور الدين والدنيا وعن ابن عباس عن قتادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير
وعن قتادة ولاة اي ملوكا ومعنى الوراثة والتمكين في ارض مصر والشام هو ان يرثوا ملك فرعون وينفذ فيه امرهم والذي كانوا يحذرون منه هو
ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم يروى انه ذبح في طلب موسى تسعين الف وليد قال ابن عباس ان ام موسى لما تقرب وضعها ارسلت الى قابلة
من القوابل التي وكلهن فرعون بالحبالى وكانت مصافية لام موسى وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني اليوم حبك فعالجتها فلما وقع على الارض هالها
نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت يا هذه ما جئت الا لاخبر فرعون ولكني وجدت لابنك هذا حبا شديدا فاحفظيه فلما خرجت
القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور فاذا
ام موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لم دخلت القابلة عليك قالت انها حبيبة دخلت للزيارة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت
يا اخت موسى اين الصبي فقالت لا ادري فسمعت بكاءه في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان
خافت على ابنها ان يذبح فالهمها الله ان تتخذ له تابوتا ثم يقذف التابوت في النيل فجاءت الى النجار وامرت ان يتخذ التابوت طوله خمسة اشبار
في عرض خمسة فعلم النجار بذلك فجاء الى الموكل بذبح الابناء فاعتقل لسانه فرجع ثم عاد مرارا فعلم انه من الله فاقبل الى النجر وقيل لما فرغ من صنعة التابوت
ثم اتى فرعون يخبره فبعث معه من ياخذه فطمس الله على عينيه وقلبه فلم يعرف الطريق وايقن انه من الله وانه هو المولود الذي يخافه فرعون فامن في الوقت
وهو مؤمن ال فرعون وانطلقت ام موسى والقته في النيل وكانت لفرعون بنت ولم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث حاجات يرفعها الى ابيها
وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرا هذه الا من قبل النهر يؤخذ منه شبيه الانس فيؤخذ
من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا من ذلك يوم كذا من شهر كذا حين جلست على الشاطئ اذ اقبل النيل بتابوت تضربه الارياح وتعلق بشجرة فقال
فرعون ايتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب ومكان حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت
اسية فرات نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو صبي صغير في مهده يمص ابهامه لبنا واذا النور بين عينيه فالقى الله محبته
في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرات وضمته الى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه
فهم فرعون بقتله فاستوهبته امراة فرعون ابنه فترك قتله قال علماء المعاني اللام في قوله ليكون لهم عدوا لام العاقبة واصلها التعليل الا انه وارد
على المجاز استعيرت لما يشبه التعليل من حيث ان العداوة والحزن كان نتيجة التقاطهم كان الاكرام نتيجة المجيء في قولك جئتك لتكرمني وبعبارة
اخرى ان مقصود الشيء والغرض منه هو الذي يؤول اليه امره فاستعملوا هذه اللام فيما يؤول اليه الامر على سبيل التشبيه وان لم يكن غرضا ومعنى
خاطئين هو انهم اخطؤوا في التدبير حيث ربوا عدوهم في حجرهم وانهم اذنبوا واجرموا فكان عاقبة ذلك ان يجعل الله في تربيتهم من على يديه هلاكهم قال
النحويون قرة عين خبر مبتدا محذوف اي هو قرة عين ولا يقوى ان يجعل مبتدا ولا تقتلوه خبرا لان الطلب لا يقع خبرا الا بتاويل ونصب لكان
اقوى لان الطلب من مظان النصب روي في حديث ان اسية حين قالت قرة عين لي ولك قال فرعون لك لا لي ولو قال هو قرة عين لي كما هو
لك لهداه الله كما هداها ثم انها لما رات فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وتوسمت فيه امارات النجابة فقالت عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا فانه اهل
للتبني وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء وقال في الكشاف وهم لا يشعرون حال من ال فرعون وقوله ان فرعون الاية
جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم والتقدير فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امراة
فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه قلت لا يبعد ان يكون الجملة حالا من فاعل قالت اي قالت كذا
وكذا في حال عدم شعوره بالمال وهو ان هلاكهم على يده وبسببه وقال الكلبي اي لا يشعر بنو اسرائيل واهل مصر انا التقطناه قوله سبحانه واصبح فؤاد ام
موسى فارغا قال الحسن اي فارغا من كل هم الا من هم موسى عم قال ابو مسلم فراغ الفؤاد هو الحزن والاشفاق كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف
لا عقول فيها وذلك انها حين سمعت بوقوعه عند فرعون طار عقلها جزعا ودهشا وقال محمد بن اسحق والحسن في رواية اي فارغا من الوحي الذي
اوحينا اليها وذلك قولنا فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني فالخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع
فنسيت عنها جميعا فجاءها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجر فتوليت اهلاكه ولما انتهى خبر موسى ان وقع
الى فرعون انساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيدة فارغا من الخوف فان الله تعالى يقول لولا ان ربطنا على قلبها ورد بان ربط القلب
الفارغ المحزون الا من كثر الفراغ بحصول الخوف عنده ومعنى قوله ان كادت لتبدي به هو انها كانت تحدث بان الذي وجدتموه ابني قاله ابن عباس
وفي رواية عكرمة كادت تقول واابناه من شدة وجدها به وذلك حين رات الموج يرفع ويضع قال الكلبي وذلك حين سمعت الناس يقول
انه ابن فرعون ثم قال لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنقلب ليستقر وليطمئن لتكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله وجوا
قوله انا رادوه اليك واما من فسره بعدم الخوف فالمعنى عنده انها صارت مبتهجة مسرورة حين سمعت ان فرعون تبناه وعطف عليه وقال الكشاف

انها قاربت ان تظهر انه ولدها لولا ان الهمناها الصبر ليكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه والقول الاول اظهر لدليل
قوله وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره وانظري اين وقع والى من صار وكانت اخته لابيه وامه واسمها مريم فبصرت به اي ابصرته عن جنب عن بعد
اي نظرت اليه مزورة متجانفة وهم لا يشعرون بحالها وغرضها والتحريم ههنا لا يمكن وحمله على النهي والتعبد فظاهر استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء
فقد منعه وكان لا يقبل ثدي مرضع اما لانه تعالى منع حاجته الى اللبن احدث فيه نفار الطبع عن لبن سائر النساء واما لانه احدث في البانهن طعم
ما ينفر عنها طبعه وعن الضحاك ان امه ارضعته ثلاثة اشهر فعرف ريحها والمراضع جمع مرضعة وهي المراة التي تصلح للارضاع او جمع مرضع وهو الثدي
او الارضاع فالاول مكان والثاني مصدر ومن قبل اي ومن قبل قصها اثره او من قبل ان رددناه الى امه او من قبل ولادته في حكمنا وقضائنا روي انها
لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد
والمراد انهم يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه ولا يمنعون ما ينفعه في تربيته وغذائه فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي يعلله فرعون شفقة
عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك قالت اني امراة

[...]

اي يريد من المغرب والقتل بالظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل هو المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله عز وجل وحين وقعت هذه الواقعة انتشر
الحديث في المدينة وهموا بقتل موسى فاخبره بذلك رجل وهو قوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى اي من ابعد مسافتها اليه وقوله يسعى صفة لرجل او حال منه
لانه قد تخصص بالوصف وان جعل الظرف صلة لجاء حتى يكون المجيء من هناك تعين ان يكون يسعى وصفا قال العلماء الاظهر في هذه السورة ان يكون الظرف
وصفا لا ليس ان يكون صلة ولذلك خصت بالتقدم وتوكيده ما جاء في التفسير انه كان يعبد الله في جبل فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلا والائتمار التشاور
لان كل واحد من المتشاورين يامر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر ومعنى يأتمرون بك يتشاورون بسببك وقوله لك من الناصحين كقوله فيه من الزاهدين
وقد مر ان المحال في مثل هذه الصورة بيان لا صلة فخرج منها خائفا يترقب المكروه من جهتهم وان يلحق ملتجيا الى الله تعالى رب نجني من القوم الظالمين فيه
دليل على ان قتله القبطي لم يكن ذنبا والا لم يكونوا ظالمين لطلب القصاص التاويل ان فرعون النفس الامارة استولى على من في الارض الانسانية
وجعل اهلها وهم الروح والعقل والسر اصنافا في الاستخدام باستيفاء الشهوات يستضعف طائفة منهم وهم صفات القلب الابناء الصفات الحميدة والنساء
من ازواج الروح والقلب والبنات الصفات الذميمة المتولدة من ازدواج النفس والبدن انه كان من المفسدين لاستعداد الفطرة وترى فرعون

[...]

ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ۝ ولما ورد
ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ۝ ووجد من دونهم امراتين
تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير ۝
فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير ۝
فجاءته احديهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت
لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ۝
قالت احديهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين ۝
قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت
عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين ۝
قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول
وكيل ۝ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا ۝
قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم
تصطلون ۝ فلما اتيها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة
من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين ۝ وان الق عصاك فلما

اي يريد بالمغرب

رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين
اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك
جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا
قوما فاسقين ۝ قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون
واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني اخاف
ان يكذبون ۝ قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون
اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون ۝ فلما جاءهم موسى بآياتنا
بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ۝
وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار
انه لا يفلح الظالمون ۝ وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله
غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى
واني لاظنه من الكاذبين ۝ واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون ۝ فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ۝ وجعلناهم ائمة يدعون الى النار
ويوم القيمة لا ينصرون ۝ واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين ۝

ربي ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ويصدر بفتح الياء وضم الدال ابن عامر ويزيد وابو عمرو وايوب الآخرون بضم الياء وكسر الدال اني اريد ستجدني ان بفتح ياء المتكلم فيهما ابو جعفر ونافع اني آنست اني انا الله واني اخاف بفتح ياء المتكلم في الكل ابو جعفر ونافع وابو عمرو لعلي آتيكم هم وابن عامر جذوة بفتح الجيم عاصم وبضمها حمزة وخلف الباقون بكسرها من الرهب بفتح الراء وسكون الهاء حفص وبفتحهما ابو عمرو وسهل ويعقوب وابو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بضم الراء وسكون الهاء فذانك بتشديد النون ابن كثير ويعقوب وابو عمرو غير الفتح حفص ردا بغير همز ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف يصدقني بالرفع حمزة وعاصم يكذبوني بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش وعباس وسهل في الوصل قال موسى بغير واو ابن كثير ربي اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو من يكون على التذكير حمزة وعلي وخلف والمفضل لا يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم نافع ويعقوب وعلي وخلف الوقوف السبيل ۝ يسقون ز لانه رأس آية عند الاكثرين مع المتفقين تذودان ج لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد الفاعل خطبكما ط الرعاء لان ما بعده منقطع لفظا ومعنى كانه قال لم خرجتما فقالتا تعريضا بالاستعانة وابونا شيخ كبير ۝ فقير ۝ على استحياء ز لعدم العاطف مع اتحاد القائل ومن وقف على تمشي وجعل على استحياء حالا مقدما اي قالت مستحية فلا وجه له لا الوقف لنا ط لان جوابه لما منتظر وقبله حذف اي فذهب معها فلما جاءه وكان الفاء للاستيناف القصص لا لان قال جواب لما لا تخف ج لان قوله نجوت غير متصل بفصل بين البشارتين اي لا تخف ضمينا وقد نجوت من ظلم فرعون الظالمين ۝ استاجره ز للابتداء بان مع اتحاد المقول واحتمال التعليل الامين ۝ حجج ج للشرط مع الفاء عندك ج لابتداء النفي من لو وعليك ج الصالحين ۝ وبينك ج لابتداء الشرط علي ط وكيل ۝ نارا ج لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد القائل تصطلون ۝ العالمين ۝ لا عصاك ط لحق المحذوف اي فالقيها فحييت فلما راها ولم يعقب ط لا تخف ط لمثل ما مر اي لا تخف باس العصا انك امنت بها باس فرعون الآمنين ۝ سوء ز لعطف الجملتين المتفقتين مع طول الكلام وملائه ط فاسقين ۝ يقتلون ۝ يصدقني ز للابتداء بان مع اتحاد المقول واحتمال التعليل يكذبون ۝ بآياتنا ط اي لا يصلون اليكما بسبب آياتنا وعلى اليكما اوجه اي انتم الغالبون بآياتنا الغالبون ۝ الاولين ۝ الدار ط الظالمون ۝ غيري ج لتنويع الكلام الى اله موسى لا لان ما بعده مقوله ايضا الكاذبين ۝ لا يرجعون ۝ ط في اليم ج للابتداء بامر الاعتبار واختلاف الجملتين المختلفتين لا ينصرون ۝ لعنة ج لمثل ذلك المقبوحين ۝

التفسير ذهب بعض المفسرين الى ان موسى خرج وما قصد مدين ولكن سلم نفسه الى الله تعالى واخذ يمشي من غير معرفة فاوصله الله الى مدين وقد يؤيد هذا التفسير ما روي عن ابن عباس انه خرج وليس له علم بالطريق الا حسن

[illegible]

بكم ورعها ثم قالت ان ابي يدعوك عن عطاء ابن ابي رباح انه حين قال رب اني لما انزلت الي من خير فقير رفع صوته بدعائه لتسمعها فلذلك قيل ليجزيك اجر ما سقيت لنا وضعفت الرواية بان هذا النوع من الدناءة وضعف اليقين بالله فلا يليق بالنبي وقد روي انها حين قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم عليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا سؤال كيف تابع موسى وهو من اهل بيت النبوة امراة يمشي معها اجنبية الجواب لعل واحدا يقول حرا او عبدا او ذكرا او انثى شايع في الاخبار والمشي مع الاجنبية لا باس في الاخطار مع تورع وتؤيده ما روي ان موسى تبعها فالزقت ثوبها جسدها لوصفه فقال لها امشي خلفي وانعتي الطريق قال الضحاك لما دخل عليها قال له من انت يا عبد الله قال انا موسى ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقص عليه القصص اي المقصوص من لدن ولادته الى قتل القبطي وفراره خوفا من فرعون وملائه فقال له شعيب لا تخف فرعون او ضمينا نجوت من القوم الظالمين فلا سلطان لفرعون بارضنا قالت احديهما وهي كبراهما واسمها صفراء وكانت الصغرى صفيرا استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين اسما كونه معرفة صريحا اولى من جعل افعل التفضيل المضاف كونه قريبا من المعرفة ولكن كمال العناية صار سببا للتقديم وورد الفعل وهو استاجرت بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف قال المحققون ان هذا كلام حكيم جامع لا مزيد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة اللتين هما ثمرة الكياسة والديانة في الذي يقوم بامرك فقد حصلت مرادك وكمل فراغك عن ابن عباس ان شعيبا اخذته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وانه امرها بالمشي خلفه فلذلك اريد ان انكحك احدى ابنتي ليس هذا عقدا لجزمه الجهالة في العقود عليها ولكنه حكاية عزم وتقرير وعد ولو كان عقدا لقال قد انكحتك احدى ابنتي فلانة وفي قوله ابنتي دليل على انه كانت له غيرهما قال اهل اللغة تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا فيكون ثماني حجج ظرفا فمن عندك اي فاتمامه من عندك لا من عندي اذ هو تفضل منك وتبرع وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين او بالتكليف الشاقة في مدة الرعي وانما اعاملك معاملة الانبياء باخذون بالاسمح قال اهل الاشتقاق حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر انه اذا صعب الامر فكانه شق عليه ظنه باثنين يقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه ثم اكد وعد المسامحة بقوله ستجدني ان شاء الله استدل الفقهاء بالآية على ان العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى ان الحاق الزيادة بالثمن والمثمن جائز وعلى ان عقد النكاح لا يفسد بالشروط التي لا يوجبها العقد ولكن ان يقال انه شرع من قبلنا فلا يلزمنا وجوز في الكشاف ان يكون استاجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ووفاه اياه ثم انكحه ابنته وجعل قوله على ان تاجرني عبارة عما جرى بينهما قال موسى ذلك الذي شارطتني عليه قائم بيني وبينك لا يخرج كلانا عنه ايما الاجلين قضيت وما مؤكدة لابهام اي زائدة في شيوعها فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة فان قضيت الثاني فقد طالب بالزيادة وان قضيت العشر اختياري فلم طالب بالزيادة ايضا وقيل اراد بهما قضيت معتديا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تزوج كبراهما وقيل صغراهما ولا خلاف في انه قضى اوفى الاجلين قال القاضي في قوله فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس دليل على انه لم يزد على العشرة وفيه نظر لانه لا يفهم من هذا التركيب الا ان الايناس حاصل عقيب مجموع الامرين ولا يدل على ذلك حصول عقيب احدهما وهو قضاء الاجل وتؤيده ما روي عن مجاهد انه بعد العشر المشروط مكث عشر سنين اخر قال اهل اللغة الجذوة بحركات الجيم العود الغليظ كانت في رأسه نار اولم يكن وشاطئ الوادي جانبه ومن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة فالثانية بدل الاول بدل اشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الوادي الشاطئ ووصفت البقعة بالمباركة لان فيها ابتداء الرسالة والتكليم احتجت المعتزلة بهذه على ان الله تعالى يتكلم بكلام يخلقه في الجسم بقوله من الشجرة والصوت والحرف دال على كلام الله تعالى وذهب الاشعري الى ان الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت يمكن ان يكون مسموعا كما ان الذات الذي ليس بجسم ولا عرض يمكن ان يكون مرئيا روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل البيت فخذ من تلك العصا فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان ضنينا بها فقال غيرها فما وقع في يده

[illegible]

ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى
ورحمة لعلهم يتذكرون ۝ وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
وما كنت من الشاهدين ۝ ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت
ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين ۝ وما كنت بجانب
الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
لعلهم يتذكرون ۝ ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ۝ فلما
جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي
موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون ۝ قل فأتوا بكتاب

[illegible]

من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين ۝ فان لم يستجيبوا لك
فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هويه بغير هدى من الله ان الله
لا يهدي القوم الظالمين ۝ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ۝
الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ۝ واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به
انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين ۝ اولئك يؤتون اجرهم
مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ۝ واذا
سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ۝
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين ۝
وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا
يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝ وكم
اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ۝
وكنا نحن الوارثين ۝ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها
رسولا يتلوا عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون ۝ وما اوتيتم
من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون ۝
افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم
القيمة من المحضرين ۝ ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم
تزعمون ۝ قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم
كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ۝ وقيل ادعوا شركاءكم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ۝
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ۝ فعميت عليهم الانباء يومئذ
فهم لا يتساءلون ۝ فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من
المفلحين ۝ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله
وتعالى عما يشركون ۝ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ۝
وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون ۝

سحران عاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون لساحران تظاهرا بالتخفيف اتفاق تجبى اليه بتاء التانيث ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون

كالذين

على التذكير تعقلون بيا والغيبة شجاع والترمذي الباقون بتاء الخطاب الا ابا عمرو فانه مخير ثم هو بسكون الها علي والحلواني عن قالون تبرأنا مثل انشأنا الوقوف
يتذكرون ه الشاهدين ه لاستدراك العمر ج لاختلاف الجملتين مع العطف آياتنا لا لتمام مرسلين ه يتذكرون ه المؤمنين ه ما اوتي موسى ط من قبل ج
للفصل بين الخبر والطلب مع اتحاد القائل تظاهرا لا للتعجب عن عنادهم كافرون ه صادقين ه اهواءهم ج من الله ه الظالمين ه يتذكرون ه ط ان الذين
مبتدأ يؤمنون ه مسلمين ه ينفقون ه اعمالكم ز لاتحاد الكلام مع اتحاد المقول عليكم ز لذلك ه الجاهلين ه من يشاء ج لعطف الجملتين المتفقتين بالمهتدين
ارضنا ط لا يعلمون ه معيشتها ج للفصل بين الاستفهام والاخبار مع فاء التعقيب قليلا ط الوارثين ه آياتنا ج لعدول مع اتفاق الجملتين ظالمون ه
وزينتها ج فصلا بين المعنيين المتضادين وابقى ط تعقلون ه المحضرين ه تزعمون ه اغوينا ج غوينا ج لعدم العاطف مع اتحاد القائل اليك ج لما
تقدم مع زيادة النفي المقتضي للفصل يعبدون ه العذاب ج لجواز تعلق لو بمحذوف اي لو اهتدوا ما لقوا ويجوز تعلقها بيهتدون والوقف
على لهم اي لو كان يهتدون لرأوا العذاب بقلوبهم يهتدون المرسلين لا يتساءلون ه المفلحين ه ويختار ط وقد يوصل على معنى ويختار للذي كان لهم
فيه الخيرة و فيه بعد الخيرة ط يشركون ه يعلنون ه الا هو ط والآخرة ز لعطف الجمل ترجعون ه انه سبحانه وتعالى بعد تتميم قصة موسى اراد ان
يبين اعجاز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فذكر اولا انه اعطى موسى الكتاب بعد اهلاك فرعون وقومه حال كون الكتاب انوار القلوب وارشادا
لاهل الضلال وسببا لنيل الرحمة ارادة ان يتذكروا ويجوز ان يعود ترجي التذكر الى موسى ثم اجمل عظائم احوال موسى وبين انه صلى الله عليه وسلم لم يكن
هناك فقال وما كنت بجانب الغربي اي بجانب المكان الواقع في شق المغرب وهي ناحية الشام التي فيها قضي الى موسى امر الوحي والاستنباء
وما كنت من الشاهدين على ذلك حتى تكون الشخص حاضرا او لتكون شاهدا ومشاهدا قال ابن عباس لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرته فما شاهدت
ذلك الوقائع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى ثم قال ولكنا انشأنا بعد عهد موسى الى عهدك قرونا فتطاول عليهم العمر فاندرست
العلوم والشرائع ووجب ارسالك الى اخرهم قرونا وهو القرآن الذي اشتمل فيه في رسلنا وعرفناك احوال الانبياء وحاصل الآية انه ذكر
سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب والغرض بيان اعجازه وكانه قال في اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة
ولا تعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوتك ثم فصل ما اجمل فذكر اولا امر موسى وبين انه عم لم يكن هناك وهو قوله وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين
وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا قال مقاتل اي لم تشهد اهل مدين فتقرأ على اهل مكة خبرهم ولكنا ارسلناك الى اهل مكة وانزلنا عليك
هذه الاخبار ولولا ذلك ما علمتها وقال الضحاك يقول يا محمد انك لم تكن رسولا الى اهل مدين تتلو عليهم الكتاب وانما الرسول غيرك ولكنا كنا
مرسلين في كل زمان رسولا فارسلنا الى مدين شعيبا وارسلناك الى العرب لتكون خاتم الانبياء ثم ذكر اوسط امر موسى واشرف احواله وبين انه لم يكن
هناك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا الظاهر انه يريد مناجاة موسى ليلة المناجات وتكليمه وعن بعض المفسرين انه اراد قوله ورحمتي
وسعت كل شيء فساكتبها الى قوله المفلحون وقال ابن عباس اذ نادينا امتك في اصلاب آبائهم يا امة محمد اجبتكم ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسألوني
وغفرت لكم قبل ان تستغفروني قال وانما قال الله تعالى ذلك حين اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربه وقال وهب لما ذكر الله لموسى فضل
محمد عم قال يا رب ارنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت اسمعتك اصواتهم قال بلى يا رب قال يا امة محمد فاجابوه من اصلاب آبائهم
فقال اسجابة اجبتكم قبل ان تدعوني الحديث كما ذكر ابن عباس وروى سهل بن سعد ان رسول الله عم قال في قوله وما كنت بجانب
الطور اذ نادينا قال كتب الله كتابا قبل ان يخلق الخلق بالفي عام ثم وضعه على العرش ثم نادى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي اعطيتكم قبل ان تسألوني
وغفرت لكم قبل ان تستغفروني من لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ادخلته الجنة قوله ولكن رحمة ولكنا علمناك رحمة
من ربك ثم فسر الرحمة بقوله لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك اي في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة وقيل كان
الحجة اولويا قائمة عليهم ولكنه ما بعث اليهم من تجدد تلك الحجة عليهم فبعث الله تعالى تقريرا لتلك التكاليف وازالة لتلك الفترة قوله ولولا
ان تصيبهم هي امتناعية وجوابها محذوف والفاء في فيقولوا للعطف على ان تصيبهم ولولا ارسلت هي تحضيضية والثاني تفريع لكونه جوابا لولا
وذلك ان التحضيض في كل حكم الامر ان كلاهما بعث على الفعل والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت
الينا رسولا محتجين بذلك لما ارسلنا اليهم والحاصل ان ارسال الرسول لاجل ازالة هذا العذر وقال اصحاب البيان القول هو المقصود بان يكون
سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول دخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء السببية تنبيها على انهم لو لم يعاقبوا على
كفرهم ولم يعاينوا العذاب لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فالسبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان وفي ذلك
بيان استحكام كفرهم وتصميمهم قال الجبائي في الآية دلالة على وجوب اللطف والا لم يكن لهم ان يقولوا لولا ارسلت وقال الكعبي فيه دليل على
انه تعالى يقبل حجة العباد فلا يكون فعل العبد بخلق الله والا لكان لهم اعظم حجة على الله وقال القاضي فيه ابطال الجبر وان اتباع الآيات لو كان بخلق
على خلق الله فاي فائدة في قولهم هذا وعارضه الاشاعرة بالعلم والداعي كما سلف ثم بين انهم قبل البعثة يتعللون بانهم قد فقدوا لهم الا العذر فقال
فلما جاءهم الحق اي الرسول المصدق بالكتاب المعجز قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة ومن سائر المعجزات كقلب العصا حية و
اليد البيضاء وفلق البحر فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله اولم يكفروا فيه وجوه احدها ان اليهود امروا قريشا ان يسألوا محمدا مثل ما اوتي موسى
قال تعالى اولم يكفروا اي هؤلاء اليهود والذين استخرجوا هذا السؤال يعني بموسى مع تلك الآيات الباهرة فالذين اوردوا هذا الاقتراح يهود وكمه
والذين كفروا بموسى من قبل او بما اوتي من قبلهم الذين كفروا في زمن موسى الا انه تعالى جعلهم كالشيء الواحد لتجانسهم في الكفر والتعنت
وقال الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة يسألهم عن محمد وشأنه فقالوا انا نجده في التورية بنعته وصفته فلما رجع الرهط اليهم
فاخبروهم بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا كما ان محمدا ساحر فقال تعالى في حقهم اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل وقال الحسن قد كان للعرب
اصل في ايام موسى فالتقدير اولم يكفر آباؤهم فان قالوا موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا قال قتادة اولم يكفر اليهود في عصر محمد بما
اوتي موسى من قبل في البشارة بعيسى ومحمد عليهم السلام فقالوا ساحران وقيل الاظهر ان كفار مكة وقريشا كانوا منكرين جميع النبوات ثم انهم
طلبوا من محمد معجزات موسى فقال تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى بل بما اوتي جميع الانبياء من قبل فعلم ان لا غرض لهم في هذا الاقتراح الا التعنت
من قرا ساحران بالالف فظاهر ومن قرا سحران فالمعنى ذوي سحرين او جعلهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او على ارادة نوعين من السحر
او على ان المراد هو القرآن والتورية وضعفه ابو عبيد بان التظاهر بالناس وافعالهم اشبه منها بالكتب واجيب بان الكتابين لما كان
كل منهما يقوي الآخر صح ان ينال على سبيل المجاز تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار وفي تكرار قالوا وجهان احدهما قالوا ساحران مرة

وقالوا انا بكل اي بكل من موسى ومحمد او بكل من الكتابين كافرون مرة؛ الوجه الثاني ان يكون قوله وقالوا معطوفا على ولم يكفروا اي بجزهم بقوله قل فاتوا
بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اي مما انزل على موسى وما انزل على محمد قال ابن عباس فان لم يستجيبوا لك معناه فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج وقال
مقاتل فان لم يمكنهم ان ياتوا بالكتاب افضل منهما وهذا اشبه بالاية وهذا الشرط شرط يدل بالامر المتحقق بصحته والا فلا كالكاهر ان لو قيل فان لم يستجيبوا يجوز
ان يعتد بحرف الشك التهكم وان لم يقل فان لم ياتوا لان قوله فاتوا امر والامر دعا الى الفعل فناسب الاستجابة والتقدير فان لم يستجيبوا دعاءك
الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم صاروا محجوجين ولم يبق لهم شيء الا اتباع الهوى وفي قوله ومن اضل ممن اتبع هواه حال كونه بغير هدى من الله
اشارة الى فساد طريقة التقليد استدلت الاشاعرة بقوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين وضعوا الهدى على ان هداية الله خاصة بالمؤمن
وقالت المعتزلة الالطاف منها ما يحسن فعلها مطلقا ومنها ما لا يحسن الا بعد الايمان الاشارة بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والاية محمولة على القسم
الثاني دون الاول والا كان عدم الهداية عذرا لهم ثم اجاب عن قولهم هلا اوتي محمد كتابه دفعة واحدة بقوله ولقد وصلنا اي انزلنا عليهم القرآن انزالا
متصلا بعضه في اثر بعضه ليكون ذلك اقرب الى التذكر والتنبه فانهم ينزلون في كل يوم على فائدة زائدة وحكمة جديدة ويجوز ان يراد بقول القول حمل
بيان على اثر بيان والمعنى ان القرآن اتيهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا الى غير ذلك من معاني القرآن ارادة ان يتعظوا فيفلحوا ويحتمل
ان يكون المراد بيانا في الدلالة على كون هذا القرآن معجزة بعد اخرى وحين اقام الدلالة على النبوة اكد ذلك بقوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي
من قبل القرآن هم به يؤمنون قال قتادة انها نزلت في اناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة حقة حتى بعث الله محمدا فآمنوا به منهم
سلمان وعبد الله بن سلام وقال مقاتل نزلت في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من ارض الحبشة في السفينة وثمانية
جاؤوا من الشام وعن رفاعة ابن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم والتحقيق ان كل من حصل في حقه هذه الصفة يكون داخلا في الاية لان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب ثم حكى منهم ما يدل على تأكيد ايمانهم وقوله انه الحق من ربنا تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله يوجب الايمان به وقوله انا
كنا من قبله مسلمين بيان لقولهم آمنا به لان ايمانهم احتمل ان يكون قريب العهد وان يكون بعيدة فاخبروا ان ايمانهم به متقادم وذلك لما وجدوا
في كتب الانبياء من البشارة بمقدمه فاذعنوا له وتلقوه بالقبول كما هو شأن كل مسلم ومعنى من قبله اي من قبل وجوده ونزوله وفي قوله يؤتون
اجرهم مرتين اقوال بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقرآن وبصبرهم على اذى المشركين وعلى اذى اهل الكتاب او بصبرهم على
الايمان بالقرآن قبل نزوله وعلى الايمان به بعد نزوله وهذا اقرب لانه لما بين انهم آمنوا بعد البعثة انهم كانوا مؤمنين به قبل البعث ثم لما
اثبت لهم الاجر مرتين وجب ان يختص في ذلك ويدرؤن بالحسنة وهي الطاعة السيئة وهي المعاصي المتقدمة اي يدفعون […] يروى
انهم لما اسلموا لعنهم ابو جهل فسكتوا عنه وقال السدي عاب اليهود عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم مدحهم بالايمان ثم بالطاعة البدنية
ومكارم الاخلاق ثم بالطاعات المالية وهو الانفاق مما رزقهم ثم بالتحمل والتواضع وبما وجب ان يقول الحكيم في معارضة السفيه وهو قوله واذا
سمعوا اللغو وهو كل ما ينبغي ويترك اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم توديع ومتاركة لا نبتغي الجاهلين لا نطلب
مخالطتهم وعشرتهم ولا نجازيهم بالباطل على باطلهم وهذا خلق مندوب اليه ولو بعد الامر بالقتال فلا نسخ ثم ذكر ان الهداية يتعلق بمشية الله قال
الزجاج اجمع المسلمون على انها نزلت في ابي طالب وذلك انه قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة ان تقول لا اله
الا الله اشهد لك بها عند الله قال قد علمت انك صادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت وقد مر مثل هذا النقل في سورة
الانعام في قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه واعلم انه لا منافاة بين هذه الاية وبين قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم لان الذي نفي
هداية التوفيق وشرح الصدور والتي اثبتها هداية الدعوة والبيان وبحث الاشاعرة والمعتزلة ههنا معلوم وحيث بين ان وضوح الدلائل لا يغني
ما لا ينضم اليه هداية الله سبحانه حكى منهم شبهة اخرى متعلقة بالدنيا وذلك انهم قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا يروى ان
الحارث بن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله عم انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكن يمنعنا من ذلك ان يتخطفنا العرب بسرعة اي يجمعون
على محاربتنا ويخرجونا فاجاب الله سبحانه عن شبهتهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا يروى ان العرب كانوا يستحلون بالنهب والغارة
خارج الحرم وكانوا لا يتعرضون البتة لسكان الحرم وقد زاد الله حرمته بقوله ومن دخله كان آمنا وبين مرتبة بقوله يجبى اليه ثمرات كل شيء
قالوا الكل ههنا بمعنى الاكثر قلت يحتمل ان يكون على اصله واحتمل رزقا على انه مصدر لان يجبى بمعنى يرزق وعلى انه مفعول لاجله وان جعلته
بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصيصها بالاضافة وحاصل الجواب انه لما جعل الحرم آمنا واكثر فيه الرزق حال كونهم معرضين عن
عبادة الله تعالى مقبلين على عبادة الاوثان فبقاء هذه الحالة مع الايمان اولى ولا يخفى ان التخطف على تقدير وقوعه لا يصلح عذرا لعدم الايمان
فان درجة الشهادة اعلى واجل ومضرة التخطف اهون من العقاب الدائم الا انه تعالى عليهم بما معلوم من عادة العرب وهو انهم كانوا
يتعرضون لقطان الحرمان والابرار ولبين الحس اولى بان يلغم به الخصم فلذلك قدمه الله تعالى وفي الاية دلالة على صحة المحاجة لازالة شبهة المبطلين
قالت الاشاعرة الارزاق انما يصل اليهم على ايدي الناس وقد اضاف الرزق الى نفسه فدل ذلك على ان افعال العباد مستندة الى الله ومن تأمل
في الاية علم ان العبد يجب ان لا يخاف الا من الله ثم اجاب عن شبهتهم بحديث اخرى مخلوطا بالوعيد وانتصب معيشتها كخفوق النجم ومعنى
بطرت معيشتها كفرت وغمطت والبطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا قال ابن عباس اي لم يسكنها الا المسافر ومار
الطريق يوما او ساعة ويجوز ان يكون شؤم معاصيهم بقي في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم الا قليلا من السكنى وكنا نحن الوارثين كقوله ولله
ميراث السموات والارض لانه الباقي بعد فناء خلقه ثم كان لسائل ان يقول بال الكفر قبل بعث محمد عم لم يهلكوا مع تماديهم في الغي وما كان
ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها اي في القرية التي هي قصبتها واصلها وغيرها من توابعها واعمالها رسولا يتلوا عليهم آياتنا بوحي وتبليغ
وذلك لتأكيد الحجة وقطع المعذرة قال في الكشاف يحتمل ان يراد وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث
في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد عم خاتم الانبياء وكان القائل هال الكفار بعد بعث محمد لم يهلكهم الله تكذيبهم وجحودهم فقال وما كنا مهلكي القرى
الا واهلها ظالمون بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك فمنهم من قد آمن ومنهم من سيؤمن ومنهم من يخرج من نسله من يؤمن ثم اجاب عن شبهتهم
بجواب ثالث وذلك ان حاصل شبهتهم بجواب ثالث انهم قالوا تركت الدين لاجل الدنيا فبين تعالى بقوله افلا تعقلون ويرفع الله الشافعي
حيث قال اذا اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان اعقل الناس اعطى القليل واخذ الكثير

الكثير الباقي قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت قال صاحب البرهان انما قال في هذه السورة وما اوتيتم بالواو وفي الشورى فما اوتيتم بالفاء
لانه لم يتعلق بما قبله ههنا كثير تعلق وقد تعلق في الشورى بما قبلها اشد تعلق لانه عقب ما لهم من التخافت بما اوتوه من الامنة والفاء حرف التعقيب والواو
لمجرد العطف واما زاد في هذه السورة وزينتها لان المراد ههنا جميع اعراض الدنيا من الضروريات ومن الزين فالمتاع ما لا غنى عنه من المأكول والمشروب
والملبوس والمسكن والمنكوح والزينة غيرها كالثياب الفاخرة والمراكب الرائقة والدور المشيدة واما في الشورى فلم يقصد الاستيعاب بل ما هو مطلوبهم في
تلك الحالة من النجاة والامن في الحيوة فلم يحتج الى ذكر الزينة ثم زاد في تبيان المذكور تأكيدا بقوله افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه لان وعد الله يترتب عليه
الانجاز البتة وصاحبه يلقى الموعود لا محالة والتقدير الكلام ابعد التفاوت المذكور بين ما عند الله وبين متاع الحيوة الدنيا تسوي من اهل الجنة ومن ابناء
الدنيا ومعنى ثم في قوله ثم هو يوم القيمة تراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا تراخي وقته عن وقته وتخصيص لفظ المحضرين الذين احضروا العذاب لم عرف
من القرآن قال لكنت من المحضرين ويمكن ان يقال في اللفظ اشعار به لان الاشعار مشعر بالتكليف والالزام وذلك لا يليق لمجالس اللذة والانس
وانما يليق بمواضع الاكراه والوحشة قيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن مغيرة
ثم ذكر من وصف القيمة فقال ويوم يناديهم اي فاذكر ذلك اليوم ومعنى الاستفهام في اين التهكم ومفعولا يزعمون محذوف تقديره تزعمونهم شركائي قال الذين
حق عليهم القول اي وجب وثبت وهو مقتضاه لاملان جهنم وهم الشياطين او رؤساء الكفر وهؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفة والعائد الى الموصول محذوف
والتقدير هؤلاء الذين اغويناهم بالوسوسة والتسويل وبذل الممكن حتى غووا وقالت المعتزلة يعنون انا ما اغوينا الا باختيارنا كذلك هم غووا باختيارهم
ولا اغوانا فالجاهم الى الغواية بل كانوا مختارين في الاقدام على تلك العقائد والاعمال فيكون كما حكي من الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي ثم قالوا تبرأنا اليك منهم ومن عقائدهم واعمالهم ما كانوا ايانا يعبدون انما كان يعبدون اهواءهم الفاسدة واخلاء الجملتين من العاطف
لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وحين حكى التوبيخ المذكور ثم ما تقوله الشياطين او ائمة الكفر اعتذارا ذكر ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم
وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم وهو قوله وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم زعم جم غفير من المفسرين ان جواب لو محذوف فقال
الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون في الدنيا ما ابصروه في الاخرة وقيل لو ان العذاب حق لو كانوا
يهتدون بوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وقيل اراد وراوا العذاب لو كانوا يبصرون شيئا ولكنهم صاروا مبهوتين بحيث لا يبصرون شيئا
فلا جرم ما راوه وقيل الضمير للاصنام اي لو كانوا احياء مهتدين يشاهدوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا لو كانوا المهتدين ثم نكلوا بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل
وازاحة العلل ومعنى عميت عليهم الانباء ان اخبار المرسلين والمرسل اليهم صارت كالعمى اليهم جميعا اليهم فهم لا يتساءلون كما يسأل بعض الناس بعضا
في المشكلات لانهم متساوية الاقدام في العجز عن الجواب واذا كانت الانبياء يهول ذلك السؤال يتفقون في الجواب عن مثل هذا السؤال كما قال تعالى
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فما ظنك بضلال اممهم قال القاضي الاية يدل على بطلان قول المجبرة لانه لو كان خلقا من الله تعالى
وجب وقوعه بالقدرة والارادة لما عميت عليهم الانباء ولقالوا انما كذبنا الرسل من جهة خلقك فاكذبيهم ومن جهة القدرة الموجبة لذلك وكذا القول
فيما تقدم لان الشياطين كان له ان يقول انما اغويت بخلقك في الغواية واما قيل من دعوته لمثل ذلك فيكون الحجة لهم على الله قوية والعذر
ظاهرا وعارضه الاشاعرة بالعلم والداعي والذي اعتمد عليه القاضي في دفع هذا المشكل لفضل في كتبه الكلامية قوله خطأ قول من يقول انه لا يمكن فلا جواب
السكوت وفيه الاشعري ان الكافر لو اورد هذا السؤال على ربه لما كان له عنه جواب الا السكوت فيكون حجة الكافر قوية وعذره ظاهرا وكقائل ان
يقول السكوت عن جواب الكافر جواب كما قيل جواب الاحمق سكوت وحين فرغ من توبيخ الكفار وتهديدهم اتبعه ذكر التائبين وانهم من المفلحين
وعسى من الكريم تحقيق والترجي عائد الى التائب ثم ان القوم كانوا يذكرون شبهة اخرى وهو قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
فاجاب الله عنها بقوله وربك يخلق ما يشاء ويختار وذلك انه المالك المطلق المنزه عن النفع والضر فله ان يخص من يشاء بما شاء وعلى مذهب المعتزلة
هو حكيم فلا يفعل الا الحكمة والخير وقوله ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار والخيرة من التخير كالطيرة من التطير في انه اسم يستعمل بمعنى المصدر كقولهم محمد خيرة الله
من خلقه وقد مر في الوقف ان بعضهم على يشاء ثم يقول ويختار لهم ما كان لهم الخير وقال ابو القاسم الانصاري هذا متعلق المعتزلة في ايجاب الصلاح
في تكليف من علم انه لا يؤمن ولو لم يكلفه لا يستحق الجنة والنعيم من فضل الله فان قيل لما ان كلفه ليستوجب على الله ما هو الافضل لان المستحق
افضل من المتفضل به قلنا اذا علم ان ذلك الافضل لا يحصل هو ربطه للعقاب الابدي لا يكون رعاية للصلاح ثم قولهم المستحق خير من المتفضل به ممنوع
لان ذلك التفاوت انما يحصل في حق من يستنكف من تفضله اما الذي حصل ذاته وصفاته باحسانه فكيف يستنكف من تفضله قلت لقائل
ان يقول مجرد الاستبعاد لا يحصل المنع على ان لذة الاجر يستحيل ان يحصل بدون الاجر ثم نزه نفسه بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون والغرض ان الخلق
والاختيار والاعزاز والاذلال والاهانة والاجلال كلها مفوض اليه ليس لاحد فيه شركة ومنازعة ثم اكد بقوله وربك يعلم ما تكن صدورهم من عداوة
نبيه وما يعلنون من مطاعنهم فيه ويحتمل ان يكون عاما يشتمل السرائر والظواهر كلها وهو الله لا اله الا هو تقرير لما قبله الحمد في الدار الاولى
على نعمه الفائضة على البر والفاجر وفي الدار الاخرة كقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك
على وجه اللذة لا التكليف قال اهل السنة الثواب يستحق عند المعتزلة فلا يستحق الحمد بفعله من اهل الجنة واما اهل النار فلم ينعم عليهم حتى يستحق الحمد منه
والجواب ما ذكرنا ان حمدهم يجري مجرى النفس قال القاضي انه يستحق الحمد من اهل النار ايضا بما فعل بهم في الدنيا من التمكين والتيسير والالطاف
وسائر النعم وانهم باساءتهم لا يخرج ما انعم الله به عليهم من ان يوجب الشكر قال في التفسير الكبير فيه نظر لان اهل الاخرة مضطرون الى معرفة
الحق فاذا علموا ان التوبة واجبة القبول وان الشرك ما يوجب الثواب فلا بد ان يتوبوا ويشتغلوا بالشكر ليستحقوا الثواب ويتخلصوا من العقاب
ولقائل ان يقول لا يلزم من وجوب قبول التوبة واستحقاق الجزاء على العمل في دار التكليف ان يكون الامر كذلك في غير دار التكليف ثم بين بقوله
وله الحكم ان القضاء بين العباد مختص به فلا حكم لاحد على العبد حكم سيده ولا على الزوجة حكم زوجها ولا على الابن حكم ابيه ولا على الرعية حكم سلطانها
ولا على الامة حكم رسولهم والى محل حكمه وقضائه يرجع الى كل عبد وامانه التأويل لقد آتينا موسى القلب القرب والوحي والمكالمة وكشف
العلوم بعد هلاك فرعون النفس وصفاتها لعلهم يتذكرون اذ كانوا في عالم الارواح مستمعين خطاب الست بربكم وما كنت في غرب القدم
بل كنت في شرق الوجود في عالم الارواح اذ قضينا الى موسى امر اتخاذ العهد منه ان نؤمن بك كقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين وما كنت
في عالم الشهادة ولكنا انشأنا قرونا في عالم الشهادة فتطاول عليهم العمر واستحوذ النفس بصفاتها ونسوا تلك العهود والمواثيق وما كنت
مقيما في اهل مدين كشعيب وموسى اذ اخذت منهما الميثاق ان نؤمنا بك ولكن كنا مرسلين للرسل الذين اخذنا الميثاق منهم ولولا ان

[illegible]

قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون ۝ قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ۝ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ۝ ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون ۝ ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ۝ ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ۝ وابتغ فيما آتيك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين ۝ قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ۝ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم ۝ وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون ۝ فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ۝ واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون

ويكأن

ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ۝ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ۝ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ۝ ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ۝ وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ۝ ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ۝ ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ۝

[illegible]

على شىء الى ستى الحبر قال لموسى ذا حكم الله قال ولعله الله ذلك حتى ياتى بآية فامر رؤسا بنى اسرائيل ان يجى كل واحد بعصا فالقى مجموع العصا فى القبة التى
كان الوحى ينزل عليه فيها فاصبحوا فاذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجرة اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما صنع من السحر واعتزل
قارون باتباعه وكان كثير المال كما اخبر الله تعالى عن ذلك بقوله وآتيناه من الكنوز سئل من الكلبى التيمى يقولون ان الله لا يعطى الحرام فكيف اعطيناه
ايناه مال قارون الى نفسه فاجاب بانه لا حجة فى ان ماله حرام يجوز انه ظفر بكنز لبعض الملوك الخالية وكان الظفر عندهم طريق التملك ولعله وصل اليه بالارث
من جهات او بالكسب من جهة المضاربات وغيرها والمفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يفتح به الباب وجمع مفتح بالفتح وهو الخزانة فمن الناس من طعن
فى القول الاول لان مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو انا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب لكفاها اعداد كليد من المفاتح ولهذا قال ابو رزين بن كعب لكفته
مفتاح واحد وايضا الكنوز هى الاموال المدفونة فى الارض ولا يتصور لها مفتاح اجاب الناظرون للقول الاول وهو اختيار ابن عباس والحسن ان المال
او كان من جنس العروض او من جنس النقد جاز ان يبلغ فى الكثرة الى هذا الحد ايضا ما روى ان مفاتيحه كانت من جلود الابل وكل مفتاح اصبع وكل خزانة

[illegible]

[illegible]

البنى صلى الله عليه وسلم عنوان كتاب الله اى عباد الله المؤمنين من الملك الحى الذى لا يموت الى الذى فرض اى اوجب عليك التلق بخلق القرآن
لرادك الى معاد وهو مقام الفناء فى الله والبقاء به قل ربى اعلم من جاء بالهدى وهو بدل الوجود المجازى فى الوجود الحقيقى او رحمة من ربك اى الان
القينا اليك الكتاب لتقار الاكثر على الناس وتخلقت بخلق القرآن

سورة العنكبوت مكية حروفها ٤٤١٢ كلمها ٧٨٥ اياتها تسع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم﴾ احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
آمنا وهم لا يفتنون ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين ﴿ ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما
يحكمون ﴿ من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع
العليم ﴿ ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين ﴿
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذى كانوا
يعملون ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى

ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ۝ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ۝ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ۝ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ۝ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ۝ وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيمة عما كانوا يفترون ۝ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ۝ فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين صدق الله

الوقوف لم كوفي لا يفتنون الكاذبين يسبقونا يحكمون لآت العليم لنفسه العالمين حسنا فلا تطعهما تعملون الصالحين كعذاب الله معكم العالمين المنافقين خطاياكم الكاذبين مع أثقالهم فصلا بين الأمرين المتقطعين بين اتفاق الجملتين يفترون عاما للحذف أي علم تؤمنوا فأخذهم ظالمون العالمين

لما قال في خواتم السورة المتقدمة إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد أي مكة ظاهرا ظافرا كان في ذلك الوعد احتمال مشاق الحوادث ما قال بعده الم أحسب الناس إلى قوله وهم لا يفتنون بالجهاد وتقول لها أمر بالدعاء إلى القويم في قوله فادع إلى ربك وكان دونه من المتاعب وأعباء الرسالة لا تخفى بدأ السورة بما يهون على النفس بعض ذلك والمناسبين أن كل هالك له رجوع الله ردا على منكري الحشر بأن الأمر ليس على ما حسبوه ولكنهم مكلفون في دار الدنيا ثم يرجعون إلى مقام الجزاء والحساب قال أهل البرهان وقوع الاستفهام بعد الم يدل على استقلالها وانقطاعها عما بعدها في هذه السورة وفي غيرها من السور وفي تصدير السورة بأمثال هذه الحروف

في الحقيقة امر طلب وايجاب ولكنه حكاية بقول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى
نظيره في الاسلام يشجع احدهم فانوا جاهلا على ارتكاب بعض العظائم فيقول افعل هذا واثمه على فكم من مغرور يتمثل هذا الضمان ثم اخبر الله عنهم انهم لا يحملون شيئا من
خطاياهم ولا ريب ان هذا مخالف لما زعموا من انهم يحملون اوزارهم فحينئذ حكم الله عليهم بانهم كاذبين ويجوز ان يكونوا كاذبين بانهم وعدوا وفي قلوبهم نية الخلف و
اما جعل توجيه تسميتهم كاذبين الى التشبيه الذي ذكره في الكشاف فالجمع بين قوله وما هم بحاملين وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فان النفي
للحمل الذي يخفف صاحبه والاثبات يرجع الى انهم يحملون وزر الاضلال مع ان اتباعهم حاملون وزر الضلال كما قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة
سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزره شيء ثم قال وليسئلن سؤال تقريع يوم القيمة عما كانوا يفترون من انه لا حشر وعلى تقدير
وجوده يحملون خطايا التابعين ثم اجمل قصة نوح ومن بعده تصديقا لقوله في اول السورة ولقد فتنا الذين من قبلهم وفيه تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم
كانه قيل ان نوحا لبث الف سنة تقريبا يدعو قومه ولم يؤمن منهم الا قليل فانت اولى بالصبر لقلة لبثك وكثرة عدد امتك وفيه تهديد لكفار قريش
فان اولئك الكفار ما نجوا من العذاب مع تلك الاعمار الاطوال فكيف تسلمون وكيف تعتبرون سؤال العدول في قوله الف سنة الا خمسين دون
ان يقول تسعمائة وخمسين الجواب ان العبارة الاولى تحمل التجوز والتقريب فان من يقال عاش الف سنة يمكن ان يتوهم انه يدعي ذلك تقريبا لا تحقيقا
فاذا قال الا خمسين زال ذلك الوهم وايضا المقصود في تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الالف الذي هو عقد معتبر وصل الى هذا الغرض وانما
جاء بالمميز في المستثنى منه تجنبا من التكرار الخالي عن الفائدة وتوسعا في الكلام سئل بعض الاطباء العمر الطبيعي للانسان مائة وعشرين سنة فاعترضوا عليهم بعمر
نوح عم وغيره وذلك ان المفسرين قالوا عمر نوح الف وخمسين سنة بعث على رأس اربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان
ستين وعن وهب انه عاش الف واربعمائة سنة ويمكن ان يقال انهم ارادوا بالطبيعي ما كان اكثريا في اعصارهم ولا ينافي كون بعض الاعمار
وينبغي زائدا على هذا القدر بطريق خرق العادة على ان العادة قد تختلف باختلاف الاعصار والادوار ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين
الى السبعين والطوفان ما عم كل المكان بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل وفي قوله وهم ظالمون دليل على ان العذاب قد اخذهم وهم مصرون على
الظلم ولو كانوا قد تركوه لما اهلكهم والضمير في قوله وجعلناها للنجاة او للعقوبة او للسفينة واعاجيب هذه القصة واحوال السفينة وانها بقيت دهرا
مزارا ولا ريب انها آيات يستدل على موجدها التأويل اقسم بغرائبه وبآلائه ونعمائه انها تكون الى العبد بالطاف الربوبية يؤكده قوله احسب
الناس اي الناسون من اهل البطالة ان يتركوا لمجرد الدعوى لا يطالبوا بالبلوى والمحنة كما ان بالامتحان يكرم الرجل ويهان فمن زاد قدر معناه
الا قدسوه بالبلاء للنفوس واخراجها عن اوطان الكسل وتصريفها في حسن العمل والبلاء على القلوب ليصيبها من سنتين الدين القبول لغيوب الغيوب
والبلاء على الارواح ليجردها بالمواثيق عن العلايق والبلاء على الاسرار في اعتكافها في مشاهدة الكشف بالصبر على آثار التجلي الى ان تصير مستهلكا
فيه باقيا به وان اشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجري عليه مكر في اوقات غلبات شواهد الحق فيظن انه هو الحق ولا يدري انه من الحق ولا يقال انه
الحق وعز من يهتدي الى ذلك ام حسب الذين فيه ان موجبات عمل السيئات سواء درآة القلوب بصدا الكسالات ودين الكفران لم يتوبوا
ان يسبقونا بالعدوان عن طريق شقاق الانتقام عن اهل الاجرام ساء ما يحكمون بالنجاة عن الدركات باتباع الشهوات هيهات هيهات من كان
يرجوا لقاء الله فان اجل الله لآت من زجر عمره في رجاء لقائنا فهو الذي يسمع له النظر الى جمالنا وهو السميع لانين المشتاقين العليم بطويات الصادقين
ومن جاهد بالسعي في طلبنا فانما يجاهد لنفسه لانها بالتخلية عن الاخلاق الذميمة وبالتحلية بالصفات الحميدة تخلص من الامارات وتستاهل المطمئنة
فيستحق بجذبة ارجعي الى ربك والذين امنوا من قلوبهم بجذبنا وعملوا الصالحات ببذل الوجود في طلب جودنا لنكفرن عنهم سيئات وجودهم المجازي
ولنجزينهم وجودا حقيقيا احسن منه وان جاهداك لتشرك بي فيه اشارة الى المريد اذا تمسك بذيل شيخ كامل وتوجه الى حضرة العزة من عزايم الرجال فان منع
الوالدان عن ذلك فعليه ان لا يطيعهما لانه سبب في ولادته في عالم الارواح وصاحب ولادته في عالم الاشباح كما قال عيسى عليه السلام لن يلج
ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فهو احق برعاية الحقوق منهما جعل فتنة الناس كعذاب الله فيه ان المؤمن من كان الذي هو اولى من تحمل
من الخلق الاذى ولا يترشح فيه الشكوى من البلوى كالارض يلقى عليها كل قبيح فينبت كل مليح والمنافق اذا لم يكن في حماية خشية الله يفر منه خوف الخلق
اذا اوذي في الله قال الذين كفروا فيه ان كافر النفس وصفاته يقولون بلسان الطبيعة الانسانية لمؤمن القلب والسر والروح وصفاتهم اتبعوا سبيلنا
في طلب الشهوات الحيوانية ولنحمل اي ندفع عنكم ضرره او نرفع اليكم في متابعة شهوات الدنيا او طيباتها وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وهو العمى والصم
والبكم وسائر صفات النفسانية ولكن يحملون اثقال هذه الاوقات مع الاوقات التي يختص بها والله تعالى اعلم

وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ۝
انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه
ترجعون ۝ وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ
المبين ۝ اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك
على الله يسير ۝ قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله
ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير ۝ يعذب من يشاء

ويرحم من يشاء واليه تقلبون ۝ وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ۝ والذين كفروا بآيات الله
ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم ۝ فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجيه الله من النار ان في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون ۝ وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة
بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم
النار وما لكم من ناصرين ۝ فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي
انه هو العزيز الحكيم ۝ ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ۝
ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ۝
ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل ۝ وتأتون في ناديكم المنكر
فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ۝
قال رب انصرني على القوم المفسدين ۝ ولما جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين ۝
قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من
الغابرين ۝ ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا
وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين ۝
انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ۝
ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ۝ والى مدين اخاهم
شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض
مفسدين ۝ فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ۝
وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل وكانوا مستبصرين ۝ وقارون وفرعون وهامان ۝
ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين ۝
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة

ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۝ مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون

اولم تروا بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل النشاءة
بفتح الشين بعدها الف ممدودة حيث كان ابن كثير وابو عمرو مودة بالرفع بينكم بالجر على الاضافة ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب
وعلي وابو زيد عن المفضل مودة بالرفع بينكم بالفتح الشموني والبرجمي مودة بالنصب بينكم بالاضافة حمزة وحفص الباقون مودة بالنصب
بينكم بالفتح بل انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو انكم بهمزة واحدة ائنكم بهمزة بعدها ياء ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد
مثله بزيادة مدة في الثانية يزيد وزيد وقالون كلاهما مثل هذه بالثانية ابو عمرو والاولى بهمزة واحدة والثانية بهمزتين ابن عامر وحفص و
هشام يدخل بينهما مدة الباقون بهمزتين ابن عامر وحفص وهشام يدخل بينهما مدة الباقون بهمزتين فيهما ابراهام كنظائره لننجينه بسكون النون من
الانجاء يعقوب وحمزة وعلي وخلف سيء بهم كما ذكر في هود منجوك من الانجاء ابن كثير ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل
المنزلون بالتشديد ابن عامر وثمود غير منصرف في الحالين حمزة وحفص وسهل ويعقوب الوقوف واتقوه ط يعلمون ه افكا ط واشكروا
له ط ترجعون ه من قبلكم ج للعطف مع اختلاف بالاثبات والنفي المبين ط يعيده ط يسير ه الآخرة ط قدير ج لان ما بعده يصلح وصفا
واستئنافا من يشاء ط لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتفاق الكلمتين يعلمون ه السماء فصلا ط بين الامرين المختلفين مع اتفاق الكلمتين لضمير
الميم النار ط يؤمنون ه اوثانا ط لمن قرأ مودة بالرفع الدنيا لاختلاف الكلمتين الفصل تباين الدارين بعضا ز لاختلاف الكلمتين مع اتحاد المقصود
من ناصرين ه قيل لا وقف لتعلق الفاء لوط م لان قوله وقال فاعله ابراهيم ولو وصل لاوهم اتحاد الفاعل ربي ط الحكيم ه الدنيا ج لابتداء
مع واو العطف الصالحين ه الفاحشة لان ما بعده يصلح مستأنفا او حالا من احد من العالمين ه المنكر ط لانتهاء الخطاب الى ابتداء الجواب
الصادقين ه المفسدين ه البشرى لا لان قالوا جواب لما القرية ج لابتداء ان مع احتمال التعليل ظالمين ه وقد يوصل لاتصال الى على تدارك
ابراهيم لوطا ط بمن فيها لان ام التوكيد يقتضي قسما اي والله لننجينه مع تمام المقصود في التنجية الا امرأته لان ما بعده يصلح مستأنفا في النظم ولكنه
حال المراد لان المستثنى شبه بالمفعول اي نستثني امرأته كانت من الغابرين ه ولا تحزن قف فصلا بين البشارتين وتوقيرا لدرج الغابرين ه
يفسقون ه يعقلون ه شعيبا لا لتعلق فاء المفسدين ه جاثمين لان حالهم يحتمل ان يكون منصوبا باخذتهم او بمحذوف اي واذكروا الوجه
لان قوله وقد تبين حال ولا يحسن ان يكون مثله فاخذتهم مساكنهم لان التقدير وقد زين وحاله فاخذتهم مستبصرين للعطف وبامان يحتمل
عندي الوقف وقيل لا بناء على ان قوله ولقد جاءهم حال عامله فاخذتهم سابقين لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتفاق الكلمتين بذنبه وكذلك
على حاصبا واخذته الصيحة وخسفنا به الارض واغرقنا لعطف الجمل والوقف اوجه تفصيلا لانواع النقم وامهالا لروية الاعتبار يظلمون ه العنكبوت
ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا بيتا ط العنكبوت ج لان وهن العنكبوت مطلقا لا لتعلق يعلمون وابراهيم منصوب بمضمر
وهو اذكر وقوله اذ قال بدل منه بدل الاشتمال لان الاحيان يشتمل على ما فيها اي اذكر وقت قوله لقومه وجوز ان يكون معطوفا على نوحا فاورد عليه
الارسال قبل الدعوة فكيف يكون وقت الدعوة ظرفا للارسال واجيب بان الارسال امر ممتد الى وان الدعوة او المراد ارسلناه حين كان
صالحا لان يقول لقومه اعبدوا الله خصوه بالعبادة واتقوا مخالفته ذلكم ان كنتم تعلمون اما العبادة فلانها غاية الخضوع فلا يصلح الا لمن هو
في غاية الكمال نحو ابادة وانما اتخاذ خلافه وفلان من قدر على ابادة الماضين فهو قادر على اهلاك الباقين وتكثيرهم اذا خصوه والعاقل يحذر بخلاف العاجز ثم بين
بقوله انما تعبدون من دون الله اوثانا اي الذي تعبدونه في غاية الخسة لانه صنم لا روح له ولا نظم اشنع من وضع الاخس موضع الاشرف وبين بقوله وتخلقون
افكا ان الذي تزعمونه من انها شفعاؤكم عند الله كذب وزور ثم ذكرهم انهم لا يقدرون على نفع ولا على ايصال رزق اي رزق كان ثم اشار بقوله
فابتغوا عند الله الرزق الى ان هذه الماهية اي الرزق الموعود في قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها يجب ان يطلب من الله فقط واذا كان الرزق
منه فالشكر يجب ان يكون له اليه ترجعون ان المعاقب والمثيب وحده فلا رهبة الا منه ولا رغبة الا فيه ثم ان قوله وان تكذبوا فقد كذب امم
من قبلكم الى قوله فما كان جواب قومه [illegible]
[illegible]

اولم يروا كيف

اولا ووده

اولا ووده في الاية لطايف منها انه قدم التعذيب على الرحمة مع قوله سبقت رحمتي غضبي لان الاية مسوقة لتهديد المكذبين ومع ذلك لم يخل الكلام عن
ذكر الرحمة وانه يؤكد قوله سبقت رحمتي غضبي ومنها انه لم يقل يعذب الكافر ويرحم المؤمن اظهارا للهيبة الالهية ومنها انه قال ولا اليه ترجعون ثم
اعاد ههنا لان التعذيب قد يكون عاجلا وكانه قال وان تاخر حكمكم ذلك فلا تظنوا تركه فان الينا ايابكم وعلينا حسابكم وعندنا يدخر ثوابكم
وعقابكم يؤيده قوله وما انتم بمعجزين الاية وفيه ان الانقلاب اليه لا منه وذلك لان الاعجاز اما بالهرب واما مع الثبات وقد نفى الاول بقوله
وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء اي لو هبطتم الى موضع السمك في الماء او صعدتم الى محل السماك في السماء لم تخرجوا من قبضة قدرة الله
وقدم الارض على السماء لان البعد والافسح اي ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة او في السماء التي هي افسح منها وابعد فانكم لا تفوتون الله او
المراد لا تعجزونه كيف ما هبطتم في اعماق الارض وعلوتم في البروج المشيدة الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او لا يعجزونه
الظاهر في الارض والنازل من السماء وجوز بعضهم ان يراد وما انتم بمعجزين من في الارض ولا في السماء بحذف الموصول واعترض الشوري على قوله وما انتم
بمعجزين في الارض لانه خطاب المؤمنين ونفي الثاني بقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لان الركن الشديد الذي يستند اليه اما ولي يشفع او ناصر يدفع
والاول اسهل الطريقين فلذلك قدم الولي على النصير ثم خص الوعيد بالكافرين بآيات الله اي بدلائل الوحدانية وبالكتب والمعجزات وفي زيادة قوله
اولئك اشارة الى ان اليأس من الرحمة منحصر فيهم لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهو نسبة اليأس اليهم اما على سبيل
الاخبار عن حالهم يوم القيامة او على سبيل وصف الحال فان وصف المؤمن ان يكون راجيا خائفا ووصف الكافر ان لا يخطر بباله خوف ولا رجاء
يكون خائفا كما قيل الخائن خائف وجوز في الكشاف ان يكون على طريق التشبيه لان اليأس من رحمة الله يتوقف على الاعتراف بالله وبرحمته والكافر
معترف بواحد من الامرين ثم بين بتكريره اولئك في قوله واولئك لهم عذاب اليم ان كل واحد من الوعيد لا يوجد الا فيهم وان كان الوعيدان متلازمين
زمان في الحقيقة ثم حكى ان جواب قوم ابراهيم لم يكن الا ان قالوا فيما بينهم او قال واحد ورضي به الباقون اقتلوه بالسيف ونحوه او حرقوه بالنار
وهذا ليس جوابا في الحقيقة ولكنه كقولهم عتابك السيف وفيه بيان جهالتهم انهم وضعوا الوعيد موضع الاثمار والنصيحة والاذعان للحق ثم بين انهم
على تجرئتهم نجاه من النار والقصة مذكورة في سورة الانبياء ان في ذلك الانجاء لآيات جمع الآيات لعظم تلك الحالة كقوله ان ابراهيم كان
امة او لانها مشتملة على احوال عجيبة كالرمي من المنجنيق من غير ان لحق به ضرر وكما يروى ان النار صارت عليه روضا وريحانا الى غير ذلك
وانما قال في قصة نوح وجعلناها آية ولم يذكر الجمع ههنا لان الخلاص من تلك النار من العقوق من الماء فلذلك ختم الآية هناك بجمع ههنا وانما قال
هناك آية للعالمين وههنا لآيات لقوم يؤمنون لان تلك السفينة بقيت اعواما حتى مر عليها الناس ومرورها فحصل العلم بها لكل واحد ويقول حين
السفينة حصلت بعد ذلك فيما بين الناس وكانت آية للعالمين واما تبرد النار فلم يبق من ذلك اثر فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان وههنا
لطيفة وهي ان الله تعالى جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم بسبب اجتهاده في نفسه وهدايته لغيره وقال قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم فحصل
للمؤمنين بشارة بان الله يجعل النار على المؤمنين المهتدين بردا وسلاما ثم حكى انه بعد ان خرج من النار عاد الى النصيحة والدعاء الى التوحيد
والاخلاص وذلك قوله وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة قال جار الله من قرأ بالنصب بغير اضافة او باضافة فعلى وجهين احدهما التعليل
لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاتفاقكم وائتلافكم على عبادتها كما تتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم من ذلك الوجه الثاني ان يكون مفعولا
ثانيا على حذف المضاف او على ان المصدر بمعنى المفعول اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم او اتخذتموها مودة بينكم وان يكون خبر مبتدا محذوف
اي هي مودة او سبب مودة وعلى هذا فالوقف على اوثانا حسن ثم يوم القيمة يتبين العبادة وكذا بينهم وبين اوثانهم التباغض والتلاعن
نظيره وكلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا والتحقيق فيه انهم غلبت عليهم الجسمية ولذاتها فلهذا اتخذوا الاصنام ولم تقبل عقولهم موجودا منزها
عن الاجسام وخواصها فلا جرم اذا ارتفعت الحجب وكشف الغطاء من عالم الارواح ثالث نسبة الجسمية وظهرت اقام الروحانية وعذبوا بنار الخسران
والحرمان من غير شفعاء ولا اعوان فلذلك قال وماواكم النار وما لكم من ناصرين وانما لم يقل ههنا وما لكم من دون الله من ولي لان الله لا يقبل الكفار من اهل
النار واما جمع الناصرين ههنا لانه اراد في الاول نفي جنس النصير وههنا اراد نفي الناصرين الذين كان اهل الشرك يزعمون انهم شفعاؤهم عند الله
فآمن له لوط وكان ابن اخيه ابراهيم صدقه حين راى النار لم تحرقه قالت العلماء ان لوطا آمن برسالة ابراهيم حين راى المعجزة وكذا لو
آمن حين سمع مقالته او لو توقف في الايمان بها الى وقت اظهار المعجزة كان نقصا في مرتبته وقد جاء في نوادر الاثر ان ابا بكر وعليا رضي الله
عنهما اسلما كما عرض النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام عليهما وقال ابراهيم اني مهاجر هاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين
ولهذا قال لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه في الهجرة امرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة وهاجر معه لوط ايضا ومعنى
الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه ومثله قوله اني ذاهب الى ربي وعبارة القرآن ادخل في الاخلاص لان المهاجر الى حيث امره الملك قد يهاجر
اليه مراعاة غرض نفسه فيصدق انه مهاجر الى حيث امره الملك ولا يصدق انه مهاجر لاجل الملك ولرضاه وفي قوله انه هو العزيز الحكيم نوع
تهديد لقومه وتصويب لما بدا له من الهجرة بامر الله قال في الكشاف انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا بما هو مصلحتي ثم ذكر
ما انعم به عليه من الاولاد والاخلاص والاحفاد ومن جعل النبوة وجنس الكتاب لا آلي فيهم وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان ولهذا ادرج ذكر اسمعيل
في الاخير لعل السر في عدم التصريح بذكره ان الله تعالى جعل الزمان بعد ابراهيم قسمين احدهما زمن اسحق ويعقوب وذراريهما الى زمان الفترة والآخر زمن
محمد صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة وهو من ولد اسمعيل عليه السلام وفي ذكر اسمعيل اشارة الى آخر زمان دولته والله اعلم ثم كرر ذكر النعمة بقوله
وآتيناه اجره في الدنيا قال اهل التحقيق ان الله تعالى بدل جميع احوال ابراهيم باضداده اراد القوم تعذيبه بالنار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وكان فريدا
وحيدا فوهب الله له ذرية طيبة مباركة كما وصفنا وكان ولا مال له فكثر ماله حتى حصل له من المواشي ما علم الله عدده فقط روي انه كان اثني
عشر الف كلب حارسا في اعناقها اجراس من ذهب وكان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فجعل الله له لسان صدق
في الآخرين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ثم بين بقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين اي تلك النعمة الدنيوية ولذاتها
مقرونة بفلاح الآخرة وصلاحها جعلنا الله تعالى ببركته اهلا لبعض ذلك وهو المستعان قوله ثم لوطا اذ قال اعرابه كاعراب قوله وابراهيم اذ قال قومه
والظاهر ان لوطا كان قدام قومه بالتوحيد والعبادة اولا ثم نهاهم عن الفاحشة ثانيا الا ان الله تعالى قد حكى عنه ما اختص به وهو قوله انكم
لتأتون الفاحشة ويحتمل ان يكونوا موحدين الا انهم بسبب الاصرار على الفعلة الشنعاء وتحليلها مع وجود النبي عليه السلام الناهي عنها صاروا في حكم الكفرة
واذا كان الزنا فاحشة كما قال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة مع ان الزنا لا يفضي الى قطع النسل فاللواطة اولى بكونها فاحشة لتماديها في القبح ولا

اي انقطاع النسل ويعلم منه استقباحها اي الزاجر كالزنا بل ولي ويعلم منه افتقارها الى الزاجر بدليل استقامة والجارة على ابلهما ومعنى ما سبقكم انه لم يأت بمثل
هذا الفعل احد قبلهم اولم يشتهر به ولم يبالغ فيه احد وان ارتكبه بعضهم في الندرة كما يقال ان فلانا سبق البخلاء في البخل اليام في اللوم اذا زاد عليهم ومعنى تقطعون السبيل
بسوف الشهوة بالرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء ويجوز ان يكونوا قطاع الطريق والظاهر يشعر به وتأتون في ناديكم المنكر اي يضيعون الى قبح فعلكم قبح الاظهار
والنادي هو المجلس ما دام فيه الناس وعن عائشة رضي الله عنها كانوا يتجامعون وعن ابن عباس هو الحذف ومضغ العلك على الانار والتحسن في المزاح
والسخرية بمن مر بهم فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ولم يهدد وبحو القتل والتحريق كما في قصة ابراهيم لان ابراهيم كان يقدح في آلهتهم ويشتم
بتعديد نقائصهم يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فجعلوا جزاء وشر الجزاء واما لوط وكان ينكر عليهم فعلهم فهددوه بالاخراج او لا اخرجوا
آل لوط من قريتكم واقترحوا منه عذاب الله ثانيا ويجوز ان يكون على سبيل الاستهزاء والجرم قال رب انصرني على القوم المفسدين كانه آيس من توبتهم واتباعهم
وبان لن يلدوا الا فاجرا كفارا كما قال نوح ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ولعلهم كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها
وابتداع الفاحشة واقتداء من بعدهم والبشرى هي البشارة بالولد والنافلة اسحق ويعقوب والاضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف لانه بمعنى الاستقبال
او الحال القريب منه او الماضي ولان المقصود تصحيح ذلك لا يوصف الملائكة يطلق الاهلاك والقرية سدوم ثم عللوا الاهلاك بان الظلم قد استمر وانهم بناء على
ان كان للثبوت والاستمرار ويحتمل ان يكون للزمان الماضي فان هذا القدر يكفي للتعليل والزايد عليه لا يحتاج الملائكة الى تقريره بخلاف ما في قصة نوح فاخذهم
الطوفان وهم ظالمون فان ذلك اخبار من الله والحسن من الكريم ان يعاقب على الجرم السابق الا بعد تحقق الاصرار والاستمرار قال بعضهم ان تعلق البشرى
بهذا الانذار هو انه كان في اهلاك قوم لوط خلاء الارض من العباد فقدمت البشارة المذكورة المتضمنة لوجود العباد الصالحين حتى لو يتأسف على اهلاك قوم من
جنسه ثم ان ابراهيم صلوات الله عليه لما سمع انذار الملائكة اظهر الاشفاق على لوط وتحزن له قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها واخبروا بحاله وحال قومه
ومعنى من الغابرين من الماضين ذكرهم او ممن يمضي زمانه ومعنى او من الباقين في المهلكين وسيء بهم وضاق بهم ذرعا قد مر في هود وقال بعضهم يحتمل
ان يكون ضيق الذرع عبارة عن انقباض الروح فعند ذلك اعضاء الانسان ويقل مساحتها فقالت الملائكة لا تخف علينا ولا تحزن بسبب التكم
في ابرنا قال اهل البرهان وانما قيل ههنا لما ان جاءت بزيادة ان لما يقتضي جوابا واذا اتصل به ازدل على ان الجواب وقع في الحال من غير
تراخ في الظاهر كما في هذه السورة وهو قوله سيء بهم وفي هود اتصل به كلام بعد كلام فطال فلم يحسن دخول ان ظاهرا مع ان القصة واحدة
ثم ان الملائكة قالوا للوط انا منجوك بلفظ اسم الفاعل وقالوا لابراهيم لننجينه بلفظ الفعل لان ذلك ابتداء الوعد وهذا اذا انجاه فارادوا ان ذلك
الوعد حتم واقع منا كقولك انا ميت لضرورة وجوده والرجز العذاب الذي تزعج صاحبه في القلق والاضطراب من قولهم ان تجزوا زجرا اذا اضطرب
والمراد الحجارة وقيل النار وقيل الخسف وعلى هذا يراد ان الامر بالخسف والقضاء من السماء لقد تركنا منها اي من القرية آية بينة هي آثار منازلهم
الخربة وبقية الحجارة او الماء الاسود وقصتهم وخبرهم وقوله لقوم يتعلق بتركنا او بينة والزيادة وله فيه قال لقوم يعقلون بخلاف قوله في قصة نوح
وجعلناها آية للعالمين لان الآية لا يتبين الا لذوي العقول وليس كل من في العلم فيهم تحمل ثم اجمل سائر القصص والرجاء اما على اصله او بمعنى الخوف وعلى
الاول قال جار الله اراد فعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراطه بما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر
بالصلوة مشتملا على ارادة الشرط وهو الاسلام فكذبوه انما صح اطلاق التكذيب مع ان ما ذكره شعيب امر ونهي والامر لكونه طلبا لا يحتمل التصديق و
التكذيب وكذا النهي لان قول شعيب يتضمن قول الله والحشر كائن والفساد محرم وكان كل واحد من هذه خبر ومعنى الرجفة والصيحة قد مر في الاعراف
وفي هود وكذا انه قال مع الرجفة في دارهم على التوحيد ومع الصيحة في ديارهم على الجمع واهلكنا عادا وثمودا وقد تبين لكم ذلك الاهلاك من
جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكانوا مستبصرين اي عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال وكانوا عارفين باخبار الرسل ان العذاب
نازل بهم ولكنهم لم ينظروا في الدليل ولجوا حتى هلكوا وما كانوا سابقين اي ولم امر الله فلم يفوتوه ثم فرادهم للمذنبين اجمالا يفيد انهم عذبوا بالعناصر
الاربعة فجعل ما منه تركيبهم سببا لعدمهم وما منه بقاؤهم سببا لفنائهم فالحاصب حجارة محماة تقع على كل واحد منهم فينفذ من الجانب الآخر وهو اشارة
الى المعذب بعنصر النار وانه لقوم لوط والصيحة وهي تموج شديد في الهواء لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون وما
كان الله ليظلمهم بالاهلاك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاشراك وقال اهل العرفان وما كان الله ليضعهم في غير موضعهم فان موضعهم الكرامة ولكنهم
وضعوا انفسهم مع شرفها في عبادة الوثن الذي هو في غاية الخسة فلذلك ضرب لهم المثل بالعنكبوت ونسجه الذي هو عند الناس في نهاية الوهن
والضعف فان كان تشبيها مركبا فظاهر وان كان مفرقا فالمشرك كالعنكبوت واتخاذه الصنم معبودا وملجأ كاتخاذ العنكبوت نسجه بيتا
وانه يصير سببا لهلاكه ولينتصف البيت منه كعابد الوثن في النار بسبب عبادة وفيه ان العنكبوت كما انه يصاد بسبب نسجه الذباب ولكنه انما
له ولا شيء بادنى سبب كذلك الكافر يستفيد بشركه قليلا قليلا من حطام بعوضة وهو بعض متاع الدنيا ولكنه كعلمه بصير اخراما هباء منثورا ثم
عرض على العقول صحة المثل المضروب قائلا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لانه لا يصلح للبقاء ولا الاسكان والنسج في نفسه يمكن
ان ينتفع به ولكن اتخاذ النسج بيتا لا شك انه غير مفيد بل مضر كما ان عبادة الصنم ثم قال لو كانوا يعلمون فحذف الجواب ليذهب الوهم
كل مذهب اي لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وامر دينهم لتابوا وندموا ولو كانوا يعلمون صحة هذا التشبيه وقد صح ان اوهن البيوت اذا استقرى بيتا
بيتا بيت البيوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان اذا استقرى دينا دينا وصاحب الكشاف على هذا الشرط بما قبله وليس كذلك وقد عرفي الوقوف

ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق السموات والارض
بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين اتل ما اوحي اليك من الكتاب
واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون

ولا تجادلوا

ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا
بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء
من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله
من كتاب بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون
وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا
نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان
في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك
هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم
العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشيهم العذاب من
فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادي الذين
آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة
الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة
غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل
من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم
لا يعقلون وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما
آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا

ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى
للكافرين ۝ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ۝

القراآت يدعون بالغيبة ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير الاعشى والبرجمي الباقون بتاء الخطاب آية على التوحيد ابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل حمزة وعلي غير قتيبة وخلف لنفسه ويقول بالياء نافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون يا عبادي الذين بسكون الياء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بفتح الياء والوقف للجميع الاعراض بفتح الياء وابن عامر يرجعون بضم الياء التحتانية وفتح الجيم يحيى وحماد ترجعون بفتح التاء الفوقانية وكسر الجيم الباقون بضم التاء الفوقانية وفتح الجيم لنبوئنهم بسكون الثاء المثلثة حمزة وعلي وخلف الآخرون بفتح الباء الموحدة وتشديد الواو وليتمتعوا بسكون اللام ابن كثير وقالون وحمزة وعلي وخلف سبلنا بسكون الباء ابو عمرو الوقوف من شيء ط الحكيم ه للناس ج لاختلاف الجملتين والعدول عن العدول الى الخصوص العالمون ه بالحق ط للمؤمنين ه الصلوة ط والمنكر ط اكبر ط ما يصنعون الجزء الحادي والعشرون والثلث الباقي من القرآن مسلمون ه اليك الكتاب ط يؤمنون به ج فصلا بين حال الفريقين مع اتفاق الجملتين يؤمن به ط الكافرون ه المبطلون ه العلم ط الظالمون ه من ربه ط عند الله ط مبين ه عليهم ط يؤمنون ه شهيدا ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا والارض ط بالله لان ما بعده خبر الخاسرون ه العذاب ط لا يشعرون ه بالعذاب ط بالكافرين ه لا لان يوم ظرف المحيطة تعملون ه فاعبدون ه ترجعون ه خالدين فيها ط العاملين ق بناء على ان التقدير الذي اذ اعني الذين يتوكلون ه رزقها قف قد قيل والوصل اولى ليكون حالا متمما لمعنى العليم ليقولن الله ط للاستفهام مع الفاء يؤفكون ه ويقدر له عليم ه ليقولن الله ط الحمد لله ط لتمام المقول لا يعقلون ه ولعب ط الحيوان ط لان الشرط غير متعلق يعلمون ه الدين ط يشركون لتعلق لام كي ومن جعلها لام امر تهديد وقف عليه آتيناهم لمن قرأ وليتمتعوا بالجزم على الاستئناف الامر ومن جعل لام ليكفر واللام عطف عليها فلم يقف وليتمتعوا بالاستئناف التهديد يعلمون ه من حولهم ط يكفرون ه جاءه ط للكافرين ه سبلنا ط المحسنين ه التفسير هذا توكيد للمثل المذكور وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا على هذا التقدير كون ما نافية ومن زائدة ويجوز ان يكون استفهاما منصوبا بيدعون او بمعنى الذين وهو للتبيين والمراد ما يدعون من دونه من شيء فانه يعلمه وهو العزيز الحكيم قادرا على اعدائه واهلاكهم لكنه حكيم مهلهم ليكون الهلاك عن بينة ويحيى عن بينة وفيه ايضا تجهيل لهم حيث عبدوا ما هو اقل من لا شيء او تركوا عبادة القاهر القادر الحكيم ثم ان الجهلة من قريش كانوا يستهزئون من ضرب المثل الذباب والعنكبوت ونحوهما فنزلت وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وذلك ان الامثال والتشبيهات وسائل الى المعاني المحتجبة في الارشاد وكما سبق في اول البقرة وحين ضرب المثل بالبعوضة قال الحكيم العليم الحدسي يعرفه العاقل واما اذا كان فكريا وقياسا لا يعقله الا العالم لافتقاره الى مقدمات سابقة والمثل يفتقر في ادراك صحته وحسن موقعه الى امور سابقة ولاحقة يعرف بها مناسب مورده ومضربه وفائدة ايراده فلا يعقل صحتها الا العلماء وحين امر الخلق بالايمان واظهر الحق بالبرهان وقص قصصها عبروا انذارا اهل الكفر بالهلاك من غير وصف سبيل اهل الاباطيل بالتمثيل قوي قلوب اهل الايمان بان كفرهم ينبغي ان لا يورث شكا في صحة دينكم وشكهم يجب ان لا يورث في ريبتكم ففي خلق السموات والارض بالحق بيان ظاهر وبرهان باهر وان لم يؤمن به على وجه الارض كافر وانما قال ههنا الآية للمؤمنين مع قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لآيات لقوم يعقلون لان المؤمن لا يقتصر ونظره من الخلق على معرفة الخالق فحسب ولكنه ما يرتقي منه الى نعوت الكمال والجلال فيعرف انه خلقهما متقنا محكما وهو المراد بقوله بالحق والحق المتقن المحكم لا يصدر الا عن العالم بالكليات والجزئيات والا عن الواجب الواحد الذات والصفات كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ثم يرتقي من مجموع هذه المقدمات الى صحة الرسالة وحقيقة المعاد ويحصل له الايمان بتمامه من خلق ما خلقه على احسن فطانة وانما وحد الآية ههنا لانه اشارة الى التوحيد وهو سبحانه واحد لا شريك له وفي قصة ابراهيم اشارة الى النبوة وفي النبيين صلوات الله عليهم كثرة وحيث قوى طلب المؤمنين بالتخصيص المذكور سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله اتل ما اوحي اليك من الكتاب لتعلم ان لوطا ونوحا وغيرهما بلغوا الرسالة وبالغوا في اقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة والجهالة ولهذا قال اتل وقد قيل اتل عليهم لان التلاوة بعد اليأس منهم ما كانت الا تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم او يقول ان الكتاب الالهي قانون كلي فيه شفاء للصدور فتحت تلاوته مرة بعد اخرى ليبلغ الى حد التواتر وينقله قرن الى قرن ويأخذه قوم من قوم الى يوم النشور وايضا فيه من العبر والمواعظ ما يهش لها الاسماع وتطمئن اليها القلوب كالمسك يفرح نفحة فنفحة وكالروض يستلذ النظر ساعة فساعة وفي الجمع بين الامرين التلاوة واقامة الصلوة معنيان احدهما زيادة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل له اذا لم يقبل منك فاقبل على الصلوات لانك واسطة بين الطرفين فان لم يتصل الطرف الاول وهو من الخالق الى المخلوق فليتصل الطرف الآخر وهو المخلوق الى الخالق والثاني ان العبادات اما اعتقادية وهي لا تتكرر بل يبقى مستمرا عليها واما لسانية وبدنية خارجية وافضلها الصلوة فامر بتكرار الذكر والصلوة حيازة للفضيلتين ثم علل الامر باقامة الصلوة فقال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقال بعض المفسرين اراد بالصلوة القرآن وفيه النهي عنهما وهو بعيد وقيل اراد نفس الصلوة وانما تنهى عنهما ما دام العبد في الصلوة وضعف بانه ليس مدحا كاملا لان غيرها كالامر من الاعمال الفاضلة والمباحة قد يكون كذلك كالنوم وغيره والذي عليه المحققون ان الصلوة لطف في ترك المعاصي وكانها ناهية عنها وذلك اذا كانت الشروط من الخشوع وغيره مرعية فقد روى عن ابن عباس من لم تأمره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزدد بصلوته من الله الا بعدا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فالمراعي لاوقات الصلوة لا بد ان يكون ابعد من القبائح واللفظ لا يقتضي الا هذا القدر كيف لا ونحن نرى ان من لبس ثوبا فاخرا فانه يجتنب مباشرة القاذورات فمن لبس لباس التقوى كيف لا يجتنب الفواحش وايضا الصلوة توجب القرب من الله تعالى كما قال واسجد واقترب والملك المجازي يحمل منصبه ان يتعاطى الاشغال الخسيسة فكيف يكون مقرب الملك الحقيقي وايضا من دخل في خدمة ملك فاعطاه منصبا له مقام خاص يرتفع به فادخل وجلس في صف النعال ثم يتركه الملك هناك فاذا صار العبد برعاية شروط الصلوة وحقوقها من اصحاب اليمين فكيف يتركه الله الكريم في اصحاب الشمال وتفسير الفحشاء والمنكر مذكور مرارا وقال اهل التحقيق

الفحشاء التعطيل وهو انكار وجود الصانع والمنكر الاشراك وهو اثبات اله غير الله وذلك ان وجود الواجب الواحد اظهر من الشمس وانكار الظاهر منكر ظاهر واعلم ان هيئة الصلوة لها هيئة قاد لها وقوف بين يدي الله كوقوف العبيد بين يدي السلطان واخرها جثو بين يدي احد كجثو اهل الاخلاص بين يدي السلطان واذا جثا في الدنيا لم يجث من الآخرة كما قال ونذر الظالمين فيها جثيا فالمصلي اذا قال الله نفي التعطيل واذا قال قبل نفي الاشراك لان الرحمن هو المعطي للموجود بالخلق والرحيم هو المفيض للبقاء بالرزق وكذا قوله الحمد لله خلاف التعطيل وقوله رب العالمين خلاف التشريك وفي قوله اياك نعبد نفي التعطيل والاشراك من حيث افادة التقديم والاختصاص بالعبادة وكذا قوله اياك نستعين وفي قوله اهدنا الصراط لان المعطل لا مقصود له وفي قوله المستقيم نفي الاشراك لان المستقيم اقرب الطرق وهو واحد والمشرك يريد في الطرق بتحصيل الوسائط وعلى هذا الى الله وآخرها السلام ثم ان الله تعالى كانه قال للعبد انت اذا وصلت الى هذه المنزلة الرفيعة بهداية محمد صلى الله عليه وسلم فقل بعد ذكري اشهد ان محمدا رسول الله واذكر احسانه بالصلوة عليه ثم اذا رجعت من معراجك فانتهيت الى اخوانك فسلم عليهم وبلغهم سلامي كما هو دأب المسافرين ولذكر الله اي الصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وفي تسمية الصلوة بالذكر اشارة الى ان شرف الصلوة بالذكر وجوز في الكشاف ان يراد ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر وكان اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بالطاعة والله يعلم ما تصنعون من الاعمال فيثيبكم او يعاقبكم على حسب ذلك وحين بين طريقة ارشاد المسلمين ونفع من انتفع واليأس ممن امتنع اراد ان يبين طريقة ارشاد اهل الكتاب وهي مجادلتهم بالخصلة التي هي احسن اعني مقابلة الخشونة باللين والغضب بالحلم والعجلة بالتأني قال بعض المفسرين اراد لا تجادلوهم بالسيف وان لم يؤمنوا الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة او منعوا الجزية وقيل الا الذين اشركوا منهم باثبات الولد وقالوا ثالث ثلثة وقيل الا الذين آذوا رسول الله والتحقيق ان اكثر اهل الكتاب جادلوا بالحسنى الا الاعتراف بمحمد صلى الله عليه وسلم فوحدوا وآمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والمبدأ والمعاد فلمقابلة احسانهم تجادلون ولا بالاحسن ولا تستهجن آراؤهم ولا تنسب الى الضلال آباؤهم بل يقال لهم آمنا بالذي انزل الينا الى آخر الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم ثم ذكر دليلا قياسيا فقال كذلك يعني انزلنا على من قبلك انزلنا عليك وقال جار الله من تحقيق لقوله آمنا بالله الذي انزل الينا اي ومثل ذلك الانزال انزلنا ومعنه فالسائر الكتب السماوي والذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله ابن سلام واضرابه ومن هؤلاء اي من اهل مكة او الاولون هم الاقدمون من اهل الكتاب والآخرون هم المعاصرون منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل الاولون هم الانبياء ان كلهم آمنوا بكلهم ومن هؤلاء اهل الكتاب وما يجحد باياتنا مع وضوحها الا المتمردون على الكفر المتوغلون فيه ككعب الاشرف واعلم ان المجادل اذا ذكر مسئلة خلافية كقوله الزكوة تجب في مال الصغير فاذا قيل له لم قال كما يجب النفقة في ماله ولا يذكر الجامع بينهما من نفسه فذلك لانه ان قيل له ان كليهما مال فضل عن الحاجة فانه يذكر اولا التمسك بقوله وكذلك انزلنا اليهم ثم ذكر الجامع بقوله وما كنت تتلو الآية وفي قوله بيمينك زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا ومعنى اذا لارتاب لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط المبطلون من اهل الكتاب وارباب الدعوى من شأنهم الركون الى الاباطيل لان النبي اذا كان قارئا كاتبا امكن ان يسبق الى الوهم ان الكلام كلامه لا كلام الله واذا كان اميا فلا مجال لهذا الوهم والمراد ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم لكان معجزتهم مضبوطة انه قاري كانت ليس صاحب الآيات والمعجزات فاذن هم مبطلون على كل حال ثم اكد ابطاله ريبهم بقوله بل هو يعني القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وهم الحفاظ والقراء وسائر الكتب السماوية كانت لا تقرأ الا من القراطيس ولهذا جاء في نعت هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد باياتنا الباهرة النبوة الا المتوغلون في الظلم سماهم اولا كافرين لاجل الجحد والجحود ثم بعد بيان المعجزة سماهم ظالمين لان الكفر اذا انضم معه الظلم كان اشنع ويجوز ان يراد بالظلم الشرك كانهم يغلوهم في الجحود الحقوا باهل الشرك حكما وحقيقة ولما بين الدليل من جانب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شبهتهم وهي الفرق بين المقيس عليه وذلك ان موسى اوتي تسع آيات علم بها ان الكتاب من عند الله وانت ما اوتيت شيئا منها فارشد الله نبيه الى الجواب وهو ان يقول انما الآيات عند الله وهو انه ليس من شرط الرسالة اظهار المعجزة وانما المعجزة بعد التوقف في الرسالة ولهذا علم وجود رسل كشيث وادريس وشعيب ولم يعلم لهم معجزة وكان في بني اسرائيل انبياء لم يعرف نبوتهم الا بقول موسى او غيره فليس على النبي الا الانذار واما انزال الآية فالى رحمة الله اذا شاء انزلها يخلص القوم من تصديق المتنبي وتكذيب النبي ثم قال او لم يكفهم الآية والمعنى هو ان انزال الآية شرط اليس القرآن المتلو الذي اخرس شقاشق فصحائهم كافيا في بيان الاعجاز ان في ذلك المتلو على وجه الدهر الرحمة من الله على الخلق ولا شبهة اليهم النبي المتنبي وذكرى ليتعظ بها الناس باقي الزمان وانما كانت هذه الرحمة والتذكرة مختصة بالمؤمنين لان المعجزة للكافرين سبب لمزيد الانكار المستلزم لالزام الحجة والخلود في النار ثم ختم الدلائل بان امر نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام منصف وهو قوله كفى بالله شهيدا بيني وبينكم شهيدا وقال في آخر سورة الرعد قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب واقتصر على شهادة الله كافة بقوله يعلم ما في السموات والارض ثم هددهم بقوله والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله وهما متلازمان لان الايمان بما سوى الله وهو الباطل الهالك الزائل الزاهق كفر بالله وجحود لحقه اولئك هم الخاسرون لا يستحق لهذا الاسم في الحقيقة غيرهم اذ لا غبن اقبح من اشتراء الباطل بالحق والكفر بالايمان واضاعة العمر في عبادة ما لا ينفعهم ولا يضرهم قيل ان ناسا من المسلمين اقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم ان يرغبوا عما جاء هم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فقال نزلت اولم يكفهم الآية وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد بانك رسول الله فنزلت قل كفى الآية فعلى هذا الآية نازلة في المشركين وعلى الاول في اول اهل الكتاب قالوا هم الذين صح عندهم معجزة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قطعوا بانها ليست من عند الله بل من تلقاء محمد صلى الله عليه وسلم فلزمهم ان يقولوا ان محمدا هو الله فيكون ايمانا بالباطل وكفرا بالله قلت ولعل وجه التناول هو انهم آمنوا بالمحرف من التورية وعبدوا العجل والله اعلم ثم ان نضر بن الحارث وغيره من كفار قريش كانوا يستعجلون بالعذاب كما هو استهزاء منهم وتكذيبا فنزل يستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى هو الموت او يوم بدر او ما كتب في اللوح لا يعذب هذه الامة عذاب الاستيصال الى يوم القيمة قوله وهم لا يشعرون تأكيد لمفسه او هو كلام مستقل اي انهم لا يشعرون هذا الامر ويظنون ان العذاب لا يأتيهم اصلا ثم كرر قوله يستعجلونك بالعذاب تعجبا منهم فان من توعد بامر يسير او كلمة يحتمل ان يظهر من نفسه الجلادة ويقول هات يا عبدك واما الذي توعد باحراق ونحوه فكيف يتجلد ويستعجل خصوصا اذا كان الوعد لا يخلف الميعاد ويقدر على كل ما اراد وقوله لمحيطة يعني الاستقبال اي ستحيط بهم يوم كذا ويجوز ان يكون بمعنى الحال حقيقة لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم في الدنيا او مجازا لان جهنم مآلهم وكم منهم

فكأنها الساعة محيطة بهم والظرف على الوجهين منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كيت وكيت وانما خص الغشيان بالفوق
والتحت دون باقي الجهات لان نار جهنم بذلك يتميز عن نار الدنيا لا ينزل من فوق ولا يؤثر شعلها من تحت بل تطفئ الشعلة تحت القدم
وانما لم يقل ومن تحتهم كما قال من فوقهم لان نزول النار من فوق عجيب سواء كان من سمت الرأس او من موضع آخر اما الاشتعال من تحت فليس بعجب
الا حيث يحاذي الرجل وقد يجوز ان يكون زيادة والارجل تصويرا لوقوعهم في النار ويقول ذوقوا ما كنتم اي جزاء ما كنتم تعملونه اراد انه وحين
ذكر حال الكفرة من اهل الكتاب ومن المشركين وجمعهم في الانذار وجعلهم من اهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في ايذاء المؤمنين ومنعهم
في عبادة الله تعالى فقال يا عبادي فان كان الاضافة للتشريف كقوله عينا يشرب بها عباد الله في بلد على وجه الاخلاص فليهاجر الى بلد
يكون فيه افرغ بالا واوفع حالا واقل عوائق نفسانية واكمل دواعي روحانية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض
وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد واعلم اني عند الوصول الى تفسير هذه السورة عن ان يبقى من غير اختيار
كلي فاقول متضرعا الى الله الكريم ومستمدا من اعجاز الفرقان العظيم اللهم ان كنت تعلم ان هذا السفر مقرون بشيء من رضاك فان كل لا يكفي
ان اوعيه فاجعله سببا لنجح المقاصد وحصول المآرب والاشتمال على الفوائد الدنيوية والخلاص من شماتة الاعداء الدينية حتى افرغ لتفسير العلوم
الشرعية انك على ما تشاء قدير وبالاسعاف جدير والاجابة والفاء في قوله فاياي للدلالة على انه جواب الشرط كانه قال اذا كان لا مانع من
عبادتي فاعبدوني ثم اريد معنى الاختصاص والاخلاص فقدم المفعول على شرائط التفسير وجيء بالفاء الثانية للدلالة على ترتيب المقتضي
كما يقال هذا عالم فاكرموه وكما مر في قوله فاياي فارهبون فصار حاصل المعنى ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها والفائدة في الامر
بالعبادة بعد قوله الدال على العبودية اما المداومة اي اعبدوني في المستقبل والاخلاص في العبادة ويجوز ان يقال العبودية غير العبادة
فكم من عبد لا يطيع سيده ولما امر المؤمنين المهاجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان والخلان فقال كل نفس ذائقة الموت اي ان
الذي تكرهون لا بد من وقوعه فالاولى ان يكون في سبيل الله ثم الينا ترجعون فيثيبكم على ذلك وفيه ان كل نفس ذائقة الموت اضطرارا فمن اراد
ان لا يموت ابدا فليمت اختيارا فان اولياء الله لا يموتون بل ينتقلون من دار الى دار ثم بين ان للمؤمنين الجنة في مقابلة ما للكافرين من النيران
فان في الجنة غرفا تجري من تحتهم الانهار في مقابلة ما يحيط بالكافرين من النار وبين ان ذلك اجر عملهم بقوله نعم اجر العاملين بازاء ما بين جزاء العمل
الكفار بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون وقوله لنبوئنهم من الجنة علالي ومن قرأ بالثاء المثلثة فمن الثواء يقال ثوى في المنزل لازما واثوى غيره متعديا
الى واحد فانتصاب غرفا اما بنزع الخافض واما لتضمين الاثواء معنى التبوئة او الانزال والصفة الظرف المؤقت بالمبهم ثم مدح الذين صبروا
على المكاره في الحال وعلى ربهم يتوكلون فيما يحتاجون اليه في الاستقبال وكل واحد من الصبر والتوكل يحتاج اليه المسافر والمقيم وكما ان المهاجر
يصبر على فراق الاوطان ويتوكل في سفره على الرحمن كما ان المتوطن يصبر على الاذيات والمحن ويتوكل في اموره على فضل ذي المنن والتوكل
صفتان لا يحصلان الا مع العلم بالله وبما سوى الله فمن علم انه باق لا يصبر عنه ولا يتوكل في الامور الا عليه ومن علم ان ما سواه فان هان عليه
الصبر عنه وعلم انه لا يصلح للاعتماد عليه ثم ذكر ما يعين على الصبر والتوكل وهو النظر في حالة الدواب وقال المفسرون لما امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة كان الرجل منهم يقول كيف اقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت وكاين من دابة
لا تحمل رزقها عن الحسن اي لا تدخره وقال غيره اي لا تطيق حمل رزقها الله يرزقها بايجاد غذائها وهدايتها اليه ثم تشبيه ذلك الغذاء بالمغتذي بحيث
قوي او دعها فيها وهيئناها كذلك واياكم بمثل ما قلنا وبزيادة الاهتداء الى وجوه المكاسب والمعاش وترتيب الملبس والمسكن وتهيئة الاقوات
وادخار الاموال وتملكها اختيارا وقهرا ومنه يعلم ان الاشتغال بترتيب بعض الوسائط وتدبيرها لا ينافي التوكل فقد يكون الزارع الحاصد متوكلا
والراكع الساجد غير متوكل عن ابي عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان والنملة والفارة والبعض يحكى الا انه خبائها ويحكى ان البلبل يخبئ في حقيقة
واذا كان اكثر الحيوان على صورة المتوكلين فالانسان العاقل العارف بالمبدأ والمعاد والعالم بوجوه المكاسب الذي ياتيه الرزق من جهات التجارة
والعمارة ونحوها كيف يتعلق على الطعام الزائل اشد حرص وهو السميع لدعاء طلبة الرزق العليم بطلباتهم ومقادير حاجاتهم ثم عجب نبيه التعجب
من حال المشركين من اهل مكة وغيرهم لم تعبدوا الله مخلصين مع علمهم بانه خالقهم ورازقهم فكيف يصرفون عن توحيد الله فان من علمت عظمته
وجبت خدمته ولا عظمة فوق عظمة خالق الذوات واليه اشار بخلق السموات والارض وموجد الصفات واليه الاشارة بتسخير الشمس والقمر
ولا حقارة فوق حقارة الجماد لانه دون النبات وهو دون الحيوان وهو دون الانسان وهو دون سكان السموات فكيف يتركون عبادة
اشرف الموجودات ويشتغلون بعبادة اخس المخلوقات وحين ذكر الخلق اتبعه ذكر الرزق وحكمة البسط والقبض في ذلك الباب
ومعنى هو يضيق فالضمير في له اما للشخص المعين المبسوط له والمراد ان يعاقب الامرين عليه بمشيئة الله واما المبهم غير معين فكان الضمير وضع
موضع من يشاء وفي قوله ان الله بكل شيء عليم اشارة الى انه عالم بمقادير الحاجات فاذا علم احتياج العبد الى الرزق اوصله اليه من غير تاخير
ان شاء ثم احتج على المشركين بوجه آخر وهو اعترافهم بان احياء الارض الميتة بواسطة تنزيل الماء من السماء وهو من الله ثم قال قل الحمد لله وهو
كلام مستقل على سبيل الاعتراض او هو متصل بما قبله كانه استحمد رسوله على البراءة من التناقض والشناعة خلاف اهل الشرك المعترفين بان النعمة
من الله ثم يتركون عبادته الى عبادة الصنم الذي لا يملك نفعا ولا ضرا وفيه ان العالم اذا لم يعمل بعلمه انخرط في سلك من لا عقل له ولهذا اعقبه بقوله
بل اكثرهم لا يعقلون وقال جار الله اي لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد ولا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله
ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم واعلم ان المشركين يعترفون بان الخلق والرزق من الله ولكن حب الدنيا وزينتها حملهم على موافقة اهل الكفر
والعناد وعلى الدين الباطل فصغر الله تعالى امر الدنيا وعظم امر الاخرة ليعلم ان رعاية جانب الاخرة اهم من رعاية صلاح الدنيا قال اهل العلم
الاقبال على الباطل لعب والاعراض عن الحق لهو والمشتغل بالدنيا كذلك ويمكن المشتغل بها لا على وجه الاستغراق بل على وجه تفرغ لبعض
امور الاخرة لاعب والمشغول بها بحيث يغني عن الاخرة لاه وحين كان الكلام في الانعام بعد ذكر الاخرة وما يجري فيها من الحيرة والحسرة قدم
اللعب هناك لان الاستغراق الكلي بالنسبة الى اهل الاخرة ابعد فاخر الابعد ولما كان المذكور ههنا من قبيل الدنيا ولهذا اشار اليها
بقوله وما هذه الحيوة الدنيا وقال في الانعام وما الحيوة وهي خداعة تدعو النفوس الى الاقبال عليها بالكلية فلا جرم قدم اللهو ويحتمل ان يقال
انه تعالى قدم اللعب على اللهو في موضعين من الانعام وكذلك في القتال ويقال لها سورة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديد قدم اللهو على اللعب
وفي الاعراف والعنكبوت فاللعب يتقدم في الاكثر لان اللعب زمانه الشباب وزمان الصبي يتقدم على زمان الشباب يبينه ما ذكر في الحديد

اعلموا ان الحيوة الدنيا لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الشبان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاخوان وتكاثر كتكاثر السلطان وقدم اللهو
في الاعراف لان ذلك في القيمة فذكر على ترتيب ما انقضى وبدا بما به الانسان انتهى من الجانبين واما هذه السورة فاراد فيها ذكر سرعة زمان
انقضاء الدنيا وان امتد بالنسبة الى زمان الاخرة فبدا بذكر ما هو الاكثر ليكون الى المقصود اقرب ثم ان الحال في سورة الانعام لما كانت
حال اظهار الحسرة لم يحتج المكلف الى وازع قوي فاقتصر على قوله والدار الاخرة خير ولما كان الحال ههنا الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع قوي
فقال وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي لا حيوة الا حيوة الاخرة وليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة بلا موت فكانها في ذاتها حيوة ولا يخفى
ما في التركيب من انواع المبالغة من جهتان ومن جهة صيغة الفصل ولام التوكيد وبناء الفعلان بتحريك العين وهو مصدر حي
عينه ياء ولامه واو ولو كان واوي العين لقيل حوي مثل قوي وقياسه حييان بيائين فقلبت الثانية واوا كما في حيوة في اسم رجل وان المبالغة ههنا
ازيد مما في الانعام قال ههنا لو كانوا يعلمون وهناك افلا تعقلون لان العلوم اكثر مقدمة من المعقول وقد مر في السورة ثم اشار بقوله فاذا ركبوا
في الفلك الى ان المانع من التوحيد هو الحيوة لانهم اذا انقطع رجاؤهم رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد والاخلاص فاذا نجاهم الى البر
عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا فكفروا واشركوا لاجلها ثم بين ان نعمة الانجاء يجب ان يقابل بالشكر لا بالكفر فقال او لم يروا الآية وقد مر مثله في
القصص ثم ذكر ان الذين سمعوا الذكر البينات المذكورة ولم يؤمنوا فلا اظلم منهم لان من وضع شيئا في غير موضعه فهو ظالم فمن وضع شيئا في
موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم فانهم جعلوا لله شريكا مع عدم امكان الشريك له فلا اظلم منهم وايضا من كذب صادقا يجوز
عليه الكذب كيف حاله وانهم كذبوا النبي والقرآن وفي قوله لما جاءه اشارة الى انهم لم يتاملوا في الكذب وقت ان سمعوه ولم يستعملوا
التقدير والتفكر فيما يجب ان يستعمل فيه التاني والتثبت وهذا ايضا نوع من الظلم وفي قوله معنيان بعد كون الاستفهام للتقرير فان اريد نفي الحال فمعناه
المصحح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا على سبيل الجزاء وان اريد على الاستقبال فالمراد ايثوبون في جهنم وهذا فروا على
وكذبوا بالحق وقيل هو من الكلام المنصف كانه عدم مقدر على انه لا اظلم من المفتري وهو المتنبي ومن الذي كذب النبي ثم ذكر ان جهنم مقام الكافرين سواء
كان هو المتنبي او المكذب للنبي فهو كقوله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ثم ختم السورة باية جامعة فيها تثبيت قلوب المؤمنين والمراد
ان من جاهد النفس او الشيطان او الجن او الانس فينا اي في حقنا ومن اجل رضانا خالصا لنهدينهم سبلنا سبل الجنة او سبل الخير باعطاء مزيد الالطاف
والتوفيق وقيل الذين جاهدوا فيما علموا ولم يقتصروا في العمل به لنهدينهم الى ما لم يعلموا وهو قريب من قول الحكيم ان النظر في المقدمات يعد النفس
لقبول الفيض وهو النتيجة من واهب الصور الجسمانية والعقلية وقوله وان الله لمع المحسنين اي بالنصر والاعانة اشارة الى مرتبة اعلى من
الاستدلال وهو العلم اللدني فكانه اشار في خاتمة السورة الى الفرق الثلث فاشار الى الناقصين بقوله ومن اظلم وذلك انهم تحرفوا الاستعداد
في غير ما خلق لاجله والى المتوسطين الذين يحصلون العلم بالكد بقوله والذين جاهدوا والى اصحاب الحدس وصفاء الضمير بقوله وان الله لمع المحسنين
والله اعلم بمراده وما يعقلها الا العالمون بالله لان عقولهم مؤيدة بابواب العلم اللدني ان في ذلك لاية للمؤمنين الذين ينظرون
بنور الله فان النور لا يرى الا بالنور اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة فيه ان التلاوة والعمل به يجب ان يتقارنا حتى يتخلق بخلق القرآن ويحصل
الانتهاء عن الفحشاء وهي طلب الدنيا والمنكر وهو الالتفات الى غير الله فان لم تكن الصلوة متصفة بذلك ففي كل صلوة ولذكر الله والامالة عرض
القلب اكبر من تلاوة القرآن واقامة الصلوة لان القلب لا يطمئن الا بذكر الله وعند الاطمئنان يوجد سلامة القلب فالذكر له خاصية الاكسير في جعل
الابريز ذهبا خالصا والله يعلم ما يصنعون من استعمال مفتاح الشريعة وآداب الطريقة لفتح ابواب طلسم الوجود المجازي والوصول الى الكنز المخفي
فلا تجادلوا ارباب القلوب اهل العلم الظاهر الا بطريق الانصاف والرفق الا الذين ظلموا بمزيد الانكار والعناد فحينئذ اذ لا يرجى منهم قبول الحق فلا جدال
لا تخلوا بينهم وبين باطلهم وقولوا آمنا بما انزل الينا من العلوم الباطنة وانزل اليكم من العلوم الظاهرة وكذلك اي كما انزلنا الدلائل والبراهين
العقلية على اهل الظاهر انزلنا عليكم الكشوف والمعاني والذين آتيناهم الكتاب وهم ارباب القلوب يصدقون به ومن هؤلاء العلماء الظاهرين
من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الذين يشترون الحق بالباطل وما كنت تتلو فيه ان القلب اذا كان خاليا عن النقوش الفاسدة كان اقبل للعلوم اللدنية
كقلب النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يعني ان قلوب الخواص خزائن الغيب سال موسى
عليه السلام الهي اين اطلبك فقال انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم اشار بقوله وما يجحد الى ان الحرمان من الرؤية من خصوصية الذين ولهذا قالوا لولا
انزل عليه آية وذلك لعمى عيون قلوبهم ثم اشار الى ظلومية الانسان وجهوليته بانه يستعجل بالعذاب مع عدم صبره عليه وان جهنم الحرص وغيره
من الاخلاق الذميمة لمحيطة بهم من فوقهم وهو الكبر والغضب ومن تحت ارجلهم وهو الحرص والشره والشهوة وهم لا يشعرون انهم نائمون فاذا ماتوا انتبهوا
يا عبادي ان ارض حضرة جلالي واسعة فهاجروا بالخروج من وجودكم الى سرادقات هويتي كل نفس ذائقة الموت بالاضطرار فارجعوا الينا بالاختيار لنبوئنهم
من جنة الوصال غرفا من المعارف تجري من تحتها انهار الحكمة الذين صبروا في البداية على حبس النفس بالفطام عن المرام وفي الوسط على تجرع القلب
كاسات التقدير من غير تغيير وفي النهاية صبروا على بذل الروح لنيل الفتوح وكاين من دابة شخص كالدابة لا تحمل النظر عن رزقها لضعف نفسها من التوكل
الله يرزقها واياكم ايها الطالبون للمشاهدات والمكاشفات ليقولن الله لان كلهم قالوا في الازل بلى عند خطاب الست بربكم والفرق اثبات للشرك
ونفيه وذلك لعدم اصابة النور المرشش واصابته ودليله قوله الله يبسط الرزق باصابة النور ويقدر باخطائه ان الله عليم باستحقاق كل فريق من
نزل من سماء الروحانية ماء الايمان فاحيى به ارض القلوب لهي الحيوان لان جميع اجزائها حي فقد ورد في الحديث ان الجنة وما فيها من الاشجار والاثمار
حتى ترابها وحصباءها كلها حي قلت ولعل ذلك لبقاء كل منها على حاله الاخير ثم بين بقوله فاذا ركبوا ان اخلاص المؤمن ثابت واخلاص الكافر
مضطرب ثم بين ان حرم القلب امن وما حوله من صفات النفس الظلل وشبهاتها مظنة تصرف الشيطان فمن افترى على الله بان لا يكون له مع الله وقت
وحال ويظهر ذلك من نفسه او كذب طريقة اهل الحق جاهدوا فينا يخرج منه مجاهدة الرهابين والفلاسفة والبراهمة ونحوهم انهم مراءون رياء وكسلا

سورة الروم مكية حروفها ثلثة الاف وخمسمائة واربع وثلثون كلمها الف وثمانمائة وسبعة عشر آياتها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل

ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ۝ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ۝ أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق
الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم
لكافرون ۝ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ۝ ثم كان عاقبة الذين أساؤا
السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ۝ الله يبدؤا الخلق ثم
يعيده ثم إليه ترجعون ۝ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ۝ ولم يكن
لهم من شركائهم شفعاؤا وكانوا بشركائهم كافرين ۝ ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون ۝ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون ۝
وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون ۝
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ۝ وله الحمد في السموات والأرض وعشيا
وحين تظهرون ۝ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها
وكذلك تخرجون ۝ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ۝
ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون ۝ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف
ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ۝ ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ۝ ومن آياته يريكم البرق
خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون
ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ۝
وله من في السموات والأرض كل له قانتون ۝ وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده
وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ۝
ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء
تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ۝ بل اتبع الذين

ظلموا

ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين ۝ فأقم وجهك
للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن
أكثر الناس لا يعلمون ۝ منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين
من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ۝

القراءات عاقبة بالنصب ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون بالرفع السوأى بالإمالة أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وحماد
يرجعون على الغيبة أبو عمرو وغير عباس وأوقية وسهل ويحيى وحماد تخرجون بفتح التاء وضم الراء حمزة وعلي وخلف الباقون بضمها للعالمين
بكسر اللام حفص ليفصل على الغيبة عباس الآخرون بالنون الوقوف الم ك في غلبت الروم لا سيغلبون لا سنين ط ومن بعد ط
المؤمنون لا بنصر الله ط وكلاهما مبني على أن قوله بنصر الله يتعلق بيفرح ينصر من يشاء ط الرحيم ه وعد الله ط لا يعلمون ه الدنيا ج لعطف الجملتين
المختلفتين والوصل أولى غافلون ه في أنفسهم فصل على الحذف أي فيعلمون ذلك أو فيقولوا هذا القول مسمى ط لكافرون ه من قبلهم ط بالبينات ط لأن
ثم لترتيب الأخبار يستهزؤن ه يرجعون ه المجرمون ه والوصل جائز كافرين ه يتفرقون ه يحبرون ه محضرون ه تصبحون ه تظهرون ه بعد موتها ط تخرجون
تنتشرون ه ورحمة ط يتفكرون ه وألوانكم ط للعالمين ه من فضله ط يسمعون ه موتها ط يعقلون ه بأمره ط لأن ثم لترتيب الأخبار دعوة وقيل
على من الأرض وكلاهما تعسف والحق أن قوله من الأرض يتعلق بدعاكم كقولك دعوته من أين كقولك دعوته من بيتي تخرجون ه
والأرض ط قانتون ه أهون عليه ه والأرض ج الحكيم ه ربع الجزء من أنفسكم ط لانتهاء الاستفهام إلى الإخبار كخيفتكم أنفسكم ط يعقلون ه بغير علم ج
لابتداء الاستفهام مع ألف أضل الله لتمام الاستفهام وابتداء النفي ناصرين ه حنيفا عليها لخلق الله القيم لا لوجه الاستدراك لا يعلمون لا
قيل لا وقف عليه بناء على أن منيبين حال من ضمير أقم على أن الأمر له ولأمته مثل يا أيها النبي إذا طلقتم والوقف وضع بعد العامل من المعمول بل التقدير
كونوا منيبين بدليل قوله ولا تكونوا من المشركين لا لأن قوله من الذين كالبدل ما قبله شيعا فرحون ه وجه تعلق السورة بما قبلها
هو أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول للمشركين إن أمر الله يحكم بكم على فهمكم لا تعقلون وكان يحتج بآلهتهم ونسبتها إلى العجز وعدم النفع والضر وكان أهل
الكتاب يوافقون المسلمين في الإله وفي كثير من الأحكام ولذلك قالوا ولا تجادلوا أهل الكتاب إلى قوله وإلهنا وإلهكم واحد فلا جرم أبغض المشركون
أهل الكتاب وتركوا مراجعتهم في الأمور فاتفق أن بعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهريراز فسار إلى الروم بأهل فارس
فظفر عليهم وقتلهم وخرب مدائنهم وكان قيصر بعث رجلا يدعى يحنس فالتقى مع شهريراز بأذرعات وبصرى وهما في الشام أي أرض العرب
وإليه الإشارة بقوله أدنى الأرض المعهودة عند العرب هي أرضهم أي غلبوا في أقرب أرض العرب منهم وهي أطراف الشام ويجوز أن يراد به
أن يراد أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه أي في أدنى أرضهم إلى عدوهم وهذا تفسير مجاهد لأنه قال هي أدنى أرض الروم إلى فارس عن ابن عباس
الأردن وفلسطين ففرح المشركون بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآيات لبيان أن الغلبة لا تدل على الحق فقد يبتلى المحبوب ويعجل عذاب البيسم في الأجل
وقوله في أدنى الأرض إشارة إلى ضعفهم إلى أن وصل عدوهم إلى طرق الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم بين أن الروم سيغلبون غلبة عظيمة بعد ذلك
الضعف العظيم وكل ذلك دليل على أن الأمر بيد الله من قبل الغلبة ومن بعدها أو من قبل تلك المدة ومن بعد ذلك وقد وقع كما أخبر فغلبت الروم
على فارس حتى وصلوا إلى المدائن وبنوا هناك الرومية قال المفسرون لما نزلت الآية قال أبو بكر للمشركين لا أقر الله أعينكم والله ليظهرن الروم على
على فارس بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت يا أبا فضيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما
وجعل الأجل ثلث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث إلى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاها
مائة قلوص إلى تسع سنين فلما أراد أبو بكر أن يخرج من مكة أتاه عبد الله فلزمه وطلب كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد
أن يخرج أبي إلى أحد أتاه عبد الله فلزمه إلى أن أقام كفيلا ثم خرج أبي فمات بمكة من جراحتها التي جرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فظهرت الروم على
فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يتصدق
قالت العلماء إنما أبهم الوقت لأن الكفار كانوا معاندين والأمور التي تقع في البلاد الشاسعة قلما يحصل الاتفاق على وقتها المعين من السنة والشهر
واليوم والساعة وإن كان معلوما للنبي صلى الله عليه وسلم بإعلام الله إياه فالمعاند كان يتمكن من الإرجاف بوقوع الواقعة قبل وقوعها ليحصل الخلف
في الميعاد ولكن المعاند لا يتمكن من إنكار الواقعة في البضع ويومئذ أي يوم تغلب الروم فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون
بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له ويغيظ الشامتين بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به
من غلبة الروم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وافق ذلك يوم بدر وهو المراد بنصر الله وذلك أن خبر الكسر لم يصل إليهم في ذلك اليوم
بعينه فلا يكون فرحهم بوشيد الفتح يحصل بعده ولناصر القولين الأولين أن يقول أقيم سبب الفرح مقام الفرح والمراد باليوم الوقت الواسع
الشامل لما بين زمان وقوع الحرب إلى زمان وصول خبر الكسر الموجب للفرح ومن علق قوله لله الأمر بقوله ينصر بناء على أن المقصود بيان أن النصرة
بيد الله لا بيان وقوع النصرة في الآخرة وأصله إليه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لأن ما سبق في معنى الوعد ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه
لا يخلف في وعده لأنه جهل في أمور الدين وفي إبدال قوله لا يعلمون أو في بيان يعلمون إشارة إلى أن العلم بأمور الدنيا كالجهل المطلق وفي تنكيره
ظاهرا إشارة إلى قلة علمهم بظاهر الدنيا أيضا وفي تكرير هم إشارة إلى أن الغفلة منهم وإلا فأسباب التذكرة حاصلة وظاهر الدنيا ملاذها
وملاعبها وباطنها مضارها ومتاعبها شعر هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي فلا يغرركم طول ابتسامي فقولي مضحك والفعل
مبكي ثم أشار إلى وجه التفكر بقوله أولم يتفكروا وقوله في أنفسهم يتعلق به إما تعلق الظرف بالفعل كأنه قال أولم يحدثوا التفكر في قلوبهم الفارغة
فيكون كالتوكيد وإما بمادة التصوير اعتقد في قلبك واضمره في نفسك مع أن الاعتقاد لا يكون إلا في القلب والإضمار لا يوجد إلا في النفس
وإما تعلق الجار بالفعل كقولك تفكر في الأمور وذلك أنه إذا تفكر في نفسه التي هي أقرب الأشياء إليه وقف على غرائب الحكم ودقائق الصنع التي أودعها

الله تعالى فيها كما تكفل ببيان بعضها علم التشريح فجره ذلك الى العلم بانه سبحانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا ملتبسا بالغرض الصحيح وتقدير اجل مسمى هو وقت
الجزاء والحساب ثم في الآية تقديران احدهما يناسب اصول الاشاعرة وهو ان دليل الانفس يجره الى دلائل الافاق المؤكدة للتوحيد وللعلم بالاله القادر المختار
الصادق كلامه لكنه اخبر عن تخريب السموات وعن حشر الاجساد وانتهاء الجسمانيات الى الافناء ثم الاعادة في الوقت المعلوم فيكون الامر على ما اخبر وثانيهما
يتوقف على اصول المعتزلة وهو ان التفكر في النفس يجذب بضبعه الى معرفة الاله الحكيم الذي لا يفعل العبث والجزاف وانه خلق السموات وغيرها من الاجسام
لمنافع المكلفين فاذا انتهى التكليف فلا بد من تخريب السموات والارض وانتهاء الاحوال الى الجزاء واللقاء كيلا ينخرم قاعدة الحكمة والتدبير ورعاية الصلاح
والعدل ثم قال وان كثيرا من الناس وقد قال قبل ذلك ولكن اكثر الناس لانه قد ذكر دليلا على الاصول ولا شك ان الايمان بعد الدليل يكون
اكثر من الايمان قبل الدليل فلا يبقى الاكثر كما هو فعبر عن الباقي بالكثير قال في الكشاف والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى والاشاعرة يحملونه على الرؤية واعلم ان
الانفس مقدم على الافاق لان الانسان قلما يذهل عن نفسه وان نفسه اقرب الاشياء اليه نظيره الآية قوله سبحانه الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات والارض اي يعرفون الله بدلائل الانفس في سائر الاحوال ويتفكرون في خلق السموات والارض بدلائل الافاق واما اخر الانفس
في قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم لان الاراءة انما يستقر اليها في معرفة الابعد الاخفى كانه قال سنريهم اياتنا الافاقية فان لم يفهموها فايات
الانفس حلوة هذا الترتيب لا يناسب التفكر بل التفكر يتصور دليل الانفس اولا ثم يرتقي الى دليل الافاق فظهر ان كل اية وردت على ما اقتضاه البلاغة
وحين ذكر دليل النفس الذي لا يقع الذهول عنه الا نادرة ثم ارتقى الى دليل السموات والارض الذي يقع الذهول عنه في كثير من الاحوال لكنه يحتاج الى التفات
الذهني اتبعه دليل الافاق الذي يتوقف على السير والتجوال ليقفوا على اثار امثالهم وحكاية اشكالهم ثم ذكر انهم اولى بالهلاك لان من تقدمهم كعاد وثمود كانوا
اشد منهم قوة جسمانية واثاروا الارض اي حرثوها وهو اشارة الى القوة المالية ثم لم تكن الى القوة الظهرية التي يستند اليها عند الضعف والفتور وهي الحصون
والعماير لقوله وعمروها اكثر مما عمروها هؤلاء يعني اهل مكة كانوا اهل واد غير ذي زرع قال اهل البرهان انما
قال في هذه السورة وفي اخر فاطر وفي المؤمن اولم يسيروا في الارض بالواو وفي غيرهن افلم بالفاء لان ما قبلها في هذه السورة اولم يتفكروا وما بعدها وكذا في فاطر
ما قبله ولن تجد لسنتنا تحويلا وما بعده وما كان وفي المؤمن ما قبله والذين يدعون واما في اخر المؤمن فما قبله فاي ايات الله وبعده فما اغنى عنهم وكلاهما
وقوله في هذه السورة من قبلهم متصل بكون اخر مضمر وقوله كانوا اشد منهم قوة وكذا معطوفة اخبارها كانوا عليه قبل الاهلاك وانما قال في فاطر وكانوا بزيادة
الواو لان التقدير فينظروا كيف اهلكوا وكانوا اشد وختمت السورة بقوله وما كان الله ليعجزه وقال في المؤمن كانوا من قبلهم كانوا هم اشد فاظهر كان وزاد لفظه
ان الآية وقعت في اوائل قصة موسى وهي تتمة في ثلثين اية فكان اللائق به البسط دون الايجاز ولم تبسط في اخر السورة اكتفاء بالاول والله اعلم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون لوضع الانفس الشريفة في موضع خسيس هو عبادة الاصنام قال اهل السنة هذا الوضع كان بمشية الله وارادته ولكنه صدر عنهم فاضيف اليهم والسوأى تانيث
الاسوأ وهو الاقبح وهي خبر كان فيمن قرأ عاقبة بالرفع واسم كان فيمن قرأ عاقبة بالنصب ثم لتفاوت الرتبة وفي التركيب وضع المظهر موضع المضمر والمعنى ثم
اهلكوا ثم كانت عاقبتهم السوأى وهي عذاب النار ان كذبوا بمعنى لان او بان كذبوا او هو تفسير اساؤا على ان الاساءة في معنى القول نحو نادى وكتب ومعناه اي
كذبوا وجوز جار الله ان يكون السوأى مفعول اساؤا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف فارادة الابهام ليذهب الوهم كل مذهب فيكون تقدير
الكلام ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا ان كذبوا وكذا مما لا يحسنه كنهه قال اهل التحقيق ذكر الزيادة في حق المحسن في قوله للذين احسنوا الحسنى
وزيادة ولم يذكر في حق المسيء الا جزاء سيئة سيئة مثلها وذكر السبب في العقوبة وهو قوله ان كذبوا ولم يذكر في الاثابة ليعلم ان احسانه لا يتوقف على سبيل فضله
كان فيه وحين ذكر ان عاقبتهم النار وكان في ذلك اشارة الاعادة والحشر لم يتركه دعوى بلا بينة فقال الله يبدؤا الخلق ثم يعيده يعني من خلق بالقدرة والارادة
لا يعجز عن الرجعة والاعادة ثم بين ما يكون وقت الرجوع فقال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يعني في ذلك تبين افلاسهم ويتحقق ابلاسهم وسكوت
مع تحير ويأس مع بؤس واليأس الذي هو احدى الراحتين وذلك اذا كان الموجود امرا غير ضروري فيستريح الطامع من الانتظار ثم ذكر وجه الابلاس
وذلك قوله ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين يجحدونها وتبرءوا منهم او كانوا في الدنيا كافرين بسببهم ثم حكى انهم يعني
المسلمين والكافرين يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير وتفصيله في الايتين بعده والروضة عندهم كل ارض ذات نبات وماء وفي الامثال
احسن من بيضة في روضة يعنون بيضة النعامة والتنكير للتعظيم وتنكير روضة ومعنى يحبرون يسرون بانواع المسار لحظة فلحظة حبره اذا سره سرورا تهلل له بشره وخصه مجاهد بالكرم
وقتادة بالتنعيم وابن كيسان بالتحلية ووكيع بالسماع عن النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات
لم تسمع الخلايق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي سألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة
فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا ومعنى محضرون
لا يغيبون عنه وقد مر في قوله ثم هو يوم القيمة من المحضرين وانما اهمل ذكر الفسقة من اهل الايمان اكتفاء بما ذكر في الايات الاخر كقوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد وقال اخرون لما ذكر عظمته في المبدأ بقوله ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق وفي الانتهاء بقوله
يوم تقوم الساعة وكرر ذكر قيام الساعة للتاكيد والتخويف اراد ان ينزه نفسه عن كل سوء ويثبت لذاته كل حمد ليعلم انه منزه عن طاعة المطيعين محمود على
كل ما يوصل الى المكلفين مشكور على لسان اهل السموات والارضين والتسبيح في الظاهر هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما في كل منها
من نعمة متجددة وخص بعضهم التسبيح بالصلوة لما روي عن ابن عباس انه قال تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر
وتظهرون صلوة الظهر امر بالصلوة في اول النهار ووسطه واخره وامر بالصلوة اول الليل ووسطه وهو العشاء لقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي
لامرتهم بالسواك وبتاخير العشاء الى نصف الليل ولم يأمر بالصلوة في اخر الليل لان النوم فيه غالب والله من على عباده بالاستراحة في الليل بالنوم
في مواضع منها قوله ومن اياته منامكم بالليل كما يجيء وعن الحسن ان الاية مدنية بناء على انه كان يقول فرضت الصلوة الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة
ركعتين في غير وقت معلوم وقول الاكثر ان الخمس فرضت بمكة وقوله وعشيا معطوف على حين وحين وما بينهما وهو قوله وله الحمد في السموات والارض
اعتراض قال جار الله معناه على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه قلت فيه ايضا ان الله غني عن تسبيح المسبحين فلو لم يحمده حامد فله
الحمد على الاطلاق ولوحده ولعاد نفعه اليهم وقدم الامساء لان الظلمة عدمية والاصل في الاشياء العدم وقدم العشي على التظهير لاجل المحافظة او للتنبيه
على فضيلة صلوة العصر ولعل في تقديم الاعتراض المذكور على العشي اشارة الى هذا ومعنى يخرج الحي من الميت قد سلف مرارا ويحتمل ان يراد به اليقظان
والنائم لقوله وكذلك تخرجون اي من القبور فتنبيه النائم بعد اليقظة يشبه الاعادة وكذا رد الارض الى حالة الخضرة والنضرة بعد ذبولها عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته من يوم ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته من ليلة ثم اراد

ان يذكر

ان يذكر الحجج الباهرة على استحقاق التسبيح والتحميد له فقال ومن اياته ان خلقكم اي اصلكم او كلا منكم كما مر في اول الحج من تراب وذلك ان التراب ابعد
الاشياء من درجة الاحياء لكثافته وكدورته ويبسه وبعده بالحرارة والرطوبة وللكدورة والروح نيرة ولثقله وخفة الارواح ولسكونه والحيوان متحرك
حساس ولا تنافي بين هذا وبين قوله خلق من الماء بشرا لانه اراد الاصل الثاني الذي هو النطفة او اراد ان الاصل البشري في الظاهر هو التراب والماء
والنار فلا يصلح والهواء فلا استقرار كالزق المنفوخ يقوم بالهواء وثم لتبعيد الرتبة واذا للمفاجأة اي ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا قالوا فيه اشارة
الى مسئلة حكمية وهي ان الله تعالى لم يخلق اولا انسانا فيتبعه انه حيوان نام لانه يخلق اولا حيوانا ثم يجعله انسانا فخلق الانواع هو المراد الاول ثم يكون
الانواع فيها الاجناس بتلك الارادة الاولى وقوله بشر اشارة الى القوة المدركة التي البشر بها بشر وبها ممتاز عن غيره من الحيوانات وقوله تنتشرون
اشارة الى القوة المتحركة التي بها الحيوان حيوان فكانه اشار الى فصله وجنسه وكان الاولى تقديم الجنس على الفصل الا انه عكس الترتيب لانه كان
قال العجب غير مختص بالانسان بل الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجب ايضا والانتشار اما بمعنى التردد في الحوائج كقوله فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله واما بمعنى البث والتفريق كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وحين من خلق الانسان ولم يكن مما يبقى على مر الزمان من عليهم بان جعل
نوع الانسان باقيا بتعاقب الاشخاص فقال ومن اياته ان خلق لكم ولا يلزم منه ان لا يكن مخلوقات للعبادة والتكليف لان تخصيص الشيء بالذكر
لا يدل على نفي ما عداه فقد يكون الشيء مختصا باثنين او جعل لامرين على ان النعمة ما كانت تتم علينا الا بتكليفهن فلولا خوف العقاب لتمردت
النسوان على ازواجهن ومن انفسكم اي من جنسكم او هو اشارة الى ان حواء خلقت من ضلع ادم وقد مر في النحل ويشهد للتفسير الاول قوله لتسكنوا اليها
فان الجنس الى الجنس اسكن وجعل بينكم مودة عن الحسن هي الجماع ورحمة هي الولد وقال غيره المودة حالة حاجة نفسه اليها والرحمة حالة حاجة صاحبه
وقد يفضي المودة الى مجرد الرحمة وذلك اذا خرجت عن محل الشهوة بكبر او مرض او خرج هو عن امكان رعاية حقها بكبر او زمانة او فقر قال بعضهم المودة
والرحمة بعصمة الزواج من غير سابقة معرفة وقرابة هي من قبل الله والفرك من قبل الشيطان ان في ذلك الخلق الجعل لايات لقوم يتفكرون فخلق
الانسان من الوالدين اية وجعل احدهما ذكرا والاخر انثى اية وخروج الولد الضعيف من الموضع الضيق اية وجعل التواد بين الزوجين من غير صلة
رحم اية ولما ذكر دلائل الانفس اتبعها دلائل الافاق واعظمها خلق السموات والارض فان خلق المركبات قد يسنده بعض الجهلة الى ما في العناصر من الكيفيات
والى ما في السموات من الحركات والاتصالات واما السماء والارض فلا يجد احد من ان يقول انهما بقدرة الله ثم عاد الى ذكر احوال الانفس ومن جملتها
اختلاف الالسنة لا جرمها فان التباين من اجرامها ليس يبلغ الى حد بعد اية بل وصفها وهو النطق وتقطيع الاصوات للاذان بها يمتاز بعض الاصناف
والاشخاص عن بعض واختلاف الالوان والحلى فبذلك يقع التعارف ويرتفع الاشتباه فحس البصر يدرك اختلاف الصور وحس السمع يدرك
اختلاف الاصوات واما باللمس والشم والذوق فلا حكم ظاهر لها في باب التمييز بين الاشخاص الانسانية وحيث ذكر بعض العرضيات اللازمة اراد ان
يذكر الاعراض المفارقة بعضها فقال ومن اياته منامكم قال جار الله هذا من باب اللف والنشر وتقدير الكلام ومن اياته منامكم بالليل وابتغاؤكم
من فضله بالنهار ليكون موافقا لما جاء في مواضع اخر كقوله وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقدم المنام على الابتغاء لان الاستراحة مطلوبة
لذاتها والطلب لا يكون الا للحاجة قال وانما فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف
على الاتحاد يعني كانه لم يعطف الا النهار على الليل والابتغاء على المنام ويجوز ان يراد منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار
فان الانسان كثيرا ما ينام بالنهار ويكسب بالليل وفي قرن الفضل بالابتغاء اشارة الى ان العبد ينبغي ان لا يرى الرزق من نفسه وجده بل يرى كل ذلك من فضل ربه ثم انتقل
الى عوارض الافاق فقال ومن اياته يريكم فاضمر ان وسكن الياء بعد حذفها وانزل الفعل منزلة المصدر كما في المثل السائر تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقيل لما كان البرق من الامور
التي يتجدد زمانا دون زمان ذكر بلفظ المستقبل ولم يذكر معه ان وقيل ومن اياته كلام كاف كما تقول منها كذا ومنها كذا ومنها وتسكت تريد به الكثرة وقيل اراد
ويريكم من اياته البرق والانتصاب خوفا وطمعا كما مر في الرعد ثم ذكر بعض لوازم الافاق فقال ومن اياته ان تقوم السماء والارض فقيام السموات والارض استمساكهما
بغير عمد ومن نسب ذلك الى الطبيعة فلا بد ان يسند الطبع الى واجب لذاته وامره ان يقول لهما كونا كذلك نظيره قوله ان الله يمسك الى قوله من بعده واعلم
ان الامر عند المعتزلة موافق للارادة بالاتفاق وعند الاشاعرة ليس كذلك ولكن النزاع في الامر الذي هو التكليف لا الذي للتكوين فان قوله كن موافق للارادة بالاتفاق
قال جار الله قوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض ثم خروج من القبور اذا دعاكم مرة واحدة يا اهل
القبور اخرجوا والمراد سرعة الخروج من غير توقف واذا فلا امر ظاهرا او اراد نداء الملك والارض مكان المدعو على التقديرين لا الداعي اذ لا مكان لله تعالى والملك في
جوف الارض نعم لو كان المراد ان الملك يدعوهم وهو على وجه الارض جاز ومعنى ثم عظم ما يكون من ذلك الامر وتهويل لتلك الحالة واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجاة
نائبة مناب الفاء واعلم انه تعالى ذكر في كل باب امرين اما من الانفس فخلق البشر ثم خلقهم زوجين واما من الافاق فخلق السموات والارض ومن لوازم الانسان
اختلاف اللسان والالوان ومن عوارضه المنام والابتغاء ومن عوارض الافاق البروق والامطار ومن لوازمها قيام السماء والارض والواحد يكفي للاقرار بالحق لكن
الثاني يجري مجرى الشاهد الاخر وراعى في تعداد العرضيات لطيفة بدأ باللوازم وختم باللوازم وذلك ان الانسان متغير الحال فالاحوال اللازمة اعجب والافاق
ثابتة بالنسبة الى الانسان فعوارضها اعجب وبدأ في كل باب بما هو اعجب وانما ختم الآية الاولى بقوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون لان الفكر يؤدي الى
الوقوف على المعاني المقتضية للانس والسكون على دقائق صنع الله في خلق الانسان وبثهم في الارض او نقول ان من الاشياء ما يعلم بمجرد التفكر كدقائق
حكمة الله في خلق الانسان لان اقرب الاشياء اليه هو ذاته فلذلك قال هناك لقوم يتفكرون ومنها ما يعلم من غير تجشم فكر كالاستدلال لنفي قدرة الله بخلق
الى الانسان مع
السماء والارض واختلاف السنة الناس والوانهم فان الكل يظلهم السماء ويقلهم الارض وكل واحد منفرد بلطيفة في صورته يمتاز بها عن غيره وانه ويشترك
في معرفتها الناس جميعا فلهذا قال لايات للعالمين ومن حمل اختلاف الالسنة على اللغات واختلاف الالوان على البياض والسواد والشقرة والسمرة فالاشتراك
في معرفتها ايضا ظاهر ومن قرأ للعالمين بكسر اللام فهذا احسن فبالعلم يمكن الوصول الى معرفة ما سبق ذكره ومن الاشياء ما يحتاج الفكر فيه الى اعانة مرشد كالمنام
والابتغاء فانهما لوازمهما في بعض الاوقات قد يغفلان لوازمهما فلذا قال لقوم يسمعون ويجعلون بالهم الى كلام المرشد ومن ههنا ذهب بعضهم الى ان
معنى يسمعون ههنا يستجيبون لما يدعون اليه ثم ان حدوث الولد من الوالدين كالامر المطرد العادي فكان يمكن ان يسبق الى الوهم اسناده الى الطبيعة
لا جرم ههنا اكتفى بالفكر واما البرق والمطر فليس امرا عاديا ولذلك يختلف بالشدة والضعف وبحسب الاوقات والامكنة فالعقل الصحيح يجزم بانه
من فعل الفاعل المختار فلذلك قال لقوم يعقلون وقيل ان العقل ملاك الامر في الباب وهو المؤدي الى العلم فوقع الختم اليه وحين فرغ من تعداد الايات
الكاشفة للوحدانية التي هي الاصل الاول والقدرة على الحشر التي هي الاصل الاخر اكد الاول بقوله وله من في السموات والارض كل له قانتون مطيعون
منقادون واكد الاصل الاخر بل كلا الاصلين بقوله وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اي في نظركم وعند عقولكم والا فلا صعوبة

في الابتداء اصلا حتى يقع التفضيل على حده وانما اخر الصلة ههنا وقدمت في قوله في سورة مريم وهو علي هين لانه قصد هناك الاختصاص يعني ان خلق الولد من
عاقر لا يهون الا علي ولا معنى للاختصاص ههنا فان الامر مبني على المعقول من ان الاعادة اهون من المبداء ولهذا اول النحو اخراج ولبس الحبل في امر
كالناشي عليه ومن الدليل العقلي على ان المطلوب ان المبدا خلق الاجزاء وتأليفها والاعادة تأليف فقط ولا شك ان امرا واحدا اهون من الامرين ولا يلزم منه
ان يكون في الامرين صعوبة فان من قدر الرجل القوي يقدر على حمل شعيرة من غير صعوبة ويسلم السامع له ذلك فاذا قال فلان لا يتعب من حمل خردلة او ان حمل خردلة
اهون عليه كان كلاما معقولا وقد اجرى الزجاج قوله وهو اهون عليه مجرى المثل فيما يصعب ويسهل وفسر به قوله وله المثل الاعلى يعني هذا مثل مضروب لكم في
الارض وله الاعلى من هذا المثل ومن كل مثل يضرب في السموات فيما بين الملائكة وعن ابن عباس ان فعله وان شبهه بفعلكم ومثله به لحقه ليس كمثله شيء فله
المثل الاعلى وقال جار الله المثل الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي
يقدر على الخلق والاعادة والعليم الذي لا يعزب عن علمه شيء فلا يصعب عليه جمع الاجزاء بعد تفرقها على الوجه الذي يقتضيه التدبير ولهذا ختم الاية بقوله وهو العزيز الحكيم
وعن مجاهد المثل الاعلى وصفه بالوحدانية وهو قول لا اله الا الله وقد ضرب لكم مثلا ومعنى من انفسكم انه اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم فمن للابتداء وفي قوله
مما ملكت ايمانكم للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي والمعنى هل ترضون لانفسكم ان يكون لكم شركاء من بعض عبيدكم يشاركونكم فيما رزقناكم من الاموال
والاملاك فانتم يعني بسبب ذلك انتم ايها السادات والعبيد في ذلك المرزوق سواء من غير فصل فضل الاحرار على العبيد تخافونهم ان يستبدوا بتصرف دونكم كخيفتكم
اي كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار والحاصل ان من يكون له مملوك لا يكون شريكا له في ماله ولا يكون له حرمة كحرمة سيده فكيف يجوز ان يكون عباد الله شركاء له وشفعاء
عنده بغير اذنه وكيف يجوز ان يكون لهم عظمة مثل عظمة الله حتى يعبدوا كعبادته مع ان مملوككم ليس مملوكا لكم في الحقيقة ليس الا اختصاص المبالغة ولهذا الحكم بوجه
من الوجوه وفي قوله فيما رزقناكم اشارة الى ان الذي هو لكم ليس في الحقيقة لكم وانما الله استخلفكم فيه ورزقكم من فضله كذلك اي مثل ذلك التفصيل والتبعيض التعظيم
او لدخوله في حيز الذكر والمعنى نفصل الايات نبينها لقوم يعقلون لان التمثيل انما يكشف المعاني لارباب العقول ثم شوه صورة الشرك بقوله بل اتبع الذين ظلموا اي اشركوا
اهواءهم بجهلهم بغير علم فهو العالم ربما تبدل بالهدى واما الجاهل فانه هائم في هواه كالبهائم لا ترى ما رعوا ليكده قوله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين والاضلال
ههنا يحمله الاشاعرة على خلق الضلال في المكلف والمعتزلة يحملونه على الخذلان ومنع الالطاف كما تقدم مرارا ثم قال لرسوله ولامته تبعيته اذا تبين الحق وظهر
الوحدانية فاقم وجهك للدين اي سدده ونحوه ولا تمل الى غيره من الاديان الباطلة فطرة الله اي الزموا او عليكم بها قال جار الله انما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين
وهو حال منهم وكان الامر والنهي بعده معطوفان عليه لكنك قد عرفت في الوقوف ان هذا التقدير غير لازم وعلى ذلك يحتمل ان يقدر الزموا او عليكم او اخص او اريد
واشباه ذلك وفطرة الله هي التوحيد الذي يشهد به العقول السليمة والمنظر الصحيح كما جاء في الحديث النبوي كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان
يهودانه وينصرانه ويحتمل ان يكون الفطرة اشارة الى اخذ الميثاق من الذر وقوله لا تبديل لخلق الله نفي في معنى النهي اي لا تبدلوا خلقه والذي فطركم عليه ولا ان
الفطري غير كاف وقيل هو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث لم يؤمن قومه فكانه قال انهم اشقياء ومن كتب شقيا لم يسعد وقيل اراد ان الخلق لا خروج لهم عن عبديته
بخلاف مماليك الانسان فانهم قد يخرجون من ايديهم بالبيع او العتق وفيه فساد قول من زعم ان العبادة لتحصيل الكمال فاذا كمل العبد لم يبق عليه تكليف وفساد
قول الصابئة وبعض اهل الشرك ان الناقص لا يصلح لعبادة الله وانما الانسان عبيد الكواكب عبيد الله وفساد قول النصارى والحلولية ان الله يحل في بعض
الاشخاص كعيسى وعزير فيصير الها ومعنى فارقوا دينهم كانوا شيعا قد مر في اخر الانعام والمراد فرق كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها وقال اهل التحقيق بعضهم
يعبد الدنيا وبعضهم يعبد الهوى وبعضهم يريد الجنة وبعضهم يطلب الخلاص من النار ومعنى كل حزب بما لديهم فرحون قد مر في المؤمنين وجوز جار الله
ان يكون من الذين منقطعا عما قبله وكل حزب مبتدأ وفرحون صفة كل والمعنى من المفارقين دينهم كل حزب صفته كذا والله اعلم [illegible] الالف الفة طبع
المؤمنين واللام لوم طبيعة الكافرين والميم مغفرة رب العالمين فمن الالفة اجوا اهل الكتاب ومن اللوم [illegible] الكافرون ومغفرة رب العالمين شملت الفريقين
حتى قال ان الله يغفر الذنوب جميعا الا ان يكون هناك مخصص ثم اشار الى ان حال اهل الطلب متغيرة وتارة فيغلب فارس النفس روم القلب تارة
وسيغلب روم القلب فارس النفس بتأييد الله ونصره في بضع سنين من ايام الطلب ويومئذ يفرح المؤمنون وهم الروح والسر والعقل اولم يتفكروا
في استعداد انفسهم ما خلق الله سموات الروحانية وارض النفسانية الا ليكون مظهر الحق واجل مسمى بالصبر والثبات في تصفية مرآة القلوب عن صدأ الاوصاف
الذميمة النفسانية والاجل المسمى هو اوان صفاء القلب متوجها الى الحق اولم يسيروا في الارض البشرية بالسلوك لتبديل الاخلاق والذين من قبلهم الفلاسفة والبراهمة
المعتمدون على مجرد البراهين من غير اعتبار الشرايع السوأى اي ان صار والمه الكفر والضلال البعيد والخلق بتغيير النفس متعلقة بالقالب ثم يعيده بطريق السير
والسلوك والعبور من المنازل والمقامات الى عالم الارواح ثم اليه ترجعون بجذبة ارجعي ويوم تقوم ساعة الارادة يبلس المجرمون بتضييع الاوقات في طلب السوى
ويوم تقوم قيامة العشق يومئذ يتفرق المحبون فبعضهم لطلب الجنة وبعضهم لطلب الوصلة وبعضهم يريد الوحدة فسبحان الله حين تغلبون على ليل البشريات
وحين صباح نهار تجلي شموس الوصال وله الحمد ان كنتم في سموات القربات او ارض البعد والغفلات وسبحانه في عشاء غشيان القساوة وفي حالة استواء شمس
المعرفة في وسط سماء القلب فان الربح والخسران في كلتا الحالتين راجع الى الطالبين والله منزه عن العالمين يخرج القلب الحي بنور الله من النفس الميتة في ظلمات
صفاتها ابراز اللطف ويخرج القلب الميت عن الاخلاق الحميدة من النفس الحية بالصفات الحيوانية اظهار القهر ويحيي ارض القلوب بعد موتها وكذلك
تخرجون بدءا واعادة ومن اياته خلق سموات القلوب وارض النفوس واختلاف السنة القلوب والسنة النفوس فلسان القلب يتكلم بلغة العلويات ولسان
النفس يتكلم بلغات السفليات واختلاف الوانكم وهي الطبائع المختلفة منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ومنكم من يريد الله ومن اياته منامكم في ليل البشرية
وابتغاؤكم من فضله في نهار الروحانية والمكاشفات الربانية لقوم يسمعون كلام الله من شجرة الوجود يريكم بروق شواهد الحق ثم اللوامع ثم الطوالع فتلك الانوار
يرى الشهوات الدنيا نيرانا فيخاف منها ويرى مكاره التكاليف جنانا فيطمع فيها ان تقوم سماء النفس وارض القلب بامره لان الروح من امره ثم اذا دعاكم
بجذبة ارجعي اذا انتم يعني النفس والقلب والروح تخرجون من انانية وجودكم وهو اهون عليه لانه في البداية كان مباشرا بنفسه والاعادة بكون المباشر اسرافيل
بنفخة والمباشرة بنفس الغير في العمل اهون من المباشرة بنفسه عند نظر الخلق ويحتمل ان يكون اهون من الهون بالضم وهو الذلة والتصغير للخلق وذلك انهم في الذات
لم يكونوا ملوثين بلوث الحدوث ولا متدنسين بادناس الشرك والمعاصي فلعزتهم في البداية باشر خلقهم بنفسه ولهوانهم في الاعادة باشرهم بغيره وله المثل الاعلى
لما اودع من الايات في سموات الارواح وارض القلوب ضرب لكم اي للروح والقلب والسر والعقل مما ملكت ايمانكم من الاعضاء والجوارح والحواس والقوى
فيما رزقناكم من العلوم والكشوف تخافونهم ان لا يضيعوا شيئا من المواهب بالتصرفات الفاسدة كخيفتكم اي كخيفة الروح من القلب ان لا يضيع شيئا منها
بان يصرفها في غير موضعها رياء وسمعة وهوى او كخيفة القلب من السر والعقل بان يصرفها فيما يفسد العقائد ويوقع الشكوك كما لا يصلح هؤلاء الشركة لكم
فلذلك لا تصلحون انتم لشركتي اذا تجليت عليكم فدعوى الاتحاد والحلول باطلة والكبرياء ردائي لا غير

واذا مس الناس

واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون
ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ۝ ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم
بما كانوا به يشركون ۝ واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم اذا هم يقنطون ۝ اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون ۝ فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين
يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون ۝ وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس
فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ۝
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه
وتعالى عما يشركون ۝ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي
عملوا لعلهم يرجعون ۝ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان
اكثرهم مشركين ۝ فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ
يصدعون ۝ من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ۝ ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ۝ ومن آياته ان يرسل الرياح
مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ۝
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا
علينا نصر المؤمنين ۝ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء
ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين ۝ فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض
بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ۝ ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا
لظلوا من بعده يكفرون ۝ فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ۝
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ۝ الله الذي
خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو
العليم القدير ۝ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ۝ ما لبثوا غير ساعة كذلك
كانوا يؤفكون ۝ وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث
فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ۝ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون
كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ۝ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين
لا يوقنون ۝

آتيتم من ربوا مقصورا ابن كثير ليربوا بضم الياء وسكون الواو على الجمع ابو جعفر
ونافع وسهل ويعقوب لنذيقهم بالنون ابن مجاهد وابو عون عن قنبل يرسل الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلي وخلف كسفا بالسكون يزيد وابن ذكوان
آثار على الجمع ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد ضعف وما بعده بفتح الضاد حمزة وعاصم غير المفضل الباقون بالضم وهو اختيار حفص وخلف
لا ينفع بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم الآخرون بتاء التأنيث لا يستخفنك بالنون الخفيفة رويس عن يعقوب الوقوف يشركون لا وقد يوقف
على توهم ام الامر آتيناهم ط للعدول الى الخطاب وابتداء من التهديد فتمتعوا لا لاستيناف التهديد تعلمون ه يشركون ه بها ط فصلا بين النقيضين يقنطون
ويقدر ج يؤمنون ه وابن السبيل ط وجه الله ز المفلحون ه عند الله ج لعطف جملتي الشرط المضعفون ه يحييكم ط من شيء ط يشركون ه يرجعون ه من قبل ط
مشركين ه يصدعون ه كفره ج لمام يمهدون لا وقد يوقف على جعل اللام للقسم وحذف نون التاكيد فضله ط الكافرين ه يشكرون ه اجرموا ط وقيل
يوقف على حقا اي وكان الانتقام حقا ثم ابتداء علينا اي واجب علينا نصر المؤمنين ه خلاله ج للشرط مع الفاء يستبشرون ه لمبلسين ه موتها ط الموتى ج
لاتفاق الجملتين مع العدول عن بيان الاخبار الى بيان القدرة قدير ه يكفرون ه مدبرين ه ضلالتهم ط مسلمون ه وشيبة ط ما يشاء ج لاختلاف الجملتين
القدير ه المجرمون لا لان ما بعده جواب القسم غير ساعة ط يؤفكون ه يوم البعث ه لاختلاف الجملتين مع اتحاد المقول لا يعلمون ه يستعتبون ه مثل ط مبطلون
لا يعلمون ه لا يوقنون ه لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل بين ان لهم امرا وجدانيا في حال الضر والبلاء وان كانوا ينكرونه في حال الرحمة والرخاء يعرفونه
وفي لفظ المس والاذاقة دليل على ان الانسان قليل الصبر في حالة الضراء والسراء وانما قال اذا فريق منهم ولم يقل اذا هم يشركون كما قال في آخر العنكبوت
لان الكلام هناك مع اهل الشرك وههنا مع الناس كلهم وليس كل الناس كذلك ثم استفهم على سبيل الانكار قائلا ام انزلنا كانه قال اذا تقررت
الحجج المذكورة فماذا يقولون ايتبعون اهواءهم بغير علم ام لهم دليل على ما يقولون واسناد التكلم الى الدليل مجاز كما يقول نطقت الحال بكذا وما في قوله بما كانوا مصدرية
والضمير في به لله او موصولة والضمير لها اي بالامر الذي بسببه يشركون ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي ذا سلطان وهو الملك فذلك الملك يتكلم
بالبرهان الذي بسببه يشركون ومن ذكر الشرك الظاهر اتبعه ذكر الشرك الخفي وهو ان يكون محبا لله للدنيا فاذا اتاه ما يهواه رضي واذا منع قنط
والقنط والرحمة المطر والصحة والامن وامثالها والسيئة اضداد ذلك وانما لم يذكر سبب الرحمة ليعلم انها بفضله وذكر سبب السيئة وهو شؤم معاصيهم
ليدل على عدله والفرح بالنعمة مذموم اذا كان مع قطع النظر عن المنعم فاما اذا كان مع قطع النظر عن المنعم فاما اذا كان مع ملاحظة المنعم فمحمود بل الفرح الكلي يجب
ان يكون بالمنعم والقنوط من رحمة الله ايضا مذموم كما مر في قوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ثم اشار بقوله اولم يروا ان الله يبسط الرزق
ان الكل من الله فيجب ان يكون نظر المحقق في الحالين على الله ففي حالة الرحمة يشتغل بالشكر وفي حالة الضراء لا ينسب الله الى عدم القدرة او الى عدم النهاية بحال
العبد بل يشتغل بالتوبة والانابة الى ان يأتي الفرج والنصر وهذه مرتبة المؤمن الموحد فلذلك قال ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ولا يخفى ان بسط الرزق لمن
يشاء ويرى فلذلك قال اولم يروا وقال في الزمر اولم يعلموا مناسبة لما قبله وهو اوتيته على علم وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون قال جار الله لما ذكر ان السيئة
اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك فقال فآت ذا القربى حقه الآية واقول لما بين كيفية التعظيم لامر الله اشار الى الشفقة
على خلق الله قائلا فآت ايها المكلف والنبي والامة يتبعونه لا محالة كما مر في قوله فاقم وجهك وفيه ان الله اذا بسط الرزق فلا ينقص بالانفاق واذا ضيق
لم يزد بالامساك فينبغي ان لا يتوقف الانسان في الاحسان وفي تخصيص الاصناف الثلاثة بالذكر دلالة على انهم اولى بالاشفاق عليهم من سائر الاصناف وانما قال
ذا القربى ولم يقل القريب ليكون نصا في معناه ولا يشتبه بالقرب المكاني وفيه ان القرابة امر دوام بخلاف المسكنة وكونه ابن السبيل وفي قوله وآت ذا القربى حقه دون
ان يقول فآت هذه الاصناف حقوقهم تشريف لذوي القرابة حيث جعل الصنفين الآخرين تابعا لهم على الاطلاق كانه اذا قيل الملك خل فلانا يدخل فلانا ايضا كان
ادخل في التعظيم من ان يقول خل فلانا وفلانا يدخلان ذلك او نحو خير في نفسه او خير من المنع للذين يريدون وجه الله اي ذاته او جهة قربه فان من انفق للرياء
وسمعة لم ينل درجة ومن انفق رغبة لوجه الله واولئك هم المفلحون كقوله في اول البقرة لان قوله فاقم وجهك اشارة الى الايمان بالغيب وغيره والى اقام الصلوة
وقوله وآت ذا القربى امر بالزكوة بل بالصدقة المطلقة وفي قوله يريدون وجه الله اشارة الى الاعتراف بالمعاد ثم اراد ان يعظم شان الصدقة فضم الى ذلك تقبيح
امر الربا استطرادا فمن قرأ ممدودا فظاهر ومن قرأ مقصورا فهو من الاتيان اي وما غشيتموه او جئتموه من اعطاء الربا اي الزيادة في اموال اكلة الربوا وفي قراءة
الاخرى اي الزيد والعطية في اموالهم فلا يربو فلا يزكو ولا يثمر عند الله لانه يمحق بركتها نظيره ما مر في آخر البقرة يمحق الله الربوا ويربي الصدقات قيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون
وقيل نزلت في الهبة والاهداء لاجل العوض زائدا فبين الله تعالى ان ذلك لا يوجب الثواب عند الله وان كان مباحا وفي الحديث المجانب المستغفر يثاب من هبته
اي الرجل الغريب اذا اهدى شيئا فانه ينبغي ان يزاد في عوضه قال جار الله في قوله فاولئك التفات حسن كانه قال لملائكته وخواصه فاولئك الذين يريدون
فانهم المضعفون اي ذوو الاضعاف من الحسنات نظيره المقوي والموسر لذي القوة واليسار والرابط محذوف اي هم المضعفون به ويجوز في الكشاف
ان يراد فمؤتوه اولئك هم المضعفون قالت العلماء المراد الاضعاف في الثواب لا في المقدار فليس من اعطى رغيفا فان الله تعالى يعطيه عشرة ارغفة
وانما المراد ان الرغيف الواحد لو اقتضى ان يكون ثوابه قصرا في الجنة فان الله تعالى يعطيه عشرة قصور تفضلا ثم عاد الى بيان التوحيد مرة اخرى
بتذكير الخلق والرزق والاماتة والاحياء بعد ما نظر الى الدلائل ثم طلب منهم الانصاف بقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء قال جار الله من
الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم قلت الاولى للتبعيض كانه اقام فعل البعض مقام فعل الكل توسعة
على الخصم والثالثة لتاكيد الاستفهام والمتوسطة للابتداء ولكنها مفيدة انه رضي منهم بشيء واحد من تلك الاشياء المتوسعة المذكورة ايضا ثم بين ان الشرك
وسائر المعاصي سبب لظهور الفساد في البر والبحر وذلك كقلة المنافع وكثرة المضار ومحق البركات من كل شيء وفسره ابن عباس باجداب البر وانقطاع
مادة البحر وتوجه عمايه وعن الحسن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على سواحله وقال عكرمة العرب تسمي الامصار بحارا لنذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل
ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة ارادة ان يرجعوا عما هم عليه وجوز جار الله ان يراد ظهر الشر والمعاصي في الارض بما كسب الناس وعلى هذا فاللام في قوله

لنذيقهم لام العاقبة ثم امرهم بالنظر في حال الهالكين الذين كانت افعالهم كافعالهم كقوم نوح وعاد وثمود وكان اكثرهم مشركين فيه اشارة الى ان بعضهم كانوا
[illegible]
المبسوط بعضها على الاتصال والمتفرق بعضها بالبعض اي قطعا وقوله فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله [illegible]
عجز الانسان وقلة ثباته وتوكله وقوله من قبله مكرر للتاكيد ومعناه الدلالة على ان عهدهم بالمطر تطاول فاستحكم يأسهم وتحقق ابلاسهم وقيل ان
انهم من قبل نزول المطر من قبل ما ذكرنا من ارسال الريح وبسط السحاب كانوا مبلسين وذلك ان رؤية السحب وهبوب الرياح قد يرجى المطر
فلا يتحقق الابلاس ثم صرح بالمقصود قائلا ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء من الابداء والاعادة قدير ثم اكد تزلزل الانسان وتذبذبه وانه
بادنى سبب يكفر بنعمة الله فقال ولئن ارسلنا ريحا ضارة باردة او حارة فرأوه اي راوا اثر الرحمة وهو النبات ومن قرا آثار فالضمير عائد الى
المعنى لان آثار الرحمة النبات ايضا واسم النبات يقع على القليل والكثير وانما قال مصفرا ولم يقل اصفر لان تلك الصفرة حادثة وقيل فرأوا
السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر ثم زاد في تسلية رسوله بقوله فانك لا تسمع الموتى الى قوله فهم مسلمون وقد مر في آخر النمل ثم اعاد من دلائل
التوحيد دليلا آخر من الانفس وهو خلق الآدمي وذكر احواله واطواره وتقلبه من ضعف الطفولة الى قوة الشباب والكهولة ومنها الى ضعف
الهرم وفي قوله خلقكم من ضعف اشارة الى ان اساس امر الانسان الضعف كقوله خلق الانسان من عجل وقيل من ضعف اي من نطفة وهذا التردد في الاطوار
المختلفة اظهر دليل على وجود الصانع العليم القدير وقوله يخلق ما يشاء كقوله في دليل الآفاق فيبسطه في السماء كيف يشاء وفي الكل اشارة الى ابطال
القول بالطبيعة المستقلة ثم عاد الى ذكر المعاد واحوال القيمة وذكر ان الكفار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا
الى البعث وان اهل العلم والايمان وهم الملائكة والانبياء يعرفهم حالهم بالعكس وذلك ان الموعود به وعدا اذا ضرب له اجل يستكثر الاجل
ويريد تعجيله والموعود به وعيدا اذا ضرب له الاجل يستقل المدة ويريد تأخيرها ومعنى ما يؤفكون يصرفون عن الصدق والتحقيق اي هكذا كان امرهم في الدنيا
مبنيا على الظن الكاذب وكانوا يعتزون بمثله ويحتمل ان يكونوا ناسين او كاذبين ومعنى في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في علمه وقضائه او فيما
كتب واوجب وفيه رد قول الكفار واطلاع لهم على الصدق في الحال قال جار الله في الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم
اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم والفاء في قوله فهذا يوم البعث وبه تبين بطلان قولكم ولكنكم
كنتم لا تعلمون انه حق ثم بين ان في ذلك اليوم لا يقبل فيه عذر من اهل الشرك وسائر انواع الظلم ولا يستعتبون اي لا يطلب منهم الرضا وقد مر
لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة وقد مر في النحل ثم بين ان القرآن مشحون بقصص واخبار كلها كالمثل في غرابتها وحسن مواقعها وان الرسول مهما جاءهم بدليل
المكروه لان الذي اجترأ على العناد في دليل واحد فلا عليه ان يجترئ على امثاله وهذه نتيجة الطبع والخذلان فلا علاج في مثل هذه القضية الا الصبر
وتحمل اعباء الرسالة الى انجاز وعد الله بالنصرة واعلاء الدين ومعنى لا يستخفنك لا يحملنك على الخفة والقلق قوم شاكون فان امثال هذه الافعال و
والاقوال لا يستبعد من اهل الريب والضلال فعلى المحق ان لا يضجر ويشتغل بدعائه الى الحق حتى يأتي حين او ان النصر والظفر

سورة لقمان مكية الا ثلاث آيات ولو ان ما في الارض الخ حروفها ٢١١٥ كلمها ٥٤٨ آياتها ٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ۝ تلك آيات الكتاب الحكيم ۝ هدى ورحمة للمحسنين ۝ الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ۝ أولئك على هدى من ربهم وأولئك
هم المفلحون ۝ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها
هزوا أولئك لهم عذاب مهين ۝ وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها
كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ۝ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
النعيم ۝ خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم ۝ خلق السموات بغير
عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء
فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ۝ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون
في ضلال مبين ۝ ولقد آتينا لقمن الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه
ومن كفر فإن الله غني حميد ۝ وإذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن
الشرك لظلم عظيم ۝ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله
في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ۝ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس
لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم
فأنبئكم بما كنتم تعملون ۝ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو
في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ۝ يا بني أقم الصلوة وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ۝ ولا تصعر
خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ۝ واقصد في مشيك
واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ۝ صدق الله العظيم ۝

ورحمة بالرفع حمزة وأبو عون عن قنبل ليضل بفتح الياء ابن كثير وأبو عون ويعقوب ويتخذها بالنصب يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير
أبي بكر وحماد يا بني لا تشرك بسكون الياء البزي والقواس وقرأ حفص والمفضل بفتح الياء وكذا في قوله يا بني أقم الباقون بكسر الياء مثقال بالرفع أبو جعفر ونافع
تصاعر بالألف أبو عمرو ونافع وحمزة وعلي وخلف الآخرون بالتشديد الوقوف الم كوفي الحكيم ه لا لمن قرأ ورحمة بالرفع على تقدير هو هدى ومن قرأ
بالنصب على الحال والعامل معنى الإشارة في تلك فلا وقف للمحسنين ه يوقنون ط المفلحون ه بغير علم قد يوقف لمن قرأ ويتخذها بالرفع والوصل أحسن لأنه
وإن لم يكن معطوفا على ليضل فهو معطوف على يشتري هزوا ط مهين ه وقرا ج لانقطاع النظم مع اتصال الفاء أليم ه النعيم لا للحال والعامل معنى الفعل في لهم فيها لأن
التقدير وعدهم الله وعدا حقا ط الحكيم ه دابة ط للعدول كريم ط دونه ط مبين ه لنفسه ج لتعزيرا حميد ه بالله ط وقد يوقف على لا تشرك بناء على جعل الباء للقسم عظيم ه بوالديه ج لانقطاع النظم مع تعلق أن اشكر بوصينا ولوالديك ط المصير معروفا ز للعدول عن البعض المأمور إلى الكل مع اتفاق الجملتين إلي ج لأن ثم لترتيب
الأخبار تعملون ه خبير ه أصابك ط الأمور ج لآية ووقوع العارض مع عطف المتفقتين مرحا ط فخور ج لما ذكر من صوتك ط الحمير ه لما قال في آخر
السورة المتقدمة ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وكان فيه إشارة إلى إعجاز القرآن ودل بما بعده إلى تمام السورة على أنهم مصرون على كفرهم أكد ذلك
المعاني في أول هذه السورة وفسره إلى المفلحون كما في أول البقرة إلا قوله تلك آيات الكتاب الحكيم فإنه مذكور في أول يونس وحيث زاد ههنا ورحمة فإن المحسنين
فإن الإحسان مرتبة فوق التقوى كقوله صلى الله عليه وسلم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ولقوله سبحانه إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون كذا بين

الحسنى وزيادة وما يؤيد ما قلنا أنه لم يقل هنا يؤمنون بالغيب لئلا يلزم شبه التكرار فإن الإحسان لا مزيد عليه في باب العبادة ثم حكى حال المعرضين عن الحق بقوله
ومن الناس من يشتري لهو الحديث الإضافة بمعنى من أي الحديث الذي هو لهو ومنكر وجوز في الكشاف أن يكون من للتبعيض أي يشتري بعض الحديث
الذي هو اللهو منه وفيه نظر لأنه يصير هذا التأويل في قولنا خاتم فضة وليس بمشهور وقال المفسرون نزلت في النضر بن الحارث يتجر إلى فارس فيشتري
كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول
هذا خير مما يدعوك محمد إليه من الصلوة والصيام وأن يقاتل بين يديه فعلى هذا معنى ليضل بضم الياء ظاهر ومن قرأ بالفتح فمعناه الثبات على الضلال أو الإدخال
نوع من الضلال وقوله بغير علم متعلق بيشتري كقوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي للتجارة قال في الكشاف وغيره ولا يبعد عندي تعلقه بقوله ليضل
كما قال ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم قال المحققون ترك الحكمة والاشتغال بحديث قبيح وإذا كان الحديث لهوا لا فائدة فيه كان أقبح وقد يسوغه بطريق
الإحماض كما ينقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أحمضوا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم روحوا القلوب ساعة فساعة والعوام يفهمون منه التزنج
والمطايبة وإن كان الخواص يحملونه على الاشتغال بجانب الحق كقوله أرحنا يا بلال روحت ثم إنه إذا لم يقصد به الإحماض بل يقصد به الإضلال لم يكن عليه مزيد في القبح
ولا سيما إذا كان مع اشتغاله باللهو الحديث يستكبر عن آيات الله التي هي محض الحكمة كما قال وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا وحمل كأن لم يسمعها كأن في أذنيه
وقرا النصب على الحال قال جار الله الأولى حال من ضمير مستكبرا والثانية من لم يسمعها قلت هذا مبني على تجويز الحال المتداخلة والأقرب الجائز أن يكون كل منهما مستكبرا حالا لأن
فاعل ولى أي ولى مستكبرا مشابها لمن لم يسمعها مشابها لمن في أذنيه وقرا وجوز أن يكونا استئنافين والتقدير كأنه المخففة كأنه والضمير للشأن ثم قال أهل
البرهان هذه الآية والتي في جاثية نزلتا باتفاق المفسرين في النضر إلا أنه بالغ ههنا في ذمه لتركه استماع القرآن فقال بعد قوله كأن لم يسمعها كأن في أذنيه
وقرا أي صمما لا يقرع مسامعه صوت فإن عدم السماع أعم من أن يكون بوقر الأذن أو بنحو غفلة وترك الجملة الثانية في الجاثية لأنه لم يبن الكلام هنالك
على المبالغة بدليل قوله وإذا علم من آياتنا شيئا والعلم لا يحصل إلا بالسماع أو ما يقوم مقامه من خط وغيره ومن بين وعيد أعداء الدين بين حال أولياء
بقوله إن الذين آمنوا الآية وقد مر مثله مرارا وفي قوله وهو العزيز الحكيم إشارة إلى أنه غالب لا مانع من يعطي النعيم من شاء ويبئس من شاء حسبما تقتضيه حكمته
وعدله ثم بين عزته وحكمته بقوله خلق السموات بغير عمد وقد مر في أول الرعد وقوله وألقى في الأرض مذكور في أول النحل ومن كل زوج كريم ذكر في أول الشعراء هذا الذي ذكر
من السموات بكيفياتها والأرض بصفاتها أسبابا وأنظارا ومركباتها خلق الله أي مخلوقه فأروني ماذا خلق الذين من دونه وهم الآلهة بزعمهم وهذا أمر تعجيز وتبكيت ثم أضرب
عليهم بالضلال المبين ثم بين فساد اعتقاد أهل الشرك بأنه مخالف أيضا لعقيدة الحكماء الذين يقولون حكم العقل إليه الشرف منهم لقمن بن باعوراء بن أخت أيوب أو ابن خالته
أو من أولاد آزر عاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي إذا كفيت وأكثر
الأقاويل أنه كان حكيما عن ابن عباس لقمن لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه العتق ورضي قوله ووصيته وحكاها في القرآن وقيل خير بين النبوة
والحكمة فاختارها وقال عكرمة والشعبي كان نبيا روي أنه دخل على داود عليه الصلوة والسلام وهو يسرد وقد لين الله له الحديد فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة
فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه بحق ما سميت حكيما وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن
يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب أيضا فسأله عن ذلك فقال
هما أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما فيها إذا خبثا ثم فسر الحكمة بقوله أن اشكر لله لأن إيتاء الحكمة في معنى القول قال العلماء هذا أمر تكوين أي جعلناه شاكرا فإن
أمر التكليف يستوي فيه الجاهل والحكيم وفيه تنبيه على أن شكر المعبود لحق رأس العبادة وسنام الحكمة وفائدته ترجع إلى العبد لا إلى المعبود فإنه غني عن شكر الشاكرين
مستحق للحمد وإن لم يكن على وجه الأرض حامد ومن بين كماله شرع في تكميله وذلك لابنه المسمى أنعم أو أشكم قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما ووجه
كون الشرك ظلما عظيما أنه وضع فيه أخس الأشياء وهو الفقير المطلق موضع أشرف الأشياء وهو الغني ثم وصى الله سبحانه الإنسان بشكر إنعام الوالدين
وطاعتهما وإن كانا كافرين إلا أن يدعواه إلى الإشراك بالله وهذه جملة معترضة بينها بأعز شيئين أحدهما أن طاعة الأبوين تالية لعبادة الله والثاني أن الكبر كون
الشرك أمرا قبيحا منكرا حتى أنه لزم فيه مخالفة من يجب طاعته وقوله حملته أمه وهنا أي حال كونها وهنا على وهن أي ضعفا على ضعف فإن الحمل كلما زاد وعظم ازداد
ثقلا وضعفا أو ذات وهن وضعف اعتراض في اعتراض تحريضا على رعاية حق الوالدة خصوصا روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال قلت يا رسول الله من أبر
قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك وقوله وفصاله في عامين توقيت للفطام كما مر في البقرة في قوله والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وفيه تنبيه آخر على
ما كابدته الأم من المشاق ومعنى معروفا مصاحبا معروفا على ما يقتضيه العرف والشرع وفي قوله واتبع سبيل من أناب إلي ثم إشارة أخرى إلى أنهما لو كانا
منيبين إلى الرب لم يتبع سبيلهما في الدين وإن لزم طاعتهما في الدنيا وفي باب حسن العشرة والصحبة واتفق المفسرون على أن هذه الآية ونظيرتها التي في العنكبوت
وفي الأحقاف نزلت في سعد بن أبي وقاص وفي أمه حمنة بنت أبي سفيان وذلك أنه حين أسلم قالت سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف
بيت وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها إليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا
إليه فنزلت هذه الآيات فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترضاها بالإحسان وإنما لم يذكر في هذه السورة قوله حسنا لأن قوله أن اشكر قام مقامه
وإنما قال ههنا وإن جاهداك على أن تشرك لأنه أراد وإن حملاك على الإشراك وقال في العنكبوت لتشرك موافقة لما قبله فإنما يجاهد لنفسه مع أن مبنى الكلام
ههنا على الاختصار وحين وصف نفسه بكمال العلم في خاتمة الآية بقوله فأنبئكم بما كنتم تعملون أتبعه بما يناسبه من وصايا لقمن وهو قوله يا بني إنها أي إن
القصة إن تك أي الخصلة من الإساءة والإحسان في الصغر كحبة الخردل وجوزوا أن يقال الهنة إن تك كحبة الخردل ومن قرأ مثقال بالرفع فيعين أن يكون الضمير
في إنها للقصة وإنما أنث وإضافة المثقال إلى الحبة روي أن ابن لقمن قال له أرأيت الحبة تكون في مقل البحر أي في مغاصه يعلمها الله فقال إن الله يعلم
أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء ومثال الصخرة لا بد أن تكون في السموات أو في الأرض فما الفائدة في ذكرهما والجواب على قول
الظاهريين من المفسرين ظاهر فإنهم قالوا الصخرة هي التي عليها الثور وهي لا في الأرض ولا في السماء وقال أهل الأدب فيه إضمار والمراد في صخرة أو في موضع آخر من
السموات والأرض ومثله قول جار الله أراد أنها مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي وقال أهل
التحقيق إن خفاء الشيء يكون إما لغاية صغره وإما لاحتجابه وإما لكونه بعيدا وإما لكونه في ظلمة فأشار إلى الأول بقوله مثقال حبة من خردل وإلى الثاني بقوله فتكن
في صخرة وإلى الثالث بقوله في السموات وإلى الرابع بقوله أو في الأرض وقوله يأت بها الله أبلغ من قول القائل يعلمه الله فمع العلم بمكانه إظهار القدرة
على الإتيان به إن الله لطيف فنفذ القدرة خبير ببواطن الأمور ومن منع الله من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته أمره بمكارم الأخلاق والعادات وأولها
الصلوة وفيها التعظيم للمعبود بالحق وبعدها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهما تتم الشفقة على خلق الله وقوله واصبر على ما أصابك أي من أذيات الخلق
لأنه بايعهم أو هو مطلق في كل ما يصيبه من المصائب والمكاره إن ذلك المذكور من عزم الأمور أي من معزوماتها من عزم الأمر بالنصب إذا قطعه قطع إيجاب وإلزام

العزيمة خلاف الرخصة او من عزم الامر اي جد وقد مر في احوال عمران وحين امره بان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وكان يخشى عليه ان يتكبر على الغير بسبب كونه
كاملا في نفسه قال ولا تصعر خدك للناس اي لا تمله عنهم وقرئ ولا تصاعر ... وهو داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بكل
وجهك تواضعا ولا تولهم شق الوجه كعادة المتكبرين ومعنى ولا تمش في الارض مرحا مذكور في سورة سبحان والمختال والفخور مذكوران في سورة النساء والمختال هو الذي
يعمل الفرح والنشاط لا لمصلحة دينية او دنيوية والفخور هو المصعر خده ... ان الله لا يحبهما فيلزم الاجتناب عن الاتصاف بصفتيهما ثم امره عند الاحتياج الى المشي
لضرورة بالمشي القصد اي الوسط بين السرعة والابطاء ... سائر الاخلاق والاداب فخير الامور اوساطها ومثله غض الصوت حين التكلم قال اهل البيان
في تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير التي هي مثل في البلادة حتى استهجن التلفظ باسمها ... اغلظ الامر وفي تمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام عن لفظ التشبيه
واخراجه مخرج الاستعارة تنبيها على ان الافراط في رفع الصوت من غير ضرورة ... مكروه عند الله جدا واشتقاق انكر من النكر ليكون على القياس
ومن المنكر والحمير جمع الحمار وانما لم يقل اصوات الحمير لان المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس
قال بعض العقلاء انكر صوت هذا الحيوان انه لو مات تحت الحمل لم يصح ولو قتل لم يصح وفي اوقات عدم الحاجة يصيح وينهق واما سائر الحيوانات فلا يصيح الا
لحاجة قالوا ومن فوائد عطف الامر بغض الصوت على الامر بالقصد في المشي ان الحيوان يتوصل الى مطلوبه بالمشي فان عجز عن ذلك فبالتصويت والنداء
كالغنم يطلب السخلة ومنها ان للانسان عقيدة ولسان وجوارح تحركه بها كسائر الحيوانات واشار الى الاول بقوله انها ان تك مثقال حبة
اي اصلح ضميرك فان الله خبير واشار الى التوسط في افعال الجوارح بقوله واقصد في مشيك والى التوسط في الاقوال بقوله واغضض من صوتك
او نقول اشار بقوله اقم الصلوة الى الاوصاف الملكية التي يجب ان يكون في الانسان وبقوله وامر الى قوله مرحا الى الاوصاف التي يشارك
فيها الانسان سائر الحيوان والله تعالى اعلم. التأويل ويؤتون الزكوة هي للعوام مقادير معينة من المال كربع العشر من العشرين وللخواص
اخراج كل المال في سبيل الله ولاخص الخواص بذل الوجود لنيل المقصود وفي الحديث قال الجنيد السماع على اهل النفوس حرام لبقاء نفوسهم وعلى اهل القلوب
مباح لوفور علومهم وصفاء قلوبهم وعلى اصحابنا واجب لفناء حظوظهم ... لانه السر المتولد من ازدواج الروح والقلب وهو يعظه ان لا
بصفات النفس المعاندة للشيطان والهوى والدنيا ... الدارين ... فيه ان السر ينبغي له ان يتبع الى
الروح او القلب اذا اشتغلا بغير الله في اوقات الفترات فان الروح قد يميل الى جانبه من الروحانيات والقلب يميل تارة الى الروح واخرى الى النفس
ولكنه يرجى الصلاح بعد الفترة اما السر فاذا زال عن طبيعته وهو الاخلاص في التوحيد فصلاح حاله ... بعيد واتبع سبيل من اناب الي وهو النبي انها ان تك
يعني القسمة الازلية من السعادة ... انكر الصوت الحمير قالوا هو الصوفي يتكلم قبل اوانه

ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ۝ وإذا قيل
لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم
إلى عذاب السعير ۝ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك
بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ۝ ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا
مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور ۝ نمتعهم قليلا ثم
نضطرهم إلى عذاب غليظ ۝ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ۝ لله ما في السموات والارض
إن الله هو الغني الحميد ۝ ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده
من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ۝ ما خلقكم
ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ۝ ألم تر أن الله يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما
تعملون خبير ۝ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله
هو العلي الكبير ۝ ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في

ذلك

ذلك لآيات لكل صبار شكور ۝ وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له
الدين ۝ فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ۝
يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ۝
إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ۝

القراءات: عطفا على اسم ان الاخرون ... نعمه على الجمع ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل وحفص والبحر بالنصب ابو عمرو ويعقوب
بالرفع حملا على محل ان ومعمولها وان ما يدعون على الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وحفص وسهل ويعقوب وينزل الغيث بالتشديد ابو حفص ونافع
وابن عامر وعاصم. الوقوف: وباطنة ط منير ه اباءنا ط السعير ه الوثقى ط الامور ه كفره ط عملوا ط الصدور ه غليظ ه ليقولن الله ط لا يعلمون ه والارض ط
الحميد ه كلمات الله ط حكيم ه واحدة ط بصير ه والقمر لان قوله كل مبتدا عطف وان على ان الاولى خبير ه بالباطل الكبير ه من آياته ط شكور ه الدين ه مقتصد ط
كفور ه عن ولده ز لعطف الجملتين المختلفتين لانقطاع صدق الاتصال معنى شيئا ط الدنيا وقفة لطيفة للفصل بين المغلطين الغرور ه الساعة ج لاختلاف
الجملتين الغيث ج وان اتفقتا الجملتان للتفصيل بين جنب وعباد الارحام ط لابتداء وجملة منفية فيها استفهام غدا ط لابتداء النفي آخر مع تكرار نفس دون
الاكتفاء بالضمير بالموت ط خبير ه. التفسير: لما ذكر ان معرفة الصانع غير مختصة بالنبوة ولكنها توافق الحكمة ايضا ولو كانت تعبد المحض لالزم قوله
كيف وانها توافق المعقول اعاد الاستدلال بالامور المشاهدة من الافاقية والانفسية ومعنى سخر لكم لاجلكم كما مر في سورة ابراهيم من قوله وسخر لكم الشمس والقمر
دائبين الآية ومعنى اسبغ اتم والنعم الظاهرة كل ما يوجد بحس الظاهر اليه سبيل ومن جملتها الحواس نفسها والباطنة ما لا يدرك الا بالحس الباطن اد
بالعقل ولا بالعلم اصلا ومن المفسرين من يخص فمن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء ظاهرا والباطنة امداد الملائكة وعن الضحاك الظاهرة
حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة والعلم وقيل التنفس ثم ذكر ان بعض الناس يجادلون في الله بعد ظهور الدلائل على
وحدانيته وقد مر في اول الحج ثم ذكر انه استدله في ذلك الا التقليد ثم وبخ على جهله وتقليده بانه يتبع سبيل الشيطان ولو دعاه الى النار قائلا او لو كان
الشيطان ايتبعونهم ولو كان كذا ثم اراد ان يفصل حال المؤمن والكافر بعض التفصيل فقال ومن يسلم وجهه الى ... وهو نظير قوله في البقرة بلى من اسلم وجهه
الى الله والفرق ان معناه مع الى يرجع الى التفويض والتسليم ومع اللام يؤول الى الاخلاص والاذعان والاستمساك بالعروة الوثقى تمثيل كما مر في آية الكرسي
وقوله نمتعهم الآية كقوله في البقرة ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وغلظ العقاب شدته ثم بين انهم معترفون بالمعبود الحق الا انهم يشركون به وقد مر في آخر العنكبوت
مثله الا انهم قال في آخره بل اكثرهم لا يعقلون وذلك انه زاد هناك قوله وسخر الشمس والقمر فبالغ فكان نفي العقل ابلغ من نفي العلم ان كل عالم عاقل ... ولا عكس
ثم ذكر ان الملك كله له وهو غني على الاطلاق حميد بالاستحقاق ثم بين غاية قدرته اراد ان يبين انه لا نهاية لعلمه فقال ولو ان ما في الارض الآية عن ابن عباس
انها نزلت جوابا لليهود ان التورية فيها كل الحكمة وقيل هي جواب قول المشركين ان الوحي سينفد وتقدير الآية على قراءة الرفع لو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر
ممدودا بسبعة ابحر ويجوز ان يكون الجملة حالا واللام في البحر لجنس البحار ممدودا بالسبعة للتكثير لا للتقدير فان كثيرا من الاشياء اعدادها سبع كالسيارات السبعة
والاقاليم السبعة وايام الاسبوع ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء اراد الاكل الكثير قال في الكشاف جعل البحر
الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحار السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع وانما لم يقل للاقلام مدادا لان نقصان المداد بالكتابة اظهر من
نقصان القلم وانما لم يقل كلم الله على جمع الكثرة للمبالغة اذ يعلم منه ان كلماته لا تفي بكتبها البحار فكيف بكلمه وقيل اراد بكلماته عجائب مصنوعاته الموجودة
بكلمة كن وقد مر نظير هذه الآية في آخر الكهف ثم بين انه لا يصعب على قدرته كثرة الايجاد والاعدام فان تعلق قدرته بمقدور واحد كتعلقها بمقدورات
غير محصورة لان اقتداره لا يتوقف على الة وعدة وانما ذلك له ذاتي يكفي فيه الارادة ثم اكد ذلك بان سمعه متعلق في زمان واحد بكل المسموعات وكذا
بصره بكل المبصرات من غير ان يشغله شيء عن شيء ثم اعاد طرفا من دلائل قدرته مع تذكير بعض نعمه فقال الم تر وقد مر نظيره في الحج الى قوله الكبير وقوله ههنا
يجري الى اجل مسمى وقوله في فاطر والزمر لاجل مسمى يؤول الى معنى واحد وان كان الطريق مغايرا لان الاول معناه انهما يجريان الى وقت معلوم وهو للشمس
آخر السنة وللقمر آخر الشهور وعن الحسن هو يوم القيمة لان جريهما لا ينقطع الا وقتئذ والثاني معناه اختصاص الجري بادراك اجل معلوم كما وصفنا ووجه تخصيص
هذا المقام بالى وغيره باللام ان هذه الآية صدرت بالتعجب فناسب التطويل والمشار اليه بذلك ما هو وصف من عجيب قدرته او اراد ان الموحى اليه من
الآيات بسبب بيان ان الله هو الحق قال بعضهم العلي اشارة الى كونه تماما وهو انه حصل له ما ينبغي ان يكون له والكبير اشارة الى كونه فوق التمام وهو انه
يحصل لغيره ما يحتاج اليه ثم اكد الآية السماوية بالآية الارضية ومعنى بنعمة الله احسانه ورحمته او بالريح الطيبة التي هي بامر الله ان في ذلك لآيات لكل
صبار شكور في السراء والضراء ووجه المناسبة ان كلا الحالتين قد يقع لراكب البحر او صبار على النواهي والترك شكور في الافعال والاوامر ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ثم ذكر ان بعض الناس لا يخلص لله الا عند الشدائد وانما وحد الموج وجمع الظلة وهي كل ما اظلك من جبل
او سحاب لان الموج الواحد يرى له صعود ونزول كالجبال المتلاصقة وانما قال ههنا فمنهم مقتصد وقد قال فيما قبل اذا هم يشركون لانه ذكر ههنا الموج
وعظمته والمحال يبقى لمثله اثر في الجبال فيخفف شيئا من غلوا الكفر والظلم وينزجر بعض الانزجار وهو ان يكون متوسطا في الاخلاص ابقى لا غاليا فيه
وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر والختار اشد الغدر ومنه قولهم لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر والختار في مقابلة الصبار لان
الختر لا يصدر الا من عدم الصبر وقلة الاعتماد على الله في دفع المكروه والكفور طباق الشكور ثم بين الدلائل ووعظ بالتقوى وخوف من هول يوم القيمة ومعنى
لا يجزي لا يقضي كما مر في اول البقرة وذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد ليلزم منه عدم الانتفاع بغيرهما بالاولى وفيه اشارة الى ما جرت به العادة

والولد

من ان الاب يحمل الام من ابنه ما لا يحمل والولد يحمل الاب انه قال جار الله انما وردت الجملة الثانية اسمية لاجل التوكيد وذلك ان الخطاب للمؤمنين فاراد
حسم اطماعهم ان يشفعوا لابائهم الكفرة وفي توسيط هو مزيد توكيد وفي لفظ المولود دون ان يقول ولا ولد له تاكيد آخر لان الولد يقع على ولد ولد ابنا
بخلاف المولود فانه لمن ولد منك فكانه قيل ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم يقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه وقيل انما وردت
الثانية اسمية لان الابن من شانه ان يكون جازيا عن والده لما عليه من الحقوق والوالد يجزي شفقة لا وجوبا ان وعد الله بمجيء ذلك اليوم حق او وعده بعدم
جزاء الوالد عن الولد وبالعكس حق والغرور بناء مبالغة وهو الشيطان ان لا ينبغي ان يغرنكم الدنيا بتخفيفها او تزيينها في اعينكم غار من الشيطان او النفس الامارة
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس وتلا قوله ان الله عنده علم الساعة الى اخرها وعن المنصور انه همه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كان خيالا
يخرج يده من البحر واشار اليه باصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فاولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمه الله تاويلها
ان مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه قال في التفسير الكبير ليس مقصود الاية انه تعالى مختص بمعرفة هذه الامور فقط
فانه يعلم الجوهر الفرد اين هو وكيف هو من اول خلق العالم الى يوم النشور وانما المراد انه تعالى لما حذر الناس يوم القيمة كان لقائل ان يقول متى الساعة
فذكر ان هذا العلم لا يحصل لغيره ولكن هو كائن لدليلين ذكرهما مرارا وهو انزال الغيث المستلزم لاحياء الارض وخلق الاجنة في الارحام فان القادر
على الابداء قادر على الاعادة بالاولى ثم انه كانه قال ايها السائل ان كل اشياء اهم منها لا تعلمها فانك لا تعلم معاشك ومعادك فلا تعلم ماذا
تكسب غدا مع انه فعلك وزمانك ولا تعلم اين تموت مع شغلك ومكانك فكيف تعلم قيام الساعة والسر في اخفاء الساعة واخفاء وقت
الموت حين مكانه انه ينافي التكليف كما مر في اول طه ولو علم المكلف مكان موته لامن الموت اذا كان في غيره والسر في اخفاء الكسب في غير الوقت الحاضر
هو ان يكون المكلف ابدا مشغول السر بالله معتمدا عليه في اسباب الرزق وغيره روي ان ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل
من جلسائه فقال من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني وسأل سليمان ان يحمله على الريح الى بلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان نظري
اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك قال جار الله جعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة كانه قال انها
لا تعرف وان اعملت حيلها وقرئ باية ارض والافصح عدم تانيثه واسبغ عليكم نعمه ظاهرة هي تسخير ما في السموات وما في الارض
من الاجسام العلوية والسفلية البسيطة والمركبة وباطنة هي تسخير ما في سموات القلوب من الصدق والاخلاص والتوكل والصبر والشكر وسائر
المقامات القلبية والروحانية بان يسر العبور عليها بالسلوك المتداركة بالجذبة والانتفاع بمنافعها والاجتناب عن مضارها وتسخير ما في ارض النفوس
من اضداد الاخلاق المذكورة بتبديلها بالحميدة والتمتع بخواصها والتحرز عن آفاتها ثم ينظر هم لغفلة استعدادهم يجري في البحر بنعمة الله سالكا
في الظاهر سلوكه والما في الباطن فبجانبهم بسفائن العصمة من بحار القدرة او بسفينة الشريعة بملابسة الطريقة في بحر الحقيقة لاراوا آيات شواهد
الحق واذا ما غشيتهم امواج بحار القدر موثوا ان منظلهم نفحات الالطاف فسالي سوابل الالطاف

سورة السجدة حروفها ١٥١٨ كلماتها ٣٨٠ آياتها ٣٠ وهي مكية الا قوله افمن كان مؤمنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ۝ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ۝ ام يقولون افتريه بل
هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ۝ الله الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي
ولا شفيع افلا تتذكرون ۝ يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان
مقداره الف سنة مما تعدون ۝ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم
الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ۝ ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين ۝ ثم سويه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
قليلا ما تشكرون ۝ وقالوا ءاذا ضللنا في الارض ءانا لفي خلق جديد
بل هم بلقاء ربهم كافرون ۝ قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم
ترجعون ۝ ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ۝ ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ولكن حق القول
مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ۝ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا
نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ۝ انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها

خروا

خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ۝ تتجافى جنوبهم عن المضاجع
يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ۝ فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ۝ افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون ۝ اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا
يعملون ۝ واما الذين فسقوا فماويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا
فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ۝ ولنذيقنهم من العذاب
الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ۝ ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم
اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ۝ ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في
مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل ۝ وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ۝ ان ربك هو يفصل بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ۝ اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون
يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون ۝ اولم يروا انا نسوق الماء
الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون
ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ۝ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم ولا هم ينظرون ۝ فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون

خلقه بفتح اللام عاصم وحمزة وعلي وخلف ونافع وسهل الاخرى بالسكون على البدل من كل شيء
وعلى الاول يكون وصفا له اءذا ائنا كما في الرعد ما اخفي بسكون الياء على انه فعل مضارع متكلم حمزة الباقون بفتحها على انه فعل ماض مجهول
لما صبروا بكسر اللام وتخفيف الميم حمزة وعلي ورويس الباقون بفتح اللام وتشديد الميم او نهدي بالنون زيد عن يعقوب الوقوف الم
كوفي العالمين لا لان ام استفهام تقريع غير عاطفة بل هي منقطعة افتريه لعطف الجملتين يهتدون العرش شفيع تتذكرون
تعدون الرحيم من طين لان ثم لترتيب الاخبار مهين لذلك والافئدة تشكرون جديد كافرون يرجعون عند ربهم
لحق القول المحذوف موقنون اجمعين هذا للابتداء بان مع تكرار وذوقوا تعملون لا يستكبرون سجدة وطمعا لانقطاع النظم
بتقديم المفعول ينفقون اعين لان جزاء يحتمل ان يكون مفعولا له وان يكون مصدرا لفعل محذوف يعملون فاسقا لانتهاء الاستفهام
الى الاخبار لا يستوون الماوى لمثل ما مر في جزاء تعملون النار تكذبون يرجعون عنها منتقمون اسرائيل فان اتفقت الجماعات
للعدول عن ضمير المفعول الاول وهو واحد الى ضمير الجمع في الثانية صبروا لمن شدد يوقنون يختلفون مع الجزء مساكنهم لايات يسمعون
انفسهم يبصرون صادقين ينظرون منتظرون لما ذكر في سورة المتقدمة دلائل الوحدانية ودلائل الحشر وهما الطرفان
بدا في هذه السورة ببيان الامر الاوسط وهو الرسالة المصححة ببرهان القرآن واعرابه قريب من قوله الم ذلك الكتاب وقيل جار الله ان قوله
تنزيل الكتاب مبتدأ خبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه الى مضمون الجملة اي لا ريب في كونه منزلا من عنده
ويمكن ان يقال في وجه النظم لما عرف في اول السورة المتقدمة ان القرآن هدى ورحمة قال هنا انه من رب العالمين وذلك انه
من عثر على كتاب سال ولا انه في اي علم فاذا قيل انه في الفقه او التفسير سال انه تصنيف اي شخص ففي تخصيص رب العالمين اتمام اشارة
الى ان كتاب رب العالمين لا بد ان يكون فيه عجائب العالمين فيرغب النفس في مطالعته ثم اضرب عما ذكر قائلا ام يقولون افتريه وهو تعجب من
قولهم لظهور امر القرآن في تعجيزهم عن مثل سورة الكوثر ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ومعنى لتنذر قوما قد مر في القصص ويندرج
فيهم اهل الكتاب اذ يصدق عليهم انه لم ياتهم نذير بعد ضلالهم سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولو لم يندرجوا لم يضر فان تخصيص قوم بالذكر لا يدل
على نفي من عداهم كقوله وانذر عشيرتك الاقربين وحين بين الرسالة بين ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد فقال الله وهو مبتدأ خبره ما بعده
وقد مر نظائره وقوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اثبات للولاية والشفاعة اي النصرة من عنده ونفي لهما من غيره وفيه تبجيل لعبده انهم

بلغ مقابله

١٥٦

الزاعمين انها ستوقعها بهم بعد اعترافهم بان خالق الكل هو الله سبحانه ولما بين الخلق شرع في الامر فقال يدبر الامر اي المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة
بقوله يدبر امر السماء الى الارض ثم يعرج اليه ذلك العمل في يوم طويل وهو كناية عن قلة الاخلاص لانه لا يوصف بالصعود ولا يقوى على العروج الا العمل
الخالص ويؤيده التفسير قوله فيما بعد قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة ثم يصعد
اليه مكتوبا في الصحف كل جزء من اجزاء ذلك اليوم الى اخره ثم يدبر الامر ليوم اخر مثله وهلم جرا او ينزل الوحي ورده مع جبرئيل ايضا وقدر الزمان
بالف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة وان الملك يقطعها في يوم واحد من ايامها وقيل انه اشارة الى نفوذ الامر فان نفاذ الامر
كلما كان في مدة اكثر كان حاله اعلى اي يدبر الامر في زمان يوم منه الف سنة فكم يكون سنة منه وكم يكون دهر منه فلا فرق على هذا بين الف سنة
وبين خمسين الف سنة لحكاية المعارج وقيل ان هذه عبارة عن الشدة واستطالتها اياها كالعادة في استطالة ايام الشدة والحزن
واستقصار ايام الراحة والسرور وخصت هذه السورة بقوله الف سنة موافقة لما قبله وهو قوله في ستة ايام وتلك الايام من جنس ذا اليوم وخصت سورة
المعارج بقوله خمسين الف سنة لان فيها ذكر القيامة واهوالها فكان هو اللائق بها وعن عكرمة ان اليوم عبارة عن اول ايام الدنيا الى انقضائها وانها
خمسون الف سنة لا يدري احدكم كم مضى وكم بقي الا الله عز وجل وبالجملة فالاية المتقدمة تدل على عظمة عالم الخلق وسعة مكانه والاية الثانية تدل على عظمة
الامر وامتداد زمانه ثم بين انه مع نهاية عظمة ملكه وملكوته عليم بامر العالمين فقال ذلك عالم الغيب والشهادة وفي قوله العزيز الرحيم اشارة الى
صفتي القهر واللطف اللتين ينبغي ان يكونا لكل ملك وانما اخر الرحيم مع ان رحمته سبقت غضبه ليتوصل بقوله الذي احسن كل شيء خلقه نظيره
الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقد مر في طه وعطف عليه تخصيصا بعد تعميم خلق الانسان وهو آدم بدليل قوله ثم جعل نسله اي ذريته لانها تنسل
اي تنفصل والسلالة الخلاصة كما ذكرنا في اول المؤمنين وقوله من ماء بدل من سلالة والمهين الحقير ومعنى سواه قومه وارده في الاطوار الى حيث صلح لنفخ
الروح فيه ثم عدل من الغيبة الى الخطاب في قوله وجعل لكم تنبيها على جامعية نعم هذه الجوارح وتوبيخا على قلة الشكر عليها ثم بين عدم شكرهم بانكارهم
المعاد بعد مشاهدة الفطرة الاولى وليست الثانية باصعب منها والواو للعطف على ما سبق كانهم قالوا ان محمدا مفتري وقالوا الله ليس بواحد وقالوا
ائذا يعني انهم واسلافهم زعموا ان الحشر غير ممكن ومعنى ضللنا في الارض غبنا فيها اما بالدفن او بتفرق الاجزاء وتلاشيها والعامل في ائذا ما يدل عليه قوله انا
لفي خلق جديد وهو نبعث او نجدد وخلقنا ثم صرح باثبات كفرهم على الاطلاق وللقاء الجزاء الشامل لجميع احوال الآخرة ثم رد عليهم قولهم بالفوت بقوله
يتوفاهم ملك الموت الموكل بقبض الارواح ثم يرجعون الى حكم الله وحده ثم بين ما يكون من حالهم عند الرجوع بقوله ولو ترى انت يا محمد او كل من له اهلية الخطاب اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم خجلا وندامة قائلين ربنا ابصرنا ما كنا شاكين في وقوعه وسمعنا منك تصديق رسلك وجواب لو محذوف وهو لرايت امرا فظيعا
وجوزوا ان يكون لو للتمني كانه جعل للنبيه تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الخجل والهوان ليشمت بهم ثم انه سبحانه ازعجهم بقوله ولو شئنا
الاية وفيه انه لو ردهم الى الدنيا لم يهتدوا لانهم خلقوا لجهنم القهر وقد مر نظيره في اخر هود ثم اكد اياسهم بقوله فذوقوا وانتصب هذا على انه مفعول فذوقوا اي
وقوله لقاء مفعول نسيتم اي ذوقوا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم وذهبتم عنه بعد وضوح الدلائل اذ تركتم الفكر فيه ويجوز ان يكون هذا صفة يومكم ومفعول
ذوقوا المحذوف وهو العذاب ولقاء مفعول نسيتم او هو مفعول فذوقوا على حذف المضاف اي تبعة لقاء يومكم ويكون نسيتم متروك المفعول اي جحدتم
وهو الشكر في العاقبة وقوله انا نسيناكم من باب المقابلة والمراد تركهم من الرحمة نظيره نسوا الله فنسيهم وقوله عذاب الخلد من باب اضافة الموصوف
الى الصفة في الظاهر تحوز لصدق امرهم على سبيل الاهانة بذوق عذاب الخزي والخجل ثم بذوق العذاب المخلد اعاذنا الله منه بفضله العميم ثم ذكر ان
الايمان بايات الله من شان المخلص من عباده الساجدين لله شكرا او تواضعا حين وعظوا بايات ربهم او عابدين له خوفا من اليم عقابه وطمعا في
عظيم ثوابه وتفسيره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء الآخرة
فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها وما في قوله ما اخفي موصولة ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء والمعنى لا تعلم نفس من
النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك مما تقر به عيونهم حتى لا تطمح الى غيره ولا يطلب الفرج بما عداه عن النبي صلى الله
عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت قال المحققون انه يصدر من العبد اعمال صالحة وقد
عن الرب اشياء سابقة من الخلق والرزق وغيرهما واشياء لاحقة من الثواب والاكرام فلله تعالى ان يقول انا احسنت اولا والعبد احسن في مقابلته
فالثواب تفضل من غير عوض وله ان يقول الذي فعلته اولا تفضل فاذا اتى العبد بالعمل الصالح جزيته جزاء لان جزاء الاحسان احسان وهذا الاعتبار الثاني
اليق بالكرم ليرزق العبد لذة الاجر والكسب والاعتبار الاول اليق بالعبودية حتى يرى الفضل بعد في جانب الله فاذن لا ينقطع المعاملة بين الله وبين
العبد ابدا ويكون العباد لهم في الآخرة بمنزلة النفس كما للملكية يروى انه شجر بين علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال
للوليد اسكت فانك صبي فقال علي اسكت فانك فاسق فانزل الله تعالى فيهما خاصة وفي امثالهما من الفريقين عامة افمن كان مؤمنا الى آخره لمثنا
او اربع ومن في اول الاية محمول على اللفظ وفي قوله لا يستوون محمول على المعنى ثم فصل عدم استوائهما بقوله اما الذين آمنوا واما الذين فسقوا
وجنات المأوى نوع من الجنان تأوي اليها ارواح الشهداء على قول ابن عباس وقال بعضهم هي عن يمين العرش وفي لام التمليك في لهم مزيد بشر
وايذان بانهم لا يخرجون منها كما لا يخرج المالك من ملكه ولهذا قيل هذه الدار لزيد يفهم منه الملكية بخلاف ما لو قيل اسكن هذه الدار فانه يحمل على العادة
وانه تعالى قال لابينا آدم اسكن انت وزوجك الجنة لان كان في علمه انه يخرج ههنا وانما قيل ههنا عذاب النار الذي كنتم به وفي سبا عذاب النار
التي كنتم بها لان النار في هذه السورة وقعت موقع الكناية لتقدم ذكرها والكنايات لا توصف فوصف العذاب وفي سبا لم يتقدم ذكر النار فحسن وصف
النار ولكنهم العذاب هو انهم كانوا يقولون في الدنيا انه لا عذاب في الآخرة او انه لا تخيبهم النار انه لا عذاب مما نحن فيه فاذا اراد الله لهم ما على مرادهم قوله
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها صار ما كانوا يظنون فيما زعموا انه لا عذاب اشد مما هم فيه وعلى ان يكون ان يراد بالخروج منها والاعادة فيها هوان ابدا لنا ان
النار وتعودها فتنقص الاحساس بها فيعيد الله عليهم احساسهم الاول ليتزيد المهم ومن هنا قالت الحكماء ان الاحساس بحرارة حمى الدق اقل من الاحساس بحرارة
الحمى البلغمية مع ان نسبة الدق الى الثانية نسبة النار الى الماء المسخن ونظيره ان الانسان يضع يده في الماء البارد فيتالم اولا ثم اذا صبر زمانا طويلا زال ذلك الالم
وذلك لبطلان حسه ثم ختم على ان الله يذيقهم عذاب الدنيا من القتل والاسر والقحط قبل ان يصلوا الى عذاب الآخرة وعن مجاهد ان الادنى هو عذاب القبر
وانما لم يقل الاصغر في مقابلة الاكبر او الابعد لان الغرض التخويف والتهديد وذلك انما يحصل بالقرب لا بالصغر والكبر او
بالبعد ومعنى قوله لعلهم يرجعون والترجي على الله محال لنذيقنهم اذاقة الراجين رجوعهم عن الكفر والمعاصي كقوله انا نسيناكم اي تركناكم كما يترك الناسي

حيث لا تلتفت اليه اصلا اي نذيقنهم على الوجه الذي يفعل الراجي من التدريج او نذيقهم اذاقة يقول القائل لعلهم يرجعون بسببه قال في التفسير الكبير ان
الرجاء في الكرام يستعمل فيما لا يكون عاقبته معلومة فتوهم الاكثرون انه لا يجوز اطلاقه في حق الله تعالى وليس كذلك فان الجزم بالعاقبة
انما يحصل في حقه بدليل منفصل لا من نفس الفعل فان التعذيب لا يلزم منه الرجوع لزوما عقليا قلت هذا يرجع الى التاويل الاول فان الكلام
في ان التعذيب هل هو يستدعي الرجوع على سبيل الرجاء ام لا وكون مطلق التعذيب مستدعيا لذلك لا يجدي للسائل وقالت المعتزلة لعل الله
ارادة الله فعل المختار لا يقدح في اقتدار الله اذ لم يجبر المختار مراد الله كما انهم لم يختاروا التوبة والرجوع لم يكونوا اذا يقال العذاب الاكبر وانما
يقدح في اقتداره اذا انفلت نفسه او يفعل المضطر المقسور ثم لا يوجد ذلك الفعل وجوز في الكشاف ان يراد لعلهم يريدون الرجوع الى الدنيا ويطلبونه
كقوله فارجعنا نعمل صالحا سميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله اذا قمتم الى الصلوة ثم بين انهم اذا ذكروا بالدلائل كان
النعم اولا والنقم ثانيا وهو العذاب الادنى ثم لم يؤمنوا فلا احد اظلم منهم ومعنى ثم انه ذكر مرات ثم بالآخرة اعرض عنها والفاء في ذلك في سورة
الكهف يدل على الاعراض عقيب التذكير وقد سبق وقال المعاني ثم ههنا يدل على ان الاعراض بعد التذكير مستبعد في العقول وقال المحققون
الذي لا يحتاج في معرفته الا الى الله عدل كقوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وكما قال بعضهم ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله والذي يحتاج
في ذلك الى دلائل الآفاق والانفس متوسط والذي يقر عند الشدة ويجحد عند الرحمة ظالم كقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه والذي
يبقى على الجحود والاعراض وان عذب فلا اظلم منه وجعله اظلم كل ظالم ثم اوعد المجرمين عامة بالانتقام منهم ليدل على اصابة الاظلم منهم النصيب الاوفر
من الانتقام ولو قال انا منهم منتقمون لم يكن بهذه الحيثية في الافادة ثم عاد الى تاكيد اصل الرسالة مع تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فقال ولقد آتينا موسى
الكتاب اي آتينا موسى مثل ما آتيناك ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك من انك لقيت مثله والقاء بمعنى التلقين والاعطاء كقوله
وانك لتلقى القرآن وقيل الضمير في لقائه لموسى اي من لقائك موسى ليلة المعراج او يوم القيمة او من اعطاء موسى الكتاب وهو تلقيه له بالرضا
والقبول والضمير في جعلناه للكتاب على انه منزل على موسى واستدل به على ان الله تعالى جعل التورية هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل
ثم حكى ان منهم من اهتدى حتى صار من ائمة الهدى وذلك حين صبروا او لصبرهم على متاعب التكليف ومشاق الدعاء الى الدين بعد ايقانهم به وفيه ان الشرف
سيجعل الكتاب المنزل على نبينا اعنا سببا للاهتداء والهداية وكان كما اخبر ومثله اخبار النبي صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وفي
ان من التبعيضية في قوله وجعلنا منهم كانت يدل على ان بعضهم ليسوا ائمة الهدى وفيه رمز الى ان بعضهم كانوا ائمة الضلال فلذلك قال اصل التوحيد
مقرونا بالوعيد قائلا او لم يهد لهم وقد مر نظيره في آخر طه وانما قال في آخر الاية في ذلك لآيات على الجمع لتناسب القرون والمساكن وانما قال
افلا يسمعون لانه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع وفيه اشارة الى انه لا حظ لهم منه الا السماع وحين ذكر الهلاك والتخريب اتبعه ذكر الاحياء
والعمارة ومعنى نسوق الماء نسوق السحاب وفيه الماء الى الارض الجرز وهي التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال
جاره الله ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز بدلالة قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس انها ارض اليمن والضمير في به للماء وانما قدم الانعام
ههنا على الانفس لان الزرع لا يصلح اوله الا للانعام وانما يحدث الحب في اخراه قال في طه كلوا وارعوا انعامكم لان الازواج من النبات
اعم من الزرع كثير منه يصلح للانسان في اول الظهور ومع ان الخطاب لهم فناسب ان تقدموا وانما ختم الاية بقوله افلا يبصرون لان تاكيد القول
في اول الاية اولم يروا ثم حكى نوع جهالة اخرى عنهم وهو استعجالهم العذاب قال المفسرون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين
اي ينصرنا عليهم او الفتح بيننا وبينهم اي الفصل فاستعجل المشركون ذلك ويوم الفتح يوم القيمة فحينئذ يفتح ابواب الامور المبهمة او يوم بدر او يوم
فتح مكة قاله مجاهد والحسن فان قلت كيف ينطبق قوله قل يوم الفتح الى آخره جوابا عن سؤالهم عن وقت الفتح فالجواب انهم سالوا ذلك على
وجه التكذيب والاستهزاء فقيل لهم لا تستهزؤا وكانا بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فلم تنظروا ومن
فسر يوم الفتح بيوم بدر او بيوم فتح مكة فالمراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل والا فقد نفع الايمان الطلقاء يوم فتح مكة وناسا
يوم بدر ثم امر نبيه بالاعراض عنهم وانتظار النصرة عليهم حين علم انه لا طائل في تعليمهم الا القتال نظيره قوله قل تربصوا فاني معكم من المتربصين
التاويل الم الالف الف المحبين بقربي والعارفون بتجليدي فلا يبصرون غيري ولا يستانسون بغيري اللام لاحبائي مدخر لشاني فلا ابالي
اقاموا على وفاي ام قصروا والميم المعيم ترك اولياي مرادهم لمرادي فلذلك امرتهم على جميع عبادي تنزيل الكتاب اغلا اشياء على الاحباب
كتاب الاحباب انزله رب العالمين لاهل الظاهر على ظاهرهم ولاهل الباطن في باطنهم فاستناروا بنوره وتكلموا بالحق عن الحق للحق فلم يفهمه اهل الغرة
والغفلة تعالوا افتريه خلق سموات الارواح وارض الاشباح وما بينهما من النفس والقلب والسر في ستة اجناس هي الجماد والمعدن والنبات
والحيوان والشيطان والملك ثم استوى على عرش الخفي وهو لطيفة ربانية قابلة للفيض الرباني بلا واسطة افلا تذكرون كيف خلقكم في اطوار الخلقة
يدبر الامر من سماء الروح الى ارض النفس والبدن ثم يعرج اليه النفس المخاطبة بخطاب ارجعي الى ربك في يوم طلعت فيه شمس صدق الطلب واشرقت
الارض بنور جذبات الحق كان مقداره في العروج بالجذبة كالف سنة مما تعدون من امثالكم في السير من غير جذبة كما قال صلى الله عليه وسلم جذبة من
جذبات الحق توازي عمل الثقلين وبدا خلق الانسان من طين وخمره بيده في اربعين صباحا واودع في كل صباح خاصية نوع من انواع عالم الشهادة
ثم جعل نسله من سلالة سلبها من اجناس عالم الشهادة ثم سويه شخص انسان عند المراد ثم نفخ فيه من روحه فصار مراة قابلة لانوار صفات
جماله وجلاله ثم تجلى فيها بتجلية صفة السمعية والبصرية والعالمية التي مراتبها السمع والابصار والافئدة وضللنا في ارض البشرية يتوفاكم
ملك الموت وهو المحبة الالهية تقبض الارواح من صفات الانسانية وتميتها عن محبوباتها بجذبة ارجعي ناكسوا رؤسهم بالتوجه الى حضيض عالم الطبيعة
كالانعام بعد ان كانوا رافعي الرؤس يوم الميثاق تتجافى جنوب همتهم عن مضاجع الدارين جنات المأوى التي هي مأوى الابرار يكون نزلا
للمقربين السائرين الى الله كنتم به تكذبون لانه لم يكن لكم شعور في الدنيا لانكم كنتم في نوم الغفلة والاشتغال بالمحسوسات العذاب الادنى اذا
وقعت للسالك فترة او وقفة او تعب بمداخلة او ملالة ونحوها والله مبتلاه في نفسه او ماله او من يعز عليه في اهله واقربائه واحبائه لعله ينتبه من
الغفلة ويتدارك ايام العطلة قبل ان يذيقه العذاب الاكبر بالخذلان والهجران فلا تكن في مرية من لقائه اي من انه يرى الرب ببركة متابعتك حين
قال اللهم اجعلني من امة محمد فان الروية مخصوصة بك وبتبعيتك اياك ويحتمل ان يكون الخطاب فلا تكن لموسى القلب والضمير في لقائه
لله وجعلنا موسى القلب هدى لبني اسرائيل صفات القلب وجعلنا منهم ائمة هم السر والخفي ان ربك هو يفصل بينهم لانهم عنده اعز من ان يحيل
حكمهم الى احد من المخلوقين ولانه اعلم بحالهم من غيرهم ولئلا يطلع على احوالهم غيره ولانه خلقهم للمحبة والرحمة فينظر في شانهم بنظر المحبة والرضا لانه عفو

بجواذب العفو والجود وتسوقها والهداية الى ارض القلوب الميتة فتسقي حدائق وصليهم بعد جفاف عودها وبه وال الماء وتنبت من عودها فتخرج به زرعا من الواردات التي تصلح لتربية النفوس وهي الانعام ومن المشاهدات التي تصلح لتغذية القلوب ويقول المنكرون لهذه الطائفة متى هذا الفتح اي الفتوح التي تدعونها قل لا ينفعكم ذلك اذ لم يعتقدوا بهم ولم يهتدوا بهداهم فاعرض عنهم ايها الطالب بالاقبال علينا

سورة الاحزاب مدنية حروفها ٥٧٩٠ كلمها ١٢٨٠ اياتها ثلث وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما
واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ۝ وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا ۝ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم
اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل ۝ ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان
لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به
ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما ۝ النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من
المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في
الكتاب مسطورا ۝ واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ۝ ليسأل الصادقين
عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما ۝ يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما
تعملون بصيرا ۝ اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ۝ هنالك ابتلي المؤمنون
وزلزلوا زلزالا شديدا ۝ واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ۝ واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب
لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة
وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ۝ ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا
الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ۝ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤولا ۝ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا ۝ قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان

اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ۝ قد
يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا
اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه
من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا
فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا ۝ يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا
فيكم ما قاتلوا الا قليلا ۝ صدق الله العظيم

بما يعملون خبيرا اهل الغيبة والخطاب للمنافقين ابو عمرو واللائي بهمزة بعدها ياء حمزة وعلي وخلف وعاصم وابن عامر بهمزة مكسورة ...
ونافع غير ورش من طريق البخاري وابن مجاهد وابو عون ... قبل اللائي بياء مكسورة ... ورش من طريق النجاري ... وسائر الروايات عن ابن كثير
وكذلك في المجادلة والطلاق تظاهرون من المظاهرة عاصم تظاهرون من المظاهرة بحذف احدى التائين حمزة وعلي وخلف مثله ولكن بادغام التاء
في الظاء ابن عامر الباقون تظهرون بتشديد الظاء والهاء وبما يعملون بصيرا على الغيبة ابو عمرو ... واذ زاغت مدغما ابو عمرو وعلي وهشام وحمزة
في رواية ابن سعدان وخلاد ... الظنونا والرسولا والسبيلا في الحالين ... الباقون بالالف في الوقف
وبغير الف في الوصل ... حفص ... ابو جعفر ونافع وابن كثير ...
[illegible]

وضعفاء اليقين الذين في قلوبهم مرض وهم على خوف ما حكى الله عنهم هو قوله وما وعدنا الله ورسوله الا غرورا لما حكي عن معتب [illegible] الظن ان يعلم
قطعا ان فيهم من اخطأ الظن فان الظنون المختلفة لا يكون كلها صادقة فاما ان يكون كلها كاذبة او بعضها فقط والمقام مقام تقرير نتائج الخوف واذ
قالت طائفة منهم كعبد الله بن ابي واصحابه يا اهل يثرب اسم المدينة او ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم اي لا قرار لكم ولا مكان [illegible]
او تقيمون فيه على القرار [illegible] فارجعوا الى المدينة واهربوا من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وارجعوا كفارا واتركوا محمدا والا فليست لكم يثرب بمكان
ثم ان [illegible] عزموا على الرجوع فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم وتعللوا بان بيوتنا عورة اي ذات خلل لا مأمن فيها السراق على متاعهم وانها
[illegible] منه للعدو وكذبهم الله تعالى بقوله وما هي بعورة ثم اظهر ما تكن صدورهم فقال ان يريدون الا فرارا ثم بين مصداق ذلك بقوله ولو دخلت
اي المدينة عليهم من جوانبها واقطارها ثم سئلوا الفتنة اي الارتداد والرجوع الى الكفر وقتال المسلمين لآتوها [illegible] يتعللون باعوار بيوتهم
ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو دخلت عليهم هؤلاء العساكر المتحزبة [illegible] وبيوتهم من نواحيها كلها لاجل النهب والسبي ثم
عرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء ويمكن ان يراد ان ذلك الفرار والرجوع ليس لاجل حفظ البيوت لان من
[illegible]

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا
ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم

[illegible]

الا ايمانا وتسليما ۝ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه
ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ۝ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ۝ ورد الله الذين
كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ۝
وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا
تقتلون وتأسرون فريقا ۝ واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا
لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا ۝ يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ۝ وان كنتن
تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما ۝
يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك
على الله يسيرا ۝ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا
لها رزقا كريما ۝ يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول
فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ۝ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ۝ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله
والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ۝ ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات
والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين
فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما ۝
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص
الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ۝ واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله
احق ان تخشيه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ۝ ما كان على النبي من حرج فيما
فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا ۝

الذين

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ۝
ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ۝

اسوة بضم الهمزة حيث كان — عاصم وعباس آخرون

بكسرها فضعف بالنون وكسر العين العذاب بالنصب ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويزيد ويعقوب بالياء المضمومة والعين المفتوحة ورفع
العذاب الاخرون مثله ولكن بالالف من المضاعفة ويعمل صالحا يؤتها على التذكير والغيبة حمزة وعلي وخلف ووافق المفضل في ويعمل الباقون
بالتانيث الاول وبالنون في الثاني وقرن بفتح القاف ابو جعفر ونافع وعاصم غير هبيرة الباقون بكسرها ولا تبرجن ان يبدل بتشديد التائين
البزي وابن فليح ان يكون على التذكير عاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع عاصم الباقون بكسرها الوقوف
كثيرا ط لابتداء القصة الاحزاب لا لان قالوا جواب لما ورسوله الثاني لاحتمال الاستيناف والحال اوجه تسليما ط عليه ج لابتداء التفصيل مع الفاء
ينتظر لاحتمال الحال وجانب الابتداء بالنفي ... تبديلا لا ... عليهم ط رحيما ج للآية ولاحتمال الحال اي ردهم خيرا ط القتال ط للآية
والعطف فريقا ج لاحتمال ان يكون ما بعده استينافا او حالا تطؤها ط قديرا ه عظيما ه ضعفين ط يسيرا الجزو الثاني والعشرون مرتين لان التقدير
وقد اعتدنا كريما ه معروفا ج للعطف ورسوله ط تطهيرا ط لوقوع العوارض بين المعطوفين والحكمة ط خبيرا ه عظيما ه من امرهم ط مبينا ط الناس ج
لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال تخشاه ط وطرا ط مفعولا له ط من قبل ط مقدورا لا بناء على ان الذين وصف او بدل الا الله ط حسيبا
النبيين ط عليما ه لما فرغ من توبيخ المنافقين حث جميع المكلفين على مواساة الرسول وموازرته كما واساهم بنفسه في الصبر على الجهاد وثباته
في مداحض الاقدام والاسوة القدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به فالمراد انه في نفسه قدوة كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها
هذا المبلغ من الحديد او المراد ان فيه خصلة هي المواساة بنفسه فمن حقها ان يؤتسى بها وتتبع قال في الكشاف وقوله لمن كان بدل من قوله لكم
وضعف بان بدل الكل لا يقع من ضمير المخاطب فالاظهر انه صفة الاسوة والرجاء بمعنى الامل او الخوف وقوله يرجو الله واليوم الآخر كقولك
رجوت زيدا وفضله اي رجوت فضل زيد او اراد يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقوله وذكر عطف على كان وفيه ان المقتدي برسول الله
صلى الله عليه وسلم هو الذي واظب على ذكر وعمل يشفع للرجاء ... ثم حكى ما ظهر من المؤمنين وقت لقاء الاحزاب بخلاف حال المنافقين وقوله
هذا اشارة الى الخطب او البلاء عن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا
اي في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وقد وقع وصدق الله ورسوله في كل ما وعد وما زادهم الا ايمانا
بمواعيده وتسليما لقضائه وقيل هذا اشارة الى ما انتظروا من ان بعد الفزع الشديد يكون النصر والجنة كما قال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم
مثل الذين خلوا الى آخره كان رجال من الصحابة نذروا انهم اذا لقوا حربا ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستشهدوا فوفوا به فمدحهم الله
بانهم صدقوا الله فيما عاهدوا عليه ويجوز ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك فاذا وفوا به فقد صدقوه فمنهم من قضى نحبه
اي نذره فقاتل حتى قتل كحمزة ومصعب وقد يقع قضاء النحب عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته ومنهم
من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا تبديلا ما غير كلا الفريقين عهده وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلب فكانه قال
صدق المؤمنون ونكث المنافقون فكان عاقبة الصادقين الجزاء بالخير بواسطة صدقهم وعاقبة اصحاب النفاق التعذيب ان شاء الله الا ان
يتوبوا وانما استثنى لانه آمن منهم بعد ذلك ناس والى هذا اشار بقوله وكان الله غفورا رحيما لكثرة ذنبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك
لغفر لهم ورد الله الذين كفروا وهم الاحزاب متلبسين بغيظهم لم ينالوا خيرا اي ظافرين بشيء من مطالبهم التي هي عندهم خير من كسر او اسر او غنيمة
وكفى الله المؤمنين القتال بواسطة ريح الصبا وبارسال الملائكة كما قصصنا وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم
والصيصية ما تحصن به ومنه يقال لقرن الثور والظبي ولشوكة الديك التي في ساقه صيصية لان كلا منها سبب التحصن به روي ان جبريل عليه السلام
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل فقال
من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يامرك
بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر
الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا هناك بعد العشاء الآخرة فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا فقدمهم وضرب اعناقهم وهم
ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وانما قدم مفعول يقتلون لان القتل وقع على الرجال وكانوا مشهورين وكان الاعتناء
بحالهم اشد ولم يكن في المأسورين هذا الاعتناء بل الاعتناء هناك بالاسر اشد لانه لو قال وفريقا تاسرون فاذا سمع السامع قوله وفريقا ربما ظن انه
يقال بعده يطلقون او لا يقدرون على اسرهم وقيل هذا قدم قوله وانزل على قوله وقذف وان كان قذف الرعب قبل الانزال وذلك ان
الاهتمام والفرح بذكر الانزال اكثر واورثكم ارضهم التي استوليتم عليها ونزلتم فيها اولا وديارهم التي كانت في القلاع فسلموها اليكم واموالهم التي كانت
في تلك الديار وارضا لم تطؤها قيل هي القلاع انفسها وعن مقاتل هي خيبر وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن الحسن فارس والروم وعن عكرمة كل ارض
تفتح الى يوم القيامة وعن بعضهم اراد نساءهم وهو غريب ثم اكد الوعد بفتح البلاد بقوله وكان الله قويا عزيزا قال اهل النظم ان مكارم الاخلاق ترجع اصولها
الى امرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ولهذا اشار بقوله صلى الله عليه وسلم الصلوة وما ملكت ايمانكم ولما ارشد نبيه الى القسم الاول بقوله اتق الله
ارشده الى القسم الآخر وبدأ بالزوجات لانهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن في النفقة ولنبين تفسير الآية على مسائل منها ان التخيير هل كان واجبا على
النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فنقول التخيير قولا كان واجبا بالاتفاق لانه ابلاغ الرسالة واما التخيير معنى فمبني على ان الامر للوجوب ام لا ومنها ان واحدة منهن
لو اختارت الفراق هل كان يصير اختيارها فراقا والظاهر انه لا يصير فراقا وانما تبين المختارة نفسها بابانة من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله فتعالين ... وعلى
هذا التقدير فهل كان يجب على النبي صلى الله عليه وسلم الطلاق ام لا الظاهر الوجوب لان خلف الوعد منه غير جائز بخلاف الحال فينا فانه لا يلزمنا الوفاء بالوعد شرعا ...

القتال م
عجيبا م

ان المختارة بعد البينونة اى كانت تحرم على غيره الظاهر نعم ليكون التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا ومنها ان المختارة لله ورسوله هل يحرم طلاقها الظاهر نعم
بمعنى انه لو اتى بالطلاق لوقع وفى تقديم اختيار الدنيا اشارة الى انه كان لا يلتفت اليها لما ينبغى اشتغاله بعبادة ربه وكيفية المتعة وكميتها ذكرناها
فى سورة البقرة والسراح الجميل كقوله او تسريح باحسان وفى قوله ذكر الله والدار الآخرة مع ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى قوله للمحسنات اشارات
الى ان اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم سبب رضاء الله وواسطة حيازة سعادات الآخرة وانه يوجب وصفهن بالاحسان والمراد بالاجر العظيم كبره
بالذات وحسنه بالصفات ودوامه بحسب الاوقات فان العظيم المطلق لا على الجسم الطويل العريض العميق الذاهب فى الجهات فى الامتدادات الثلثة
واجر الدنيا ان فرض طويل على صغاره غير خال عن جهات القبح كما فى ماكوله من الفرث والثقل وكذلك فى مشروبه وغيرهما من اللذات ومع ذلك فهو منقض
بالانقطاع والزوال وروى انه حين نزلت الآية بدا بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرأى
الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله فانزل لا يحل لك النساء من بعد وروى انه قال لعائشة انى ذاكر لك امرا
وما عليك ان تعجلى فيه حتى تستامرى ابويك ثم قرا عليها القرآن فقالت افى هذا استامر ابوى فانى اريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم قالت لا تخبر ازواجك
انى اخترتك فقال انما بعثنى الله مبلغا ولم يبعثنى متعنتا واما حكم التخيير فى الطلاق فاذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسى او قال اختارى نفسك فقالت
اخترت لا بد من ذكر النفس فى احد الجانبين وقعت طلقة بائنة عند ابى حنيفة واصحابه اذا كان فى المجلس ولم تشتغل بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعى اختيارها
على الفور وهى عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهرى امرها بيدها فى ذلك المجلس وفى غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شئ
بالاتفاق وعن عائشة اخترنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد ذلك طلاقا وعن على رضى الله عنه مثله فى رواية وفى رواية اخرى انه عد ذلك واحدة
رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وحين خيرهن النبى صلى الله عليه وسلم واخترن الله ورسوله ادبهن وهددهن على الفاحشة التى هى اصعب على الزوج
من كل ما ياتى به زوجته واوعدهن بتضعيف العذاب لان الزنا من امرئ قبيح ومن زوجة النبى افحش ازراء بمنصبه ولانها تكون قد اختارت غير النبى فيكون
النبى عندها ادنى من الغير وفيه اشارة الى شرفهن فان الحرة لشرفها كان عذابها ضعف عذاب الامة وايضا نسبة النبى الى غيره من الرجال نسبة
السادة والعبيد لكونه اولى بهم من انفسهم فكذلك زوجاته اللواتى هن امهات المؤمنين وفى قوله من يات منكن بفاحشة دلالة على ان الاتيان بالفاحشة منهن
ممكن الوقوع قال الله تعالى صان زوجات الانبياء من الفاحشة ولكنه فى قوة قوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولئن اتبعت اهواءهم وقوله منكن للبيان
والتبعيض لدخول الكل تحت الارادة وقيل الفاحشة اريد بها كل الكبائر وقيل هى عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه وفى
قوله وكان ذلك على الله يسيرا اشارة الى ان كونهن نساء النبى لا يغنى عنهن شيئا كيف وانه سبب مضاعفة العذاب وحين ذكر مضاعفة عقابهن ذكر مضاعفة ثوابهن
فى مقابلة ذلك والقنوت الطاعة ووصف الرزق بالكرم لان رزق الدنيا لا ياتى بنفسه فى العادة وانما هو مسخر للغير يمسكه ويرسله الاغنياء ورزق الآخرة
بخلاف ذلك ثم صرح بتفضيله نساء النبى بانهن لستن كاحد من النساء كقولك ليس فلان كآحاد الناس اى ليس فيه مجرد كونه انسانا بل وصف اخص لم يوجد
ولا يوجد فى اكثرهم كالعلم والعقل والنسب والحسب قال جار الله احد فى الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد
وما وراءه والمعنى اذا استقريت امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل وقوله ان اتقيتن احتمل ان يتعلق بما قبله وهو ظاهر
واحتمل ان يتعلق بما بعده اى ان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول اى لا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل كلام المريبات فيطمع الذى فى قلبه مرض اى ريبة وفجور وقيل شهوة
من الفاحشة ومن قصد نهيا وما يجر اليها اشارة الى ذلك ليس امرا بالايذاء والتكبر على الناس بل القول المعروف عند الحاجة هو المامور به لا غير ثم امرهن
بلزوم بيوتهن فقوله وقرن بفتح القاف من القرار باسقاط احد حرفى التضعيف كقوله فظلتم تفكهون واصله اقررن ومن قرا بكسرها فهو امر من وقر
يقر بكسر القاف وقيل من وقر يقر وقارا اذا اجتمع والتبرج اظهار الزينة كما مر فى قوله غير متبرجات بزينة وذلك فى سورة النور والجاهلية
الاولى هى القديمة التى كانت فى اول زمن ابراهيم صلوات الرحمن عليه او ما بين آدم ونوح او بين ادريس ونوح او فى زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى
ما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وقيل الاولى جاهلية الكفر والاخرى الفسق والابتداع فى الاسلام وقيل ان هذه اولى ليست لها اخرى بل معناه
تبرج الجاهلية القديمة وكانت المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال ثم امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم عاما فى جميع
الطاعات ثم علل جميع ذلك بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس فاستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر وانما اكد ازالة الرجس بالتطهير لان
الرجس قد يزول ولم يطهر المحل بعد واهل البيت نصب على النداء او على المدح وقد مر فى آية المباهلة انهم اهل العباء النبى صلى الله عليه وسلم لانه اصل وفاطمة لانها
عليها السلام فرعه والحسن والحسين بالاتفاق والصحيح ان عليا كرم الله وجهه منهم لمعاشرته بنت النبى وملازمته اياه وورود الآية فى شان ازواج النبى
صلى الله عليه وسلم يغلب على الظن دخولهن فيهم والتذكير للتغليب لان الرجال وهم النبى وعلى وابناءهم غلبوا على فاطمة وحدها او مع امهات
المؤمنين ثم اكد التكاليف المذكورة بان ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحى ومنازل الحكم والشرائع الصادرة من مشرع النبوة ومعدن الرسالة ثم ختم
الآية بقوله ان الله كان لطيفا خبيرا ايذانا بان تلك الاوامر والنواهى لطف منه فى شانهن وهو اعلم بالمصطفين من عبيده والمخصوصين بتاييده
يروى ان ام سلمة او كل ازواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء ونحن نخاف ان لا تقبل منا طاعة
فنزل ان المسلمين والمسلمات وذكر لهن عشر مراتب الاولى الاسلام والانقياد لامر الله والثانية الايمان بكل ما يجب ان يصدق به فان المكلف
يقول اولا كل ما يقول الشارع فانا اقبله فهذا اسلام فاذا قال له شيئا وقبله صدق مقالته وصح اعتقاده ثم ان اعتقاده يدعو الى الفعل الحسن
والعمل الصالح فيقنت ويعبد وهو المرتبة الثالثة ثم اذا آمن وعمل صالحا كمل فيكمل غيره ويامر بالمعروف وينصح اخاه فيصدق فى كلامه عند النصيحة وهو المراد
بقوله والصادقين والصادقات ثم ان الامر بالمعروف والناهى عن المنكر يصيبه اذى فيصبر عليه كما قال فى قصة لقمان واصبر على ما اصابك
اى بسببه ثم انه اذا كمل فى نفسه وكمل غيره يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله والخاشعين والخاشعات وفيه اشارة الى الصلوة لان
الخشوع من لوازمها قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون فلذلك اردفها بالصدقة ثم بالصيام المانع من شهوة البطن فضم الى ذلك
الحفظ من شهوة الفرج التى هى ممنوع منها فى الصوم مطلقا وفى غير الصوم مما عدا الازواج والسرارى ثم ختم الاوصاف بقوله والذاكرين الله كثيرا
يعنى انهم فى جميع الاحوال يذكرون الله ويكون اسلامهم وايمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم وحفظهم فروجهم متلبسة
وانما وصف الذكر بالكثرة فى اكثر المواضع فقال فى اوائل السورة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا كما قال فى الآية والذاكرين الله كثيرا
ويجئ بعد ذلك يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا لان الاكثر من الافعال البدنية متعسر لمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بالغير كالاكل
ولكن لا مانع من ان يذكر الله وهو آكل او شارب او ماش او نائم او مشغول ببعض الصنائع والحرف على ان جميع الاعمال صحتها او كمالها بذكر الله تعالى

وهى الجنة

وهى الجنة قال علماء العربية فى الآية عطفان احدهما عطف الاناث على الذكور والآخر عطف مجموع الذكور والاناث على مجموع قبله والاول يدل على اشتراك الصنفين
فى الوصف المذكور وهو الاسلام فى الاول والايمان فى الثانى الى آخر الاوصاف والثانى من باب عطف الصفة على الصفة فيؤول معناه الى ان الجامعين والجامعات
لهذه الطاعات اعد الله لهم وجعل آخر الكلام من قصة زيد لتعلقه بما قبله تماما الى حديثه قال الراوى خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب
بنت جحش وكانت امها اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية فقالا
رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل
نزلت فى ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهى اول من هاجر من النساء ووهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا
فسخطت هى واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده وقال اهل النظم انه تعالى لما امر نبيه ان يقول لزوجاته انهن مخيرات
فهم منه ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يريد ضرر الغير فعليه ان يترك حق نفسه لحظ غيره فذكر فى هذه الآية انه لا ينبغى ان يظن ظان ان هوى نفسه متبع وان زمام
الاختيار بيد الانسان كما فى زوجات النبى بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة ان يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله فما امر الله هو المتبع وقضاء الرسول هو الحق
ومن خالف الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا لان المقصد هو الله والهادى هو النبى فمن ترك المقصد وخالف الدليل ضل ضلالا لا يرعوى بعده
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصر زينب ذات يوم بعد ما انكحها زيدا فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك انه
صلى الله عليه وسلم لم يردها اولا ولو اراد لخطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لاجل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى اريد ان افارق صاحبتى فقال ما لك ارابك منها شئ قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على
لشرفها فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق فى نفسى
منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينها فلما رايتها عظمت فى صدرى حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب ابشرى ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربى فقامت
الى مسجدها فنزل القرآن فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز
واللحم حتى امتد النهار ولنرجع الى ما يتعلق بتفسير الالفاظ قوله للذى يعنى زيدا انعم الله عليه بالايمان الذى هو اجل النعم وبتوفيق الاسباب حتى [illegible]
ورسوله وانعمت عليه اى بالاعتاق وبانواع التربية والاختصاص وقوله واتق الله اى فى تطليقها فلا تطلقها نهى تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا تطلقها
بالنسبة الى الكبر وايذاء الزوج والذى اخفى النبى صلى الله عليه وسلم فى نفسه هو تعلق قلبه بها او مودة مفارقة زيد اياها او علمه بان زيدا سيطلقها
وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله شيئا مما اوحى اليه لكتم هذه الآية وذلك ان فيه نوع مخالفة الظاهر وليس كذلك فى الحقيقة لان ميل
النفس ليس يتعلق باختيار الآدمى فلا ملام عليه ولا هو مامور بابدائه والذى ابداه كان يقتضى النصح والاشفاق والخشية والحياء من قالة الناس ان قلت النبى
مال الى زوجة دعيه وهذا القدر موجب لقوله والله احق ان تخشيه فان حسنات الابرار سيئات المقربين فلعل الاولى بالنبى ان يسكت من امساكه حذرا من
عتاب الله على ترك الاولى كما سكت من تطليقه حياء من الناس قال جار الله الواو فى قوله وتخفى وتخشى والله للحال ويجوز ان تكون للعطف كانه قيل
واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشيه حتى لا تفعل مثل ذلك قوله فلما قضى زيد منها حاجة ولم يبق له
فيها رغبة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها نفيا للحرج عن المؤمنين فى مثل هذه القضية قال الشيخ كما يستفاد من قول النبى صلى الله عليه وسلم
يستفاد من فعله ايضا بل الثانى يؤكد الاول الا ترى انه ذكر ما ثم منه على الضب ثم لما لم ياكله بقى فى النفوس شئ ولما اكل لحم الجمل طاب اكله مع انه
يؤكل فى بعض الملل وكذا الارنب وقوله اذا قضوا منهن وطرا يفهم منه نفى الحرج عند عدم قضاء الوطر بالطريق الاولى وعن الخليل قضاء الوطر
بلوغ كل حاجة يكون فيها همة واراد بها فى الآية الشهوة وقيل التطليق فلا اشكال على هذا وكان امر الله مفعولا مكونا لا محالة ومن جملة اوامره ما جرى من قصة زينب
ثم نزه جانب النبى صلى الله عليه وسلم عن قالة الناس بقوله ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له اى قسم واوجب له وسنة الله مصدر مؤكد لما قبله اى سن
نفى الحرج سنة فى الانبياء الذين خلوا فكان منهم من تحته ازواج كثيرة كداود وسليمان وسيجئ قصتهما فى سورة ص ومعنى قدرا مقدورا قضاء مقضيا
كذا قاله المفسرون ولعل قوله وكان امر الله مفعولا اشارة الى القضاء وهذا الاخير اشارة الى القدر وقد عرفت الفرق بينهما مرارا وفى قوله ولا يخشون
احدا الا الله تعريض بما صرح به فى قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشيه وحسيبا الكافى للمخاوف والمحاسب على الصغائر والكبائر فيجب ان لا يخشى الا هو
ثم انه لما شنع المنافقون الامر بانه تزوج امراة ابنه وهو زيد لم يكن ابنا له فقال ما كان محمد ابا احد فكان لقائل ان يقول اما كان ابا الطاهر والطيب والقاسم وابراهيم فلذلك قيل
من رجالكم فخرجوا بهذا القيد من جهتين احدهما انهم لم يبلغوا مبلغ الرجال وبهذا الوجه يخرج الحسن والحسين ايضا من النفى لانهما لم يكونا بالغين حينئذ
والاخرى انه اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله وكذا الحسن والحسين او اراد الاب الاقرب ومعنى الاستدراك فى قوله ولكن رسول الله هو اثبات الابوة من جهة
ان النبى كالاب لامته من حيث الشفقة والنصيحة ورعاية حقوق التعظيم له واكد هذا المعنى بقوله وخاتم النبيين لان النبى اذا علم ان بعده نبيا آخر فقد يترك بعض
البيان والارشاد اليه بخلاف ما لو علم ان ختم النبوة عليه وكان الله بكل شئ عليما ومن جملة معلوماته انه لا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ومجئ عيسى عليه السلام فى آخر الزمان
لا ينافى ذلك لانه ممن نبئ قبله او هو يجئ على شريعته مصليا الى قبلته فكانه بعض امته التاويل لقد كان لكم فى رسول الله اسوة اى كان فى الازل
مقدرا لكم متابعة رسول الله فتعلقت قدرتنا باخراج ارواحكم من العدم الى الوجود عقيب اخراج الرسول من العدم الى الوجود واول ما خلق الله نورى او روحى
وجب التقرب الى روح الرسول والبعد عنه يكون حال الاسوة وكل ما يجرى على الانسان من بداية عمره الى نهاية عمره من الافعال والاقوال والاخلاق و
الاحوال لمن كان يرجو الله يكون عمله خالصا لوجه الله ومن كان يرجو اليوم الآخر يكون عمله للفوز بنعيم الجنان وكل هذه المقامات مشروط بالذكر وهو كلمة
لا اله الا الله محمد رسول الله نفيا واثباتا وهما قدمان للسائرين الى الله وجناحان للطائرين بالله ولما راى المؤمنون الاحزاب المجتمعين على اضلالهم واهلاكهم
من النفس وصفاتها والدنيا وزينتها والشيطان واتباعه قالوا متوكلين على الله هذا ما وعدنا الله ورسوله ان البلاء موكل بالانبياء والاولياء الا
مثل من المؤمنين رجال يتصرفون فى الموجودات تصرف الذكور فى الاناث صدقوا ما عاهدوا الله عليه ان لا يعبدوا غيره من الدنيا والعقبى فمنهم من
قضى نحبه فوصل الى مقصده ومنهم من ينتظر الوصول وهو فى السير وهذا حال المتوسطين وكفى الله المؤمنين القتال بريح العناية اذ هبت على النفوس فاطفات
شهواتها وعلى الشيطان فردت كيده وعلى الدنيا فازالت زينتها وانزل الذين ظاهروهم اى اعانوا النفوس والشيطان والهوى على القلوب
من اهل الكتاب طالبى الرخص لارباب الطلب المنكرين احوال اهل القلوب من صياصيهم هى حصون تكبرهم وتجبرهم او انزل وقعهم من حصون اعتقادات اهل
الطلب كيلا يعتقدوا فيهم ولا يغتروا باقوالهم وقذف بنور قلوبهم فى قلوب النفوس والشياطين الرعب فريقا تقتلون وهم النفس وصفاتها والشيطان

وابناءه ۝ وتاسرون فريقا وهم الدنيا وجاههما ۝ واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم لتنفقوا في سبيل الله وتجعلوها بذر مزرعة الآخرة ۝ وارضا
لم تطؤها السير الى مقامات وكمالات لم يبلغوها فتبلغوها باستعمال الدنيا ۝ فان ذلك بعد الوصول لا يضر لانه يتصرف بالحق للحق ۝ قل لازواجك فيه اشارة
الى ان حب الدنيا يمنعهن من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم مع انهن محال النطفة الانسانية في عالم الصورة ۝ فكيف لا يضر حب الدنيا لاهل القلوب الذين
ارحام قلوبهم محل النطفة الروحانية ۝ والاجر العظيم هو لقاء الله العظيم ۝ لمن احب غير الله وان كان الجنة نقص من الاجر بقدر ذلك لان محبة النبي صلى
الله عليه وسلم ۝ لان محبة الجنة بالحظوظ وان الحق فيها ما تشتهيه الانفس ۝ ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم بالحق لا بالحظ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ومضاعفة العذاب يتوقلون من قرب الله ومن الجنة كما ان ايتاء الاجر مرتين عبارة عن نعيمين ۝ وكان من دعاء السري السقطي اللهم ان كنت
تعذبني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب ۝ والرزق الكريم رزق المشاهدة الربانية ۝ يا نساء النبي هم الذين صلوا ارحام قلوبهم لتصرفات ولاية الشيخ ليست لهم
كاحوالهم من الخلق ۝ ان اتقيتن بالله من غيره ۝ فلا تخضعن بالقول لشيء من الدارين فان كثيرا من الصادقين خضعوا بالقول لارباب الدنيا الذين في
قلوبهم مرض حب المال والجاه فاستجروهم ۝ ووقعوا في ورطة الهلاك والحجاب ۝ قولا معروفا وهو المتوسط الذي لا يكون فيه الميل الكلي الى
اهل الدنيا وبحوب والى الحق اقرب ۝ وقرن في بيوتكن من عالم الملكوت ولا تبرجن في عالم الحواس راغبين في زينة الدنيا كعادة الجاهلية ۝ واقمن الصلاة
التي هي معراج المؤمن يرفع يديه من الدنيا ويكبر عليها ۝ وتقبل على الله بالاعراض عما سواه ۝ ويرجع من مقام تكبر الانسان الى خشوع ركوع الحيوان ۝ ومنه الى
خشوع سجود النبات ۝ ثم الى قعود الجماد فانه بهذا الطريق اهل الى اسفل القالب فيكون رجوعه بهذا الطريق الى ان يوصل الى مقام الشهود الذي كان فيه
في البداية الروحانية ۝ ثم يتشهد بالتحية والثناء على الحضرة ۝ ثم يسلم عن يمينه على الآخرة وما فيها وعن شماله وما فيها ۝ وآتين الزكوة ببذل الوجود الحقيقي
الرجس لوث الحدوث ۝ والبيت لاهل الوحدة بيت القلب يتلى فيه آيات الواردات والكشوف ۝ ان الذين استسلموا للاحكام الازلية ۝ وآمنوا بوجود المعارف
الحقيقية ۝ وقنتوا اي اغرقوا الوجود في الطاعة والعبودية ۝ وصدقوا في عهدهم وصبروا على الخصال الحميدة وعن الاوصاف الذميمة ۝ وخشعوا الى الطرفة
سر ربهم عند سطوة الحقيقة ۝ وتصدقوا باموالهم واعراضهم حتى لم يبق لهم مع احد خصومة ۝ وصاموا بالامساك عن الشهوات ومن رؤية الدرجات فروجهم
في الظاهر عن الحرام وفي الباطن عن زوائد الحلال ۝ وذكروا الله بجميع اجزاء وجودهم الجسمانية والروحانية ۝ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا صدر امر
من الملك او عليه فان كان مخالفا للشرع وجب عليه الانابة والاستغفار ۝ وان كان موافقا للطبع وجب عليه الشكر ۝ وان كان مخالفا للطبع وجب ان يستقبله
بالصبر والرضا ۝ في قوله والله احق ان تخشيه دلالة على ان المخلصين على خطر عظيم حتى انهم يؤاخذون بميل القلب وحديث النفس ۝ وذلك لقوة صفاء
باطنهم فاللطيف اسرع تغيرا ۝ فلما قضى زيد منها وطرا قضاء شهوته من الخلق الى قيام الساعة ۝ ما كان على النبي من حرج فيه ان ما هو نقصان في نظر
الخلق فانه كمال عند الحق الا اذا كان النظر للحق ۝ ولكن رسول الله فيه ان نسبته الى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم كنسبة الابن الى الاب الشفيق
ولهذا قال كل حسب ونسب ينقطع الا حسبي ونسبي ۝

يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ۝ وسبحوه بكرة واصيلا ۝
وهو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما
تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما ۝ يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا ۝ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ۝
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ۝ ولا تطع الكافرين والمنافقين
ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ۝ يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن
سراحا جميلا ۝ يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت
اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة مؤمنة ان وهبت
نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا
عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ۝
ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك

ذلك

ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم
وكان الله عليما حليما ۝ لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من
ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شي رقيبا ۝
يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه
ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي
النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب
ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ۝ ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان
بكل شي عليما ۝ لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء
اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله
كان على كل شي شهيدا ۝ ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما ۝ ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في
الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا ۝ والذين يؤذون المؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ۝ يا ايها النبي
قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى
ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ۝ لئن لم ينته المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا
ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ۝ سنة الله في الذين خلوا من قبل
ولن تجد لسنة الله تبديلا ۝ يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها
عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ۝ ان الله لعن الكافرين
واعد لهم سعيرا ۝ خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ۝
يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا ۝
وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ۝ ربنا آتهم ضعفين
من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ۝ يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ۝ يا ايها الذين آمنوا

اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ۝ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ۝ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ۝ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ۝

ترجى بغير همز أبو جعفر ونافع وحمزة وعلي وحفص وخلف والأعشى والمفضل والعباس ... أبو عمرو ويعقوب إناه بالإمالة وغيرها مثل الحوايا في الأنعام وافق الخزاز عن هبيرة ههنا بالإمالة سادتنا بالألف وبكسر التاء ابن عامر وسهل ويعقوب وجبلة الباقون على التوحيد كبيرا بالباء الموحدة عاصم وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالثاء المثلثة ... كثيرا ه وأصيلا ه النور ط رحيما ه سلام ج لاحتمال الجملة حالا واستئنافا كريما ه ونذيرا لا منيرا ه كبيرا على الله ط تعتدونها ج لانقطاع النظم مع الفاء جميلا ه معك ز لاحتمال ما بعده العطف والنصب على المدح مع أن طول الكلام يرجح جانب الوقف ... المؤمنين ط حرج ط رحيما ه ... من تشاء ط لأن ما بعده واو استئناف دخل على الشرط عليك ط كلهن ط قلوبكم ط حليما ه يمينك ط رقيبا ه إناه لا للعطف مع الاستدراك لحديث منكم ز فصلا بين وصف الحق وحال الخلق مع اتفاق الجملتين من الحق ط لابتداء الحكم حجاب ط وقلوبهن ط أبدا ط عظيما ه عليما ه إيمانهن ج والوقف أجوز لتكرار الواو للاستئناف واتقين الله ط شهيدا ه النبي ط تسليما ه مهينا ه مبينا ه جلابيبهن ط يؤذين ط رحيما ه قليلا ج لأن قوله ملعونين يحتمل أن يكون حالا أو منصوبا على الشتم ملعونين ج لأن الجملة الشرطية تصلح وصفا واستئنافا تقتيلا ه قبل ج تبديلا ه الساعة ط قريبا ه سعيرا لا أبدا ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف نصيرا ج لاحتمال تعلق الظرف بما يجدون أو يقولون أو بالذكر الرسولا ه السبيلا ه كبيرا ه قالوا ط وجيها ه سديدا لا ذنوبكم ط عظيما ه الإنسان ط جهولا لا والمؤمنات ط رحيما ه التفسير إنه لما كان مبنى هذه السورة على تأديب النبي صلى الله عليه وسلم وقد أمر النبي بذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي مع الله وهو التقوى وذكر ما ينبغي أن يكون عليه مع أهله ثم بعد ذلك عامة المؤمنين ... المرسلين بدأ بما يتعلق بجانب التعظيم لله وهو الذكر الكثير وفيه لطيفة وهي أن النبي لكونه من المقربين ... إلى التقوى ... يكاد ينتهي والتسبيح بكرة وأصيلا عبارة عن الدوام لأن مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط كقوله صلى الله عليه وسلم أولكم وآخركم قال جار الله خص التسبيح بالذكر من جملة الذكر لفضله على سائر الأذكار لأنه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه ولقائل أن يقول هذا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا إله إلا الله ويجوز أن يراد بالذكر الكثير الإقبال على العبادات كلها ويراد بالتسبيح الصلوة وبالوقتين العموم كما مر أو صلوة الفجر والعشائين ... وما عادها أشد ثم حرض المؤمنين على ذكره بأنه أيضا يذكرهم والصلوة من الله رحمته ومن الملائكة الاستغفار وقد عرفوا أن اللفظ المشترك ... فذهب إليه الشافعي أو في الكلام حذف أي وملائكته تصلي أو المراد بصلوة الملائكة هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لاستجابة دعوتهم كأنهم فعلوا الرحمة أو المراد القدر المشترك وهو العناية بحال المرحوم والمستغفر له وأصل الصلوة التعطف وذلك أن المصلي ينعطف في ركوعه وسجوده فاستعير لمن ينعطف على غيره حنوا ورأفة ثم بين غاية الصلوة وهي إخراج المكلف من ظلمات الضلال إلى نور الهدى وفي قوله وكان بالمؤمنين رحيما بشارة لجميع المؤمنين وإشارة إلى أن تلك الرحمة لا تختص السامعين وقت الوحي ومعنى تحيتهم يوم يلقونه سلام مذكور في أول يونس وفي إبراهيم والمراد بيوم اللقاء يوم القيامة كأن الخلق يقبلون على الله بكليتهم بخلاف الدنيا والأجر الكريم هو ما يتبعه غضوا من غير شوب نقص ثم أشار إلى ما ينبغي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم عليه مع عامة الخلق فقال إنا أرسلناك شاهدا وهي حال مقدرة أي شهيدا وذلك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل وفيه أن الله تعالى جعل النبي شاهدا على وجوده بل على وحدانيته لأن المدعي والذي يذكر شيئا بخلاف الظاهر والواحدانية أظهر من الشمس فلا ينبغي أن يقال إن النبي مدع له بل يقال إنه شاهد عليها كما قال على مثل الشمس فاشهد ودع ... شهادة على نبوته كما قال والله يشهد إنك لرسوله والحاصل أنه شاهد في الدنيا بأحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهد في الآخرة بأحوال الدنيا من الطاعة والمعصية والصلاح والفساد وإنما قال داعيا إلى الله بإذنه لأن الشهادة ... إلى إذنه وكذلك الإنذار والتبشير إذا قال من يطع الملك أفلح ومن عصاه لم ينجح ... احتاج إلى رضاه ويمكن أن يجعل قوله بإذنه متعلقا بمجموع الأحوال أي بتسهيله وتيسيره ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالسراج لأن ظلمات الضلال ينجلي به كما ينجلي ظلام الليل بالسراج وقد أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار وإنما لم يشبه بالشمس لأنه لا يؤخذ منه شيء ويؤخذ من السراج سرج كثيرة وهم الصحابة والتابعون في الشأن ولهذا قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وشبههم بالنجوم لأن النجم لا يؤخذ منه شيء والتابعي لا يأخذ من الصحابي في الحقيقة وإنما يأخذ من النبي ووصف بالإنارة لأن السراج قد يكون فاترا ومنه قولهم ثلاثة تضني رسول يبطي وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء ويجوز أن يكون سراجا معطوفا على الكاف ويراد به القرآن ويجوز أن يكون المعنى وذا سراج أو تاليا سراجا قوله ودع أذاهم أي لا تؤاخذهم بما ظهر منهم ... وإضافته إذن يحتمل أن يكون إلى الفاعل وإلى المفعول ثم أمر المؤمنين بما يتعلق بجانب الشفقة على الخلق واكتفى بذكر الزوجات المطلقات قبل المسيس أو الزم الإحسان إليهن بمجرد العقد ... النكاح ههنا في الوطء يكون أولى وقد مر بحثه في سورة البقرة في قوله وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وذلك لأجل تشطير الصداق وإنما أعاد ذكره ههنا لبيان عدم وجوب العدة عليهن وتخصيص المؤمنات بالذكر دون الكتابيات إيذان بأنهن أولى بتخيرهن للنطفة وفي قوله ثم طلقتموهن تنبيه على أنه لا تفاوت في هذا الحكم بين قريبة العهد من النكاح وبين بعيدة العهد عنه فإذا لم يجب العدة على البعيدة العهد فلأن لا يجب على القريبة العهد أولى وقد يستدل بكلمة ثم على أن تعليق الطلاق بالنكاح لا يصح لأن المعقبة تنافي التراخي وفي قوله فما لكم عليهن دليل على أن العدة حق واجب للرجال على النساء وإن كان لا يسقط بإسقاطه لما فيه من حق الله تعالى أيضا ومعنى تعتدونها تستوفون عددها يقول عددت الدراهم فاعتدها كقولك فكلته فاكتاله ثم عاد إلى تعليم النبي صلى الله عليه وسلم فائدة قوله اللاتي آتيت أجورهن وقوله مما أفاء الله عليك وقوله

اللاتي

اللاتي هاجرن معك هي أن الله تعالى اختار لرسوله الأفضل الأولى ولك أن سوق المهر إليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله وكان التعجيل دين السلف ومن الناس من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه إعطاء المهر لأن المرأة لها الامتناع إلى أن تأخذ مهرها والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يستوفي ما يجب له كيف وأنه إذا طلب شيئا حرم الامتناع على المطلوب منه والظاهر أن طالب الوطء ... المرأة الأولى أن يكون هو الرجل لحياء المرأة ولو طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المرأة التمكين قبل المهر لزم أن يجب ولا كذلك أحدنا ومما يؤكد هذا قوله وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي حيث لا يبقى لها صداق وتصير كالمستوفية مهرها والجارية إذا كانت مسبية ملكها ومملوكته بسيفه ورمحه بأنها أحل وأطيب من المشتراة لكونها غير معاوضة بالمال قال جار الله السبي إما سبي طيبة وهي ما سبي من أهل الحرب وسبي خبيثة وهي التي سبي من له عهد فلا جرم قال مما أفاء الله عليك لأن فيء الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاربه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وإنما لم يجمع العم والخال ... كما جمعهما مع جمع البنات دلالة على ذلك لامتناع اجتماع أختين تحت واحد ولم يحسن هذا الاقتصار في العمة والخالة لإمكان سبق الوهم إلى أن المراد فيهما الوحدة وشرط في إحلال الواهبة نفسها إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها وفيه أنه لا بد من قبول الهبة حتى يتم النكاح وبه استدل أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة وحملها الشافعي على خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي الحسن الكرخي أن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز لقوله اللاتي آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الإجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد والظاهر أن خالصة حال من ... وقال جار الله هي مصدر مؤكد كوعد الله أي خلص لك الإحلال خلوصا وفائدة الحال على مذهب الشافعي رضي الله عنه ظاهرة وقال أبو حنيفة أراد بها زوجة وهي من أمهات المؤمنين فأورد عليه أن أزواجه كلهن خالصة له فلا يبقى لتخصيص الواهبة فائدة وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم جملة اعتراضية معناها أن الله قد علم ما يجب للمؤمنين في حق الأزواج وفي الإرقاء وعلى أي حد وصفة ينبغي أن يكون ثم بين غاية الإحلال بقوله لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك ودنياك حيث أحللنا لك أصناف المنكوحات وكان الله غفورا للذي وقع في الحرج رحيما بالتوسعة والتيسير على عباده ثم بين أنه أحل له وجوه المعاشرة ومكنه من ترك قسم بينهن لأنه صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى الله كالسيد المطاع فزوجاته كالمملوكات فلا قسم لهن والإرجاء التأخير والإيواء الضم وهما خبران في معنى الأمر ومن ابتغيت ممن عزلت يعني إذا طلبت من كنت تركتها فلا جناح عليك في شيء من ذلك وهذه قسمة جامعة للغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك وإذا أمسك ضاجع أو ترك وإن ضاجع قسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يترك المعزولة أو يتبعها يروى أنه أرجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ويروى أنه كان يسوي مع ما خير فيه إلا سودة فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك وقيل أراد أن تترك تزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها ومن قال إن القسم كان واجبا مع أنه ضعيف بالنسبة إلى مفهوم الآية قال المراد تؤخرهن إذا شئت إذ يجب القسم في الأول والتزوج أن لا ينام عند أحد منهن وإن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك في ذلك فابدأ بمن شئت وتم الدور الأول ثم قال ذلك التفويض إلى مشيئتك أدنى إلى قرة أعينهن وقلة حزنهن وإلى رضاهن جميعا لأنه إذا لم يجب القسم فيهن علمن ذلك على أنه فضله ... ففي قوله والله يعلم ما في قلوبكم وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله وكان الله عليما بذات الصدور حليما مع ذلك لا يعاجل بالعقوبة فيتحاما لباب التوبة وقوله كلهن بالرفع تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لضمير المفعول في آتيتهن ثم إنه سبحانه شكر لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اختيارهن الله ورسوله فأنزل لا يحل لك النساء من بعد قال أكثر المفسرين أي من بعد التسع المذكورة فالتسع نصاب رسول الله من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته منهن وأنه تعالى زاد في إكرامهن بقوله ولا أن تبدل بهن أي ولا يحل لك أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن وأكد النفي بقوله من أزواج وفائدته استغراق جنس جماعات الأزواج بالتحريم وذهب بعضهم إلى أن الآية ليس فيها تحريم غيرهن ولكن المنع من طلاقهن والمعنى لا يحل لك النساء من بعد اللواتي نص على إحلالهن من الأجناس الأربعة وأما غيرهن من الكتابيات والإماء بالنكاح ومن الأعرابيات والغرائب لا يحل لك التزوج بهن وقوله ولا أن تبدل بهن نهي عن فعل الجاهلية وهو قولهم بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فكان ينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه يحكى أن عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة أين الاستئذان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة إلى جنبك فقال هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله فقال أحمق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه وقوله ولو أعجبك حسنهن في موضع الحال أي مفروضا إعجابك بهن قال جار الله والأظهر أن جوابه محذوف يدل عليه ما قبله وهو لا يحل وفائدة هذه الشرطية التأكيد والمبالغة واستثنى ممن حرم عليه الإماء وفي قوله وكان الله على كل شيء رقيبا تحذير عن مجاوزة حدوده واعلم أن ظاهر هذه الآية ناسخ لما كان قد ثبت له من تحريم مرغوبة على زوجها وفيه حكمة خفية وذلك أن الأنبياء يشتد عليهم برحاء الوحي في أول الأمر ثم يستأنسون به فينزل عليهم وهم يتحدثون مع أصحابهم فكانت الحاجة إلى تفريغ بال النبي يكون في أول الأمر أكثر أو هي القوة لعدم الألفة بالوحي فلما تكاملت قوته وحصل الألفة بتعاقب الوحي لم يبق له التفات إلى غير الله فلم يحتج إلى إحلال التزوج بمن وقع بصره عليها وعن عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء يعني أن الآية نسخت ونسخها إما بالسنة عند من يجوز النسخ بخبر الواحد وإما بقوله إنا أحللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ثم عاد إلى إرشاد الأمة وحالهم مع النبي حال الخلوة فالواجب هناك احترام أهله وأشار إليه بقوله لا تدخلوا وأما حال الملأ فالواجب وقته التعظيم بكل الكون وذلك قوله إن الله وملائكته ... كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه فقيل لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام إلا وقت الإذن أي ما وقت أن يؤذن لكم غير ناظرين إناه أي إدراكه الطعام أنى يأنى إنى ... وقيل إناه وقته فقد خصص أن لا إذن مشروط بكونه إلى الطعام فيلزم منه أن لا يجوز الدخول إذا لم يكن الإذن إلى الطعام كالدخول بالإذن لاستماع كلام مثلا فأجيب أن الخطاب مع قوم كانوا موصوفين بالتحين للطعام فمنعوا من الدخول في وقته من غير إذن وجوز بعضهم أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي لا تدخلوا إلى طعام إلا أن يؤذن لكم فلا يكون منعا من الدخول في غير وقت الطعام بغير الإذن والأول أصح وإذا اشترط في الإذن التصريح به أو إذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قيل إلا أن يؤذن على البناء للمفعول ليشمل إذن الله وإذن الرسول أو العقل المؤيد بالدليل وقوله فانتشروا للوجوب وليس كقوله فإذا قضيت الصلوة فانتشروا وذلك للدليل المتقدم على أن ... لا يصلح للمكث بعد الفراغ مما هي لأجله ولا دليل النقل وذلك قوله ولا مستأنسين لحديث وهو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب على الحال أي لا تدخلوا ... ولا مستأنسين يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا إلى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء وذلك قوله إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم أي من إخراجكم فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع فنزلت الآية ناهية للثقلاء أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به أو يستأنسون حديث أهل البيت واستماعه ومعنى لا يستحيي لا يمتنع ولا يترك كما مر في أول البقرة والضمير في سألتموهن لنساء النبي بقرينة الحال قال الرازي الأمر

[illegible]

طبقة يظهر فيها جمال صفة عدله وهم الملك والاجسام العلوية والسفلية سوى الثقلين لم يحملوا الامانة وتركوا نفعها وضرها وطبقة يظهر فيها جمال قهره وهم المشركات والمنافقون حملوا طمعا في نفعها ثم لم يؤدوا حقها بان باعوها بالاعراض الفانية والطبقة الثالثة المؤمنون وهم الذين حملوا طوعا ورغبة وشوقا ومحبة وادوا حقها بقدر وسعهم ولكن بحكم لكل جواد كبوة [illegible] قدم صدق لهم في تحمل بلاء وابتلاء وتوب الله عليهم بجذبات العناية وهم مراة جمال فضله ولطفه الله حسبي

سورة سبا حروفها ٢٥١٢ كلماتها ثمانمائة وثلاثة وثمانون آياتها اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير

يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور

وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه

مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين

[illegible]

ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم ۝ والذين سعوا
في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم ۝ ويرى الذين اوتوا العلم
الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد ۝
وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد ۝
افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد ۝ افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف
بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب ۝
ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ۝
ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ۝
ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه
باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير ۝ يعملون له ما يشاء من
محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا ۝
وقليل من عبادي الشكور ۝ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض
تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ۝
لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة
طيبة ورب غفور ۝ فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم
جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ۝ ذلك جزيناهم بما كفروا
وهل نجازي الا الكفور ۝ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة
وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما آمنين ۝ فقالوا ربنا باعد بين
اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات
لكل صبار شكور ۝ ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ۝
وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ۝
وربك على كل شيء حفيظ ۝

عالم الغيب بالرفع ابوجعفر ونافع وابن عامر
ورويس علام بالجر وبناء المبالغة حمزة وعلي الباقون عالم بالجر وبدون المبالغة معاجزين بالالف وقد روي عن ابن كثير وابي عمرو معجزين بالتشديد
رجز اليم بالرفع صفة لعذاب وكذلك في الجاثية ابن كثير وحفص ويعقوب وجبلة الاخرون بالجر ان نشا نخسف او نسقط على الغيبة فيهما حمزة وعلي

وخلف الباقون بالنون نخسف بهم بادغام الفا بالبا وعلى كسفا بفتح السين حفص غير العمران والطير بالرفع عطفا على لفظ المنادى يعقوب غير رويس الاخرون بالنصب
عطفا على المحل او لانه مفعول معه او معطوف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير الريح بالرفع ابوبكر وحماد والمفضل بتقدير ولسليمان الريح مسخرة وله الريح الرياح بالرفع ابوجعفر
ولكن بجمع عابد الباقون موحدا منصوبا كالجوابي بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابوعمرو وورش في الوصل عبادي الشكور بسكون اليا حمزة والاخرون
بالياء ولا يخفى منساته بلا الف ابوجعفر ونافع وابوعمرو وابن فليح وزيد عن يعقوب وقرا ابن ذكوان ساكنة الهمزة تبينت الجن على البناء للمفعول يعقوب غير زيد سبا
غير مصروف ابوعمرو والبزي سبا بهمزة ساكنة ابن مجاهد وابوعون عن قنبل سبا بالالف ابن فليح وزمعة والقواس غير ابن مجاهد وابي عون مسكنهم بفتح الكاف حمزة
وحفص بكسرها علي وخلف الباقون مساكنهم مجموعة بجنتيهم بضم الهاء سهل ويعقوب اكل خمط بضم الكاف وبالاضافة ابوعمرو وسهل ويعقوب الاخرون بالسكون
والتنوين نجازي بضم النون وكسر الزاء الا الكفور بالنصب حمزة وعلي وخلف وحمزة وحفص ويعقوب الاخرون بضم اليا وفتح الزاء ورفع الكفور ربنا باعد بلفظ الماضي
من المفاعلة سهل الاخرون ربنا بالنصب على النداء باعد على الامر وقرا ابن كثير وابوعمرو وهشام بعد امر من التبعيد صدق بالتشديد عاصم وحمزة وعلي وخلف
الباقون بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك الوقوف في الاخرة ط الخبير ه فيها ط الغفور ه الساعة ط لتاتينكم لمن قرا عالم
بالرفع اي هو عالم ومن خفض جعله لغا لربي ثم يقف الغيب ج لان قوله لا يعزب يصلح حالا واستينافا مبين ه لتعلق اللام ابوحاتم يقف الصلحات ط كريم ه اليم
الحق لا لان قوله ويهدي عطف على الحق اي يرى قوله ويهدي الحميد ممزق ه لا لان ما بعده في حكم المفعول لان ان في حكم المفتوحة لانه مفعول ان ينبئكم وانما كسرت
لدخول اللام في خبرها جديد ج للاستفهام مع اتحاد القول جنة ط البعيد ه والارض ط السماء ط منيب ه فضلا ط والطير ج لان ما بعده يصلح حالا واستينافا الحديد ه
لتعلق ان صالحا ط بصير ه ورواحها شهر ج لان قوله واسلنا عطف على محذوف اي وسخرنا لسليمان الريح القطر ط ربه ط السعير ه راسيات ط شكرا ط
[illegible]

يا جبال اوبي اي رجعي معه التسبيح قيل كان نوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وتقدم تحقيقه في سورة الانبياء والتاويب
السير طول النهار والنزول ليلا فكانه قال اوبي النهار كله بالتسبيح معه وفي خطاب الجماد دون ان يقول فضلنا اوب الجبال معه اشعار بانه ما من حيوان وجماد الا وهو منقاد لمشيئته
وقد الان الله الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة وان في ان اعمل مفسرة لان في الانة الحديد معنى الامر ان يعمل سابغات اي دروعا واسعة وهي من الصفات التي غلبت عليها
الاسمية حتى ترك ذكر موصوفها والسرد نسج الدروع ومعنى التقدير فيه ان لا يجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق يروى انه كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا
فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى ملكا في صورة آدمي فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فخاف داود فساله
فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فطلب عند ذلك من الله ان يغنيه من اكل بيت المال فعلمه صنعة اللبوس وانما اختار له ذلك لانه وقاية للروح وحفظ الودي المكرم عند الله
من القتل فانزره وخير من الفراس والسباق وقيل ان التقدير في السرد اشارة الى انه غير مامور به امر ايجاب انما هو كتساب ومكسب يكون بقدر الحاجة الى القوة وباقي اليوم والليلة
عبادة ودليل قوله واعملوا صالحا اي انتم آل داود وتحلوا من الاعمال الصالح فاكثروا منه وما كسب العقوة فقصدوا فيه ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله اني بما تعملون بصير فان من علم انه
بمراى من الملك اجتهد في حسن العمل وتزكية الباطن ثم ذكر النبي الآخر وهو سليمان وحكى ما استفاد هو بالانابة وهو تسخير الريح له كالمركوب المنقاد ومرة غدوها شهر اي جريها
بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك يروى ان بعض اصحاب سليمان كتب في منزل بناحية دجلة نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن
رايحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله ومن جملة معجزاته اساله عين القطر والقطر النحاس اساله له كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سمي عين القطر
روي انه كان يسيل في الشهر ثلثة ايام زعم بعض المتعمقين ان المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع داود انها كانت تسبح كما يسبح كل شيء بحمده وكان هو عليه السلام يفقه
تسبيحهم فيسبح والمراد من تسخير الريح انه راض الخيل وهي كالريح وقوله غدوها شهر اي تملون فرسخا وان الذي يخرج للتفرج لا يسير في العادة اكثر من فرسخ ثم يرجع والمراد
[illegible]
من او قليلين وهذا الشكر القليل انما هو بقدر الطاقة البشرية واما الذي يناسب نعم الله فلن يقدر احد ان يقوم عليه الا ان يقول الله عبدي ما اتيته من الشكر فقبلته منك
مع قلته وكتبتك شاكرا لنعمي باسرها فهذا القبول نعمة عظيمة لا تكاد تشكر ابدا حكي ان من عظمة سليمان وتسخير الريح والجن له بين انه لم ينج من الموت واذ قضى
عليه الموت ولو نجا احد منه لكان نبي الله اولى بذلك يروى ان داود صلوات الرحمن عليه اسس بناء بيت المقدس فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فامر
الشياطين باتمامه وكان من عادته ان يعتكف فيه احيانا فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله عز وجل فيسألها لاي شيء انت فتقول لكذا
حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي … وقد بقيت من عمري ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا
من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ لذلك وظن جنوده انه في العبادة فكانوا يدأبون على الاعمال الشاقة الى ان اكلت الارضة
عصاه فخر ميتا وذلك بعد سنة والارض مصدر ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة والمنساة العصا لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر وقد يترك همزها وقرئ
من ساته من طرف عصاه وسميت بساة القوس على الاستعارة وتبينت بمعنى ظهرت وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال على نحو قولك تبين زيد جهله او هو بمعنى
علمت اي علم الجن بعد التباس الامر على عامتهم ان لو كانوا يعلمون الغيب وكان ادعاؤهم ذلك من قبيل زورا او المراد التهكم بهم وان الذين ادعوا منهم علم الغيب
اعترفوا بعجزهم مع انهم كانوا من قبل عارفين عجزهم كما لو قلت لمدعي الباطل اذا دحضت حجته هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك وكان عمر
سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة وبقي في ملكه الى ان مات وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه ولما بين حال الشاكرين ثنى
بذكر حال من كفر النعمة وسبا يصرف بناء على انه اسم للحي او الاب الاكبر ولا يصرف بتأويل القبيلة وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين
صنعاء مسيرة ثلث من قرأ مساكنهم فظاهر ومن قرأ على التوحيد فالمراد مسكن كل واحد منهم او موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم عن الضحاك كانوا في الفترة التي بين
عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ومعنى كون الجنتين آية انه جعل قصتهما عبرة لاهل الكفران او علامة دالة على الصانع وكمال اقتداره ووجوب شكره قال جار الله
لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها كأن كل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها جنة
واحدة او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كقوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب قوله كلوا من رزق ربكم حكاية لسان الحال او لسان الانبياء
المبعوثين اليهم وهم ثلثة عشر نبيا على ما روي وفيه اشارة الى كمال النعمة حيث لم يمنعهم من اكل ثمارها خوف ولا مرض وكذا قوله واشكروا له لان الشكر لا يطلب

الا على النعمة المجددة وكذا قوله بلدة طيبة اي من المؤذيات من العقارب والحيات وسائر الهوام والحشرات او المراد انها طيبة التربة كقوله والبلد الطيب ورب
غفور اي ربكم الذي رزقكم فطلب شكركم غفور لمن شكر بقدر طاقته ولا يؤاخذه بالتقصير في اداء حق الشكر او توجه على الشكر وبذل وسعه فيه او ان او غفران سائر الذنوب
فكانه وعدهم سعادة الدارين ومن تكلف معنا واسكن فاعبدوا فصل بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم وهو قوله فاعرضوا اي عن الشكر ثم ذكر جزاءهم بقوله
فارسلنا عليهم سيل العرم وهو لجرد ويروى ان بلقيس الملكة لما اتى الجبال هناك فسدت ما بينها من الشعب بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت
فيه خروقا لها ابواب مترتبة بعضها فوق بعض على مقدار ما يحتاجون اليه في سقي ما نبتهم فلما طغوا سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم
جمع عرمة وهي الحجارة المركبة والمراد المسناة والتي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل المطر الشديد والتركيب يدل على الشكاسة وسوء الخلق ومنه قولهم
صبي عارم بين العرام بالضم اي شرس ومن ذلك عرمت العظم عرقته وعرمت الابل الشجر نالت منه والاكل صاحبتي ثمر والقياس الاكل لان المستعمل في الثلاثة
هو الجمع والخمط شجر الاراك ابو عبيدة كل شجر ذي شوك الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل نوع من الطرفاء لا يكون عليه ثمر الا نادرا كالعفص
في الطعم والطبع ولكن اصغر والسدر معروف وهو من احسن اشجار البادية فلذلك وصفه ههنا بالقلة من حيث قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا والتحقيق فيه ان
البساتين اذا عمرت كل سنة وجنبت من الحشايش كانت ثمارها زكية واشجارها عالية فاذا تركت سنين صارت كالغيضة والاجمة والتفت الاشجار بعضها ببعض
فقل الثمار وكثرت الحشايش والاشجار ذوات الشوك على انه لا يبعد التبديل حقيقيا فيكون شبه المسخ من قرأ اكل خمط بالاضافة فظاهر ومن قرأ بالتنوين فعلى حذف
المضاف اي اكل خمط او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذوات اكل بشع وتسمية البدل جنتين للمشاكلة او التهكم قال في الكشاف الاثل والسدر معطوفان على
اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له وذلك اشارة الى الارسال والتبديل جزيناهم بما كفروا النعمة وغمطوها او بكفرهم بالرسل وهل نجازي مثل هذا الجزاء وهو العقاب العاجل الا الكفور قال بعضهم
المجازات يقال في النقمة والجزاء في النعمة الا اذا قيد كقوله سبحانه جزيناهم بما كفروا وقال جار الله الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل في معاقبة تارة وفي اثابة اخرى فلما استعمل
اولى في معنى المعاقبة استعمل ثانيا على نحو ذلك وقيل ان المجازاة مفاعلة وهي في الاكثر تكون بين اثنين يوجد من كل واحد جزاء في حق الآخر ففي النعمة لا تكون مجازاة لان الله
مبتدئ بالنعم ومن ذكر حال مسكنهم وجنتهم وحكى تبديل الجنتين بما لا نفع فيه اراد ان يذكر حال خارج بلدهم وما يؤول اليه امرهم فقال وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها
وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى من كل منها ما يتلوها لتقاربها او ظاهرة للسابلة لكونها على متن الطريق وقدرنا فيها السير جعل الغادي في قرية والرائح في
اخرى فمنازل ما بين تلك القرى مقدرة معلومة لا يجاوزها المسافر عرفا بخلاف المفاوز فان السائر يسير فيها بقدر طاقته حتى يقطعها ثم بين امن تلك الطريق بقوله سيروا
اي قلنا لهم سيروا ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار قال اهل البيان لا قول ثمة ولكنهم مكنوا من تهيئة اسباب من وجدان الزاد والراحلة وعدم المخاوف والمضار فكأنهم امروا
بذلك والمقصود من ذكر الليالي والايام تقرير كمال الامن ولذلك قدمت الليالي فانها مظنة الآفات ويمكن تقريره من وجه آخر وهو ان يقال سيروا فيها وان تطاول مدة
سفركم فيها وامتدت اياما وليالي او يراد بالليالي والايام مدة اعمارهم اي سيروا فيها مدة عمركم فانكم لا تلقون الا الامن ثم حكى انهم لم يشكروا العيش الهني وملوا الدعة كما طلب بنو اسرائيل
البصل والثوم مكان المن والسلوى فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا ارادوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فانهم لو كان حتى حصل
البعد كان اشهى واغلى ويحتمل ان يكون ذلك لفرط التمادي في البطر كما يقول القائل لغيره اضربني تنبيها على انه لا يقدر عليه وكن
فرار على الابتداء والخبر فالمراد الاستبعاد وسائر ما في القراآت يدل على فرط تنعمهم وترفههم وظلموا انفسهم بوضع الكفر موضع الشكر فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق فرقناهم كل
تفريق فلا جرم اتخذ الناس ذلك مثلا قائلين ذهبوا ايدي سبا اي تفرقوا تفرقا لا اجتماع معه وليد في كلام العرب الطريق قال سالكا بهم البحر وقيل الايادي الاولاد لانه يعتضد بهم
كالايدي والمعنى وهو التفرق اولاد سبا فلحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك التمزيق لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور
للنعم او صبار على النعم حتى لا يطغيه البطر شكور لها برعاية حق الله فيها ثم اخبر عن ضعف عزم الانسان لقوله ولقد صدق عليهم اي على بني آدم لقرينة الحال وقيل على اهل سبا ظنه
ابليس هو قوله لاغوينهم او قوله انا خير منه وقيل قوله فاتبعوه والمستثنى خير من التابع … الا فريقا من المؤمنين … خالف امره في سجدة آدم والكافر يجحد
الصانع او يشرك به … وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم … ما هو سابق في علمه من المؤمن والشاك وربك على كل شيء حفيظ …
العلم والقدرة او الجاهل بالشيء او بكنه حفظه وكذا العاجز **التأويل** لقد كان لسبا في ارض البشرية بواسطة الحواس والاغذية الحلال والحرام آية يخرج منها من الصفات
المتولدة منهما وما ينزل من سماء القلب من الفيوض والالهامات وما يعرج فيها من آثار الفجور والتقوى وظلمة الضلالة ونور الهدى … من سماء القلب
وارض النفس نخسف بهم ارض البشرية بغلبات صفاتها او يغلب عليهم صفة من صفات القلب بالميل الى الافراط فيهلكهم بها كالسخاوة فانها صفة حميدة لكنها اذا جاوزت
حد الاعتدال صارت ذميمة ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين يا جبال اوبي قد مر تأويله في سورة الانبياء … هو التكلم بالحكمة على قدر عقول الناس ولسليمان القلب
سخرت ريح العناية وذلك ان مركب القلوب في السير هو الجذبة الالهية كما ان مركب البدن في السير البدن يروى ان سليمان في سيره … يوما قال الريح بساطه
فقال سليمان للريح استوي فقالت الريح استو انت فاني لا اكون مستوية حتى تستوي انت كذلك حال السير مع القلب ريح العناية اذا زاغ القلب زاغ به ريح الجذبة
بساط السير ان اسعد … حتى يعبروا ما انفسهم واسلنا له عين الحقائق والمعاني ومن الجن من يعمل بين يديه … كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اسلم
شيطاني على يدي فلا يأمرني الا بخير من محاريب هي كل ما يتوجه الى الله … والاستكبار … للقلب والروح في خاصية الروحانية
عليها ما كان يرغب في العبور عن مقام الروحانية كالملائكة قال جبريل لو دنوت انملة لاحترقت … الى الله التي لا كل منها الا الانبياء والاولياء
او جفون … اعملوا آل داود … متولدات الروح … الشريعة بجميع الاعضاء والحواس وشكر النفس … شرائط التقوى والورع وشكر القلب
وشكر السر المراقبة وشكر الروح بذل الوجود على … على شعلة شمعة وشكر الخفي قبول الفيض … بنور الوحدة … فالعوام شكرهم
بالاقوال والخواص شكرهم بالاعمال وخواص الخواص شكرهم بالاحوال … بصفة الشكورية … على عمل … وثواب باق … بالقلة … بقل
منساته الخ سليمان على عصا … دابة الارض … سببا لزوال الملك … من قبل … فلما … احد
من خلقه لقد كان لسبا السر جنتان جنة الروح عن يمين السر وجنة القلب عن شمال السر بلدة طيبة اي بلدة الانسانية القابلة لبذر التوحيد ورب غفور يستر العيوب
فاعرضوا عن الوفاء واقبلوا على الجفاء فارسلنا عليهم سيل … وبدلناهم بجنتيهم المثمرتين … جنتين من الاوصاف الذميمة … الى كل
يكون لها … الا الاثمار الخبيثة … ومقامات العارفين … والتزكية والتحلية … في بيداء البشرية … وايام
الروحانية آمنين في حضارة الشريعة فطلبوا البعد عن الله … في اودية الهلاك … البعد وما كان له عليهم من سلطان … الشيطان لما تسلط
على بني آدم استخراج جواهر النفوس من معادنها قوله تعالى

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من

شرك وما له منهم من ظهير ۝ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ۝ قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله
وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ۝ قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل
عما تعملون ۝ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ۝
قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم ۝ وما أرسلناك إلا كافة
للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم
صادقين ۝ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ۝
وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون ۝
موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا
أنتم لكنا مؤمنين ۝ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى
بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ۝ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل
مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا
العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ۝
وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ۝ وقالوا نحن
أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ۝ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات
آمنون ۝ والذين يسعون في آياتنا معاجزين ۝ أولئك في العذاب
محضرون ۝ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء
فهو يخلفه وهو خير الرازقين ۝ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا
يعبدون ۝ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
أكثرهم بهم مؤمنون ۝ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ۝ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما
هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ۝ وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا

إليهم

إليهم قبلك من نذير ۝ وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي
فكيف كان نكير ۝ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا
ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ۝ قل ما سألتكم من أجر
فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ۝ قل إن ربي يقذف بالحق علام
الغيوب ۝ قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ۝ قل إن ضللت
فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب ۝ ولو ترى إذ فزعوا
فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ۝ وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان
بعيد ۝ وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد
وحيل بينهم وبين ما يشتهون ۝ كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك
مريب ۝ صدق الله العظيم

[illegible]

[illegible]

او اهل الكبائر في اهل الايمان وعبر عن اجرام اهل الكفر بلفظ عام وهو العمل وفيه ارشاد وادب في مناظرات الجارية في العلوم وغيرها فاذا قال احد المناظرين انت مخطئ في غضبه
وعند الغضب لا يبقى سداد الكفر وعند الخلو لا يطمع في الفهم فيفوت الغرض وفي معنى الفتح الحكم والفصل بين الفريقين بادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار وفيه
حث في الابتداء على وجوب النظر من حيث ان كل احد يواخذ بجرمه ولو كان البريء يواخذ بالجرم لم يكن كذلك اكد ذلك المعنى بالآية الثانية فان مجرد الخطأ والضلال
واجب الاجتناب فكيف اذا كان يوم عرض وحساب وفي قوله العليم اشارة الى ان حكمه يكون مع العلم لا كحكم من يحكم بمجرد الغلبة والهوى ولما بين ان غير الله
لا يعبد لدفع الضر ولا لجلب النفع اراد ان يبين ان غير الله لا ينبغي ان يعبد لاجل استحقاق العبادة فانه لا يستحق للعبادة الا هو ومعنى اروني كان يعرفهم ويريهم
الاستخفاف بهم والتنبيه على الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله اوارا اعلموني باي صفة الحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء فشركاء نصب على الحال او العائد محذوف
وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد كسره بابطال المقايسة ورد الالحاق ثم زاد في توبيخهم بقوله بل هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات
فان الآلهة لا يمكن ان يخلوا عن القدرة الكاملة والحكمة الشاملة وهو يحتمل ان يكون ضمير شان وحين فرغ من التوحيد شرع في الرسالة ومعنى كافة عامة لان الرسالة اذا شملتهم
فقد منعتهم ان يخرج منها احد منهم والكف المنع وكافة صفة الرسالة وقال الزجاج التاء للمبالغة كتاء الرواية والعلامة وانه حال من الكاف اي ارسلناك جامعا
للناس في الابلاغ والتبشير والانذار ومانعا للناس من الكفر والمعاصي وبعض النحويين جعله حالا من الناس وزيف بان حال المجرور لا يتقدم عليه ومن هؤلاء من جعل
اللام بمعنى الى لان ارسل يتعدى بالى فضعف تخطئته بان استعمال اللام بمعنى الى ضعيف ولا يخفى ان الى معنى ارسلنا على خبر النفس محذوف والتقدير وما ارسلناك
الى الناس الا كافة لهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لا لخفائه ولكن لغفلتهم وحين ذكر الرسالة بين الحشر وذكر انهم استعجلوه تعنتا منهم فقيل متى هذا الوعد
والاستعجال فيه كلام الامهال وهو انشاء ان كل امرئ بال قال جار الله ميعاد يوم كقولك سحق ثمامة في ان الاضافة للتبيين ويؤيده قراءة من قرا ميعاد يوم بالرفع فيهما فابدل
منه اليوم وفي اسناد الفعل المبهم بقوله لا يستاخرون عنه دون ان يقول لا يؤخركم زيادة تاكيد لوقوع اليوم ولما فرغ من الاصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر ذكر انهم
كافرون بالكل قائلين لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من الكتب السماوية كالتوراة والانجيل ويروى ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون
صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع الكتب وقيل الذين كفروا عام والذي بين يديه يوم القيمة وما جاء ذكره في القرآن من تفاصيل
الحشر وغيرها وان اهل الكتاب لو صدقوا النبي من ذلك فليس الا محبته في القرآن ولكن المحبة في كتبهم وحين وقع الياس من ايمانهم بقولهم لن نؤمن وعد نبيه ان سيراهم
على ارذل حال وفرض المسؤول حتى ذهبين اهاب المراجعة يحاكون حال جماعة اخطاوا في تدبير امر وجواب لو محذوف اي لرايت العجب وبدا بالاتباع لان المضل
اولى بالتوبيخ وفي قوله لولا انتم اشارة الى ان كفرهم لمانع لا لعدم المقتضي فان الرسول جاء ولم يقصر في الابلاغ ثم جواب المستكبرين وهم الرؤوس والمتبوعون
على طريقة الاستئناف وفي ايلاء الاسم وهو نحن حرف الانكار اثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عن الهدى بكسب منهم واختيار وان المانع لم يكن راجحا على
المقتضي والاستواء باله والكد واذلك بقولهم بل كنتم مجرمين اي كنتم انتم الذين اطعتم امر الشهوة فكنتم كافرين ولم يكن منا الا التسويل والتزيين ثم
عطف قول الآخر للمستضعفين على قولهم الاول والاضافة في مكر الليل والنهار من باب الاتساع باجراء الظرف مجرى المفعول به واصل الكلام بل مكركم في
الليل والنهار او جعل الليل والنهار ماكرين على الاسناد المجازي فالاول اتساع لفظي والثاني معنوي ابطلوا اضرابهم قائلين ما كان الاجرام من جهتنا
بل من جهة مكركم استمرارا دائما ليلا ونهارا وقدم الليل لانه اخفى للمكر والويل وقرئ مكر الليل بالنصب اي بسبب ذلك انهم تكبرون الاغواء مكرا دائبا والمعنى
ما انتم بالصارف فقط والمانع القوي ولكن انضم الى ذلك طول المدة فصار مكركم جزء السبب وفي قولهم ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اشارة الى ان الشرك
وان كان مثبتا لله في الظاهر ولكنه نافٍ له على الحقيقة لانه جعله مساويا بالصنم ويجوز ان يكون كل منهما قول طائفة اخرى فبعضهم كانوا مامورين بجحد الصانع وبعضهم
بالاشراك به وتفسير قوله واسروا الندامة لما راوا العذاب مذكور في سورة يونس والضمير هو الى جنس الظالمين الشامل للمستضعفين والمستكبرين وقوله في اعناق
الذين كفروا اي في اعناقهم من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما استحقوا به الاغلال ويجوز حمله على الظاهر وان جاز ان يراد بها العلائق وفي قوله
هل يجزون اشارة الى انهم استحقوا ما عملوا ثم سلى حبيبه صلى الله عليه وسلم بان ايذاء الكفار الانبياء ليس بدعا وانما ذلك بحيلهم قديما وانما خص المترفين
بالذكر لانهم اصل في الجحود والعناد وغيرهم تبع ثم استدلوا على كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد لانهم اعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله
لما رزقهم ثم قاسوا امر الآخرة للزينة والمفروحية عندهم على امر الدنيا فقالوا وما نحن بمعذبين فبين الله خطاهم بان القابض والباسط هو الله ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ان ذلك بمجرد المشيئة لا بالكسب والاستحقاق فكم من شقي موسر وتقي معسر ثم زاد في البيان بقوله وما اموالكم اي وما جماعة اموالكم وما جماعة
اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى اي قربى اسم بمعنى القربة وقع موقع المصدر كقوله والله انبتكم من الارض نباتا ثم استثنى ضمير المفعول في تقربكم بقوله الا من آمن وعمل
ان الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح ينفق الاموال في سبيل الله ويعلم اولاده الخير والتفقه في الدين ويحتمل ان يكون الاستثناء من الفاعل والمعنى ان شيئا من ذلك
لا تقرب الا عمل المؤمن الصالح لان ما سوى ذلك يشغل عن الله والعمل الصالح اقبال على الله ومن توجه الى الله عز وجل ومن طلب من الله شيئا حصل جزاء الضعف من
اضافة المصدر الى المفعول تقديره فاولئك لهم ان يجازوا الضعف وفي قراءة يعقوب اولئك لهم الضعف جزاء والتضعيف يكون الى العشر والى سبعمائة
والى اكثر كما عرف والباقي الى قوله محضرون قد سبق وحين بين ان حصول الترف لا يدل على الشرف ذكر ان بسط الرزق لا يختص بهم ولكنه سبحانه قد يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده المؤمنين ثم رتب وعدا لا خلاف على الانفاق وذلك اما في العاجل بالمال او بالقنوع واما في الآخرة بالثواب الذي لا خلف فوقه ولا مثله ومما يؤكد الآية
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اعط منفقا خلفا الحديث وقول الفقهاء ان ما حاك في البحر وعلى ضمانه وان الحاج اذا علم ان ماله من الاموال في معرض الفنا
جميعه فنيه وان كان من الفقراء وانسب الى الخطاء وسخافة الراي وكان سبب ان مال الدنيا في معرض الزوال وكان من الاغنيا قد طلب منا الاقراض ووعد باضعاف
والاخلاف فاي تجارة عند العاقل اربح من هذا وهو خير الرازقين لان سلسلة الارزاق والرزق ينتهي اليه ومن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته
لا يجد وواجد لا يشتهي ثم حكى عاقبة حال الكفار بقوله ويوم يحشرهم وفي خطاب الملائكة تقريع الكفار وتقريعهم لما يعزوهم من التحمل والوصل عند انفصام ذلك كما جرى
في قوله لعيسى ءانت قلت للناس قالوا سبحانك تنزيها لك من ان نعبد غيرك انت الذي نواليك ونعادي غيرك في شان العبادة بل كانوا يعبدون الجن
حيث اطاعوهم في عبادة غيرك فهم كانوا يشبعونهم وكل من الجن كالقبلة او صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هم صور الملائكة فاعبدوها او كانوا يدخلون
في اجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها وانما قال اكثرهم بهم مؤمنون وارادوا الاقلية لان الذين راوهم واطلعهم الله على احوالهم كانوا اقل كذلك ويحتمل في الوجود
من لم يطلع الله الملائكة عليه من الكفار وانتهاء ان العبادة محلها ظاهر والايمان محل بالجن واطلاع على عمل القلب كما هو ليس الا الله وحده ففرقوا الادب
الجميل والحكم على الظاهر الكثري ثم ذكر ان الامر في ذلك اليوم لله وحده والخطاب في قوله لا يملك بعضكم للملائكة والكفار وان كان الكفار غائبين كما تقول لمن حضر
عندك ولست انت ولا شاركك في مرتبته انتم فعلتم كذا على معنى انت قلت وهم قالوا ويحتمل ان يكون الخطاب للكفار لان ذكر اليوم يدل على حضورهم او لهم وللملائكة ايضا تنبيها
التاويل وعلى الاول يكون قوله ونقول للذين ظلموا افرادا للكفرة بالذكر وعلى الوجه الآخر يكون تاكيدا لبيان حالهم في الظلم وذكر العذر تاكيدا لعدم تمكنهم شيئا [illegible]

فاليوم

في ذلك اليوم وانما قال هنا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وفي السجدة عذاب النار الذي كنتم به لانهم هناك قد ذاقوا النار بدليل قوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها فقيل لهم ذوقوا العذاب المؤبد الذي كنتم به تكذبون في قولكم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وههنا لم يروا النار قبل انه ذكر عقيب الحشر والسؤال فناسب
على تكذيبهم بالنار ثم حكى اكاذيبهم بقوله واذا تتلى عليهم الآية ولا يخفى ما فيه من المبالغات ثم بين ان قولهم هذا مستند الى محض التقليد فقال وما آتيناهم من كتب
يدرسونها في الآيات البينات لا يعارض اولا بالبراهين العقلية وما لهم من دليل او بالنقليات وما عندهم من كتاب ولا رسول غيرك وكذب الذين من قبلهم كعاد وثمود
وما بلغوا معشار ما آتيناهم والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع قال الاكثرون معناه وما بلغ هؤلاء المشركون عشر ما آتينا المتقدمين من القوة والنعمة وطول العمر ثم ان الله
اخذهم وما نفعهم محصولهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وقال بعضهم اراد وما بلغ الذين من قبلهم معشار ما آتينا قوم محمد صلى الله عليه وسلم من البيان والبرهان لان محمدا صلى الله عليه
افصح
افصح الرسل وكتابه اوضح الكتب ثم ان المتقدمين لما كذبوا انكر عليهم تكذيبهم فكيف ينكر على هؤلاء قال جار الله قوله فكذبوا رسلي بعد قوله وكذب الذين من قبلهم تخصيص بعد تعميم كانه قيل
وفعل الذين من قبلهم التكذيب فكذبوا رسلي كنظيره قول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يعطف على قوله وما بلغوا معشار كقولك ما بلغ زيد معشار
فضل عمرو فيفضل عليه فتلك تعلق يعمل بما يكون الفاء السببية والمعنى انه اولم يبلغ معشار فضله فكيف يفضل عليه وكذا في الآية يصير المعنى انهم اذا لم يبلغوا معشار ما اوتي هؤلاء فكيف
كان نكير للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله ويجوز عندي ان يكون الثاني تكرير الاول لاجل ترتيب النكير عليه كانه قيل هنا قد صح انهم فعلوا ما ذكرنا فلا جرم ذاقوا وبال الامر
نظيره قولك اكرمني زيد فكثيرا ما اكرمته قد فعلت كذا فانا قد فعلت ذلك مرتين وبعد تقرير الاصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر كررها مجموعة بقوله قل انما اعظكم بواحدة
اي بخصلة واحدة او كلمة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها والقيام اما حقيقة وهو قيامهم عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم متفرقين الى اوطانهم
بواحدة
واما مجاز وهو الاهتمام بالامر والنهوض له بالعزم والجد لقوله مثنى وفرادى اشارة الى جميع الاحوال لان الانسان اما ان يكون مع غيره او وحده فكانه قال ان تقوموا مجتمعين او منفردين
وينبغي للجماعة حين ذكروا الله ولا يحكم حكم الانفراد الى معنيين بحيث يكم على ذكر الله وقوله ثم تتفكروا والمعنى تفكروا ما هو الحق وهو التوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر ونظر بعد ما ابان وظهر
يتفكروا فيما اقول بعده وهو الرسالة المشار اليها بقوله ما بصاحبكم من جنة والحشر المشار اليه بقوله بين يدي عذاب شديد قيل وفيه اشارة الى عذاب قريب كانه
حاضر
قال ينذركم بعذاب حاضر قيل الشديد فجميع الامور الثلاثة معنى واحد والمراد انه لا يامرهم في اول الامر بغير التوحيد لانه سابق على الكل وانه لا يامرهم في جميع العمر
اصبتم
الا بشيء واحد وعند جار الله الخصلة الواحدة هي الفكر في امر محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وهو ان تقوموا لوجه الله
خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان ما فوق الاثنين والواحد يوجب التشويش واختلاف الراي فيتفكر كل من الاثنين محصول نظره على صاحبه من غير
عصبية ولا اتباع هوى وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونصفة حتى يجذب الفكر بصنعته الى ان هذا الامر المستتبع لسعادة الدارين لا يتصدى له الا
رجلان مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان وعاقل اجتباه الله بسوابق الفضل والامتنان لتكميل نوع الانسان لكن محمدا صلى الله عليه وسلم باتفاق
نوع الناس افضل واحد فهم قولا واوفرهم حيا وامانة فهو الا النبي المنتظر في آخر الزمان المبعوث بين يدي عذاب شديد هو القيامة واهوالها وقوله ما بصاحبكم اما ان يكون
امس
كلاما مستانفا فيه تنبيه على كيفية النظر في امر النبي صلى الله عليه وسلم والمراد ثم تتفكروا فتعلموا ذلك وجوز بعضهم ان يكون ما استفهامية ويعين ذكر انه باي جنة يلزم
منه كونه نبيا ذكر وجها آخر يلزم منه صحة نبوته وهو قوله ما سالتكم من اجر الآية وتقريره ان العاقل لا يرتكب العناد الشديد الا لغرض عاجل وهو غير موجود ههنا بل كل
يعاديه ويقصده بالسوء او لغرض آجل ولا يثبت الا على تقدير الصدق فان الكاذب معذب في الآخرة لا مثاب هذا اذا اريد بقوله فهو لكم نفي سؤال الاجر
راسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ويحتمل ان يراد بالاجر قوله لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله ما
نفعهم
اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا لان المودة في القربى قد شملتهم واياهم وكذا اتخاذ السبيل الى الله عز وجل فيه نفعهم ونفعكم وهو على كل شيء شهيد
يعلم اني لا اطلب الاجر على نصحكم او يعلم ان فائدة النصح يعود عليكم وقوله يقذف بالحق اي في قلوب المحقين وفيه ازالة استبعاد الكفرة تخصيص واحد منهم بانزال
الذكر عليه فان الامر بيد الله والفضل له يؤتيه من يشاء وانه علام الغيوب يعلم عواقب الامور ومراتب الاستحقاق فيعطي على حسب ذلك او كما يعلم الهاجم الفكر
اوارا ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه وذلك ان براهين التوحيد قد ظهرت وشبه المبطلين قد دحضت وفي قوله علام الغيوب اشارة الى ان البرهان الباهر
الباطل
لم يقم الا على التوحيد والرسالة واما الحشر فالدليل عليه اخبار علام الغيوب عنه وحين ذكر انه يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة الاستقبال اخبر ان ذلك الحق
قد جاء وهو القرآن او الاسلام او كل ما ظهر على لسان النبي وعلى يده وقيل السيف وقوله ما يبدئ وما يعيد مثل في الهلاك لان الحي اما ان يبدئ فعلا او يعيده
فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة والتحقيق فيه ان الحق هو الموجود الثابت ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من بيان التوحيد والرسالة والحشر
ثابتا في نفسه مبينا لمن نظر اليه كان جانبا وحين كان ما اتوا به من الاشراك والتكذيب مما لا اصل له قيل انه لا يبدئ ولا يعيد اي لا يفيد شيئا لا في الاول
ولا في الآخر وقيل الباطل ابليس لانه صاحب الباطل او لانه هالك والمراد انه لا ينشئ خلقا ولا يعيده وانما المنشئ والباعث هو الله ومن الحسن
الآية والمعنى ان ضلالي على نفسي
لا يبدي لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج ما استفهامية والمعنى اي شيء ينشئ ابليس ويعيده ثم قرر امر الرسالة
بوجه آخر وهو قوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي ضلالكم وانما اهتدي اي فليس بالنظر والاستدلال كاهتدائكم وانما هو بالوحي المبين قال جار الله هذا حكم عام لكل
مكلف والتقابل مرعي من حيث المعنى والمراد ان كل ما هو وبال على النفس يضار لها فهو بها وبسببها لان الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه
وانما امر رسول الله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحت هذا الحكم مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به انه سميع قريب يدرك قول كل ضال و
مهتد وفعله ولا يعزب عنه شيء وفيه ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا دعاه على من يكذبه اجابه ليس كمن يسمع من بعيد ولا يجيب الداعي ثم عجب نبيه ذكل
من احوال اهل العنا بقوله ولو ترى وجوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما والافعال الماضية التي هي فزعوا واخذوا وقالوا وحيل كلها من قبيل ونادى
قوم
وسيق ووقت الفزع وقت البعث والموت او يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في خسف البيداء وهم ثمانون الفا ارادوا ان يغزوا الكعبة وتخريبها
يخسف بهم حين دخلوا البيداء فلا فوت اي فلا يفوتون الله ولا يسبقونه والاخذ من مكان قريب هو من الموقف الى النار او من ظهر الارض الى بطنها او من صحراء
بدر الى القليب او من تحت قدامهم الى الارض وجوز جار الله ان يعطف واخذوا على فلا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ثم بين انهم سيؤمنون بمحمد صلى الله
وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم
عليه وسلم او بالقرآن او بالحق حين لا ينفع الايمان وذلك قوله واني لهم التناوش وهو تناول سهل لشيء قريب مثل حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من
لا ينفع لان الآخرة
بعيد كما يتناوله الآخر من قريب تناولا سهلا لا تعب فيه آثارا وان تناولهم التوبة وايمانهم في الآخرة بعيد عن الدنيا لان اسس الدار لا تجود وان كانت
الآخرة قريبة من الدنيا ولهذا اسماه الله الساعة فكل ما هو آت قريب وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد قولهم نأشت بالهمز اي ابطات وتاخرت
والاصح انه من النوش كما هو همزة الواو المضمومة كما همزت في اجوه وقيل التناوش بلغة اليمن التذكرة قاله ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب في كتابه المدخل في
تفسير القرآن والضمير في قوله وقد كفروا عائد الى ما يعود اليه في قوله آمنا به وقوله يقذفون بالغيب فيه وجوه احدها انه قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم
شاعر ساحر وذلك تكلم بالامر الخفي وقد اتوا به من جهة بعيدة من حاله لانهم قد عرفوا منه الامانة والصدق لا الكذب والزور وثانيها قولهم في الشركاء من حالهم

في العجز فانهم يحتاجون في الامور العظام الى التعاون فقاسوا الامر الالهي عليه ﴿ وثالثها انهم قاسوا قدرة الله على قدرتهم فجوزوا من احياء الموتى فظنوا ان الله عاجز
على البعث ﴿ وقياس الخالق على المخلوق بعيد المأخذ ﴿ ورابعها فاسوا امر الآخرة على الدنيا فظنوا ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة وحصول الثواب والعقاب
فنحن اكرم على الله من ان يعذبنا ﴿ وخامسها قوله قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ﴿ وهو قذف بالغيب من مكان بعيد وهو الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون
من نفع الايمان في الآخرة او من الرد الى الدنيا كما فعل باشياعهم اي باشباههم من كفرة الامم لم ينفعهم ايمانهم لما راوا بأس الله انهم كانوا في شك مريب [illegible]
الى المعنى اي ذو ريبة ولكن باعتبار صاحبه وكلاهما مجاز بوجهين وقد مر في هود **التأويل** مثقال ذرة في سموات القلوب ولا في ارض النفوس من سعادة او
شقاوة قالوا الحق يعني فهموا من الهيبة كلامه ولكن يعلمون انه لا يقول الا الحق قل من يرزقكم من سموات القلوب وارض النفوس اي انزل من سماء القلب [illegible]

[illegible]

سورة فاطر [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] آياتها خمس واربعون

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق
ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ۝ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ۝ يا ايها الناس اذكروا نعمة الله
عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون ۝
وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور ۝ يا ايها الناس ان
وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ۝ ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ۝ الذين كفروا لهم
عذاب شديد ۝ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير ۝
افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون ۝ والله الذي ارسل الرياح
فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور ۝
من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين
يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور ۝ والله خلقكم من
تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر
ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير ۝ وما يستوي البحران
هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية
تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ۝ يولج الليل

في النهار

في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك
والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ۝ ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ۝
يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ۝ ان يشأ يذهبكم
ويأت بخلق جديد ۝ وما ذلك على الله بعزيز ۝ ولا تزر وازرة وزر
اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير ۝
وما يستوي الاعمى والبصير ۝ ولا الظلمات ولا النور ۝ ولا الظل ولا الحرور ۝
وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ۝
ان انت الا نذير ۝ انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير ۝
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب
المنير ۝ ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ۝ صدق الله العظيم

[illegible]

[illegible]

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض
وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ۞ ومن الناس والدواب والأنعام
مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ۞
إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
يرجون تجارة لن تبور ۞ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور
شكور ۞ والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين
يديه إن الله بعباده لخبير بصير ۞ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل
الكبير ۞ جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا
ولباسهم فيها حرير ۞ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن
ربنا لغفور شكور ۞ الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب

ولا يمسنا فيها لغوب ۝ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف
عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ۝ وهم يصطرخون فيها ربنا
أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير
فذوقوا فما للظالمين من نصير ۝ إن الله عالم غيب السموات والأرض
إنه عليم بذات الصدور ۝ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه
كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا
قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك
في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا
إلا غرورا ۝ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ۝ ولئن زالتا
إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا ۝ وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا ۝
استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين
فلن تجد لسنت الله تبديلا ۝ ولن تجد لسنت الله تحويلا ۝ أولم يسيروا
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه
من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا ۝ ولو يؤاخذ الله الناس
بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله
كان بعباده بصيرا ۝

[illegible]

[illegible]

بالطيب ثناء عند الانابة فقالوا الحمد لله وقالوا ربنا لغفور اعتراف بتقصيرهم شكور اقرار بوصول ما لم يخطر ببالهم اليهم واحالوا الكل الى فضله تصريحا بانه لا عمل لهم بالنسبة
الى مجازاته قوله اولم نعمركم استفهام فيه توبيخ والزام وهو متناول لكل عمر يتمكن فيه المكلف من اصلاح شانه الا ان التوبيخ في العمر الطويل اعظم عن النبي صلى الله
عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وروي من الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين
وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة وقوله وجاءكم معطوف على المعنى كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي وقيل الشيب فتبين بالحكمين ان القابل موجود والفاعل
حاصل فالعذر غير مقبول فذوقوا العذاب فما للظالمين الذين وضعوا اعمالهم في غير موضعها واتوا بالمعذرة في غير وقتها من نصير نفي الانصار والناصرين في آخر
آل عمران وفي الروم ووجهه ههنا كانهم في النار قد ايسوا من كثير ممن كانوا يتوقعون منهم النصرة الا من نصير واحد هو الله سبحانه ثم كان لسائل ان يسال بال الكافر
يعذب ابدا وانه ما كفر الا اياما معدودة فلا جرم قال ان الله عالم غيب السموات والارض فكان يعلم من الكافر ان الكفر قد تمكن في قلبه بحيث لو دام الى الابد لما اطاع
ولا عبده وذات الصدور صواحبها من الظنون والعقايد فهو من وضع المعنى الصحيحة فالصدور ذات العقايد والعقايد ذات الصدور باعتبار انها صحبتها
وحين ذكرهم بما مر من انه سوف يوبخهم بالتعمير وايتاء العقول وارسال من يويد المعقول بالمنقول وعظهم بانه هو الذي جعلكم وخص العاطف ههنا بما ثبت
في الانعام للعدول عن خطاب اهل الآخرة الى خطاب اهل الدنيا وقال ههنا خلائف في الارض بزيادة في المفيدة لتمكن الظرف لاجل المباحة
والترقي من الادنى الى الاعلى كانه قيل امهلتم وعمرتم وامرتم على لسان الرسل بما امرتم وجعلتم خلفاء والهالكين الماضين فاصبحتم بحالهم راضين فمن كفر فعليه
كله فعليه وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا لان الكافر السابق ممقوت واللاحق الذي انذره الرسل ولم يتنبه امقت لانه زاد
عذاب من تقدمه ولم يتنبه ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا فان العمر كراس المال من اشترى به رضى الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر ثم وبخ اهل الشرك
بقوله قل ارايتم وابدل منه اروني كانه قال اخبروني عن هولاء الشركاء اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه ام لهم مع الله شرك في خلق السموات
ام معهم او مع عابديهم كتاب من عند الله فهم على برهان من ذلك الكتاب والاضافة في شركاءكم لملابسة العبادة او المراد كونهم شركاءهم في النار
كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم بل ان يعد الظالمون بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم ان هولاء
شفعاؤنا وحين بين عجز الاصنام اراد ان يبين كمال القدرة فقال ان الله يمسك السموات والارض اي يمنعهما من ان تزولا او كراهة زوالهما
عن مقرهما ومركزهما ولو فرض زوالهما بامر الله فلن يمسكهما احد من بعد الله وقيل اراد انهما كانتا جديرتين بان تهدا لهذا العظيم كلمة الشرك كقوله تكاد
السموات يتفطرن منه يويد هذا الوجه قوله انه كان حليما غير معاجل بالعقوبة غفورا لمن تاب من الشرك قال المفسرون بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى وزيف
هذا النقل بان المشركين كانوا منكرين للرسالة وللحشر فكيف اعترفوا بان اليهود والنصارى جاءهم رسل سيما لكنهم كيف عرفوا تكذيب اليهود وتحريفهم
ولم يأتهم رسل والكتاب فالوجه الصحيح في سبب النزول انهم كانوا يقولون لو جاءنا رسول لم ننكره وانما ينكرون كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا
لانه كاذب ولو صح كونه رسولا لآمنا وقوله من احدى الامم ليس للتفضيل بل المراد لنكونن اهدى مما نحن عليه ويكون من احدى الامم كقولك زيد من المرسلين
او هو للتفضيل واللام لتعريف العهد اي امة محمد وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام او للعموم اي اهدى من اي امة تفرض وقيل فيها احدى الامم تفضيلا
لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي صح لهم نذارته بالمعجزات الباهرة ما زادهم هو او مجيئه الا نفورا كانه صار سببا
في نفارهم عن الحق عنادا وكبرا فانتصب استكبارا على انه مفعول لاجله او حال ويجوز ان يكون بدلا من نفورا وقوله ومكر السيئ من اضافة المصدر الى صفة
معموله اصله وان مكروا السيئ اي المكر السيئ والمكر هو مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم من الهم بالقتل والاخراج وقد حاق بهم يوم بدر او هو عام وعاقبة
الماكر وخيمة يعود اليه جزاؤه عاجلا او آجلا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وفي امثالهم من حفر
لاخيه جبا وقع فيه منكبا وفي قوله باهله دون ان يقول الا بالماكر اشارة الى ان الرضا بالمكر والاعانة عليه مكر فيندرج صاحبه في زمرة اهل المكر وقوله سنة الاولين
من اضافة المصدر الى المفعول وقوله سنة الله من اضافته الى الفاعل والمراد بها انزال العذاب على امثالهم من مكذبي الرسل فجعل استقبالهم لذلك وانتظارهم
اياه انتظارا منهم والتبديل تغيير الصورة مع بقاء المادة والتحويل نقل الشيء من مكان الى مكان آخر خص هذه السورة بالجمع بين الوصفين لان كثيرا من احوال
الكفرة جاءت ههنا مثناة كقوله ولا يزيد الكافرين الى قوله الا خسارا وكقوله الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيئ ويحتمل ان يريد بسنة الاولين استمرارهم
على الانكار كانه قال انتم تريدون الاتيان بسنة الاولين والله يأتي بسنته لا يبدل العذاب المعلوم بنوع آخر ولا يحوله عن مستحقه الى من لا يستحقه ثم امرهم بالسير
او ذكرهم ما راوه في مسايرهم ومتاجرهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الهالكين الذين مع قوتهم وكثرة شوكتهم ثم بين كمال علمه ونهاية قدرته
على ايصال اصناف الاستحقاقات بقوله وما كان الله ليعجزه اي ليسبقه ويفوته شيء ثم ختم السورة بما يدل على غاية حلمه وهو انه لا يواخذ الناس بكل جرم الى
اجل مسمى هو يوم القيمة فيجازيهم فانه اعلم باحوالهم علما محيطا فيجزي كلا بحسب عمله وقد مر مثل الآية في سورة النحل وقيل الاجل هو يوم لا يوجد في الخلق من
يؤمن او حين يجتمع الناس على الضلال والله اعلم

سورة يس مكية سوى آية نزلت في اليهود وقوله واذا قيل لهم **بسم الله الرحمن الرحيم** حروفها ثلثة الاف كلمها سبعمائة وتسع وعشرون آياتها ثلث وثمانون

يس ۝ والقرآن الحكيم ۝ انك لمن المرسلين ۝ على صراط مستقيم
تنزيل العزيز الرحيم ۝ لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون ۝
لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون ۝ انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي
الى الاذقان فهم مقمحون ۝ وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
فاغشيناهم فهم لا يبصرون ۝ وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم

لا يؤمنون

لا يؤمنون ۝ انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر
كريم ۝ انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه
في امام مبين ۝ واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون
اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون
قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون ۝ قالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ۝ وما علينا الا البلاغ المبين ۝
قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم ۝
قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون ۝ وجاء من اقصى المدينة
رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ۝ اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم
مهتدون ۝ وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ۝
ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون
اني اذا لفي ضلال مبين ۝ اني آمنت بربكم فاسمعون ۝ قيل ادخل الجنة
قال يا ليت قومي يعلمون ۝ بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ۝ وما
انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ۝ ان كانت
الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون ۝ يا حسرة على العباد ما يأتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزؤن ۝ الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون
انهم اليهم لا يرجعون ۝ وان كل لما جميع لدينا محضرون ۝
وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ۝
وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ۝ ليأكلوا من ثمره
وما عملته ايديهم افلا يشكرون ۝ سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت
الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون ۝ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
فاذا هم مظلمون ۝ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ۝
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ۝ لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ۝
وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ۝ وخلقنا لهم من مثله ما

يركبون ۝ وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون
الا رحمة منا ومتاعا الى حين صدق الله العظيم

القراءات يس باظهار النون ابو عمرو وسهل ويعقوب غير ورش وابن كثير غير ابن فليح وحمزة وابو جعفر ونافع
غير البخاري عن ورش والحلواني عن قالون وعاصم غير يحيى وابن طالب وقرأ حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد بالامالة تنزيل بالنصب ابن عامر وحمزة
وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والباقون بالرفع سدا بفتح السين في الحرفين حمزة وعلي وخلف وحفص وابو زيد فعززنا بالتخفيف ابو بكر وحماد
والمفضل آين بالمد والياء ابو عمرو وقالون وزيد وشله وكذلك بالقصر ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد ان بهمزتين حمزة وعلي وخلف وعاصم
غير المفضل وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة وقرأ المفضل ابن علي وزن كيف آن بكون النون وبالمد يزيد مثل آنذرتهم ذكرتم بالتخفيف زيد وما لي لا
الياء حمزة ويعقوب وسهل ينقذون في الحالين بالياء يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل اني اذا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو اني آمنت

ثم قال مؤمن آل فرعون اتبعون اهدكم سبيل الرشاد كانه جاء بهم وتفصحهم في اول مجيئه ومارأوا منه سيرة بعد فقال اتبعوا هؤلاء الذين اخلصوا لكم الدليل وامحضوا لاجلكم السبيل فقوله اتبعوا النصيحة وقوله المرسلين اظهار للايمان وقدم النصيحة اظهارا للشفقة وقد روي انه كان يقبل ويقول اللهم اهد قومي ثم اكد وجوب الاتباع بانهم في انفسهم مهتدون ولا يتوقفون اجرا في الدلالة ووجوب اتباع مثل هذا الدليل للذي ضل عن سواء السبيل مركوز في العقول ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه قال الحكيم الذي فطرني اشارة الى وجوب المقتضي وقوله واليه اشارة الى عدم المانع من جانبه فان كل امرئ اعلم بحال نفسه والمقتضي وان كان مقدما في الوضع والطبع على المانع الا ان المقتضي ههنا لظهوره كان مستغنيا عن البيان رأسا فقدم عدم المانع لاجل البيان ولهذا لم يقل وما لكم لا تعبدون كيلا يذهب الوهم الى انه لعله يطلب العلة والبيان وانما ورد في سورة نوح ما لكم لا ترجون لله وقارا لان القائل هناك داع لا مدعو فكان الرجل قال مالي لا اعبد وقد طلب مني ذلك وفي قوله واليه ترجعون بيان الخوف والرجاء ولهذا لم يقل واليه ارجع كانه جعل نفسه ممن يعبد الله لذاته لا لرغبة او رهبة ثم اراد كمال التوحيد فقال ءاتخذ من دونه آلهة فقوله مالي لا اعبد الذي فطرني فيه اقرار بوجود الصانع القادر وقوله ءاتخذ على سبيل الانكار نفي لغيره وممن يسمى آلها وبهما يتم معنى لا اله الا الله ثم عرض على حصولهم جهل عابدي الاصنام بانهم لا يقدرون على ضر ولا على ايصال نفع وقد رتب الكلام فيه على ترتيب ما يقع بين العقلاء فان الذي يريد دفع الشر من شخص يقدم على الشفاعة فان قبلت والا انقذه اي خلصه بوجه من الوجوه قال بعض المفسرين لما اقبل القوم عليه يريدون قتله اقبل هو على المرسلين وقال اني امنت بربكم فاسمعون قولي لتشهدوا لي وانما قال بربكم ولم يقل بربي ليتيقنوا انه امن بالرب الذي دعوا اليه وقال اكثرهم الخطاب للكفار وعلى هذا فالمراد به بيان التوحيد اي ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وفطركم فاسمعوا قولي واطيعوني وفي قوله قيل ادخل الجنة وجهان احدهما انه قيل ثم كان قائلا سأل كيف لقاء ربه بعد ذلك ليتصلب في نصرة الدين حتى بذل مهجته فقيل قيل ادخل والقائل هو الله سبحانه والملائكة بامره قال جار الله لم يذكر المفعول له لانصباب الغرض الى المقول وعظم شأنه ولانه معلوم ثم كأن سائلا اخر سأل اي شيء تمنى علم قومه بحال ليصير ذلك سببا لهم في التوبة والايمان ليفوزوا ويؤيده ما روي في حديث مرفوع انه نصح قومه حيا وميتا ويجوز ان يكون سبب التمني هو ان ينبههوا على خطائهم في امره وعلى صوابه في رأيه وان عادوهم لم تعقبه الا السعادة والكرامة وثانيهما ان الرسل بشروه وهو حي بدخول الجنة فصدقهم ومتى علم قومه بحاله فيؤمنوا كما آمن وما في قوله بما غفر مصدرية او موصولة اي بالذي غفر لي من الذنوب او استفهامية يعني باي شيء غفر لي اراد ما جرى بينه وبينهم من المصابرة والذب عن الدين الا ان طرح الالف اجود فقول القائل علمت بم صنعت احسن من قوله بما صنعت فقوله بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين بانا وقوله فبشره بمغفرة واجر كريم ثم اشار الى كيفية اهلاك قومه بعده قائلا وما انزلنا على قومه قال المفسرون يجوز ان يريد بقومه الذين بعثوا من اهل القرية بعد الموسلين وان يريد به اقاربه فلعل غيرهم من قوم الرسل امنوا فلم يصبهم العذاب ثم قال وما كنا منزلين اي وما كان يصح في حكمتنا ان ينزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء ومن ههنا يعلم فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على غيره فقد انزل الله لاجله الجنود من السماء يوم بدر والخندق وحنين وما انزلها لغيره من نبي فضلا عن حبيب ثم تان بين حبيب النجار وبين حبيب الله فالحاصل انه تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم ان انزال الجنود من عظايم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله لغيرك من قرا الا صيحة بالنصب اراد ما كانت الاخذة او العقوبة الا سبب صيحة ومن قرا بالرفع على كان التامة فمعناه ما وقعت الا صيحة قال جار الله القياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل قلت يجوز ان يقدر ما حدثت عقوبة وقيل ان التانيث لتهويل الواقعة ولهذا جاءت اسماء الجنس كلها مؤنثة ووصف الصيحة بواحدة للتاكيد وقرا ابن مسعود الا زقية وهي الصيحة ايضا ومنه المثل اثقل من الزواقي صياح الديك ونحوه وذلك ان شيئا صياح الديك يؤذن الانس ويبدل الفراق بالوصال ثم شبه هلاكهم بخمود النار وهو صيرورتها رمادا لانهم كانوا كالنار الموقدة في القوة الغضبية حيث قتلوا من نصحهم وتجبروا على ان اظهر المعجزة لديهم ثم بين بقوله يا حسرة على انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون من الملائكة والثقلين او من الله عز وجل على سبيل الاستعارة وذلك لتعظيم ما صدر من تقصيرهم ويدرس تفريطهم ثم ذكر سبب التحسر بقوله ما يأتيهم الاية ثم عجب من حالهم في عدم الاعتبار بامثالهم من الامم الخالية وقوله انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا التقدير الم يعلموا كثرة المهلكة من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم والبدل بدل الاشتمال لانه حال من احوال المهلكين اي اهلكوا بحيث لا رجوع لهم اليهم والرجوع حسي وهو ظاهر او معنوي وهو الرجوع بالنسب والولاد اي اهلكنا هم وقطعنا نسلهم من قرا لما بالتشديد فبمعنى الا وان نافية ومن قرا بالتخفيف فان مخففة وما صلة تقديره وان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة قال في الكشاف كيف اخبر عن كل بجميع واجاب بانهما ليسا بواحد لان الكل يفيد الشمول والجميع يفيد الانضمام وان المحشر يجمعهم ويحتمل ان يقال الغرض وصف الجميع بالاحضار كقولك الرجل رجل عالم والنبي نبي مرسل ثم ذكر البرهان على الحشر وعلى التوحيد ايضا مع تعداد النعم وتذكيرها قائلا واية لهم الارض الميتة قال المحققون انما قال لهم لان الارض ليست اية للنبي ولغيره من اهل الاخلاص الذين هم بالله عرفوا الله قبل النظر الى الارض والسماء كقوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقوله احييناها استيناف بيانا لكونها اية وكذلك نسلخ ويجوز ان يكونا وصفين على قياس ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه يأكلون بتقديم الجار للدلالة على ان الحب هو معظم قوت الانسان وبه قوام معاشه عادة ففي الارض اية فانها مهدهم الذي فيه تحريكهم واسكانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم واسكانهم وسواء كانت ميتة او لم تكن فهي مكان لهم ثم احياؤها بحصر نعمة ثانية فانه حسن وانفع ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم اذا كان في مكانهم كان اجمع للقوة والفراغ ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة موجبة للتفكه وسعة العيش ثم تفجير العيون فيها نعمة خامسة لان ماء السماء لا يحصل الوثوق بنزوله في كل حين فذلك كالشيء المدخر القريب التناول والضمير في قوله من ثمره يعود الى الله وفائدة الالتفات ان الثمار بعد وجود الاشجار وجريان الانهار لا يوجد الا بتخليق الملك الجبار ويحتمل ان يعود الى المذكور او الى النخيل وترك ذكر الاعناب لان حكمه حكم النخيل وقيل الى التفجير المدلول عليه بسياق الكلام اي ليأكلوا من فوائد التفجير وهي اعم من الثمار ويشتمل جميع ما ذكره في قوله انا صببنا الماء صبا الى قوله وفاكهة وابا وقوله وما عملته من قرا بغير الضمير فما موصولة او مصدرية اي ليأكلوا من ثمره ما عملته ومن قرا مع الضمير فما موصولة والضمير لها او نافية والضمير للتفجير او المذكور ومعنى عمل الايدي انه ثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه ومن قرا مع الضمير فما موصولة والضمير لها اذا فيه للتفجير او للمذكور ومعنى عمل الايدي ما يتخذ الناس من الحرث والسقي وغير ذلك هذا اذا جعلت ما موصولة وان كانت نافية فالمراد الايجاد والخلق وقيل عمل الايدي التجارة وقيل الطبخ ونحوه ثم نزه نفسه بقوله سبحان الذي خلق الازواج اي الاصناف والمراد بقوله ومما لا يعلمون ازواج لم يطلع الله الانسان عليها بطريق من طرق المعرفة وما يعلم جنود ربك الا هو فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قالت الاشاعرة فيه دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله لان افعالهم اعراض وهي داخلة تحت الاجناس

وقوله مما تنبت وتخرجه عن العموم لان الجنس ان متعدد ونظيره قول القائل اعطيته كل شيء من الثياب والدواب والنسب فانه يفهم ان تعديد الاصناف تأكيد العموم يؤيده قوله في حم الذي خلق الازواج كلها من غير تقييد وحين فرغ من الاستدلال بالمكان شرع في الاستدلال بالزمان ومعنى نسلخ النهار من الليل نميزه قال جار الله واصله من سلخ جلد الشاة اذا ازالته عنها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وموضع القائه ومعنى مظلمون داخلون في الظلام اي ودخولهم ان يدخلوا في الظلام اذ ذاك ولا يقدرون على رفعه ووجه ان الليل كعرض اصلي يطرأ عليه النور تارة ويزول عنه اخرى ثم كان لقائل ان يقول سلخ النهار انما هو بغروب الشمس فلا جرم قال والشمس تجري لمستقر لها اي لحد لها موقت ينتهي اليه من فلكها شبه بمستقر المسافر اذا قطع سيره الا ان المسافر يقرار بعد ذلك وهذه لا قرار لها بعد الحصول في ذلك الحد ولكنها تستأنف الحركة منه وهو اول الحمل او احد الخافقين او احدى الغايتين في تصاعدها كما لك نصف النهار ونحوها او غير ذلك من الاعتبارات وقيل اراد بالمستقر منتهاها وهو الاسد وقيل اراد بالجري مستقرا وهو فلكها وقيل هو الدائرة التي عليها حركتها الخاصة وقال الحكيم اراد لامر لو وجد لاستقر وهو استخراج الاوضاع الممكنة وقيل اراد الوقت الذي ينقطع جريها وهو يوم القيمة وقيل انه اشارة الى نعمة النهار بعد الليل كانه قال ان الشمس تجري فتطلع عند انقطاع الليل فيعود النهار لمنافعه وعلى هذا فالمستقر هو افق المغرب خاصة ذلك الجري على الوجوه المذكورة تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم بما في الامور وغاياتها ثم ذكر امر سير القمر وقد مر في اول سورة يونس في قوله وقدرناه منازل والعرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وفعلون من الانعراج الانعطاف قال الزجاج والقديم ما تقادم عهده وتجانب الاعيان فلا يقال لمدينة مرت من سنة وسنتين انها قديمة وقد يقال بيت قديم وان لم يكن له سنة واطلاق القديم على العالم لا بعتاد وانه موهم الاعتقاد من يعتقد انه لا اول له وقال في الكشاف القديم المحول وهو اول ما يوصف بالقدم فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر وكتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول واكثر واذا قدم العرجون دق وانحنى واصفر فشبه القمر اخر الشهر به من الوجوه الثلاثة ثم بين ان لكل واحد من النيرين حركة مقدرة سلطانا على حياله فلا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر لتبطل او تسير امن سيره ولا الليل اي ولا سلطان الليل وهو القمر سابق اية النهار وهي الشمس اي لا يدخل القمر في سلطانها وقيل اراد الليل لا يدخل في وقت النهار وقيل انه اشارة الى الحركة اليومية التي بها يحدث الليل والنهار والمراد ان القمر لا يسبق الشمس بهذه الحركة لانها تشملهما على السواء وكذا جميع الكواكب فلا يقع بسببها تقدم ولا تأخر ولهذا لم يقل على قياس تدرك اي ليس من شأنه السبق اذ الكواكب كانها كلها ساكنة بهذه الحركة واقول يحتمل ان يراد لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا القمر ينبغي لها ان يتخلف نحو احدى القرينتين للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر وكذا الكلام في قوله ولا الليل سابق النهار اراد ولا النهار سابق الليل اي لا يدخل شيء منهما في غير وقته سلمنا ان المراد بالليل والنهار ايتهما لكنه يمكن ان يقال انه اشارة الى الحركة الدورية لانه لما قال ان الشمس لبطء سيرها لا تدرك القمر فهم منه ان القمر يسبق الشمس بحركته فاشار الى ان هذا السبق ليس على قياس المتحركات على الاستقامة ولكنه سبق هو بعينه موجب للقرب وهذا معنى قول اهل الهيئة ان الكوكب هارب عن نقطة ما طالب لها بعينه واما قوله وكل في فلك يسبحون وقد مر تفسيره في سورة الانبياء ولما بين ما هو كالضروري لوجود الانسان من المكان والزمان وما يتبعهما شرع في تقرير ما هو نافع لهم في احوال المعاش قال بعض المفسرين اراد بحمل الذرية حمل ابائهم وهم في اصلابهم والفلك فلك نوح ومثله هو ما يركبون الان من السفن والزوارق قال جار الله وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح ولولا ذلك لما بقي للادمي نسل ومن فوائد ذكر الذرية ان من الناس من لا يركب السفينة طول عمره ولكنه في ذريته من يركبها غالبا وذهب اخرون الى ان المراد حمل اولادهم ومن يهمهم حمله كالنساء وقد يقع اسم الذرية عليهن لانهن مزارع الاولاد وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء فكانه قيل ان كنا حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره وعلى هذا يكون قوله وخلقنا لهم الى اخره اعتراضا ومثل الفلك ما يركبون من الابل لانها سفائن البر ووصف الفلك بالمشحون مزيد تقرير للقدرة والنعمة فان الفلك اذا كان خاليا كان خفيفا لا يرسب في الماء بالطبع ثم ذكرها يؤكد كونه فاعلا مختارا قائلا وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم وهو مصدر او صفة اي لا فائدة لهم ولا مغيث وقوله الا رحمة اشارة الى ان الانقاذ رحمة بالنسبة الى المؤمن ومتاع الى حلول الاجل بالاضافة الى الكافر او المراد ان احدا لا يتخلص الموت وان سلم من الافات وصدق القائل ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام التأويل يس اشارة الى انه بلغ في السيادة مبلغا لم يبلغه احد من المرسلين تنزيل العزيز الرحيم فيه انه لعزته لا يحتاج الى تنزيل القران ولكن رحمته اقتضت ذلك لتحيي القلوب الموتى ونكتب ما قدموا من الانفاس المتصاعدة ندما او شوقا واثار خطى اقدام صدقهم واثار دموعهم على خدودهم اصحاب القرية القرية القالب اذ ارسلنا اليهم اثنين من الخواطر الرحمانية والالهامات الربانية بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود فكذبوهما النفس وصفاتها فعززنا بثالث من الجذبة انا تطيرنا بكم لان النفس وصفاتها ما لا توافقهما بالذهو الالهام والجذبة اليه طائركم معكم لان النفس خلقت من العدم على ناصيتها المسومة رجل يسعى هو الروح المشتاق الى لقاء الحق لا اسألكم اجرا لانه لا شرب له من شاربكم قيل ادخل الجنة وهي عالم الارواح وهو كقوله يا ايتها النفس المطمئنة الى قوله وادخلي جنتي على قومه من بعده اي بعد رجوع الروح الى الحضرة لما انزل الى النفس وصفاتها ملائكة من السماء لانهم لا يقدرون على النفس واصلاح حالها فان صلاحها في موتها والمميت هو الله سبحانه واحدة من واردات الحق فاذا هم يعني النفس والصفات خامدون يسمون عن انانيتهم بهويته الم يروا كم اهلكنا فيه اشارة الى ان هذه الامة خير الامم شكا معهم من كل اثر وما شكا الى احد من غير شكايتهم واية لهم القلوب الميتة احييناها بالطاعة وتحمل الاذكار واعتاب الاشواق وعيون الحكمة وثمر المكاشفات وعمل الخيرات والصدقات خلق الازواج من الاباء العلوية والامهات السفلية مما تنبت ارض البشرية بازدواج الكاف والنون ومن انفسهم بازدواج الروح والقالب ومما لا يعلمون من اثار العناية في قلوب المخلصين مما لا عين رأت ولا اذن سمعت واية لهم ليل البشرية نسلخ منه نهار الروحانية فاذا هم مظلمون بظلمة الخلقية فان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وشمس نور الله تجري لمستقر لها هو قلب استقر فيه رشاش نور الله وقمر القلب قدرناه ثمانية وعشرين منزلا على حسب حروف القران واسماؤها الالفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذلة والرأفة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والطلب والظلماء والعشق والغيرة والفتوة والقربة والكرم واللين والمودة والنور والولاية والهداية واليقين فاذا قطع كل المنازل فقد تخلق بخلق القران ولهذا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وهو آخر المنازل والمقامات فان السالك يألف الحق اولا ثم يتوب فيثبت على ذلك حتى يحصل له الجمعية وعلى هذا الترتيب المقامات حتى يصير كاملا كالبدر ثم يتناقص نوره بحسب دنوه من شمس شهود الحق الى ان يتلاشى ويختفي وهو مقام الفقر الحقيقي الذي افتخر به نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله الفقر فخري ثم اشار بقوله لا الشمس ينبغي ان الرب لا يصير عبدا ولا العبد ربا ثم ذكر ان العوام محمولون في سفينة الشريعة والخواص في بحر الحقيقة كلاهما بفلك العناية وملاحه ارباب الطريقة ومثل ما يركبون هو جناح همة المشايخ وان نشأ نغرق العوام في بحر الدنيا

والرخص والخواص في بحر الشبهات والإباحة قوله تعالى

وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ۝ وما تأتيهم
من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ۝ وإذا قيل لهم أنفقوا
مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم
إلا في ضلال مبين ۝ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ۝
ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ۝ فلا يستطيعون
توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ۝ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث
إلى ربهم ينسلون ۝ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون ۝ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم
جميع لدينا محضرون ۝ فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون
إلا ما كنتم تعملون ۝ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ۝
هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ۝ لهم فيها فاكهة
ولهم ما يدعون ۝ سلام قولا من رب رحيم ۝ وامتازوا
اليوم أيها المجرمون ۝ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا
الشيطان إنه لكم عدو مبين ۝ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ۝
ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون ۝ هذه جهنم التي كنتم
توعدون ۝ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ۝ اليوم نختم
على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ۝
ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ۝
ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ۝
ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون ۝ وما علمناه الشعر
وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ۝ لينذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين ۝ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا
أنعاما فهم لها مالكون ۝ وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها
يأكلون ۝ ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ۝ و

واتخذوا

واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون ۝ لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم جند محضرون ۝ فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما
يسرون وما يعلنون ۝ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا
هو خصيم مبين ۝ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام
وهي رميم ۝ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ۝
الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ۝ أوليس الذي
خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ۝
إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ۝ فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ۝ صدق الله العظيم

القراآت يخصمون بخصمين ثم كسر الصاد والمشدد و ابن كثير و ورش و سهل و يعقوب و أصله يختصمون ادغمت التاء في الصاد و بعد نقل
حركتها الى الخاء و قرأ ابو جعفر و نافع غير ورش بسكون الخاء و قرأ ابو عمرو باشمام الفتحة قليلا و قرأ حمزة بسكون الخاء و تخفيف الصاد
من الخصم و الباقون بكسر الخاء للاتباع و تشديد الصاد و روي خلف عن يحيى بكسر الياء و الخاء و التشديد شغل بضمتين عاصم و حمزة و علي و
و ابن عامر و يزيد و يعقوب فكهون و بابه بغير الف يزيد ظلل بضم الظاء و فتحة اللام حمزة و علي و خلف على انه جمع ظلة و الآخرون ظلال جمع
ظل جبلا بضم الجيم و سكون الباء ابن عامر و ابو عمرو و قرأ ابو جعفر و نافع و عاصم و سهل بكسرتين و اللام مشددة و قرأ يعقوب بضمتين و التشديد
و الباقون بضمتين و التخفيف ننكسه مشددا حمزة و عاصم غير مفضل الآخرون بالتخفيف من النكس تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر و نافع و ابن ذكوان
و سهل و يعقوب لتنذر على الخطاب ابو جعفر و نافع و ابن عامر و سهل و يعقوب يقدر على صيغة المضارع يعقوب كن فيكون بالنصب ابن و علي
الوقوف ترحمون ه معرضين ه رزقكم الله لا لان ما بعده جواب اذا اطعمه كذلك لاتحاد المقول و لئلا يبتدأ بما لا يقوله مسلم و يجوز
جاز ان يكون قوله ان انتم قول الله او حكاية قول المؤمنين لهم فالوقف جائز مبين ه صادقين ه يخصمون ه يرجعون ه ينسلون ه مرقدنا م
لئلا يوهم ان هذا صفة و ما بعده منفي و فيه وجوه أخر ذكرناها في التفسير المرسلون ه محضرون ه تعملون ه فاكهون ج لاحتمال انهم تاكيد الضمير و ازواجهم
عطف عليه و في ظلال ظرف فاكهون او ان ما بعده مبتدأ و خبره متكئون ه يدعون ج لان من المحتمل ان يكون سلام خبر محذوف اي عليهم سلام يقول
قولا و ان يكون سلام بدلا من ما يدعون اي لهم ما يتمنون و هو سلام لكن الحذف حسن رحيم المجرمون الشيطان ج لان التقدير فانه مبين ه اعبدوني
مستقيم ه كثيرا ط تعقلون ه توعدون ه تكفرون ه يكسبون ه يبصرون ه يرجعون ه في الخلق ط يعقلون ه لط مبين ه الكافرين ه مالكون ه
ياكلون ه و مشارب ط يشكرون ه ينصرون ط نصرهم لا لان الواو للحال محضرون ه قولهم م لئلا يوهم ان ما بعده مقول الكفار يعلنون ه مبين ه خلقه
رميم ه مرة ط عليم لا لان الذي بدل الذي توقدون ه مثلهم ط لانها للاستفهام العليم فيكون ه ترجعون ه التفسير لما بين الآيات المذكورة
حكى انهم في غاية الجهالة و نهاية الضلالة لا مثل العلماء الذين يتبعون البرهان و لا كالعوام الذين يبنون امرهم على الاحوط اذا انذرهم منذر انتهوا عن تجانب
المنهي خوفا من تبعته و طمعا في منفعته و اشار اليه بقوله لعلكم ترحمون اي في خلفكم فان الذي لا يفيده الآيات يقينا فلا اقل من ان يحترز
العذاب و يرجو الثواب اخذا بطريقة الاحتياط و نظير الآية ما مر في اول سورة سبا افلم يروا الى ما بين ايديهم و ما خلفهم من السماء و الارض
و عن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم و ما تاخر و عن قتادة ما بين ايديكم من وقائع الامم و ما خلفكم من امر الساعة و قيل ما بين ايديكم الآخرة فانهم
مستقبلون لها و ما خلفكم الدنيا فانهم تاركون لها او ما بين ايديكم من امر محمد صلى الله عليه و سلم فانه حاضر عندهم و ما خلفكم من امر الحشر فانكم
اذا اتقيتم تكذيب محمد صلى الله عليه و سلم و الحشر رحمكم الله او ما بين ايديكم من انواع العذاب كالحرق و الغرق المدلول عليه بقوله و ان نشأ
نغرقكم و ما خلفكم الموت الطالب لكم يدل عليه قوله و متاعا الى حين و جواب اذا محذوف و هو لا يتقون او يعرضون يدل عليه ما بعده و مع ذلك
فائدة اخرى هي ان دابهم الاعراض عند كل آية و يحتمل ان يكون قوله و ما تاتيهم متعلقا بما قبله و هو قوله يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزؤن او ما ياتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين يعني اذا جاءتهم الرسل كذبوهم فاذا اتوا بالآيات اعرضوا عنها و قوله
اولم يروا الى قوله لعلكم ترحمون اعتراض ثم اشار الى انهم يخلون بجانب التعظيم لامر الله حيث قيل لهم اتقوا انهم يخلون بجانب الشفقة
على خلق الله فلا ينفقون اذا امروا بالانفاق مع انهم خوطبوا بادنى الدرجات في التعظيم و الاشفاق فان ادنى … و الاتقاء من العذاب و
و ادنى الاشفاق هو انفاق بعض ما في التصرف من مال الله فان منهم من صار اقبلوا بالكلية على الله و بذلوا اموالهم و انفسهم في سبيل الله و في قوله
مما رزقكم الله اشارة الى ان الله تعالى قادر على اغناء الفقير و احلال الغني لكنه جعل الغني واسطة في الانفاق على الفقير ليسعد من عرف حق التوسط
و انتهز فرصة الامكان و اعلم ان الانفاق سبب للبركة في المال و مجلبة للثواب في المآل و قوله قال الذين كفروا دون ان يقول قالوا تسجيل عليهم بالكفر
و قوله للذين آمنوا فيه تصوير لجهالتهم حين قالوا لهؤلاء الاشراف ما قالوا و قوله انطعم دون انفق اظهار لغاية خستهم فان الاطعام ادون من الانفاق
و من بخل بالادون فهو بان يبخل بالاكثر اولى و قوله لو يشاء الله اطعمه كلام في نفسه حق لكنهم ذكروه في معرض الدفع فلهذا استوجب الذم و قد بين الله خطاءهم

بقوله مما رزقكم الله فان من خزانته مال ولو في يد الغير مال فانه مخير ان اراد اعطى زيدا مما في خزانته وان شاء اعطى مما في يد الغير وليس كذلك الغير ان
يقول لم اعلمه على وكون ان انتم الا في ضلال مبين بناء على اعتقاده ان الامر بالانفاق منافع سعى في ابطال مشيئة الله ولم يعلموا ان الضلال في معنى
انهم سلكوا وذلك انهم لم ينظروا الى امر الطلب وبادروا الى الاعراض والطاعة هو اتباع الامر لا الاستكشاف عن الغرض والغاية ومن جملة
انهم استبطئوا الموعود بين الثواب والعقاب فاجابهم الله تعالى بقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة كانهم كانوا منتظرين شيئا وتنكير صيحة للتهويل
ووصفها بواحدة تعظيم للصيحة وتحقير لشانهم اي صيحة لا يحتاج معها الى ثانية وفي قوله تاخذهم اي تعمهم بالاخذ مبالغة اخرى وكذا في قوله وهم يخصمون
اي يشتغلون بمتاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ومع ذلك يصعقون وقيل تاخذهم وهم يختصمون في امر البعث قائلين انه لا يكون ثم بالغ
في شدة الاخذ بقوله فلا يستطيعون توصية وفي قوله لا يستطيعون دون ان يقول فلا يوصون مبالغة لان من لا يوصي قد يستطيعها وكذا في تنكير توصية
الدال على التقليل وكذا في نفس التوصية لانها بالقول والقول يوجد اسرع من الفعل من اداء الواجبات ورد المظالم وقد يحصل التوصية بالاشارة
فالعاجز عنها عاجز عن غيرها وفي قوله ولا الى اهلهم يرجعون بيان لشدة الحاجة الى التوصية فان الذي ينقطع لعدم الوصول الى اهله كان الى الوصية احوج وفيه
تنبيه على ان الميت لا رجوع له الى الدنيا ولا اجتماع له باهله مرة اخرى الى حين يبعثون ثم بين حال النفخة الثانية والاجداث القبور والنسلان العدو
وكيف صارت النفختان مؤثرتين في امرين متضادين الاماتة والاحياء نقول لا مؤثر الا الله والنفخ علامة على ان الصوت يوجب التزلزل وانه قد يصير سببا
لافتراق الاجزاء المجتمعة تارة ولاجتماع المتفرقة اخرى ثم اجزاء كل بدن قد يحصل في موضع هو بمنزلة جدثه او اعطي للاكثر حكم الكل وذكر الرب في هذا الموضع
للتعجيل فان من اساء واضطر الى الحضور عند من احسن كان اشد الما واكثر ندما وقوله ينسلون لا ينافي قوله في موضع اخر فاذا هم قيام ينظرون لتعلق ذلك
في اول الحالة ثم يحصل لهم سرعة المشي من غير اختيارهم ويمكن ان يقال ان هيئة الانتصاب ليست بمنافية للمشي بل هي مؤكدة له ومعينة عليه وفي اذا المفاجاة
اشارة الى ان الاحياء والتركيب والقيام والعدو كلها يقع في زمان النفخ ثم بين انهم قبل النسلان قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا كانهم شكوا في انهم كانوا
موتى فبعثوا او كانوا نياما فنبهوا فجمعوا في السؤال بين الامرين البعث والمرقد وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا ذلك
ثم اجابهم الملائكة في رواية ابن عباس او المتقون على قول الحسن هذا ما وعد الرحمن كانه قيل ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى
يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر الذي وعد الرحمن في كتبه المنزلة على لسان رسله الصادقين والظاهر ان هذا مبتدأ وما وعد الرحمن
في اخره خبره وما مصدرية اي هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالمصدر ويجوز ان يكون ما موصولة اي هذا الذي وعده
الرحمن وصدق المرسلون اي صدقوا فيه وجوز جار الله ان يكون هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر مبتدأ محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدأ محذوف الخبر اي ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وقيل ان قوله هذا ما وعد الرحمن من كلام الكافرين كانهم تذكروا ما سمعوا من الرسل فاجابوا به انفسهم او اجاب بعضهم
بعضا ثم عظم شان الصيحة بالنسبة الى المكلفين وخص امرها بالاضافة الى الجبار قائلا ان كانت الا صيحة الآية وقد مر نظيره ثم بين ما يكون في ذلك اليوم قائلا
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون ايها الكافرون الا ما كنتم تعملون وفيه اشارة الى ان عدله عام وفضله خاص باهل الايمان وفيه انهم اذا جمعوا لم يجدوا
الا العدل او الفضل فالعدل والفضل فلا ينافيه يحكى قول القائل للوالي او للقاضي جلست للعدول فلا تظلم اي ذلك يقتضي هذا ويستعقبه وقوله ما كنتم تعملون اشارة الى
عدم الزيادة فان الشيء لا يزيد على عينه كقولك فلان يجازي حرفا بحرف اي لا يترك شيئا ويجوز ان يراد الجنس اي لا تجزون الا جنس العمل حسنا او سيئا ثم
فصل حال المحسن بطريق الحكاية في ذلك اليوم تصويرا للموعود وترغيبا فيه فقال ان اصحاب الجنة اليوم في شغل لا يكتنه كنهه وفيه وجوه اولها انهم مشغولون
عن هول ذلك اليوم بما لهم من الكرامات والدرجات وقوله فاكهون مؤكد لذلك المعنى اي شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور وثانيها انه بيان لحالهم
ولا يريد انهم شغلوا عن شيء بل المراد انهم في عمل ثم بين عملهم بانه ليس بشاق بل هو ملذ محبوب وثالثها انهم تصوروا في الدنيا امورا يطلبونها في الجنة فاذا
راوا فيها ما لم يخطر ببالهم اشتغلوا به عنها وعن ابن عباس ان الشغل اقتضاض الابكار او ضرب الاوتار وقيل التزاور وقيل ضيافة الله وعن الكلبي هم في شغل
عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم لئلا يدخل عليهم تنغيص من تنعمهم والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها تؤكل للتلذذ لا للتغذي والفاكهة
الحديث لاجل التلذذ لا الضرورة والازواج ظاهرها زوج المرأة وزوجة الرجل وقيل اراد اشكالهم في الاحسان وامثالهم في الايمان كقوله واخر من شكله
ازواج قال اهل العرفان من شرائط السماع الزمان والمكان والاخوان فقوله هم وازواجهم في ظلال اشارة الى عدم الوجوه الموحشة وان لهم في
ظل الله ما ينفيهم الايذاء كقوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقوله على الارائك متكئون دليل على القوة والفراغة والتمكن من انواع الملاذ وقوله لهم فيها
فاكهة اشارة الى سائر انواع الملاذ الزائدة على قدر الضرورة وقوله ولهم ما يدعون اشارة الى دفع جميع حوائجهم وما يخطر ببالهم قال الزجاج هو يفتعل
من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم وقال جار الله هو لا يتخاذ اي ما يدعون به او ما يدعون لانفسهم كقولك اشتوى اي اتخذ لنفسه شواء او هو بمعنى التداعي
وعلى الوجهين اما ان يراد كل ما يدعو به احد او كل ما يطلبه من صاحبه فانه يجاب له بذلك او يراد ان كل ما يصح ان يدعى به ويطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب
وقيل معناه ويتمنون من قولهم ادع علي ما شئت اي تمنه علي وقيل هو من الدعوى وذلك انهم كانوا يدعون في الدنيا ان الله هو مولاهم وان الكافرين لا مولى
لهم فيه قوله سلام يقال لهم قولا من رب رحيم او من جهته بواسطة الملائكة وقيل اراد انهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا اي عدة وعلى هذا
يكون قوله لهم للبيان وما يدعون سلام مبتدأ وخبر كقولك لزيد الشرف متوفر وقال بعضهم يحتمل ان يكون قولا نصبا على التمييز لان السلام من الملك قد
يكون قولا وقد يكون اشارة قال اهل البيان قوله وامتازوا معطوف على المعنى كانه قيل دوموا ايها المؤمنون في النعيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون
او قلنا لاهل الجنة انكم في شغل وقلنا لاهل النار وامتازوا وهو كقوله فريق في الجنة وفريق في السعير او تميزوا في انفسكم غيظا او حنقا فلا دواء ولا يكلم ولا يشفع
لكم كقوله في صفة جهنم تكاد تميز من الغيظ او افترقوا فانا المؤمن من الاجتماع بالاخوان فلا عذاب كفرقة الاخدان يؤيده ما روي عن الضحاك لكل كافر بيت من النار
يكون فيه لا يرى ولا يرى وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير تزجون او امتازوا عن شفعائكم وقرنائكم او المراد تميزهم بسواد الوجه وزرقة العين وباخذ الكتاب
بالشمال وبخفة الميزان وغير ذلك وقال صاحب المفتاح قوله ان اصحاب الجنة الى اخر الآيات خطاب لاهل المحشر بدلالة الفاء في قوله فاليوم لا تظلم بعد قوله
ان كانت الا صيحة وقد جاء في التفاسير ان اصحاب الجنة انما يقال عن يسار بهم الى الجنة فيؤول معنى الكلام الى قول القائل ان اصحاب الجنة منكم يا اهل
المحشر تؤول حالهم الى اسعد حال فيمتازوا عنكم الى الجنة وامتازوا انتم عنهم ايها المجرمون ثم كان لسائل ان يقول ان الانسان خلق ظلوما جهولا وجبل
على الغفلة فيبين الله تعالى ان لا عذر لهم قائلا الم اعهد اليكم والآية الى قوله افلم تكونوا تعقلون شبه اعتراض فيه توبيخ لاهل النار وما ذلك العهد عن بعضهم
انه الذي من ذكره في قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل وقيل هو المذكور في قوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم وقيل هو المبين على لسان الرسل ومعنى
لا تعبدوا لا تطيعوا الوسوسة او تزيينه وقوله هذا اشارة الى ما عهد اليهم من مخالفة الشيطان وعبادة الرحمن قال اهل المعاني التنوين في قوله

صراط للتعظيم اي صراط اقوم منه او للتنويع اي هذا بعض الطرق المستقيمة ففيه توبيخ لهم على العدول عنه كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ هذا فيما
اظن قول نافع غير ضار وفي ذكر الصراط ههنا اشارة الى ان الانسان في دار التكليف مسافر والحياة بادية يخاف فيها على نفسه وماله ولا يكون عنده شيء
اهم من معرفة طريق قريب آمن ثم بين لهم عداوة الشيطان بقوله ولقد اضل منكم جبلا وهو في الغاية كما بمعنى الخلق من جبله الله على كذا اي طبعه عليه وعن
علي رضي الله عنه انه قرأ جبلا جبلا بضمتين ثم اشار الى محل امتياز المجرمين اليه بقوله هذه جهنم وقوله اصلوها امر اهانة وتنكيل نحو ذق وفي قوله
اليوم اشارة الى ان اللذات قد مضت وبقيت آلامها قد مضت وليس بعد ذلك الا العقاب روى اهل التفسير انهم يجحدون يوم القيامة كفرهم في الدنيا فيختم
على افواههم وتتكلم جوارحهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام
فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل قال المتكلمون انه لا يبعد من الله تعالى انطاق كل جرم من الاجرام انطاق اللسان وهو قادر على امثال ذلك
وقال الحكيم انهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع اعذارهم وانتهاك استارهم فيقفون ناكسي الرؤوس وفوق القنوط اليؤوس وتكلم الاعضاء ظهور امارات الذنوب
عليهم بحيث لا يبقى للانكار مجال كقول القائل الحيطان تبكي على صاحب الدار اذا ظهر امارات الخراب واسبابه ثم انه تعالى اسند الختم الى نفسه واسند التكلم والشهادة
الى الايدي والارجل لان الاعمال يسند الى الايدي غالبا كقوله وما عملته ايديهم بما كسبت ايديهم فهي كالعاملة والشاهد على العامل ينبغي ان يكون غيره وانما جعلت الشهادة
عليهم منهم لان غيرهم اما صالحون وهم اعداء للمجرمين فلهم ان يقولوا شهادتهم غير مقبولة في حقنا واما فاسقون وشهادة الفسقة غير مقبولة شرعا وههنا
نكتة وهي ان الختم لازم للكفار في الدارين ختم الله على قلوبهم في الدنيا وكان قولهم بافواههم كما قال يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ثم اذا ختم على افواههم
ايضا في الآخرة لزم ان يكون قولهم بسائر اعضائهم هذا وقد ذكرنا مرارا انه تعالى كلما ذكر مسائل الجبرية ذكر عقيبه مسائل القدرية وبالعكس وكان للقدرية
ان يتمسك بقوله بما كانوا يكسبون حيث اسند الله الكفر والكسب اليهم فاجرم عقبه بتمسك الجبري وهو قوله ولو نشاء لطمسنا ووجه التمسك ان عمى
البصائر شبيه بعمى الابصار وسلب القوة العقلية كسلب القوة الجسمية فكما انه لو نشاء لطمس على ابصارهم حتى لا يهتدوا الى الطريق الظاهر ولو شاء لسلب
قوة جسمهم بالمسخ حتى لا يقدروا على تقدم ولا تأخر فكذلك اذا شاء اعمى البصائر وسلب قواهم العقلية حتى لا يغنيهم دليل ولم يتفكروا في آية والطمس محو اثر
شق العين قال جار الله فاستبقوا الى الصراط فانتصب بنزع الخافض والمعنى لو نشاء لمسخنا اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الصراط الذي عهدوه واعتادوا
سلوكه الى مساكنهم لم يقدروا عليه او الصراط ظرف الاستباق او الاستباق تضمن معنى الابتداء فالمراد لو شاء لاعماهم حتى لو ارادوا ان يمشوا مستبقين
في الطريق المالوف ومبتدرين اياه كما كان ذلك مجراهم لم يستطيعوا او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه فالمعنى لو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي
اعتادوه ولعجزوا ولم يقدروا الا على سلوك الطريق المعتاد كالعميان يهتدون فيما الفوا من المقاصد والجهات دون غيرها وعن ابن عباس اراد لمسخناهم
قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم والمكانة والمكان واحد او بمعنى محل الحيث لا يقدرون ان يبرحوا مكانهم واما تقديم
الطمس على المسخ تدرجا من الاهون الى الاصعب فان الاعمى قد يهتدي الى وجوه التصرف بامارات عقلية او حسية غير البصر واما الممسوخ على مكانه فلا يهتدي
الى شيء اصلا ولو كسل وقلنا قدم المضي على الرجوع لان سلوك طريق قد رآه مرة يكون اهون مما لم يره اصلا فنفي او الاستطاعة الاصعب ثم نفي استطاعة الاهون
ايضا لاجل المبالغة ومن قطع الاعذار يستبق الانذار وذلك في قوله الم اعهد اليكم شرع في قطع عذر آخر للكافر وهو ان يقول لم يكن لبثنا في الدنيا الا يسيرا
ولو عمرتنا لما وجدت منا تقصيرا فقال الله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق كقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر افلا يعقلون انكم كلما دخلتم في السن ضعفتم وقد عمرنكم
ما يتذكر فيه من تذكر فالعمل ومن لم يات بالواجب في زمان الامكان فكيف ياتي به في زمن الازمان وعن بعضهم طوى العصران ما نشراه مني فابلى جدتي نشرهما علي
اراني كل يوم في انتقاص ولا يبقى على النقصان شيء وقال آخر ارى الايام تتركني ومثلي ويوشك انها تبقى ومثلي علامة ذاك شيب قد علاني وضعف عند لراي
ونقص وما كذب الذي قد قال قبلي اذا ما مر يوم مر بعضي وحيث بين اصل الوحدانية والحشر في هذه السورة مرات اقربها قوله وان اعبدوني وقوله هذه جهنم
الى آخره اعاد اصل الرسالة بقوله وما علمناه الشعر والسحر والكهانة مع انهم ادعوا انه ساحر كاهن لانه ما تحداهم الا بالقرآن وكانوا
انما نسبوه الى السحر عند اظهار فعل خارق كشق القمر وحنين الجذع اليه ونسبوه الى الكهانة عند اخباره عن الغيوب وهو نوع خاص من الكلام من غير اعتبار
الفصاحة اللفظية والمعنوية قال جار الله معنى قوله وما ينبغي له انه لا يتاتى له ولا يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط وروي عن الخليل ان الشعر كان احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتاتى له فاما ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقال هل
انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فكلام اتفاقي من غير قصد وتعمد والشعر كلام موزون مقفى مع تعمد وقيل اراد نفي الشعر عن القرآن فقال
وما علمناه بتعليم القرآن الشعر وما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا واما اقول الاحسن ان يقال ما ينبغي له معناه انه لا يليق بجلاله ومنصبه لان الشعر مادته كلام
يفيد تاثيرا دون التصديق وهو التخييل واما الوزن والقافية فهما كالصورة ويفيدانه ترويجا وترغيبا فحق رتبته عن التخييل الذي هو قريب من المغالطة وهذا
لم يؤمر بان يدعو بها الى سبيل ربه وانما امر بان يدعو الى الدين بسائر اصناف الكلام حيث قيل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
احسن ونظيره قوله ههنا ان هو الا ذكر اي موعظة وقرآن مبين ذو البيان والابانة وانه يشتمل بالبرهان والجدل اما البرهان فظاهر واما الجدل فلان النتيجة اذا كانت
في نفسها حقة فالرجل العالم المحق ليس عليه الا افحام الخصم والزامه بمقدمات مسلمة او مشهورة ومما يؤيد ما ذكرنا ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل قول
طرفة ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود وهكذا ويأتيك من لم تزود بالاخبار وقد روي انه كان يتاتى له وانه الشعر ان لم يتات له
وما ذاك او للتقرب ولما يشبه ما يشين رتبته ولا يوافق مقامه ويروى انه صلى الله عليه وسلم حين قال هل انت الا اصبع دميت انقطع الوحي اياما حتى قالت الكفار ان
محمدا قد ودعه ربه وقلاه وهذا احد اسباب نزول تلك الآية ولست اقول ان كل كلام منظوم وان كان حقا وصدقا كالذي قاله بعض الشعراء في التوحيد والخطب وقد اشار
الى نحو ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وقد مر في تفسير قوله سبحانه في آخر الشعراء الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذلك ان الشاعر يقصد لفظا فيه
معنى حكمي وبالجملة لا يخلو الشعر عن تكلف ما وقد يدعوه النظم الى تغيير المعنى لرعاية اللفظ فاين الشارع من الشاعر ثم بين كون القرآن منزلا على هذا الوجه بقوله لينذر
محمد او لينذر هو او القرآن من كان حيا اي عاقلا متاملا لان الغافل كالميت ويجوز ان يكون الحياة عبارة عن الايمان والمراد بالحي من يؤول حاله الى الايمان والمراد
بالانذار الانتفاع به مثل هدى للمتقين انما تنذر من اتبع الذكر وقوله ويحق القول كقوله في اول السورة لقد حق القول وقد مر وهذا الكلام مطابق من حيث المعنى كانه
قال لينذر من كان حيا ويحق القول على من كان ميتا لان الكافرين في عداد الموتى ثم عاد الى تقرير دلائل الوحدانية مع تعداد النعم فقال اولم يروا انا خلقنا
لهم مما عملت اي من جملة ما عملته ايدينا فاستعار عمل الايدي لتفرده بالاحداث والايجاد مع اشتمال المحدث والموجد من غرائب وعجائب حتى قال فيه
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وقوله فهم لها مالكون اشارة الى تمام الانعام في خلق الانعام وقوله وذللناها لهم اشارة الى ما فوق التمام فقد يملك
الشيء ولا يكون مسخرا ومن الذي يقدر على تذليل الابل لولا امر الله بتسخيرها حتى قال بعضهم يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير ويضربه الوليد بالهراوة

فلا يخزله ولا يكبر والجر حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة ومن زعم ان الملك بمعنى الضبط من قوله لا املك رأس البعير ان نفر فقد لزمه التكرار ثم فصل
بعض منافعها بقوله فمنها ركوبهم والركوب والركوبة ما يركب كالحلوب والحلوبة والتاء للمبالغة وقيل للوحدة والمنافع كالجلود والاوبار والاصواف ذكرها
بالاسم العام لما في تفصيلها من الطول والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب اي الاواني المتخذة من جلودها او هو الشرب او المشروب كالالبان وكان
وبخهم على عدم الشكر بقوله افلا يشكرون ثم زاد في توبيخهم بقوله واتخذوا من دون الله آلهة اي وضعوا الشرك مكان الشكر فلا اظلم منهم وفي قوله لعلهم ينصرون
الى قوله محضرون وجهان احدهما انهم طمعوا في ان ينصروهم ويعتضدوا بمكانهم والامر بعكس ذلك حيث انهم جند لآلهتهم معدون يخدمونهم ويذبون عنهم من غير نفع
في الهتهم وثانيهما اتخذوهم لينصروهم عند الله بالشفاعة والامر بخلاف ذلك حيث ان الهتهم يوم القيمة جند محضرون لعذابهم فانهم يجعلون وقود النار ووجه آخر
وهو ان يكون قوله وهم لهم جند محضرون تأكيدا لعدم الاستطاعة فان من حضر واجتمع ثم عجز عن النصرة يكون في غاية الضعف بخلاف من لم يتأهب ولم يجمع انصاره
ثم عقب دليل التوحيد بالرسالة مسليا رسوله بقوله فلا يحزنك قولهم بالتهي والتركيب سواء بالطعن في الرسالة او بالايذاء والتهديد ثم علل عدم الحزن بقوله
انا نعلم ما يسرون من النفاق وسائر العقائد الفاسدة وما يعلنون من الشرك وسائر الافعال القبيحة او يسرون من المعرفة بانه ويعلنون من العناد وجوز
جار الله فتح انا على تقدير لام التعليل بل جوز ان يكون المفتوحة بدلا من قولهم والمكسورة مفعولا لقولهم وكون نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك كنهيه عن
الشرك في قوله ولا تكونن من المشركين ثم اردف الرسالة بالحشر مع ان فيه دليلا على التوحيد ماخوذا من الانفس فان الاول كان ماخوذا من الآفاق وفي قوله
فاذا هو خصيم مبين وجهان احدهما فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق معرب عما في ضميره كقوله او من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين
فكونه من نطفة اشارة الى ادنى ما كان عليه الانسان وقوله فاذا هو خصيم مبين اشارة الى اعلى ما حصل عليه الآن لان اعلى احوال الناطق ان يقدر على المحاجة
والذب عن نفسه بالكلام الفصيح وثانيهما قول كثير من المفسرين انها نزلت في جماعة من كفار قريش تكلموا في البعث فقال لهم ابي بن خلف الجمحي واللات والعزى
لاصيرن الى محمد ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فقال صلى الله عليه وسلم ويبعثك ويدخلك جهنم قال اهل
البيان سمي قولهم من يحيي العظام وهي رميم مثلا لان انكار قدرة الله تعالى على احياء الموتى قصة عجيبة كتشبيه الخالق القادر العليم بالمخلوق العاجز عن خلق ادنى بعوضة
الجاهل بما يجري عليه من الاحوال والرميم اسم لما بلي من العظام كالرمة والرفات ولا يبعد ان يكون صفة ولم يؤنث بتقدير محذوف اي شيء رميم او لانه بمعنى فاعل كقوله
ان رحمة الله قريب وفي الاية دليل ظاهر على ان عظام الميتة نجسة لان الموت والحيوة يتعاقبان عليها وقال اصحاب ابي حنيفة انها طاهرة وان الحيوة لا تحل
فيها فلا يتصور موتها وكذا الشعر والعصب وتأولوا الآية بان المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه غضة طرية في بدن حي حساس واعلم ان
المنكرين للحشر منهم من اكتفى في انكاره بمجرد الاستبعاد كقوله من يحيي العظام وهي رميم فازال استبعادهم بتصوير الخلق الاول فان الذي قدر على جعل النطفة
المتشابهة الاجزاء انسانا مختلف الابعاض والاعضاء موادعا فيه الفهم والعقل وسائر اسباب المزية والفضل فهو على اعادتها اقدر ومنهم من ذكر شبهة
وهي كقولهم ان الانسان بعد العدم لم يبق شيئا فكيف يصح اعادة المعدوم عقلا او كقولهم ان الذي تفرقت اجزاؤه في ابدان السباع والجدران والرياح
كيف يجمع ويعاد او كقولهم ان انسانا اذا نشأ مغتذيا بلحم انسان آخر فلا بد ان لا يبقى للآكل او للمأكول اجزاء يمكن اعادته فاجاب الله سبحانه عن الاول
بقوله يحييها الذي انشأها اول مرة يعني كما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا فانه يعيده وان لم يكن شيئا وعن الباقين بقوله وهو بكل خلق عليم فيجمع
الاجزاء المتفرقة في البقاع والسباع وكذا يعلم الاصلي من الفضلي فيجمع الاجزاء الاصلية للآكل والماكول ثم شبه خلق الانسان بل الحيوان من قبل ابداع الحرارة
الغريزية التي بها قوام الحيوة في جرم رطب طري بانشاء الشجر الاخضر الذي يتقدح منه النار قالت العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر
واستفرز بقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فينقدح النار باذن الله عز وجل وعن ابن عباس
ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين قلت ولا يبعد ان يكون كل شجرة في غاية الصلابة بحيث الا ان يكون له سبب خاص
كما روي انه معجزة لموسى عليه السلام فانه قد رأى النار فيها فلا ينبغي لغيره ان يراها ثم اكد قدرته الكاملة على خلق الانسان ابداء واعادة بتذكير خلق السموات والارض
الذي هو اكبر من خلق الناس ثم اثبت ما نفاه مستفهما للتقرير بقوله بلى وهو الخلاق الكثير الخلق الكامل فيه العليم بكل جوهر وعرض وما ينطلق عليه اسم الشيء ثم بين ان الايجاد
ليس متوقفا الا على تعلق الارادة بالمقدور وقد مر تقريره في اوائل البقرة وغيرها قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان المعدوم شيء واجيب بان الآية دلت على انه
حين تعلق الارادة به شيء اما انه قبل ذلك شيء فلا ثم ختم السورة بتقرير المبدأ والمعاد على الاجمال فقوله بيده ملكوت كل شيء اشارة الى المبدأ وقوله واليه ترجعون
اشارة الى المعاد واذا تقرر الطرفان فما بينهما الوسط المشتمل على التكاليف والرسالة فهذه الآية نتيجة للمقدمات السابقة في السورة وعن ابن عباس كنت
لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس فذكر الامام
رحمه الله ان الايمان صحته بالاعتراف بالحشر والله مقرر في هذه السورة بابلغ وجه فلذلك سماه قلب القرآن وقال غيره ان الاصول الثلاثة التي يتعلق بها نصيب القلب
وهي التوحيد والرسالة والحشر كررت في هذه السورة وليس فيها من بيان وظيفة اللسان والعمل بالاركان فلما كان فيه اعمال القلب لا غير سماه قلبا ولهذا ورد في
الاخبار انه ينبغي ان تقرأ على الميت حالة النزع وذلك ليزداد بها قوة قلبه فان الاعضاء الظاهرة وقتئذ ساقطة المنة والقلب مقبل على الله معرض عما سواه ولنا فيه
وجه هو بالتأويل اشبه فلنذكره هناك **التأويل** امتازوا عن ابرار ربكم من الدنيا وشهواتها وما شغلكم من نعيم الجنة ولذاتها لعلكم ترحمون لمشاهدة الجمال
وانوار الكمال ونفخ في الصور اشارة الى نفخ اسرافيل المحبة في صور القلب فاذا السر والروح والخفي من اجداث اوصاف البشرية الى ربهم يرجعون بعضها بالسير وبعضها
بالطير ان اصحاب الجنة اليوم في شغل شغلهم الله بما لا كنه من المشاهدة كما قال بعض الصوفية والناس يخرجون من مسجد الجامع هؤلاء حشو الجنة وللمجالسة اقوام آخرون
وهم الفارغون من الالتفات الى الكونين كما قال الله تعالى فاذا فرغت اي من شغل الكونين فانصب لطلب الوصال ويحكى ان الآية قرئت في مجلس الشبلي رحمه الله
فشهق شهقة وغاب فلما افاق قال مساكين لو علموا انهم عما شغلوا لهلكوا ويحتمل ان يقال انهم اليوم اي في الدنيا في شغل بانواع الطاعات والعبادات عن طلب
الحق والشوق الى لقائه كما يحكى عن يحيى بن معاذ انه قال رأيت رب العزة في منامي فقال لي يا ابن معاذ كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني ويمكن ان يقال
انهم اليوم في الدنيا في شغل بالطاعات والرضا بما قسم الله عن طلب اللذات والفوائد وارتكاب المحرمات والزوائد او يقال انه خطاب للعصاة فان اهل الله هم
المستغرقون في بحار رحمة الله واهل الجنة مشتغلون باستيفاء اللذات وليس للعصاة الا رحمته وكرمه كما قال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وشهد
لهم في بعض الاخبار المروية ان عبدا تشهد عليه اعضاؤه بالزلة فتطاير شعرة من جفن عينه فتستأذن بالشهادة له فيقول الحق تعالى تكلمي يا شعرة جفن عين عبدي واحتجي
عن عبدي فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادي مناد هذا عتيق الله بشعرة ومن ثمرة نكسه ان السالك اذا عمر صار في اجزاء حجر الى الفناء في الله حتى لا يبقى
منه ما يسند الفعل اليه وفي قوله وما علمناه الشعر اشارة الى ان العلوم والصنائع كلها من الله تعالى وبتعليمه والهامه من الشجر الاخضر وهي شجرة البشرية نار المحبة
توقدون مصباح قلوبكم وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قلب القرآن يس لان ذكره صلى الله عليه وسلم رمز اليه في اول السورة وفي آخرها اما الاول فقد مر في تفسير

لفظ يس واما الثاني فان قوله فسبحان الذي الى آخره يدل على المبدأ والمعاد تقريرا وعلى الرسالة ضمنا واذا ربا القلب خلاصة كل ذي قلب وانه صلى الله عليه وسلم
كان خلاصة المخلوقات وكان خلاصة القرآن الذي نزل على قلبه وكان فاتحة السورة وخاتمتها مبنية على ذكره منبهة على سره كالقلب في جوف صاحبه فلاجل هذه المناسبة
اطلق على يس انه قلب القرآن والله ورسوله اعلم باسراره

سورة والصافات مكية حروفها ثلثة الاف وثمانمائة وستة وعشرون كلماتها ثمانمائة وستون اياتها مائة واثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا ۝ فالزاجرات زجرا ۝ فالتاليات ذكرا ۝ ان الهكم لواحد
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق ۝ انا زينا السماء الدنيا بزينة
الكواكب ۝ وحفظا من كل شيطان مارد ۝ لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون
من كل جانب دحورا ۝ ولهم عذاب واصب ۝ الا من خطف الخطفة فاتبعه
شهاب ثاقب ۝ فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب ۝
بل عجبت ويسخرون ۝ واذا ذكروا لا يذكرون ۝ واذا رأوا آية يستسخرون ۝
وقالوا ان هذا الا سحر مبين ۝ أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون ۝
أو آباؤنا الاولون ۝ قل نعم وانتم داخرون ۝ فانما هي زجرة واحدة
فاذا هم ينظرون ۝ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ۝ هذا يوم الفصل الذي كنتم
به تكذبون ۝ احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون ۝ من دون الله
فاهدوهم الى صراط الجحيم ۝ وقفوهم انهم مسئولون ۝ ما لكم لا تناصرون ۝
بل هم اليوم مستسلمون ۝ واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ۝ قالوا انكم كنتم تأتوننا
عن اليمين ۝ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ۝ وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما
طاغين ۝ فحق علينا قول ربنا انا لذائقون ۝ فاغويناكم انا كنا غاوين ۝
فانهم يومئذ في العذاب مشتركون ۝ انا كذلك نفعل بالمجرمين ۝ انهم كانوا اذا قيل
لهم لا اله الا الله يستكبرون ۝ ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ۝
بل جاء بالحق وصدق المرسلين ۝ انكم لذائقوا العذاب الاليم ۝ وما تجزون
الا ما كنتم تعملون ۝ الا عباد الله المخلصين ۝ اولئك لهم رزق معلوم ۝
فواكه وهم مكرمون ۝ في جنات النعيم ۝ على سرر متقابلين ۝ يطاف
عليهم بكأس من معين ۝ بيضاء لذة للشاربين ۝ لا فيها غول ولا هم عنها
ينزفون ۝ وعندهم قاصرات الطرف عين ۝ كأنهن بيض مكنون

فاقبل بعضهم على بعض يتسالون ۝ قال قائل منهم انى كان لى قرين ۝ يقول ائنك
لمن المصدقين ۝ اذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون ۝ قال هل انتم مطلعون
فاطلع فرآه فى سواء الجحيم ۝ قال تالله ان كدت لتردين ۝ ولولا نعمة ربى
لكنت من المحضرين ۝ افما نحن بميتين ۝ الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ۝
ان هذا لهو الفوز العظيم ۝ لمثل هذا فليعمل العاملون ۝ اذلك خير نزلا ام
شجرة الزقوم ۝ انا جعلناها فتنة للظالمين ۝ انها شجرة تخرج فى اصل
الجحيم ۝ طلعها كانه رؤس الشياطين ۝ فانهم لآكلون منها فمالؤن منها البطون
ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ۝ ثم ان مرجعهم لالى الجحيم ۝ انهم الفوا آباءهم
ضالين ۝ فهم على آثارهم يهرعون ۝ ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ۝ ولقد
ارسلنا فيهم منذرين ۝ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ۝ الا عباد الله
المخلصين ۝ ولقد نادينا نوح فلنعم المجيبون ۝ ونجيناه واهله من الكرب العظيم
وجعلنا ذريته هم الباقين ۝ وتركنا عليه فى الآخرين ۝ سلام على نوح
فى العالمين ۝ انا كذلك نجزى المحسنين ۝ انه من عبادنا المؤمنين ۝
ثم اغرقنا الآخرين ۝ صدق الله العظيم

القراءات والصافات صفا وما بعدها بادغام حمزة وابو عمرو وغير عباس بزينة منونا حمزة وعاصم غير المفضل الكواكب بالنصب ابو بكر وحماد الباقون بالجر لا يسمعون بتشديد السين والميم واصله يتسمعون حمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى وحماد لا تحشرون بالفتح على الخطاب اءذا بالمد والياء بهمزة واحدة مكسورة يزيد قالون ويزيد الباب قون فصل التى فى الرعد او آباؤنا مثل او امن اهل القرى وكذلك فى الواقعة لا تناصرون بالتشديد البزى وان شئت ينزفون بكسر الزاء حمزة وعلى وخلف والمفضل الآخرون بفتح الزاء ليردين بالياء فى الحالين يعقوب وانى وسهل وعباس فى الوصل الوقوف صفا لا زجرا لا ذكرا لا لواحد ط المشارق ط الكواكب لا مارد ج لاحتمال ما بعده الوصف والاستيناف قاله السجاوندى وعليه بحث يجئ فى التفسير واصب لا ثاقب ج خلقنا ط لازب ويسخرون لا يذكرون ص لا يستسخرون مبين ج لمبعوثون لا الاولون ط داخرون ينظرون الدين تكذبون يعبدون الجحيم مسؤلون لا لان المسؤل عنه قوله مالكم لا تناصرون مستسلمون يتساءلون اليمين مؤمنين ج سلطان ج للعدول مع اتفاق الجملتين طاغين لذائقون غاوين مشتركون بالمجرمين يستكبرون لمجنون ط المرسلين الاليم ج تعملون لا المخلصين معلوم لا فواكه ج لاحتمال الواو والاستيناف مكرمون لا النعيم متقابلين معين للشاربين ج لان ما بعده يصلح وصفا واستينافا ينزفون عين مكنون يتساءلون قرين لا المصدقين لمدينون مطلعون الجحيم لتردين لا المحضرين بميتين لا بمعذبين العظيم العاملون الزقوم للظالمين الجحيم لا لان ما بعده صفة لشجرة الشياطين البطون ط ان ثم لترتيب الاخبار حميم الجحيم ج ضالين للعطف مع اتصال المعنى يهرعون الاولين لا منذرين المخلصين المجيبون العظيم ز الباقين ز الآخرين لا لان ما بعده مفعول تركنا على سبيل الحكاية العالمين المحسنين المؤمنين الآخرين التفسير انه سبحانه بدأ فى اول هذه السورة بالتوحيد كما ختم السورة المتقدمة بذكر المعاد واقسم على المطلوب بثلثة اشياء اما الحكمة فى كما مر فى سورة يس واما الاقسام بغير الله وصفاته فلا نسلم انه لا يجوز لله سبحانه او هو على عادة العرب التم
اول او المراد تعظيم هذه الاشياء وتشريفها او المراد رب هذه الاشياء فحذف المضاف قال الواحدى ادغام التاء فى الصاد حسن وكذا التاء فى الزاء والذال لتقارب
مخارجها الا ترى ان التاء والصاد جميعا من طرف اللسان واصول الثنايا ويجتمعان فى الهمس والمدغم فى الاطباق والصفير وادغام الانقص فى الازيد حسن والصاد قريزبه على المدغم
المراد مجهورة وفيهما زيادة صفير ثم المقسم بها فى الآيات اما ان يكون صفات ثلث لموصوف واحد او صفات لموصوفات متباينة اما التقدير الاول ففيه وجوه
الاول انها صفة الملائكة لانهم صفوف فى السماء كصفوف المصلين فى الارض او انهم يصفون اجنحتهم فى الهواء واقفين منتظرين امر الله تعالى والصف بصفوننا
ترتيب الشئ على نسق الفاعل صاف والجماعة صافة والصافات جمع الجمع ولولا ذلك لقيل والصافين قال الحكيم يشبه ان يكون معنى كونهم صفوفا ان واحد
لكل منهم مرتبة معينة فى الشرف او بالغلبة والزجر سوق السحاب قال ابن عباس يعنى الملائكة الموكلين بالسحاب وقال آخرون اراد زجرهم الناس عن المعاصى واحد
بالخواطر والالهامات او بدفع تعرض الشيطان عن بنى آدم والتاليات هم الذين يتلون كتاب الله على الانبياء والحاصل ان كونهم صافين اشارة الى استكمال

جواهر الملكية فى ذواتها اعنى وقوفهم فى مواقف العبودية والطاعة وكونهم زاجرين اشارة الى كيفية تاثيراتها فى ازالة ما لا ينبغى من جواهر الارواح البشرية وكونهم
تالين اشارة الى كيفية تاثيراتها فى افاضة الجلايا القدسية والانوار الالهية على الارواح الناطقة الانسانية الوجه الثانى انها صفات النفوس الانسانية
المقبلة على عبودية الله وعبادته وهم ملائكة الارض اقسم بنفوس المصلين بالجماعات الزاجرين انفسهم عن الشهوات او عن القاء وساوس الشيطان
فى قلوبهم اثناء الصلوات بتقديم الاستعاذة او برفع الاصوات التالين القرآن فى الصلوة وغيرها او اقسم بنفوس العلماء الصافات لاجل الدعوة الى دين الله
الزاجرات عن الشبهات والمنهيات بالمواعظ والنصائح الدارسات شرايع الله وكتبه لوجه الله او اقسم بنفوس المجاهدين فى سبيل الله كقوله ان الله
يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا والزجرة والصيحة سواء والمراد رفع الصوت بزجر الخيل والتاليات ذكر الله فذلك انهم يشتغلون وقت المحاربة بقراءة
القرآن وذكر الله يحكى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه انه كان يخرج من الصف وسيفه ينطف دما فزارق رياوة ياتى بالخطبة الغراء الوجه الثالث
انها صفات لآيات القرآن وذلك انها انواع مختلفة بعضها دلائل التوحيد وبعضها دلائل العلم والقدرة وبعضها دلائل النبوة وبعضها دلائل
المعاد وبعضها بيان التكاليف وبعضها تعليم الاخلاق الفاضلة وكلها مترتبة ترتيبا لا يتغير ولا يتبدل فكانها اجرام واقفة فى صفوف معينة
ولا ريب انها تزجر المكلفين عن المناهى والمنكرات واما نسبة التلاوة اليهن فمجاز كما يقال شعر شاعر والفاء فى هذه الوجوه لترتب الصفات
فى الفضل فالفضل للصف ثم للتلاوة او بالعكس فلكل وجه ويحتمل وان لم يذكره جار الله ان يكون لترتب معانيها فى الوجود كقوله الصابح فالغانم فالآئب
كانه قال الذى صبح فغنم فآب مثاله المصلون يصفون اولا صفوفا ثم يزجرون الوساوس عنهم بالاستعاذة ثم يشتغلون بالقراءة واما التقدير الثانى
وهو ان يكون المراد بهذه الامور الثلثة موصوفات متغايرة فالصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصى الله
والتاليات كل من تلا كتاب الله او الصافات طائفة من الملائكة او من الاشخاص الانسانية وكل من الزاجرات والتاليات طائفة اخرى
وقيل الصافات العالم الجسمانى المنضود كرة فوق كرة من الارض الى الفلك الاعظم والزاجرات الارواح المدبرة للاجسام بالتحريك والتصريف
والتاليات الارواح المستغرقة فى بحار معرفة الله تعالى والثناء عليه والفاء على هذه المعانى لترتب الموصوفات فى الفضل ثم انه سبحانه لم يقتصر فى
اثبات التوحيد على الحلف ولكنه عقبه بالدليل الباهر فقال رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فلكل كوكب بل للشمس ولسائر
السيارات والثوابت فى كل يوم مشرق آخر بحسب تباعدها عن منطقة المعدل وتقاربها منها وانما اقتصر على ذكر المشارق لشرفها ولدلالتها على
المغارب كقوله وسرابيل تقيكم الحر ثم بين انه جعل الكواكب بحيث يشاهدها الناس من السماء الدنيا وهى اقربها الى المنتفعين لاجل تحصيل الزينة
والثانية الحفظ من الشيطان والزينة مصدر كالنسبة او اسم لما يزان به الشئ كالليقة لما يلاق به الدواة ثم من قرأ بالاضافة فلها وجوه ان يكون
مصدرا مضافا الى الفاعل اى بان زانتها الكواكب او الى المفعول اى بان زان الله تعالى الكواكب وحسنها فى انفسها فان النور والضوء وحسن الصفات
والكمالها وكذا الاشكال كشكل الثريا وبنات النعش والجوزا وسائر الصور المتوهمة من الخطوط التى ينظم طائفة منها وقد ترتقى الى نيف واربعين
منها صور البروج الاثنى عشر وبالجملة اشراق الجواهر الزواهر وتلالؤها على بسيط ازرق بنظام مخصوص مما يروق الناظر ويجوز ان يقع الكواكب بيانا
للزينة لان الزينة مبهمة فى الكواكب وغيرها مما يزان به فيكون كخاتم فضة ويجوز ان يراد بالزينة ما زينت به الكواكب كما روى عن ابن عباس انه
فسر الزينة بالضوء ومن قرأ بتنوين زينة وجر الكواكب فعلى الابدال ومن قرأ بتنوين زينة ونصب الكواكب فعلى انه بدل من محل بزينة او
من السماء او على ان المراد بتزيينا الكواكب كما فى احد وجوه الاضافة قوله وحفظا فيه وجوه احدها انه محمول على المعنى والتقدير انا خلقنا الكواكب
زينة للسماء وحفظا من الشياطين وثانيها ان يقدر مثل الفعل المتقدم للتعليل كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وثالثها قال
المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر لانه قد دل على فعله بما تقدم بقول افعل ذلك وكرامة اى اكرمك كرامة ولك
لما علم ان الاسماء لا تعطف على الافعال فالتقدير وحفظناها حفظا قال المفسرون الشياطين كانوا يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة
وعرفوا به ما سيكون من الغيوب فاخبروا ضعفاءهم فجعل الله الكواكب فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم يحرقهم ويحفظ اهل السماء من اصغائهم قال
الحكيم ليس المراد بالكواكب الحافظة انفس الكواكب المركوزة فى الافلاك بل المراد ما يضاهيها من الشهب الحادثة عند كرة النار من الابخرة
المرتفعة وقد مر تحقيق ذلك فى اول سورة الحجر قال الامام فخر الدين الرازى رحمة الله عليه ان الشياطين لهم حذق كامل فى استخراج الفنائية
الدقيقة فاذا عرفوا بهذه الحالة بالتجربة فلم لا يمتنعون منه وايضا انهم مخلوقون من النار والنار كيف تؤثر فى النار وايضا مقر الملائكة السموات
من الفلك الاعلى وانهم لا يصعدون الا الى قرب من الفلك الادنى فكيف يسمعون كلام الملائكة والجواب انا لا نسلم حذقهم فى كل الامور
ولهذا جاز فى وجود تسخيرهم ما جاز على موضع الاستراق والاحتراق غير متعين ووقوع هذه الحالة ايضا كالنادر فلعل المسترق يكون غير واقف
عليه والنيران بعضها اقوى من البعض وليس الشيطان نارا صرفا ولكن النارى غالب عليه ولا نسلم ان الملائكة لا ينزلون الى الفلك الاخير
باذن الله والمارد والخارج من الطاعة وقد مر اشتقاقه فى قوله مردوا على النفاق والضمير فى قوله لا يسمعون لكل شيطان لانه فى معنى الجمع
والتسمع تكلف السماع سمع او لم يسمع وقد ضمن معنى الاصغاء فلذلك عدى بالى وقيل معنى سمعت اليه صرفت الى جهته سمعى قال جار الله
هذه الجملة لا يصح ان يكون صفة للحفظ من شياطين غير سامعين وسميعين لا معنى له ولا يصح ان يكون استينافا لان سائلا لو سأل لم يحفظ
من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقى ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ به لاقتصاص حال المسترقة للسمع قلت لو كانت
صفة لهم باعتبار ما يؤول اليه حالهم جاز وكذا ان كان مستأنفا كانه قيل لم يحفظ فاجيب لانهم يؤولون الى كذا ومن هنا زعم بعضهم ان اصله
لئلا يسمعوا فحذفت اللام ثم ان واهدر عملها كما فى قول القائل الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا ورد عليه فى الكشاف ان حذف اللام فى
قولك جئتك ان تكرمنى وحذف ان فى قول الشاعر جائز فاما اجتماعهما فمن المنكرات قلت ان القرآن حجة على غيره مع ان قول الشاعر
ايضا لا يصح الا بتقدير اللام او من مع ان والملأ الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات وعن ابن عباس اراد اشراف الملائكة وعنه
ان الكتبة من الملائكة والقذف الرمى بحجر يقول قذفته بحجر اى رميته به حجرا وقوله من كل جانب اى مرة من هذا الجانب وقيل من كل
الجوانب دحورا اى طردا مع صغار مصدر من غير لفظ الفعل لان القذف والطرد متقاربان كانه قيل يقذفون قذفا او يدحرون دحورا
ويجوز ان يكون مفعولا له اى لاجل الدحور او مصدرا فى موضع الحال اى مدحورين كقوله فذموما مدحورا ولهم اى للشياطين عذاب واصب
دائم وقد مر فى النحل فى قوله وله الدين واصبا اى انهم فى الدنيا مرجومون بالشهب ولهم فى الآخرة نوع من العذاب غير منقطع الا من خطف
فى محل الرفع بدلا من الواو فى لا يسمعون اى لا يسمع الا الشيطان الذى اختلس الكلمة مسارقة وقيل وثب وثبة وقيل الاستثناء منقطع خبره فاتبعه

وذا تبلد ورمى في اثره شهاب ثاقب مضيء او ماض فاذا قذفوا افترقوا وقيل يصيبهم آفة فلا يعودون وقيل لا يقتلون بالشهب بل يحبس بذلك فلا
يرجع ولهذا لا يمتنع غيره من ذلك وقيل يصيبهم مرة ويسلمون مرة فصاروا في ذلك كراكبي السفينة للتجارة وحين بين الوحدانية والاهما في اول
هذه السورة اراد ان يذكر ما يدل على الحشر والكلام فيه من طريقين الاول ان يقال قدر على الاصعب فيقدر على الاسهل بالاولى الثاني
قدرته اول الامر فيقدر في الحالة الثانية اما الطريق الاول فاشار اليه بقوله فاستفتهم اي سل قومك او حاججهم واراد بمن خلقنا ما ذكر
من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب والشياطين وغلب اولي العقل على غيرهم وقيل اراد عادا وثمود ومن
قبلهم من الامم الخالية والقول الاول اقوى بدليل فاء التعقيب والاطلاق قوله خلقنا اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا
من عجايب الخلق فاستخبرهم اهم اشد خلقا ام هذه الخلايق ومن هان عليه هذا الكان خلق البشر بل اعادته عليه اهون واما الطريق الثاني
فاليه الاشارة بقوله انا خلقناهم من طين لازب والباء بدل من الميم عند اكثرهم ولهذا قال ابن عباس هو الملتصق من الطين الحر وقال
مجاهد والضحاك هو المنتن ووجه الاستدلال ان هذا الجسم لو لم يكن قابلا لم يقبلها من اول الامر واذا قبلها اولا فلا يبقى ريب في قبولها ثانيا
وقادرية الله تعالى باقية على حالها فالاعادة امر ممكن وقد اخبر الصادق عن وقوعها وفي هذا الطريق الثاني تقوية للطريق الاول فان
خلقهم من الطين شهادة عليهم بالضعف والرخاوة ثم بين انهم مع قيام الحجج الضرورية عليهم مصرون على الانكار فقال بل عجبت من قرا بفتح
التاء فظاهر اي عجبت يا محمد من تكذيبهم وانكارهم البعث وهم يسخرون من تعجبك او عجبت من القرآن حين اعطيته ويسخر اهل الكفر منه ومن
قرا بالضم فاورد عليه ان العجب على الله تعالى غير جائز لانه روعة تعتري الشخص عند استعظام الشيء وقيل حالة تحصل عند الجهل بصفة
الشيء واجيب بان معناه قل يا محمد بل عجبت سلمنا لكن العجب هو ان يرى الانسان ما ينكره والانكار من الله تعالى غير منكر سلمنا لكن امثال
هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات كالمكر والاستهزاء والمعنى بلغ من عظم اياتي وكثرة خلائقي اني استعظمتها فكيف بعبادي وهؤلاء
بجهلهم وعنادهم يسخرون منها او استعظمت انكارهم البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله تعالى بالقدرة عليه ونظيره الاية
وان تعجب فعجب قولهم عند من يرى ان العجب من الله وقد جاء في الحديث تعجب ربك من الشاب ليس له صبوة وقال ايضا عجب ربكم
من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم والال التضرع ثم حكى عنهم انه كان دابهم السخرية عند ايراد البراهين فكذلك دابهم انهم اذا وعظوا
لا يتعظون واذا راوا اية بينة كانشقاق وغيره من المعجزات يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها
وينسبوا ما راوه الى السحر فالحاصل انه لا يفيد معهم البراهين الضرورية ولا المقدمات الوعظية ولا المعجزات الدالة على صدق اخبارك
بالبعث قوله اواباؤنا من قرا بسكون الواو فمعطوف على محل اسم ان ومن قرا بفتحها فعلى انه او على الضمير في مبعوثون وحسن للفصل بهمزة الاستفهام
والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد على الاول اراد وانكار ان يبعث واحد منهم ومن اباءهم فازعمهم الله سبحانه
بقوله قل نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون اذلاء واذا كان ثابتا اي البعثة او هو مبهم يوضحه خبره زجرة واحدة يعني صيحة النفخة
الثانية فاذا هم ينظرون اراد انهم احياء بصراء او اراد انهم ينتظرون ما يراد بهم وقالوا يا ويلنا الظاهر ان كلامهم تم عند قوله يكذبون
بقول الكفرة بينهم وقيل ان كلامهم تم عند قوله يا ويلنا ثم قال الله والملائكة هذا يوم الدين الجزاء والحساب هذا يوم الفصل القضاء
والفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا بالكفر او بالفسق يعني رؤساءهم وهذا الحشر بمعنى الجمع لانه بعد البعث اي اجمعوهم وازواجهم
اي اشكالهم التي على دينهم وسيرتهم الزاني مع الزاني والسارق مع السارق والشارب مع الشارب وقيل قرناءهم من الشياطين
وقيل نساءهم اللاتي على ملتهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام فاهدوهم ادعوهم او قدموهم والسابق يسمى الهادي او دلوهم
الى صراط الجحيم وسطها او طريقها لانه قال بعد ذلك وقفوهم اي احبسوهم للسؤال كانهم اذا انتهوا الى الجحيم سئلوا تهكما وتوبيخا بالعجز
عن التناصر ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وقد اسلم بعضهم بعضا وخذله وحقيقته طلب كل منهم سلامة نفسه فقال المفسرون
ان ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فيوبخ على ذلك يوم القيامة ثم حكى انهم في جهنم يتساءلون تساؤل التخاصم وذلك ان اتباعهم قالوا
لرؤسائهم انكم كنتم تاتوننا عن اليمين وفيه وجوه الاول انها استعارة من الخيرات والسعادات وذلك ان الجانب الايمن اشرف
من الايسر شرعا وعرفا ولذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء ولهذا امر في الشريعة بمباشرة افاضل الامور باليمين
واراذلها بالشمال وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء بالضد وما جعلت
بنى العرب تتيمن بها ولذلك تيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح فقيل اتاه من اليمين اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله قال جار الله من
المجاز ما غلب عليه الاستعمال حتى لحق بالحقيقة وهذا من ذلك لان اليمين كالحقيقة في الخير ثم صار قولك اتاه من اليمين مجازا في المعنى الذي ذكر
الثاني ان يقال فلان يمين فلان اذا كان عنده بمنزلة رفيعة فكانهم قالوا انكم كنتم تخدعوننا وتوهموننا انا عندكم بمحل رفيع فوثقنا بكم
وقبلنا منكم الثالث اليمين الحلف كان الكفار قد حلفوا لهؤلاء الضعفة ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم وتمسكوا بعهودهم
الرابع ان اليمين القوة والقهر فيها يقع البطش غالبا اي كنتم تاتوننا عن القهر والغلبة حتى حملتمونا على الضلال وكما ان الضمير في قالوا الاول
كان عائدا الى الاتباع بقرينة الخطاب فالضمير في قالوا الثاني يعود الى الرؤساء لمثل تلك القرينة والمعنى بل ابيتم انتم الايمان
واعرضتم عنه كما اعرضنا وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما مختارين الطغيان وهذا مثل محاجة ابليس وما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فحق علينا قول ربنا انا لذائقون قال مقاتل اراد قوله لاملان جهنم والمعنى انه لما اخبر عن وقوعنا في الله
وكان خبر الله حقا فلا جرم وجب وقوعنا في العذاب قال جار الله لو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم
لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم وكلا الاستعمالين شائع فاغويناكم انا كنا غاوين اي اقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في انفسنا
بالغواية كانهم قالوا ان اعتقدتم ان غوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب اغواء غاو اخر لزم التسلسل فعلمنا ان غوايتنا
ايضا من الله كما مر في قوله فحق علينا قول ربنا هذا تفسير اهل السنة واما المعتزلة فيفسرون الايات هكذا قالوا بل لم تكونوا مؤمنين
اي كنتم مختارين الكفر على الايمان وما سلبنا تمكنكم من تسلط بل اخترتم انتم الطغيان فحق علينا وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة
لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة فاغويناكم فدعوناكم الى الغي لانا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا وحين حكى كلام الاتباع
والمتبوعين انتج من ذلك قوله فانهم جميعا يومئذ اي يوم القيامة في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية ولعل للمتبوعين عذابا زائدا

لاغواء

للاغواء ولكن الزيادة لا تنافي الاشتراك في اصل الشيء انا كذلك اي مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم اي كافر بدليل قوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله
الا الله يستكبرون يانفون من قبوله والجملة الشرطية خبر كان وهو مع الاسم والخبر خبر ان ويحتمل ان يكون الخبر يستكبرون واذا ظرفيه ويقولون ائنا
لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون عنوا محمدا صلى الله عليه وسلم بين انهم منكرون للتوحيد والنبوة جميعا فرد عليهم بقوله بل جاء بالحق وصدق
المرسلين وفيه تنبيه على ان التوحيد دين كل الانبياء ثم صدقهم في قولهم فحق علينا قول ربنا ونقل الكلام من الغيبة الى الخطاب للمبالغة فقال انكم
لذائقوا العذاب الاليم ثم كان لقائل ان يقول كيف يليق بالرحيم الكريم المتعال عن النفع والضرر ان يعذب عبيده فقال وما تجزون الا ما كنتم
تعملون فالحكمة اقتضت الامر بالخير والطاعة والنهي عن القبيح والمعصية والامر والنهي لا يكمل المقصود بهما الا بالترغيب والترهيب واذا وقع
الاخبار عنه وجب تحقيقه صونا للكلام عن الكذب هذا تفسير المعتزلة واشبه والسني يقول لا اعتراض عليه في شيء ولا يسال عما يفعل قال جار الله
الا عباد الله استثناء منقطع اي لكن عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق قلت يجوز ان يكون الاستثناء متصلا والمعنى وما تجزون
الا ما كنتم تعملون من غير زيادة الا المخلصين فان جزاءهم بالاضعاف ويحتمل ان يكون الخطاب في قوله انكم للمكلفين جميعا فيصح الاستثناء المتصل
معناه اي يذوقون العذاب الا اباهم قوله معلوم قيل اي معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقيل معلوم الصفة لكونه مخصوصا بخصائص
خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم القدر على حسب استحقاقهم وقيل اراد انهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذي
لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع ثم فسر ذلك الرزق بانه فواكه فقيل ان الفاكهة عبارة عما يؤكل لاجل التلذذ لا لاجل الحاجة وارزاق اهل الجنة كلها
كذلك لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يرزقهم فاكهة وقيل اراد التنبيه بالادنى على الاعلى فانها اذا
كانت حاضرة ابدا كان الطعام اولى بالحضور وحيث بين الاكل ذكر ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم فقال وهم مكرمون لان الاكل الخالي من التعظيم يليق
بالبهائم وحين ذكر ماكولهم وصف مسكنهم وهيئة جلوسهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين وقد مر في الحجر ثم وصف مشروبهم قال اهل اللغة لا يسمى الاناء كاسا
الا اذا كان فيها خمر وقد يسمى الخمر نفسها كاسا عن الاخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس والمعين النهر الجاري على وجه الارض وهو
مفعول لانه الظاهر للعيون او من معن الماء وقد يقال معان الماء يعني اذا ظهر جاريا قال ثعلب وقيل فعيل من المعن وهو المنفعة او الماء الشديد
الجري ومنه امعن في السير اي بالغ فيه واشتد وصف الخمر بما يوصف به الماء لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الماء وبيضاء صفة للكاس قال الحسن
خمر الجنة اشد بياضا من اللبن ولذة اما مصدر وصف بها للمبالغة كانها نفس اللذة او هي تانيث اللذ واللذ واللذيذ واحد كالطب والطبيب ثم بين
ان خمر الجنة لا تغتال العقول يقال له غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده وفيه تعريض بخمر الدنيا ولهذا قدم الظرف وبنى الكلام على الاسم في قوله ولا هم
عنها ينزفون اي يسكرون وخص هذا الوصف بالذكر لانه اعظم المفاسد في شرب الخمر يقال نزف الشارب على البناء للمفعول اذا ذهب عقله
والتركيب يدور على النفاد والانقطاع منه نزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وانزف مثله معناه صار ذا نزف وعن بعضهم ان معنى
قوله ولا هم عنها ينزفون هو ان الشراب لا ينقطع عنهم لئلا يلزم نوع من التكرار والاولون حملوه على المبالغة ثم وصف منكوحهم بقوله وعندهم قاصرات
الطرف اي حابسات اعينهن عن غير ازواجهن كقوله عربا والعين جمع العيناء مؤنث الاعين وهو كبير العين ثم شبههن ببيض النعام المكنون في
وكناتها وذلك لان فيها بياضا يشوبه قليل من الصفرة واذا كانت مستورة في اماكنها كانت مصونة عن الغبرة والتغير فكانت في غاية الحسن وبها
يشبه العرب النساء ويسمونهن بيضات الخدور ثم عطف على قوله يطاف قوله فاقبل وهو مضارع في المعنى الا انه على عادة الله تعالى في الاخبار ولعل
هذا التذاكر عقيب اطافة الكاس فلهذا جيء بالفاء بخلاف ما مر في تخاصم اهل النار والمراد انهم يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة اهل المنادمة
والعشرة قال بعضهم وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام وقد حكى من جملة سمرهم انهم تذكروا انه كان قد حصل لهم في الدنيا ما يوجب لهم
الوقوع في عذاب الله ثم انهم تخلصوا وفازوا بالنعيم المقيم وهذا ابتداء الحكاية قال قائل منهم اي من اهل الجنة اني كان لي قرين جليس او شريك في الدنيا
يقول ائنك لمن المصدقين اي بيوم الدين ائنا لمدينون لمجزيون من دان يدين اذا جزى وقيل مسوسون مقهورون من دانه اذا ساسه ومنه
الحديث الكيس من دان نفسه وعن بعضهم اراد بالمتناجيين الرجلين المذكورين في الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين قال يعني ذلك القائل
او الله او بعض الملائكة هل انتم مطلعون الى النار اي اهل الجنة يحبون ان يطلعوا فيعلموا اين منزلتكم منهم عن ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار
فاطلع على اهل النار فراه قرينه في سواء الجحيم وسطها قال للقرين تالله ان كدت لتردين ان مخففة واللام فارقة والارداء الاهلاك وتحمل على انه كان يدعوه
في الدنيا الى انكار البعث المتضمن للكفر المؤدي الى الهلاك الحقيقي والخطاب مع القرين اما ان يكون بحيث يسمعه حقيقة وذلك لرفع الحجاب وتقريب المسافة
او كما اراد الله بقدرته واما ان يخاطبه وان لم يمكن السماع بعيد كما يخاطب الموتى ومن في حكمهم ونظيره ما مر في قصة صالح فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
الى اخر الاية والله اعلم ثم شكر الله تعالى على ان وفقه لنعمة الاسلام وارشده الى الحق وعصمه عن الباطل فقال ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين
في النار مثلك اطلق اطلاقا لان الاحضار يستعمل في الشر غالبا ولا سيما في اصطلاح القرآن وحين تم كلامه مع الرجل الذي كان قرينا له في الدنيا
وهو الان من اهل النار عاد الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة فقال افما نحن بميتين وفيه قولان احدهما ان اهل الجنة لا يعلمون في اول دخولهم الجنة انهم لا يموتون
فيستفهمون عن ذلك فيما بينهم ويسالون الملائكة فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح فعند ذلك يعلمون انهم لا يموتون والتقدير انحن مخلدون منعمون
فليس شاننا ان نموت ولا ان نعذب وثانيهما ان هذا مما يقول المؤمن تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بحاله فان الذي يتخايل خيره وسعادته اذا عظم تعجبه بها
قد يقول افيدوم هذا لي وان كان على يقين من دوامه وايضا انه قال ذلك بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا احتج النافون لعذاب
القبر بقوله الا موتتنا الاولى فانه يدل على ان الانسان لا يموت الا موتة واحدة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الموت حاصلا مرتين واجيب بان المراد
بالموتة الاولى كل ما يقع في الدنيا قوله ان هذا لهو الفوز العظيم يجوز ان يكون من تمام كلامه لقرينه تقريعا له وتوبيخا وان يكون من قول اهل الجنة فيما بينهم اي ان هذا
الامر الذي نحن فيه او هو قول الله تصديقا لهم وكذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون ولا خلاف ان قوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال جار الله اصل النزل
الفضل والريع في الطعام فقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل تلك الشجرة الالم والغم
ويمكن ان يقال النزل ما يقال للضيف ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكنهم تهكم في ذلك وظاهر القرآن يدل على انها شجرة كريهة الطعم والرائحة
ثقيلة المتناول صعبة الابتلاع الا ان المفسرين اختلفوا في ماهيتها فذكر قطرب انها شجرة مرة تكون بتهامة وقال غيره انها ليس لها في الدنيا وجود بدليل قوله انا جعلناها
فتنة للظالمين وذلك انها خلاف المالوف والمعتاد فاذا ورد على سمع المؤمن فوض علمه الى الله واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن في القرآن
ويزيد في شبهته كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقيل انما كانت فتنة لهم لانهم اذا كلفوا تناولها شق ذلك عليهم فهو كقوله يوم هم على النار يفتنون وذكر المفسرون

ان ابن الزبعرى قال لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم وان الزقوم بلسان بربر والافريقية الزبد والتمر وذكروا ايضا ان ابا جهل ادخلهم بيته وقال يا جارية
زقمينا فاتتهم بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا الذي يوعدكم محمد به فانزل الله صفة الزقوم وذكر بقية اوصاف الشجرة منها انها تخرج في اصل الجحيم اي منبتها في قعر جهنم
واغصانها ترتفع الى دركاتها وفيه تكذيب للطاعنين فيه كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجرة ومنها طلعها كانه رؤس الشياطين قال جار الله
الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية وذلك ان يكون وجه الاستعارة مجرد الطلوع اي الظهور او معنوية و
ذلك اذا كان يشبه الطلع شكلا ولونا وفي تشبيه ثمرها برؤس الشياطين اقوال احدها وهو الاقوى انه تمثيل وتخييل وذلك ان الشيطان مثل في تقبيح
ونفرة الطباع عنه كما ان الملك مثل في الحسن وميل النفوس اليه اذا كان الشيطان كله مستقبحا فراسه كذلك وتشبيه الثمرة براسه اولى لانه
المتوسط في الجسم الثاني ان الشيطان ههنا نوع من الحيات تعرفها العرب تخاف لها اعراف ورؤس قباح الثالث انه شجر معروف عند العرب
قبيح الاعالي يسمى الاستن وثمره يسمى رؤس الشياطين [7] حجارة سود يكون حول مكة ولعل هذا بل الثالث والثاني ايضا يعود الى الاول لانه بعد
التسمية صار صالحا للتشبيه ثم علل جعل الشجرة فتنة للظالمين بقوله فانهم لاكلون منها اي من طلعها فمالؤن منها البطون اي بطونهم اما لان شدة
الجوع تحملهم على تناول ذلك الشيء الكريه واما لان الزبانية يقسرونهم على اكلها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش واخذتهم
الغصة فيسقون من حميم وهو الماء الشديد الحرارة وقد وصفه الله سبحانه في قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه والشوب المزج كما قال في صفة
شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وهو تسمية بالمصدر والمراد ان الطعام مزج من حميم او يسقون صديدا او شرابا حارا ممزوجا بالطعام وهو الحميم ومعنى
ثم التراخي بالزمان كانهم لا يسقون الا بعد مدة مديدة تكميلا للتعذيب او التراخي بالرتبة كان الشراب اشنع من الطعام بكثير قال مقاتل معنى
ثم في قوله ثم ان مرجعهم انهم يخرجون من الجحيم ودركاتها الى موضع فيه الزقوم والحميم بعد الاكل والشرب يردون الى موضعهم من الجحيم فكانهم في وقت
الاكل والشرب لا يعذبون بالنار وقيل هو كقولهم فلان رجع الى مال ونعمة اي هو فيها وقيل ثم لتراخي الاخبار اي فقد صح ان مرجع الكفار
الى النار وقيل مع الحكمة فدل على التقديم اي قبل ذلك كان مرجعهم الى الجحيم ثم بين ان سبب وقوعهم في اصناف العذاب المذكور هو التقليد
والاهواء والاسراع الشديد كانهم يساقون سوقا ولو لم يوجد في ذم التقليد الا هذه الاية لكفى ثم اراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا بقوله ولقد ضل
قبلهم اي قبل قومك اكثر الاولين ثم استثنى من قوله ولقد ضل ومن المنذرين المهلكين عباده المخلصين فان عاقبتهم كانت حميدة ثم سلاه بوقائع
الامم الخالية تفصيلا وقدم نوح عليه السلام لكونه ابا ثانيا ونداؤه في قوله رب انصرني بما كذبون او قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف او للابتداء والمخصوص بالمدح وهو نحن محذوف والجمع لتصوير العظمة والكبرياء وفيه وفي
التعقيب في فلنعم دليل على ان نداء العظيم حقيق بان يكون مقرونا بالاجابة والكرب العظيم ما هو فيه من خوف الطوفان او من ايذاء قومه مع [illegible]
من ابائهم وهذا اقرب وفي قوله هم الباقين بصيغة الحصر دلالة على ان كل من سواه وسوى ذريته فقد فنوا روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير
ذريته وهم سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان شرقا وغربا ويافث ابو الترك والخزر وياجوج وماجوج وتركنا
عليه في الاخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح ومعنى في العالمين ان هذه التحية ثبتها الله فيهم فيسلم الثقلان عليه الى يوم القيمة
ثم بين ان سبب التشريفات هو كونه محسنا وهذا جزاء كل محسن ثم بين ان احسانه كان بسبب ايمانه فعلى كل مؤمن ان يجتهد حتى يصير محسنا
وحينئذ ثم لما ال اليه امر نوح وذريته ذكر عاقبة سائر قومه فقال ثم اغرقنا الاخرين عاذنا الله من الاغراق والاحراق وجعل فلكنا فلك نوح
وسفرنا متضمنا للنصر والفتوح التأويل والصافات اشارة الى ما جاء ان الارواح خلقت قبل الاجساد في اربعة صفوف الاول للانبياء
والثاني للاولياء والثالث للمؤمنين والرابع لاهل الكفر فالزاجرات هي الالهامات الربانية للعوام عن المناهي وللخواص عن رؤية الاعمال وللاخص
عن الالتفات الى غير الله فالتاليات ذكرا هم الذين يذكرون الله في الخلوات لخلوص اليات رب سموات القلوب وارض النفوس وما بينهما
من صفاتهما ورب مشارق القلوب يطلع منها شموس الشواهد واقمار الطوالع ونجوم اللوامع السماء الدنيا هي الراس كواكبها الحواس والشهب هي
الخواطر الرحمانية يدفع بها الوساوس الشيطانية طين لازب اي لاصق يجل بالصاد فقوم لصقوا بالدنيا وقوم لصقوا بالاخرة وقوم لصقوا بنفحات الطاف
الحق فاذا ابتهم وجدتهم [2] هو بتها كما تذيب الشمس الثلج وتجذبه عنه وقفوهم انهم مسئولون للسالك في كل مقام وقفة تناسب ذلك المقام وهو مسئول
عن اداء حقوق ذلك المقام فقوم يسالهم الملك والاولون اقوام لهم اعمال صالحة تصلح للعرض والكشف والاخرون قسمان قوم لهم اعمال ستر
الحق عن اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والاخرة كما قال اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقوم لهم ذنوب لا يطلع عليها الا الله فيسترها عليهم كما جاء
ذكره في الحديث ان الله يدني المؤمن يوم القيمة حتى يضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول اي عبد يعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم اي رب ثم يقول
اي عبد يعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم اي رب حتى اذا قرره بذنوبه وراى في نفسه انه قد هلك قال فاني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك
اليوم ثم يعطى كتاب حسناته الا موتتنا الاولى وهي الموتة الارادية عن الصفات النفسانية وبعد ذلك لا موت بل ينقل من دار الى دار لمثل هذا
فليعمل العاملون بل لمثل هذه الامور يبذل الارواح ويفدى الاشباح كما قيل على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وان بات من ليلى على اليأس طاويا
ثم اخبر بعد قصة الاولياء عن قصة الاعداء بقوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم وفي قوله كانه رؤس الشياطين دليل على ان افعالهم نتيجة صفات
الشياطين فكانت مكافاتهم من جنس جوهرة الشياطين سلام على نوح في العالمين انه تعالى سلم على نوح الروح لانه يحتاج الى سلام الله ليعبر
على الصراط المستقيم لفرج ادق من الشعر واحد من السيف ولهذا يكون دعوة الرسل حينئذ رب سلم سلم اما اختصنا بالشرط بالعبور عليه ليؤدوا الامانة التي حملوا الى اهلها وهو انه سبحانه

الرابع قال مقاتل رؤس الشياطين

نفعه م

منه م

لمن انابتهم م

منخ

وان من شيعته لابرهيم ۝ اذ جاء ربه بقلب سليم ۝ اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
ائفكا آلهة دون الله تريدون ۝ فما ظنكم برب العالمين ۝ فنظر نظرة في النجوم ۝ فقال اني
سقيم ۝ فتولوا عنه مدبرين ۝ فراغ الى آلهتهم فقال الا تاكلون ۝ ما لكم لا تنطقون ۝ فراغ عليهم ضربا
باليمين ۝ فاقبلوا اليه يزفون ۝ قال اتعبدون ما تنحتون ۝ والله خلقكم وما تعملون ۝ قالوا

ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ۝ فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين ۝ وقال اني ذاهب
الى ربي سيهدين ۝ رب هب لي من الصالحين ۝ فبشرناه بغلام حليم ۝ فلما بلغ معه السعي
قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني
ان شاء الله من الصابرين ۝ فلما اسلما وتله للجبين ۝ وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت
الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ۝ ان هذا لهو البلاء المبين ۝ وفديناه بذبح عظيم ۝
وتركنا عليه في الآخرين ۝ سلام على ابرهيم ۝ كذلك نجزي المحسنين ۝ انه من عبادنا المؤمنين
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ۝ وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه
مبين ۝ ولقد مننا على موسى وهرون ۝ ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ۝ ونصرناهم
فكانوا هم الغالبين ۝ وآتيناهما الكتاب المستبين ۝ وهديناهما الصراط المستقيم ۝ وتركنا
عليهما في الآخرين ۝ سلام على موسى وهرون ۝ انا كذلك نجزي المحسنين ۝ انهما من عبادنا
المؤمنين ۝ وان الياس لمن المرسلين ۝ اذ قال لقومه الا تتقون ۝ اتدعون بعلا وتذرون
احسن الخالقين ۝ الله ربكم ورب آبائكم الاولين ۝ فكذبوه فانهم لمحضرون ۝ الا عباد الله
المخلصين ۝ وتركنا عليه في الآخرين ۝ سلام على الياسين ۝ انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين ۝ وان لوطا لمن المرسلين ۝ اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين ۝ ثم دمرنا الآخرين ۝ وانكم لتمرون عليهم مصبحين ۝ وبالليل
افلا تعقلون ۝ وان يونس لمن المرسلين ۝ اذ ابق الى الفلك المشحون ۝ فساهم
فكان من المدحضين ۝ فالتقمه الحوت وهو مليم ۝ فلولا انه كان من المسبحين ۝ للبث
في بطنه الى يوم يبعثون ۝ فنبذناه بالعراء وهو سقيم ۝ وانبتنا عليه شجرة من يقطين
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ۝ فآمنوا فمتعناهم الى حين ۝ فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون ۝ ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ۝ الا انهم
من افكهم ليقولون ۝ ولد الله وانهم لكاذبون ۝ اصطفى البنات على البنين ۝ ما لكم كيف
تحكمون ۝ افلا تذكرون ۝ ام لكم سلطان مبين ۝ فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين ۝ وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ۝ سبحان الله عما يصفون ۝ الا عباد الله
المخلصين ۝ فانكم وما تعبدون ۝ ما انتم عليه بفاتنين ۝ الا من هو صال الجحيم ۝ وما منا الا له
مقام معلوم ۝ وانا لنحن الصافون ۝ وانا لنحن المسبحون ۝ وان كانوا ليقولون ۝ لو ان عندنا

ذكرا من الاولين ۝ لكنا عباد الله المخلصين ۝ فكفروا به فسوف يعلمون ۝ ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين ۝ انهم لهم المنصورون ۝ وان جندنا لهم الغالبون ۝ فتول عنهم
حتى حين ۝ وابصرهم فسوف يبصرون ۝ افبعذابنا يستعجلون ۝ فاذا نزل بساحتهم
فساء صباح المنذرين ۝ وتول عنهم حتى حين ۝ وابصر فسوف يبصرون ۝ سبحان ربك
رب العزة عما يصفون ۝ وسلام على المرسلين ۝ والحمد لله رب العالمين ۝

القراءات يزفون بضم اليا وكسر الزا حمزة الباقون بفتح اليا
اني ارى اني اذبحك بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ترى بضم التا وكسر الرا علي وخلف وحمزة ستجدني بفتح اليا ابو جعفر ونافع وان الياس موصولا الهمزة الوصل ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الاخرون بكسر الهمزة والله ربكم ورب بالنصب في ثلثتها على البدل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل الباقون برفعها على الابتداء والخبر آل ياسين ابن عامر ونافع ورويس الاخرون الياسين كانه جمع الياس كالاشعرين المصطفى موصولا والابتداء بكسر الهمزة يزيد واسمعيل والاصبهاني عن ورش الباقون بفتحها في الحالين الوقوف لابرهيم لان التقدير واذكر وجوز في الكشاف ان يتعلق الظرف بما في الشيعة من معنى المشايعة فلا وقف سليم تعبدون ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد المقول يريدون ج لاستفهام اخر العالمين في النجوم لا للفا وانحاد المعنى سقيم مدبرين تاكلون للاستفهام مع الاتحاد كما لا تنطقون باليمين يزفون تنحتون لا لان الواو للحال تعملون في الجحيم الاسفلين سيهدين الصالحين حليم ماذا ترى ط ان شاء الله للشين مع اتصال المقول الصابرين للجبين لاحتمال ان الواو مقحمة وناديناه جواب لما ولاحتمال ان الجواب محذوف اي تلقلناه وناديناه ابرهيم لا الرؤيا ج لاحتمال ان ما بعده داخل في حكم النداء او مستانف المحسنين المبين عظيم الاخرين لا ابرهيم المحسنين المؤمنين الصالحين اسحق مبين وهرون للاية مع العطف العظيم ج كذلك الغالبين المستبين المستقيم الاخرين ج وهرون المحسنين المؤمنين المرسلين ج وجه صحيح وان لم يكن مقصودا فلهذا لم يكن الوقف لازما يتقون الخالقين لمن قرا الله بالنصب الاولين المحضرون المخلصين الاخرين الياسين المحسنين المؤمنين المرسلين اجمعين الغابرين الاخرين مصبحين وبالليل تعقلون المرسلين المسبحين المدحضين لحق المحذوف مع الفا مليم من المسبحين نصف الجزء والربع الرابع من القران يبعثون سقيم يقطين او يزيدون الى حين البنون شاهدون ليقولون ولد الله لا بتعجيلا لتكذيبهم لكاذبون البنين لا ابتداء استفهام اخر تحكمون تذكرون لان ام يصلح استئنافا مبين لتعجيل ام التعجيز صادقين نسبا المحضرون لتعلق الاستثناء وسبحان الله معترض يصفون المخلصين تعبدون بفاتنين الجحيم معلوم الصافون للعطف مع الاتفاق المسبحون ليقولون من الاولين المخلصين تعلمون المرسلين لان ما بعده يصلح ابتداء او مقولا للكلمة المنصورون لعطف الجملتين المتفقتين الغالبون حين للعطف وشدة اتصال المعنى يبصرون يستعجلون المنذرين حين يبصرون عما يصفون ج لعطف جملتين مختلفتين المرسلين ج للابتداء بالحمد الذي به يبتدأ الكلام واليه ينتهي مع اتفاق الجملتين العالمين التفسير الضمير في شيعته يعود الى نوح والمراد ان ابرهيم ممن شايع نوحا في اصول الدين او على التصلب في الدين وقال الكلبي واختاره الفراء انه يعود الى محمد اي هو على منهاجه ودينه وان كان ابرهيم سابقا والاول اظهر لتقدم ذكر نوح ولما روي عن ابن عباس معناه من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة ومعنى جاء ربه اقبل بقلبه على الله واخلص العمل له والقلب السليم قد مر في الشعراء ثم ذكر من جملة آثار سلامة قلبه ان دعا اباه وقومه الى التوحيد ومعنى ماذا تعبدون اي شيء تعبدونه كقوله في الانبياء ما تعبدون سالهم عن جنس معبودهم ثم وبخهم على ذلك افكا هو مفعول له قدم للعناية كما قدم المفعول به على الفعل لذلك فانه كان الاهم عنده ان يكافحهم ويبغتهم على شركهم وانهم على افك وباطل ويجوز ان يكون افكا حالا او مفعولا به والهة بدل منه على انها افك في انفسها فما ظنكم برب العالمين حتى جعلتم الجمادات اندادا له او حسبتم انه يهمل امركم ولا يعاقبكم فيه انه لا يبعد في وهمهم ولا ظن ما يصد عن عبادته وفي قوله اني سقيم قولان الاول انه صدر منه كذبا لمصلحة راى فيه ولما جاء في الحديث لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات قوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة انها اختي وقد مر تقرير ذلك في الانبياء الثاني وهو انه كلام صادق لان الكذب قبيح وان اشتمل على وامام الحديث فنسبة الراوي الى الكذب اولى من نسبة نبي الله الى ذلك وفي التوجيه وجوه الاول ان النظر في النجوم يراد به النظر في علم النجوم واحكامها وكتبها وذلك ليس بحرام ولا سيما في ذلك الشرع فليس فيه الاعتقاد ان الله تعالى خص كل واحد من الكواكب بقوة وخاصية يظهر بها منه اثر مخصوص والانسان لا ينفك في اكثر احواله عن حصول حالة مكروهة له اما في بدنه او في قلبه فلعل به سقما كالحمى النائبة او ارادة انه سيسقم لامارة نجومية او اراد به الموت الذي يلحقه لا محالة ولا داء اعيى منه الثاني ان المراد بالنجوم ما جاء في قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى آخر الآيات اي نظر فيها ليتعرف احوالها وانها قديمة او محدثة وقوله اني سقيم اي سقيم القلب غير عارف بربي وكان ذلك قبل البلوغ او سقيم النفس لكفركم الثالث ان النجوم النبات اي نظر فيها ليتخذ منها ما فيه شفاء لسقمه او يوهمهم ان به ذلك او كان به وقال الازهري عن احمد بن يحيى النجوم جمع نجم وهو كل ما يطرق ومنه نجوم الكتابة اي نظر في متفرقات كلامهم واحوالهم حتى يستخرج منه حيلة فلم يجد عذرا احسن من قوله اني سقيم قال المفسرون كان الطاعون اغلب الاسقام عليهم فظنوا ان به ذلك فتركوه في بيت الاصنام مخافة العدوى وهربوا الى عيدهم وذلك قوله فتولوا عنه مدبرين فراغ الى الهتهم وذهب اليها في خفية حتى لا يرى فكانه رجع اليها مرارا وعاقوه من روغان الثعلب وقيل راغ بقوله اني سقيم حتى خلا بها وسماها الهة على زعمهم وقوله الا تاكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وكان عندها طعام زعموا انها تاكل منه وقيل وضع الطعام ليبارك فيه ذكر

ان سدنتها كانوا ياكلون ما يوضع عندها من الطعام ويطلقون عند الضعفة على لسانها يوهمون انها تاكل وتنطق واما جاء في هذه السورة فقال الا تاكلون بالفاء وفي الذاريات الا تاكلون بغير الفاء لانه قصد من اول الامر تقريع من زعم انها تاكل وتشرب وفي الذاريات يستانف تقديره فقربه اليهم فلم ياكلوا فلما راهم لا ياكلون فراغ عليهم عداه بعلى لان الميل الاول كان على سبيل الرفق استهزاء وهذا كان بطريق العنف والقهر وهذا كما يقال في المحبوب مال اليه وفي المكروه مال عليه وقوله ضربا مصدر راغ من غير لفظه او لفعل محذوف او حال اي يضرب ضربا او ضاربا ومعنى باليمين اي باليد اليمنى لانها اقوى على الاعمال او بالقوة مجازا او بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابرهيم يزفون يسرعون على سرعة وزفيف النعامة ابتداء عدوها ومن قرا بضم اليا فاما لازم من ازف اذا صار الى حال الزفيف او متعد والمفعول محذوف اي يزفون دوابهم او بعضهم بعضا وقد مر نظيره في التوبة في قوله ولاوضعوا خلالكم قال بعض الطاعنين قوله فاقبلوا اليه دل على انهم عرفوا كاسر اصنامهم وقوله في الانبياء من فعل هذا بالهتنا يا ابرهيم دل على انهم لم يعرفوا الكاسر فبينهما تناقض وجب بان هؤلاء غير اولئك فالذين عرفوه ذهبوا اليه مسرعين والذين لم يعرفوه بعد استخبروا عنه على ان قوله فاقبلوا اليه لا دلالة فيه على انهم عرفوا ان الكاسر هو ابرهيم فلعلهم اقبلوا اليه لاجل السؤال عن الكاسر وحين عاتبوه على فعله اراد ان يبين لهم فساد طريقتهم فقال اتعبدون ما تنحتون وذلك ان الناحت لم يحدث فيه الا صورة معينة فيكون معناه ان الشيء الذي لم يكن معبودا الى صار بسبب تصرفه فيه معبودا وهذا معلوم بالبديهة احتج جمهور الاشاعرة بقوله والله خلقكم وما تعملون على ان العبد ليس خالق اعماله لان المعنى خلقكم واعمالكم وزيف بان ما موصولة لتناسب قرينتها في قوله ما تنحتون وليتوجه التوبيخ وكيلا يلزم التناقض فان النحت عملهم والصحيح ان الاية كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر الاصنام ثم ان ابرهيم لما الزمهم بحجة بهذا القول والزمهم عدلوا الى طريقة الايذاء وقالوا ابنوا له بنيانا قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة طوله في السماء ثلثون ذراعا وعرضه عشرون وتقدير الاية ابنوا له بنيانا واملؤه نارا والقوه فيها والجحيم النار الضخمة ومعنى الفاء في قوله فالقوه في الجحيم ان البناء ما كان قبل فنبوا البنيان وملؤه نارا والقوه فيها فنجاه منها وقد صح انهم ارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين الاذلين واما في الانبياء فلم يتعقبه هذا الترتيب واقتصر على الواو العاطفة وانما اختصت هذه السورة بقوله الاسفلين لانه ذكر انهم بنوا بنيانا عاليا وكان ذكر السفل في طباقه انسب ثم ذكر بقية قصة ابرهيم وقوله اني ذاهب الى ربي كقوله في العنكبوت اني مهاجر الى ربي وقد مر وانما حكم بقوله سيهدين ربي الى ما فيه صلاحي في الدارين اعتمادا على فضل الله او عرف ذلك بالوحي وحين هاجر الى الارض المقدسة اراد الولد فقال رب هب لي من الصالحين اي بعض الصالحين والله تعالى بين استجابته بقوله فبشرناه بغلام حليم ووصف الغلام بالعلم في سورة الحجر وبالحلم ههنا فذهب العلماء الى انه اراد بغلام عليم في صغره حليم في كبره فان الصبي لا يوصف بالحلم ومن هنا انطوت البشارة على معان ثلثة احدها ان الولد ذكر والثاني انه يبلغ اوان الحلم والثالث ان يكون حليما واي حلم اعظم من استسلامه حين عرض ابوه عليه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وفيه ان ولده قائم مقامه في الشرف والفضيلة موصوف بالحلم كما وصف به ابرهيم في قوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب ثم حكى حديث ذبحه قائلا فلما بلغ معه السعي اي قوي على ان يمشي مع ابيه في حوائجه والظرف بيان كانه قال اولا فلما بلغ السعي فقيل مع من فاجيب مع ابيه فلا يجوز تعلقه بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه ولا بقوله بلغ لانهما لم يبلغا معا السعي والمعنى في اختصاص الاب اخراج الكلام مخرج الاغلب وقال جار الله السبب فيه ان الاب ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته يروى انه كان ابن ثلث عشرة سنة وقيل اراد السعي في المنافع وفي طاعة الله اعلم ان الناس اختلفوا في الذبيح فعن ابي بكر الصديق وابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب وسعيد ابن المسيب وعكرمة ومجاهد والضحاك رضي الله عنهم انه لقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه العشرة ان يذبح واحدا منهم تقربا فلما كملوا عشرة اتى بهم البيت وضرب عليهم بالقداح فخرج قدح عبد الله فمنعه اخواله فقالوا افده بعشر من الابل فخرج قدحه فزاد عشرة اخرى وضرب مرة اخرى فخرج قدحه وهكذا يزيد عشرة عشرة الى ان تمت مائة فخرج القدح على الجزر فنحرها ومن ادلة انه روي في رواية اخرى ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لئن سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وفداه بمائة من الابل حجة اخرى نقل عن الاصمعي انه قال سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة حجة اخرى وصف اسمعيل بالصبر في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح في قوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين ووصفه بصدق الوعد انه كان صادق الوعد وذلك انه وعد اباه الصبر على قضاء الله وعلى الذبح فوفى به اخرى ومن وراء اسحق يعقوب فمن قرا بالنصب لانه اذا بشر بالولد من صلبه علم انه لم يؤمر بذبحه حجة اخرى اجمعوا على ان اسمعيل مقدم في الوجود على اسحق فهو المراد بقوله رب هب لي من الصالحين ثم انه ذكر عقيب قصة الذبح وايضا قوله وبشرناه باسحق يجب ان يكون غير قوله فبشرناه بغلام حليم والا لزم التكرار حجة اخرى ان قرني الكبش كان ميراثا لولد ابرهيم عن ابيهم وكان معلقين بالكعبة الى ان احترق البيت في ايام ابن الزبير والحجاج ونص على ان ابن مسعود وكعب الاحبار واليه ذهب اهل الكتاب ان الذبيح اسحق لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف انه بشر بالغلام او لا ثم بنبوته ثانيا وايضا صرح بالبشارة في قوله فبشرناها باسحق وفي قوله وبشرناه باسحق فيحمل عليه المبهم في قوله فبشرناه بغلام وايضا لا نسلم ان البشارة بيعقوب كانت متصلة ببشارة اسحق اعتبارا بقراءة من قرا ويعقوب بالرفع وايضا انهم اجمعوا على ان المراد من قوله اني ذاهب الى ربي هو مهاجرته الى الشام ثم قال فبشرناه بغلام فوجب ان يكون الغلام الحليم قد حصل له في الشام وذلك الغلام لم يكن الا اسحق لان اسمعيل قد نشا بمكة وكان الزجاج يقول الله اعلم ايهما الذبيح ويتفرع على اختلاف المفسرين في الذبيح موضع فالذين قالوا ان الذبيح اسمعيل ذهبوا الى ان الذبح كان بمنى وهذا اقوى والذين قالوا انه اسحق قالوا ان الذبح كان بالشام وخصصه بعضهم ببيت المقدس اذا عرفت هذا الاختلاف فقوله يا بني اني ارى في المنام انما قال بلفظ المستقبل لانه كان يرى في منامه ثلث ليال ولان رؤيا الانبياء وحي ثم ان فذكر تاويل الرؤيا كما يقول المنجم وقد راى انه راكب سفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة فكانه قال اني ارى في المنام ما يوجب اني اذبحك ويحتمل ان يكون حكاية ما راه قال بعض المفسرين راى ليلة التروية كان قائلا يقول ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فاصبح يروي في ذلك امن الله او من الشيطان فسمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وقال بعضهم حين بشرته الملائكة بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي قيل له

قيل له ارفق بذرك فانظر ماذا ترى هو من الرأي ومن قرأ من الاراءة فالمعنى ماذا تبصر من رأيك وتدبيرك وانما شاوره في امر هو حتم
من الله ليثبته ان جزع ويفرح بصبره ان ثبت ولئلا يقع الذبح مفاجأة من غير اعلام به وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور
آدم الملائكة في الاكل من الشجرة لما فرط منه ذلك قال يا ابت افعل ما تؤمر اي به فحذف الجار كقوله امرتك الخير اي امرتك بالخير او امرك على تسمية المأمور
به بالمصدر ثم اضافته الى المفعول فلما اسلما اي انقادا وخضعا لامر الله قال قتادة اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله اي صرعه والتله في الجبين كما في قوله
ويخرون للاذقان والجبين احد جانبي الجبهة وقيل كبه لوجهه لان الولد قال له اذبحني وانا ساجد روي انه حين اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية
ننطلق الى الشعب ونحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي
فينقص اجري وتراه امي فتحزن واستحد شفرتك واسرع امرارها على حلقي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ على امي سلامي وان رايت
ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل فقال ابراهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان فقال له
كبني على وجهي ولا تنظر الي حتى لا تدركك رقة تحول بينك وبين امر الله قال جار الله تقدير الكلام فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت
الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما بما انعم الله عليهما من دفع البلاء وما اكتسبا في تضاعيف ذلك من الثواب ورضا
وقد اشير الى جميع ذلك بقوله انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا الامر الذي قد وقع لهو البلاء المبين الذي تميز فيه المخلص عن المدعي او المكروه الذي لا اصعب
على النفس منه يروى انه لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج وقيل انه وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت
الرؤيا فنظر فاذا جبريل عليه السلام معه كبش اقرن املح فكبر جبريل والكبش وابراهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم
والفداء جعل الشيء مكان غيره لدفع الضرر عنه والذبح اسم لما يذبح كالطحن لما يطحن وقوله عظيم اي سمين ضخم الجثة بالقياس الى امثاله وهي السنة في
الاضاحي قال صلى الله عليه وسلم استفرهوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم والاستفراه جعلها شريفة كريمة وعن سعيد بن جبير حق له
ان يكون عظيما وقد رعى في الجنة اربعين خريفا يعني قول ابن عباس انه الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة الى ان فدي به اسمعيل
وقيل سمي عظيما لعظم قدره حيث فدى الله تعالى به ولد خليله ووصفه بالعظم لبقاء اثره الى يوم القيمة فانه ما من سنة الا ويذبح بسبب ذلك من الانعام
ما لا يحصيه الا الله وعن الحسن انه وعل اهبط عليه من ثبير وقال السدي نودي ابراهيم فالتفت فاذا هو بكبش املح ينحط من الجبل فقام عند ابراهيم عليه السلام
فذبحه وخلى ابنه واستدل بعض الاصوليين من اهل السنة بالاية على جواز نسخ الحكم قبل حضور وقته وقالت المعتزلة وكثير من فقهاء اصحاب الشافعي والحنفية بعدم الجواز
لاستلزامه البداء او الجهل وزعموا انه تعالى امر ابراهيم في المنام بمقدمات الذبح كاضجاع ابنه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح على الاتيان بالفعل
الفعل او ان ورود الامر بما انه امر بنفس الذبح لكن لم لا يجوز انه قطع الحلقوم الا انه كان يلتئم جزءا فجزءا فلهذا قيل له قد صدقت الرؤيا والفداء
فضل من الله في حقه وتعظيم له بدلا من عدم وقوع الذبح في الظاهر ولهذا قال وفديناه باسناد الفداء الى ذاته تعالى والحق ان نسخ الحكم قبل وقته
لا يدل على البداء والعبث كما انه بعد الوقت لا يدل على ذلك فقد يكون غرض الامر ان يعلم ان المامور هل يعزم على الفعل ويوطن نفسه على الانقياد والطاعة
ام لا والتصديق بالرؤيا يكفي فيه الاتيان بمثل هيئة الذابح فمن الرؤيا ما يكون تأويلها بالشبه كرؤيا يوسف والفداء زيادة وتشريف وتكريم ووضع سنة
وروي ان الكبش هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر
فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة قوله وتركنا الى قوله المؤمنين قد مر نظيره في قصة نوح الا انه لم يقل
ههنا في العالمين اكتفاء بما علم في قصة نوح ولم يقل ههنا انا كذلك بل اقتصر على كذلك لان سبق ذكر انا كذلك في هذه القصة مرة فلم يحتج الى اعادته
على انه قد بقي من القصة شيء فناسب الاختصار في الاعتراض قوله وبشرناه باسحق ومن جعل الذبيح اسمعيل قال وبشرناه باسحق بعد اسمعيل ومن جعل
الذبيح اسحق قال بشر بنبوته وقد كان بشر بمولده وقوله نبيا من الصالحين كل منهما حال مقدرة من الفاعل اي بشرناه به مقدرا او حالما بانه
نبي صالح وقد اطنب صاحب الكشاف في هذا المقام حيث بنى الكلام على انه حال مقدرة من اسحق وهو عندي تطويل بلا طائل فليتأمل وباركنا
عليه قيل اي على الغلام المبشر به وقيل على ابراهيم وعلى اسحق اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا ومن جملة ذلك ما روي انه اخرج من صلب
اسحق الف نبي اولهم يعقوب وآخرهم عيسى وهم المشار اليهم بقوله ومن ذريتهما محسن ويعلم من قوله وظالم لنفسه ان البر قد يلد الفاجر ولا عار
على الاب وان الشرف بالحسب لا بالنسب واما قصة موسى فلا خفاء بها والكرب العظيم تسلط فرعون وجنوده على قومه وقيل الغرق والضمير في نصرناهم
لهما ولقومهما والمستبين البليغ في بيانه وهو التورية بان وابان واستبان بمعنى الا ان الثالث ابلغ والصراط المستقيم دين الله الذي
اشترك في اصوله جميع الرسل واما الياس فالجمهور على انه نبي من بني اسرائيل بعث بعد موسى وكان من ولد هرون وقيل هو ادريس النبي وقد مر
ذكره في سورة مريم واذ ظرف لمحذوف اي اذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه الا تتقون الله قال الكلبي اي الا تخافونه فتعبدوا غيره وحين خوفهم
مجملا ذكر سببه فقال اتدعون اي اتعبدون بعلا وهو اسم صنم من ذهب كان ببعلبك من بلاد الشام طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به
وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها
الناس قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى لو جوزنا دخول الشيطان في جوف الصنم وتكلمه فيه لكان قادحا في كثير من المعجزات كحنين
الجذع وكلام الجمل قلت هذا الوهم زايل بعد ثبوت النبوة بمعجزات اخر وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون
عبادة احسن الخالقين ثم بين جزاء تكذيبهم انهم لمحضرون في العذاب غدا وباقي القصة ظاهر الا قوله آل ياسين فمن قرأ بالاضافة فعلى ان ادريس
ابن ياسين اي سلام على آل ياسين وقيل آل ياسين آل محمد وقيل محمد يس اسم القرآن فكانه قيل سلام على من آمن بكتاب الله والوجه الاول هو
الانسب الاقوى ومن قرأ على صورة الجمع فقد قال الفراء اراد به الياس واتباعه من المؤمنين كقولهم المهلبون والاشعرون بتخفيف ياء النسبة
وقيل انه لغة في الياس قال الزجاج يقال ميكال وميكائيل وميكائين فكذا ههنا حكى الثعلبي وغيره ان الياس نبي من سبط هرون بعثه الله الى بني اسرائيل وكان
فيهم ملك يقال له اخاب وله امرأة يقال لها اربيل وكانت تبرز للناس كما يبرز زوجها وتجلس تحكم كما يجلس فاتاهما الياس ودعاهما الى الله فاتيا عليه
وهما بقتله فاختفى منهما سبع سنين وكان اليسع خليفته وقال امره الى ان اوحى اليه اخرج الى موضع كذا فما جاءك فاركبه ولا تخف فجاء فرس من نار
فوثب عليه ونادى خليفته اليسع بن اخطوب ما تأمرني فرمى الياس اليه بكسائه من الجو وكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل ورفع الله
الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا وقيل الياس موكل بالفيافي كما وكل الخضر
بالبحار وهما آخر من يموت من بني آدم وكان الحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس وقصة لوط مذكورة مرارا ومعنى

مصبحين

مصبحين وبالليل ان مشركي العرب كانوا مسافرين الى الشام فلعل اكثر مرورهم بتلك الديار كان في هذين الوقتين لا عارض لحر او برد وقصة
يونس ايضا مما سبق ذكرها وفيها مزيد تسلية وتثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم انه ارسله بعد ما نجي الى اولئك القوم فدعاهم الى
الله تعالى فالاباق وهو هرب العبد من سيده لا يوجب العصيان والاظهر ان قوله وان يونس لمن المرسلين مذكور في معرض التعظيم على جهة
اوائل سائر القصص فلم يفد ذلك الفائدة الا اذا كان الارسال من الله تعالى واما الجواب عن اباقه فقد مر في قوله وذا النون اذ ذهب
مغاضبا قوله المشحون كالعلة فساهم المساهمة المقارعة يقال استهم القوم اذا اقترعوا قال المبرد هي من السهام التي تجال للقرعة والمدحض
المغلوب في الحجة وغيرها وحقيقته الذي ازلق عن مقام الظفر والغلبة يروى انه حين غضب على قومه خرج من بينهم حتى اتى بحر الروم ووجد سفينة
فحملوه فيها فلما وصلت الى لجة البحر اشرفت على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر
وقد زعم اهل البحر ان السفينة اذا كان فيها آبق لا تجري فاقترعوا فخرج سهم يونس فقال التجار نحن اولى بالمعصية من نبي الله ثم عادوا ثانيا
وثالثا فخرج سهمه فقال يا هؤلاء انا العاصي ورمى بنفسه الى الماء فالتقمه الحوت اي ابتلعه كاللقمة وهو مليم داخل في الملامة ومنه المثل رب لائم
مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم فلولا انه كان من المسبحين قيل اي من المصلين عن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء وقيل من الذاكرين الله
كثيرا بالتسبيح والتقديس كما قيل اذكر الله في الخلوات يذكرك في الفلوات والاظهر ان المراد منه ما حكى الله تعالى في آية اخرى انه كان
يقول في تلك الظلمات لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والضمير في يبعثون للخلائق بالقرينة وكيف لبثه فيه اقوال احدها
بقي هو والحوت الى يوم البعث والثاني يموت الحوت ويبقى هو في بطنه والثالث يموتان ثم يحشر يونس من بطنه واختلفوا في مدة لبثه
في بطن الحوت فعن الحسن انه لم يلبث الا قليلا وقيل ثلثة ايام وعن عطاء سبعة وعن الضحاك عشرون وقال الكلبي اربعون وروي
ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه بالعراء وهو المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء
يغطيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا
بارض غريبة فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة
عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه في الساحل وحكي في بعض التفاسير وان لم يطابقه رأي اصحاب المسالك كل الطباق
ان الحوت اخرجه الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطائح ثم دجلة فلفظه بارض نصيبين لم تنله آفة الا ان بدنه عاد كبدن الصبي
حين يولد فانبت الله عليه شجرة من يقطين وذلك كالمعجزة له قال المبرد والزجاج هو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به فيشمل
كل شجر لا يقوم على ساق كالدباء والبطيخ الا ان المفسرين خصصوه بالدباء قالوا لان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس قال الواحدي في الآية دلالة على ان اليقطين لم يكن من
قبل فانبته الله لاجله والا فان اليقطين كان فاما لحيث يحصل له ظل قلت الثاني مسلم الا ان الاول ممنوع ان لم يرد به النوع وان
اريد به الشخص فمسلم وقيل هي التين وقيل هي شجرة الموز تغطى بورقها ويستظل باغصانها ويغتذي من ثمارها وروي انه كان
يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحي اليه بكيت على شجرة ولا
على مائة الف او يزيدون فرجع الى قومه وقد سبق في سورة يونس باقي التفسير واو في قوله او يزيدون ليس للشك وانما المراد وصفهم بالكثرة
في مرأى الناظر اي اذا رآها الرائي قال هي مائة الف او اكثر ومن هذا التأويل يتضح وجه العطف من حيث المعنى كانه قيل وارسلناه
الى جم غفير مقول فيهم انهم مائة الف او هم يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين هو انقضاء آجالهم وقيل القيمة وقد مر ثم عطف قوله فاستفتهم
على مثله في اول السورة والوجه فيه انه امر رسوله باستفتاء قريش عن سبب انكار البعث ثم ساق الكلام متصلا بعضه ببعض على ما عرفت
في اثناء التفسير ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى حين اضافوا البنات الى الله تعالى قائلين الملائكة بنات الله مع كراهتهم الاناث
لهن ورغبتهم وافرقوا في البنين وحين استفتاهم على سبيل التوبيخ شرع في تزييف معتقدهم بالحجة العقلية وذلك ان مستند الدعوى
اما ان يكون حسا او خبرا او نظرا اما الحس فمفقود لانهم ما شاهدوا كيفية تخليق الله الملائكة وهو المراد من قوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم
شاهدون واما الخبر فكذلك لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم انه صدق قطعا وهؤلاء كذابون افاكون واشار اليه بقوله الا انهم من افكهم
ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون واما النظر فمفقود ايضا وبيانه من وجهين الاول ان دليل العقل يقتضي فساده لانه تعالى اكمل
الموجودات والاكمل لا يليق به اصطفاء الاخس لاجل نفسه وذلك قوله اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون من قرأ اصطفى
بفتح الهمزة فلانه استفهام بطريق الانكار وقد حذفت همزة الوصل للتخفيف ومن قرأ بكسرها فعلى الاخبار وجعله من جملة كلام الكفرة الثاني
عدم الدليل على صحة مذاهبهم وهو قوله ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين نظيره ما مر في قوله ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا للمفسرين فيه قولان احدهما انهم الطائفة الاولى والمعنى انهم
جعلوا بين الله وبين الملائكة نسبة بسبب قولهم انهم بناته فان الولادة تقتضي الجنسية والمناسبة وفيه توبيخ لهم على ان من صفته الاجتنان
والاستتار كيف يصلح ان يكون مناسبا لمن لا يجوز عليه صفات الاجرام وعلى هذا فالضمير في قوله انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم
يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علمت الملائكة انهم في ذلك كاذبون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون وثانيهما انهم طائفة من الزنادقة
قائلون بيزدان واهرمن كما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله شركاء الجن وعلى هذا فالضمير اما للكفار كما مر واما للشياطين وروي
حكاية انهم قالوا سروات الجن بنات الرحمن وقال الكلبي زعموا ان الله سبحانه تزوج الى الجن فخرج منهما الملائكة والتاء في الجنة
للتأنيث والجن واحد قال جار الله الاستثناء في قوله الا عباد الله منقطع معناه انهم لمحضرون ولكن المخلصين ناجون وما بينهما
اعتراض دال على التنزيه وجوز ان يكون الاستثناء من الضمير في يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن اهل الاخلاص مبرؤون
من وصفه بما لا ينبغي وحين بين المذاهب الفاسدة وبعضها بين ان اهل الشرك ومعبوديهم ليس لهم ان يفتنوا على الله
يحملوا غيرهم على سلوك سبيل الفتنة والضلال الا من سبق في علم الله انه من اهل النار وقالت المعتزلة الا من سبق في علم الله انهم
بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها وجوز جار الله ان يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع وجاز السكوت على تعبدون
كما في قولهم كل رجل وضيعته ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين الا من هو صال الجحيم منكم وقال والوجه في نظم هذه

وقيل التقدير وارسلناه الى مائة الف وارسلناه
الى قوم يزيدون والابهام في حق المخاطبين كما مر
وقيل او للتخيير وكانه الغرض ان يدعو مائة الف
ثم خيره في دعوة الزيادة ان شاء الله
وقيل او بمعنى بل والزيادة ثلثون الفا
عن ابن عباس وقيل بضعة واربعون
وقيل بضعة واربعون وقيل سبعون
وبها دونها عشرون الفا
ان يراد او يزيدون في
مرور الزمان لانه بقي
فيهم مدة كما قال
صح

الايات ان يكون قوله سبحن الله الى قوله المسبحون من كلام الملئكة والمعنى ولقد علمت الملئكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحن الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه الا من كان مثلكم ممن علم الله عز وجل لكفرهم انهم من اهل النار وكيف يكون مناسبين لرب العزة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا نستطيع ان نتجاوزه ونحن الصافون كما امرنا حول العرش ونحن المسبحون وقال في التفسير الكبير ان الجملتان تدلان على الحصر وفيه اشارة الى ان طاعة البشر كالعدم بالنسبة الى طاعة الملك فكيف يجوز ان يقال البشر اقرب درجتهم من درجة الملك فضلا عن دعوى الافضلية قلت لا شك ان هذا التركيب يفيد الحصر الا انه لم يفرق بين قصر الاول على الثاني كما في الاية فيمن حكمه والذي يفيد مدعاه هو العكس لا الاصل فافهم وقيل هذه الايات من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وما منا معشر المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه ثم حكى ان مشركي قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا الذي هو سيد الاذكار فكفروا به فسوف يعلمون وخامة عاقبة التكذيب وقيل ارادوا لو علمنا حال الامم وما آل اليه امرهم وكان ذلك كما يقول محمد لامنا به واخلصنا لكنا على شك من حديثه ثم بين ان رسل الله وجنده منصورون غالبون عاجلا واجلا والاول الكبرى والثاني محقق يقيني ثم امر نبيه بالصفح والاغماض الى اوان النصر والغلبة قائلا فتول عنهم اي اعرض اذاهم الى حين الكفر بالقتال او الى يوم بدر او الى الموت او القيامة وابصرهم وما يقتضي عليهم من الاسر والقتل في الدنيا والعذاب في الاخرة فسوف يبصرونك وما يؤول اليه امرك من النصر والثواب في الدارين وفي هذا الامر تنفيس عن النبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له كان لحاله الموعود قدام عينيه قربا وتحقيقا وسوف في الموضعين للوعيد لا للتبعيد وكانهم فهموا التسويف فاستعجلوا العذاب فوبخوا عليه وكان من عادة العرب ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وشبه نزول العذاب بساحتهم عليهم قبل ذلك في فتح خيبر وعن انس لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين اي صباحهم محذوف المخصوص بالذم واللام في المنذرين للجنس وانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية او الاول للعذاب الدنيا والثاني للاخرة او اطلق الفعل الاول ايضا اكتفاء بالاول وليفيد فائدة زائدة هي انهم يبصرون وهم يبصرون ما لا يحيط به الوصف من صنوف المسرة وفنون المساءة واعلم ان السورة اشتملت على تاله المشركين في الله وعلى ما عاناه المرسلون من جهلهم وعلى ما يؤول اليه عاقبة الرسل وحزب الله من موجبات الحمد فلا جرم ختمها بكلمات جامعة لتلك المعاني ومعنى رب العزة كقوله قل اللهم مالك الملك او المراد ذي العزة لانها صفته لا مربوبة عن ابن عباس انه سمع رجلا يقول اللهم رب القرآن فانكر عليه وقال القرآن ليس بمربوب ولكنه كلام الله والظاهر ان قوله عما يصفون متعلق بسبحان كما في قوله سبحان الله عما يصفون وقيل متعلق بالعزة اي امتنع عما وصفوه به وقد مر شيء من تحقيق هذه الخاتمة في اخر سورة يونس انما لم يقل في اخر قصتي لوط ويونس سلام عليهما اكتفاء بقوله في الخاتمة وسلام على المرسلين عن علي كرم الله وجهه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى اخر السورة صدق الله

سورة صاد مكية حروفها ثلثة آلاف وتسعة وستون ● كلمها سبعمائة واثنان وثلثون ● آياتها ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم ● ص والقرآن
ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق ● كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا
ولات حين مناص ● وعجبوا ان جاءهم منذر منهم ● وقال الكافرون هذا ساحر
كذاب ● اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ● وانطلق الملأ منهم ان
امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ● ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة
ان هذا الا اختلاق ● ءانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما
يذوقوا عذاب ● ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ● ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب ● جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ● كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ● وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك
الاحزاب ● ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ● وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة
ما لها من فواق ● وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ● اصبر على ما يقولون و

واذكر عبدنا داود ذا الايد ● انه اواب ● انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والاشراق ● والطير محشورة كل له اواب ● وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة و
فصل الخطاب ● وهل اتيك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب ● اذ دخلوا على داود
ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا
الى سواء الصراط ● ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها
وعزني في الخطاب ● قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء
ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه
فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ● فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار
ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب ● ووهبنا
لداود سليمان نعم العبد انه اواب ● اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد ● فقال
اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ● ردوها علي فطفق مسحا بالسوق
والاعناق ● ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ● قال رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب ● فسخرنا له الريح تجري
بامره رخاء حيث اصاب ● والشياطين كل بناء وغواص ● وآخرين مقرنين في الاصفاد
هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب ● وان له عندنا لزلفى وحسن مآب

القراءات اواوا نزل بالواو ومثل وبكم في آل عمران عذابي وعقابي بالياء في الحالين يعقوب والسرندي عن قنبل وافق سهل وعباس في الوصل لئيكة مذكور في الشعراء من فواق بضم الفاء حمزة وعلي وخلف ابا فون بالفتح ولي نعجة بفتح الياء حفص والاعشى والبرجمي فيما بتخفيف النون على انه مثنى والضمير للخصمين عباس لتدبروا بحذف احدى التائين على انه خطاب يزيد والاعشى والبرجمي الباقون على الغيبة وادغام تاء الفعل في الدال اني احببت بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو من بعدي بالفتح ابو جعفر ونافع وابو عمرو الرياح بجمعه يزيد الوقوف ذي الذكر ط وشقاق ه مناص ه منهم ز بتصريح ذكر الكافرين مع امكان الاكتفاء بالضمير وقد اتفقت الجملتان كذاب ج للاستفهام واتحاد القائل واحدا ج لمثل ما مر عجاب ه آلهتكم ج لما مر يراد ج كذلك الاخرة ج كذلك اختلاق ج لما قلنا من بيننا ط من ذكري ج لعطف الجملتين المختلفتين والابتداء بالتهديد عذاب ه ط لان ام بمعنى الف استفهام انكار الوهاب ه ج لان ام يصلح للابتداء انكار الاسباب ه الاحزاب ه الاوتاد ه الايكة ط الاحزاب عقاب ه فواق ه الحساب ه الايد ج للابتداء بان ولاحتمال التعليل اواب ه والاشراق لا اواب ه الخطاب ه الخصم م لانه اذ ليس بظرف الاتيان ولتنافي الاستفهام الى الامر اي اذكر اذ تسوروا المحراب ه لا لان اذ بدل من الاولى لا تخف ج لحق الحذف اي نحن خصمان مع اتحاد القول الصراط ه الخطاب ه نعاجه ط ما هم ط واناب ه ذلك ط مآب ه عن

الاول ط الحساب ه باطلا كفروا للابتداء بالتهديد مع فاء التعقيب النار ط لان ام الاستفهام انكار كالفجار ه الالباب ه سليمان ط العبد اواب ط والاصح الوقف والتقدير اذكر اذ فان اذ به غير مقيد بل مطلق الجياد لا للعطف ربي ج لاحتمال ان حتى للابتداء وان يكون انتهاء للحب اي اثرت حب الخير حتى توارت بالحجاب ه وقف لحق الحذف تقدير وقال ردوها علي لانها ه اناب بعدي ه لاحتمال ان يكون التقدير فانك انت الوهاب ه اصاب ه لا وغواص لا الاصفاد ه حساب ه ماب ه

التفسير عن ابن عباس ان صاد بحر عليه عرش الرحمن وعن سعيد بن جبير بحر يحيي الله به الموتى بين النفختين وقيل صدق محمد في كل ما اخبر به عن الله وقيل صد الكفار عن قبول هذا الدين وقيل صاد محمد قلوب العباد وقيل هو من المصاداة المعارضة ومنه الصدى وهو ما يعارض الصوت في الجبال ويؤيده قراءة من قرأ صاد بالكسر ومعناه عارض القران بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه والذكر الشرف والشهرة او الموعظة وجواب القسم محذوف كانه قيل بحق القران انه لمعجز او ان الحكم لواحد ويجوز ان كان صاد اسم السورة ان يراد بهذه صاد والقران يعني هذه السورة هي التي اعجزت العرب بحق القران كما يقول هذا حاتم والله يريد هذا هو المشهور بالسخا والله ثم بين ان الكفار في استكبار عن الاذعان للحق وفي مخالفة لله ورسوله ومعنى بل ترك كلام والاخذ في كلام اخر ولكن سلم انه للمغايرة الكلية فالكلام الاول هو كون محمد صادقا في تبليغ الرسالة وكون القران نوع ذلك معجزا والحكم المذكور بعد بل هو المنازعة والمشاقة في كونه كذلك فحصل المطلوب ثم خوف الكفار بقوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا اي رفعوا اصواتهم بالدعاء والاستغاثة لان نداء من نزل به العذاب لا يكون الا كذلك وعن الحسن فنادوا بالتوبة كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا ولهذا قال ولات حين مناص اي لم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب او حين نداء نجي قال سيبويه والخليل التاء في لات زائدة مثلها في ربت وثمت وهي المشبهة بليس وقد تغير حكمها بزيادة التاء حيث لا يدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا اسمها او خبرها والتقدير الا ليس الحين حين مناص ولو رفع لكان تقديره وليس حين مناص حاصلا لهم وقال الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان كانه قيل ولا حين مناص لهم وقيل اصل لات ليس قلبت الياء الفا والسين تاء وقيل التاء تدخل في حين كقوله العاطفون تحين ما من عاطف ه والمطعمون زمان ما من مطعم والى هذا ذهب ابو عبيدة وتاكد هذا الراي عنده حين راى التاء في المصحف متصلا بحين وضعف بعد تسليم انه في الامام كذلك بان خط المصحف غير مقيس عليه اما الوقف على لا فعند الكوفيين بالهاء قياسا على الاسماء وعند البصريين بالتاء قياسا على الافعال والمناص مصدر ناص ينوص اذا هرب او نجا او فات قال ابن عباس لما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فانزل الله ولات حين مناص ثم حكى سبحانه سوء صنيعهم وقالتهم في حق النبي صلى الله عليه وسلم قائلا وعجبوا ان جاءهم اي من ان جاءهم منذر منهم اي جنس البشر ثم سجل عليهم بالكفر بوضع الظاهر موضع المضمر قائلا وقال الكافرون هذا ساحر في اظهار خوارق العادات كذاب على الله وانما قيل في سورة ق فقال الكافرون بالفاء لان للقول هناك هذا شيء عجيب وهو نتيجة التعجب فاتصل الكلامان لفظا ومعنى واما ههنا فلم يتصل الا معنى اجعل الالهة الها واحدا اي صيرها وحكم عليها بالوحدة ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب يروى انه لما اسلم عمر بن الخطاب شق ذلك على قريش وفرح المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الاشراف والرؤسا امشوا الى ابي طالب فاتوه وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا اتيناك ليقضي بيننا وبين ابن اخيك فدعا ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال وماذا يسالوني فقالوا ارفضنا وارفض الهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال له ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشر امثالها فقال صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا فكيف يسع الخلق كلهم اله واحد فانزل الله هذه الايات يعني من اول السورة الى قوله كذبت قبلهم وانطلق الملا منهم اي نهضوا من ذلك المجلس وان مفسرة اي امشوا من غير ان يتلفظوا به واصبروا على عبادة الهتكم قال النحويون الانطلاق ههنا متضمن معنى القول لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم وقيل وانطلق الملا منهم وقالوا لغيرهم امشوا وقيل انطلقوا بان امشوا اي بهذا القول وليس المراد بالمشي السير انما المراد المضي على الامر وقيل امشوا واتركوا محمدا وقيل هي من مشت الماشية اذا كثر نسلها ماشية ومنه الماشية للتفاؤل وفي تهذيب اللغة عن الازهري مشى الرجل اذا استغنى فيكون هذا دعاء لهم بالبركة ان هذا الامر وهو استعلاء محمد لشيء يراد اي حكم الله به فلا حيلة في دفعه ولا ينفع الا الصبر او انه لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشيء يراد ان يؤخذ منكم وقيل ان عبادة الاصنام لشيء يريد ويحتاج اليه وقيل ان هذا الاستعلاء والترفع لشيء يريده كل واحد وكل ذي همة وقريب منه قول القفال القائل ان هذه كلمة تذكر للتحذير والتخويف ومعناها انه ليس غرض محمد من هذا القول تقرير الدين ولكن غرضه ان يستولي علينا فيحكم في اموالنا واولادنا بما يريد ما سمعنا بهذا الذي يقوله محمد في الملة الاخرة اي فيما ادركنا عليه اباءنا او في ملة عيسى التي هي اخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة قال جار الله يجوز ان يكون التقدير ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الاخرة فيكون الظرف حالا من هذا لا صلة لسمعنا والمعنى انا لم نسمع من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الاخرة توحيد الله ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه من عنده ثم اظهروا الحسد وما كان يغلي به صدورهم قائلين أانزل عليه الذكر من بيننا وذلك انهم ظنوا ان الشرف بالمال والجاه فقط نظيره في القمر أالقي الذكر عليه من بيننا الا انه استعمل هناك الالقاء لان اذكارهم كانت صحفا مكتوبة والواحا مسطورة وقدم الظرف ههنا لشدة العناية ولزيادة غيظهم وحنقهم فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله بل هم في شك من ذكري اي من دلائلي التي لو نظروا فيها لزال الشك عنهم فالقاطع لا يساوي المشكوك وقيل اراد انهم لا يكذبونك ولكنهم جحدوا اياتي ثم قال بل لما يذوقوا عذاب اي لو ذاقوه لما قبلوا على اداء المامورات والانتهاء عن المنهيات وقيل اراد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم العذاب لو اصروا على الكفر ثم انهم اصروا ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك سببا لشكهم في صدقه قال تعالى انه فلا جرم لا يزول ذلك الشك الا بنزول العذاب ثم اجاب عن شبهتهم بوجه اخر وهو قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب والمراد ان النبوة من جملة نعم الله المخزونة عنده يعطيها من يشاء من عباده ثم حقق ذلك بعد التعميم قائلا ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ولا ريب ان هذه الاشيا بعض خزائن الله واذا كانوا عاجزين

عن البعض

عن البعض فعن الكل اولى ثم تهكم بهم بقوله فليرتقوا اي فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق وقسمة الرحمة فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوسل بها الى المقصود وقيل اسباب السموات ابوابها والمعنى ان ادعوا ملك السموات وانهم يعلمون ما يجري فيها فليرتقوا اليها قال بعض حكماء الاسلام في الاسباب اشارة الى ان الاجرام الفلكية وما اودع الله فيها من القوى والخواص اسباب حوادث العالم السفلي ثم حقر امرهم بقوله جند ما هنالك وهو خبر مبتدا محذوف وما مزيدة للاستعظام جارية مجرى الصفة اي هم جند من الجنود ثم خصص الوصف بقوله من الاحزاب اي ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب ولا تبال بهم قال قتادة هنالك اشارة الى يوم بدر وقيل يوم الخندق وقيل فتح مكة فان مكة هي الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وقال اهل البيان هي اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم كقولك لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك ثم مثل حالهم بحال من قبلهم من الامم المكذبة وقصصهم مذكورة مرارا والذي يختص بالمقام هو انه وصف فرعون بذي الاوتاد وعن قتادة انه كانت له اوتاد وارسان وملاعب يلعب بها عنده وقال المبرد بنى ابنية طويلة فصارت كالاوتاد لبقائها وقيل هي اوتاد اربعة كان يعذب الناس بها على الارض او على رؤس اخشاب اربعة وقيل اراد كثرة اوتاد خيام معسكره وقيل اراد انه ذو جموع كثيرة فيها الجمعية يشتد الملك كما يشتد البناء بالاوتاد وهذا اقرب من قول اهل البيان ان اصل هذه الكناية عن ثبات البيت المطنب باوتاده ثم استعير لثبات العز والملك والمقصود على الوجوه كلها وصف فرعون بالشدة والقوة ونفاذ الامر ليعلم انه اهلك من كان هذه صفته فكيف بمن هو دونه قال ابو البقا قوله اولئك الاحزاب مبتدا وخبر ويجوز ان يكون خبرا والمبتدا من قوله وعاد ومن ثمود ومن قوم لوط قلت ويحتمل ان يكون الاحزاب صفة اولئك واولئك بدلا من مجموع المعطوفات والمعطوف عليه قال جار الله قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية اعني قوله ان كل الا كذب الرسل فبين ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا فحق اي ثبت او وجب لذلك عقابي اياهم في الدنيا ثم في الاخرة وذلك قوله وما ينظر هؤلاء المذكورون وقيل اهل مكة الا صيحة واحدة وهي النفخة الاولى ما لها من فواق مقدار فواق وهو بالفتح والضم زمان ما بين حلبتي الحالب عن النبي صلى الله عليه وسلم العبادة قدر فواق الناقة ومعنى الاية انها اذا جاءت وقتها لم تمهل هذا القدر وقيل الفواق بالفتح الافاقة اي ما لها من رجوع وترداد لان الواحدة تكفي امرهم او ما لها رجوع الى الحالة الاولى بل تبقى ممتدة الى ان يهلك كلهم واعلم ان القوم انما تعجبوا من الشبهات ثلث وقعت لهم اولاها في الالهيات وهو قولهم اجعل الالهة الها واحدا والثانية في النبوات وهي قولهم أانزل عليه الذكر من بيننا والثالثة تتعلق بالمعاد وهو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وهو القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه والقط ايضا صحيفة الجائزة ونحوها لانها قطعة من القرطاس استعجلوا نصيبهم من العذاب الموعود او من اللذات العاجلة او من الجنة او من صحيفة الاعمال كل ذلك استهزاء منهم فلذلك امره بالصبر على ما يقولون قال جار الله اراد اصبر على اذاهم وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم واذكر اخاك داود كيف زل تلك الزلة اليسيرة فعوتب عليها ونسب الى البغي او اصبر وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود وما اورثته زلته من البكاء الدائم والحزن الواصب وقال غيره اصبر على اذى قومك فانك مبتلى بذلك كما صبر سائر الانبياء على ما ابتلاهم به ثم عدهم وبدا بداود وذلك انه تمنى منزلة اباءه ابراهيم واسحق ويعقوب فاوحى الله انهم وجدوها بالصبر على البلايا فسال الابتلاء وفيه ان الدنيا لا ينفك من الهموم والاحزان وان استحقاق الدرجات بقدر الصبر على البليات ثم ان مجامع ما ذكر الله تعالى في قصة داود ثلثة انواع من الكلام الاول تفصيل ما اتاه الله تعالى من الفضائل الثاني شرح الواقعة التي وقعت له والثالث استخلاف الله تعالى اياه بعد ذلك والاول عشرة اشيا احدها ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم اياه ليقتدي به في الصبر وسائر اصول الاخلاق وثانيها تسميته بالعبد مضافا الى صيغة جمع المتكلم للتعظيم والعبودية الصحيحة الجامعة لكمالات الممكنات كما سبق مرارا ثالثها قوله ذا الايد اي ذي القوة في الحروب على الطاعة وعن المعاصي وكان يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل ويحتمل ان يكون الياء محذوفا اكتفاء بالكسر فيكون جمع اليد بمعنى النعمة لان الله انعم عليه ما لم ينعم على غيره رابعها قوله انه اواب اي رجاع في الامور كلها الى طاعة الله ومرضاته من اب يؤب خامسها تسخير الجبال معه وقوله يسبحن حال والاشراق وقت اضاءة الشمس وهو بعد شروقها قاعد الضحى يقال شرقت الشمس ولما تشرق واستدل به ابن عباس على وجود صلوة الضحى في القران لما روي عن ام هاني دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضا ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هاني هذه صلوة الاشراق قال ابن عباس وكانت صلوة يصليها داود عليه السلام ويحتمل ان يكون معنى الاشراق الدخول في وقت الشروق فيراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق قاله جار الله سادسها قوله والطير محشورة اي وسخر الطير مجموعة من كل ناحية قال ابن عباس كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقد مر ذكر هذه المعجزة في الانبياء وفي سبا قال اهل البيان قوله محشورة في مقابلة يسبحن ولكنه اختير الفعل في احد الموضعين والاسم في الاخر لانه اريد في الاول الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال حتى كان السامع يتصور هاتيك الحالة وان الحاشر هو الله تعالى وحشر الطيور جملة واحدة ادل على القدرة سابعها قوله كل له اواب اي كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيح داود مسبح مرجع للتسبيح وقيل الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله مسبح رجاع الى فعله مرة بعد مرة وهذا الوصف كالتاكيد للوصف الذي يتقدمه وهذا اخص لانه ادل على الموافقة ثامنها قوله وشددنا ملكه اي قويناه بالجنود والاعوان وسائر الاسباب وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلثة وثلثون الف حرس وزاد بعضهم فقال اربعون الفا وقيل نصرناه بالهيبة وسببه ان غلاما ادعى على رجل بقرة فانكر المدعى عليه ولم يكن للغلام بينة فعجز داود فرأى داود في المنام ان الله تعالى يامره ان يقتل المدعى عليه ويسلم البقرة الى الغلام فقال داود هذا منام فاتاه الوحي بذلك في اليقظة فاخبر بذلك بني اسرائيل فجزعوا وقالوا اتقتل رجلا بلطمة فقال داود هذا امر الله فسكتوا ثم احضر الرجل واخبره ان الله امره بقتله فقال الرجل صدقت يا نبي الله اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فقتله داود وعظمت هيبته واشتد ملكه وقالوا انه يقضي بالوحي من السما تاسعها قوله واتيناه الحكمة وقد مر معناها مرارا وانها بالجملة منحصرة في قسمين الاول العلم بالتصورات الحقيقية والتصديقات اليقينية بمقتضى الطاقة البشرية والثاني العلم بالاخلاق الفاضلة المفضية الى السعادة

الباقية وخصصها بعضهم بالنبوة وبعضهم بالعلم والفهم او بالزبور والشرايع عاشرها فصل الخطاب وهو القدرة على ضبط المعاني
والتعبير عنها باقصى الغايات حتى يكون كلامه محكما فيها سعتها قال جار الله الفصل بمعنى المفصول ومعناه البين من الكلام الملخص الذي
لا يلبس ولا يختلط بغيره قلت ومن ذلك ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل كما ما تذكره في الوقوف وعن علي كرم الله وجهه انه
قوله البينة على المدعي واليمين على من انكر فالفصل بمعنى الفاصل كالصوم او الصحب ومندرج فيه جميع كلامه في الاقضية والحكومات وتدابير
الملك والمشورات يروى انه سبحانه خلق لاجله سلسلة من السماء وامره ان يقضي بها بين الناس فمن كان على الحق يأخذ السلسلة
ومن كان على الباطل لا يقدر على اخذها ثم ان رجلا غصب من آخر لؤلؤة وجعلها في جوف عصا له ثم خاصمه المدعي الى داود فقال المدعي ان هذا — ٧ لا يصل اليها نسخه
اخذ مني لؤلؤة ولم يردها علي واني صادق في مقالتي فجاء واخذ السلسلة ثم قال المدعى عليه خذ مني العصا فاخذ عصاه وقال اني رددت عليه — ٠ رجل
اللؤلؤة واني صادق في مقالتي واخذ السلسلة فتحير داود في ذلك فرفعت السلسلة وامره ان يقضي بالبينة واليمين وهو فصل الخطاب — ٢ فجاء م
وقيل هو قوله اما بعد وهو اول من تكلم به وقيل هو انه اذا تكلم في الحكم فصل وكل هذه الاقوال تخصيصات من غير دليل والاقوى ما قدمنا
ثم انه سبحانه لما مدحه بالوجوه العشرة المذكورة اتبعه بذكر واقعة قائلا وهل اتاك يا محمد نبؤ الخصم اي ما اتاك خبرهم وقد اتاك الآن وفائدة هذا الاستفهام
التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها ليكون ادعى الى الاصغاء لها وللناس في هذه الواقعة ثلثة اقوال اقواها تقريرها على وجه لا يدل على
صدور ذنب عن نبي الله وثانيها التقرير على وجه يدل على صدور الصغيرة عنه واضعفها التقرير على وجه يدل على الكبيرة ويختلف
تفسير بعض الالفاظ بحسب اختلاف المذاهب فلنفسر كلا منها على حدة واما المشترك بين الاقوال فلا نفسر الا مرة القول الاول يروى — ٠ بعض م
ان جماعة من الاعداء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود وكان له يوم يخلو بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك وتسوروا
المحراب اي تصعدوا غرفته من سوره وفي قوله اذ دخلوا عليه اشارة الى انهم بعد التسور نزلوا عليه قال الفراء قد يجاء باذ مرتين ويكون
معناهما كالواحد كقولك ضربتك اذ دخلت علي اذ اجترأت علي مع انه يكون وقت الدخول ووقت الاجتراء واحدا وحين رآهما قد دخلا
عليه لا من الطريق المعتاد علم انهم انما دخلوا عليه لشر ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان والخصم في الاصل مصدر فلهذا لم يجمع اولا نظرا الى اصله
وثني ثانيا بتأويل شخصان او فريقان خصمان وجمع الضماير في قوله اذ تسوروا اذ دخلوا ففزع منهم قالوا لا تخف بناء على ان اقل الجمع اثنان — ٨ لا تخف خصمان م
او على ان صحب كل منهما من جبلتهما والاول اظهر لان القائلين كانا اثنين بالاتفاق بغى بعضنا على بعض اي بغى احدنا على الآخر
وتعدى حد العدالة ثم قرروا مقصودهم بثلث عبارات متلازمة احدها فاحكم بيننا بالحق اي بالعدل الذي هو حكم الله فينا والثانية ولا تشطط
وهي نهي عن الباطل بالتزام الحق والشط البعد شط واشط لغتان اي ولا تجر فالجور البعد عن الحق والثالثة واهدنا الى سواء الصراط
اي وسطه وهو مثل لمحض الحق وصدقه وحين اخبروا عن وقوع الخصومة مجملا شرعوا في التفصيل فقال احدهما مشيرا الى الآخر ان هذا
قوله اخي اي في الدين او الصداقة او الخلطة او النسب خبر او بدل والخبر له تسع وتسعون نعجة وهي الانثى من الضأن ولي نعجة واحدة
فقال اكفلنيها اي ملكنيها فاكفلها كما اكفل ما تحت يدي وعزني في الخطاب اي غلبني في المخاطبة لانه كان اكثر تكلما مني وبطشا اشد قال
داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك اضاف المصدر الى المفعول الثاني وحذف الفاعل والمفعول الاول اي بسؤاله اياك نعجتك
وليس السؤال ههنا سؤال خضوع وتفضل وانما هو سؤال مطالبة ومعازة والى متعلقة بفعل دل عليه السؤال تقديره بسؤال نعجتك مضمومة — ٢ الى نعاجه
الى نعاجه او ضمن السؤال معنى الاضافة كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه الطلب وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا
اموالهم واطلع بسبب ذلك بعضهم على احوال البعض ليبغي بعضهم على بعض وقد يغلب الخلطة في الماشية والشافعي يعتبرها
في باب الزكوة اذا اتحد الفحل والراعي والمراح والمسقى وموضع الحلب فان كانت للخليطين اربعون شاة فعليهما شاة و
عند ابي حنيفة لا شيء عليهما وان كانت لاحدهما واحدة وللآخر تسع وتسعون فعلى الاول اذا جزء من مائة جزء من شاة واحدة — ٩ نعجة م
وعلى الآخر الباقي هذا عند الشافعي وعند ابي حنيفة لا شيء على ذي النعجة ثم بين ان اكثر الخلطاء موسوم بسمة الظلم الا المؤمنين
وانهم قليل وما في قوله وقليل ما هم مزيدة للابهام وفيه تعجيب من قلتهم وقال ابن عيسى هي موصولة اي وقليل الذين هم كذلك قصد
نبي الله بذكر حال الخلطاء في هذا المقام الموعظة الحسنة والترغيب في اختيار عادة الخلطاء الصلحاء التي عليها اكثرهم من الظلم ولا — ٠ الذين نخ
وفيه تسلية للمظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وظن داود انما فتناه اي ابتليناه وذلك ان القوم
لما دخلوا عليه قاصدين قتله وانه كان سلطانا شديد القوة وقد فزع منهم ثم انه مع ذلك عفا عنهم دخل قلبه شيء من العجب فحمله
على الابتلاء فاستغفر ربه من تلك الحالة واناب الى الله واعترف بان اقدامه على تلك الحالة لم يكن الا بتوفيق الله فغفر له
ذلك الخاطر او لعله هم بايذاء القوم ثم تذكر انه لم يدل دليل قاطع على ان هؤلاء قصدوا الشر فعفا عنهم ثم استغفر من تلك
الهمة او لعل القوم تابوا الى الله وطلبوا منه ان يستغفر الله لهم فاستغفر لاجلهم متضرعا الى الله فغفر ذنبهم بسبب شفاعته ودعائه
ومعنى خر راكعا سقط ساجدا قال الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع او المراد انه خر لسجود مصليا لان الركوع قد يعبر به عن الصلوة
ومذهب الشافعي ان هذا الموضع ليس فيه سجدة التلاوة لانه توبة نبي فلا يوجب على غيره سجدة ولا يستحب ايضا ومذهب ابي حنيفة بخلافه
وجوز مع ذلك ان يكون الركوع بدل السجود هذا تمام تقرير القول الاول ولا يرد عليه الا ان داود كان ارفع منزلة من ان يتسور عليه بعض
آحاد الرعية في حال تعبده او يتجاسر عليه بقوله لا تخف ولا تشطط وانه كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع
كلامه والاول استبعاد محض واجيب عن الثاني بانه ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه لكنه لم يذكر في القرآن ومما يؤيد هذا القول ختم ذكر
الواقعة بقوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب والزلفى القربة والمآب الحسن الجنة قال مالك بن دينار اذا كان يوم القيامة يؤتى بمنبر
رفيع ويوضع في الجنة يقال يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا وحاصل التفسير على هذا القول ان الخصمين
كانا من الانس وكانت الخصومة بينهما على الحقيقة وكانا خليطين في الغنم او كان الخلط خلطة الصداقة والجوار وكان احدهما موسرا وله نسوة
كثيرة من المهاير والسراري والعرب تشبه المرأة بالنعجة والظبية وان في شعره لا الا امرأة واحدة واستنزله عنها وكانت الانصار
يواسون المهاجرين بمثل ذلك كما كانوا يقسمون لهم اموالهم ومنازلهم وما كان ذنب داود الا الخطرة او الهمة القول الثاني ان اهل زمان داود
كانوا يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته فاتفق ان نظر داود وقع على امرأة رجل يقال له اوريا فاحبها فسأله النزول

عنها

545

عنها فاستحيى ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انه مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلا ليس له — ٠ درجتك نسخه
الا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها وكان
ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه وعلى هذا يجوز ان يكون الخطاب في قوله وعزني في الخطاب من الخطبة اي غالبني في خطبتها حيث
زوجها دوني وعلى هذا القول يجوز ان يكون الخصمان من الانس كما مر وحين وافق حالهما حال داود وتنبه فاستغفر وان يكونا ملكين بعثهما الله
لينبه على خطائه فيتداركه بالاستغفار ويرد على هذا ان الملكين لو قالا نحن خصمان بغى بعضنا على بعض لكذبا والملائكة لا يكذبون ولا يأثمون الله
بالكذب والجواب ان التقدير ما تقول خصمان قال بغى بعضنا على بعض او اراد ارأيت لو كنا خصمين بغى بعضنا على بعض الست تحكم بيننا ثم صورة
المسئلة ومثلوا القصة بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وعن
الحسن لم يكن لداود تسع وتسعون امرأة وانما هذا مثل القول الثالث وهو المشهور عند الجمهور ان داود صلوات الله عليه جزأ زمانه اربعة اجزاء
يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل للوعظ والتذكير فجاء الشيطان يوم العبادة والباب مغلق — ٠ فيه م
في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير وطارت الى قريب منه وهكذا مرة ثانية وثالثة الى ان وقعت في كوة فتبعها فوقع
بصره على امرأة جميلة تغتسل فنقضت شعرها فغطى جسدها فوقع في نفسه منها ما شغله عن الصلوة فنزل من محرابه وبعث المرأة ثيابها وخرجت
الى بيتها فخرج داود حتى عرف بيتها وسألها من انت فاخبرته فقال هل لك زوج فقالت نعم قال اين هو قالت في جند كذا فرجع وكتب — ٠ ونبهه م
الى امير جيشه اذا جاءك كتابي هذا فقدم فلانا في اول التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه
فتحا او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل فاتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته
فبعث الله ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان — ٠ داود م
ففزع منهما وحين وجد قصتهما مطابقة لحاله علم انه مبتلى من الله يروى انهما قالا حين حكم على نفسه وقيل ضحكا وغابا فعلم ان الله ابتلاه بذنبه — ٢ الذي عرفه الله سبحانه
ولا يخفى ان ذنبه بهذا التفسير والتقرير كبيرة لانه يدل على الافراط في العشق وعلى السعي في قتل النفس المسلمة بغير حق فيروى انه سجد اربعين ليلة
لم يرفع رأسه الا للصلوة المكتوبة ولم يذق طعاما ولا شرابا حتى اوحى الله اليه ان ارفع رأسك فاني قد غفرت لك ويروى ان جبريل — ٧ فلما قد رجع م
قال له اذهب الى اوريا وهو زوج المرأة واستحل منه فانك شرعت صوته في موضع كذا فاتاه واستحل منه فقال انت في حل فقال له جبريل هل — ٠ البعد م
اخبرته بجرمك فقال لا قال فانك لا تعلم شيئا فارجع واخبره بالذي صنعت فرجع داود فاخبره بذلك فقال انا خصمك يوم القيامة فرجع
مغتما وبكى اربعين يوما فاتاه جبريل وقال ان الله يقول انا استوهبك من عبدي فيهبك لي واجزيه على ذلك افضل الجزاء فرضي عنه
وكان حزينا في عمره باكيا على خطيئته وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها والمحققون كعلي وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ينكرون القصة
على هذا الوجه روى سعيد بن المسيب والحرث بن الاعور ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه
القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء قلت لا يخفى ان الاحوط السكوت عما لا يرجع الى طائل بل يحتمل ان يعود قائله الى نكال
عاجل وعقاب آجل ومن الدلائل القوية التي اعتمد عليها فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى عليه في ضعف هذه الرواية قوله سبحانه عقيب
ذكر الواقعة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فمن البعيد جدا ان يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دم اخيه المسلم بغير حق و — ٠ روحه م
بانتزاع زوجته منه ثم يقال انا فوضنا الخلافة اليه وعندي ان ذلك عليه لا له لقوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى الى حدوده
فكأنه قيل له انا جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء في الدعاء الى الله وفي سياسة المدن او تخلفنا كما يقال السلطان ظل الله في الارض — ٠ بخته نسخه
فلا يليق بهذا المنصب الا السعي في اصلاح حال المسلمين وحفظ فروجهم ودمائهم واموالهم لا السعي في تحصيل هوى النفس باي وجه يمكن فان صاحبه
المصر عليه ضال معرض عن اعداد الزاد ليوم المعاد ويحكى عن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او الزهري هل سمعت ما بلغنا قال
وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه المعصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وحين
تمم واقعة داود ووضحه وما فرض عليه في شأن الاستخلاف اشار الى ان الامور الدنيوية التابعة للحركات السماوية ليست واقعة على الجزاف
وبمقتضى الطبايع ولكن لها غاية صحيحة فاجمل هذا المعنى اولا بقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين الذي ذكر من خلق
هذه الاشياء بلا غاية ظن الذين كفروا لانهم بانكارهم البعث جحدوا الجزاء الذي هو غاية التكليف فويل للذين كفروا من النار لانهم بهذه
العقيدة وقعوا في نار البعد والقطيعة فلم يستدلوا بالآفاق والانفس على الصانع نظيره ما مر في آخر آل عمران ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار ثم صرح بالغاية قائلا ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وام منقطعة بمعنى بل والهمزة للانكار والمراد انه لو بطل
الجزاء كما زعموا لاستوت حال المطيع المتقي المصلح للارض بتهذيب الاخلاق وتدبير المنزل والسياسة المدنية على وفق العقل والشرع
والفاجر المفسد في الارض بهدم النواميس وتتبع الشهوات وهتك الحرمات ومن سوى بينهم كان الى السفه اقرب منه الى الحكمة ولا يناسب هذا مكان التسوية
من حيث المالكية وحين ذكر هذه المعاني اللطيفة والقواعد الشريفة من على رسوله كتاب اي هذا كتاب انزلناه اليك مبارك كثير المنافع والفوائد
ليدبروا آياته ليتأملوا فيها ويستنبطوا الاسرار والحقايق منها فمن حفظ حروفه وضيع حدوده كان مثله كمثل معلق اللؤلؤ والجوهر على الخنازير قال
الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في وجه النظم ان العقلاء قالوا من ابتلي بخصم جاهل مصر متعصب وجب عليه ان يقطع الكلام معه ويخوض
في كلام آخر اجنبي حتى اذا اشتغل خاطره بالكلام الاجنبي ادرج في اثنائه مقدمة مناسبة للمطلوب الاول فان ذلك المتعصب قد يسلم هذه المقدمة
فاذا سلمها تمكن التمسك بها في اثبات المطلوب الاول ويصير الخصم مفحما واذا عرفت هذا فنقول ان الكفار بلغوا في انكار الحشر الى حيث قالوا
على سبيل الاستهزاء ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال تعالى يا محمد اصبر على ما يقولون واقطع الكلام معهم في هذه المسئلة واشرع في
كلام آخر اجنبي في الظاهر وهو قصة داود الى قوله انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق فكل من سمع هذا قال نعم ما فعل حيث
امره بالحكم الحق ثم كانه تعالى قال ايها المكلف اني لا امرك مع اني رب العالمين الا بالحق فههنا الخصم يقول نعم ما فعل حيث لم يفعل الا بالحق
فعند هذا يقال صحة القول بالحشر والا لزم التسوية بين من اصلح واتقى وبين من افسد وفجر وذلك ضد الحكمة وحين ذكر هذه الطريقة الدقيقة في الزام
المنكرين ووفى مهم وصف القرآن بالبركة والافادة والارشاد وان هذه اللطائف لا تستفاد الا منه وبعد تتميم قصة داود شرع في قصة
ابنه سليمان ومدحه بقوله نعم العبد اي هو والمخصوص بالمدح محذوف للعلم به وفي قوله انه اواب كما مر في قصة داود اشارة الى انه كان شبيها بالاب في التفضيل — ٠ والسادة نسخه

والكمال فلذلك استويا في جهة المدح وفي القصة واقعتان ويمكن تقرير كل منهما كما في واقعة ابيه على وجه لا يقدح في العصمة وهو المختار
عند المحققين وعلى وجه دون ذلك وهو الاشهر فلنفسر كلا منهما بالوجهين بتوفيق الله تعالى اما الاول من الواقعة الاولى فقوله
اذ عرض عليه بالعشي الصافنات وهي جمع صافن وهو الذي يقوم على ثلث قوايم وعلى طرف الرابعة وهو نعت جيد للخيل وقيل الصافن
الذي يجمع بين يديه وفي الحديث من سره ان يقوم الناس له صفوفا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين مثل خدم الجبابرة الجياد
جمع جواد وهو جيد الجري يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها على احسن الاشكال واذا جرت كانت سراعا في جريها فاذا طلبت
لحقت واذا طلبت لم تلحق يروى ان رباط الخيل كان مندوبا في شرعهم كما في شرعنا ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو
فجلس بعد صلوة الظهر على كرسيه وامر باحضار الخيل وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا وحظ النفس وانما احبها لامر الله وطلب تقوية
دينه وهو المراد من قوله اني احببت حب الخير عن ذكر ربي سمي الخيل خيرا لتعلق الخير بها كما جاء في الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير
الى يوم القيامة اي اثرت حب الخير ولزمته لان ربي امرني بارتباطها ولم يصدر حب هذه المحبة الشديدة الا عن ذكر الله وامره
والضمير في قوله حتى توارت للخيل اي ما زالت تعرض عليه وما زال يامر باعدائها وتسييرها الى ان غابت عن البصر ثم قال ردوها علي
اي امر الراكضين بان يردوا الخيل عليه فلما عادت عليه فطفق يمسح مسحا بسوقها واعناقها تشريفا لها واظهارا لعزتها لكونها
من اعظم الاعوان في دفع العدو ولانه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها او اراد اظهار انه بلغ في اختيار امور المملكة
الى حيث يباشر اكثر الامور بنفسه وقيل مسح الغبار عن اعراقها وسوقها بيده وقيل وسم اعناقهن وارجلهن فجعلهن في سبيل الله
واما الوجه الاخر في هذه الواقعة فما روي ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه وكان ابوه اصابها
من العمالقة وقيل اخرجها الشياطين من مرج من المروج او من البحر وكانت ذوات اجنحة فقعد يوما بعد الظهر واستعرضها فلم تزل تعرض عليه
حتى غربت الشمس وذلك قوله حتى توارت اي الشمس بدليل ذكر العشي بالحجاب اي الافق وقيل حتى توارت الخيل بحجاب الليل وغفل
عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي فقال اني احببت حب الخير وهو مضمن معنى فعل يتعدى بعن اي انبت حب الخيل عن ذكر
ربي او جعلت حبها مغنيا عن ذكر ربي فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله وذلك قوله فطفق مسحا قال جار الله اي يمسح بالسيف سوقها
واعناقها ٧ يعني يقطعها لامن الالتباس كقولهم عرضت الناقة على الحوض قال الراوي قربها الا انه فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها
عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره وقيل الضمير في ردوها للشمس والخطاب للملائكة تضرع الى الله فرد الله عليه الشمس فصلى العصر
ومحل القدح في هذه الرواية هو تشبه سليمان الى حب الدنيا حتى غفل عن الصلوة وضم بعضهم الى ذلك ان قطع اعناق الخيل وعرقبة ارجلها
منهي وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ذبح الحيوان الا لماكله واجيب بانه فعل ذلك لانها منعته عن الصلوة او لانه ذبحها تقربا
والمساكين قال الزجاج لم يفعل ذلك الا وقد اباحه الله وما اباح الله فليس بمنكر قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى ان الكفار
لما بلغوا في الايذاء والسفاهة الى حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قال لنبيه اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر عبدنا داود ثم ذكر عقبه قصة سليمان
وهذا الكلام انما يكون لايقا لو قلنا ان سليمان عليه السلام اتى في هذه بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله واعرض
عن الشهوات فاما لو كان المقصود انه اقدم على الكبيرة لم يكن ذكره مناسبا هذا تمام الكلام في الواقعة الاولى واما الثانية واليها الاشارة
بقوله ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا فالمحققون يروونه على وجوه احدها ان سليمن ولد له ابن بعد ان ملك عشرين سنة فقالت
الشياطين ان عاش لم نتخلص من البلاء والتسخير فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب ان يحمله ويغذوه خوفا من معرة الشياطين
فما راعه الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في ان لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه واناب وثانيها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان سليمان قال ذات ليلة لاطوفن الليلة على سبعين امراة وفي رواية على مائة وفي رواية على الف كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم
يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعين فذلك
قوله ولقد فتنا سليمان وثالثها قال ابو مسلم مرض سليمان مرضا شديدا امتحنه الله به حتى صار جسدا على كرسيه ملقى كما جاء في الحديث لحم على وضم
وجسد بلا روح لان الجسد يطلق في الاكثر على ما لا روح له ثم اناب اي رجع الى حالة الصحة والمشهور عند الجمهور ان الجسد الملقى على كرسيه كان
شيطانا جلس على سرير ملكه اربعين يوما وذلك ان ملكه كان في خاتمه فاخذ الشيطان الخاتم فزال ملكه ثم اختلفوا في ذلك فقال سعيد بن المسيب
وضعه سليمان تحت راسه فاخذه الشيطان وقال مجاهد قال سليمان لشيطان فقال له اصف كيف تفتنون الناس قال اذن خاتمك اخبرك
فلما اعطاه اياه نبذه اصف في البحر فذهب ملكه وقعد اصف على كرسيه وعن علي كرم الله وجهه انه قال بينا سليمان جالس على شاطئ البحر وهو
يعبث بخاتمه اذ سقط في البحر وقيل انه وطئ امراة في الحيض فذلك ذنبه وقال في الكشاف وغيره حكوا ان سليمن بلغه خبر صيدون وهي مدينة
في بعض الجزائر وبها ملك عظيم الشان فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها جنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن
الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكانت لا يرقا دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته
وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبر اصف سليمان بذلك فكسر الصورة وكانت له ام ولد يقال لها امينة
اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس
حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا امينة اعطني خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن
والانس وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان
حثوا عليه التراب وسبوه فمكث على ذلك اربعين يوما عدد ما عبد الوثن في بيته وكان ذلك الشيطان يقضي بين الناس وتمكن من جميع
ملكه الا نساءه وقيل من جميع ملكه ونسائه وما يدع امراة في دمها ولا يغتسل من جنابة فلما اراد الله ان يرد الملك اليه انكر علماء بني اسرائيل قضية قضاها
الشيطان فاحضروا التورية فلما قراوها فر الشيطان والقى الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فصادها صايد ووهبها لسليمان او اعطاها على اجرة
عمله يوما فاخرج من بطنها الخاتم اناب اي رجع على ملكه او تاب ووقع ساجدا ثم ان سليمان ظفر بالشيطان فجعله في تابوت وسده بالنحاس والقاه
في البحر والعلماء المتقنون ابوا قبول هذه الرواية وقالوا انها من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل والا ارتفع
الامان عن الشرايع والاديان وكيف يسلطهم الله على احاد عباده فضلا عن انبيائه حتى يغيروا احكامهم ويفجروا اجنابهم واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان

يختلف

• مواقفها نسخه
• ضبط نسخه
٧ يعني يقطعها وقال مسحه بالسيف قطعه فعلى هذا يكون الاول مسحا بالسيف سوقها واعناقها صح
• القصة م
• منهن م
• المثل نسخه
• في البحر نسخه
• صورة مثل
• وجوه م
٢ يقضي م
• نفر وخادم

فه

فيه الشرايع والسجود للصورة اذا كان بغير اذنه فلا عتب عليه وحكى الثعلبي هذه القصة بوجه اقرب الى القبول وهو ان سليمان لما افتتن
باخذ التمثال في بيته سقط الخاتم من يده فاخذه سليمان فاعاده الى يده فسقط فلما راه لا يثبت في اليد ايقن بالفتنة فقال له اصف
انك لمفتون فتب الى الله واشتغل بالعبادة وانا اقوم مقامك الى ان يتوب الله عليك فقام اصف في ملكه اربعة عشر يوما
وهو الجسد الذي القي على كرسيه فرد الله اليه ملكه واثبت الخاتم في يده وعن سعيد بن المسيب ان سليمان احتجب عن الناس
ثلثة ايام فاوحى الله اليه يا سليمان احتجبت عن عبادي وما انصفت مظلوما عن ظالم ثم ذكر القصة واخذ الشيطان الخاتم
ورجوعه اليه ثم حكى الله سبحانه ان سليمان قال رب اغفر لي وهب لي ملكا قدم المغفرة على طلب الملك كما هو داب الصالحين
تقديما لامر الدين على امر الدنيا ولان الاستغفار يجر الرزق فان الانسان قلما ينفك عن ترك الاولى فاذا زال عنه شوم
ذلك ببركة الاستغفار انفتح عليه ابواب الخيرات والذين حملوا الفتنة على صدور الذنب عنه فوجوب الاستغفار عندهم واضح
وحملوا قوله لا ينبغي لاحد من بعدي على انه سال ملكا لا يقدر الشيطان على ان يقوم مقامه ٢ والاولون ذهبوا الى انه لم يقل ذلك
حسدا وانما قصد به ان يكون معجزة له ومن شرط المعجزة ان لا يقدر غيره على معارضته ولا سيما امته الذين بعث اليهم ولهذا قال
بعضهم اراد غيري ممن بعث اليهم ولم يرد من بعده الى القيمة وحقيقة لا ينبغي لا ينفعل من بغيت الشيء طلبته اي لا يصير مطلوبا
لانه سماوي فوق طوق البشر او قصد ان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها اشق فاذا كان ملكه اية كان ثوابه على
الصبر عنه غاية ونهاية او اراد ان يظهر للخلق ان حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى وان ملك سليمان اذا كان عرضة للفناء
فالاولى بالعاقل ان يشتغل بالعبودية ولا يلتفت الى الدنيا وما فيها وقيل انه لما مرض ثم عاد الى الصحة عرف ان خيرات الدنيا
زايلة منتقلة الى الغير بارث ونحوه فطلب ملكا لا يتصور انتقاله الى الغير وهو ملك الدين والحكمة وقال اهل البيان لم يقصد
بذلك الا عظم الملك وسعته كما يقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك والاقوى هو الاول بدليل قوله عقيبه
فسخرنا له الريح والشياطين ولا ريب ان هذا معجزة وملك عجيب دال على نبوته ويؤيده ما جاء في الحديث اردت ان اربطه يعني الشيطان
على سارية من سواري المسجد الا اني تذكرت دعوة اخي سليمان والضمير في بامره لسليمان وقيل لله والرخاء الرخوة اللينة ولا ينافي
هذا وصفها بالعصوف في الانبياء فلعلها تختلف باختلاف الاحوال والاوقات او هي طيبة في نفسها ولكنها عاصفة بالاضافة الى الرياح
المعهودة ومعنى اصاب قصد واراد من اصابة السهم وقوله والشياطين معطوف على الريح وقوله كل بناء وغواص بدل الكل من الشياطين
كانوا يبنون لاجله الابنية الرفيعة ويستخرجون اللؤلؤ من البحر وهو اول من استخرج الدر من البحر واخرين عطف على الشياطين او
على كل داخلا في حكم البدل وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد والصفد
القيد والعطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي كرم الله وجهه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك وقيل حقيقته التقوى
على الخير والشر قال الجبائي ان الشيطان كان كثيف الجسم في زمن سليمان ويشاهده الناس ثم انه لما توفي سليمان امات الله ذلك
الجنس وخلق نوعا اخر لطيف الجسم بحيث لا يرى ولا يقوى على الاعمال الشاقة قلت هذا اخبار بالغيب الا ان يكون رواية صحيحة ولم لا يجوز
ان يكون اجسامهم لطيفة بمعنى عدم اللون ولكنها صلبة بمعنى انها لا تقبل التمزق والتفرق هذا عطاؤنا اي قلنا لسليمان هذا الملك
عطاؤنا والاضافة للتعظيم وقوله بغير حساب متعلق بالعطاء يعني انه جم كثير لا يدخل تحت الضبط والحصر فاعط منه ما شئت او امسك
مفوضا اليك زمام التصرف فيه ويجوز ان يتعلق بالامرين اي ليس عليك في ذلك حرج ولا يحاسب على ما تعطي وتمنع يوم القيامة
عن الحسن ان الله لم يعط احدا عطية الا جعل عليه فيها حسابا سوى سليمان فانه اعطاه عطاء هنيئا ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه
تبعة ويحتمل ان يراد هذا التسخير تسخير الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم بالاطلاق وامسك من شئت منهم بالوثاق فانت
في سعة من ذلك لا يحاسب في اطلاق من اطلقت وحبس من حبست وحين فرغ من تعداد النعم الدنيوية اردفها بالنعم الاخروية
قائلا وان له عندنا لزلفى وحسن ماب كما في قصة داود وفيه ان ثوابه كثواب ابيه كما قرره **التاويل** بصاد صمديته في الازل
وصانعيته في الوسط ومعبوديته الى الابد اقسم بالقران ذي الذكر لان القران قانون معالجات القلوب واعظم مرض القلب
من نسيان الله فاعظم علاجه ذكر الله ثم اشار الى انحراف مزاج الكفار بمرض نسيان الله من اللين والسلاسة الى الغلظ والقساوة
ومن التواضع الى التكبر ومن الوفاق الى الخلاف ومن التصديق الى التكذيب ومن التوحيد الى تكثير الالهة وفي قوله واصبروا
على الهتكم اشارة الى ان الكفار اذا تواصوا فيما بينهم بالصبر والثبات فالمؤمنون اولى بالثبات على قدم الصدق في طلب المحبوب
الحقيقي ان هذا لشيء يراد في الازل من المقبول والمردود بل لما يذوقوا عذاب لانهم في النوم فاذا ماتوا انتبهوا واحسوا بالالم فعاينوا
الامر حين لا ينفع العيان ويزول الشك يوم لا يجدي البرهان عجل لنا قطنا النفوس الخبيثة تميل بطبعها الى السفليات العاجلة
كما ان النفوس الكريمة تميل بطبعها الى العلويات الباقية ولكل من الصنفين جذبة بالخاصة الى شكله كجذبة المغناطيس الحديد له
تسع وتسعون نعجة هي اثار فيوض الصفات الربانية بحسب الاسماء التسعة والتسعين فلكل منها مظهر في عالم الملك والخلق ولي نعجة
واحدة هو ذات الله وحده فقال اكفلنيها اي صيرني اجمع بين الله وبين ما سواه ثم ههنا اسرار كثيرة نفهمها ان شاء الله وظن
داود انما فتناه امتحناه بالجمع بين الدين والدنيا فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى الله معرضا عما سواه وهذا التاويل مما خطر ببالي
ارجو ان يكون مضاهيا للحق انا جعلناك خليفة فيه ان الخلافة عطاء من الله وانها مخصوصة بالانسان خلق مستعدا لها بالقوة وفيه
ان الجعلية تتعلق بعالم المعنى كما ان الخلقية تتعلق بعالم الصورة الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا ووجه الخلافة هو ان الروح الانساني اول فيض بذاته وصفاته فذاته من الله بلا واسطة
وصفاته من صفاته بلا واسطة فخلق الخليفة من لا صالي وهو قالبه واعد له عرشا هو القلب ليكون محل ٧ خلافة الروح على خادم النفس
والنفس فائضة بخلافة القلب على القالب والقالب فائض بخلافة النفس في الدنيا وهي ارض الله فلا يجري شيء من الامور الا على
نهج الحق وههنا لداود الروح سليمان القلب اذ عرض عليه بالعشي وهو بعد زوال شمس التجلي الصافنات الجياد وهي مراكب
الصفات البشرية وفي قوله فطفق مسحا اشارة الى ان كل محبوب سوى الله اذا حجبك عنه لحظة يلزمك ان تعاقبه بسيف لا اله الا الله

• الشيطان م ٢ انبغته م
• ان م
• بانفسه نسخه
• على سعة منه في ذلك
• ان م
• ذاته م
٧ اي سوى ابيه ونفخ فيه وما روحه نفس فهو يبقى الانسان على فطرة ابيه كما ان روحه مستفيض من الله فاتفيا بجعل فيه المختف على عرش القلب والقلب قابض صح

واليه الاشارة ثانيا بقوله ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا وشيئا من الشهوات الجسدانية فافتتن به فتاب ورجع الى الحضرة فان قيل قوله لا ينبغى لاحد من بعدى لم يتناول نبينا صلى الله عليه وسلم قلنا تناوله بالصورة لا بالمعنى فان الذى كان مطلوب سليمان من تزكية النفس عن محبة الدنيا مع القدرة عليها ومن تحلية القلب بعلو الهمة وبذل المال والجاه وافشاء العدل والنصفة وغير ذلك كان حاصلا للنبى صلى الله عليه وسلم من غير زحمة مباشرة صورة الملك والافتتان به عزة وذلا ولهذا قال فى حديث تسلطه على الشيطان اذكرت دعوة اخى سليمان فتركته وكان يعرض عليه مقاليد الخزاين فيقول الفقر فخرى على ان صورة الملك ايضا مما سيحصل لبعض امته كما قال وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها

واذكر عبدنا ايوب ۝ اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان ۝
بنصب وعذاب ۝ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ۝ ووهبنا له اهله
ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب ۝ وخذ بيدك ضغثا فاضرب به
ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب ۝ واذكر عبادنا ابرهيم
واسحق ويعقوب اولى الايدى والابصار ۝ انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ۝
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ۝ واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل
من الاخيار ۝ هذا ذكر وان للمتقين لحسن ماب ۝ جنات عدن مفتحة لهم الابواب ۝
متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ۝ وعندهم قاصرات الطرف اتراب ۝
هذا ما توعدون ليوم الحساب ۝ ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ۝ هذا وان للطاغين
لشر ماب ۝ جهنم يصلونها فبئس المهاد ۝ هذا فليذوقوه حميم وغساق ۝ واخر
من شكله ازواج ۝ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار ۝ قالوا بل انتم
لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار ۝ قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا
فى النار ۝ وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار ۝ اتخذناهم سخريا
ام زاغت عنهم الابصار ۝ ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ۝ قل انما انا منذر
وما من اله الا الله الواحد القهار ۝ رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار ۝
قل هو نبؤا عظيم ۝ انتم عنه معرضون ۝ ما كان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ۝
ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين ۝ اذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من طين ۝ فاذا سويته
ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ۝ فسجد الملئكة كلهم اجمعون ۝ الا ابليس استكبر
وكان من الكافرين ۝ قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت
ام كنت من العالين ۝ قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ۝ قال فاخرج منها
فانك رجيم ۝ وان عليك لعنتى الى يوم الدين ۝ قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون ۝
قال فانك من المنظرين ۝ الى يوم الوقت المعلوم ۝ قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين

الا عبادك منهم المخلصين ۝ قال فالحق والحق اقول ۝ لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين ۝ قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ۝ ان هو الا
ذكر للعالمين ۝ ولتعلمن نباه بعد حين ۝ صدق الله العظيم

القراءات مسنى الشيطان بسكون الياء حمزة بنصب بضمتين يزيد وقرا يعقوب بفتحتين وقرا هبيرة بالفتح والسكون الباقون بالضم والسكون بخالصة ذكرى على الاضافة ابو جعفر ونافع وهشام عبدنا ابرهيم على التوحيد ابن كثير وعلى هذا يكون ابرهيم وحده عطف بيان ما يوعدون على الغيبة ابن كثير وابو عمرو وغساق بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وحفص واخر بضم الهمزة على الجمع ابو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالمد على التوحيد الاشرار بالامالة والتفخيم مثل الابرار غير ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الاشرار بالامالة اتخذناهم موصولة والابتداء بكسر الالف ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف الاخرون بفتح الهمزة على الاستفهام ما كان لى بفتح الياء حفص الا انما بكسر الهمزة على الحكاية يزيد لعنتى بفتح الياء ابو جعفر ونافع فالحق بالرفع حمزة وخلف وعاصم غير المفضل وهبيرة ويعقوب غير رويس الوقوف ايوب م لان اذ جعل اذ بدلا وعذاب ط لتقدير القول اى فارسلنا اليه جبريل فقال له اركض برجلك ج لان هذا مبتدا مع انه من تمام القول وشراب ه الالباب ه ولا تحنث ط صابرا العبد ط اواب ه والابصار ه الدار ج للاية مع العطف الاخيار ه وذا الكفل ط من الاخيار ه ربع الجزء ذكر ط ماب ه لا لان جنات بدل او عطف بيان الابواب ه ج لاحتمال ان عامل متكئين محذوف اى ينعمون متكئين وان جعل حالا من مفتحة فهى مقدرة لان الاتكاء لا يكون فى حال فتح الابواب وشراب ه اتراب ه الحساب ه من نفاد ه هذا ط اى هذا بيان جزاء المتقين او الامر هذا ماب ه لا جهنم ج لان ما بعده يصلح حالا او استينافا يصلونها ج المهاد ه هذا لا لان خبره حميم وقوله فليذوقوه اعتراض وغساق ه لا للعطف ازواج ه ط معكم ج لاتصال المعنى مع الابتداء بهم فى معنى الدعاء بهم ط النار ه بكم ط لنا ج القرار ه النار ه الاشرار ه لمن قرا بكسر الهمزة لاحتمال اضمار همزة الاستفهام واحتمال كونها خبرية صفة او حالا ومن صرح بالاستفهام فوقفه مطلق الابصار ه النار ه القهار ج لان ما بعده يصلح بدلا او خبر المحذوف اى هو رب الغفار ه عظيم ه لا لان ما بعده وصف معرضون ه يختصمون ه مبين ه طين ه ساجدين ه اجمعون ه لا ابليس ط الكفرين ه بيدى ط لا لاستفهام العالين ه منه ط كانه علة للخيرية طين ه رجيم ه والوصل اولى لاتصال اللعن الدين يبعثون ه يوم المنظرين ه لا المعلوم ه اجمعين لا للاستثناء المخلصين ه فالحق ز على قراءة الرفع اى فهذا الحق مع اتحاد المقول لاحتمال ان ما بعده قسم مستانف او بدل من قوله والحق اجمعين ه المتكلفين ه للعالمين ه حين ه التفسير وجه النظم كانه تعالى يقول يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان فى الدنيا اكثر مالا وجاها من داود وسليمان ولم يكن اكثر بلاء ومحنة من ايوب ومع ذلك لم يبق حالهما وحاله على نسق واحد فالصبر مفتاح الفرج وايوب عطف بيان واذ معمول فعل اخر او بدل اشتمال اى زمان بلائه وكان معاصرا ليعقوب وامراته ليا بنت يعقوب ونداؤه دعاؤه والجار محذوف اى دعاه بانى مسنى على الحكاية والقاء ان بانه سه والنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب بالفتح فالسكون على اصل المصدر وضمة الصاد لاتباع النون كقفل وقفل ومعنى الكل التعب والمشقة قيل الضر فى البدن والعذاب فى ذهاب الاهل والمال وللناس فى بلائه قولان الاول ان الذى نزل به كان من الشيطان وقد مر تقريره فى الانبياء ومجمله ما روى ان ابليس سال ربه فقال هل عبيدك من لو سلطنى عليه يمتنع منى فقال نعم عبدى ايوب قال فسلطنى على ماله وكان نجيء وتقول هلك من مالك كذا فيقول الله اعطى والله اخذ ثم يحمد الله فقال يا رب ان ايوب لا يبالى بماله فسلطنى على ولده فجاء وزلزل الدار فهلك اولاده بالكلية فجاء واخبره به فلم يلتفت اليه فقال يا رب انه لا يبالى بماله وولده فسلطنى على جسده فاذن فيه فنفخ فى جلد ايوب وحدثت اسقام عظيمة وآلام شديدة فمكث فى ذلك البلاء سبع سنين او ثمانى عشرة وصار بحيث استقذره اهل بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه احد فجاء الشيطان الى امراته وقال ان استغاثنى زوجك خلصته من هذا البلاء فاشارت على ايوب بذلك فغضب لذلك او لوجوه اخر سبق ذكرها فى سورة الانبياء وحلف لئن عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة وعند ذلك دعا ربه شاكيا اليه لا عنه كقول يعقوب انما اشكو بثى وحزنى الى الله فاجاب دعاءه واوحى اليه اركض اى اضرب برجلك الارض عن قتادة هى ارض الجابية من قرى الشام فاظهر الله من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فاذهب الله عنه كل داء فى ظاهره وباطنه ورد عليه اهله وماله القول الثانى ان الشيطان لا قدرة له على ايقاع الناس فى الامراض والافات والا لوقع فى العالم مفاسد ولم يدع صالحا الا نكبه وقد تكرر فى القران انه لا سلطان له الا الوسوسة فالمراد بمس الشيطان هو الالقاء اى حصل فى قلبه بسبب وساوسه من تعظيم ما نزل به من البلاء واغرائه على الجزع والقنوط من رحمة الله الى غير ذلك مما مر ذكره فى سورة الانبياء ولنعد الى تفسير ما يختص بالمقام قوله مغتسل اى هذا مكان تغتسل فيه اى بمائه وتشرب منه والظاهر انها كانت عينا واحدة عذبة باردة وروى بعضهم انه نبعت عينان ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها فبرا ظاهره وضرب برجله اليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها فزال ما فى بطنه من القروح وزعم ان تقدير الكلام هذا مغتسل وشراب بارد قوله ووهبنا له اهله ومثلهم معهم وقيل احياهم الله باعيانهم وزاد مثلهم من اولاده وقيل من اولاد اولاده وقيل كانوا قد غابوا عنه وتفرقوا فجمع شملهم وقيل كانوا مرضى فشفاهم الله والاول اصح وقوله رحمة منا وذكرى مفعول لهما فكانت الهبة رحمة له وتذكيرا لذوى العقول حتى لو ابتلوا بما ابتلى به صبروا كما صبر فيفوزوا كما فاز وانما لم يقل ههنا رحمة من عندنا مع انه ابلغ اكتفاء بما مر فى سورة الانبياء وفى قوله وذكرى لاولى الالباب مع قوله فى الانبياء وذكرى للعابدين اشارة الى ان ذا اللب هو الذى يعبد الله

لان ما بعده جواب سؤال
من ايوب ج
الله ه
كثيرة ه
ولا ظاهر القول الاول ان يقول سليمان ان الشيطان باستقلاله لا يقدر على الفعل ولكنه لا يجوز ان يقدر عليها بعد الا نناس والتسلط
صح
الله ه

وتخصيص كل من السورتين بما خص لرعاية الفاصلة قوله وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان
او سنبلة قال مجاهد هو لايوب خاصة وعن قتادة هو عام في هذه الآية والصحيح انه باق في المريض والمعذور لما روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم اتي بمخدج قد زنى بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة حلل الله يمين ايوب باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها
اياه ورضاه عنها ومعنى وجدناه صابرا علمناه صابرا منه الصبر وههنا نكتة ذكرها بعض ارباب القلوب وهي انه لما انزل في حق سليمان نعم
العبد تارة وفي حق ايوب اخرى اغتمت امة محمد وقالوا هذا تشريف عظيم فان كان سببه اتفاق مملكة مثل مملكة سليمان فنحن لا نقدر عليه
وان كان سببه تحمل بلاء مثل بلاء ايوب فنحن لا نطيقه فكيف السبيل الى تحصيله فانزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد انك
ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى فان كان منك الفضول فمني الفضل وان كان منك التقصير فمني النصرة والتوفير قلت ووصف
الانبياء سائر الامم بقوله نعم العبد ووصف هذه الامة بقوله كنتم خير امة فلا تشريف فوق هذا ثم اجمل ذكر طائفة من مشاهير الانبياء
ومعنى اولي الايدي والابصار اولي العمل والعلم لان اليد آلة لاكثر الاعمال والبصر آلة لاقوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل باليد
وعن الادراك بالبصر وفيه تعريض بان الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يتفكرون افكار ذوي العرفان هم في حكم الزمنى والعميان
ولولا قرينة الابصار لكان يحتمل ان الايدي جمع اليد النعمة قوله اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار الخالصة صفة او مصدر كالعاقبة والدار
ظرف فهي الدنيا او مفعول به فهي الآخرة والمعنى جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها وهي ذكراهم الجنة بحيث لا يشوبه
ذكر شيء من هموم الدنيا او هي تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها او بسبب خلوص ذكرى الجنة او بما خلص من ذكراها او جعلناهم مختصين
بخلة صافية عن المنغصات وهي الثناء الحسن في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم والمصطفين جمع مصطفى واصله مصطفيين
لانه في حالة الجر بالياء قلبت الياء المتحركة الفا ثم حذفت اراد اخترناهم من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير بالتشديد او خير بالتخفيف كاموات
في ميت او ميت واسمعيل واليسع وذا الكفل وقد مر ذكرهم في سورة الانبياء وحين تم ذكر الصالحين وما لقي كل منهم من انواع الابتلاء
تثبيتا لنبيه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواع القران اراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر جزاء المتقين والطاغين
قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما يقول المصنف اذا فرغ من فصل من كتابه هذا باب ثم يشرع في باب آخر ويحتمل ان يكون من تتمة صفات
الانبياء اي هذا الذي قصصنا عليك من احوال هؤلاء الانبياء شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا قوله مفتحة حال والعامل فيها ما في المتقين
من معنى الفعل قال الزجاج الابواب فاعل مفتحة والعائد محذوف اي الابواب منها وقال غيره في مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل
الاشتمال من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب نظيره في بدل البعض ضرب زيد اليد والرجل فكان اللام عوضا من الضمير الراجع
وقوله متكئين حال مقدرة متعدد اخله كما مر او حال بعد حال او عامله مؤخر وهو يدعون اي يتحكمون في ثمارها وشرابها فاذا قالوا
لشيء منها اقبل حصل عندهم وقيل تمنون وقيل يسألون قال المفسرون اراد وشراب كثير فحذف اكتفاء بالاول وحين بين امر
المسكن والمأكول والمشروب ذكر امر المنكوح وقاصرات الطرف قد مر في الصافات انهن اللواتي قصرن الطرف عن الالتفات
الى غير ازواجهن والاتراب جمع ترب وهي اللدة واشتقاقها قيل من اللعب بالتراب وقيل لان التراب مسهن في وقت واحد
واللعب في اعتبار هذا الوصف ان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن وازواجهن واحدة في الاسنان وقيل اراد انهن
شواب لا عجوز ولا صبية ويروى انهن بنات ثلث وثلثين ومعنى ليوم الحساب قيل لاجل الحساب لان الحساب علة الوصول
الى جزاء العمل والظاهر ان اللام للوقت اي ما وعدتم تعطونه في يوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله من نفاد انقطاع ونهاية ولا مزيد
فوق ذلك فتمام النعم دوامها ثم بين ان حال الطاغين مضادة لحال المتقين واكثر المفسرين حملوا الطغيان ههنا على الكفر
لانه تعالى يحكي عنهم انهم قالوا اتخذناهم سخريا والفاسق لا يتخذ المؤمن هزوا ولان الطاغي اسم ذم والاسم المطلق محمول على الكامل والكامل
في الطغيان هو الكافر ويؤيده قول ابن عباس المعنى ان الذين طغوا علي وكذبوا رسلي لهم شر مصير وحمله الجبائي على اصحاب الكبائر
من اهل الايمان وغيرهم لان كل من تجاوز عن تكاليف الله فقد طغى ومنه قوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى والمهاد والفراش
وقد مر مرارا وقوله هذا قد مر بعض اعرابه في الوقوف والمعنى ان الملائكة الموكلين بالجنان اذا رأوا اصحاب الجنة فتحوا لهم ابوابها وحيوهم
بالسلام فلا يحتاجون الى تحصيل مفاتيح ومعاناة الفتح وقيل اراد به وصف تلك المساكن بالسعة وجولان الطرف فيها من غير حائل
ويحتمل ان يراد العذاب هذا ثم ابتدأ فقال هو حميم او منه حميم ومنه غساق او هذا فليذوقوه معناه ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله فاياي
فارهبون وقيل جهنم مبتدأ وهذا خبره والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها
ذكر الازهري ان الغاسق البارد ولهذا قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار فالحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقال الزجاج
انه المنتن لو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق ويؤيده قول ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم يجتمع فيسقونه وقال كعب هو
عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذي سم من عقرب وحية وعن الحسن هو عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا
في قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة وآخر من شكله اي ومذوقات آخر او عذاب او مذوق آخر
من جنس هذا المذوق وازواج اي اجناس ومقترنات صفة لآخر لانه جاز ان يكون مختلفات او صفة للثلاثة المذكورة وهي حميم وغساق
وشيء آخر من شكله والمجموع خبر هذا او خبر هو وحين وصف مسكن الطاغين ومأكولهم ومشروبهم حكى احوالهم مع الذين كانوا يعدونهم
احبابهم في الدنيا ثم مع الذين كانوا يعدونهم اعداءهم اما الاول فقوله هذا اي يقول الطاغون بعضهم مع بعض وذلك اذا دخلت امة ثم
دخل فوج والفوج الاول الرؤساء والثاني الاتباع وقيل الاول ابليس وبنوه والثاني بنو آدم هذا فوج اي جمع كثيف دخل النار
في صحبتكم والاقتحام الدخول في الشدة اراد وان اتباعهم اقتحموا معهم العذاب كما اقتحموا معهم الضلال وقوله لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم
ومرحبا نصب على انه مفعول به او مصدر اي اتيت رحبا لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا فاذا دخل عليه لا صار دعاء السوء وبهم بيان
للمدعو عليهم وقوله انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم اللعن قيل انما قالوا ذلك ولم يعد من الاتباع ذنب في حق من قبلهم لان النار
تكون مملوءة منهم او لان عذابهم يضاعف بسببهم وقيل هو اخبار لا دعاء قد وردوا امورا لا رحب فيه ولا سعة وقيل هذا فوج مقتحم
معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فيما بين اتباعهم وقيل هذا الكلام كله الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم اي الدعاء الذي دعوتم

به علينا

والمعنى ان الملائكة الموكلين بالجنان اذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له ابوابها وحيوه بالسلام فلا يحتاج الى تحصيل مفاتيح ومعاناة الفتح وقيل اراد به وصف المساكن بالسعة وجولان الطرف فيها غير حائل

به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير لما هم فيه من العذاب او الصلي اي كنتم السبب في العمل الذي هذا جزاؤه فجعلوا
بين مجازين لان الاتباع هم الذين عملوا مثل السؤال رؤساهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه ومن جعل قوله لا مرحبا من كلام الخزنة زعم ان نقد
الكلام هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسبيبكم لما نحن فيه فبئس القرار اي المستقر النار قالوا اي الفوج وهو
كالبدل من قالوا الاول والضعف المضاعف كما مر في الاعراف واما الثاني فقولهم ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اي في اعتقادنا
لان دينهم على خلاف ديننا او ارادوا انهم اراذل لا خير فيهم يعنون فقراء المسلمين وعن بعضهم ان القائلين صناديد قريش كابي جهل والوليد
واضرابهما والرجال عمار وبلال وصهيب وامثالهم ومن قرأ اتخذناهم بفتح الهمزة فعلى انه انكار منهم على انفسهم وتأنيب لها بالاستسخار منهم
وكذا من قرأ بكسر الهمزة وبعده همزة الاستفهام محذوفة ومن جعلها صفة لرجالا فلا اشكال وحينئذ متصل ام زاغت بقوله ما لنا اي ما لنا
لا نرى الرجال الموصوفين في النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا وخفي علينا مكانهم فلا نراهم وهم فيها ام منقطعة وكذا ان اتصل
بقوله اتخذناهم على الاستفهام لان الاول للانكار والثاني للاستخبار ويجوز ان يكون ام متصلة وكلاهما للانكار ومعنى زيغ الابصار ازدراؤهم
وتحقيرهم يؤيده قول الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واللام في الابصار عوض من الضمير اي ابصارنا
ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد من وقوعه لانهم مالوا الى عالم التضاد وينجرون كذلك ثم بين ما هو فقال هو تخاصم اهل النار لان التلاعن
والتشاتم نوع من انواع الخصومة واعلم انه سبحانه لما بدأ في اول السورة بان محمدا دعا الى التوحيد وان الكفار يستهزئون منه وينسبونه
الى السحرية تارة والى الكذب اخرى ثم ذكر طرفا من قصص الانبياء ليعلم ان الدنيا دار تكليف وبلاء لا دار اقامة وبقاء ثم عقبه بشرح نعيم الابرار
وعقاب الاشرار عاد الى تقرير المطالب المذكورة في اول السورة وهي صحة نبوة محمد وصدق ما دعا اليه من التوحيد والاخلاص فقال
قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد من جميع الوجوه القهار لما دونه ثم اردف القهر باللطف والرحمة قائلا رب السموات والارض
وما بينهما ثم اكد صفتي القهر واللطف بقوله العزيز الغفار او باثبات الحشر والقيامة وذلك لان هذه المطالب كانت مذكورة في اول السورة
ولاجلها سيق الكلام منجرا الى ههنا ويحتمل ان يراد كون القران معجزا كما مر في قوله كتاب انزلناه فيه نبأ عظيم وهؤلاء الاقوام اعرضوا عن كل
من هذه الامور ثم بين انه حاصل من قبل الوحي بقوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى وهم الملائكة اذ يختصمون اي يتقاولون فيما بينهم
بالوحي والظرف متعلق بمحذوف اي بكلامهم وقت اختصامهم شبه التقاول بالتخاصم من حيث ان في كل منهما سؤالا وجوابا والمقابلة
علة لجواز المجاز ثم صرح بما عليه مدار الوحي قائلا ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي ما يوحى الي الا هذا وهو اني نذير كامل في باب
التبليغ ويؤيده قراءة كسر انما وقيل ان الجار محذوف اي لم يوح الي الا لان انذر ولا اقصر روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اتاني جبرئيل آت من ربي وفي رواية رايت ربي في احسن صورة فقال لي يا محمد قلت لبيك ربي وسعديك قال هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى
قلت لا اعلم قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات وما في الارض قال يا محمد اتدري فيم يختصم الملأ الاعلى
قلت نعم في الدرجات والكفارات ونقل الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في السبرات المكروهات اي في البرد الشديد وانتظار الصلوة
بعد الصلوة ومن حافظ عليهن عاش بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته امه الحديث قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلوة بالليل
والناس نيام واعلم ان اشراف قريش انما نازعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد والكبر فختم الله تعالى السورة بذكر قصة آدم وما وقع فيه ابليس
من الرجم واللعن حين حسد آدم واستكبر ليصير سماع القصة زاجرا للمكلفين عن هاتين الخصلتين فعلى هذا يكون اذ قال معمولا لمحذوف اي اذكر وقت
قول ربك للملائكة وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من احد وعلى هذا فالضمير عائد الى ما ذكر وهو اقرب والمعنى والحكاية جزاء لا بد
لانه مستفاد من الوحي وقوله اذ قال بدل من اذ يختصمون والملأ الاعلى اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم
حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كانهم قالوا ما قالوا فيما بينهم ثم خاطبوا بها الله سبحانه فلا يلزم ان يكون الله تعالى من الملأ الاعلى
وثبت له مكان او يقول المراد علو الرتبة والشرف فيشمل تقاول الله وملئكته وقال جار الله كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة
هو الملك المتوسط وقصة آدم مذكورة في البقرة وفي غيرها مشروحة والتي في هذه السورة يوافق اكثرها ما في الحجر فلا فائدة في اعادتها فلنذكر ما يختص بالمقام
قوله خلقت بيدي تمسك المجسمة به في ظاهره وغيرهم حملوه على وجوه منها ان اليد عبارة عن القدرة يقال مالي بهذا الامر يد اي قوة وطاقة ومنها انها النعمة
ومنها انها للتأكيد وليدل على عدم الواسطة كما مر في قوله مما عملت ايدينا وقد يقال في حق من جنى بلسانه وان لم يكن له يد هذا ما كسبت يداك والحق
فيه ان السلطان العظيم لا يقدم على عمل شيء بيده الا اذا كانت عنايته مصروفة الى ذلك العمل فحيث كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد
امكن جعله مجازا عنها ومنها قول ارباب التأويل انه اشارة الى صفتي اللطف والقهر وهما يشملان جميع الصفات فلا مخلوق الا وهو مظهر لاحد
الصفتين كالملك فانه مظهر اللطف والشيطان فانه مظهر القهر الا الانسان فانه مظهر لكليهما وبذلك استحق الخلافة وسجود الملائكة ولهذا جاء
في الحديث لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان قوله استكبرت ام كنت من العالين اي اتكبرت الآن من غير استحقاق ام
كنت ممن علا واستحق التفوق فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المتكبرين ومعنى الهمزة
التقرير قوله فالحق من قرأ بالرفع فعلى انه خبر كما مر او مبتدأ محذوف الخبر مثل لعمرك اي فالحق قسمي لاملأن والحق اقول وهو اعتراض ومن نصبهما
فعلى ان الثاني تأكيد للاول او على ان الاول للاغراء اي اتبعوا الحق هو الله سبحانه او الحق الذي هو نقيض الباطل وقوله منك اي من جنسك
وهم الشياطين وممن تبعك منهم اي من ذرية آدم واجمعين تأكيد للتابعين والمتبوعين ثم ختم السورة بما يدل على الاحتياط والاجتهاد في
طلب هذا الدين لان النظر اما الى الداعي او الى المدعو اليه اما الداعي فلا يسأل اجرا على ما يدعو اليه وهو القران او الوحي او النبأ ومن الظاهر
ان الكذاب لا ينقطع طمعه عن المال البتة واما المدعو اليه فقوله وما انا من المتكلفين الذين يتحلون بما ليس عندهم ولا دليل لهم على وجوده
بل العقل الصريح يشهد بصحته فاني ادعوكم الى الاقرار بالله اولا ثم الى تنزيهه عما لا يليق به ثانيا ثم الى وصفه بنعوت الكمال والجلال ثالثا ومن جملة
ذلك التوحيد ونفي الانداد والاضداد ثم ادعو الى تعظيم الارواح الطاهرة وهم الملائكة والانبياء رابعا ثم الى الشفقة على خلق الله خامسا ثم ادعو
الى الاقرار بالبعث والقيامة سادسا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى فهذه اصول معتبرة في دين الاسلام يشهد بحسنها
بداية العقول ويحكم ببعدها عن الباطل كل من يرجع الى المحصول وهو المراد بقوله ان هو الا ذكر للعالمين عن النبي صلى الله عليه وسلم للمتكلف
ثلث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نبأه اي خبر حقية القران وما دعا اليه بعد حين هو الموت لان [illegible]

ينام فانوا اماتوا انتهوا وقيل هو القيامة وقيل هو حين ظهور الاسلام ولا يخفى ما فيه من التهديد

سورة الزمر مكية الا ثلث ايات نزلت في وحشي بن حرب واصحابه ۞ يا عبادي الذين
اسرفوا الى آخرهن ۞ حروفها اربعة الاف وسبعمائة وثمانية ۞ كلمها الف ومائة وسبعون
اياتها خمس وسبعون ۞ بسم الله الرحمن الرحيم ۞ تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم ۞ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ۞ الا
لله الدين الخالص ۞ والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ۞ ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ۞ لو اراد الله ان
يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ۞ خلق السموات والارض
بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
الا هو العزيز الغفار ۞ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام
ثمنية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث ۞ ذلكم الله ربكم
له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ۞ ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر
وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ۞ ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون
انه عليم بذات الصدور ۞ واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه
نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك
من اصحاب النار ۞ امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة
ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ۞ قل يا عباد
الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب ۞ قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين ۞ وامرت
لان اكون اول المسلمين ۞ قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ۞ قل الله اعبد
مخلصا له ديني ۞ فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين ۞ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ۞ والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها
وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد ۞ الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين
هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب ۞ افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من

في

في النار ۞ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار
وعد الله لا يخلف الله الميعاد ۞ الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض
ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى
لاولي الالباب ۞ افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين ۞ الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي
به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ۞ افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل
للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ۞ كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون ۞ فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا
يعلمون ۞ ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون ۞
قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ۞ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ۞
انك ميت وانهم ميتون ۞ ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون ۞

القراءات يرضهو بالاشباع ابن كثير وعلي والمفضل وعباس واسمعيل وابن ذكوان وخلف يرضه باختلاس ضمة الهاء يزيد وسهل ويعقوب ونافع وعاصم غير يحيى وحماد والمفضل وحمزة وهشام وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الباقون يرضه بسكون ليضل بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم امن هو بتخفيف الميم نافع وابن كثير وحمزة وابو يزيد يا عبادي الذين بفتح الياء الشموني والبرجمي والوقف بالياء اني امرت فبشر عبادي بفتح ياء المتكلم فيهما شجاع وابو شعيب وعباس والشموني والبرجمي والوقف بالياء اني اخاف بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو سالما بالالف ابن كثير وابو عمرو والاخرون بفتح السين واللام من غير الف لاحتمال ان خبر المبتدا هو ما بعده الوقوف الحكيم ه الدين ه الخالص ط اولياء لتقدير القول ولو وصل لاوهم ان ما نعبدهم اخبار من الله قاله السجاوندي وعندي ان هذا وهم يبعد والاولى ان لا يوقف لئلا يفصل بين المبتدا وخبره زلفى ج يختلفون ه كفار ه ما يشاء لا لتعجيل التنزيه سبحانه ط القهار ه بالحق ج لاحتمال كون ما بعده حالا والاستيناف افضل والقمر ط مسمى ط الغفار ه ازواج ط ثلث ط الملك ط تصرفون ه الكفر ج لعطف جملتي الشرط مع وقوع العارض لكم ط اخرى ط لان ثم لترتيب الاخبار تعملون ط الصدور ه سبيله ط قليلا ق والاولى الوصل اذ التقدير فانك النار ه رحمة ربه ط لا يعلمون ط الالباب ه ربكم ط حسنة ط واسعة ط حساب ه له الدين لا المسلمين ه عظيم ه ديني لا دونه ط يوم القيمة ط المبين ه ومن تحتهم ظلل ط عباده ط فاتقون ه البشرى ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب عبادي لا احسنه ط الالباب ه العذاب ط في النار ج للاية مع الاستفهام ذاك مبنية لا لان ما بعده وصف الانهار ط وعد الله ط الميعاد ه حطاما ط الالباب ط من ربه ط لحذف جواب الاستفهام من ذكر الله ط مبين ه ربهم ج لان الجملة ليست من صفة الكتب مع العطف ذكر الله ط من يشاء ط هاد ه يوم القيمة ط لحق الحذف كما مر تكسبون ه لا يشعرون ه الدنيا ج للام الابتداء مع العطف اكبر م يعلمون ه يتذكرون ج لاحتمال كون قرانا نصبا على المدح او على الحال المؤكدة كما يجي يتقون ه متشاكسون لا لرجل ط مثلا ط لله ط للاضراب مع اتفاق الجملتين لا يعلمون ه ميتون ه تختصمون ه التفسير تنزيل الكتاب مبتدا وخبره من الله وقيل اصله هذا تنزيل الكتاب والجار صلة والاول اقوى لان الاضمار خلاف الاصل ولانه يلزم مجاز اخر وهو كون التنزيل بمعنى المنزل فان هذا اشارة الى القران او الى جزء منه وهو هذه السورة وفيه ابطال ما يقول المشركون من ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه وفي قوله من الله اشارة الى الاله المستحق للعبادة والطاعة كقولك هذا كتاب من فلان تعظيما بشان الكتاب وفي قوله العزيز اشارة الى ان هذا الكتاب يحق قوله لكتاب العزيز وفيه انه غني عن ارسال الكتاب والاستكمال به وانما ينتفع به المرسل اليهم وفي قوله الحكيم اشارة الى انه مشتمل على الفوائد الدينية والدنيوية لا على العبث والباطل وقوله انا انزلنا اليك ليس تكرارا من وجهين احدهما ان التنزيل للتدريج والانزال دفعي كما مر مرارا والثاني ان الاول كعنوان الكتاب والثاني تقرير لما في الكتاب وقوله بالحق يعني ان كل ما اودعنا فيه من اثبات التوحيد والنبوة

والمعاد وانواع التكاليف فهو حق وصدق مؤيد بالبرهان العقلي وهو مطابقته للعقول الصحيحة وبالدليل الحسي وهو ان الفصحا عجزوا
عن معارضته ثم اشتغل ببيان بعض ما فيه من الحق وهو الاقبال على عبادته بالاخلاص والالتفات عما سواه بالكلية اما الاول فهو قوله فاعبد
اي انت وامتك مخلصا له الدين وآية الاخلاص ان يكون الداعي الى العبادة هو مجرد الامر لا طلب مرغوب او هرب مكروه واما الثاني
فذلك قوله الا لله الدين الخالص اي وجب اختصاصه بالطاعة من غير ان يشوب ذلك رياء او شرك ظاهر او خفي وخصصه قتادة فقال الدين
الخالص شهادة ان لا اله الا الله وحين حث على التوحيد والاخلاص ذم طريقة الشرك والتقليد فقال والذين اتخذوا الضمير للمشركين ولكن
الموصول يحتمل ان يكون عبارة عن المشركين والخبر اضمر من القول او قوله ان الله يحكم بينهم والقول المضمر حال او بدل فلا يكون له محل كالمبدل
وان عبارة عن الشركاء والخبر ان الله يحكم بينهم والقول المضمر حال او بدل وتقدير الكلام على الاول والمشركون الذين اتخذوا من دونه
اولياء يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا او المشركون الذين اتخذوا من دونه اولياء قايلين او يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله
يحكم بينهم وعلى الثاني والشركاء الذين اتخذهم المشركون اولياء قايلين او يقولون كذا ان الله يحكم بينهم واذا عرفت التقادير فيقول المراد
بالاولياء هنا الملائكة وعيسى واللات والعزى قال ابن عباس كانوا يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله اما الملائكة وعيسى فظاهر واما الاصنام
فلانهم اعتقدوا انها تماثيل الكواكب او الارواح السماوية او الصالحين ومعنى حكم الله بينهم انه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم مع الاصنام
النار واختلافهم ان الملائكة وعيسى موحدون وهم مشركون والاصنام يكفرون يوم القيامة بشركهم وهم يرجون نفعهم وشفاعتهم ويجوز ان يرجع
الضمير في بينهم الى الفريقين المؤمن والمشرك ولا يخفى ما في الآية من التهديد ثم سجل عليهم بالخذلان والحرمان فقال ان الله لا يهدي من هو كاذب
كفار فكذبهم هو زعمهم شفاعة الاصنام وكفرانهم انهم تركوا عبادة المنعم الحق واقبلوا على عبادة من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ومن جملة كذبهم قولهم
الملائكة بنات الله فلذلك نعبدهم فاحتج على ابطال معتقدهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وهو الافضل يعني
البنين لا الانقص وهن البنات وقال جار الله معناه لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة لان اتخاذ الولد
ممتنع وفيه توبيخ لهم على انهم حسبوا الاصطفاء اتخاذ الاولاد بل البنات واقول انه تعالى اراد ابطال قولهم بطريق برهان هو صورة قياس استثنائي
كقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى لاجل الاتخاذ مما يخلق ما يشاء لكنه ما اصطفى ينتج انه لم يرد اما الشرطية فظاهرة بعد تسليم كمال قدرته واما
الثانية فاشار اليها بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فقوله سبحانه اشارة الى استحالة اصطفائه شيئا لاجل اتخاذ الولد وقوله هو الله الواحد
القهار اشارة الى البرهان على استحالة ذلك وتقريره من ثلثة اوجه الاول انه هو الله وهو اسم للمعبود الواجب الذات الجامع لجميع نعوت
الجمال والجلال واتخاذ الولد يدل على الحاجة والفقر حتى يقوم الولد مقامه وعلى الاستيناس والالتذاذ بوجوده او لغير ذلك من الاغراض وكل
ذلك ينافي الوجوب الذاتي والاستغناء المطلق الثاني انه هو الواحد الحقيقي كما مر ذكره مرارا والولد انما يحصل من جزء من اجزاء الوالد ومن شرط
ان يكون مماثلا لوالده في تمام الماهية حتى يكون حقيقة الوالد حقيقة نوعية محمولة على شخصين ويكون تعين كل منهما معلولا لسبب منفصل وكل ذلك
ينافي التعين الذاتي والواحدية المطلقة وايضا ان حصول الولد من الزوج يتوقف على الزوجة عادة وهي لا بد ان يكون من جنس الزوج فلا يكون
الزوج ممن ينحصر نوعه في شخصه الثالث انه هو القهار والمحتاج الى الولد هو الذي يموت فيقوم الولد مقامه والميت مقهور لا قاهر فثبت بهذه الدلايل
انه تعالى ما اصطفى شيئا لان يتخذه ولدا فينتج انه لم يرد ذلك ونفي ارادة الاتخاذ ابلغ من نفي الاتخاذ فقد يريد ولا يتخذ لمانع كعجزه ونحوه هذا ما
وصل اليه فهمي في تفسير هذه الآية والله تعالى اعلم باسرار كلامه وحين طعن في الهية الاصنام عدد الصفات التي بها يستدل على الالهية الحقة وهي
اصناف منها قوله خلق السموات والارض بالحق اي ملتبسا بالغاية الصحيحة وقد مر مرارا الثاني تكوير الليل على النهار والتكوير اللف واللي يقال
كار العمامة على راسه وكورها وفي التشبيه اوجه منها ان الليل والنهار متعاقبان فاذا غشي احدهما مكان الآخر فكانما البس ولف عليه ومنها انه
سبحانه كل منهما اذا غيب صاحبه بشيء ظاهر يلف عليه ما غيبه عن الابصار ومنها ان كلا منهما يكر على الآخر كرورا متتابعا كتتابع اكوار العمامة وقيل اراد
انه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الآخر من قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من الادبار بعد الاقبال الثالث
قوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى وقد مر مثله في فاطر وغيره وحيث كان الاجل المسمى شاملا للقيامة عقبه بقوله الا هو العزيز الغفار
وفيه ترهيب مع ترغيب الرابع والخامس قوله خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها هما اثنان اولهما تشعيب الخلق الفايت للحصر من نفس
آدم والثانية خلق حواء من ضلعه ومعنى ثم ترتيب الاخبار لان الاولى عادة مستمرة دون الثانية اذ لم يخلق انثى غير حواء من قصيري رجل فكانت
ادخل في كونها آية واجلب لتعجب السامع وقيل ثم متعلق بواحدة في المعنى كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج منها وقيل
انه خلق آدم ثم اخرج ذريته من ظهره ثم ردهم الى مكانهم ثم خلق بعد ذلك حواء وقيل ثم قد ياتي مع الجملة دالا على التقديم كقوله ثم اهتدى ثم
كان من الذين آمنوا وكقوله صلى الله عليه وسلم فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذي هو خير السادس قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج
اما الازواج فهي المذكورة في سورة الانعام من الضان اثنين الذكر والانثى ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين واما
وصفها بالانزال فقيل انزلها من الجنة وقيل اراد انزال ما هو سبب في وجودها وهو المطر الذي به قوام النبات الذي به يعيش الحيوان
وقيل انزل بمعنى قضى وقسم لان قضاياه وقسمه مكتوبة في اللوح ومن هناك ينزل وفي هذه العبارة نوع فخامة وتعظيم لافادتها معنى
الرفعة والاعتلاء ولهذا يقال رفعت القصة الى الامير وان كان الامير في سرب وخصت هذه الازواج بالذكر لكثرة منافعها من اللبن
واللحم والجلد والشعر والوبر والركوب والحمل والحرث وغير ذلك السابع قوله يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق والمقصود
ذكر تخليق الحيوان على الاطلاق بعد ذكر تخليق الانسان والانعام الا انه غلب اولي العقل لشرفهم ويحتمل ان يكون ذكر الانعام اعتراضا
حسن موقعه ذكر الازواج بعد قوله جعل منها زوجها ليعلم ان كل حيوان ذو زوج وترتيب التخليق مذكور مرارا كقوله ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الى قوله احسن الخالقين والظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الله
هذه افعاله ربكم له الملك وقد مر اعرابه في فاطر لا اله الا هو اذ لا موصوف بهذه الصفات الا هو فانى تصرفون اي كيف يعدل بكم
عن طريق الحق بعد هذا البيان ثم بين انه غني عن طاعات المطيعين وانها لا يفيد الا انفسهم فقال ان تكفروا فان الله غني عنكم قالت
المعتزلة في قوله ولا يرضى لعباده الكفر دليل على ان الكفر ليس بقضائه والا لكان راضيا به واجاب الاشاعرة بانه قد علم
من اصطلاح القرآن ان العباد المضاف الى الله او الى ضميره هم المؤمنون قال وعباد الرحمن الذين يمشون عينا يشرب بها

يكون م

فلا يكون له محل كالمبدل م

بان شركا سم

حي

ضلع

من نخامة وتعظيم

عباد

عباد الله فمعنى الآية ولا يرضى لعباده المخلصين الكفر وهذا مما لا نزاع فيه او نقول سلمنا ان كفر الكافر ليس برضا الله بمعنى انه لا يمدحه
عليه ولا يترك اللوم والاعتراض الا انه لا يدل على انه بارادته وليس في الآية دليل على ابطاله ثم بين غاية كرمه بقوله وان تشكروا يرضه لكم
والسبب في كلا الحكمين ما جاء في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي وباقي الآية مذكور مرارا مع وضوحه ثم حكى نهاية ضعف الانسان
وتناقض ارائه بقوله واذا مس الى آخره وقد مر نظيره ايضا وقيل الانسان هو الكافر الذي تقدم ذكره وقيل اريد اقوام معينون
كعتبة بن ربيعة وغيره ومعنى خوله اعطاه لا لاستجرار العوض قال جار الله في حقيقته وجهان احدهما جعله خايل مال من قولهم هو خايل
مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخول اصحابه بالموعظة اي يتعهد
ويتكفل احوالهم ان راى منهم نشاطا في الوعظ وعظهم والثاني انه جعله يخول اي يفتخر كما قيل ان الغني طويل الذيل مياس ومعنى
نسي ما كان يدعو اليه نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او نسي ربه الذي كان يتضرع اليه فما بمعنى من والمراد انه نسي ان لا مفزع
ولا اله سواه وعاد الى اتخاذ الانداد مع الله واللام في ليضل لام العاقبة ثم هدده بقوله تمتع بكفرك كقوله اعملوا ما شئتم وفيه ان الكافر لا تمتع
بالدنيا الا قليلا ثم يؤول الى النار ثم اردفه بشرح حال المحققين الذين لا رجوع لهم الا الى الله ولا اعتماد لهم الا على فضله فقال امن هو قانت
قال ابن عباس القنوت الطاعة وقال ابن عمر لا اعلم القنوت الا قراءة القرآن وطول القيام والمشهور انه الدعا في الصلوة والقيام ثم ما
عليه من الطاعة وعن قتادة آناء الليل اوله ووسطه وآخره وفيه تنبيه على فضل قيام الليل ولا يخفى انه كذلك لبعده عن الريا ولمزيد الحضور وفراغ
الحواس من الشواغل الخارجية ولان الليل وقت الراحة فالعبادة فيه اشق على النفس فيكون ثوابه اكثر والواو في قوله ساجدا وقايما للجمع
بين الصفتين وفي قوله يحذر الآخرة اي عذابها ويرجو رحمة ربه اشارة الى ان العابد يتقلب بين طوري القهر واللطف ويتردد بين
حالي القبض والبسط ولا يخفى ان في الكلام حذفا فمن قرا امن بالتخفيف فالخبر محذوف والمعنى امن هو مطيع كغيره وانما حذف لدلالة الكلام
عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وبيان عدم الاستواء بين العالم والجاهل بعده ومن قرا بالتشديد فالمحذوف جملة استفهامية والمذكور معطوف
على المبتدا والمعنى هذا افضل ام من هو قانت وقيل الهمزة على قراءة التخفيف للنداء كما يقول فلان لا يصلي ولا يصوم فيا من يصلي ويصوم ابشر
وقيل المنادى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله قل هل يستوي الذين يعلمون الآية قال جار الله اراد بالذين يعلمون الذين سبق
ذكرهم وهم القانتون فكانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا ويجوز
ان يرد على وجه التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وفي قوله انما يتذكر اولو الالباب
اشارة الى ان هذا التفاوت العظيم بين العالم والجاهل لا يعرفه الا ارباب العقول كما قيل انما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه وقيل لبعض
العلماء انكم تزعمون ان العلم افضل من المال ونحن نرى العلماء مجتمعين على ابواب الملوك دون العكس فاجاب بان هذا ايضا من فضيلة العلم
لان العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فتركوه وحين بين عدم الاستواء بين من يعلم وبين من لا يعلم
امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يخاطب المؤمنين بانواع من الكلام النوع الاول قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم قال اهل السنة امر
المؤمنين ان يضموا الى الايمان التقوى وفيه دلالة على ان الايمان يبقى مع المعصية وقالت المعتزلة امرهم بالتقوى لكي لا يحبطوا ايمانهم بارتكاب
الكباير بل يزيدوا في الايمان حتى يتصفوا بصفة الاتقاء ثم بين للمؤمنين فايدة الاتقاء قايلا للذين احسنوا الآية وقوله في هذه الدنيا اما ان يكون
صلة لما قبله او صلة لما بعده وهو قول السدي ومعناه على الاول الذين احسنوا في هذه الدنيا لهم حسنة في الآخرة وهي الجنة والتنكير للتعظيم
اي حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها وعلى الثاني الذين احسنوا فلهم في هذه الدنيا حسنة قال جار الله فالظرف بيان لمكان الحسنة ويحتمل ان يكون
انتصب على الحال لانه نعت للنكرة قدم عليها والقايلون بهذا القول فسروا الحسنة بالصحة والعافية وضم بعضهم اليها الامن والكفاية ورجح الاول بان
هذه الامور قد تحصل للكفار على الوجه الاتم فكيف يجعل جزاء المؤمن المتقي وقيل هي الثناء الجميل وقيل الظفر والغنيمة وقيل نور القلب وبها الوجه وفي قوله
وارض الله واسعة اشارة الى ان اسباب التقوى ان لم تتيسر في ارض وجب الهجرة الى ارض تتيسر ذلك فيها فيكون كقوله الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها وعن ابي مسلم هي ارض الجنة لانه حين بين ان المتقي له الجنة وصف ارض الجنة بالسعة ترغيبا فيها كما قال تبوا من الجنة حيث نشاء انما يوفى
الصابرون على مفارقة الاوطان وتجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وتكاليفه اجرهم بغير حساب اي لا يحاسبون او بغير حصر قال جار الله
عن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين
ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا ثم تلا الآية وقال حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل النوع الثاني قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين قال مقاتل ان كفار قريش قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم ما يحملك على هذا الدين الذي اتيتنا به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وسادة قومك يعبدون اللات والعزى فانزل الله هذه
الآية وكانه اشارة الى الامر المذكور في اول السورة فاعبد الله مخلصا له الدين وقوله وامرت لان اكون ليس بتكرار لان اللام للعلة والمامور به
محذوف يدل عليه ما قبله والمعنى امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في الدارين فيؤول
فايدة التكرار الى ذكر التعليل مع نوع تاكيد وقيل اللام بدل من الباء اي امرت بان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره ليصح الاقتداء بي
في قولي وفعلي ولعل الاخلاص اشارة الى عمل القلب والاسلام الى عمل الجوارح فان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الاسلام في خبر جبرئيل
بالاعمال الظاهرة وفيه انه صلى الله عليه وسلم ليس مثل الملوك الجبابرة الذين يامرون الناس باشياء وهم لا يفعلونها بل هو سابقهم في كل ما يامر به
وينهى عنه وحين بين ان الله امره باخلاص القلب وباعمال الجوارح وكان الامر يحتمل الوجوب والندب بين ان ذلك الامر للوجوب فقال قل اني
اخاف الآية وذلك ان خوف العقاب لا يترتب الا على ترك الواجب واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره خايفا من العصيان
فغيره اولى قيل المراد به امته وقيل نزلت قبل ان غفر الله له وقالت الاشاعرة فيه دليل على ان صاحب الكبيرة قد يعفى عنه لانه بين ان اللازم عند
حصول المعصية خوف العقاب لا نفس العقاب النوع الثالث قل الله اعبد مخلصا له ديني وليس بتكرار لما قبله وذلك ان الاول
للاخبار بانه مامور من جهة الله بالعبادة الخالصة عن الشرك الجلي والخفي وهذا اخبار بان الذي امر به فانه قد اتى به على اكمل الوجوه ولهذا
اخر الفعل وضم الى مضمونه التهديد بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه النوع الرابع قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الجامعين
لوجوهه هم الذين خسروا انفسهم بوقوعها في هلكة لا خلاص بعدها وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فلا فايدة لهم منهم لانهم محجوبون

ان م

قيل نزلت في عمار بن ياسر واشباهه والظاهر العموم صح

تحفة سم

ترجيح سم

عنهم او لان كلا منهم مشغول بهمه وان كانوا من اهل الجنة فلا بعد منهم وقيل اهلوهم الحور العين في الجنة لو امنوا قال اهل البيان في قوله الا ذلك
هو الخسران المبين تفظيع لشانهم حيث استانف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل وعرف الخسران ووصفه بالمبين قلت التحقيق
فيه للانسان قوتين يستكمل باحديهما علما وبالاخرى عملا والالة الواسطة في القسم الاول هي المعلوم المسماة بالبديهيات وترتيبها على الوجوه المؤدية
الى النتائج وهي بمنزلة الربح تشبه تصرف التاجر في راس المال بالبيع والشرى والالة في القسم العملي هي القوى البدنية وغيرها من الاسباب
الخارجية المعينة عليها واستعمال تلك القوى في وجوه اعمال البر التي هي بمنزلة الربح تشبه التجارة فكل من اعطاه الله العقل والصحة والتمكين ثم
انه لم يستفد منها معرفة الحق ولا عمل الخير فاذا مات فقد فاتت ربحه وضاع راس ماله ووقع في عذاب الجهل والم البعد عن عالمه والقرب مما يضاده
ابد الابدين فلا خسران فوق هذا ولا حرمان ابين منه وقد اشار الى هذا بقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اي اطباق من النار
هي ظلل للاخرين فان لجهنم دركات كما للجنة درجات وقال المفسرون سمى النار ظلة لغلظها وكثافتها فصارت محيطة بهم من جميع الجوانب حائلة
من النظر الى شيء اخر قلت ان كان في كثرة النار فوجه ظاهر ونظيره في الاحوال النفسانية احاطة نار الجهل والحرص وسائر الاخلاق الذميمة
بالانسان وقد مر في قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل الظلة ما علا الانسان
فسمى ما تحتهم بالظلة اطلاقا لاحد الضدين على الاخر او لان التحتانية مشابهة للفوقانية في الحرارة والاحراق ذلك العذاب المعد
للكفار يخوف الله به عباده المومنين وقد مر ان العباد في القران اذا كان مضافا الى ضمير الله مختص باهل الايمان عند اهل السنة
وعندي انه لا مانع من التعميم ههنا ثم عقب الوعيد بالوعد قائلا والذين اجتنبوا الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله كما مر في البقرة
وقوله ان يعبدوها بدل اشتمال منه وانابوا الى الله رجعوا بالكلية الى تحصيل رضاه فالاول تخلية والثاني تحلية وحقيقة الاعراض عما سوى الله
والاقبال على الله هي ان يعرف ان كل ما سواه فانه ممكن الوجود لذاته فقير في نفسه وهو سبحانه واجب الوجود لذاته غني على الاطلاق لا حكم الا له
ولا تدبير الا بامره لهم البشرى اي هم مخصوصون بالبشارة المطلقة وهي الخبر الاول الصدق الموجب للسرور بزوال المكاره وحصول الاماني
ووقتها الموت الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وعند دخول الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وعند لقاء الله
تحيتهم يوم يلقونه سلام وسماع هذه البشارات في الدنيا على السنة الرسل لا يخرجها عن كونها بشارة في هذه الاوقات لانها في الاول عامة للمكلفين
مبهمة فيهم ولا يتعين الا في هذه الاحوال وقيل هذه انواع اخر من السعادات فوق ما عرفوا وسمعوا اثنى الله عز وجل بها قال ابن زيد نزلت في ثلاثة
نفر كانوا يقولون في الجاهلية لا اله الا الله زيد بن عمرو وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعن ابن عباس ان ابا بكر امن بالنبي صلى الله عليه وسلم
فجاء عثمان وعبد الرحمن وطلحة وزبير وسعد وسعيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فامنوا فانزل الله فبشر عباد الذين يستمعون القول اي من ابي بكر
فيتبعون احسنه وهو لا اله الا الله وهو اهل النظر لما بين ان الذين اجتنبوا وانابوا لهم البشرى وكان ذلك درجة عالية لا ينال بها الا الاذكياء
جبل الحكم على اظهار الرحمة فقال كل من اختار الاحسن في كل باب كان من زمرة السعداء اهلا للبشارة وقال جار الله اراد بعباده الذين يستمعون
القول الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم اي هم الذين جمعوا هذه الخصلة الى تلك وبهذا وضع الظاهر موضع المضمر وفي الاية دلالة على وجوب النظر
والاستدلال وانه اذا عرض امران واجب وندب فالاولى اختيار الواجب وكذا الكلام في المباح والندب كالقصاص والعفو
وكل ما هو احوط في الدين مسائل في الاصول القول بان للعالم صانعا حيا عليما قادرا متصفا بنعوت الجلال والاكرام وصفات الكمال والتمام
اولى واحوط من انكاره وكذا الاقرار بالبعث والجزاء احوط من الانكار وفي الفروع الصلوة المشتملة على القراءة والتشهد والتسليم وغيرها
من الاركان والابعاض المختلف فيها احوط من الصلوة الفارغة عنها او عن بعضها وقال العارفون يستمعون من النفس الدعوة الى الشهوات
ومن الشيطان القول الباطل والغرور ومن الملك الالهامات ومن الله ورسوله الدعاء الى دار السلام فيقبلون كلام الله ورسوله والخواطر
الحسنة دون غيرها وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة
من يقف على قوله فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون وخبره اولئك الذين هداهم الله وهو اشارة الى الفاعل واولئك هم اولوا
الالباب اشارة الى ان جوهر نفوسهم قابلة لفيض الهداية بخلاف من لم يكن ذا قابلية ذلك وهو قوله افمن حق عليه كلمة العذاب قال جار الله
اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه فهي جملة شرطية دخل عليها الهمزة للانكار وكررت في الفاء الثانية للجزاء تاكيد المعنى
الانكار ووضع من في النار موضع الضمير تصريحا بجزائهم واما الفاء الاولى فللعطف على محذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره انت مالك
امرهم فمن حق الى اخره وجوز ان يكون الكلام بعد المحذوف جملتين شرطية جزاؤها محذوف الفاء ثم حملية والتقدير افمن حق عليه كلمة العذاب
فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار قلت فالكلام على هذا التقدير يشتمل على اربع جمل جميعها بعد همزتي الانكار محذوفتان والباقيتان ظاهرتان
ومن زعم ان الفاء بعد الهمزة لمزيد الانكار لا للعطف فمجموع الاية شرطية كما ذكرنا او هي مع حملية ثم صرح بجزاء المتقين فقال لكن الذين
اتقوا ربهم لهم غرف وهو كالمقابل لما مر في وعيد الكفار لهم من فوقهم ظلل ومعنى قوله مبنية والله اعلم انها بنيت بناء المنازل
التي على الارض وسويت تسويتها وجعلت متساوية في اسباب النزاهة من الاشجار والانهار لا مثل ابنية الدنيا فان الفوقاني منها يكون
اضعف من التحتاني واخف والتحتاني قد تجري من تحتها الانهار واما الفوقاني فلا يمكن فيها ذلك قال حكماء الاسلام الغرف المبنية بعضها فوق
بعض هي العلوم المكتسبة المبنية على الفطريات وانها تكون في المتانة واليقين كالعلوم الغريزية البديهية وحين وصف الاخرة بما يوجب
توجب الرغبة فيها اراد ان يصف الدنيا بما يقتضي النفرة عنها فقدم لذلك مقدمة يستدل بها على حقية الصانع ايضا فقال الم تر
ان الله انزل من السماء ماء فسلكه اي ادخله في الارض حال كون ذلك الماء ينابيع مثل الدم في العروق والينابيع جمع ينبوع وهو
كل ما يخرج من الارض وقيل هو الموضع الذي يخرج منه الماء كالعيون والآبار فينتصب على الظرف وقوله ثم يخرج لفظ المستقبل لتصوير
تلك الحالة العجيبة الشان وهي اخراج النبت المختلف الالوان والاصناف والخواص بسبب الماء الملقى للارض ثم يهيج اي يتم
جفافه قال الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان ينزع عن منابته ويذهب ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا ان في ذلك الذي ذكر من
انزال الماء واخراج الزرع بسببه لذكرى لتذكيرا وتنبيها على وجود الصانع لاولي الالباب وفيه ان الانسان وان طال عمره
فلا بد من الانتهاء الى حالة اصفرار اللون وتحطم الاجزاء والاعضاء ثم الى الموت والفناء وانما قال ههنا ثم يجعله حطاما وفي الحديد
ثم يكون حطاما لان الفعل هنالك منسوب الى النبات وهو قوله اعجب الكفار نباته وههنا مسند الى الله من قوله انزل الى اخره وحين

بالغ في تقرير البيانات الدالة على وجوب الاقبال على طاعة الله والاعراض عن الدنيا الفانية بين ان ذلك البيان لا يكمل الانتفاع به الا
لمن شرح الله صدره ونور قلبه فقال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ولا يخفى ما في لفظة على فائدة الاستعلاء
والتمكن كما مر في قوله اولئك على هدى والخبر محذوف كما ذكرنا في قوله امن هو قانت يعني اهذا الشخص المنشرح الصدر كمن طبع الله على قلبه
يدل عليه ما بعده فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل سماع القران وانما عدي بمن لان قسوة القلب تدل على خلوه من فوائد القران
ويجوز ان يكون من للتعليل وذلك ان جواهر النفوس تختلف فبعضها يكون مشرقة نورانية يزيد نور القران بها ضياء وبعضها يكون مظلمة كدرة
لا ينعكس نور الذكر اليها ولا يظهر صور الحق فيها كالمرآة الصدئة ثم اكد وصف القران وكيفية تاثيره في النفوس بقوله الله نزل احسن الحديث
عن ابن مسعود ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت الاية والحديث كلام يتضمن الخبر عن حال متقدمة
ووصفه بالحدوث من حيث النزول لا ينافي قدمه من حيث انه كلام نفسي ووجه كونه احسن لفظا ومعنى مما لا يخفى على ذي طبع فضلا عن
ذي لب وقوله كتابا بدل من احسن او حال موطئة ومعنى متشابها انه يشبه بعضها بعضا في الاعجاز اللفظي والمعنوي والنظم الانيق
والاسلوب العجيب والاشتمال على الغيوب وعلى اصول العلوم كما مر في اول البقرة في تفسير قوله وان كنتم في ريب وقيل هو من قوله واخر
متشابهات فيكون صفة لبعض القران وقيل يشبه اللفظ اللفظ والمعنى مختلف وقوله مثاني جمع مثنى او مثنى بمعنى مكرر لما ثني من قصصه
واحكامه ومواعظه او لانه يثنى في التلاوة فلا يورث ملالا كقوله ولا يخلق على كثرة الرد وقيل المثاني لان القران كالغواني للشعر وقد مر
بعض هذه الاقوال في مقدمات الكتاب وفي سورة الحجر في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني ومعنى اقشعرار الجلد تقبضه قال جار الله
تركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها الراء ليصير رباعيا ودالا على معنى زائد وهو تمثيل لشدة الخوف او هو حقيقة بسببه
الخوف قال المفسرون المراد انهم عند سماع ايات العذاب يخافون فيقشعر جلودهم وعند سماع ايات الرحمة والاحسان او تذكرهم
رافته وان رحمته سبقت غضبه تلين جلودهم وقلوبهم ومعنى الى في قوله الى ذكر الله هو انه ضمن لان معنى سكن واطمان وقال العارفون
اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا وقال اهل البرهان اذا اعتبر العقل موجودا لا اول له ولا اخر و
لا حيز ولا جهة وقع في بادية التحير والهيبة واذا اعتبر الدلايل القاطعة على وجود موجود واجب لذاته واحد في صفاته وافعاله اطمان قلبه اليه
قال جار الله انما ذكرت الجلود اولا وحدها لان الخشية تدل على القلوب لانها محل الخشية فكانه قيل تقشعر جلودهم بعد خشية قلوبهم ثم اذا
ذكروا الله ومبنى امرها على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ويحتمل ان يقال المكاشفة في مقام
الرجاء اكمل منها في مقام الخوف ومحل المكاشفات هو القلب فلذلك اختص ذكر القلوب بجانب الرجاء ثم اشار الى الكتاب المذكور
بقوله ذلك هدى الله كقوله هدى للمتقين ثم بين ان للقاسية قلوبهم حالين اما في الدنيا فالضلال التام وهو قوله ومن يضلل الله فما له
من هاد واما في الاخرة فقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي شدته والخبر محذوف وهو كمن امن العذاب واتقاء العذاب بالوجه
اما حقيقة وذلك بان يكون يداه مغلولتين الى عنقه فلا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه واما ان يكون كناية عن عجزه عن الاتقاء وذلك
ان الانسان اذا وقع في نوع من العذاب فانه يجعل يديه وقاية لوجهه الذي هو اشرف الاعضاء فكانه قيل لا يقدرون على الاتقاء
الا بالوجه والاتقاء بالوجه غير ممكن فلا اتقاء اصلا وقيل للظالمين القائلون هم خزنة النار وقوله كذب الذين من قبلهم تصوير لحال امثالهم
من الامم الخالية جناياتهم ما يشعرون اذا اخذهم العذاب والخزي في الدنيا كالمسخ والقتل ونحوهما ثم بين بقوله ولقد ضربنا الى اخر الايتين ان هذه
البيانات بلغت في الكمال الى حيث لا مزيد عليه ثم ضرب من امثال القران مثلا لقبح طريقة اهل الشرك وهو رجل من المماليك قد اشترك
فيه شركاء متشاكسون اي كلهم سيئ خلقهم في استخدامه او هم مختلفون في ذلك يامره هذا بشيء وينهاه الاخر عن ذلك الشيء بعينه
والشكاسة سوء الخلق والاختلاف ورجلا سلما لرجل اي خالصا من الشركة ومن قرا بغير الف فعلى حذف المضاف اي ذو سلم
وذو خلوص من الشركة قال جار الله وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المراة والصبي قد يغفلان عن ذلك قلت
لا ريب ان الرجل اصل في كل باب فجعله مضرب المثل اولى نظيره وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ثم استفهم على سبيل الانكار
بقوله هل يستويان مثلا وهو تمييز اي هل يستوي حالاهما وصفتاهما واقتصر في التمييز على الواحد لقصد الجنس والمراد تمثيل من يعبد
معبودا فليس رضى واحد كطلب رضى جماعة مختلفين وحاصله يرجع الى دليل التمانع كما مر في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال
اهل العرفان الشركاء المتشاكسون تجاذب شغل الدنيا وشغل العيال وغير ذلك من الاشغال فاين ذلك الرجل ممن ليس له في الدنيا
نصيب ولا له في الخلق نسيب وهو عن الاخرة غريب والى الله قريب قوله الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون كما مر في النمل قوله انك ميت وانهم
النمل انه سبحانه كانه قال ان هؤلاء الاقوام ان لم يلتفتوا الى هذه الدلايل القاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم في الدنيا
فلا تبال يا محمد بهذا فانك ستموت وهم ايضا يؤولون الى الموت فلو انهم يتربصون بك الموت فان الموت يعم الكل فلا معنى لشماتة الحي
بعد وفاة صاحبه ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون تحتج عليهم بانك قد بلغت وهم يعتذرون بما لا طائل تحته وقد يخاصم الكفار
بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي ويقع الاختصام بين اهل السنة في الديانات والمظالم التي بينهم

فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ۝ اليس في جهنم مثوى للكافرين
والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون ۝ لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك
جزاء المحسنين ۝ ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا
يعملون ۝ اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له

من هاد ۝ ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ۝ ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر
هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل
المتوكلون ۝ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
ويحل عليه عذاب مقيم ۝ إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه
ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل ۝ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون ۝ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا
ولا يعقلون ۝ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ۝
وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه
إذا هم يستبشرون ۝ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت
تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون ۝ ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ۝ وبدا لهم
سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه
نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون ۝ قد قالها
الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ۝ فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من
هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ۝ أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ۝ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ۝ وأنيبوا إلى ربكم
وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ۝ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من
ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ۝ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ۝ أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين ۝
أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ۝ بلى قد جاءتك آياتي فكذبت
بها واستكبرت وكنت من الكافرين ۝ ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ۝ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم

يحزنون

يحزنون ۝ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ۝ له مقاليد السموات والأرض والذين
كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون ۝ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ۝
ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ۝ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ۝ ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم
قيام ينظرون ۝ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ۝ ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ۝
وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها
ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين ۝ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
المتكبرين ۝ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها
وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ۝ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ۝ وترى الملائكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ۝

القراءة عباده على الجمع يزيد وحمزة وعلي وخلف ارادني الله بسكون اليا حمزة كاشفات بالتنوين ضره بالنصب وهكذا
ممسكات رحمته ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالاضافة فيهما قضي عليها مجهولا الموت بالرفع حمزة وعلي وخلف يا عبادي الذين
اسرفوا بسكون اليا حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وسهل ويعقوب والوقف للجميع باليا لا غير يا حسرتاي بيا بعد الف يزيد الاخرون
بالالف وحدها وينجي الله بالتخفيف روح بمفازاتهم على الجمع حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل تامروني بتشديد النون و
فتح اليا ابن كثير تامرونني بنونين وسكون اليا ابن عامر تامروني بنون واحدة وفتح اليا ابوجعفر ونافع الباقون بتشديد النون وسكون
اليا لنحبطن بالنون من الاحباط عملك بالنصب زيد الاخرون على الغيبة وفتح العين عملك بالرفع وسيق بضم السين وكسر
اليا ابن عامر وعلي ورويس فتحت بالتخفيف حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل في الحرفين الوقوف الجزء الرابع والعشرون
اذ جاءه ط للكافرين ه المتقون ه عند ربهم ط المحسنين ج لاحتمال تعلق اللام بمحذوف كما يجي يعملون ه عبده ط
من دونه ط من هاد ه ج مضل ط انتقام ه ليقولن الله ط رحمته ط حسبي الله ط المتوكلون ه عامل ج لابتدا التهديد مع
فا التعقيب تعلمون ه مقيم ه بالحق ج لاختلاف الجملتين فلنفسه ج عليها ج لابتدا النفي مع العطف بوكيل ه في منامها
ج مسمى ط يتفكرون ه شفعا ط تعقلون ه جميعا ط والارض ز بنا على ان ثم لترتيب الاخبار يرجعون ه بالاخرة
فصلا بين الجملتين مع اتفاقهما نظما يستبشرون ه يختلفون ه القيمة ط يحتسبون ه يستهزءون ه دعانا ز فصلا بين تنافي
الحالين مع اتفاق الجملتين منا لا لان ما بعده جواب على علم ط لا يعلمون ه يكسبون ه ما كسبوا الاول ط والثانية لا
لان الواو للحال بمعجزين ه ويقدر ط يؤمنون ه رحمة الله ط جميعا ط الرحيم ه لا تنصرون ه لا تشعرون ه لا الساخرين ه لا
المتقين ه لا المحسنين ه الكافرين ه مسودة ط للمتكبرين ه بمفازتهم ز لاحتمال الاستيناف والحال اوجه يحزنون ه
كل شي ز للفصل بين الوصفين تعظيما مع اتفاق الجملتين وكيل ه والارض ط الخاسرون ه الجاهلون ه من قبلك ج
لان القسم المحذوف الخاسرين ه الشاكرين ه بيمينه ط يشركون ه شا الله ج بيانا لتراخي النفخة الثانية عن الاولى مع اتفاق
الجملتين ينظرون ه لا يظلمون ه يفعلون ه زمرا ط هذا ط الكافرين ه فيها ج المتكبرين ه زمرا ط خالدين ه
نشاء ج العاملين ه ربهم ج لان الماضي لا ينعطف على المستقبل ولاحتمال جعله حالا اي وقد قضي بين الزمرين العالمين

التفسير لما ضرب لعبدة الاصنام مثلا اشار الى نوع آخر من قبايح افعالهم وهو انهم يضمون الى كذبهم على الله باضافة الشرك
والولد اليه تكذيبهم بالصدق يعني الامر الذي هو الصدق بعينه اي القران ومعنى اذ جاءه انه لم يراع طريقة اهل الانصاف والتدبر
لكنه كما سمع به فاجاءه بالتكذيب واللام في قوله للكافرين لهؤلاء المعهودين الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق قال جار الله
ويحتمل ان يكون للعموم فيشملهم وغيرهم من الكفرة وحين بين وعيدهم عقبه بوعد الصادقين المصدقين وهم الرسول صلى الله عليه
وعلى آله وسلم واصحابه وقيل الرسول وابو بكر والتعميم اولى لقوله اولئك هم المتقون قوله ليكفر ظاهره تعلقه بيشاؤن فيكون
لام العاقبة ويحتمل تعلقه بمحذوف اي جزاهم او اكرمهم لاجل ذلك قال جار الله الاسواء ههنا ليس للتفضيل وانما هو كقولهم
الاشج اعدل بني مروان وفائدة صيغة التفضيل استعظامهم المعصية حتى ان الصغاير عندهم اسوء اعمالهم وقال بعض المفسرين
اراد به الكفر السابق الذي يمحوه الايمان واستدل مقاتل وكان شيخ المرجئة بهذه الاية فانها تدل على ان من صدق الانبياء
فانه تعالى يكفر عنه اسوء الاعمال التي اتى بها بعد الايمان والوصف بالتقوى وفيه نظر ثم انهم كانوا يخوفون المؤمنين والنبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخبث آلهتهم وتحقيرها ويروى انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعث خالدا الى العزى ليكسرها
فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها لشدة فعمد خالد اليها فهشم انفها فانزل الله تعالى اليس الله بكاف عبده اي نبيه
بدليل قوله ويخوفونك ومن قرا على الجمع فهي العموم والايات الى قوله بوكيل ظاهر ومع انها تعلم مما سبق ذكرها مرارا والعذاب
الخزي عذاب يوم البدر والعذاب المقيم العذاب الدائم في الاخرة ومدار هذه الاي على تسلية النبي صلى الله عليه وسلم
ثم الكون الهداية والضلال من الله تعالى كقوله الله يتوفى الانفس وذلك ان الحيوة واليقظة يشبه الهداية والموت والنوم
يشابه الضلال فكما ان الحيوة والموت واليقظة والنوم لا يحصلان الا بتخليق الله وتكوينه فكذلك الهداية والضلال والعارف
بهذه الدقيقة عارف بسر الله في القدر ومن عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب ففيه تسلية اخرى للنبي صلى الله
عليه وسلم وقيل في وجه النظم انه تعالى اراد ان يذكر حجة اخرى على اثبات الاله العليم القدير ليعلم انه احق بالعبادة
من كل ما سواه فضلا عن الاصنام ومعنى الاية ان الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها قال جار الله اراد بالانفس
الجملة كما هي لانها هي التي تنام وتموت ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين
بالموتى كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل والحاصل انه يتوفى الانفس مرتين مرة عند موتها ومرة عند نومها فيكون
في متعلقة بيتوفى والتوفي مستعمل في الاول حقيقة وفي الثاني مجازا ولم يجوزه كثير من ائمة الاصول وقال الفراء
في متعلقة بالموت تقديره ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها عند انقضاء حيوتها ثم بين الفرق بين الحالين بقوله
فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى من غير غلط وقال حكماء الاسلام النفس الانسانية جوهر
مشرق نوراني اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه في جميع الاعضاء ظاهرها وباطنها وهو الحياة واليقظة واما في وقت النوم فان ضوءه
لا يقع الا على باطن البدن وينقطع عن ظاهره فيبقى نفس الحيوة التي بها التنفس وعمل القوى البدنية في الباطن ويفنى ما به التميز والعقل
واذا انقطع هذا الضوء بالكلية عن البدن فهو الموت ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره الا من القدير الخبير الذي لا شريك له في ملكه
ولا نظير فلهذا اختتم الاية بقوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ثم كان لمشرك ان يقول انما نعبد الاصنام لانها تماثيل اشخاص كانوا عند الله
مقربين فنحن نرجو شفاعتهم فانكر الله عليهم بقوله ام اتخذوا من دون الله اي من دون اذنه شفعاء والهمزة بمعنى بل والهمزة الانكارية وتقرير
الانكار ان هؤلاء الكفار اما ان يطمعوا في شفاعة تلك التماثيل واما في شفاعة من هذه التماثيل تماثيلهم والاول باطل لان هذه الاصنام
جمادات لا تملك شيئا ولا تعقل واشار الى هذا المعنى بقوله قل اولو كانوا يعني يشفعون ولو كانوا بحيث لا يملكون شيئا ولا يعقلون
والثاني ايضا مستحيل لان يوم القيامة لا يشفع احد الا باذن الله وهو المراد بقوله قل لله الشفاعة وانتصب جميعا على الحال ولو كان تاكيدا للشفاعة
لقيل جميعة ومن قرر انه لا شفاعة لاحد الا باذن الله برهن على ذلك بقوله له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون يوم القيامة ولا ملك
في ذلك اليوم الا له ثم ذكر نوعا آخر من قبايح افعال المشركين فقال واذا ذكر الله وحده اي منفردا وذكر الهتهم اشمازت اي نفرت
وانقبضت منه قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه سواء ذكر الله معهم او لم يذكر فاذا هم يستبشرون اي
فاجاءوا وقت ذكر الهتهم وقت استبشارهم وفي الاية طباق ومقابلة لان الاستبشار ان يمتلي قلبه سرورا حتى يظهر في بشرته والاشمئزاز
ان يمتلي غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه وذلك لاحتباس الروح الحيواني في القلب وقيل معنى الاية انه اذا قيل لا اله الا
الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لالهتهم وفي بعض التفاسير ان هذا اشارة الى ما روي انه صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة
النجم وسوس الشيطان اليه بقوله تلك الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى فاستبشر المشركون وسجدوا وهذا القول باطل لا ينبغي لمسلم
ان يعتقده لمنافاته الارشاد والابطال وقد مر شانه في سورة الحج ولما حكى عنهم هذا الجهل الغليظ والحمق الشديد وهو الاشمئزاز عن ذكر من ذكره
راس السعادات وعنوان الخيرات والاستبشار بذكر اخس الاشياء وهي الجمادات امر رسوله بهذا الدعاء اللهم فاطر السموات والارض
وهو وصفه بالقدرة التامة عالم الغيب والشهادة وهو نعته بالعلم الكامل وانما قدم وصفه بالقدرة على وصفه بالعلم لان العلم بكونه
قادرا متقدم على العلم بكونه عالما كما بين في اصول الدين او قد اشرنا الى ذلك فيما سلف انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
يعني ان نفرتهم عن التوحيد وفرحهم بالشرك امر معلوم الفساد ببديهة العقل فلا حيلة في ازالته الا بالاستعانة بالقدير العليم
عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح صلوته بالليل فيقول اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي الى
صراط مستقيم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين عليه السلام وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه او
قد فعلوا وقرا هذه الاية وروي انه قال على اثره قتل من كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ثم ذكر وعيدهم
على ذلك المذهب الباطل بقوله ولو ان للذين ظلموا اي بالشرك وقد مر نظير الاية مرارا اولها في آل عمران وقوله فيهم وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون نظير قوله في اهل الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات

مردي

يروي ان محمد بن المنكدر جزع عند موته فقيل له في ذلك فقال اخشى اية من كتاب الله وتلا هذه الاية فانا اخشى ان يبدو لي من الله
ما لم يكن في حسابي وعن سفيان الثوري انه قراها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء [illegible]

[illegible]

في طالع ولد الحمامي وكذا اختلافات اخر لا نهاية لها نعم لو ادعى عمر ادراك جميع الجزئيات فلا نزاع في ذلك الا ان المنفق بما يستنفع
عليه ان يقنع بما يصل اليه فهمه فلكل شيء حد وفوق كل ذي علم عليم وحين اطنب في الوعيد ارداه ببيان كمال رحمته ومغفرته فقال يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم عن ابن عباس ان اهل مكة قالوا زعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لن يغفر له وكيف نهاجر وقد عبدنا
الاوثان وقتلنا الانفس فانزل الله هذه الاية وعن ابن عمر نزلت في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين اسلموا
ثم عذبوا فارتدوا فنزلت فيهم وكان عمر كاتبا فكتبها الى عياش والوليد والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت بالمدينة في وحشي
وقد سبق ثم ان قلنا العباد عام فالاسراف على النفس يعم الشرك ولا نزاع ان عدم الياس من الرحمة يكون مشروطا بالتوبة والايمان
وان قلنا العباد المضاف في عرف القران مختص بالمؤمنين فالاسراف اما بالصغاير ولا خلاف في انها تكفر ما اجتنبت الكباير
واما بالكباير وحينئذ يبقى النزاع بين الفريقين فالمعتزلة شرطوا التوبة والاشاعرة العفو وقد مر مرارا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الاية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات في الكشاف
وهي هذا يكون مخصوصا بشرط الايمان ولا يخفى ما في الاية من مؤكدات الرحمة اولها تسمية المذنب عبدا والعبودية تشعر بالاختصاص
مع الحاجة واللايق بالكريم الرحيم افاضة الجود والرحمة على المساكين وثانيها من جهة الاضافة الموجبة للتشريف وثالثها من جهة
وصفهم بقوله الذين اسرفوا على انفسهم كانه قال يكفيهم من تلك الذنوب عود مضرتها عليهم لا علي ورابعها نهيهم عن القنوط والكريم
ولذا امر بالرجاء فلا يليق به الا الكرم وخامسها قوله من رحمة الله مع امكان الاقتصار على الضمير بان يقول من رحمتي فايراد اشرف
الاسماء في هذا المقام يدل على اعظم انواع الكرم واللطف وسادسها تكرير اسم الله في قوله ان الله يغفر الذنوب مع تصدير الجملة بان
ومع ايراد صيغة المضارعة المنبئة عن الاستمرار وتاكيد الذنوب بقوله جميعا اي حال كونها مجموعة وسابعها اردافه الجملة
بقوله انه هو الغفور الرحيم مع ما فيه من انواع المؤكدات ومع جميع ذلك لم يخل الترغيب عن الترهيب ليكون رجاء المؤمن مقرونا بخوفه
فقال وانيبوا الى ربكم واسلموا له ولكن الاشاعرة ايضا يجوزون ان يدخل صاحب الكبيرة النار مدة ثم يخرج منها ومع احتمال هذا
العذاب يجب الميل الى الانابة والاخلاص فدل العمل على ان الخوف للتقصير في الطاعة يكفي من الخوف للتفريع بالمعصية وليعبد
في الاول بسند ونحو عن الثاني وقال بعضهم ان الكلام قد تم على الاية الاولى ثم خاطب الكفار بهذه الايات من قوله وانيبوا والمراد بالعذاب
اما عذاب الدنيا كما للامم السالفة واما الموت لانه اول اهوال الاخرة وقوله احسن ما انزل اليكم كقوله يستمعون القول فيتبعون احسنه
وقد مر الاقوال فيه وحين خوفهم بالعذاب حكى عنهم انهم عند تقدير نزول العذاب ماذا يقولون فذكر ثلثة انواع من الكلمات الاول ان تقول
والتقدير انذرناكم الانذار المذكور كراهة ان يقول ولئلا يقول قال جار الله انما نكرت نفس لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر
او نوع من الانفس متميزة بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم وجوز ان يكون التنكير لاجل التكثير كقوله رب وقد هرقته يا حسرتا على ما فرطت
اي قصرت والتفريط اهمال ما ينبغي ان يقدم في جنب الله واعلم ان بعض اهل التجسيم يحكون بورود هذا اللفظ على اثبات هذا العضو لله سبحانه
ولا يدري انه بعد التسليم لا معنى للتفريط فيه ما لم يصر الى التاويل والصحيح ما ذهب اليه علماء البيان ان هذا من باب الكناية لانك اذا اثبت
الشيء في مكان الرجل وحيزه وجانبه وناحيته فقد اثبته فيه كقوله ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج ويقول
لمكانك فعلت هذا اي لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل ولا بد من تقدير مضاف سواء ذكر الجنب
او لم يذكر وللمفسرين عبارات قال ابن عباس اي ضيعت من ثواب الله وقال مقاتل ضيعت من ذكر الله وقال مجاهد في امر الله
قال الحسن في طاعة الله وعن سعيد بن جبير في حق الله وقيل في قرب الله من الجنة من قوله والصاحب بالجنب وقال ابن جبير في جانب
هدى الله لان الطريق متشعب الى الهدى والضلال ولكل واحد جانب وجنب والتحقيق في المسئلة ان الشيء الذي يكون من لوازم الشيء
ومن توابعه كانه جند من جنوده وجانب من جوانبه فلما حصلت المشابهة بين الجنب الذي هو العضو وبين ما يكون لازما للشيء وتابعا له لا جرم
حسن اطلاق لفظ الجنب في الاية على هذه المضافات قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب عاشق له كبد
حرى عليك تقطع ثم زاد في التحسر بقوله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بالقران والنبي والمؤمنين ان مخففة من الثقيلة

فارقة والمراد بالتحميل العطف والحال قال بقاؤه والكلمة ما صنع من امر الله حتى سخر من المقصد بين والنوع الثاني من كلمات النفس المعنية
لو ان الله هداني يجوز ان يتعلق مرتين او مرة بذلك او يكون قائل كل من الكلمتين بعد اخرى والمعنى لو ارسلني في دينه لكنت من المتقين
والنوع الثالث قوله حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين قال جار الله لم يحكي اقوال النفس اجاب من بينها عما اقتضى
الجواب وهو الثاني وصح ان يقع بلى جوابا له مع انه غير منفي لان قوله لو ان الله هداني في معنى ما هديت قلت هذا يصلح جوابا للاولين
الثاني والثالث اي بلى قد هديت بالوحي فكذبت واستكبرت عن قبوله فلا فائدة في الرجعة فان عدم القابلية وكونه واقعا في جانب القهر
لن يزول عنه ثم صرح ببعض انواع العذاب قائلا ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وقوله وجوههم مسودة مفعول ثان ان كان
رؤية القلب والا فموضعه نصب على الحال والظاهر ان الكذب على الله هو المشار اليه في قوله فكذبت بها ويشتمل الكذب عليه باتخاذ
الشريك والولد ونسبته الى العجز عن الاعادة ونسبة القرآن الى كونه مختلقا ونحو ذلك واما المسائل الاجتهادية التي يختلف فيها كل
فريق اسلامي ولا سيما الفروعية فالظاهر انها لا تدخل فيها والله اعلم واما سواد الوجه فان كان في الحقيقة فظاهر ويكون كما مر وعيد
اهل النار من زرق العيون وغيره وان كان المراد به الخجل وشدة الحياء ونحو ذلك فان الله تعالى اعلم بمراده ولا ريب ان الجهل والاعتقاد
على خلاف ما عليه الامر ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة كلها ظلمات كما ان العلم والصدق ونحوهما انوار كلها وفي ذلك العالم يظهر حقيقة
كل شيء على المكلف هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت ثم حكى حال المتقين يومئذ قائلا وينجي الذين اتقوا الشرك او المعاصي كبائرها وصغائرها بمفازتهم
هي مفعلة من الفوز ومن وحد فلانه مصدر ومن جمع فلاختلاف اجناسها فلكل متق مفازة الفلاح ولا شك ان الباء هي التي في نحو قولك
كتبت بالقلم فقال جار الله تارة تفسير المفازة هي قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون فلا محل للجملة لانه كان قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء
اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم وقال اخرى يجوز ان يراد بسبب فلاحهم او منجاتهم وهو العمل الصالح وذلك ان العمل الصالح
سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وعلى هذا الوجه يكون قوله لا يمسهم منصوبا على الحال وعن
الماوردي ان المفازة ههنا البرية اي بما سلكوا مفازة الطاعات الشاقة وهو غريب وحين تم الوعد والوعيد اتبعه شيئا من الدلائل الالهية
قائلا الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل وقد مر في الانعام وعنده مفاتح الغيب والمقاليد المفاتيح ايضا فقيل لا واحد لها من لفظها وقيل
مقليد او مقلاد او اقليد والظاهر انه في الاصل فارسي والتعريب جعله من قبيل العربي انه سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير
فقال يا عثمان ما سألني عنها احد قبلك تفسير المقاليد لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله
هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير قال العلماء ان هذه الكلمات مفاتيح خيرات السموات
والارض وقد يوحد الله بها ويمجد وقال اهل العرفان بيده مفاتيح خزائن اللطف والقهر فيفتح على من يشاء ابواب خزائن لطفه في قلبه فيخرج
ينابيع الحكمة وجواهر الاخلاق الحسنة وللاخر بالضد قال في الكشاف قوله والذين كفروا متصل بقوله وينجي وما بينهما اعتراض دل على انه
خالق الاشياء كلها مهيمن عليها لا يخفى عليه اعمال المكلفين وجزاؤها فان كل شيء في السموات والارض فان مفاتحه بيده وهذا الظاهر
[illegible]
يراد ولقد اوحى اليك والى كل واحد ممن قبلك لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا وقد مر نظيره الاية كقوله ولئن
اتبعت اهواءهم وبينا ان ذلك على سبيل الفرض والشرطية لا حاجة في صدقها الى صدق جزئيها وفي قوله
ولتكونن من الخاسرين اشارة الى ان منصب النبوة الذي هو اشرف المراتب الانسانية واقربها من الله اذا بدل بضده الذي
هو البعد عن الحضرة الالهية لم يكن خسران وراء ذلك ثم رده صلى الله عليه وسلم الى ما هو الحق الثابت في نفس الامر وهو تخصيص الله بالعبادة فقال بل الله
فاعبد وكن من الشاكرين على ذلك لان توفيق العباد ونعمه وحده ولذا جعله مظهر اللطف حتى صار سيد ولد ادم ثم بين انهم لما جعلوا هذه الاشياء
الخسيسة مشاركة في العبادة ما عرفوا الله حق معرفته وقد مر في الانعام والحج ثم اردف بما يدل على كمال عظمته قائلا والارض جميعا قبضته قال جار الله
الغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك
حكم ما يروى عن عبد الله بن مسعود ان رجلا من اهل الكتاب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله يمسك السموات
يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال وانزل الله الاية تصديقا له قال جار الله وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم
يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء واخره على الزبدة والخلاصة
التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي لا تكتنهها الاوهام هينة عليه ثم ذكر كلاما اخر طويلا واعترض عليه الامام فخر الدين
الرازي رحمه الله تعالى بان هذا الكلام الطويل لا طائل تحته لانه هل يسلم ان الاصل في الكلام حمله على حقيقته ام لا وعلى الثاني يلزم خروج
القرآن بكليته عن كونه حجة فان لكل احد حينئذ ان يأول الاية بما شاء وعلى الاول وهو الذي عليه الجمهور يلزمه بيان انه لا يمكن حمل اللفظ
على معناه الحقيقي ليتعين المصير الى التأويل ثم ان كان هناك مجازات وجب اقامة الدليل على تعيين احدها ففي هذه الصورة لا شك
ان لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الجوارح الا ان الدلائل العقلية قامت على امتناع الاعضاء والجوارح لله سبحانه فوجب المصير
الى التأويل صونا للنص عن التعطيل والتأويل ان يقال المراد كونها تحت تدبيره وتسخيره كما يقال فلان في قبضة فلان وقال تعالى او

ملکت

ما ملكت ايمانهم ويقال هذه الدار في يد فلان وفي يمينه وفلان صاحب اليد وانا اقول هذا الذي ذكره الامام طريق اصولي والذي ذكره جار الله
طريق بياني وانهم يحيلون كثيرا من المسائل الى الذوق فلا منافاة بينهما ولا يرد اعتراض الامام وتشنيعه وقد قررنا في هذا الكتاب الاصل
الذي كان يعين على التكلف في باب المتشابهات في مواضع فتذكره ولنرجع الى الاية قوله والارض قالوا المراد بها الارضون لوجهين احدهما قوله
جميعا فانه يجعله في معنى الجمع كقوله كل الطعام وكقوله والنخل باسقات والثاني قوله والسموات ولقائل ان يقول كل ما هو ذو اجزاء
حسا او حكما فانه يصح تأكيده بالجميع وعطف السموات على الارض في القرآن كثير نعم قد قيل ان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة وليس
ببعيد والقبضة بالفتح المرة من القبض يعني والارضون جميعا مع عظمهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته فمن ذوات قبضته و
عندي ان المراد منه تصرفه يوم القيامة فيها بتبديلها كقوله يوم تبدل الارض غير الارض وقوله والسموات مطويات بيمينه كقوله يوم
نطوي السماء كطي السجل وقيل معنى مطويات كونها مستولى عليها استيلاءك على الشيء المطوي عندك وبيدك وقيل بيمينه اي بقسمه
لانه حلف ان يطويها ويفنيها وفي الاية اشارة الى كمال استغنائه وانه اذا حاول تخريب الارض والسموات وتبديلها وذلك في يوم القيمة
سهل عليه كل السهولة ولذلك نزه نفسه عن الشركاء بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون ثم ذكر سائر احوال القيامة واهوالها بقوله ونفخ في الصور
فصعق الظاهر ان نفخ الصور مرتان وبعضهم روى انها ثلث نفخات الاولى للفزع كما جاء في النمل والثانية للموت وهو معنى الصعق والثالثة
للاعادة والاظهر ان الفزع يتقدم الصعق فلا يلزم منه اثبات نفختين وقد مر في النمل تفسير باقي الاية قال جار الله تقدير الكلام ونفخ في الصور نفخة
واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان ومعنى ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر
المبهوت اذا فاجأه خطب او ينتظرون ما يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود تحيرا ثم وصف ارض القيامة بقوله واشرقت
الارض بنور ربها الظاهر ان هذا النور تجليه سبحانه وقد مر شرح هذا النور في تفسير قوله الله نور السموات والارض وفي غيره من المواضع وقال
علماء البيان افتتح الاية بذكر العدل كما اختتم الاية بنفي الظلم ويقال للملك العادل اشرقت الافاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك
وفي ضده اظلمت الدنيا بجوره واهل الظاهر من المفسرين لم يستبعدوا ان يخلق الله في ذلك اليوم للارض نورا مخصوصا وقيل اراد ارض
الجنة ثم ان اهل البيان اكدوا قولهم بانه اتبعه قوله ووضع الكتاب الى اخره وكل ذلك من الامور الدالة على غاية العدل والمراد بالكتاب
اما اللوح المحفوظ يقال بصحف الاعمال او الصحف نفسها ولكنه اكتفى باسم الجنس وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة ويجيب قومهم بما يجيبون
والمراد بالشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار ومن الجوارح والمكان والزمان ايضا وقيل هم الذين قتلوا في سبيل الله
ولعل ليس في تخصيصهم بالذكر فائدة وحين بين انه يحضر في محفل القيامة جميع ما يحتاج اليه في فصل الخصومات ذكر انه يوصل الى النار وختم
السورة بذكر اهل الجنة وهو اعلم بحالهم والكل ظاهر ثم فصل حال اهل الجنة فقال وسيق وهو على عادة اخبار الله تعالى والزمر الافواج المتفرقة
واحدها زمرة وكذلك في صفة اهل الجنة وذلك انه يحشر كل امة مع امامها الى الجنة او النار وبعضهم قبل الحساب وبعضهم بعد الحساب
على اختلاف المراتب والطبقات فلا ريب ان الناس محقين ومبطلين فرق ذاهبون في طرق شتى جماعة جماعة والخزنة جمع خازن
والمراد بكلمة العذاب قوله لاملأن جهنم او علم الله السابق وكان القياس عليكم الا انه عدل الى الظاهر فقيل على الكافرين ليعلم سبب العذاب
سؤال السوق في الكفار له وجه لانهم اهل الطرد والعنف فما وجهه في اهل الجنة الجواب من وجوه قال جار الله المضاف هنا محذوف اي
وسيق مراكب الذين اتقوا لانه لا يذهب بهم الا راكبين كالوافدين على ملوك الدنيا وحثها اسراع لهم الى دار الكرامة والرضوان وقيل
طباق وقيل اكثر اهل الجنة البله فيحتاجون الى السوق لانهم لا يعرفون ما فيه صلاحهم وقيل انهم يقولون لا ندخلها حتى يدخلها احبابنا في
فيتأخرون لهذا السبب فيحتاجون الى ان يساقوا الى الجنة وقال اهل العرفان المتقون قد عبدوا الله لا للجنة فصير
شدة استغراقهم في مشاهدة مطالع الجمال والجلال يلهيهم عن الرغبة في الجنة فلا جرم يفتقرون الى السوق وقال الحكيم
كل حصول قسرية او شرعية في الانسان فانه تجرد من غير اختيار وشاء ام ابى مائنا بهيه حالة فذاك معنى السوق سؤال لم
لم قيل في صفة اهل النار فتحت ابوابها من غير واو وفي صفة اهل الجنة وفتحت بالواو الجواب البحث عن مثل هذه الواو وقد يقال له
واو الثمانية قد مر في قوله التائبون العابدون وفي سورة الكهف الا ان الذي اختص بالمقام هو ان بعضهم قالوا ان ابواب
جهنم مغلقة لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فتقدم فتحها لقوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو
كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها وعلى هذا الجواب حتى اذا محذوف وهو موقعه ما بعد خالدين اي كان ما كان من اصناف
الكرامات والسعادات وقيل حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها ولاهل التأويل ان يقولوا ان ابواب
الجنة وهي اسباب حصول الكمالات مفتوحة بمعنى انها غير ممنوع عنها بل مندوب اليها مرغب فيها وابواب جهنم مغلقة بمعنى ان اسبابها
ممنوع عنها على لسان الشرع والعقل جميعا ومعنى تسليم الخزنة الاكرام والتهنئة بانهم سلموا من احزان الدنيا واهوال القيامة ومعنى طبتم
قيل اخبار عن كونهم طيبين في الدنيا بالافعال الصالحة والاخلاق الفاضلة او طبتم نفسا بما تلقون من الجنة ونعيمها وقيل ان اهل الجنة اذا انتهوا
الى بابها وجدوا عنده عينين تجريان من ساق شجرة فيتطهرون من احداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلن تتغير ابشارهم بعدها ابدا ويشربون
من الاخرى فيذهب ما في بطونهم من اذى وقذى فيقول لهم الخزنة طبتم وقال جار الله اراد طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث
الخطايا ولهذا عقبه بقوله فادخلوها خالدين ليعلم ان الطهارة عن المعاصي هي السبب في دخول الجنة والخلود فيها لانها دار طهرها الله من كل
دنس فلا يدخلها الا من هو موصوف بصفتها رزقنا الله تعالى بعميم فضله وحسن توفيقه نسبة توجب ذلك ثم حكى قول المتقين في الجنة فقال
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده اي الوعد بدخول الجنة واورثنا الارض ارض الجنة عبر عن التمليك بالايراث وتقدم مرارا نتبوأ منها حيث
نشاء لان لكل متق جنة لا توصف سعة فيتبوأ من جنته كما يريد من غير منازع وقال حكماء الاسلام الجنات الجسمانية كذلك واما الروحانية فلا مانع
فيها من المشاركة وان يحصل لغيره ما يحصل لبعض الاشخاص ثم وصف ثواب الملائكة المقربين بلطف بلغ بعضهم فقال وترى ايها الرائي او النبي الملائكة
حافين محدقين وهو نصب على الحال قال الفراء لا واحد له لانه لابد فيه من الجمعية واقول لعله عني من حيث الاستعمال وقيل الحاف بالشيء الملازم
له وقوله من حول العرش من زائدة او ابتدائية اي ابتداء حفوفهم من هناك الى حيث شاء الله او تتصل بالرؤية يسبحون بحمد ربهم تلذذا لا تعبدا
وكان جوانب العرش دار ثواب الملائكة وانها ملاصقة لجوانب الجنة والضمير في قوله وقضي بينهم للعباد كلهم لقرائن ذكر القيامة فان ادخال بعضهم

وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وقيل بين الانبياء واممهم وقيل تكرار لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل
هو حال وقد مقدرة معه اي يسبحون بحمد ربهم وقد قضي بينهم يعني بين الملائكة على ان ثوابهم ليس على سنن واحد ويحتمل عندي ان يعود الضمير
الى البشر والملائكة جميعا والقضاء بينهم هو انزال البشر مقامهم من الجنة او النار وانزال الملائكة حول العرش ثم ختم السورة بقوله وقيل الحمد لله
والقائل المقضي بينهم وهم جميع العباد كقوله واخر دعويهم ان الحمد لله وجميع الملائكة احمدوا الله على انزال كل منهم منزلته صدق الله العظيم

سورة حم المؤمن مكية الا اية قوله ان الذين يجادلون ● حروفها اربعة الاف وتسعمائة
وستون كلمها الف ومائتان غ كلمة ● اياتها خمس وثمانون ● بسم الله الرحمن الرحيم

حم ● تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ● غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ● ما يجادل في ايات الله
الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد ● كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم
فكيف كان عقاب ● وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا انهم اصحاب
النار ● الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين
تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ● ربنا وادخلهم جنات عدن التي
وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم ●
وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم
ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون
قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج
من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي
الكبير ● هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب
فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ● رفيع الدرجات ذو العرش يلقي
الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ● يوم هم بارزون
لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ● اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب ● وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب
لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ● يعلم خائنة الاعين وما تخفي
الصدور ● والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير

اولم يسيروا في الارض فينظروا ● كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد
منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم
كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب ●

القراءات حم وما بعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وقرا ابو جعفر ونافع
بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وذلك طلبا للاقلال فاعتبار مذكور في ص كلمات ربك على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر تشدد ربانا
الفوقانية على ان لتصغير التزوج وقد يؤنث او على خطاب الرسول يعقوب غير رويس البلاقي بالياء في الحالين ابن كثير ويعقوب وافق
وورش وسهل وعباس في الوصل والذين تدعون على الخطاب نافع وهشام غير الرازي وابن مجاهد والنقاش وابن ذكوان اشد منكم
ابن عامر الباقون منهم الوقوف حم ه كوفي العليم ه لا الطول ط الا هو ط المصير ه البلاد ه من بعدهم ص لعطف
الجملتين المتفقتين فاخذتهم قف للابتداء بالتهديد عقاب ه النار م لئلا يوهم ان ما بعده صفة اصحاب النار امتزاج لحق القول المحذوف
الجحيم ه وذرياتهم ط الحكيم ه وقد يوصل للعطف السيئات ط رحمته ط العظيم ه فتكفرون ه سبيل ه كفرتم ج للابتداء
بالشرط مع العطف تؤمنوا ط الكبير ه رزقا ط ينيب ه الكفرون ه ذو العرش ج لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال التلاق
ه لا بارزون ج لاحتمال الاستيناف وتعلقه بالظرف شيء ط اليوم ط فصلا بين السؤال والجواب القهار ه كسبت ط اليوم ط
الحساب ه كاظمين ط يطاع ه الصدور ه بالحق ط بشيء ط البصير ه من قبلهم ط واق ه فاخذهم الله ط العقاب ه
التفسير حم اسم الله الاعظم وقيل حم ما هو كائن اي قدر وروي ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما حم فقال بدء اسماء
وفواتح سور وقد تقدم القول في حواميم في مقدمات الكتاب وفي اول البقرة ومن جملة تلك التقادير ان يقال السورة المسماة بحم تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم وقد مر نظيره في اول الزمر ثم وصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد فقال غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول قالت المعتزلة معناه انه غافر الذنب اذا استحق غفرانه اما بتوبة ان كان كبيرا او طاعة اعظم منه ثوابا ان كان صغيرا وقال الاشعري
انه قد يغفر من الكبائر بدون التوبة لئلا يلزم التكرار بقوله قابل التوب وليفيد المدح المطلوب ويؤيده ادخال الواو بين هذين الوصفين
فقط كانه قيل الجامع بين المغفرة ان كانت بدون توبة وبين القبول ان كانت بتوبة فقد جمع للمذنب بين رحمتين بحسب الحالتين وقيل غافر
الذنب الصغير وقابل التوب عن الكبير او غافر الذنب باسقاط العقاب وقابل التوب بايجاب الثواب ثم ان قبول التوبة واجب على الله
ام لا فيه بحث ايضا للفريقين فالمعتزلة اوجبوه والاشعري يقول انه على سبيل التفضل والالم يتمدح به والظاهر ان التوب مصدر وقيل
جمع توبة اي ما ذنب تاب منه العبد الا قبل توبته وقد ذكر اهل الاعراب ههنا سؤالا وهو ان غافر الذنب وقابل التوب يمكن توجيههما بانهما معرفتان
كما سبق في مالك يوم الدين وهو انهما بمعنى الماضي والاستمرار فيصح وقوعهما صفتين لله الا ان قوله شديد العقاب لا يمكن فيه هذا الوجه لانه
في معنى شديد عقابه فان قلنا انه صفة لزم وقوع النكرة صفة للمعرفة وان قلنا انه بدل لزم نبو ظاهر بعد وم بدل واحد فيما بين صفات كثيرة وجب
على تقديران لا يكون الكل ابدالا بان الالف واللام من شديد محذوف لمناسبة ما قبله مع الامن اللبس ومن جهالة الموصوف او تعمد تنكيره
من بين الصفات للابهام والدلالة على فرط الشدة وجوزوا ان يكون هذه النكتة سببا لجعله بدلا من بين اخواتها هذا وقال صاحب الكشاف
وعندي انه لا مانع من جعل شديد العقاب ايضا للاستمرار والدوام حتى يصير اضافة حقيقية قوله ذي الطول اي ذي الفضل بسبب ترك
وقد مر في قوله ومن لم يستطع منكم طولا وانما اورد هذا الوصف بعد وصفه نفسه بشدة العقاب ليعلم ان جانب الرحمة مبنية على التفضل كما
ان جانب العقوبة مبنية عن الغفران وقبول التوبة وقد يقع عقوبة في الوسط اعاذنا الله منها الا انه لا يبقى مؤمن في النار خالدا ببركة قوله لا اله الا هو
المبدا وبسبب قوله اليه المصير وهو المعاد وفيه ان من امن بالمبدا والمعاد فان اخل في الوسط ببعض التكاليف كان مرجوا ان يغفر الله ذنبه
ويقبل توبته ثم بين احوال من لا يقبل هذه التقريرات ولا يخضع لها فقال ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا والجدال في اياته نسبتها الى الشعر
تارة والى السحر اخرى الى غير ذلك من المطاعن وفضول الكلام فاما البحث عنها لاستنباط حقايقها والوقوف على دقايقها وحل مشكلاتها فمن
من الجهاد في سبيل الله وليكان الفرق بين هذين الجدالين قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر فنكر الجدال ليشمل احد نوعيه فقط
وهو الجدال بالباطل كما يجيء من قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ثم عقب الكلام بقوله فلا يغررك ليعلم ان جدالهم الصادر عن البطر والاشر
والجاه والخدم لا اعتبار به وكذا تقلبهم في البلاد وتجارات والمكاسب فان قريشا كانت اصحاب اموال يتجرون الى الشام واليمن مترفين باموالهم
مستكبرين عن قبول الحق ثم مثل حالهم بحال الامم السالفة الذين تحزبوا على الرسل وكادوا يقتلونهم فاهلكهم الله ودمرهم ونجى الرسل ثم بين بقوله
وكذلك حقت انهم في الاخرة ايضا معذبون وقوله انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم
في الاخرة من اصحاب النار وجوز جار الله ان يكون انهم في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل وقوله الذين كفروا قريش
اي كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان العلة الجامعة وهي انهم اصحاب النار واحدة في الفريقين ومن قرا
كلمات على الجمع اراد بها علم الله السابق او معلوماته التي لا نهاية لها او الايات الواردة في وعيد الكفار وحين بين ان الكفار بالغوا
في اظهار عداوة المؤمنين حكى ان اشرف طبقات المخلوقات وهم حملة العرش والحافون حوله يبالغون في محبتهم ونصرتهم كانه قيل
ان كان هؤلاء الاراذل يعادونهم فلا تبال لهم ولا تعتبرهم وزنا فان الاشراف يحابونهم روى صاحب الكشاف ان حملة العرش ارجلهم
في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن
تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه
من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وهو طائر صغير شبه العصفور وروي ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا
ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير

المسرع ثمانين الف عام وعدد حملة العرش يوم القيامة ثمانية لقوله عز وجل ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اما في غير ذلك الوقت فلا يعلم به الا الله اما الذين حول العرش فتقبل اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر هذه الاثار كلها منقولة من كتاب الكشاف سؤال ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى ان حملة العرش ومن حوله مؤمنون اجاب في الكشاف بان فائدته التنبيه على شرف الايمان والترغيب فيه والاضافة تكذيب المجسمة فان الامر لو كان على زعمهم لكانت الملئكة يشاهدونه فلا يوصفون بالايمان به لانه لا يوصف بالايمان الا الغائب فعلم ان ايمانهم كايمان اهل الارض وكل سواء في ان ايمانهم بطريق النظر والاستدلال واستحسن هذا الكلام الامام فخر الدين الرازي رحمه الله في تفسيره الكبير حتى ترجم عليه وقال لو لم يكن في كتابه الا هذه النكتة لكفى به فخرا وشرفا وانا اقول لا نسلم ان الايمان لا يكون الا بالغائب والا لم يكن الايمان بالنبي وقت تحديه فمن اين يلزم تكذيب المجسمة وقال بعضهم في الجواب اراد انهم يسبحون تسبيح تلفظ لا تسبيح دلالة وزعم الامام فخر الدين رحمه الله ان في الاية دلالة اخرى على ابطال قول المجسمة ان الاله على العرش فانه لو كان كما زعموا وحامل الشيء حامل لكل ما على ذلك الشيء لزم ان يكون الملئكة حاملين لاله العالم حافظين له والحافظ اولى بالالهية من المحفوظ قلت لا شك ان هذه النكتة فان الحمل لاجل العظمة واظهار الكبرياء كيف يلزم منه ذلك وهل يزعم عاقل ان الحمار اشرف من الانسان الراكب عليه من جهة الركوب وانما ذكرت ما ذكرت لكونه واردا على كلام الامامين مع وفور فضلهما وبعد غورهما لا لاني مائل الى ما يزعم الخصم الى غير معتقدها قال جار الله وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وفيه انهم بعد التعظيم لامر الله يقبلون على الشفقة على خلق الله ولا سيما المؤمنين لان الايمان جامع لا اجمع منه بجذب السماوي الى الارضي والروحاني الى العنصري احتج كثير من العلماء بالاية على فضلية الملك قالوا لانها تدل على انه لا معصية للملئكة والا لزم بحكم هذه ان يقدموا انفسهم ان يستغفروا اولا لانفسهم قال تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي قلت لا نزاع بالنسبة اليهم والى غير المعصومين من البشر وانما النزاع بينهم وبين المعصومين فلا دليل في الاية فلا يلزم من طلب الاستغفار لاحد لو سلم ان قوله للذين امنوا عام ان يكون المستغفر له عاصيا على انه قد خص الاستغفار في قوله فاغفر للذين تابوا وهذا فيه بحث وفي قولهم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اعطاء الوجود وعلما وقد مر في الانعام اشارة الى ان الحمد والثناء ينبغي ان يكون مقدما على الدعاء وفي لفظ ربنا خاصية قوية في تقديم الدعاء كما ذكرنا في اخر ال عمران كان الداعي يقول كنت نفيا ولا صرفا وعدما محضا فاخرجتني الى الوجود وربيتني بالجود فاجعل تربيتك لي شفيعا اليك ولا ريب ان ذكر الله اول كل شيء بمنزلة الاكسير الاعظم للنحاس من حيث انه يقوي جوهر الروح ويكسبه اشراقا وصفاء وفي تقديم الرحمة على العلم فائدة هي ان مطلوب الملئكة في هذا المقام هو ان يرحم المؤمنين فكانهم قالوا ارحم من علمت منه التوبة واتباع الدين قالت العلماء الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون طلب مزيد الكرامة والثواب فهو بمنزلة الشفاعة واذا ثبت ان شفاعة الملئكة لاهل الطاعة فكذلك شفاعة الانبياء بالضرورة انه لا قائل بالفرق وقال علماء السنة ان مراد الملئكة فاغفر للذين تابوا عن الكفر واتبعوا سبيل الايمان وهذا لا ينافي كون المستغفر لهم مذنبين ومما يؤكده قلنا ان الاستغفار طلب المغفرة لا يذكر الا في اسقاط العذاب اما طلب النفع الزائد فانه لا يسمى استغفارا قال اهل التحقيق هذا الاستغفار من الملئكة يجري مجرى الاعتذار من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وقوله وقهم عذاب الجحيم تصريح بالمطلوب بعد الرمز اليه دلالة المغفرة على الوقاية من العذاب كالضمنية وحين طلبوا لاجلهم اسقاط العذاب ضمنا وصريحا طلبوا ايصال الثواب اليهم بقوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم قال علماء السنة كل اهل الايمان موعودون بالجنة وان كانوا من اهل الكبائر غاية ذلك انهم يعذبون بالنار مدة ان لم يكن عفو او شفاعة ثم يخرجون الى الجنة قال الفراء والزجاج قوله ومن صلح يجوز ان يكون معطوفا على الضمير في وادخلهم فيكون دعاء من الملئكة بادخال هذه الاصناف الجنة تكميلا لانس الاولين وتتميما لابتهاجهم واشفاقا على هؤلاء ايضا ويجوز ان يكون عطفا على الضمير في وعدتهم لانه تعالى قال في سورة الرعد اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم وعلى هذا لا يشمل دعاء الملئكة هؤلاء الاصناف اللهم الا ضمنا قال اهل السنة المراد بمن صلح اهل الايمان منهم وان كانوا ذوي كبائر ثم ختم الاية بقوله انك انت العزيز الحكيم لانه ان لم يكن غالبا على الكل لم يصح منه وقوع المطلوب كما يراد وان لم يكن حكيما امكن منه وضع الشيء في غير موضعه ثم قالوا وقهم السيئات فقيل يعني العقوبات او عذاب السيئات على حذف المضاف واعترض بانهم قالوا مرة وقهم عذاب الجحيم فيلزم التكرار واجيب بان الاول دعاء للاصول وهذا للفروع وهم الاصناف الثلثة او الاول مخصوص بعذاب النار وهذا شامل لعذاب الموقف وعذاب الحساب وعذاب السؤال او المراد بالسيئات العقايد الفاسدة والاعمال الضارة وعلى هذا يكون يومئذ في قوله ومن تق السيئات يومئذ اشارة الى الدنيا وقوله فقد رحمته يجوز ان يكون في الدنيا وفي الاخرة قال في الكشاف السيئات هي الصغائر او الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة ثم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكفرة المجادلين في اياته وانهم سيعترفون يوم القيمة بما كانوا ينكرونه في الدنيا من البعث وذلك اذا عاينوا النشاة الثانية وتذكروا النشاة الاولى فقال ان الذين كفروا ينادون اي يوم القيمة وفي الاية حذف وفيها تقديم وتاخير اما الحذف فالتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة واما التقديم والتاخير فهو ان قوله اذ تدعون منصوب بالمقت الاول وفي المقت وجوه الاول كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء عليهم السلام يدعونكم الى الايمان فتابوا وذلك اشد من مقتكم انفسكم اليوم في النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواها وفيه توبيخ ولا ريب ان سخط الله وبغضه الشديد بالنسبة الى سخط غيره ولهذا اوردهم النار الثاني عن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اياهم اكبر من مقتهم انفسهم وهو قريب من الاول الثالث قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم في النار بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولوموا انفسكم ففي هذه الحالة مقتوا انفسهم فقيل المعنى لمقت الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض ومن لعنه اياه واما قول الكفرة في الجواب ربنا امتنا اثنتين الى اماتتين اثنتين واحييتنا احياءتين اثنتين فللعلماء في تعيين كل من الاثنين خلاف اما في الكشاف فذهب الى ان الاماتتين احداهما خلقهم اولا امواتا نطفة ثم علقة الى اخره كما في الاية الاخرى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا ونسب هذا القول الى ابن عباس ووجهه بانه كقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر او بالعكس وانما اردت الانشاء على هذه الصفة والسبب في صحته

ان

ان كلا التغيين جائز على المصنوع الواحد وللصانع ان يختار احدهما قلت ومما يؤيد قوله انه بدا بالاماتة والا كان الاظهر ان يبدا بالاحياء قال والاماتة الثانية هي التي في الدنيا والاحياء الاولى هي التي في الدنيا والثانية هي التي بعد البعث واورد على هذا القول انه يلزم ان لا يكون الاحياء في القبر والاماتة فيه مذكورتين في القران بل يكونان منفيتين مع ورودهما في الحديث اجاب بعضهم بان حيوة القبر ممنوعة لانه تعالى لم يذكرها والاحاديث الواردة فيها احاد ولان الذي افترسته السباع لو اعيد حيا لزم نقصان شيء من السبع وليس بمحسوس ولان الذي مات لو تركناه ظاهرا بحيث يراه كل احد لم يحس منه حيوة وتجويز ذلك مع عدم رؤيته سفسطة وفتح لباب الجهالات وزيف هذا الجواب اهل الاعتبار بان عدم ذكر الشيء لا يدل على عدمه والاحاديث في ذلك الباب صحيحة متقبولة واذا كان الانسان جوهرا نورانيا مستترا مدبرا للبدن في كل طور على حد معلوم كما ورد في الشريعة الحقة زالت سائر الاشكالات ولا يلزم قياس ما بعد الموت على ما قبله وللشرع في اخفاء هذه الامور عن نظر المكلفين حكم ظاهرة حققناها كلك مرات وقال بعضهم في الجواب هذا كلام الكفار فلا يكون حجة وضعف بانه لو لم يكن صادقا لانكر الله عليهم وقيل ان مقصودهم تعديد اوقات البلاء والمحنة وهي اربعة الموتة الاولى والحيوة في القبر والموتة الثانية والحيوة في القيامة فاما الحيوة في الدنيا فانها وقت تنعمهم وتمتعهم فلهذا السبب لم يذكروها وقيل اهملوا ذكر حيوة القبر لقصر مدتها او لانهم لم يموتوا بعد ذلك بل يبقون احياء في الشقاوة حتى اتصل بها حيوة القيامة وكانوا من جملة المستثنين في قوله فصعق من في السموات ومن في الارض الا ما شاء الله ولا يخفى ان اكثر هذه الاقوال متكلفة ولا سيما الاخير فان قوله الذين كفروا عام ولو فرض انه مخصوص بكفار معهودين فتخصيصهم بالحيوة في القبر حتى يكونوا من المستثنين مستبعد جدا وقد يدور في الخلد ان هذا النداء يحتمل ان يكون في القبر وعلى هذا لا يبقى اشكال لان الاماتة والاحياء التي بعد ذلك يخرج من غير تكلف وقت سؤال القبر كما جاء في الحديث والله تعالى اعلم بمراده وقولهم فهل الى خروج من سبيل اي الى نوع من الخروج والرد من القبر الى الدنيا خروج سريع او بطيء من سبيل فطام الياس الكلي واقع وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط وكان الجواب الصريح ان يقال لا الا انه سبحانه رمز الى عدم الخروج بقوله ذلكم اي ذلكم الياس وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم في وقت التمكن من التوحيد او ان التكليف فالحكم لله العلي الكبير حين حكم عليكم بالعذاب السرمد وكانا سبب عظمته وكبريائه قيل ان تحكم الحرورية وهو قولهم لا حكم الا لله ماخوذ من هذه الاية ثم اراد ان يذكر طرفا من دلائل وحدانيته وكماله فقال هو الذي يريكم اياته من الرياح والسحاب والرعد والبرق وينزل لكم من السماء ما هو سبب الرزق وما يتذكر الا من ينيب اي ما يعتبر الا الذي تاب الى الله واعرض عن الشرك لينفتح عليه ابواب الانوار والمكاشفات ثم قال للمنيبين فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال جار الله قوله رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلثة اخبار لقوله هو مترتبة على الاول وهو قوله الذي يريكم او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا اوسطها معرفة ثم ان الرفيع اما ان يكون بمعنى الرافع او بمعنى المرتفع وعلى الاول فاما ان يراد رافع درجات الخلق في العلم والاخلاق الفاضلة كما قال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وكذا في الرزق والاجل بل جعل للملئكة مقامات معينة وللاجرام البسيطة العلوية والسفلية درجات معينة كما تشهد به علم الهيئة وقد استقصينا ذلك في اثناء هذا الكتاب او يراد رافع درجات الانبياء والاولياء في الجنة واما على الثاني فلا ريب انه سبحانه اشرف الموجودات واجهارتبة من جهة استغنائه في وجوده وفي جميع صفات وجوده عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه اليه في الوجود وفي توابع الوجود واعلم ان كمال كبرياء الله لا يصل اليه عقول البشر فالطريق في تعريفه ان يخرج المعقول من المحسوس فلهذا عقب الله تعالى هذه الصفة بصفتين اخريين وذلك ان ما سوى الله اما جسمانيات واما روحانيات اما الجسمانيات فاعظمها العرش فاشار بقوله ذو العرش الى استيلائه على كلية عالم الاجسام واما الروحانيات فاشار الى كونها تحت تسخيره بقوله يلقي الروح اي الوحي من امره اي من عالم امره على من يشاء من عباده وقد مر نظير الاية في اول سورة النحل وقيل من امره حال ثم بين الغرض من الالقاء بقوله لينذر يوم التلاق ووجه التسمية ظاهر لتلاقي الارواح والاجساد فيه او لتلاقي اهل السماء والارض كما قال عز من قائل ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا ولان كل احد يتلاقى جزاء عمله وقال ميمون بن مهران يوم يلتقي فيه الظالم والمظلوم فربما ظلم رجل رجلا وانفصل عنه ولم يمكن التلاقي او استضعف المظلوم ففي يوم القيامة لابد ان يتلاقيا وقوله يوم هم بارزون بدل من الاول ومعنى البروز مامر في اخر سورة ابرهيم صلوات الرحمن عليه في قوله وبرزوا لله الواحد القهار وقوله لا يخفى على الله منهم شيء تاكيد لذلك وهذا وان كان عاما في جميع الاحوال وشاملا للدنيا والاخرة الا انه خصص بالاخرة لانهم في الدنيا كانوا يظنون ان بعض الاعمال يخفى على الله عند الاستتار بالحجب كما قال الله ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون فهو نظير قوله مالك يوم الدين ثم اكد تفرده في ذلك اليوم بالحكم والقضاء بقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولا ريب ان الكلام مشتمل على سؤال وجواب وليس في لفظ الاية ما يدل على تعيين السائل ولا المجيب فقال جم من المفسرين ومن ارباب القلوب اذا هلك كل من في السموات ومن في الارض يقول الرب تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد وهو سبحانه يجيب عن نفسه فيقول لله الواحد القهار واما الذين اقتصروا على المعقول من اهل الاصول فقد انكروا هذا القول انكارا شديدا لانه تعالى بين ان هذا النداء في يوم التلاقي والبروز يوم تجزى كل نفس بما كسبت وكل هذا ينافي كون الخلق هالكين وفنيا ولان التكلم من غير سامع ولا مجيب عبث الا ان يكون هناك ملئكة يسمعون ذلك النداء لكن المفروض فناء كل المخلوقين واما ان يكون حكاية لما يسال عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به وذلك ان ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار يقوله المؤمن تلذذا والكافر هوانا وتحسرا على ان فاتهم هذه المعرفة في الدنيا فان الملك كان له من الازل الى الابد وفائدة تخصيص هذا النداء بيوم القيامة كما عرفت في مالك يوم الدين يحكى ان نصر بن احمد لما دخل نيسابور وضع التاج على راسه ودخل عليه الناس فخطر بباله شيء فقال هل فيكم من يقرا اية فقرا رجل واسمه رفيع الدرجات ذو العرش فلما بلغ قوله لمن الملك اليوم نزل الامير عن سريره ورفع التاج عن راسه وسجد لله تعالى وقال لك الملك لا لي فلما توفي الرواس راى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال لي انك عظمت ملكي في عين عبدي فلان يوم قرات تلك الاية فغفرت لك وله ومما يدل على تفرده سبحانه قوله لله الواحد القهار فان كل واحد من الاسماء الثلثة ينبي عن غاية الجلال والعظمة كما مر مرارا وباقي الاية ايضا مما سلف تفسيره مرات ثم وصف يوم القيمة بانواع اخر من الصفات الهائلة فقال وانذرهم يوم الازفة وهي فاعلة من ازف الامر ازوفا اذا دنا ولا ريب ان القيمة قريبة وان استبعد الناس مداها لان كل ما هو كائن

فهو قريب قال جار الله يجوز ان يريد بيوم الازفة وقت الخطة الازفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها
فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا وقال ابو مسلم يوم الازفة يوم المنية وحضور الاجل لانه تعالى ذكر القيامة
في قوله يوم التلاق يوم هم بارزون فناسب ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم ولان وصف يوم الموت بنحو هذه الصفة في مواضع آخر قال
فلولا اذا بلغت الحلقوم كلا اذا بلغت التراقي ولاريب ان الرجل عند معاينة امارات الموت يعظم خوفه فلو جعلنا كون القلوب لدى
الحناجر كناية عن شدة الخوف جاز ولو حملناه على ظاهره فلا باس وقوله كاظمين اي مكروبين والكاظم الساكت على امتلائه غما وغيظا
قال عز من قائل والكاظمين الغيظ وانتصابه على انه حال عن اصحاب القلوب كانه قيل اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها او
عن القلوب وجمع جمع السلامة بناء على ان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او عن ضمير المفعول في انذرهم
اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم فيكون حالا مقدرة وفي قوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع بحث بين الاشاعرة والمعتزلة
حين حمله الاولون على اهل الشرك والاخرون على معنى اعم حتى يشمل اصحاب الكبائر وقد مر مرارا ولا سيما في قوله وما للظالمين
من انصار ومعنى قوله يطاع يجاب اي لا شفاعة ولا اجابة كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر وذلك انه لا يشفع احد في ذلك اليوم
الا باذن الله فان اذن له اجيب والا فلا يوجد شيء من الامرين والفائدة في ذكر هذه الصفة ان يعلم ان الغرض من الشفيع منتف
في حقهم وان فرض شفيع على ما يزعم اهل الشرك من ان الاصنام يشفعون ثم قوله يعلم خائنة الاعين خبر آخر لقوله هو الذي يريكم
الا انه فصل بالتعليل وهو قوله لينذر وذكر وصف القيمة استطرادا قال جار الله هي صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة
كالعافية والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب قال ولا يحسن ان يكون الخائنة صفة للاعين مضافة اليها نحو
جرد قطيفة اي يعلم العين الخائنة لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه قلت يعني ان عطف العرض على الجوهر والمعنى
على العين غير مناسب وقيل هي قول الانسان رايت ولم ير وما رايت وراى ومن ثمرات الصدور اي القلوب لانها
فيها قيل هي ما يستره الانسان من امانة وخيانة وقيل الوسوسة وقال ابن عباس ما تخفي الصدور بعد النظر اليها ازني
بها ام لا اقول والحاصل انه تعالى اراد ان يصف نفسه بكمال العلم فان المجازاة تتوقف على ذلك ففي قوله يعلم خائنة الاعين
اشارة الى انه عالم بجميع افعال الجوارح وفي قوله وما تخفي الصدور الى انه عالم بجميع افعال القلوب واذا علمت هذه الصفة وقد عرفت من الاوصاف السابقة كمال قدرته واستغنائه
لم يبق شك في حقية قضاياه فلذلك قال والله يقضي بالحق ثم وبخهم على عبادة من لا قضاء له ولا سمع ولا بصر بقوله
والذين يدعون الى اخره ثم وعظهم بالنظر في احوال الامم السالفة وقد مر نظير الاية في مواضع وانما قال كانوا هم في هذه السورة
وذلك بانهم كانت وفي التغابن ذلك بانه كانت موافقة لضمير الفصل في قوله كانوا هم اشد التاويل الحا والميم
حرفان من وسط اسم الرحمن ومن وسط اسم محمد ففي ذلك اشارة الى سر بينه وبين حبيبه صلى الله عليه وسلم لا يسعه
فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل غافر الذنب للظالم وقابل التوب للمقتصد شديد العقاب للكافر ذي الطول للسابق
وهم عذاب الجحيم اي عن موجباتها كالريا واتباع الاهواء لمقت الله اياكم حين حكم عليكم بالبعد والحرمان اكبر من
مقتكم انفسكم لو كنتم تمقتونها في الدنيا فانها اعدى عدوكم ومقتها منعها من هواها ولا ريب ان عذاب البعد الابدي
اشد من رياضة ايام معدودة قلائل ذو العرش عرش القلوب استوى عليها بجميع الصفات وهم العلماء بالله
المستغرقون في بحر معرفته ۝ ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين ۝ الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب ۝ فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين
امنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال ۝ وقال فرعون ذروني اقتل
موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد ۝ وقال موسى
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ۝ وقال رجل مؤمن من آل فرعون
يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا
فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب ۝ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله
ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد ۝ وقال الذي
امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ۝ مثل داب قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ۝ ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد

يوم

يوم تولون مدبرين ۝ ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ۝ ولقد
جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم
لن يبعث الله من بعده رسولا ۝ كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ۝
الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين
امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ۝ وقال فرعون يا هامان ابن لي
صرحا لعلي ابلغ الاسباب ۝ اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني
لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون
الا في تباب ۝ وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ۝ يا قوم
انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار ۝ من عمل سيئة
فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب ۝ ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجوة وتدعونني
الى النار ۝ تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز
الغفار ۝ لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان
مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار ۝ فستذكرون ما اقول لكم و
افوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ۝ فوقيه الله سيئات ما مكروا و
حاق بال فرعون سوء العذاب ۝ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم
تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب ۝ واذ يتحاجون في النار
فيقول الضعفؤا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا
من النار ۝ قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد ۝
وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ۝
قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال

القراءة ذروني بفتح اليا ابن كثير اني اخاف بفتح اليا ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو او ان بصيغة الترديد عاصم و
حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب الباقون بواو العطف يظهر بضم اليا وكسر الها من الاظهار الفساد بالنصب ابو جعفر و
نافع وابو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل وحفص الاخرون بفتحهما ورفع الفساد عذت مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف ويزيد
واسمعيل وهشام التنادي باليا في الحالين ابن كثير ويعقوب وافق يزيد وورش وسهل وعباس في الوصل قلب متكبر بالتنوين فيهما علي
الوصف وابو عمرو وقتيبة وابن ذكوان الباقون على الاضافة لعلي ابلغ بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر فاطلع بالنصب
حفص اتبعون باليا في الحالين سهل وابن كثير ويعقوب وافق ابو عمرو ويزيد والاصفهاني عن ورش واسمعيل وابو نشيط عن قالون
في الوصل ما لي بفتح اليا وابو عمرو وابو جعفر ونافع امري الى الله بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابو عمرو نقوم بتاء التانيث الرازي عن ابن هشام

او خلوا من الاولى قال ابو جعفر ونافع ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وحفص وعلي هذه القراءة الخطاب للزبانية وانتصب آل واشد على انهما مفعول بهما وعلى القراءة الاخرى هو لآل فرعون وانتصب آل على النداء واشد على انه مفعول به الوقوف مبين ه كذاب ه ناهم ط ضلال ه ربه ج لاحتمال اللام مؤمن وقد قيل بناء على ان الجار متعلق بالفعل بعده والوصل اصح لانه كان من القبط ولو فرض انه لم يكن فيهم فالجملة وصف له من ربكم ط لانتهاء الاستفهام الى الابتداء بالشرط كذبه ج للعطف والشرط يعدكم ط كذاب ه في الارض ز لابتداء الاستفهام والوجه الوصل لان المقصود الوعظ به جاءنا ط الرشاد ه الاحزاب ه لا لان ما بعده بدل يعدهم ط للعباد ه التناد ه لا لاجل البدل مدبرين ج لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا من عاصم ج لاحتمال كون ما بعده ابتداء اخبار من الله سبحانه او كونه من كلام المؤمن من هاد ه جاءكم به ط رسولا ط مرتاب ه ج لاحتمال البدل فان من في معنى الجمع او الاستئناف اي هم الذين او اعني الذين اتاهم ط امنوا ط جبار ه الاسباب ه لا كاذبا ط السبيل ط تباب ه الرشاد ه ج لان النداء يبتدأ به مع انه تكرار الاول متاع ز للفصل بين تنافي الدارين مع اتفاق الجملتين القرار ه مثلها ج لعطف جملتي الشرط حساب ه لضعف الجزاء ولضعف السبع الناد ه من النار ه لانتهاء الاستفهام الى الاخبار ولا استفهام ابتداء استفهام آخر الغفار ه النار ه لكم ط الى الله ط بالعباد ه العذاب ه ج لاحتمال البدل والابتداء وعشيا ج لاحتمال ما بعده للعطف والاستئناف الساعة لحق القول المحذوف اي يقال لهم او للزبانية العذاب ه من النار ه العباد ه من العذاب ه بالبينات ط بلى ط فادعوا ج لاحتمال ان ما بعده من قول الخزنة او ابتداء اخبار من الله تعالى ضلال ه

التفسير لما وبخ الكفار بعدم السير في الارض للنظر والاعتبار او بعدم النظر في احوال الماضين مع السير في الاقطار وقد وصف الماضين بكثرة العدد والعدد والآثار الباقية اراد ان يشرح لقصة واحدة من قصصهم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وزيادة توبيخ وتذكير لهم وكان في قصة موسى وفرعون من العجائب ما فيها فلا جرم اوردها ههنا مع فوائد زائدة على ما في المواضع الاخر منها ذكر مؤمن آل فرعون وما وعظ به قومه ولان القصة قد تكررت مرارا فلنقتصر في التفسير على ما يختص بالمقام قوله بالحق اي بالمعجزات الظاهرة وقوله اقتلوا يريد به اعادة القتل كما مر في الاعراف في قوله سنقتل ابناءهم قوله الا في ضلال اي في ضياع واضمحلال فان كان اللام في الكافرين للجنس فظاهر لان وبال كيدهم يعود بالآخرة عليهم حين يهلكون ويدخلون النار وان كان للعهد وهم فرعون وقومه فظاهر كما قص عليكم من حديث اغراقهم واستيلاء موسى وقومه على ديارهم قوله ذروني اقتل موسى ظاهره مشعر بان قومه كانوا يمنعونه من قتله وفيه احتمالات الاول لعله كان فيهم من يعتقد نبوة موسى فيأتي بوجوه الحيل في منع فرعون الثاني قال الحسن ان اصحابه قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكنه ان يغلب سحرتك وان قتلته ادخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محقا عجزوا عن جوابه فقتله الثالث لعل مراد امرائه ان يكون فرعون مشغول القلب بامر موسى حتى انهم يكونون في امن وسعة قال جار الله ان فرعون كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقصد قتل من احس بانه في وجوده هدم ملكه ويغير ما هو عليه من عبادة اصنامه كما قال اني اخاف ان يبدل الآية ولكنه كان قد استيقن انه نبي وكان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك قال وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه من دعوة ربه وقال غيره هو على سبيل الاستهزاء يعني اني اقتله فليقل لربه الذي يدعوه حتى يخلصه ومعنى تبديل الدين تغيير عبادة الاصنام كما مر في الاعراف في قوله ويذرك والهتك والفساد التهارج والتنازع واختلاف الآراء والاهواء اراد انه يحدث لاجل ذلك من بقاية فساد الدين والدنيا جميعا او احد الامرين على القراءتين ثم حكى ما ذكره موسى في دفع شر فرعون وهو العوذ بالله وفي تصدير الجملة بان دلالة على ان الطريق المعتبر في دفع الآفات الاستعانة والاستعاذة برب الارض والسموات وفي قوله ربي اشارة الى ان الذي رباني والى درجات الخير رقاني سيعصمني من شر هذا المارد الجاني وفي قوله وربكم احتراز عن ان يظن ظان انه يريد به فرعون لانه رباه في صغره الم نربك فينا وليدا وفيه بعث لقوم موسى على ان يقتدوا به في الاستعاذة فان اجتماع النفوس له تاثير قوي وفي قوله من كل متكبر اي متكبر عن قبول الحق على سبيل العموم فائدتان احداهما شمول الدعاء فيدخل فرعون فيه بالتبعية والثانية ان فرعون رباه في الصغر فلعله راعى حسن الادب في عدم تعيينه وانما وصف المتكبر بقوله لا يؤمن بيوم الحساب لان الموجب لايذاء الناس امران احدهما قسوة الطبع والثاني عدم اعتقاده بالجزاء والحساب ولا ريب انه اذا اجتمع الامران كان الخطب اقطع لاجتماع المقتضي وارتفاع المانع ثم شرع في قصة مؤمن آل فرعون والاصح انه كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا واسمه سمعان او حبيب او خربيل وقيل كان اسرائيليا وزيف بان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا لقوله اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه فما الوجه في تخصيصه ولقائل ان يقول الوجه تخصيصه بالوعظ والنصيحة الا ان قوله فمن ينصرنا من بأس الله وقوله يا قوم يا قوم على رأس كل نصيحة يغلب على الظن انه ينصح لقومه ومعنى ان يقول لاجل قوله او وقت ان يقول كانه قال منكرا عليهم اترتكبون الفعلة الشنعاء قتل نفس محرمة اي نفس كانت لاجل كلمة حقة هي قوله ربي الله والدليل على حقيتها اظهار الخوارق والمعجزات وفي قوله من ربكم استدراج لهم الى الاعتراف بالله ثم احتج عليهم بالتقسيم العقلي انه لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا وعلى الاول يعود وبال كذبه عليه وعلى الثاني اصابكم ما يتوعدكم به من العقاب واعترض على الشق الاول بان الكاذب يجب دفع شره باماتته الى الحق او بقتله ولهذا اجمع العلماء على ان الزنديق الذي يدعو الناس الى دينه يجب قتله وعلى الشق الثاني بانه اوعدهم باشياء والنبي صادق في مقالته لا محالة فلم قال يصبكم بعض الذي يعدكم ولم يقل كل الذي والجواب عن الاول انه ردد بين الامرين بناء على ان امره مشكوك فيما بينهم والزمان زمان الفترة والحيرة كأن هذا من زماننا الذي وضح الحق فيه وضوح الفجر الصادق بل ظهور الشمس في ضحوة النهار وعن الثاني انه من الكلام المنصف كانه قال ان لم يصبكم كل ما اوعد فلا اقل من ان يصيبكم بعضه او اراد عذاب الدنيا وكان موسى اوعدهم عذاب الدنيا والآخرة جميعا وعن ابي عبيدة ان البعض ههنا بمعنى الكل وانشد قول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها وخطأه جار الله وكثير من اهل العربية وقالوا انه اراد ببعض النفوس نفسه فقط ثم اكد حقية امر موسى بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب وقد هداه الله الى المعجزات الباهرة فهو اذن ليس بمتجاوز عن حد الاعتدال ولا بكذاب وقيل انه كلام مستانف من الله عز وجل وفيه تعريض بان فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعاء الالهية فلا يهديه الله الى شيء من خيرات الدارين ويزيل ملكه ويدفع شره وقد يلوح من هذه النصيحة وما يتلوها المواعظ

ان مومن

ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه الى ان قصدوا قتل موسى وعند ذلك اظهر الايمان وترك التقية مجاهدا في سبيل الله بلسانه ثم ذكرهم نعم الله عليهم وخوفهم زوالها بقوله يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي غالبين على ارض مصر ومن فيها من بني اسرائيل والقبط فمن ينصرنا من بأس الله من يخلصنا من عذابه ان جاءنا وذلك بشؤم تكذيب نبيه قال فرعون ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم برأي الا بما ارى من قتله وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد وصلاح الدين والدنيا او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر خلاف ما اظهر قال جار الله وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد وحكى ابو الليث ان الرشاد اسم من اصنامه قوله مثل دأب قال جار الله صاحب الكشاف لابد من حذف مضاف اي مثل جزاء دأبهم وهو عادتهم المستمرة في الكفر والتكذيب ثم قال انه عطف بيان للاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول المضافات قلت لا بأس من جعله بدلا كما مر قوله وما الله يريد ظلما للعباد ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد لان نفي الارادة آكد من نفي الفعل ولتنكير الظلم في سياق النفي وفيه ان تدميرهم كان عدلا وقسطا وقيل معناه انه لا يريد لهم ان يظلموا فدمرهم لكونهم ظالمين وحين خوفهم عذاب العاجل خوفهم عذاب الآخرة ايضا فقال ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد واما اليوم فيمكن انتصابه على الظرفية كانه اخبر عن خوفه في ذلك اليوم لما يلحقهم من العذاب والاظهر ان يكون مفعولا به اي احذركم عذاب ذلك اليوم وفي تسميته يوم القيامة يوم التناد وجوه منها ان اهل الجنة ينادون اهل النار وبالعكس كما في سورة الاعراف ومنها انه من قوله يوم ندعو كل اناس بامامهم ومنها ان بعض الظالمين ينادي بعضا بالويل والثبور قائلين يا ويلنا ومنها انهم ينادون الى المحشر ومنها انه ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر يا ليتني لم اوت كتابيه ومنها انه يجاء بالموت على صورة كبش املح ثم يذبح وينادى في اهل القيامة لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا على فرح واهل النار حزنا على حزن وقال ابو علي الفارسي التناد مخفف من التنادّ مشددا واصله من ند اذا هرب نظيره يوم يفر المرء من اخيه وامه الآية ويؤيده قراءة ابن عباس مشددا وتفسيره بانهم يندون كما تند الابل وقوله بعد ذلك يوم تولون مدبرين لانهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربين فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه وقال قتادة معنى تولون مدبرين انصرافهم عن موقف الحساب الى النار ثم اكد التهديد بقوله ما لكم من الآية ثم ذكر مثالا لمن لا يهديه بعد اضلاله وهو قوله ولقد جاءكم يوسف وفيه اقوال ائمة احدها انه يوسف بن يعقوب وفرعون موسى هو فرعون يوسف والبينات اشارة الى ما روي انه مات لفرعون فرس قيمته الوف فدعا يوسف فاحياه الله وايضا كسفت الشمس فدعا فكشفها الله ومعجزاته في باب تعبير الرؤيا مشهورة فآمن به فرعون ثم عاد الى الكفر بعد ما مات يوسف والثاني هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم عشرين سنة قاله ابن عباس وقال النقاش في تفسيره ان الله بعث اليهم رسولا من الجن اسمه يوسف وارده اقتضى القضاة ايضا وفيه بعد قال المفسرون في قوله لن يبعث الله من بعده رسولا ليس اشارة الى انهم صدقوا يوسف لقوله فما زلتم في شك واما الغرض بيان ان تكذيبهم لموسى مضموم الى تكذيب يوسف ولهذا ختم الآية بقوله كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب قلت هذا انما يصح اذا لم يكن فرعون يوسف قد آمن به لكنه مروي كما قلنا اللهم الا ان يقال لولا شك في امره لما كفر بعد موته قال جار الله فاعل كبر ضمير عائد الى من هو مسرف لانه موحد اللفظ وان كان مجموع المعنى وجوز ان يكون الذين يجادلون مبتدأ على تقدير حذف المضاف اي جدال الذين يجادلون كبر وجوز آخرون ان يكون التقدير الذين يجادلون كبر على جدالهم على حذف الفاعل للقرينة وفي قوله وعند الذين آمنوا اشارة الى ان شهادة المؤمنين عند الله بمكان حتى قرنها الى شهادة نفسه والمقصود التعجب والاستعظام لجدالهم وخروجه عن حد اشكاله من الكبائر ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما او باعتبار صاحبه ومن قرأ بالاضافة فظاهر الا انه قيل فيه قلب والاصل على قلب كل متكبر كما يقال فلان يصوم كل يوم جمعة اي يوم كل جمعة قال ابن عباس ثم اخبر الله سبحانه عن بناء فرعون ليطلع على السماء وقد تقدم ذكره في سورة القصص قال اهل اللغة الصرح مشتق من التصريح الاظهار واسباب السموات طرقها كما مر في اول ص في قوله فليرتقوا في الاسباب وفائدة بناء الكلام على الابدال هي فائدة الاجمال ثم التفصيل والابهام ثم التوضيح من تشويق السامع وغيره ومن قرأ فاطلع بالرفع فعلى العطف اي لعلي ابلغ فاطلع ومن قرأ بالنصب فعلى تشبيه الترجي بالتمني والتباب الخسران والهلاك كما مر في قوله وما زادوهم غير تتبيب استدل كثير من المشبهة بالآية على ان الله في السماء قالوا ان بديهة فرعون قد شهدت بانه في ذلك العلو او انه سمع من موسى انه يصف الله من ذلك والا لما رام بناء الصرح والجواب ان بديهة فرعون لا حجة فيها وسماعه من موسى ممنوع وقد يطعن بعض اليهود بل كلهم في الآية بان تواريخ بني اسرائيل تدل على ان هامان لم يكن موجودا في زمان موسى وفرعون وانما ولد بعدهما بزمان طويل ولو كان مثل هذا الشخص موجودا في عصرهما لتوفر الدواعي على نقله والجواب ان الطعن بتاريخ اليهود المنقطع الوسط لكثرة زمان الفترة اولى من الطعن في القرآن المعجز المتواتر اولا ووسطا وآخرا ثم عاد سبحانه الى حكاية قول المؤمن وانه اجمل النصيحة اولا بقوله اتبعون اهدكم ثم استأنف مفصلا قائلا يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع يتمتع به اياما قلائل ثم يترك عند الموت ان لم يزل نعيمها قبل ذلك وان الآخرة هي دار القرار المنزل الذي تستقر فيه ثم بين انه كيف يحصل المجازاة في الآخرة وفيه اشارة الى ان جانب الرحمة ارجح ومعنى الرزق بغير حساب انه لا نهاية لذلك الثواب او انه يعطي بعد الجزاء شيئا زائدا على سبيل التفضل غير مندرج تحت الحساب ثم صرح بانهم يدعونه الى النار وهو يدعوهم الى الخلاص منها وفسر هذه الجملة بقوله تدعونني لاكفر بالله الآية ليعلم ان الشرك بالله اعظم موجبات النار والتوحيد ضده وفي قوله ما لي ادعوكم من غير ان تقول ما لكم مع ان الانكار يتوجه في الحقيقة الى دعائهم لا الى المجموع ولا الى دعائه سلوك لطريق الانصاف ووجه تخصيص العزيز الغفار بالمقام انه غالب على من اشرك به غفور لمن تاب عن كفره قوله لا جرم لا رد لكلامهم وجرم بمعنى كسب او وجب او لا بد وقد سبق في هود والنحل ومعنى ليس له دعوة انه لا يقدر في الدنيا على ان يدعو الناس الى نفسه لانه جماد ولا في الآخرة لانه اذا انطقه الله فيها تبرأ من عابديه ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي ليس له دعوة كقوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء عن قتادة المسرفين هم المشركون مجاهد السفاكون الدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم وقيل جاوزوا في المعصية حد الاعتدال كما بالدوام والاصرار وكيفا بالشناعة وخلع العذار فستذكرون اي في الدنيا عند حلول العذاب او في الآخرة عند دخول النار وافوض امري الى الله قاله لانهم توعدوه وقوله فوقاه الله دليل واضح على انه اظهر الايمان وقت هذه النصائح قال

مقاتل لما تم هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه قوله وحاق بال فرعون معناه انه رجع وبال
مكرهم عليهم فاغرقوا ثم ادخلوا نارا ولا يلزم منه ان يكونوا قد هموا بايصال مثل هذا السوء اليه ولئن سلم ان الحيق يلزم فيه المماثلة فلعل فرعون
قد هم باغراقه او باحراقه كما فعل نمرود قوله يعرضون عليها اي يحرقون بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقوله
غدوا وعشيا اما للدوام كما في صفة اهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا واما لانه اكتفى في القبر بايصال العذاب اليهم في هذين
الوقتين وفي سائر الاوقات اما ان يبقى اثر ذلك والمه عليهم واما ان يكون فترة واما ان يعذبوا بنوع اخر من العذاب الله اعلم
بحالهم وفي الاية دلالة ظاهرة على اثبات عذاب القبر لان تعذيب يوم القيمة يجيء في قوله ويوم تقوم الساعة قيل لم لا يجوز ان يكون
المراد بعرض النار عرض النصايح عليهم في الدنيا لان سماع الحق مر مؤلمة قلنا عدول عن الظاهر من غير دليل ولما انجر الكلام الى شرح احوال
اهل النار عقبه بذكر المناظرات التي تجري فيها بين الرؤساء والاتباع والمعنى اذكر يا محمد وقت تحاجهم وقد مر نظير ذلك مرارا وفي قولهم
ان الله قد حكم بين العباد اي قضى لكل فريق بما يستحقه اشارة الى الاقناط الكلي ولهذا رجعوا عن محاجة المتبوعين الى الالتماس من خزنة
النار ان يدعوا الله بتخفيف العذاب عنهم زمانا قال المفسرون انما لم يقل لخزنتها لان جهنم اسم قعر النار فكان لخزنتها قرب من الله وهم اعظم
درجة من سائر الخزنة فلذلك خصوهم بالخطاب اما قول الخزنة لهم فادعوا ودعاء الكافر لا يسمع فالمراد به التوبيخ والتنبيه على اليأس كانهم
قالوا الشفاعة مشروطة بشيئين كون المشفوع له مؤمنا والشافع ماذونا له فيها والامران ههنا مفقودان على ان الحجة قد لزمتهم
والبينة بحجتهم ثم اكدوا ذلك بقولهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي لا اثر له البتة صدق الله العظيم

انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ۝ يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ۝ ولقد اتينا موسى الهدى
واورثنا بني اسرائيل الكتب هدى وذكرى لاولي الالباب ۝ فاصبر ان وعد الله حق
واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ۝ ان الذين يجادلون
في ايات الله بغير سلطان اتيهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله
انه هو السميع البصير ۝ لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ۝ وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا
المسيء قليلا ما تتذكرون ۝ ان الساعة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
۝ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين ۝ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل
على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ۝ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا
هو فاني تؤفكون ۝ كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون ۝ الله الذي
جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ۝ هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين
له الدين الحمد لله رب العالمين ۝ قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله
لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين ۝ هو الذي خلقكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم
من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون ۝ هو الذي يحيي ويميت فاذا

قضى

قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ۝ الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى
يصرفون ۝ الذين كذبوا بالكتب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ۝ اذ الاغلال
في اعناقهم والسلاسل يسحبون ۝ في الحميم ثم في النار يسجرون ۝ ثم قيل لهم اين ما كنتم
تشركون ۝ من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله
الكافرين ۝ ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ۝ ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ۝ فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض
الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ۝ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم
من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله
فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ۝ الله الذي جعل لكم
الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ۝ ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
وعليها وعلى الفلك تحملون ۝ ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون ۝
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم
واشد قوة واثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ۝ فلما جاءتهم رسلهم
بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ فلما راوا باسنا
قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ۝ فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ۝

القراءات لا ينفع على التذكير نافع وحمزة وعلي وخلف وعاصم تتذكرون بتاء الخطاب عاصم وحمزة وعلي وخلف ادعوني استجب
بفتح الياء ابن كثير سيدخلون من الادخال مجهولا ابن كثير ويزيد وعباس ورويس وحماد وابو بكر غير الشموني شيوخا بكسر الشين ابن كثير
وابن عامر وحمزة وعلي وهبيرة والاعشى ويحيى وحماد الوقوف الاشهاد لا لان يوم بدل الاول الدار ه الكتاب لا الالباب ه
والابكار ه اتيهم لا لان ما بعده خبران ما هم ببالغيه ج لاختلاف الجملتين بالله ط البصير ه لا يعلمون ه ولا المسيء ط تتذكرون ه
لا يؤمنون ه استجب لكم ط داخرين ه مبصرا ط لا يشكرون ه شيء م لئلا يوهم ان ما بعده صفة شيء وخطاؤه ظاهر لا هو ز لابتداء
الاستفهام ورجحان الوصل لفاء التعقيب وتمام مقصود الكلام تؤفكون ه يجحدون ه الطيبات ط العالمين ه الدين ط
العالمين والعالمين ه شيوخا ج لاختلاف الجملتين يعقلون ه ويميت ج لاجل الفاء مع الشرط فيكون ه في ايات الله ط
لانتهاء الاستفهام وابتداء اخر يصرفون ه ج لاحتمال كون الذين بدل الضمير في يصرفون رسلنا وقف ان لم يقف على يصرفون
يعلمون لا لتعلق الظرف والسلاسل ط لان ما بعده مستانف وقيل والسلاسل مبتدأ والعائد محذوف اي والسلاسل يجرون
بها في الحميم يسجرون ه ج لانه مع العطف من دون الله ط شيئا ط الكافرين ه تمرحون ه خالدين فيها ج المتكبرين ه حق ج
للشرط مع الفاء يرجعون ه نقصص عليك ط باذن الله ج المبطلون ج تاكلون ه ز لانه مع العطف وشدة اتصال المعنى تحملون ه ط
لان ما بعده مستانف ولا وجه للعطف تنكرون ه من قبلهم ط للفصل بين الاستخبار والاخبار يكسبون ه يستهزءون ه
مشركين ه باسنا الثاني ط عباده ج لان الفعل المعطوف عليه مضمر وخسر هنالك الكافرون التفسير هذا من تمام قصة موسى
وعوده الى مقام الجبر الكلام منه وذلك انه لما قال توكيد الله وكان المؤمن من امة موسى علم منه ومما سلف مرارا ان موسى وسائر قومه
لم يعجزوا ولم يغلبوا اهل فرعون وقومه فلا جرم صرح بذلك فقال انا لننصر رسلنا الاية ونصرتهم في الدنيا باظهار كلمة الحق وحصول الذكر الجميل
واقتداء الناس بسيرتهم الى مدة ما شاء الله وقد ينصرون بعد موتهم كما ان يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون الفا واما نصرهم في الآخرة
ففي رفع الدرجات والتعظيم على رؤس الاشهاد من الحفظة وللانبياء والمؤمنين وقد مر في تفسير الاشهاد في اوائل هود ثم بين ان

يوم القيامة لا اعتذار فيها لاهل الظلم والغواية وان فرض اعتذار فلا يقبل ولهم سوء الدار عذاب الآخرة ثم اخبر عن اعطاء موسى التورية و
ايراثها قومه بعده والمراد بكون الكتاب هدى انه دليل في نفسه وبكونه ذكرى ان يكون مذكرا للمنتفع به وحين فرغ من قصة موسى وما تعلق بها خاطب
نبيه صلى الله عليه وسلم مسليا له بقوله فاصبر ان وعد الله بالنصرة والاعلاء كله الحق حق كما قص عليك من حال موسى وغيره ثم امره باستغفار
لذنبه وقد سبق البحث في مثله مرارا والعشي والابكار صلوتا العصر والفجر او المراد الدوام قوله ان الذين يجادلون عود الى ما انجر الكلام
اليه من اول السورة الى ههنا وفيه بيان السبب الباعث لكفار قريش على هذا الجدال وهو الكبر والحسد وحب الرياسة وان يكون الناس
تحت تصرفهم وتسخيرهم لا ان يكونوا تحت تصرف غيرهم فان النبي لابد ان يكون الامة تحت امره ونهيه وذلك تخيل فاسد فان الغلبة
لدين الاسلام ولهذا قال ما هم ببالغيه ثم امره ان يستعيذ في دفع شرورهم بالله انه السميع لاقوالهم البصير لاحوالهم فيجازيهم على
حسب ذلك ثم انهم كانوا اكثر ما يجادلون في امر البعث فاحتج الله تعالى عليهم بقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ومن
قدر على الاصعب في نظر المخالف وقياسه كان على الاسهل اقدر فظهر ان هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا برهان
بل بمجرد الحسد والكبر بل لا يعرفون ما البرهان وكيف طريق النظر والاستدلال ولهذا قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم نبه على
الفرق بين الجدال المستند على العناد والتقليد وبين الجدال المستند الى الحجة والدليل قائلا وما يستوي الاعمى والبصير وحين
بين التفاوت بين الجاهل والعالم اراد ان يبين التفاوت بين المحسن والمسيء ثم قال قليلا ما تتذكرون وفيه مزيد توبيخ وتقريع وفيه
ان هذا التفاوت مما يعثر عليه المكلف بادنى تامل لو لم يكن معاندا مصرا ثم صرح بوجود القيامة قائلا ان الساعة لآتية وادخل اللام في الخبر بخلاف
ما في طه لان المخاطبين ههنا شاكون بخلاف المخاطب ثم وهو موسى وهذه الآية كالنتيجة لما قبلها ومعنى لا يؤمنون اي لا يصدقون بالبعث ثم
انه كان من المعلوم ان الانسان لا ينتفع في يوم القيامة الا بالطاعة فلا جرم اشار اليها بقوله وقال ربكم ادعوني استجب لكم اكثر
المفسرين على ان الدعاء ههنا بمعنى العبادة والاستجابة بمعنى الاثابة لقوله سبحانه ان الذين يستكبرون عن عبادتي والدعاء بمعنى العبادة
كثير في القرآن كقوله ان يدعون من دونه الا اناثا وروى النعمن بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الدعاء هو العبادة
وقرأ هذه الآية وجوز احدهم ان يكون الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويراد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة يصدقه قول
ابن عباس افضل العبادة الدعاء وقد مر تحقيق الدعاء في سورة البقرة في قوله اجيب دعوة الداع اذا دعاني وقد فسر ابن عباس
بمعنى آخر قال وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير الدعاء بالعبادة ثم العبادة بالتوحيد ومعنى داخرين صاغرين
قال اهل التحقيق كل من دعا الله وفي قلبه مثقال ذرة من المال والجاه وغير ذلك فدعاؤه لساني لا قلبي ولهذا قد لا يستجاب لانه اعتمد على غير الله
وفيه بشارة هي ان دعاء المؤمن وقت حلول اجله يكون مستجابا البتة لانقطاع تعلقه وقيده عما سوى الله ثم انه تعالى ذكر نعمته على الخلائق بوجود
الليل والنهار وقد مر نظير الآية مرارا ولا سيما في اواخر يونس واواسط البقرة وكرر ذكر الناس تعيينا عليهم وتخصيصا لكفران النعمة بهم من
بين سائر المخلوقات واما وجه النظم فكأنه يقول اني انعمت عليك بهذه النعم الجليلة قبل السؤال فكيف لا انعم عليك بما هو اقل منه بعد
السؤال ففيه تحريض على الدعاء وايضا الاشتغال بالدعاء مسبوق بمعرفة المدعو فلذلك ذكر عدة آيات دلائل ظاهرة من الآفاق
والانفس على وحدانيته واتصافه بنعوت الكمال قوله ذلكم الله الى قوله الا هو قد مر في الانعام كذلك يؤفك اي كل من جحد بآيات الله ولم
يطلب الحق فانه مصروف عن الحق كما صرفوا قوله فاحسن صوركم كقوله ولقد كرمنا بني آدم لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم قوله
الحمد لله رب العالمين استيناف مدح من الله تعالى لنفسه واما بتقدير القول فادعوه مخلصين قائلين الحمد لله قوله لما جاءني البينات
شامل لادلة العقل والنقل جميعا قوله ثم لتبلغوا اشدكم متعلق بمحذوف اي ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك ليكونوا واما قوله ولتبلغوا اجلا
مسمى فمتعلق بفعل اخر تقديره ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو الموت او القيامة ولعلكم ان تعقلوا ما في ذلك من العبر وحيث انجر الكلام
الى ذكر الاجل وصف نفسه بان الاحياء والاماتة منه ثم اشار بقوله فاذا قضى الى ان خلقه وقدرته في الكائنات من غير افتقار
في شيء ما الى آلة وعدة او اشار الى ان الاحياء والاماتة ليسا من الاشياء التدريجية ولكنهما من الامور الدفعية المتوقفة على امر كن فقط
وذلك ان الحيوة يحصل بتعلق النفس الناطقة بالبدن والموت يحدث من قطع ذلك التعلق وكل من الامرين يحصل في آن واحد ويمكن ان يكون
فيه اشارة الى خلق الانسان الاول وهو آدم كقوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ثم عاد الى ذم المجادلين وذكر وعيدهم قائلا الم تر الى
والكتاب القرآن وما ارسلنا به الرسل سائر الكتب وقوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم مثل قول القائل سوف اصوم امس بناء على ان
سوف للاستقبال واذ للمضي لان اذ ههنا بمعنى اذا لانه ورد على عادة اخبار الله نحو ونادى اصحاب الجنة وقال المبرد اذ صارت زمانا
قيل سوف لان العلم وقع منهم بعد ثبوت الاغلال والمعنى علموا من الاغلال الذي كانوا وعدوا بعد ان حق بالوجود ومعنى يسجرون قال جار الله
هو من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بها مملوة اجوافهم منها وفي الاصل انهم يعذبون مرة
بالماء الشديد الحرارة ومرة بالنار وقال مقاتل في الحميم يعني في حر النار ثم قيل لهم على سبيل التوبيخ ما كنتم ما موصولة مبتدأ واين خبره
ومعنى ضلوا غابوا وضاعوا ولم يصل الينا ما كنا نرجو من النفع والشفاعة واكد هذا المعنى بقوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي
شيئا يعتد به كما يقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اي ليس عنده خير ومن جوز الكذب على الكفار لم يحتج الى هذا التأويل وقال
انهم انكروا عبادة الاصنام ثم قال كذلك يضل الله الكافرين قالت الاشاعرة اي عن الحجة او الايمان وقالت المعتزلة عن طريق الجنة
بالخذلان وقال في الكشاف اي مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يجد احدهما الاخر واعترض
عليه بانهم مقرونون بآلهتهم في النار لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم والجواب ان كون الجميع في النار لا ينافي غيبة
احدهما عن الاخر واجاب في الكشاف باختلاف الزمان وتغيير الضلال بعدم النفع ذلكم العذاب بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح
اي النشاط بغير الحق وهو الشرك وعبادة الصنم ويجوز ان يكون القول محذوفا اي يقال لهم ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكل
طائفة مقدرين الخلود فيها فبئس مثوى المتكبرين يعني الذين مر ذكرهم في قوله ان في صدورهم الا كبر والمخصوص بالذم محذوف وهو
مثواكم او جهنم قال جار الله وانما لم يقل فبئس مدخل المتكبرين حتى يكون مناسبا لقوله ادخلوا كقولك نزل بيت الله فنعم المنزل لان الدخول
الموقت بالخلود في معنى الثواء وحين زيف طريقة المجادلين مرة بعد مرة امر رسوله بالصبر على ايذائهم ووعدهم الى انجاز الوعد بالنصرة

قال

قال فاما نرينك بعض الذي نعدهم من عذاب الدنيا فذاك او نتوفينك فالينا يرجعون هذا التقدير ذكره جار الله وقد مر في يونس
مثله واقول لا باس بان يعطف قوله او نتوفينك على نرينك ويكون الرجوع الى قوله فالينا جميعا ومعناه انا نجازيهم على اعمالهم
يوم القيمة سواء عذبوا في الدنيا او لم يعذبوا ثم سلاه بحال الانبياء السالفة ليقتدي بهم في الصبر والتماسك فقال ولقد ارسلنا الآية
ذهب بعض المفسرين ولعل الاصح ان عددهم لا يعلمه الا الله لقوله تعالى الم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله لكن الايمان بالجميع واجب وعن علي كرم الله وجهه بعث الله نبيا اسود لم يقص علينا قصته ثم ان قريشا كانوا يقترحون
آيات تكبرا كما مر في اواخر سبحان واول الفرقان وغيرهما فلا جرم قال تعالى وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء
امر الله بعذاب الدنيا او بالقيامة وقال ابن بحر امر الله الآية التي اقترحوها وذلك انه يقع الاضطرار عندها وخسر هنالك اي
في ذلك الوقت استعير المكان للزمان المبطلون وهم اهل الاديان الباطلة ثم عاد الى نوع آخر من دلائل التوحيد قائلا الله الذي
جعل لكم الانعام لتركبوا قال جار الله ظاهر النظم يقتضي ادخال لام الغرض في القرآن الاربع او تخلو الكل عنها فيقال لتركبوا وتاكلوا ولتصلوا
الى منافع ولتبلغوا او يقال منها تركبون ومنها تاكلون وتصلون وتبلغون الا انه ورد على ما ورد لان الركوب قد يجب كما في الحج
والغزو وكذا السفر من البلد الى بلد الهجرة او طلب علم لا اقل من الندب فصح ان يكونا غرضين واما الاكل واصابة المنافع فمن
جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادة كثير تعلق شرعا وانما قال وعلى الفلك ولم يقل وفي الفلك مع صحته اذ هي كالوعاء ازدواجا
لقوله وعليها والكل محمول على الظاهر وقيل هو من قول العرب حملت فلانا على الفرس اذا وهب له فرسا ثم نبههم بقوله ويريكم
آياته فاي آيات الله تنكرون ثم حرضهم وزاد توبيخهم بقوله افلم يسيروا الآية وقد سبق وقوله فما اغنى عنهم ما نافية او استفهامية
ومحلها النصب وقوله ما كانوا مصدرية او موصولة اي كسبهم او الذي كسبوا قوله فرحوا لا يخلو اما ان يكون الضمير عائدا الى الكفار او الى
الرسل وعلى الاول فيه وجوه منها انه تهكم بعلمهم الذي يزعمون كقولهم وما اظن الساعة قائمة ائذا كنا ترابا وعظاما ائنا لفي خلق جديد ومنها انه
اراد بذلك شبهات الدهرية وبعض الفلاسفة كقولهم وما يهلكنا الا الدهر وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وحقروا علم الانبياء بالنسبة
الى علمهم كما يحكى عن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ويروى ان جالينوس
قال لعيسى عليه السلام بعثت لغيرنا ومنها ان يراد علمهم بظاهر المعاش كقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فرحوا به
واعرضوا عن علوم الديانات وعلى الثاني يكون معناه ان الرسل لما رأوا جهل قومهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه
وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ووجه اخر هو ان يكون ضمير فرحوا للكفار وضمير عندهم للرسل اي فرحوا بما عند الرسل من العلم
فرح ضحك واستهزاء ثم بين ان ايمان الياس وهو حالة عيان العذاب او امارات نزول سلطان الموت غير نافع وقد مر مرارا و
معنى فلم يك ينفعهم لم يصح ولم يستقم لان الالجاء ينافي التكليف وترادف الفاءات في قوله فما اغنى فلما جاءتهم فلما رأوا فلم يك
لترتيب الاخبار ولتعاقب المعاني من غير تراخ وقال جار الله فما اغنى نتيجة قوله كانوا اكثر منهم وقوله فلما جاءتهم جار مجرى البيان والتفسير
لقوله فما اغنى نتيجة قوله كانوا اكثر منهم وقوله فلما جاءتهم بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فكفوك رزق زيد المال فمنع المعروف
فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك تابع لايمانهم
بعد اليأس قال اهل البرهان وانما قال ههنا وخسر هنالك الكافرون وفيما قبل المبطلون لانه قال هنالك قضي بالحق ونقيض الحق
الباطل وههنا ذكر ان ايمان اليأس غير مجد ونقيضه الكفر والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الاقوات اربع وخمسون آية وهي مكية كلماتها سبعمائة وست وتسعون حروفها ثلثة الاف وثلثمائة وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۝ تنزيل من الرحمن الرحيم ۝ كتاب فصلت آياته قرانا عربيا لقوم يعلمون
بشيرا ونذيرا ۝ فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ۝ وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون ۝ قل انما
انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل
للمشركين ۝ الذين لا يوتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون ۝ ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ۝ قل ائنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ۝ ذلك رب العالمين ۝
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين

اي انه عدد الانبياء الف واربعة وعشرون الفا وثمانية الاف بعضهم (؟) من بني اسرائيل والباقي من سائر الناس
صح

الا مسجد

ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
فقضيهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح
وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ۝ فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود ۝ اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا
لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون ۝ فاما عاد فاستكبروا في الارض
بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا
باياتنا يجحدون ۝ فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي
في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون ۝ واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ۝
ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ۝ ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون
حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ۝ وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول
مرة واليه ترجعون ۝ وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ۝ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم
فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين ۝

القراءات سواء بالرفع يزيد وقرأ يعقوب بالجر الباقون بالنصب نحسات بسكون الحاء ابن كثير وابو عمرو ونافع وسهل ويعقوب واما ثمود بالنصب المفضل نحشر بالنون اعداء بالنصب نافع ويعقوب الاخرون بالياء مجهولا اعداء مرفوعا الوقوف حم ه كوفي الرحيم ج لان قوله كتاب يصلح ان يكون بدلا من تنزيل وان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب ويجوز ان يكون تنزيل هو مع وصفه مبتدأ وكتاب خبره يعلمون ه لا لان بشيرا صفة اخرى لقرانا ونذيرا ج لاختلاف الجملتين لا يسمعون ه عاملون ه واستغفروه ط للمشركين لا كافرون ه ممنون ه ربع الجزء اندادا ط العالمين ه ج للاية مع العطف ايام ط لمن نصب سواء او رفع ومن خفض لم يقف للسائلين كرها ط طائعين ه امرها ط بالعدول بمصابيح ط لحق المحذوف اي وحفظناها حفظا ولعل الوصل اولى لما يجئ وحفظا ط العليم ه وثمود ه بناء على ان اذ يتعلق بمحذوف هو اذكر ومعنى الفعل في الصاعقة اي يصعقون اذ ذاك ولا يجوز ان يتعلق بانذرتكم الا الله ط كافرون ه مناقوة ط منهم قوة ط لفصل بين الاخبار والاستخبار يجحدون ه الدنيا ط لا ينصرون ه يكسبون ه يتقون ه يوزعون ه يعملون ه علينا ط ترجعون ه يعملون ه الخسرين ه مثوى لهم ج المعتبين ه التفسير قال بعضهم الحاء من الحكمة والميم من المنة اي من على عباده بتنزيل الحكمة من الرحمن في الازل الرحيم في الابد وهي كتاب فصلت اياته اي ميزت امثالا ومواعظ واحكاما وقصصا الى غير ذلك وقد مر في اول هود وانتصب قرانا على المدح والاختصاص او على الحال الموطئة لقوم يعلمون اي لقوم عرب يفهمون معانيه يعني بالاصالة وللباقين بعدهم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم منهم فالدعوة تحصل اولا لهم والاظهر انه كقوله هدى للمتقين وذلك انه لا ينتفع بالقران الا اهل العلم قال اهل السنة الصفات المذكورة ههنا للقران يوجب شدة الاهتمام بمعرفته والوقوف على معنى الجمع كما سبق في اول الكتاب يدل على ان فيه علوم الاولين والاخرين وقوله فصلت اياته يدل على انه في غاية الكشف والبيان وكونه قرانا عربيا ولغة العرب افصح اللغات مما يوجب ان يتوفر عليه الرغبات ولاسيما للعرب ومن والاهم وكونه بشيرا ونذيرا يدل على ان الاحتياج اليه من اهم المهمات لانه سعى في معرفة ما يوصل الى الثواب الابدي ويخلص عن العقاب السرمدي فاذا علم المخاطبون هذه الفوائد ثم اعرض اكثرهم عن القران ولم يسمعوه سماع قبول دل ذلك على ان المهدي من هداه الله ومن يضلل الله فلا هادي له ثم اكد بيان اعراضهم بقوله وقالوا قلوبنا في اكنة ولا يخفى انه سبحانه ذكر هذا في معرض الذم فوجه الجمع بينه وبين قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا هو ان الذم انما توجه على اعتقادهم انهم اذا كانوا كذلك

على جانبه بيانه انخ كونه نازلا من الرحمن الرحيم دليل على انه منزله من رحمة للعالمين وفيه شفاء لامراض القلوب وكونه كتابا وقرانا عربيا يرمز صح

لم يجز تكليفهم والمخاطبة والامر والنهي لانهم كانوا بذلك على سبيل الاستهزاء قال جار الله فائدة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب [illegible]

لاجل من سأل في ثم خلقت الارض وما فيها لان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله ثم استوى الى السماء اي بوجه ما اي بالحكمة بعد خلق الارض لا دحوها الى خلق السماء وقد مر في اول البقرة قوله وهي دخان ذكر اصحاب الاثر وجاء في اول توراة اليهود ان عرش الله قبل خلق السموات والارض كان على الماء فاحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان اما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق الله منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات وزعم المتكلمون ان الله سبحانه خلق الاجزاء التي لا تتجزى فكانت مظلمة عديمة النور ثم ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمسا وقمرا واحدث صفة الضوء فيها فحينئذ صارت مستنيرة فصحت تسمية تلك الاجزاء قبل استنارتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا انها اجزاء متفرقة متواصلة عديمة النور واعلم ان ظاهر قوله ثم استوى يدل على ان خلق السماء متاخر عن خلق الارض وقد جاء مثله في ايات اخر في الاثار الا ان الواحدي نقل في البسيط عن مقاتل انه قال خلق الله السماء قبل الارض فتاول الاية بان لفظة كان مضمرة اي ثم كان قد استوى كما في قوله تعالى ان يسرق فقد سرق اي ان يكن سرق وزيف بان الجمع بين ثم الدال على التاخر وبين اضمار كان الدال على التقدم جمع بين النقيضين ويمكن ان يجاب بان ثم ههنا لترتيب الاخبار وقال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله المختار عندي ان تكوين السماء مقدم على تكوين الارض والخلق الوارد في الاية بمعنى التقدير كقوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فان ايجاد الموجود محال فمعنى الاية انه قضى بحدوث الارض في يومين اي حكم بانه سيحدث كذا في مدة كذا قلت لو لم يكن قوله تعالى وجعل فيها رواسي من فوقها الى قوله اربعة ايام لكان هذا التاويل له وجه وقال بعض الصوفية خلق ارض البشرية في يومي القوى والطبيعة وجعل فيها رواسي من الامداد وجعل لها رواسخ العقل من فوقها لتستقر بها وبارك فيها بالحواس الخمسة وقدر اقواتها من سائر القوى البشرية في تتمة اربعة ايام يعني في يومي الروح الحيواني والروح الطبيعي ثم استوى الى سماء القلب وهي دخان نار الروحانية فقضيهن سماء القلب اطوارا سبعة كقوله وقد خلقكم اطوارا اولها الوسوسة ثم الهواجس ثم الروية ثم ما كذب الفؤاد ما رأى ثم الحكمة ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ثم ظهور الغيبات ثم المحبة ثم التجلي في يوم الروح والالهام الرباني قوله فقال لها وللارض ائتيا الاية للمفسرين فيه قولان الاول اجراء الكلام على ظاهره فانه ليس يستبعد من الله انطاق اي جسم فرض بل ابداع الحيوة والفهم فيه ولهذا قال طائعين على لفظ جمع المذكرات لم قال جمع المؤنث السالم لا يختص بالعقلاء ووجه الجمع ان اقل الجمع اثنان اولان كل واحد منهما سبع ومن هؤلاء من قال نطق من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها فجعل الله لها حرمة على سائر الارض وعلى هذا القول لابد ان يكون هذا التمني طلب بعد الوجود فقالوا معناه ائتيا بما خلقت فيكما اما انت يا سماء فاطلعي الشمس والقمر والنجوم واما انت يا ارض فاخرجي ما خلقت فيك من النبات فقالتا اجبنا بما احدثت فينا مستجيبين لامرك ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما

بوضع الخيرات الكثيرة وفيها قال ابن عباس يريد شق الانهار وخلق الجبال والاشجار والحيوانات وكل ما يحتاج وقدر فيها اقواتها صح

فقدر الكلام رب العالمين خلق الارض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء وهو كلام لا يرد عليه سؤال اصلا صح

يقال اتى على مرضيا ويجوز ان يراد ليات كل منكم ما حاجتها الاتيان الذي يقتضيه الحكمة من كون الارض قرارا والسماء سقفا لهما وقوله طوعا او
كرها اظهار لكمال القدرة والتقدير ائتيا وشئتما كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت وانتصابهما على الحال بمعنى
طائعين او كارهين والقول الثاني ان هذا تمثيل لنفوذ قدرته فيهما ولا قول ثمة وعلى هذا لا يبعد ان يكون المقصود ايجادهما على وفق ارادته
وهما في حيز العدم وان يكون المراد ما تقدم وقال بعضهم الطوع يرجع الى السماء لان احوالها على نهج واحد لا يختلف وشبهه مكلفا مطيعا والكره
يعود الى الارض لانها مكان تغيير الاحوال ومحل الحوادث والمكان قلت لعل وجه الوصفين لهما باعتبار سكانهما قوله فقضيهن قضاء الشيء
اتمامه والفراغ منه مع الاتقان والضمير اما راجع الى السماء على المعنى لانها سموات سبع وانتصب سبع سموات على الحال واما مبهم مميز بما بعده
يروى انه خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق سائرما في الارض في يوم الثلثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة
وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها ادم واسكنه الجنة وهي الساعة التي يقوم فيها القيامة واوحى في كل سماء امرها اي امرها
من العبادة والتكليف الخاص بكل منهم فبعضهم قيام وبعضهم ركوع وبعضهم سجود وعلى هذا احتمل ان يكون خلق الملائكة مع السموات وقبلها
وقيل والايحاء هنا التكوين والايجاد وامر ما شانها وما يصلحها وزينا السماء الدنيا بمصابيح اي بالنيرات المضيئة كالمصباح وحفظا اي حفظناها من الشياطين
المسترقة للسمع كما مر مرارا وجوز جار الله ان يكون حفظا مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم
الكامل عزته قدرة على خلق ما خلق والشمول علمه دبر ما دبر ثم قال لنبيه فان اعرضوا عن التوحيد بعد هذا البيان الباهر والبرهان القاهر فقل انذرتكم صاعقة
لان الاصرار على الجهل بعد وضوح الحق عناد ولا علاج للمعاند سوى التاديب بما يناسبه يروى ان ابا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا امر
محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة انا لذاك فاتاه وقال انت خير ام هاشم انت
خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا وتضللنا وعرض عليه الرياسة والنساء والاموال ان ترك ذلك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقال عتبة حسبك ناشدتك بالرحم ورجع ولم يات قريشا فلما احتبس عنهم قالوا
ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه فقال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود ناشدته
بالرحم ان يكف ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فان قيل كيف يصح هذا الانذار وقد اخبر الله سبحانه
في قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ان هذه الامة امنون من التعذيب قلنا الانذار حسنة وهذه حجة قوله اذ جاءتهم الرسل من بين
ايديهم ومن خلفهم قيل الضمير عائد الى الرسل الذين جاءهم رسل بعد الرسل وقيل من بين ايديهم اي حذروهم الدنيا ومن خلفهم الاخرة
وقيل من بين ايديهم هم الذين عاينوهم ومن خلفهم هم الذين وصل اليهم خبرهم وكتبهم وحقيقته بين يديه ان يستعمل للشيء الحاضر ومجازه
ان يستعمل للشيء الماضي بزمان قريب وقال بعض المحققين معناه اتاهم الرسل من كل جهة واعملوا في ارشادهم كل حيلة ان لا تعبدوا
ويجوز ان يكون ان مفسرة او مخففة وضمير الشان مقدر والفاء في قوله فانا للجزاء كانه قيل فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم
وقولهم ربنا وبهذا ارسلتم على الخلق وقالوا من اشد منا قوة وهذا اخلال بالتعظيم لامر الله ولهذا وبخهم بقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة لان الفاعل والعلة اقوى من القابل والمعلول والقوة في الانسان نتيجة البنية والاعتدال وحقيقتها زيادة القدرة
فلذلك جاز ان يقال الله اقوى منهم كما صح ان يقال الله اقدر والله اكبر وان كان لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي وقوله وكانوا باياتنا يجحدون
معطوف على قوله فاستكبروا وقالوا الا ان التوبيخ المذكور وقع اعتراضا في البين ثم اخبر عن هلاكهم والصرصر الريح الباردة الشديدة
الصوت ضوعفت من الصر بالكسر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او من صرير الباب والتركيب يدور على الضم والجمع عن
ابن عباس ان الله تعالى ما ارسل على عاد من الريح الا قدر خاتمي ومع ذلك اهلكت الكل والايام النحسات هي التي ذكرها الله سبحانه
في الحاقة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام والنحس بالسكون ضد السعد وهو اما مخفف نحس بالكسر وهو اصل في نفسه كفخم ووصف
بمصدر واستدل به بعض الاحكاميين على ان بعض الايام يصح وصفه بالسعادة وبعضها بضدها واجاب بعض المتكلمين بان
المراد بالنحوسة كونها ذات غبار وتراب ورد بالانصاف انه تكلف خارج عن قانون اللغة والاضافة في قوله عذاب الخزي
كهي في قولك رجل صدق وقوله ولعذاب الاخرة اخزى من الاسناد المجازي فان الذل والهوان لصاحبه قوله واما ثمود
مرتفع على الابتداء وقوله فهديناهم خبره قال سيبويه هذا افصح لان اما من مظان وقوع المبتدا بعده وقرئ بالنصب اضمارا
على شريطة التفسير واتفقوا على ان المراد بالهداية ههنا الدلالة المجردة لقوله بعده فاستحبوا العمى يعني عمى البصيرة وهي
الضلالة على الهدى الا ان المعتزلة تاولوه بانه انما ساغ استعماله في الدلالة المجردة لانه مكنهم وازاح عللهم فكانه حصل
البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها وقد مر هذا البحث في اول البقرة في قوله هدى للمتقين وصاعقة العذاب داهيته
وقارعته والهون مصدر بمعنى المفعول وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه وكسبهم شركهم وتكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة
ثم بين احوال الذين امنوا منهم اتقوا المعاصي بقوله ونجينا الاية وحين عظم عقوبتهم في الدنيا اخبر عن عذابهم وعذاب امثالهم في
الاخرة فقال ويوم يحشر الاية والعامل فيه اذكر محذوفا او هو ظرف لما يدل عليه يوزعون كانه قيل يمنعون يوم يحشر فيحبس
اوائلهم حتى يلحق بهم او اخرهم قال جار الله هو عبارة عن كثرة اهل النار قلت وذلك لان الوزع لا يحتاج اليه
الا عند كثرة العدد كما مر في النمل وما الابهامية في قوله حتى اذا جاؤها تفيد التاكيد وهو ان عند وقت مجيئهم لا بد ان يحصل
هذه الشهادة وشهادة الجلود ملامسة الحرام او هو محرم وعن ابن عباس المراد شهادة الفروج فيكون كناية وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اول ما يتكلم من الادميين فخذه وكفه وفيه وعيد شديد في فعل الزنا لان مقدمته تحصل بالكف ونهايته
تكون بمساعدة الفخذ قوله انطق كل شيء من العمومات المخصوصة اي ممن يصح النطق منه والمراد ان القادر على خلقكم وانطاقكم في المرة
الاولى في الدنيا ثم خلقكم وانطاقكم مرة اخرى ومثاله في القبر وفي القيامة كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء وقد مر تمام البحث
فيه في يس عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلثة نفر ثقفيان وقرشي فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول
فقال الاخر اذا رفعنا اصواتنا يسمع والا لم يسمع وقال الاخر ان كان يسمع اذا رفعنا اصواتنا فانه يسمع اذا اخفضنا فذكرت ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فنزل وما كنتم تستترون الاية وذلك انهم كانوا يستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب القبائح فقيل لهم

ما كان

ما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك لان ذلك غير ممكن فانها متصلة بكم وهي اعوانكم ومع ذلك لم يكن في
اعتقادكم انها تشهد عليكم ولكنكم استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وفيه رد على بعض الجهلة الذين
يستخفون من الناس ولا يمكنهم الاستخفاء من الله وفيه تنبيه على ان المؤمن يجب عليه ان يكون في اوقات خلواته اهيب لربه واوفر
احتشاما ومراقبة ثم اخبر فان يصبروا فالنار مثوى لهم ولا ينفع الصبر لهم فرجا وخلاصا وان يستعتبوا طلبوا من الله الرضى عنهم فما هم
من المعتبين اي من المرضيين والمراد انهم باقون في كروبهم ابدا سكتوا او نطقوا قال الضعيف مؤلف الكتاب اذا كان هذا وعيد
من ظن انه يمكن اخفاء بعض الاعمال من الله بالاستتار والحجب فما ظنك بوعيد من جزم انه سبحانه غير عالم بالجزئيات نعوذ بالله من الخذلان

وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم قد خلت
من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ۝ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ۝ فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا
ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون ۝ ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد
جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ۝ وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس
نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين ۝ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل
عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ۝ نحن اولياؤكم
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون ۝ نزلا
من غفور رحيم ۝ ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم ۝ وما يلقيها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم ۝ واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ۝ ومن اياته الليل والنهار
والشمس والقمر ۝ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون
فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون ۝ ومن اياته
انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها
لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير ۝ ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن
يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز ۝ لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ۝ ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ۝ ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت
اياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر

وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ۝ اليه يرد علم الساعة وما تخرج
من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركاي
قالوا آذناك ما منا من شهيد ۝ وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من
محيص ۝ لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ۝
ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب
غليظ ۝ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض
قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد ۝
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه
على كل شيء شهيد ۝ الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط ۝

القراءات ربنا ارنا بسكون الرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر وحماد ويزيد وعباس ابو عمرو بالاختلاس الاخرون بكسرها اللذين بتشديد النون ابن كثير يلحدون بفتح اليا والحا حمزة الباقون بضم اليا وكسر الحا اعجمي بهمزة واحدة هشام وقرا بتخفيف الهمزتين حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الا الخراز الباقون بالمد ثمرات على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وحفص والمفضل شركاي مثل من وراي على وزن عصاي حتى في سورة مريم الى ربي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو ونا بجانبه قد مر في سبحان

الوقوف والانس ج لابتداء ان مع احتمال كونه جواب القسم في حق خاسرين ه تغلبون ه يعملون ه النار ج لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا اي كاينا لهم فيها دار الخلد ط يجحدون ه الاسفلين ه توعدون ه والآخرة ج لانقطاع النظم بتقدير الجار مع اتحاد المقول تدعون ه ط لحق المحذوف اي اصبتم او وجدتم نزلا رحيم ه المسلمين ه السيئة ط حميم ه صبروا ج لاتفاق الجملتين مع تكرار التوكيد عظيم ه بالله ط العليم والقمر ط تعبدون ه يسأمون ه وربت ط الموتى ط قدير ه علينا ط القيامة ط شئتم لا لكون ما بعده والا على انه امر تهديد بصير ه لما جاءهم ج لان خبر ان محذوف فيقدر ههنا او بعد قوله من خلفه كما يجيء عزيز لا لاتصال الصفة من خلفه ط حميد ه قبلك ط اليم ه آياته ط وعربي ط وشفاء ط عمى ط بعيد ه فيه ط منهم ط مريب ه فعليها ط للعبيد ه الجزء الخامس والعشرون الساعة ط بعلمه ط شركاي لا لان قالوا عامل يوم او ناداك لانه في معنى القول وقع على الجملة بعده من شهيد ه ج للآية مع العطف محيص ه الخير ز لاختلاف الجملتين الا ان مقصود الكلام يتم بها قنوط ه هذا لي لا تحرزا عن الابتداء بقوله مسلم قائمة لا كذلك للحسنى ج لابتداء اللام بالتوكيد مع فاء التعقيب عملوا احمالا للتفكر في الحالين مع اتفاق الجملتين غليظ ه بجانبه ج فصلا بين تناقض الحالين مع اتفاق الجملتين عريض ه بعيد ه الحق ط شهيد ه ربهم ط محيط ه

التفسير لما ذكر وعيد الكفار اردفه بذكر السبب الذي لاجله وقعوا في ذلك الكفر ومعنى قيضنا سببنا لهم من حيث لا يحتسبون او قدرنا او سلطنا واصله من القيض وهو البدل والمقايضة المعاوضة كأن القرين يصلح كل منهما لان يقوم مقام الآخر والقرناء اخدانهم من الشياطين جمع قرين فزينوا لهم ما بين ايديهم وهو الدنيا وما فيها من الشهوات وما خلفهم وهو الآخرة بان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وقيل ما بين ايديهم اعمالهم التي عملوها وما خلفهم ما عزموا على فعله او زينوا لهم فعل من في زمانهم والذين تقدم عصرهم والآية على مذهب الاشاعرة واضحة وقالت المعتزلة معناها انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين ومعنى في امم كائنين في جملة امم وقد مر في اوائل الاعراف كانوا يقولون اذا سمعتم القرآن لمحمد فارفعوا اصواتكم بالغو وهو ما سقط من الكلام فنزلت وقال الذين كفروا الآية يقال لغي بكسر الغين يلغى بالفتح ولغا يلغو فلهذا قرئ بالضم ايضا والمقصود انهم علموا ان القرآن كلام كامل لفظا ومعنى وكل من سمعه ووقف على معانيه والفصاحة حكم بانه واجب القبول فدبروا هذا التدبير الفاسد وهو قول بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وتشاغلوا عن قراءته برفع الصوت بالمكاء والهذيان والزجر لعلكم تغلبون القارئ على قراءته فلا يحصل غرضه من التفهيم والارشاد وحين حكى جهالتهم ذكر وعيدهم بقوله فلنذيقن الآية والمضاف في قوله اسوأ محذوف اي جزاء اسوأ الذي ولذلك اشار اليه بقوله ذلك جزاء اعداء الله وقوله النار بدل من جزاء او خبر مبتدأ مضمر ودار الخلد موضع المقام قال الزجاج هو كما يقول لك في هذه الدار دار السرور وانت تعني الدار بعينها

البيان

وقد

وقد وضع قوله بما كانوا بآياتنا يجحدون موضع ان لو قال بما كانوا يلغون لانه سبب مقام التسبب ثم حكى عنهم ما سيقولون في النار وهو قولهم ربنا ارنا اي بصرنا الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس وذلك ان الشيطان ضربان جني وانسي وقد ورد في القرآن كثيرا وقيل هما ابليس الذي سن الكفر وقابيل الذي سن القتل ومن قرا بسكون الرا فلثقل الكسرة وقد يقال معناه اذ ذاك اعطناه وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فمعناه بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو بمعنى الاعطاء ونظيره استعمال الايتاء في معنى الاعطاء واصله الاحضار نجعلهما تحت اقدامنا اي نطأهما اذلالا واهانة ليكونا من الاسفلين الارذلين وقيل في الدرك الاسفل وتاوله بعض حكماء الاسلام بانهما الشهوة والغضب المشار اليهما في قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كانهم سالوا توفيق ان يجعلوا القوتين تحت قدم النفس الناطقة وحين اطنب في الوعيد اردفه بالوعد على العادة المستمرة فقوله ربنا الله اشارة الى العلوم النظرية التي هذه المسئلة رأسها واصلها وقوله ثم استقاموا اشارة الى الحكمة العملية وجملتها الاستقامة على الوسط دون الميل الى احد شقي الافراط والتفريط كما سبق تقرير ذلك في تفسير قوله اهدنا الصراط المستقيم ومعنى ثم تراخي الاستقامة في الرتبة على الاقرار وفيه ان حصول العلوم النظرية بدون العمل العلمي كشجرة بلا ثمرة وقال اهل العرفان قالوا ربنا الله يوم الميثاق في عالم الارواح ثم استقاموا على ذلك في عالم الاشباح وعن ابي بكر الصديق معناه لم يلتفتوا الى غيره تتنزل عليهم الملائكة عند الموت او عنده وفي القبر وفي القيامة وان مفسرة او مخففة ولقد فسرنا الخوف والحزن مرارا والابشار لازم قال الجوهري يقال بشرته بمولود فابشر ابشارا وقوله نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا مقابل قوله وقيضنا لهم قرناء فللملائكة تاثيرات في الارواح بالالهامات الحسنة والخواطر الشريفة كما للشياطين تاثيرات بالقاء الوساوس والهواجس وقد تقدم في اول الكتاب في تفسير الاستعاذة واذا كانت هذه الولاية ثابتة في الدنيا بحكم المناسبة النورية كانت بعد الموت اقوى واظهر لزوال العلائق الجسمانية وقيل في الحيوة الدنيا بالاستغفار وفي الآخرة بالشفاعة وقيل كنا نحفظكم في الدنيا ولا نفارقكم في الآخرة حتى تدخلوا الجنة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم يعني الحظوظ الجسمانية ولكم فيها ما تدعون اي تتمنون من المواهب الروحانية وقد مر في يس سائر الوجوه والنزل ما تهيأ للضيف وقد مر وفي ذكر الغفور الرحيم ههنا مناسبة لا تخفى قال اهل النظم ان القوم لما اتوا بانواع السفاهة والايذاء كقولهم قلوبنا غلف لا تسمعوا لهذا القرآن حرض سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم على مواظبة التبليغ والدعوة واحتمال اعباء الرسالة والتزام السيرة الفاضلة اظهارا لمزيته على الجهال وتحصيلا للغرض بالرفق واللطف ما امكن فقال ومن احسن قولا الآية ووجه آخر في النظم وهو انه لما مدح الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وذكر جزاءهم وهم اهل الكمال اراد ان يبين حال المشتغلين بتكميل الناقصين زعم بعض المفسرين ان المراد بهذا الدعاء الاذان والعمل الصالح الصلوة بين الاذان والاقامة ورفعوه الى عائشة والاصح انه عام لجميع الائمة والدعاء الى طاعة الله وتوحيده ولا ريب ان مصطفاهم ومقتداهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده العلماء بالله وهم الحكماء المتالهون وبعدهم العلماء بصفات الله وهم الاصوليون ثم العلماء باحكام الله وهم الفقهاء ثم الملوك العادلون الذين يدعون الى الله بالسيف او السيف وفي الاستفهام الانكاري دلالة على انه لا قول احسن من الدعاء الى الله فمن زعم ان الاذان ذهب الى انه واجب والا لكان الواجب احسن منه ونوقض بما نعلم بالدلائل اليقينية ان الدعوة الى الدين القويم بالحجة او السيف احسن من الاذان فلا يدخل الاذان تحت الآية قال جار الله ليس معنى قوله وقال انني من المسلمين انه تكلم بهذا الكلام ولكن المراد انه جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما يقول هذا قول ابي حنيفة وقال آخرون اراد به التلفظ تفاخرا بالاسلام وقد جاوز وزعم ان فيه ابطال قول من جوز انا مسلم ان شاء الله فانه لو كان ذلك خير الكتاب في الآية كذلك ولا يخفى ضعفه فان التجويز غير الايجاب ثم صبر رسوله صلى الله عليه وسلم على سفاهة الكفار وعلمه الادب الجميل في باب الدعاء الى الدين بل في مطلق امور التمدن فقال ولا تستوي الحسنة ولا السيئة لا زائدة لتاكيد نفي الاستواء والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة قط ومثالهما الايمان والشرك والحلم والغضب والطاعة والمعصية والعفو والعنف ثم ان سائلا كانه سأل فكيف يصنع فاجيب ادفع بالتي هي احسن فان الحسنة احسن من السيئة كما يقال الصيف احر من الشتاء وذهب صاحب الكشاف الى ان لا غير مزيدة والمعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة مثاله رجل اساء اليك فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته قال ومن جعل لا مزيدة فالقياس على تقديره مرة ان يقال ادفع بالتي هي حسنة وكنه وضع احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها قال العارفون الحسنة التوجه الى الله بصدق الطلب والسيئة الالتفات الى غيره فاذا الذي اي اذا فعلت ذلك انقلب عدوك وليا مصافيا قال مقاتل نزلت في ابي سفيان وكان مؤذيا للرسول صلى الله عليه وسلم فصار بحاب بعد ذلك لما راى من لطف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مدح هذه السيرة واصلها بقوله وما يلقاها الا الذين صبروا اي لا يعمل بها الا كل صبار على تجرع المكاره وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من قوة جوهر النفس الناطقة بحيث لا يتاثر من الواردات الخارجية وقد يفسر الحظ العظيم بالثواب الجزيل وعن الحسن ما عظم حظ دون الجنة ثم ذكر طريقا اخرى في دفع الغضب والانتقام قائلا واما ينزغنك وقد مر في آخر الاعراف والمعنى ان صرفك من الشيطان عما امرت به فاستعذ بالله من شره وانما قال ههنا انه هو السميع العليم بالفصل وتعريف الخبر ليكون مناسبا لما تقدمه من قوله وما يلقاها مؤكدا بالتكرار وبالنفي والاثبات ولم يكن هذا المقتضي في الاعراف فجاء على اصل الاسم معرفة والخبر نكرة وحين ذكر ان احسن الاقوال هو الدعوة الى الله بين الدلائل على وجوده فقال ومن آياته الى آخره والضمير في خلقهن للآيات او الليل وعطف عليه ولم يغلب المذكور لان ذلك قياس مع العقلاء وفي قوله ان كنتم اياه تعبدون تزييف لطريقة الصابئين وسائر عبدة الكواكب جهلا منهم وزعما انها الواسطة بين الخلق والاله فنهوا عن هذا التوسيط لان ذلك مظنة العبادة المستقلة لرفعة شانها وارتفاع مكانها وهذا بخلاف التوجه في الصلوة الى القبلة فان احدا لا يظن انه معبود بالحق والجزم حاصل بانه توجيه لتوجهات المصلين عند صلوتهم مع ان البيت جسم ما ظاهرا في نفسه فان استكبروا عن قبول قولك يا محمد في النهي عن السجود للشمس والقمر فالذين عند ربك عندية بالشرف والرتبة وهم الملائكة المقربون يسبحون له بالليل والنهار اي على الدوام والاستمرار وهم لا يسأمون من السآمة والملالة والحاصل انهم ان لم يتسلوا بامر الله ونواهيه وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان ربك لا يعدم عابدا مخلصا وما فرغ من تقرير

قالوا سمه — يلقون سمه

العلوم

قوله ان لا تخافوا ولا تحزنوا اشارة الى دفع المضار في المال وفي الحال وقوله وابشروا اخبار عن حصول المنافع

الآيات السماوية شرع في الدلائل الارضية فقال ومن آياته انك ترى الارض خاشعة واصل الخشوع التذلل فاستعير للارض
التي لا خضرة بها ولا نفع فيها كما وصفها بالهمود وقد مر في سورة الحج وذلك انها اذا اهتزت وربت اي انتفخت حين يهم النبت
بالخروج منها كانت بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالفقير الكاسف البال المتلبس ثوب اطمار وبعد تقرير الدلائل الباهرة ذكر وعيد
الملحدين في آياته المنحرفين عن الجادة والوعيد قوله لا يخفون علينا وكفى به وعيدا ثم اكده باستفهام على سبيل التقرير وهو قوله افمن يلقى
الى آخره وقوله يوم القيامة ظرف لآمنا او ليأتي ثم هددهم بقوله اعملوا ما شئتم الى آخره ثم ابدل من قوله ان الذين قوله ان الذين كفروا
بالذكر اي القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا معانيه وعلى هذا فالخبر هو ما تقدم من قوله لا يخفون وقيل هو كلام مستأنف
وعلى هذا فاختلفوا في خبران فالاكثرون على انه اولئك ينادون وما بينهما اعتراض من تتمة الذكر وقيل خبره ما يقال اي التقدير ما يقولون
لك وقيل هو محذوف ثم اختلفوا فقال قوم ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وقال آخرون هلكوا او يجازون بكفرهم ونحو ذلك
وهذا يمكن تقديره بعد قوله لما جاءهم وبعد قوله من خلفه وبعد قوله حميد والعزيز معناه الغالب القاهر بقوة حجته على ما سواه من الكتب
او المراد انه عديم النظير لان الاولين والآخرين عجزوا عن معارضته ثم اكد هذا الوصف بقوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
قال جار الله هو تمثيل اي لا يتطرق البطلان اليه بجهة من الجهات فلا ينقص منه شيء ولا يزاد عليه شيء وقيل اراد انه لا تكذبه الكتب المتقدمة
كالتوراة والانجيل ولن يجيء بعده ما يخالفه وقد يحتج ابو مسلم بالآية على عدم وقوع النسخ في القرآن زعما منه ان النسخ نوع من البطلان ولا يخفى
ضعفه فان بيان انتهاء حكم لا يقتضي ابطاله فانه حق في نفسه وما مور به في وقته تنزيل اي هو منزل من الله حكيم في جميع افعاله حميد اي جميع خلقه
بسبب كثرة نعمه ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ما يقال لك وفيه وجهان احدهما ما يقال لك كفار قريش الا مثل ما قال للرسل كفار
قومهم من المطاعن فيهم وفي كتبهم ان ربك لذو مغفرة للمحقين وذو عقاب اليم للمبطلين ففوض الامر الى الله واشتغل بما امرت به
من الدعاء الى دينه وثانيهما ما يقول لك الله الا مثل ما قال لغيرك من الرسل من الصبر على سفاهة الاقوام وايذائهم ويجوز ان يكون المقول
هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخشاه اهل معصيته كانوا يقولون لولا انزل القرآن بلغة العجم تعنتا
منهم فاجابهم الله بقوله ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا معترضين منكرين لولا فصلت آياته اي بينت بلسان يفقهه أقرآن اعجمي ورسول عربي
او مرسل اليه عربي وانما جاز هذا التقدير الثاني مع ان المرسل اليهم كثيرون وهم امة العرب لان الغرض بيان تنافر حالتي القرآن والذين
انزل القرآن اليهم من العجمية والعربية لا بيان انهم جمع او واحد كما يقول وقد رايت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس
قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو فضل ومن قرأ بغير همزة الاستفهام فعلى حذفها او على الاخبار بان القرآن اعجمي والرسول
او المرسل اليه عربي والغرض انهم لعنادهم لا ينفكون عن المراء والاعتراض سواء كان القرآن عربيا او عجميا وفيه افحام لهم وجواب
عن قولهم قلوبنا في اكنة فان القرآن اذا كان بلغتهم وهم فصحاء بلغاء فكيف لا يفهمونه الا اذا كان هناك مانع الهي ولذلك قال قل هو للذين آمنوا هدى
وشفاء الآية اجمل والذين اي وللذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهذا التقدير عند من يجوز العطف على عاملين ومن لم يجوز زعم ان الراجع
محذوف تقديره والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر او في آذانهم منه وقر والذين لا يؤمنون به الى آخره والحاصل انهم لعدم انتفاعهم بالقرآن
كأنهم صم عمي ثم اكد هذا المعنى بقوله اولئك ينادون من مكان بعيد فلهذا لا يسمعون النداء اي مثلهم كمثل الشخص الذي ينادى من بعيد
فلا يسمع وان سمع لم يفهم ثم شبه حال القرآن بحال الكتب المتقدمة في انها اختلف فيها كما اختلف فيه الا انه خص كتاب موسى بالذكر لكثرة حكاية
وعجيب قصته والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وتأخير العذاب والقضاء بين المصدقين والمكذبين اي وقته ثم ذكر ان جزاء كل احد
يختص به سواء كان له او عليه وان الله لا يظلم عليه احدا ثم كان لسائل ان يسأل متى القيامة التي يتعلق بها الجزاء فقال اليه لا الى غيره يرد علم الساعة
اي اذا سئل عنها قيل لا يعلمها الا هو ثم عمم بعد هذا التخصيص وذكر مثالين يعرف منهما ان علم جميع الحوادث المستقبلة في اوقاتها المعينة ليس
الا له سبحانه والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة ثم ذكر من احوال القيامة طرفا آخر فقال ويوم يناديهم اين شركائي وهو تهكم وتوبيخ لهم مرارا قالوا آذناك
ابن عباس اي اسمعناك من اذن بالكسر اذنا بالفتح اذا استمع وقال الكلبي اعلمناك قال الامام فخر الدين الرازي هو بعيد لان
اهل القيامة يعلمون انه تعالى يعلم الاشياء علما واجبا فالاعلام في حقه محال قلت لو اريد اظهرنا معلومك لزال الاستبعاد والمعنى ظهر
وحصل في الواقع من جهة قولنا ما كان ثابتا في علمك القديم انا سنقوله كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا اي لم يحصل بعد معلومه في الوقوع
وقد مر وقولهم آذناك ماض في معنى المستقبل على عادة القرآن او انشاء للايذان او اخبار عما قيل لهم قبل ذلك فانه يمكن ان يعاد عليهم
هذا الاستفهام مرات لمزيد التوبيخ ومعنى ما منا من شهيد ليس منا من يشهد اليوم بانهم شركاؤك لانا عرفنا عيانا انه لا شريك لك
او هو كلام الشركاء احياها الله وانطقها فيتبرأ مما اضيف اليها من الشركة ومعنى الضلال على هذا التفسير عدم النفع ويجوز ان يراد ما منا
من احد يشاهدهم لانهم غابوا عنا ومعنى يدعون يعبدون والظن بمعنى اليقين والمحيص المهرب وحين بين ان الكفار تبرؤوا في الآخرة من شركائهم
بعد ان كانوا مصرين في الدنيا على عبادتهم بين ان الكافر يتبدل في حالاته كلها واكثرهم في حالة الاقبال لا يسأم من طلب الجاه والمال وفي
حالة الادبار يصير في غاية اليأس والانكسار وان عادت النعمة بعد يأسه فلا بد ان يقول هذا لي وجدته باستحقاق لي او هذا لا يزول
عني ويبقى علي وعلى عقبي وانكر البعث وعلى فرض وجوده زعم بل جزم ان له عند الله الحالة الحسنى قياسا امر الآخرة على امر الدنيا ونظيره
ما سبق في سورة الكهف ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فلا جرم خيب الله امله وعكس بالتصريح بقوله فلننبئن الآية
وحين حكى قول الكافر اخبر عن افعاله بقوله واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه اي يعظم ويتجبر وقد سلف في سبحان
لكثرة الدعاء ودوامه وقد يستعار الطول للكثرة ايضا وان لم يكن الشيء ذا اجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب فان قيل كيف قال
اولا فيؤوس قنوط ثم قال فذو دعاء عريض قلنا اراد انه يؤوس بالقلب دعاء باللسان او قنوط من الصنم دعاء لله والاول
في قوم والثاني في آخرين ولما ذكر مرات في سورة مبالغة الكفار في العداوة والنفرة من اتباع الرسول والقرآن ارشدهم
الى طريق احوط مما هم فيه فقال قل ارأيتم الآية وتقريره انكم كلما سمعتم القرآن اعرضتم عنه ثم كفرتم به حتى قلتم قلوبنا في اكنة
بهذا القرآن ومن المعلوم ان هذا ليس بديهيا فقيل الدليل يحتمل ان يكون صحيحا وحينئذ يلزم بعدم قبوله العقاب الابدي وقوله ممن هو
في شقاق بعيد من وضع الظاهر مقام المضمر وهو مشكل ببيان لبعد سوطهم في الشقاق والخلاف قال في الكشاف وقوله جواب الشرط بالحقيقة محذوف

وهو قوله فمن اضل منكم وانما قال في الاحقاف وكفرتم بالواو لان معناه في السورة وكان عاقبة امركم بعد الامهال للنظر الكفر فحسن دخول
ثم مع انها تفيد التراخي في الرتبة وهناك عطف عليه قوله وشهد شاهد فلم يحسن الا الواو ثم بين ان الاسلام يعلو ولا يعلى عليه وان
الغلبة والنصرة يكون لاهله فقال سنريهم آياتنا في الآفاق وهي الفتوح الواقعة على ايدي الخلفاء الراشدين والتي سيقع على ايدي انصاره
الى يوم القيامة وفي انفسهم وهي فتح مكة وسائر الفتوح التي وجدت في عصر النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتبين لهم انه اي محمدا او القرآن او الدين
الحق ووجه التبيين ان هذا اخبار عن الغيب فاذا وقع مطابقا دل على صدق المخبر او اعجازه وواحد الآفاق افق وهي الناحية من نواحي الارض
او السماء وعند المحققين الآيات الآفاقية هي الخارجة عن حقيقة الانسان وبدنه كالافلاك والكواكب والظلم والانوار والعناصر والمواليد
ولا ريب ان العجائب المودعة في هذه الاشياء مما لا نهاية لها وانما توقف عليها حينا بعد حين وقد اكثر الله سبحانه من تقرير تلك الدلائل في القرآن
بعضها في السور المكيات وكثير منها في المدنيات والآيات النفسية هي التي اودعها في تركيب الانسان وفي ربط روحه العلوي ببدنه السفلي كقوله
وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله سنريهم دلالة على ان رؤية الادلة مما لا يكون الا بارادة الله قال جار الله معنى قوله اولم يكف بربك انه على كل شيء
شهيد هو ان هذه الآيات الموعودة يكفيهم دلالة على ان القرآن منزل من عالم الغيب المطلع على كل شيء وقال حكماء الاسلام اراد بقوله اولم يكف
توبيخ من ليس له رتبة الاستدلال بنفس الوجود على واجب الوجود فان هذا هو طريقة الصديقين واما غيرهم فانهم يستدلون بالممكن على الواجب
فيفتقرون الى النظر في الآفاق والانفس وقال بل المعرفة الآفاق لاجل العوام والانفس للخواص وقوله اولم يكف لخواص الخواص وقيل
اولم يكف الانسان من الزاجر والرادع عن المعاصي كون الله شهيدا عليه وقيل اراد انه لا يخلف ما وعد لاحد في الانبياء كلها ثم ختم
السورة بتوبيخ الشاكين في امر البعث والبغي عليهم واوعدهم بانه عالم كل شيء فيجازي كلا على حسب ما يستحقه صدق

سورة الشورى ثلث وخمسون آية وهي مكية كلماتها ثمانمائة وست وستون حروفها ثلثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۝ عسق ۝ كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ۝ له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم ۝ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم ۝ والذين اتخذوا
من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل ۝ وكذلك اوحينا اليك
قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة
وفريق في السعير ۝ ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته
والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ۝ ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي
وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ۝ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله
ربي عليه توكلت واليه انيب ۝ فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا
ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ۝ له مقاليد السموات
والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم ۝ شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي
اليه من ينيب ۝ وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت
من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك

منه مريب ۝ فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله
من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله
يجمع بيننا واليه المصير ۝ والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة
عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ۝ الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان
وما يدريك لعل الساعة قريب ۝ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين
امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال
بعيد ۝ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز ۝ من كان
يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة
من نصيب ۝ ام لهم شركؤا شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل
لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ۝ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا
وهو واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون
عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ۝ ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات
قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور

القراءات يوحي على البناء للمفعول ابن كثير وعباس يكاد بالياء التحتانية نافع وعلي ينفطرن بالنون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد والمفضل برايهم كنظايره يبشر الله مخففا من البشارة ابن كثير وحمزة وابو عمرو وعلي الوقوف حم عسق كوفي تلك يوحي مجهولا لانه قيل من الموحي فقال الله اي هو الله الحكيم وفي الارض العظيم لمن في الارض الرحيم عليهم والوصل اوجه لان نفي الفعل تقرير نبات ما قبله بوكيل لا ريب فيه السعير النصير اولياء للفصل بين الاستخبار والاخبار مع دخول الفاء المولى للفصل بين القدرة والخصوص وبيان القدرة على العموم مع اتفاق الجملتين قدير الى الله انيب والارض ازواجا الثاني لان ضمير فيه يحتمل ان يعود الى الازواج الذي هو مدلول الازواج او الى التدبير وان لم يسبق ذكره شيء لعطف الجملتين المختلفتين البصير والارض لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال العامل معنى الفعل في له او في الملك ويقدر عليم فيه اليه منيب جنتهم وكذلك بعده مريب فادع كما امرت اهواءهم كتاب كل ذلك للترتيب في القراءة وان اتفقت الجملتان بينكم وربكم اعمالكم وبينكم بيننا المصير شديد والميزان قريب بها العطف المختلفتين منها للعطف او الحال الحق بعيد من بناء الاحتمال عطف وهو على تجاه قوله الله لطيف وجها مشفقان العزيز حرثه للعطف على الشرط نصيب الله بينهم اليم الجنات لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال ربهم الكبير الصالحات القربى حسنا شكور
الكلام في حم كما سبق وما في عسق قيل انه مع حم اسم للسورة وقيل رموز الى فتن كان على عليه السلام يعرفها وقيل الحا حكم الله والميم ملكه والعين علمه والسين سناؤه والقاف قدرته وقيل الحا حرب علي ومغفرته والميم ولاية المروانية والعين ولاية العباسية والسين ولاية السفيانية والقاف قدرة مهدي وهذه الاقاويل مما لا عول عليها وقال اهل التصوف الحا حبه والميم محبوبية محمد والعين عشقه على سيده والقاف قربه الى سيده واقسم انه يوحي اليه والى ساير الانبياء من قبله انه محبوبه في الازل وبتبعيته خلق الكاينات والاولى تفويض علمها الى الله كساير الفواتح وانما فصل حم من عسق حتى عدا اتيين خلاف كهيعص لتقدم حم قبله واستقلالها بنفسها اولان جميعا ذكر الكتاب بعدها صريحا الا هذه فانها نزلت عليه دلالة التضمين بذكر الوحي الذي يرجع الى الكتاب روى عن ابن عباس انه لا نبي صاحب كتاب الا اوحى الله اليه حم عسق والله اعلم بصحة هذه الرواية والاظهر ان يقال مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحي الله اليك والى الانبياء قبلك والمراد المماثلة في اصول الدين كالتوحيد والعدل والنبوة والمعاد وتقبيح احوال الدنيا والترغيب في الاخرة كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وفي ورود لفظ يوحي مستقبلا لا ماضيا اشارة الى ان ايحاء مثله عادته ثم بين سعة ملكه واخبر عن غاية جلاله بقوله له ما في السموات الى اخره ثم اخبر عن فظاعة ما ارتكبه اهل الشرك فقال تكاد السموات يتفطرن وقد سبق في اخر سورة مريم ومعنى من فوقهن لان الانفطار يبتدي من اعلى السموات او ما فوقها من العرش والكرسي الى ان ينتهي الى السفلى او من جهة الفوق زيادة تفظيع وتهويل قال جار الله كانه قيل من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن وقيل معناه من الجهة التي جعلت هذه السموات فيها وفيه ضعف لانه كقول القايل السما فوقنا وقيل الضمير للارض وتقدم ذكرها اي من فوق الارضين وروي عكرمة

عن ابن عباس يتفطرن من ثقل الرحمن فان صحت الرواية كان في الظاهر دليلا للمجسمة ولاهل السنة ان يتاولوا الثقل بالهيبة والجلال او يقدروا مضافا محذوفا اي من ثقل ملائكة الرحمن كقوله صلى الله عليه وسلم اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع شبر الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد ثم انتقل من وصف الجسمانيات الى ذكر الروحانيات وان لهم بالوجه الذي الى عالم الارواح يسبحون وبالوجه الذي لهم الى عالم الاجسام يستغفرون فقال والملائكة قيل هو عام وقيل حملة العرش كما مر في اول سورة المومن الا انه عمم ههنا فقال لمن في الارض اي يطلبون ان لا يعاجل الله اهل الارض بالعذاب طمعا في توبة الكفار والفساق منهم وقيل هو مخصوص بما مر اي يستغفرون للمومنين منهم ثم سلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بان المشركين انما حسابهم على الله وما عليك الا البلاغ قوله وكذلك اوحينا قال ابن بحر هو الكلام الاول اعيد لما اعترض بين الكلامين ما اعترض وقال جار الله الكاف مفعول لاوحينا وذلك اشارة الى المذكور قبله من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت عليهم بوكيل وقد كرر هذا المعنى في كتابه في مواضع وقرانا عربيا حال والمعنى مثل ذلك المذكور اوحيناه اليك وهو قران عربي لا لبس فيه ليفهم معناه ولا يجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى الايحاء اي كما اوحينا الى الرسل قبلك اوحينا اليك فيجوز ان يكون المماثلة بالحروف المفردة وان يكون بالمنقول الذي كما قال اهل اللغة انذرته كذا وبكذا فمن الاستعمال الثاني قوله لتنذر ام القرى اي اهل مكة على حذف المضاف والمفعول الثاني وهو القران محذوف ومن الاستعمال الاول قوله وتنذر يوم الجمع والمفعول الاول محذوف اي وتنذر الناس يوم يجمع فيه الخلائق او يجمع فيه بين الارواح والاجساد او بين كل عامل وعمله قلت من الجايز ان يكون الكل من الاستعمال الاول ولا حذف الا ان قوله وتنذر يكون تكرارا للمبالغة والتقدير لا صلى لتنذر ام القرى يوم الجمع وقد مر في القصص في قوله حتى يبعث في امها ان مكة ام سمي القرى وقوله ومن حولها ويحتمل اطراف عموم الارض لان مكة في وسطها ويحتمل ان يكون المراد به سائر جزيرة العرب ويدخل باقي الامم بالتبعية او بحجة اخرى كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس وقوله لا ريب فيه اعتراض لا محل له او صفة يجمع بناء على ان التعريف الجنسي قريب من النكرة وقوله فريق مبتدأ محذوف الخبر اي منهم فريق كذا ومنهم فريق كذا اي هذا حالهم بعد الحشر والاجتماع ثم بين بقوله ولو شاء الله الى اخره ان السعادة والشقاوة والهداية والضلالة تتعلق بمشيئته وارادته وهذا على مذهب اهل السنة ظاهر وتاول المعتزلة مشيئة القسر والالجاء وقد مر نظايره مرارا والظاهر ان المراد كونهم ذوي ملة واحدة ان يكونوا مسلمين كلهم وقيل ان يكونوا اهل ضلالة قياسا على قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة ثم انكر على اهل الشرك بام المنقطعة في قوله ام اتخذوا من دونه اولياء ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي الذي يجب ان يعتقد انه المولى والسيد لا ولي سواه ومن شانه ان يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق ان يتخذ وليا وحين منع الرسول من التحزن على من كفر اراد ان يمنع المومنين من الاختلاف والتنازع فقال وما اختلفتم والتقدير قل يا محمد كذا بدليل قوله ذلكم الله ربي الاية والمراد ان الذي اختلفتم انتم والكفرة فيه من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه الى الله وهو اثابة المحقين ومعاقبة المبطلين وقيل وما اختلفتم فيه من الايات المتشابهات فارجعوا في بيانه الى المحكمات اولى الظاهر من السنة وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بالتكاليف فقولوا الله اعلم به كمعرفة الروح وغيرها وقال في الكشاف ولا يندرج فيه اختلاف المجتهدين لان الاجتهاد لا يكون بحضرة الرسول قلت ان لم يجز بحضرته فانه جايز بعده وقوله وما اختلفتم شامل لجميع الامة الى يوم القيمة مثل يا ايها الذين امنوا ومثل اقيموا الصلوة والاظهر ان اختلافهم يدخل فيه وان المراد بحكمه يتعرف من بيان الله تعالى سواء كان ذلك البيان بالنص او بالقياس او بالاجتهاد فان قيل المقصود من التحاكم قطع الاختلاف ولا قطع مع القياس ولا مع الاجتهاد قلنا اذا كان المكلف مامورا به وكذا بالاجتهاد بل يكون كل مجتهد مصيبا كانت المخالفة في حكم الموافقة ولهذا قال اختلاف امتي رحمة ثم وصف نفسه باوصاف الكمال ونعوت الجلال لكي يصح الحكم منه فقال فاطر السموات والارض وهو احد اخبار ذلكم او خبر مبتدأ محذوف ومعنى ومن الانعام ازواجا انه خلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا يذروكم فيه اي يكثركم في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى جعل بين الذكور والاناث التوالد والتناسل والضمير في يذروكم راجع الى المخاطبين والى العقلاء على غيرهم وعلى الاول الخطاب وعلى الثاني العقل والانعام يذروكم فيه ولم يقل به لانه جعل التدبير منبعا ومعدنا للتكثير كقوله ولكم في القصاص حيوة او لان حروف الجر يقام بعضها مقام البعض ومعنى ليس كمثله شيء نفي المثلية عنه بطريق الالزام وذلك انه لو كان له مثل والله تعالى شيء لكان مثل مثله شيء وهو خلاف نص الخبر الصادق وهذا لانه انما لزم من فرض وجود المثل له وجود المثل محال وهو المطلوب ولعل هذا التقدير مختص بنا وقال في الكشاف انه من باب الكناية كقولك مثلك لا يبخل يعنون انت لا تبخل فكذا ههنا اي ليس كالله شيء ويجوز ان يكون الكاف حرف التشبيه فتاكيد وقد يستدل بالاية على نفي الجسمية لوازمها عنه تعالى لان الاجسام متماثلة في الحقيقة قوله له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح خزاينها وقد مر في الزمر والباقي واضح وقد سبق ايضا وحين عظم وحيه الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله كذلك يوحي اليك الى اخره ذكر تفصيل ذلك فقال شرع لكم الى اوجب وبين لاجلكم من الدين ما وصى به نوحا وهو اقدم الاديان بعد الطوفان والذي اوحينا اليك وهو خاتمها وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وهي الملل المعتبرة المتوسطة ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاكابر من سلفه بقوله ان اقيموا الدين الحنيفي ومحله نصب بدلا من مفعول شرع او رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين يعني اقامة اصوله من التوحيد والنبوة والمعاد ونحو ذلك دون الفروع التي تختلف بحسب الاوقات كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وفي بناء الكلام على الغيبة ثم الالتفات الى المتكلم في اوحينا والخطاب في اليك تفخيم لشان الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حكى جحد اهل الشرك بقوله كبر على المشركين اي شق وعظم عليهم ما تدعوهم اليه من الدين المبراة من عبادة غير الله ثم اجاب عن شبهتهم بان الاجتبا والاصطفا يتعلق بمشية الله لا بتمني كل احد ولا بكثرة المال والجاه وقيل اجتباه الله اي اصطفاه لنفسه والتركيب يدل على الجمع والضم ويحتمل ان يراد يجتبي الى الدين ثم اخبر عن وقت تفرق كلمة اهل الكتاب عن حق ذلك فقال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث محمد وصحة نبوته كقوله في ال عمران وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل وما تفرق الامم الذين تقدم ذكرهم الا بعد العلم بصحة ما امروا به قال بعض اهل البرهان لما ذكر مبدأ كفرهم وهو قوله الا من بعد ما جاءهم العلم حسن ذكر نهاية وجهالهم وهو قوله الى اجل مسمى ليكون محدودا بالطرفين وانما ترك ذكر النهاية في السورة المتقدمة لعدم ذكر البداية وان الذين اورثوا الكتاب هم العرب ورثوا القران من بعد ما ورث اهل الكتابين كتابهم او هم اهل الكتاب المعاصرون

لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل جاءهم اسباب العلم فلم ينظروا فيها لانه حكم عليهم في اخر الاية بانهم في شك على كتابهم وهو مع العلم غير
مجتمعين فلذلك اي فلاجل تشعب الملل وتفرق الكلم فادع الى الملة الحنيفية وقيل اللام بمعنى الى والاشارة الى القرآن واستقم عليها
كما امرت ولا تتبع اهواءهم المختلفة وقل آمنت بما انزل الله من اي كتاب كان وامرت لاعدل بينكم اي في التبليغ او اذا تحاكمتم الي حتى
لا تفرق بين نفسي ونفس غيري ثم اشار الى ما هو اصل في الدين فقال الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم
وليس المراد منه تحريم المحاجة فانه لولا الادلة لما توجه التكليف بل المراد انهم بعدما وقفوا على الحجج الباهرة والدلائل الظاهرة على حقيقة دين الاسلام
لم يبق معهم محاجة لسانية وانما بقي السيف وقيل انه منسوخ باية القتال وقوله الله يجمع بيننا اشارة الى المهاجرة التي اقتضاها اصرارهم على الباطل
او تفويض للامر الى المجازي المنتقم ثم اخبر عن وعيد المخاصمين في امر دين الله من بعد ما استجيب له اي من بعد ما استجاب له الناس وقبلوا
دينه او بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر حجتهم داحضة اي باطلة زائلة عند ربهم وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون كتابنا
قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فانتم اولى باتباعنا وايضا انكم تقولون الاخذ بالمتفق عليه اولى من الاخذ بالمختلف فيه ونبوة موسى وحقيته
متفق عليها ونبوة محمد مختلف فيها والجواب ان نبوة موسى انما صحت بالمعجزة فان كانت المعجزة في حقه مصححة للنبوة ففي محمد كذلك والا
فالقادحون في نبوة نبيكم ايضا ثم حث على سلوك طريقة العدل حذرا من عقاب يوم القيمة فقال الله الذي انزل الكتاب اي جنسه ملتبسا بالحق
الصحيح والميزان اي انزل العدل والسوية في كتبه او الهم اتخاذ الميزان وقيل العقل وقيل الميزان بنفسه وذلك في زمن نوح وقيل هو محمد صلى الله
عليه وسلم يقضي بينهم بالكتاب وما يدريك يا محمد او ايها المكلف لعل الساعة اي مجيئها قريب او ذكر بتاويل البعث او الحشر ونحوه واراد
شيء قريب ومتى كان الامر كذلك وجب على العاقل ان يجتهد في اداء ما عليه من التكاليف ولا يتانى في سلوك سبيل الانصاف مع الخالق
والخلق فانه لا يعلم ان القيمة متى تفاجئه ثم شرح طريقة منكري الساعة فقال يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يقولون على سبيل السخرية متى تقوم
الساعة وليتها قامت حتى يظهر لنا جلية الحال ثم مدح المؤمنين بانهم يخافون القيمة هيبة من الله واجلالا له او حذرا من التقصير وقلل وقع في العمل الا
ان خوفهم يجب ان يكون ممزوجا بالرجاء وقد مر تحقيقه مرارا ثم هدد الشاكين المجادلين في امر البعث بقوله الا ان الذين يمارون يجادلون من المرية الشك
لفي ضلال بعيد عن الصواب لان استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب على فضله او في حكمته او لان في انكاره نسبة الله سبحانه الى ضد العلم
والقدرة ثم انه لا ريب ان انزال الكتاب والميزان لطف من الله على خلقه فلذلك قال الله لطيف بعباده عمم البر ثم خصص بقوله يرزق
من يشاء يعني الزايد على مقدار الضرورة فلكل انسان فاق اقرانه في المال او الجاه او الاولاد او العلم او في سائر اسباب المزية الا ان احدا منهم
لا يخلو بلطف بهم بلا يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا وقد مر معناه في الانعام بوجه اخر في قوله وهو اللطيف الخبير واما قوله وهو القوي العزيز ففيه
اشارة الى ان لطفه مقرون بقهره وحين ذكر انه يرزق من يشاء الزايد على مقدار الكفاية وكان فيه كسر قلوب ارباب الفقر والضيق جبر كسرهم
بقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه سماه حرثا تشبيها للعامل المطالب لثواب الاخرة اضعافا مضاعفة بالزارع الذي يلقي
البذر في الارض طلبا للزيادة والنماء ومن كان يريد حرث الدنيا هذا من قبيل المطابقة والا فلا حرث ههنا بالحقيقة لان الذي يضيع من
طالب الدنيا هو العمر الذي يحصل به السعادة الباقية اشرف بكثير من الذي قد يحصل له من فضائل حرث الاخرة ان طالبها يحصل
له الدنيا بالتبعية ويرى ثواب عمله اضعافا مضاعفة وطالب الدنيا لا يحصل له المطالب بالاسر ولهذا قال نؤته منها اي بعض ذلك وما له في الاخرة
من نصيب قط وفي زيادة لفظ الحرث فائدة اخرى وهي ان يعلم شيئا من القسمين لا يحصل الا بتحمل المتاعب والمشاق وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع همه وجعل غناه
في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة هذا لفظه او لفظه معناه وعن قتادة ان الله يعطي الدنيا على نية الاخرة ولا يعطي الاخرة على نية الدنيا
وفي ظاهر اللفظ دلالة على ان من صلى لطلب الثواب ولدفع العقاب فانه يصح صلوته ولانه صلى لاجل ما يتعلق بالاخرة قال بعض اصحاب
الشافعي اذا توضأ بغير نية لم يصح لان هذا الانسان غفل عن الاخرة وعن ذكرها والخروج من عهدة الصلوة من باب منافع الاخرة فلا يحصل
بالوضوء العاري عن النية وحيث بين القانون الاعظم والقسطاس الاقوم في اعمال الدارين نبه على احوال اهل الضلال بقوله ام لهم شركاء
وهي المنقطعة عند بعضهم وقال اخرون هي المعادلة لالف الاستفهام تقديره افتقبلون ما شرع الله من الدين ام لهم الهة شرعوا لهم
من الدين ما لم يأذن به الله اي لم يامرهم به ولم يعلمه كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم والاذن بالفتح العلم بالمسموعات وتحقيقه شرعوا ما ليس
بشريعة ولو كان شريعة لعلمها الله ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاخير الجزاء لقضي بينهم والضمير للمؤمنين والكافرين او للمشركين
والشركاء ترى الظالمين في القيمة مشفقين خائفين مما كسبوا من الجرائم وهو اي وبال ذلك واقع بهم واصل اليهم لا محالة والذين
امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات اي متنزهاتها فان الاشارة فيه دليل على ان غيرها من الاماكن في الجنة لغير المذكورين
وغيرهم ليس الا الذين امن ولم يعمل صالحا وهو الفاسق وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اضافة الروضات الى الجنات من اضافة العام
الى الخاص فيكون الجنات كلها روضات ولكن الروضات قد لا يكون في الجنة كثبوتها في الدنيا والفضل الكبير تقدم في فاطر ذلك المذكور من
الثواب او التبشير هو الذي يبشر الله به عباده وحذف الجار ثم الراجع الى الموصول ثم امر رسوله بان يقول لا اسئلكم عليه اي على هذا التبليغ
اجرا الا المودة الكائنة في القربى جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها ولهذا لم يقل مودة القربى او المودة للقربى وهي مصدر بمعنى القرابة اي
في اهل القربى وفي حقهم فان قيل استثناء المودة من الاجر دليل على انه طلب الاجر على تبليغ الوحي وذلك غير جائز كما جاء في قصص سائر
الانبياء او لا سيما في الشعراء وقد جاء في حق نبينا ايضا قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين قل ما سألتكم من اجر فهو لكم والمعقول
فيه ان التبليغ واجب عليه وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق بالمروة وايضا انه يوجب التهمة ونقصان الحشمة قلنا ان من جعل الاية منسوخة
بالتين لا استثناء فيها فلا اشكال عليه واما الاخرون فمنهم من قال الاستثناء منقطع ولكنه من قبيل تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا اطلب منكم اجرا الا هذا وهو في الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة
بين المسلمين امر واجب ولا سيما في حق الاقارب كما قال عز من قائل الذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ومنهم من قال الاستثناء متصل
اي لا اسئلكم عليه اجرا البتة ولكن اذكركم المودة في القربى اربعة اقوال الاول قال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس
نسأله عن ذلك فاجاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسطة النسب في قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد كان بينهم وبينه قرابة

فقال

فقال الله قل لا اسئلكم على ما ادعوكم اليه اجرا الا ان تودوني لقرابتي منكم يعني قومي احق من اجابني واطاعني فاذا قد ابيتم ذلك
فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي القول الثاني روى الكلبي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت تنوبه نوائب وحقوق
وليس في يده سعة فقال الانصار ان هذا الرجل قد هداكم الله على يده وهو ابن اختكم وجاركم في بلدكم فاجمعوا له طائفة من اموالكم ففعلوا ثم اتوه فرده
عليهم ونزلت الاية تحثهم على مودة اقاربهم وصلة ارحامهم القول الثالث عن الحسن الا ان تتوددوا الى الله وتتقربوا اليه بالطاعة والعمل الصالح
القول الرابع عن سعيد بن جبير لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة و
ابناهما ولا ريب ان هذا فخر عظيم وشرف تام ويؤيده ما روي ان عليا عليه السلام شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس له
فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذرياتنا خلف
ازواجنا وعنه صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه
عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني وكان يقول فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر انه كان يحب عليا والحسن والحسين
واذا كان كذلك وجب علينا محبتهم لقوله فاتبعوه وكفى شرفا لال الرسول وفخرا ختم التشهد بذكرهم والصلوة عليهم في كل صلوة قال بعض
المذكورين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق وعنه صلى الله عليه
وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم فنحن نركب سفينة حب آل محمد ونضع ابصارنا على الكواكب النيرة اعني آثار الصحابة لنتخلص في بحر
التكليف وظلمة الجهالة من موج الشبهة والضلالة ثم اكد ايصال الثواب على المودة بقوله ومن يقترف حسنة اي يكتسب طاعة قال بعض اهل
اللغة الاقتراف يستعمل في الشر فاستعاره ههنا للخير عن السدي انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت في ابي بكر ومودته
فيهم والظاهر العموم في كل حسنة ولا شك ان هذه المودة قصدا اوليا لذكرها عقيبها ومعنى زيادة حسنها تضعيف ثوابها ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع

ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل
ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور ۝ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون ۝ ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ۝ ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير ۝ وهو الذي ينزل
الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ۝ ومن اياته خلق السموات
والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ۝ وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير ۝ وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير ۝ ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على
ظهره ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ۝ او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير
ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص ۝ فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة
الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ۝ والذين يجتنبون كبائر
الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ۝ والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة
وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ۝ والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ۝
ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ۝ انما السبيل على الذين يظلمون الناس
ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ۝ ولمن صبر وغفر ان ذلك

لمن عزم الامور ۝ ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا
العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل ۝ وتريهم يعرضون عليها خاشعين
من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم ۝ وما كان لهم من اوليا ينصرونهم
من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل ۝ استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له
من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك
الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم فان الانسان كفور ۝ لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء
اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ۝ او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما ۝
انه عليم قدير ۝ وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم ۝ وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ۝ ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من
عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور

القراءات ما تفعلون على الخطاب حمزة وخلف وعلي وحفص ينزل الغيث بالتشديد ابو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم ينزل بقدر بالتخفيف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بما كسبت بدون فاء الجزاء ولا تضمن معنى الشرط ما الابتدائية ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون فبما كسبت بالفاء الجوار الياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو في الوصل ... الرياح على الجمع ابو جعفر ونافع ويعلم الذين بالرفع ابن عامر وابو جعفر ونافع الباقون بالنصب كبير الاثم على التوحيد حمزة وعلي وخلف او يرسل بالرفع فيوحي بالاسكان نافع وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الاخرون بالنصب فيهما الوقوف كذبا للشرط مع فاء التعقيب قلبك ط لان ما بعده مستانف بكلماته الصدور ه تفعلون ه لا فضله ط شديد ه يشاء ط بصير ه رحمته ط الحميد ه دابة ط قدير ه كثير ط في الارض ط ولا نصير ه كالاعلام ه على ظهره ط شكور كثير لمن رفع ويعلم ومن نصب فوقفه مجوز لانا محيص ه الدنيا ج للعطف حملي الشرط ويحتمل ان يكون الوقف مطلقا بناء على ان الثانية اخبار مستانف يتوكلون ه يغفرون ه الصلوة لانقطاع النظم واتصال المعنى ... المقول منهم كذلك ينفقون ه ينتصرون ه مثلها ج على الله ط الظالمين ه سبيل ط الحق ط اليم ه الامور ه بعده ط من سبيل ه لان الاية مع العطف حكى القيمة ط مقيم ه من دون الله ط سبيل ه من الله ط نكير ه حفيظا ط البلاغ ط كفور ه الارض ط ما يشاء ط الذكور ه واناثا ج لاحتمال ما بعده العطف والاستيناف اي هو يجعل عقيما ط قدير ه ما يشاء ط حكيم ه امرنا ط عبادنا ط مستقيم ه وما في الارض ط الامور ه التفسير لما ذكر في اول السورة ان هذا القران انما حصل بوحي الله وانجر الكلام الى ههنا حكى شبهة القوم وهي زعمهم انه مفترى وليس بوحي فقال ام يقولون افترى قال جار الله ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى اعظم انواع الفرية وهو الافترا على الله ثم اجابهم بقوله فان يشا الله يختم على قلبك اي يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترى على افترا الكذب على الله الا من تكون في مثل حالهم والغرض المبالغة في استبعاد الافترا من مثله والتعريض بان من ينسبه الى الافترا فهو مختوم على قلبه وقلبك لا انساك ما اتاك من القران ولكنه لم يشا فاثبته فيه وقيل لا مانك فان قلت السبب كالمختوم عليه ومثله لقطعنا منه الوتين قاله قتادة ومجاهد وقال مقاتل يربط على قلبك بالصبر على اذاهم فلا يدخل قلبك حزن مما قالوه ثم استانف فقال ويمح الله الباطل اي من عادته ذلك ولو كان محمد مبطلا لفضحه وكشف عن باطله وحذف الواو من الخط لا للجزم كما في قوله ويدع الانسان سندع الزبانية وفي تفسير الجبائي ان الواو حذفت للجزم والمعنى ان افتريت ختمه على قلبك ومحا الباطل المفترى والاستيناف على هذا من قوله ويحق الحق بكلماته اي يثبت ما هو الحق في نفسه بوجه او بقضائه ويجوز ان يكون وعدا لرسول الله بان يمح الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويظهر الحق الذي انت عليه وهو القران بحكمه السابق وبعلمه القديم انه عليم بذات الصدور فيجازي المبطل والمحق على حسب حاليهما وحين حكم على البهت والتكذيب دلهم الى التوبة وعرفهم انه يقبلها من كل مسيء والاية واضحة مما سلف مرات ولا سيما في اول البقرة في توبة ادم اما الضمير في قوله ويستجيب فعائد الى الله سبحانه واصله ويستجيب لهم فحذف الجار والمراد انه اذا دعوه استجاب لهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم تفضلا وقيل لا ضمير فيه وانما الظاهر بعده فاعله قال سعيد بن جبير اراد ان المؤمنين يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن ادهم

رحمه الله

رحمة الله عليه انه قيل له ما بالنا ندعو فلا يجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه وقرا والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين امنوا وحيث وعد الاستجابة للمؤمنين كان سائل ان يقول انا نرى المومن في شدة وبلية وتقرر انه يدعوا الله فلا يشاهد اثر الاجابة فلا جرم قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض اي ظلم بعضهم بعضا وعصوا الله وهذه ليست بقضية كلية دائمة ولكنها اكثرية وان المال يعين قوى على تحصيل المطالب ودفع الالام النفس واذا كانت الالة موجودة وداعية الشر في طبع الانسان مجبولة فقلما لا يقع مقتضاه في الخارج وايضا ان اكثر الناس انما يخدم مثله ويتبعه طمعا في ماله او جاهه والتابع لمال غالبا فلو تساويا في المال استنكف كل منهما من الانقياد لصاحبه فارتفعت رابطة التعاون وانقطعت سلسلة التمدن وقيل ان الاية نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واغار بعضهم على بعض ولبعضهم قوم اذا نبت الربيع بارضهم نبت عداوتهم مع البقل وقال محمد بن جرير نزلت في اصحاب الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى وقوله بقدر اي على قدر المصلحة ووفق حال المخصوص لقوله وما ننزله الا بقدر معلوم وحين بين ان حكمته اقتضت عدم توسيع الرزق على كل الخلق اراد انه يبين انه لا يترك ما يحتاجون اليه وان بلغ امرهم الى حد الياس والقنوط فقال وهو الذي ينزل الغيث الاية ونشر الرحمة عموم المطر وهي عامة في كل رحمة سوى المطر وهو الولي الذي يتولى امور عباده الحميد على كل ما يفعله ولا ريب ان هذا من جملة دلائل القدرة فلذلك عطف عليها قوله ومن اياته خلق السموات والارض ومحل قوله وما بث ما مجرور عطفا على السموات او مرفوع عطفا على خلق وانما قال فيهما من دابة مع ان الدواب في الارض وحدها لان الشي قد ينسب الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو فلان فعل كذا ولعله قد فعله واحد منهم فقط ويجوز ان يكون للملائكة مع الطيران مشي فيوصفوا بالدبيب كالانسان او يكون في السموات انواع اخر من الخلائق يدبون كما يدب الحيوان في الارض وهو على جمعهم اي احياهم بعد الموت اذا يشاء قدير واذا دخل على المضارع كما يدخل على الماضي ومعنى الاستقبال في يشاء يعود الى تعلق المشيئة لا الى نفس المشيئة القديمة ثم بين حال المكلفين وان ما يصيبهم من المكروه والبلاء فهو عقوبة للمعاصي التي كسبوها وان الله يعفو عن كثير من الذنوب والناس ملازم العقوبة زجرا او استدراجا قال الحسن اراد اقامة الحدود على العاصي وانه لم يحصل بعض الذنوب حدا وقيل ان هذا في القيمة فان الدنيا دار تكليف لا دار جزاء ولقائل ان يقول كون الجزاء الاوفى والاتم مخصوصا بالقيمة لا ينافي وصول بعض الجزاء الى المكلف في الدنيا ولهذا قال علي عليه السلام هذه اية ارجى للمؤمنين في كتاب الله وذلك انه تعالى قسم ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب وصنف يعفو عنهم وهو كريم لا يرجع في عفوه ولو عكست القضية وقيل بما كسبت ايديكم فانه يصيبكم بالم وعذاب في الدنيا لكان هذا منافيا لكون الجزاء في الاخرة ويحصل العفو ايضا وعن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فقال ما عفا الله عنه فهو اعز واكرم من ان يعود اليه في الاخرة وما عاقب عليه في الدنيا فالله اكرم ان يعيد العذاب عليه في الاخرة قال اهل التناسخ لولا الاطفال والبهائم لهم حال كانوا عليها قبل هذه الحالة ما كانوا ليتالموا فانهم لا ذنوب لهم الان واجيب بالتزام انهم لا يتالمون من المصايب والالام وفيه بعد وبان الخطاب في الاية لذوي العقول البالغين وبان التالم في البالغين عقوبة او زيادة درجة وفي الاطفال مثوبة لهم او للوالد ثم خاطب المشركين بقوله وما انتم بمعجزين الاية ثم ذكر دليلا اخر قائلا ومن اياته الجوار اي السفن الجواري في البحر كالاعلام اي كالجبال في العظم ولا شك ان جريانها بسبب هبوب الرياح فلذلك قال ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره اي فيصرن واقفة على ظهر ماء البحر ان في ذلك لايات لكل صبار على البلاء شكور على الالاء او صبار في السفينة شكور اذا خرج منها وان يشا يوبقهن اي يهلك السفينة بما فيها بالغرق والكسر لعصوف الريح او غيره بما كسبوا من كفران نعم الله وعصيانه ويعف عن كثير من الذنوب فلا يجازي عليها في الدنيا او لا فيها ولا في الاخرة والحاصل ان يشا يسكن الريح فتبقى الجواري واقفة على متن البحر وان يشا يهلك ناسا وينج ناسا على طريقة العفو عنهم من نطع ويعلم نصب على الاستيناف ومن نصب فقد عطف على تعليل محذوف اي لينتقم منهم ويعلم قاله في الكشاف وقال الكوفيون ومنهم الزجاج النصب باضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك ووجهه ان هذا في تاويل المصدر معطوفا على مصدر اصنع مقدر ثم استانف قوله ما لهم من محيص ان لا مهرب لهم ولا ملجا عن عقابه ثم رغب المكلفين عن الدنيا وفي الاخرة وقد مر نظيره في القصص الا انه ذكر ههنا ان هذه الخيرة انما تحصل للمؤمنين بصفات احدها الايمان الثاني التوكل على الرب الثالث الاجتناب عن الكبائر والفواحش كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه انما حرم ربي الفواحش ومن قرا كبير على التوحيد وهو ابن عباس الشرك الرابع الغفران عند الغضب وهم تاكيد الضمير او مبتدا ما بعده خبره قال بعض العلماء يحتمل ان يراد بالكبائر البدع والعقائد الفاسدة وهي من فساد القوة العقلية وبالفواحش فساد القوة الشهوية وبالاخيرة ما يتعلق بالقوة الغضبية قال المفسرون نزل قوله والذين استجابوا لربهم في الانصار دعاهم الله ورسوله الى التوحيد فاطاعوه ورضوا بقضائه ... على الصلوات الخمس وكانوا قبل الاسلام متشاورين في كل امر دهمهم غير منفردين براي والشورى مصدر كالفتيا والمضاف محذوف اي ذو الشورى وليس بين قوله هم ينتصرون اي ينتقمون وبين قوله يغفرون منافات فان هذا اخص من الاول اذ البغي هو الذي يؤدي الى الفساد ولا يغير عفوه سببا للتمكين ما ثرة الفتنة ولرجوع الجاني عن جنايته ويجوز ان توجه المدح في الانتصار الى كون المظلوم بحيث يراعي حد الشرع ولا يتجاوزه حتى لو زاد عليه لم يكن منتصرا ولا يستحق المدح فهذه خمس صفات اخرى للراجين في الدار الاخرة ثم بين ان شرعية الانتقام مشروطة برعاية المماثلة فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها حتى لو قال اخزاه الله لا يزيد عليه في جواب شيئا وسمى الثاني سيئة لازدواج الكلام او لان السيئة هي التي يكرهها الانسان طبعا كالقصاص والقطع وسائر الحدود وقد لا يمكن رعاية المماثلة كما في قتل الانفس نفس واحدة او كقطع الايدي بيد واحدة اذا اتفقوا على قطعها وتحديد ذلك في الفقه وانما عرف ذلك بنص اخر او بقياس جلي ثم حث مع ذلك على العفو والصبر قائلا فمن عفى واصلح ما بينه وبين خصمه بالاعتناء والعفو فاجره على الله فان الانتصار حسن في نفسه ولا سيما اذا كان فيه مصلحة دينية كزجر والارتداع الا ان العفو احسن لانه لا يكاد يؤمن في الانتصار التجاوز عن حد الاعتدال ولهذا حذر منه بقوله انه لا يحب الظالمين روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له اجر على الله فليقم فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله ثم كرر ان الانتصار لا يؤاخذ به ولا سبيل للوم اليه لئلا يظن ان وعد الاجر على العفو يقتضي قبح الانتصار في نفسه فقال ولمن انتصر الاية وقوله من بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول والباقي واضح الى قوله الامور وانما دخل اللام في الخبر خلاف ما في لقمن لان الصبر على المكروه الذي هو ظلم اشد من الصبر على الذي

ليس بظلم وتكرير الحث على الصبر لمزيد التاكيد ايضا ثم ذكر ان الضلال والهداية التي هي نقيضه انما يتعلق بمشيته والمعتزلة يفسرون
الاضلال بالخذلان او باضلال عن طريق الجنة ثم حكى ان الكفار عند معاينة عذاب النار يتمنون الرجعة الى الدنيا ثم عقبه بذكر حالهم
حين يعرضون عليها والخشوع بمعنى الهوان ولهذا علق به قوله من الذل وقد تعلق بينظرون اي لهذا السبب يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم
ضعيف فان الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها وقد يفسر طرف الخفي بعين البصيرة بناء على ان الكفار يحشرون عميا فلا ينظرون
الا بقلوبهم والاكثرون اجابوا عنه بقوله لعلهم يكونون في الابتداء هكذا ثم يجعلون عميا او لعل هذا في قوم وذاك في قوم ثم حكى قول المؤمنين فيهم
ويوم القيمة ظرف لخسروا كما في الزمر فيحتمل ان يكون قول المؤمنين فيه او في الدنيا وجوز في الكشاف ان يكون ظرفا لقال والنكير الانكار اي ما
لكم من مخلص او لا من قدرت على ان تنكروا مما دون في صحائفكم من اعمالكم او ما لكم من منكر علينا حتى يغير شيئا من احوالكم ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله فان اعرضوا ثم ذكر سبب اصرارهم على عقائدهم الفاسدة وهو الضعف الذي جبل عليه الانسان من البطر عند الغنى والقنوط في زمن
الشدة والامن ومن الكفران ونسيان نعم الله عند البلاء وانما جمع قوله وان تصبهم لان الانسان جنس يشمل اهل الغفلة كلهم وقوله فان
الانسان من وضع الظاهر موضع المضمر وفايدة التسجيل على ان هذا الجنس من شانه ذلك الا ادب النفس وراضها ثم بين كمال قدرته بقوله
لله ملك السموات والارض الاية والمقصود ان لا يغتر الانسان بما يملكه من الجاه والمال ولا يعتقد انه يحصل بجد واجد به فيتعجب به ويعرض
عن طاعة ربه ثم ذكر من اقسام تصرفه في ملكه انه يختص البعض من الحيوان بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بالصنفين والبعض
يجعله عديم الولد وقدم ذكر الاناث تطييبا لقلوب ابائهن اولانهن مكروهات عند العرب فناسب ان يقرن اللفظ الدال عليهن باللفظ
الدال على البلاء او لان سياق الكلام فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان وكان ذكر الاناث التي هي من جملة ما لا يشاؤه الانسان
اهم وفيه نقل الانسان من الغم الى الفرح ولا ريب ان هذا ادل من العكس وفيه ان الانسان اذا رضي بالانثى فاعطاه الذكر علم انه
تفضل من الله وفيه ان العجز كلما كان اتم كانت عناية الله بحاله اوفر ثم اراد ان يتدارك تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم فعرف الذكور لانه
مع رعاية الفاصلة تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام ثم قال او يزوجهم ذكرانا واناثا فاعطى كلا الجنسين حقه
ونصبهما على الحال والضمير للاولاد وعلى المفعولية والضمير لمن يشاء اي يجعل لهم كلا الصنفين متساويين في العدد ام لا وقيل معناه
ان يلد او لا غلاما ثم جارية ثم غلاما ثم جارية وعلى هذا قال مجاهد وقيل ان يلد ذكرا وانثى في بطن واحد قاله ابن الحنفية وعن ابن عباس ان الاية
نزلت في الانبياء وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم صلوات الرحمن عليه وسلامه ذكورا ولمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ذكورا وهم
القاسم والطاهر وعبد الله وابرهيم اناثا وهن فاطمة وزينب ورقية وام كلثوم وجعل يحيى وعيسى عقيما والحق ان هذا التقسيم وان كان
مطابقا لحال هولاء الانبياء الا ان في التخصيص ضيق عطن ولئن صحت الرواية عن ابن عباس فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وحمل
بعض اهل التاويل الاناث على امور الدنيا والذكور على امور الاخرة وتزويج الصنفين الجامع بين الامرين والعقيم من لا دين له ولا
دنيا ثم اكد كمال القدرة بقوله وما كان لبشر اي وما صح لاحد ان يكلمه الله الا على احد ثلثة انحاء الاول الوحي وهو الالهام او المنام
كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم صلوات الرحمن عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد ان داود عليه السلام الهم الزبور في صدره
حفظا الثاني التكليم بلا واسطة ولكن من وراء حجاب والمجسمة استدلوا به على انه تعالى في جهة فان الاحتجاب لا يصح الا من
ذي جهة ومكان واجيب بان هذا مثل لانه اذا سمع الصوت ولا يرى الشخص كان بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب كما كلم موسى وكلم
الملائكة وقيل حجاب لموضع الكلام الثالث ان يرسل رسولا كجبريل فيوحي الملك باذن الله الى النبي ما يشاء وهذه الاقسام الثلثة كلها من
قبيل الوحي ولكنه سبحانه جعل الوحي في الاية خاصا بالاول وتقدير الكلام وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا
او الا وحيا او اسماعا وارسالا او الا ان يوحي او يسمع او يرسل ومن قرأ بالرفع فعلى الاستيناف بمعنى او هو يرسل او على الحال
بمعنى مرسلا عطفا على وحيا بمعنى موحيا وقيل الوحي هو الوحي الى الرسل بواسطة الملايكة وارسال الرسل ارسال الانبياء الى الامم فايدة التصحيح
عند اهل الحق ان الشيطان لا يقدر على القاء الباطل في اثناء الوحي وقد يقال ان يوحيه التكليف الى العبد لا يتم الا بثلث مراتب من
المعجزات وذلك ان التسلسل محال فلا بد من سماع الملك كلام الله بلا واسطة فالملك يحتاج الى معجزة تدل على ان ذلك الكلام كلام الله و
اذا بلغ الملك ذلك الى النبي فلا بد للنبي من مشاهدة معجزة تدل على صدقه واذا بلغ الرسول الى امته فالامر كذلك وهذا الثالث مشهور متفق
عليه واما الاولان فلعلهما يعرفان بنور الباطن ولا يفتقران الى المعجزة الا في اول الامر لا لكل مرة قال اهل التصديق ان الاقسام الثلثة اجتمعت
لنبينا صلى الله عليه وسلم لانه في بدو الاسلام يرى الرؤيا الصادقة كفلق الصبح وسمع الكلام من وراء الحجاب ليلة المعراج وكان ياتيه
جبريل الى اخر عمره فلهذا قال عقيبه وكذلك اوحينا اليك ويحتمل ان يراد كما اوحينا الى سائر الانبياء اوحينا اليك يعني بالطرق الثلث
وهو القسم الثالث ومعنى روحا من امرنا قرانا من عندنا او من عالم امرنا كقوله يلقي الروح من امره ما كنت تدري في المهد او قبل البلوغ
او قبل الوحي ما الكتاب ولا الايمان بمعنى ما يتعلق بكمال الايمان مما لا يكفي في معرفته مجرد العقل والنظر ويتوقف على النقل واذن الشرع وقيل
اراد اهل الايمان يعني من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن والضمير في جعلناه للقران او للايمان او لهما جميعا او وحد لقوله وهذا في
تجارة الاية وهداية الله خاصة وهداية النبي عامة وهي الدعوة وصراط الله دينه وتصير الكل اليه عبارة عن رجوعهم الى حيث لا حكم لاحد سواه

سورة الزخرف مكية حروفها ثلثة الاف واربعمائة كلمها ثماني مائة وثلث وثلثون آياتها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين ۞ انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون ۞ وانه في ام الكتاب
لدينا لعلي حكيم ۞ افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ۞ وكم ارسلنا من نبي

في

في الاولين ۞ وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون ۞ فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى
مثل الاولين ۞ ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ۞
الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ۞ والذي نزل من السماء ماء
بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ۞ والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك
والانعام ما تركبون ۞ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ۞ وانا الى ربنا لمنقلبون ۞ وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان
لكفور مبين ۞ ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين ۞ واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن
مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ۞ اومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين ۞ وجعلوا
الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون ۞
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ۞ ام اتيناهم
كتابا من قبله فهم به مستمسكون ۞ بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون ۞
وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مقتدون ۞ قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون ۞ فانتقمنا
منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ۞ واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون ۞
الا الذي فطرني فانه سيهدين ۞ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ۞ بل متعت
هؤلاء واباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ۞ ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون

القراآت في ام الكتاب بكسر الهمزة حمزة وعلي ان كنتم بالكسر ابو جعفر ونافع وعلي وحمزة وخلف الاخرون بالفتح اي لان
كنتم مهدا عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الباقون مهادا ايضا بالتشديد يزيد يخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وابن ذكوان
الاخرون من الاخراج ينشؤا من باب التفعيل حمزة وعلي وخلف وحفص الباقون بالتخفيف والياء مفتوحة والنون ساكنة عباد
الرحمن جمع عبد او عابد ابو عمرو وعاصم وحمزة وعلي وخلف وقرا نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن بالنون كقوله فالذين عند
ربك الاخرون عبد الرحمن اشهدوا بالقلب همزة الاشهاد واوا مضمومة ورش واسمعيل وقرا يزيد وقالون مثله ولكن بالمد وقرا
المفضل بتخفيف الهمزتين الباقون بهمزة واحدة للاستفهام والشين مفتوحة قال اولو بالالف ابن عامر وحفص والمفضل جئناكم
يزيد الوقوف حم كوفي المبين لا ومن لم يقف على حم وقف على المبين لان القسم متعلق بما قبله وجوه وهو يعقلون ج حكيم
ط مسرفين ۝ الاولين ۝ يستهزءون ۝ الاولين ۝ العليم لا بناء على ان ما بعده وصف ولو كان نصبا او رفعا على المدح فالوقف
تهتدون ۝ بقدر ج للالتفات مع الفاء ميتا ج لانقطاع النظم مع تعلق التشبيه تخرجون ۝ تركبون ۝ مقرنين لا لان ما بعده من تمام
القول لمنقلبون ۝ جزءا ط مبين ط بالبنين ۝ كظيم ۝ مبين ۝ اناثا ط خلقهم ط ويسئلون ۝ ما عبدناهم ط يخرصون ۝ ط
مستمسكون ۝ مهتدون ۝ مقتدون ۝ اباءكم ط كافرون ۝ المكذبين ۝ تعبدون لا سيهدين ۝ يرجعون ۝ مبين ۝
كافرون ۝ التفسير اقسم بحلس الكتاب او بالقران الظاهر الاعجاز او المفصح عن كل حكم يحتاج المكلف اليه انه جعل القران
بلغة العرب ليعقلوه وفي نسبة الجعل الى نفسه اشارة الى انه ليس بمفترى كما زعمه الكفرة وقيل اراد جنس الكتاب وقيل الكتاب اللوح
المحفوظ وقال ابن بحر هو الخط اقسم به تعظيما لنعمته فيه وقال ابن عيسى البيان ما يظهر به المعنى للنفس عند الادراك بالبصر او السمع وذلك على
خمسة اوجه لفظ وخط واشارة وعقد وهيئة كالاعراض وتكليح الوجه وام الكتاب بكسر الهمزة وبضمها اللوح المحفوظ لانه اصل كل كتاب
والتقدير وانه لعلي حكيم في ام الكتاب لدينا والعلو علو الشان في البلاغة والارشاد وغير ذلك والحكيم المشتمل على الحكمة ثم انكر على مشركي
قريش بقوله افنضرب قال جار الله اراد انهملكم فنضرب عنكم الذكر يقال ضرب عنه الذكر اذا امسك عنه واعرض عن ذكره من ضرب في الارض

اذ العبد وصفى مصدر من غير لفظ الفعل والاصل فيه ان تولى الشيء صفحة عنقك وجوز جار الله ان يكون بمعنى جانبا من قولهم نظر اليه بصفح وجهه
على الظرف ويكون الذكر بمعنى الوعظ او القران والمعنى افننحيه عنكم جانبا وقيل ضرب الذكر رفع القران عن الارض اي افنرفع القران من بين اظهركم
لاشركم مع علمنا بانه سياتي من يقبله ويعمل به وقال السدي افنترككم سدى لا نامركم ولا ننهاكم وهو قريب من الاول وقيل الذكر هو ان يذكروا
بالعقاب ولا يخلو من مناسبة لقوله فاهلكنا اشد منهم بطشا من قرا ان كنتم بالكسر فكقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي تخيل في كلامه ان تفريطه
في الخروج عن عهدة الاجر فعل من شك في الاستحقاق مع تحققه في الخارج ثم سلى نبيه بقوله وكم ارسلنا الايتين قوله اشد منهم قيل من زيادة
والمراد اشد منهم بطشا كعاد وثمود وقيل الضمير لقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله اشد منكم الا انه ورد على طريقة الالتفات كقوله حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ومضى مثل الاولين اي سلف ذكرهم وقصتهم العجيبة في القران غير مرة ويحتمل ان يكون معناه كقوله وقد خلت سنة
الاولين ثم بين بقوله ولئن سالتهم ان كفرهم كفر عناد ولجاج لانهم يعترفون بالله ثم ينكرون رسوله وكتابه وقدرته على البعث وهذه الاوصاف
من كلام الله لا حكاية قول الكفار بدليل قوله لكم ولم يقل لنا ولقوله فانشرنا والمراد ليثبتن خلقها الى الذي هذه اوصافه وقد مر في طه باشمله
وقوله تهتدون اي في الاسفار او الى الايمان بالنظر والاعتبار وقوله بقدر اي بمقدار الحاجة لا محرقا مغرقا كما في الطوفان وقوله
ميتا تذكيره بتاويل المكان والازواج الاصناف وقد مر في قوله سبحان الذي خلق الازواج والعايد الى ما في قوله ما تركبون محذوف فلك
ان تقدره مونثا او مذكرا باعتبارين قال في الكشاف يقال ركب الانعام وركب في الفلك الا انه غلب المتعدي بغير واسطة على المتعدي
بواسطة قلت يجوز ان يكون كقوله ويوم شهدناه والضمير في ظهوره عايد الى ما والاستوا في الاية بمعنى التمكن والاستقرار وذكر النعمة بالقلب
ويحتمل كونه باللسان وهو تقديم الحمد لله يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع رجله في الركاب قال الحمد لله على كل حال
سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلثا وهلل ثلثا واذا ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم ومعنى
مقرنين مطيقين وضابطين مع صعوبة خلقه وخلقه وقيل لا نطيق ان يقرن بعضها ببعض حتى نسيرها الى حيث نريد وانا الى ربنا لمنقلبون
اي في اخر عمرنا كانه يتذكر ركوب الجنازة او عثور الدابة او انكسار السفينة فيستعد للقاء الله عز وجل بخلاف من يركب الخيول والزوارق لاجل
النزهة والاشتغال بالملاهي فيكون غافلا عن المبدا والمعاد وعن بعضهم انه ادخل اللام في الخبر ههنا خلاف ما في الشعراء لان ركوب الدابة
او السفينة او الجنازة عام لكل واحد وما في الشعراء خاص بالسحرة ثم عاد الى ما انجر الكلام منه وهو قوله ولئن سالتهم والمقصود التنبيه على تهافت
عقولهم وقلة محصولهم فانهم مع الاقرار بان خالق السموات والارض هو الله جعلوا له من عباده جزءا اي اثبتوا له ولدا وذلك ان ولد
الرجل جزء منه قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يوذيني ما يوذيها وفي قوله من عباده اشارة الى ان ما عداه ممكن الوجود فان الولد
متاخر في الوجود عن الاب والمتاخر عن الواجب ممكن والممكن مفتقر الى الواجب في الوجود والبقاء والذات والصفات وقيل هو انكار
على مثبتي الشركاء لانهم جعلوا بعض العبادة لغير الله وفيه نوع تكلف والكفور البليغ الكفران لانه يجحد ربه وخالقه او لا يجهد في تنزيهه وتقديسه
ومبين ثم زاد في توبيخهم وتجهيلهم والتعجب من حالهم حيث جعلوا ذلك الولد بنتا مع انها مكروهة عندهم فقال ام اتخذ مما يخلق
وفائدة تنكير بنات وتعريف البنين كما مر في اخر الشورى المتقدمة في تنكير اناثا وتعريف الذكور وقوله بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي
جعله شبيها لله لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمراد انه اذا بشر بالانثى كما سبق في النحل اغتم وتربد وجهه وملى غيظا وكربا ثم زاد في الانكار
بتعديد طرف من نقصان الاناث قائلا او من ينشؤا والتقدير اهو لشده وقال جار الله تقديره او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة الذميمة
وهي انه يربى او يتربى في الزينة والنعومة وهو اذا احتاج الى المخاصمة لا يبين ولا يعرب عما في ضميره لعجزه عن البيان ولقلة عقلها قالت العقلا
قل تكلمت امراة فارادت ان تتكلم بحجتها الا انطقت بالحجة عليها وفيه ان النشو في الزينة والامعان في التنعم من خصائص ربات الحجال
لا من خواص الرجال وانما ينبغي ان يكون تزينهم بلباس التقوى وتزيينهم بالاستعداد والزاد لدار الاخرى ثم خصص ان البنات التي نسبن اليه تعالى
الى جنس من بعد ما عم في قوله مما يخلق فقال وجعلوا اي سموا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفي اثبات العبودية لهم نفي الجزئية عنهم كما مر انفا وقوله
اشهدوا خلقهم كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض وفيه تهكم بهم لانه لم يدل على ذلك عقل ولا نقل صحيح فلم يبق الا الاخبار عن المشاهدة
يعني مشاهدة خلق الله اياهم مشاهدة صور الملئكة اوعدهم بقوله ستكتب شهادتهم على انوثة الملئكة ويسالون ثم حكى نوعا اخر من كفرهم وشبهاتهم
وهو انهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي الملئكة والاصنام نظيره ما مر في اخر الانعام سيقول الذين اشركوا الاية واستدلال المعتزلة
به ظاهر لانه ذمهم بقوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون اجاب الزجاج عنه بان قوله ما لهم بذلك من علم عائد الى قولهم الملئكة بنات الله
لو شاء الرحمن ما امرنا بعبادتهم لقولهم الله امرنا بها فلهذا انكر الله عليهم قال الواحدي في بسيطه قيل قالوا استهزاء وزيفه جار الله بانه لا يمشي
في اقوالهم المتقدمة والا كانوا صادقين مؤمنين وجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزؤ دون ما قبله تعويج لكتاب الله وتمام البحث بين الفريقين
مذكور في الانعام وانما قال في الجاثية ان هم الا يظنون لان هذا كذب محض وهناك خلطوا الصدق بالكذب صدقوا في قولهم نموت ونحيى وكذبوا
في قولهم وما يهلكنا الا الدهر وكانوا شاكين في امر البعث ثم زاد في الانكار عليهم بقوله ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القران والرسول
فهم به متمسكون ثم اضرب عن ذلك واخبر انه لا مستند لهم في عقائدهم واقوالهم الفاسدة الا التقليد والامة الدين والطريقة التي تؤم
اي تقصد ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بان هذا داب اسلافهم وداء قديم في جهال بني ادم وانما قال اولا مهتدون وبعده مقتدون
لان العرب كانوا يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعمون الاهتداء ولعل الامم قبلهم لم يزعموا الا الاقتداء بالاباء دون
الاهتداء ثم اخبر ان النذير قال او امر النذير او محمدا ان يقول اولو جئتكم اي اتتبعون اباكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم فاصروا
على التكذيب ولم يقبلوا فانتقم الله منهم ثم بين بقصة ابراهيم ان القول بالتقليد يوجب المنع من التقليد وذلك ان ابراهيم صلوات
الرحمن كان اشرف اباء العرب وانه ترك دين الاباء لاجل الدليل فلو كانوا مقلدين لابائهم وجب ان يتبعوه في الاعتماد على الدليل لا على
مجرد التقليد والبراء بالفتح مصدر اي ذو براء وقوله الا الذي فطرني قيل متصل وكان فيهم من يعبد الله مع الاصنام وقيل منقطع بمعنى لكن
ويحتمل ان يكون مجرورا بدلا من ما اي الا من الذي وجوز في الكشاف ان يكون الا صفة بمعنى غير وما موصوفة تقديره انني براء من الهة تعبدونها
غير الذي فطرني فانه سيهدين اي يثبتني على الهداية او يرشدني الى طريق الجنة ولا ريب ان قوله انني براء مما تعبدون بمنزلة لا اله وقوله الا الذي
فطرني بمنزلة الا الله وهي كلمة التوحيد فلذلك قال الضمير في قوله وجعلها اي وجعل ابراهيم او الله كلمة التوحيد باقية في عقبه فلا يزال في ذريته من

يوحد الله

من يوحد الله عز وجل ويدعو الى توحيده ونظيره ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب لعلهم اي لعل من اشرك منهم يرجع الى التوحيد ومن الشرك بدعاء
الموحدين منهم ثم اضرب عن لعل الرجوع منهم الى ان تمتيعهم بالعمر وسعة الرزق صار سببا لعظم كفرهم وشدة عنادهم قال جار الله بل اشتغلوا
عن التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القران ورسول مبين الرسالة واضحها فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه
ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق قابلوا لما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول وانكار القران

وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ۝ اهم يقسمون رحمة ربك نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ۝ ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ۝ ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون
وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ۝
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ۝ وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون
انهم مهتدون ۝ حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ۝
ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون ۝ افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان
في ضلال مبين ۝ فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ۝ او نرينك الذي وعدناهم فانا
عليهم مقتدرون ۝ فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم ۝ وانه
لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون ۝ وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون ۝ ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملايه فقال اني
رسول رب العالمين ۝ فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون ۝ وما نريهم من اية الا
هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ۝ وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا
ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون ۝ فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ۝
ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون
ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ۝ فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء
معه الملئكة مقترنين ۝ فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين ۝ فلما
اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين ۝ فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين ۝

القراءات سقفا بالفتح فالسكون ابن كثير وابو عمرو ويزيد الباقون بضمتين على الجمع كرهن ورهن قال ابو عبيدة ولا ثالث
لهما لما بالتشديد عاصم وحمزة بمعنى الا فان نافية الاخرون بالتخفيف فان المخففة واللام فارقة كما مر في اخر هود يقيض على الغيبة والضمير
للرحمن يعقوب وحماد الاخرون بالنون جاءنا على الوحدة والضمير للعاشي حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وابو عمرو ويعقوب
الباقون بالف التثنية والضمير للعاشي وقرينه انكم في العذاب بالكسر ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ايه الساحر بضم الهاء في الوصل
ايه المؤمنون وقد مر في النور تحتي بفتح الياء ابو عمرو وابن كثير ونافع وابو جعفر اسورة كاجربة حفص وسهل ويعقوب الاخرون اساورة
كاساورة وهو جمع اسوار بمعنى السوار واصله اساوير لانه عوض من الياء في اخره سلفا بضمتين حمزة وعلي وهو جمع سليف الباقون

بتمتعين جميع سالف كالخادم وخدم الوقوف عظيم ٥ نصف الجزء رحمة ربك ط سخريا ط يجمعون ٥ يظهرون ٥ لا يتكئون ٥ لا وزخرفا
ط الدنيا ط للمتقين ٥ قرين ٥ مهتدون ٥ القرين ٥ مشتركون ٥ مبين ٥ منتقمون ٥ لا مقتدرون ٥ اليك ح لاحتمال التعليل مستقيم
٥ ولقومك ح للتعلق مع سين التهديد تسألون ٥ يعبدون ٥ العالمين ٥ يضحكون ٥ من اختها ز لنوع عدول يرجعون ٥ لمهتدون ٥
ينكثون ٥ تحتي ح للاستفهام مع اتحاد الكلام تبصرون ٥ ط لان ام منقطعة بين ٥ مقترنين ٥ فاطاعوه ط فاسقين ٥ اجمعين ٥ لا للآخرين
التفسير هذه حكاية شبهة لكفار قريش وذلك انهم ظنوا ان الفضيلة في المال والجاه الدنيوي فقالوا لولا نزل هذا القرآن وفي الاشارة
ههنا نوع استخفاف منهم بكتاب الله عز وجل من القريتين اي من احديهما يعنون مكة او الطايف قال المفسرون الذي بمكة هو الوليد بن المغيرة
بالطايف هو عروة بن مسعود الثقفي ومنهم من قال غير ذلك واراد وا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا فالزمهم الله تعالى باجوبة اولها قوله
على سبيل الانكار اهم يقسمون رحمة ربك اي النبوة فيضعونها حيث شاؤا نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا اي خدما وتابعا ومملوكا واللام لام العاقبة فان الانسان خلق مدنيا بالطبع وقالت المعتزلة للغرض واذا كانت
المعايش الدنيوية مع حقارتها وخساستها مفوضة الى تدبير الله وتسخيره وتقديره دون احد من خلقه فالامور الدينية والمناصب الحقيقية
الاخروية اولى بذلك وقيل الرحمة الرزق ومعنى الاية انكار ان الرزق منهم فكيف يكون النبوة منهم واستدلال السني بالاية ظاهر في ان كل
الارزاق من الله حلالا كانت او حراما وقالت المعتزلة الله تعالى قاسم ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء نياتهم ولهم ان يجيبوا
انه كما قسم الرزق عين الجهة التي يصل الرزق اليه وكل بقدرة وثانيها قوله ورحمة ربك خير مما يجمعون لان الدنيا منقضية فانية وما يتبعه من
السعادات باق لا يزول فكيف يجعل العاقل ما هو الاخس افضل مما هو اشرف وثالثها قوله ولولا كراهة ان يكون الناس امة واحدة مجتمعين
على الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم هو بدل اشتمال وقيل هما كقولك وهبت له ثوبا لقميصه ان اللام للغرض المعارج المصاعد والمراقي
جمع معرج عليها اي على المعارج يظهرون يعلون السطوح والزخرف الزينة اي جعلنا لهم زينة عظيمة في كل باب وقيل الذهب اي
جعلنا لهم مع ذلك ذهبا كثيرا وجه اخر على هذا التفسير وهو ان يكون معطوفا على قوله من فضة الا انه نصب بنزع الخافض اي بعضها من فضة
وبعضها من ذهب والحاصل انه سبحانه ان وسع على الكافرين كل التوسعة اطبق الناس على الكفر لحبهم الدنيا ونهالكهم عليها مع حقارة الدنيا
عند الله تعالى وفي معناه قول نبينا صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء وانما لم يوسع على
المسلمين كلهم ليكون رغبة الناس في الاسلام لمحض الاخلاص لا لاجل الدنيا ثم بشر المؤمنين بقوله وان كل ذلك الى اخره قالت المعتزلة في الاية
دلالة على ان اللطف من الله تعالى واجب وفيه انه تعالى لما لم يفعل بالناس التوسعة لئلا يجتمعوا على الكفر فلان لا يخلق فيهم الكفر اولى والجواب ان
وقوع كل الناس في طريق القهر مخذول واما وقوع البعض فضروري كما مر في اول البقرة فشتان بين الممتنع الوجود والضروري الوجود فكيف يقاس
احدهما على الاخر ثم بين ان مادة كل الافات واصل جميع البليات هو السكون الى الدنيا والركون الى اهلها فان ذلك بمنزلة الرمد للبصر
ويصير بالتدريج كالعشى ثم كالعمى فقال ومن يعش عن ذكر الرحمن اي عن القرآن اي يعرف انه الحق ولكنه يتجاهل قال جار الله قرئ بفتح الشين
ايضا والفرق انه اذا حصلت الافة في بصره يقال عشى بالكسر اي عمى يعشى بالفتح واذا نظر نظر العشى ولا افة به قيل عشى اي تعامى وفيه معنى
الاعراض فلهذا عدى بعن ومعنى نقيض نقدر كما مر في حم السجدة وانهم اي الشياطين ليصدونهم اي العشى عن دين الله ويحسبون ان الكفار
ان الشياطين او الكافرين مهتدون وانما جمع الضميرين لان من عام وشيطانا تابع له ولا شك ان هذا القرين ملازم له في الاخرة
لقوله حتى اذا جاءنا الاية واما في الدنيا فتحتمل بل لازم لقوله صلى الله عليه وسلم كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون ويروى ان الكافر
اذا بعث يوم القيمة من قبره اخذ شيطان بيده ولم يفارقه حتى يصيرهما الى النار فذلك حيث يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
اي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب كالقمرين وقيل المغرب ايضا مشرق بالنسبة الى الحركة الثانية وهذا قول اهل السنة وقيل مشرق الصيف
ومشرق الشتاء وفيه ضعف لان لا يفيد مبالغة فبين الله تعالى ان ذلك التمني لا ينفعهم وعلله بقوله انكم من قرأ بالكسر فظاهر ومن قرأ بالفتح
فعلى حذف اللام اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر ويحتمل ان يكون ان
في قراءة الفتح فاعل ينفع اي لن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب وان قيل المصيبة اذا عمت طابت وذلك ان كل احد مشغول في ذلك
اليوم عن حال غيره بحال نفسه واذ بدل من اليوم ومعناه اذ صح ظلمكم وتبين ووضح لكل احد ثم انه صلى الله عليه وسلم كان يتحزن على فقد
الايمان منهم فسلاه بقوله افانت الى اخره وقوله فاما نذهبن بك اراد به قبض روحه كقوله في يونس وفي المؤمن فاما نرينك بعض
الذي نعدهم او نتوفينك والانتقام اما في الاخرة وهو قول الجمهور او في الدنيا عن جابر انه قال لما نزلت فانا منهم منتقمون قال النبي صلى الله
عليه وسلم بعلي بن ابي طالب ورده في تفسير اللباب وقيل فاما نذهبن بك من مكة فانا منهم منتقمون يوم بدر والحاصل انه تعالى يوعد الكفار
بعذاب الدنيا والاخرة جميعا ثم قال لنبيه سواء عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرنا الى الاخرة فكن متمسكا بما اوحينا اليك فانه الدين الذي
لا عوج له وانه لشرف لك ولقومك اي لجميع امتك او لقريش وسوف تسألون هل اديتم شكر هذه النعمة ام لا قال اهل التحقيق في الاية
دلالة على ان الذكر الجميل امر مرغوب فيه لعموم اثره وشموله كل مكان وكل زمان خلاف الحيوة المستعارة فان اثرها لا يجاوز مسكن الحي ثم ان
السبب الاقوى في بغض الكفار وعداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم كان انكاره لاصنامهم فبين تعالى انه غير مخصوص بهذه الدعوة وهذا الانكار
ولكنه دين اطبق كل الانبياء على الدعاء اليه وفي الاية اقوال احدها ان المضاف محذوف تقديره وسل امم من ارسلنا وقال القفال
المحذوف صلة التقدير وسل من ارسلنا اليهم من قبلك رسولا من رسلنا والمراد اهل الكتابين لانهم كانوا يرجعون اليهم في كثير من امورهم
نظيره فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وثانيها ان حقيقة السؤال ههنا ممتنعة ولكنه مجاز
عن النظر في اديانهم في السماء والفحص عن مللهم وثالثها ان التقدير وسل جبرئيل عمن ارسلنا ورابعها ان النبي صلى الله عليه وسلم
جمع له الانبياء ليلة المعراج في السماء او في بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم فلم يسأل وقال اني لا اشك في ذلك قال ابن عباس وعن علام
بعثوا قال على ولايتك وولاية علي بن ابي طالب رواه الثعلبي ولكنه لا يطابق قوله سبحانه اجعلنا الاية وجوز على ما بعضهم ان يكون من سل
والاستفهامية خبره والعايد محذوف اي على السنتهم ومعنى الجعل التسمية والحكم واعلم ان كفار قريش انما طعنوا في نبوة محمد من جهة كونه فقيرا
عائلا وكان فرعون اللعين قد طعن في موسى بمثل ذلك حيث قال اليس لي ملك مصر الى قوله مهين فلا جرم اورد قصة موسى ههنا تسلية للنبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وقوله فلما جاءهم معطوف على محذوف تقديره فقال اني رسول رب العالمين فطالبوه باقامة البينة على دعواه فلما جاءهم
الى اخره قال جار الله فعل المفاجاة مع اذا مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجاوا وقت ضحكهم استهزاء وسخرية
قوله وما نريهم حكاية حال ماضية وفي قوله هي اكبر من اختها وجهان احدهما ان كلا منها مثل شبيهاتها التي تقدمت وكل من رأى واحدة منها
حكم بانها اكبر الكل فبين كل منها في الكبر واذا كان هذا الحكم صادقا على كل منها وكلها كبار كما قال الحماسي شعر من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري وثانيهما ان يقال لاية الاولى كبيرة والتي تليها اكبر من الاولى والثالثة اكبر من الثانية وكذلك ما بعدها
هذا القدر مستفاد من الاية واما تفصيل ذلك التفضيل فلعله لا يطلع عليه الا خالقها ومظهرها واخذناهم بالعذاب بالسنين ونقص من
الثمرات الى سائر ما ابتلوا به قالت المعتزلة لعلهم يرجعون اي ارادة ان يرجعوا فورد عليهم انه لو اراد رجوعهم لكان واجابوا بانه لو اراد قسرا
لكان ولكنه اراد مختارا وزيف بانه لو اراد وان يقع بطريق الاختيار لزم ان يقع ايضا مختارا واما الفرق فالصواب ان يقال
لعل للترجي بالنسبة الى المكلف كما مر مرارا وقال يا ايها الساحر اي العالم الماهر لم يكن السحر عندهم ذما كانوا يستعظمونه ولهذا قالوا
اننا لمهتدون وقيل كانوا ابدا على كفرهم فلهذا سموه ساحرا وقولهم اننا لمهتدون وعد منوي اخلافه وقولهم ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده
عندك من ان دعوتك مستجابة وقد مر في الاعراف ونادى فرعون اي امر بالنداء في مجامع قومه او رفع صوته بذلك فيما بين خواصه فافتخر
في عزيمتهم والانهار انهار النيل قال المفسرون كانت ثلثماية وستين نهرا ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس كانت
تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناتي وبساتيني وعن عبد الله بن المبارك الدينوري في تفسيره انه اراد
بالانهار الجياد من الخيل وهو موافق لما جاء في الحديث في فرس ابي طلحة وان وجدناه لبحرا وقال الضحاك معناه وهذه القواد والجبابرة
تحت لوائي قال النحويون اما ان يكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال او الواو للحال وما بعده جملة محلها نصب
وفي ام اقوال منها قول سيبويه انها متصلة تقديره افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا
انت خير فهم عنده بصراء فهذا من انزال السبب منزلة المسبب لان الابصار سبب لهذا القول بزعمه ومنها انها منقطعة لانه عدد عليهم
اسباب الفضل ثم اضرب عن ذلك قائلا ابل انا خير ومنها ان التقدير افلا تبصرون ام انتم بصراء ثم استأنف فقال انا خير
والمهين من المهانة الحقارة والضعف اراد انه فقير لا عدد معه ولا عدد ولا يكاد يبين الكلام لان عقدته لم تزل بالكلية كما مر شرحه
في طه والقى الاسورة عليه عبارة عن تفويض مقاليد الملك اليه كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب
عيره بان ليس معه الات الملك والسياسة او ليس معه حلية ذوي حسن كما ان الملوك يشهرون رسلهم بالخلع والكرامات وبما شئت من تبعوتهم لذلك
قالوا او جاء معه الملائكة مقترنين به او يقترن بعضهم ببعض فاستخف قومه اي حملهم على ان يخفوا له في الطاعة او استخف عقولهم واستجهلهم
فاطاعوه وهذا من عادة اللئام كما قيل شعر العبد لا يرد عه الا العصا وان كنت اكرمت اللئيم تمردا ومعنى اسفونا اغضبونا
او اغضبوا رسلنا فجعلناهم سلفا ومثلا اي للمتقدمين وعبرة للمتأخرين ليعتبروا من جاء بعدهم فلا يقدموا على مثل فعالهم

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ
لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا
وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ
عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ
مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۝ يَا عِبَادِ
لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۝
ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ﴾

خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق
كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجويهم بلى ورسلنا
لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان رب السموات
والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك
الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون القراآت يا عبادي بالياء في الحالين ابو جعفر ونافع

وابن عامر وابو عمرو وقرا حماد وابو بكر بفتح الياء والباقون بغيرها في الحالين تشبيها بها الضمير نافع وابو جعفر وابن عامر وحفص الاخرون
يحذفونها واليه يرجعون بالغيبة ابن كثير وحمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب وقيله بالكسر حمزة وعاصم غير المفضل الاخرون بالنصب تعلمون
على الخطاب ابو جعفر ونافع وابن عامر الوقوف يصدون ه ام هو ط جدلا ط خصمون ه اسرائيل ه يخلفون ه واتبعون ط مستقيم
ه الشيطن ج للابتداء بان مع اتصال المعنى مبين ه فيه ج لعطف الجملتين المختلفتين مع الفاء واطيعون ه فاعبدوه ط مستقيم ه من بينهم
للابتداء مع الفاء اليم ه لا يشعرون ه المتقين ه تحزنون ه ج لاحتمال كون ما بعده صفة مسلمين ه ج لاحتمال ان يكون الذين الى اخر
الاية مبتدا وقوله ادخلوا الى اخره خبرا والقول محذوف لا محالة تحبرون ه واكواب ج الاعين ج للعدول مع العطف خالدون ه
تعملون ه تاكلون ه خالدون ه ج لاحتمال ما بعده صفة او حالا او استئنافا مبلسون ه ج لاحتمال ان ما بعده مستانف وحال الظالمين
ه ربك ط ماكثون ه كارهون ه مبرمون ه ج لان ام يصلح جوابا للاول ويصلح استفهاما اخر ونجويهم ط يكتبون ه العابدين ه
يصفون ه يوعدون ه وفي الارض اله ط العليم ه بينهما ج الساعة ج ترجعون ه يعلمون ه يؤفكون ه ج فالوقف بناء على قراءة النصب
والوصل بناء على قراءة الجر وسيأتي تمام البحث عن اعرابها لا يؤمنون ه م لئلا يوهم ان ما بعده من قول الرسول سلام ط للابتداء بالتهديد قال النبي
ومن قرا تعلمون على الخطاب فوقفه لازم لئلا يصير التهديد داخلا في الامر بقوله قل قلت لا محذور فيه لان السلام سلام توديع لا تعظيم
التفسير هذا نوع اخر من قبائح اقوال كفرة قريش وفي تفسير المثل وجوه قال المفسرون احدها ان الكفار لما سمعوا ان النصارى يعبدون
عيسى قالوا اذا جاز ان يكون عيسى ابن الله جاز ان يكون الملئكة بنات الله وانتصب مثلا على انه مفعول ثان لضرب اي جعل مثلا فالضارب
للمثل كافر واذا قومك اي المؤمنون منه اي من المثل او من ضربه يصدون اي يجزعون او يضجون وقالوا اي الكفار الهتنا خير ام
هو يعنون الملئكة خير من عيسى وثانيها ما مر في اخر الانبياء انه حين نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعرى للنبي
صلى الله عليه وسلم قد علمت ان النصارى يعبدون عيسى وامه وعزير يعبد والملئكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون
نحن والهتنا معهم فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وفرح القوم وضحكوا وضجوا فانزل الله تعالى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت
هذه الاية ايضا والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا اذا قومك قريش من هذا المثل يصدون بالكسر والضم اي ترتفع
لهم جلبة وصياح فرحا وسرورا بما راوا من سكوت رسول الله فان العادة قد جرت بان احد الخصمين اذا انقطع اظهر الخصم الاخر الفرح
وقالوا الهتنا وهي الاصنام خير ام عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر الهتنا اهون وقيل من قرا بالضم فمن الصدود اي من اجل
هذا المثل يصدون عن الحق وثالثها انه صلى الله عليه وسلم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح وان مثله عند الله كمثل ادم قال كفار
مكة ان محمدا يريد ان نتخذه الها كما اتخذ النصارى المسيح الها وضجروا وضجوا وقالوا الهتنا خير ام هو يعنون محمدا وغرضهم ان الهتهم خير لانها
مما عبده اباؤهم واطبقوا عليها فابطل الله تعالى كلامهم بقوله ما ضربوه لك اي لم يضربوا هذا المثل لاجل الا الجدال والغلبة دون البحث
عن الحق بل هم قوم من عادتهم الخصومة واللدد ثم قرر امر عيسى بقوله ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل اي
من غير اب وصيرناه عبرة وحالة عجيبة ولو نشاء لجعلنا منكم اي بدلا منكم ملائكة في الارض يخلفون يقومون مقامكم وقيل اراد لولدنا منكم
يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم والغرض بيان كمال القدرة وان كون الملائكة في السموات لا يوجب لهم الالهية ولا
من الله ثم بين مآل عيسى بقوله وانه يعني عيسى لعلم للساعة لعلامة من العلامات القيامة كما جاء في الحديث انا اولى الناس بعيسى ليس بيني
وبينه نبي وانه اول نازل يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الاسلام وقيل اذا نزل عيسى رفع التكليف وقيل ان عيسى كان يحيي
الموتى فعلم به الساعة والبعث وقيل الضمير في انه للقران اي القران يعلم منه وفيه ثبوت الساعة فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون هذا

حكاية

حكاية قول النبي صلى الله عليه وسلم او المراد واتبعوا رسولي او شرعي والباقي واضح الى قوله هل ينظرون وقد مر في ال عمران وفي مريم وقوله ان تأتيهم
بدل من الساعة والاخلاء جمع خليل ويومئذ ظرف عدو وهو كقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولكن خلة المتقين ثابتة لان المحبة في الله
لا تزول ومعنى تحبرون تسرون والحبور السرور والصحاف جمع صحفة وهي القصعة فيها طعام والاكواب جمع كوب وهو الابريق لا عروة
له وقد مر في الخلدان العروة ولكونه امرا زايدا على مصلحة الشرب وانما هو لدفع حاجة كتعليق وتعلق وفيها ايضا واهل الجنة من ذلك
براء من امثال ذلك فلهذا كانت اكوابها اكوابا والله اعلم باسراره وفيها اي في الجنة قال القفال جمع بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق
كلهم على تفصيله لم يخرجوا عنه ثم يقال لهم وانتم فيها خالدون الى اخره ثم وصف حال اهل الاجرام من الكفار او منهم ومن الفساق على
اختلاف بين السني والمعتزلي ومعنى لا يفتر لا يخفف من الفتور وهم فيه مبلسون آيسون ساكتون تحيرا وهنا ولما ايسوا من فتور العذاب
نادوا يا مالك وهو اسم خازن النار ليقض علينا ربك اي ليمتنا كقوله فقضى عليه قال مالك بعد اربعين عاما او بعد مائة او الف او قال
الله جليل قوله لقد جئناكم فانه ظاهرا من كلام الله ويحتمل ان يكون قول الملكة قال اهل التحقيق سمي خازن النار مالكا لان الملك علقة
والتعلق من اسباب دخول النار كما سمي خازن الجنة رضوانا لان الرضا بحكم الله سبب كل راحة وسعادة وصلاح وفلاح ثم عاد الى توبيخ
قريش وتجهيلهم والتعجب من حالهم فقال ام ابرموا امرا والابرام الاحكام والمعنى انهم كلما احكموا امرا في المكر بمحمد صلى الله عليه وسلم فانا محكم
امرا في مجازاتهم قال قتادة اجمعوا على التكذيب واجمعنا على التعذيب وذلك انهم اجتمعوا في دار الندوة واطبقوا على الاغتيال
بمحمد صلى الله عليه وسلم وتناجوا في ذلك فكشف عنهم سترهم واوعدهم عليه بانه يعلم سرهم وهو ما حدث به الرجل نفسه وغيره في مكان خال
ونجويهم وهي ما تكلموا به فيما بينهم على سبيل الخفية ايضا ثم اكد علمه بان حفظة الاعمال يكتبونه ثم برهن على نفي الولد عن نفسه فقال لنبيه قل ان كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين وهذه قضية شرطية جزءاها ممتنعان الا ان الملازمة صادقة ونظيره قولك ان كانت الخمسة زوجا فهي
منقسمة بمتساويين وهذا على سبيل الفرض والتقدير وبيان الملازمة ان الولد يجب محبته وخدمته رعي الوالد وتعظيمه فلو كان المقدم
حاصلا في الواقع لزم وقوع التالي عادة لانا ادعى اولويته في العبادة لان النبي متقدم في كل حكم على امته خصوصا فيما يتعلق بالاحوال
كتعظيم المعبود وتنزيهه لكن التالي غير واقع فكذا المقدم وهذا الكلام ظاهر الالزام واضح الافحام قريب من الافهام لا حاجة فيه الى تقريب
المرام واما المفسرون الظاهريون ممن لا دراية لهم بالمعقول فقد ذكروا فيه وجوها متكلفة منها ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الموحدين
لله ومنها ان كان له ولد في زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون له ولد يقال عبد يعبد بالكسر عبدا بالفتح اذا اشتد انفه ومنها جعل ان نافية
اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال ذلك وقد مر تنزيه نفسه عما لا يليق بذاته ثم امر نبيه ان يتركهم في باطلهم واللعب بدنياهم حتى يلاقوا
القيامة ثم مدح ذاته بقوله وهو الذي في السماء اله اي معبود كما مر في قوله وهو الله في السموات وفي الارض والتقدير وهو الذي هو في السماء اله
فحذف الراجع لطول الكلام ثم ابطل قول الكفرة ان الاصنام شفعاؤهم بقوله الا من شهد استثناء منقطع اي لكن من شهد بالتوحيد من علم وبصيرة
هو الذي يملك الشفاعة ويجوز ان يكون متصلا لان من جملة من يدعونهم الملئكة وعيسى وعزيرا وجوز ان يكون اللام محذوفا اي الا لمن شهد فالشفاعة تنفع
مستثنى حال اي لمن شهد بالحق وهم المؤمنون قال بعض العلماء وهم يعلمون دل على ان ايمان المقلد وشهادته غير معتبر ثم كرر ما ذكر في اول السورة
قائلا ولئن سالتهم والغرض التعجب من حالهم انهم يعترفون بالصانع ثم يجعلون له اندادا وقيل الضمير في سالتهم للمعبودين من قرا وقيله
بالنصب فعن الاخفش انه معطوف على سرهم ونجويهم او المراد وقال قيله اي قوله والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره بالكناية
في قوله قل ان كان وعن الزجاج على انه يعود الى عيسى وفيه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون النصب على محل الساعة اي
وعنده علم الساعة وعلم قيله كقراءة من قرا بالجر ثم امر نبيه باعمال الخلق الحسن معهم الى اوان النصر وهو ظاهر

سورة الدخان مكية حروفها الف واربعمائة واربعون كلمها ثلثمائة وست واربعون اياتها تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها
يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم
رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت
ربكم ورب ابائكم الاولين بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تاتي السماء بدخان
مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون
انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون
انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الى عباد الله اني لكم رسول

امين ○ وان لا تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين ○ واني عذت بربي وربكم ان
ترجمون ○ وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون ○ فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون ○
فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون ○ واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون ○ كم تركوا
من جنات وعيون ○ وزروع ومقام كريم ○ ونعمة كانوا فيها فاكهين ○ كذلك
واورثناها قوما اخرين ○ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ○
ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين ○ من فرعون انه كان عاليا
من المسرفين ○ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ○ واتيناهم من الايات
ما فيه بلاء مبين ○ ان هؤلاء ليقولون ○ ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين
فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ○ اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم
انهم كانوا مجرمين ○ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ○ ما خلقناهما
الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ○ ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين ○ يوم لا يغني
مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون ○ الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ○
ان شجرة الزقوم ○ طعام الاثيم ○ كالمهل يغلي في البطون ○ كغلي الحميم ○ خذوه فاعتلوه
الى سواء الجحيم ○ ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ○ ذق انك انت العزيز
الكريم ○ ان هذا ما كنتم به تمترون ○ ان المتقين في مقام امين ○ في جنات وعيون
يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ○ كذلك وزوجناهم بحور عين ○ يدعون
فيها بكل فاكهة امنين ○ لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقيهم عذاب
الجحيم ○ فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم ○ فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ○ فارتقب انهم مرتقبون

القراءات رب السموات بالجر على البدل من ربك عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالرفع اني اتيكم بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ترجموني فاعتزلوني بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل لي بالفتح ورش فكهين بغير الالف يزيد يغلي على التذكير والضمير للطعام ابن كثير وحفص والمفضل ورويس وابن مجاهد عن ابن ذكوان الباقون بتاء التانيث والضمير للشجرة فاعتلوه بضم التاء ابن كثير ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب الاخرون بالكسر ذق انك بفتح الهمزة على حذف لام التعليل علي في مقام بضم الميم من الاقامة ابو جعفر ونافع وابن عامر الوقوف حم كوفي المبين ولم يقف على حم وقف على المبين منذرين ○ حكيم ○ بناء على ان التقدير امرنا امرا من عندنا مرسلين ج لاحتمال ان رحمة مفعول له او به او التقدير رحمنا رحمة ربك ط العليم ○ لا لمن خفض رب بينهما موقنين ○ ويميت ط الاولين ○ يلعبون ○ مبين ○ الناس ط اليم ○ مؤمنون ○ مبين ○ للعطف مجنون ○ لئلا يوهم ان ما بعده من قول الكفار عائدون ○ لئلا يظن ان ما بعده ظرف للعود الكبرى ج لاحتمال التعليل منتقمون ○ كريم ○ عباد الله ط امين ○ على الله ج مبين ○ ترجمون ○ فاعتزلون ○ مجرمون ○ متبعون ○ رهوا ط مغرقون ○ وعيون ○ كريم ○ فاكهين ○ لان المعنى كذلك هنيا ونعمة كانت اخرين ○ منظرين ○ المهين ○ من فرعون ط المسرفين ○ العالمين ○ مبين ○ ليقولون ○ بمنشرين ○ صادقين ○ تبع ○ لعطف من قبلهم لتناهي الاستفهام الى ابتداء الاخبار اهلكناهم لان التعليل اوضح مجرمين ○ لاعبين ○ لا يعلمون ○ اجمعين ○ لان ما بعده بدل ولا هم ينصرون ○ رحم الله ط الرحيم ○ الاثيم ○ لا لاحتمال ان يكون كالمهل خبرا بعد خبر او خبر مبتدا محذوف في البطون ○ الحميم ○ الجحيم ○ الحميم لان التقدير قولوا او يقال له ذق الكريم ○ تمترون ○ امين ○ لا وعيون ○ لا لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال

متقابلين ○ ج لاحتمال ان يراد كما ذكرنا من حالهم قبل او يكون التقدير الامر كذلك عين ○ لئلا يوهم ان ما بعده صفة للحور امنين ○ لا لان ما بعده صفة فان الامر لا يتم الا به الاولى ج لان ما بعده يصلح استينافا وحالا باضمار قد الجحيم ○ لا مفعول له من ربك العظيم ○ يتذكرون ○ مرتقبون ○ التفسير اقسم بالقران انا انزلناه في ليلة مباركة لان من شاننا الانذار والتخويف من العقاب وانما انزل في هذه الليلة خصوصا لان انزال القران اشرف الامور الحكيمة وهذه الليلة يفرق فيها كل امر ذي حكمة فالجملتان اعني قوله انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم كالتفسير لجواب القسم قال صاحب النظم ليس من عادتهم ان يقسموا بنفس الشيء او اخبروا عنه فجواب القسم انا كنا منذرين وقوله انا انزلناه اعتراض والجمهور على الاول ولا باس لان المعنى انا انزلنا القران على محمد ولم يتقوله ويحتمل ان القسم وقع ان انزاله في ليلة مباركة واكثر المفسرين على انها ليلة القدر لقوله انا انزلناه في ليلة القدر وليلة القدر عند الاكثر من رمضان ونقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابرهيم في اول ليلة من رمضان والتورية لست ليال منه والزبور لاثني عشرة مضت والانجيل لثمان عشرة منه والفرقان لاربع وعشرين مضت والليلة المباركة هي ليلة القدر وزعم بعضهم كعكرمة وغيره انها ليلة النصف من شعبان وما رايت لهم دليلا يعول عليه قالوا وتسمى ليلة البراءة ايضا وليلة الصك لان الله تعالى يكتب كتابا للمؤمنين البراءة من النار في هذه الليلة ورووا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان وقال ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وقال ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنى ومما اعطي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله عز وجل في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة وبعضهم اراد ان يجمع بين القولين فقال ابتدئ في استنساخ القران من اللوح المحفوظ ليلة البراءة ووقع الفراغ في ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير ولو لم يوجد فيها الا انزال القران لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر هو عند الله اي كل امر له شان من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم الى العام القابل فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسوف الى جبرئيل ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت وقيل يعطي كل عامل بركات اعماله فيلقي على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وفي انتصاب امرا وجوه ان يكون حالا من كل امر حكيم لانه قرب من المعرفة او من الهاء في انزلناه او من الفاعل اي آمرين او على المصدر كما مر في الاختصاص لان كونه من عند الله يوجب مزيد شرف وفخامة او يكون مصدرا من غير لفظ الفعل وهو يفرق لانه اذا حكم بالشيء وفصله وكتبه فقد اوجبه وامر به قوله انا كنا مرسلين يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين اي انزلنا القران لان من شاننا ارسال الرسل وانزال الكتب الى عبادنا لاجل الرحمة ويحتمل كونه تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا وقوله من ربك وضع المظهر موضع المضمر ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة ثم حقق ربوبيته بقوله انه هو السميع العليم الى قوله الاولين ومعنى الشرط في قوله ان كنتم موقنين نظير ما مر في اول الشعراء وذلك انهم كانوا مقرين بانه رب السموات والارض فقيل لهم ان كنتم على بصيرة وايقان من ذلك فلا تشكوا فيه او ان كنتم موقنين بشيء فايقنوا باخبرنا او ان كنتم تريدون اليقين فاعلموا ذلك وقيل انه تابعه ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون في الدنيا او يستهزؤن بنا فلا جرم اوعدهم بقوله فارتقب ويوم منصوب به اي انتظروا والاكثرون على ان هذا الدخان من امارات القيامة فان الدنيا ستصير كبيت لا خصاص له مملوء دخانا يدخل في اجواف الكفار واذانهم فيكونون كالسكارى ويصيب المؤمن فيه كالزكام فيبقى ذلك اربعين يوما وعن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر بكسر الهمزة وفتحها اسم رجل بني هذا البلد [illegible] وقيل الدخان يكون في القيمة اذا خرجوا من قبورهم تحيط بالخلائق وتغشاهم وقيل الدخان الشر والفتنة وعن ابن مسعود خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم اللزام وهو القحط حتى اكلوا الجيف وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان فيسمع كلام صاحبه ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفين ونفر معه وناشده الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم من الدخان رجعوا الى شركهم وذلك قوله هذا عذاب اي قائلين هذا الى اخره ثم استبعد منهم الاتعاظ بقوله انى لهم الذكرى وقد جاءهم ما هو اعظم من كشف الدخان وهو القران المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بانه انما يعلمه بشر ونسبوه الى الجنون ومعنى ثم تبعيد الحالين ثم بين انهم يعودون الى الكفر عقيب كشف العذاب عنهم زمانا قليلا واعلم ان ارتدادهم الى الكفر امر ممكن سواء جعل الدخان من امارات القيامة او يقال انه قد مضى والبطشة الكبرى القيامة او يوم بدر على التفسيرين ويوم ظرف لما دل عليه منتقمون فان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله وقيل بدل من يوم تاتي السماء ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ومعنى فتنا امتحنا وقد وصفه بالكرم لانه كان حسيبا في قومه او لكرم خلقه او المراد انه لم يخاشنهم في التبليغ كما قال فقولا له قولا لينا وان مفسرة لان مجيء الرسول يتضمن القول او مخففة من الثقيلة او مصدرية والياء محذوف وعباد الله مفعول به كقوله ارسل معنا بني اسرائيل او منادى والمعنى ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان والطاعة والقصة مذكورة في الشعراء وغيرها وان ترجمون ان تقتلون او تشتمون او تنسبوني الى الكذب والسحر وان لم تؤمنوا لي اي ان لم تصدقوني فخلوا سبيلي وكونوا بمعزل عني لا علي ولا لي قد عاد به شاكيا ان هؤلاء قوم مجرمون مصرون على الكفر فاسر اي فاجبنا دعاءه وقلنا له كان من دعائه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم ويحتمل ان يكون الدعاء هو ما في يونس ربنا اطمس على اموالهم وفي دعواه وجهان احدهما ساكنا اي لا تضربه ثانيا واتركه على هيئته من انشعاب الماء وكون الطريق يبسا وذلك ان موسى اراد ان يضربه ثانيا حتى ينطبق ويزول الانفلاق خوفا من ان يدركهم قوم فرعون والله تعالى اراد ان يدخل القبط البحر ثم يطبقه عليهم وثانيهما ان الرهو الفجوة الواسعة اي اتركه مفتوحا منفرجا على حاله والنعمة بفتح النون التنعم والباقي مذكور في الشعراء وقوله فما بكت كانوا اذا مات الرجل الخطير قالوا في تعظيم مصيبته بكت عليه السماء والارض واظلمت الدنيا ومنه الحديث ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وفيه تمثيل وتخييل وتهكم بهم انهم كانوا يستعظمون انفسهم ويعتقدون انهم لو ماتوا لقال الناس فيهم ذلك

فاخبر انهم ما كانوا في هذا الحد بل كانوا دون ذلك وجوز كثير من المفسرين ان يكون البكاء حقيقة وجعلوا الخسوف والكسوف والحمرة التي تحدث
في السماء وهبوب الرياح العاصفة من ذلك قال الواحدي في البسيط روى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد الا وله في
السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الاية ثم ان هؤلاء الكفار لم يكن لهم عمل صالح يصعد
الى السماء فلا جرم لم يبك عليهم وعن الحسن اراد اهل السماء والارض اي ما بكت عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين وما كانوا
منظرين اي لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا الى الاخرة بل عجل لهم في الدنيا قوله من فرعون بدل من العذاب جعل في نفسه عذابا مهينا لشدة
شكيمته وفرط عتوه وقيل المضاف محذوف اي من عذابه وقيل تقديره والمهين الصادر من فرعون وفي قراءة ابن عباس من فرعون على الاستفهام
اي ما ظنكم بعذاب من يعرفونه انه عال قاهر عات مجاوز حد الاعتدال ثم اثنى على بني اسرائيل بقوله ولقد اخترناهم باعطاء الملك والنبوة على علم
منا باستحقاقهم ذلك وقيامهم بالشكر عليه على عالمي زمانهم ولا ريب ان هذا قبل التحريف وقيل اي علم منا بانه يبدر منهم بوادر وتفرطات
والبلاء النعمة او المحنة والايات هي التسع وغيرها ثم عاد الى انكار الكلام منه وهو قوله بل هم في شك يلعبون فقال ان هؤلاء يعني كفار قريش ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولى قال المفسرون معناه يؤول الى حكى ما عنهم في موضع اخر ان هي الا حيوتنا الدنيا وذلك ان النزاع انما وقع في موتة
تعقبها حيوة فانكروا ان يكون موته بهذا الوصف الا الموتة الاولى وهو حال كونهم نطفا ويحتمل ان يراد والنهاية او الخاتمة او العاقبة الا الموتة الاولى
وليست اثباتا لموتة ثانية وانما هو كقولك حج فلان الحجة الاولى ومات وما نحن بمنشرين انشر الله الموتى اي احياهم فاتوا ايها النبي والذين
امنوا معه باباءنا ان كنتم صادقين يروى انهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يحيي الله لهم احيا الموتى فينشر كبيرهم قصي بن كلاب ليشاوروه
في صحة نبوة محمد وفي صحة البعث فلم يجبهم الله تعالى الى ذلك ولكنه اوعدهم بقوله اهم خير ام قوم تبع اي ليسوا بخير منهم في العدد والعدد والعز
والمنعة ابن عباس تبع نبي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا ادري تبع نبيا كان ام غير نبي روى الثعلبي عن عائشة كان رجلا
صالحا ذم الله قومه ولم يذمه انما خصهم بالذكر لقربهم من العرب زمانا ومكانا وعن سعيد بن جبير انه كسا البيت وقال قتادة كان
من حمير سار بالجيرة وسمرقند وقال ابو عبيدة هم ملوك اليمن يسمى كل واحد منهم تبعا لكثرة تبعه او لانه يتبع صاحبه وهو بمنزلة الخليفة
للمسلمين وكسرى للفرس وقيصر للروم وجمعه تبابعة وكان يكتب اذا كتب بسم الله الذي ملك برا وبحرا ثم برهن على صحة البعث بقوله وما خلقنا
الى اخره وتقدم في الانبيا وفي ص نظيره وانما جمع السموات ههنا لموافقة قوله في اول السورة رب السموات وسمي يوم القيامة
يوم الفصل لانه يفصل بين عباده في الحكم والقضاء او يفصل بين اهل الجنة واهل النار او يفصل المؤمنين بينهم وبين ما يكرهون
والكافرين بينهم وبين ما يشتهون فيفصل بين الوالد وولده والرجل وزوجته والمرء وخليله والمولى في الاية يحتمل الولي والناصر
والمعتق وابن العم والمراد ان احدا منهم باي معنى فرض لا يتوقع منه النصرة والضمير في ينصرون للمولى الثاني لانه جمع في المعنى
لعمومه وشياعه وقوله الا من رحم الله في محل الرفع على البدل او في محل النصب على الاستثناء انه هو العزيز الغالب على
من عصى الرحيم لمن اطاع ثم اراد ان يختم السورة بوعيد الفجار ووعد الابرار فقال ان شجرة الزقوم وتقدم تفسيرها في الصافات
والاثيم مبالغة الاثم ولهذا يمكن ان يقال انه مخصوص بالكافر والمهل دردي الزيت وتقدم في الكهف ولعل وجه التشبيه هو بشاعة
الطعم كما ان الوجه في قوله طلعها كانه رؤس الشياطين هو كراهة المنظر ثم وصفه بشدة الحرارة قائلا يغلي الى اخره ثم اخبر انه سبحانه
يقول للزبانية خذوه اي خذوا الاثيم فاعتلوه جروه بعنف وغلظة كان يؤخذ بتلبيبه فيجر الى وسط النار والتركيب يدل على الشدة
والغلظة ومنه العتل الجافي الغليظ وقوله من عذاب الحميم دون ان يقول من الحميم تهويل وسلوك لطريق الاستعارة لانه اذا
صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته يروى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا امنع مني فوالله
ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا فنزلت الاية اي يقال له ذق انك انت العزيز الكريم عند نفسك وفيه من التهكم
ما فيه ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون ثم شرع في وعد الابرار والمقام الامين ذو الامن او اصله من الامانة لان
المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قوله وزوجناهم اختلفوا في ان هذا اللفظ هل يدل على حصول عقد التزويج
ام لا والاكثرون على نفيه وان المراد قرناهم بهن وقيل زوجته امراة وزوجته بامراة لغتان وكذا اختلفوا في الحور فعن الحسن
هن عجائزكم ينشئهن الله خلقا اخر وقال ابو هريرة ليس من نساء الدنيا يدعون اي يحكمون ويامرون في الجنة باحضار ما يشتهون من الفواكه في اي وقت
ومكان امنين من التخم والتبعات ثم اخبر عن خلودهم بقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قال جار الله هو من باب التعليق بالمحال
كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقال اهل
التحقيق ان الجنة حقيقتها ابتهاج النفس وفرحها بمعرفة الله وبمحبته فالانسان الكامل هو في الدنيا في الجنة وفي الاخرة ايضا في الجنة فقد
صح انه لم يذق في الجنة الا الموتة الاولى ثم ختم الكلام بقوله فانما يسرناه بلغتك والمعنى ذكرهم بالكتاب المبين فانما سهلناه حيث انزلناه بلغتك
ارادة تذكرهم فانتظر ما يحل بهم فانهم منتظرون بك الدوائر صدق الله العظيم

سورة الجاثية مكية حروفها الفان ومائة وواحد وستون كلماتها اربعمائة وثمانون اياتها سبع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۝ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ۝ ان في السموات والارض لايات للمؤمنين
وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون ۝ واختلاف الليل والنهار
وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ايات

لقوم

لقوم يعقلون ۝ تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون
ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب
اليم ۝ واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين ۝ من ورائهم
جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم
هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم ۝ الله الذي سخر لكم البحر
لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ۝ وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ۝ قل للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون ۝ من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها ثم الى ربكم ترجعون ۝ ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ۝ واتيناهم بينات من الامر
فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون ۝ ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون ۝ انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض
والله ولي المتقين ۝ هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ۝ ام حسب
الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون ۝ وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يظلمون ۝ افرايت من اتخذ الهه هويه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه
وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون ۝ وقالوا ما هي الا
حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا
يظنون ۝ واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان
كنتم صادقين ۝ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ۝ ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون ۝ وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ۝ فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين ۝ واما الذين كفروا افلم تكن اياتي

تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين ۞ واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا

ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ۞ وبدا لهم

سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۞ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء

يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ۞ ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم

الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ۞ فلله الحمد رب السموات

ورب الارض رب العالمين ۞ وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ۞

القراءة وفي خلقكم وما عباس ايات بالنصب في الموضعين حمزة وعلي ويعقوب الريح على التوحيد حمزة وعلي وخلف
يؤمنون على الغيبة ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وسهل وحفص اليم مذكور في سبا لنجزي بالنون ابن عامر وحمزة وعلي وخلف
ليجزي بالياء مبنيا للمفعول قوم بالرفع يزيد الباقون مبنيا للفاعل قوما بالنصب سواء بالنصب حمزة وعلي وخلف وحفص وروح
وزيد غشوة بفتح الغين وسكون الشين من غير الف حمزة وعلي وخلف كل امة تدعى بالنصب على الابدال من الاول يعقوب
والساعة بالنصب حمزة لا يخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف الوقوف حم ه كوفي الحكيم ه للمؤمنين ه ط ومن نصب
ايات لم يقف لانه عطف المفردين على المفردين وهما الخبر واسم ان يوقنون ه لا للعطف على ما يلين لما يجي يعقلون ه بالحق
للاستفهام مع الفاء يؤمنون ه اثيم ه لا لسعيها لانقطاع النظم مع فاء التعقيب اليم ه ترد امهين ه لانه وصل استيفاء بما
وصف عذاب جهنم ج لعطف المختلفين وليتاج لذلك عظيم ه ج لان ما بعده مبتدا مع العاطف اليم ه تشكرون ه للاية
مع العطف منه يتفكرون ه يكسبون ه فلنفسه ج فعليها لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد القصة ترجعون ه العالمين ج للاية

لا نصيب الارض الا ركبناه واطراف الاعلام والجثو ملكفا رخاصة وقيل عام بدليل قوله بعد ذلك فاما الذين امنوا واما
الذين كفروا تدعى الى كتابها اي الى كتاب الحفظة ليقرأوه وقال الجاحظ الى كتاب نبيها فينظر هل عملوا به ام لا ويقال يا اهل التورية يا اهل القران
اليوم تجزون بتقدير القول ومما يؤيد القول الاول قوله هذا كتابنا الى قوله انا كنا نستنسخ اي نامر بالنسخ واضافة الكتاب تارة اليهم واخرى
الى الله عز وجل صحيحة لان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة فاضيف اليهم لان اعمالهم مثبتة فيه واضيف الى الله سبحانه لانه امر ملائكته
بكتبته قوله افلم تكن القول فيه مقدر اي فيقال لهم ذلك قوله ان نظن الا ظنا قال ابو علي والاخفش هذا الكلام جار على غير الظاهر
لان كل من ظن فانه لا يظن الا الظن فما وجهه ان ينوى به التقديم اي ما نحن الا نظن ظنا وقال المازني تقديره ان نظن نحن الا ظنا
منكم اي انتم تشكون فيما تزعمون وما نحن بمستيقنين انكم لا تظنون وقال جار الله اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب
فادخل اداة الحصر ليفيد اثبات الظن مع نفي ما سواه واقول والظن قد يطلق على ما يقرب من العلم ولا ريب ان لهذا الرجحان مراتب
وكانهم نفوا كل الظنون الا الذي لا يثبت علم فيه واكدوا هذا المعنى بقوله وما نحن بمستيقنين وباقي السورة واضح مما سلف ٢ لا شوب

سورة الاحقاف مكية غير اية نزلت في عبد الله بن سلام قل ارايتم الاية حروفها الفان
وثلثمائة كلماتها ثلثمائة واربع واربعون اياتها خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون
قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات
ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين ومن اضل ممن يدعوا
من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس
كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا
للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتريه قل ان افتريته فلا تملكون لي
من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم
قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا
الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال الذين كفروا
للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم
ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا
وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان
بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلثون شهرا حتى اذا بلغ
اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى
والدي وان اعمل صالحا ترضيه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين

اولئك

اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحب الجنة وعد الصدق
الذي كانوا يوعدون والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت
القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا
الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن
والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون
ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم
تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون

القراءات لتنذر على الخطاب ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون على الغيبة والضمير للكتاب احسانا
حمزة وعلي وخلف وعاصم الباقون حسنا كرها في الموضعين بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وسهل وهشام الباقون
بالضم وفصله يعقوب الاخرون وفصاله اوزعني ان بالفتح ابن كثير غير القواس والبزي عن ورش وقالون غير الحلواني نتقبل
بالنون احسن بالنصب ونتجاوز بالنون حمزة وعلي وخلف وحفص الاخرون بياء الغيبة مبنيا للمفعول في الفعلين احسن بالرفع ٢ وابن عامر وكامل ويعقوب
اف بالكسر والتنوين ابو جعفر ونافع وحفص والمفضل وقرأ ابن كثير بالفتح من غير تنوين الباقون بالكسر ولا تنوين اتعدانني ان بفتح
الياء ابو جعفر ونافع وقرأ هشام مدغمة بالنون وليوفيهم بالياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الباقون بالنون اذهبتم بتحقيق
الهمزتين ابن ذكوان اذهبتم بالمد ابن كثير ويزيد وسهل ويعقوب وهشام الباقون بهمزة واحدة الوقوف الجزء السادس والعشرون
حم ه كوفي الحكيم ه مسمى ط معرضون ه السموات ط لانتهاء الاستفهام الى الخطاب صادقين ه غافلون ه كافرين ه مبين ه ط
لان ام تتضمن استفهام انكار افتريه ط شيئا ط فيه ط وبينكم ط الرحيم ه بكم ط مبين ه واستكبرتم ط الظالمين ه اليه ط قديم ه ورحمة ط
للمحسنين ج يحزنون ه فيها ج لان جزاء يصلح مفعولا له ومفعولا لفعل محذوف اي يجزون جزاء يعملون ه احسانا ط ووضعته كرها ط
شهرا ط سنة لان ما بعده جواب اذا ذريتي ج للابتداء بان مع اتحاد الكلام المسلمين ه الجنة ط لان التقدير وعد الله وعد الصدق فا
وهو مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز في معنى الوعد يوعدون ه الاولين ه والانس ط خاسرين ه عملوا ج لان الواو قد يكون
مقحمة وتتصل اللام بما قبله وقد يكون المعلل محذوفا كانه قيل وليوفيهم اعمالهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم لا يظلمون ه النار ط لتقدير
القول وهو العامل في يوم بها ج لابتداء التهديد مع الفاء تفسقون ه التفسير انما كرر تنزيل الكتاب لانه بمنزلة عنوان الكتب
ثم ذكر ما نزل انفا الى ما خلقنا الى قوله واجل مسمى وقد مر في اول الروم انه الوقت الذي عينه لافناء الدنيا وعين بين الدليل على وجود
الالهة ووقوع الحشر فرع عليه الرد على عبدة الاوثان بقوله قل ارايتم وقد مر في فاطر والمراد انهم لا يستحقون العبادة اصلا لانهم ما خلقوا
شيئا في هذا العالم لا في الارض ولا في السماء ولم يدل وحي من الله على عبادتهم لان هذا القران ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما
من كتاب قبله الا وهو ناطق بمثل ذلك فقوله ايتوني من باب ارخاء العنان وتوسيع المجال على الخصم اي ان كنتم في شك مما قلت
فقد امهلتكم حتى تاتوني بعد الاستقراء بكتاب فيه شيء من ذلك او اثارة من علم قال الواحدي كلام اهل اللغة في تفسير هذا الحرف يدور
على ثلثة اوجه احدها البقية من قولهم سمنت الناقة على اثارة من لحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب والثاني انه من الاثر بمعنى الرواية
والثالث من الاثر بمعنى العلامة والمراد ما بقي او روي عن اسلافهم يعدونه علما وعن ابن عباس مرفوعا انه الخط قال كان نبي من
الانبياء يخط فمن صادف مثل خطه علم ثم زاد في تبكيتهم وتوبيخهم بقوله ومن اضل الاية وبالجملة فالدليل الاول دل على نفي القدرة عنهم من كل
الوجوه وهذا الدليل دل على نفي العلم عنهم من كل الوجوه فاذا انتفى العلم والقدرة عن الجسم لم يكن الاتخاذ او عبادته الا محض الضلال
وقوله الى يوم القيمة تابيد على عادة العرب ويحتمل ان يكون توقيتا بدليل قوله واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وهذا التبري والتنحي
نوع من الاستجابة ثم قرر غاية عنادهم بقوله واذا تتلى ثم عجب من حالهم بقوله ام يقولون افتريه الاية اي ان كذبت على الله كما
زعمتم عاجلني بالعقوبة فلا تقدرون على دفع عذابه عني فاي فائدة لي في الافتراء ثم فوض امرهم الى الله قائلا هو اعلم بما تفيضون اي تندفعون
فيه من القدح في الوحي وتسميته سحرا تارة وافتراء اخرى وفي قوله وهو الغفور الرحيم اشارة الى انهم لو رجعوا الى الحق وتابوا عن الشرك
قبل الله توبتهم وفيه اشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوه ثم اراد ان يزيل شبهتهم بنوع اخر من البيان فقال قل ما كنت بدعا هو بمعنى
البديع كالخف بمعنى الخفيف اي لست باول رسول ارسله الله ولا جئتكم بامر بديع لم يكن الى مثله سابق وفيه ان اقتراح الايات الغريبة منه
غير موجه لانه لا يتبع الا الوحي وما هو الا نذير وليس اليه ان ياتي بكل ما يقترح فيه وفيه انه غير عالم بالمغيبات الا بطريق الوحي فلا وجه لاستدعاء ٢ امره
الغيوب عنه سواء تتعلق باحوال الدنيا او باحوال الاخرة من الاحكام والتكاليف وما يؤول من المكلفين اليه وفيه انه لا وجه لتعييره
بالفقر وباكل الطعام والمشي في الاسواق لان الرسل كلهم وجلهم كانوا كذلك قال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلاء على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام انه يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر فقصها على اصحابه فاستبشروا بذلك ثم انهم مكثوا
برهة من الدهر لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما راينا الذي قلت ومتى نهاجر فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله الاية وعنه في رواية اخرى انه لما نزلت هذه الاية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا

فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما فبين الله تعالى ما يفعل به وبامته ونسخت هذه الآية والاصح عند العلماء انه
لا حاجة الى التزام النسخ فان الدراية المفصلة غير حاصلة وعلى تقدير حصولها فانه لم ينف الا الدراية من جهة الوحي قوله ولا بكم في حيز النفي
اي ولا ادري ما يفعل بكم وما موصولة او استفهامية ومحل الاولى نصب والثانية رفع ثم قرر انه لا اظلم منهم فقال قل ارايتم الآية و
قد مر نظيره في اخر حم السجدة الا انه زاد ههنا حديث الشاهد وفيه اقوال احدها انه عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة نظر الى وجهه وتأمله فتحقق انه النبي المنتظر فامن به وعن سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد
يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي على مثل القرآن في المعنى وهو ما في
التوراة من المعاني المطابقة للقرآن من التوحيد والمعاد وعلى هذا فقوله على مثله يتعلق بشاهد اي وشهد على صحة القرآن شاهد على مثل
القرآن ويجوز ان يعود الضمير في مثله الى المذكور وهو كونه من عند الله فيكون الجار متعلقا بشهد قال جار الله الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم
على شهد واما الواو في شهد فقد عطفت جملة قوله وشهد الى اخره على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى اخبروني ان اجتمع كون القرآن
من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه الستم اضل الناس واظلمهم يدل على هذا
الجواب المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين قلت هذا الكلام حسن ويجوز ان يكون قوله واستكبرتم معطوفا على قوله فامن ويجوز
ان يكون الواو في وشهد للحال باضمار قد قال وقد جعل الايمان في قوله فامن مسببا عن الشهادة لانه لما علم ان مثله انزل على موسى وانصف من
نفسه اعترف بصحته وامن القول الثاني ما ذكره الشعبي في جماعة ان السورة مكية وقد اسلم ابن سلام بالمدينة فالشاهد هو موسى وشهادته
هو ما في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وايمانه تصديقه بذلك القول الثالث ان الشاهد ليس شخصا معينا وتقدير الكلام لو ان رجلا
منصفا عارفا بالتوراة اقر بذلك واعترف به ثم امن بمحمد واستكبرتم انتم الم تكونوا ظالمين ضالين والمقصود انه ثبت بالمعجزات
القاهرة ان هذا الكتاب هو من عند الله وثبت بشهادة الثقات ان التوراة مشتملة على البشارة بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم ومع
ثبوت هذين الامرين كيف يليق بالعاقل انكار نبوته ثم ذكر شبهة اخرى لهم وهي انهم قالوا للذين امنوا اي لاجلهم وفي حقهم لو كان ما اتى به
محمد خيرا ما سبقونا اليه وقيل اللام بمعنى قولك قلت له وضعف بانه لو كان كذلك لقيل ما سبقتمونا اليه واجيب بانه وارد على طريقة
الالتفات او المراد ان الكفار لما سمعوا ان جماعة امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين
بانه لو كان هذا الدين خيرا لما سبقنا اليه اولئك الغائبون قال المفسرون لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان
واسد واشجع لو كان ما دخل فيه هؤلاء من الدين خيرا ما سبقونا اليه ونحن ارفع منهم حالا واكثر مالا وهؤلاء رعاة الغنم وقيل قاله اغنياء قريش لفقراء
المؤمنين كعمار وصهيب وابن مسعود وقيل هم اليهود قالوه حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه والعامل في قوله واذ لم يهتدوا به محذوف
وهو ظهر عنادهم وذلك ان المعنى السين للاستقبال وجهها تدافع والافك القديم كقولهم اساطير الاولين وقيل كذب كذب عيسى
قوله ومن قبله كتاب موسى خبر ومبتدا وقوله اماما اي قدوة يؤتم به في شرائع الله نصب على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقوله لسانا
عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق اي لما بين يديه وهو العامل فيه ويجوز ان يكون حالا من كتاب لانه موصوف والعامل معنى الاشارة
ويجوز ان يكون مفعولا لمصدق على حذف المضاف اي مصدق ذا لسان عربي هو الرسول قوله وبشرى معطوف على محل لينذر لانه مفعول له
ولما فرغ من دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبهة المنكرين مع اجوبتها اراد ان يذكر طريقة المحقين فقال ان الذين قالوا الآية وقد مر في حم
السجدة الا انه رفع واسطة الملائكة ههنا من البين ثم ان اعظم انواع الاستقامة كان هو الشفقة على خلق الله لا سيما على الوالدين فلذلك
قال ووصينا الآية وقد مر في الروم ولقمن والكره بالفتح والضم المشقة اي ذات كره او حملا ذا كره والفصل والفصال كالفطم والفطام
بناء ومعنى والمقصود بيان مدة الرضاع الا انه لما كان منتهيا بالفصال صح التعبير عن اخر الرضاع بالفصال او الغاية وفيه الدلالة على
الرضاع التام المنتهي بالفصال وقد يستدل من هذه الآية ومن قوله والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ان مدة الحمل ستة اشهر
وعن عمر ان امراة ولدت لستة اشهر فرفعت اليه فامر برجمها فاخبر علي كرم الله وجهه بذلك فمنع عنه محتجا بالآية فصدقه عمر وقال لولا علي
لهلك عمر قال جالينوس اني كنت شديد الفحص عن مقادير ازمنة الحمل فرايت امراة ولدت في المائة والاربع والثمانين ليلة وزعم ابو علي
بن سينا انه شاهد ذلك وذكروا ايضا التي رتب قاعدة كلية قالوا ان يكون الجنين زمانا مقدرا فاذا تضاعف ذلك الزمان تحرك الجنين
ثم اذا انضاف الى المجموع مثلاه انفصل الجنين وعلى هذا فلو تمت خلقة الجنين في ثلثين يوما فاذا اتى عليه مثل ذلك اي ستين يوما
على وفق ستين تحرك فاذا انضاف الى هذا المقدار مثلاه وهو مائة وعشرون وصار المبلغ مائة وثمانين انفصل ولو تمت خلقته في
خمسة وثلثين يوما تحرك في سبعين وانفصل في مائتين وعشرة وهو سبعة اشهر ولو تمت خلقته في اربعين تحرك في ثمانين وانفصل في مائتين
واربعين وهو ثمانية اشهر وقلما يعيش هذا المولود الا في بلاد معينة مثل مصر وقد مر هذا المعنى في اول الكتاب ولو تمت في خمسة واربعين تحرك
في تسعين وانفصل في مائتين وسبعين وهي تسعة اشهر وهو الاكثر واما اكثر مدة الحمل فليس يعرف له دليل من القرآن وذكر ابو علي بن سينا
في كتاب الحيوان من الشفاء في الفصل السادس من المقالة التاسعة ان امراة ولدت بعد الرابع من سني الحمل ولدا قد نبتت اسنانه وعاش
وعن ارسطاطاليس ان زمان الولاد لكل الحيوانات مضبوط سوى الانسان هذا وقد روى الواحدي في البسيط عن عكرمة انه قال اذا حملت
تسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا وعلى هذا قوله حتى اذا بلغ اشده اكثر المفسرين كما مر في اخر الانعام واول يوسف والقصص على ان
وقت الاشد هو زمان الوصول الى سن النشو والنماء وهو ثلث وثلثون سنة تقريبا وان في الاربعين يتم الشباب وياخذ القوى الطبيعية
والحيوانية في الانتقاص والقوة العقلية والنطقية في الاستكمال وهذا احد ما يدل على ان النفس غير البدن ومن جملة الكمال انه يقول حينئذ
رب اوزعني اي الهمني ووفقني كما مر في النمل قال علماء المعاني قوله في ذريتي كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وكانه سال ان يجعل ذريته موقعا
للصلاح ومظنة له وقوله احسن ما عملوا بمعنى الحسن والمراد الواجب والمندوب دون المباح وقوله في اصحاب الجنة في موضع الحال
اي معدودين فيهم عن ابن عباس وجم غفير من المفسرين ان الآية نزلت في ابي بكر الصديق وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده
واستجابة دعائه فيهم ولم يكن احد من الصحابة المهاجرين والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر رضي الله عنه قالوا ومجاوزة
هذا القول انه سبحانه حكى عن ذلك الانسان انه قال بعد اربعين سنة رب اوزعني الى اخره ومعلوم انه ليس كل انسان يقول

هذا

هذا القول ان هذا عام لهذا الجنس من الانسان قد يقول هذا القول ولا اقل من ان يكون واردا على طريقة الارشاد والتعليم سلمنا
ولكن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب قوله والذي قال مبتدا خبره اولئك والمراد بالذي جنس القائل فلذلك اورد الخبر
مجموعا ويجوز ان يكون الخبر عاما في القائل وفي امثاله فيندرج فيه القائل وقيل تقديره واذكر الذي ومن القائل عن الحسن وقتادة
هو الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وذهب السدي الى ان الآية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه وانه كان
يقول لوالديه اف لكما وهي كلمة تضجر وتبرم كما مر في سبحان والانبياء اتعدانني ان اخرج من القبر وقد خلت القرون من قبلي
فلم يرجع احد منهم وهما يعني ابويه يستغيثان الله اي بالله فحذف الجار واوصل الفعل والمراد يستغيثانه ان يوفقه للايمان ويقولان
له ويلك امن بالله وبالبعث والمراد بالدعاء عليه الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك قال السدي فاستجاب الله دعوة
ابي بكر فيه وحسن اسلامه ولما اسلم نزل فيه ولكل درجات مما عملوا واكثر المفسرين ينكرون هذا القول لانه سبحانه قال فيه اولئك الذين حق
عليهم القول كائنين في امم الى اخره وان عبد الرحمن لم يبق كافرا بل كان من سادات المسلمين وروي عن عائشة انكاره ايضا و
ذلك انه حين كتب معوية الى مروان بن الحكم بن ابي العاص بان يبايع الناس ليزيد رد عليه عبد الرحمن فقال مروان يا ايها الناس
هو الذي قال الله فيه قال لوالديه فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه ثم ميز حال المؤمن
من حال الكافر بقوله ولكل اي من الجنسين درجات من جزاء ما عملوا فغلب اهل الدرجات على اهل الدركات او الدرجات هي المراتب
متصاعدة او متنازلة والباقي واضح مما مر والاستكبار عن قبول الحق ذنب القلب والفسق عمل الجوارح والاول اولى بالتقديم
لعظم موقعه وقد يحتج بالآية على ان الكفار مخاطبون بالفروع قال مؤلف الكتاب الاشياء الطيبة اللذيذة غير منهي عنها لقوله تعالى قل من
حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ولكن التقشف وترك التكلف داب الصالحين لئلا يشتغل بغير المهم عن
المهم ولان ما عدا الضروري لا حصر له وقد يجر بعضه بعضا الى ان يقع المرء في البعد عن الله وفي الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح
في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير وعن عمر رضي الله عنه
لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي لان الله وصف قوما فقال اذهبتم طيباتكم وعنه ان رجلا
دعاه الى طعام فاكل ثم قدم شيئا حلوا فامتنع وقال رايت الله تعالى عير قوما بشهواتهم فقال اذهبتم الآية فقال الرجل اقرا يا
امير المؤمنين ما قبلها ويوم يعرض الذين كفروا ولست منهم فاكل وسره ما سمع والتحقيق ان المراد هو انه ما كتب للكافر حظ
من الطيبات الا الذي اصابه في دنياه وليس في الآية ان كل من اصاب الطيبات في الدنيا فانه لا يكون له منها حظ في الاخرة

واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه
الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ۝ قالوا اجئتنا
لتافكنا عن الهتنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ۝ قال انما
العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اريكم قوما تجهلون ۝ فلما
راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به
ريح فيها عذاب اليم ۝ تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
كذلك نجزي القوم المجرمين ۝ ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه
وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم
ما كانوا به يستهزءون ۝ ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات
لعلهم يرجعون ۝ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون ۝ واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي

ولوا الى قومهم منذرين ۝ قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ۝ يا قومنا
اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ۝
ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك
في ضلال مبين ۝ اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي
بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير ۝ ويوم
يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ۝ فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون ۝ لم يلبثوا الا ساعة
من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ۝ صدق الله

القراءة اني اخاف بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ولا يرى باليا التحتانية مبنيا للمفعول الا مساكنهم بالرفع عاصم وحمزة وخلف وسهل ويعقوب الباقون لا ترى على خطاب كل واحد مساكنهم بالنصب بل ضلوا بادغام اللام في الضاد علي واو صرفنا بادغام الذال في الصاد وكذا ما يشبهه ابو عمرو وعلي وهشام وحمزة في رواية خلاد وابن سعدان وابي عمرو بقادر فعلا مضارعا من القدر سهل ويعقوب الوقوف عاد ط لان اذ يتعلق باذكر محذوفا وهو مفعول به قول النحاة وعندي ان لا وقف وقوله اذ ابدل الاشتمال من اخا عاد الا الله ط عظيم ه الهتنا ج لتناهي الاستفهام مع تعقيب الفا الصادقين ه عند الله ز لاختلاف الجملتين لفظا ولكن التقدير وانا ابلغكم تجهلون ه ممطرنا ط لتقدير القول بل اليم لا لان ما بعده صفة مساكنهم ط المجرمين ه وافيدة ز لعطف المختلفين والوصل اولى للفا واتحاد الكلام يستهزءون ه يرجعون ه الهة ط لتمام الاستفهام عنهم ج لعطف الجملتين يفترون ه القران ج للكلمة الى زات مع الفا انصتوا ج لذلك منذرين ه مستقيم ه اليم ه اولياء ط مبين ه الموتى ط قدير ه النار ط لتقدير القول بالحق ط وربنا ط تكفرون ه لهم ط توعدون لان ما بعده خبر كان نهار ط بلاغ ج للاستفهام مع الفا الفاسقون ه التفسير انه سبحانه بعد حكاية شبه المكذبين والاجوبة عنها وبعد اتمام ما انجر الكلام اليه امر نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يذكر قومه بقصة هود اعني اخا عاد لانه واحد منهم والاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج ويقال له الشجر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير مصدرا او صفة والواو في قوله وقد خلت اما ان يكون للحال والمعنى انذرهم وهم عالمون بانذار الرسل من قبله ومن بعده واما ان يكون اعتراضا والمعنى واذكر وقت انذار هود قومه ان لا تعبدوا الا الله وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قوله لتافكنا اي لتصرفنا من عبادة الهتنا قوله انما العلم عند الله اي لا علم لي بالوقت الذي عينه الله لتعذيبكم فلا ينبغي لاستعجالكم ولهذا انسبهم الى الجهالة واي جهل اعظم من نسبة نبي الله الى الكذب ومن ترك طريقة الاحتياط ومن استعجال ما فيه هلاكهم والضمير في قوله فلما راوه عايد الى الموعود او هو مبهم يوضحه قوله عارضا اي سحابا عرض في نواحي السماء والاضافة في قوله مستقبلا اوديتهم ممطرنا لفظية ولهذا صح وقوعها صفة للنكرة والتدمير الاهلاك والاستيصال وفي قوله بامر ربها اشارة الى ابطال قول من زعم ان مثل هذه الاثار مستند الى تاثيرات الكواكب بالاستقلال ثم زاد في تخويف كفار مكة وذكر فضل عاد في القوة الجسمانية وفي الاسباب الخارجية عليهم فقال ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قال المبرد ما موصولة وان نافية اي لم نمكنكم فيه وقال ابن قتيبة ان زايدة وهذا فيه ضعف لان الاصل حمل الكلام على وجه لا يلزم منه زيادة في اللفظ ولان المقصود تفضيل اولئك القوم على هولاء حتى يلزم المبالغة في التخويف وعند تساويهما يفوت هذا المقصود وقيل ان للشرط والجزاء مضمر اي في الذي ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر وقوله من شيء اي شيئا من الاغناء وهو القليل منه وقوله اذ كانوا ظرف لما اغنى وفيه معنى التعليل كقولك ضربته اذ اساء القرى نوع هود وقوله من قربات عاد وثمود ولوط وغيرهم بانعام والحجاز واليمن وتصريف الايات اي تكريرها قيل للعرب المخاطبين والاظهر انه للماضين لقوله لعلهم يرجعون عن شركهم والاولون حملوه على الالتفات ثم وبخهم بان اصنامهم لم يقدروا على نصرتهم وشفاعتهم فقوله الهة مفعول ثان لاتخذوا والمفعول الاول محذوف وهو راجع الى الذين وقربانا حال ومفعول له اي متقربين الى الله او لاجل القربة بزعمهم والقربان مصدر او اسم لما يتقرب

لان التقدير بعضه ربع

المخلفين والوصل

والذي

والاولون

الى عز وجل ويجوز ان يكون قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا وبيانا قوله وذلك افكهم اي عدم نصرة الهتهم وضلالهم عنهم وقت الحاجة محصول افكهم وافترائهم او عاقبة شركهم وثمرة كذبهم على الله وحين بين ان في الانس من امن ومنهم من كفر اراد ان يبين ان نوع الجن ايضا كذلك وفي كيفية الواقعة قولان احدهما عن سعيد بن جبير وعليه الجمهور كانت الجن تسترق فلما رجموا قالوا هذا انما حدث في السماء لشيء حدث في الارض فذهبوا يطلبون السبب فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة يصلي باصحابه ومتفردا فمنهم من قال صلوة العشاء الاخرة ومنهم من قال صلوة الصبح فقرا فيها سورة اقرا فسمعوا القران وعرفوا ان ذلك هو السبب وعلى هذا لم يكن الجن ذلك يعلم منه صلى الله عليه وسلم حتى اوحى الله اليه والقول الثاني انه صلى الله عليه وسلم امر بذلك فقال لاصحابه اني امرت ان اقرا القران على الجن فايكم يتبعني فاتبعه ابن مسعود فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعب الحجون وخط على ابن مسعود وقال لا تبرح حتى اتيك قال فسمعت لغطا شديدا حتى خفت على النبي ثم علا القران اصواتهم فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم سالته عن اللغط فقال اختصموا الي في قتيل كان منهم فقضيت فيهم وفي رواية اخرى عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم امعك ماء قلت يا رسول الله اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده فتوضا فقال ثمرة طيبة وماء طهور واختلفوا في عددهم عن ابن عباس كانوا تسعة من جن نصيبين وفي رواية عكرمة كانوا اثني عشر من جزيرة الموصل لا اذن جيش كانوا تسعة وفيهم زوابعة وقيل كانوا سبعين وقيل اثني عشر الفا ولنرجع الى التفسير قوله واذ صرفنا معطوف على قوله اذكر اخا عاد اذ انذر والمعنى صرفناهم اليك والنفر ما دون العشرة ويجمع على انفار والضمير في حضروه للنبي صلى الله عليه وسلم او للقران قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا والانصات السكوت لاستماع الكلام فلما قضي اي فرغ النبي من القراءة وانما قالوا انزل من بعد موسى لانهم كانوا يهودا او لانهم لم يسمعوا امر عيسى قال ابن عباس اجيبوا داعي الله عنوا رسول الله او انفسهم بناء على انهم رسل رسول الله الى قومهم ومنه يعلم انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن ايضا وهذا من جملة خصايصه وحين عموا الامر باجابة الداعي خصصوه بقولهم وامنوا به لان الايمان اشرف اقسام التكاليف ومن في قوله من ذنوبكم للتبعيض ومن الذنوب ما لا يغفر بالايمان كالمظالم وقد مر في ابراهيم واختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب ام لا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب اليم وهو قول ابي حنيفة والصحيح انهم في حكم بني ادم يدخلون الجنة وياكلون ويشربون وقد جرى بين مالك وابي حنيفة مناظرة في هذا الباب قوله فليس بمعجز اي لا يفوته هارب قوله ولم يعي يقال عييت بالامر اذا لم يعرف وجهه قوله بقادر في محل الرفع لانه خبر ان وانما دخلت الباء لاشتمال الاية على النفي كانه قيل اليس الله بقادر والمقصود تاكيد ما مر في اول السورة من دلايل البعث والنبوة ثم سلى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم وقوله من الرسل بيان لان جميع الرسل ارباب عزم وجد في تبليغ ما امروا باداية او هو للتبعيض فنوح صبر على اذى قومه وابراهيم على النار وذبح الولد واسحق على الذبح ويعقوب على فراق الولد ويوسف على السجن وايوب على الضر وموسى على سفاهة قومه وجفاهم لا تهم واما يونس فلم يصبر على دعا القوم فذهب مغاضبا وقال الله تعالى في حق ادم ولم نجد له عزما ولا تستعجل لهم اي لا تدع لكفار قريش بتعجيل العذاب فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر وانهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى ظنوا انها ساعة من نهار هذا الذي وعظتم به كفاية في بابه وقد مر في اخر سورة ابراهيم صلوات الرحمن عليه

اذ

سورة القتال مدنية حروفها الفان وثلثماية وتسعة واربعون كلماتها خمسماية وتسع وثلثون

اياتها ثمان وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
اضل اعمالهم ۝ والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد
وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ۝ ذلك بان
الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم
كذلك يضرب الله للناس امثالهم ۝ فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ۝ فاما منا بعد واما فداء حتى تضع
الحرب اوزارها ۝ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم
ببعض ۝ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم ۝ سيهديهم ويصلح

الى

بالهم ۝ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ۝ يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله
ينصركم ويثبت اقدامكم ۝ والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ۝
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم ۝ افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها
ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ۝
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار ۝ والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار
مثوى لهم ۝ وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
اهلكناهم فلا ناصر لهم ۝ افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
واتبعوا اهواءهم ۝ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير
آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم
كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ۝ ومنهم
من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم
ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم
والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم ۝ فهل ينظرون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ۝

القراءات ۝ والذين قتلوا مبنيا للمفعول ثلاثيا ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص الباقون قاتلوا ويثبت من الاثبات المفضل الباقون بالتشديد اسن بغير الف كحذر ابن كثير اتفقا بدون الالف كما قلنا ابن مجاهد وابو عون عن قنبل الوقوف اعمالهم ۝ بالهم ۝ من ربهم ط امثالهم ۝ الرقاب ط الوثاق لا للفاء ولتعلق بعد بما قبلها اي بعد ما شد وتم الوثاق اوزارها ج ذلك ط على ذلك كذلك وقد يحسن اتصاله بما قبله لانقطاعه عن خبر او عن المبتدا او الفعل اي الامر كذلك او فعلوا ذلك ببعض ط اعمالهم ۝ بالهم ۝ للاية مع العطف واتحاد الكلام لهم ۝ اقدامكم ۝ اعمالهم ۝ قبلهم ط لتناهي الاستخبار الى الاخبار عليهم للابتدا بالتهديد مع الواو امثالها ۝ لهم ۝ اخرجتك ج لاحتمال ان ما بعده صفة قرية او ابتدا اخبار لهم ۝ اهواءهم ۝ المتقون ط للحذف اي صفة الجنة فيما نقص عليكم ثم شرع في قصتها اسن ج طعمه ج للشاربين ج لتفصيل انواع النعم مع العطف مصفى ط من ربهم ط لحذف المبتدا والتقدير افمن هذا حاله كمن هو خالد امعاءهم ۝ اليك ج لاحتمال ان يكون حتى للانتهاء وللابتداء آنفا ط اهواءهم ۝ تقواهم ۝ بغتة ج لتناهي الاستفهام مع مجي الفاء بعده في الاخبار اشراطها ج لعكس ذلك ذكراهم ۝ التفسير قال اهل النظم ان اول هذه السورة مناسب لاخر السورة كانه قيل كيف يهلك الفاسق ان كان له اعمال صالحة فاجاب الذين كفروا وصدوا ومنعوا الناس عن الايمان عنادا وامتنعوا عنه صدودا اضل الله اعمالهم اي ابطل ثوابها وكانوا يصلون الارحام ويطعمون الطعام ويعمرون المسجد الحرام وعن ابن عباس انها نزلت في المطعمين يوم بدر وقيل هم اهل الكتاب والاظهر العموم قال جار الله حقيقة اضلال الاعمال جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتعهدها كالضالة من الابل لا رب لها يحفظها او اراد انه

للتناهي

للتفرقة

نجعلها

نجعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن وقيل اراد ابطال ما عملوه من الكيد للاسلام وذويه بان نصر المسلمين عليهم واظهر دينه على الدين كله وحين بين حال الكفار بين حال المؤمنين قائلا والذين امنوا وعملوا الصالحات بالهجرة والنصرة وغير ذلك وامنوا بما نزل على محمد يعني بالقران وهو تخصيص بعد تعميم ولم يقتصر على هذا التخصيص الموجب للتفصيل وكنه اكده بجملة اعتراضية هي قوله وهو الحق من ربهم ولان الحق هو الثابت نفيه دليل على ان دين محمد لا يرد عليه النسخ ابدا وتكفير السيئات من الكرم سترها بما هو خير منها فهو في معنى قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والبال الحال والشان لا يثنى ولا يجمع وقيل هو بمعنى القلب اي يصلح امر دينهم والحاصل ان قوله وامنوا بما نزل على محمد بازاء قوله وصدوا عن سبيل الله فاولئك استغنوا عن اتباع سبيل محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء حثوا انفسهم على اتباعه فلا جرم حصل لهؤلاء ضد ما حصل لاولئك فاضل الله حسنات اولئك وستر على سيئات هؤلاء وقد اشير الى هذا الحاصل بقوله وذلك الاضلال والتكفير بسبب اتباع اولئك الباطل الشيطان وحزبه وهؤلاء الحق محمدا والقران كذلك اي مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس كلهم امثال انفسهم او امثال المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وضرب المثل في الاية هو ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين ولا ريب ان اخبار عن الفريقين بغير تصريح مثل لحالهما وهذا حقيقة ضرب المثل وقيل ان الاضلال مثل لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثل لفوز المؤمنين وقيل ان قوله كذلك لا يستدعي ان يكون هناك مثل مضروب ولكنه لما بين حال الكافر واضلال اعماله وحال المؤمن وتكفير سيئاته وبين السبب فيهما كان ذلك نهاية الايضاح فقال كذلك اي مثل هذا البيان يضرب الله للناس امثالهم ويبين حالهم قال اصحاب النظم لما بين ان عمل الكفار ضلال والانسان حرمته باعتبار عمله انتج من ذلك قوله فاذا لقيتم الذين كفروا اي في دار الحرب او في القتال فضرب الرقاب واصله فاضربوا الرقاب ضربا الا انه اختصر للتوكيد لانه بذكر المصدر المنصوب دل على الفعل وكان كالحكم البرهاني وليس ضرب الرقبة مقصودا بالذات ولكنه وقع التعبير عن القتل به لانه اغلب انواع القتل ولما في ذكره من التخويف والتغليظ وفيه رد على من زعم ان القتل بل ايلام الحيوان قبيح مطلقا لانه تخريب البنيان فبين الشرع ان اهل الكفر والطغيان يجب قتلهم لان فيه صلاح نوع الانسان كما ان الطبيب الحاذق يامر بقطع العضو الفاسد ابقاء على سائر البدن حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى لا يمكنهم النهوض وقد مر في اخر الانفال فشدوا الوثاق هو بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمراد فاسروهم وشدوهم بالحبال والسيور فاما تمنون منا واما تفدون فداء وهذا مما يلزم فيه حذف فعل المصدر المطلق لانه وقع المفعول تفصيلا لاثر مضمون جملة تقدمته قال الشافعي للامام ان يختار احد اربعة امور هي القتل والاسترقاق والمن وهو الاطلاق من غير عوض والفداء باسارى المسلمين او بالمال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم من على ابي عزة الجمحي على ان لا يخرج وفادى رجلا برجلين من المشركين وذهب اصحاب الراي الى ان الاية منسوخة وان المن والفدا انما كانا يوم بدر فقط وناسخها اقتلوا المشركين وليس للامام الا القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فدا انما هو الاسلام او ضرب العنق وقوله حتى تضع يتعلق بالضرب والشد او بالمن والفدا والمراد عند الشافعي انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة واوزار الحرب الاتها واثقالها التي لا يقوم الحرب الا بها قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا فاذا انقضت الحرب فكانها وضعت اسبابها وقيل اوزارها اثامها والمضاف محذوف اي حتى تترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا وعلى هذا جاز ان يكون الحرب جمع حارب كالصحب جمع صاحب فلا يحتاج الى تقدير المضاف وفسر بعضهم وضع الحرب اوزارها بنزول عيسى لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوشك من عاش منكم ان يلقى عيسى اماما هاديا وحكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب اوزارها حتى يدخل كلمة الاخلاص كل بيت من وبر ومدر وعند ابي حنيفة رضي الله عنه اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك اذا لم يبق شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالحرب معهود وهي حرب بدر ثم بين انه منزه في الانتقام من الكفار عن الاستعانة باحد فقال ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم بغير قتال او بتسليط الملائكة او باضعف خلقه عليهم ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض فيمتحن المؤمنين بالكافرين هل يجاهدون في سبيله حق الجهاد ام لا ويبتلي الكافرين بالمؤمنين هل يذعنون للحق ام لا الزاما للحجة وقطعا للمعاذير ومعنى الابتلاء من الله سبحانه قد مر مرارا انه مجاز اي يعاملهم معاملة المختبر او ليظهر الامر لغيره من الملائكة او الثقلين ثم وعد الشهداء والمجاهدين بقوله والذين قتلوا او قاتلوا على القراءتين فلن يضل اعمالهم خلاف الكفرة سيهديهم الى الثواب ويثبتهم على الهداية ويصلح بالهم امر معاشهم في المعاد او في الدنيا وكرر لان الاول سبب النعيم والثاني نفس النعيم ويدخلهم الجنة عرفها لهم جعل كل واحد بحيث يعرف منه ما له في الجنة كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا وعن مقاتل يعرفها لهم الحفظة ابن عيسى عرفها بوصفها في القران وقيل طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة ثم حث على نصرة دين الله بقوله يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اي دينه او رسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في موقف الحرب او على جادة الشريعة والذين كفروا ما لهم بالضد يقال تعسا له في الدعاء عليه بالعثار والتردي عن ابن عباس هو في الدنيا القتل وفي الاخرة التردي في جهنم وهو من المصادر التي يجب حذف فعلها سماعا والتقدير فقال تعسهم الله فتعسوا تعسا ولهذا عطف عليه قوله واضل اعمالهم ثم بين سبب تعاستهم على الكفر والضلال بقوله ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله من القران والتكاليف لالفهم بالاهمال واطلاق العنان فاحبط اعمالهم التي لا استناد لها الى القران والسنة ثم هددهم بحال الاقدمين وهو ظاهر ودمر عليه ابلغ من اهلكه فان الثاني الاهلاك مطلقا والاول اهلاك ما يختص به من نفسه وماله وولده وعشيرته وللكافرين امثالها الضمير للعاقبة او العقوبة والاول مذكور والثاني مفهوم بدلالة التدمير فان كان المراد الدعاء عليهم فاللام للعهد وهم كفار قريش ومن ينخرط في سلكهم وان كان المراد الاخبار جاز ان يراد هؤلاء والقتل والاسر نوع من التدمير وجاز ان يراد الكفار الاقدمون ذلك النصر والتعس بان الله مولى الذين امنوا اي وليهم وناصرهم وان الكافرين لا مولى لهم بمعنى النصرة والعناية واما بمعنى الربوبية والمالكية فهو مولى الكل لقوله وردوا الى الله مولاهم الحق ثم برهن على الحكم المذكور وهو ان ولايته مختصة بالمؤمنين فقال ان الله يدخل الاية فشبه الكافرين بالانعام من جهة ان الكافر غرضه من الحياة التنعم والاكل وسائر الملاذ لا التفكر والتوسل بالغذاء

للاسلام وغيره

[illegible]

فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم
متقلبكم ومثويكم ۞ ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر
فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ۞ فهل
عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ۞ اولئك الذين لعنهم الله
فاصمهم واعمى ابصارهم ۞ افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم
ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم
فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ۞ ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله
وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ۞ ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله
اضغانهم ۞ ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ۞ ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم

اعمالكم

اعمالكم ۞ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ۞ ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا
الله شيئا وسيحبط اعمالهم ۞ يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا
اعمالكم ۞ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله
لهم ۞ فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم ۞ انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسئلكم اموالكم ۞ ان يسئلكموها
فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ۞ ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم
من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ۞ ثم لا يكونوا امثالكم ۞

[illegible]

النوني قوله طاعة معروفة ويجوز ان يكون امر للمنافقين اي قولوا طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر اي جد وصار معزوما عليه واسناده
مجازي لان العزم لاصحاب الامر القتال ثم التفت وخاطب كفار قريش بقوله فهل عسيتم هو من افعال المقاربة وجوه استعمالا في البقرة في قوله
عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فنقل الكلام من الغيبة الى الخطاب ليكون ابلغ من التوبيخ ومعناه هل يتوقع منكم ان توليتم واعرضتم عن الدين
او توليتم امور الناس ان تفسدوا في الارض بالمعاصي والافتراق بعد الاجتماع على الاسلام وتقطعوا ارحامكم بالقتل والعقوق ووأد البنات
وسائر ما كنتم عليه من الجاهلية من انواع الافساد وفي سلوك طريقة الاستعباد المبين وفي غير القرآن تجاهل العارف امالة لهم الى طريق الانصاف
وحث لهم على التدبر وترك العصبية والجدال فقد كانوا يقولون كيف يأمرنا النبي بالقتال والقتل افناء الذي ارحامنا واقا
ربنا فعرض الله سبحانه بانهم ان ولوا امور الناس واعرضوا عن هذا الدين لم يصدر عنهم الا القتل والنهب وسائر ابواب المفاسد
ثم صرح بالفعل الله واستقر عليه حالهم فقال اولئك الذين لعنهم الله ابعدهم عن رحمته ثم بين نتيجة اللعن قائلا فاصمهم اي عن استماع الحق بعد
استماعه في الدنيا واعمى ابصارهم اي في الاخرة او عن رؤية الحق والنظر الى المصنوعات قال بعض العلماء انما لم يقل فاصم اذانهم
لان الاذان عبارة عن الشحمة المعلقة والسمع لا يتفاوت بوجودها وعدمها ولذلك يسمع مقطوع الاذن واما الرؤية فتتعلق بالبصر نفسها
فالتأكيد هناك انما يحصل بترك ذكر الابصار والله اعلم قال جار الله يجوز ان يريد بالذين امنوا المؤمنين
الخلص الثابتين وذلك انهم كانوا يأنسون بالوحي فاذا ابطأ عليهم اشتهوه فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين تضجرون
منها سؤال لما اثبت لهم الصمم والعمى فكيف يحثهم بقوله افلا يتدبرون القرآن واجيب على مذهب السنة بان تكليف ما لا يطاق جائز
ويمكن ان يقال لما اخبر عنهم بما اخبر حكى انهم بين امرين اما ان لا يتدبروا القرآن لان الله ابعدهم عن الخير واما ان يتدبروا لكن لا يدخل معانيه
في قلوبهم لكونها مقفلة قال جار الله انما نكرت القلوب لانه اريد البعض وهم قلوب المنافقين او اريد على قلوب قاسية مبهم امرها فاذا اضيفت
الاقفال الى ضمير القلوب لانه اريد الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر والعناد والتي استغلقت فلا تنفتح ثم اخبر عن حال المنافقين او
اليهود الذين غيروا احوالهم من بعد ما تبين لهم حقيقة الاسلام او نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التورية فقال المنافقون لليهود قريظة
والنضير او قاله اليهود والمنافقون للمشركين سنطيعكم في بعض الامر الذي يهمكم كالتظافر على عداوة محمد والقعود عن الجهاد معه وفي بعض ما
يهمونه ما يتعلق بتكذيب محمد لا في اظهار الشرك واتخاذ الاصنام وانكار المعاد والله يعلم اسرارهم فلذلك افشى الذي قالوه سرا فيما بينهم
وسيجازيهم على حسب ذلك يدل عليه قوله فكيف يعملون وما حيلتهم حين توفتهم الملائكة الموت وادبارهم عند السوق الى النار وقيل يوم بدر او يوم
عند الطلب وادبارهم حين الهرب ذلك الاذلال بالاذى بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه كانهم ضربوا وجوههم لانهم اقبلوا على
السخط وضربوا ادبارهم لانهم اعرضوا عما فيه رضى الله قد يختص السخط بكتمان نعت الرسول ومعاونة اهل الشرك والرضى بالايمان به والنصرة
للمؤمنين وانما قال ما اسخط الله ولم يقل ما ارضى الله لان رحمته سبقت غضبه فارضى كالامر الحاصل والاسخاط الامر المترتب على شيء
ثم زاد في تعيير المنافقين بقوله ام حسب هي منقطعة والضغن اضمار سوء يتربص به امكان الفرصة واخراج الاضغان ابرازها للرسول
وللمؤمنين كما قال ولو نشاء لاريناكم اي لو شئنا اذنياك ايامهم فلعرفتهم كررت لام جواب لو في المعطوف لاجل المبالغة بسيماهم
بعلامة منهم عن انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية شيء من المنافقين ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة
منهم يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق ومعنى لحن القول نحوه واسلوبه ونحوه او رمقوا
ما معناه النفاق كقولهم لئن رجعنا الى المدينة ان بيوتنا عورة او لتعرفنهم في فحوى كلام الله وحيث قال ما يعلم هنا قال المنافقين كقوله ومن الناس
من يقول ومنهم من عاهد الله وحقيقة اللحن ذهاب الكلام الى خلاف جهته وقيل اللحن ان يميل كلامك الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض
والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذو الالباب ويقال للمخطي لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب وقال الكلبي لحن
القول كذبه ولم يتكلم بعد نزولها منافق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عرفه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب
ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب والله يعلم اعمالكم فيميز خيرها من شرها واخلاصها من نفاقها ولنبلونكم اي لنأمرنكم بما لا يكون
متعينا للوقوع بل يحتمل الوقوع واللاوقوع كما يفعل المختبر حتى يظهر المجاهد والصابر من المنافق والمضطرب ونبلو اخباركم التي تحكى عنكم كقولكم
امنا بالله وباليوم الاخر او عهودكم كقوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار واسراركم او ما تستغفرونه او نحسب ذكركم الاراجيف
كقوله والمرجفون في المدينة عن الفضيل انه كان اذا قرأ هذه الاية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ثم نزل في يهود
من قريظة والنضير او في رؤساء قريش المطعمين يوم بدر ان الذين كفروا الاية واعمالهم طاعاتهم في دين اليهودية ومكايدهم التي نصبوها في عداوة
الرسول او اطعامهم ثم امر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله بالتوحيد والتصديق مع الاخلاص وان لا يبطلوا حسناتهم بالمعاصي والرياء
وبالمن والاذى عن ابي العالية قال كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت
الاية فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء ثم اراد ان يبين ان اعمال المكلف اذا بطلت فاتت
فضل الله بان يغفر له ان شاء لم يمت على الكفر فقال ان الذين كفروا الاية قال مقاتل نزلت في رجل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن والده
وقال انه كان محسنا في كفره وعن الكلبي نزلت في رؤساء اهل بدر فلا تهنوا لا تضعفوا ولا تجبنوا وتدعوا الى السلم اي ولا تدعوا الكفار الى الصلح
ويجوز ان يكون منصوبا بالاضمار ان بعد الواو في جواب النهي وانتم الاعلون الغالبون المستولون عليهم والله معكم بالنصرة والكلاءة ولن يتركم اعمالكم
اي لن ينقصكم وجزاء اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او قريب او سلبت ماله واهله من الوتر وهو الفرد فكانك افردته
من قريبه او ماله وفي الحديث من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وهو من فصيح الكلام ثم زادهم حثا على الجهاد وتحقير الدنيا في اعينهم ورغبة
سبحانه انما يحثهم على الايمان والجهاد وسائر ابواب التقوى لتعود فائدتها عليهم كما قال ما خلقتكم ليربح علي لا لاربح عليكم قوله ولا يسألكم اموالكم
اي كل اموالكم ولكنه يقتصر منها على ربع العشر او لا يسألكم لنفسه ولكن ليكون زادا لكم في المعاد وقيل لا يسألكم رسولي اموالكم لنفسه وقيل لانهم
لا يملكون شيئا وان المال مال الله وهو المنعم باعطائه والقول هو الاول لقوله ان يسألكموها فيحفكم اي يجهدكم ويبلغ الغاية فيها من احفى
شاربه استأصله كانه جعله حافيا مما فيه اي عاريا تبخلوا ويخرج الاضغان ان الله تعالى على طريق التسبب اضغانكم اي يضطغنون على الرسول
ويظهرون كراهة هذا الدين ثم بين انه كيف يأمركم باخراج كل المال وقد دعاكم الى انفاق البعض فمنكم من يبخل وها للتنبيه وكرر للتوكيد وانتم

او لاجله مستقلة اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله وهو
الزكوة او الغزو فمنكم ناس يبخلون به وقيل هؤلاء موصول صلته تدعون وهو مذهب الكوفيين وقد سلف في البقرة وال عمران ثم تمم الزجر
بقوله ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي وبالا على نفسه وقيل عن بخل نفسه وعن داعي ربه قال في الكشاف يقال بخلت عليه وعنه وفيه نظر لان
البخل عن النفس لا يصح بهذا التفسير نعم لو قال عن ماله كان تفسيرا ومطابقا ثم مدح نفسه بالغنى المطلق وبين بقوله وانتم الفقراء انه لا يأمر
بالانفاق لحاجته ولكن لفقركم الى الثواب ثم توعدهم بقوله وان تتولوا وهو معطوف على وان تؤمنوا ومعنى يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم
راغبين فيما ترغبون عنه من الايمان والتقوى كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ومعنى ثم التراخي بالرتبة اي لا يكونون امثالكم
في حال توليكم وقيل في جميع الاحوال وعن الكلبي شرط في الاستبدال توليهم لكنهم لم يتولوا فلم يستبدل قوما وهم العرب اهل اليمن او العجم
قال الحسن وعكرمة لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه
والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس   والله تعالى اعلم صدق الله العظيم

سورة الفتح مدنية حروفها الفان واربعمائة وثمانية وثلثون كلماتها خمسمائة وستون اياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا ۝ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ۝ وينصرك الله نصرا عزيزا ۝
هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ۝ ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان
ذلك عند الله فوزا عظيما ۝ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم
ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ۝ ولله جنود السموات والارض وكان الله
عزيزا حكيما ۝ انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ۝ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا ۝ ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق
ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ۝
سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد
بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا ۝ بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ۝ ومن
لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ۝ ولله ملك السموات
والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما ۝ سيقول
المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله

قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا
قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم او يسلمون
فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة
عليهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما
وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون
آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها
وكان الله على كل شيء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا
ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي
كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون
بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ
محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة
بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا
منهم عذابا اليما اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها
وكان الله بكل شيء عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون
فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا
من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورية
ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فازره فاستغلظ فاستوى على

سوقه

سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما

القراءات ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بياءات الغيبة ابن كثير وابو عمرو عليه الله بضم الهاء حفص فسنؤتيه بالنون ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الاخرون بالياء التحتانية والضمير لله سبحانه شغلتنا بالتشديد قتيبة ضرا بالضم حمزة وعلي كلم الله على الجمع حمزة وعلي وخلف بل ظننتم بالادغام علي وهشام بل تحسدوننا مدغما حمزة وعلي وهشام ندخله ونعذبه فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر بما يعملون بصيرا بياء الغيبة ابو عمرو الرؤيا بالامالة ابو عمرو وعلي وهشام شطاه بفتح الطاء من غير مد ابن ذكوان والقواس الباقون ساكنة الطاء. الوقوف مبينا لا مستقيما لا ... على احتمال الجواز بهما لتكرار اسم الله بالتصريح عزيزا ايمانهم ط والارض ط حكيما لا لتعلق اللام سيئاتهم ط عظيما لا للعطف ظن السوء ط دائرة السوء ج لعطف الجملتين المختلفتين جهنم ط مصيرا والارض ط حكيما ونذيرا لا وتوقروه ط للفصل بين ضمير اسم الله وضمير الرسول في المعطوفين فمن لم يجعل الضمائر كلها لله واصيلا يبايعون الله ط ايديهم ج للشرط مع الفاء على نفسه للعطف مع الشرط عظيما ونستغفر لنا ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال قلوبهم ط نفعا ط خبيرا بورا سعيرا والارض ط من يشاء ط رحيما مغانمكم ج لان ما بعده وحال عامله سيقول او مستانف كلام الله ط من قبل ج للتبيين مع الفاء تحسدوننا ط قليلا يسلمون ج حسنا ج اليما الاعرج حرج لان الواو للاستئناف الانهار ج اليما قريبا ياخذونها ط حكيما عنكم ج لان الواو مقحمة او المعلل محذوف والواو في الكلام المعترض او عاطفة على نفسه ليستيقنوا ولتكون مستقيما لا للعطف بها قديرا نصيرا تبديلا عليهم بصيرا محله بغير علم ج لحق المحذوف اي قدر ذلك ليدخل من يشاء لاحتمال ان جواب لولا محذوف وان يكون هذه مع جوابه جوابا للاولى اليما واهلها عليما بالحق لحق حذف القسم آمنين لا مقصرين لا لانها احوال متتابعة لا يخافون ط لان قوله فعلم بيان حكمة الصدق كالاعتذار فلا ينعطف على قوله صدق الله قريبا كله شهيدا رسول الله ط لان ما بعده مستانف ورضوانا لان سيماهم مبتدا خبران بجملتين جدا الاولى في كون الكل خبرا الذين السجود ط الانجيل ج لاحتمال ان التقدير كزرع الكفار ط عظيما. التفسير الفتح في باب الجهاد هو الظفر بالبلد بصلح او حرب لانه منغلق ما لم يظفر به والجمهور على ان المراد به ما جرى يوم الحديبية عن انس قال لما رجعنا عن الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة انزل الله انا فتحنا فقال صلى الله عليه وسلم لقد انزل علي آية هي احب الي من الدنيا كلها والحديبية بئر سمي المكان بها وكان قد غاض ماؤها فتمضمض فيها النبي صلى الله عليه وسلم فجاشت بالماء حتى عمهم وعن ابن شهاب لم يكن في الاسلام فتح اعظم من فتح الحديبية وضعت الحرب وامن الناس وقال الشعبي اصاب النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة بويع فيها بيعة الرضوان تحت الشجرة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وظهرت الروم على فارس وكان وعد به فصح صدقه واطعم نخل خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة اجب ان يزور بيت الله الحرام بمكة فخرج قاصدا العمرة في سنة ست من الهجرة وخرج معه اولو البصيرة وتخلف من كان في قلبه مرض ظنا منه ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا واستصحب سبعين بدنة لينحرها بمكة ولما كان بذي الحليفة قلد الهدي واحرم بالعمرة ليعلم قريش انه لم يات للقتال وكانوا الفا وثلثمائة او واربعمائة او وخمسمائة فبايعوه الا الجد بن قيس فانه اختبى تحت ابط ناقته فجاء عروة بن مسعود للصلح فلما راى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال اي محمد ارايت ان استاصلت قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك واني لارى وجوها واشوابا خلقا ان يفروا ويدعوك فشتمه ابو بكر فلما عاد الى قريش قال لقد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم من الملوك وما رايت ملكا يعظم اصحابه محمدا محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوءه واذا تكلم عنده خفضوا اصواتهم وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها منه فلما اتفقوا على الصلح جاء سهيل بن عمرو المخزومي وتصالحوا على ان لا يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة سنته بل يعود في القابل ويقيم ثلثة ايام ثم ينصرف فلما كتب علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل ما نعرف الرحمن الرحيم اكتب في قضيتنا ما نعرف باسمك اللهم ولما كتب هذا ما صالح محمد رسول الله قال لو علمنا انك رسول الله ما قاتلناك اكتب محمد بن عبد الله فتنازع المسلمون وقريش في ذلك وكادوا يتواثبون فسكنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم بالاجابة فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا على ان من قدم مكة من اصحاب محمد حاجا او معتمرا او يبتغي من فضل الله فهو على دمه وماله امن وعلى ان من جاء محمدا من قريش فهو اليهم رد ومن جاءهم من اصحاب محمد فهو لهم فاشتد ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم من جاءهم منا فابعده الله ومن جاءنا منهم ورددناه اليهم فان علم الله منه الاسلام جعل له مخرجا فلما فرغوا من المفارقة نحر النبي صلى الله عليه وسلم وحلق وفعل اصحابه ذلك فنزل عليه في طريقه في هذه السورة انا فتحنا لك فتحا مبينا يريد ما كان من امر الحديبية والفتح قد يكون بالصلح وقيل كان هذا الفتح عن تراميا بالحجارة ولم يكن قتال شديد وقيل المراد به فتح مكة وعده الله ذلك بلفظ الماضي على عادة اخبار الله وقال ابن عيسى الفتح الفرج المزيل للهم ومنه فتح المسئلة اذا انفرجت عن بيان يؤدي الى الثقة وقيل وهو قول قتادة الفتح القضاء والحكم والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة اي حكمنا لك بهذه المهادنة وارشدناك الى الاسلام ليغفر لك الله قال اهل النظم لاول هذه السورة مناسبة تامة مع آخر السورة المتقدمة وذلك انه قال ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا الى آخره فبين بعد ذلك انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما انفقوا او لو بخلوا لضاع عنهم هذه الفوائد وايضا لما قال وانتم الاعلون بين برهانه بصلح الحديبية او بفتح مكة وكان في قوله وتدعوا الى السلم اشارة الى ما جرى يوم الحديبية ومن ان المسلمين صبروا الى ان طلب المشركون الصلح سؤال من المناسبة بين الفتح وبين المغفرة حتى جعلت غاية له الجواب الغاية هي مجموع المغفرة وما يعطف عليها كانه قيل يسرنا لك فتح مكة وغيره من الفتوح ليجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون الفتوح من حيث انها جهاد للعدو وسببا للغفران والثواب

قاله جار الله وقيل تقدير الكلام انا فتحنا لك فاستغفره يغفر لك كقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله واستغفره وقيل
ان فتح مكة كان سببا لتطهير البيت من رجس الاوثان وتطهيره سبب لتطهير عبده وايضا بالفتح يحصل الحج وبالحج يحصل المغفرة كما ورد
في الاخبار خرج كيوم ولدته امه وايضا ان الناس قد علموا عام الفيل ان مكة لا يتسلط عليها عدو الله فلما فتحت للرسول صلى الله عليه
وسلم عرف انه حبيب الله المغفور له اما الذنب فقيل اراد به ذنب المؤمنين من امته او اريد به ترك الافضل او الصغائر سهوا او عمدا
ومعنى ما تأخر اي عن الفتح او ما تقدم النبوة وتأخر عنها وقيل ما تقدم ذنب ابويه آدم وحوا وما تأخر ذنب امته وقيل اراد جميع الذنوب
تحديدا اولها واخرها او هو على وجه المبالغة كما يقول اعطى من رأى ومن لم ير وقيل ما تقدم من امر مارية وما تأخر من امرأة زيد وهو
قول سخيف لعدم التيام الكلام ظاهرا والاولى ان يقال ما تقدم النبوة بالعفو وما تأخر عنها بالعصمة ويتم نعمته عليك باعلاء دينك
وفتح البلاد على يدك لقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ومن اتمام النعمة تكليف الحج وقد نعم يومئذ ولم يبق للنبي صلى الله عليه
وسلم عدو من قريش فان كثيرا منهم قد اهلكوا يوم بدر والباقين امنوا واستأمنوا يوم الفتح وقيل اتمام النعمة في الدنيا باستجابة
الدعاء في طلب الفتح وفي الاخرة بقبول الشفاعة ويهديك صراطا مستقيما اي يثبتك ويديمك عليه فان الفتح لا يكون الا
لمن هو على صراط الله ولعل المراد بهذا الخطاب هو امته وينصرك الله نصرا عزيزا ذا العز وهو الذي لا ذل بعده او هو بمعنى المعز او الممتنع على الغير
وهو النفيس الذي لا يناله كل احد وفي الاية تفخيم شان الفتح والنصر من وجوه احدها لفظ انا الدال على التعظيم وثانيها لفظ لك الدال على الاختصاص
اعادة اسم الله في الموضعين اولا واخرا ثم بين سبب النصر بقوله هو الذي انزل السكينة وهي السكون والوقار والطمأنينة والثقة بوعد الله كما مر في
البقرة وفي التوبة ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا مع يقينهم وايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله عن ابن عباس ان اول ما اتاهم به النبي
التوحيد فلما امنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الجهاد ثم الحج او ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري وعلى هذا فمعنى
قوله مع ايمانهم اي الفطرة تشهد بالايمان فلما عرفوا صحة الايمان بالنظر والاستدلال انضم هذا الثاني الى الاول ولله جنود السموات والارض فكما
ويمكن ان يراد بمن في الارض الثقلان والحيوان غير الانسان ويحتمل ان يراد بالجنود معنى اعم ذا الاسباب الارضية والسماوية فيدخل
فيها الصيحة والرجفة وظن السوء هو ظنهم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم او ان الله لا ينصرهم على اعدائهم او ان لله شريكا
او انه لا يقدر على احياء الموتى ومعنى دائرة السوء ان ضرر ظنهم يعود اليهم ويدور عليهم وقد مر في سورة التوبة قال بعض العلماء ضم المؤمنات
ههنا الى المؤمنين بخلاف قوله قد افلح المؤمنون وبشر المؤمنين ونحو ذلك والسر فيه ان كل موضع يوهم اختصاص الرجال مع كون النساء
مشاركات لهم ذكرهن صريحا نفيا لهذا التوهم وكل موضع لا يوهم ذلك اكتفى فيه بذكر الرجال لانهم الاصل في اكثر الاحكام والتكاليف مثلا من
المعلوم ان البشارة والنذارة عامة للناس قاطبة فلم يحتج فيها الى ذكر النساء بخلاف هذه الاية فان ادخال الجنة يوهم انه لاجل الجهاد ومع العدو
والفتح على ايديهم والمرأة لا جهاد عليها وكان يظن انهن لا يدخلن الجنات فنفى الله تعالى هذا الوهم وكذا الكلام في تعذيب المنافقات
والمشركات لحكمة الجنود المذكورة اولا هي جنود الرحمة فكانوا اسبابا لادخال المؤمنين الجنة بالاكرام والتعظيم ثم البسهم خلع الكرامة لقوله و
ويكفر عنهم سيئاتهم ثم بشرهم بالفوز العظيم من الله كما قال وكان ذلك عند الله فوزا عظيما واما الكافر فتعكس فيه الترتيب اخبر بتعذيبهم
اولا على الاطلاق ثم بانه لغضب عليهم او لانه لوقعهم في حيز اللعن والبعد عن الرحمة ثم بتسليط عليهم ملائكة العذاب الذين هم جنوده كما قال عليها
ملائكة غلاظ شداد ولا ريب ان كل ذلك على قانون الحكمة الا انه قرن العلم في الاول الى الحكمة تنبيها على ان انزال السكينة وازدياد ايمان
المؤمنين وترتب الفتح على ذلك كان كلها ثابتة في علم الله جارية على وفق الحكمة وقرن العز بالحكمة ثانيا لان العذاب والغضب وسلب الاموال
والغنائم يناسب ذكر العزة والغلبة والقهر وهدانا الله اطلاعا على اسرار قرانه الكريم وفرقانه العظيم ثم مدح رسوله وذكر فائدة بعثته ليترتب
عليه ذكر البيعة فقال انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا وقد مر في سورة الاحزاب مثله الا ان قوله لتؤمنوا بالله ورسوله
قائم مقام قوله هناك وداعيا الى الله باذنه من قرا على الغيبة فظاهر ومن قرا على الخطاب فللتنزيل خطاب النبي منزلة خطاب المؤمنين وقوله
وتعزروه وتوقروه وكلاهما بمعنى التعظيم من العزر والوقار ينوب مناب قوله هناك وسراجا منيرا وذلك ان النور يتبع والتبجيل التعظيم
دليل المتبوعية وقال جار الله الضماير كلها لله عز وجل وتعظيم الله تعظيم دينه ورسوله وقوله وتسبحوه من التسبيح او من السبحة وهي صلوة التطوع و
بكرة واصيلا للدوام او المراد صلوة الفجر والعصر وحدها او مع الظهر قال ابن عباس ان الذين يبايعونك هي بيعة الرضوان تحت الشجرة
كما يجيء في السورة وقيل ليلة العقبة وفيه بعد وسماها مبايعة تشبيها بعقد البيع نظيره ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم انما يبايعون الله
لان طاعة الرسول هي طاعة الله في الحقيقة ثم اكد هذا المعنى بقوله يد الله فوق ايديهم قال اهل المعاني هذا تمثيل وتخييل لا جارحة هناك
وقيل اليد النعمة اي نعمة الله عليهم باجابة البيعة كما يقال يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم قال
القفال هو من قوله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى فلم يرد باليد العليا المعطية اي الله يعطيهم ما يكون له الفضل عليهم وقيل اليد
القوة اي نصرته اياهم فوق نصرتهم لرسوله وقيل يد الله بمعنى الحفظ فان المتوسط بين المتبايعين يضع يده فوق يديهما فلا يترك ان يتفارق
ايديهما حتى يتم البيع والمراد ان الله تعالى يحفظهم على بيعتهم ثم زجرهم عن نقض العهد وحثهم على الوفاء بقوله فمن نكث الى اجرا والنكث والنقض
اخوان وقوله فانما ينكث على نفسه اي لا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة
على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبا تحت ابط ناقته ولم يسر مع القوم ثم بين ما يعلم منه اعجاز القران
لانه اخبر عن الغيب وقد وقع مطابقا وله في السورة نظاير قال سيقول لك المخلفون هم اسلم ومزينة وجهينة وغفار قيل سموا المخلفين لان
التوفيق خلفهم ولم يعتد بهم والظاهر انهم سموا بذلك لانه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر الا
واهل البوادي حذرا من قريش ان يصدوه عن البيت فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم قصدوه في دارنا بالمدينة وظنوا
انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة فاعتلوا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا وقالوا شغلتنا اموالنا واهلونا
فاستغفر لنا سل الله ان يغفر لنا تخلفنا عنك وان كان عن عذر فكذبهم الله بقوله يقولون بالسنتهم عنهم شيئا من الضر كقتل وهزيمة
ولا يوصل اليهم نفعا الا ما شاء الله وانما قال ههنا بزيادة لفظة لكم لانه في قوم باعيانهم بخلاف المائدة فانه عام لقوله ان يهلك
المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ثم رد قولهم الكاذب فقال بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم رد اعتذارهم الواهي بقوله بل ظننتم

الاية

الاية والبور جمع بائر اي هالك والباقي واضح الى قوله رحيما وفيه بيان كمال قدرته على تعذيب الكافرين مع ان مغفرته ذاتية ورحمته
سابقة وقوله سيقول المخلفون انما لم يقل ههنا لك لان المخاطبين هم المؤمنون كلهم لا النبي وحده وجمهور المفسرين على ان هؤلاء
المخلفون المذكورون فيما تقدم في قوله الى مغانم هي غنائم خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد اهل الحديبية ان غنائم
اهل خيبر لهم خصوصا من غاب منهم ومن حضر ولم يغب السفر في العمرة التي صدهم المشركون عنها وقال الزهري فقال الحق حضرها من غيرهم
من الناس قالوا ومن يغب منهم عنها احد الا جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر وكان انصراف النبي
صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة فاقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر وخرج معه من شهد الحديبية ففتحها وغنم
اموالا كثيرة وجعلها لهم خاصة وكان قبل ذلك وعد النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه غنائم خيبر فسمع المنافقون ذلك فقالوا للمؤمنين
ذرونا نتبعكم فمنعهم النبي صلى الله عليه وسلم لان الله امره ان لا يخرج الى خيبر الا اهل الحديبية وذلك قوله يريدون ان يبدلوا كلام الله
فقال الله لنبيه قل لن تتبعونا اي في خيبر وقيل عام في غزواته كذلكم قال الله من قبل اي قبل انصرافهم الى المدينة فسيقولون ردا على النبي
والمؤمنين ان الله لم يامركم به بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنيمة فرد الله عليهم ردهم بقوله بل كانوا لا يفقهون الا قليلا وهو فطنتهم
لامور الدنيا دون امور الدين او هو فهمهم من قوله لن تتبعونا مجرد النهي وحملوه على الحسد ولم يعلموا ان المراد هو ان هذا الاتباع لا يقع اصلا لانهم
المنافقون وقد اخبر بغيبه وذهب جماعة من المفسرين منهم الزجاج الى ان كلام الله ههنا هو قوله في سورة براءة لن تخرجوا معي ابدا واعترض فان ذلك
في قصة تبوك التي كانت بعد الحديبية بسنتين باجماع من اهل المغازي واجاب بعضهم بان هذه الاية اعني سيقول المخلفون نزلت في غزوة
تبوك ايضا وعندي ان الاعتراض غير وارد ولا حاجة الى الجواب المذكور ثم ان الله سبحانه اخبر عن مخلفي الحديبية بانهم يدعون الى قوم اولي قوة
ونجدة في الحروب فقيل هم هوازن وغطفان وقيل هم الروم غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك والاكثرون على ان القوم اولي البأس
الشديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق لانه تعالى قال تقاتلونهم او يسلمون ومشركو العرب والمرتدون
الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية هذا عند ابي حنيفة واما الشافعي
فعنده لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وقد يستدل بهذا على امامة ابي بكر فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته ولا سيما من يزعم انه نزل فيهم لن تخرجوا معي ابدا اللهم الا ان يقال المراد لن تخرجوا معي ما دمتم
على حالكم من مرض القلوب والاضطراب في الدين او انهم لا يتبعون الرسول الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم قال مجاهد وقوله او
يسلمون رفع على الاستيناف يعني او هم يسلمون ويجوز ان يراد الى ان يسلموا حين حذف ان رفع الفعل وقيل الاسلام ههنا الانقياد
فيشمل اعطاء الجزية ايضا والاجر الحسن في الدنيا الغنيمة وفي الاخرة الجنة وقيل الغنيمة فقط بناء على ان الاية في المنافقين ومع هذا لا يتم
الاستدلال على امامة الخلفاء وقوله من قبل اي في الحديبية قال ابن عباس ان اهل الزمانة قالوا يا رسول الله كيف بنا فانزل الله تعالى ليس
على الاعمى حرج اي اثم في التخلف لانه كالطائر الذي قص جناحه لا يمتنع على من قصده وقدم الاعمى لان عذره مستمر ولو حضر القتال والاعرج
قد يمكنه الركوب والرمي وغير ذلك مما يتعسر عليه الهرب ما شاء وكذا هو وآكد والفر ركبا وقد يقاس الاقطع على الاعرج ويمكن ان لا يكون
الاقطع معذورا لانه نادر الوجود والاعذار المانعة من الجهاد اكثر من هذا وقد ضبطها الفقهاء بان المانع اما عجز حسي واما عجز حكمي فمن الاول
الصغر والجنون والانوثة والمرض المانع من الركوب والقتال لا كالصداع ووجع السن ومنه العرج البين وان قدر الركوب لان
الدابة قد تهلك وعند ابي حنيفة لا اثر للعرج في رجل واحدة ومنه فقد البصر ولا يلحق به العور والعشى ومنه عدم وجدان السلاح والات القتال
ومن الثاني الرق والدين الحال بلا اذن رب الدين ومن احد ابويه في الحضر وليس له الجهاد الا باذنهما الا اذا كان كافرا والباقي واضح الى قوله لقد رضي الله
وبه سميت بيعة الرضوان وما يبايعونك حكاية الحال الماضية والشجرة كانت سمرة وقيل سدرة ويروى انها عميت عليهم من قابل فلم يدروا اين ذهبت
وعن جابر بن عبد الله لو كنت ابصر لاريتكم مكانها فعلم ما في قلوبهم من خلوص النية فانزل السكينة الطمأنينة والامن عليهم واثابهم جازاهم عند الا
في البيعة فتحا قريبا هو فتح خيبر عقيب انصرافه من الحديبية كما ذكرنا وقيل هو فتح مكة ومغانم كثيرة ياخذونها هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات
عقار واموال فقسمها عليهم وعدكم الله مغانم كثيرة هي التي اصابوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني غنيمة خيبر وكف
ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان جاؤا لنصرتهم فقذف الله الرعب في قلوبهم وقيل ايدي اهل مكة
بالصلح وقيل ايدي اليهود حين خرجتم وخلفتم عيالكم بالمدينة وهمت اليهود بهم فمنعهم الله وقوله ولتكون اية اي ولتكون هذه الغنيمة المعجلة دالة
على ما وعدهم الله من الغنائم او دالة على صحة النبوة من حيث انه اخبر الفتح القريب وقد وقع مطابقا وقيل الضمير للكف فانه انث لاجل
تانيث الخبر او بتقدير الكف وبعدكم وغيبتكم او يزيدكم بصيرة وقوله واخرى اي وعدكم الله مغانم اخرى عن ابن عباس انها فتح
فارس والروم وقيل مغانم هوازن في غزوة حنين لم تقدروا عليها لما فيها من الهزيمة ثم الرجوع مرة بعد اخرى قد احاط الله
بها علما انها ستصير لكم قال جار الله يجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره احاط اي وقضى الله اخرى قد احاط بها ويجوز فيها الرفع
على الابتداء لكونها موصوفة بالجملة وقد احاط خبره ويجوز الجر باضمار رب ثم بين ان نصر الله اياهم في صلح الحديبية او في فتح خيبر لم يكن
اتفاقيا بل كان الهيا سماويا فقال ولو قاتلكم الى اخره والسر فيه ان الله كتب واوجب على حزبه ونصر رسله كما قال سنة الله التي
عن انس ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه
واصحابه فاخذهم واستحياهم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة هو الحديبية لانها من ارض الحرم
وقيل هو التنعيم وقيل اظفاره دخوله بلادهم بغير اذنهم وعن عبد الله بن مغفل المزني قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية
في اصل الشجرة التي ذكرها الله في القران فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل كنتم في عهد احد وهل جعل لكم احد امانا فقالوا
اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله الاية وانما قدم كف ايدي الكفار عن المؤمنين لانه اهم وقيل كف ايديكم بان امركم ان لا تحاربوا
وكف ايديهم بالقاء الرعب او بالصلح وقيل ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد
هذا ابن عمك قد اتاك في الخيل فقال خالد انا سيف الله وسيف رسوله ارم بي حيث شئت فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشعب

حتى ادخله خيطان مكة ثم عاد وهزمه حتى ادخله جوف مكة فانزلت الاية وسمى خالد يومئذ سيف الله وروى ان كفار مكة خرجوا يوم الحديبية يرمون المسلمين
فرماهم المسلمون بالحجارة حتى ادخلوهم بيوت مكة ثم ذم قريشا بقوله هم الذين كفروا وصدوكم يعنى يوم الحديبية عن المسجد الحرام ان يطوفوا بالعمرة وصدوا الهدى
او صدوا ومع الهدى حال كونه معكوفا اى محبوسا ممنوعا عن قرفا على ان يبلغ محله المعهود وهو منى وقد مر تفسير الهدى ومحله والبحث عنه من البقرة ثم بين
حكمة المصالحة بقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقوله لم تعلموهم صفة الرجال والنساء جميعا على جهة التغليب وان تطؤوهم بدل الاشتمال منهم
او من الضمير المنصوب فى تعلموهم والوطء كالدوس عبارة عن الايقاع والاهلاك وقوله فتصيبكم جواب النفى او عطف على ان تطؤوهم والمعرة مفعلة
من العر العيب كالجرب ونحوه وقوله بغير علم متقدم فى النية متعلق بان تطؤوهم والمعنى انه كان بمكة ناس من المسلمين مختلطون بالمشركين فقال يحتج
ولولا كراهة ان يهلكوا اناسا من المؤمنين فيما بين المشركين وانتم غير عالمين بحالهم فتصيبكم باهلاكهم تبعة من الدين كوجوب الدية والكفارة او
عيب كسوء قالة اهل الشرك انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا وانم او جرى منكم بعض التقصير لما كف ايديكم عنهم والكلام يدل على هذا الجواب
وفى حذفه مخافة وذهاب الوهم كل مذهب ويعلم منه انه يفعل بهم او ذلك بما لا يدخل تحت الوصف وجوزوا ان يكون لو تزيلوا كالتكرير لقوله ولولا رجال
لرجعهما الى معنى واحد والتزيل التميز والتفرق ويكون لعذبنا هو الجواب وقوله ليدخل تعليل لما دلت عليه الاية من كف الايدى عن قريش صونا لاهل
الايمان المختلطين بهم كانه قيل كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله مؤمنيهم فى خير توفيق الخير والطاعة او ليدخل فى الاسلام من رغب فيه من المشركين
وحكى القفال ان اللام متصل بالمؤمنين والمؤمنات اى امنوا لكذا قوله اذ جعل يجوز ان ينتصب باضمار اذكر ويكون ظرفا لعذبنا او لصدوكم وفاعل جعل يجوز
ان يكون الله وقوله فى قلوبهم بيان للمكان بجعل كما فى قوله واشربوا فى قلوبهم العجل ويجوز ان يكون الذين كفروا ومفعولا الحمية والظرف فيكون جعلهم [illegible]
والحمية فى مقابلة السكينة والحمية الانفة والاستكبار الذى كان عليهما اهل الجاهلية ومن ذلك عدم اقرارهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنه ما جرى
فى قصة الحديبية من اباءهم ان يكتب فى كتاب العهد بسم الله الرحمن الرحيم وان يكتب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حميت انف حمية
كانها فعيل بمعنى مفعول من الحماية اسم اقيم مقام المصدر كالسكينة بمعنى السكون والاعتراف برسالة محمد اجبارا لها الله المؤمنين ومعنى الاضافة
انها سبب التقوى ولباسها والمراد كلمة اهل التقوى الذين يتقون بها غضب الله وكانوا احق بها واهلها لانهم خيار الامم وقيل زاد وكانوا يعنى اهل مكة
احق بهذه الكلمة المتقدم انذارهم الا ان بعضهم سلبوا التوفيق وحكى المبرد ان الذين كانوا قبلنا لم يكن لاحد ان يقول لا اله الا الله فى اليوم والليلة الا
مرة واحدة لا يستطيع ان يقول اكثر من ذلك وكان قائلها يمد بها صوته الى ان ينقطع نفسه تبركا بذكر الله وقد جعل الله لهذه الامة ان يقولوا متى شاءوا وهو
قوله والزمهم كلمة التقوى اى الجاهم الى ذكرها ما استطاعوا ثم قص رؤيا نبيه صلى الله عليه وسلم بيانا لاعجازه فان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة وقصته انه راى فى المنام ان ملكا قال له لتدخلن الى قوله لا تخافون فاخبر اصحابه بها ففرحوا وجزموا بانهم داخلوا فى عامهم
فلما صدوا عن البيت واستقر الامر على الصلح قال بعض الضعفة الم يكن يعدنا النبى ان ناتى البيت فنطوف به فقال لهم اهل البصيرة ان
وتطوفون بالبيت وانزل الله تصديقه ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا صدقه فى رؤياه ولكاذبا او واما ان يكون حالا من اخبركم انكم تاتونه العام
فقال لا فقال فانكم تاتونه الرؤيا اى ملتبسة بالحق يعنى بالغرض الصحيح وهو الابتلاء وتمييز المؤمن المخلص من المنافق المرائى وجوزوا ان يكون بالحق قسما
لانه اسم من اسماء الله سبحانه ولان المراد الحق الذى هو نقيض الباطل فيكون اللام فى لتدخلن لجواب القسم لا للابتداء وتحقيق الوقف
على الرؤيا والبحث عن الحلق والتقصير واركان الحج والعمرة وشرائطها مستوفينا فى سورة البقرة فليتذكر وفى وروده ان شاء الله فى خبر الله
عز وجل اقوال احدها انه حكاية قول الملك كما رؤيا والثانى ان ذلك خارج على عبادة القرآن من ذكر المشيئة كقوله يغفر لمن يشاء ويعذب
المنافقين ان شاء ان الله يفعل بالعباد ما هو الصلاح فيكون استثناء تحقيق لا تعليق والثالث انه اراد ليدخلن جميعا ان شاء ولم يمت احد
ولم يغب والرابع انه تاديب وارشاد الى استعمال الاستثناء فى كل موضع كقوله صلى الله عليه وسلم وقد دخل البقيع وانا ان شاء الله بكم
لاحقون وليس فى وقوع الموت استثناء والخامس انه راجع الى حالة الامن وعدم الخوف ثم رتب على الصدق وعلى شوطن القوم قوله فعلم ما لم تعلموا
من الحكمة فى تاخير الفتح الى العام القابل فجعل من دون ذلك الفتح فتحا قريبا وهو فتح خيبر ثم اكد صدق الرؤيا بل صدق الرسول فى كل شىء بقوله هو الذى
ارسل الاية وذلك انه لو كذب رسوله كان مضلا ولم يكن رسالته سببا للظهور ونشره وقوة علته وقد مر نظير الاية فى سورة التوبة ومن استعلاء
هذا الدين انه لا يرى اهل ملة الا والمسلم غالب عليه الا ان يشاء الله وقد يقال ان كمال العزة والغلبة عند نزول عيسى فلا يبقى على الارض كافر وكفى
بالله شهيدا على ان هذا كائن ثابت يعلو ولا يعلى ثم اكد الشهادة وارغم انف قريش الذين لم يرضوا بهذا التعريف فى كتاب العهد فقال محمد رسول الله
فهو مبتدا وخبر وجوز اهل الاعراب ان يكون المبتدا محذوفا لتقدم ذكره فى قوله ارسل رسوله اى هو محمد فيكون رسول الله صفة او عطف بيان
وجوزوا ان يكون محمد مبتدا ورسول الله صفة او بيانا وقوله والذين معه وهم الصحابة عطفا على محمد وخبر الجميع اشداء على الكفار جمع شديد كما قال
واغلظ عليهم اعزة على الكافرين عن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم وكيف بابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم
انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة جائزة بالاتفاق واما المعانقة والتقبيل فقد كرههما ابو حنيفة وان كان التقبيل
على اليد ومن حق المؤمنين ان يراعوا هذه السنة ابدا فيتشددوا على مخالفيهم ويرحموا اهل دينهم تريهم يا محمد ويا من له اهلية الخطاب ركعا سجدا
راكعين ساجدين يبتغون فضلا من الله بالعفو عن تقصيرهم ورضوانا على اعمالهم الصالحة بان يتقبلها الله منهم سيماهم علامتهم
فى وجوههم من اثر السجود فيجوز ان يكون العلامة امرا محسوسا والسجود بمعنى حقيقة وضع الجبهة على الارض وكان كل من على بن الحسين زين العابدين
وعلى بن عبد الله بن عباس ابى الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت فى مواضع السجود منهما اشباه ثفنات البعير والذى
جاء فى الحديث لا تعلبوا صوركم اى لا تحدثوا [illegible] وعن ابن عمر انه راى رجلا اثر فى وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك و
ولا تشن صورتك محمول على التعمد رياء وسمعة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض ويجوز ان يكون امرا معنويا من البهاء
والنور وعن عطاء استنارت وجوههم من التهجد كما قيل من كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وان الذى يجب شاربا يتميز عنده رائحة العبير
من الذى بات مصليا وفيه قال بعضهم عيناك قد غشاهما جنيتك كيف كنت وكيف كانا ولرب عين قد اريك مبيت صاحبها بما نام
المحققون ان من توجه الى شمس الدنيا لابد ان يقع شعاعها على وجهه فالذى اقبل على شمس عالم الوجود وهو الله سبحانه كيف لا يستنير ظاهره وباطنه
ولا سيما يوم تبلى السرائر وكشف الغطاء وذلك مثلهم اى ذلك الوصف وصفهم العجيب الشان فى الكتابين ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة
اوضحت بقوله كزرع الى اخره وكقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع وقد يقال تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم ابتدا

ومثلهم

نكم
عن
فى
عن
فيصيبكم فى
فعلى
فانزل الله على رسوله السكينة والوقار حتى اعلاهم ... ولو كره التقوى التسمية والتحميد
اخبركم انكم تاتونه العام فقال لا فقال انكم تاتونه
ولم يكذبه وقوله بالحق اما ان يكون متعلقا بصدق اى صدقه فيما راى صدقا ملتبسا بالحق وجوزوا ان يكون
والمعنى

ومثلهم فى الانجيل كزرع لما روى انه مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله الى بنى اسرائيل
بهذا الوصف ليعرفوهم اذا ابصروهم والشطء بالتسكين والتحريك فرخ الزرع التى تنبت الى جانب الاصل ومنه شاطئ النهر فازره من الموازرة
المعاونة ويجوز ان يكون افعل من الازر القوة اى اعان الزرع الشطء او بالعكس فاستغلظ الزرع او الشطء اى صار من الدقة الى الغلظ فاستوى
على سوقه فاستقام على قصبه اى تناهى وصار كالاصل بحيث يعجب الزارعين والسوق جمع ساق وقد يختص الساق بالشجر فيكون ساق
الزرع مجازا استعارة ووجه التشبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج وحده ثم اتبعه من ههنا قليل ومن ههنا قليل حتى كثروا وقووا ثم
وقوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لوجه الشبه او للتشبيه اى ضرب الله ذلك المثل وقيض وحكم بذلك ليغيظ بمحمد واصحابه كفار مكة والعجم
وقيل هذا الزرع ليغيظ بالكثرة الكفار اى سائر الزراع الذى ليس لهم مثل زرعهم وفيه بعد لكن الكلام لا يخلو عن فصاحة لفظية من قبل المناسبة
بين الزراع والكفار لاشتراكهما بالجملة فى معنى من المعانى وان لم يكن مقصودا ههنا وذهب بعض المفسرين الى ان قوله والذين
معه ابو بكر اشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تريهم ركعا سجدا على يبتغون فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير سيماهم
فى وجوههم سعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وعن عكرمة اخرج شطأه بابى بكر فازره بعمر فاستغلظ
بعثمان فاستوى على سوقه بعلى وقوله منهم لبيان الجنس ويجوز ان يكون قوله ليغيظ تعليلا للوعد لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم فى
الاخرة مع ما حصل لهم فى الدنيا من الغلبة والاستعلاء غاظهم ذلك

سورة الحجرات مدنية حروفها الف واربعمائة وستة وسبعون كلمها ثلثمائة وثلث واربعون اياتها ثمانى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله
واتقوا الله ان الله سميع عليم ۝ يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ۝
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ۝ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون ۝ ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور
رحيم ۝ يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ۝ واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير
من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون ۝ فضلا من الله ونعمة والله عليم
حكيم ۝ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما
على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل
واقسطوا ان الله يحب المقسطين ۝ انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله
لعلكم ترحمون ۝ يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم
ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ۝ يا ايها الذين

امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم
بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان
اكرمكم عند الله اتقيكم ان الله عليم خبير ۝ قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم
شيئا ان الله غفور رحيم ۝ انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون ۝ قل اتعلمون الله بدينكم والله
يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم ۝ يمنون عليك ان اسلموا
قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين
ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما يعملون ۝

القراآت لا تقدموا بالفتحات من التقدم يعقوب الحجرات بفتح الجيم يزيد اخوانكم على الجمع يعقوب وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ولا تجسسوا ولا تنابزوا ولتعارفوا بالتشديدات للادغام البزي وابن فليح مثباشد وابو جعفر ونافع يالتكم بالهمزة ابو عمرو وسهل ويعقوب وقد لا يهمز في رواية الاخرون بالحذف بما يعملون على الغيبة ابن كثير الوقوف السبع السابع واتقوا الله ط عليم ه لا تشعرون ه للتقوى ط عظيم ه لا يعقلون ه خيرا لهم ط رحيم ه نادمين ه رسول الله ط والعصيان ط الراشدون ه لا لان فضلا مفعول له ونعمة ط حكيم ه بينهما ج لعطف الشرط مع الفاء امر الله ج لذلك واقسطوا ط المقسطين ه ترحمون ه ربع الجزء منهن ج لعدول عن الغيبة الى الخطاب بالالقاب ط بعد الايمان ج لابتداء الشرط مع احتمال ومن لم يتب عما ذكر من اللمز والتنابز الظالمون ه من الظن ز للابتداء بان الا انه للتعليل اي فان بعضا ط فكرهتموه ط واتقوا الله ط رحيم ه لتعارفوا ط اتقيكم ط خبير ه امنا ط قلوبكم ط شيئا ط رحيم ه في سبيل الله ط الصادقون ه في الارض ط عليم ه اسلموا ط اسلامكم ج لان بل للاضراب عن الاول صادقين ه والارض ط يعملون ه التفسير لما بين محل النبي صلى الله عليه وسلم وعلو منصبه بقوله هو الذي ارسل رسوله الى اخر السورة الفتح لان بقوله لا تقدموا الاية تنبيها الى ما ذكر هناك من وجوب اتباعه والاذعان له والاظهار هذا ارشاد عام وذكر المفسرون في اسباب النزول وجوها منها ما روى عن ابن ابي مليكة ان عبد الله بن الزبير اخبره انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله صلى الله عليه وسلم امر القعقاع بن معبد وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافي فقال ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فانزل الله الاية وقال الحسن والزجاج نزلت في رجل ذبح الاضحية قبل الصلوة وقبل ذبح النبي صلى الله عليه وسلم فامره باعادتها وهو مذهب ابي حنيفة الا ان تزول الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلوة وعن عائشة انها نزلت في صوم يوم الشك وروى انها في القتال اي لا تحملوا على الكفار في الحرب قبل ان يامر النبي صلى الله عليه وسلم وقدم امامه وحذف المفعول للعموم حتى يتناول كل فعل وقول او ترك مفعوله كما في قولهم فلان يعطي ويمنع لان النظر على الفعل لا على المفعول كانه قيل يجب ان لا يصدر منكم تقدم اصلا في اي فعل كان واما لازم بمعنى تقدم وتبين ومنه قراءة يعقوب قال جار الله حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين بيمينه وشماله حتى ينظر اليك من غير تقليب حدقة وذكر الله تعظيم وفيه ان التقدم بين يدي رسول الله كالتقدم بين يدي الله قال ابن عباس لا تتكلموا بين يدي كلامه بل عليهم ان يصغوا ولا يتكلموا وقيل معناه لا تخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وعن الحسن انه روى المعنى لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اتته الوفود من الافاق فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدؤوا بالمسئلة حتى يكون هو المبتدي واتقوا الله في التقدم او امرهم بالتقوى ليحملهم على ترك التقدمة فان المتقي حذر عن كل ما فيه تبعة وريب ان الله سميع لاقوالكم عليم بحالكم واعمالكم ثم اعاد النداء عليهم مزيدا للتنبيه والتذكر وفيه نوع تفصيل بعد اجمال وتخصيص بعد تعميم عن ابن عباس ان ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان يتاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوته اذا كلمه فلما نزلت الاية فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر بانه رجل جهير الصوت يخاف ان يكون الاية نزلت فيه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وانك من اهل الجنة وعن الحسن نزلت في المنافقين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم استخفافا واستهانة وليقتدي بهم ضعفة المسلمين فنهى المؤمنون عن ذلك وعلى هذا فالايمان يكون اعم من ان يكون باللسان وحده وبالقلب واما ان يكون الايمان حقيقة فيكون تاديبا للمؤمنين المخلصين حتى يكون حالهم بخلاف حال النفاق

وقال عمر

نهوا

الى

التذكر

ويكون

ويكون كلامهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخفض من كلامه لهم رعاية لحشمته وصيانة على مهابته قوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قيل تكرار للمعنى الاول لا بل للتاكيد فان الجهر هو رفع الصوت والظهور [illegible] فقيل الاول فيما اذا نطق ونطقوا [illegible] والثاني فيما اذا سكت ونطقوا [illegible] فيما بينهم [illegible] وقيل النهي الاول عن رفع الصوت [illegible] وقت الخطاب باسمه وكنيته كما يخاطب بعضهم بعضا فلا يقال يا احمد يا محمد يا ابا القاسم ولكن يا نبي الله يا رسول الله [illegible] ان تحبط اي كراهة ان تحبط اعمالكم [illegible] بالقول الاول في ظاهر عند الكوفيين والثاني عند البصريين [illegible] تحصل كانه سبب في ايجاده كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا وفي قوله وانتم لا تشعرون اشارة الى ان ارتكاب الماثم يجر الاعمال الى الحبوط من حيث لا يشعر المرء به ومثله قول الحكيم ان كلا من الاخلاق الفاضلة والرذيلة يكون اولا حالا ثم يصير ملكة راسخة وعادة مستمرة ومنه قول افلاطون لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق وانت لا تدري فالعاقل من يجتهد في الفضائل ان يصير ملكات وفي الرذائل ان تزول عنه وهي احوال قال ابن عباس لما نزلت الاية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله فانزل الله فيه وفي امثاله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله هو افتعل من المحنة وهو اختبار بليغ يقال امتحن فلان لامر كذا اي جرب له فوجد قويا عليه ووضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره وكانه قيل عرف الله قلوبهم كائنة للتقوى فاللام متعلقة بالمحذوف كقولك انت لهذا الامر وضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف لاجل التقوى وحصولها فيها فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لطاعتهم وفي تنكير الوعد وغير ذلك من موكدات الجملة تعريض بعظم ما ارتكب غيرهم واستحقاقهم ضد ما استحق هؤلاء يروى انه كان اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ارسل اليهم ابو بكر رضي الله عنه من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار قال العلماء ان النهي لا يتناول رفع الصوت الذي ليس باختيار المكلف كما في حديث ثابت بن قيس ولا الذي يناط به صلاح في حرب او جدال معاند او ارهاب عدو وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ يا الناس وكان العباس اجهر الناس صوتا وفيه قال النابغة الجعدي زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم وابو عروة كنية العباس زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه ويروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته ثم عاملهم او بالاخص فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي من جانب البر منها والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض والحجرة البقعة التي يحجرها الرجل لنفسه كيلا يشاركه فيه غيره من الحجر وهو المنع فعلة بمعنى مفعول وجمعت للدلالة على كلها من امهات المؤمنين لها حجرة روي ان وفد بني تميم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصين فدخلوا المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من خارج حجراته كانهم تفرقوا على الحجرات او اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا له صلى الله عليه وسلم او الفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم لان رضى الباقين كالتولي له وحكى الاصم ان الذي ناداه عيينة والاقرع قالا اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فخرج اليهم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقال لهم فيم جئتم فقالوا جئنا بخطيبنا وشاعرنا لنفاخرك ونشاعرك فقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر امرت ولكن ائتوا فقام خطيبهم فخطب وقام شاعرهم فانشد فامر النبي صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس فقام وخطب وارجحهم فقام حسان فانشد فافحمهم فقام الاقرع وقال والله ما ادري ما هذا تكلم خطيبنا وكان خطيبهم احسن قولا وانشد شاعرنا وكان شاعرهم اشعر ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشهد ان لا اله الا الله وانه رسوله وعن زيد بن ارقم انهم قالوا امتحنه فان يكن ملكا عشنا في جناحه وان يكن نبيا كان اولى بان يكون اسعد الناس به وقيل انهم وفدوا مستشفعين في اسرى بني العنبر اما اخبار الله تعالى عنهم بان اكثرهم لا يعقلون فاما لان الاكثر اقيم مقام الكل على عادة الفصحاء كيلا يكون الكلام بصدد المنع واما لان الحكم بقلة العقلاء فيهم عبارة عن العدم فان القلة يقع موقع النفي في كلامهم واما لان فيهم من رجع وندم على صنيعه فاستثناه الله تعالى وانما حكم عليهم بعدم العقل لانهم لم يعقلوا ان هذا النحو من النداء خارج عن قانون الادب ومبني على عدم الوقار والاناة ولا سيما في حق النبي صلى الله عليه فانه لم يكن يحتجب عن الناس الا عند الخلوة والاشتغال بمهام اهل البيت فلذلك قال ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان الصبر خيرا لهم في دينهم وهو الظاهر او في دنياهم بان يظهر فيهم فور العقل وكمال الادب وقيل باطلاق اسراهم جميعا فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اطلق النصف وفادى النصف والله غفور مع ذلك لمن تاب رحيم في قبول التوبة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفد بني تميم فقال انهم جفاة بني تميم ولولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم ويحكى عن ابي عبيد وهو المشهور بالعلم والزهد وثقة الرواية انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ثم ارشدهم الى ادب اخر وقد اجمع المفسرون على انها نزلت في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق مصدقا وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم خافهم فرجع وقال ان القوم هموا بقتلي ومنعوا صدقاتهم فهم النبي صلى الله عليه وسلم بغزوهم فبينا هم في ذلك قدم وفدهم وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من الصدقة فاتهمهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه فقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع قال جار الله في تنكير الفاسق والنبا عموم كانه قيل اي فاسق جاءكم باي نبا فتوقفوا فيه واطلبوا البيان لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى بعض افراده الذي هو الكذب والفسوق الخروج عن الشيء والانسلاخ منه فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا قفعت الشيء بتقديم القاف اذا اخرجته من يد مالكه غصبا والنبا الخبر الذي تعظم وقعه والخير ولفظة ان التي هي للشك دون اذا تنبيها على انه صلى الله عليه وسلم ومن معه بمنزلة لا يجترئ احد ان يخبرهم بكذب الا على سبيل الفرض والتقدير

وفائدة قوله اليهم انه لو خرج لا لاجلهم لزمهم ان يصبروا الى ان يكون خروجه اليهم

للمؤمنين ان يكونوا بحيث لا يطلع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ثم علل التبيين بقوله ان تصيبوا اي كراهة ان تصيبوا قوما بجهالة
بحقيقة الامر والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك متمنيا انه لم يقع لا يخلو من دوام ولزوم ومن معقولاته او من ادا
وادوم عليه ودن بالمكان اقام به قال الاصوليون ان خبر الواحد العدل يجب العمل به لان الله امر بالتبين في خبر الفاسق ولو وجب التبين في خبر العدل
لسوينا بينهما وضعف انه من باب التمسك بالمفهوم واتفقوا على ان شهادة الفاسق لا تقبل لان باب الشهادة اضيق من باب الخبر واكثر
المفسرين على ان الوليد كان ثقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فاسقا بكذبه وقيل ان الوليد لم يتعمد الكذب ولكنه ظن حين
اجتمعوا لاكرامه ان يكونوا اجمعوا بقتله والقائل ان يقول لفظ القران وسبب النزول يدل على خلافه نعم لو قيل انه تاب بعد ذلك لكان له
وجه ثم ارشدهم الى ما هو خير لهم قائلا واعلموا ان فيكم رسول الله وليس هذا الامر مقصودا بالظاهر لانه معلوم مشاهد فلا حاجة الى التنبيه عليه وانما
المراد ما يستلزم كونه فيهم كما يقال لمن يغلط في مسئلة او يقول فيها برايه اعلم ان الشيخ حاضر ثم قيل المراد لا تقولوا الباطل والكذب فان الله
يخبره ويوحي اليه وقيل اراد ان لا تزري رايه فلا بعد واراية وقد صرح بهذا المعنى في قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لوقعتم في العنت المشقة
والحرج لانه اعلم منكم بحقيقة المصلحة المعني ومن جملة ذلك قصة الوليد فانه لو اطاعه وقبل قوله لقتل وقتلتم واخذ المال واخذتم فاثمتم قال جار الله
الجملة المصدرة بلو ليس كلاما مستانفا لاختلال النظم حينئذ ولكنها حال من احد الضميرين في فيكم وهو المستتر المرفوع او البارز المجرور والمعنى
ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تطلبون منه اتباع ارائكم قلت قد ذكرنا في وجه النظم بيانا اخر ثم قال فائدة تقديم خبر
ان هو ان يعلم ان التوبيخ منصب الى هذا الغرض وفائدة قوله يطيعكم بلفظ الاستقبال الدلالة على ارادة من استمرار طاعته لهم وانه
لا يجاريهم في كثير مما عن لهم من الاراء والاهواء وفي قوله في كثير من الامر مراعاة لجانب المؤمنين حيث لم ينسب الجميع ارائهم الى الخطا وفيه ايضا
تعليم حسن وتاديب جميل في باب التخاطب ويمكن ان يكون اشارة الى تصويب راي بعضهم لا الى تصويب بعض رايهم فقد قيل ان بعضهم
زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وبعضهم كانوا يرون التحلم عنهم الى تبين امرهم وقد اشار
الى هذا البعض بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم والا لم يحسن الاستدراك فان من شرطه مخالفة ما بعده لما قبله فلو كان
المخاطبون في الطرفين واحدا لم يكن للاستدراك معنى بل يؤدي الى التناقض لانه يكون قد اثبت لهم في ثاني الحال محبة الايمان وكراهة
العصيان وذكر ولا انه يوجب اعناتهم الوقوع في العنت قال اهل السنة الطاعة موافقة الداعي غير ان المستعمل في حق الاكابر الاجابة وفي
حق الاصاغر الطاعة وقد ورد القران على اهل اللغة استنادا الى الاشارة بقوله حبب وكره على مسئلة خلق الافعال وحملها المعتزلة على
نصب الادلة او اللطف والتوفيق او الوعد والوعيد والمعنى ولكن الله حبب اليكم الايمان فاطعتموه فوقاكم العنت والكفر والفسوق
واما الفسوق والعصيان فقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر ويحتمل ان يكون الكفر مقابل التصديق بالجنان والفسوق مقابل الاقرار
باللسان لان الفسق هاهنا امر قولي بدليل قوله ان جاءكم فاسق بنبا سماه فاسقا لكذبه والعصيان مقابل العمل بالاركان اولئك المعرفون
المستثنون هم الراشدون وهذه جملة معترضة وقوله فضلا من الله ونعمة كل منهما مفعول له والعامل فيهما حبب وكره ويجوز ان يكونا
منصوبين عن الراشدون لان الرشد عبارة عن التحبيب والتكريه المسندين الى الله فكانه قيل فاولئك هم الراشدون رشدا لان
الله هم افضالا وانعاما منه قال بعض العلماء الفضل بالنظر الى جانب الله الغني والنعمة بالنظر الى جانب العبد الفقير والله عليم باحوال الخلق
وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم في تدبيره وافضاله وانعامه ثم علمهم حكما اخر في الصحيحين عن انس انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا نبي الله لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه على حمار وانطلق المسلمون يمشون وهي ارض سبخة فبال الحمار فقال اليك عني فوالله لقد
اذاني نتن حمارك فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حمارك لاطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما
اصحابه فوقع بينهم حرب بالجريد والايدي والنعال فانزل الله منهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا جمع لان الطائفتين في معنى القوم
او الناس او لان اقل الجمع اثنان فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم وعن مقاتل قراها عليهم فاصطلحوا وقال ابن بحر القتال
لا يكون بالنعال والايدي وانما هذا في المنتظر من الزمان والطائفة الجماعة وهي اقل من الفرقة لقوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
وارتفاعها بفعل دل عليه ما بعده اي اقتتلت طائفتان واختير ان دون اذا مع كثرة وقوع القتال بين المؤمنين ليدل على انه مما ينبغي
ان لا يقع الا نادرا او على سبيل الفرض والتقدير ولهذه النكتة بعينها قال طائفتان ولم يقل فريقان تحقيقا للتقليل كما قلنا وفي تقديم
الفاعل على الفعل اشارة ايضا الى هذا المعنى لان كونهما طائفتين مؤمنتين يقتضي ان لا يقع القتال منهما ولهذا اختير الماضي في الفعل
ولم يقل يقتتلون لينبئ عن الاستمرار وفيه ايضا من القتال ما فيه وانما قدم الفعل في قوله ان جاءكم فاسق بنبا ليعلم ان المجيء بالنبا
الكاذب يورث كون الجائي به فاسقا سواء كان قبل ذلك فاسقا ام لا ولو اخر الفعل لم يفد اول الاية الا اشتهار الفسق قبل المجيء بالنبا
قال بعض العلماء انما قال اقتتلوا على الجمع ولم يقل فاصلحوا بينهم لان عند القتال يكون لكل منهم فعل براسه اما عند العود الى الصلح
فانه يتفق كلمة كل طائفة والا لم يتحقق الصلح فكان كلا من الطائفتين كنفس واحدة فكانت التثنية اقعد والبغي الاستطالة
واباء الصلح والفيء الرجوع وبه سمي الظل لانه يرجع بعد نسخ الشمس او لان الناس يرجعون اليه والغنيمة لانها ترجع من الكفار الى المسلمين
ومعنى قوله الى امر الله قيل الى طاعة الرسول ومن قام مقامه من ولاة الامر لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
وقيل الى الصلح لقوله واصلحوا ذات بينكم وقيل الى امر الله بالتقوى فان من خاف الله حق خشيته لا يبقى له عداوة الا مع الفئة
الباغية مع جهلها وعنادها واصرارها على حقدها كالامر النافذ نظيره قول القائل لعبده وان مت فانت حر مع ان الموت لا بد منه
وذلك لان موته بحيث يكون العبد حيا باقيا في ملكه غير معلوم واعلم ان الباغية في اصطلاح الفقهاء فرقة خالفت الامام بتاويل
باطل بطلانا بحسب الظن لا القطع فيخرج المرتد لان تاويله باطل قطعا وكذا الخوارج وهم صنف من المبتدعة يكفرون من اتى بكبيرة و
يسبون بعض الائمة وكذا يخرج مانع حق الشرع لله او للعباد عنادا لانه لا تاويل له ولا بد ان يكون له شوكة وعدد وعدد يحتاج
الامام في دفعهم الى كلفة ببذل مال واعداد رجال فان كانوا افرادا يسهل ضبطهم فليسوا باهل بغي والاكثرون على ان البغاة ليسوا بفسقة
ولا كفرة لقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين وعن علي رضي الله عنه اخواننا بغوا علينا ولكنهم مخطئون فيما يفعلون ويذهبون اليه
من التاويل كما وقع لمحاربة علي على حيث اعتقد انه يعرف قتلة عثمان ويقدر عليهم ولا يقتص لمواطاته اياهم وكما قال مانعوا الزكاة لابي بكر

امرنا بدفع الزكاة الى من صلوته سكن لنا وصلوة غير النبي ليست سكنا لنا واتفقوا على ان معاوية ومن تابعه كانوا باغين لحديث المشهور
ان عمارا يقتله الفئة الباغية وقد يقال ان الباغية في حال بغيها ليست بمؤمنة وانما سماهم المؤمنين باعتبار ما قبل البغي
كقوله يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه والمرتد ليس بمؤمن بالاتفاق اما الذي يتلفه العادل على الباغي وبالعكس في غير
القتال فيضمنون على القاعدة الممهدة في قصاص النفوس وغرامة الاموال واما في القتال فلا تضمين للعادل لانه مامور بالقتال ولا
الباغي على الاصح لان في الوقائع التي جرت في عصر الصحابة والتابعين لم يطلب بعضهم بعضا بضمان نفس او مال ولانه لو وجبت الغرامة
لتنفرهم ذلك عن العود الى الطاعة والاموال الماخوذة في القتال ترد بعد انقضاء الحرب الى اربابها من الجانبين والمراد من متلف
القتال ما يتلف بسبب القتال ويتولد منه هلاكه حتى لو فرض اتلاف في القتال من غير ضرورة القتال كان كالاتلاف في غير القتال
والذين لهم تاويل بلا شوكة لزمهم ضمان ما اتلفوا من نفس ومال وان كان على صورة القتال وحكمهم حكم قطاع الطريق اذا قاموا ولو سقطنا
الضمان لابدت كل شرذمة من اهل الفساد تاويلا وفعلت ما شاءت وفي ذلك ابطال السياسات ولهذه النكتة قرن بالاصلاح
الثاني قوله بالعدل لان تضمين الانفس والاموال يحتاج فيه الى سلوك سبيل العدل والنصفة لئلا يؤدي الى ثوران الفتنة مرة اخرى
واحتج الشافعي لوجوب الضمان اذا لم يكن قتال بان ابن ملجم قتل عليا كرم الله وجهه متاولا ان له شبهة وتاويلا فامر بحبسه وقال ان قتلتم فلا تمثلوا
فقتله الحسن بن علي وما انكر عليه احد واما الذين لهم شوكة ولا تاويل فالظاهر عند بعضهم نفي الضمان وعند اخرين الوجوب واما كيفية
قتال الباغين فان امكن الاسر لم تقتلوا وان امكن الاثخان فلا تذفف عليه كدفع الصائل الا اذا التحم القتال وتفصيل الضبط قوله
واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امره في اصلاح ذات البين قال اهل اللغة القسط بالفتح والسكون الجور من القسط
بفتحتين وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس والقسط بالكسر العدل والهمزة في اقسط للسلب اي ازال القسط وهو الجور وجين بين
واصلاح الخلل الواقع بين الطائفتين اراد ان يبين حكم الخلل الواقع بين اثنين بالتشاتم والسباب ونحو ذلك فقال انما المؤمنون
اخوة اي حالهم لا تعدو الاخوة الدينية الى ما يضادها فاصلحوا بين اخويكم بايصال المظلوم الى حقه ودفع اثم الظلم عن الظالم
والعصبة تجب لاغلب ويحتمل ان يقال انه شامل لما دون الطائفتين روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم لا يظلمه ولا يخذله
ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل واتقوا الله في تنا
الاواب راجين ان يرحمكم ربكم ثم شرع في تاديبات اخر والقوم الرجال خاصة لقيامهم على الامور قال جمهور المفسرين في ثابت بن
قيس بن شماس كان في اذنه وقر وكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقوله فجاء يوما وقد اخذ الناس
مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فقال له رجل اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت مغضبا ثم قال للرجل يا فلان بن فلانة يريد
اما كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل استحياء فنزلت وقيل نزلت في الذين نادوا رسول الله من وراء الحجرات واستهزاوا بالفقراء وقيل
في كعب بن مالك قال لعبد الله بن ابي يا اعرابي فقال له عبد الله يا يهودي فنزلت وقيل نزلت ولا نساء من نساء في عائشة وقد عابت ام سلمة بالقصر وقيل
انها ربطت حقويها بثوب ابيض وسدلت طرفيه خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن عكرمة
عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد وتنكير القوم والنساء للبعضية او لافادة الشياع وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة
من امراة لزيادة التوبيخ وتنبيها على ان السخرية قلما تقصد من واحد ولكن شاركه في ذلك جمع من الحاضرين لان ميل الطبائع الى التلهي
والدعابة والازدراء بالضعفاء واهل المسكنة اكثر وانما لم يقل رجل من امراة وبالعكس لان سخرية الجنس من الجنس اكثر فاقتصر على ذلك الباقي
في الاولى وقوله عسى ان يكونوا كلام مستانف نهي عن سبب النهي عن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا
قوله سبحانه ولا تلمزوا ولا تنابزوا وجب اخر واللمز الطعن باللسان والمعنى خصوا انفسكم بالانتهاء عن الطعن في امثالكم من اهل هذا الدين ولا عليكم
ان تعيبوا غير اهل دينكم قيل اللمز العيب خلف الانسان والهمز العيب في وجه الانسان وقيل بل الامر بالعكس لان من تعاليب همز مهمزه وهو
يدل على البعد ومن مقلوب اللمز لزم وهو يدل على القرب فيشمل العيب بالاشارة ايضا قوله ولا تنابزوا تاديب اخر والنبز بالسكون اللقب
بالمكروه من الالقاب واللقب من الاعلام ما دل على مدح او ذم والنبز بالفتح اللقب القبيح فهو اخص من اللقب كما ان اللقب اخص من
العلم وانما قال لا تنابزوا ولم يقل ولا تنبزوا على منوال ولا تلمزوا لان النبز لا يعجز الانسان عن جوابه غالبا لمن نبز غيره بالحمار كان له ذلك
الغير ان ينبزه بالثور مثلا ولا كذلك اللمز فان الملموز كثيرا ما يغفل عن عيب اللامز فلا يجيء في الجواب شيء فيقع اللمز من جانب واحد فقط
ثم اكد النهي عن التنابز بقوله بئس الاسم اي الذكر الفسوق وفي قوله بعد الايمان وجوه احدها استقباح الجمع بين الامرين كما تقول بئس
الشان الصبوة بعد الشيخوخة اي معهما وثانيها بئس الذكران تذكروا الرجل بالفسق او اليهودية بعد ايمانه وكانوا يقولون لمن اسلم من اليهود
يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وثالثها ان يجعل الفاسق غير مؤمن كما يقال للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة
الايمان ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون لان الاصرار على المنهي كفر اذ جعل المنهي كالمامور فوضع الشيء في غير موضعه تاديب اخر
ومعنى اجتنبوا كونوا منه في جانب وانما قال كثيرا ولم يقل الظن مطلقا لان منه ما هو واجب كحسن الظن بالله وبالمؤمنين كما جاء في الحديث
القدسي انا عند ظن عبدي بي قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقال ان حسن الظن من الايمان
ومنه محظور وهو سوء الظن بالله وباهل الصلاح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء
وهو الذي امر في الاية اجتنابه ومنه ما هو مندوب اليه وهو اذا كان المظنون به متظاهر الفسق واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
الحزم سوء الظن وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم احترسوا من الناس بسوء الظن ومنه المباح كالظن في المسائل الاجتهادية قال
اهل المعاني انما نكر كثيرا ليفيد معنى البعضية المصرح بها في قوله ان بعض الظن اثم ولو عرف لاوهم ان المنهي عنه هو الظن الموصوف
بالكثرة والذي يتصف بالقلة مرخص فيه والهمزة في الاثم عوض عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه تاديب اخر ولا تجسسوا وقد
الذي بالحاء المهملة بطلب الخبر والبحث عنه كقوله فتحسسوا من يوسف واخيه فبالجيم تفعل من الجس وبالحاء من الحس قال مجاهد معناه خذوا
ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في خطبته يا معشر من امن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات

حال كونكم

لا تقبل

ان

وقيل الصلح

بالغون خارجون

الربع

الحزم سوء الظن

الندم

المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته وهذا الادب كالسبب لما قبله فلما نهى عن ذلك نهى عن
ايضا تاويب اخر ولا يغتب يقال غابه واغتابه بمعنى والاسم الغيبة بالكسر وهي ذكر العيب بظهر الغيب وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنها فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كنت صادقا اغتبته وان كنت كاذبا فقد بهته ثم مثل حالة المغتاب من عرض صاحبه على افظع وجه
فقال ايحب الى آخره وفيه انواع من المبالغة منها الاستفهام للتقرير ومنها محبة المكروه ومنها اسناد الفعل الى احدكم ففيه اشعار بانه
لا احد يحب ذلك ومنها تقييد المكروه باكل لحم الانسان ومنها تقييد الانسان بالاخ ومنها جعل الاخ او اللحم ميتا ففيه مزيد تنفير
طبيع وانما مثل بالاكل لان العرب يقول ان ذكر بالسوء ان الناس ياكلون فلانا ويمضغونه وفلان مضغة للماضغين شبهوا الاذية والدم
في العظم بالاكل والميت لمزيد التنفير كما قلنا او لان الغائب كالميت من حيث لا يشعر بما يقال فيه اما الفاء في قوله فكرهتموه ففصيحة
او نتيجة لانها للالزام اي بل عافته نفوسكم فكرهتموه او تحققت بوجوب الاقرار وبحكم العقل ودواعي الطبع كراهتكم للاكل او اللحم والميت
فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره وهي الغيبة وقال ابن عباس هي ادام كلاب الناس وعنه ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة
ويسوي لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فعند ذلك
قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما
فقال انكما قد اغتبتما فنزلت قلت قد بين في الحديث ان في الاية مبالغة اخرى وهي انه اراد باللحم الميت المدود والمنتن المخضر وقد عبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالامر الحسي عن الامر المعنوي الذي ادركه بنور النبوة ومنها واعلم ان الغيبة وان كانت منهية الا انها مباحة في حق
الفاسق ففي الحديث اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس وروي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له واتقوا الله فيما امركم وتوبوا
فيما وجد منكم وحين علم المؤمنين تلك الاداب الجميلة عمم الخطاب منعا من السخرية واللمز وغير ذلك على الاطلاق فقال يا ايها الناس
الاية قال بعض الرواة ان ثابت بن قيس حين قال فلان بن فلانة قال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقام ثابت فقال انا يا رسول
الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واسود واحمر قال فانك لا تفضلهم الا بالتقوى والدين
فانزل الله هذه الاية وعن مقاتل لما كان يوم فتح مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا حتى اذن على ظهر الكعبة فقال عتاب بن اسيد الحمد
لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله
شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا اخاف ان يخبر رب السماء فاتى جبريل فاخبره وانزل الاية فزجرهم عن التفاخر بالانساب
والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في سوق المدينة غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط
لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف النبي صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده
يوما فسال عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سال عنه بعد ايام فقيل هو في دابره فجاءه وتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار
امر عظيم فنزلت وقوله من ذكر وانثى فيه وجهان احدهما من ادم وحواء فيدل على انه لا تفاخر للبعض على البعض لكونهم اولاد رجل
وامراة واحدة والثاني كل واحد منكم ايها الموجودون وقت النداء خلقناه من اب وام والتفاوت في الجنس دون التفاوت
في الجنسين كالذباب والذباب مثلا لكن التفاوت بين التقي والشقي من باب التفاوت بين الجنسين لان الكافر كالانعام
بل اضل والمؤمن هو الناس وغيره كالنسناس والحاصل ان الشيء اما ان يترجح على غيره بامر يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده واما ان يترجح
عليه بامر هو قبله وهذا القسم اما ان يرجع الى القابل او الى الفاعل كما يقال كان هذا من النحاس وهذا من الفضة او هذا عمل فلان وهذا
عمل فلان فذكر الله سبحانه انه لا ترجح بحسب الاصل القابل لانكم كلكم من ذكر وانثى ولا بحسب الفاعل فان الله هو خالقكم فان كان تفاوت
فبامور لاحقة واحقها بالتمييز هو التقوى لما قلنا ولهذا يصلح للمناصب الدينية كالقضاء والشهادة كل شريف ووضيع اذا كان دينا
عالما ولا يصلح لها فاسق وان كان قرشي النسب قارون المال ... المراد من جعلهم شعوبا وقبائل ان يتعارفوا اي ليقع بينكم
التعارف بسبب ذلك لا ان يتفاخروا بالانساب قيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب وقال جار الله الشعب بالفتح
الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب اولها شعب وهي اعم ثم سمي بذلك لان الباقية تتشعب منه ثم قبيلة ثم عمارة
ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة وهي الاخص مثال ذلك خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس
فصيلة فائدة لا ريب ان الخلق يستعمل في الاصول اكثر والجعل يستعمل فيما يتفرع عليه ولهذا قال خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور وقال في الاية خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا ولكنه قال في موضع اخر وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فتبين ان الاصل
في الخلق والغرض الاقدم هو العبادة فيعلم منه ان اعتبار النسب وغيره مؤخر عن اعتبار العبادة فلهذا قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وفيه معنيان احدهما ان التقوى يفيد الاكرام في حكم الله يورث التقوى والاول اشهر كما يقال اكرم الاطعمة احلاها اي اللذة بقدر الحلاوة
لان الحلاوة بقدر اللذة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية
الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرا الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من سره
ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى ان الله عليم بظواهركم خبير ببواطنكم ومن مثله ان يخشى ...
وحين حث عموم الناس على تقواه وبخ من في ايمانه ضعف قال ابن عباس ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين
ولم يكونوا مؤمنين في السر وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يقولون لرسول الله اتيناك بالاثقال والعيال
ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فاعطنا من الصدقة وجعلوا يمنون عليه فانزل الله هذه الايات اي قالوا امنا بشرايطه فاطلع
الله نبيه على مكنون ضمايرهم وقال لو قل لن تؤمنوا ايمانا حقيقيا وهو الذي وافق القلب فيه اللسان ولكن قولوا اسلمنا يعني اسلاما
لغويا وهو الخضوع والانقياد خوفا من القتل وحولا في زمرة اهل الايمان والسلم ثم اكد النفي المذكور بقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم
وفيه فائدة زائدة هي ان يعلم ان الايمان متوقع منهم لان لما حرف فيه توقع وانتظار ثم حثهم على الطاعة بقوله وان تطيعوا الله ورسوله
لا يلتكم اي لا ينقصكم من ثواب اعمالكم شيئا يعني الثواب المضاعف الموعود في نحو قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الت يالت الهمز
اذا نقص وهي لغة غطفان يقال الته السلطان حقه اشد الالت ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وقال بعضهم ولته يلته يعني صرفه عن وجهه فيكون

يلتكم

يلتكم من اعمالكم على وزن يعدكم وعلى الوجه المتقدم على وزن يبيعكم ان الله غفور رحيم لمن تاب واخلص فيه ثم وصف المؤمنين المحققين
بقوله انما المؤمنون ومعنى ثم في قوله ثم لم يرتابوا كما في قوله ربنا الله ثم استقاموا وارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة
ثم لم يقع في قلوبهم شك فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه وذلك بتشكيك بعض شياطين الجن والانس وقال جار الله في وجه اخر لما كان
زوال الريب ملاك الايمان افرده بالذكر بعد تقديم الايمان تنبيها على مزيته واشعارا بانهم مستقرون على ذلك في الازمنة المتطاولة
غضا جديدا وفي قوله اولئك هم الصادقون تعريض بان المذكورين اولا كاذبون ولهذا قال قل لن تؤمنوا اشارة الى كذبهم
في دعواهم ورب تعريض لا يقاومه التصريح ثم اراد تجهيلهم بقوله قل اتعلمون الله بدينكم والباء فيه للتعدية والاظهر انه الذي في قولهم
ما علمت بقدومك اي ما شعرت ولا احطت به وذكر في اسباب النزول انه لما نزلت الاية الاولى جاءت هؤلاء الاعراب وحلفوا انهم
مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الاية والاستفهام للتوبيخ اي كيف تعلمونه بعقيدتكم وهو عالم بكل خافية والتفعيل افاد التعلم
في التدريج والمعالجة وقيل تعريض من لا يعلم بافهام المعنى لان يعلم قوله يمنون عليك نزلت في المذكورين وفي امثالهم يقال
من عليه صنيعه اذا اعتده عليه منة وانما قال اهل العربية المنة من المن الذي هو القطع لانه انما يذكر النعمة اليه ليقطع بها حاجته
لا غير من غير ان يعد الطلب مثوبة وعوض ثم قال بل الله يمن عليكم حيث هداكم للايمان الذي ادعيتموه وفي اضافة الاسلام اليهم
ازدراء باسلامهم وفي ايراد الايمان مطلقا غير مضاف اشارة الى الايمان المعهود الذي يجب ان يكون المكلف عليه وجواب
الشرط محذوف للدلالة اي ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان الحقيقي فلله المنة عليكم ثم عرض بانهم غير صادقين فقال ان الله يعلم الايات لا يخفى عليه
ضمايرهم

سورة ق مكية حروفها الف واربعمائة وسبعة وسبعون كلماتها ثلثمائة وخمس وسبعون
اياتها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد ۝ بل عجبوا ان جاءهم منذر
منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ۝ أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد
قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ ۝ بل كذبوا بالحق لما جاءهم
فهم في امر مريج ۝ افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج
والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ۝ تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب ۝ ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات
وحب الحصيد ۝ والنخل باسقات لها طلع نضيد ۝ رزقا للعباد
واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ۝ كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس وثمود ۝ وعاد وفرعون واخوان لوط ۝ واصحاب الايكة وقوم تبع
كل كذب الرسل فحق وعيد ۝ افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد
۝ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد ۝ اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ۝ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت
منه تحيد ۝ ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ۝ وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد ۝ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ۝ القيا في جهنم كل كفار عنيد ۝ مناع للخير

معتد مريب ۝ الذى جعل مع الله الها آخر فالقياه فى العذاب الشديد
قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد ۝ قال لا تختصموا لدى
وقد قدمت اليكم بالوعيد ۝ ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد ۝ يوم
نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ۝ وازلفت الجنة للمتقين غير
بعيد ۝ هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ ۝ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب
منيب ۝ ادخلوها بسلام ۝ ذلك يوم الخلود ۝ لهم ما يشاؤن فيها ولدينا
مزيد ۝ وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص
۝ ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ۝ ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب ۝ فاصبر على
ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ۝ ومن الليل فسبحه
وادبار السجود ۝ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ۝ يوم يسمعون الصيحة
بالحق ذلك يوم الخروج ۝ انا نحن نحيى ونميت والينا المصير ۝ يوم تشقق الارض
عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير ۝ نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم
بجبار ۝ فذكر بالقران من يخاف وعيد ۝ صدق الله العظيم

القراءة مينا بالتشديد يزيد وعيد وما بعده مثل التى فى ابراهيم يوم نقول بالياء نافع وابو بكر وحماد واسلت
بابدال الهمزة الفاء ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يوقفون على الغيبة ابن كثير وادبار بكسر الهمزة
ابو جعفر ونافع وابن كثير وحمزة وخلف وحيلة المناد بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو
فى الاصل الوقوف ق كوفى ولو جعل قسما فلا يوقف للعطف المجيد ج لان بل قد يجعل جواب القسم تشبيها بان فى التحقيق وفى توكيد
ما بعده وقد يجعل جوابه محذوفا اى لتبعثن ترابا ج لان ذلك مبتدا الا ان المقول واحد بعيد ط منهم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف
حفيظ ط مريج ط فروج ط بهيج ط لا لان تبصرة مفعولا لاجله منيب ط الحصيد ط لا لان النخل معطوف على الحبات والحب
نضيد ط لا لان المراد انبتنا ها لاجل الرزق للعباد ط لا ميتا ط للعطف الخروج ط وثمود ط لا لوط ط لا تبع ط وعيد ط الاول ط
جديد ط نفسه ج وجعل ما بعده حالا اولى من الاستيناف فيوقف على الوريد ط واذ يتعلق بمحذوف وهو اذكر او بقوله ما يلفظ
فلا يوقف على قعيد ط عتيد ط بالحق ط تحيد ط الغرور ط الوعيد ط وشهيد ط حديد ط عتيد ط لتقدير القول
عنيد ط لا مريب ط لا بناء على ان ما بعده صفة اخرى ولو جعل مبتدا يضمنها معنى الشرط او نصبا على المدح الوقف الشديد
ط بعيد ط بالوعيد ط للعبيد ط مزيد ط بعيد ط حفيظ ج لاحتمال ان يكون من شرطية جوابها القول المقدر
قبل ادخلوها او موصولة بدلا من لكل منيب ط بسلام ط الخلود ط مزيد ط البلاد ط للاستفهام قاله السجاوندى
وعندى ان عدم الوقف اولى لان التنقيب وهو البحث والتفتيش واقع على جملة الاستفهام محيص ط شهيد ط لغوب
الغروب ج لاحتمال تعلق الجار بما قبله وبما بعده والسجود ط قريب ط لا لان ما بعده بدل بالحق ط الخروج ط المصير ط
لا لتعلق الظرف سراعا ج يسير ط وعيد ط التفسير قيل ان قاف اسم جبل من زبرجد اخضر محيط بالارض وخضرة
السماء منه وقيل قادرا وقاهرا ونحو ذلك من اسماء الله تعالى او له قاف وقيل قضى الامر وقيل قف يا محمد على اداء الرسالة والاقوال
المشتركة بين الفواتح مذكورة واعراب فاتحة هذه السورة كاعراب اول صاد وبينهما مناسبة اخرى من قبيل وقوع الاضراب
بعد القسم ووجه ما تروى من قبل ان اكثر مباحث تلك السورة فى المبدا والتوحيد وفى اول خلق البشر واكثر مباحث هذه
السورة فى الحشر والخروج ولهذا سنت قراتها فى صلوة العيد لانه يوم الاجتماع وخروج الناس الى الفضاء والمجيد ذو المجد
حقيقة لانه اشرف من سائر الكتب او مجازا باعتبار قارئه وعالمه والعامل به ومعنى منذر منهم اى من جنسهم او من بينهم

فتوجه

فتوجه التعجب الى الانذار بالبعث ولا نم الى كون المنذر منهم ولعل الاول ادخل عندهم فى استحقاق التعجب منه فلهذا اشاروا
اليه بقولهم هذا الرجع او البعث شئ عجيب ابهم الضمير اولا اى عجبوا ثم فسره ثانيا فى قوله فقال الكافرون او اقتصر على الضمير اولا علم
بهم ثم وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالكفر ثم زادوا فى التعجب والتعجيب بقولهم ائذا متنا والتقدير انبعث وقت الموت
والصيرورة ترابا وذلك الرجع اى البعث رجع بعيد مستبعد فى العقول وقيل انه من كلام الله عز وجل والرجع بمعنى الجواب
اى جواب هؤلاء الكفار فى دعوى المنذر جواب بعيد عن حيز العقل لدلالة البراهين الساطعة على وجوب الحشر والنشر منها شمول
علم الله تعالى باجزاء الميت على التفصيل والى هذا اشار بقوله قد علمنا ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم
عن النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب وعن السدى ما تنقص الارض منهم ما يموت ويدفن فى الارض
منهم وعندنا كتاب هو اللوح المحفوظ من التغيير ومن الشياطين ثم اتبع الاضراب الاول اضرابا اخر فقال بل كذبوا والمقصود
ان تكذيبهم بالحق الذى هو محمد او القران او الاخبار بالبعث فى اول وهلة من غير تدبر افظع من تعجبهم والمريج المضطرب
المخلوط بالشبهات والشكوك ولهذا انسبوا القران تارة الى السحر واخرى الى الشعر او الكهانة وقالوا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك ثم استدل على حقيقة المبدا والمعاد بوجوه اخر منها بناء السماء ورفعها بلا عمد ولا فروج الى شقوق وفتوق ولكنها
صحيحة الاستدارة من جميع الجوانب وليس فى الاية دلالة على امتناع الخرق على السماء لان الاخبار عن عدم الوقوع لا ينافى
الامكان نعم انه مناف لوجود نحو الابواب فيها ظاهرا ومنها مد الارض اى دحوها ومنها خلق الجبال الرواسى ومنها خلق اصناف النبات
مما يبتهج به ويروق الناظر بخضرته ونضرته كل ذلك ليتبصر به ويتذكر من يرجع الى ربه ويتفكر فى بدايع المخلوقات ويرتقى الى الصانع
من المصنوعات ومنها انزال الماء المطر الكثير المنافع المنبت للجنات والحبات والحصيد صفة موصوف محذوف اى وحب الزرع
الذى من شانه ان يحصد كالحنطة وغيرها من الاقوات ونحوها والباسقات التى طالت فى السماء والطلع اول ما يبدو من ثمر النخل
والنضيد الذى نضد بعضه فوق بعض والمراد كثرة الطلع وتراكمه المستتبع لكثرة الثمر ثم شبه احياء الارض بخروج الموتى
كما قال فى الروم وكذلك تخرجون ثم هددهم باحوال الامم السالفة وقد مر قصصهم مرارا واما الحديث اصحاب الرس فلم يذكر الا
فى الفرقان وحديث تبع فى الدخان واراد بفرعون قومه لان المعطوف عليه اقوام فحق وعيد مثل فحق عقاب وفيه تسلية
للنبى صلى الله عليه وسلم ثم دل على الحشر بضرب اخر من البيان وهو ان الذى لم يعى اى لم يعجز عن الخلق الاول بالنسبة الى
اى مخلوق فرض كيف يعجز عن الاعادة واللبس الخلط والشبهة وتنكير اللبس والخلق الجديد للتعظيم اى لبس عظيم وخلق له شان حق
منه ان يهتم به ولا يغفل عنه ثم شرع فى تقرير بعض الاشياء الدالة على شمول علم الله سبحانه وعظيم قدرته على بدايته وتمامه
والوسوسة الصوت الخفى والباء فى به للتعدية وما مصدرية اى تعلم حديث نفسه اياه بوسوسة والقرب مجاز عن العلم التام
كقولهم هو منى مقعد القابلة ومعقد الازار وما فى الاية ادل على الافراط فى القرب لان الوريد جزء من الانسان يريد ان يعلم
بيغه فى بواطن الاشياء تنفذ الدم فى العرق والوريد العرق الحامل للدم سوى الشرايين سمى وريدا لان الروح او الدم يرده والوريد
ان عرقان يكتنفان صفحتى العنق فى مقدمها يتشعبان من الراس يتصلان بالوتين والحبل العرق ايضا شبه بواحد الحبال والاضافة للبيان
كاضافة العام الى الخاص قال جار الله اذ منصوب باقرب والمراد انه اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ان
كتبة الملكين لا حاجة اليها لعلام الغيوب وانما هى لاغراض اخر كالزام العبد واستحيائه منهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك
على ثنيتيك اى عطفيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحيى من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقى الملكين
بيانا للقرب كانه قيل لا يخفى عليه شئ لان حفظته موكلون به والتلقى التلقين بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس والتقدير
عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاختصر والمقاعدة اما بالنسبة الى الملك الاخر واما بالاضافة الى الانسان والعتيد الحاضر قال اكثر
المفسرين انهما يكتبان كل شئ حتى انينه فى مرضه وقيل لا يكتبان الا الحسنات او السيئات وقيل ان الملكين يجتنبان الانسان عند غايطه وعند
جماعه وعين على انكارهم البعث واحتج عليهم بالدلايل الباهرة اخبر عن قرب القيامتين الصغرى والكبرى بان عبر عنهما بلفظ الماضى وهو قوله
وجاءت سكرة الموت ونفخ فى الصور وسكرات الموت حالاته الذاهبة بالعقل والباء فى بالحق للتعدية اى احضرت السكرة حقيقة الامر
وجلية الحال من تحقق وقوع الموت او من سعادة الميت او شقاوته كما نطق بها الكتاب والسنة او المراد وجاءت ملتبسة بالغرض الصحيح الذى
هو ترتب الجزاء على الاعمال ذلك الموت ما كنت منه تحيد اى تميل وتهرب ايها الانسان ولا ريب ان هذا الهرب للفاجر كون بالحقيقة وللبر بحسب نفرة
الطبع الانسانى او ذكرى امر نفسه وما خلق هو لاجله علم ان الموت راحة وخلاص له من عالم الافات والبليات قوله ذلك يوم الوعيد اشارة
الى النفخ والمضاف محذوف اى وقت النفخ الثانى زمان الوعيد والسائق والشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر او الى الجنة والنار
كما قال وسيق وسيق والاخر يشهد عليه باعماله ملكا واحدا جامعا بين الامرين يجوز ان يكون الرقيب المذكور والجملة حال من كل لانه بمعنى
المعرفة ثم يقال للانسان لقد كنت فى الدنيا فى غفلة من هذا الامر فكشفنا عنك بقطع العلايق الحسية ومفارقة النفس الناطقة عطاءك
وهو الاشتغال بعالم المحسوسات فبصرك اليوم حديد غير كليل متيقظ غير نايم وقال ابن زيد الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم كقوله
ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى كنت قبل الوحى فى غفلة من هذا العلم ثم بين ان الشيطان الذى هو قرين كل فاجر كقوله ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا يقول لاهل المحشر وساير القرنا قد اعتدت قرينى لجهنم وهيأته لها ان جعلت ما موصوفة فعتيد
صفة لها وان جعلتها موصولة فعتيد بدل او خبر ثان او خبر مبتدا محذوف ويحتمل ان يقول الشيطان لقرينه هذا البلاء النازل بك بما اعد
القيا خطاب من الله للملكين السايق والشهيد او للواحد على عادة العرب خليلى وقفا وذلك ان اكثر الرفقاء يكون ثلثة وقال المبرد تثنية
للتاكيد كانه قيل الق الق نزلت تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل لاتحادهما وجوز ان يكون الالف بدلا من نون التاكيد الخفيفة اجراء للوصل
مجرى الوقف ويؤيده قراءة الحسن القين عنيد ذى عناد او معاند مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه او مناع لجنس الخير ان يصل الى
اهله وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وكان يمنع بنى اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فى الاسلام لم انفعه بخير ما عشت
معتد ظالم مريب متشكك او شاك فى دين الله قوله قال قرينه جاء على طريقة الاستيناف بخلاف ما تقدم فانه جاء على طريق العطف كانى قربه

البحث ۷

اى ۷

واللائق الا ان يدعى المغايرة بين الفروج والابواب وفى قوله وما لها من فروج توبيخ لهم وتنبيه على سماجة العبادة

للعطف

الحاد ۷

منقطع ۷

منه ۷

هو الفاجر قال يا رب انه اطغاني فاجاب القرين وهو الشيطان ربنا ما اطغيته ما اوقعته في الطغيان ولكن كان في الازل في ضلال بعيد وقال المعتزلة ولكنه اختار الضلالة على الهدى ثم ذكر كلاما اخر مستانفا كان سائلا سال ماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا وهذا هو الذي دل على ان ثمه مقاولة من الكافر لكنها طويت لدلالة الاختصام عليها ومعنى لا تختصموا في موقف الحساب والحال اني قد قدمت اليكم وفيه ان اختصامهم كان يجب ان يكون قبل ذلك في الدنيا كما قال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وانما في بالوعيد الباء مزيدة او للتعدية على ان قدم بمعنى تقدم او هو حال والمفعول جملة قوله ما يبدل الى اخره اي قدمت اليكم هذا الكلام مقرونا بالوعيد قال في الكشاف فان قلت ان قوله وقد قدمت حال من ضمير لا تختصموا فاجتماعهما في زمان واحد واجب وليس كذلك لان التقدم في الدنيا والاختصام في الاخرة قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الاخرة واقول لا حاجة الى هذا التكلف والسؤال ساقط بعد زنه لان معنى الماضي ثابت في اي حال فرض بعده وقوله لدي اما ان يتعلق بالقول اي ما يبدل القول الذي هو لدي يعني القضاء في جهنم اولا ما لان جهنم او الحكم الازلي بالسعادة والشقاوة واما ان يتعلق بقوله ما يبدل اي لا يقع التبديل عندي في كما مرت ويجوز ان يراد لا يكذب لدي ولا يفترى بين يدي فاني عالم بمن طغى وبمن اطغى ويحتمل ان يراد لا تبديل للكفر بالايمان فان ايمان الياس غير مقبول فقولكم ربنا والكلم لا يفيدكم يوم نقول منصوب بظلام او باذكر قال اهل المعاني سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تقرير المعنى في النفس وقوله هل من مزيد اي من زيادة او هو اسم مفعول كالمبيع لبيان استكثار الداخلين كان من يضرب غيره ضربا مبرحا او شتمه شتما فاحشا يقول له المضروب هل بقي شيء اخر دل عليه قوله سبحانه لاملان جهنم فلا بد ان يحصل الامتلاء فكيف يبقى في جهنم موضع خال حتى تطلب المزيد ويحتمل انها تطلب الزيادة بعد امتلائها غيظا على العصاة وتضييقا للمكان عليهم او لعل هذا الكلام يقع قبل ادخال الكل وفيه لطيفة وهي ان جهنم تغيظ على الكفار فتطلبهم ثم يبقى فيها موضع لعصاة المسلمين فتطلب الامتلاء من الكفار لكيلا ينقص ايمان العاصي حرها فاذا دخل العصاة النار سكن غيظها وسكت غضبها وعند هذا يصح ما ورد في الاخبار ان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار فيها قدمه والمؤمن جبار متكبر على ما سوى الله تعالى ذليل متواضع لدى ربه لا يطيق فيها فوج الا وجب ولا ميلا انتي فتقول قد استحقت لمثلي فيضع تعالى فيها قدمه اي ما قدمه في قوله سبقت رحمتي غضبي اي يضع رحمته فتقول قط قط ويتزوى بعضها الى بعض ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا فيسكنون فضول الجنة قلت لا ريب ان جهنم الحرص والشهوة والغضب لا تقف ولا تسكن ولا تنتهي الى حد معلوم بل تقول دائما بلسان الحال هل من مزيد الا ان يفيض الله سبحانه عليها من سجال هدايته ورحمته فيغلب صاحبها في بحر العرفان وينهى عن طلب الفضول ويقف في حد معين ويقنع باليسير وكذا الترقي في مدارج الكمالات ليس منتهى الا حد معلوم الا اذا استغرق في هنالك ما كان كما قال وازلفت الجنة اي قربت للمتقين يحتمل ان يكون الواو للاستيناف وان يكون للعطف على نقول والمضي لتحقيق الوقوع المستدعي لمزيد المبالغة ولم يكن المتقون مذكورين في الاية المتقدمة فلم يحتج الى تحقيق الانذار وقوله غير بعيد نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد عنهم او على الحال ووجه تذكيره مع تانيث ذي الحال كما تقرر في قوله ان رحمة الله قريب انه على زنة المصادر كالزئير والصليل او هو على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد قال جار الله معناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل وذلك انه يجوز ان يتناول العزيز ذل ما من بعض الوجوه الا ان الغالب عليه العز فاذا قيل عزيز غير ذليل ازيل ذلك الوهم وهكذا في كل تاكيد فمعنى الاية ان الجنة قريب منهم بكل الوجوه وجميع المقايسات وقال اخرون انه صفة مصدر محذوف اي ازلافا غير بعيد عن قدرتنا وذلك ان المكان لا يقرب وانما يقرب منه فذكر الله سبحانه ان ازلاف المكان ليس ببعيد عن قدرتنا بطي المسافة او غير ذلك ويحتمل ان يقال الازلاف بمعنى قرب الحصول كمن يطلب من الملك امرا خطيرا فيقول الملك بعيد عن ذلك او قريب منه ولا ريب ان الجنة بعيدة الحصول للمكلف لولا فضل الله ورحمته ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا بفضل الله فقيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقوله غير بعيد يراد به القرب المكاني كانه تعالى ينقل الجنة من السماء الى الارض فيحصل فيها المؤمن وحاشية لهذا الضعيف وقت كتبة تفسير هذه الاية ان الشيء ربما يقرب من شخص ولكن لا يوهب منه ولا يملكه ولكن لا يكون قريبا منه فذكر الله سبحانه في الاية ان الجنة تقرب لاجل المتقين غير بعيد الحصول لهم بل كما قربت دخلوها وحصلوا فيها لا كما قيل على ان قرب الدار ليس بنافع اذا كان من تهواه ليس بذي عهد وفي المثل البعيد القريب خير من القريب البعيد وذلك لانهم حصلوا استعداد دخول الجنة وهو التقوى بخلاف الفاجر فانه لا ينفع القرب من الجنة لان ملكاته الذميمة تحول بينه وبينها وذلك ان تشبه حالهما بحال الكبريت الحديد والحطب الرطب اذا قربا من الجمر وكذلك ان تعتبر هذه الحالة في الدنيا فان اهل الصلاح وارباب النفوس المطمئنة يقبلون بل يستقبلون كل خير يعرض عليهم واهل الشقاء واصحاب النفوس الامارة يكون حالهم بالعكس يفرون من الخيرات والكمالات ويالفون الشرور واللذات الزائلات ووجه اخر هو ان الجنة قربت لهم حال كون كل واحد منهم غير بعيد عن لقاء الله ورضاه وفيه ان المتقين هم اهل الله وخاصته ليسوا ممن شغلوا بالجنة عن الاستغراق في لجة العرفان بل لهم مع النعيم المقيم لقاء الرب الكريم قوله عز من قائل هذا ما توعدون قال جار الله هي جملة معترضة وقوله لكل اواب حفيظ بدل من قوله للمتقين قلت ويجوز جعله خبرا ثانيا لهذا لم يبعد والمشار اليه الثواب والازلاف والاواب الرجاع الى الله بالاعراض عما سواه والحفيظ الحافظ لحدود الله او للاوقات عمره ولما يجده من المقامات والاحوال فلا ينكفر على عقبه فيصير حينئذ زنديق الطريقة قوله من خشي قد مر وجوه اعرابه في الوقوف وجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب والترحيب وقرن بالخشية اسمه الدال على وفور الرحمة للثناء على الخاشي من جهة الخشية اولا ومن جهة خشيته مع علمه بسعة جوده ورحمته ومن جهة الخشية مع الغيب وقد مر مرارا وقد يقال انها الخشية في الخلوة حيث لا يراه احد قال اهل الاشتقاق ان تركيب خ ش ي يلزمها الهيبة ومنه الشيخ للسيد وكبير السن وتركيب الخوف يدل على الضعف ومنه الخفاء وكل موضع ذكر في الخشية اريد بها معنى عظمة المخشي عنه وكل موضع ذكر فيه الخوف فانه اريد ضعف الخائف كقوله يخافون ربهم من فوقهم او ضعف المخوف منه كقوله لا تخف ولا تحزن يريد انه لا عظمة لهم وقال انا نخاف من ربنا يوما لان عظمة اليوم بالنسبة الى عظمة الله هينة ووصف القلب بالمنيب باعتبار صاحبه او لان الانابة المعتبرة هي الرجوع الى الله بالقلب لا باللسان والجوارح ادخلوها بسلام اي سالمين من الافات او مع سلام من الله وملائكته ذلك اشارة الى قوله يوم نقول اي ذلك اليوم يوم تقدير الخلود في النار او في الجنة

ويجوز

ويجوز ان يكون اشارة الى وقت القول اي حين يقال لهم ادخلوها هو وقت تقدير الخلود في الجنة وهو قوله بعده لهم فيها ما يشاؤن ولدينا مزيد مما لم يخطر بالقلوب اي حين يقال لهم ادخلوها الذي ذكر في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة ويروى ان السحاب تمر باهل الجنة فيمطر عليهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد ثم عاد الى التهديد بوجه اجمل واشمل قائلا وكم اهلكنا الاية ومعنى الفاء في قوله فنقبوا التسبيب عما قبله كقولك هو اقوى من زيد فغلبه اي شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب واورثتهم ذلك وساروا في اقطار الارض وسالوا هل من محيص اي مهرب او من عذاب الله فعلموا ان لا مفر ان في ذلك الذي ذكر من اول السورة الى ههنا او من حديث النار والجنة او من اهلاك الامم الخالية لذكرى لمن كان له قلب واع فان الغافل في حكم عديم القلب والقى السمع للاصغاء الى الكلام وفي قوله وهو شهيد اشارة الى ان مجرد الاصغاء لا يفيد ما لم يكن المصغي حاضرا بفطنته وذهنه وفي الاية ترتيب حسن لانه ان كان ذا قلب ذكي يستخرج المعاني بتدبره وتفكره فذاك والا فلا بد ان يكون مستمعا مصغيا الى كلام المنذر ليحصل له التذكر قال المفسرون زعمت اليهود ان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد والاخر الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فرد الله عليهم بقوله ولقد خلقنا الى قوله وما مسنا من لغوب اي اعياء ثم سلى رسوله فامره بالصبر على اذى الكفار وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى مع كمال قدرته واستغنائه صبر على اذى الجهلة الذين نسبوه الى اللغوب والاحتياج الى الاستراحة فكيف لا يصبر رسوله على ايذاء امته كيف لا يصبر احدنا على اذى امثالنا وخاصة ان كانوا مسلطين علينا اللهم لا تكلنا الى انفسنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا وارفع عنا بقدرتك شر كل ذي شر واغوثاه واغوثاه واغوثاه قد سبق نظير الاية في اخر طه ودلالتها على الصلوات الخمس ظاهرة وادبار السجود اعقاب الصلوات فان السجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة والاظهر انه الادعية والاذكار المشتملة على تنزيه الله وتقديسه وقيل النوافل بعد المكتوبة وعن ابن عباس اي الوتر بعد العشاء ومن قرا بكسر الهمزة اراد انقضاء الصلوة واتمامها وهو مصدر وقع موقع الظرف اي وقت انقضاء السجود كقولك اتيتك خفوق النجم قال اهل النظم ان النبي صلى الله عليه وسلم له شغلان احدهما عبادة الله والثاني هداية الخلق فاذا هداهم فلم يهتدوا قيل له اصبر واقبل على شغلك الاخر وهو العبادة ثم بين غاية التسبيح بقوله واستمع يعني اشتغل بتنزيه الله وانتظر المنادي كقوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ومفعول استمع متروك اي كن مستمعا لما اخبرك به من احوال القيامة ولا تكن مثل هؤلاء المعرضين قال جار الله وفي ترك المفعول وتقديم الامر بالاستماع تعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك وانتصب يوم ينادي بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور والمنادي قيل الله كقوله يوم يناديهم فيقول اين شركائي احشروا الذين ظلموا وازواجهم والاظهر انه اسرافيل صاحب الصيحة ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرئيل ينادي بالحشر والمكان القريب صخرة بيت المقدس يقال انها اقرب الى السماء باثني عشر ميلا وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية وهذا يؤيد القول بان المنادي هو الله لقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد والصيحة النفخة الثانية كما قال ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع وقوله بالحق يتعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء اي بسبب الحق الذي هو البعث ويجوز ان يتعلق بالسماع اي يسمعونها باليقين وقيل الباء للقسم اي والله الحق قوله سراعا حال من المجرور اي تنكشف عنهم مسرعين ذلك التشقق او الحشر علينا يسير لا على غيرنا وهو رد على قولهم ذلك رجع بعيد نحن اعلم بما يقولون اي من المطاعن والانكار وفيه تهديد لهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما انت عليهم بجبار اي مسلط حتى تقسرهم على الايمان وانما انت داع ولعل في تقديم الظرف اشارة الى انه كالمسلط على المؤمنين ولهذا وقع ايمانهم وهذا مما يقوي طرف المجبرة وقيل اراد انك رؤف رحيم بهم لست فظا غليظا والاول اقوى بدليل قوله فذكر الى اخره اي اترك هؤلاء واقبل على دعوة من ينتفع بتذكيرك صدق الله

سورة والذاريات مكية حروفها الف ومائتان وسبعة وثمانون كلمها ثلثمائة وستون اياتها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا ۝ فالحاملات وقرا ۝ فالجاريات يسرا ۝ فالمقسمات امرا ۝ انما توعدون لصادق ۝ وان الدين لواقع ۝ والسماء ذات الحبك ۝ انكم لفي قول مختلف ۝ يؤفك عنه من افك ۝ قتل الخراصون ۝ الذين هم في غمرة ساهون ۝ يسئلون ايان يوم الدين ۝ يوم هم على النار يفتنون ۝ ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ۝ ان المتقين في جنات وعيون ۝ اخذين ما اتيهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ۝ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ۝ وبالاسحار هم يستغفرون ۝ وفي اموالهم حق للسائل

والمحروم ۝ وفي الارض ايات للموقنين ۝ وفي انفسكم افلا تبصرون ۝ وفي السما
رزقكم وما توعدون ۝ فورب السما والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ۝
هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين ۝ اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
قال سلام قوم منكرون ۝ فراغ الى اهله فجا بعجل سمين ۝ فقربه اليهم قال
الا تاكلون ۝ فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ۝ فاقبلت
امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ۝ قالوا كذلك قال ربك
انه هو الحكيم العليم ۝ قال فما خطبكم ايها المرسلون ۝ قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين ۝ لنرسل عليهم حجارة من طين ۝ مسومة عند ربك للمسرفين ۝ فاخرجنا
من كان فيها من المؤمنين ۝ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ۝ وتركنا
فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم ۝ وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان
مبين ۝ فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون ۝ فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم وهو مليم ۝ وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ۝ ما تذر من شي اتت
عليه الا جعلته كالرميم ۝ وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ۝ فعتوا
عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ۝ فما استطاعوا من قيام
وما كانوا منتصرين ۝ وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين ۝
والسما بنيناها بايد وانا لموسعون ۝ والارض فرشناها فنعم الماهدون ۝
ومن كل شي خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ۝ ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ۝
ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين ۝ كذلك ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون ۝ اتواصوا به بل هم قوم طاغون ۝
فتول عنهم فما انت بملوم ۝ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ۝ وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون ۝ ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ۝
ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ۝ فان للذين ظلموا ذنوبا مثل
ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون ۝ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون

القراءة والذاريات ذروا وعاصم التا في الذال حمزة وابو عمرو مثل ما بالضم حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص
الباقون مثل بالفتح على البناء لاضافته الى غير متمكن او على انه لحق حقا مثل نطقكم سلم بكسر السين وسكون اللام حمزة وعلي والمفضل والصعقة

بسكون العين للروعلى وقوم نوح بالجر ابو عمرو وعلي وخلف الوقوف ذروا ۝ لا وقرا ۝ لا يسرا ۝ لا امرا ۝ لا لصادق ۝ لا
لواقع ۝ ط الحبك ۝ لا مختلف ۝ لا افك ۝ ط الخراصون ۝ لا ساهون ۝ لا لان يسئلون صلة بعد صلة الذين ۝ ط بنا على ان ما
يوم منتظر اى يقال لهم ذوقوا ۝ يفتنون ۝ فتنتكم ۝ ط تستعجلون ۝ وعيون ۝ لا ربهم ۝ محسنين ۝ ط يهجعون ۝ يستغفرون ۝
والمحروم ۝ للموقنين ۝ لا للعطف انفسكم ۝ ط تبصرون ۝ توعدون ۝ تنطقون ۝ المكرمين ۝ لان عامل اذ محذوف
وهو اذكر وفصل الا وهم انه ظرف للاتيان سلاما ۝ سلام ۝ لحق الحذف مع اتحاد القائل اى انتم قوم منكرون ۝ سمين ۝ لا
للعطف تاكلون ۝ ز للاية مع العطف خيفة ۝ لا تخف ۝ ط عليم ۝ عقيم ۝ كذلك ۝ للتعلق بما بعده ربك ۝ العليم ۝ الخ
النابع والعشرون المرسلون ۝ مجرمين ۝ لا طين ۝ لا للمسرفين ۝ المؤمنين ۝ للاية مع العطف بالفا والاتصال المعنى
المسلمين كذلك الاليم ۝ لتناهي القصة وحكم العربية الوصل للعطف على قوله وفي الارض ايات مبين ۝ مجنون ۝ مليم
كالرالعقيم ۝ لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال اى غير تاركه كالرميم ۝ ط حين ۝ ينظرون ۝ منتصرين ۝ لا على القراتين
فيما بعده للعطف اى وفي قوم نوح او واخذنا قوم نوح ولو قدر واذكر قوم نوح فالوقف قبل فاسقين ۝ لموسعون ۝ الماهدون ۝
تذكرون ۝ الى الله ج مبين ج للاية مع العطف اخر ط مبين ۝ او مجنون ۝ اتواصوا به ج لان بل للاضراب معنى مع اللفظ
لفظا طاغون ج لعموم الاية مع اتفاق الجملتين المؤمنين ۝ ليعبدون ۝ يطعمون ۝ المتين ۝ يستعجلون ۝ يوعدون ۝
التفسير لما بين في اخر السورة انهم بعد ايراد البراهين الساطعة عليهم مصرون على انكار الحشر ولهذا سلى نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار لم يبق الا توكيد الدعوى بالايمان فلذلك افتتح هذه السورة بذلك عن علي كرم الله وجهه انه قال على المنبر
سلوني قبل ان لا تسئلوني ولن تسئلوا بعدي مثلي فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات قال الرياح وقد مر في قوله تذروه الرياح قال فالحاملات
وقرا قال السحاب لانها تحمل المطر وقرا ما لم يقل اوقارا باعتبار جنس المطر وهو واحد قال فالجاريات يسرا قال الفلك والمراد جريا ذا يسر
قال فالمقسمات امرا قال الملكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم ما مورة بذلك فيكون مصدرا في موضع
الحال ومعنى الفا فيها ظاهر لانه تعالى اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك تجريها بهبوبها كان في البحر او بعده من السحاب فلذلك
اعظم اقسم بالملكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر وقيل ان الاوصاف الاربعة كلها للرياح لانها تذرو التراب وغيره
او لانها تنشئ السحاب وتحمله ولا ريب ان السحاب حمل ثقيل ولا سيما اذا كان فيه مطر ثم تجري اعني الريح في الجو جريا سهلا في نفسها اي لا يصعب عليها
الجري او بالنسبة الينا بخلاف الصرصر والعاصف ونحوها فتبسط السحاب في السما ثم تقسم الامطار في الاقطار بتصريف التي بقدرة وفي
في ذكر هذه الاوصاف لطيفة فان بحسب تمام امكانها لان احوال المكلف ان كان في الارض فتميز الريح جيدها بالذرو وان كانت في الهوا
فتحملها بالنقل وان كانت في البحر فتخرجها في بارشا السحاب منها او الذي قدر على اجزا يسقى في البحر ويقدر على اخراج تلك الاجزا منها الى البر
وبعد ذلك تقسم الملكة ارواح الخلائق على اجسادهم باذن الله تعالى وقيل المقسمات الكواكب السبعة وجواب القسم ان ما توعدون وما
مصدرية او موصولة لصادق في نفسه كما يقال خبر صادق او ذو صدق كعيشة راضية ثم صرح بالموعود فقال وان الدين اي الجزاء لواقع
اي حاصل ومين اقسم على صدق موعوده اقسم على جهلهم وغشاوتهم والحبك الطرائق كطرائق الرمل والما اذا ضربته الريح ويقال
ان خلقة السما كذلك واحدها حباك وقال الحسن حبكها نجومها لانها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها يقال
للثوب الصفيق ما احسن حبكه وعلى القول الاول يكون بين القسم والمقسم عليه مناسبة لان القول المختلف له ايضا طرائق قال الضحاك
قول الكفرة لا يكون مستويا وانما هو متناقض مختلف ولهذا قالوا الرسول ساحر شاعر مجنون والقران مثل ذلك وعن قتادة اراد منكم مصدق ومكذب
ومقر ومنكر والضمير في يؤفك عنه للقران او للنبي اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف بعده ولا نهاية ويمكن ان يقال يصرف
عنه من صرف في سابق علم الله ويجوز ان يكون الضمير للموعود اقسم بالذاريات وغيرها ان وقوعه حق ثم اقسم بالسما انهم مختلفون في وقوعه يؤفك عن الاقرار
به من هو عديم الاستعداد ومغمور في الجهل والعناد وجوز جار الله ان يرجع الضمير الى قول مختلف ويكون عن كما في قوله ينهون عن اكل وشرب اي يتناهون
في السمن بكثرة الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عن الاكل والشرب وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف ثم دعا عليهم بقوله قتل الخراصون
اي الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم المعهودون وانهم فيشتملهم شمولا اوليا ولا يراد به الدعا وتوقع القتل بعينه بل اللعن وما يوجب الهلاك باي
وجه كان وقد لا يراد او الا تقبيح حال المدعو كقوله قتل الانسان ما اكفره والغمرة الماء يغمر الانسان اي انهم في جهل غمرهم غافلون عما امروا به ايان يوم
الدين اي متى وقوعه ثم اجاب بقوله يوم هم اي يقع في ذلك اليوم وهم يفتنون يحرقون ويعذبون ثم زجرهم وتهكم بهم قائلا ذوقوا الى اخره وحين حكى حال
الفاجر الشقي اراد ان يبين حال المؤمن التقي فقال ان المتقين في جنات وعيون اي في جنات فيها عيون حال كونهم اخذين ما اتيهم ربهم قال جار الله قابلين
لكل ما اعطاهم راضين به لا كمن يأخذ شيئا على سخط وكراهية وقال غيره اراد انهم يأخذونه شيئا فشيئا ولا يستوفون ذلك بكماله لامتناع استيفاء ما لا نهاية
له وقيل الاخذ بمعنى التملك يقال بكم اخذت هذا كانهم اشتروا بانفسهم واموالهم قال ان فيض الله تعالى لا ينقطع اصلا وانما يصل الى كل مكلف بقدر ما استعد
فكلما ازدادوا قبولا ازدادوا تاثرا من الفيض والاخذ في هذا المقام لعله اشارة الى كمال قبولهم للفيوض الالهية وذلك لما اسلفوا من حسن العبادة ونور
الطاعة ولهذا علله بقوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي في الدنيا وختم عليهم بعد تعطيع التعلق اثار الاحسان ونتيجة ذوقه ما انهم على المعنى تحقيق الاتمام
شيء نادي وسيق وقال اهل العرفان ما انهم في الازل ياخذون نتائجه في الابد ثم فسر احسانهم بقوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ما صلة اي كانوا يهجعون
في طائفة قليلة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان يكون ما مصدرية او موصولة وارتفاعها مع الفعل على انه فاعل قليلا اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم
او الذي يهجعون فيه وفيه اصناف من المبالغة من جهة لفظ الهجوع وهو النوم اليسير ومن جهة لفظ القلة ومن جهة التقييد بالليل لانه وقت الاستراحة
فقلة النوم فيه اعجب منها في النهار ومن جهة ما المزيدة على قول ولا يجوز ان يكون ما نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وصفهم بانهم يحيون اكثر الليل متهجدين
فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم باتوا في معصية الملك الجبار وهذه سيرة الكريم ياتي بابلغ وجوه الكرم ثم يستقلها ويعتذر واللئيم بالعكس ياتي
باقل شيء ثم يمن به ويستكثره وشأن المطيع ان ياتي بغاية جهده ومن الحكمة ثم ينسب نفسه الى التقصير فيستغفر ويمكن ان يقال انهم يستغفرون من الهجوع
كانهم ارادوا ان يقوموا على احيا الليل كله ويجوز ان يكون الاستغفار بمعنى الصلوة لقوله بعده وفي اموالهم حق فيكون كقوله يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة ووجه اعجب وهو ان يكون المتقين في استغفارهم مشبه في استعمالهم الزرع اي حال ان يحصد فكان وقت السحر هو الاوان لحصول المغفرة

قال جار الله في قوله يستغفرون اشارة الى انهم هم المستغفرون لاحقا بالاستغفار دون المصرين وقيل ابراز الضمير لدفع وهم من يظن ان المقيد
وبالاسحار قليلا يستغفرون على قياس الفعل السابق وحيث ذكر جدهم في التعظيم لامر الله اردفه بذكر شفقتهم على خلق الله والمشهور في الحق انه القدر
الذي علم اخراجه من المال شرعا وهو الزكوة فيشكل انه على هذا لم يكن مدح لان كل مسلم كذلك بل كافر وذلك اذا قلنا انه مخاطب بالفروع الا انه اذا اسلم
سقط عنه واجيب بان السائل من له الطلب شرعا والمحروم من الحرفة وهو الذي منع الطلب مكانه قيل في اموالهم حق للطالب وهو الزكوة ولغير الطالب
وهو الصدقة المستطوع بها التي تتعلق بغرض صاحب المال وافرازه وليس عليه فيها مطالبة ويمكن ان يقال اراد في اموالهم حق في اعتقادهم وسيرتهم كانهم
اوجبوا على انفسهم ان يعطوا من المال حقا معلوما وان لم يوجبه الشرع وفي السائل والمحروم وجوه احدها ما مر الثاني السائل هو الناطق والمحروم كل ذي روح غيره
من الحيوان المحترم كما قال صلى الله عليه وسلم لكل كبد حرى اجر الثالث وهو الاظهر ان السائل هو الذي يستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه
قال صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وتقديم السائل على ترتيب الواقع
لانه يعرف حاله بمقاله فيسد خلته واما المحروم فلا يندفع حاجته الا بعد الاستكشاف والبحث وقيل المحروم الذي لا ينمى له مال وقيل هو المنقوص الحظ الذي لا يكاد
يكسب ثم اكد وقوع الحشر والدلالة على قدرته بقوله وفي الارض ايات كقوله ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الى قوله ان الذي احياها لمحي الموتى
ومن عجائب الارض ما هي في جرمها من الاستدارة والالوان المختلفة وطبقاتها المتباينة ومنها ما هي عليها وفيها من الجبال والمواليد الثلثة ومنها ما هي ذو
عليها من فوقها كالمطر وغيره وخص الايات الارضية بالذكر لقربها من الحواس وخص كونها ايات بالموقنين لانهم هم المنتفعون بذلك ومن لم يتامل
في المصنوعات لم يزد يقينه بالصانع ثم استدل بالانفس فقال وفي انفسكم ايات وذلك ان الانسان عالم صغير فيه ما في العالم الكبير وقد مر تقرير ذلك
مرارا وقيل هي الارواح اي وفي نفوسكم التي هي حياتكم قال اهل النظم هذه الاية موكدة لما قبلها فان من وقف على هذه الايات الباهرة تبين له جلال الله
وعظمته فيتقيه ويعبده ويستغفر من تقصيره ولا يهجع الا قليلا وهكذا امر عرفان رزقه في السماء لم يبخل بماله ويعطيه السائل والمحروم من احسن اذ كان
اوراي الشي قال لاصحابه والله وفي ذكركم يعني المطر وقيل هو مقدر بخطاياكم وما توعدون هي الجنة فوق السماء السابعة وتحت العرش وقيل ان رزقكم
في الدنيا وما توعدون في العقبى كلها مقدرة مكتوبة في السماء ثم استنتج من الاخبار السابقة من اول السورة الى هنا حقيقة القران والنبي والموعود واقسم
عليه برب السماء والارض ترقيا من الادنى وهي المربوب كالذاريات وغيرها الى الرب تعالى وما مزيدة وبنى الخليل مثل كذا جار الله يقال في الامر الظاهر
غاية الظهور ان هذا الحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك ههنا قال الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال ممن الرجل قلت
من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك
فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على الناس وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق
فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الاية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرات فورب
السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاوه الى اليمين قالها ثلثا وخرجت معها نفسه
ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقصة ابراهيم وغيرها وقد مرت في هود والحجر وفي قوله هل اتيك تفخيم شان الحديث والضيف واحد وجمع والمكرمون
اما باعتبار اكرامه اياهم حتى خدمهم بنفسه وبامراته او لانهم اهل الاكرام عند الله كقوله بل عباد مكرمون وجوز ان يكون نصبا اذ دخلوا بالمكرمين واذ متعلق
باكرام ابراهيم او بما في ضيف من معنى الفعل قال المفسرون انكرهم السلام الذي هو علم الاسلام واراد تعرف حالهم لانهم لم يكونوا من معارفه فراغ الى اهله
فذهب اليهم في خفية من ضيوفه وهو نوع ادب للمضيف كيلا يستحيوا منه ولا يبادروا بالاعتذار والمنع من الضيافة وفي قوله فقربه اليهم دلالة على ان نقل الطعام
الى الضيف اولى من العكس لئلا يتشوش المكان عليهم قال الا تاكلون مسلك لطريقة الاستئناف ولهذا حذف الفا خلاف ما في الصافات وقد مر ان الاستفهام
للانكار ترك الاكل او للحث عليه فاوجس فاضمر وقد تقدم سائر الكلمات في هود وفي الصافات وقد علم انه سبحانه ذكر في هود انه لما راى ايديهم لا تصل
اليه نكرهم وقال ههنا سلام قوم منكرون فلا تنافي بين الحديثين لانه انكرهم اولا بالسلام الذي لم يكن من عادة تلك الشريعة ثم زاد انكاره حين
هم لا ياكلون الطعام فذكر احد الانكارين في تلك السورة والاخر في هذه قوله فاقبلت امراته في صرة اي في صيحة ومنه صرير القلم قال الحسن كانت
في زاوية تنظر اليهم فوجدت حرارة الدم فاقبلت الى بيتها صادة فلطمت في وجهها من الحياء والتعجب كعادة النسوان وقالت انا عجوز فاجابت الملئكة
كذلك اي مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك فلا تستبعدي وروي ان جبريل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا اجذوعه مورقة
مثمرة وحين احس ابراهيم صلوات الرحمن عليه بانهم ملئكة قال فما خطبكم شانكم وطلبكم فاجابوا بانهم ارسلوا الى قوم لوط ليرسلوا عليهم الحجارة كما قصصنا
في هود والضمير في قوله فيها للقرية وان لم يجر لها ذكر لانه معلوم قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان الايمان والاسلام واحد وقال غيرهم
المسلم اعم من المؤمنين واطلاق العام على الخاص مما لا منع فيه فلا يدل على اتحادهما وهذا كقول القائل من في البيت من الناس فيقول له ما
في البيت من الحيوانات احد غير زيد فيكون مخبرا بخلو البيت عن كل انسان غير زيد قوله وتركنا فيها اية كقوله في العنكبوت ولقد تركنا منها
اية بينة اي علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم وهي الحجارة المسومة او ماء اسود قوله وفي موسى قيل الاقرب ان يكون معطوفا على قوله وتركنا
فيها اي وجعلنا في موسى اية قال جار الله هو كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا ويمكن ان يقال ان قصة موسى ايضا اية متروكة باقية على وجه الدهر فلا حاجة
الى هذا التكلف قوله فتولى بركنه كقوله ونأى بجانبه وقيل الباء للمصاحبة والركن القوم اي فازور واعرض مع ما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقيل
بركنه بهامان وزيره قال العلماء وصف فرعون بالمليم مع انه وصف يونس النبي به كما مر في الصافات لا يوجب اشتراكهما في استحقاق الملام لان موجبات
اللوم مختلف فزلة الكبير تعظيم على قدرها ومقترف الصغيرة ملوم بحسبها والعقيم ريح لا خير فيها من انشاء مطر والقاح شجر والرميم
ما رم وتفتت قال في الكشاف تمتعوا حتى حين تفسيره في قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام قلت هذا سهو منه فان قوله فعتوا عن امر ربهم لا يطابقه
اذ العتو لم يترتب على هذا الامر لحصوله قبله وانما الصواب ان يكون التمتع المامور به في هذا الامر تكليف لا تكوين فعتوا عن امر ربهم بالاصرار
على كفرهم فقيل على سبيل التكوين تمتعوا في داركم ثلثة ايام وكان ذلك علامة العذاب والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون اي كانت بها جهارا
او كانوا منتظرين لها اذ قيل لهم تمتعوا في داركم ثلثة ايام فما استطاعوا من قيام عبارة عن جثومهم كما مر مرارا وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب وقصة
نوح واضحة وقد مر اعرابه في او توقف ثم عاد الى دلائل القدرة فقال والسماء بنيناها وفي لفظ البناء اشارة الى كونها محكمة البنيان وفي قوله بايد اي
بقوة تاكيد لذلك وفي قوله وانا لموسعون مزيد تاكيد والمعنى لقادرون من الوسع الطاقة والموسع القوي على الانفاق وعنه قال الحسن انا
لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بين السموات والارض سعة وانما اطلق الفرش على الارض ولم يطلق البناء لانها محل التغيرات كالبساط

بورث ويبلى ومن كل شي من الحيوانات خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعدد الحسن اشيا كالسماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر
والموت والحيوة وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له وقد مر في الحشد ان الاية اشارة الى ان كل ما سوى الله تعالى فانه
مركب نوع تركيب لا اقل من الوجود والامكان او الجنس والفصل او المادة والصورة ولذلك قال لعلكم تذكرون اي ارادة ان تتذكروا ترقيكم
من المركب الى البسيط ومن الممكن الى الواجب ومن المصنوع الى الصانع واذا عرفتم الله ففروا اليه اي التجئوا اليه ولا تعبدوا غيره ام
بالاقبال عليه وبالاعراض عما سواه وكرر قوله اني لكم منه نذير مبين للتاكيد وبعد توضيح البيانات وذكر القصص وتقرير الدلائل سلى
رسول الله صلى الله عليه بقوله كذلك اي الامر مثل الذي تقرر من تكذيب الرسل واصرار الكفر على الانكار والسبب ثم فسر ما اجمله بقوله
ما اتى الى اخره وقوله اتواصوا به استفهام على سبيل التعجب من تطابق الامم على تكذيب انبيائهم ثم اضرب عن ذلك لان تطابق
المتقدم والمتاخر على امر واحد غير ممكن فنبه على جلية الحال فقال بل هم قوم طاغون يعني ان اشتراك علة التكذيب وهو الطغيان اشركهم
في المعلول فتول عنهم بعد التبليغ فما انت بملوم على الاعراض عنهم لانك قد بذلت مجهودك واستفرغت وسعك وذكر مع ذلك
فان الذكرى تنفع المؤمنين اراد ان الاعراض عن طائفة معلومة لعدم قابليتهم لا يوجب ترك الدعوة العامة ثم بين الغاية من خلق
الثقلين وهي العبادة وللمعتزلة فيه دليل ظاهر على ان افعال الله معللة بالغرض واول بعض اهل السنة العبادة بالمعرفة والاخلاص
له في ذلك فان المعرفة ايضا غاية صحيحة وانما الخلاص عن الاشكال بما سلف لنا مرارا ان استتباع الغاية لا يوجب كون الفعل معللا بها
واذا لم يكن الفعل معللا بذلك فقد يكون الفعل وتخلف الغاية لمانع كعدم قابلية ونحوه ثم ذكر انه غني عنهم لا يرجو عليه لا يربح هو عليهم
والمتين الشديد القوة ثم هدد مشركي مكة واضرابهم بقوله فان للذين ظلموا ذنوبا اي انصبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم
المهلكين والذنوب في الاصل الدلو العظيمة قال البيان هذا تمثيل واصله من تقسيم الماء يكون لهذا دلو ولهذا دلو واليوم الموعود القيامة
او يوم بدر

سورة الطور مكية حروفها الف وخمسمائة كلمها ثلثمائة واثنا عشرة اياتها تسع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع
والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع يوم تمور السما
مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم
في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار
التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها
فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون
ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما اتيهم ربهم ووقيهم ربهم
عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين
على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعتهم
ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شي كل امرئ
بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم ويطوف عليهم غلمان
لهم كانهم لؤلؤ مكنون واقبل بعضهم على بعض يتسالون قالوا
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقينا عذاب السموم

انا كنا ندعوه من قبل انه هو البر الرحيم ۞ فذكر فما انت بنعمة ربك
بكاهن ولا مجنون ۞ ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ۞
قل تربصوا فانى معكم من المتربصين ۞ ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم
طاغون ۞ ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون ۞ فلياتوا بحديث مثله ان
كانوا صادقين ۞ ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون ۞ ام خلقوا
السموات والارض بل لا يوقنون ۞ ام عندهم خزائن ربك ام هم المصيطرون
۞ ام لهم سلم يستمعون فيه فليات مستمعهم بسلطان مبين ۞ ام له
البنات ولكم البنون ۞ ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
۞ ام عندهم الغيب فهم يكتبون ۞ ام يريدون كيدا فالذين كفروا
هم المكيدون ۞ ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون ۞ وان
يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم ۞ فذرهم حتى
يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ۞ يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا
ولا هم ينصرون ۞ وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن
اكثرهم لا يعلمون ۞ واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح
بحمد ربك حين تقوم ۞ ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ۞

القراءات: فكهين مقصورا يزيد واتبعناهم من باب الافعال ابو عمرو ذريتهم على التوحيد مرفوعا ذرياتهم على الجمع ابو جعفر ونافع وقرا ابو عمرو وعلى الجمع فيهما منصوبا وعامر وسهل ويعقوب على الجمع ايضا ولكن برفع الاول الباقون على التوحيد فيهما الاول مرفوعا والثانى منصوبا التناهم بكسر اللام ابو كثير لو بتليين الهمزة الاولى شجاع ويزيد وابو بكر وحماد وحمزة فى الوقف كما مر انه هو البر بفتح الهمزة ابو جعفر ونافع وعلى كسا ندعوه لانه بالمصيطرون بالسين ابن كثير فى رواية وابن عامر الاخرون بالصاد وحمزة فى رواية باشمام الزاى يصعقون مبنيا للمفعول ابن عامر وعاصم وادبار النجوم بالفتح زيد عن يعقوب الوقوف والطور لا مسطور لا منشور لا المعمور لا المرفوع لا المسجور لا لواقع لا من دافع لا مورا لا سيرا ط للمكذبين لا يلعبون م دعا ط لان التقدير فيقال لهم هذه النار تكذبون لا تبصرون لا تصبروا ج لاختلاف الجملتين مع اتفاق المعنى عليكم ط تعملون ونعيم لا اتيهم ربهم ج لاحتمال العطف وايضاح وجه الحال اى وقد اتاهم الجحيم تعملون لا مصفوفة ج عين ونحى لا رهين يشتهون ولا تاثيم مكنون يتساءلون مشفقين السموم ندعوه ط لمن قرا انه بالكسر الرحيم مجنون ط لان ام ابتداء الاستفهام توبيخ المنون المتربصين ط لما قلنا طاغون ج لاحتمال ابتداء الاستفهام والجواب بقوله بل لا يؤمنون ج للاية مع الفاء صادقين ط الخالقون ط والارض ج لان بل للاضراب مع العطف لا يوقنون المصيطرون ط فيه ج لتناهى الاستفهام مع فاء التعقيب مبين ط البنون ط مثقلون يكتبون ط كيدا ط المكيدون والضابط فيما تقدم ان كل ما وصل ام وهو للجواب وما قطع فهو بمعنى الالف الاستفهام غير الله ط يشركون مركوم يصعقون لا لان يوم بدل مما تقدم ينصرون ط لا يعلمون تقوم لا النجوم

التفسير لما ختم السورة المتقدمة بوقوع اليوم الموعود اقسم ذلك بالطور وهو الجبل الذى مر ذكره مرارا وقصة موسى والكتاب المسطور التورية ظاهر الاية هو المناسب للطور وقيل اللوح المحفوظ وقيل صحيفة الاعمال والرق الصحيفة او الجلد الذى يكتب عليه والمنشور خلاف المطوى كقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو القران ونكرلانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب والبيت المعمور الكعبة اذ الضراح فى السماء الثالثة سمى معمورا لكثرة زواره من الحجاج او الملائكة والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملو والموقد من قوله واذا البحار سجرت

وقد سبق فى المؤمن فى قوله ثم فى النار يسجرون عن جبير بن مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه فى الاسارى فالفيته فى صلوة الفجر يقرا سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب يوم تمور تضطرب وتجئ وتذهب وقد يقال المور تحرك فى تموج كحركة الزيبق ونحوه قلت لاهل التاويل ان يقولوا الطور القوة العقلية وكتاب مسطور هى الجلايا القدسية والمعارف الالهية الثابتة فيها كالحرف والرق والبيت المعمور بيت القلب والسقف المرفوع الراس والبحر المسجور الدماغ المملو من الخيالات والاوهام ان عذاب ربك بالحرمان عن الانوار الاكرام لاز وحام ظلم الاثام لواقع يوم القيمة الصغرى او تمور سماء الارواح حين قطع العلايق وحيلولة العوايق مورا وتسير جبال النفوس الحيوانية الامارة التى قد انقلبت ظهرها جهالا لا تناهيها وانعقفا وسلطانها سيرا والدع الدفع العنيف قال المفسرون ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزجا فى اقفيتهم والاستفهام فى قوله افسحر للتقريع والتهكم والفاء كدلالة اى كنتم تقولون للوحى انه سحر افهذا ايضا سحر ام انتم لا تبصرون وهذا تهكم لهم فى الاخرة كما كنتم لا تصدقون الخبر عنه فى الدنيا وقوله فاصبروا او لا تصبروا كقوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ثم علل الاستواء بقوله انما تجزون يعنى ان الجزاء لا بد من حصوله فلا مزية للصبر على عدمه قوله ووقاهم معطوف على متعلق قوله فى جنات اى استقروا فى جنات ونعيم ووقاهم العذاب وجوزان يعطف على اتاهم على ان ما مصدرية اى فاكهين بالاتيان والوقاية كلوا على ارادة القول اى يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا لا تنغيص فيه وقد مر فى اول النساء وجوز جار الله ان يكون صفة على معنى المصدر القائم مقام الفعل اى هناكم الاكل والشرب بسبب ما عملتم او الباء مزيدة اى هناكم جزاء ما عملتم قوله والذين امنوا ظاهره انه مبتدا خبره الحقنا وقال جار الله هو معطوف على حور عين اى قرناهم بحور والذين امنوا اى رفقائهم واتبعناهم ذرياتهم كى يجتمع لهم انواع السرور بملاعبة الحور وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم وقوله بالايمان اى لتقصير بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستحقونها تفضلا واحسانا ثم بين ان الجزاء لما روى مرفوعا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقربهم عينه بعد الصلة ونقصان ثم قال وما التناهم اى وما نقصنا من ثوابهم شيئا لعله الاباء ولا بسبب غيرها ذلك وقرئ عليهم جميع ما ذكرنا تفضلا واحسانا ثم بين ان الجزاء بمقدار العمل فقال كل امرئ بما كسب رهين اى مرهون قال جار الله كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها وقيل هذا يعود الى الكفار والرهين المرهون الى حوز المجلس على امر يودى عنه وقيل بمعنى راهن وهو المقيم اى كل انسان مقيم فى جزاء ما تقدم وامددناهم وزدناهم وقتا بعد وقت يتنازعون يتعاطون هم وقرناهم لا لغو فيها اى لا حديث باطل فى اثناء شربها ونفى اللغو لانتفاء العقل الذى هو من تعاطيه ولا تاثيم اى لا يفعلون ما يحسب صاحبه الى الاثم لو فعله فى دار التكليف وانما يتكلمون بالكلام الحسن لعينه وذلك انهم حكماء وعلماء والغلمان الخدام المختصون بهم واللؤلؤ المكنون المستور فى الصدف لانه اصفى وارطب واثمن وقيل بقيت ذوى الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك قوله يتساءلون مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله وعذاب السموم عذاب النار لانها تدخل المسام ومنه الريح السموم من قبل اى فى الدنيا فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير والدعوة العامة فما انت بنعمة ربك اى بحمد الله وانعامه عليك بكاهن كما يزعمون ولا مجنون فلعله كان منهم فى رسول الله اقوال فبعضهم حسبه الى الكهانة نظرا الى اخباره عن المغيبات وبعضهم يرونه بالجنون حيث لا يسمعون منه ما يوافق هواهم وبعضهم يرون ان تاثير كلامه فيهم من باب التخييل فلا اعجاز كما قال ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويزعجها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سمى شعوب وخلاف قالوا ننتظر به نوايب الزمان فيهلك كما هلك الشعراء قبله والاحلام العقول وكانت قريش يدعون اهل النهى والاحلام وكون الاحلام امرة مجاز لا وانها الى تلك الاقوال الفاسدة وفيه تقريع وتوبيخ اذ لو كان لهم عقل يميزوا بين الحق والباطل والمعجز وغيره لم يقولوا اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون جحودا وعنادا وقد صح عندهم اعجاز القران والا فليأتوا بحديث مثله ثم وجههم على انكار الصانع بقوله ام خلقوا من غير شئ من غير خالق ام هم الخالقون انفسهم وقيل خلقوا من اجل لا شئ من جزاء وحساب والاول اقوى كقوله ام خلقوا السموات والارض احتج عليهم بالانفس ثم بالافاق ثم قال بل لا يوقنون وذلك انه حكى عنهم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبين انهم فى هذا الاعتراف شاكون اذ لو عرفوه حق معرفته لم يتخذوا له ندا ولم يختاروا الارباب فكما رد عليهم بقوله ام عندهم خزائن ربك حتى يختاروا النبوة من ارادوه ام هم المصيطرون المسلطون الغالبون حتى يديروا امر العالم على حسب مشيتهم ام لهم سلم يستمعون الوحى صاعدين فيه الى السماء عالمين بالحق والمبطل ومن له العاقبة والمغرم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه ام عندهم الغيب المحفوظ فى اللوح فهم يكتبون ما فيه من احوال المبداء والنبوة والمعاد ويحكمون بحسبها ام يريدون كيدا وهو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وفى غيرها والذين كفروا واللام لهؤلاء او للجنس فيشملهم هم المكيدون المغلوبون الذين يعود وبال الكيد عليهم فقتلوا ببدر واظهر الله دين الاسلام ثم صرح بالمقصود الكلى فوبخهم على الشرك ونزه نفسه عن ذلك ثم اجاب عن بعض معجزاتهم وهو قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا والمراد انهم لفرط عنادهم لا يفيد معهم شئ من الدلائل فلو اسقطنا عليهم قطعة من السماء لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض ومعنى يصعقون يموتون وذلك عند النفخة الاولى قوله عذابا دون ذلك اى قبل يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر واصبر لحكم ربك باهمالهم وبتبليغ الرسالة فانك محفوظ باعيننا وهو مجاز عن الكلاءة التامة والجمع للتعظيم والمبالغة وحين تقوم اى من اى مكان قمت او من منامك وادبار النجوم بالكسر عند بها اخر الليل وهو بالحقيقة تلاشى نورها فى ضوء الصبح وبالفتح اعقابها والمعنى مثل ما قلنا وقيل التسبيح التهجد ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر امره بالاقبال على طاعته بعد الفراغ عن دعوة الامة فليس له شان الا هذين.

سورة النجم مكية حروفها الف واربعمائة وخمسة كلماتها ثلثمائة وستون ايٰاتها اثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ۝ ما ضل صاحبكم وما غوى
وما ينطق عن الهوى ۝ ان هو الا وحي يوحى ۝ علمه شديد القوى ۝ ذو مرة
فاستوى ۝ وهو بالافق الاعلى ۝ ثم دنى فتدلى ۝ فكان قاب قوسين
او ادنى ۝ فاوحى الى عبده ما اوحى ۝ ما كذب الفؤاد ما راى ۝ افتمارونه
على ما يرى ۝ ولقد راه نزلة اخرى ۝ عند سدرة المنتهى ۝ عندها
جنة المأوى ۝ اذ يغشى السدرة ما يغشى ۝ ما زاغ البصر وما طغى ۝
لقد راى من ايات ربه الكبرى ۝ افرايتم اللات والعزى ۝ ومنوة
الثالثة الاخرى ۝ الكم الذكر وله الانثى ۝ تلك اذا قسمة ضيزى ۝
ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ۝ ولقد جاءهم من ربهم الهدى
۝ ام للانسان ما تمنى ۝ فلله الاخرة والاولى ۝ وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ۝ ان الذين
لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملئكة تسمية الانثى ۝ وما لهم به من علم ان يتبعون
الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ۝ فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا ۝ ذلك مبلغهم من العلم ۝ ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ۝ ولله ما في السموات وما في الارض
ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ۝ الذين
يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ۝ ان ربك واسع المغفرة
هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا
۝ انفسكم هو اعلم بمن اتقى ۝ افرايت الذي تولى ۝ واعطى قليلا واكدى
اعنده علم الغيب فهو يرى ۝ ام لم ينبا بما في صحف موسى ۝ وابرهيم
الذي وفى ۝ الا تزر وازرة وزر اخرى ۝ وان ليس للانسان
الا ما سعى ۝ وان سعيه سوف يرى ۝ ثم يجزيه الجزاء الاوفى ۝

وان

وان الى ربك المنتهى ۝ وانه هو اضحك وابكى ۝ وانه هو امات واحيا
وانه خلق الزوجين الذكر والانثى ۝ من نطفة اذا تمنى ۝ وان عليه النشاة
الاخرى ۝ وانه هو اغنى واقنى ۝ وانه هو رب الشعرى ۝ وانه اهلك
عادا الاولى ۝ وثمود فما ابقى ۝ وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم ۝
واطغى ۝ والمؤتفكة اهوى ۝ فغشيها ما غشى ۝ فباي الاء ربك تتمارى
هذا نذير من النذر الاولى ۝ ازفت الازفة ۝ ليس لها من دون الله كاشفة
افمن هذا الحديث تعجبون ۝ وتضحكون ولا تبكون ۝ وانتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا

القراءة هوى وسائر اياتها بالامالة اللطيفة ابو جعفر ونافع وابو عمرو وقرا حمزة وعلي وخلف بالامالة المفرطة كما سبق في طه ما كذب بالتشديد يزيد وهشام ما زاغ البصر بالامالة حمزة ونصير ومناة بالمد ابن كثير والسمرقي افترونه ثلاثيا يعقوب وحمزة وعلي وخلف ضيزى بالهمز ابن كثير في رواية كبائر الاثم على التوحيد حمزة وعلي وخلف والمفضل ابراهام هشام عاد الولى مدغما غير مهموز ابو عمرو ويزيد ويعقوب والبخاري عن ورش وقرا اسمعيل والاصبهاني عن ورش وابو نشيط عن قالون باظهار الغنة غير مهموز ولذلك روي عن ابي عمرو فعلى مذهبهم اذا وقف القارئ على عادا يبتدي لولى ولا شاء اولى بتخفيف الهمزة احسن وقرا قالون غير ابي نشيط بالهمزة واظهار الغنة واذا وقف على عادا يبتدي بولا وان شاء الولى والباقون عادا الاولى بالالف قبل اللام وبعد اللام في الحالين وثمودا في الحالين بغير تنوين حمزة وعاصم غير ابن غالب والبرجمي والمفضل وسهل ويعقوب ربك تمارى بتشديد التاء رويس عن يعقوب الوقوف هوى ۝ لا غوى ج للاية مع العطف على جواب القسم الهوى ۝ لا يوحى ۝ لا القوى ۝ لا لان ذو مرة ط لتمام الصفة فاستوى ۝ لا لان الواو للحال الاعلى ۝ ط فتدلى ۝ لا لان ما بعده من تمام المقصود او ادنى ۝ ج وان اتفقت الجملتان لان ضمير فاوحى لله للنبي ما اوحى ۝ ط ما راى ۝ يرى ۝ اخرى ۝ لا المنتهى ۝ المأوى ۝ ط لان عامل اذ ما زاغ البصر فلا وقف على ما يغشى ۝ لا طغى ۝ الكبرى ۝ والعزى ۝ لا الاخرى ۝ الانثى ۝ ضيزى ۝ سلطان ط الانفس ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف الهدى ۝ ط لان ام ابتداء الاستفهام انكار ما تمنى ۝ ز لتناهي الاستفهام والوصل اولى للفاء واتصال المعنى والاولى ۝ ويرضى ۝ الانثى ۝ علم ط الا الظن ج لاختلاف الجملتين شيئا ط ذلك الدنيا ۝ من العلم ط اهتدى ۝ والارض لا الحسنى ج لان الذين يصلح خبر مبتدا او بدلا من الذين احسنوا اللمم المغفرة ط امهاتكم ط انفسكم ج اتقى ط تولى ۝ واكدى ۝ لا يرى ۝ موسى ۝ وفى ۝ لا اخرى ۝ لا سعى ۝ لا يرى لوقوع المعارض بين المعطوف عليه الاوفى ۝ لا المنتهى ۝ لا وابكى ۝ لا واحيا ۝ لا الانثى ۝ تمنى ۝ ص لمام الاخرى ۝ لا واقنى ۝ لا الشعرى ۝ لا الاولى ۝ لا ابقى ۝ لا قبل ط واطغى ۝ ط لان المؤتفكة منصوب بما بعده اهوى ۝ لا ما غشى ۝ ج لابتداء الاستفهام مع الفاء تتمارى ۝ الاولى ۝ الازفة ج لاستيناف والحال كاشفة ۝ تعجبون ۝ لا ولا تبكون ۝ لا سامدون ۝ واعبدوا ۝ سجدة التفسير لما ختم السورة المتقدمة بالنجوم خص الاقسام في اول هذه السورة بالنجم واللام فيه للعهد او للجنس والاول قول من قال انه الثريا وهو اسم غالب لها وصورتها في السماء كعنقود عنب واظهر كواكبها سبعة وهي المنزل الثالث من منازل القمر قال اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وذلك ان الشمس تكون في اول العقرب حينئذ في مقابلتها فتطلع بغروبها وعلى الثاني فيه وجوه احدها نجوم السماء وهويها غروبها وفائدة هذا القيد ان النجم اذا كان في وسط السماء لم يهتد به الساري لانه لا يعلم المغرب من المشرق والجنوب من الشمال فاذا مال الى الافق عرف به هذه الجهات والميل الى افق المغرب اولى بالذكر لان الناظر اليه حينئذ يستدل بغروبها على افولها في حيز الامكان فيتم له ابتداء الدين مع ابتداء الدنيا وقيل هويها انتثارها يوم القيمة وثانيها النجم هو الذي يرجم به الشياطين وهويها انقضاضها وثالثها النجم النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وهو غاية نشوه ورابعها النجم احد نجوم القران وقد نزل منجما في عشرين سنة فيكون كقوله والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم وعلى الاقوال الاخر فالثريا اظهر النجوم عند الناظرين واشهر المنازل للسائرين وانها تطلع عند ادراك الثمار والنبي صلى الله عليه وسلم تميز من سائر الانبياء بالمعجزات الباهرات ولا سيما القران وانه حين ظهر زال عن الشكوك وحرارة الحمية الجاهلية وادركت ثمار الحكمة ورجم به شياطين الانس المضلون لعباد الله في ارضه وهو وقت لوجود اصناف الاغذية الروحانية تامة كاملة قال جار الله الضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد والخطاب لقريش قلت هذا صادق من حيث الاستعمال لقوله قد تبين الرشد من الغي من يضلل الله فلا هادي له الا انه ينبغي ان تبين الفرق بين الضلال والغواية والظاهر ان الضلال اعم وهو ان لا يجد السالك الى مقصوده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له الى المقصد طريق مستقيم ولهذا لا يقال للمؤمن انه ضال او غير مهتد ويقال له انه غوى غير رشيد قال عز من قائل فان انستم منهم رشدا وكانه سبحانه نفى الاعم اولا ثم نفى الاخص ليفيد انه على الجادة غير منحرف عنها اصلا ويحتمل ان يكون قوله ما ضل نفيا لقولهم هو كاهن او مجنون لان الكهانة ايضا من مس الجن وقوله وما غوى نفيا لقولهم

بوشاعر والشعراء يتبعهم الغاوون ويحتمل ان يكون الاول عبارة عن صلاحه في امور المعاد والثاني اشارة الى رشده في امور
المعاش ومنه يعلم ان اقواله كلها على سنن الصواب الا انه كان يمكن ان يكون مستنبطة من العقل والعرف او العادة فاسنده الى الله
سبحانه الى طريق احق واشرف وهو ان يكون مستندا الى الوحي فقال بصيغة تفيد الاستمرار وما ينطق عن الهوى اي ليس كل ما ينطق
ولا بعضه بصادر عن الراي والتشهي انما هو وحي يوحى اليه من الله واستدل به بعض من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام واجيب بان الله
تعالى اذا سوغ له الاجتهاد كان ذلك من قبيل الوحي ايضا واما من خص النطق بالقران فلا اعتراض عليه قال اهل اللغة الهوى المحبة النفسانية
والتركيب يدل على النزول والسقوط ومنه الهاوية ومحبة النفس للامر لا اصل لها ولا تصدر الا عن خسة ودناءة وقوله ان هو الا وحي
ابلغ مما قيل هو وحي وهو ظاهر وقوله يوحى لتحقيق الحقيقة كقوله ولا طائر يطير بجناحيه فان الفرس اذا اشتد العدو ربما يقال انه طائر فاذا قيل
يطير بجناحيه زال جواز ذلك المجاز فكذلك ربما يقال للكلام الصادق الفصيح هو وحي او سحر حلال فلما قيل يوحى اندفع التجوز ثم بين
طريق الوحي بقوله علمه اي الموحى او محمدا شديد القوى وهو جبريل او قواه العلمية والعملية كلها شديدة مدح المعلم ليلزم منه فضيلة المتعلم
ولو قال علمه جبريل لم يفهم منه فضل المتعلم ظاهرا وفيه رد على من زعم انه يعلمه بشر لان الانسان خلق ضعيفا وما اوتي من العلم الا قليلا
وفيه ان جبريل امين موثوق به من حيث قوته المدركة والحافظة ولو كان مختل الذهن او الحفظ لم يوثق بروايته وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم كيلا يضيق صدره حين علم بواسطة الملك وكانه قيل له ليس لك في ذلك نقص لانه شديد القوى على انه قال في موضع اخر
وعلمك ما لم تكن تعلم واخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال ادبني ربي فاحسن تاديبي والمرة القوة والشدة والظاهر انها القوة الجسمانية
كقوله وزاده بسطة في العلم والجسم ومن قوته انه قلع قريات قوم لوط وقلبها بجناحه وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان
ينزل الى الانبياء ويصعد في لمحة ويجوز ان يراد بقوله شديد القوى قواه الجسمية وبقوله ذو مرة القوى العقلية والتنكير للتعظيم
قوله فاستوى المشهور ان فاعله جبريل اي فاستقام على صورته الحقيقية دون صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى اي الاشرف وهو المشرق ثم دنا جبريل من الرسول صلى الله عليه
وسلم على الصورة المعتادة فتدلى قيل فيه تقديم وتاخير اي فتعلق عليه في الهوى ثم دنا منه وقيل دنا اي قصد القرب من محمد
وتحرك من المكان الذي كان فيه فنزل الى النبي يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وقد يقال الدنو والتدلي بمعنى واحد
فلا يفيد الا التاكيد ثم زاد تاكيدا بقوله فكان قاب قوسين قال اهل العربية هو من باب حذف المضافات اي فكان مقدار مسافة
قرب جبريل مثل قاب قوسين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس كلها المقدار والعرب تقدر الاشياء بالقوس والرمح
والسوط والذراع والباع وغيرها وفي الحديث لا صلوة الا ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وقال صلى الله عليه وسلم لقاب قوس
احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وقوله او ادنى اي في تقديركم كقوله مائة الف او يزيدون وقال
بعضهم الضمير في فاستوى لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان تعليم جبريل اياه كان قبل كماله واستوائه فحين تكامل قواه النظرية
والعملية وصار بالافق الاعلى اي بالرتبة العليا من المراتب الانسانية دنا من الامة فتدلى اي كالمتعلق بهم ورفق بهم حتى قال انما انا
بشر مثلكم يوحى الي فكان الفرق بينه وبين جبريل قليلا جدا وعلى هذا يمكن ان يكون الرجحان في الكمال للنبي صلى الله عليه وسلم كما يقوله
اكثر اهل السنة او بالعكس كما يزعم طائفة منهم ومن غيرهم ويحتمل على هذا القول ان يكون الضمير في دنا لجبريل والمراد ان النبي صلى الله
عليه وسلم وان زال عن الصفات البشرية من الشهوة والغضب والجهل وبلغ الافق الاعلى الا انه في طرف لم يزل عنه وكذلك
جبريل وان ترك اللطافة المانعة من الرؤية ونزل الى الافق الادنى من الافاق الملكية ولكن لم يخرج عن كونه ملكا فلم يبق بينهما
الا اختلاف حقيقتيهما وقد يجعل ذكر القوس عبارة عن معنى اخر وهو ان العرب كانوا اذا عاهدوا فيما بينهم طرحوا قوسا او قوسين
لتاكيد العهد بين اثنين فاخبر الله سبحانه انه كان بين جبريل ومحمد عليهما السلام من المحبة وقرب المنزلة مثل ما تعرفونه فيما بينكم
عند المعاقدة وقيل الضمير لمحمد او لله والمراد قرب المكان بينهما وهذا يشبه مذهب المجسمة الا ان يقال دنا دنو زلفة لا دنو [illegible]
دنا دنو كرامة لا دنو اجسام دنا دنو انس لا دنو نفس والقوسان احدهما صفة الحدوث والاخرى صفة القدم اخبر بالقرب
اكراما والكتم الاسرار اعظاما قوله فاوحى الى عبده ما اوحى الضمير في الفعلين اما لله او لجبريل والمراد بالعبد اما محمد او جبريل
فيحصل تقديرات احدها فاوحى الله الى محمد عبده ما اوحى وفيه تفخيم شان الوحي وقيل اوحى اليه الصلوة وقيل اوحى الله
ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها وعلى الامم حتى يدخلها امتك والظاهر انها اسرار وحقائق ومعارف لا يعلمها الا الله
ورسوله ثانيها فاوحى الى محمد ما اوحى اليه اولا جبريل يعني ان الوحي كان ينزل عليه اولا بواسطة جبريل وقد ارتفعت الان
تلك الواسطة وعلى هذا يحتمل ان يقال ما مصدرية اي اوحى الى محمد الايحاء اي العلم بالايحاء كي تفرق بين الملك والجن وكله
انه وحي نظيره ولقد راه بالافق المبين اي راى جبريل وهو اي النبي بالافق الفارق بين درجة الانسان ومنزلة الملك
كقول القائل رايت الهلال على السطح اي وانا على السطح وجبريل فيه علا ضروريا ثالثها فاوحى الله الى عبده جبريل ما اوحى
رابعها فاوحى الله الى جبريل ما اوحى جبريل الى محمد وغيره من الانبيا قبلها وفيه اشارة الى ان جبريل امين لم يخن قط في شيء
مما اوحى الى الانبيا خامسها فاوحى جبريل الى عبد الله محمد ما اوحى الله اليه سادسها فاوحى جبريل الى عبد الله ما اوحى
هو وفي هذين الوجهين لا يمكن ان يراد بالعبد الا محمد قوله ما كذب الفؤاد ما راى الاشهر ان اللام للعهد وهو فؤاد محمد صلى الله
عليه وسلم اي ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه ومن قرا بالتشديد فظاهر اي صدق فؤاده
ما راه ولم يشك في ذلك وقيل اللام للجنس والمراد ان جنس الفؤاد لا ينكر ذلك وان كان الوهم او الخيال ينكره والمقصود نفي
الجواز لا نفي الوقوع كقوله لا تدركه الابصار وما ربك بغافل بخلاف قوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين ان الله لا يغفر
ان يشرك به فانه لنفي الوقوع والظاهر ان فاعل راى محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الفؤاد او البصر اي ما راه الفؤاد لم يقل
له انه جن او شيطان او لم يكذب الفؤاد ما راه بصر محمد واما المرئي ففيه اقوال احدها ما مر وهو انه راى جبريل في صورته بالافق
المشرق والثاني الايات العجيبة الالهية والثالث الرب تعالى والمسئلة مبنية على جواز الرؤية وقد تقدم البحث عن ذلك

منظره ولقد راه بالافق المبين اي راى جبريل وهو اي النبي وهو بالافق الفارق بين درجة الانسان ومنزلة الملك كقول القائل رايت الهلال على السطح اي وانا على السطح

في قوله

في قوله لا تدركه الابصار ثم على وقوع الرؤية وقد تقدم خلاف الصحابة فيه في حديث معراج النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في اول
سبحان ولعل القول الاول اصح يروى انه ما راى جبريل احد من الانبيا في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة
في الارض ومرة في السماء واليه الاشارة بقوله افتمارونه من المراء اي اتجادلونه على ما يرى ومن قرا افتمرونه فمعناه اتغلبونه
في المراء يقال ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى وقيل معناه افتجحدونه ولا بد من تضمين معنى الغلبة ولقد راه
نزلة اي مرة اخرى فانتصب على الظرف لان الفعلة صيغة المرة فكانت النزلة في حكم المرة اي نزل عليه جبريل في صورته
تارة اخرى في ليلة المعراج ووجه الاستفهام الانكاري انه لما راه وهو على بسيط الارض احتمل ان يقال انه كان من الجن احتمالا
بعيدا فلما راه عند سدرة المنتهى لم يحتمل ان يكون هناك جن ولا انس فلم يبق للجدال مجال اما القائل بالقول الثالث فزعم
ان النبي صلى الله عليه وسلم راى ربه بقلبه مرتين والنزلة اما بمعنى الحركة والانتقال عند من يجوز ذلك او بمعنى قرب
الرحمة والافضال واما للنبي صلى الله عليه وسلم لانه نزل من متن الهوى ومركب النفس وقيل اراد بالنزلة ضدها وهي العرجة
واختيرت هذه العبارة ليعلم ان هذه عرجة يتبعها النزلة ليست عرجة لا نزلة لها وهي عرجة الاخرة وعلى القول الاول ايضا يحتمل
ان يكون النزلة لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان جبريل تخلف عنه في مقام لو دنوت انملة لاحترقت ثم عاد النبي صلى الله عليه
وسلم اليه ومعنى اخرى انه صلى الله عليه وسلم تردد في امر الصلوة مرارا فلعله كان ينزل الى جبريل كل مرة لا اول من نزلتين
اما السدرة فالاكثرون على انها شجرة في السماء السابعة وقيل في السادسة نبقها كقلال هجر وورقها كاذان الفيلة يسير الراكب
في ظلها سبعين عاما لا يقطعها وقد ورد الحديث بذلك فعلى هذا عند ظرف مكان ثم ان كان المرئي جبريل فلا اشكال وان كان هو الله
تعالى فكقول القائل رايت الهلال على السطح وقد مر وقال بعضهم عند ظرف زمان كما يقال صليت عند طلوع الفجر والمعنى راه عند
الحيرة القصوى اي في وقت تحار عقول العقلاء فيه ولكنه ما حار ولم يعرض له سدر واضافة السدرة الى المنتهى اما من اضافة
الشيء الى مكانه كما يقال اشجار البلدة الفلانية كذا واشجار الجنة لا تيبس ولا تخلو من الثمار فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه
ملك او لا يعلم ما وراءه احد واليه ينتهي ارواح الشهداء واما من اضافة المحل الى الحال كما يقال ظرف الماء اي سدرة هي محل انتهى
الجنة واما من اضافة الملك الى مالكه كما يقال دار زيد واشجار عمرو فيكون التقدير سدرة المنتهى اليه وهو الله سبحانه كما قال
وان الى ربك المنتهى فالاضافة للتشريف كبيت الله وناقة الله قال الحسن جنة الماوى هي التي يصير اليها المتقون وقيل ياوي
اليها ارواح الشهداء والظاهر ان الضمير في عندها للسدرة وقيل ان سدرة المنتهى معناها الحيرة القصوى قال اذ يغشى السدرة
ما يغشى معناه ورد حالة على حاله اي ظهر على محمد حين ما يحار العقل ما ظهر من فضل الله ومن رحمته والاكثرون قالوا فيه
تعظيم وتكثير لما يغشى الشجرة من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله مما لا يحيط بها الوصف وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رايت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه صلى الله عليه وسلم يغشاها رفرف من طير خضر والرفرف كل ما يبسط من
اعلى الى اسفل وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش او جراد من ذهب والمحققون على انها انوار الله تعالى تجلى للسدرة
كما تجلى للجبل لكن السدرة كانت اقوى من الجبل ومحمد صلى الله عليه وسلم كان اثبت من موسى فلم يضطرب الشجرة ولم يصعق محمد
قوله ما زاغ البصر فيه وجهان اشهرهما انه بصر محمد اي لم يلتفت الى ما يغشاها فان كان الغاشي هو الفراش او الجراد من ذهب
فمعناه ظاهر ويكون ذلك ابتلاء وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم بالامور الدنيوية وان كان الغاشي انوار الله فالمراد انه
لم يلتفت الى غير المقصود ولم يشتغل بالنور عن ذي النور او المراد ما زاغ بصره بالصعقة بخلاف موسى عليه السلام وفي الاول بيان
ادب محمد صلى الله عليه وسلم وفي الثاني بيان مرتبته وذهب بعضهم الى ان اللام للجنس اي ما زاغ بصر اصلا في ذلك الموضع هيبة
واجلالا والظاهر ان الضمير في قوله وما طغى للبصر اي ما جاوز حده المعنى المامور برؤيته ويحتمل ان يكون لمحمد اي ما زاغ بصره بالميل
الى غير المقصود وما طغى محمد بسبب الالتفات قال بعض العلماء فيه بيان لوصول محمد صلى الله عليه وسلم الى سدرة اليقين الذي لا يقين
فوقه اذ لم ير الشيء على خلاف ما هو عليه بخلاف الناظر الى عين الشمس فانه اذا نظر الى شيء اخر يراه ابيض او اصفر او اخضر قوله لقد راى
من ايات ربه الكبرى الظاهر ان الكبرى صفة الايات اي لقد راى بعض ايات ربه الكبرى وذلك البعض اما جبريل على صورته واما سائر
عجائب الملكوت ويحتمل ان يكون صفة لمحذوف اي لقد راى من ايات ربه اية هي الكبرى وعلى هذا لا يكون تلك الاية رؤية جبريل لما ورد
في الاخبار ان الله عليكم اعظم منه كالملك الذي يسمى روحا نعم لو قيل انها رؤية الله الاعظم كان له وجه عند من يقول بانه صلى الله
عليه وسلم راى الله ليلة المعراج وفيه خلاف تقدم قوله افرايتم اللات والعزى اي عقيب ما سمعتم من عظمة الله تعالى ونفاذ
امره في الملا الاعلى وان الذي هو الافق مع عظمته تخلف عند سدرة المنتهى هل تنظرون الى هذه الاصنام مع ذلها وفقرها حتى
يعلموا ... ما ذهبتم اليه وعولتم عليه قال في الكشاف اللات اسم صنم كان لثقيف بالطائف واصله فعلة من لوى يلوي لانهم كانوا يلوون
عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اي يطوفون فكانه حذفت الياء تخفيفا وحركت الواو فانقلبت الفا والوقف عليه بالتاء كما في بنت
اسم الله وقيل اصله اللات بالتشديد وقد قرئ به زعموا انه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف
وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى تانيث الاعز وكان لغطفان وهي سمرة وبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقطعها فخرجت منها شيطانة تكشف الراس ناشرة الشعر تضرب راسها وتدعو بالويل والثبور فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عزى
كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما فعل فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واما مناة
فهي صخرة كانت لهذيل وخزاعة كانها سميت بذلك لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اي تراق ومن قرا بالمد فلعلها مفعلة من النوء كانهم
كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى لا يطلق الا اذا كان الاول مشاركا للثاني فلا يقال رايت رجلا وامراة اخرى فانما
يقال رايت رجلا ورجلا اخر وههنا ليست العزى ثالثة فكيف قال واجيب بان الاخرى صفة ذم لها اي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله
وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم ويجوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى وذلك ان الاول كان على صورة
ادمي والعزى كانت من النبات ومناة من الجماد وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي ومناة الاخرى الثالثة وقيل ان الاصنام فيها كثيرة

ق
المنزلة مر وعقيب
على
ولم يحتجب ي
المعين ي
كفرانك ي
ومناة الثالثة الاخرى ي

فاؤا احدنا اللات والعزى مقدمين كانت لهما نوالات كثيرة وهذه ثالثة اخرى وقيل فيه حذف والتقدير افرايتم اللات والعزى المعبودتين
بالحق ومناة الثالثة المعبودة الاخرى ثم انه سبحانه حين وبخهم على الشرك كانهم قالوا نحن لا نشك في ان شيئا منها ليس مثلا لله تعالى ولكنا
صورنا هذه الاشيا على صور الملايكة المعظمين الذين اعترف بهم الانبيا وقالوا انهم يرتقون ويشفعون عند سدرة المنتهى ويرد عليهم الامر الالهي
ويصدر عنهم الينا فوبخهم على قولهم ان هؤلاء الاصنام التي هن اناث انداد لله تعالى او على قولهم الملائكة بنات الله فاستفهم منكرا الكم الذكر الذي ترغبون
وله الانثى التي يستنكفون عنها تلك اذا قسمة ضيزى اي جائرة غير عادلة من ضاره يضيره اذا ضامه وهي فعلى بالضم
وكان يمكن ان يقلب الياء واوا لسكونها والضمة الا انه فعل بالعكس اي قلبت الضمة كسرة لتسلم الياء فان ابقاء الحرف اولى من ابقاء الحركة
ومن قرا بالهمز فمن ضازه بالهمز والمعنى واحد ولكنها فعلى بالكسر قال بعضهم انهم قسموا ولم يقولوا لنا البنون وله البنات ولكنهم نسبوا الى
البنات وكانوا يكرهونهن فلزم من هذه النسبة قسمة جائرة فتقدير الكلام تلك النسبة قسمة غير عادلة اذ العدل يقتضي ان يكون الشريف للشريف
والوضيع للوضيع ان هي يعني ليس الاصنام او اسماؤها المذكورات الا اسماء سميتموها وقد مر في الاعراف وفي يوسف قال الامام فخر الدين
الرازي رحمه الله تعالى الذم تم بقوله ما انزل الله بها من سلطان فان اطلاق الاسم على المسمى انما يجوز اذا لم يتبعه منع [illegible] وههنا يمكن
ان يكون مرادهم من قولهم الملايكة بنات الله انهم اولاد الله من حيث انه لا واسطة بينهم وبينه في الايجاد كما يقوله الفلاسفة والعرب قد تستعمل
البنت مكان الولد كما يقال بنت الجبل وبنت الشفة لما يظهر منهما بغير واسطة خصوصا اذا كان في اللفظ تاء التانيث كالملائكة الا انه لم يجر في الشرع
اطلاق هذا اللفظ على الملائكة لانه يوهم النقص في حقه تعالى ثم قال وهذا بحث يدق عن ادراك اللغوي ان لم يكن عنده من العلوم حظ عظيم قلت
هذا البحث الدقيق يوجب ان يكون الذم راجعا الى ترك الادب فقط وليس الامر كذلك فان الذم الى توجه المشرك لانه ادعى الالهية لما هو
ابعد شيء منها وما امكن له على تصحيح دعوته حجة عقلية ولا سمعية ومعنى ما انزل الله بها من سلطان اي بتسميتها وبصحتها وقال الرازي الباء للمصاحبة
كقول القائل ارتحل فلان باهله ومتاعه اي ارتحل ومعه الاهل والمتاع من قرا ان يتبعون على الخطاب فظاهر ومن قرا على الغيبة فاما للالتفات
واما لان الضمير للاباء وصيغة الاستقبال حكاية الحال الماضية ويحتمل ان يكون المراد عامة الكفار وقوله وما تهوى الانفس يجوز ان يكون ما مصدرية
وفائدة العدول عن صريح المصدر الى العبادة الموجودة ان القائل اذا قال يعجبني صنعك لم يعلم ان الاعجاب من امر قد تحقق او من امر هو
فيه واذا قال يعجبني ما تصنع شمل الحال والاستقبال ويجوز ان يكون ما موصولة والفرق ان المتبع في الاول الهوى وفي الثاني مقتضى الهوى
والمعنى اتبع كل واحد منهم ما تهواه نفسه كقولك خرج الناس باهلهم اي كل واحد باهله ولعل الظن مختص بالاعتقاد وهوى النفس بالعمل
ويجوز ان يكون الظن مقصودا به كل ماله محل مرجوح والهوى يراد به ما لا وجه له اصلا ويحتمل ان يراد بالظن ما له محل راجح ايضا وهو ان كان واجب
العمل به في المسائل الاجتهادية الا انه مذموم عند القدرة على اليقين والى هذا اشار بقوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو القران
والرسول والمعجزة في هذه الحالة لا يجوز البناء على الظن بل يجب التعويل على اليقين قوله ام للانسان ام منقطعة والهمزة فيها للانكار
والمراد منهم شفاعة الالهة او لان لهم عند الله الحسنى على تقدير البعث او تمنى اشدهم ان يكونوا انبياء دون محمد صلى الله عليه
وسلم وقوله فلله الاخرة والاولى رد عليهم اي هو مالكهما فهو المعطي والمانع ولا حكم لاحد عليه ومعنى الفاء انه اذا ثبت ان شيئا
من الاشيا ليس بتمني الانسان فلا حكم الا لله ثم بين ان الشفاعة عند الله لا يكون الا برضاه وفيه اصناف من المبالغة من جهة
ان كم للتكثير والعرب يستعمل الكثير وتريد الكل كما قد يستعمل الكل وتريد به الكثير كقوله تدمر كل شيء ومن جهة لفظ الملك فانهم اشرف المخلوقات
سوى الانبيا عند بعض ومن قبل انهم في السموات فان ذلك يدل على علو مرتبتهم ودنو منزلتهم ومن قبل اجتماعهم المدلول عليه بضمير الجمع في
شفاعتهم واذا كان حالهم هكذا فكيف يكون حال الجمادات وقوله لمن يشاء اي لمن يريد الشفاعة له ويرضى اي ويراه اهلا ان يشفع له فههنا
ايضا انواع اخر من المبالغة الاول توقيف الشفاعة على الاذن والثاني تعليقها بالمشية فيفهم منه انه بعد ان يؤذن في مطلق الشفاعة
يحتاج الى الاذن في كل صورة معينة والثالث رضي الله الشفاعة تقديرا ولكن لا يرضاه كقوله ولا يرضى لعباده الكفر وهذا عند
اهل السنة واضح ثم صرح بالتوبيخ على قولهم الملائكة بنات الله فقال ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية
الانثى لانهم اذا جعلوا الكل بنات فقد جعلوا كل واحد بنتا وبالعكس وههنا سؤالان احدهما ان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعم
من هؤلاء المسمين فكان الاولى ان يقال ان الذين يسمون لا يؤمنون وثانيهما انه كيف يلزم من عدم الايمان بالاخرة هذه التسمية والجواب
عن الاول ان اللام للعهد وبه صرح الجواب عن الثاني ايضا لانه يخبر عن جميع معهود انهم يسمون ولا يلزم من حمل شيء على شيء ان يكون بينهما ملازمة
[illegible]

القول

القول فيها في سورة النساء في قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه والفواحش ما تزايد قبحه من الكبائر كانها مع كبرها وعقابها
قبيحة في الصورة كالشرك بالله وحده والمراد باللمم الصغائر والتركيب يدل على القلة ومنه اللمم المس من الجنون والم بالمكان
اذا قل لبثه فيه قال الم تحيث ثم قامت فودعت والا صفة كانه قيل كبائر الاثم وفواحشه غير اللمم او استثناء منقطع لان اللمم
ليس من الفواحش عن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب
لم يذكر الله عز وجل عليه حدا ولا عذابا وعن عطا هي ما يعتاده النفس حينا بعد حين قال جار الله يعني قوله ان ربك واسع
المغفرة انه يكفر الصغائر باجتناب الكبائر ويكفر الكبائر بالتوبة واقول فيه اشارة الى ان اللمم مما لا يمكن الاجتناب عنه
لكل الناس ولاكثرهم فالعفو عن ذلك يحتاج الى سعة وكثرة بل فيه بشارة انه سبحانه يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك لان غفر اللمم
لا يوجب الوصف بسعة المغفرة وانما يوجب ذلك ان لو غفر معها الكبائر وقوله هو اعلم بكم الى اخره دليل على وجوب وقوع الغفران
لانه اذا كان عالما بضعفهم ووقوعهم كان عالما بضعفهم ونقصهم فلا يواخذهم بما يصدر عنهم على مقتضى جبلتهم وطبعهم فكل شيء يرجع
الى الاصل والارض بطبعها تميل الى السفل والجنين او النطفة مذرة واخره الاغتذاء بدما مذرة واذا كان مبداه وحاله كذا
وهو في وسط امره متصف بالظلم او الجهل والغفلة فيه غير معلومة فوجب عليه الا يزكي نفسه فان الله تعالى اعلم بالزكي والتقي
اولا واخرا وظاهرا وباطنا وما احسن نسق هذه الجمل وقد ابعد بعض اهل النظم فقال لما ذكر انه اعلم بمن ضل كان
للكافر ان يقول كيف يعلم الله امورا نفعلها في البيت الخالي وفي جوف الليل المظلم فاجاب الله تعالى بان العلم اخفى من ذلك
وهو احوالكم وقت كونكم اجنة وقوله في بطون امهاتكم للتاكيد فانه اذا خرج من بطون الام يدعى سقطا او ولدا وقيل
اراد ان الضال والمهتدي حصلا على ما هما عليه بتقدير الله وبانه كتب عليهما في رحم امهما انه ضال او مهتد وقيل فيه تقرير الجزاء وتحقيق
الحشر فان العالم باحوال المكلف وهو جنين القادر على انشائه من الارض ولا ذرة عالم باجزائه بعد التفرق وقادر على جمعه بعد التفرق
والعامل في اذ هو اذكر او ما يدل عليه اعلم اي يعلمكم وقت الانشاء والخطاب للموجودين وقت نزول الاية وللاخرين بالتبعية ويجوز
ان يكون الانشاء من الارض اشارة الى خلق ابينا ادم وقوله اذ انتم يكون خطابا بالكل قوله افرايت الذي تولى قال بعض المفسرين
نزل في الوليد بن المغيرة جلس عند النبي صلى الله عليه وسلم وسمع وعظه واثرت الحكمة فيه تاثيرا قويا فقال له رجل لم تترك دين
ابائك ثم قال له لا تخف واعطني كذا وانا اتحمل عنك اوزارك فاعطاه بعض ما التزمه وتولى عن الوعظ واستماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم نزل في عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يعطي بالعطا فقال له اخوه من امه عبد الله بن سعد بن ابي سرح يوشك ان تفنى
مالك فامسك فقال له عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني ارجو ان يغفر الله بسبب العطا فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل
عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى خير من ذلك فقال اكدى
اي قطع القليل كدية وهي ارض صلبة كالصخرة ونحوها اجبل الحافر واجبل اذا افحم ثم وبخه بانه لا يعلم الغيب فكيف يعلم
ان اوزاره تحمل عنه وقيل نزلت في اهل الكتاب وذلك انه لما بين حال المشركين المعاندين شرع في قصة هؤلاء والمعنى
افرايت الذي تولى اي صار متوليا لكتاب الله واعطى قليلا من الزمان حق الله فيه ولما بلغ عصر محمد امسك عن العمل قالوا فيه
هذا التفسير قوله ام لم ينبا بما في صحف موسى يعني التوراة وهو ما بينها وجنسها وهو ما بيناه من خبثا صلى الله عليه وسلم وجمع الصحف اما لان موسى له
صحيفة وابراهيم له صحيفة فذكر التثنية بصيغة الجمع واما لان كل واحد منهما له صحف كقوله والقى الالواح وكل لوح صحيفة وتقديم صحف
موسى اما لانها اقرب واشهر واكثر واما لانه رتب وصف ابراهيم عليه والحسن غاية الفاصلة وقد راعى في اخر سبح اسم ربك
هذا المعنى مع ترتيب الوجود والتشديد في قوله وفى للمبالغة في الوفا او لانه بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن واطلق
الفعل ليتناول كل وفاء وتوفية في ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح الولد وعلى نار نمرود وقيامه
باضيافه بنفسه يروى انه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد اي يطلب ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن عطا ابن السائب
عهدان لا يسال مخلوقا فلما رمي في النار قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكم فلا قالا فسل الله حسبي من سؤالي علمه بحالي
وروي في الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروي الا
اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا امسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وعن الهذيل بن شرحبيل كان
بين نوح وابراهيم صلوات الله عليهما يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل الزوج بامراته والعبد بسيده واول من خالفهم ابراهيم فلهذا
قال سبحانه الا تزر وهي مخففة من الثقيلة ولهذا لم ينصب الفعل وضمير الشان محذوف ومحله الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع
كان قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل هو انه لا تزر نفس من شانها ان تزر وزر نفس اخرى واذا لم تحمل التي تتوقع
منها ذلك غيرها اولى بان لا تحمل ثم عطف على قوله الا تزر قوله وان ليس وحكمه وحكم ما يتلوه من المعطوفات ما مر وفيه مباحث
الاول الانسان عام وقيل هو الكافر ورد عليه ان الله سبحانه قال ليس للانسان ولو اراد الكافر لقال ليس على الانسان وهذا
بالحقيقة غير وارد فان اللام قد يستعمل في مثل هذا المعنى قال تعالى وان اساتم فلها واورد على الاول ان الدعاء والصدقة
والحج تنفع الميت كما ورد في الاخبار وايضا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها والاضعاف فوق ما سعى واجاب
بعضهم بان قوله ليس للانسان الا ما سعى كان في شرع من تقدم ثم انه تعالى نسخه في شريعتنا وجعل للانسان ما سعى وما
لم يسع وقال المحققون ان سعي غيره وكذا الاضعاف لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا كان
سعي غيره كانه سعي نفسه الثاني ما مصدرية والمضاف محذوف اي الا ثواب او جزاء سعيه ويجوز ان يكون موصولة اي الذي سعى
فيه الثالث في صيغة المضي اشارة الى انه لا يفيد الانسان الا الذي قد حصل فيه ووجد واما مجرد النية مع التواني والتراخي
فلذلك مما لا اعتداد عليه ولعل ذلك من مكايد الشيطان يمنيه ويعده الى ان يحل الاجل بغتة قوله وان سعيه سوف يرى الكائن
من الرؤية كقوله اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وان كان من الاراءة فالفائدة في اراءته وعرضه عليه ان يفرح به او يحزن
الكافر والله قادر على اعادة كل معدوم عرضا كان او جوهرا او المراد ان يريه الله اياه على صورة جميلة ان كان عملا صالحا

وبالضد ان كان بالضد ويجوز ان يكون مجازا عن الثواب كما يقال سترى احسانك عند الملك اى جزاءه الا ان القول الاول اقوى لقوله
ثم يجزاه الجزاء الاوفى اللهم الا ان يراد تراخى الرتبة به والفايدة ويعود الى الوصف بالاوفى وهو الرؤية التى هى اوفى من كل ثواب اى يجزى
العبد سعيه الجزاء الاتم ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدل عنه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا ومن لطايف
الاية انه قال فى حق المسى لا تزر وازرة وزر اخرى ولا يلزم منه ان يبقى الوزر على المذنب يجوز ان يسقط عنه بالمحو والعفو ولو قال
كل وازرة تزر وزر نفسها لم يكن بد من بقاء وزرها عليها وقال فى حق المحسن ليس له الا ما سعى ولم يقل ليس له ما لم يسع لان العبارة
الثانية لا يلزمها ان له ما سعى والعبارة الاولى يلزمها ذلك لانها فى قوة كلامين اثبات ونفى والحاصل انه قال فى حق المسى عبارة
لا تقطع رجاءه وفى حق المحسن بعبارة توجب رجاءه وكل ذلك لان رحمته سبقت غضبه قوله وان الى ربك المنتهى المشهور ان فيه بيان
المعاد كقوله عز من قائل والى الله المصير اى للناس يدى الله وقوف وفيه بيان وقت الجزاء وقد يقال المراد به التوحيد
وهو تاويل اهل العرفان والحكماء يستدلون به على وجود الصانع فان الممكن لا بد ان ينتهى الى الواجب وقيل المراد ان البحث والادراك
منتهى عنده كما قيل اذا بلغ الكلام الى الله فامسكوا وعن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا ذكر الرب فانتهوا والخطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه تسليه له ثم بين غاية قدرته وهى انه ذو الضدين الضحك والبكاء والاماتة والاحياء فى شخص واحد وكذا
المذكورة والانوثة فى مادة واحدة هى النطفة اذا يمنى تدفق فى الرحم يقال منى وامنى وقال الاخفش تخلق والمنى للتقدير وفيه
ابطال قول الطبيعيين ان مبدا الضحك قوة التعجب ومبدا البكاء رقة القلب وان الحيوة مستندة الى الطبيعة كالنبات والموت
امر ضرورى وهو تداعى الاجزاء العنصرية الى الانفكاك بعد اجتماعها على سبيل الاتفاق او لاقتضا بسبب يتمادى من اتصال
او انصراف وذلك ان انتهاء كل ممكن الى الواجب واجب قولا مات واحيى اما الاحيا فصفة او لانه اعتبر حالة كون الانسان
نطفة ميتة قالت الاطبا الذكر اسخن واجف والانثى ابرد وارطب وقالوا فى نبات شعر الرجل ان الشعر يتكون من بخار دخانى
ينجذب الى المسام فاذا كانت المسام فى غاية الرطوبة والتخلل كما فى مزاج الصبى والمراة لا ينبت الشعر لخروج تلك الادخنة
من المسام الرطبة بسهولة قبل ان يتكون شعرا واذا كانت فى غاية اليبوسة والتكاثف لم ينبت لعسر خروجه من المخرج الضيق
وانما يندفع اكثر تلك الابخرة الى الراس حتى راس المراة والصبى لانه مخلوق كقبة فوق الابخرة والادخنة فتتصاعد اليها واما فى الرجل
فيندفع الى الصدر لكثرة الحرارة القلب والى قرب الات التناسل لحرارة الشهوة والى اللحيين لكثرة الحرارة بسبب الاكل والكلام مع
حرارة الابخرة وبرهان الحرارة جذب الرطوبة كجذب السراج الزيت هذا اقوى ما قالوه فى هذا الباب ويرد عليه انه بالسبب
للتلازم شعر اللحية والة التناسل فانها اذا قطعت لم ينبت اللحية ولو سلم التلازم من حيث ان حرارة الخصيان يقل بسبب قطع
الة الشهوة فلا بد ان يعترفوا بانها جميع المكنات الى الواجب الذات واعلم انه سبحانه فى هذه الاية وسط الفصل من الاسم والخبر حيث
كان توهم المجاز فيه اكثر وترك الفصل حيث لم يكن كذلك ففى ولائل الضحك والبكاء والاماتة والاحياء وسط الفصل المتوهم
المذكورة حتى قال نمرود انا احيى واميت واما خلق الذكر والانثى فلم يتوهم احد انه بفعل المخلوقين ثم يوكد بالفصل وعلى هذا
القياس قوله وان عليه النشاة الاخرى ظاهر وجوب وقوع الحشر فى الحكمة الالهية مجازاة على الاحسان والاساءة وقال
فى التفسير الكبير هو كقوله ثم انشاناه خلقا اخر اى بعد خلقه ذكرا وانثى نفخ فيه الروح الانسانى ثم اغناه بلبن الام وبنفقة الاب
فى صغره ثم اقناه بالكسب بعد كبره اى اعطاه القنية وهى المال الذى تاثل وعزمت ان لا تخرجه من يدك وبالجملة فالاغناء
بكل ما يدفع به الحاجة والاقناء بما زاد عليه وانما وسط الفصل لان كثيرا من الناس يزعم ان الفقر والغنى بكسب الانسان
فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر وذهب بعضهم الى انه بالبخت او النجوم فقال ردا عليهم وانه هو رب الشعرى وهما شعريان
شامية ويمانية وهذا نورها وخصت بالذكر لان ابا كبشة احد اجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل امه قال لا ارى شمسا
ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها فليس شى مثلها فعبدها وعبدتها خزاعة ثم خالف قريشا فى عبادة الاوثان وكانت قريش
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها به لمخالفته اياهم فى دينهم وحين ذكر انه اغنى واقنى وذلك كان بتفضيله
لا بالطالع الشعرى ذكرهم حال الاقدمين المهلكين وعاد الاولى قوم هود والاخرى ارم ميزوا عن قوم كانوا بمكة وقيل اراد التقدم
فى الدنيا وانهم كانوا اسبق قوله وثمود عطف على عادا اى واهلك عادا وثمود فما ابقى اى بارحم عليهم ومن المفسرين
من قال فما ابقى اى ما ترك احدا منهم كقوله فهل ترى لهم من باقية وبه تمسك الحجاج على من زعم ان نطفا من ثمود وانما وصف
قوم نوح بانهم كانوا هم اظلم واطغى فبالغ بتوسيط الفصل وبناء التفضيل لان نوحا عليه السلام كان اول الرسل الى اهل الارض
وكان قومه اول من سن التكذيب وايذاء النبى والبادى اظلم ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ولانهم كانوا
مجاوزين حد الاعتدال يضربونه فيهم بريه حراك وينفرون عنه الناس ويخوفون صبيانهم وما يجمع فيهم وعظه الف سنة
الا خمسين عاما وليس قوله انهم كانوا تعليلا للاهلاك حتى يرد عليه ان غيرهم من الظالمين والطاغين لا يلزم ان يهلكوا وانما
جوه معترضة بيانا لشدة طغيانهم وفرط ظلمهم والمؤتفكة يعنى قريات قوم لوط ائتفكت باهلها اى انقلبت وقد مر فى التوبة اهوى اى
رفعها الى السماء على جناح جبريل فاسقطها الى الارض فغشاها ما غشى من الحجارة المسومة وفيه تهويل وتفخيم لما صب عليهم من العذاب
ويجوز ان يكون ما فاعلا كقوله والسماء وما بناها هذه كلها حكاية ما فى الصحف وقيل هو ابتداء الكلام والخطاب لكل سامع مكلف او
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والمراد انه لم يبق فيها امكان الشك وقد عدد نعما ونقما وجعل كلها الا
لان النقم ايضا نعم لمن اراد ان يعتبر ويحتمل ان يقال لما عد نعمه على الانسان من خلقه واغنائه واقنائه ثم ذكر انه اهلك
من كفر بها توبخ الانسان على جحد شى من نعمه فتصيبه مثل ما اصاب المتمارين ويقال لما حكى الاهلاك قال فكانت ما اصابك الذى
اصابهم وذلك بحفظ الله اياك فباى الاء ربك تتمارى وسيجى له مزيد بيان فى سورة الرحمن هذا القرآن او الرسول نذير اى
انذار او منذر من جنس الانذارات او المنذرين وقال الاولى على تاويل الجماعة وحين فرغ من بيان التوحيد والرسالة
حتم السورة بذكر اقتراب الحشر فقال ازفت الآزفة اى قربت الموصوفة بالقرب فى قوله اقترب للناس حسابهم وما يدريك لعل

لعل الساعة قريب وفيه تنبيه على ان قرب الساعة يزداد كل يوم وانها كالقوم ليس لها من دون الله نفس كاشفة تكشف عن وقت
مجيئها او تقدر على كشفها ودفعها اذا وقعت ولا يلزم من قدرة الله على دفعها وجوب وقوع الدفع فان كل مقدور لا يلزم ان يكون واقعا
والتاء فى كاشفة للتانيث كما مر او للمبالغة اى لا احد يكشف حقيقتها او هى مصدر كالعافية ومن زائدة والتقدير ليس لها من كاشفة
دون الله ويحتمل ان يراد ليس لها فى الوجود نفس تكشف عنها من غير الله بل انما يكشفها من عند الله ومن قبل علمه واخباره ثم وبخهم على
التعجب من القرآن او من حديث القيامة وتضحكهم منه استهزاء وانكارا وفى قوله ولا تبكون الى اخره تنبيه على ان البكاء والخشوع
وحضور القلب حق عليهم عند سماع القرآن كما قال اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا والسمود الغفلة وقد يكون مع اللهو عن مجاهد
كانوا يمرون بالنبى غضابا برطمين وقال البرطمة الاعراض ثم انهم كانهم استغفروا من انفسهم وقالوا لا نعجب ولا نضحك ولا نسهو بل نبكى
او نخشع فلا جرم قال فاسجدوا اى اذا عرفتم الله بالعبودية فاخضعوا له واعبدوا وطالبوا العبادة وقد مر فى سورة الحج
فى قوله القى الشيطان فى امنيته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه السورة فى الصلوة ثم سجد فسجد معه المؤمنون والمشركون
والجن والانس وذكرنا سببه

سورة الساعة خمس وخمسون آية وهى مكية كلماتها ثلث مائة واثنتان حروفها الف
واربعمائة وثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ اقتربت الساعة وانشق القمر ۝
وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ۝ وكذبوا واتبعوا اهواءهم
وكل امر مستقر ۝ ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر ۝ حكمة بالغة
فما تغن النذر ۝ فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر خشعا ابصارهم
يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر ۝ مهطعين الى الداع يقول
الكافرون هذا يوم عسر ۝ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا
وقالوا مجنون وازدجر ۝ فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ۝ ففتحنا
ابواب السماء بماء منهمر ۝ وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على
امر قد قدر ۝ وحملناه على ذات الواح ودسر ۝ تجرى
باعيننا جزاء لمن كان كفر ۝ ولقد تركناها اية فهل من مدكر ۝ فكيف
كان عذابى ونذر ۝ ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ۝
كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ۝ انا ارسلنا عليهم ريحا
صرصرا فى يوم نحس مستمر ۝ تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ۝
فكيف كان عذابى ونذر ۝ ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر
۝ كذبت ثمود بالنذر ۝ فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا
اذا لفى ضلال وسعر ۝ االقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب
اشر ۝ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ۝ انا مرسلوا الناقة

دون الله
من وقت مجيئها او تقدر على كشفها
ودفعها اذا وقعت ولا يلزم
من قدرة الله على دفعها وجوب
وقوع الدفع

او الخطاب لكل
سامع مكلف ويجوز
على الا ان يكون
وغيره

الا جحد شى من نعم الله
المنتهى بالكفر على الا بعد
وكذلك ما بعده وما قبله
فباى الاء ربك تتمارى
فتعد فيتر
المصحف

فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ۝ ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ۝
فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ۝ فكيف كان عذابي ونذر ۝ انا ارسلنا
عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ۝ ولقد يسرنا القرءان للذكر
فهل من مدكر ۝ كذبت قوم لوط بالنذر ۝ انا ارسلنا عليهم حاصبا الا
ال لوط نجيناهم بسحر ۝ نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ۝ ولقد انذرهم
بطشتنا فتماروا بالنذر ۝ ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم
فذوقوا عذابي ونذر ۝ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ۝ فذوقوا عذابي
ونذر ۝ ولقد يسرنا القرءان للذكر فهل من مدكر ۝ ولقد جاء ال فرعون
النذر ۝ كذبوا بايتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر ۝ اكفاركم
خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر ۝ ام يقولون نحن جميع منتصر ۝
سيهزم الجمع ويولون الدبر ۝ بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر
۝ ان المجرمين في ضلال وسعر ۝ يوم يسحبون في النار
على وجوههم ذوقوا مس سقر ۝ انا كل شيء خلقناه بقدر ۝ وما امرنا الا
واحدة كلمح بالبصر ۝ ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر ۝ وكل شيء
فعلوه في الزبر ۝ وكل صغير وكبير مستطر ۝ ان المتقين في جنات
ونهر ۝ في مقعد صدق عند مليك مقتدر

مستقر بالجر يزيد الداعي الى الداعي بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح وافقه وافق ابو عمرو
وابو جعفر ونافع غير قالون في الوصل فيهما بالياء يدع الداع بغيرها في الحالين الى الداع في الوصل قالون الباقون بغيرها في الحالين
شيء نكر بسكون الكاف ابن كثير خاشعا بالالف ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الاخرون خشعا كركع ففتحنا بالتشديد
ابن عامر ويزيد وسهل ويعقوب وعجزنا بالتخفيف ابو زيد عن المفضل ونذري وما بعده بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش
وسهل وعباس في الوصل والتي مثل او عبلكم ستعلمون على الخطاب ابن عامر وحمزة سيهزم بالنون الجمع بالنصب روح
وزيد عن يعقوب الوقوف القمر ۝ مستمر ۝ مستقر ۝ مزدجر ۝ لا بناء على ان قوله حكمة بدل منها او من مزدجر
النذر ۝ لا للعطف مع اتصال المعنى عنهم لانه لو وصل لاوهم ان الظرف متصل به وليس كذلك بل هو ظرف يخرجون
نكر ۝ لا لاتصال الحال بالظرف من قبل اتحاد منتشر ۝ لا لان مهطعين حال الداع ط عسر ۝ وازدجر ۝ فانتصر ۝
منهمر ۝ ز للعطف مع اتحاد حالهما مقصود الكلام قدر ۝ ج للتعارض بين الجملتين المتفقتين وللاية مع احتمال
الحال اي وقد حملناه ودسر ۝ لا لان تجري صفة لها باعيننا ج لان جزاء مفعول له او مصدر لفعل محذوف كفر ۝
مدكر ۝ ونذر ۝ مدكر ۝ ونذر ۝ مستمر ۝ لا لان ما بعده صفة الناس لا لان كانهم حال منقعر ۝ ونذر ۝
مدكر ۝ بالنذر ۝ نتبعه لا لتعلق اذا بها وسعر ۝ اشر ۝ الاشر ۝ واصطبر ز للعطف منهم لان كل
مبتدا مع ان الجملة من بيان ما تقدم محتضر ۝ فعقر ۝ ونذر ۝ المحتظر ۝ مدكر ۝ بالنذر ۝ لوط ط لان الجملة
لا تصلح صفة لمعرفة بسحر ۝ لا عندنا ط شكر ۝ بالنذر ۝ ونذر ۝ مستقر ج للفاء اي فقيل لهم ذوقوا ونذر ۝
مدكر ۝ النذر ۝ ج لاتصال المعنى بلا عطف مقتدر ۝ الزبر ۝ ج لان ما بعده يصلح استفهام انكار مستانف
ويصلح بدلا من ام قبله منتصر ۝ الدبر ۝ وامر ۝ وسعر ۝ م بناء على ان يوم ليس ظرفا للضلال وانما هو ظرف

محذوف اي يقال لهم ذوقوا وجوههم ۝ سقر ۝ بقدر ۝ بالبصر ۝ مدكر ۝ الزبر ۝ مستطر ۝ ونهر ۝ لا لان ما بعده
بدل مقتدر ۝ اول هذه السورة مناسب لاخر السورة المتقدمة ازفت الآزفة الا انه ذكر ههنا دليلا على الاقتراب
وهو قوله وانشق القمر في الصحيحين عن انس ان الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اية فانشق القمر مرتين وعن ابن
عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت حراء بين فلقتي القمر وعن حذيفة انه خطب بالمداين
ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم هذا قول اكثر المفسرين وعن بعضهم ان المراد ينشق القمر
وصيغة الماضي على عادة اخبار الله وذلك ان انشقاق القمر امر عظيم الوقع في النفوس فكان ينبغي ان يبلغ وقوعه حد التواتر
وليس كذلك واجيب بان الناقلين لعلهم اكتفوا باعجاز القران عن تشهير سائر المعجزات بحيث يبلغ التواتر وايضا يحتمل انه
جعل انشقاق القمر اية من الايات لرسوله ولو كان شيء مجرد علامة القيامة لم يكن معجزة له كما لم يكن خروج دابة الارض وطلوع
الشمس من المغرب وغيرها معجزات له نعم كلها تشترك في نوع اخر من الاعجاز وهو الاخبار عن الغيوب وزعم بعض اهل التنجيم
ان ذلك حالة تشبه الخسوف وذهب بعض جرم القمر عن البصر وظهر في الجو شيء مثل نصف جرم القمر ونحن نقول اخبار الصادق
اولى ان يتمسك به اولى من قول الفلسفي هذا مع ان استدلاله على امتناع الخرق في السموات لا يتم كما بينا في الحكمة وكيف يدل
انشقاق القمر على اقتراب الساعة فنقول جهة ان ذلك يدل على جواز انخراق السموات وهو ابطال لما يزعمه منكرو الحشر
من الفلاسفة وغيرهم ومن ههنا ظن بعضهم واليه ميل الامام فخر الدين الرازي بان المراد باقتراب الساعة ليس هو القرب الزماني
وانما المراد قربها في المعقول وفي الامكان وان كان لم يتعين بعد ظهور هذه الاية للمنكر مجال واستعمال لفظ الاقتراب ههنا مع انه
مقطوع به كاستعمال لعل في قوله لعل الساعة تكون قريبا والامر عند الله معلوم قال وانما ذهبنا الى هذا التاويل كيلا يبقى
للكافر مجال الجدال فانه قد مضى قريب سبعمائة سنة ولم تقم الساعة ولا يصح اطلاق لفظ القرب على مثل هذا الزمان والجواب
ان كل ما هو ات قريب وزمان العالم زمان مديد والباقي بالنسبة الى الماضي شيء يسير قال اهل اللغة في افتعل مزيد تجشم ومبالغة
فمعناه تقرب وتناهى قربا ولذلك اقتدر ابلغ من قدر ثم بين ان ظهور ايات الله لا يؤثر فيهم بل يزيد في عنادهم وتمردهم
حتى يسموا السحر مستمرا اي وانما مطردا كانهم تابعوا ترادف الايات وتتابع المعجزات باستمرار السحر وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ياتي في كل زمن بمعجزة قولية او فعلية سماوية او ارضية وقيل هو من قولهم حبل مرير الفتل من المرة وهي الشدة اي سحر قوي محكم وقيل
من المرارة يقال استمر الشيء اذا اشتدت مرارته اي سحر مستبشع مر في مذاقنا وقيل مستمر اي مار ذاهب زائل عما قريب عللوا
انفسهم بالاماني الفارغة تخيب امالهم باعلاء الدين وتكامل قوته كل يوم والظاهر ان قوله وان يروا الى اخر الاية جملة معترضة
بيانا لما اعتادوه وعند رؤية الايات وقوله وكذبوا عطف على قوله اقتربت كانهم قابلوا الاقتراب والانشقاق بالتكذيب واتبعوا
الاهواء والمعنى وكذبوا بالاخبار عن اقتراب الساعة واتبعوا اهواءهم في ان محمدا ساحر او كاهن وكذبوا بانشقاق القمر واتبعوا
اراءهم الفاسدة في انه خسوف عرض للقمر وكذلك كل اية وكل امر مستقر صائر الى غاية وان امر محمد سيصير الى حد يعرف
منه حقيقته وكذلك امرهم سيستقر على حالة البطلان والخذلان ومن قرا بالجر فعطف كل على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب
كل امر مستقر ويتبين حاله ثم اشار بقوله ولقد جاءهم من الانباء ما هو لطف بالعباد فقد وجد فاخبرهم الرسول باقتراب القيامة واقام
الدليل على صدقه ووعظهم باحوال القرون الخالية وباحوال الدار الاخرة في كل ذلك مرة مزدجر اي ازدجار او موضع ازدجار
وتعليله وانكار وهو افتعال من الزجر قلبت التاء دالا وقوله حكمة يحتمل ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هذا الترتيب في ارسال
الرسول وايضاح الدليل والانذار عن مضي من الدول حكمة بالغة قد بلغت منتهى البيان فما تغني النذر واستفهام انكار
معناه انك اتيت بما عليك من دعوى النبوة مقرونة بالاية الباهرة وانذرتهم باحوال الاقدمين فلم يفدهم فاي غناء
يغني النذر اي الانذارات بعد هذا فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يفيد فيهم ولا يظهر الحق لهم الى يوم البعث والحشر
والداعي اسرافيل او جبرئيل ينادي الى شيء منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وتخصيص
المدعوين بالكافرين من حيث انهم هم الذين يكرهون ذلك اليوم من ضيق العطن قوله خاشعا حال من الخارجين والفعل
للابصار وليس قراءة من قرا خشعا على الجمع من باب اكلوني البراغيث كما ظن في الكشاف ولكنه احسن من ذلك
ولهذا لو اشترط قراءته لعدم مشابهة الفعل صورة تقول في السعة قام رجل قعود غلمانه وضعف قاعدون وانصف
منه يقعدون لان زيادة الحرف ليست في قوة زيادة الاسم ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا
عنه وخشوع الابصار سكونها هيبة لا يلتفت يمنة ويسرة كقوله لا يرتد اليهم طرفهم والاجداث القبور شبههم بالجراد
المنتشر للكثرة والتموج والذهاب في كل مكان وقيل المنتشر مطاوع نشره اذا احياه فكانهم جراد تحرك من الارض
ودب فيكون اشارة الى كيفية خروجهم من الاجداث وضعف حالهم ومعنى مهطعين مسرعين وقد مر في ابراهيم
ثم انه سبحانه اعاد بعض الانباء وقدم قصة نوح على العادة وفائدة قوله فكذبوا عبدنا بعد قوله كذبت قبلهم قوم نوح
هي فائدة التخصيص بعد التعميم اي كذبوا الرسل اجمعين فلذلك كذبوا نوحا ويجوز ان يكون المراد التكرير اي تكذيبا
عقيب تكذيب كلما مضى منهم قرن تبعه قرن اخر مكذب وقوله عبدنا تشريف له وتنبيه على انه هو الذي حقق المقصود
وقتئذ ولم يبق على وجه الارض حينئذ عابد سواه فكذبوه وقالوا هو مجنون وازدجر وهي مستقلة بالضرب والشتم
وغير ذلك من الزواجر عن تبليغ ما امر به ويجوز ان يكون من جملة قولهم اي قالوا ازدجرته الجن ومسته وذهبت بلبه فدعا ربه
اني مغلوب غلبني قومي بالايذاء والتكذيب وقيل غلبني نفسي الدعاء عليهم حين ايست من اجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم لي
ولدينك روي ان الواحد من قومه كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
وابواب السماء فتحها حقيقة عند من يجوز لها ابوابا وفيها ميابا وعند اهل البحث والتدقيق هو مجاز من كثرة انصباب
الماء من ذلك الصوب كما يقال في المطر الوابل جرت ميازيب السماء وفتحت افواه القرب وبالاية نحو فتحت الباب بالمفتاح

ونظيره قول القائل يفتح الله لك بخير وفيه لطيفة هي جعل المقصود مقدما في الوجود والتقدير يفتح الله لك خيرا اي يفتح
لك الباب ويجوز ان يراد فتحت ابواب السماء مقرونة بماء منهمر منصب في كثرة وتتابع اربعين يوما قال علماء البيان قوله
وفجرنا الارض عيونا ابلغ من ان لو قال وفجرنا عيون الارض اي جعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر ونظيره واشتعل الراس
شيبا وقد قدر فالتقى الماء اي جنسه يعني ماء السماء والارض يؤيده قراءة من قرأ فالتقى الماءان على امر قد قدر اي على حال
قدرها الله عز وجل كيف شاء او على حال جارية مقدرة متساوية اي قدر ماء السماء كقدر ماء الارض ولعله اشارة الى ان ما للارض
نبع من العيون حتى ارتفع وعلا لقي ماء السماء ويحتمل ان يقال اجتمع الماء على امر اهلاكهم وهو مقدر في اللوح وذات الواح
ودسر هي السفينة وهي من الصفات التي يؤدي الموصوف فينوب منابه وهذا الايجاز من فصيح الكلام وبديعه والدسر
المسامير جمع دسار من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه وقلنا كل ما ذكرنا من فتح ابواب السماء وغيره جزاء
جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام لان وجود النبي عليه السلام نعمة من الله وتكذيبه كفرانها يحكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فسئل
عن معناه فقال انت نعمة حمدت الله عليها والضمير في تركناها للسفينة او للفعلة كما في العنكبوت فانجيناه واصحاب السفينة و
جعلناها آية والمدكر المعتبر واصله مذتكر افتعال من الذكر والاستفهام فيه وفي قوله فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري للتوبيخ
والتخويف ولقد يسرنا القرآن سهلناه للادكار والاتعاظ بسبب المواعظ الشافية والبيانات الوافية وقيل للحفظ والاول انسب
بالمقام وان روي انه لم يكن شيء من كتب الله محفوظا على ظهر القلب سوى القرآن سؤال ما الحكمة في تكرير ما كرر في هذه السورة
من الآي والجواب ان فائدته تجديد التنبيه على الادكار والاتعاظ والتوقيف على تكذيب الامم السالفة ليعتبروا بحالهم وحالها
قرعت العصا لذوي الحلوم واصحاب النهى وكذا حكم التكرير في سورة الرحمن عند عد كل نعمة وفي سورة المرسلات عند عد كل آية
لتكون مصورة للاذهان محفوظة في كل اوان وقصص الانبياء والقصص كم كررت في القرآن بعبارات مختلفة او جزء واطنب لان التكرير
يوجب التقرير والتذكير تنبيه الغافل على ان كل موضع مختص بمزيد فائدة لم تعرف من غيره وانما كرر قوله فكيف كان عذابي
ونذر مرتين في قصة عاد لان الاستفهام الاول اورده للبيان كما يقول المعلم لمن لا يعرف كيف الكلمة الفلانية ليصير
سائلا فيقول كيف اي فيقول المعلم انها كذا وكذا والاستفهام الثاني للتوبيخ والتوكيد فاما في قصة ثمود فاقتصر على الاول
وفي قصة نوح اقتصر على الثاني لذلك ولعله ذكر الاستفهامين معا في قصة عاد لفرط عتوهم وقولهم من اشد منا قوة وقد مر في حم
السجدة والصرصر والايام النحسات وانما وحد ههنا لانه اراد مبدأ الايام ووصفه بالمستمر يغني عن جمعها اي استمر عليهم دائما
حتى اهلكهم وقيل استمر عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وقيل المستمر الشديد المرارة تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم
فتكبهم وتدق رقابهم كانهم اعجاز نخل منقعر منقلع عن مغارسه وفي هذا التشبيه اشارة الى جثتهم الطوال العظام ويجوز ان الريح
كانت تقطع رؤوسهم فتبقى اجسادا بلا رؤوس كاعجاز النخل اصولا بلا فروع قال النحويون اسم الجنس الذي تميز واحده بالتاء
جاز في وصفه التذكير كما في الآية والتأنيث كما في قوله اعجاز نخل خاوية واعلم ان كلام السورتين وردت على مقتضى الفواصل
قوله ابشرا من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير وانما اولي حرف الاستفهام ليعلم ان الانكار لم يقع على تجرد الاتباع
ولكنه وقع على اتباع البشر الموصوف وانه من جهات احدها كونه بشرا وذلك لزعمهم ان الرسول لا يكون بشرا الثانية كونه منهم
وفيه بيان قوة المماثل وفيه مزيد استنكار ان يكون الواحد منهم مختصا بالنبوة مع انهم اعرف بحاله الثالثة كونه واحدا اي كيف
نتبع الآية رجلا واحدا او اراد وانه واحد من الآحاد دون الاشراف والسعر النيران جمع سعير للمبالغة او لان جهنم دركات
او لدوام العذاب كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وفي سعر فعكسوا عليه قائلين ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال
البعيد عن الصواب والسعر الجنون ومنه ناقة مسعورة وفي قوله ءالقي الذكر عليه من بيننا تصريح بما ذكرنا من ان واحدا منهم كيف اختص بالنبوة وفي الالقاء
ايضا تعجب آخر منهم وذلك ان الالقاء انزال بسرعة فكانهم قالوا الملك جسم والسماء بعيدة فكيف نزل في لحظة واحدة المراد اصل الالقاء ثم الالقاء
عليه من بينهم والاشر البطر المتكبر اي حمله بطره وشطارته على ادعاء ما ليس له ثم قال سبحانه تهديدا لهم سيعلمون غدا اي فيما يستقبل من الزمان
وهو وقت نزول العذاب او يوم القيامة من الكذاب الاشر وقرئ الاشر بالتشديد اي الابلغ في الشرارة وحكى ابن الانباري ان العرب تقول هو خير
واشر وذلك اصل مرفوض ومن قرأ ستعلمون على الخطاب فاما حكاية جواب صالح او هو على طريقة الالتفات ثم انه تعالى خاطب صالحا بقوله
انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها من الصخرة كما سألوا فتنة امتحانا لهم فارتقبهم وتبصر ما هم فاعلون بها واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة اي
مقسوم بينهم خص العقلاء بالذكر تغليبا كل شرب محتضر يحضره يوم لها ويوم لهم كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد مر في الشعراء
وقال في الكشاف محضور لهم او للناقة وفيه ايهام وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في شربها فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف المشئوم وكان
اشجع واجرأ على الامور او كان رئيسهم فتعاطى فاجترأ على الامر العظيم فتناول العقر واحدث به او تعاطى الناقة او السيف او الاجرة والهشيم الشجر اليابس
المتهشم اي المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة ووجه التشبيه ان ما يحتظر به ييبس بطول الزمان ويتوطأه البهائم فيتكسر وانهم صاروا موتى جاثمين
ملقى بعضهم فوق بعض كالحطب الذي يكسر في الطرق والشوارع ويحتمل ان يكون ذلك بيان كونهم وقود الجحيم كقوله فكانوا لجهنم حطبا والحاصب الريح
التي ترميهم بالحجارة وقد مر في العنكبوت ولعل التذكير بتأويل العذاب والسحر القطعة من الليل وهو السدس الاخير كما مر في هود وانجر وصرف
لانه نكرة واذا اردت سحر يومك لم تصرفه والظاهر ان الاستثناء من الضمير في عليهم لانه اقرب ولانه المقصود ويجوز ان يكون استثناء من
فاعل كذبت وهو بعيد نعمة مفعول له اي انعاما وقوله كذلك نجزي من شكر اكثر المفسرين على انه اشارة الى انه تعالى يصون من عذاب
الدنيا كل من شكر نعمة الله بالطاعة والايمان وقيل انه وعد بثواب الآخرة اي كما خلصناهم من عذاب الدنيا ننعم عليهم يوم الحساب بالثواب
وحين اجمل قصتهم فصلها بعض التفصيل فقال ولقد ولقد انذرهم لوط بطشتنا شدة اخذنا بالعذاب فتماروا بالنذر شككوا في الانذارات
ولقد راودوه عن ضيفه معناها قريب من المطالبة كما مر في يوسف والضمير للقوم باعتبار البعض لان بعضهم راوده وكان غيرهم
راضين بذلك وكانوا جميعا على مذهب واحد فطمسنا اعينهم مسحناها وجعلناها مع الوجه صفحة بحيث لا يرى لها شق وانما قال في يس
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم بزيادة حرف الجر لانه اراد به اطباق الجفنين على العين وهو امر كثير الوقوع قريب من الامكان بخلاف ما وقع

المنع عن الادراك فاجعل على شئ غير انهم دخلوا ولم يروا وتعرف عند التقابل خلا يناسب قوله

للمراودين من قوم لوط فانه اثر وابعد والكل بالاضافة الى قدرة الله تعالى واحد الا انه حين علق الطمس بالمشيئة ذكر ما هو اقرب
الى الوقوع كيلا يكون للمنكر مجال كثير ونقل عن ابن عباس ان المراد بالطمس ذكر الطمس فذوقوا عذابي ونذر اي فقلت لهم على السنة
الملائكة ذوقوا الم عذابي وتبعة انذاري ثم حكى العذاب الذي عم الكل بقوله ولقد صبحهم وللقائل ان يسأل ما الفائدة في قوله بكرة مع قوله
صبحهم والجواب ان صبحهم يحتمل من اول الصبح الى آخر الاسفار وانه تعالى وعدهم اول الصبح كما قال ان موعدهم الصبح فاراد بقوله بكرة
تحقيق ذلك الوعد ويمكن ان يقال قد يذكر الوقت المبهم لبيان تعيين الوقت غير مقصود كما يقول خرجنا في بعض الاوقات
ولا فائدة فيه الا قطع المسافة فانه ربما يقول السامع متى خرجتم فيحتاج الى ان يقول في وقت كذا او في وقت من الاوقات فاذا
قال من اول الامر في وقت من الاوقات اشار الى ان غرضه بيان الخروج لا تعيين وقته وبمثله اجيب عن قوله سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا ويحتمل ان يقال صبحهم معناه قال لهم بكرة عموا صباحا وهو بطريق التهكم كقوله فبشرهم بعذاب ويجوز ان يكون
التصبيح بمعنى الاغارة من قولهم يا صباحاه والعذاب المستقر الثابت الذي لا يدفعه دافع والذي استقر عليهم ودام الى الاستئصال
الكلي او الى العقوبة وما بعدها قوله ولقد جاء آل فرعون النذر يعني موسى وهرون وغيرهما وانما عم مع ان ما اتى به المرسلون
او هو بمعنى الانذارات بآياتنا كلها هي الآيات التسع او جميع معجزات الانبياء عليهم السلام لان مكذب البعض مكذب الكل العزيز
المقتدر الغالب الذي لا يعجزه شيء ثم خاطب اهل مكة بقوله اكفاركم خير من اولئكم المذكورين وهو استفهام انكار لان الاولين
كانوا اكثر عددا وعددا وقوة وبطشا ام لكم براءة في الزبر الكتب المتقدمة ان من كفر منكم كان آمنا من سخط الله فامنتم تلك البراءة كما ان
البندار وهو من في يده القانون اصل الخراج اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة ام يقولون نحن جميع جمع مجتمع امرنا منتصر منتقم
عن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف فقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار
عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر اي جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف
تأويلها بل الساعة موعدهم والساعة ادهى من انواع عذاب الدنيا او ادهى الدواهي والداهية اسم فاعل من دهاه امر كذا اذا اصابه
ويختص بامر صعب كالحادثة والنازلة وامر من المرارة وقيل مر المرور اي ادوم واكثر مرورا وقيل من المرة الشديدة قوله ان المجرمين
الآية روى الواحدي في تفسيره باسناده عن ابي هريرة قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر
فانزل الله تعالى هذه الآية الى قوله خلقناه بقدر وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مجوس هذه الامة القدرية
وهم المجرمون الذين سماهم الله في قوله ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة او في ضلال وجنون في الدنيا
لا يهتدون ولا يعقلون او في ضلال وسعر في الآخرة لانهم لا يجدون الى مقصودهم والى الجنة سبيلا والنيران ظاهر
انها في الآخرة وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والمشهور بناء على الحديث المذكور ان قوله انا كل شيء متعلق
بما قبله كانه قال ان مس النار جزاء من انكر هذا المعنى وهو منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر قال النحويون النصب في مثل
هذه الصورة لازم لئلا يلتبس الصفة بالخبر وذلك ان النصب نص في معنى المقصود واما الرفع فيحتمل معنيين احدهما
كل شيء فانه مخلوق بقدر وهو يؤدي مؤدى النصب والآخر كل شيء مخلوق لنا فانه بقدر وهذا غير مقصود بل فاسد اذ يلزم
منه ان شيئا من الاشياء غير مخلوق لله ليس بقدر والقدر التقدير اي كل شيء خلقناه مرتبا على وفق الحكمة او مقدرا مكتوبا
في اللوح ثابتا في سابق العلم الازلي واعلم انه قد مر في هذا الكتاب ان الجبري يقول القدرية التي ذمها النبي صلى الله عليه وسلم
هو المعتزلي الذي ينفي كون الطاعة والمعصية بتقدير الله والمعتزلية يقول انه الجبري الذي يدعي ان الزنى والسرقة وغيرهما
من القبائح كلها بتقدير الله تعالى وكذا حال السني لانه وان كان يثبت للعبد كسبا الا انه يسند الخير والشر الى القضاء والقدر
وقال بعض العلماء ان كل واحد من الفريقين لا يدخل في اسم القدرية الا اذا كان النافي نافيا لقدرة الله لا ان يقول
هو قادر على ان يجبر العبد على الطاعة ولكن حكمته اقتضت بناء التكليف على الاختيار والا اذا كان المثبت منكرا للتكليف وهم اهل
الاباحة القائلين بان الكل اذا كان بتقدير الله فلا فائدة في التكليف ولعل وجه تشبيههم بالمجوس انهم في امة محمد كالمجوس فيما بين
الكفار المتقدمين فكما ان المجوس نوع من الكفرة اضعف شبهة واشد مخالفة للعقل فكذلك القدرية في هذه الامة وبهذا التأويل
لا يلزم الجزم بانهم من اهل النار وايضا لعل اسم القدرية لاهل الاثبات اولى منه لاهل النفي كما يقال الجبري لانه يقول بالجبر والتشبيه لانه
يثبت الهين اثنين نورا وظلمة وقال بعضهم هذا الاسم باهل النفي اولى لان الآية نزلت في مشركي القدرة وهم المشركون القائلون بان الحوادث
كلها مستندة الى اتصالات الكواكب وانتقالاتها فلا قدرة لله على شيء من ذلك قوله وما امرنا الا واحدة اي الا كلمة واحدة وهي كن تأكيد
لاثبات القدرة له وقد مر مثله في النحل وقوله كلمح بالبصر تأكيد على تأكيد وهذا تمثيل اي فتكوينه وايجاده على مشيئته وارادته ومعنى الخلق
والامر ايضا تقدم شرحا في الاعراف ثم هددهم مرة اخرى بقوله ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم ثم ذكر نوعا آخر من التهديد
مع بيان كمال القدرة والعلم فقال وكل شيء فعلوه في الزبر اي في صحف الحفظة قال النحويون هذا مما التزم فيه الرفع لان النصب يكون
نصا في معنى غير مقصود بل فاسد اذ يلزم منه ان يكون كل شيء مفعولا في الزبر وهذا معنى غير مستقيم كما ترى واما الرفع فيحتمل معنيين احدهما
صحيح مقصود وهو ان تقدير قوله فعلوه صفة لشيء والظرف خبر اي كل شيء مفعول للناس فانه في الزبر والآخر ان التقدير كل شيء فعلوه خبر و
يبقى الظرف لغوا فيؤدي الكلام حينئذ مؤدى النصب ولا ريب ان الوجه الذي يصح المعنى فيه على احد الاحتمالين اولى من الذي يكون نصا
في المعنى الفاسد ثم اكد المعنى المذكور بقوله وكل صغير وكبير من الاعمال بل مما وجد ويوجد مستطر اي مسطور في اللوح ثم ختم بوعد المتقين
والنهر جنس اريد به الانهار اكتفى به للفاصلة وقد سلف مثله مرارا في القرآن ان المتقين في جنات وعيون وقيل سعة والسعة والضياء من
النهار في مقعد صدق في مكان مرضي من الجنة مقربين عند مليك مقتدر لا يكتنه عظمته واقتداره ونظيره قول القائل فلان في بلد كذا
مقترب عند الملك ويحتمل ان يكون الظرف صفة مقعد صدق كما يقال قيل عند ابن حيزم من كثير عند خان قال اهل اللغة القعود يدل
على المكث بخلاف الجلوس ولهذا يقال للآس مقعد دون مجلس ومنه قواعد البيت وكذا في نساء تعاليه من تحوقع اي الزق بالارض وقعد
والاضافة في مقعد صدق كهي في قولك رجل صدق اي رجل صادق في الرجولية كامل فيها ويجوز ان يكون بسبب الاضافة ان الصادق

قد اخبر عنه وهو الله ورسوله او الصادق اعتقد فيه وهو المكلف او يراد سقف لا يوجد فيه كذب فان من وصل الى الله استقال عليه الا الصدق والله تعالى اعلم

سورة الرحمن مكية الا قوله يسئله من في السموات والارض الآية حروفها الف وثلثمائة وستة وثلثون كلماتها ثلثمائة واحدى وخمسون آياتها ثمان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الانسان
علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان
والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات
الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباي الاء ربكما تكذبان
خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباي
الاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فباي الاء ربكما تكذبان
مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فباي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشات في البحر
كالاعلام فباي الاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام فباي الاء ربكما تكذبان يسئله من في
السموات والارض كل يوم هو في شان فباي الاء ربكما تكذبان
سنفرغ لكم ايه الثقلان فباي الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون
الا بسلطان فباي الاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار
ونحاس فلا تنتصران فباي الاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء
فكانت وردة كالدهان فباي الاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل
عن ذنبه انس ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون
بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فباي الاء ربكما تكذبان
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن
فباي الاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي
الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فباي الاء ربكما تكذبان

فيهما عينان تجريان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة
زوجان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من
استبرق وجنا الجنتين دان فباي الاء ربكما تكذبان فيهن
قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما
تكذبان كانهن الياقوت والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان
هل جزاء الاحسان الا الاحسان فباي الاء ربكما تكذبان
ومن دونهما جنتان فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان
فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فباي الاء
ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباي الاء ربكما
تكذبان فيهن خيرات حسان فباي الاء ربكما تكذبان
حور مقصورات في الخيام فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على
رفرف خضر وعبقري حسان فباي الاء ربكما تكذبان

تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام

القراآت والحب ذا العصف والريحان بالنصب فيهما ابن عامر والحب ذو العصف بالرفع فيهما والريحان بالجر حمزة وعلي وخلف الباقون برفع الريحان يخرج مجهولا من الاخراج ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ويعقوب اللؤلؤ كما مر الجوار بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير ووافقهم ابو عمرو وغيره في الوصل المنشات بكسر الشين حمزة ويحيى طريق الصريفيني سيفرغ بالياء حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون على طريق الالتفات ايه الثقلان بضم الهاء مثل ايه المؤمنون وايه الساحر شواظ بكسر الشين ابن كثير ونحاس بالجر ابن كثير وابو عمرو وسهل لم يطمثهن بضم الميم في احديهما مخيرا علي وروى ابو الحارث عنه في الاولى بالضم من استبرق بنقل حركة الهمزة الى النون رويس وورش والشموني وحمزة في الوقف ذو الجلال بالرفع ابن عامر الوقوف الرحمن لا القرآن ط الانسان ه البيان ه بحسبان ه ص لعطف الجملتين المتفقتين يسجدان ه الميزان ه لتعلق ان الميزان ه للانام ه لان الجملة بعدها حال فاكهة ن الاكمام ه ص الريحان ج لابتداء الاستفهام مع دخول فاء التعقيب والوقف اجوز لان الابتداء بالاستفهام مبالغة في التنبيه وكذلك في جميع السورة تكذبان ه كالفخار ه نار ه تكذبان ه المغربين ه تكذبان ه يلتقيان ه لان ما بعده حال الضمير في يلتقيان ولا يبغيان حال بعد حال تكذبان ه والمرجان ه تكذبان ه كالاعلام ه تكذبان ه فان ه لعطف الجملتين المختلفتين والاولى الوصل لان الكلام الاول يتم بالثاني والاكرام ه تكذبان ه والارض ط شان ج تكذبان ه الثقلان ه تكذبان ه فانفذوا ط بسلطان ه تكذبان ه فلا تنتصران ه ولا جان ه تكذبان ه والاقدام ه تكذبان ه المجرمون ه لانه لو وصل صار ما بعده حالا من المجرمين وليس كذلك ان ه تكذبان ه جنتان ه تكذبان ه لان قوله ذواتا صفة افنان ه تكذبان ه تجريان ه زوجان لا تكذبان لان متكئين حال الا ان الكلام قد تطاول من استبرق ط دان ه تكذبان ه الطرف ه لان لم يطمثهن حال عنهن جان ه تكذبان ه والمرجان ه تكذبان ه الا الاحسان ج تكذبان ه جنتان ه تكذبان ج مدهامتان ج تكذبان ه نضاختان ه تكذبان ه ورمان ه تكذبان ه حسان ج تكذبان ه خيام ج تكذبان ه جان ه تكذبان ه حسان ج تكذبان ه والاكرام ه التفسير افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على الهيبة والعظمة وهي انشقاق القمر وافتتح السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة والعناية وهي القرآن الكريم الذي فيه شفاء القلوب والطهارة عن الذنوب وهو اسبق الآلاء واجل النعماء فصار بين السورتين مناسبة اخرى من جهة انه ذكر هناك ما يدل على الانتقام

والغضب كقوله فذوقوا عذابي ونذر وقوله فكيف كان عذابي ونذر وذكر في هذه السورة بعد تعداد كل نعمة فباي الاء ربكما
مرة بعد مرة وتذكير النعمة نعمة على نعمة لانها مما يوقظ الوسنان وينبه اهل الغفلة والنسيان قال جار الله الرحمن مبتدأ والافعال
بعده مع ضمايرها اخبار مترادفة واخلاؤها عن العاطف اما لان العايد قام مقام المصدر واما لمجيئها على نمط التعديد كما
يقول لمن اعتاد احسانك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعله احد باحد فما تشكر من احسانه قلت فعلى هذا لو لم يوقف
على القران جاز وقيل الرحمن خبر مبتدأ اي هو الرحمن ثم استانف قائلا علم القران ومفعوله الاول قيل هو متعد الى واحد
والمعنى جعل القران علامة واية للنبوة وقيل هو جبريل اي علم جبريل القران حتى نزل به على محمد وقيل علم محمدا او الانسان القران
كما يليق بهم على حسب استعداداتهم ولعله يلزم من الوجه الاخير شبهة تكرار من قوله خلق الانسان علمه البيان فالاول اشارة
الى القوى البدنية والثاني اشارة الى القوى النطقية ويلزم منه ايضا ان يكون التعليم قبل الخلق ظاهرا الا ان يكون تفصيلا
لما اجمله وقد يقال عن ابن عباس ان الانسان ادم علمه الاسماء كلها او محمد صلى الله عليه وسلم والبيان القران فيه بيان
ما كان وما سيكون الى يوم القيامة قوله الشمس والقمر بحسبان اي بحسبانه استغنى عن الوصل اللفظي بالربط المعنوي لرعاية
الفاصلة يعني انهما يجريان في بروجهما ومنازلهما بحساب معلوم والنجم هو النبات بغير ساق والشجر يسجدان اي ينقادان وانما
وسط العاطف بين هاتين الجملتين لما بين العلوي والسفلي من تناسب التقابل ولما بين الحسبان والسجود من تناسب التجانس
وذلك ان سيرهما بحساب مقدر مقرر هو من جنس الانقياد لامر الله والسماء رفعها قال في الكشاف اي خلقها مرفوعة مسموكة
حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه قلت انه حمل الرفع على ارتفاع المنزلة
ولعل المراد به الرفع الحسي ليطابق قوله والارض وضعها اي حفظها في مركز العالم مدحوة محاطة بالماء نعم لو جعل وضع الارض عبارة
عن ذلها وتسخيرها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا صح تفسيره وانما وسط قوله ووضع الميزان بين رفع السماء ووضع الارض
لانه ينتفع بالميزان الا اذا كان معلقا في الهواء بين الارض والسماء وهذا امر حسي واما العقلي فهو انه بدأ اولا من النعم بذكر القران
الذي بيان الشرائع والتكاليف ثم اتبعه ذكر كيفية خلق الانسان وقواه النفسانية وما يتم به معاشه من السماويات والارضيات
ثم ذكر انه خلق لاجلهم الة الوزن بها يقيمون العدالة في معاملاتهم وامور تدبيرهم فصار كما مر في حم عسق الله الذي انزل الكتاب بالحق
والميزان وكما يجيء في الحديد وانزلنا معهم الكتاب والميزان وان في قوله الا تطغوا مفسرة او ناصبة اي لان لا تجاوزوا حد الاعتدال
في شان هذه الالة اي في شان الوزن ثم اكد المذكور بقوله اثباتا ونفيا واقيموا الوزن بالقسط قوموه او قوموا لسان الميزان
بالعدل ولا تخسروا الميزان اي لا تجعلوه سببا للخسران والتطفيف وفي تكرير لفظ الميزان بل في ورود هذه الجمل المتشابهة الدلالة
مكررة اشارة الى الاهتمام بامر العدل وندب اليه وتحريض عليه قوله للانام اي لكل ما على ظهر الارض من دابة وقيل للانس
وخص بالذكر لشرفه ولان الباقي خلق لاجله فيها فاكهة التنوين للتعظيم وهي كل ما يتفكه به وقد افرد النخل بالذكر للتفضيل ولانه فاكهة
غذائية والاكمام جمع كم وهو وعاء التمر ثم ذكر قوت البهائم والانسان قائلا والحب ذو العصف وهو ورق الزرع او التبن وقال
الفراء والذي هو اول ما ينبت من الزرع والريحان الرزق ومن رفع فعلى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وذو
الريحان وقال الحسن وابن زيد على هذه القراءة هو ريحانكم الذي يشم ثم خاطب الجن والانس بقوله فباي الاء ربكما تكذبان
عن جابر بن عبد الله قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اريكم سكوتا للجن كانوا احسن
منكم ردا ما قرات عليهم هذه الاية مرة الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قال جار الله الخطاب في ربكما للثقلين
بدلالة الانام عليهما قلت وبما يصرح في قوله ايها الثقلان سميا بذلك لانهما ثقلا الارض قوله خلق الانسان من صلصال قد مر في سورة
الحجر الا انه شبهه هنا بالفخار وهو الخزف جاء في الغاية من طينه وكزازته والتركيب يدل عليه ومنه الفخر ولولا يبس ما فيه لم يفخر ومنه الفخ
لانه ينفتق البيضة منه وكل يابس غرضه ومنه الحرق لغاية حرارة مزاجه والجان ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان
فيه من مرج اذا اضطرب ولعله المختلط بسواد النار من مرج الشيء اختلط وقوله من نار بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار ويجوز ان يكون
نارا مخصوصة فيكون صفة رب المشرقين يعني مشرق الصيف ومشرق الشتاء والاول مطلع اول السرطان والثاني مطلع اول الجدي
هذا في بلادنا الشمالية والحال في الجنوبية بالعكس قوله مرج البحرين قد مر في الفرقان معناه ارسلهما ملحا وعذبا متلاقيين بينهما برزخ لا يبغيان
اي لا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة يخرج منهما اي من كل منهما وقال في الكشاف عاد الضمير الى البحرين لاتحادهما فالخارج من احدهما
كانه خارج من الملح لقول خرجت من البلد ولم يخرج الا من محلة بل من دار وقال ابو علي الفارسي اراد من احدهما فحذف المضاف قلت
ونحن قد سمعنا ان الاصداف تخرج من البحر المالح ومن الامكنة التي فيها عيون عذبة في مواضع من البحر الملح ويؤيده قوله سبحانه في فاطر
ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها فلا حاجة الى هذه التكلفات قال الفراء وغيره من اهل اللغة اللولو الدر والمرجان
[illegible]

باى

باى الاء ربكما تكذبان وقيل اراد فبايها المكذبان بالدلائل السمعية والعقلية او بدلائل الافاق ودلائل الانفس والاستفهام للتوبيخ
والزجر كل يوم هو في شان سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الشان فقال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع
قوما ويضع اخرين قلت هذا التفسير ليطابق ما قرر في الحكمة وما ذكرنا في الكتاب مرارا من ان القضاء هو الحكم الكلي الواقع في الازل والقدر
هو تعدد تلك الاحكام في ازمنتها المقدرة فبالاعتبار الاول قال جف القلم بما هو كائن وبالاعتبار الثاني قال كل يوم هو في شان
وهذا بالنسبة الى المتزمنات ولا يتغير في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وبالجملة انها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها وروى الواحدي
في البسيط عن ابن عباس ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين
نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وعين بيان ان كل زمان مقدر لاجل شان قال سنفرغ لكم قال اهل
البيان هو مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك والمراد تجرد داعيته للايقاع به والنكاية فيه والمراد ان شؤونه تنتهي
الى شان الجزاء وقصد المحاسبة ثم هدد الثقلين بانهم لا يستطيعون الهرب من احكامه واقضيته فيها انفذ الشيء اذا خلص منه كالسهم ينفذ
من الرمية واقطار السموات والارض نواحيها واحدها القطر وهو في الهندسة عبارة عن الخط المنصف للدايرة والسلطان القوة
والغلبة اراد انه لا مفر من حكمه الا بتسلط تام ولا سلطان فلا قال الواحدي اراد انه لا خلاص من الموت ويحتمل ان يخص هذا بيوم
الجزاء المشار اليه بقوله سنفرغ لكم ويؤيده ما روي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا راهم الجن والانس هربوا فلا ياتون وجها
الا وجدوا الملائكة احاطت به ويعضده قوله عقيبه يرسل عليكما الاية جاء في الخبر يحاط على الخلق بلسان من نار ثم ينادون
يا معشر الجن والانس الاية عليكما شواظ وهو اللهب الذي لا دخان معه وقراءة ابن كثير بكسر الشين لغة اهل مكة يقولون صوار من
بقر وصوار بالضم والكسر والنحاس الدخان من قرأ بالرفع فظاهر ويرسل عليكما هذا مرة وهذا مرة ويجوز ان يرسلا معا من غير
ان يمتزج احدهما بالاخر ومن قرأ بالجر فتقديره وشيء من نحاس وعن ابي عمرو ان الشواظ يكون من الدخان ايضا وقيل هو
الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ من المحشر فلا تنتصران فلا تمتنعان فاذا انشقت
السماء لنزول الملائكة فكانت وردة اي حمراء كالدهان هو جمع دهن كالحزام والادام شبهها بدهن الزيت كقوله كالمهل وهو
دردي الزيت وقيل الدهان الاديم الاحمر ابن عباس تصير كلون الفرس الورد وقيل حمراء الورد ثم تذوب وتكون كالدهن وقال
قتادة هي اليوم خضراء ولها يوم القيمة لون احمر والفاء في قوله فاذا للتعقيب وفي فكانت للعطف والجواب محذوف
كما سيجيء في قوله اذا السماء انشقت والمراد انهما لا تنتصران حين ارسال الشواظ عليهما فحين تنشق السماء وصارت الارض والبحر والجو
كلها نارا ويذوب السماء كما يذوب النحاس الاحمر كيف تنتصران ويمكن ان يكون وجه تشبيه السماء هو بالدهن هو اللمعات والذوب
بسرعة وعدم رسوب الخبث تحت الحديد ونحوه والغرض بيان بساطة السماء وانه لا اختلاف الاجزاء فيها فيومئذ لا يسأل عن ذنبه
انس ولا جان وضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والضمير في ذنبه عائد الى الانس لان النظر
رتبته التقديم فكانه قيل لا يسال بعض الانس عن ذنبه ولا بعض الجن والجمع بين هذه الاية وبين قوله فوربك لنسالنهم هو ما
مر من ان المواطن مختلفة او لا يسال سؤال استعلام وانما يسال سؤال توبيخ وتقريع وعندي انه بيان عدم احتياج المذنب
الى السؤال عن حاله لان كل ما هو اليوم فيه كامن فذلك في يوم القيمة يظهر ويبرز من ظلمة الطبيعة والعصيان او من نور الطاعة
والايمان واليه الاشارة بقوله يعرف المجرمون بسيماهم من سواد الوجه وزرقة العين فيؤخذ كل منهم وجنس المجرم بالنواصي
اي بهما ولعل المراد لم يجعل الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف او من قدام ويلقون في النار روى الحسن عن انس بن مالك
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل ان تخلق جهنم بالف عام فهم كل يوم
يزدادون قوة الى قوتهم حتى يقبضوا من قبضوا عليه بالنواصي والاقدام ويجوز ان يكون الفعل مسندا الى قوله بالنواصي نحو ذهب
بزيد ذكر انهم يوبخون بقول الملائكة لهم هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون والاصل الخطاب والالتفات للتبعيد والتسجيل عليهم
بالاجرام والان الذي انتهى حره قال الزجاج اني يانى انا اذا انتهى بالنضج والحرارة والمعنى انهم لا يزالون طائفين
بين عذاب الجحيم وبين الحميم وذلك حين ما يستغيثون كقوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قال جار الله نعمة فيما ذكره من
الاهوال وانواع المخاوف هي نجاة الناجي منه وما في الانذار به من اللطف ويمكن ان يراد فباي الالاء المعدودة في اول السورة
تكذبان فيستحقان هذه الاشياء المذكورة من العذاب ثم شرع في ثواب اهل الخشية والطاعة قائلا ولمن خاف مقام ربه
وقد مر نظيره في ابراهيم قوله ذلك لمن خاف مقامي قال المفسرون الجنتان احدهما للخائف الانسي والثانية للجني
او احدهما لفعل الطاعات والثانية لترك المنكرات او احدهما للجزاء والاخرى للزائد عليه تفضلا او هما جنة عدن وجنة النعيم
او احدهما جسمانية والاخرى روحانية وقيل التثنية للتاكيد كقوله القيا وهو ضعيف والافنان جمع الفنن وهو الغصن المستقيم
طولا قاله مجاهد وعكرمة والكلبي وغيرهم وانما خصها بالذكر لانها هي التي تورق وتثمر ويظل والساق لاجل ضرورة القيام ولا ضرورة
في الجنة ولا كلفة وعن سعيد بن جبير هي جمع فن والمعنى انهما صاحبتا فنون النعم وعلى هذا يكون قوله فيهما من كل فاكهة زوجان اي
صنفان كتفصيل بعد اجمال والصنفان رطب ويابس او معروف وغريب اي في كل منهما عينان تجريان من جبل من مسك احدهما
في الاعالي والاخرى في الاسافل وقال الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل متكئين حال من الخائفين
المذكورين في قوله ولمن خاف ويجوز ان يكون نصبا على المدح قال المفسرون اذا كانت بطائن الفرش هي التي تحت الظهارة وما يلي
الارض من استبرق فما ظنك بظهائرها ويجوز ان يكون ظواهرها السندس والتحقيق انه لا يعلمها الا الله كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
وجنى الجنتين اي ثمرهما دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم قال جار الله فيهن اي في هذه الالاء المعدودة من الجنتين والعينين
والفاكهة والفرش والجنى وقيل في الفرش اي عليها وقيل في الجنان لان ذكر الجنتين يدل عليه ولانهما تشتملان على اماكن
ومجالس ومتنزهات وهذا الوجه عندي اظهر وسيجيء بيانه بنوع اخر عن قريب قال الفراء الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية
اي قبل اصحاب الجنتين واللفظ يدل عليه قال مقاتل هن من حور الجنة وقال الكلبي والشعبي هن من نساء الدنيا انشئن خلقا اخر لم يطمثهن

فی هذا الخلق الذی اشتمل فیه انسی ولا جنی قال فی الکشاف لم یطمث الانسیات منهن احد من الانس ولا الجنیات احد من الجن قلت هذا التفصیل
لعله لا حاجة الیه یعرف بادنی تامل قال الزجاج فیه دلیل علی ان الجن یطمث کما یطمث الانس ثم ذکر انهن فی صفاء الیاقوت وبیاض اللؤلؤ هل
هل جزاء الاحسان فی العمل الا الاحسان فی الجزاء وعن ابن عباس فقال هل جزاء من قال لا اله الا الله محمد رسول الله الا الجنة ومن
فرغ من نعت جنتی المقربین شرع فی وصف جنتین لاصحاب الیمین فقال ومن دونهما ای ومن اسفل منهما فی المکان او فی الفضل او فیهما وهو الاظهر
روی ابو موسی عن النبی صلی الله علیه وسلم جنتان من فضة آنیتهما وما فیهما وجنتان من ذهب آنیتهما وما فیهما مدهامتان من الادهام
او هام یدهام فهو مدهام نظیر اسواد یسواد فهو مسواد فی اللفظ وفی المعنی وذلک ان کل نبت اخضر فتمام خضرته من الری ان یضرب الی السواد
نضاختان فوارتان والنضخ بالخاء المعجمة اکثر من النضح وهو الرش قال ابن عباس تنضخ علی اولیاء الله بالمسک والعنبر والکافور وانما خص
النخل والرمان بالذکر بعد اندراجهما فی الفاکهة لفضلهما وشرفهما فالنخل فاکهة وطعام والرمان فاکهة ودواء ومنه قال ابو حنیفة اذا حلف
لا یاکل فاکهة فاکل رمانا او رطبا لم یحنث وخالفه صاحباه والفقهاء ان فیهن خیرات مخفف خیرات لان الخیر الذی هو بمعنی التفضیل لا یجمع جمع
السالم والمعنی انهن فاضلات الاخلاق حسان الصور واعلم انه سبحانه قال فی موضعین عند ذکر الحور فیهن وفی سایر المواضع فیهما والسر
فیه ان تمام اللذة عند اجتماع النسوان للرجل الواحد ان یکون لکل منهن مسکن علی حدة متباعد من مسکن الاخری واسع بحیث یسع بالیق بحالها
من الجواری والغلمان وسایر الاسباب فیحصل هناک متنزهات کثیرة کل منها جنة وکان فی ضمیر الجمع اشارة الی ذلک واما العیون
والفواکه فلم یکن شیء منها بهذه المثابة من کمال اللذة فاکتفی فیها بعود الضمیر الی الجنتین فقط والمقصورات اللواتی قصرن ای حبسن فی خدورهن
او مقصورة ای مخدرة روی قتادة عن ابن عباس الخیمة درة مجوفة فرسخ فی فرسخ فیها اربعة الاف مصراع من ذهب وعن النبی
صلی الله علیه وسلم الخیمة درة مجوفة طولها فی السماء ستون میلا فی کل زاویة منها اهل للمؤمن لا یراهم الاخرون قال اهل المعانی کنی عن الجماع فی الدنیا بنحو قوله
من قبل ان تمسوهن وذکر الجماع فی الاخرة بلفظ یقرب من الصریح وهو الطمث فالنکتة فی ذلک والجواب ان المباشرة فی الدنیا قبیحة لما فیها من قضاء
الشهوة واسقاط القوة وهی فی الاخرة بخلاف ذلک فانها داعیة روحانیة ولذة حقیقیة فلم یحتج الی الکنایة لان الکنایات انما تجری فی القبیحات
قال جار الله متکئین نصب علی الاختصاص قلت ویجوز ان یکون حالا والعامل مضمر یدل علیه قوله لم یطمثهن انس قبلهم ای یطمثونهن فی حال الاتکاء
قال ابو عبیدة والضحاک ومقاتل والحسن الرفرف ضرب من البسط وقیل کل ثوب عریض فهو رفرف ویقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط
رفارف وقال الزجاج الرفرف هاهنا ریاض الجنة وقیل الوسائد قال جار الله العبقری منسوب الی عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فینسبون الیه
کل شیء عجیب وعن ابی عبیدة کل وشی من البسط عبقری وهو جمع واحده عبقریة ومما یدل علی ان صفات هاتین الجنتین تقاصرت عن
الاولیین قوله مدهامتان فانه دون قوله ذواتا افنان وذلک ان کمال الخضرة لا یوجب کون البستان ذا فنون ونضاختان دون تجریان
وفاکهة دون کل فاکهة وکذلک صفة الحور والمتکأ قال اهل العلم کرر قوله فبای آلاء ربکما تکذبان احدی وثلثین مرة ثمانیة منها ذکرها عقیب تعداد
عجائب خلقه وذکر المبدأ والمعاد ثم سبعة منها عقیب ذکر النار واهوالها علی عدد ابواب جهنم وبعد هذه السبعة اورد ثمانیة فی وصف
الجنات واهلها علی عدد ابواب الجنة وثمانیة بعدها عقیب وصف الجنان التی هی دونهما فمن اعتقد الثمانیة الاولی وعمل بموجبها استحق کلتا
الثمانیتین من الله ووقاه السبعة السابقة ثم نزه نفسه عما لا یلیق بجلاله وختم السورة علیه والاسم مقحم کما بینا وفائدة هذا التوسیط
سلوک سبیل الکنایة کما یقال سماحة فلان بریئة عن المثالب
والله اعلم

سورة الواقعة ست وتسعون آیة وهی مکیة کلماتها ثلثمایة وثمان وسبعون
حروفها الف وسبعمایة وثلث

بسم الله الرحمن الرحیم

اذا وقعت الواقعة ۝ لیس لوقعتها کاذبة ۝ خافضة رافعة ۝ اذا رجت
الارض رجا ۝ وبست الجبال بسا ۝ فکانت هباء منبثا ۝ وکنتم
ازواجا ثلثة ۝ فاصحاب المیمنة ما اصحاب المیمنة ۝ واصحاب المشئمة
ما اصحاب المشئمة ۝ والسابقون السابقون ۝ اولئک المقربون
فی جنات النعیم ۝ ثلة من الاولین ۝ وقلیل من الاخرین
علی سرر موضونة ۝ متکئین علیها متقابلین ۝ یطوف علیهم ولدان
مخلدون ۝ باکواب واباریق وکاس من معین ۝ لا یصدعون
عنها ولا ینزفون ۝ وفاکهة مما یتخیرون ۝ ولحم طیر مما یشتهون

وحور عین ۝ کامثال اللؤلؤ المکنون ۝ جزاء بما کانوا یعملون ۝
لا یسمعون فیها لغوا ولا تاثیما ۝ الا قیلا سلاما سلاما ۝ واصحاب
الیمین ما اصحاب الیمین ۝ فی سدر مخضود ۝ وطلح منضود ۝ وظل ممدود
وماء مسکوب ۝ وفاکهة کثیرة ۝ لا مقطوعة ولا ممنوعة ۝ وفرش مرفوعة
انا انشاناهن انشاء ۝ فجعلناهن ابکارا ۝ عربا اترابا ۝ لاصحاب الیمین
ثلة من الاولین ۝ وثلة من الاخرین ۝ واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال ۝ فی سموم وحمیم ۝ وظل من یحموم ۝ لا بارد ولا کریم ۝ انهم کانوا
قبل ذلک مترفین ۝ وکانوا یصرون علی الحنث العظیم ۝ وکانوا
یقولون ائذا متنا وکنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون ۝ اوآباؤنا
الاولون ۝ قل ان الاولین والاخرین ۝ لمجموعون الی میقات یوم
معلوم ۝ ثم انکم ایها الضالون المکذبون ۝ لاکلون من شجر من زقوم
فمالئون منها البطون ۝ فشاربون علیه من الحمیم ۝ فشاربون
شرب الهیم ۝ هذا نزلهم یوم الدین ۝ نحن خلقناکم فلولا تصدقون
افرایتم ما تمنون ۝ ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ۝ نحن قدرنا بینکم الموت
وما نحن بمسبوقین ۝ علی ان نبدل امثالکم وننشئکم فیما لا تعلمون ۝
ولقد علمتم النشاة الاولی فلولا تذکرون ۝ افرایتم ما تحرثون ۝ ءانتم تزرعونه
ام نحن الزارعون ۝ لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفکهون ۝ انا لمغرمون
بل نحن محرومون ۝ افرایتم الماء الذی تشربون ۝ ءانتم انزلتموه
من المزن ام نحن المنزلون ۝ لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشکرون ۝
افرایتم النار التی تورون ۝ ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون ۝
نحن جعلناها تذکرة ومتاعا للمقوین ۝ فسبح باسم ربک العظیم ۝
فلا اقسم بمواقع النجوم ۝ وانه لقسم لو تعلمون عظیم ۝ انه لقرآن
کریم ۝ فی کتاب مکنون ۝ لا یمسه الا المطهرون ۝ تنزیل من رب
العالمین ۝ افبهذا الحدیث انتم مدهنون ۝ وتجعلون رزقکم
انکم تکذبون ۝ فلولا اذا بلغت الحلقوم ۝ وانتم حینئذ تنظرون

ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ۝ فلولا ان كنتم غير مدينين
ترجعونها ان كنتم صادقين ۝ فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم ۝ واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
من اصحاب اليمين ۝ واما ان كان من المكذبين الضالين ۝ فنزل
من حميم ۝ وتصلية جحيم ۝ ان هذا لهو حق اليقين ۝ فسبح باسم ربك العظيم

ينزفون من باب الافعال عاصم وحمزة وخلف الباقون بفتح الزاي وحور عين بجرهما يزيد وعلي وحمزة عربا بسكون
حمزة وخلف ويحيى وحماد واسمعيل اذا اينا كما في الرعد الا ابن عامر فانه تابع عاصما والا يزيد فانه تابع قالون شرب بضم الشين
ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وسهل الباقون بالفتح وكلاهما مصدر قدرنا بالتخفيف ابن كثير انا لمغرمون بهمزتين ابو بكر وحماد
الاخرون بهمزة واحدة مكسورة على الخبر بموقع على الوحدة حمزة وعلي وخلف تكذبون بالتخفيف المفضل فروح بضم الراء قتيبة ويعقوب
الوقوف الواقعة ه لا بناء على ان العامل في الظرف هو ليس ولو كان منصوبا باضمار اذكر او كان الجواب محذوفا اي اذا
وقعت الواقعة كان كيت وكيت صح الوقف كاذبة ه لا لئلا يصير ما بعده صفة رافعة ه لا لتعلق الظرف بخافضة او لكونه بدلا من
الاول رجا ه لا بسا ه لا منبثا ه لا ثلثة ه لا ما اصحاب الميمنة ه لا لتناهي استفهام التعجب ما اصحاب المشئمة ه لا السابقون
ه لا بناء على ان السابقون تاكيد والجملة بعده خبر المقربون ه لاحتمال ان ما بعده خبر مبتدا محذوف اي هم في جنات النعيم
الاولين ه لا الاخرين ه لا موضونة ه لا متقابلين ه مخلدون ه لا معين ه لا لا ينزفون ه يتخيرون ه لا يشتهون ه
لمن قرا وحور عين ه لا بالرفع المكنون ه لا يعملون ه تاثيما ه سلاما ه ما اصحاب اليمين ه مخضود ه منضود ه ممدود ه
مسكوب ه كثيرة ه ممنوعة ه مرفوعة ه انشاء ه ابكارا ه اترابا ه اليمين ه الاولين ه والاخرين ه
ما اصحاب الشمال ه وحميم ه يحموم ه ولا كريم ه مترفين ه العظيم ه لمبعوثون ه الاولون ه الاخرين ه
معلوم ه المكذبون ه زقوم ه البطون ه الوقف اجوز الحميم ه الهيم ه الدين ه تصدقون ه تمنون ه
الخالقون ه بمسبوقين ه لا تعلمون ه تذكرون ه تحرثون ه الزارعون ه تفكهون ه لمغرمون ه
محرومون ه تشربون ه المنزلون ه تشكرون ه تورون ه المنشؤن ه للمقوين ه العظيم ه النجوم ه
عظيم ه كريم ه مكنون ه المطهرون ه العالمين ه مدهنون ه تكذبون ه الحلقوم ه تنظرون ه لا تبصرون ه
مدينين ه صادقين ه المقربين ه نعيم ه اليمين ه اليمين ه الضالين ه حميم ه جحيم ه اليقين ه
العظيم ه التفسير اذا وقعت الواقعة نظير قولك حدثت الحادثة وكانت الكائنة وهي القيامة التي تقع لا محالة او لانها
وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت ارتقب نزوله واللام في لوقعتها للوقت اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله لان الايمان
حينئذ ضروري الا انه غير نافع لانه ايمان البأس ويجوز ان يراد ليس لها وقتئذ نفس تكذبها وتقول لها
لم تكوني لان انكار المحسوس غير معقول ويجوز ان يراد ان يكون من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته
وقالت له انك تطيقه فيكون المراد ان القيامة واقعة لا تطاق بشدتها وفظاعتها وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به
عند عظائم الامور وقيل هي مصدر كالعافية فيؤول المعنى الى الاول وقال في الكشاف هو بمعنى التكذيب من قولهم حمل على قرنه فما كذب
اي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من طاقته له والحاصل من هذا التوجيه انها اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد
خافضة رافعة اي هي تخفض اقواما وترفع اخرين اما لان الواقعات العظام تكون كذلك كما قال وما ان طبنا جبن ولكن منايانا
ودولة اخرينا واما لان للاشقياء الدركات وللسعداء الدرجات واما لان زلزلة الساعة تزيل الاشياء عن مقارها فتنتثر
الكواكب وتسير الجبال في الجو ويدل عليه قوله اذا رجت الارض اي حركت تحريكا عنيفا حتى ينهدم كل بناء عليها وبست الجبال اي فتت حتى تعود
كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها وكانت اي صارت غبارا منتشرا ثم ذكر احوال الناس يومئذ قائلا وكنتم لفظ الماضي
لتحقيق الوقوع ازواجا اي اصنافا ثلثة ثم فصلها فقال واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وهو تعجيب من شانهم كقولك زيد ما زيد
سموا بذلك لانهم يؤتون صحائفهم بايمانهم او لانهم اهل المنزلة السنية من قولهم فلان مني باليمين اذا وصفته بالرفعة عندك وذلك لتيمنهم
بالميامن دون الشمائل او تبركهم بالسانح دون البارح ولعل اشتقاق اليمين من اليمن والشمال من الشؤم والسعداء ميامين على انفسهم
والاشقياء مشائيم عليها وروي ان اهل الجنة يؤخذ بهم الى جانب اليمين واهل النار يؤخذ بهم الى الشمال والسابقون الذين سبقوا
الى ما دعاهم الله اليه من التوحيد والاخلاص والطاعة هم السابقون عرف الخبر للمبالغة كقوله وشعري شعري يريد والسابقون
من عرفت حالهم وبلغك وصفهم وعلى هذا يحسن الوقف على السابقون اولئك المقربون الى مقامات لا يكشف المقال عنها غير
الخيال والعارفون يقولون لهم انهم اهل الله وفي لفظ السبق اشارة الى ذلك وفي جنات النعيم اخفاء حالهم وبيان محل اجسادهم
او هي الجنة الروحانية النورانية ثلثة من الاولين اي جماعة كثيرة من لدن ادم الى اول شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم قال
اهل الاشتقاق اصل الثلة من الثل وهو الكسر كان الامة من الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم ثم اشتق
الامم منه اذ بحصل الامة المقتدية به وقيل من الاخرين اي من هذه الامة قال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين وصدقوا بهم اكثر

[illegible]

فقالوا عن الشرك وعن الشعبي هو اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون ويدل عليه ما بعده وقد مر مثله في الصافات
واعلم انه سبحانه ذكر في تفصيل الازواج الثلثة نشأ عجيبا واسلوبا غريبا وذلك انه لم يورد في التفصيل الا ذكر صنفين اصحاب الميمنة واصحاب
المشأمة ثم بين حال الثلثة السابقين واصحاب اليمين واصحاب الشمال فاقول وبالله التوفيق هذا كلام موجز معجز فيه لطائف خلت عنها التفاسير
عنها منها انه طوى ذكر السابقين في اصحاب الميمنة لان كلا من السابقين ومن اصحاب اليمين اصحاب اليمين والبركة كما ان اصحاب الشمال
اهل الشؤم والنكد وكان في هذا الطي اشارة الى الحديث القدسي اوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري ومنها ان ذكر السابقين وقع في الوسط
باعتبار وخير الامور اوسطها وفي الاول باعتبار والاشرف بالتقديم اولى وفي الاخر باعتبار ليكون اشارة الى قوله صلى الله عليه
وسلم نحن الاخرون السابقون ومنها ان مفهوم السابق متعلق بمسبوق فما لم يعرف ذات المسبوق لم يحسن ذكر السابق من حيث هو
سابق فهذا ما سنح لي والله تعالى اعلم بمراده ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يقرر لهم ما شكوا فيه فقال قل ان الاولين والاخرين
لمجموعون الى ميقات يوم اي منتهى امرجعهم الى وقت يوم معلوم عند الله وفيه رجوع الى اول السورة وكم كرر ذلك المعاد بعبارات شتى ثم
ذكر طرفا من حال المكذبين المعاصرين ومن شابههم ثم قال انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث لاكلون اي في اليوم المذكور من شجر
هو لابتداء من زقوم هو بيان فمالؤن منها البطون انث الضمير بتأويل الشجرة قال جار الله عطف الشاربين على الشاربين لاختلافهما اعتبارا
وذلك ان شرب الماء المتناهي الحرارة عجيب وشربه كشرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب فلا تروى واحدها اهيم والمؤنث
هيماء ووزنه فعل كبيض وجوز ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى

الطير
كثيرة
البور
اوبدلالتي
معقول
العظيم
فرغنا
هم
ومنها
فيها

انه يسلط عليهم الجوع حتى يضطروا الى اكل الزقوم ثم يسلط عليهم العطش الى ان يضطروا الى شرب الحميم كالابل الهيم نحن خلقناكم فلولا تصدقون
بالبعث بعد الخلق فان من قدر على البداءة كان على الاعادة اقدر ثم برهن على انه لا خالق الا هو فقال افرايتم ما تمنون اى تقذفونه فى الارحام
يقال امنى النطفة ومناها وقد مر فى قوله من نطفة اذا تمنى ءانتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه ووجه الاستدلال ان المنى انما يحصل من فضلة
الهضم الرابع وهو كالطل المنبث فى جميع الاعضاء ولهذا يشترك كل الاعضاء فى لذة الوقاع ويجب اغتسال كلها لحصول الانحلال عنها جميعا فالذى
قدر على جمع تلك الاغذية فى بدن الانسان ثم على جمع تلك الاجزاء الطلية فى اوعيتها ثم على تمكينها فى الرحم الى ان يكون انسانا كاملا يقدر على
جمعها بعد تفريقها بالموت المقدر فيهم بحيث لا يفوته شئ منها والى هذا اشار بقوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل اى نحن قادرون على ذلك لا
يغلبنا احد يقال سبقته على الشئ اذا اعجزته عنه وغلبته عليه والامثال جمع المثل اى على ان نبدل مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون اى فى خلق لا
تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعنى انا نقدر على انشائكم فى جملة خلق يماثلكم او خلق لا يماثلكم ويجوز جار الله ان يكون جمع مثل بفتحتين والمعنى انا
قادرون على تغيير صفاتكم التى انتم عليها وانشاء صفات لا تعلمونها ثم ذكرهم النشأة الاولى ليكون تذكيرا بعد تذكير فقال ولقد علمتم الاية
ثم دل على كمال عنايته ورحمته ببريته مع دليل اخر على قدرته قائلا افرايتم ما تحرثون من الطعام اى تبذرون حبه ءانتم تزرعونه اى تجعلونه نباتا
يكون نباتا كاملا يستحق اسم الزرع وفى الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احد زرعت وليقل حرثت والحطام ما تحطم وتكسر
من الحشيش اليابس وقوله فظلتم اصله فظللتم حذفت احدى اللامين تخفيفا وهو مما جاء مستعملا غير مقيس عليه ومعنى تفكهون تتعجبون كانه تكلف الفكاهة ومن الحسن
تندمون على الانفاق عليه والتعب فيه او على المعاصى التى صارت سببا لذلك من قرا انا بالخبر فواضح ويحتمل تقدير القول ولا بد منه ومن قرا بالاستفهام
فلتعجب فلا بد من تقدير القول ايضا ومعنى لمغرمون لمهلكون من الغرام الهلاك لهلاك الرزق او من الغرامة اى لملزمون غرامة ما انفقنا بل نحن قوم محرومون
لا حظ لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا ما جرى او ذهنوا التعجب من حالهم ثم اسند ذلك الى ما كتب عليهم فى الازل من الادبار وسوء القضاء فعوذ
بالله ثم ذكر دليلا اخر مع كونه نعمة اخرى وهو انزال الماء من المزن وهو السحاب الابيض خاصة والاجاج الماء الملح اكتفى باللام الاولى فى جواب لو عن الثانية
وهى ثابتة فى المعنى لان شرطية لو غير داخلة ليس الا ان الثانى امتنع لامتناع الاول وهذا امر معلوم فاحتيج فى الربط الى اللام التوكيدى ويمكن
ان يقال ان امر المطعوم يقدم على امر المشروب والوعيد بفقده اشد واصعب فلهذا اختصاص المطعوم باللام المفيدة للتاكيد ولما حشتم الاية قوله
فلولا تشكرون لانه وصف الماء بقوله الذى تشربون ولم يصف المطعوم بالاكل اولانه قال انتم انزلتموه من المزن وهذا الاعمل للادمى فيه اصلا بخلاف
الحرث اولان الشرب من تمام الاكل فيعود الشكر الى النعمتين جميعا ثم عد نعمة اخرى من قبل بامر ومعنى تورون تقدحونها وتستخرجونها من الشجرة
وقد سبق ذكرها فى اخر يس واعلم انه سبحانه بدا فى هذه الدلائل بذكر خلق الانسان لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم اعقبه بذكر ما فيه
قوام الناس وقوام معايشهم وهو الحب ثم اتبعه الماء الذى به يتم العجن ثم ختم بالنار التى بها يحصل الخبز وذكر عقيب كل واحد ما ياتى عليه ويفسده
فقال فى الاولى نحن قدرنا بينكم الموت وفى الثانية ولو نشاء لجعلناه حطاما وفى الثالثة لو نشاء جعلناه اجاجا ولم يقل فى الرابعة ما يفسدها
بل قال نحن جعلناها تذكرة يتعظون بها ولا ينسون نار جهنم كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين
جزءا من حر جهنم ومتاعا وسبب تمتع ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام فى السفر
من اقوى الرجل اذا لم ياكل شيئا من ايام وفى نسق هذه الايات بشارة للمؤمنين وذلك انه سبحانه بدا بالوعيد الشديد وهو تغيير ذات
الانسان بالكلية فى قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم ثم نزل ذلك المقام الى اسهل منه وهو تغيير قوته واما فقال لو نشاء لجعلناه
حطاما ثم عقبه باسهل وهو تغيير مشروبه نفعا لا ذاتا ولهذا احذف اللام فى قوله لو نشاء جعلناه اجاجا ويحتمل عندى ان يكون سبب حذف
اللام هو كون لو بمعنى ان وذلك ان الماء باق ههنا فيكون التعليق حقيقة بخلاف الزرع فانه بعد ان حصد صار التعليق المذكور وهميا فافهم
ثم ختم بذكر النار وفيه وعد من وجه ووعيد من وجه اما الاول فلانه لم يبين ما يفسدها كما قلنا فهذا يدل على ان الختم وقع على الرافة
والرحمة واما الثانى فلان عدم ذكر مفسدها يدل على بقائها فى الاخرة وفى قوله تذكرة اشارة الى ما قلنا ثم امر باحداث التسبيح
بذكره او بذكر الاسم العظيم تنزيها له عما يقول الكافرون به وبنعمته وبقدرته على البعث ثم عظم شان القران بقوله فلا اقسم اى فاقسم
والعرب تزيد لا قبل فعل اقسم كانه ينفى ما سوى المقسم عليه فيفيد التاكيد ومواقع النجوم مساقطها ومغاربها ولا ريب ان اواخر الليل خواصها
شريفة ولهذا قال سبحانه والمستغفرين بالاسحار وعن سفيان الثورى ان الله تعالى ريحا تهب وقت الاسحار تحمل الاذكار والاستغفار
الى الملك الجبار وقوله انه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فيه اعتراض ومواقعها منازلها ومسايرها فى ابراجها او هى اوقات نزول نجوم
القران الكريم الحسن المرضى من بين جنس الكتب ذكره لنفعه للمكلفين او هو كرامة على الله عز وجل فى كتاب مكنون مستور الا على مراد الله تعالى اطلاعه
على اسراره من ملائكة المقربين وهو اللوح لا يمسه ان كان الضمير للكتاب فالمعنى انه لا يصل الى ما فيه الا عبيده المطهرون من الادناس
الجسمية وهم الكروبيون وان كان للقران فالمراد انه لا ينبغى ان يمسه الا من هو على الطهارة الباطنة والظاهرة فلا يمسه كافر ولا جنب ولا محدث
ومن الناس من جوز قراءة القران عند الحدث الاصغر ايضا وعن ابن عباس فى رواية وهو مذهب الامامية اباحة قراءته فى الجنابة الا
فى اربعة سور فيها سجدة التلاوة لان سجدة التلاوة واجبة عندهم ثم وبخ المنها وبين بشان القران فقال افبهذا الحديث اى بالقران او
بهذا الكلام الدال على حقيقة القران انتم مدهنون متهاونون من ادهن فى الامر اذا لان جانبه ولا يتصلب فيه وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم
انكم تكذبون بالبعث وبما دل عليه القران ومن اظلم ممن وضع التكذيب موضع الشكر كانه عاد الى ما اخره منه الكلام وهو ذكر تعداد النعم من قوله
افرايتم ما تحرثون الى قوله للمقوين وقيل نزلت فى الانواء ونسبتهم الامطار اليها يعنى وتجعلون شكر ما رزقكم الله من الغيث انكم مكذبون بكونه
من الله عز وجل وتنسبونه الى النجوم ثم زاد فى توبيخ الانسان على جحده افعال الله وآياته وترتيب الاية بالنظر الى اصل المعنى هو ان يقال فلولا
ترجعون الارواح الى الابدان اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين فزاد فى الكلام توكيدات منها تكرير فلولا للتحضيض لطول الفصل كما كرر
قوله فلا تحسبنهم بعد قوله لا تحسبن الذين يفرحون ومنها تقديم الظرف وهو قوله اذا بلغت اى النفس وانما اضمرت للعلم بها كقوله
ما ترك على ظهرها وانما قدم الظرف للعناية فانه لا وقت يكون للانسان فيه احوج الى التصرف والتدبير ولا نادرا ان ترتب الاغراض
عليه ومنها زيادة الجمل المعترضة وهى قوله وانتم حينئذ تنظرون اليه ونحن اقرب اليه منكم بالقدرة والعلم او بملائكة الموت ولكن
لا تبصرون لا بالبصر ولا بالبصيرة ومعنى مدينين مربوبين مملوكين مقهورين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ومنها قوله ان

ان كنتم صادقين فانه شرط زايد على شرط اى ان كنتم صادقين ان كنتم غير مدينين فارجعوا ارواحكم الى ابدانكم مستغنين عن الموت والحلقوم
الحلق وهو مجرى النفس الواو والميم زائدتان ووزنه فعلوم ويمكن ان يقال ان فعل فلولا الاول محذوف يدل عليه ما قبله والمعنى تكذبون مدة
حياتكم جاعلين التكذيب رزقكم ومعاشكم فلولا تكذبون وقت الموت وانتم فى ذلك الوقت تعلمون الاحوال اوقاتها وشاهدتموها ويحتمل ان يكون
معنى مدينين مقيمين من مدن اذا اقام والمعنى ان كنتم على ما تزعمون من انكم لا تبقون فى العذاب الابدى بعد موتكم فلم لا ترجعون انفسكم الى
الدنيا ان لم يكن الاخرة دار الاقامة ويجوز ان يكون من الدين بمعنى الجزاء والمعنى يؤول الى الاول لان الجزاء نوع من القهر والتسخير ويحتمل
عندى ان يكون الضمير فى ترجعونها عائدا الى ملائكة الموت بدليل قوله ونحن اقرب والمعنى فلولا تردون عن ميتكم ملائكة الموت ان كنتم
غير مقهورين تحت قدرتنا وارادتنا وحين بين انه لا قدرة لهم على رجع الحيوة والنفس الى البدن وانهم يجزون او ولمون فى دار
الاقامة فصل حال المكلف بعد الموت قائلا فاما ان كان المتوفى من المقربين اى من السابقين من الازواج الثلثة فروح اى فله استراحة
وهذا لنعيم الروح والبدن وريحان اى رزق وهذا للبدن وجنة نعيم وهذا للروح تتنعم بلقاء المليك المقتدر وروى
ان المؤمن لا يخرج من الدنيا الا ويؤتى اليه بريحان من الجنة يشمه واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك ايها النبى من اصحاب
اليمين اى انت سالم من شفاعتهم هذا قول كثير من المفسرين وقال جار الله فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين
كقوله وتحيتهم فيها سلام ان هذا القران او الذى انزل فى هذه السورة لهو حق اليقين اى الحق الثابت من اليقين وهو علم يحصل
به ثلج الصدر ويسمى برد اليقين وقد يسمى العلم الحاصل بالبرهان فالاضافة بمعنى من كقولك خاتم فضة وهذا فى الحقيقة لا يفيد
سوى التاكيد كقولك حق الحق وصواب الصواب اى غايته ونهايته التى لا وصول فوقه والمراد هذا هو اليقين حقا لا اليقين الذى
يظن انه يقين ولا يكون كذلك فى نفس الامر هذا ما قاله اكثر المفسرين وقيل الاضافة فيه كما فى جانب الغربى ومسجد الجامع اى حق الامر
اليقين ويحتمل ان يكون الاضافة كما فى قولنا حق النبى ان يصلى عليه وحق المال ان يؤدى زكوته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها اى الا بحق هذه الكلمة ومن حقها
اداء الزكوة والصلوة فكذلك حق اليقين الاعتراف بما قال الله سبحانه فى شان الازواج الثلثة وعلى هذا يحتمل ان يكون
اليقين بمعنى الموت كقوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قال اهل اليقين للعلم ثلث مراتب اولها علم اليقين وهو مرتبة
البرهان وثانيها عين اليقين وهو ان يرى المعلوم عيانا فليس الخبر كالمعاينة وثالثها حق اليقين وهو ان يصير العالم والمعلوم
والعلم واحدا لا يعرف حق هذه المرتبة الا من وصل اليها كما ان طعم العسل لا يعرف الا من ذاقه بشرط ان لا يكون مزاجه
وغذاقه فاسدين روى جمع من المفسرين ان عثمان بن عفان دخل على ابن مسعود رضى الله عنهما فى مرضه الذى مات فيه فقال
له ما تشتكى قال ذنوبى قال ما تشتهى قال رحمة ربى قال افلا ندعو الطبيب قال الطبيب امرضنى قال افلا نامر بعطائك قال لا حاجة لى
فيه فقال تدفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد امرتهن ان يقران سورة الواقعة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
من قرا سورة الواقعة كل يوم لم يصبه فاقة ابدا

سورة الحديد تسع وعشرون اية وهى مدنية كلماتها خمسمائة واربعة واربعون حروفها الفان واربعمائة وستة وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ۝ له ملك السموات
والارض يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير ۝ هو الاول والاخر والظاهر
والباطن وهو بكل شئ عليم ۝ هو الذى خلق السموات والارض فى ستة
ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من
السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير ۝
له ملك السموات والارض ۝ والى الله ترجع الامور ۝ يولج الليل فى النهار
ويولج النهار فى الليل ۝ وهو عليم بذات الصدور ۝ امنوا بالله ورسوله
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ۝
وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان
كنتم مؤمنين ۝ هو الذى ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم

من الظلمات الى النور وان الله بكم لرءوف رحيم ۝ وما لكم الا تنفقوا
فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوى منكم
من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد
وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ۝ من ذا الذى يقرض الله
قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم ۝ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم اليوم جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ۝ يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا
نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم
وغرتكم الامانى حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور ۝ فاليوم لا يؤخذ
منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هى موليكم وبئس المصير ۝
الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ۝
اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون ۝
ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم
اجر كريم ۝ والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء
عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم ۝ اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
فى الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا
ثم يكون حطاما وفى الاخرة عذاب شديد ۝ ومغفرة من الله ورضوان
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ۝ سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۝ ما اصاب من مصيبة فى الارض

ولا

ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير ۝ لكيلا
تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم والله لا يحب كل مختال فخور ۝ الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد ۝ لقد
ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من
ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز ۝ ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم
فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ۝ ثم قفينا على
اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب
الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء
رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير
منهم فاسقون ۝ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين
من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ۝ لئلا يعلم
اهل الكتاب الا يقدرون على شىء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم ۝

القراءة ۝ واخذ مجهولا ميثاقكم بالرفع ابو عمرو وكل بالرفع ابن عامر انظرونا من الانظار حمزة الامانى بسكون الياء يزيد لا تؤخذ
بالتاء غيث ابن عامر ويزيد وسهل ويعقوب وما نزل بالتشديد مجهولا عباس نزل بالتخفيف من النزول نافع وحفص الباقون بالتشديد
ولا تكونوا على الخطاب رويس المصدقين والمصدقات بتخفيف الدال نقطا ابن كثير وابو بكر وحماد بما اتيكم مقصورا من الاتيان ابو عمرو
فان الله هو الغنى بغير الفصل ابو جعفر ونافع وابن عامر ابراهام كما مره ۝ الارض ج بالعطف الجملتين المختلفتين الحكيم
۝ والارض ج لاحتمال ان يكون قوله يحيى مستانفا لا محل له او له محل بتقدير هو يحيى وان يكون حالا من المجرور فيها ويميت ج
قدير ۝ والباطن ج عليم ۝ العرش ط فيها ط كنتم ط بصير ۝ والارض ط الامور ۝ فى الليل ط الصدور ۝ فيه ط
كبير ۝ بالله ج مؤمنين ۝ الى النور ط رحيم ۝ والارض ط وقاتل ط وقاتلوا ط الحسنى ط خبير ۝ كريم ج لاحتمال
تعلق عامل الظرف بقوله ولهم اجر او بقوله بشريكم اى يقال لهم ذلك يومئذ او هو مفعول اذكر فيها ط العظيم ج ۝
وان وصل وقف على نوركم لان يوم قد يعلق بالعظيم مع وقف على نوركم وقد يتعلق بقوله قيل ارجعوا نورا ط باب ط العذاب ۝ ط
معكم ط الغرور ۝ كفروا ط النار ط مولاكم ط المصير ۝ الحق لا الامن قرا ولا تكونوا على النهى قلوبهم ط فاسقون ۝ موتها ط
تعقلون ۝ كريم ۝ الصديقون ۝ والوصل اولى ومن وقف على الصديقين لم يقف على ربهم ونورهم ط الجحيم ۝ والاولاد ط
حطاما ط ورضوان ط الغرور ۝ ورسله ط من يشاء ط العظيم ۝ نبراها ط يسير ج لاحتمال تعلق اللام بما قبله او
بمحذوف اى ذلك لكيلا اتيكم ط فخورا لا ۝ لان ما بعده بدل بالبخل ط الحميد ۝ بالقسط ج للعطف ظاهرا مع ان انزل الحديد
ابتداء اخبار غير مختص بالرسل بالغيب ط عزيز ۝ مهتد ج لان الجملتين وان اتفقتا لفظا الا ان الاولى لبعض القليل
والثانى للكثير فيغنى عن الاستيناف فاسقون ۝ ورحمة ط لان ما بعده منصوب بابتدعوا المقدر رعايتها لان الجملتين
وان اتفقتا لفظا الا ان قوله فاتينا ليس جزاء ترك الرعاية انما هو تمام بيان التفرقة بين الفريقين فيرجع الى قوله منهم مهتد
اجرهم ج لما مر فاسقون ۝ ويغفر لكم ط رحيم ۝ لا وقد يجوز الوقف بناء على ان المراد ذلك ليعلم يشاء ط العظيم ۝
التفسير معنى تسبيح الموجودات قد تقدم فى قوله وان من شىء الا يسبح بحمده والان نقول انه جاء فى سورة بنى اسرائيل
بلفظ المصدر وهو سبحان وفى هذه السورة وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المستقبل وفى سورة الاعلى
بلفظ الامر استيعابا للاقسام وذلك دليل على ان التسبيح لله تعالى مستمر دائم فى الاوقات كلها من الازل الى الابد وتفسير اسما

الله الحسنى المذكورة في اول هذه السورة قد سبق في البسملة فلا حاجة الى اعادة كلها الا انا نذكر ما اورده الامام فخر الدين الرازي
رحمه الله تعالى ههنا على سبيل الايجاز مع تنقيح ما يجب تنقيحه قال هذا مقام مهيب والبحث فيه من وجوه الاول ان تقدم الشيء
على الشيء اما تقدم التأثير كتقدم حركة الاصبع على حركة الخاتم واما التقدم بالحاجة لا بالتأثير كتقدم الواحد على الاثنين او معقول
كما اذا جعلنا المبدأ هو الجنس العالي واما بالزمان كتقدم الاب على الابن وتقدم بعض اجزاء الزمان على البعض عند من ليس من هذه
الاقسام الخمسة اما التأثير والحاجة فلانه لو كان كذلك لوجدا معا كان العلة والمعلول يوجدان معا وكذا الواحد والاثنان
واما الشرف والمكان فظاهران واما بالزمان فلان الزمان لا يقع في الزمان والا تسلسل قلت ثم لا يجوز ان يكون تقدم اجزاء الزمان
بعضها على بعض في الحاجة اي بالطبع فان الزمان حين كان كما متصلا غير قار الذات اقتضى حقيقته ان يكون له وجود سيال يعقب
بعض اجزاءه بعضا لا ينتهي النوبة الى جزء مفروض منه الا وقد انقضى منه جزء مفروض على الاتصال قال اذا عرفت ذلك فنقول
الاثر دال على انه تعالى قبل كل شيء والبرهان ايضا يدل على هذا لان انتهاء الممكنات لابد ان يكون الى الواجب الا ان تلك القبلية
ليست بالتأثير لان المؤثر من حيث هو مؤثر مضاف الى الاثر من حيث هو اثر والمضافان معا والمع لا يكون قبل ولا بالحاجة لانهما كما قلنا
ولا لمحض الشرف فان تلك القبلية ليست مرادة ههنا ولا بالمكان وهو ظاهر ولا بالزمان لان الزمان بجميع اجزائه ممكن الوجود والتقدم
على جميع الازمنة لا يكون بالزمان فاذن تقدم الواجب تعالى على ما عداه خارج عن هذه الاقسام الخمسة وكيفيته لا يعلمها الا هو قلت
انه سبحانه متقدم على ما سواه بجميع اقسام التقدمات الخمسة اما بالتأثير فظاهر قوله والمتضايفان معا قلنا ان اردت من المعية المذكورة
نفس المعية فلا محذور وان اردت مطلقا فممنوع واما بالطبع فلان ذات الواجب من حيث هو لا يفتقر الى الممكن من حيث هو وحال الممكن
بالخلاف واما بالشرف فظاهر واما بالمكان فلانه وراء كل الاماكن ومعها كقوله اينما تولوا فثم وجه الله وقد جاء في الحديث لو دليتم بحبل الى الارض
السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والاخر والظاهر والباطن وههنا سر لعلنا قد رمزنا اليه في هذا الكتاب لتفهم باذن الله ان كنت
اهلا له واما بالزمان فاظهر قوله والتقدم على الزمان لا يكون بالزمان قلنا ممنوع لان الزمان عند المحققين هو امر وهمي والزمان الذي يتكلم
هويته وانما هو مقدار حركة الفلك الاعظم ولا ريب ان قبل هذه الحركة لا يوجد لها مقدار الا ان قبل كل شيء يوجد امتداد وهمي يحصل
فيه وجود الواجب سبحانه ومن هذا التحقيق يرتفع ما اشكل على الامام من التعبير بان الازل ولا يزال فان المبادي الوهمية تتغير بتغير
الاعتبارات وباختلافها تختلف حقايقها اذ ليس لها وجود سوى ما تقدر تقديرا هو في جانب الازل او الازال او بالعكس او تعتبر
المبادي المفروضة قال اما البحث عن كونه تعالى آخرا بمعنى انه ابقى وكل شيء يفنى فمنهم من اوجب ذلك حتى يتقرر كونه آخرا وهو
مذهب جهم فانه زعم انه سبحانه يوصل الثواب الى اهل الثواب والعقاب الى اهل العقاب ثم يفني الجنة واهلها والنار واهلها
والعرش والكرسي والملك والفلك ولا يبقى مع الله شيء اصلا في ابد الاباد كما لم يكن قبله شيء في الازل الازال قال ومن حجج جهم
انه تعالى اما ان يكون عالما بعدد حركات اهل الجنة والنار اولا فان كان لزم تناهيها فان الاحاطة بما لا يتناهى مستحيل وان لم يعلم
لزم نسبة الجهل اليه تعالى وذلك محال وايضا الحوادث المستقبلة قابلة للزيادة والنقصان وكل ما كان كذلك فهو متناه واجيب
عن الاول بان امكان استمرار هذه الاشياء حاصل الى الابد والدليل عليه ان هذه الماهيات لو زالت امكانها لزم انقلاب الممكن
الى الممتنع ولزم ان ينقلب قدرة الله من صلاحية التأثير الى امتناع التأثير قلت هذه مغالطة فانه لا يلزم من الامكان الذاتي للشيء وقوعه
في الخارج ولا من عدم وقوعه في الخارج الامتناع الذاتي واجاب عن الثاني بانه يعلم ان عددها ليس بمعين وهذا لا يكون جهلا انما الجهل ان
يكون له عدد معين ولا يعلمه قلت الذي علمه متناه يجب ان يكون معلومه متناهيا والذي لا نهاية لعلمه فلم يعد بل يجب ان يكون معلومه
غير متناهية واجاب عن الثالث بان الخارج منه الى الوجود ابدا يكون متناهيا قلت الزيادة والنقصان للاوهام الناشي كتضعيف
الالف والالفين مرارا غير متناهية قال والمتكلمون حين اثبتوا امكان بقاء العالم عولوا في ابدية الجنة والنار على اجماع المسلمين
واختلفوا في معنى كونه تعالى آخرا على وجوه احدها انه تعالى يفني جميع العالم ليتحقق كونه آخرا ثم انه يوجدها ويبقيها ابدا قلت هذا
حقيق بان لا يسمى آخرا بل يسمى توسطا وثانيها ان صحة آخريته كل الاشياء المختصة به فلا جرم وصف بكونه آخرا اقول هذا اول المسألة
لان الكلام لم يقع في الاختصاص وعدمه وانما النزاع في معنى كونه آخرا وثالثها انه اول في الوجود آخر في الاستدلال لان المقصود
من جميع الاستدلالات معرفة ذات الصانع وصفاته واما سائر الاستدلالات التي لا يراد بها معرفة الصانع فهي حقيرة خسيسة
قلت اراد انه غاية الافكار ونهاية الانظار وهذا معنى حسن في نفسه الا انه لا يطابق معنى الاول كل المطابقة ورابعها انه اول
في ترتيب نزول الوجود وآخر اذا عكس الترتيب قلت وهذا التصور صحيح ينطبق على السلسلة المترتبة من العلل والمعلولات وعلى المترتبة
من الاشرف الى الاخس وعلى الاحد ومن الوحدة الى الكثرة ومما يلي الازل الى ما يلي الابد ومما يلي المحيط الى ما يقرب من المركز
فهو سبحانه اول بالترتيب الطبيعي وآخر بالترتيب المنعكس فقد وضح لهذا البيان صحة اطلاق التقدمات الخمسة ومقابلاتها عليه تعالى
وهذا من غوامض الاسرار قدس الله تعالى لحلها فاشكره على آلائه اما تفسير الظاهر والباطن فالمحققون قالوا انه الظاهر بالادلة
الدالة على وجوده والباطن لانه جل عن ادراك الحواس والعقول اياه اما في الدنيا او فيها وفي الاخرة جميعا وقيل معنى الظاهر
الغالب والباطن العالم بما بطن اي خفي قال الليث يقال انت ابطن بهذا الامر اي اخبر به وباقي الآيات قد سبق تفسيرها في سورة
الانعام يعلم ما يلج فانه قد مر في اول سبأ فقط فلا حاجة الى الاعادة وقوله وهو معكم معية العلم والقدرة او استعير بالمكان
عند البعض قوله له ملك السموات والارض وبعده مثله ليس بتكرار لان الاول في الدنيا لقوله يحيي ويميت والثاني في العقبى
لقوله والى الله ترجع الامور قوله مستخلفين فيه اراد ان المال مال الله والعباد عباد الله الا انه قد جعل ارزاقهم
متداولة بيد حكمته متعلقة بالروابط فالسعيد من وفقه الله تعالى لرعاية حق الاستخلاف فيتصرف فيما آتاه الله على وفق امر
الله من الانفاق في سبيل الله قبل ان ينتقل منه الى غيره بارث او حادثة كما انتقل من غيره اليه باحد الاسباب قوله لا تؤمنون
حال في معنى الفعل كقولك ما لك قائما اي ما تصنع والواو في قوله والرسول للحال من ضمير لا تؤمنون فهما حالات متداخلتان
واخذ الميثاق اشارة الى الاقوال المذكورة في تفسير قوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم والمراد انه قد تعاضدت في تركه

الدلايل السمعية والبراهين العقلية على الايمان بالله فاي عذر لكم في تركه ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وكأنه
ان الايمان بالله شامل للتصديق بجميع اوامره واحكامه ومن جملتها الايمان بالرسول وبالقرآن وبآياته استدل القاضي بقوله
وما لكم على ان عبده قادر على الايمان وعلى ان الاستطاعة قبل الفعل والا لم يصح التوبيخ كما لا يقال مالك لا تطول ولا تبيض وبحث
في امثاله مذكور والضمير في قوله لنحو حكم الله تعالى او للعبد والميراث مجاز عن بقائه بعد فناء الخلق وقد مر في اخر آل عمران قال
المفسرون ان ابا بكر اول من انفق في سبيل الله فنزل فيه وفي امثاله السابقين الاولين من المهاجرين والانصار لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اي فتح مكة وتمامه ان يقال ومن انفق بعد الفتح فحذف لدلالة قوله اولئك الذين انفقوا
قبل الفتح وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة من
الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وسبب الفضل انهم انفقوا عند الاسلام وقوة اهله وكانت الحاجة الى الانفاق حينئذ اشد مع
انه كان اصدق ايمانا عن ثقة صاحبه بهذا الدين وكلا وعد الله المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات ومن قرأ بالرفع
فللتقدير وكلا وعده الله والقرض مجاز عن انفاق المال في سبيل الله وقد مر في آخر البقرة وقال اهل السنة انه تعالى كتب في اللوح
المحفوظ ان كل من صدر عنه الفعل الفلاني فله كذا من الثواب وهو الاجر الكريم فاذا ضم الى ذلك مثله فهو المضاعف
وقال الجبائي ان الاعواض تنضم الى الثواب فهو المضاعفة وانما وصف الاجر بالكريم لانه جلب ذلك الضعف وبسببه حصلت تلك
الزيادة وكان كريما من هذا الوجه ثم اكد الايمان بالله ورسوله والانفاق في سبيله بتذكير يوم المحاسبة فقال يوم ترى يا محمد او يا
من له اهلية الخطاب وقد مر اعرابه عن ابن مسعود وقتادة مرفوعا ان كل انسان فانه يحصل له النور يوم القيمة على قدر ثوابه فمنهم من يضيء
له نوره كما بين عدن الى صنعاء ومنهم من نوره مثل الجبل ومنهم من لا يضيء له نوره الا موضع قدميه وادناهم نورا من يكون نوره على ابهامه
ينطفي مرة ويتقد اخرى وقال مجاهد ما من عبد الا وينادي يوم القيمة يا فلان ها نورك ويا فلان لا نور لك هذا وقد بينا ذلك في
هذا الكتاب مرارا ان الكمالات والخيرات كلها انوار واكمل الانوار معرفة الله سبحانه وانما قال من بين ايديهم وبايمانهم لان ذلك
جهة امارة النجاة ولهذا ورد ان السعداء يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم
ومعنى سعي النور سعيه بسعيهم جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم جنات قوله يوم يقول بدل من قوله
يوم ترى او منصوب باذكر تقديرا قال جمع من العلماء الناس كلهم يوم القيمة في الظلمات ثم انه تعالى يعطي المؤمنين هذه الانوار
والمنافقون يطلبونها منهم قائلين انظرونا فان كانت هذه الحالة عند الموقف فالمراد انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم والنور قدامهم
استضاؤا بتلك الانوار قال الفارسي ابو علي حذف الجار واوصل الفعل كما انشد ابو الحسن ظاهرات الجمال والحسن ينظرن كما ينظر الاراك
الظباء والمعنى ينظرن الى الاراك وان كانت هذه الحالة عند سير المؤمنين الى الجنة احتمل ان يكون انظرونا بمعنى الانتظار لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق
الخاطف على الركاب وهؤلاء مشاة في القيود والسلاسل ومن قرأ انظرونا اي امهلونا جعل اتيادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم امهالا لهم قال
الحسن يعطى يوم القيمة كل احد نورا على قدر عمله ثم انه يؤخذ من حر جهنم وما فيه من الكلاليب والحسك ويلقى على الطريق فتمضي زمرة من المؤمنين
وجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضي زمرة اخرى كاضواء الكواكب في السماء على ذلك ثم يغشاهم ظلمة فيطفى نور المنافقين فهنالك يقول
المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم والاقتباس اخذ القبس اي الشعلة من النار قيل ارجعوا وراءكم اي الى الموقف حيث
اعطينا هذا النور فاطلبوا نورا او هو تهكم بهم او الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان والعمل الصالح واكتساب المعارف الالهية
والاخلاق الفاضلة وكانها خدعة خدع بها المنافقون كقوله يخادعون الله وهو خادعهم وعلى هذا فالسور هو امتناع العود الى الدنيا
وعلى الاول قالوا انهم يرجعون الى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم فيجدون السور مضروبا بينهم وبين المؤمنين
وهو حائط الجنة او هو الاعراف باطنه اي باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو ما ظهر لاهل النار من
قبله اي من جهته العذاب قال ابو مسلم المراد من قول المؤمنين ارجعوا منع المنافقين من الاستضاءة كقول الرجل لمن يريد القرب
منه وراءك اوسع لك والمراد انه لا سبيل لهم الى هذا النور والمراد من السور منعهم عن رؤية المؤمنين قال الاخفش الباء في قوله بسور صلة
وفائدة التأكيد ونادوا والقول الم نكن معكم موافقتهم في الظاهر ومعنى فتنتم محنتم انفسكم بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين
الدوائر وارتبتم شككتم في وعيد الله او في نبوة محمد او في البعث او في كل ما هو من عند الله وغرتكم الاماني كثيرة الامال وطول الاجال
حتى جاء امر الله بالموت على النفاق ثم اوقعكم في النار وغركم بالله الشيطان الغرور فيخدعكم في حلمكم ان الله عفو وان باب التوبة
مفتوح فاليوم لا يؤخذ منكم ايها المنافقون فدية قبل اي توبة والاولى العموم ليشمل كل ما يفتدى به ولا من الذين كفروا
في الظاهر والحاصل انه لا فرق بين الذين اظهروا الكفر منكم وبين الذين اضمروه فان كلا منكما مأواكم النار هي مولاكم قيل المراد ان
انها تتولى اموركم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار وقيل اراد هي اولى بكم قال جار الله حقيقته هي محراكم ومقمنكم اي مكانكم الذي
يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم قال في التفسير الكبير هذا معنى وليس بتفسير للفظ من حيث اللغة
وغرضه ان الشريف المرتضى لما تمسك في امامة علي رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فهذا علي مولاه احتج بقول
الائمة في تفسير الآية ان المولى معناه الاولى واذا ثبت ان اللفظ محتمل وجب حمله عليه لان ما عداه بين الثبوت ككونه ابن العم والناصر
او بين الانتفاء كالمعتق والمعتق فيكون على التقدير الاول عبثا وعلى التقدير الثاني كذبا قال واذا كان قول هؤلاء معنى لا تفسيرا
بحسب اللغة سقط الاستدلال قلت في هذا الاسقاط بحث لا يخفى ويجوز ان يراد في الآية نفي الناصر لانه اذا قال هي ناصركم على سبيل
التهكم وليس لها نصرة لزم نفي الناصر راسا كقوله تحية بينهم ضرب وجيع كما يقال ناصره الخذلان ومعينه البكاء قوله سبحانه الم يأن للذين
آمنوا من اني الامر يأني اذا جاء اناه اي وقته قال جمع من المفسرين نزل في المنافقين الذين اظهروا الايمان وفي قلوبهم
النفاق المباين للخشوع وقال آخرون نزل في المؤمنين المحققين روى الاعمش ان الصحابة لما قدموا المدينة اصابوا اللين في العيش
ورفاهية ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده
قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب عن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا

بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس انه عاتبه على راس ثلث عشرة وقوله لذكر الله هي اضافة المصدر الى الفاعل اي
يرق قلوبهم لمواعظ الله التي ذكرها في القران وما نزل من الحق اراد ان القران جامع للوصفين للذكر والموعظة ولكونه حقا نازلا
من السماء ويجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول اي لذكرهم الله والقران كقوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ويحتمل ان يكون اللام للتعليل اي يحب ان يورثهم الذكر خشوعا ولا يكونوا
من قرا ولا تكونوا بالتاء الفوقانية فهي البتة ومن قرا بالياء التحتانية احتمل ان يكون نهيا غائبا وان يكون منصوبا عطفا
على ان تخشع والامد الاجل او الامل اي طال المدة بين اليهود والنصارى وبين انبيائهم او طالت اعمارهم في الغفلة و
الامل البعيد فحصلت القسوة في قلوبهم بسببه فاختلفوا ما احدثوا من التحريف والبدع وقال مقاتل بن سليمان طال عليهم امد
خروج النبي صلى الله عليه وسلم او طال عهدهم لسماع التورية والانجيل فزال وقعهما في قلوبهم قاله القرطبي وقرى الامد بالتشديد
اي الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين وفيه اشارة الى ان عدم الخشوع
في اول الامر يفضي الى الفسق في اخر الامر قال الحسن اما والله لقد استبطا قلوب المومنين وهم يقراون من القران
اقل مما تقراون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق قوله اعلموا ان الله يحيي الارض فيه وجهان الاول انه تمثيل
والمعنى ان القلوب التي ماتت بسبب القساوة فالمواظبة على الذكر سبب لعود حيوة الخشوع اليها كما يحيي الله الارض بالغيث الثاني
انه زجر لاهل الفسق وترغيب في الخشوع لانه يذكر القيامة وبعث الاموات ثم استانف وعد المنفقين ووعيد اضدادهم بقوله ان المصدقين
والمصدقات والاصل المتصدقين وعطف عليه قوله واقرضوا لان الالف واللام بمعنى الذي كانه قال ان الذين تصدقوا واقرضوا
والظاهر ان الاول هو الواجب والثاني هو التطوع لان تشبيهه بالقرض كالدلالة على ذلك وايضا ذكر الاول بلفظ اسم الفاعل
الدال على الاستمرار ينبئ عن الالتزام والوجوب ومن قرا بتشديد الدال فقط فمعناه ان الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا
ويندرج تحت التصديق الايمان وجميع الاعمال الصالحات الا انه افرد الانفاق بالذكر تحريضا عليه كما انه افرد الايمان
لتفضيله وللترغيب فيه وقال والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون الكاملون في الصدق اذ لا قول اصدق
من التوحيد والاعتراف بالرسالة او هم الكثير الصدق من حيث انهم صدقوا جميع ما قال الله ونقله وهو الايمان بالله ورسوله
او به وبرسوله ثم حث على الجهاد بقوله والشهداء وهو مبتدا خبره عند ربهم وفيه بيان انهم من الله بمنزلة سنية وقد
بين ثوابهم الجسماني لهم اجرهم ونورهم ويجوز ان يكون قوله عند ربهم حالا او صفة للشهداء كقوله على اللئيم يسبني وما بعده خبر
وقال الفراء والزجاج هم الانبياء لقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ومن جعل الشهداء عطفا على ما قبله قال اراد انهم عند الله
بمنزلة الصديقين والشهداء او هم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله قال مجاهد كل مومن وهو صديق وشهيد وقال
جار الله المعنى ان الله يعطي المومنين اجرهم مضاعفة لهم بتفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اولئك وقيل اريد انهم شهداء عند ربهم على اعمال
عبادهم ومن الحسن كل مومن فانه شهيد كرامة ربه وعن الاصم ان المومن قائم لله تعالى بالشهادة فيما تعبدهم به من الايمان والطاعة ثم ذكر
ما يدل على حقارة امور الدنيا وشبهها في سرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث وتمادى الى ان تكامل نشوه وصفى اعجب
الكفار انهم جحدوا نعمة الله فيه بعد ان راق في نظرهم فبعث الله عليه العاهة فصيره كلا شيء كما فعل باصحاب الجنتين في الكهف وفي سبا وصاحب
الجنة في نون ومن جعل الكفار بمعنى الزراع فظاهر قاله ابن مسعود وصيرورته حطاما هي عوده الى كمال حاله في التفتت واليبس ثم عظم امور الاخرة
بتنوين التكثير في قوله وفي الاخرة عذاب شديد للكافرين ومغفرة من الله ورضوان للمومنين قال سعيد بن جبير الدنيا متاع
الغرور اذا الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله ولقائه فنعم المتاع ونعم الوسيلة ثم حث على المسابقة الى المغفرة
الى الجنة وقد مر نظيره في ال عمران الا ان البشارة ههنا اعم لانه قال هناك اعدت للمتقين الذين ينفقون الى اخره وقال ههنا اعدت
للذين امنوا بالله ورسله ولان هولاء دون حال من اولئك جعل عرض الجنة ههنا اقل فقال وجنة عرضها كعرض السماء والارض فلم يجمع
السماء وادخل حرف التشبيه الدال على ان المشبه ادون حالا من المشبه به وفي لفظ سابقوا ههنا اشارة الى ان مراتب هولاء مختلفة
بعضها اسبق من بعض كالمسابقة في الخيل وفي لفظ سارعوا هناك رمز الى ان كلهم مستوون في القرب ويتقاربون لان المرتبة العليا
واحدة وهي رتبة السابقين المقربين وانها غاية المراتب الانسانية فافهم هذه الاسرار فان ذلك فضل الله يوتيه من يشاء قال الزجاج
لما امر بالمسابقة الى المغفرة بين ان الوصول الى الجنة والحصول في النار بالقضاء والقدر فقال ما اصاب من مصيبة اي لا يجب
مصيبة في الارض من القحط والبلاء والوباء ولا في انفسكم من الامراض والفتن الا في كتاب اي هو مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وانما
قيد المصائب بكونها في الارض والانفس لان الحوادث المستقبلة كلها ليست مكتوبة في اللوح لان حركات اهل الجنة والنار غير متناهية فاثباتها
في الكتاب محال ولهذا قال جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين ولم يقل الى الابد وفي الاية تخصيص اخر وهو انه لم يذكر احوال اهل السموات
وفيه سر قال اهل البرهان فصل في هذه السورة واجمل في التغابن فقال ما اصاب من مصيبة الا باذن الله والتفصيل بهذه السورة
اليق لانه فصل احوال الدنيا والاخرة بقوله اعلموا انما الحيوة الدنيا الى اخره وقوله من قبل ان نبراها اي من قبل ان نخلق المصائب
او الانفس او الارض او المخلوقات ان ذلك الاثبات او الحفظ على الله يسير وان كان عسيرا على غيره ثم بين وجه الحكمة في ذلك الاثبات
قائلا لكيلا تاسوا اي لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم نظيره ورد في الخبر من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب لانه لما
علم وجوب وقوعه من حيث تعلق علم الله وحكمه وقدرته به عرف ان الغائب لا يرده الجزع والمعطى لا يكاد يثبت ويدوم وانه عرضة
للزوال ونهزة للانتقال فلا ينكب بفقده روى عكرمة عن ابن عباس ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا للمصيبة صبرا وللخير
شكرا والمراد انه لم ينف الاسى والفرح على الاطلاق ولكنه نفى ما يبلغ حد الجزع والبطر ولا لوم على ما لا يخلو منه البشر والباقي ظاهر
وقد مر في النساء والمقصود ان البخيل يفرح فرحا مطغيا لحبه المال ويفخر به ويتكبر على الناس ويحمل غيره على امساك المال لمقتضى شحه الطبيعي
ومن يتول عن اوامر الله ونواهيه ولا يعرف حق الله فيما اعطاه فان الله هو الغني عن طاعة المطيعين الحميد في ذاته وان لم يحمده الحامدون
وقيل ان الاية نزلت في اليهود الذين كتموا صفة محمد وبخلوا ببيان نعته ثم اراد ان يبين الغرض من بعثة الرسل المؤيدين بالمعجزات ومن انزال

الكتاب والميزان معهم يروى ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح فقال مر قومك يزنوا به وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن انزلناه هيئناها كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج وقال قطرب هو من النزل فقال انزل الامير على فلان نزلا حسنا ومنهم من قال هو من باب علفتها تبنا وماء باردا ووجه المناسبة
بين الكتاب والميزان والحديد وجوه احدها ان مدار التكليف على فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي والثاني لا يتم الا بالحديد الذي فيه باس شديد
والاول اما ان يكون من باب الاعتقادات ولن يتم الا بالكتاب السماوي ولا سيما اذا كان معجزا واما ان يكون من باب المعاملات ولا تنتظم
الا بالميزان فاشرف الاقسام ما يتعلق بالقوة النظرية الروحانية ثم ما يتعلق بالعملية الجسمانية ثم ما يتعلق بالزواجر وقد روعي في الاية هذا الحسن
وثانيها المعاملات اما مع الخالق وطريقها الكتاب او مع الخلق وهم اما الاحباب ويعتبر في نظام امورهم الميزان واما الاعداء فيقومون
بالسيف وثالثها السابقون يعاملون بمقتضى الكتاب فينصفون ولا ينتصفون ويحترزون عن مواقع الشبهات والمقتصدون ينصفون و
ينتصفون فلا بد لهم من الميزان والظالمون ينتصفون من غير انصاف فلا بد لهم من السيف الزاجر ورابعها ان الانسان في مقام الحقيقة وهو
مقام النفس المطمئنة والمقربين لا يسكن الا بالكتاب الا بذكر الله تطمئن القلوب وهو في مقام الطريقة والنفس اللوامة واصحاب اليمين
لا بد له من الميزان في معرفة الاخلاق المتوسطة غير المائلة الى طرف الافراط والتفريط وهو في مقام الشريعة والنفس الامارة لا يزجر الا
بحديد المجاهدة وسيف الرياضة وخامسها السالك اما ان يكون صاحب المكاشفة والوصول فانه بالكتاب او صاحب الطلب والاستدلال
فانه بميزان الدليل والحجة وان كان صاحب العناد واللجاج فلا بد له من الحديد وسادسها الاقوال تصحح بالكتاب والاعمال تقوم بالميزان ميزان
العدل والاحوال تنبيه بحديد الرياضة او يقول بالكتاب والاعمال تقوم بالميزان والمنحرفون عن احد الموضوعين يردون بالسيف وسابعها الكتاب
للعلماء والميزان للعوام والسيف للملوك قال اهل التجارب في منافع الحديد ما من صناعة الا والحديد الة فيها او ما يعمل بالحديد بيانه ان اصول
الصناعات اربعة الزراعات والحياكة والبناء والامارة اما الزراعة فيحتاج الى الحديد في كراب الارض واصلاحها وحفرها وتنقيتها ابارا
ثم الحبوب لا بد من طحنها وخبزها وكل منها يحتاج الى شيء من حديد واكل الفواكه واللحوم وغيرها يفتقر ايضا في التقشير والتقطيع الى الحديد
واما الحياكة فيحتاج الى الات الحراثة والى الات الغزل والى ادوات الحياكة والخياطة واما البناء فلا يكمل الحال فيه الا بالات حديدية واما الامارة فلا تتم
الا باسباب الحرب والات السياسة فظهر ان اكثر مصالح العالم لا تتم الا بالحديد ولا يقوم الذهب والجواهر في اكثرها مقام الحديد فلو لم يوجد
الذهب والجواهر في الدنيا لم يختل شيء من المهمات ولو لم يوجد الحديد اختل المصالح فمن هذا يظهر اثر عناية الله تعالى بحال عبيده فان كل شيء يكون
حاجاتهم اليه اكثر يكون وجوده اسهل قال بعضهم سبحان من خص الفلز بعزة والناس مستغنون عن اجناسه واذل انفاس الهوى وكل ذي
نفس محتاج الى نفاسه نظيره الحاجة الى الطعام ثم الى الماء ثم الى الهواء فالطعام قلما يوجد الا بالثمن والماء قد يباع بالثمن في بعض الامكنة والازمنة
والهواء لا تباع اصلا لان الحاجة الى التنفس اشد قال بعض المحققين ههنا ان العلم ابلغ ما يحتاج الانسان اليه اذ به قوام روحه وصلاح معاده
فلا جرم قلما يقع في عرضة البيع وكثيرا ما يعطي الاجر على تعلمه قوله وليعلم الله ظاهره انه معطوف على المعنى التقدير وانزلنا الحديد لاجل
المنافع الدنيوية ولاجل المصالح الدينية وهو ظهور معلوم الله وتعلق علمه بما سيقع من نصره دينه ورسله باستعمال السيوف والرماح
وغيرها ويجوز ان يكون المعطوف محذوفا دليل ما تقدمه اي وانزلنا الحديد ليقوم الناس بالقسط خوفا من القتل وليعلم الله ومعنى بالغيب
غائبا منهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه وفيه اشارة الى ان الجهاد المعتبر هو الذي يوجد عن اخلاص القلب خاليا عن النفاق
والرياء وفي قوله ان الله قوي عزيز رمز الى انه تعالى قادر على اهلاك اعداء الدين واعلاء كلمته بدون واسطة الجهاد ولكنه كلفهم ذلك ليتوسلوا
به الى نيل درجة الصديقين والشهداء وحين حكى قصة الرسل مجملة اعقبها بنوع من التفصيل والكتاب ظاهرة الوحي وعن ابن عباس هو الخط
بالقلم والضمير في فمنهم للذرية او للمرسل اليهم بدليل الارسال والفاسقون اما العاصون بارتكاب الكبائر واما الكافرون ولعل هذا
اظهر لوجه في طباق المهتدين الا ان يحمل الفاسق على الذي لا يهتدي لوجه رشده وقال مقاتل المراد بالرافة والرحمة مودة اوقعها الله
تعالى في قلوبهم من التواد والتعاطف كما جاء في نعت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم قال ابو علي الفارسي الرهبانية
لا يستقيم حملها على جعلنا لان ما يبتدعونه لا يجوز ان يكون مجعولا لله قال في التفسير الكبير هذا الكلام انما يتم لو ثبت امتناع مقدور
بين قادرين ومن اين يليق بابي علي ان يخوض في امثال هذه الاشياء قلت الظن بالعلماء ينبغي ان يكون احسن من هذا ولا حاجة
الى احالة تمام الكلام على المسئلة المذكورة ولكنه يرد على ابي علي انه اذا جاز ان يكون الكفر والفسوق وسائر المعاصي الصادرة
عن العبد منسوبة الى تخليق الله فلم لا يجوز ان يكون الابتداع وهو احداث امر من عند نفسه لا على السنة الرسل مجعولا لله سبحانه
قال المفسرون ان الجبابرة ظهروا على امة عيسى بعد رفعه فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فترهبوا على رؤس الجبال
فارين من الفتنة متحملين كلفا ومشاق زائدة على العبادات المكتوبة عليهم من الخلوة والاعتزال والتعبد في الغيران والكهوف روى
ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ابن مسعود اما علمت ان بني اسرائيل تفرقوا سبعين فرقة كلها في النار الا ثلث فرق
فرقة امنت بعيسى عليه السلام وقاتلوا اعداء الله في نصرته حتى قتلوا وفرقة لم يكن لها طاقة بالقتال فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
وفرقة لم يكن لها طاقة بالامرين فلبسوا العباء وخرجوا الى القفار والفيافي وهو قوله وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة الاية قال العلماء
لم يرد الله تعالى بقوله ابتدعوها طريقة الذم ولكن المراد انهم احدثوها من عند انفسهم ونذروها والرهبانية بفتح الراء مصدر وهو الفعلة
المنسوبة الى الرهبان بالفتح ايضا وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ بالضم وهي نسبة الى الرهبان جمع الراهب
وقوله الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع عند الاكثر اي ما فرضناها نحن عليهم ولكنهم ابتدعوها طلب رضوان الله وقال اخرون
انه متصل والمعنى ما تعبدناهم بها الا على وجه تحصيل مرضاة الله فيمكن ان يقال انه ما ارتضاها الله وان لم يات بها فلا حرج وفي قوله
فما رعوها حق رعايتها اقوال احدها انهم ما قاموا على تلك السيرة ولكنهم ضموا اليها التثليث والالحاد والا ان ناسا منهم اقاموا على دين عيسى حتى
ادركوا محمدا فامنوا به وثانيها ان اكثرهم لم يتوسلوا بها الى مرضاة الله ولكنهم جعلوها وسيلة الى المنافع الدنيوية وثالثها ان يكون في الكلام
اضمارا اي لم نفرضها نحن عليهم بل كانت على جهة الاستحباب ثم فرضناها عليهم فما رعوا الا قليلا منهم امنوا بمحمد بعد ان استقاموا على الطريقة
ورابعها ان الصالحين من قوم عيسى ابتدعوا الرهبانية وانقرضوا عليها ثم جاء بعدهم من لم يرعها كما رعاها الحواريون ثم خاطب المومنين منهم

بقوله يا ايها الذين امنوا اي بعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم اولا بعيسى وثانيا بمحمد ويجعل لكم
نورا تمشون به يريد النور المذكور في قوله يسعى نورهم او النور المذكور في قوله فاحييناه او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي
به في الناس ويجوز ان يكون الخطاب لامة محمد والمراد اثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد مؤمني اهل الكتاب في قوله اولئك
يؤتون اجرهم مرتين وذلك ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل
عليهم فنزلت وفيه انهم مثلهم في الايمانين لانهم لا يفرقون بين احد من رسله على انه يجوز ان يكون النصيب الواحد من الاجر ازيد
من نصيبين فان المال اذا قسم نصفين كان الكفل الواحد نصفا واذا قسم عشرة اقسام كان الكفل الواحد جزءا من عشرة ولا شك
ان النصيب الواحد من القسمة الاولى ازيد من النصيب الواحد من القسمة الثانية قوله لئلا يعلم الاية اكثر المفسرين والنحويين على ان لا زائدة
والمعنى ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ان الشان لا ينالون ولا يقدرون على شيء من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا بمحمد
لم ينفعهم ايمانهم بمن قبله او المراد انا بالغنا في هذه الاشياء واعطيناه الوعد لهم والوعيد ليعلم اهل الكتاب ان الشان هو انهم لا يقدرون
على تخصيص فضل الله لقوم معينين ولا يمكنهم حصر الاجر في طائفة مخصوصين وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقيل غير زائدة
والضمير في لا يقدرون للرسول واصحابه والعلم بمعنى الاعتقاد والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب ان النبي والمؤمنين
لا يقدرون على شيء من فضل الله ولكن يعتقدون ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من جهة كتابنا والحمد لله

سورة المجادلة ثنتان وعشرون آية وهي مدنية كلماتها اربعمائة وثلث وسبعون حروفها الف وسبعمائة واثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما
ان الله سميع بصير ۞ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم
ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم ۞ وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا
وان الله لعفو غفور ۞ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون ۞
لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير
فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام
ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب
اليم ۞ ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم
وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين ۞ يوم يبعثهم الله
جميعا فينبئهم بما عملوا احصيه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ۞ الم تر
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما
كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم ۞ الم تر الى الذين
نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول ۞ واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله

بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ۞ يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى
واتقوا الله الذي اليه تحشرون ۞ انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين
امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل
انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات والله بما تعملون خبير ۞ يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول
فقدموا بين يدي نجويكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا
فان الله غفور رحيم ۞ ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات
فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله
ورسوله والله خبير بما تعملون ۞ الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله
عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ۞ اعد الله لهم
عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون ۞ اتخذوا ايمانهم جنة
فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين ۞ لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۞
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء
الا انهم هم الكاذبون ۞ استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله
۞ اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين ۞ كتب الله لاغلبن
انا ورسلي ان الله قوي عزيز ۞ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم
او اخوانهم او عشيرتهم ۞ اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وايدهم بروح منه ۞ ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون

القراءة: يظاهرون من المظاهرة عاصم يظهرون بتشديد الظاء والهاء من التظهر واصله يتظهرون ادغمت التاء
في الظاء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون يظاهرون بتشديد الظاء وزيادة الالف من التظاهر واصله
يتظاهرون امهاتهم بالرفع المفضل الآخرون بكسر التاء على اعمال ما عمل ليس وهذه هي الفصحى ما يكون بالياء ابو جعفر يزيد وهو ظاهر
الآخرون على التذكير بناء على ان التقدير ما يقع شيء من نجوى ولا اكبر بالرفع يعقوب اما على الابتداء لكونه لا حول ولا قوة او للعطف
على محل من نجوى الباقون بالنصب على ان لا لنفي الجنس او على انها مجرورة عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم او
عطفا على العدد والتقدير ما يكون من نجوى ادنى من ذلك العدد ومن نجوى اكثر من ذلك ويتنجون من باب الافتعال حمزة
ورويس والباقون من الافتعال ... المجالس على الجمع عاصم انشزوا فانشزوا بضم الشين فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم
غير يحيى وحماد والخزاز الآخرون بالكسر فيهما وهما لغتان مثل يعرشون ويعرشون ورسلي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر عشيراتهم
على الجمع المسرمي كتب مجهولا الايمان بالرفع المفضل الوقوف الجزء الثامن والعشرون تحاوركما ط بصير ه ما هن
امهاتهم ط ولدنهم ط وزورا ط غفور ه يتماسا ط به ط خبير ه يتماسا ج مسكينا ط ورسوله ط الله ط اليم ه بينات ط
مهين ه ج لاحتمال تعلق الظرف بما قبله وكونه مفعولا لاذكر عملوا ط ونسوه ط شهيد ه وما في الارض ط كانوا ج لان ثم للعطف
او لترتيب الاخبار القيمة ط عليم ه الرسول ز لعطف الجملتين المتفقتين معنى مع ان جاؤك فعل ماض لفظا به الله لا لان ما بعده
او عطف على جاؤك المستقبل معنى نقول ط جهنم ج لاحتمال الحال وكونه مستانفا يصلونها ج المصير ه والتقوى ط تحشرون
باذن الله ط المؤمنون ه يفسح الله لكم ج لابتداء الشرط اخر مع العطف منكم لا لعطف درجات ط خبير ه صدقة ط واطهر ط
رحيم ه صدقات ط لتناهي الاستفهام الى الشرط ورسوله ط بما تعملون ه عليهم ط لتناهي الاستفهام الى الاخبار منهم لا
بناء على ان ما بعده حال والعامل معنى الفعل في الجار اي وهم يحلفون قاله السجاوندي ولا يبعد عندي ان يكون مستانفا فيحسن
الوقف يعلمون ه شديدا ط يعملون ه مهين ه شيئا ط النار ط خالدون ه على شيء ط الكاذبون ه ذكر الله ط اولئك حزب
الشيطان ط الخاسرون ه الاذلين ه ورسلي ط عزيز ه عشيرتهم ط بروح منه ط للعدول عن الماضي الى المستقبل فيها ط عنه
ط اولئك حزب الله ط المفلحون ه التفسير: عن عائشة رضي الله عنها قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع الله لها وعن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها اي اجاب دعوتها خولة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت اخي عبادة راها وهي تصلي
وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا
تزوجني وانا شابة مرغوب فيّ فلما خلا سني ونثرت البطن اي كثر منه ولدي جعلني عليه كامه وفي رواية انها قالت ان لي صبية صغارا
ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال لها ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها ما اراك الا حرمت عليه وهي تقول اشكو الى الله
فاقتي ووجدي فنزلت ومعنى في زوجها في شانه ومعنى قد في قد سمع التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان
ان يسمع الله عز وجل مجادلتها وشكواها وينزل في شانها ما يفرج عنها والتحاور التراجع في الكلام وفي الاية دلالة على ان من انقطع
رجاؤه عن الخلق كفاه الله همه يروى انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان فهل من رخصة
فقال نعم وقرا عليه الايات الاربع وقال له هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال فهل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا فقال لا والله يا رسول الله
الا ان تعينني منك بصدقة فاعانه بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق به على ستين واعلم ان الظهار كان من اشد
طلاق الجاهلية لانه في التحريم غاية فان كان شرعا متقدما فالاية ناسخة له ولا سيما ان روي انه صلى الله عليه وسلم قال حرمت عليه وان كان
عادة الجاهلية فلا نسخ لان النسخ لا يدخل الا في الشرائع ثم انه سبحانه وبخ العرب اولا بقوله الذين يظاهرون منكم ثم بين الحكم العام في الاية
الثانية ولهذا لم يورد لفظة منكم ونحن نجني تفسير الاية على ابحاث. الاول في معنى الظهار وهو عبارة عن قول الرجل لامراته انت علي كظهر
امي فاشتقاقه من الظهر وقال صاحب النظم ليس الظهر بذلك اولى في هذا المطلوب من سائر الاعضاء التي هي موضع التلذذ فهو ماخوذ من الظهر
اي العلو وغلب ومنه سمي المركوب ظهرا لان راكبه يعلوه وكذلك امراة الرجل مركبه وظهر له والدليل على صحة هذا المعنى ان العرب تقول في الطلاق
نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي لفظ الظهار اضمار والتقدير ظهرك علي اي علوي وركوبي عليك حرام علي كعلو امي ثم لا مناقشة
بين العلماء في الطلاق فلو قال انت معي او عندي او مني او لي كظهر امي صح ظهاره وكذا لو ترك الصلات كلها وقال انت كظهر امي كما
ان قوله انت طالق صريح وان لم يقل مني اما اذا شبهها بغير الظهر فذهب الشافعي الى ان ذلك العضو ان كان مشعرا بالاكرام كقوله انت
علي كروح امي او عين امي صح ظهاره ان اراد الظهار لا الاكرام والا فلا وان لم ينو شيئا ففيه قولان وان لم يكن مشعرا بالكرامة كقوله انت
كرجل امي او كبدها او بطنها ففي الجديد ظهار وفي القديم لا وقد رجح هذا بالبراءة الاصلية وقال ابو حنيفة رضي الله عنه ان شبهها بعضو من الام
يحل له النظر اليه كاليد او الراس لم يكن ظهارا وان شبهها بعضو يحرم النظر اليه كالبطن والفخذ كان ظهارا وفي التشبيه بالمحرمات الاخر
من النسب او الرضاع سوى الام الجديد وعليه ابو حنيفة رضي الله عنه انه ظهار لعموم قوله يظاهرون ومن قصره على الام احتج بقوله بعده
ما هن امهاتهم وبان حرمة الام اشد. البحث الثاني في المظاهر وفيه مسائل الاولى قال الشافعي كل من صح طلاقه صح ظهاره وان كان
خصيا او مجبوبا ويتفرع عليه ان ظهار الذمي صحيح حجة الشافعي عموم قوله تعالى والذين يظاهرون وايضا تاثير الظهار في التحريم والذمي
اهل لذلك بدليل صحة طلاقه وايضا ايجاب الكفارة للزجر عن هذا الفعل الذي هو منكر من القول وزور وهذا المعنى قائم في الذمي قال ابو حنيفة
ومالك رحمهما الله لا يصح ظهاره واحتج ابو بكر الرازي لهما بان قوله الذين يظاهرون منكم خطاب للمؤمنين وايضا من لوازم الظهار
تصحيح وجوب الصوم على العائد العاجز عن الاعتاق وايجاب الصوم على الذمي ممتنع لانه مع الكفر باطل وبعد الاسلام غير لازم
لانه يجب ما قبله واجيب عن الاول بان قوله منكم خطاب للحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمؤمنين على ان التخصيص بالذكر عندكم
لا يدل على نفي ما عداه وايضا العام عندكم اذا ورد بعد الخاص كان ناسخا للخاص وعن الثاني ان من لوازم الظهار ايضا انه
متى عجز عن الصوم اكتفى منه بالاطعام فهو هنا ان تحقق العجز وجب ان يكتفى منه بالاطعام وان لم يتحقق العجز زال السؤال وايضا

الصوم بدل عن الاعتاق والبدل اضعف من المبدل ثم ان العبد عاجز عن الاعتاق مع انه يصح ظهاره بالاتفاق فاذا كان
فوات اقوى اللازمين لا يوجب منع الظهار ففوات الاضعف كيف يمنع وقال القاضي الحسين من اصحاب الشافعي في الجواب
نحن نقول للذمي ان اردت الخلاص من التحريم فاسلم وضم قوله الاسلام يجب ما قبله قلنا انه عام ولو التكفير خاص والخاص يقدم
على العام. الثانية قال مالك وابو حنيفة والشافعي لا يصح ظهار المراة عن زوجها وهو ظاهر ولو قال شهرا فقد قال ابو حنيفة والشافعي بطل
ظهاره بمضي المدة وكان قبل ذلك صحيحا لما روي ان سلمة بن صخر ظاهر من امراته حتى ينسلخ رمضان ثم وطئها في المدة فامره النبي
صلى الله عليه وسلم بتحرير رقبة واما بطلان ظهاره بعد المدة فلمقتضى اللفظ كما في الايمان فاذا مضت المدة حل الوطء لارتفاع
الظهار وبقيت الكفارة في ذمته وقال مالك وابن ابي ليلى هو مظاهر ابدا. البحث الثالث في المظاهر عنها ويصح الظهار عن الصغيرة
والمجنونة والامة المتزوجة والذمية والرتقاء والحائض والنفساء ولا يصح عن الاجنبية سواء اطلق او علق بالنكاح فقال اذا نكحتك
فانت علي كظهر امي ويصح عن الرجعية ولا يصح عن الامة وام الولد عند ابي حنيفة والشافعي لان قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم
يتناول الحرائر دون الاماء كما في قوله او نسائهن بدليل انه عطف عليه قوله او ما ملكت ايمانهن وقال مالك والاوزاعي يصح لان قوله من نسائهم
يشمل ملك اليمين لغة وفي الاية سؤال وهو ان المظاهر شبه الزوجة بالام ولم يقل انها ام فكيف انكر الله عليه بقوله ما هن امهاتهم وحكم بانه
منكر وزور والجواب ان قوله انت علي كظهر امي ان كان اخبارا فهو كذب لان الزوجة حلال والام حرام وتشبيه المحللة بالمحرمة في وصف
الحل والحرمة كذب وان كان انشاء كان معناه ان الشرع جعله سببا في حصول الحرمة ولما لم يرد الشرع بهذا السبب كان الحكم به كذبا وزورا
ولهذا اوجب الله سبحانه الكفارة على صاحب هذا القول بعد العود وسؤال اخر قوله تعالى ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم ظاهره يقتضي انه لا ام
الا الوالدة لكنه قال في موضع اخر وامهاتكم من الرضاعة وقال وازواجه امهاتهم اجاب في الكشاف بانه يريد ان الامهات على الحقيقة انما
هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن بسبب الارضاع او لكونها زوجة النبي الذي هو ابو الامة واما الزوجات فلسن من احد
القبيلين فكان قول المظاهر منكرا لمخالفة الحقيقة وزورا لعدم موافقة الشرع قوله ثم يعودون لما قالوا قال الفراء لا فرق في اللغة
بين قولك عاد لما قال والى ما قال وفيما قال وقال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان قال تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا وقال
فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال اهل اللغة اذا قال قائل عاد لما فعل جاز ان يريد انه فعله مرة اخرى وهذا ظاهر وجاز ان يريد انه نقض ما فعل لان
التصرف في الشيء بالاعدام لا يمكن الا بالعود اليه والى هذا ذهب اكثر المجتهدين الا ان الشافعي قال معنى العود لما قالوا السكوت عن الطلاق
بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصل ذلك بالطلاق فقد تم ما شرع فيه من ايقاع التحريم
ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق دل على انه ندم على ما ابتدا به من التحريم فحينئذ يجب عليه الكفارة اعترض ابو بكر الرازي في احكام القرآن
عليه من وجهين الاول انه تعالى قال ثم يعودون وكلمة ثم تقتضي التراخي وعلى قول الشافعي يكون المظاهر عائدا عقيب القول بلا تراخ وهذا
خلاف مفهوم الاية. الثاني انه شبهها بالام والام لا يحرم امساكها فلا يكون امساك الزوجة نقضا لما قال واجيب عن الاول بانه يجب
ان لا يتمكن المظاهر من العود اليها بهذا التفسير عقيب فراغه عن التلفظ بلفظ الظهار حتى يحصل التراخي مع ان الامة مجمعة على ان له ذلك
والتحقيق ان العبرة بالحكم ونحن لا نحكم بالعود ما لم ينقض زمان يمكنه ان يطلقها فيه فقد تاخر كونه عائدا عن كونه مظاهرا بهذا القدر من الزمان
وهذا يكفي في العمل بمقتضى كلمة ثم وعن الثاني ان المراد امساكها على سبيل الزوجية واللفظ محتمل لهذا وامساك الام بهذا الوجه محرم وقال
ابو حنيفة رضي الله عنه معناه استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد
استباحتها كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي وقال مالك العود اليها عبارة عن العزم على جماعها وضعف بان العزم على الجماع لا يناقض
كونها محرمة انما المناقض لكونها محرمة هو القصد الى استحلال جماعها فيرجع الى قول ابي حنيفة ولا يرد عليه الا انه خص وجه التشبيه من غير دليل
والذي ذكره الشافعي اعم واقل ما يطلق عليه اسم العود فكان اولى وعن طاوس والحسن ان العود اليها عبارة عن جماعها وحمل كقوله فتحرير
رقبة من قبل ان يتماسا واذا كان التكفير قبل الجماع والتكفير لا يجب الا بعد العود فالعود غير الجماع واما الاحتمال الاول وهو ان العود لما فعل هو
فعله مرة اخرى ففيه ايضا وجوه الاول قول الثوري ان العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام وزيف بانه يرجع حاصل المعنى الى قوله
والذين كانوا يظاهرون من نسائهم في الجاهلية ثم يعودون لما قالوا في الاسلام فكفارته كذا وكذا وهذا اضمار من غير دليل مع انه خلاف
الاصل الثاني قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فهو العود والا فلا وضعف بحديث اوس وحديث سلمة بن صخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزمهما الكفارة مع انهما لم يكررا الظهار الثالث قال ابو مسلم الاصفهاني العود هو ان يحلف على ما قال اولا من لفظ الظهار فاذا
لم يحلف لم يلزمه الكفارة قياسا على ما لو قال في بعض الاطعمة انه حرام علي كلحم الادمي فانه لا يلزمه الكفارة الا اذا حلف عليه
ورد بان الكفارة قد تجب بالاجماع في المناسك ولا يمين وعندي ان هذا الرد مردود لانه لا يلزم من وجوب الكفارة في
الصورتين من غير يمين وجوبها في كل صورة بلا يمين نعم يرد على ابي مسلم ان تفسير العود بالحلف اثبات اللغة بالقياس ولا يخفى ان العود
لما قالوا على هذا الاحتمال ظاهر لانه اريد بالقول هو اللفظ واما الاحتمال الاخر فيحتاج الى تاويل القول بالمقول فيه وهو ما حرموه على
انفسهم بلفظ الظهار كما مر في قوله ونرثه ما يقول اي المال والولد. مسائل الاولى الجديد وابو حنيفة ان الظهار يحرم جميع جهات الاستمتاع
لان قوله سبحانه من قبل ان يتماسا يعم جميع ضروب المس من لمس بيد وغيرها وروى عكرمة ان رجلا ظاهر من امراته ثم واقعها
قبل ان يكفر فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال اعتزلها حتى تكفر. الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال ابو حنيفة والشافعي
لكل ظهار كفارة الا ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار للتاكيد وقال مالك من ظاهر من امراته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة
واحدة وحجتهما انه تعالى رتب الكفارة على التلفظ بكلمة الظهار والمعلول يتكرر بتكرر العلة ويتفرع عليه انه لو كانت تحته اربع نسوة وقال
لهن انتن علي كظهر امي لزمته اربع كفارات لان الحكم يتكرر بتعدد المحل وحجته انه رتب الكفارة على مطلق الظهار والمطلق شامل للتعدد
ونوقض باليمين فان الكفارة لازمة في كل يمين. الثالثة دلت الاية على ايجاب الكفارة قبل التماس فان جامع قبل ان يكفر لم يجب
عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك ولابي حنيفة والشافعي وسفيان واحمد واسحق لان سلمة بن صخر قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى

حتى يكفر فان تهاون حال الامام بينهما ويجبره على التكفير وان كان بالضرب حتى يوفيها حقها من الجماع قال الفقهاء ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار لان ترك التكفير اضرار بالمراة وامتناع من ايفاء حقها الخامسة قد ذكرنا ان الاستمتاعات محرمة عليه الى ان يكفر وذلك صريح في تحرير الرقبة وفي الصيام واما ان نقول ان التكفير بالاطعام ايضا كذلك وان لم يتعرض التماس في قوله فاطعام ستين مسكينا حملا للمطلق على المقيد عند اتحاد الواقعة او حملا للاقل على الاكثر وهو ما عند الاكثرين ومن فصاحات القرآن السادسة مذهب ابي حنيفة ان هذه الرقبة تجزي وان كانت كافرة لاطلاق الاية وقال الشافعي لا بد ان تكون مؤمنة قياسا على كفارة القتل والجامع ان الاعتاق انعام والمؤمن اولى به ولان المشركين نجس كل نجس خبيث بالاجماع وقال تعالى ولا تيمموا الخبيث ولا تجزي ام الولد ولا المكاتب عند الشافعي لضعف الملك فيه ولا يحصل الاجزاء بالخروج من العهدة وقال ابو حنيفة ان اعتقه قبل ان يؤدي شيئا جاز عن الكفارة لانه رقبة بدليل قوله وفي الرقاب وان اعتقه بعد ان ادى شيئا لم يجز والمدبر يجزي عند الشافعي ولا يجزي عند ابي حنيفة السابعة يعتبر في الرقبة بعد الايمان على خلاف فيه السلامة عن العيوب لا التي يثبت بها الرد في البيع ولكن التي تخل بالعمل والاكتساب لان المقصود هناك المالية وهنا تكميل حاله ليتفرغ للعبادات والوظايف المخصوصة بالاحرار فلا يجزي مقطوع اليدين او الرجلين او احدهما ولا المجنون ويجزي الاعور والاصم والاخرس ومقطوع الاذنين والانف او اصابع الرجلين لا اصابع اليد لان البطش والعمل يتعلق بها والعبد الغائب ان انقطع خبره لا يجزي ولو اعتق عبده عن كفارته بشرط ان يرد دينارا او عشرة لم يجز بل يجب ان يكون الاعتاق خاليا عن شوائب العوض الثامنة كفارة الظهار مرتبة على ما في الاية فان كان في ملكه عبد فاضل عن حاجته فواجبه هو وان احتاج الى خدمته لمرض او كبر او لان منصبه يابى ان يخدم نفسه لم يكلف صرفه الى الكفارة ولو وجد ثمن العبد فكالعبد بشرط ان يفضل عن حاجة نفقته وكسوته ونفقة عياله وكسوتهم وعن المسكن وما لا بد له من الاثاث ولو كانت له ضيعة او راس مال تجارة يحصل منهما كفايته بلا مزيد ولو باعهما لارتد الى حد المساكين لم يكلف بيعهما وان كان ماله غايبا او لم يجد الرقبة في الحال لم يجز العدول الى الصوم بل يصبر وان كان يتضرر بامتناع الاستمتاع لانه تعالى قال فمن لم يجد وهو واجد اما من كان مريضا في الحال ولا يقدر على الصوم فانه ينتقل الى الاطعام لانه تعالى قال فمن لم يستطع وهو غير مستطيع والمال غير معلوم ولا هو متعلق باختياره بخلاف احضار المال وتحصيل الرقبة فان ذلك قد يمكنه التاسعة لو اطعم مسكينا واحدا ستين مرة لا يجزي عند الشافعي لظاهر الاية ولان ادخال السرور في قلب ستين اجمع واقرب من رضا الله وقال ابو حنيفة يجزي العاشرة الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر عند الاكثرين في الانتقال الى الاطعام لما في قصة الاعرابي وهل اتيت الا من قبل الصوم فاقره النبي صلى الله عليه وسلم وقال اطعم وحمله اخرون على خاصية الاعرابي ولنكتف بهذا القدر من المسائل الفقهية في تفسير اية الظهار قال الزجاج ذلكم توعظون اي ذلكم التغليظ وعظ لكم حتى تتركوا الظهار وحين ذكر حكم العاجز ختم الاية بقوله ذلك فيحتمل ان يعود الى مطلق بيان كفارة الظهار ويحتمل ان يعود الى التخفيف والتوسيع لتصدقوا بالله ورسوله فان التخفيف مناسب للتصديق والعمل بالشريعة وللكافرين الذين استمروا على احكام الجاهلية عذاب اليم وانما قال في الاية الثانية عذاب مهين ليناسب قوله كبتوا اي اخزوا واهلكوا قيل اريد كبتهم يوم الخندق والحد وضع المحادة نوع من التجانس والمحادة والمشاقة من الحد الطرف كان كلا من المتخاصمين في طرف اخر كالمشاقة من الشق وقال ابو مسلم هي من الحديد كان كلا منهما يحاول ان يستعمل الحديد اي السيف وهم المنافقون او الكافرون على الاطلاق قوله احصاه الله اي احاط بما عمل كل منهم كما وكيفا وزمانا ومكانا ونسوه لكثرته او لغلبة الكفر انهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور ثم قرر كمال علمه بقوله ما يكون من نجوى ثلثة تفرط ويجوز ان يكون ثلثة وصفا للنجوى على حذف المضاف اي من اهل نجوى او لانهم جعلوا نجوى مبالغة وكذلك كل مصدر وصف به قال الزجاج هي مشتقة من النجوة وهي المكان المرتفع لان الكلام المذكور سرا يخلو عن استماع الغير سوال لم ذكر الثلثة والخمسة واهمل ذكر الاثنين والاربعة الجواب من وجوه احدها ان الاية نزلت في قوم من المنافقين اجتمعوا على التناجي مغايظة للمؤمنين وكانوا على هذين العددين فخصت صورة الواقعة بالذكر عن ابن عباس ان ربيعة وحبيبا ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله فنزلت قلت الحق مع الثالث فلعل الاخر كان فلسفي الاعتقاد القائل بانه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات وثانيها ان العدد الفرد اشرف من الزوج لان الله وتر ولان الزوج يحتاج الى الوتر دون العكس كالواحد وثالثها ان المتشاورين الاثنين كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحكم وهكذا في كل زوج اجتمعوا للمشاورة فلا بد فيهم من واحد يكون حكما فذكر سبحانه الفردين الاولين تنبيها على الافراد الباقية ورابعها ان هذا اشارة الى كمال الرحمة وذلك ان الثلثة اذا اخذ اثنان منهم في التناجي والمسارة بقي الواحد ضائعا وحيدا فيضيق قلبه فيقول الله تعالى انا جليسك وانيسك وكذا الخمسة اذا اجتمع اثنان اثنان منهم بقي الخامس فردا فيونسه الله تعالى فهو جابر رابعه المعية وهذا التاويل لا يتاتى في الاثنين والاربعة فاهمل ذكرها وفيه ان من انقطع عن الخلق لم يتركه الله ضائعا وخامسها وهو من السوانح انه سبحانه لما اراد تكميل الكلام بقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر لم يكن بد من الابتداء بالثلثة مع انها عدد اكثر من اثنين وختم بالخمسة ليكون لكل من العددين طرفا قلة وكثرة وفيه ايضا من الفصاحة انه لم يقع حروف الاربعة مكررة اذ لو قال والاربعة الا هو رابعهم على ما وقع في مصحف عبد الله لكان في ذكر الرابع والاربعة شبه تكرار وفي الاية اشارة الى ان التناجي لا ينبغي ان يكون الا بين اثنين الى ستة ليكون الزيادة على الخمسة بقدر احتمال النقصان عن الثلثة ويعضده ما روي ان عمر بن الخطاب ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوزها الى السابع وهذه من نكت القرآن زادنا الله اطلاعا عليها قال اكثر المفسرين كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين يريدون بذلك غيظهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم عن ذلك فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول صلى الله عليه وعلى اله وسلم فنزل الم تر الى الذين الاية ومنهم من قال هم المنافقون ومنهم من قال فريق من الكفار والاول اقرب بدليل قوله واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله وذلك انهم كانوا يقولون السام عليك يا محمد والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي وحديث عائشة رضي الله عنها مع اليهودي في هذا المعنى مذكور مع شهرته وكانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فاجاب الله تعالى عن قولهم بان جهنم تكفيهم قال ابو علي التناجي والانتجاء بمعنى [illegible]

واعتدوا

واعتدوا في معنى تجاوزوا واعتدوا ثم نهى المؤمنين عن مثل تلك النجوى وهو ظاهر وقال جمع من المفسرين هو خطاب للمنافقين الذين امنوا باللسان دون مواطاة القلوب وجه علم بان المناجاة اذا كانت على طريقة البر والتقوى فقلما تقع الداعية الى كتمانها فلا اكثر النجوى ولا ينادى بها احد او اعرف سيرة المتناجي فلهذا اراد الله سبحانه ان لا يقع التناجي الا على وجه البر قوله انما النجوى الالف واللام فيه لا يمكن ان يكون للاستغراق او للجنس لان من النجوى ما يكون من الله ومن غيره لاشتمالها على مصلحة دينية او دنيوية فهي اذن للعهد وهو التناجي بالاثم والعدوان زينه الشيطان لاجلهم ليحزن الشيطان او التناجي المؤمنين وكانوا يقولون ما نراهم الا وقد بلغهم عن اقاربنا الذين خرجوا الى الغزوات انهم قتلوا او هزموا ثم بين ان الشيطان او الحزن لا يضر المؤمن اصلا الا بمشية الله وارادته عن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وفي رواية دون الثالث وحين نهى عباده المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر امرهم بما يوجب مزيد المحبة والالفة والتفسح في المجلس التوسع فيه والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتضامون فيه تنافسا في القرب منه وحرصا على استماع كلامه ومن قرا على الجمع جعل لكل مجلسا على حدة وقيل هو المجلس من مجالس القتال اي مراكز الغزاة كان الرجل ياتي الصف فيقول تفسحوا فيابون حرصا على الشهادة والقول الاول اصح قال مقاتل بن حيان كان صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من اهل بدر وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام وشق ذلك على الرسول فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان وانت يا فلان فلم يزل يقيم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه فعرفت الكراهية في وجه من اقيم من مجلسه وطعن المنافقون في ذلك وقالوا والله ما عدل على هؤلاء ان قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطا عنه فنزلت واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين فانشزوا او لا تملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارتكاز فيه يرفع الله الذين امنوا منكم ايها الممتثلون والعالمين منهم خاصة درجات قال بعض اهل العلم المراد الرفعة في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وهو مناسب للمقام لقوله صلى الله عليه وسلم ليليني منكم اولو الاحلام والنهى والمشهور انه الرفعة في درجات ثواب الاخرة وقد اطنبنا في فضيلة العلم في اوائل البقرة عند قوله وعلم ادم الاسماء كلها ولا مرية ان الاقتداء بالعالم في كل شيء ولا اقتداء بالجاهل في شيء وذلك انه يعلم من كيفية الاحتراز عن الحرام والشبهات ومحاسبة النفس ما لا يعرفه الغير ويعلم من كيفية التوبة واوقاتها وصفاتها ما لا يعرفه غيره ويتحفظ فيما يلزمه من الحقوق ما لا يتحفظ غيره ولكنه كما يعظم منزلته عند الطاعات فينبغي ان يعظم عقابه عند التقصيرات حتى كاد يكون الصغيرة بالنسبة اليه كبيرة اللهم ثبتنا على صراطك المستقيم وانفعنا بما علمتنا من كتابك الكريم قال ابن عباس كان الناس اكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه واراد الله ان يخفف عن نبيه فلما نزلت اية النجوى شح كثير من الناس فكفوا عن المسئلة وقال مقاتل بن حيان ان الاغنياء غلبوا الفقراء في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم واكثروا مناجاته فاراد الله ان يضيق عليهم المناجاة فاذا رات درجة الفقراء وانحطت رتبة الاغنياء وتميز محب الاخرة من محب الدنيا قال بعضهم هذه الصدقة مندوبة لقوله ذلك خير لكم ولان ازيل الاية بكلام متصل وهو قوله أأشفقتم والاكثرون على انها كانت واجبة لان الامر للوجوب وقد يوصف بكونه خيرا ولا يلزم من اتصال الايتين في القراءة اتصالهما في النزول وقد يكون الناسخ متقدما في التلاوة على المنسوخ كما مر في اية الاعتداد بالحول في البقرة واختلفوا في مقدار تاخرهما وعن الكلبي انه بقي ذلك التكليف ساعة من نهار وعن مقاتل بقي عشرة ايام وعن علي رضي الله عنه لما نزلت الاية دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد اي انك لقليل المال فقدرت على حسب حالك وعنه ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي هذا لا يدل على فضيلته على من دونه من اكابر الصحابة لان الوقت لعله لم يتسع للعمل بهذا الفرض وقال فخر الدين الرازي سلمنا ان الوقت قد وسع الا ان الاقدام على هذا العمل مما يضيق قلب الفقير الذي لا يجد شيئا وينفر الرجل الغني ولم يكن في تركه مضرة لان الذي يكون سببا للالفة اولى مما يكون سببا للوحشة وايضا الصدقة عند المناجاة واجبة اما المناجاة فليست بواجبة ولا مندوبة بل الاولى ترك المناجاة لما بينا من انها كانت سببا لسآمة النبي صلى الله عليه وسلم قلت هذا الكلام لا يخلو عن تعصب ما ومن اين يلزمنا ان نثبت مفضولية علي كرم الله وجهه في كل خصلة ولم لا يجوز ان يحصل له فضيلة لم توجد لغيره من اكابر الصحابة فقد روي عن ابن عمر كان لعلي كرم الله وجهه ثلث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر واية النجوى وهل يقول منصف ان مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم نقيصة على انه لم يرد في الاية نهي عن المناجاة وانما ورد تقديم الصدقة على المناجاة فمن عمل بالاية حصل له الفضيلة من جهتين من جهة سد خلة بعض الفقراء ومن جهة محبة نجوى الرسول صلى الله عليه وسلم ففيها القربة منه وحل المسائل العويصة واظهار ان نجواه احب الى المناجي من المال والظاهر ان الاية منسوخة بما بعدها وهو قوله أأشفقتم الى اخره قال ابن عباس وقيل نسخت باية الزكوة واما ابو مسلم الذي يدعي ان لا نسخ في القرآن فانه يقول كان هذا التكليف مقدرا بغاية مخصوصة ليتميز الموافق من المنافق والمخلص من المرائي وانتهاء الحكم لا يكون نسخا له ومعنى أأشفقتم تقديم الصدقات لما من الانفاق المنقص للمال الذي هو احب الاشياء اليكم فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات ومن زعم ان العمل باية النجوى لم يكن من الطاعات قال انه لا يتسع ان الله تعالى علم ضيق صدر كثير منهم عن اعطاء الصدقة في المستقبل لو دام الوجوب فقال اذ لم تفعلوا فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فقد كفاكم هذا التكليف قال المفسرون كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجراته اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزل الم تر الى الذين تولوا اي والوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود ما هم منكم لانهم ليسوا مسلمين بالحقيقة ولا منهم لانهم كانوا مشركين في الاصل ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وفي قوله وهم يعلمون دلالة على ابطال قول الجاحظ ان الخبر الكاذب هو الذي

التفسح فيه

[illegible]

بجزاء خيرها ليسوا ممن يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض قوله وايدهم بروح منه قال ابن عباس اي نصرهم على عدوهم وسمى النصرة روحا
لان الامر يحيى بها او لان قلوبهم بلطفه تحيى حيوة ابدية ويحتمل ان يكون الضمير للايمان على ان في نفسه روح فيه حيوة القلوب الباقي ظاهر

سورة الحشر مدنية حروفها الف وتسعمائة وثلثة وعشرون كلماتها اربعمائة واربعون
آياتها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله
فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم
بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ۞ ولولا ان
كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب
النار ۞ ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان
الله شديد العقاب ۞ ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها

فبا

فباذن الله وليخزي الفاسقين ۞ وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم
عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على
كل شيء قدير ۞ ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة
بين الاغنياء منكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله
شديد العقاب ۞ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ۞ والذين جاؤا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا
غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم ۞ الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع
فيكم احدا ابدا ۞ وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون ۞
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن
الادبار ثم لا ينصرون ۞ لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون ۞ لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة
او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ۞ ذلك
بانهم قوم لا يعقلون ۞ كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم
عذاب اليم ۞ كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني
بريء منك اني اخاف الله رب العالمين ۞ فكان عاقبتهما انهما
في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ۞ يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ۞
ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم انفسهم اولئك هم الفاسقون ۞ لا يستوي

اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون ۝
لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ۝ هو الله الذي
لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ۝ هو الله الذي
لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
سبحان الله عما يشركون ۝ هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء
الحسنى ۝ يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ۝

القراءات يخربون بالتشديد ابو عمرو والباقون بالتخفيف من الاخراب يكون بالتاء القوي فانه دولة بالرفع على كان
التامة يزيد والاخرون على التذكير والنصب جدار بالالف على التوحيد ابن كثير وابو عمرو الاخرون بضمتين من غير
الف انى اخاف بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو البارئ بالامالة قتيبة ونصر وابو عمرو وطريقه بن عبيد وش

الوقوف وما في الارض ج الحكيم ۝ الحشر ط الابصار ۝ في الدنيا ط النار ۝ ورسوله ج بناء على ان الشرط من جملة المذكور
العقاب ۝ الفاسقين ۝ من يشاء ط قدير ۝ السبيل لا منكم ط فانتهوا ج لابتداء من بعد جزاء الشرط مع اتفاق النظم واتقوا الله ط
العقاب ۝ م لئلا يوهم ان قوله للفقراء يتعلق بشديد ورسوله ط الصادقون ۝ ج بناء على ان ما بعده مستانف او معطوف ولكل وجه منهما في التفسير
خصاصة قيل وقفه والاحسن الوصل لان الاعتراض مؤكد لما قبله المفلحون ج لمثل المذكور رحيم ۝ ابدا لان ما بعده من تمام القول لننصرنكم ط
لكاذبون ۝ معهم ج لا ينصرونهم ج لعطف فيها مع الابتداء بالقسم لا ينصرون ۝ من الله ط لا يفقهون ۝ جدر ط شديد ط شتى ط
لا يعقلون ۝ ج لتعلق الكاف بلا يعقلون او بمحذوف اي مثلهم كمثل امرهم ج لاختلاف الجملتين اليم ۝ ج لما قلنا اكفر ج العالمين ۝ فيها ط
الظالمين ۝ لغد ج لاعتراض خصوص بين العمومين اي ان لم تتق الله كل واحد منكم فلتنظر نفس واحد منكم واتقوا الله ط تعملون ۝ انفسهم ط
الفاسقون ۝ الجنة الاولى ط الفائزون ۝ من خشية الله ط يتفكرون ۝ الا هو ج لاحتمال كون ما بعده خبر مبتدا محذوف والشهادة ج
لاحتمال كون الضمير بدلا من عالم او مبتدا الرحيم ۝ الا هو ج لما قلنا المتكبر ط يشركون ۝ الحسنى ط والارض ج الحكيم ۝

التفسير قال المفسرون صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي
الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فتعاهدوا قريشا عند الكعبة
فامر النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخا كعب من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم
اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فارسل
اليهم عبد الله بن ابي المنافق واصحابه لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم
احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم ايسوا من نصرة المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات
على بعير ما شاؤا من متاعهم فذهبوا الى اريحا واذرعات من الشام الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت
طائفة بالحيرة واللام في قوله لاول الحشر بمعنى الوقت كقولك جئت ليوم كذا وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام
فمعنى الحشر اخراج الجميع من مكان ومعنى الاولية انه لم يصبهم قبل ذلك مثل هذا الذل لانهم كانوا اهل منعة هذا قول ابن عباس والاكثرين
وقيل هذا اول حشرهم واخره حيث يحشر الناس للساعة الى ناحية الشام كما جاء في الحديث نار تخرج من المشرق وتسوق الناس الى المغرب
قاله قتادة وقيل اخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل معناه لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال في الكشاف الفرق بين النظم الذي جاء عليه وبين قول القائل وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم هو ان في تقديم الخبر
على المبتدا دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على انهم اعتقدوا في انفسهم انهم في عزة ومنعة
بحيث لا يمكن لاحد ان يتعرض لهم قلت حاصل كلامه رحمه الله تعالى الحصر ومعنى اتيان الله اتيان امره وهو النصرة ان عاد الضمير الى المؤمنين
او العذاب ان عاد اليهم وهذا اظهر ليناسب قوله تعالى في قلوبهم ولاستعمال القران نظيره في مواضع اخر في معرض التهديد هل ينظرون
الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك ومعنى لم يحتسبوا انه لم يخطر ببالهم قتل كعب غيلة على يد اخيه وقذف الرعب في قلوبهم وهذا
من خواص نبينا صلى الله عليه وسلم كما مر في ال عمران سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وفي لفظ القذف زيادة تاكيد
ولهذا قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه قال الفراء يخربون بالتشديد يهدمون
وبالتخفيف يخرجون منها ويتركونها وكان ابو عمرو يقول الاخراب ان يترك الشيء خرابا والتخريب الهدم وبنو النضير خربوا وما اخربوا
وزعم سيبويه انهما يتعاقبان في بعض الكلام نحو فرحته وافرحته وحسنه الله واحسنه قال المفسرون انهم لما ايقنوا بالجلاء حسدوا
المسلمين ان يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها من داخل والمسلمون من خارج قلت ويحتمل ان يكون بعض التخريب لسد افواه الازقة بالخشب
والحجارة او لنقل ما ارادوا حمله من جيد الخشب والساج واما المؤمنون فداعيهم الى ذلك ازالة تحصنهم او ان تتسع لهم في الحرب مجال

[illegible]

في الدنيا ورتب ... ان حاصل القياس والاعتبار يرجع الى ان الله قادر على ما اراد بغير واسطة او بواسطة ... من ان يكون
بالتخريب او بالقتل او في الدنيا او في الاخرة والعكس لا يلزم وقيل معنى الاعتبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدهم ان يورثهم
ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما وعد فدل على صحة نبوته والجلاء ان لم يبق لهم بالمدينة دار ولا فيها منهم ديار وهو عندهم اشد من القتل
فلهذا قال ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا بالقتل ولهم في الاخرة عذاب النار يعني انهم ان نجوا في الدنيا من عذاب القتل فذلك التخريب والجلاء
او العذاب بسبب مخالفتهم وعصيانهم الله ورسوله قالت الفقهاء فيه دليل على ان تخصيص العلة المنصوصة لا يقدح في صحتها فليس اينما
حصلت هذه المشاقة حصل التخريب يروى انه صلى الله عليه وسلم حين امر ان تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد
في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في انفس المؤمنين من ذلك شيء فانزل الله تعالى ما قطعتم من لينة ما منصوبة بقطعتم ومن لينة بيانه كانه قيل
اي شيء قطعتم اللينة وهي النخلة من الالوان ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخيل وياؤها واو في الاصل كالديمة وقيل هي النخلة الكريمة
من اللين فيكون الياء اصلية فبين الله تعالى ان ذلك جائز غيظا لقلوب الكفرة واحتج الفقهاء بها على جواز هدم حصون الكفار وقطع اشجارهم
وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والاخر اللونة فسالهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد يستدل بهذا على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى ان كل مجتهد مصيب قوله وما افاء الله اي وما رد الله على رسوله منهم دون الاخرين لان تلك الاموال كانت في عيرة جنبية عنها والاولى
معطوفة على ما قبلها ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه من خيل ولا ركاب والايجاف من الوجيف
وهو السير السريع وقوله عليه اي على ما افاء والركاب ما يركب من الابل واحدتها راحلة ولا واحد لها من لفظها وقلما يطلق العرب الراكب
الا على راكب البعير بين الله سبحانه الفرق بين الغنيمة والفيء حين طلب الصحابة ان يقسم الاموال وذلك ان اليهود بينهم فعرض بعضهم بان
اموال بني النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء فوجب ان تكون تلك الاموال من الغنيمة
لا من الفيء اجاب المفسرون من وجهين الاول انها لم تنزل في بني النضير وانما نزلت في فدك ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينفق على نفسه وعلى عياله من غلة فدك ويجعل الباقي في السلاح والكراع الثاني تسليم انها نزلت فيهم ولكن لم يكن للمسلمين يومئذ
كثير خيل ولا ركاب ولم يقطعوا اليها مسافة كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا على ارجلهم ولم يركب الا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان راكب جمل فلما كانت المقاتلة قليلة ولم يكن خيل ولا ركاب اجراه الله مجرى ما لم يكن فيه قتال ثم روي انه قسمها بين
المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلثة نفر كانت لهم حاجة وهم ابو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة قال الواحدي كان
الفيء مقسوما في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة اسهم اربعة منها لرسول الله خاصة وكذا الخمس الباقي والاسهم الاربعة
من هذا الباقي لذوي القربى بني هاشم والمطلب واليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فللشافعي فيه
قولان احدهما انه للمجاهدين المترصدين للقتال في الثغور لانهم قاموا مقام رسول الله في رباط الثغور والثاني انه يصرف الى
مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر الاهم فالاهم هذا في الاربعة الاخماس التي كان له واما السهم
الذي كان له من خمس الفيء فانه لمصالح المسلمين بلا خلاف وقد مر بيان ما يتعلق بقسمة الغنائم في سورة الانفال ثم بين الغرض
من قسمة الفيء على الوجه المذكور فقال كيلا يكون دولة قال المبرد هي اسم للشيء الذي يتداوله الناس بينهم يكون لهذا مرة ولهذا
مرة كالغرفة اسم لما يغترف والدولة بالفتح انتقال حال سارة الى قوم عن قوم قال جار الله هي بالضم ما يدول للانسان اي يدور
من الجد يقال دالت له الدولة فعلى قول المبرد معناه كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء
وعلى قول جار الله كيلا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء جدا بين الاغنياء يتكاثرون به او كيلا يكون الفيء دولة جاهلية كان الرؤساء منهم
يستاثرون بالغنائم لانهم اهل الرياسة والحل والغلبة وكانوا يقولون من عز بز ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله
دولا يريد من غلب منهم اخذه واستاثر به ومن قرا على كان التامة فالمعنى كيلا تقع شيء يتعاورونه بينهم غير مخرج الى الفقراء او كيلا يقع دولة
جاهلية وينقطع اثرها قوله وما اتاكم الاية قيل مختص بقسم الغنائم وان على المؤمنين ان يرضوا بما يعطيهم الرسول منها والاولى عند
المحققين العموم قوله للفقراء بدل من قوله ولذي القربى الى اخر الاصناف الاربعة ولا يجوز ان يكون الابدال من قوله فلله لانه يخل
بتعظيم الله على ظاهر اللفظ وان كان المعنى للرسول صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ايضا ان يكون الابدال من قوله وللرسول لان الله تعالى
اخرجه عن الفقراء بقوله وينصرون الله ورسوله وليرتفع منصبه عن التسمية بالفقير ولئن صح انه صلى الله عليه وسلم قال الفقر فخري
فذاك معنى اخر وهو غنى القلب وانقطاع التعلق عما سوى الله وجعل الهموم هما واحدا وهو الافتقار بالكلية الى الله استدل بعض
العلماء بقوله اولئك هم الصادقون على امامة ابي بكر رضي الله عنه لان هؤلاء المهاجرين كانوا يقولون له يا خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلو لم يكن خلافته حقة لزم كذبهم وهو خلاف الاية وقال في الكشاف الصادقون في ايمانهم وجهادهم قوله والذين تبوؤا معطوف
على المهاجرين وكذا قوله والذين جاؤا وذلك عند من يجعل الغنائم حقا للمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان او التابعين
لهم الى يوم القيمة وعلى هذا يكون قوله يحبون يقولون حالين اي الغنائم لهم محبين قائلين ومن جعل المراد بيان غنائم بني النضير وقف
على هم الصادقون والمفلحون وجعل الفعلين خبرين وعلى هذا يكون الاتيان ثناء للانصار على الايثار والتابعين على الدعاء قال مقاتل
اثنى على الانصار حين طابت انفسهم عن الفيء اذ جعل للمهاجرين دونهم وههنا سؤال لان احدهما انه لا يقال تبوؤا الايمان الثاني تقدير التسليم
ان الانصار ما تبوؤا الايمان قبل المهاجرين والجواب عن الاول ان المراد تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا

مبالغة القدس وهو البليغ في الطهارة والبراءة عما يشين وهذا بالنسبة الى زمان الماضي والحال واللام اشارة الى كونه سالما من الافات والعاهات والنقايص في زمان الاستقبال ويجوز ان يراد انه المعطي للسلامة المومن الواهب الامن او المصدق لانبيا بالمعجزات وقد مر معنى المهيمن واصل اشتقاقه في المايدة في قوله ومهيمنا عليه وان معناه الرقيب الحافظ لكل شي ولما كان نعدادا لهذه الاوصاف كرر قوله يسبح له الى اخر السورة لمن عزته كان منزها عن النقايص اهلا للتسبيح ومن حكمته امر المكلفين في السموات والارض بان يسبحوا له ليرجع الى انفسهم وهو تعالى اعلم بما اراده ومن جنبه وكرمه

سورة الممتحنة مدنية حروفها الف وخمسمائة وعشر كلمها ثلثمائة واربعون آياتها ثلث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا تلقون اليهم بالمودة
وقد كفروا بما جاكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا بالله ربكم ان كنتم
خرجتم جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم
بما اخفيتم وما اعلنتم ۞ ومن يفعله منكم فقد ضل سوا السبيل ۞
ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون
لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير
قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآؤا منكم
ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضا
ابدا حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما
املك لك من الله من شي ۞ ربنا عليك توكلنا واليك
انبنا واليك المصير ۞ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا
ربنا انك انت العزيز الحكيم ۞ لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان
يرجوا الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد ۞
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله
غفور رحيم ۞ لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من
دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ۞ انما ينهيكم الله عن
الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم
ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ۞ يا ايها الذين امنوا اذا جاكم
المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات
فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن واتوهم ما انفقوا
ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم
الكوافر واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله
عليم حكيم ۞ وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين

وهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ۞ يا ايها النبي
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن
وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله
غفور رحيم ۞ يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا
من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ۞

القراءات يفصل ثلاثيا معلوما عاصم غير المفضل وسهل ويعقوب يفصل بالتشديد حمزة وعلي وخلف مشددا ولكن مجهولا ابن ذكوان [illegible] الوقوف [illegible]

[illegible]

فاتيكم [illegible]

[illegible]

انا قول لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة ويروى ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنزلت لا تتولوا قوما الاية [illegible]
باسهم من الاخرة لعلمهم بصحة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم عنادهم كما يئس الكفار من موتاهم ان يرجعوا احياء وقيل من اصحاب
القبور بيان الكفار لانهم ايسوا من خير الاخرة ومن معرفة المعبود بالحق فكانهم موتى

سورة عيسى عليه السلام اربع عشرة اية وهي مدنية كلماتها مائتان واحدى وعشرون
حروفها تسعمائة وستة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض ۞ وهو العزيز الحكيم ۞

يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون ۝ كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون ۝ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
كانهم بنيان مرصوص ۝ واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون
اني رسول الله اليكم ۝ فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم
الفاسقين ۝ واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول
الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد ۝ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ۝ ومن اظلم
ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي
القوم الظالمين ۝ يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم والله متم
نوره ولو كره الكافرون ۝ هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ۝ يا ايها الذين
امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ۝ تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون ۝ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ۝ واخرى
تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ۝ يا ايها الذين
امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري
الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بني
اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم

فاصبحوا ظاهرين ۝

القراآت: زاغوا بالامالة مثل زاغ البصر. بعدي بفتح الياء: ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحماد وابو بكر. متم نوره بالاضافة: ابن كثير وحمزة وعلي وخلف وحفص. الاخرون بالتنوين والنصب نوره. تنجيكم بالتشديد: ابن عامر. انصارا بالتنوين لله جارا ومجرورا: ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو. الباقون بالاضافة. انصاري الى الله بالفتح كما مر في ال عمران. الوقوف: وما في الارض ط الحكيم ه
تفعلون ه تفعلون ه مرصوص ه اليكم ط قلوبهم ط الفاسقين ه نصف الجزء احمد ط مبين ه الاسلام ط الظالمين ه
الكافرون ه المشركون ه اليم ه وانفسكم ط تعلمون ه لان تؤمنون على انه خبر في معنى الامر ويغفر لكم جواب تؤمنون ط العظيم ه لا
لعطف تحبونها ط لحق الحذف اي هي نصر قريب ط لانقطاع النظم واختلاف المعنى المؤمنين ه الى الله ط وكفرت طائفة ج لاتفاق
الجملتين مع تخصيص الثانية ببيان حال احد الفريقين ظاهرين ه التفسير: يروى ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب
الاعمال الى الله لعملناه فدلهم الله على الجهاد فولوا يوم احد فعيرهم وروي ان الله تعالى حين اخبر بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه

وسعنا فنفروا يوم احد ولم تفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن فانزل الله تعالى لم تقولون واللام الجارة اذا دخلت
على ما الاستفهامية اسقطت الالف لكثرة الاستعمال وقد عرفت مرارا ان خصوص سبب النزول لا ينافي عموم الحكم فهذا التعيير يتناول امثال
كل وعد وقال الحسن نزلت في الذين امنوا بلسانهم لا بقلوبهم ثم عظم امر الاخلاف في قلوب السامعين فقال كبر الاية وفيه اصناف من
المبالغة من جهة صيغة التعجب والتعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله ومن جهة اسناد الفعل الى ان تقولوا ونصب مقتا
على التفسير ومن قبل ان المقت اشد البغض ومن قبل وصفه بانه عند الله لان الممقوت عنده ممقوت عند كل ذي لب ثم حث على الجهاد ونبه
اخروه وذلك انه نبه اولا ترك الجهاد بعد تمنيه الى المقت ثم نسب الاجتهاد الى الحب وانتصب صفا على المصدر بمعنى الحال وقوله كانهم مع الاول
حالان متداخلان اي صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه الى بعض اي الصق وجوز وان يراد
وصف معنوي وهو اتفاق كلمتهم واستواء نياتهم في الثبات وعلى الاول استدل بعضهم به على فضل القتال رجالا بناء على ان الفرسان
لا يصطفون من غير فرجة ثم ذكرهم قصة موسى مع قومه كيلا يفعلوا ببنيهم مثل ما فعلوا به بنو اسرائيل به وتفسير الايذاء مذكور في احزاب الاحزاب
وسائر اصناف ايذائهم اياه من عبادة العجل وطلب الرؤية والاقتراحات المنكرة مشهورة وقد تعلمون في موضع الحال وفائدة قد تاكيد
العلم لا التقليل وفيه اشارة الى نهاية جهلهم اذ فعلوا القضية وضعوا مكان تعظيم رسول الله ايذاءه والزيغ الميل عن الحق والازاغة الامالة فكانهم
شبهوا في زيد الانحراف عن الجادة فالطاعة تجر الطاعة والمعصية تجر المعصية قال بعض العلماء انما قال عيسى يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم
كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم قلت ممنوع لقوله تعالى في الانعام ومن ذريته داود الى قوله وعيسى قال النحويون قوله مصدقا ومبشرا حالان
والعامل فيهما معنى الارسال في الرسول فلا يجوز ان يكون اليكم عاملا لانه ظرف لغو من كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة
قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل قوله وهو يدعى الى الاسلام
نظير ما مر في قوله وقد تعلمون اني رسول الله فقي كل منهما تعكيس القضية اذ جعل مكان اجابة النبي الى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين افتراء
الكذب على الله وهو قوله للمعجزات هي سحر لان السحر كذب وتمويه ولهذا عرف الكذب بخلاف اخر التكذيب ثم ذكر غرضهم من الافتراء بقوله يريدون ليطفؤا
ولهذا اختص هذه السورة باللام كانه قال يريدون الافتراء لاجل هذه الارادة كما زيدت اللام في لا ابا لك لتاكيد معنى الاضافة وباقي الايتين سبق
تفسيره في براءة وانما قال ههنا والله متم نوره لمكان الفصل بالعلة كانه قال يريدون الافتراء لغرض اطفاء نور الله والحال ان الله متم نوره ثم
ههنا كلف فانه عطف قوله ويابى على قوله يريدون ثم دل اهل الايمان على التجارة الرابحة وهي مجاز عن وجدان الثواب على العمل كما قال ان الله
اشترى الى قوله فاستبشروا ببيعكم قال اهل المعاني فائدة ايقاع الخبر موقع الامر هي التنبيه على وجوب الامر وتاكده كانه امتثل فهو يخبر به ومن
القراء من قرر يغفر لكم جواب هل ادلكم بتاويل ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد كانه قيل هل تتجرون بالايمان
والجهاد يغفر لكم ذلكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم وهو اعتراض وقوله ان كنتم تعلمون اعتراض زائد على الجنب
وسعيا وان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم لان نتيجة الخير انما تحصل بعد اعتقاد كونه خيرا ثم قال ولكم الى هذه النعمة الاجلة نعمة اخرى
عاجلة تحبونها وهو فتح مكة كما قال وانابهم فتحا قريبا وعن الحسن هو فتح فارس والروم قال في الكشاف في قوله تحبونها شيء من التوبيخ على محبة
العاجل وعندي انه سبحانه رتب امرين على امرين المغفرة وادخال الجنة على الايمان والنصر والفتح على الجهاد ومحبة النصر من الله
والفتح القريب لا يقتضي التوبيخ وانما ذلك مطلوب كل ذي لب ودين وقال في قوله وبشر انه معطوف على تؤمنون لانه بمعنى الامر والا
عند علماء المعاني انه معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الذين امنوا ويؤيده تقدير قل قوله هل ادلكم فان نسبة هذا الاستفهام الى الرسول
اولى من نسبته الى الله سبحانه على ما لا يخفى قوله كونوا انصار الله اي اعوان دينه كما قال عيسى ابن مريم للحواريين اي اصفيائه وقد مر ذكرهم
في ال عمران من انصاري متوجها الى نصرة دين الله قال اهل البيان فيه تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى وانه لا يصح على الظاهر لان الكون
انما يشبه الكون لا القول فوجهه ان يحمل التشبيه على المعنى وبيانه ان كون الحواريين انصار الله يعرف من سياق الاية لان ما بعده
وهو قول الحواريين نحن انصار الله وارد بطريق الاستيناف كان سائلا سال فماذا قال الحواريون حينئذ فاجيب بما اجيب وقولهم لا يخلو
كونهم فيعود معنى الاية الى قول القائل كونوا انصار الله مثل كون الحواريين انصار عيسى وقت قوله من انصاري على ان ما مصدرية والمعية
يستعمل مقام الظرف اتساعا كقولك جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم اي وقت القدوم والخفوق والسر في العدول عن العبارة
الواضحة الى العبارة الموجودة هو ان سوق الكلام بطريق الكناية حيث جعل المشبه به لازم ما هو المشبه به ابلغ من التصريح وان بنا الكلام
على السؤال والجواب اوكد وان المجاز وهو استفادة كونهم من قولهم ابلغ من الحقيقة ولعل في الاية اسرارا اخر لم نطلع عليها ومعنى
ظاهرين غالبين عن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة والله اعلم

ابن مريم

نور الله
الغرض واما في سورة براءة فاوقع فعل الارادة على الاطفاء فقال يريدون ان يطفؤا وقال الكشاف اللام فتاكيد فعل الارادة

انما يشبه القول الا الكون

سورة الجمعة مدنية حروفها سبعمائة وثمانية واربعون كلمها مائة وثمانون
آياتها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم
يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز
الحكيم ۝ هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم
اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال

بينين ۝ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ۝
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۝
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس
مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين
۝ قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ۝ ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين ۝ قل ان الموت الذي تفرون منه
فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون ۝ يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا
الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ۝ فاذا قضيت
الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون ۝ واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك
قائما ۝ قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ۝

القراءات كمثل الحمار والتورية بالامالة قد سبق ذكرهما الوقوف وما في الارض ج الحكيم ه مبين و لعطف
اي وفي آخرين او ويعلم آخرين منهم ط الحكيم ه من يشاء ط العظيم ه اسفارا ط بآيات الله ط الظالمين ه صادقين ه
ايديهم ط بالظالمين ه يعملون ه البيع ط تعلمون ه تفلحون ه قائما ط التجارة ط الرازقين ه التفسير

[illegible]

[illegible]

سورة المنافقين احدى عشرة آية وهي مدنية غير قوله ليخرجن الاعز منها الاذل كلماتها مائة وثمانون حروفها سبعمائة وست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم
انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ۝ اتخذوا ايمانهم
جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ۝ ذلك
بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ۝ واذا رأيتهم
تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون
كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون ۝ واذا قيل
لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله
لا يهدي القوم الفاسقين ۝ هم الذين يقولون لا تنفقوا على
من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض
ولكن المنافقين لا يفقهون ۝ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن

الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما
رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب
لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون

القراءات خشب بالسكون ابو عمرو وعلي والمفضل وابن مجاهد وابو عون عن قنبل لووا بالتخفيف نافع والمفضل ويعقوب واكون بالنصب
وابو عمرو يعملون على الغيبة يحيى وحماد الوقوف لرسول الله م ليلا يوهم ان قوله والله يعلم من مقول المنافقين لرسوله ط لكاذبون ج ه
لان ما بعده يصلح صفة واستينافا عن سبيل الله ط يعملون ه لا يفقهون ه اجسامهم ط لقولهم ط مسندة ط عليهم ط فاحذرهم ط
قاتلهم الله ز لابتداء الاستفهام مع اتصال المعنى يؤفكون ه مستكبرون ه لم تستغفر لهم ط لن يغفر الله لهم ط الفاسقين ه ينفضوا ط
لا يفقهون ه الاذل ط لا يعلمون ه عن ذكر الله ج لتشرط مع الواو الخاسرون ه قريب لا لتعلق الجواب الصالحين ه اجلها ط يعملون ه
التفسير قال علماء المعاني ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطات فيها قلوبهم السنتهم كما ينبئ عنه ان واللام وكون الجملة اسمية
مع تصديرها بما يجري مجرى القسم وهو الشهادة فكذبهم الله تعالى لا بناء على عدم المواطاة اي والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا
يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فهذا مذهب الجاحظ وانه خلاف ما عليه الجمهور وهو ان مرجع كون
الخبر صدقا او كذبا الى طباق الحكم للواقع او لا طباقه فهؤلاء اولوا الاية بما اولوا وهو ان التكذيب توجه الى دعواهم ان قولهم قول من صميم القلب وهذا يدل على ان مرجع
كون الخبر صدقا الى ما قلنا لا الى طباقه لاعتقاد المخبر او ظنه والا لا طباقه لذلك الاعتقاد او الظن كذبا اليهودي اذا قال الاسلام باطل مع انه مطابق لاعتقاده
وتصديقه اذا قال الاسلام حق مع انه غير مطابق لاعتقاده وفايدة اتمام قوله والله يعلم انك لرسوله التنصيص على التاويل المذكور والا لكان ذهاب
الوهم الى ان نفس قولهم انك لرسول الله كذب ثم اخبر عن استتارهم بالايمان الكاذبة كما مر في المجادلة وجوز في الكشاف ان يكون اليمين الكاذبة ههنا اشارة
الى قولهم نشهد لان الشهادة تجري في افادة التاكيد مجرى الحلف وبه استدل ابو حنيفة رضي الله عنه على ان اشهد يمين ذلك الذي مر من اوصافهم واحكامهم
او من تسجيل عليهم بانهم مقول في حقهم ساء ما كانوا يعملون بسبب انهم امنوا باللسان ثم كفروا بظهور نفاقهم او نطقوا بالاسلام عند المؤمنين ثم نطقوا
بكلمة الكفر اذا خلوا الى شياطينهم ويجوز ان يراد اهل الردة منهم وكان عبد الله بن ابي رجلا جسيما فصيحا وكذا اضرابه من رؤساء النفاق يحضرون مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه وكان النبي صلى الله عليه وسلم والحاضرون يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم فنزلت واذا رايتهم ايها الرسول
او يا من له اهلية الخطاب ثم شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ويجوز ان يكون الخشب اصناما
منحوتة شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم قال في الكشاف ويجوز ان يكون وجه التشبيه مجرد عدم الانتفاع لان الخشب المنتفع بها هي التي تكون في سقف
او جدار او غيرهما فاما المسندة الفارغة المتروكة فلا نفع فيها قلت فعلى هذا لا يكون لتخصيص الخشب بالذكر فائدة لاشتراكها في هذا الباب مع الحجر والمدر المتروك
وغيرها والخشب جمع خشبة كثمرة وثمر ومحل الجملة رفع على هم كانهم خشب او هو كلام مستانف فلا محل له قوله عليهم ثاني مفعولي يحسبون اي يحسبونها واقعة عليهم
وضارة لهم لجبنهم والصيحة كنداء المنادي في العسكر ونحو ذلك او هي انهم كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استتارهم ويبيح دماءهم واموالهم ثم اخبر
عنهم بانهم هم العدو اي هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء هو العدو المداجي المكاشر يطنه جار تكاشر وتحت ضلوعه داء لا دواء له ويقال با ذوم الكاشح
غدة ابلغ من قولهم فلان لا صديق له في السر ولا عدو له في العلانية وان هذه من ايات النفاق فاحذرهم ولا تغتر بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو
المفعول الثاني وعليهم لغو وانما لم يقل هي العدو نظرا الى الخبر وبناء على ان كل صيحة قاتلهم الله دعاء عليهم باللعن والاخزاء اي اهلكهم الله محل من قاتله عدو
قاهر ويجوز ان يكون تعليما للمؤمنين اي ادعوا عليهم بهذا يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم
ازدحم على الماء جمع من المهاجرين والانصار فاقتتلوا فلطم احد فقراء المهاجرين سنانا حليفا لعبد الله بن ابي فبلغ ذلك عبد الله فقال ما صحبنا محمدا
الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه لو امسكتم عن هؤلاء الفقراء فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم ولانفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد
بن ارقم وهو حديث فقال انت والله الذليل القليل فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني
اضرب عنق هذا المنافق فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه ولما انزل الله تعالى تصديق قول زيد وبان نفاق عبد الله قيل له قد نزلت فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك
فلوى راسه ثم قال امرتموني ان اؤمن فامنت وامرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا
اياما قلائل حتى اشتكى ومات وقد تقدم قصته هذا المنافق في سورة براءة باكثر من هذا وقد نفى عن المنافقين الفقه اولا وهو معرفة غوامض
الاشياء ثم نفى عنهم العلم ثانيا كانه قال لا فقه لهم بل لا علم او نقول ان معرفة كون الله ورسوله يحتاج الى تدبر وتفقه لمكان الاسباب والوسائط
والروابط المفتقرة في رفعها من البين الى مزيد توجه وكمال نظر فاما كون الغلبة والقوة لدين الاسلام فذلك لظهور الامارات وسطوع الدلائل
يتيقن لمن بقي في قوله شك لمن هو ادنى بسكة وقيل علم فلا جرم اورد في خاتمة كل اية ما يليق بها وعن بعض الصالحات وكانت في جملة رتبة

فصدقت على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك
تيها فقال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا الاية ثم حذر المؤمنين اخلاق المنافقين بما حرضت المؤمنين على ذكر الله في كل حال بحيث لا يشغلهم عنه التصرف في الاموال والتزود
بالاولاد فكل ما سوى الله حقير في جنب عظمة الله فان تصرف في شيء من المال او صرف زمانه في طرف من امر الاولاد فقد وباسم الله وفي الله
وقال الكلبي ذكر الله الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الحسن جميع الفرائض وقيل القران وقيل الصلوات الخمس ومن يفعل ذلك اي و
من تشغله الدنيا عن الدين ثم حثهم على الانفاق اما على الاطلاق واما في طريق الجهاد واتيان الموت اتيان سلطانه واماراته حين لا تقبل
توبة ولا ينفع عمل فيسال الله التاخير في الاجل ليتدارك ما فات ومن له بذلك كما قال ولن يؤخر الله نفسا والمعنى هلا اخرت موتي الى زمان قليل
فاصدق واكون من قرا بالنصب فظاهر ومن قرا بالجزم فعلى توهم ان الاول مجزوم كانه قال ان اخرتني اصدق واكن وقيل هذا الوعيد لمانع الزكاة

سورة التغابن ثماني عشرة اية مدنية كلماتها مائتان واحدى واربعون
حروفها الف وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله
بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن
صوركم واليه المصير يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون
وما تعلنون والله عليم بذات الصدور الم ياتكم نبؤا الذين
كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ذلك
بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا
وتولوا واستغنى الله والله غني حميد زعم الذين كفروا ان
لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك
على الله يسير فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله
بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها
وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن
بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول
فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو
وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم

وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا
فإن الله غفور رحيم ۝ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده
أجر عظيم ۝ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا
خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ۝ إن
تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ۝
عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ۝

القراءة يوم يجمعكم بالنون رويس الباقون على الغيبة [illegible]

[illegible]

[illegible]

سورة الطلاق ثنتا عشرة آية وهي مدنية كلمها مائتان وتسع وأربعون حروفها ألف وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة
واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة
مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ۝ فإذا بلغن أجلهن
فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي
عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله
لكل شيء قدرا ۝ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم
فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن
أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ۝ ذلك
أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا
أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا
عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن
أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف ۝ وإن
تعاسرتم فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر
عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله

بعد عسر يسرا ۞ وكائن من قرية عتت عن امر ربها ورسله
فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ۞ فذاقت
وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا ۞
فاتقوا الله يا اولى الالباب ۞ الذين امنوا قد انزل الله اليكم
ذكرا رسولا يتلوا عليكم ايات الله مبينات ليخرج الذين امنوا
وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل
صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ۞
قد احسن الله له رزقا الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير ۞
وان الله قد احاط بكل شئ علما ۞

القراءة بالغ امره بالاضافة حفص الاخرون بالتنوين والنصب من وجدكم بكسر الواو روح يدخله بالنون ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل [illegible]

[illegible]

وضيقت عليهن لا تختصا صهابهن من حيث السكنى الى انقضاء العدة وكان ابن البعولة لا ينبغى ان يخرجوهن غضبا عليهن او لحاجة لهم الى المساكن كذلك
لا ينبغى لهن ان يخرجن بانفسهن وقوله الا ان ياتين استثناء من الجملة الاولى اى الا ان زنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن او الا ان يطلقهن على النشوز
فان النشوز يسقط حقهن فى السكنى او الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن ويؤكده قراءة ابى الا ان يفحش عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة
فاحشة فى نفسه والمعنى ان خرجت فقد اتت بفاحشة مبينة وعلى هذا يكون الاستثناء من الجملة الثانية قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اى احصوا العدة
والزموهن مساكنكم فلعلكم تندمون ويقلب الله البغضة محبة [illegible] والطلاق رجعة والخطاب فى لا تدرى يعنى صلى الله عليه وسلم على نسق اول
السورة او لكل مكلف فاذا بلغن اجلهن اى شارفن انقضاء عدتهن فانتم بالخيار ان شئتم فالامساك بالرجعة لا على وجه الضرار بل على الشرع والعرف
وان شئتم فالفراق بالمعروف كما فى البقرة واشهدوا على الرجعة او الفرقة ذوى عدل منكم اى من جنسكم من المسلمين قاله الحسن وعن قتادة
من احراركم ثم هذا الاشهاد مندوب اليه عند ابى حنيفة رضى الله عنه وعند الشافعى واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة وفائدة الاشهاد ان
لا تقع التجاحد وان لا يتهم فى امساكها او لئلا يموت احدهما فيدعى الاخر ثبوت الزوجية لاجل الميراث ثم حث الشهود على ان لا يشهدوا الا لوجه الله
من غير شائبة بغرض اخر او غرض دنيوى ذلكم الحث على اداء الشهادة [illegible] يوعظ به من هو من اهل الايمان بالله والمعاد لان غيره لا ينتفع به
ويجوز ان يكون الاشارة بذلكم الى ما مر من الامساك او الفراق بالمعروف لا على وجه الضرار فيكون موافقا لما فى البقرة الا انه وحد كاف الخطاب
[illegible]

وعلى المقتر قدره اي ان يفتح الله ابواب الرزق عليهم ثم هدد من خالف الاحكام المذكورة باحوال الامم الغابرة والحساب الشديد اي
بالاستقصاء والمناقشة والعذاب النكر اي المنكر الفظيع يحتمل ان يراد حساب الدنيا وعذابها وهو احصاء صغائرهم وكبائرهم في دواوين
الحفظة وما اصاب كل قوم من العقوبة ونحوها عاجلا وان يراد عذاب الاخرة وحسابها ولفظ الماضي لتحقق الوقوع مثل وسيق ونادى على
ان يكون قوله اعد الله تكريرا للوعيد وبيانا لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فاحذروا امثاله يا اولي الالباب ويجوز
ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله حالا في كاين ... ذكرا رسولا ... جبرئيل عليه السلام ... لانه وصف
بتلاوة ايات الله وكان انزاله في معنى انزال الذكر ... بالذكر الشرف ...
منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه ...

[illegible]

سورة التحريم نزلت بالمدينة وآياتها اثنتا عشرة بالاتفاق وكلماتها مائتان وتسع واربعون وحروفها الف ومائة وثلث وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك
والله غفور رحيم ۞ قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله موليكم وهو العليم
الحكيم ۞ واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبات به واظهره
الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نباها به قالت من انباك
هذا قال نباني العليم الخبير ۞ ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان
تظاهرا عليه فان الله هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين ۞ والملائكة
بعد ذلك ظهير ۞ عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن
مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات
ثيبات وابكارا ۞ يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا
وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ۞ يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا

اليوم

اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون ۞ يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل
شيء قدير ۞ يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبئس المصير ۞ ضرب الله مثلا
للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار
مع الداخلين ۞ وضرب الله مثلا للذين امنوا امرات فرعون
اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون
وعمله ونجني من القوم الظالمين ۞ ومريم ابنت عمران التي
احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها
وكتبه وكانت من القانتين ۞

القراءات ...

[illegible]

[illegible]

سورة الملك مكية حروفها الف وثلث مائة وثلث عشر كلماتها ثلثمائة وخمس وثلثون آياتها ثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ۝ الذي خلق
الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا ۝ وهو العزيز الغفور الذي
خلق سبع سموات طباقا ۝ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ۝
فارجع البصر هل ترى من فطور ۝ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك
البصر خاسئا وهو حسير ۝ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين ۝ واعتدنا لهم عذاب السعير ۝ وللذين كفروا
بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ۝ اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا
وهي تفور ۝ تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها
الم يأتكم نذير ۝ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله
من شيء ان انتم الا في ضلال كبير ۝ وقالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير ۝ فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب
السعير ۝ ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير
۝ واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ۝ هو الذي جعل لكم الارض
ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ۝ ءامنتم
من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ۝ ام امنتم من
في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ۝ ولقد كذب
الذين من قبلهم فكيف كان نكير ۝ اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير ۝
امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون
الا في غرور ۝ امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا
في عتو ونفور ۝ افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط
مستقيم ۝ قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة

قليلا ما تشكرون ۝ قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون ۝
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ۝ قل انما العلم عند الله وانما
انا نذير مبين ۝ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به
تدعون ۝ قل ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين
من عذاب اليم ۝ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون
من هو في ضلال مبين ۝ قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم
بماء معين ۝

القراءة من تفوت من التفعل حمزة وعلي هل ترى بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وهشام ولقد زينا مثل لقد سمع تكاد تميز البزي وابن فليح فسحقا بالضم يزيد وعلي الاخفش ون بالسكون أامنتم بهمزتين حمزة وعلي وخلف وابن عامر ابا نون آمنتم بتوسيط الف بين الهمزتين نذيري ونكيري كلتاهما بالياء مثل ضربت مجهولا ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي ورويس تدعون بسكون الدال يعقوب الكمي بسكون الياء حمزة معي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو وحفص فسيعلمون على الغيبة علي الوقوف الجزء التاسع والعشرون الملك ه لتنوع اختلاف بين الجملتين من حيث تقديم الظرف في الاولى قدير ه لا لان الذي بدل عملا ط الغفور لا لان ما بعده صفة او بدل طباقا ط تفاوت ط البصر لا في الموضعين لان ما بعد الاول مفعول اي فانظر هل ترى وما بعد الثاني ظرف مع ان الجواب منتظر فطور ه حسير ه السعير ه جهنم ط المصير ه تفور ه لا لان ما بعده خبر او بدل الغيظ ط نذير ه من شيء ج لاحتمال ان ما بعده من تمام قول الكفار وان يكون مقول قول محذوف الخبر كبير ه السعير ه بذنبهم ج لابتداء الشتم مع الفاء كبير ه او اجهروا به الصدور ه خلق ط لتناهي الاستفهام مع ان الواو بجنب حال الخبير ه من رزقه ط النشور ه تمور ه لا لان ام معادل أامنتم حاصبا ط لابتداء التهديد نذير ه نكير ه ويقبضن ط الرحمن ط بصير ه الرحمن ط غرور ه ورزقه ج ونفور ه مستقيم ه والافئدة ط تشكرون ه تحشرون ه صادقين ه عند الله ص مبين ه تدعون ه رحمنا لا لان ما بعده جواب الشرط اليم ه توكلنا ج ومن قرأ فسيعلمون بالغيبة فوقفه مطلق للعدول مبين ه معين ه التفسير كثر خيره وتحت تصرفه وتسخيره الملك الحقيقي وهو على ايجاد كل ممكن واعدامه قدير بيانه انه خلق الموت والحيوة وهما عرضان يتعاقبان على كل من صح عليه ذلك فالموت نظير الاعدام والحيوة مثال الايجاد وتقديم الموت لان الاصل في الاشياء العدم قال مقاتل يعني كونه نطفة وعلقة ومضغة ثم نفخ فيه الروح وعن ابن عباس الموت في الدنيا والحيوة في الاخرة دار الحيوان وان الله خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا مات وخلق الحيوة في صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل لا يمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي قال الحكماء الاسلاميون هذا من سبيل التمثيل والا فالعرض لا يكون جوهرا واقول لعل الاملح والبلقاء اشارة الى هذين العرضين في عالمنا هذا لا يطرآن الا على مادة طبائع مختلفة ثم تكون بسبب ذلك تارة وتفقد اخرى وقال جار الله انما قدم الموت لانه اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه تقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الاية اهم زعم البلخي انه تعالى قادر على مثل مقدور العبد وقال ابو علي وابو هاشم انه تعالى لا يقدر على عين مقدور العبد وقالت الاشاعرة انه قادر على الشيئين والا لم يكن على كل شيء قديرا وهو خلاف الاية فلزمهم صحة وجود مقدور بين قادرين وبهذا بطل القول بالطبائع على ما يقوله الفلاسفة وبالمتولدات على ما يقوله المعتزلة وكون العبد موجدا الافعال نفسه ومعنى الغاية في قوله ليبلوكم انه اذا علم ان وراء الموت حيوة ومآلا يستوي فيهما الغني والفقير والمولى والعبد ولا ينفعه الا ما قدم من خير صار ذلك داعيا له الى حسن العمل وزاجرا عن ضده وكذا لو قيل ان الموت حال كونه نطفة والحيوة نفخ الروح في الجنين فانه اذا تفكر في امور نفسه علم ان وراء هذه الحيوة موتا ينقطع به تدارك ما فات وان الدنيا مزرعة الاخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لقوم لو اكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما ارى والابتلاء مجاز كما مر في قوله واذ ابتلى ابراهيم وفي اول الكهف وقوله ايكم احسن مفعول ثان ليبلوكم على انه متضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لان التعليق هو ان يكون الاستفهام سادا مسد المفعولين جميعا نحو علمت أزيد منطلق نعم انه تعليق على قول الفراء والزجاج لانهما قالا التقدير ليبلوكم فيعلم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة وهذان الوصفان يتوقفان على كمال القدرة والعلم فلا جرم دل عليهما بقوله الذي خلق سبع سموات طباقا اي ذات طباق او طوبقت طباقا وهو وصف بالمصدر مبالغة اي مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خرزها ثم اشار الى انها محكمة متقنة بقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت او تفوت قال الفراء هما واحد ومعناه يرجع الى عدم التناسب والنظام بحيث يقول الناظر الفهم لو كان كذا لكان احسن والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل راء والاصل ما ترى فيهن فعدل الى العبارة الموجودة تعظيما لخلقهن وتنبيها على ان سبب تناسبهن هو كونه خلق الرحمن فعلم للمكلفين النفع من هذا الخلق لفعل وفسر بعضهم التفاوت بالفطور لقوله هل ترى من فطور اي صدوع وشقوق وخروق وفتوق كل ذو [illegible]

الكبسي

من عبارات

من عبارات المفسرين وهو قوله في اول ق وما لها من فروج وانما امر برجع البصر ان النظرة الاولى ممتاثم امر بتكرير رجع البصر كرة بعد كرة وهو تثنية الكثرة مثل لبيك وسعديك الى ان يخسر يعني بعيدا من هذا العادة فانه لا يعثر على شيء من الخلل والعيب ومعنى خاسئا بعيدا من اصابة الملتمس قوله ولقد زينا قد مر تفسيره في تم السجدة والرجوم جمع رجم مصدر سمي به ما يرجم به وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم [illegible] من اهل التنجيم وعين جزائهم اعد لهم عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا ثم اوعد بقوله وللذين كفروا الاية ثم وصف جهنم بصفات منها ان لها شهيقا شبهها بحسيسها المنكر الفظيع بصوت الحمار ويجوز ان يكون الشهيق لاهلها من تقدم ذكرهم فيها او من الفهم ومنها الفور قال ابن عباس تغلي بهم كغلي المرجل وقال مجاهد تفور بهم كما تفور الماء الكثير بالحب القليل ويجوز ان يكون من فور الغضب ومنه قوله تكاد تميز من الغيظ يقال فلان تميز غيظا وتغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصف بالافراط فيه ولعل السبب في هذا المجاز هو ان الغضب حالة تحصل عند غليان دم القلب والدم عند الغليان يصير اعظم حجما وحصد ارنة عند الارجحية حتى كادت تنشق وتتمزق فجعل ذكر هذا اللازم كناية عن شدة الغضب وقيل الغيظ للزبانية المرجئة بقوله كلما القي الاية على انه لا يدخل النار الا الكفار لانه تعالى حكم على كل من القي فيها انه كذبنا النذير اجاب القاضي بان النذير قد يطلق على ما في العقول من الادلة المحذرة من المعصية فيشمل الفاسق القائلين بان معرفة الله وشكره لا تجبان الا بعد ورود الشرع احتجوا بانه تعالى انما عذبهم لانهم كذبوا النذير ثم حكى عن اهل النار انهم يقولون لمعرفة لو كنا نسمع الانذار سماع من كان طالبا للحق او نعقل عقل متأمل متفكر ما كنا في اصحاب السعير وانما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل احتج بالاية من فضل السمع على البصر لانه تعالى جعل مناط الفوز السمع ولم يذكر البصر القائل بان الدين لا يتم الا بالتعليم احتج بانه قدم السمع على العقل تنبيها على انه لابد اولا من ارشاد المرشد وهداية الهادي واجيب بان سبب التقديم هو ان المكلف لابد ان يسمع قول الرسول ثم يتفكر فيه قال في الكشاف ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الرأي ثم قال في ابطاله كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء فهم من الناجين لا محالة قلت لا انصاف ان نزول الاية قبل المذهبين لا ينافي ان يخرج اهل النار يوم القيامة انفسهم بانهم على تلك السيرة وكم من قصة قد اخبر الله عن وقوعها من قبل ان تقع وهو احد انواع اعجاز القرآن وايضا لا يلزم من كونهما ناجيين كون غيرهما من اهل الوعيد وايضا على هذا التفسير لا يلزم كونهما من اهل النار قطعا فخصهم الى المبشرين افرادا غير محصورة فضلا عن حادي عشر فيكون دعوى انحصار المبشرين في العشرة مصادرة على المطلوب والفاء في قوله فاعترفوا فسحقا نتيجة بعد البيانات السابقة انهم اعترفوا بذنبهم قال مقاتل يعني تكذيبهم الرسل قال الفراء الذنب ههنا بمعنى الجمع لان فيه معنى الفعل كما يقال خرج عطاء الناس اي اعطيتهم ثم بين ان ذلك الاعتراف مما لا نفع فيه قائلا فسحقا اي فبعدا لهم عن رحمة الله اعترفوا وجحدوا والتخفيف والتثقيل لغتان والمعنى اسحقهم الله سحقا قال ابو علي اسحقا الا ان المصدر جاء على الحذف كقولهم عمرك الله ثم اتبع الوعيد الوعد قائلا ان الذين الاية وقد مر مرارا ثم وعظهم فقال واسروا وهو امر التسوية وعلل ذلك بقوله انه عليم بذات الصدور وقال ابن عباس كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر به جبرئيل فقالوا اسروا لكيلا يسمعه اله محمد فانزل الله تعالى الاية بيانا لجهلهم ثم استدل على كمال علمه بنوع اخر قائلا الا يعلم من خلق وجعل من نوع اي الا يعلم من خلق مخلوقه وذلك ان خلق الشيء يتوقف على معرفة تفاصيل كمياته وكيفياته وسائر احواله لئلا يقع الترجيح من غير مرجح وهذه مقدمة جلية او نصب اي الا يعلم الله من خلقه وجوزوا ان يكون من بمعنى ما ويكون اشارة الى ما يسره الخلق ويجهرونه ويضمرونه في صدورهم وهذا يقتضي ان يكون افعال العباد مخلوقة لله تعالى وقد يستدل بالوجهين الاولين ايضا على ذلك لان العبد لو كان موجدا الافعال نفسه لكان عالما بتفاصيلها بناء على الاية لكنه غير عالم بتفاصيلها لانه لا يعرف مقادير حركته وسكونه وكمية الجواهر الفردة الواقعة على مسافته بل لا يعرف الاسباب السابقة والغايات اللاحقة لا بكلها ولا باكثرها في كل فعل من افعاله وانكر في الكشاف ان يكون قوله الا يعلم متروك المفعول على تقدير ان يكون من مرفوع المحل نحو فلان يعطي قال لان قوله وهو اللطيف الخبير حال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء قلت ان قوله وهو اللطيف حال فممنوع ولم لا يجوز استئنافا وعلى تقدير تسليمه فليس معنى قوله الا يعلم ومعنى وهو اللطيف الخبير واحدا حتى يلزم توقيت الشيء بنفسه بل المعنى الا يتصف الخالق بالعلم والحال انه عالم الى بواطن الاشياء وخفايا الامور وذلك ان المتصف بالاخص متصف بالاعم ضرورة قوله هو الذي جعل لكم الارض قال اهل النظم وجه التعلق انه سبحانه وتعالى قال انما الكافرون اعالم بسركم وجهركم فكونوا خائفين منه محترزين من عقابه فهذه الارض التي تمشون في مناكبها وتعتقدون انها ابعد الاشياء عن الزوال هو الذي ذللها لكم وان شئت خسفت بكم اياها والذلول من كل شيء المنقاد والذي يذل وكيف ومن ذلها انه ما جعلها خشنة يمنع المشي عليها ولا صلبة بحيث لا يمكن حفرها والبناء عليها ولا متحركة على الاستقامة والاستدارة بل جعلها ساكنة في جو الهواء عند المركز قال جار الله المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل لان ملتقى المنكبين من الغارب ابتنى شيء عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا كان هذا الموضع ذلولا فما ظنك بغيره وعن ابن عباس والضحاك وقتادة ان مناكب الارض جبالها واطرافها واذا كانت هذه الامكنة مع شموخها وارتفاعها مذللة فغيرها اولى وقال الحسن ومجاهد والكلبي ومقاتل وهو رواية عطاء عن ابن عباس ورجحه اختيار الفراء وابن قتيبة مناكبها جوانبها وطرقها ومنكبا الرجل جانباه فيكون كقوله والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وكلوا من رزقه الذي خلق لكم في الارض ولا يخفى ان الامر بالمشي والاكل للاباحة ثم قال واليه النشور يعني ينبغي ان يكون مشيكم في الارض واكلكم من رزق الله مشي من يعلم واكل من يتيقن ان المصير الى الله والتحذير من المعاصي سرا وجهارا ثم بين ان بقاءهم سالمين على هذه الارض انما هو بفضل الله ولو شاء لخسف بهم الارض او امطر عليهم مطر القرى استدل المشبهة بقوله من في السماء ظاهر واهل السنة يأولونه بوجوه منها قول ابي مسلم ان العرب كانوا يقرون بوجود الاله لكنهم يزعمون انه في السماء فقيل لهم على حسب اعتقادهم أامنتم من تزعمون انه في السماء ومنها قول جمع من المفسرين أامنتم من في السماء ملكوته او سلطانه او قهره لان العادة جارية بنزول البلاء من السماء ومنها قول آخرين ان المراد جبرئيل يخسف بهم الارض بامر الله والمور حركة في اضطراب وقد مر في الطور والحاصب ريح فيها حصباء وقد مر ايضا ثم هدد واوعد قائلا فستعلمون كيف نذير قال عطاء والضحاك عن ابن عباس هو المنذر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى ستعلمون رسولي وصدقه حين لا ينفعكم وقيل بمعنى الانذار اي عاقبة انذاري اياكم بالكتاب والرسول ثم شن بحال الامم السالفة قال ابو مسلم النكير عقاب المنكر وقال الواحدي اراد انكاري وتغييري ثم برهن على الوحدانية وكمال القدرة بوجوه الاول او لم يروا الى الطير فوقهم صافات اي باسطات اجنحتهن لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا قال ابن المعاني واما قيل ويقبضن دون قابضات على نحو صافات لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في كل منهما مد الاطراف وبسطها والقبض طارئ على البسط لاجل الاعانة فالمعنى انهن صافات ويكون منهن القبض في بعض الاوقات كما يكون من السابح وانما قال في النحل ما يمسكهن الا الله وفي هذه السورة ما يمسكهن الا الرحمن لان التسخير في جو السماء محض الالهية انما صافات وقابضات فكان امساكها بكيفية البسط والقبض على الوجه المطابق للمنفعة من رحمة الرحمن انه بكل شيء بصير

ام كنوه

وكليته

فيعلم او يرى كيف يدبر العجايب قالوا وفي الاية دليل على ان الافعال الاختيارية للعبد مخلوقة لله تعالى لان امساك الطير في الهوا فعل اختياري
لها وقد اضافه الله تعالى الى نفسه ثم ان الكفار كانوا يمتنعون من الايمان و لايلتفتون الى دعوة الرسول وكان تعويلهم على امرين احدهما القوة من جهة الاموال
والاعوان والثاني الاستظهار بالاصنام والاوثان وكانوا يقولون انها توصل الينا جميع الخيرات وتدفع عنا كل الافات فابطل الله الاول بقوله امن هذا
الذي يعني اخزيا رايه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان ارسل عذابه عليكم ان الكافرون الا في غرور من الشيطان
يغرهم ان العذاب لاينزل بهم ولو انزل دفعه اصنامهم وابطل الثاني بقوله امن هذا الذي يرزقكم ان امسك الله رزقه بامساك اسباب
من المطر وغيره بل لجوا على رزقكم بل لجوا في عتو تباعد عن الحق ونفور عنه الطبع والاول دليل فنا والقوة العقلية والثاني اشارة الى فساد القوة
النظرية ثم نبه على قبح هذين الوصفين فقال افمن يمشي مكبا قال الواحدي اكب مطاوع كب وانكر عليه صاحب الكشاف بان مطاوع كب هو انكب وشمله
قشعت الريح السحاب فانقشع والهمزة في اكب واقشع للصيرورة اي صار ذا كب وقشع او دخل فيهما ولا شي من بنا افعل مطاوع ولايخفى ان هذا نزاع
لفظي واما المثل فقيل هو في حق الكب التعاسيف ومن الذي يمشي على الصراط السوي وقيل هو الاعمى والبصير او العالم والجاهل وعن قتادة الكافر اكب على
معاصي الله فحشره يوم القيمة على وجهه والمومن كان على الدين الواضح فهداه الله للطريق السوي الى الجنة منهم من قال هو في شخصين فقال مقاتل ابو جهل والنبي
صلى الله عليه وسلم وقال عطاء عن ابن عباس ابو جهل وحمزة بن عبد المطلب وعمار بن ياسر والاصح التعميم وان كان السبب خاصا البرهان الثاني ابتدا
خلق الانسان وتبيين جوارحه وفي قوله قليلا ما تشكرون اشارة الى ان اعطاهم هذه القوى الشريفة ولكنهم ضيعوها في غير ما خلقت لاجلها البرهان الثالث
ذراء الناس ونشرهم في الارض ثم اشار الى المعاد بقوله واليه تحشرون لان القادر على البدء قادر على الاعادة وقد مر نظير الايتين في سورة المومنين وحين امر نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يخوفهم بعذاب الله حكى عن الكفار انهم طالبوا بتعيين الوقت قال ابو مسلم المراد وكانوا يقولون متى هذا الوعد يعني العذاب النازل
بما دونهم وغيرها القول بعد ذلك فلما راوه ومن حمل اللفظ على المستقبل وفسر الوعد بالقيمة كان قوله فلما راوه من قبيل ونادى فاجابهم الله بقوله
قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين اي العلم بوقوعه حاصل عندي وهو كاف في الانذار والتحذير واما العلم بوقته فليس الا لله ولا حاجة
في النذارة الى ذلك والضمير في راوه للموعد في الدنيا او في الاخرة والزلفة القرب قال الحسن راوه عيانا لان ما قرب من الانسان راه معاينة
وقال في الكشاف انتصابها على الحال او الظرف اي راوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة قوله سيئت قال ابن عباس اسودت وعلتها الكآبة والقترة
كوجه من يقاد الى القتل وقال الزجاج تبين فيها السوء وهذا الفعل يستعمل لازما ومتعديا بمعنى القبح والتقبيح قوله وقيل هذا الذي الاكثرون
على ان القايلين هم الزبانية وقال اخرون بل يقول بعضهم لبعض وتدعون اي تفتعلون من الدعاء اي تتمنون وتستعجلون به ويؤيده قراءة من قرا
بالتخفيف وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لاتبعثون كنتم بطلانه مدعين وقيل استفهام على سبيل الانكار والمعنى اهذا
ا وعيتموه لا بل كنتم تدعون عدمه يروى ان كفار مكة كانوا يدعون على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المومنين بالهلاك ويتربصون بهم
الدوائر فامره الله بنوعين من الجواب الاول قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي كما تتمنون فننقلب الى الجنة او رحمنا بالنصرة واخبار
المدة كما نرجو فمن يجير الكافرين من عذاب النار فنحن متربصون لاحدى الحسنيين وانتم الكون الهلاك الذي لاهلاك بعده وان
اهلكنا الله بالموت فمن يخلصكم من النار بعد موت هدايتكم وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم فمن يجيركم من العذاب فان المقتول على ايدينا
هالك وان اهلكنا الله في الاخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فاي خلاص ومناص للكافرين وان رحمنا لاجل الايمان فمن يرحم الكافرين
ولا ايمان لهم النوع الثاني في الجواب قل هو الرحمن آمنا به ولم نكفر كما كفرتم وعليه خاصة توكلنا لا على غيره وفيه تعريض بالكفرة انهم متكلون
على الرجال والاموال واذا كانت حالنا هذه فكيف يقبل الله دعاكم علينا ثم اشار الى وجوب الاعتماد عليه في كل حال مع انه برهان اخر
على كمال قدرته ووحدانيته فقال قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اي غايرا مصدر بمعنى الفاعل للمبالغة قال الكلبي لاتناله الدلاء والمعين
الجاري على وجه الارض وقد ذكرنا الخلاف في اشتقاقه في الصافات يحكى ان بعض المتجبرين على الله قرئت الاية عنده فقال ياتينا به
الفؤوس والمعاول فنزل الماء في عينيه وهذا من الاعجاز قال الضعيف مؤلف الكتاب ومحكم القريحة كذلك فان مفتح باب العويصات
لايتيسر الا بالله رب الارض والسموات

سورة ن نزلت بمكة وقيل بعضها بمكة وبعضها بمدينة اياتها اثنتان وخمسون وكلمها
ثلثمائة وحروفها الف ومائتان وست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم وما يسطرون ۝ ما انت بنعمة ربك بمجنون ۝
وان لك لاجرا غير ممنون ۝ وانك لعلى خلق عظيم ۝
فستبصر ويبصرون ۝ بايكم المفتون ۝ ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ۝ فلا تطع المكذبين ودوا
لو تدهن فيدهنون ۝ ولا تطع كل حلاف مهين ۝ هماز مشاء بنميم

مناع للخير معتد اثيم ۝ عتل بعد ذلك زنيم ۝ ان كان ذا مال
وبنين ۝ اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ۝ سنسمه على الخرطوم ۝
انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ۝ ولا يستثنون ۝
فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ۝ فاصبحت كالصريم ۝ فتنادوا
مصبحين ۝ ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين ۝ فانطلقوا وهم يتخافتون ۝
ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ۝ وغدوا على حرد قادرين ۝ فلما
راوها قالوا انا لضالون ۝ بل نحن محرومون ۝ قال اوسطهم الم اقل لكم
لولا تسبحون ۝ قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين ۝ فاقبل بعضهم
على بعض يتلاومون ۝ قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين ۝ عسى ربنا
ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون ۝ كذلك العذاب ولعذاب
الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ۝ ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم ۝
افنجعل المسلمين كالمجرمين ۝ ما لكم كيف تحكمون ۝ ام لكم كتاب فيه
تدرسون ۝ ان لكم فيه لما تخيرون ۝ ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة
ان لكم لما تحكمون ۝ سلهم ايهم بذلك زعيم ۝ ام لهم شركاء
فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين ۝ يوم يكشف عن ساق ويدعون
الى السجود فلا يستطيعون ۝ خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون
الى السجود وهم سالمون ۝ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ۝ واملي لهم ان كيدي متين ۝
ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ۝ ام عندهم الغيب فهم يكتبون ۝
فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ۝ لولا ان تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ۝ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ۝
وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه
لمجنون ۝ وما هو الا ذكر للعالمين ۝

القراآت نون والقلم مظهرا يزيد وابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وابن كثير ونافع وعاصم غير يحيى وحماد وغالب وهو الاصل لتوقف
والوجه الاخفا نية الوصل اذن كان بهمزتين حمزة وابو بكر وحماد ان كان بقلب الثانية الفا ابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون بهمزة واحدة تبدلنا

بالتشديد ابوجعفر ونافع وابوعمرو لما تخيرون بتشديد التاء البزي وابن فليح ليزلقونك بفتح الياء ابوجعفر ونافع الاخرون بالضم من الازلاق
الوقوف يسطرون ن ولا لان ما بعده جواب القسم بمجنون ج لان ما بعده يصلح مستانفا وعطفا على جواب القسم ممنون ج
كذلك عظيم ويبصرون لا لان ما بعده مفعول المفتون بسبيله ص لاتفاق الجملتين بالمهتدين المكذبين فيدهنون
مهين لا بنميم لا اثيم لا زنيم ط لمن قرا ان كان مستفهما وبنين لا ومن قرا ان مقصورا يقف على بنين دون زنيم الاولين
الخرطوم الجنة ج لاحتمال ان يكون اذ ظرفا لبلونا وان يكون مفعول اذكر محذوفا مصبحين لا لتعلق ان المغيرة صارمين يتخافتون
مسكين قادرين لضالون لا لعطف بل والحا والمفعول محرومون يسبحون ظالمين يتلاومون طاغين راغبون
العذاب ط اكبر م يعلمون النعيم كالمجرمين ط مالكم وقفة لطيفة لاستفهام اخر تحكمون تدرسون لا لان ما بعده مفعول
وانما كسرت ان لدخول اللام في خبرها تخيرون لان ام يعادل الاستفهام او بمعنى الف الاستفهام القيمة لا لان ان جواب الايمان
تحكمون زعيم ج لامرني تخيرون بشركائهم ج للابتداء بالامر التعجيز مع الفاء صادقين فلا يستطيعون لا لان ما بعده حال ذلة ط
سالمون بهذا الحديث ط لا يعلمون لا لعطف لهم ط متين مثقلون ج يكتبون الحوت م بناء على ان او مفعول اذكر
مكظوم مذموم الصالحين لمجنون م لئلا يوهم لان ما بعده مقول الكفار للعالمين. التفسير الاقوال المتقدمة في توجيه
نحو هذه السورة مذكورة اما المخصوصة بالمقام فعن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدي ان النون السمكة اقسم بالحوت
الذي على ظهره الارض وهو في بحر تحت الارض السفلى او بالحوت الذي حبس يونس في بطنه او بالحوت الذي لطخ سهم نمرود بدمه اقوال وعن ابن عباس
في رواية الضحاك والحسن وقتادة ان النون هو الدواة قال الشاعر اذا ما الشوق برح بي اليهم القت النون بالدمع السجوم فيكون قسما بالدواة والقلم
لعظم النفع فيهما فان التفاهم يحصل بالكتابة كما يحصل بالعبارة وعن الثقات ان اصحاب البحر يستخرجون من بعض الحيتان شيئا اسود كالنقس
او اشد سوادا منه يكتبون به فيكون النون وهو الحوت عبارة عن الدواة ويعضده ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما
خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال اكتب ما هو كائن من عمل او اثر او رزق او اجل فكتب ما هو كائن وما كان الى يوم القيمة ثم ختم على القلم
فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة وعن معوية بن قرة مرفوعا ان النون لوح من نور يكتب الملائكة فيه ما يامرهم الله به وقيل نهر في الجنة اعترض النحويون على هذه
الاقوال كلها ان اللفظ ان كان جنسا لزم الجر والتنوين وكذا ان كان علما منصرفا وان كان علما غير منصرف لزم الفتح لتقدير حرف القسم فالنون
اخر حرف من حروف الرحمن فانه يجتمع من الر وحم ون هذا الاسم الخاص اما القلم فالاكثرون على انه جنس القلم اقسم الله سبحانه بكل قلم يكتب به
في السماء وفي الارض وقال اخرون هو القلم المعهود الذي جاء في الخبر ان اول ما خلق الله القلم الحديث كما روينا قال القاضي اجراء القلم
بالكتابة غير معقول لانه جماد ولكنه تمثيل الغرض منه تفهيم المكلف ان الناس يجرون على امر قد فرغ منه ومن الناس من زعم ان القلم هو العقل الذي
جاء في الخبر اول ما خلق الله العقل والجوهرة التي ورد في الحديث اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وتسخنت فارتفع منها دخان وزبد
فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الارض كلها واحدة ولعلك قد وقفت على تحقيق هذه المعاني في هذا الكتاب وما في قوله وما يسطرون اما موصولة او مصدرية
والضمير لكل من يسطر او للحفظة وقيل اراد واصحاب القلم فحذف المضاف قال الزجاج انت اسم ما والخبر بمجنون وقوله بنعمة ربك كلام
وقع في البين والمعنى انتفى عنك الجنون بواسطة انعام ربك عليك او انتفى الجنون عنك ملتبسا بنعمة الله كما لو قلت انت عاقل بحمد الله اي
ثبت لك العقل حال كونه ملتبسا بحمد الله او اثبته لك حال كوني ملتبسا بالحمد وقال عطاء وابن عباس يريد بنعمة ربك عليك بالايمان
والنبوة وسائر الاخلاق الفاضلة وفيه اشارة الى ان نعم الله تعالى كانت ظاهرة في حقه من الفصاحة وكمال العقل والاتصاف بكل
مكرمة واذا كانت هذه النعمة ظاهرة موجودة فما ينافي حصول الجنون وكلام العدى ضرب من الهذيان وان لك على احتمال اعباء النبوة ومشاق
تبليغ الرسالة لاجرا غير ممنون قال الاكثرون اي غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ وعن مجاهد ومقاتل والكلبي انه غير مكدر عليك بسبب المنة قالت
المعتزلة في تقرير هذا الوجه انما لم يمن لانه ثواب يستوجبه على عمله وليس بتفضل ابتداء وضعف بانه يلزم منه التكرار لان الاجر ينبئ عن كونه غير ممنون
والحاصل انه لا يمسك ان ينسبوك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الخطب الجسيم وهو دعاء الخلق الى الدين القويم فان لك بسببه ثوابا عظيما وانك
لعلى خلق عظيم والخلق ملكة نفسانية يقتدر بها على الاتيان بالفعل الجميل بسهولة فاذا وصفه مع ذلك بالعظم وهو كونه على الوجه الاجمل الانفع
والافضل لم يكن خلق احسن منه وفيه اشارة الى ان نعم الله تعالى كانت ظاهرة تنفي الجنون عنه ودلالة على تكذيب الحساد لان المجنون لا خلق له
… والنبي صلى الله عليه وسلم كان من حسن الخلق … بحيث كان مجمع اخلاق سائر الانبياء وكان يوجد فيه ما كان متفرقا فيهم واليه الاشارة
بقوله فبهديهم اقتده اي اقتد بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم وفي قوله لعلى اشارة الى انه مستول على جوارب الاخلاق الفاضلة لا يزعجه عنها
وازع قال سعيد بن هشام قلت لعائشة اخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القران وفي رواية ثم قرات قد افلح المؤمنون
وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله ما دعاه احد من اصحابه ولا من اهل بيته الا قال لبيك وقال انس
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي في شيء فعلته لم فعلته ولا في شيء لم افعله الا فعلت ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم وهدد
اعداءه بقوله فستبصر يا محمد ما قدر لك من عز الدارين ويبصرون في الدنيا بالقتل والسبي كما في بدر او في الاخرة قوله بايكم المفتون قال الاخفش
وابو عبيدة وابن قتيبة الباء صلة والمعنى ايكم المفتون وهو الذي فتن بالجنون وقال الفراء والمبرد وهو قول الحسن والضحاك عن ابن عباس
المفتون مصدر بمعنى الجنون كالمعقول والمجلود وقيل الباء بمعنى في وعلى هذا يجوز ان يكون المفتون بمعنى المجنون اي في اي الفريقين من يستحق
هذا الاسم او في ايهما الشيطان لان الشيطان مفتون في دينه وكانت العرب تزعم انه من تخبيل الجن فقال تعالى سيعلمون غدا بايهم الشيطان
الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل وفيه تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما ثم احال كيفية الحال الى كمال علمه فقال
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي بمن جن وهو اعلم بالمهتدين وهم العقلاء والاظهر ان يراد الضلال والاهتداء في الدين وفيه وعيد
ووعد قال المفسرون ان المشركين ارادوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يعبد الهتهم مدة ويعبدوا الله مدة ويكفوا عنه غوائلهم فانزل الله تعالى فلا تطع المكذبين
وهو كالنتيجة لما تقدمه لانه سبحانه بين وعده بانصاره العزة الرفيعة في الدارين واوعد اعداءه بضد ذلك وعلمه شاملا بحال الفريقين وجزائهما لم يبق لطاعة
الاعداء وجه ثم ذكر تشهيهم فقال ودوا لو تدهن تلين وتصانع فيدهنون اي فهم يدهنون حينئذ لان النفاق يجر النفاق او ودوا ادهانك
فهم الان يدهنون طمعا في ادهانك قال المبرد ادهن الرجل في دينه وداهن في امره اذا خان فيه واظهر خلاف ما يضمر ثم خص النهي قائلا ولا تطع كل حلاف

ولا يستثنون نائمون كالصريم … مصبحين

مهين لان من اكثر الحلف بالله لم يعرف قدر المعبود بالحق اذ له الله وفيه اشارة الى ان عزة النفس منوطة بتصحيح نسبة العبودية ومهانة
النفس منوطة بالتعلق بمساعي الربوبية وايضا الحلاف يتفق له الكذب كثيرا والكذاب حقير عند الناس والهماز الذي يذكر الناس بالمكروه وعن الحسن
يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم اي لاجل سعاية والنميم مصدر كالنميمة مناع للخير اي للمال او مناع اهل الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه
دون الممنوع لمكانه قال مناع من الخير معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الاثم عتل غليظ في الخلقة جاف في الخليقة زنيم الدعي ومعنى بعد
ذلك التبعيد في الرتبة اي مع الاوصاف المعدودة هذا الوصف الذي هو اشنعها لان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث جميع اخلاق الولد
ولعله … المعزة تقطع تنحي معلقة في حلقها … زيادة معلقة بغير اهله عن ابن عباس في رواية انها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي كان
موسرا له عشرة بنين يقول لهم من اسلم منكم منعته رفدي وفي رواية اخرى هو ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس
بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة وقيل كان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده ويقال بغت امه
ولم يعرف حتى نزلت الاية وقوله ان كان بهمزة واحدة تقديره لان كان اي لا تطع صاحب هذه المثالب لكثرة ماله وولده ومن قرا بهمزتين
فمعناه الان كان ذا مال كذب فيتعلق الجار بمدلول قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال وذلك ان قال لا يصلح ان يعمل فيه لان ما بعد الشرط لا يعمل
فيما قبله ولا قوله تتلى لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل فيما قبله سنسمه على الخرطوم اي الانف وفيه استخفاف به من جهة الوسم ومن جهة التعبير
عن انف الادمي بالخرطوم الذي هو انف الحيوانات المنكرة كالخنزير والفيل كما لو عبر عن شفاه الناس بالمشافر او عن ايديهم وارجلهم بالاظلاف
والحوافر ثم الانف اكرم موضع من الوجه ولهذا قيل الجمال في الانف وله التقدم ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة
وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه فالوسم في الانف … ومتى هذا الوسم منهم من قال في الدنيا فعن ابن عباس خطم يوم بدر بالسيف
فبقيت سمة على خرطومه وعن النضر بن شميل الخرطوم الخمر اي سنحده على شربها وسمي الخمر خرطوما كما قيل لها السلاف وهي ما سلف من عصير العنب
او لانها تطير في الخياشيم … ومنهم من قال في الاخرة ولعله عبر عن سواد الوجه كله بسواد الخرطوم ومنهم من قال في الدارين اي
سنشهره بهذه الشتيمة … فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم ولا شك ان هذه الاوصاف الذميمة وتبعاتها بقيت
في حق الوليد بن المغيرة في الدنيا والاخرة كالوسم على الانف والوسم على الجبهة ثم بين انه انما اعطى … ليواظب
على شكر نعم الله والا صب عليهم بدل الالاء البلاء ومكان السراء الضراء وهذه صورة الابتلاء كما ابتلى اصحاب الجنة ذات الثمار ان
يشكروا ويعطوا الفقراء حقوقهم روي ان واحدا من ثقيف وكان مسلما كان يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء وكان يجعل منها
نصيبا وافرا للفقراء فلما مات ورثها منه بنوه ثم قالوا عيالنا كثير والمال قليل فلو فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا
ليقطعن ثمر نخيلها في وقت الصباح ولا يستثنون لا يقولون ان شاء الله واصله من الثني وهو الرد وكان الحالف يرد انعقاد
اليمين بالثنيا … قول الاكثرين وزعم اخرون ان المراد … كل ذلك ولا يستثنون
للمساكين من جملته ذلك القدر الذي كان يدفع ابوهم اليهم فطاف عليها عذاب طائف من حكم ربك او بعض من عذاب ربك والطائف لا يكون
الا ليلا قال الكلبي ارسل الله عليها نارا من السماء فاحترقت وهم نائمون فاصبحت الجنة كالصريم فعيل بمعنى فاعل او بمعنى مفعول فالاول قول
من قال انها لما احترقت صارت سوداء كالليل المظلم وسمي الليل صريما لانه يصرم نور البصر ويقطعه او لانه ينقطع بظلمته عن التصرف وقيل
النهار يسمى ايضا صريما لان كل واحد من الملوين ينصرم بالاخر والصريم بمعنى المصروم ووجه التشبيه انها يبست وذهبت خضرتها ولم يبق فيها شيء من قولهم
بيض الاناء اذا فرغه والثاني وهو الاول قول من قال انها لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمر وان كان اثر الاحتراق مغايرا لاثر الصرم
وقال الحسن اي صرم عنها الخير وقيل الصريم من الرمل قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمال وجمعه الصرائم شبهت الجنة وهي محترقة لا ثمر فيها ولا خير بالرملة المنقطعة
عن الرمال وهي لا تنبت شيئا ينتفع به قال مقاتل لما اصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم وعنوا بالحرث الزرع والثمار والاعناب ولذلك قالوا
صارمين لانهم ارادوا قطع الثمار من هذه الاشجار وضمن الغدو معنى الاقبال فعدى بعلى اي اقبلوا على حرثكم باكرين او عبر عن الغدو لاجل الصرم بالغدو
عليه كما يقال غدا عليهم العدو ويتخافتون يتسارون فيما بينهم والنهي عن الدخول للمسكين نهي لاصحاب الجنة عن تمكين المسكين منه كانهم قالوا فيما بينهم لا تمكنوه من
الدخول قوله وغدوا على حرد هو المنع ومنه حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها اي قادرين على منع المساكين
لا غير يعني انهم عزموا على حرمان المساكين مع كونهم قادرين على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب قدرة لا يقدرون فيها الا على النكد والمنع وفيه انهم طلبوا
حرمان الفقراء فعوقبوا بنقيض مقصودهم فتعجلوا الحرمان والمسكنة ويجوز ان … ارغدوا حاصلين على منع الجنة خيرا لا على اصابة النفع منها
ويجوز ان يكون قوله على حرد صلة قادرين ولكن الكلام يعود الى قوله ان اغدوا على حرثكم اي ما فتهم الله بان حاردت جنتهم فلم يغدوا على حرث وانما
غدوا على حرد وقوله قادرين يكون من باب عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وقيل الحرد بالتسكين
وبالتحريك وهو الاكثر بمعنى الغضب اي لم يقدروا الا على غضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قطا حرادا
اي سراع يعني وغدوا على حالة سرعة ونشاط قادرين عند انفسهم على صرامها ومنع خيرها من المساكين وقيل حرد علم للجنة او لتلك الجنة
بعينها والمعنى كما تقدم الا ان قوله انا لضالون يحتمل ان يراد الضلال عن الطريق كانهم لما راوا جنتهم محترقة سبق الى وهمهم انها ليست هي
وانهم ضلوا الطريق فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لشوم عزمنا على البخل ومنع المساكين ويحتمل ان يراد الضلال
عن الدين لان منع حق الله نوع من الضلال ومعنى بل انهم اعتقدوا كونهم قادرين على الانتفاع بها ومنع الغير منها فقالوا بل الامر انقلب علينا
فصرنا نحن المحرومين قال اوسطهم اي اعدلهم وخيرهم كما في قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون قال الاكثرون معنى
التسبيح ههنا الاستثناء لانه تعظيم لله بقوله ولا يستثنون والاستثناء نوع من التنزيه لانه لو دخل في الوجود شيء على خلاف مشيئته
كان نقصانا في كمال القدرة وعن الحسن هو الصلوة كانهم يتكاسلون فيها والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر وقال اخرون ان اوسطهم كان
يقول لهم عند عزمهم على منع حقوق الفقراء لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من هذه العزيمة الخبيثة فلم يلتفتوا الى قوله الا بعد خراب البصرة قائلين سبحان
ربنا عن ان يجري في ملكه شيء على خلاف مشيئته وقالت المعتزلة سبحان الله عن الظلم وعن كل قبيح انا كنا ظالمين بمنع المعروف وترك
الاستثناء ومعنى يتلاومون يلوم بعضهم بعضا يقول واحد لغيره انت اشرت علينا بهذا الراي ويقول الاخر انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث انت
الذي رغبتني في جمع المال ثم قالوا جميعا يا ويلنا انا كنا طاغين اعترافا بالذنب ثم فوضوا امرهم قائلين عسى ربنا الاية سئل قتادة عنهم اهم من

روي انه صلى الله عليه وسلم قال … ولد الزنا … والده واصل الزنيم … من الزنمة … م

علامة كسوة … الحقيقة كان … في عداوة الرسول صلعم والطعن في دينه … م

الامر فلو …

[illegible]

سورة الحاقة ثنتان وخمسون آية وهي مكية كلماتها مائتان وست وخمسون
حروفها ألف وأربع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة
فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها
عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم
أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات
بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية إنا لما
طغا الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية
فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة
واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية
والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ
تعرضون لا تخفى منكم خافية فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم
اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية
في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم
في الأيام الخالية وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني
لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية
ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه
ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن
بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا
حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون فلا أقسم

[illegible]

بما تبصرون وما لا تبصرون ۞ انه لقول رسول كريم ۞ وما هو
بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ۞ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ۞
تنزيل من رب العالمين ۞ ولو تقول علينا بعض الاقاويل ۞
لاخذنا منه باليمين ۞ ثم لقطعنا منه الوتين ۞ فما منكم من احد عنه حاجزين ۞
وانه لتذكرة للمتقين ۞ وانا لنعلم ان منكم مكذبين ۞ وانه لحسرة
على الكافرين ۞ وانه لحق اليقين ۞ فسبح باسم ربك العظيم ۞

القراءات وادريك بالامالة حيث كان حمزة وخلف والخزاز عن هبيرة وابو عمرو والبخاري عن ورش وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان فهل ترى كما في الملك ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء ابو عمرو وسهل ويعقوب والاخرون بفتح القاف وسكون الباء وتعيها بسكون العين تشبيها بما قبله القاف عن خلف عن حمزة وخلف لنفسه والهاشمي عن قنبل والخزاعي عن ابن فليح والبزي عن اصحابه فهي يومئذ بالادغام شجاع وابو شعيب لا تخفى على التذكير حمزة وعلي وخلف كتابي وحسابي بغير هاء السكت في الوصل سهل ويعقوب مالي وسلطاني بدون الهاء في الوصل حمزة وسهل ويعقوب يؤمنون ويذكرون على الغيبة ابن كثير وسهل ويعقوب وابن عامر الوقوف الحاقة ه لا لان ما بعدها خبرها ما الحاقة ج لاحتمال الواو بعده الحال والاستئناف الحاقة ه بالقارعة ه بالطاغية ه عاتية ه لا ايام لا لان حسوما صفة الثمانية صرعى لا لان ما بعده صفة خاوية ه ج للاستفهام مع الفاء باقية ه بالخاطئة ه ج رابية ه الجارية ه لا واعية ه واحدة ه لا واحدة ه لا الواقعة ه لا للعطف واهية ه لا لذلك ارجائها ط لاختلاف النظم ثمانية ه ط خافية ه كتابيه ه ج حسابيه ه راضية ه لا عالية ه لا الخالية ه كتابيه ه ج حسابيه ه ج القاضية ه ج ماليه ه ج كلاهما جائز لاشتراك تفصيلا بين الذوات مع اتحاد المقولات سلطانيه ه فغلوه ه لا صلوه ه لا لذلك فاسلكوه ه ط العظيم ه لا المسكين ه ط حميم ه لا غسلين ه لا الخاطئون ه تبصرون ه لا وما لا تبصرون ه لا كريم ه ج شاعر ط تؤمنون ه ط كاهن ط تذكرون ه ط اي هو تنزيل العالمين ه باليمين ه لا الوتين ه ز والوصل اجوز لدخول الفاء واتحاد الكلام حاجزين ه للمتقين ه مكذبين ه الكافرين ه اليقين ه العظيم ه التفسير الحاقة هي القيمة بالاتفاق الا انهم اختلفوا في سبب التسمية فقال ابو مسلم هي الفاعلة من حقت كلمة ربك اي الساعة واجبة الوقوع التي لا ريب في مجيئها وقريب منه قول الليث انها النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل انها التي تحق فيها الامور اي يعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وقيل هي التي يوجد فيها حواق الامور وهي الواجبة الحصول من الثواب والعقاب وغيرها من احوال القيمة وهذا الوجه والذي قبله يشتركان في الاسناد المجازي الا ان الفاعل في الاول بمعنى المفعول وفي الثاني على اصله وقريب منه قول الزجاج انها تحق اي يكون منه جميع آثار اعمال المكلفين ويخرج عن حد الانتظار وقال الازهري سميت بذلك لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل اي تغلب كل مخاصم وتغلبه واورد في التفسير الكبير وجوها اخر الى تمام العشرة وهي في التحقيق تكرار ولذلك تركناها قوله ما الحاقة مبتدأ وخبر والجميع خبر الحاقة والاصل ما هي يعني اي شيء هي وفي هذا الاستفهام تهويل وتفخيم لشانها وفي وضع الظاهر موضع الضمير تهويل فوق تهويل وفي قوله وما ادراك ما الحاقة مبالغة اخرى والمعنى اي شيء اعلمك ما الحاقة وفيه ان مدى عظمها بحيث لا يبلغه وصف واصف ولا نعت مخبر قال جار الله ما يعني في ما الحاقة الثانية في موضع الرفع على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام قلت ولولا ذلك لنصب الجزءين على انهما مفعولا ثان وثالث كقولك اعلمتك زيدا فاضلا وحين ذكر الحاقة على ابلغ وجوه التفخيم اتبعها ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تخويفا لاهل مكة فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة والاصل بها اي بالحاقة الا انه وضع القارعة موضع الضمير ليدل بذلك على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولا ريب انها تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والارض بالدك والنجوم بالطمس الى غير ذلك وكانت عادة القرآن جل به بتقديم قصة عاد على ثمود الا انه قلب هاهنا لان قصة ثمود بنيت على غاية الاختصار ونزع الهم تقديم ما هو اخصر قوله بالطاغية اي بالواقعة المجاوزة للحد وهي الرجفة والصاعقة او الصيحة وقيل الطاغية مصدر اي بسبب طغيانهم واعترض بانه لا يطابق قصة عاد وقالوا بريح ويمكن ان يجاب بان السبب الفاعلي والسبب الاولي كلاهما يشتركان في مطلق السببية وبهذا القدر من المناسبة كاف في الطباق وعلى هذا القول يحتمل ان يكون الطاغية صفة موصوف اي بشؤم الفرقة الطاغية التي تواطأت على عقر الناقة ويجوز ان يراد بها عاقر الناقة وحده والتاء للمبالغة والصرصر الشديد الصوت او البرد الكثير بحيث عاتية الشديدة العصف قال جار الله العتو استعارة وقيل لانه يستعمل في مجاوزة الانسان حد الطاعة والانقياد قال عطاء عن ابن عباس يريد ان الريح عتت على عاد وما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او استناد الى جبل فانها كانت تنزعهم من مكانهم قال الكلبي عتت على خزانها كما جاء في الحديث ما ارسل الله سفية من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم نوح ويوم عاد فان الماء يوم نوح طغى على الخزان وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل وقيل العاتية من عتا النبت اي بلغ منتهاه وجف قال تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا اي ريح بالغة منتهاها في الشدة والقوة سخرها اي سلطها بدليل عليهم وقال الزجاج اقامها وقيل ارسلها قوله حسوما جمع حاسم كشهود

والركب

والتركيب يدور على القطع والاستئصال ومنه الحسام لانه يحسم العدو عما يريد من بلوغ امله وذلك ان تلك الريح حسمت كل خير واستاصلت كل بركة وقيل انها متتابعة من غير فتور ولا انقطاع حتى اتت عليهم فمثل تتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء مرة بعد اخرى الى ان يحسم ويجوز ان يكون حسوما مصدرا كالدخول والخروج وعلى هذا ينتصب بفعل مضمر اي تستاصل استئصالا او يكون وصفا بالمصدر اي ذات حسوم او مفعولا له وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها والصحيح انها ايام العجز وهي آخر الشتاء واساميها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر ومكفئ الظعن في فيها للهبات او الليالي والايام والخالية الساقطة وقيل الخالية كان الريح كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم وعلى هذا يحتمل ان يكون الخالية بمعنى البالية لان النخل اذا بليت خلت اجوافها والباقية مصدر وقيل من نفس باقية قال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احياء في عذاب الله فلما كان اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر فذلك قوله فهل ترى لهم من باقية وقوله فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم من قرأ ومن قبله بالفتح فالسكون فظاهر اي ومن تقدمه من الامم الكفرة والضلال كنوح ونحوه ومن قرأ بالكسر فالفتح اراد ومن عنده من اتباعه وجنوده والخاطئة مصدر اي بالخطاء او صفة بالفعلة او الافعال ذوات الخطأ العظيم رابية من ربا الشيء يربو اذا زاد اي زائدة في الشدة كما كانت افعالهم زائدة في القبح وقيل بمعنى الزيادة اتصال عذابهم في الدنيا بعذاب الآخرة او غرقا وحرقا ولا ريب ان عذاب الآخرة اشد فكان عذابهم الى عذابين زيادة قال الواحدي الوجه في قوله رسول ربهم ان يكون رسول الامم الماضية كلهم اعني موسى وغيره من رسل من تقدم فرعون كقوله انا رسول رب العالمين ولو جعل عبارة عن موسى لزم التخصيص من غير مخصص ثم ذكر قصة بعض من تقدم فرعون فقال انا لما طغى الماء وطغيان الماء كعتو الريح وقد سبق في التوراة ومعنى حملناكم حملنا اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في السفينة وهي سفينة نوح لنجعلها قال الفراء اي الجارية لانها المذكورة والاظهر عوده الى الواقعة او الحالة وهي نجاة المؤمنين واغراق الكافرين فانها اي العظة والعبرة وقوله وتعيها اذن واعية من شانها حفظ كل ما تسمع يقال لكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته فقال وعيت العلم واوعيت المتاع في الوعاء قال شعر والشر اخبث ما اوعيت من زاد قال جار الله التامل اذن واعية على التوحيد والتنكير للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت فهي عند الله بمكان وما سواها لا يلتفت اليهم وان ملأوا العالم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي عند نزول الآية سألت ان يجعلها اذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما نسيت شيئا بعد ذلك وما كان لي ان انسى وحين فرغ من بيان القدرة والحكمة عاد الى ما انجر منه الكلام وهو حديث الحاقة والنفخة الواحدة عن ابن عباس انها الاولى التي عندها خراب العالم وفي رواية عنه انها الثانية لقوله بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض عند الثانية وناصر الرواية الاولى ان يقول اليوم اسم للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب كما تقول جئته عام كذا وانما جئت في وقت واحد من اوقاته قوله واحدة صفة مؤكدة قوله وحملت اي رفعت من جهاتها بريح شديدة او بملك او بقدرة الله من غير واسطة والضمير في دكتا لجماعتي الارضين والجبال والمراد ان هاتين الجملتين يضرب بعضها ببعض حتى تندك وترجع كثيبا مهيلا هباء منثورا والدك ابلغ من الدق وقيل اراد بسطتا بسطة فصارتا قاعا صفصفا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء قوله فيومئذ جواب فاذا نفخ والواقعة النازلة وهي القيامة واهية مسترخية بعد ان كانت مستمسكة والملك جنس ولهذا كان اعم من الملائكة لشموله الواحد والاثنين ودونها والارجاء الجوانب جمع رجا مقصورا والمعنى ان السماء اذا انشقت عدلت الملائكة من مواضع الشق الى جوانب السماء او الملائكة يموتون في الصعقة الاولى فكيف يقفون على ارجاء السماء والجواب يقفون لحظة ثم يموتون او هم المستثنون بقوله الا من شاء الله والضمير في فوقهم عائد الى الملك على المعنى لان التقدير الخلق الذي يقال له الملك والمقصود التمييز بينهم وبين الملائكة الذين هم حملة العرش وقال مقاتل الضمير للحملة اي فوق رؤوسهم والاضمار قبل الذكر جائز لانه بعده حكما كقوله في بيته يؤتى الحكم وعن الحسن لا ادري ثمانية اشخاص او ثمانية آلاف او ثمانية صفوف او ثمانية آلاف صفوف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله قال المفسرون الحمل على الاشخاص اولى لان هذا اقل ما يصدق اللفظ عليه والزائد لا دليل له وكيف لا والمقام مقام تهويل وتعظيم فلو كان المراد ثمانية آلاف لوجب ذكره ليزداد التعظيم والتهويل ويؤيده ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة آخرين وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون يسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ولولا هذه الروايات لجاز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر قالت المشبهة لو لم يكن الله على العرش لم يكن لحمله فائدة واكدوا شبهتهم بقوله يومئذ تعرضون للمحاسبة والمسائلة فلو لم يكن الاله حاضرا لم يكن للعرض معنى اجاب اهل السنة ان الدليل على ان حمل الاله محال ثابت فلا بد من التاويل وهو انه تعالى خاطبهم بما يتعارفون فخلق لنفسه بيتا يزورونه ليس ليسكن فيه وجعل في ذلك البيت حجرا هو يمينه في الارض اذ كان من شانهم ان يعظموا رؤساءهم بتقبيل ايديهم وجعل على العباد حفظة لا لان النسيان يجوز عليه بل لانه المتعارف فكذلك لما كان من شان الملوك اذا ارادوا محاسبة عمالهم ان يجلس لهم على سرير ويقف الاعوان حواليه صور الله تعالى تلك الصورة المهيبة لا لانه يقعد على السرير روي ان في القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب قوله لا يخفى منكم خافية اي يعرضون على من لا يخفى عليه شيء اصلا وقيل اراد لا يخفى منكم يوم القيمة ما كان مخفيا في الدنيا على غير الله وذلك ليتكامل سرور المؤمنين ويعظم توبيخ المذنبين ثم اخذ في تفصيل عرض الكتب وهاؤم صوت يعرف به تفهم منه معنى خذ ولها لغات واستعمالات مذكورة في اللغة منها ما ورد به الكتاب الكريم وهو هاء مثل هاع للواحد المذكر وهاؤما وهاؤم الهمزة والحاق الميم بعدها الالف للتثنية وهاؤم بضم الهمزة بعدها ميم ساكنة وهاء بالكسر للمؤنث وهاؤن لجمعها وكتابيه مفعول هاؤم عند الكوفيين ومفعول اقرؤوا عند البصريين لانه اقرب واصله هاؤم كتابي واقرؤوا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قال البصريون ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤوه اذ المختار اضمار المفعول ليكون دليلا على المحذوف اجاب الكوفيون بان الظاهر

اكتفى عن الضمير كما في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات والهاء في كتابيه وغيرها للسكت ومن حقها ان تثبت
في الوقف وتسقط في الوصل لكنه استحب التلفظ بها في الوصل عند جماعة ايثارا لثبوتها في المصحف وانما قال من اوتي كتابه
هاؤم اقرؤا كتابيه ابتهاجا وفرحا وقيل يقول ذلك لاهل بيته وقرابته وفي قوله كانما اي ظننت وجوه وفي قوله الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم وما يختص بالمقام قول بعضهم انه اراد الظن في الدنيا لان اهل الدنيا لا يقطعون بنيل الدرجات وفي هذا الوجه
نظر لانهم كانوا غير قاطعين بالجنة الا انهم يجب ان يقطعوا بالحساب والجزاء وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل
ياتي به يوم القيمة ويرى بكتابه فيكتب حسناته في ظهر كفه ويكتب سيئاته في بطن كفه فينظر الى سيئاته فيحزن فيقال له اقلب كفك فينظر
حسناته فيفرح ثم يقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت عند النظرة الاولى اني ملاق حسابي على سبيل الشدة واما الان فقد فرج الله
عني ذلك الغم واما في حق الاشقياء فيكون ذلك على الضد مما ذكرنا ثم بين عاقبة امره قائلا فهو في عيشة فعلة من العيش للنوع راضية
منسوب الى الرضا كالدارع والنابل للمنسوب الى الدرع والنبل وهو من النسبة بالصيغة كما ان قولك بصري وهاشمي من النسبة بالحرف
ويجوز ان يكون من الاسناد المجازي كقولك نهاره صائم جعل الصوم للنهار وهو لصاحبه كذلك ههنا جعل الرضا للعيشة وهو لصاحبها
رضي الله عنه ورضوا عنه في جنة عالية درجاتها لانها فوق السموات على تفاوت الطبقات او في جنة رفيعة المباني والقصور والاشجار
قطوفها دانية ثمارها قريبة التناول والقطوف جمع قطف بالكسر وهو المقطوف كالطحن بمعنى المطحون يروى ان ثمارها يقرب تناولها
للقائم والجالس والمضطجع وان احب ان يدنو اليه دنت كلوا اي ارادوا القول وهنا مصدرا وصفة كما مر في الطور وجمع الخطاب في كلوا
مع انه وحد الضمير في قوله اوتي وغيره حملا على لفظ من ثم على معناه والغرض من هذا الامر التوقير والعرض لا التكليف ومن قال الاباحة ليست
بتكليف فلا اشكال وقوله بما اسلفتم كقوله في الطور بما كنتم تعملون والاسلاف في اللغة تقديم ما ترجو ان يعود عليك بخير فهو كالاقراض
ومنه يقال اسلف في كذا اذا قدم فيه الدراهم والمعنى بسبب ما عملتم من الاعمال الصالحة في ايام الدنيا الماضية وعن مجاهد والكلبي هي ايام
الصيام فيكون الاكل والشرب في الجنة بدل الامساك عنهما في الدنيا ثم اخذ في قصة الاشقياء وانما تمنى انه لم يدر اي شيء حسابه
لانه كله عليه ولا يعود منه اليه سوى الضرر والضمير في ياليتها عائد الى الموتة الاولى يدل عليها سياق الكلام ولعل في قوله ولم ادر ايضا
ليتها لانها حالة العدم المستلزمة لعدم الادراك اي الموتة التي متنها ليتها كانت القاطعة لامري او للحيوة فلم ابعث بعدها وقيل
الضمير للحال اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي تمنيت حتى قال العلماء تمنى الموت حين رأى من الحال وسوء المنقلب ما هو اشد وابشع
من الموت قوله ما اغنى نفي ويجوز ان يكون استفهاما على سبيل الانكار ومعناه اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار فانه لم يبق منه الا الوبال
هلك عني تسلطي على الناس وزال عني ما كنت اتصور من حجة وبرهان قال ابن عباس ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها على محمد في الدنيا وقال
مقاتل انما يقول هذا حين شهدت عليه الجوارح بالشرك يحكى عن عضد الدولة انه قال شعر ليس شرب الكاس الا في المطر
وغناء من جوار في السحر ۞ غانيات سالبات للنهى ۞ ناغمات في تضاعيف الوتر ۞ مبرزات الكاس من مطلعها ۞ ساقيات الراح
من فاق البشر ۞ عضد الدولة وابن ركنها ۞ ملك الاملاك غلاب القدر ۞ يروى بضم القاف جمع القدرة وبفتحها وهو ما قدر الله
على عباده وقضى ولا ريب ان المصراع الاخير فيه سوء الادب والجرأة على الله تعالى من وجهين احدهما انه سمى نفسه ملك الاملاك
ولا يصلح هذا الاسم الا لله سبحانه ولهذا جاء في الحديث ابغض الاسماء عند الله رجل يسمى ملك الاملاك ويقال له بالفارسية شاهنشاه
والثاني انه زعم الغلبة على القدر او القضاء وهذا ايضا من اوصاف الله عز وجل لا يصلح لغيره ومن زعم انه قال ذلك بالنسبة الى ملوك
دونه فذلك قيد لا يدل عليه الاطلاق فسوء الادب باق فمن هنا روي ان الله تعالى ابتلاه عقيب ذلك بالخبل وفسا والذهن وخور
القوى فكان لا ينطلق لسانه الا بتلاوة ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه حتى هلك ثم اخبر عن ارادة القول اي يقال له خذوه وايها الخزنة يروى
انه يبتدر اليه مائة الف ملك ويجمع يده الى عنقه والتصلية في الجحيم وهي النار العظمى اشارة الى انه كان سلطانا يتعظم على الناس
والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة وكل شيء مستمر بعد شيء على الولاء والنظام فهو مسلسل والذرع في اللغة التقدير بالذرع
من اليد وقوله سبعون ذراعا يجوز ان يكون محمولا على الظاهر وان يراد المبالغة على عادة العرب وتقديم الجحيم على التصلية والسلسلة
على السلك للحصر اي لا تصلوه الا في الجحيم ولا تسلكوه الا في هذه السلسلة الطويلة لانها اذا طالت كانت الكلفة اشد قال اكل ذراع
سبعون باعا ابعد مما بين مكة والكوفة قال الحسن الله اعلم بأي ذراع هو قال ابن عباس يدخل السلسلة في دبره ويخرج من منخره ثم يجمع
بين ناصيته وقدميه قال الكلبي كما يسلك الخيط في اللؤلؤ ويجعل في عنقه سائرها وعن بعضهم ان جميع اهل الكفار لو قرنوا في هذه السلسلة الطويلة
ليكون العذاب عليهم اشد وانما لم يقل فاسلكوا السلسلة فيها لانه اراد ان السلسلة تكون ملتفة عليه بحيث لا يقدر على حركة وقيل
هو كقولهم ادخلت القلنسوة في راسي والخاتم في اصبعي ومعنى ثم التراخي في الرتبة ثم ذكر سبب هذا الوعيد الشديد وهو عدم الايمان
بالله العظيم وعدم بذل المال للمساكين ولعل الاول اشارة الى فساد القوة النظرية والثاني الى فساد القوة العملية قال مجاهد انه عطف
حرمان المسكين على الكفر تغليظ وفي ذكر الحض دون الفعل تغليظ فوق تغليظ ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل ومن
ابي الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الاخر
والطعام اسم بمعنى الاطعام كالعطاء بمعنى الاعطاء وفي الاية دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع والحميم القريب الشافع وقوله ههنا
اشارة الى مكان عذابهم او الى مقام الوصول الى هذا الحد من العذاب يروى ان ابن عباس سئل عن الغسلين فقال لا ادري
وقال الكلبي هو ما يسيل من اهل النار فعلين من الغسالة والطعام ما هيئ للاكل ويجوز ان يكون اطلاق الطعام عليه من باب التهكم او مثل
عتابك السيف قال ابن عباس الخاطئون في الاية هم المشركون ثم عظم شان القرآن بالاقسام بكل الاشياء لانها اما مبصر وغير مبصر
وقيل الدنيا والاخرة والاجسام والارواح او الانس والجن او الخلق والخالق او النعم الظاهرة والباطنة والاكثرون على ان الرسول
الكريم ههنا هو محمد صلى الله عليه وسلم لانه ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والقوم ما كانوا يصفون جبرئيل بالشعر والكهانة وانما
يصفون بها محمدا صلى الله عليه وسلم واما في سورة التكوير فالاكثرون على انه جبرئيل عليه السلام لان الاوصاف التي بعده تناسبه
كما يجيء وفي ذكر الرسول اشارة الى ان هذا القرآن ليس قوله من تلقاء نفسه وانما هو قوله المؤدي عن الله بطريق الرسالة وكذا لو كان المراد

جبرئيل وفي وصفه بالكريم اشارة الى امانته وانه ليس ممن يغير الرسالة طمعا في اغراض الدنيا الخسيسة وايضا من كرمه انه اتى بافضل انواع المزايا
والعطايا وهو المعرفة والارشاد والهداية وانما قال عند نفي الشعر عنه قليلا ما تؤمنون وعند نفي الكهانة قليلا ما تذكرون لان انتفاء
الشعرية عن القرآن امر كالبين المحسوس اما من حيث اللفظ فظاهر لان الشعر كلام موزون مقفى والفاظ القرآن ليست كذلك الا ما هو
في غاية الندرة بطريق الاتفاق من غير تعمد واما من جهة التخييل فلان القرآن فيه اصول كل المعارف والحقائق والبراهين والدلائل
المفيدة للتصديق اذا كان المكلف ممن يصدق ولا يعاند وانتفاء الكهانة عنه امر يحتاج الى ادنى تأمل يتوقف على ان كلام الكهان اسجاع
لا معاني تحتها واوضاع تنبو الطباع عنها وايضا في القرآن سب الشياطين وذم سيرتهم والكهان اخوان الشياطين فكيف رضوا
باظهار قبايحهم ثم صرح بالمقصود فقال تنزيل من رب العالمين اي هو تنزيل ثم بين ان المفتري لا يفلح وان فرض انه نبي معال ولو تقول
وهو تكلف القول من غير ان يكون له حقيقة والاقاويل جمع اقوال وقال في الكشاف في اللفظ تصغير وتحقير كالاعاجيب والاضاحيك
كانه اجمع افعولة من القول ومعنى الاية لو نسب الينا قولا لم نقله لقتلناه اشنع قتل وهو ان يؤخذ بيمينه ويضرب رقبته وهو ينظر الى السيف
وهذه فائدة تخصيص اليمين لان القتال اذا اخذ بيسار المقتول وقع الضرب في قفاه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه وكذا
قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا تفسير منقول عن الحسن البصري والوتين العرق المتصل من القلب بالراس فاذا انقطع
مات الحيوان قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد انه لو كذب لاهلكناه كما يفعل الملوك بمن كان كذا اخذ بيمينه فقطع وتينه ونظيره
ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطع ابهري والابهر عرق متصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه فكانه قال هذا اوان يقتلني
السم وعن الفراء والمبرد والزجاج ان اليمين القوة وقوة كل شيء في ميامنه والباء زائدة ومعنى الاخذ السلب اي سلبنا عنه القدرة
على التكلم بذلك القول وهذا كالواجب في حكمة الله تعالى كيلا يشتبه الصادق بالكاذب وقال مقاتل اليمين الحق كقوله انكم كنتم
تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق والمعنى لنفيناه بواسطة اقامة الحجة ولقيضنا له من يعارضه فيه فيظهر للناس كذبه فما منكم
من احد عنه اي عن الرسول او عن القول والخطاب للناس واحد في معنى الجمع لانه في سياق النفي فلذلك قال حاجزين
اي مانعين وحين بين ان القرآن تنزيل من عند الله بواسطة جبرئيل على محمد الذي من صفته انه ليس بشاعر ولا بكاهن ولا كذاب
ان القرآن ما هو الى اي صنف يعود نفعه فقال انه لتذكرة للمتقين ثم اوعد على التكذيب قائلا وانا لنعلم ان منكم مكذبين ان التكذيب
او القرآن سبب حسرة للكافرين في القيمة اذا راوا ثواب المصدقين او في الدنيا اذا راوا دولة المؤمنين لان القرآن حق اليقين
اي حق يقين لا ريب فيه فاضيف احد الوصفين الى الاخر للتاكيد كقولك هو حق العالم ثم امر بالتسبيح شكرا له على الايحاء اليه
او على ان عصمه من الافتراء عليه

سورة المعارج اربع واربعون آية وهي مكية كلماتها مائتان وست عشرة حروفها
تسعمائة واحدى وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع ۝ للكافرين ليس له دافع ۝ من الله ذي
المعارج ۝ تعرج الملئكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة ۝ فاصبر صبرا جميلا ۝ انهم يرونه بعيدا ۝ ونريه قريبا ۝
يوم تكون السماء كالمهل ۝ وتكون الجبال كالعهن ۝ ولا يسئل حميم حميما ۝
يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ۝ وصاحبته
واخيه ۝ وفصيلته التي تؤويه ۝ ومن في الارض جميعا ثم ينجيه ۝ كلا انها
لظى ۝ نزاعة للشوى ۝ تدعوا من ادبر وتولى ۝ وجمع فاوعى ۝ ان الانسان
خلق هلوعا ۝ اذا مسه الشر جزوعا ۝ واذا مسه الخير منوعا ۝ الا
المصلين ۝ الذين هم على صلاتهم دائمون ۝ والذين في اموالهم حق معلوم ۝
للسائل والمحروم ۝ والذين يصدقون بيوم الدين ۝ والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون ۝ ان عذاب ربهم غير مأمون ۝ والذين هم لفروجهم حافظون

الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ۞ فمن ابتغى وراء
ذلك فاولئك هم العادون ۞ والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم بشهاداتهم قائمون ۞ والذين هم على صلاتهم يحافظون ۞
اولئك في جنات مكرمون ۞ فمال الذين كفروا قبلك مهطعين
عن اليمين وعن الشمال عزين ۞ ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة
نعيم ۞ كلا انا خلقناهم مما يعلمون ۞ فلا اقسم برب المشارق
والمغارب انا لقادرون ۞ على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين
فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ۞ يوم يخرجون
من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون ۞ خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ۞

القراءات سال بغير همز مثل باع ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة في الوقف وان شئت الهمزة يدرج في التذكير على ولا يسال بضم اليا البزي من طريق الهاشمي والبرجمي يوم مسند بالفتح على البناء ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وعباس وعلي والشموني البرجمي وتؤويه بغير همز يزيد والاعشى وحمزة في الوقف نزاعة بالنصب حفص والمفضل يخرجون من الاخراج الاعشى الى نصب بالضمتين ابن عامر وسهل وحفص نصب بالضم ثم سكون المفضل الباقون بالفتح فالسكون الوقوف واقع ۞ لا دافع ۞ لا المعارج ۞ ط سنة ۞ ج جميلا ۞ بعيدا ۞ لا قريبا ۞ لا كالمهل ۞ لا كالعهن ۞ لا حميما ۞ ج لان ما بعده منقطع عنه مستانف ولكن جعلوا الوقف على يبصرونهم ط ببنيه ۞ لا واخيه ۞ لا تؤويه ۞ لا جميعا لا للعطف ينجيه ۞ لا كلا ط لظى ج لان من قرا نزاعة بالرفع جاز ان يكون بدلا او خبر لظى والضمير في انها للقصة او خبر مبتدا محذوف ومن نصب فعلى الحال المؤكدة او على الاختصاص للشوى ج ان يدعو يصلح مستانفا وبدلا من نزاعة وتولى ۞ لا واوعى ۞ هلوعا ۞ لا جزوعا ۞ لا منوعا ۞ لا المصلين ۞ لا دائمون ۞ لا معلوم ۞ لا والمحروم ۞ لا الذين ۞ لا مشفقون ۞ لا مامون ۞ حافظون ۞ لا ملومين ۞ العادون ج راعون ۞ ص قائمون ۞ ص يحافظون ۞ ط مكرمون ۞ ط لانقطاع المعنى مهطعين ۞ لا عزين ۞ نعيم ۞ كلا ط يعلمون لقادرون ۞ لا منهم لا بناء على ان الواو محال لمسبوقين ۞ يوعدون ۞ لا لان ما بعده بدل يوفضون ۞ لا لان ما بعده حال الضمير ذلة ط يوعدون ۞ التفسير من قرا سال بالهمز ففيه وجهان الاول عن ابن عباس ان النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الاية فانزل الله تعالى سال سائل اي دعا داع ولهذا عدي بالبا ويقال دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه وقال ابن الانباري الباء للتاكيد والتقدير سال سائل عذابا لا دافع له البتة اما في الاخرة واما في الدنيا كيوم بدر الثاني قال الحسن وقتادة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب الكافرين او سال عن عذاب والبا بمعنى عن قاله ابن الانباري او عني واهتم بعذاب انه على من ينزل ومتى يقع فبين الله تعالى ان هذا واقع بهم فلا دافع له والذي يدل على صحة هذا الوجه قوله في اخر الاية فاصبر صبرا جميلا ومن قرا بغير همز فله وجهان ايضا الاول انه مخفف سال وهي لغة قريش والمعاني كما مرت والاخر ان يكون من السيلان ويعضده قراءة ابن عباس سال سيل وهو مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم اما سائل فلا يجوز فيه الا الهمزة وفاقا لانه ان كان من المهموز فظاهر وان كان من غير المهموز انقلب اليا همزة كما في بايع وقائل وقوله للكافرين صفة اخرى للعذاب اي بعذاب واقع لاجل الكافرين او متعلق بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او يتعلق بواقع اي نازل لاجلهم او هو كلام مستانف جواب للسائل الذي سال ان العذاب على من ينزل اي هو للكافرين والظاهر ان قوله من الله يتعلق بدافع اي لا دافع له من جهة الله لانه قضاء مبرم ويجوز ان يتصل بواقع اي نازل من عنده المعارج المصاعد روى الكلبي عن ابن عباس انها السموات لان الملائكة تعرج فيها وقال قتادة ذي الفواضل والنعم بحسب الارواح مراتب الاستحقاق والاستعداد وقيل هي الجنة لانها درجات وقال في التفسير الكبير هي مراتب الارواح الملكية المختلفة بالشدة والضعف وبسببها يصل اثار فيض الله الى العالم السفلي عادة او غيرها وتلك الارواح كالمصاعد لمراتب الحاجات التي ترتفع اليها وكالمنازل لاثار الرحمة من ذلك العالم الينا ولذلك تعرج الملائكة والروح وفي اخر يوم يقوم الروح والملائكة قيل ان الروح اعظم الملائكة قدرا وهو اول في درجة النزول كما في تلك الاية الانوار الى جلال الله ومنه ينشعب ارواح سائر الملائكة والبشر في اخر درجات منازل الارواح وبين الطرفين معارج مراتب ارواح الملائكة ومدارج منازل الانوار

القدسية ولا يعلم بتفصيلها الا الله واما المتكلمون فالجمهور منهم قالوا ان الروح هو جبريل عليه السلام ولا استبعاد لا بل التنبيه في لفظ المعارج فانا بينا انها المراتب وقوله اليه اي الى عرشه او حكمه او الى حيث تهبط اوامره او الى موضع العز والكرامة والاكثرون على ان قوله في يوم من صلة يعرج اي يحصل العروج في مثل هذا اليوم وهو يوم القيمة قال الحسن يعني ان موقفهم للحساب الى حين يقضي بين العباد خمسين الف سنة من سني الدنيا ثم بعد ذلك يستقر اهل الجنة في الجنة الى الابد والاصح ان هذا الطول انما يكون للكافرين لما روي عن ابي سعيد الخدري انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة في الدنيا ومنهم من قال ان ذلك الموقف وان طال فقد يكون سببا لمزيد السرور والراحة للمؤمن ومنهم من قال ان هذه المدة على سبيل التقدير لا على سبيل التحقيق والمعنى انه لو اشتغل بذلك القضاء والحكومة اعقل الناس واذكاهم لبقي فيه خمسين الف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحكومة في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وايضا الملائكة يعرجون الى موضع لو اراد احد من اهل الدنيا ان يصعد اليها لبقي في ذلك الصعود خمسين الف سنة ثم انهم يصعدون اليها في ساعة قليلة وهب وجماعة من اهل التفسير وقال ابو مسلم ان هذا اليوم يوم الدنيا كلها من اول ما خلق الله العالم الى القيمة وفيه يقع عروج الملائكة ثم لا يلزم من هذا ان يصير وقت القيمة معلوما لانا لا ندري كم مضى وكم بقي وقد مر في الم السجدة وقال جمع من المفسرين قوله في يوم من صلة واقع اي ذلك العذاب في يوم طول مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيمة ثم يحتمل ان يكون المراد منه استطالة ذلك اليوم لشدته على الكفار ويحتمل ان العذاب الذي ساله السائل يكون مقدارا بهذه المدة ثم ينقله الله تعالى الى نوع اخر من العذاب يروى عن ابي مليكة ان ابن عباس سئل عن هذه الاية وعن قوله في يوم كان مقداره الف سنة فقال ايام سماها الله هو اعلم بها كيف يكون واكره ان اقول فيها ما لا اعلم وقال وهب في الجواب من اسفل العالم الى اعلى شرف العرش مسيرة خمسين الف سنة ومن اعلى سماء الدنيا الى الارض مسيرة الف لان عرض كل سماء من السموات السبع مسيرة خمسمائة سنة وبين اسفل السماء الى قرار الارض خمسمائة اخرى فالمراد مقدار الف سنة لو صعدوا الى سماء الدنيا ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى العرش وفي قوله فاصبر صبرا جميلا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل له ان العذاب قرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام قال الكلبي هذه الاية نزلت قبل ان يؤمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالقتال انهم يرون العذاب او يوم القيمة بعيدا لا ثقدا وبعيدا عن الامكان ونراه قريبا منه ثم قال يوم اي اذكر يوم تكون السماء كالمهل كدردي الزيت عن ابن مسعود وكالفضة المذابة وتكون الجبال كالعهن اي الصوف المصبوغ الوانا لقوله ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ويجوز جار انتدا ان ينتصب يوم بقريبا او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يرا ويوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت او هو بدل من يوم المقدم فيمن علقه بواقع قوله ولا يسال من قرا بفتح اليا فظاهر اي لا يسئله كيف حالك ولا شتغال كل بنفسه ومن قرا بالضم فالمعنى لا يسال حميم عن حميم ليعرف شانه من جهته كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه فيكون على حذف الجار وقال الفراء لا يقال لحميم اين حميمك ثم كان لسائل ان يقول لعله لا يبصره فلهذا لا يسئل فقال يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم ويجوز ان يكون اي حميما مبصرين معرفين اياهم وانما جمع ضمير الحميم لانه في معنى الجمع حيث وقع في سياق النفي وقيل ان الجملة تتعلق بما بعده والمعنى ان المجرمين يبصرون المؤمنين حال ما يود احدهم ان يفدي نفسه بكل ما يكنه فان الانسان اذا كان في البلاء راى عدوه في الرخاء كان ذلك اشد عليه وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عليهم تؤويه تضمه اليها للاحتمار في النسب او اعداد القوى ومعنى ثم استبعاد الانجاء عن الافتداء ثم اكد الاستبعاد بقوله كلا وهو ردع للمجرم عن كونه بحيث يود الافتداء وتنبيه على انه لا ينفعه ذلك والضمير في انها للقصة كما ذكرنا او للنار وان لم يجر لها ذكر لدلالة العذاب عليها ويجوز ان يعود الى العذاب والتانيث باعتبار الخبر لان لظى علم للنار جهنم ولهذا لا ينصرف منقول من اللظى اللهب الخالص والشوى الاطراف وهي اليدان والرجلان والشوى ايضا جلد الراس الواحد شواة وقال سعيد بن جبير العصب والعقب ولحم الساقين واليدين تنزعها نزعا فتفكها ثم يعيدها الله سبحانه وفي قوله تدعو وجوه منها انها تدعوهم بلسان الحال كما قيل سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا انهما لما كان مرجع كل من الكفرة الى دركة من دركات جهنم فكانها تدعوهم الى نفسها ومنها ان الله تعالى يخلق الكلام في جرم النار حتى يقول صريحا نفسي الي يا كافر الكفرة الي ثم يلتقطهم التقاط الحب ومنها ان يكون على حذف المضاف اي تدعو زبانيتها ومنها ان الدعاء بمعنى الاهلاك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك الله من ادبر عن الطاعة وتولى عن الايمان وجمع المال حرصا عليه فاوعى جعله في وعاء وكنزه ولم يؤد حق الله فيه اعلاء وهذه مجامع افات النفس ثم بين ان الانسان بالطبع مائل الى الاخلاق الذميمة فقال ان الانسان هو الكافر عند بعضهم والاظهر العموم بدليل الاستثناء عقيبه خلق هلوعا والهلع قلة الصبر وشدة الحرص كما فسره الله تعالى بقوله اذا مسه الشر اي الفقر او المرض ونحوهما من المضار كان جزوعا واذا مسه الخير اي ضده اذ ذلك كان منوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي ابن ادم شح هالع وجبن خالع قال اهل السنة الحالة النفسانية التي هي مصدر الافعال الاختيارية كالجزع والمنع لانك انما يخلق الله تعالى بل الجزع والمنع ايضا من خلقه ولا اعتراض لاحد عليه فخلق بعض الناس هلوعا وخلق المستثنين منهم غير هلوع بل مشغول القلب باحوال الاخرة وكل ذلك تصرف منه في ملكه وقالت المعتزلة ليس المراد انه مخلوق على هذا الوصف لانه تعالى ذكره في معرض الذم والله تعالى لا يذم فعله ولانه تعالى استثنى منهم جماعة جاهدوا انفسهم وظلفوها عن الشهوات ولو كانت ضرورية لم يقدروا على تركها والجواب ان الذين خلقهم كذلك لم يقدروا على الترك والذين تركوا هم الذين لم يخلقوا على ذلك الوصف ثم اصناف ثمانية الاول المداومون على الصلوة والمراد منه ادائها في اوقاتها واما المحافظة عليها فترجع الى الاهتمام بشانها وذلك يحصل برعاية امور سابقة على الصلوة كالوضوء وستر العورة وطلب القبلة وغيرها حتى اذا جاء وقت الصلوة لم يكن مشغول القلب بشرائطها وامور مقارنة للصلوة كالخشوع والاحتراز عن الرياء والاتيان بالنوافل والمكملات وامور لاحقة بالصلوة كالاحتراس عن اللغو وما يضاد الطاعة لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فارتكاب المعصية بعد الصلوة دليل على ان تلك الصلوة لم تقع في حيز القبول الثاني الذين في اموالهم حق قال ابن عباس والحسن وابن سيرين هو الزكوة المفروضة قلت الدليل عليه وصفه بانه معلوم واقترانه باداء الصلوة وقال مجاهد وعطاء والنخعي هو سوى الزكوة وانه على طريق الندب والاستحباب قلت هذا التفسير بما في الذاريات اشبه لانه لم يصف الحق هناك بانه معلوم ولانه مدح هناك قوما بالتزام ما لا يلزمهم

كلفة الجوع والاستغفار بالاسحار الثالث والذين يصدقون بيوم الدين اي يومنون بالغيب والجزاء الرابع والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خايفون والمؤمنون خائف من التقصير في الطاعة وبعض الفسقة لايخافون من ارتكاب انواع الظلم واصناف المعصية ثم اكد ذلك الخوف بقوله ان عذاب ربهم غير مامون منه لان الامور بخواتيمها والخاتمة غير مقطوع بها الخامس والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله العادون وقد مر في المؤمنين السادس والذينهم لاماناتهم وعهدهم راعون وقد مر ايضا السابع والذين هم بشهاداتهم قائمون من افرد فلانها مصدر ومن جمع فللنظر الى اختلاف الشهادات وكثرة انواعها واكثر المفسرين قالوا هي الشهادات عند الحكام يقومون بها بالحق ولايكتمونها وهذه من جملة الامانات خصها بالذكر تنبيها على فضلها لان في اقامتها احياء للحقوق وفي كتمها تضييعا لها وروي عطاء عن ابن عباس انها الشهادة بان الله واحد لاشريك له الثامن والذين هم على صلوتهم يحافظون وقد ذكرناه ثم عين مكان هولاء بقوله اولئك في جنات مكرمون قال المفسرون كان المشركون يحتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقا يستهزءون به وبالمؤمنين ويقولون ان دخل هولاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت فمال الذين كفروا قبلك اي نحوك وفي مقابلتك مهطعين مسرعين مادين اعناقهم اليك عزين فرقا شتى جمع عزة محذوفة العجز واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون وجمع بالواو والنون عوضا عن المحذوف كما مر في عضين قوله كلا ردع لهم عن الطمع الفاسد وذلك من وجهين احدهما انهم ينكرون البعث فمن اين لهم هذا الطمع والثاني انهم لم يعدوا لها زادا من الايمان والعمل الصالح وفي قوله انا خلقناهم مما يعلمون تقريعهم من الوجهين فان من علم ان اوله نطفة لم ينكر النشاة الثانية او من علم ان اوله نطفة قذرة وكان في بني آدم لم يدع التقدم والشرف الا بزيادة من الايمان والعمل الصالح ثم بين كمال قدرته على الايجاد والاعدام مؤكدا بالاقسام وانه لايفوته شيء من الممكنات ومعنى المشارق والمغارب قد تقدم في اول الصافات والرحمن ان للشمس في كل يوم من نصف السنة مشرقا ومغربا وقيل مشرق كل كوكب ومغربه وقيل المراد انواع الهدايات والخذلانات وانه كما وصف الله نفسه بالقدرة عليه هل خرج الى الفعل ام لا قال بعضهم بدل الله بهم الانصار والمهاجرين وقال آخرون بدل الله كفرهم بالايمان وقيل لم يقع التبديل بمعنى الاهلاك الكلي لهم وايجاد آخرين مكانهم ولكنه هددهم بذلك ليؤمنوا ثم زاد في التهديد بان يخلوا وشانهم الى اوان لقاء الجزاء والاجداث القبور كما مر في يس ثم شبه سراعهم الى الداعي مستبقين باسراعهم الى انصابهم وهي كل ما ينصب فيعبد من دون الله وقد مر في قوله وما ذبح على النصب ومعنى يوفضون يسرعون وترهقهم تغشاهم والباقي ظاهر

سورة نوح عليه السلام ثمان وعشرون آية وهي مكية كلمها مائتان واربع وعشرون

حروفها تسعمائة وتسعة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم ۝ قال يا قوم اني لكم نذير مبين ۝ ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون ۝ يغفر لكم من ذنوبكم ويوخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يوخر لو كنتم تعلمون ۝ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا ۝ فلم يزدهم دعائي الا فرارا ۝ واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ۝ ثم اني دعوتهم جهارا ۝ ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا ۝ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ۝ يرسل السماء عليكم مدرارا ۝ ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ۝ ما لكم لا ترجون لله وقارا ۝ وقد خلقكم اطوارا ۝ الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ۝ وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ۝

والله انبتكم من الارض نباتا ۝ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ۝ والله جعل لكم الارض بساطا ۝ لتسلكوا منها سبلا فجاجا ۝ قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ۝ ومكروا مكرا كبارا ۝ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ۝ وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا ۝ مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا ۝ وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ۝ انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ۝ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا وللمومنين والمومنات ولا تزد الظالمين الا تبارا ۝

القراءات دعائي الا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو اني اعلنت بالفتح ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير وولده بالضم فالسكون ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف ابا ترون بفتحتين وقرا بالضم ابو جعفر ونافع الاخرون بالفتح خطاياهم بالتكسير ابو عمرو وبيتي بالفتح حفص وهشام **الوقوف** اليم ه مبين ه لا واطيعون ه مسمى ط لا يوخر م يعلمون ه نهارا ه لا فرارا ه استكبارا ج لان ثم لترتيب الاخبار مع الحال والقائل جهارا ه لا اسرارا ه لا للعطف مقصود الكلام غفارا ه لا للجواب الامر انهارا ه لا وقارا ج اطوارا ه لا طباقا ه لا سراجا ه نباتا ه لا اخراجا ه بساطا ه لا فجاجا ه خسارا ه للاية مع العطف واتحاد الكلام كبارا ج لذلك ونسرا ج لان ما بعده وليس بمعطوف ولكنه حال من فاعل قالوا وذكر السجاوندي انه حال من مفعول لاتذرنه وفيه نظر كثيرا ج لان قوله ولا تزد لا يصح عطفه ظاهرا ولكنه متصل بما قبله بطريق الحكاية اي قال نوح رب انهم عصوني وقال لاتزد ضلالا ه انصارا ه ديارا ه كفارا ه تبارا ه

التفسير لما حذر الناس اهوال يوم القيمة ذكرهم قصة نوح وما جرى على قومه من الاغراق وقيل الاحراق حين عصوا رسولهم وان في ان انذر وان اعبدوا مفسرة لما في الارسال والانذار من معنى القول او ناصبة والجار محذوف اي ارسلناه بان قلنا له ان انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ثم حكى انه امتثل الامر فامر قومه بعبادة الله وتقواه وتناول جميع الواجبات والمندوبات وبتقواه ويشتمل على الزجر عن جميع المحظورات وبطاعته نفسه تنبيها على ان طاعة الله هي طاعة نبيه والاليهات لا تحصل معرفتها الا بمعرفة النبوات ثم وعدهم على العبادة والتقوى والطاعة شيئين احدهما دفع مضار الاخرة وهو غفران الذنوب والثاني وصول منافع الدنيا وهو تاخير الاجل الى اقصى الامكان وقد مر في سورة ابرهيم استدلال من جوز زيادة من في الاثبات بنظير هذه الآية وما اجيب عنه والذي يريده ههنا انه قيل انه لم لا يجوز ان يراد يغفر لكم كل ما كان من ذنوبكم فيكون فائدته عدم المواخذة بجميع الذنوب ولا يكمل فرد من افراده ليصدق قول القائل لا اطالبك بجميع ذنوبك ولكني اطالبك بهذا الذنب الواحد وفي قوله يغفر لكم في معنى لا يواخذكم قاله الامام فخر الدين الرازي وهو شبيه مغالطة لانه يوجب استعمال مقتضى النفي مكان مقتضى الاثبات وبالعكس بتاويل تقدير الاثبات نفيا وبالعكس مثلا اتفقوا على وجوب النصب في قولك جاءني القوم الا زيدا ومع قوله يمكن رفعه على البدل بتاويل لم يتخلف القوم الا زيد وكذا قولك جاءني رجل لا يشتمل المجيء سواه ولو قلت ما تخلف رجل عم المجيء كل رجل ثم قال جب انه يقتضي التبعيض لكنه حق لان من آمن فانه يغفر ما تقدم من ذنوبه على ايمانه اما المتاخر عنه فانه لا يصير بذلك السبب مغفورا فثبت انه لا بد ههنا من حرف التبعيض قلت هذا التاويل جائز في حق هذه الآية ايضا فوجب ان يذكر من في سورة الصف ايضا قوله ان اجل الله اشارة الى الاجل المسمى وفيه تنبيه على ان الاجل الاخترامي قد يوخر بتقدير الايمان والعبادة وفيه ان وقت الفرصة والامهال يجب ان يغتنم قبل حلول ما لا حيلة فيه وفي قوله لو كنتم تعلمون توبيخ لهم على انهماكهم في امور الدنيا بلغ الى حيث صيرهم شاكين في وقوع الموت ثم حكى شكوى نوح الى ربه بعد ان لم ينجع في قومه طول دعوته ومعنى ليلا ونهارا دائما من غير توان وفتور وقوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا كقوله فما زادتهم الا نفورا قوله لتغفر لهم ذكر ما هو المقصود وترك ما هو الوسيلة واصل الكلام لتومنوا فتغفر لهم ذنوبهم السالفة هذا قول صاحب الكشاف ويمكن ان يقال هذه وعدهم المغفرة على العبادة والتقوى والطاعة فكانه قال دعوتهم الى عبادتك وتقواك وطاعتي لتغفر لهم وهذا كلام مشتمل على الاول كما ترى ثم ذكر انهم عاملوه باشياء منها جعل الاصابع في الآذان لئلا يسمعوا قوله ومنها تغطيتهم ثيابهم تاكيد العدم سماع الحجاج او لئلا يبصروا وجهه ومنها اصرارهم على مذهبهم واستكبارهم عن قبول الحق استكبارا بالغا نهايته ثم حكى نوح انه كان لدعوته ثلث مراتب بدا بالمناصحة في السر ليلا ونهارا فقابلوه بما ذكرهم ثم ثنى بالمجاهرة لان النصح بين الملا تقريع وتغليظ فلم يوثر ثم انه جمع بين الامرين كما يفعل المجتهد المتحير في التدبير فلم ينجع ثم فسر الدعوة بقوله فقلت استغفروا الى آخره وفيه ان الاستغفار موجب زيادة البركة والنماء وله وجه معقول وهو ان الله سبحانه مفيض الخيرات والبركات بالذات كما قال سبقت رحمتي غضبي وكل
وانتصب جهارا على المصدر لانه نوع من الدعوة او على انه صفة دعاء محذوف والوصف بالمصدر مبالغة او على انه في موضع الحال

ما يصل الى العباد مما يضنا وذلك كالقحط والفقر والالام ونحوها والمخاوف فانها بشوم معاصيهم فاذا تابوا واستغفروا زال الشوم والبلاء وعاد
الخير والنماء ويروى انهم لما كذبوه بعد طول تكريره الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة او سبعين فوعدهم نوح انهم ان امنوا
رفع الله عنهم البلاء والمدرار الكثير الدر يستوي فيه المذكر والمؤنث ثم انه وبخهم بقوله مالكم لا ترجون لله وقارا واصل الرجاء الامل والوقار
التوقير فعال بمعنى تفعيل مثل سراح بمعنى تسريح وقد يستعمل الرجاء بمعنى الخوف فمعناه على هذا مالكم لا تخافون عظمة الله وعلى الاول قال جار الله
معناه اي شيء لكم وما بالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار
للوقار او صفة ويحتمل ان يكون الوقار مفعولا للقوم وذلك انهم كانوا يستخفون برسول الله فحثهم على تعظيمه لاجل الله راجين ثوابه وعن ابن
عباس ان الوقار هو الثبات من وقر اذا ثبت واستقر قال جار الله في تقريره اي لا تخافون لله عاقبة حال استقرار الامور وثبات
الثواب والعقاب وقال غيره تم الكلام عند قوله مالكم ثم استفهم منكرا لا ترجون اي لا تعتقدون لله ثباتا وبقاء فانكم لو رجوتم ذلك
لما اقدمتم على الاستخفاف برسوله قال الليث الطور التارة اي خلقكم مرة بعد مرة نطفة ثم علقة الى اخرها وقال ابن الانباري الطور
الحال المختلفة اي تارة والاصناف المختلفة التي لا تشبه بعضهم بعضا وهذا دليل التوحيد الماخوذ من الانفس ثم اشار الى دليل الافاق
بقوله الم تروا الاية ومعنى طباقا قد مر في اول الملك فلا يلزم منه ان لا يبقى للملائكة مساكن فيها لكونها متوازية لا متماسة واما على قول من زعم
ان الملائكة زجاجية فلا اشكال وقوله فيهن اي في حيزه من السموات وشبه الشمس بالسراج لان نوره ذاتي بقي او لان الليل عبارة عن
ظل الارض والشمس سبب زواله ثم عاد الى دليل الانفس بقوله والله انبتكم من الارض نباتا يحتمل ان يكون من باب التفعيل فيكون مصدرا
سنده نائبه من لفظ الفعل وان يكون ثلاثيا لازما فيكون ابعد ويجوز ان يراد انبتكم فنبتم نباتا قال جار الله استعير الانبات للانشاء
ليكون ادل على الحدوث وفي قوله اخراجا تاكيد اي يخرجكم حقا ولا محالة ثم ذكر دليلا افاقيا من قبل الارض والفجاج الطرق الواسع ثم ان
سائلا كانه سال ماذا قال نوح بعد هذه والشكوى فبين سبحانه انه قال نوح رب انهم عصوني مكان قوله واطيعون واتبعوا رؤساءهم لم تزدهم
اموالهم واولادهم الا خسارا في الاخرة كان التمتع القليل في الدنيا كالعدم والولد بالضم لغة في الولد ويجوز ان يكون جمعا كالفلك ومكروا معطوف على لم تزده
لان المتبوعين هم الذين مكروا وقال للاتباع لا تذرن وجمع حملا على المعنى والكبار بالتشديد اكبر من الكبار بالتخفيف ولهذا لم يقرا مخففا الا في شاذ
وكلاهما مبالغة في الكبير ولا ريب ان راس الخيرات هو الارشاد الى التوحيد فنقيضه هو الدعاء الى الشرك فيكون اعظم الكبائر واقطع الارحام
المكر وانما سمي مكرا لانهم وقروا عليهم بانه دين ابائكم والاباء اعرف من الابناء وبان هذه الاصنام تعطيكم الخيرات والمنافع وانها شفعاؤكم
ثم خصوا الاصنام الخمسة بالذكر لانها كانت عندهم اكبر قالوا وقد انتقلت من قوم نوح الى العرب لا بسبب لا يعلمها الا الله ولانها لم يكن
ما يغرق بالطوفان فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وصورة ود كصورة النسر وامائه وعلى صورة
رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة فرس ويعوق على صورة اسد وانما دعا نوح عليهم بالضلال غضبا عليهم حين عرف
بالقران المفيد للجزم انهم لا يلدوا ولن يؤمنون او المراد ضلال طريق الجنة او ضلال مكرهم المذكور وعدم ترويجه او المراد العذاب كقوله
ان المجرمين في ضلال وسعر وقالت المعتزلة اراد الخذلان ومنع الالطاف وخص هذا الوضع بالضلال وان الشيار لموافقة قوله
وقد اضلوا قوله مما خطيئاتهم من للتعليل كقولك جئتك من اجل كذا وما صلة للتوكيد وسبب تقديم الجار بيان انه لم يكن اغراقهم
بالطوفان وادخالهم النار الا من اجل خطاياهم وهي كفرهم المفضي الى انواع ايذاء رسول الله في مدة الف سنة الا خمسين عاما وقد يستدل بالفاء
التعقيب لا سيما وقد دخل على امر معطوف على شيء على اثبات عذاب القبر عن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب
ويحتمل ان يكون من مات من المجرمين في طريق او في نار او في جوف سبع اصابه ما يصيب المقبور من العذاب العقلي وهو ظاهر العذاب الحسي
وهو غير بعيد في قدرة الله سبحانه وتنكير النار للتعظيم او لانها نوع من النار مختص بهم وفي قوله فلم يجدوا تهكم بهم وبالهتهم قوله وقال معطوف
على مثله ولهذا دخل العاطف كانه جمع نوح بين ذلك القول وبين هذا وانما وقع مما خطيئاتهم الى اخر الاية اعتراض في البين تنبيها على ان خطاياهم
هي المذكورات في الاية المتقدمة من عصيان رسول الله واتباع غيره والمكر الكبار والحث على التقليد والاشراك بالله خصوصا
الاصنام الخمسة وديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وهو فيعال من الدور او من الدار اي نازل دار قال ابن
قتيبة فعل به فيعل نحو ايام ولو كان فعالا لقيل دوار قوله انك ان تذرهم الى اخره قال العلماء عرف ذلك بالوحي كما قال انه لن يؤمن من
قومك الا من قد امن وبالتجربة في المدة المتطاولة ومعنى لا يلدوا الا فاجرا لا يلد والا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يؤول اليه حالهم اتفق
الجمهور على ان صبيانهم لم يغرقوا على وجه العذاب قال الحسن علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب ولكن كما يموت الناس بآجال اخترامية
وسنة الحديث يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى ومن روى ان الله سبحانه اعقم ارحام نسائهم اربعين او سبعين
سنة فلا اشكال ثم ان نوحا كانه قبيل ان دعا عليهم كان بسبب الانتقام وبعض حظ النفس فاستغفر الله من ترك الاولى ثم عقبه
بذكر الوالدين وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخا بنت انوش قال عطاء لم يكن بين نوح وادم عليه السلام
من ابائه كافر وكان بينه وبين ادم عشرة اباء وقيل اراد بالوالدين ادم وحواء ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي
وقيل ديني وعلى هذا يكون قوله مؤمنا احترازا من المنافق اي دخول مع تصديق القلب ثم عمم دعاء الخير للمؤمنين والمؤمنات
ودعا بالتبار لاهل الظلم والشرك الى يوم القيمة والتبار الهلاك ويجوز ان يريد بالظالمين قومه فقط والله اعلم

لان الانتقام

قبيل طوفان صح

سورة الجن ثمان وعشرون آية وهي مكية كلماتها مائتان وخمس وثمانون
حروفها ثمانمائة وتسعة وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا
عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا ۝ وانه تعالى
جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ۝ وانه كان يقول سفيهنا
على الله شططا ۝ وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا
وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا ۝ وانا لمسنا السماء
فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ۝ وانا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا ۝ وانا لا ندري اشر
اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ۝ وانا منا الصالحون
ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا ۝ وانا ظننا ان لن
نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا ۝ وانا لما سمعنا الهدى امنا به
فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ۝ وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا ۝ واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا ۝ وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء
غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا ۝
وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وانه لما قام عبد الله يدعوه
كادوا يكونون عليه لبدا ۝ قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا ۝
قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ۝ قل اني لن يجيرني من الله
احد ولن اجد من دونه ملتحدا ۝ الا بلاغا من الله ورسالاته ومن
يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون
فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا ۝ قل ان ادري اقريب
ما توعدون ۝ ام يجعل له ربي امدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا
ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا

القراءات وانه تعالى الى قوله وانا منا المسلمون بالفتح يزيد وابن عامر وحمزة وعلي وخلف وحفص والمشهور
عن ابي جعفر انه كان يفتح الالف في سبعة مواضع انه وانه في خمسة مواضع واثنين في قوله وان لو استقاموا وان المساجد
وهما بالفتح لا غير بالاتفاق يقول الانس بالتشديد من التقول يعقوب يسلكه على الغيبة عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب
الباقون بالنون وانه لما قام بالكسر نافع وابو بكر وحماد لبدا بالضم هشام قل انما ادعوا على الامر عاصم وحمزة ويزيد الاخرون
قال على صيغة الماضي والضمير لعبد الله ربي امدا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ليعلم مبنيا للمفعول يعقوب
الوقوف عجبا ه لا فامنا به ط للعدول عن الماضي المثبت الى ضدها ثم الوقف على الايات التي بعدها ان جاز ضرورة
النفس والوقف الضروري في قراءة الكسر اجوز ولدا ه ولا ولدا شططا كذبا ه رهقا ه احدا ه وشهبا ه للتسبيع ط رصدا ه
رشدا ه حطبا ه لا غدقا ه لا فيه ط صعدا ه لا احدا ه لا لمن قرا وانه بالفتح لبدا ه احدا ه رشدا ملتحدا ه لا ورسالاته
ابدا ه ط لان حتى للابتداء بما بعدها عددا ه امدا ه احدا ه ولا رصدا ه لا عددا ه التفسير روى يونس وهرون
عن ابي عمرو وحي بضم الواو من غير الف والوحي والايحاء بمعنى وهو القاء المعنى الى النفس في خفاء وسرعة كالالهام وانزال الملك
وقد قرئ اوحي الي بقلب الواو همزة والكلام في الجن اسما وحقيقة قد سلف في الاستعاذة فلا حاجة الى الاعادة وكذا باب
اختلاف الروايات انه صلى الله عليه وسلم هل راى الجن ام لا وذلك في اخر سورة حم الاحقاف والذي اريد ههنا ما ذكره
بعض حكماء الاسلام انه لا يبعد ان يكون الجن ارواحا مجردة كالنفوس الناطقة ثم يكون لكل واحد منهم تعلق بجزء من اجزاء الهواء
كما ان اول متعلق النفس الناطقة هو الروح الحيواني في القلب ثم بواسطة سريان ذلك الهواء في جسم اخر كثيف تحصل التدبير
والتصرف فيه كالنفس الناطقة في البدن ومنهم من جوز ان يكون الجن عبارة عن النفوس الناطقة التي فارقت ابدان الاشخاص
فيتصرف فيما يناسبها من الارواح البشرية التي لم تفارق بعد فتعينها بالالهام ان كانت خيرة وبالوسوسة ان كانت بالضد اما الذاهبون
الى ان الجن اجسام فمنهم الاشاعرة القائلون بان البنية ليست شرطا في الحيوة وانه لا يبعد ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما بامور كثيرة
وقدرة على اعمال شاقة فعند هذا يظهر القول بامكان وجود الجن سواء كانت اجسامهم لطيفة او كثيفة وسواء كانت اجزاؤهم صغارا
او كبارا ومنهم من قال البنية شرط وانه لابد من صلابة في البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة ومن الاولين من جوز ان يكون
المرئي حاضرا والشرائط حاصلة والموانع مرتفعة ثم لا نراه واعلم ان ما ذكرنا في تفسير الاحقاف عن ابن عباس انه صلى الله
عليه وسلم ما راى الجن وعن ابن مسعود انه راهم فالجمع بين القولين ان ما ذكره ابن عباس لعله وقع اولا فاوحى الله اليه هذه السورة
ثم امر بالخروج اليهم وقراءة القران عليهم الا انه ما راهم وما عرف حالهم فاخبره تعالى اوحي اليه في هذه السورة انهم قالوا كذا وكذا
او راهم وسمع كلامهم وهم امنوا به ثم لما رجعوا الى قومهم وذكروا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرانا عجبا الى اخره كقوله في الاحقاف
فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين اوحى الله تعالى الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما جرى بينهم وبين قومهم والفائدة فيه ان يعلم
انه مبعوث الى الثقلين وان الجن مكلفون كالانس وانهم يستمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا وان المؤمن منهم يدعو سائرهم الى الايمان
اجمع القراء على فتح انه استمع لانه فاعل اوحي وكذا على فتح وان لو استقاموا وان المساجد لانه مما يعلم بالوحي فهما معطوفان على انه
استمع واجمعوا على الكسر في قوله انا سمعنا لانه وقع بعد القول وفي البواقي خلاف فمن كسر فمحمول على مفعول القول وانه صريحا من كلام الجن
ومن فتح فعلى انه فاعل اوحي ولابد من تقدير في الحكاية ليكون حكاية كلام الجن كانه قيل وحكوا انه تعالى جد ربنا الى اخره الا في قوله وانه لما قام
عبد الله فانه كالذين بعده ما بالفتح وفيه فاعل اوحي من غير تقدير وجوز صاحب الكشاف فيمن قرا بفتح الكل صدقنا وصدقنا انه تعالى جد ربنا
وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي قلت فيه نظر لبعده عن الفتح في اكثر المواضع اذ لا معنى لقول القائل مثلا صدقنا انا لمسنا السماء وصدقنا
انا لما سمعنا الهدى امنا به وبالجملة فكلامه في هذا الكلام غير واضح ولا لائق بفضله قوله سبحانه عجبا مصدر وضع موضع الوصف للمبالغة اي قرانا
عجبا بديعا خارجا من حد اشكاله بحسن مبانيه وصحة معانيه يهدي الى الرشد اي الصواب او التوحيد والايمان فامنا به لان الايمان بالقران
ايمان بكل ما فيه من التوحيد والنبوة والمعاد ويجوز ان يكون الضمير لله لان قوله ولن نشرك بربنا يدل عليه بعد دلالة الحال ولن نعود الى ما كنا
عليه من الشرك ذكر الحسن ان فيهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين قلت وما جعل ... ان فيهم نصارى قوله انه تعالى جد ربنا اي عظمته من قولهم
جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا ويحتمل ان يراد ملكه وسلطانه او
غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيدة ولا
ذا الغنى بذلك غناه وفي حديث اخر قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء واذا اصحاب الجد محبوسون يعني اصحاب الغنى في الدنيا
اي ارتفع غنى ربنا عن الاحتياج الى الصاحبة والاستيناس بالولد كانهم بسماع القران تنبهوا على خطا اهل الشرك من اهل الكتاب وغيرهم
فقوله ما اتخذ بيان للاول وقيل الجد ابو الاب وان علا فهو مجاز عن الاصل اي تعالى اصل ربنا وهو حقيقته المخصوصة عن جميع جهات التعلق بالجسم
قال في التفسير الكبير النوع الثالث مما ذكره الجن قوله وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا السفه خفة العقل والشطط مجاوزة الحد في الظلم
وغيره ومنه اشط في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط وصف بالمصدر للمبالغة والسفيه ابليس او غيره من مردة الجن الذين
جاوزوا الحد في طرف النفي الى ان افضى الى التعطيل او في طرف الاثبات الى ان ادى الى التشريك والصاحبة والولد الرابع انا ظننا ان
لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي انا اخذنا قول الغير لانا ظننا ان لا يفتري الكذب على الله احد فلما سمعنا القران عرفنا انهم قد يكذبون
قال جار الله كذبا صفة اي قولا كذبا فيه او مصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرا بالتشديد وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان
التقول لا يكون الا كذبا قال بعض العلماء فيه ذم لطريقة التقليد وحث على الاستدلال والنظر الخامس وانه كان رجال من الانس الاية
قال جمهور المفسرين ان الرجل في الجاهلية اذا امسى في واد قفر وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن
وكبيرهم فيبيت في جوار منهم حتى يصبح وقال اخرون اذا قحطوا بعثوا رائدهم فاذا وجد مكانا فيه كلاء وماء رجع الى اهله فسار بهم فاذا انتهوا الى تلك
الارض نادوا نعوذ برب هذا الوادي ان يصيبنا اذية يعنون الجن فان لم يفزعهم احد نزلوا وربما فزعهم الجن فهربوا وقيل المراد انه كان رجال

من الانس يعوذون برجال من الانس ايضا لكن من شر الجن كان يقول مثلا اعوذ برسول الله من شر جن هذا الوادي وانما ذهبوا
الى هذا التاويل فرارا منهم بان الرجل اسم الانس لا اسم الجن وضعف بانه لم يتم وقيل معنى ان الذكر من الجن لا يسمى رجلا اما قوله فزادوهم رهقا فمعناه
ان الانس لاستعاذتهم بهم زادوهم اثما وجراءة وطغيانا وكبرا لانهم اذا سمعوا ذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس وقيل
ضمير الفاعل للجن اي فزاد الجن الانس خوفا وغشيانا شرا باغوائهم واضلالهم ولانهم لما تعوذوا بهم ولم يتعوذوا بالله استذلوا واجترؤا
عليهم السادس وانهم اي الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن قاله بعضهم لبعض وقيل هذه الاية والتي قبلها من جملة الوحي بلا تقدير الحكاية
والضمير في وانهم للجن والخطاب في ظننتم لاهل مكة والاول ان يكون الكلام من كلام الجن كيلا يقع كلام اجنبي في البين السابع وانا لمسنا السماء
قال اهل البيان اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس اسم
مفرد في معنى الحراس كالخدم بمعنى الخدام ولهذا لم يقل شدادا الثامن وانا كنا نقعد منها مقاعد الى اخره وفي قوله شهابا رصدا
وجوه قال مقاتل يعني رميا بالشهب ورصدا من الملائكة وهو اسم جمع كما قلنا في حرس فقوله رصدا كالخبر بعد الخبر وقال الفراء هو فعل
بمعنى مفعول اي شهابا قد ارصد له ليرجم به وقيل بمعنى فاعل اي شهابا راصدا لاجله واعلم انا قد بينا في هذا الكتاب ان هذه الشهب كانت
موجودة قبل مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم وقد جاء ذكرها في الجاهلية وفي كتب الفلاسفة وانما غلظت وشدد امرها عند المبعث لئلا يتشوش
امر الوحي بسبب تخليط الكهنة وفي قوله كنا نقعد منها مقاعد اشارة الى ان الجن كانوا يجدون بعض المقاعد خالية عن الشهب والحرس
والان ملئت المقاعد كلها التاسع وانا لا ندري الاية وفيه قولان احدهما لا ندري ان المقصود من منع الاستراق شر اريد بمن في الارض
ام خير وصلاح الثاني لا نعلم ان المقصود من ارسال محمد الذي وقع المنع من الاستراق لاجله هو ان يكذبوه فيهلكوا كما هلك المكذبون
من الامم او ان يؤمنوا فيهتدوا وفيه اعتراف من الجن بانهم لا يعلمون الغيب على الاطلاق العاشر وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كما
اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف من المذكورين حذف الموصوف واكتفي بالصفة كما في قوله وما منا الا له مقام وهذا القسم يشمل المقتصدين
والصالحين وقوله كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة فالطرائق جمع الطريقة بمعنى السيرة والمذهب والقدد جمع قدة من قد كالقطعة
من قطع اي كنا قبل الاسلام ذوي مذاهب متفرقة مختلفة او على حذف الجار اي في طرائق مختلفة او على حذف المضاف اي كانت طرائقنا
طرائق قددا وكنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة الحادي عشر وانا ظننا اي تيقنا وقد استعمل الظن الغالب مكان
اليقين ان لن نعجز الله في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اي هاربين او بسبب الهرب ان طلبنا وفيه نظر الى الاقرار منهم
بان الله غالب على كل شيء الثاني عشر وانا لما سمعنا الهدى الاية يعنون استماعهم القران وايمانهم به وقوله فلا يخاف في تقدير مبتدا وخبر اي فهو لا يخاف
والا قيل لا يخف بالجزم وبه قرا الاعمش والفائدة في هذا المساق تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة كانه وقع فاخبر انه لا يخاف ودلالة انه هو المختص بذلك
ودون غيره اذ يعلم من بناء الكلام على الضمير ان غيره خائف وقوله بخسا ولا رهقا على حذف المضاف اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا
ولا رهق ظلم احد وفيه ان المؤمن ينبغي ان يكون غير باخس ولا ات ظلما ويجوز ان يراد فلا يخاف البخس من الله لانه يجزي الجزاء الاحسن الاوفى
ولا يرهقه ذلة الثالث عشر وانا منا المسلمون ومنا القاسطون اي الجائرون على طريق الحق بالكفر والعدوان وهذا قريب
من العاشر الا ان في هذا النوع تفصيل جزاء الفريقين فذكر الايعاد وعقبه بالوعد واقتصر على ذكر سببه وهو تحري الرشد
اي طلب الصواب المستتبع للثواب قال المبرد اصل التحري من قولهم ذلك احرى واحق واقرب وقال ابو عبيدة تحروا توخوا
وفي العدول عن الحقيقة الى المجاز في باب الوعد بشارة واشارة الى تحقيق الثواب لما عرف مرارا ان المجاز ابلغ من الحقيقة قوله
وان لو استقاموا معطوف على انه استمع كما مر ومعناه واوحي الي ان الشان والحديث ان لو استقام الجن على الطريقة المثلى
وجوز جمع من المفسرين ان يعود الضمير في استقاموا الى الانس لان الترغيب في الانتفاع بالماء الغدق انما يليق بهم لا بالجن ولان الاية روي
انها نزلت بعد ما حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين وزعم القاضي ان الثقلين يدخلون في الاية لانه اثبت حكما معللا بعلة وهو الاستقامة
فوجب ان يعم الحكم بعموم العلة اما من قال ان الضمير عائد الى الجن فله معنيان احدهما لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله
ولم يستكبر عن السجود لادم وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع لانه اصل
البركات فيكون الاية نظير قوله ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم وثانيهما لو استقام الجن الذي استمعوا القران على طريقتهم
التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق في الدنيا لنذهب طيباتهم في الحيوة الفانية نظيره ولولا ان يكون
الناس امة واحدة لجعلنا الى اخره واما الذين قالوا الضمير عائد الى الانس فالوجهان فيه بعينهما وعن ابي مسلم ان المراد بالماء الغدق
جنات تجري من تحتها الانهار يعني في الجنة واحتجاج الاشاعرة بقوله لنفتنهم على انه سبحانه هو الذي يضل عباده ويوقعهم في الفتن والمحن المعتزلة
اجابوا بان الفتنة ههنا بمعنى الاختبار كقوله ليبلوكم ثم بين وعيد المعرضين عن عبادة الله وحده وانتصب صعدا على حذف الجار
اي في عذاب صعد كقوله ما سلككم في سقر او على تضمين معنى الادخال والصعد مصدر بمعنى الصعود وصف به العذاب لانه يتصعد المعذب
اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه وقد روى عكرمة عن ابن عباس ان صعدا جبل في جهنم من صخرة ملساء ويكلف الكافر صعوده ثم يجذب من امامه بسلاسل
ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ اعلاه في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاه احدر الى اسفلها ثم يكلف الصعود مرة اخرى وهكذا ابدا ومن جملة الوحي
قوله وان المساجد لله ذهب الخليل الى ان الجار محذوف ومتعلقه لا تدعوا اي ولاجل ان المساجد لله خاصة فلا تدعوا مع الله احدا فيها
عن الحسن عني بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وهو مناسب لمدح النبي في هذا المقام اي كما انه مفضل
على الانبياء ببعثه الى الثقلين فكذلك خص بهذه المعجزة الاخرى وقال جمع كثير من المفسرين انها كل موضع بني للصلاة ويشمل المساجد والبيع والكنائس
ايضا قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فامرنا بالاخلاص والتوحيد وعن الحسن ايضا ان المساجد
جمع مسجد بالفتح فيكون مصدرا بمعنى السجود وعلى هذا قال سعيد بن جبير المضاف محذوف اي مواضع السجود من الجسد وهي الاراب
السبعة الوجه والكفان والركبتان والقدمان وقال عطاء عن ابن عباس هي مكة بجميع ما فيها من المساجد وانها قبلة الدنيا فكل احد يسجد اليها
قال الحسن من السنة اذا دخل احد المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله لا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر بذكر الله ودعائه قوله سبحانه
وانه لما قام عبد الله هو النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق المفسرين ثم قال الواحدي هذا من كلام الجن لان الرسول لا يليق به ان يحكي عن نفسه بلفظ

[illegible]

اى ضبط كل شى معدودا محصورا او تمييزا والله اعلم

سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية كلمها مائتان وخمس وثمانون حروفها ثمانمائة وثمانية وثلثون آياتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا ۝ او زد عليه
ورتل القران ترتيلا ۝ انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ۝ ان ناشئة الليل
هى اشد وطأ واقوم قيلا ان لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم
ربك وتبتل اليه تبتيلا ۝ رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه

وكيلا

وكيلا ۝ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ۝ وذرنى و
المكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلا ۝ ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة
وعذابا اليما ۝ يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ۝
انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى
فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان
شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا ۝ ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا ۝ ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه
وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه
فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القران علم ان سيكون منكم مرضى
وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون ۝
فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله
قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا و
اعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ۝

[illegible]

[illegible]

سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكية حروفها الف عشرة كلمها مائتان وخمس وخمسون آياتها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سارهقه صعودا

انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر
ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ۝ ساصليه
سقر وما ادريك ما سقر ۝ لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر
وما جعلنا اصحاب النار الا ملئكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكفرون
ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذ ادبر
والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم
او يتاخر كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون
عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم
المسكين وكنا نخوض مع الخائضين ۝ وكنا نكذب بيوم الدين ۝
حتى اتينا اليقين ۝ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ۝ فما لهم عن التذكرة
معرضين ۝ كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الاخرة كلا انه تذكرة
فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة

القراءات الرجز بضم الراء يزيد وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الاخرون بالكسر تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات يزيد والخزاز عن هبيرة اذ بسكون الذال ادبر من الادبار نافع ويعقوب وحمزة وخلف وحفص والمفضل الباقون اذا دبر من الدبور مستنفرة بفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل تذكرون بتاء الخطاب ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وما يذكرون على الخطاب نافع ويعقوب الوقوف المدثر لا فانذر لا فكبر لا فطهر لا فاهجر لا تستكثر لا فاصبر ط وقد يجوز الوقف على الايات قبلها الاعلى الاولى الناقور لا عسير لا يسير وحيدا لا ممدودا لا شهودا لا تمهيدا لا ان ازيد لا كلا ط عنيدا ط للابتداء بالتهديد صعودا ط للابتداء بان وقدر لا قدر لا نظر لا وبسر لا واستكبر لا يؤثر لا البشر ط سقر ما سقر ط لتناهي الاستفهام ولا تذر ج لان التقدير هي لواحة مع اتحاد المقصود للبشر ج للاية ولان ما بعده من تمام المقصود عشر ط ملئكة ص لاتفاق الجملتين مع استقلال كل منهما نفيا واستثناء كفروا لا لتعلق اللام والمؤمنون لا لذلك مثلا ط ويهدي من يشاء ط الا هو ط للبشر لا قد يوصل على جعل كلا ردعا والوقف على البشر دون كلا اصوب لانه تاكيد القسم بعده والقمر لا اذ ادبر لا اسفر لا الكبر لا للبشر لا يتاخر ط رهينة لا اليمين ط على تقديرهم في جنات يتساءلون فيها ه والوقف على جنات اولى لعدم الافتقار سقر ه المصلين ه المسكين ه الخائضين لا الدين لا اليقين ط الشافعين ط للابتداء بالاستفهام معرضين لا لان ما بعده صفتهم مستنفرة لا قسورة ط منشرة لا كلا ط للردع عن الارادة الاخرة ط على جعل كلا بمعنى حقا تذكرة ج لتشرط مع الفاء ذكره ط الله ط المغفرة ه التفسير روى جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرايت الملك قاعدا على عرش بين السماء والارض فخفت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وروى الزهري مثله وقريب منه ما قيل انه كان يختفي في غار حراء فقيل له يا ايها المدثر بدثار الخمول والاختفاء اشتغل بدعوة الخلق فالسورة

دستباب ودوار كه

النفا

على هذا من اوائل ما نزل وقيل اجتمع من قريش [illegible] اكرهه كما يجيء حكايته عن الوليد فاغتم فتقنع بثوبه مفكرا فامره ان لا يدع انذارهم ويصبر على اذاهم وقيل اراد يا ايها المدثر بدثار النبوة مثل لباس التقوى والدثار ما فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد قال صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار قوله قم اي من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم وقوله فانذر متروك المفعول لئلا يختص بأحد نحو فلان يعطي اي فافعل الانذار واوجده وقيل اراد فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا قوله وربك فكبر اي عظم ربك مما يقول عبدة الاوثان او من ان يشرك بالانذار من غير حكمة وصلاح عام وعن مقاتل هو نفس التكبير يروى انه لما نزل قال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة فلا يبعد ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم في اول الامر صلوات مخصوصة والفاءات في فكبر وما يليها لتلازم ما قبلها وما بعدها كانه قيل مهما كان من شيء فلا تدع تكبيره وقوله وثيابك فطهر في تفسيره وجوه اربعة احدها ان يترك كل من لفظي الثياب والتطهير على ظاهره وعن الشافعي ان المراد الاعلام بان الصلوة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس والاقذار ولا ريب ان هذا هو الاصل الا ان في غير حال الصلوة ايضا لا يحل استعمال النجس ولا يحسن فيقبح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا وروي انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلا شاة فرجع الى بيته حزينا وتدثر بثيابه فقيل يا ايها المدثر قم فانذر ولا يمنعك تلك السفاهة عن الانذار وربك فكبر عن ان لا ينتقم منهم وثيابك فطهر من تلك النجاسات والاقذار الثاني الثياب حقيقة والتطهير كناية عن التقصير لان العرب كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم قال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه قصر ثيابك فانه اتقى وانقى وابقى وقيل تطهيرها ان لا يكون مغصوبة ولا محرمة بل يكون مكتسبة من وجه حلال الثالث عكسه وهو كون الثياب كناية والتطهير حقيقة فيعبر عن الجسد بالثياب لاشتماله على النفس وكان العرب لا ينظفون وقت الاستنجاء فامر النبي صلى الله عليه وسلم بالتنظيف الرابع ان يكون كل من اللفظين مجازا قال القفال انهم لما القوه باسم عليه ذلك فرجع الى بيته وتدثر فكان ذلك اظهار جزع وقلة صبر فامر بحسن الخلق وتهذيب الاخلاق اي طهر قلبك عن الصفات الذميمة كقطع الرحم وعزم الانتقام والسآمة من الدعوة الى دين الله لاجل اذى القوم وهذا يناسبه خطابه بالمدثر ومجاز مستعمل يقال فلان طاهر الجيب نقي الذيل اذا كان بريا من المثالب ويقال المجد في ثوبه والكرم في برديه وذلك ان الثوب كالشيء اللازم للانسان فجعل طهارته كطهارته ولان الغالب ان من طهر باطنه طهر ظاهره وقيل هو امر بالاحتراز عن الاثام والاوزار التي كان يقدم عليها قبل النبوة وهذا تاويل من حمل قوله ووضعنا عنك وزرك على ايام الجاهلية وقيل معناه ونساءك طهرهن وقد يكنى عن النساء بالثياب هن لباس لكم قوله والرجز فاهجر هو بالكسر والضم العذاب والمراد اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها اي اثبت على هجره مثل اهدنا وهذا يؤكد تاويل من حمل قوله وثيابك فطهر على تحسين الاخلاق والاجتناب عن المعاصي قوله ولا تمنن تستكثر لا تعط مستكثرا رائيا لما اعطيته كثيرا بل يجب ان تستحقره وترى انك لا تقدر تملك بقبول ذلك الانعام وهذه نهاية الكرم على ان الاستكثار يغني عن المنة وهي مبطلة للعمل كما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قوله تستكثر مرفوع والجملة في موضع الحال منصوبا ويجوز ان يكون الاصل لان تستكثر فحذف اللام ثم ان وابطل عملها كما روي الا ايهذا الزاجري احضر الوغى بالرفع واختار ابو علي الفارسي الوجه الاول الا انه قال لا وجه لا تمنن مقدرا الاستكثار كما في قول القائل مررت برجل معه صقر صائدا به غدا واول هذا التاويل محالا حاجة اليه لان طلب الكثرة مقرون بالاعطاء بخلاف الصيد غدا وذهب جم غفير من المفسرين الى انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في ان يتخذ اكثر منه فيكون نهي تنزيه لانه جاء في الحديث المستغزر يثاب من هبته اي يعوض ويجوز ان يكون نهي تحريم خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان منصبه يجل عن طلب الدنيا خصوصا بهذا الوجه ومنهم من حمله على الربا فيكون نهي تحريم للكل والمن بمعنى [illegible] وقال القفال يحتمل ان يكون المقصود النهي عن طلب العوض مطلقا سواء كان العوض زائدا او مساويا او ناقصا اما الزائد فظاهر واما المساوي والناقص فلان طالب العوض كاره ان ينتقص المال بسبب العطاء فكانه يطلب الكثرة ويجوز ان يقال انما خصت هذه الاستعارة لان الغالب ان الثواب يكون زائدا على العطاء فسمي طلب الثواب استكثارا حملا للشيء على اغلب احواله وكما ان الاغلب ان المرأة ذات الولد انما تتزوج لحاجة الى من يربي ولدها فسمي الولد ربيبا ثم اتسع فسمي ولد المرأة وان كان كبيرا خارجا عن حد التربية امر صلى الله عليه وسلم ان يكون عطاؤه خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس اليه كيف كان حتى تقع خالصا لوجه الله ويكون صابرا محتسبا وعن الحسن وغيره انه لما امره بانذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجران الرجز قال لا تمنن على ربك بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر لما يفعله بل اصبر على ذلك كله لوجه ربك قوله بعد ذلك ولربك فاصبر اي استعمل الصبر في مظانه خالصا لوجه ربك وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من امر الدين والوحي كالمستكثر لذلك الانعام فانك انما فعلت ذلك بامر الله وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك لتستكثر اي لتاخذ منهم على ذلك اجرا فتستكثر مالك وقال مجاهد لا تمنن اي لا تضعف من قولهم حبل منين اي ضعيف ومنه السير المنين والمعنى لا تضعف ان تستكثر من هذه الاوامر ووجه الرفع ما مر في قوله احضر الوغى قوله فاذا نقر الفاء للتسبيب كانه قال اصبر على التكاليف المعدودة وعلى اذى المشركين فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك والفاء في ذلك للجزاء وانتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين فالناقور فاعول من النقر كالهاضوم من الهضم فسبيله ان يكون الة لان الهاضوم ما يهضم به والناقور ما ينقر به وهو الصور باتفاق المفسرين فكانه الة النقر اي النفخ وذلك ان النفخ سبب حدوث الصوت في المزامير كما ان النقر سبب الحدوث في الالات ذوات الاوتار قال الجوهري في الصحاح فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وقد صرح من كلام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير ان النقر غير النفخ وكذا من كلام الحليمي في كتاب المنهاج وذلك انه قال جاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها فاذا نفخ فيه للاصعاق جمع بين النقر والنفخ ليكون الصوت اهول واعظم واذا نفخ فيه للاحياء لم ينقر فيه واقتصر على النفخ لان المراد ارسال الارواح من ثقب الصور الى اجسادها ويظهر من فحوى كلامه انه حمل هذا النقر على انه مقرون بالنفخة الاولى بعد ان اثبت المغايرة ومن المفسرين من ذهب الى انه النفخة الثانية وهو عندنا اولى لانه سبحانه اخبر ان ذلك الوقت شديد على الكافرين والاصعاق ليس بشديد عليهم ولذلك تقول يا ليتها كانت القاضية اي يا ليتنا بقينا على الموتة الاولى فقط لا وقيل لعل فيه لان الاصعاق شديد عليهم لا محالة ثم اذا جاءت النفخة الثانية [illegible] الاهوال تمنوا فيها حالة الاصعاق او يقول بعد الشدة من حين الاصعاق ثم يصير الامر بعد ذلك اشد لانهم يناقشون في الحساب ويسود وجوههم ويتكلم جوارحهم الى غير ذلك من الفضائح والاهوال قوله فذلك يحتمل ان يكون اشارة الى النقر وتم الكلام ثم قيل ومضاف اي فذلك النقر يومئذ نقر يوم عسير فالعامل في يومئذ هو النقر ويجوز ان يكون اشارة الى اليوم ويومئذ مبني على الفتح ولكنه مرفوع المحل بدلا منه كانه قيل فيوم النقر

انتش طهور طاهر مطهر

الغرض

يوم عسير وقوله غير يسير تأكيد كقولك انا محب لك غير مبغض ويفيد فائدة اخرى هي ان عسره على الكافرين لا يرجى زواله كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا او يراد انه عسير على الكل لان اكثر الانبياء يقولون نفسي نفسي والولدان يشيبون الا ان الكافر يختص بزيادة العسر بحيث يكون اليسر منفيا عنه رأسا ويعلم من هذا تقديم الظرف روى المفسرون ان الوليد بن المغيرة المخزومي وجماعة من صناديد قريش كابي جهل وابي لهب وابي سفيان والنضر بن الحرث وامية بن خلف والعاص بن وائل اجتمعوا وتشاوروا ان وفود العرب يجتمعون في ايام الحج ويسئلوننا عن امر محمد فكل منا يجيب بجواب آخر فواحد يقول مجنون وآخر يقول كاهن وآخر يقول شاعر فيستدل العرب باختلاف الاجوبة على كون هذه الاجوبة باطلة فلنجتمع على تسمية محمد باسم واحد فقال واحد انه شاعر فقال الوليد سمعت كلام عبيد بن الابرص وكلام امية بن ابي الصلت وكلامه لا يشبه كلامهم فقال الآخر هو كاهن فقال الوليد ان الكاهن يصدق تارة ويكذب اخرى ومحمد ما كذب قط فقال آخر انه مجنون فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد احدا قط فقام الوليد وانصرف الى بيته فقال الناس صبأ الوليد فدخل عليه ابو جهل وقال مالك يا ابا عبد الشمس هذه قريش تجمع لك شيئا زعموا انك احتجت وصبأت فقال الوليد ما لي اليه حاجة ولكني تفكرت في امر محمد فقلت انه ساحر لانه يفرق بين الرجل وابيه وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يؤثر عن مسيلمة وعن اهل بابل فاجمعوا على تلقيب محمد بهذا اللقب وفرحوا بذلك وتعجبوا من كياسته وتفكره وتقديره ثم انهم خرجوا ونادوا بمكة ان محمدا ساحر فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد عليه ورجع الى بيته حزينا فتدثر بقطيفة وانزل الله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر الآيات ثم انه هدد الوليد وسلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ذرني ومن خلقت وهو كقوله في المزمل فذرني والمكذبين وقوله وحيدا حال من مفعول ذرني اي ذرني وحدي معه فانا اكفيك شره من غير واسطة او من فاعل خلقت اي خلقته وحدي من غير شريك احد او من مفعول خلقت المحذوف اي خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد ويجوز ان يكون نصبا على الذم والمراد اعني وحيدا بناء على ما روي ان الوليد كان يلقب بالوحيد فان كان علما فلا اشكال وان كان صفة على ما روي انه كان يقول انا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي نظير فهو استهزاء به وتهكم بجنبه واعتقاده ونحوه ذق انك انت العزيز الكريم فيفيد انه ليس وحيدا في العلو والشرف ولكنه وحيد في الخبث والدناءة والكفر وقيل ان وحيدا مفعول ثان قال ابو سعيد الضرير الوحيد الذي لا اب له فيكون طعنا في نسبه كما في قوله عتل بعد ذلك زنيم وفي المال الممدود وجوه اظهرها انه المال الذي يكون له مدد ياتي منه الجزء بعد الجزء على الدوام كالزرع والضرع وانواع التجارات ولهذا فسره عمر بن الخطاب رضي الله عنه بغلة شهر بشهر وقال ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وعلى هذا يكون المال الممدود اما بمعنى المد كما قلنا او بمعنى امتد مكانه وقرب منه ما روي عن مقاتل انه كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء ومن المفسرين من قدر المال الممدود فقال الف دينار او اربعة الآف او تسعة الاف او الف الف وهذه تحكمات لا اصل لها الا ان يكون بها رواية صحيحة ان مال الوليد كان على احد هذه الاعداد وحينئذ يمكن ان يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وفي قوله وبنين شهودا وجوه احدها انهم حضور معه بمكة لا يغيبون لاستغنائهم عن الكسب وطلب المعاش فهو مستانس بهم غير محزون بغيبتهم الثاني انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل الثالث انهم من اهل الشهادات في الحكومات يسمع قولهم ويعتد بهم واما عددهم فعن مجاهد عشرة وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس قال في الكشاف اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة قلت انه اتفق الوليد بن الوليد في حوزة الكفرة وهو مسلم حسن الاسلام مشهور الصحبة كما ذكر رشيد الدين الوطواط في رسالته وذكر صاحب سير السلف سعيد الحافظ ابو القسم فيه ان الوليد بن الوليد بن المغيرة كان من المستضعفين حبسه المشركون فدعا النبي صلى الله عليه وسلم في قنوته اللهم انج الوليد بن الوليد وعياش بن ابي ربيعة وسلمة بن هشام ثم قدم المدينة فتوفي بها فكفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه وكانت ام سلمة تندبه يا عين ابكي للوليد بن الوليد بن المغيرة يكي الوليد بن الوليد فتى العشيرة وقال ابن الاثير مؤلف كتاب جامع الاصول في احاديث الرسول رحمه الله هو الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي اخو خالد بن الوليد اسر يوم بدر كافرا وفداه اخواه خالد وهشام فلما فدي اسلم فقيل له هلا اسلمت قبل ان تفتدى فقال كرهت ان يظنوا اني اسلمت جزعا من الاسار فحبس بمكة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت مع من يدعو له من المستضعفين بمكة ثم افلت من اسارهم ولحق بالمدينة والعجب من صاحب الكشاف انه ذكر في سورة الزمر في تفسير قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ان الوليد اسلم واسلم معه نفر وهاجروا ثم انه ابقاه ههنا في بقية الكفار قوله سبحانه ومهدت له تمهيدا اي وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي المال والجاه واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا حتى جعلوه دعاء الخير فيما بينهم فقالوا ادام الله تأييدك وتمهيدك اي بسطك وتصرفك في الامور وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ومعنى ثم في قوله ثم يطمع ان ازيد استبعاد وتعجب من طمعه وحرصه على الزيادة بعد ان لم يبق شيء حتى يعطى اوتي قال الكلبي ومقاتل ثم يرجو ان ازيد في ماله وولده وقد كفرني وقيل ان ازيد في الآخرة كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي ثم قال تعالى كلا وهو ردع له عن طمعه الفارغ قال المفسرون ولم يزل الوليد في نقصان بعد قوله كلا حتى افتقر ومات فقيرا ثم علل الردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل لانه كان لآياتنا عنيدا معاندا والكافر لا يستحق المزيد ولا سيما اذا كان كفره اخبث انواعه وهو كفر العناد ومما يدل على ان كفره كفر عناد بعدما حكينا عنه ما روي ان الوليد مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فرجع وقال لبني مخزوم والله لقد سمعت آنفا من محمد كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى ولا ريب ان من عرف هذا القدر ثم زعم ان القرآن سحر فانه يكون معاندا والعنيد هو الذي كان العناد خلقه وديدنه فلشدة عناده وصفه الله به وتقديم الظرف يدل على ان عناده كان مختصا بآيات الله وان كان تاركا للعناد في سائر الامور وفي جميع الآيات اشارة الى انه كان منكرا للتوحيد والنبوة والبعث وغير ذلك من دلائل الدين ومعجزاته ولهذا اوعده سبحانه اشد الوعيد قائلا سارهقه صعودا اي سأغشيه عقبة شاقة المصعد وفيه قولان احدهما انه على ظاهره وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا وعنه صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت الثاني انه مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق كما مر في قوله يسلكه عذابا صعدا ثم فسر كيفية عناده بقوله انه فكر فيما يقول في القرآن وقدر في نفسه كلاما فقتل كيف قدر وهذا الكلام مما نطق به العرب عند التعجب والاستعظام يقولون قتله الله ما اشجعه وقاتله الله ما اشعره واخزاه ما اظرفه والمراد انه قد بلغ المبلغ الذي حق له ان يحسد ويدعى عليه والمعنى في الآية التعجب من قوة خاطره انه كيف استنبط هذه الشبهة في امر محمد بحيث وافق غرض جميع قريش كما حكينا في الحكاية ثناء عليه على طريق الاستهزاء ومعنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء الدلالة على ان التعجب في الكرة الثانية ابلغ من الاولى او هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر ويجوز ان يكون التقدير الاخير تقديرا للتقدير اي نظر فيه لتمام الاحتياط

قوله اخواه خالد وهشام صح

فهذا

فهذا ما يتعلق باحوال قلبه ثم وصف احواله الظاهرة فقال ثم نظر في وجوه القوم ثم عبس وبسر قال الليث عبس عبوسا اذا قطب ما بين عينيه فان ابدى عن اسنانه في عبوسه فهو كلوح واستكبر عن الايمان ويحتمل ان يقال قدر ما يقوله ثم نظر فيه احتياطا والدعاء بينهما اعتراض ثم قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه ومعنى ثم في هذه الافعال سوى قتل الدعاء الثاني المهلة والفاء في قوله فقال للدلالة على انه لما ولى واستكبر ذكر هذه الشبهة او ان الكلمة لما خطرت بباله بعد التفكر لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث وقوله يؤثر من الاثر بمعنى الرواية كما مر او من الايثار اي هو مختار من بين انواع السحر وقوله ان هذا الا قول البشر جار مجرى التوكيد من الجملة الاولى ولهذا لم يتوسط العاطف بينهما اراد بذلك انه ملفوظ ملقوط من كلام غيره ومن تأمل في هاتين الجملتين عرف انه حكاية كلام متحير متفكر ضاقت عليه وجوه الحيل في دفع الحق الصريح ولذلك جاء تهديده تعالى بقوله ساصليه سقر ولعله بدل من قوله سارهقه صعودا ثم قال وما ادريك ما سقر والمراد التهويل ثم بينها بقوله لا تبقي ولا تذر قال بعضهم معناهما واحد والتكرار للمبالغة وقال آخرون لابد من الفرق فروى عطاء عن ابن عباس انها لا تبقي من اللحم والعظم شيئا فاذا اعيدوا خلقا جديدا فلا تذر احراقهم وهكذا ابدا وقيل لا تبقي من المستحقين للعذاب الا عذبتهم ثم لا تذر من ابدان اولئك المعذبين شيئا الا احرقته وقيل لا تبقي على شيء ولا تذر من قوتها شيئا الا استعملته والتقدير هي لا تبقي بدليل قوله لواحة بعد خبر لواحة ويجوز ان يكون هذا خبر لمبتدأ آخر قال اكثر المفسرين هي من لاحه العطش ولوحه اي غيره وذلك انها تسود البشرة اي اعلى الجلود باحراقها واعترض الحسن والاصم بان وصفها بالتغيير لا يناسب بعد قوله لا تبقي ولا تذر نعم يمكن الترتيب لانها تغير البشرة اولا ثم يفنيها فالمعنى لواحة لمافة من لاح البرق وهو يلوح اذا لمع والبشر يعني الانسان وذلك انها تظهر لهم من مسيرة خمسمائة عام ثم تبين ان عدد الخزنة الموكلين عليها تسعة عشر فترك المميز فقيل صنفا وقيل صفا والاكثرون على انها مالك وثمانية عشر اعينهم كالبرق وانيابهم كالصياصي يخرج من اشفارهم لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة تسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر نزعت الرأفة والرحمة منهم يأخذ احدهم سبعين الفا في كفه ويرميهم حيث اراد من جهنم وذكر العلماء في تخصيص هذا العدد وجوها قال المتشرعون هذا مما لا يصل اليه عقول البشر كاعداد السموات والارضين والكواكب وايام السنة والشهور وكاعداد الزكوة والكفارات والصلوات وقيل ان العدد على وجهين قليل وهو من الواحد الى التسعة وكثير وهو من العشرة الى ما لا نهاية له فجمع بين نهاية القليل وبداية الكثير وقيل ان ساعات اليوم بليلته اربع وعشرون خمس منها تركت لاجل الصلوات الخمس والباقية لكل منها ملك يعذب من يضيعها في غير حق الله وقيل ان ابواب جهنم سبعة واحد للفساق وله زبانية واحد بسبب ترك العمل ولكل من الابواب الباقية ثلثة املاك لان الكفار يعذبون لاجل امور ثلثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل وقال الحكيم ان فساد النفس الانسانية في قوتيها النظرية والعملية هو بسبب استعمال القوى الحيوانية والطبيعية لا على وجهها والقوى الحيوانية الشهوة والغضب والحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة واما القوى الطبيعية فالجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فلما كان منشأ الآفات هذه القوى التسع عشرة لا جرم كان عدد الزبانية كذلك روي انه لما نزلت الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال للمسلمين ذكركم لا يقاس الملئكة بالحدادين اي السجانين وجرى هذا مثلا في كل شيئين لا يسوى بينهما وانزل الله سبحانه وما جعلنا اصحاب النار الا ملئكة اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون ويرجون فان الجنسية مظنة الرأفة والذلة وقيل التي من جنس الانس لئلا يكون بينهم رقة ورحمة ولا استبعاد في كون الملئكة في النار غير معذبين بناء على القول بالفاعل المختار وعلى انهم قد غلبت عليهم النارية فصارت مكانهم طبعا كالحيوانات المائية قوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة الآية هو على مذهب اهل السنة ظاهر واما على اصول المعتزلة فقال الجبائي اراد بالفتنة تشديد التعبد ليستدلوا ويعرفوا ان الله قادر على كمال قدرته وقال الكعبي هي الامتحان فيؤمن المؤمن بالشيء ويفوض حكمة التخصيص بهذا العدد الى الخالق والكافر يعترض عليه وقال بعضهم اراد بالفتنة العذاب من الكفر بسبب انكارهم والتقدير الا فتنة على الذين كفروا وحاصله يرجع الى ترك الالطاف واجيب عن هذه التأويلات بان انزال هذه المتشابهات لابد ان يكون لها اثر في تقوية داعية الكفر والا كان انزالها كلا انزال ومع هذا الترجيح لا يحصل الايمان البتة وهو المعنى بالاضلال واعلم ان في الآية دلالة على انه سبحانه جعل افتتان الكافر بعدد الزبانية سببا لامور اربعة اولها ليستيقن ثانيها ويزداد ثالثها ولا يرتاب رابعها وليقول وفيه اشكال فقال جار الله انه ما جعل افتتانهم بالعدد سببا ولكنه وضع فتنتهم موضع تسعة عشر كانه قال وما جعلنا عدتهم تسعة عشر تعبيرا عن المؤثر باللفظ الدال على الاثر تنبيها على ان هذا الاثر من لوازم ذلك الاثر وقال آخرون تقديره وما جعلنا عدتهم الا فتنة للكافرين والا ليستيقن كما يقال فعلت كذا لتعظيمك ولتحقير عدوك فالواو العاطفة تذكر في هذا الموضع تارة وتحذف اخرى واما سبب استيقان اهل الكتاب فهو انهم قرأوا هذا العدد في كتابهم ولكنهم ما كانوا ايقنوا به لتطرق التحريف الى كتابهم فلما سمعوا ذلك في القرآن ازدادوا به وتيقنوا صحته بل صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبرهم بما في كتابهم من غير سابقة دراسة وتعلم ولانه اخبر كفار قريش بهذا الامر الغريب من غير مبالاة باستهزائهم وتكذيبهم فعرفوا انه من قبل الوحي والا لم يجترئ على التكلم به خوفا من السخرية واما زيادة ايمان المؤمنين فمحمولة على ثباتهم ورسوخهم ونتائجه واما نفي الارتياب عن اهل الكتاب والمؤمنين بعد اثبات الاستيقان وزيادة الايمان لهم فمن باب التوكيد كانه قيل حصل لهم يقين جازم بحيث لا يحصل بعده شك وريب لان الذي حصل له اليقين قد يغفل عن مقدمة من مقدمات الدليل فيعود له الشك وفيه ايضا تعريض بحال من عداهم كانه قيل ولتخالف حال المرتابين من الزيغ والكفران واما الذين في قلوبهم مرض فهم اهل النفاق الذين سيحدثون بعد ذلك لان السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة ففي الآية اخبار بالغيب وقد وقع مطابقا فكان معجزا واللام في الامور الاربعة للغاية عند الاشاعرة والمعتزلة يفسرونها لام العاقبة وقد مر في مواضع وقوله ماذا اراد الله بهذا مثلا الى قوله من يشاء قد مر في اول البقرة وسمي ذكر هذا العدد مثلا لغرابته حيث لم تقل عشرين سواء والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب مع انهم منكرون له من اصله والكاف في كذلك منصوب المحل اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل ويهدي قوله وما يعلم جنود ربك الا هو اشارة الى ان ما عليه عدد الخزنة لا يعلم حكمة ولا حكمة ذاته كل جند من الله والخاصة الا الله سبحانه كما قوله اهل الحق وقد مر وقيل ان القوم استقلوا ذلك العدد فقال تعالى في جوابهم هب ان هؤلاء تسعة عشر الا ان لكل واحد من الاعوان والجنود ما لا يحصيهم الا الله او ما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعسر عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد حكمة اختص هو بمعرفتها قوله وما هي الا ذكرى متصل بوصف سقر وقوله وما جعلنا اصحاب النار الى ههنا اعتراض اي وما سقر وصفتها الا موعظة للناس ويحتمل ان يعود الضمير الى هذه الآيات المشتملة على هذه المتشابهات وهي ذكرى لجميع العالمين وان لم ينتفع بها الا اهل الايمان قوله كلا قيل انكار لان يكون للكفار ذكرى لانهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا او ردع لقول ابي جهل واصحابه انهم يقدرون على مقاومة خزنة النار او ردع لهم عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة وقد مر انه يجوز ان يكون بمعنى حقا تأكيدا للقسم بعده قال الفراء دبر بمعنى ادبر كقبل واقبل وروي بعضهم ان ابن عباس كان يعيب قراءة الثاني ويقول انما يدبر ظهر البعير وفي صحة الرواية نظر لان القرآن

فهو كلوح فان اهتم بذلك وفكر فيه قبل ان يظهر فهو مع ذلك قبل [?] بسر زمانا يسيرا [?] صح

كرا

وادبر

[illegible]

سورة القيمة مكية ... حروفها ... كلماتها مائة وتسع ... وتسعون آياتها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة ۝ ايحسب الانسان

ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه بل يريد
الانسان ليفجر امامه يسئل ايان يوم القيمة ۝ فاذا برق البصر
وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر
كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ۝ ينبؤا الانسان يومئذ
بما قدم واخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره
لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قرانه
فاتبع قرانه ۝ ثم ان علينا بيانه ۝ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الاخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ۝ ووجوه يومئذ باسرة
تظن ان يفعل بها فاقرة ۝ كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن
انه الفراق ۝ والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق
فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ۝ ثم ذهب الى اهله يتمطى
اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ۝ ايحسب الانسان ان يترك
سدى ۝ الم يك نطفة من منى يمنى ۝ ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل
منه الزوجين الذكر والانثى ۝ اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى ۝

[illegible]

سيئة وضعف بعضهم هذا النقل بناء على ان اهل الجنة لا يكون لهم مثل هذه الخواطر والالام وعن الحسن ان هذا اللوم في الدنيا والمؤمن
لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي على سيرته لا يعاتب نفسه ومنها انها النفوس المتقية التي تلوم النفس العاصية يوم القيمة بسبب انها تركت التقوى
ولا يخفى وجه المناسبة بين القسمين اعني بين يوم القيمة وبين النفس اللوامة على هذه الوجوه وخص النفس اللوامة بعضهم بادم عليه السلام وذلك
انه لم يزل يلوم على فعله الذي خرج به من الجنة وقيل ان الانسان خلق هلوعا فاي شيء طلبه فاذا وجده فيلوم نفسه على انه لم طلبه لكثرة
هذه العلل سميت باللوامة والجمهور على ان جواب القسم محذوف وهو لتبعثن يدل عليه قوله ايحسب الانسان الن نجمع عظامه وفي الاقسام بيوم القيمة
على وقوع يوم القيمة مزيد تقرير وتاكيد لوقوعه فان الاقسام بالمعدوم لا يعقل معناه وفي ضم النفس اللوامة اليه تنبيه على ان الغرض من القيمة اظهار
احوال النفوس ومراتبها في السعادة وضدها قال جمع من الاصوليين الانسان في الاية هو المكذب بالبعث على الاطلاق وقال ابن عباس
هو ابو جهل وقال اخرون ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري
السوء قال يا محمد حدثني عن يوم القيمة كيف امره فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اؤمن به او يجمع
الله العظام فانزل الله سبحانه ايحسب الانسان الاية قوله قادرين حال مؤكدة لانه يستحيل جمع العظام بدون القدرة والكامل التي نبه عليها بقوله
ان نسوي بنانه لان من قدر على سلاميات الاصابع مع صغرها ولطافتها كانت اذا كان على ضم العظام الكبار اقدر وانما خص البنان وهو الانملة
بالذكر لانه اخر ما يتم به خلقه فذكره يدل على تمام الاصبع وتمام الاصبع يدل على تمام سائر الاعضاء التي هي اطرافها وقيل معنى التسوية جعلها شيئا واحدا
كخف البعير وحافر الحمار بحيث لا يقدر على البطش والمراد انه قادر على رد العظام والمفاصل الى هيئاتها الاولى وعلى ضد ذلك قوله بل يريد اضراب
عن قوله والظاهر انه ايجاب ويجوز ان يكون استفهاما مقدرا والمعنى ليفجر امامه ليدوم على فجوره في الاوقات التي بين يديه من المستقبل وهذا مروي
قول سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة حتى ياتيه الموت على شر احواله قال اهل النظر ان انكار البعث يتولد تارة من الشبهة بان يستبعد اجتماع
الاجزاء بعد تفرقها وتلاشيها واخرى من الشهوة بان ينكر المعاد باسترسال الطبع والميل الى الفجور فاشار الى الجواب عن الشبهة بقوله ايحسب
الانسان الى قوله بنانه واشار الى الثاني بقوله بل يريد اي تكذيب ما امامه من البعث والحساب لئلا تتنغص عليه اللذات العاجلة يسأل سؤال
متعنت ايان يوم القيمة ثم ذكر من امارات الساعة امورا ثلثا فاذا برق البصر اي تحير فزعا واصله من برق الرجل بالكسر اذا نظر الى البرق فدهش
ثم استعمل في كل حيرة ومن قرا بفتح الراء فهو من البريق اي لمع من شدة شخوصه كقوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وثانيها
وخسف القمر اي ذهب ضوؤه كما يكون في الدنيا وقت خسوفه او ذهب بنفسه من قوله فخسفنا به وبداره الارض وهذا التفسير عندي
لا يلائم ما بعده لان الجمع بينه وبين الشمس بعد الفناء غير معقول ظاهرا وثالثها وجمع الشمس والقمر قيل اي في طلوعهما من المغرب وقيل في ذهاب
الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران جاء في الحديث ولعل ذلك لانهما عبدا من دون الله والثور مثل في الذل والبلادة
فاذا كان عقيرا اي جريحا كان ابلغ في ذلك وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى طعن بعض الملاحدة في الاية بان خسوف القمر لا يحصل
باجتماع الشمس والقمر واجيب بانه تعالى قادر على خسف القمر في غير حالة المقابلة وحيلولة الارض والاولى عندي ان يجاب بان اجتماعهما في الاية اعم
من غيره او المعهود بين اهل التنجيم كما مر من الاقوال ولئن سلمنا ان المراد هو الاجتماع المعهود فالقمر حينئذ في المحاق وهو خسفه ولعل القمر يخسف في وسط
الشهر والاجتماع يكون في اخره فان اتحاد الزمان في هذه الامور غير مذكور ومنهم من جعل هذه الامور من علامات الموت اما شخوص البصر وتحيره حين
الموت فظاهر واما خسوف القمر فمعناه ذهاب ضوء البصر بعد الحيرة يقال عين خاسفة اذا فقئت فغارت حدقتها في الراس واما جمع الشمس والقمر فكانه من
انفصال الروح عن عالم الاخرة فالروح كالقمر وعالم الاخرة وهو عالم الانوار والكشف كالشمس وكما ان القمر يقبل النور من الشمس فالروح يقبل نور
المعارف من ذلك العالم وهذا التفسير بالتاويل اشبه قال الفراء انما قال جمع ولم يقل جمعت مع ان التانيث احسن لان المراد انه جمع بينهما في
زوال النور وقال الكسائي المعنى جمع النوران والضياءان وقال ابو عبيدة القمر شارك الشمس في الجمع فغلب جانب التذكير يقول الانسان المنكر
لقبائحه اين المفر والاستفهام على اصله او هو اقرار منه بانه لا مفر كلا اي ليس من وجدان ذلك فقول ابن زيد كلا ردع عن طلب مكان الفرار
هو الفرار وهذا اصح عند اهل اللغة قال الاخفش والزجاج المصدر من يفعل بكسر العين مفتوح العين وبالكسر المكان وجوز بعضهم ان يكون المفتوح
موضعا واصل الوزر الجبل المنيع ثم استعمل لكل ما التجئت اليه وتحصنت به والمعنى انه لا شيء يعصمه وينجيه من امر الله الا الله فلذلك قال الى ربك
اي خاصة دون غيره يومئذ المستقر اي استقرار العباد ولا بد من تقدير مضاف اي حكم ربك والى جنته او ناره ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم
من عمل واخر فلم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخر فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة حسنة او سيئة وعن مجاهد باول
عمله واخره اي بجميع اعماله والاظهر ان هذا الانباء انما هو يوم القيمة وجوز ان يكون عند الموت حين يرى مقعده من الجنة او النار ثم بين ان
الانسان لا عذر له ولا حاجة الى الانباء فقال بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة وقال ابو عبيدة الهاء للمبالغة كعلامة قال الاخفش جعله في نفسه بصيرة
كما يقال فلان جود وكرم وذلك انه يعلم بالضرورة متى رجع الى عقله ان طاعة خالقه واجبة وعصيانه منكر فهو حجة على نفسه بعقله السليم وقيل
ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل ان المراد شهادة جوارحه عليه قوله ولو القى معاذيره تاكيد اي ولو جاء بكل معذرة يحتج بها عن نفسه فانها لا تنفعه
لانها لا تخفي شيئا من افعاله فان نفسه واعضاءه تشهد عليه قال الواحدي والزمخشري المعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير للمنكر ولو كان
جمعا لقيل معاذر بغير ياء وعن الضحاك والسدي ان المعاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى انه وان اسبل الستور لن يخفى شيء من عمله قال جار الله
ان صح هذا النقل فالسبب في التسمية ان الستر يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب فمدار التركيب على الحجب والمنع ومنه العذار قال
الامام فخر الدين الرازي رحمه الله زعم قوم من قدماء الشيعة ان هذا القران مغير بالزيادة والنقصان ومن حججهم انه لا مناسبة بين هذه الاية
وبين قوله عقيبها لا تحرك به اي بالقران الذي يتلو عليك لسانك لتعجل به اي لتاخذه روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يشتد عليه حفظ التنزيل فكان اذا نزل عليه الوحي حرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبرئيل مخافة النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك ونظيره
في طه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا من قبيل ترك الاولى او لعل هذا كان ماذونا فيه اولا ثم ورد النهي عنه ان علينا
بحكم الوعد او بالنظر الى الحكمة جمعه في صدرك وقرانه سيعيده عليك جبرئيل او نوفقك لمداومته وحفظه كقوله سنقرئك فلا تنسى فالقاري على
الاول وهو الثاني محمد وقيل المراد بالجمع ترتيبه على ما هو عليه في الخارج وبالقران جمعه في ذهنه والتركيب يدل على الضم ومنه القراءة فاذا قراناه بقراءة جبرئيل
فاتبع قرانه قال قتادة اي حلاله وحرامه وضعف بان هذا ليس موضع الامر باتباع الحلال والحرام بل المراد انه لا ينبغي ان يكون قراءتك مقارنة

لقراءة جبرئيل لكن يجب ان تسكت حتى يتم جبرئيل القراءة ثم تاخذ انت في القراءة قال ابن عباس وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
اذا نزل عليه جبرئيل اطرق واستمع فاذا ذهب قرا ثم انه صلى الله عليه وسلم لما كان حريصا على القراءة حتى لا ينسى لفظه كان حريصا على فهم المعنى
وكان يسال جبرئيل في اثناء الوحي عن المعاني المشكلة فنهي عن هذا ايضا بوعد البيان وهو قوله ثم ان علينا بيانه قال بعضهم وفيه دليل على
ان تاخير البيان عن وقت الخطاب جائز اذا عرفت تفسير الاية فاعلم ان العلماء استنبطوا للنظم وجوها منها ان هذا الاستعجال اتفق للنبي
صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الايات فلا جرم نهي عن ذلك في الوقت كما ان المدرس اذا كان يلقي على تلميذه شيئا من العلم واخذ
التلميذ يلتفت يمينا وشمالا فيقول المدرس في اثناء درسه لا تلتفت يمينا وشمالا ثم يعود الى الدرس فاذا نقل ذلك الدرس مع هذا الكلام في اثنائه اشتبه
وجه المناسبة على من لا يعرف الواقعة ومنها انه علت كلمته اخبر عن الانسان انه يحب السعادة العاجلة فيفجر لذلك امامه فبين بعده ان التعجيل مذموم مطلقا
ولو في امور الدين فقال لا تحرك به لسانك ورتب على ذم الاستعجال قوله كلا بل تحبون العاجلة ومنها انه حين قال ولو القى معاذيره وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يظهر التعجيل في القراءة ويجعل العذر فيه خوف النسيان قيل له انك وان اتيت بهذه المعذرة لكنك يجب ان تعلم ان الحفظ لا
يحصل الا بتوفيق الله واعانته فاترك هذا التعجيل واعتمد على هدايتنا واستعن في طلب الحفظ بالتكرار وفيه ان الكافر كان يفر من الله الى غيره حين قال
اين المفر فعلى المؤمن ان يضاده ويفر من غير الله الى الله ويستعين في كل اموره بالله ومنها انه تعالى كانه قال يا محمد ان غرضك من هذا هو التبليغ لكنه
لا حاجة اليه فان الانسان على نفسه بصيرة يعرف قبح الكفر فهذا رجع الى نفسه وقال القفال يجوز ان يكون المخاطب هو الانسان المذكور في قوله ينبؤ الانسان
يومئذ بما قدم واخر كانه حين عرض عليه كتابه ويقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا اخذ في القراءة سار وتبع اعماله تلجلج لسانه
من الفزع وسرعة القراءة فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فانه يجب علينا بحكم الوعد او الحكمة ان نجمع اعمالك عليك وان نقراها عليك فاذا قراناه عليك فاتبع
قرانه بالاعتراف والاقرار ثم ان علينا بيانه امره وشرح مراتب عقوبته قوله سبحانه كلا بل تحبون قال بعضهم هو بمعنى حقا وقال جار الله هو ردع لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وحث له على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني ادم خلقتم من عجل وتعجلون
في كل شيء ومن ثم تحبون الدنيا وتذرون الاخرة ثم وصف اليوم الاخر بقوله وجوه يومئذ ناضرة ذات نضارة وبهاء والوجه عبارة عن الجملة قال في الكشاف
والاول عندي تقليلا للمجاز ان يراد بالوجوه العيون فيكون من اطلاق الكل على الجزء لاجل الحكم الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس تظن
ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة اي داهية تقصم فقار الظهر كما ترقب الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير قال الاصمعي الفقر ان يحز انف البعير حتى
يخلص الى العظم او يقرب منه ثم يجعل فيه خشبة يجر البعير بها ومنه قيل عملت الفاقرة وقال الكلبي هي ان تحجب عن رؤية ربها لا تنظر اليه واعلم ان
اهل السنة تمسكوا واستدلوا بالاية على امكان رؤية الله تعالى في الاخرة بل على وجوبها بحكم الوعد وحاصل كلامهم ان النظر ان كان بمعنى الرؤية
فهو المطلوب وان كان بمعنى تقليب الحدقة نحو المرئي وهذا في حقه تعالى محال لانه منزه عن الجهة والمكان توجب حمله على سببه وهو الرؤية وهذا مجاز
مشهور واما المعتزلة فزعموا ان النظر المقرون بالى غايته تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا للرؤية فقد يحصل الرؤية وقد لا يحصل كما قال سبحانه
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ويقال دور فلان متناظرة اي متقابلة ولا ريب ان تقليب الحدقة نحو الشيء يستدعي جهة لذلك الشيء وهذا
في حق الله تعالى محال فوجب حمل النظر على الانتظار اي منتظرة ثواب ربها كقولك انا ناظر الى فلان ما يصنع بي والانتظار اذا كان في شيء مستيقن
الوقوع لا يوجب الغم والحزن بل يزيد اللذة والفرح واعترض بان النظر اذا كان بمعنى الانتظار لا يتعدى بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم
هل ينظرون الا تاويله واجيب بان ذلك انما يكون اذا كان منتظرا الشخص اما اذا كان منتظرا رفده ومعونته فانه يستعمل مقرونا بالى كقول الرجل
انما نظري الى الله ثم اليك وقد يقول الاعمى عيني ناظرة اليك سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون الى واحد الالاء اي نعمة ربها منتظرة وتقديم المفعول لاجل
الفاصلة او للاختصاص اي لا ينتظرون الا الله ورحمته قال في الكشاف وهذا المعنى اعني افادة الاختصاص احد الدلائل الدالة على ان النظر ههنا ليس
بمعنى تقليب الحدقة ولا بمعنى الرؤية لانهم ينظرون الى اشياء ويرون اشياء لا تدخل تحت الحصر فلا بد من حمل النظر على معنى يصح معه الاختصاص وهو التوقع
والرجاء وحين وصف القيمة الكبرى اتبعه نعت القيامة الصغرى فردعهم عن ايثار العاجلة على الاجلة وذكرهم حالة الموت الذي هو اول منزل من منازل
الاخرة والضمير في بلغت للنفس لدلالة قرينة الحال والمقال كما في قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم والتراقي العظام المكتنفة بثغرة النحر من الجانبين واحدها
ترقوة والروح لان متعلق النفس هو الروح الحيواني الذي منبعه القلب فاذا فارق المنبع لم يبق من اثاره وخواصه الا القليل كما لو فارقت العين لم يبق في مجراها
الا اثر قليل من النداوة ثم تزول عن كثب قوله وقيل من راق ان كان من الرقية يقال رقاه يرقيه اذا عوذه بما يشفيه ومنه بسم الله ارقيك من كل داء يؤذيك
فالقائل هم بعض اصحاب الميت واقاربه والاستفهام اما على اصله لان العادة جارية بطلب الطبيب والراقي وقت اشتداد المرض واما بمعنى الانكار
اي من الذي يقدر ان يرقي هذا الانسان المشرف على الموت وان كان اشتقاقه من الرقي الصعود ومنه المرقاة قال تعالى ولن نؤمن لرقيك فالقائل
بعض الملائكة يعني ايكم يرقى بروح هذا المحتضر املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وعن ابن عباس ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت اذا بلغت
نفس العبد التراقي نظر بعضهم الى بعض ايهم يعرج بروحه الى السماء وظن المحتضر اي تيقن انه وقت الفراق عن الدنيا او ان الفراق عن ما هو فيها وفي التعبير
عن اليقين ههنا بالظن تهكم بالميت واشارة الى ان الانسان لتهالكه على الدنيا وحرصه على الحيوة العاجلة لا يكاد يقطع بحلول الاجل وان لم يبق منه الا حشاشة
يسيرة غايته انه يغلب على ظنه الموت مع رجاء الحيوة قال بعض حكماء الاسلام في الاية دلالة على ان الروح جوهر مجرد قائم بنفسه
بل يبقى بعد خراب البدن لان الله تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يصح اذا كان الاتصال بصفة والصفة يستدعي وجود الموصوف والتفت
الساق بالساق فيه وجهان احدهما انه كناية عن الشدة كما مر في قوله يوم يكشف عن ساق اي التفت شدة فراق الدنيا وترك الاهل والولد والمال
والجاه وشماتة الاعداء وحزن الاولياء وغير ذلك بشدة الاقبال على احوال الاخرة وثانيهما ان الساق هو العضو المخصوص قال الشعبي اراد
في النزع كيف يضرب احدى رجليه على الاخرى وقال الحسن وسعيد بن المسيب هما ساقاه اذا التفتا في اكفانه وقيل التفاف ساقيه هو انه اذا مات يبست
ساقاه والتفت احدهما بالاخرى وقريب منه قول قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا الى ربك اي الى حكمه خاصة يومئذ المساق اي
السوق وقيل المراد ان سوقه وتشتيته مفوض الى الله دون غيره والفرق ان الرب اي حكمه في الاول هو المسوق اليه وهو في الثاني سائق يسوقه
الى الجنة او النار قوله فلا صدق والضمير فيه عائد الى الانسان المذكور في قوله ايحسب الانسان الن نجمع وقد ... ان ...
سبحانه عن اختلال حال اعماله فيما يتعلق باصول الدين وبفروعه قائلا فلا صدق بالرسول او بالقران او بالبعث ولا صلى ولكن كذب بالحق وتولى عن الطاعة
ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر مفتخرا بذلك واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فقلبت الطاء الاخيرة ياء كما في تقضي البازي ويحتمل ان يكون من المطا الظهر

لان المتبختر يمطي ظهره قال ابن قتيبة ان اولى ههنا بمعنى لم وقلما يقع لا الا اذا عطف على الماضي الا مكررا ومنه الحديث لا اكل ولا شرب ولا استهل وقوله عز من قائل فلا اقتحم العقبة ونحوه يعني بابي جهل بن هشام ان شاء الله العزيز قال قتادة والكلبي ومقاتل اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد ابي جهل ثم قال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى يوعده بوعيد اخر ليه وعيد بالهلاك والبعد عن الخير والقرب من المكاره وقد مر في قوله فاولى لهم وذلك في سورة القتال فقال ابو جهل باي شي تهددني لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا واني لاعز اهل هذا الوادي ثم نزل ذاهبا فانزل الله تعالى كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم قال القفال هذا يحتمل ويحتمل ان يكون ايضا ان يكون وعيدا مبتدا من الله للكافرين على طريقة الالتفات ويحتمل ان يكون امرا من الله لنبيه بان يقوله لعدوه والله فيكون القول مقدرا اي قلنا لك يا محمد قل له هذا ثم تم ويدل على صحة الحشر الاول انه يحسب الانسان ان يترك سدى اي اهملا لا يكلف ولا يحاسب بعمله وهذا خلاف الحكمة نظيره افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون الثاني الاستدلال بالخلق الاول على الاعادة ومعنى يمنى يراق في الرحم من ذكر قلبي ومن انث فللنطفة اسم لما ينطف كالقبضة لما يقبض والغرفة لما يغرف الا انها غلبت على الماء المخصوص الذي هو بمنزلة البذر [illegible] والمني فعيل بمعنى مفعول من المني بالسكون وهو الدفق غلب ايضا على الماء المخصوص بقوله من مني اي من هذا [illegible] كان تاكيد لما وقوله يمنى تاكيد على تاكيد وفيه اشارة الى حقارة الانسان في ذاته وانه لا يليق به التمطي والتفخر والاستكبار عن طاعة خالقه فانه مخلوق من المني الذي يجري على مجرى النجاسات نظيره في عيسى وامه كانا ياكلان الطعام والمراد به قضاء الحاجة فقوله فخلق فسوى اي قدره فعدل اركانه وقيل خلق فيه الروح فصير اعضاء ومناسبة فجعل منه اي من الانسان الزوجين الصنفين الذكر والانثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرا خاتمة السورة قال سبحانك بلى

سورة الدهر مدنية حروفها الف واربعة وخمسون كلمها مائتان واثنتان واربعون آياتها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ۝ انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ۝ انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ۝ انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ۝ ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا ۝ عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ۝ يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ۝ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ۝ انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ۝ انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ۝ فوقيهم الله شر ذلك اليوم ولقيهم نضرة وسرورا ۝ وجزيهم بما صبروا جنة وحريرا ۝ متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ۝ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ۝ ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قواريرا ۝ قواريرا من فضة قدروها تقديرا ۝ ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ۝ عينا فيها تسمى سلسبيلا ۝ ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ۝ واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا ۝ عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقيهم ربهم شرابا طهورا ۝ ان هذا كان لكم جزاء

وكان

وكان سعيكم مشكورا ۝ انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا ۝ فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا ۝ واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ۝ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ۝ ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ۝ نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ۝ ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ۝ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما ۝ يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما

سلاسلا بالتنوين والوقف بالالف ابو جعفر ونافع وعلي وابو بكر وحماد وهشام سلاسل في الحالين ابن كثير وحمزة وخلف وسهل ويعقوب الباقون يصلون بغير الف ويقفون بالالف قواريرا قواريرا غير مصروفين في الحالين حمزة ويعقوب كلاهما بالتنوين ابو بكر بالالف والثاني بغير الف في الحالين الباقون كلاهما بغير تنوين والوقف على الاول بالالف وقفوا بالواو في الاول شجاع ويزيد وابو بكر وحماد عاليهم بسكون الياء وكسر الهاء ابو جعفر ونافع وحمزة والمفضل الباقون بفتح الياء وضم الهاء خضر واستبرق بالرفع فيهما واستبرق بالخفض ابن كثير والمفضل وابو بكر وحماد الاخرون بالخفض فيهما وما تشاؤن على الغيبة ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الوقوف مذكورا ه امشاج قد قيل يوقف عليه لئلا يوهم ان نبتليه صفة له وليس كذلك لانه حال من خلقنا اي خلقناه مريدين ابتلاءه والوهم المذكور زائل لان ضمير المفعول في نبتليه واحد والامشاج جمع بصيرا ه كفورا ه وسعيرا ه كافورا ج لاحتمال ان يكون عينا بدلا تفجيرا ه مستطيرا ه واسيرا ه شكورا ه قمطريرا ه وسرورا ج للاية مع العطف وحريرا ه الارائك ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف زمهريرا ج لما تعرف في التفسير تذليلا ه كانت قواريرا ه وقيل يوقف عليه وليس ج لان الثانية بدل من الاول تقديرا ه زنجبيلا ج لما مر في كافورا سلسبيلا ه مخلدون ج بناء على ان حسبتهم صفة الولدان والظرف عارض منثورا ه كبيرا ه واستبرق ه لاختلاف الجملتين مع ان وجه الحال في الواو اوضح اي وقد حلوا فضة لان الواو يحتمل الحال والاستيناف وهذا اولى لافراد هذه النعمة العظيمة عن سائر النعم طهورا ه مشكورا ه تنزيلا ج للاية مع الفاء او كفورا ج اصيلا ج لما ذكرنا طويلا ه ثقيلا ه اسرهم ج تبديلا ه تذكرة ج سبيلا ه ان يشاء الله ط حكيما ق والوصل اوجه بناء على ان الجملة صفة في رحمته ط اليما ه

اتفقوا على ان هل ههنا في الاثبات بمعنى قد وهذا ما ذهب اليه سيبويه قال وانها يفيد معنى الاستفهام حيث يفيد لتقدير الهمزة وانما حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال والدليل على تقدير الهمزة جواز اظهارها مع هل كقوله سائل فوارس يربوع بشدتنا اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم ويروى ابو حي من تميم ومعنى الاية اقد اتى فالاستفهام يفيد التقرير وقد يفيد التقرير فيكون حاصله انه اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر وهو طائفة من الزمان غير محدود وعن ابن عباس وابن مسعود ان الانسان ههنا ادم والحين محدود وذلك انه مكث اربعين سنة طينا الى ان نفخ فيه الروح فصار شيئا مذكورا وبعدان كان كالنسي وفي رواية اقام من طين اربعين سنة ومن صلصال اربعين ثم من حما مسنون اربعين ثم خلقه بعد مائة وعشرين واطلاق الانسان على ما قبل نفخ الروح فيه من باب اطلاق الحي على العصير ويجوز ان يراد قد اتى على هذا الذي هو الان انسان بالفعل زمان لم يكن هو فيه انسانا الا بالقوة وهذا اصادق على ادم كما قلنا وعلى جنسه ايضا عند الاكثرين ولعل هذه الاية كالمقدمة والتوطئة عقيبها وكالتاكيد لخاتمة السورة المتقدمة وقوله لم يكن محله رفع على انه نعت حين او نصب على الحال من الانسان لانه في تقدير المفعول يروى ان الصديق لما سمع هذه الاية قال ليتها تمت اي ليته تمت وهي كونه غير مذكور لم يخلق ولم يكلف وقيل الحين ادم كما ذكرنا ولكن الحين هو ستة ايام التي خلق الله فيها السموات والارض ثم فرغ لخلق ادم في عصر يوم الجمعة وقيل الانسان عام والحين مدة فترة الرسل وقيل الحين مدة لبثه في بطن امه قال ابن الاعرابي وطائفة من اهل اللغة الامشاج جمع مشج او مشيج كالخلط والخليط لفظا ومعنى والجمع اخلاط وقال الاكثرون هو مفرد كالمشيج وليس بجمع ولهذا يقال نطفة مشج وامشاج فوصف المفرد بها جميعا نحو برمة اعشار للقدر المنكسرة قطعا وثوب اكياش للذي قيل غزله مرتين يقال جئتك بالثوب الاكياش فانه من لباس الاكياس والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن ماء الرجل وهو ابيض وماء المراة وهو اصفر رقيق والاول يخرج من الصلب والثاني يخرج من الترائب فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم فمن ماء المراة وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وقال الحسن اي مزجت بدم الحيض الذي منه غذاء الجنين وعن قتادة هي اطوار النطفة ثم علقة ثم مضغة وذهب الى انها العناصر والحكمة فانها عبارة عن انتقال النطفة من حال الى حال ولهذا فسر الابتلاء بعضهم بهذا الانتقال ومنه قول ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة والاظهر ان حاصل المعنى خلقناه من امشاج لا للعبث بل للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر اللذان هما اشرف الحواس ولهذا اختصا بالذكر وفيه اشارة الى ان الحواس السليمة اسباب كلية لتحصيل الكمالات النفسية فمن فقد حسا فقد علما وقيل في الاية تقديم وتاخير وجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه كقولك للرجل جئتك اقضي حقك اي لاقضي حقك والمعنى فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه ثم اخبرانه بعد ان ركبه واعطاه الحواس الظاهرة والباطنة اوضح له بواسطة انبيائه والعقل السليم سبيل الهدى والضلالة فقوله شاكرا وكفورا حالان من مفعول هديناه اي مكناه واقدرناه في حالتيه وقيل بتقدير ويهديناه السبيل ليكون اما شاكرا واما كفورا وفيه جهة الوعيد اي فان شاء فليكفر وان شاء فليشكر فانا اعتدنا للكافرين كذا وللشاكرين كذا وجوز اهل العربية ان يكونا حالين من السبيل على الاسناد المجازي لان وصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وهذه الاقاويل

ينا سب اصول المعتزلة اما الذي اختاره والفراء وهو مطابق لمذهب اهل السنة ان اما في هذه الاية كما في قوله واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب
عليهم والمعنى هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شاكرا وتارة كفورا او المراد بالشكر الاقرار بالصدر والكفر انكاره حتى لا يكون بين الفريقين واسطة ويجوز ان يكون
المطيع والعاصي بالكفران كل من سواه سواء كان كفرا مطلقا وهو الكافر ابدا او ببعض المعاصي وهو الفاسق ثم قوله سلاسلا من قرأه بالتنوين فانه صرفه لمناسبة
قال الاخفش سمعنا من العرب صرف جميع ما لا ينصرف وهذه لغة الشعراء اضطروا اليه في الشعر فجرت السنتهم وكذا في النثر ايضا وقيل انه مختص بهذا الجمع لانه ما
الاحاد ولهذا جاء صواحبات يوسف وجوز في الكشاف ان يكون هذا التنوين بدلا من حروف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف ... قرأ
بالتنوين والاعتدا والاعداد والسلاسل للارجل والاغلال للايدي والسعير لاجل العذاب الابدي والابرار جمع بر او بار عن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر
من كاس اي من اناء فيه الشراب وقال ابن عباس ومقاتل هو الخمر نفسها والمزاج ما يمزج به والكافور اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده
ولكن لا يكون فيه طعم الكافور ولا مضرته والمضاف محذوف اي ماء كافور والحاصل ان ذلك الشراب يكون ممزوجا بماء هذه العين قيل كان زائدة والظاهر
انها مفيدة ... عن قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وقيل يخلق فيها رائحة الكافور وبياضه
وبرده فكانها مزجت بالكافور قال جار الله فقوله عينا بدل من محل من كاس على تقدير حذف كانه قال يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص
ولا خلاف بين العلماء ان عباد الله في الاية مختص بالمؤمنين الابرار فغلب على ظنهم ان العباد المضاف الى اسم الله سبحانه مخصوص في اصطلاح القران بالاخيار
وعلى هذا تسقط استدلال المعتزلة بقوله ولا يرضى لعباده الكفر ... في اول الزمر وانما قال اولا يشربون من كاس واخيرا يشرب بها لان الكاس هي مبدأ
شربهم واما العين فانما يمزجون بها شرابهم فكانه ... بمعنى مع مثل شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا سهلا قال الضعيف مؤلف الكتاب
لا يبعد ان يكون الخمر عبارة عن العلوم اللدنية الحاصلة بالذوق والمكاشفة والكافور عبارة عن المعارف الحاصلة بواسطة البدنية ومزجهما تركيبهما على الوجه
الى تحصيل لذات وكمالات اخر وتفجيرا اشارة الى ايصالها الى اهلها من النفوس المستعدة لذلك قال اهل النظم حين وصف سعادة الابرار كان لسائل
ان يسال بانهم بم نالوا ذلك فاجاب يوفون بالنذر وفيه ان الذي وفى بما اوجبه على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى ذكر الواحدي في تفسير البسيط
والزمخشري في الكشاف وكذا الامامية اطبقوا على ان السورة نزلت في اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولا سيما هذه الاية يروى عن ابن عباس ان الحسن
والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برءا
مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة
اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد
الجنة فاثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فاثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا
مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني
ما ارى بكم فقام وانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله في
اهل بيتك فاقرأه السورة ويروى ان السائل في الليالي كان جبرئيل اراد بذلك ابتلاءهم باذن الله سبحانه ثم وصفهم الله تعالى بالخوف من اهوال القيامة في موضعين
اولا في قوله ويخافون يوما كان شره اي كريهه مستطيرا فاشيا منتشرا من استطار الحريق ... المستطير والمستطير من طار والفرض انه شيع
مكاره وذلك اليوم جميع المكلفين حتى الانبياء يقولون نفسي نفسي الا نبينا صلى الله عليه وعلى اله وسلم فانه يقول امتي امتي والسموات ينفطرن والكواكب ينتثرن الى
الى غير ذلك من المكاره والاهوال ولا ينافي هذا امن المسلمين بالاخرة على ما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر وثانيا في قوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا واذا كان
حال اهل بيت النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم او حال الابرار على العموم في الخوف من اهوال هذه الغاية فغيرهم اولى بالخوف ... الضمير في حبه للطعام اي مع
والحاجة اليه كقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال الفضيل بن عياض اي على حب الله عز وجل نظيره قوله واتى المال
على حبه ومعنى المسكين واليتيم قد عرفت مرارا واما الاسير فعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك وقد سمى الزوجة ايضا اسيرا فقال اتقوا الله في النساء فانهن عوان عندكم اي اسراء وعن الحسن
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان
الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات والاحسان اليهم في الحال الى ان يرى الامام فيهم ما يرى من قتل او من او فداء او استرقاق لا ينافي احتمال
حكم الامام عليهم بالقتل في المال لان سد خلتهم بالاطعام واجب على الفور وذلك يحتمل التراخي كالذي حق من لم يلزمه القصاص ولم يكره قال ثم هذا الاطعام يجب اولا على
الامام فان لم يفعله وجب على المسلمين قال قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك فاخوك احق ان تطعمه ثم الاطعام ليس بواجب على اليقين ولكن الواجب مواساتهم
باي وجه كان وانما عبر عن ذلك بالاطعام لان سبب النزول كان كذلك ولان المقصود الاعظم من انواع الاحسان الطعام الذي هو قوام الابدان
يقال اكل فلان مال فلان اذا اتلفه باي وجه كان وان لم يكن الاكل نفسه قوله انما نطعمكم لوجه الله رضاه خالصة ولا بد من اضمار القول ثم ان هذا القول يجوز ان يكون
منهم باللسان منعا للسائل عن المجازاة والشكر او بالشكر يقع اطعامهم خالصا ويجوز ان يكون بلسان الحال قال مجاهد اما انهم ما تكلموا بذلك ولكن الله علم ذلك
منهم فكشف عن نيتهم واثنى عليهم وفيه تنبيه على انه ينبغي ان يكون عليه كل مطعم بل كل عامل من اخلاص العمل لله عن عائشة انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم
تسال الرسول ما قالوا فان ذكروا دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا والشكور مصدر كالكفور ... او جمعا والمعنى مبالغة شاكر ...
قوله انا نخاف ظاهره انه تعليل للاطعام ويجوز ان يكون تعليلا لعدم ارادة المجازاة ووصف اليوم بالعبوس مجاز وذلك بطريقين احدهما ان يشبه
في ضرره وشدته بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل والثاني ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء ويروى ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران
والقمطرير الشديد العبوس من الايام والطويل بلاء واصله الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه والتركيب يدل على الجمع ومنه القمطر خريطة يجمع فيه الكتب واقمطرت الناقة
اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها قاله الزجاج فهو مشتق من القطر وجعل الميم زائدة ... عن احوال الابرار ...
ذكر ما يجزيهم على ذلك واكد تحقق الوعد بان عبر عنه بصيغة الماضي فقال فوقاهم الله شر ذلك اليوم اي كرهه فان كل ما يشق على النفس ذكره فهو شر بالاضافة
اليها وان كان خيرا في نفس الامر مشتملا على الحكم والفوائد كالقصاص وسائر الحدود ولقاهم اي اعطاهم بدل عبوس الكفار نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب ...
وحزنهم وجزاهم بما صبروا على التكاليف او الايثار المؤدي الى افناء المال المستتبع للجوع والعري جنة وحريرا اي بستانا فيه ماكل هنيء ولباسا ...
قال الاخفش والزجاج متكئين نصب على الحال من مفعول جزاهم وقيل على المدح وقيل حال من الجنة وضعف لانه يستدعي ابراز الضمير ... متكئين فيها
هم والزمهرير شدة البرد والاظهر ان الميم والالف اصليتان لعدم النظير ... والمعنى ان هواءها معتدل وفي الحديث هواء الجنة

سجسج

سجسج لا حر ولا قر وعن ثعلب ان الزمهرير القمر بلغة طيء واشتقاقه من الزهر والمراد ان الجنة ضياء لا تحتاج الى شمس ولا قمر قوله ودانية ذكر الاخفش
والكسائي والفراء والزجاج انه معطوف على متكئين كما تقول في الدار عبد الله متكئا ومرسلة عليه الحجال وان جعلنا قوله لا يرون حالا صارت الاحوال ثلثا
والتقدير وجزاهم متكئين فيها على الارائك غير رائين فيها حرا ولا بردا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو في الثالثة للدلالة على الاجتماع كانه قيل
وجزاهم جنة متكئين فيها على الارائك جامعين فيها بين البعد عن الحر والبرد وبين الدنو من الظلال ويجوز ان يكون ودانية معطوفا على جنة لانهم وعدوا
بالخوف وقد قال سبحانه ولمن خاف مقام ربه جنتان فالتقدير وجزاهم جنة اخرى دانية عليهم ظلالها وقوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا من باب علفتها
تبنا وماء باردا وذلك ان الزمهرير لا يرى فالمراد لا ينالون زمهريرا وان اريد بالشمس كانه شعاعها وحرها فالمعنى لا يرون لا ينالون ولا يخفى ان هذا الظل
ليس بالمعنى المصطلح في الدنيا وهو الضوء الثاني فانه لا شمس هناك فمعنى دنو الظلال ان اشجار الجنة خلقت بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار قريبة
الاظلال على اهل الجنة وقد اكد هذا المعنى بقوله وذللت قطوفها تذليلا اي لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا وقال ابن قتيبة ذللت اي ادنيت من قولهم حائط
ذليل اذا كان قصيرا قال البراء بن عازب من اكل قائما ... ومن كل جانب ... ثم وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم واعتدال هوائه
وكيفية جلوسهم فيها ... عن شرابهم وقدم ذكر الاواني ومعنى قوارير من فضة ان جنس الانية من الفضة الا ان تلك الفضة في صفاء القوارير وشفيفها
حتى يرى باطنها من ظاهرها واذا كانت قوارير الدنيا واصلها من الحجر في غاية الصفاء والرقة بحيث يحكي ما في جوفها فما ظنك بقوارير الجنة واصلها من الفضة
ومعنى كانت كما في قوله وكان مزاجها كافورا وقال في الكشاف هو من قوله كن فيكون اي تكونت قوارير بتكوين الله والمراد تفخيم تلك الخلقة العجيبة
الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين والضمير في قدروها لاهل الجزاء انها جاءت كما قدروا في انفسهم حسب شهواتهم وحاجتهم واما للطائفين اي
قدروا شرابها على مقدار ري كل احد من غير زيادة ونقصان وقريب منه قول مجاهد لا يفيض ولا تغيض وقال الربيع بن انس ان تلك الاواني تكون
مقدار ملء الكف لم تعظم فيثقل حملها قوله ويسقون فيها اي في الجنة كاسا اي ... خمرا ويجوز ان يكون الضمير للاواني والكاس الخمر
نفسها والعرب تحب طعم الزنجبيل في المشروب وتستلذه وقال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا فلذلك وصف الله شراب اهل الجنة
بذلك قال ابن عباس وكل ما ذكره الله في القران مما في الجنة فليس منه في الدنيا الا الاسم اما السلسبيل فقد قال ابن الاعرابي لم اسمعه الا في القران وقال
الاكثرون اشتقاقه من السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل اي عذب سهل المساغ فكان الباء واللام زيدتا للمبالغة حتى صارت الكلمة
خماسية ورد عليه ان الباء ليست من حروف الزيادة وقد قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة والفائدة في تسميتها بالسلسبيل
بعد تشبيهها بالزنجبيل هي انها في طعم الزنجبيل ولذته ولكن ليس فيها اللذع الذي هو مناف للسلاسة وقد نسب الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان
معناه سل سبيلا اليها ووجهان صحت الرواية بانها جملة ... سميت بها كما قيل تأبط شرا وسبب التسمية في الاصل انه لا يشرب منها الا من سأل
اليها سبيلا بالايمان والعمل الصالح وفي شعر بعض المتأخرين ... سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كانها سلسبيل والظاهر منع صرفه للعلمية والتانيث
ولكن لم يقرأ به الا في الشواذ والمتواترة بالتنوين ووجهه ما مر في سلاسلا على ان رعاية الفاصلة ... اولى لكونه راس اية ثم وصف خدمهم بقوله
ويطوف عليهم ولدان مخلدون ويجوز ان يكون هذا بيانا للطائفين في قوله ويطاف عليهم بانية وقد صرح به في الواقعة وزاد ههنا ان شبههم في حسنهم
وصفاء الوانهم وتفرقهم في المجلس لاصناف الخدمة باللؤلؤ المنثور يحكى ان المامون ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج
من ذهب ونثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كانه شاهد مجلسنا هذا
حيث قال   كان صغرى وكبرى من فواقعها   حصباء در على ارض من الذهب   وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه حينئذ
احسن واكثر ماء ثم اجمل نعيمهم لانه مما لا يحصر ولا يخطر ببال احد ما دام في الدنيا في حب نبيه صلى الله عليه وعلى اله وسلم او كل دار فانما واذا رايت
قال الفراء مفعوله وهو الموصول مضمر تقديره واذا رايت ما ثم كقوله لقد تقطع بينكم يريد ما بينكم والاكثر الزجاج وغيره حذف الموصول والاكتفاء
بالصلة والذي اختاره اصحاب المعاني ان يكون المفعول متروكا للتشييع والتعميم والمعنى ان الرائي اينما وجد الرؤية لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك
كبير اي واسع هنيء وثم ظرف مكان اشير به الى الجنة روي ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل الملك الكبير
هو الذي لا زوال له وقيل هو انه اذا اراد شيئا كان ومنهم من حمله على التعظيم وهو ان ياتي الرسول بكرامة من الكسوة والطعام والشراب والتحف
الى ولي الله وهو في منزله فيستاذن عليه ولا يدخل عليه رسول رب العزة وان كان من الملائكة المقربين الا بعد الاستئذان قاله الكلبي وقال
اهل العرفان الملك الكبير هي اللذات الحقيقية والمعارف الالهية والاسرار الربانية التي يستحقر عندها اللذات البدنية وعن علي كرم الله وجهه
انه قرأ وملكا بفتح الميم وكسر اللام والملك هو الله سبحانه من قرأ عاليهم بسكون الياء فعلى انه مبتدأ وثياب سندس خبره اي ما يعلوهم
من لباسهم ثياب سندس ومن قرأ بالنصب فعلى انه ظرف بمعنى فوق فيكون خبرا مقدما ويجوز ان يكون نصبا على الحال من ضمير الابرار اي لقيهم
نضرة وسرورا حال ما يكون عاليهم ثياب سندس او يطوف عليهم اي على الابرار ولدان حال ما يكون الابرار عاليهم ثياب سندس ويجوز ان يكون
اثياب الولدان اي حسبتهم لؤلؤا منثورا حال ما يكون عاليهم ثياب سندس ويحتمل ان يكون العامل رايت والمضاف محذوف والتقدير
رايت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب من قرأ خضر بالرفع فظاهر ومن قرأ بالجر فعلى الجوار او على انه صفة سندس باستقلال لانه جنس وكان في
معنى الجمع كما يقال اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض واما الرفع في استبرق فللعطف على ثياب والجر للعطف على سندس وكلاهما ظاهر
قوله وحلوا اساور من فضة ان كان الضمير للولدان فلا اشكال لان اساور الخدم ربما يكون من ذهب كما قال سبحانه في موضع يحلون فيها من اساور
الخدم ام يكون من فضة وان كان الضمير للابرار فلا اشكال ايضا فلعلهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع وما احسن بالمعصم ان يكون فيه
سواران سوار من ذهب وسوار من فضة وايضا فالطباع مختلفة فرب انسان يكون استحسانه لبياض الفضة ورب انسان يكون استحسانه لصفرة
الذهب فالله تعالى يعطي كل احد بفضله ما يكون رغبته فيه اتم وقال بعض اهل التاويل ... الى ... عبادات ... نورانية ... بتوسل
الى جوار الحضرة الصمدية كما ان الذهب والفضة في الدنيا وسائل الى تحصيل المطالب العاجلة ثم ختم جزاء الابرار بقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا
هو اما مبالغة طاهر والمراد انها ليست بنجسة كخمر الدنيا ولا مستقذرة طبعا كما مسته الايدي الوضرة والاقدام النجسة الدنسة ولا يؤول الى النجاسة لكنها
ترشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك واما مبالغة مطهر قال ابو قلابة يؤتون بالطعام والشراب ممزوجا بالكافور والزنجبيل فاذا كان في اخر ذلك سقوا
هذا الشراب فيطهر ذلك بطونهم وتفيض عرق من جلودهم كريح المسك ريحها وذكر اصحاب التاويل ان الانوار الفائضة من العالم العلوي متفاوتة
في الصفاء والقوة والتاثير فبعضها كافورية طبعها البرد واليبس ويكون صاحبها في الدنيا في مقام الخوف والبكاء والقبض وبعضها زنجبيلية على طبع الحر واليبس

ويكون صاحبها قليل الالتفات الى ما سوى الله قليل الالتفات بالجسمانيات ثم لا يزال الروح الانساني ينتقل من نوع الى نوع ومن مقام الى مقام الى ان ينتهي الى حضرة نور الانوار فيضمحل في نور تجليه سائر الانوار وهذا اخر سير الصديقين ومنتهى درجاتهم في الارتقاء الى مدارج الكمال فهذا اقصى المساعي الى نفسه تعالى وسقاهم ربهم ثم ختم الوعد بقوله ان هذا كان لكم جزاء عن ابن عباس ان هذا المعنى انما يقال لهم بعد دخولهم الجنة فالقول مقدر والغرض اعلامهم ان كل ما تقدم من اصناف العطاء انما هو جزاء اعمالهم والغرض اذاقة لذة الاجزاء فان سرورهم يزيد بذلك وقال اخرون انه ابتداء خبر من الله تعالى لعباده في الدنيا ليعبروا في دار التكليف ان هذه الاشياء اعدت في الاخرة لمن بر واطاع واعلم انه سبحانه بين في اول السورة ان الانسان وجد بعد العدم ثم ذكر انه خلقه من امشاج وهي العناصر او الاخلاط او الماء ان ماء الرجل وماء المرأة او الاطوار المتعاقبة على النطفة او النفس والبدن او على جميع التقادير فذلك يدل على كونه فاعلا مختارا صانعا حكيما ثم اخبر انه ما خلقه لاجل العبث عاطلا ولكنه خلقه للابتلاء والامتحان واعطاه كل ما هو محتاج اليه من العقل والحواس ثم آل امره بالجزاء بالقدر الى الشكر او الكفر اما الكافر فله السلاسل والاغلال واما الشاكر فله النعيم والملك واختصر في العقاب واطنب في ذكر الثواب اشارة الى ان رحمته سبقت غضبه وحين فرغ من شرح احوال الاخرة بدا بكيفية معرفة القران الذي كتعلم هذه العلوم والحقائق فقال انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا وفيه انواع من المبالغة من قبل ايقاع الضمير اسما لان ثم تكريره ومن جهة صيغة الجمع ومن جهة ذكر المصدر بعد الفعل ومن جهة لفظ التنزيل دون الانزال لان تنزيل القران منجما مفرقا اقرب الى تثبيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتثبيت فؤاده وحيث سلى قلبه امره بالصبر على اذى الكفار الى اوان تنزيل آية القتال ونهاه عن طاعة كل آثم منهم وخصوصا الكفور فان الكفر اعظم الاثام قال النحويون كلمة او مفيدة لاحد الشيئين او الاشياء فاورد عليه انه يلزم في الاية انه لا يجوز طاعة الاثم والكفور اذا تخالفا اما اذا توافقا فانه يجوز طاعتهما او لا يبعد ان يقول السيد لعبده اذا امرك احد هذين الرجلين فخالفه واما اذا توافقا فلا تخالفهما والجواب انه لا ريب ان قولك لا تضرب زيدا او عمرا معناه في الاظهر لا تضرب زيدا ولا عمرا ويحتمل احتمالا مرجوحا لا تضرب احدهما واضرب الاخر الا ان هذا الاحتمال مرفوع في الاية بقرينة الاثم والكفر فان احدهما اذا كان منهيا عنه فكلاهما معا اولى لان ذلك زيادة في الشر ولهذا قال الفراء سمعت ولا تطع واحدا منهما سواء كان اثما او كفورا ولو كان العطف بالواو كان نصا في النهي عن طاعتهما معا ولا يلزم منه النهي عن طاعة كل منهما على الانفراد وفي فصاحة الشرح وقد خص بعض المفسرين فقال الاثم هو عتبة لانه كان متعاطيا لانواع الفسوق والكفور هو الوليد لانه كان شديد الشكيمة في الكفر يروى ان عتبة بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الامر حتى ازوجك ولدي فاني من اجمل قريش ولدا وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فاني من اكثرهم مالا فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول حم السجدة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة سيقع وقال الحسن الاثم هو المنافق والكفور مشركو العرب امره بالصبر على التكاليف مطلقا ثم قسمها الى نهي وامر على هذا الترتيب لان التخلية مقدم على التحلية اما النهي فقد مر واما الامر فاوله ذكر الله ولا سيما في الصلوة اول النهار واخره وهو المراد بقوله بكرة واصيلا ويشمل صلوات الفجر والظهر والعصر واول الليل هو المراد بقوله ومن الليل فاسجد له اي وقت بعض الليل فصل له يعني صلوة المغرب والعشاء واوسطه وهو المعني بقوله وسبحه اي تهجد له طويلا من الليل ثلثه او نصفه او ثلثيه كما مر في المزمل ثم شرع في توبيخ المتمردين عن طاعة مستحقها ايا هم قائلا ان هؤلاء يحبون الدار العاجلة ونعيمها الزائل ويذرون وراءهم يوما ثقيلا اي شديدا كقوله ثقلت في السموات والارض ثم بين كمال قدرته قائلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم اي ربطهم وتوثيقهم ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو سمي الاسير والمعنى ركبناهم تركيبا محكما وثيقا مفاصلهم بالاعصاب والربط والاوتار وحب تحتاجون اليه في التصرف كرجوه والحوائج واذا شئنا اهلكناهم بالنغمة وبدلنا امثالهم في شدة الاسر عند النفخة الثانية وقال جار الله قيل معناه وبدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجي باذن لا باذا لقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد قال الامام فخر الرازي هذا الكلام كانه طعن في لفظ القران وهو ضعيف لان كل واحد من ان واذا حرف الشرط قلت ذكره جار الله ليس طعنا في القران وانما هو طعن في نفس ذلك القول بناء على ان اذا لا يستعمل الا فيما كان مقطوع الوقوع كالاماتة بالنفخة الاولى والاحياء في النشاة الاخرى اما الاهلاك على سبيل الاستيصال فذلك غير مقطوع به فلهذا الاحسن تفسير اللفظ به وتعيين التفسير الاول والمبادرة بالاعتراض قبل الفهم التام ليس من دأب العلماء المتقنين فتعجب من شئته ولك ان تقول ان هذه تذكرة وقد مر في المزمل والمقصود من اعادته ان هذه السورة بما فيها من الترتيب الانيق تبصرة للسالكين المتوجهين الى حضرة الله سبيلا بالطاعة والانقياد وفيه دليل القدري وفي قوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله الى اخر السورة دليل الجبري والتوفيق بينهما مفوض الى فهم المرتقين وقد سلف منا فيه التحقيق وانتصب الظالمين بفعل يفسره معنى اعد لهم نحو اوعد وعذب ونحوهما

سورة والمرسلات مكية واحدى وثمانون اياتها خمسون حروفها ثمانمائة وست عشرة كلماتها مائة

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا ۝ فالعاصفات عصفا ۝ والناشرات نشرا ۝ فالفارقات فرقا ۝ فالملقيات ذكرا ۝ عذرا او نذرا ۝ انما توعدون لواقع ۝ فاذا النجوم طمست ۝ واذا السماء فرجت ۝ واذا الجبال نسفت ۝ واذا الرسل اقتت ۝ لاي يوم اجلت ۝ ليوم الفصل ۝ وما ادراك ما يوم الفصل

ويل يومئذ للمكذبين ۝ الم نهلك الاولين ۝ ثم نتبعهم الاخرين ۝ كذلك نفعل بالمجرمين ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ الم نخلقكم من ماء مهين ۝ فجعلناه في قرار مكين ۝ الى قدر معلوم ۝ فقدرنا فنعم القادرون ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ الم نجعل الارض كفاتا ۝ احياء وامواتا ۝ وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ۝ انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب ۝ لا ظليل ولا يغني من اللهب ۝ انها ترمي بشرر كالقصر ۝ كانه جمالت صفر ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ هذا يوم لا ينطقون ۝ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ۝ فان كان لكم كيد فكيدون ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ ان المتقين في ظلال وعيون ۝ وفواكه مما يشتهون ۝ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ۝ انا كذلك نجزي المحسنين ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ۝ ويل يومئذ للمكذبين ۝ فباي حديث بعده يؤمنون

القراآت فالملقيات ذكرا بتشديد الدال لا دغام ابو عمرو وحمزة في رواية خلاد عذرا بضم الذال الثاني او نذرا بالسكون ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وقتت بالتخفيف يزيد في رواية ابدال الواو همزة كلهم ابو عمرو ويعقوب في وجوه ابي عمرو بالواو والتشديد فقدرنا بالتشديد نافع وعلي فنقدر جمالات بضم الجيم بجوية يعقوب الاخرون بالكسر ابو جعفر ونافع وعلي وانطلقوا الى ظل بفتح اللام رويس جمالة على التوحيد حمزة وعلي وخلف وحفص جمالات بضم الجيم

الوقوف عرفا ۝ عصفا ۝ لا نشرا ۝ لا فرقا ۝ لا ذكرا ۝ لا نذرا ۝ لا لواقع ۝ ط طمست ۝ لا فرجت ۝ لا نسفت ۝ لا اقتت ۝ ط اجلت ۝ ط لان ما بعده جواب اي ليوم الفصل ۝ ط الفصل ۝ ط للمكذبين ۝ الاولين ۝ ط لان ما بعده مستانف اي ثم نحن نتبعهم الاخرين ۝ بالمجرمين ۝ للمكذبين ۝ مهين ۝ لا مكين ۝ لا معلوم ۝ لا القادرون ۝ للمكذبين ۝ كفاتا ۝ لا امواتا ۝ لا فراتا ۝ للمكذبين ۝ تكذبون ۝ ج شعب ۝ لا ومن الاية ووجه الوقف لمن قرا بفتح اللام او رجح لانه ابتداء اخبار عن موجبهم باعتبار شعب ۝ لا اللهب ۝ ط كالقصر ۝ ج لان ما بعده وصف لشرر لا للقصر صفر ۝ ط المكذبين ۝ لا ينطقون ۝ لا فيعتذرون ۝ للمكذبين ۝ الفصل ۝ لا لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال اي حشر الى يوم مجموعا فيه والاولين ۝ فكيدون ۝ للمكذبين ۝ وعيون ۝ لا يشتهون ۝ ط تعملون ۝ المحسنين ۝ للمكذبين ۝ مجرمون ۝ للمكذبين ۝ لا يركعون ۝ للمكذبين ۝ يؤمنون ۝

التفسير الكلمات الخمس في اول هذه السورة يحتمل ان يكون المراد بها جنسا واحدا او اجناسا مختلفة والاحتمال الاول يذكر فيه وجوها الاول انها الملائكة اقسم رب العزة بطوائف الملائكة الذين ارسلهن باوامره حال كونهن عرفا اي متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا اجتمعوا عليه ويجوز ان يكون العرف بمعنى خلاف النكر اي ارسلهن للاحسان والمعروف فان بعض الملائكة ان لم يبعثوا للرحمة فبعثوا للاحسان حينئذ ظاهر وان كانوا قد بعثوا لاجل العذاب فذلك ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله من الكفار لاجلهم ومعنى الفاء في فالعاصفات انهن عقيب الامر عصفن في مضيهن كما تعصف الرياح مبادرة الى امتثال الامر وقيل هو من قولهم عصفت الحرب بالقوم اي ذهبت بهم والمعنى ويقال ناقة عصوف اي عصفت براكبها فمضت كانها ريح من السرعة فالمراد والعرف حين ارسلن للعذاب طرن بروح الكافر ثم اقسم بطوائف من الملائكة نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الارض او احيين النفوس الميتة بها وحين فرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين قال الاخفش والزجاج هما بالسكون مصدر كالشكر والكفر والضم لغة في كل منها كالشكر والسكر والمعنى اعذار او انذار ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر فكونا حالين من الالقاء اي عاذرين او منذرين الوجه الثاني انها الرياح اقسم الله سبحانه برياح عذاب ارسلهن متتابعة فعصفن عصفا وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالقين ذكرا اي صرن سببا في حصول الذكر لان العاقل اذا شاهد تلك الرياح

[illegible]

اى لا تركعوا ولا تسجدوا فانما سبّة علينا فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وانزل الله الآية ثم ختم السورة بالتعجب
من حال الكفار واصرارهم على جهالاتهم وضلالاتهم بعد القرآن وبيانه وقد مر في اول الجاثية نظيره والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة عم مكية حروفها سبعمائة وسبعون كلماتها مائة وثلث وسبعون آياتها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذى هم فيه مختلفون ۝ كلا سيعلمون
ثم كلا سيعلمون ۝ الم نجعل الارض مهادا ۝ والجبال اوتادا ۝ وخلقناكم ازواجا
وجعلنا نومكم سباتا ۝ وجعلنا الليل لباسا ۝ وجعلنا النهار معاشا
وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا ۝ وانزلنا من المعصرات
ماء ثجاجا ۝ لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ۝ ان يوم الفصل كان ميقاتا

[illegible]

يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا ۝ وفتحت السماء فكانت ابوابا ۝ وسيرت الجبال
فكانت سرابا ۝ ان جهنم كانت مرصادا ۝ للطاغين مابا ۝ لابثين فيها احقابا
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ۝ الا حميما وغساقا ۝ جزاء وفاقا ۝ انهم كانوا لا يرجون
حسابا ۝ وكذبوا باياتنا كذابا ۝ وكل شيء احصيناه كتابا ۝ فذوقوا
فلن نزيدكم الا عذابا ۝ ان للمتقين مفازا ۝ حدائق واعنابا ۝ وكواعب
اترابا ۝ وكاسا دهاقا ۝ لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ۝ جزاء من
ربك عطاء حسابا ۝ رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه
خطابا ۝ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ۝ لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا ۝ ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مابا ۝ انا انذرناكم
عذابا قريبا ۝ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني
كنت ترابا ۝

كلا سيعلمون بتاء الخطاب في الموضعين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفتحت بالتخفيف عاصم وحمزة وعلي وخلف لبثين مقصورا حمزة ولا كذابا مخففا علي رب بالرفع تقديره هو رب ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو والمفضل الباقون بالجر على البدل الرحمن بالجر على البدل او البيان ابن عامر وسهل ويعقوب وعاصم غير المفضل الآخرون بالرفع على هو الرحمن او على انه خبر آخر **الوقوف** يتساءلون ج لاحتمال ان الجار متعلق بالفعل المذكور والمراد التهديد قال الفراء معنى اللام اي لاي شيء او متصل بمحذوف كان سائلا سال عن اي شيء يتساءلون فاجيب عن النبا العظيم لا مختلفون ط بناء على ان معنى كلا حقا سيعلمون ط [illegible]

[illegible]

النبأ

[illegible]

سورة والنازعات مكية حروفها سبعمائة وثلثة وخمسون وكلماتها مائة وسبعة وتسعون آياتها ست واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا ۝ والناشطات نشطا ۝ والسابحات سبحا ۝ فالسابقات سبقا ۝ فالمدبرات امرا ۝ يوم ترجف الراجفة ۝ تتبعها الرادفة ۝ قلوب يومئذ واجفة ۝ ابصارها خاشعة ۝ يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ۝

ءاذا كنا عظاما نخرة ۝ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ۝ فانما هي زجرة واحدة ۝ فاذا هم بالساهرة ۝ هل اتيك حديث موسى ۝ اذ ناديه ربه بالواد المقدس طوى ۝ اذهب الى فرعون انه طغى ۝ فقل هل لك الى ان تزكى ۝ واهديك الى ربك فتخشى ۝ فاريه الاية الكبرى ۝ فكذب وعصى ۝ ثم ادبر يسعى ۝ فحشر فنادى ۝ فقال انا ربكم الاعلى ۝ فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ۝ ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ۝ ءانتم اشد خلقا ام السماء بنيها ۝ رفع سمكها فسويها ۝ واغطش ليلها واخرج ضحيها ۝ والارض بعد ذلك دحيها ۝ اخرج منها ماءها ومرعيها ۝ والجبال ارسيها ۝ متاعا لكم ولانعامكم ۝ فاذا جاءت الطامة الكبرى ۝ يوم يتذكر الانسان ما سعى ۝ وبرزت الجحيم لمن يرى ۝ فاما من طغى ۝ واثر الحيوة الدنيا ۝ فان الجحيم هي الماوى ۝ واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ۝ فان الجنة هي الماوى ۝ يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها ۝ فيم انت من ذكريها ۝ الى ربك منتهيها ۝ انما انت منذر من يخشيها ۝ كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها

[illegible]

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى النازعات هم الذين نزعوا أنفسهم عن الصفات البشرية والأخلاق الذميمة من الشهوة والغضب والموت
والنوم والسفر لأنهم جواهر روحانية مجردة والناشطات إشارة إلى أن خروجهم من هذه الأحوال ليس على سبيل الكلفة والمشقة ولكنه بمقتضى الطبيعة
والماهية والسابحات هم الذين يسبحون في بحار جلال الله فيسبق بعضهم بعضا في ميدان العرفان وحلبة الإيمان فيدبرون أمر العالم العلوي والعالم السفلي
بإذن مبدعهم المنان أقول ويمكن حمل هذه الأمور على مراتب النفس الإنسانية بمثل التقرير المذكور الوجه الثاني وهو قول الحسن البصري أنها النجوم
وتحقيق ذلك على الوجه المطابق للغة والشريعة أنها تغرق [illegible] النزع من المشرق إلى المغرب بالحركة السريعة وتنشط نشطا أي تخرج من برج إلى برج من
قولك ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد وهذه الحركة البطيئة الثانية وأما السابحات فهي السيارة لقوله كل في فلك يسبحون ولأن سيرها المتفاوت يصير سببا
لسبق بعضها بعضا وتترتب على السبق الاتصالات والانصرافات ومعرفة الفصول والأوقات وتقدمة العلم بالكائنات بل العالم السفلي وتدبيراتها
يناط بتلك الحركات بإذن خالق الأرض وفاطر السموات فلهذا أدخل الفاء في القرينتين الأخريين دون الأوليين الوجه الثالث أنها صفات خيل الغزاة
تنزع في أعنتها نزعا يغرق الأعنة فيه لطول أعناقها لأنها عراب وهي ناشطات تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب وهي سابحات يسبح في جريها فيسبق
إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر وتسبب فيه الوجه الرابع هو اختيار أبي مسلم النازعات أيدي الغزاة أو أنفسهم تنزع القسي بإغراق السهام والناشطات
السهام الخارجة من أيديهم أو أنفسهم والسابحات الخيل العاديات أو الإبل والمدبرات بمعنى المعقبات لأنها تأتي في أدبار هذه الأفعال بأمر الغلبة والنصر
قال جار الله يوم ترجف منصوب بجواب القسم المحذوف وهو لتبعثن وقوله تتبعها حال ثم أورد على نفسه أن هذا يوجب أن يكون البعث عند النفخة الأولى
وأجاب عنه بأنهم يبعثون في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان كما يقال رأيته عام كذا وإنما رأيته في ساعة منها والراجفة الرادفة التي ترجف عندها الأرض
والجبال وهي النفخة الأولى فهي من الإسناد المجازي والرادفة رجفة أخرى تتبع الأولى فيضطرب الأرض لإحياء الموتى كما اضطربت في الأولى لموت الأحياء
وقد ورد في الحديث أن بين النفختين أربعين عاما ويروى أن الله تعالى يمطر الأرض في هذه الأربعين ويصير ذلك الماء عليها كالنطف فيكون سببا في الإحياء
والله تعالى أن يفعل ما يشاء وقيل الراجفة هي النفخة الأولى والرادفة هي قيام الساعة من قوله تعالى عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وقيل
الراجفة الأرض والجبال من قوله يوم ترجف الأرض والجبال والرادفة السماء والكواكب لأنها تنفطر وتنتثر على إثر ذلك وقيل الراجفة هي الأرض تتحرك
وتتزلزل والرادفة زلزلة ثانية تتبع الأولى حتى تنقطع الأرض وتفنى وقال أبو مسلم بناء على تفسيره الذي ذكرنا عنه أن كلا من الراجفة والرادفة هي خيل
المشركين وأريد بهما طائفتان من المشركين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسبقت إحداهما الأخرى والقلوب الواجفة هي القلقة والأبصار
الخاشعة هي أبصار المنافقين وعلى الأقوال القلوب الموصوفة مبتدأ وقوله أبصارها خاشعة خبره وفي الكلام إضمار أي أصحابها خاشعة بدليل قوله يقولون
أإنا لمردودون في الحافرة أي في الحالة الأولى يعني الحياة وأصله من قولهم رجع فلان في حافرته أي طريقته التي جاء فيها فحفرها أي أثر فيها بمشيه حفرا فالطريقة في
الحقيقة محفورة إلا أنها سميت حافرة على الإسناد المجازي أو على وتيرة العيشة أي ذات حفر كما قلنا في عيشة راضية وتجوز كرة خاسرة كما يجيء ثم ازدادوا
في الإنكار مع الإشارة إلى وجه الإحالة قائلين أئذا كنا عظاما نخرة وقرئ ناخرة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر مثل حذر وحاذر وهو الأجوف البالي الذي
تمر فيه الريح فيسمع له نخير وهما لغتان فعيل لأن النخرة إن كان أبلغ في المعنى إلا أن الناخرة بالألف أشبه بأخواتها من رؤوس الآي ثم أخبر أنهم قالوا على
الاستهزاء تلك إذا كرة أي إذا حشرنا بردة ورجع كرة خاسرة ورجعة ذات خسران لأنا كذبنا بها ثم ألجمهم بقوله فإنما هي زجرة أي لا تحسبوا تلك الكرة
صعبة على الله عز وجل فإنما هي صيحة واحدة يقال زجر البعير إذا صاح عليه وهي صيحة إسرافيل في النفخة الثانية يروى أنه تعالى يحييهم في بطون الأرض فيسمعونها
فيقومون والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن سالكها لا ينام خوف الهلاك أو لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة
أي جارية والأظهر أنها أرض الآخرة وقيل هي أرض الدنيا ثم ذكرهم بقصة موسى لأنه أشهر الأنبياء المتقدمين معجزة وفيها تسلية للنبي صلى الله عليه وعلى آله
وسلم كأن أكثر جمعا وأشد قوة من كفار قريش والوادي المقدس المبارك المطهر وطوى اسم واد بالشام عند الطور وقد مر في طه قوله هل لك إلى
أن تزكى وخبر مبتدأ محذوف أي هل لك حاجة أو ميل أو التفات ونحو ذلك وهذه كلمة جامعة لموجب التكاليف لأن المكلف لا يصير زكيا إلا بالتخلية
عن كل ما لا ينبغي ويجوز أن يكون التزكي إشارة إلى تطهير النفس عن النقوش الفاسدة وقوله وأهديك إشارة إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة التي أولها
وأفضلها التوحيد المرتب عليه الخشية التي هي منشأ جوامع الخيرات ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل وعن بعض
الحكماء اعرفوا الله فمن عرفه لم يقدر أن يعصيه طرفة عين ثم هنا إضمار كأنه قال فذهب موسى إلى فرعون فقال له ما أمره فلم يصدقه فرعون وجحد نبوته
فأراه وفي ابتداء المخاطبة بالاستفهام الذي معناه العرض من التلطف والمداراة ما لا يخفى فهو كقوله في طه فقولا له قولا لينا والآية الكبرى العصا
أو اليد أو هما كما مر في طه فكذب بالقلب وعصى باللسان أو فكذب بالمعجز إلى السحر وعصى بإظهار التمرد والطغيان ثم أدبر أي أعرض عن الإيمان يسعى في المكر والحيل في دفع
موسى أو تولى عن موسى إظهارا للعجز وجوز أن يكون أدبر موضوعا مكان أقبل كما يقال أقبل فلان يفعل كذا بمعنى طفق يفعل كذا عن الإقبال بالإدبار إظهارا
لخبثه وللقصد القبيح عليه ومعنى الفاء في فكذب أنه لم يلبث عقيب رؤية الآية الكبرى بأن بادر بالتكذيب والعصيان فحشر أي جمع السحرة وجنوده ثم أقام فيهم
أو نادى في الجمع بنفسه أو أمر مناديا فنادى في الناس فقال أنا ربكم الأعلى قيل فما ادعى هذه المرتبة فإن العرب من الجبهة مع ادعاء الربوبية محال الاجتماع وكذا السعاية والكيد في الناس فحشر فنادى وقد جمع السحرة وقيل قام فيهم خطيبا فقال ما قال والتقب نكال الآخرة على أنه مصدر مؤكد كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى
في المقام الذي اجتمعوا فيه معه أو مرسلا وقيل قام فيهم خطيبا فقال ما قال وانتصب نكال الآخرة على أنه مصدر مؤكد كأنه قيل نكل الله به نكالا وهو مصدر
كالتنكيل مثل السلام والتسليم قال الحسن وقتادة عذاب الآخرة الإحراق وعذاب الأولى الإغراق وقيل الآخرة والأولى صفتان لكلمتي فرعون ثم اختلفوا فعن
مجاهد والشعبي وسعيد بن جبير ومقاتل ورواية عطاء والكلبي عن ابن عباس أن كلمته الأولى ما علمت لكم من إله غيري وكلمته الآخرة أنا ربكم الأعلى وبينهما أربعون
أو عشرون سنة وفيه دليل على أن الله تعالى يمهل ولا يهمل وذكر قوم واستحسنه القفال أن كلمته الأولى تكذيب موسى حين أراه الآية والأخرى هي قوله أنا ربكم الأعلى
ولكن يحسن في الحكمة أن كلمته الأولى هي قوله أنا ربكم والأخرى هي وصفه بالأعلى فإنه لو اقتصر على الأولى لم يكن كفرا بدليل قول يوسف ارجع إلى ربك وهو في
الحسن هو أن كلمته الأولى وصفه بالأعلى صار كفرا فأخذه الله بالأول والآخر قال الإمام فخر الدين الرازي إن العاقل لا يشك في نفسه أنه ليس خالق السموات
والأرض وما بينهما فالوجه الثاني أن يقال إن فرعون كان دهريا منكرا للصانع والحشر والجزاء فكان يقول ليس لأحد عليكم أمر ولا نهي سواي فأنا ربكم بمعنى
مربيكم والمحسن إليكم وأقول كأن نسبة الإنسان خلق العالم إلى نفسه يوجب الحكم عليه بالجنون ومخالفة العقل فالقول بنفي الصانع ونسبة وجود الأشياء
إلى ذواتها مع تغيرها في أنفسها يوجب الحكم عليه بعدم العقل فما الفرق بين الأمرين وأي استبعاد في ذلك وقد قال عز من قائل إن الإنسان ليطغى أن
رآه استغنى وسكر الغفلات أشد من سكر الخمر فإن المثل من الخمر يرجى صحوه والثمل من شراب حب المال والجاه الشامخ من خيال حال الرياسة قلما
يرجى إفاقته ثم ختم القصة بقوله إن في ذلك الحديث أو النكال وهو في العرف يقع على ما يقتنع به صاحبه ويعتبر به المعتبر لعبرة لمن يخشى أي يكون من أهل الخشية

لا القسوة

لا القسوة ثم خاطب منكري البعث بقوله أأنتم أشد أي أصعب خلقا أم السماء فنبههم على أمر معلوم بالمشاهدة وهو أن خلق السماء أعظم وأبلغ في القدرة وإذا
كان كذلك كان قادرا على أن يخلق العالم الأكبر يكون على خلق العالم الأصغر وعلى إعادته أقدر ثم بين كيفية خلق السماء فقال بناها وفيه تقرير الأمر المعقول وهو
الإبداع والاختراع بالأمر المحسوس وهو البناء ثم ذكر هيئة البناء فقال رفع سمكها وهو الامتداد القائم على كل من امتدادي الطول والعرض فإذا اعتبر
من السفل إلى العلو يسمى سمكا وإذا اعتبر بالعكس يسمى عمقا وذكر أهل التفسير أن ما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام ولأهل الهيئة طريقة أخرى قد برهنوا عليها
في كتبهم قوله فسواها زعم أصحاب الهيئة أن المراد بهذه التسوية جعلها كرية ولا ضرر في الدين من هذا الاعتقاد وحملها المفسرون على تمام التأليف وعلى نفي
الفطور عنها وأقول من الجائز أن يراد بها جعلها طبقات مترتبة كقوله فسواهن سبع سموات أغطش الظلمة يقال غطش الليل وأغطشه الله ويقال أغطش
الليل يغطش إغطاشا وأظلم وعبر بالضحى عن النهار لأن الضحى أكمل أجزائه في النور والضوء وإنما أضاف الليل والنهار إلى السماء لأنهما بسبب غروب الشمس
وطلوعها الحادثين بسبب الفلك قوله والأرض بعد ذلك دحاها قد مر تفسير الدحو في أول سورة البقرة وأن كلمة ثم وحول الأرض لا ينافي تقدم خلق الأرض
على السماء في قوله هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء قال أهل اللغة دحوت أدحو ودحيت أدحى لغتان وفي حديث علي رضي الله عنه
اللهم داحي المدحيات أي باسط الأرضين السبع وقد روي عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن جريج أن قوله بعد ذلك في معنى مع ذلك كقوله فك
رقبة إلى قوله ثم كان من الذين آمنوا أي كان مع هذا من أهل الإيمان بالله ونصب الأرض والجبال بإضمار دحا وأرسى على شريطة التفسير
قال المفسرون أراد بالمرعى جميع ما يأكل الناس والأنعام فيكون المرعى مستعارا للإنسان ولهذا قال متاعا أي فعل كل ذلك تمتيعا لكم وحين فرغ من دلائل
القدرة على البعث رتب عليه شرح يوم القيامة والطامة الداهية التي لا تطاق من قولهم طم الفرس طميما إذا استفرغ جهده في الجري فإذا وصفت بالكبرى
كانت في غاية الفظاعة ونهاية الشدة وفي أمثالهم جرى الوادي فطم على القرى وهو مفرد وجمعه أقرية وقريان وهي الجداول والأنهار وأصل الطم
الدفن والعلو وكل ما غلب شيئا وقهره وأخفاه فقد طمه وقيل الطامة النفخة الثانية من الحشر وقيل الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار
إلى النار قال جار الله يوم يتذكر بدل من إذا جاءت لأنه إذا رأى أعماله مدونة مكتوبة تذكرها وكان قد نسيها قوله وبرزت الجحيم لمن يرى كقولهم قد بين الصبح
لذي عينين وهو مثل في الأمر المنكشف الذي لا يخفى على أحد فهو يكون استعارة ولا يجب أن يراه كل أحد لأن الأخبار إنما وقع عن كونها بحيث لا تخفى على ذي بصر
لا عن وقوع الأبصار وقيل أراد أنها برزت الجحيم ليراها كل من له بصر وعلى هذا يجب أن يراها كل أحد إلا أن المؤمنين يمرون عليها كالبرق الخاطف والكافرون
يبقون فيها فكأنها برزت لأجلهم فقط وبهذا الاعتبار قال في موضع آخر وبرزت الجحيم للغاوين قوله طغى إشارة إلى فساد قوته النظرية فإن من عرف الله بالكمال
عرف نفسه بالنقصان فلم يصدر عنه الطغيان وقوله وآثر الحياة الدنيا رمز إلى اختلال القوة العملية فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة والألف واللام في المأوى للعهد الذهني
أي مأواه اللائق به ولهذا استغنى عن العائد ولا حاجة إلى تكلف أن الألف واللام بدل من الإضافة وقوله خاف مقام ربه نقيض طغى وقوله ونهى النفس
عن الهوى نقيض قوله وآثر الحياة الدنيا فهذا الشخص إذن كامل في قوتيه النظرية والعملية وتفسير خاف مقام ربه قد مر في سورة الرحمن ونهي النفس ضبطها وتوطينها
على متاعب التكاليف من الأفعال والتروك ثم إن المشركين كانوا يسمعون النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الطامة والحاقة وغيرهما من أسماء القيامة فيسألونه أيان
مرسيها أي زمان إرسائها وهو إقامة الله إياها وقد مر في آخر الأعراف وعن عائشة لم يزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها
حتى نزلت فقوله فيم أنت على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل في أي شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها حرصا على جوابهم إلى ربك منتهى علمها لم يؤته
أحدا من خلقه ويجوز أن يكون قوله فيم أنت من ذكراها من تتمة السؤال أي ما ذلك فيم أنت من العلم بها ويحتمل أن يكون فيم إنكار السؤالهم أي فيم هذا السؤال ثم
قيل أنت من ذكراها أي إرسالك وأنت آخر الرسل وخاتم الأنبياء ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فلا حاجة إلى الاستفهام عن وقتها بعد العلم
باقترابها فإن هذا القدر من العلم كفى في وجوب الاستعداد لها بل لا يتم الغرض من التكليف إلا بإخفاء وقتها كالموت إنما أنت منذر لا تتعداه إلى علم الغيب
إلا العلم بالساعة جزءا منه وخص الإنذار بأهل الخشية لأنهم المنتفعون بذلك ثم أخبر أنهم حين يرون الساعة يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور روى
عطاء عن ابن عباس أن الهاء والألف صلة والمعنى لم يلبثوا إلا عشية أو ضحى وقال النحويون فيه إضمار والتقدير إلا عشية أو ضحى يوم تلك العشية على أن الإضافة
يكفي في صحتها أدنى ملابسة وهي ههنا اجتماعهما في نهار واحد قال صاحب الكشاف فائدة الإضافة الدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا قلت ولعلنا
أن هذه الفائدة مفهومة من عبارة القرآن إلا أنها تحصل أيضا بتقدير عدم الإضافة فكأنه لا يصح أن تستند الفائدة إلى الإضافة وحدها فالوجه أن يقال
فائدة الإضافة أن يعلم أن مجموع مدة الدنيا في ظنهم كيوم واحد وزمان لبثهم في الدنيا كساعة منه عشية أو ضحاها نظيره قول القائل ما سرت إلا عشية أو ضحى فإنه لم
منه إلا اليسير في بعض يوم ما وقد يكون العشية من يوم والضحى من يوم آخر ولو قال إلا عشية وضحاها لم يمكن أن يكون اليسير إلا في أحد هذين الوقتين من يوم واحد
قال بعضهم فائدة الترديد أن زمان المحنة يعبر عنه بالعشية وزمان الراحة يعبر عنه بالضحى فكأنه قيل ما كان عمرنا في الدنيا إلا زمنا يسيرا ملتبسا بمحنة أو راحة ويحتمل أن يقال
إن مبدأ اليوم ليلته كان قبل شرعنا في أكثر الأديان من غروب الشمس وقد صار المبدأ في شرعنا من أول الفجر فكأنهم عينوا وقت التعبير عن بعض اليوم فقالوا
إن كان المبدأ من نصف النهار فنحن لم نلبث إلا عشية وهو ما بعد الزوال إلى الغروب وإن كان المبدأ من أول الفجر فلم نلبث إلا
من الفجر إلى الضحى ولعل هذا هو السر في تقديم العشية على الضحى مع رعاية الفاصلة والله تعالى أعلم بأسرار كلامه

سورة عبس مكية حروفها خمسمائة وثلاثة وثلاثون كلمها مائة وثلاث وعشرون
آياتها ثنتان وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ۝ أن جاءه الأعمى ۝ وما يدريك لعله يزكى ۝
أو يذكر فتنفعه الذكرى ۝ أما من استغنى فأنت له تصدى ۝ وما عليك

الا يزكى ۝ واما من جاءك يسعى وهو يخشى ۝ فانت عنه تلهى ۝ كلا انها تذكرة ۝ فمن شاء ذكره ۝ في صحف مكرمة ۝ مرفوعة مطهرة ۝ بايدي سفرة ۝ كرام بررة ۝ قتل الانسان ما اكفره ۝ من اي شيء خلقه ۝ من نطفة خلقه فقدره ۝ ثم السبيل يسره ۝ ثم اماته فاقبره ۝ ثم اذا شاء انشره ۝ كلا لما يقض ما امره ۝ فلينظر الانسان الى طعامه ۝ انا صببنا الماء صبا ۝ ثم شققنا الارض شقا ۝ فانبتنا فيها حبا ۝ وعنبا وقضبا ۝ وزيتونا ونخلا ۝ وحدائق غلبا ۝ وفاكهة وابا ۝ متاعا لكم ولانعامكم ۝ فاذا جاءت الصاخة ۝ يوم يفر المرء من اخيه ۝ وامه وابيه ۝ وصاحبته وبنيه ۝ لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ۝ وجوه يومئذ مسفرة ۝ ضاحكة مستبشرة ۝ ووجوه يومئذ عليها غبرة ۝ ترهقها قترة ۝ اولئك هم الكفرة الفجرة ۝

[illegible]

[illegible]

سورة التكوير مكية حروفها خمسمائة وثلاثة وثلاثون كلماتها مائة واربع
اياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت ۝ واذا النجوم انكدرت ۝ واذا الجبال سيرت ۝ واذا العشار عطلت ۝ واذا الوحوش حشرت ۝ واذا البحار سجرت ۝ واذا النفوس زوجت ۝ واذا الموءودة سئلت ۝ باي ذنب قتلت ۝ واذا الصحف نشرت ۝ واذا السماء كشطت ۝

وإذا الجحيم سعرت ۝ وإذا الجنة أزلفت ۝ علمت نفس ما أحضرت
فلا أقسم بالخنس ۝ الجوار الكنس ۝ والليل إذا عسعس ۝ والصبح إذا تنفس ۝
إنه لقول رسول كريم ۝ ذي قوة عند ذي العرش مكين ۝ مطاع ثم أمين
وما صاحبكم بمجنون ۝ ولقد رآه بالأفق المبين ۝ وما هو على الغيب بضنين
وما هو بقول شيطان رجيم ۝ فأين تذهبون ۝ إن هو إلا ذكر للعالمين ۝
لمن شاء منكم أن يستقيم ۝ وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين ۝

سورة انفطرت مكية حروفها ثلثمائة وسبعة وعشرون كلمتها ثمانون
آياتها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انفطرت ۝ وإذا الكواكب انتثرت ۝ وإذا البحار فجرت
وإذا القبور بعثرت ۝ علمت نفس ما قدمت وأخرت ۝ يا أيها الإنسان

ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسويك فعدلك في اي صورة ما شاء
ركبك ۞ كلا بل تكذبون بالدين ۞ وان عليكم لحافظين ۞ كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون ۞ ان الابرار لفي نعيم ۞ وان الفجار لفي جحيم ۞
يصلونها يوم الدين ۞ وما هم عنها بغائبين ۞ وما ادريك ما يوم الدين
ثم ما ادريك ما يوم الدين ۞ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ۞

القراءة فجرت بالتخفيف ابن شنبوذ وعن ابي بكر فعدلك مخففا يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل ركبك كلا مدغما ابو عمرو
وقتيبة في رواية عن تكذبون على الغيبة يزيد يوم لا بالرفع ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون بالفتح الوقوف انفطرت ○ لا انتثرت ○ لا
فجرت ○ لا بعثرت ○ لا واخرت ط الكريم ○ لا فعدلك ○ ط بناء على ان الظرف بعده متعلق بركبك ومن خفف فعدلك لم يقف بناء على انه جعل في بمعنى
الى اي فعدلك الى اي صورة شاء ركبك ○ ط بناء على ان كلا تركيد لتحقيق بل من جملة ردعا عن الاغترار لم يقف بالدين ○ لا لاحتمال ما بعده الحال الآيات
والوصل اجوز لان من قرا يكذبون على الغيبة فانه يقف مطلقا لعده ول لحافظين ○ لا كاتبين ○ لا تفعلون ○ نعيم ○ ج جحيم ○ ج لاحتمال ان ما بعده مستانف
او صفة جحيم ○ بغائبين ○ ط لابتداء النفي او الاستفهام الدين ○ لا يوم الدين ○ لا لمن قرا يوم بالنصب اي ذلك في يوم ومن رفعه على انه بدل
من يوم الدين فلا وقف شيئا ○ ط لله ○ انه سبحانه يذكر طرفا اخر من اشراط الساعة في هذه السورة فاولها انفطار السماء اي انشقاقها
كقوله في الفرقان ويوم تشقق السماء بالغمام وكما يجي من قوله اذا السماء انشقت وفيه وكذا في قوله واذا الكواكب انتثرت ابطال قول من يزعم ان الفلكيات
لا تخرق اما الدليل المعقول الذي ذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسيره وهو ان الاجسام متماثلة في الجسمية فيصح على كل واحد منها ما يصح على الباقي لكن السفليات
يصح عليها الانخراق فيصح على العلويات ايضا فغير مفيد ولا مقنع لان الخصم لو سلم المقدمة فله ان ينازع في الوقوع لمانع كالصورة الفلكية وغيرها واما تفجير
البحار فقد فسر بانه يفتح بعضها الى بعض حتى تصير البحار كلها بحرا واحدا وذلك لتزلزل الارض وتصدعها حتى يرتفع الحاجز الذي بين البحار الشرقية وبين البحار
الغربية وقد فسر في الكشاف بزوال البرزخ الذي بين العذب والمالح حتى يختلطا وهو تفسير فاسد نشا من مجرد سماع لفظ ارتفاع البرزخ وعن الحسن
ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عنده كما مر في السورة المتقدمة قال جار الله بعثر وبحثر بمعنى وهما من البعث والبحث
زيد فيهما الراء والمعنى بحثت القبور واخرج موتاها ولا يبعد في التاويل ان يكون بعثرة القبور عين كشف الاسرار والاحوال الخفية ومعنى التقديم والتاخير
قد سبق في القيامة في قوله ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر والمراد جميع اعماله وانما يحصل بالعلم الاجمالي عند الموت اذ في اوائل اشراط الساعة
ثم يزيد شيئا فشيئا الى حين مطالعة صحيفة العمل ولما اخبر عن وقوع الحشر بين ما يدل عليه عقلا فقال يا ايها الانسان هو الكافر المنكر للبعث بدليل ما بعده
لقوله بعد ذلك كلا بل تكذبون بالدين وقد يخص ببعض فروى عن ابن عباس انها نزلت في الوليد بن المغيرة وعن الكلبي ومقاتل نزلت في الاسود بن كلدة
وذلك انه ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فانزل الآية والاقرب انها تتناول جميع العصاة وخصوص السبب لا يقدح في العموم
وههنا سؤال وهو انه تعالى وصف نفسه في هذا المقام بالكرم وهذا الوصف يقتضي الاغترار به حتى قالت الفضلاء من كرم الرجل سوء ادب غلمانه ويحكى
ان مؤيدا في مجلس انوشروان ضحك الخدم فقال انما هيابنا اعداؤنا وعن علي كرم الله وجهه انه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا
هو بالباب فقال له لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه قال الضعيف مؤلف الكتاب اني في عنفوان الشباب رايت فيما يرى
النائم ان القيامة قد قامت وقد دار في خلدي ان الله تعالى لو خاطبني بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي فما ذا اقول ثم الهمني الله تعالى
في المنام ان اقول غرني كرمك يا رب ثم اني وجدت هذا المعنى قد ذكر في بعض التفاسير وعن الفضيل بن عياض انه قال اقول في الجواب غرتني ستورك
المرخاة وهذا ثبت ان الكرم يقتضي ان يغتر بصاحبه فكيف وقع الانكار عليه والجواب من وجهين الاول ان كل كريم فانه حكيم لان ايصال النعم الى الغير لو لم يكن
مبنيا على داعية الحكمة كان تبذيرا لا كرما فكانه سبحانه قال كيف اغتررت بكرمي وكرمي حقيقي صادر عن الحكمة وهي تقتضي ان لا يهمل وان اهمل وان ينتقم للمظلوم
من الظالم ولو بعد حين وان تتعبد الناس لاجل المجازاة حتى يظهر المحسن من المسيء والبر من الفاجر ولا يضيع حقوق الناس والى هذا اصل ان الكرم بالخلق والتسوية
وهي انتصاب القامة وسلامة الاعضاء وبالتعديل وهو تناسبها وجعله مستعدا لقبول الكمالات لا ينبغي ان لا يعيده والى هذا الاول لاجل المجازاة
بل يجب ان يعيده تتميما للنعمة واظهارا للحكمة الثاني ان كرمه السابق بالخلق وغيره لا يوجب كرما لاحقا بالعفو والغفران لجميع المعاصي لان غاية الكرم هي
ان يبتدي بالنعم من غير عوض ولا غرض والكريم اذا ار المنعم عليه بغي وانه تلقاه بالعصيان فليس من الكرم ان يغض عن جرمه بل قد يعد ذلك ضعفا
وذلة ولا سيما اذا كان المامور به هو معرفة المنعم ولهذا روي عن عمر رضي الله عنه غره جهله وعن الحسن غره والله شيطانه الخبيث حتى طمع في كرم اللاحق
لاجل الكرم السابق خصوصا اذا لم يكن ممن حصل له معرفة ربه في الدنيا قال النحويون ما في قوله ما شاء مزيدة قلت وذلك بالنظر الى اصل المعنى والا فهي
مفيدة للتاكيد اي في كل صورة من الصور شاء كقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وانما يقل فيها اي صورة بالفاء العاطفة على نسق ما تقدم
لانها كالبيان لعدلك والجار متعلق بركب اي ركبك في اي صورة اقتضتها حكمته او بمحذوف اي حاصلا في بعض الصور المرادة وجوز جار الله
ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء اي ركبك ما شاء من التراكيب قال الحسن منهم من صورة ليستخدمه
ومنهم من صوره ليشغله بغيره قلت الاولون مظاهر اللطف والجمال والاخرون مظاهر القهر والجلال ثم زجرهم عن الاغترار بقوله كلا وبل حرف
وضع في اللغة لنفي ما تقدم وتحقيق غيره اي ليس الامر كما يقولون من انه لا بعث ولا نشر ولئن فرض فالله كريم غفار للذنوب ولئن قدر انه معاقب
فلعله غير عالم بالجزئيات فكيف يحاسب فنبههم الله تعالى على خطائهم بان تكذيبهم بالجزاء انما وقع في حال تسليط الحفظة عليهم وهذا التكذيب ايضا من
جملة ما يكتبونه او نقول لما ردعهم على الطمع الفارغ والامل المنكر اضرب عنه الى ما هو شر منه وهو انكار الجزاء اصلا وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم

اشارة

64

اشارة الى ان امر الجزاء عند الله تعالى من عظائم الامور قال بعضهم من لم يزجره من المعاصي مراقبة الله كيف يرده عنها الكرام الكاتبون
قلت لا ريب ان الاول اصل والثاني فرع الا ان المكلف لانسه بالمحسوسات وجوده اقرب الى عالم الحس اكثر نكاية وجوده اقرب
الى عالم الارواح ولهذا اكثر نفع الزواجر والروادع في المدينة الفاضلة ثم ذكر فائدة كتابة الحفظة وغايتها فقال ان الابرار الى اخره يحكى ان
سليمان بن عبد الملك مر بالمدينة وهو يريد مكة فقال لابي حازم كيف القدوم على الله غدا فقال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق
يقدم على مولاه فقال فبكى ثم قال ليت شعري ما لنا عند الله فقال ابو حازم اعرض عملك على كتاب الله تعالى قال في اي مكان قال في قوله ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقال جعفر الصادق رضي الله عنه النعيم المعرفة والمشاهدة والجحيم ظلمات الشهوات وقيل اخرون النعيم
القناعة والتوكل والجحيم الطمع والحرص وقال العارفون النعيم الاشتغال بالله والجحيم الاشتغال بما سواه وقوله وما هم عنها بغائبين كقوله
وما هم بخارجين منها او اراد وما كانوا يغيبون عنها قبل ذلك اي في قبورهم فيكون فيه بيان حال البرزخ لتشريح حال المبدا والمنتهى ثم نبه
بقوله وما ادريك مرتين ان يوم الدين مما لا يكتنه شدته وهو الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم تفصيله الا بالوحي وقيل للكافرين ثم وصفه
مجملا بقوله يوم لا تملك الى اخره اي لا ملك ولا تصرف في ذلك اليوم ظاهرا وحقيقة الا له تعالى

سورة المطففين مكية وقيل مدنية حروفها سبعمائة وثلاثون كلمها مائة وتسع وستون
آياتها ست وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ۞ واذا كالوهم
او وزنوهم يخسرون ۞ الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم ۞
يوم يقوم الناس لرب العالمين ۞ كلا ان كتاب الفجار لفي سجين ۞
وما ادريك ما سجين ۞ كتاب مرقوم ۞ ويل يومئذ للمكذبين ۞ الذين
يكذبون بيوم الدين ۞ وما يكذب به الا كل معتد اثيم ۞ اذا تتلى عليه
آياتنا قال اساطير الاولين ۞ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ۞
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ۞ ثم انهم لصالوا الجحيم ۞ ثم يقال هذا الذي
كنتم به تكذبون ۞ كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ۞ وما ادريك ما عليون
كتاب مرقوم ۞ يشهده المقربون ۞ ان الابرار لفي نعيم ۞ على الارائك
ينظرون ۞ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ۞ يسقون من رحيق مختوم ۞
ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ۞ ومزاجه
من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ۞ ان الذين اجرموا كانوا من الذين
امنوا يضحكون ۞ واذا مروا بهم يتغامزون ۞ واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا
فكهين ۞ واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون ۞ وما ارسلوا عليهم
حافظين ۞ فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون ۞ على الارائك
ينظرون ۞ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ۞ صدق الله

بل ران حفص بسكتة لطيفة على بل وقفة يسيرة ومنع ذلك الوصل وقرأ الكوفي غير حفص بالإمالة وحمزة وعلي وخلف
وحماد ويحيى يعرف ببنيا المفعول نضرة بالرفع يزيد ويعقوب فاتمه بألف بعد الخاء معتوحة على الهم الفقيه الكبير لما والمم ابو عمرو وسهل
ويعقوب وقرأ حمزة وعلي وخلف بفتحها ابن ترى بضم ميم الجمع فعلى فكهين مقصورا يزيد وحفص هل ثوب الكفار بالادغام حمزة وعلي وهشام
الوقوف المطففين و لا يستوفون و ز للفصل بين تناقض الحالين ولكن يلزم تفريق الوصفين مع اتفاق الجملتين يخسرون و لاستفهام
عظيم و لا لان التقدير ليوم عظيم في يوم كذا رب العالمين و لان كلا بمعنى الا للتنبيه او حقا
او بمعنى الردع عن التطفيف وكذا اخواتها في السورة سجين و ما سجين و مرقوم و للمكذبين و الدين و
لابتداء ... الاولين و ... يكسبون و لمحجوبون لان ثم لترتيب الاخبار الجحيم و
لاختلاف الجملتين ... مرقوم و لا ... ينظرون و لا
... المتنافسون و تسنيم و لا بناء على ان

[illegible]

سورة الانشقت مكية حروفها اربعمائة واربعة وثلثون كلمها مائة وسبع
آياتها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت ۝ واذنت لربها وحقت ۝ واذا الارض
مدت ۝ والقت ما فيها وتخلت ۝ واذنت لربها وحقت ۝ يا ايها
الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ۝ فاما من اوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ۝ وينقلب الى اهله مسرورا ۝
واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ۝ ويصلى سعيرا ۝
انه كان في اهله مسرورا ۝ انه ظن ان لن يحور ۝ بلى ان ربه كان به بصيرا ۝
فلا اقسم بالشفق ۝ والليل وما وسق ۝ والقمر اذا اتسق ۝ لتركبن طبقا عن طبق ۝
فما لهم لا يؤمنون ۝ واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ۝ بل الذين كفروا
يكذبون ۝ والله اعلم بما يوعون ۝ فبشرهم بعذاب اليم ۝ الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم اجر غير ممنون

القراءة ويصلى ثلاثيا مفتوح العين مبنيا للفاعل ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد وحمزة وعاصم وخلف الباقون يصلى بالتشديد
مبنيا للمفعول لتركبن بفتح الباء للتوحيد والخطاب للانسان ابن كثير وحمزة وعلي وخلف الاخرون بالضم على خطاب افراد الجنس الوقوف
انشقت ۝ لا وحقت ۝ لا مدت ۝ لا وتخلت ۝ لا وحقت ۝ ط لان الجواب محذوف اي اذا كانت هذه الامارات ظهر ما ظهر فملاقيه ج
وقد يقال عامل اذا فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه فلا وقف الى قوله وتخلت وقيل قوله فاما من اوتي الشرط مع
جوابه جواب الشرط الاول وقوله يا ايها الانسان الى قوله فملاقيه اعتراض فلا وقف على فملاقيه بيمينه ۝ لا يسيرا ۝ لا مسرورا ۝ ط ظهره ۝ لا
ثبورا ۝ لا سعيرا ۝ ط مسرورا ۝ ط يحور ۝ ج بلى ج لجواز تعلق بلى بما قبله فيما بعده بصيرا ۝ ط للابتداء بالقسم بالشفق ۝ لا وسق ۝ لا اتسق ۝ لا
طبق ۝ ط لا يؤمنون ۝ لا لا يسجدون ۝ ط سجدة يكذبون ۝ ز للاية والوصل اوجب لان الواو للحال يوعون ۝ ز لا لفاء التعقيب اليم ۝ لا
ممنون ۝ [illegible]

[illegible]

على الشيء مثابرة له لانه كان يريد ان يملك نفسه في طلبه والنفس تمنعه عن ذلك انه كان اي في الدنيا مسرورا في اهله كقوله واذا انقلبوا فاكهين وفيه
ان الفرح في الدنيا يستعقب الغم في الآخرة كقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومن كان في الدنيا حزينا متفكرا في امر الآخرة كان حاله في الآخرة بالعكس والفرح
المنهي هو الذي يتولد من البطر والترفه لا الذي يكون من الرضا في القضاء ومن حصول بعض الكمالات والفضائل النفسية كقوله بفضل الله فبذلك
فليفرحوا ثم بين ان سروره انما كان لاجل ان البعث والنشر لم يكن محققا عنده فقال انه ظن ان لن يحور اي لن يرجع الى الله او الى خلاف حاله من
السرور والنعم عن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اي ارجعي ثم نفى منطوقه بقوله بلى اي بلى يحور وفي قوله
ان ربه كان به بصيرا اشارة الى ان العلم التام باحوال المكلفين يوجب ايصال الجزاء اليهم فلا بد من دار سوى دار التكليف والا كان قدحا في
الحكمة [illegible]

[illegible]

وبعدهم بقوله والله اعلم بما يوعون اي يجمعون ويضمرون في صدورهم من الشرك والعناد والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة فبشرهم على التهكم
وقيل بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ثم صرح بالوعيد قائلا فبشرهم ثم قوله الا الذين امنوا استثناء منقطع عند الزمخشري ولا بأس بكونه متصلا كانه قال
الا من امن منهم فله اجر غير مقطوع او غير من المنة في الكلام وهذا على الاستئناف فلم يحتج الى الفاء ولعل التعقيب في التين فادر والفاء والاستئناف اجمع لله وحده والله اعلم

سورة البروج مكية حروفها اربعمائة وثمانية وخمسون كلمها مائة وتسع
آياتها اثنان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج ۝ واليوم الموعود ۝ وشاهد ومشهود ۝ قتل اصحاب
الاخدود ۝ النار ذات الوقود ۝ اذ هم عليها قعود ۝ وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود ۝ وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد ۝ الذي له ملك
السموات والارض والله على كل شيء شهيد ۝ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات

ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ۝ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ۝ ان بطش ربك لشديد
انه هو يبدئ ويعيد ۝ وهو الغفور الودود ۝ ذو العرش المجيد ۝ فعال لما يريد
هل اتيك حديث الجنود ۝ فرعون وثمود ۝ بل الذين كفروا في تكذيب
والله من ورائهم محيط ۝ بل هو قران مجيد ۝ في لوح محفوظ ۝

سورة الطارق مكية حروفها اثنان واحد وتسعون كلمها اثنان وسبعون
اياتها سبع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق ۝ وما ادريك ما الطارق ۝ النجم الثاقب ۝ ان كل نفس
لما عليها حافظ ۝ فلينظر الانسان مم خلق ۝ خلق من ماء دافق ۝ يخرج من بين الصلب
والترائب ۝ انه على رجعه لقادر ۝ يوم تبلى السرائر ۝ فما له من قوة ولا ناصر ۝
والسماء ذات الرجع ۝ والارض ذات الصدع ۝ انه لقول فصل ۝ وما هو بالهزل ۝
انهم يكيدون كيدا ۝ واكيد كيدا ۝ فمهل الكافرين امهلهم رويدا ۝

[illegible]

نهاية الاعجاز واجل الامهال يوم بدر او يوم القيامة وهذا اولى ليعم التحذير من مثل سيرتهم ويتم الترغيب في خلاف طريقتهم والله اعلم

سورة الاعلى مكية حروفها مائتان واحد وتسعون كلمها ثمانان وسبعون

آياتها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى ۝ والذي قدر فهدى ۝ والذي اخرج المرعى ۝ فجعله غثاء احوى ۝ سنقرئك فلا تنسى ۝ الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ۝ ونيسرك لليسرى ۝ فذكر ان نفعت الذكرى ۝ سيذكر من يخشى ۝ ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ۝ ثم لا يموت فيها ولا يحيى ۝ قد افلح من تزكى ۝ وذكر اسم ربه فصلى ۝ بل تؤثرون الحيوة الدنيا ۝ والاخرة خير وابقى ۝ ان هذا لفي الصحف الاولى ۝ صحف ابراهيم وموسى ۝

فسوى وجمع ايا مما خلق له وكذلك في سورة والشمس والليل والضحى واقرا باسم ربك من قوله ارايت الذي ينهى الى اخر السورة ...

[illegible]

[illegible]

سورة الغاشية مكية حروفها ثلثمائة واحدى وثمانون كلمها اثنتان وتسعون آياتها ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتيك حديث الغاشية ۝ وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا
حامية ۝ تسقى من عين آنية ۝ ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني
من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية ۝ في جنة عالية ۝ لا تسمع فيها لاغية ۝
فيها عين جارية ۝ فيها سرر مرفوعة ۝ واكواب موضوعة ۝ ونمارق مصفوفة ۝
وزرابي مبثوثة ۝ افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ۝ والى السماء كيف رفعت

والى

والى الجبال كيف نصبت ۝ والى الارض كيف سطحت ۝ فذكر انما انت مذكر لست
عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر ۝ فيعذبه الله العذاب الاكبر ۝ ان الينا ايابهم ۝ ثم ان علينا حسابهم ۝

[illegible]

سورة الفجر مكية حروفها خمسمائة وستة وستون كلمها مائة وست وثلثون

آياتها ثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي
حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا
فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد
فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر
عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على
طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا
جما كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا
وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني
قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق
وثاقه احد يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي صدق الله العظيم

او لاعلام على اختلاف الاقوال وجوب الصخرة اى الحجر العظيم قطعه كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا والوادى وادى القرى قاله مقاتل وقيل لفرعون ذو الاوتاد لكثرة جنوده او لتعذيبه الناس بالاوتاد الاربعة وقد مر فى ص صب السوط كناية عن التعذيب المتواتر وفيه اشارة الى ان الدنيا بالنسبة الى عذاب الاخرة كالسوط بالنسبة الى القتل مثلا وقد اشار الى عذاب الاخرة او اليه مع عذاب بقوله ان ربك لبالمرصاد اى يمهل ولكنه لا يهمل والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد والباء بمعنى فى وهو مثل لعدم الاهمال وقيل لبعض العرب اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرا السورة عند المنصور حتى بلغ الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له فى هذا النداء بانه من الجبابرة الذين اوعدوا بها وقال الفراء معناه اليه المصير فيكون وعدا ووعيدا للمومن والكافر قال اهل النظم لما ذكر انه تعالى بالمرصاد من اعمال بنى ادم عقبه بتوبيخ الانسان على قلة اهتمامه بامر الاخرة وفرط تماديه فى اصلاح المعاش كانه قيل نحن مترقبون لمجازاة الانسان على مساعيه فاما هو فانه لا يهمه الا الدنيا وطيباتها فان وجد راحة فرح بها وان مسه ضر قنط وكند والظاهر ان الانسان للجنس وعن ابن عباس انه عتبة بن ربيعة وعن الكلبى هو امية بن خلف ومعنى الابتلاء فى البسط والتضييق هو انه سبحانه تعالى عامل المكلف معاملة المختبر ليظهر انه هل يتلقى النعمة بالشكر والضيق بالصبر ام لا كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وتقدير الكلام فاما الانسان فيقول ربى اكرمن اذا ما ابتليه فاكرمه واما هو فيقول ربى اهانن اذا ما ابتلاه فقدر اى ضيق عليه رزقه فقوله فيقول خبر المبتدا فى الموضعين واذا ما ظرف ليقول وانما قال فى جانب البسط فاكرمه ونعمه اى جعله ذا نعمة وثروة ولم يقل فى طرف القبض فاهانه وقدر عليه لان رحمته سبقت غضبه فلم يرد ان يصرح باهانة عبده ولئلا يكون الكلام نصا فى ان القبض دليل الاهانة من انه قد يكون سببا لصلاح معاش العبد ومعاده واما البسط فهو اكرام فى الظاهر الغالب والبسط لا لاجل الاستدراج قليل وعلى كل تقدير فهو خير من خسران الدنيا والاخرة جميعا وعلام توجه الانكار والذم فيه وجهان احدهما على قوله ربى اهانن فقط لانه سمى ترك التفضل اهانة وقد لا يكون كذلك والثانى على مجموع الامرين لا من حيث مجموعهما بل على كل منهما اما على دعوى الاهانة فكما قلنا واما على دعوى الاكرام فلانه اعتقد حصول الاستحقاق فى ذلك الاكرام كقوله انما اوتيته على علم عندى وكان عليه ان يرى ذلك محض الفضل والعناية منه تعالى او لانه قال ذلك كبرا وافتخارا وتكاثرا او لان هذا القول يشبه قول من لا يرى السعادة الا فى اللذات العاجلة او قول من غفل عن الاستدراج والمكر ويحتمل ان يتوجه الذم على مجموع الامرين من حيث المجموع حتى لو قال فى البسط اكرمنى تحدثا بنعمة الله وفى القبض لم يقل اهانني بل قال الحمد لله على كل حال لم يكن مذموما ثم ردع الانسان عن تلك المقالة بقوله كلا اى لم ابتله بالغنى لكرامته على ولا بالفقر لهوانه لدى ولكنهما محض المشية او على حسب المصالح ثم نبه بالاضراب فى قوله بل لا تكرمون اليتيم على ان هناك شرا من ذلك القول وهو انه يكرمهم بكثرة المال ثم لا يؤدون حق الله فيه عن مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه فنزلت والتراث اصله الوراث نحو تجاه ووجاه واللم الجمع الشديد ومنه كتيبة ملمومة مصدر جعل نعتا اى اكلا جامعا يجمع اجزاءه كقوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا وقال الحسن اى يجمعون نصيب اليتامى الى نصيبهم كقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم وقيل جامعا بين حلال ما جمعه الميت وبين حرامه وقيل جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة اللذيذة والملابس الفاخرة كما يفعل اهل البطالة من الوراث والجم الكثير جم الماء وغيره يجم جموما اذا كثر فهو جام وجم وهى عن التهالك والشره على جمع المال وفى وصف الحب بالجم دلالة على ان حب المال وتعلق القلب بتحصيل الكثرة غير مكروه بل مندوب لبقاء نظام العالم على ان كل السلامة وجل الفراغ فى الترك كما هو شان المتوكلين شعر ان السلامة من ليلى وجارتها ان لا تمر على حال بواديها ولا ينبئك مثل خبير ثم ردعهم عن الفعل المذكور وذكر تحسرهم المفضى فى طاعته يوم القيامة وجواب اذا محذوف بعد صفا صفا او بعد قوله بجهنم ليذهب الوهم كل مذهب اى كان ما كان من الاهوال ثم استانف وقال يومئذ او عطف على ما قبله ويوقف على هذا التقدير على قوله بجهنم ويكون يومئذ الثانية متعلقا بما بعده ويجوز ان يكون اذا منصوبا بيتذكر ويومئذ الثانية بدل منه ومعنى دكا دكا دكا بعد دك كما قيل فى بيت اى كرر عليها الدك حتى صارت هباء منبثا وقال المبرد الدك حط المرتفع بالانخفاض فذهب دورها وقصورها وجبالها وكل ما عليها حتى تصير قاعا صفصفا ولعل هذا الدك بعد الزلزلة قوله وجاء ربك اى امره بالجزاء والحساب وقهره او دلائل قدرته ويجوز ان يكون تمثيلا لهول ذلك اليوم كما اذا حضر الملك بنفسه وبجنوده وكان ذلك اهيب وتنزل ملائكة كل سماء صفا صفا اى مصطفين صفوفا مرتبة يروى انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اشتد على اصحابه فانطلق على كرم الله وجهه فاحتضنه وقبل ما بين عينيه ثم قال يا نبى الله بابى انت وامى الذى حدث اليوم حتى غيرك فتلا عليه الاية فقال له على كيف يجاء بجهنم قال يجاء بها يجرها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع قال الاصوليون معنى جئ بجهنم برزت واظهرت فان جهنم لا تنتقل من مكان قوله وانى له الذكرى اى ومن اين له منفعة الذكرى وانما قدر المضاف احترازا من التنافى والا فلا وجه للاستفهام الانكارى بعد اثبات التذكر ثم فسر التذكر بانه يقول يا ليتنى قدمت خيرا او عملا صالحا لحيوتى هذه وهى حيوة الاخرة او اللام بمعنى الوقت اى وقت حيوتى فى الدنيا وقد يرجح هذا الوجه لان اهل النار لا حيوة لهم فى الحقيقة كما قال لا يموت فيها ولا يحيى ويمكن ان يجاب بان الحيوة المضاهية للموت او التى هى اشد من الموت حيوة ايضا وبان حيوة الاخرة يراد بها البقاء المستمر الدائم وهذا المعنى شامل لاهل النار ولاهل الجنة جميعا قالت المعتزلة فى هذا التمنى دليل واضح على ان الاختيار كان لهم فى الدنيا بيده ويحتمل ان يجاب بان التمنى متمنا وقد يكون من جهة ان الامر فى الدنيا لم يكن اليه فيتحسر على ذلك وقال فى التفسير الكبير فيه دليل على ان قبول التوبة لا يجب عقلا ويرد عليه انه لا يلزم من عدم قبولها فى دار الجزاء عدم قبولها فى دار التكليف كايمان اليأس من قرا لا يعذب ولا يوثق على البناء للفاعل فمعناه على ما قال مقاتل لا يعذب عذاب الله اى مثل عذابه احد من الخلق وضعف ان يوم القيمة لا يعذب احد سوى الله فلا يتصور لهذا النفى فائدة واجيب بان المراد لا يتولى يوم القيمة عذاب الله احد لان الامر يومئذ له وحده وان لا يعذب احد فى الدنيا ولا يوثق مثل عذاب الله الكافر ومثل وثاقه اياه فى الشدة والايلام وقال ابو على الفارسى تقديره ولا يعذب احد من الزبانية احدا مثل عذاب هذا الانسان وهو امية بن خلف ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وفساده ومن قرا على بناء الفعل للمفعول فيهما فظاهر والضمير فى عذابه ووثاقه للانسان بنية ويمكن ان يراد لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الواحدى وهذا اولى الاقوال ثم ذكر بشارة الابرار وهو ان يقول لهم من ذاته او على لسان ملك يا ايتها النفس المطمئنة اى بذكر الله وتحصيل الاخلاق الفاضلة والعقائد الصحيحة التى النفس الساكنة اليها ارجعى الى ربك الى حيث لا مالك سواه او الى ثوابه راضية بما حكم عليك وقدر لك مرضية عند الله نظيره رضى الله عنهم ورضوا عنه وهذه صفة ارباب النفوس الكاملة وان كانوا بعد فى دار التكليف ولهذا رتب على هذه الصفة قوله فادخلى فى عبادى اى فى جملة الصالحين وادخلى جنتى وهى فى الدنيا مقام الرضا والتسليم واذا كانت النفس متحلية بالكمالات الحقيقية والمعارف اليقينية فى حيوتها العاجلة كانت اهلا لهذا الخطاب عند الموت وعند البعث فى كل المواطن الى دخول الجنة وقيل انما يقال لها هذا عند البعث والمعنى فادخلى فى اجساد عبادى يؤيده قراءة ابن مسعود فى جسد عبدى قالوا نزلت فى حمزة بن عبد المطلب او فى خبيب بن عدى الذى صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله تعالى وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يغيرها والظاهر العموم ولو سلم فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والله اعلم صدق الله

سورة البلد مكية وقيل مدنية حروفها مائتان وستة وثلثون كلمها ثمانون آياتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد ۝ وانت حل بهذا البلد ۝ ووالد وما ولد ۝ لقد خلقنا الانسان فى كبد ۝ ايحسب ان لن يقدر عليه احد ۝ يقول اهلكت مالا لبدا ۝ ايحسب ان لم يره احد ۝ الم نجعل له عينين ۝ ولسانا وشفتين ۝ وهديناه النجدين ۝ فلا اقتحم العقبة ۝ وما ادريك ما العقبة ۝ فك رقبة ۝ او اطعام فى يوم ذى مسغبة ۝ يتيما ذا مقربة ۝ او مسكينا ذا متربة ۝ ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ۝ اولئك اصحاب الميمنة ۝ والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشئمة ۝ عليهم نار مؤصدة ۝

القراءات لبدا بالتشديد يزيد فك رقبة او اطعم على صيغة الفعلين ونصب رقبة ابن كثير وابو عمرو وعلى الباقون على المصدرين ناصبا الاول ونونوا الثانى اى هى الفك او الاطعام موصدة بالهمزة ابو عمرو ويعقوب وحمزة وخلف وحفص والمفضل الوقوف البلد لا البلد لا ولد لا كبد ج احد م لئلا يوهم ان ما بعده صفة لبدا ط احد ط عينين لا وشفتين لا النجدين ج للنفى مع الفاء العقبة ط رقبة لا مسغبة لا مقربة لا متربة لا لان ثم لترتيب الاخبار المرحمة ط الميمنة ط المشامة ط موصدة ۝ التفسير انه سبحانه يقرر فى هذه السورة وفى اكثر ما يتلوها من السور مراتب النفوس الانسانية واحوالها فى السعادة وضدها فاكد ذلك بالاقسام بالبلد الحرام وهو مكة التى جعلها الله تعالى منشا كل بركة وخير وقوله وانت حل بهذا البلد اعتراض بين القسمين كانه تعالى عظم مكة من جهة انه صلى الله عليه وسلم حل بها واقام فيها وقيل الحل بمعنى الحلال كانه سبحانه عجب من اعتقاد اهل مكة كيف يؤذون اشرف الخلق فى موضع محرم مع انهم يحرمون ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وقال قتادة وانت حل اى لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت كما جاء فى الحديث ولم تحل الا ساعة من نهار فان كانت السورة مكية او مدنية قبل الفتح فقوله حل بمعنى الاستقبال نحو انك ميت وانهم ميتون وكثيرا ما يرد الافعال المستقبلة فى القران فى صيغ المضى لتحقق الوقوع وان كان حال الفتح او بعده فظاهر وعلى الاول يكون فيه اخبار بالغيب وتقدير الله له فتح مكة كما وعد فيكون تسلية اما الوالد والولد فقيل آدم وذريته لكرامتهم على الله ولقد كرمنا بنى آدم وقيل كل والد ومولود وقد يخص الاقسام بالصالحين لان غير الصالحين لا حرمة لهم اولئك كالانعام بل هم اضل والاكثرون على ان الوالد ابراهيم واسمعيل عليهما الصلوة والسلام والولد محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانه اقسم ببلده ثم بوالده ثم به والتنكير للتعظيم وابهام ما بدل من ولد للفائدة المذكورة فى قوله والله اعلم بما وضعت اى بشئ وضعته وهو مولود عجيب الشان والكبد المشقة والتعب كقوله انك كادح الى ربك كدحا واصله من كبد الرجل فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت ولا تخفى الشدائد التى ترد على الانسان من وقت احتباسه فى الرحم الى انفصاله ثم الى زمان رضاعه ثم الى بلوغه ثم ورود طوارق السراء وبوارق الضراء وعلائق التكاليف وعوائق التمدن والتعيش عليه الى الموت ثم الى البعث من المسائلة وظلمة القبر ووحشته ثم الى الاستقرار فى الجنة او النار من الحساب والعقاب والحيرة والوقوف بين يدى الجبار اللهم سهل علينا هذه الشدائد بفضلك يا كريم ووفقنا لعمل ما يستعقب الخلاص منها الى النعيم المقيم وقيل الكبد مرض القلب وفساد العقيدة والمراد به الذين علم الله من حالهم انهم لا يؤمنون وقيل الكبد هو الاستواء والاستقامة اى خلقناه منتصب القامة وقيل الكبد الغلظ ثم اشتق منه اسم العضو لانه دم غليظ وقد يخص الانسان على هذا التفسير ببعض واحد من بنى جمح يكنى ابا الاشد كان يجعل تحت قدمه الاديم العكاظى ثم يمد من تحت قدميه فيتمزق الاديم ولم يزل قدماه ويعضد هذا التفسير قوله ايحسب يعنى ذلك الانسان الشديد وعلى الاول معناه لن يقدر على دمائه او على تغيير احواله واطواره يقول اهلكت مالا لبدا اى كثيرا بعضه فوق بعض وهو جمع لبدة بالضم كقبد قاله الفراء وعن الزجاج انه مفرد والبناء للمبالغة والكثرة يقال رجل حطم اذا كان كثير الحطم ومن قرا بالتشديد فهو جمع لابد يريد كثرة النفقة فى الجاهلية فوبخه على ذلك بقوله ايحسب ان لم يره احد يعنى انه تعالى كان عالما بقصده وبمن ينفق رياء وافتخارا وحبا للانتساب الى المكارم والمعالى او اعانة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة والظن ان الله لم يره ولا يسائله عن ماله من اين كسبه وفى اى شئ انفقه وقال الكلبى كان كاذبا لم ينفق شيئا فقال الله ايزعم ان الله ما راى ذلك منه ولو كان قد انفق لعلمه الله ثم دل على كمال قدرته مع اشارة الى الاستعداد الفطرى بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما المعقولات ولسانا يعبر به عما فى ضميره وشفتين يستعين بهما على الافصاح بالنطق وهديناه النجدين سبيلى الخير والشر كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا هذا قول عامة المفسرين والنجد فى اللغة المكان المرتفع جعل الدلائل لارتفاع شانهما وعلو مكانهما كالطرق المرتفعة العالية التى لا تخفى على ذوى الابصار وقال الحسن يقول اهلكت مالا لبدا فمن الذى يحاسبنى عليه فقيل الذى قدر على ان خلق لك الاعضاء قادر على محاسبتك وعن ابن عباس وسعيد بن المسيب هما الثديان لانهما كالطريق

لحرمة الولد ورزقه بدين امه الطفل الصغير حتى ارتضعها قال القفال والتفسير هو الاول ثم قرر وجه الاستدلال به فقال ان من قدر على خلق من الماء
المهين قلبا عقولا ولسانا نطوقا فهو على اهلاك ما خلق اقدر فالحجة بالكفر بذلك مع تظاهر نعمه بهذا العلاق في التعزز على الله واوليائه بالمال وانفاقه وهو المعطي والممكن
من الانتفاع به ثم عرف عباده وجوه الانفاق النافعة تعريضا بان ذلك الكافر لم يكن انفاقه في وجه مرضي ومع وجه معتد به لا اجتناء قبول الطاعات
على الايمان الذي هو اصل الخيرات والاقتحام الدخول بشدة ولهذا يستعمل في الاخطار والاهوال والعقبة في الجبل عن ابن عمر هي جبل زلال في جهنم وعن مجاهد
والضحاك هي الصراط يضرب على جهنم وهو معنى قول الكلبي عقبة بين الجنة والنار وزيف الواحدي وغيره هاتين الروايتين بانه من المعلوم ان هذا الانسان
وغيره لم يقتحموا العقبة بهذا المعنى وبان تفسيره سبحانه العقبة عقيبه ينافيه عن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه والشيطان
قال النحويون قلما يوجد لا الداخلة على الماضي الا مكررة كقوله فلا صدق ولا صلى والقرآن افصح الكلام فهو اولى برعاية هذه القاعدة
والجواب ان القرآن حجة كافية ولو سلم فهي مكررة في المعنى قال الزجاج الا ترى انه فسر العقبة بفك رقبة والاطعام وكأنه قيل فلا فك رقبة
ولا اطعم مسكينا ولا سيما في قراءة فك واطعم على الابدال من اقتحم وجعل ما بينهما اعتراضا ويجوز ان يراد فلا اقتحم العقبة ولا امن بدل عليه قوله ثم كان
من الذين امنوا ومن قرأ فك واطعام على المصدرين فالفاعل محذوف وهو من خواص المصدر لا يجوز حذف الفاعل من غيره والتقدير فك ...

[illegible]

سورة والشمس مكية حروفها مائتان وستة واربعون كلمها اربع وخمسون آياتها خمسة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحيها ۝ والقمر اذا تليها ۝ والنهار اذا جليها ۝ والليل اذا يغشيها ۝ والسماء وما بنيها ۝ والارض وما طحيها ۝ ونفس وما سويها ۝ فالهمها فجورها وتقويها ۝ قد افلح من زكيها ۝ وقد خاب من دسيها ۝ كذبت ثمود بطغويها ۝ اذ انبعث اشقيها ۝ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقيها ۝ فكذبوه فعقروها ۝ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ۝ فسويها ۝ ولا يخاف عقبيها ۝ صدق الله العظيم

القراءة

[illegible]

سورة والليل مكية حروفها ثلثمائة وعشرة كلمها احد وسبعون آياتها احدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى ۝ والنهار اذا تجلى ۝ وما خلق الذكر والانثى ۝ ان سعيكم لشتى ۝ فاما من اعطى واتقى ۝ وصدق بالحسنى ۝ فسنيسره لليسرى

وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله
إذا تردى إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم نارا تلظى
لا يصليها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله
يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى

[illegible]

سورة والضحى مكية حروفها مائة واثنتان وسبعون كلماتها أربعون
آياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى
وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى
ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا
فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما
بنعمة ربك فحدث صدق الله العظيم

[illegible]

[illegible]

سورة الم نشرح مكية حروفها مائة وثلث كلماتها سبع وعشرون

آياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك ۝ ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ۝ ورفعنا لك ذكرك ۝ فان مع العسر يسرا ۝ ان مع العسر يسرا ۝ فاذا فرغت فانصب ۝ والى ربك فارغب ۝

الوقوف صدرك ه وزرك ه ظهرك ه ذكرك ه يسرا ه يسرا ط فانصب ه لا فارغب ه

طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان هذه والضحى سورة واحدة وكانا يقرآنهما في الركعة الواحدة من غير فصل بالبسملة والذي دعاهما الى

[illegible]

[illegible]

سورة والتين مكية حروفها مائة وخمسون كلماتها اربع وثلثون

آياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين

[illegible]

[illegible]

سورة العلق مكية حروفها مائتان وثمانون كلماتها اثنتان وسبعون

آياتها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ان الى ربك الرجعى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب صدق الله

[illegible]

من السماء وفي الباء وجهان الاول انها زائدة وتزيف بانه خلاف الاصل وبان معناه حينئذ اذكر اسم ربك فلا يحسن من النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول ما انا بقارئ كما جاء في الحديث وبانه تحصيل الحاصل لانه لم يكن له شغل سوى ذكر الله والثاني وهو الاصح انه نصب على الحال اي اقرأ القرآن مفتتحا او متبركا باسم ربك او هو كقولك ابا الالة وقد مر وجهه في تفسير البسملة وكذا من وجه جعله متعلقا باقرأ الثانية اي استعن باسم ربك واتخذه آلة في تحصيل هذا الذي عسر عليك وقيل هي بمعنى اللام اي اجعل هذا الفعل لله كقولك بنيت الدار باسم الامير وصنفت الكتاب باسم الوزير فالباء قد تجاورت هذا تعالى لم يكن للشيطان فيها نصيب وفي تخصيص الرب بالذكر في هذا الموضع … ان التربية لازم وقد ربيتك منذ كذا فكيف اضيعك بعد هذا فلا تفزع ثم وصف ربه بقوله الذي خلق اطلق الخلق اولا ليتناول كل المخلوقات ثم خص الانسان بالذكر لشرفه … الاية لاجله ويجوز ان يكون الاول منزلا منزلة اللازم … اشارة الى انه لا خالق سواه ولا يتصف بهذا الاسم غيره وحينئذ يستدل به على ابطال مذهب المعتزلة في ان العبد خالق افعال نفسه قال اهل العلم ان الحكيم اذا اراد ابرام … التدريج كما يحكى ان زفر حين بعثه ابو حنيفة الى البصرة لتقرير مذهبه لم يلتفت الى قوله واعرضوا عن سماعه فرجع الى ابي حنيفة واخبره بذلك فقال انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر في المسألة اقاويل الائمة ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر واذكر قولي وحجتي فاذا تمكن ذلك في قلبهم قل هذا قول ابي حنيفة فانهم يقبلونه حينئذ والمقصود من الحكاية ان الله تعالى كانه يقول للنبي هؤلاء عبدة الاوثان والاصنام … شديد فلو خاطبتهم اول مرة وصرحت عن محض الحق ابوا ان يقبلوه فاذكر لهم اولا انهم المخلوقون من العلقة فلا يمكنهم انكاره ثم قل ولا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم ان يضيفوا ذلك الى الاوثان لعلمهم بانهم نحتوها فاذا تامل العقلاء ان من لم يخلق لم يكن الها والعلق جمع العلقة وانما لم يقل علقة لان الانسان في معنى الجمع وفي تكرار اقرأ وجوه اقرأ لنفسك ثم اقرأ للتبليغ او اقرأ في صلاتك ثم اقرأ في خارج صلاتك او الاول للتعلم والثاني للتعليم وهذا قريب من الاول والاوجه ان يراد بالاول الامر بالقراءة ويكون قوله باسم ربك متعلقا باقرأ الثانية كما مر في تفسير البسملة قلت ويمكن ان يكون الاول اشارة الى كونه قارئا بالقوة ولهذا رتب عليه خلق الانسان من علق والثاني اشارة الى كونه قارئا بالفعل ولهذا وصف نفسه بالاكرمية ورتب عليه تعليم الخط والعلم وفضائل الخط كثيرة حتى مدح بالرسائل والاشعار وكفاك في مدحه انه تعالى حين عدد على الانسان نعمة الخلق والصورة وتعديل الاعضاء الظاهرة والباطنة وصف نفسه بالكرم قائلا ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك وحيث من عليه بالخط والتعليم مدح ذاته بالاكرمية فقال معترضا وربك الاكرم الذي علم اي علم الانسان بواسطة القلم وعلمه الكتابة بالقلم يروى ان سليمان عليه السلام سأل عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى فاين قيده قال الكتابة فالقلم صياد يصيد العلوم يبكي ويضحك بركوعه يسجد الانام وبحركته يبقى العلوم على مر الليالي والايام وقوله علم الانسان ما لم يعلم يجوز ان يكون بيانا للاول اي علمه بالقلم ما لم يعلم كقول القائل احسنت اليك ملكتك الاموال وليتك الولايات ويحتمل ان يراد علم بالقلم وعلمه ايضا غير ذلك وفي الاية اشارة الى اثبات العلوم السمعية الموقوفة على النقل والكتابة بل الى اثبات النبوة كما ان اول السورة يدل على الاوصاف الالهية قوله سبحانه كلا ذكر بعض العلماء انه بمعنى حقا لانه ليس قبله ولا بعده شيء يتوجه اليه الردع وقال صاحب الكشاف انه ردع لمن كفر بنعمة الله عليه وطغى وهذا معلوم من الكلام وان لم يذكر وقال مقاتل كلا لا يعلم الانسان انه خلق من علقة وصار عالما بعد ان كان جاهلا وذلك لاستغراقه في حب المال والجاه فلا يتامل في هذه الاحوال ومعنى ان رآه ان راى نفسه فحذف حرف الجر على القياس وحذف النفس لخاصية فعل القلب وهي جواز الجمع بين ضميري الفاعل والمفعول فيه واكثر المفسرين على ان المراد بالانسان ههنا انسان واحد هو ابو جهل ومنهم من يقول الجنس ايات من اول هذه السورة نزلت اولا ثم نزل باقيها في ابي جهل بعد ذلك بزمان فضم اليها وقيل نزلت فيه من قوله ارايت الذي ينهى الى اخر السورة والانسان عام فان قيل لم قال في حق فرعون انه طغى وفي حق ابي جهل ليطغى قلنا انما اخبر بذلك عن فرعون قبل ان يلقاه موسى وقبل ان يعرض عليه الادلة واما هذه فنزلت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حين رده ابو جهل عليه اشنع الرد وايضا ان فرعون مع كمال سلطنته ما كان يؤذي موسى الا بالقول وابو جهل مع قلة جاهه كان يقصد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وفرعون كان قد احسن الى موسى اولا وقال اخرا امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وابو جهل كان يحسد النبي في صباه وقال في اخر عمره … وايضا انهما وان كانا رسولين لكن الحبيب في مقابلة الكليم كاليد في مقابلة العين والعاقل يصون عينه فوق ما يصون يده بل يصون عينه باليد فلهذا كانت المبالغة ههنا اكثر والمراد ان المال ليس سببا للطغيان على الاطلاق ولهذا ذهب جم غفير الى ان الانسان في الاية مخصوص وكيف لا وانه لم يزد سليمان عليه السلام الا تواضعا وعبودية روي انه كان يجالس المساكين ويقول مسكين جالس مسكينا وكان عبد الرحمن بن عوف من كبار الصحابة كثير المال وقال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح ولو انصف العاقل وتامل وجد نفسه في حال الغنى اشد افتقارا الى الله لان الفقير لا يتمنى الا سلامة نفسه والغني يتمنى سلامة نفسه وماله وجاهه وقيل السين في استغنى للطلب والمعنى ان الانسان قد ينسى فضل الرب وعنايته بحاله ان رآه طلب الغنى فنال الغنى بسبب الجد والكد فينسب ذلك الى كفايته لا الى عناية الله ولم يدر انه كم من باذل وسعه في الحرص والطلب لم يحصل الا على خفي حنين وانه تعالى قد يرجع الغني اخر الامر الى حالة الفقر ليتحقق ان ذلك الغنى لم يكن بعقله وكسبه وانما ذلك بحول الله وقوته وههنا نكتة وهي ان اول السورة دلت على فضيلة العلم وبعدها دل على مذمة المال فكفى ذلك مرغبا في العلم ومنفرا عن الدنيا وفي قوله ان الى ربك يا انسان الرجعى اي الرجوع وعيد وتذكير كانه قيل مصيرك الى الله وحيث لا ينفع عنك المال والكسب فاين الحيلة والعصيان والكبر والطغيان يروى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال يقول الله ان شئت فعلنا ذلك ثم لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وروي ان ابا جهل لعنه الله قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رايته لوطئت عنقه فجاءه وهو صلى الله عليه وسلم في الصلوة ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار فنزلت ارايت الذي ينهى عبدا اي اخبرني عن ينهى بعض عباد الله وهذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على وجه التعجب وفيه انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اعز الاسلام بعمر او بابي جهل بن هشام فكانه تعالى قال له يا محمد كنت تظن انه يعز به الاسلام وهو ينهى عن الصلوة التي هي اول اركان الاسلام وكان يلقب بابي الحكم فقيل كيف يليق بهذا اللقب وهو ينهى العبد عن خدمة ربه ويامره بعبادة الجماد وفي تنكير العبد

ليتكلم

ودلالة

ودلالة على التعظيم كانه قال هو عبد لا يكتنه كنه اخلاصه في العبودية ولا يوصف شرح اخلاقه بالكلية يروى ان يهوديا من فصحاء اليهود جاء الى عمر في ايام خلافته وقال اخبرني عن اخلاق رسولكم فقال عمر اطلبه من بلال فهو اعلم به مني ثم ان بلالا دله على فاطمة وهي دلته على علي كرم الله وجهه فلما سأل عليا عنه قال صف لي متاع الدنيا حتى اصف لك اخلاقه فقال اليهودي هذا لا يتيسر لي فقال علي عجزت عن وصف الدنيا وقد حكم الله بقلته حين قال قل متاع الدنيا قليل فكيف اصف اخلاق النبي وقد شهد الله بانه عظيم في قوله وانك لعلى خلق عظيم والحاصل انه سبحانه كانه قال يا اجهل من ينهى اشد الخلق عبودية عن الصلوة ولذم مذموم عند العقلاء روي ان عليا رضي الله عنه راى في المصلى اقواما يصلون قبل صلوة العيد فقال ما رايت رسول الله يفعل ذلك فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل تحت قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي واخذ ابو حنيفة منه هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف ايقول المصلي حين يرفع راسه من الركوع اللهم اغفر لي فقال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي عن الدعاء ويحتمل ان يراد بالتنكير الوحدة كانه قيل ايظن ابو جهل انه لو لم يسجد محمد لي وهو عبد واحد لا احد ساجدا غيره فلي من الملائكة المقربين ما لا يحصيه الا الله وفيه تفخيم شان النبي كانه من شهرته بالعبودية لا يحتاج الى سبق الذكر كقوله اسرى بعبده انزل على عبده وعن الحسن ان الناهي امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة اما الخطاب في قوله ارايت ان كان على الهدى فالاكثرون على انه للنبي ايضا ليكون الكلام كله على نسق واحد قال في الكشاف معناه اخبرني ان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان امرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد او كان على سيرة التكذيب والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد فقوله الذي ينهى مفعول اول لارايت الاول وارايت الثاني تكرار للتاكيد ولطول الكلام وقوله ان كان على الهدى مع ما عطف عليه مفعول ثان له وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب الشرط الثاني وهو قوله الم يعلم ويجوز ان يكون ارايت الثالث ايضا مكررا والجواب الحقيقة هو ما يدل عليه هذه الجملة الاستفهامية كانه قيل ان كان على الهدى او امر بالتقوى او كذب وتولى فان الله مجازيه وقيل ان جواب الشرط الاول شيء يدل عليه سياق الكلام والمراد ارايت ان صار هذا الكافر على حالة الهدى او امر بالتقوى بدل النهي عن عبادة الله اما كان يليق به ذلك وهو رجل عاقل ذو ثروة ففيه تعجيب من حاله انه كيف فوت على نفسه مراتب الكمال واختار بدلها طريقتي الضلال والاضلال وقيل ان الخطاب في ارايت الثاني للكافر كان الظالم والمظلوم عبدان قاما بين يدي مولاهما وهما اللذان حضرا عند الحاكم احدهما المدعي والاخر المدعى عليه فيخاطب هذا مرة وذاك اخرى قال النبي صلى الله عليه وسلم ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ثم التفت الى الكافر وقال ارايت يا كافر ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الدين امر بالتقوى اتنهاه مع ذلك ثم ان كان الخطاب في ارايت الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم فالمعنى ارايت يا محمد ان كذب هذا الكافر فتلك … الواضحة فتولى عن خدمة خالقه … حتى ينتهي فلا تحتاج الى نهيك قال العلماء هذه الاية وان نزلت في حق ابي جهل الا ان كل من نهى عن طاعة فهو شريك في وعيد ابي جهل ولا يرد عليه المنع عن الصلوة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة ومنع المولى عبده وعن قيام الليل وصوم التطوع وزوجته عن الاعتكاف لان ذلك لاستيفاء مصالح اخرى باذن الله وحده ثم ردع ابا جهل عن نهيه او عن عدم علمه باحاطة الله تعالى بجميع الكائنات او عن عزمه على ان يقتل محمدا او يطا رقبته فان محمدا هو الذي يقتله ويطا صدره والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة ومنه سفع الناقة … كانها ياخذ من الجسد بناصيته ويطاطئ رقبته وقد كتب لنسفعن في المصحف بالالف على حكم الوقف لان النون الخفيفة المؤكدة يوقف عليها بالالف واللام في قوله بالناصية للعهد والمراد ولناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار ثم ان هذا السفع لعله ان يكون الى نار الاخرة وهو الظاهر ويحتمل ان يكون في الدنيا كما روي انه عاد الى النهي فمكن الله المسلمين يوم بدر حتى جروه بناصيته يحكى انه لما نزلت سورة الرحمن قال النبي صلى الله عليه وسلم من يقرؤها على رؤساء قريش فتثاقل القوم مخافة اذيتهم فقام ابن مسعود فقال انا فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعلم من ضعفه ثم قال ايقرؤها عليهم فلم يقم الا ابن مسعود فاجلسه ثم قال في الثالثة كذلك فلم يقم الا هو فاذن له فجاء وهم مجتمعون حول الكعبة فقرأ السورة فقام ابو جهل فلطمه فشق اذنه وادماه فانصرف وعينه تدمع فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم رق قلبه واطرق راسه مغموما فاذا جبريل عليه السلام جاء ضاحكا مستبشرا فقال يا جبريل تضحك وابن مسعود يبكي فقال ستعلم فلما كان يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع فخاف ان يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه … هذا معنى قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى اليه بحيلة فلما راه ابو جهل قال يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى ثم قال ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد ابغض الي منه في حال حياتي ولا احد ابغض في حال مماتي فروي انه صلى الله عليه وسلم لما سمع ذلك قال فرعوني اشد من فرعون موسى فانه قال امنت وهو قد زاد عتوا ثم قال لابن مسعود اقطع راسي بسيفي هذا لانه احد واقطع فلما قطع راسه لم يقدر على حمله قال اهل العلم ولعل الحكمة فيه انه خلقه ضعيفا لاجل ان لا يقوى على الحمل لوجوه منها انه كلب والكلب يجر والثاني ليشق اذنه فيقتص الاذن بالاذن والثالث تحقيق الوعد المذكور في قوله لنسفعا فان ابن مسعود لما لم يطقه شق اذنه وجعل الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك ويقول يا محمد اذن باذن لكن الراس ههنا مع الاذن والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية وقد كنى ههنا عن الوجه والراس بالناصية قالوا والسبب فيه ان ابا جهل كان مهتما بترجيل الناصية وتطييبها فلعله الله بقبض المقصود وحين اعرض عن حكم المعبود ثم وصف الناصية بانها ناصية كاذبة خاطئة كذب صاحبها وخطؤه وحين سمى الصادق ساحرا كذابا وحين زعم انه اكثر اهل الوادي ناديا والخاطئ افظع من المخطئ ولهذا قال لا ياكله الا الخاطئون فالخاطئ معاقب والمخطئ لا يكون ماخوذا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا وقوله ناصية بدل الكل من الاول ووجه حسنها كونها موصوفة كما علم من قواعد النحو يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اغلظ في القول لابي جهل وتلا عليه هذه الايات قال يا محمد بمن تهددني واني اكثر هذا الوادي ناديا اي اهل مجلس لاملان عليك هذا الوادي خيلا جردا ورجالا مردا فكذا قال الله سبحانه في تهديده فليدع ناديه سندع الزبانية والزبني كل متمرد من الانس والجن ومنه زبنية تخفيف العفريت وعفرية واصله من الزبن الدفع ولعل كسر الزاء لتغيير النسب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا قال مقاتل هم خزنة جهنم ارجلهم في الارض ورؤسهم في السماء قال قتادة الزبانية الشرط بلغة العرب الى الحرس وقيل هو جمع لا واحد له ثم ردع ابا جهل عن قبائح اقواله وافعاله بقوله كلا وشجع النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا تطعه ثم قال واسجد واقترب اي دم على سجودك وتقرب به الى ربك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد وقيل صل وتوفر على عبادة الله فعلا وابلاغا وقيل اسجد يا محمد واقترب يا ابا جهل وضع قدمك عليه فان الرجل ساجد مشغول بنفسه وهذا تهكم وتعريض بان الله تعالى عاصمه ناصره وحافظه صدق الله العظيم

والنهي عن الصلوة م

الم يعقل ان الله يرى منه هذه الاعمال القبيحة فيعيره اي يجازيه عنها وان كان الخطاب للكافر فالمراد ان كان محمد كاذبا او متوليا الم يعلم ان خالقه يراه صح

كاذبة خاطئة والمراد م

سورة القدر مكية حروفها مائة [illegible] كلماتها ثلثون آياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر ۞ وما ادريك ما ليلة القدر ۞ ليلة القدر خير من الف شهر ۞ تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر ۞ سلام هي حتى مطلع الفجر ۞ صدق الله

[illegible]

الخامسة معنى كون ليلة القدر خيرا من الف شهر ان العبادة فيها خير من الف شهر ليس فيها هذه الليلة وذلك لما فيها من الخيرات والبركات وتقدير
الارزاق والمنافع الدينية والدنيوية وقال مجاهد كان في بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي فعل ذلك الف شهر فتعجب رسول الله والمؤمنون
من ذلك فانزل الله تعالى الاية فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وروي عن مالك بن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اري اعمار الناس فاستقصرها وخاف ان لا يبلغوا من الاعمال مثل ما بلغه سائر الامم فاعطاه الله ليلة هي خير من الف شهر لسائر
الامم وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يستحق اسم العابد حتى يعبد الله الف شهر وذكر القسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال قلت للحسن بن علي يا مسود
وجوه المؤمنين عمدت الى هذا الرجل فبايعته يعني معوية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري في منامه بني امية يطأون منبره واحدا
بعد واحد وفي رواية ينزون على منبره نزو القردة فشق ذلك عليه فانزل الله تعالى انا انزلناه الى قوله خير من الف شهر يعني ملك بني امية
قال القسم فحسبنا ملك بني امية فاذا هو الف شهر لا يزيد ولا ينقص وزيف بان ايامهم كانت مذمومة فكيف تذكر في مقام التعظيم واجيب بانها
كانت ايام عظيمة بحسب السعادات الدنيوية فلا يمتنع ان يقول الله تعالى اني اعطيتك ليلة هي في السعادات الدينية افضل من تلك الايام
في بابها السادسة في الاية بشارة وعظة للمطيعين وتهديد بليغ للعاصين اما الاول فلانه تعالى ذكر ان هذه الليلة خير من الف شهر ولم يبين
قدر الخيرية وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم لمبارزة علي مع عمرو بن ود افضل من عمل امتي الى يوم القيامة فكانه قال هذا كذلك واني اعطي
من اعطيتك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فمن احيى ليلة القدر فكانه عبد الله نيفا وثمانين سنة ومن احياها
كل سنة فكانه رزق اعمارا كثيرة ومن احيا الشهر لينالها بيقين فكانه احيى ثلثين قدرا يروى انه يجاء يوم القيمة بالاسرائيلي الذي عبد الله اربعمائة
سنة ويجاء برجل من هذه الامة وقد عبد الله اربعين سنة فيكون ثوابه اكثر فيقول الاسرائيلي انت العدل وارى ثوابه اكثر فيقول لانكم كنتم تخافون
العقوبة المعجلة فتعبدون وامة محمد كانوا امنين لقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم انهم كانوا يعبدون فلهذا السبب كانت عبادتهم
افضل واما التهديد فلان الظالم لا يخلصه من المظلوم الله وان احيى مائة ليلة من القدر وكذا من كفر ومعصية لله وان كانت بتطفيف حبة
السابعة انه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله اجرك على قدر نصبك ومن المعلوم ان الطاعة في الف شهر اشق من الطاعة
في ليلة واحدة فما التوفيق بين الحديث والاية والجواب ان الفعل الواحد قد يختلف حاله في الحسن والقبح بسبب اختلاف الاعتبارات الشرعية
والعقلية فصلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بكذا درجة لاجل شرف الاجتماع ولو قلت لمن يرجم انما يرجم لانه زان فهو قول حسن ولو قلته
للمعير في قذاف يوجب التعزير ولو قلته للمحصن فهو موجب الحد ولو قلته في حق عائشة رضي الله عنها كان كفرا وبهتانا عظيما وذلك لانه طعن
في كافة المؤمنين لانها ام المؤمنين ... بل طعن في النبي صلى الله عليه وسلم الذي
هو اشرف المخلوقات بل طعن في حكمة الله اذ لا يجوز ان يتركه حتى يتزوج بامرأة زانية فتبين ان الافعال تختلف اثارها في الثواب والعقاب
باختلاف الجهات وبحسب الازمنة والامكنة وذلك من فضل الله وعنايته بمخلوقاته على حسب مشيته وارادته قوله سبحانه تنزل الملائكة يقتضي نزول
كل الملائكة اما الى سماء الدنيا واما الى الارض وهو قول الاكثرين وعلى التقديرين فان المكان لا يسعهم الا على سبيل التناوب والنزول فوجا فوجا كاهل
الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة افواجا وعن كعب ان سدرة المنتهى على حد السماء السابعة وساقها في الجنة واغصانها تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم
عددهم الا الله ومقام جبريل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطي الرافة والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبريل ليلة القدر فلا يبقى بقعة في الارض الا وعليها
ملك ساجد او قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع احدا من الناس الا صافحهم وعلامة ذلك ان يقشعر جلده ويرق قلبه وتدمع عيناه
من قال لا اله الا الله ثلث مرات غفر له بواحدة ونجا من النار بواحدة وادخل الجنة بواحدة واول من يصعد جبريل حتى يصير امام الشمس فيبسط جناحين
اخضرين لا ينشرهما الا تلك الساعة من يوم تلك الليلة ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد الكل ويجتمع نور الملائكة ونور جناح جبريل فيقيم جبريل ومن معه من الملائكة
بين الشمس وسماء الدنيا يومهم ذلك مشتغلين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمؤمنين ولمن صام رمضان احتسابا فيسألونهم عن رجل رجل وعن
امراة امراة حتى يقولوا ما فعل فلان وكيف وجدتموه فيقولون وجدناه عام اول متعبدا وفي هذا العام مبتدعا وفي بعضهم بالعكس فيدعون للاول دون الاخر
ويقولون وجدنا فلانا تاليا وفلانا راكعا وفلانا ساجدا انهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدوا الى السماء الثانية وهكذا يفعلون في كل سماء
حتى ينتهوا الى السدرة المنتهى فيقول لهم السدرة يا سكاني حدثوني عن الناس فان لي عليكم حقا واني احب من احب الله وتقول الجنة اللهم عجلهم
الي والملائكة واهل السدرة يقولون امين وانما دل نزول الملائكة على فضيلة هذه الليلة لان الطاعة لما كانت اكثر كان نزول
الرحمة اوفر والطاعة في حضور الملئكة الذين هم العلماء بالله والعباد له تكون ادخل في الاخلاص واجلب لاسباب القبول والروح
فالاظهر انه جبريل عليه السلام خص بالذكر لزيادة شرفه وقيل ملك يقوم صفا والملائكة كلهم صفا وقيل طائفة من الملائكة لا يراهم غيرهم الا في
هذه الليلة وقيل خلق من خلق الله ياكلون ويلبسون ليسوا من الملئكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل عيسى عليه السلام ينزل في جملة
الملئكة ليطالع امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران وكذلك اوحينا اليك روحا وقيل الرحمة وقيل هم كرام الكاتبين يروى انهم يطالعون
اللوح فيرون فيها طاعة المكلفين بفضله فاذا وصلوا الى معاصيهم ارخى الستر دونها فيقولون سبحان من اظهر الجميل وستر على القبيح فيشتاقون
الى لقائهم فينزلون لذلك ومن فوائد نزولهم انهم يرون في الارض من انواع الطاعات ما لم يروا في سكان السموات ويسمعون انين العصاة
الذي هو احب الى الله من زجل المسبحين فيقولون تعالوا نسمع صوتا هو احب الى ربنا من تسبيحنا ولعل للطاعة في الارض خاصية في هذه الليلة فالملائكة
ايضا يطلبونها طمعا في مزيد الثواب كما ان الرجل يذهب الى مكة لتصير طاعاته اكثر ثوابا وفي قوله باذن ربهم اشارة الى انهم لا يفعلون شيئا
الا باذن الله كقوله وما نتنزل الا بامر ربك وفي قوله ربهم توبيخ للعصاة وتعظيم لشان الملائكة كانه قال كانوا لي فكنت لهم يروى ان داود
في مرض الموت قال الهي كن لسليمان كما كنت لي فنزل الوحي قل لسليمان فليكن لي كما كنت لي وقوله من كل امر اشارة عند الاكثرين الى انهم
نزلوا لاجل كل امر قدر في تلك السنة الى قابل ومعنى العدول من لام التعليل الى من ان السائل كانه يقول من اين جئتم فيقولون مالكم وهذا السؤال
ولكن قولوا لاي امر جئتم لانه حظكم وقيل من كل امر اي من اجل كل مهم بعضهم للركوع وبعضهم للسجود وبعضهم للدعاء وبعضهم للتسليم يروى انهم لا يلقون مؤمنا
ولا مؤمنة الا سلموا عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقدر المقادير في ليلة البراءة فاذا كان ليلة القدر يسلمها الى اربابها وقيل يقدر ليلة البراءة
الاجال والارزاق وليلة القدر الخير والبركة وقيل يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به صلاح معاش المكلف ومعاده ويكتب في ليلة البراءة اسماء من يموت
فيسلم الى ملك الموت ومعنى سلام اي ان هذه الليلة ما هي الا سلامة وخير فاما سائر الليالي فيكون فيها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة سلام الملائكة

[illegible]

سورة لم يكن مكية حروفها ثلثمائة وست وتسعون كلماتها اربع وتسعون

آياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم
البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة ۞ وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ۞ وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة وذلك دين القيمة ۞
ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم
شر البرية ۞ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ۞
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ۞ صدق الله

[illegible]

ولعل

[illegible]

سورة الزلزال مدنية حروفها مائة وتسعة واربعون كلماتها خمس وثمانون

آياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها ۞ واخرجت الارض
اثقالها ۞ وقال الانسان ما لها ۞ يومئذ تحدث
اخبارها بان ربك اوحى لها ۞ يومئذ يصدر الناس
اشتاتا ليروا اعمالهم ۞ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ۞ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

[illegible]

[illegible]

الصانع فانا مع كمال قدرتي وكرمي كيف اصنع ذرتك الله الكريم حسبي صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم

سورة العاديات مدنية وقيل مكية حروفها مائة وثلاثة وستون كلماتها اربعون آياتها احدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا ۝ فالموريات قدحا ۝ فالمغيرات صبحا
فاثرن به نقعا ۝ فوسطن به جمعا ۝ ان الانسان لربه لكنود
۝ وانه على ذلك لشهيد ۝ وانه لحب الخير لشديد ۝ افلا يعلم
اذا بعثر ما في القبور ۝ وحصل ما في الصدور ۝ ان ربهم بهم يومئذ لخبير ۝

[illegible]

[illegible]

كيف لا يكون خبيرا بهم في الابد ويجوز ان يكون سبب التقييد به ان ذلك وقت المجازاة على حسب العلم بالاعمال والاقوال والاحوال

سورة القارعة مكية حروفها مائة واثنان كلماتها ست وثلثون اياتها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ۝ ما القارعة ۝ وما ادريك ما القارعة ۝ يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث ۝ وتكون الجبال
كالعهن المنفوش ۝ فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية
۝ واما من خفت موازينه فامه هاوية ۝ وما ادريك ماهيه ۝ نار حامية ۝

[illegible]

[illegible]

بآويه في النار لانهم يهوون في النار على رؤسهم وقيل الام الاصل والهاوية من اسماء النار لانها نار عميقة والمعنى ومنزله ومأواه الذي يأوي اليه
هو النار ... قوله ما هيه اي ما الهاوية ... والاولون قالوا الضمير للداهية التي يدل عليها قوله فامه هاوية
... قوله نار حامية اشارة الى ان نيران الدنيا بالنسبة الى نار الآخرة غير حامية اعاذنا الله منها

سورة التكاثر مكية حروفها مائة واثنان كلماتها ست وثلثون
آياتها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم

[illegible]

[illegible]

والمشروب وقيل الانتفاع بالحواس السليمة وعن الحسين بن فضل تخفيف الشرائع وتيسير القرآن ...
... ان سؤال الكافر توبيخ لانه عصى وكفر وسؤال المؤمن تشريف ...
ومعنى ثم الترتيب في الاخبار ... ما سلككم ونحو

سورة والعصر مكية وقال المعدل مدنية حروفها ثمانية وستون
كلماتها اربع عشرة آياتها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

الوقوف والعصر لا لفي خسر لا بالصبر التفسير لما بين في السورة المتقدمة ان الاشتغال بامور الدنيا والتكاثر
عليها مذموم اراد ان يبين في هذه السورة ما يجب الاشتغال به من الايمان والاعمال الصالحات ...

[illegible]

بعصر النبي صلى الله عليه وسلم او بزمانه الذي هو عصر نهار الدنيا كما جاء في حديث طويل ونحوه القسم بمكانه في قوله لا اقسم بهذا البلد وبحيوته في قوله
لعمرك وكل ذلك تشريف له وتوبيخ لمن لم يوقره حق توقيره اما اللام في الانسان فاما للعهد ويعني كما روي عن ابن عباس انه اراد جماعة من المشركين
كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وعن مقاتل انه ابو لهب وفي خبر مرفوع انه ابو جهل كانوا يقولون ان محمدا لفي خسار فاقسم
تعالى ان الامر بالضد مما توهموه وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا والاكثرون على ان اللام للجنس ثم ان كان المراد بالخسر الخسران كالكفر والكفران وهو
الهلاك كان المراد جنس الانس على الاطلاق وان كان المعنى بالخسر الضلال والكفر كان المراد جنس الكافر بهذا قال بعضهم وللقائل ان يمنع الفرق وفي الخسر
ان في ان ولام التاكيد وكلمة في وتنكير خسر من المبالغات فكانه اثبت له جهات الخسر كلها والاعظم حرمانه عن جناب ربه قال بعضهم ان الانسان
لا ينفك من خسر لان عمره راس ماله فان افناه في المعصية فخسره وحسرته ظاهران وان
كان مشغولا بالمباحات فكذلك لانه يمكنه ان يعمل فيه عملا يبقى اثره ولذته دائما وان كان مشغولا بالطاعات فلا طاعة الا ويمكن الاتيان بها
على وجه احسن لان مراتب الخضوع والعبادة غير متناهية كما ان جلال الله وجماله ليس لهما نهاية والتحقيق فيه ان الانسان لا يكلف الا بحسب وسعه
وطوقه لا بالنسبة الى نوعه بل بالنسبة الى شخصه فاذا اجتنب المعاصي بقدر الامكان واستعمل المباح بمقدار الضرورة والحاجة واتى بالطاعة
على حسب امكانه لم يسم خاسرا ولكنه لا يكون الا لكمل الاشخاص البشرية فلهذا استثناهم الله تعالى بقوله الا الذين الى اخره وعن بعضهم انه قال في التين لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين فابتدأ من الكمال الى النقصان وقال ههنا لفي خسر الا الذين فعكس القضية لان ذلك مذكور
في احوال البدن وهذا مذكور في احوال النفس قلت ويمكن ان يقال ان كلتا الايتين في شان النفس الا انه اراد في التين ذكر استعداد الفطرة وذكر استعداد الفطرة
وهو كراس المال وههنا اراد حكاية معاملته بعد ما اعطى راس المال ولا ريب ان اكثرهم منهمكون في طلب اللذات العاجلة المضيعة للاستعداد
الاصلي الا الموفقين الموصوفين بالكمال والاكمال وفي ابهام الخسر وتنكيره ثم تبعه الابهام ثم في تفصيل الربح بانه منوط بالايمان والعمل
الصالح والتواصي بالحق وبالصبر دليل على غاية الستر والكرم وان رحمته سبقت غضبه وفي لفظ التواصي دون الدعاء والنصيحة تاكيد بليغ كانه
امرهم به كالوصية وفيه انهم من الذين ماتوا بالارادة عن الشهوات الفانية فيكون امرهم ونصيحتهم بمنزلة قول من اشرف على الوفاة والحق ...
خلاف الباطل ويشمل جميع الخيرات وما يحق فعله وقوله والصبر يشتمل على جميع المناهي فهم بالحقيقة آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر وفي لفظ الصبر اشارة لطيفة ...

سورة الهمزة مكية حروفها ثمانية وستون كلماتها اربع عشرة
آياتها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده
كلا لينبذن في الحطمة وما ادريك ما الحطمة نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة

القراءة جمع بالتشديد ابن عامر ويزيد وحمزة وعلي وخلف عمد بضمتين جمع عماد حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون
بفتحتين جمعا او واحدا في معناه الوقوف لمزة لا بناء على ان الذي وصف ولو كان منصوبا على الذم او مرفوعا على الذم فالوقف
وعدده لا اخلده ج ان وصل وقف على كلا الحطمة ز ما الحطمة ج الموقدة لا الافئدة ط مؤصدة لا ممددة ه التفسير
لما ذكر حكم جنس الانسان في خسرهم عقبه بمثال واحد قال عطاء والكلبي نزلت في الاخنس بن شريق كان يكثر من اعراض الناس ويكثر الطعن
فيهم والتركيب يدل على الكسر ومنه الهمز ومثله اللمز وهو العيب قال تعالى ولا تلمزوا انفسكم وقال ابن زيد الهمز باليد واللمز باللسان وقال
ابو العالية الهمز بالمواجهة واللمز بظهر الغيب وقد يكون كل ذلك سرا بالحاجب والعين وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كانت عادته الغيبة والطعن
وبناء فعلة يدل على ان ذلك كان عادته واما فعلة بسكون العين فهي للمفعول وقال محمد بن اسحق مازلنا نسمع ان السورة نزلت في امية بن خلف
والمحققون على ان خصوص السبب لا ينافي عموم اللفظ ويحتمل ان يكون اللفظ عاما ويدخل فيه شخص معين دخولا اوليا كما تقول لمن اذاك لا ازورك
ابدا فتقول كل من لا يزورني لا ازوره تعريضا به ويسمى في اصول الفقه تخصيص العام بقرينة العرف ولا يخفى ان الهمز واللمز من اقبح
السير فاحشة في حق من هو اجل منصبا واعلى قدرا من كل المخلوقات وهو النبي صلى الله عليه وسلم فلا جرم اوعد بالويل وهو كلمة جامعة
لكل شر وعذاب او هو واد في جهنم وقد تقدم مرارا ثم وصفه بقوله الذي وكانه سبب الهمز واللمز لان الغنى مما يورث الاعجاب والكبر والتشديد
في جمع للتكثير في المفعول يؤيده تنكير مالا وكذا التشديد في عدده ولا يبعد ان يكون التكثير في الفعل ولا ريب ان عد المال من غير ضرورة وضبطه
اشد من المعتاد ويجب للنفس شغلا عن السعادات الباقية وحرصا على الزخارف الدنية وعلى التمتع بتلك الاسباب ولهذا قال يحسب
اي طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته يحسب ان ماله تركه خالدا في الدنيا وقيل عدده اي امسكه وجعله عدة
وذخيرة لحوادث الدهر وقيل اراد بقوله يحسب تشييد البنيان واحكامه بالجص والاجر وغرس الاشجار وعمارة الاراضي عمل من يظن ان ماله ابقاه
حيا او هو تعريض بالعمل الصالح المخلد لصاحبه الاجر الجزيل والثناء الجميل واما المال فبمعزل عن ذلك لانه للحوادث او للوارث وقيل احب
المال حبا شديدا حتى اعتقد انه ان انتقص مال يموت فلذلك يحفظه عن النقصان ليبقى حيا وهذا غير بعيد من اعتقاد البخيل كلا ردع له
عن حسبانه اي ليس الامر كما يظن من ان المال مخلد بل المخلد هو العلم والعمل كما قال علي هلك خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر

عن

عن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان
ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذا تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك قوله لينبذن جواب قسم محذوف او جواب لما في
في معنى القسم والنبذ الطرح وفيه اشعار باهانته وفي قوله في الحطمة وهي النار التي من شانها ان تحطم اي تكسر كل ما يلقى فيها اشارة الى غاية
تعذيبه ويقال للرجل الاكول انه لحطمة ووزنها نعتة لهمزة لمزة فكانه قيل له كنت همزة لمزة فقابلناك بالحطمة وايضا في الحطمة معنى الكسر والهمز
اللماز يكسر الناس بالاغتياب والعيب او ياكل لحمهم كما ياكل الرجل الاكول ثم كان قائلا سال كيف تدرك الحطمة بوصف والمراد
نقيل انك لا تعرف ذلك الوصف ما ادريك ما هذه الحطمة نار الله هي اضافة تعظيم كبيت الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وال
اي تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم تطلع على جنانها وخباياها ولا شيء في الانسان الطف منه ولا اشد تالما ويجوز ان يكون
في تخصيص الافئدة اشارة الى زيادة تعذيب القلب لانه محل الكفر والعقايد الفاسدة وعند اهل التوحيد اذا كانت النار احرامنا لا تليق
انه لا تتالم بها الا الفؤاد الذي هو محل الادراكات والعقايد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا اطلعت على
افئدتهم اي تعلوها وتغلبها انتهت ثم ان الله تعالى يعيد لحمهم وعظمهم مرة اخرى والموصدة المطبقة الابواب اصدت الباب واوصدته
لغتان ومؤصدة عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز ان يراد ان ابواب النار عليهم موصدة وهم حال كونهم
موثقين في عمد معطلة والمقطرة خشبة فيها خروق تدخل فيها رجل المحبوسين اللهم اجرنا منها قال المبرد العمد بفتحتين جمع عمود على غير
واحده واما الجمع على واحده فالعمد بضمتين مثل زبور وزبر ورسول ورسل قال الفراء العماد والعمد كالاهاب والاهب فالتانيث لانه اسم جمع او بناء على الاسطوانة

سورة الفيل مكية حروفها ست وتسعون كلماتها ثلث وعشرون
آياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل
كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم
بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول

الوقوف الفيل لا تضليل لا ابابيل لا سجيل لا ماكول التفسير روي ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي
بنى كنيسة بصنعاء واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فتغوط فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح
فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما وقيل كان معه اثنا عشر فيلا غيره وقيل الف فيل فلما بلغ
قريبا من مكة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا
وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى عليهم طيرا سودا او خضرا او بيضا او بلقا كالخطاطيف على اختلاف الاقاويل مع
كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة قال ابن عباس رأيت منها عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع
الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومرض ابرهة فتساقطت
انامله وارابه ومات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها
وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وعن عائشة رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان قال اهل التاريخ كان ابرهة جد
النجاشي الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين عام الفيل وبين المبعث نيف واربعون سنة وكان قد بقي بمكة
جمع شاهدوا تلك الواقعة وقد بلغت حد التواتر جيئة فاذا ذاك الارهاص لرسول وزعمت المعتزلة انها كانت معجزة لنبي قبله
كخالد بن سنان او قس بن ساعدة ويروى ان ابرهة اخذ لعبد المطلب ماتي بعير فخرج اليه فيها فحبسها وقيل لابرهة هذا سيد قريش و
صاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فعظم في عين ابرهة فلما ذكر
حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم من قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك
فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك والحلال جمع حل وهو الموضع الذي يحل فيه الناس والمحال المماكرة كقوله تعالى وهو شديد المحال
ثم قال شعر يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي
بنجدية ولا تهامية فارسلها كما ذكرنا ثم ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب منها ما صار سبب يساره وبسط ابو سعيد
الخدري عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من اصابته جدرته وهو اول جدري ظهر في الارض ولم يرجع الطير
الا لفظ انما لم يقل الم تعلم اما لان الخطاب لكل راء او لانه صلى الله عليه وسلم كان يعلمه علما كالمشاهد المرئي لتواتره ولقرب عهده
به قال النحويون قوله كيف مفعول فعل لان الاستفهام يقتضي صدر الكلام فيتقدم على فعله بالضرورة ثم ان قوله الم تر وقع على مجموع تلك
الجملة وقال في الكشاف كيف في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام قلت اما قول صاحب الكشاف ففي
غاية الاجمال لان المنصوبات بالفعل انواع شتى وما تحمل غيره فقريب من الاجمال لان المفاعيل خمسة والقول المبين فيه انه مفعول مطلق والمعنى

وذكر استعداد الفطرة

التفسير

كان ابرهة جد النجاشي

فعل اى فعل يعنى فعلا ذا عبرة لاولى الابصار وتقدير الكلام الم تر ربك او الى ربك فعل باصحاب الفيل فعلا كاملا فى باب الاعتبار
لانه خلق الطيور وجعل طبع الفيل على خلاف ما كان عليه واستجاب دعاء اهل الشرك تعظيما لبيته وان اريد بالفعل المفعول لم يبعد ان يكون مفعولا
به كقوله يفعل ما يشاء وفى قوله ربك اشارة الى انى ربيتك وحفظت البيت لشرف قومك وهم كفرة فكيف اترك تربيتك بعد ظهورك بالاسلام
اكثر قومك وفى القصة اشارة الى انى حفظت البيت وهو موضع العبادة افلا احفظ العالم وهو من المسجد كالدرة من الصدف فمن اراد تخريب البيت
وبدنه وكسره ودمرته فالذى هجره وقلة فى العالم وهو المقصود من البيت اولى وههنا يظهر المناسبة بين هذه السورة والتى تقدمه وهذه
القصة تجرى مجرى مثال اخر لخسر الانسان قال بعضهم انما قال اصحاب الفيل ولم يقل ارباب الفيل او ملاك الفيل لان الصاحب
يكون من جنس القوم فكانه اشار الى انهم من جنس البهائم بل هم اضل لان الفيل كان لا يقصد البيت ويقول بلسان الحال لا طاقة لمخلوق فى تخريب
الخالق وانهم لم يفهموا رمزه سوال ابليس ان تخاركه ما ... البيت من الاوثان الم يكن افحش من تخريب الجدران ثم انه تعالى لم يسلط عليهم
الطير الجواب وضع الاوثان فى البيت اضاعة حق الله وتخريب الجدران تعدى على الخلق وانه تعالى يقدم حق العباد على حق نفسه
ولهذا امر بقتل قاطع الطريق والقاتل وان كانا مسلمين ولا يامر بقتل الشيخ الكبير والاعمى وصاحب الصومعة والمراة وان كانوا كفارا
لانه لا يتعدى ضررهم الى الخلق والقول لا نسلم انه تعالى لم يسلط على كفار مكة عذابه لانه ارهبه صلى الله عليه وسلم بقتلهم وسبى ذراريهم ونسائهم
ثم فصل الفعل المذكور المتعجب منه بقوله الم يجعل كيدهم فى تضليل اى فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ومنه قوله امرئ القيس
الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اى ضيعه كادوا البيت اولا ببناء الكنيسة وصرف وجوه الحاج اليها فضلل الله كيدهم بان اوقع الحريق
فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل كيدهم بارسال الطير عليهم ومعنى ابابيل حزائق اى الجماعات فى تفرقة الواحدة ابالة وفى امثالهم ضغث على
ابالة شبهت الطير فى اجتماعها بالابالة وهى الحزمة الكبيرة قاله ابو عبيدة وقيل ابابيل مثل عباديد لا واحد لها والعباديد الفرق الذاهبون فى كل
وجه قاله الاخفش والفراء وقال الكسائى سمعت بعضهم يقولون واحدها ابول كعجول وعجاجيل والتنكير فى طيرا اما للتفخيم لانها كانت طيرا عجائب او
للتحقير لانها كانت صغار الجثة وهذا ادل على كمال القدرة وذكر الواحدى وصفها عن ابن مسعود عن ابن عباس انها كانت لها خراطيم كخراطيم الطير
والكف كاكف الكلاب وفى سجيل اقوال احدها ... من الطين ... وقد مر انه علم لديوان الشر كانه قيل بحجارة من جملة العذاب
المكتوب المدون وجوز فى الكشاف ان يكون اشتقاقه من الاسجال والارسال لان العذاب موصوف بذلك وعن ابن عباس انه
معرب سنك كل وقيل هو طين مطبوخ والعصف ورق الزرع الذى يبقى فى الارض بعد الحصاد وتعصفه الرياح وتاكله المواشى وقال ابو مسلم
هو التبن كقوله والحب ذو العصف والريحان قال الفراء هو اطراف الزرع وقيل هو الحب الذى اكل لبه وبقى قشره والماكول الذى وقع
فيه الاكال اى الدود ونحوه او الذى اكلته الدواب وراثته الا انه جاء على اداب القران كقوله كانا ياكلان الطعام قاله مقاتل وقتادة وعطاء
عن ابن عباس وقيل ماكول حبه كما مر وشبههم بورق الزرع المذكور اشارة الى تدميرهم وتعبيرهم ايادى سبا قالوا ان الحجاج خربوا
البيت ولم يحدث شئ من ذلك واجيب بان قصدهم لم يكن تخريب الكعبة وانما كان شيئا اخر وايضا كان ارسال الطير
عليهم ارهاصا للنبى صلى الله عليه وسلم وبعد تقرير نبوته لم يكن افتقار الى الارهاص صدق الله العظيم

سورة لايلاف مكية حروفها ثلاثة وسبعون كلماتها سبعة عشر
اياتها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ۞ فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ۞

القراءة ليلاف بتخفيف الهمزة الافهم بطرح اليا ... لالاف بطرح اليا ايلافهم باثباتها ابن عامر الباقون باثبات اليا فيهما حمزة يقف بتليين الهمزة
منهم بوزن العلم ... الشتاء ... الوقوف قريش لا والصيف ج لاحتمال تعلق اللام بما قبلها وبما بعدها كما يجى البيت لا
من خوف ه التفسير فى هذه اللام ثلثة اقوال الاول انها لا تتعلق بظاهر وانما هى لام التعجب يقولون لزيد وما صنعنا به اى اعجبوا لعجب امر
من عظيم حلمه وكرمه بهم فانهم كل يوم يزدادون جهلا وانغماسا فى عبادة الاوثان والله تعالى يولف شملهم ويدفع الافات عنهم وينظم اسباب
معاشهم وهذا القول اختيار الكسائى والاخفش والفراء الثانى انها متعلقة بما بعدها وهو قول الخليل وسيبويه والتقدير فليعبدوا رب هذا البيت
لايلاف قريش اى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة واعترافا بها وفى الكلام معنى الشرط وفائدة الفاء وتقديم الجار ان نعم الله لا تحصى فكانه قيل ان لم
يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة والقول الثالث انها متعلقة بالسورة المتقدمة اى جعلهم كعصف ماكول لاجل ايلاف
قريش وهذا لا ينافى ان يكونوا قد اهلكوا لاجل كفرهم ايضا ويجوز ان يكون الاهلاك لاجل الايلاف فقط ويكون جزاء الكفر موخرا الى يوم القيمة ويجوز
ان يكون هذه اللام لام العاقبة وقيل ان متعلق اللام بقوله فعل ربك كانه قال فعلنا بهم من تضليل كيدهم وارسال الطير عليهم حتى تلاشوا انما كان
لاجل ايلاف قريش ولا بعد ان يكون اللام بمعنى الى اى فعلنا كل ما فعلنا مضمومة الى نعمة اخرى وهى ايلافهم الرحلتين تقول نعمة الى نعمة ونعمة لنعمة
قاله الفراء ومما يويد هذا القول الثالث ان ابى بن كعب جعلهما فى مصحفه سورة واحدة بلا فصل وعن عمر رضى الله عنه انه قرأهما فى الثانية من صلوة المغرب
من غير فصل بينهما بالبسملة والمشهور المستفيض هو الفصل بينهما بالبسملة فان لم يكن اللام متعلقة بما قبلها فلا اشكال وان تعلقت بما قبلها من السورة فكم
فيه ان القران كله بمنزلة كلام واحد والفصل بين طائفة طائفة لا يوجب انقطاع احدى الطائفتين عن الاخرى بالكلية ثم ان هولاء قالوا لا يمكن ان

كانت

كانت خالية عن الزرع والضرع وكان اشراف مكة يرحلون للتجارة هاتين الرحلتين ويأتون لانفسهم ولاهل بلدهم بما يحتاجون اليه من الاطعمة والثياب
وان ملوك النواحى كانوا يعظمونهم ويقولون هولاء جيران بيت الله وقطان حرمه فلا يجترى احد عليهم فلو تم لاهل الكعبة ما عزموا عليه من هدم
الكعبة لزال عنهم هذا العز وصار سكان مكة كسكان سائر النواحى يتخطفون ويغار عليهم ولا يتيسر لهم تجارة ولا ربح فلما اهلك الله اصحاب الفيل
ورد كيدهم فى نحورهم ازداد وقع اهل مكة فى القلوب واحترام الملوك لهم فضل احترام وازدادت تلك المنافع والمتاجر قال علماء اللغة
الفت الشئ والفته الفا وايلافا بمعنى اى لزمته وعلى هذا يكون قوله لايلاف قريش من اضافة المصدر الى الفاعل وترك مفعوله الاول
ثم جعل مفعولا ثانيا فى قوله ايلافهم رحلة الا ان المقيد بدل من ذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم المنة فيه واما ان الاول
عام فى كل مؤالفة وموافقة كان منهم فيدخل فيه مقامهم وسفرهم وسائر احوالهم ثم خص ايلافهم الرحلة بالذكر كما فى قوله وجبريل وميكال لانه
قوام معاشهم وفائدة ترك واو العطف التنبيه على انه كل النعمة والالزام ضربان الزام بالتكليف والامر والزام بالمودة والمؤانسة فانه
قد ... المرء شيئا لزمه لقوة الداعى اليه ومنه والزمهم كلمة التقوى كما ان الالجاء قد يكون لدفع الضرر كالهرب من السبع وقد يكون
لجلب النفع العظيم لمن وجد كنزا ولا مانع من اخذه لا عقلا ولا شرعا ولا حسا فانه ياخذه البتة كالملجا وقال الفراء وابن الاعرابى الايلاف
التجهيز والتهيئة والمعنى لتجهيز قريش رحلتيها حتى يتصلا ولا ينقطعا وعلى هذا القول يكون المصدر مضافا الى الفاعل ايضا وقيل الف كذا لزمه وآلفه
غيره اياه فيكون الايلاف متعديا الى اثنين والاضافة فى ايلافهم اضافة المصدر الى المفعول والمعنى ان هذه الالفة انما حصلت فى قريش
بتدبير الله ولطفه وذلك بانهزام اصحاب الفيل واتفقوا على ان قريشا ولد النضر بن كنانة عن معوية انه سال ابن عباس لم سميت قريشا
قال بدابة فى البحر تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وهى التى تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وانشد شعر وقريش هى التى تسكن البحر بها
سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم ودابة القرش وقيل القرش الكسب لانهم كانوا اهل كسب وتجارة يقترفون ذلك وقال الليث
كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم قصى بن كلاب فى الحرم حتى اتخذوه مسكنا فسموا قريشا لان القرش التجمع وتقرش القوم اجتمعوا ولذلك سمى قصى
مجمعا قال بعضهم شعر ابوكم قصى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر وقيل القرش التفتيش قال ابن حلزة شعر ايها الشامخ المقرش
عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء وكانت قريش يفتشون عن حال الفقراء ويسدون خلة المحاويج والرحلة اسم من الارتحال قال الكلبى
كانت لقريش رحلتان رحلة الشتاء الى اليمن لانه ادفى ورحلة الصيف الى الشام وكانت معايشهم قد استقرت على ذلك كما قررنا وقال
اخرون الرحلتان رحلة الناس الى اهل مكة اما فى رجب للعمرة واما فى ذى الحجة للحج وكان احدهما يقع فى الشتاء والاخرى فى الصيف ومواسم
منافع مكة يكون بها فلو كان تم لاصحاب الفيل ما ارادوه لتعطلت هذه المنفعة والتقدير رحلتى الشتاء والصيف او رحلة الشتاء ورحلة الصيف
فاقتصر لامن اللبس وفى قوله فليعبدوا وجهان احدهما ان العبادة مامور بها شكرا لما فعل باعدائهم ولما حصل لهم من ايلافهم الذى صار سببا
لطعامهم وامنهم كما مر وفى قوله من جوع كقولهم سقاه من العيمة وهى شدة التغليبة اى الجوع صار سببا للاطعام وقوله من خوف ... يقال
آمنه الله الخوف ومن الخوف والوجه الثانى ان معناه فليتركوا رحلة الشتاء والصيف وليشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه يطعمهم من جوع
ويومنهم من خوف ولعل فى تخصيص لفظ الرب اشارة الى انا قلنا لابرهة ان للبيت ربا سيحفظه ولم يعولوا فى ذلك على الاصنام فلزمهم
لاقرارهم ان لا يعبدوا سواه كانه يقول لما عولتم فى الحفظ فاصرفوا الى فى الاطعام وجوه احدها ما ذكره مقاتل شق عليهم الذهاب الى اليمن والشام
فى الشتاء والصيف لطلب الرزق فقذف الله تعالى فى قلوب الحبشة ان حملوا الطعام الى مكة حتى خرجوا اليهم بالابل والحمر واشتروا طعامهم من جدة
على مسيرة ليلتين وتتابع ذلك وكفاهم الله مؤنة الرحلتين والثالث قال الكلبى معنى الاية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال
اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجهد فقالوا يا محمد ادع الله فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخصبت اهل مكة فذلك قوله اطعمهم من جوع ووجه المنة بالاطعام مع انه ليس من اصول النعم فى الظاهر انه سبب الفراغ للعبادة وفيه ان البهيمة
تطيع من يعلفها ولا يليق بالانسان ان يكون دون الانعام على انه يندرج فى الاطعام النعم السابقة التى لا يحصل الغذاء الا بعد وجودها كالافلاك
والعناصر وغيرها والنعم اللاحقة التى لا يتم الانتفاع بالاكل الا بها من القوى والالات البدنية والخارجية وفى قوله من جوع اشارة الى
ان فائدة الطعام والغاية منه سد الجوعة لا الاشباع التام واما الامن فهو قصة اصحاب الفيل او تعرض اهل النواحى لهم وكانوا بعد وقعة
اصحاب الفيل يعظمونهم ولا يتعرضون لهم وقال الضحاك والربيع امنهم من خوف الجذام وقيل من ان يكون الخلافة فى غيرهم وفيه تكلف
وقيل اطعمهم من جوع الجهل بطعام الاسلام والوحى وامنهم من خوف الضلال ببيان الهدى وقيل اشارة الى ما دعا به ابراهيم صلوات الله
ورحمته عليه فى قوله رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم فاجاب الله تعالى بقوله ومن كفر والتنكير فى جوع
وخوف للتعظيم فقد روى انه اصابهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة واما الخوف فهو الخوف الشديد الحاصل من اصحاب الفيل
ويحتمل ان يكون المراد التقليل اى اطعمهم من جوع دون جوع ليكون الجوع الباقى مذكرا لما كانوا فيه اولا فيكونوا شاكرين تارة وصابرين اخرى ويستحقوا ثواب الخصلتين

سورة ارايت مكية او مدنية حروفها مائة وخمسة عشر كلماتها خمس وعشرون
آياتها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت الذى يكذب بالدين ۞ فذلك الذى يدع اليتيم
ولا يحض على طعام المسكين ۞ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم

ساهون الذين هم يرآؤن ويمنعون الماعون

الوقوف بالدين ٥ ط لان قوله فذلك كالجزاء لشرط محذوف اى ان لم تعرفه فهو فلان اليتيم لا المسكين ٥ ط للمصلين لا ساهون لا يرآؤن لا الماعون ٥ التفسير هذا سؤال آخر لكون الانسان فى خسر قال ابن جريج نزلت فى ابى سفيان كان ينحر جزورين فى كل اسبوع فاتاه يتيم فسأله لحما فقرعه بعصاه وقال مقاتل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيامة والاتيان بالافعال القبيحة وعن السدى نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى ابى جهل حكى الماوردى انه كان وصيا ليتيم فجاء وهو عريان يسأله شيئا من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فايس الصبى فقال له اكابر قريش استهزاء قل لمحمد يشفع لك فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم والتمس منه الشفاعة وكان صلى الله عليه وسلم لا يرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش

[illegible]

على خلق الله وهذا كمال السعادة نفوزا بها منها والله تعالى اعلم

سورة الكوثر مكية وعن قتادة مدنية حروفها اثنان واربعون كلماتها عشر وآياتها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر

[illegible]

ولست عن ابن شو... فقال الله انا اعطيناك الكوثر وضرب جبريل بجناحيه على الارض فنبع ما الكوثر فتوضأ منها وقيل له عند ذلك فصل وان حمل الكوثر
على الرسالة اعطيتك الرسالة فاشكر لنعمتك وسائر الكل بالطاعات فصل وفي قوله لربك اشارة الى وجوب الاضحى مخالفة عبدة الاوثان
وانما لم يقل لنا سلوكا لطريقة الالتفات وافادة لنوع من التعظيم كقول الخلفاء يرسم امير المؤمنين كذا ولان الجمعية في هذا المقام توهم الاشراك
والعدول الى الوجه ... لو قال لي يقطع النظم ولانه يفيد ان سبب العبادة هو التربية ثم الذين فسروا الصلوة بما عرف في الشرع اختلفوا فالاكثرون
على انها جنس الصلوة والاطلاق للفظ وانما لم يذكر الكيفية لانها معلومة قبل ذلك وقال اخرون انها صلوة عيد الاضحى لاقترانها بقوله وانحر
وكانوا يقدمون الاضحية على الصلوة فامروا بتأخيرها عنها والواو تفيد الترتيب استحبابا وادبا وان لم تفده قطعا وقال سعيد بن
جبير صل الفجر بالمزدلفة وانحر بمنى والمناسبة بين نحر البدن وبين جنس الصلوة ان المشركين كانت صلاتهم وقرابينهم للاصنام فامر بان يكون
صلوته وقربانه لله تعالى ولو كانت النحر واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلث كتبت على ولم يكتب على امتي الضحى والاضحى والوتر
وانما لم يقل فتح ... لان اعز الاموال عند العرب هو الابل فامر بنحرها وصرفها الى طاعة الله تعالى ففي ذلك قطع العلايق الجسمانية

[illegible]

سورة الكافرون مكية حروفها اربعة وتسعون كلماتها ست وعشرون آياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون ۝ لا اعبد ما تعبدون ۝ ولا انتم عابدون ما اعبد ۝ ولا انا عابد ما عبدتم ۝ ولا انتم عابدون ما اعبد ۝ لكم دينكم ولي دين ۝

... عابدون وما اعبد بالامالة قتيبة والحلواني عن هشام ولي دين بفتح الياء نافع غير اسمعيل وحفص والمفضل
وهشام وزمعة عن ابن كثير ديني بالاسكان في الحالين يعقوب وافق سهل وعباس في الوصل الوقوف الكافرون ۝ لا ما تعبدون
۝ لا ما اعبد ۝ لا للتكرار مع العطف عبدتم ۝ لا اعبد ۝ ط دين ۝ التفسير هذه السورة تسمى ايضا سورة المنابذة وسورة الاخلاص
والمقشقشة وورد من قراها فكانما قرا ربع القران فاولها العلماء بان القران فيه مامورات ومنهيات وكل منهما اما ان يتعلق بالجوارح
واما ان لا يتعلق بالجوارح وهذه السورة تتضمن الاصل من المواعظ والقصص وغيرها وهو التزام التكاليف كما قال سبحانه وما خلقت الجن والانس

القسم الثالث اعم المنهي المتعلق بالقلب وكانت التكاليف
كما قال سبحانه وما خلقت ... الخ

[illegible]

سورة النصر مدنية وقيل مكية حروفها سبعة وتسعون كلماتها تسع عشرة آياتها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله والفتح ۝ ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ۝ فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ۝

الوقوف والفتح ۝ لا افواجا ۝ لا واستغفره ط توابا ۝ التفسير السورة المتقدمة اشتملت على نصرة
الله بقوله يا ايها الكافرون وعلى فتح مكة القلب بذكر التوحيد وعلى تسخير جميع القوى البدنية في طاعة خالقها بقوة البراءة من الاديان الباطلة
كلها فقال الله سبحانه نصرتني بجنابك فكان جزاؤه اذا جاء نصر الله وفتحت مكة قلبك فكان جزاؤه وفتح مكة في الظاهر وحركت قواك لطاعة
مجازيناك بدخول الناس في الدين افواجا ثم انك قابل هذه الخلع الثلث بحكم تهادوا تحابوا بثلثة انواع من العبودية ان نصرك فسبح لتنزيهه
بتعلي عن مشابهة المحدثات وتنبيها على انه لا يستحق احد على شيئا واذا فتحت مكة فاحمد لان النعمة تجب مقابلتها بالحمد واذا رايت الناس قد دخلوا
فاستغفر لذنبك وهو الاشتغال بالغير ان يقع من لذة الجاه والقبول وللمؤمنين والمؤمنات لانهم كانوا اكثروا كانت ذنوبهم اكثر فكان
احتياجهم الى الاستغفار اشد وقوله اذا جاء نصر الله معناه لا تذهب الى الفرق الفرعي اليك نظيره زويت لي الارض بل نحن ... الارض
اليك ولا ترحل الا الى مقام قاب قوسين سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ازيد على هذا في نقل فقراء امتك على اغنيائهم ثم امر الاغنياء بالغني بتجديد
عطاياها فاذا بقي الفقراء من غير عطية اشرف الجنة اليهم وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وانا قال في المتقدمة ما اعبد وههنا قال نصر الله اشارة الى
يجب ان لا تذكر اسمه مع الاعداء حتى لا يسبوا ولكن اذكر اسمه مع الاحباب حتى يكرموه والفرق بين النصر والفتح ان الاعانة على تحصيل المطلوب
هو الطريق والفتح هو المقصود ولهذا قدم الاول على الثاني وقيل النصر كمال الدين والفتح الاقبال الدنيوي له ولامته كقوله اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي وقيل النصر هو الظفر على المني في الدنيا والفتح في الاخرة وفتحت ابوابها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا منصورا

[illegible]

تاله لا بل والمعجزات الا ان الغلبة على قريش وعلى اكثر العرب لما حصلت في هذا التاريخ صح التقييد به ثم ان جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس
ذكروا ان الفتح هو فتح مكة الذي هو فتح الفتوح يروى ان فتح مكة كان سنة ثمان ونزول السورة سنة عشر ولم يعش رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد نزولها الا سبعين يوما ولذلك تسمى سورة التوديع وقد اتفق اكثر الصحابة على انها دلت على نعي الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمه
بعض الصحابة منها وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه في الآخرة فاختار لقاء الله قالوا
ومما يدل عليه انه ذكره مقرونا بالنصر وقد كان يجد النصر دون الفتح كبدر والفتح دون النصر كاجلاء بني النضير فانه فتح البلد لكن لم يأخذ القوم
اما يوم فتح مكة فاجتمع له الامران وصار الخلق له كالارقاء حتى اعتقهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم وقف على باب المسجد وقال لا اله الا الله
وحده وصدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم فقالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء
فمر الله بذلك وقيل فتح الطائف وعن ابي مسلم النصر على الكفار وفتح بلاد الشرك على الاطلاق وقيل انشراح الصدر بالخيرات والاعمال
الفاضلة والفتح انفتاح ابواب المعارف والكشوف اما الذين قالوا ان الفتح فتح مكة فكان نزول السورة قبله على ما يدل عليه ظاهر صيغة
اذا فالآية من جملة المعجزات لانها اخبار بالغيب وقد وقع واللام في الفتح بدل من الاضافة كانه قيل وفتح الله قوله ورايت ظاهره انها
رؤية القلب وجوز ان يكون رؤية البصر فيكون يدخلون حالا وظاهر لفظ الناس يقتضي العموم فيجب ان يعد لا كالنسناس قيل هو بن عيينة وقال ابو عمرو
يجعل سالة قيل انهم لما دخلوا في الاسلام بعد فتح طوعا وتقصير كثير لخف استحقوا المدح بانهم الناس وقيل هذا اشارة الى سعة رحمة الله فان العبد
اتى بالكفر والمعصية سبعين سنة فاذا اتى بالايمان في آخر عمره قبل ايمانه كان الرب تعالى يقول ربيته سبعين سنة فان مات على كفره وقع في النار
واحسن اليه في سبعين سنة ويروى ان الملائكة تقول مثل هذا الانسان اتيت وان كنت قد ابيت وعن النبي صلى الله عليه وسلم افرح بتوبة احدكم
من الضال الواجد والظمآن الوارد ويجوز ان يكون المراد بالناس اهل اليمن على ما روي عن ابي هريرة انه لما نزلت السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن
قال جمهور الفقهاء وكثير من المتكلمين ان ايمان المقلد صحيح لانه تعالى حكم بصحة ايمان اولئك الافواج وجعله من اعظم المنن ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا
يعرفون حدوث الاجسام بالدلائل وصفات الكمال ونعوت الجلال ذكره سبحانه منعنا بما نعرفه عن غيرنا ولا ثبوت المعجزات ثم على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ولا وجه دلالة المعجزة على النبوة وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب لا يدي لنا به فقد ظفر باهل مكة وقد كان
اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم بسوء فاخذوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال ولا شك ان هذا القدر مما يفيد غلبة الظن فقط اقول
الجماعة الكثيرة كانت يدخل فيه القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وروي ان جابر بن عبد الله بكى ذات يوم فقيل له ما يبكيك
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا ثم انه امره بالتسبيح ثم بالحمد ثم بالاستغفار
كانه صلى الله عليه وسلم ضاق قلبه عن تأخير النصر كما قال وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فامر بالتسبيح تنزيها له عما لا يليق
بكماله وحكمته وعنايته بخلقه وامر ان يكون التسبيح مقرونا بالحمد لان المقام يستدعي تذكير النعمة وهي الفتح والنصر ودخول الناس في الدين من غير متاع
الجهاد ومؤن القتال ثم امر بالاستغفار كفارة لما عسى ان يبدر او يدور في الخلد من ملاحظة حاله بعين الكمال وكان التسبيح المقرون بالحمد نظرا من الحق
الى الخلق والاستغفار بعكسه وهو التفات من الخلق الى الحق وانما فهمت الصحابة من السورة نعي النبي صلى الله عليه وسلم لان كل كمال فانه يعقبه الزوال
كما قيل شعر اذا تم امر دنا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم ويمكن ان يقال اذا امر بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا ولا يمكن ان الاشتغال بهذه
الاعمال يمنع من الاشتغال باعباء التبليغ واداوها كان هو الطلب عليه من رعاية مصالح الآية فكان هذا كالتنبيه على ان امر الرسالة قد تم وكل بسبب الموت والعزل
روت عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة كان يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك
وفي رواية كان يكثر ان يقول في ركوعه سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية اخرى كان نبي الله صلى الله عليه وسلم في آخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب
ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده فقلت يا رسول الله انك تكثر من قول سبحان الله وبحمده قال اني امرت بها وقرأ السورة وعن ابن مسعود لما نزلت
هذه السورة كان عليه الصلاة والسلام يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وفي الآية تنبيه على ان العاقل اذا قرب
اجله وانذره الشيب اقبل على التوبة والاستغفار وتدارك بعض ما فات في اوان الغفلة والاغترار وفي معنى الباء بحمد ربك وجوه للمفسرين منها ان المراد
قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من صنعه كما يقال شربت العين بالعسل اي خلطتها فشربت المخلوط ومنها ان الباء للحال اي سبحه بواسطة تحميده
لان الثناء يتضمن التنزيه عن النقائص والدليل عليه انه صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة بدأ بالتحميد فقال الحمد لله نصر عبده ومنها ان المراد فسبح حامدا بالحمد لله لانك
لا تأتي في ذلك الجمع بينهما لفظا فاجمعهما نية وقيل سبحه مقرونا بحمد الله على ما هداك الى التسبيح كما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول الحمد لله على الحمد لله وقيل الباء
فيقول اي ائت بالتسبيح بدل الحمد الواجب عليك في مقابلة نعمة النصر والفتح لان الحمد لا حصر له ولا نعد والثناء له لا تحصى وقيل فيه اشارة الى ان
التسبيح والحمد لله امران لا يجوز تأخير احدهما عن الآخر وجوب الاتيان بكل منهما على الفور كالوثبة الى الشفعة وحق الرد بالعيب وحينئذ يقول ان ثبت
الشفعة بروي ذلك المبيع وقيل الباء صلة اي طهر محامد ربك عن النقائص او الرياء وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى ان التربية هي الموجبة للحمد والاستغفار
فان كان لاجل الامة فلا اشكال وان كان لاجل نفسه فاما لاقتدائه او لترك الاولى والافضل او بالنظر الى المرتبة المتجاوز عنها فان السالك يرى
نقصه الاول في كل مرحلة يصل اليها ان يستغفر مما خلفها وفي قوله توابا دون ان يقول غفارا كما في سورة نوح اشارة الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
بل هذه الامة استغفروا فاستغفروا ذنبا واوجب على نفسه قبول توبتهم بخلاف قوم نوح والله اعلم

سورة تبت مكية حروفها احد وثمانون كلماتها ثلث وعشرون
آياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا ابي لهب وتب ۝ ما اغنى عنه ماله وما كسب ۝
سيصلى نارا ذات لهب ۝ وامرأته حمالة الحطب ۝ في جيدها حبل من مسد ۝

القراءات ابي لهب بسكون الهاء ابن كثير سيصلى نارا بضم الياء البرجمي حمالة بالنصب عاصم جيدها بالاشباع الوقوف
وتب ۝ ط كسب ۝ ط لهب ج لاحتمال كون وامرأته مبتدأ خبره حمالة الحطب او في جيدها الى امره واحتمال كونه عطفا على ضمير سيصلى والاوجه
الوصل وامرأته ط لمن قرأ حمالة بالنصب على الذم ويجوز الوقف لمن قرأ بالرفع ايضا على تقدير هي حمالة الحطب ط لمن قرأ حمالة بالرفع ومن قرأ حمالة
بالنصب فله ان يصل ذات لهب بما بعده ويقف على مسد ۝ التفسير لما اخبر عن فتح الولي وهو النبي صلى الله عليه وسلم نبه على ال
حال العدو في الدارين قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتم امره في اول المبعث ويصلي في شعاب مكة ثلث سنين الى ان نزل
قوله وانذر عشيرتك الاقربين فصعد الصفا ونادى يا آل غالب فخرجت اليه غالب من المسجد فقال ابو لهب هذه غالب قد اتتك فما عندك ثم
نادى يا آل لؤي فرجع من لم يكن من لؤي فقال هذه لؤي قد اتتك فما عندك ثم قال يا آل كلاب ثم قال بعده يا آل قصي فقال ابو لهب هذه
قصي قد اتتك فما عندك فقال ان الله امرني ان انذر عشيرتك الاقربين وانتم الاقربون اني لا املك لكم من الدنيا حظا ولا من الآخرة نصيبا
الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد لكم بها عند ربكم فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت السورة وقيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جمع اعمامه وقدم اليهم طعاما في صحفة فاستحقروه وقالوا ان احدنا يأكل الشاة فقال كلوا فشبعوا ولم ينقص من الطعام الا
قليل ثم قالوا فما عندك فدعاهم الى الاسلام فقال ابو لهب ما قال وروي انه قال ابو لهب فما لي ان اسلمت فقال ما للمسلمين فقال افلا افضل
عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وبماذا تفضل فقال تبا لهذا الدين يستوي فيه انا وغيري فنزلت تبت يدا ابي لهب التباب الهلاك كقوله
وما كيد فرعون الا في تباب وقيل الخسران المفضي الى الهلاك وقيل الخيبة وقال ابن عباس لانه كان يدفع القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله انه
ساحر فينصرفون عنه قبل لقائه لانه كان شيخ القبيلة وكان له كالاب فكان لا يتهم فلما نزلت السورة وسمع بها غضب واظهر العداوة الشديدة
فصار متهما فلم يقبل قوله في الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فكانه خاب سعيه وبطل غرضه قالوا ولعله انما ذكر اليد لانه يضرب بيده
على كتف الوافد عليه فيقول انصرف راشدا فانه مجنون ويروى انه اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن طارق المحاربي
انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل خلفه يرميه بالحجارة وقد ادمى
عقبيه ويقول لا تطيعوه انه كذاب فقلت من هذا فقالوا محمد وعمه ابو لهب وقال اهل المعاني اراد باليدين الجملة كقوله ذلك بما قدمت يداك لان
اكثر الاعمال انما تعمل باليد فاليمين كالسلاح واليسار كالجنة فالاولى يجر المنفعة وبالاخرى يدفع المضرة وروي انه صلى الله عليه لما دعا وانذر اتى ابو لهب
بيلا ستاكسنة نوع ليدعو بها كما دعاه فهار فلما دخل عليه قال له اجتني معتقدا في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم امامه كالمحتاج وجعل يدعو الى الاسلام
وقال ان كان بينك العار فاجبني في هذا الوقت وسكت فقال لا ادري بك ادري من هذا الجدي فقال النبي صلى الله عليه وسلم محمدي من اتقاك
انت رسول الله وانطلق لسانه بثنى عليه فاستولى الحسد على ابي لهب واخذ يدي الجدي فرفعه وقال تبا لك اثر فيك السحر فقال الجدي بل تبت
يداك فنزلت السورة على وفق ذلك لتنزيه يدي الجيوان الشاهد بالحق ان الطعن بالصدق وفي ذكر ابي لهب بالكنية الدالة على التعظيم المنبه على شبه
الكذب اذ لم يكن له ولد يسمى لهب وجوه منها ان الكنية قد تصير اسما بالغلبة فلا يدل على التعظيم والا يهام الكذب منتف لانه يريدون بها التفاؤل فان لزم
منه ان يحصل له ولد يسمى لهبا ومنها ان اسمه كان عبد العزى فكان الاحتراز عن ذكره اولى ومنها انه اشارة الى انه من اهل النار كما يقال ابو الخير لمن
يلازمه وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه يا ابا تراب لتراب لصق بظهره وقيل سمي بذلك لتلهب وجنتيه فسماه الله تعالى بذلك
تهكما ورمزا الى مآل حاله في قوله سيصلى نارا ذات لهب قال اهل الخطابة لما لم يقل في اول هذه السورة قل تبت كما قال قل يا ايها الكافرون
لئلا يشافه عمه بما يشتد غضبه رعاية لحرمة وتحقيقا لقوله نادى جهنم من الله لنبيه لهم وايضا ان الكفار في تلك السورة طعنوا في الله بالمحال فجعلهم
على قل يا ايها الكافرون وفي هذه السورة طعنوا في حق محمد فقال الله تعالى اسكت انت فاني اشتمهم تبت يدا ابي لهب وفيه تنبيه على ان الذي
لا يشاف السفيه كان الله ولي عنه وناصرا له يروى ان ابا بكر رضي الله عنه كان يؤذيه واحد فبقي ساكتا فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يذب
عنه ويزجر ذلك المؤذي فشرع ابو بكر في الجواب وسكت الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر ما السبب في ذلك فقال لانك حين كنت
ساكتا كان الملك يجيب عنك فلما شرعت في الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان قال ابو ليث العجب تقان كالنهر والنهر ولكن
الفتح اوجه ولهذا قرأ به اكثر القراء واجمعوا في قوله ذات لهب على الفتح رعاية للفاصلة وفي وقع التكرار على قوله وتب وجوه منها ان الاول دعاء
والثاني اخبار ويؤيده قراءة ابن مسعود وقد تب ومنها ان الاول اخبار عن هلاك عمله لان المرء انما يسعى لمصلحة نفسه باليد والثاني اخبار
عن هلاك نفسه وهو قول ابي مسلم وقيل ان الاول هلاك ماله فقد يقال للمال ذات اليد والآخر هلاك نفسه وهو قول ابي مسلم وقيل
الاول نفسه والثاني ولده عتبة على ما روي ان عتبة بن ابي لهب خرج الى الشام مع ناس من قريش فلما هموا ان يرجعوا قال لهم عتبة بلغوا
محمدا اني كفرت بالنجم اذا هوى وروي انه قال ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفل في وجهه وكان مبالغا في عداوته فقال اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك فوقع الرعب في قلب عتبة وكان يحترز دائما فسار ليلة من الليالي الى قريب من الصبح فقال له اصحابه هلكت الركاب
فما زالوا به حتى نزل وهو مرعوب فاناخ الابل حوله كالسرادق فسلط الله الاسد والقى السكينة على الابل فجعل يتخلل حتى افترسه فقوله تب قبل هذه الوقائع
على عادة اخبار الله تعالى في جعل المستقبل كالماضي المحقق والفرق بين المال والكسب من وجوه احدها ان المال عين رأس المال والمكسوب هو الربح
وثانيها ان المال الماشية والذي كسبه من نسلها وكان صاحب النعم والنتاج وثالثها ان ماله الموروث والذي كسبه بنفسه وعن ابن عباس المكسوب
هو الولد لقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وروي انه لما مات تركه ابناه ثلاث ليال حتى انتن في بيته ثم كانت له خاتمة
قد روا وقال الضحاك وقتادة ما نفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وما الذي ظن انه منها على شيء كقوله وقدمنا
الى ما عملوا من عمل وفي قوله اغنى بلفظ الماضي تأكيد وتحقيق على عادة اخبار الله تعالى وقد زاده تأكيدا بقوله سيصلى نارا ذات لهب وختاما استدل النقية

في وقوع تكليف ما لا يطاق قائلين انه تعالى كلف ابا لهب بالايمان ومن جملة الايمان تصديق الله في كل ما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا يؤمن وانه من اهل النار فقد صار مكلفا بان يؤمن وبان لا يؤمن وهو تكليف بالجمع بين النقيضين واجيب بانه كلف بتصديق الرسول نفعا لا بتصديقه وعدم تصديقه حتى يجتمع النقيضان وغاية ذلك انهم كلفوا بالايمان بعد علمهم بانهم لا يؤمنون وليس فيه الا انتفاء فائدة التكليف لان فائدة التكليف باعلم الله لا يكون هو الابتلاء والزام الحجة وهذا لا يتصور بعد ان يعلم المكلف حاله من امتناع صدور الفعل عنه والتكليف من غير فائدة جائز عندكم لان افعاله تعالى غير معللة بغرض وفائدة على معتقدكم ثم ان امراة ابي لهب ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب عمة معوية كانت في غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمن المفسرين من قال كانت تحمل الشوك والحطب وتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم فلعلها مع كونها من بيت العز كانت خسيسة او كانت لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب لتلقيه في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ثم من هؤلاء من زعم ان الحبل استنه في جيدها فماتت بسبب الاختناق فقوله في جيدها حبل من مسد تحقيق على هذا ان يكون دعاء عليها وقد وقع كما اراد فكان معجزا ومنهم من قال عيرها بذلك تشبيها لها بالحطابات وايذاء لها ولزوجها وعن قتادة انها كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر فعيرها الله بانها كانت تحتطب والاكثرون على ان المراد بقوله حمالة الحطب انها تمشي بالنميمة يقال للمشاء النمام المفسد بين الناس انه يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويقال للمكثار هو كحاطب الليل وقال ابو مسلم وسعيد بن جبير اراد ما حملت من الاثام في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم لانه كالحطب في مصيره الى النار نظيره فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وليحملن اثقالهم يروى عن اسماء انه لما نزلت السورة جاءت ام جميل ولها ولولة وبيدها حجر فدخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه ابو بكر وهي تقول مذمما قلينا ودينه ابينا وحكمه عصينا فقال ابو بكر يا رسول الله قد اقبلت اليك فانا اخاف ان تراك. فقال صلى الله عليه وسلم انها لا تراني وقرأ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فقالت لابي بكر قد ذكر لي ان صاحبك هجاني فقال لا ورب الكعبة ما هجاك قالت العلماء لعل ابا بكر عنى بذلك ان الله تعالى هجاها ولم يهجها الرسول صلى الله عليه وسلم او اعتقد ان القرآن لا يسمى هجاء ثم ان ام جميل ولت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها قال الواحدي المسد في كلام العرب الفتل تقول مسد الحبل يمسده اذا اجاد فتله ورجل ممسود اذا كان مجدول الخلق والمسد بالتحريك ما مسد اي فتل من اي شيء كان كالليف والخوص وجلود الابل او الحديد وقد عرفت معنى قوله في جيدها حبل من مسد على رأي بعض اهل التفسير وقال الآخرون المعنى ان حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها في الدنيا عند النميمة او في الظاهر حين كانت تحمل الحزمة من الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم وفي جيدها حبل من سلاسل النار اعاذنا الله تعالى منها بمنه وكرمه

سورة الاخلاص مكية حروفها سبعة واربعون كلماتها خمسة عشر اياتها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد ۝ الله الصمد ۝ لم يلد ولم يولد ۝ ولم يكن له كفوا احد ۝

القراءات كان ابو عمرو يستحب الوقف على قوله قل هو الله احد واذا وصل كان له وجهان من القراءة احدهما التنوين وكسره والثاني حذف التنوين كقراءة عزير بن الله لاجتماع الساكنين كفوا بالسكون والهمزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل ورويس عن يعقوب وكان حمزة يقف ساكنة الفاء بلينة الهمزة ويجعلها شبه الواو اتباعا للمصحف وقرأ حفص غير الخزاز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا **الوقوف** احد ج لاحتمال ان ما بعده جملة اخرى او خبر آخر الصمد ج لمثل ذلك ولم يولد ج احد ۝

التفسير قد وردت الاخبار الكثيرة بفضل سورة الاخلاص وانها تعدل ثلث القرآن فاستنبط العلماء لذلك وجها مناسبا وهو ان القرآن مع غزارة فوائده اشتمل على ثلاثة معان فقط معرفة ذات الله تعالى وتقديسه ومعرفة صفاته واسمائه ومعرفة افعاله وسنته مع عباده ولما تضمنت سورة الاخلاص احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن وعن انس ان رجلا كان يقرأ في جميع صلوته قل هو الله احد فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله اني احبها فقال حبك اياها ادخلك الجنة واما سبب نزولها فعن ابي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله تعالى هذه السورة وعن عطاء عن ابن عباس قال قدم وفد نجران فقالوا صف لنا ربك أزبرجد ام ياقوت ام ذهب ام فضة فقال ان ربي ليس من شيء لانه خلق الاشياء فنزلت قل هو الله احد فقالوا هو واحد وانت واحد فقال ليس كمثله شيء قالوا زدنا من الصفة فقال الله الصمد فقالوا وما الصمد قال الذي يصمد اليه الخلق في الحوائج فقالوا زدنا فقال لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفوا احد يريد نظيرا من خلقه واشرف هذه السورة سميت باسام كثيرة اشهرها الاخلاص لانه يخلص العبد من الشرك او من النار وقد يقال لها سورة التفريد او التجريد او التوحيد او النجاة او الولاية لان من قرأها صار من اولياء الله او المعرفة لما روى جابر ان رجلا صلى فقرأ قل هو الله احد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا عبد عرف ربه او الجمال لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال ومن كمالات الجميل كونه عديم النظير او الاساس لقوله صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد وهذا قول معقول لان القول بالتثليث يوجب خراب السموات والارض كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فيجب ان يكون التوحيد سببا لعمارة العالم وقد تسمى سورة النسبة لما روينا انها نزلت عند قول المشركين انسب لنا ربك فكأنه قيل نسبة الله هذا والمانعة لرواية ابن عباس انه تعالى قال لنبيه حين عرج به اعطيتك سورة الاخلاص وهي من ذخائر كنوز عرشي وهي المانعة تمنع فتان القبر ونفحات النيران والمحضرة لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت والمنفرة اي للشيطان والبراءة اي من الشرك وسورة النور لقوله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء نورا ونور القرآن قل هو الله احد قلت وذلك لان الله تعالى نور السموات والارض وكان نور الانسان في اصغر اعضائه وهو الحدقة فنور القرآن في اقصر السور سوى الكوثر ثم ان العلماء اجمعوا على ان الوحدانية

[illegible]

فنزل الى ادون المراتب الانسانية وهم اصحاب الشمال الذين يثبتون مع الله آلهة اخر فوجب التنبيه على ابطال معتقدهم بان الله احد لا شريك له ولا جزء بوجه من الوجوه وبعبارة اخرى هو للاخص واحد للخواص الله الصمد للعوام اما الصمد فقيل انه فعل بمعنى مفعول من صمد اذا قصده اي هو السيد المقصود اليه في الحوائج كما مر في الحديث الوارد في سبب النزول وقيل هو الذي لا جوف له ومنه قولهم لسداد القارورة الصماد مصمد اي صلب ليس فيه رخاوة قال ابن قتيبة يجوز على هذا التفسير ان تكون الدال بدل التاء في مصمت وقال بعض المتأخرين من اهل اللغة الصمد هو الاملس من الحجر لا يقبل الغبار ولا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء ولا يخفى ان هذين المعنيين من صفات الاجسام حقيقة الا ان مقدمة الآية وهي الله احد يمنع من حملها على حقيقتهما لان كل جسم مركب فوجب الحمل على المجاز وهو انه لوجوب ذاته ممتنع التغير في وجوده وبقائه وسائر صفاته ومن هنا اختلفت عبارات المفسرين فعن بعضهم الصمد العالم بجميع المعلومات لان كونه سيدا مرجوعا اليه في قضاء الحاجات لا يتم الا بذلك وعن ابن مسعود والضحاك هو السيد الذي انتهى سؤدده وقال الاصم هو الخالق للاشياء لان السيد الحقيقي هو هو وقال السدي هو المقصود في الرغائب المستغاث عند المصائب وقال الحسين بن الفضل هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقال قتادة لا ياكل ولا يشرب وهو يطعم ولا يطعم وعن جعفر الصادق انه يغلب ولا يغلب وسائر عباراتهم كلها متقاربة تدور حول ما ذكرنا سؤال لم جاء الخبر ههنا معرفا وفي قوله الله احد منكرا الجواب لانه كان معلوما عندهم انه غني على الاطلاق مرجوع اليه في الحوائج فاذا مس الانسان ضر دعا به اما التوحيد فلم يكن ثابتا في اذهانهم بل ركز في اوهام العامة ان كل موجود فانه محسوس وكل محسوس فهو منقسم فلا جرم جاء لفظ احد منكرا ولفظ الصمد معرفا آخر لم كرر اسم الله ولم تقتصر على ضميره وثانيا الجواب لما قيل هو المسك ما كررته يتضوع ولانه قد سبق ضمير الشان فكانه يلزم الاشتراك ولما ان الاول افاد بلفظ هو مرتبة الصديقين والخطاب بقوله الله الصمد لعموم الخلائق والسابقون منهم قليل فاعتبار الاغلب اولى آخر كون الشخص مولودا اقدم من كونه والدا فلم قدم قوله لم يلد على قوله لم يولد اجيب بان النزاع انما وقع في كونه والدا حين قالت النصارى المسيح ابن الله واليهود عزير ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله بل المتفلسفة الذين قالوا انه يتولد عن واجب الوجود عقل وعن العقل الاول عقل آخر ونفس الى آخر العقول العشرة والنفوس هو العقل الفعال المدبر بزعمهم لما دون فلك القمر فكان نفي كونه والدا اهم ثم اشار الى طريق الاستدلال بقوله ولم يولد كانه قال الدليل على امتناع الولد اتفاقنا على انه ما كان ولدا لغيره واقول كون الشخص مولودا اعتبار معلولية وكونه والدا اعتبار علية ولا ريب ان اعتبار العلية مقدم على المعلولية كان العلة بالذات متقدمة على اعتبار المعلولية فالسؤال مدفوع قالوا انما اقتصر على لفظ الماضي لان النزاع كان واقعا في المسيح وعزير ونحوهما فوقع قوله لم يلد جوابا عما ادعوه عليه واما قوله ولم يولد فلم يكن مفتقرا الى هذا التوجيه لان كل موجود اذا لم يكن مولودا في مبدا تكونه فلن يكون مولودا ابدا واقول لعل المراد بقوله لم يلد نفي ان يكون هو ممن شانه الولادة وهذا المعنى يشمل كل زمان وبهذا التفسير لا يصح على العاقر انه لا يلد ويصح انه لم يلد واعلم انه سبحانه بين كونه في ذاته وحقيقته منزها عن جميع انحاء التركيب بقوله هو الله احد ثم بين كونه ممتنع التغير عما هو عليه من صفات الكمال ونعوت الجلال بقوله الله الصمد ثم اراد ان يشير الى نفي من يماثله وهو اما آخر والجملة بقوله لم يلد واما سابق وهو الاصل بقوله ولم يولد واما مقارن له في الوجود وزيغه بقوله ولم يكن له كفوا احد ويجوز ان يكون الاول اشارة الى نفي من يماثله بطريق التولد او التوالد والثالث تعميما بعد التخصيص ويحتمل ان يراد بالاخير نفي الصاحبة لان المصاهرة تستدعي الكفاءة شرعا وعقلا فيكون ردا على من حكى الله عنهم في قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قاله مجاهد سؤال قد نص سيبويه في كتابه على ان الخبر قد تقدم على الاسم في باب كان ولكن متعلق الخبر حينئذ لا يقدم على الخبر كيلا يلزم العدول عن الاصل بمرتبتين فكيف قدم الظرف وهو له على الاسم والخبر جميعا اجاب النحويون عنه بان هذا الظرف وقع بيانا للمحذوف كانه قال ولم يكن كفوا احد فقيل لمن فاجيب بقوله له نظيره قوله وكانوا فيه من الزاهدين وقوله فلما بلغ معه السعي والله تعالى اعلم

سورة الفلق مكية حروفها تسعة وسبعون كلماتها عشرون اياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق ۝ من شر ما خلق ۝ ومن شر غاسق اذا وقب ۝ ومن شر النفاثات في العقد ۝ ومن شر حاسد اذا حسد

[illegible]

سورة الناس مدنية وحروفها تسعة وسبعون كلماتها عشرون

آياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس ۝ ملك الناس ۝ اله الناس ۝ من شر الوسواس الخناس ۝ الذي يوسوس في صدور الناس ۝ من الجنة والناس ۝ صدق الله

[illegible]

من الاول فالاحسن ايضا وضع المظهر مقام المضمر كيلا يكون المقصود مفتقرا الى ليس بمقصود في الظاهر مع رعاية تواصل الاي وقيل لا تكرار في السورة
لان المراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل لشدة احتياجهم الى التربية وبالثاني الشبان ولفظ الملك المنبي عن السياسة يدل عليه لمزيد افتقارهم
الى الزجر لقوة دواعي الشهوة والغضب فيهم مع ان العقل الصارف لم يقو بعد ولم يستحكم وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبي عن استحقاق العبادة
له يدل عليه لفتور الدواعي المذكورة وتشتد توجه النفس الى تحصيل ما يزلفه الى الله تدارك ما فات والمراد بالرابع الصالحون والابرار فان الشيطان
مولع باغوائهم وبالخامس المفسدون الاشرار لانه بيان للموسوس فان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وقد يكون من الناس كما قال
شياطين الانس والجن والخناس هو الذي من شانه ان يخنس اي يتاخر وقد مر في قوله فلا اقسم بالخنس عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه
خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه فكما ان شيطان الجن يوسوس تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس يرى نفسه كالناصح المشفق
فان زجره السامع انخنس وترك الوسوسة وان تلقى كلامه بالقبول بالغ فيه حتى نال منه وقال قوم الناس الرابع يراد به الجن والانس جميعا وهو
اسم للقدر المشترك بين النوعين كما روي انه جاء نفر من الجن فقيل لهم من انتم فقالوا اناس من الجن وقد سماهم الله رجالا في قوله وانه كان رجال
من الانس يعوذون برجال من الجن والناس الخامس هو المخصوص بالبشر ومعنى الاية على هذا التقدير ان هذا الوسواس الخناس لا يقتصر
على اضلال البشر ولكنه يوسوس النوعين فيكون قوله من الجنة والناس بيانا للناس الرابع وفي هذا القول ضعف لانه بعد تسليم ان لفظ الناس يطلق على القدر
المشترك يستلزم الاشتراك المخل بالفهم وذكر صاحب الكشاف ان جعل قوله من الجنة والناس بيانا للناس فالاولى ان يقال ان الناس محذوف
اللام كقوله الداع والقاض قال تعالى اجيب دعوة الداع وحينئذ يكون تقسيمه الى الجن والانس صحيحا لانهما النوعان اللذان خصا من حق الله تعالى
وقيل من الجنة والناس بدل من الوسواس كانه استعاذ بربه من ذلك الشيطان الواحد ثم عمم فاستعاذ به من جميع الجنة والناس وقوله
من شر الوسواس المضاف محذوف اي من شر ذي الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس
بالكسر ويحتمل ان يقال سمي الشيطان به لانه كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وعمله الذي هو عاكف عليه نظيره انه عمل غير صالح وانما قال في صدور
الناس ولم يقل في قلوبهم لان الشيطان لا تسلط له على قلب المؤمن الذي هو بين اصبعين من اصابع الرحمن واعلم ان المستعاذ به مذكور في السورة الاولى
بصفة واحدة وهو انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلثة انواع من الافات الغاسق والنفاثات والحاسد واما في السورة الثانية فالمستعاذ به
مذكور بصفات ثلث وهي الرب والملك والاله والمستعاذ منه افة واحدة وهي الوسوسة وفيه اشارة الى ان حفظ النفس والدين اهم من حفظ
البدن بل الثاني مطلوب بالعرض والاول مقصود بالذات **تاويل السورتين** اعوذ بالرب الذي فلق ظلمات بحر العدم بنور التكوين والايجاد
من شر عالم الخلق المزوجة خيراتها بالافات ولاسيما عالم الكون والفساد الذي هو جماد ونبات وحيوان والجمادات ابعد من الانوار لكنها من جميع القوى
الروحانية والمراد بقوله ومن شر غاسق وقب ان ثابت النابات في الاقطار الثلثة الطول والعرض والعمق ومن العقد الثلث فلذلك حيث
قوى بالنفاثات فيها وفوقها القوى الحيوانية من الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب لمانعة الروح الانسانية عن الانصباب الى عالم
الامر كالحاسد يمنع المرء كماله ويشترى حاله ثم اراد ذكر مراتب النفس الانسانية التي هي اشرف درجات الحيوان فقوله رب الناس اشارة
الى العقل الهيولاني المفتقر الى مزيد تربية وترشيح حتى يخرج من معدنها ويظهر من كمينها وقوله ملك الناس اشارة الى العقل بالملكة لانه كمل
العلوم البديهية وحصلت له ملكة الانتقال الى العلوم الكسبية وان النفس في هذه الحالة احوج الى الزجر عن العقائد الباطلة والاخلاق الفاسدة
والتاديب في الصغر كالنقش على الحجر وقوله اله الناس اشارة الى سائر مراتبها من العقل بالفعل والعقل المستفاد فان الانسان اذ ذاك كانه صار
عالما معقولا مضاهيا لما عليه الوجود فعرف المعبود فتوجه الى عرفانه والعبادة له وايضا اتصف بصفاته وتخلق باخلاقه كما حكي عن ارسطو انه قال افلاطن
الانسان تاله او انه انتشى ثم ان العقل والوهم قد يتساعدان على تسليم بعض المقدمات ثم اذا آل الامر الى النتيجة ساعد العقل عليها ودفع الوهم فكان الوهم
خنس اي رجع عن تسليم المقدمة فلهذا امر الله سبحانه بالاستعاذة من شره وقد ورد مثله في الحديث روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ياتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته وهذه اخر درجات النفس الكاملة الا
فلا جرم وقع ختم الكتاب الكريم والفرقان العظيم عليه ونحن ايضا نختم التفسير بهذا التحقيق والله ولي التوفيق والهادي في العلم والعمل الى سواء الطريق
قال الضعيف مؤلف الكتاب احوج خلق الله الى رحمته ورضاه الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله في اولاه واخراه
هذه ايها المعروف باعتناء غرائب المجد المشغوف باقتناء مناقب الحمد الكامل شوقه الى فهم غرائب القران والقران كله غرائب
الباذل طوقه في درك رغائب الفرقان والفرقان باسره رغائب عقائل مسائل جهزتها وخطبة من مكايد النفس ابد خامدة وذرا
فوائد نظمتها قرينة من صنوف الصروف جاهدة وقد نطقت بها عن حزن ابادتها وتحركت بها لاجل زلازلها اعتزمت بها على
انها مع سوادها سقط من سنها ابيض الخلال ومع برازة ذاتها بين لحيها حوة الباء في ملحة المقال والذي قد يخ فوها مع عقوقه
وفيها غذية على العذبات سلسلة على الاسلات يبكي ويضحك ويهلك ويملك ويفقر ويثري ويريش ويبري ويمنع
ويعطي ولولا الله لذكرت انه يميت ويحيي في رتبها وقد دمع طلاوتها حلاوة فان شئت فراقه بها راقة وابوب فيه من الحكم اسلوب
واي اسلوب وكيف لا وقد اشتملت مطاويه ما رسمه على مجاري كتاب الله الكريم واحتوت مباني ما رتبته على معاني القران العظيم
الذي اخرس شقاشق الفصحاء حين ارادوا معارضته بعجزهم لا يكمل من ادمغتهم واو فرسابع اول الغنا ومن العباد في البلاد بجهلهم
للصم في اصمختهم صحيفة يلوح عنها اثر الحق ولطيفة يفوح مناشق الصدق بضاعة يحملها اهل النهى في سفر الروح الى مكانها وتجارة اربابها
جنات النعيم واجارة اعواضها الفوز بلقاء رب العرش العظيم وقد تضمن كتابي هذا حاصل التفسير الكبير الجامع لاكثر التفاسير
وضمن جل كتاب الكشاف الذي رزق له القبول من اساتذة الاكناف والاطراف واحتوى مع ذلك على النكت المستحسنة
الغريبة والتاويلات المحكمة العجيبة مما لم يوجد في سائر تفاسير الاصحاب او وجدت متفرقة الاسباب متفرقة الانساب
او مجموعة طويلة الذيول والاذناب اما الاحاديث فاما من الكتب المعتبرة المشهورة كجامع الاصول والمصابيح وغيرها واما من كتاب
الكشاف والتفسير الكبير وكذا الاحاديث المورودة في الكشاف في فضائل سورة سورة فانا قد اسقطناها لان النقاد زيفوها الا
ما شذ منها واما الوقوف فللامام السجاوندي رحمه الله مع اختصار لبعض تعليلاتها واثبات للايات توقفها على التوقيف واما اسباب
النزول فمن كتاب جامع الاصول او التفسيرين او من كتاب الامام الواحدي واما اللغة فمن الصحاح للجوهري ومن التفسيرين كما نقلا واما المعاني

والبيان

والبيان وسائر المسائل الادبية فمن التفسيرين والمفتاح وسائر الكتب العربية واما الاحكام الشرعية فمنها ومن الكتب المعتبرة في الفقه
ولا سيما شرح الوجيز للامام الرافعي رحمه الله تعالى **واما التاويل** فاكثرها للشيخ المحقق المتقي المتقن نجم الملة والدين المعروف بداية قدس نفسه
وروح رمسه وطرف منها مما او رفي خلدي وسمحت بها ذات يدي غير جازم بان المراد من الاية هو هذا بل خائف من ان يكون
ذلك جبرا وتوهما وخوضا فيما لا يعنيني وانما شجعني على ذلك سابقة قدم الائمة الذين استنهروا ما فذوق والوجدان وجمعوا
بين الايات والعرفان لكمال ونحوا باب التاويل الذي هو باب واسع لا يكاد يطمع في تضييقه طامع فان صعب فيها
واو اخطات فعلى الامام بالسهو والعذر مقبول عند اهل الكرم والنهى والله المستعان لما ذلهم في سلطان الكفر
الذلك وعلى رحمته التكلان في مجال الخطأ والكلل بعمل المراد ان يبذل وسعه لادراك الحق ثم انه مع
لاراءة الصواب ومعان لالهام الصدق وكذا الكلام في بيان الارتباط والمناسبات من السور
والايات وفي انواع التكريرات واصناف المشتبهات فان للخواطر والفطن فيها
مجالا وللناس الاكياس في استنباط الوجوه والنكت خاطرك مقالا
فسلك انما التاثل القبل (?) والمنصف المتدين ان لا يبادر في مثال
هذه المقامات الى الاعتراض والانكار

الحمد لله الذي وفقني لتحرير هذا التفسير لكلام القديم وسددني لتكميله بعون لطفه العميم
والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين بهجة من له القدر الرسيخ
والعز الباذخ وهو العارج الى معارج الفضائل والعوارف
والصاعد الى منازل الكمالات والمعارف اعني وزير
شيخ الجناب مشير معالي نصاب دستور مكرم مشير مفخم
حضرت راغب محمد باشا حفظه الله تعالى عن الافات الخفية
والقاهرة وانا العبد الفقير عثمان المعروف
بحافظ القران في سنة خمس وستين ومائة والف
من هجرة من له العز والشرف

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور ب...
١١٧٥ وكفى عبده